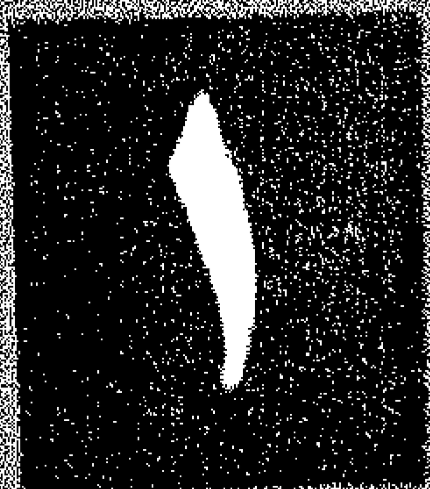
الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



1

يناير-١٩٧٠

السنة السادسة

حسابات عام ١٩٦٩

أجندة الستينيات

أسئلة تطرحها السبعينيات

قضية الدولة فى المرحلة الأولى للبناء الاشتراكى

" وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية "

حوار عربى مع جارودى



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشد سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة » :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠
— ٥٩٥٦٠
الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول
اتحـاد البريد العـربى ودول الدار
البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهرس

العدد الاول — السنة السادسة — يناير ١٩٧٠

عدد خاص



مكسيم رودنسون في القاهرة

يزور الجمهورية العربية المتحدة ، ابتداء من ٢٢ ديسمبر الماضى ، ولمدة أسبوعين ، المفكر الاشتراكى الفرنسى « مكسيم رودنسون » استاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون ، وذلك تلبية لدعوة من أسرة تحرير الطليعة .

وتندرج هذه الزيارة فى اطار خطة الطليعة لادارة حوار عربى مع أخصب عقول عالمنا المعاصر ، واتاحة ارحب فرص للقاء والتفاعل مع تيارات الفكر التقدمى فى العالم .

« ورودنسون » ، مناضل ومفكر اشتراكى . ومن أبرز علماء الاجتماع . وعلى معرفة واسعة وعميقة بواقع الشعوب العربية وتاريخها وحضارتها وحركتها الثورية . وله فى هذا المجال دراسات هامة ومواقف مبدئية شجاعة فى تعاطفه وتأييده لقضية الثورة العربية . وكان فى مقدمة من تصدوا منذ اكثر من خمسة عشر عاما للصهيونية كحركة عنصرية مرتبطة بالامبريالية العالمية ، وكشف طبيعة « الواقع الاستعمارى » لاسرائيل .

ويلقى « رودنسون » مجموعة من المحاضرات العامة ، كما نظمت له الطليعة عددا من الندوات ، سنقوم بنشر نصوصها الكاملة فى الاعداد التالية .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .

الافتتاحية

أســـــئلة تطـــرحها الســـــبعنيات

يقتحم جيلنـــــا اليوم ، ابـــواب سبعينيات القرن العشرين، وهزيمة ١٩٦٧ مابرحت تثقل كاهله . وبالتالى فان تخطيهـــا وتخطى اسبابها ـ ذاتيا وموضوعيا ـ مازالا يشكلان جوهر مسئولياته ازاء حركـة التحـرر العـــربى المعاصرة · هذه الحـركة التى تفتحت عن « بعد قومى وحدوى » ملموس منذ الخمســــينيات ، وراحت ـــ فى الســـتينيات ـــ تكتسب « بعدا اجتماعيا تقدميا » .. غير أن كلا من البعـــدين ـــ لظروف معقدة فى محليتها وقوميتها وعالميتها ـــ لم يستكمل بعد ، المرحلة الاستراتيجية التى كان من المنتظر انجازها تاريخيا .

هذا هو ـ فى رأيى ـ الاطار العام لواقع الحال ، ونحن نتحرك من نهاية الستينيات ذات الاجابات التى تحددت بـايجابياتها وسلبياتها ، الى بداية السبعينيات · ومع هذه البداية يتفجر طوفان من الاسئلـة ، يتطلب جهدا جديدا وخلاقا لصياغة اجابات أكثر صحة وتقدما واستجابة لاحتياجات حركة التحرر العربى بأبعادها الوطنيـة والقومية والاجتماعية التقدمية ·

واسئلة السبعينيات ـ على الاقل فى بداية تلمسها ـ لا تنبت شيطانيا · ولا تجود بها مجرد تصورات ذهنيه وشطحات خيالية · وانما تنبع كرد فعل جدلى لواقع الستينيات وصراعاتها · ومن هنا فان كل ضوء ممكن القائه على مكونات هذا الواقع ، يصبح ضروريا ولازما لطرح اسئلة السبعينيات ، طرحا صحيحا ومثمرا ·

ولعل أول ما يتطلب تركيز الضوء عليه ، هذا الجيل الذى يتأهب لخوض السبعينيات ،

حاملا على كاهله هزيمة ١٩٦٧، ٠٠ ما هو ؟

الجيل هنا ـ على ما أعتقد ـ ليس مجرد جيل زمني • يتحدد بعمر معين • وان كان من غير الممكن اغفال وزن عنصر الشباب فيه • وهو العنصر الذى تفتح وعيه وراح يشارك ـ بطريقة أو بأخرى ـ فى تحمل مسئوليات حركة التحرر العربى منذ أواخر الخمسينيات والستينيات • غير أن هذا العنصر بمكوناته وظروفه المتميزة ، يظل فى الدرجة الثانية من الاعتبار ، وذلك بالقياس للطبيعة الاجتماعية للجيل والتى تحتل ـ بالضرورة ـ الدرجة الاولى من الاهمية •

وانطلاقا من هذا التحديد الاجتماعى والزمنى ، فان الجيل الذى نقصده هو هذا الذى ينتمى ـ فى المرحلة الراهنة ـ الى أكثر الطبقات والفئات الاجتماعية مصلحة فى المضى بحركة التحرر العربى قدما دون تجميدها فى اطار الوضع الراهن ، وكأنه غاية المنى ونهاية المطاف • ولكن ما هو المعيار الذى يمكن به قياس هذه المصلحة ؟ فى رأيى أن محصلة واقع الستينيات تقدم لنا فى هذا المجال معيارا واضحا ومحددا •

وهو مدى الرغبة المتلازمة مع القدرة ، على دفع حركة التحرر العربى نحو انجاز مهام تصفية مراكز ونفوذ الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، بما فى ذلك الكيان الصهيونى ، **فى نفس الوقت** مع انجاز مهام التمهيد لبناء أول الاشكال الممكنة واقعيا لوحدة عربية منتجة • **فى نفس الوقت** مع انجاز مهام وضع الاسس المادية والمعنوية اللازمة لتحول جذرى شامل نحو الاشتراكية • وذلك كترجمة فعلية لما نسميه بالتقدم الاجتماعى والاقتصادى فى الوطن العربى •

من خلال هذا المعيار يمكن أن نفرز على ضوء تجربة الستينيات ـ طبقتين أساسيتين ، تدور من حولهما فى نفس الوقت فئتين اجتماعيتين ـ سياسيتين ، لكل منها وضع خاص ووزن مؤثر فى المجتمعات العربية •

أما **الطبقتان** فهما : أولا ـ الفلاحون الفقراء (٥ أفدنة فى مصر) وثانيا ـ العمال الذين تضاعفت قواهم ـ كما وكيفا ـ نتيجة حركة التصنيع الجارية منذ أواخر الخمسينيات بدرجات متفاوتة فى البلدان العربية •

وأما **الفئتان** فهما : المثقفون والجنود ، الذين لا ينتمون ـ فكرا أو مصلحة ـ الى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة • وقد يبدو هذا التعريف بالسلب ، غريبا • بيد أنه هو الممكن الان فى الواقع العربى ، وذلك نتيجة تفاوت درجات النمو فى البلدان العربية وبالتالى تعقد تركيباتها الاجتماعية •

غير أن هذا كله لا يكفى • ذلك أن المعيار الذى نستخدمه يصطدم اصطداما ، ايجابيا وسلبيا ، بجانب محدد من الطبقة البرجوازية فى البلدان العربية جميعا • وهو ما اصطلحنا على تسميته **سياسيا** « بالبرجوازية الوطنية »، والتى تعنى « **اجتماعيا** » فى واقعنا العربى البرجوازية الصغيرة وأحيانا فئات من المتوسطة ، مثل التجار والمقاولين والمزارعين متوسطى الحيازة ٠٠ الخ •

والسؤال الذى واجهنا طوال الستينيات : ماهو الموقف من هذه الشريحة ـ ذات الوزن الاجتماعى والسياسى ـ من الطبقة البرجوازية ؟ هل هى مع الثورة العربية أو مع الثورة المضادة ؟ واذا كانت مع الثورة فما هو موقعها ودورها ؟ بمعنى هل هى جزء أصيل من قواها أو حليف لها • واذا كانت مع الثورة المضادة ، فكيف يمكن مواجهتها وتصفيتها ؟

ومن الواضح ، أن اجابات الواقع العربي حتى نهاية الستينيات ، قد اتفقت ـ بدرجات وظلال متفاوتة ـ على أن هذه الشريحة من الطبقة البرجوازية ذات الطبيعة المزدوجة ، مع الثورة العربية بمرحلتها الراهنة ، في موقع الحليف •

بيد أن ما يواجه قوى الثورة العربية ، خلال السبعينيات ، هو كيف يمكن التعامل ـ من خلال التحالف ـ مع هذه الشريحة البرجوازية ، دون تمكينها ـ بحكم ما تملكه من وسائل وخبرات وقيم وعادات وتقاليد شائعة ومستقرة نسبيا في المجتمع ـ من السيطرة فكريا وسياسيا ، بطريق مباشر أو غير مباشر على التحالف وتوجيهه وفقا لمصالحها البرجوازية الضيقة ؟

والواقع أن هذا السؤال في حد ذاته ، يفتح الباب أمام العديد من الاسئلة الهامة التي تواجه جيلنا في السبعينيات حول قضايا تعبئة وتنظيم قوى الثورة وحلفائها والسيطرة على أدوات ووسائل الحركة فكريا وسياسيا ، سواء على المستوى المحلي في كل بلد عربي أو على المستوى القومي الشامل • وذلك في المواجهة الواسعة النطاق والمتعددة المواقع والنوعيات لتحديات العصر • حيث تشمل كل من التحديات الاستعمارية والصهيونية (**القضية الوطنية**) وتحديات التخلف والاستغلال (**قضية التنمية والتكنولوجيا والتحول الاشتراكي**) وتحديات التفتت والبعثرة القومية (**قضية الوحدة العربية**) •

من الواضح أن طبقة واحدة لا تملك القدرة ـ منفردة ـ في أي بلد عربي اليوم على الاستئثار بالسلطة •

ومن الواضح أيضا أن تزاوج ثلاثة أهداف رئيسية للثورة العربية في وقت واحد قد بلور من خلال التجربة نتيجتين رئيسيتين :

أولاهما : تجسد الثورة المضادة في طبقتي الاقطاع والبرجوازية الكبيرة •

وثانيتهما : ضرورة صياغة بناء تنظيمي واسع يضم قوى الثورة وحلفاءها وذلك بأساليب وأشكال تختلف باختلاف ظروف كل بلد عربي •

غير أن التجربة أيضا ـ وخاصة بعد ١٩٦٧ • قد كشفت عن أن مثل هذا البناء التنظيمي الواسع لقوى الثورة وحلفائها ، يظل غير قادر على الحركة المؤثرة والفعالة ، اذا لم يستند تنظيميا الى عمود فقري يتكون من أصلب وأوعى العناصر الاشتراكية المتجددة القوى باستمرار ، بحيث يغدو في الواقع الفعلي ـ ومن خلال العمل السياسي لا التعليمات السياسية ـ رأس وقلب التنظيم الواسع •

ذلك أن افتقاد هذا العمود الفقري يعرض التنظيم الواسع (الجبهة أو الاتحاد) لمخاطر عديدة •• كيف ؟ هناك احتمالات عديدة واردة نتيجة هذا الوضع •

فمثل هذا الوضع يغري مثلا البرجوازية الكبيرة خارجه على الاتصال بالبرجوازية الصغيرة داخله وانعاش تطلعاتها الطبقية الضيقة ، لتعمل بمختلف الاساليب المتاحة أمامها في مجتمع مازال في بدايات مرحلة التحول والتي تبدو في كثير من الاحيان مشروعة بحكم قواعد العرف والقيم والعادات والقوانين البرجوازية التي ما برحت سائدة ، للسيطرة على العديد من مراكز المسئولية في التنظيم وتحويله من أداة تحالف الى أداة تقوم بدور الحزب البرجوازي مستترة تحت راية التحالف •

وثمة احتمال آخر بأن يصبح التحالف بناء شكليا لمجموع قوى تسكن بناء واحدا ولكن لكل منها « شقتها الخاصة » المنعزلة عن الاخريات بمعنى أن يشجب الارتباط بالخط السياسى العام للتنظيم بكل القوى المشتركة فيها ، لتقوى على العكس الاتجاهات الفئوية الضيقة لكل قوة على حدة ٠

وثمة احتمال ثالث وهو شيوع مناخ التكتلات والانقسامات ذات الولاءات الشخصية داخل التنظيم الواسع ، الامر الذى يضعف من فاعليته ويحرفه عن مهامه الموضوعية ويستنفد طاقاته فى صراعات جانبية وأحيانا وهمية ٠ بحيث تبدو القوى الاشتراكية وهى تناضل من أجل الوحدة وتصارع اتجاهات التكتلات الشخصية ، وكأنها ضد التنظيم ٠ وتشرع فوق رؤوسها مطارق الاتهامات وسط جو من الضباب والشك بهدف عزلها وتخريب معنوياتها وتحطيمها ٠

والتجربة كذلك ـ خاصة بعد ١٩٦٧ ـ تكشف عن مدى أهمية وحيوية الدور الذى يقوم به ـ ايجابا أو سلبا ـ كل من المثقفين والجنود فى كل مجتمع عربى ٠ وبالتالى ضرورة العمل على نسج قواهما وتنظيماتهما الخاصة نسجا حقيقيا ومتينا بالخط السياسى الثورى وكيانه التنظيمى ، آخذا فى الاعتبار أوضاعهما المتميزة لا المميزة ٠ وذلك بحكم طبيعة أعمالهما ونشاطهما ٠

ومن هنا ـ فعلى المستوى المحلى فى كل بلد عربى ـ تواجهنا السبعينيات فى هذا المجال بأكثر من سؤال يتطلب اجابة واقعية وثر ية :

● ما هو الشكل الملائم لكل بلد عربى لبناء التنظيم الجماهيرى الواسع الذى يضم كل قوى الثورة وحلفاءها على ضوء حصيلة الستينيات ؟

● كيف يمكن للقوى الاشتراكية فى كل بلد عربى ، والتى تنبع من أصول فكرية واجتماعية متباينة أن توثق من وحدتها وأن تغدو عقل وقلب التنظيم الجماهيرى الواسع ؟

● ما هى الضمانات التى تحول دون سيطرة البرجوازية الصغيرة على التنظيم الجماهيرى الواسع أو تفتيت وحدته الى تكتلات ذات ولاءات شخصية أو سيادة الاتجاهات الفئوية على الخط السياسى العام والموحد ؟

● كيف يمكن ربط قوى المثقفين والجنود ربطا سياسيا بالخط الثورى ، دون ما اغفال للطبيعة الخاصة لكل منهما ؟

● كيف يستطيع التنظيم أن يوائم بين تعبئة كل جهد وطنى فى سبيل تخطى هزيمة ١٩٦٧ وبين استمرار عملية التحول الاشتراكى للمجتمع أو دفعه على طريق الاشتراكية ؟

فى الستينيات ، عاش الوطن العربى كله سبع ظواهر رئيسية تركت ، ولا تزال ، بصماتها الايجابية والسلبية على مساره العام ومصيره المشترك ٠

● التحام الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية بثورة التحرر الوطنى العربية ، وبروز الصراع الاجتماعى السياسى على الصعيد القومى الشامل ٠

● تحطم وانهيار أول تجربة للوحدة العربية (مصر وسوريا)فى العصر الحديث نتيجة أخطاء داخلية وقوى مضادة للثورة العربية محلية وخارجية معا ٠

● زيادة وزن القوى التقدمية العربية فى الوطن العربى ـ سواء أكانت حاكمة أم غير حاكمة ـ وذلك بالقياس الى وزنها فى الخمسينيات ٠ مع ملاحظة تباين المنابع الفكرية والاجتماعية لهذه القوى من ناحية ، والتقائها العام من ناحية أخرى فى عدائها للامبريالية والاستعمار القديم والجديد والكيان الصهيونى وطبقتى الاقطاع والبرجوازية الكبيرة ٠

● هزيمة ١٩٦٧ بآثارها السلبية العسكرية والسياسية والاقتصادية من ناحيه ٠ ورد فعلها الايجابى من ناحية أخرى والذى تمثل فى ضرب البرجوازية البيروقراطية والعسكرية ، وتعرية ما أصبح يعرف سياسيا بالطبقة الجديدة ، وارتفاع مستوى الوعى الشعبى من خلال عملية النقد الواسعة النطاق التى تفجرت ، رصدا وبحثا وتحليلا ، لاسباب الهزيمة ٠

● مولد ونمو المقاومة الفلسطينية السياسية والمسلحة جاء تعبيرا عن ارادة الشعب الفلسطينى فى خوض معركة تحرير بلاده فى اطار حركة التحرر العربية والعالمية ٠

● تركز الاهتمام حول التخلف التكنولوجى فى البلدان العربية بحيث غدت عمليه تغذية الثورة العربية المعاصرة بالثورة التكنولوجية ، قضية قومية ملحة ٠

● استقطاب اسرائيل للتأييد الامبريالى العالمى وخاصة الولايات المتحدة ، واستقطاب العرب لتأييد العالم الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى ٠

والمقام هنا لا يتيح لى فرصة العرض والتحليل ، فالمطبعة تستعجلنى وتحملنى مسئولية عدم صدور الطليعة فى موعدها ٠ ولذلك أرانى مضطرا الى القفز مباشرة ،عبر التحليل الى النتائج التى استطعت تلمسها من خلال هذه الظواهر السبع ٠

لعل **أولى هذه النتائج** هو أن القوى التقدمية العربية قد تعمق لديها الاحساس الكامل بأن تخطى هزيمة ١٩٦٧ واسبابها العسكرية والسياسية والاجتماعية هو أولا وأخيرا مسئوليتها هى قبل أن يكون مسئولية القوى العربية الاخرى ٠

أما **النتيجة الثانية** فتتبلور فى أن الطاقات العربية لم تجند كلها وبطريقة منتجة وفعالة فى المعركة مثلما جندت الطاقات الصهيونية من وراء اسرائيل ٠

والنتيجة الثالثة أن تخطى الهزيمة من ناحية ودفع حركة التنمية فى كل بلد عربى والاستفادة الحقيقية والسريعة بالثورة التكنولوجية ، تستلزم البدء فى صياغة أشكال وعلاقات وحدوية ممكنة واقعيا بين أجزاء الوطن العربى ٠

والنتيجة الرابعة تتجسد فى اغتناء حركة التحرر العربى المعاصرة بأسلوب الكفاح المسلح الجماهيرى الذى فجرته حركة المقاومة الفلسطينية ولقى أعمق استجابة من الشعب الفلسطينى والشعوب العربية كلها ٠

والنتيجة الخامسة تتبلور فى التيقن من أن أخلص وأقدر حليف لحركة التحرر العربى هو العالم الاشتراكى ٠

من أرضية هذه النتائج الخمس مجتمعة يبرز أمامنا عدد من أسئلة السبعينيات :

● كيف يمكن للقوى التقدمية العربية – على الرغم من تباين منابعها ، وسواء أكانت حاكمة أم غير حاكمة – أن تبنى وحدة عملها على أساس استراتيجية قومية شاملة ؟ .. وما هى خطوط هذه الاستراتيجية وكيف يمكن الوصول اليها من خلال حوار جاد ومسئول ومنظم قبل أن تداهمنا معركة المصير ؟

● ان الاستراتيجية القومية لا تنفى وجود استراتيجية محلية خاصة للقوى الثورية فى كل بلد عربى ، وينبثق عن ذلك سؤال ما هو العام والخاص فى حركة الثورة العربية ؟

● كيف يمكن أن تحمى وتدعم – دون وصاية – حركة المقاومة الفلسطينية حتى تصل الى هدفها ، وهو بناء الدولة الديمقراطية فى فلسطين . وكيف يمكن الاستفادة الى أقصى حد ممكن – دون الوقوع فى هوة المغامرة – بأسلوب الكفاح المسلح فى اطار الثورة العربية ككل ؟

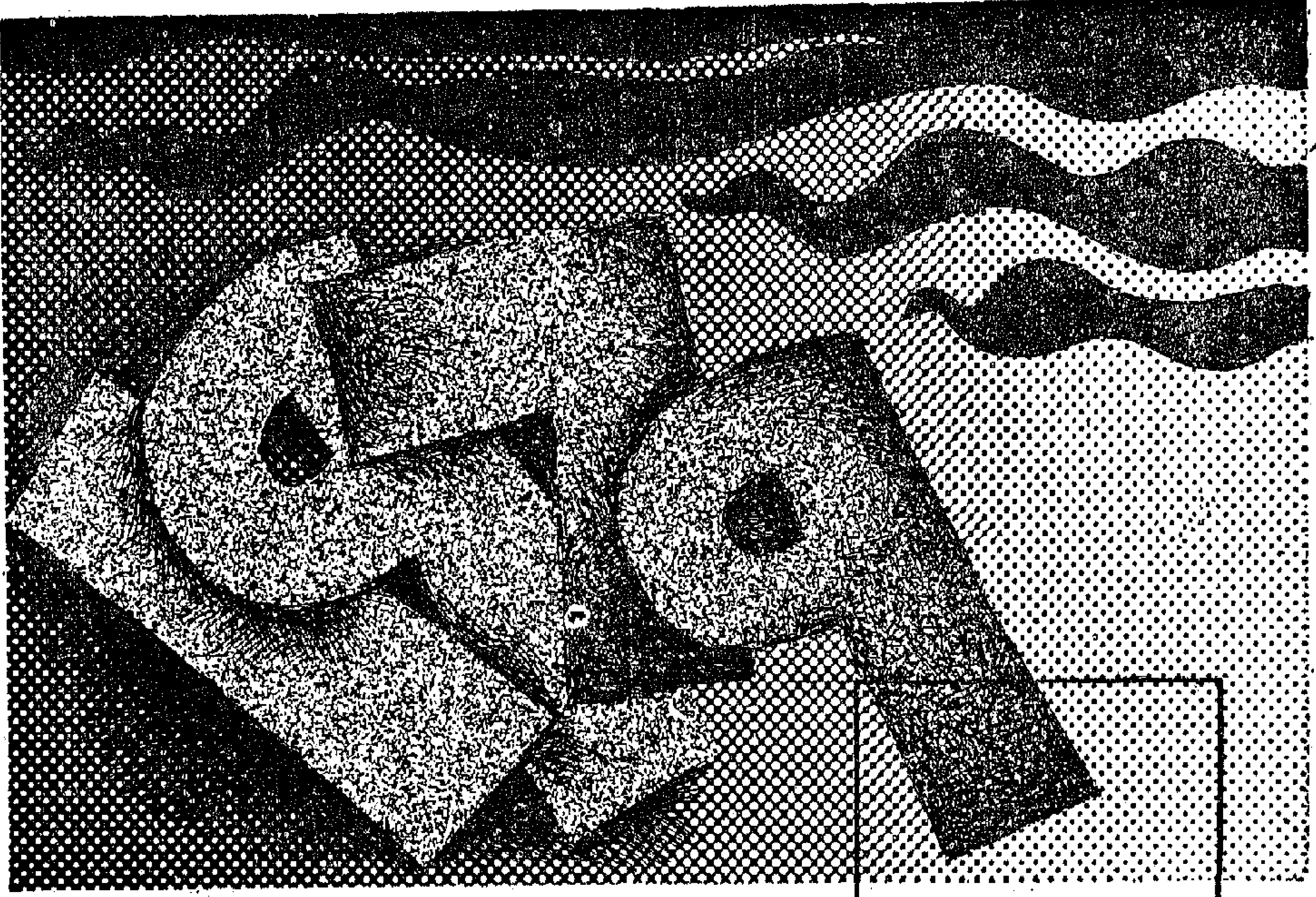
● هل يمكن انجاز مرحلة التحول نحو الاشتراكية والاستفادة ذات المعدل السريع بالثورة التكنولوجية فى كل بلد على حدة وفى حدود امكانياته وحدها ؟ أم أن ذلك لا يمكن توافره الا من خلال طريق الوحدة العربية ؟ وبالتالى فما هى أقدر الاشكال وأنسب الوسائل الممكنة واقعيا – خلال السبعينيات – لنسج العلاقات الاولى الممهدة لوحدة قومية ذات مضمون تقدمى ؟

● كيف يمكن ، وقد كشفت التجربة عن حقيقة حليفنا العالمى ، أن نوثق به أقوى الروابط وأكثرها فاعلية وذلك لمواجهة التحالف الامبريالى – الصهيونى ؟

وبعد ..

فهذا بعض من الاسئلة التى تطرحها السبعينيات على جيلنا . وذلك على مدى بعد الرؤية الذى أتيح لى من موقعى المحدود فى أواخر الستينيات ، وبنوع من العجلة يشوبه التعقيد . بيد أن ما شجعنى على التصدى لهذا الموضوع هو الرغبة فى فتح الباب لمزيد من التساؤل . والدعوة الى جهد جماعى فى البحث عن صياغات واقعية وثورية للاجابات . ووضع هذا كله فى ساحة المناقشة العربية الشاملة والمفتوحة . أو بتعبير آخر نوع من التحريض – اذا صح هذا التعبير – على التفكير العربى فى قضايا السبعينيات، بصوت مسموع قبل ان تفجأنا الاحداث .

لطفى الخولى



حسابات عام ١٩٦٩

بانتهاء ديسمبر ١٩٦٩ ، لاينتهى فحسب عام ١٩٦٩ وانما حقبة الستينات بأكملها ، ومن هنا يكتسب عام ١٩٦٩ . أهمية لا من حيث ماوقع خلاله من احداث وتطورات على كافة المستويات ، وانما من ناحية انه محصلة نهائية لحقبة الستينات .

ولقد درجنا فى الطليعة فى نهاية كل عام ، على تقديم الحسابات المحلية والعربية والدولية الخاصة بذلك العام .

وهذه المرة ، وفى ضوء فهمنا الاهمية الخاصة لعام ١٩٦٩ ، نقدم حساباته الخاصة وفقا للتقليد الذى سارت عليه الطليعة .

وتتناول الحسابات هذه المرة أولا : أوضاع الجمهورية العربية المتحدة والتى تتضمن رصد تطورات سياستها الداخلية بما فيها تطورات التنظيم السياسى والاقتصادى والقومى ، واوضاع الطبقة العاملة والمثقفين والفلاحين .

كما تتناول كذلك السياسة العربية ، من ناحية اتجاهاتها العامة ، وقضية الصراع العربى الاسرائيلى ، وتطورات المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وتطور الموقف العسكرى عامة .

وتتعرض حسابات هذا العام كذلك بالرصد والتحليل لتطورات السياسة الدولية حتى نهاية ١٩٦٩ ، وتولى عناية خاصة لتطور اوضاع القارة الافريقية فى نهاية هذه الحقبة .

كذلك تتناول ما آل اليه تطور الآداب والفنون والمسرح حتى نهاية عام ١٩٦٩ .(*)



سياسة داخلية

١- التنظيم السياسى
٢- الاقتصاد
٣- الطبقة العاملة
٤- المثقفون

[١] المعركة لاتوقف عملية التطور الاجتماعى

حلمى ياسين

خطت بلادنا وقيادتها السياسية الى عام ١٩٦٩ وهى تؤكد تصميمها على المبادىء التى اجمعت عليها فى مؤتمر الخرطوم وهى الا مفاوضات ولا صلح مع اسرائيل ، ولا تفريط فى شبر واحد من الارض العربية التى تعرضت لعدوان يونيو ١٩٦٧ . ولا مساومة على الارض الفلسطينية لانها ملك لشعب فلسطين .

وعلى أساس ما أثبتته الاحداث المتتالية على امتداد العام - من ان كل ما بذل دوليا من جهد للوصول الى حل سلمى للعدوان - كان جهدا غير منتج - « وانه لم يعد من سبيل امامنا الان نشق طريقنا عنوة وبالقوة وفوق بحر من الدم وتحت افق مشتعل بالنار » . رغم انه زاد من كشف حقيقة العدوان الصهيونى عالميا .

على اساس هذه الحقيقة التى جسدها موقف العدو الاسرائيلى وحلفائه - كانت القيادة السياسية تبلور اكثر فاكثر امام الجماهير - تصورها لطبيعة المعركة وابعادها واحتمالاتها - فهى معركة تحرير ضد الصهيونية وشركائها من الامبريالية العالمية - وهى معركة طويلة وقاسية تتطلب تضحيات كبيرة وغالية وهى معركة استنزاف للعدو تتطلب الثبات والصبر .

ويمكن لنا على ضوء هذا ان نرى انعكاس ذلك التحديد على كافة مجالات العمل

.. القوات المسلحة

وعلى أساس هذا التحديد الواضح لطبيعة المعركة وابعادها - واصلت القيادة السياسية بتصميم وثبات .. اعطاء الاولوية المطلقة للجبهة العسكرية - واعتبار ان اى شىء غيرها قابل للانتظار ووفرت للقوات المسلحة كلما هى فى حاجة اليه من اعتمادات بشرية وماليةوتدريب وتسليح وخبرة صديقة .

لقد وصل حجم القوات المسلحة المصرية الى نصف مليون جندى .. وفى الايام الاخيرة من عام ١٩٦٩ أكد المراقبون أن حجم القوات المصرية لابد وان يصل الى المليون جندى - وخلال العام الماضى تمت تغييرات هامة فى القيادات البحرية واركان حرب القوات المسلحة من أجل توفير اكثر العناصر القيادية مواءمة لمتطلبات المعركة ولتصحيح بعض

الاوضاع الناجمة عن الاختيار للمناصب القيادية العليا على أساس الاقدمية المطلقة عقب استشهاد **الفريق أول عبد المنعم رياض .**

وقد برهنت العمليات الناجحة التى قامت بها قواتنا المسلحة خلال الاسابيع الاخيرة من عام ٦٩ – فى الجو والبحر والبر – برهنت على عمق التغييرات التى طرأت على حالة المقاتلين من الجنود والضباط وجاءت دليلا ماديا ومؤشرا – يدل على حقيقة الجهد الذى بذل من أجل اعادة بناء القوات المسلحة .

الاعداء والاصدقاء

ومن واقع سير الاحداث وتطور موقف الاطراف المختلفة من العدوان ، ومن تصميمنا على زالته – أمكن للقيادة السياسية أن تحدد بحسم الاصدقاء والاعداء .

فبالرغم من أن موقف الولايات المتحدة الامريكية كان دائما هو ذاته موقف اسرائيل – على طول الخط وبدون تحفظات – فانه حتى عشية اجتماع الدول الاربع الكبرى لاول مرة فى ابريل عام ٦٩ – كانت مصر على استعداد لاعادة النظر فى موقفها منها – فى اطار العلاقات بين الدولتين – على أساس موقفها هى فى هذه المباحثات .

وقد جاء الموقف الامريكى على المستوى السياسى فى المباحثات الثنائية والرباعية – وبما قدمته من أوراق عمل ومشروعات لحل الازمة متبنية وجهة النظر الاسرائيلية تماما – وعلى المستوى العسكرى بما قدمته من تسليم الطائرات الفانتوم وتزايد دور العسكريين الامريكيين فى جيش اسرائيل وطيرانها .. جاء كل هذا ليؤكد أن أمريكا تقف منا موقف العدو دون أية مواربة .

وواصل الاتحاد السوفيتى بثبات الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادى لصمود البلدان العربية ووقف مع البلاد العربية دوليا ، باصراره على تنفيذ قرار مجلس الامن على أساس جلاء اسرائيل عن كل الاراضى التى احتلتها، وقدم لمصر وسوريا وغيرهما من البلاد العربية السلاح والخبرة الثمينة . واحتل بجدارة مكان الصدارة فى صف الاصدقاء .

العمل العربى

وعلى أساس ان المعركة لا يستطيع ان يخدمها بالكفاءة الواجبة الا تجميع طاقات الامة العربية

أجندة الستينات

عام ١٩٦٠

يناير

١ – حصلت جمهورية الكاميرون الافريقية على استقلالها من فرنسا . بعد أن كانت تحت الانتداب منذ الحرب العظمى .

٧ – بدء زيارة الملك محمد الخامس ملك المغرب لـ ج.ع.م وقد أكد البيان المشترك للرئيسان وحدة الكفاح العربى ودور القومية العربية فى تحرير الشعب العربى

٩ – أعطى الرئيس جمال عبد الناصر اشارة بدء العمل فى السد العالى وضغط على زر كهربائى ارتفعت معه فى الفضاء ٢٠ الف طن من الصخور نسفها الديناميت بداية فى حفر القناة المكشوفة لتحويل مياه النيل عن مكان السد .

وقد شارك فى الاحتفال الملك محمد الخامس ملك المغرب « والمواطن العربى الاول » شكرى القوتلى .

فبراير

١١ – صدر قرار جمهورى بتأميم كل من بنك مصر والبنك الاهلى .

١٣ – فجرت فرنسا قنبلتها الذرية الاولى فى الصحراء الكبرى الافريقية .

مارس

٢٩ – قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة رسمية للهند . وقد أكد البيان المشترك للرئيسين جمال عبد الناصر ونهرو من ايمان البلدين بسياسة عدم الانحياز ، ورغبتهما بالاحتفاظ بعلاقات ودية مع جميع الدول .

ابريل

١ – فجرت فرنسا قنبلتها الذرية الثانية فى صحراء الجزائر .

١٧ – بدأت اسرائيل فى نسج مؤامرة جديدة ضد العرب ، اذ تدخل زعماء الصهيونية فى نيويورك لمنع تفريغ شحنة الباخرة العربية كليو باترا ، واستخدموا نفوذهم فأضرب عمال الشحن فى ميناء نيويورك عن تفريغ السفينة الراسية فى مينائه . فانذرت نقابات العمال العرب على الفور بمقاطعة جميع البواخر الامريكية فى جميع الموانى العربية اذ لم تنته عملية مقاطعة الباخرة العربية كليوباترا ويجرى تفريغ شحنتها من ميناء نيويورك فورا .

٢٧ – حصلت جمهورية توجو الافريقية على استقلالها من فرنسا منذ أن وضعت تحت الانتداب البريطانى الفرنسى عام ١٩١٤ .

كلها ، واصلت القيادة السياسية تحركها فى المجال العربى على ثلاث ةمستويات :

● واصلت دعمها الغير محدود لمنظمات المقاومه الفلسطينية وسعت لتوحيدها ــ ولقد خطت القيادة السياسية الى عام ١٩٦٩ وهى ترى ان من حق المقاومة الفلسطينية ان ترفض قرار مجلس الامن بوصف ان هذا القرار ليس كافيا بالنسبة للمصير الفلسطينى ــ وانهت عام ٦٩ باعلانها « ان المقاومة الفلسطينية جاءت لتبقى وسوف تبقى حتى تعيــد تأسيس وطنها الفلسطينى وحتى تتـأكد ممارسة هذا الوطن لدوره ضمن النضال الشامل لامته العربية وأن قضية اللاجئين لم تعد مجرد قضية انسانية ولكنها أصبحت بالدرجة الاولى قضية شعب وقضية وطن » •

● تمسكت على امتداد العام بضرورة عقد مؤتمر قمة عربى لكل البلدان العربية ــ وفى ظروف سياسية مواتية عقب انتصار ثورتى السـودان وليبيا وافتضاح موقف أمريكا بشكل لم يسبق له مثيل ــ طرحت الشعار ثانية وبالحاح ونجحت فى تحقيقه بانعقاد مؤتمر القمة العربية فى الرباط يوم ٢١/١٢/٦٩ •

● محاولة زيادة فاعلية خطوط المواجهة بتدعيم الجبهة الشرقية ومحاولة توحيد وتنسيق عمل دول خط المواجهة ــ ومواصلة السعى لتوحيد البلدان العربية المتحررة •

الجبهة الداخلية ــ لجان المواطنين من اجــل المعـــركة

وعلى امتداد العام الماضى كله ــ كانت الجبهة الداخلية بوصفها سند الجبهة العسكرية وقاعدتها الوطيدة هى المطروحة أمام القيادة السياسية •

ان الامر الذى لم يعد فيه شك ــ ان العدو الاسرائيلى سوف يمد الجبهة الى كل مكان فى الارض المصرية ولا يمكن فى مواجهة هذا الخطر ــ مطالبة جماهير الشعب بأن تبقى ساكنة قابعة معتمدة على دور القوات المسلحة فقط • ان المعركة سوف تحتاج الى جهد كل مواطن خلف الخطوط مهما صغرت امكانياته ــ وذلك لسد احتياجات الدفاع الايجابى والدفاع المدنى والخدمة العامة ورعاية اسر المقاتلين •

والسؤال الذى ظل يطرح نفسه ــ هو كيف يمكن أن يتمكن كل فرد منا ان يعطى لوطنه خير ما فيه •

وفى يوليو عام ١٩٦٩ ــ طرح الرئيس جمال عبد الناصر لاول مرة شعار تشكيل « لجان المواطنين من أجل المعركة » على أساس قيام الاتحاد الاشتراكى ولجانه بتكوين لجان للمواطنين من أجل المعركة . على أن هذه العملية فى حد ذاتها « يمكن أن تكون عملية تحريك واسعة للاتحاد الاشتراكى فى مجال الاختيار الاساسى لكل جهد سياسى وهو خدمة المعركة » •

وفى خطاب الرئيس امام مجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٩ القى الرئيس مزيدا من الضوء على فكرة لجان المواطنين من أجل المعركة وطبيعة تشكيلها والمطلوب منها بقوله « ان لجان المواطنين من أجل المعركة تستطيع أن تستقطب وتستوعب طاقات هائلة وراء الخطوط ــ وبغير قيد أو شرط وبغير موانع أو حواجز ولهدف لايختلف عليه اثنان وهو هدف المعركة » كما ان هذه اللجان سوف تستطيع أن تقوم بدور اساسى بعد المعركة ــ اذ تؤدى دورها فى عملية الانتقال من الحرب الى السلام والى عملية اعادة البناء والتعمير التى يجب أن تجرى على أوسع نطاق من بعدها » • وحرص الرئيس ان يؤكد فى خطابه ان هذه اللجان ليست بديلا عن الاتحاد الاشتراكى ولكنها فى نفس الوقت ليست امتدادا شكليا له •

وفى اعقاب خطاب الرئيس أمام مجلس الامة اتسعت المناقشات وما زالت حول لجان المواطنين من أجل المعركة وخرجت الى الصحف والندوات ، متجاوزة بذلك الاطار الذى ظلت تدور فيه لعدة شهور داخل لجان الاتحاد الاشتراكى ومستوياته منذ طرح الرئيس عبد الناصر الشعار لاول مرة فى يوليو •

وقد تبلورت خلال المناقشات حول لجــان المواطنين من أجل المعركة اتجاهات واضحة أهمها اتجاهان أساسيان •

أولهما يرى أن يكون للجان المواطنين من أجل

المعركة هيكل تنظيمي متميز يقوم بتشكيله امناء لجان الاقسام بالاتحاد الاشتراكي تحت اشراف لجنة عليا ويذهب بعض أصحاب هذا الاتجاه الى الدعوة لان يكون اختيار اعضاء هذه اللجان من بين قيادات واعضاء الاتحاد الاشتراكي - ويرى البعض الاخر ضرورة ان تعمل هذه اللجان من خلال الاتحاد الاشتراكي .

وثانيهما يرى فى لجان المواطنين لجانا للوحدة الوطنية الحقيقية دون أية حساسيات - لجان لاوسع الجماهير من الفلاحين والعمال والحرفيين والشباب وربات البيوت والمثقفين - أولئك الذين ينضمون للجان المواطنين بدافع من الحماس والاقتناع الذاتي .

ويدعو هذا الاتجاه الى ضرورة وضع برنامج محدد لعمل اللجان لتفادى الاخطار التى قد تنجم عن تشكيل اللجان وتركها دون وضوح لمسئوليتها وعملها- ويدعو الى عدم اغراق اللجان بالاعمال المكتبية وبالمناصب الشرفية والا يدخل الاجر الاضافى أو البدلات النقدية فى عملها واطلاق مبادرات الجماهيروابداعها دون حرج - ويرى هذا الاتجاه ضرورة عدمالتعجل فى فرض اشكال تنظيم مسبقة بل يمكن البدء بلجنة قيادية ولجان على مستوى المحافظات ولجان جماهيرية قاعدية فى المواقع .

وتتجمع نتائج المناقشات لتطرح أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى عند دراستها أسلوب تنفيذ شعار لجان المواطنين من أجل المعركة .

المعركة لا توقف التحول الاشتراكي

بعد هزيمة يونيو واحتلال العدو الاسرائيلي لسيناء ، وشعار العمل على تحرير الارض المحتلة وطرد المعتدى تصدر كل شعارات العمل السياسي - ارتفعت تبعا لذلك الدعوة بضرورة دعم الجبهة الداخلية على أساس وحدة كل القوى الوطنية .

وقد اخذت بعض العناصر والقوى الاجتماعية تفسر شعار وحدة كل القوى الوطنية على أساس « ان القضية الاساسية التى يواجهها مجتمعنا فى هذه المرحلة » ، هى قضية وطنية وقومية فى الاساس . واعتبار « ان وضع شعار الوحدة الوطنية موضع التطبيق يعنى فى نفس الوقت ان التحول الاجتماعى ليس هو القضية الملحة فى مرحلتنا الحالية بل هو بالضرورة قضية مؤجلة الى ما بعد ازالة آثار العدوان » .

وكان هذا الاتجاه موضع نقد ومعارضة واسعة

عام ١٩٦٩

مايو

٦ - كسب العمال العرب معركتهم ضد المؤامرة الصهيونية التى اتخذت فى هذه المرة السفينة كليوباترا مسرحا لها .. فقد انتهى اضراب عمال ميناء نيويورك عن تفريغ الباخرة بعد أن أصدر بول هول رئيس نقابة عمال البحارة الامريكيين أمرا الى عمال النقابة بفض الحصار المفروض حول السفينة .

١٣ - بدأت زيارة الرئيس جمال عبد الناصر ليوغوسلافيا وقد اكد البيان المشترك الذى صدر على اثر انتهاء محادثات الرئيسين جمال وتيتو أن مسئولية المحافظة على السلم تقع على جميع الدول وليست مقصورة على الدول الكبرى .

١٥ - أطلق الاتحاد السوفيتى محطة فضاء وزنها ٤٫٥ طن تحمل دمية فى حجم الانسان وتدور حول الارض مرة واحدة فى ٩١ دقيقة .

٢٤ - أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتنظيم الصحافة المصرية آلت بموجبه جميع الصحف الى الاتحاد القومى .

يونيو

٢٦ - حصلت مدغشقر على استقلالها من الاستعمار الفرنسى وأعلنت جمهورية وكانت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٨٩٦

٣٠ - حصل الكونجو البلجيكى على استقلاله وأعلن الجمهورية .

يوليو

١٣ - اتهمت حكومة الكونجو بلجيكا بأنها ارتكبت عدوانا على الكونجو ، وطالبت الامم المتحدة بسرعة ارسال نجدات عسكرية اليها. فقد تلقى همرشلد برقية بهذا المعنى موقعة من جوزيف كازافوبو رئيس الدولة فى الكونجو وباتريس لومومبا رئيس وزرائها .

٢١ - عقدت أول دورة لمجلس الامة الذى يضم الاقليمين المصرى والسورى وقد انتخب أنور السادات رئيسا للمجلس ويتكون المجلس الجديد من ٦٠٠ عضو، ٤٠٠ من الاقليم المصرى و ٢٠٠ من الاقليم السورى . ونصف أعضاء الاقليم المصرى من أعضاء مجلس الامة السابق .

● بدأ الارسال التليفزيونى لاول مرة فى ج. ع. م.

اغسطس

١ - حصلت جمهورية داهومى على استقلالها عن فرنسا وكانت احدى المستعمرات الفرنسية فى غرب افريقيا .

٣ - أعلن استقلال دولة النيجر الافريقية من فرنسا . وكانت منذ ١٩٠٤ احد الاقاليم التى تتألف منها افريقيا الغربية الفرنسية .

٥ - حصلت جمهورية فولتا العليا الافريقية على استقلالها وكانت من ضمن اطار دول الاتحاد الفرنسى منذ عام ١٩١٩ .

٧ - منحت فرنسا مستعمرة ساحل العاج

داخل لجان الاتحاد الاشتراكى ومستوياته وفى الصحافة على أساس رفض الفصل بين العدوان الاسرائيلى الامبريالى والمحاولات الاستعمارية المتالية لتصفية الاتجاهات التقدمية فى البلدان العربية المتحررة ·

وقد حسم الرئيس هذه النقط الهامة فى خطابه أمام المؤتمر القومى فى يوليو الماضى عندما أكد «أن المعركة يجب ألا توقف عملية التحول الاشتراكى وانما يجب أن تساعد على تعميقها» · وحدد ان الطريق الى ذلك انما هو بمواصلة التنمية وبناء قاعدة الصناعة الثقيلة وطرح على المؤتمر اقتراحين فى هذا الصدد :

● اقتراح بالا تزيد الملكية الزراعية عن خمسين فدانا للفرد وأن يبقى الحد الاعلى للاسرة ١٠٠ فدان .

● فيما يتعلق بمستقبل الاراضى الجديدة اقترح أن ينشأ شركات أو مؤسسات عامة تنقل اليها هذه الاراضى ، ويكون لهذه الشركات أو المؤسسات مهام الاستغلال المباشر أو التأجير لآجال طويلة أو البيع لصغار الملاك الجدد ، مع اعطاء اولوية فى التملك للمقاتلين فى ميدان المعركة واسرهم . وقد أيد المؤتمر القومى هذا الحسم من جانب الرئيس عبد الناصر وأكد فى قراره «ان التحول الاشتراكى نفسه كان ومازال احد الاهداف الرئيسية للعدوان الذى تباشره اسرائيل مرتبطة مع القوى المعادية لتحرر وتقدم الوطن العربى» ·

واذ يؤكد ان الاستمرار فى تدعيم التحول على الطريق الاشتراكى فى هذه المرحلة التى تتزايد فيها قدرتنا على ردع العدو ، انما تعنى ان العدو قد فشل فى تحقيق هدفه الاساسى فى ضرب التحرر والتقدم ·

مسئوليات جديدة لمجلس الامة

وكان انعقاد مجلس الامة الجديد من ابرز ملامح العمل السياسى خلال عام ١٩٦٩ ·

لقد شهدت الايام الاولى من هذا العام الانتخابات لعضوية أول مجلس أمة يشكل فى ظل تنظيم سياسى تم تشكيله بالانتخابات .

وتقدم الاتحاد الاشتراكى بقائمة مرشحيه فى كافة الدوائر ولم يسمح لاحد من عناصره القيادية بمنافسة مرشحيه . ولكنه ترك الباب مفتوحا أمام الاعضاء القاعديين فى الاتحاد الاشتراكى لترشيح انفسهم ـ وقد فاز منهم بعضوية المجلس واحد وعشرون مرشحا ·

ويعتبر المجلس الجديد انبعاثا مباشرا من التنظيم السياسى فمن بين أعضائه الـ ٣٥٠ يوجد ٣٠٤ من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية واعضاء المؤتمر القومى ولجان المحافظات وامناء لجان الاقسام ·

كما ان التعريف الجديد للعمال والفلاحين ، قد ادى الى تمكين شرائح اجتماعية اكثر مصلحة فى الثورة من دخول المجلس ·

وكانت المعركة ومتطلباتها هى المهمة الرئيسية التى حكمت عمل المجلس بوصفه الجناح التشريعى للاتحاد الاشتراكى العربى · وتمثل ذلك فى العمل المتواصل من أجل استخدام سلطات المجلس لتعبئة كل قدرات الدولة وطاقات الشعب لدعم قواته المسلحة ووضع احتياجات الجبهة العسكرية موضع الاولوية الاولى .

وبالرغم من ان الدورة الاولى للمجلس لم تتجاوز سبعة شهور وما زالت الدورة الثانية فى اسابيعها الاولى ، فقد عمل المجلس على تحويل بعض الدراسات التى أجراها الاتحاد الاشتراكى بناقشتها لجانه ومستوياته ومؤتمراته ـ الى تشريعات ·

وأقر المجلس عدة مشروعات قوانين هامة ، فى مقدمتها مجموعة قوانين النقابات المهنية وقانون تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية ـ قانون تنظيم الايجارات وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين ـ قانون بمنع طرد أى مستأجر من الاراضى التى رفعت عنها الحراسة أو التحفظ ـ مجموعة القوانين الخاصة بالتيسير على الممولين المتأخرين فى سداد الضرائب ـ كما أقر المجلس قانونا عاجلا بايقاف التنفيذ لاجراءات الطرد المترتبة على التنازل عن عقود الايجار والتأجير من الباطن للمهجرين من القناة وسيناء ـ وقف تنفيذ الاحكام الصادرة بذلك ما لم يكن قد تم تنفيذها ·

وابدى المجلس اهتماما ملحوظا باستخدام سلطات المجلس لدفع عجلة الانتاج وزيادة كفاءة الخدمات . وتوسع المجلس فى استخدام اللجان المشكلة من اعضاء المجلس لدراسة المشكلات على الطبيعة وفى مكانها كما حدث بالنسبة للجمعيات التعاونية والتسويق التعاونى ومشاكل الحرفيين ـ كما أبدى المجلس اهتماما بحل مشاكل الجماهير

باستصدار التشريعات اللازمة لحل المشاكل العامة التى يلمسها المجلس من خلال شكاوى المواطنين ٠

ومن المتوقع أن تشهد الدورة الحالية للمجلس انجازا هاما فى مجال تقنين الثورة ٠ وهناك اتجاها واسعا بين الاعضاء لان يطرق المجلس باب الثورة التشريعية بجدية . خاصة بعد ان قطعت لجان المجلس شوطا طيبا فى دراسة القوانين القائمة وفى مقدمتها القانون الجنائى ٠ الذى احتلت فيه الجرائم الاقتصادية الخاصة بحماية المال العام مكانها المفتقد ٠٠

الاتحاد الاشتراكى

استقبل الاتحاد الاشتراكى العربى عام ٦٩ ، ولم يكد ينقضى سوى شهور قليلة على اعادة بنائه بالانتخاب ٠ وانصرف الجهد الاكبر خلال تلك الشهور ولشهور أخرى تلتها من عام ٦٩ الى استكمال بناء التنظيم الجديد ولتحقيق المزيد من الاستقرار للهيكل التنظيمى ٠ وذلك عن طريق شغل الاماكن التى خلت بانتخاب اصحابها للمستويات الاعلى أو نتيجة حركة العضوية — وكذلك حصر العضوية وتدعيم شبكة الاتصال — والبدء فى اعادة بناء منظمة الشباب والتنظيم النسائى ٠

ولقد استقبل التنظيم السياسى عام ٦٩ واصداء الدورة الطارئة ما زالت تتردد وهى الدورة التى عقدها المؤتمر القومى فى ديسمبر ٦٨ لمواجهة احداث نوفمبر وعلى امتداد عام ٦٩ عقد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى دورتين عاديتين : دورته الثانية فى مارس ٦٩ ودورته الثالثة فى يوليو ٦٩ . وسبق كلا من الدورتين ولحقها عدد كبير من الاجتماعات الموسعة للجان الوحدات ومؤتمرات الاقسام والمحافظات وتمت المرحلة الاولى من اعادة بناء منظمة الشباب واعلان الهيكل القيادى لمعظم لجانها . وكذلك بناء التنظيم النسائى على مستوى الاقسام والوحدات الاساسية ٠٠

وفى منتصف عام ٦٩ ، ومرة ثانية فى الشهور الثلاثة الاخيرة من العام ، قام اعضاء اللجنة التنفيذية العليا بتحرك سياسى واسع على مستوى المحافظات والاقسام من أجل الاتصال بالجماهير فى مواقعها وتحسس مشاكلها والاجابة على تساؤلات . وتجسدت هذه اللقاءات فى شكل يوم سياسى مفتوح للجماهير يتم اسبوعيا فى القاهرة — وشهريا على مستوى الاقسام ٠

ان اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب كان تنفيذا لبيان ٣٠ مارس ٠ وهذا يعنى أن اعادة بناء الاتحاد قد تمت لتحويله الى تنظيم يكون قادرا على

استقلالها الذاتى .

١١ — حصلت جمهورية تشاد الافريقيه على استقلالها عن فرنسا . وكانت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٩٠٠ . وكانت تعرف باسم أوبانجو — شارى — تشاد .

١٢ — قررت ج.ع.م ان تشترك كتيبة من قواتها المسلحة مع قوات الامم المتحدة فى تنفيذ قرار مجلس الامن فى الكونجو وذلك بعد أن بعث همرشلد ببرقيــة الى الرئيس عبد الناصر بهذا المعنى وقد وافق الرئيس على طلبه .

١٣ — أعلنت « أفريقيا الوسطى » استقلالها عن فرنسا .

١٧ — حصلت مستعمرة جابون الافريقية على استقلالها من فرنسا وكانت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٨٨٨ .

١٩ — أطلق الاتحاد السوفيتى سفينة فضاء تحمل مجموعة من الحيوانات ومنهــا كلبتان (ستريلكا وبيلكا) .

٢٠ — أعلنت الجمعية الوطنية السنغاليــة استقلال السنغال من اتحاد مالى الذى يضمها مع السودان الفرنسى . وكان هذا أول اتحاد أفريقى ينشأ برعــاية فرنسا .

٢١ — وصلت الى الكونجو اول دفعة من كتيبة المظلات التى تشترك فيها ج.ع.م مع قوات الامم المتحدة فى تنفيذ قرار مجلس الامن فى الكونجو صونا للسلام العالمى وقد نزلت قواتنا فى مدينة كوكيتهافيل .

٢٩ — اغتيال هزاع المجــالى رئيس الوزارة الاردنية فى حادث انفجار قنبلة زمنيــة فى مكتبه برياسة الوزارة الاردنية .

سبتمبر

٦ — قرر مجلس الوزراء فى الكونجو برئاسة لومومبا عزل كازافوبو من رياســة الجمهورية ، وذلك بعد محاولة الانقلاب التى قام بها كازافوبو للاستيلاء على السلطة من لومومبا .

١٤ — برلمان الكونجو يعين لومومبا رئيســا للجمهورية ويعطيه سلطات استثنائيــة مطلقة وغير محددة لمجابهة الازمة فى الكونجو .

٢٠ — بدء الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة وتعتبر هذه الدورة من أهم دورات الجمعية العامة ، اذ حضرها عدد كبير من رؤساء الدول من بينهم .. خروشوف ، جمال عبد الناصر كاسترو ، ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا ايزنهاور ، الملك حسين ، نكروما . نهرو ، تيتو .

٢٣ — القى خروشوف رئيس وزراء الاتحــاد السوفيتى خطابه فى الجمعية العــامة وقد اقترح فى خطابه الغاء منصــب السكرتير العام للامم المتحدة ونقــل مقر الامم المتحدة من نيويورك وكذلك طالب بتصفية الاستعمار نهائيا .

٢٧ — القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى الجمعية العامة ، اقترح فيه أن تصدر الجمعية العامة توجيها بضرورة اجتماع ايزنهــاور وخروشوف ليضعا قواعد بدء المحاولة من جديد اتجــاه

استيعاب حركة الجماهير، وقادرا على أن يلعب دورا فعالا ومؤثرا فى تعبئة الجماهير حول شعارات المعركة ٠

وتحقيقا لذلك نجد أن قرارات المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى دوراته الثلاثة قد ركزت على تحديد الواجبات المنبثقة من احتياجات المعركة التى يتعين على الاتحاد الاشتراكى التصدى لها :

● اتخاذ الوسائل التى تحقق لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى فاعلية اكبر فى قيادة الجماهير قيادة واعية وتنمية قدراتها على التصدى لقوى الثورة المضادة وكشف اسلوبها والقضاء عليها ٠

● ضرورة اتخاذ الاجراءات الذاتية لدعم التدريب فى المواقع لمتطوعى منظمات الدفاع الشعبى وتدريب دفعات جديدة من المتطوعين على حمل السلاح ٠ وان يكون للدفاع المدنى الاسبقية الاولى للعمل سواء فى الاجهزة الشعبية أو التنفيذية وعلى كافة المستويات ٠ ودعوة وحدات الاتحاد الاشتراكى لتولى مسئوليتها فى رعاية أسر المهجرين وأسر المجندين باعتبار ان ذلك واجبا اساسيا متصل مباشرة بالمعركة .

● حل مشاكل الجماهير اليومية ٠ ومحاولة الاعتماد أساسا على الحلول القائمة على الجهود الذاتية ٠

● تدعيم العمل السياسى بين شباب الجامعات

ولما كانت أية سياسة سليمة لابد من ان ينفذها تنظيم قوى ومتماسك فان المؤتمرات قد حددت وسيلة زيادة فاعلية التنظيم على النحو التالى :

● اليقظة الكاملة من قيادات التنظيم فى كل مواقع العمل السياسى لمواجهة الحرب النفسية المركزة التى تواجهنا بها اسرائيل والقوى المؤيدة والمساندة لها — والتصدى لقوى الثورة المضادة احد مجالات تقييم الاعضاء ٠

● دعوة جميع قيادات الاتحاد الاشتراكى فى جميع مستوياتها ومواقعها بأن تضرب المثل والقدرة بالانضمام كاملة الى منظمات الدفاع الشعبى والمدنى — وان تقود الجماهير فى حركتها اليومية فى نشاط هذه المنظمات ٠٠ وضرورة أن يكون لكل عضو من لجان الاتحاد الاشتراكى مسؤولية محددة داخل تنظيمات الدفاع المدنى وأن يجرى تقييم القيادات اليومية ومحاسبتها على أساس مدى قيامها بمسئوليتها فى مجال الدفاع الشعبى والمدنى ٠

● تدعيم العمل السياسى بين شباب الجامعات والمعاهد والمدارس وربط هذا العمل بقوة الاتحاد الاشتراكى ووضع التنظيم المتكامل لذلك تدعيما لحرية الحركة السياسية الطلابية فى اطار التقدم الاشتراكى ومن خلال التنظيم السياسى القائد المتمثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

● توسيع قاعدة القيادة فى الوحدات الاساسية والاستفادة بالعناصر النشطة فيها — واتاحة التفرغ كل أو بعض الوقت لمسئول على مستوى الوحدات الاساسية ذات الثقل الجماهيرى أو النضالى الكبير ٠

التنظيم السياسى والحرب النفسية

ان الامر الذى لا شك فيه ان عام ٦٩ شهد مرحلة ضارية من الحرب النفسية التى تشنها اسرائيل ومؤيدوها . بعد ان تأكد لاسرائيل والامبريالية العالمية ٠ والواقع ان اعادة بناء القوات المسلحة المصرية قد أصبح حقيقة واقعة ، وأن هذه القوات قد بلغت مستوى يؤهلها لخوض معركة استنزاف طويلة المدى ، وانها تقترب حثيثا من يوم المواجهة الكبرى ٠

لقد وجهت اسرائيل نيران الحرب النفسية الى الجبهة الداخلية ٠ وذلك بهدف بث اليأس والبلبلة فى نفوس جماهيرنا وتقويض الجبهة الداخلية كلها . وحاولت اسرائيل بالاشتراك مع الاجهزة الاعلامية الخاضعة للصهيونية فى بعض الدول ، تهون من كل انتصار تحققه القوات العسكرية ، وتضخم من عمليات العدو ٠ وتستغل الثغرات والقصور فى بعض جوانب العمل الداخلى فى محاولة اثارة الشك فى كل ما نفعله .

ان الامر الذى لا شك فيه أن عددا كبيرا من قيادات الاتحاد الاشتراكى قد تصدى فعلا لمواجهة حملات الاشاعات ٠ ولكن هناك أيضا عدد غير قليل من قيادات الاتحاد الاشتراكى لا يتصدى للشائعات ولكنه يكتفى بنقلها للمستوى الاعلى فحسب .

وخلال الشهور الثلاثة الاخيرة من عام ١٩٦٩، ومن أجل تنشيط العمل السياسى وتزويد القيادات والجماهير بالاجابات الصريحة عن كل ما يدور فى اذهانهم وكل ماتروج له الحرب النفسية . يقوم اعضاء اللجنة التنفيذية العليا بالاشتراك مع

« شعراوى جمعه » مسؤل التنظيم يعقد لقاءات سياسيه مفتوحة يجيبون فيها على اسئلة المواطنين من جماهير وقيادات ومن الملاحظ ان الاقبال على هذه اللقاءات قد ازداد وأن ما يطرح فيهامن أسئلة واجابات يتناول أكثر فأكثر الموضوعات السياسية العامة ، وان كثيرا من المعلومات السياسية تقدم للجماهير ولقيادات الاتحاد من خلال هذه اللقاءات — وفى وقت مبكر يسمح للقيادات بمتابعة أكثر وعيا للاحداث المحلية والعالمية •

التنظيم السياسى والدفاع الشعبى والمدنى

وبذل جهد كبير من المستويات القاعدية للاتحاد الاشتراكى وقياداته فى بناء منظمات الدفاع الشعبى والمدنى وفى رعاية وحل مشكلات اسر المجندين والمهجرين •

وهذا الجهد يبدو واضحا فى تنظيمات القاهرة — التى جعلت من الدفاع الشعبى والمدنى ثم رعاية اسر المجندين والمهاجرين الواجبات الاولى للعمل السياسى خلال الخطتين السادسة والسابعة اللتين غطتا العام كله.واستطاعت أمانة القاهرة أن ترسى تقاليدومبادىء فى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وادارات المؤسسات والشركات خاصة فيما يتعلق باحتياجات الدفاع الشعبى ومشكلات التطوع والتدريبوتوفير المهماتوالادواتاللازمة لاعمال الدفاع المدنى • وامكنها بذلك انتتغلبعلى كثير من مشاكل الروتين الادارى وضيق الافق والتخلف السياسى لبعض الادارات • ووصلت بتشكيلات الدفاع المدنى فى الاحياء السكنيةالى المربع السكنى واجرت العديد من التجارب الحية • وذلك بالرغم من انه ما زال هناك نقصفى بعض المواقع فى عدد المتطوعين اللازمين أو فى المهمات •

وتركز امانة القاهرة ولجان اقسامها ووحداتها على تسكين كل قياداتها فى مواقع للدفاع الشعبى أو المدنى • وقامت باعداد مدربين جدد من بين القيادات السياسية ليحلوا محل المدربين من جنود مصلحة الدفاع المدنى • ويقوم المدربون الجدد باعادة تدريب من سبق تدريبهم — وتعقد دورات تثقيف سياسى للمتطوعين لرفع وعيهم ازاء مسئوليتهم •

وقدمت القاهرة فصائل خدمة الجبهة من بين طلاب الجامعة • وقد حققت فكرة فصائل خدمة الجبهة نجاحا ملحوظا فى ربط اقسام واسعة من الشباب بالانجاز الذىتم على الجبهة العسكرية. وأكد ذلك ضرورة مواصلة القيام بارسال فصائل

نزع السلاح . وقال أن الحل الوحيد لمشكلة فلسطين أن تعود الامور الى سيرتها الاولى وأن ترجع الى النقطة التى بدأ عندها الخطأ .

اكتوبر

١ — أعلن استقلال جمهورية نيجيريا وينتهى الاستعمار البريطانى لهذه الدولة من عام ١٩٦٤ .

اكتوبر

٩ — فاز جون كيندى فى انتخابات الرئاسة الامريكية على منافسه ريتشارد نيكسون بنسبة ٥٠٫١٤ ٪ من مجموع أصوات الناخبين .

١٠ — انعقد مؤتمر أقطاب الكتلة الشرقية واستمر اجتماعهم حوالى ثلاثة أسابيع وقد حضر المؤتمر وفود من ٨٠ حزبا شيوعيا فى العالم . وتفجر فى ذلك المؤتمر الخلافات بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية علانية ، وذلك على اثر اعلان خروشوف لسياسته التى تقوم على التعايش السلمى مع الرأسمالية .

٢١ — حصلت جمهورية موريتانيا علىاستقلالها من فرنسا .

ديسمبر

١ — قطعت حكومة الكونجو (ليوبولدفيل) علاقاتها الدبلوماسية مع ج.ع.م انتقاما من تأييد الجمهورية العربية المتحدة لاستقلال الكونجو ووحدة أراضيه . وأصدر جوزيف كازافوبو رئيس الكونجو أوامره بطرد البعثة الدبلوماسية لـ ج.ع.م من ليوبولدفيل .

٢ — صدر قرار بتأميم شركة مصر الجديدة وسكك حديد مصر الكهربائية والبنك البلجيكى ووضع شركة الكهرباء المصرية ومرفق ترام القاهرة تحت الحراسة .

٨ — أبلغت حكومة ج.ع.م داج همرشلد سكرتير عام الامم المتحدة قرارها بسحب قواتها العاملة تحت قيادة الامم المتحدة فى الكونجو وقد ذكرت أن السبب هو أن قيادة الامم المتحدة فى الكونجو أضاعت أساس وجودها وأساءت الى ميثاق الامم المتحدة .

١٣ — أعلن أنطون جيزنجا نائب لومومبا تنصيب نفسه الحاكم الشرعى الوحيد فى الكونجو وأعلن أن مدينة ستانلىفيل هى العاصمة .. وذلك بعد اختفاء لومومبا .

٢١ — الملك سعود يتولى رئاسة الوزارة السعودية ويقبل استقالة الامير فيصل وجميع الوزراء السعوديين .

٢٧ — فرنسا تفجر قنبلتها الذرية الثالثة فى الصحراء الجزائرية .

عام ١٩٦١

يناير

٤ — بدء اجتماع مؤتمر الدار البيضاء الذى اشترك فيه جمال عبد الناصر ، محمد

خدمة الجبهة وتوسيعها لتشمل قطاعات العمال والفلاحين ٠

وبالنسبة لاسر المجندين والمهجرين تم حصر المجندين من الوحدات والاحياء السكنية وكذلك الامر بالنسبة للمهجرين واعدت طائفة من الخدمات لتسهيل وحل مشكلات السكن والمعيشة والرعاية الصحية لهم ٠

حل مشاكل الجماهير ودعم الانتاج

تعانى لجان الاتحاد الاشتراكى الاساسية ولجانه القيادية على مستوى الاقسام ضغطا شديدا من مشكلات الجماهير الفردية والجماعية ٠

وقد نجحت هذه اللجان فى حل العديد من المشاكل الجماعية ، خاصة مشكلات الاسكان والمواصلات والتعليم والصحة والمرافق ٠ وذلك بفضل اسلوب اللقاء المباشر بين الاجهزة السياسية والاجهزة التنفيذية على مختلف المستويات وطرح المشاكل العامة والبحث عن حلول لها فى اطار الامكانيات المتاحة والافضليات ٠ وعلى اساس تلمس وسائل الحلول الذاتية ومساهمة المواطنين انفسهم فى تحقيق هذه الحلول ٠

ولقد أدى ضعف اللجان النقابية وتخلفها عن فهم واجباتها فى المرحلة الراهنة الى أن يتصدى كثير من لجان الاتحاد الاشتراكى لمشكلات ليست من شأن التنظيم السياسى ، وانما هى من صميم عمل اللجان النقابية ٠ وذلك مثل لرفع جزاء عن عامل والغاء نقل أو صرف وجبة غذائية أو القيام برحلة أو اقامة حفل ترفيهى ٠ والواقع ان اغراق اللجان الاساسية فى هذا النوع من المشكلات يمنعها من الانطلاق فى العمل السياسى بمعناه الصحيح ٠

وفى قضية دعم الانتاج وتطويره ، حفل عام ١٩٦٩ بالامثلة الحية التى قدمتها لجان الاتحاد الاشتراكى سواء بتصنيع قطع غيار أو مكافحة مظاهر الاسراف فى الخامات وتعبئة الجماهير العمالية على تحقيق خطة الانتاج وساهم الاتحاد فى تشكيل لجان الانتاج ٠ ولكن دور التنظيم السياسى فى دعم الانتاج مازال فىحاجة ماسة للتوضيح والتعميق ، ورسم الحد الفاصل بين العمل الادارى والتنفيذى وبين العمل السياسى الذى يراقب ويشرف ويقيم ويعبىء جهود العاملين لتحقيق اهداف الانتاج ومقاومة مظاهر الانحراف ٠

تدعيم الهيكل التنظيمى

لقد تبين من الجهود التى بذلت لتحريك الاتحاد الاشتراكى ودفعه للتصدى لمسئوليات المعركة ، ان الهيكل التنظيمى للاتحاد فى حاجة الى التدعيم كما تبين ان العشرة اعضاء الذين تتكون منهم اللجنة الاساسية لا يكفون لتغطية مسئوليات العمل السياسى ٠ وقد تم تدعيم الهيكل التنظيمى على النحو التالى :

- تشكيل لجان نوعية ولجان فرعية تصل بالتنظيم الى المربع السكنى فى الوحدة السكنية والى القسم الانتاجى فى الوحدة الجماهيرية ٠ وتشكل هذه اللجان باختيار انشط العناصر فى هذه المواقع ٠

- توسيع اللجان الاساسية للوحدات ذاتها وذلك بضم مقررى اللجان النوعية والفرعية التابعة لها وكذلك بعض العناصر النشطة ٠ بحيث يصبح عدد اللجنة من ٢٠ الى ٣٠ عضوا وتسمى اللجنة الموسعة للوحدة ولعضو اللجنة الموسعة كافة حقوق وواجبات عضو اللجنة الاساسية فيما عدا حق التصويت فهو مقصور على الاعضاء العشرة المنتخبين ٠

- قررت اللجنة المركزية تطبيق اللائحة فيما يختص بفصل كل من يتخلف عن تسديد الاشتراكات لمدة ستة شهور متتالية — واسقطت كل الاشتراكات المتأخرة حتى نوفمبر ٦٨ ٠

وقد أجلت اللجنة المركزية تطبيق هذا القرار بالنسبة للقطاع الفلاحى ٠

فى محافظة القاهرة جرى تقييم للقيادات فى يونيو ٦٩ عقب انتهاء الخطة السادسة للعمل السياسى بالقاهرة (٭)

وطبقا للائحة الاتحاد الاشتراكى فقد تم التحقيق مع القيادات التى كان تقدير نشاطها بدرجة (ج)

وتم ايقافهم عن العضوية ـ لحين فصل اللجنة المركزية فى شأن عضويتهم •

● تم اختيار المتفرغين للعمل السياسى على مستوى لجان المحافظات والاقسام فى حدود من ٣ الى ٧ لكل قسم حسب حجم العمل وعدد الوحدات • ولكن ارجىء النظر حاليا فى تفرغ احد الاعضاء كل او بعض الوقت فى الوحدات [illegible] وفى الوحدات الجماهيرية ذات الثقل النضالى •

● تمت اعادة تشكيل تنظيم الشباب وتثبيت واعلان مستوياتها القيادية على مستوى المحافظات والاقسام والوحدات •

وقد تمت اعادة تشكيل المنظمة عن طريق التعيين • والمنظمة فى وضعها الجديد تعتبر كجناح للشباب داخل الاتحاد الاشتراكى وليست تنظيما له استقلاله الذاتى تحت قيادة التنظيم السياسى •

وحتى الان ليس هناك خلاف على ان التنظيم السياسى لا يعمل فى الجامعة ـ وعدد الطلاب فى لجان الاتحاد الاشتراكى قليل •



[٢] الاستعداد للحرب مع استمرار التنمية

د • اسماعيل صبرى عبد الله

حين حالت الهيئة الشعبية دون تحول هزيمة يونية ١٩٦٧ العسكرية الى انهيار سياسى ، تطلع الاستعمار والصهيونية والقوى الرجعية الى احتمال انهيار اقتصادى قبل نهاية العام نفسه نظرا لما فقدته البلاد من موارد، وما فرضه عليها المجهود الحربى من أعباء • وحين صمدت البلاد اقتصاديا خلال تلك الشهور الحرجة بفضل استعداد الشعب لكل التضحيات وبفضل الدعم العربى ومعونات الاصدقاء ، ظن الاعداء أن كل ذلك عمليات « حقن رقتية» ينتهى مفعولها كلما طالت المعركة واشتدت وطأتها. وكشف الحساب الذى يقدمه الاقتصاد المصرى عن سنة ١٩٦٩ يخيب آمالهم ولا شك، لانه

حسابات عام ١٩٦٩

الخامس ، نكروما ، سيكوتورى ، موديبوكيتا] •

٤ ـ الولايات المتحدة الامريكية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا وتأمر رعاياها بمغادرتها •

١٨ ـ سلم جوزيف كازافوبو باتريس لومومبا بعد أن قبض عليه الى مويس تشومبى حاكم اقليم كاتنجا المنفصل وألد أعداء لومومبا •

فبراير

١٢ ـ أطلق الاتحاد السوفيتي محطة فضاء الى كوكب الزهرة ، وكان الصاروخ ينطلق بسرعة مليون كم فى اليوم ليقطع المسافة فى ١٠٠ يوم •

١٣ ـ أعلن عن مصرع لومومبا فى كاتنجا ، واعلن تشومبى أن جثة لومومبا دفنت فى مكان لا يمكن الكشف عنه •

٢٥ ـ قطعت حكومة بلجيكا علاقاتها مع ج•ع•م وقد جاء هذا القرار بعد ثلاث أيام من موافقة مجلس الامن على المشروع الذى قدمته ج•ع•م والذى يدعو الى اخراج جميع البلجيكيين العسكريين وشبه العسكريين من الكونجو

٢٦ ـ وفاة الملك محمد الخامس ملك المغرب أثناء عملية جراحية •

مارس

٢٤ ـ الجامعة العربية تقرر تطبيق المقاطعة على البنوك التى تقدم لاسرائيل قروضا تخدم اقتصاده ، والبنوك التى ترفض اقراض المؤسسات العربية أو تروج لسندات القروض الاسرائيلية •

ابريل

١٢ ـ اطلق الاتحاد السوفيتى اول رجل الى الفضاء (جاجارين) وقد دار فى قمر صناعى حول الارض مرة واحدة وقد مكث فى الفضاء الخارجى ١٠٨ دقيقة •

١٣ ـ افتتاح مشروع الصوت والضوء فى ج•ع•م•

٢٧ ـ انهت سيراليون حكم الاستعمار البريطانى واصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ودخلت عضوا فى الكومنولث •

مايو

٥ ـ اطلقت الولايات المتحدة صاروخا من طراز ((ردستون)) فى مقدمته مركبة فضائية تحمل رجل الفضاء الامريكى (آلان شبرد) وكانت اول رحلة فى التاريخ يحتفظ فيها رجل فضاء بسيطرته على حركات سفينة فضاء لمدة وجيزة •

٢٠ ـ بدأت مفاوضات ايفيان الاولى بين الحكومة الجزائرية وحكومة ديجول •

٣٠ ـ ج•ع•م• تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة جنوب افريقيا ، وذلك بسبب اصرار حكومة جنوب افريقيا على المضى فى سياسة التفرقة العنصرية •

٣١ ـ اعلنت حكومة جنوب افريقيا النظام الجمهورى ، وبذلك انفصلت تلقائيا من عضوية الكومنولث البريطانى ، واصبح تشارلز روبرتى سوارت اول رئيس للجمهورية الجديدة •

يتضمن نتائج مرضية تؤكد قدرتنا على تحمل حرب استنزاف طويلة وكسب التحدى فى هذا المجال •

● **السد العالى :** ففى ربيع ١٩٦٩ تم بناء جسم السد العالى بحيث لم يتبق الا أعمال التكسية والرصف وما الى ذلك • كذلك تم خلال العام المنصرم تركيب ثلثى مولدات محطة الكهرباء الضخمة. وهكذا ينهض هذا الجبل الرابض على النيل،يبعثمن أحشائهفىوادينا خضرةالماء وقوة الكهرباء شاهدا على قدرة الانسان المصرى المعاصر . وبالطبع اطلقت القوى المعادية حملة بائسة من الاقاويل ضد اعظم منجزات التنمية فى البلاد . وينبغى لذلك أن نذكر هنا **انالسد لا يعنىفقط زيادة الرقعة الزراعية بنسبة الخمس، ولكنهيعنى قبلكلشىء طاقة كهربائية ضخمة(١٠ مليياراتكيلواتساعة) • ومن المعروفاندرجة النمو الاقتصادى تقاس (قبل متوسط دخل الفرد) بنسبة انتاج كل من الصلب والكهرباء الى عدد السكان • فليس يمكن التقدم فى التصنيع او تطوير الزراعة بدون طاقة محركة، والكهرباء المائية هى أرخص مصادر الطاقة.** واذا صح انعدم وصول مياه الفيضان الى البحر الابيضالمتوسط قد أدى الى قلة كمية « السردين » فىدمياطورشيد (وهو تفسير فى القدر الادنى غير دقيق) فما قيمة بضع مئات الاطنان من « السردين » بالمقارنة مع مليارات الكيلوات من الكهرباء ؟ وكل مايمكن أن نشير اليه من نقد هنا هو التأخر النسبى فى دراسة قضايا ما بعد اتمام السد العالى وبالذات قضية استخدام الكهرباء ، وقضية تطور مسلك النهر من الناحية الهيدروليكية ، وقضية احتياجات التربة من الاسمدة •

● **البترول :** وشهد عام ١٩٦٩ ارتفاعا فى انتاج البترول من حقل المرجان ، كما شهد اتساع الاكتشافات فى الصحراء الغربية • فبعد **العلمين** ، اكتشف البترول فى « **أم بركة** » وممر **الجمال** • ونشطت عمليات الاستكشاف فى مناطق واسعة • وطلبت بعض الشركات الاجنبية التفاوض فى الحصول على امتياز جديد فى مناطق كانت قد تخلت عنها ، فى حين أصبح من المسلم به عالميا أن مستقبلا مبشرا ينتظر مصر فى ميدان البترول • وهكذا توالت العروض من الشركات اليابانية والامريكية والفرنسية • وفى الوقت ذاته توالى الشركة العامة للبترول بمعاونة السوفييت أعمال التنقيب فى منطقة سيوة • والامر المهم هنا هو أن تسير جنبا الى جنب مع عمليات الاستكشاف ، الدراسات الخاصة بتحقيق أفضل استخدام اقتصادىللبترول. فلا ينبغىأن يكون أملناهوأن نصبح بلدا مصدرا للبترول يعيش من عائداته • فتلك العائدات قد ثبتأنها لاتسهل بذاتها عمليات التنمية بل يمكنها ان تعطلها (ولنذكر هنا أن البترول يصدر من ايران منذ أكثر من نصف قرن) • كما أننا نملك القدرات والخبرات اللازمة للاستعانة بالبترول فى التنميةالشاملةلاقتصادنا القومى .**ان « الذهبالاسود » يجبانيكون فى المحل الاول مصدر طاقة، ثم مادة أولية للتصنيع، واخيرا موردا للعملةالاجنبية التى تلزمنالاستيراد مستلزمات الانتاج • ان قضيه الصناعات البتروكيمائية تفرض نفسها ليس فقط لانها أفضل استخدام للبترول ، ولكن أيضا لحاجاتنا المتزايدة من الاسمدة •**

● **استئناف جهود التنمية :** على أن أهم ما يميز ١٩٦٩ هو حسم قضيه الاستمرار فى التنمية مع مواجهة ظروف الحرب • فقد ثار فى بلادنا جدل عنيفمنذ نهاية الخطةالخمسية الاولى،حولأفضل أسلوب لمعالجة ما ظهر من مشاكل كان من أبرزها تضخم الاستهلاك وزيادة العبء على ميزان المدفوعات • وساد بين عدد من الاقتصاديين ورجال القطاع العام وبعض المسئولين السياسيين اتجاه الى أن أفضل سبيل لذلك هو « **الانكماش** » ولو لفترة محدودة والهبوط بمعدل النمو عن المستوى الذى نجحنا بالفعل فىتحقيقهمن الخطة الخمسية الاولى وهو ٦ر٧ فى المائة • وفى الظروف التى خلفها العدوان الصهيونى الاستعمارى اشتد ذلك الاتجاه الانكماشى ووجد حجة جديدة من دواعى الحذر والاحتياط وخطر التضخم الذى يظهر عادة فى سنوات الحرب • وقد لقىهذا الرأىمعارضة كان شعارها « **الاستعداد للحرب مع استمرار التنمية** »، وكان سندها أن قضيه التنمية لا تحتمل التباطؤ او التسويف لانها فى جوهرها سباق مع الزمن • فالدول المتقدمة تحقق بالفعل معدل نمو سنويا فى حدودهفيالمائة فاننا لايمكن أن نصفى الهوة التى تفصل بيننا وبينها الا بمعدل نمو لا يقل عن ٧ فى المائة • والا

فالخطر يتمثل فى اتساع تلك الهوة باستمرار • وليس هذا الهدف بالمستحيل ، فقد حققه قبلنا عدد من الدول بل حقق أعلى منـــه . وتحت ضغط الاتجاه الانكماشي وظروف ما بعد النكسة تقلص حجم الاستثمار وهبط معدل النمو. ولكن ميزانية ١٩٦٩/١٩٧٠ خطتخطوة حاسمة نحو التخلص من هذه السياسة • وقد أشار جمال عبد الناصر فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى عند انعقاده **فى يوليو الماضى : الى ان الحكومة لم تصـــغ « لنصائح » البنك الدولى وصندوق النقـــد ، ونقف بالاستثمار عند حد ٢٥٠ مليون جنيه ، بل قررت زيادته الى حوالى ٤٠٠ مليون:وهكذاناكد شعار الاستعداد للمعركة مع الاستمرار فــى التنمية •**

● **التصنيع الثقيل :** وفى اطار سيـاسة استئناف جهود التنمية ، تم التعاقد مع الاتحاد السوفيتى، وبعض الدول الصديقة الاخرى على مشروعات صناعية هامة . وينبغى الاشارة هنا على سبيل التخصيص الى « **المجمع الفوسفورى** » و « **مشروع الالومنيوم** » • فكلاهما يعتمد علـى كهرباء السد العالى • وقد كان التأخر فى البدء فى تنفيذهما سببا فى تعطيل استخدام تلك الطاقة بعد أن أصبحت متاحة • وهذان المشروعان ، بالاضافة الى صـــناعة « **الفيروسليكون** » وتـــوسعات شركة « **كيما** » هى الاساس القوى لنوع هام من الصـــناعات الثقيلة هو الصـــناعات الكيمائية الكهربائية التى تعتمد على الكهرباء فى تكنيك الانتاج وليس فقط كطاقة محركة • ولابد مــن استيفاء دراسة مشروع انتاج أنواع الصـــلب الممتازة باستخدام الكهرباء وحديد أسـوان • فكهرباء السد العالى قد كلفت البلاد استثمارات كبيرة ، ولذلك لابد أن يذهب القسط الاعظم منها الى الانتاج فى مشروعات كبرى وكذلك فى كهربة الالات الزراعية وبعض وسائل النقل • أما انارة المنازل والشوارع فهى استخدام استهلاكى يرد فى المرحلة الثانية من الاهمية •

● **مجمع الحديد والصلب :** والحديث عــن التصنيع الثقيل لا يستقيم دون التركيز علـى مشروع « مجمع الحديد والصلب » الذى بدأت

حسابات عام ١٩٦٩

يونيو

١٩ ــ وجه العالم العربى انذارا الى السوق الاوربية المشتركة بتعريض مصـالحها فى البلاد العربية للخطـر اذا دخلت اسرائيل السوق .

٢٥ ــ اعلن عبد الكريم قاسم قرارا بضــم الكويت للعراق

يوليو

٤ ــ تقرر قصر الاســتيراد مــن الخارج فى ج٠ع٠م٠ على الشركات الحكومية والمصانع

١٠ ــ تأميم شركة بواخر البوسته الخديوية وضم شركات الملاحة فى هيئة حكومية .

١٩ ــ صدور قرارات يوليو وتقرير ٢٥ ٪ من ارباح المؤسســات والشركات للعمـــال ، ٢ يمثلان العمال فى مجلس ادارة المؤسسة او الشركة ، حد اقصى ٥٠٠٠ جنيه سنويا للمرتبات فى الشركات والمؤسسات .

٢٠ ــ تأميم جميع البنوك وشركات التـأمين و١٤٩ شركة .

● صدر قرار يقضى بأن يملك القطاع العام ٥٠ ٪ من ٩١ شركة .

● اسقاط الزام مرفق ترام القاهــرة وشركة ليبون الاسكندرية .

● تأميم عدة شركات فى ســوريا ومن اهمها الشركة الخماسية .

● مجلس الجامعة العربية يقرر قبول الكويت فى عضويته .

٢٠ ــ استؤنفت مفاوضات ايفيان الاولى بين الجزائر وفرنسا بطلب من حكومة ديجـول ولكن المفاوضات قطعت مرة ثانية نظـرا لاصرار فرنسا على فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر .

٢١ ــ اطلقت الولايات المتحدة رجل الفضاء فيرجيل جريسوم الى الفضاء فى كبسولة حملها الى طبقات الجو العليا صاروخ من طراز « ردستون » .

● صدر قرار فى ج٠ع٠م٠ بمنع تعيين اى شخص فى اكثر من وظيفة .

● تقرر دخول ٣٩٩ شركة الى القطاع العام .

٢٢ ــ صدر قرار بتخفيض ساعات العمل فى ج٠ع٠م٠ من ٨ ساعات الى ٧ ساعات .

٢٥ ــ تحديد الملكية الزراعية فى ج٠ع٠م٠ ، وجعل الحد الاقصى للملكية الزراعية ١٠٠ فدان .

● تأميمشركات الطرقوالنقل والاوتوبيس فى ج٠ع٠م٠

● تخفيض اقساط وفوائد دين الاصلاح الزراعى على الفلاحين الى النصف .

اغسطس

٤ ــ صندوق النقد الدولى يقرض بريطـانيا ٢٠٠٠ مليون دولار .

٦ ــ اطلق الاتحاد السوفيتى سفن الفضــاء (فوستوك ٢) تحمل رائد الفضاء تيتوف . وقد مكث تيتوف ٢٥ ساعة و١٨ دقيقة فى الفضاء الخارجى دار فيها حول الارض ١٧ دوره .

١٠ ــ الاتحاد السوفيتى يفجر قنبلة قوتهـا ١٠٠ مليون طن ديناميت .

خطوات تنفيذه بالفعل ؛ وينتظر أن يستكمل خلال السنوات الخمس القادمة • ان هـذا المشروع هو « السد العالى » فى فترة التنمية التى تبدأ فى السبعينات • ولذلك ليس غريبا أن يلقى معارضة شديدة فى دوائر يسوؤها ان تصفى التخلف وان يحيط به من الشائعات حملات التشكيك قدر ما أحاط بمشروع السد • ومن المألوف أن تتركز المعارضة حول حجتين : الاولى أن تكلفة انتاج الصلب عندنا حتى حين يتجاوز الانتاج المليون طن ستظل أعلى من تكلفة الانتاج فى الدول الكبرى ، وعلى ذلك فانه يكون من الاجدى استيراد الصلب بدل انتاجه محليا • والحجة الثانية هو أن انتاج مليون طن أو أكثر يزيد عن احتياجات الاقتصاد المصرى، واننا لن نستطيع التصدير بسهولة نظرا لارتفاع التكلفة . وكلا الحجتين لا يصمد أمام الفهم السليم لعملية التنمية • لقد سبق أن أشرنا أنه من المتفق عليه دوليا اتخاذ متوسط انتاج الصلب للفرد الواحد فى البلد المعين مقياسا لدرجة النمو الاقتصادى • ومعنى ذلك أنه لا توجد تنمية حقيقية الا وعمودها الفقرى صناعة صلب قوية • ومصر ليس بالبلد الصغير الذى لايحتمل نشأة تلك الصناعة . فعدد السكان عندنا قد جاوز الثلاثين مليونا وينتظر أن يكون أكثر من ٣٥ مليونا سنة ١٩٧٥ • وهذا العدد يقارب عدد سكان ايطاليا حين نشأت فيها صناعة للصلب بالرغم من افتقارها الكامل لكل من الحديد والفحم • ومن ناحية أخرى **الاهتمام بالصلب مرده أنه المادة الاولية لصناعة الآلات . وبالتالى فلا يتصور أن نقيم صـناعة للصـلب لمجرد التصـدير . بل لابد ان يتزايد الاستهلاك المحلى من الصلب • ومن ثم فلابد من اقامة الصناعات التى تستخدمه بحيث تبدأ العمل بمجرد تشغيل الدفعة الاولى من الافران الجديدة. ويمكن فى اقتصادنا القومى أن يتكامل خط انتاجى نهايته مصانع الغزل والنسيج ومصانع الحراريات ومواد البناء والمصانع الغذائية والترسانة البحرية وصناعة مهام السكك الحديدية ،وحلقته الوسيطة صناعة الالات وقطع الغيار اللازمة لتلك الصناعات المزدهرة بالفعل : ونقطة البدء فيه صناعة الحديد والصلب**• ان الدليل على نجاح التنمية وتحقيق الاستقلال الاقتصادى هو كمية الكهرباء والصلب. ولذلك فان دعامتى استقلالنا الاقتصادى واستمرار التنمية هما السد العالى ومجمع الحـديد والصلب •

● **الانتاج الزراعى : وقد كان عام ١٩٦٩ عام** توفيق للزراعة المصرية • فقد ارتفعت أسعار التصدير لاهم حاصلاتنا وبالذات **القطن والارز** • وفى الوقت ذاته زادت المحصولات الاساسية • ولم يكن هجوم دودة القطن شديدا هذا العام ، فجاء المحصول وفيرا ، بلغت قيمته حوالى ١٨٠ مليون جنيه •

ومن ناحية التركيب الاجتماعى للزراعة المصرية صدر قانون الاصلاح الزراعى الثالث محددا الحد الاقصى للملكية العقارية بخمسين فدانا للفرد ومائة فدان للاسرة المكونة من الزوج والزوجة والاولاد القصر • ولم تزل البيانات المتاحة قاصرة عن أن تعطى صورة كاملة لاثر هذا التحديد على صورة الملكية فى الريف • ومن ناحية أخرى تقرر ان تتسلم شركات القطاع العام الاراضى المستصلحة لتزرعها مباشرة أو تؤجرها أو تبيعها للفلاحين. **ومازال مستقبل الاراضى الجديدة محل جدل عنيفا.** وليس هنا مجال الخوض فى هذا الموضوع بالتفصيل • ونكتفى بأن نشير الى أنه لا يمكن أن يكون مستقبل الزراعة فى مصر على صورة ماضيها وحاضرها ، لان القول بذلك انكار لكل دلالات التقدم التكنولوجى الزراعى فى مختلف بقاع العالم • كما أنه لا يمكن التفكير على نحو رشيد فى مستقبل الزراعة بمعزل عن تطور الاقتصاد المصرى فى مجموعه ولاسيما الزراعة • واذا أخذنا هذين العاملين فى الاعتبار نرى أنه من الضرورى أن يتم استغلال الجزء الاساسى من الاراضى الجديدة فى شكل مزارع كبيرة تعتمد على الزراعة الآلية، والانتاج من أجل التصنيع والتصدير ، تغذى الصناعة المصرية بالمواد الاولية والعملة الاجنبية ، وتستمد منها الالات والاسمدة والمبيدات •

وخلال عام ١٩٦٩ تم رفع أسعار المحصولات الزراعية الرئيسية، وبصفة خاصة القطن والقمح والفول. وأيا كانت الاعتبارات التى استند اليها هذا الرفع ، فانه من الواضح أنه أغفل اعتبارا هاما هو ضرورات مرحلة التصنيع . فتـجربة التنمية فى مختلف الدول تؤكد أن مرحلة التصنيع تحتاج الى سحب مدخرات من الزراعة لتمويل الصناعة الناشئة • وأداة ذلك الاساسية هى نسبة التبادل بين المنتجات الزراعيـة والمنتجـات الصناعية ، أوبعبارة أخرى ارتفاع أسعار منتجات

الصناعة مع تثبيت أسعار المنتجات الزراعية . فانجلترا فى بداية القرن الماضى اصدرت « قوانين الغلال » المشهورة التى الغت الرسوم الجمركية على الحبوب المستوردة لتخفض أسعار الغلال . وكان ذلك شرطا للنهوض بالصناعة . والاتحاد السوفييتى فى خططه الخمسية الاولى استخدم العلاقة السعرية بين الزراعة والصناعة استخداما مخططا لتحقيق نفس الهدف .

● **الاسعار :** لقد كان من أبرز معالم الاقتصاد المصرى غداة النكسة عدم ارتفاع الاسعار . فظروف الحرب تدفع عادة الى زيادة الشراء بقصد الاستهلاك أو التخزين وهذا من شأنه أن يرفع الاسعار. وارتفاع الاسعار بدوره يوحى باحتمال استمراره مما يزيد الطلب على السلع الاستهلاكية ويخلق موجة ارتفاع جديدة ... وهكذا . وكان عدم ارتفاع الاسعار عندنا شهادة برباطة جأش الشعب المصرى واستعداده لمواجهة كل الظروف . وثبات الاسعار بصفة عامة أمر حيوى لسلامة التخطيط ودقة الحسابات الاقتصادية .

ولكن الربع الاخير من السنة شهد ارتفاعا فى بعض الاسعار . وفى تقديرنا أن هذا الارتفاع يرجع الى عدة عوامل منها رفع أسعار الحاصلات الزراعية ، وسياسة تسليف العاملين بالحكومة والقطاع العام ما يساوى مرتب شهرين وتجديد هذه السلف من عام الى آخر ، وتعاصر توزيع الارباح فى شركات القطاع العام ، مع تسديد ثمن القطن للفلاحين ، مع تجديد السلف للموظفين ، مع شهر رمضان وعيد الفطر وهو موسم استهلاك غير عادى . ومهما يكن من أمر فلا بد أن يتنبه المسئولون لتلك الظاهرة قبل أن تستفحل . ولابد من التأثير فى العوامل التى من شأنها زيادة الطلب على السلع الاستهلاكية .

● **التجارة الخارجية :** حقق ميزاننا التجارى هذا العام فائضا لاول مرة منذ سنوات طويلة . وترتب على ذلك أن خفت الاعباء على ميزان المدفوعات بشكل ملحوظ . وهذه النتيجة فى الظروف التى نعيش فيها وسط دعاوى الازمة الاقتصادية المستحكمة تبعث على الثقة ولاشك . ولكن هذا لا ينبغى أن ينسينا أن كفاءة التجارة الخارجية لا تقاس فقط بمقدار العجز أو الفائض فى الميزان التجارى ، وانما بمقدار اسهام المبادلات الخارجية من عمليات التنمية . لقد عاشت مصر منذ بداية القرن الحالى الى عشية الحرب العالمية الاولى وميزانها التجارى يحقق فائضا منتظما فيما عدا سنوات قليلة . ولم يكن ذلك تعبيرا عن صحة الاقتصاد المصرى ، بل كان تعبيرا عن جموده وتخلفه . ومن ثم فان النتيجة التى حققناها فى التجارة الخارجية هذا العام يجب ألا تجعلنا نهمل

عام ١٩٦٩

١٤ — اذيع تفاصيلات قانون المعاشات الجديد الذى اصدره الرئيس جمال عبد الناصر ، ستتحول مكافآت نهاية الخدمة طبقا لهذا القانون الى معاشات دائمة للعمال والموظفين

سبتمبر

١ — بدء انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز ببلجراد وقد حضر المؤتمر رؤساء وملوك ١٥ دولة ... (ج.ع.م. ، يوغوسلافيا ، كوبا ، الهند ، بورما ، سيلان ، لبنان ، غانا ، مالى ، كمبوديا ، تونس ، السودان ، افغانستان ، العراق ، الصومال) .

٩ — انفصال سوريا عن مصر

وقد وقع اقطاب دول عدم الانحياز « نداء السلام» الموجه الى الرئيسين السوفيتى والامريكى لاستقرار السلام . وطالب المؤتمر بتصفية الاستعمار ، ونزع السلاح الشامل والدعوة الى عقد مؤتمر عالمى لنزع السلاح

١٩ — مصرع داج همرشلد السكرتير العام للامم المتحدة على اثر سقوط طائرته وسط غابات روديسيا ، وكان فى طريقه للاجتماع بتشومبى فى بلده « ندولا » الواقعه على حدود روديسيا الشمالية .

اكتوبر

٣ — الغاء قرارات تاميم الشركات الكبرى فى سوريا .

٤ — تم تشغيل المفاعل الذرى العربى فى انشاص بكامل طاقته التى تبلغ ٢٠٠٠ كيلووات .

١٥ — تعيين يوثانت سكرتيرا عاما للامم المتحدة خلفا لداج همرشلد .

٢١ — اعتقال ٣٧ من الرجعيين وفرض الحراسة على اموال ١٦٧ من الراسماليين لتأمين العمل الثورى .

نوفمبر

١٨ — اجتماع اقطاب الحياد الايجابى الثلاثة تيتو نهرو عبد الناصر فى القاهرة .. وقدمت البيان المشترك للاجتماع الى الضرورة الملحة لنزع السلاح نزعا شاملا وتاما .

٢٥ — اكتشاف مؤامرة جاسوسية فرنسية يقوم بها اعضاء المكتب الاقتصادى الفرنسى فى القاهرة .

● افرج عن عبد السلام عارف الذى كان نائبا لرئيس الحكومة العراقية ووزيرا للداخلية بعد ان ظل معتقلا ثلاث سنوات بعد ادانته فى محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم .

ديسمبر

١٠ — قطع الاتحاد السوفيتى علاقاته الدبلوماسية مع البانيا .

١٤ — انتخب المجلس التأسيسى السورى ناظم القدسى رئيسا للجمهورية السورية بعد ان سحب خالد العظم ترشيحه .

١٩ — حصلت جمهورية تنجانيقا على استقلالها من فرنسا .

٢٣ — صدر قرار بالغاء تملك الاجانب للاراضى الزراعية فى مصر .

أهمية تخطيط التجارة الخارجية فى اطار الخطة القومية الشاملة لمدة خمس سنوات بحيث نضمن الحصول على أكبر قدر ممكن من مستلزمات الانتاج وأن نصدر ـ على أسس تجارية سليمة ـ أكبر قدر ممكن من فائض انتاجنا .

● **عناصر القوة :** ان كشف حساب الاقتصاد المصرى فى ١٩٦٩ ايجابى ولا ريب . وعلينا أن ندرك العناصر التى أمدت اقتصادنا بالقوة واهلته للصمود . وفى رأس هذه العناصر نجد **جماهير شعبنا العامل** . فعرق الفلاح والعامل هو مصدر الزيادة فى انتاجنا الزراعى والصناعى . وتقبل جماهيرنا للتضحيات التى فرضتها المعركة والتى تمثلت فى زيادة فى الاعباء المالية تقدر بحوالى مائتى مليون جنيه هى التى وفرت أهم الموارد التى تحتاج اليها البلاد . **ووجود القطاع العام** هو الذى دبر بقية ما تحتاجه الدولة من موارد . ففائض قطاع الاعمال مورد أساسى فى ميزانية ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ . ولكن دور القطاع العام لا يقتصر على هذا . فهو الذى مكن الدولة من السيطرة على حركة الانتاج والتوزيع بحيث لم تنتشر السوق السوداء ، ولم يظهر عندنا « أغنياء حرب » يكدسون الثروات من تضحيات الشعب ومآسى نضاله . ولو تخيلنا لحظة واحدة ظروف الحرب الراهنة والانتاج كله بيد الراسمالية المستغلة وشبكات التوزيع لا يحكمها الا حافز الربح لامكن أن نكون فكرة عن الاخطار الجسام التى كان يمكن أن تتعرض لها البلاد لو لم تختر طريق التحول الاشتراكى .

وجهود التنمية التى بذلت فى السنوات السابقة ، وبصفة خاصة فى مجال التصنيع ، هى التى جعلت البلاد قادرة على أن تغطى احتياجاتها من سلع الاستهلاك الاساسية بدل أن تعتمد على الخارج فى كل شىء . ويكفى هنا أن نتذكر ما عانته البلاد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية بالرغم من عدم تعرضها لاعمال حربية مباشرة .

واسترداد مصر لوجهها العربى منذ ثورة ١٩٥٢ ، وتحملها لمسئولية النضال من أجل تحرر الامة العربية وتقدمها الاجتماعى ووحدتها القومية هو الذى جعل أفئدة العرب تلتف حول القاهرة ، وكان الدعم العربى تعبيرا عن هذا الشعور القومى التحررى الذى لا يغالب . وكانت **سياسة عبد الناصر الوطنية المعادية للاستعمار** بتأكيدها على استقلالنا الوطنى سببا لكسب صداقات دولية ندرك اليوم فى ظروف المحنة قيمتها العظمى . وما يقدمه لنا الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الاخرى تعبير رائع عن نجاح تلك السياسة . فقد قدمت تلك الدول المعونات العسكرية والاقتصادية . وزادت من حجم وارداتها من منتجاتنا ، وقبلت تيسيرات كثيرة فى سداد ما يستحق لها من قروض .

● **مازال بالامكان ابداع افضل مما كان :** وأخيرا فان ايجابية نتائج ١٩٦٩ لاينبغى أن تجعلنا نقتنع ونتقاعس ونقول « ليس بالامكان أبدع مما كان » . بل ان تلك النتائج يجب أن تحفزنا على المزيد من الجهد والتضحية من قبل الجماهير ، والارتقاء بمستوى التخطيط مع وضوح كبير فى الاهداف فى مستوى الدولة . وقد أعلن فى الاسابيع الاخيرة من ١٩٦٩ عن مشروع اطار للخطة الخمسية ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ . ومازالت تفاصيل المشروع غير متاحة للآن . ولكن كل وطنى مخلص يأمل أن يجد فيه التعبير الصادق عن السعى الدءوب ، وفقا لمنهج علمى لتحقيق أهداف شعبنا فى أن نحقق « **اقصى استعداد لمعركة التحرير مع الاستمرار فى التنمية بأعلى المعدلات** » .



[٣] اتجـاهات التغيير فى حسابات عام ١٩٦٩

عبد المنعم الغزالى

اكد المؤتمر القومى المنعقد فى مارس ضرورة اجراء انتخابات نقابية جديدة لتجدد القواعد العمالية قياداتها القادرة على تحمل اعباء المسئولية فى مرحلة التحول بالبلاد من الرأسمالية الى الاشتراكية .

شركة مصانع الدلتا للصلب : وقد حققت زيادة فى حجم الانتاج بنسبة ١٧٫٩ فى المائة وكما حققت الخطة الانتاجية المحددة بنسبة ١١٧٫٥ فى المائة . كما حققت نقصا فى التكاليف وصنعت المعدات والآلات وقطع الغيار محليا ، وحققت زيادة فى الصادرات .

البناء القيادى الحالى للنقابات تشكل منذ ١٩٦٤ بعد تطبيق قانون التنظيم النقابى الجديد . ورغم أن التجربة العلمية والممارسة اليومية أكدت ان القيادات النقابية الحالية فى غالبها ليست الممثل الحقيقى للطبقة العاملة ، ولا لفلسفة الميثاق الاشتراكية ، وأنها تمثل فكرية الطبقة المتوسطة ، وانها اصبحت منعزلة عن الجماهير ، واقتصرت صلتها بها على دفاتر جمع الاشتراكات وأنها لم تعد تشارك بفاعلية فى العمل الوطنى كقوة طليعية كما أشار الميثاق وحدد ، رغم ذلك كله فان هذه القيادات مازالت ارادة التغيير بعيدة عنها ، **ولقد**

النقابة العامة للعاملين بخدمات الاعمال والادارة ، لانها تبرعت للمجهود الحربى بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه لانها ساهمت فى خطة التنمية بـ ٥٠ ألف جنيه ، وأعانت أعضاء النقابة بالسويس والاسماعيلية وبور سعيد بمبلغ ١٠ آلاف جنيه . كما قامت بترجمة دساتير الدول الاشتراكية وجمعتها فى كتاب واحد وعقدت اتفاقية مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية لتبادل الوفود والخبرات ، وانشأت مكتبة عمالية ثقافية وعقدت مؤتمرا للانتاج ، وانشأت مركزا ثقافيا بمقرها ، وانشأت صندوقا خاصا للحوادث يخدم السائقين الاعضاء بالنقابة ، وأنشأت مصيفا للعاملين برأس البر تحملت النقابة ٦٠ فى المائة من تكاليفه .

ان عام ١٩٦٩ قد طرح بشكل حاسم قضية التغيير بالنسبة للحركة النقابية حتى يمكنها أن تمارس دورها الطليعى فى بناء الثورة الاجتماعية ، وان قرار المؤتمر القومى العام ، وتصريحات وزير العمل طيلة العام الماضى ، وتصريح أحمد فهيم للاهرام وهو على فراش المرض ، وارادة القاعدة العمالية كلها تؤكد ضرورة احداث هذا التغيير واجراء الانتخابات النقابية المرجأة منذ أواخر عام ١٩٦٦ .

وخلال عام ١٩٦٩ ، ومع الاحتفال بعيد أول مايو أشرقت الجوانب الايجابية لطبقتنا العاملة وفيه قامت الدولة بتكريم العمال الممتازين والوحدات الانتاجية المتفوقة وكذلك اللجان النقابية والنقابات العامة . وقد حصل ١٣٤ عاملا على شهادات فئة ١٠٠ جنيه و٣٩ منهم على شهادات فئة ٥٠ جنيها وحصلت ٧٢ شركة ووحدة انتاجية على كؤوس فضية وحصلت نقابتان عامتان و ١١ لجنة نقابية على كؤوس فضية . وعلى سبيل المثال حصلت الوحدات والنقابات التالية بجوائز الانتاج :

ترسانة بور سعيد البحرية : لما قامت به من اصلاح وحدات كثيرة وبعض السفن فى الاسكندرية والسويس وعلى الاخص الاصلاحات الكهربائية لبعض الناقلات التى تلفت وكان مقترحا اصلاحها بواسطة شركة أجنبية .

ادارة الحقن والتى تتبع قطاع الاعمال المدنية بهيئة بناء السد العالى ، وقد تمكنت من انهاء أعمال الستارة الرئيسية للسد العالى فى الموعد

« ان ملكية الجزء الاكبر من وسائل الانتا
الفيضان عام ١٩٦٨ .

وخلال عام ١٩٦٩ وفى سبيل تحقيق ديمقراطية الادارة فى الوحدات الاقتصادية أصدر رئيس

حسابات عام ١٩٦٩

عام ١٩٦٢

يناير

٨ – اممت حكومة غينيا شركات التأمين الاجنبية وبنك غرب افريقيا الفرنسى وقد استولت الحكومة بمقتضى هذا التأميم على رصيد كبير من الاموال القابلة للتحويل الى عملات اخرى بعد انسحاب غينيا من منطقة الفرنك الفرنسى .

٢٧ – تم توقيع بروتوكول بين ج.ع.م. والاتحاد السوفيتى بادراج عدة مشروعات صناعية .. تشمل انشاء مصنع لتقطير القطران ومعمل لفحم الكوك . واضافة محطة جديدة للقوى فى السويس .

٢٩ – وصل يورى جاجارين رائد الفضاء السوفيتى الى القاهرة فى زيارة لها .

فبراير

٧ – قرر مجلس الوزراء السودانى خروج السودان من منطقة الاسترلينى وتكوينه منطقة نقدية قائمة بذاتها يقوم فيها بنك السودان وحده باستثمار ارصدة السودان من النقد الاجنبى المودعة فى بنك انجلترا .

١٨ – وفاة صلاح سالم احد اعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية .

٢٠ – اطلقت الولايات المتحدة رجل فضاء « جونجلين » الى الفضاء وقد دار ٣ دورات كاملة حول الارض قطعها فى ٤ ساعات و٥٦ دقيقة .

مارس

٢ – قام الجيش فى بورما بانقلاب عسكرى قاده الجنرال نى وين القائد العام للقوات المسلحة فى بورما فاسقط حكومة اونو .

● تم توقيع اتفاق بين ج.ع.م. والاتحاد السوفيتى لاستيراد الالات والمعدات اللازمة لاقامة مصنع يلحق بمصانع الحديد والصلب لتحويل كتل الصلب الى شرائح ورقائق .

٦ – مفاوضات ايفيان الثانية بين الحكومة الجزائرية والفرنسية ، توصل فيها الطرفان الى اتفاق من اهم بنوده الاعتراف باستقلال الجزائر استقلالا تاما داخليا وخارجيا بعد استفتاء يجرى اثر فترة انتقال قصيره والاعتراف بوحدة التراب الجزائرى بما فيه الصحراء. وجلاء القوات الاجنبية عن الجزائر

وفور توقيع اتفاق وقف اطلاق النار اطلقت فرنسا سراح الزعيم الجزائرى أحمد بن بيللا ورفاقه الاربعة محمد بوضياف ومحمد خيضر وحسين آية احمد ورابح بيطاط يوم ١٨ مارس بعد ان ظلوا مسجونين قرابة خمسة اعوام .

١٠ – تم الاتفاق بين دول الدار البيضاء على

الجمهورية القرار رقم ٢٨٠ لعام ١٩٦٩ **بانشاء اللجان الانتاجية** فى الوحدات الاقتصادية ـ ولقد اشترط القرار حدا أدنى من العاملين فى الوحدة الاقتصادية لتشكيل اللجنة الانتاجية (مائة عامل) وهذه اللجان بحكم الاختصاصات الممنوحة لها من المفروض أن تهيمن على الانتاج داخل الوحدة ، فهى تناقش الخطة وتتابع تنفيذها وعليها تقع مسئولية ومناقشة الخطط التى تكفل تطوير الانتاج واحكام الرقابة على جودته وحسن استخدام الموارد المتاحة استخداما اقتصاديا سليما . وهذه اللجان هى التى ستخطط لسياسة العمالة ، كما تختص باقتراح معايير ومعدلات الاداء وتقييمها ، واقتراح سياسة لرفع الكفاية الانتاجية للعاملين ، وتدريبهم ، ودراسة حوافز العمل المادية والمعنوية . كما تختص هذه اللجان بالرقابة عن طريق دراسة ومناقشة الميزانيات العمومية ، وابداء الملاحظات والمقترحات عليها ، ودراسة ومناقشة التقارير الدورية التى تعدها الادارة عن نشاط الوحدة ومدى ما حققته فى تنفيذ الاهداف المقررة . ويرأس هذه اللجان رئيس مجلس الادارة، وتتشكل من خمسة عشر عضوا ، منهم ثلاثة من مجلس الادارة وأربعة من الاتحاد الاشتراكى وأربعة من اللجنة النقابية وأربعة من رؤساء الاقسام الانتاجية والمشرفين عليها .

ان تكوين هذه اللجان يعتبر من أهم الاجراءات الديمقراطية التقدمية خلال عام ١٩٦٩ لاشراك العاملين اشراكا فعالا فى العمل الاقتصادى وفى ادارته وقيادته . وهى تلقى على عاتق القيادات الجماهيرية داخل الوحدات الانتاجية مسئوليات جسيمة ، ويمكنها اذا مارست دورها بفهم ووعى أن تساهم فعلا فى البناء الديمقراطى للعملية الانتاجية .

فى المجال العربى

تعتبر الحركة النقابية فى الجمهورية العربية المتحدة اقدم الحركات النقابية فى أفريقيا والبلاد العربية وأكثرها عددا وعضوية مما يعدها لتكون مركزا طليعيا للنشاط العمالى والنقابى فى المنطقة ـ ومنذ الخامس من يونيو ١٩٦٧ وكل القوى الشريفة تتطلع الى الدور الذى يجب وأن تمارسه فى تعبئة الجماهير العمالية فى معركة التحرير والنضال ضد العدوان الامبريالى الصهيونى . وخلال عام ١٩٦٩ انحصر نشاط غالبية القيادات النقابية العربية فى اصدار قرارات عامة وعلوية ، فى المناسبات ، أو بيانات مشتركة دون تحريك جاد للجماهير العمالية لتشارك بوعى وتنظيم وجهد مادى فى حركة النضال .

وشهدت القاهرة المؤتمر العام الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى الفترة من ٢٩ يناير الى أول فبراير ١٩٦٩، واشترك فى المؤتمر ممثلو جميع المنظمات النقابية العربية، وشهد الاجتماع وفد الاتحاد العالمى للنقابات والمجلس المركزى لاتحاد جميع نقابات افريقيا واتحاد النساء الدولى الديمقراطى ووفود نقابية على مستوى عال من الاتحاد السوفيتى والمجر وبولندا والمانيا الديمقراطية ورومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وكوريا وايطاليا وفرنسا وغينيا والسنغال والصومال .

وخلال هذا المؤتمر أكد الاتحاد العالمى للنقابات والاتحادات الصديقه تضامنها الكامل مع العمال والشعوب العربية فى نضالهم ضد الاستعمار والصهيونية ومن أجل تحرير الارض المحتلة .

وخلال هذا المؤتمر ناقشت الوفود العربية قضية الانتماءات الدولية . **ووافقت الاغلبية على عدم جواز الانضمام الى اى اتحاد عمالى دولى يقف موقفا معاديا من قضايا الشعب العربى فى نضاله ضد الامبريالية** وأدواتها وضد نضال الشعوب **التحريرى.** وفى الوقت نفسه وقفت بعض المنظمات النقابيه العربيه الى جانب الرأى الداعى لعدم الانتماء لاى اتحاد دولى، وهو الرأى الذى كان يدعمه الدكتور فوزى السيد أمين اتحاد العمال العرب . ولقد كان هذا المؤتمر مظاهرة عمالية عالميه لتاييد العمال العرب والشعوب العربية فى نضالها ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل تحرير الارض المحتلة .

وكان من المنتظر بعد انتهاء هذا المؤتمر أن يواجه الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب مهاما جديدة وعاجلة ، بأن يتجه أكثر الى الارتباط بالجماهير العمالية العربية العريضة ، وأن يواجه بمخطط جدى ، النشاط الامبريالى والاسرائيلى المخرب فى افريقيا . وأن يوسع ويعزز النشاط العمالى الدولى لنضال العمال والشعوب العربية ، هذا النشاط الذى اتسع بمبادرة من الاتحاد العالمى للنقابات . الا ان الحركة فى هذا الاتجاه محدودة بسبب اتجاه قيادة الاتحاد الحالية الى طرح ما أسمته بالخلافات الايدولوجية داخل الحركة العمالية العربية. الامر الذى أثار قضايا خلافية مع اتحاد نقابات عمال السودان وهو أقوى الاتحادات العمالية العربية تنظيما ومبادرة فى التضامن مع حركة النضال المسلح الفلسطينى، ودفاعا عن النظم التقدمية فى المنطقة وخاصة النظام الثورى فى ج . ع . م . وكذلك الخلاف مع عمال جنوب اليمن . ومع اتحاد عمال فلسطين

بسبب انضمامه أخيرا للاتحاد العالمى للنقابات . وقد أدى ذلك الى تعثر العمل الذى كان يمكن أن تقوم به «لجنة العمل الدائمة بين الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب. ولقد أعلن الدكتور فوزى السيد مؤخرا تجميد نشاط هذه اللجنة من جانبه . وجاء اعلانه هذا مفاجأة لكل القوى الصديقة ، بل ولكل الاتحادات العمالية العربية، خاصة وأنه جاء فى الوقت الذى اتخذ فيه الاتحاد العالمى للنقابات قرارا بعقد مؤتمر نقابى عالمى خلال عام ١٩٧٠ من أجل دعم دولى لنضال العمال والشعوب العربية ، ولمزيد من التعبئة النقابية العالمية فى اتخاذ موقف موحد ضد العدوان الامبريالى الاسرائيلى ، وضد الصهيونية .

فى المجال الدولى

لقد تميز عام ١٩٦٩ بزيادة التضامن العمالى الدولى مع العمال والشعوب العربية . فاشترك العمال العرب فى المؤتمر الافريقى الاوروبى الذى انعقد فى كوناكرى خلال الفترة من ١٨ الى ٢١ مارس ١٩٦٩ . واستهدف هذا المؤتمر تقوية أواصر التضامن وتعميق جذور التفاهم بين الحركة العمالية الافريقية والحركة العمالية الاوروبية ، ولتحقيق العمل المشترك بين القوى التقدمية الاوروبية والافريقية لمواجهة القوى المعادية والدوائر الاستعمارية الرجعية ، كما أدان المؤتمر العدوان الامبريالى الاسرائيلى ، وأيد النضال التحريرى للشعوب العربية وللشعب الفلسطينى من أجل استعادة أرضه وحقوقه .

وفى صيف ١٩٦٩ زارت البلاد العربية لجنة تحقيق عمالية دولية مشكلة من الاتحاد العالمى للنقابات واتحاد نقابات عموم افريقيا ومنظمة عمال أمريكا اللاتينية للتحقيق فى آثار العدوان الامبريالى الصهيونى ، وفى الاعمال الوحشية التى يرتكبها المحتلون الاسرائيليون ضد المواطنين العرب .

وفى المؤتمر النقابى العالمى السابع الذى اشترك فيه ممثلو حوالى ١٥٤ مليون عامل منظم فى نقابات وهو المؤتمر الذى يعقده الاتحاد العالمى للنقابات كل أربع سنوات – وضعت قضية الشرق الاوسط كنقطة رئيسية فى جدول أعمال المؤتمر . وقد ألقى الشفيع أحمد الشيخ نائب رئيس الاتحاد العالمى للنقابات والسكرتير العام لاتحاد نقابات عمال السودان تقريرا خاصا حول القضية . وفى هذا المؤتمر ورغم الاختلافات الايدولوجية العديدة داخله ازداد فهم الرأى العام العمالى العالمى لابعاد القضية

حسابات عام ١٩٦٩

خفض الرسوم الجمركية فيما بينهما بنسبة ٢٥٪ كأول خطوة نحو انشاء سوق افريقية مشتركة .

أبريل

١٣ – الجيش السورى يعين ناظم القدسى رئيسا للجمهورية السورية بعد اخراجه من سجن المزه حيث كان معتقلا اثر الاضطرابات التى اجتاحت سوريا اخيرا .

١٤ – كلفت حكومة ديجول جورج بومبيدو بتأليف الوزارة الفرنسية بعد ان قبل ديجول استقالة الوزارة الفرنسية برئاسة ميشيل دوبريه .

٢٨ – اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتوزيع انصبة العمال والموظفين فى ارباح شركاتهم ويقضى القرار بان يتم توزيع نسبة الـ ١٠ ٪ من الارباح على العاملين فى الشركات بنسبة المرتب الاجمالى الشهرى بشرط الا يتجاوز ما يخص الفرد خمسون جنيها .

مايو

١ – احتفلت القاهرة رسميا لاول مرة بعيد العمال العالمى .

● فرنسا تقدم لـ ج.ع.م. تسهيلات ائتمانية قدرها ٥٠ مليون دولار .

٧ – كشفت مؤامرة لاسقاط ديجول ونظام الحكم فى فرنسا ، قام بها انطوان ارجو احد زعماء الجيش السرى الفرنسى ولكنها فشلت وقد القى القبض عليه .

١٣ – ظهر عبدالحميد السراج الوزير السورى السابق فى القاهرة بعد هروبه من سجن المزه فى سوريا مع حارسه فى السجن الرقيب منصور رواشده .

٢٩ – صدر قرار بتحديد الحد الادنى للاجور فى ج.ع.م. بـ ٢٥ قرشا يوميا فى القطاع الخاص للصناعة .

يونيه

٣ – عينت الحكومة الفرنسية جان مارسيل جانيتى اول سفير لها فى الجزائر .

١٥ – اجتمع رؤساء دول الدار البيضاء فى القاهرة « بن خده ، سيكوتورى ، الملك الحسن ، موديبوكيتا ، وقد تقرر فى الاجتماع انشاء السوق الافريقية المشتركة ، وكذلك قيادة عسكرية افريقية مقرها اكرا عاصمة غانا .

يوليو

١ – اعلن استقلال كل من رواندا واوروندى وبوروندى عن الاستعمار البلجيكى .

٢١ – دخلت ج.ع.م. عصر الصواريخ بعد ان اطلقت بنجاح اربعة صواريخ اثنان منها من طراز « القاهرة » ومداهما ٦٠٠ كم ، واثنان من طراز « الظافر » ومداهما ٣٨٠ كم .

٢٢ – الاتحاد السوفيتى يعلن استئناف تجاربه النوويه .

اغسطس

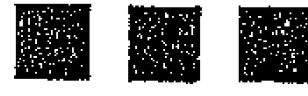
٦ – قطع الملك حسين رحلته فى المغرب بعد اكتشاف مؤامرة لاغتياله فى طنجه .

١١ – الاتحاد السوفيتى يطلق سفينة الفضاء « فوستوك ٢ » تحمل رجل الفضاء نيكولاييف وقد دارت السفينة حول الارض بمعدل مرة

العربية ، والقضية الفلسطينية خاصة ، والعدوان الصهيونى الامبريالى . وانتهى الى اتخاذ قرار هام ادان فيه الامبريالية والصهيونية والعدوان الاسرائيلى وأعلن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بنفسه وأيد نضاله التحريرى من أجل استرداده لحقوقه وأرضه السليبة .

وفى خلال هذا المؤتمر قبل اتحاد عمال فلسطين عضوا فى الاتحاد العالمى للنقابات وكان ذلك أول اعتراف عالمى بالمؤسسات الفلسطينية الديمقراطية ، ويحظى بعضوية هذا الاتحاد حاليا اتحاد عمال السودان ، واتحاد عمال سوريا ، واتحاد عمال العراق واتحاد عمال جمهورية جنوب اليمن . واتحاد العمال والمستخدمين بلبنان . وتقدم بطلب العضوية اتحاد عمال جمهورية اليمن (الشمالى) . وبعد انتهاء المؤتمر اتخذ اتحاد عمال الاردن قرارا اجماعيا فى ديسمبر الماضى بالانضمام الى الاتحاد العالمى للنقابات .

لقد تأكد خلال عام ١٩٦٩ انتصار الاتحاد العالمى للنقابات الكامل للنضال العربى وللحق العربى ضد الامبريالية والصهيونية . وان عام ١٩٧٠ ينتظر من العمال العرب المزيد من النشاط والجهد والتخلى عن ضيق الافق وعن الموقف التقليدى المحافظ حيال الاتحاد العالمى للنقابات واتخاذ موقف حاسم فى مجال الوحدة العمالية الدولية ــ حيث يوحد العمال فى العالم هدف واحد ضد عدو واحد هو النظام الرأسمالى الاستعمارى العالمى .



[٤] حول الوحدة فى تيار الفكر والفلسفة

اديب ديمترى

يكاد من المستحيل ان يحيط المرء بأطراف المشكلة ، ومن الادعاء أن يحتفظ بموضوعيته كاملة الى الحكم ، فى خضم التيارات العنيفة التى تتجاذب الفكر والثقافة فى عالم اليوم ، وفى عالمنا العربى بوجه أخص .

والفكر والثقافة فى حياة أمة كائن عضوى كامل ، من القسوة اقتطاع اطرافه ، أو فصل عضو عن اخر ، ولكن علينا أن نقترب من الصورة ونرسم بعض الملامح ، اذا كان جسم الحقيقة أعز وأكبر من امكانية الاحاطة به . هذا اعتذار واجب بادىء ذى بدء .

ونختار كمؤشر لحركة الثقافة والفكر فى بلادنا خلال العام ، الكتاب : الثقافة الجماهيرية ، الثقافة العمالية ، محو الامية ، ثقافة الاطفال والمدرسة والتعليم .

الكتاب : التأليف والترجمة والنشر

ولعل حركة الكتاب أكثر المؤشرات دلالة ، لانها حركة على أية حال مسجلة مكتوبة ، مثل تاريخ الانسان . وقوائم المطبوعات للعام الماضى كله غير ميسرة ، ولكن القوائم التى نشرتها مجلة الكتاب العربى ، عن ستة أشهر ، يمكن أن تحمل دلالات ذات قيمة ، بالاضافة الى القائمة التى نشرتها دار المعارف لمطبوعاتها خلال العام .

ونذكر فى البداية احصائية تقريبية ، ينقصها الدقة بلا شك ، للكتب التى نشرت فى مختلف الفروع والتخصصات خلال الستة أشهر المذكورة حتى أكتوبر ، ورغم أن القضية ليست قضية كم فى المحل الاول ، وكثيرا ما كانت شكايتنا من الكم والغث ، ولكن الصورة على أية حال لا تكتمل دون هذا الكم :

- فى الفلسفة ومذاهبها ٩ ــ فى تاريخ الفلسفة ٨ ــ فى الفلسفة الاسلامية ٥ ــ فى التصوف الاسلامى ١٦ .
- فى علم الاجتماع ١٩
- فى الديانات والعبادات والقرآن والتفسير والحديث وأصول الدين والفرق الاسلامية والفقه الاسلامى ، وفى الديانة المسيحية ٢١٢
- فى السياسة العامة ١٧ ــ السياسة الدولية ٨ ــ الاحزاب السياسية ٣ .
- فى الاقتصاد ١٥ ــ فى الايدلوجيات الاقتصادية ٤ ــ فى اقتصاد المال ٨ ــ اقتصاديات الصناعة والانتاج ٣٢ ــ اقتصاديات العمل

والعمال ٢٨ ــ الدخل والثروة ٢ ــ التعاون والجمعيات التعاونية ٥ ·

● العلوم والرياضيات والتكنولوجيا ١٩٣ ·

● التربية والتعليم ٢٣ ·

● الفنون الجميلة ٧ ــ فنون الرسم والزخرفة ٢ ــ التصوير ٣ ــ الموسيقى ٢ ــ السينما والمسرح والباليه ٤ ·

● الادب عام ٨ ــ الادب العربى ٢٧ ــ الشعر العربى ٤٠ ــ المسرحية العربية ٩ ــ القصة المصرية ٦٢ ــ أدب مترجم ٢٥ ·

● التاريخ عام ٢ ــ التاريخ القديم والوسيط والحديث ٣٧ ·

● الشرق العربى ١٥ ــ فلسطين ٢١ ·

● كتب الاطفال : القصص الدينى ٩ ــ العلوم الاجتماعية ٣ ــ العلوم المبسطة ٦ ــ أدب الناشئة ٨١ ·

ولاشك أن الحصيلة الكمية فى العلوم والتكنولوجيا ، وفى الاقتصاد ، وفى اقتصاديات الصناعة والانتاج وادارة الاعمال ، واقتصاديات العمل والعمال ، حصيلة لا بأس بها · وبرغم أن العدد الاكبر منها خاصة فى العلوم والتكنولوجيا ، كتب دراسية للجامعات والمعاهد العليا ، الا أن هذا الكم فى حد ذاته ، وبصرف النظر عن المضمون والمستوى ، الذى ليس لنا مناقشته ، يعطى صورة عن مجتمع يتحول ، وتحتل فيه الصناعة ، والتكنولوجيا ، وأساليب الانتاج والادارة الحديثة فى مختلف الفروع مكانة جديدة · واذا لم يكن قد تحقق من هذه الاساليب العلمية الكثير فى الواقع ، فدلالة النشر على الاقل هى دلالة التطلع الشديد والسعى الملح فى هذا الاتجاه .

فاذا انتقلنا الى المضمون والمحتوى ، فهناك الكثير الذى ينبغى أن يقال ·

ويعنينا فى المحل الاول ما نشر فى الفلسفة ، لما تحمله الفلسفة من دلالة خاصة بل وخطيرة فى عصرنا · فليس أخطر فى عالم اليوم ، من صراع الايديولوجيات والفكر ، فالعصر عصر العلم والثقافة وانتصار أفكار الاشتراكية ضد التخلف والاستغلال ، والرأسمالية ، وافتضاح الامبريالية ، ورفض الضمير العالمى وحركات الشعوب لاستمرار هذا النظام البالى ، كما أنه عصر تطلع البشرية الشديد نحو حرية أبعد وأعمق ، ونحو سلام حقيقى · فى مثل هذا المناخ الفكرى والايديولوجى تجد الامبريالية والرأسمالية وكافة النظم والافكار الرجعية والمتخلفة نفسها محاصرة تماما ·· ويصبح التخفى والتمويه الفكرى والزيف

حسابات عام ١٩٦٢

كل ٨٨ر٥ دقيقة بسرعة ٢٩ الف كم فى الساعة .

١٢ ــ الاتحاد السوفيتى يطلق سفينة الفضاء « فوستوك ٤ » تحمل رائد الفضاء « بوبوفيتش » رائد الفضاء بوبوفيتش وزميله نيكولاييف الذى اطلق قبله باربعة وعشرون ساعة يدوران حول الارض فى وقت واحد فى مدارين متقاربين .

١٦ ــ تم فى قاعة مجلس الامن توقيع اتفاق بين اندونيسيا وهولندا بشأن تسليم السيادة فى ايريان الغربية الى الحكومة الاندونيسية . وقد تم توقيع الاتفاق بعد نزاع دام ١٣ سنة ومفاوضات استمرت ١٨ شهر .

سبتمبر

٨ ــ عبرت قوات من الصين الشعبية حدود الهند الشمالية ورفعت العلم الصينى داخل الحدود الهندية وقد حدثت اشتباكات دامية مع القوات الهندية ولم يتمكن الهنود من رد الصينيين خارج حدودهم .

٢٦ ــ انتخب المجلس التاسيسى الجزائرى احمد بن بيللا رئيسا لاول حكومة وطنية فى الجزائر بعد الاستقلال .

● تم انتخاب فرحات عباس رئيسا لبرلمان الجزائر بعد الاستقلال .

٢٧ ــ اعلنت المصادر الرسمية الامريكية بان الولايات المتحدة وافقت على ان تبيع لاسرائيل قذائف موجهة قصيرة المدى من طراز هوك المضاد للطائرات الذى يطلق من الارض للجو .

٢٧ ــ قام الجيش اليمنى بانقلاب قضى فيه على النظام الملكى فى اليمن واعلن قيام جمهورية حرة فى اليمن تحمل اسم الجمهورية العربية اليمنية ، وقد قاد الانقلاب عبدالله السلال

٣٠ ــ اعتراف ج.ع.م. بثورة اليمن .

اكتوبر

٥ ــ اسقطت الجمعية الوطنية الفرنسية حكومة بومبيدو بعد مناقشات حادة حول القرار الذى اتخذه الجنرال ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية باجراء استفتاء لتعديل الدستور بحيث ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع الشعبى العام المباشر .

٩ ــ حصلت اوغندا على استقلالها من بريطانيا وانضمت الى الكومنولث . وكانت مستعمرة بريطانية منذ عام ١٨٩٠ .

٢٣ ــ اعلن جون كيندى رئيس الولايات المتحدة قرار بفرض حصار بحرى حول كوبا وقد منعت القوات البحرية الامريكية اية سفينة مهما كانت جنسيتها من دخول المياه الكوبية وكانت مطالب امريكا لرفع الحصار هى ازالة القواعد السوفيتية من كوبا .

نوفمبر

٢٠ ــ اعلن جون كيندى رفع الحصار البحرى عن كوبا بعد ان سحب الاتحاد السوفيتى القاذفات السوفيتية من كوبا وذلك بعد تبادل الرسائل بين الرئيسيين جون كيندى وخروشوف .

٣٠ ــ بدات الصين الشعبية فى سحب قواتها من الاراضى الهندية ، وذلك بعد اتصالات سياسية واسعة النطاق . اشتركت فيها عدة دول من مجموعة دول عدم الانحياز .

ضرورة لبقاء النظم والطبقات الرجعية .. ويصبح الصراع الايديولوجى، وكافة أشكال الحرب النفسية والفكرية ضرورة حياة أو موت، وليس من المبالغة فى شىء أن نسميه عصر الايديولوجية .

هذه الارضية والخلفية لا تفلت منها بلادنا بالطبع، ان لم تكن فى قلبها، فأين تقف حركة النشر فى الفلسفة والايديولوجية والفكر من هذا كله ؟

المراجعة السريعة للكتب تكاد تنقلنا الى عصر آخر، أن لم يكن عالم آخر. فما زلنا نسير بدفع العادة القديمة، فقد درجنا منذ عصر التنوير والنهضة الذى أعقب ثورة ١٩١٩، على التاليف فى المذاهب الفلسفية وتيارات الفكر الغربى، وقوفا عند آفاق الفكر البورجوازى، وأقصاها أفكار « ديكارت » أو «كانت» المتحررة أو المدرسة الانجليزية .. وفى تاريخ الفلسفة منذ اليونان حتى القرن التاسع عشر فى الاغلب .. ولاشك اننالم نشبع، ولن نشبع من هذا التاريخ ولا هذه الفلسفات، وسيظل هناك دائما محل للجديد فيها والفائدة، فلا اعتراض عليها فى ذاتها . ولكن عندما نطالع العناوين: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ـ الفلسفة ومباحثها ـ الفلسفة والاخلاق ـ آفاق القيمة ـ تاريخ الفكر الفلسفى ـ مجهورية أفلاطون ـ ربيع الفكر اليونانى ـ فلسفة العصور الوسطى ـ الفلسفة الحديثة .. هذا بالاضافة الى آراء كتابها وأفكارهم المعروفة ومواقفهم الفكرية ـ اذا كان لهم مواقف ـ فهذه الكتب مازالت تدور داخل نفس الاطار الذى تحركت بداخله اهتماماتنا ومباحثنا الفلسفية منذ العشرينيات والثلاثينيات والاربعينيات، لا تتعدى آفاق الفكر البورجوازى والتحليل والمنهج المثالى والمحلق والبعيدعن ارض الواقع . ولذلك فالسمة التى تجمع هذه الكتابات هى العزلة والفصام التام الفكرى، عما يجرى فى عالمنا .

ومباحث الفلسفة الاسلامية والتراث العربى، وأهمية بعثه واحيائه والقاء أضواء جديدة عليه، لا يمكن أن تفوت على أحد فى مرحلة دفاع الامة العربية عن وجودها ذاته .. مازالت تقف فى الاغلب من حيث المادة ومنهج البحث، عند الحدود التى تعلمناها على أيدى أساتذة الجيل الكبار لطفى السيد ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى وابراهيم مدكور، وهؤلاء أضافوا بلاشك الى تراثنا وأحيوه وألقوا عليه أضواء كثيرة . ولكن الوقوف عند هذا الحد، وعدم عبور هذه المرحلة الى تطبيق مناهج فكرية جديدة، خاصة مناهج البحث التاريخى الجدلية .. لا يمكن الا أن تفقر تراثنا وتطمسه .

وفى قائمة المطبوعات يرد من جديد كتاب لفرانكلين « آفاق القيمة ـ دراسة نقدية للحضارة الانسانية » تأليف رالف بارتن بيرى، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام، مراجعة محمد على العريان، تقديم زكى نجيب محمود، القاهرة ـ مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين .

ومن المؤسف حقا أن تعود هذه المؤسسةالى الظهور على مسرح حياتنا الثقافية والفكرية برغم كل الاذى والتخريب الذى أحدثته فيها .

ومع ذلك، فليست الصورة كلها بهذه القتامة، فقد ظهرت خلال العام الماضى عدة دراسات وكتب هامة نذكر منها: « مقدمة فى الفلسفة العامة » للدكتور يحيى هويدى ـ و « دراسات فى الفلسفة المعاصرة » للدكتور زكريا ابراهيم ـ وكتاب فى الاخلاق ظهر أخيرا لنفس المؤلف ـ « مدرسة الحكمة » للدكتور عبد الغفار مكاوى ـ و « هيرقليطس فيلسوف التغيير » للدكتور على سامى النشار ـ ومن الرسائل جامعية التى تقوم بنشرها دار المعارف وهو عمل هام ومفيد نشرت رسالتان: « النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد » لمحمد عاطف العراقى ـ و « الجدل عند هيجل » لمحمد عبد الفتاح امام .

وهذه الكتب جميعا، ومع أختلاف المواقف الفكرية لمؤلفيها، وبرغم الاتفاق او الاختلاف مع هذه المواقف، فهى دراسات جادة وأمينة، تتيح للقارىء فرصة الاحتكاك بصراعات الفكر المعاصر، ويغتنى بها الصراع الفكرى فى بلادنا .

ومن الكتب الهامة التى ترجمت فى العام الماضى ويعد اضافة قيمة لمكتبتنا العربية كتاب بليخانوف الشهير « تطور النظرة الواحدية الى التاريخ » ترجمة محمد مستجير وهو من كلاسيكيات الاشتراكية العلمية الهامة .

ويذكر أيضا كتاب « التاريخ الاجتماعى للفن » لارنولد هوزر والذى قام بترجمته د . فؤاد زكريا بعنوان « الفن والمجتمع » وأهميته ترجع الى منهجه فى التحليل والتفسير والاجتماعى للفن وتطوره .

والموقف فى الفلسفة لا يختلف كثيرا عنه فى علم الاجتماع وبقية العلوم الانسانية . وهذه بعض نماذج الكتب التى صدرت فى علم الاجتماع: « الضبط الاجتماعى أسسه النظرية وتطبيقاته العملية » د . أحمد الخشاب ـ « العلاقات الاجتماعية والعامة، ماهيتها، فلسفتها، ومجالاتها المباشرة » د .

حسن شحاته سعفان ـ « **القيادة وديناميكية الجماعة** » جوم بوهلن ترجمة محمد على العريان بالاشتراكية مع مؤسسة فرانكلين ، وهكذا تطل علينا من جديد، وفي ميدان من أخطر الميادين هو علم الاجتماع ، مؤسسة فرانكلين وخلال نفس الاقلام التي خدمت فرانكلين والفلسفة الامريكية البراجماتية .

وظهر كتيب صغير بعنوان « **الفلسفة في ضوء علم الاجتماع** » للدكتور قبارى اسماعيل مدرس علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية . والكتاب نموذج طريف للانتقاء والخلط والتوفيق بين المدارس الوضعية في علم الاجتماع والمدارس الغيبية في الفلسفة .

ولاشك أن أزمة علم الاجتماع في بلادنا ، خاصة على أيدى الاساتذة الجامعيين تبدو واضحة بل ومفجعة . ان المجتمع يقف عند هؤلاء السادة . تشده الى الوراء أربطة فكرية تبدو كأحزمة المقاعد في طائرة تهوى .

فاذا وصلنا الى قائمة السياسة والاقتصاد ، فلاشك أن مكتبتنا وحياتنا الفكرية والسياسية تغتنى ، خاصة في الازمة الراهنة، بكم وافر من الدراسات الوطنية والتقدمية خاصة في تشريح الاستعمار والامبريالية ومخططاتها . ومن الطبيعى أن تبرز هذه الدراسات في هذه الايام ، فهذا أمون الايمان ، وأقل المساهمات من جانب المثقفين .

أما في النظرية الاقتصادية والاشتراكية فلا تكاد الكتب التي صدرت ، يجمع بينها أدنى رابط من فكر أو أيديولوجية . والطابع الغالب عليها ، هو طابع التوفيق والتلفيق الذى يفتقد أى وضوح حقيقى .

وفى التاريخ للاسف لا نكاد نجد شيئا يذكر خاصة في التاريخ القومى بعد الدراسة الهامة التي صدرت سنة ١٩٦٨ عن « **تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٨ ـ سنة ٣٦** » لعبد العظيم رمضان . وهناك أيضا الدراسة الغنية بالمادة في التاريخ الاسلامى الوسيط « **النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى** » للدكتور ابراهيم طرخان .

ومن المساهمات الهامة في تاريخنا الاجتماعى والفكرى دراسات الدكتور لويس عوض التي اضاف عليها وأعاد نشرها بدار الهلال تحت عنوان : « **تاريخ الفكر المصرى الحديث** » .

ومن الترجمات التي تعد كسبا للمكتبة العربية ، ترجمة كتاب « **اضمحلال الامبراطورية الرومانية**

حسابات عام ١٩٦٩

ديسمبر

٦ ـ بعث ادلاى ستيفنسون المندوب الامريكى في الامم المتحدة وفاليرى زورين نائب وزير الخارجية السوفيتية بخطاب مشترك الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يعلنان فيه انهما اتفقا على التعاون في استخدام الاقمار الصناعية في الابحاث الخاصة بالاتصالات والتنبؤ بالجو ، ووضع خرائط للمجال المغناطيسى للارض .

٨ ـ صدر القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى في ج.ع.م.

١١ ـ الولايات المتحدة الامريكية تعترف بحكومة الثورة في اليمن .

عام ١٩٦٣

يناير

٢ ـ قوات الامم المتحدة تزحف لتطويق تشومبى ، يوثانت يرفض التفاوض مع تشومبى ويطلب منه أعمالا لا أقوالا بشأن تنفيذ مشروع يوثانت لاعادة توحيد الكونجو .

ـ اخراج مجموعة من ضباط سوريا من الجيش منهم عبد الكريم النحلاوى وفايز الرفاعى وهشام عبد ربه ممن كانوا في قيادة انقلاب ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ ، ثم في انقلاب ٢٨ مارس سنة ١٩٦٢ ، وتمت ترقية القائد عبد الكريم زهر الدين الى رتبة فريق .

ـ قرض من القاهرة للجزائر قيمته ١٠ ملايين من الجنيهات لتنفيذ برامج مرحلة بناء الدولة الجزائرية الجديدة .

ـ طلبت الهند رسميا من الصين الشعبية احالة النزاع القائم بينهما على الحدود الى محكمة العدل الدولية .

٧ ـ اعلنت بكين رسميا موافقتها على مقترحات مؤتمر كولومبو لتسوية نزاعها مع الهند .

١٠ ـ الولايات المتحدة تطلب الى دول أمريكا اللاتينية الاستعداد « لعزل » كاسترو

١٢ ـ بدأ على صبرى مهمته في تسوية النزاع بين الهند والصين بالاجتماع مع نهرو والسيدة باندرانيكة رئيسة وزراء سيلان .

١٤ ـ نجاح دول كولومبو في حل الازمة بين الهند والصين وعودة على صبرى من نيودلهى .

١٥ ـ تقدم وحدات من الجيش السورى بمطالب الى حكومة خالد العظم منها العودة الى قرارات حمص التي وعدت باجراء استفتاء في سوريا على مسالة

وسقوطها ! ، قام بالترجمة محمد على أبو درة • — و**التاريخ الاجتماعى للثورة الفرنسية** ترجمة فؤاد اندراوس •

وفى التعليم — برغم الاهتمام الذى تحظى به قضاياه لدى الجمهور الواسع ، وعلى الرغم من الالحاح الشديد لهذه القضايا ، والتى تفرض نفسهافرضا، والتى باتت تتشابك معكل قضايانا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، برغم هذا كله لا تجد كتابا واحدا فى التعليم يعالج قضاياه بأبعادها وأعماقها الحقيقية ، بينما نجد وفرة فى كتب التربية والتعليم الفنية المتخصصة ، والمادة فيها فى الاغلب معادة ومكررة وتستمد من مورد واحد هو التربية الامريكية • وهذا بالطبع لا ينفى بعض المحاولات المحدودة ، والتى لا يكاد يحس لها أثر للافلات من هذا القيد • ويبدو أن سياسة الاغراق التى ركزت عليها مؤسسة فرانكلين فى التربية ، بالاضافة الى المواقع القوية لاساتذة التربية الرجعيين مازالتتحجب جمهورالمعلمين، والمهتمين بقضايا التعليم عن الرؤية الاجتماعية والسياسية السليمة ، وتعزل المهنيين فى التعليم عن الحركة الثورية فى مجموعها •

وثمة اهتمام واسع بكتب التراث ، سواء من جانب الناشرين أو القراء ، وهذه ظاهرة صحية بلا شك • والامم فى أزماتها العميقة تميل الى أن تعود الى تراثها • ولكن الامر يفتقد الى التوجيه والتخطيط السليم • ومن الملاحظ فى الدراسات الخاصة بالتراث استمرار المنهج التقليدى فى البحث الذى يقف عند حدود مناهج المجددين من مثقفى ثورة ١٩ والاستفادة مازالت محدودة بمناهج البحث التاريخى الجدلى والتى تقوم على أساس التحليل المادى والطبقى للتراث •

ومع القصور الشديد فى حركة التأليف والترجمة والنشر ، والعجز عن الارتباط بالقضايا الملحة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التى تفرضها الازمة الراهنة ، فهناك ما يعوض بعض هذا القصور • فالصحافة وبالاخص المجلات الفكرية والتقدمية تسد جزءا من النقص • فهناك بحوث ودراسات جادة لواقعنا بلا شك ، وقد طرحت خلال العام الماضى العديد من القضايا الفكرية التى تثير الاهتمام • •

ولابد أن نسجل أيضا فى حياتنا الفكرية والثقافية فى العام الماضى ، احتفالات القاهرة الالفية ، والندوة العالمية التى عقدت فى شهر ابريل فى هذه المناسبة واشترك فيها عدد كبير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين ينتمون الى ١٦ دولة أوربية وأمريكية وأسيوية • ونشرت فى هذه المناسبة الهامة مجموعة كبيرة من البحوث والدراسات التاريخية والفكرية بالغة القيمة •

وكذلك زيارة بعض كبار المفكرين مثل **جارودى** و**مكسيم رودنسون** ، وقد أتيحت فرصة للحوار وتبادل الفكر ، وانعقاد مكتب « رابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية » لاول مرة فى القاهرة فى المدة الاخيرة • فمثل هذه الوسائل فى تبادل الرأى ، وفى الحشد الفكرى والتعبئة ضد أعتى قوى الظلام فى عصرنا تضع الفكر والثقافة والتعارف البشرى فى خدمة التقدم •

ومعارض الكتاب ، وأسواق الكتب التى نظمت فى العام الماضى ، والاقبال الشديد الذى لاقته ، يقدم الدليل على مدى التعطش ، والبحث عن الكتاب الجيد بين قرائنا ومثقفينا • ومع ذلك فلا يمكن الافلات من الاحساس المتزايد بالعزلة ، والانفصال بين الجمهور الواسع والكلمة المكتوبة ، وهى ظاهرة يتفاقم خطرها فى حياتنا الفكرية والثقافية ، ولا سبيل الى مداراتها • ومن العبث أن نخفى حقيقتين تبرزان أكثر فأكثر فى حياتنا الفكرية والثقافية :

أولاهما الفصام وهوأكثر من العزلة بين جانب كبير من انتاجنا الفكرى والقضايا الكبيرة التى تثقل قلوب الناس وعقولهم ، والمسافة التى يبدو أنها تتباعد بين الفكر المكتوب وحقائق المعركة التى نخوضها ، والتى غدت مكشوفة أمام أعين الناس •

وثانيتهما : الفوضى والتشتت الفكرى،حيثفى كثير من الاحيان لا اتجاه ، أو اتجاهات فكرية متضاربة تماما •• والثمرة الطبيعية هى مظاهر الضياع وفقدان الاتجاه ••

أما لماذا ؟ فاقل ما تقتضيه الاجابة فى مثل هذا الموقف الصدق والبعد عن الادعاء • واستجلاء صورة الواقع هنا قد يغنى عن كثير من الكلام •• فمن الاحداث الفكرية التى نراها هامة فى خلال العام الماضى ، وذات الدلالة الكبيرة ، رغم أنها جزئية ومنزوية ، ما طلعت به علينا لجنة فرعية ، من القوى العاملة ، من اقتراح الحد من عمل المرأة فى بعض فروع الانتاج ، والحيلولة بين تعليمها والمستويات العليا من التعليم الجامعى فى بعض الكليات • بدعوى عدم اتفاق هذه الاعمال والثقافات مع طبيعة المرأة • وقد عودتنا هذه اللجنة بتقاريرها الطريفة ، وقد سبق لها أن أصدرت تقريرها الشهير عن سياسة التعليم ؛ والذى يطالب بالحد من التعليم فى كثير من الفروع بدعوى فائض الخريجين والمثقفين ، ويخطط للتعليم والقوى العاملة بحسابات سوق العمل ، ضاربا صفحا عن حاجات أمة من موارد الثقافة

وهى تدفع عن نفسها رداء التخلف . ولسنا بصدد مناقشة رأى هذه اللجنة ، ولكننا نقول أنه اذا كان صحيحا أن أعمال العتالة وأفران الصهر لا يتفق العمل بها مع طبيعة المرأة ، فليس يعنى هذا أن نحرمها من مهن الهندسة أو كلياتها !! والذى يفرق بين البشر ،منذ قالت الثورة الفرنسية كلمتها، ليس الجنس فى المحل الاول ، بل الاستعداد والقدرة . هذا حدث فكرى جزئى ، وقد صادف الردود التى يستحقها من الصحافة فى حينه . ولكننا نسوقه لان دلالته كبيرة كمثال ، فلسنا هنا أمام رأى نناقشه ، نتفق معه أو نختلف ، بل فصام وتشتت بين واقع المعركة الحضارية التى نخوضها ، والتيارات التى تبرز أحيانا الى السطح ، وتسفر عن نفسها بسذاجة ، وأقل ما يقال عنها أنها بعض ما صنع الهزيمة . وهنا أيضا يبرز المعنى الحقيقى للتشتت والفوضى وفقدان الاتجاه الذى أصبح يلون بعض جوانب حياتنا الثقافية ، فالدعوة ليست الى أن يصب الناس فى قوالب واحدة ،فذلك ما ترفضه طبيعة الحياة ذاتها ، وتنفيه حقائق الصراع الاجتماعى والطبقى والفكرى . ولكن ضرورة الاختلاف والتعدد والصراع لا تلغى حقيقة أخرى لا تقل أهمية ، بل تزيد ، وهى ضرورة التيار الواحد والغالب والدافق . فى كل مرحلة تاريخية بعينها ، وفى كل تاريخنا كانت هذه الحقيقة واضحة . ففى زمن الثورة العرابية ، كانت هناك خلافات وتعدد وصراع .. ولكن كان هناك تيار الثورة العرابية الكبير الذى يشد العقول والقلوب .

ومع نضج الثورة البورجوازية فى سنة ١٩ كانت هذه الحقيقة أوضح ، فقد كانت هناك كل أنواع الصراعات الفكرية ، ولكن هدير الثورة وتيارها القوى كان يحقق الوحدة ،الضرورية ويبعد التشتت والضياع .. استمر هذا حتى فقدت الثورة البورجوازية فتوتها وتخطاها الزمن والتاريخ .

ما نريده بالوحدة ليس التماثل ، ولا التطابق . ووحدة التيار فى النهر لا تلغى جمال انعكاس الضوء على بلورات الماء واختلاف الالوان . هناك دائما مكان للفرد وللشخصية وللاختلاف وللصراع . ولكن النهر بلا تيار ولا ضفاف قد يتحول الى مستنقع . فمن أين اذن نستمد الوحدة ونقضى على الفصام بين الكلمة المكتوبة والناس؟ بلا ادعاء ولا نظريات ، عندما نعود الى المنبع ، الى أصحاب الشأن الحقيقيين ، وهم بالتحديد فى أيامنا المقاتلون . هذه حقيقة طرحها القادة ولا يستطيع أن يهرب منها انسان وعندما يرتد الفكر والثقافة الى هؤلاء ، الى حاجاتهم وهواجسهم وآمالهم وآفاقهم . وعندما يصعدون على مسرح حياتنا الفكرية والثقافية ، بل وكل حياتنا ، عندئذ

الوحدة . وعزل الفريق عبد الكريم زهر الدين قائد الجيش ، وتنحية اكرم الحورانى وعزله من الحياة السياسية العامة .

- تشومبى يستسلم ويعلن انهاء انفصال كاتانجا .

١٦ - انتهت احدى مراحل الصراع على السلطة فى سوريا بمغادرة عبد الكريم النحلاوى ومهيب الهندى وفايز الرفاعى وفخرى عمر البلاد الى الخارج .

١٨ - بورقيبة يسحب سفيره من الجزائر ، ويهاجم بن بيللا لمساعدته التونسيين من أنصار صالح بن يوسف .

- اتمت قوات الصين انسحابها الى « شمال خط السيطرة الفعلى » استجابة لمقترحات مؤتمر كولومبو .

٢٣ - الاضطرابات تعم كل مدن ايران احتجاجا على سياسة الشاه . الجبهة الوطنية تطلب من الحكومة السماح بعقد اجتماع عام لها فاعتقلت الحكومة جميع زعمائها .

- استقالة بشير العظمة نائب رئيس حكومة دمشق واشتداد الصراع بين الحكام السوريين .

- استئناف مباحثات حظر التجارب النووية بين أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى .

٢٦ - اذاعة أنباء عن محاولة انقلاب فى السعودية راح ضحيتها ٤٠ ضابطا .

- امريكا تزود ألمانيا الغربية وغيرها من دول حلف الاطلنطى بغواصات ذرية بهدف عزل فرنسا التى تصر على تشكيل قوة نووية خاصة .

٢٨ - هبوط جنود المظلات البريطانيين فى أدغال بورينو لمواجهة احتمالات تجدد الثورة هناك ، وبدء تحرك قوات الاحتياطى فى سنغافورة متجهة اليها .

فبراير

٤ - كيندى يستدعى سفراؤه فى أوربا تمهيداً لتعديل سياسة تجاهها ولمواجهة الازمة الناجمة عن موقف ديجول .

٦ - وفاة الامير عبد الكريم الخطابى ودفنه فى مقابر الشهداء فى القاهرة . وقد قدم الامير الى القاهرة منفيا منذ عام ١٩٤٧ بعد قيادته لثورة الريف فى المغرب ضد الاستعمار الفرنسى فى الفترة من ١٩٢١ - ١٩٢٦ ، ثم اعتقل ونفى الى جزيرة رينيون حيث قضى فيها ٢١ عاما ثم فر منها الى القاهرة .

٨ - وقوع انقلاب فى العراق وسقوط حكم عبد الكريم قاسم . عناصر الانقلاب انشأت مجلسا وطنيا للثورة ، أصدر قرار بتعيين « عبد السلام عارف » رئيسا للجمهورية .

٩ - اعدام عبد الكريم قاسم رئيس جمهورية العراق بعد القبض عليه فى الساعة الواحدة والنصف من صباح اليوم ، واعدام عباس فاضل المهداوى رئيس محكمة الثورة فى حكم عبد الكريم قاسم والعقيد طه الشيخ احمد مدير الخطط العسكرية السابق .

تزاح الشلل العاطلة من المثقفين ، والثقافات الباطلة ، ويذهب الزبد جفاء .

الثقافة الجماهيرية

من الطبيعي اذن أن ننتقل الى المواقع الحقيقية للثقافة ، فى مستوى جماهير العمال والفلاحين والاميين . ومن أهم هذه المواقع عندنا ميادين الثقافة الجماهيرية والثقافة العمالية ومحو الامية . وثقافة الاطفال .

وخلال العام الماضى ، حدث تغيير شامل فى تنظيمات الثقافة الجماهيرية والقائمين عليها ، وظل العمل مجمدا بها مدة طويلة . ونلخص أهم التغييرات التى حدثت فى التنظيم والخطة التى وضعت للتنفيذ .

فقد صدر قرار بعد منتصف العام الماضى بتكوين مجلس الثقافة الجماهيرية من المستشارين والمديرين العاملين فى الثقافة الجماهيرية .. ويختص المجلس برسم السياسة العامة ومتابعتها .

وكانت الشكوى من القوانين واللوائح المالية التى تعوق انطلاق العمل الثقافى . وكانت قصور وبيوت الثقافة مقيدة فى كل تصرف صغير أو كبير بالرجوع الى الوزارة ، ولا شك أنها مركزية خانقة بالفعل ، وحلا للمشكلة صدر قرار بتأسيس جمعيات بقصور الثقافة فى المحافظات كفروع لجمعية قصور الثقافة وبيوتها ومقرها القاهرة ، ويقوم المؤسسون للجمعيات الفرعية بانتخاب مجلس ادارة من بينهم ، وعدد الاعضاء المنتخبين ثمانية أعضاء ، بالاضافة الى الاعضاء الرسميين بالقصر ، وعضوين عن الاتحاد الاشتراكى وعضو عن المحافظة ، وبذلك أصبحت قصور وبيوت الثقافة تخضع فى تصرفاتها الادارية والمالية لنظام الجمعيات ، وهى بلا شك خطوة سليمة ومحاولة للتغلب على مشاكل الروتين .

وقد وضع مشروع لنشر الثقافة الجماهيرية وامتداد خدماتها الى القرى البعيدة عن القصور ذلك بانشاء بيوت للثقافة فى الاحياء الشعبية بالمدن وفى القرى .

وقد وضعت خطة طموحة للنشاط خلال عام ٦٩ ــ ٧٠ .

ففى **المسرح** وضعت الخطة على أساس انشاء فرق الهواة بقصور الثقافة والمحافظات وعلى أن تقوم كل فرقة بتقديم مسرحيتين على الاقل فى الموسم المسرحى ، وأن تعرض كل مسرحية خمسين عرضا على مدار العام داخل المحافظة وخارجها ، وعلى ان تكون الاولوية للمواقع بالقرى وأماكن التجمعات العمالية والشعبية . وتستمد النصوص من مؤسسة فنون المسرح والموسيقى بالاضافة الى النصوص التى تجيزها لجنة القراءة بالثقافة الجماهيرية مما يقدمه كتاب الاقاليم .

وقد تم بالفعل تقديم ١٧ عرضا مسرحيا فى ١٧ موقعا حتى نهاية الفصل المسرحى الاول . وتكونت فرقة فى دنشواى من الفلاحين .

وفى **السينما** من المفروض أن يعرض ٢٠ فيلما طويلا و١٧ قصيرا على أن تبلغ مجموع الدورات بالقصور ٤٤٠٠ دورة ، بمتوسط اربعة عروض كل أسبوع طوال ٤٤ أسبوعا فى العام فى كافة القصور والبيوت المزودة بالالات . هذا الى جانب قوافل الثقافة .

وستفتتح أيضا نواد للتذوق السينمائى يشرف عليها عدد من السينمائيين الشبان وقد افتتح بالفعل ١٤ ناديا سينمائيا بالاقاليم .

وفى **الفنون الشعبية** تم عرض مسرحى للفنون الشعبية يوم عيد الفلاحين فى ٩ سبتمبر .

وفى **الفنون التشكيلية** وضعت الخطة على أساس تنظيم معارض زائرة بالاقاليم ، مثل معارض انتاج أقسام كلية الفنون التطبيقية ومعرض التصوير الزيتى والضوئى ورسوم الاطفال .

وكونت فرق موسيقية للهواة فى الاقاليم كما تقام ندوات موسيقية بالقصور على أن يقدم القصر ندوة فى الشهر على الاقل .

وفى **الرقص الشعبى** تنشأ فرق شعبية للرقص والغناء وتشترك فى المهرجانات الشعبية ، مثل عيد الفلاح ، ومولد السيد البدوى .. الخ .

وفى **الثقافة العامة** وضعت الخطة على أساس تنظيم عدد من المهرجانات الثقافية والادبية ومحاضرات وندوات ومسابقات فى التأليف المسرحى والقصة القصيرة والشعر العربى

والعامى وانشاء نوادٍ لأدباء الاقاليم فى القصور وتنظيم لقاءات واصدار مجلة دورية باسم الثقافة الجماهيرية لنشر انتاج الاقاليم .

ومن الجوانب الهامة التى تركز عليها الثقافة الجماهيرية وهو اتجاه سليم ، جانب ثقافة الاطفال واعطاء عناية خاصة لها ، ولانشاء مراكز ثقافة الطفل .

وقد انشىء معهد لاعداد رواد الثقافة الجماهيرية . وبدأت فيه الدراسة بالفعل ، وذلك لتدريب قادة من المثقفين الجماهيريين المتخصصين ، ولتثبيت أجهزة القصور والبيوت الثقافية ، وحتى تتاح الفرصة فى رأى المخططين لالتحام أوثق بين المثقفين والجماهير فى القرى والقاعدة ، وحتى تنبع حركة الثقافة الجماهيرية من أسفل .

ولاشك أن الخطة طموحة ، وقد يكون ما تحقق منها ليس بالقليل ، وكثير من اتجاهات الخطة سليم . ولكن يظل النجاح والفشل ، فى حركة الثقافة الجماهيرية .. مرهونا فى حقيقة الامر بقضية أوسع بكثير ، أوسع من مجرد خلق قادة مدربين بالقصور ، وهى قضية الحركة السياسية والفكرية والاجتماعية فى القرية ... أو بتعبير آخر قضية الثورة ... فى حياة الريف ، وقيام العمل السياسى بدوره الفعلى والقائد لتغيير هذه الحياة .

الثقافة العمالية

الاهمية الكبيرة لهذا الحقل لا تحتاج الى بيان ، وللاسف لم تتوفر لنا المادة الكافية لتبين أبعاد هذا النشاط . وقد تغير مجلس ادارة المؤسسة فى العام الماضى ، وسيمضى وقت حتى تظهر خطة القيادة الجديدة ، ولكن من الواضح أن هذا الحقل محل تنازع اختصاصات بين الاتحاد العام للنقابات وأمانة العمل والعمال فى الاتحاد الاشتراكى .

ومؤسسة الثقافة العمالية تملك ١٥ مركزا ثقافيا فى جميع المحافظات ، وستة معاهد متخصصة ، ولا شك أن مجال النشاط والعمل أمامها بالغ الاتساع ، خاصة اذا أضفنا ميدانا يبدو أن المؤسسة لاتعتبره من اختصاصها ، وهو ميدان الامية بين العمال .

حسابات عام ١٩٦٩

١٠ ـ اعترفت يوغوسلافيا والسودان بالحكم الجديد فى العراق .

١١ ـ الحزب الشيوعى السوفيتى يدعو الى مؤتمر قمة لتسوية الخلافات مع الحزب

١٥ ـ محاولة جديدة لاغتيال ديجول اعتقال عدد من الضباط والمدنيين فى خامس محاولة لاغتياله .

١٦ ـ الحزب الشيوعى السوفيتى والاتحاد العالمى للنقابات يهاجمان حكومة العراق بسبب عمليات التطهير التى تقوم بهـا ضد الشيوعيين .

١٧ ـ اسقاط جميع احكام محكمة المهداوى ضد رجال ثورة ٥٨ ورجـال ثورة الشواف ورد الاعتبار اليهم .

١٩ ـ بدء اجتماعـات ودية فى جنيف بين مندوبى روسيا وامريكا وبريطانيا للاتفاق على نزع السلاح .

٢١ ـ تم التصديق فى دمشق أمس على أحكام الاعدام التى أصدرتها محكمة أمن الدولة العسكرية على بعض الضباط فى حلب الذين وصفوا بأنهم وحدويون .

٢٤ ـ عبد الناصر يختتم محادثاته مع وفـد العراق الذى حضر احتفالات عيد الوحدة فى الجمهورية العربية المتحدة .

ـ بن بيللا ينذر بقطع العلاقات مع فرنسا اذا عادت لاجراء تجاربها الذرية فى صحراء الجزائر .

٢٥ ـ فشل محادثات بريطانيا وأمريكا بشأن القوة الذرية لحلف الاطلنطى .

٢٦ ـ اعتداء بريطانيا بطائراتها على الاراضى اليمنية وحشد قواتها عند منطقة «الحريب» والسلال يبلغ مجلس الامن بالعـدوان الذى يستهدف مساعدة المتسللين من السعودية والمحميات .

ـ وفد مصرى الى العراق لبحث تفصيلات أسس محادثات القاهرة التى اجراها عبد الناصر مع وفد العراق . اهداء عبد الناصر لعشريف الف مدفع رشاش للحرس القومى فى العراق .

٢٧ ـ دخول القوات اليمنية العربية المشتركة مارب وتطهير منطقتها من المتسللين تماما .

● تجدد القتال بين قوات الكونجو المركزية وقوات كاتنجـا .

مارس

١ ـ بريطانيا تعلن عن نقل سرب من طائرات « هنتر » المقاتلة من قبرص الى عدن .

٢ ـ انسحبت الصين من مجلة « مشـكلات السلم والحرية والاشتراكية » التى تصدر فى براغ .

السـعودى .

٤ ـ رالف بانش السكرتير المساعد للامـم المتحدة الذى وصل الى صنعاء أول أمس بغادرها ليقدم تقريرا عن محاولات الاستفزاز البريطانية السـعودية .

● الصين تتهم موسكو « بالمراجعة الحديثة » وهاجمت الرئيس السوفيتى خروشـوف واتهمته بانه يقضى على وحـدة الكتلـة الشـيوعية .

ونكتفى بذكر جانب من النشاط الفنى والمسرحى للمؤسسة خلال العام الماضى ، فقد قامت بتنظيم خمسة معارض للفنون التشكيلية فى الرسم والنحت والتصوير اشترك فيها العمال بانتاجهم ، فى عيد العمال وفى ذكرى الثورة وفى مناسبات أخرى . وقد تم ايضا تكوين ٣٦ فرقة مسرحية وفرقتين للفنون الشعبية بالتعاون مع الثقافة الجماهيرية .

محو الامية

هذه المشكلة اصبحت مما لا يليق فيه الكلام ، بل العمل ، فليست هناك قضية تحملت أطنان الكلمات والمجلدات والاسفار.. والامية مع ذلك تزيد عاما بعد عام .

وفى العام الماضى كان الاحتفال باليوم العالمى لمحو الامية الذى نظمته هيئة اليونسكو ، وبالطبع كنا سباقين الى الاحتفال .

وهناك حاليا فى وزارة التربية والتعليم ادارة خاصة لمحو الامية ، لا تتعدى جهودها رغبة البقاء والحياة ، وهى تكتفى حاليا بالتجريب ، وكان محو الامية يحتاج الى المزيد من التجارب فى عالم وصل الى القمر .

والبيانات التى اذاعتها الادارة العامة لتعليم الكبار بالوزارة تقول أنه خلال عام ٦٨ ـ ٦٩ ، انتظم ٦٦٠١٢ دارسا من الاميين ، منهم ٩٥٧٢ من الاناث و٥٦٤٤٠ من الذكور فى ٨٥٥ مركزا لمحو الامية أعدتها الوزارة بالتعاون مع الهيئات والمؤسسات والمحافظات والاتحاد الاشتراكى . ومع افتراض اننا نجحنا بالفعل فى محو امية الرقم المذكور وهو ٦٦٫٠٠٠ فان من اطفالنا من يتخلف سنويا عن الالتحاق بمدرسة الالزام فى سن السادسة خاصة فى الريف ، ويبلغ عددهم بالتقريب حوالى ٢٥ فى المائة من مجموع الاطفال فى هذه السن. ومن المعلوم ان الاطفال فى سن الالزام فى بلادنا يبلغون سنويا اكثر من ٨٠٠٫٠٠٠ اى ان هناك ٢٠٠ الف فى مقابل من محيت اميتهم انضموا من جديد الى الموكب الذى لا ينقطع . وبالفعل تذكر احصاءات الوزارة ان عدد الملتحقين بالسنة الاولى الابتدائيه الالزامية فى نوفمبر سنة ١٩٦٨ــ١٥٢ر٦٥٣ بالمدارس المجانية فاذا اضفنا التعليم الخاص اصبح العدد ٣٤٥ر٦٧٩ فأين ذهب ما يزيد على ١٥٠٫٠٠٠ من اطفالنا ؟ هذا اذا اخذنا بالاوراق الرسمية ولعل الحقيقة اكثر ..

نحن اذن مازلنا نلقى بحجر فى محيط .

ومن المتفق عليه أن المشكلة لا تحل بمجرد الجهود الحكومية ، وأن الامر يتطلب تنظيم حملات جماهيرية واسعة ، وعلى المستوى السياسى ، وهذا حق . ولكن الامر الذى لا يسترعى الانتباه ، أن المسالة ليست مجرد تنظيم حملات شعبية ، بل يرتبط بالعمل السياسى فى شموله ، فحتى يصل التغيير الثورى البعيد الى القرية ، ويتغير نمط حياة الفلاح والعامل، وتصدمه أميته ويشعر هو بالحاجة الى العلم فى حقله وبيته وعمله ، حتى يتم هذا التغيير ، فستظل جهودنا مقصورة .

ثقافة الاطفال

هذا الركن المتردى من ثقافتنا بدأ يخرج الى النور ، ويأخذ مكانه . وبدأت توجد الهيئات والجهود الجادة من أجل الطفل .

وتتوزع الخدمات الثقافية للاطفال بين الاذاعة والتليفزيون والثقافة الشعبية ووزارة التربية والتعليم والشئون الاجتماعية . وقد تأسست جمعية ثقافة الاطفال سنة ١٩٦٨ من مجموعة من الشباب المهتمين بأدب الاطفال وتطويره على أساس قومى وشعبى فى التراث ، تراث الحدوتة والاقصوصة وغيرها .

ومن المشروعات التى نفذت خلال العام الماضى ، مشروع ثقافة الاطفال بالفيوم وهو معسكر دراسى نظم للدراسة والتجريب للمشتغلين بثقافة الاطفال ، ونظمته وزارة الشباب بالاتفاق مع محافظة الفيوم وجمعية ثقافة الاطفال . وقد وزعت بمقتضى المشروع كتب وأدوات ميكانيكية مثل علب ميكانو على ٢٠ قرية بالفيوم لتدريب الاطفال وتعريفهم بمبادىء التكنولوجيا .

وقامت مدرسة الصناعات الميكانيكية بالفيوم بعمل بعض هذه التصميمات الميكانيكية بثلث التكاليف . وتقوم فكرة المشروع على أساس أن يعايش ٢٠ من أعضاء جمعية ثقافة الاطفال لمدة

ثلاثة شهور كاملة اطفال الفلاحين ، لتكسير الحاجز بين الفنان وأولاد الفلاحين . ويقـوم الدارس بتاليف شعر من البيئة وتمثيليات ودراما تلقائية ، وكانت التجربة ناجحة الى حد بعيد .

ومن النشاطات الهامة ايضا ادخال عنصر ثقافة الاطفال على معسكرات الطلبة المتفـوقين التى كانت تقيمها وزارة التربيه والتعليم بالتعاون مع وزارة الشباب وكانت تقتصر عادة على النواحى الرياضية والترويحية . وقد اشتركت جمعيه ثقافة الاطفال فى معسكرين فى الصيف الماضى ، احدهما فى ابو قير (١٠٠ طفل) والثانى فى جمصـه (٣٠٠ طفل) .

وقضيه مجلات الاطفال فى بلادنا تحتاج الى مزيد من الاهتمام فمجلاتنا تعتمد فى مادتها فى الاغلب على مايسمى بالاستريس والكومكس وهى قصص مصورة تعتمد على الصور وتسقط الكلمة ، ومصدرها الغرب الاستعمارى عادة ، وتحمل مضامين رجعية بل وعنصرية فى بعض الاحيان . وقد بذلت محاولات لادخال القصص الشعبى والحدوته لتوفير المادة البديلة بدلا من هذه المواد المسمومة ، ولكن الجهود مازالت متعثرة . هذا بالاضافة الى المجلات الاخرى المستوردة مثل سوبرمان وبات مان وبلوتو وهى تغمر السوق ومادتها ضارة فى الغالب .

وفى العام الماضى عقد مؤتمران هامان فى ثقافه الاطفال اولهما مؤتمر للطفل نظمته وزارة الشئون بالتعاون مع الوزارات والجهات المعنية ، وثانيهما نظمته الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لمندوبى صحف وكتب الاطفال ، واتفقت توصياتها جميعا على خطورة مادة الاستريس والكومكس هذه وضرورة توفير المادة القومية الصـالحة

التعليم

فى العام الماضى صدر قانونان جديدان احدهما لتنظيم التعليم العام الابتدائى والاعدادى والثانوى والثانى للتعليم الخاص .

وكان صدور هذه القوانين لمعالجة الحالة المتدهورة فى مستويات التعليم ، والتى ترتبت على تطبيق نظريات المدرسة القبانية الرجعية ، التى كـانت تاخذ بنظام النقل الالى فى الابتدائى ، ونظام الطالب الناجح الراسب فى الاعدادى والثانوى .. وكان صدور القوانين علاجا سريعا ومباشرا لعلة تفاقمت ـ ولذلك ينبغى ان تؤخذ القوانين فى هذا الاطار ، فهى مجرد جهد اصلاحى ، ساعد على وقـف التدهور فى مستوى التعليم الابتدائى ، وفى اللغات والرياضيات فى الثانوى . اما ماهو اكثر .. اما قضية التعليم فى شمولها .. فهى فى حاجة الى الثورة ، وليس مجرد الاصلاح .. وتلك قضية اخرى .

حسابات عام ١٩٦٩

٥ ـ صرف مكافآت لموظفى الدولة الذين يحققون أهداف خطة التنمية كاملة

● وفاة المفكر المصرى احمد لطفى السيد وتشييع جنازته عسـكريا .

● رالف بانش يعلن فى القاهره ان الامم المتحدة ستعمل لوقف التسلل نهائيا الى اليمـن .

٦ ـ مجلس الامن يقرر اعاده التحقيق فى حادث لومومبا وخاصة بشان مسالة الزعم القائل بان رجال القبائل هم الذين قتـلوه لا رجال حكومة كاتانجـا .

٨ ـ انقلاب فى سوريا واصدار المجلس الوطنى لقيادة الثورة لاوامر عسكرية بترقية العميد لؤى الاتاسى الى رتبة فريق وتعيينه قائدا عاما للجيش وترقية عدد آخر من الضباط ـ واعتقال اللواء عبد الكريم زهر الديـن رئيس الوزراء السابق الى السفارة التركية فى دمشـــق .

● الصومال تقطع علاقاتها الدبلوماسـية مع بريطانيا بسبب السياسة التى تتبعهـا بريطانيا تجاه المنطقة الشمالية لحدود كينيا التى يطالب الصوماليون بضمها لهم .

١٣ ـ الاتحاد السوفييتى يعلن لاول مرة بدء سحب قواته العسكرية من كوبـا . دين راسـك يقول امريكا لم « تتعهد » بعدم غزو الاراضى الكوبيـة .

١٤ ـ اجتماع عبد الناصر بوفد ســورى برياسة نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء ويضم القادة العسكريين لثورة سوريا ، ووفد عراقى برياسة على صالح السـعدى نائب رئيس وزراء العراق يضـم وزير الدفاع والخـارجية .

١٦ ـ انتهاء المرحلة الاولى من محادثـات الوحدة . وفود العراق وسوريا ترجع الى بغداد ثم تعود الى القاهرة بعد ايام لاعلان مشروع الاتحـاد .

١٧ ـ بدء تشـغيل مطـار القاهرة الدولى الجـديد . بلغت تكاليف المطار ٦ ملايين جنيـه .

١٨ ـ بدء مؤتمر سان جوزيه (بكوستاريكا) الذى يشترك فيه الرئيس كيندى مع رؤساء بناما وكوستاريكا وسلفادور وهندوراس وجواتيمالا ونيكاراجوا .

١٩ ـ اجتماع عبد الناصر بصلاح البيطـار رئيس وزراء سوريا ، ولؤى الاتاسى قائد عام الجيش السورى وميشيل عفلق امين السر العام لحزب البعث ، وبعض الضباط الاحرار فى ســوريا .

٢٠ ـ الولايات المتحدة ودول أمريكا الوسطى تقرر تعزيز عمليات المراقبة الجوية والبحرية لمنع تسرب دعاية كاسترو وأسلحته الى دول أمريكـا اللاتينيـة .

٢١ ـ انتهاء المرحلة الثانية من محادثـات الوحدة وصدور بيان مشترك أعلن فيه عبد الناصر ان « قضية الوحدة تقف على مستوى أعلى من جميع التفاصـيل » .

سياسة عربية

١ - اتجاهات في السياسة العربية
٢ - الصراع العربي الاسرائيلي
٣ - الموقف العسكري

[١]

حركة النضال العربي تنتقل من الدفاع الى الهجوم

مصطفى طيبة

كل متتبع لاحداث الوطن العربى خلال عام ١٩٦٩ ، لابد أن تشده بقوة ظاهرة واضحة ، وهى خصوبة وعمق هذه الاحداث ، واتجاه حركتها العامة نحو الانتفاض الثورى على آثار النكسة ، والتخلف ، والتفكك .

فمع نهاية ربيع العام الماضى ، - مايو - انطلقت ثورة السودان - تدك بحسم معاقل الرجعية ، وتفتح الباب لالتقاء أصيل مع القوى التقدمية فى العالم العربى .

وما كان صيف العام يوشك على نهايته - سبتمبر - حتى انطلقت الثورة الليبية ، تتعانق هى الأخرى مع النظم الثورية فى الوطن العربى .

ثم شهد نهاية العام - ديسمبر - حدثا كبيرا ، بدا لوقت طويل صعب التحقيق ، وهو انعقاد مؤتمر القمة العربى .

وواكبت هذه الاحداث - بل وساعدت على اطلاقها - تعاظم القدرة العسكرية والمواجهة اليومية فى معارك القتال عبر قناة السويس ، ونضوج خط المقاومة الفلسطينية ، فكريا وسياسيا - وتعاظم ضرباتها ضد العدو . فما هى دلالة هذه الظواهر الرئيسية ، والى أى أفق تتجه نحو المستقبل ؟

من الدفاع الى الهجوم

ربما يكون وصف الثورة السودانية والثورة الليبية ، بأنهما التعبير فى الميدان السياسى ، للانتقال من سياسة الدفاع لسياسة الهجوم أدق تحديد للموقف فى الوطن العربى اليوم .

فالهدف السياسى لعدوان الخامس من يونيو ، كان ضرب النظم التقدمية فى المنطقة ، وفتح الباب على مصراعيه أمام التحكم الاستعمارى الكامل من جديد على مصائر شعوبها .

وفى أعقاب هذا العدوان - بكل غيومه الكثيفة - كانت القضية الرئيسية هى افشال الهدف السياسى للعدو ، ومحو آثاره العسكرية . وكانت سياسة الدفاع - فى الميدان العسكرى والسياسى - هى المرحلة الاولى والضرورية بعد النكسة .

واذا كانت انتفاضة الجماهير العربية يومى ٩ ، ١٠ يونيو ، جسدت الرفض الكامل للهزيمة ، وعبرت عن اصرارها للدفاع عن نظمها الثورية ، وتحرير اراضيها ، **فان الثورتين ، السودانية ، والليبية ، هى الانتفاضة الثانية الكبرى فى اتجاه الانتقال من الدفاع الى الهجوم .**

ولقد وجد التحول من سياسة الدفاع ، الى الهجوم على المواقع الاستعمارية تعبيره الاكبر فى ثلاثة ظواهر أساسية :

الظاهرة الاولى : اعادة بناء القوة العسكرية العربية على أسس علمية - وخاصة فى مصر - وتزايد فعاليتها فى مرحلة الانتقال من

الدفاع الى الردع . ولقد أثبتت تطورات الوضع على خط المواجهة فى القتال المعنى الكبير الذى ابرزه المناضل جمال عبد الناصر عندما قال « اننا مررنا بوقت كنا فيه نحاسب الجندى ، اذا رأى العدو أطلق نارا عليه ، والان فان الصورة اختلفت ، فنحن نحاسب أى جندى يرى اثر للعدو ولايطلق النار عليه ». ولقد شهد العام الماضى اشتراك كل الاسلحة ، المدفعية والطيران والبحرية ، كما شهد هجمات الكوماندور البطولية · وكشف نجاح العمليات التى تمت على مستوى عال من التعاون والتنظيم والتنسيق الفعال بين كافة أسلحة الجيش التى اشتركت فى المعارك من القوات البرية الى السلاح الجوى الى القوات البحرية ، عن سياسة الهجوم فى حرب الاستنزاف ·

والظاهرة الثانية : التقدم الواضح فى الميادين الدولية والسياسية والاعلامية ، بتوضيح الخط العادل للقضية العربية ، بل وأخذ المبادره الهجومية على المواقع التقليدية لسياسة التضليل الاعلامية للعدو · فلقد استطاعت السياسة الاعلامية العربية أن تنفذ من الحائط الذى تقيمه أجهزة الأعلام الامريكية الذى يحجب وجهة النظر العربية عن الرأى العام الامريكى · والتقدم الكبير فى فهم الرأى العام الفرنسى لاسباب النزاع بين العرب واسرائيل ـ دل عليه موقفه من زيارة « بن جوريون » الاخيرة لفرنسا ـ فعلى الرغم من أنه نظمت له حملة صحفية ضخمة شملت ١٤ اجتماعا ومحاضرة ·· لم تذكر الصحافة الفرنسية له شيئا سوى مؤتمره الصحفى · وفى بريطانيا بدأت أجهزة الاعلام الصهيونية تمارس حملات التشهير ضد المفكرين والصحفيين الانجليز الذين يعطفون على وجهة النظر العربية ... ولعل اتخاذ موقف أجهزة الاعلام الاسرائيلية موقف الدفاع خير تعبير عن التقدم النسبى فى سياستنا الاعلامية .

والظاهرة الثالثة : الاتجاه الصاعد فى حركة المقاومة الفلسطينية نحو الوحدة ، والوضوح الفكرى ، وتلازم هذا مع التصعيد المستمر فى نشاط الفدائيين الهجومى ضد العدو . وكان طرح حركة المقاومة الفلسطينية لستار ومضمون الدولة الديموقراطية الفلسطينية كبديل للكيان الصهيونى العنصرى ، ودخولها فى مناقشات مع الرأى العام الدولى ، والقطاعات التقدمية من يهود العالم ، وتصديها ـ السياسى والعسكرى ـ لمحاولات تصفيتها ، أو فرض وصاية « عربية » عليها دليل واضح على هذا الوضوح الفكرى والسياسى ·

ولقد كان انطلاق الثورة السودانية، ثم الثوره الليبية هو التتويج الحاسم لخط الهجوم العربى فى

حسابات عام ١٩٦٩

٢٧ ـ تحديد يوم السبت ٦ ابريل سنة ١٩٦٣ لاستئناف محادثات الوحدة الثلاثية .

ابريل

٢ ـ اطلاق صاروخ سوفييتى يحمل محطة ابحاث يتجه بها الى القمر الصاروخ اطلق من قمر صناعى فى الفضاء ويحمل اجهزة علمية تزن ١٤٢٢ كجم .

٢ ـ خروشوف يرفض زيارة بكين التى دعته اليها الصين الشعبية لاجراء محادثات حول الخلافات المذهبية بين موسكو وبكين .

ويقترح أن يقوم ماوتسى تونج بزيارة موسكو لهذا الغرض .

٥ ـ سفينة الفضاء لونا ٤ تمر اليوم بالقمر والتقطت صورا تلفزيونية له .

٧ ـ بدء اجتماعات الوحده الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق .

١٠ ـ الاتفاق على اسم الدوله الجديدة الجمهوريه العربيه المتحدة وعاصمتها القاهرة على أن تتولى الدولة الاتحادية الشئون الخارجية والدفاع والامن القومى والتخطيط الاقتصادى والتنمية والتخطيط الثقافى .

● انشاء قيادة ذرية للاطلنطى تضم وحدات فرنسية .

١١ ـ غرق غواصه ذريه امريكيه بضباطها وملاحيها وعددهم ١٢٩ فى قاع الاطلنطى.

١٢ ـ بدء الترشيح لانتخابات الاتحاد الاشتراكى ، وبحث انشاء المعهد الاشتراكى واعداد قانون منظمات الشباب الاشتراكى .

١٧ ـ اعلان الوحدة بين مصر وسوريا والعراق وتوقيع عبد الناصر وأحمد حسن البكر ولؤى الاتاسى على اعلان الوحدة .

١٩ ـ عبد الناصر يرسل رسالة الى خروشوف يحملها على صبرى اليه تدور حول تطورات الموقف فى الشرق العربى والعلاقات العربية السوفيتية .

● كشف محاولة جديدة لاغتيال ديجول يقوم بها رجال الجيش السرى الفرنسى .

● سقوط وزارة سمير الرفاعى تحت ضغط الشعب من اجل الوحدة .

٢٠ ـ معارك بالمدافع الرشاشة بين الشعب الاردنى والقوات الملكية فى القدس .

٢١ ـ الملك حسين يحل البرلمان ويعين حسين بن ناصر رئيسا للوزراء

● التقاء على صبرى بشواين لاى فى بكين واستئناف محادثاتهما الماضية .

٢٣ ـ وفاة اسحق بن زفى رئيس اسرائيل وكان قد تولى رئاسة اسرائيل ٣ مرات .

٢٤ ـ اقامة استحكامات عسكرية فى الاردن فى مدينة نابلس التى اعلنت الجمهورية فى الاردن .

٢٥ ـ صدور بيان مشترك عن نتائج المحادثات العربية الصينية أعربت فيه ج.ع.م والصين عن اتفاقهما على انه فى سبيل التضامن الاسيوى الافريقى والسلام العالمى ، يجب على الصين والهند تسوية مشكلة الحدود بينهما عن طريق المفاوضات المباشرة .

شتى الميادين ، والتعبير العميق عن سوء تقدير العدو لمدى قدرات وحيوية شعوبنا العربية ٠

واذا كانت ثورة مايو فى السودان قد اذهلت العدو وحلفاءه ، حين أعلنت منذ أيامها الاولى أن الاشتراكية هى الحل الوحيد لمشاكل السودان ، وأن « العداء للاستعمار وتأييد حركات التحرر الوطنى ، واقامة علاقات وطيدة بالدول الاشتراكية» هو حجر الاساس فى سياستها الخارجية ، وأن دعم « العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة بشكل خاص ومساندة المقاومة الفلسطينية بكل الطرق ودعم الجبهة العسكرية ضد اسرائيل » هو محور سياستها العربية ، فان الثورة الليبية مدت ذهول الامبريالية وحلفاءها الى مستوى الصدمة القاتلة ٠

فليبيا — على وجه الخصوص — كانت فى نظر الاستعمار العالمى ، قلعة آمنة ، راكدة ، يستحيل على تيار الثورة العربية الوصول اليها ٠

وعندما حاول الاستعمار - بعد ذهول الصدمة - محاصرة الثورة الليبية أو التأثير فى خطها التوحيدى الثورى ، كان رد الثورة حاسما وسريعا ، فى صورة اجراءات عملية ، فضلا عن وضوح اتجاهها الفكرى ٠

● الغاء امتياز شركة التبغ البريطانية الامريكية الاحتكارية ، التى تشرف على الادارة والاستيراد والتسويق لصنع التبغ الليبى ، وذلك للدور التخريبى للشركة الاستعمارية فى تقليل مساحة زراعة الدخان ليتسنى لها تصريف انتاجها من التبغ الاجنبى فى السوق الليبية ، فصناعة التبغ تحتل المرتبة الثانية فى الاقتصاد الليبى بعد البترول ، وهذا المصنع هو الوحيد فى ليبيا ٠

● تحويل عدد من البنوك مثل بنك باركليز البريطانى ، ونابولى وروما الايطاليين الى شركات وطنيةليبية مساهمة واطلاق اسماء وطنية عليها ، على أن لا تقل نسبة رأس المال الوطنى المشترك فيها عن ٥١ فى المائة ، وأن تكون رئاسة البنوك وأغلبية أعضاء مجالس ادارتها من الليبيين ٠

● الغاء عدد من العقود الاقتصادية المبرمة مع الولايات المتحدة نظرا لموقفها المعادى من القضايا العربية . والغاء عقد آخر مع سويسرا نتيجة لموقفها من الفدائيين الفلسطينيين المحتجزين فى سويسرا ٠

● الرد على تهديد بريطانيا بالغاء صفقة الدبابات ، باعلان حكومة الثورة بأنها ستلجأ فى هذه الحالة الى سحب جميع الاموال الليبية - الحكومية والفردية - من البنوك البريطانية والتى تستعين بها بريطانيا فى تغطية العجز فى الجنيه الاسترلينى مما يصيب بريطانيا بهزة شديدة ٠

● الغاء صفقة شبكة صواريخ الدفاع الجوى التى تعاقد عليها العهد السابق مع بريطانيا باعتبار انها صفقة مشبوهة .

● الاعلان عن تصفية القواعد الامريكية والبريطانية وعدم بقائها بعد سنتى ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، والبدء فى مفاوضات أمريكا وبريطانيا لاتمام الجلاء عن قواعدهما فى ليبيا ٠

● الاتجاه نحو التنسيق مع النظم الثورية فى المنطقة ، وخاصة مع الجمهورية العربية والسودان ٠

وهكذا عبرت الثورةالليبية عن وجهها - ومن قبلها الثورة السودانية - بكل ما تتميز به من سمات وطنية وقومية وثورية حاسمة ٠

كما كان للتحولات الثورية فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية مغزاها وأثرها على حركة المد الثورى العربى ٠

تطور العمل العربى المشترك

واذا كانت الثورتان السودانية والليبية ثم التغييرات الجذرية فى نظام الحكم فى جمهورية اليمن الجنوبية ، هى التعبير الحى عن سياسة الهجوم فى الميدان السياسى ، فهى أيضا قد ساعدت النضال العربى على المزيد من التعاون والتنسيق بين كل البلدان العربية ٠

● وكان تدعيم الجبهة الشرقية ، وعقد مؤتمر دول المواجهة ، والقرارات الهامة التى اتخذها مجلس الدفاع العربى - خطوات هامة على طريق تصعيد العمل السياسى ، وتوحيد الجهد العربى لمساندة عمليات تصعيد الاعمال العسكرية ٠ وكان من أهم نتائج مجلس الدفاع العربى ، الموافقة الاجماعية على انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الرباط فى ٢٠ ديسمبر ، واعلان فشل الحل السلمى ، والعمل من أجل تعبئة شاملة لكل الطاقات العربية استعدادا للمعركة المحتومة من أجل تحرير الارض العربية بالقوة على أن تتحمل كل دولة مسئوليتها ، ودعم الثورة الفلسطينية ومدها بكل الامكانيات المادية والادبية ، واستنكار موقف الولايات المتحدة المعادى للعرب ٠ كما اتخذ

المجلس عددا من القرارات السرية وصفت بأنها على أعلى درجة من الاهمية ٠

ولا شك في ان نجاح مجلس الدفاع العربى فى الوصول الى هذه النتائج ارتبط ببروز عنصر جديد فى معركة التحرر العـــربى ، يتمثل فى ثورة السودان وليبيا، مما أتاح للدولتين المتحررتين أن تلعبا دورا ايجابيا واضحا فى الفترة الاخيرة فى سبيل دفع التضامن العربى الى الامام ٠ وكان أحد الاسباب المباشرة لنجاح مجلس الدفاع العربى ، هو التنسيق الواضح بين الجمهورية العـربية المتحدة وليبيا والسودان ٠

وكانت المحادثات ، بين الجمهورية العـــربية المتحدة ، والسودان وليبيا تعبيرا عن أهميـــة التنسيق بين هذه الدول الثلاث ٠ فقد اثمـرت المحادثات والمقابلات التمهيدية والشخصية التى تمت فى الاسابيع الاخيرة من العام الماضى ٠ ولقد كان الاتجاه لاتخاذ اجراءات التكامل الاقتصادى بين الدول الثلاث والتنسيق فى العمل تجربة جديدة من تجارب العمل العربى على طريق الوحــــدة والاتحاد والتضامن العربى مستفيدة بكل دروس التجارب التى سبقتها، واضعة فى مقدمة اهدافها الرئيسية التطور الاقتصادى والاجتماعى كأساس قوى للعمل السياسى والبناء الوحدوى العربى ٠

هذا الاتجاه للتنسيق الاقتصادى والاجتماعى والسياسى بين مصر وليبيا والسودان ، فضلا عن دورها البارز فى مؤتمر القمة العربى ، فان نتائجها الكبيرة السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية فى مجرى النضال العربى ، وفى موازين القوى فى السياسة العالمية ، ستجعل للدول العربية مكانة أكبر وصوتا أعلى فى الشئون العالمية ٠

مؤتمر القمة العربى

وجاء مؤتمر القمة العربى تجسيدا للانتصارات فى حركة النضال العربى ٠ وليس من شك فى أن نجاح الدعوة لهذا المؤتمر فى نهاية العام المنصرم ، لم تكن بعيدة عن كل هذه العوامل السابقة التى أشرت اليها ، وخاصة ثورة السودان ، وثورة ليبيا ٠

فالدعوة الى هذا المؤتمر ، بدأت بعد شهور منذ انعقـــاد مؤتمر القمة بالخرطوم ، ورغم وضوح الضرورة الموضوعية لعقد هذا المـؤتمر ، كانت العقبات تحول دون انعقاده، تارة بسبب اتجاه لا يرى جدوى من دعوة الحكومات العربية ، وتارة

حسابات عام ١٩٦٩

٢٧ ــ وصول كاسترو فجاة الى الاتحـــــاد السوفييتى. قال المراقبون الغربيـــون أن وصوله جاء بناء على دعوة من الاتحــــاد السوفييتى لتحسين العلاقات بعد أن ساءت من جراء سحب الصواريخ السوفييتية من كوبــا ٠

● استئناف العلاقات بين ج٠ع٠م وتركيا وكانت قد قطعت فى أول أكتوبر ســـنة ١٩٦١ بســبب اعتراف تركيــا بالحكومة الانفصـالية فى ســوريا ٠

مايو

٤ ــ استقبال حافل لعبد الناصر فى الجزائر عند وصوله اليها ٠

٨ ــ اصدار بيان مشترك عن محـــادثــات عبد الناصر وبن بيللا يؤكدان فيه تحقيـــق امال الامة العربية فى الحرية والاشتراكية والوحـــــدة ٠

٩ ــ القاهرة تبلغ دمشق عن عدم فهمهـــا لاسباب ابعاد ثمانية من الوزراء والعسكريين السوريين الذين وقعوا على اعلان الوحدة

١٠ ــ وصول أول فوج من قوات الجمهوريـة العربية المتحدة من اليمن

١١ ــ اعلان القـــاهرة بان اســتقالة وزارة البيطار لا تكفى لحل الازمة فى دمشــق وتوضح انها تعتبر حركة التسريحات فى الجيش السورى بمثابة انقلاب يمهد لحزب البعث أن يسيطر على الجيش السورى٠

● استقالة وزارة احمد حســن البكر فى العراق وتكليف البكر بتشكيل وزارة جديدة٠

ــ وصول عبد الناصر الى يوجوســلافيا لاجراء مباحثات مع تيتو لتوثيق العلاقات بين البلدين ولمناقشة اهم القضايا الدولية ودور دول عدم الانحياز فيها ٠

١٢ ــ الانتهاء من اجراء اول انتخابات داخل الاتحاد الاشتراكى العربى المرشـــحون فى ٢٠٠٥ وحدات فازوا بالتزكية ٠

١٣ ــ صلاح البيطار يشكل الوزارة الثورية الجديدة ٠

١٥ ــ اطلاق الولايات المتحدة لسفينة فضاء تحمل رائد الفضاء ((كوبر)) ليدور حول الارض ٢٢ مرة ٠

١٧ ــ وصول بن بيللا الى القاهرة فى أول زيارة له للجمهورية العربية المتحدة بعـــد توليه رياسة حكومة الجزائر ٠

١٨ ــ تاميم جميع المطاحن ومضارب الارز فى الجمهورية العربية المتحدة ، القرار يشمل ١٦٧ مطحنا و٧٨ مضربا فى مختلف المحافظات

٢١ ــ محاولة الاطاحة بحكومة عصمت اينونو فى تركيا ٠ وفشل الانقلاب الذى قام به كولونيل تركى سابق بمعاونة عدد من طلبة الكلية الحربية التى كان يراسها قبل احالته الى الاستيداع فى سنة ١٩٦٢ واعـــلان الاحكام العرفية وفرض نظام منع التجول ٠ بعد مصادمات دامية فى ساحة البرلمان ٠

ــ الاتحاد السوفيتى يقترح تجريد البحــر الابيض من الاسلحة الذرية ٠

أخرى بسبب اتجاه يعتقد أنه لاجديد فى الموقف يستلزم انعقاده .

وبغض النظر عن هذا الاختلاف فى الرؤية ، فقد كانت الموافقة الاجماعية على انعقاد مؤتمر القمة العربى ، ثم انعقاده ، ثم النتائج التى توصل اليها ، فتحا للطريق أمام احتمالات أوسع للعمل العربى المشترك ، يسهم فى المزيد من تعبئة طاقات الامة العربية فى معركة المصير .

وعندما نتأمل نتائج هذا المؤتمر ، ربما تبدو أقل من الطموح العربى الشعبى لما يجب تقديمه للمعركة ، ولكنه يسجل نصرا لا شك فيه .

الظواهر السلبية

وحتى لا نندفع وراء مظاهر الانتصارات فى الوضع العربى ، ينبغى الانتباه الى الظواهر السلبية فى خطوط هذه الصورة . فواقع الصراع العربى يفترض ـ بالضرورة ـ حساب الخسائر وتقدير ضغوط ومناورات الاعداء ، بل وتسجيل وتحليل أن العدو لخططه المضادة ، وما زال قادرا على اثبات وجوده فى أتون المعركة .

ولا شك أن أزمة لبنان والمقاومة ـ التى أمكن تجاوزها ـ تعبر عن نجاح جزئى لخطط العدو . على الاقل فى المرحلة الاولى من الازمة .

والدروس المستخلصة من هذه التجربة ، كثيرة ومتنوعة . أهمها أن خط التقدم الثورى العربى لا يسير فوق أرض ممهدة سهلة ، انما عليه خلال مسيرته التاريخية ، ان يجتاز الاشواك والالغام حتى يبلغ هدفه .

وطبيعى ان يختار الاستعمار ـ دائما ـ أضعف نقاط خطوطنا القتالية ، ليضرب منها .

وكان تقدير العدو وتوقيته ـ بعد الثورتين السودانية والليبية ـ أن لبنان هو الموقع المناسب لكسر موجة المد الثورى . وما كانت التصريحات الامريكية قبل الازمة ـ والاعلان الاستفزازى عن الضمان الامريكى لامن لبنان ـ سوى الوقود الضرورى لاطلاق القوى الرجعية نحو هدفها .

ولكن الهجوم المضاد فشل ، وجاء الاتفاق فى القاهرة ، بين المقاومة والسلطات اللبنانية ، ضربة جديدة للقوى المعادية .

والظاهرة السلبية الثانية ، هو الصدام العسكرى بين السعودية وجمهورية اليمن الجنوبية التقدمية الوليدة ، تؤكد صعوبة وتعقيد مجرى الصراع فى العالم العربى . وليس يكفى اعلان الاسف والاسى لوقوع هذا الصدام . كما أن البلاغات العسكرية الصادرة عن الطرفين وتتحدث عن الخسائر الكبيرة التى ألحقها كل طرف بالطرف الاخر ، لا يكفى امامها التعبير عن المزيد من الاسف .

انما ينبغى الوقوف ـ ايجابيا وعلميا ـ أمام هذه الظاهرة الخطيرة ، لمحاولة اكتشاف الاسباب الحقيقية لتفجير هذا الصراع ، بعد أزمة لبنان بقليل ، وقبل أيام من انعقاد مؤتمر القمة العربى .

ان منطقة الوديعة المختلف عليها ، ليست بحال من الاحوال أخطر من المناطق العربية المقدسة التى يحتلها العدو . والرصاص العربى لابد ان يوجه فى هذه الظروف نحو هدفه الصحيح .

ومشاكل الحدود بين الدول العربية ، يمكن ـ بل ويجب ـ علاجها فى اطار يتفق مع مجرى الصراع الراهن .

فكيف تحركت دبابات ، وطائرات عربية ، فى غير طريق القدس ، أو سيناء ، أو الجولان ، لتقاتل من أجل منطقة تستطيع الوسائل السلمية المشروعة حسم الخلاف عليها ؟

ان توقيت هذا الصدام ـ قبل انعقاد مؤتمر القمة ـ لابد أن يثير أكثر من سؤال خطير . هل جاء هذا التوقيت مصادفة ، أو عن قصد وتدبير وأن وراءه نفس القوى التى حركت تفجير أزمة لبنان من قبل ؟

وهل يمكن أن يكون تغذية والهاب الصراع بين القوى العربية ، هو السلاح الرئيسى فى المرحلة القادمة ، بعد تأكد الاستعمار من هزيمة مخططه عن طريق العدوان العسكرى المباشر ؟

ان التدخل السريع لوقف هذا القتال ، ينبغى أن يواكبه جهد عربى كامل لعلاج أسبابه ، وضمان عدم تكراره فى منطقة أخرى .

والقوى الثورية على وجه الخصوص ، مطالبة اليوم بالمزيد من اليقظة ، لان أحد الخطوط الرئيسية للقوى المعادية ، هو تفجير التناقضات الجزئية ، وتغليبها على حركة التناقض الرئيسى .

بين مجموع الامة العربية من ناحية ، واعداءها من ناحية أخرى .

المطلب الجوهرى

لقد اردنا بهذه الصورة العامة اثبات حقيقتين بارزتين :

الحقيقة الاولى : ان الخط العام لمجرى الصراع فى وطننا العربى ، يسجل الانتقال فى الميادين السياسية ، والعسكرية وغيرها ، من الدفاع الى الهجوم .

والحقيقة الثانية : أن هذا الخط الهجومى لا يسير فى قنوات سهلة . انما يواجه عدوا قويا – الاستعمار والصهيونية – يحتاج الى تسلح بالتقدير الموضوعى لقدراته والوعى بخططه المضادة دائما .

ان الدرس المستخلص ونحن فى بداية العام الجديد ، هو الاستفادة من انتصارات العام الماضى ، فى اتجاه تدعيمها أولا ، والانطلاق منها للمزيد من الانتصارات ثانيا .

وتصبح لهذه الانتصارات قيمتها الكاملة ، عندما تتحول الى وسائل فعالة فى خدمة المعركة . وذلك عن طريق البحث الجاد لافضل وسائل التنسيق والتوحيد والحشد للقدرات العربية ، وتوجيهها مباشرة نحو اخطر قضية تواجه المصير العربى فى تاريخنا الحديث .

وهى عملية – رغم صعوبتها – ، تستحق ما يبذل من أجلها من جهود . بل أنها القضية الاولى ، التى يجب أن توضع فى جدول أعمال المهام القومية ، فى كل اجتماع – على المستوى الرسمى أو الشعبى – لانها الرد العملى الوحيد الذى يكفل الانتقال من الهجوم الى النصر الشامل .

ان الحقيقة التى تأكدت خلال عام ١٩٦٩ ، هى أن حركة النضال العربى يجب أن تسير فى مستويين : المستوى الاول ويتمثل فى وحدة والتحام كافة الانظمة الثورية والتى تمثل الركيزة الاساسية لوحدة النضال العربى . والمستوى الثانى ، وهو مستوى الالتقاء العام بين كافة البلدان العربية حول نقطة أو اخرى فى صراعنا المصيرى . وعلينا وأكثر من أى وقت مضى أن نعمل

أحداث عام ١٩٦٩

٢٢ – بدء اجتماعات مؤتمر اقطاب افريقيا فى اديس ابابا الذى حضره عبد الناصر وبن بيللا ورأسه عبد الناصر . وجدول اعمال المؤتمر هو الوحدة الافريقية وعدم الانحياز والقضاء على الاستعمار ونزع السلاح وازالة التفرقة العنصرية .

٢٥ – اعلان ميثاق منظمه الوحدة الافريقية . الاقطاب الافريقيون اصدروا بالاجماع الميثاق الذى يضم كل الدول المستقلة فى القارة . الميثاق يعلن عدم انحياز القاهرة .

– تكوين مؤتمر الاتحاد الاشتراكى بالمراكز من لجان الوحدات الاسلاميه .

٢٦ – اعدام ١١ ضابطا فى العراق بعد محاكمة سريعة فى بغداد ، ادينوا بتهمة مقاومة ثورة ٨ فبراير .

– وصول وفد عسكرى عراقى فجاة الى سوريا واجتماعه باللواء زياد الحريرى الذى تولى منصب وزير الدفاع ورياسة الاركان السورية .

٢٩ – تسريح ضباط « الاى » كامل فى العراق وفصل مئات من ضباط الجيش . على صالح السعدى نائب رئيس الحكومة قال ان الاتهامات الخاصة بالانقلاب موجهة الى عملاء الملك حسين لا الى القاهرة .

– قيام السفير الامريكى فى القاهرة بتسليم رسالة من الرئيس جون كيندى الى الرئيس عبد الناصر .

يونيو

الاعلان عن بدء انتاج

١ – ١٧١ مشروعا جديدا فى ج.ع.م. تكاليفها ١٠٩٫٥ مليون جنيه قبل نهاية ديسمبر القادم . المصانع الجديدة تتيح فرصة العمل لـ ٢٤٫٠٠٠ عامل .

– فرانز جوزيف شتراوس وزير الدفاع السابق فى المانيا الغربية يبدأ حملة للاعتراف باسرائيل .

٣ – وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين .

٥ – الشعب الايرانى ينادى فى مظاهرات طهران بسقوط الدكتاتورية وقطع كل علاقة مع اسرائيل . سقوط مئات من القتلى والجرحى امام الدبابات والمصفحات .

– استقالة وزير حربية بريطانيا جون بروفيو مو بسبب علاقته بعارضة الازياء البريطانية كريستينى كيللر .

١٠ – استئناف المعارك مع الاكراد فى شمال العراق .

– وصول المشير عبد الله السلال الى دمشق وبدء محادثاته هناك .

١١ – رفض الاكراد انذار التسليم واستعداد حكومة العراق للزحف على مناطق الشمال

١٤ – اطلاق الاتحاد السوفيتى لسفينة الفضاء « فوستوك ٥ » وعلى ظهرها رائد الفضاء فاليرى بيكوفسكى .

١٥ – استقالة رئيس مؤتمر العمل الدولى بعد ان قرر ممثلو ٣٢ دولة افريقية وبعض الدول الاسيوية ودول امريكا اللاتينية

فى هذين المستويين فى نفس الوقت . ولقد دلت حصيلة العمل العربى فى العام الماضى ، على أن القوى القادرة والراغبة فى مواصلة المعركة بحسم ، ضد الاعداء الحقيقيين ، وليس كلاب حراستهم فحسب ، تملك كل امكانيات النصر الساحق ، ودلت على أن حركة الشعوب العربية ونضالها ، قادرة على فرض ارادتها حيثما تأتى لحظة الصدام المصيرى الشامل .

■ ■

[٢] عام آخر على درب التحرير

حمدى عبد الجواد

لم تكن حرب يونيو فى حقيقة الامر سوى جزء من مخططات الاستعمار الامريكى لاستعادة المراكز التى فقدها نتيجة لهجوم حركة التحرير العربية وتعاظمها . ولجأ الاستعمار الامريكى ، حسب تكتيكاته الجديدة الى استخدام اسرائيل كأداة لتنفيذ هذا المخطط ، ونجح فى كسب الحرب . غير أن النكسة بكل ما فرضته على وطننا العربى من نتائج لم تكن سوى بداية مرحلة جديدة فى مسيرة حركة التحرير العربية . ومنذ النكسة والشعوب العربية تحاول أن تتلمس الطريق لاستعادة مواقعها على خط النضال من أجل التصفية النهائية للاستعمار والصهيونية فى الوطن العربى . واذا كانت الحرب لم تستغرق سوى ايام ستة بكل ما ترتب عليها من تغيير فى علاقات القوى فى الشرق الاوسط ، فانه لم يعد خافيا على أحد أن استعادة حركة التحرر العربية للمراكز التى فقدتها قد يستغرق أعواما من الجهد والاستعداد . ونحن نشهد اليوم عاما آخر ينقضى فى مسيرة الشعوب العربية على درب التحرير .

فماذا كانت حسابات ذلك العام ، وما هى التطورات الرئيسية التى طرأت على أزمة الشرق الاوسط ، وما هى دلالاتها من زاوية الاهداف العاجلة والآجلة للثورة العربية ؟

فشل الجهود الدبلوماسية

● مع مطلع العام الماضى نشطت الجهود الدبلوماسية من أجل التوصل الى طريق لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ . وقام المبعوث الدولى يارنج بالاتصال بكافة أطراف النزاع ولكنه فشل فى تحقيق أى تقدم فى مهمته بسبب اصرار اسرائيل على رفض قرار مجلس الامن وتمسكها بضرورة اجراء مفاوضات مباشرة . وازاء المأزق الذى انتهت اليه مباحثات يارنج وتزايد الموقف فى المنطقة توترا تقدمت فرنسا باقتراح اجراء مباحثات رباعية بين الدول الكبرى .

● وفى أوائل ابريل بدأت مداولات الدول الكبرى واستمرت دون أن تصل الى نتيجة ايجابية واضطر المندوبون فى يوليو الى تأجيل المباحثات الى أجل غير مسمى مع ترك الباب مفتوحا لمحادثات ثنائية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، لمحاولة التوصل الى اتفاق على تفسير مقبول لتنفيذ قرار مجلس الامن ، غير أن مصير تلك المحادثات لم يكن احسن حالا من المحادثات الرباعية . وبعد جهود مضنية استغرقت العام بأكمله بدأ يتكشف للعالم اجمع عجز المحادثات الدبلوماسية ، وعلى كافة المستويات عن أن تصل الى نتيجة ايجابية وبدأ الشعوب العربية صاحبة الحق والمصلحة تركز عن الطرق الاخرى لاستعادة حقوق سيادتها وتحرير الارض المحتلة .

● وطوال المحادثات الدبلوماسية أوضحت الدول العربية التى أيدت سلوك هذا الطريق أنها تقبل قرار مجلس الامن بشرط ضمان تنفيذه من جانب الامم المتحدة ، وأن نقطة البداية فى تنفيذ القرار هو انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ٥ يونيو . واتبع العرب خلال المحادثات أقصى درجات المرونة مع التمسك الواضح بالحق العربى واعتبار تنفيذ قرار مجلس الامن الحد الادنى الذى يمكن قبوله فى تلك الظروف . بينما أصرت حكومة اسرائيل على ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية دون أن توضح الاسس التى تقوم عليها تلك المفاوضات ، ومع استمرار احتلالها للارض العربية بما يحمله ذلك من محاولات املاء شروط الهزيمة على البلدان العربية .

● ولقد كشفت المحادثات الدبلوماسية عن حقيقة موقف الولايات المتحدة التى حاولت التهرب من تطبيق قرار مجلس الامن بعدم اشتراط جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية المحتلة ، ومحاولة فرض مفاوضات مباشرة بين العرب

واسرائيل . كما عملت على عرقلة التوصل الى حل للازمة بغية تحويل احتلال اسرائيل للارض العربية الى امر واقع ، وبالتالى تهيئة الظروف بفرض شروط الاستسلام على البلدان العربية . وعندما بدأت المحادثات الرباعية لم يكن اشتراك الولايات المتحدة بها الا لكى تحول دون توصل الدول الكبرى الى اتخاذ موقف قد يضر بمصالح اسرائيل . وقد كشف وليم روجرز وزير الخارجية الامريكية عن ذلك صراحة حينما أعلن فى ابريل ١٩٦٩ :

« ان سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط لم تتغير ، وأنها لم تتزحزح عن موقفها الخاص بضرورة وجود اتفاقية بين اسرائيل وبين الدول العربية . وان ما دعا الولايات المتحدة الى الاشتراك فى المحادثات الرباعية انما هو احتمالات انفجار الموقف » .

وخلال المحادثات الثنائية واصلت الولايات المتحدة سياسة التسويف والمراوغة ، بغيه تنفيذ مخططاتها الرامية الى فرض شروط اسرائيل على الدول العربية . وقد صرح جوزيف سيسكو امام مجلس الشيوخ الامريكى قائلا : « انه يشك فى امكانية وصول الولايات المتحدة الى اتفاق مع الاتحاد السوفيتى حول أزمة الشرق الاوسط وأن الخلافات الاساسية بين الدولتين لاتزال قائمة » .

وعندما وصلت المحادثات الدبلوماسيه الى طريق مسدود حاولت الولايات المتحدة استغلال تلك الظروف للتوصل الى تسوية منفردة مع البلدان العربية ، وتوالت المشاريع الامريكية التى لم تكن كلها سوى محاولة لتجزئة الصف العربى وتجزئة الحق العربى وفرض المخطط الاستعمارى الصهيونى على الشعوب العربية .

● وكان الاتحاد السوفيتى طوال المحادثات الدبلوماسية مساندا للحق العربى ومعبرا عنه . فما أن بدأت المحادثات الرباعية حتى بادر بتقديم مقترحاته حول تحديد جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن على أن تكون نقطة البداية انسحاب اسرائيل الى ما وراء حدود ٥ يونيو . كما بذل أقصى جهد ممكن من اجل افساد المناورات الاستعمارية فى المجال الدولى ومن أجل تحقيق أقصى تفاهم مع البلدان العربية بهدف مساعدتها فى التغلب على الضغوط التى تعرضت لها من قبل المستعمرين .

● وعلى الرغم من أن الجهود الدبلوماسية قد انتهت الى الفشل فقد اثبتت تطورات العام الماضى أنها كانت طريقا لابد من سلوكه :

ـ من أجل توضيح الحق العربى فى المجالات الدولية ولفضح تعنت اسرائيل وتحيز الولايات المتحدة .

حسابات عام ١٩٦٩

مقاطعة المؤتمر بسبب اشتراك حكومة جنوب افريقيا فيه .

١٦ ـ اطلاق الاتحاد السوفيتى لسفينة الفضاء « فوستوك ٦ » التى تحمل اول رائدة فضاء فى العالم هى فالنتينا بترينسكوفا .

ـ استقالة بن جوريون من رياسة الحكومة الاسرائيلية وعضوية البرلمان .

ـ تاميم ١٤ شركة ادوية وغلق ٥٠ معملا فى ج.ع.م. خفض اسعار منتجاتها ٢٥ ٪ وتعيين عمالها فى مؤسسة الادوية .

١٩ ـ عودة فالنتينا وبيكوفسكى رائدى الفضاء السوفيتين سالمين الى الارض .

ـ ليفى اشكول يؤلف الوزارة الاسرائيلية

٢٥ ـ مجموعة ضباط حزب البعث فى سوريا تنقض على مجموعة زياد الحريرى وتصفيها من الجيش السورى .

يولية

١ ـ اعادة تنظيم الصحافة السوفيتية تكليف اليكسى ادجوبى رئيس تحرير ازفستيا بمهمة الاشراف على التغييرات الجوهرية الجديدة .

٨ ـ اعفاء اللواء زياد الحريرى رئيس الاركان السورى السابق وتحديد اقامته ثم اخراجه من دمشق الى باريس . تسريحات جديدة فى الجيش السورى ، وتصفية انقلاب ٨ مارس لنفسه تماما .

١٠ ـ امين الحافظ يصبح رئيسا لاركان الجيش ووزيرا للدفاع الى جانب منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

ـ استئناف محادثات موسكو بين الاتحاد السوفيتى والصين فى جو من السرية والتوتر . الصين تتهم الاتحاد السوفيتى بمحاولة تسميم الجو بين الدولتين .

١٨ ـ محاولة مسلحة لقلب حكومة سوريا . منع التجول فى جميع أنحاء سوريا . وكالات الانباء تشير الى ان مدبريها من انصار زياد الحريرى .

ـ اجتماع عبد الناصر بالفريق لؤى الاتاسى والوفد المرافق له لتصفية الجو بين دول ميثاق القاهرة .

ـ اعتقالات جديدة فى جميع انحاء المغرب ووضع المتاريس فى كافة انحائه ، الاعتقالات تنصب على اعضاء حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية قبل انتخابات المجالس البلدية بعشرة ايام .

٢٥ ـ توقيع الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا لمعاهدة حظر التجارب الذرية .

٢٧ ـ استقالة لؤى الاتاسى من رياسه مجلس الثورة وقيادة الجيش فى سوريا وتعيين مجلس الثورة لامين الحافظ قائدا للجيش ورئيسا لمجلس الثورة .

٢٩ ـ ديجول يعلن انه يرفض توقيع معاهدة حظر التجارب النووية ويصر على أن

ـ من أجل ضمان التحرك على أعرض جبهة عربية ولتعميق التضامن العربى من خلال استنفاذ كافة امكانيات النضال فى المجال الدبلوماسى ·

ـ من أجل اتاحة فرصة من الوقت للبلدان العربية لاعادة تسليح وتدريب وتنظيم قواتها المسلحة على نحو أفضل ، حتى يمكن أن تقوم بواجبها فى مواجهة العدو المحتل وتحرير الارض العربية ·

ـ من أجل عزل العدو فى المجالات الدولية بعد أن كان قد نجح فى الفترات السابقة فى تضليل أقسام واسعة من الرأى العام العالمى ·

ـ ولاعطاء الفرصة لحركة التحرير العربية لالتقاط أنفاسها بعد صدمة النكسة وتأمل دروسها واعادة تنظيم صفوفها وتعبئة قواها بما يتناسب مع مستوى الواجبات التى تواجهها ·

● ولئن كانت الجهود الدبلوماسية قد باءت بالفشل الذريع ، فان نهايات العام تشهد انعطافا هاما فى أسلوب مواجهة العدو وفى طريقة استخلاص الحق العربى. ولقد كشف خطاب الرئيس **جمال عبد الناصر** الذى أعلن فيه فشل الجهود الدبلوماسية ، وحتمية المعركة مع العدو عن ان الجهود الدبلوماسية لم تكن هدفا فى ذاتها قدر ماكانت وسيلة لخدمة معركة التحرير · وازاء عجزها عن تحقيق ذلك لم يكن أمام العرب الا ان يلجأوا الى اساليب أخرى أكثر فاعلية بدأت تتبلور وتبرز الى المقدمة فى مخطط متكامل لمواجهة العدوان ».

تبلور استراتيجية التحرير ـ حرب الانهاك واستراتيجية النفس الطويل

● وبينما كانت المحادثات طوال العام الماضى تدور فى المجال الدولى ، وتنتهى الى ما انتهت اليه من فشل ، كانت الصورة على الارض العربية وعلى طول خط الصراع مع العدو تسير فى اتجاه مغاير لذلك وتتخذ أبعادا مختلفة . فعلى طول جبهة الصدام مع العدو شهدت أرض المعركة تصاعدا متصلا للعمليات العسكرية ، وتغيرا ملموسا فى موازين القوى بشكل يفوق ماكان يتوقعه الكثيرون ·

● ولقد كانت جبهة القناة هى جبهة الصدام الرئيسية مع العدو طوال هذا العام · وشهدت هذه الجبهة تغيرات ضخمة فى توازن القوى لصالح حركة التحرير العربية · فبعد أن كانت القوات الاسرائيلية تتصرف على الارض العربية فيما بعد النكسة بكامل حريتها تستعرض عضلاتها فى صلف أجوف ، تحولت نتيجة لتطورات هذا العام الى موقع الدفاع أمام ضربات القوات العسكرية العربية وكفاءتها المتزايدة · فمع بدايات العام الحالى بدأت معارك المدفعية الضخمة على طول جبهة القناة ، تلك المعارك التى ترتب عليها تدمير كثير من تحصينات العدو وكانت فاتحة لبداية مواجهة يتسع نطاقها مع العدو يوما بعد يوم ·

● وسرعان ما تطورت معارك المدفعية لمستويات أبعد حينما بدأت فرق الكوماندوز تعبر القناة وتتسلل الى أعماق سيناء وتفاجىء قوات العدو وتنقض على مواقعه · وأدت هذه العمليات الى نشر الذعر بين صفوف العدو والقضاء على الاساطير الذى ينسجها حول نفسه ·

● ثم تصاعدت عمليات العبور المتفرقة والمتباعدة بعد يوليو لتتحول الى عمليات منظمة منسقة تشترك فيها كافة أسلحة الجيش لتنقل فرق الكوماندوز الى قلب مواقع العدو وتنزل به ضربات قاصمة · وأدى تصاعد الهجمات ضد العدو واتساعها الى نشاط هجماته الجوية محاولا الانتقام من القوات العربية أو التصدى لعمليات العبور · واشتبك سلاحنا الجوى مع طائرات العدو فى عدد من المعارك التى برهن فيها على قدرته فى التصدى لسلاح العدو الجوى رغم كفاءته المعروفة مما دفع **رونالد تشارلس** الى القول :

« بان المصريين قد حققوا شيئا اجمع المراقبون على أنه مستحيل التحقيق ، ولابد أن ما يقال عن التفوق الجوى الاسرائيلى لم يعد هو نفس التفوق الذى طالما تبجحت به اسرائيل ».

● كما قامت حركة المقاومة الفلسطينية على طول خط المواجهة وفى داخل الارض المحتلة بعمليات واسعة النطاق · وبدأت هذه العمليات تتخذ شكلا أكثر تنظيما وتسير فى تنسيق واضح مع تصاعد المقاومة الجماهيرية داخل الارض المحتلة · لقد اقلقت الحركة الفدائية العدو بصورة دفعت ديان الى القول فى خطاب له فى مايو ٦٩ :

« ان منظمات الفدائيين خطر ينذر بمصاعب قاسية ونحن مضطرون الى تحسين وسائل محاربتها باستمرار » .

● ثم جاء خطاب عبد الناصر فى مجلس الامة وقرارات مجلس الدفاع العربى الاخير لتعلن أن تصاعد المعارك ضد العدو هو السبيل لتحرير الارض العربية وكان ذلك آخر تطورات هذا العام ·

● ويمكننا القول أن تطورات العام الماضى انما تتمثل فى تبلور استراتيجية التحرير العربية ،

انطلاقا من دروس النكسة ومما فرضته من واقع مرير على الارض العربية • وكان من اهم أركان تلك الاستراتيجية ما عرف باسم حرب الانهاك أو حرب الاستنزاف وسياسة النفس الطويل أو سياسة الحرب الطويلة الامد • فعلى الرغم من تغير توازن القوى العسكرية والسياسية فى صالحنا الا أننا ما زلنا نواجه عدوا قويا حسن التجهيز والتدريب لا يزال يمتلك ميزات استراتيجية وعسكرية ضخمة • ولذلك فقد يستغرق استعدادنا وتعبئة قوانا لملاقاته فى معركة فاصلة وشاملة وقتا طويلا نسبيا • ولكن العدو رغم كفاءته وتفوقه يعانى نقطة ضعف خطيرة ألا وهى أن موارده البشرية محدودة للغاية مما لا يسمح له بتحمل تبعات حرب طويلة الامد مهما أمدته الولايات المتحدة بالمساعدات والتجهيزات • وهنا تبدو أهمية حرب الانهاك فى اضعاف معنويات العدو كما تتضح ميزات تكتيكات التسلل والعبور والانقضاض المفاجىء على مواقعه واصابته بأكبر الخسائر وخاصة فى القوى البشرية • لقد برهنت أحداث العام الحالى على ان حرب الاستنزاف القائمة على سياسة النفس الطويل ، انما هى تأكيد للحق العربى الذى يحاول الاستعمار والصهيونية مسخه بالاضافة الى أنها اجدى وسائل مواجهة العدو فى الظروف الراهنة ، بالاضافة الى أنه لا يستطيع تحمل استمرارها لفترة طويلة • ولقد أشار **أندريه بوفر** مدير معهد الدراسات الاستراتيجية فى باريس الى ذلك حين قال : « ان حرب الاستنزاف ستكون بالغة الخطورة على اسرائيل التى لا تملك سوى رأسمال بشرى محدود والتى ستضطر الى الاحتفاظ بجزء هام من سكانها تحت السلاح لفترة طويلة » .

● ودللت أحداث العام الماضى على وضوح الرؤية العربية فيما يمكن أن نسميه التمسك العميق بالحق العربى مع أعلى درجات المرونة ، وذلك رغم مواقع النكسة التى كنا نقف فيها والتى أغرت العدو بفرض شروط الاستسلام أو بدفع العرب الى خط التفريط فى الحق العربى • ورغم كل المناورات والمحاولات التى قام بها على وجه خاص الاستعمار الامريكى ، فقد فشل فى استغلال ظروف الهزيمة العربية لفرض ارادته عن طريق محاولات عزل مصر أو عزل الاردن أو عزل لبنان أو عن طريق محاولات الوقيعة بين حركة التحرير العربية وبين أصدقائها وعلى الاخص الاتحاد السوفيتى •

● ويتسم العام الماضى بتطور ملموس على صعيد تقوية صفوف التضامن العربى الذى توج بمؤتمر القمة العربى فى نوفمبر ثم تلاه مؤتمر القمة العربى . ولقد ساعدت ثورة السودان وثورة ليبيا فى تعميق التضامن العربى وفى ارتقاعه الى مستوى ما تفرضه عليه المعركة من مسئوليات • كما حدد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى

حسابات عام ١٩٦٩

يدمر الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كل المخزون لديهما من الاسلحة الذرية .

— وضع حجر الاساس لاضخم محطة كهرباء فى الشرق الاوسط وهى محطة غرب القاهرة فى امبابة .

٣٠ — موسكو تعلن التجاء هارولد فيلى الذى كان يشغل منصبا رئيسيا فى المخابرات البريطانية الى الاتحاد السوفيتى وقبول لجوئه .

٣١ — الصين تعلن رسميا أن معاهدة حظر التجارب النووية « خدعة كبرى لتضليل الشعوب » .

— الاتحاد السوفيتى يمتنع لاول مرة منذ ١٤ سنة عن ارسال تهنئة للصين فى احتفالها بيوم الجيش .

اغسطس

٢ — تأميم جميع شركات التأمين فى سيلان وفرض قيود جديدة على أوجه النشاط الاقتصادى للاجانب .

٤ — صلاح البيطار يعيد تشكيل الوزارة فى سوريا وامين الحافظ يخرج من وزارتى الداخلية والدفاع .

٥ — الاتفاق على تسوية مشكلة اتحاد ماليزيا . الملايو والفلبين واندونيسيا ستنشىء اتحادا جديدا اسمه «مافيلندو»

٦ — بدء المباحثات بين حكومتى سوريا والعراق لاقامة محور جديد بينهما .

٧ — اتفاق السوفييت والصينيين فى المؤتمر العالمى لمناهضة القنابل الذرية على مهاجمة « سياسة الحرب » التى تنتهجها أمريكا .

٨ — توقيع الجمهورية العربية المتحدة على معاهدة حظر التجارب .

١٠ — اختيار اديس أبابا مقرا دائما لمنظمة الوحدة الافريقية .

١٢ — تاميم ٢٢٨ شركة ومنشاة صناعية وانهاء جميع عقود استغلال المناجم والمحاجر الممنوحة للافراد وتاميم ٤٣ شركة للنقل البرى والنهرى والحاقها بمؤسسة النقل الداخلى فى ج.ع.م .

١٣ — أمريكا تجرى أول تفجير ذرى تحت الارض بعد توقيع معاهدة حظر التجارب الذرية .

١٥ — استقالة الرئيس فولبير يولو من رئاسة جمهورية الكونجو .

— بدء محاكمة ١٠٤ من اعضاء حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية فى المغرب

— الغاء تجارة الجملة للسلع التموينية وحدها .

١٧ — حكومة سوريا تعلن وجود حشود لاسرائيل على خطوط الهدنة .

٢٠ — اجتماع عبد الناصر وعبد السلام عارف للتمهيد لمحادثاتهما اليوم .

٢٦ — صدور بيان رسمى عن محادثات عبد السلام عارف وعبد الناصر يوضح أن الموضوع الرئيسى فيها كان هو كيفية وقف التدهور فى الموقف العربى .

— بدء تشغيل الخط التليفونى المباشر بين الكرملين والبيت الابيض .

مجلس الامة مفهوما واضحا لاصدقائنا وأعدائنا حين قال : « ان الذين يقفون معنا دوليا ويساعدون حقنا بما يقدمون الينا من السلاح ويمنحوننا تأييدهم — هؤلاء هم أصدقاؤنا ، والذين يقفون مع العدو دوليا ضد كل مبادىء مجتمع الدول والذين يعطونه السلاح ليقاتلنا ، بل ليقتلنا اذا استطاع — هؤلاء هم أعداؤنا » .

انعطاف هام نحو حركة تحرير فلسطينية ديمقراطية موحدة

● مع بدايات عام ١٩٦٩ توحدت المنظمات الفلسطينية الرئيسية في منظمة التحرير الفلسطينية — فيما عدا الجبهة الشعبية — كما شكلت قيادة جديدة للكفاح المسلح تشترك فيها الغالبية الساحقة من المنظمات الفدائية • وكانت هذه الوحدة انعطافة هامة على طريق النضال التحريري لشعب فلسطين .

● أدى هذا التوحيد الى تصاعد النشاط الفدائي على طول الحدود أو داخل الارض المحتلة وأصبحت الهجمات الفدائية تتم على أساس تعبئة كل الامكانيات والقوى العسكرية للشعب الفلسطيني في ظل قيادة موحدة مما مكنها من دخول معارك واسعة مع العدو وتنظيم وتنسيق العمليات الفدائية • ولقد فشلت اسرائيل في القضاء على نشاط الفدائيين المتعاظم رغم انها عبأت ما يزيد على ١٥ ألف جندي من قواتها النظامية تخصصت في مطاردتهم ، ورغم غاراتها الوحشية على المناطق العربية المجاورة لاسرائيل بحجة تصفية مراكز المقاومة ، ورغم الاستعانة بخبراء حرب العصابات في الجيش الامريكي ممن عملوا في الفيتنام •

● وكان لتوحيد حركة التحرر الفلسطينية اثره الواضح على اتساع المقاومة الجماهيرية داخل الارض المحتلة ضد الاحتلال الاسرائيلي • وبدأت هذه المقاومة الجماهيرية تعمل في تنسيق وتعاون مع هجمات الفدائيين مما أجبر العدو الى اتخاذ اجراءات وحشية ضد المواطنين العرب العزل ، والى حملات الاعتقال الواسعة وأخيرا وبعد أن فشل في اخماد المقاومة العربية لجأ الى ما سماه ديان سياسة العقاب الجماعي ضد العرب ظنا منه أن ذلك يمكن أن يؤدي الى مواجهة تعاظم المقاومة العربية داخل الارض المحتلة •

● بدأت اهداف حركة التحرير الفلسطينية تزداد وضوحا وعمقا وتخلصت من الافكار الشوفينية والعنصرية المقيتة التي طالما كانت سببا في تشويه وجه النضال العربي •

وقد تبلور هذا الخط الديمقراطي لحركة التحرير الفلسطينية في معاداة الاستعمار والصهيونية وتركيز النضال من أجل تصفيتها من على الارض الفلسطينية وليس معاداة اليهود على أسس دينية ، وانتهى هذا الفهم الديمقراطي الى تحديد هدف واضح لحركة التحرير وهو اقامة دولة فلسطينية مستقلة ديمقراطية تتسع لكل المواطنين العرب واليهود ويتمتعون فيها بحرياتهم الكاملة السياسية والدينية والقومية على انقاض الدولة العنصرية الشوفينية الاستعمارية — دولة اسرائيل •

● ومع توحيد اداة النضال الفلسطيني وتصاعد نضال المقاومة ومن خلال الفكرية الوطنية الديمقراطية تمكنت حركة التحرير الفلسطيني من أن تنتزع خلال هذا العام أعجاب واعتراف كثير من الاوساط والهيئات الدولية بل وكسبت اعترافا صريحا بها كممثلة للشعب الفلسطيني في كثير من المحافل الدولية كمؤتمر عدم الانحياز ، والاتحاد العالمي لنقابات العمال ، والاتحاد الدولي لعمال الزراعة . . . الخ . كما بدأت هذه الحركة تحظى بتأييد ومساندة القوى الديمقراطية في جميع انحاء العالم وخاصة حكومات البلدان الاشتراكية التي اعلنت صراحة عن تأييدها لحركة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل لكفاح شعب فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية • ولعبت المفهومات الديمقراطية الوطنية لحركة التحرير الفلسطينية دورا هاما في فضح الدعاية الاسرائيلية وفي تحويل موقف كثير من قطاعات الرأى العام في أوروبا الى صف تأييد العرب • فلقد كانت الدعاية الصهيونية تستغل المفهومات الشوفينية والعنصرية للقيادات العربية السابقة في محاولة كسب عطف الرأى العام العالمي وتضليله • وان سقوط المفهومات الشوفينية والعنصرية في وجه النضال الفلسطيني سيكون له آثار بعيدة المدى على مستقبل النضال التحريري لارضنا العربية .

محور العدوان

● ما من شك في ان اسرائيل قد انتقلت نتيجة لتطورات العام الحالي من مواقع فرض الاستسلام على العرب الى مواقع مواجهة تصاعد حركة التحرير العربية سواء على طول خطوط المواجهة، او داخل الارض المحتلة • وتشير كافة الدوائر الى أن اسرائيل تركز كل جهودها على حشد وتعبئة طاقاتها العسكرية والى أنها تعد العدة لتوجيه ضربة جديدة للبلدان العربية خوكامن تعاظم القوى العربية، وما يجره ذلك على اسرائيل من اخطار .

كما ان احتلال اسرائيل للارض العربية وقيامها بدور الدرك الاستعماري يفرض عليها أن توزع قواتها على طول حدود تصل الى ١٣٠٠ كم مما يفرض على ميزانيتها اعباء تفوق طاقتها بكثير

ومما يدفع باسرائيل الى مزيد من الاعتماد على الدوائر الاستعمارية فى واشنطن وبون ».

● وعندما انعقد المؤتمر الثالث لاصحاب الملايين اليهود فى القدس فى يونيو من العام السابق وقف **زيف شاريف** وزير المالية الاسرائيلى ليعلن أمام المؤتمر بأن واردات اسرائيل من المعدات الحربية سوف تتضاعف هذا العام ١٣ مرة بالنسبة للعام السابق . ومن أجل هذا الهدف ذهبت **جولدا مايير** الى واشنطن وتبعها **ابا ايبان** . ومن أجل هذا الهدف زار عشرات المسئولين الامريكيين تل ابيب للمساعدة فى تدعيم القوى العسكرية لاسرائيل ولتنسيق خطة المواجهة لحركة التحرير العربية . وقد اشارت جريدة **معاريف** الاسرائيلية الى « أن الامريكيين اصبحوا ينظرون حاليا الى اسرائيل بوصفها الدعامة والسند الاكبر لحماية مصالحهم فى الشرق الاوسط » .

● ورغم أن الولايات المتحدة حاولت فى بداية العام الماضى ومع تسلم **نيكسون** لمقاليد الحكم أن تخفى وجهها الحقيقى وأن تضلل البلدان العربية عن حقيقة الدور الذى تلعبه فى مخطط العدوان ، فقد كشفت الاحداث خلال هذا العام عن الدور الرئيسى الذى تلعبه الولايات المتحدة كسند للعدوان وحام وموجه لسياسة اسرائيل :

— فهى التى عززت اسرائيل بطائرات الفانتوم ودربت الطيارين الاسرائيليين عليها .

— وأمدت اسرائيل بكميات ضخمة من الاسلحة .

— واشركت اسرائيل فى مناورات حلف الاطلنطى .

— ودعمت القوات المسلحة الاسرائيلية بخبرائها العسكريين وبفرق من جنودها الذين تدربوا فى فيتنام . وسمحت بانضمام الامريكيين الى القوات المسلحة الاسرائيلية .

— وهى التى ترسل اليوم برؤوس أموالها وشركاتها لاستغلال موارد الارض العربية المحتلة من خلال سلطات العدوان .

— وهى تدفع حكومة بون الى تقديم مزيد من العون المالى والعسكرى لاسرائيل .

خلفية الازمة

وتوازن جديد للقوى

● ورغم كل ما يقوم به محور العدوان لتعزيز قواه استعدادا لمواجهة تصاعد حركة التحرير ، فان

حسابات عام ١٩٦٩

سبتمبر

٢ — اتفاق العراق وسوريا على اقامة وحدة اقتصادية كاملة بينهما وعلى تحقيقها بصورة تدريجية ، واتفقا على تشكيل لجان عسكرية لدفع عجلة التعاون العسكرى الدفاعى الى الامام .

٤ — استقالة موشى ديان من حكومة اسرائيل وكان يشغل فيها منصب وزير الزراعة وذلك بعد أن اشتدت الخلافات بينه وبين ليفى اشكول رئيس الوزراء .

٥ — اكتشاف مؤامرة لاغتيال زعماء يوجوسلافيا ونسف كباريها ومصانعها واعتقال ٩ من اليوجوسلافيين المنفيين تسللوا الى البلاد بقصد تنفيذ المؤامرة

٩ — تأييد ساحق لدستور الجزائر فى أول استفتاء شعبى بعد الاستقلال . بن بيللا يقول أن نتيجة الاستفتاء تأكيد لثقة الشعب بحكومة الثورة .

— تجدد القتال فى لاوس بين القوات الموالية للغرب والقوات الموالية للشرق

١٥ — اندونيسيا قررت عدم الاعتراف باتحاد ماليزيا الذى سينشأ غدا والفليبين تؤجل اعترافها به .

١٦ — اعلان اتحاد ماليزيا وقيام مظاهرات ضخمة فى اندونيسيا ضده .

١٨ — الاتحاد الاشتراكى العربى يصدر بيانا سياسيا هاما يعلن فيه أن حزب البعث هو المسئول عن عدم اجراء استفتاء الوحدة فى الموعد الذى حدده ميثاق القاهرة .

٢٠ — حكومة اندونيسيا تشرف على الشركات البريطانية ولا تؤممها . اليابان تتوسط للصلح بين ماليزيا وكل من اندونيسيا والفليبين .

٢٣ — اذاعة نتائج خطة التنمية فى ج.ع.م. خلال سنتها الثالثة : الانتاج القومى يرتفع الى ٣٠٧٩ مليون جنيه والدخل القومى يبلغ ١٥٢١ر٩ مليون جنيه . قطاع الصناعة حقق ٩٨ر٧ ٪ من مشروعاته والكهرباء ١٠٢ر٢ ٪ والنقل والمواصلات ١٠٨ر٥ ٪ والخدمات ٩٨ر٦ ٪ .

٢٥ — عزيز صدقى وزير الصناعة يوقع اضخم اتفاقية للبحث عن البترول فى الصحراء الغربية مع شركة فيلبس الامريكية .

٢٩ — فشل محاولة لاحداث فتنة فى الجزائر قام بها المعارضون لبن بيللا بعد اعلان التمرد فى مدينة تيزى أوزو . وقد انشأوا حزبا سريا اسموه « جبهة القوى الاشتراكية » .

٣١ — دخول الجيش الجزائرى مدينة تيزى أوزو وسحق محاولة احداث الفتنة . وهرب الكولونيل محمد ولد الحاج القائد السابق للمنطقة العسكرية .

اكتوبر

١ — انعقاد المؤتمر الصحفى لاعضاء المؤتمر الدولى للصحفيين فى القاهرة الذى شهده ٢٥٤ صحفيا يمثلون ٥٩ دولة .

الامر الذي لاشك فيه أن احداث العام الماضي قد أحدثت تغييرات هامة في توازن القوى التي فرضتها حرب يونيو عام ١٩٦٧ • فلقد نجحت حركة التحرر العربي في كسب كثير من المواقع في المجال الدولي بعد أن افتضحت سياسة العدوان الاسرائيلي مما ادى الى ازدياد العدو عزلة، وتزايد تعاطف الرأي العام مع الحق العربي • وساعدت بعض العوامل الهامة في احداث هذا التحول الذي له اهميته في المجال الدولي، وفي تضييق الخناق على العدو ومحاصرته •

- فقد كشفت المحادثات الدبلوماسية صلف وتعنت العدو وافقده كثير من العطف والتأييد الذي كان يتمتع به من قبل •

- اثارت جرائم العدو الوحشية في الارض المحتلة ضد السكان سخط الرأي العام العالمي مما دفع كثيرا من المنظمات والمؤتمرات الدولية الى ادانة سياسة العدوان والتعاطف مع حركة التحرر العربي •

- ساعد تنقية الدعاية العربية من الشوائب الشوفينية والعنصرية على توضيح موقف الغرب العادل في كثير من المجالات الدولية مما أدى الى تغيير كثير من الاوساط لموقفها في تأييد العدوان •

● والى جانب افتضاح محور العدوان وازدياد عزلته يتزايد عطف ومساندة وتأييد المعسكر الاشتراكي لحركة التحرر العربية اكثر من أي وقت مضى • وتوالت مواقف البلدان الاشتراكية ابتداء بمساندة الموقف العربي في المحادثات الدبلوماسية والدور الذي لعبه الاتحاد السوفيتي في الدفاع عن وجهة النظر العربية وتوضيحها ، الى العمل المستمر والمتواصل لتقديم كل أنواع المعونة للدول العربية وخاصة المواجهة لاسرائيل ، لمساعدتها على استعادة ما خسرته نتيجة لحرب يونيو وعلى استرداد حقوق سيادتها على الارض العربية، ثم المساندة الدولية لقضية النضال العربي التي وصلت الى قمتها في البيان الذي أصدرته حكومات البلدان الست الاعضاء في حلف وارسو اخيرا والذي جاء فيه « ان احزابنا وشعوبنا وحكوماتنا مصممة تصميما أكيدا على أن تفعل كل ما في طاقاتها في سبيل افساد خطط المعتدين في الشرق الاوسط . ان البلاد الاشتراكية ستقدم المزيد من المساعدة الشاملة للدول العربية التي تناضل في سبيل المحافظة على المكتسبات التقدمية لشعوبها ضد اعتداءات اسرائيل وسادتها » •

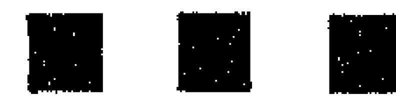
● وتتمثل مساعدة الاتحاد السوفيتي كذلك فيما تم خلال هذا العام تدعيم للاسطول السوفيتي في البحر الابيض المتوسط مما كان له تأثيره الواضح على تغيير ميزان القوى في المنطقة في صالح العرب • وعلى أثر عدوان ١٩٦٧ والدور الذي لعبه الاسطول السادس الامريكي في تدعيم العدوان لم يجد الاتحاد السوفيتي سبيلا لكسر سياسة الابتزاز واستعراض العضلات التي يقوم بها الاسطول السادس ضد الدول المستقلة في حوض البحر الابيض المتوسط الذي كان يعتبره بحيرة امريكية الا بنزول الاسطول السوفيتي الى البحر الابيض • وخلال العام الحالي وفي مواجهة تزايد اخطار الابتزاز الامريكي ضد البلدان العربية دعم الاتحاد السوفيتي اسطوله في البحر الابيض ليقف درعا حاميا لاستقلال الدول العربية •

● والامر الذي يسترعي الانتباه، هو أن موقف الولايات المتحدة المراوغ والمناور والذي يؤدي في الواقع الى استمرار التوتر في المنطقة بل والى زيادة حدته انما يرتكز في الحقيقة على مخطط مرسوم للسياسة الامريكية يهدف الى حماية المصالح الامريكية في المنطقة عن طريق الاحتفاظ بالتوتر القائم • ولقد كشف وليم بولك الخبير في مجلس تخطيط السياسة الامريكية في حكومة الولايات المتحدة عن ذلك صراحة في كتابة « الولايات المتحدة والعالم العربي » حينما قال « ان درجة معينة من التوتر في العلاقات بين اسرائيل والبلدان العربية يمكن التجاوز عنها تماما » وليس هناك شك في أن الولايات المتحدة تستغل هذا التوتر لصرف الشعوب العربية عن حقيقة المصالح الامريكية والاستعمارية في المنطقة ، ولتنفيذ المخططات الامريكية فيما يتعلق بتدعيم مراكز الاستعمار الجديد فيما وراء السويس خاصة بعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج وشرقي افريقيا •

● وفي اطار الاستراتيجية الجديدة للاستعمار الامريكي التي تقوم على تأجيج الصراع وتغذية الازمة واستمرارها في حدود معينة ، تتجه الولايات المتحدة الامريكية الى الاحتفاظ بالاوضاع الراهنة لاطول فترة ممكنة . ان استمرار اغلاق القناة الذي كان جزءا من استراتيجية العدوان انما يعود بارباح غير متوقعة وضخمة على الاحتكارات الامريكية • ولقد تمكنت الولايات المتحدة نتيجة اغلاق القناة وتوتر الموقف في الشرق الاوسط خلال الاعوام الماضية من أن تمسك بورقة رابحة سواء في منافستها مع أوروبا أو في حربها ضد الشعب الفيتنامي • وتشير الصحافة الغربية الى زيادة ارباح احتكارات البترول الامريكية بشكل لم يسبق

له مثيل . فطبقا لما تقوله مجلة **بتروليم انتلجنس ويكلي** زادت هذه الارباح عام ٦٨ بمقدار ١٠ في المائة بالمقارنة مع السنة السابقة وخلال النصف الاول من عام ١٩٦٩ زادت هذه الارباح ١٥ في المائة بالمقارنة مع نفس الفترة من عام ١٩٦٨ . وفي نفس الوقت خسرت الدول الاوروبية عامي ٦٧ ، ٦٨ نتيجة لازمة الشرق الاوسط واستيراد البترول الامريكي ما يقرب من ٦٠٠ الف جنيه استرليني حيث ان الطن من البترول الامريكي يزيد سعره من ٧ ــ ١٠ دولار بالمقارنة مع بترول الشرق الاوسط .

وتقول مجلة **ذى أمريكان بلاتس أويل جرام بوليتين** « انه ليس في صالح الولايات المتحدة بأى حال ان تعود قناة السويس الى العمل » ، كما اشارت مجلة **بتروليم برس سيرفي** لسان حال احتكارات البترول الى أن شركات البترول الامريكية لا يهمها أمر اعادة فتح قناة السويس » . وهذه الحقائق ربما تلقى بعض الضوء على تطورات الازمة واتجاهاتها خلال الفترة الماضية .



[٣] تحطيم « حاجز الرهبة الوهمى »

محمود عزمى

سجل عام ١٩٦٩ وهو يطوى الصفحة الاخيرة من صفحات الستينات ، عددا من التطورات الهامة وعلامات الطريق البارزة على طول خط المواجهة العسكرية مع العدو الاسرائيلي في مختلف جبهات القتال .

مثلما كانت معركة « **رأس العش** » في يوم ٨ يوليو عام ١٩٦٧ ، وعملية اغراق المدمرة « **ايلات** » يوم ٢١ اكتوبر من نفس العام علامتين بارزتين على طريق الصمود العسكري اثر « يونيو ٦٧ » .. ومثلما كانت معركة المدفعية على طول القناة يوم ٨ سبتمبر عام ١٩٦٨ ، هي ومعركة ٢٦ اكتوبر عند السويس والاسماعيلية معالم واضحة على تزايد قدرة الدفاع والردع لدى القوات المسلحة المصرية ، اذ اقترن قبول القيادة المصرية العامة لوقف اطلاق النار وقتئذ ، وباحتفاظها بحق الدفاع الوقائي ضده في حالة اطلاقه النار على المدنيين بعدم تعزيز العدو لخطه التكتيكي الاول . كذلك كانت سلسلة معارك المدفعية التي بدأت في ٨ مارس ١٩٦٩ واستمرت حتى شهرى ابريل ومايو ضد ما عرف باسم « خط بارليف » وتدمير معظم تحصيناته وابطال فاعليته ، كانت نقطة تحول في مجرى تطور

حسابات عام ١٩٦٩

٤ ــ اعترفت حكومة العراق بدولة الكويت بعد أن ظلت المسألة محل محادثات ومشاورات طويلة في بغداد ودمشق وبيروت .

ــ اتفاق الشرق والغرب على حظر ارسال الاسلحة النووية الى الفضاء . وذلك في بيان مشترك أصدره وزراء خارجية بريطانيا والاتحاد السوفيتي وأمريكا .

٥ ــ حركة التمرد في الجزائر تكشف نواياها باعلان معارضتها للاصلاح الزراعي .

ــ زيادة عدد أعضاء مجالس ادارة الشركات في ج.ع.م الى تسعة . المجالس تضم ٤ بالانتخاب و ٤ بالتعيين بحكم مناصبهم ورئيسا للمجلس .

٦ ــ قوات سورية تنتقل الى العراق لتشارك في الحرب ضد الاكراد .

٧ ــ استقالة ٣ وزراء عراقيين هم العناصر المستقلة ، ناجي طالب وزير الصناعة ، ورجب عبد المجيد وزير الاسكان ومحمد جواد العبوسي وزير المالية ، وبذا اصبحت وزارة العراق من البعثيين فحسب .

٨ ــ بن بيللا يعلن وقوع اشتباكات بين الجيش الجزائري وعناصر مغربية .

٩ ــ ازدياد التوتر بين المغرب والجزائر بعد الاصطدام المسلح بينهما وتدفق قوات البلدين نحو الحدود .

ــ ادماج البنوك التجارية في ج.ع.م. في ٥ بنوك كبرى .

١٠ ــ هارولد ماكميلان يعلن اعتزاله السياسة وحزبه يخوض الانتخابات بدونه .

ــ هرب جميع قادة التمرد الجزائري من « ميشليه » والتجاؤهم الى الجبال .

ــ مباحثات عبد الناصر ــ باندرانيكة تتناول الموقف بالنسبة لمقترحات دول كولومبو الخاصة بتسوية نزاع الهند والصين .

١٢ ــ بن بيللا يعلن سحق حركة التمرد نهائيا ودخول الجيش الجزائري الى ميشليه ويدعو حكومة المغرب الى انهاء أزمة الحدود .

١٤ ــ اسطول بحرى من الجمهورية العربية المتحدة يصل الى ميناء الجزائر في زيارة ودية .

ــ لورد هيوم وزير الخارجية البريطانية يقرر بصفة نهائية رفض اى محاولة لترشيحه لرياسة الوزارة عقب استقالة هارولد ماكميلان .

١٥ ــ ٦ر٣ مليون جنيه ارباح للعاملين في ١٣٦ شركة صناعية في ج.ع.م. يبدأ صرفها .

ــ حوادث الحدود بين المغرب والجزائر تتحول الى معارك واسعة النطاق وبن بيللا يعلن التعبئة العامة بين قوات معركة التحرير لمواجهة «الغزو المغربي»

١٦ ــ ازدياد القتال عنفا على حدود المغرب والجزائر . المساعي الدبلوماسية لوقف القتال احرزت تقدما يسيرا .

ــ هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا يعلن معارضته لترشيح ريتشارد بتلر

أسلوب المواجهة العسكرية بيننا وبين العدو الاسرائيلي اذ أنها أدت الى تحويل خط وقف اطلاق النار الى خط جبهة قتال فعلية، وحرمت العدو مما كان يتصوره من شرعية التواجد المستقر الهادىء على طول الضفة الشرقية للقناة حيث توقفت العمليات الحربية يوم ٩ يونيو عام ١٩٦٧ .

لقد كانت معارك المدفعية التي بدأت في مارس ٦٩ - والتي وضع معالم خطتها الاساسية الشهيد البطل **عبد المنعم رياض** واستشهد في مرحلتها الاولى يوم ٩ مارس، وامتدت حتى منتصف العام تقريبا، بداية التطبيق العلمي الفعال لاستراتيجية **الدفاع الوقائي** بعد فترة من الركود النسبي الذي ساد الجبهة المصرية منذ اشتباكات سبتمبر واكتوبر عام ١٩٦٨ ، هذه الاستراتيجية التي سبق أن أعلنت القيادة العسكرية المصرية العامة حق احتفاظها بتطبيقها اثر معركة المدفعية المشهورة في ٨ سبتمبر، والتي كانت المرة الاولى التي تقبل فيها القيادة المصرية وقف الاشتباكات بشروط ايجابية محددة وذات مغزى ، يعبر عن بدء استعادة قواتها لتوازنها العسكري مرة أخرى بشكل واضح وأكيد .

وقد حاول العدو مرارا خلال هذه الفترة من معارك المدفعية أن يعيد بناء استحكاماته الدفاعية ويعززها . ولكنه كان يواجه في كل مرة بسيل مبادر ومركز من نيران المدفعية المصرية يعترض طريقه ونشاطه هذا . فكان أن اضطر الى التراجع بتجمعاته الاساسية الى عمق لا يقل عن خمسة عشر كيلو مترا تقريبا ، وذلك حتى لا تكون تحت المرمى المباشر لمعظم أنواع المدفعية المصرية ، تاركا على مقربة من ضفة القتال نقط انذار امامية وبعض المواقع الدفاعية الخفيفة المتفرقة ، التي سرعان ما تعرضت هي الاخرى لهجمات دوريات القتال ومجموعات القوات الخاصة وسرايا المشاة المدعومة بوحدات المهندسين ونيران المدفعية . وقد بدأت هذه الهجمات منذ ٢٠ ابريل عام ٦٩ تقريبا ، حين عبرت القناة وحدة من القوات الخاصة - **الصاعقة** - واقتحمت أحد هذه المواقع القريبة من الاسماعيلية، واشتبكت بقتال مباشر مع جنود العدو فيه ثم استولت عليه واستمرت مسيطرة عليه لمدة ساعتين قبل أن تنسفه وتعود الى مواقعها وهي تحمل معها علم اسرائيلي وبعض الاسلحة الخفيفة واثناء عودتها اشتبكت بدورية مدرعة للعدو فدمرت احدى دباباتها بأسلحتها الخفيفة المضادة للدبابات ..

وتتابعت بعد ذلك عمليات العبور في مختلف قطاعات الجبهة . كما تقاربت فترات القيام بها . واحيانا كانت تتم عمليتان أو ثلاث في ليلة واحدة . كما ازدادت جرأة اهدافها ومسافات تعمقها شرقا حتى وصلت الى نحو خمسة كيلومترات في بعض الحالات . هذا بالاضافة الى اتساع نطاق نوعية القوات المشتركة فيها، بحيث أصبحت وحدات المشاة العادية تشترك في هذه العمليات وباعداد كبيرة نسبيا بلغت نحو ١٣٠ جنديا - أي سرية مشاة كاملة - ثم ٢٥٠ جنديا ، أي نحو سريتين في يوم ٦ ديسمبر حين استمروا محتلين لرأس جسر عبر الضفة الشرقية للقناة عند البلاح لمدة ٢٤ ساعة كاملة . كما تعمقت مجموعات منهم الى عمق خمسة كيلو مترات داخل خطوط العدو .

وقد أدت هذه العمليات التي تكررت في الليل أو النهار منذ ابريل حتى ديسمبر من عام ١٩٦٩ الى تحطيم حاجز الرهبة الوهمي ، ذلك الحاجز الذي كانت أحداث يونيو ٦٧ قد استهدفت اقامته ، والذي كان من الضروري تحطيمه تماما قبل التفكير الجدي في أي عمليات ذات طابع هجومي مزمع القيام بها من جانب القيادة المصرية مستقبلا وعلى نطاق واسع .

كما أدت عمليات العبور هذه الى زيادة اشعار العدو بعدم امكانية التواجد الهادىء المستقر على طول ما عرف بخط وقف اطلاق النار، وزعزعة ثقته واطمئنانه الى القناة كمانع مائي او حاجز طبيعي ، يؤمن نسبيا وجوده في « سيناء » التي يعتبرها حزام أمن عميق اكسبته اياه معارك يونيو ١٩٦٧ . هذا بالاضافة الى ما تعطيه هذه العمليات من خبرات عملية - على نطاق جزئي - لعمليات التدريب على اقتحام الموانع المائية تمهيدا لعملية تحرير سيناء من الاسر الذي وقعت فيه .

والى جانب ما يميز عام ١٩٦٩ من معارك المدفعية ذات الطابع الايجابي - أي في نطاق عمليات الدفاع الوقائي - ومن عمليات دوريات وجماعات القتال التي تعبر القناة لتلاقي العدو وجها لوجه تدحر اسطورة تفوقه وتؤرق استقراره وتستطلع اعماله واستعداداته، فقد تميز هذا العام أيضا بتصاعد واضح وبارز في عمليات حرب العصابات المنظامية، والغارات الفدائية الجريئة في عمق مؤخرة العدو شبه الآمنة ، وبطريقة أدت الى اعطاء عمليات، أو أسلوب « **حرب الاستنزاف** » بعدا ثانيا خطيرا وذلك بالاضافة الى البعد الاول الذي أعطته اياها معارك المدفعية، وأعمال دوريات العبور التي حولت خط وقف اطلاق النار الى خط قتال ثابت ومستمر، يشابه خط القتال الثابت في الجبهة الغربية بفرنسا خلال الحرب العالمية الاولى . حيث استنزفت معارك المدفعية وهجمات المشاة المتكررة والمواقع الدفاعية الثابتة قدرات ودماء الجيش الالماني الى حد كبير طيلة أربع سنوات تقريبا .

فمنذ أن بدأت منظمة « **سيناء العربية** » تمارس نشاطها بصورة واضحة متلاحقة الضربات منذ يناير الماضي ، وتشمل بعملياتها شبه الجزيرة بأكمله تقريبا وتنسق هجماتها مع هجمات منظمات المقاومة الفلسطينية في غزة والاراضي المحتلة ، تصاعدت أعمال حرب العصابات والغارات الفدائية المنظمة بشكل مستمر وخطير النتائج

بالنسبة لامن واستقرار القوات الاسرائيلية فى سيناء • ولم تعد أعمالها تقتصر على بث الالغام فى طريق العربات والدبابات او نصب كمائن لدوريات أو قوافل العدو المنعزلة ، وانما وصلت الى حد مهاجمة تجمعاته الكبيرة، ومراكز قياداته المختلفة ورئاساته الادارية بصواريخ « **كاتيوشا** » الثقيلة ومدافع الهاون « ١٢٠ مم » **الخ** ».

وكان من نتائج محاولات العدو الانتقامية التى قام بها كرد فعل لعمليات دوريات العبور، والتى تمثلت فى محاولة الهجوم على « الجزيرة الخضراء » ومهاجمة نقط حراسة السواحل على شاطىء البحر الاحمر وموقع « الزعفرانة » والتسللات الجوية الليلية الى صعيد مصر فى حماية منحنيات الجبال التى تعيق رؤية الرادار، أن تصادعت عمليات حرب العصابات النظامية واتخذت شكل غارات « **الكوماندوز** » النظاميين الذين يستخدمون تكتيكات الاقتحام العمودى أو الرأسى بواسطة الهيليكوبتر كما حدث فى غارة « **مصفق** » يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٩ ، حين توغلت الطائرات وهى محملة بجنود الكوماندوز المجهزين بصواريخ « كاتيوشا » لمسافة ٨٥ كيلو مترا شرق القناة فى شمال سيناء قبيل الفجر بقليل ثم انزلتهم على مقربة من مركز ادارى وقيادى للعدو حيث أطلقوا صواريخهم بسرعة وتركيز وعادوا مرة أخرى الى طائراتهم التى حملتهم سالمين الى قواعدهم • وكما حدث أيضا فى الاغارة الفدائية على الساحل الشرقى لخليج السويس يوم أول اكتوبر الماضى فى المنطقة بين « **رأس مطارمة ورأس ملعب** » على امتداد ٣.٧ كيلو مترا حيث انزلت قوتان من الكوماندوز عن طريق الطائرات العمودية فى نفس الوقت الذى انزلت فيه قوة فدائية برمائية عن طريق البحر فى نقطة تقع بين الموقعين اللذين هوجما بواسطة قوات كوماندوز الاقتحام العمودى •

كما اعطت غارة الضفادع البشرية المنقولين جوا على ميناء « **ايلات** » حيث ثاروا من السفن التى اشتركت فى مهاجمة « الزعفرانة » (ذلك الهجوم الذى اطلقت عليه اجهزة الدعاية والحرب النفسية المعادية عنوان « غزو مصر »)، أعطت بعدا جديدا عميق المغزى لهجمات الكوماندوز هذه ، التى اصبحت تشكل مع عمليات منظمة « سيناء العربية » جانبا رئيسيا وهاما من جوانب « حرب الاستنزاف » المتصاعدة على طول خط المواجهة العسكرية فى الجبهة المصرية • ولعل السبب الرئيسى فى ذلك أنها عكست درجة عالية من الاستعداد والكفاءة والجرأة ، أصبحت متوفرة لدى القوات الخاصة المصرية ، وأثبتت للعدو أنه اصبح فى متناول الضرب فى أى مكان يتواجد فيه فوق الارض العربية وأن خط الامن الوهمى على القناة ليس أكثر من خط مرسوم على الماء • كما شهدت سماء الجبهة المصرية فى عام ٦٩ اتساع

حسابات عام ١٩٦٩

لزعامة حزب المحافظين او لرياسة الوزارة ».

١٧ — قرار بانتخاب ٤ من العاملين بالشركات لمجالس الادارة ومنع فصل ممثلى العمال واعضاء التنظيمات النقابية الا بعد عرض الامر على المحكمة المختصة ».

— القتال بين المغرب والجزائر يدور بدون توقف — فشل مفاوضات مراكش لوقف القتال — ٥٠ الف جزائرى يتجهون لميدان القتال •

١٨ — لورد هيوم وزير الخارجية يتولى رئاسة الوزارة البريطانية •

— اهالى الفوج الاول من مهاجرى النوبة تسلموا بيوتهم الجديدة اليوم وهم الذين تركوا قراهم بعد العمل فى مشروع السد العالى •

٢٠ — ٤ رسائل من عبد الناصر الى الحسن والسنوسى وبورقيبة وبن بيللا لايجاد مخرج للازمة المغربية الجزائرية •

٢٤ — محمد ولد الحاج القائد العسكرى للتمرد ضد بن بيللا يطلب منه السماح له ولقواته بالاشتراك فى القتال ضد عدوان ملك المغرب •

— أمريكا تعلن اصرارها على استمرار حصار كوبا رسالة من خروشوف لكاسترو يعد فيها بتقديم المعونة للكوبيين

٢٥ — اجتماع بين الملك الحسن وبن بيللا فى تونس ، يشترك فيه عبد الناصر ، بورقيبة وسيكوتورى والملك ادريس وموديبوكيتا ، يحضرون اجتماع القمة مع ملك المغرب ورئيس الجزائر لحل المشكلة •

٢٦ — تحول فى موقف الحزب الاشتراكى الايطالى . بيترو نينى زعيم الحزب يدعو لتأييد حلف الاطلنطى والاشتراك فى الحكومة •

٢٩ — تأجيل مؤتمر باماكو الى موعد غير محدد

٣٠ — الاتفاق على وقف اطلاق النار بين المغرب والجزائر عند منتصف ليلة ٢ نوفمبر •

٣١ — معارك عنيفة بين المغرب والجزائر قبل حلول ساعة وقف اطلاق النار •

نوفمبر

١ — الهدوء يسود الجبهة المغربية الجزائرية

٢ — انتحار نجو دينه ديم رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية وشقيقه بعد نجاح انقلاب عسكرى فى اسقاط حكومته التى استمرت ٨ سنوات •

٧ — الاتحاد السوفيتى يعرض صواريخه المضادة للصواريخ فى العرض العسكرى بذكرى الثورة البلشفية •

١٢ — تشكيل حكومة جديدة فى سوريا برياسة امين الحافظ وذلك بعد استقالة صلاح البيطار . وهى رابع وزارة للبعثيين خلال ٩ أشهر •

١٣ — انفجار سياسى فى العراق طرد على صالح السعدى وترحيله الى مدريد . عبد السلام عارف واحمد حسن البكر استطاعا السيطرة على الموقف بعد اصطدامات طول اليوم •

نشاط السلاح الجوى المصرى بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل . فبعد أن كانت سماء الاسماعيلية فى ٢٣ اكتوبر عام ٦٨ قد سجلت بدء تصدى مقاتلاتنا لطائرات العدو بصورة حاسمة ومفاجئة للمرة الاولى بعد معارك يونيو ٦٧، واسفر هذا التصدى عن اسقاط طائرتين ميراج للعدو بواسطة « الميج ٢١ » ، عادت وسجلت ظهور الطيران المصرى مرة اخرى يوم ٨ مارس عام ٦٩ مع بدء معـــارك المدفعية الشـــهيرة . وذلك حين اشـــتبكت اربـــع من مقـــاتلاتنا مـــع ٨ طـــائرات للعـــدو فى قتـــال جوى فوق البحـــيرات المرة . ثم تكررت الاشتباكات الدفاعية فى ١٤ أبريل فوق السويس وبورسعيد حيث أسقطت طائرة معادية . وفى ١٢ مايو و ٢٢ مايو فى شمال القناة اولا ثم عند الغردقة جنوبا فى اليوم التالى حيث أسقطت طائرة معادية وأصيبت اخرى . ثم فى ٢٦ يونيو حين اشتبكت نحو ٢٤ طائرة من طائراتنا مع عدد مماثل تقريبا من طائرات العدو فى معركة استغرقت مدتها الكلية نحو ٥٠ دقيقة فوق خليج السويس وأسفرت عن اسقاط طائرتين للعدو . ثم فى ٢٠ يوليو فى المعركة الجوية الكبيرة التى دارت فوق السويس اثر فشل الهجوم المعادى علـــى الجزيرة الخضراء فى فجر ذلك اليوم، تلك المعركة التى أدت الى سقوط واصابة عدد كبير نسبيا من طائرات العدو . وفى نفس الوقت زادت خلال هذه الفترة الطلعات الاستطلاعية فوق سيناء واتسع مجال نشاطها . .

وفى النصف الاخير من يوليو الماضى بدىء فى اشراك الطيران فى استراتيجية الدفاع الوقائى النشيط . فقامت قاذفاته لاول مرة منذ حرب يونيو بمهاجمة مواقع الصواريخ والمدفعية الاسرائيلية . وتكررت هذه الهجمات نحو ثلاث مرات خلال هذا الشهر ، ووصلت فى احدى المرات الى عمق ٦٠ كيلو مترا داخل سيناء وذلك فى غارة ٢٧ يوليو . ثم عادت طائراتنا مرة أخرى الى أخذ المبادأة وشنت ثلاث هجمات جوية كبيرة يوم ١١ سبتمبر فى قطاعات الجبهة الثلاثة الشمالى والاوسـط والجنوبى مستخدمة ١٠٢ طائرة من مختلف الانواع القاذفة المقاتلة من طرازى « سوخوى ٧ » و « ميج ١٧ » والمقاتلة من طراز « ميج ٢١ » ، حيث ضربت مراكز صواريخ « هوك » المضـادة للطـائرات ومحطات رادار ومناطق التجمعات وميناء « رأس المسلة » بعنف وتركيز ، وأسقطت ٦ طائرات للعدو مقابل طائرتين من طائراتنا وتكررت الهجـمات الجوية بعد ذلك فى نوفمبر وديسمبر وعلـى ارتفاعات شديدة الانخفاض ، بلغت نحو عشرة أمتار فى بعض الاحوال ، كما حدث فى غارة ٢٧ نوفمبر فى المنـاطق المـواجهة لـلاسماعيلية والقنطرة . وبذلك التحول من اسلوب التصدى الدفاعى المحض لطائرات العدو ، الى مهاجمة الاهداف الارضية فى عمق سيناء وباعداد كبيرة ، يكون الطيران قد دخل حرب الاستنزاف هو الاخر وأعطاها بعدا ثالثا بالاضافة الى البعدين الاخرين اللذين قدمتهما المدفعية وعمليات العبور القتالية وهجمات فائيى منظمة سيناء العربية وجنـــود الكوماندوز المحمولين جوا وبحرا ورجال الضفادع البشرية كما سبق وأوضحنا من قبل .

ثم دخل الاسطول كسفن سطح (مدمرات وسفن حراسة الخ) المعركة هو الاخر عندما هاجم ساحل سيناء الشمالى وقصفه بمدافعه عند « بالوظه » وبذلك تكون جميع افرع القوات المسلحة الثلاث الاساسية قد دخلت « حرب الاستنزاف » : الجيش بمدفعيته ومشاته ، والطيران والبحرية والقوات الخاصة بمختلف انواعها .

وفى خلال هذا كله يبذل العدو الاسرائيلـى جهودا كبيرة من أجل الاحتفاظ بالمبادأة واستمرار تأكيد تفوقه الذى احرزه فى حرب يونيو ٦٧، فيقوم بغارات فدائية على ساحل البحر الاحمر وغارات ليليه متسلله فوق سوهاج وادفو وأسيوط واخرى نهارية وليلية فوق منطقة القناة ومن ارتفاعات كبيرة تصل الى خمسة كيلومترات وتتسلل احدى طائراته الاستطلاعية على ارتفاع منخفض الى القاهرة ، مستخدما فى ذلك النشاط الجـوى العـريزات الامـريكيه المسـتمرة لـــه مـن طائرات « سكاى هوك » و « الفانتوم » والصواريخ المحرمة المضادة للافراد التى سبق استخدامها فى فيتنام الخ . ولكنه يواجه فى معظم الحـالات وخاصة فوق الجبهة فى القناه بسد نيرانى كثيف من اسلحة الدفاع الجوى الارضى يفسد عليه جوهر غرضه من هذه الغارات الانتقامية . والخلاصه ان رصيد عام ١٩٦٩ من حسابات المواجهة العسكرية على الجبهة المصرية قد سجل ارتفاعا لاشك فيه لصالح مصر والشعوب العربية وبصورة مختلفة كيفيا الى حد كبير عن عام ١٩٦٨، اذ تأكدت نهائيا القدرة على الدفاع والردع بصورة أنهت تماما مرحلة التبجح الاسرائيلى التى تلت احداث يونيو المؤلمة حين كانت القيادة الاسرائيلية تأتى بطلبة المدارس الابتدائية والسياح لزيارة الضفة الشرقية لقناة السويس . لقد انتهت مرحلة وقف اطلاق النار تحت اشراف مراقبى الهدنة التابعين للامم المتحدة ، ودخلنا مرحلة الحرب الدفاعية النشطة الطويلة الامد التى تمهد الطريق لمرحلة الحرب الهجومية التحريرية المقبلة وهى المرحلة التى تبدو تباشيرها الاولى فى أفق السبعينات . لقد تأكدت مقدرة وتفوق المدفعية المصرية صاحبة التقاليد العريقة فى العسكرية المصرية ، كما استعادت المشاة ثقتها الكاملة فى قدرتها على مواجهة العدو وجها لوجه والصمود فى وجه الطيران فوق رمال الصحراء . كذلك تأكدت كفاية أسلحة الدفـاع الجوى الارضى، تلك الكفاية ذات الجذور الممتدة الى مرحلة الحرب العالمية الثانية وقت أن اعتدت على بلادنا قوى العدوان الفاشى . وأثبتت القوات الخاصة بفروعها المختلفة من صاعقة ومظلات وضفادع بشرية وكوماندوز بحريين وجـودهم

وفاعليتهم . وكذلك بدأ الطيران يثبت وجوده ويستعيد ثقته بنفسه ويخطو خطواته الاولى نحو التعادل مع العدو ثم التفوق عليه، وتلك هى علامة من ابرز علامات رصيد ٦٩ على الجبهة المصرية، وأهم تحديات المرحلة القادمة من الصراع المسلح مع العدو الاسرائيلى التى سيشهدها عام ١٩٧٠ ، بحكم انها ستكون النقطة التى سيحسم عندها الصراع من أجل تحرير الارض ، خاصة بالنسبة لسيناء ذات الطبيعة الصحراوية .

المقاومة الفلسطينية

بانقضاء عام ١٩٦٩ تكون حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة قد أتمت عامها الخامس منذ ان بدأت « **فتح** » نشاطها العسكرى فى يناير ١٩٦٥ بمهاجمة منشآت تحويل نهر الاردن وأصابت أهدافها فى نفق « **عيلبون** » وسهل « **البطوق** » .

وقد سجلت المقاومة فى عامها الخامس هذا تطورا وتصاعدا على كلا المستويين العسكرى والسياسى فرض نفسه على حركة الاحداث العامة فى المنطقة وألب عليها قوى الرجعية والاستعمار بصورة واضحة . فقد استمرت الهجمات الفدائية من القواعد الموجودة فى الاردن ولبنان والارض المحتلة نفسها رغم كل اجراءات الامن الاسرائيلية من أسوار مكهربة الكترونية ودوريات مدرعة سريعة الحركة ودوريات الهيلوكوبتر وحملات الاعتقال الواسعة النطاق ونسف منازل المواطنين العرب الخ . ولم تعد تلك الهجمات قاصرة على نصب كمائن لدوريات العدو، اوبث الالغام فى طريقها وانما كثر ايضا استخدام صواريخ « كاتيوشا » الثقيلة فى ضرب أهداف العدو المختلفة ، ففى فبراير مثلا ضرب مصنع البوتاس ومصنع النحاس فى « **سدوم** » الواقعة على الشاطىء الجنوبى للبحر الميت ، وتكرر هذا الهجوم مرة اخرى فى اكتوبر ونوفمبر كما تعرضت كثير من المستعمرات الاسرائيلية لضرب الصواريخ ايضا خلال هذا العام وتعرض ميناء « ايلات » أيضا لضرب الصواريخ فى ابريل .

وكان الهجوم على موقع « **الحمة** » فى مرتفعات « **الجولان** » فى ١٥ مايو وتطهير الموقع تماما ورفع العلم الفلسطينى فوقه لمدة ثلاث ساعات علامة جديدة وبارزة من علامات تطور أسلوب الكفاح المسلح الفلسطينى ، اذ انه يرمز الى بدء توفر امكانية انشاء ما يسمى فى لغة الحروب الشعبية المعتمدة على أسلوب حرب العصابات « **بالمناطق المحررة** » . وتكررت نفس الظاهرة فى يونيو عندما رفع العلم مرة أخرى فوق موقع شمالى جسر اللنبى . ثم كان من نتائج تشكيل قيادة الكفاح المسلح الذى ترتب على اعادة تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية فى فبراير الماضى أن اتخذت الهجمات طابعا أكثر قوة وجرأة وتنظيما بصورة تجلت بشكل واضح فى عملية « **الحزام الاخضر** » التى تمت فى أغسطس الماضى وعلى امتداد ٨ كيلو متر من الخط المكهرب واشتركت فيها قوات كبيرة

١٤ — استمرار الاضطرابات فى العراق، طائرة عسكرية تحمل طالب شبيب وحازم جواد وعددا من اعضاء قيادة البعثيين الجديدة فى العراق وتنقلهم الى بيروت وحدوث انقسام جديد بين البعثيين يخرج من السلطة الجناح الذى طرد السعدى .

١٧ — تاميم ٦ شركات زراعية فى الجمهورية العربية المتحدة تأميما كاملا . وتوزيع أراضيها على صغار المزارعين .

١٨ — سقوط حكم البعثيين فى دمشق ، عبد السلام عارف يقود الجيش العراقى فى ضربة سريعة . العصابات المسلحة للحزب تحاول مقاومة قرار حلها ، الجيش يحطم مقاومتها. احتجاز ميشيل عفلق وامين الحافظ وصلاح حديد فى بغداد .

٢٠ — تشكيل وزارة عراقية جديدة برياسة الفريق طاهر يحيى رئيس اركان حرب الجيش ، واصدار مرسوم جمهورى بتعيين اللواء احمد حسن البكر رئيس الوزراء السابق نائبا لرئيس الجمهورية

٢١ — حكومة سيريل أدولا فى الكونجو تعلن طرد جميع أعضاء السفارة السوفيتية.

٢٢ — اغتيال الرئيس الامريكى جون كيندى وتولى ليندون جونسون رئاسة الولايات المتحدة .

٢٤ — اغتيال قاتل كيندى وهو ينقل من قاعة البلدية الى سجن مدينة دالاس .

٣٠ — رئيس المحكمة العليا فى أمريكا يتولى تحقيق جريمة اغتيال كيندى . ضغط الراى العام الامريكى والعالمى يصل الى مداه فى طلب معرفة السر الحقيقى وراء الجريمة .

ديسمبر

١ — تحقيق سرى مع بوليس مدينة دالاس عن مصرع قاتل كيندى بين حراسه .

٣ — تصريحات عن سياسة ايرهارد مستشار المانيا الجديد تتضمن ان المانيا لا تسعى لاقامة علاقات سياسية مع اسرائيل ولن تقوم باى ضغط على العلماء الالمان الذين يعملون فى ج.ع.م ولن تطلب منهم الانسحاب . ولن تقبل استبدال الحماية الذرية الامريكية بالحماية الفرنسية وتعتبر الوجود الامريكى فى أوربا ضروريا للدفاع عن القارة .

— مجلس السلام العالمى يرفض تاييد الصين الشعبية فى سياستها .

٦ — الاتحاد السوفيتى يدعو لعقد مؤتمر شيوعى عالمى لحسم النزاع مع الصين

١١ — اعتقال الزعماء السياسيين فى عدن ونفى عبد الله الاصنج بعد القاء قنبلة فى مطار عدن على سير كيندى تريفا حاكم المستعمرة ومعاونيه .

١٢ — عبد الناصر يشترك فى أعياد « تحرير بنزرت » فى تونس .

١٣ — وصول شواين لاى رئيس وزراء الصين الى القاهرة فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة ولاجراء محادثات مع عبد الناصر .

٢١ — اعلان البيان المشترك عن محادثات

من منظمات المقاومة المختلفة ، بل ان عملية « الحمة » كانت احدى نتائج تشكيل هذه القيادة من حيث التخطيط رغم أن قوات العاصفة هى التي قامت بها وحدها •

ولكن العلامة الاكثر بروزا فى عام ١٩٦٩ بالنسبة لرصيد المقاومة هو تزايد العمليات النابعة من قواعد داخل الارض المحتلة نفسها بباقى ذلك المناطق المحتلة منذ ١٩٤٨ ، وتعكس عمليات قطاع غزة المتزايدة والعمليات التيتمت فى حيفا بالنسبة لمصافىالبترول ونسفالمنازل الانتقامى الخ. هذه الحقيقة بشكل واضح الدلالة كما تعكسه من جانب العدو ايضا ازدياد حملات القمع والاعتقال وتبنى سياسة الانتقام الجماعى وكثرة أعمال نسف منازل المواطنين العرب • وهذا ناتج طبيعى لاتساع تأثير نشاط المقاومة الجماهيرى فى المناطق المحتلة حديثا أو قديما ، ذلك الاتساع المتمثل فى مظاهرات نابلس التى وقعت فى ابريل من العام الماضى ونجاح حركة الاضراب العام فى ذكرى يوم ١٥ مايو وازدياد الصدامات الجماهيرية مع قوات الاحتلال فى غزة الخ ...

هذا كما تزايدت خلال هذا العام ايضا عمليات التصدى للطيران الاسرائيلى المهاجم من جانب رجال المقاومة وبأسلحتهم المضادة للطائرات الخفيفة ـ رشاشات عادية ورشاشات ثقيلة ـ سواء فى الاردن أو جنوب لبنان او من داخل الاراضى المحتلة نفسها أثناء العمليات والمطاردات الجوية التى تعقبها •

ونظرا للاهمية الاستراتيجية التى يمثلها **جنوب لبنان** بالنسبة لاعمال المقاومة فى الجليل الاعلى المجاور لحدود لبنان ، حيث تقع أفضل أجزاء فلسطين ملاءمة لحرب العصابات من الناحية الجغرافية ، وذلك بسبب كثرة المرتفعات الخضراء الوعرة بالنسبة للمعدات الميكانيكية وكثرة الملاجىء والكهوف والاشجار التى تقدم حماية طبيعية ضد الطيران ، وحيث تتركز أيضا الاقلية العربية فى المناطق المحتلة قديما وحيث توجد كثير من المراكز الصناعية الاسرائيلية وأربع مدن أساسية هى حيفا وعكا وصفر وطبرية الخ . نقول نظرا لكل ذلك ولزيادة ثقل ووزن الهجمات الفدائية المنطلقة من قواعد لبنان خلال عام ٦٩ ، ركزت القوى الاستعمارية والاسرائيلية والرجعية على ضرب قواعد المقاومة هناك وتصفيتها من الداخل وبواسطة الجيش اللبنانى نفسه ، فكانت أحداث اكتوبر المؤلمة التى راح ضحيتها عشرات من الفدائيين أثناء الاشتباكات المؤسفة التى جرت مع الجيش اللبنانى العربى •

وكل هذا يطرح من جديد أهمية تدعيم وتنسيق الجبهة الشرقية وحل التناقضات الداخلية المختلفة التى تحول دون ظهورها وقيامها بدور فعال وأكثر ايجابية عما هو عليه الحال حاليا • تلك هى أبرز نقاط رصيد عام ٦٩ من المواجهة العسكرية العربية مع العدو الاسرائيلى وهى نقاط ايجابية فى معظمها وأغلبيتها الساحقة ، وتشير كلها الى أن المراحل الاولى من السبعينات ستشهد حتما تصاعدا فى الصراع وحسما مسلحا لتناقضاته واستقطابا أكثر وضوحا للقوى الثورية المناضلة ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية •

■■

سياسة دولية

١ - المجتمع الدولى

٢ - افريقيا

[١] الواقع الدولى وآفاق المستقبل

خيرى عزيز

ربما لن يكون « **للذاتية السياسية** » على مستوى الدول وحتى نهاية هذا القرن ، مثل تلك الاهمية البالغة التى حظت وتحظى وستحظى بها فى ستينات وسبعينات القرن العشرين التى لا يمثل عام ١٩٦٩ المنصرم منها سوى مساحة زمنية جد قصيرة .

ومع ذلك فان **هذا العامل السياسى الذاتى على مستوى الدول** الذى اشرنا اليه ، **يفعل فعله فى هذه**

المساحة الزمنية القصيرة ، ويحدث تأثيراته كاملة عبرها ، **باعتبارها** جزءا من المرحلة العامة التى تتوقف فيها النتائج السياسية المحلية الى حد اكبر من اى وقت مضى ، على **الاوضاع الذاتية** لكل دولة على حدة ، اكثر مما تتوقف على **تدخل العوامل الدولية** ••

نحن هنا لا نقرر مجرد تقرير ، تلك الحقيقة العلميه القائلة بان تطور ظاهرة ما يتوقف أساسا على طبيعة التكوين الداخلى لهذه الظاهرة ، وانما نود فحسب ان نؤكد بشكل خاص على ان هذه الحقيقةأشد وأبرز ما تكون انطباقا فى هاتين الحقبتين التـاريخيتين من القـرن العشرين ، التاليتين للحرب العالمية الثانية •

تفكك دولي

ويرجع برور العامل المحلى الذاتى فى تحديد مصائر الدول فى مرحلة الستينات بشكل خاص ، الى ظهور نوع من **التفكك الدولى الشامل** — ولا أقول « الفوضى الدولية » الشاملة الشبيهة بتلك التى تسبق عادة كل حرب عالمية ـ التفكك الدولى الشامل على اتساع كافة المعسكرات الدولية سواء المعسكر الغربى او الشرقى أو معسكر دول عدم الانحياز •

هذا التفكك اصبح حالة من التسبب الدولى العام للاوضاع الدولية ، كشفت **كثيرا** من الحلقات الضعيفة فى السلسلة الدولية ـ وهى تلك التى كانت تستند فى تماسكها الداخلى والدولى على عوامل التغطية الدولية ، اكثر مما كانت تستند على قواعد ذاتية داخلية راسخة •

وبدا ذلك التفكك واضحا فى **الغرب** بعد ان انفردت فرنسا باتخاذ موقف مستقل على حلفائها الغربيين ، فى معارضة الولايات المتحدة ، وبدأت تتبع سياسة دوليـة جـديدة تقـوم علـى ما يسمى «**بالواقعية**» وبنت قوتها النوويةالضاربة المستقلة بل وبدأت تناقش فى عهد ديجول مسألة انسحابها من حلف شمال الاطلنطى •

أما فى **الشرق** فقد انفردت الصين بسياسة معارضة للاتحاد السوفيتى واغلب دول المعسكر الاشتراكى فى اوربا ، وبدأت صراعا فكريـا وسياسيا عنيفا ضد الاتحاد السوفيتى واغلب الدول الاشتراكية والاحزاب الشيوعية فى العالم • واتخذت رومانيا مواقف مستقلة خاصة بها فى عديد من القضايا الـدولية وبدأت تتبـع خطها الخاص وبدأت تطالب بحل حلف وارسو وانضمت البانيـــا الى الصـــين فى صراعها ، واحتفظت يوغسلافيا بموقفها التقليدى ، ثم انقسم عدد من

حسابات عام ١٩٦٩

عبد الناصر وشواين لاى . الصـــين تؤيد حق شعب فلسطين فى استرداد حقوقه والعودة الى وطنه واعلان تأييد الجهود السـلمية التى بدأت بمؤتمر كولومبو لحل مشكلة النزاع بين الصين والهند .

٢٢ — القوات السورية تغادر العراق .

٢٤ — اقتراح عبدالناصر دعوة مؤتمر للرؤساء والملوك العرب فى القاهرة لدراســة الموقف العربى الراهن والحيلولة دون تدهوره وابلاغ هذا الاقتراح للجامعة العربية .

— الاسطول التركى يتجـــه الى قبرص استعدادا للتدخل المسلح على أساس أن عمليات عسكرية قـد وجهت لابادة الاتراك فى قبرص .

٢٩ — وصول وفد برلمانى بريطانى الى عـدن للتحقيق فى الاوضاع هناك بعد حادثة القنبلة التى القيت على حاكم عدن .

— مكاريوس يرفض تدخل اليونان وتركيا ويفضل مساعدة بريطانيا لحل أزمـة قبرص . الاشتباكات تعود من جـديد بين الاتراك واليونانيين .

٣٠ — اتفاق الاتراك واليونانيين فى قبـرص على وقف اطلاق النار .. وانشـاء منطقة محايدة بين الطرفين .

عام ١٩٦٤

يناير

١ — المنشقون من الحزب الاشتراكى الايطالى على بترو نينى يتهمونه بانه حول الحزب الى داعية لحلف الاطلنطى .

٢ — تولى الجنرال رابين قيـادة الجيش الاسرائيلى خلفا لزفى تسور .

● أعلن الرئيس القبرصى مكاريوس الغاء معاهدة الضمان ومعاهدة التحالف المعقودة بين قبرص وكل من بريطانيا واليونان وتركيا

● حل اتحاد روديسيا ونياسالاند بعد ١٠ سنوات من انشائه ، فانتهت بحله اكبر مستعمرة باقية من المستعمرات البريطانية فى افريقيا .

٣ — سيلان تؤمم جميع شركات البترول فى بلادها .

٥ — بدأت القيادة البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط عمليات حربية واسعة ضد القبائل الثائرة فى الجنوب المحتل .

٦ — وقع الوفد الاقتصادى العربى بروتوكولات اقتصادية مع بولندا والمانيا الديمقراطيـة ويوجوسلافيا والمجر حققت زيادة ٢٠ ٪ فى حجم تجارة ج.ع.م. مع هذه البلاد وبلغ حجم الاتفاقيات ١٦٠ مليون دولار .

٧ — بدأت المحادثات الثقافية بين أمريكا والاتحاد السوفيتى فى موسكو لعقد اتفاقية للتبادل الثقافى والعلمى والزراعى والصناعى بين الدولتين .

٩ — بدأت فى القاهرة اجتمـاعات اللجنـة العمالية الدولية لناصرة عمال وشعب عدن.

٩ — صدر قانون انتخابات مجلس الامة .

١٠ — اعلنت حـكومة بناما الغاء المعـاهدة

الاحزاب الشيوعية فى العالم الى اتجاهات مناصرة للسوفيت ، وأخرى مناصرة للصين .

وظهر التفكك بوضوح فى معسكر عدم الانحياز بسبب التطورات الخطيرة التى آلت اليها الامور فى بعض البلاد الرائدة فى هذه السياسة ، اذ اختفى الرئيس « سوكارنو » من مسرح اندونيسيا السياسى بعد انقلاب سبتمبر ١٩٦٥ ، وبدأت « انديرا غاندى » فى الهند تجابه مؤامرات اليمين وتفاقم المشكلات الذاتية الضخمة للقارة الهندية وخفتت مبادرات الهند الدولية تحت وطأة صراعها الداخلى ، وفى افريقيا اطاحت الانقلابات العسكرية بحكم الرئيسين نكروما ، وموديبوكيتا فى غانا ومالى ، وتعرضت مصر ولازالت تجابه اخطر مؤامرة امبريالية وجهت ضدها بالعدوان الصهيونى وضد الوجود القومى العربى ، منذ تحقيق استقلال مصر القومى .

مناخ أكثر ملاءمة للقوى الامبريالية

حالة التسيب هذه والتفكك الشامل للمعسكرات الدولية خلقت مناخا دوليا جديدا اكثر ملاءمة — بحكم متطلبات القرصنة الدولية — للقوى الامبريالية التى « استفردت » بالحلقات الدولية الضعيفة فى الدول الوطنية الفتية ، وعمدت الى الاجهاز عليها الواحدة بعد الاخرى بغية استعادة النفوذ الامبريالى المتدهور عالميا ، فيها .

والحقيقة ان ما آلت اليه اوضاع القوتين الاعظم فى العالم اللتين كانتا تتكفلان فى المشاكل الاستراتيجية الملحة بتوفير مظلة التغطية الدولية لاى حلقة سياسية تواجه تدهورا سياسيا او عسكريا مفاجئا ، واعنى بهما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية هو الذى يفسر الى حد كبير سر بروز العوامل الذاتية المحلية فى تحديد مصائر الدول فى هذه الحقبة التاريخية الفريدة فى تشابكها وتعقيداتها .

فالاتحاد السوفيتى كان يقف على رأس المعسكر الاشتراكى بأسره ، وتقف وراءه بثبات كل دول حلف وارسو فى أوربا ، والصين الشعبية فى آسيا ، وتقف وراءه كذلك دون تحفظ اقوى الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة فى العالم فى ايطاليا ، وفرنسا ، وأندونيسيا ، والهند وكافة الاحزاب الشيوعية الاخرى ، ذلك ان وضع الاتحاد السوفيتى اليوم مختلف عن وضعه السابق ، اذ يواجه اليوم بالاضافة الى اعباء المجابهة السوفيتية الامريكية الضخمة ، اعباء المجابهة السوفيتية — الصينية التى استجدت اخيرا ، واتخذت فى بعض الفترات حتى طابعا مسلحا . ويواجه كذلك مشاكل دول حلف وارسو من مواقف رومانيا ، واضطراب اوضاع تشيكوسلوفاكيا وغيرها من مشاكل هذا الحلف ، كذلك يواجه الاتحاد السوفيتى تحفظات بعض الاحزاب الشيوعية القوية غير الحاكمة فى القارة الاوربية مثل الحزب الايطالى وبدرجة اقل الحزب الفرنسى ، الامر الذى يقلل من احتياطى القوة السياسية التى كانت تساند سياسته العامة فى القارة الاوربية ، خاصة بعد ظهور عديد من التجمعات السياسية المعارضة للخط الشيوعى السوفيتى ، فيما يسمى بالاحزاب « الماوية » الصغيرة فى القارة الاوربية التى توجه هجماتها ضد سياسة الاتحاد السوفيتى . ليس ذلك فحسب ، بل تاثر وضع الاتحاد السوفيتى السياسى الحالى كذلك ببروز نوع من الصراع بين حركات الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية المتأثرة باتجاهات كاسترو وجيفارا وماوتسى تونج وهوشى منه ، والتى ترفع هى ايضا رايات الماركسية اللينينية ، وبين كافة الاحزاب الشيوعية الاصلية فى أمريكا اللاتينية التى تعتبر مناصرة للخط السوفيتى عامة كذلك تأثر الاتحاد السوفيتى بتحول الحزب الشيوعى الاندونيسى وهو أقوى حزب شيوعى غير حاكم فى آسيا الى الخط « الماوى » وتعرضه بعد ذلك لعملية تصفية دموية عنيفة على ايدى جنرالات اليمين الذين تولوا السلطة فى اندونيسيا بعد ابعاد الرئيس سوكارنو ، ثم انقسام الحزب الشيوعى الهندى الى قسمين احدهما مناصر للصين استطاع ان ينتزع الحكم المحلى فى ولايتين هنديتين (البنغال الغربية وكيرالا) ويزيد من نفوذه بشكل ملموس

كل ذلك قد أثر على اتساع العالم المعاصر على احتياطى القوة السياسية السوفيتية فى خارج أراضى الاتحاد السوفيتى . وهناك عامل هام من العوامل التى ازداد تأثيرها على اتجاهات السياسة السوفيتية فى الحقبة الاخيرة ، ألا وهو احتياجات الرفاهية السوفيتية وتحقيق مجتمع الوفرة الذى يسعون اليه ، والتوسع فى صناعات الاستهلاك مثلما أقدم عليه الاتحاد السوفيتى أخيرا من التوسع الكبير فى صناعة سيارات الركوب وغيرها من مثل تلك الصناعات التى تحتاجها ضرورات توفير الرفاهية للشعب السوفيتى وازدهار حياة المواطنين السوفيت . وشىء طبيعى ان يعمد الشعب الذى قدم اعظم تضحية فى الحرب العالمية الثانية (٢٠ مليون مواطن قتيل وجريح) والذى قدم بالذات ، اعظم التضحيات من أجل الشعوب الاخرى شىء طبيعى ان يبدى اهتماما خاصا برفاهيته الذاتية بعد مايزيد على ٥٠ سنة

الدعم والتضحيات المتواصلة من أجل حركات التحرير الوطنية والشعبية ثم من أجل الدول الوطنية الفتية ، علما بان الاتحاد السوفيتي لم يكف عن ذلك الدعم ، انما هو يواصل في الوقت الحالي باخلاص وبتضحيات مستمرة بلا انقطاع ، مساعدته لحركات التحرير الوطنية والشعبية والدول الوطنية الفتية .

كذلك ضمن العوامل التي ادت الى عدم توافر ظروف التغطية الدولية من جانب الاتحاد السوفيتي مثلاء انه عمد الى الارتكان والتركيز على دوره النووي الرهيب في القارة الاوربيــة وتطوير ســلاحه الصاروخي الى الدرجة التي حقق فيها تفوقا صاروخيا ملموسا على الولايات المتحدة فيمــا أسماه الاســتراتيجيون الغــربيون « بفجوة الصواريخ Missile Eck » بيــن الاتحــاد السوفيتي والولايات المتحدة . وهذا شيء ايجابي في حد ذاته ، ولكن الدرع النووي والصاروخي السوفيتي برغم كونه سلاح رهيب خطير حقا ، الا انه سلاح غير مرن ، لا يمكن التلويح به عند كل مشكلة دولية تكتيكية . هذا العامل اتاح للولايات المتحدة تفوقا استراتيجيا معينا من ناحيتها وقدرة اكبر على الحركة فيما سمي باستراتيجية « الرد المرن » القائمة لا على مجرد الاستنباط الى السلاح النووي الخطر دائما ، وانما على الاسلحة التقليدية وشبكة القواعد العسكرية الامريكية المنتشرة في مختلف بقاع العالم ، وقوات المظليين وقوات مشاة الاسطول التي يمكن انزالها في أي وقت في اي بقعة من العالم .

وربما يكون هذا الوضع هو الذي دعا الاتحاد السوفيتي أخيرا الى احداث ذلك التغيير في استراتيجيته الذي اشــار اليــه العــديد من الاستراتيجيين الغربيين ، والذي يقوم على انشاء قوات شبيهة بمشاة الاسطول الامريكيين ، والعمل على انشاء حاملات للطائرات وقوات مظلييــن وقوات جاهزة للعمــل المباشر في اي بقعــة من بقاع العالم .

والولايات المتحدة أيضا

على ان انكشاف الوحدات الدولية الاصغر لعدم توافر التغطية الدوليــة الكافية بسبب ظروف المعسكر الاشتراكي ، لا ينطبق فحسب على الدول الوطنية الفتية في القارات الثلاث وانما هو ظاهرة دولية عامة في الحياة الدولية تنطبق كذلك على الوحدات الدولية الاصغر التي كانت ولاتزال تعول على التغطية الدولية من جانب الولايات المتحدة الامريكية . وليس من شك في ان الوحدات الدولية الاصغر العميلة للولايات المتحدة او المناصرة لها في جنوب شرقي آسيا على سبيل المثال ترتعد

حسابات عام ١٩٦٩

المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة بشأن تأجير قناة بناما كما اعلنت قطع العلاقات مع الحكومة الامريكية .

● فرنســا تنشيء قاعــدة في تاهيتي للتجارب الذرية .

١٢ ــ وقع انقــلاب في زنزبار وطرد الثوار السلطان ورئيس وزرائه .

١٣ ــ بدأ مؤتمر الملوك والرؤساء العرب . مؤتمر القمة العربي الاول اجتمــاعاته في القاهرة .

١٤ ــ طالبت الجــزائر بتعديل معاهدة ايفيان لتزيد نصيبها من البترول .

١٧ ــ انتهى مؤتمر القمة الاول من اعماله .

● المانيا غربية تعرض استعدادها للقيام بتمويل مشروع تسـد الفرات في شــمال ســـوريا .

٢٠ ــ استولى عمال اندونيسيا على المصانع والمزارع البريطانية ردا على احتجاز بريطانيا لسفينتين اندونيسيتين في هونج كونج .

٢١ ــ رفض ديجول احتجاج امريكا على اعتزام فرنسا الاعتراف بالصين الشعبية .

٢٤ ــ طلبت حــكومة كينيا قوات بريطــانية لمواجهة كل الاحتمالات بعد احداث زنزبار وتنجانيقا .

٢٥ ــ ارسلت بريطانيا قواتها الى تنجانيقــا وكينيا واوغندا بناء على طلب رؤساء هذه الدول « المستقلة » حديثا .

٢٦ ــ بدأ الاسطول البريطاني في ضرب دار السلام بالقنابل . وأعلن الاتحاد السوفيتي تاييده لزنزبار اذا وقع هجوم بريطاني عليها

● عمت المظاهرات مدن ليبيا .

٢٧ ــ اعلنت فرنسا اعترافها رسميا بالصين الشعبية وتبادل التمثيل السياسي معها على مستوى السفراء .

٣٠ ــ اطلق الاتحاد السوفيتي سفينتي فضاء معا بصاروخ واحد .

٣١ ــ شــن ديجــول هجــوما سياسيا على السياسة الامريكية وخاصة في جنوب شرق آسيا وطالب بتحييد المنطقة . واعلن ديجول ان الولايات المتحدة وراء الانقلاب العسكري الاخير الذي حدث في سايجون .

فبراير

٢ ــ وصلت سفينة الفضاء الامريكية الى القمر

٦ ــ اعلن الرئيس الامريكي جونســــون في معهد وايزمان الصهيوني ان حكومة الولايات المتحدة بدأت محادثات مع اسرائيل بشأن الابحاث التعاونية باستخدام الطاقة الذرية في تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة .

٦ ــ قطعت كوبا الماء عن قاعدة جوانتانامو الامريكية ردا على اعتقال الصيادين الكوبيين

٧ ــ انشاء اول شركة وطنية للبترول في العراق .

٨ ــ اعلنت امريكا فرض عقوبات اقتصــادية جديدة ضد كوبا .

● بدا قتال عنيف بين اثيوبيا والصومال

١١ ــ وقف القتال بين الصومال واثيوبيا .

١٤ ــ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر في رده على رسالة خروشــوف ان ج.ع.م. تؤيد اقتراح خروشــوف بشأن الامتنــاع عن استخدام القوة في مشاكل الحدود والمنازعات الاقليمية ، وقال عبد الناصر بان « اقتراح

فرائصها أمام احتمال الانسحاب الامريكي من آسيا ، الذى يتركها وحيدة أمام الثورات الشعبية التقدمية المتصاعدة فى القارة الاسيوية ، والذى يعنى بشكل أولى بدء انحسار مظلة « التغطية الدولية » الامريكية عن الدول الاسيوية الصغيرة التى تحكمها مجموعات عميلة للولايات المتحدة او موالية لها • هذا الانسحاب الامريكى العام من آسيا والذى يمكن ان يبدأ بالانسحاب من فيتنام ، يشكك هذه الدول الصغيرة فى قيمة « الحماية » الامريكية و « التعهدات » والالتزامات التى تأخذها الولايات المتحدة على عاتقها • وليس صدفة ان أعلن كارلوس رومولو وزير خارجية الفلبين فى ٩ ديسمبر الماضى « بانه من انصار توقيع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية على معاهدة عدم تدخل يستهدف ضمان أمن آسيا ، على فرض انسحاب القوات الامريكية من الفلبين وذكر رومولو ، « ضرورة ان تنص هذه المعاهدة التى تضمنها هذه الدول على وجوب عدم تصدير جيوش التحرير »

والحقيقة ان مبدأ « فيتنمة الحرب » فى صورة من صوره ليس الا انعكاسا اوليا لبدء انحسار مظلة « التغطية الدولية » الامريكية عن فيتنام كبداية لانحسارها العام عن آسيا وان يكن ذلك فى مدى استراتيجى ليس بالقريب أو المباشر • ومعنى فيتنمة الحرب بالنسبة لحكام فيتنام الجنوبية « انه على القوى العميلة للولايات المتحدة فى هذا البلد ، ان تخوض معركتها وحيدة ضد الشيوعيين » ، ومعناه بالنسبة لاسيا - واضح كل الوضوح - وهو من وجهة نظر الامريكيين : « دع الاسيويين يقتلون الاسيويين »

وعلى اية حال فان الهزيمة الامريكية الواضحة فى فيتنام يمكن كذلك ان تكون نذيرا بفقد الولايات المتحدة لمركزها كقوة دولية أولى ، وتحولها فى مدى استراتيجى ليس بالبعيد الى قوة دولية كبرى الى جوار سائر القوى الدولية الكبرى الاخرى • ومن شأن ذلك التراجع فى الحقيقة فى قوة الولايات المتحدة بروز أهمية العامل الذاتى المحلى الذى اشرنا اليه سالفا فى تحديد مصير الدول الموالية للولايات المتحدة ، او المناصرة لها خاصة وان الاستراتيجية العسكرية لحكومة « نيكسون » تقوم على خفض القوات التقليدية غير الذرية بدرجة كبيرة ، ومحاولة سد الفجوة الصاروخية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وهو اتجاه مضاد تماما للتعديل الاستراتيجى السوفيتى الذى اشرنا اليه • ومعنى ذلك ان الولايات المتحدة ستواجه بذلك الخفض لقواتها التقليدية - وحسبما اشار عديد من المراقبين العسكريين - مخاطر القصور عن الوفاء بالتزاماتها العالمية فى عمليات « التغطية الدولية » مما يزيد من حرج ودقة وضع الدول الموالية او المناصرة لها فى السبعينات ازاء اى اختبار للقوة ، لاتصمد فيه قواها الذاتية المحلية . ومن ناحية اخرى فان تفاقم مشكلات المجتمع الامريكى الداخلية كمشكلات الفقر والشباب والزنوج ، سيمتص مع المستقبل قدرا اكبر من طاقة الولايات المتحدة التى تبدد فى الشئون الخارجية •

الا ان الحقيقة التى ينبغى ان نعيها جيدا فى نفس الوقت هى ان الولايات المتحدة ، لا تزال تمتلك ، برغم تلك البوادر ذات الدلالة ، القدرة الكبيرة نسبيا على التغطية الدولية ، واعمال العدوان الدولى ، ووأد الثورات الوليدة بالتدخل المسلح كما حدث فى الدومينيكان على سبيل المثال • وهذا عامل ينبغى ان تضعه الدول الوطنية الفتية فى اعتبارها ، على اساس ان تعد نفسها هى ذاتيا لمجابهة اى احتمال بعدوان خارجى ، ولا تعول فقط على عون خارجى الا بالقدر الذى تسمح به واقعيا ظروف تلك القوى الاعظم فى عالم اليوم التى تساند الحرية والاشتراكية والسلام • وان تدرك القوى التقدمية فى الدول الوطنية الفتية كى تكون اكثر احساسا بالواقع الدولى المعاصر ، ان بلدا صغيرا كفيتنام الشمالية ، مازال يخوض معركة ضد الولايات المتحدة الامريكية وطيرانها الجبار برغم وجود المعسكر الاشتراكى العالمى بقوته الهائلة ودروعه النووية سواء فى الاتحاد السوفيتى او الصين الامر الذى كان موضع اشارة وانتقاد الثائر الكوبى « تشى جيفارا » الذى اخذ فى رسالته الى شعوب العالم فى ابريل ١٩٦٧ على القوى الاعظم فى المعسكر الشيوعى « انها لم تجعل من فيتنام الشمالية ارضا اشتراكية مصونة لا تمس » •

كذلك تنبىء حقائق الوضع الدولى ونحن فى مطلع السبعينات بأن الدول الوطنية الفتية أصبحت تفتقر الى مجرد « التجمع الدولى التقدمى » حتى على المستوى السياسى • ولم تعد هناك امكانية واقعية فى الوقت الحالى لعقد مؤتمر لتضامن قوى التحرر والاشتراكية والسلام فى العالم كمؤتمر « باندونج » سنة ١٩٥٥ على سبيل المثال • الامر الذى يجعل كافة قوى التحرر والسلام مفككة متباعدة لا أمام أفكار العدوان العسكرى المباشر وانما امام الهجمات السياسية للقوى الامبريالية كذلك •

ولعل هذا الوضع يمثل خلفية موقف كل من الفرنسيين والصينيين فى عالم اليوم ، فالفرنسيون يؤكدون على أهمية «العامل الذاتى» الذى اشرنا اليه وهو الذى يفسر حرصهم على بناء « قوتهم النووية الضاربة » الخاصة بهم ، ولعله ايضا هو الذى دفع الصينيين الى بناء قوتهم النووية

المستقلة ، على أساس أن عدم بنائها « تشجيع للامبرياليين الامريكيين على الهجوم على الصين » .

مفاتيح الموقف الدولي

ليس من شك فى أن ادراك مفاتيح الموقف الدولى فى نهاية الستينات ومطلع السبعينات انما يتوقف فى الاساس على ادراك أوضاع وعلاقات القوتين الاعظم فى عالم اليوم وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . كما أنه يتوقف كذلك من ناحية أخرى على متابعة تطور العلاقات بين القوى الاعظم داخل القارة الاوربية نفسها ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى من ناحية ، وألمانيا الغربية من ناحية أخرى ، وتطور العلاقات بين ألمانيا الغربية والدول الشيوعية فى شرق اوربا من ناحية ثالثة لما لها من أهمية كبرى على مصير قضية الامن الاوربى والتعايش السلمى بين النظامين الاجتماعيين فى القارة الاوربية . كذلك لابد أيضا لادراك مفاتيح تطور العلاقات الدولية فى مطلع السبعينات من متابعة علاقات القوتين الاعظم فى المعسكر الشيوعى العالمى وهما الاتحاد السوفيتى ، والصين الشعبية وكذلك تطور المحادثات الامريكية الصينية التى كانت تدور عادة فى بولندا ، وذلك قبل متابعة اهم التطورات الدولية فى عدد من البلدان على مستوى قارات العالم المختلفة .

محادثات هلسنكي

ففيما يتعلق بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وقع كل منهما فى وقت واحد فى ٢٤ نوفمبر الماضى ، وثيقة التصديق على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية . كما بدأت بين البلدين فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٩ فى هلسنكى محادثات بين الجانبين لوضع جدول أعمال لمفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية التى يتوقع كثير من المراقبين السياسيين أن تبدأ فى الشهور الاولى من هذا العام . ونجاح هذه المحادثات التمهيدية معناه اتفاق الجانبين على انواع الاسلحة الاستراتيجية التى ستدور حولها المفاوضات والاولوية التى ستعطى لبعض هذه الاسلحة فى المفاوضات وموعد ومكان اجرائها . ومما هو جدير بالذكر أن التعليقات التى صدرت من المسئولين الامريكيين عن هذه المحادثات وحتى كتابة هذا المقال - جاءت ايجابية على العموم تشيد بجدية الجانب السوفيتى فى المفاوضات . على انه من النقاط التى ينبغى ان تدرك بشكل واقعى هى أن هذه المحادثات لا تستهدف - حتى الآن - التخلص مما لدى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة من أسلحة استراتيجية نووية تكفى لدمار العالم عدة مرات ،

حسابات عام ١٩٦٩

خروشوف قد فرق بين مشاكل الحدود وبين خطر الاستعمار وتهديد قواعده للشعوب »

١٨ - انقلاب عسكرى فى جمهورية جابون (افريقيا) .

مارس

٣ - ارسال قوة دولية الى قبرص .

٤ - عودة العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وج.ع.م.

● اتفق على أن تحصل ج.ع.م. على ٣٠ مليون جنيه من حصيلة فائض الحاصلات الزراعية الامريكية على ان تسدد خلال ٤٠ عاما بالعملات المحلية بفائدة ٣/٤٪ .

٧ - تأميم ١١ شركة للتجارة الخارجية فى ج.ع.م.

٨ - تأميم الارض والممتلكات البريطانية فى زنزبار .

٩ - تأميم ١١٩ شركة للمقاولات فى ج.ع.م.

١٤ - البرازيل تستولى على الشركات الاجنبية وتصدر قانونا للاصلاح الزراعى .

١٧ - توقيع اتفاق التعويضات بين المانيا الغربية واسرائيل لعام ١٩٦٤ .

٢١ - انتخب اول مجلس امة فى ج.ع.م. بعد صدور ميثاق العمل الوطنى فاز فيه ١١٣ فلاحا و٧٣ عاملا و١٦٢ من الفئات الاخرى، طبقا للتعريف الذى اقرته « لجنة المائة » .

٢٢ - صدر قانون فى ج.ع.م. يقضى بأن تؤول الى الدولة بدون مقابل ملكية الاراضى الزراعية التى تم الاستيلاء عليها طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى .

٢٣ - صدر قرار جمهورى بانهاء العمل بقوانين حالة الطوارىء فى ج.ع.م. والافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين .

● افتتاح المؤتمر العالمى للتنمية والتجارة فى جنيف .

أبريل

٨ - الاتحاد السوفيتى يلغى التعريفة الجمركية على واردات الدول النامية .

١٨ - صدر قرار وزارى فى ج.ع.م بحل الجمعيات الماسونية بها .

٢٢ - تأميم مزارع المطاط الامريكية فى اندونيسيا .

٢٣ - انشاء اتحاد بين زنزبار وتنجانيقا وسمى الاتحاد الجديد « تنزانيا » .

٢٣ - الرئيس عبد الناصر يزور جمهورية اليمن

٢٨ - اعلان الدستور اليمنى الجديد المكون من ١٥٣ مادة .

مايو

٣ - اعلان الدستور العراقى المؤقت .

٤ - الاتحاد السوفيتى يواصل سحب صواريخه الضخمة من كوبا .

٦ - خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يبدأ رحلته لاول مرة الى القاهرة فى زيارة رسمية بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر

● صلاح البيطار يؤلف وزارة جديدة فى سوريا .

١٤ - تم تحويل مجرى النيل الى مجراه الجديد واتمام المرحلة الاولى فى بناء السد . حضر خروشوف وعبد الناصر الاحتفالات .

٢٤ - قرض جديد من الاتحاد السوفيتى لـ ج.ع.م. قدره ٢٥٢ مليون روبل .

وانما هى تستهدف فحسب الحد من انتاج هذه الاسلحة ووقف تطوير وتخزين المزيد منها ، والحد كذلك من توزيعها فى الوقت الحاضر •

على أنه اذا كان العديد من المراقبين السياسيين يصفون هذه المحادثات بأنها أهم محادثات دولية ثنائية منذ ١٩٤٥ ، والبعض الاخر يصفونها ، بأنها من أخطر المحادثات شأنا فى تاريخ العالم ، فمما لاشك فيه أن لها تأثيرا هاما حقا على تطورقضية السلم العالمى ، ومن أجل توفير الموارد المالية الطائلة التى تنفق على سباق التسلح النووى فيما يمكن أن يعود بالخير على الشعبين الامريكى والسوفيتى وعلى كافة شعوب العالم. لكنه ينبغى ألا تكون لدينا هنا وبخاصة فى الشرق الاوسط أية أوهام عن تأثير تلك المحادثات على موازين القوى الدولية ، وعلى آثارها المباشر فى حقل السياسة العملية ، على المستوى التكتيكى وحتى الاستراتيجى القريب كذلك • لانه اذا كانت القوتان الاعظم ستجريان مفاوضاتهما على اساس محاولة الاتفاق على الحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية ، الا ان كلا منهما لن تقبل بحال أى اجراء يمكن ان يترتب عليه اضعاف قوتها الذاتية والاخلال بميزان القوى العالمى فى هذا المجال ضد مصالحها القومية • وبالتالى ينبغى ألا تكون هناك أية أوهام عن تأثير تلك المفاوضات على نتائج الصراع المحتدم فى مناطق الاصطدام الدولى فى فيتنام والشرق الاوسط ، لان مفاوضات كهذه تستغرق عادة آمادا زمنية ليست بالقصيرة ، كذلك حتى لو سارت القوتان الاعظم خطوات على طريق الاتفاق على الحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية الا أن كلا منهما ستحتفظ بموقف صراعى تجاه الاخرى فى مناطق الاحتكاك الدولى ، ونتائج الصراع فى هذه المناطق ستتحدد أساسا بناء على جهود ودور القوى الذاتية المحلية ، لصالح ثورة التحرر الوطنى العالمية المعادية للاستعمار أو ضد مصالحها .

تخفيف التوتر بين أوربا الغربية والشرقية

ليس هناك شك فى أن العلاقات بين الدول الاوربية الغربية وبين دول أوربا الشرقية ، تمثل احد المفاتيح الهامة للامن الاوربى والعالمى، وليس من شك ايضا فى ان المانيا الغربية تحتل مكانا هاما فى تقرير مصير هذه العلاقات • وذلك بالنظر الى انها وريث النظام الاحتكارى الالمانى الذى اشعل نيران حربين عالميتين • وهى كذلك الدولة التى تتركز فيها ثانية قوات عسكرية ضخمة ، يمكن أن تستخدم مرة أخرى بأيدى العسكريين الانتقاميين والنازيين الجدد لاعمال العدوان والانتقام فى القارة الاوربية ، ولذا فان وصول المستشار الالمانى الغربى الجديد فيلى برانت زعيم الحزب الاشتراكى الديموقراطى الى السلطة وبدء اتباعه لسياسة جديدة تقوم على ما أسماه « الواقعية » و « الانفتاح على أوربا الشرقية » انما هو علامة ايجابية دون شك على طريق تطور العلاقات بين الدول الاوربية الغربية ودول شرق أوربا الشيوعية من ناحية وعلى طريق تطور قضية الامن الاوربى عامة من ناحية أخرى •

أوربا الغربية

أهداف سياسة برانت الجديدة

وقد اتضح التغير الذى طرأ على سياسة المانيا الغربية تجاه دول أوربا الشرقية فى ٣ مواقف : أولها الاقتراح الرسمى الذى تقدمت به المانيا الغربية الى بولندا يوم ٢٥ نوفمبر الماضى لاجراء محادثات تتناول مسائل الحدود • والثانى الاقتراح الذى تقدمت به بون الى الاتحاد السوفيتى لاستصدار تعهد مشترك بعدم الاعتداء والتخلى عن استخدام القوة بين الجانبين • والثالث ما ألمح اليه فيلى برانت فى نيويورك فى ١٠ نوفمبر الماضى من استعداد للعمل على عقد اتفاقية تتيح شكلا من الاعتراف بحكومة المانيا الديموقراطية •

والحقيقة انه اذا كان فيلى برانت هو صاحب التعبير الشهير عن أن المانيا الغربية « عملاق اقتصادى وقزم سياسى » ، فمما لا شك فيه ان ايجابية هذا الرجل السياسية فى الوقت الحالى وواقعيته ازاء الحقائق الملموسة للقوة فى القارة الاوربية عامة وفى اوربا الشرقية خاصة ستجعل له صوت مسموع فى حقل السياسة الاوربية ، ستزداد قامة القزم السياسى الالمانى به طولا مع مر الزمن وهو ما نعتقد أن « فيلى برانت » يهدف اليه فعلا • صحيح أنه أعلن فى ١٠ نوفمبر الماضى فى نيويورك « أن المرء بامكانه أن يتحدث عن المانيا جديدة لا تتطلع الى القيام بدور جديد كقوة عالمية بما يصاحب هذا التعبير من خصائص عسكرية » ، وصحيح أنه أعلن كذلك « اننا لا يمكن أن نحقق ذلك حتى لو رغبنا فيه » بالنظر الى تقديره الواقعى لما أصبحت عليه جحافل الجيوش السوفيتية وجيوش دول حلف وارسو من قوة ضخمة • ولكن مما لاشك فيه ان فيلى برانت بالذات هو دون كافة المستشارين الذين تولوا دفة السياسة الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية الذى يطمح باتجاهه السياسى الجديد لان يجعل من المانيا الغربية « قوة عالمية » • ووسيلته هذه المرة ليست هى الوسيلة التقليدية لمستشارى المانيا السابقين ، أعنى بها القوة

العسكرية الباطشة التى ادت بالمانيا الى الدمار والهزيمة المرة فى حربين عالميتين ، وانما وسيلته هذه المرة هى الاقتصاد والتجارة والتفـوق التكنولوجى ٠

« الاقتصاد » بدلا من « المدفع »

فالمباحثات الالمانية الغربية على سبيل المثال تدور على زيادة التبادل التجارى بين البلدين ودراسة المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصـادى والتكنولوجى والانتاجى طبقا لما تحقق مع فرنسا ٠

بل لقد زاد الالمان الغربيون بالفعل فى التسعة الشهور الاولى من العام الماضى مشترياتهم من بولندا بنسبة ١٤ فى المائة عما كانت عليه فى نفس الفترة عام ١٩٦٨ ، واعربوا عن استعدادهم لتـزويد بولندا بقرض يبلغ حسبما جاء فى معظم الانباء ٥٥٠ مليون دولار لتمويل مشتريات بولندا من ألمانيا الغربية ٠ كما انتهى الحظـر الذى كان البوندستاج قد فرضه على توريد انابيب الصلب الضخمة الى دول الكتلة الشرقية وتلقت ألمانيا الغربية عرضا من الاتحاد السوفيتى لشراء أنابيب صلب يعد أضخم عرض عرفته منذ انشائها حتى اليوم ، كما وافق الاتحاد السوفيتى على تزويد ألمانيا الغربية بالغاز الطبيعى الذى تنتجه سيبريا لمدة ٢٠ عاما وهى صفقة رأت دوائر بون أن من شأنها أن تدفع الى الامام بسياسة التقارب المفتوح مع دول شرق أوربا ٠.

والحقيقة أن تصريحات الرئيس الالمـانى الغربى « **جوستاف هاينمان** » فى **١١ من الشهر** الماضى والتى جاء فيها « انه يؤدى على الدوام قيام « **الولايات المتحدة الاوربية** » التـى تطلع الجميع الى قيامها بعد الحرب مباشرة » ، وانه ظل مخلصا لمفهوم « **اوربا الموحدة** » الذى طرح على مؤتمر لاهاى عام ١٩٤٨ ، والذى ينص علـى **استقلال اوربا عن واشنطون وعن موسكو** ، انما يلقى لنا الضوء فى الحقيقة على المجال الحيوى الذى يريد الالمان الغربيون أن يلعبوا من خلاله دورا بارزا على مسرح السياسة الاوربية ، ومايمكن قوله بوجه عام هنا بصدد التطورات الاخيرة فى سياسة بون ، أن نجاح محادثات بون ـ موسكو بشأن عدم الاعتداء وعدم اللجوء الى القوة سيكون دون شك احد الظروف الملائمة للاسراع بعقد مؤتمر الامن الاوربى ٠

ردود فعل مؤتمر موسكو

أكد كافة المراقبين السياسيين الاوربيين أن أهم النقاط التى وضعت فى جدول أعمال مؤتمر القمة

حسابات عام ١٩٦٩

٢٦ ـ توقيع اتفاقية للتنسيق السياسى بين العـراق وج.ع.م. (انشاء مجلس رئاسى مشترك) .

٢٧ ـ وفاة نهرو واحراق جثمانه حسب التقاليد

٢٨ ـ افتتـاح المؤتمـر القومى الفلسـطينى بالقدس .

يونيه

١ ـ شاسترى يخلف نهرو فى رئاسة وزارة الهند وحزب المؤتمر .

٢ ـ صدور توصيات المؤتمر العربى الفلسطينى وتشكيل كتائب عسكرية فلسطينية .

٨ ـ حكومة زنزبار تؤمم جميع المرافق العامة

١٥ ـ قرر مؤتمر التجارة والتنميـة الدولى انشاء مجلس عالمى للتجارة .

يولية

١ ـ اعلن الاسقف مكاريوس مقاطعة مؤتمر الكومنولث احتجاجا على موقف بريطانيا من قبرص .

● كينيا تصادر جميع مزارع الاوروبيين ولن تدفع لهم تعويض .

٢ ـ استقلال روديسيا الشمالية وانشاء دولة مالاوى .

١٢ ـ توفى موريس توريز السـكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى ومؤسسه .

١٤ ـ تاميم البنـوك والشركات الـكبرى فى العراق .

١٧ ـ بدء انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة وقد حضرته وفود ٣٣ دولة وممثلون لجميع حركات التحرر الافريقية .

١٩ ـ اعلان تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى للاقليم السورى .

٢٢ ـ اعتراف الاردن بجمهورية اليمن .

٢٣ ـ نسف باخرة نجمة الاسكندرية فى ميناء الجزائر .

٢٩ ـ استقالة حكومة البيطار لرابع مرة من رئاسة الوزارة فى سوريا .

٣١ ـ سـفينة الفضاء الامريكية (وينجـر ٧) تصطدم بالقمر بعد تصويره

أغسطس

٤ ـ دخول ثوار الكونغو مدينة ستانلى فيل واعلان قيام الجمهورية الشعبية فى الكونجو

● امريكا تضرب فيتنام الشمالية بعـد حادث مهاجمة المدمرة الامريكية .

٦ ـ انذار صينى الى امريكا بعد ضرب فيتنام الشمالية .

٩ ـ تركيا تهاجم قبرص من الجو والبحر .

١٤ ـ كينيا تأخذ بسياسة الحزب الواحد .

١٩ ـ تجدد القتال العنيف بين قوات ماليزيا واندونيسيا فى شرق الملايو .

٢٠ ـ حل مجلس اتحاد العمال فى سوريا

٢١ ـ توفى تولياتى زعيم الحزب الشـيوعى الايطالى .

٢٨ ـ مباحثات الاسـقف مكاريوس الرئيس القبروصى مع الرئيس عبـد النـاصر فى الاسكندرية .

٢٩ ـ هجوم عنيف من خروشوف على الصين الشعبية .

سبتمبر

٥ ـ انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الاسكندرية

٧ ـ فرنسا تخفض معونتها للجزائر بمقدار

لدول حلف وارسو فى موسكو الذى انعقد فى ٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، كانت الاتفاق على سياسة مشتركة ازاء موقف حكومة بون الجديد ، وبحث مسألة الدعو الى عقد مؤتمر للامن الاوربى تحضره جميع الدول الاوربية . ففيما يتعلق بالنقطة الاولى أشارت وكالة الانباء الفرنسية فى أوائل ديسمبر الماضى الى أن ألمانيا الشرقية تعليقا منها على التقارب البولندى الالمانى الغربى قد أوضحت أنه لا ينبغى لبلد من بلاد حلف وارسو أن يحدد بطريقة منفردة سياسته مع بون . ولعل ذلك كان احد الاسباب فى الاولوية التى خطت بها هذه المسألة مع افتراض أهمية هذه النقطة أصلا بالنسبة لدول أوربا الشرقية عامة .

وقد اتضح التقييم الذى توصل اليه مؤتمر القمة فى موسكو بالنسبة لخطوات بون الجديدة فى البيان المشترك الذى أصدره المؤتمر . وقد جاء فيه « ان نتائج الانتخابات التى اجريت فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وتشكيل الحكومة الالمانية الجديدة يعتبران بمثابة تعبير عن التغييرات التى طرأت على الرأى العام الالمانى ، وعن ظهور اتجاهات تميل الى سياسة التعاون الواقعية والفهم المتبادل بين الدول ، وأن المشتركين فى المؤتمر يعتبرون توقيع جمهورية ألمانيا الاتحادية على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية بمثابة خطوة ايجابية » . لكنهم أشاروا فى نفس الوقت الى انه « لا ينبغى اغفال نشاة قوى انتقامية واخرى نازية جديدة فى المانيا الغربية ، تلك القوى التى تتطلب يقظة دائمة » . كما أكد مؤتمر القمة فى بيانه المشترك تأكيدا له اهميته بالنسبة لجمهورية ألمانيا الديموقراطية ، جاء فيه :

« ان مصلحة السلام والامن تتطلب أن تقيم كافة الدول علاقات الند للند مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، وذلك على أساس القانون الدولى ، وأن تعترف هذه الدول بالحدود القائمة حاليا فى أوربا : ومن بينها حدود الاودرنيس على نهـا حدود نهائية لا نقاش فيها » . وقد أوضحت معظم وكالات الانباء الغربية فى ٤ ديسمبر الماضى « أن هذا التأكيد الذى أعطى الاولوية للاعتراف بألمانيا الشرقية عن الاعتراف بالحدود القائمة فى أوربا قد جاء ترجيحا لوجهة نظر فالتر أولبريشت زعيم ألمانيا الديموقراطية الذى يعتقد أن المشكلة الاساسية فى العلاقات مع ألمانيا الغربية ، تكمن أساسا فى الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديموقراطية .

ايطاليا بين الديمقراطية البورجوازية والبروليتارية

والحقيقة ان الاهتمام الكبير الذى ينبغى أن نراقب به تطور الموقف فى ايطاليا ابتداء من عام ١٩٧٠ ، لا يرجع كما هو الحال بالنسبة لالمانيا الغربية الى تطور سياستها الخارجية تطورا ملموسا فى اتجاه معين . وانما فى محاولة التعرف على مصير تطورها الداخلى ، بعد حالة الاضطراب الشاملة والاضرابات والمظاهرات التى عمت هذا البلد طوال عام ١٩٦٩ ، وبدأت حتى قبل بداية ذلك العام بعدة شهور . وقد تمثلت تلك الحالة اخيرا فى الاضراب الشامل الثالث خلال ١٩٦٩ الذى اشترك فيه من ١٠ الى ١٢ مليون عامل يمثلون نصف القوى العاملة فى ايطاليا .

والواقع ان استقراء تطور ازمة الحكم فى ايطاليا انما يوضح انها أصبحت على اعتاب مرحلة سياسية خطيرة حقا فى تاريخها . ذلك لان فشل صيغة « يسار الوسط » فيها اصبح لايعكس فى الاونة الاخيرة مجرد ازمة سياسية عابرة أو نقصا فى المقدرة السياسية لزعماء الاحزاب البورجوازية الكبرى فى ايطاليا ، وانما أصبح يعكس ازمة نظام « الديمقراطية البورجوازية » فى ايطاليا كلـه ، وازمة العلاقات الاجتماعية والطبقية فى المجتمع الايطالى ، مما يضع هذا النظام بأسره موضع تساؤل .

وقد أشارت وكالة الانباء الفرنسية فى منتصف شهر ديسمبر ١٩٦٩ ـ بناء على ما لمسه مراسلوها فى ايطاليا من تطورات واحداث ـ الى ان ايطاليا تقف اليوم امام نقطة تحول تاريخى بسبب التوتر الاجتماعى والسياسى الذى يجرى فى البلاد منذ الخريف الساخن ، واوضحت «ان الموقف الراهن فى ايطاليا ، يذكرنا أكثر من أى وقت مضى بالجو الذى كان سائدا فيما بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٢ عشية قيام الفاشية . وان هذا التشبيه يجد له ما يبرره فى قائمة الاعتداءات التى وقعت خلال الشهور الستة عشر الاخيرة .

ويبدو ان السخط يعم طبقات الشعب الايطالى بسبب ارتفاع الاسعار بنسبة تزيد عن ارتفاع معدلات الاجور . ولذا كانت معظم الاضرابات الايطالية تنصب عامة على المطالبة بزيادة الاجور وتحسين الظروف المعيشية للعاملين . ومن الواضح لمتتبع الشئون السياسية والاجتماعية الايطالية ان المطالب الشعبية أصبحت تتطلب ضرورة اجراء اصلاحات اقتصادية واجتماعية جذرية لا تستطيعها ولا تستهدفها فى الحقيقة حكومة « الاقلية المؤقتة » المكونة من الحزب الديمقراطى المسيحى وحده ، والذى يخدم مصالح الرأسمال الاحتكارى فى ايطاليا . والمشكلة التى تواجه هذا الحزب بل ونظام الديمقراطية البورجوازية كله فى ايطاليا هى ان جميع الاحزاب

البورجوازية الاخرى لا تستطيع لو دعيت للائتلاف مع الحزب الديمقراطى المسيحى ان تضمن له الاغلبية اللازمة لاقامة حكومة مستقرة فى البلاد . وأصبح الحزب الوحيد القادر على ضمان هذه الاغلبية الساحقة هو الحزب الشيوعى الايطالى الذى ازداد نفوذه بشكل ملموس فى الانتخابات الاخيرة وحقق أكبر نجاح انتخابى له منذ ٢٠ عاما ونجح فى جذب اكبر جزء من قوى الاشتراكية الايطالية الى صفه متمثلة فى الحزبين الاشتراكى الايطالى والاشتراكى البروليتارى . ولكن المشكلة هى ان هذا الحزب هو الحزب الوحيد الذى يرفض الحزب الديمقراطى المسيحى ان يأتلف معه .
والذى عقد مشكلة الحزب الديمقراطى المسيحى ، ليس ذلك الموقف فحسب ، وانما انه لم يستطع هو نفسه الحفاظ على وحدته الذاتية ، فتحت تأثير التقدم العام لليسار ، قاد « الدو مورو » رئيس الوزراء الاسبق ومن زعماء هذا الحزب انشقاقا فى صفوفه دعا بعده « الى التفاهم مع الشيوعيين » وعلى هذا النحو تدهورت أوضاع الحزب الديمقراطى المسيحى الايطالى كأبرز اداة لنظام البورجوازية الديمقراطية فى هذا البلد .

ويمكن القول انه تبرز بالنسبه لايطاليا عدة احتمالات ، هى أن تستمر فترة حكم « الاقلية المؤقتة » بما تنطوى عليه من ضعف وعجز سياسيين وبرلمانيين ، وتحاول البحث عن أغلبية سياسيين وبرلمانيين ، وتحاول البحث عن أغلبية مساندة لها بتجميع كافة الاحزاب الصغيرة « المشبوهة » كالحزب الملكى والحزب الفاشستى . وهو طريق ليس من السهل الاخذ به لاعتبارات الديمقراطية الظاهرية » للنظام . وربما كذلك لعجز تجمع كافة هذه الاحزاب عن احراز الاغلبية المطلوبة الراسخة فى البرلمان الايطالى .

وإما أن تقوم الحكومة باجراء انتخابات عامة . وهنا يمكن للشيوعيين وحلفائهم الاشتراكيين — حسبما تنبىء به المكانة التى اضحوا يتمتعون بها وسط الرأى العام الايطالى — أن يحققوا مكاسب جديدة قد تغرى جناح « الدو مورو » الديمقراطى المسيحى ، بالائتلاف معهم . وبذا يكون الشيوعيون قد تولوا الحكم فى ايطاليا سلميا . الامر الذى سيجعلها الحقيقة الاولى من نوعها فى تاريخ التحول الاشتراكى فى العالم .

وإما أن تستمر حالة الفوضى والاضطراب الاجتماعى وحالة الفراغ السياسى فى البلاد حتى تصل الى حالة من الشلل التام تغرى الحزب الشيوعى الايطالى برفع شعار « الاستيلاء على السلطة » . لكنه من غير المعروف ما اذا كان هذا الحزب قد أعد نفسه لمهام استراتيجية شديدة الخطورة من هذا النوع ام لا ؟ بيد ان المعروف حتى كتابة هذا المقال ان الحزب الشيوعى الايطالى لم

حسابات عام ١٩٦٩

الثلث .

٢٠ — قرض من الاتحاد السوفيتى قدره ٢٨٠ مليون جنيه لاستصلاح ٢٨٠ الف فدان .

اكتوبر

١ — بدء تنفيذ نظام التامين الصحى فى ج.ع.م.

٥ — انعقاد المؤتمر الثانى لرؤساء دول عدم الانحياز بالقاهرة وحضره مندوبون يمثلون ٤٧ دولة .

٦ — منع تشومبى من حضور مؤتمر عدم الانحياز

٨ — رفع الحصار عن سفارتى ج.ع.م. والجزائر فى ليوبولدفيل .

١٥ — اعفاء خروشوف من جميع مناصبه وتولى بريجنيف وكوسيجين المناصبه .

● انتهت الانتخابات البريطانية بفوز حزب العمال بـ ٣١٧ مقعدا بزيادة مقعد واحد عن الحد المطلوب لتشكيل الوزارة وحصل المحافظون على ٣٠٧ مقعد .

١٦ — فجرت الصين قنبلتها الذرية الاولى .

● سقوط حزب المحافظين فى الانتخابات البريطانية وتاليف حزب العمال للحكومة الجديدة .

٢٢ — رسالة من الرئيس عبد الناصر الى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى الجديد بعد اعفاء خروشوف من منصبه فى ١٤ اكتوبر . وقادة الاتحاد السوفيتى يبعثون برسالة للرئيس عبد الناصر يؤكدون فيها سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه ج.ع.م.

٢٣ — اعلان زامبيا دولة افريقية مستقلة فى نطاق الكومنولث البريطانى .

٢٦ — انهيار نظام الحكم العسكرى الرجعى — عبود — فى السودان .

٢٧ — فرنسا تقدم تسهيلات ائتمانية للاتحاد السوفيتى .

نوفمبر

٥ — فوز جونسون فى انتخابات الرئاسة الامريكية وقد حصل على ٤١ مليون صوت تمثل ٦١٫٣ ٪ من مجموع اصوات الناخبين

● قرار بوقف اطلاق النار فى اليمن .

٦ — تركيا والاتحاد السوفيتى يتفقان على حل مشكلة قبرص .

١٦ — تشكيل مجلس رئاسة فى السودان محل الرئيس السابق عبود .

٢١ — تشكيل امانة عامة للاتحاد الاشتراكى العربى .

٢٤ — غزو بلجيكى — امريكى مشترك لمدينة ستانلى فيل (الكونغو) .

٢٥ — ٣٠٠٠ مليون دولار تقدمها ١١ دولة لبريطانيا لمساندة الجنيه الاسترلينى ورفع سعر الفائدة فى بريطانيا من ٥ ٪ الى ٧ ٪

ديسمبر

٩ — تجدد اعمال العنف فى الخرطوم وسقوط قتلى وجرحى — قام باعمال العنف الاحزاب والجماعات الرجعية — الانصار والاخوان المسلمين .

● بيان مشترك لجونسون وويلسون بعد مباحثاتهما فى واشنطن حول القوة الذرية المتعددة الاطراف .

١٠ — تركيا تنضم الى السوق الاوربية المشتركة .

يبدو منه ما يوضح اعتزامه على « الاستيلاء على السلطة » ولم يرفع ذلك الشعار . وانما التي رفعته هي جماعة مجلة « ماتينستو » التي طرد زعمائها وانصارها أخيرا من الحزب الشيوعي ، تلك الجماعة التي تنادي بفكرة « الاستيلاء على السلطة في اماكن العمل » ، وتوصي بالابتعاد عن النشاط النقابي في المؤسسات وتكريس كافة الجهود لانشاء ما تسميه « **بالمجالس العمالية** » التي ستكون قادرة على **منازعة سلطة الاحتكارات في المصانع** » .

والاحتمال الاخير الذي ترددت انباء بشأنه بين اليونانيين الذين يقيمون في المنفى بعد مجيء الحكومة العسكرية الجديدة في اليونان ، هو ان يقوم انقلاب عسكري في ايطاليا يقيم ديكتاتورية اليمين لمنع تقدم اليسار الى السلطة . وقد نبه الحزب الشيوعي الايطالي الى اخطار قيام انقلاب عسكري في ايطاليا منذ مارس ١٩٦٩ على صفحات « **اليونيتا** » . ولكن طريق مثل هذا الانقلاب لن يكون سهلا في ايطاليا ، كما كان الامر بالنسبة لانقلاب اليونان نظرا لقوة المعارضة الديمقراطية في ايطاليا التي يشكل الشيوعيون والاشتراكيون الايطاليون نواتها القوية »

ازدياد عزلة اليونان

أما فيما يتعلق باليونان ، فيرى المراقبون السياسيون ان الحكومة العسكرية الجديدة التي تولت السلطة في ابريل ١٩٦٧ قد ازدادت عزلة على المستوى الاوربي بعد انسحابها من مجلس اوربا . وكانت هذه الحكومة قد بادرت بالانسحاب من المجلس الاوربي عندما ادركت عزم الدول المشتركة فيه وعلى رأسها الدول الاسكندنافية وبريطانيا على وقف عضويتها في المجلس على أساس تقرير اللجنة الاوربية لحقوق الانسان ، وهو التقرير الذي اتهم النظام اليوناني بانتهاك هذه الحقوق منذ قيامه في ابريل ١٩٦٧ . ويلاحظ المراقبون السياسيون ان الولايات المتحدة من بين دول التحالف الغربي كله ، هي التي أولت حكومة اليونان الحالية أكبر قدر من رعايتها ودعمها ، وقد اعلنت صحيفة « نيويورك تايمز الامريكية » في « ديسمبر الماضي في افتتاحيتها » ان موافقة مجلس الشيوخ الامريكي على اختيار **هنري تاسكا** سفيرا للولايات المتحدة في اثينا عشية اجتماع اللجنة الوزارية لمجلس اوربا . قد فسر على انه محاولة من جانب واشنطون للضغط على حكومات هذا المجلس من أجل الاحتفاظ باليونان في حظيرة المجتمع الاوربي . وقال كاتب المقال : « ان هناك من يتهم الولايات المتحدة بالفعل ، بمحاولة التأثير على المجلس لصالح المجموعة العسكرية الحاكمة في اليونان » . وعلى أية حال فقد اعتبرت المعارضة وقف اليونان وانسحابها من المجلس الاوربي ضربة نفسية للحكم هناك . في حين اشار المراقبون السياسيون في اثينا أخيرا الى ان انسحاب اليونان قد يؤدي الى اتجاهها نحو اقامة روابط دولية جديدة ، ملمحين بذلك الى الجهود التي تبذلها الحكومة اليونانية حاليا لتحسين علاقاتها التجارية مع دول اوربا الشرقية ، وبخاصة مع الاتحاد السوفيتي . ومهما كان الامر ، فقد اعلن رئيس وزراء اليونان **بابا دوبلوس** برغم كل الضغوط التي تواجهها حكومته من أجل التحولات الديمقراطية في اليونان : « انه لن تجرى أية انتخابات عامة في اليونان خلال العامين القادمين على الاقل » .

آسيا

الولايات المتحدة وسقوط الاقنعة

اما فيما يتعلق بالولايات المتحدة الامريكية ، فان ابرز تطورات سنة ١٩٦٩ فيها هي تصاعد حركة مقاومة حرب فيتنام ، وانكشاف سياسة نيكسون العدوانية كأوضح ما تكون بعد خطابه الاخير في ٣ نوفمبر الماضي . وهو الخطاب الذي نزع الاقنعة عن كافة المناورات التي قامت بها حكومة نيكسون على المستوى الدولي منذ يناير ١٩٦٩ . فقد كشف هذا الخطاب بوضوح أصرار « **نيكسون** » على مد اجل الحرب في فيتنام ، الامر الذي سبب « أكبر قدر من الالم والحزن على مستوى جماهيري في تاريخ أمريكا كله » ، ودرجة كبيرة من سخط واستياء الرأي العام .

وقد اوضحت **هانوي** ان نيكسون لم يقف عند هذا الحد فحسب بل عمد الى « تخريب محادثات باريس » بامتناعه — حتى كتابة هذه المقال — عن تعيين شخص آخر يحل محل « **كابوت لودج** » ، ورفض مقترحات الحكومة الثورية المؤقتة . واشارت هانوي كذلك الى « ان هدف الانسحاب — بالقطارة — الذي اعلن عنه نيكسون ، انما هو تضليل الرأي العام العالمي » . كذلك اتهم الجنرال « **جياب** » في ١٠ ديسمبر ، الولايات المتحدة وأتباعها بتصعيد الحرب بشكل جنوني في **لاوس** وذلك تطبيقا لخطتهم التي تهدف جعل لاوس قاعدة عسكرية امريكية تهدد امن جمهورية فيتنام الديمقراطية .

ومع ذلك فمن التطورات الملموسة في شبه جزيرة الهند الصينية في الفترة الاخيرة ، ما اعلنته اذاعة « **صوت شعب تايلاند** » التي اوضحت « ان الثورة قد امتدت في مناطق واسعة من الاقاليم

الـ٣٦ فى جنوب ووسط وشمال البلاد ، منذ ان وقع أول انقلاب مسلح فى اقليم « تاكورن فانوم » شمال شرقى البلاد وذلك منذ ٤ سنوات » • ووجه هذا الراديو نداء الى الثوار هناك يدعوهمفيهالى زيادة حدة حرب العصابات وعدم التوانى عن بذل اى جهد فى سبيل الاطاحة بحكومة « **تانوم كيتكاشورم** » •

دمج اليابان وأندونيسيا فى آسيا

ونعتقد من ناحية أخرى ، ان الانسحاب الامريكى من فيتنام ، سيدفع بالولايات المتحدة أكثر فاكثر الى زيادة الاعتماد على اليابان واندونيسيا كجناحين ، شمالى وجنوبى ، للاستراتيجية الامريكية فى الشرق الاقصى ، وللمشاركة فى عملية تطويق الصين الشعبيةوحصار نفوذها فى آسيا •

ففيما يتعلق **باليابان** يبدو ان الاتفاق قد تم خلال مباحثات **ايزاكو ساتو** رئيس وزرائها مع نيكسون أخيرا على مد أجل معاهدة الامن المتبادل الامريكية ، الامر الذى سبب استياء عنيفا وسط الرأى العام اليابانى الذى عبر عن سخطه واحتجاجه على الشروط الامريكية بالنسبة « لاوكيناوا » والتى تنص على اعادة الاسلحة الذرية والكيماوية اليها فى حالات الطوارىء ، والتى قد تورط اليابان رغما عنها ، فى حروب امريكية لا تريد أن تخوضها •

ويبدو انه فى نفس الوقت الذى تسعى فيه الولايات المتحدة الى زيادة دفع اليابان فى آسيا لتصبح قطبا قويا مواجها للصين ، يسعى **ايزاكو ساتو** كذلك الى طلب مساعدة الولايات المتحدة كى تصبح اليابان ثانى دولة ذرية فى آسيا •

أما فيما يتعلق **باندونيسيا** ، فقد نشرت صحيفة « آل بيهار » الناطقة بلسان البحرية الاندونيسية مشروع خطة لانشاء ٣ قواعد بحرية امريكية فى اندونيسيا ، ثم اختيار مناطقها فى شمال سومطره ووسط جاوة وشمال سلاويس • وقد وصل الى جاكارتا فى اول نوفمبر ١٩٦٩ ، الادميرال **نجون ماكين** قائد القوات الامريكية فى الباسفيكى ومعه عدد من كبار ضباط القيادة الامريكية ، لاجراء محادثات مع الرئيس الاندونيسى **الجنرال سوهارتو** وكبار العسكريين الاندونيسيين • ويبدو انها بخصوص هذا المشروع وغيره من عمليات التنسيق الاخرى بين الولايات المتحدة واندونيسيا التى تجرى منذ انقلاب ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥ •

على ان من التطورات الملحوظة داخل الولايات

حسابات عام ١٩٦٩

١٢ ـ اعلان الجمهورية فى كينيا وتولى جوموكينياتا رئاستها .

١٩ ـ شيليبين نائب رئيس مجلس الوزراء السوفيتى يزور ج.ع.م. ويقابل الرئيس عبد الناصر .

٢٠ ـ اعلان تشكيل القيادة السياسية الموحدة بين العراق ومصر .

٢٣ ـ الرئيس عبد الناصر يهاجم السياسة الامريكية فى الاحتفال بعيد النصر فى بورسعيد ، فيقول « امريكا تعطينا ما قيمته ٥٠ مليون جنيه من القمح واللحوم والفراخ. ولسنا مستعدين ان نبيع حريتنا نظير اى مبلغ او نخضع لاى ضغط » .

وعن الموقف من الكونجو « ارسلنا السلاح الى شعب الكونغو وسنرسل له المزيد لاننا لا نعترف بتشومبى عميل الاستعمار » .

وفى المجال الداخلى « لابد ان يشارك الشعب فى ادارة الخدمات كما يشارك فى ادارة الانتاج » .

٢٧ ـ شيليبين نائب رئيس الوزراء السوفيتى يعلن فى مجلس الامة ان « الصداقة السوفيتية العربية الان اقوى من اى وقت مضى ، وان الاتحاد السوفيتى سينفذ جميع التزاماته تجاه ج.ع.م. » .

عام ١٩٦٥

يناير

١ ـ صدر العدد الاول من مجلة الطليعة .

٢ ـ اعلنت اندونيسيا انسحابها من الامم المتحدة . ولاول مرة فى تاريخ المنظمة الدولية تنسحب دولة من عضويتها احتجاجا على انتخاب دولة اخرى (ماليزيا) فى مجلس الامن .

● دعا احمدو بيللو ـ رئيس وزراء الاقليم الشمالى فى نيجيريا ـ الى تقسيم اتحاد نيجيريا الفيدرالى .

٣ ـ اعلنت الحكومة السورية تأميم ١٠٧ شركة ومؤسسة للنسيج والسكر والزيت والمطاط ومواد البناء . منها ٢٢ شركة تأميما كاملا ، وتتراوح نسبة ملكية الدولة فى بقيةالشركات مابين ٧٥٪ و٩٠٪ .

١٤ ـ أعلنت اسرائيل رسميا ان جماعات عربية مسلحة تسللت الى داخل اسرائيل لنسف محطة ضخ المياه وانابيبها .

١٦ ـ أعلنت الحكومة السوفيتية انها وافقت على تحويل نظام الانتاج من ٤٠٠ مصنع تنتج السلع الاستهلاكية ، الى نظام يقوم على مبدأ العرض والطلب .

٢٠ ـ قبل الرئيس جمال عبد الناصر ترشيح مجلس الامة له بالاجماع ، رئيسا للجمهورية

● أعلن فى واشنطن ان ٣٠٪ من المجندين الجدد لحرب فيتنام يفرون من الخدمة

٢١ ـ أطلق شاب ايرانى اليوم ٥ رصاصات على حسن على منصور رئيس الوزارة الايرانية .

٢٤ ـ توفى اليوم ونستون تشرشل بعد ان عاش فى غيبوبة لمدة ١٠ أيام . الملكة

المتحدة كذلك ، فى أواخر ١٩٦٩ قيـام مكتب التحقيقات الفيدرالى وأجهزة المخابرات الامريكية بتنظيم عليه تصفية دموية للفهود السود فى الولايات المتحدة « نظرا للموقف الثورى الذى يتخذه الكثيرون من اعضاء منظمات السود الامريكيين » حسبما أوضح « ادجار هوفر » مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى. ولقد كان متوقعا منذ زمن قيام اجهزة المباحث الامريكية والمخابرات باتباع مثل هذا الاسلوب الدموى ازاء منظمى حركة المقاومة الزنجية . لكن هذا الاسلوب لن يحل مشكلة العنف فى الحركة الزنجية فى الولايات المتحدة ، ان لم يزدها التهابا . ولقد كان لاغتيال زعماء « الفهود السود » رد فعل سريع بين الزنوج الامريكيين وبخاصة فى شيكاجو حيث فرضوا حظر التجول فى مناطق سكناهم بالنسبة للبيض . وبدأ الطلبة والشباب الزنوج فى القيام بالعديد من اعمال الاضطرابات .

بيد ان الولايات المتحدة استطاعت برغم كل هذه السياسات التى تلقى معارضة واستنكار شعوب العالم ، ان تحقق لنفسها كسبا علميا ودعائيا ضخما بهبوط رواد ابو للو ١١ ، وابوللو ١٢ ، الامريكيين على سطح القمر ، واستعداد رواد ابوللو ١٣ للانطلاق الى القمر فى ١٣ مارس القادم . فمما لا شك فيه ان الولايات المتحدة قد اثبتت وجودها فى هذا المجال بعد ان كان الاتحاد السوفيتى يحتفظ بقصب السبق عليها دوما فى كافة الاكتشافات الفضائية الهامة ، ونستطيع أن نقول اقرارا للانعكاس الموجود بين الرأى العام العالمى أن الولايات المتحدة تحرز قصب السبق من ناحيه ما فى سباق الفضاء الامر الذى يترك تأثيره السيكولوجى دون شك على شعوب العالم على جانبى الخط الفاصل الذى يفصل العالم الى معسكرين .

بدء سياسة صينية مرنة

ولقد كان من التطورات السياسية الملحوظة فى عام ١٩٦٩ بالنسبة للصين الشعبية، وبالذات فى النصف الثانى منه ، بدء اتباعها لسياسة خارجية أكثر مرونة . وذلك بعد انعقاد المؤتمر الوطنى التاسع للحزب الشيوعى الصينى فى ابريل ١٩٦٩ الذى كان بمثابة تتويج للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى الصين . ويبدو ان نجاح الزعيم الصينى « ماوتسى تونج » فى تصفية القوى المعارضة له فى الصراع الداخلى الضخم الذى دار فى الصين الشعبية منذ سنة ١٩٦٦ هو الذى اتاح للصين متابعة سياستها الخارجية بمرونة وديناميكية أكبر ، بعد ان تحقق للثورة رسوخها الداخلى . ويبدو ان كل شىء كان محسوبا فى هذا البلد الذى قام بحركة انكماش منظمة للغاية فى نشاطه الخارجى عن طريق استدعاء جميع سفراء الصين فى الخارج منذ بدء الثورة الثقافية ماعدا سفير الصين فى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم قام مرة أخرى بحركة انتشار موحدة ايضا فى نشاطه الخارجى عن طريق قيام الحكومة الصينية فى ١٨ مايو الماضى باعادة سفرائها الى مقر اعمالهم فى الخارج .

محادثات بكين

على ان اكبر تطورين ملموسين فى سياسة الصين الخارجية فى ١٩٦٩ ، انما يتمثلان فى موقف الصين ازاء المحادثات مع الاتحاد السوفيتى بشان مشكلة الحدود ، وموقفها من المحادثات التقليدية مع الولايات المتحدة فى وارسو ، التى كانت قد توقفت منذ ٢٤ شهرا . اذ اعلنت الصين فى اكتوبر الماضى موافقتها على البدء فى محادثات مع الاتحاد السوفيتى التى انقطعت منذ عام ١٩٦٤ . وبدأت المحادثات بالفعل فى بكين فى ٢٠ اكتوبر الماضى ولازالت مستمرة . كما أعلنت الصين موافقتها على استئناف محادثات التجارة الخارجية فيما بينهما ورفعها الى مستوى نواب وزراء . وكانت الصين قد اعادت فى ٤ اكتوبر الماضى رئيس بعثتها التجارية فى موسكو الى عمله بعد ان ظل متغيبا بضع سنوات .

ولاشك ان ازدياد التقارب بين موسكو وبكين سيكون له آثاره على علاقات الاتحاد السوفيتى بالدول الاخرى ، اذ سيتمكن الاتحاد السوفيتى بعد تصفية المشاكل الخاصة بحدوده فى الشرق الاقصى أو تهدئة الاوضاع هناك على اقل تقدير ، أن يوجه اهتماما اكبر للمشاكل الدولية الاخرى »، ومن مركز افضل . كذلك سيقلل هذا التقارب من فرص تعرض الاتحاد السوفيتى لعمليات الابتزاز السياسية فى علاقاته مع الولايات المتحدة، ويدعم مركز المفاوض السوفيتى فى محادثاته .

والحقيقة ان بدء مباحثات بكين بين الصين والاتحاد السوفيتى انما يعبر بشكل من الاشكال على نضوج الصراع الصينى السوفيتى ، لا بمعنى ازدياد حدته ، وانما بمعنى بدء ارساء نوع من التعايش والعلاقات الطبيعية بين الدولتين مع استمرار الصراع الايديولوجى قائما كحقيقة واقعة تعبر عن نظرتين وموقفين وظرفين تاريخيين مختلفين . وليس ادل على ذلك من ان المباحثات الصينية والسوفيتية قد واكبتها فى الوقت نفسه حملة هجوم ضد السوفيت ، ولكن مخففة هذه المرة .

حسابات عام ١٩٦٩

استئناف محادثات وارسو

كذلك اتفقت الصين مع الولايات المتحدة على استئناف محادثاتهما فى وارسو التى كانت قد توقفت منذ يناير ١٩٦٨ . ويعزى بعض المراقبين اتجاه الصين لاستئناف هذه المحادثات ، الى ما اعلنته الولايات المتحدة اخيرا من عزم على التخفف من الالتزامات الامريكية فى آسيا من ناحية ، والى بدء المحادثات السوفيتية الامريكية من ناحية اخرى ، هذا برغم ان سياسة نيكسون فى آسيا التى عبر عنها خلال رحلته فيها ، كانت موضع تنديد شديد من حكومة بكين .

مصير الصراع فى الهند

اما الهند فقد شهدت معركة اثارها اليمين الهندى عامة ، ويمين حزب المؤتمر خاصة ، مدفوعا بالقوى المالية الكبرى المرتبطة مصلحيا بالوجود الامريكى فى الهند ، للاطاحة « **بانديرا غاندى** » وتقويض قيادتها ، بعد الاجراءات التقدمية التى اقدمت عليها اخيرا بتأميم ١٤ من البنوك الكبرى فى الهند ومطالبتها بضرورة اجراء اصلاح زراعى اكثر جذرية ، وتأميم الاستيراد فى الهند . على ان هذا الصراع وان كان قد انتهى بفشل اليمين فى الاطاحة **بانديرا غاندى** ، الا انه اظهر بجلاء مدى الانقسام الخطير الذى اصبح يعانى منه حزب المؤتمر الذى استقطبت العناصر اليمينية المعادية لانديرا غاندى فيه حول « التجمع اليمينى الذى يتزعمه» « **مورارجى ايساى** » وزير المالية الاسبق ، **ونيجا لينجابا** الرئيس السابق للحزب» ويشترك فيه زعماء المقاطعات والمدن الكبرى التقليديون امثال«س .باتيل»الوثيق الصلة بالامريكيين ، و « **اتوليا جوشى** » « **وب . جونتا** » « وسنجيفاردى » الوثيقى الصلة بالبيوتات المالية الكبرى فى الهند،واستقطبت سائر عناصر التقدم فى حزب المؤتمر من الوسط ويسار الوسط واليسار حول « **انديرا غاندى** » .

على انه اذا كان التجمع اليمينى قد فقد السلطة فى تنظيم حزب المؤتمر وفى الشعبية البرلمانية لهذا الحزب ، فان تشكيل اعضاء البرلمان اليمينيين التابعين للحزب وعددهم ٧٠ نائبا (من نواب الحزب كله وعددهم ٢٨٢ نائبا) لجبهة معارضة باسم « حزب المؤتمر » ضد انديرا غاندى من شأنه حرمانها من الاغلبية الضئيلة التى كان الحزب يعتمد عليها فى حكم الهند وهى اغلبية ٢٣ صوتا فقط هذا الوضع يدفع بانديرا غاندى الى التماس المساندة البرلمانية من قوى اخرى خارج القوى البرلمانية لحزبها . وقد اعلن الحزب الشيوعى الهندى فى ٢٣ اغسطس الماضى انه على استعداد لتأييد أية

البزابيث وعدد من كبار شخصيات العالم يشتركون فى الجنازة .

٢٥ ـ شن شواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية حملة عنيفة ضد الامم المتحدة، ودعا الى انشاء امم متحدة جديدة .

٢٦ ـ قرر مجلس النواب الامريكى ، وقف بيع القمح لمصر .

٢٧ ـ اعلنت الحكومة الامريكية انها لا توافق على قرار مجلس النواب بمنع بيع القمح لمصر .

● اعلن ليفى اشكول عن وجود نشاط عربى مسلح داخل اسرائيل

٣١ ـ تأكد ان العمليات التى قامت بها المانيا الغربية سرا لتسليح اسرائيل تمت بتوجيه من الحكومة الامريكية

فبراير

٥ ـ وصل اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى بكين حيث أمضى بها يوما واحدا قبل سفره الى هانوى . وقد اجرى محادثاته مع شواين لاى رئيس وزراء الصين .

● صدر العدد الاول من مجلة « الاشتراكى » ـ نصف شهرية ـ

١٠ ـ اصدرت حكومة المانيا الغربية قرارا بوقف صفقات الاسلحة مع اسرائيل . وذلك بعد ان هددت الدول العربية بقطع علاقاتها معها .

٢٤ ـ وصل الى الجمهورية العربية المتحدة والتر اولبريخت رئيس جمهورية المانيا الديمقراطية ، فى زيارة رسمية .

٢٧ ـ قام اليكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى ، بزيارة رسمية الى المانيا الغربية

مارس

١ ـ بدأ ارسال محطة اذاعة صوت فلسطين من القاهرة .

٣ ـ وصل ارنستوشى جيفارا الى الجمهورية العربية المتحدة فى زيارة رسمية .

٥ ـ أوقفت حكومة بون تعاونها الاقتصادى مع الجمهورية العربية المتحدة بعد زيارة اولبريخت للقاهرة .

١٤ ـ أعلنت « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » حدتو ، عن حل تنظيمها الشيوعى المصرى .

١٥ ـ تم انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية

٣٠ ـ بدأت فى القاهرة ، الندوة العالمية لنصرة شعب فلسطين

ابريل

١ ـ قامت الجمهورية العربية المتحدة بالاشتراك مع خمس دول اخرى من مجموعة عدم الانحياز ، بتوجيه « نداء السلام » الى الدول الخمس الكبرى لاجراء مفاوضات مباشرة غير مشروطة لتسوية مشكلة فيتنام

١٢ ـ تم توقيع اتفاقية بين أمريكا واسرائيل بشأن التعاون فى ميدان الابحاث الذرية .

٢٤ ـ اتخذ الحزب الشيوعى المصرى قرارا بحل نفسه والغاء التزام اعضائه من العضوية الحزبية ، وتقدمهم ـ كأفراد ـ لطلب عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى .

حكومة ائتلافية تشكلها انديرا غاندى اذا حدث اى انقسام فى حزب المؤتمر لكن السكرتير العام للحزب **الشيوعى** اوضح فى نفس الوقت انه لايعرف حتى الان، ما اذا كان الحزب الشيوعى راغبا فى **الاشتراك** فى اية حكومة ائتلافية تشكلها انديرا غاندى أم لا ؟

والملحوظ عامة هو ان الهند تتجه اكثر فاكثر نحو الاستقطاب . فاذا كان يمين حزب المؤتمر يتجه للالتحام مع اليمين الهندى العام ، فان انديرا تتجه على راس الاتجاه التقدمى فى الحرب للاقتراب من قوى اليسار الهندى عامة . وقد اعلنت انديرا من ناحيتها انها تعتبر الصراع (بينها وبين زعماء اليمين) بين رجل الشارع من جانب وقلة من الافراد الاثرياء من جانب اخر .

ان الحقيقة التى بدت واضحة من تطور السياسة **الهندية فى ١٩٦٩ ان معارك انتخاب مجالس الولايات الهندية التى خاضها حزب المؤتمر** فى اوائل العام ، قد اسفرت عن انه عندما واجه **الحزب اليمين ، نجح نجاحا كبيرا كما حدث فى ولايتى « اوتار براديش » و « بيهار » ، وعندما** قاوم اليسار ، هزم هزيمة ساحقة كما حدث فى **ولايتى « البنغال الغربية » ،و « كيرالا »** اللتين فاز الشيوعيون الموالون للصين بحكومتى الولايتين **وهذا يوضح بدوره حقيقة هامة فى الواقع وهى ان خط تعاطف الجماهير الهندية هو مع اليسار ، ولكن هناك مشكلة اخرى تبرز امام انديرا غاندى ، وتتعلق بتلك الحقيقة ، وهى الاتهام الذى يوجه وسيوجه اليها من قبل اليمين « بالشيوعية وبالسير بحزب المؤتمر نحو الشيوعية » بعد كل اصلاح تقدمى يمكن ان تقدم عليه .**

وقد عالجت انديرا الموقف حاليا بنفيها ذلك الاتهام ، لكن اليمين الهندى سيستمر دون شك فى اشهار ذلك السلاح فى وجهها لابتزازها من ناحية ، **وللتمكن بعد مستوى معين من الاجراءات الثورية، من تجميدها عند الحد الذى يبدأ فى عزلها عن** مطالب الجماهير الهندية التى تدفع اكثر فاكثر نحو **اليسار ، ومن ثم عزلها عن قوى اليسار السياسى المساند لها وتقويض سلطتها تماما**

ولذا يبرز أمام « انديرا غاندى » بالاضافة الى ضرورة ضمان ولاء القوات المسلحة لاتجاهها ، **اختياران** : فاما التعاون مع اليسار الهندى عامة بما فيه الشيوعيون ، والبحث عن صيغة ثورية جديدة تتيح مشاركة الاحزاب العقائدية لحزب المؤتمر فى السلطة ، والتقدم بالهند على طريق التحولات الجذرية المعادية للرأسمالية ، ومن ثم الاتجاه الثورى نحو الديموقراطية الشعبية . **واما** رفض طريق التعاون مع اليسار والشيوعيين ، اقتداء « **بالحزب الديموقراطى المسيحى الايطالى** » على سبيل المثال، واستجابة ورضوخا لابتزاز اليمين والقوى الامبريالية الدولية ، وهنا سيكون اكبر احتمال هو المزيد من تمزق الاداة الرئيسية لحكم الهند وهى حزب المؤتمر وعزلة انديرا غاندى السياسية ، التى تعنى فى الحساب الختامى ان يكسب اليمين معركة التحول فى الهند لصالحه .

وبعد . . .

فمن الواضح بعد كل **هذا** الاستعراض الدولى ان هناك اتجاها عاما للتقارب بين القوى الكبرى فى العالم، اتضح فى محادثات **هلسنكى وبكين** ، **ووارسو** ، **وموسكو** ، واتجاها خاصا للتقارب داخل القارة الاوروبية ، اتضح فى الموقف الجديد ازاء اوروبا الشرقية الذى اتخذته حكومة **فيلى برانت** فى المانيا الغربية ، وروحا للتعاون المتبادل اشاد بها المشتركون فى **مؤتمر لاهاى** للسوق الاوروبية المشتركة ، واتجاها متزايدا نحو الامن والسلام فى القارة الاوروبية ، عبر عنه « ممثلو الرأى العام الاوروبى » فى ٢٦ بلدا اوروبيا فى « **مؤتمر فينا** » .

وهكذا نشهد السبعينات فى مطلعها بداية واضحة لابتعاد مناطق الاحتكاك الدولى عن اوربا ، وتركزها فى **العالم الثالث** ، خاصة بعد ان اخذت اوروبا تعمل بنجاح متزايد فى الاونة الاخيرة على ابعاد نيران الحرب العالمية الثالثة بعيدا عن ابوابها . والواقع انه ينبغى التنبه فى العالم الثالث لتلك الحقيقة غاية التنبه ، **لانه يبدو ان نوعا من الحرب المتواصلة** قد اضحت معلنة ضد **شعوب هذا العالم** من قبل الامبريالية ، وبخاصة اذا كان علينا ان ندرك ان شعبين آسيويين صغيرين هما الشعبان الكورى والفيتنامى ، **قد دفعا وحدهما على سبيل المثال ٥ ملايين قتيل ثمنا لعدوان الفاشية** الامريكية الجديدة ».

بيد ان هذه الحقيقة المؤلمة ، ليست وليدة الصدفة وانما **هى تعبير عن حقيقة وجوهر صراع العصر ، لان ثورات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا** وامريكا اللاتينية اليوم، اصبحت من اهم القوى التى تكيل ضربات مباشرة للاستعمار. كما ان **التناقضات فى العالم اصبحت تتركز فى آسيا** وافريقيا وامريكا اللاتينية . وان مناطق آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الواسعة هى المناطق **التى تتجمع فيها اليوم مختلف انواع التناقضات فى** العالم المعاصر ، وهى مراكز عواصف الثورة العالمية التى تسدد الان الضربات المباشرة الى **الاستعمار** .

[٢] عام التقاط الأنفاس والمبادرة من جديد

حسين شعلان

دخلت افريقيا عام ١٩٦٩ — أى عامها العاشر بعد الاستقلال — بتركة مثقلة من الانتكاسات مطبوعة ببصمات عدد من الانقلابات العسكرية المضادة تمتدبدايتها الى اكتوبر ١٩٦٥ (فى الكونجو — كينشاسا) وحتى انقلاب مالى فى نوفمبر ١٩٦٨ . وفيما بين هذين التاريخين شهدت القارة عددا من الانقلابات فى غانا وجمهورية وسط افريقيا وفولتا العليا ونيجيريا (ضد ايرونسى) والعدوان الاسرائيلى ضد الجمهورية العربية المتحدة وتطورات الاحداث فى كينيا .. الخ .

لقد كانت هذه المواجهات المسلحة — بالانقلابات العسكرية أو بالعدوان — تعبيرا مجسدا لحدة الصراع الاجتماعى داخل كل بلد من جهة ولضراوة الصراع بين حركة التحرر الافريقية ككل والاستعمار العالمى من جهة أخرى .

فى ١٨ — ٢٠ يناير ١٩٦٩ ، انعقد مؤتمر الخرطوم لمساندة حركات الكفاح المسلح فى جنوب افريقيا والمستعمرات البرتغالية . وحدد المؤتمر — فى مناقشاته وقراراته — ان افريقيا تعيش اليوم « **حالة حرب** » ضد الاستعمار العالمى . والواقع ان تشخيص هذه « الحالة » لا ينسحب فحسب على البلاد التى لم تستقل بعد ، بل وعلى كثير من الدول الافريقية المستقلة .

ويمكن ان نقول بشكل عام — ودون مبالغة فى تبسيط الامور — ان مؤتمر الخرطوم الذى لعبت فيه القوى الثورية الافريقية دورا رئيسيا كان بمثابة استيعاب لدرس خمس سنوات من تجربة « المواجهة المسلحة » (١٩٦٥ — ١٩٦٩) والتى كان عدوان يونيو ١٩٦٧ أشد صور هذه « المواجهة » ضراوة وعنفا .

العنف الثورى المشروع فى مواجهة عنف الثوره المضادة .

تلك هى الخلاصة التى حددتها حركة التحرر الافريقية .. صحيح انه لاجديد فى هذه النتيجة ،

حسابات عام ١٩٦٩

مايو

٩ — افتتح المعهد العالى للدراسات الاشتراكية بالقاهرة .

١٦ — قررت جبهة القوى الاشتراكية الجزائرية انهاء معارضتها لحكومة بن بيللا عملا لتوحيد الصفوف لدعم الثورة وانتصاراتها .

١٨ — قام الرئيس تيتو بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى وهى اول زيارة يقوم بها للاتحاد السوفيتى منذ اقصاء خروشوف عن الحكم .

١٩ — قام العقيد هوارى بومدين بحركة انقلاب واعلن عن تنحية الرئيس بن بيللا وتأليف مجلس ثورة برياسته يتولى جميع السلطات

٣٠ — انفصل دافيد بن جوريون رسميا عن حزب (الماباى) الحاكم مع اغلبية مؤيديه فى الحزب وقرر دخول الانتخابات العامة فى نوفمبر ١٩٦٥ بقائمة مستقلة من المرشحين .

● تم توقيع اتفاق بين الهند وباكستان لانهاء النزاع بينهما بشأن منطقة ران كوتش

يوليو

١ — اعلنت فرنسا رسميا انها لن تحضر الاجتماعات الخاصة بالسوق الاوربية المشتركة التى تعقد فى بروكسل

٣ — اصدرت الحكومة السورية مرسوما بالغاء قرار تأميم ٢٧ شركة صناعية فى سوريا واعادة ملكيتها الى اصحابها السابقين .

● وقع فى القاهرة اتفاقية بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى لتوريد القمح الروسى الى مصر .

٤ — كلف مجلس الثورة الجزائرى العقيد هوارى بومدين بتأليف الحكومة الجزائرية الجديدة

● تم تشكيل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيرى .

● بدأت تنزانيا رسميا تطبيق نظام الحزب الواحد بعد أن وافقت الجمعية الوطنية على دستور جديد للبلاد .

● قررت موريتانيا الخروج من منظمة التعاون الافروملاجاشى التى تضم الدول الافريقية التى تتحدث بالفرنسية .

● طلب رئيس وزراء اليونان جورج باباندريو من وزير الدفاع ورئيس اركان حرب الجيش أن يستقيلا لانهما يعارضان « حركة التطهير بين كبار ضباط الجيش » . وقد رفض وزير الدفاع تقديم استقالته لان الملك وحده هو الذى يملك سلطة طرده من منصبه . وقد ابلغ الملك رئيس وزرائه عدم موافقته على ذلك وهدده باقالة الحكومة .

٩ — اعتقلت السلطات البريطانية ٤ من زعماء القبائل فى ظفار بتهمة القيام باعمال مسلحة ضد الوجود البريطانى فى المنطقة .

١١ — صرح الحبيب بورقيبة بانه تخلى عن مقترحاته بشأن فلسطين وقال ان الحل الذى تقدمت به قد فشل تماما .

● قدر روبرت مكنمارا وزير الدفاع الامريكى نفقات الحرب الفيتنامية بنحو ١١٠٠ مليون دولار سنويا . أى ما يعادل ٢,٥٪ من ميزانية النفقات العسكرية الامريكية كلها .

١٤ — رفض ملك اليونان توقيع المرسوم الوزارى بطرد وزير الدفاع بعد طرده من حزب اتحاد الوسط الحاكم . وقد اعلن الحزب الحاكم انه اذا أصر الملك على رفض توقيع المرسوم ، فستجرى الانتخابات الجديدة فورا

ولكن نضوجها فكريا في افريقيا يكتسب اهمية خاصة وعميقة تسقط أمامها كثيرا من فكريات « التعاون » و « التفاهم » سواء بين الدول المستقلة والاستعمار العالمي ، او فيما بين المستغلين والمستغلين داخل البلد الواحد .

والعنف الثوري لا يعني فقط حمل السلاح ، ولكنه يتخذ أشكالا متعددة كاسقاط بعض الفئات الاجتماعية المتعاونة مع الاستعمار ، او تلك التي تشكل عقبة هامة أمام تطور مسار الثورة . وفي أشكال أخرى يتخذ صورة الهجوم على المعاقل الاقتصادية التي تشكل دعامة النفوذ الاجنبي . هذا بالطبع ، الى جانب صور حمل السلاح في مواجهة القوات الاستعمارية .

الهجوم .. بدلا من الدفاع

ظلت حركة التحرر الوطني في الدول الافريقية المستقلة ، تواجه الهجوم الاستعماري الرجعي المضاد ، والذي ظل يتصاعد بشكل مستمر (٦٥ – ١٩٦٨) دون مقاومة ملحوظة أو رد فعل جماعي نشط .

واذا كان صحيحا ان عنصر المفاجأة بالاضافة الى عنصر استخدام الاستعمار لاقسى عوامل القوة ، كانا من الاسباب الهامة لاضعاف وسقوط كثير من النظم التقدمية في القارة ، ووقوف البعض الاخر منها موقف « المفاجأ » ، فانه صحيح أيضا – وبالتأكيد – ان طبيعة هذه النظم كان يشوبها كثيرا من الثغرات التي سهلت على الاستعمار ضربها . وفي التحليل الاخير ان ذلك الهجوم المضاد كان قد قوض معه – ضمن ماقوض – كثيرا من المحاور الفكرية التي ارتكزت هذه النظم – في جزء أساسي منها – عليه . مثل فكرية « الطريق الثالث » وتجنب تحديد موقف من الصراع العالمي الرئيسي . وبغض النظر عن ان النظم التقدمية الباقية قد استوعب الدرس او لم تستوعبه ، فقد كان – على أي حال – واحدا هاما من معالم التجربة في التطبيق مع مشارف عام ١٩٦٩ .

ومثلما ان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، سوف يظل حجر زاوية أساسية في تاريخ حركة التحرر العربي ، فانه سيبقى ايضا منعطف طريق حاسم في تاريخ حركة التحرر الافريقي .

تلك وضعية مصر : التاريخية والجغرافية والحضارية ، في تأثيرها وتأثرها باوضاع وحركة الاحداث في العالم العربي من جهة والعالم الافريقي من جهة ثانية والعالم الثالث أخيرا .

وليس جديدا ان نقول ان الصراع العربي الاسرائيلي – في جوهره – هو صراع بين حركة الثورة المصرية (العربية) وحركة الثورة المضادة العالمية . وطبيعي اذن ان يؤثر هذا الصراع في حركة الثورة الافريقية ، مثلما أثر عليها من قبل في عام ١٩٥٦ .

لقد استوعبت الحركة الثورية في الكونجو – برازافيل تجربة الصراع فيما بين الاستعمار العالمي وحركة التحرر الافريقية .. وانقلابات ٦٥ – ١٩٦٨ ، مثلما استوعبت تجربة يونيو ١٩٦٧ . من هنا كان المغزى الاساسي « لحركة التصحيح » – التي قامت في أواخر عام ١٩٦٨ – بقيادة ماريان انجوابي لسد الثغرات التي كانت تتسع يوما بعد يوم في نظام ماسيمباديبا وباتت تهدد معها الوضع التقدمي كله في البلاد .

وعلى طريق « سد الثغرات » ، قام جوليوس نيريري في تنزانيا في فبراير ٦٩ بتصفية نشاط « فرق السلام الامريكية » في البلاد ، اذ تأكد دورها التخريبي . وفي غينيا ، أقدم أحمد سيكوتوري على اجراء حركة تطهير ملحوظة في صفوف الحزب والدولة حتى لا يطعن « من الداخل » مثلما حدث مع نكروما من قبل .

على ان هذه التطورات الكمية – آخر الامر – لا تحتل المكان الاعظم في التدليل على أن حركة التحرر الافريقي قد بدأت تستعيد من جديد زمام المبادرة بعد ان فقدته لسنوات طويلة مضت .

والحق ان المعلق السياسي ، ليحار فعلا أمام « تصنيف » ثورة السودان في ٢٥ مايو ١٩٦٩ على خريطة حركة التحرر العربي أم خريطة حركة التحرر الافريقي ، على انه يمكن القول ان حجم « الوجه الافريقي » وثقل الثورة السودانية في مسار وتطور حركة التحرر الافريقي ، لا يمكن ان يقل – بأي وجه من الوجوه – عن حجم « الوجه العربي » وثقل الثورة السودانية في مسار حركة التحرر العربي ، وهل يمكن ان يكون دليلا قاطعا على ذلك ، اكثر من رصد حقيقة موقع السودان الجغرافي على حدود ثماني دول عربية وافريقية ؟

ومن ثم ، فان ثورة ٢٥ مايو التقدمية فى السودان ، واحدة من أهم ردود الفعل العربية ـ الافريقية، على حركة الهجوم الاستعمارى سواء ضد حركة التحرر الافريقى (١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) أو على عدوان ٥ يونيو ضد حركة التحرر العربى .

ومن مآثر الثورة الســـودانية ، أنها قدمت نموذجا للاسلوب الذى يمكن ان تحل به مشاكل الاقليات القومية . وتكتسب هذه الحقيقة أهميتها البالغة ، اذا تصورنا حجم مثل هذه المشكلة الحادة فى افريقيا بسبب العهود الاستعمارية السابقة .

وفى التحليل الاخير ، كانت ثورة ٢٥ مايو فى السودان بداية هامة لمشارف مرحلة جـديدة ـ مرحلة المبادرة والهجوم ـ التى تتهيأ الحـركة الثورية الافريقية والعربية ، للاخذ بزمامها فى عام ١٩٧٠ .

وتجنبا للتكرار ، فاننا نرصد هنا حقيقة ان استمرار القيادة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة رغما عن الهجوم الاستعمارى الضارى فى ٥ يونيو من جهة ، واتجاه هذه القيادة الى الاقدام على اجراء تغييرات تدور فى اطار « سد الثغرات » التى كانت قائمة من جهة أخرى ، فضلا عن اعادة تكوين وتدريب الجيش المصرى بصورة جدية من جهة ثالثة ـ نقول انه كان لذلك كله ، آثاره التى لايمكن تجاهلها على مسار حركة التحرر الافريقى من جهة وردود الفعل التقدمية التى وقعت فى القارة بعد ذلك .

فى هذا الاطار ، يمكننا فهم حركة « افرقة » اقتصاديات البلاد فى **زامبيا** . ففـى أغسطس ١٩٦٩ أعلن الرئيس **كاوندا** ان الدولة « سوف تستولى على جميع حقوق التعدين فى زامبيا . وانها ستطلب من شركات النحاس ان تقدم ٥١ فى المائة من أسهمها الى الحكومة نظير تعـويض بسندات تسدد على أقساط طويلة المدى ومن أرباح المناجم ذاتها ، على أن يتم تأجير المناجم للشركات لمدة ٢٥ سنة » .

ولاشك ان الظروف الاقتصادية الصعبة التى عانتها زامبيا ، منذ اعلان روديسيا الجنـوبية للاستقلال من جانب واحد ، وبسبب عدم تنوع صادراتها ومشاق عمليات التصدير بسـبب مواصلاتها المحدودة الى الخارج ، ذلك كله كان ينبىء بأن تقدم حكومة كاوندا على مثل هذه الاجراءات لتخطى المشاكل الاقتصادية من جهة

حسابات عام ١٩٦٩

١٥ ـ رفضت حكومة كل من الاتحاد السوفيتى وفيتنام الشمالية والصين الشعبية استقبال بعثة الكومنولث للسلام التى يرأسها هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا .

١٦ ـ اجتمع فى فيتنام الجنوبية وزير الدفاع الامريكى مع رئيس حكومة سايجون وكبار القادة العسكريين من الجـانبين . وطلبوا تعزيزات جديدة من الولايات المتحدة لتوسيع نطاق الحرب بحيث تمتد الى لاوس لاعتقادهم أن حكومة هانوى ترسل الامدادات الى الثوار فى الجنوب عبر لاوس .

● قدم رئيس وزراء اليونان اسـتقالته وعهد الملك قسطنطين الى رئيس البـرلمان وعضو حزب اتحاد الوسـط (اثاناسيادس نوفاس) تأليف الوزارة .

٢١ ـ قررت حكومة السودان عدم السماح بارسال أية اسلحة عبر الاراضى السودانية الى الثوار فى أى دولة من الدول الافريقية المجاورة .

● صرح احمد الشـقيرى بان منظمة التحرير الفلسطينية تؤيد منظمة « فتح » ، ولكن من الضرورى التنسيق بين عملها وعمل المنظمة .

٢٣ ـ تم توقيع اتفاقية للبترول بين الجزائر وفرنسا وتقضى بان تحصل حكومة الجزائر على ٧٥٪ من أرباح البترول . كما ستنشىء الحكومتان شركة للبترول على أساس المناصفة لاستغلال الزيت الخام والغاز .

٣٠ ـ قدمت الوزارة اليونانية الجديدة استقالتها بعد ان فشلت فى الحصول على ثقة مجلس النـواب .

● أصدرت وزارة الخارجية التركية بيانا دعت فيه بريطانيا واليونان الى عقد اجتماع ثلاثى لبحث التطورات فى قبرص والتعديلات التى ادخلتها حكـومة قبرص على قـانون الانتخابات .

أغسطس

٣ ـ اجتمعت فى لندن اللجنـة التحضـيرية للمؤتمر الدستورى للجنوب العـربى المحتل وقد توقفت المحادثات بين المسئولين فى وزارة المستعمرات البريطانية وبين زعماء الجنوب ـ فى اليوم الخامس للاجتماعات ، بسبب اصرار بريطانيا على فرض جـدول اعمـال للمؤتمر . ولم يحدد موعد آخـر لاستئناف المحادثات .

٨ ـ اصـدر ممثلو ٤ هيئات سياسـية فى الجنوب العربى ـ من الذين أشتركوا فى اجتماعات لندن بيانا مشـتركا أعلنوا فيه تمسكهم بقرارات الامم المتحدة ورفع اجراءات الطوارىء وازالة القاعدة البريطانية فى عدن واطلاق سراح المسجونين السياسيين .

٩ ـ انسحبت جزيرة سنغافورة من اتحـاد ماليزيا .

● قررت اندونيسيا وقف تصدير البترول الخام الى فيتنام « حتى لا تستخدمه الولايات المتحدة ضد الدول الصديقة » .

١٧ ـ قررت حكومة اندونيسـيا الانسحاب رسميا من عضوية البنك الدولى للانشاء

ولممارسة حقوقها الوطنية من جهة أخرى فضلا عن سعيها لتثبيت مواقع سلطتها بين صفوف الجماهير .

وبغض النظر عن مضمون القرار وهل هو « تأميم » أم « افرقة » ، فانه يفتح - بدون شك - طريقا جديدا هاما أمام نضال شعب زامبيا من اجل الاستقلال الاقتصادى . وبالتالى لدعم استقلاله السياسى، بل ان القرار، يضع حكومة كاوندا نفسها أمام مفترق طريق حاسم لاستمرار الثورة الوطنية وتخليص اقتصاديات زامبيا من قبضة الاحتكارات العالمية .

ولتاكيد فكرة انه فى مواجهة تصعيد القوى الاستعمارية لتشددها ضد حركة التحرر الافريقى ، كان الصراع المسلح « المشروع » هو سبيل قوى الثورة الافريقية ، نرصد هنا ثورتى ليبيا (سبتمبر ١٩٦٩) والصومال (اكتوبر ١٩٦٩) .

لقد عمل الاستعماريون على المزيد من عزل هذه المواقع عن الثورة الافريقية ، بل وتصعيد عمليات اتخاذها مراكز للهجوم ضد الثورة الافريقية وتخريبها . فلم تكف الامبريالية العالمية - مثلا - عن استخدام القواعد العسكرية فى ليبيا ، لتدريب وتموين اسرائيل فى مواجهة حركة التحرر العربى . كما ان الاستعمار الامريكى ، كان يعد العدة للايقاع بالصومال - بشكل كامل - فى اسار قبضته الاستعمارية على ابدى عجال رئيس الوزراء السابق .

واستيلاء الحركات الثورية على الحكم فى كل من ليبيا والصومال ، دليل حاسم على أن القوى الاستعمارية مهما بلغ بطش قوتها ونفوذها ، لا يمكن ان تأمن لاستمرار الاوضاع تحت سيطرتها . ومن هنا فهى تسارع محاولة الالتفاف من حول هذه الانتفاضات . ولسوف تعمل هذه القوى على تخريب هذه الثورات من الداخل باكثر من أسلوب . حتى اذا فشلت فى ضربها فى النهاية ، تفكر فى استخدام القوة سواء من الداخل او الخارج فى ظروف مناسبة .

ولسوف يظل تقييمنا لثورتى ليبيا والصومال ، ناقصا ، مالم تؤكد حقيقة أنهما حددا معالم المرحلة الجديدة التى تتأهب الثورة الافريقية اليوم لاجتيازها : مرحلة الهجوم بدلا من الدفاع .

ويزيد من اهمية هاتين الثورتين ، المكان الجغرافى السياسى الذى تشغلهما . فعلى حدود الصومال ، تقع بلادا ماتزال تحت سيطرة النفوذ الاستعمارى . سوف تتأثر أوضاعها بالتاكيد نتيجة لوضع الصومال الجديد . كذلك على حدود ليبيا الجنوبية . ومن هنا ينبغى انتوقعدائما محاولات استعمارية دؤوبة من أجل اعادة الاوضاع فى هذين الموقعين الى سابق ماكانت عليه . على أن حركة الصراع هذه - نفسها - يمكن ان تكون عنصرا هاما من عناصر اتساع نطاق هجوم الثورة الافريقية . لا العكس . الامر يتوقف - اخيرا - على مدى استيعاب قيادات هاتين الثورتين لتجربة هجوم ٦٥ - ١٩٦٨ الاستعمارى ، وعدم التردى فى صراعات جانبية لا تستفيد الثورة منها ، فضلا عن تجنب تبنى بعض السياسات التى لا تفرق بوضوح بين الاصدقاء والاعداء .

وليس من قبيل الصدفة ، ان تتقدم حكومة اوبوتى فى أوغندا بميثاق « **الاتجاه نحو اليسار** » فى اكتوبر ١٩٦٩ . فلقد أدركت حكومة اوغندا ، أن افريقيا قد أصبحت تعيش عصرا يصعب فيه ان يتجاهل حاكم ما - حتى الحكام المحافظين - شعارات « العدالة الاجتماعية » و « الاستقلال الاقتصادى » بل وحتى « الاشتراكية » .

وتثير هذه الحقيقة قضية هامة قد تبدو خروجا على بعض المفاهيم التى ثبت صحتها . الا وهى : هل يمكن أن تمارس الظروف الخارجية المحيطة دورا فعالا الى هذا الحد فى بعض الدول الافريقية المتخلفة ؟ . انها قضيةمثيرة بحق . ولكنكثيرامن مظاهر حركة الحياة السياسية فى افريقيا تطرحها للتفكير على الاقل .

وعلى أية حال ، فان ادراك حكومة أوغندا الى انه من الصعب ان تظل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد على ماهى عليه ، واقدامها على اعلان ميثاق « الاتجاه نحو اليسار » ، لامر يضاف - فى التحليل الاخير - الى حساب الثورة الافريقية وحركتها فى عام ١٩٦٩ .

ويتبنى ميثاق « الاتجاه نحو اليسار » ، عددا من المبادىء النظرية والتطبيقية التقدمية والهامة ونظرا للاهمية القصوى من هذا الميثاق فاننا نقدم هنا بعضا من مبادئه :

مادة ١ : « من اجل تحقيق الاستقلال الحقيقى، لابد وان تستغل ثروات البلاد .. البشرية والمادية ، من أجل صالح شعب أوغندا على أسس من مبادىء الاشتراكية » .

* * * * * * * * * *

مادة ١٠ : « لابد أن نعى أنه فى مجتمع يمثل الاقطاع فيه القوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الرئيسية ، لا يمكن لهذا المجتمع أن يفلت من شباك اليمين سواء فى السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية .

وبازاحة الاقطاع من حياتنا السياسية والاقتصادية ، فاننا فى حاجة الى تحقيق مهمتين :

أولا : ألا نسمح بأن يشغل مكانة الاقطاعيين القدامى ، اقطاعيون جدد ·

ثانيا : لابد وأن نغير الظروف التى يمكن أن تؤدى الى خلق اقطاعيين جدد ·

ان الاتجاه الى اليسار ، يعنى خلق ثقافة سياسية جديدة ووضع انماط جديدة للحياة · ولابد أن تتميز هذه الثقافة وهذه الانماط المعيشية ، بالعداء للاقطاع وللرأسمالية » .

نخلص من ذلك كله ، الى أن عام ١٩٦٩ بالنسبة لحركة التحرر الافريقى ، كان بمثابة « عام التقاط الانفاس » — بعد عدة أعوام من مواجهة الهجوم الاستعمارى دون مقاومة نشطة — تهيأ للاخذ بزمام المبادرة من جديد ·

الوحدة الافريقية والبحث عن صياغة

لقد أصبح واضحا تماما أن الموقف قد تغير كثيرا داخل منظمة الوحدة الافريقية · فحساب علاقات القوى داخل اجتماعات المنظمة ، توضح أن القوى الرجعية هى الاقوى · بل ان الدول الافريقيه التى استقلت مع أوائل عام ١٩٦٩ (سوازيلاند — موريشيوس) لم تضف الا لحساب القوى الرجعية ·

والواقع أن غياب **موديبو كيتا** ، بعد غياب **نكروما** وغيره من القادة الافريقيين التقدميين ، ثم عدم سماح ظروف معركة المواجهة بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل ·· للرئيس **جمال عبد الناصر** من حضور مؤتمر القمة ، نقول أن ذلك كان له تأثير ملموس .

ولعل ابرز ملامح هجوم القوى الرجعية ، هو « **المطالبة بحل لجنة تحرير المستعمرات** » التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية · وطبيعى أن تمارس القوى الرجعية هذا الهجوم متسترة بمنطق يقول : ان على حركات التحرير الوطنية أن تعتمد على شعوبها فى نضالها · تلك مسلمة لا ينكرها أحد ؛ ولكنها فى ظروف حركات التحرير الوطنية الافريقية فى الدول التى لم تستقل بعد ، تعنى أنك تطلب من « الحمل » أن يواجه « الذئب » بزعم انه صاحب المصلحة فى الابقاء على حياته · والمشكلة هى : هل يمكن لحركات التحرير هذه — بما تعانيه من مشكلات هى انعكاس لواقع شعوبها وتخلفها — أن تواجه أقصى درجات القوة الحديثة للاستعمار العالمى سواء فى جنوب افريقيا أو فى المستعمرات

والتعمير اعتبارا من اليوم . ويعد ذلك أول انسحاب رسمى فى تاريخ البنك منذ انشائه فى ١٩٤٦ .

١٨ — أعلنت استراليا رسميا قرارها بارسال عدد جديد من قواتها المسلحة للاشتراك مع القوات الامريكية فى حرب فيتنام .

٢٢ — قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة رسمية الى المملكة السعودية بناء على دعوة من الملك فيصل وذلك لوضع حل سلمى لمشكلة اليمن . وقد تم التوصل الى «اتفاقية جدة» بهذا الشأن .

٢٣ — اتخذ مجلس الدولة فى الصين الشعبية قرارا بمنح التبت الحكم الذاتى ابتداء من أول سبتمبر (١٩٦٥) .

٢٧ — قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة رسمية الى الاتحاد السوفيتى لاجراء محادثات مع المسئولين حول العلاقات بين البلدين .

٢٨ — تم فى موسكو توقيع الاتفاق بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة على اتمام جميع خطوط كهرباء السد العالى وتبلغ قيمة الاتفاق ٢٠ مليون جنيه .

٣١ — رفض الاتحاد السوفيتى الاقتراح الامريكى الخاص بعقد معاهدة لوقف انتشار الاسلحة الذرية مالم تمتنع المانيا الغربية عن الحصول بطريق مباشر أو غير مباشر على الاسلحة الذرية .

● أعلنت حكومة المانيا الغربية رفض أية معاهدة للصلح قبل أن يوافق الاتحاد السوفيتى على انهاء تقسيم المانيا .

سبتمبر

٤ — وجهت الصين الشعبية تحذيرا الى بريطانيا من استخدام هونج كونج كقاعدة لمساعدة امريكا فى الحرب الفيتنامية .

٦ — أعلن الرئيس الباكستانى أيوب خان أن بلاده فى « حالة حرب » مع الهند ، واعلنت حالة الطوارىء فى جميع البلاد .

● اعلن لال بهادور شاسترى رئيس وزراء الهند أن بلاده فى « حالة حرب » مع باكستان . وقد عبرت القوات الهندية حدود باكستان وتوغلت فيها حتى بلغت مدينة « لاهور » عاصمة باكستان الغربية واستولت عليها .

٩ — طالب الرئيس الفرنسى ديجول حل قيادة حلف الاطلنطى ونظام تشكيلها فى موعد اقصاه عام ١٩٦٩ .

١١ — طالبت حكومة باكستان فى بيان رسمى لها من دول العالم مساعدتها فى حربها ضد الهند وقد قرر مجلس الامن وقف اطلاق النار بين الهند وباكستان وقد وافقت حكومتا البلدين على القرار .

١٦ — سلمت وزارة الخارجية الصينية مذكرة الى القائم بالاعمال الهندى فى بكين تطالب

البرتغالية ، دون أن تلقى مساعدة الاشقاء والاصدقاء ؟

لقد أثبتت التجربة التاريخية فى القارة ، أنه طالما أن هناك دولا لم تستقل بعد أو أن بعض نظم الحكم تحت سيطرة العنصريين، فان وحدة القارة ستظل مسالة مستحيلة . ليس هذا فحسب ، بل ان استقلال وتطور الدول الافريقية المتحررة ، سوف يظل دائما محفوفا بالخطر . ومن هنا فان دعم حركات تحرير هذه المناطق ، ليس مساهمة فى تحريرها فحسب ، بل هو فى الاساس حماية للنفس أيضا .

وبرغم المناخ الجديد الذى انعقد فى ظله، مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا (سبتمبر ١٩٦٩) ، حيث كان من المنتظر أن تنعكس آثار هذا المناخ على أعمال المؤتمر ، الا أن علاقات القوى داخلها لم تسمح بذلك . فلقد كان مجرد اختيار أديس أبابا موقعا لانعقاد المؤتمر، كافيا لان يوضح الاتجاه العام الذى ساده بعد ذلك والذى يمكن أن نسميه : اتجاه تجنب تفجير المشاكل . أو فى كلمات أخرى اتجاه « الوسطية » أو « التوفيقية » .

فعند مناقشة أزمة الشرق الاوسط ـ مثلا ـ سعى البعض الى تجنب مناقشتها لولا جهود الوفد العربى . وقد اتجه المؤتمر بشكل عام الى « عموميات الازمة » بالتأكيد من جديد على أهمية قرارات الامم المتحدة الصادرة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . ولعل أكثر أوجه النقص وضوحا فى مناقشات المشكلة داخل المنظمة ، هو تناول كثير من الدول الافريقية لها فى « حدودها المصرية » لا فى « حدودها العربية » .

وأمام مشكلات حركات الكفاح المسلح الوطنية، لم يتمكن المؤتمر من الوصول الى حل يرتقى الى مستوى الطبيعة الملحة لهذه المشكلات . والكسب الاساسى الذى حققه المؤتمر هو أنه أبقى على « لجنة التحرير » . غير أن اسئلة حركات الكفاح المسلح ، ظلت كما هى بلا جواب . ومن أمثلة هذه الاسئلة الهامة : كيف لا تصل هذه الحركات الوطنية ، المساعدات العسكرية التى تمدها بهـا الـدول المتحررة ؟، وماهى الحلقة المفقودة والغيرواضحة حتى الان .. التى تؤدى الى وصول هـذه المساعدات ـ خطأ ـ الى بيافرا ؟ وكيف نضمن وصول هذه المعدات الى مستحقيها الحقيقيين ؟

أما الكسب الهام الذى حققه المؤتمر ، فهو وصوله الى اتفاق يقضى باجراء مفاوضات مباشرة بين حكومة **نيجيريا** المركزية وبين حكام **بيافرا** . وقد وافق الطرفان على ذلك . ففضلا عن نجاح هذا القرار ـ الذى يحتاج الى متابعة ملحة ـ فى وضع أسس أولى للقاء يمكن ان يضع حدا « لمجازر » نيجيريا والحرب الاهلية التى تبدد طاقة شعبها ، فانه قد حقق أيضا ، نجاحا بارزا فى الابقاء على المشكلة وحلها فى « **اطار افريقى** » .

وصحيح أن ذلك لا يقلل من ايجابيات المنظمة . ولكن وضع المسالة فى اطار « ان مجرد بقاء المنظمة كسب فى حدذاته » وأن « مجرد انعقاد مؤتمر القمة كسب » ، لا يلبى حاجة الثورة الافريقية اليوم بالقدر المطلوب . ان وجود المنظمة كسب لا شك فيه ، ولكن الحركة الثورية وقواها مطالبة بالبحث عن صياغة تواجه بها الموقف فى اطار اعتبارين أساسيين :

أولا : النشاط المتزايد للقوى الرجعية داخل المنظمة وخارجها .

ثانيا : عدم العودة الى الوضع الانقسامى بين الكيانات السياسية المتعددة قبل تأسيس منظمة الوحدة فى ١٩٦٣ .

وتلك هى المشكلة . كيف نعيد الى المنظمـة « الروح الايجابية » التى سادت حركتها فـى السنوات الاولى ؟ وهل يمكن أن تلعب اللقاءات الثنائية والجماعية بين القوى الثورية الافريقية ، دورا من أجل هذا الهدف ؟

حركات الكفاح المسلح

طرحت فى خلال عام ١٩٦٩ ، وجهتا نظر حول علاقات حركات الكفاح المسلح بينها البعض فى افريقيا .

تقول وجهة النظر **الاولى** ـ وقد تبناها المؤتمر العام لحزب المؤتمر الوطنى لجنوب افريقيا الذى انعقد فى **موروجورو** بتنزانيا ـ بضرورة « **العمل العسكرى المشترك** » بين قوات حزب المؤتمر وقوات حزب **زابو** فى روديسيا وقوات جبهة **الفريليمو** فى موزمبيق ، وقوات **الحركة الشعبية لتحرير انجولا** وقوات **حزب الاستقلال الافريقى لتحرير غينيـا (بيساو) ، والساحل الاخضر وقوات حزب اتحاد شعب جنوب غرب افريقيا** . وتقوم وجهة النظر هذه على أساس أن العدو الذى تواجهه شعوب هذه البلاد عدو واحد .. وأن هدفها : الاستقلال ، هدف واحد ، وأن تجربة « العمل العسكرى المشترك » بين قوات حزب المؤتمر الوطنى لجنوب افريقيا وقوات حزب زابو لروديسيا الجنوبية ، قد حقق نتائج لا يمكن تجاهلها على الرغم من صغر حجمها .

وتقول وجهة النظر الثانية التى تتبناها جبهة **الفريليمو** فى موزمبيق بشكل أساسى ، بأن دعم العلاقات السياسية وتبادل الخبرات ، قضية مسلم بها ولا يمكن الاستغناء عنها · ولكن « العمل العسكرى المشترك » يمكن أن يسقط البقية الباقية من احجام قوى الاستعمار العالمى حتى الان من « العمل العسكرى الموحد المباشر » ضد حركات التحرير المسلحة كل على حدة اوضدها فى وقت واحد · ومن ثم ـ كما ترى وجهة النظر هذه ـ سوف تجد القوى الاستعمارية فى حلف الاطلنطى ـ مثلا ـ « المبرر » الشكلى لان تتدخل مباشرة وبشكل كامل بحجة أن هناك قوات «اجنبية» تعمل مع القوات الوطنية ·

وبرغم أن هذا الخلاف قد أثير فى هذا العام ، الا أنه ما يزال محصورا فى « كواليس » هذه الاحزاب ولم يخرج بعد الى نطاق علنى مفتوح ·

وفى الجانب العملى من نشاط حركات الكفاح المسلح ، شهد هذا العام تقدما ملحوظا أحرزته قوات حزب الاستقلال الافريقى لتحرير غينيا (بيساو) والساحل الاخضر · فقد استولت هذه القوات على منطقة « ماديتا » أحد المعاقل الهامة للقوات البرتغالية ·

وفى أوائل عام ١٩٦٩، تعرضت حركة الكفاح المسلح فى موزمبيق لمصاعب شديدة جمدت من نشاطها لفترة من الوقت · ففى أوائل فبراير تم اغتيــال **ادوارد موندلانى** زعيم الفريليمو وابرز عناصرها الفكرية والحركية ، ثم اعقب ذلك فى يونيو ، ان استسلم **لازارو كافاندامى** للقـوات البرتغالية ، وكان يشغل منصب السكرتير المؤقت للجبهةفى أقليم كابوديلجادو ، وخطورة استسلام كافاندامى تكمن فىحقيقة النفوذ الذى كان يتمتع به بين قبيلة ماكونديزالتى يشكل ابناؤها وزنا هاما داخل جيش حركة التحرير التابع للفريليمو ·

ولقد استطاعت الفريليمو ، تدارك الموقف المترتب على اغتيال موندلانى منجهة ثم استسلام كافاندامى ، بأن اعادت تنظيم قيادتها وأعلنت عن **انتخـاب مجلس ثلاثى من يوريا سـيمانجو ، ومارسلينو دوسانتوس وساموزا مايكل** ، يتولى قيادة الفريليمو خلفا لموندلانى ·

وبرغم تقدمية دوسانتوس ووزنه فى القيادة ، الا أن المراقبين قد أجمعوا على أن فقدان الجبهة لموندلانى كان فادحا وأن أحدا غيره حتى الان لم يتمكن من أن يملأ المكان الذى خلفه ·

وفى جنوب افريقيا ، تمكن حزب المؤتمر الوطنى فى أواخر نوفمبر ١٩٦٩ من أن يبدأ نشاطا ثوريا داخل البلاد · ومن ثم أصبح فى امكانه ان يتجنب حملات الهجوم السياسى الذى كانت تشنه ضده

حسابات عام ١٩٦٩

فيها بازالة جميع المنشآت العسكرية الهندية على الحدود بين البلدين ، وذلك فى مدى ٣ أيام والا كان على الهند أن تواجه النتائج الخطيرة .

٢١ ـ أعلن المجلس العسكرى الحاكم فى بوليفيا حالة الطوارىء فى البلاد لمواجهة الموقف الناشىء عن قيام بعض عمال مناجم القصدير بحركة تمرد مسلحة بسبب طرد زعيم عمال المناجم جوان ليتش .

٢٤ ـ قررت الولايات المتحدة زيادة عددقواتها فى فيتنام الجنوبية من ١٢٥ الف جندى الى ٢٠٠ الف .

● أعلن الرئيس الامريكى جونسوناتفاق حكومته مع حكومة بنما على الغاء معاهدة قناة بنما التى أبرمت عام ١٩٠٣ ، والعمل لاستكمال وضع معاهدة جديدة تعترفبسيادة بنما على منطقة القناة .

٢٥ ـ أعلنت بريطانيا رسميا وقف العمل بدستور عدن وخولت المندوب السامى البريطانى حق حكم عدن حكما مباشرا بدعوى حالة الامن المتدهورة بعد مصرع الرئيس البريطانى للجمعية التشريعية للجنوب المحتل

٢٦ ـ الغى الرئيس جمال عبد الناصر مقابلة كانت قد تحددت مع وزير الدولة البريطانى جورج طومسون الذى يزور القاهرة رسميا بسبب تطورات الموقف فى الجنوب العربى المحتل وتدابير القمع التى اتخذتها السلطات البريطانية فى عدن والمحميات .

٢٠ ـ (٢٤ اكتوبر) ـ صدر بيان فى اندونيسيا يعلن مراسيم تشكيل مجلس ثورة بقيـادة الكولونيل اونتونج قائد حرس الرياسة وتوليه الحكم فى البلاد بوصفه السلطة العليا . وأعلن البياناعتقال مجلس الجنرالات « الذين كانوا سيقومون بانقلاب فى عيدالقوات المسلحة (٢٨سبتمبر) وان « حركة ٣٠ سبتمبر » قامت لحماية الرئيس سوكارنو . وفى اكتوبر قام الجنرال ناسيتون قائد القوات المسلحة ووزير الدفاع بانقلاب ضد انقلاب أونتونج ، وفى ٦ اكتوبر عقد الرئيس احمد سوكارنو اجتماعا مع أعضاء وزارته لاول مرة بعد « حركة ٣٠ سبتمبر » . وقد أعلنت الوزارة انها لا تقر « حركة ٣٠ سبتمبر » وطالبت جميع الاحزاب بانهاء الشقاق السياسى بينها . وفى اكتوبر أصدر الجيشالاندونيسى عدة بيانات اعلنفيها انه تم اعتقال بعضأعضاء الحزب الشيوعى واصدر الحزب الشيوعى الاندونيسى بيانا أيد فيه نداءات الرئيس سوكارنو من أجلالوحدة الوطنية وذكر البيان أن حركة ٣٠ سبتمبر مسألة داخلية تهم الجيش وأن الحزب لا يتدخل فيها . وفى ٢٤ اكتوبر أصدرت الحكومة الاندونيسية أمرا بوقف نشاطاتحاد العمال الاندونيسى الذى يعد مركزا هاما لنفوذ الحزب الشيوعى الاندونيسى .

نوفمبر

١١ ـ اعلن ايان سميث رئيس حكومة الاقلية البيضاء فى روديسيا استقلال البلاد من جانب واحد . اذاع سميث دستورا جديدا يضمن سيطرة الاقلية البيضاء على الاغلبية الافريقية كما اصدر قرارا بتشديداجراءات الطوارىء .

بعض القوى ـ ومنها قوى وطنية افريقية ـ بقولها أنه يمارس كفاحا « على الورق » من خارج البلاد. ففى أواخر نوفمبر أعلنت حكومة جنوب افريقيا عن اكتشافها لوجود اذاعة سرية تابعة للحزب دون أن تكتشف مكانها • كما أعلنت عن وقوع انفجارات متعددة فى اكثر من مكان فى وقت واحد •

على أن دور قوات حزب المؤتمر فى دعم الكفاح المسلح لقوات حزب زابو فى روديسيا ، لا تزال أكثر حجما •وقد نجح الحزبان خلال هذا العام ، فى تصفية الخلاف الذى كان قد نشب بين قائدى قوات الحزبين داخل روديسيا • ويرد الحزبان عدم تحقيق نجاحات عسكرية بارزة الى « الدور الذى تقوم به بعض الدول الافريقية المجاورة والتى تسمح لطائرات الاعداء دخول مجالها الجـوى لتصوير معسكرات الثوار وتدريباتهم ، ومن ثم التمكن من شن هجمات مفاجئة ضدهم » •

يبقى أن نشير ـ فى عجالة ـ الى حركتين مسلحتين تحرص وكالات الانباء الغربية علـى اسدال ستار كثيف من الصمت حولهما • ففى الكاميرون ، تقوم حركة مسلحة من أنصار فيليكس موسى وان كانت لاتزال فى دور البدايات الاولى • وفى تشاد ، تقوم حركة مسلحة أخرى نشطت خلال هذا العام ، فى مواجهة استعانة حكومة تومبالباى بفرنسا التى سارعت بارسال قوات من « الفرقة الاجنبية » لمساعدة جيش بالباى فى القضاء على الحركة الثورية المسلحة التى تقودها « جبهـة التحرير الوطنية التشادية » والتى تضم ٣٠٠٠ وطنى فى مواجهة قوات الحـــكومة والقوات الفرنســية التى تتمركز فى قاعــدة فورت لامى العسكرية الفرنسية فى تشاد •

كذلك ، تمكنت جبهة تحرير ارتيريا فى خلال هذا العام ، من التغلب على حالة التفتيت والانقسام التى سادت صفوفها خلال الاعوام الماضية نتيجة لتمرد قيادات بعض المناطق على القيادة العامة •

المسألة النيجيرية

ظل الوضع العسكرى متجمدا ـ تقريبا ـ فبرغم تفوق قوات الحكومة المركزية ، الا انها لم تستطع طوال هذا العام أن تحرز نصرا حاسما ضد قوات حكومة بيافرا • وأصبحت البيانات العسكريـة للحكومة المركزية التى تقـول بشكل دائـم انها « سوف تحقق نصرا عسكريا حاسما فى خلال مدة قصيرة » لا تثير الاحساس الجدى لدى أحد من المتابعين لتطورات الحرب الاهلية •

والواقع أن الخلاف ما زال قائما بين القوى السياسية الافريقية ـ حتى داخل صفوف التقدميين ـ حول الموقف من المسألة النيجيرية • ولا يعود ذلك الخلاف الى تعقد المشكلة فحسب • بل والى أن القوى التقدمية الافريقية ـ سواء داخل نيجيريا أو خارجها ـ لم تقدم حتى الان دراسات جادة وعميقة بشأن « المسألة الوطنية » هناك •

وتعود المشكلة الى أن مفهوم وحدة الارض واللغة والتاريخ •• الخ قد يكون فى حاجة الى صياغة افريقية حيث تختلف القضية اختلافا بينا • فوجود القبائل وآثار عمليــات الضم والبلقنة الاستعمارية وحيث لا توجد لغة واحدة •• كل ذلك مشاكل ينبغى الوقوف عندها طويلا لتأملها ودراستها دراسة علمية جادة • خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن معظم هذه الدول الافريقية لا تعيش « مرحلة رأسمالية » ولا مكان فيها « للسوق واحد » •• الخ بل والاهم من ذلك أن طرح هذه القضية يتم فى وقت ينتقل العالم فيه من الرأسمالية الى الاشتراكية •

صحيح أن فى نيجيريا مظهر لحركة واحدة عامة كتلك الاضرابات التى وقعت عام ١٩٦٤، وصحيح أنه قد تأسس فيها حزب العمال والفلاحين • ولكن المشكلة انك لا تجد مظهرا واحدا لحركة هذا الحزب القومى بشأن الحرب الدائرة •

على اية حال فان هذه الكلمات لا تعنى مطلقا التعرض للمشكلة بالدراسة ، ولكنها مجرد « تفكير بصوت عال » لقضية يجب أن تقول القوى التقدمية الافريقية كلمة علمية فيها •

صراع داخلى وعدم استقرار

اما فى المواقع التى استطاع الاستعماريون خلال السنوات القليلة الماضية أن يبسطوا سيطرتهم عليها من جديد أو يمارسوا استمرار هـذه السيطرة ، فقد تعرضت خلال هذا العام الى بعض الهزات التى تشير الى تفجر الصراع الداخلى بين القوى الاستعمارية على أرض هذه المواقع ، او الى عدم استقرار الاوضاع للنظم الجديدة التـى أقاموها • ولسوف نأخذ مثالا للظاهرة الاولى : كينيا ، وللظاهرة الثانية غانا •

ففى كينيا ، بعد أن نجحت القوى الرجعية ممثلة فى جناح توم مبويا ـ بميوله الامريكية ـ وجناح نجالا ـ بميوله البريطانية ـ ، فى السيطرة على مقدرات الامور فى البلاد سواء فى حزب الكانو الحاكم أو فى أجهزة الدولة • وبعد نجاحها فى طرد القوى التقدمية التى تمثلها مجموعة أوجنجا أودينجا التى انشقت على الكانو، وكونت حزب اتحاد شعب كينيا (كبو) ـ نقول أنه بعد ذلك ، دب الصراع بين مجموعة توم مبويا ومجموعة نجالا • هذا الصراع الذى كان يمثل ـ فى جوهره ـ صراعا بين الاستعمار الامريكى والاستعمار البريطانى •

وقد نجح أعداء مبويا في تدبير عملية اغتيال له في وضح النهار . وبذلك تخلصت مجموعة نجالا ــ آراب موي ــ تشارلز نجونجو ، من أخطر منافس لها كان قد أعد العدة تماما ليتولى حكم البلاد بعد جومو كينياتا الذي بلغ من العمر ما يقارب الثمانين عاما .

وقد أعقب التخلص من مبويا ، حملة هجوم واسعة ضد مجموعة أودينجا بدأت بتحديد اقامته واعتقال كثير من مساعديه وبذلك تم التخلص أيضا من المنافسين الباقين الذين يتمتعون بنفوذ جماهيري ملحوظ . وعندما انفردت تلك المجموعة التي تمثل النفوذ البريطاني ، بالعمل السياسي في البلاد ، أعلنت عن اجراء اول انتخابات عامة في كينيا منذ استقلالها في ديسمبر ١٩٦٣ ــ أي بعد ٦ سنوات . ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان نتائج الانتخابات كانت في صالح تلك المجموعة .

على أن نجاح مجموعة نجالا ــ آراب موي ــ نجونجو حتى الآن في تنفيذ مخططها ، لا يعني على الاطلاق أن الاوضاع قد استقرت تماما لصالحها . فأنصار مبويا ــ وأمريكا ــ من جهة ، والافراج عن أودينجا وأنصاره ، الذين لابد أن يحدث يوما ، من جهة أخرى ــ لن يتركا هذه المجموعة تهنأ بانتصارها المؤقت الى أمد طويل .

وفي غانا ، تأكد مع أوائل عام ١٩٦٩ حقيقة طبيعة العناصر التي قادت الانقلاب العسكري ضد حكومة كوامي نكروما . حيث افتضح أمر اختلاسات هذه العناصر وثرائها بسبب استغلال وضعها في الحكم ، كما اديت امام الرأى العام نتيجة « لفسادها » . ومن ثم ، ضعف الوضع السياسي العام للنظام الجديد الذي اقامه الاستعماريون ، وأصبح في حاجة الى عملية انقاذ سريعة . وهنا تدخلت القوى السياسية المدنية الرجعية التي كانت تعادي حكم نكروما ، لتتولى الحكم الرجعي في ثوب مدني بدلا من الثوب العسكري الذي تهرأ على يد قادة الانقلاب .

العنصرية تشدد قبضتها

برغم كل محاولات القوى الاستعمارية ــ في الهجوم على مواقع التحرر الوطني الافريقي ، الا انها في حسابها آخر الامر ما يمكن أن تعبر عنه بقولنا « لقد ضاع الشمال » . ولا يعني ذلك انها قد يئست . بل على العكس انها تسعى بكل دأب لاستعادته بين أيديها . فقط نقول أنها تحاول ذلك « بنفس طويل » .

ومن ثم فانها تركز على الجنوب بكل ثقلها حتى لا يضيع هو أيضا فتكون نهايتها . ولذلك تسعى قوى العنصرية في الجنوب من افريقيا لا الى التشبث بكل قوتها بما في أيديها من بلاد افريقية بل والى الهجوم على الدول الافريقية المجاورة .

١٥ ــ وافق البرلمان الاندونيسي على قرار يقضي بالغاء الحزب الشيوعي الاندونيسي وجميع المنظمات الجماهيرية التابعة له في مختلف انحاء اندونيسيا .

١٨ ــ قدمت حكومة السودان الى الجمعية التاسيسية مشروع قرار بتعديل الدستور بحيث يمكن الحكومة من اصدار قانون يحرم نشاط الحزب الشيوعي السوداني . وقد وافقت الجمعية على التعديل باغلبية ١٤٥ صوتا ضد ٢٥ صوتا وامتناع ٢ عن التصويت

٢١ ــ اعترف المسئولون الامريكيون أن الطائرات والصواريخ التي تمتلكها المانيا الغربية ودول حلف الاطلنطي تحمل رؤوسا ذرية أمريكية وان الاشراف الامريكي على هذه الرؤوس كان في أوقات كثيرة اشرافا اسميا

٢٥ ــ قام الجنرال جوزيف موبوتو قائد جيش الكونجو ليوبولدفيل بانقلاب عسكري وأعلن نفسه رئيسا للجمهورية لمدة ٥ سنوات .

٢٩ ــ قام الجيش في داهومي بانقلاب استولى به على السلطة ، بقيادة الجنرال كريستوف سوجلو .

ديسمبر

٣ ــ اتخذ المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية المجتمع باديس ابابا (اثيوبيا) قرارا بقطع العلاقات بين جميع الدول اعضاء المنظمة وبين بريطانيا بسبب موقفها من مشكلة روديسيا

٩ ــ أقرت الجمعية التاسيسية في السودان مشروع قانون حل الحزب الشيوعي السوداني واسقاط عضوية النواب الشيوعيين من الجمعية .

● جرت بعض التغييرات التنظيمية الهامة في الاتحاد السوفيتي فقد استقال ميكويان رئيس الاتحاد السوفيتي بسبب تدهور صحته وعين نيكولاي بودجورني سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي خلفا له وأعلن اعفاء الكسندر شيلبين من منصبه كنائب لرئيس الوزراء مع احتفاظه بمنصبه كعضو في اللجنة المركزية للحزب وكسكرتير لها .

٣١ ــ قام الجيش في جمهورية وسط افريقيا بانقلاب عسكري وتولى السلطة في البلاد .

عام ١٩٦٦

يناير

٣ ــ تم في القاهرة توقيع الاتفاقية الجديدة للقمح بين ج.ع.م والولايات المتحدة الامريكية

● افتتاح المؤتمر الاول لشعوب القارات الثلاث في هافانا .

● نشوب معارك عنيفة في شمال العراق بين القوات العراقية والاكراد .

٥ ــ هددت الحكومة الفرنسية بقطع المعونات الاقتصادية عن الدول الافريقية المتحدثة بالفرنسية ، اذا استمرت الحركات الثورية فيها .

وتلقى هذه القوى العنصرية كل مساندة ودعم قوى الاستعمار العالمي .

ولعل أبرز هذه المحاولات خلال هذا العام ، هو المناورة البريطانية ــ الروديسية التي انتهت أخيرا بوضع دستور لروديسيا الجنوبية أجرت عليه حكومة أيان سميث استفتاء كانت نتيجته ــ طبعا ــ الموافقة على الدستور . ومن ثم « تشريع » حكم الاقلية العنصرية واستقلالها من جانب واحد بروديسيا .

أما فى جنوب افريقيا فقد ركزت حكومة جوهانسبرج على أعمال التنسيق فيما بين قواتها وقوات حكومة ايان سميث أو القوات البرتغالية فى مواجهة قوات الوطنيين الافريقيين . وهي ــ فى ذلك ــ تقوم بتعويض هاتين الحكومتين عن كل خسائرها الناجمة عن أعمال المقاومة الوطنية ، او حتى تلك الناجمة عن بعض أشكال المقاطعة الاقتصادية ــ الضعيفة ــ التى تلقاها حكومة سميث بين وقت وآخر .

أفريقيا ٧٠

ومثلما ان تطورات « عام التقاط الانفاس والمبادرة من جديد » ــ ١٩٦٩ ــ يمكن أن تمد حركة التحرر الافريقى فى عام ١٩٧٠ بطاقات جديدة ، فانها فى نفس الوقت ، سوف تكون سببا فى توقع هجمات اعنف من القوى الاستعمارية : فالاستعماريون لن يسلموا بسهولة . والمشكلة هى ان تستوعب حركة التحرر الافريقى درس ٦٥ ــ ١٩٦٨ وأن تسارع دائما الى سد الثغرات التى تكشف عنها « الاختبارات » العملية . ولسوف تبقى وحدة القوى الثورية والوطنية ــ بمختلف اتجاهاتها ــ ضمانا أكيدا ووحيدا ، لمواجهة المخططات الاستعمارية وافشالها .



الفن

١ ـ الأدب

٢ ـ المسرح

[١] البصمة الأخيرة فى أدب الستينات

غالى شكرى

بالرغم من أن الظاهرة الفنية تمتنع غالبا على التصنيف التاريخي المحدد تحديدا صارما، فربما كانت بدايتها تتصل بزمن ما، ونهايتها تتصل بزمن مختلف فضلا عن مرحلة نضجها التى قد تتصل بزمن ثالث ، وهكذا ... الا ان الادب العربى الحديث قد عرف ابان الستينات من هذا القرن ظاهرة فنية لا سبيل الى تصنيفها الا فى اطارها التاريخى ، ذلك أن هذا الاطار يضيف اليها بعدا هاما هو ارتباطها العميق بالكثير من سمات هذا العقد ، كما أن الظاهرة بدورها تضيف الى مرحلتها الزمنية بعضا من خصائصها فى الفكر والتعبير .

واذا كان النصف الاول من الستينات يميز حياتنا الادبية فى مصر بغير قليل من الجفاف ، فقد ميز الحياة الادبية فى غير مصر من بقية أقطار الوطن العربى بالقلق والارتباك والترقب . كان واضحا أن ثمة شيئا جديدا يختمر فى الكيان الادبى ، تسبقه موجة من الارهاصات التى لا مفر من رصدها مهما بلغت من الضعف ، وتسبقه كذلك موجة من الصمت ان جاز التعبير عن ذلك « التوقف» الذى أصاب أفواها كثيرة لاسباب عديدة ، منها أن المرحلة التاريخية قد تجاوزت بعضهم ،ومنها المناخ السياسى المعقد الذى ظلل الوطن العربى منذ أواخر الخمسينات .

ونحن نستطيع ان نتلمس بوادر صيحة

السيتنات الادبية والفنية فيما ظهر من منابر فكرية قبل منتصف العقد وبعده ، وهى منابر تختلف انتماءاتها بين اليمين واليسار ، ولكنها تجتمع حول هذه الحقيقة الجديدة التى اقتحمت حياتنا فيما يشبه الحذر ، ثم تدرجت فى فرض نفسها على واقعنا الادبى حتى أصبحت عام ١٩٦٩ الظاهرة الرئيسية فى الادب العربى الحديث • وربما كان الاتجاه الليبرالى الذى يميل يمينا هو الاتجاه الذى أتيح لهأن يستقطب ـ لظروف خاصة بالديمقراطية والموقف من اليسار ـ بدايات الظاهرة ، كما نلاحظ فى مجلتى « حوار » و « أدب » اللبنانيتين ، جنبا الى جنب مع مجلة « شعر » التى كانت قد استقرت منذ شتاء ١٩٥٧ • . ولكن الاتجاه الوطنى التقدمى سرعان ما تبلور ابان المنتصف الثانى من الستينات فى منابر ثورية تختلف مع بعضها البعض ولكنها تصلح بديلا موضوعيا للاتجاه الاخر الذى بدأ يلفظ أنفاسه عندما ظهرت فى حياتنا منابر مثل « الكلمة » و« الشعر ٦٩ » و « الثقافة الجديدة » و « المثقف العربى » فى العراق ، و« الطريق » فى ثوبها الجديد، و« مواقف » فى لبنان ، والتجديد الذى طرأ على مجلة « المعرفة » فى سوريا ، وظهور « جاليرى ٦٨ » فى مصر ، لقد ظهرت هذه المنابر على مدى السنوات العشر الماضية مما يؤكد أن الموجة البارزة فى حياتنا الادبية الراهنة ليست وليدا للخامس من يونيو ١٩٦٧ كما يذهب البعض ، بل لعلها اكتوت أكثر من غيرها بلهيب الاوضاع السابقة على هذا التاريخ ، فجاء تعبيرها عن الاوضاع التالية له أكثر صدقا وأصالة • فالهزيمة لم تكن حدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ الادب العربى ، وانما هى تتويج لظروف سبقتها ونقطة فى السياق التاريخى الممتد عنها •

قصتنا القصيرة تودع

موبسان وتشيكوف

واذا كانت المعركة الاساسية التى خاضها « الجديد » مع « القديم » طيلة الخمسينات هى معركة « الشعر »، فان المعركة الاساسية للستينات هى معركة « القصة القصيرة » • . فلقد كان الصدام بين شعر الشرقاوى والسياب والملائكة وعبد الصبور والبياتى، وبين شعر عزيز اباظة وصالح جودت ومحمود اسماعيل وبشارة الخورى وعمر أبو ريشة أعمق احتداما من الصدام بين قصص يوسف ادريس ومحمد صدقى ولطفى الخولى وعبد الملك نورى وغائب طعمة وسعيد موارثية وحنا مينة، وبين قصص محمود تيمور واحسان عبد القدوس ويوسف السباعى وأمين يوسف غراب وفؤاد الشايب وشكيب الجابرى وكرم ملحم كرم. ولكن الامر قد تغير كثيرا فى الستينات

١٠ ـ اعادة تشكيل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى فى ج.ع.م وافتتاح المؤتمر الاول لامناء وأعضاء المكاتب التنفيذية بالمحافظات .

● تم توقيع اتفاقية طشقند بين الهند وباكستان لانهاء النزاع بين البلدين .

١٤ ـ انقلاب فى نيجيريا وتولى الجنرال ايرونسى السلطة بعد اغتيال الرئيس ابو بكر باليوا .

١٧ ـ أكثر من ٢٠ عالما أمريكيا يوقعون نداء يستنكرون فيه استخدام المواد الكيماوية السامة لاتلاف المحاصيل الزراعية فى المناطق المحررة بفيتنام الجنوبية .

٢٠ ـ طلبت الحكومة الفرنسية الى البوليس الدولى القاء القبض على الجنرال محمد أوفقير وزير داخلية المغرب واثنين من معاونيه لاشتراكهم فى حادث اغتيال الزعيم المهدى بن بركه .

فبراير

٢ ـ حصلت اسرائيل على ٢٠٠ دبابة(باتون) الامريكية .

● أعلن فيدل كاسترو أن الصين الشعبية نقضت اتفاقها مع كوبا بالمقايضة الارز على السكر

٣ ـ احتجت ج.ع.م على استئناف الغارات الامريكية على فيتنام وطالبت بوقفها فورا .

● اعلان تشكيلات المكاتب التنفيذية فى ١٥ قسما بالقاهرة .

● هبوط محطة الفضاء السوفييتية لونا ٩ على سطح القمر .

٨ ـ بدء محاكمة أول قضايا الاخوان المسلمين المعروفة بقضية سعيد رمضان ، اعترف المتهم الاول بعلاقة التنظيم « بالحلف المركزى » « وجماعة مصر الحرة » .

● تم توقيع اتفاق مع تشيكوسلوفاكيا لتنفيذ ٤ مشروعات بترولية فى الخطة الثانية فى ج.ع.م

٩ ـ بدأ الرئيس جمال عبد الناصر سلسلة اجتماعاته مع أعضاء المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكي بالمحافظات .

● مظاهرة نساء وأمهات المحاربين الامريكيين امام البيت الابيض احتجاجا على استمرار الحرب فى فيتنام

١٢ ـ بدء أول اجتماعات القيادة السياسية الموحدة للعراق و ج.ع.م برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس عبد السلام عارف فى القاهرة .

١٩ ـ اتفاق جديد بين القاهرة وموسكو لتمويل بعض المشروعات الاقتصادية قيمتها ٣٠٠ مليون روبل .

● صدر البيان الرسمى عن محادثات الرئيس عبد السلام عارف والرئيس عبد الناصر ، البيان يؤكد اتفاق البلدين على التصدى للتحركات الاستعمارية فى الوطن العربى .

٢٢ ـ القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى مناسبة عيد الوحدة ، الرئيس يكشف عن التآمر ضد الوطن العربى ابتداء من

حيث أصبحت الظاهرة الرئيسية فى الشعر هى ظاهرة الشعر الحديث خلقا ونقدا وتذوقا ، بل وتبنت بعض الجهات الرسمية هذا الشعر فتقوم وزارة التربية والتعليم السورية بتدريس أهم نماذجه فى برامجها التعليمية ، وضمت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة أسماء لامعة من رواد هذا الشعر فى مصر .. بالرغم من العاصفة الرجعية العاتية التى أثارها بيان هذه اللجنة عام ١٩٦٤ (٥).

على أن الامر يختلف كثيرا حين يتصل بالقصة القصيرة فقد بزغت براعم جديدة لا تثور على احسان والسباعى وتيمور فحسب ، بل تتمرد على الموجة الواقعية التالية لهم ، وهى الموجة التى تأثرت فيما تأثرت به بأعمال جوركى وتشيكوف . أقبلت الموجة الجديدة كما تبدت فى انتاج زكريا تامر وسليمان فياض ويحيى الطاهر عبد الله وابراهيم أصلان وغيرهم ، تتميز شكلا ومضمونا عن الاتجاهين اللذين سادا على القصة العربية القصيرة أمدا طويلا من الزمن وهما الاتجاه الموبسانى والاتجاه التشيكوفى . واذا كنا نستطيع أن نتبين بعض الملامح الاجنبية الوافدة على قصتنا القصيرة الجديدة كآثار مسرح العبث واللارواية ، واذا كنا نستطيع أيضا أن نتبين بعض الملامح العربية كآثار يوسف الشارونى وفؤاد التكرلى وادوار الخراط ، فانه يتبقى لنا بعد هذه الملامح العامة جوهرا أصيلا يميز « القصة العربية القصيرة الجديدة » عن تأثراتها الاجنبية والمحلية على السواء .

وقد كان عام ١٩٦٩ خير شاهد على أصالة الموجة الجديدة فى قصتنا المصرية القصيرة ، كما نلاحظ على المجموعات القصصية التى صدرت لبعض الكتاب ، أو الاعداد الخاصة التى أصدرتها بعض المجلات مثل « جاليرى ٦٨ » (عدد أبريل ٦٩) و « المجلة » (عدد أغسطس ٦٩) و « الهلال » (عدد أغسطس ٦٩) . وتبين الشهادات الواقعية التى نشرتها « الطليعة » فى عدديها (٩ ، ٦٩/١٢) أن القصة القصيرة هى مدار الاهتمام الواسع بين « الادباء الشباب » ، ولكن المجموعات التى أصدرها يوسف الشارونى « الزحام » ويوسف ادريس « النداهة » والحلقة الثانية من « كتابات معاصرة » تبين فى وضوح أن هذا الاهتمام الواسع لم يعد مقصورا على الاجيال الجديدة وحدها . بل ان هذا الاهتمام لم يعد وقفا على « العودة » الى الانتاج القصصى ، وانما هو يتجاوز الرغبة فى الكتابة الى الرغبة فى التجديد ، كما نلاحظ على قصة لطفى الخولى « الرجل الذى رأى بطن قدمه اليسرى فى مرآة مشروخة » . فقد اتجه يوسف ادريس ولطفى الخولى قبل هذه « العودة » الى الانتاج القصصى ومحاولة التجديد فيه الى المسرح ، وكان يوسف الشارونى قد اتجه الى النقد .

ولاشك أن العدد الخاص الذى أصدرته « ٦٨ » كان من أهم الوثائق التى ظهرت عام ٦٩ حول القصة القصيرة الجديدة ، فقد اشتمل على معظم الاسماء التى شاركت باجتهادات حقيقية فى استيلاء نماذج قصصية متمردة على القوالب التقليدية (٥). فقد تضمن العدد قصصا لابراهيم أصلان وابراهيم عبد العاطى وابراهيم منصور واحمد هاشم الشريف وادوار الخراط وبهاء طاهر وجمال الغيطانى وجميل عطية وخليل كلفت وعبد الحكيم قاسم وسليمان فياض ومحمد البساطى ومحمد مبروك وحافظ رجب ويحيى الطاهر عبد الله . وبالرغم من أن درجات التجديد فى الشكل والمضمون قد تفاوتت من كاتب الى آخر ، الا أن الملاحظة الرئيسية هى أن تجديدهم فى الشكل وان كان استجابة لمضمون فنى جديد ، الا أنه كان أكثر وضوحا وبروزا من « الجديد » الذى اتوا به فى مجال المضمون ، والقلة القليلة هى التى مازجت بين الشكل والمضمون بحيث تحققت للعمل الفنى هذه الوحدة الدينامية العميقة التى ترتفع به الى مستوى « الرؤيا » . وتأتى قصة « جبل الشاى الاخضر » ليحيى الطاهر عبد الله ، وقصة « الخطوبة » لبهاء طاهر وقصة « اليوم ٢٤ ساعة » لابراهيم منصور كأمثلة رفيعة على هذا الفهم الاصيل والمعاصر لقضية التجديد . ولعل أخطر ما شاب هذا الجهد من جانب « ٦٨ » هو قول هيئة التحرير فى صدر العدد ، بأن القصة المصرية القصيرة « تولد للمرة الاولى » على أيديهم . فالحق أن هذه العبارة ، فوق بعدها عن العلم ، تسيء ابلغ الاساءات الى قضية التجديد ذاتها ، ولعل « وجود » ادوار الخراط بين أعضاء أسرة التحرير والمشاركين فى هذا العدد يدل دلالة قاطعة على أن الجيل الادبى ليس مقطوع الجذور بالجيل السابق عليه ، فتجارب ادوار الفنية تبدأ من الاربعينات ولا تكاد فى الستينات أن تغير من مسارها أو من نقطة انطلاقها .

ويضيف عدد « الهلال » الى الاسماء المصرية بعض الكتاب المجددين من بقية الاقطار العربية كالطيب صالح وزكريا تامر ، كما يضيف العدد أسماء مصرية جديدة كحسنى عبد الفضيل وجمال عبد المقصود . وقد كان هذا التنوع برهانا أكيدا على أن التجربة الجديدة هى تجربة الاجيال العربية الطالعة ، مهما اختلفت الالوان هنا وهناك ، بل ان هذا الاختلاف يثرى التجربة بأبعاد لا حد لغناها . كما أن هذا التنوع قد برهن كذلك على أن « الجيل الادبى » لا يقترن بسن معينة تحده بحدود لا يتجاوزها ، فحركة التجديد موصولة الحياة من الطيب صالح الى زكريا تامر الى حسنى

عبد الفضيل » أما « كتابات معاصرة » فقد شاءت أن تضم القديم والجديد وما بين بين ، جنبا الى جنب .. فلم توفق في اختيار معظم القديم ومعظم الجديد، ولكنها قدمت نماذج هامة للجيل الاوسط الذي يمثله في المجموعة يوسف ادريس ولطفي الخولي وادوار الخراط ... واذا كانت قصة « جرح مفتوح » للخراط تعمق اتجاهه «التعبيري » في بناء القصة القصيرة ، فان قصة لطفي الخولي « الرجل الذي رأى بطن قدمه اليسرى في مرآة مشروخة » تعد انقلابا خطيرا في تفكيره الفني الذي تعرفنا عليه في مجموعتين « رجال وحديد » و « ياقوت المطحون » ، فقصته الجديدة ترفض الاسلوب الواقعي التقليدي ، وتستفيد لدرجة كبيرة من المنجزات الحديثة في التكنيك ـ ربما التكنيك السينمائي ـ حيث يزاوج بين الرمز والواقع وبين لحظة الحضور والفلاش باك مزاوجة حارة تحاول ألا تتخلف عن واقعنا الدامي وأن تلحق في نفس الوقت بنبض العصر اللاهث • وهي لا تتخلى تماما عن الفكرة الواقعية في الادب ، لا من حيث المضمون فحسب، ولكن من حيث الشكل كذلك . . فالتفاصيل الدقيقة هي هي ، تفاصيل الواقع المرئي المباشر ، ولكنها هنا ارتدت زيا مغايرا لثوب الواقعية التقليدية هو الزي المطرز من الشفافية الشعرية والكثافة الفكرية معا • أما قصة « حمال الكراسي » ليوسف ادريس فهي تختلف عن غالبية انتاجه الاخير المنشور في مجموعته « النداهة » وتقترب من قصته « الخدعة » التي نشرت بالاهرام لم تنشر في هذه المجموعة .. وفيهما معا يرتكز على الفكرة المجردة اساسا فنيا ، ويبني « الوقائع » من حولها كديكور يبرر رمزيتها ولا يصوغ واقعيتها • وهما من هذه الزاوية امتداد لبعض أقاصيص « لغة الآي آي » من حيث استخدامه للادوات التعبيرية ، ولكنهما معا يختلفان عن هذه المجموعة في كونهما صدى مركزا للواقع المباشر كما يراه الفنان وكما استطاع أن يوجزه أكثر فأكثر بمسرحيته « المخططين » التي تعد بدورها امتدادا أكثر تركيزا ووضوحا ـ وان لم تكن أعمق بأية حال ـ من مسرحية « الفرافير » •

على أن واحدا من أهم أبناء الجيل الاوسط هو القصاص يوسف الشاروني قد أصدر في أواخر ١٩٦٩ مجموعته « الزحام » التي لا يمكن اعتبارها انتاجا خالصا لمرحلة الستينات، اذ ضمت أعمالا كتبها صاحبها خلال الاعوام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، و ١٩٥١ و ١٩٥٤ و ١٩٥٨ ، وأخرى كتبها خلال الاعوام ١٩٦١ و ١٩٦٣ و ١٩٦٦ و ١٩٦٩ . وبالرغم من هذا التباعد الزمني بين كتابة القصص الا انثمة وحدة تجمعها هي ذلك النفس القديم الذي عرفناه في مجموعة يوسف الشاروني الاولى « العشاق الخمسة » فقد كانت مجموعته

حسابات عام ١٩٦٩

خلف بغداد حتى الحلف الاسلامي ، وأعلن الرئيس أن ج.ع.م تعارض كل التحركات الرجعية المشبوهة ومحاولات تزييف الدين بمبادئه المقدسة لخدمة مصالح الاستعمار والرجعية .

● انقلاب عسكري بقيادة جناح حزب البعث (القيادة القطرية) وسقوط وزارة صلاح البيطار التي تشكلت في ١ يناير ١٩٦٦

٢٤ ـ تعيين الدكتور نور الدين الاتاسي رئيسا للدولة السورية ، وبدء تدعيم صلات التقارب بين دمشق والقاهرة .

● انقلاب عسكري في غانا وخلع الرئيس نكروما ، وأصبح الجنرال انكراه رئيسا للدولة .

مارس

٢ ـ أعلنت الجزائر رفضها للحلف الاسلامي المقترح .

● سفينة الفضاء السوفيتية (الزهرة ٣) تهبط فوق كوكب الزهرة

٩ ـ أعلن وليم دوجلاس القاضي بالمحكمة العليا الامريكية أن الولايات المتحدة تخرق القانون الدولي بتدخلها في فيتنام

١٠ ـ تولي الجنرال سوهارتو سلطات الرئيس الاندونيسي سوكارنو وحل الحزب الشيوعي الاندونيسي

١٤ ـ الجنرال سوهارتو يؤلف الوزارة الاندونيسية الجديدة ، والقبض على ١٦ وزيرا في حكومة سوكارنو السابقة .

● انفجار حوادث العنف العنصرية في الولايات المتحدة

١٧ ـ فشل رحلة سفينة الفضاء (جيميني ٨) الامريكية

٢١ ـ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان ج.ع.م تغير استراتيجيتها في اليمن الى سياسة النفس الطويل وضرب قواعد العدوان اذا تحركت

٢٦ ـ أغلقت حكومة المغرب جامعة الرباط وعددا من المدارس الثانوية ، وأعلن اتحاد العمال المغربي استنكاره لاجراءات العنف ضد الطلبة والعمال

٢٩ ـ افتتاح المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي

٣٠ ـ نشرت وزارة الاقتصاد الالمانية الديموقراطية في وثيقة اذاعتها أن المانيا الغربية أعطت لاسرائيل حوالي ١٠٠٠ مليون دولار في صورة سلع وخدمات بمقتضى اتفاقية التعويضات التي وقعت بينهما في عام ٥٤ وتنتهي عام ١٩٦٦

ابريل

١ ـ فاز حزب العمال على حزب المحافظين في الانتخابات العامة في بريطانيا

٨ ـ تقديم ٤٣ ارهابيا من أفراد التنظيم السري للاخوان المسلمين (فرع القاهرة) للمحاكمة

١٣ ـ وفاة الرئيس العراقي عبد السلام عارف في حادث طائرة

● تم توقيع اتفاق بين أمريكا والسودان تزود أمريكا السودان بمقتضاه بكميات

التالية لها «رسالة الى امرأة» ارتدادا عن اتجاهه الاصيل المتمرد فى وقت مبكر نسبيا على قوالب التعبير التقليدية • وربما كانت « العودة الى المنفى » التى ضمها مجموعته الجديدة وكان قد كتبها عام ١٩٤٨ أصدق شاهد على تلك الانطلاقة الحرة الباكرة حيث المواجهة الشجاعة مع الواقع واليائسة منه فى نفس الوقت •. وربما كانت هذه المفارقة هى سر لقائه الحميم بأدب كافكا وتأثره البالغ به • وتشهد قصصه الجديدة « الزحام » و « لمحات من حياة موجود عبد الموجود » أنه لا يزال وفيا لتراثه القديم مخلصا لتأثراته الاولى •

وربما كانت « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » لجمال الغيطانى هى المجموعة التى لاقت رواجا بين النقاد عام ١٩٦٩ ، فقد لفتت النظر باطارها التاريخى الذى يزاوج كاتبها الشاب بينه وبين الواقع المعاصر ، فهو لا يكتب ادبا « تاريخيا » بالمعنى العلمى الدقيق للقصة التاريخية ، وانما هو يستلهم التاريخ بعض أحداثه ـ وطريقة كتابته أحيانا ـ فى بث شجونه التى تطارده بنفس المقدار فى قصة أخرى لا ترتدى ثيابا تاريخية هى « أيام الرعب »، وان كانت «هداية أهل الورى لبعض مما جرى فى المقشرة » هى أعمق تجارب جمال الغيطانى فى مزج الواقع بالتاريخ مزجا فنيا جميلا. ولكن المشكلة حقا تبدأ من هنا، تبدأ من استهواء هذا الاطار للفنان لدرجة التكرار ثم الاملال ، فالتوقف عن التجديد والابتكار • وهو الخطر الذى يهدد الاعمال الاخيرة لهذا الكاتب الموهوب، كما يهدد الكثيرين من أقرانه الذين تبدو احدى قصصهم وكأنها عملهم الوحيد الذى استطاعوا أن ينجزوه ، كقصة « اللصوص » لاحمد هاشم الشريف ، وقصة « اليوم ٢٤ ساعة » لابراهيم منصور •

ولكن وليد اخلاصى فى قصته « حدود مرسومة على الخرائط » وهانى الراهب فى قصته « موازييك عربى ذو جلد مسحور » وجليل القيسى فى قصته « زليخة ، البعد يقترب » ومحمد زفزاف فى « مدى منتشر لكنه قفز ـ المستقيم والمنحنى » وجمال أبو حمدان فى « ملصقات على حائط عتيق » ومحمد خضير فى « الشفيع » وعائد خصباك فى «جلسة غير سرية » و « خضير عبد الامير » فى قصته « الصوت والتجربة » يؤكدون جميعا ان « النزيف » القادم من أعماق الهزيمة ، قبل وقوعها وبعد ذلك ، لايزال هو الخميرة ذات الرائحة النفاذة التى تفوح من أعمالهم النيئة حينا ، والناضجة أحيانا • غير أن مجموعة سليمان فياض « أحزان حزيران » تبرز من هذه التجارب جميعها كمحاولة ناجحة حقا فى التعبير عن مأساة انساننا من الناحيتين المادية والروحية على السواء .

وان كان يبدو من هذا العرض الموجز ايجازا شديدا ، ان القصة العربية القصيرة بمختلف اتجاهاتها المتصارعة فكرا وفنا هى الوجه الرئيسى لادب ٦٩ ، الا انه من المؤسف حقا الا تنال هذه الظاهرة الفريدة ما تستحقه من دراسات النقاد وبحوث الدارسين •

ماذا بعد نجيب محفوظ ؟

قبل ان تصدر رواية الكاتب السودانى الطيب صالح « موسم الهجرة الى الشمال » ثارت ضجة صحفية حول ما اذا كان نجيب محفوظ قد تحول الى عقبة فى سبيل تطور الرواية العربية •• والحق ان هذا السؤال لم يكن موضوعيا فى زمنه الملائم ، بعد ان صدرت خلال الستينات اعمال فؤاد التكرلى « الوجه الاخر » (١٩٦٠) وحليم بركات « ستة أيام » (١٩٦١) وغسان كنفانى « رجال فى الشمس » (١٩٦٢) ويوسف حبشى الاشقر « اربعة افراس حمر » (١٩٦٤) وصنع الله ابراهيم « تلك الرائحة » (١٩٦٥) وحنا مينه « الشراع والعاصفة » (١٩٦٦) وتيسير سبول « انت منذ اليوم » (١٩٦٨) وامين شنار « الكابوس » (١٩٦٨) • ليست هذه بالطبع حصاد الرواية العربية خلال السنوات العشر الماضية ، وانما هى علامات بارزة تقول فى غير مواربة ان نجيب محفوظ او غيره من كبار الروائيين العرب ليسوا عقبة فى سبيل تطور الرواية العربية ، بل هم على النقيض من هذا التصور الغريب هيأوا مناخا صالحا لاستنبات رواية عربية جديدة ومعاصرة لاعمق هموم الانسان فى بلادنا .

ولم تكن الروايات الصادرة عام ١٩٦٩ الا دليلا جديدا يتدرج مستواه بين القوة والضعف ـ باختلاف المواهب ودرجات الثقافة ـ على ان الرواية العربية تشق لنفسها اخدودا أصيلا وجديدا فى تاريخنا الادبى الحديث ، وتأتى رواية حنا مينه « الثلج يأتى من النافذة » فى مقدمة هذه الاعمال التى تأخذ من الضمير العربى وتعطيه بقدر ما يئن قلبنا ويتنفس صدرنا .. فلعلها الرواية العربية الاولى التى جرؤت على هتك « المحرمات » فى موضوعاتنا الفنية ، اذ تناولت حياة مناضل ثورى لا يضنينا الكاتب فى معرفة ايديولوجيته الماركسية ، وكيف عانت هذه الايديولوجية واصحابها فى احدى المراحل من تاريخ سوريا من التشرد والعذاب والنفى •• ويختلف حنا مينه عن كاتب كبير مثل نجيب محفوظ فى أنه لم يقدم

شخصيته الثورية كفكرة مجردة تتحول اثناء الخلق الفنى الى «نمط» احادى الجانب ، وانما هويقدم بطله « انسانا » من لحم ودم والايديولوجية بدورها قد تحولت فى كيانه الى خلايا وشعيرات تمده بالقوة والضعف ، بالحياة والموت ، بالشك والايمان، باليأس والثورة. ولولا الخاتمة المقحمة على السياق التعبيرى للرواية لارتفعت الى الذروة التى حققها كاتبها فى روايته السابقة « الشراع والعاصفة » •

اما الكاتب العربى المقيم فى اسرائيل « اميل حبيبى » والكاتب اللبنانى حليم بركات فقد تناولا حدثا محددا في عمليهما : الاول فى روايته القصيرة « سداسية الايام الستة » والآخر فى قصته الطويلة « عودة الطائر الى البحر » •• هذا الحدث هو الخامس من حزيران الدامى عام ١٩٦٧ • وللوهلة الاولى نظن ان ثمة تشابها بين التعبير الفنى فى كلا الروايتين ، ولكن النظرة المتمهلة تقول ان حليم بركات قد حاول ان يصنع شيئا شبيها بروايته الاولى « ستة ايام » مضافا اليها بعض تاثراته بالمدرسة « التسجيلية » فى الرواية الغربية المعاصرة ولكن فى اعتقادى لم يصل الى المستوى الذى حققه فى روايته السابقة، ذلك الفاصلة بين الاتجاه التسجيلى والاتجاه التقريرى المباشر. وعلى العكس من ذلك ارى فى قصة اميل حبيبى تعميقا اصيلا لاتجاه شتاينبك فى بعض اعماله ، حيث يمكن للسداسية أن تقرأ كرواية موحدة ، او كمجموعة قصص قصيرة منفصلة يربط بينها هذا التيار العارم كالذكريات الشخصية ، ولكنها تفوق الذكريات حرارة وشاعرية والتماسا للشريان الذى يصل بين وريد الكاتب وقلب القارىء •

وقد اثارت « موسم الهجرة الى الشمال » عند صدورها عاصفة من الهجوم المسرف والحماس المفرط ، فقد كان الهجوم « اخلاقيا » فى جوهره كما كان الحماس « تكنيكيا » فى حقيقته . والحق ان « الجنس » فى رواية الطيب صالح لا علاقة له بالاثارة ، ولعله يصدم الحس الاخلاقى بدرجة اقل كثيرا مما يصدمه الجنس فى ادب احسان عبد القدوس او نجيب محفوظ ، ولكنها « الصورة الجديدة » التى طالعنا بها الجنس فى « موسم الهجرة» هى التى يمكن ان توقظ فينا معانى جديدة لم تخطر على بال الروائى العربى من قبل . والحق ايضا ان الرواية يمكن ادراجها فيما اصطلح النقاد على تسميته بالاعمال المقروءة او جيدة الصنع ، فاغراء المطالعة هو العمود الفقرى لبنائها الفنى ، حتى ليلجأ الكاتب احيانا الى خدعة التشويق البوليسية . ولكننا بعد ذلك نكتشف أن الفن فى « موسم الهجرة » له مصدران اساسيان هما الاصول الزنجية فى الرواية الافريقية ، ثم التكنيك

حسابات عام ١٩٦٩

من القمح تبلغ ٦٥ الف طن

١٥ ــ تعيين اللواء عبد الرحمن عارف رئيسا للجمهورية العراقية

١٨ ــ تشكيل الوزارة العراقية الجديدة برياسة الدكتور عبد الرحمن البزاز

● أعلنت الصين الشعبية وقف المعونة الاقتصادية لاندونيسيا وسحب الخبراء الصينيين بها

٢٧ ــ صرح وزير مالية المانيا الغربية بسان حكومته قررت تقديم ١٦ مليار مارك لليهود كافراد بصفة تعويضات اضافية لاتفاقيات التعويضات السابقة

مايو

١ ــ أعلان تشكيل لجنة الدستور . الرئيس عبد الناصر يدعو الى استخدام مبدأ الجلسات المفتوحة للمناقشات

● وزعت فى السعودية منشورات ومطبوعات تعلن عن تنظيم سرى أطلق عليه اسم (جماعة تحرير الاراضى المقدسة)

٣ ــ الحكومة الامريكية تعلن تعهدها بحماية عرش الملك فيصل وحكومته

٤ ــ اغتيال صلاح حسين عضو لجنة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى بيد القوى الاقطاعية فى كمشيش لمحافظة المنوفية

٦ ــ أعلن الرئيس الجزائرى بومدين تاميم جميع شركات المناجم فى الجزائر

٧ ــ توقيع اتفاق بين أمريكا وتونس لتحويل ميناء بنزرت الى قاعدة للاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط

٩ ــ الصين الشعبية تفجر اول قنبلة هيدروجينية لها بنجاح .

١١ ــ اعلنت الكويت رفضها للحلف الاسلامى المقترح

١٨ ــ اضراب بحارة الاسطول التجارى البريطانى ويستمر خمسة اسابيع

٢١ ــ زيارة الجنرال ديجول للاتحاد السوفييتى

يونيو

١ ــ فرنسا تسحب ضباطها من القيادة العسكرية لحلف الاطلنطى ، والولايات المتحدة تبدأ فى اجلاء قواتها من القواعد الفرنسية .

٥ ــ أكثر من ٦٤٠٠ من اساتذة وطلبة الجامعات يرسلون خطابا مفتوحا الى جريدة النيويورك تايمز يدعون الى وقف الحرب الفيتنامية .

٣٠ ــ انقلاب فاشل ضد نظام الحكم فى العراق والقبض على عبد المجيد عارف عبد الرزاق رئيس الوزارة السابق .

يولية

٥ ــ تجريد سوكارنو من لقب الرئيس مدى الحياة .

الحديث فى الرواية الاوروبية المعاصرة • وغير ذلك نجد أن الينبوع الذى استقى الكاتب منه مادته الروائية هو نفس الينبوع الذى نهل منه توفيق الحكيم « عصفور من الشرق» ويحيى حقى «قنديل ام هاشم » وهو الصراع بين اصالة التراث القومى فى نفسية الشرقى ووجدانه وروحه والارتفاع الى مستوى العصر والحضارة العالمية كما صاغتها اوروبا الحديثة . وغالبا ما تكون « المراة » هى المحك البشرى لهذا الصراع • ولا ريب أن الطيب صالح يتجاوز الكاتبين الرائدين ، فروايته بشكلها الحديث تتضمن عديدا من المستويات غير المباشرة ، ولكنها فى شكلها العام تستلهم هذا الينبوع الاساسى •

وقد صدرت فى مصر على التوالى رواية « العودة الى المنفى » لابى المعاطى ابو النجا، ورواية « ايام الانسان السبعة » لعبد الحكيم قاسم، ورواية «الحداد» لمحمد يوسف المقيد .. والرواية الاولى تدور حول حياة المناضل عبد الله النديم متأثرا كاتبها فى صياغته الفنية برواية جاك لندن « المواطن توم بين » وهى الصياغة التى تقع على الحافة الحرجة بين السيرة الشخصية والرواية التاريخية • فالوثائق والحياة الواقعية للبطل هى المادة الخام للروائى ، ولكنه هنا يضيف تفسيره الخاص للشخصية واجتهاده فى فهم مرحلتها التاريخية والمواءمة بين قوانينها العامة والمرحلة التاريخية التى يعيشها المؤلف • وقد وفق ابو المعاطى ابو النجا فى روايته الاولى هذه ان يهدينا نموذجا مغايرا لاعمال جورجى زيدان وغيره من رواد الادب « التاريخى » وان ظلت شوائب استلهام التاريخ عالقة بالبنية الروائية فى بعض المواضع التى آلت نحو التسجيل التقريرى المباشر .

اما رواية عبد الحكيم قاسم فقد تجاوزت طور « الترجمة الذاتية » للمؤلف ، بالرغم من أن هذه الترجمة هى التى امدته بالمادة الرئيسية فى بنائه الفنى ، فاذا كان ابو النجا قد عاد بنا الى التاريخ ، فقد جذبنا قاسم الى القرية لا لنستمتع بعذابنا الرومانسى الذى عشناه فى « زينب » هيكل ، ولا لنعايش تجربة الفلاح مع الاقطاع كما هو الحال فى « ارض » الشرقاوى ، ولا لنقاسى اهوال عمال التراحيل وفكرة « الحرام » عند يوسف ادريس .. وانما لنعانى تجربة القديم المنهار فى شخصية « الاب » بقيمه وافكاره ودنياه وآلام المخاض العسير للجديد فى شخصية «الابن» بقيمه وافكاره ودنياه • وقد استطاع عبد الحكيم قاسم — باستثناء الخاتمة الغربية على السياق الطبيعى للاحداث — ان يؤسس بناء متماسكا للرواية التسجيلية المصرية التى تعتمد على الامتداد الزمنى غير المتواصل ميكانيكيا والمتدفق موضوعيا •• بحيث تطل مشكلة الانسان والزمن من جديد على ادبنا، وقد سبرت غورها رؤيا فنية مسلحة بخبرة أعمق من التجريدات الفكرية الباردة .

وهكذا يبدو واضحا انه لا نجيب محفوظ ولا غيره من الكبار يقفون حجر عثرة امام التطور •

الكم والكيف فى قضية الشعر

وسط ركام هائل من القصائد التى توالى الصحافة الادبية، واحيانا اليومية، نشرها لاتكاد تجد خلال العام الماضى قصيدة جيدة اوديوانا هاما الا بشق النفس •• وقد كان الخامس من يونيو ولا يزال منقذا للكثيرين من التوقف عن قول الشعر ، اذ بدا « كمناسبة » سحرية لارسال الكلام الموزون المقفى او الكلام الموزون فحسب ، او الكلام الخالى من الوزن والقافية والفكر والشعر جميعا . على اننا نستطيع مع ذلك كما قلت أن نلتقط من المناوض هناك بعض الاعمال القليلة التى ترمز فقط الى حدود الخريطة الشعرية دون أن تكون تقييما موضوعيا لها •

وقد كانت البداية الواعدة للعام هو صدور المجلة العراقية « الشعر ٦٩ » التى اثارت عند ظهورها ضجيجا من المناقشات الصاخبة لما احتوته بين صفحاتها من تمرد عنيف على كافة الاشكال التقليدية فى الفكر والتعبير ، بل وثورتها على بعض انجازات ما سمى حينا من الزمن بالشعر الجديد • وبالرغم مما يمكن اخذه من تحفظات على هذا المنبر الشعرى الشاب ، سواء من ناحية المستوى الجمالى البحت لما نشره من قصائد ، أو المستوى العلمى لما نشره من ابحاث ، فانه لمما يؤسف المرء حقا ان ينتهى الامر بعد صدور اربعة اعداد فقط ان تتوقف المجلة عن الصدور • وتكاد ان تنفرد الان مجلة « شعر » اللبنانية بالتفرغ للشعر وقضاياه منذ أن استأنفت الصدور عام ١٩٦٧ بعد احتجاب دام حوالى ثلاث سنوات • وقد مالت « شعر» فى اعدادها الاخيرة الى تخصيص معظم صفحات العدد للتعريف باحدى موجات الشعر الحديث او القديم فى الشرق والغرب ، فقدمت خلال ١٩٦٧ نماذج معاصرة من « شعر العالم الثالث » وخلال ١٩٦٨ « نماذج من الشعر التركى المعاصر » و « قصائد من وراء الاسلاك الشائكة » الاسرائيلية و « اين هى فيتنام » فى الشعر الامريكى المعاصر ومختارات مع دراسة لشعر « البيتنكس » جنبا الى جنب مع موالاتها نشر الانتاج الشعرى لابناء مدرستها فى الفكر والفن وفى طليعتهم الشاعر الاصيل والمجدد يوسف الخال .

ومن الطبيعى ان يكون شعراء الارض المحتلة هم

نجوم الشعر والنقد، سواء فى شعرهم الذى يرفض الاحتلال ويعارض السلطة القائمة فى اسرائيل، اوفى اهازيج قلوبهم وهمسات حناياهم. ولكن من الطبيعى بنفس المقدار ان يوضع هذا الشعر فى مكانه الصحيح فكريا وجماليا، ولعل صيحة محمود درويش « انقذونا من هذا الحب القاسى » ان تكون درسا قاسيا لاولئك الذين لم يقيموا اعتبارا الا لخواطفهم السياسية المهتاجة بما حدث فى صيف ١٩٦٧، فراحوا يكيلون لشعراء الارض المحتلة ما هم فى غنى عنه وما ليس فيهم احيانا وما اذا صدقه بعضهم فقد يؤدى به الى الجمود والذبول التام، وقدكانت مجموعة محمود درويش « حبيبتى تنهض من نومها » ومجموعة سميح القاسم « سقوط الاقنعة » من ابرز نماذج الشعر العربى الحديث خلال عام ١٩٦٩، فقداحتوت المجموعتان على انضج مراحل الشاعرين ومعظم اسرارهما - ولا اقول خصائصهما - الفنية ».

وكانت القسمة الثانية لحصاد هذا العام الشعرى هى اصرار رواد شعرنا الحديث على تطويره تطويرا كيفيا بصياغته صياغة درامية كاملة: على هذا النحو كتب عبد الرحمن الشرقاوى « وطنى عكا » التى يخطو فيها من هذه الزاوية خطوة جديدة نحو القليل من الغنائية والكثير من الدرامية. وكتب صلاح عبد الصبور « مسافر الليل » و « الاميرة تنتظر » وفيهما يتجاوز « مأساة الحلاج » من ناحية الشكل تجاوزا يشى ببنـاء درامى أقرب الى التكامل، وتتميز « مسافر الليل » على وجه الخصوص بشجاعة « الغضب » الذى يتحدى به الشاعر كثيرا من القيم الراسخة. وكتب معين بسيسو « مأساة جيفارا » و « ثورة الزنج » وفيهما معا يجرب الشاعر هذه اللغة الوسيطة بين الشعر والنثر والتى قد تناسب المسرح حقا ولكنها تفقد بناءه الشعرى بعضا من اهم ملامحه، ولعل الامر عند معين بسيسو يبدو كرد فعل على مسرح الشعر الغنائى التى يمزق أوصاله الدرامية النفس القصير للمقطوعات الحوارية والمونولوجية. وتعتمد مسرحيتنا معين كذلك على اللحظة التراجيدية الحادة فى أسطورة جيفارا وبطل ثورة الزنج، وهى اللحظة التى تكسب الدراما انسانيتها وشمولها حتى ولو لم يكن التاريخ سندا لها كما هو الحال فى « مأساة جيفارا ». نضيف الى ذلك ان الشاعر لم يلجأ الى حدث محلى ومعاصر من احداث المقاومة الفلسطينية ليقول كلمته، بل اختار حدثا تاريخيا فى مسرحيته وحدثا عالميا فى المسرحية الاخرى، وقد وفق فى هذا الاختيار لسببين هامين: الاول هو ان يتجنب الانزلاق الى مستوى رخيص من الزيف والافتعال اذا التقط صورة « خارجية » لمقاومتنا التى لا تزال فى مرحلة النمو، والسبب الاخر هو أن الاستزادة من خبرات

٨ - أعلنت الحكومة العراقية توقف القتال مع الاكراد فى الشمال والاعتراف بحقوق الاكراد القومية فى اطار الوطن العراقى

١٤ - أعتداء الطائرات الاسرائيلية على مواقع تحويل مياه نهر الاردن.

٢٠ - اعلان قيام منظمة الشباب الاشتراكى فى ج.ع.م.

٢٧ - انتخبت الجمعية التاسيسية فى السودان الصادق المهدى رئيسا للحكومة بعد اسقاط الجمعية لحكومة أحمد محمد المحجوب.

٢٩ - انقلاب عسكرى فى نيجيريا واستيلاء الكولونيل يعقوب جوون على السلطة محل الجنرال أيرونس الذى قتله الضباط

● عقد مؤتمر المبعوثين العرب فى الخارج

أغسطس

٩ - تشكيل الوزارة العراقية الجديدة برئاسة ناجى طالب.

١٣ - اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى وبدء الثورة الثقافية الكبرى، وتحرك الحرس الاحمر لتنفيذ الثورة.

١٤ - هبوط محطة الفضاء (لونا) الامريكية على سطح القمر.

● الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على حسين توفيق وأربعة آخرين لمحاولتهم تغيير نظام الحكم فى ج.ع.م بالقوة والاغتيال.

٢٦ - احتجاج الاتحاد السوفييتى على المظاهرات المعادية للسوفييت فى بكين والاعتداء على السفارة وبعض الرعايا السوفييت.

٢٨ - نشوب أزمة بين الحكومة السورية وشركة بترول العراق الاستعمارية، بسبب دعوة الحكومة السورية الشركة لتصحيح حساباتها ومطالبتها بالفروق المستحقة عن السنوات الماضية.

سبتمبر

٦ - اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم فى سوريا يتزعمها الرائد سليم حاطوم

٧ - ارتفع عدد القوات الامريكية فى فيتنام الى ٣٢٥ الف جندى.

١٣ - قدمت أمريكا قرضا لبريطانيا قيمته ٦٠٠ مليون دولار لانقاذ الاسترلينى من الهبوط.

٣٠ - تم سحب جميع اجهزة حلف الاطلنطى من فرنسا واقامتها فى بلجيكا.

اكتوبر

٤ - قرر مؤتمر رابطة الشيوعيين اليوغسلاف اجراء الاصلاحات الاقتصادية وتطهير اجهزة الامن.

١٠ - تعيين صدقى سليمان رئيسا للوزارة فى ج.ع.م.

المقاومة الانسانية وتجاربها فى التاريخ (ثورة الزنج) أو فى مكان آخر من عالمنا (بوليفيا) هو بمثابة الهام جديد وعطاء ثر للمقاومة الفلسطينية ذاتها. وقد بلغ معين بسيسو فى هذين العملين أبعادا أعمق مما بلغه فى ديوانه الصادر فى نفس العام « كراسة فلسطين » .

وقد تميز الحصاد الشعرى لعام ٦٩ بتنوع الاتجاهات والاجيال والتجارب . وكانت دواوين محمد عفيفى مطر « ملامح من الوجه الانبادوقليس » وأمل دنقل « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » ومحمد ابراهيم ابو سنة « حديقة الشتاء » من أبرز الاعمال التى صدرت للشعراء الشباب ، بالاضافة الى المجموعة الشعرية المشتركة التى ضمت بعض قصائد الشاعرين المصريين « مهران السيد » و « حسن توفيق » والشاعر الفلسطينى « محمد عز الدين المناصرة » وربما يأتى ديوان محمد عفيفى مطر فى مقدمة هذه الدواوين لخصوبة التجربة الشعرية التى لا يمل تكرارها ونسجها من جديد على نمو اكثر تركيبا من قصائده المتشابهة فى ديوانه الاول « من دفتر الصمت ». ان الصورة الشعرية هى عماد البناء الفنى فى شعر مطر ، وهى الصورة التى ترتبط أعمق الارتباط بتراثه من الخرافات والاساطير والحواديت التى لايتخذ منها مشجبا يعلق عليه أفكارا معاصرة ، بل يستقطر منها الروح الكامنة والاصيلة خلف كل مظهر خارجى وطارىء . وقد تفسر لنا هذه الروح ملامح الحياة التى نصادفها فى واقعنا الراهن ، ولكن هذا التفسير يظل ابدا ليس مقصودا لذاته . أما ديوان أمل دنقل فهو الصوت البديل لشعر اللطم على الخدود ونهش الذات وحك الجرح ، انه يصل بينه وبين تراثنا العربى القديم بوشائج حية معاصرة تطحن وجداننا بعنف ، ولكنه يظل دائما وفيا للكلمة الشعرية البكر وغير المبتذلة . وديوان أبو سنة يضم بين قصائده العشرين قلة نادرة من القصائد التى تجاوزت ديوانه السابق كما تجاوزت الرؤى القصيرة المدى وتنبأت بالكثير مما نحن فيه ، وبخاصة قصائده « غزاة مدينتنا » و « الصرخة والخوف » و « صلوات فى قطار يحترق » و « عنكبوت اللحظة السوداء » و « حلم ملكى » و « لا » . . أما بقية القصائد ، حتى تلك التى تتناول اللحظة الحاضرة، فالرومانسية التى دعاها الدكتور مندور بالطرطشة العاطفية هى التى تسيجها بظلال الديوان الاول « قلبى وغازلة الثوب الازرق » .

وتجيء ملك عبد العزيز فى ديوانها الجديد « بحر الصمت » لتهمس بأشعارها المنتقاه بين عامى ١٩٥٨ و١٩٦٦ وهى القصائد التى ترق عاطفيتها كلما أوغلت الشاعرة فى ذات نفسها وتفقد هذه الرقة شفافيتها كلما استلهمت الاحداث الوطنية مادتها . . فهذا الحزن والضنى والسواد احيانا الذى يلون اعترافاتها الشعرية بالاسى العميق ، هو الذى يضع ملك عبد العزيز فى صف واحد مع شاعرتينا الكبيرتين فدوى طوقان ونازك الملائكة ، أما شعرها « الوطنى » فلا يتبقى منه سوى التسجيل العابر لبعض المناسبات . وعلى النقيض من ذلك يأتى ديوان فدوى « الليل والفرسان » ليدل على أن عمق الجرح الذى ينزف من قلب وطنها السليب ، قد عثر على « معادلة الموضوعى » فى شعرها الزاخر بالانين الموجع والمقاومة الصادقة .

وكان من أهم ما أصدرته دار الكاتب العربى هذا العام ديوان العامية المصرية للشاعر فؤاد حداد « المسحراتى » ومجموعة أشعار من النوبة «سرب البلشون» للشعراء زكى مرادوخليل قاسم وابراهيم شعراوى ومحمود شندى وعبد الدايم طه. وفى ديوان فؤاد حداد تجربة تعبيرية جديدة يطوع فيها موسيقاه التقليدية لمصادر الهاماته التاريخية والشعبية فى اطار عصرى .

غير أن قصيدة أدونيس « هذا هو اسمى » التى نشرها فى العدد الثانى من « الشعر ٦٩ » وأعاد نشرها بمجلته « مواقف » فى عددها الرابع تعد من أهم العلامات البارزة فى تطوره الشعرى خاصة ، وتطور الشعر الحديث عامة . . فهو يزاوج بين قصيدة النثر ووحدة التفعيلة وبين تحويرات البحر الوزنى الواحد ، واستخدام اكثر من بحر ، بحيث أن المفهوم الدرامى للقصيدة الطويلة يحقق نجاحا مرموقا ، هو نقطة انطلاق جديدة نحو آفاق الحداثة فى الشعر العربى . يقول ادونيس :

« هذا زمن الموت ، ولكن
كل موت فيه موت عربى
تسقط الايام فى ساحاته
كجذوع الارزة المكتهلة
انه آخر ماغنى به
طائر فى غابة مشتعلة »

لغة النقد بين المد والجزر

يظل « الكتاب» النقدى هو المرفأ الامين للناقد، يحتمى به من ضرورات اللحظة وسرعتها التى تمليها طبيعة النقد الصحفى . ولكنها اقل الاعمال

النقدية الكبيرة التى يخرص نقادنا على تأليفها بعيدا عن جدران الجامعة وبرامجها الاكاديمية المحددة ؟ لعل كتاب الدكتور على الراعى « توفيق الحكيم : فنان الفرجة وفنان الفكر » وكتاب الدكتور احسان عباس « بدر شاكر السياب : حياته وشعره » من أنضج الثمار التى تلقيناها هذا العام . أولهما يناقش فكرة راسخة ترسبت فى وعى الدارسين لمسرح الحكيم حتى كادت تصبح من المسلمات التى لا تحتاج الى عناء المناقشة وهى أن هذا المسرح لم يكتب للخشبة بممثليها ومخرجيها وديكوراتها وجماهيرها ، بل هو مسرح « ذهنى » كتب للقراءة وحدها بين دفتى كتاب . وكان توفيق الحكيم أول من أشاع عن نفسه ومسرحه هذه التسمية التى ضللت الكثيرين ، فجاء على الراعى بدراسته العميقة ليقول شيئا مغايرا : حقا هناك بعض اعمال الحكيم التى يغلب فيها الفكر على الفرجة ، ولكن هناك أيضا أعمال هى الكثرة الغالبة بين انتاجه ، كتبت للتمثيل ومتعة المشاهدة ، بل ان الحكيم فى رأيه كان رائدا للكوميديا المرتجلة (التى كان الدكتور على الراعى قد اصدر كتابا بشانها) تعتمد اولا وأخيرا على عفوية التمثيل وتلقائية الاستجابة من الجماهير . ويستخلص المؤلف خيوطا فكرية فى أعمال الفرجة ، وبالعكس خيوط الفرجة فى أعمال الفكر المجرد من خلال متابعة دقيقة استقصت كافة أعمال توفيق الحكيم المسرحية ، والجديد فى الكتاب الثانى للدكتور احسان عباس هو اعتماده الكبير على مراسلات السياب مع أصدقائه العديدين ، فلعلها من المحاولات الرائدة فى نقدنا الحديث ان نربط بين الانسان والفنان بهذا الرباط الواقعى الذى لا يحتاج الى تخمين واجتهاد الا فى حدود المطابقة بين الواقع والشعر . ولاشك أن هذا الكتاب اضافة بالغة الاهمية للنقد الشعرى بوجه عام ، ولتراث السياب على وجه الخصوص .

وفى المكتبة النقدية المصرية أصدر رجاء النقاش أول دراسة كبيرة عن الشاعر « محمود درويش شاعر الارض المحتله » وان تضمنت الدراسة أجزاء مطولة عن شعراء الارض المحتلة جميعا . وبالرغم من الكتاب هو — فى فصوله التى نشرت فرادى — من الاسباب التى دعت محمود درويش لان يكف عن « حبنا القاسى » له ولزملائه ، الا انه استطاع التعريف بماهية هذا الشعر الذى يكتبونه فى ظل مناخ معقد وظروف صعبة . واذا كان أسلوب رجاء فى النقد قد اتجه فى هذا الكتاب الى مخاطبة الجمهور الواسع بلغة سهلة ومباشرة تغرى صاحبها بالانزلاق الى متاهات التعميم والخطابية ، الا ان فصلا هاما عن الطبيعة فى شعر محمود درويش ينفرد بخصائص اللغة النقدية

حسابات عام ١٩٦٩

١٣ — اقر الكونجرس الامريكى قانونا بتوقيع عقوبات قاسية ضد كل من يعيق المجهود العربى فى فيتنام .

١٥ — أغلق بنك انترا أبوابه فى لبنان بسبب نقص السيولة النقدية .

٢١ — اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر وتيتو وانديرا غاندى فى نيودلهى ، لبحث تدعيم دور دول عدم الانحياز

٢٤ — ندوة تنظمها مجلة الطليعة فى ج.ع.م بالاشتراك مع مجلة قضايا السلم والاشتراكية الدولية — فى القاهرة — لبحث قضايا الثورة التحريرية والاجتماعية ويشترك فيها ٣٥ حزبا ثوريا من ٢٨ بلدا أفريقيا ، ويحضره مراقبون من العالم العربى .

٢٧ — الصين الشعبية تطلق صاروخا يحمل سلاحا نوويا لاول مرة .

نوفمبر

٢ — توقيع اتفاق الدفاع المشترك بين ج.ع.م وسوريا .

١٧ — وقعت فى السعودية خمسة انفجارات قرب القواعد العسكرية الامريكية ووزعت منشورات باسم (اتحاد شعب الجزيرة العربية) .

١٨ — اندلاع مظاهرات جماهيرية فى الاردن تطالب بالسلاح وباشتراك جيش تحرير فلسطين فى حماية جنوب لبنان .

٢٧ — صدر البيان المشترك عن محادثات الرئيس الجزائرى بومدين مع الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة ، البيان يؤكد حق شعب فلسطين فى استعادة أراضيه ، والتأييد المطلق لنضال شعب الجنوب العربى .

ديسمبر

١ — تجديد انتخاب يوثانت سكرتيرا عاما للامم المتحدة خمس سنوات أخرى .

٦ — طلب الرئيس جونسون من الكونجرس الامريكى اعتماد مبلغ ١٠ الاف دولار أخرى لمواصلة الحرب الفيتنامية .

٨ — تسلمت حكومة الاردن ٤ ملايين دولار قيمة الدفعة الاولى من القرض السعودى

١٠ — وافق مجلس الدفاع العربى المشترك على القرارات العسكرية المعروضة عليه واهمها دخول القوات العراقية والسعودية الى الاراضى الاردنية .

١٤ — قامت مظاهرات دامية فى تونس بين البوليس وطلبة جامعة تونس احتجاجا على تدخل البوليس فى نشاط الاتحاد العام للطلبة .

١٥ — ظهرت بوادر أزمة عنيفة تهدد الائتلاف القائم فى السودان بين حزب الامة والحزب الاتحادى .

١٦ — تم اتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة تقيم بمقتضاه الولايات المتحدة شبكات انذار دفاعية لوقف عمليات تسلل الفدائيين والغارات على خطوط الهدنة .

الدقيقة يصلح مدخلا موضوعيا لمناقشة « الفن » فى هذا الشعر • ومن الناحية الفكرية يتخوف رجاء تخوفا لا مبرر له من أن يكون انتساب محمود وزملائه الى الحزب الشيوعى العربى الاسرائيلى (راكاح) جدارا بين الشاعر ومتلقيه، فقد كرر قوله أن هذا الانتساب « اضطرارى » .. وبذلك يلتقى مع يوسف الخطيب حين أباح لنفسه أن يرفع من بعض القصائد التى ضمها « ديوان الوطن المحتل » ابياتا تصرح بايمان صاحبها كماركسى عربى. هذا على الرغم من الاحاديث المتعددة التى يعترف فيها أولئك الشعراء بماهيتهم الايديولوجية فخورين بتفجر شعرهم من نبع هذا الانتماء الاعمق الى آلام الشعب الفلسطينى ، والعربى عموما • وفى تقديرى أن هذا التخوف من جانب رجاء ، وذاك الخوف من جانب يوسف الخطيب ، هو موقف من أيديولوجية شعراء الارض المحتلة لا تفسيرا لها ، هو موقف يغطى التناقض الموهوم بين شعرهم الذى لاسبيل إلا انكار قيمته الفنية العالية ، وفكرهم الذى يختلف معه البعض ولا يرضون له أن يكون من عوامل الوعى والتوقد والنضال فى حياة شعراء الارض المحتلة، وكذلك النقطة التى يقسو فيها رجاء موقف محمود درويش وزملائه من قضية « الدين » فهو يحصى الاستعارات الميثولوجية من شعرهم ليقول انها من علامات النضج الذى لم يتوفر لهم فى مرحلة سابقة شهدت تمردهم على العقائد الدينية . وكل ما نستطيع أن نقوله فى هذا الصدد أن هذه الاستعارات من التوراة والقرآن والانجيل لا تمثل موقفا جديدا من الدين بقدر ماتمثل انجذابا نحو أساليب الشعر الحديث ، فى الادب الغربى والادب العربى على السواء • غير أن هذه الملاحظات جميعها لا تقلل بحال من أهمية هذه الدراسة الجادة التى استمالت الى شعر الارض المحتلة ، والشعر العربى الحديث عامة ، عيونا وعقولا وقلوبا جديدة لم تتفتح بعد لقراءة الشعر •

وبعيدا عن ميدان الكتب الجادة فى النقد تراوحت لغته فى الصحافة الادبية بين مد واهن وجزر عنيف ..فلاتزال لغة التعريض والاستعداء والتجريح من شوائب الماضى التى لا تزال عالقة، حتى بالاقلام الجديدة • وكان « البيان الشعرى » الذى صدر العدد الاول من مجلة « الشعر ٦٩ » هو أول مناسبات هذا العام التى استهوت الحماسة التقليدية فى النقد ، فبالرغم مما يمكن رصده من تحفظات فكرية على هذا البيان، لانستطيع اتهامه بما عبرت عنه مجلة تقدمية بارزة هى « الثقافة الجديدة » العراقية فى قولها انه «يمثل اتجاها خطيرا فى الادب العراقى الحديث ، اتجاها مغرقا فى الرجعية والتفسخ الفكرى » وانه يمثل « انتشارا معاديا لافكار الشعب » (العدد الرابع ـ تموز ١٩٦٩) • وربما كان النقد الموضوعى للبيان هو ماجاء فى كلمة الشاعر والناقد العراقى خالد يوسف بمجلة « المثقف العربى » حين قال « لسنا على اتفاق مع من تناول البيان باستخفاف وسخرية ، لاننا لا نرى فى السخرية والتجريح مبدأ يكفل لنا الوصول الى ما نتوخاه من دعم للصواب وتبين للخطأ » (العدد السادس ـ تموز ١٩٦٩) •

وكانت المناسبة الثانية التى استهوت الحماسة اللاموضوعية فى النقد هذا العام ، صدور العدد الخاص بالقصة القصيرة من « جاليرى ٦٨ » . فبالرغم من اللهجة الجديدة فى افتتاحية العدد التالى ، والمغاير الى حد ما لماقيل عن ميلاد القصة القصيرة لاول مرة ، اذ تقول هيئة التحرير فى عدد اكتوبر مانصه « ان عملية التجديد فى القصة المصرية لم تنقطع، وعدد الذين ساهموا فى تجديد القصة المصرية على ذلك لا يمكن حصره » الا ان نقاد هذا العدد راحوا يتناطحون بالسباب المقذع كقول احدهم عن آخرانه « يقفز برشاقة البرغوث بين المناهج » وقول هذا الاخر عن الاول أنه يؤثر استخدام « بعض الفتات المتساقط من مائدة القاموس الطبى » ويشير ثالث الى أن « المسألة هزلية من أولها الى آخرها » وبطرف اصبع متعالية ينادى رابع على زميله قائلا « ذلك المجهول » • وهكذا نتوه فى دوامة الكرامة الشخصية المجروحة وننفض الطرف عن أهمية القضايا الفكرية المطروحة •

وقد كانت مناسبة « نقدية » تماما ، هذه التى قررت جوائز اليونسكو للمسرحية العربية ، ولكن الثمار كانت غاية فى المرارة ، فقد حصلت على الجائزة الثانية مسرحية مأخوذة ـ ولا أقول متأثرة ـ عن أحد أعمال توريبدس كما دلل على ذلك بهاء طاهر فى مقاليه بمجلة الكاتب والملحق الادبى للاخبار . كذلك كان المؤتمر السابع للادباء العرب مناسبة « نقدية » تماما خلت من التحضير الجاد للابحاث المقدمة باستثناءات نادرة فى مقدمتها بحث الدكتور احمد هيكل حول « توثيق الارتباط بالتراث العربى » •

وبين المد البطىء والجزر العنيف لا يدور الصراع فى النقد الادبى وحده ، ولا فى الادب العربى وحده ، وانما فى الحياة العربية كلها التى تودع الستينات بكل آلامها وتستقبل السبعينات بكل احلامها •

[٢] الحصـــاد المســرحى لعـــــام ١٩٦٩

نبيل راغب

أن تلخيص وعرض النصـــوص المسرحيـــة يكشف عن الدلالات والظـــواهر الـتى لازمت موســـم ١٩٦٩ المسرحى بحيث نســـتفيد من الايجـــابى منها فى موســم ١٩٧٠ ونتخلص فى نفس الوقت من السلبى الذى يعوق تطوير الحركة المسرحية فى بلادنا عامة.. وطبقا لهذا سنقوم بتقصى الخطوط العريضة التى سلكتها المسارح المختلفة من خلال العروض التى قدمتها ، وهل كانت متمشية مع طبيعة المسارح التى قدمت عليها أم منافية لها .. نجد المسرح القومى وقد قدم ثلاثة عروض بدأت بمسرحية **برتولد بريخت** « دائرة الطباشير القوقازية » من اخراج **سـعد اردش** و « البلياتشـــو » تأليف **السـيد الشوربجى** واخراج **نبيل منيب** و « ليلة مصرع جيفارا » من تاليف **ميخائيل رومان** واخراج **كرم مطاوع** .. وقدم مسرح الحكيم ثلاث مسرحيات أيضا ... الاولى « بلدى يا بلدى » **لرشاد رشدى** واخراج **جلال الشرقاوى** ومسرحيتين من فصل واحد لمحمود دياب « البيانو » و « الضيوف » من اخراج أحمد **عبد الحليم** ثم مسرحية « زهرة من دم » **لسهيل ادريس** واخراج **كمال يس** .. وقدم المسرح الكوميدى مسرحية « على جناح التبريزى » **لالفريد فرج** واخراج **عبد الرحيم الزرقـانى** و « الصعلوكة » تمصير **هيدى بانوب** عن مسرحية **مارسيل ميتوا** « كروك مسيو » واخراج **السـيد راضى** .. وقدم مسرح المائة كرسى ثلاثة عروض : الاول اشـتمل على مسرحيتين **لعـبد المنعـم سليم** . « الدرس » من اخراج **أحمد عبد الحليم** و « السعادة الزوجية » من اخراج **زغلول الصيفى** والثانى شمل مسرحيتين **لعزت الامــير** . « لا تسدلوا الستار » من اخراج **عبد الفتاح شعراوى** و « الحقيقة عارية جدا » من **اخراج محمـد راضى**.. والثالث كان مسرحية « المذكرة » تأليف **فاتسلاف هافيل** وترجمة **عبد المنعم سليم** واخراج **احمد عبد الحـليم** .. وقـــدم مسرح الجيب مسرحيـــة « تانجو » للكاتب البولنـدى **سلوميز مورجيك** واخراج **نبيل الالفى** . وقـدم المسرح الحر « برعى بعد التحسينات » و « ميـرامار » و « زقاق المدق » ومسرح العرائس « بحر ورجالة » تأليف **محمد جلال** واخراج **ابراهيم سـالم** ..

حسابات عام ١٩٦٩

١٧ ـ تجدد حوادث الانفجارات فى منطقتى جيزان ونجران بالسعودية .

١٩ ـ نسـف خـط انابيب بترول التابلاين الامريكية فى السعودية .

٢٢ ـ قضت المحكمة العليا فى السودان ببطلان قرار الجمعية التاسيسية بحل الحـزب الشيوعى السودانى واسـتبعاد ٨ من الاعضاء الشيوعيين من الجمعية .

٢٧ ـ أبلغت الحكومة الاردنية الجامعةالعربية رفضها دخول قوات الدعم العربية الى أراضـــيها .

٢٨ ـ تشكيل مجلس ثورة لمنظمة التحـرير الفلســطينية .

عــام ١٩٦٧

٢ ـ عقدت ج.ع.م. اتفاقية شراء قمح تبلغ ٢٥٠ الف طن مع الاتحاد السوفيتى

٧ ـ وقعت اندونيسيا والولايات المتحدة اتفاقا يعطى ضمانات لراس المال الامريكى المستثمر فى اندونيسيا ضد التاميم .

٨ ـ رفض الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف مـد خط انابيب مـن كركوك الى البصرة للاستغناء عن خط الانابيب السورى .

١٢ ـ اصـدر الرئيس ماوتسى تونج قرارا باعادة تنظيم الجيش واجراء تعديل فى لجنة الثورة الثقافية وتدعيم الثورة الثقافية فى صفوف الجيش . وقد عينت زوجة الرئيس ماو مستشارة للجنة المسـئولة عن حركة الحرس الاحمر وحركة التطهير فى البلاد .

١٧ ـ قدمت الولايات المتحـدة قرضـا قدره مليون و٨٠٠ الف دولار للاردن يسدد على مدى ٤٠ عاما .

٢٥ ـ قررت حكومة السودان سودنة البنوك الاجنبية فى البلاد .

● اعلنت القيادةالامريكية ان عدد ضحايا القوات الامريكية فى فيتنـام بلغ ٢٩٠٢٤ جنديا بين قتيل وجريح واسير ومفقود .

● خفضتبريطانيا سعر الفائدةعلىالجنيه الاسترلينى من ٧ ٪ الى ٦٫٥ ٪ .

٢٧ ـ وقع الاتحاد السوفيتى والولاياتالمتحدة وبريطانيا معاهدة لحظر استخدام الاسلحة النووية فى الفضاء الخارجى .

● وقعت ج.ع.م. معاهدة اسـتخدام الفضاء الخارجى فى الاغراض السلمية .

٢٨ ـ احترق ثلاثة من رواد الفضاء الامريكيين فى برنامج ابوللو .

٢٩ ـ اصدر الاتحاد السوفيتى بيانا اعلن فيه « ان النازية تظهـر من جديد فى المـانيا الغربية » وبعث بمذكرة الى المانيا الغربية يطالبها باتخاذ التدابير للحد من نشاط قوى النازية الجديدة .

٣١ ـ اعلان مولد الحزب الاشتراكى الجديد فى السودان .

فبـرايــر

٦ ـ اعلن الرئيس جوليوس نيريرى تاميم ٦ بنوك تجارية و٨ شركات تصدير واستيراد فى تنزانيا .

والمسرح الغنائى الاستعراضى « القاهرة فى ألف عام .. » ».

تلك هى احصائية سريعة للحصاد المسرحى الذى استطعنا جنيه فى الموسم السابق . وهو حصاد يستحق الدراسة والنظرة الهادئة .

البلياتشـــو

كان العرض الثانى للمسرح القومى فى موسم ١٩٦٩ هومسرحية «البلياتشو» للسيد الشوربجى واخراج نبيل منيب . وهى مسرحية تؤكد لنا التضارب الذى كثيرا ما يحدث بين المسارح المختلفة مما يفقدها طابعها المميز .. فالمفروض فى المسرح القومى أن يقدم اعمال الكتاب الذين أرسوا دعائم الحركة المسرحية المعاصرة وفرغوا من عملية البحث عن الشخصية المميزة لاعمالهم المسرحية ، بحيث لم يعد الاسلوب هو العقبة الاساسية فى طريق خلقهم الدرامى .. بينما يتخصص مسرح الحكيم فى تقديم أعمال الكتاب المحليين الذين مازالوا فى طريقهم الى ارساء دعائم جديدة للحركة المسرحية . وعندما ينجحون فى هذه المهمة ينتقلون باعمالهم الى المسرح القومى .. وركز المسرح الكوميدى اهتمامه على تقديم كل أنواع الكوميديا من فارس وفودفيل وساتير .. الخ واهتم مسرح الجيب بتقديم الاعمال الطليعية سواء كانت محلية أو عالمية . وهى الاعمال التى مازالت فى حيز التجريب والتى لم يقبل عليها جمهور ضخم يستطيع أن يتذوقها بسهولة ويسر .

فاذا طبقنا هذا المفهوم لاختصاصات المسارح على مسرحية السيد الشوربجى « البلياتشو » لوجدنا أن مكانها ليس المسرح القومى وانما مكانها مسرح الحكيم أو المسرح الكوميدى ، لانها تميل الى استغلال حيل الفارس والفودفيل فى كثير من الاحيان . وليس للسيد الشوربجى مسرحيات راسخة قبل « البلياتشو » تؤهله لعرضها على المسرح القومى ، ولذلك كان مسرح الحكيم أولى به ، ولو كانت مسرحية « البلياتشو » بالمكانة الدرامية اللائقة بالمسرح القومى لما أثرنا هذا الاعتراض ولكنها مسرحية ذات مضمون تقليدى وسريع يحاول الاقتراب من ميدان السياسة المعاصرة عن طريق الرمز واستغلال التلميح .. ولاشك أن المسرحيات التى تحاول أن تقفز قفزا الى موضوعات الساعة بهذه السرعة معرضة الى الاصابة بعسر الهضم .. لان طبيعة الفن الدرامى لا تحتمل الفورة السريعة التى سببتها احداث معاصرة ، ذلك أن الفن يتشكل فى لحظات الهدوء التى يركن اليها الفنان ، والتى تساعده على الاختيار والحذف والاضافة والتبديل بحيث لانجد فى العمل المسرحى الا كل ما يمت اليه بصلة عضوية أو ما ينبع منه بحيوية متدفقة . وقد أدرك المؤلف ضحالة الفكرة التى بنى حولها مسرحيته فلجأ الى عنصر الابهار عن طريق استغلال حيل الفارس فى اضحاك النظارة والقضاء على الحائط الرابع لافتعال صلة اندماج بين المنصة والصالة واتباع منهج بريخت فى كسر الابهام وتقديم الممثلين باسمائهم على أساس أنهم واعون بتمثيلهم واستعمال بعض خصائص مسرح العبث فى اظهار الاوضاع التقليدية على أنها مقلوبة .. وقد انتهز الممثلون الفرصة كعادتهم وجنحوا الى التهريج واثارة الضحك بكل طريقة ممكنة لان طبيعة النص المطاطة أتاحت لهم هذه الفرصة . وكان من نتيجة هذا أن أصبحت المسرحية بمثابة سلسلة متصلة من المواقف الهزلية التى لا تربطها صلة سوى التتابع الزمنى وليس حتمية نحو الخط الدرامى . ولعل النمو الوحيد للخط الدرامى كان فى الطريقة التى تحولت بها التمثيلية داخل النص الى مسرحية درامية واقعة فوق المنصة بالفعل مما تنفى الحاجة الى منهج بريخت فى كسر الايهام ومما أوقع المخرج نبيل منيب فى فجوة التردد بين اللجوء الى كسر الايهام والاغراب أو استعمال الاسلوب الدرامى المنافى للحمية بريخت .. ولذلك كان الربط بين الجمهور والممثلين مجرد تقليعة لم يستفد منها النص على الاطلاق .. وهذا يؤكد لنا أنه ليس من حق الكاتب استغلال أية عناصر ابتكرها كاتب آخر الا اذا تمكن من وضعها فى خدمة عمله المسرحى ولم يكن قصده منه الابهار بأية حال من الاحوال .

ليلة مصرع جيفارا

كانت مسرحية « ليلة مصرع جيفارا » لميخائيل رومان واخراج كرم مطاوع آخر وثالث عرض قدمه المسرح القومى فى موسمه الماضى .. وهى مسرحية اثارت الكثير من الجدل مما يدل على فاعليتها الدرامية والفكرية على السواء لانها تحاول أن تصل الى آفاق فكرية وفنية لم تحاولها مسرحية من تأليف كاتب معاصر كميخائيل رومان . فهو يحاول تقديم توليفة درامية تبلور لنا مأساة الحضارة الانسانية المعاصرة ، والصورة الدرامية التى يقدمها ليست سوى طبعة لمأساة الحضارة الانسانية على مر العصور . . وكانت شمولية التفكير والنظرة السبب فى جنوحه الى التجريد والتكثيف والتركيز على الخطوط الفكرية العامة التى افتقدت الخصائص الذاتية .. فلم يهتم بأى منهج درامى فى سبيل بلوغ هذه الغاية .. تقام بتحطيم وحدة المكان والزمان والحدث لانه يتعامل

مع المطلق الذى لا يحتمل روابط المكان او حدود الزمان أو قيود الحدث .. فالحكاية التى يحتويها النص ليست حكاية بعينها وانما الحكاية التى يصحو عليها العالم كل صباح وينام عليها كل مساء منذ فجر الحضارة الانسانية حتى عصرنا هذا ... والبطل الدرامى ليس جيفارا بالذات وانما كل ما يمثله جيفارا من معانى البذل والتضحية والبطولة . وهى المعانى التى يمكن أن تنطبق على أى بطل آخر قام بدور مشابه لذلك الذى قام به جيفارا .. والحانة التى تدور داخلها أحداث النص ليست تلك الحانة التى نشاهدها فى حياتنا اليومية وانما تمثل عالمنا بكل ما فيه من تناقضات وصراعات وملابسات غير انسانية ولذلك نستطيع القول بأنه لا توجد شخصيات درامية بالمفهوم التقليدى وانما هناك انماط مطلقة تعدت حدود ذاتها الضيقة المحدودة بالمكان والزمان والحدث وانطلقت الى كل الافاق التى يمكن أن يصل اليها الفكر البشرى ... وكان على الشكل الفنى ان يجارى هذا المضمون الجديد فتحرر بدوره من كل المفاهيم والقواعد الدرامية التقليدية واستغل كل الاتجاهات التى من شأنها بلورة المضمون وتجسيده رغم التجريدية المتطرفة المسيطرة عليه... وبذلك تحولت المسرحية الى توليفة درامية تجمع ما بين التجريدية والتعبيرية والملحمية والرومانسية والسيريالية .. الخ ...

واذا حاولنا تطبيق المناهج التقليدية فى النقد على النص لما وفقنا فى فهمه او هضمه . وليس هذا خطأ المؤلف لان من حقه التعبير عن مضمونه بالاسلوب الذى يتلاءم معه ويتمشى مع طبيعته .. وانما يجب على النقاد تتبع هذا الاسلوب وتقييمه من حيث امكانيته فى التعبير عن المضمون والى أى حد وفق ولماذا والى أى حد عجز عن هذا والاسباب الموضوعية التى أدت اليه .. وقد أدرك بعض النقاد هذه الحقيقة فى تناولهم للنص ولم يدركها البعض الاخر مما أدى به الى مهاجمة النص دون مسوغ فنى مبرر .. وخاصة أن مخرجه كرم مطاوع بذل كل جهد مستطاع لتجسيد هذا النص الصعب المعقد عن طريق التكثيف الدرامى من خلال رمز النازية «**الصليب المعقوف**» ورمز الاستعمار الامريكى « **الدولار** » ورمز الصهيونية العنصرية « **نجمة اسرائيل** » وهى الرموز التى تقول كثيرا داخل النص اكثر من الخطب الرنانة والشعارات الطنانة .. وقد تعاون كرم مطاوع مع كمال بكير واضع موسيقى النص فى ربط الاحداث الدرامية بالموسيقى القائمة على أسلوب « الجاز » والتى توحى بالتوتر الذى تعانيه النفس الانسانية .. وكانت الموسيقى تقول أشياء كثيرة

حسابات عام ١٩٦٩

١٠ — اعلنت تونس سحب اعترافها بحكومة الجمهورية فى اليمن .

● طالب البرلمان الاندونيسى بالاجماع تنحية الرئيس سوكارنو وتقديمه للمحاكمة بدعوى اشتراكه فى الانقلاب الفاشل عام ١٩٦٥ .

١٧ — وافقت لجنة الدفاع بالكونجرس الامريكى على اعتماد مبلغ ٤٥٠٠ مليون دولار كاعتمادات اضافية فى الميزانية العسكرية لحرب فيتنام .

● قدمت امريكا للاردن قرضا قيمته ٣ر٧ مليون دولار لسد العجز فى الميزانية .

٢٠ — يوم الانتقام فى الجنوب العربى . شدد الثوار هجماتهم ضد القوات البريطانية وانزلوا بها خسائر كبيرة .

٢١ — فاز حزب المؤتمر فى الانتخابات العامة فى الهند .

٢٢ — القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى مناسبة عيد الوحدة تحدث فيه عن التحالف الامريكى البريطانى ودعا الرئيس الى ضرورة قيام وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى .

● تخلى الرئيس الاندونيسى أحمد سوكارنو عن سلطاته الرياسية للجنرال سوهارتو قائد الجيش .

● قطعت المخابرات الامريكية مساعداتها المالية لبعض المنظمات الطلابية فى الولايات المتحدة بعد اكتشاف الاتصالات بين الوكالة وهذه المنظمات .

مارس

٢ — وافقت شركة بترول العراق على مطالب سوريا ورفع نصيبها من عوائد البترول من ١٠ الى ١٥ مليون جنيه استرلينى .

٣ — اعلنت الصين الشعبية انها لن تشترك فى الدورة الثامنة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية التى ستعقد فى قبرص .

٤ — وافق الاتحاد السوفيتى على تزويد سوريا بما قيمته ٥ر٧ مليون جنيه استرلينى من المعدات اللازمة لتنفيذ سد الفرات .

٧ — تم توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الاتحاد السوفيتى وكوريا الشمالية .

٢١ — وافقت شركة بترول العراق على رفع عائدات البترول بالنسبة للبنان ٥٠ ٪ أسوة بسوريا .

٢٥ — وصل الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر الى القاهرة فى زيارة لـ ج.ع.م.

فى لحظات الصمت .. ولم يلتزم كرم مطاوع بأسلوب معين فى الاخراج ، وانما وضع كل امكانياته وخبراته فى خدمة النص . وهو شأن كل مخرج يدرك كنه النص الذى يعالجه جيدا .. فنجده يستغل كل الاساليب الواقعية والرمزية والتجريدية والتعبيرية والملحمية والرومانسية فى ابراز المعانى التى يتضمنها النص . ويبدو أن بريخت مد ظله بطول موسم المسرح القومى الماضى الذى بدأه بعرض « دائرة الطباشير القوقازية » لاننا نجد نفس الربط بين الجمهور والمنصة بقصد كسر الايهام عن طريق تدخل الراوى أو المخرج من حين لاخر لكى يذكرنا أن ما نراه مجرد تمثيل وليس هناك ثمة تعاطف مع مايجرى فوق المنصة .. ولكن المراثى والاغانى الحزينة الباكية أفسدت هذا الاثر لانها حاولت التأثير فى الجانب الوجدانى لدى الجمهور بحكم طبيعتها العاجزة عن التعامل مع الجانب العقلى البحت . وحاول الممثلون أيضا التعامل مع الجانب الوجدانى للجمهور وتجاهلوا تعاليم بريخت .. وعلى رأسهم كرم مطاوع فى دور جليسها وسناء جميل فى دور المرأة وعبدالرحمن أبو زهرة فى دور البغل .. ونحن لا نلزمهم باتباع بريخت طالما أن هذا فى صالح النص ، ولكن هذه القاعدة لا تنطبق على الممثل الجديد الموهوب محمود يس الذى تمادى فى استغلال امكانياته التعبيرية كسبا لتصفيق الجمهور واعجابه ..

ولعل القضية الاساسية التى أثارها عرض مسرحية « ليلة مصرع جيفارا » هى قضية المسرح السياسى الذى تبناه المخرج الالمانى باسكاتور فى العشرينيات من هذا القرن والذى يعتقد أن الحياة الانسانية فى جوهرها ليست سوى سياسة بطريقة أو بأخرى .. وأن السياسة التى نشاهدها على مسرح الاحداث اليومية ليست سوى الواجهة العريضة للخلفية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتاريخية والجغرافية .. الخ . وبحكم ان المسرح يعالج كل هذه العناصر فنيا وفكريا فلا غرو ان نجد مايسمى بالمسرح السياسى .. وهو مسرح لا يقف وراء اتجاه سياسى معين على سبيل الدعاية الساذجة كما قد يتبادر الى الذهن لاول مرة ، وانما هو مسرح يحاول الوصول الى الجوهر مخترقا المظهر .. وهى العملية التى يقوم بها كل فن أصيل .. وطبقا لهذا المفهوم نجد أن ميخائيل رومان قد وفق الى حد كبير فى معالجة القضايا الانسانية التى تشغل فكر الانسان المعاصر بعيدا عن الدعاية الساذجة والارشاد المباشر والخطب الرنانة والشعارات الطنانة ، والاكلشيهات المحفوظة . وهى الاخطاء والهنات التى كثيرا ما يقع فيها هؤلاء الكتاب الذين يعالجون المضامين السياسية المعاصرة ظنا منهم أنهم يصلون بهذا مباشرة الى قلب الجمهور ووجدانه .. وقد تفادى ميخائيل رومان هذه الاخطاء بتقديم عمل مسرحى غنى بالاعماق والابعاد والمستويات المتعددة ..

مسرح الحكيم

بدأ مسرح الحكيم موسمه الماضى بعرض مسرحية « بلدى يا بلدى » من تأليف رشاد رشدى واخراج جلال الشرقاوى ..

ان رشاد رشدى مازال مغرما باتباع المنهج الموسيقى فى خلق الحان متوازية وجمل متعارضة وتنويعات متعددة تجمع بينها خيوط النسيج الممتد على الخلفية الدرامية . ولذلك يتحتم على المتفرج او القارىء أن يجمع بين التركيبات الكونترابنطية فى خياله لكى تكمل متعته الجمالية .. فالخلفية الدرامية تستمد مادتها من مولد السيد البدوى بعد وفاته بمائة عام .. ويستعمل رشاد رشدى نفس الازدواج الزمنى الذى قدمه من قبل فى مسرحية « خيال الظل » .. بأن يحكى لنا الراوى رقم ١ ما حدث أيام السيد البدوى فنرى الاحداث تدور بالفعل أمام أعيننا فوق سطح بيت الشيخ ركين فى طنطا . ثم نتقدم فى الزمن مائة عام فتتوازى الاحداث التى وقعت أيام السيد البدوى والايام التى أتت بعده بمائة عام .. وتلقى كل منهما الاضواء على الاخرى كما تفعل الانغام المتعارضة فى التأليف الموسيقى .. وقد يظن البعض انه لالزوم لوجود الراويين طالما انهما يقصان ما يدور فوق المنصة بالفعل .. ولكن ليس هذا دورهما تماما لانهما يمهدان للاحداث عن طريق الرواية ثم يتركان الاحداث تتكلم عن نفسها بعد ذلك .. وهما بذلك يساعدان الازدواج الزمنى على أن يبدو متناغما مع نسيج المسرحية لانه من الصعب بالنسبة للمؤلف أن يقدم زمنين يفصل بينهما مائة عام دون أن يربطهما كما فعل رشاد رشدى عن طريق الراويين . ولعل العيب الذى ارتبط بهذا العنصر هو التكرار الممل لاحاديث الراويين لان المؤلف قصد تصويرهما بنفس الاسلوب الواقعى الذى نجده فى الموالد . وكان من الممكن اختزال الانشاد الطويل الذى قاما به حتى لا يتسبب فى إعاقة تدفق الاحداث .

وقد استخدم رشاد رشدى لغة الحوار ومستوياتها فى التفريق بين أطراف الصراع داخل المسرحية .. فالحوار بين السيد البدوى ومريديه وباقى الحكام باللغة الفصحى الرسمية والحوار بين أفراد الشعب والعامة باللهجة العامية الدارجة .. وسواء كان الحوار بالفصحى أو العامية فقد حاول رشاد رشدى ادخال العنصر الغنائى وخاصة فى حديث الراويين .. ولكن الغنائية لم تتميز بالتراكيب الشعرية الاصيلة بل

اعتمدت على الزخارف اللفظية من سجع وجناس مما منعها من التغلغل داخل خلايا النسيج لتعارضها مع الطبيعة الدرامية المتطورة للنص.. وقد أوقعت المخرج جلال الشرقاوى فى مازق لم ينجح فى الخروج منه .. فلقد تردد بين الجانب الغنائى والجانب الدرامى للنص ولم يحاول أن يخضع أحد هما للآخر، حتى يستطيع المتفرج تتبع النص فى سهولة ويسر.. فأصيب العرض بانفصام الشخصية واحتار المتفرج الى اى جانب يمكن أن يريح حاسته الجمالية؟ والمفروض فى الاخراج أنه عملية خلق فنى من جديد وليس مجرد ترجمة أمينة للنص المسرحى .. فالمؤلف يتخيل عمله مجردا على الورق ولكن عملية التنفيذ التى يقوم بها المخرج على الطبيعة تستدعى وجهة نظر جديدة مستقلة تعتمد على طبيعة المنصة وتحريك الشخصيات والامكانيات البشرية ، والمعطيات الفنية .. الخ ولا يعنى هذا الابتعاد عن طبيعة النص بقدر مايعنى التفوق بينه وبين الامكانيات المادية والفنية .. ولقد كان جلال الشرقاوى فى اخراجه لمسرحية «بلدى يا بلدى» مترجما أكثرمنه فنانا ..

البيانو والضيوف

شمل العرض الثانى لمسرح الحكيم فى الموسم الماضى مسرحيتين من فصل واحد : « **البيانو** » و « **الضيوف** » من تأليف محمود دياب واخراج احمد عبد الحليم .. المسرحية الاولى تعالج مضمونا تقليديا يصور مأساة الفنان فى مواجهة ظروفه التى تضطره الى الانحراف عن جادة الطريق .. وهو الصراع الذى دار بين الفنان الموسيقى وصاحب البيت بائع الخردة حول متأخر الايجار .. ولكن علاج محمود دياب لم يكن تقليديا كما فعل الكتاب المسرحيون الذين عالجوا نفس المضمون من قبل .. لانه استطاع خلق أرضية مشتركة يقف عليها كل من الفنان وبائع الخردة .. هذه الارضية المشتركة نبعت من الاحاسيس المشتركة بين بنى البشر جميعا مهما اختلفت عوامل البيئة والثقافة .. ولذلك تسلل أسلوب الفنان وموسيقاه داخل وجدان المعلم بائع الخردة الذى مر بتجربة وجدانية خاف منها فى أول الامر لانه لم يتعود على مثيلاتها ثم حاول تكرارها فى نهاية المسرحية بعد رحيل الفنان .. لعله يكرر نفس النشوة الروحية التى استمتع بها من قبل .. فالصراع بين نقيضين يحملان داخلهما بذور الاتحاد والتآلف ينظر الى الانسان نظرة أعمق من ذلك الصراع اليائس الذى لابد وأن ينتهى باندثار أحد طرفى الصراع .. وقد نجح أحمد عبد الحليم فى تحقيق التناقض بين عالم الفنان وعالم بائع

حسابات عام ١٩٦٩

أبريل

٢٠ ـ قررت حكومة العراق وقف العمل بقرارات تاميم البنوك وبعض الشركات الاجنبية .

٢١ ـ وقع انقلاب عسكرى فى اليونان اتهمت المخابرات الامريكية بتدبيره .

٢٤ ـ بدأت فى دمشق المفاوضات مع شركة التابلاين الامريكية لتعديل الاتفاقات المعقودة بين البلدين .

● وقعت كارثة فضاء سوفيتية . ذهب ضحيتها رائد الفضاء فلاديمير كومازوف .

٣٠ ـ وقعت محاولة فاشلة لاغتيال الرئيس اليمنى عبدالله السلال ، وطرد بعثة النقطة الرابعة الامريكية من جمهورية اليمن لقيامها باعمال التجسس والتخريب .

مايو

١ ـ قدمت بريطانيا طلبها الثانى للانضمام الى السوق المشتركة .

٧ ـ قررت ج.ع.م. تقديم اقصى ما يمكن من معونة للثورة فى الجنوب العربى .

١١ ـ انضمت جمهورية اليمن الى اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية .

١٢ ـ رفضت ج.ع.م. طلب زيارة الاسطول السادس الامريكى للموانى المصرية .

١٤ ـ اعلن ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل انه لن يمكن تجنب مواجهة خطيرة ضد سوريا .

١٦ ـ اعلنت ج.ع.م. حالة الطوارىء فى القوات المسلحة .

● اعلنت سوريا حالة الطوارىء فى البلاد .

١٧ ـ طلبت ج.ع.م. سحب قوات الطوارىء الدولية من سيناء .

١٨ ـ اعلنت العراق حالة الطوارى .

● اعلنت الكويت حالة الطوارىء .

١٩ ـ قدم بابكر عوض الله رئيس المحكمة العليا فى السودان استقالته احتجاجا على تدخل الحكومة فى استقلال القضاء .

٢١ ـ اعلنت اسرائيل التعبئة العامة واستدعاء الاحتياطى .

٢٢ ـ عقد اجتماع طارىء للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر لبحث تطورات الموقف .

● قررت ج.ع.م. دعوة الاحتياطى الى الخدمة العسكرية .

٢٣ ـ اغلقت ج.ع.م. خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية

٢٦ ـ دعا مجلس حلف الاطلنطى حكومات المنظمة الى تأييد كل اجراء عملى يتخذ ضد الدول التى تمنع حرية الملاحة فى الممرات الدولية .

● اصدرت وزارة الخارجية السوفيتية بيانا حول الموقف فى الشرق الاوسط . طالبت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا بكبح جماح اسرائيل ووقف عملياتها الاستفزازية ضد الدول العربية .

٢٩ ـ قدمت العناصر الوطنية فى ليبيا مذكرة الى الملك ادريس تطالب بمنع استخدام قاعدة هويلس الامريكية ضد الدول العربية

الخردة، وكيفية تقلص هذا التناقض عن طريق اللمحات الجانبية التى قد تفوت على المتفرج غير المتمرس .. ووفق صلاح منصور فى تجسيد هذه اللمحات واللمسات فى دور المعلم بائع الخردة بينما فشل عصمت عباس فى مجاراته على نفس المستوى من الاداء .. لان رهافة الفنان لا تعنى رتابة الاداء بل تعنى الاداء بايقاع أخف وأرق واعذب من ايقاع المعلم مع مراعاة الصعود والهبوط والمنحنيات التى تمنح للدور تجسيده .

فى مسرحية « الضيوف » يحاول محمود دياب بلورة الصراع بين القرية والمدينة أو بين الطبقة الكادحة والطبقة الغنية عن طريق ابراز فقدان اللغة ودلالات الالفاظ امكانياتها فى اقامة جسر للتفاهم بين الفريقين .. ولكن محمود دياب لم يلتزم بنفس الموضوعية الدرامية التى التزم بها فى مسرحية « البيانو » لانه انحاز الى جانب الفلاحين دون أن يكون هناك مبرر داخل النص يؤيد مثل هذا الانحياز .. فهو يظهر بشاعة أهل المدينة وجشعهم الرئيس السابق جون كيندى ، ولن الشعب وتأففهم بأسلوب يجبر المتفرج على أن يقف موقفا معاديا لهم ، بينما يساند الفلاحين بكل قوته رغم عاداتهم السيئة وأسلوبهم غير الصحى فى المعيشة وكأنه يقف مع الجهل والفقر والمرض .. ومما يؤكد سذاجة هذا الانحياز أن المؤلف لجأ الى الكوميديا .. والكوميديا تعنى عدم الانحياز وعدم التعاطف مع أحد طرفى الصراع .. بل على العكس تعنى السخرية منهما ومحاولة تغيير واقعهما .. وقد انقاد المخرج وراء المؤلف وركز على التناقض القائم بين أهل الريف وأهل الحضر مع النظرة المنحازة الى أهل الريف ، ولم يحاول استغلال الخط الكوميدى فى السخرية من نقائص طرفى الصراع دون انحياز الى احدهما ..

زهرة من دم

كان العرض الثالث والاخير لمسرح الحكيم فى الموسم الماضى هو مسرحية « زهرة من دم » من تاليف سهيل ادريس واخراج كمال يس .. ويدور مضمونها حول المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلى .. والمسرحية عموما تقليدية ومليئة بالجرس العالى الذى لا يهتم بالابعاد الفنية غير المباشرة بقدر اهتمامه بالاسلوب المباشر والسهل .. هذا اذا قورنت بمسرحية أخرى من جنسها الذى ينتمى الى المسرح السياسى مثل « ليلة مصرع جيفارا » لميخائيل رومان مثلا . ولكن المسرحية لا ينقصها الايمان بالقضية الفلسطينية ولو أن هذا الايمان تغلغل داخل جزئيات الشكل الفنى لبرزت الى الوجود مسرحية سياسية . ولكن الشكل كان مجرد قالب جامد صب فيه المؤلف مضمونه التقليدى الذى كان يمكن أن يتجنب هذه التقليدية لو أنه عبر عن نفسه بالشكل النابع منه .. وقد ادرك الدكتور سهيل ادريس هذه الحقيقة بدليل انه انبرى للدفاع عن عمله لايمانه بأن عمله عاجز عن الدفاع عن نفسه ضد هجمات النقاد .. ولو كان الموقف غير ذلك لترك عمله صامدا فى الميدان وحده ..

المسرح الاستعراضي الغنائي

قدم المسرح الاستعراضى الغنائى استعراض « القاهرة فى ألف عام » من تاليف عبد الرحمن شوقى وأغانى صلاح جاهين واخراج المخرج الالمانى ايرفين لايستر وأحمد عبد الحليم وموسيقى أعمدة التلحين العربى فى مصر .. وكان استعراضا مسليا ومفيدا من وجهة النظر التاريخية .. ولكن من وجهة نظر التشكيل الفنى لم يكن مقنعا لانه كان بمثابة فقرات منفصلة عن بعضها البعض .. ولم يحاول النص المكتوب أو التراكيب الموسيقية القيام بعملية الربط هذه .. ويرجع هذا الخطأ الى المخرج الذى لم يجتمع بكل الفنانين القائمين بالعمل لكى يشرح لهم دفعة واحدة الروح العامة التى يجب أن تسود الاستعراض .. وهى الروح التى يجب ان تسرى فى كل جزئياته سواء كانت نصا دراميا او اغان منظومة أو تلحينا موسيقيا أو تمثيلا على المنصة .. وان كان الغناء يلعب دورا اساسيا فى الاستعراض فلا يعنى هذا التغاضى عن قواعد التشكيل الدرامى التى تحتم وحدة البناء وفعالية كل خلاياه فى سبيل مساعدة المتفرج على تكوين تشكيل جمالى فى مخيلته ..

المسرح التجارى :

شهد الموسم المسرحى السابق ظاهرة تفشى الفرق المسرحية الاهلية التجارية التى مازالت تعيش على تقاليد مسارح روض الفرج وعماد الدين والتى انتشرت أيام الحرب العالمية الثانية .. وهى فرق تعمل بجد ومثابرة على الهبوط بالذوق العام للجمهور المتردد على مسارحها ايمانا منها بمذهب المدبولية الذى يرفع شعار « الجمهور عايز كده » .. وتحت هذا الستار أو الشعار تبيح

لنفسها كل الحيل المشروعة وغير المشروعة فى سبيل اجتذاب الجمهور والحصول على ما فى جيبه .. وهذه الحقيقة تزيد من العبء الملقى على عاتق مؤسسة المسرح لانها أصبحت مضطرة الى تقديم أعمال ذات مستوى لائق وفى نفس الوقت ذات مقدرة على جذب جمهرة عريضة من النظارة .. وقد انزلق المسرح الكوميدى — وهو أحد مسارح المؤسسة — الى منافسة المسارح التجارية بنفس الاسلوب والمستوى مما يؤكد لنا أن المد التجارى الذى تمارسه هذه المسارح ليس بالتفاهة التى نتصورها .. بل ربما طغى على كل مسارح المؤسسة بما فيها المسرح القومى ذاته مما يهدد حياتنا المسرحية الاصيلة بالاندثار والتفاهة والسطحية والسخافة .. وهنا تقع مهمة جديدة على عاتق النقاد فى جميع المجالات .. فى الصحف والمجلات والاذاعة والتليفزيون لكى يوضحوا للناس الفرق بين الاصالة والاقتباس .. بين الكوميديا والفارس .. بين الفكاهة والسخافة .. بين الفن والتجارة .. لاننا لا نستطيع استعمال القانون فى مجال المسرح ،ولكن سلاحنا الوحيد يتمثل فى الاقناع والتوعية والتحليل الجاد المخلص .

الدروس المستفادة

يتضح لنا من التحليل السابق للموسم المسرحى ٦٩ أننا مازلنا فى حاجة الى التأكيد على تخصص كل مسرح فى تقديم الاعمال التى تنتمى الى نوعه .. فيجب ان لا يتعدى مسرح الحكيم على المسرح القومى على سبيل المثال .. ويجب ايضا على المسرح الكوميدى أن يتجنب المنافسة الساذجة مع المسارح التجارية ، لانه بهذه الطريقة ينفى السبب الرئيسى فى حصوله على اعانة المؤسسة ومساعدتها له .. ويجب أيضا على مسرح الجيب أن يعود الى حياتنا المسرحية بدفعة أقوى عن طريق تقديم الاعمال الطليعية سواء كانت عالمية أو محلية .. ويجب تعميق الهدف من وجود مسرح العرائس وترشيد المسرح الغنائى الاستعراضى حتى لا يقتصر دوره على تقديم الاستعراضات ذات الفقرات المنفصلة .. ويجب الاهتمام بالريبرتوار أكثر من ذلك حتى يظل الموسم المسرحى ممتدا أطول مدة ممكنة ومتألقا بأكبر درجة متيسرة .. ويجب على النقاد ان يساهموا فى حقل الدراسات الجادة والابحاث الاكاديمية لان ميدان المسرح مازال خاليا أو شبه ذلك من المراجع التى يمكن أن يرجع اليها دارسو المسرح .. ولعل الموسم المسرحى القادم يحمل فى طياته ما يبشر بدفعة جديدة وقوية لنهضتنا المسرحية المعاصرة .

حسابات عام ١٩٦٩

٣٠ — قدم اعضاء مجلس الامة فى ج.ع.م. تفويضا كاملا للرئيس جمال عبد الناصر لمواجهة الموقف .

● اعلن انقسام اقليم بيافرا عن نيجيريا تحت اسم (جمهورية بيافرا) .

● تم توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الاردن و ج.ع.م.

● قررت حكومة الجزائر ارسال قوات تقف الى جانب القوات المصرية .

يونيه

١ — تم تشكيل وزارة حرب فى اسرائيل يسيطر عليها العسكريون ، مثلت جميع الاحزاب باستثناء الحزب الشيوعى ،وتعيين الجنرال موشى ديان وزيرا للدفاع .

٤ — انضم العراق الى معاهدة الدفاع المشترك المصرية الاردنية .

٥ — بدأت القوات الاسرائيلية بمهاجمة الجبهة المصرية من الجو ومن البر وكذلك الجبهة الاردنية والسورية .

● اعلنت ج.ع.م. قطع العلاقات الدبلوماسية مع امريكا وبريطانيا .

● اعلنت الجزائر الحرب على اسرائيل

● اتصل الرئيس التونسى الجبيببورقيبة بالرئيس جمال عبد الناصر واعرب له عن تأييده لـ ج.ع.م. ضد العدوان الاسرائيلى

● اعلنت سوريا ، والعراق ، واليمن ، والجزائر ، والسودان ، ولبنان قطع علاقاتها مع امريكا وبريطانيا .

● اجتاحت المظاهرات الشعبية الغاضبة كافة البلدان العربية وهاجمت السفارات والمؤسسات الامريكية والبريطانية احتجاجا على العدوان على مصر وسوريا والاردن .

● اعلنت اتحادات العمال فى العراق والسودان وعدن واليمن ولبنان والكويت والمغرب مقاطعتها للسفن والطائرات الامريكية والبريطانية فى الموانى والمطارات العربية استجابة للنداء الذى وجهه اتحاد العمال العرب لعمال النقل والشحن .

● اصدر الاتحاد العام لعمال البترول العرب الى عمال البترول فى الوطن العربى يطالبهم بتحطيم المصالح الامريكية والبريطانية فى الارض العربية فورا ووقف ضخ البترول، وضرب القواعد العسكرية الاجنبية ، ومنع تموين سفن الاعداء وطائراتهم الحربية .

● قررت غينيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع أسرائيل باعتبارها أداة للامبريالية العالمية .

٦ — أعلنت حكومة الكويت وقف تصدير البترول الى الدول التى ساندت العدوان

● أعلنت الحكومة السوفييتية تأييدها الكامل لشعب ج.ع.م والشعوب العربية الاخرى ، وان الاتحاد السوفييتى يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ كافة الخطوات التى يستدعيها الموقف .

● غادرت مدينة اتلانتا فى ولاية جورجيا الامريكية ثلاث طائرات شحن خاصة الى أسرائيل تقل ٢٢٠ الف كمامة ضد الغازات ، كما تم شحن كميات كبيرة من الاسلحة من نفس القاعدة الى أسرائيل .

● صرح وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس الامريكى « أن العرب قد مضوا فى هذا الطريق معتقدين أن العبء الثقيل الواقع على قوة الولايات المتحدة فى آسيا قد أعجز مقدرة أمريكا على الرد فى الشرق الاوسط »

٧ – وافق مجلس الامن على المشروع السوفييتى بوقف اطلاق النار ووقف العمليات الحربية فى الشرق الاوسط .

● قررت حكومة قطر قطع البترول عن الدول التى ساعدت أسرائيل فى العدوان

● قررت حكومة ليبيا وقف ضخ البترول ومنع تصديره الى الدول التى ساندت العدوان

● قررت الحكومة السعودية وقف البترول عن الدول التى ساندت العدوان .

● طالب أعضاء الكونجرس الامريكى ، بأن تتخذ الحكومة الامريكية موقفا واضحا فى تأييد اسرائيل عسكريا وارسال طائرات حربية أمريكية لاسرائيل « لتلقين العرب درسا نهائيا » .

٨ – وافقت ج.ع.م وسوريا والاردن على قرار مجلس الامن بوقف الاعمال العسكرية.

● طلب السناتور روبرت كيندى من دين راسك وزير الخارجية الامريكية بأن يمد أسرائيل بكل ما تحتاجه من معونة اقتصادية وغذائية

● جمع يهود الولايات المتحدة عدة ملايين من الدولارات لمساعدة أسرائيل

● أعلنت أمريكا وبريطانيا الاستمرار فى ارسال الاسلحة لاسرائيل

٩ – قرر الرئيس جمال عبد الناصر التنحى عن الرئاسة ، وتكليف زكريا محيى الدين بتولى الرئاسة .

● خرجت الجماهير من جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة فى مسيرة شعبية الى القاهرة : وتصر على بقاء جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية

● أعلن مجلس الامة رفض أستقالة الرئيس جمال عبد الناصر

● أدان مؤتمر الدول الاشتراكية السبع فى موسكو التواطؤ الاسرائيلى الامبريالى وأنذر بأنه سيعمل كل ما هو ضرورى لمساعدة الدول العربية على توجيه ضربة لاسرائيل اذا لم توقف أعمالها العسكرية ضد الدول العربية وتسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة

١٠ – بعث جميع الملوك والرؤساء العرب الى الرئيس جمال عبد الناصر يناشدونه العدول عن قراره بالتنحى

● بعث قادة الاتحاد السوفييتى الى الرئيس جمال عبد الناصر يناشدونه العدول عن قراره بالتنحى من أجل مصلحة الامة العربية وحركة التحرر الوطنى والسلام العالمى

● استجاب الرئيس جمال عبد الناصر لنداء الامة العربية وقرر تأجيل قراره بالتنحى

● صرح دين راسك وزير الخارجية الامريكية فى اجتماع مع زعماء الكونجرس « بانه سعيد وان ما حدث انتصار للغرب »

● اعترف الادميرال لورنس جايس قائد الاسطول الامريكى السادس : بان طائرة أمريكية من طراز (أ – ٣) تحمل أجهزة الكترونية اثناء الحرب بين الدول العربية واسرائيل كانت تطير قريبا من الاراضى المصرية « لاجراء مسح جوى لما يجرى بالقرب منا » .

● حاول مندوب أمريكا منع مجلس الامن من اتخاذ اجراء لوقف الغارات الجوية الاسرائيلية على سوريا قائلا : اننا لا نستطيع أن نفعل شيئا لانه ليس لدينا دليل .

١١ – أقيم جسر جوى بين موسكو والقاهرة وبدء وصول شحنات الاسلحة والمساعدات اللازمة لمواجهة الموقف

● بدء الاتصالات لعقد مؤتمر قمة عربى

● أستأنف الفدائيون العرب أعمال المقاومة ضد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية الاسرائيلية

١٢ – أجرى الرئيس جمال عبد الناصر تغييرات كبيرة فى قيادات القوات المسلحة

● قالت مجلة (نيوزويك) الامريكية (١٢ / ٦) أن خطة العدوان الاسرائيلى وضعت فى البيت الابيض : وقد تم تنفيذها بعد أسبوع من موافقة الرئيس جونسون

١٣ – سافر الرئيس الجزائرى الى موسكو لاجراء محادثات مع الزعماء السوفييت تتصل بالتطورات الجديدة على خطوط القتال مع اسرائيل

● طلب الاتحاد السوفييتى عقد دوره خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى على الدول العربية

● أعلنت شركة آرامكو للبترول أن أعمال الشركة فى السعودية عادت الى مجراها الطبيعى ويتم شحن البترول بتحفظ واحد هو الا ينقل الى بريطانيا والولايات المتحدة

● قررت حكومة السودان مقاطعة جميع السلع الامريكية والبريطانية .

١٤ – حاولت أمريكا منع مجلس الامن من ادانة أسرائيل

١٧ – فجرت الصين الشعبية أول قنبلة هيدروجينية

١٩ – هاجم اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى فى الجمعية العامة ، أسرائيل والدول الاستعمارية . وأعلن ان الاتحاد السوفييتى يتعهد بتقديم المعونة للدول العربية التى تناضل من أجل حريتها وأستقلالها

٢٠ – أعلن الرئيس الفرنسى ديجول ان أسرائيل هى البادئة بالعدوان على الدول العربية وربط الرئيس ديجول بين العدوان فى الشرق الاوسط وحرب فيتنام .

● وصل الماريشال زخاروف رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوفييتى على رأس وفد عسكرى لزيارة ج.ع.م

٢٢ – وصل الرئيس السوفييتى نيقولاى بودجورنى الى القاهرة وأجرى محادثات هامة مع الرئيس جمال عبد الناصر . ثم سافر بعدها الى سوريا والعراق

يولية

١ – أصدر المجلس المركزى للاتحاد الدولى للعمال العرب قرارا بضرورة مواصلة الحرب الاقتصادية كسلاح فعال لدحر الاستعمار الاسرائيلى

٨ – أصدرت حكومة نيجيريا الفيدرالية أمرا الى قواتها بغزو الاقليم الشرقى واندلاع الحرب الاهلية بين الجانبين

١٢ – قرر مؤتمر زعماء الاحزاب الشيوعية والحكومات فى الدول الاشتراكية دعم وبوسائل الدفاع للدول العربية وتقديم المساعدات اللازمة لضحايا العدوان

١٧ – وافقت سكرتارية حزب ماباى الاسرائيلى الذى يتزعمه ليفى اشكول على الاندماج مع حزب احدوت هاعفود المشترك فى الوزارة الاسرائيلية .

٢٣ – القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا بمناسبة عيد الثورة اكد فيه اننا لن نتخلى عن حقوق شعب فلسطين رغم النكسة

وأننا سنعيد البناء الشعبى والعسكرى واستمرار النضال حتى يتحقق النصر

● أعلنت القاهرة رأيها فى مهمة واختصاصات ووضع المراقبين فى النطاق التالى : ان وضع المراقبين اجراء مؤقت ومهمتهم محصورة فى تنفيذ قرار وقف أطلاق النار فقط ولا ترتبط باى وضع معين

٢٧ – تم الغاء الرسوم الجمركية بين ج.ع.م والعراق

٢٩ – قررت المانيا الغربية اعطاء قرض لاندونيسيا قيمته ٢٦ مليون مارك

٣١ – اجتمع وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم لبحث عقد مؤتمر القمة

أغسطس

٧ – أصدر مجلس الوزراء العراقى قانونا يجعل حقوق استثمار البترول من الشركات الغربية عام ١٩٦١ مقصورا على شركةالنفط الوطنية

٨ – أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى قرارات تندد بالعدوان الاسرائيلى على الدول العربية ودعت الى انسحاب قوات أسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة

١٥ – عقد فى بغداد مؤتمر وزراء المالية والاقتصاد والبترول العربى

٢٣ – أصدرت اللجنة الوطنية للدفاع عن الثورة فى مالى قرارا بحل المكتب السياسى لحزب الوحدة السودانى « بسبب عدم وجود الوحدة العقائدية بين اعضائه »

٢٨ – غادر الرئيس جمال عبد الناصر القاهرة الى الخرطوم للاشتراك فى مؤتمر القمة العربى

٢٩ – انعقد مؤتمر القمة الرابع فى الخرطوم باستثناء سوريا

● اتفق الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل على تسوية مشكلة اليمن : على أساس سحب القوات المصرية من اليمن مقابل عدم تدخل السعودية ومساعدتها لأنصار الامام السابق

٣٠ — قررت الحكومة الجزائرية تأميم خمس شركات بترول أمريكية وفرنسية تعمل بالجزائر

سبتمبر

٢ — قرر مؤتمر القمة مساعدة ج.ع.م والدول العربية التى أضيرت من العدوان وأعلن رفض أية محاولة للصلح مع اسرائيل أو الاعتراف بها أو التفاوض معها ، ومواصلة العمل الموحد من أجل فلسطين وحق شعبها فى العودة الى وطنه

● قررت المملكة السعودية استئناف ضخ البترول الى جميع الدول بدون استثناء

٥ — هاجمت الطائرات الاسرائيلية مدن القناة وتقرر تهجير أهالى المنطقة

٦ — قرر المؤتمر الاقتصادى المنبثق عن مؤتمر موسكو للاحزاب والحكومات فى الدول الاشتراكية تقديم المساعدات لتنمية اقتصاديات الدول العربية التى أضيرت نتيجة العدوان الاسرائيلى الامبريالى ، وتقدير احتياجاتها بمبلغ ٣٦٠ مليون جنيه استرلينى

١٢ — اعلنت الهند توقف القتال بين قواتها وقوات الصين الشعبية بشأن النزاع حول مشاكل الحدود بين البلدين

٢٢ — صدر القانون الجديد الخاص بتاسيس شركة النفط الوطنية العراقية

اكتوبر

٥ — أعلن رسميا أن المانيا الغربية وقعت اتفاقية جديدة مع أسرائيل تقدم لها بمقتضاها معونة قيمتها ١٦٠ مليون مارك

٩ — استشهد المناضل العالمى ارنستوتشى جيفارا بايدى الطغمة العسكرية الحاكمة فى بوليفيا بالاشتراك مع المخابرات الامريكية

١٠ — انعقد مؤتمر وزراء اقتصاد الدول النامية فى الجزائر ، واصدر المؤتمر ميثاقا عرف بميثاق الجزائر تضمن مطالب الدول المشتركة بشروط أفضل فى التجارة العالمية

٢١ — اغرقت زوارق الطوربيد المصرية المدمره الاسرائيلية ((ايلات)) بالقرب من الشواطىء المصرية .

٢٤ — شنت الطائرات الاسرائيلية عدوانا على معامل تكرير البترول بالسويس

٢٧ — افتتحت العراق قنصلية لها فى برلين الشرقية .

٣٠ — قرر مجلس النواب الامريكى حظر استيراد القطن من ج.ع.م والسودان بصفة دائمة .

نوفمبر

٦ — وقع انقلاب فى جمهورية اليمن وعزل الرئيس عبد الله السلال ، وتشكل مجلس جمهورى برئاسة القاضى عبد الله الايريانى.

٧ — احتفل الاتحاد السوفيتى باليوبيل الذهبى لثورة اكتوبر الاشتراكية . دول المعسكر الاشتراكى والقوى التقدمية والمحبة للسلام فى جميع أنحاء العالم تحتفل بالعيد الخمسين لانتصار ونجاح الثورة الاشتراكية الاولى فى التاريخ على أرض الاتحاد السوفيتى .

● منحت الولايات المتحدة قرضا لتونس قيمته ٢٧٫٥ مليون دولار

● طلبت ج.ع.م عقد جلسة عاجلة لمجلس الامن لبحث الموقف الناشىء عن رفض اسرائيل الانسحاب من الاراضى العربية .

١٨ — خفضت بريطانيا قيمة الاسترلينى بنسبة ١٤٫٣٪ بالنسبة للدولار ، وتخفيض نفقات الدفاع بمايزيد عن ١٠٠ مليون جنيه فى العام القادم .

٢٢ — وافق مجلس الامن على المشروع البريطانى لحل ازمة الشرق الاوسط .

٢٣ — القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى افتتاح مجلس الامة أعلن فيه ان ما يؤخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة ، وان المشروع البريطانى ليس كافيا لحل الازمة لابد من الانسحاب الكامل . لامرور من قناة السويس لانها جزء من قضية فلسطين الاصلية . وان القدرة الحقيقية لقواتنا المسلحة الان تفوق مقدرتنا الحقيقية قبل بدء المعارك .

٢٤ — تم توقيع أتفاق للاستثمار المشترك للبترول العراقى بين شركة البترول الوطنية والمؤسسة الفرنسية الحكومية للبترول ((ايراب)) .

٣٠ — اعلن استقلال الجنوب اليمنى عن بريطانيا تحت اسم (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية)

● وافقت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الاوروبية على منح قرض لبريطانيا قيمته ١٤٠٠ مليون دولار لمواجهة ازمتها المالية والاقتصادية .

ديسمبر

١ — وقعت حوادث تخريب فى مؤسسات البترول بكركوك فى العراق بتدبير من المخابرات الامريكية والبريطانية وقبض على ٢٠ منهما .

٢ — نجحت أولى عمليات زراعة القلب فى التاريخ ، اجراها الدكتور كريستيان برنارد جراح القلب بمستشفى جروت شور بمدينة كيب تاون فى جنوب افريقيا للمريض لويس واشكانسكى .

١٠ — تم القضاء على مؤامرة المرتزقة البيض وعصابات الملكيين فى الجمهورية العربية اليمنية للاستيلاء على صنعاء وضبط اسلحة وذخائر أمريكية الصنع .

١٢ — استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين ج.ع.م وبين بريطانيا ووصل السفير البريطانى هارولد بيلى الى القاهرة

١٥ — فشل مؤامرة لقلب نظام الحكم فى الجزائر يتزعمها العقيد طاهر الزبيرى قائد الجيش

١٨ — وصل الدكتور جونار يارنج مبعوث الامم المتحدة الى القاهرة لاجراء محادثات حول ازمة الشرق الاوسط

٢٤ — تعيين يحيى حموده رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين خلفا لاحمد الشقيرى الذى اقيل من منصبه

٢٧ — اعلنت وزارة الخارجية الامريكية أن المبالغ التى تبرع بها يهود الولايات المتحدة لاسرائيل منذ حرب يونيو حتى نهاية شهر سبتمبر ١٩٦٧ تبلغ ((٢١٠ ملايين دولار على الاقل))

٢٨ — اصدر مجلس السلم العالمى كراسا عن الحقيقة حول حرب الشرق الاوسط يعلن فيه ، أنها ليست حربا بل عدوانا بربريا وحشيا .

عام ١٩٦٨

يناير

١ — أعلن الرئيس الامريكى جونسون عدة اجراءات اقتصادية لحماية مركز الدولار ومنع تدفقه الى الخارج . ومن أهم هذه الاجراءات الحد من الاستثمارات الامريكية فى الخارج .

٤ — اعلن جوستينو نيتو رئيس الحركة الشعبية لتحرير أنجولا : انها قررت نقل مقر قيادتها من برازافيل الى مكان ما داخل انجولا

● قام اشكول رئيس وزراء اسرائيل بزيارة الى أمريكا . وفى بيانه المشترك مع جونسون أوضح الرئيس الامريكى ((بان احتياجات أسرائيل العسكرية ستبقى موضع دراسة ايجابية وبعين العطف))

٥ — اعلن فى براغ أن الكسندر دوبتشيك قد عين فى منصب السكرتير الاول للحزب الشيوعى خلفا لانطونين نوفتنى الذى سيحتفظ برئاسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية .

٧ — طالبت الحكومة اليمنية الدول العربية بالعمل على وقف ((التدخل السعودى فى الشئون الداخلية لليمن)) واعلنت ترحيبها بمساعى اللجنة الثلاثية لحل المشكلة

٩ — تم فى بيروت توقيع اتفاقية انشاء المنظمة العربية المصدرة للبترول وهى تضم السعودية وليبيا والكويت

١٠ — أعلنت العراق تحفظها ازاء منظمة البترول العربية الجديدة واشار الى ان لائحتها قد استبعدت الجزائر التى تعد واحدة من الدول العربية الهامة فى انتاج البترول وغيرها مثل الجمهورية العربية المتحدة

١١ — صدر فى الجمهورية العربية المتحدة قرار بوقف العمل بقانون الاحكام العسكرية وتقرر تعديل القانون

١٢ — أعلنت اللجنة الثلاثية الخاصة باليمن — فى بيروت — اخفاقها فى التوصل الى اتفاق للمصالحة فى اليمن . وقالت انها لاحظت تباين وجهات نظر الاطراف المعنية وصعوبة التوفيق بينها

١٦ — اعلن ويلسون رئيس وزراء بريطانيا برنامجا يقضى باعادة تقييم دور بريطانيا فى العالم على ضوء قدراتها المالية . فاعلن أنه قد تقرر سحب القوات العسكرية البريطانية من مناطق الخليج العربى قبل عام ١٩٧١ ، كما أعلن الغاء العقد المتفق عليه مع أمريكا لشراء ٥٠ قاذفة قنابل من طراز ف ١١١

١٧ — اعلنت وزارة الخارجية الامريكية أن الولايات المتحدة قطعت المساعدات التى تقدمها للاردن . وذلك بحجة أن السعودية والكويت وليبيا تمد الاردن بنحو ١٠٠ مليون دولار سنويا لتعويض خسائر حرب يونيو مما جعل المساعدات الامريكية « غير ضرورية فى الوقت الحاضر »

● أعلنت حكومة بوليفيا رسميا أن هناك ثورة مسلحة فى جنوبى بوليفيا ضد سياسة الرئيس تورنتس

١٨ — اعلنت عصبة الشيوعيين اليوجوسلاف أن يوجوسلافيا لن تشترك فى اجتماع الاحزاب الشيوعية المزمع عقده فى المجر فى ٢٦ فبراير (١٩٦٨) تمهيدا لعقد مؤتمر قمة شيوعى عالمى

● أصدر رئيس جمهورية جواتيمالا مرسوما باعلان حالة الطوارىء فى البلاد بعد مقتل قائد القوات الامريكية والملحق العسكرى فيها . ويقضى المرسوم بمنع كل نشاط سياسى وحزبى

١٩ — وقع الاتحاد السوفييتى وبريطانيا اتفاقا للتعاون العلمى والتكنولوجى بين البلدين . وهذا أول اتفاق من نوعه بينهما

٢١ — اعلن رسميا فى اسرائيل اندماج الاحزاب العمالية الاسرائيلية الثلاثة وهى الماباى واحدوت هافودا ورافى . وكلها ممثلة فى الوزارة فى حزب واحد باسم حزب العمال الاسرائيلى

● بدأت فى الجمهورية العربية جلسات محكمة الثورة برئاسة حسين الشافعى لمحاكمة المتهمين فى قضية المؤامرة ضد نظام الحكم وعددهم ٥٥ متهما

٢٣ — أسرت زوارق دورية كورية شمالية سفينة تجسس « بويبلو » تابعة للبحرية الامريكية فى بحر اليابان .

● عقد فى روما بايطاليا مؤتمر الاحزاب والحركات التقدمية لبلدان حوض البحر الابيض المتوسط

● قام ويلسون رئيس وزراء بريطانيا بزيارة رسمية الى الاتحاد السوفييتى . وقد اكد البيان المشترك للجانبين الضرورة الملحة لتسوية المشكلة الفيتنامية تسوية سياسية .

٢٦ — صدر فى الجمهورية العربية المتحدة قانون باعادة تنظيم القيادة العليا للقوات المسلحة .

٢٨ — بدأ ثوار جبهة تحرير فيتنام الجنوبية هجومهم الشامل على القواعد الامريكية فى فيتنام الجنوبية

١٩ — تقرر فى الجمهورية العربية المتحدة وقف العمل بالقانون الذى يخول الشرطة العسكرية صفة الضبطية القضائية بالنسبة للمدنيين

٣٠ — اعلنت الجمهورية العربية المتحدة وقف العمل فى اخراج السفن المحتجزة فى قناة السويس نتيجة للتطورات الخطيرة التى حدثت بسبب العدوان الاسرائيلى على قاطرات هيئة قناة السويس التى تقوم بمسح مجرى القناة

● سلمت القيادة الفرنسية مفاتيح قاعدة المرسى الكبير الى القيادة الجزائرية قبل ٩ سنوات من الموعد المحدد لانتهاء تاجير آخر قاعدة فرنسية فى الجزائر

فبراير

٤ — وافقت الحكومة العراقية على العقد الذ وقعته شركة النفط الوطنية العراقية مع مؤسسة « ايراب » الفرنسية بشأن استغلال البترول فى العراق

١٢ — تم توقيع عقد بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى لتوريد صفقة قمح قدرها ٢٠٠ الف طن الى مصر

١٤ — انسحبت قوات مشاة الاسطول الامريكى من منطقة قلعة مدينة هوى بعد فشل هجومها لاستعادة القلعة التى يحتلها الثوار الذين سيطروا على نصف مدينة سايجون

● عقد فى دبى مؤتمر امارات الخليج العربى لبحث مستقبل المنطقة بعد انسحاب القوات البريطانية عنها عام ١٩٧١ واعلن المؤتمر عن قيام اتحاد بين امارات الخليج العربى تحت أسم اتحاد الامارات العربية .

٢٧ — اصدر وزير دفاع جمهورية اليمن الجنوبية قرارا بفصل جميع الضباط البريطانيين العاملين فى القوات المسلحة وعددهم ٢٨ ضابطا .

٢٨ — اصدر وزير الداخلية الاسرائيلى بيانا يقول أن سيناء وغزة والضفة الغربية للاردن والمرتفعات السورية « تعتبر مناطق اسرائيلية ولا تتبع العدو »

مارس

٢ — عقدت الجبهة القومية مؤتمرا عاما قرر تبنى « الاشتراكية العلمية » طريقا لبناء البلاد . كما قرر انشاء مجالس شعبية فى الاقاليم .

٥ — وافق مجلس العموم البريطانى على سياسة الحكومة الدفاعية الجديدة التى تقضى بسحب القوات البريطانية من شرق السويس قبل نهاية ١٩٧٠

١٠ — اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكى وانتخبت الكسندر دوبتشيك رئيسا للحزب بدلا من انطونين نوفوتنى

● تعهدت سبع دول غربية مشتركة فى مجمع الذهب بالابقاء على سعر الذهب ثابتا — ٣٥ دولارا للاوقية — وذلك لمواجهة الاندفاع على شراء الذهب . وجاء هذا التعهد فى اجتماع سرى عقده رؤساء البنوك المركزية فى الدول السبع (أمريكا — بريطانيا — المانيا الغربية — ايطاليا — هولندا — السويد — سويسرا) .

١٢ — حصلت جزر موريشيوس فى المحيط الهندى على استقلالها .

١٥ — قررت الحكومة البريطانية اغلاق سوق الذهب للحيلولة دون تدهور فى أسعار الذهب

١٨ — قرر مؤتمر محافظى البنوك المركزية لدول مجمع الذهب السبع اتباع نظام سعرين للذهب احدهما للسوق الحرة والاخر للسوق الرسمية

● أعلن فى تل أبيب عن اصابة موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى عندما انقلبت سيارته . وقد اعلنت منظمة فتح أن ثوارها هم الذين أعدوا كمينا فى طريق موشى ديان بعد أن رصدوه من قبل

٢١ — قامت القوات الاسرائيلية بعبور نهر الاردن فى عملية عسكرية استهدفت منطقة الكرامة التى تعتبرها اسرائيل مقرا لقيادة قوات المقاومة الفلسطينية . وقد ووجهت قوات اسرائيل بمقاومة عنيفة

٢٢ — صدر من الاتحاد السوفييتى بيان رسمى دعا الى ضرورة تنفيذ اسرائيل لقرارات مجلس الامن الصادرة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . وأكد مساندة الاتحاد السوفييتى للدول العربية .

● قدم الرئيس التشيكى انطونين نوفوتنى استقالته من منصبه كرئيس للجمهورية

٢٣ — أعلن الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد العالمى لصناعات المعدنية تاييدهما لنضال العرب ضد مؤمرات الصهيونية والاستعمار

٢٥ — قرر المؤتمر الطارىء لمجلس السلام العالمى اعتبار الاسبوع الاول من شهر يونيو ١٩٦٨ أسبوعا للتضامن مع الشعوب العربية .

٢٨ — وقع فى عمان بالاردن اتفاقا اردنيا أمريكيا لاستئناف ارسال شحنات من الاسلحة الامريكية الى الاردن

٣٠ — أعلن الرئيس جمال عبد الناصر الى الامة برنامج ٣٠ مارس لاعادة بناء الحياة السياسية فى البلاد على أساسه وفق ظروف ومتطلبات المرحلة التى يمر بها المجتمع المصرى

● تم انتخاب الجنرال لودفيك سفوبودا رئيسا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا .

● طالب الرئيس الامريكى جونسون الدول العربية باجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل على أساس النقاط الخمس التى اعلنها فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ .

أبريل

١ — القى الرئيس الامريكى جونسون خطابا أعلن فيه انه لن يرشح نفسه لانتخابات الرئاسة . وتقدم بمشروع لحل مشكلة

فيتنام ينص على أن توقف أمريكا ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل مقابل أن تظهر هانوى دلائل لموافقتها على الدخول فى مفاوضات مع واشنطن .

٢ — وقع رؤساء جمهوريات أفريقيا الوسطى وتشاد والكونجو كينشاسا ، على الميثاق التأسيسى لاتحاد دول أفريقيا الوسطى — يوياك —

٥ — تم اختيار تشيرينيك نائب رئيس الوزراء التشيكية الجديدة خلفا لجوزيف لينارت .

■ لقى الزعيم الزنجى الامريكى مارتن لوثر كينج مصرعه بمدينة ممفيس بولاية تنيسى .

٩ — عقدت فى روما مؤتمر القوى التقدمية لدول حوض البحر المتوسط بحضور ١٧ وفدا يمثلون الاحزاب والحركات التقدمية فى المنطقة . واتخذ المؤتمر فى ختام جلساته عدة قرارات — المطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق العربية المحتلة وتأييد نضال شعب فيتنام

١٠ — أصدر الحزب الشيوعى التشيكى النقاط الاساسية — لبرنامج عمل — يهدف الى أصلاح النظام السياسى فى البلاد

● أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بيانا أشارت فيه الى خطورة الموقف فى الشرق الاوسط نتيجة للاعمال العدوانية الاسرائيلية التى تساندها الامبريالية الامريكية .

١٣ — اعترفت تنزانيا ببيافرا — الاقليم الشرقى المنشق فى نيجيريا — كدولة مستقلة ذات سيادة وتعد تنزانيا أول دولة تعترف ببيافرا .

١٦ — أعلن فى الاردن عن قيام تجمع وطنى يضم الاتحادات المهنية والعمالية واتحاد المرأة وممثلى كافة الاتجاهات السياسية وعددا كبيرا من الشخصيات الاردنية كما تم اعلان ميثاق مرحلى للتجمع .

● قررت قيادة حركة فتح اختيار ياسر عرفات متحدثا رسميا باسمها وممثلا لها على المستويات الرسمية والشعبية والتنظيمية والمالية والاعلامية

● عقد الرئيس الامريكى مؤتمرا فى هونولولو مع القواد العسكريين الامريكيين فى المحيط الهادى وناقشوا استراتيجية الحرب الفيتنامية وتطوراتها .

١٨ — وقع انقلاب عسكرى فى سيراليون . وشكل قادة الانقلاب مجلسا باسم « الحركة الثورية ضد الفساد » من ١٤ عضوا من ضباط الصف وصغار ضباط البوليس .

١٩ — فرضت حكومة زامبيا الاشراف على ٢٥ شركة اجنبية عاملة فى البلاد .

٢٠ — وقع اشتباك بين القوات الامريكية وقوات كوريا الشمالية فى المنطقة المنزوعة السلاح بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية

٢٢ — بدأت اسرائيل فى اقامة حاجز من الالغام والاسلاك المكهربة على خطوط المواجهة مع الاردن وقد تعهدت امريكا بتمويل العملية

٢٤ — عقد فى بودابست بالمجر المؤتمر التحضيرى للاحزاب الشيوعية لاعداد جدول اعمال مؤتمر القمة المزمع عقده فى موسكو فى أواخر عام ١٩٦٨ .

٢٥ — قررت رومانيا مقاطعة اجتماع بودابست للاحزاب الشيوعية .

٢٧ — وضعت حكومة نيجيريا جدول اعمال من ٧ نقاط لمحادثات الصلح مع بيافرا ولكنها أصرت على عدم وقف أطلاق النار وانهاء الحرب الاهلية حتى يتم توقيع الصلح .

● أعلن هيوبرت همفرى نائب الرئيس الامريكى رسميا خوض معركة انتخابات الرئاسة .

وكان السناتور روبرت كيندى — من الحزب الديموقراطى أيضا — قد أعلن من قبل عن دخوله انتخابات الرئاسة .

مايو

٢ — جرت عملية استفتاء على برنامج ٣٠ مارس ونال تأييد ٩٩٫٩٨٩ ٪ من مجموع اصوات الناخبين .

● بدأت مظاهرات للطلبة تجتاح باريس وقد دعا مدير جامعة باريس الى اخلاء جامعة السوربون .

٣ — أقامت السلطات الاسرائيلية عرضا عسكريا فى مدينة القدس رغم قرار مجلس الامن فى ٢٧ أبريل بمنع قيام هذا العرض

٧ — ١٢ — نظمت حركة الاحتجاج اليسارية للشباب الالمانى اضرابا طلابيا فى جميع انحاء المانيا الغربية وذلك احتجاجا على القانون الذى يخول الحكومة سلطات دكتاتورية .

٩ — صدر القانون الاساسى الجديد للاتحاد الاشتراكى العربى .

١٠ — تجددت اضرابات الطلبة فى فرنسا بعد فشل المفاوضات مع الحكومة . وقد عامل البوليس المتظاهرين بشدة .

١١ — قامت الاتحادات العمالية فى فرنسا بالاضراب العام احتجاجا على معاملة الحكومة للطلبة

١٣ — ٢٣ — بدأت فى باريس المحادثات التمهيدية بين جمهورية فيتنام الديموقراطية والولايات المتحدة الامريكية . وقد ألقى كل من رئيس الوفدين بيانه الافتتاحى . وبعد ١١ يوما من المحادثات بدأ وفدا فيتنام وأمريكا فى اجراء مشاورات مع حكومتيهما

● بدأ اضراب العاملين فى البنوك والصحف ومحطات الكهرباء وسائقى التاكسى والقطارات والاتوبيسات فى فرنسا تضامنا مع الطلبة المضربين احتجاجا على اغلاق كلية الاداب بجامعة السربون

١٤ — أعلن الرئيس قحطان الشعبى عن وقوع حركة تمرد ضد الحكومة والجبهة القومية فى جمهورية اليمن الجنوبية فى مناطق سومطره وجعار

● أعلن الرئيس الجزائرى هوارى بومدين تأميم جميع شركات البترول الاجنبية العاملة فى الجزائر ووضعت جميع موجوداتها تحت اشراف شركة النفط الوطنية الجزائرية . ويشمل قرار التأميم شركتين هولنديتين انجليزيتين مشتركتين وسبع شركات فرنسية تعمل بالجزائر

١٥ — أعلنت حكومة ساحل العاج اعترافها ببيافرا .

١٦ — أصدر جوزيف موبوتو رئيس جمهورية الكونجو كينشاسا مرسوما بنقل ملكية شركة « جيكومين » — ومعظمها راس مال بلجيكى — الى الدولة . وهى من اكبر الشركات المنتجة للنحاس فى العالم

١٧ — احتل الطلبة والعمال فى مردسا الجامعات وبعض المسارح وبعض المصانع الكبرى . وقد انذر بومبيدو رئيس الوزراء المتظاهرين بسحق اية محاولات جديدة لنشر ما اسموه بالثورة الثقافية فى شوارع باريس وضواحيها .

٢٠ — اعترفت زامبيا ببيافرا .

٢٣ — جرت فى كمالا الجولة الاولى من محادثات السلام بين وفدى نيجيريا الاتحادية وبيافرا . وطالب وفد بيافرا بوقف اطلاق النار كأساس لاستمرار المحادثات واعترض وفد نيجيريا وطالب بنبذ التمرد أولا وقبول تقسيم نيجيريا الفيدرالى الجديد واعادة الامن للاقليم الشرقى .

٢٤ — أعلن فى عمان رسميا اتفاق المنظمات الفلسطينية على أسس تشكيل المجلس الوطنى الفلسطينى . وتم الاتفاق على تشكيل لجنة تحضيرية — ٢١ عضوا — لاختيار المجلس الذى سيمثل جميع الفلسطينيين وتنبثق منه أعلى سلطة . تتولى الاشراف على العمل الفلسطينى من جميع نواحيه .

■ أعلن فى الجزائر عن تاميم أربع من الشركات الصغرى التى تشتغل بصنع الاسمدة .

■ عرض الرئيس الفرنسى ديجول فى بيان وجهه الى الامة الفرنسية برنامجا للاصلاح يطرحه للاستفتاء الشعبى فى يونيو وحذر الرئيس الفرنسى من الحرب الاهلية بعد أن ازدادت الاضطرابات فى فرنسا .

٣٠ — اعلن الرئيس الفرنسى ديجول انه لن يستقيل ولن يتخلى عن رئيس وزرائه جورج بومبيدو . كما أعلن حل الجمعية الوطنية واجراء انتخابات عامة جديدة وارجاء الاستفتاء الذى كان من المقرر اجراؤه فى ١٦ يونيو .

يونيه

١ — حشد الرئيس ديجول وحدات من الجيش حول باريس كما استدعى الجيش لتسيير المواصلات بين باريس وضواحيها بعد اضراب عمال المواصلات . وقالت الحكومة الفرنسية فى بيان لها ان استمرار الاضرابات بعد التسوية التى أمكن التوصل اليها مع زعماء نقابات العمال كانت محاولة لاسقاط الحكومة .

■ أصر وفد فيتنام الشمالية فى محادثات باريس على أن يكون له حق التحدث باسم شعب فيتنام كله فى الجنوب والشمال وقد رفض رئيس الوفد الامريكى افريل هاريمان هذا الحق .

■ فشلت المحادثات بين الحكومة الاتحادية فى نيجيريا وبين حكومة بيافرا ، المعقودة فى كمالا باوغندا .

٤ ـ صدقت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الايطالى على قرار لجنته التوجيهية بالانسحاب من الحكومة الائتلافية التي يشترك فيها الاشتراكيون مع الحزب الديموقراطى المسيحى تحت رئاسة الدو مورو وذلك بهدف تمكين الحزب من انتهاج سياسة أكثر استقلالية

■ لقى روبرت كيندى مصرعه فى مدينه لوس انجلوس بعد أطلاق الرصاص عليه من شاب عربى يدعى سرحان بشارة .

٦ ـ أعلن فى باكستان أنها تتخلص تدريجيا من أرتباطاتها بالحلف المركزي وحلف جنوب شرقى آسيا ((لان كلا منهما فقد الكثير من صلاحيته)) وأعلن أن باكستان لا تشترك فى النشاط العسكرى للحلفين .

١١ ـ أعلن الاتحاد السوفييتى أنه وجه الى تشيكوسلوفاكيا أول احتجاج رسمى منذ بدء التطورات الاخيرة فيها . وذلك احتجاجا على بعض المقالات التى نشرتها الصحف التشيكية وتضمنت تعريضا بالاتحاد السوفييتى

● احتل الطلبة الاتراك ثلاثة من معاهد جامعة أنقرة واعتصموا بداخلها وقدموا مشروعا اصلاحيا للحكومة .

● قامت اضطرابات جديدة فى باريس بين الطلبة والبوليس .

١٥ ـ أصدر الرئيس الفرنسى ديجول قرارا بالعفو عن الجنرال السابق راؤول سالان زعيم حركة التمرد التى قام بها الجيش الفرنسى فى الجزائر عام ١٩٦١ كما شمل العفو ١٠ أشخاص آخرين .

١٩ ـ أعلن رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية تعبئة كل الرجال من سن ١٧ الى ٤٣ سنة لزيادة عدد أفراد القوات المسلحة .

● أعلن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى أمام اللجنة البرلمانية لحزب العمال ((أن حدود أسرائيل تمتد من نهر الاردن الى البحر المتوسط . وانه يعارض أى محاولة لتغيير هذه الحدود))

٢٤ ـ بدأت فى الجمهورية العربية المتحدة انتخابات اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى

● [١ يوليو] أسفرت الانتخابات العامة الفرنسية عن فوز مرشحى حزب اتحاد الجمهورية الجديد (حزب ديجول) بـ ٣٠١ مقعدا والشيوعيين بـ ٣٤ مقعدا ولم يفز مرشحو اتحاد اليسار ـ الذى يتزعمه ميتران ـ الا بـ ٥٧ مقعدا والجمهوريين المستقلين بـ ٥٨ مقعدا (تآلفوا مع ديجول)

٢٧ ـ قررت القيادة الامريكية الانسحاب من قاعدة خى سانه فى فيتنام الجنوبية أمام هجوم الثوار الوطنيين .

يولية

١ ـ قررت اسرائيل الا توقع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة الذرية .

● بدأت سلطات المانيا الديمقراطية فى تطبيق تنظيمات المرور الجديدة بتحصيل الضرائب على البضائع التى تمر من والى برلين الغربية عبر اراضى المانيا الديمقراطية

٣ ـ تقدمت الدول الغربية الثلاث (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) بمذكرات احتجاج الى وزارة الخارجية السوفييتيه على الاجراءات التى اتخذتها سلطات المانيا الديموقراطية بشأن المرور من والى برلين الغربية

٤ ـ (١١) قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة رسمية للاتحاد السوفييتى وأجرى محادثات مع المسئولين السوفييت حول الاوضاع فى الشرق الاوسط . وقد أكد الجانب السوفييتى الاستمرار فى تعزيز مقدرة مصر الدفاعية وكل أنواع العون السياسى والعسكرى

١٠ ـ (١٧) عقد المجلس الوطنى الفلسطينى جلساته فى القاهرة وقرر رفض قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وأكد أن الكفاح المسلح هو طريق التحرير .

● تمت تعديلات فى المناصب القيادية للحزب الشيوعى البولندى . تضمنت انتخاب موشزار سكرتيرا للحزب وعضوا مرشحا للمكتب السياسى

١٤ ـ (١٥) عقد فى وارسو مؤتمر للدول والاحزاب الشيوعية لمواجهة الاعمال العدوانية فى فيتنام والشرق الاوسط . وحذر البيان من ازدياد نشاط قوى الثورة المضادة فى تشيكوسلوفاكيا

● استثنى الكونجرس الامريكى اسرائيل من الاجراءات التى ستتخذ للحد من المساعدات العسكرية والاقتصادية للدول التى تستخدم المساعدات فى شراء الاسلحة الحديثة

١٧ ـ وقع انقلاب عسكرى فى العراق أطاح بحكومة الرئيس عبد الرحمن عارف وقرر مجلس قيادة الثورة الجديد تعيين احمد حسن البكر رئيسا للجمهورية .

١٨ ـ أصدر الحزب الشيوعى التشيكى بيانا رفض فيه الاتهامات القائلة بان النظام الجديد يتهاون مع قوى الثورة المضادة

٢٣ ـ افتتح الرئيس جمال عبد الناصر المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى . وقد انتخب المؤتمر جمال عبد الناصر رئيسا للاتحاد الاشتراكى بالاجماع وقرر المؤتمر تشكيل لجنة المائة التى ستتولى الاعداد لاعمال المؤتمر على أن يعقد دورة اجتماعاته التالية فى منتصف سبتمبر .

٢٦ ـ سافر الرئيس جمال عبد الناصر الى الاتحاد السوفييتى لبدء العلاج الذى نصح به الاطباء فى منطقة تسخالطوبو بجمهورية جورجيا السوفيتية .

٢٩ ـ جرت على الحدود السوفيتية التشيكوسلوفاكية محادثات رسمية بين زعماء الحزب الشيوعى فى البلدين .

٣٠ ـ قام جناح حزب البعث فى العراق الذى يرأسه أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية بانقلاب جديد أبعد فيه عبد الرزاق النايف رئيس الوزراء واقيلت وزارته .

أغسطس

١ ـ قام الرئيس ماسيمباديبا بحل الجمعية الوطنية فى الكونجو برازافيل ، وأوقف نشاط المكتب السياسى لحزب الحركة الوطنية للثورة الحاكم .

٢ ـ أعلنت الحكومة الجزائرية تأميم ١١ مؤسسة أجنبية فى البلاد .

٣ ـ وقع انقلاب عسكرى فى برازافيل استولت فيه العناصر التقدمية فى الجيش على السلطة . وقد استدعى قادة الانقلاب ماسيمباديبا لتولى منصب رئيس الجمهورية

■ عقد قادة الاحزاب الشيوعية لدول أوربا الشرقية الاعضاء فى حلف وارسو (الاتحاد السوفييتى ـ تشيكوسلوفاكيا ـ المانيا الديموقراطية ـ بولندا ـ المجر ـ بلغاريا) مؤتمرا فى براتيسلافا فى تشيكوسلوفاكيا . وصدر بيان مشترك دعوا فيه الى الكفاح ضد اعداء الاشتراكية وتقوية الاحزاب الشيوعية مع مراعاة خواص كل دولة

٨ ـ فاز ريتشارد نيكسون بترشيح الحزب الجمهورى له للرئاسة

١٢ ـ رفض الرئيس الامريكى جونسون مشروع قرار مجلس الشيوخ الامريكى بمنع استيراد القطن طويل التيلة من الجمهورية العربية المتحدة والسودان

١٦ ـ بدأت الصحف التشيكوسلوفاكية من جديد تشن هجوما ضد دول حلف وارسو . وردت الصحف السوفييتية ودول الحلف الاخرى على الهجوم قائلة : ((أن النظام الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا فى خطر))

١٧ ـ عاد الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة بعد أن أمضى فترة العلاج فى تسخالطوبو

٢٠ ـ اعلنت حكومة اليمن الجنوبية انسحابها من منطقة الاسترلينى

٢١ ـ عبرت جيوش حلف وارسو حدود تشيكوسلوفاكيا الى براغ والمدن الكبرى، وقد أثار ذلك عددا من ردود الفعل المتباينة، ففى الغرب هاجمت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية ذلك . وفى الصين ورومانيا ويوجوسلافيا هاجمت حكومات هذه الدول ((حركة تشيكوسلوفاكيا)) أما الهند فقد أعربت عن ((قلقها)) لما حدث، وفى المانيا الديمقراطية وكوريا الديمقراطية قد أعلنت تأييدها لهذه الخطوة . وقد أعلن كل من الحزب الشيوعى الفرنسى والحزب الشيوعى الايطالى معارضتهما لهذه التطورات . اما داخل تشيكوسلوفاكيا فقد اذاع راديو براغ أن هذه التطورات قد تمت دون علم التشيك وان الاوامر قد صدرت بعدم ابداء أية مقاومة . وفى ٢٣ سافر الرئيس التشيكى سفوبودا الى موسكو وأجرى محادثات مع المسئولين فيها . وجاء فى البيان المشترك أن قوات الحلف سوف تنسحب تدريجيا حتى يعود الموقف فى تشيكوسلوفاكيا الى مجراه الطبيعى. وابلغ سفوبودا الزعماء السوفييت الخطوات التى ستتخذ لتدعيم الاشتراكية وحكم الطبقة العاملة والحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا واكد الجانبان ضرورة تنفيذ قرارات براتيسلافا وجاء فى البيان أن قوات الحلف لن تتدخل

حسابات عام ١٩٦٩

فى الشئون الداخلية للبلاد . وقد طالب الرئيس سفوبودا من مجلس الامن الاناقش المسالة التشيكية وبعقد مؤتمر الحزب الشيوعى السلوفاكى انتخبت لجنته المركزية الجديدة وعزل مازيل بيلاك من منصب السكرتير الاول للحزب وعين بدلا منه جوستاف هوساك نائب رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا

سبتمبر

١ — دعا زعماء الحركة الطلابية فى المكسيك العمال الى اعلان الاضراب الشامل لمدة ساعة واحدة تضامنا مع الطلبة المضربين وتاييدا لمطالبهم الاصلاحية .

٢ — اختتمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى اجتماعاتها بانتخاب اعضاء الرئاسة الجديدة للحزب . وقررت اللجنة توسيع العضوية الى ٢١ عضوا فى هيئة رئاسة الحزب وتقرر تاجيل مؤتمر الحزب الذى كان مقررا عقده فى ٩ سبتمبر ، وقد تقرر اعفاء اوتاشيك نائب رئيس الوزراء من مهام منصبه .

٤ — أذاع راديو برازافيل بيانا وقعه الكابتن ماريان نجوابى رئيس الحكومة العسكرية جاء فيه أن « المجلس القومى للثورة » قبل استقالة الرئيس ماسيمبا ديبا وعين الفريد راؤول رئيس الوزراء خلفا له .

٦ — حصلت سوازيلاند على استقلالها السياسى .

٧ — جرى قتال عنيف اطلق عليه اسم « معركة المدافع » على طول جبهة قناة السويس مع اسرائيل . وقد تم تدمير ١٤ دبابة اسرائيلية ومعظم مراكز خط«بارليف» وقد اجمع المراقبون على اعتبار هذه المعركة علامة هامة فى المواجهة العربية الاسرائيلية

١٢ — هددت حكومة البانيا بالانسحاب من حلف وارسو نتيجة لدخول قوات الحلف أراضى تشيكوسلوفاكيا .

● انسحبت قوات حلف وارسو من المدن الرئيسية فى تشيكوسلوفاكيا

١٤ — ٢١ عقد المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى دورته . وتم انتخاب اعضاء اللجنة المركزية المائة والخمسين

١٧ — أجرى وزير خارجية اسبانيا محادثات فى واشنطن حول وضع الاتفاقية التى وقعت عام ١٩٥٣ بشأن القواعد العسكرية الامريكية فى اسبانيا . وقد رفض الجانب الامريكى الشروط الاسبانية لتجديد الاتفاقية التى انتهى العمل بها فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧

١٩ — دخلت قوات الجيش فى المكسيك مبانى جامعة المكسيك لاخراج زعماء الطلبة المعتصمين فيها منذ أسابيع عديدة .

٢٣ — أفرجت السلطات اليونانية عن جورج باباندريو رئيس الوزراء السابق الذى كان محددا اقامته منذ أبريل ١٩٦٨ لادلائه بتصريحات ضد الحكومة العسكرية فى اليونان

٢٦ — أعلن رسميا فى البرتغال تعيين مارسيللو كايتانو رئيسا لوزراء البرتغال خلفا لسالازار الذى تدهورت صحته

٢٧ — أعلنت فرنسا فى الاجتماع الوزارى للسوق الاوروبية المشتركة فى بروكسل . رفضها لعضوية بريطانيا فى السوق باعتبار ان حالة بريطانيا الاقتصادية لا تسمح لهـا بالانضمام الى السوق المشتركة .

اكتوبر

١ — وزع فى المكسيك منشورات سرية باسم « حركة التحرير » تنذر بعمل عسكرى خلال احتفالات افتتاح الدورة الاوليمبية التاسعة عشرة للالعاب الرياضية .

٢ — عقدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة اول اجتماع لها .

● قام وفد تشيكى برئاسة دوبتشيك بزيارة الاتحاد السوفيتى . وجاء فى البيان المشترك للمحادثات بين الجانبين ، انه قد تم الاتفاق على بحث توقيع معاهدة بشأن مرابطة بعض قوات حلف وارسو بصفة مؤقتة فى تشيكوسلوفاكيا .

٣ — ٩ وقع انقلاب عسكرى فى بيرو . وتشكلت حكومة من جنرالات الجيش والبحرية والطيران برياسة الجنرال ارنستو مونتانى . وقد الغت الحكومة الجديدة اتفاقية البترول مع شركة ستاندرد اويل اوف نيوجرسى الامريكية . ويقول المراقبون ان هذه الاتفاقية كانت سببا مباشرا فى الانقلاب . وحتى ٩ اكتوبر نزعت حكومة بيرو ملكية حقل البترول « لامريا بارنياس » وطلبت من الجيش فى بيرو احتلاله .

٩ — طلب الرئيس الامريكى جونسون رسميا من دين راسك الاتصال باسرائيل لاجراء مباحثات لبيع طائرات الفانتوم لاسرائيل .

● تم تنفيذ حكم الاعدام فى بيير موليلى احد زعماء الثورة الوطنية التى قامت فى الكونجو كينشاسا عام ١٩٦٤ . وكان موبوتو رئيس الجمهورية قد طلب الى موليلى الذى كان يقيم فى الكونجو برازافيل ان يعود الى البلاد ليعيش فيها . وبعد وصوله خلف موبوتو وعده وأمر بمحاكمته « كمجرم حرب » وصدر الحكم باعدامه . وقد أثار ذلك سخط الرأى العام فى افريقيا وتسبب فى قطع العلاقات بين برازافيل وكينشاسا .

● أصدر مجلس رئاسة الحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا بيانا أيد فيه بشكل كامل الاتفاق الذى تم فى موسكو بين الوفد التشيكى والوفد السوفيتى .

● عقد فى جبل طارق المحادثات بين رئيس وزراء بريطانيا وأيان سميث رئيس حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا . ولم تنته المحادثات الى نتيجة .

١٢ — وقع انقلاب عسكرى فى بنما برئاسة الكولونيل جوزيه ماريا بانيلا الذى أصبح رئيسا للجمهورية .

١٦ — ١٨ تم فى براغ توقيع اتفاق بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى ، على انسحاب جميع قوات حلف وارسو من اراضى تشيكوسلوفاكيا فيما عدا جزء قليل منها ستبقى فى البلاد لفترة مؤقتة . وقد جاء فى الاتفاق أن الوجود العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا تقتضيه الحاجة الى تأمين أمن بلاد المجموعة الاشتراكية ضد الجهود الانتقامية المتزايدة من جانب القوى العسكرية فى المانيا الغربية » . وقد صدقت الجمعية الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا على هذا الاتفاق باغلبية ٢٢٨ ضد ٤ أصوات وامتنع ١٠ اعضاء عن التصويت .

١٩ — تم انتخاب اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة .

٢٤ — حصلت المانيا الغربية على تصريح من حكومة البرتغال بالسماح للقوات العسكرية الالمانية الغربية باستعمال قواعدها الموجودة فى البرتغال .

٢٧ — وافقت الجمعية الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا على مشروع بقانون يقضى بتحويل تشيكوسلوفاكيا الى اتحاد فيدرالى يضم التشيك والسلوفاك على قدم المساواة ويصبح لكل منهما حكومة اقليمية مستقلة توحد بينهما حكومة اتحادية . وقد وقع الرئيس سفوبودا فى ٣٠ اكتوبر الدستور الاتحادى الجديد ليبدأ العمل به أول ديسمبر ١٩٦٨ .

٢٩ — اصدرت جبهة تحرير جنوب فيتنام بيانا فى باريس طالبت منه بوجوب تمثيلها فى أية مفاوضات حول فيتنام باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد لشعب جنوبى فيتنام .

نوفمبر

١ — اذاع راديو بكين ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى قررت اقصاء ليوتشاوتشى رئيس الدولة من الحزب وتجريده من جميع مناصبه .

● أعلن الرئيس الامريكى جونسون وقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية وقفا تاما .

● وافقت حكومة فيتنام الشمالية على حضور محادثات السلام مع الولايات المتحدة بحضور ممثلين عن جبهة تحرير فيتنام الجنوبية وحكومة سايجون . وقالت ان موافقتها على اشراك حكومة سايجون فى المفاوضات لا تعنى الاعتراف بها .

● اعلنت حكومة فيتنام الجنوبية ان قرار الرئيس جونسون بوقف الغارات على فيتنام الشمالية قد اتخذ من جانب واحد . كما اعلنت انها لن تشترك فى مفاوضات السلام الموسعة فى باريس لانها تعارض الشروط التى ستجرى عليها . واشترطت الحكومة اجراء محادثات مباشرة بين هانوى وسايجون .

٤ — بدأت القوات السوفيتية الانسحاب على نطاق واسع من تشيكوسلوفاكيا .

٥ — اعلنت الحكومة الامريكية ان المحادثات الخاصة بفيتنام (كان مقررا ان تبدأ فى ٦ نوفمبر) ، قد تاجلت الى اجل غير مسمى بعد رفض حكومة سايجون الجلوس مع ممثلى جبهة تحرير فيتنام الجنوبية .

٦ — فاز ريتشارد نيكسون مرشح الحزب الجمهورى الامريكى بمنصب رئيس الولايات

المتحدة . وقد فاز باغلبية ٣٠٢ صوتا اى بزيادة ٣٢ صوتا فقط على الاغلبية المطلوبة لفوزه وهى ٢٧٠ صوتا من أصوات المجمع الانتخابى البالغ عددها ٥١٨ صوتا .

١٨ ـ ٢١ عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى بودابست اجتماعاتها وحضرها ممثلو ٦٦ حزبا . ووافقت على عقد مؤتمر القمة الشيوعى فى مايو ١٩٦٩ فى موسكو .

١٩ ـ وقع انقلاب عسكرى فى مالى حدد اقامة الرئيس موديبوكيتا . وتم تشكيل لجنة عسكرية (١٤ عضوا) لتولى السلطة . وفى ٢١ نوفمبر تم الغاء جميع المنظمات السياسية والشعبية التى شكلها الرئيس كيتا بما فى ذلك الجيش الشعبى .

٢٣ ـ ٢٨ أعلن الرئيس الفرنسى ديجول قرار حكومته ببقاء سعر الفرنك الفرنسى كما هو. كما اعلن برنامجه فى ٢٤ نوفمبر لانقاذ الفرنك وقال ان الازمة النقدية التى تواجهها فرنسا نتيجة مباشرة « للازمة الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية » التى تعرضت لها البلاد فى مايو ويونيو الماضيين . وفى ٢٨ نوفمبر وافقت الجمعية الوطنية باغلبية كبيرة على برنامج ديجول الخاص باجراءات التقشف وقد اعلنت الحكومة الفرنسية عن الغاء التجارب النووية لعام ١٩٦٩ وعن تخفيض الميزانية العسكرية .

٢٩ ـ قررت حكومة نيجيريا الاتحادية تحويل جميع الشركات الاجنبية فى نيجيريا الى هيئات ومؤسسات نيجيرية وطنية .

ديسمبر

١ ـ ٤ عقد المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة ، دورة طارئة لبحث موضوع احداث الطلبة فى الاسكندرية فى نوفمبر بعد صدور قانون التعليم الجديد . وقد حرص الرئيس عبد الناصر على التاكيد بان هدف عقد المؤتمر لم يكن « اعطاء سند للسلطة التنفيذية لكى تقوم باجراءات قمع للشباب » وانما تعبيرا عن « التغيير فى الاسلوب والتغيير فى المناخ والتغيير فى الطريقة التى كنا نعالج بها مثل هذه الامور فى الماضى والطريقة التى نعالج بها هذا الامر الان » .

● طالب الحزب العمالى الايرلندى من البرلمان الغاء اتفاقية التبادل الحر بين بريطانيا وايرلندا بعد ان قامت اضطرابات عنيفة فى شمال ايرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت .

٣ ـ شهدت اسبانيا اضرابات متعددة طلابية فى الكليات واضرابات عمالية فى مناجم اقليم استورياس .

٥ ـ اجتاحت المظاهرات والاضرابات العمالية معظم المدن الايطالية وعمت روما التى شلت الحياة فيها بشكل واضح .

٩ ـ منحت الحكومة الصومالية شركة سوديم الايطالية امتيازا للبحث والتنقيب واستغلال حقول اليورانيوم فى الصومال .

١٠ ـ استولت حكومة بيرو على حقول البترول الاجنبية . واعلن رئيس الجمهورية ان ذلك ينهى احتكار الشركات الاجنبية ويشكل نقطة البداية نحو تحرير الاقتصاد الوطنى .

١٥ ـ قررت قيادة منظمة تحرير سيناء ان ترفع السرية عن قيامها ونشاطها لتتحمل مسئوليات اعمال المقاومة ضد الوجود الاستعمارى الاسرائيلى فى سيناء .

١٨ ـ هاجمت صحيفة حزب الاستقلال قبول الحكومة مبدا تقرير المصير بخصوص الصحراء الاسبانية . وقالت ان هذا القرار يهدد وحدة المغرب ومصير صحراء المغرب.

٢٢ ـ افرجت حكومة كوريا الديمقراطية عن بحارة سفينة التجسس الامريكية «بويبلو » وتسلمتهم السلطات الامريكية بعد ان قدمت اعتذارا رسميا عن الحادث .

٢٧ ـ اصدرت وزارة الخارجية الامريكية بلاغا يتضمن قرار تسليم ٥٠ طائرة فانتوم لاسرائيل قبل نهاية ١٩٦٩ .

٢٨ ـ هاجمت القوات الاسرائيلية مطار بيروت وسيطرت عليه لمدة ٤٥ دقيقة تمكنت خلالها من تدمير جميع الطائرات والمنشآت فى المطار .

● قدمت حكومة تشيكوسلوفاكيا استقالتها « لافساح المجال امام قيام حكومة جديدة فى ظل النظام الاتحادى الجديد » .

● اعلنت الصين الشعبية انها فجرت بنجاح قنبلة هيدروجينية .

عام ١٩٦٩

يناير

١ ـ اعلنت منظمة فتح رفضها لقرار مجلس الامن ، ومواصلة الكفاح من اجل استعادة فلسطين واقامة دولة فلسطين الديمقراطية .

٧ ـ قرر الرئيس ديجول فرض الحظر الكامل على تسليم الاسلحة لاسرائيل .

١٠ ـ اعتراف السويد بحكومة فيتنام الديمقراطية

١١ ـ استقالة وزارة عبد الله اليافى فى لبنان وتشكيل رشيد كرامى للوزارة الجديدة

١٤ ـ اتفاق بين ليبيا وبريطانيا بشان تسليح بريطانيا للجيش الليبى

١٥ ـ طالب النائب الامريكى ادوارد كيندى الحكومة الامريكية بتعديل سياستها وقبول الصين فى الامم المتحدة .

● اعلن ليفى اشكول رفض المقترحات السوفيتية بشان الشرق الاوسط .

١٨ ـ اعلن مؤتمر التضامن مع شعوب المستعمرات البرتغالية وجنوب افريقيا بالخرطوم ان العدوان الاسرائيلى ضد الشعوب العربية جزء لايتجزأ من الاستراتيجية الامبريالية العالمية .

١٩ ـ تم تجديد اتفاق التعاون الاقتصادى بين ج.ع.م والصين .

٢٠ ـ القى الرئيس نيكسون خطاب توليه الرئاسة الامريكية .

٢١ ـ اعدام ١٤ عراقيا بتهمة التجسس .

● تم توقيع أول اتفاق اقتصادى بين الاردن والاتحاد السوفيتى ، ويشمل مساعدات سوفيتية للتنقيب عن البترول وانشاء مدارس مهنية

٢٢ ـ توقيع معاهدة الاخوة وحسن الجوار بين الجزائر والمغرب .

● رفض اسماعيل الازهرى طلب بعض نواب الحزب الاتحادى اجراء تعديل وزارى فى السودان .

٢٩ ـ صدر قرار جمهورى فى ج.ع.م بتشكيل مجلس الدفاع الوطنى .

● مصرع الحاكم الاسرائيلى لمدينة رفح على ايدى رجال المقاومة .

● انعقد فى القاهرة المؤتمر العام الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب من ٢٩ يناير الى اول فبراير واشترك فى المؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات وعديد من المنظمات النقابية العالمية .

٣٠ ـ حلف الاطلنطى يقوم بمناورات استفزازية بالقرب من الحدود التشيكية

فبراير

١ ـ انتخب المجلس الوطنى الفلسطينى ياسر عرفات رئيسا للمجلس .

٢ ـ مصرع دكتور ادوارد موندلانى قائد جبهة تحرير موزمبيق وترشيح جيرمى كاناو رئيسا للجبهة .

٤ ـ اعلن فى العراق عن اطلاق سراح المسجونين السياسيين وايضا العفو عن العسكريين الذين اتهموا فى حوادث الشمال .

● دعا الرئيس الديجولى الولايات المتحدة لاجراء استفتاء فى فيتنام الجنوبية ليقرر الشعب مصيره بنفسه

٥ ـ حكومة جنوب افريقيا العنصرية تتخذ اجراءات لاحكام سيطرتها على اقليم جنوب غرب افريقيا .

٩ ـ انسحب وفد الحزب الشيوعى السوفيتى من اجتماعات مؤتمر الحزب الشيوعى الايطالى احتجاجا على هجوم لويجى لونجو سكرتير الحزب الايطالى على دخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا .

١٠ ـ المتظاهرون فى تركيا يحرقون العلم الامريكى امام تمثال اتاتورك فى العاصمة التركية .

١٤ ـ اصدرت حكومة بيرو قرارا بمصادرة اموال وممتلكات شركة البترول الدولية التابعة لاستاندرد اويل أوف نيوجرس لعدم قيام هذه الشركة بسداد ديونها لحكومة بيرو .

١٨ ـ تشكيل قيادة الكفاح المسلح الفلسطينى

● عقد وزراء دول اوروبا الشمالية اجتماعا فى هلسنكى لمحاولة ازالة الخلافات القائمة بينهم التى تعرقل قيام سوق مشتركة تضم دول شمال اوروبا.

٢٣ ـ طالب الحزب الشيوعى فى قبرص بتصفية القواعد الامريكية والبريطانية فى الجزيرة لمنع استخدامها ضد حركات التحرر فى الدول العربية .

● تم توقيع اتفاقية اقتصادية بين الاتحاد السوفيتي وسوريا لتوريد المعدات والاجهزة اللازمة لمشروع سد الفرات .

٢٥ — اعلن عدد كبير من النواب الجمهوريين والديمقراطيين معارضتهم لمشروع انشاء شبكة الصواريخ المضادة في الولايات المتحدة .

٢٦ — توفى ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل .

مارس

٢ — عقد مؤتمر الاحزاب التقدمية لدول البحر الابيض المتوسط في الجزائر .

● وقوع خلاف داخل قيادة حزب البعث الحاكم في سوريا ووفاة العقيد عبد الكريم الجندي قائد المخابرات السورية

٣ — تسلمت اسرائيل دفعة جديدة من دبابات سنتوريون من بريطانيا .

٥ — اعلن مؤتمر الاحزاب التقدمية لدول البحر الابيض المنعقد في الجزائر استنكاره للعدوان الاسرائيلي على الدول العربية، كما ندد بالولايات المتحدة وبريطانيا لتزويدهما اسرائيل بالاسلحة واعلن تأييده التام للمقاومة الفلسطينية .

٧ — اتفاق بين حكومة المانيا الغربية والكونغو كينشاسا على استثمار الاموال الالمانية في الكونغو .

● مظاهرات عنيفة للغاية في استراليا تعترض القطارات المحملة بالجنود الى فيتنام .

٩ — استشهد الفريق اول عبد المنعم رياض رئيس اركان حرب قوات ج.ع.م اثناء تأدية واجبه على خطوط القتال الامامية في الجبهة .

١٣ — تعيين اللواء احمد اسماعيل رئيسا لاركان حرب القوات المسلحة العربية .

١٤ — قائد القوات الامريكية يزور اسرائيل ويجرى مباحثات مع موشى ديان وحاييم بارليف .

١٥ — المجلس الوطني في جمهورية اليمن يتولى اعلى سلطات في البلاد .

١٧ — تشكيل وزارة ائتلافية جديدة في اسرائيل برئاسة جولدا مائير .

١٨ — مؤتمر قمة لدول حلف وارسو يوافق على اعادة تنظيم قوات الحلف .

● انتخاب عبدالله حسن الاحمر رئيسا للمجلس الوطني في جمهورية اليمن .

● زار اتحاد الصناعيين في المانيا الغربية جنوب افريقيا لتوسيع العلاقات الاقتصادية معها .

٢٠ — وقوع مصادمات مسلحة على الحدود بين الصين والاتحاد السوفيتي .

٢١ — تشكيل المجلس الجمهوري باليمن وانتخاب القاضي عبد الرحمن الايرياني رئيسا للمجلس .

٢٤ — تم توقيع اتفاقية بين الكونغو كنشاسا والمانيا الغربية لتعديل وضع المستشارين الفنيين في الكونغو وضمان استثمارات رأس المال الخاص .

٢٦ — تشكيل حكومة عسكرية في باكستان برئاسة الجنرال يحيى خان قائد الجيش وعزل الرئيس ايوب خان واعلان الاحكام العرفية في جميع البلاد .

٣١ — انتخب المؤتمر الرابع لحزب البعث في سوريا قيادة قطرية جديدة .

● وقعت المغرب اتفاقية انتساب للسوق الاوروبية المشتركة لمدة ٥ سنوات ستقوم خلالها بتصدير ٧٥ ٪ من منتجاتها .

ابريل

١ — انعقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني .

٢ — تشكيل القيادة العامة للكفاح المسلح الفلسطيني من ممثلين لمختلف المنظمات فتح — التحرير الشعبية — الصاعقة، الجبهة الشعبية الديمقراطية .

٣ — قررت كندا تخفيض قواتها في حلف الاطلنطي .

● تشكيل حكومه جديده عسكرية في باكستان برئاسة الجنرال يحيى خان .

٥ — وافقت المانيا الغربية على اعطاء تونس قرضا قيمته ٤٠ مليون مارك .

٦ — تشكيل وزارة جديدة في اليمن الجنوبية برئاسة فيصل عبد اللطيف .

٧ — بدأ الملك حسين زيارته لكل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لاجراء محادثات مع نيكسون وهارولد ويلسون حول ازمة الشرق الاوسط .

١٤ — اعلنت ايران الغاء معاهدة ١٩٣٧ مع العراق والخاصة بتخطيط الحدود وتنظيم العلاقات مع شط العرب ، وحشدت قواتها على الحدود العراقية .

● وافقت اليمن على تكوين شركتين مشتركتين بين الجزائر واليمن للبترول والتعدين .

١٦ — قرر مؤتمر القمة لدول وسط وشرق افريقيا (١٤ دولة) تدعيم الكفاح المسلح للشعوب الافريقية في روديسيا وانجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية .

١٧ — انتخاب جوستاف هوساك سكرتيرا للحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا بدلا من الكسندر دوبتشيك .

● قررت تركيا الغاء اتفاقية الدفع والتجارة بينها وبين اسرائيل وقطعت علاقاتها التجارية معها .

١٨ — جدد الاتحاد السوفيتي الاتفاقية التجارية مع فرنسا لمدة خمس سنوات .

٢٣ — المظاهرات الجماهيرية تجتاح لبنان مطالبة بحرية العمل الفدائي وتسليح الحدود مع اسرائيل .

٢٤ — تفاقم الازمة السياسية بين القوى الحاكمة في السودان وتقديم محمد احمد محجوب استقالة وزارته .

٢٥ — تم الغاء جميع الرسوم الجمركية على السلع الصناعية بين ج.ع.م وسوريا

٢٧ — اعلن الرئيس الفرنسي ديجول استقالته من رئاسة الجمهورية .

٣٠ — اعتراف الحكومة العراقية رسميا بدولة المانيا الديمقراطية .

مايو

٢ — اعلن الدستور السوري الجديد المؤقت ونص على ان سوريا جمهورية ديمقراطية شعبية اشتراكية . واعتبر حزب البعث الحاكم هو الحزب الوحيد في سوريا .

٤ — وافقت المانيا الغربية على تغطية معظم نفقات القوات الامريكية في المانيا وعددها ٢٠٠ الف جندي .

٥ — بدأ الملك حسين زيارته لكل من ج.ع.م والسعودية .

٨ — تم توقيع اتفاق بترولي بين الاتحاد السوفييتي و ج.ع.م يقدم بمقتضاه الاتحاد السوفيتي قرضا مفتوحا يغطي احتياجات البحث عن البترول واستكشافه .

١١ — تم قبول جمهوريه اليمن الجنوبية الشعبية عضوا في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير .

١٧ — وافقت الحكومة الفرنسيه على تقديم قرض لـ ج.ع.م يغطي ٢٥٪ من مجموع نفقات خط انابيب بترول السويس — الاسكندرية .

● رفعت الحكومة الليبية معونتها لدعم الجبهة الاردنية من ٥ ملايين الى ٧ ملايين .

٢٠ — قام الجنرال الامريكي جويد باير بزيارة لتل ابيب واجرى محادثات مع موشى ديان والعسكريين في اسرائيل .

٢٤ — قامت بيرو بطرد البعثة العسكرية الامريكية كما رفضت زيارة روكفلر مبعوث الرئيس نيكسون .

٢٥ — الضباط الاحرار في السودان يعلنون الثورة ويشكلون مجلس ثورة برئاسة اللواء جعفر نميرى واعلان السودان جمهورية ديمقراطية وتاليف حكومة برئاسة بابكر عوض الله تضم القوى الثورية والتقدمية والوطنية في السودان

٢٧ — اعتراف السودان رسميا بجمهورية المانيا الديمقراطية وتبادل السفراء .

٣٠ — انتهت اجتماعات حلف جنوب شرق آسيا والحلف المركزي وحلف الاطلنطي والتي كانت قد بدأت في ٥ مايو بمبادرة من الولايات المتحدة لتنشيط هذه الاهداف واعداد الخطط العسكرية الجديدة .

يونيو

١ — زار وفد من المانيا الديمقراطية برئاسة نائب رئيس الوزراء السودان لوضع اسس تبادل التمثيل السياسي والتعاون بين البلدين .

٢ — وفد عسكرى رومانى يزور الجيش اليوغوسلافي .

٣ — وفد عسكرى عراقي يزور فرنسا ويجرى محادثات مع المسئولين .

● قطع نيلسون روكفلر مبعوث الرئيس الامريكي رحلته الى دول امريكا اللاتينية بسبب الاضطرابات التي واجهته في كل بلد زاره .

٤ — قررت الحكومة الاسبانية اغلاق الحدود بينها وبين منطقة جبل طارق .

● اصدرت حكومة البحرين احتجاجا

رسميا على ما تدعيه ايران من حق السيادة على البحرين .

● — بدأ في موسكو اجتماع القمة للاحزاب الشيوعية واشترك فيه ٧٥ حزبا شيوعيا

● تم توقيع اتفاق اقتصادي بين ج.ع.م واليابان .

● قررت الحكومة السورية الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية وتبادل التمثيل السياسي معها .

٦ — زار وزير خارجية جمهورية المانيا الديمقراطية ج.ع.م بدعوة من وزير خارجيتها .

● اصدرت حكومة غانا قرارا بحل الحزب الشعبي ومنع زعمائه واعضائه من خوض اية انتخابات برلمانية لمحاولتهم اعادة الرئيس نكروما للحكم .

● انتخبت كوبا لعضوية مجلس ادارة برنامج الامم المتحدة لمدة ثلاث سنوات ابتداء من عام ١٩٧٠ .

● تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسبانيا على ابقاء القواعد العسكرية الامريكية في الاراضي الاسبانية لمدة عامين .

٨ — اصدر الرئيسان الايطالي والتركي بيانا مشتركا طالبا فيه بحل عاجل لمشكلة الشرق الاوسط وحرب فيتنام ومشكلة قبرص .

١٠ — بدأ اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفييتي زيارته لـ ج.ع.م .

● اعلن اللواء جعفر نميري رئيس مجلس الثورة السوداني انه تقرر العمل على منح جنوب السودان حكما ذاتيا اقليميا في نطاق السودان الموحد .

● تم تشكيل حكومة ثورية مؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية كما تم تعيين السيدة نجوان ني بنه وزيرة للخارجية ورئيسة لوفد ثوار فيتنام بباريس كما تم تعيين المستر لي كوان تشان رئيس البعثة الدائمة لجبهة التحرير الوطني لفيتنام .

١٣ — اختتم اندريه جروميكو زيارته لـ ج.ع.م وصدر بيان مشترك من الجانبين السوفييتي والعربي أكدا فيه ان اي تسوية سلمية في الشرق الاوسط يجب ان تقوم على اسس تنفيذ قرار مجلس الامن (٢٤٢/ ٦٧/١١) وانسحاب قوات اسرائيل من جميع الاراضي التى احتلتها يوم ٥ يونيو ١٩٦٧

١٥ — فاز جورج بومبيدو مرشح الديجوليين برئاسة الجمهورية الفرنسية خلفا للرئيس السابق شارل ديجول .

١٨ — بدأت في مدينة خباروفسك المحادثات السرية بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية حول الملاحة في الانهار الواقعة على الحدود بينهما .

● رئيس اركان حرب القوات المغربية يزور الاتحاد السوفييتي على رأس وفد عسكري ويجري محادثات مع المسئولين السوفييت .

٢١ — فازت حكومة روديسيا بالاغلبية المطلوبة لها في الاستفتاء الذي اجرته على مشروع الدستور العنصري المقترح الذي يقضي باقامة جمهورية جديدة في روديسيا في ظل حكم الاقلية العنصرية بفصلها نهائيا عن بريطانيا

٢٢ — تم توقيع اتفاق بين السودان وكوريا الديمقراطية بانشاء علاقات دبلوماسية بين البلدين وتبادل التمثيل الدبلوماسي بينهما .

● تم تشكيل الحكومة الفرنسية الجديده برئاسة جاك شابان ديلماس .

● اصدرت القيادة العامة للجبهة القومية الحاكمة في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية قرارا بقبول استقالة الرئيس قحطان الشعبي من رئاسة الجمهورية وتشكيل مجلس للرئاسة من زعماء الجبهة .

٢٣ — عين سالم ربيع رئيسا لمجلس رئاسة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

٢٤ — شكلت وزارة جديدة بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية برئاسة السيد محمد على هيثم .

٢٦ — قررت الحكومة الاسبانية اغلاق الخدمات البحرية بين ميناء الجزيرة وجبل طارق وبذلك عزل جبل طارق نهائيا عن الاراضي الاسبانية .

٢٧ — اممت حكومة بيرو جميع عمليات انتاج السكر في البلاد وذلك طبقا لقانون الاصلاح الزراعي الذي اصدرته .

● قام ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل بزيارة لاوغندا واثيوبيا .

● اعلنت انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند ان الهند لن توقع اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية .

يوليو

١ — اعادت اسبانيا منطقة افني الصحراوية الى المغرب بعد ان احتلتها طوال ٢٥ عاما .

● اتفقت ايران ورومانيا على بيع خمسة ملايين طن من النفط الخام خلال الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٣ .

٢ — اعلنت المانيا الغربية اغلاق سفارتها في عدن بسبب اعتراف اليمن الجنوبية الشعبية بالمانيا الشرقية .

٣ — وقعت اتفاقية للدفاع بين تركيا والولايات المتحدة .

● اعتمدت لجنة الخدمات العسكريه التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي مبلغ ٢٠,٠٠٠ مليون دولار خصصت للبنتاجون لشراء معدات حربية واجراء ابحاث عسكرية وذلك للسنة المالية ١٩٧٠ .

● بدأت زيارة الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية للاتحاد السوفييتي

● بدأ ابا ايبان زيارته لكينيا حيث اجرى مباحثات مع المسئولين .

٤ — قدم بترو نيني استقالته من رئاسة الحزب الاشتراكي الايطالي .

● رفعت القنصلية العامة العراقيه في المانيا الشرقية الى درجة سفارة .

٦ — وقعت اتفاقية بين الاتحاد السوفيتي والعراق يتعهد بمقتضاها الاتحاد السوفييتي مساعدة العراق في تنمية الصناعات البترولية .

٨ — استقال الفريق حسن العمري من منصبه كرئيس للوزراء وقائد عام للقوات المسلحة في اليمن .

● افتتح المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز بمقر الحكومة الفيدرالية في بلجراد وتشترك فيه ٥١ دولة ووافق المؤتمر على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه وعرض القضية الفلسطينية امام المؤتمر .

١٠ — اعلنت ج.ع.م اعترافها الكامل الرسمي بالمانيا الديمقراطية .

١٢ — قائد السلاح الجوي الباكستاني يزور الصين ويجري محادثات مع شواين لاي رئيس وزرائها .

● انضمت المنظمة الفدائية « جبهة التحرير العربية » الى منظمة التحرير الفلسطينية .

١٣ — الف ماريانو رومو الوزارة الايطالية بعد ان كان قد قدم استقالة حكومته في السابع من نفس الشهر .

١٥ — وافقت كل من حكومة اليمن والمانيا الغربية على اعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما

١٨ — قررت المانيا الغربية تقديم مساعدة لجمهورية اليمن قيمتها ٢٠ مليون جنيه استرليني .

٢٠ — هبط الانسان فوق سطح القمر . رائدا الفضاء الامريكيان يهبطان فوق سطح القمر لاول مرة في التاريخ .

٢١ — قام رئيس وزراء السودان بزيارة لـ ج.ع.م على رأس وفد سوداني اجرى خلالها محادثات سياسية واقتصادية مع المسئولين في القاهرة .

● قام مساعد الرئيس نيكسون بزيارة لاسرائيل اجرى خلالها محادثات مع المسئولين في اسرائيل .

٢٢ — انتخب مجلس النواب الاسباني الامير جوان كارلوس دى بوربون خليفة للجنرال فرانكو ليعتلي عرش اسبانيا

٢٣ — بدأ المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي دورته الثالثة وفي الجلسة الافتتاحية القى الرئيس عبد الناصر خطابا عرض فيه خطوات العمل في السياسة الداخلية والخارجية والموقف على طول الجبهة مع العدو كما القى السيد بابكر عوض الله رئيس وزراء السودان خطابا في بداية افتتاح المؤتمر .

٢٣ — تم توقيع بروتوكول بين ج.ع.م والاتحاد السوفييتي بتنفيذ مشروع انشاء مصنع للالمنيوم ومجمع فوسفوري .

٢٥ — تقرر زيادة حجم التبادل التجاري بين ج.ع.م وجمهورية السودان وتنسيق السياسة المالية والقطنية والجمركية وتبادل الخبرات بين البلدين .

٢٥ — بدأ الرئيس نيكسون جولة لزيارة الفلبين واندونيسيا وتايلاند وفيتنام الجنوبية وباكستان والهند لاجراء محادثات مع رؤساء هذه الدول .

حسابات عام ١٩٦٩

٢٩ — قام وزير الخارجية الامريكية بزيارة لليابان أجرى خلالها محادثات مع المسئولين فى طوكيو تناولت طلب اليابان الخاص باعادة جزيرةاوكيناوا اليها ومناقشة مسالة الحظر الذى تفرضه اليابان على السلع والمصنوعات الامريكية .

٣٠ — وقعت اتفاقية للدفاع المشترك بين العراق وسوريا .

● شكل محسن العينى الوزارة الجديدة باليمن .

أغسطس

٢ — قام الرئيس نيكسون بزيارة لرومانيا وأجرى محادثات مع الرئيس الرومانى نيكولاى شاوشيسكو تناولت السياسات السوفيتية الصينية ومشاكل الامن الاوروبى والتعاون والعلاقات بين الشرق والغرب ونزع السلاح وحرب فيتنام ومباحثات السلام الفيتنامية فى باريس وأزمة الشرق الاوسط

٣ — عقد اجتماع بين اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ورئيس جمهورية فنلندا واتفق الجانبان على التحضير لعقد مؤتمر أوروبى شامل لبحث مسالة الامن الاوروبى والتعاون السلمى .

● وافق البنك الدولى على تقديم قرض قيمته ٢٦ مليون دولار لـ ج.ع.م دون فوائد

٥ — بدأ كيرت كيسنجر مستشار المانيا الغربية بزيارة للولايات المتحدة اجتمع خلالها بسكرتير عام الامم المتحدة ثم اجرى محادثات مع الرئيس الامريكى نيكسون

● انضمت الجبهة الشعبية لتحريرفلسطين (المستقلين جماعة احمد زعرور) الى قيادة الكفاح المسلح الفلسطينى .

٨ — تم الاتفاق على تنظيم الملاحة فى الانهار المشتركة بين الاتحاد السوفييتى والصين

● قررت الحكومة الفرنسية تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى بنسبة ١٢٫٥ ٪

١٢ — قبل الملك حسين استقالة وزارة عبد المنعم الرفاعى وكلف التلهونى رئيس الوزراء السابق بتشكيل الوزارة الجديدة .

١٣ — طلبت ايرلندا من بريطانيا العمل على تدخل قوات الامم المتحدة فى ايرلندا الشمالية التى تمزقها الخلافات الدينية

● أصدر مجلس الوزراء السودانى قرارا بحل جميع المجالس المحلية مع الابقاء على مبدأ الحكم المحلى على أن تتولى المجالس التنفيذية سلطة هذه المجالس المحلية .

● وقعت اشتباكات على الحدود الصينية السوفييتية أدت الى وقوع عدد كبير من القتلى والجرحى .

١٦ — أعلن سوهارتو الرئيس الاندونيسى رسميا أن أيريان الغربية أصبحت جزءا من الاراضى الاندونيسية .

● قررت رومانيا رفع التمثيل السياسى مع اسرائيل الى درجة سفارة .

١٨ — أستدعت الحكومة العراقية القائم باعمال سفارتها فى رومانيا وطلبت من السفير الرومانى عدم العودة الى العراق .

● قررت وزارة الداخلية العراقية عدم وضع أسم لبنان فى جوازات سفرالعراقيين

● أحبطت محاولة للانقلاب فى مالى لاعادة الرئيس موديبوكيتا الى الحكم .

٢١ — قرر السودان قطع علاقاته الدبلوماسية مع رومانيا بسبب قرارها لتبادل السفراء مع أسرائيل .

● اشتعلت النار فى المسجد الاقصى فى القدس .

٢٣ — استولت حكومة بيرو على ممتلكات شركة البترول الامريكية فى بيرو وحولتها الى الشركة الوطنية للبترول .

٢٤ — قررت سوريا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع رومانيا .

٢٧ — عقد فى اديس أبابا اجتماعات المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الافريقية .

٢٩ — فرضت الحكومة السويسرية حظرا مؤقتا على تسليم الولايات المتحدة الطائرات السويسرية بسبب استخدامها فى الحرب الفيتنامية .

٣٠ — طلبت حكومة العراق من جميع رعاياها فى لبنان العودة الى بلادهم خلال ٢٤ ساعة نتيجة حدوث أزمة سياسية بين البلدين .

٣١ — فاز حزب التقدم الذى يرأسه الدكتور تونى بوسيا بتسعين مقعدا من ١٤٠ مقعدا فى الانتخابات التى أجريت لاول مرة فى غانا بعد الانقلاب الذى وقع ضد نكروما عام ١٩٦٦ .

سبتمبر

١ — استولى تنظيم الضباط الاحرار الليبى على السلطة فى ليبيا واعلن قيام الجمهورية العربية الليبية .

● انشاء محكمة عليا لها سلطة الفصل فى دستورية القوانين فى ج.ع.م واعادة تشكيل الهيئات القضائية .

● تشكيل مجلس عسكرى ثلاثى لحكم البرازيل .

٣ — بدء اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى وانتخاب ياسر عرفات رئيسا لمنظمة التحرير .

٤ — توفى الزعيم الفيتنامى هوشى منه .

٦ — اعلنت امريكا عن بدء تسليم الطائرات الفانتوم لاسرائيل .

٧ — انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى اديس ابابا .

٨ — نسف سفارة اسرائيل فى هولندا وكذلك فى المانيا الغربية ومكاتب شركة العال للطيران فى بلجيكا بواسطة فدائيين فلسطينيين .

● تشكيل أول وزارة ليبية بعد قيام الثورة الليبية فى أول سبتمبر .

٩ — اعلن فى بريطانيا عن تسليم اسرائيل دبابات تشيفتين .

١٠ — اضراب عمال الفحم والصلب فى المانيا من اجل زيادة الاجور .

● اقتحم المتظاهرون فى الاردن دارا للسينما تعرض فيلما امريكيا معاديا لفيتنام .

١١ — اضرابات العمال تجتاح ايطاليا — ٢ مليون — .

● زيارة كوسيجين لبكين فجاة والتقائه لمدة ست ساعات مع شواين لاى فى مطار بكين .

١٢ — نفت الدوائر الرسمية فى السعودية الانباء عن اعدام عدد كبير من الضباط والعسكريين السعوديين .

١٥ — عارضت امريكا فى مجلس الامن ادانة اسرائيل بحريق المسجد الاقصى .

● هاجمت القوات اللبنانية معسكرين للاجئين الفلسطينيين .

١٨ — الاضرابات العمالية تجتاح أوروبا الغربية — فرنسا ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، وبريطانيا — .

● أرتفع عدد قطع الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض الى ٦٨ سفينة .

● تعيين اللواء محمد صادق رئيسا لهيئة اركان الحرب فى ج.ع.م والعميد محمود عبد الرحمن فهمى قائدا للقوات البحرية .

٢١ — بيان للدول الاربع الكبرى حول ضرورة تطبيق قرار مجلس الامن بخصوص أزمة الشرق الاوسط .

● مصادمات عنيفة فى أمريكا من اجل سحب القوات الامريكية من فيتنام .

● وافقت المانيا الغربية على منح اسرائيل مساعدات قيمتها ١٠٠ مليون دولار .

٢٢ — افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى وقد اشترك فيه ٢٥ دولة لمناقشة مسالة حريق المسجد الاقصى .

● بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة الى مؤتمر القمة الاسلامى حدد فيها ابعاد القضية الاساسية وان حريق المسجد الاقصى ليس الا لمحة من خطر داهم لايستهدف الامة العربية وحدها .

٢٤ — اعلن راديو ثوار فيتنام عن مقتل ٢٥ الف امريكى خلال ٤٥ يوما .

● بدأت مباحثات جولدامايير مع نيكسون للحصول على أموال واسلحة من الولايات المتحدة .

٢٥ — انتهت اعمال مؤتمر الرباط وقد أصدر ما استطاع التوصل اليه من قرارات .

٢٦ — أعلن موشى ديان ان خسائر اسرائيل على خطوط وقف اطلاق النار قد ارتفعت الى ثلاثة اضعاف خسائرها بعد حرب يونيو .

● انقلاب عسكرى فى بوليفيا ضد مصالح الولايات المتحدة .

٢٧ — أعلن الرئيس نيكسون انه لن يقدم تنازلات فى حرب فيتنام وهاجم المعارضين للحرب .

● وافق نيكسون فى محادثاته مع جولدامائير على اعطاء اسرائيل ٢٥ طائرة فانتوم و٥٠ سكاى هوك أخرى .

٢٩ — أعلن فوز الحزب المسيحى الديمقراطى

والذى يتزعمه كورت كيزنجر فى الانتخابات العامة فى المانيا الديمقراطية .

اكتوبر

١ — بدأ انعقاد ندوة عالمية بمناسبة الاحتفالات بالذكرى المئوية لميلاد لينين بمدينة آلما — آتا عاصمة كازاخستان السوفيتية وكان موضوع الندوة لينين وحركة التحرر الوطنى .

٣ — طرد فرق جيش السلام الامريكى من ليبيا .

٤ — هاجمت اسرائيل ٣ قرى لبنانية .

٦ — احباط مؤامرة فى الاردن دبرها حزب التحرير الاسلامى المعروف بصلاته بالحلف المركزى .

٩ — مظاهرات عنيفة فى شيكاغو ضد حرب فيتنام .

١١ — طالب عشرة من اعضاء الكونجرس الامريكى بالانسحاب الكامل من فيتنام.

١٢ — فاز حزب العمل التركى المحافظ فى الانتخابات العامة التركية .

● تجدد الاضرابات الطائفية فى ايرلندا

١٣ — اصدرت السفارة الامريكية فى بيروت بيانا تتعهد فيه بحماية سيادة لبنان وسلامة اراضيه .

١٥ — اغتيال شرماركى رئيس جمهورية الصومال .

● نظم الشعب الامريكى يوم الاحتجاج على حرب فيتنام وقد اشترك فى المظاهرات اكثر من نصف مليون امريكى .

● اعلنت السفارة الامريكية فى تل ابيب بيانا اعلنت فيه ان الرعايا الاسرائيليين الذين من أصل امريكى يستطيعون الاحتفاظ بجنسيتهم حتى اذا خدموا فى الجيش الاسرائيلى .

● اعتداء على مقر منظمة تحرير فلسطين فى بيروت بتدبير من المخابرات الامريكية .

١٦ — ابلغت القاهرة مجلس الامن عن الدور الخطير الذى يقوم به العسكريون فى القوات المسلحة الاسرائيلية .

١٧ — بدء انعقاد المؤتمر النقابى العالمى السابع للاتحاد العالمى للنقابات فى بودابست وقد اشترك فى اعماله ممثلو ١٥٤ مليون عامل نقابى منظم .

١٩ — بدأت محادثات بكين موسكو لحل مشاكل الحدود .

٢١ — بعث الرئيس عبد الناصر رسالة الى الرئيس شارل حلو يناشده فيها التدخل لوقف الصدام بين الجيش اللبنانى فى قوات المقاومة .

● قام انقلاب فى الصومال وتكون مجلس ثورة وتقرر تغيير اسم دولة الصومال الى « الجمهورية الصومالية الديمقراطية » وصرح المسئولون فى مجلس قيادة الثورة الجديد بأن الاشتراكية هى طريق حل مشاكل شعب الصومال .

٢٤ — قطعت حكومة اليمن الجنوبية علاقاتها الدبلوماسية مع لبنان وامريكا بسبب موقفهما من الازمة مع الفدائيين فى لبنان .

٢٥ — فشل اجتماع مؤتمر اتحاد الامارات فى ابو ظبى فى تصفية الخلافات داخل الامارات .

٢٩ — اعلن ادجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى ان امريكا تشهد حركة ثورية لم يسبق لها مثيل من جراء نشاط الطلبة اليساريين والزنوج المتطرفين .

● اعلن مسئول فى مجلس الثورة الليبى ان لقاء على اعلى مستوى سيتم بين ج.ع.م والسودان وليبيا .

٣٠ — أعلن الكسندر شيلبين عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى « ان موسكو تعتبر نضال الوطنيين الفلسطينيين نضالا عادلا ووطنيا ومناهضا للامبريالية وان الاتحاد السوفيتى سوف يقدم المساعدات للمقاومة الفلسطينية »

٣١ — أعلن وزير البحرية الامريكية ان الولايات المتحدة يمكن ان تتدخل فى الشرق الاوسط اذا دعت الظروف .

● اصدرت الحكومة السوفيتية بيانا حول احداث لبنان وقد تضمن ان الاحداث لبنان كشفت المؤامرة ضد الشعوب العربية ويعلن ان موسكو سوف تواصل تقديم المساعدات الواسعة للبلدان العربية .

نوفمبر

٢ — مظاهرة فى لندن شارك فيها اكثر من ٣٠٠٠ من الطلبة العرب والبريطانيين والاجانب تأييدا للقضية العربية .

٣ — اتفاق بين لبنان والمقاومة الفلسطينية على وقف كل العمليات فورا — واشتراك ج.ع.م. فى الاجتماعات الخاصة بتسوية الازمة .

٥ — طار اللواء جعفر نميرى رئيس مجلس الثورة السودانى على راس وفد كبير فى زيارة رسمية لموسكو .

● اعلن نيكسون فى خطابه للامة الامريكية اصراره على مواصلة الحرب فى فيتنام . وثوار فيتنام يهاجمون ٤٥ قاعدة امريكية اثناء القاء الخطاب .

● غيرت واشنطن قيادتها فى جبهة القتال ومفاوضات فيتنام .

٦ — اكتشف مناجم تحتوى على ٢٠٠ مليون طن فوسفات بالوادى الجديد بـ ج.ع.م.

٧ — أعلنت حكومة بون انها ستوقف شحن الاسلحة للشرق الاوسط

● رفضت انديرا غاندى الاجتماع بوفد اسرائيل البرلمانى .

٨ — بدأ فى القاهرة اجتماع وزراء الخارجية والدفاع وقواد الجيوش العربية .

● الغت حكومة الثورة فى ليبيا صفقة شبكة صواريخ الجو الاوتوماتيكى التى عقدتها احدى الحكومات السابقة مع بريطانيا

١٠ — مجلس الدفاع العربى المشترك يقرر فشل الحل السلمى ويدعو لمؤتمر قمة عربى فى الرباط فى ٢٠ ديسمبر

● واصل طلبة اليابان مظاهراتهم احتجاجا على وجود القواعد الامريكية فى بلادهم

١٢ — وصل لواء جعفر نميرى رئيس مجلس قيادة الثورة الى ج.ع.م. لاجراء محادثات رسمية مع الرئيس عبد الناصر .

١٣ — فازت انديرا غاندى باغلبية ساحقة على الثقة بها كزعيمة لحزب المؤتمر .

● صدر بيان مشترك فى موسكو عن المحادثات بين السودان والاتحاد السوفيتى

١٤ — كشفت معلومات مفصلة عن اشتراك القوات البرية والبحرية الاسرائيلية مع الاسطول السادس الامريكى والبريطانى فى البحر الابيض المتوسط خلال شهر اكتوبر

● اعلن مجلس قيادة الثورة الليبية قرارا بتمويل جميع البنوك الاجنبية الى شركات ليبية مساهمة .

١٧ — كشف الستار عن مذابح امريكية رهيبة قام بها الامريكيون ضد المواطنين فى فيتنام.

● اعيد تشكيل مجلس الثورة العراقى واصبح عدده ١٥ عضوا .

١٩ — قام قرابة نصف مليون امريكى بتنظيم مظاهرة للاحتجاج على حرب فيتنام تحت اسم (المسيرة ضد الموت) واقتحم المتظاهرون وزارة العدل الامريكية وانزلوا الاعلام الامريكية ورفعوا اعلام فيتنام .

● هبط رواد الفضاء الامريكيين على سطح القمر للمرة الثانية .

● قررت تنزانيا طرد فرق السلام الامريكية .

٢٥ — تشكيل الوزارة اللبنانية برئاسة رشيد كرامى .

● اتفقت موسكو وواشنطن على عدم استخدام الاسلحة الكيماوية والميكروبية .

٢٦ — انفجار قتال بين جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والمملكة السعودية فى منطقة الوديعة .

٢٧ — صدر بيان من ٦ دول اشتراكية بتأييد نضال الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلى .

● بدأت محاكمة الفدائيين العرب فى سويسرا .

● صدر قرار بتأميم كل البنوك والشركات الاجنبية فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

٢٨ — الغت الحكومة الليبية عقد المشاركة بين المؤسسة الليبية العامة للبترول وشركة شباكو الامريكية للزيت الموقع فى ١٨ مايو ١٩٦٩ .

٣٠ — اعلن الحزب الاشتراكى الفرنسى قطع علاقاته مع حزب المابام الاسرائيلى والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية

ديسمبر

١ — صدر فى تل ابيب بيان يهاجم الاتحاد

السوفيتي والدول الاشتراكية واعلنت تل ابيب رفضها للدور الذى يقوم به الاتحاد السوفيتي فى المحادثات الرباعية لحل الازمة

● بدأ فى موسكو مؤتمر القمة الشيوعى وسيناقش المؤتمر تطور المحادثات بين موسكو وبكين والولايات المتحدة والموقف من حكومة بون الجديدة .

● نفى عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية لبنان الانباء القائلة ان امريكا عرضت على الاردن تسوية منفصلة بين الاردن واسرائيل

٢ — وافق الاتحاد السوفيتي على تزويد المانيا الغربية بالغاز الطبيعى لمدة ٢٠ سنة .

● وافق ممثلو دول السوق الاوروبية المشتركة على التوصل الى موقف موحد لبدء محادثات انضمام بريطانيا والدول الأخرى الى السوق فى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ .

٣ — قررت سوريا والمغرب استئناف علاقاتهما الدبلوماسية .

● اطلقت الحكومة العراقية سراح ثلاثة من الوزراء من وزارة طاهر يحيى السابقة والذين سبق اعتقالهم منذ ١٧ يوليو ١٩٦٨

٤ — اعلن فى الخرطوم ان المخابرات الامريكية خصصت ٥٠ مليون جنيه للقضاء على ثورات السودان وليبيا والصومال .

٦ — قررت اللجنة السياسية بالامم المتحدة ان حقوق اللاجئين العرب غير قابلة للمناقشة ولفت نظر مجلس الامن الى خطورة الوقت الناجم عن سياسة اسرائيل والاساليب التى تمارسها فى الاراضى المحتلة ورفضها تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن اللاجئين .

٨ — افتتح القذافى رئيس مجلس الثورة الليبى مفاوضات تصفية القواعد البريطانية بليبيا واكد فى خطابه ضرورة جلاء كل القوات العسكرية البريطانية من الاراضى الليبية .

● بدأت فى موسكو محادثات بين الاتحاد السوفيتى وحكومة بون لاصدار تعهد مشترك بعدم الاعتداء والتخلى عن استخدام القوة

● سافر الى موسكو انور السادات عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ومحمود رياض وزير الخارجية والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية لاجراء محادثات مع كبار المسئولين فى الاتحاد السوفيتى

٩ — اسقطت القوات المصرية اول طائرة فانتوم .

١٠ — اعلن العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة فى ليبيا عن كشف محاولة مضادة للثورة اشترك فيها المقدم آدم الحواز وزير الدفاع والمقدم موسى أحمد وزير الداخلية.

● وقع انقلاب عسكرى فى داهومى تزعمه رئيس هيئة اركان الحرب الكولونيل موريس كوانديت .

١١ — اعلن فى ليبيا الدستور المؤقت وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المتآمرين على الثورة

● وافقت لجنة الوصاية بالامم المتحدة على قرار يدعو بريطانيا لمنح امامة عمان استقلالها .

● صدر بيان مشترك فى المحادثات بين الوفد العربى والمسئولين فى الاتحاد السوفيتى .

١٢ — أدانت الجمعية العامة للامم المتحدة اسرائيل بالارهاب وانتهاك حقوق الانسان وممارسة سياسة العقاب الجماعى والشامل

● كشف اللواء جعفر نميرى رئيس مجلس الثورة ومجلس الوزراء السودانى عن اكتشاف مؤامرة ضد الحكم الثورى فى السودان دبرها الاستعمار مع الرجعية المحلية

● بدأ رواد الفضاء الامريكيين العمل لصالح اسرائيل بالاشتراك فى حملات جمع التبرعات لاسرائيل .

● قررت الجمعية العامة للامم المتحدة باغلبية ٧٨ صوتا مطالبة الدول ذات المستعمرات بأن تحل فورا ودون ابطاء قواعدها ومنشآتها العسكرية فى المستعمرات وان تمتنع عن انشاء المزيد منها .

● وقع الاتحاد السوفيتى مع ايطاليا عقدا قيمته ٣ مليارات دولار لتوريد الغاز الطبيعى لايطاليا لمدة ٢٠ عاما .

● قررت اليونان الانسحاب من المجلس الاوروبى

● شكلت جولدامائير الوزارة الاسرائيلية الجديدة .

١٤ — بدأ جلاء القوات البريطانية عن قواعدها فى ليبيا على ان يتم الجلاء فى موعد أقصاه ٣١ مارس القادم .

١٥ — هاجمت جولدامائير فى خطابها بالكنيست الدول الكبرى والمحادثات الرباعية وقرار مجلس الامن وركزت هجومها على الاتحاد السوفيتى .

● وقع انقلاب عسكرى فى جمهورية بنما

١٦ — بدأت المفاوضات بين الولايات المتحدة الامريكية وحكومة الثورة الليبية بشأن انسحاب القوات الامريكية من قاعده هويلس وقد اعلن السفير الامريكى فى الجلسة الاولى للمفاوضات ان القوات الامريكية بدأت الجلاء عن القاعدة منذ ١٩٦٩/١٢/١٢ .

١٧ — اعلنت المانيا الشرقية انها ستتخذ الاجراءات لاقامة علاقات طبيعية بينها وبين الحكومة الجديدة فى المانيا الغربية .

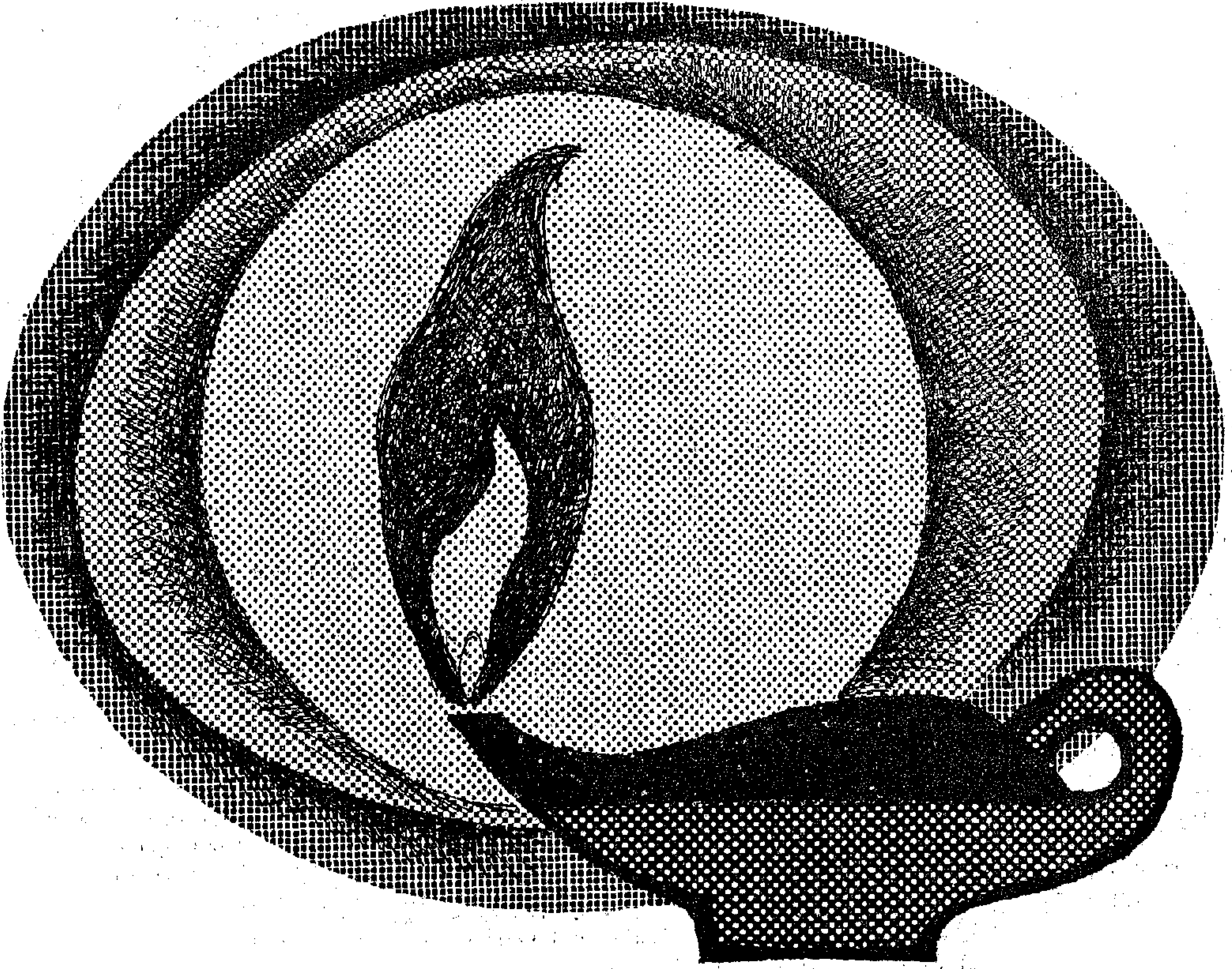
١٨ — بدأت الاجتماعات بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل فى القاهرة .

● اذاع مقر الحلفاء فى سايجون ان مليونا و١٩٦ الفا و٢٢٨ شخصا قتلوا واصيبوا فى فيتنام منذ بداية الحرب فى يناير ١٩٦١ وهم ضحايا قوات فيتنام الجنوبية والقوات الامريكية وقوات الثوار . وقد بلغ عدد ضحايا قوات فيتنام الجنوبية ٩٧٥٤١ قتيلا و٢١٦١٢٨ جريحا اما ضحايا الامريكان فيبلغ حوالى ٣٩٧٤٢ قتيلا و٢٦٠٤٢٠ جريحا

● تقرر الافراج عن طاهر يحيى رئيس وزراء العراق السابق وعدد من الوزراء السابقين .

● اعتذار ●

التزاما من الطليعة بضرورة نشر النصوص الكاملة للمحاضرات التى القاها الفيلسوف الفرنسى « روجيه جارودى » فى القاهرة فى نوفمبر الماضى ، تعتذر « الطليعة » لقرائها عن اضطرارها فى هذا العدد ، الى عدم تقديم باقى ابحاث ندوة آلما آتا ، والحوار الفكرى مع الادباء الشبان . كما تعتذر كذلك عن عدم تقديم الباب الثالث « مناقشات مفتوحة وكتابات جديدة »



حوار عربى مع "جارودى"

تنشر « الطليعة » ابتداء من هذا العدد، النصوص الكاملة لمحاضرات الاستاذ « روجيه جارودى » والمناقشات التي دارت حولها ، وكذلك الندوات التى اشترك فيها خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة .

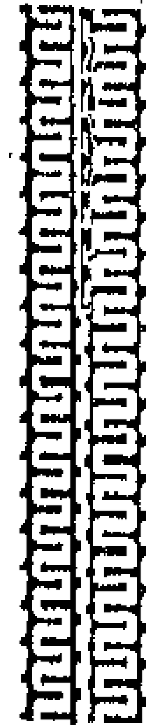
وكان « جارودى » قد لبى دعوة أسرة تحرير الطليعة لزيارة القاهرة وادارة حوار مفتوح مع المثقفين والمناضلين العرب حول قضايا العصر عامة وقضايا الاشتراكية والحضارة العربية والاسلامية بصفة خاصة . وذلك فى الفترة من ١٠ — ٢٠ نوفمبر ١٩٦٩ .

وتأتى زيارة « جارودى » للقاهرة فى اطار خطة الطليعة لادارة حوار عربى مع أخصب عقول عالمنا المعاصر ، واتاحة أرحب الفرص للقاء والتفاعل مع تيارات الفكر التقدمى فى العالم .

النصـــــوص الـــكامـلة
للمحــاضرات والمنــاقشــات

المحـــــاضــرة الأولى

أثر الحضارة العربية
على الثقافة العالمية



● ألقيت المحاضرة بقاعة المحاضرات بدار الاهرام مساء الاثنين ٢٤ نوفمبر ١٩٦٩ .
● قدم المحاضر لطفى الخولى .
● ادار المناقشة : الدكتور لبيب شقير .
● اشترك فى المناقشة : د. بدوى عبد اللطيف مدير جامعة الازهر - د . محمد كامل حسين - د. عبد العزيز كامل - د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)

التقديم

قدم « لطفى الخولى » المحاضر بكلمة قال فيها :

لطفى الخولى : يسعد « الاهرام » ان يفتح بيته، ليكون ارض لقاء وحوار مع جميع اتجاهات الفكر والرأى الانسانية، فى عالمنا المعاصر .

وفى هذا الاطار تحرص أسرة تحرير « الطليعة » على أن تنظم حوارا مفتوحا وحرا بين الفكر الاشتراكى العلمى فى العالم المعاصر وبين المفكرين والكتاب والمناضلين والسياسيين فى جمهوريتنا ووطننا العربى .

وفى هذه الليلة نبدأ اللقاء والحوار مع عقل من أخصب عقول عصرنا هو المفكر الفرنسى الماركسى المعروف « روجيه جارودى » .

والاستاذ جارودى متعدد الاهتمامات ، فهو استاذ فى الجامعة وفيلسوف وناقد فنى ، وفى نفس الوقت مناضل يمارس العمل السياسى من أرضية حزبه : الحزب الشيوعى الفرنسى . وهو الحزب الذى قدم تأييده القوى والفعال للشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الامبريالى - الاسرائيلى ، ولايزال على موقفه من القضية العربية حتى اليوم .

منذ سنوات والاستاذ جارودى ، يطرح بشجاعة فكرية وروحية أسئلة فى غاية الاهمية للانسان المعاصر الذى يواجه ظروفا وتحديات جديدة تماما ، وذات طبيعة نوعية لم يسبق لها مثيل . ولا يكتفى جارودى بطرح الاسئلة وانما يقدم للمناقشة اجابات عميقة واجتهادات هامة ، تستحق كل تقدير واحترام ، سواء فى حالة الاتفاق معها أو الاختلاف وايا ها فى هذا الجانب أو ذاك .

ولعل من أهم ما يثيره الاستاذ جارودى اليوم ان الفكر الاشتراكى العلمى مهدد بأن يصبح فكرا ريفيا لو انه اقتصر على ادارة الحوار فيما بينه وبين نفسه فحسب ، دون أن ينفتح بمنهجه الجدلى المادى التاريخى على كافة الاتجاهات والابداع الفكرى فى مختلف الفلسفات والمجالات العلمية . ويرى أيضا ان الفكر الاشتراكى العلمى ، لايزال فى مجموعه فكرا غربيا فى الاساس . ذلك انه حتى قبل عشرين عاما فحسب لم تدخل حلبة التاريخ قوى شعوب آسيا وأفريقيا بثقافاتها وتراثها . وحتى ذلك الوقت لم يستوعب الفكر الاشتراكى بدرجة موازية لدرجة استيعابه للثقافة والتراث الاوربى الغربى . وهكذا فان الفكر الاشتراكى العلمى اليوم مدعو الى استكمال استيعابه لبعد انسانى حضارى جديد .

ويقدم الاستاذ جارودى مثالا واضحا ومحددا على ذلك من خلال دراساته ، وهو المثال الذى يتجسد فى قيم وفلسفة واتجاهات التراث العربى والاسلامى .
ويصل الاستاذ جارودى من خلال هذه الدراسة الى ان الانسان المسلم فى بلد اسلامى يمكنه أن يصل الى الاشتراكية العلمية عن طريق جدلية ابن رشد ومادية ابن خلدون وثورة القرامطة ذات التراث الاشتراكى الخيالى .
ولا أريد أن أطيل فى تقديم الاستاذ جارودى . فهو غنى عن التعريف . وليس من شك فى اننا جميعا مشوقون الى الاستماع لمحاضرته اليوم التى تعالج « اثر الحضارة العربية على الثقافة العالمية » .

وأود أخيرا أن ألفت النظر أنه بعد أن ينتهى السيد المحاضر من القاء محاضرته ، سنأخذ راحة لمدة ربع الساعة تعقبها مناقشة مفتوحة حول موضوع المحاضرة . وسيقوم الاستاذ الدكتور لبيب شقير عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ورئيس مجلس الامة بادارة المناقشة .

المحاضرة

فى احدى صفحات الكتاب الرائع لاناتول فرانس « فوق الحجر الابيض » يوجه أحد المؤرخين سؤالا الى مدام نوزيير : « ما أتعس يوم فى تاريخ فرنسا ؟ » ولم تكن مدام نوزيير على معرفة بهذا اليوم . وعندئذ قال لها المؤرخ « أنه عام ٧٣٢ ، أى العام الذى نشبت فيه معركة بواتييه : فى هذا العام تراجعت الحضارة العربية أمام البربرية الفرنسية » .

وهذا النص يثير فى نفسى ذكرى لذيذة ، اذ قد ذكرته فى تونس عام ١٩٤٥ خلال محاضرة لى عن ابن خلدون ، واذا بالجنرال الفرنسى - الذى كان وقتئذ مقيما عاما فى تونس - يأمر بطردى بدعوى الترويج للدعاية ضد فرنسا . وكان لهذا الحدث دلالة ومغزى :

من وجهة النظر الاستعمارية فان مجرد تذكير المستعمرين بعظمة ماضيهم وثقافتهم كان يعتبر اهانة للاستعمار وخطرا يهدده ».

وفى الجزائر حين أردت معرفة التقاليد العظمى لثقافة العرب وحضارتهم اصطدمت بالجريمة الحقيقية التى اقترفها الاستعمار ضد العقل البشرى ».

كانت مؤامرة الصمت ازاء الثقافة الاسلامية منظمة للغاية •

وفى عام ١٩٤٥ قمت بجولة فى مكتبات الجزائر كانت كافية لاتبين هذه الحقيقة : وهى أن نصوصا قليلة للغاية من العلم والفلسفة العربية قد ترجمت الى اللغة الفرنسية •
وعلى الضد من ذلك فقد عثرت فى جميع مكتبات الجزائر على نسخ عديدة من كتاب «المختصر فى السياسة الاسلامية» وهو يعبر عن العقيدة الحقيقية للاستعمار. فى هذا الكتاب تعريف للعلم العربى : « ان العلم العربى ـ الذى قضى نحبه واندثر الى غير رجعة ـ ليس الا مقتبسات من المفكرين اليونانيين ترجمها اليهود فى العصر الوسيط • »

بيد أنى قد استطعت بجهد جهيد مستعينا ببعض الاصدقاء الجزائريين ـ الذين ترجم لى أو لخص نصوصا رئيسية ـ تجميع العناصر الاساسية من أجل القاء محاضرة فى الجزائر •

وارتأيت فى ذلك العام، عام ١٩٤٥، أن القاء محاضرة عن « الاسهام التاريخى للحضارة العربية » يحمل معنى الاحتجاج على السياسة الثقافية الاستعمارية التى تهدف الى اعاقة شعب عن الاعتزاز بماضيه بدعوى أن هذا الشعب مغلوب على أمره .
ومن أجل ذلك فانى قد اعتبرت نشر هذه المحاضرة بالفرنسية فى الجزائر ثم ترجمتها الى العربية فى القاهرة بقلم الوطنيين المناضلين الذين وجدوا فيها سلاحا أيديولوجيا لنضالهم، شرفا عظيما بل من أعظم المكافآت التى تمنح للانسان •

واليوم يمكن طرح مشكلة ماقدمته الثقافة الاسلامية للانسانية فى عصرنا هذا فى اطار أرحب، أى ليس فقط فى صورة ثورة على انكار لماض مجيد، بل أيضا فى صورة بحث عما قدمته هذه الثقافة بالذات الى انسانية عصرنا هذا، أعنى الانسانية الاشتراكية •
أود اذن بعد اثارتى اليوم باختصار للمغزى التاريخى والدور التقدمى للتوسع العربى، وخصوبة الحضارة التى نشأت عن هذا التوسع، أن أركز غدا على دور الاسلام والثقافة العربية فى بناء الاشتراكية فى عصرنا هذا •

١ ـ التوسع العربى أسبابه ونتائجه

ان الفتح العربى، قبل ازدهار ثقافته الخاصة به، قد خلق ـ بسبب اتساعه ـ الشروط اللازمة لتجديد الحضارة وانطلاقة شابة جديدة لهذا العالم •
لقد خلق الفتح العربى الشروط الاقتصادية والاجتماعية للحضارة الجديدة وذلك بازالة فوضى الاقطاع وتدرجاته الطفيلية .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الفتح ـ وقد كان سريعا للغاية ـ لم يتخذ فى أية لحظة من لحظاته طابع الغزو الجماعى المدمر كالذى نلحظه فى غزو التتار أو المغول . فقد تغلغلت فيالق قليلة العدد فى بلاد شاسعة وحصلت، فى حالات عديدة، على تأييدات تلقائية : ففى أسبانيا لم يكن الجيش الفاتح يزيد على ٤٠٫٠٠٠ مقاتل •

اذن ينبغى البحث عن أسباب أخرى غير القوة العسكرية لتفسير سرعة التوسع العربى وتشعبه •

ان العامل الحاسم للنصر هو أن الفاتح العربى كان يجلب معه، الى عالم عبودى منحل للغاية أو عالم اقطاعى مقطع الاوصال ومتحجر، أشكالا راقية من التنظيم الاقتصادى والاجتماعى تلتزم بها الجماهير العريضة لانها تتفق مع احتياجاتها •

فمثلا نظام النقابات المهنية ، الذى عرفته أوربا بعد ذلك بعدة قرون ، قد ظهر فى القرن التاسع فى تنظيمات الحرفيين فى عصر القرامطة ».

ونظام « الكوميونات » ، الذى لم يظهر فى أوربا الا بعد الحروب الصليبية وبعد الاتصال بالاسلام، قد وجد منذ زمن طويل فى العالم العربي بمؤسساته المتميزة. ففى المدن التجارية نجد ان المحتسب، الرقيب الحقيقى على التجارة، هو الذى يهيمن على النشاط الاقتصادى ويكفل النظام الاخلاقى .

وفى أسبانيا حيث كان تأثير العرب أعمق نشأت نماذج من المجالس البلدية بميزانيات مستقلة وقضاء منتخب . وفى نفس الوقت ازدهرت الزراعة العلمية ، وصناعة المنسوجات ، والمعادن ، والجلود ، وأجمل بحرية لاوربا ، تلك البحرية التى اكتشفت أمريكا .

بل ان الفاتحين العرب بتدميرهم الاقتصادي الاقطاعى المقطع الاوصال وبانشائهم منطقة تبادل للبضائع والافكار أكثر اتساعا من تلك التى انشأتها الامبراطورية الرومانية القديمة ، وباقامتهم دولة موحدة تتسم بالمركزية وتستند الى قانون مكتوب وادارة قضائية منتظمة قد نفضوا الاتربة عن الاشياء والناس والافكار اللازمة للحقب الكبرى الخلاقة فى تاريخ البشرية ».

ان الحضارة القديمة التى أصابها الجمود فى بيزنطة قد بعثها هؤلاء الفاتحون من جديد».

لقد أطاح الفتح العربى ، بتأثير البورجوازية التجارية فى المدن ، بالابنية الاجتماعية المستندة الى العبودية والمتسمة بالجمود والعقم ، والتى فرضتها السيطرة الرومانية ثم السيطرة البيزنطية . يقول جان بيرين : « ان الفتح العربى قد سبب انتعاشا حقيقيا للاقتصاد العالمى ، رغم سيطرة الاقطاعيين فى السنوات الاولى من الفتح . ذلك أن الفاتح العربى أضاف ، الى سمو العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لحضارة تجارية فى مواجهة مجتمعات عبودية أو اقطاعية ، سموا اخلاقيا يدور على السماحة ، وسموا عقليا يدور على روح نقدية فى مواجهة تعصب استبدادى ودجماطيقى ، ولهذا ارتأى انجلز — رفيق ماركس — أن المفكرين العرب هم السلف البعيد للانسكلوبيديين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر. وفى كتابه « ديالكتيك » يقول فى حديثه عن عصر النهضة « أن لدى الشعوب الرومانية فكرا متحررا صافيا مأخوذا عن العرب ومطعما بالفلسفة اليونانية التى اكتشفت مؤخرا . ثم راح هذا الفكر يتأصل رويدا رويدا ويمهد لظهور مادية القرن الثامن عشر » (ص ٣٠) .

نخلص من ذلك أن الفتح العربى لم يكن غزوا ، بل لم يكن استعمارا ، انما هو فى كل بلد، فرصة لخلق حضارة من صنع الاسلام والحضارة المحلية سواء أكانت هذه الحضارة أوزبيكية أم فارسية أم سورية أم مصرية أم مغربية أم أندلسية الخ . ورغم تداخل تلك الحضارات وتشابكها الا أنها قد احتفظت بطابعها الاصيل الذى هو بمثابة الاساس لثقافة وطنية مستقبلية .

ويشهد على ذلك الكاتب الاسبانى الكبير بلاسكو ايبانيز فى كتابه « فى ظل الكاتدرائية » حين يتحدث عن بلاده . يقول « فى أسبانيا لم تأت النهضة من الشمال مع الجحافل البربرية وانما أتت من الجنوب مع الفاتحين العرب ... لقد كانت حملة حضارية أكثر مما كانت غزوا ... ومن هنا أتت الينا هذه الثقافة الشابة القوية سريعة التقدم بطريقة مذهلة ، والتى ما تكاد تولد حتى تتفوق . هذه الحضارة التى خلقها الحماس الدينى للنبى قد تمثلت أفضل ما فى اليهودية والعلم البيزنطى ، بل انها جلبت معها التقاليد الهندية العظيمة وتراث الفرس وكثيرا من الامور المقتبسة من بلاد الصين الغامضة. كان الشرق هو الذى يقتحم أوربا ، لا كما حدث فى عهد داريوس والاكاسرة عن طريق اليونان التى صدتهم للحفاظ على حريتها ، ولكن من الطرف الاخر ، من أسبانيا التى كانت ترسف فى عبودية ملوك اللاهوت والاساقفة المحاربين فاستقبلت غزاتها بأذرع مفتوحة ».

ولم يكد يمضي عامان حتى كان هؤلاء قد وضعوا أيديهم على ماسيلفق فيه سبعة قرون لاستعادته منهم • ولم يكن ذلك غزوا يفرض بقوة السلاح ، بل كان مجتمعا جديدا ينشر ، في كل اتجاه ، جذوره القوية • ان مبدأ حرية الضمير ، وهو حجر الزاوية التي ترتكز عليه العظمة الحقيقية للامة ، كان عزيزا لديهم • ففي المدن التي كانوا يسيطرون عليها لم يمسوا كنيسة المسيحي ومعبد اليهودي •

ومن القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر نشأت وازدهرت أغنى وأجمل حضارة شهدتها اوروبا خلال العصور الوسطى • وبينما كانت شعوب الشمال تتناحر في حروب دينية وتتصرف كالقبائل الهمجية كان شعب اسبانيا قد وصل الى ثلاثين مليونا . وفي هذا الحشد كانت تختلط جميع الاجناس والعقائد ، على اختلاف تباينها ، في تناسق ، وكان من نتائجه أقوى صورة عرفت لقوة النبض الاجتماعي •• في هذا الخليط الخصب من الشعوب والاجناس كانت تتعايش جميع الافكار والعادات وجميع الاكتشافات التي تحققت حتى ذلك الحين في العالم ، وجميع الفنون والعلوم والصناعات والاختراعات والانظمة القديمة • ومن احتكاك هذه العناصر المتباينة تدفقت اكتشافات جديدة وطاقات جديدة خلاقة • فقد جاء من الشرق مع هؤلاء الغرباء الحرير والقطن والبن والليمون والبرتقال والرمان ، وكذلك السجاد والمنسوجات والتل والمعادن الدمشقية والمساحيق . وبفضلهم كذلك عرف العد العشري والجبر والكيمياء والطب وعلم الكون والشعر المقفى •• أن فلاسفة اليونان ، بعد ان كانوا على وشك الانطواء في النسيان ، قد استعادوا مكانتهم حين لازموا العربي في فتوحاته .. لقد سيطر ارسطو على جامعة قرطبة الشهيرة ••ص ٢٠١ ــ ٢٠٤) »

٢ ــ الحضارة العربية !

لقد خلق الفتح العربي الشروط المعنوية للنهضة ، وذلك اولا باتاحة امكانياته بعث الثقافة القديمة وخصوصا الثقافة الهلينية •

لقد كان القرن الاول الاسلامي ، قرن الخلفاء الامويين في دمشق هو قرن الفتح •
والحقبة الثانية هي عهد الخلفاء العباسيين في بغداد . وهي كذلك الحقبة الامبراطورية ، وتبدأ من ٩٥٠ الى ٩٠٠ ميلادية بمرحلة التمثل ، الاستيعاب . وهذا هو عهد الترجمة .»

١ ــ بعث الثقافة المندثرة :

قبل نهاية القرن التاسع ترجمت الى العربية مؤلفات أرسطو وجالينوس وأفلاطون وبطليموس واقليدس وأرشميدس ، وكذلك ميكانيكا هيرون وكتاب « الاشكال القمعية » •

ومن ٨١٣ ــ ٨٣٣ في فترة لم تكن أوربا قد تعلمت القراءة أنشأ الخليفة المأمون في بغداد بواسطة جماعة من المترجمين أكاديمية ضخمة أسماها « بيت الحكمة » أصبح بفضلها معرفة الثقافة اليونانية ميسورا لجميع قراء القرآن • ورأى ابن خلدون في هذه الاكاديمية منطلقا لازدهار الثقافة العربية •

أن أعلى ما وصلت اليه مرحلة التمثل ، هذه هو الكندي (المولود سنة ٨٥٠) فقد نقل عن ارسطو نظرته الكونية ، وألف أكبر موسوعة عرفها العالم قبل « الخلاصة اللاهوتية » للقديس توما الاكويني (بعد ذلك بثلاثة قرون) . ولقد ظلت مؤلفات الكندي التي ترجمها الى اللاتينية جيرار الكريموني على مدى قرون طويلة ، المثقف الحقيقي للغرب .

وهكذا فان الثقافة العربية تعبر عن الوجه الاساسي لعصر النهضة وهو الوجه الانساني ، أي بعث الماضي • وتبدو الوحدة العربية في ذلك الحين كرباط يربط بين الثقافة القديمة والحضارة الحديثة •

وخلال خمسمائة عام ، من سنة ٧٠٠ الى سنة ١٢٠٠ ، سيطر الاسلام بقوته وبالعلم وتفوق حضارته •

ففى مراكش كان الخليفة ابن تاصون يتحدث عن ارسطو وافلاطون مع ابن رشد فى زمن كان نبلاء الغرب فيه يتباهون بعدم معرفتهم القراءة • كانت فرنسا فى عهد « الملوك التنابلة » حينما كانت الاسر الحاكمة فى القاهرة وقيروان وفاس تشجع الاداب والعلوم والفنون . وحوالى سنة ٩٨٠ عهد هوج كابيه بتثقيف ابنه الى القس جربير الذى درس الرياضة فى جامعة قرطبة العربية •

وفى قرطبة كان الاموى العالم الحكم يملك مكتبة تضم أكثر من ٤٠٠٫٠٠٠ مجلد فى حين انه بعد ذلك بأربعة قرون لم يستطع ملك فرنسا شارل الخامس الملقب بالحكيم (أى العالم) أن يجمع اكثر من الف كتاب ».

لقد بعث الفتح العربى الحياة فى الغرب حين اعاد اليه العلم الهلينى الذى تركته أوربا يندثر ولم تستطع استعادته. وفى العام الالف تقريبا كان الغرب المسيحى يعانى الارهاب وينتظر فى قلق صوفى « نهاية العالم » فى هذا الوقت لم تكتف الشعوب العربية ببعث الثقافة القديمة بل اسهمت بنصيب ملموس خلاق فى الثقافة العالمية • وهذا الاسهام الخلاق هو الذى أريد الان بحثه ».

٢ ـ اسهام العرب فى علوم الطبيعة

ان روائع الاكتشافات العلمية والفنية للحقبة الهلينية فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد لم تنجح فى تغيير العالم وذلك لاسباب اقتصادية واجتماعية ، اذ أن انتشار العبودية كان عقبة أمام التكنيك العلمى فى احداث تغيير جذرى للحياة الاقتصادية (فان استغلال قطعان العبيد الذين كانوا يحصلون عليهم بسعر خيالى كان يحقق مزايا أكثر من التى يحققها تشغيل الالات) • وهكذا فشلت الثقافة الهلينية فى خلق حضارة جديدة •

وحين تخطى هذا الشعب الفاتح الرحالة المؤسس لامبراطورية تجارية على النظام الاقطاعى الزراعى حقق للعلوم قفزة ملموسة بسبب الاهداف العلمية المفيدة التى كانت العلوم تحققها له . ان الاكتشافات العلمية والعملية الخاصة بالعصر الهلينى قد وجدت الشروط المواتية لكى تتجسد فى هذه الحضارة التجارية الجديدة • كانت الجغرافيا ، لاسيما الجغرافيا الفلكية ، بالنسبة لهؤلاء الذين يخططون الصحراوات والبحار ضرورة حيوية • وهم أول من أنشأوا مراصد فى العالم : مراصد سمرقند وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة •

وقد أعاد الفزارى سنة ٧٧٠ انشاء الاسطرلاب (المقياس الفكرى) الذى اكتشفه بطليموس والذى ادخلت عليه فى القرون التالية تحسينات كبيرة. ثم استخدمه الملاحون حتى القرن الثامن عشر . وحين ترجم الخوارزمى مؤلفات بطليموس حوالى عام ٨٤٤ خلق مفهوما متسقا لخطوط الطول والعرض.

وحين قام الجغرافيون ورجال الفلك العرب برحلات لتنظيم الامبراطورية وادارتها تبنوا فى حماس مسألة كروية الارض التى كان ينكرها اللاهوتيون المسيحيون .

وهذا يفسر التأثير العظيم للفلكيين العرب على عصر نهضتنا • فقد ألف ابو العباس احمد الفرغانى كتابا فى الفلك سنة ٨٦٠ كان مرجعا فى أوربا طوال سبعمائة عام ».

وكان استاذ اوربا فى علم الجغرافيا هو الادريسى المولود عام ١١٠٠ والذى تلقى العلم فى قرطبة وعاش فى بلاط روجر ملك صقلية فى منتصف القرن الثانى عشر •

ان بطاقات الادريسى تقر كروية الارض • ولقد سعدت شخصيا بزيارة سمرقند ورؤية المرصد الذى اقامه الفلكى وعالم الرياضة الكبير اولونج بك ، وهو المرصد الذى اعيد بناؤه اليوم فى جمهورية اذربجان السوفيتية كاكبر شاهد على هذه الحضارة العظيمة .

وهذا التقدم النظرى (المرتبط على الارجح بتفوق تكنيكى لم يشر اليه ليفيفر دى نويت أو لارونسيير فى تاريخهما للملاحة) حقق للمسلمين تفوقا بحريا مطلقا • وقد قال ابن خلدون أن المسيحيين لم يتمكنوا بعد ذلك من تعويم لوحة فوق مياه البحر المتوسط •

وفى عام ٨٥١ صدر لمؤلف كتاب عن رحلة قام بها الى الصين يقول فيه انه قد وصل الى نواحى كانتون (ربما كوريا أو اليابان) قبل رحلة ماركو بولو الاستكشافية بـ ٤٢٥ سنة ٠

وحين وصل فاسكو داجاما الى ميلاند على الساحل الشرقى لافريقيا بعد ذلك بخمسمائة عام أى عام ١٤٩٨ أرشده ملاح عربى ، هو أحمد بن ماجد ، الى طريق الهند ٠
وقد كتب هذا الملاح العربى دراسة عن الملاحة فى المحيط الهندى والبحر الاحمر والخليج الفارسى وبحر الصين ، اتخذها البرتغاليون أساسا لدراساتهم عن الملاحة فى عهد هنرى البحار ٠

وكان أحد الخلفاء هو أول من فكر فى شق برزخ السويس ٠ ولم يتخل عن فكرته الا لاعتبارات استراتيجية ٠

وكانت العلوم الفلكية قد تقدمت عند العرب الى حد بعيد ، حتى أن الراهب جربرت (الذى تولى البابوية عام ٩٩٩ تحت اسم سلفستر الثانى) تصور انه قد تقابل مع الشيطان عندما عاد الى المسيحية بعد التحاقه بالجامعة الاسلامية فى قرطبة ٠

ودفعت مقتضيات التجارة والمحاسبة العرب الى احداث انقلاب فى علم الحساب تماما كما فعل الفينيقيون من قبل ٠ فقد أدى اكتشاف الاعداد العربية واختراع الصفر ، الذى يعتمد عليه العد العشرى الى تحقيق الثورة الثانية فى الرياضيات منذ عهد الفينيقيين ٠ ولم تعرف أوربا هذه الاكتشافات الا عن طريق العرب ، وفى القرن الثانى عشر أى بعد مضى مائتين وخمسين عاما ٠

وفى علم الجبر توصل الخوارزمى من جديد ، فى الفترة ما بين عام ٨٣٥ الى ٨٤٤ ، الى طريقة لحل معادلات من الدرجة الثانية التى عرفها الاغريق من قبل ٠ ومنذ القرن الحادى عشر كان محمد بن موسى قد توصل الى حلول هندسية وتحليلية لمعادلات من الدرجة الثانية ٠ وقد ترجم عمله هذا جيرار الكريمونى فى القرن الثانى عشر واستخدمته الجامعات الاوربية حتى القرن السادس عشر كمرجع أساسى ٠

ووضع حسن المراكشى عام ١٢٢٩ أول جداول الجيب والاقواس المتلامسة ٠

أما عالم الرياضيات والشاعر عمر الخيام (المتوفى عام ١١٢٥) فقد تمكن من حل معادلات الدرجة الثالثة بالطريقة التى استخدمها ديكارت بعد ذلك بخمسة قرون ٠ وهكذا وضع عمر الخيام أسس الهندسة التحليلية ٠ وقد ترجم مؤلفه العظيم فى الجبر الى الفرنسية عام ١٨٥٧ ٠

وفى علم الهندسة تجاوز ثابت بن قرة قضايا اقليدس ٠ وفى علم حساب المثلثات فان مكتشف القاطع ليس هو كوبرنيكس وانما هو ابو الوفا واكتشف الفارابى اللوغاريتمات اثناء دراسته للتدريج الموسيقى ٠ أما ابن سينا فقد عكف على دراسة الكميات اللامتناهية ٠

وفى علم الكيمياء ثمة مصطلحات ، مثل القلوى ، الكحول ، الامبيق ، الاكسير ، تذكرنا بما قدم العرب للغرب ٠ والى العرب كذلك يرجع الفضل فى اكتشاف :

أ ـ أساليب التقطير والتسامى والبلورة والتخثير ٠

ب ـ منتجات جديدة مثل البوتاس والنشادر وحامض النتريك والسليمانى القارص ٠ والتمييز بين الاحماض والقلويات واكتشاف فكرة التجارب الكيميائى ٠ ومنذ عهد هارون الرشيد (المتوفى ٨٠٩) كان العرب يصنعون الورق من القطن فقدموا بذلك للعالم وسيلة عظيمة لنشر الثقافة ٠

واحتل العرب المركز الاول فى مجال الطب لمدة تزيد عن خمسمائة عام (ما بين ٧٠٠ ، ١٢٠٠) ٠

وقد كتب ابن الرازى موسوعة طبية ترجمها فراجوت بأمر من شارل دانجو الاول ملك صقلية ، وأعيد طبعها أربعين مرة فى انجلترا فى الفترة ما بين ١٤٥٨ ، ١٨٦٦ ٠ وقد طبعت فى أوج عصر النهضة فى فيينا عام ١٥٢٠ وفى فرانكفورت عام ١٥٨٨ ٠

ومن بين الانجازات الطبية العظيمة التي يدين بها الغرب حتى الان للطب العـربي ، التطعيم ضد الجدري الذي استخدمه الاطباء الفرس وطوره العرب ، اذ كانوا يختنون الجلد ويدعكونه بصديد الجدري بدلا من التطعيم بالغشاء المخاطي • وهكذا مهدوا الطريق الى أساليب التطعيم التي اكتشفها جنر عـام ١٧٩٧ •

وفي علم الصيدلة عرف العرب العديد من النباتات الطبية . ومن الجدير بالذكر أنهـم استخدموا عفن البنسلين وعيش الغراب كمراهم لمداواة الجروح المتقيحة • وهكذا عـرفوا استخدام المضادات الحيوية بطريقة تجريبية .

أما طب العيون فهو من ابتداع العرب • وقد ساعدت المعرفة الواسعة لعلماء الطبيعة في مجال البصريات اطباء العيون العرب الى حد بعيد • وظلت أساليبهم الفنية لمدة طويلة في القرن التاسع عشر • وفي عام ١٢٥٦ اخترعت الابرة المجوفة لاستخدامها في سحب سحابة العين •

وقدمت الاكاديميات العـربية ، بمكتباتها وكلياتها وخططها التعليمية ونظمها ودرجاتها الجامعية وطلبتها الاجانب المجمعين حسب « قومياتهم » ، نماذج لنظم التعليم انتقلت الى أوربا الاسلامية وساليرم بصقلية وقرطبة باسبانيا ، ثم انتقلت الى أوربا المسيحية التي اتبعت هذه النظم وحاكتها فاقامت على غرارها جامعاتها الكبيرة في بولونيا وباريس ومونبليه وأكسفورد •

٣ ـ الاسهام الفني للحضارة العربية

شهدت الفنون في المرحلة الكبرى للحضارة العربية ازدهارا لا يقل في ثرائه عن ازدهار العلوم •

وثمة أسطورة عنيدة تحاول أن تحيل الفن الاسلامي الى مجرد صنعة زخرفية تحصره في الفنون الصغرى والحرف . ومن الضروري أن نؤكد بشدة أن هذا الفن على الضد من ذلك ، كان يعبر عن تصور للعالم ، وأن هذا التصور للعالم يحكم في آن واحد أهـداف ذلك الفن وموضوعاته ولغته التشكيلية وأساليبه الفنية •

فرغم تنوع التعبيرات في هذا الفن طبقا للبلاد التي ازدهر فيها ، ورغم السمات الخاصة المميزة للفن في كل بلد عربي ، ورغم الاختلافات العميقة بين الفن العراقي والفن المغربي، الا ان الوحدة العميقة في الهام هذا الفن تلفت النظر من الوهلة الاولى • انه يعبر عن التصـور الاسلامي للعالم، لا بالمعنى السلبي الذي يحرم تصوير الانسان أو الحيوان • فالقرآن رصين للغاية في هذا الصدد • وقد جاء فـي القرآن « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (سورة المائدة ، آية ٩٠) فهذا النص لا يحرم نقل الصور بالنحت أو التصوير ، بل يحرم اتخاذها أوثانا وتحويل الصورة الى كائن حقيقي ابتغاء منافسة الله في الخلق . ولذا فان بعض البلاد الإسلامية، مثل ايران ، لا تزال تحافظ على تقاليد الفـن التصـويري . كمـا أبـدعت في ظـل الخلفاء الراشدين أعمالا تصور الانسـان أو الحيوان . على ان هذا التحريم لا يشـكل السمة المميزة للفنون الاسلامية .

فهذه الفنون تستلهم تصويرا للعالم لا يحث على التصوير الواقعي للكائنات والاشياء • وحتى اذا صور الفنان الانسان أو الحيوان فانه لا يتناوله في ذاته وفي فرديته ، بل يتناوله على أنه صورة • وهكذا يتميز الفن العربي بسمتين أساسيتين :

أ ـ الاسلام ليس ضد الصورة وانما هو ضد الوثن •
ب ـ الاسلام يحدد أسلوب الفن أكثر مما يحدد الموضوع •

ان تمسك الاسلام الشديد بالتوحيد يلغي أي وساطة بين الانسان والله كما يجعل من النبي كائنا بشريا كسائر البشر جاء للنـاس بقواعد للسلوك اسـتعدادا ليوم الحشر ،

ولذا فهو لايحتاج الى التصوير على غرار صور وحياة المسيح أو حياة القديسين فى العالم المسيحى .

وعلى الضد من ذلك فان أى تصوير دنيوى من شأنه أن يلهى المؤمن عن الصلاة الخالصة وعن ادراك الوحدة الدقيقة لله ، ويوقعه فى فخ الوثنية .

فهذا الحرص على التخلى عن مظاهر الدنيا على رد العقل الى الوحدة الخاصة بفكرة واحدة ، يقتضى الا يلحظ النظر سوى الاشكال المتعلقة بالعقل : انه اطار رياضى وعقلى ، متناسق وموسيقى .

ويؤدى هذا المفهوم للمفارقة الالهية الى « تجريد » تتميز به الفنون الاسلامية .

فالجامع ، وهو مبنى من الحجر ، هو نقطة التقاء لكل الفنون الاسلامية حتى انه قيل أن الفنون تؤدى الى الجامع ، والجامع يؤدى الى الصلاة .

اذن فالسمة الاولى لهذا الفن ، فى صياغة عصرية ، يمكن أن نطلق عليها لفظ « الوظيفة » .

فالجامع ، بحكم تركيبه ، يتفق مع وظيفته . وهو يختلف فى ذلك عن الكنيسة المسيحية أو المعبد الاغريقى لانه لا يستخدم كمأوى لصورة الله ولا كزخرف للاحتفالات الطقوسية ، ذلك ان الاسلام يحرم الصور والطقوس . ان الجامع قاعة للصلاة وللدعاء . ولذا فهو لا يتخذ شكل الهيكل الاغريقى المخصص لوضع تمثال الاله ولا التخطيط الطولى للكنائس المسيحية ، بل يميل بصفة عامة الى الاتساع لكى يهيىء أكبر حيز للمؤمنين حتى يصطفوا جنبا الى جنب على سجاد الصلاة . فالجامع ليس الا محرابا يحدد القبلة نحو مكة ومئذنة للدعوة الى الصلاة .

ولاشك أن بناء الجامع يتخذ من هذا الطابع الوظيفى الاساسى نقطة البداية ، ولكنه ينطوى على تنوعات محلية : فالجامع الايرانى يزدان بقباب منتفخة وزخرفة ثرية من الخزف ، والجامع التركى يدمج الفن المعمارى البيزنطى بالعبادة الاسلامية ، أما فى مصر فالجوامع تعلوها قباب ومآذن ذات شرفات . ومع ذلك فالوحدة قائمة وهى تتحكم فى هذا التنوع : وحدة الوظيفة الدينية واحدة وارتباط البناء تماما بهذه الوظيفة .

أما السمة الثانية للفن الاسلامى فهى تجرده الكامل وموسيقيته . وهو محكوم أيضا بتصور الدين الاسلامى للعالم وللانسان ولله . ولذلك فليست وظيفة الفن فى رأى الاسلام نقل المرئى ، بل اظهار ما هو غير مرئى أو صعب البيان : النظام الالهى للكون والمجتمع والقوانين الصارمة التى تحكم هذا الكون . وأقرب تعبير حسى لها القوانين الرياضية للهندسة والقوانين الموسيقية لانسجام الانغام وللايقاع .

وفى ضوء هذا التصور يكون الفن المعمارى فى مقدمة الفنون لا لانه أقرب الى الصلاة بحكم الغرض منه ، ولكن لانه غير تصويرى بطبيعته وموسيقى بشكل مباشر . ففى كل فترة ازدهار هذا الفن ، ابتداء من حكم الامويين فى دمشق حتى السيطرة العثمانية ، كان تمجيد الله يجد صداه ، فى الرخام وقوالب الطوب والملاط ... باستخدام العناصر الوظيفية فى أغراض زخرفية . فخطوط الاقواس تتعقد شيئا فشيئا ، ويتم الانتقال من النغمة البسيطة للقوس الكامل الاستدارة الى سيمفونيات مدروسة أكثر فأكثر كالقوس المكسور والقوس المتخذ شكل سن الرمح والمتعدد الفصوص ، وتكوينات الاقواس المترادفة والمتشابكة الى أن تحولت الى تسبيح مدهش حقا تعبر عنه الاحجار فى مسجد السليمانية باسطنبول وجامع تلمش ومسجد الحمراء بغرناطة وجامع ابن طولون بالقاهرة .

وينطبق ذلك على العناصر المعمارية الاخرى : فالمحراب مثلا لم يعد مجرد كسوة بسيطة . ففى جامع تلمش العظيم طورت الفتحات الاسبانية المغربية المكونة من سلسلة من الحواف الحجرية المزخرفة .

ويمكننا أن نؤكد نفس الشىء بالنسبة لزخرفة حواف باب الجامع والسقوف والاعمدة التى ترتفع فوقها القباب والعقود والاركان المحصورة بين أحجار العقود والزخارف المتدلية .

فالاهتمام المتواصل هنا هو تأكيد وابراز القيمة الهيكلية للمبنى بواسطة الزخارف المنحوتة فى خامة البناء ذاتها •

ان الاتجاه نحو الموسيقى الكامنة فى الفن المعمارى ونحو الموسيقى المتبلورة والمجمدة فى الحجارة ، على حد تعبير هيجل ، لا يلغى أبدا ، فى الفنون الاسلامية ، ذلك الاحساس الرقيق بالطبيعة التى لا يعبر عنها منظر طبيعى مرسوم على لوحة كما هو الحال فى اوربا ، بل تعبر عنه العمارة نفسها ، وذلك بادماج المبنى نفسه فى المنظر المحيط به •لقد نجح رجال الفن المعمارى الاسبانى المغربى فى أن يوفقوا بالذات بين انحدارات التل وخطوط القصر مع توفير الاحساس الحاد بالكتل الضخمة • ففى داخل الصحن توجد أحواض وعقود تضاعف من ابراز أناقة خطوطها ، نافورات المياه ذات الانطلاق الرشيق المتجاوب مع التقاطيع الانيقة للاعمدة والمنسجم مع أقواس العقود ».

ويحرص أحد الفنانين المعماريين الجزائريين اليوم على ابراز تناغم الخطوط المنحنية للنخيل مع أقواس الفن الاسبانى المغربى . نقوش عقد النافذة يتلاءم مع سعف النخلة ، وقد قيل لى ان « قوس العقديقف بجوار أمه » كمانه يشار الى التقارب الايقاعى العميق بين المساحات المزروعة بأشجار النخيل والاروقة ذات الاعمدة الاسبانية المغربية والموسيقى الاندلسية • ففى الفن الاسلامى تتميز خطوط الاقواس والوان الخزف بقدرتها على الترتيل •

السمة الثالثة لهذا الفن عدم فصله بين ما هو دينى وما هو غير دينى ، شأنه فى ذلك شأن العقيدة التى الهمته •

ووجدت الاشكال المختلفة للعلاقة مع العالم ، تعبيرا تشكيليا لها من خلال الالتزام التام بالقواعد الاسلامية فى المجال الفنى •

ففن الامويين فى دمشق يؤكد فكرة السيطرة العالمية للامبراطورية العربية وتعبير هذه الامبراطورية عن الحقيقة الالهية فى عالمنا هذا تشهد على ذلك الفسيفساء الفخمة لقبة الصخرة بالقدس التى تم تركيبها فى عهد الخليفة الاموى الملك بن مروان عام ٦٩١ • فهذا الخليفة الاموى المنتصر والوريث لامبراطوريتين يعلن ان العالم بأسره دخل « بيت الاسلام » الذى يتجسد فى شخصه هذا النظام السائد ، وذلك من خلال تصوير الاشجار والثمار والازهار والواحات الخضراء حيث تلتقى معا الرموز المستخدمة فى ايران وبيزنطة •

وفى بغداد ، فى عهد العباسيين عبر التحوير عن قانون العالم وايقاعاته أكثر مما كان يعبر الرمز ، وكذلك عن طريق السرد • وحتى اذا ظهرت شخصيات فى التصوير أو ثنايا ثوب أو حركة راقصة فان هذا التصوير لا يسعى الى ايجاد علاقة تشابه مع الاشياء أو الوقائع بل يهدف الى بسط وحدة زخرفية ذات ايقاع يفلت من قيود الزمن •

وفيما بعد ، أصبح تكريس التصوير العربى فى تزويد الكتب العلمية بالصور أحد السمات المميزة لهذا الفن : علم الاعشاب وعلم النبات فى كتابه الصادر فى العراق عام ١١٩٩ وصور الحيوان فى كتاب فن الطب البيطرى المنشور ببغداد عام ١٢١٠ • و « رسالة فى النجوم الثابتة » لابن الصوفى عام ١٢٢٤ الذى يجمع مجموعات الكواكب فى خطوط أشخاص ويرتبط على ذلك باهتمامات علمية وبالاكتشاف التشكيلى للحياة اليومية التى تزين مناظرها المألوفة الكتب العلمية . انه الفن المميز لمجتمع تجارى فى القرن الثامن عشر ، يرتبط بتقدم العلوم التى تحدد تقدم اقتصاده ، ويرتبط عمداً بالحياة الواقعية •

هذا الفن ، المزدهر فى جميع مجالات الحياة ، يظل مخلصا مع ذلك لمصدر الهامه الاصلى والدائم ، وهو يظهر فى أنقى أشكاله فى الزخارف الملونة للمصاحف ».

وهذا المصدر الواحد للالهام يظهر فنيا فى العناصر التكتيكية الدائمة الملازمة للفن الاسلامى •

واذا كانت تأثيرات الفن البيزنطى والفن الساسانى قد تركت بصماتها على بدايات الفن الاسلامى ، الا أنه سرعان ما توصل الى استقلاليته وأصالته الدائمة •

وتتحدد السمات الاساسية لهذا الفن عن طريق خضوع العناصر الزخرفية تماما لمقتضيات الهيكل البنائي الذي يحكم توزيع الزخارف في شرائط او مساحات أو ورود حسب خطوط القوى الخاصة بالمعمار •

فالهيكل البنائي يخضع للوظيفة والزخارف تخضع للهيكل البنائي •»

ومن هنا نبعت ضرورة وجود زخرفة متصلة حتى تتمشى الزينة مع الخطوط القائدة في البناء ولا تترك أي فراغ يؤدي الى اختلال في توازن المجموع ويكسر الايقاع •

وثمة نتيجة اخرى مترتبة على هيمنة الهندسة لكي تتحكم في غزارة الاشكال سواء ظلت هذه الهندسة كامنة وراء السيقان والاشكال النباتية المحورة ، وهكذا فانها توجه نظامها الخفي سواء بدت الوحدة الهندسية المجردة على هذا النحو أو ارتبطت بالزخرفة النباتية • لقد أصبحت قوة التكوين التجريدي في اجمل نماذج هذا الفن ملموسة بشكل خاص عند رجال عصرنا الذين عاصروا تطورات الفن الحديث • ان التصنيف التكنيكي البحت في أغلب الاحوال لعناصر الزخرفة الاسلامية يجب الايفقدنا رؤية مغزاه الحقيقي. فالاقتصار على الظاهر وعلى الاشكال التجارية لهذا الفن خطأ جسيم، اذ أنه يدفعنا الى الاعتقاد بأننا بصدد فن زخرفي بحت •

أن مجرد سرد المواضيع الزخرفية الرئيسية يذكرنا بأنها تعبر عن تصور للعالم ويؤدي نسيان هذا التصور الى عدم تفهم ذلك الفيض الهائل من الازدهار .»

لقد ذكرنا منذ البداية أن الفن الاسلامي ليس من رسالته نقل عالم المظاهر بل التذكير بالقوانين الرياضية والموسيقية التي تحكم هذا العالم •

ومن هنا تنبع الموضوعات الرئيسية في الزخرفة •

فالخطوط الهندسية المتشابكة المكونة من شبكته من الخطوط المستقيمة والدوائر وقطاعاتها ، تكون تارة عنصرا زخرفيا في حد ذاته وتارة تكتفي بأن تهيىء اطارا عقليا، وتارة أخرى تتعايش مع هذا الاطار وتندمج مع الزخرفة النباتية .»

والزخرفة النباتية التي تناولت بالذات في المراحل الاولى للفن الاسلامي وحدات نبات شوك الجمل الموروثة عن الفن الاغريقي ، ثم تناولت ورقات الكرم وعناقة العنب أو الرمان أو كيزان الصنوبر ، لا تقتصر أبدا على واقعية ناقلة، فهذه النباتات تتحور لتتخذ الاشكال الشعارية للخدمات غير المتماثلة أو الخوصات المزدوجة • وتخضع تلك الزخارف بالاخص لايقاع المجموع فتنثني وتنبسط حسب تموجات الغصن الذي يربط التفاصيل الزخرفية بالبناء الكلي وبالوظيفة التي ولدت الحركة

والنقوش العربية هي التعبير النموذجي لذلك المفهوم الزخرفي ، وقد عرفها أ . كوهنل على الوجه التالي : « انها الشكل الخاص والاسلامي البحت لتحوير الزخارف النباتية المكونة من أوراق نباتية مفرقة مرتبطة بخطاطيف ذات حركة ايقاعية » .

فالنقوش العربية تلخص الاحساس الموسيقي بالطبيعة والاحساس العقلي بالهندسة ، في تكوين مجرد وموقع • وكلا الاحساسين هما المقومتان الاساسيتان للفن الاسلامي ولتصوره لنظام الكون •

فاجمل آيات هذا الفن تحقق التوازن بين الغزارة النباتية للزخرفة الاندلسية وتقشف الخطوط العريضة النقية لفن الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن في منتصف القرن الثاني عشر ، وقد وصل الفن الاسلامي في هذه الفترة الى قمة جماله .

والخط العربي يقدم امكانية اخرى للجمع بين مختلف الاتجاهات الزخرفية • فالخط الكوفي المتميز ببساطته الهندسية ورسومه واستقامة خطوطه القاعدية ، يتيح العديد من الادماجات الزخرفية ، ويسمح بربط الوحدات الهندسية بالوحدات النباتية سواء بتشكيلها مع الحروف أو بتناثرها فوقها أو بتزيينها للخطوط باضافات نباتية • وهنا تصبح رسالة النبي نفسه وكلمته المكتوبة زخرفة مباشرة لتذكرنا مرة اخرى أنه من الخطأ أن نتكلم عن هذا الفن باعتباره زخرفة دون أن نرجع دائما الى روحه ومغزاه •»

وإذا انتقلنا الى الفنون التطبيقية وزخرفة الاثاث والنحاس والمنسوجات فانه من المناسب ان نربط أكثر فأكثر هذه الزخرفة الخاصة بالاشياء العادية غير المقدسة بالغرض النهائى لتزيينها وهو أن تكون فى تناسق مع ذلك المعمار • ان الاسلوب الزخرفى لنقوش الكرسى ذى المسند ، تعكس زخارف «منبر» المسجد، كما ان نقوش الصحاف النحاسية والمنسوجات تفصح عن النقوش الملونة على صفحات المصحف وعلى المحراب •

وهكذا يتأكد أكثر فأكثر ما قلناه من البداية وهو أن هذا الفن يقود الى المسجد وأن المسجد يقود الى الصلاة •

وعلى أى حال فمن الجدير بالملاحظة ان اسهام الفن الاسلامى فى فنون أوروبا لا يقتصر أبدا على التأثيرات الشكلية •

واذا اكتفينا بمثلين اثنين فقط ، وهما اسهام فنون الاسلام فى الفن الرومانى وتاثيره على التصوير المعاصر فاننا نخطىء اذا اكتفينا بذكر الصيغ التشكيلية المأخوذة عنه •

فهناك شجرة الحياة على تيجان اعمدة دير مواساك ونقوش على شكل غصون مورقة فى سان سرفان بتولوز ، وافريز من الكتابات الكوفية المشبوهة حول اطار ابواب كنيسة نوتردام دى بوى فى فالى أو على الخلية الزخرفية لهيكل كنيسة كلوسترنوبرج بالنمسا ، وقصص الحيوانات التى تزين تيجان اعمدة كنائسنا الرومانية التى تنتقل الينا اشكالا مأخوذة عن المنسوجات الشرقية • ولكن كل ذلك ليس الا المظهر الخارجى للاشياء • وما هو صحيح بالنسبة للوحدات الزخرفية ، صحيح ايضا بالنسبة للنواحى المعمارية • ولكن هناك ماهو أعمق من ذلك ، فهذه الاقتباسات تمثلان بعض جوانب تصور العالم التى اوجدتها اصبحت ملموسة وفى متناول مرحلة من مراحل تطور ثقافة أخرى وحضارة أخرى •

وهذا ما استخلصه اميل مال بشكل ملحوظ بالنسبة للمرحلة الرومانية : « ان نصيب التاريخ الكلاسيكى القديم يقتصر على قدر ضئيل من زخارف الحيوان والوحوش هذه ، المعزيزة على فنانى القرن الثانى عشر . لقد منحها الشرق كل شىء تقريبا •• فنهايه العالم القديم تتميز بانتصار الشرق • وقد بعث من جديد الفن الزخرفى الكلدانى والاشورى والفينيقى والفارسى •• وحل محل الفن الزخرفى الاغريقى المميز بالوضوح والنظام والجمال ، فن غريب كل ما فيه حلم وشبه نهار، واسرار دينية . ويسود الخيال هنا . ويعيد صياغة العالم الذى يعيش وفقا لهواه . **أن هذا الخلق الموازى للطبيعة** لا يخلو من عظمة • فالوحش الذى يجمع بين كل عناصر الحيوان من ابتكار الشرق • وقد صاغ الشرق أيضا الكائنات الحية فى نفوس عربية جميلة يمكن طيها وبسطها حسب رغبتنا •• وهذا الفن يربط تيجان أعمدة القرن الثانى عشر بالزخرفة العربية • لقد شكل الشرق مزخرفى القرن الثانى عشر عندنا . وفرض عليهم عادات فى التفكير ، واخضعهم للتماثل وايقظ فيهم النزعة الشعارية . كان الفن الشرقى فى توافق تام مع القرون الوسطى الاولى ، حيث كانت الاحلام لا تزال قوية والانسان لم يعقد صلته من جديد بالطبيعة • ولم يجد الفنان الرومانى أى مشقة فى تبنى هذا الفن وليكون مبدعا بدوره » •

ان فكرة « الخلق الموازى للطبيعة » الملهمة لكل الفن المعاصر فى أوربا تفسر الجاذبية التى تمارسها فنون الاسلام اليوم على تصويرنا • وهناك مثل مدهش فى هذا المجال قدمه لنا ماتيس : فقد كتب يقول اثر رحلته الى المغرب وزيارته لمعرض الفن الاسلامى فى ميونخ عام ١٩١١ ، ١٩١٢ « لقد جاءنى الوحى دائما من الشرقى . لقد وجدت فى ميونخ تاكيدا جديدا لابحاثى ـ فالتماثيل الفارسية الصغيرة أوضحت لى مثلا أمكانية احاسيسى • فملحقات هذا الفن توحى بحيز أكبر وبحيز تشكيلى حقيقى . وقد سمح لى ذلك بان اتخلص من التصوير الباطنى •• ان الانسان ينطلق بشكل افضل عندما يتبين له أن التراث يؤكد جهوده •• وهذا ما يساعد المرء على تخطى الحفرة » •

ولم يكتشف ماتيس فى الفنون الاسلامية الاساليب التكنيكية فقط : طريقة خلق الحيز دون التخلى عن المساحات المنبسطة ، ومبدا الزخرفة المتصلة وتقسيم العناصر الزخرفية الى صفوف ، ودمج الخطوط باشباه الزهور والورود ، والاتجاه نحو هندسة الاشكال والافاريز المكونة من نباتات متشابكة •• الخ •

فأهم ما فى الامر هو ، على حد تعبير اميل مال ، « ذلك الخلق الموازى للطبيعة » الذى يعبر عن طبيعة الفن العميقة ووظيفته التى تتخطى نقل المظاهر أو السرد المحاكى .»

وقد وصلت هذه الخبرة الى مداها منذ نصف قرن عن طريق التصوير التجريدى • ولقد قال المصور بول كلي الذى تأثر بشدة بالفن الاسلامى: ان هذه الخبرة قد جاهدت من أجل « جعل ما هو غير مرئى مرئيا » وقد عبرت لا عن مظاهر الواقع ولكن عن ايقاعاته الحقيقية وقوانينه •

لقد تبين لنا كيف ان بعض الفنانين الذين لا يدينون بالعقيدة الاسلامية مثل النحاتين الرومانيين فى القرن الثانى عشر المسيحى ، أو الذين لا يبالون بالعقيدة الدينية اكتشفوا فى هذا الفن الاسلامى المرتبط بالدين ارتباطا عميقا ليس فقط الاساليب الشكلية بل ايضا « الجوهر الانسانى » •

٣ ـ اسهام العلوم الانسانية

ان اسهام الحضارة العربية فى العلـوم الطبيعية والفنون يتطلب منا اضافة اسهامها فى العلوم الانسانية •

فالافكار التى نشأت فى هذه المدن التجارية تخطت الاطار الاقطاعى بـالفعل ، وكانت استهلالا لعصر النهضة والقرن الثامن عشر فى فرنسا •

ففيما يتعلق بدراسة هيكل المجتمعـات وتطورها ، فان ابرز وأكثر الوجوه تقدما تتمثل فى شخص ابن خلدون العالم والفنان ورجل الحروب والفقيه والفيلسوف الذى يضـارع عمالقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منـذ القرن الرابع عشر (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦) •

كان ابن خلدون مالـكا لاراض شـاسعة ودبلوماسيا وقائدا حربيا وكان شاهدا على أحداث سياسية جسام كما شارك فيها كثيرا بوصفه القائد ومن المسئولين الكبار • وقـد تكشفت خبرته هذه فى كتابه عندما حلـل الميكانزم الداخلى للمجتمعات وتطورها •

وقد كان ابن خلدون ، موضع اعجاب وتقدير من تامرلان أعتى الغزاة • وقد سمح له بأن يغادر دمشق هو وأصحابه عام ١٤٠٠ •

ان الغربى حين يقرأ مقدمة ابن خلدون يجد أمامه فى أوج القرن الرابع عشر بشير الديكارت ومونتسكيو وسابقا عليهم بثلاثة قرون • فعندما يطرح ابن خلدون بشكل ملموس القضية العلمية التالية :

ــ كيف تنشأ السلطة ؟
ــ ما هو أصل الاسرات الحاكمة ؟
ــ كيف تنشأ أسرة حاكمة ؟

فانه يبلغ حدا من التمكن والحزم فى التفكير لم يستطع مكيافلى فى القرن السادس عشر ان يتجاوزه ، فى كتابه « الامير » •

وعندما يضع قواعد التاريخ العلمى وعلم الاجتماع فانه يـذكرنا بـروح القـوانين لمونتسكيو ، فهو يضع تعريفا للنقد التاريخى فى مرحلة لم تكن تعرف فيه أوربا سوى المسجلين للاحداث •

يقول ابن خلدون «ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ..محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت ، يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن الزلات والمغالط » (ص ٦ ، ٧)ثم يقول « ان علم التاريخ فى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق وجـدير بأن يعد فى علومها وخليق » (ص ٢) •

والنغمة السائدة فى « المقدمة » تدفعنا حتما الى تذكر كتاب ديكارت عن «مقال فى المنهج» فها هو مبدأ التركيب يأتى بعد التحليل التاريخى، وفى الوقت الذى ظل فيه التاريخ فى أوربا سردى ووصفى بحث توصل ابن خلدون الى تاريخ يكشف عن اسباب الحوادث • يقول ابن خلدون « اننى أدخل الاسباب العامة فى دراسة الوقائع الجزئية وعندئذ أفهم تاريخ الجنس البشرى فى اطار شامل .. اننى ابحث عن الاسباب والاصول للحوادث السياسية » •

كان ابن خلدون مدركا تماما لاصالة منهجه وانه بصدد تأسيس علم جديد يقول ابن خلدون « ان المقالات التى سوف نعالجها انما تكون علما جديدا سوف يتميز بالاصالة فى وجهات النظر، كما انه سيتميز بسعة فائدته • وقد اكتشفنا هذا العلم بفضل عديد من الابحاث والتأملات العميقة » •

يقول ابن خلدون « عن معالجتنا لما هو نسبى فى الحضارة وفى اقامة المدن ، فاننى قد نقبت عما يعطيه المجتمع البشرى فى اطار الظروف الخاصة به • وبهذه الطريقة فهمت أسباب وقوع الحوادث » (ص ٩) •

واذا قارنا المنهج التاريخى لابن خلدون بالسرد البسيط لسجل التاريخ وعلى سبيل المثال اذا قارنا ابن خلدون بأحد معاصريه وهو افراوسار لاتضح لنا ان ابن خلدون يسبق مؤرخى الحوليات بأربعة قرون . فالتاريخ بالنسبة له ليس سردا للوقائع ولتصرفات الامراء بل تحليلا للحضارات .،

يقول ابن خلدون «ان التاريخ مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى » (ص ٢٨) .

ان الموضوع الحقيقى للتاريخ هو فهم الحالة الاجتماعية للانسان •• اى الحضارة •• ومن ثم فهم الظواهر المرتبطة به ارتباطا طبيعيا اعنى بها الحياة الهمجية وترويض اخلاقياته وزوج العائلات والقبائل والاشكال المتباينة لتفوق شعب على آخر الذى يتسبب عنه نشأة الامبراطوريات والاسر المالكة والتمييز بين الالقاب والمهن التى يمارسها الناس مثل المهن المريحة والمهن التى تهتم بالعلوم والفنون وأخيرا فان علم التاريخ يبحث فى التغييرات التى تحدثها طبائع الاشياء على خصائص المجتمع » (ص ٧١) .

وابن خلدون هو المؤسس الحقيقى للتصور العلمى للتاريخ والاجتماع • فقد اكتشف ابن خلدون مبادئهما الاساسية وهى :

١ ـ ان الظواهر الاجتماعية وتاريخها تخضع لقوانين معينة • وكان ابن خلدون اول من طبق فى التاريخ بشكل منتظم دءوب مبدأ السببية « اذا تأملنا هذا العالم •• لوجدنا فيه ترتيبا كاملا ، ونظاما محكما ، وعلاقة سبب بنتيجة ».وحين يتحدث ابن خلدون مثلا عن العمليات العسكرية ويحلل اسباب الظفر فانه يقول : « وانما الظفر فى الحرب والغلب من قبيل البخت والاتفاق » وبيان ذلك •• ان وقوع الغلب فى الحروب غالبا عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت (ص ١٩٤ ـ ١٩٥) (المجلد الثانى ص ٨٣) •

ونجد هنا تعريفا للبخت يسبق تعريف اسبينوزا بثلاثة قرون ، وتصورا للسببية التاريخية صاغه مونتسكيو بعد ذلك باربعة قرون حين قال : اذا انهارت امبراطورية فى معركة ما فما ذلك الا لانه كانت هناك اسباب عميقة تسمح لهذه الامبراطورية بأن تنهار عقب هزيمة واحدة • ولنضف الى ذلك أن صيغة ابن خلدون تثير فى الذهن حتما صيغة ماركس وانجلز حين عرفا الصدفة بانها « شكل وجود الضرورة » .

٢ ـ وليست لهذه السببية التاريخية ـ عند ابن خلدون ـ طبيعة الجبرية الميكانيكية ., فهو يكشف هنا عن تصور جدلى ، أولا لانه يضع فى اعتباره المتبادل بين الظواهر التاريخية

فابن خلدون لا ينظر الى العالم باعتباره تجمعا عارضا لاشياء بل باعتباره مجموعة متماسكة تكون فيها الظواهر جميعا شرطا لبعضها البعض ، وهذا يفسر الطابع الانسكلوبيدى للمقدمة التى تشمل علم الفلك ووصف جغرافيا للعالم ، وسياسة ، وبحث فى الاقتصاد ، وتبويبا رشيدا للعلوم ،والبيداجوجيا والبيان ، ويمكننا أن نواصل هذا التعداد فنضيف الكيمياء والجبر والزراعة والطب والهندسة وتخطيط المدن وعلم الجمال والحقوق واللاهوت والفن العسكرى . الخ .وتترابط كل هذه العناصر المختلفة بصورة منطقية وفقا لمفهوم تركيبى شامل للتاريخ يستهدف الوصول الى تفسير عام للظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية • واليكم نصا يوضح اهتمام ابن خلدون بربط ظواهر تعود المؤرخون طويلا على الفصل بينها •

« هناك كثير من الاشياء ترتبط بينها علاقات وثيقة مثل الدولة وعدد السكان وحجم العاصمة ورفاهية ورخاء السكان .

وهذه الروابط قائمة لان الملكة والامبراطورية تشكل الامة والمدنية ولان كل مايرتبط بالدولة ـ من رعايا ومدن ـ يخضع لها » .

« ويمكن النظر الى الدين والشريعة الاسلامية باعتبار ان موضوعها هو وجود الامة والامبراطورية ذاتها » . (المجلد الاول ـ ص ٢٦٣) .

٣ ـ كان لدى ابن خلدون احساس بتنوع العصور التاريخية ومصير المجتمعات وقوانين تطورها : فلم يكن يدرس فحسب كل جوانب مدنية ما بل كان يدرس كذلك علاقات هذه المدنيات بالنسبة لبعضها البعض ، ويحلل حركتها التي لا تكف ، وقواعد تتابعها ، وتوصل بذلك الى نظرية عن تطور الامبراطوريات واسباب نشوئها وتطورها واندثارها . ويضفى ابن خلدون على هذا العلم التاريخي دورا علميا : هو المعرفة التي تسمح بالتنبؤ والفعل .

« ولم أترك شيئا فى أولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاولى وأسباب التصرف والحول فى القرون الخالية والملل وما يعرض فى العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وزلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة وبدو وحضر وواقع ومنتظر الا واستوعبت جملة وأوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة » (ص ٥) .

« سلكت فى ترتيب هذا الكتاب وتبويبه مسلكا غريبا ، واخترعته من بين المناحى مذهبا عجيبا . وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الانسانى من العوارض الذاتية مايمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من ابوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك » (ص ٤) .

٤ ـ يمكن اعتبار ابن خلدون أحد المبشرين بالمادة التاريخية ، فهو فى دراسته للجدلية الباطنية لتطور المجتمعات يعلق اهمية كبيرة على تقسيم العمل . وهو يقسم الشعوب والاشكال الاجتماعية وفقا لاسلوب الانتاج الاقتصادى بل أنه يقدم هذه الصيغة الاولية لمبدأ المادية التاريخية .

« ان الاختلافات التي يلحظها المرء فى عادات وقدسيات مختلف الشعوب تتوقف على الطريقة التى يحصل بها كل منها على معاشه » : ويوسع هذا المبدأ ليشمل الاخلاق والتركيبات الفوقية فيقول « تتوقف شخصية الانسان على العادات والعرف ، وليس على الطبيعة أو المناخ » (المجلد الاول ص ٢٦٣) .

ويقارن ابن خلدون بين المجتمعات التى تختلف من حيث الدين او الجنس والعصر والدول لكنها متشابهة فى اسلوب الانتاج الذى يولد فى كل منها تركيبات وتطورات متشابهة ، ويبدو انه فى معارضته بين « البداوة » و « الحضر » كان يشير الى معارضة طبقية بين الاقطاعيين وبين التجار أو « برجوازية » المدن .

وفى المجال الاقتصادى ـ وعلى أساس هذه المبادىء ـ توصل ابن خلدون الى نظرية للقيمة تقوم على العمل : فقبل ان يصل اقتصاديو القرن الثامن عشر الاوروبيون بوقت طويل الى نظريات التجاريين . كان ابن خلدون يعتبر ان الذهب والفضة ليس هما الثروة بل هما وسيلة للتبادل « وليست المعادن الثمينة الا أدوات يكتسب المرء بها ما يحتاجه ، وهى التى تحقق الوفرة أو النقص » (المجلد الثانى ص ٣٢٩) .

والنتائج الاخلاقية والسياسية لهذا المشروع الاول للمادية التاريخية بالغة العمق . فابن خلدون لا يقتصر مثلا على أن يقيم المساواة بين الناس على اسس ميتافيزيقية . فلقد رأينا من قبل أنه يؤكد ان الناس لايتميزون بطبيعتهم او مناخهم ، بل ان التربية والحياة الاجتماعية تميز بينهم . وانطلاقا من هذا المبدأ يصوغ المبدأ القائل « ليس من حق أحد ان يقهر احدا » (المجلد الثانى ص ١١٠) .

وفى النهـــاية فان العقــلانية المميـــزة Rationalisme التى الهمت أفكار ابن خلدون ، ومفهومه عن العمل كمصدر للحياة الاجتماعية ،واحساسه بالحرية ، ورفضه للقهر ، قد قادته ـ من الوجهة السياسية ـ الى استبعاد فكرة « الحق الالهى » التى خيمت على اوروبا حتى القرن التاسع عشر . فتعيين الخليفـــة يمثل بالنسبة له « عقدا » ضـمنيا لا يمكن الا ان يذكرنا « بالعقد الاجتماعى » عند روسو « فهويقول فى المقدمة « فالامانة ليست من اركان الدين ، وانما هى منصب اقيم للنفع العـــام ووضع تحت رقابة الشعب » .

ومن السهل طبعا ان نجد لدى ابن خلدون تناقضات مميزة لعصره ولشخصيته . فقد كان هذا الرجل الذى وعى اكثر المطالب التاريخية تقدمية فى عصرها هو ذاته اقطاعيا لم يستطع ان يرتفع فوق تحيزات طبقته . لكن الذى تبقى لنا هو عمله الذى يمثل مساهمة كبيرة فى تشكيل العلوم الانسانية ، والذى تسوده عقلانية Rationalisme مميزة جعلت منه سابقا لدكارت ومونتسكيو ، ويشير بالتاريخ العلمى وعلم الاجتماع .

ولا نستطيع الا ان نصدق على حكم ب٠ك ٠حيتى الذى قال فى كتابه « خلاصة التاريخ العربى » : « كان ابن خلدون أعظم الفلاسفة والمؤرخين الذين اخرجهم الاسلام وواحدا من اكبر هؤلاء فى كل العصور » .

وهؤلاء نفر من كبار المفكرين الذين يمكن أن تشير اليهم الاشتراكية العلمية المعاصرة بفخر .

وهذا التراث العظيم بالطبع لا ينفى ان رجلا ذا ثقافة اســـلامية سيجد ثروة كبيرة عنـــد ديكارت او عند هيجل ، عند زيكاردو او شارل فوربيه ، تماما كمـــا ان الرجل ذا الثقـــافة الاوربية لا يستطيع أن يجهل التراث لابن سينا وابن رشد وابن خلدون .«

لقد تعمدنا بشكل خاص أن نؤكد الحاضر ، والارث الثقافى حتى نذكر فى مواجهة المفهوم الاستعمارى الذى انكره وزيفه طويلا ـ المصدر الاصيل للثقافة العربية وروعتها .

لكن هذا الماضى نفسه انما يأخذ كل معانيه مما يعلن عنه وما يهىء له ، بمولد الثقافة العربية التى بدأت تتشكل منذ بداية القرن العشرين والتى يوفر لها الاستقلال ازدهارا جديدا .

المناقشات

الدكتور لبيب شقير

اعتقد أنى أعبر عن عواطفنا جميعا حين أوجه للسيد جارودى شكرنا وتقديرنا العميق علـــى العرض الواضح ـ والعميق فـــى نفس الوقت ـ الذى قدمه لمسألة من أهم مسائل دراسة تاريخ المدنيات على وجه العموم ، وهى مسألة تمثل بالنسبة لنا كذلك ـ فى هذه المرحلة التى نجتازها الان ـ مسألة أولية ، لان الامم التى تخوض نضالا حادا تحتاج من وقت لاخر الى ان تســـتمع من صوت محايد آت من الخارج الى تأكيد لقدر مدنيتها ، ويصبح هذا الصوت أكثر أهمية وأكثر اقناعا حين يكون صوت جارودى .

وقد أصغيت باهتمام بالغ الى هذا العرض ـ عن تأثير المدنية العربية على الحضارة العـــالمية . والحق أن كثيرا من النقاط قد اتضحت لى . بيد أنه الى جانب هذا فان ثمة عددا من المسائل تثور فى الذهن بالضرورة ، حين يصغى المرء الى عرض السيد جارودى . وقد تتضح هذه المسائل حينما نصغى الى المحاضرات الثلاث ، فربما لم يكن عدد من هذه المسائل ليثور اذا كنا قد استمعنا الى المحاضرات الثلاث ، الا أننى اريد ، لمجرد أن افتح المناقشة ـ أن أعرض هذه المسائل التى ثارت فى ذهنى وأنا أصغى الى عرض السيد جـــارودى الواضح والعميق .

واستطيع أن أصوغ المسألة الاولى كمـــا يلى :

لقد استمعنا الى عرض عن مختلف جوانب تأثير المدنية العربية على الحضارة العالمية . وفـــى البداية طرح السيد جارودى مشكلة كبيرة قدم لها اجابة موجزة . لكننى أريد أن أعرف ما اذا كانت هذه الاجابة تمثل عرضا موجزا لنظرية عامة . والمشكلة هى : هل هناك قانون أو قوانين علمية تحكم أو

توجه تأثير بعض المدنيات على غيرها من المدنيات ؟ ومثلا قال لنا السيد جارودي انه اذا كانت المدنية العربية قد مارست تأثيرا كبيرا فلم يكن هذا بفعل قوتها العسكرية وحدها لان عدد الجنود الذين أحدثوا كل هذا التأثير كان محدوداً للغاية · وقال كذلك انه كان هناك نوع من التفوق فى الكيان أو فى التنظيم الاقتصادى · وأنا لا استخدم هذين التعبيرين كمترادفين بل لكى ألخص مسألة يجب أن تطرح · لقد كان ثمة تفوق للنظام الاقتصادى أو للتنظيم الاقتصادى الذى جلبه العرب ـ أو المدنية العربية ـ الى البلاد التى فتحوها · فهل هناك قوانين اذا ما توفرت فى مدينة ما قبلتها المدنيات الاخرى ورحبت بها فى حين أن المدنيات الأخرى التى لا تتوفر فيها هذه القوانين لا يمكن أن ترحب بها المدنيات الاخرى ·

وتصبح هذه المسألة أكثر أهمية عندما سنتعرض للمحاضرة الثالثة وربما كذلك غدا فى مسألة تأثير الاسلام على الاشتراكية · وتأثير بعض المدنيات على المدنيات الاخرى · ولهذا نود أن تتضح لنا هذه الزاوية ·

والمسألة الثانية التى أود أن أثيرها كذلك لبدء المناقشة هى : لقد عدد لنا السيد جارودى مختلف الجوانب التى مارست فيها المدنية العربية تأثيرا على الحضارة الانسانية : التحضير لبعث مدنية الاغريق وفكرهم · العلم والفن والعلم الاجتماعى · وقد أولى العرض اهتماما أكبر للفن وللعلم الاجتماعى · وربما كان التركيز أقل على المسألتين الاخيرتين لكن هذا أمر لا يعنينى الان ، وانما أود أن أثير مسألة محددة : هل كانت كل هذه الانجازات وكل هذا الابداع ممكنا لو لم يكن هناك لون من الحرية الاجتماعية تمارسه المدنية العربية ، بل أقول المدنية الاسلامية ـ فى البلاد التى فتحها الاسلام · لان كل الاسماء التى ذكرها السيد جارودى من الكندى حتى ابن سينا قد انحدرت من طبقات الشعب ، الشعب العربى · وحتى اذا اخذنا الشعراء الذين لم يرد ذكر لهم فربما يعرف أساتذة الادب أن الشعراء الذين ينتمون الى الامراء محدودو العدد فى تاريخ الادب العربى · وعلى هذا فهل مارست هذه الحرية الاجتماعية تأثيرا محددا على تحرر الطاقات الفكرية مما فتح الطريق أمام التقدم الفنى والتقدم الاجتماعى كذلك أم لا ؟

ـ ونقطة ثالثة قبل أن أنهى كلمتى لكى تبدأ مناقشتنا · وأود أن أصوغ هذه المسألة كما يلى ـ وان يكن السيد جارودى قد أشار الى أنه قد تحدث اليوم عن الماضى ، وسيتحدث غدا عن المستقبل · ما هى التأثيرات التى عاقت استمرار تقدم المدنية العربية ؟ وهل هى تأثيرات أو أسباب أو عوامل ترجع الى طبيعة وتركيب نوع من السيطرة لاسباب تكنولوجية أو لاسباب عسكرية أو لاسباب أخرى · والمسألة بالغة الاهمية لانه اذا كانت المدنية ، اذا كانت كل عناصر المدنية العربية غير قادرة على الاستمرار فسيختلف الوضع عما اذا كانت المدنية العربية تحوى عناصر قوة وعناصر ضعف بالمقارنة بنفس العناصر فى المدنيات الاخرى وفى هذه الحالة تتفتح امكانية تطوير المدنية العربية ـ أو حتى صبغها بروح ثورية مع الابقاء على الاطار العربى ·

لقد أردت فحسب أن افتتح المناقشة بهذه الاسئلة التى أثرتها · وأترك الكلمة الأن للدكتور بدوى عبد اللطيف مدير جامعة الازهر ·

دكتور بدوى عبد اللطيف
مدير الجامعة الازهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفنى فى هذه الليلة أن دعتنى أسرة الاهرام للاشتراك فى هذه المحاضرة ، وانى أشكرها كل الشكر ـ كما أشكر السيد الاستاذ المحاضر جارودى على هذه المحاضرة القيمة حقا ، التى حوت كثيرا من المعلومات والافكار الجديدة والطريفة ، والتى نعتز بها جميعا كعرب وكمسلمين ، لانها فى الواقع تعتبر وثيقة خطيرة وشهادة عظيمة من شخصية عظيمة وخطيرة هى شخصية العلامة الاستاذ جارودى ·

هذه المحاضرة لبيان قيمتها العلمية والحضارية نوجز ملخصا عنها فيما يلى :

هذه المحاضرة تتكون من جزءين :

● المقدمة ·

● وموضوع المحاضرة ـ أو اسهام الحضارة العربية فى الحضارة الغربية ، أو فى الحضارة العالمية ·

ففى المقدمة تعرض الاستاذ جارودى لرحلاته فى شمال افريقيا والمحاضرات التى القاها فى الجزائر وتونس ·

وان هذه المحاضرات كانت تشتمل على الثقافة الاسلامية والعربية · وأن هذه الحضارة هى الحضارة القويمة العظيمة التى نقلت عنها حضارة

الغرب • وانه لهذا قد صادف كثيرا من القسوة والعنف من الحكام المستعمرين في الجهات التي كان يلقى فيها محاضراته القيمة التي تشيد بحضارة الاسلام وحضارة العرب •

كما تعرض الاستاذ المحاضر لانتشار الاسلام في البلاد التي نزح اليها ، والتي انتشرفيها شرقا وغربا . وقال الاستاذ المحاضر : ان الاسلام لم ينتشر بالقوة العسكرية أبدا وانما انتشر بالمسالمة والهدوء • وهذا هو واقع الاسلام اى ان الاسلام لم ينتشر بالقوة والجبروت ، وانما انتشر بالاختيار والاقتناع •

ولكن الاستاذ المحاضر يتساءل عن الاسباب السريعة التي انتشر بها الاسلام .

ويقول الاستاذ المحاضر ان هذه الاسباب ترجع فيما ترجع الى عاملين عظيمين :

العامل الاول : هو التنظيم الاقتصادي .

والعامل الثاني : هو التنظيم الاجتماعي الذي حضر مع العرب الى البلاد المفتوحة .

وسيأتي لنا تعليق على هذا الموضوع أو على العوامل التي كانت سببا في انتشار الاسلام الى هذه البلاد •

ويقول الاستاذ المحاضر أيضا في هذه المقدمة ، ان هنالك أمثلة كثيرة على أن العرب كان لهم نظام اقتصادي في البلاد التي نزحوا اليها وأن هذا النظام الاقتصادي كان سببا في أن كثيرا من الطوائف المختلفة اعتنقت الاسلام . هذه الطوائف هي الطوائف الضعيفة المستعبدة المستذلة التي كانت تحت نير الحكام المستبدين •

وذكر الاستاذ أمثلة كثيرة على النظام الاقتصادي الاسلامي ، وأن الاوربيين نقلوا هذا النظام عن العرب الفاتحين .

فقال ان هنالك كان يوجد نظام الادارة المحلية بعد الحروب الصليبية وأن هذا النظام كان موجودا في الاسلام قبل ذلك بعدة قرون • ويتمثل هذا النظام في نظام المحتسب أو المشرف الحقيقي على البيع والشراء والامر بالمعروف والنهي عن المنكر • يتمثل هذا النظام كذلك في الغاء الطبقة البرجوازية كما يتمثل ذلك النظام في الغاء الاقطاع بتاتا من أوربا بعد أن دخلها العرب والمسلمون .

بعد ذلك تعرض الاستاذ المحاضر في مقدمة محاضرته الى حرية الديانة أو حرية الديانات التي كان يسمح بها العرب الفاتحون في هذه البلاد •

وقال ان غير المسلمين من أهل الكتاب كانوا يمارسون نشاطهم في الكنائس والمعابد كما كان المسلمون كذلك يمارسون نشاطهم في المساجد وفي بيوت الله •

هذا هو ملخص ما جاء في المقدمة التي ذكرها الاستاذ المحاضر في محاضرته .

اما الموضوع ـ موضوع المحاضرة ـ وهو اسهام الحضارة العربية في الحضارة الانسانية ، او في الحضارة العالمية .

فقد قال الاستاذ المحاضر ان الحضارة الانسانية أو الحضارة العالمية نقلت الى الغرب عن طريق واحد هو طريق الاندلس . أو عن معبر واحد هو معبر الاندلس .

وان هذه الحضارة أو النهضة الاوربية التي كتب أفلاطون وجلينوس وأرسطو واقليدس وما الى الى هذه البلاد .. هذه الحضارة كان لها منابع اربعة ، أو كان لها مصادر اربعة •

■ المصدر الاول :

هو ترجمة وبعث التراث القديم وبخاصة التراث اليوناني القديم • ولقد ترجم العرب الكتب الكثيرة كتب أفلاطون وجلينوس وارسطو واقليدس وما الى ذلك من العلماء اليونانيين القدامى • العرب ترجموا هذه الكتب جميعها وهذه الترجمة أفادت النهضة الاوربية التي ظهرت في القرون الوسطى •

وقال الاستاذ المحاضر ان عهد الترجمة بدأ في القرن التاسع للميلاد اى سنة ـ ٩٠٠ ميلادية ـ وازدهر هذا العصر في عهد المأمون وقد بنى المأمون مكتبة عظيمة في بغداد سميت دار الحكمة • هذه المكتبة كانت منطلقا عظيما لازدهار الحضارة الغربية في هذه الجهات .

وأشار الاستاذ المحاضر الى هذه النواحي في افاضة ، أظن يضيق الوقت عن تفصيلها والافاضة فيها .

■ المصدر الثاني للحضارة الغربية:

هو الحضارة الاوربية التي كانت نتيجة للحضارة العربية ، هو ما أضافه العرب الى العلوم القديمة ـ ما أضافه العرب الى العلوم الطبيعية مثل الفلك والرياضيات والطب وما الى ذلك .

لقد أضاف العرب كثيرا الى هذه العلوم ولهم فيها كتب مؤلفة وكتب كثيرة ذكرها الاستاذ المحاضر في محاضرته . ومن يشاء فليرجع الى أصلها ، ففيها الكثير وفيها الامثلة وفيها ذكر

للعلماء الكثيرين من العرب الذين أضافوا الكثير والذين طوروا كثيرا وجددوا كثيرا فى العلوم التى كانت سببا فى النهضة الاوربية فى القرون الوسطى .

كذلك من المصادر التى كانت سببا فى النهضة الاوربية أو النهضة العالمية ، ما أضافه العرب كذلك الى العلوم الانسانية كالجغرافيا وكالتاريخ .

وقال الاستاذ المحاضر ان ابن خلدون يعتبر الشخصية الفذة العبقرية فى هذا الميدان .

وقد سمعتم سيادتكم كثيرا من النقاط التى تناول بها ابن خلدون . وأظن أن معظم المحاضرة كانت عن ابن خلدون العالم العربى الجليل .

كذلك من المصادر التى كانت نتيجتها الحضارة الاوربية الاسهام الفنى الذى يتصل بالتصوير والنحت والتمثيل وما الى ذلك .

وتعرض الاستاذ الى موقف الاسلام من النحت والتصوير .

وقال ان التصوير الحرام فى الاسلام هو التصوير الحى الذى يقصد به مشاركة الله سبحانه وتعالى فى العبادة - أما التصوير أما النحت اما الى كذا - للفن - فهذا ليس بحرام .

هذه هى المصادر الاربعة التى ذكرها الاستاذ المحاضر والتى كانت منبعا للنهضة الاوربية فى العصور الوسطى، والتى كانت - كذلك - سببا أو عاملا فى النهضة الاوربية فى العصور الحديثة .

هذا هو ملخص المحاضرة التى ألقاها السيد الاستاذ جارودى وفى مقدمتها - المصادر التى كانت سببا فى هذه النهضة .

ولكن أريد أن أستأذن الاستاذ المحاضر فى أن أبدى بعض ملاحظات على هذه المحاضرة :

● ذكر الاستاذ المحاضر أن المعابر التى عبرت عنها الحاضرة العربية الى أوربا هو طريق الاندلس أو أسبانيا .

وكنا نود أن يتفضل الاستاذ المحاضر بأن يذكر المعابر الاخرى التى عبرت عنها الحضارة العربية الى أوربا ، مثل صقلية مثلا - صقلية وجنوب ايطاليا - فبعض العلماء يعتبرون أن المعابر التى عبرت عنها أو بواسطتها الحضارة العربية الى أوربا هى أربعة معابر أو أربعة قناطر أو أربعة جسور .. هذه المعابر هى :

● أسبانيا .
● صقلية وجنوب ايطاليا .
● الشرق الادنى .
● الحروب الصليبية .

وبعضهم يعتبر هذه المعابر ثلاثة فقط :

● أسبانيا .
● صقلية وجنوب ايطاليا - عامل واحد .
● الشرق الادنى والحروب الصليبية - معبر واحد .

فكنا نود أن يضيف الاستاذ المحاضر الى - طريق أسبانيا - هذه المعابر التى هى مهمة جدا فى تاريخ النهضة العربية وانتقالها الى أوربا .

والواقع أن صقلية تعتبر من أهم المعابر أو من أهم الطرق أو الوسائل التى انتقلت اليها الحاضرة العربية الى أوربا .

وكان ذلك فى القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى . وكان ذلك فى عهد الاغالبة الذين حكموا هذه البلاد أو هذه الجزيرة .

وقد تركوا فيها حضارة عظيمة . والملوك النرمانز حين حكموا صقلية بعد انتهاء حكم العرب سنة ١٠٦١ وجدوا حضارة عربية عظيمة فى هذه البلاد فأبقوا عليها واحترموها وكرموا العلماء العرب الذين كانوا فى هذه الجزيرة .

والعمدة أو المرجع الوحيد فى هذه الناحية هو الادريسى . ذكر كثيرا عن حضارة العرب فى صقلية وعن جنوب ايطاليا - وهذا العالم الجليل العربى خدم فى بلاط روجر الاول ووصف كثيرا من المتاحف والقصور وازدهار الحضارة والزراعة فى جزيرة صقلية فى عصره . فالادريسى والمستشرق الطلياني « أمادى » ذكرا كثيرا عن حضارة المسلمين وحضارة العرب فى صقلية .

هذا كان يعتبر من أهم المعابر فى انتقال الحضارة العربية الى أوربا فى العصور الوسطى .

كذلك كنا نود أن يشير الاستاذ المحاضر الى المعابر التى نقلت عنها الحضارة العربية الى أوربا - الى الشرق الادنى والى لقاء الصليبيين مع العرب فى هذه الجهات .

حقيقة أن الاثر كان ضئيلا بالنسبة الى طريق صقلية وطريق أسبانيا لان الاوربيين الذين حملوا على هذه الجهات لم يأتوا طلبا للعلم وانما أتوا غازين وفاتحين البلاد العربية على سواحل الشام .

ولكن كما ذكر أسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » ذكر أن الاوربيين استفادوا كثيرا من الحضارة العربية عن هذا الطريق وهو طريق الصليبيين وطريق الشرق الادنى .

ذكر أن العرب أفادوا الاوربيين التقاليد والعادات والنظم الاسلامية الى آخر ما ذكره هذا الكاتب العظيم .

هذه هى أهم الاشياء التى كنت أتمنى أن يضيفها الاستاذ المحاضر الى المعابر أو الطرق أو الجهات التى نقلت عنها الحضارة العربية الى أوربا .

من الاشياء التى احب أن أذكرها ايضا أن الاستاذ المحاضر يقول فى المحاضرة أن من اسباب انتشار الاسلام السريع هى التنظيم الادارى والتنظيم الاقتصادى والتنظيم الاجتماعى الذى رحل به العرب الى هذه الجهات .

أنا أعتقد أن هذا التنظيم الادارى والتنظيم الاجتماعى والتنظيم الاقتصادى هو ليس سببا أصيلا فى انتشار الاسلام فى هذه الجهات أو فى الجهات التى انتشر فيها الاسلام . انما أريد أن أقول ان العقيدة الاسلامية التى هى الايمان .. أن يؤمن الانسان بالله ايمانا كاملا لا يشوبه أدنى شك فى وحدانية الله سبحانه وتعالى، ثم الايمان برسالة محمد بن عبد الله ـ هذه العقيدة التى عبر عنها القرآن الكريم والايمان وبالشريعة التى عبر عنها القرآن الكريم بالعمل الصالح، هذه العقيدة هى التى خلقت من العرب أمة اسلامية عظيمة لها حضارة ولها كيان ولها سيادة ولها سيطرة، ولولا العقيدة ماكان العرب أمة ولا كانت هنالك حضارة أبدا .

كنت اريد أن يضيف الاستاذ المحاضر الى الاسباب التى أدت الى انتشار الاسلام السريع فى هذه البلاد أن الاسلام جاء بعقيدة هى الايمان بالله وبرسله الى آخر ما ذكرت ».

. كذلك يقول السيد المحاضر فى بعض فقرات أن الاسلام أو أن حضارة الاسلام كانت مزيجا من الحضارة الهندية والفارسية والاغريقية والرومية وأفضل ما جاء فى الدين اليهودى .

أنا شخصيا ربما أخطأت فى هذا التعبير، وأقول ان حضارة الاسلام حضارة ذاتية قائمة بذاتها .

والاسلام لا يشرفه أبدا أن يأخذ من حضارات قديمة أو حضارات حديثة ».

لان حضارة الاسلام من صنع الله ـ أما الحضارات الاخرى فهى من صنع البشر .

وأظن على حسب معلوماتى أن اليهود ماكانت لهم حضارة أبدا فى أى تاريخ للشعب اليهودى كما أعلم ليست له حضارة أبدا لان الحضارة من أسسها أو من مقوماتها أن تعتمد على اسعاد الانسان وتاريخ اليهود ليس فيه هذه الناحية .

والقرآن الكريم يشير الى ذلك حيث يقول : « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

وعلى كل حال فانا فى النهاية أشكر أسرة الاهرام التى شرفتنى بهذه الدعوة وأشكر السادة والانسات والسيدات الذين شرفونا فى هذه الليلة . كما أشكر السيد المحاضر العظيم الاستاذ جارودى على هذه المحاضرة القيمة الطريفة والجديدة والتى هى أشد طرافة وجدة لانها من شخصية كبيرة ليست بعربية وليست بشرقية فهى شهادة نعتز بها ونفخر بها وشكرى لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور عبد العزيز كامل

بسم الله الرحمن الرحيم يسعدنى أولا أن أضم صوتى لاصوات الاخوة الذين تحدثوا من قبلى شاكرين ـ للاستاذ روجيه جارودى هذه المحاضرة القيمة التى سعدنا جميعا بالاستماع اليها ولكنى اود اذا ما اتيحت فرصة اوسع للمناقشة ان تتجه عنايتنا الى بعض المواضيع الاتية . ولاشك ان كل محاضرة لها بعدها الموضوعى وبعدها التاريخى والمكانى فى نفس الوقت ولا يستطيع المحاضر فى موضوع شامل كهذا ان يلم بكل اطرافه وانما يكفيه فى كثير من الاحيان ان تكون الاشارة بالاصبع اكثر احاطة من الاحاطة بالباع نفسه ».

ان السيد المحاضر عنى عناية رئيسية بالجوانب التطبيقية فى الحضارة الاسلامية وبينما اجد انه من الاوفق ان نضم الى جانب ذلك الجانب التطبيقى ، الاصول النظرية التى انبعثت منها هذه التطبيقات . هذه الاصول من القرآن وماجاء عن النبى عليه الصلاة والسلام وماكان عليه سلفنا الصالح وميزة هذا المجتمع الاسلامى الاول الذى تكون على عهد النبى عليه السلام انه كان مجتمعا يتكون والوحى ينزل اى انه دعوه اساسا دينية كونها نبيها فى حياته . بينما هذه المناسبة ليس لها سابقة واضحة فى تاريخ النبوات السابقة . علما بان الاسلام كدين يعترف بجميع الانبياء السابقين ويحترم النبوات السابقة ويعلمنا الله تبارك وتعالى فى القرآن فيقول « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسلة وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

ويضرب النبى عليه الصلاة والسلام مثلا للعلاقة بينه وبين الانبياء السابقين فيقول : « مثلى ومثل

الانبياء من قبلى كرجل بنى بيتا فجمله وحسنه الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فكان النـــاس يطوفون بالبيت ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وانا خاتم المرسلين .

الاسلام اذن لم يأتليهدم وانما اتىليبنى واتى ليكمل وهو بهذا يستطيع ان يفتح او ينفتح على جميع الحضارات السابقة كماينفتح على جميع الحضارات المعاصرة . كما يمكن ايضا ان يستفيد من أى كشف علمى فى أى عصروفى اىقطرهذه ناحية اولى .. العناية بما بين النظرية والتطبيق . او المصادر والتطبيقات ..

ثانيا : نجد أن القرآن الكريم عنى بالعلم عناية كبيرة فذكر مادة « علم » فى القرآن ومشتقاتها احصائيا مالا يقل عن ٨٥٠ مرة فىالقرآن الكريم عناية بالعلم . فاذن فاذا ماوسع القرآن دائرة المسلمين لكى يعملوا ولكى يعلموا فهو فى هذا ينطلق من اساس سليم مفيد وأول امر يؤمر به المسلمفى حياته هو اول امر جاء فى القرآن الكريم اقرأ فهو مطالب دائما بان يتعـــلم وان يستزيد فى المعرفة . واول آلة او اداة اقسم بها الله تبارك وتعالى فى القرآن هى القلم وكان قسم القرآن بالقلم سابقا تاريخيا لقسمه بـالشمس وبالقمر وبالنجوم وباى شىء خلقه الله فى السموات والارض . اذن حينما نربط بين مصادرنا وبين تطبيقاتنا انما نستطيع ان نصل الى توازن معقول فى عرض هذه الموضوعات . ثم ان الاسلام يعتبر طلب العلم فريضة ويعتبر عدم اعمال العقل ذنبا فى الاسلام . ويصف الله تبارك وتعالى المعذبين فيقول : وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ماكنا من اصحاب السعير » فهو اذن ليس خطيئة دنيوية فقط وانما هو عندما من الاسلام خطيئة دينية ايضا .

وهذا العلم يأمرنا ربنا فيه بأن نسير بوضوح ولا نسير ونحن لنا عيون مغمضة فالله تبارك وتعالى يقول : « ولاتقفماليسلكبهعلم » ولا تتبعشيئالا تعرفه« انالسمع والبصر والفؤاد كلذلككان عنه مسئولا » فالاسلام يأمر اتباعه بأن يسيروا فى منهجهم العلمى على هدى وبصيرة والعلم فى الاسلام ليس عبارة عن مجموعة من الحقائق الممزقة او مجموعة من الحقائق المتراكمة وانما لها نظم يستخدم لها القرآن الكريم لفظ سنة الله . هذا التعبير جاء فى القرآن مالا يقل عن ١٣ مرة وهو يدل على ان سير هذا الكون انما يخضع لسنن، ولنواميس وان هذه القوانين لا تقتصر فقط على النواحى الطبيعية فى الحياة كدوران الشمس والقمر . انما تمتد ايضا الى نواحى الحيـــاة الاجتماعية . واذا دعانا القرآن الكريم الى أن نتعلماحوالالامم السابقة بقولهتعالى:«سنةاللهفى الذينخلوا منقبل» فهويدعونافى نفس الوقتالى ان نكتشف هذه القوانين الاجتماعية وان نوالى كشف هذه القوانين . فما جاء به ابن خلدون . كان انطلاقا صحيحا وسليما لما جاء فى القرآن الكريم بدليل انه حينما هدى الى ذلك او حينما كشف هذه النواحى لم يعارضه المسلمون وقتئذ وانما راوا فى هذا فتحا جديدا واضافة جديدة واثراء للفكر الاسلامى .

على هذا الاساس نستطيع ان نرى البحث فى القوانين التى يتطور بها المجتمع امرا اساسيا وسليما فى الاسلام بل ان الصحابه وقعوا فى شىء من هذا الحرج على عهد النبى عليه الصلاة والسلام . ظنوا انه مادام النبى معهم فلابد ان ينتصروا مادام النبى قائدهم . ومادام القرآن ينزل عليه . فلما جاءت غزوة أحد وحدثت فيها الهزيمه تعجبوا من الهزيمة وهم على الحق . ويسجل القرآن هذا التعجب ورد . فقـال القـرآن الكريم « ولما صابتكم مصيبة ــ حينما هزمتم فى غزوة أحد ــ قد أصبتم مثليها» ، أىبعد انتصاركم فىالغزوة السابقة وهىغزوة بدر قلتم كيفيحدث هذا ومعنا الرسول وينزل القرآن ونحن على الحق ويردالقرآن الكريم « قل هومن عندانفسكم» انتم الذين تستطيعون ان تصنعوا النصر وتستطيعون ان تصنعوا الهزيمة فالامر اذن ليس امر مجموعة علىحقلكى تنتصرولكنلابد من اخذجميع الاسباب الروحية والمادية المؤدية الى النصر . هذه التجربة تكررت مرة اخرى فى غزوة حنين ، وسجل القرآن فيها حينما رأوا انهم كثرة وظنوا انهم يستطيعون الانتصار عن طريق هذه الكثرة دون استعداد علمى منهجى للمعركة وهزموا فى اول هذه المعركة وقال القرآن الكريم .

« ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته » بعد هذا حينما ثبتوا امكن ان ينتصروا . فاذن وجود الحق فى جانب جماعة بنص القرآن الكريم لا يؤدى الى انتصارها . وجود الرسول على رأس هـــذه الجماعة لا يؤدى الى انتصارها بنص القرآن الكريم . وانما لابد من جمع كامل بين الاسباب المادية والروحية لكى يتحقق هذا النصر ماجاء به ابن خلدون فى هذه الناحية انما هو نبع صادق من الفكر الاسلامى هذه ناحية وددت ان اوضحها .

تأتى بعد هذا نقطة اخرى حينما كلماللهقريشا ودعاهم الى ذلك الدين لم يدعهم بجوانب روحية فقط وانما دعاهم بالماده كما دعاهم بـالروح

وقال « فليعبدوا ربهذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . فجعل العبارة هنا وهى امر دينى بحت مرتبطة بجوانب اقتصادية موجودة

المدينة ربط ايضا بين الامن الذى يعيشون فيه فى المجتمع الجديد وبين الدين فقال لهم « واذكروا اذ فى حياة المجتمع وحينما هاجر الصحابة الى انتم قليل ــ حينما كنتم فى مكة ــ مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » • وحينما دعاهم الى الاستعداد العسكرى امرهم بان يكون هذا الاستعداد ماديا روحيا فى نفس الوقت • فقال لهم « واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وكانت أكبر قوة ضاربة وقتئذ وهى تقابل فى وقتنا الحاضر السلاح الجوى الطائرات الصواريخ • ثم بين مستواها فقال « ترهبون بها عدو الله وعدوكم » لابد ان تكون على مستوى عال قادر على ارهاب الخصم • فلا يمكن ان يرهبك خصمك وانت على مستوى مادى بسيط • فكل ما يوصل الى هذا المستوى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعالميا ينبغى ان يقوم به ذلك المجتمع بدليل انه حينما اتسعت دائرة الحروب فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام واحتاج الى حصار خيبر والى حصار الطائف وكان يحتاج الى ادوات فى الحصار ، وليست عندهم خبرة فى هذه الادوات ، ارسل شابين من قبيلة ثقيف الى بلدة تسمى برشن فى الاردن الحالية ليتعلموا بعض الصناعات الحربية التى يحتاجها هذا الجيش •• فارسال البعثات العلمية كان امرا مقررا من حياة النبى عليه الصلاة والسلام •

كل هذا انما يعطينا جمعا قويا بين جوانب المادة وبين جوانب الروح • ويرينا ان المجتمع فى تطوره وتقدمه انما ينبغى ان يسير بجناحين من المادة والروح وان الجوانب المادية لا يمكن ان تغفل والجوانب الروحية ينبغى الا تغفل ايضا. وان هذا السير الاجتماعى انما هو يسير على قوانين وعلى نظم واضحة فى القرآن سماها « سنة الله فى الذين خلوا من قبل » واعطانا نماذج كثيرة على هذه السنن اعتقد ان وقت هذه الليلة لا يسمح بالافاضة فيها انما اكتفى منها بمثال واحد وهو عدم الربط بين وفرة المال وبين الحكم حينما قال « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام » اى تعطوها الى الحكام اى تجعلوا المال مسيطرا على الحكم « لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » فأعطانا قاعدة واضحة فى المجتمعات انه اذا استطاع المال ان يسيطر على الحكم استطاع ان يفسد المجتمع كله ــ كل هذه نواح نستطيع ان ندرسها فى القرآن الكريم وأن ندرسها فى السنة ونريها المصدر او المعين الذى استقى منه أول من استقى ابن خلدون وكثير من نظائره فى تاريخنا الاسلامى •

تبقى بعد هذا كلمة أخيرة عن الفن وليأذن لى السيد الاستاذ روجيه جارودى أن أتكلم كلمة موجزة عن الفن بعد ان شاد له هذا الهيكل الضخم العملاق فى محاضرته ــ ان الجانب الفنى فى الاسلام يمكن ان نميز فيه بين عدة أشياء أولا حينما ننظر الى الفن الاسلامى يمكن ان نرى انه يجمع مابين التحديد والانطلاق فى نفس الوقت هذه الخطوط المنطلقة التى يمكن ان نراها فى حياة البادية ، من طرق القوافل ومن مسار الناس فيها ••• ونفس الحدود التى يمكن ان نراها فى البيئات الزراعية الذى عاش فيه الاسلام فى صدره • كان مزيجا بين بيئات زراعية وبين بيئات رعوية فاخذ من طبيعة هذه البيئة ومن تلك تحديدا وانطلاقا فى نفس الوقت . واتضح هذا اكثر مااتضح حتى فى حياتنا هنا المصرية ، فالفن المصرى تجد فيه ذلك التحديد وذلك الانطلاق انعكاسا واضحا لبيئتنا اذا مانظرت الى الشرق والغرب وجدت تحديدا من الصحراء واذا نظرت من الشمال والجنوب وجدت انطلاقا نحو البحر وانطلاقا نحو منابع النيل • فهنا تحديد وانطلاق ومزاوجة بين المحدود والمطلق •• هذه ناحية •• ناحية ثانية نجدها فى الفن الاسلامى أنه لا يهدر كرامة الفرد ولا يهدر حق الجماعة • من النقوش الكبيرة فى الاسلام اذا مانظرت الى الجزء الصغير فيها وجدت له ذاتيته ووجوده . وحدوده . ولكنه فى نفس الوقت يمكن ان يكون جزءا من كل كبير • الموزايكو الذى يوجد فى ارضية المساجد •• الزخارف الموجودة على الحوائط • الجزء الصغير فيها جميل وله ذاتيته والجزء الكبير فيها جميل وله ذاتيته • والاسلام كما يحترم الجماعة يحترم الفرد •• ويوجد هذا التناسق فى مجتمعنا الحى بين الفرد والجماعة كما يوجد فى الفن بين الجزء الصغير والجزء الكبير • على هذا لو نظرنا الى احترام الاسلام للفرد سنجده من القرآن الكريم واحترامه للجماعة سنجده من القرآن الكريم • وسنرى هذا التعبير الفنى منطلقا صادقا واضحا من اصول الفكر الاسلامى . صفوة ما اود ان اقول اننا كما أرجعنا هذا كله الى ابن خلدون والى كثير من العلماء نستطيع ان نزيد على ذلك خطوة أخرى بأن نربط هذا الفكر بمنابعه الاولى من القرآن والسنة • وفى نفس الوقت القرآن يدعونا بان نطلب العلم من كل عصر ولا نقصر نفسنا على بيئة واحدة من البيئات ويعتبر طلب العلم فريضة ويعتبره واجبا من الميلاد الى الوفاة هذه هى مكانة العلم فى الاسلام وأشكر لكم ان اتحتم لى هذه الفرصة لكى اكرر شكرى لكم وحسن استماعكم • وارجو أن اجد عندكم من الاجوبة ما نسعد به جميعا مستمعين اليكم .

الدكتورة بنت الشاطيء

أبدأ بالسلام، تحية الاسلام ٠ واحترم فى الاستاذ المحاضر سماحته وسعة أفقه، وتحرره من عقدتين :

عقدة التعصب الحاقد، التى تعطل التفكير الحر وتجور على منهج الدراسة والبحث ٠ وعقدة التفوق التى تسيطر على كثير من مفكرى الغرب، فتحجب عنهم الافق الانسانى الرحب، وتحصر رؤيتهم الفكرية فى زوايا ضيقة حادة، تشوبها ظلال من خطأ الفهم وقصور الادراك وقصر النظر وعقم التفكير ٠

ومحاضرة الاستاذ جارودى، قدمته الينا مفكرا حرا، يرى المحتوى الشامل للثقافة، ويدرك ان الحضارة الانسانية بناء متكامل، شاركت فيه الشعوب على امتداد الزمان والمكان، ويمد نظرته الثاقبة على مسار التاريخ الذى عرف منشأ الحضارات الاولى فى شرقنا العريق، وشهد عطاء الحضارة الاسلامية التى أضاءت للغرب ظلمات عصوره الوسطى ٠

وبروح التسامح والفهم، اعلق على بعض ما قدم الاستاذ فى محاضرته القيمة :

لقد تحدث باعجاب وتقدير، عن عطاء حضارتنا، فذكرها حينا باسم الحضارة الاسلامية وذكرها أحيانا باسم الحضارة الاسلامية ٠

وأعلم أن أكثر المفكرين والدارسين المعاصرين، شرقيين وغربيين، يتشابه عليهم الامر فى هذه الحضارة فيستوى عندهم أن تكون عربية وأن تكون اسلامية ٠

أود أن أقرر هنا انها ليست الا حضارة اسلامية، وما عرفها التاريخ الا حضارة اسلامية : فالعرب انفسهم لم يبدأوا دورهم الحضارى الا بعد الاسلام ٠ وقد خرجوا من الجزيرة العربية فى حركة الفتوح الكبرى تحت لواء الاسلام ٠ واظل هذا اللواء شعوب الدولة الاسلامية الكبرى من أقصى المشرق الى أقصى المغرب، فشاركوا جميعا فى صنع الحضارة التى كان لها الدور القيادى فى العصر الوسيط ٠ وكان لشعوب المنطقة ميراثها الحضارى العريق، تعطل فى مصر والشام والعراق والمغرب نحو ألف عام وحجبته عصور الضعف تحت وطأة الاستعمار الفارسى واليونانى والرومانى ٠ ثم لما دخلت فى الاسلام تعربت، واستردت حيويتها وطاقتها على الابداع، وتآزرت جميعا على صنع الحضارة الاسلامية ٠

ولفتنى كذلك، أن الاستاذ جارودى فى حديثه عن المفكر الاسلامى الكبير « ابن خلدون » بدا كمن يرى أن ابن خلدون ظاهرة فذة فى الفكر الاسلامى ٠ وذكرنى هذا الحديث بما قرأت لعدد من كتاب فرنسا والغرب، تصوروا أن عالمنا الكبير فلتة من فلتات الزمان، ندر أن يجود بمثلها الشرق الاسلامى ٠

اود أن أقول أننا لا نؤمن بالمباغتات والفلتات وقد تعلمنا فى مدرستنا الاسلامية أن ما يبدو من قبيل المفاجات، تحكمه فى الواقع سنن حتمية مقررة نرفض الاعتراف بحصاد دون بذر، أو ثمرة بغير جذور، أو ظاهرة بغير علة وسبب ٠

ولا احد فى تصورنا يبدأ من نقطة الصفر، ولا أحد كذلك يغلق الباب من بعده ويصل بالفكر أو العلم الى آخر الطريق ٠ وانما تتتابع خطوات العلماء على درب المعرفة، كل رائد مرحلة يبدأ من حيث انتهت خطوات سابقيه ٠ ويظل الباب مفتوحا أبدا لجديد من اضافات الخلف، ويظل الطريق ممتدا أبدا، لخطوات الرواد جيلا بعد جيل ٠

وابن خلدون، ثمرة جهود سلفت، وحصاد اجيال سبقت، وخطوة جديدة ورائدة، بدأت من حيث انتهى السلف من أعلام المسلمين الذين كان « القرآن الكريم » كتابهم الاول، ومنطلقهم الى آفاق العلم والمعرفة ٠ وفى مدرسة القرآن تأصلت علوم الفقه واللغة والاصول والمنطق، ثم كانت مدرسة الحديث هى التى أصلت المنهج النقلى ووضعت له من ادق الضوابط فى التوثيق والتحقيق والنقد، ما لا أعرف له مثيلا فى أحدث ما قرأت فى اللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية، من مناهج البحث النظرى للدراسات التاريخية والانسانية ٠

وقد تلقى ابن خلدون هذا المنهج النقلى الذى أصله علماء الحديث، كما تلقى معه رصيد السلف من ائمة الفقه وعلماء الاصول واللغة والمنطق والفلسفة، فانطلق فى خطوته الرائدة، من حيث انتهت اليه كل تلك الجهود المتتابعة لاجيال الدارسين والعلماء الذين حررهم الاسلام عقليا وفكريا، وأعفاهم من عقدة العداوة بين الدين والعلم، ومجد العقل وجعله من جوهر انسانية الانسان، اذا تعطل أو جمد، مسخت بشرية الانسان وهبطت الى دونية الدواب العجماء ٠

وبعد فان الاستاذ المحاضر يشارك فى الفكر التقدمى المعاصر • فليسمح لى أن أشير الى وجهة نظر لنا نحن المفكرين الاسلاميين :

ان كل المذاهب المعاصرة ، او المستقبلة بعد عصر القمر ، اذا لم توجه الى تحرير الانسان وخير البشرية فلا جدوى منها. وكتاب ديننا المصدق لما سبقه من اديان ، قد حرر الانسان وجعل حقوق انسانيته تكليفا ومسئولية وفريضة واجبة لا يحل التفريط فيها أو التنازل عنها • لقد أبطل الرق فلا نعبد الا خالقنا وحده ، وحرر العقيدة فلا اكراه فى الدين ، وليس على الرسول الا البلاغ ، وحرر الرأى فألزمنا بمسئولية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأبطل التفرقة بين الناس فهم جميعا سواء خلقوا من نفس واحدة ، ولا يتفاضلون بجنس أو لون أو عنصر أو طبقة ، وانما يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح •

ونرى الانسانية فى عصرنا ، تسام العبودية وتهتهن بالقرصنة الاستعمارية ، وتنتهك حرماتها بالتفرقة العنصرية والاضطهاد الدينى والاكراه المذهبى • فمتى نلتقى نحن بنى الانسان ، على مثل ما كفله لنا ختام الاديان من قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ؟

واختم بالسلام ، تحية الاسلام •

رد الاستاذ جارودى :

اود أولا أن أشكر السيد لبيب شقير والسيد مدير جامعة الازهر على كلمتيهما • وأرجو أن تسمحوا لى بأن ابدأ بالاجابة على السيد مدير جامعة الازهر • أولا لكى أشكره على الاضافة التى قدمها والتى تبدو لى فى الواقع ضرورية وذلك بشأن ثلاث نقاط . الاولى بالنسبة لطرق واشكال تغلغل التأثير العربى فى أوروبا . وهنا أود أن اقول أننى قد تعمدت الاقتصار على ما هو محتوى هذا التأثير وذلك — من ناحية — لانى لست مؤرخا ، ومن ناحية أخرى لاننى لم أكن استطيع أن أطيل هذا الاجتماع الى ما لانهاية ، فتركت جانبا مسألة الطرق التى وصل بها هذا التأثير • وهذا هو السبب الذى يبدو لى من أجله مفيدا أن يقوم الدكتور بدوى عبد اللطيف باضافته وبشكل خاص أهمية الدور الذى لعبته صقلية كطريق لتغلغل التأثير العربى فى أوروبا خاصة وان الاهمية التى اضفيتها على اقتباس أخذته عن بلاسكو ايبانيز قد توحى بأن أسبانيا كانت هى الطريق الوحيد لهذا التغلغل •

وفيما يتعلق بالحروب الصليبية فانى اعتقد أيضا انها لم تكن بالتأكيد — بحكم كونها حملة عسكرية — الطريق الرئيسى لتغلغل التأثير العربى الى الغرب • ورغم هذا فانه بعد الحروب الصليبية — وبالتحديد لان رجال الحروب الصليبية فى الغرب قد التقوا بمدنية أرقى من مدنيتهم من حيث علاقاتها الاجتماعية والسياسية — بعد هذه الحروب الصليبية نشهد دخول بعض اشكال هذا التنظيم السياسى الى أوروبا • ويتضح هذا بشكل خاص من واقعة أن ظهور الكوميونات الاولى فى الغرب ، •• الشكل الاول للتنظيم الكوميونى الذى يشبه كثيرا أشكال التنظيم التى كانت قائمة فى المدن التجارية للعرب ، انما حدث فى نهاية القرن الحادى عشر وبداية القرن الثانى عشر • وعلى أى حال فان المنتصرين قد جلبوا معهم الى الغرب أشكال تنظيم أرقى ، وتلك حالة خاصة — سنعود اليها بعد قليل — توضح انه حتى اذا تدخلت القوة العسكرية فان من يمتلك شكل مدنية أرقى هو الذى سينتهى بالتأثير . بحيث أن تأثير الاسلام قد انتقل حتى عبر هذا الشكل العسكرى مولدا فى الغرب أشكال تنظيم سياسى لم يكن يعرفها . وأود أن أقول أن هذا فى الوقت الحالى مجرد فرض • ورغم أنى لم أجد أثرا لمثل هذا البحث الا انه ربما كان موجودا • بيد أنه فيما يتعلق بنشأة الشكل السياسى للكوميون فى أوربا من المرجح أن العرب كانوا هم المبشرين به ، فاذا ما حكمنا بالتاريخ الذى طبق فيه هذا الشكل فانه يبدو لى أن هذا الشكل قد دخل الى الغرب عبر الحملات الصليبية ، لا عبر الشكل العسكرى فحسب بل كذلك مع الروابط التجارية التى أدخلها الصراع العسكرى بطريقة سيئة وكذلك عن طريق العلاقات التجارية والعلاقات الفكرية التى تطورت بعد ذلك •

أما النقطة الثانية التى تعرض لها الاستاذ فهى مسألة الاسلام وامتزاج الحضارات وأنا سعيد لانه تعرض لها لان ذلك يتيح لى فرصة ربما لا أكون قد ابرزتها فى عرضى اذ لا أذكر انه قد خطر لى أن أعبر عن فكرة أن الاسلام مجرد تنسيق أو خليط بين المدنية والدين • وأنا بالطبع

لا أشارك الأستاذ وجهة نظره فيما يتعلق بالمغزى الديني الخالص للاسلام ، فهنا يجب أن أعترف بأنني شخصيا ملحد ، وأنني حين ادرس الاسلام ــ وسأعود الى التعرض لهذا الموضوع بالتفصيل غدا ــ فانما لكي أدرس ما أسميه ــ اشعاعه الانساني ، وأثره على التقدم الانساني الخالص • ويبدو لي هذا التأثير كبيرا • فحتى كملحد يبدو لي أن ثمة اثراء كبيرا للانسانية الغربية خلال تأثير الدين الاسلامي • وقد كان أحد اهتماماتي الاساسية طيلة حياتي أن أحاول أن أوضح كيف تستطيع الماركسية أن تدمج انجازات الدين المسيحي وبالتالي فان عدم وضع الواقع الديني في الاعتبار ، يعد افقارا للماركسية •

واعتقد كذلك ــ كماركسي هذه المرة وليس كملحد فحسب ــ أن الماركسية ستشوه اذا كانت الانجازات الروحية للاديان الكبرى بعيدة عنها ، سواء كانت انجازات اليهودية أو المسيحية او الاسلام ، أو الاديان الكبرى في آسيا • لانني أعتقد أنها اساس في توسيع افقنا الانساني • غير أنه يجب أن اقرر بأنني اتعرض لهذه المسائل من زاوية اثرائها للانسان وبالتالي فانا لا استطيع من جانبي أقرار هذا التمييز ــ الذي أفهم صدوره عنكم لكنني لا استطيع ان أشاركم فيه ــ حين تقولون أن الاسلام من عمل الله أما الاديان الاخرى فمن عمل البشر • فانا من جانبي انظر فقط ــ دون أن أحكم على مصدر كل من هذه الاديان ــ الى ما اضفته من جديد على الشكل الانساني • والامر الهام بالنسبة لي هو أن أفي الدين الإسلامي حقه على أضافته الانسانية •

ومشكلة دور الدين هي بالتجديد التي أعتقد أنني تناولتهــا من زاويتين مختلفتين • أولا بالنسبة للتأثير الفني للاسلام حيث يبدو لي أنني قد ابرزت بوضوح أنه من المستحيل أن نفهم المغزى العميق لفن البلاد العربية ، وأن نفهم بعمق اسباب تأثيره من ناحية على القرن الثاني عشر ومن ناحية أخرى على العصر الحاضر اذا لم نربط هذا الفن بمصدره الاول أي بنوع معين من العقيدة الدينية • وتلك في اعتقادي هي الفكرة الاساسية في حديث الاستاذ عــن الفنون • وأقول نفس الشيء تقريبا فيما يتعلق بالعلوم الانسانية ، وبخاصة في ظل ديــن كالاسلام لا ينفصل فيه النشاط السماوي عن النشاط الواقعي تلك الثنائية التي ميزت اديانا أخرى وبخاصة المسيحية في فترات مختلفة من تاريخها •

واعتقد أننا حين نتحدث عن مســاهمة الاسلام ، والمدنية والحضارة العربية في العلوم الانسانية ، فلا يمكن أن نفصل هذه المساهمة عن الاصول السابقة للعلوم الانسانية والتي كانت موجودة في البلاد العربية • ويبدو لي هذا واضحا بشكل خاص عند الحديث عن ابن خلدون •

وأخيرا أحب أن أبدي ملاحظة ثالثة ، فاذا كنت اليوم اتعرض بشكل خاص لجــوانب الاضافات العلمية ، في مجال العلوم الطبيعية ، وفي مجال العلوم الانسانية والفنية ثم احياء تركة الماضي • فانني سأتعرض غدا بشكل خاص للجانب الديني لهذا التأثير على انسانية عصرنا وعلى الاشتراكية بشكل خاص • لكنني أحب أن أشكر الدكتور بدوي على هذه العناصر المكملة وهذا الاثراء للجلسة الذي حبانا به وأني أقدم له شكري العميق •

أما فيما يتعلق بالمسائل التي أثارها السيد الدكتور لبيب شقير فأعتقد أن سؤاله الثاني يحوي عناصر الاجابة على السؤال الاول • وأحب أن أذكر هذه الاسئلة • انه يسألنا هذا السؤال الذي صاغه بطريقة بالغة الدقة : هل هناك قانون أو قوانين علمية تفسر تأثير مدنية على أخرى • أما السؤال الثاني فرغم أنه صيغ على شكل سؤال فانه فيما يبدو لي يحمل أجابة حين يقول : فهل كانت هذه الانجازات وهذا الابداع ممكنا دون تحرر اجتماعي يحدد ظروف التطور العلمي والفني •

حسنا •• ينبغي أن أرد بالايجاب علــى السؤال الثاني وبنفس الرد على الســؤال الاول • وأعتقد أنه اذا كان هناك قــانون تاريخي ــ وأنا أعتقد بأن هناك مثل هــذا القانون ــ يسمح بفهم تأثير مدنية على أخرى فهذا القانون بالتقريب هو : أن هذه المدنية ، وهذا التأثير ــ لا يمارس أبدا عبر قــوة عسكرية • فالقوة العسكرية قد تدمر مدنية ما مؤقتا ، والمثل على ذلك هو الفتح الاسباني والبرتغالي الذي قضى عمليا على مدنيات أمريكا اللاتينية لتحل محلها مدنية أخرى • وكانت هذه المدنيات مزدهرة للغاية • فهنا كانت قوة السلاح

فحسب ، وامتلاك الخيول والاسلحة النارية هي التي دمرت بطريقة حربية أفضل الانجازات الفنية بل الانسانية لحضارات الانكا والمايا وغيرها من المدنيات من هذا النوع • فهذا أمر يمكن أن يحدث اذن • لكن التأثير في هذه الحالة سلبي تماما • فقوة السلاح يمكن أن تدمر مدنية لكنها لا يمكن أن تفرض مدنية • وفي رأيي أنه حين تتدخل القوة المسلحة فان أحد موقفين يمكن أن ينشأ : فأما أن تستطيع – مؤقتا – فرض سيطرتها دون أن تسهم بجديد اذا كانت القوة المسلحة في يد المدنية الاضعف ، المدنية الاقل تطورا • فلا يمكن للقوة المسلحة أن تفرض المدنية الارقى الا مؤقتا • أو قد تحدث حالة أخرى وهي الحالة الاكثر عمومية • وسنعطي لذلك مثالا حين تكون مدنية ما أقل تقدما من مدنية أخرى تملك رغم ذلك مؤقتا ولاي سبب كان قوة عسكرية أكبر فان المدنية الاكثر تخلفا ستذوب في الاخرى ، وقد حدث هذا مثلا حين غزا الرومان بلاد الاغريق • فقد كان الرومان أقوى عسكريا لكن الامبراطورية الرومانية هي التي اكتسبت الصبغة الاغريقية ولم تكن اليونان هي التي اكتسبت الصبغة الرومانية • وهذا يعني انه رغم الهزيمة العسكرية فقد كان ثمة تأثير كبير للاغريق على قاهريهم •ان اليونان هي التي قهرتهم عمليا – من وجهة نظر المدنية – رغم أنهم هزموها عسكريا •

أو قد يحدث أن يكون تفوق العلاقات الاجتماعية ، تفوق المدنية ، هو الذي يضفي القوة العسكرية على المدنية • وأخذ مثلا على ذلك الثورة الفرنسية في ١٨٨٩ ، فاذا كانت قد نجحت في الانتشار في كل أوروبا فلم يكن هذا فحسب عن طريق القوة العسكرية أو بالاحرى ان هذه القوة العسكرية لم تكن سوى تعبير عن تفوق العلاقات الاجتماعية • ومن الامور ذات الدلالة مثلا أن جيش بروسيا في ذلك العصر كان جيشا أفضل تنظيما من جيوش الثورة الفرنسية ومع ذلك فقد هزمته هذه الجيوش • لماذا ؟ ليس فقط لان الانظمة الاقطاعية كان تجد في قلبها هي أعداء لها ، بل لان جيوش الثورة الفرنسية كانت تستقبل بترحيب في البلاد التي كانت تدخلها على الاقل في البداية • وأنا لا اتحدث عن فترة حروب نابليون ، الفترة التي دمر فيها – أو التي بدأ فيها يدمر الامم من اسبانيا حتى روسيا • الا انه في المرحلة الاولى من الثورة الفرنسية رحبت بها أكبر الاذهان • وحيا رجال من أمثال جوته وكانط وهيجل انتصار الجيوش الفرنسية • وكان هيجل هو الذي قال حتى بصدد نابليون « رأيت العقل ممتطيا حصانا » وبمعنى آخر أن القوة العسكرية هنا لم تكن سوى تعبير عن تفوق المدنية .

واعتقد أن الوضع كان كذلك بالنسبة للفتح العربي ، فقد كانت القوة العسكرية لهذا الفتح نتيجة لتفوق علاقاته الاجتماعية ، اذ لايمكن أن نفهم كيف استطاع أربعون الف عربي في بضعة شهور أن يستولوا على أسبانيا التي كان يسكنها في ذلك العصر عشرة ملايين نسمة • واذا كان الاربعون ألف فارس قد استطاعوا ذلك لانهم لقوا استقبالا يمكن تفسيره بتفوق الاشكال الاجتماعية لديهم •

ومن هنا فمن رأيي أن الشيء الاساسي هنا ، ومصدر التأثير ، ليس هو القوة العسكرية • ولا حتى الثروة الاقتصادية ، وانما هو تفوق العلاقات الاجتماعية . ففي المجتمعات القديمة العبودية والاقطاعية وجد الفتح العربي الذي يمثل مدنية تجارية ترحيبا تلقائيا ، لم يكن يتطلب منه غزوا عسكريا وتدميرا واسعا ، بل كان في وسع بضع فصائل أن تفرض نفسها • وفي كتب التاريخ المدرسية لدينا ، تعرض موقعة بواتييه وكأن الفاتحين العرب قد ردهم شارل مارتل • وليس هذا صحيحا على الاطلاق ، فلم يكن الامر أكثر من وحدة كوماندوس صغيرة بقيادة عبد الرحمن توجهت للاغارة على احدى الكنائس واصطدمت عند عودتها بجيش كبير أكثر منها قوة • ومن هنا فلم يكن ردا أو ايقافا بواسطة فرسان كانوا في ذلك العصر عاجزين عن ايقاف غزو كبير لو أنه حدث •

وعلى هذا فلو سألتموني ما هي في الاساس النظرية التي تحكم هذا الامر لاجبت بأن هذه النظرية هي أن المدنية التي تمارس تأثيرها على المدنية الاخرى ليس هي في المقام الاول تلك التي تمتلك القوة العسكرية ، ولا تلك التي تمتلك الثروة وانما أساسا تلك التي لديها علاقات اجتماعية أرقى من الاخرى •• علاقات اجتماعية أرقى تنبع منها اشكال التفوق الاخرى ، في المعرفة ، وفي الفنون بل أستطيع أن أقول التفوق الروحي • وليس الامر هنا – وأعتذر للسيد مدير الجامعة – مسألة دينية وانما يبدو لي ان الاسلام كان يمثل بلا نزاع – في عصر الفتوحات – المنبع الروحي الاكبر والتعبير عن المدنية الاكثر تقدما • وهذا هو السبب في أن العلاقات الاجتماعية الجديدة لم تكن هي وحدها التي استقبلت بترحيب بل كذلك الدين نفسه ، وشهد ذلك العصر تحول عدد كبير الى الدين الجديد •

وأود بعد ذلك أن انتقل الى السؤال الاخير الذى طرحتموه على : فماذا اذن سد الطريق ؟ لقد شرحنا أسباب الصعود ، والفترة الصاعدة من المدنية العربية فكيف اذن أمكن ايقاف هذه المدنية فى تطورها ؟ وأنتم تسألون ، هل كان هذا لاسباب ترجع الى طبيعتها الداخلية أم لاسباب خارجية . وأعتقد أن دور القوى الخارجية هنا كان كبيرا للغاية . وربما حدثت هنا ظاهرة تشبه تلك التى تحدثنا عنها لتونا فيما يتعلق بامريكا اللاتينية . واعتقد من هذه الزاوية ان الغزو التركى كان عنصرا استطاعت فيه القوة المسلحة لفترة من الوقت أن تفرض اشكالا أجتماعية أدنى من الاشكال القائمة بحيث أنه حدث منذ اللحظة الاولى أن أوقفت ردة اجتماعية تطور هذه المدنية العربية . ويبدو لى وآسف لاننى لست مؤرخا ولست من باب أولى متخصصا فى هذه الفترة ـ كان شكلا فعليا من أشكال الاستعمار . وعندما أضيف الى هذا الاستعمار ، الاستعمار الاوربى بعده بقرنين ، ظهر سبب آخر للركود . فقد كان الشاغل الاساسى للمستعمر هو ان يقوض ثقة الشعوب المستعمرة فى نفسها . لقد سعى جاهدا ليدمر اعتزاز الشعوب بماضيها ، وحاول أن ينكر العظمة لا على دينها فحسب بل كذلك على الاشكال الاجتماعية التى كانت لديها . وقد ذكرت لتوى كم أراد أن ينكر الاسهام العلمى والنصيب الفنى للمدنية العربية . لقد كانت هناك اذن عقبة مزدوجة اولا بواسطة المستعمرين الاتراك ثم عن طريق الاستعمار الغربى .

وليس من قبيل الصدفة أنه عندما بدأت الامبراطوريات تهتز ، عندما بدأت حركات التحرر الوطنى تشتعل فقد بحثت فى مصادرها العميقة ووجدت موردا لها فى ثقافتها ، وفى ماضيها ، وفى مدنيتها ، وفى دينها . وسنوضح غدا كيف لعب الاسلام فى هذا المجال دورا كثيرا ما كان ـ من وجهة نظرى ـ ايجابيا للغاية فى وعى البلاد العربية المستعمرة بشخصيتها ، وشكل عنصرا معارضا للاستعمار . ويبدو لى هذا ـ مما أعرفه عن الجزائر على الاقل ـ أمرا واضحا للغاية . وهكذا فاننا نرى هنا ظروف انبعاث لهذه المدنية ولهذه الحضارة يمكنها ـ فى ظروف تجسدها الجديدة ـ أن تعيد ازدهار علومها وثقافتها وكذلك مؤسساتها الاجتماعية النابعة منها . وعلى أى حال فان ما يبدو لى واضحا هو أنه منذ الان ـ وهذا ما سنعرضه بوضوح أكبر غدا ـ لن يستطيع الغرب أن يستمر على زعمه بأنه خالق القيم الوحيد ، والمصدر الوحيد للمبادرة التاريخية .

الدكتور كامل حسين

أعجبنى حقا اتساع المحاضرة ودقتها ، ولست بمستطيع على الاطلاق الحديث عن تطور النزعة الانسانية . لكننى استطيع على الاقل الحديث عن تطور العلوم الوضعية عند العرب . ودائما كان يقال لنا أن العرب لم يفعلوا أكثر من نسخ العلوم الاغريقية . لكن هذا اللوم ينبغى أن يختفى الان بعد أن عرفنا عن العلوم العربية أكثر مما كان يعرف مؤرخو الايام الخالية . فقد كان المؤرخون يقولون عن الطب العربى انه كان تقليدا .. لقد كانوا مؤرخين لا اطباء . أما نحن فقد بدأنا دراسة انسكلوبيديا ابن رشد ووجدنا أنه يتبع جالينوس ويقتبس عن جالينوس . لكن هذا لم يكن الا بالنسبة للمبادىء . فلم يكن بوسعه أن يرى أن المبادىء ليست كافية . تماما كما نفعل الان بالنسبة للطب أو العلم الوضعى وبشكل خاص الكيمياء . لكن ثمة لحظة سيقول فيها الناس : يالرجال القرن العشرين هؤلاء الذين لم يكونوا يعرفون سوى الكيمياء ! ان هناك النظم الالكترونية التى يمكن أن تفسر الامور بطريقة أفضل بكثير من الكيمياء ! لكننا لا نستطيع أن نتخطى اطار الكيمياء ، فهذا هو الوضع الذى نوجد فيه الان . وبعبارة أخرى أن هناك تطورا طبيعيا للعلوم الوضعية . وقد تساءل الدكتور شقير عما اذا كانت هناك قوانين . ولست واثقا من أن هناك مثل هذه القوانين بالنسبة للعلوم الانسانية ، وللمدنية بشكل عام ، لكننى على ثقة من أن هناك قوانين لتطور العلوم الوضعية . فهى تبدأ دائما بالممارسة العملية ـ كما حدث فى الطب الذى بدأ عند قدماء المصريين ـ حتى تلك اللحظة التى يشك فيها البعض فى أن هناك حدودا ، فى أن هذه الممارسة العملية لا تستطيع أن تمضى الى أبعد من ذلك . وعندئذ ينبغى أن يحدث تغييرا . ان هناك تطورا منتظما ، لكن هناك أيضا وثبات .

وهكذا جاء الاغريق بمذهبهم عن العلوم ، عن التجارب المنظمة . وهكذا فعندما جاء العرب لم يكن هذا المذهب عن التجربة يفسر كل شىء ، ولم يكن فى وسع العرب الا أن يأخذوا المبادىء العامة للطب الاغريقى ، الا انه كانت لديهم التفاصيل . لقد درسنا انسكلوبيديا ابن رشد ، ووجدنا أشياء

غير عادية • فهو مثلا يقتبس عن جالينوس حرفيا تقريبا عند حديثه عن الصرع وهذا مرض لم يكن معروفا وليس سره معروفا حتى اليوم • ومن هنا كان من الامانة بحيث لا يقترح تفسيرا جديدا • وهو يقتبس عن جالينوس لان هذا هو التفسير الامين الوحيد الذى يستطيع أن يقدمه . ولكن حين كان الامر يتعلق بامراض الكلى او بأمراض العيون أو باشياء من هذا القبيل فقد كان يسترد حريته . لقد كان طبيبا، وحتى المبادىء الاغريقية كانت بالنسبة له ضيقة • ونحن نشعر أنه كان يحس بضيق، بهذه الحدود الاغريقية للمبادىء العامة. ومن حيث انى على ثقة من أن تطور العلوم الوضعية يتبع قاعدة ، أو قانونا من القوانين العامة التي لا يمكن تخطيها • فلابد أن نصل الى حالة أو مرحلة عن تطور الفكر الانسانى عموما ، لكى يخرج عن هذه المذاهب ، هذه التجارب المنظمة الاغريقية أو الاغريقية ـ العربية ليصل الى مرحلة التجريب • ولا يمكن السير هنا بسرعة أكبر مما يجب،فلتطور العلم قوانينه . كما تساءل الدكتور لبيب شقير • فهناك قوانين •ونحن على ثقة بذلك حين يتعلق الامر بالعلوم الوضعية • أما عن العلوم الانسانية فلست على نفس القدر من الثقة • فربما كانت هناك قوانين ، لكنها بالتأكيد أكثر تعقيدا من قوانين تطور العلوم الوضعية •

فأما عن توقف المدنية العربية فان من الواضح أن هناك اسبابا كثيرة لذلك • لكن العلوم الوضعية قد توقفت لان المذاهب التى كانت تعمل على أساسها قد انتهت • لكننا نرى فى هذه اللحظة عدم كفاية هذه المذاهب وأنه يجب الخروج عنها للوصول الى التجريب • أى أن العرب لم يكونوا يستطيعون أن يخرجوا عن اطار المذاهب الاغريقية قبل أن تصل البشرية بأسرها الى امكانية التجـريب • ان القوانين حتمية ، والحركة الفكرية ينبغى أن ينظر اليها باعتبارها حركة انسانية عامة وصلت أولا الى قدامى المصريين ثم الى الاغريق ثم الى العرب ثم الى التجريب • وبهذه الطريقة يمكننا أن نرى وأن نتصور تطور العلوم الوضعية بطريقة شاملة ، بطريقة أوضح ، للعرب فيها مكانهم ، وللاغريق مكانهم ، وللغرب مكانه •• وشكرا •

رد الاستاذ جارودى :

كنت أقول لصديقنا اننى لا اريد أن آخذ الكلمة لان الثلاثة الذين تحدثوا ـ وأنا أكرر شكرى لهم ـ قد منحونى عناصر لتحسين النص الذى عرضته منذ قليل وأود من جانبى أن أوجز ما استخلصته من المناقشة . وعلى أى حال ففيما يتعلق بالعلم فاننى أشكر الدكتور عبد العزيز كامل على أنه ذكر ما يمكن اعتباره فى الاساس الخيط الرئيسى الذى يتيح تجميع التفاصيل التى استطعت تقديمها • وقد لفت نظرى بشكل خاص ـ واسمح لنفسى أن أضيف أن على أن أتحدث ثانية عن هذه المشكلة فى فرصة أخرى ـ تلك الفكرة القرآنية التى حدثنا عنها الدكتور من أن دراسة العلم واجب • ان هذه الفكرة ذات الروح النقدية • هذه الفكرة عن مذهب عضوى للمعرفة وليس مجرد تجميع ، وأخيرا هذه الفكرة التى تقف ضد كل ثنائية بين العبادة والنشاط الاقتصادى والاجتماعى للانسان ، انها مذهب يعطى الانسان المسئولية الكاملة عن تاريخه • وعلى هذا فانى اشكركم على أن سمحتم لى باضافة هذه الفكرة التى ستكون مقدمة أو ختاما للموضوع بأسره .

وأود أن أبدى نفس الملاحظات وأقدم الشكر للدكتور كامل حسين الذى نقل الينا تجربته كطبيب وكمؤرخ للطب . وينبغى أن اقول هنا أيضا أن الفكرة التى عرضها منذ قليل عن أنه لا يمكن تطوير علم داخل مذهب واحد ، وان المذهب لابد أن يتمزق بفعل التجريب ، فهذه فى الحقيقة احدى النقاط الاســاسية التى ينبغى اضافتها .

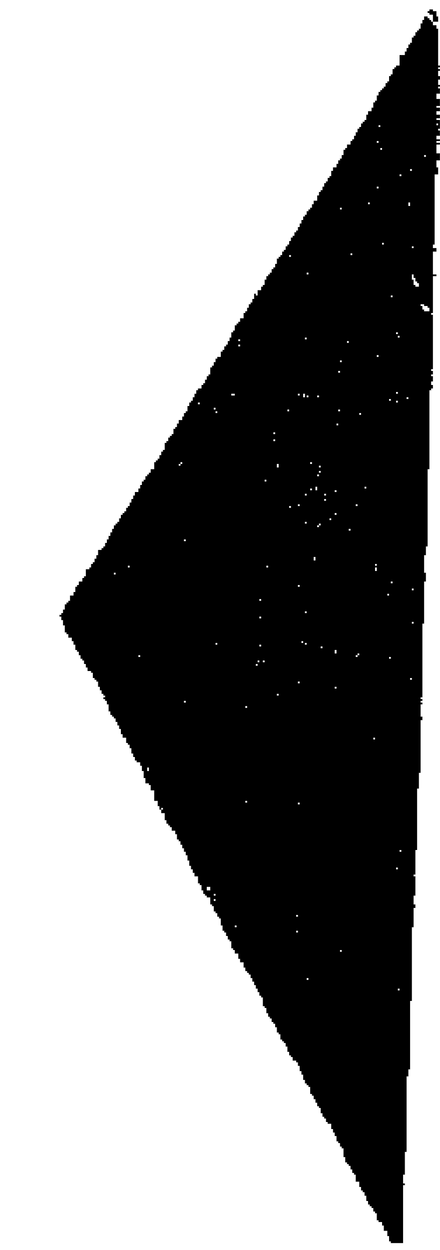
وأخيرا أود أن أشكر كذلك السيدة عائشة عبد الرحمن ، لانها عرضت على الاقل فكرة لفتت نظرى • لقد قالت فى حديثها : اننا بحكم عقليتنا الاسلامية نعتبر أن احدا لايبــدأ من الصفر ، وأن احدا لا يمكن أن يضع نقطة النهاية • وعلى هذا أود أن أضيف ما يلى : وهى أنه اذا لم يكن أحد يبدأ من الصفر، واذا لم تكن هناك نقطة نهائية فمن وجهة نظرى ـ وهى ليست وجهة نظر مؤمن ـ ينبغى أن أقول انه يبدو لى من هذه الزاوية أن الاسلام والقرآن والحديث هو أحد لحظات هذا التطور • ولكن على أساس المبدأ الذى حددتموه للعقليــة

الاسلامية يبدو لى أنه لم يكن يمكن أن تبدأ من الصفر ، وانها لم يكن يمكن كذلك أن تضع نقطة النهاية .

الدكتور لبيب شقير :

أيها الاصدقاء : قبل أن ننتهى اعتقد ان هناك فكرة ينبغى أن نضيفها الى كل ماقيل . هذه الفكرة قد ترددت فى كل المناقشات وهى تستحق أن تصاغ بوضوح بالغ . وهى فكرة التمييز بين الدين كمذهب جاء من عند الله عند المؤمن وبين المدنية. وهكذا فبالنسبة لنا — نحن المسلمين — فان الدين القائم على القرآن قد جاء من عند الله . وفى القرآن والدين التزامات أخلاقية والتزامات دينية . وهذه الالتزامات فى ديننا من أكثر الالتزامات ملاءمة وتشجيعا لبناء مدنية علمية . وكل ما قاله الدكتور عبد العزيز كامل والدكتور كامل حسين والدكتورة بنت الشاطىء يشير الى هذه الزاوية . فاذا ماتركنا هذا فهناك المدنية ، والمدنية يمكن أن تقوم أولا على قيم دينية ، ولكن الى جوار هذه القيم الدينية توجد عوامل أخرى .. فهناك الحياة ، والاقتصاد ، وانجازات العلم القادمة من أمم أخرى أو دول أخرى . وفى هذا المجال نستطيع أن نقول أن المدنية الاسلامية قد استطاعت أن تثرى بالمنجزات القادمة من الهندو من الصين ومن كثير من الامم الاخرى ، لان المدنية الاسلامية قد امتصت وتمثلت بطريقة أصيلة كل المدنيات الاخرى التى لا تتعارض عناصرها مع القيم الدينية الاسلامية . وتلك هى النقطة التى أود أن أنهى بها المحاضرة. وأعتقد ان السيد جارودى يتفق معى فيها . لان هذه النقطة هى التى طغت فى كل المناقشات التى دارت حتى الان .

وفى الختام أود أن أشكر الاهرام والطليعة على أن اتاحا لنا هذه الفرصة الجميلة المثمرة التى أتيحت لنا الليلة بهذا العرض بالغ العمق وبالغ الوضوح ، وبأن نتابع كذلك هذه المناقشات والاسهامات التى قدمها زملاؤنا . وأود اشكر السيد جارودى على الجهد الذى بذله فى العرض الخصب والواضح والعميق الذى قدمه لنا هذه الليلة .. وشكرا .



المحاضرة الثانية

الاشتراكية والاسلام

● القيت المحاضرة بقاعة المحاضرات بدار الاهرام مساء الثلاثاء ٢٤ نوفمبر ١٩٦٩ .
● قدم المحاضر : لطفى الخولى .
● أدار المناقشة : الدكتور عبد العزيز كامل .
● اشترك فى المناقشة : خالد محيى الدين — د. محمد كامل حسين — كمال الدين رفعت — د. لبيب شقير .

التقديم

قدم لطفى الخولى المحاضر بكلمة جاء فيها :

هذه هى المحاضرة الثانية للاستاذ جارودى ، وتتناول موضوعا فى غاية الاهمية وهو ، الاشتراكية والاسلام . ونود قبل كل شىء أن نسجل بالتقدير المنهج الموضوعى الذى ساد المناقشة التى اديرت حول محاضرة الامس ، وفى نفس الوقت نسجل مع الاسف اعتذارا لجميع السيدات والسادة الذين سجلوا طلباتهم للاستماع الى محاضرات الاستاذ جارودى والتى بلغت حتى صباح هذا اليوم ٣٩٦٢ طلبا . غير أنه كما ترون العين بصيرة واليد قصيرة ، فالقاعة لا تتسع لتلبية كل هذه الطلبات . وحرصا على أن يتاح على أوسع نطاق التعرف على أفكار الاستاذ جارودى وما يثيره من

مناقشات ، فقد قرر « الاهرام » القيام بنشرعرض واف للمحاضرات الثلاث والمناقشات حولها تباعا يوميا • وتقوم الطليعة بنشرالنصوص كاملة في أعدادها القادمة • ويمكن التفكير بعد ذلك في اصدارها مجمعةفي كتاب مستقل • وذلك بالاضافة الى الندوات التي عقدها الاستاذ جارودي بالطليعة والاتحاد الاشتراكي ودار الادباء •

بعد فترة الراحة التي ستعقب المناقشة يقوم الاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف بادارة النقاش حولها •

المحاضرة

كانت احدى اهتماماتي الكبرى في حياتي هي أن ادمج في الفكر الماركسي التراث الغني للعقيدة المسيحية ، وادراكها الحاد للذاتية الانسانية وقدرتها على المجاوزة •

وأحاول جاهدا ألا انقل المشكلات بطريقة آلية عندما يتعلق الامر بالعلاقة بين الاشتراكية والاسلام ـ وسأحاول أن أفعل ذلك من وجهة نظر ماركسي يحترم الواقع الديني وعقيدة لا يشارك فيها •• لكنه يحاول أن يستكشف ابعادها الانسانية ».

ان الاسلام قد نما وتطور في المدن الكبيرة •• رغم أنه نشأ في دولة يسودها اسلوب الحياة البدوية ».

وقدم الاسلام للعالم الصور الاولى لحضارة تجارية بكل ما لها من ثمار مادية وروحية ـ وبذلك خلق الظروف الاقتصادية والاجتماعية من اجل بعث الانسانية وازدهارها الجديد».

وقد اعتنقت الجماهير ، خاصة في المغرب واسبانيا، الديانة الاسلامية بطريقة تلقائية ، فقد دفعهم التنظيم الاجتماعي الجديد ، المرتبط ارتباطا وثيقا بالدين، الى الدخول في الجماعة الاسلامية التي تمثل قوة تقدمية •

وقد ركز هذا الدين على الغايات الايجابية التي يجب تحقيقها ، كما ركز على تحسين وضع الانسان • ومما لا شك فيه أن من الاسباب الرئيسية في ازدهار هذا الدين ونجاحه هو اصراره على محو العبودية •• وبصفة عامة على تأكيد مبدأ المساواة الذي كان يختلف تماما عن المجتمعات العبودية والاقطاعية القديمة •

وفي حديث للنبي يقول : ما معناه :« ليس احب الى الله من ان يعتق احدكم رقبة» . وفي حديث آخر : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لابيض على اسود ، ولا لعربي على اعجمي الا بالتقوى » •

ولقد حاكم عمر ـ وهو الخليفة الثاني ـ مسلما كان قد صفع قبطيا •• وطالبه بتقديم اعتذار علني ـ ووجه هذا السؤال في الخطاب الذي ألقاه في هذه المناسبة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا ؟ •

وشرح المستشرق (دوزي) في كتابه (تاريخ مسلمي اسبانيا ، جـ ٢ ، ٤٣) أسباب التوسع العربي السريع والتفاف الشعوب حول الائمة العربية •• « كان الفتح العربي خيرا لاسبانيا ـ فقد أحدث ثورة اجتماعية هامة ومحا جزءا كبيرا من الاضرار التي كانت تئن تحتها البلاد منذ قرون » •

ثم اوضح دوزي هذه المسألة قائلا: « كان العرب يحكمون طبقا للطريقة التالية : كانت الضرائب مخفضة جدا بالنسبة لضرائب الحكومات السابقة ـ فقد نزع العرب ملكية الارض من الاغنياء ، وكانت هذه الارض مقسمة الى ضياع واسعة تمتلكها طبقة النبلاء (الفرسان) وكانت تزرع بواسطة الزراع الارقاء أو العبيد المتذمرين • وقد قسم العرب هذه الاراضي بالعدل بين الذين يعملون فيها ، وعمل الملاك الجدد بهمة كبيرة وحققوا

محاصيل افضل ، وحررت التجارة من القيود والضرائب الكبيرة التى كانت تسحقها ونمت بطريقة ملحوظة ـ وكان القرآن يسمح للعبيد أن يعتقوا أنفسهم مقابل تعويض عادل · وقد أدى ذلك الى ظهور قوى جديدة · وأحدثت كل هذه الاجراءات حالة من الرفاهية العامة التى كانت السبب فى الاستقبال الطيب الذى لاقته السيطرة العربية فى بادىء الامر » .

وكانت الاثار الطيبة للحضارة العربية واضحة أيضا فى الطرف الاخر من البحر المتوسط ـ وسأكتفى هنا أيضا بشهادات بعض الغربيين لاتبين ذلك · فقد ذكر المونسينور دوشن فى دراساته عن موقف الكنيسة فى سوريا فى القرن السابع فقرة معبرة لميخائيل السورى · فبعد أن ذكر ميخائيل السورى الشدائد التى تعرض لها اليعاقبة الذين لم يقبلوا اتحاد هيراكليوس رحب بقدوم العرب قائلا : ان اله الانتقام ـ عندما رأى شراسة الرومان الذين كانوا حيثما يحكمون ينهبون بقسوة كنائسنا وأديرتنا، وكانوا يدينوننا دون رحمة ـ بعث من الجنوب بأبناء اسماعيل ليكون خلاصنا على أيديهم · ولم تكن ميزة بسيطة بالنسبة لنا أن نتخلص من قسوة الرومان ··· وأن نستمتع بعد ذلك بهدوء البال » ·

الفتح العربى اذن كان يعنى الامن بالنسبة للجماهير المسيحية ·

ومن بين العوامل الحاسمة لنجاح التوسع العربى ـ بعد تحرير العبيد وتحقيق الامن ـ هو اتباع نظام ضرائبى أكثر تطورا من النظام المطبق فى البلاد المحتلة ·

لقد كانت المؤسسات الدينية التى جلبت الى تلك البلاد مؤسسات لحضارة تجارية فى مواجهة نظام زراعى اقطاعى ·

وأكبر شاهد على ذلك هو نظام الضرائب ، ونظام الملكية والتنظيم الجماعى ·

نظام الضرائب

كانت الضرائب طيلة العصور الوسطى الاقطاعية والمسيحية فى الغرب تفرض على الارض وحدها ـ ومع الفتح العربى ظهر نظام ضريبى جديد هو الضرائب على الملكية الشخصية .

ويقرر الماوردى انه ثمة ضريبة على الثروات الى جانب الزكاة . وجاء فى القرآن « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » (سورة التوبة ، آية ١٠٣) .

ولمن تعطى الزكاة ؟ يقول القرآن « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » [سورة التوبة ، آية ٦٠]

أما فى الغرب فلم يطبق نظام الضرائب على الاشخاص وعلى الدخل الا بعد الحروب الصليبية وتقليدا للعرب · طبق فى فرنسا فى ظل لويس السابع عام ١١٤٦ و ١١٥٦، وفى انجلترا فى ظل حكم هنرى الثانى عام ١١٦٦ ·

نظام الملكية

ان المذهب السلفى هاهنا يطرح قاعدة ذهبية للاشتراكية مؤداها أن مالك الارض ليس الا من يبذل فيها عمله ومن يزرعها بنفسه .

ويروى أبو يوسف فى (كتاب الخراج) حديثا يقول فيه النبى : « من احيا ارضا مواتا فهى له » .

ويعترف شارل جيد فى كتابه (دروس فى الاقتصاد السياسى ، جـ ٢ ، ٢٣٦) بأن المشروع الاسلامى لا يعترف بالملكية الفردية الا على الارض التى كانت موضعا لعمل مثمر ·

وتحترم الشريعة الاسلامية المبدأ القائل بأن العمل هو الاساس الوحيد للملكية لدرجة انها لا تعترف بفكرة أن الفتح يعد أحد أسباب كسب الملكية الا كنوع من العقوبة ·· ويمثل هذا تقدما كبيرا فى المجتمع القديم ·

وثمة تقدم آخر لايقل عنه، هو الغاء مبدأ القانون الرومانى عن « حق الاستعمال واساءة الاستعمال » ·

وكثيرا ما يردد البخارى أن فى الشريعة الاسلامية كل ائتلاف عابث للثروة يعد خطيئة .

ويرتبط بهذا التصور للملكية احترام العمل ، ففى عصر كانت أوربا المسيحية فيه تعطى المكان الاول لرجال الفكر والسلاح ·· أثنت الشريعة الاسلامية على كل نشاط عملى ، ورفعت من شأن العمل والزراعة والتجارة ــ وطالبت كل امرىء بأن يعيش من عمل يديه ، وأدانت أولئك الذين يعيشون على عمل الاخرين · وهى لا تبيح أن تحقق الاموال فائدة دون عمل ·· يقول القرآن : « وأحل الله البيع وحرم الـربا » (البقرة : ٢٧٦) . هذا التصور الاساسى للحياة الاقتصادية أحدث تغييرا فى الابنية السياسية .

ويعتبر الطهطاوى فى القرن التاسع عشر ــ وهو أحد رواد النهضة الثقافية فى مصر ــ (فى الطور الاخير لفكره حوالى عام ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠) الممهد الحقيقى لاشتراكية قائمة على أساس خلقى دينى ·

وقد حدث معه الانتقال من الوطنية الى الاشتراكية ، وتناول من وجهة نظر اسلامية ، وبالاخص المشكلة الرئيسية للاقتصاد الزراعى فى ذلك الوقت ، وهى استغلال الارستقراطية الزراعية للفلاحين ·

وقد وجد الطهطاوى ، الذى تشبع بالقرآن ، المبادىء الاساسية للماركسية عندما درس المشكلة الاقتصادية للقيمة · فعنده ، كما هو عند ماركس ، أن العمل هو المصدر الوحيد لكل قيمة بالنسبة للطهطاوى · وقد استخلص الطهطاوى من ذلك نتيجة عملية ، هى أنه يجب أن تكون الارض للذى يعمل فيها · يقول : « ان الملاك يتمتعون بثمار العمل ولا يدفعون مقابل هذا العمل الا القليل » ، ويضيف قائلا أن القاعدة الشهيرة تقول ان الذى يزرع يحصد .

ويقول النبى ، « من كانت له أرض فليفلحها بنفسه أو يمنحها اخاه ، ولا يؤاجره اياهـا ولا يكريها » بمعنى ان الارض لمن يفلحهـا وان مجرد امتلاك الارض لا يتيح لمالكها امتلاك المحصول .

ان الفكر الاسـلامى يلتقى هنـا بالفكر الاشتراكى فى منبعه ·

وكانت نظريات الطهطاوى فى (مناهج الالباب) متقدمة جدا بالنسبة لعصره ، لدرجة أنه يمكن القول بأن لها تأثيرا مباشرا .

ومع ذلك فقد لعبت هذه النظريات دورا كبيرا لادخال الفكر الاشتراكى فى الحركة القومية استنادا الى تعاليم القرآن ·

والجدير بالذكر أنه عندما تم التلاحم بين الجماهير الشعبية والمثقفين الثوريين من عام ١٨٧٩ الى ١٨٩٢ قام النديم ، وهو أحد تلاميذ الطهطاوى ، بدور حاسم فى تحقيق هـذا التلاحم .

ان مثل هذه الحركات تقودنا الى دراسة العلاقة بين الاشتراكية والاسلام فى الظروف الخاصة بالثلث الاخير من القرن التاسع عشر . ذلك أن الزعم ، فى الدول التى يكون الاغلبية فيها من المؤمنين ، بأن بناء الاشتراكية ممكن من غير اسهام المؤمنين ، أو أنه ممكن على الرغم منهم ، معنـاه رفض تأسيس الاشتراكية .

ان مسألة اسهام الثقافة الاسلامية فى انسانية عصرنا ، أى الانسانية الاشتراكية تفضى بنا الى ضرورة طرح السؤال الاساسى عن علاقة الاسلام بهذه الانسانية الجديدة بطريقة أكثر عمومية ·

الاسلام وعصرنا الحديث

ان التأمل فى الدور المعقد الذى يلعبه الدين ، وبخاصة الدين الاسلامى ، فى حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين فى الواقع الى اعادة التفكير بروح العصر فى مشكلة طبيعة الدين ودوره فى عصرنا ·

ونقطة الانطلاق فى هذا التفكير هـو أن الصيغة الشهيرة (الدين افيون الشعوب) ، والتى كثيرا ما يزعم البعض انها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين ، لا يمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين ·· تعريف ميتافيزيقى فى جوهره يصلح لكل زمان ومكان ·

ان هذه الصيغة تلخص خبرة واقعية فى مرحلة تاريخية محددة ومجال جغرافى محدد ·

ومن السهل أن ندلل على هذا الرأى سواء بقراءة مجموع مؤلفات ماركس ، أو بالدراسة التاريخية لظاهرة الدين .. وهى الدراسة التى بدأها بالفعل ماركس وانجلز ، والتى تجد فى عصرنا تأكيدا واضحا .

ولنلاحظ أولا أن هذه الصيغة (الدين أفيون الشعوب) كتبت عام ١٨٤٣ في كتاب (مقدمة لنقد فلسفة القانون عند هيجل) وأن كلا من ماركس وانجلز لم يرددها بعد ذلك •

وفي عام ١٨٤٣ كان ماركس لا يزال في الخامسة والعشرين ، ولم يكن قد كتب بعد (المخطوطات الاقتصادية والفلسفية) التي اصدرها عام ١٨٤٤ ، في عام ١٨٤٣ لم يكن ماركس قد اصبح بعد ماركسيا • فهذه هي المرحلة التي يصفها انجلز بقوله « لقد كنا جميعا فيورباخيين » . والواقع ان صيغة ماركس وسياقها تمثل لونا من صيغ فيورباخ، وهو نفس فيورباخ الذي وجه له ماركس وانجلز - حين ارسيا بعد ذلك بثلاث سنوات اي عام ١٨٤٦ في كتاب (الايديولوجية الالمانية) اسس المادية التاريخية - نقدا مبدئيا لانه عالج بطريقة ميتافيزيقية مسألة الاغتراب الديني • وقالا ان خطأ فيورباخ ليس تعبيره عن هذه الظاهرة (الاغتراب الديني) بل لتصويره اياها بطريقة مثالية وبعزلها عن باقي الظواهر بدلا من تفسيرها كنتاج لمرحلة تاريخية محددة ومنتهية •

ان وجه الضعف في نظرية الدين عند فيورباخ انها لم تكن تاريخية وجدلية ، بل نستطيع ان نجد في نص ماركس عام ١٨٤٣ ، رغم انه كان لا يزال في مرحلة التأمل النظري ، عنصرا جديدا اذا ما قورن بفيورباخ - يقول ماركس : « ان الضيق الديني هو تعبير عن ضيق واقعي ، ومن جهة اخرى احتجاج ضد هذا الضيق الواقعي •• وهنا نجد اول معالجة ذات طابع جدلي لظاهرة الدين •

وحين عالج ماركس وانجلز - بعد ان اصبحا على وعي تام بمذهبهما - المشكلة الدينية من جديد ، فان هذه الجدلية القائمة في نص عام ١٨٤٣ اتسعت ولم يعودا يتكلمان عن الدين عامة على طريقة فيورباخ الانثروبولوجية ، واوضح تحليلهما التاريخي ان المعتقدات الدينية تعبر على وجه التحديد (كانعكاس وكاحتجاج) عن ظروف تاريخية مختلفة ، يمكن ان تلعب دورا متباينا في العصور المتباينة ، وانه ليس من العلمية ان نضفي على كل عصور التاريخ نفس المفهوم الميتافيزيقي الذي اسماه فيورباخ « جوهر الدين » •

وحين عالج انجلز عام ١٨٥٠ حرب الفلاحين في المانيا في عصر الاصلاح البروتستانتي - اوضح كيف أن ايديولوجية دينية ، في ظروف تاريخية جديدة ، قد لعبت دورا جديدا ، وكانت التبرير الايديولوجي لنضال ثوري حقيقي •

ان القضية القائلة ان الدين - في كل زمان ومكان - يصرف الانسان عن الفعل وعن النضال وعن العمل - يتناقض تناقضا صارخا مع الواقع التاريخي •

واذا طرحنا جانبا امثلة مستقاة من اوربا فانه ليس يكفي ان نطرح المشكلة على اساس ان الاسلام يعني التسليم . ذلك ان تاريخ الاسلام في فترة ازدهاره كان نظرية للنضال والفتح منطلقة كالاعصار من بحر الصين الى المحيط الهادي •

وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة في عصرنا هذا بشواهد تؤكد النظرية الماركسية القائلة بأن الظاهرة الدينية - مثل اية ظاهرة اخرى - لا يمكن دراستها في ذاتها وبمعزل عن الظروف التاريخية العينية في كل بلد وكل عصر .

في عدد كبير من هذه الشعوب - ورغم المنظمات التبشيرية الاوربية والامريكية التي لعبت في هذه الظروف دور الاداة النشطة للتغلغل والسيطرة الامبريالية - لعبت الحركات الدينية المحلية دورا تحريريا ضد الاستعمار .

ان الصيحة الاولى للنضال الوطني كانت باسم الله ، قبل ان تكون باسم الوطن .

ولقد كان الانتماء الى الاسلام في الجزائر ، في القرن التاسع عشر ، بمثابة احتجاج ضد السيطرة الاستعمارية ، وضد بؤس الجماهير واذلالها .

ان عصر النهضة العربية في العالم الاسلامي بقيادة جمال الدين الافغاني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وكذلك حركة العلماء في الجزائر بقيادة بن بادس ابتداء من عام ١٩٣٦ تدلل رغم صيغتها المثالية والاصلاحية التي تربط بين التحرير والتعليم •• على ان الاسلام بعيد عن قيادة الانسان بالضرورة الى القدرية واللامبالاة بالحياة الاجتماعية ، بل في امكانه ان يكون ضميره للفعل والنضال • ان هذه الاية القرآنية « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » - هذه الاية قد اكتسبت رنينا جديدا في

الموقف التاريخي للنضال الوطني العظيم للشعب المزبي؟ وخلقت افضل الابطال والشهداء المستعدين للموت في حرب عادلة »

وهكذا لم يكن الدين افيونا يشل المناضلين ـ بل على الضد من ذلك كان حافزا يلهمهم النضال والبطولة مثل هبة المهدى في السودان •

وليكن مفهوما ان المنهج الذى يحدده انجلز في هذا المجال يلزمنا بضرورة فحص هذه المشكلات في ضوء حالات عينية محددة •

ففي الحركات الدينية للشعوب المقهورة ، في منتصف هذا القرن ، التى اتخذت اشكالا تلفيقية (فالاسلام بل حتى المسيحية ينتميان الى اشكال دينية سابقة ويتغيران باحتكاكهما بهذه الاشكال) نلاحظ ان الوجه التنظيمى والمقدس للدين (وبالتالي المحافظ) ينتقل الى المستوى الثانى لصالح وجه النبوة . ان التأكيد الديني يكشف احيانا عن الوجه المزدوج : معارضة للمحتل وعودة الى ما هو اصيل »

ان النبوة لدى الشعوب المحتلة لعبت دور نظرية الخلاص ؟ فأدارت ظهرها الى الارض ، ونشدت تعويضا سماويا عن ماسى القهر ، وهى مستعدة حتي للحرب المقدسة ضد المحتل •

لقد استغل الدين احيانا كذريعة للتعاون الذليل مع المحتل ، وكان في احيان اخرى احد دوافع الحركة الوطنيـة • وكان يمكن لنفس الحركة أن تلعب دورا متعارضا تعارضا جذريا في مختلف فترات التطور •

في نفس الوقت يلعب الدين دورا مختلفا بمختلف البلاد • فاذا كان الدين يستخدم في بعض البلاد كتبرير ايديولوجى لتأسيس دولة ـ فليس الامر كذلك بالضرورة في الجزائر اثناء حرب التحرير • لقد استطاعت الحركة الوطنية والاشتراكية والاسلام ان تحقق تحالفا دائما تستطيع فيه نفس هذه القوى ان تعمل معا من اجل بناء الاشتراكية •

وفي مثل هذا الوضع ـ اذا استخدمنا تعبير ماركس ـ فان جانب « الاحتجاج ضد الضيق الواقعى » هو الذى يبرز • ويتخذ هـذا الاحتجاج الدينى في الظروف الراهنة شكلا نضاليا بناء •

وحين يعى الماركسى بوضوح مغزى الدين في الظروف التاريخية المحددة ، ويعرف كيف يرى انه ليس وسيلة للتعبير عن العالم فحسب ، بل هو ايضا وسيلة للحضور في هذا العالم ـ فانه لا يستطيع ان ينكر او يستبعد المطالب العميقة للمؤمنين حتى اذا عبرت هذه المطالب عن نفسها في اشكال غامضة ، وتركت نفسها تنحرف بقبول اشباع وهمى لهذه المطالب . ان الاشتراكية تتولى هذه المطالب وتكتشف الوسائل لتحقيقها الفعلى بحيث تظهر الاشتراكية امام الجماهير المؤمنة كما كان ماركس يسميها « التحقيق الدنيوى » « للاساس الانسانى » للدين »

لقد خلقت الاشتراكية لاول مرة في تاريخ العالم عندما حددت ان هدفها هو المجتمع بدون طبقات وبدون دولة • خلقت الظروف الحقيقية التى تسمح لكل انسان ان يصبح انسانا اى مركزا للمسئولية والمبادرة التاريخية وخالقا ، وان يقيم مجتمعا حيث يسمح تدمير الجذور الاقتصادية والاجتماعية للتناقضات الخاصة بمجتمعات الطبقات بتنظيم كوكبى للاحتياجات والموارد والامال •• وحيث يمكن ان يشترك كل فرد اشتراكا خلاقا في تحقيق سعادة الجميع ـ هذا الحلم الكبير الذى كان لا يزال حلما وامنية ، ان لم يكن وهما او مجهولا في كل المجتمعات الطبقية ، هو في طريقه الان لكى يصبح حقيقة واقعة •• وهذا هو المعنى الروحى للاشتراكية •

اننا نفهم تماما الحاجة الناشئة عن اليأس والتى تطلب عدالة كاملة لدرجة ان الانسان الوحيد والمجروح يعتقد أنه لا يمكن الوصول اليها ولا يتصورها الا في الله ـ ونعتقد ايضا انه من الجميل ان يكون الانسان في يأسه قد فكر في مثل هذه الاحلام ومثل هذه الآمال .

ان فعل الايمان هذا يبرهن ان الانسان لا يعترف ابدا بهزيمته الكاملة ويبرهن على سموه • ولذلك فاننا لا نحتقر ابدا المؤمن ولا نسخر منه ابدا بسبب عقيدته واحلامه وآماله ـ ان مهمتنا هى أن نعمل ونكافح حتى لا تبقى هذه الاحلام والامال بعيدة او وهمية الى الابد ، ان مهمتنا هى تقريب الانسان من احلى احلامه ومن اكبر آماله وتقريبه منها بطريقة حقيقية وعملية تماما »

وقد اتضح ان الحوار الذى دار فى فرنسا على هذه الاسس بين المسيحيين والماركسيين مثير للغاية •

وهذا الحوار مثمر ايضا بنفس الدرجة فى بلدنا بين الاشتراكية والاسلام •

لقد خلق التحرر من نير الاستعمار الظروف المواتية لنهضة عظيمة ـ ان هذه النهضة لا تعنى على الاطلاق انفصالا عن اجمل تقاليد الاسلام والحضارة الاسلامية •

لقد كان الاسلام فى كثير من الاحيان فى عصور الاحتلال والعبودية رمزا على المقاومة الروحية والثقافية • وقد اكد استمرار اللغة والثقافة • وقد كان له فى نظر الكثيرين طهارة الاشياء غير الموجودة فى الاستعمار ـ وكان دوره كبيرا فى تأكيد ما هو اساسى واصيل ضد الحملة المنظمة لمحو الشخصية الذى يمثلها النظام الاستعمارى •

كيف يمكن فى هذا الموقف التاريخى الا يفهم المرء المشاغل الشرعية للذين يرون الاسلام مظهرا محتملا لمستقبلهم ، ويؤكدون ويحمون الاساس فى استمرار مصير توقف طويل .

ان الصيغ التى تعلن عن هذه الارادة جديرة حقا بالاحترام • فالقول بأن : « الاشتراكية قائمة على مبادىء الاسلام » او « ان شعبنا يذهب الى الاشتراكية حاملا القرآن فى يد و « رأس المال » لماركس فى اليد الاخرى •• أليس هذا بكل بساطة تأكيدا بانه عندما يختار شعب عربى الاشتراكية فهو ليس مضطرا الى تبنى قيم غريبة ـ لكنه يقوم باختيار يسير فى نفس اتجاه تاريخه الخاص . وكان الرئيس بن بيللا قد أعلن يوم ٢ مارس عام ١٩٦٥ : « اننا لم نستورد اشتراكيتنا من الخارج ـ لكننا اقمناها من اعماق الحقيقة الجزائرية ـ ان هذه الاشتراكية انبعثت من القيم العربية السامية » •

ولايمكن ان يكون تفسير ذلك بشكل دجماطيقى وصوفى ، بحيث يقال ان القرآن يرسم ويحبذ نظاما اشتراكيا ودستورا اشتراكيا ـ بل يكون هذا التفسير على وجه اعمق بحيث يمكن ان يقال انه ليس فى الاشتراكية ثمة شىء يتعارض مع روح القرآن بشرط ان تكشف عن الروح الكامنة فى الحروف •

ان العثور على روح النص فى طيات الحروف والكلمات يعنى المعرفة فى اكتشاف القضايا الاساسية التى تهم البشر بشأن مضمون حياتهم وحماتهم ، وعن اصلهم والنهاية المكتوبة لهم •

ومن الملاحظ ان علماء اللاهوت الكاثوليك الذين يصرون على التمسك بحرفية الانجيل يقل عددهم باضطراد يوما بعد يوم ـ وهم الذين لا يزالون يتشبثون بقصة الخليقة بأيامها الست .. او القول بأن حواء مأخوذة من احد اضلاع آدم • اننى اتخيل ان قلة من علماء الفقه الاسلامى تقول اليوم بأن الارض كالصخرة المستديرة التى تقف فى توازن على قرنى ثور • ان رفض تلك الصور التى ترجع الى التصورات البائدة ليس فيه ثمة تحد للدين ، بل يعنى استخلاص القضايا العميقة ومتطلبات تلك القضايا التى تحملها فى طياتها من ذات الاجابات المؤقتة التى قدمتها تلك الاديان والمرتبطة على الدوام بما عليه مستوى معرفتنا للاشياء وبدرجة حضارتنا وثقافتنا •

ان الاديان تتطور مع الشعوب التى تؤمن بها • والاغتراب موجود بالفعل فى كل اجابة تريد ان تكون نهائية وجماطيقية جامدة ومقدسة •• لكن ليس ثمة شىء مقدس ـ من الوجهة الانسانية الخالصة والاصيلة ـ سوى تلك الاسئلة التى تجعل الانسان يسمو على كافة الكائنات الحية ، اى تلك الاسئلة المتعلقة بمضمون الحياة وبالموت والمرتبطة أيضا بالمقتضيات السامية للانسان التى هو فى حاجة اليها ليتخطى ذات نفسه ، وليستجيب اليها وذلك بتأسيس عالم جدير بالانسان •• للبشر جميعا •

ان تلك الاجابة تتطور وتثرى فى كل حقبة من حقبات التاريخ ـ فلم يكف التاريخ عن تغيير وجه الاسلام تماما كما حدث بالنسبة لكافة الاديان •• اذ أن المضطهدين والمستغلين وكذلك المنبوذين قد عمدوا طيلة القرون المتعاقبة على أن يصبغوا استنادا الى الدين ما كانو يحلمون به من خلق مجتمع أخوى حقيقى •

كيف يمكن اذن لهذا النوع من الناس ان لا يجدوا الوجه الاصيل لامانيهم الدينية فى تلك الاشتراكية التى تهتم بشكل ملموس ببناء هذا المجتمع الاخوى وفى تحقيق ما كان كارل ماركس يطلق عليه عبارة (العمق الانسانى) للدين •

ويذكرنا فى هذا المجال ما جاء فى برنامج طرابلس عن جبهة التحرير الوطنى الجزائرية عندما أعلنت : « اننا ننتمى الى الحضارة الاسلامية ، وعلى أنه يكون فى الامر افساد لنعيد صالح تلك الحضارة اذا ما اعتقدنا أن نهضة تلك الحضارة تخضع لمجرد الصياغات الذاتية بشأن السلوك العام والتطبيق العملى الدينى » •

أليس فى هذا الموقف فى ظل الظروف التاريخية الجديدة عودة الى التقاليد التى عاشتها الحضارة الاسلامية فى عصرها الذهبى عندما أخذ الفقهاء من مذهب أبوحنيفة يؤكدون على مبدأ التغيير والتطور ، ويرفضون الارتباط بالتصور الدجماطيقى العقيم عن الخلود الثابت الذى تميز به العصر الوسيط الاقطاعى فى الغرب •

لقد قال هؤلاء الفقهاء ان القانون ليس شيئا جامدا ، وهو على خلاف قواعد اللغة والمنطق يعبر عما يحدث عادة ، ويتقيد مع الظروف التى جاءت به ».

لن ينزل الاسلام الى مستوى ما توارثه التاريخ من نظام فى حقبة من حقباته» ويستطيع كل من يدين بالاسلام أن يكون من بناة الاشتراكية ـ فلقد دلت التجربة على قدرة الانسان أن يكون مؤمنا وفى ذات الوقت مناضلا جيدا •

والان اسمحوا لى أن أعود مرة أخرى الى تلك التجربة الجزائرية التى كتب لى أن أعرفها عن كثب وأن أعيش فيها. فلقد أعلن المؤتمر الاول لجبهة التحرير الوطنى « أن ثورتنا تدل على أن الاسلام فى هذه الارض الدنيا قد ارتقع الى أقصى درجة السمو بمبادىء التضامن بين البشر وبالعدالة الاجتماعية. وذلك على الرغم من العناصر الرجعية والمتخلفة التى ليس لها من هم سوى الحفاظ على امتيازاتها • سوف تخطو الى الامام ، وسوف نبنى اشتراكية مع احترام تقاليدنا العربية الاسلامية •• فالاسلام لايتعارض مع ما اخترناه بل يرتبط الاسلام فى ذهن الجماهير الشعبية بالمساواة ، ويسير فى اتجاه الاشتراكية » •

واذا دل هذا القول على شىء فانما يدل على أن الاسلام يتمشى مع الصيغ الانسانية الجديدة ـ وعلى أن تدعيم الاشتراكية فى أرض الاسلام يتيح لنا ان نبنى فى ظل الظروف الخاصة بالعصر الذى نعيش فيه ذلك المجتمع البشرى الاخوى الذى كان قد أشار اليه الرسول عندما أعلن عزمه الاكيد فى (توطيد العدالة) •

لا شك أن المؤمن سوف يرى فى العالم الاشتراكى تحقيق أسمى ما يراه من مقتضيات العدالة ، ويستطيع حينئذ أن يقول : لقد تحقق الاسلام •

الثقافة الاسلامية ومنابع الانسانية المعاصرة

ان الامر يسير على نفس النحو بالنسبة للثقافة التى أوجدها الاسلام ـ ولنكرر مرة أخرى القول بأنه ليس مطلوبا من الشعب عندما يختار الاشتراكية أن يعتنق قيما أجنبية بل يختار ما يشاء فى مسار تاريخه الخاص •

وجدير بالذكر أن الاشتراكية العلمية فى أوربا قد تكونت تاريخيا انطلاقا من هذا التراث الثلاثى المكون من الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، ومن الاقتصاد السياسى الانجليزى ، ومن الاشتراكية الفرنسية ـ على أن من واجب الاشتراكية العلمية التى تستجيب لمقتضيات عالمنا المعاصر وتطلعاته أن ترسخ فى ثقافة كل شعب من الشعوب وفى حضارته ».

ان التقاليد الكبيرة والسامية التى تمتلكها تلك البلاد فى مضمار التاريخ الاسلامى والثقافة الاسلامية سواء عن الاشتراكية الطوبادية التى اعتنقها القرامطة ، أو الفلسفة التعلانية التى يدين بها ابن رشد ، أو علم الاجتماع الذى درسه ابن خلدون •• ان تلك التقاليد تستطيع أن تلعب نحو الاشتراكية العلمية هذا الدور الذى لعبه فى بلادنا كل من هيجل وريكاردو وسان سيمون ، كما فى مقدور المفكرين الحاليين فى بلادكم أن يقدموا فى اطار تقاليدهم الروحية اضافات جديدة للانسانية الاشتراكية فى عصرنا الراهن •

ويهمنا هنا أن نذكر أولا تلك الاضافات الكبيرة التى أقرت بها الشعوب الاسلامية الاشتراكية الطوبادية ، والفلسفة العقلانية ، وأرثت بها أيضا البحث عن بناء المجتمعات ونموها •

لقد شهدت الحضارة التجارية العظيمة فى الامبراطورية العربية الاشكال الاولى

للاشتراكية الطوباوية ــ تماما كما حصل بعدذلك للحضارة البورجوازية الفرنسية فى القرن الثامن عشر »...« على ان ذلك ليس امتدادا لشيوعية افلاطون أوفيثاغورس... على أنه قد ظلت المدينة التي انشأها الفارابي والمستوحاة من جمهورية أفلاطون محاولة فريدة فى نوعها.

ويمكن القول أن أشكال الاشتراكية ذات الخاصية الاسلامية نشأت امتدادا للنظام الضرائبى المعروف بالزكاة، كما نشأت من مفهوم القرآن عن الملكية المبنية على العمل ـ فعلى سبيل المثال أنشأ حمدان قرميط بسنة ٨٦٥ فى العراق مذهبا جديدا منطلقا من مبدأ الزكاة فطالب أنصاره بأن يدفعوا ضريبة أخذت ترتفع باضطراد مبتدئا بالصدقات الكبيرة ثم بخمس الثروة •• وأخيرا بكافة الممتلكات •

وكان يعهد الى شخص موثوق به من أفراد هذه الطائفة بجمع ممتلكات باقى الافراد ليقوم بتوزيعها حسب احتياجات كل منهم •• بحيث خلا القرامطة من الفقراء تماما، ويقول المؤرخون فى هذا الصدد: «كان كل شخص يعمل بأكبر قدر من الجهد ــ ومن المنافسة الشريفة حتى يحصل على مركز ممتاز بما يقدمه من خدمات للطائفة •• » ــ واذا كان هذا (المجتمع الاشتراكى) الاول لم يخل من المنافسة الشريفة فهو أيضا لم يكن خلوا من المخربين ــ فتقول لنا القصص (الرسمية) ان مذهب القرامطة يبيح السلب والقتل وأشاعة الفساد »...«

وجدير بالملاحظة أن مثل تلك الانتداءات التقليدية هى التى كانت تحاول بها الطبقات الحاكمة فى كل زمان ومكان الازدراء بالاشتراكية »...«

ان ما تركه لنا الفكر الاسلامي من التراث الفلسفي والعقلانى يعد ثروة لا تقدر ولن أسوق هنا سوى المثل الذى يقدمه لنا ابن رشد لما كان لهذا المفكر من تأثير عظيم على الفلسفة الغربية »...«

ويهمنا أن نذكر هنا أنه قد أصبح من المألوف فى فرنسا بعد ما جاء فى الكتاب الهام الذى كتبه آرنست رينان عن ابن رشد مؤكدا أنه يعد سابقا على كوبرنيك •• أصبح من المألوف التقليل من أعمال ابن رشد الفلسفية »...«

ولا نستثنى فى هذا الصدد من ذلك التحريف فى الامور الكاتب العلامة ليون جوتييه الذى يميل الى جعل ابن رشد مجرد معقب لاعمال أرسطو •• ولا يرى أن فى هذا الفيلسوف الاسلامى بذور فلسفة عن العالم •• عصرية جدا، وتقدمية جدا •

كثيرا ما ينظر فى بلادنا الى ابن رشد من خلال الايضاحات التى قدمها فى هذا الشأن علماء اللاهوت فى العصور الوسطى الذين كانوا يواجهون بصعوبة تلك الاعمال الكبيرة التى قدمها لنا هذا المفكر الاسلامى ــ فعلى سبيل المثال يقتصر كتاب توما الاكوينى (الخلاصة اللاهوتية) فى أكثر أجزائه على تفنيد نظريات ابن رشد على أنه كثيرا ما يضطر الى عرض حججه وآرائه •

ونرى من ناحية أخرى مؤلفون آخرون على غرار سيجر دى برابان ــ الذى يعد قائد ما أطلق عليه (الرشدية اللاتينية) يعملون على تجريد ابن رشد من مضمونه الحقيقى واضطهاده على أنه يعمل على التلفيق بين العقل والعقيدة، وموصيا الجامعة بدراسته •

لقد منع علم اللاهوت المسيحي وضع فكر ابن رشد فى مكانه الحقيقى .

ومما لا شك فيه أن الظروف الخاصة بالعصر الذى عاش ابن رشد فيه جعلته وقد ارتطم هو أيضا بصخرة اللاهوتية •• أن يطرح قضيته (الوفاق بين الدين والفلسفة) •

ومن الملاحظ أن هذه القضية كانت تحوى القضايا الاخرى فى طياتها ــ طالما أن الإسلام كان يرى أن أى تشريع اخلاقى مدنى اجتماعى سياسى •• مبنى على النصوص القرآنية وتفسيراتها »...«

يعالج ابن رشد فى أهم مؤلف له (تهافت التهافت) الذى ترجم الى اللغة الفرنسية العلاقات على اختلاف أشكالها بين الانسان والطبيعة والله •

ويوجه كتاب ابن رشد ضربة شديدة الى الصوفية اللاهوتية التقليدية بشأن العلاقات بين الانسان والله، ويوجهها أيضا الى مبدأ الوحي الدينى ــ فيؤكد بكل ما أوتى من جرأة « كل ما جاء فى القرآن يمكن اثباته بالعقل » ــ صفحة ٢٥٨ •

وعندما يؤكد منذ الصفحات الاولى من كتابه أن الدين الاسلامي يدعو الى البحث العقلاني المتعمق للعالم ـ الجزء الاول صفحات ٢٣ ـ ٢٤ .. يفسر كلامه بأنه يوجد بين الدين والفلسفة نفس الفارق الذي يوجد بين الخيال والعقل ، ويرى ان الدين يقدم للعقول التى لا تزال بدائية فى أشكال من الصور والرموز والاساطير ما اكتشفته الفلسفة ، وما قامت بالتدليل عليه بطريقة عقلية ـ فليس هناك فى نظر ابن رشد ثمة اختلاف فى الاهداف بين الدين والفلسفة .. اذ تعبر كل منهما بمستويات مختلفة وبأسلوب مختلف عن نفس الحقيقة .

ولا شك أن ابن رشد قد سبق سبينوزا فى هذا الميدان ـ وهو الذى سوف يعرض باسهاب تلك النظرية فى كتاب « الدين والفلسفة » ، ومن الامور الجديرة بالبحث أيضا ما اذا كان سبينوزا قد توصل فى هذا المجال بطرقه الخاصة الى القضية التى طرحها ابن رشد ، والحل الذى قدمه لها .. أم أنه كان على علم بها واستوحاها بشكل مباشر .

سوف يتولى هيجل بشكل أوسع فى القرن التاسع عشر معالجة هذا المفهوم عن علاقات الفلسفة بالدين ـ على أن الخطوة الجديدة فى هذا السبيل لن يكتب لها الوجود الا عن طريق فورباخ .

هذا هو بالدقة ما جعل الشاعر الفرنسى اراجون يقول فى قصيدته العظيمة (مجنون السا) التى تدور احداثها فى اسبانيا المسلمة ـ يقول على لسان أحد انصار ابن رشد « الا فهمت »

ان نهاية المعرفة اللفظية تبدأ هكذا .
وأن ذلك بالدقة هو الذى كان يقيم .
السلطة مع الله المندمج فيها بالدقة .
ما كان يبدو مخترعا لغرض حكمه .
والذى سوف يثير رويدا رويدا فى الجماهير الجاهلة .
سلسلة من الانفتاحات المنيرة .
يقول الطفل لابيه : لقد علمتنى كما علمنى (السيد) الله .

علمنى ان هذا العالم جامد لا يتغير .
أليس من انتهاك الحرمات اليوم زعزعة .
قانون الفصل والاطاحة بالنظام القائم .

ومن ناحية أخرى نلاحظ ان مفهوم ابن رشد عن العلاقات بين الانسان والطبيعة أكثر بروزا ـ ذلك ان أعماله تشكل من هذه الزاوية حلقة أساسية من النظرية الجدلية الكبرى للعالم من هيراقليط حتى هيجل وماركس .

ويرى ابن رشد أن المادة والحركة ذات طبيعة أزلية فيقول : « ان الحركة أبدية ومستمرة ـ فالسبب فى كل حركة حركة سابقة عليها ، ولا محل للزمان دون الحركة ، ولا نستطيع أن ندرك الحركة ببداية لها ونهاية » .

ليس الزمن سوى تجديد للحركة .
وليس الامتداد سوى تجديد اتساع المجسدات .
والحركة ذاتها ليست مجرد تنقل ميكانيكى وانما هى تغيير وتوالد وفساد .

ونحن هنا بازاء النظريات الاساسية للجدلية بل ازاء النظريات الاساسية فى الجدلية المادية نفسها .

وعندئذ نجد ابن رشد لا يتردد انطلاقا من هذا المفهوم للعالم وللحركة فى القول بأن الخليقة ليست سوى أسطورة وهى رمز خيالى .

ويرى ابن رشد أن العالم خلق مستمر ـ والله نظام هذا الخلق وقوته الداخلية ومما يلاحظ ان ابن رشد لا يطرح سوى المبادىء ، حيث كان يعتبر منذ عديد من القرون السابقة على باسكال وهيجل أن العلم عمل جماعى للانسانية جمعاء .. فيقول : « انه من واجب الباحث التالى ان يلجأ الى الباحث الذى سبقه .. الى الوقت الذى تصبح فيه المعرفة كاملة » صفحة ٤٠٣ .

وتعد كتابات ابن رشد سابقة كثيرا على العصر الذى عاش فيه بحيث أن ليبنيتز بعد مرور مئات السنين أقام رده على كلارك حول أبدية الطبيعة استنادا الى الادلة والحجج التى كان يسوقها ابن رشد فى الموضوع ذاته عندما كان يجادل الغزالى ـ فقد كان تحت يد ليبنيتز الترجمة اللاتينية للنظريات التى قال بها ابن رشد ، وكان يستوحيها مباشرة .

ان فلسفة ابن رشد تتميز بطابع الاتجاه الموسس نحو القضايا الانسانية وقضايا هذه الارض الدنيا ، على ان كتابات ابن رشد من ايحاء دينى لا شك فى ذلك ‥ لكن هذا الدين لا يعلمنا الهروب أو اللامبالاة اذ أن الواقعية عند ابن رشد قد سبقت مئات السنوات واقعية الغرب ٠

لقد أدرك دانتى ابن رشد على حقيقته ـ علما بان الفكر عند دانتى قد تأثر تأثيرا كاملا بالفكر الاسلامى ٠ فيفرد لابن رشد فى النشيد الرابع من كتابه (الجحيم) مكانا خاصا بجانب أفلاطون وأرسطو ـ وعلى نفس النمط نرى بيكون أكبر مفكرى الغرب فى القرن التاسع يقول : « ان الفلسفة كلها نابعة من الاسلام » ٠

‥ والخلاصة أننا أمام تراث سامى عظيم من القيم الاسلامية التى تستطيع أن تساهم مساهمة كبيرة فى التقدم الانسانى ٠

ان الشعوب العربية وهى تعمل على امتداد ماضيها الخالد ، وتعمل على اثراء التراث الذى تركه لها هذا التاريخ ‥ ليست اطلاقا فى حاجة لتنكمش على نفسها يكفى أن تبقى تلك الشعوب وفيه لاسمى تقاليدها حتى تجد نفسها قد تفتحت على الافاق الواسعة ‥ ذلك أن الثقافة الاسلامية قد تميزت على الدوام بطابع الانفتاح ٠ فزاد ثراؤها عندما احتكت بكل الثقافات التى عملت على احيائها وعلى انمائها ‥ الامر الذى ينطبق بشكل خاص على مهد الحضارة فى حوض البحر الابيض المتوسط ، كما ينطبق على شعوب المغرب ٠

لقد كانت تونس طوال التاريخ مفتوحة لتأثير الشرق ،كما كان المغرب أيضا مرتبطا لمدة طويلة بالاسلام فى أسبانيا وبالتأثيرات الاندلسية ـ ويبدو أن التاريخ قد جعل من الجزائر ملتقى الثقافات الشرقية والاندلسية ، وأن تكون فى ذات الوقت مرتبطة بأوروبا عن طريق موانيها وباقى افريقيا السوداء بالطرق عبر الصحراء ٠

ومن الأمور التى تسترعى النظر مثلا انه عندما بدأت تتأكد فى مستهل هذا القرن نشأة الثقافة العربية ‥ كان محمد بن غالب ـ أحد رواد هذه النهضة ـ أستاذا بكلية الجزائر ‥ وفى ذات الوقت عضوا فى مجمع اللغة العربية بدمشق ، وهو صاحب عديد من الكتابات فى التاريخ والادب والفلسفة تتميز مقدماتها بالمستوى المثالى فى النقد الادبى ٠
‥ واليكم أيضا الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ الذى احتلت كتاباته فيما بين الحربين العالميتين موقعا تاريخيا فى الحركة الوطنية وفى الثقافة الجزائرية ـ حتى أنه عندما كان يعبر عن الامانى القومية للقوى التقدمية فى الكفاح الذى خاضته جمعية العلماء ضد الامية ومن أجل التعليم الحر ـ كان هو عضوافيها ٠ ولم ينس أبدا التقاليد الاسلامية العامة فكتب يقول : « نستهدف بعملنا خدمة شعب الجزائر أن نخدم الانسانية بأسرها » ٠

لقد استمد الادب العربى مرتبطا بهذه الروح فى الخمسين سنة الاخيرة ـ فهى تتميز بطابع انسانى عام ـ اذ هى فى الحقيقة ذات فائدة ،وتأخذ فى الاعتبار بشكل جاد مسئوليتها الوطنية ٠ ان الذى يميز الادب العربى ارتباطه بالثقافة الاسلامية التى كانت لازمة لفضح الاستعمار ، ولفضح محاولاته لتجريد الشعوب المستعمرة من شخصيتها وذاتيتها ـ فاللغة الاولى فى القارة الافريقية قد شهدت نفس الاتجاه ، واستمرت ملتصقة بالشعب ، وبحاضره التاريخى ٠ انها بالفعل قصائد من الشعر المناضل ‥ فقد كانت اللغة العربية لغة هذا الادب الذى كان الحافز المنشط له الاهتمام بخدمة الجماهير الشعبية ومساعدتها على تنمية الوعى بنبالة ماضيه وعظمة مستقبله الذى يتعين عليه القيام ببنائه ٠

وعندما أجرت مجلة « نوفيل ليتيرير » سنة ١٩٣٥ تحقيقا حول الادب فى الجزائر ـ أجاب محمد ديب على سؤال لتلك المجلة عما اذا كانت توجد مدرسة أدبية لشمال أفريقيا ، أن الموضوع ليس وجود مدرسة أدبية جديدة ،وأضاف معطيا الانفتاحة الجديدة فى الشعر والمسرح والقصة مغزاها التاريخى باعتبارها أدبا مرتبطا بمستقبل الوطن قائلا : « ان الادب الوطنى بكل ما ينطوى عليه هذا التعبير من اتساع بدأ يتكون » ٠

لقد كان هذا الكاتب على حق حين قال ان ذلك الادب وطنى بكل ما تنطوى عليه تلك العبارة فى اتساع ـ اذ أن السمات الاساسية فى الثقافة العربية والحضارة العربية وهما فى ذروة المجد

من شأنها أن تجعل الانسان الذي يبقى وفيا لهذا الماضي العظيم يتقدم اليوم فى اصرار الى المستقبل ٠

ونذكر هنا كلمة السياسى الاشتراكى جان جوريس حين قال ان الوفاء الحقيقى هو أن تحتفظ لا بالرماد من تراث الاقدمين .. وأنما بالشعلة الحية التى اوقدوها »

ونحن نقول ان الانهار وهى تتجه الى البحر انما تبقى وفية لمنابعها ٠

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الشأن أن السمة الاساسية للحضارة العربية فى العصر الذهبى هى بالتحديد الروح العقلانية فيه الجريئة والخلاقة ٠ وكان المفكرون العرب هم الذين أيقظوا اوروبا فى القرن الحادى عشر من القبر الذى دفنتها فيه العلوم اللاهوتية وما يطلق عليه بالعلوم الضميرية ٠

أما السمة الثانية التى تطبع تلك الحضارة العربية وهى فى ذروتها ـ تتشكل فى انفتاحها وفى تقبلها كل التيارات فى الفكر والعمل ٠ وقد كانت على هذا الاساس البوتقة التى تعد فيها مرحلة جديدة وحاسمة فى الفكر الانسانى ـ فقد احست الحركات الاولى للتحرير الوطنى التى انتصرت فيها الشعوب العربية بهذه الحاجة ، وأيقنت ما فرضه عليها التاريخ ٠

ان الفرح غمر قلوبنا عندما اطلعنا فى النشرة الثقافية لجامعة القاهرة غداة حصول مصر على استقلالها على العبارة التالية :

« ان الامة المصرية فى نهضتها الحالية لا تفعل سوى استعادة دورها التاريخى فى الربط بين الحضارتين : الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ... مع اضافة ما هو خاص بها ٠ ومع ايجاد فيما بينها أتم قدر من التوافق والتنسيق » ٠

اننا نحن الماركسيين نتطلع الى التكامل فى كل واحد ـ اى فى عقيدة علمية وانسانية كاملة فى أحسن الاضافات التى جاءت بها الينا المتتالية والشعوب جميعا. فالماركسية كما قال لينين هى الوارث لكل الاحلام وكل الافكار .. وأحسن الابتكارات التى جاءت نتيجة ما بذلته البشرية بأسرها منذ آلاف السنين ٠

ومن المهم أن نسجل هنا أن الافاق قد تفتحت أمامنا فجأة خلال السنوات الاخيرة ٠ وأن تغييرا كيفيا قد اجتاح معدل التطور التاريخى ـ الامر الذى لا يعود فحسب الى الاكتشافات العلمية والتكنيكية ٠٠ لكنه يعود أيضا الى هذا الواقع الاخر ذا الاهمية الكبرى ـ وهو تحرير الشعوب التى كانت حتى اليوم مستعمرة ، والتى جردها الاستعمار من ثقافتها وماضيها ـ فليس فى مقدور الغرب ، ونعنى بذلك أوروبا وأمريكا الشمالية الزعم بأنه المركز الوحيد فى المبادرة التاريخية وفى خلق القيم ٠

واذا كانت شعوب آسيا والشعوب العربية وكذلك شعوب افريقيا السوداء لم تبتدع منذ قرن تكنولوجيا على نفس مستوى فاعلية التكنولوجيا الغربية ٠٠ فان الانسانية فى عصرنا الحاضر سوف تصاب مع ذلك بطعنات قاتلة اذا ما امتنعنا عن البحث والكشف عن القيم التى من صنع تلك الشعوب التى عرقل الاستعمار نموها الاصيل وجردها من تاريخها الخاص ٠

ان الماركسية التى نصبوها لتكون وريثة ثقافة الماضى بأسره ـ لا يمكن أن تجعل تلك الثقافة محدودة فى حدود التقاليد الغربية البحتة من الفلسفة الكلاسيكية الالمانية والاقتصاد السياسى الانجليزى والاشتراكية الفرنسية ، وأيضا فى حدود العقلانية اليونانية والتكنيكية المنبثقة من عصر النهضة ٠

ان الآفات العامة المكتوب على الماركسية اللحاق بها تدفعها للعمل على ان ترسخ فى ثقافة كل الشعوب ٠٠ والا ستصبح « اقليمية » الطابع ٠ فغياب الماركسية عن افريقيا السوداء وانفصال آسيا لا يمكن ان يعتبرا حوادث عارضة فى التاريخ ـ وانما هما يطرحان مسألة الوصول الى انسانية أصيلة فى شمولها وعموميتها ٠

ان المطالبة بالتنكر للتقاليد العقلانية والتكنيكية ـ أو التخلى عنها من أجل ما هو معاد للعقلانية بعيد كل البعد عن تفكيرنا .. لكننا ندعو الى ادماج كافة قوى الحياة فى عقلانية اثرتها الاضافات »

وليس الامر ايضا نوعا من المجاملة أو من المجاراة لبعض الاتجاهات العنصرية المعكوسة التى قد تؤدى بالشعوب الى التجمد فى ماضيها بحجة اقامة مثلا (حالة الزنجية) أو (الروح السوداء) .

ان المطلوب هو العمل على اعداد انسانية شاملة وعامة حقا لا تفقد شيئا مما اكتسبه العقل ـ لكنها تنفتح على مجالات ثقافية جديدة .

وفى اعتقادنا ان الماركسية بطبيعتها قادرة على هذه العمومية الشاملة ، وأن التجربة التى خاضتها حركات التحرر الوطنى للشعوب التى كانت لاتزال مستعمرة حتى الان ، وأن بناء الاشتراكية عند هذه الشعوب بطرقها الخاصة ـ كل هذا سوف يضيف الى انسانية الماركسية .

وما يقال عن الماركسية صحيح ايضا بالنسبة لاى مذهب من المذاهب .. فلن يستطيع الان أيا ما كان تقديم مساهمته فى تحقيق الانسانية الاصيلة فى عموميتها وشمولها ، دون أن ينفتح على الثقافة عبر القرون وعلى حضارات كافة الشعوب .



مناقشات المحاضرة الثانية

الدكتور عبد العزيز كامل

أعتقد أننى أعبر عن آراء حضراتكم جميعا فى تقديم الشكر المكرر والمضاعف لسيادة الاستاذ **جارودى** على هذه المحاضرة القيمة التى فتح بها آفاقا جديدة من آفاق الحوار ايما بين الاشتراكية والاسلام . ولى اقتراح متواضع اقدمه الى الاهرام ممثلا فى شخص الاستاذ **محمد حسنين هيكل** أن لا يجعل هذا الحوار ينتهى بانتهاء المحاضرات وانما يمكن أن يفتح فى الاهرام بعد هذا فى كل الموضوعات التى تفضل بطرحها الاستاذ جارودى . فاذا كان هذا الاقتراح ... بولا فاننى احس أن اخواننا الذين لم يجدوا فرصة الاجابة فى هذه الليلة لن يضيقوا بذلك لانهم سيجدون المنبر الذى تعودوا أن يطرحوا عليه آراءهم وهو منبر الاهرام مفتوحا لهم فى هذه القضايا الحيوية ، وأرجو أن يأذن لى الاستاذ جارودى ابداء بعض تعقيبات فى موضوع محاضرة الليلة ثم بعد ذلك انتقل الى حضرات الاخوة الذين تفضلوا بعرض اسمائهم للتعقيب .

وأول ملاحظة هى تقديرى للنقطة التى بدأ بها المحاضرة وهى انه فيما يتعلق بالعلاقة ما بين الفكر الماركسى ومحاولات ادماج هذا الفكر فى التراث الغنى لعقيدة مسيحية بوضعها الاوربى ، ونقل هذا الامر الى عالمنا الشرقى وعالمنا الاسلامى ، لن يكون نقلا آليا وانما هو عبارة عن دراسة جديدة حية يمكن ان تكون مثمرة اثمارا خصبا كما نود جميعا ، فاذن نحن لم ندخل هذه المناقشة على اساس من تجربة سابقة جرت فى اوروبا ، نطبقها تطبيقا حقيقيا وانما نحن نبدأ هنا بدءا جديدا فى هذه القضية .

تأتى بعد هذا نقطة ان الاسلام قد نما وتطور فى المدن الكبيرة رغم انه نشأ فى دولة تسودها الطريقة البدوية فى الحياة .

فالملاحظ أن الجزيرة العربية فى نشأة الاسلام فيها لم تكن تقتصر على حياة بدوية فحسب وانما

كانت فيها بيئات متعددة ومتنوعة ، كانت فيها البيئات البدوية حول المدن الرئيسية ، وكانت فيها بيئات المدن تمثلها مكة والمدينة والطائف ، وكانت فيها البيئات البحرية الممثلة فى الجزء الجنوبى ، كما فى اليمن • والذى حدث تاريخيا ان الاسلام حينما تفاعل لاول مرة تفاعل مع هذه البيئات جميعا ، فسكان المدينة لم يكونوا اصلا من هذه المدينة ، وانما كانوا مهاجرين من الجنوب عندهم تقاليدهم الزراعية التى نقلوها معهم الى هذه الاجزاء والى هذا يشير الله تبارك وتعالى حينما وجه النبى عليه الصلاة والسلام الى الانذار فقال « لتنذر أم القرى ومن حولها » ، اذن قصر الاسلام فى دراسته على بيئة رعوية من أول الامر اعتقد أننا فى حاجة الى ان نوسع هذا المفهوم ليشمل هذه البيئات جميعا .

حتى نظام المبانى الذى كان موجودا فى بلاد اليمن كان يصل فى بعض أدواره كما يقول **الهمدانى** فى كتابه **الاكليل** الى عشرة ادوار للبيت الواحد وكان هذا مسجلا تاريخيا • فكانت عندهم مدن وكانت عندهم الحضارات ولم يكن الامر اذن بدويا مقصورا على ما كان فى الاجزاء التى حول المدينة ومكة •

من أجل ذلك اذا ما قلنا أنه نقل مظاهر هذه الحياة البدوية ، او نقل مظاهر هذه الحيـــاة الهجرية كنا محتاجين أيضا الى توسيع هذا المفهوم لان المهاجرين على سبيل المثال حينما هاجروا الى المدينة غيروا حرفتهم من التجارة الى الزراعة مباشرة ، واحترم النبى عليه الصلاة والسلام هذا التغيير والتفاعل السريع مع ظروف البيئـة الجديدة ، وحينما مر على رجل صحابى من أهل مكة لم يكن يمارس الزراعة ومارسها ، وأصبحت يده خشنة من الزراعة اذا به يمسك هذه اليد ويقول « هذه يد يحبها الله ورسوله » احتراما للعمل الجديد فى البيئة الجديدة •

فيما يتعلق بالنقطة التى ذكرها عن اعتناق الجماهير بطريقة تلقائية للاسلام ، هذا يمكن ان يوضحه ما قاله **خالد بن الوليد** حينما ذهب الى العراق فاذا ببعض القبائل العربية تقف فى صف الروم ضده فأرسل اليهم رسالة موجزة تعبر عن روح الاسلام كله ، فقال لهم : « ويحكم أأنتم عرب ، فما تنقمون من العرب ، او عجم فما تنقمون من العدل والانصاف » اذن هجرته وسفره وعمله من أجل الاسلام كان من أجل الانصاف ومن اجل العدل ، وفى هذا يبين لنا الله تبارك وتعالى مهمة الرسول فى القرآن فيقول : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبـــائث » ثم « ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » • فاذن المهمة الرئيسية للدين هو أن يحطم الاغلال التى تعوق الانسانية فى مسيرتها نحو تقدمها ونحو غدها .

فيما يتعلق بالنقطة الخاصة بالمساواة أكد سيادة الاستاذ المحاضر على محو العبودية ولكن الاسلام كما أكد على محو العبودية أكد أيضا على المساواة المطلقة بين الناس جميعا . والحديث الشريف الذى يقول فيه النبى عليه الصلاة والسلام « أيها الناس كلكم لادم ، وآدم من تراب ـ ان ربكم واحد وان اباكم واحد ـ ليس لعربى فضل على عجمى ، ولا لاسود فضل على أحمر الا بالتقوى » .

التقوى أمر كسبى يستطيع كل انسان أن يصل اليها وأن يحصل عليها ، فاذن ليس هناك اقرار لاوضاع طبقية ولا لامتيازات موروثة فى هـذا المجتمع الجديد •

بل انه عبر عن هذا تعبيرا محسوسا قويا فقال « الا وان كل مآثر الجاهلية موضوعة » وفى رواية «تحت قدمى هاتين الا السدانة والسقاية ما يتعلق بالدين وبحراسة وبعمارة البيت الحرام ، ثم ذكر امرا اقتصـــاديا خطيرا فقـــال « الا وان كل ربا الجاهلية موضوع » فاذن كل ما يتعلق بأنواع الاستغلال الاقتصـــادية الذى كان موجـــودا فى هذا المجتمع اذا بالرسول يقول عنه « انه موضـوع وانه تحت قدمى هاتين » هناك اطلاقا جديدا للنفس الانسانية لكى تعمل فى هذا المجتمع الجديد •

ملاحظة يسيرة ، ولقد حاكم عمر وهو الخليفة الثانى مسلما كان قد صفع يهوديا : القصة انه كان قبطيا من مصر ، وهاجر الوالد من القاهرة ـــ الفسطاط ـ وذهب الى المدينة واشتكى لعمر وقال له ان ابن عمرو لطم ولدى ـ ضرب ولدى ـ فاذا بالخليفة يأمر باحضار عمرو وولده ويأمر ـ عمرو بن العاص الوالى الذى كان فى مصر ـ ويأمره بأن يضرب ذلك الغلام ابن الوالى وقال له « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » بل ان بعض الروايات تذهب الى أن الخليفة أمره بان يكشف رأسه ووضع السوط على رأسه تأديبا له لكى لا يكون ابن الوالى يشعر بنوع من السيطرة على ابناء السكان •

ما يتعلق بتوزيع الارض أود أن أضيف اضافة موجزة هو أن المسلمين حين فتحوا هذه الارض فعلوا فى المغرب فعلا وفعلوا فى الاقطار الشرقية أمورا أخرى ، فاذا ما وجدوا هذه الارض مقسمة تقسيما أقرب الى العدل أقروا أهلها على ما هم فيه من أرض ، ثم اخذوا خراج هذه الارض ولم يأذنوا للمسلمين بأن يستولوا على هذه الارض ، وهذا هو الذى حدث فى العراق بالذات ، تركوا هذه الارض لاهلها ثم اخذوا خراجها ووزعوه على مصالح المجتمع كله فى ذلك الوقت .

وفيما يتعلق بالمغرب ؟ الصورة كانت مختلفة المغرب كانت فيه هناك سيادة ضخمة جدا وتوزيع ملكية شاذ فاذا بهم يأخذون هذه الارض ثم بعد ذلك يعيدون توزيعها • والذى حدث فى هذا قريب جدا مما حدث فى قاعدة الاسلام فى المدينة على عهد النبى عليه الصلاة والسلام • كانت معظم وأجود أرض المدينة تحت سيطرة القبائل اليهودية وقبائل بنى قينوقاع وبنى قريظ وبنى النظير ، وخصوصا فى الاجزاء المرتفعة الجنوبية الشرقية من المدينة وهى أفضل الاراضى ، وفيها توجد اجود موارد الماء ، فحينما أخذ هذه الارض واستولى عليها كان من الممكن أن يعطيها لاغنياء الانصار لانهم مولوا حملات الفتح ، ويمكن أن يعطيها لفقراء الانصار لانهم أهل هذه الارض ، ويمكن أن يعطيها لاغنياء المهاجرين لانهم تركوا اموالهم فى مكة ، ويمكن ان يعطيها لفقراء المهاجرين ، وكانت آخر مجموعة ممكن ان تطالب أولها حق فى هـذه الارض ، والذى حدث أن معظم هذه الارض ذهب الى فقراء المهاجرين تأكيدا لعدالة التوزيع ، وحينما طلب بعض فقراء الانصار ان يدخلوا معهم فى هـذه المجموعة ادخلهم فيها على أساس انها تعطى للفقراء دون الاغنياء ، يضاف الى هذا انه حينما حدثت بعد ذلك نزاعات على توزيع المياه فى المنطقة والماء كما تعلم فى الجزيرة العربية أهم مـن الارض ، أمر أن لا يمكن أن يحجب الاعلى عن الادنى ماءه وانما أمرهم بتوزيع عادل لموارد الماء ، كما أمر بتوزيع عادل فى الارض الزراعية •

فيما يتعلق بنظام الضرائب استوقف نظـرى النص الذى تفضل الاستاذ بايراده عن الماوردى فى الاحكام السلطانية « وليس على الامـوال الا الزكاة » وهذا امر خلاف ضخم جدا بين فقهاء المسلمين • بل ان ابن حزم وكان عالما اندلسيا عاش فى هذه الارض ، يقول فيما يتعلق بالزكاة ، الاصل الاول الذى ذهب اليه أن تجمع الزكاة كما هو معروف فى الاسلام وتوزع على الفقـراء ويقول « وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد ان يقوموا بفقرائها، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم بهم الزكاة ولا سـائر فى المسلمين فيقـام لهم بما يحتاجون اليه من مسكن وكسوة للصيف والشتاء ، فاذا رفض الاغنياء ذلك اجبرهم السلطان على ذلك ، وحاربهم عليـه ، واذا رفض السلطان والاغنياء ذلك حاربهم الفقراء من أجل ذلك وكانوا أصحاب حق ، وكان الاخرون هم الفئة الباغية » وقال « ليس هناك من فرق بين الذى يمنع انسانا معونا أو طعاما ويمنعه حقه فى الحياة » واذا كان من الفقه الاسلامى أن يحارب الانسان من أجل الوصول الى الماء اذا ما منع الماء فمن حقه ايضا أن يحارب من أجل الوصول الى الطعام اذا ما منع الطعام »

وابن حزم فيلسوف اندلسى ذكر هذا فى كتابه الجليل المسمى « المحلى » وهو كتاب ضخم فى أحد عشر جزءا ويعتبر من مفاخر الفكر الاسلامى وهو اندلسى ، ولعل هـذا الاقتباس يعجب الاستاذ جارودى ».

وبعد ذلك نجد موقفا آخر يعود بنا الى صدر الاسلام هو موقف أبى بكر من منع الزكاة، المسألة مسألة اقتصادية بحتة ــ الزكاة منعت. هم لم يكفروا بالله تبارك وتعالى ، ولا كفروا بالنبى عليه الصلاة والسلام ، ولا بالقرآن وان كان بعضهم قد ادعى النبوة ، ولكن قال أبو بكر « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ، ما استمسك السيف بيدى » فالحرب اذن قامت فيها الدولة مدافعة عن حق الفقراء فى هذا المال ، ضد مجموعة من الاغنياء الذين قالوا اننا لا نؤدى الزكاة بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام ، وحاولوا ان يتمسكوا بنص الآية فى ظاهرها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم .. » والصدقة هنـا انمـا هى معناها تصديق الايمان بدفع المال ، وليس هذا المعنى الدارج من معنى التصدق البسيط الذى .. من غنى الى فقير انما هى تصديق الايمان بدفع ما لله تبارك وتعالى ».

ومن اجل ذلك اذا ما نظرنا الى المال فى الاسلام نراه مرة منسوبا الى الله تبـارك وتعـالى يقول « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » والاية الاخرى «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» هذه آية وهذه آية ، يعتبر المال اساسا بالخلق ملك الله تبارك وتعالى ، ومرة ينسبه الى أصحابه « خذ من أموالهم صدقة ، تطهرهم وتزكيهم بها » ومرة ينسبه الى المجتمع كله « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » • المجتمع من حقه ان يفرض وصاية على انسان سفيه لا يحسن انفاق المال ، فاذن الحق المطلق للانسان فى ماله ، لا يقره الاسلام ــ ويعتبر العمل المصدر الاساسى لانتقال الثروة من الطبيعة الى الانسان ومن المجتمع الى الفرد ، ولكنه فى نفس الوقت يضع قواعد المواريث التى نعرفها جميعا فى الاسلام ».

فيما يتعلق ببعض الاحاديث يبدو انها ترجمت من العربية الى الفرنسية ثم ردت الى العربية مرة أخرى فتحتاج الى تحقيـق مثـل الحـديث الشريف « من يحيى الارض يمتلكها » نصه « من احيا ارضا ميتة فهى له » والى جانب ذلك لا يستطيع اذا ماترك هذه الارض فترة معينة يحكم فقهاؤنا بأن ترد هذه الارض مرة أخـرى الى الجماعة لتعيد توزيعها على المستحقين فيها ».

اجد بعد ذلك ان سيادة الاستاذ قد انتقل انتقالا سريعا من المصادر الاولى الى القرن التاسع عشر والى القرن العشرين . واعتقد ان الامثلة التي وردت هنا دون دخول في تفاصيلها، من الممكن ان نعطى أمثلة أخرى اكثر اشراقا وقبولا في المجتمع الاسلامي، مثال ذلك اذا ما اتينا على سبيل المثال الى حياة **عمر بن عبد العزيز** نرى انه جاء في عهد بني أمية ، وجاء بعد ان اخذ بنو امية كثيرا من أموال المسلمين لانفسهم فجاء الرجل وسمى هذه الاموال كلها المظالم، رآها ظلما، واذا به يبدأ بأهله وقومه ويقول أتوني باوراقكم التي امتلكتم بها الارض فجاءوا بها اليه فاذا به يمزقها واحدة بعد واحدة ثم بعد ان طبق هذا على نفسه وعلى أهله انتشر من هذا الى بقية بني أمية وقال لهم ليس امامكم الا ان تعملوا في ذلك المجتمع الجديد ، سمح لهم بأن يعملوا فهنا نجد انه طبق هذا على نفسه أولا ثم دعا المجتمع الاسلامي الى أن يعمل والى ان يبذل الجهد ، وسمى هذا كله المظالم . وحياته الخاصة تعطينا نموذجا كريما لهذا ـ اكتفى منه بنموذج واحد حينما جاءت امرأة ببناتها يطلبن مالا من عمر بن عبد العزيز فدخلت المرأة البيت فاذا به تجده بيتا فقيرا . ليس فيه شيء فنظرت الى فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز وقالت لها أهذا هو البيت الذي جئت لأعمر بيتي منه فقالت لها ... انما افقر هذا البيت عمار بيوت امثالكم ولو سمن الراعي هزلت الرعية ، ولو هزل الراعي سمنت الرعية » . فالقاعدة هنا انه يعيش في الفقر لان الناس يعيشون في الغنى فاذا ما أخذنا نموذجا من حياة عمر بن عبد العزيز الذي يعتبروه المسلمون جميعا الخليفة الراشد الخامس يمكن أن يكون هذا مثالا قريبا الى قلوبهم والى نفوسهم ـ بينما اذا ما اخذنا وضع القرامطة دون ان ادخل في تفاصيله وكانت الحركة معظمها في أوائل القرن العاشر الميلادي فنجد انه الى جانب ما قاموا به من شيوع ، نجد أنهم هاجموا موسم الحجيج والذين قالوا هذا مؤرخين لم يعيشوا في ذلك العصر ـ نجد هذا مثلا في كتاب **ابن كثير « البداية والنهاية »** وعاش بعد ذلك بكثير نجده في **الكامل في التاريخ لابن الاثير** ـ كل هؤلاء جاءوا متأخرين وكتبوا حينما ذهب القرامطة الى الارض المقدسة وحينما قتلوا مالا يقل عن ثلاثين الفا من الحجيج ، وحينما القوا جثثهم في زمزم حتى ردموها ـ هنا لايمكن أن نتصور أن مثل هذه البشاعة في التصرف يمكن اننا نجد العقل الاسلامي يقبلها في سهولة ـ من الممكن أنهم عاشوا في مجتمعهم هذا على أسس فيها مساواة كاملة لهم ـ ولكن كيف طرحوا هذا على المجتمع ؟ طرحوه حربا وابادة وقتلا وتدميرا ، ونعود فنذكر كلمة خالدة « ويحكم عرب فما تنقمون من العرب أو عجم فما تنقمون من العدل والانصاف » .

كذلك من الممكن أن نأخذ مثالا **لصلاح الدين الايوبي** ، وصلاح الدين الايوبي قريب من عصرنا الذي نعيش فيه ، لقد عاش يحارب بيد ويبني بيد اخرى. ويقول العلامة المغربي الاندلسي **ابن جبير** واستشهد مرة أخرى بمغربي تقديرا لاقتباسات الاستاذ روجيه جارودي، حينما جاء ابن جبير في رحلة الى مصر في طريقه الى الارض المقدسة قال في نص كلمته في أول الكتاب « وأما أهل بلده ـ على مصر في عهد صلاح الدين ـ ففي غاية من الترفيه وسعة الحال ولايلزمهم وظيف البتة (يعني مفيش أي حد فيهم محتاج لأي معونة من الحكومة) ـ فاذا ما ذكرنا أن ابن جبير جاء في اثناء الحروب الصليبية وانه لم يعامل معاملة طيبة جدا في جمارك الدخول لانها كانت ظروف حرب فشددوا عليه المعاملة ولكن هذا لم يجعله يخفي حقيقة وانما شهد بالحق وذكر أكثر من هذا أن جانبا كبيرا من الخدمات التي كانت تؤدى للمغاربة كانت تعمل لهم في الاسكندرية وفي مصر، بل ان الوضع الاجتماعي ادى الى ان يخصص لهم أساتذة وأطباء يزورونهم في بيوتهم ومشرفون اجتماعيون ، وتفاصيل هذا كله يمكن أن نرجع اليها في رحلة ابن جبير الاندلسي .».

كذلك في هذه الرحلات يمكن أن نرى صورا من المجتمعات الاسلامية التي كانت تتبارى في اكرام الضيف وفي التعاون بينهم وفي فتح بيوتهم دائما ولها ابوابها التي لا تغلق أمام أي انسان من هؤلاء الناس الوافدين اليهم ـ وهذا يربط بين شيء آخر ـ عمق جديد أرجو أن يكون بين يدي الاستاذ روجيه جارودي وهو ما أخذه الاسلام من مآثر الجاهلية ـ انه لم يهدرها اهدارا كاملا ومؤرخونا حينما كتبوا تاريخ الجاهلية لم يكن هذا التاريخ جهلا وضد العلم وانما جهلا ومعنى الظلم الاجتماعي الذي كان موجودا ، وبرغم هذا كانت هناك اقداس خيرة كريمة من الفضل موجودة عند هؤلاء الناس رآها الاسلام من مواريثه واكتفى منها بنموذج واحد وهو ما كان عندهم من نار تسمى نار « القرى » يوقدونها اولا ليلا ليراها البعيد على الجبال لترى من البعد ـ ثم بعد هذا يوقدونها بالخشب المتدلي الرطب أي الممطر حتى يشمها الاعمى اذا كان لا يرى ويضعون الى جوارها الكلاب حتى تنبح فاستعانوا بالسمع والشم والرؤيا على جذب القيافي الى بيوتهم .

كان هذا من أول ما ذكره علامة العراق **الالوسي** في كتابه « **بلوغ الارب من احوال العرب**» في الجزء الاول حينما تكلم عن فضائلهم . واختار بعد هذا أبياتا من الشعر كثيرة اكتفى منها ببيتين يمكن أن تصبح أساسا عريضا من **أسس الفكر** الاشتراكي يقول فيها الشاعر الجاهلي قبل الاسلام :

فان يقتسم مــالى بنى واخوتى
فلن يقسموا خلقى الكريم ولافعلى
أهيب لهــم مــالى وأعــلم انني
سأورثه الاحياء ســنة من قبلى

فاذن هو يؤمن بأن المال يمكن أن يقسم ، وفى تقسيم المال انما هو توحيد للفضائل وتجميع لها فى نفس الانسان •

بعد هذا أود أن أقدم خالص التقدير على الكلمة الخاصة بتفسير الاستاذ جارودى وتحليله العميق ورده لكلمة الدين أفيون الشعوب • لقد قال فيها الكثير وما أود أن أضيف اليها شيئا الا أن الاسلام يؤكد أولا عامل الحركة ، دين حركة ــ اذا ماكان هناك انسان مستعبد يخاطبه الله يوم القيامة ــ اذا ما أحس حتى بالذل فى هذه الدنيــا « أن الذين توفاهم الملائكه ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم ــ كيف كنتم تعيشــون حياتكم ــ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » • من الممكن أن تغير موطنك وتســتعد لمعركة مقبلة ثم تعود لتحرير موطنك مرة أخرى •

والاسلام يعتبر العودة الى تحرير الوطن فتحا ولهذا جميع الغزوات سميت غزوة الا فتح مكه سمى غزوة الفتح لماذا ؟ هو عبارة عن استعادة لحق فى الاسلام ، فنحن حينما نحرر بيت المقدس انما نسميه فتحا • الفتح هو استعادة الحق فى المفهوم الاسلامى ، فاذا ماكان الحساب على التأخر او على عدم العمل دنيويا وأخرويا فان هذا يؤكد لنا مبدأ الحركة فى الاسلام • ثم هذه الحركه لا تعتبر فى الاسلام من جانب واحد وانما هى تفاعل وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » •

أنت هنا لا تعمل وحدك وانما هناك قــوة متصارعة متفاعلة فى هذا المجتمع فاذا ماتكلمنا عن التفاعل الاجتماعى والتصارع الاجتمــاعى نستطيع أن نجده أساسا واضحا من الاسس التى تقوم عليها الحياة الاسلامية ، ثم اذا ماأضفنا الى ذلك التدافع أنه كان من اجل ناحيتين رئيسيتين : تحرير هذا المجتمع من كل أنواع الظلم والقسر الموجودة فيه داخليا ، ويضاف الى ذلك أمانته أو تأمينه خارجيا ، وضع متعلق بالجانب العسكرى ، وفى نفس الوقت شىء ايضــا متعلق بالجــانب الداخلى « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع » . هذا داخليا « وآمنهم من خوف » هذا خارجيا •

وانشاء المجتمع الاسلامى فى المدينة تطــور اقتصــادى ــ تطور اجتماعى ــ تطور سياسى • والتطورات كان معظمها بعد النكسات كما حدث بعد « أحد وحنين » ثم نجد الى جوار ذلك ٢٨ عملية عسكرية هى الغزوات ــ يضاف اليها ٤٥ عملية عسكرية لم يشترك فيها النبى عليه الصلاة والسلام ، قام بهذا بعد ان بلغت سنه ٥٣سنة ــ فاذن عندنا ٢٨ غزوة خلاف ٠٠٠ أى ما يقرب من ٨٠ عملية عسكرية فى عشر سنوات لــكل منها ضحاياها • هذا يؤكد عندنا أيضا مبدأ الحركة ومبدأ الفاعلية ، ومبدأ الصراع فى الاسلام •

فيما يتعلق بنقطة الاسلام ومعناه التسليم • فعلا ان الاسلام معناه التسليم ، ولكن أى تسليم انه اســلام النفس لله تبــارك وتعــالى ، معنى ذلك تحريرها من كل قيد دون ارادة اللــه ــ قيد الهــوى ــ الشهوة ــ المنصب ــ الجاه ــ الحرص على وضع يعيش فيه الانسان ــ بل الحرص على الحياة نفسها ــ انما هى أمور يجعلها الاسلام عبارة عن وسائل يعمل بها الانسان فى هذه الدنيا ــ اسلام النفس لله مرادف لتحررها من كل نواحى الخوف الذى يمكن ان تعرو أى نفس فى هذه الحياة من أى ناحية من النواحى • هذا هو المعنى الاسلامى ــ ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه بلفظ « عبد » فى أشرف مواقفه معنى التحرر والتجرد من كل القيود الا ما بينه وبين الله تبــارك وتعــالى ــ فــى الاسراء يخاطبه « بعبد » « سبحان الذى أسرى بعبده » فى الدفاع والصراع فى الدعوة « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه ... » « وان كنتم فى ريب مما انزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » اذن هذه العبودية انما معناها اطلاق النفس من كل قيد فى هذه الدنيا الا ما يربطك بالله تبارك وتعالى ، وما يربطك بالله شعورك أنك حتى لومت فى هذه الدنيا فأنت سترجع الى ربك ــ « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وأدخلى جنتى » •

بعد ذلك هناك حركة جاءت بعد كلام سيادته على الاستاذ الكبير رحمه الله « عبد الحميد بن باديس » فى حركة العلماء ــ فيقول فيها ان هذه الحركات تدل على أن الاسلام بعيد عن قيادة الانســان بالضرورة الى القادرية واللامبالاة بالحياة ، بل فى امكانه أن يكون خميرة للفعل والنضال ، بل ان أساسه أن يكون كذلك • وأما أى شىء آخر فهو طــارىء علــى الفكر الاســلامى ودخيــل عليه ــ الاساس فيه أن يكون دافعا الى العمل ــ واذا ما طرأ أى طارىء يكون انحرافا عن ذلك الاساس الاسلامى السليم •

ما يتعلــق بعــد ذلك بالقــول بأنه ليس فــى الاشتراكية ثمة شىء يتعارض مع الاسلام • نحن

هنا في بلدنا نفهم الاشتراكية على أنها منع استغلال الانسان للانسان ــ اننا نريد ان نقيم مجتمعنا على أساس من الكفاية والعدل دون اى ناحية من نواحى الاستغلال ، ونحن فى هذا نستطيع أن ننفتح على أى فكر عالمى نستفيد منه ونثرى منه ، ونشعر أننا فى انفتاحنا على هذا الفكر العالمى لانفقد أنفسنا، بل اننا نزيد انفسنا ثراء فى نفس الوقت . فنحن يمكن أن نكون مسلمين صحيحى الاسلام ــ وفى نفس الوقت ينبغى ان نكون اشتراكيين اذا ماكان مانتفق عليه من الاشتراكية هى انها منع استغلال الانسان للانسان او منع استغلال طبقة لطبقة او سيطرة طبقة على بقية الطبقات .. نفهمها على أساس من تحالف قوى الشعب العاملة فى مجتمعنا ، ونفهمها على أساس من اعتراف بقيمنا وديننا ، ونفهمها على أساس من العمل الدائب على أساس ليس فيه استغلال وانما فيه الخير لكل الذين يعملون فى ذلك المجتمع ، أما الذين يعادونهم فلقد بين القرآن الكريم انه من الممكن حربهم حتى بالسلاح ــ ولو كانوا يقولون بالاسلام وبالايمان وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ... »

ان هذه التجربة الاشتراكية الرائدة فى مصر انما استطاعت أن تنفتح الى تعاون اسلامى مسيحى فى مجتمعنا ، نحن نجد الجميع يعملون فى الانشاء وفى التعمير والبناء ويعملون فى الجبهة معا ، ويعملون على الصعيد المحلى ، ويعملون على الصعيد الخارجى ــ كل هذا تعاون ، ولعل أقرب الامثلة على ذلك ــ هذه الهبة التى حدثت بعد نكستنا فى ٥ يونيو وذلك الاتفاق الكامل والارادة الموحدة يومى ٩ ، ١٠ يونيو ، ثم بعدذلك هذا الالم الممل القاتل الذى حدث فى نفوسنا يوم أن حرق المسجد الاقصى فاذا بنا بعد ذلك نقيم مؤتمرا فى جامعة الازهر يخطب فيه مسلمون ويخطب فيه مسيحيون ويتعاونون جميعا من أجل الهدف المشترك .

فيما يتعلق بالعقل اننا جميعا نعتقد فى الاسلام أن العقل هو مناط التكليف ، والله يخاطبنا فيقول يأمر رسوله « قل انما أعظكم بواحد أن تقوموا لله بينى وبينكم ، أمر واحد ان تقوموا لله اذا ما تحركتم لا تتحركوا الا لله تبارك وتعالى » مثنى وفرادى ــ اما ان تتأمل تأملا جماعيا أو فرديا ــ تتفكرون ما بصاحبكم من جنة » اذا ما تفكرتم على هذا الاساس منطلقين من هذا الانطلاق ستشهدون الى ذلك الحق الذى يريده الله تبارك وتعالى لكم .

فيما يتعلق بقول ابن رشد عن البدء والنهاية أكتفى فيه بقول الله تبارك وتعالى « ألا له الخلق والامر » الخلق هو الايجاد ، والامر هو التسيير والذى درس هذه النقطة دراسة مفصلة هو فيلسوف الاسلام الكبير السيد ــ محمد اقبال فى كتابه « **تجديد الفكر الدينى فى الاسلام** » .

بعد ذلك اجد فى ختام القول ان الاستاذ جارودى كان فى اول حديثه يستخدم دائما الاشتراكية ــ الاشتراكية ــ الاشتراكية ، ثم فى الصفحات الثلاث الاخيرة وجدت الماركسية ــ الماركسية ــ الماركسية ، واننى متمسك بما بدات به وشكرا .

الاستاذ خالد محى الدين :

سيصعب على الكلام بعد هذه الكلمة العظيمة للدكتور عبد العزيز كامل التى شملت الموضوع كله . ولكننى سأعالج نقطتين : **النقطة الاولى** موقف الاسلام من النظم السياسية والاجتماعية كأساس لتعاون عملى فى المستقبل ، **والنقطة الثانية** موقف المؤمنين من جوهر الاشتراكية .

السيد روجيه جارودى قال « ان الاسلام لم يأت بدستور مفصل للاشتراكية » وهذا حقيقى ــ وقال « ان الاشتراكية لاتتعارض مع القرآن » وهذا ما ذكره الدكتور عبد العزيز كامل . واتفق مع رأى الاستاذ عبد العزيز كامل ان الاشتراكية لا تتعارض مع القرآن ليس هذا فحسب بل ان الاشتراكية ومبادئها يدعو اليها القرآن .. كيف ؟

ان القرآن والسنة الشريفة دعوا الى العدالة الاجتماعية للانسان من خلال مبادىء كلية عامة وهى تعتبر المثل الاعلى الذى يعمل الانسان من اجل الوصول اليه ــ مبادىء العدالة الاجتماعية ومثل عليا يسعى الانسان الى تحقيقها ، فتجعل المسلم دائما مع التقدم يسعى للوصول الى الهدف ، ويسعى المسلم لتطبيق هذه العدالة الاجتماعية بطرق مختلفة باختلاف العصور فقد تكون العدالة الاجتماعية تطبق فى هذا العصر عن طريق الاشتراكيين ، وقد تكون فى عصر سابق الرأسمالية ، وقد تكون فى عصر قادم ما بعد

الاشتراكية ·· لا شيء يقف امام المسلم عن أن يسير مع التقدم ومع مبادىء التقدم ، وهذا يعنى أن الاسلام لا يضع حدودا للتطور الاجتماعي وهذا هو السر في صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان · ان مبادىء الاسلام العامة الكلية التي لم تدخل في التفاصيل هي الاطار العام للانظمة السياسية والاجتماعية التي يطبقها المسلمون .

هذه المبادىء الخاصة بالعدالة الاجتماعية التي اتى بها القرآن بالاضافة الى السنة الشريفة . والتطبيق الاول الذي تم في عهد الثورة الاسلامية ، الاولى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين ، هذه المبادىء اذا تمثلناها او اذا تمثلها المسلمون واردنا ان نطبقها بروح العصر على واقعنا المعاصر ، واضعين في اعتبارنا ظروف التقدم العلمي والتكنولوجي مع الاستفادة من التقدم الكبير في العلوم الاجتماعية ـ والاشتراكية العلمية احدى نتاج هذا التقدم الكبير في العلوم الاجتماعية ـ فسوف يؤدي بنا هذا العمل الى ان نصل الى ان النظام الاشتراكي هو الذي يحقق في ظروفنا الراهنة وفي مثل مجتمعنا مبادىء العدالة الاجتماعية للاسلام · ولا اريد ان اخوض في التفاصيل ، ولكن جوهر ومنهج هذه المبادىء متكامل ، فمثلا بالنسبة للاموال ـ كما ذكر الدكتور عبد العزيز كامل ـ انه موقف الاسلام في اتجاه الجماعة فاذا رجعنا الى القرآن « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ·· وآتوهم من مال الله الذي اتاكم » معناه ان الناس الخلفاء في الاموال يتصرفون فيها وفق المصلحة العامة للجماعة ـ اى ان الملكية ليست مطلقة . قد يقول البعض ·· من الذي يستخلف ؟ ولكن الحديث والتطبيق يثبت ان الاتجاه هو في اتجاه الاغلبية ومصلحة الجماعة ، فالحديث الشريف الذي يقول « الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار » وفي ذلك الوقت هذه الاشياء الثلاثة هي اهم مصادر الثروة في الجزيرة العربية . فاذا تطرقنا الى شيء آخر غير المال ، مازاد عن حد الناس في الحاجة اليه نجد في الحديث الشريف الذي رواه ابو سعيد الخدري قوله « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لازاد له » . وقال ابو سعيد « فذكر رسول الله من اصناف الاموال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لاحد منا في فضل » والفضل هو ما زاد عن الحاجة ـ هذا يعني ان كل ما يزيد عن الحاجة يذهب الى الغير هذه هي الروح ـ فاذا اتينا الى موضوع الارض في التطبيق العملي رأينا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الارض المفتوحة في العراق والشام ومصر اغلبها ملكية لبيت المال ، حتى لقد حصل بينه وبين الصحابة خلاف ـ لماذا لا توزع هذه الارض على المسلمين كما فعل ايام الرسول ؟ فكان رده ان هذه الارض ارض جيدة والدولة الاسلامية قد اتسعت وتحتاج الى اموال للجيوش للانفاق على المسلمين فلابد ان تكون لبيت المال · فهذا يعني ان موقف التطبيق العملي بجانب النصوص والاحاديث هو في اتجاه مصلحة الجماعة ـ هذا بجانب تقديس القرآن للعمل والحديث الشريف للعمل واعتباره المصدر الاساسي للرزق وهذا موضوع لا ازيد عليه ·

وهناك موقف الاسلام من الربا ، باعتباره يقف ضد ان يكون مصدر الرزق شيئا غير العمل · هذا هو جوهر الفكرة الاساسية وان الانسان لا يستولى من زميله على جهد عمله ـ ثم بعد ذلك وقوفه ضد تركز الثروة في المجتمع وتشريعه الضرائبي للتقليل من هذا التركز ثم الفكرة الأساسية التي تدخل بنا الى التطور نحو الاشتراكية ـ التكافل الاجتماعي للمجتمع ككل ، ثم مسئولية الحاكم للتدخل في المجتمع لصالح الفئات المهضومة ـ وفي ظروف عالمنا المعاصر فان هذه المبادىء تعني الاشتراكية ـ وهذا يعني ان الاسلام لا يبدأ من الصفر بل يبدأ من تراث نشعر اننا في اتجاهنا نحو الاشتراكية نسير في خط متصل ·

النقطة الثانية هي نقطة علاقة المؤمنين بجوهر الاشتراكية العلمية ، والسيد جارودي مشكورا فصل في موضوع الدين افيون الشعوب ، وبطريقة جميلة وشاعرية وعلمية ايضا .

وفي الحقيقة أنا أريد أن أضيف أن الدين مظلوم في هذا الامر لان الاديان تدعو الى خير الانسان وتحرير الانسان ـ انما هناك التفسير الخاطىء للدين او التفسير الرجعي للدين في ظروف معينة ممكن ان يكون هذا ، ولكن الدين براء منه ، فالتفسير الخاطىء للدين او التفسير الرجعي للدين ممكن ان يكون في مرحلة ما افيون للشعب ، ولهذا فأنا أقول أن الفكر الاشتراكي العلمي في بلادنا وفي العالم ـ عليه أن يعيد دراسة هذا الامر ويقدم رأيا جديدا .

ان دخول المجتمعات الاسلامية والجماهير المؤمنة الى ميدان النضال من اجل الاشتراكية ومن اجل التحرر العالمي والبناء لابد وان يثرى الفكر الاشتراكي العلمي باضافات جديدة ، تحقق ما دعى اليه السيد جارودي ان تتسع الاشتراكية العلمية لتحتضن كل الحضارات والتراثات وكل الثقافات . فيمكننا اذن ان نقدم في بلادنا وعلى اساس التجربة اضافات فكرية وثورية للاشتراكية تغير من النظرة التقليدية السابقة للاشتراكية

العلمية الى الدين وتغنى تراث الاشتراكية وتفتح مجالها للملايين من المؤمنين ».

والاشتراكية فى جوهرها هى نضال سياسى من اجل اقامة نظام اجتماعى وسياسى على اساس من الاقتصاد يلغى استغلال الانسان للانسان ، يحمى هذا النظام سلطة سياسية لجماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين الذين من مصلحتهم حماية هذا النظام . هذا هو جوهر الاشتراكية ـ كل انسان يعمل من اجل تحقيق هذا ويدخل فى الصراع الطبقى المحلى والعالمى فهو اشتراكى ـ وكل من يكافح فى مجال النضال العالمى ضد الاستعمار العالمى ومن اجل مساواة كل الشعوب هو اشتراكى ، بصرف النظر عن موقفه الفكرى والفلسفى الذى يتعلق بتصوره نحو العالم ، وهو يختلف عن الموقف الاجتماعى والسياسى الذى يحدد موقع الانسان من قضية الاشتراكية ـ او كما يقول العسكريون فى اى خندق يوجد الانسان ؟ فى خندق الجماهير وهى تناضل ضد الاستغلال أم فى خندق الرجعية ؟ فاذا كان فى خندق الجماهير فهو مع الاشتراكية يناضل من اجلها ـ واذا كان فى الخندق الاخر ، مهما كان تصوره ، فهو مع القوات المعادية ».

ولهذا فانا هنا اطالب جماهير المؤمنين ان تتقدم نحو الاشتراكية بهذا الفهم على أن جوهرها هو اقامة نظام اجتماعى وسياسى بعيد عن استغلال الانسان للانسان .

كلمة اخيرة اود بها ان احيى السيد المحاضر ـ وهى كلمة خاصة بى ـ فى واقع الامر ، اذ انه فى الاربعينات بعد الحرب العالمية الثانية كان كتابه الصغير «**الاقتصاد محرك التطور الاقتصادى فى التاريخ**» الذى كان يوزع سريا بالقاهرة هو الكتاب الذى فتح فكرى نحو طريق الاشتراكية العالمية ، ونحن نجتمع اليوم لنستمع الى الافكار التى تدعو الى فتح طريق الفكر نحو الاشتراكية والاسلام ـ وشكرا .

السيد كمال رفعت

اود ان اشكر الاستاذ جارودى على محاضرته القيمة والتى اوضح فيها الكثير من المعانى والمبادىء التى ربطت الاشتراكية بالدين . وهو فى الواقع قد عبر فى محاضرته عن كثير مما نؤمن به هنا فى مجتمعنا ونعمل على ارساء قواعد سليمة بهذا البناء الذى يقوم على أساس قوى مادية وروحية يجب أن يرتبط فيما بينهما لبقاء اى مجتمع ».

فى تقديرى أن الصراع الذى يجرى فى عالمنا اليوم والتناقضات فى مجتمعنا اليوم سواء فى المجتمع الرأسمالى او المجتمع الاشتراكى هى نتيجة عدم التكافؤ اساسا بين القوى المادية والقوى الروحية فى المجتمع بحيث اصبح هناك نوع من التمرد ، وخصوصا بين الشباب الذى لم يقتنع فقط بالتطور المادى الذى يحدث ولكنه يريد ايضا جرعة جديدة من القوى الروحية ، لتستطيع أن تتوازن مع هذا التطور فى حياتنا .

والقوى الروحية هى فى الواقع القوى الدافعة لاى انسان ولاى مجموعة من البشر لكى تستطيع أن تسير فى طريق اهدافها الاجتماعية واهدافها الاقتصادية فى اى مجتمع فالدين فى الواقع وما ينطوى عليه من قيم ودوافع روحية وخلقية ايجابية بناءة فكرة حية خالدة لا يمكن أن تطرح جانبا او تموت فلا غنى عنها للانسانية مهما بلغت هذه الانسانية من تقدم ، لان هذه القوى من الضرورى ان تترابط مع التطور المادى الذى يسير فى المجتمع ،

ولعلنا لاحظنا فى السنين الاخيرة نتيجة هذا التناقض ونتيجة التمرد الذى حدث فى كثير من الانظمة بالرغم من اختلاف الانظمة الاجتماعية وفى تقديرى ان هذا نتيجة فقدان النواحى المعنوية والروحية التى تدفع بالعمل المادى دائما الى الامام ، فاذا نظرنا الى الدين بشكل عام نجد أنه فى الواقع لا يقف موقف العداء من التقدم ، بل يباركه ويدعو اليه . ولم يكن ظهور الاديان بعد التخبطات المبنية على الوساطة والرمزية الا مرحلة هامة من مراحل تقدم الفكر الانسانى ،

واعتقد ان الاستاذ جارودى شرح هذه الناحية واوضح أن الدين فى مراحل مختلفة كان عبارة عن ثورة اجتماعية او ثورة انسانية جاءت فى وقت معين لتخلص البشرية من ظلم معين وقع عليها ـ اذا نظرنا الى اليهودية والى المسيحية والى الاسلام نجد الظروف التى نزلت فيها هذه الرسالات توحى بأنها نزلت بهدف تحرير الانسان وتحرير البشرية من نوع معين من الظروف وقع عليها ـ هذا يدلنا على أن الدين قد انبثق عن تقدم الفكر والعلم ، ولم ينبثق عن السحر والخرافة ، وكان الدين عاملا ميسرا لتقدم الانسان وجاء

لتبديد ظلمات السحر والشعوذة والخرافة بـل ليحرر ملايين الجهال من هذه الخرافات ، اذا نظرنا الى سيدنا ابراهيم نجد أنه اول من ارسى قواعد الدين بمنهجه التجريدى البسيط والمباشر للوصول الى حقيقة الله وليضع حدا نهائياللوثنية وسـائر انواع الرمزية المادية ، ووساطةالكهنة ، واليه يرجع الفضل فى وضع قواعد الدين الخالص تلك القواعد التى لها مكانتها البارزة فى الأديان السماوية كلها وفى القيم الروحية والانسـانية كلها ـ نجد ان هذه الأديان كلها تلتقى فى عدة امور ، اولا التوحيدای‌وحدة الله ، وفكرةالتوحيد أو فلسفة التوحيد او حقيقة التوحيد فى تقديرى تنبـع من عمليـة اسـاسية ، انه لايوجدسيد على الارض ، وان البشر سواء ، وانه لا يجوز بأى حال من الاحوال ان يكون هناك سيد على سطح الارض وان الناس هم متساوون ومتعادلون ، ثم انه الغى عبادة الاصنام ووضع حدا نهائياالجميع انواع الرموز المادية كوسيلة للتقارب الى الله .. هذا بالاضافة الى الاهتداء الى حقيقة وجود الله عن طريق التأمل والبصيرة وادراك ايات وشواهد الخلق نفسها .. وهناك ايضا تلمس هداية الله عن طريق الدعاء والصلاة وبهذا الطريق قامت رسالات موسى وعيسى ومحمد ورسالة موسى توضح لنا اهمية العنصر الاجتماعى للدين ، حيث تبين لنا ان الحركات الدينية ، لم تكن بالحركات الروحية او المعنوية البحتة ، ولكن كان من بين اغراضها ايضا تحرير الانسان من الظلم والفاقة وجميع مظاهر الغبن الاجتماعى . كما ان دروس الحب والاحتمال والتسامح التى علمها المسيح وعلشها ايضا كانت تحديا عظيما للعصر الذى عاش فيه .. ذلك العصر الذى سادته الكراهية والاحقاد وروح العدوان .. وكان ظهور الاسلام آخر مرحلة من مراحل تطور الدين .

وكانت رسالة الاسلام من العموم والشمول والمرونة بحيث يمكنها ان تواجه وتطابق اى تغيرات موجودة فى اى انظمة او فى اى مجتمع . واذا تاملنا فى الانبياء نجد انهم كانوا عبارة عن نفر من الرجال المخلصين المتفانين الذين كرسوا حياتهم للكفاح عبر القرون فى مختلف الجماعات ضد الخرافة والسحر والجهالة والظلم والطغيـان والفساد والغبن الاجتماعى وكانوا رواد الايمان الذين اخذوا الطريق المستقيم واخذوا على عاتقهم فلسفة حياة الانسان الى الدين وارساء القواعد المعنوية والخلقية للمجتمع الانسانى ..

ان هذه الحركات كلها أو هذه الرسالات لم تكن روحية بحتة نلاحظ انهم اولوا عناياتهم ايضا لتحرير الانسان اقتصاديا واجتماعيا جنبا الى جنب مع تحررهم المعنوى او التحرر الروحى ولم تكن هذه الدعوةبسيطة او هينة ، بل كانتشاقة، فنصرهـــم البعض ووقف البعض الاخـــر ضدهم .. وقفت جماهير الفقراء المظلومةنخبةمن اهل الحكمة والبصيرة .. دعاة التقدم هم دائما الذين كانوا بجانب الرسل . وضرب هؤلاء اروع الامثلة البطولية فى الاخلاص والوفاء والتضحية للاجيال التالية لها . من همالذينعارضواالانبياء؟ الطغاة الاغنياء الرجعيون الضـعفاء والجبناء الجهال اللاهون والعابثون .جميعهؤلاءكانواضد التطور وضد الثورة الاجتماعية التى نادت بهـا الرسالات السماوية .

واذا نظرنا الى الدين فى الواقع الاسلامى نجد انه يعتبر اساس ثورة اجتماعيةونلاحظان الذين امنوا بهذه الثورة الاجتماعية همالعبيدوالنساءلان المرأة كانت مستغلة قبل ظهور الاسلام والعبيد الذين كانوا ينتمون الى اجناس اخرى .. كل هؤلاء هم أول من انضموا للرسالة . رسالة الاسلام او اقتنعوا بهذه الرسالة . بل ان انهيار الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية على يـد المسلمين لم يكن فى الواقـع نتيجـة الغزو بحـد السيف، بقدر ماكان اقتناعا بالرسالة الاجتماعية التى يحملها الاسلام . وعلى هذا الاساس انهارت الامبراطورية الفارسية وانهارت الامبـراطورية الرومانية . نتيجة الرسالة الاجتماعية التى يحملها الاسـلام وفى تقـديرى ان هـذا يعتبر اكبر نصر للمبادىء الاجتماعية التى نادى بها الاسلام . واذا لاحظنا ان الاسلام لا يبحث فقط فى الغيبيات ولكنه يبحث ايضا عن الحياة ؛ ان ثـلاثة ارباع ايات القرآن تمس الحياة اليومية للجماهير ،تمسقيما معينة تمس المعاملات فيما بينهم وقيمة العمل .. العدل .. مديد المعـونة للغيـر .. التكافـل الاجتماعى ، العفة ، وكل هذه النواحى تبرز فى ايات القرآن الكريم . ونحو ربع القرآن الكريم يمثل نوعا من الغيبيات الضرورية لكى يستطيع الفرد ان يؤمن بحقيقة القوة التى تسيرهذهالحياة ومن هنا نلحظ مدى الارتبـاط بين الدين وبين الاشتراكية ؛ والاشتراكية اذا كانت تدعو الى خلق قيم جديدة والى خلق مبادىء جديدة فى المجتمع واذا كانت تدعو الى القضاء على استغلال الانسان للانسان والقضـاء على حكم الطبقات ، فالقرآن او الدين الاسلامى كان ضد حكم الطبقة ولم يكن ضد تفاوت الدرجات بين الافراد .. وهناك فرق بين

الطبقات والافراد فى القرآن الكريم ، « لكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » ، بمعنى بعض العناصر الرجعية قد تغير هذا الا ان القرآن يدعو الى وجود طبقات ولكن من مفهوم الاية انه يمنع قيام الطبقات بمعنى ان تقوم طبقة مستغلة لكى تستغل بقية افراد المجتمع • ولكنه لم يمنع تفاوت الدرجات بين الناس نتيجة العمل والجهد « لكل درجات مما عملوا » ومن هنا تتضح لنا عدة قيم اساسية نادى بها الاسلام •

الدكتور محمد كامل حسين

سيدى : لقد حضرت لاتعلم • ودراساتى لم تمكنى من التعمق فى المسائل الاشتراكية أو الماركسية ، ولذلك ترانى أوجه اسئلة لاتلقى عنها الاجابات من شخص ضليع مثلكم ».

وسأتكلم أولا عن افيون الشعب هذا • فباعتبارى طبيبا أعلم أن هناك مرضى ليس فى الامكان انقاذهم بدون الافيون • وحيث اننى مؤمن بأن المجتمع العصرى مريض ومريض جدا ـ بل أقول انه فى حالة احتضار ـ فهناك فى الحياة العصرية تناقضات ومفارقات تتطلب قليلا من الافيون • والافيون هو الدين • وأنا متأكد من أن ذرة من الدين فى البيت الابيض والكريملين تستطيع تماما أن تنقذ ٢٠٠ مليون من البشر قد يقتلون غدا .ولذلك اقول ان اللقب افيون الشعب ليس تعبيرا عن فكرة سيئة عن الدين ».

غير اننى اسأل عن الاشتراكية ، واكتفى باثارة الاسئلة • فهل تختلف الاشتراكية عن كونها مذهبا من بين المذاهب الكثيرة الاخرى ؟ ذلك لانها عديدة • وعليه ، فهل الاشتراكية شىء أكثر عمقا واكثر غنى من جميع المذاهب الاخرى التى وردت علينا منذ زمن لا أدرى طوله • ان الليبرالية فى عصرها ـ عام ١٨١٥ ـ كادت ان تكون شيئا خارقا سيحدث فى العالم انقلابا • تماما كما نعتقد الان أو يعتقد بعضنا أن الاشتراكية تستطيع ان تحدث انقلابا فى العالم • وهذا ليس صحيحا • فلقد أتت الليبرالية وقضت فترتها طبعا ولم ينقلب العالم . وسوف تذهب الاشتراكية ولن ينقلب العالم كما يخشاه المحافظون ».

هذا •• ولقد تحدث أصدقائى عن الاسلام ، فتكلموا من الناحية العملية • غير انى أود أن أتناول قضية الاشتراكية ومن الناحية النظرية • ولقد لاحظ الدكتور عبد العزيز كامل اننا بدأنا بالاشتراكية وانتهينا بالماركسية • وأريد التحدث عن الماركسية • ان جميع الاديان اشتراكية وليس فى ذلك من شك • فالمسيحية والاسلام والبوذية ، هذه جميعا اشتراكية ، دون شك اليس كذلك ؟ وهل الماركسية التى تختلف عن الاشتراكية وتختلف عن العدالة الاجتماعية • وعلى ما اتذكر ـ ولا يمكننى القطع ـ ان ماركس ثار عندما حدثوه عن رأيه باعتباره عدالة اجتماعية • ذلك لانه كان يقول انه أمر رياضى وحتمى ، والقوانين التى يصيغها قوانين حتمية ، وأن القضية لا تتعلق بالرحمة أو الشفقة أو الاحسان ، أنه شىء لابد من وقوعه ». ومن الناحية النظرية أود أن أسأل فقيها مثل السيد / جارودى ». فانا الذى تلقيت تربية علمية بعض الشىء ، أرى أن للماركسية بعض العيوب من الناحية العلمية • ولقد وجدت فى كونها علمية مصدرا كبيرا للقوة لها واستفادت منها • وكل الذى اود قوله هو انها منطقية • غير ان القول انها علمية ، فهذا ما أريد معرفته •.

هناك شيئان ، مفهومان للماركسية • وانا أعلم اننى قد أخطىء ، ولذلك أطلب تفسيرا • هناك شيئان : الحتمية والنضال • فالحتمية أمر اساسى فى الماركسية فيما اعتقد • وبالنسبة لنا رجال العلم ، فالحتمية تتعلق بالقوانين الطبيعية والكيمائية • والقوانين البيولوجية اقل احكاما ، وكذلك القوانين البشرية تقل عنها • وعندما يتعلق الامر بالمجتمع ، فالقول بأن القوانين حتمية فى مستوى القوانين الطبيعية شىء ليس علميا تماما • والشىء الثانى قضية النضال هذه • وان النضال والصراع لمرض أصاب مفكرى القرن التاسع عشر • فالنضال كان يجرى هناك اكثر ما كان يجرى فى العالم • انظروا مثلا الى داروين نفسه الذى تحدث عن « الصراع من أجل الوجود » فانه لشىء طفولى أن يعتقد المرء أنه لكى نحصل على التقدم فلابد من أن يتقاتل البشر ، وان الاقوى لابد من أن يستمر ، وأن هذه هى وسيلة التقدم ، أو وتقديرى أن ربط الناحية الروحية والناحية المعنوية مع التقدم المادى نفسه يمكن ان يحل مشاكل كثيرة خصوصا فى الظروف التى يجتازها العالم اليوم •.

تعقيب اخير من الاستاذ الدكتور لبيب شقير اما بقية الاخوة وكلهم اعزاء علينا جميعا فموعدنا على صفحات الاهرام ان شاء الله ».

طريق التقدم ». وهذا شيء لم يقله داروين، وحتى لو قاله ، فهو شيء طفولي • انه مستحيل •

ثم هناك فرويد الذى آمن بالصراع واقامه بين العقل الواعى والباطن . كان هنـاك ملاكمان يتضاربان ، فى نفسيتنا • والذى يفوز فهو العقل الواعى أحيانا والباطن أحيانا • وفكرة الصراع هذه التى تميز الماركسية لهى نتيجة الاوضاع المترتبة على انتشار الصـناعة •• وهـو مميز تماما لهذه الفترةوليس فيه على الاطلاق أمر خالد أو ما هو مبنى تماما على العلوم الصحيحة .

ولذلـك فأرى أننا نستطيع التحـدث عن الماركسية ـ أو الاشتراكية ـ باعتبـارها تطورا طبيعيا للامور • لقد كانت هناك الملكية فى البداية ثم الاقطاع فالبورجوازية ثم البروليتاريا : وعلى هذا الاساس أفهم الاشتراكية تمام الفهم • فهى تطور للنظـام الاشتراكى الذى كان لابد من وقوعه • غير أننا اذا قلنا ان الماركسية شيء أو قانون علمى أو طبيعى أو حتمى يقضى بالنضال قضاء ، فهذا ما لا اراه علميا جدا • ولذلك اتساءل عما اذا كان ممكنا أن ينظر الى الماركسية بدون الحتمية ولا نضال ؟ . وفى هذه الحالة قد تكون تماما عبارة عن أمر الحياة . وشكرا ».

الدكتور لبيب شـقير

اود أولا أن أشكر السيد جارودى على الدراسة الجادة التى عرضها الليلة ، هذه الدراسة التى تتعلق بمسألة التوفيق بين الدين والفكر الماركسى ولا اقول الاشتراكى لان علينا أولا أن نثير المسألة فى اطارها الحقيقى •

وفى رأيى أن هذه الدراسة هامة جدا لانه حتى الان طبقا لفكرة منتشرة يوجد نوع من التضاد، ومن التناقض بين الماركسية من جهة وبين الدين من جهة أخرى • والدراسة التى تمت الليلة تلقى كثيرا من الضوء على الطريق الذى يمكن السير فيه للوصول الى تزاوج سعيد بين الدين والماركسية ـ والحقيقة انى فى هذا الخصوص، أريد أن أزيل بعض نواحى الالتباس التى ـ ان لم نزلها ـ قد تعقد دائما ، المسألة ، أما من الناحية الفكرية أو من ناحية التطبيق ».

وناحية الالتباس الاولى هى الاتية : عندما يتحدث عن الدين ، يستعمل لفظ واسع جدا للدلالة فى رأيى على ظواهر شديدة الاختلاف ، ويأخذ المرء هـذه الظـواهر المختـلفة فى مجموعها فيحـاول أن يضعـها ازاء تـركيب فكرى محـدد هـو التـركيب المـاركسى .. وهنا يجب فى تقديرى أن نميز بين افـكار مختلفـة فهناك الدين بالمعنى الشائع بيننا المؤمنين سواء كنا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا ، الدين بمعنى مجموعة من الاسس ذات المصدر الالهى والتى تضع امرا شاملا لابد من ان يسيطر على تصرفات الافراد والمجتمع • وهناك معنى آخر ، وهو فكر المفكرين والمدارس الفكرية التى تنمو حول أو تستوحى تلك الاسس الاخلاقية المعنوية أوتلك الاسس التى توجد فى المصدر الالهى للدين • وهناك أيضا الحضارة بأوسع معانيها والتى لا تشمل فقط الفكر بلّ وأيضا جميع اشكال التقدم المادى وجميع العلاقات بالحياة الداخلية لامة من الامم، والمبنية على فكرة دينية معينة أو فكر دينى معين • وأخيرا فلابد من أن احدد أيضا ضرورة التمييز بين ذلك كله بين شكل معين للملكية وللتنظيم الاقتصادى داخل مجتمع ما • فسواء كان الادعاء صحيحا أو غير صحيح فيما يتعلق بأن شكل الملكية مرتبط تماما بالدين ، فهذا أمر آخر ، وعلينا أن نميز بين مبدأ الدين من جهة وشكل التنظيم الاقتصادى من جهة أخرى • واذا اخذنا هذا كله معا عند التحدث عن الدين فقد نقع فى خطأ كبير ونتعرض الى الوقوع فى افكار تعطينا انطباع التناقض بين الاشتراكية ـ بمفهوم معيـن ـ والدين • فمثلا ، ومنذ البداية يمكننى أن الاحظ ـ ويوجد هنا اساتذة للتاريخ الاسلامى وللدين الاسلامى أيضا ـ يمكننى أن الاحظ أن تمركز الملكية الذى يميز مراحل مختلفة لتاريخ المجتمع الاسلامى أمر لا شك فى انه يخالف المبادىء ذاتها للدين الاسلامى • وهذه نقطة يجب أن توضع بوضوح لتنقية المناقشة من بعض الافكار التى قد تحدث فينا الالتباس •

والملاحظة الثانية التى على ان ابديها هى ان الدين الاسلامى، والدين بأوسع معانيه، ليس فقط الاسلام بل اقول أيضا المسيحية وجميع الاديان عموما ، موضوعة فى وضع الدفاع ، بمعنى أن على الاديان أن تبرهن انها لا تتناقض مـع الاشتراكية • والحق ، أود أن أقول انه ، بعد العرض الذى قدمه السيد جارودى ، فان جميع الذين يهتمون بدراسة الدين ، قد يحتاجون الى القيام مرة أخرى بدراسة موضوعية للدين على أساس التمايز بين الانواع التى ذكرتها فى بداية حديثى • وهذا شيء هـام جـدا ، لان علينا أن

نتساءل : ما هى رسالة دين من الاديان ؟ ليست رسالة الدين أن تكون كتابا علميا • واذا نظرنا يوما الى القرآن مثلا او نظرنا الى التوراة باعتبارها كتابا علميا يجب أن يقدر حسب المقاييس والمعايير الخاصة بالنظريات العلمية المقبولة فى فترة معينة ، اهملنا رسالة الدين اهمالا عميقا • ان رسالة الدين ان تضع مبادىء اخلاقية او مبادىء فكرية لارشاد الانسان ولارشاد البشرية فى حياتها • وعليه فاذا نظرنا من هذه الزاوية فلا يجب أن نتوقع أن نجد فى الكتب المقدسة ـ أى الاسس الالهية لاحد الاديان ـ أقول لا يجب أن نتوقع العثور فى هذه الكتب على نظرية حول حتمية الاشتراكية أو اشكال تطور المجتمع الخ •• وذلك لانه ليس من رسالة الدين أن يقول هذا • وعلينا أن نتفق على هذا الامر •

والنقطة الثانية التى أرغب فى اثارتها بعد ذلك ، هى اننا اذا أردنا أن نقدر دينا معينا ، وأن نرى الى أى حد يتفق مع الاشتراكية او يناقضها ، ففى امكاننا ان نفعل هذا طبقا لمعيارين • وفى تقديرى أن هذا يجب أن لايتم فى علاقته بالحضارة ، كما حلت أو وجدت فى العالم الحقيقى • وذلك لانه ، كما قلت وكما قلتم انتم يا سيد جارودى أمس ، ليس فى امكاننا أن ندعى أن شكل الملكية ، والتنظيم الاقتصادية فى ظل الاحتلال التركى كان يمثل الاسلام ، بأى صورة من الصور • بل حتى فى اشكال السيطرة للعباسيين أو بعض امراء الخلافة من الامويين لا نستطيع ان نقول ان الشكل الذى مالت اليه الملكية يمثل روح الاسلام تمثيلا دقيقا •

غير أن هناك معيارين يمكننا على اساسهما أن نقول الى أى درجة يكون دين معين مع الاشتراكية او ضدها • والمعيار الاول أن ننظر الى الاشتراكية باعتبارها مرحلة لتطور المجتمع ، وهى مرحلة لا مفر منها حسب رأى ماركس على أية حال ، غير انها مرحلة تصل اليها البشرية بكفاحها بصورة معينة ضد الرأسمالية . وفى الكتب المقدسة لن نجد نظرية لتطور المجتمع من مرحلة الى أخرى • الا أن علينا أن نسأل السؤال بصورة غير مباشرة اذا أردنا أن نعرف بشكل دقيق موقف الدين ازاء الاشتراكية : هل مبادىء الدين كما عبر عنها فى هذه القواعد الالهية ، وكذلك فى ذهن المفكرين الذين عالجوا تلك القاعدة الالهية وهل هذه المبادىء مع او ضد الرأسمالية . ويجب ان نستكمل هذا السؤال بسؤال آخر وهو : هل يقف هذا الدين مع او ضد التطور والتقدم فى المجتمع ؟ فاذا اختلفت الاجابة على هذين السؤالين اختلف الوضع أيضا • وهذا معيار يمكن تطبيقه •

والمعيار الاخر هو الاتى : يمكننا أن نترك جانبا التحليلات العلمية الشديدة الدقة الصادرة من جميع النظريات ؟ والتى تبرهن على حتمية الاشتراكية . نتركها جانبا لا لاننا نهملها ، لا ، بل لاننى ارغب فى تخطى هذا كله بأن اسأل : ما هى الاسس التى تكمن وراء تلك التحليلات ؟ ذلك لان التحليل قد يختلف من كاتب لاخر • وتعلمون يا سيد جارودى انه حتى بين الماركسيين يوجد اناس بدأوا فى تعديل نظرية القيمة (نظرية ماركس) ، وكذلك نظرية فائض القيمة • ان نظرية القيمة ونظرية فائض القيمة لهما من أساس الماركسية ذاتها • غير أن هناك الان ماركسيين يفكرون كيف يعدلون هذا للاحتفاظ بتركيب الماركسية . اقول لنترك التحليل المحكم الدقيق ، ولنتساءل ما هى الافكار الاساسية التى تكمن وراء الاشتراكية • وعندئذ ، ففى هذا الميدان علينا ان نثير السؤال بالنسبة للاسلام ، وأود أن أقول أن الافكار التى ذكرتموها والافكار التى ذكرت أمس والتى أسمح لنفسى بتلخيصها تلخيصا شديدا ، فى امكانها ان ترشدنا للحكم على موقف الاسلام ازاء الرأسمالية والاشتراكية ايضا • واذا وصلنا الى اجابة محددة فى هذا الاتجاه ، أعتقد انه سيلقى نوعا من الضوء بشكل موضوعى ، ويجب ان نتتبعها بعد ذلك دراسة اكثر عمقا للبرهنة على موقف الاسلام ازاء الاشتراكية لا بطريقة الدفاع ولكن بصورة موضوعية •

واذا تحدثنا عن الاسلام كدين اولا اى من موقف المنابع الالهية للاسلام وايضا موقف المفكرين المسلمين الذين ذكرتموهم ، فان الاسلام يعارض تقبل اى شىء لم يناقش • وبهذا المعنى ، فالاسلام يناصر تماما الفكر والفكر العلمى • اذن ، فالاسلام يحترم كل نظرية علمية • ولقد ذكرتم **ابن رشد** ، وعلى أن اذكر هنا **الغزالى** الذى ذكرتموه ايضا والذى وصل فى هذا الميدان الى حد التمييز بين طريقتين لكتابة هذه النظريات طريقة للجمهور اى نوعا من التبسيط مثل احياء علوم الدين حيث يعرض القصص والحكايات ويبذل كل جهده حتى ينشر الاراء التى يريدها فى اذهان الجماهير • وهناك طريقة اخرى ، اى الكتب التى يسميها « **ما يجب ان يحفظ للمثقفين** » (المظنون على غير اهله) •

ان احترام العلم هنا أمر هام للغاية ، وتلك سمة أولى للاسلام • أما السمة الثانية فى الاسلام : فهى أنه لايقف ضد تطور وتقدم المجتمعات ، وببساطة فللاسلام موقف معين ـ وأنا لا أعرف ما اذا كنت هنا افسر الاسلام بصورة صائبة ـ فى كل ما يتعلق بحياة الناس ، حياتهم المادية ، لقد أرسى الاسلام قواعد عامة لتنظيم هذه الحياة ، ولكنه لم يقبل فكرة الحتمية فى أى أمر ، لقد ترك هذا لحرية تصرف الانسان ، فقد حدث ان سئل النبى عن رأيه **فى مسألة معينة فقال ان هذا يتعلق بحياتكم** ، ومن ثم فعليكم أن تنظموه بما يحقق مصالحكم • اذن

فالاسلام يترك للناس ، للمؤمنين به ، تنظيم حياتهم وفق مبادئه ، والامر المهم هنا هو ان المبادىء نفسها ، والتنظيم ، والشكل ، والهيكل ، يجب أن تتفق مع كل عصر • ومن ثم فالاسلام لم يهمل هذا الامر ، وفي القرآن نفسه هناك منهج تاريخي درس حقا مختلف المراحل التي مرت بها الامم • وأعتقد أنه من بين الحاضرين هنا يوجد كاتب كان في يوم ما ، ضحية لهذا التفسير ، التفسير التاريخي لبعض قصص الاسلام ، وهو الدكتور خلف الله الموجود بيننا والذي كان في يوم ما ضحية لهذا ، عندما هاجمه البعض بسبب هذه المسألة • اذن فللاسلام منهج تاريخي ، أنه لا يقف ضد تقدم المجتمع ، بل لقد قدم أمثلة لتقدم المجتمعات في القرآن • والنقطة الثالثة ، او السمة الثالثة هي المبدأ الذي ذكرتموه ، وهو الذي يهمنا كثيرا في الفترة الحالية . فالواقع أن الاسلام كمصدر الهي ، باعتباره منبثقا عن مصدر الهي ، لم يتعرض لنظرية قيمة العمل ، أو يعرف نظرية القيمة الحديثة ، أو النظرية الحديثة عن القيمة • بالطبع اننا لايمكن انطلب كلهذا منالاسلام . ولكن ما هي فلسفة الاسلام بصدد قطاعات الانتاج ، تلك الفلسفة الممثلة في القواعد الاخلاقية التي ارساها ؟

انها العمل ، فهو أساس كل قيمة معنوية بالنسبة للفرد او بالنسبة لمجتمع معين • وقد تحدث الاسلام عن مجتمعات في التاريخ ، انقرضت لانها لمتكنتعمل، فالانسان يستمد قيمته منالعمل. أن العمل يجب أن يكون أساس القيمة الاجتماعية للفرد • وتلك فكرة أعرف تماما أنها قد تكون بعيدة عن نظرية قيمة العمل ، فلا يجب ان نخلط بين هذا وبيننظرية قيمة العمل، ولكني أقول انناهنا ازاء موقف فلسفي يربط القيمة ، قيمة أي انسان ، بالعمل • وهذا ما ذكرتموه في مكان آخر •

وهناك أيضا مسألة فكرة الملكية • فنحن يمكن أن نرى أن فكرة الملكية تعني فيالاسلاموظيفة اجتماعية . وهذا يمكن أن تجدوه في الامثلة التي ذكرتموها عن عمر ،وفي الامثلة التي قدمها زميلي الدكتور عبد العزيز كامل • وفي كتاب أبو يوسف عن الخراج والذي عالج الضرائب ، وكتاب أبي عبيد الله عن الاموال، والذي عالج مسألة الملكية والضرائب التي يجب فرضها على الملكية ، نجد تحليلا عميقا لفكرة الملكية في الفلسفة الاسلامية •

ولكن الامر الذي أغفل هذا المساء ، والذي اود أن ألقي الضوء عليه ، هو نظرية الاسلام عن الاحتكار • وكلمة الاحتكار استخدمها الاسلام بنصها • فأحد مبادىء الاسلام ، أحد أسس القيم المعنوية للاسلام ، هو معارضة القرآن ومعارضة احاديث النبي للاستغلال ، وقد ذكر الاستغلال احيانا بكلمة الغش والغبن الفاحش ، وهنا لا يجب أن نخلط بين الغبن وبين الغش في النظرية القانونية • فالغبن هنا مرادف آخر للاستغلال • وانطلاقا من فكرة الغبن هذه ، نشط الفقهاء المسلمون ، وهذا أمر يجب أن نبرزه ، لقد نشطوا في المراحل الاولى من الحضارة الاسلامية ومن الفكر الاسلامي ، الى جانب نشاط المفكرين العظام ، والشعراء والكتاب ، كتاب الادب • لقد كان هؤلاء فلاسفة وفقهاء ، ولكن لم يكن هناك اقتصاديون في ذلك العهد يستطيعوا أن يكتبوا في الاقتصاد السياسي ولكن بالتأكيد كان هناك فقهاء ، أرسوا أثناء معالجتهم للنظريات الفقهية وللفلسفة الفقهية ، كل الاسس الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم وجهة نظرهم. وهنا أقرر أننظرية الاحتكار قد أرسيت انطلاقا من نظرية الغبن ، لقد أورد الكاتب الذي ذكرتموه وهو الماوردي ، صفحات طوال عن نظرية الاحتكار • اننا نجد نظرية الاحتكار عند كل الفقهاء المسلمين في كل ما كتبوه • وعلينا أن ندرس كل هذه النظريات • لقد طلبت من أحد تلامذتي أن يقدم رسالة دكتوراه عن نظرية الاحتكار وعن السياسة المعادية للاحتكار في الفكر الاسلامي • ولكن للاسف لم يتم هذا • ولكن هذا مجهود يتعين علينا بذله اليوم • لابد من القيام بدراسة دقيقة عن الموضوع التالي : وهو اصول الاحتكار. ولقد عرف الاحتكار في الاسلامبصورة تتفق تماما مع التعريف الذي يقدمه له حاليا الاقتصاديون المحدثون • بالطبع لم تستخدم فكرة تلاقي منحنى النفقة الحدية مع منحنى الايراد الحدي • ولكن الاحتكار تم تعريفه بالصورة العامة وكما يعرفه الاقتصاديون حاليا • لقد ربطت أصول الاحتكار بفكرة استيلاء المحتكرين على حجم معين من رأس المال يستطيعون عن طريقه فرض قوانينهم على السوق • وتم تحليل الاثار الاقتصادية والاجتماعية للاحتكار بصورة واضحة ودقيقة وتم ربطها بنظرية الطبقات ، بالقول بأن الاحتكار يجعل من المحتكرين طبقة معينة تتناقض مصالحها مع مصالح المجتمع •

وقد يدهشكم أن مصادرة كل ممتلكات المحتكر ، هي العقاب الوحيد الذي أشار به الاسلام على الخلفاء . فاذا ماظهر محتكر، كان على الخليفة أو الحاكم أن يصادر كل ممتلكاته ، ليس فقط الممتلكات التي يحتكر تجارتها ولكن كل الممتلكات التي يحوزها • بل والاكثر من ذلك فقد استخدمت كلمة التأميم ،أي تحويل الملكية الى الامة ، وهي نفس الكلمة الحديثة . ولا اقصد بهذا أن أقول أني توصلت الى اكتشاف كبير ، ولكني أقصد أن أعرض كل جوانب الفكر الذي جعل من العمل أساس القيمة الاجتماعية ، وأنا هنا لا أتكلم عن القيمة الاقتصادية التي يعرفها الاقتصاديون ، ولكن عنفكرة الملكية باعتبارها وظيفة اجتماعية، وتلك حقا نظرية وفكر معاد للاحتكار •

وفي ضوء هذا التحليل أعتقد أننا اذا طرحنا السؤال التالي : ماهو موقف الاسلام تجاه الرأسمالية ؟ فان الاجابة ستكون جد واضحة : ان الرأسمالية لا تسمى بهذا الاسم الا لانها تعني احتكارا ، والاسلام ضد الرأسمالية تماما • فالاسلام مع تطور المجتمع • الاسلام ضد الرأسمالية . والمبادىء التي ذكرتها في موضع آخر هي نفس المبادىء التي تكون الاساس الاخلاقي والفلسفي للنظرية الاشتراكية ، ومن ثم فبهذين المعيارين ، أقول أن الاسلام من الناحية الموضوعية ضد الرأسمالية ومع الاشتراكية •

وفي هذه الحالة فان الاسلام يستحق اهتماما متزايدا من الدراسات الاشتراكية ، ليس فقط لانه عنصر من عناصر نضال الشعوب المؤمنة بالاسلام ، ولكن لان محتواه الموضوعي ، لا أقول فحسب أنه لا يتناقض ، بل أنه يدعم كل المواقف المعادية للرأسمالية ، وكل المواقف التي تدعو للاشتراكية •

وبالاضافة الى نظرية ابن خلدون عن تطور المجتمع ، أعتقد أننا اذا وضعنا كل ذلك معا ، يمكننا القول بأنه توجد في الفكر الاسلامي كل العناصر التي تشكل نظرية للتنمية الاشتراكية •

وقبل أن أختتم كلامي أود أن أكرر أننا لا يجب أن نحكم على الاسلام وفقا لاشكال بعض الحكومات الاسلامية ولا وفقا لبعض أشكال الحضارة الاسلامية التي عرفتها عدة بلدان والتي شهدت أشكالا من الاستغلال . اذ ان هناك خلافا واضحا بين مبادىء الاسلام ومبادىء الفكر الاسلامي من ناحية ، وبين ما تم تطبيقه من ناحية أخرى •

وختاما اشكركم كثيرا ، لقد اردت بكلمتي ان أفتح طريقا آخر نستطيع عن طريقه — الى جوار المساهمة التي قدمتموها — أن نسير في اتجاه القيام بدراسة أكثر تفصيلا عن موقف الدين الاسلامي من الاشتراكية ، وشكرا لكم •

تعقيب الاستاذ جارودي :

أريد أن أعقب بكلمة قصيرة • وفي البدء أريد أن أشكر بصفة خاصة المعقبين على المساهمات التي قدموها • ويتعين علي أن أقول أنه عندما طلب مني احد الحاضرين في هذه القاعة ان اعيد هذه المحاضرة في جمعية الصداقة العربية الفرنسية في باريس ، شعرت بأني استطيع القيام بهذا بصورة أفضل كثيرا مما كانت عليه الليلة ، لاني سأستفيد كثيرا من كل العناصر التي قدمت اليوم والتي أشكركم كثيرا عليها •

واود فقط ان ارد على سؤال وجهه احد المعقبين ،وذلك لكي أوضح كلامي بما يزيل اي غموض أو لبس • لقد تساءل آخر المعقبين عن قوانين الحتمية التي تعزى الى الماركسية وعن فكرة الصراع • وهنا أحب أن أطمئن الدكتور **كامل حسين** ، بالقول بأن فكرة قانون الحتمية هذه فكرة معادية للماركسية تماما • فالفكرة الاساسية لماركس والتي رددها في عدة مناسبات ، هي أن الانسان هو الذي يصنع تاريخه ، لقد كرر ماركس هذه الفكرة على الاقل في خمس أوست مناسبات في كتاباته، وكان يبرزها بصفة مستمرة . واعتقد أن هذه الفكرة هي السائدة لدى ماركس ، اذ يحمل الانسان مسئوليته الكاملة بالنسبة لتاريخه • وليست هذه فكرة ماركس فحسب ، ولكنها فكرة كل الذين اتخذوا من الماركسية عقيدة نضالية . فقد كان لينين يرى وبوضوح اننا اذا لم نأخذ مصيرنا بين ايدينا ، فان هذا سوف يؤدي الى فساد التاريخ . وهذا يعني أننا لانستطيع في أي عصر أن نخلط المفهوم الماركسي عن التاريخ مع المفهوم الذي يكون التاريخ وفقا له أمرا مقضيا به على البشر ومكتوبا عليهم ، ومن ثم فدورهم فيه سلبي •

تلك هي النقطة الاولى التي أردت ابرازها •

أما النقطة الثانية فتتعلق بالصراع ، وبصفة خاصة صراع الطبقات • وأريد أن يكون واضحا تماما أن صراع الطبقات ليس شعارا اخترعه الماركسيون، بل انه تقرير لامر واقع . أن صراع الطبقات لا يكون المضطهدون والمظلومون هم البادئون بشنه، بل ان الطبقات التي تضطهد غيرها تكون هي البادئة به . وفي هذا أريد ان أقدم مثالا يوضح كم أصبح هذا الادراك وهذه الحقيقة أمرا واضحا اليوم عند كثير من المتدينين . وسأستمد المثال من العالم الثالث . لقد كان لنا في المركز الماركسي في باريس شرف زيارة أسقف كاثوليكي من **ساوباولو** ، هو الدون **جورجيو** ، حيث قال

لنا أنهم يلوموننى على أننى لم أمتنع بعض القسس التابعين لى من الاشتراك فى حرب العصابات . وأنا أعتقد أن هذا اللوم نوع من النفاق . ففى بلادى ، فى البرازيل ، فى الامازون يموت كل عام ١٠٠٠٠٠ شخص من الجوع ، وهذا ليس من باب الاستعارة أو المجاز ، بل انهم يتساقطون فى الطرقات ، كما كان يحدث منذ أمد طويل فى الهند . » واضاف قائلا : « فى بلادى تجبر عشرات من الفتيات من الناحية العملية على احتراف البغاء ، وذلك بسبب البؤس ، وفى هذا يتمثل أسوأ أنواع العنف ، وهل هناك ما هو أشد من ذلك عنفا ؟ واذا كانت حرب العصابات يمكن أن تقضى على نظام يولد مثل هذا العنف ، فأنا أقول إن حرب العصابات هذه أقل عنفا مما يحدث ، وأنا لن أمنع القسس من الاشتراك فيها » .

وأعتقد أن هذا الادراك وهذا الوعى هام للغاية . لانى أعتقد أنه من النفاق أن نطرح مشكلة العنف بطريقة مجردة . فالواقع أن الطبقات المسيطرة تدين دائما عنف المضطهد الذى يثور . ولكن كل من يدين عنف المضطهد الذى يثور يصبح شريكا فى العنف الذى يمارسه أولئك الذين يودون الابقاء على الانسان مكبلا . ومن ثم فلاخيار امامنا بين العنف واللاعنف ، والمشكلة هى أن نعرف ما اذا كنا سنضع نهاية لاسوأ أنواع العنف ، والتى قد تتمثل أحيانا فى النظام القائم .

وفيما يتعلق بنقطة الصراع ، فيبدو لى أنه لابد من العودة اليها . وفى الامكان أن تسألونى ما هى الماركسية ؟ تلك هى الفكرة الاخيرة التى اريد عرضها عليكم .

أود أن أقول أن الماركسية ليست عقيدة تقول بحتمية قوانين تاريخية ـ انها ليست نوعا من القدرية يجثم فوق أنفاس البشر ، وهى ليست اقحاما لشعار صراع الطبقات فى عالم متسق ومتناسق ... إن الماركسية هى على وجه الدقة التى تكفل للمضطهدين ، للمضطهدين على النطاق الوطنى والاجتماعى ، أن يحوزوا بين أيديهم منهجا للنضال ، منهجا للمبادرة التاريخية . ان الماركسية ، وهذا الامر انما اكرره اكثر من مرة فى فى الاساس منهج تتحدد به انطلاقا من الظروف الحالية ، المستقبل المحتمل . ولهذا لا أعتقد أنه فى الامكان طرح مشكلة العلاقات بين الاشتراكية بما فيها الماركسية وبين الدين بالصورة النبيلة التى تمت بها هذا المساء ، وبالذات من قبل آخر المتحدثين ، على أساس أنه لا تعارض بينهما . بل انى أعتقد أن الامر على النقيض من ذلك ، وهذا هو السبب فى أن فكرة الحوار كانت بالنسبة لى منذ خمسة عشر عاما فكرة اساسية ، وكان ذلك هو اتجاه حياتى . والحوار السليم يفترض التسليم بداءة بأن كل انسان سيجد شيئا ما يتعلمه من الاخرين . وأعتقد ان هذا حقيقى بصفة خاصة بالنسبة للماركسيين والمؤمنين ، سواء كانوا كاثوليك ، أو بروتستانت ، أو مسلمين ، أو يهود . فهذه ليست مشكلة . فالمؤمنون يستطيعون أن يتعلموا من الماركسية مناهج للفاعلية فى نضالهم من أجل العدالة كما عرفتموها . وفى الجانب المقابل فان الماركسيين يستطيعون ، ويجب عليهم ، باستيعابهم أسمى القيم الدينية ، أن يكتسبوا كل أبعادها الروحية . ولهذا السبب فأنا أعتقد أن هذا الحوار أمر ضرورى وهو يتطلب من كل واحد منا أن يدخل هذا الحوار ، لا انطلاقا من فكرة أن عليه ان يقهر الاخر وان تكون له اليد الطولى فى الحوار بحيث يستوعبه ، فهذه ليست مشكلة ، بل ان المشكلة هى أن نستطيع القيام بهذا الحوار ، الذى سيجعل المسلم أفضل اسلاما والمسيحى أكثر تدينا ، والماركسى أشد ماركسية . ويستدعى هذا استئصال كل تعصب وكل طائفية ، الامر الذى يؤدى الى وحدة قوى كل الذين يروحون بناء المستقبل . ولهذا كان الحوار أمرا مطلوبا . وهو يستدعى وضوحا وصفاء كبيرين ، ولكنه يستدعى قبل ذلك انفتاحا كبيرا ، انه يتطلب من كل منا القدرة على رفض كل ما يحد رؤيانا . ولهذا السبب فأنا أعتقد أن أروع تعبير عن هذا الحوار هو الذى قدمه الشاعر الكبير ناظم حكمت عندما دعا كل الرجال من مختلف العقائد الى خوض نفس المعركة ، عندما قال فى أبيات جميلة :

اذا لم أحترق
اذا لم تحترق
إذا لم نحترق
فكيف يمكن أن يصبح الظلام نورا ؟

تقارير الشهر

- الاحتـكارات تبحث عن ٠٠ صـيد جـديد
- سياسة واقعية ٠٠ أم سياسة حلف الاطلنطى
- طـوق النجـاة فى محيط العـواصـف
- حـول نتـائج مؤتمر الـربـاط
- محـور المنـاقشـات ٠٠ التعبئة الشـعبية

■ الجمهورية العربية المتحدة

محور المناقشات التعبئة الشعبية

اتسعت خلال الاسابيع الماضية دائرة النقاش حول « لجان المواطنين من اجل المعركة » : لماذا يجب ان تشكل هذه اللجان — وكيف يتم تشكيلها ؟ وما هى مجالات عملها واسلوب ذلك العمل — ثم تحديد معالم العلاقة بين لجان المواطنين من اجل المعركة وبين تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ».

وجرت مناقشات فى ندوات صحفية ، وفى الاجتماع الشهرى لامناء الشباب بالمحافظات ، وفى اجتماع للعاملين فى قيادة التعاون والعمل الفلاحى فى اللجنة المركزية ، وفى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ٠ كما خرجت الصحف والمجلات الى مواقع العمل والانتاج تتلمس رأى وتصور المواطنين العاديين والكتاب ورجال الفكر والادباء — للجان المواطنين من أجل المعركة ٠

لماذا لجان المواطنين ؟

فى هذه النقطة طرحت فى المناقشات ثلاثة أفكار أساسية :

١ — من دروس النضال السابقة — نلاحظ أنه قد تكونت لدينا قوة ضاربة ممثلة فى الجيش ، ولدينا قوة شعبية هائلة معبأة بطبيعتها من أجل النضال الوطنى ومن أجل النضال الاجتماعى ٠ ولكن كان ينقصنا فى جميع الظروف تنظيم هذه القوى الشعبية وظروف الحرب تجعل المسألة أكثر الحاحا وتتطلب استحداث شكل تنظيمى للجماهير لمواجهة المعركة التى قد تمتد جبهتها لتصبح فى كل مكان من أرض الوطن ٠

ولجان المعركة هى الاسلوب الوحيد الذى كنا نفتقر اليه طوال سنى كفاحنا الماضية ، الامر الذى أدى الى الهزائم التى شهدتها أمتنا ٠

٢ — على الرغم من وجود الاتحاد الاشتراكى فان هناك شيئا من الفراغ السياسى ، وتشكيل لجان المعركة سوف يملأ هذا الفراغ ، وسوف يقضى على الاغتراب الذى تشعر به الجماهير نتيجة عدم مساهمتها بشكل مباشر فى المعركة ٠

٣ ـ ان الديمقراطية ليست فقط هي المجالس النيابية بسلطاتها المطلقة في التشريع ، بل هي قبل كل شيء المشاركة في العمل السياسي والعمل الوطني بشكل عام • ولجان المعركة صياغة جديدة مملاة من الواقع الذي يعتصرنا للمشاركة الديمقراطية وتحمل المسئولية الجماعية بشكل مباشر ••

كيف تشكل لجان المواطنين :

هناك اتفاق عام بين الذين اشتركوا في المناقشات أو ابداء الرأى على ضرورة تكوين لجنة عليا على مستوى الجمهورية للاشراف على تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة • ولكن بعد هذه النقطة تتشعب وتتباين وجهات النظر :

● رأى محدود يدعو لان تقوم اللجنة العليا بتشكيل جميع اللجان على مختلف مستوياتها على أساس أن لجان المعركة لا يجب أن تبنى من أسفل بل تشكل من أعلى .

● رأى آخر ، يدعو الى تكوين لجان تأسيسية في المحافظات والمراكز تقوم بقبول طلبات التطوع ، وتحدد مجالات العمل وتوزيع المتطوعين حسب الحاجة في المكان المعين •

● والرأى الاكثر بروزا ، هو أن لجان المواطنين هي لجان وحدة وطنية لاوسع الجماهير من عمال وفلاحين وطلاب ومثقفين وربات بيوت • وأن يترك للجماهير في كل موقع أن تبادر بتشكيل ذاتي بتنظيم هذه اللجان من كافة العناصر الوطنية والتقدمية دون حساسية، وأن تشكيل هذه اللجان لابد وأن يتم بشكل اللجان ، بين الجماهير حيث توجد في الشارع في المصنع والمدرسة وأن تفتح مكاتب التطوع في الشوارع وفي الاماكن العامة ، وأن يتم التدريب في الارض الفضاء في الاحياء الشعبية ، وفي الساحات الريفية والشعبية ، وفي أفنية المدارس والمصانع حتى يشعر كل مواطن أن هناك جديدا فعلا •

ومن المشكلات التي طرحت خلال المناقشات في هذه النقطة مسألة اختيار قادة هذه اللجان •

وكان هناك شبه اجماع على أنه ما دام العمل في لجان المعركة تطوعي فان اختيار قادة اللجان لابد وأن يكون بالانتخاب •

ولكن انتخاب قائد اللجنة أو مقررها يجب أن يتم بعد فترة من العمل المشترك ـ بحيث ينتخب كمقررين للجان أولئك الذين يثبتون جدارتهم فعلا كأكثر الناس فاعلية ، وعلى أساس ما يقدمونه من خدمات ، ومدى تقدمهم في عملهم داخل وحدتهم الانتاجية ، ومدى قدرتهم على التوعية •

مسئوليات اللجان وأسلوب عملها

هناك اجماع على أن تعطى اللجان صلاحية كاملة ، وأن تتحرك بذاتية كاملة ، وذلك لاجل أن تهيء كل الفرص للمبادرات الشعبية وللمواهب الكامنة للانطلاق • ولابد أن يتمخض ذلك عن اشكال وقدرات في العمل لا نحصل عليها الان •

وقد حفلت المناقشات بعشرات من الاقتراحات التفصيلية عن مجالات عمل اللجان ـ ويمكن أن نوجز منها ما يلى :

أ ـ بالنسبة للدفاع الشعبي والمدني

● توفير القوات المساعدة للجنود بالجبهة دون أن يتأثر الانتاج •

● تشكيل فصائل لخدمة الجبهة من العمال والفلاحين •

● قيام تدريب عسكري لجميع العاملين في المصنع بدون أى استثناء لمدة ساعتين على الاقل يوميا حسب الوردية وفي غير أوقات العمل • على أن يشمل هذا التدريب العاملات أيضا .. بحيث يصبح كل العاملين قادرين على استخدام السلاح وحمله أثناء العمل في المصنع •

● في الاحياء والقرى لابد من وجود تشكيل عسكري للدفاع عن المنطقة المسئولة عنها اللجنة ـ تشكيل يكون لديه القدرة على التصدى للعدو وعرقلته بل وهزيمته .

● حل مشكلات أسر المجندين ـ خاصة المشكلات التي كان حلها يتطلب وجود المجند نفسه •

● تنظيم عمليات اللجوء أثناء الغارات والايواء في حالة الضرب •

● تدريب فرق الاسعاف بجميع متطلباتها تدريبا وافيا على علاج المرضى وتحضيرهم للعمليات وتمريضهم وتسجيل وتنظيم عمليات التطوع بالدم •

في مجال الانتاج

أجمع المتناقشون على أهمية دور لجان المعركة

بالنسبة للانتاج وأن لجان المعركة يمكن أن تمثل تحولا هاما فى العلاقات داخل الوحدات الانتاجية وطرح العديد من الاقتراحات والتصورات لمهام لجان المعركة بالنسبة للانتاج .

● تحقيق نسب عالية فى الانتاج والتسابق من أجل تسجيل أرقام قياسية فى الانتاج فى كل مجال .

● تنمية الاستعداد لدى العاملين لمواصلة الانتاج تحت أى ظروف ودراسة امكانية تحويل الانتاج وتغييره لاى سبب .

● خفض نسبة العوادم وتنمية المبادرات فى ايجاد البدائل لقطع الغيار المتعذر استيرادها .

● تنظيم التطوع بالجهد الزائد ، وبالوقت الاضافى وبالانتاج الاكثر جودة وحل معوقات الانتاج .

● السرعة فى انجاز المهام الملقاة على عاتق العضو المتطوع بدون الحصول على بدل نقدى.

● تدريب العامل على أن يحل محل زميله المجند على الجبهة بلا أى مطالب .

● تدريب العاملات على القيام بواجبات زملائهم الذين ذهبوا الى ميدان القتال واعدادهن للقيام بدور أساسى فى دوريات الدفاع عن المصانع أو فى الورديات النهارية .

● تدريب العمال على نقل مصانعهم واصلاح ما يتهدم منه .

العلاقة بين لجان المعركة والاجهزة التنفيذية

طرحت فى المناقشة تصورات لشكل العلاقة بين لجان المواطنين من أجل المعركة وبين الاجهزة التنفيذية ؟ .

هناك رأى بأن يقوم الاتحاد الاشتراكى بالاتصال بالاجهزة التنفيذية لحل المشكلات التى تواجهها لجان المواطنين .

وهناك رأى آخر يدعو لان تقوم الصلة بين لجان المواطنين والاجهزة التنفيذية على أساس تطوعى ، ـ بمعنى أنه مع ضرورة ايجاد صلة بين لجنة المواطنين فى القرية وبين الوحدة الصحية والوحدة الاجتماعية والوحدة البيطرية مثلا، فان خير وسيلة لتنظيم هذه الصلة أن يدخل اللجنة من موظفى هذه الهيئات ـ من يرى فى نفسه الصلاحية والقدرة . وأن يكون دخوله على أساس التطوع ولكن المناقشة لم تصل الى حل نقطة يطرحها الاخذ بهذا الاسلوب وهى مدى قدرة هذا المتطوع على تمثيل الهيئة فى لجنة المواطنين واحتمال أن يكون المتطوع غير قادر على تسخير موارد وحدته وامكانياتها فى خدمة لجان المعركة .

العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى ولجان المواطنين

وما زالت هذه النقطة من أكثر النقاط مثارا للجدل ويمكن تصنيف الاراء التى طرحت حولها على النحو التالى :

١ ـ اتجاه يرى أن لجان المواطنين يجب أن تخرج أساسا من الاتحاد الاشتراكى ، وأن يكون اختيار أعضاء هذه اللجان من بين القادات وأعضاء الاتحاد . وهذا الراى يذهب الى ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا ولكنه اطار سياسى شامل للعمل الوطنى وهو موجود ومتكامل وقت تشكيل اللجان . وتنظيمات الاتحاد الاشتراكى الحالية تتسع لاستيعاب لجان المواطنين فى كافة مستوياته ابتداء من لجنة الوحدة حتى اللجنة التنفيذية العليا كلجان نوعية متخصصة وتمكينها من اداء مهمتها على الوجه الاكمل .

٢ ـ اتجاه آخر وهو الاتجاه الغالب يرى أن التنظيم السياسى سوف يقود لجان المواطنين ولكن ذلك لا يعنى بأى حال أن تخضع كل لجنة من لجان المعركة فى مستوى ما للمستوى المقابل له من الاتحاد الاشتراكى .

ويرى بعض اصحاب هذا الاتجاه أن الهدف من تشكيل لجان المواطنين هو استثمار كل طاقات الاشخاص الذين لم تأت بهم الانتخابات ، وانشاء اللجان نوع من توسيع القيادة لاثراء العمل السياسى وأن لجان المواطنين سوف تولد صراعا حقيقيا فى العمل بينها .

وثارت مناقشات حول دور أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى لجان المواطنين . والاتجاه الغالب هو أن يأخذ أعضاء الاتحاد مراكزهم القيادية فى لجان المواطنين على أساس القدوة والمثل ، وبالاختيار الحر . وفى هذا الاتجاه استقر الرأى فى الاجتماع الشهرى لامناء الشباب بالمحافظات . على أن تقوم المنظمة باعداد أعضائها لدخول التنظيم الجديد كافراد يثبتون بمواقفهم العملية أنهم

اكثر الناس قدرة على العمل واعطاء المثل والقيادة داخل اللجان .

ويرى المراقبون أن مجموع المناقشات التى دارت حول لجان المواطنين قد بلورت عددا من الاقتراحات الايجابية والبناءة . وأن الاهتمام الواسع بمناقشة طبيعتها ومهامها انما يكشف فعلا من الحاجة الماسة الى أن تقوم فى بلادنا التعبئة الشعبية التى تكفل احراز النصر على العدو الصهيونى والامبرياليين الذين يساندونه .

●

المشكلة الزراعية فى أفريقيا على بساط البحث

عقدت فى القاهرة خلال الشهر الماضى الحلقة الدراسية لنقابات عمال الزراعة فى افريقيا تحت اشراف الاتحاد الدولى لنقابات عمال الزراعة والغابات والمغروسات . واشترك فى هذه الحلقة مندوبون عن النقابات الزراعية فى كثير من بلدان افريقيا . وكانت الغاية من انعقاد الندوة هو تبادل الرأى حول القضايا التى تطرحها المشكلة الزراعية فى بلدان افريقيا المختلفة فى علاقتها بظروف تلك البلدان ومحاولة تبين ما يلقيه ذلك من واجبات ومهام على الحركة النقابية فى افريقيا بشكل عام . وكان من أهم القضايا التى دار حولها النقاش :

● الخصائص الموضوعية للمشكلة الزراعية فى انحاء افريقيا وأثرها على الاصلاحات الهيكلية فى مجال الزراعة فى كل بلد .

● نتائج التنمية وخبرة البلدان الافريقية فى سنوات ما بعد الاستقلال .

● مشاكل النقابات فى المجتمع الافريقى وقضية الوحدة النقابية .

● آفاق المستقبل فيما يختص بالمشكلة الزراعية ومهام الحركة النقابية .

وقد افتتح الحلقة نيابة عن الاتحاد الدولى لنقابات عمال الزراعة السيد رضانين سكرتير الاتحاد . وكان من ابرز القضايا التى طرحها فى تقريره السمات الخاصة لوضع الزراعة فى افريقيا وما ينعكس ذلك على ملامح المشكلة الزراعية من :

● التخلف الشديد للانتاج الزراعى كأثر من آثار الاستعمار :

« .. فالتراث الاستعمارى مسئول عن تخلف الانتاج الزراعى بتجهيزه الالى المنخفض ، فهناك ٤ر. فى المائة جرار لكل ١٠٠٠ هكتار من الارض ، والاستخدام غير الكافى للاسمدة الكيماوية ، كجم لكل هكتار ويعتبر ذلك أقل معدل فى العالم » .

● انخفاض انتاجية العمل وفقر التربة وتدهور الثقافة :

« ١١ فى المائة من سكان العالم فى افريقيا ينتجون ما يعادل ٤ر٩ فى المائة من انتاج الحبوب فى العالم .. مما يستنزف احتياطى العملات الصعبة فى بلدان القارة لتوفير المواد الغذائية الضرورية للسكان » .

● التنمية لم تؤد الى نتائج ايجابية :

« .. ديون البلدان النامية وصلت عام ١٩٦٦ ــ ٤٠ بليون دولار ويعتبر ذلك رقما خياليا .. أقساط الديون ضخمة ودخل مشروعات التنمية لا يكفى لتسديد الاقساط .. معدل نمو الانتاج الزراعى ٢ر٢ فى المائة .. المعونات التى تتجه للزراعة تمثل ١٣ فى المائة فقط .. ٢/٣ اموال المعونات يستخدم فى سداد الديون .. » .

وطرح التقرير الذى قدمه السيد صلاح الدين أبو المجد رئيس نقابة عمال الزراعة فى ج . ع . م عددا من القضايا الهامة على بساط البحث كان من أبرزها :

● التشديد على أهمية دراسة القسمات الخاصة للمشكلة الزراعية فى بلدان افريقيا المختلفة . وانه اذا ما استثنينا بلدان شمال القارة وجنوبها حيث تشهد درجة أكبر نسبيا من التطور وجدنا أن المضمون الرئيسى للمشكلة الزراعية فى بقية بلدان القارة لا يتمثل فى الكفاح ضد الاقطاع كما هى الحال فى البلدان المتطورة نسبيا . وللتدليل على وجهة نظره عرض لاهم ثلاث نماذج للمشكلة الزراعية فى أنحاء افريقيا ، النموذج المصرى ، ونموذج بلدان غرب افريقيا ، ونموذج الجزائر وناقش الملامح الرئيسية لكل منها . وخرج من ذلك بنتيجة هامة وهى ضرورة أن تساعد الاصلاحات الهيكلية فى الزراعة فى الاعتبار الظروف المحددة لكل بلد . وأكد ان هذه الخصائص لا تنفى القسمات المشتركة والسمة التى

تتمثل فى اطلاق قوى الانتاج الزراعى وضمان تطوره السريع وتنمية الصناعات الغذائية لملاحقة تزايد السكان ووقف تبديد الاموال فى شراء المواد الغذائية .

وكان من أبرز القضايا التى طرحت خلال النقاش كذلك قضية وضع الحركة النقابية فى افريقيا واهم خصائصها « .. حداثة عهدها ـ الترابط الوثيق بين العمل النقابى والعمل السياسى ـ تقدمية الحركة النقابية بشكل عام ـ اتجاه الحركة النقابية نحو الوحدة .. » وشدد معظم المندوبين على أهمية تطوير النشاط النقابى وتدعيم الوحدة النقابية باعتبار ذلك نقطة انطلاق أساسية نحو حل أفضل للمشكلة الزراعية .

وقد برزت خلال المناقشة وتبلورت أهم الواجبات التى تواجه الحركة النقابية فى افريقيا وشدد جميع المندوبين على أهمية النضال من أجل وحدة الحركة النقابية على الصعيد القومى والقارى والدولى لان وحدة العمال على المستويات الثلاث هى عامل حاسم فى الدفاع عن المصالح الحيوية للعمال والوقوف فى وجه الاستعمار الجديد الذى يتهدد استقلال القارة وضمان سير التنمية فى طريق معاد للاستعمار والرأسمالية .

■ ■

■ المغرب

حول نتائج مؤتمر الرباط

لا يستطيع احد أن ينكر أن مؤتمر القمة فى الرباط لم يحقق الآمال الكبار التى كانت معقودة عليه فى هذه الظروف الدقيقة من تطور معركة الامة العربية ضد الصهيونية والاستعمار . فلقد انتهى المؤتمر دون اعلان بيان باعماله ودون الاتفاق على قرارات نهائية بعد أن واجه فى جلساته الاخيرة ازمة حادة نتيجة لوجود خلافات واضحة فى الاراء حول التزامات الدول العربية فيما يتعلق بالدعم العسكرى من اجل المعركة مما اضطر الرئيس عبد الناصر الى أن يعلن « يبدو لى أن المؤتمر لم يخرج بشىء على الاطلاق ، ورايى صراحة أن نعلن للناس فى البيان المشترك أن المؤتمر قد فشل حتى لانخدع الناس ونمنيهم بالآمال الكاذبة وعلى إثر ذلك أعلن الرئيس عن اضطراره الى مغادرة الجلسة » .

وتركزت الخلافات التى أدت الى ازمة المؤتمر على موضوع الدعم العسكرى ضد العدوان فهناك دول ترى أنها لاتستطيع ان تقدم للمعركة اكثر مما شاركت به من قبل بينما دول أخرى تقدم بوضوح للمعركة كل ما تستطيع تقديمه بل أنها رأت أن تدخل مع دول المواجهة لتشاركها مسئولياتها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تمر بها الامة العربية » .

وقد ادت هذه الخلافات الى تغيب وفود العراق وسوريا واليمن عن حضور الجلسة الختامية وأشار الملك الحسن الى ذلك بقوله :

« ان تغيب وفدى العراق وسوريا عن الجلسة الختامية يعكس الخلافات الفكرية القائمة داخل الامة العربية . »

« ورغم ان المؤتمر « كما صرح الملك الحسن » لم يتمكن من اصدار بيان بالاعمال والنتائج التى توصل اليها ، فانه قد توصل الى بعض القرارات » .

وكانت اهم تلك النتائج خاصة بمطالب الثورة الفلسطينية التى تركزت مطالبها داخل المؤتمر حول :

● دعوة الدول العربية الى دعم التزاماتها المالية وزيادة هذه الاعتمادات .

● تأمين وصول السلاح عن طريق الدول العربية الى قوات الثورة .

● تطبيق مبدأ حرية الانطلاق من الارض العربية .

● مساعدة الثورة فى المجال الدولى .

وكان أهم ماتمخض عنه المؤتمر من نتائج أن :

● قدمت ليبيا والجزائر والمغرب للمعركة مساعدات ضخمة فيما يختص بالحشود .

● قدمت السعودية والكويت وليبيا ٣٥ مليون جنيه لعقود تسليح خاصة زيادة على اعتمادات الدعم السابقة . وقد قدمت ليبيا ٢٠ مليون جنيه ، والسعودية ١٠ ملايين ، والكويت ٥ ملايين .

● قرر الملوك والرؤساء تخصيص ٢٦ مليون جنيه للالتزامات المالية لمنظمة التحرير فى العام الجديد منها ١٫٢ مليون جنيه لدعم الثورة الفلسطينية ، ١١ مليون جنيه لدعم صمود المواطنين فى الارض المحتلة .

ويرى كثير من المراقبين أن تطورات المعركة الفعلية ضد الاستعمار والصهيونية على طول خطوط المواجهة ستفرض فى الفترة القادمة تضامنا عربيا أوثق بين النظم الوطنية التقدمية سينجح حتما فى تخطى ما فشل فيه مؤتمر القمة من مواجهة مهام الثورة العربية .

وتأتى زيارة الرئيس عبد الناصر والنميرى لليبيا، والتضامن الرائع والعميق الذى انعكس فى مفاوضات الرؤساء الثلاثة ، وما حققته من نتائج هامة على طريق التضامن العربى ومواجهة العدو ، تأكيدا لاهمية تعميق هذا التضامن وتطويره باعتباره الطريق الاكثر ضمانا لتدعيم وحدة العرب فى معركتهم من اجل تحرير الارض المحتلة ، وباعتباره النواة الصلبة لتضامن عربى اوسع يمكنه أن يتخطى ما اعترض مؤتمر الرباط من عقبات (*) .



■ **ليبيا**

خلع القاعدة الاجنبية وبناء القاعدة الاقتصادية

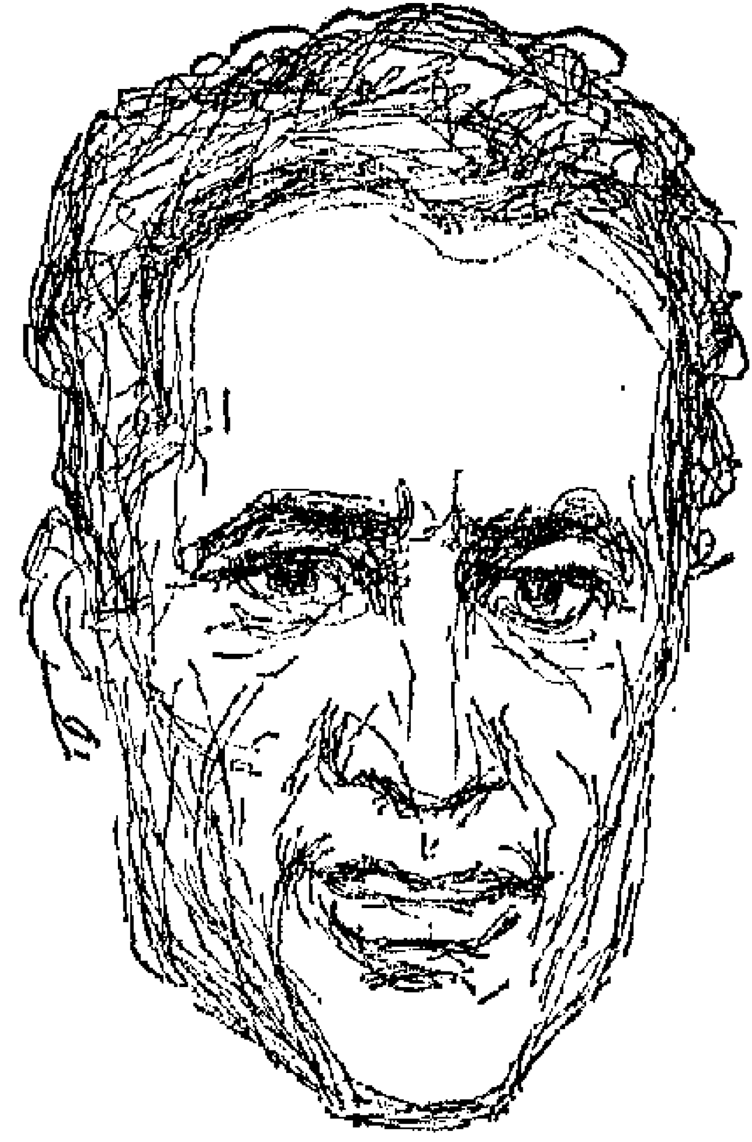


في ٢٣ ديسمبر الماضى أعلن البرنامج الزمنى لجلاء القوات الامريكية عن قاعدة هويلس فى ليبيا بعد مفاوضات قصيرة تميزت بالحسم من جانب قيادة الثورة الليبية التى أعلن قائدها **معمر القذافى** فى خطابه الافتتاحى للمفاوضات ضرورة الاسراع بتصفية القاعدة « التى يرفضها الشعب كما رفض من قبل الحكام الخونة الذين سمحوا باقامتها بدون مبرر » ، وقد عدد القذافى اتهامات الشعب العربى فى ليبيا للقاعدة ، بينما كان يحيط بمقر بلدية طرابلس حيث جرت المفاوضات أكثر من ١٠ آلاف شخص يطالبون بالاسراع بالجلاء الكامل ويرددون النشيد المعروف « بلادى بلادى .. »

ومع ضخامة الحدث ، فلم يكن هذا هو التطور الوحيد الهام فى حياة ليبيا . فمائدة ليبيا بعد رمضان كانت مزدحمة بالتطورات الخطيرة . فقبل ذلك بثلاثة عشر يوما كانت المفاوضات الليبية البريطانية قد أسفرت عن بدء انسحاب القوات البريطانية أيضا من قواعد طبرق ودرنة ومطارات العضم وادريس وبنينة . الا أن المفاوضات مع بريطانيا عاصرت فى ثالث أيامها كشفت المحاولة المضادة للثورة التى اعلن عن اشتراك وزيرا الدفاع والداخلية فيها . وقد رأى المراقبون فيها تكرارا ، لمناورات بريطانيا التقليدية حين تجبر على الدخول فى أى مفاوضات للجلاء . وأن النجاح فى احباط المؤامرة ، والموقف الحاسم للشعب الليبى ومجلس الثورة الليبية منها هو الذى باغت الانجليز والامريكيين ، واجبرهم على الموافقة على سحب قواتهم ،بعد ان اعلن الرئيس القذافى: « ان الشعب الليبى يملك بكل تأكد ضد الدفاع عن نفسه ، وارادة تحقيق حريته فوق أرضه ، لانه قادر أن يتحول الى جيش قوامه مليون ونصف المليون مقاوم . وأن أمريكا أدرى من غيرها بفاعلية المقاومة الشعبية » .

وبعد يوم واحد من اذاعة نبأ كشف المؤامرة عقد مجلس الثورة فى ليبيا اجتماعا موسعا أذيع بعده اعلان دستورى « ليكون أساسا لنظام الحكم فى مرحلة استكمال الثورة الوطنية » . وتضمن الدستور أن « الدولة تهدف الى تحقيق الاشتراكية مستلهمة تراثها العربى وحتمية الاشتراكية ، وظروف المجتمع الليبى . كما تعمل على تحرير الاقتصاد من التبعية ، والنفوذ الاجنبى ، وتحويله الى اقتصاد وطنى انتاجى يعتمد على الملكية العامة للشعب الليبى والملكيات الخاصة لافراده ، كما نص على مجانية التعليم فى الجمهورية العربية الليبية . كما أذيعت عدة قرارات وبيانات أخرى تختص بمواجهة المؤامرات ضد النظام الجمهورى والثورة . وقد أذيعت القرارات بعد أن ظلت المدن الليبية تموج طول اليوم بالمظاهرات الشعبية تجدد تأييدها للثورة ، وتطالب باعدام المتآمرين ، وباتخاذ اجراءات فعالة لحماية المكاسب الثورية من الاستعمار ، خاصة وقد تعاصرت المؤامرة ضد الثورة الليبية مع المؤامرة التى كشف عنها اللواء **جعفر النميرى** رئيس مجلس الثورة السودانى ضد الثورة السودانية . وهى مؤامرة كانت تشارك فيها الدوائر الامبريالية وجماعة الاخوان المسلمين ، مما أيقظ الاحساس بتحركات القوى الرجعية فى البلاد العربية فى هذه الظروف .

ويرى المراقبون أن اعلان البريطانيين والامريكيين موافقتهم على الجلاء لن تنهى مؤامراتهم . وهو ما عبر عنه العقيد القذافى بقوله « اننا لن نطمئن الى هؤلاء الناس ولسوف يمضى وقت طويل حتى يثبتوا لنا حسن نيتهم بطريقة عملية قبل أن نصدقهم » وليس هناك من شك فى ان المفاوضات التى اجراها الرؤساء الثلاثة



● العقيد معمر القذافي



● الرئيس جمال عبد الناصر



● اللواء جعفر النميرى

عبد الناصر والقذافي والنميرى في ليبيا تأتى في وقت مناسب لمساندة نضال ليبيا من أجل تصفية القواعد الاجنبية ، وللمساهمة في دفع معركة التحرير العربية نحو تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية على البلدان العربية .»



■ لبنان

طوق النجاة في محيط العواصف

تتابع الجماهير العربية وقواها التقدمية باهتمام كبير مراحل تنفيذ اتفاق القاهرة بين السلطات اللبنانية والمنظمات الفلسطينية على اساس ان هذا الاتفاق من مكاسب الجماهير العربية .

وتؤكد كل التقارير الواردة من لبنان حرص الجانبين اللبناني والفلسطيني على تنفيذ الاتفاق ووضعه موضع التطبيق .

وقد تم انشاء لجان فرعية فلسطينية في المخيمات تتبع اللجنة الفلسطينية الرئيسية التى تضم [خالد البشرطى وشفيق الحوت وزهير العلمى ويحيى عاشور وغيرهم من المسئولين الفلسطينيين) ، كما تم انشاء جهاز خاص بالمخيمات يتكون من (المديرية العامة لامن المخيمات ومندوب الكفاح المسلح) مهمته الربط بين السلطة اللبنانية ومجالس أو لجان أمن المخيمات الفلسطينية في المحافظات اللبنانية .

وفي الوقت الحاضر تتولى الشرطة النظامية التابعة لقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، ومعظمهم من ضباط وصف ضباط جيش تحرير فلسطين الاشراف على شئون المخيمات ومهمة المراقبة وحفظ الامن والنظام في حدود القوانين اللبنانية ، وذلك بالتعاون مع مراكز الشرطة اللبنانية القريبة من المخيمات .

ويرى المراقبون أن اتفاق القاهرة قد منح الفلسطينيين الاستقلال في ادارة شئونهم داخل المخيمات وساعد على توفير الثقة بين الجانبين . وان الفضل في تحقيق هذه الخطوات يرجع بدرجة كبيرة الى تجاوب الفدائيين مع كمال جنبلاط وزير الداخلية الذى يحظى بثقة المنظمات الفلسطينية ويواظب على الاجتماع بهم بصفة دائمة من أجل ازالة جميع العقبات التى قد تعترض تنفيذ الاتفاق .

وتبدى الاوساط التقدمية والهيئات الشعبية في لبنان اهتماما كبيرا بموقف كمال جنبلاط باعتباره العنصر التقدمي الوحيد ضمن جماعة السياسيين التقليديين داخل الحكم وان اختياره لمنصب وزير الداخلية بالذات في هذه الظروف الشديدة الحساسية كان تعبيرا عن نضال جميع القوى الوطنية والتقدمية في لبنان .

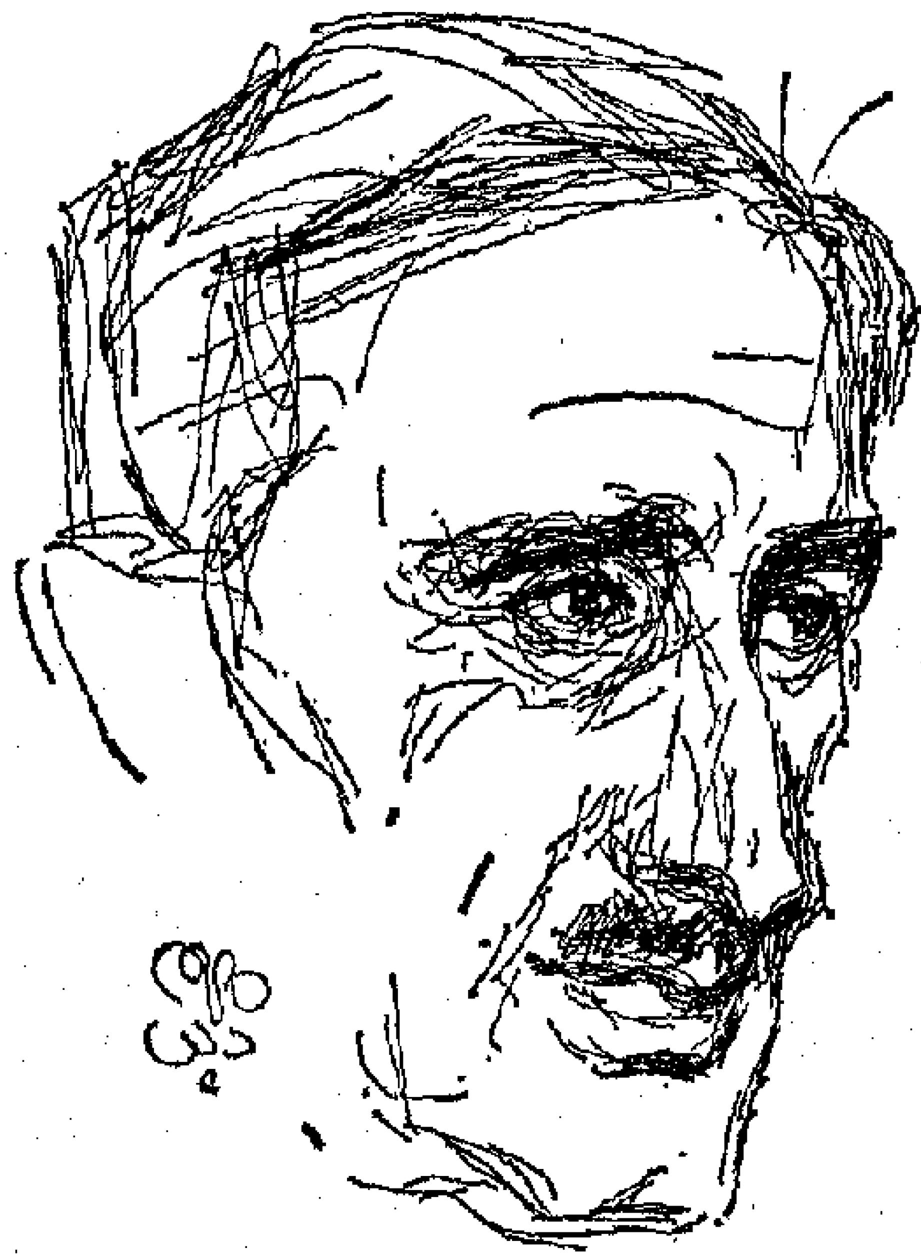
وكان جنبلاط قد اشترط لاشتراكه في الوزارة الموافقة على برنامجه ومشاريعه التى اعلنها من قبل ، والتى تتلخص في اطلاق الحريات الديمقراطية واباحة الترخيص للاحزاب العقائدية والفكرية التقدمية والجمعيات والاندية

الاجتماعية ، وتعويض اهالى الشهداء ضحايا أحداث ٢٣ أبريل والايام العشرة فى أكتوبر الماضى ، وفصل أجهزة الامن عن وزارة الدفاع ، وتطوير أجهزة الامن وجعلها فى خدمة الشعب ، ووقف مطاردة العناصر التقدمية والوطنية ، ووقف الملاحقات القضائية ضدها ، وتحصين الحدود وتسليح القرى الامامية واقرار قانون الخدمة العسكرية ، فضلا عن موضوع المخيمات الفلسطينية التى يوليها اهتماما خاصا • على أن السؤال الذى يدور الان فى أذهان اللبنانيين والعرب عموما هو الى أى مدى سيظل جنبلاط متحكما فى الموقف والسهر على تنفيذ اتفاق القاهرة ومشاريعه التقدمية ؟

هنا يرى المراقبون ان احتمال الصدام بين جنبلاط وبين بقية أعضاء الوزارة قائم داخل الحكم ، وخاصة بين جنبلاط وبين ممثلى حزب الكتائب الذى يتزعمه بيير الجميل وحزب الوطنيين الاحرار الذى يتزعمه كميل شمعون داخل الوزارة ، فضلا عن المعارضة داخل البرلمان ، وذلك بسبب تباين وجهات النظر حول تنفيذ اتفاق القاهرة ، هذا من ناحية •

ومن ناحية أخرى ، تعانى الحكومة الحالية كثيرا من المشاكل السياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية المتراكمة نتيجة الشلل التام الذى أصاب الدولة من جراء الازمة الوزارية طوال الاشهر السبعة الماضية ويتوقع المراقبون أن تشهد الفترة القادمة معارك سياسية واسعة بعد انتهاء فترة الاعياد ومؤتمر القمة العربى •

وقد أشارت الصحف اللبنانية الى أن جنبلاط



● كمال جنبلاط

يعانى صعوبة فى الموافقة على مشاريعه وأنه يولى اهتماما كبيرا لتدعيم الحزب التقدمى الاشتراكى الذى يتزعمه على أساس انه الامل الباقى بعد زوال المنصب الوزارى ، وحرصه على الا يفقد شعبيته • وان جنبلاط بالرغم من حرصه على الا يترك الوزارة فى هذه الظروف الدقيقة ، لن يتردد فى الانسحاب والتخلى عن الوزارة عندما يجد اعراضا واهمالا لمطالبه ولن يدعهم « يعدمونه على الكرسى الوزارى » •

وعلى كل فاذا كان النضال الشعبى والوطنى الذى تخوضه كل القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان هو الذى منع انفجار الازمة الماضية ، فان هذا النضال سيظل بالنسبة لجنبلاط طوق النجاة ، والشعاع الهادى فى فترة دقيقة وعاصفة من حياة لبنان والامة العربية كلها •

■ ■

■ **اليمن الجنوبية**

مخاطر على الجسر الذهبى للاستقلال

اتجهت انظار الرأى العام فى العالم العربى فى الاسابيع الاخيرة صوب اليمن الجنوبية الشعبية وهى تخطو على أعتاب العام الثالث لاستقلالها عن بريطانيا ، وسط التحديات والعراقيل الاستعمارية والرجعية •

وقد استطاعت الحكومة فى جمهورية اليمن الشعبية أن توجه ضربة شديدة الى القوى الامبريالية عندما أقدمت فى أواخر نوفمبر الماضى على تأميم معظم الاحتكارات الاستعمارية فى اليمن وعددها ٣٦ مؤسسة وشركة أجنبية ، شملت جميع البنوك ، من بينها ٤ بنوك بريطانية ، وشركة موبيل أويل للبترول ، وشركة البترول البريطانية ، والمؤسسات التجارية ، وشركات التأمين والنقل البحرى ، وتعويض هذه المؤسسات والشركات على أساس رأس المال الموجود فعلا خلال ٢٠ عاما •

وفى مجال التأميم انتقلت الحكومة الى معالجة بعض القضايا الحيوية الاخرى بهدف القضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى ومن ثم قامت بعقد القروض والاتفاقات الاقتصادية والتجارية واتفاقية التعاون العلمى والتكنيكى غير المشروط مع دول المعسكر الاشتراكى •

وبمقتضى الاتفاقات التى عقدت مع الاتحاد السوفييتى ، والمانيا الديمقراطية فى أكتوبر الماضى سوف يتم بناء السدود وحفر الابار ومشاريع الرى واستصلاح الاراضى وتطوير الزراعة ، وصناعات الاسمدة الكيماوية وغيرها من الصناعات الكيماوية ، واقامة المحطات الزراعية المزودة بالماكينات ومعدات الاصلاح والمراكز التجريبية ، وأقسام تربية الماشية والطب البيطرى ، وتنمية مصايد الاسماك وتطوير الصناعة السمكية ، وتزويد البلاد بالسلع الغذائية والمواد التموينية للتغلب على الازمة الغذائية التى تعانى منها البلاد فى هذه الفترة . هذا فضلا عن قبول البعثات التعليمية وتدريب الخبراء والعمال اليمنيين فى المشروعات التى ستنشأ فى البلاد ».

وتتجه السلطة القائمة فى الوقت الحاضر الى بناء الحزب السياسى الذى يستند الى التحالف بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، والى عزل العناصر الانتهازية التى تسربت الى التنظيم بعد الاستقلال ، واعادة الكوادر الثورية المتمرسة التى خاضت الكفاح المسلح ضد الاستعمار والاقطاع الى صفوف التنظيم ، وتكوين الهيئات السياسية لمكافحة النشاط التخريبى لقوى الثورة المضادة ، وتدريب الجماهير على السلاح لحماية المكتسبات الثورية .

ويعتبر المراقبون ان هذه الخطوات — فى مجموعها — تطور طبيعى للاجراءات التى اتخذها قادة اليمن الجنوبية الشعبية فى ٢٢ يونيو الماضى ، وعودة بالبلاد الى الالتزام بقرارات المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، وهو المؤتمر الذى عقد فى ٨ مارس ١٩٦٨ .

على أن هؤلاء المراقبين يرون أن الجمهورية الفتية لا تسير فى طريق مفروش بالرياحين . فالى جانب الصعوبات الجدية — خصوصا فى حقل الاقتصاد — التى خلفها نظام السيطرة الامبريالية ، تواجه الجمهورية — منذ الاستقلال ، وبكيفية متزايدة مؤامرات جميع القوى المضادة التى لا تريد أن تقوم فى الجزيرة العربية دول متحررة من التخلف ومن السيطرة الامبريالية .

ولقد كان من دواعى الاسف تلك الاحداث الدامية التى وقعت بين اليمن الشعبية وبين المملكة السعودية بسبب النزاع حول منطقة الوديعة على الحدود بين البلدين . وتدادى هذا النزاع — كما هو معلوم — الى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين .

وقد بادرت القاهرة الى بذل مساعيها الحميدة فى سبيل وضع حد للنزاع المسلح بين اليمن الجنوبية الشعبية وبين المملكة السعودية . واذا كان من حق الرأى العام العربى أن يزداد قلقه لتطور هذا النزاع المسلح ، خصوصا ، والشعوب العربية تخوض نضالا مريرا ضد اسرائيل والقوى الامبريالية التى تساندها ، فان الاوساط الوطنية لا تزال تأمل فى عدم تشتيت جهود البلاد العربية أمام العدو المشترك ».

وقد تم الاتفاق فى الرباط على تشكيل لجنة من العراق والجزائر لمحاولة تسوية النزاع بين البلدين ».

● ●

■ **افريقيا**

بائع متجول .. وبضاعة فاسدة

عارضت ثمانى دول افريقية قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذى صدر اخيرا بادانة اسرائيل بالارهاب ، وانتهاك حقوق الانسان فى الارض المحتلة ، وهى نفس الدول الافريقية التى عارضت عام ١٩٦٧ مشروع دول عدم الانحياز لحل الازمة الناتجة من عدوان ٥ يونيو .

واذا كان هذا الموقف دلل على ان اسرائيل ما زالت تجد لها أرضا تعمل عليها فى القارة الافريقية الا ان الجديد فى الامر هو أن عددا من الدول الافريقية التى كانت قد تعودت على الامتناع عن التصويت على القرارات المضادة لاسرائيل قد صوتت مع القرار هذه المرة .

والواقع أن الدوائر الاسرائيلية تبدى فى الفترة الاخيرة نشاطا محموما لزرع الانشقاق وتعميقه فى صفوف منظمة الوحدة الافريقية . وهى تستغل المراكز الاقتصادية والسياسية التى نجحت فى اقامتها فى السنوات السابقة بتشجيع وتأييد المستعمرين القدامى والجدد فى الضغط على الدول الافريقية وخاصة تلك التى تورطت فى قبول « المعونات الاسرائيلية » .

وعلى أثر النجاحات التى حققتها البلدان العربية فى اجتماعات القمة الافريقية ، وازدياد تضامن البلدان الافريقية مع الدول العربية ومطالبتها بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، قام **ابا ايبان** وزير خارجية اسرائيل برحلة الى افريقيا مؤخرا بعد ان سبقته حملة فى الصحف

الاسرائيلية تهدد بوقف مساعدات التنمية التى تقدمها اسرائيل كما هددت بالمساهمة الصريحة فى قمع حركات التحرر فى البلدان الافريقية . ولقد حاول أبا ايبان اخفاء الضغوط الحقيقية التى كان يمارسها تحت ستار المحاضرات والتصريحات التى حاول فيها بيع شعار « الاشتراكية الاسرائيلية » الى القوى النامية فى افريقيا ، انطلاقا من اتساع شعبية الاصطلاحات الاشتراكية فى القارة . ولكن **الامر الذى يؤكده كل المراقبين ان اسرائيل انما تعتمد اساسا فى تدعيم نفوذها فى افريقيا على مراكز القوى الامبريالية : وخاصة مراكز الاحتكارات الامريكية والالمانية الغربية .**

ولقد لخصت مجلة **هوريتسونت** الالمانية الديمقراطية أهداف رحلة ابا ايبان بقولها « انها محاولة لعزل حركات التحرر الوطنى الافريقية عن النضال العادل للشعوب العربية » .. و « للضغط على البلدان الافريقية بعد أن ازدادت مطالبتها بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة » ، و « جعل الاسواق الافريقية اسواقا بخسة تحصل منها على المواد الخام بثمن رخيص لصالح كبار الرأسماليين الامريكيين » ...... « وتنفيذ سياسة القوى الامبريالية فى البلدان الافريقية » .

ومهما كان من أمر فان تحول عدد من دول القارة من موقف الامتناع الى موقف الموافقة على قرار ادانة اسرائيل يؤكد أن هناك فرصا حقيقية أمام السياسة والدبلوماسية العربية لكسب دول القارة الى جانب الحق العربى .



■ **المانيا الغربية**

سياسة واقعية ..
ام سياسة حلف الاطلنطى

نقلت وكالات الانباء العالمية حديث **ويلى برانت** لجريدة الاهرام كما ابدى المراقبون اهتمامهم بما جاء فيه من اتجاهات والواقع ان اتجاهات حكومة الاشتراكيين

تعليق

علماء العالم يحاصرون فيروس السرطان

لقد كان لنبأ الكشف العلمى الهام الذى اعلنه الباحثان الامريكيان : مورتون وفردريك البرت ، عن عزل فيروس السرطان ، فى الاجتماع الذى عقد بمعهد الدراسات السرطانية والعناصر الوراثية فى باريس ، وقع مثير فى قلوب الملايين من البشر . فقد فتح هذا الكشف باب الامل فى السيطرة على هذا المرض الخبيث ، قريبا ، خاصة وهو يعتبر اكبر سبب للوفاة فى العالم بعد امراض القلب .

وبعد ذلك الاعلان بيومين فقط ، صرح الدكتور يوكى اتيو مدير مركز السرطان فى ايش باليابان ، بان فريقا من الباحثين اليابانيين والفرموزيين قد تمكنوا من كشف فيروس سرطانى فى خلية بالجزء الاعلى من حنجرة مريض . وهذا يدل على ان العالم اجمع كان يضع مشكلة السرطان فى مقدمة المشاكل الخطرة التى يواجهها الانسان . فالعالم ينفق ما يزيد على ٤٠٠ مليون جنيه سنويا على ابحاث ودراسات وتجارب فى السرطان . وهناك اكثر من هيئة عالمية لمحاربة هذا المرض من بينها الاتحاد العالمى للسرطان الذى يضم العلماء من ٧٠ دولة والذى يعقد مؤتمره الدورى كل ٤ سنوات ، وهيئة الصحة العالمية والمعهد العالمى لابحاث السرطان فى ليوث ، تلك الهيئات والمعاهد التى ساهمت فى تبادل المعلومات الحيوية وعجلت بالتوصل الى ذلك النصر الكبير .

وفى الحقيقة ،فقد كان هذا الكشف متوقعا ،بعد ان استطاع العلماء ، التوصل الى امكانية اصابة حيوانات التجارب بالسرطان بعد حقنها بفيروس معين (راوس فيروس) . وقد يتبادر الى الذهن بعد هذا الكشف ، ان مرض السرطان مرض معد ، ولكن جميع الدراسات السابقة لا تقدم اى دليل على ذلك . فالسرطان ليس مرضا معديا وهذا لا يتعارض مع ثبوت حقيقة ان المتسبب فى هذا المرض هو الفيروس .

وبعد التوصل الى فصل فيروس السرطان من الانسان ، ستتجه الجهود الى دراسة طبيعة وسلوك وصفات هذه الكائنات الدقيقة « الفيروسات » لتكون خطوة اساسية فى الحصول على مصل مضاد لهذا المرض . وقد بدأت بالفعل محاولات فى هذا السبيل قبل اكتشاف فيروس السرطان . فقد نجحت فى العام الماضى تجارب عدد من اطباء كندا فى حقن بعض ارانب التجارب بسرطان الانسان ثم اخذوا من دماء الارانب مصلا حقنوه فى بعض المتطوعين من البشر ، وكانت النتائج مشجعة ولكن لفترة محدودة . وفى مصر صرح الدكتور اسماعيل السباعى — الذى يشترك مع ٦ علماء عالميين فى كتابة مرجع عالمى عن السرطان ، سيطبع قريبا فى سويسرا — ان الاطباء المصريين بمعهد السرطان يقومون بابحاث خاصة بالحصانة ضد السرطان واهمها سرطان المثانة والثدى والرأس والرقبة . ومما لا شك فيه ان جميع الجهود الخاصة بالقضاء على هذا المرض او بالحصانة ضده ستجد فى هذا الكشف سندا ضخما لتحقيق اهدافها : فهو خطوة انسانية هامة للسيطرة على اكثر الامراض رهبة وغموضا فى العالم .

دكتور شكرى عازر

الديمقراطيين فى بون مازالت محور الاهتمام الاساسى للرأى العام الاوروبى ، مما دعا الى عقد اجتماع لقادة البلدان الاشتراكية الاوربية كانت هذه الاتجاهات هى ابرز نقاط جدول أعماله • واعلن الاجتماع ان قادة هذه البلدان وجميع القوى المحبة للسلام « ستقابل بترحاب اية سياسة جديدة من جانب المانيا الغربيه تدل على أنها استفادت من دروس التاريخ ، وتخلصت من أثقال الماضى ، سياسة تعالج المشاكل التى تثير التوتر بين الشرق والغرب بصورة واقعية • وفى نفس الوقت أعربوا عن اتفاقهم فى الرأى على أن نمو الروح الانتقامية فى المانيا الغربية وازدياد نشاط القوى النازية الجديدة يجب ان يقابل بيقظة كافية •

وقد بدأت فى موسكو فى الثامن من ديسمبر محادثات لم تنته بعد لاستصدار تعهد مشترك بعدم الاعتداء والتخلى عن استخدام القوة • بينما وافق برلمان المانيا الديمقراطية على تفويض والتر اولبرخت على اجراء مفاوضات مع حكومة بون لاقامة علاقات طبيعية بين البلدين •

ويرى المراقبون أن خطوات بون على طريق سياسة خارجية واقعية سواء ازاء قضية الامن الاوروبى ، أو مشكلة الشرق الاوسط وغيرها من المشاكل الدولية مازالت تتعثر بشكل واضح ، اذ يكبلها احجام ويلى براندت عن مواجهة قوى اليمين المتطرف والنازية الجديدة فى داخل المانيا الغربية من جهة واستمرار رسمه لسياسته الخارجية فى اطار سياسة حلف الاطلنطى العدوانية من جهة اخرى . ولذا فالتفاؤل بازائها مازال يحتاج لوقت طويل جدا ولاجراءات عملية لا مجرد نوايا من جانب حكومة بون الجديدة تؤكد بها ابتعادها عن المسار الرجعى الانتقامى الذى سارت فيه السياسة الالمانية الغربية طيلة السنوات العشرين الماضية •

■ ■

■ اليابان

الاحتكارات تبحث عن « صيد جديد »

طلبت الجامعة العربية فى مذكرة الى دولها الاعضاء ان يبحث وزراء الاقتصاد العرب فى اجتماعهم المقبل تطور العلاقات الاقتصادية بين اليابان وبين اسرائيل ، وذلك بعد ان بتهلت اجهزة المقاطعة الى ان بعض الشركات اليابانية تتحايل على قوانين المقاطعة لعقد بعض الصفقات الكبيرة مع اسرائيل .

والواقع ان اتجاهات الاحتكارات اليابانية فى الخاصة من العالم بدأت تجذب انظار المراقبين الاونة الاخيرة وخاصة فى المناطق ذات الحساسية بعنف •

لقد أمكن للدوائر الحاكمة اليابانية ان تسوى مشاكلها مع الولايات المتحدة الامريكية فى مباحثات « ساتو ـ نيكسون » على اساس ان تعيد الولايات المتحدة جزيرة أوكيناوا الى اليابان فى عام ١٩٧٢ مع احتفاظ الولايات المتحدة بالقواعد العسكرية الأمريكية فى الجزيرة ، وعدم النص صراحة على حظر استخدام الاسلحة النووية فيها ومع تجديد معاهدة الامن المتبادل بين امريكا واليابان

واذا كانت الاتفاقية قد أثارت سخطا عاما بين افراد الشعب اليابانى ، فان المراقبين يشيرون الى أن المباحثات قد انطوت على جوانب أخرى لا تقل خطورة، وهى دعم العسكرية اليابانية ، وضمان دور اكثر فعالية لليابان فى المشاكل الدولية وخاصة الاسيوية منها • ولقد علق شواين لاى على الاتفاق الامريكى اليابانى بقوله « ان الحلف الامريكى اليابانى الجديد يهدد الشعب اليابانى بكارثة جديدة » •

ولقد عبرت الاتجاهات التوسعية للاحتكارات اليابانية عن نفسها بشكل بارز فى جزيرة فرموزا ، حيث لا تخفى الدوائر اليابانية رغبتها فى ضم الجزيرة الصينية اليها او بسط حمايتها عليها ، وصرح ساتو أثناء مباحثاته فى واشنطن بقوله : ان فرموزا تعتبر عاملا هاما للغاية لامن اليابان • وكان قد اعلن من قبل « ان مسألة لمن تنتسب فرموزا هى مسألة لم تتحدد بعد » • وتشهد الجزيرة الصغيرة التى تتحكم فيها جماعة تشانج كاى شيك تدفقا هائلا لرأس المال الاحتكارى اليابانى وتزايدا للنشاطات العسكرية اليابانية التى كان آخرها التحضير لانشاء قاعدة للبحرية شعور حكومة تشانج كاى شيك باهتزاز الوجود اليابانية هناك ، ويدعم تسلل اليابان الى الجزيرة الامريكى فى جنوب شرق اسيا مما يدفعها اكثر فأكثر الى الارتماء فى احضان اليابانيين •

واتجاهات الاحتكارات اليابانية تؤكد ان صفقات الشركات اليابانية مع اسرائيل ليست مجرد صفقات تجارية • فلليابان مصالح بترولية فى الكويت وليبيا والمنطقة المحايدة • ومن المتوقع أن

تحاول استغلال تحالفها مع الولايات المتحدة لتبحث لها عن دور يمكن ان تلعبه فى المنطقة تدعيما لمصالحها ، وهو الامر الذى سيتوقف على مدى اليقظة التى ستبديها السياسة العربية ازاء الاتجاهات الجديدة للدوائر اليابانية ٠



■ ادب

مؤتمر الادباء الشبان

بعد ان قامت منظمة الشباب بعقد مؤتمر السياسيين الشبان فى مدينة الاسكندرية ، تقدمت نحو عقد مؤتمر للادباء الشبان، الذين تقل اعمارهم عن ٣٥ عاما ، وعقد المؤتمر فى الزقازيق (الشرقية) بين ٤ ــ ٨ ديسمبر الماضى ٠

وجاء عقد هذا المؤتمر استجابة لرغبة عامة وحقيقية فى اوساط مئات من الادباء الشبان

وبالفعل ، سبق عقد المؤتمر ، مؤتمرات اقليمية فى جميع المحافظات ، اشرف عليها كتاب وادباء معروفون منهم على الراعى واحمد عباس صالح والفريد فرج وعبد المعطى حجازى ٠

وقد اختير نجيب محفوظ ليكون امينا عاما للمؤتمر و د ٠ على الراعى ليكون نائبا له ٠

وشارك فى المؤتمر ١٢٠ من ادباء الاقاليم ، ومثل كل محافظة خمسة من الادباء ٠

وبرزت فى المؤتمر جهود بعض المجموعات الادبية المعروفة بنشاطها ، فمن القاهرة كانت هناك مجموعة جاليرى ٦٨ ٠ وهناك مجموعة ادباء الاسكندرية ، ومن الاقاليم كانت هناك مجموعات الادباء التى تنتمى الى المنصورة وملوى ودمياط ٠

والقى كلمات الافتتاح امين التنظيم **شعراوى جمعه** ، ومحافظ الشرقية **فؤاد محى الدين** ، وامين عام الاتحاد الاشتراكى بالشرقية **محمد على بشير** ، وامين الشباب بالاتحاد الاشتراكى د ٠ **مفيد شهاب** ، ووكيل وزارة الثقافة **سعد الدين وهبه** ٠

تعليق

سوق الفنون التشكيلية

هذا هو العام الثالث لتجربة « سوق الفنون التشكيلية » ومن الصعب فى جو السوق ، جو تتبع حركة البيع والشراء واثمان المعروضات رفعها وخفضها . انتقالها من حائط المعرض الى يد المشترى ، احلال معروضات جديدة غيرها ، من الصعب فى مثل هذا الجو الكلام عن القيمة الفنية للمعروضات . لقد تدخل عنصر جديد وبرزت الاعمال الفنية « كسلع » اثمانها لا تقدر بقيمتها الفنية وانما تقدر (وفى الذهن) دور القدرة الشرائية لدى الجمهور الراغب فى الاقتناء . ومن يتحكم بنقوده سوف يتحكم بذوقه وفهمه وقدرته على تقدير العمل الفنى وسوف يجر خلفه هذا الفنان او ذاك » ولما كان جمهور المشترين الاساسى من فئات الطبقة المتوسطة ذات الميسرة بكل خلفيتها الثقافية فان التأثير الاساسى سوف يكون لهذه الفئات »

والعيب الاساسى ليس فى قدرة هذه الفئة بالذات على الشراء والاقتناء وانما يكمن فى ترك مستوى السوق من الناحية الفنية لتتحكم فيه تلقائية العلاقة بين الفنان والمستهلك . ومن يدرى كم يؤثر هذا السوق بوضعه الحالى فى مستقبل الحركة الفنية ؟

ومن هنا لازلنا كما طالبنا فى الاعوام الماضية بأن تحكم حركة السوق قواعد ونظم لا تهبط بمستوى علاقة الفنان بالجمهور ، وان تتم هذه العلاقة عن طريق عمل الفنان اساسا وان نحتفظ للفنان بدوره الطليعى والقيادى . وتلك مسئولية مؤسسات الدولة الثقافية عليها ان تحفظ للفنان كرامته وتقدر له عمله وتجد له اسواقا داخلية وخارجية ولكن ليس على حساب الفنان او كرامته »

واذا كانت ادارة الفنون الجميلة هذا العام قد تدخلت ومنعت من ناحية الشكل كثيرا من (مظاهر الفوضى فى تنسيق المعروضات) كما كانت فى العام الماضى (مجموعات ملقاة على الارض وفى الاركان) فاننا لازلنا نطالب بتحقيقا لهذا الغرض بتدخل اكبر واتخاذ بعض الاجراءات التى تساعد على ان يكون هذا السوق سلاحا يساعد الفنان والحركة الفنية على التقدم .

وجوهر هذه المقترحات ان تتولى ادارة الفنون الجميلة نيابة عن الفنان كافة عمليات البيع وتحصيل الاثمان . كما تعمل على تثبيت الاثمان قبل بدء افتتاح السوق وان تمنع ادخال اعمال جديدة الى حلبة السوق وطوال فترة العرض او احلالها بدلا من الاعمال المشتراة على ان تسلم الاعمال المشتراة الى اصحابها فى نهاية فترة العرض . كما عليها ان تقوم بدعاية مستنيرة ومنظمة وذكية لاعمال الفن التشكيلى بهدف توسيع شريحة المشترين وان يكون هدفا رئيسيا لها ادخال كافة المؤسسات الحكومية ومكاتبها كقوة مشترية »

ان تحويل الفن التشكيلى الى سلعة ضرورية فى حياتنا معركة هامة وضرورية وتحتاج الى تنظيم أكبر لهذا السوق وأسواق غيره كثيرة .

داود عزيز

وفى كلمة الافتتاح الرئيسية ناقش شعراوى جمعه عددا من القضايا • فاشار الى أن ادب الشباب لا يحدده السن ولكنه الادب الذى ينجح فى التعبير بصدق وامانة عن معطيات وآلام العصر • واهتم فى خطابه بابراز نقطتين :

١ ـ ان الادب الذى يكتب له البقاء هو الادب او الفكر الذى يغرس جذوره فى التربة الوطنية وفى تاريخنا وتجارب شعبنا

٢ ـ ان فى الفكر العربى والحضارة الاسلامية من العناصر الحية ما يمكنهما من متابعة فكرنا المعاصر •

وبعد ان طلب امين التنظيم من المؤتمر ان يناقش قضية العلاقة بين الادباء الشبان وبين العمل السياسى تكونت اللجان الفرعية التى تولت مناقشة الموضوعات المطروحة عليها • وعلى الرغم من أن المناقشات قد انصب معظمها على القضايا الحيوية التى تمس الادباء والشبان مباشرة (مشكلات تنظيم صفوف الادباء ، وتحقيق شروط افضل تمكنهم من رفع مستوى ابداعهم الفنى ، وتمكين الادباء الشبان من مصادر الثقافة) الا ان المؤتمر كان فى مستوى مسئوليته عندما اصدر توصيات ذات طابع قومى عام منها :

ـ ارسال برقية الى سكرتير الامم المتحدة يوثانت احتجاجا على سوء معاملة الادباء فى الارض المحتلة •

ـ التوصية بضرورة الشروع فى كتابة التاريخ القومى من وجهة نظر علمية •

والى جانب بعض التوصيات التى صدرت عن المؤتمر والخاصة بانشاء مجلس للترجمة يخطط لترجمة اعمال ادباء ج • ع • م الى اللغات الاجنبية ، والتوسع فى نظام التفرغ ، وتنظيم الرقابة على الاعمال الفنية ، نقول الى جانب هذه التوصيات فقد حظيت قضية انشاء **اتحاد عام للادباء** باهتمام خاص • فقد احس الجميع بأن انشاء هذا الاتحاد ضرورة لحل طائفة من المشكلات التى يشكو منها الادباء ، كمشكلات النشر والتوزيع والتواجد فى مواقع الانتاج ومواقع المواجهة مع العدو ، والانفتاح على الفكر العالمى .

وقد احتدم النقاش حول كيفية تكوين الاتحاد المقترح وطرحت عدة آراء :

١ ـ اتحاد لادباء الاقاليم

٢ ـ اتحاد للادباء الشبان

٣ ـ اتحاد للجمعيات الادبية القائمة

٤ ـ اتحاد لادباء جمعيات قصور الثقافة

٥ ـ اتحاد عام للادباء يضم الجميع تحت لوائه ».

وحول هذه الاقتراحات دارت مناقشات بناءة انتهت الى اقرار التوصية التالية •

« يوصى المؤتمر بانشاء اتحاد عام للادباء ، يضم جميع الادباء ، وتكون له شخصية اعتبارية مستقلة • على أن يقوم الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب ووزارة الثقافة والجهات المعنية بتذليل كافة العقبات التى قد تعترض تكوين هذا الاتحاد • وعلى ان تتكون فى المحافظات والمراكز ، ومواقع التجمع الجماهيرى جمعيات ادبية تضم الادباء المحليين الناشئين وتنتسب الى الاتحاد العام » •

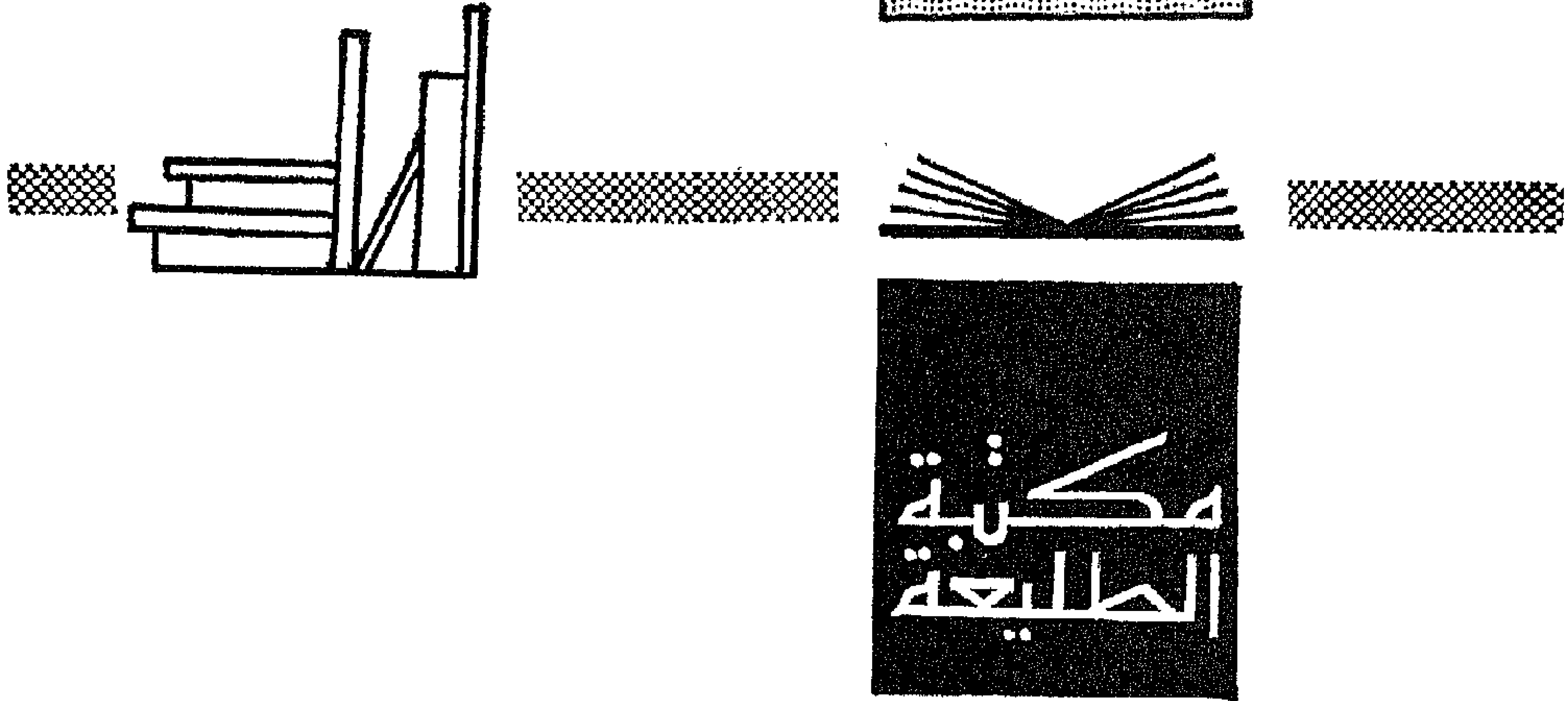
وضمانا لتنفيذ هذه التوصية كون الادباء الشباب سكرتارية مؤقتة فيها مندوب واحد عن كل محافظة ، ومهمة هذه السكرتارية ان تتابع تنفيذ هذه التوصيات ، وتقوم بالاتصال بالجمعيات والاندية الادبية المختلفة .

وقد حظيت قضية الحرية الشخصية للاديب ومشكلة الرقابة على الاعمال الفنية باهتمام المؤتمرين ، وقدمت فيهما توصيات محددة وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالرقابة كانت توصية المؤتمر :

« يرى المؤتمر ضرورة وضع معايير واضحة للرقابة على المصنفات ، وأن ينصرف جهد الرقابة الاساسى الى تدعيم الخط الثورى الذى ارتضاه تحالف قوى الشعب العاملة فى الميثاق ، وذلك ايمانا بأن تحرير الارض رهن بتحرير الفكر ، وضرورة تكوين رأى عام حر وقوى . على أن يقوم على الرقابة مثقفون على مستوى المسئولية ، وأن يحتكم عند الخلاف مع الرقابة الى لجنة من الادباء والفنانين .

ويرى المتتبعون لاعمال المؤتمر ان المؤتمر الذى ختم اعماله بتوزيع الجوائز التى قدمها المجلس الاعلى للاداب والفنون على المبرزين من الادباء الشبان ، كان ظاهرة ايجابية فى الحياة الثقافية للبلاد .

ولم يقتصر الجانب الايجابى فيه على التوصيات البناءة التى خرج بها . ولكن تنبغى الاشارة فى الوقت نفسه ، الى ان المناقشات الغنية والحرة التى دارت فى مختلف لجانه • والى اللقاء الذى تم بين جيلين من الكتاب والادباء ، والى أن هذين الجيلين قد غلبا فى مواقفهم وتوصياتهم اعتبارات الوحدة على عوامل الفرقة والانشقاق •



تاريخ الفكر الاشتراكى

■ تأليف : رفعت السعيد

■ عرض : أبو سيف يوسف

■ الناشر : دار الثقافة الجديدة _ القاهرة ١٩٦٩ الجزء الأول _ ٣٩٤ ص

مؤلف

هذا الكتاب رفعت السعيد عضو فى اسرة تحرير الطليعة ، يعرفه قراؤها بدراساته التى نشرها فى الطليعة وفى غيرها من المجلات عن تاريخ مصر وعن بعض المفكرين الثوريين الذين اغنوا حركة التحرر الوطنى بمضمون اجتماعى متقدم .

ورفعت السعيد لايقحم نفسه على هذا الميدان لسبب بسيط وهو انه من جيل الاشتراكيين المخضرمين الذين عملوا من اجل الاشتراكية وضحوا من اجلها • وهو الى جانب هذا يخصص الجزء الاكبر من وقته ـ هذه الأيام ـ استعدادا لتقديم رسالة علمية عن «تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر » •

والكتاب الذى بين ايدينا يقدم دراسات عن عدد من المفكرين الذين عاشوا فى مصر ووضعوا لبنات فى تاريخ الفكر الاشتراكى والحركة الاشتراكية •

ولعل اهم الدراسات فى الكتاب هى التى عالجت فكر رفاعه الطهطاوى ، وشبلى شميل ، والكواكبى ، وسلامة موسى • وان كان المؤلف قد عالج ايضا مواقف الافغانى ، كما عرض لاتجاهات فى الثورة العرابية • وقدم بعض كتابات مجهولة وهامة لاشتراكيين مجهولين بقيت اصواتهم وكلماتهم مدفونة فى بطون هذه الصحيفة او تلك من الصحف القديمة ، التى لم تعد فى متناول جمهرة القراء •

وفى الحقيقة تواجهنا فى عرض الكتاب ونقده صعوبات موضوعية مصدرها صعوبة الدراسة ذاتها ، ذلك ان وضع تاريخ للفكر الأشتراكى فى مصر يتطلب جهدا غير عادى من التنقيب والبحث التاريخى ، ومن العمل الايديولوجى ، والتحليل النظرى ، وفوق هذا فان هذه الدراسة عن تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ، لم تزل بعد حديثة وربما لاترجع لاكثر من أوائل الستينات [1] •

ولا جدال فى ان رفعت السعيد قد قام بدوره فى مجال التنقيب فى صفحات التاريخ المصرى المعاصر. وهذا الجهد نستطيع ان نقيمه اذا نظرنا الى الصعوبات المادية والفنية التى يلاقيها كل باحث فى تاريخنا القومى •

وهذا كله يفرض على الناقد للكتاب خطة لا تركز على التفتيش على جوانب النقص بقدر ما تركز على مناقشة القضايا المنهجية ، ومن هنا سوف اقصر كلامى عن رفاعة الطهطاوى ثم اختم بملاحظات سريعة •

فيما يتعلق برفاعة الطهطاوى فلا خلاف على اننا بازاء مفكر ثورى حقا أعلى من شأن العقل فى عصر الخرافة ، وابلى بلاء حسنا فى معارضة النظم البالية والاساليب المدرسية الجامدة. وربط العقل بالعمل ، واجتهد فى أن يغرس نفسه فى التربة الوطنية وقد عاش فى باريس أيام ان كانت باريس — على حد قول لينين — تحيا « الحياة المحمومة للجماعات الثورية .. هذه الجماعات التى كانت تولى اهتماما خاصا لمذهب برودون »... ورأى ثورة الايام الثلاثة المجيدة عام ١٨٣٠ ، وقد اشار المؤلف نفسه الى ان الطهطاوى قد اتاحت له ظروفه أن يطل على كثير من ادبيات الاشتراكية ، وان يشهد الصراع بعينيه يدور معها وحولها (ص ٥٨) » •

لكن المؤلف لم يتسع مع ذلك الى تأصيل الفكر الاقتصادى والاجتماعى الذى قدمه الطهطاوى فى كتابه « مناهج الالباب » وكان مطلبنا كقراء ان يضع ايدينا على الافكار التى تبناها الطهطاوى وطوعها أو حاول ان يطوعها فى دراسته للواقع المصرى • لكننا لا نجد اى اسم من اصحاب المذاهب الاقتصادية او قادة الحركات الاشتراكية . واخشى ان يكون المؤلف قد عرض مذهب الطهطاوى بكيفية يفهم منها القارىء ان التأثير الغالب عليه كان للفكر الماركسى. وهذا يظهر من أن المؤلف يقدم لنا عرضه لكتاب مناهج الالباب بقوله « ان رفاعة حاول ان يشيد فكرا تقدميا متكاملا على اسس ثلاث : هى الفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، وتاريخ تطور المجتمعات » وعند عرض الاساس الفلسفى يورد المؤلف عبارة موجزة للطهطاوى يستدل منها على ان الطهطاوى قد وضع يده « على اخطر سمات الفلسفة المادية » وهو المنطق الجدلى ، لكن العبارة فى حد ذاتها لا تكفى وحدها لان توصلنا الى هذه النتيجة .

والشىء الذى يتعين ان نشير اليه فى موضوع استخدام هذا المفكر او ذاك للمنطق الجدلى [الديالكتيك] أو استخدامه لهذا القانون أو ذاك من قوانين الجدل، هو انه قد وجد على مر العصور فلاسفة ومفكرون قد وضعوا أيديهم — قبل هيجل وقبل ماركس — على بعض قوانين الديالكتيك وذلك بفضل استيعابهم للحركة الشاملة فى الطبيعة [كفلاسفة اليونان] أو لنمو واقع ثورى فى مجتمع من المجتمعات والى هذا يشير فردريك انجلز فى « الرد على دهرنج » عندما يوضح ان روسو عرف فكرة نفى النفى وهو يتحدث عن منشأ وتطور فكرة المساواة فى المجتمع الانسانى، وان غيره من مفكرى الثورة الفرنسية قد قدموا فى كتاباتهم امثلة هى « روائع من الديالكتيك » .

وقبل هذا وصل ابن خلدون بنظرته الشاملة والنفاذة الى تغير المجتمعات الى فكرة تحول الكم الى كيف .

فالسؤال هنا هو هل وصل الطهطاوى الى بعض افكار المنطق الجدلى لمجرد كونه مفكرا ثوريا موسوعى الثقافة عاصر أحداثا هائلة وانعطافات سياسية واجتماعية حادة ، أم انه تأثر بمفكر أو فيلسوف معين •

---

(١) انظر كتاب البير حورانى « الفكر العربى فى العصر الليبرالى من ١٧٩٨ — ١٩٣٩ » لندن ١٩٦٢ — وكتاب لويس عوض « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى » — القاهرة ١٩٦٣ . وكتاب انور عبد الملك « الايديولوجية والنهضة القومية » — باريس ١٩٦٩ .

ثم ناتى الى الاساس الثانى فى فكر الطهطاوى وهو «الاقتصاد السياسى»، وهنا يوضح لنا المؤلف ان الطهطاوى وضع يديه على طائفة من الافكار التقدمية فى الاقتصاد عن العمل باعتباره مصدر القيمة ، وعن العمل المأجور وتوزيع فسائض القيمة . . الـــخ ونحن نوافق المؤلف على ان الطهطاوى يقدم فكرا متقدما بحق فى هذا المجال • لكن السؤال هو عن المفكر او المفكرين الاقتصاديين الذين كان لهم الاثر الغالب على فكر الطهطاوى الاقتصادى . المؤلف لايقدم اجابة عن هذا السؤال، واكثر من هذا كنا نفضل ان يناقش بعض الاراء المحددة التى ترددت فى بعض الكتب الهــامة ، نذكر على سبـــيل المثـــال كتـــاب لويس عوض عن « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى » كما نشير الى كتابات انور عبد الملك خصوصا فى رسالته التى قدمها للدكتوراه الى جامعة السوربون عام ١٩٦٩ عن « تكوين الايديولوجية فى نهضة مصر الوطنية (١٨٠٥ — ١٨٩٢) » .

اما لويس عوض ففى رأيه انه من « المغالاة ومن العبث ان نصور انتماء الطهطاوى الى أية مدرسة واضحة من مدارس الفكر الاشتراكى . فهو ينتهى حقا الى النظرية القائلة بأن العمـــل اســـاس القيمة » . لكن هذه النظرية كانت من النظريات الراديكالية ، والراديكالية تمثل الجناح اليسارى فى الاقتصاد الليبرالى ، أو الجنـــاح اليمينى فى الاقتصـــاد الاشتراكى » « المؤثرات الاجنبيـــة ص ١٩٠ » •

على ان لويس عوض يميل الى القول فى مكان آخر بأن الطهطاوى تأثر ببرودون وبستيورات مل وتأثر بالاول خصوصا فى دعوته الى مكننة الزراعة وزيادة الخبرة الفنية •

اما انور عبد الملك فلا يخالجه شك فى ان الطهطاوى هو مؤسس الاشتراكية فـــى مصر ، والمبشر بها ، وان كان يتساءل هل اطلع رفاعة على كتابات ماركس وانجلز عن فائض القيمة •

وفى اعتقادنا — مع ذلك — ان برودون كان صاحب التأثير الغالب على فكر رفاعة الطهطاوى حتى وان بـــدا هذا عجيبا للتباين الصـــارخ بين الشخصيتين . والاسباب التى تدعونا الى ترجيح ذلك :

١ — ان برودون بمذهبه الاشتراكى الطوباوى هو الذى كان يسيطر فى باريس وقت ان عاش الطهطاوى ولم يقف تأثيره عند حدود المثقفين ، بل ان قسما من البروليتاريا الباريسية قد تبعتـــه وناضلت من اجل افكاره •

٢ — ان برودون رفض الشيـــوعية ورفض النظريات الاقتصادية الكلاسيكية • وحاول ان يجد طريقـــا وســـطا الى مجتمـــع تختفى فيـــه الارستقراطية ، وتختفى فيه الطبقة العـــاملة ، وتذوب الطبقتان فى طبقة واحدة ، فلا تبقى فيه سوى الطبقة المتوسطة • وحاول فى التطبيق ان يقيم نظاما تعاونيا بعيدا عن اى تدخل للدولة يقوم على مكافحة الفائدة (الربا) وذلك عن طريق بنك للتبادل يقدم سلفيات مجانية ، وبذلك تختفى النقود المعدنية ، والفائدة التى تؤخذ على رأس المال • والواقع انه أيا ماكانت الاصول الشعبية لرفاعة الطهطاوى الا انه كان بحكم الضرورة التاريخية مفكر الطبقة الوسطى التى لم يكن قد اكتمل نموها بعد ، ومن هنا فان المذهب الفردى كان يستهويه فعلا وهو جوهر مذهب برودون • وربما وجدنا بعض اشارات فى كتاب مناهج الالباب يدعو فيها رفاعة الاغنياء والموسرين الى تكوين « المحال الخيرية والشركات ليسهل الاخذ والعطاء وقطع دابر الربا ولاغاثة الملهوفين من القرض بربا الفضل (الارباح او الفائدة) ولاعانة المعسرين والمفلسين من التجار المتعطلين عن الاشغال •• الى أن يقول :

« فلابد فى ابراز هذه المصالح الخيرية من جمعية اغنياء ترصد عليها الارصادات ، وترتب لها الرواتب اللازمة الدائمة الاستقلال . فهذه صدقات جارية من جهة شركات تعاونية يقتسمون اجرها ويحرزون شكرها » .

فاذا حاولنا بعد ذلك ان نلخص ملاحظاتنا المنهجية على الكتاب الذى بين ايدينا ، امكننا ان نقول :

١ — ان القضية التى كانت تحتاج الى تأصيل اكثر فى الكتاب هى اننا بإزاء مجموعة من المفكرين الاشتراكيين الطوباويين الذين عاشوا فى مصر • وان هـــؤلاء الاشتراكيين الطوباويين كانوا فى الواقع طلائع الجناح الراديكالى (اليســـارى) داخل صفوف الحركة الوطنية فى مجموعها • وهو الجناح الذى سينمو وسيجذب اليه باستمرار طلائع البرجوازية الصغيرة ومثقفيها — بشكل عام — والذى سيحمل الى الحركة الاجتماعية مفهوماته الخاصة عن اشتراكية « غير بروليتارية » •

٢ — ومع ذلك وفى كتابتنا لتـــاريخ الـــفكر الاشتراكى فى مصر يتعين علينا ان نفرق بين الشعارات الاجتماعية الثورية وبين الشعارات التى تفرضها طبيعة المرحلة الثورية مرحلة الثـــورة الوطنية الديمقراطية ، وذلك مهما كانت هـــذه الشعارات الاخيرة تقدمية •• ومن هنا نختلف مع المؤلف عندما يقدم عرابى والثورة العرابية على

اعتبار ان برنامج الثورة العرابية يحمل بعض الملامح الاشتراكية • فالواقع ان النقاط البرنامجية التى يشير اليها المؤلف فى ص ١٤٦ هى صميم مهام الثورة الوطنية الديمقراطية بل هى فى بعض اجزائها مطالب متواضعة حتى بالنسبة للثورة الوطنية الديمقراطية التى تقودها البرجوازية •

٣ ـ ان تقديم اى مفكر يتطلب عملية مستمرة من النقد الداخلى لمذهبه • وهذه العملية لا تجدها كمنهج اساسى ومتكامل فى كتاب « تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر » . وهذا النقد هو نوع من التحليل النظرى ، يمكن من تأصيل الافكار وتحليلها ، وربطها بمنابعها ، وبتابعها فى حركتها ، مبينا التناقضات الداخلية فيها ، واذا ضربنا مثلا لهذا قلنا ان المؤلف وهو يقدم شبلى شميل يضعنا امام تناقضات لا يستطيع حلها :

فمثلا فى ص ١٠٨ يذكر المؤلف ان شميل يردد فى وضوح كل قوانين الجدل • وفى ص ١٠٩ يورد فى الهامش اشارة لاسماعيل مظهر تفيد ان شميل « تلميذ تخرج فى المدرسة المادية ومتكلس المدرسة الالمانية المادية ناحية اعتقاده وايمانه وتقديسه من علماء الجرمان نيتشه وهيجل » .

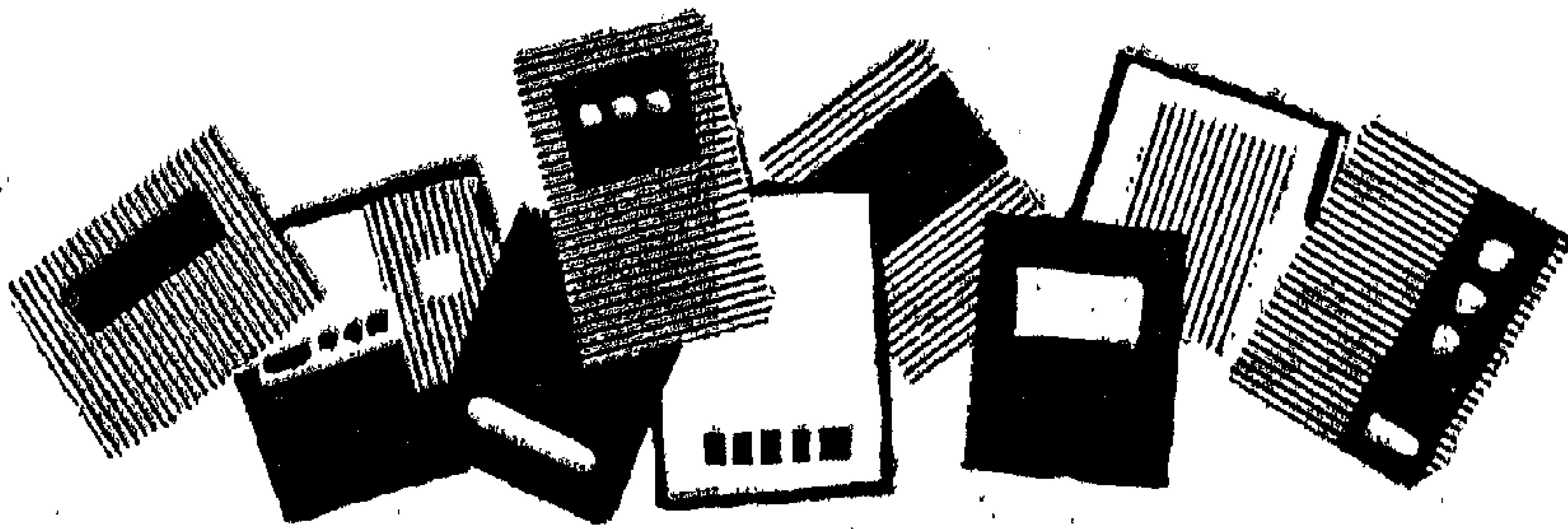
ولنا على هذا ملاحظات :

١ ــ ان شميل فى نظرته المادية قد وقع تحت التأثير الكلى لفزيولوجى المانى هو بوخنر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٩) وقد وضع بوخنر كتابا اسمه (القوة المادية) • ويذكر يوسف كرم فى كتابه تاريخ الفلسفة الحديثة ان « الدكتور شميل حسب هذا الكتاب هو الكلمة الاخيرة للفلسفة ونقله الى العربية » •

ومن المعروف ان بوخنر كان من خصوم الاشتراكية العلمية ، وقد نقد مذهبه بشدة انجلز ولينين واشارا الى انه يبشر بنوع من « المادية المبتذلة » .

٢ ــ اذا كان شميل قد تأثر بهيجل ، وهو فى الوقت نفسه من انصار فلسفة النشوء والارتقاء ، فكيف يمكن ان يصل شميل الى هذا المزيج المنسجم بين منهج هيجل الجدلى الذى ينادى بالقفزة وبالتحول الكيفى ، وبين منهج التطوريين الذين حاولوا ان يستخدموا نظرية داروين « كفرملة » لوقف التطور الثورى فى المجتمعات الرأسمالية ، وقدموا التدرج فى الانتقال من حال الى حال فى مقابل الثورة ؟ ثم اين موضع نيتشـــه فى مذهب شميل الاشتراكى ؟ كل هذه الاسئلة تضعنا امام تناقضات غير محلولة ومرجعها كما قلنا عدم استخدام الكاتب لمنهج النقد الداخلى لمذهب هذا المفكر او ذاك •

على كل ، فان هذه الملاحظات ، وان كانت لا تنال من اهمية المبادرة التى يقوم بها رفعت السعيد لتاريخ الفكر الاشتراكى فى بلادنا ، ومن محاولته الجادة لاثبات ان الفكر الاجتماعى التقدمى اصيل وله جذور فى بلادنا ، فان هدفها ان تضع رفعت السعيد امام مسئوليات جسام ، وعمل شاق عندما يشرع فى اعداد الجزء الثانى من كتاب تاريخ الفكر الاشتراكى •



وثائق

وثائق تاريخية عن :

مرحلة الانتقال في التجربة السوفييتية

١٨

نصوص وثائق مرحلة الانتقال

ابتداء من هــذا العدد ننشر نصوص كتابات لينين عن فترة الانتقال ، وهى النصــوص التى اختارها وجمعها الاستاذ بتلهايم ٠

وينصب هذا الجزء من الوثائق على الفترة التى طبقت فيها السياسة الاقتصادية الجديدة والتى تعرف بفترة « النيب » ٠

ونرجو أن نلفت نظر القراء هنا الى أن الفقرات المكتوبة بالبنط الصغير فى صلب النص هــى تعليقات وشروح للاستاذ بتلهايم ٠

وفى العددين ١٠ ، ١١ من « الطليعة » نشرنا المقدمة التمهيدية التى قدمها الاستاذ شارل بتلهايم لنصوص وثائق مرحلة الانتقال ٠ وقد تناولت موضوعين « ملاحظات شبه ابستمولوجية » ، و « الجمود التروتسكى » ٠

القسم الثانى

لينــين

[١] قضــية الدولة فى المرحلة الأولى للبنــاء الاشــتراكى فى الاتحــاد الســوفيتى من ســنة ١٩٢١ الى ١٩٢٣

اخترنا النصــوص التــالية من الكتب والخطب التى كتبها لينين خــلال فــترة السياسة الاقتصادية الجديدة (١) وقد رأينا من المفيد ان نلحق بها الدراسة (٢) التى كانت مرجعا فى تحليل القضايا التى يطرحها على الجــزائر بقــاء جهــاز الــدولة الاستعمارى • فالدولة ليست فقط اداة قمع فى أيدى طبقة من الطبقات ولكن تقوم أيضا بوظيفة فنية خاصــة تمارس فى مختلف المكاتب والمصالح الوزارية • (ويكفى ان نتخيل الوضع بشــأن نظام المحاســبة القومية) • ولا تزول تلك الوظيفة بين ليلة وضحاها، تماما كما لا تســتطيع الثورة بمجرد اصدار القوانين ، تحرير المبادلات من العصابة التجارية •

يقول لينين :

« لقد ورثنا جهاز الدولة القديم ، وتلك هى نكبتنا ، فكثيرا ما يعمل جهاز الدولة ضدنا • واليكم كيف تطــورت الامور : عندما استولينا على الحكم سنة ١٩١٧ قام جهاز الدولة بمقاطعتنا فتنزل الرعب فى قلوبنا وقلنا :

« ارجعوا من فضلكم » وقــد عادوا بالفعل فكانت نكبتنــا • لدينا الان مجموعة ضخمة من الموظفين ، غير اننــا نفتقــد العناصر المزودة بقدر كاف من العلم لتوجيه هؤلاء المــوظفين توجيها فعالا • وكثيرا ما يحصل ان يقوم جهاز الدولة فى القمة ـ حيث السلطات فى أيدينا ــ بدوره بصورة أو أخرى ، بينما يقومون هم (الموظفون) هناك فى القاعدة بادارة العمل بمعــرفتهم بحيث كثيــرا مــا يتصرفــون ضــد الاجراءات التى نتخــذها • ولا أعرف بالدقة عدد زملائنا فــى القمة ، ولكنى اعتقد انهم على كل حال بضعة آلاف فقط ، او بضع عشرات من الالاف على الاكثر • هذا ، ويلاحظ وجود مئات الآلاف من الموظفين القدامى فى القاعدة أورثهــم القيصر للمجتمــع البــرجوازى ، وهــم يعملــون ضدنا ، جزء منهــم بــوعى ، والجزء الاخر بغير وعى • ولا شك اننا لا نستطيع معالجة هذا الموضوع فى فترة قليلة مــن الزمن ، بل يقتضينا الحال ان نعمل سنوات طويلة لتحســين الجهاز وتغييره ، واشراك قوى جديدة فيه • ونحن نقوم بهذا العمل بسرعة كبيرة بل وكبيرة اكثر من اللازم • فقد انشئت مدارس ســوفيتية ، وكليــات عمالية يتلقى العلم فيها عشرات الآلاف من الشباب • قد يكون تلقيهم العلم يتم الان بتسرع ، الا ان العمل قد بدأ على أى حال ، واعتقد انه سيأتى بثماره، واذا لم نبدأ عملنا بتعجــل ، فانه ســيكون لدينا بعد بضــع سنوات مجموعة من الشباب القادر على تغيير جهازنا تغييرا جذريا (٣) •



« مضى علينا سنة والدولة فى أيدينا ، فهل قــامت بــدورها بالنسبة للسياسة الاقتصــادية الجديدة كما كنا نرغب ؟ كلا ، ونحن لا نريد الاعتراف بــان الدولة لم تقم بدورها طبقــا لرغبتنا • كيف سارت الدولة فى عملهــا ؟ السيــارة تــرفض الاذعان • على عجلة القيــادة رجل يبدو عليه وكأنه يقودها الا أنها لا تسير فــى الطــريق المطلوب ، بل تسير حيث تدفعها

---

(١) المؤلفات الكاملة ــ الجزء ٣٢و٣٣ ــ ٣٥ من الخطاب المذكور
(٢) الكراسات الماركسية اللينينية رقم (٢)
(٣) المجلد ٣٣ صفحة ٤٤٠ ــ ٤٤١

قوة أخرى، قوة غير قانونية وغير شرعية، قوة لا علم لنا بمصدرها • تسير السيارة حيث يدفعها المضاربون أو حتى الرأسماليون الفرديون، او هؤلاء وأولئك معا • ولكن السيارة لا تتقدم كما ينبغي، او لا تتقدم اطلاقا خلافا لما يتخيله الذى يجلس على كرسى القيادة • تلك هى النقطة الجوهرية التى يجب الا ننساها عندما نعالج رأسمالية الدولة، أساسا ان نتعلم من البداية فى هذا المجال الاساسى - واذا ما اقتنعنا بهذه الحقيقة ونفذت الى قلوبنا، لاستطعنا عندئذ فقط التأكد من نجاح تجربتنا » (٤) •

« تسير الامور بشأن جهاز الدولة على درجة من السوء، ان لم يكن من اللعنة بحيث يلزمنا التفكير جيدا فى طريقة محاربة عيوبه، ولا ننسى ان تلك العيوب تعود الى الماضى الذى - وان كان حقا قد انقلب - غير انه لم يقض عليه بعد • فلسنا بصدد مرحلة ثقافية انتهت منذ زمن بعيد • وانا أطرح هنا مسألة الثقافة بالذات اذ لايجب فى هذا المقام اعتبار أى شىء قد حقق، الا اذا اصبح جزءا من حياتنا الثقافية ومن أخلاقياتنا وعاداتنا. هذا ويلاحظ أننا ندرك على الفور كل ما هو حسن فى تنظيمنا الاجتماعى كما يتم بسرعة أيضا التفكير فيه وفهمه والاحساس به ومراجعة صحته وتجربته، والتأكد اختياريا منه وتدعيمه.. وليس من شك فى أن الامور ما كانت لتسير على خلاف ذلك فى مرحلة ثورية يتقدم فيها النمو بسرعة فائقة قادتنا فى فترة خمس سنوات من القيصرية الى نظام السوفيتيات .

لقد حان وقت التعقل، ويقتضينا الحال أخذ الامور بارتياب يفيد ضد الانطلاقة الطائشة والتفاخر الكاذب بكافة الوانه • ينبغى أن نفكر فى التحقق من سلامة الاجراءات التى نعلنها يوما بعد يوم، ونتخذها ساعة بعد ساعة، وندلل بعد ذلك دقيقة بعد أخرى على ضعفها وعدم تماسكها وغموضها، ويشكل التعجل فى هذه الامور ابلغ الاضرار • تصور ان عندنا المجموعة - قلت أم كبرت - من العناصر التى فى قدرتها التحقق من سلامة جهاز جديد بحق يستحق أن يوصف عن جدارة بأنه جهاز اشتراكى سوفيتى •

لا • • نحن لانملك هذا الجهاز، بل وليس لدينا من العناصر التى تستطيع خلقه الا عدد قليل للغاية، ولنتذكر ان استقرار هذا الجهاز يقتضى الا نضن بوقتنا، ويستلزم السنوات بل العديد من السنوات • ما هى العناصر التى فى جعبتنا لخلق هذا الجهاز؟ انهما عنصران فقط، اولهما العمال الذين يتأججون حماسا لعركة الاشتراكية، بيد انهم ليسوا مزودين بقسط وافر من العلم • هم يريدون حقا تسليحنا بجهاز ارقى، غير أنهم لا يعرفون السبيل الى ذلك يعجزون عن القيام به لان تكوينهم ناقص، وليس عندهم القسط اللازم من الثقافة ان الثقافة لازمة لتأدية هذه المهمة، فلا تكفى هنا الجسارة والاقتحام، ولا تكفى الطاقة والشجاعة • وعلى العموم لا تكفى تلك الصفات الانسانية الحميدة ايا كانت • وثانى هذين العنصرين المعرفة والعلم والتربية التى نحن مزودون بها ولكن بقدر ضئيل جدا بالنسبة الى جميع البلاد الاخرى •

فلنتذكر أيضا اننا لا نزال نتجه بكل ثقلنا فى محاولة لتعويض هذا النقص (أو انه يخيل الينا ان فى استطاعتنا التعويض عنه) بالنشاط فى العمل والتعجل فيه •

وحتى نجدد جهاز الدولة عندما يقتضينا الامر حتى الالتزام بالمهمة التالية : أولا : فلنتعلم، وثانيا : فلنستمر فى التعليم، وثالثا : فلنتعلم على الدوام (٥) » •

تكتبون الاتى :

« لن تستطيع الجماهير أن تكون لها المبادأة الا بعد أن نزيل من على وجه البسيطة هذا الدمل الذى يسمى الادارات العامة والمراكز البيروقراطية » •

أنا عالم بهذه البيروقراطية رغم اننى لم أقم بزيارة المدن والقرى • وأعلم كل ما تسببه من ضرر • ويتمثل خطؤكم فى الاعتقاد بامكانية القضاء على البيروقراطية مثل « الدمل » بضربة واحدة وازالتها من على وجه البسيطة » •

هذا خطأ اذ فى الوقت الذى نستطيع فيه طرد القيصر وطرد الملاك العقاريين وطرد الراسماليين - وهذا ما قمنا به فعلا - لا نستطيع طرد البيروقراطية فى دولة فلاحين، ولايمكن « ازالتها من على وجه البسيطة » فكل ما يمكن عمله هو التقليل منها بالعمل المثابر الدؤوب •

وقولكم فى موضع آخر بـ « استئصال » الدمل

---

(٤) المجلد ٣٣ صفحة ٢٨٤
(٥) المجلد ٥٥ صفحة ٥٠١ - ٥٠٢

البيروقراطي انما يشكل خطأ في الاسلوب الذي تطرح به القضية فهذا يعني عدم استيعابكم لها، اذ لا يمكن « استئصال » دمل من هذا النوع ، بل ليس بمقدورنا سوى مداواته . ان العملية الجراحية في هذه الحالة تعد منطقا معكوسا ، بل انها مستحيلة ، ولا سبيل أمامنا سوى العلاج المثابر ، وما عدا هذا ليس الا دجلا او سذاجة (٦) .

ان بناء قواعد الاشتراكية في المثل السوفيتي والانتقال من بناء اقتصادي تحتي تسيطر فيه الزراعة والصناعة الصغيرة على قطاع الصناعة الكبرى هو الشرط الاساسي لاستيلاء الجماهير الشعبية تدريجيا على اختصاصات الدولة ولا يمكن أن تتم هذه العملية الطويلة الامد متجاوزة البنايات الفوقية القديمة التي يتم تغييرها ولا البنايات الفوقية ذات الصفة الخاصة التي يستلزم خلقها برمتها ، وتقتضي هذه المهام الجديدة استظهار سبل الحزب الثوري لتطبيقها على الوضع الجديد ، فعلى المناضلين « ان يتعلموا الحساب » كما يقول لينين .

« خذوا مسألة البيروقراطية وابحثوها من الزاوية الاقتصادية . لم يكن للبيروقراطية وجود ظاهر في ١٥ مايو سنة ١٩١٨، ولا نشعر بهذا الداء حتى الان بعد انقضاء ستة شهور على ثورة اكتوبر ، وبعد ان قلبنا الجهاز البيروقراطي القديم رأسا على عقب، ومضت سنة اخرى . وعندما انعقد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي في الفترة بين ١٨ و ٢٣ مارس سنة ١٩١٩ تمت الموافقة على البرنامج الجديد للحزب الذي يشير صراحة الى هذا الداء ولا يهاب الاعتراف بوجوده ، بل يبتغي كشفه وفضحه وتصويب النيران عليه ، وعمل على حفزنا فكرا وارادة وطاقة ونشاطا لمحاربته . ولقد تكلمنا في هذا البرنامج عن « عودة البيروقراطية جزئيا في ظل النظام السوفيتي » . وانقضت سنتان ولا يزال هذا الداء يواجهنا في ربيع سنة ١٩٢١ اكثر وضوحا وتركيزا وتهديدا ، حتى مؤتمر السوفيتات الثامن الذي ناقش في ديسمبر سنة ١٩٢٠ قضية البيروقراطية، وبعد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي (مارس سنة ١٩٢١) الذي خرج بتجديد كامل للمناقشات الدقيقة الصلة بحقيقة البيروقراطية . ما هي الجذور الاقتصادية للبيروقراطية ؟ هذه الجذور من نوعين ، فمن جهة تحتاج البورجوازية المتطورة في محاربتها للحركة الثورية للعمال (وجزئيا الفلاحين) الى جهاز بيروقراطي عسكري اولا فقضائي .. وليس الامر عندنا على هذا المنوال ، فالمحاكم في بلادنا هي محاكم طبقية موجهة ضد البورجوازية ، وجيشنا طبقي ايضا موجه ضد البورجوازية . ولا وجود للبيروقراطية في الجيش بل هي موجودة في المصالح . وعلاوة على ذلك يوجد في بلادنا مصدر اقتصادي آخر للبيروقراطية وهو انعزال صغار المنتجين وبعثرتهم وبؤسهم وتجردهم من الثقافة ، وكذلك افتقاد طرق المواصلات وانتشار الامية وانعدام المبادلات بين الزراعة والصناعة وقصور الارتباط والتفاعل بينهما (٧) .

« اذا تخيل احد الشيوعيين ان بمقدوره في مدى ثلاث سنوات تغيير قاعدة الزراعة الصغيرة وجذورها فلا يعدو ان يكون حالما . ولا يسعنا الا ان نعترف بوجود الكثير من هؤلاء الحالمين بيننا ، الا ان هذا لا يمثل ضررا ما ، اذ كيف يمكن حقا لمثل بلدنا ان تعلن الثورة الاشتراكية بغير ان يكون فيها حالمون ؟

لقد دلت التجربة العملية فعلا على الدور العظيم الذي يمكن ان تلعبه في ميدان الاستثمار الجماعي التجارب والمشروعات المختلفة ، الا انها دلت ايضا على أن هذه المحاولات قد لعبت - باعتبارها محاولات - دورا سلبيا عندما توجه الى الريف من ملأت صدورهم الرغبة الحميدة والنيات الحسنة لانشاء الكوميونات والمزارع الجماعية بغير ان يكونوا ملمين بعلم الادارة لفقدانهم التجارب الجماعية .

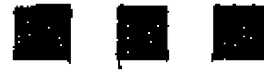
وانتم خير من يعلم أن ثمة حالات مماثلة كانت موجودة . واقول مرة اخرى أنه ليس في هذا الامر ما يثير التعجب ، اذ يقتضي تغيير المزارع الصغير ، وتغيير عقليته وعاداته عمل اجيال بأكملها . ولا حل لهذه القضية، أي لا مفر لتنقية عقلية المزارع الصغير ، سوى باقامة القاعدة المادية ، وباستعمال التكتيك وباستخدام الجرارات والماكينات الزراعية بكثرة والكهربة على نطاق واسع . تلك هي الامور التي كان يمكن بها تغيير المزارع الصغير تغييرا جذريا ، وعلى اقصى درجة من السرعة . ولكني عندما اقول ان الامر يستلزم اجيالا فلا اعني انه يستلزم قرونا ، غير انكم تدركون جيدا ان الحصول على جرارات وماكينات وكذلك كهربة بلد متسع الارجاء يستلزم على أية حال عشرات السنين على الاقل . تلك هي الحالة الموضوعية » (٨) .

---

(٦) المجلد ٣٥ - صفحة ٥٠٦
(٧) المجلد ٣٢ صفحة ٣٧٣ - ٣٧٤.
(٨) المجلد ٣٢ صفحة ٢٢٧.

« قد تصورنا نحن الذين جرفتهم موجة الحماس ، نحن الذين الهبنا حماس الشعب - سياسيا ثم عسكريا - انه بقدرتنا القيام مباشرة وعلى ضوء هذا الحماس بمهام اقتصادية لا تقل ضخامة عن المهام السياسية العامة وعن المهام العسكرية . كنا نتصور - واذا اردت ان تكون دقيقا - كنا نظن اننا نستطيع بأوامر صارمة من الدولة - ويمكن بغير تفكير كاف - ان ننظم على الطريقة الشيوعية الانتاج والتوزيع بواسطة الدولة فى بلد مكون من صغار الفلاحين . لقد اثبتت الحياة الخطأ الذى وقعنا فيه ، اذ تبينت الحاجة الماسة الى درجات مرحلية ، اعنى رأسمالية الدولة ثم اشتراكيتها ، وذلك لاعداد الانتقال الى الشيوعية بعمل يستغرق عدة سنوات . ولن تصلوا الى هدفكم هذا بالاستناد مباشرة الى الحماس ، ولن يتم لكم تحقيق ذلك الا باستنادكم الى الحماس الذى تولده الثورة الكبرى ، وباعمال المصلحة الشخصية والمنفعة الشخصية ، وبتطبيق مبدأ الادارة المتوازنة حتى تستطيعوا فى بلد مكون من صغار الفلاحين ، تشييد الكبارى الصلبة الموصلة للاشتراكية باجتيازكم رأسمالية الدولة . وبغير هذا لن تقتربوا من الشيوعية ، ولن تستطيعوا ، بغير هذا ، جذب عشرات وعشرات الملايين من البشر نحو الشيوعية . تلك هى الحقيقة التى اوضحتها لنا الحياة ، وتلك هى الحقيقة التى ارشدنا اليها عمليا طريق الثورة » (٩) .

« ولسنا بمفردنا الذين نخلق مجموع الظروف التى نعيش فيها ، فتلك الظروف مرتبطة فى الوقت نفسه بالكفاح الاقتصادى وبعلاقاتنا بالبلاد الاخرى . لقد كان لتلك المعطيات فى ربيع هذه السنة اهمية بحيث أرغمنا على طرح مسألة الايجارات ، ونحن مضطرون اليوم الى طرح مسألة التجارة وتداول النقد . أما محاولة الهروب من هذا الوضع والقول « باننا لم نتلق علوم التجارة فى السجون » فهو بمثابة ترك اليأس يتحكم فينا ، ولا يؤدى الى انجازنا المهمة الاقتصادية الملقاة علينا . حقا ، يكون من الممتع جدا لو استطعنا الاستيلاء انقضاضا على التجارة الرأسمالية ، ولو انه ليس من الخطأ فى بعض الظروف (مصانع سلمية ، اقتصاد وزراعة متطورة) محاولة الاستيلاء انقضاضا عليها ، أى اقامة نظام مباشر للمبادلات السلعية . فمن الخطأ ان نرفض اليوم ادراك ضرورة وحتمية اسلوب آخر . وليس هذا الخطأ من باب الخيال ، ولا هو من أحاديث التاريخ ، فهو درس لنفهم بشكل سليم ما الذى يمكن وما الذى يجب عمله الان . فهل يستطيع الحزب انجاز مهمته بنجاح اذا عالج تلك المهمة انطلاقا من التفكير التالى : « اننا لم نتعلم التجارة فى السجون » ولسنا فى حاجة الى الحساب التجارى ؟ انها لكثيرة تلك الامور التى لم نتعلمها فى السجون والتى اضطررنا أن نتعلمها بعد الثورة ، ولقد تعلمنا هذه الامور جيدا بل وجيدا جدا . » (١٠)



« وبالرغم من الهموم والاذلال اللذين لحقا بالعمال والفلاحين . ورغم الخراب الذى نزل بهم والضعف الذى انهكهم ، فلقد كانت المعجزة أن تجد الثورة - لانها سارت مع العمال - قوات أضخم مئات المرات مما قد تجده فى أى بلد غنى ومتعلم ومتقدم . الا انه لا يمكن مواجهة العمل الاقتصادى بمثل تلك العادات ، بل يجب علينا - واستبيح لنفسى ان استخدم كلمة غير لائقة - استخدام نوع من « الدناءة » ، الامر الذى لم نستوعبه بعد . يقتضينا الواجب الا ننسى ان البرجوازية التى هاجمناها لا تزال موجودة بيننا فالمعركة لم تنته بعد . ومن الوسائل التى تستخدمها البرجوازية لمحاربتنا نشر الفزع بيننا ، فلنتذكر أنه يشار اليها بالبنان فى هذا المقام . اذ لديها الصحف التى تنشر بطريقة بارعة - وان كانت شفوية - والتى تجعل (من الحبة قبة) . علينا الا نترك للفزع سبيلا الى نفوسنا . لقد ساءت حالتنا نتيجة الاخطاء التى وقعنا فيها على شتى المستويات . لم نخش تلك الاخطاء ، ولم نخش الاعتراف بها ولن نلق الاتهامات على انفسنا ، وحتى نستطيع استخدام كل قواتنا وطاقاتنا الى اقصى حد فى كافة مجالات النشاط ، علينا ان نتعلم الحساب حتى نصبح أسياد جمهوريتنا ، اذ نستطيع بهذا الحساب وحده جرد الكميات الهائلة من القمح والوقود . » (١١)

واذا استخدمنا عبارات لينين ذاتها ، فان دور الحزب الثورى هو : « تعليم ادارة الدولة والصناعة

---

(٩) المجلد ٣٣ صفحة ٥٠ - ٥١ .
(١٠) المجلد ٣٣ صفحة ١٠٠ - ١٠١ .
(١١) المجلد ٣٢ صفحة ١٦٠ - ١٦١ .

وتنمية النشاط العملى لجماهير متزايدة من الشعب هو ان نستأصل من الجماهير العمالية هذا المعتقد المسبق الضار المتأصل فيها على طيلة القرون ومؤداه أن ادارة الدولة تخص المتميزين ، وان لتلك الادارة فن خاص .

« والامر الاساسى اليوم هو ان تحاول الطليعة تربية نفسها بنفسها ، وان تعيد تكوين نفسها ذاتيا ، وان تعترف صراحة بضعف اعدادها وافتقارها الى حسن التصرف .. بل ان الامر الاساسى اليوم هو التقدم بجماهير أكبر حجما وأشد قوة ، التقدم بالفلاحين (ولا طريق غير هذا) لنذلل لهم بالاعمال والتطبيق العملى والتجارب اننا سوف نتعلم ، وبالتأكيد سنتعلم كيف نساعدهم ونقودهم الى الامام . ولا يمكن اداء هذه المهمة فى ظل الحالة العالمية الراهنة وفى ظل الوضع الحالى للقوى الانتاجية فى روسيا سوى بالسير حثيثا ، وبالتقدم بكل حرص وجدية ، وبالتأكد من صحة كل خطوة نخطوها بتلك المهمة فى العمل الايجابى .

أما تلك الاصوات التى قد ترتفع فى حزبنا لمهاجمة هذه الحركة البطيئة جدا والحريصة جدا فسوف تكون معزولة . (١٢)

« سنصل فقط الى منتصف الطريق اذا ضربنا المستغلين على ايديهم ، واذا أعجزناهم عن الاضرار بنا ، وقضينا عليهم قضاء مبرما . هذا ، بينما يتصور ٩٠ فى المائة من المسئولين هنا فى موسكو ان هذا هو جوهر الموضوع ، أى الضرب بشدة والاعجاز عن الاضرار والضرب على الايدى . والذى قلته عن المناقشة والاشتراكيين الثوريين وأعداء الثورة ، كان كثيرا ما يعنى اعجازهم عن الاضرار وضربهم على ايديهم — (وقد لا يقتصر الامر بالضرب على الايدى فقط ، بل على مواضع أخرى أيضا) والقضاء عليهم . ولكنها ليست سوف نصف المهمة . وحين قالها الرفيق فسيجوذسك ( ) أنها كانت نصف المهمة ، وهى الان اقل من ربعها فقط . علينا ان نجبرهم على العمل وعلى ان يشتغلوا بأيديهم لحسابنا ، فليس الامر فقط ان يصبح الشيوعيون فى القمة ويتسنمو المراكز ويسبحوا بهدوء مع البرجوازية ، تلك هى المسألة برمتها » .

انها لفكرة صبيانية — ان وجدت — هذه التى تقول ببناء المجتمع الشيوعى بأيد شيوعية ، فالشيوعيون قطرة من المحيط ، قطرة من محيط الشعب .

لا نستطيع توجيه الاقتصاد الا اذا عرف الشيوعيون كيف يبنون هذا الاقتصاد بأيدى غيرهم وباستزادتهم من العلم بأنفسهم من البرجوازية ، وبتوجيه تلك البرجوازية فى الطريق الذى يريدونه .



« ليست المهمة الوحيدة للتفتيش العمالى والفلاحى ، بل ليست مهمة أساسية اصلا ، عملية « الملاحقة » و « الكشف » (فتلك مهمة القضاء ، واذا كانت مهمة التفتيش العمالى والفلاحى تمسها عن كثب ، فهى ليست مطابقة لها على الاطلاق) — بل ان مهمة هذا التفتيش هو معالجة الامور ، تصحيح الامور بحكمة ، وقبل فوات الاوان ، تلك هى المهمة الرئيسية للتفتيش العمالى والفلاحى ، وحتى نستطيع اجراء هذا التصحيح ، علينا أولا ان نتعلم وان نعرف سير العمل فى كل مصلحة ومؤسسة وقسم .. وعلينا ثانيا ان نجرى قبل فوات الوقت التغييرات العملية اللازمة ، وان ننجز هذه التغييرات واقعيا » .

وهناك كثير من مختلف النقط المشتركة تمس جوهر أسلوب تسيير مختلف المؤسسات والادارات والمصالح ..

ان المهمة الملقاة على التفتيش العمالى والفلاحى هى أن يكون بفضل تلك التجربة العملية ، مجموعة من القادة المدربين والاخصائيين والقادرين على طرح القضايا (فالقضايا اذا طرحت بطريقة حكيمة وسليمة فان فى مجرد طرحها تأكيدا لنجاح الرقابة وفتح الباب لاجراء التصحيح) ، مجموعة من القادة تستطيع توجيه الرقابة والتفتيش والتحقق من اجراء التصحيح .. (١٤) .



« فلنترك قليلا مناقشة الكلمات ، فقد بالغنا كثيرا حتى الان فى هذا الاتجاه . ولنستق معلومات أخرى من التجربة التى خضناها ولنبحثها مليا . فمن الظروف ما يجعل لمنظمة مثالية للعمل المحلى — وان كان فى حيز ضيق — اهمية للدولة تتجاوز بكثير أهمية النشاط الذى تبديه كثير من المنظمات المركزية فى مجال أو آخر . ان بلادنا فى الواقع تمر فى المرحلة الحالية

---

(١٢) المجلد ٣٣ صفحة ٣٣١

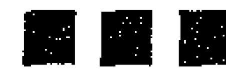
(١٤) المجلد ٣٣ صفحة ٣٤.

بمثل تلك الظروف فيما يتعلق بالاقتصاد الفلاحى عموما ، وعلى وجه الخصوص بتبادل فائض المنتجات الزراعية بالمنتجات الصناعية • وتمثل منظمة عمل صناعية مثالية للدولة فى هذا المقام – وان كان عملها فى مركز واحد من منطقة ما – أهمية تفوق فى قيمتها تحسين « مثالى » فى الجهاز المركزى لوزارة أو لاخرى (كومسيارية الشعب) • لقد وصل الامر بجهازنا المركزى أنه أصيب فى مدى ثلاث سنوات بروتينية مضرة ، حتى كان فى وسعنا أن نحسنه تحسينا حثيثا وبسرعة، الا اننا لا نعرف كيف السبيل الى ذلك • فاذا أردنا تحسينه جذريا ، واذا أردنا أن نجتذب مزيدا من القوى الحية ، واذا أردنا محاربة البيروقراطية بنجاح ، والتغلب على تلك الروتينية المضرة ، فينبغى أن تأتينا المساعدة من المنظمات المحلية ، من المنظمات القاعدية ، من المنظمات المثالية « المجموعة » – وان كانت صغيرة حقا – الا أنها « مجموعة » ، أى أنها لا تخص منشأة واحدة ، أو نوعا واحدا من الاقتصاد ، او مؤسسة واحدة ، بل تخص مجموعة العلاقات الاقتصادية ومجموع كافة المبادلات ، وان كان ذلك فى مدينة أوقرية صغيرة »(١٥)



« نستطيع – بل يجب – أن نخلى بعض المسئولين من عملهم فى المركز على أن يوفدوا الى الاقاليم كقادة للمناطق والمراكز حيث يقومون بتنظيم العمل الاقتصادى فى مجموعه تنظيما مثاليا ، سوف ينجزون عملا يشكل للدولة فائدة أكبر من قيامهم بعمل مركزى آخر ، والسبب فى ذلك أن منظمة عمل مثالية هى بمثابة تربة للمناضلين • ومثلا من اليسير أن يحتذى به • وسوف نستطيع نحن فى المركز العمل على تعميم هذا المثال وفرضه على الجميع •

وأن « المبادلات » بين الزراعة والصناعة فى فائض المنتجات الزراعية المتاحة بعد سداد الضريبة العينية ، وفى منتجات الصناعة الصغيرة وخاصة الحرفية منها ، تستلزم فى جوهرها أن يكون للمنظمات المحلية المبادأة الشخصية والمتخصصة الحكيمة • وهذا ما يجعل اليوم لمنظمة العمل النموذجية فى المناطق والمراكز تلك الاهمية العظيمة للدولة بأسرها » • (١٦)



« من النكبات الكبرى المعطلة للبناء الاقتصادى ، افتقارنا للتنسيق بين نشاطات مختلف المصالح ، تلك مسألة يجب أن نوليها كل اهتمام ، وينبغى على المجالس الاقتصادية سد هذا النقص فى التنسيق وتنمية استقلال الهيئات المحلية • علينا أن نجمع الامثلة العملية للوصول الى أحسن مستوى فى تنظيم العمل وتحويل الامثلة الناجحة الى نماذج يحذو الجميع حذوها » • (١٧)

« نحن فى حاجة ماسة لتوسيعها ، ولا نلاحظ مع هذا سوى مجهودات قليلة منتظمة فى هذا السبيل • لقد كان بعض « أرباب العمل » يحاولون بجهد – خلسة عن الاخرين – بل ولقطع الطريق عليهم – البحث عن موظفين ومديرين واداريين اكفاء ، يبحثون عنهم طيلة عشرات السنين • وكانت قلة فقط من المؤسسات المتميزة عن غيرها تستطيع الوصول الى نتائج مرضية فى هذا السبيل – ان « رب العمل » الان هو دولة العمال والفلاحين ، التى يتحتم عليها أن تجرى تنظيما واسعا منهجيا ، منتظما وتقع علينا عملية اختيار أحسن الموظفين للبناء الاقتصادى والمديرين والمنظمين على المستوى الخاص والعام وعلى الصعيد المحلى وصعيد الدولة • ولكن كثيرا ما نشاهد تلك التركة التى ورثناها عن المرحلة الاولى للسلطة السوفيتية ، وهى مرحلة الحرب الاهلية البالغة الضراوة ومرحلة التخريب بلا حدود • وتكشف هذه التركة عن انكماش الشيوعيين فى حلقة ضيقة من القادة يخشون ، أو لايعرفون كيف يقودون غير الحزبيين فى جماعات متراصة •

يجب تصحيح هذا العيب فورا وبكل قوتنا ، فان جماهير العمال والفلاحين والمثقفين تقدم عددا كبيرا من غير الحزبيين قادرين

---

(١٥) المجلد ٣٢ صفحة ٣٧٧ – ٣٧٨
(١٦) المجلد ٣٢ صفحة ٣٧٩ – ٣٨٠
(١٧) المجلد ٣٢ صفحة ٤١٢

وشرفاء ، وينبغى أن نعهد اليهم بمراكز أهم فى مصالح البناء الاقتصادى ونقصر عمل الشيوعيين على الرقابة والتوجيه • ومن المهم – من جهة أخرى – أن تتم مراقبة الشيوعيين من غير الحزبيين ، الامر الذى يستلزم دعوة مجموعات من العمال ومن غير الحزبيين الذين ثبت أنهم شرفاء فى التفتيش العمالى والفلاحى، وآشراكهم – ليس شكلا ، وبغض النظر عن أى وظيفة أخرى – فى مراجعة صحة العمل وتقييمه •

وينبغى على الادارات المحلية ، خاصة الموجود منها فى المراكز والمديريات والمناطق ، والملمة الماما جيدا بعناصر الجماهير العمالية والفلاحية ، أن تقدم فى تقاريرها الى مجلس النشاط العمالى [C.T.O] بيانا باسماء غير الحزبيين الذين ثبت أنهم شرفاء فى العمل ، والذين برزوا فى مؤتمرات غير الحزبيين ، أو الذين يتمتعون بلا منازع بتقدير المصنع أو القرية أو المركز •• وعليهم أن يبينوا بعد ذلك العمل الذى عهد به الى هؤلاء الاشخاص فى ميدان البناء الاقتصادى • ولا تعنى كلمة « عمل » هنا – تأدية وظائفهم فقط ، ولكن أيضا مساهمتهم بغير صفة الموظف فى المراقبة والمراجعة ، وكذلك فى المؤتمرات النظامية غير الرسمية •••

يجب ان يتوالى الرد على هذه الاسئلة بانتظام ، والا ما استطاعت الدولة الاشتراكية تنظيم مشاركة الجماهير فى البناء الاقتصادى تنظيما سليما، هناك متعاونون جدد شرفاء ومخلصون وعددهم كبير، من غير الحزبين ، ولكننا لا نعرفهم ، فالتقارير المحلية هى التى تستطيع دون غيرها اكتشافهم وتجربتهم فى عمل أهم يتسع تدريجيا • وسوف يساعد هؤلاء الاشخاص على ازالة هذا الداء وهو انفصام الخلية الشيوعية عن الجماهير ، هذا الانفصام الذى نشاهده فى عديد من المدن والقرى » • (١٨)

فى العدد القادم نص لينين عن :
« الانقضاض والتطويق »
السياسة الاقتصادية الجديدة

---

(١٨) المجلد ٣٢ صفحة ٤١٤ – ٤١٥

الطليعـــة عـــام ١٩٦٩

فهـــرس كامـــل بما نشر من

مقالات وتقـــارير ووثـــائق

يناير - ديســمبر ١٩٦٩ ..

من المجلات الفكرية والعالمية

تقارير

قضايا اقتصادية

ثقافة ـ ادب ـ فن ـ علوم

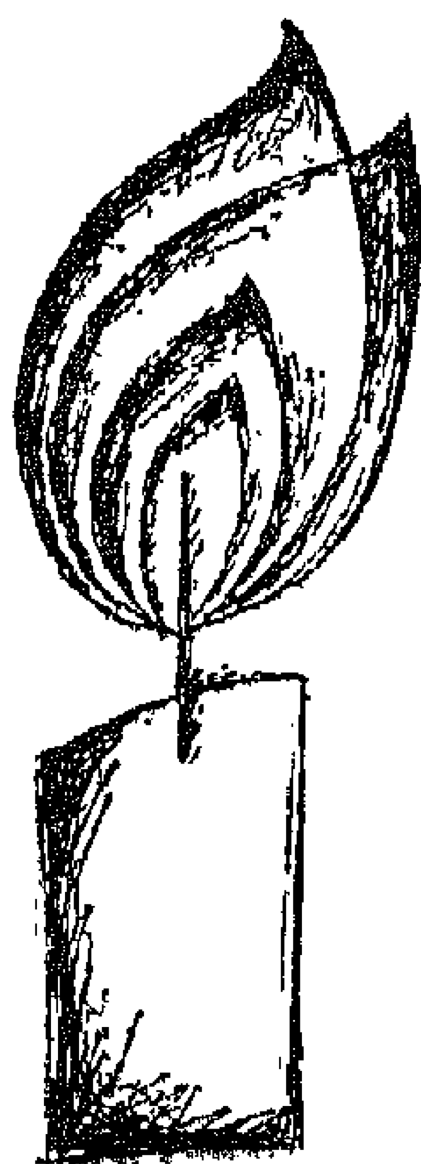
الوطن العربى

افريقيــــا :

آســـيا :

العالم الغربى :

العالم الشيوعى :



الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

٢

فبراير -٧

السنة السادسة

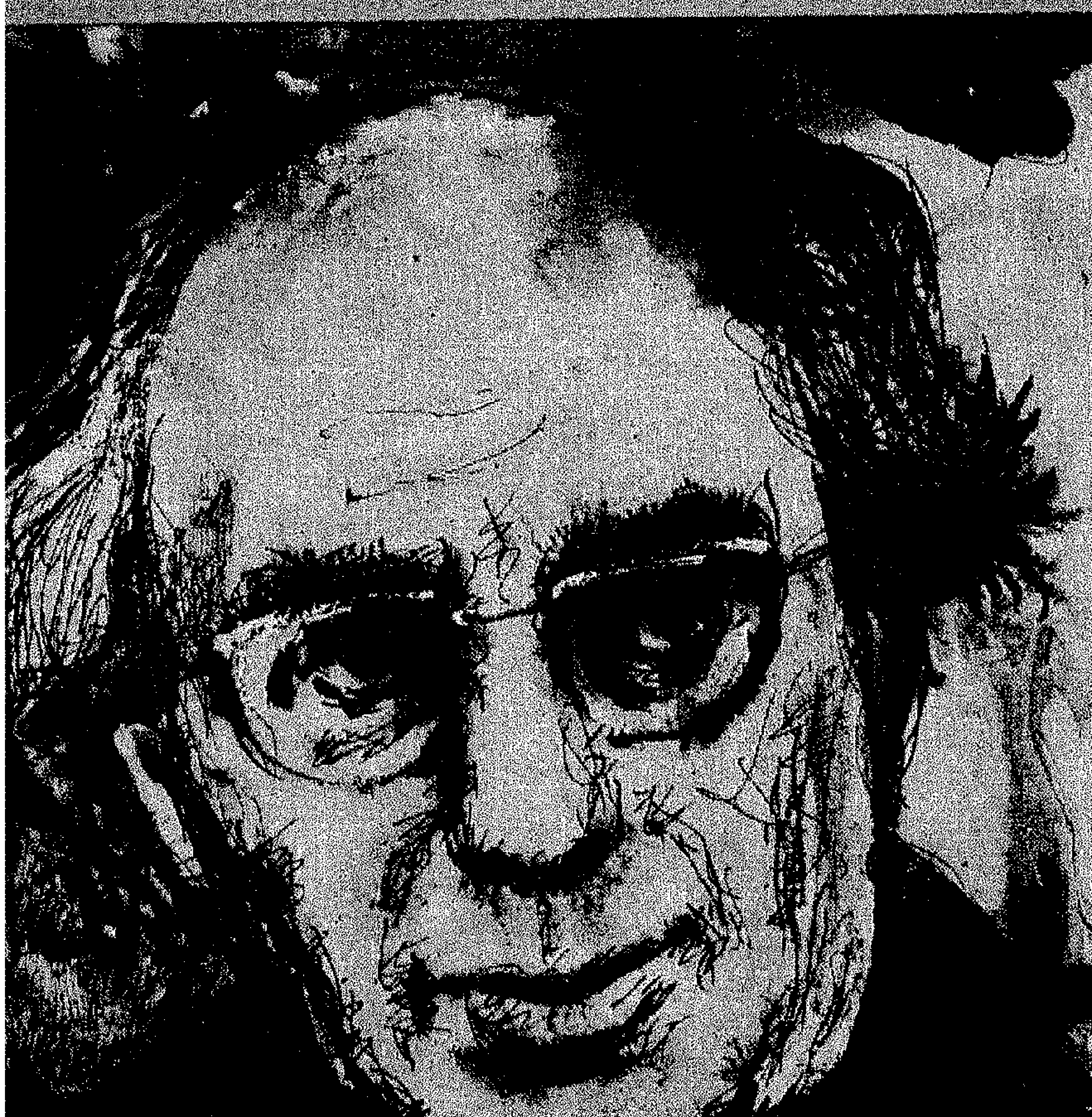
حول تعدد النماذج الاشتراكية

"نص المحاضرة الثالثة لجارودي والمناقشات"

ثورة العلم .. وثورة الإنسان

شيء عن الوطن

إنساننا الجديد هو القضية (رسالة من دمشق)



حوار عربي مع مكسيم رودنسون

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د . ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د . اسماعيل صبرى عبدالله
د . جمال العطيفى
د . رشدى سعيد
د . عبد الرازق حسن
د . لطيفة الزيات
د . محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

السنة بالبريد العادى ج٠ع٠م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الثانى — السنة السادسة — فبراير ١٩٧٠

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



كنت قد عقدت العزم على ان اكتب افتتاحية هذا العـــدد تحت عنوان « فلسطين ١٩٧٠ » أعالج فيها مدى ما اكتسبه الشـــعب الفلسطيني بنضاله المعاصر ضد الامبريالية والصهيونية من وزن ايجابي في حركة التحرر العربي خاصة وحركة الانسانية التقدمية عامة . وكيف ان هذا الشعب الصغير الذي أثخنته الجراح الدامية ظل محتضنا لوطنه رغم فداحة التضـــحيات ، وانطلق في كفاحه التاريخي ضد العنصرية من أرضية معادية للعنصرية واللاسامية . ويقدم بقضيته العادلة سبعينات القـــرن العشرين ، رافعـــا علم الانسان في وجه أعداء الانسان ، مسجلا للحرية والاخاء والسلام انتصارا جديداً .

واذ انهيا للكتابة ، حمل الي البريد من روما ، مجلة « الجديد » (العددان التاسع والعاشر) التي تصدر في « حيفا » ، ويرأس تحريرها الشاعر الفلسطيني المناضل « محمود درويش عضو الحزب الشيوعي العربي ـــ اليهودي في اسرائيل ، والمعروف باسم «راكاح» ويتحدى ببسالة الاحتلال الاسرائيلي والعنصرية الصهيونية . وما أن انتهيت من قراءة الافتتاحية الشجاعة التي كتبها محمود درويش من سجنه بعنوان « شيء عن الوطن » حتى آثرت أن أدع مشروع افتتاحيتي جانبا ، وافسح مكانها بترحاب لافتتاحية « محمود درويش » في الجديد . فتكون هي بنصها الذي كتبت به في حيفا ، افتتاحية هذا العدد الذي يصدر في القاهرة .

لمـــــاذا ؟

الجواب تقدمه كلمات محمود درويش التي يدفنها أمل المناضلين وجراحهم عن ذلك الشيء الذى لا يموت أبدا فى الوطن ٠ ٠ ٠ وطن البقاء والكفاح ٠

لطفى الخولى

شيء عـــن الـــوطـــن

هذا الوطن الصغير ، كقبضة اليد ، الواسع مثل كتاب الابد . هذا الرائع .. هذا الجارح والمجروح... هذا الوطن ، هل يتحول الى سجن لابنائه ؟ .

لقد تمرس كثيرا ، بكل الاشكال والالوان . مات كثيرا ، وعاش كثيرا . أسماؤه تتغير ، واشجاره تموت وتحيا . ونحن نعانقه عناق الموت ــ حتى الموت . ومن هذه الحقيقة الساطعة كالشمس والخنجر ، من هذا الانتماء المبدع ، نأخذ اسباب الخضرة : لنا وطن .

ومن داخل هذا العناق المتوهج ، نرى مرور الزوابع التى تنكسر على سواعدنا الملتفة حول هذا الوطن ، حتى لو اصبح سجنا ومنفى .

نحن مدعوون ، دائمـا ، وكلما غاص سكين فى هذا العناق ، الى اعـادة الاعتراف « بالحب ــ القدر » لكى نملك مزيدا من القدرة على الاستمرار فـى العناق .

ونحن لا نغنى الان ٠ ولكننا بهـذا الاعتراف الشديد الشبه بالغناء ، نقاوم محاولة الايقاع بيننا وبين هذا الوطن الملتف على كل الاجساد الحية والميتة . بمزيد من الحب نتحدى التحدى ٠ بمزيد من السخرية نقاوم ٠ وبمزيد من الموت الراضى نقاتل كل محاولات اكراهنا على التراجع عن معانقة هذا الوطن ٠

نحن لم نبحث عنه ٠٠ عن هذا الوطن فى حلم اسطورى وخيال بعيد ، ولا فى صفحة جميلة من كتاب قديم ٠ نحن لم نصنع هذا الوطن كما تصنع المؤسسات والمنشآت ٠ هو الذى صنعنا ٠ هو أبونا وامنا ٠ ونحن لم نقف امام الاختيار . لم نشتر هذا الوطن فى حانوت او وكالة ٠ ونحن لا نتباه ٠ ولم يقنعنا احد بحبه ٠ لقد وجدنا انفسنا نبضا فى دمه ولحمه ونخاعا فى عظمه ، وهو ، لهذا ، لنا . ونحن له ! ٠

ولكن ، لماذا نقول هذا الكلام الان ؟

لم يشهد تاريخ اضطهادنا الطويل مثل مايشهده الان ، من عنف وفظاظة فى ملاحقة ابناء هذا الوطن ٠ كلهم متهمون ٠٠٠ كلهم مهددون ٠٠ وكلهم مضطهدون ٠ وحكومة اسرائيل التى تشغل نفسها فى استصراخ العالم للتيقظ ازاء ما تعتقد انه ارهاب فى أى

مكان من العالم ، ومن اجل ان تعترف الدنياكلها بان هذا الوطن هو وطن كل اليهود ، لا تعترف بحق الذين غرسوا زيتونه ، وتمارس ضدهم احد واشد صور الارهاب عنفا .. وفى وطنهم .. والعالم لا يدرى كل شيء .

اننا نوضع . الان خاصة ، امام هذاالتحدى : اما ان تصغر اكتافنا ، وترتد جباهنا عن الشمس . واما ان نتنازل عن البقاء فى هذا الوطن . ولكننا فرضنا تحديا آخر : البقاء والكفاح .

وبين هذا وذاك ، نمر فى سلسلة طويلة من انواع السجون .

بامر عسكرى صغير يقال لنا : انتم .. لايحق لكم الخروج من هذه المدينة او هذه القرية !.

وهذا سجن :

ويقال لنا أيضا : انتم ... لا يحق لكم الخروج من البيت منذ غروب الشمس حتى شروقها .

وهذا سجن ..

ومتى يحلو للبوليس المزود دائما بامرقانونى من المحكمة ، يجرى عمليات التفتيش فى بيوت الناس وحقائبهم وجيوبهم .. وفى رؤوسهم ايضا ، بحجة البحث عن متفجرات .

وهذا سجن ..

ومتى يحلو له ايضا ، يسوق العشرات والمئات الى غياهب المعتقلات بحجة التحقيق عن اسباب الاضطراب الامنى ، وبدون حجة ..

وهذا سجن ..

وفى الايام الاخيرة ، طور الاضطهاد القومي اسلوبه : قرية كاملة مثل سولم ، يضرب الحصار حولها وتمنع من التجول فى داخل نفسها . وقرية سولم وماجرى لها هى بداية خطيرة تصلح لان تكون ناقوس خطر ، ونذيرا خطيرا بتصعيد الارهاب .

واذا استمر هذا التصعيد ، وبهذه الوتيرة ، فسيصبح من الطبيعى الحديث عن اعتقال شعب كامل .

وهذا فعلا سؤال :

هل تريد حكومة اسرائيل ان تسجن كل العرب ؟ وهل تريد تحويل هذا الوطن الى سجن ؟

ان منطق الشك والارهاب الذى يوجه خطى الحكومة يوصلها الى وضع مثل هذا الاحتمال : اقامة المزيد من معسكرات الاعتقال !.

ولكن ، هل هذا الاعتقال الجماعي يضمن لها ماتريد ؟

وهذا ، فعلا ، سؤال :

ماذا تريد منا ؟

ان كل ماتقوم به يجرى بذريعة الردع الوقائى لحفظ الامن . ولكن ، هل العرب فى اسرائيل مسؤولون عن تزعزع الامن ؟ . هذا السؤال يجب ان يدرسه ، بعمق وجدية . اولئك الخبراء بالشؤون العربية . ولكن ، هل يجرؤون على الاعتراف بأن

احتلال اراضي الاخرين ونهب حقوق الاخرينهو السبب الاول والاخير لما يسمى بالقلق الامني ؟ .

ان التحقيقات الواسعة التي تجريها الشرطة واجهزة المخابرات مع مئات المعتقلين تتركز في نقطة واحدة : الانطلاق من ان كل عربي مشتبه فيه ومتهم ومحاولة وضع جميع العرب في اسرائيل ، في خدمة الشرطة وابتزاز وعد منهم بالتعاون السياسي معها . وقد لاحظنا اثناء وجودنا في الاعتقال بان اتهامنا في عمليات التفجير لم يكن الا غطاء للانتقام السياسي من ناحية ،ولشراء بعض الضمائر من ناحية اخرى ولكن ، لماذا يصعدون الارهاب ضد العرب في اسرائيل الان ؟ .

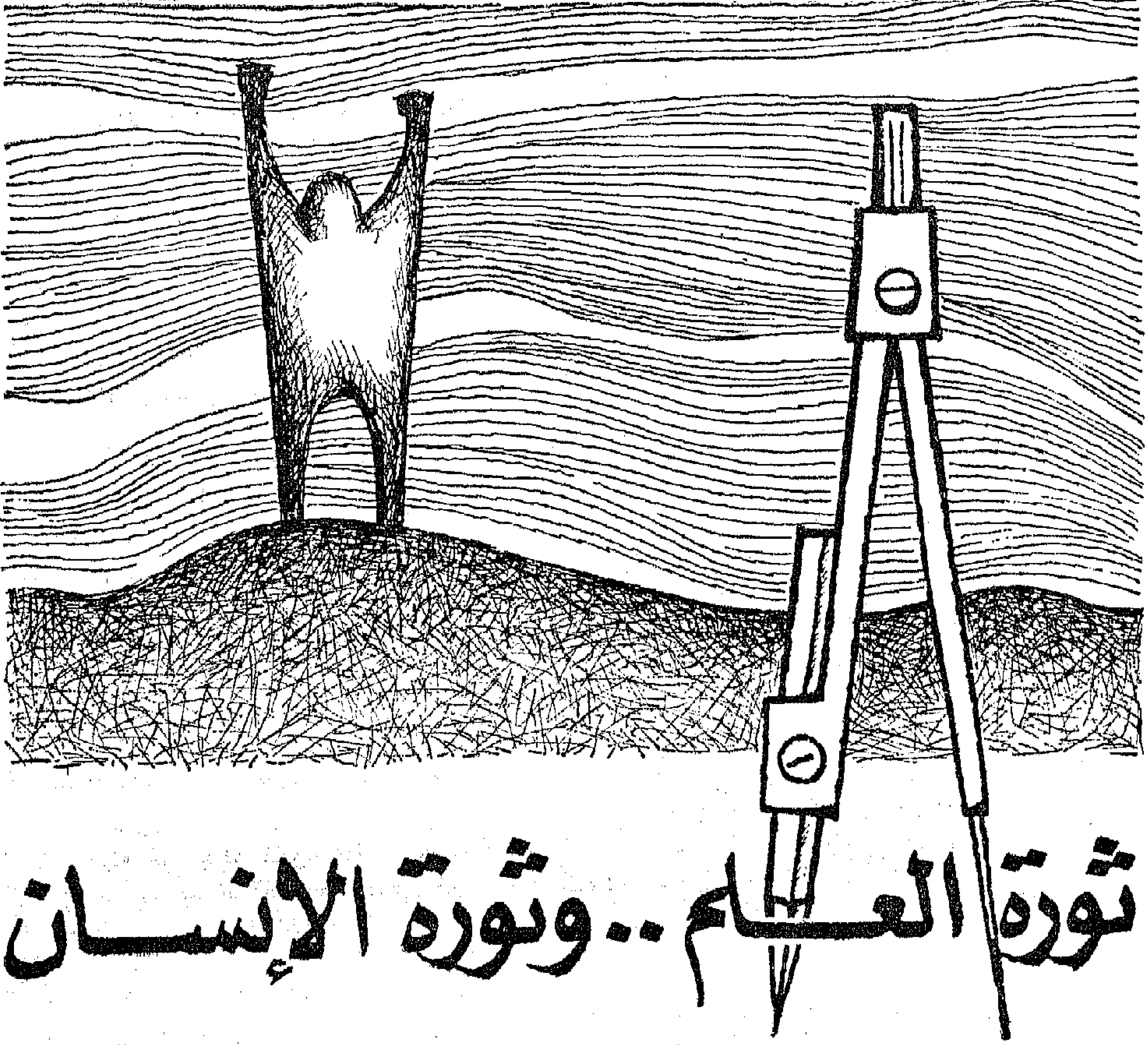
علينا ، اولا ، ان نلاحظ ان هذا التصعيد صدى تعيس لوضع الاحتلال التعيس في المناطق العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران . والرابطة بين ملاحقة العرب في اسرائيل وبين تصاعد المقاومة في المناطق المحتلة ، وفشل الاحتلال في كسب رضى الشعب المحتل ، اصبحت علاقة عميقة لا مجرد تقدير . وهكذا تترك سياسة الحرب والاحتلال احدى نتائجها الخطيرة على الداخل . وعلى الجماهير اليهودية ان تدرك انها لن تبقى بمأمن من آثار هذه السياسة. خاصة ان النضال السياسي الذي يشنه العرب في اسرائيل ضد الاضطهاد القومي وضد الحرب والاحتلال . متلاحم بنضال القوى التقدمية اليهودية ضد هذه السياسة .

وعلى حكومة اسرائيل ان تدرك انها ترتكب خطأ فادحا اذا اختارت العرب في اسرائيل كبش فداء لفشل احتلالها ، واذا استمرت في معاملتهم بمنطق الرهائن .كلا!. لسنا رهينة في يدها تقاوم بنا مقاومة الاحتلال . ومعاملتها لنا تقدم دليلا قويا على كذب دعواها القائلة انها تسعى الى تحقيق السلام او انها تستطيع تحقيق السلام مع الشعوب العربية على اساس الامر الواقع . لقد عجزت هذه السلطة عن تحقيق السلام مع اقلية قومية منذ عشرين سنة ، لانها حرمتها حقوقها القومية واليومية . ولا ادل على احتقارها لهم من مطالبتها اياهم بمنحها صك غفران عن عدائها ، في كل انتخابات ، وتهديدها الوقح من ان انتخابهم الشيوعيين سيلحق بهم افدح الاخطار . وعلى ذلك ، فان السجان العاجز عن ابتزاز ولاء السجين ومبايعته وكسب رضاه عاجز ايضا عن ارغام شعوب كاملة على الاستسلام . ان استمرار العنف ضد العرب في اسرائيل ينسف كثيرا من الجسور ويؤدي الى اخطار يجب ان تحسب السلطة لها حسابا .

لقد اختار العرب في اسرائيل طريق نضالهم السياسي ، بالخبرة الطويلة والممارسة القاسية . وهم باقون في هذا الوطن لانه وطنهم ، ولن يزيدهم عنصر التحدي الا سببا جديدا للبقاء . والبقاء والاصرار عليه - في مثل هذه الحالة - ليس تعلقا جماليا ورومانتكيا بمهد طفولة ، ولكنه معركة نبيلة . . معركة مشروعة يجب ان يصل صداها الى الرأي العام اليهودي والعالمي . . فحذار من دفعهم الى اليأس لان اليأس سيف ذو حدين !.

ولو تحول هذا الوطن الصغير ، كقبضة اليد ، الى سجن ، فسنبقى على حبه لانه وطننا وان من صار سجنه وطنا او وطنه سجنا لخير ممن يجعل الاحتلال وطنا له !.
ويا ايها الوطن الذي نرى اشجاره وحقوله وهضابه عبر الاسوار - لقد صرت اجمل !.

محمود درويش



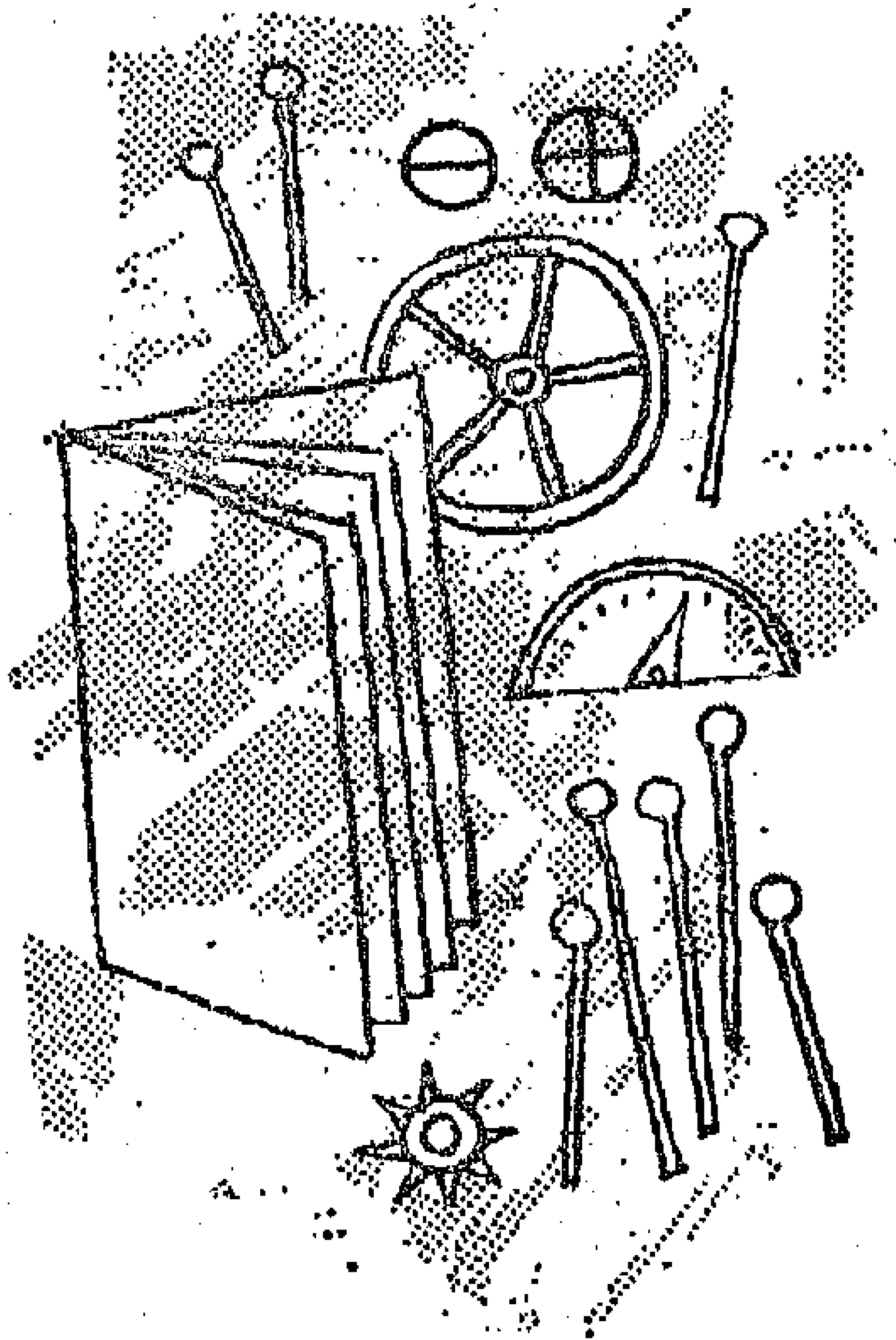
ثورة العلم .. وثورة الإنسان

مهما اوتى الانسان من قدرة على التصور والخيال واختراق حجب المستقبل ، سيصعب عليه تقدير الافاق الرحبه والطفرات المذهلة التى ستترتب على التطبيق العملى للاكتشافات العلمية الجديدة .. وهى ما يطلق عليه « الثورة العلمية التكنولوجية » اذ تمثل تطورا نوعيا جديدا يدخل فيه العلم كعنصر اساسى فى قوى الانتاج ، وهى عملية موضوعية شاملة لتغييرات كيفية بعيدة المدى تمس جميع مجالات الحياة الاجتماعية من تنظيم عمليات الانتاج وثمارها والنظام التعليمى والمستوى الثقافى والظروف المعيشية .

وتتميز هذه الثورة بأنها تخلق المتطلبات العلمية والتكنولوجية لتغييرات هيكلية فى النظام الاقتصادى وتسمح بالتطبيق المركب لانظمة انتاجية تدار أوتوماتيكيا ، ولا توفر الجهد العقلى وحده بل والجهد الذهنى ، الذى يتفوق بصورة باهرة على امكانيات العقل البشرى ، رغم انها من خلق هذا العقل .

هذه الثورة الجديدة تثير العديد من القضايا والمشكلات الفكرية والتطبيقية حتى اصبح الجدل حولها اليوم يحتل مكان الصدارة ، ليس فقط بين العلماء ورجال الصناعة ، لكن ايضا فى مجال السياسة والفلسفة والايديولوجية .

ومن هنا رأت « الطليعة » أن تقدم دراستها فى هذا العدد عن « الثورة العلمية التكنولوجية » من الناحية النظرية وبعض القضايا التى تثيرها فى العالم الرأسمالى والاشتراكى والبلدان النامية .



التكنولوجيا والأيديولوجية فى السبعينات

محمد سيد احمد

سؤال أصبح مطروحا بالحاح فى هذه البداية للسبعينات : هل تتجه « التكنولوجيا » لتحل محل « الايديولوجية » فى تحديد الفواصل بين المجتمعات والأنماط الاجتماعية؟ هل تتجه « التكنولوجيا » لتصبح « العنصر الفاصل » فى تقرير مقدرات التطور وملامحه ومعدلاته بدلا من « الايديولوجيات » التى لم يشك أحد فى انها ظلت تميز المجتمعات وتفرق بينها منذ عشرين عاما فقط؟ .

هذا **السؤال الخطير** الذى أصبح يثيره **الفكر اليمينى المعاصر** ، ويطرحه بصور وصياغات متنوعة ، ويتحدى به انصار الفكر **الايديولوجى** التقليدى ، المنتمى الى مختلف مدارس اليسار — هو سؤال يرتكز فى الاساس على التغيرات التى أدخلتها على ملامح كوكبنا **ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية** ، وهى ثورة — على خطورتها العظمى — ما زالت فى خطواتها الاولى ، وتنبىء قبل نهاية القرن بتوالى انجازاتها بمعدلات وفى صور تتحدى أجرأ التصورات . **وهذا السؤال** الذى يطرحه اليمين المعاصر ، وهو يرتكز على « ثورة العلوم والتكنولوجيا » كما قلنا ، انما يستند الى عدد من الحقائق الهامة التى لا يملك احد انكار دلالاتها :

■ **اولا** : « **التكنولوجيا** » **العصرية أصبحت** تحول دون ممارسة الصراع « الايديولوجى » الى غير حد ، وتمنع المواجهة التى تصل الى حد « **الحرب الشاملة** » . فلاول مرة فى التاريخ ، أصبحت « **تكنولوجيا السلاح** » كفيلة بانتاج أسلحة قادرة على ابادة البشرية باسرها ، بل بمحو كل شكل من أشكال الحياة على وجه الارض . وبسبب « **التكافؤ التكنولوجى** » الذى يميز اقطاب « **المواجهة الايديولوجية** » بين الرأسمالية والاشتراكية فى العالم ، أصبح استخدام هذه الاسلحة يتجاوز فى أثره ومداه ضرب « **العدو** » الى الاضرار ضررا بالغا **بكل** اطراف النزاع ، والى التهديد بأن يصبح « **الدافع الى الحرب** » سببا فى القضاء على « **كل وجود للمحاربين** » . وهذه **المفارقة تضع** « **قيدا أعلى** » **على ممارسة الصراع**

الطبقى والاجتماعى الى غير حدود ، وتدخل عنصرا جديدا على الموقف الدولى ، لم يشهده تاريخ الانسان فى أى وقت مضى بممارسته الصراع الاجتماعى دون قيد يوقفه عند حد ، أسلوبا أو محتوى .

■ ثانيا : لانطلاق « التكنولوجيا » العصرية ـ حتى فى مناخ المباراة السلمية ـ قوانينه وخصائصه الفنيه التى تتعارض مع التوزيع « الايديولوجى » لخريطه العالم . فان بلوغ « عتبة » معينة من التطور « تكنولوجيا » ، اصبح يؤهل لمزيد من التطور بسرعة المتوالية الهندسية، بينما من لم يصل الى هذه « العتبة » معرض على الدوام بتعمق مقدار تخلفه النسبى . ويترتب على هذه المفارقة تأكيد الفواصل بين المجتمعات ـ وفقا لمقياس تكنولوجى ـ بين الدول المتطورة والدول المتخلفة ، بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، بغض النظر عن انتماءاتها الايديولوجية .

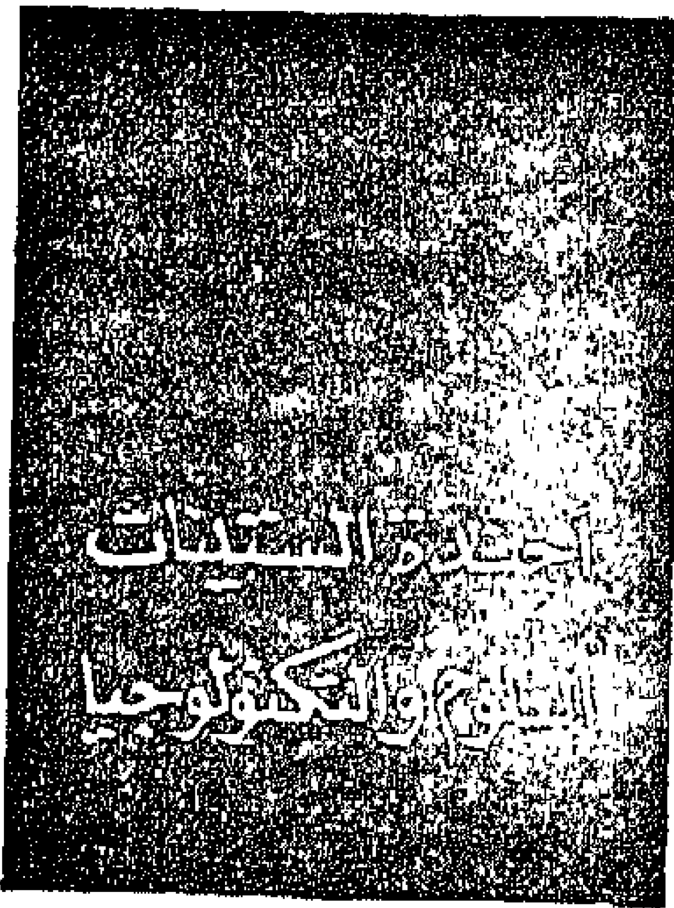
■ ثالثا : لانطلاق « التكنولوجيا » العصرية خواصه فى توسيع « الحيز » الذى أصبح يخضع لسيطرة الانسان ولهذا « الاتساع فى الحيز » آثاره الفعالة فى تغيير « البيئة » التى تتحرك داخلها النظم الاجتماعية المختلفة ، بانتماءاتها « الايديولوجية » المتعارضة . ويتسم هذا « الاتساع فى الحيز » بالاتجاه الى ارتياد والتحكم فى « اللانهائيات الثلاثة » :

● اللانهائى فى الصغر باستكشاف عالم الذرة ، فعالم نواة الذرة ، فعالم ما هو دون نواة الذرة ، والعناصر الاولى المكونة للكون .

● اللانهائى فى الكبر بغزو الفضاء ، وتخطى الوصول الى القمر الذى وطأ الانسان سطحه بقدميه ، الى ارتياد بيئة الزهرة والمريخ ، والاستعداد فى مستقبل منظور لتعمير الكواكب المجاورة فى المجموعة الشمسية .

● اللانهائى فى التعقيد ، تحقيقا للهدفين السابقين اللذين لا يمكن بلوغهما واستكشافهما بمدارك وحواس الانسان المجردة ، وينبغى دعم مواهبه بمنهج وعلم هو السيبرناطيقا ، وباداة هى الحاسبات الالكترونية ، أو ما يدعى أحيانا « العقول الالكترونية » .

وهذا « الاتساع فى الحيز » الذى اصبح يسيطر عليه الانسان ، بفضل « انجازات التكنولوجيا » ، والذى لا يمكن غض النظر عن ملاحقته دون تراخ وبعجلة متزايدة ، بسبب « المواجهات الايديولوجية » من



شهدت السنوات العشر الماضية قفزات رائعة فى كافة مجالات البحوث العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية .وتكاد هذه القفزات ـ فى عشر سنوات ـ تعادل ما قدمته عشرات القرون فى مجالات البحوث والتكنولوجيا .

وفيما يلى تقدم الطليعة رصدا لاهم الانجازات فى هذه المجالات .

واستعراض هذه الانجازات العلمية والتكنولوجية يساعد على توضيح ملامح الصورة العامة لمسيرة البشرية نحو التقدم واحتمالات المستقبل العامرة بالانجازات العظيمة .

وكانت الطليعة قدمت فى عددها السابق (يناير ١٩٧٠) رصدا لاهم الاحداث السياسية والاقتصادية للستينات بعنوان أجندة الستينات .

١٩٦٠

مايو :

● أطلق السوفيت دمية فى سفينة فضاء ولم يعيدوها الى الارض .

أغسطس :

● أطلق السوفيت كلبان [بلكا وسترلكا] فدارا حول الارض ١٨ مرة وأرجعا بعد ٢٧ ساعة .

● أطلقت أمريكا صاروخا يضع كاميرات تصوير فى مجال حول الارض ،

شأنه أن يدخل تعديلات ذات وزن محسوس على هياكل ومكونات النظم **الاجتماعية** المختلفة ، ذات الانتماءات **الايديولوجية** المختلفة ، وبتكيفها لمتطلبات هذا السباق بملامحه الجديدة ، تكتسب سمات وخواصا جديدة ، ذات اثر مؤكد على ما تختزنه من طاقات وقدرات على مسايرة هذا التحول ومواكبته .

فان الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة — على سبيل المثال — وجدت متنفسا لتنشيط الاستثمارات عن طريق تجديد هياكل الصناعة وانماط الانتاج ، ولامتصاص **فائض الانتاج** الذى كان ينصرف الى **الانتاج الحربى** وحده فى فترة سابقة ، بابتكار صناعات جديدة تلاحق الاكتشافات فى غزو « **اللانهائيات الثلاثة** » . ونجم عن هذه المفارقة تغييرات واسعة على ملامحها الاقتصادية والاجتماعية ، من المؤكد أنها لا تمس **طبيعتها الاصيلة** القائمة على **السباق وراء الربح** ولا تمس اتجاهها المتواصل نحو المزيد من **التركيز** ، بل **تنشط** هذا الاتجاه وتضاعف الاسباب التى تحتمه ، ولكنها اوجدت لهاوربماكان ذلك هو التغيير الرئيسى الذى اعتراها — **فرصا جديدة للنمو باتساع الحيز الذى أصبح متاحا لها استثماره تكنولوجيا** — ومن هنا ، برزت مفارقة تخالف توقعات سابقة طرحت على اساس **ايديولوجى** ، وكانت هذه التوقعات تتنبأ بان **الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة** دخلت — بصفة نهائية — مرحلة **الرأسمالية المحتضرة** ، وأن قدراتها على مباشرة وظيفة **موضوعية** تخدم تقدم الانسان تتقلص باستمرار . وان التعارض يزداد حدة بين متطلبات تنمية القوى الانتاجية ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية والانتاجية التى تقوم عليها . **غير أن هذا التصور تتأكد الشواهد التى تلزم باعادة النظر فيه** ، **ايديولوجيا** ، لا بمعنى أن الرأسمالية المعاصرة قد استعادت شبابها ، **وأصبحت** تملك قدرات لانهائية امامها للانتعاش والاستمرار ، بل ان الثورة التكنولوجية العصرية قد اضافت الى تناقضاتها الاصلية تناقضات جديدة ، ربما اكتسب بعضها المكان الابرز بين هذه التناقضات ، ولكن هذه الحقيقة لاتلغى حقيقة أخرى ، **وهى أن الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة لم تستنفد بعد كل أمكانياتها فى تنمية القدرات التكنولوجية ، ودفعها نحو آفاق أبعد** .

تقابل هذه المفارقة التى تخص « **الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة** » ، مفارقة أخرى تخص **الدول الاشتراكية المتطورة** ، وفى مقدمتها **الاتحاد السوفيتى** . فان **الاتحاد السوفيتى** أصبح يتنازعه اعتباران متعارضان ، كلاهما اختيار **سياسى** ، **وبالتالى أيديولوجى** فى التحليل الاخير ، **ولكن** احدهما يغلب عليه عنصر **التكنولوجيا** ويستهدف اللحاق بمتطلباته ، والاخر يغلب عليه طابع **الايديولوجية** ، ويرعى الحفاظ على نقائها واتساقها ، وكلاهما — على تعارضهما — لا يملك الاتحاد السوفيتى التغاضى عنه ، شرطا لوجوده وتبرير ذاته :

● **الاعتبار الاول** هو ضرورة اللحاق — تكنولوجيا — **بأحدث ما يبتكره العلم والتكنولوجيا** فى أكثر الدول الرأسمالية تطورا بشكل عام ، وفى **الولايات المتحدة** بشكل خاص .

ولهذه الملاحقة أسباب كثيرة ، متنوعة ، ولكن أحد هذه الاسباب بالذات يكتسب أهمية حيوية ، وينهض شرطا يتوقف عليه « **وجود** الاتحاد السوفيتى وأسرة الدول الاشتراكية عموما » . بل واستمرار **أى وجود** لدول اشتراكية — أصلا — فوق سطح الارض ، هذا السبب **هو الاحتفاظ «بالتكافؤ التكنولوجى» على الاقل بين قطبى الاشتراكية والرأسمالية فى العالم** ، لان أى **اختلال** يمس هذا « التكافؤ » لصالح قوى الاستعمار العالمى ، **وأى تفوق** تحققه هذه القوى فى مجال **السلاح** بالذات — أى بتوصلها الى تحقيق **تفوق مطلق** فى مجال **تكنولوجى** يصلح لاستخدامه **كسلاح حاسم** فى المواجهة — يهدد بوضع حد للامتناع عن اللجوء الى « **الحرب الشاملة** » فى المواجهة **الايديولوجية** بين طرفى هذه المواجهة ، ويجر العالم كله الى كارثة يتعذر تدارك آثارها للبشرية بأسرها .

ولا شك فى أن ملاحقة **السباق التكنولوجى** تفرض على **الاتحاد السوفيتى** أعباء مؤكدة ، تتمثل فى تقرير **أولويات** ربما طرحت على نحو مختلف لولا وجود هذا السباق ، والحاحه الدائم . وهى **اولويات** لاتقتصر على اقتطاع جهد انتاجى ضخم لتوجيهه الى **الانتاج الحربى** بالمعنى الضيق فحسب ، — كان يمكن استثماره فى مجالات انشائية اكثر خدمة لرفاهية الانسان — كما لاتقتصر هذه **الاولويات** على جهود خارقة تتطلبها ملاحقة انجازات **الفضاء** حتى يحتفظ الاتحاد السوفيتى **بتفوقه** فيها — وقد حقق فيها بالفعل **اسبقيات** ظلت مفخرة للطاقات الخلاقة التى يختزنها تنظيم العمل الاشتراكى — ولكن هذه الاولويات تفرض — فوق هذا كله — اعباء بمعنى أوسع ، تتصل بصميم بنيان المجتمع وانماط وهيكل تطوره ، وبصميم اختياراته السياسية ، وبصميم ملامح هذه السياسة :

□ فتبرز — على سبيل المثال — ضرورة التركيز على **الاستثمار الداخلى** ، الذى يستهدف استثمار مايختزنه المجتمع من قدرات دفينة على امثل نحو ، والنهوض بطاقات المجتمع **البشرية** علميا وثقافيا ، والارتفاع بمستوى المعيشة بما يحمله من **انفاق استهلاكى** ، بلوغا — فى أقصر

وقت — « **العتبة** » التى لايمكن — دونها — ملاحقة أرقى انجازات **التكنولوجيا** العصرية ، وضمان استمرار تلاحقها باندفاع المتوالية الهندسية .

□ وتبرز — كذلك — ضرورة تقرير سياسة **دولة** ، تكتسب فى حالة الاتحاد السوفيتى بالذات — لما يحمله من التزامات ومسئوليات دولية — طابع سياسة « **دولة عظمى** » ، وهى سياسة قد تتسم فى بعض الاحوال بخصائص وسمات بعيدة أو مغايرة لتلك التى تقتضيها الدواعى **الايديولوجية** وحدها . وترجع هذه المفارقة الى أسباب متعددة ، منها — مثلا — دواعى « **الاستثمار الداخلى** » ، وبروز « **دورة اقتصادية** » تلحق بتباين المستويات **التكنولوجية** بين المجتمعات تباينا فى مستوى معيشتها — بغض النظر عن انتماءاتها **الايديولوجية** — وبروز فواصل متنوعة ، لا تقتصر على الاقتصاد وحده ناجمة عن هذا الوضع .. ومن هذه الاسباب أيضا — على سبيل المثال — دواعى « **تقرير استراتيجية عسكرية شاملة** » ، تستهدف حماية « أمن » المجتمع **ووجوده** فى مواجهة التحديات والخصوم **الايديولوجيين** ، وما تتطلبه هذه « **الاستراتيجية العسكرية** » من أولويات واختيارات .

□ وهذه الملامح المتميزة التى تتحدد بحدود « **الدولة** » ، وبغض النظر عن « **الايديولوجيه** » ، من شأنها جذب الانتباه الى أوجه تمييز على اساس **قومى** ، بأفعالها وردود أفعالها التى يمكن أن تتسم هى الاخرى بطابع **قومى** ، لا على الصعيد الدولى العام فحسب ، بل وحتى داخل أسرة الدول **الاشتراكية** . **وتفشى النزعات القومية مرتع خصب للاستثمار الاستعمارى** ، يحاول **الاستعمار** الجديد بالذات تنميتها وتشجيعها بكل ما يملك من ادوات « **ايديولوجية** » و « **تكنولوجية** » على حد سواء (استخدام **تكنولوجيا المواصلات الحديثة** ، **وبالذات أدوات الارسال السمعية البصرية** ، اذاعة ، تليفزيون بمساعدة الاقمار الصناعية ، الخ ..) .

هذه العوامل الناجمة عن « **اللاهثة التكنولوجية** » ، أو المتصلة بها ، أو المصاحبة لها ، ذات آثار مؤكدة وبصور متنوعة ، فى المساس **بالتجانس الايديولوجى** ، ووحدة النظرة الايديولوجية .

● أما **الاعتبار الثانى** الذى يتدخل فى تحديد سلوك الاتحاد السوفيتى — وهو اعتبار يجتذبه فى اتجاه **مضاد** للاعتبار الاول — هو التمسك بمتطلبات هذا **التجانس الايديولوجى** ، وتغليب اعتبارات **الايديولوجية** التى تفترض تغليب النظرة

ثم قمرا صناعيا للاتصالات لاستقبال واختزان ونقل ١١٨ مليون كلمة .

● **بدأت تجربة « مصل سابين » ضد شلل الاطفال على نطاق واسع ، وكذلك استعملت الاشعة العلاجية لتوسيع شرايين القلب**

١٩٦١

فبراير :

● **أطلق السوفيت قمرا صناعيا يتجه الى كوكب الزهرة .**

مارس :

● **اطلق السوفيت « سبوتنك ٤ » يحمل كلبا وأعيد الى الارض .**

● **أطلق السوفيت « سبوتنك ٥ » تزن عشرة آلاف رطل واعيد الكلب بهما الى الارض سالما .**

أبريل :

● **أطلق السوفيت فى الساعة التاسعة والنصف صباحا سفينة فضاء بها أول رائد فضاء فى العالم « يورى جاجارين » ودار حول الارض دورة واحدة ، ورأى تعاقب الليل والنهار على الارض من عليائه وعاد سالما الى الارض بعد ١٠٨ دقائق .**

● **فشل اطلاق الصاروخ الامريكى أطلس .**

● **قدم الرئيس كيندى برنامجا هدفه « انزال أمريكى فوق القمر » وقال ان هذا هو « هدف أمريكا ، وأنه ليس هناك مشروع فضاء أكثر تأثيرا أو اقناعا أو أهمية ، ولن يكون هناك شىء صعب أو غالى الثمن لتحقيق هذا الهدف ، وعلى الولايات المتحدة ألا تخرج من السباق مع الروس فى الفضاء رغم تقدم السوفيت اذ ان كرامة الامة لا تتحمل أن تصبح مرة ثانية فى المركز الثانى ! ! » .**

وقد حدد كنيدى برنامجا من ثلاث مراحل يبدأ فى سنة ١٩٦٢ وينتهى فى أواخر الستينات بنزول أمريكى فوق القمر .

● **اكتشاف انسان تنجانيقا [٦٠٠ الف نسمة] . المكتشف الاستاذ ليكى يؤكد انه انسان لانه اكتشف بجواره أدوات [الانسان كما يقول هو الذى يستطيع تشكيل الالات] .**

● **بناء فرن شمسى فرنسى يتكون من مرآة ضخمة [اتساع ٣٧ قدما وارتفاع ٣٤ قدما] وتتكون من ٣٥٠٠ مرآة أصغر لصهر ودمج المعادن والحصول على سبائك معدنية من نوع جديد .**

● **تقرير لمراكز البحوث العلمية الامريكية عن الصين ذكر الحقائق التالية :**

— ارتفع عدد علماء الجيولوجيا من ٢٠٠ الى ٢١ الفا ، وتحت يدهم مناجم من أكبر مصادر الحديد فى العالم .

الامية على أية اعتبارات **قومية** متى تعارضت معها • وتغليب **مصالح الثورة** ، وانطلاقها فى أى مكان ، على أية اعتبارات تتسم بطابع « **سياسة دولة** » متى وجد تعارض بين هذا وذاك . وتغليب الاسهام بما يملكه الاتحاد السوفيتى من امكانيات وخبرات فنية لدعم وتطوير النظم الثورية ، والاتجاهات الوطنية والديموقراطية والاشتراكية والمناصرة للسلام خارج حدود الوطن السوفيتى ، على مقتضيات **التركيز** بالاستثمارات البشرية والاقتصادية على **الداخل** ، نهوضا بمستوى المجتمع السوفيتى كشرط للاحقة متطلبات الثورة التكنولوجية •

● **وينبغى الاشارة الى أن الاعتبارين السالفى الذكر لا يتعارضان بالحتم فى كل الظروف ، بل قد يبرزان فى ظروف عديدة متجانسين ، يكمل كل منهما الاخر** (« **القومية** » أو « الوطنية » لاتتعارض فى كل الظروف مع « **الامية** » ، بل قد تدعمها بمفهوم محدد لكل من « القومية » و « الامية » – « **الاستثمار الداخلى** » وسيلة لخلق ظروف أفضل للاسهام **بمساعدات فنية** فى الخارج – يملك الاتحاد السوفيتى « **كدولة عظمى** » قدرة للتدخل على المسرح الدولى لمساندة ودعم « **حركة الثورة** » فى أى مكان تنطلق فيه – الخ ••) ، **غير أن هناك ظروفا ومواقف ينبغى التسليم فيها بأن التعارض بين الاعتبارين يبرز للمقدمة • ويبدو فيما يتعين على الاتحاد السوفيتى تقريره من أولويات واختيارات سياسية** • (كيفية التوفيق بين « التجانس الامى » و « الاعتبارات الاستراتيجية والعسكرية » صونا لامن الدولة السوفيتية ، وتحقيقا لوحدة المعسكر الاشتراكى ، وبين الخصائص القومية للاشتراكية فى كل بلد بمقتضى التسليم بتعدد الطرق الى الاشتراكية ، وهى المشكلة التى برزت بمناسبة أحداث **تشيكوسلوفاكيا** فى ١٩٦٨ – تقرير الاولويات فى مقدار ما يمكن للاتحاد السوفيتى تقديمه من مساعدات فنية ومادية لدول اشتراكية أخرى ، وضعا فى الاعتبار متطلبات « الاستثمار الداخلى » ، واحتمالات تعارض هذه التقديرات مع ما تنتظره هذه الدول الاخرى ، باسم « الامية » ، من الاتحاد السوفيتى لحل ما يواجهها من تحديات ، وهى مشكلة برزت فى صورة أزمة حادة مع **الصين** ، وأفضت الى سحب الخبراء السوفيت منها فى ١٩٦١ ، وتلاحقت بعد ذلك مظاهر أخرى لتفاقم هذه الازمة – كيفية الاقلمة بين مقتضيات « التعايش السلمى » فى التعامل مع الولايات المتحدة ، ودول الغرب الاستعمارى ، تجنبا « لحرب شاملة » و « لمواجهة نووية ساخنة » ، وبين مقتضيات التأييد بلا تحفظ لانطلاق **الحركات الثورية** على اختلاف الوانها فى دول **العالم الثالث** ، وقد تعرضت وما زالت معرضة للنهب الاستعمارى ، ولاساليب الاستعمار الجديد فى استغلال ثرواتها واستنزاف طاقاتها ، ومنعها من بلوغ أفضل المعدلات فى التنمية ، وهذه المفارقة تسببت فى حساسيات متنوعة شابت علاقات الاتحاد السوفيتى فى أكثر من مناسبة مع حركات ثورية مختلفة فى **العالم الثالث**) .

■ رابعا : يتسم **الانطلاق التكنولوجى المعاصر بكل ملامح « الثورة » أى باحداث « طفرة » فى ملامح وهياكل وانماط العمليات الانتاجية ، وفى خصائص** « قوى الانتاج » . **وفيما تقتضيه من تغييرات تمس « علاقات الانتاج » حتى تساير متطلباتها** • وكثيرا ما تقارن « الثورة الصناعية والتكنولوجية العصرية » بـ « الثورة الصناعية الاولى » التى اعقبت فى بداية القرن الماضى انتصار الثورات البرجوازية » من حيث **خطورتها التاريخية** ، ولكن « الثورة الصناعية العصرية » هى بالتأكيد من حيث **آثارها** ، ومن حيث **عمق** ما تنطوى عليه من تغيير فى ملامح العالم والانسان ، تتجاوز أبعاد الثورة الاولى بصورة تتحدى كل مقارنة •

والحقيقة أن عصرنا الراهن يشهد فى وقت واحد « ثورتين » . **تقبلان التمييز – منهجيا – بينهما ، دون ان يعنى ذلك انهما ليستا شديدتى الترابط ، ولكل منهما آثارها التى تنعكس على الاخرى :**

● ثورة حقلها الاساسى هو « **علاقات الانتاج الاجتماعية العصرية** » ، **ومحتواها الرئيسى** هو « **الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية** » ، وهى ثورة تتجسد فى صورة « **حركات ثورية** » يباشرها **البشر** ، ومحركها ما يكتسبه الانسان من خلال الصراع الاجتماعى من « **وعى أيديولوجى** » •

● ثورة حقلها الاساسى هو « **قوى الانتاج العصرية** » ، ومحتواها الرئيسى هو **الانتقال من الآلات التى تنهض بوظائف كانت « عضلات » الانسان تنهض بها من قبل (« الميكنة » فى الثورة الصناعية الاولى) الى آلات تنهض بوظائف كان « عقل » الانسان ينهض بها من قبل (الحاسبات الالكترونية و « الاتوماشن » فى الثورة الصناعية العصرية)** وهذه الثورة تتجسد فى صورة « **تعاظم دور الالة** » التى تبدو وكأنما هى بسبيل اكتساب صفات تمكنها من « **السيطرة على مصائر البشر** » وكأنما تنبىء « **بحضارة الاليات** » التى تنافس الانسان فى قدراته الابداعية والخلاقة ، وتنتزع منه على التوالى « **مجالات حركة** » بدت الى الآن مقصورة عليه وحده ، وبدت الى الان « **صفات للانسان**

والحياة » ظلت على الدوام تميز أبسط انسان من أرقى آلة . فالآلة اليوم تباشر عمليات **عقلية** ،تصل الى حد البت بقرارات واصدار أحكام ، بدقة وسرعة تتجاوز قدرات الانسان . ومن المنتظر غدا أن تباشر الالة أعمالا تتصل **بالخلق الفني** ، وان تبدي **المشاعر والعواطف** ، وربما بعد غد ، ستتدخل الآلة لتغيير **صفات الانسان البيولوجية ، وخواصه الوراثيه** ، وان تكسبه قدرات ومواهب وصفات تختلف نوعيا عن صفاته الطبيعية . ومحرك هذه الثورة الاخيرة ليس « **الوعى الايديولوجى** » ، بل « **العلم التكنولوجى** » .

وللثورتين كما قلنا اوجه ترابط ، فكما انتجت التعديلات فى علاقات الانتاج الاجتماعية التى نجمت عن **الثورات البرجوازية** ، الظروف المهيئة لانطلاق **الثورة الصناعية الاولى** ، كذلك فان لتغير أنماط وهياكل المجتمعات المرتبطة **بالثورة الاجتماعية العصرية** ، دورها المؤكد فى انطلاق **الثورة الصناعية الراهنة** . كان للصراع الاجتماعى والايديولوجى المعاصر دور بعيد فى دفع اكتشافات العلم وانجازات التكنولوجيا فى مجالى البناء والتدمير على حد سواء ، وكذلك كان لهذه الاكتشافات وتلك الانجازات أثرها البعيد في تحديد وتغيير ملامح هذا الصراع الاجتماعى والايديولوجى .

غير ان اوجه الترابط بين الثورتين ليست ميكانيكية . فليس كل ما هو **تقدمى** فى مجال الانجاز **التكنولوجى** ، وفى تطوير **قوى الانتاج** ، هو بالحتم **تقدمى** بمعنى خدمة **القوى الاجتماعية التقدمية** ، وبمعنى الاسهام فى تطوير **علاقات الانتاج** على نحو تقدمى ، بل ان العكس محتمل ، وله بالفعل شواهد كثيرة . فان قدرة الاستعمار العالمى على تطوير أسلحة الابادة النووية والكيمياوية والبكتريولوجية ، من انجازات التكنولوجيا العصرية ، ولكنها ليست بالبداهة لخدمة أى غرض تقدمى . وقدرة الاستعمار المعاصر على استبدال المواد الخام التى يبتاعها من البلدان النامية ، بمواد صناعية مبتكرة ، **انجاز تقدمى من الناحية العلمية والتكنولوجية المحضة** ، لانه يزيد من قدرات الانسان العلمية فى انتاج مواد صناعية بديلة لتلك التى توفرها الطبيعة ، وهو **انجاز تقدمى فى الامد البعيد** ، اى وقتما يتاح استثمار هذا الانجاز للبشرية جمعاء ، وفى ظل علاقات اجتماعية دولية غير تلك التى تسود هذه العلاقات الآن . **ولكنه على وجه التأكيد لايعتبر انجازا تقدميا في الوقت الراهن** ، ما دام ينظر اليه بوصفه يسخر أساسا لزيادة أرباح الاحتكارات الاستعمارية ، ولخفض أسعار المواد الخام التى تعتمد اقتصاديات الدول النامية على تسويقها وتصديرها ، وما دام يسهم كعنصر هام فى تعميق

— حملة ناجحة للقضاء على الذباب والفئران والناموس والبق .

— الصينيون يحققون تقدما كبيرا فى الالكترونيات « بتقليد الانجازات الامريكية والروسية » .

— انتاج الفحم يصل الى قرب الانتاج الامريكى ، وزيادة انتاج الحديد والصلب ست مرات ، ستصبح الصين ثالث دولة فى انتاج الحديد سنة ١٩٧٠ .

— زادت محطات الارصاد الجوية الصينية في سنوات قليلة ٤ مرات فأصبحت أكثر من ٤٠٠ محطة ، بحيث أصبحت الصين الرابعة بعد أمريكا والاتحاد السوفيتى وكندا .

— زيادة عدد كليات الطب أربع مرات عن عددها سنة ١٩٤٩ ، وتقليل عدد سنوات الدراسة ، ونشر دراسة الطب لبعض الوقت فقط أو فى أوقات الفراغ من أجل استبدال ٣٧٠ ألف طبيب من القدامى المعتمدين فى العلاج على الوسائل الغير علمية .

— برامج العلم الصينيه تنفذها لجنة العلم والتكنولوجيا الصينية تحت رئاسة المارشال « نيه جونج تشن » .

● اختراع آلة معدنية تلتقط اشارات الموجات الصوتية الصغيرة وتكبرها ، وبذلك نزيد من ذبذبات الموجة القصيرة بما مقداره ٢٥ ٪ مما هو متاح حاليا مما يفيد فى مجال أجهزة الموجات القصيرة والتلسكوبات البعيدة وسفن الفضاء والمقذوفات الصاروخية [ثمنها من ٢٠٠ الى ٧٠٠ دولار] .

● اجتماع ألف عالم متخصص فى العلوم من ٦٧ دولة بمناسبة السنة الجيوفيزيقية الدولية وأهم نتائج بحوثهم امكان زرع البحار لاطعام البشر ، واستغلال الشمس للحصول على طاقة لم يكن يحلم بها البشر .

● بدء استخدام أشعة « ليزر » فى علاج السرطان .

● تصغير الترانزستور الى حجم صغير جدا مما يفتح الافاق أمام بناء العقول الالكترونية .

● اختراع جهاز الكلى الصناعية .

● اجراء جراحات القلب فى غرف تحت ضغط عال .

● نجاح تحويل مياه البحر الى مياه عذبة .

● اختراع عقول الكترونية صغيرة تقوم بانجاز الحسابات بسرعة مذهلة .

● الولايات المتحدة تنفق على البحوث العلمية والتطوير سنويا مبلغ ١٢ بليون دولار وتشير الدوائر العلمية الى أن الحاجة أصبحت ماسة فى امريكا الى انشاء « ذاكرة جامعة » لحصر نتائج البحوث فى مراكز مجمعة « تتيح لاى راغب فى المعلومات العلمية الحصول عليها » . وفى تقرير خطير للجنة فى هذا الصدد برئاسة همفرى جاء « اننا اما سنصبح قادرين على السيطرة على

عدم التكافؤ فى شروط التجارة الدولية ، وينهض بدور فعال فى تأكيد تبعية الدول النامية حيال الاحتكارات الدولية بصور مبتكرة جديدة .... كذلك تبدو انجازات أمريكا الرائدة فى الفضاء ، أو فى صنع أحدث وأرقى الحاسبات الالكترونية الخ .. كأنما تنطوى على **محتوى تقدمى مطلق** ، لان هذه الانجازات العلمية الرائدة لابد أن تعود **بنفع مطلق** للبشرية جمعاء ، ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن هذه الانجازات - على خطورتها البالغة - قادرة على خدمة **أغراض عسكرية** تملك الاحتكارات الاستعمارية استخدامها ضد مصلحة الشعوب ، كما تزيد من **هيبة** الاستعمار الجديد ، ومن **مقامه المعنوى** ، وهذه ظاهرة لا **تخدم** الاتجاهات ذات المحتوى التقدمى **أيديولوجيا** فى العالم .

ويكمن سر هذه المفارقة فى أن **ركيزة الثورة الاجتماعية والايديولوجية العصرية تختلف نوعيا عن ركيزة الثورة التكنولوجية** . فان **الثورة الاجتماعية والايديولوجية** تعتمد **بشريا** فى الاساس على حركة **الطبقة العاملة** ، ومختلف الفئات والطبقات الحليفة لها فى حقل العمل الثورى ، وهى تعتمد **موقعيا** على **أكثر مواقع النضال ضد الاستغلال الرأسمالى حدة** ، أيا كانت الصور التى يتخذها هذا الاستغلال ، وهى صور تتنوع حسب المكان والزمان ، وتفضى الى صور متنوعة من النشاط **الثورى** . أما الثورة التكنولوجيه ، فهى تعتمد **بشريا** على حركة **العلم** ونشاط **العلماء** وهى تزدهر موقعيا فى أنسب **مواقع ازدهار البحث العلمى** ، **وأنسب مواقع تحويل نتائج هذه الابحاث الى انجازات فى التطبيق** . فهى تفترض اذن لازدهارها **بيئة** تختلف عن بيئة ازدهار العمل الثورى الاجتماعى والايديولوجى . كما **تفترض** شروطا ومقومات - مادية ، واقتصادية وفى تنظيم الهيكل الاجتماعى - لا ينتجها أوتوماتيكيا العمل الثورى الاجتماعى . **وكانت انسب بيئة لازدهارها** هى حيثما توافرت اكبر قدرة على الاستثمار فى **البحث العلمى** ، وفى تزويده بأكثر العقول مواهب وخبرة ، وبكل لوازمه **المعملية والتكنولوجية** ، **وهذه بيئة تستدعى بلوغ قدر بعيد من تركيز الامكانيات التى لا تتوافر الا فى البلدان الاشتراكية المتطورة ، أو البلدان الاحتكارية المتقدمة** ، حيث اكتسبت الرأسمالية صفة « **رأسمالية الدولة الاحتكارية** » أو تجاوزتها الى صفة « **الاحتكارية الرأسمالية التى تتسع لاكثر من دولة** » .

ذلك هو على وجه التأكيد مكمن التباين الجوهرى بين الثورتين . غير أن هناك مفارقتين تاريخيتين جاءتا لتعمقا من أوجه التباين بينهما - وهاتان المفارقتان يمكن اجمالهما فى الآتى :

مفارقة ذات صفة « مكانية » او « جغرافية » : وهى أن **المواقع** التى انتصرت فيها الثورات الاشتراكية الاولى لم تكن المواقع الاكثر اهلية لانطلاق الثورة التكنولوجية ، ذلك لان **قوانين عصر الاستعمار** افضت - على حد تعبير **لينين** - الى بلوغ حدة التناقضات الاجتماعية اقصاها ، وبلورة الوعى **الايديولوجى** على ابرز نحو فى موقع هو **اضعف** حلقة فى جبهة الاستعمار العالمى ، وهذه الحلقة **الاضعف** ليست بالحتم - ولم تكن بالفعل - **اقوى** حلقة فى التطور الصناعى **والتكنولوجى** الرأسمالى ، طبقا لتصور **ماركس** فى منتصف القرن الماضى عن ارجح الاحتمالات **لموقع** انفجار الثورات الاشتراكية الاولى مستقبلا .

وافضت ملابسات **التاريخ** الى ان الثورات الاشتراكية التى تلاحقت انتصاراتها بعد ذلك ، امتدت **شرقا** لتتسع وتشمل قطاعا عريضا من **العالم المتخلف** ، بدلا من ان تقتحم اكثر مواقع الرأسمالية الاستعمارية ، المتقدمة **تكنولوجيا** ، فى **الغرب** .

ومن هنا **برزت مفارقة ان اكثر مواقع « الوعى الايديولوجى » تقدما ، كانت اكثر مواقع « العلم التكنولوجى » تخلفا** . او اذا اردنا لهذا التعبير أن يكون ادق ، قلنا ان اكثر البيئات الاجتماعية ملاءمة **لافراز الوعى الايديولوجى التقدمى ، كانت اقل البيئات ملاءمة للانطلاق بالعلم التكنولوجى على افضل نحو** . وتمثلت هذه المفارقة **داخل** معظم الدول التى انتصرت فيها الثورة الاشتراكية ، **وقد انطلقت** من مواقع متخلفة - فى انها ووجهت بضرورة انجاز **مهمتين** فى وقت واحد ، وهما مهمتان **متعارضتان** فى محتواهما ، المهمة الاولى **هى اجتياز التخلف** فى اقصر وقت مستطاع ، وبلوغ « **العتبة** » التى تسمح بعد ذلك باطراد التقدم بسرعة المتوالية الهندسية . **والمهمة الثانية هى بناء الاشتراكية** .. ويكمن وجه التعارض بين المهمتين فى أن المهمة **الاولى** تفترض **التركيز على اولويات محددة** (كانت على سبيل المثال فى الاتحاد السوفيتى التركيز على **الصناعات الثقيلة** طوال حقبة بعينها ، مقابل التضحية بمستويات تناسب تطوير قدرات الانتاج فى رفع مستوى المعيشة ، وتوسيع حجم الاستهلاك) . وهذه الاولويات كانت لابد أن تمس ما يتطلبه انجاز المهمة **الثانية** - مهمة **بناء الاشتراكية** - من توفير افضل ظروف **ازدهار وتكامل الانسان** ، وتنمية مواهبه الخلاقة والابداعية ، ذلك بخلق انسب مناخ لازدهار

الثقافة ، والرؤية النقدية ، والتجدد الدائم ،وما الى ذلك من صفات فى تجديد الانسان ايديولوجيا وروحيا بعد الانفصام الذى ادخلته الرأسمالية على شخصيته فى اكثر من صورة (ليس الانفصام الناجم عن التناقضات الطبقية واوجه الاغتراب المباشرة المتصلة بها ، هو وحده الذى نقصده .

وهذه المفارقة شديدة الارتباط بمفارقة سابقة اشرنا اليها ، قوامها هو أن الاشتراكية رغم كل ما انجز بفضلها عبر نصف قرن فى اكثر المجتمعات الاشتراكية تقدما وتجميعا للقدرات ـ لم تتجسد بعد فى أى مكان على النحو الذى يسمح « للمجتمع الاشتراكى الدولى » بأن يكون المقرر والمتحكم الاساسى فى مصائر وملامح التطور البشرى المعاصر بأسره ، وأن يكون على الدوام فى موقع « الفعل » لا « رد الفعل » ولذلك فان الاتحاد السوفيتى بعد نصف قرن من الانجازات الخارقة ، مازال يتنازعه دواعى اللحاق تكنولوجيا مع الغرب من ناحية ، ودواعى الاحتفاظ ايديولوجيا بانفتاح لا ينقطع مع مختلف الحركات الثورية فى شتى صورها على اتساع العالم .

والاختيارات السياسية التى يتنازعها هذان الاعتباران هى فى أحوال كثيرة مفروضة عليه ، قبل أن يملك فرضها بتخطيط سابق ، وكقوة « مقررة » على المسرح الدولى .

● اما المفارقة الثانية ، فهى مفارقة ذات صفة « زمنية » او « تاريخية » : وأقصد هنا « بالتاريخ » مجرد « التسلسل فى الزمان » . فقد « شاءت » الملابسات التاريخية ان تنتصر الثورات الاشتراكية فى قطاع عريض من العالم ، قبل ان تنضج الظروف التى افضت إلى بروز ملامح الثورة التكنولوجية العصرية . وربما ارتبطت هذه المفارقة ـ هى الاخرى ـ بما اكتشفه لينين عن الامكانيات الثورية التى يمكن اطلاقها من أضعف الحلقات فى جبهة الرأسمالية العالمية ، حتى قبل اكتمال ظروف نضوج الانفجار الثورى فى اقوى حلقاتها ،ولكن ترتب على هذه المفارقة ـ وذلك بغض النظر عما سبق واوردناه عن انتصار الثورات الاشتراكية فى قطاع من العالم المتخلف بالذات ـ ان توافرت للبشرية ـ بصورة أعم ـ ظروف بناء « مجتمع جديد متقدم ايديولوجيا » والبشرية مازالت تفتقد « الادوات التكنولوجية » التى تكسب ازدهار الايديولوجية التقدمية كل محتواها . وزاد من عمق المفارقة أن المجتمعات التى تسيطر عليها الايديولوجية الرجعية الاستعمارية هى اكثر المجتمعات اهلية لانتاج ارقى الانجازات التكنولوجية .

[الثورة العلمية] واما انها ستمر بنا مرور الكرام ، وسنفقد هذا الشىء العزيز الذى لايمكن تعويضه وهو الوقت»

● تجربة جمع الدم من أجساد الموتى حديثا فى حدود ٦ ساعات من الوفاة المفاجئة فى الولايات المتحدة لاستعماله فى نقل الدم للعمليات الجراحية كما يحدث فى الاتحاد السوفيتى منذ سنوات

● أدوية أكثر فعالية فى قتل خلايا مرض السرطان .

● اعادة القلب المتوقف الى النبض باستعمال جهاز الصدمة الكهربائية بدون جراحة .

● اجازة استعمال مصل « سابين » بالفم ضد شلل الاطفال مما يشكل انتصارا كبيرا على أحد الامراض المرعبة

● التوصل الى تطعيم الاطفال ضد مرض الحصبة على جرعتين وسيكون الدواء جاهزا للاستعمال سنة ١٩٦٢ .

١٩٦٢

يناير :

● بناء محطة أمريكية لارصاد الفضاء الجوية [لا لارصاد الفضاء الارضية] ، وذلك استعدادا لرحلات الفضاء الطويلة للكواكب .

● اكتشاف أن الارض مغلفة بسحابة من الهيدروجين والتراب الكونى ويمتد فى شكل يشبه الذيل طوله ٤ ملايين ميل .

فبراير :

● جون جلين الامريكى يدور حول الارض ثلاث مرات .

مايو :

● القمر تلستار الامريكى يعمل مع محطات ارضية لنقل برامج التليفزيون عبر الاطلنطى .

● القمر الصناعى الامريكى « رانجر ــ ٣ » يصل الى أقرب مسافة من القمر على بعد ٢٢٫٨٦٢ ميلا ويؤكد قوة الصاروخ ساتورن الذى تعتمد عليه امريكا فى الوصول للقمر .

يوليو :

● بدء انفاق ٢٠ بليون دولار على مشروع ابوللو تبدأ ببناء محطة ابوللو ثمنها ٨٨٥ مليون دولار ، وسفينة أبوللو ثمنها ٤٠٠ مليون دولار .

أغسطس :

● ارسال القمر « مارينر » الامريكى ليمر بالقرب من كوكب الزهرة بعد ٤ شهور .

● « فوستوك ــ ٣ » السوفيتية تحمل رائد فضاء سوفيتى [نيكولاييف] وتلتها « فوستوك ٤ » وبها رائد فضاء آخر فى مدار قريب [بوبوفتش] ،

وبطبيعة الحال ، كان لابد لهذه « المفارقة المزدوجة » التى من شأنها أن تمس على حد سواء « المجتمع الاشتراكى المعاصر » و « المجتمع الرأسمالى المعاصر » ان تفضى الى ظواهر تستحق التسجيل • فقد اكسبت كلا من المجتمعين تناقضات من نوع جديد ، ناجمة عن طبيعة الثورة التكنولوجية العصرية ، تناقضات فى المجتمع الاشتراكى مصدرها هو « الولادة المبكرة » ، وتناقضات فى المجتمع الرأسمالى المتطور مصدرها هو « تعثرات الشيخوخة » •

فكما قلنا ، يكمن جوهر الثورة التكنولوجية العصرية التى يطلق عليها أحيانا اسم « الثورة السيبرناطيقية » فى أن الانسان أصبح يستطيع الان ، انتاج آلات لاتنهض بالاعمال العضلية التى كان ينهض بها من قبل ، بل ببعض العمليات الذهنية والعقلية التى كان ينفرد بمباشرتها دون غيره من الكائنات الحية فوق سطح كوكبنا • وأصبحت بعض هذه الالات كالحاسبات الالكترونية تملك القدرة على انجاز بعض هذه العمليات الذهنية والعقلية بكفاءة تتجاوز قدرات الانسان ذاتها فيها .، وهذا يوحى لاول وهلة — كما سبق وأشرنا اليه — أن « حضارة الاليات المفكرة » تهدد بسيطرة الالة على مصائر الانسان ، وأن يتقلص دوره فى العمل الفكرى مع تعاظم دور الالة فى هذا المجال الذى يشكل عصب انسانيته • ولكن التاريخ يثبت عكس ذلك .، فقد شهدت « الثورة الصناعية الاولى » التى كانت سمتها المميزة هى « الميكنة » MECHANIZATION تأكيدا لاعمال « الانسان العامل » الميكانيكية ، ذات الصفة الرتيبة والمكررة والبسيطة ، والتى لا تتطلب أى تفكير .، وكان هذا النمط فى العمل الانتاجى والتكنولوجى مناسبا لعلاقات الانتاج الرأسمالية ، حيث كانت الطبقة الرأسمالية تفرض لنفسها وحدها « حق » التفكير والتدبير والتصميم والاستغلال • كما كان يعد هذا النمط فى العمل الانتاجى « تقدما » بالنسبة للعمل الحرفى السابق • الذى لم يكن يفصل — عند الصانع الحرفى — بين التفكير والعمل اليدوى ، ولكنه كان يحول دون « تقسيم العمل » الكفيل بتوسيع حجم الانتاج ، وبلوغ « الانتاج بالجملة » ، احدى صفات الانتاج الرأسمالى • وقد بلغ هذا النمط فى الانتاج — القائم على تقسيم العمل الى حد الرتابة المطلقة ، واشتراط انعدام تفكير العامل — صورته التى تم ترشيدها على النحو الامثل فيما عرف « بالتيلورية » فى أمريكا ، تبناها فورد ، وغيره من المؤسسات الانتاجية الاحتكارية الكبرى •

غير أن الثورة الصناعية الاولى ، اذا ما كانت صفتها المميزة هى « التحليل » ANALYSIS فان الصفة المميزة للثورة التكنولوجية العصرية هى « التركيب » SYNTHESIS • وكما شهدت « الثورة الصناعية الاولى » تأكيدا « لميكنة » عمل الانسان العامل ، مع زيادة وتعميم « ميكنة » الالات ، فان « الثورة الصناعية والتكنولوجية العصرية » تشهد انزواء لهذه الظاهرة ، وامتصاص الالات — عن طريق « الاتوماشن » أشكالا تزداد تنوعا من الاعمال الرتيبة ، اليدوية والذهنية على حد سواء • ومن هنا أصبح تشغيل الالات يتطلب الانصراف الى غير الاعمال الرتيبة التى ربما تنجزها الالة بكفاءة تتجاوز قدرات الانسان ، أى الى أعمال تتسم أساسا بصفة « تقدير موقف » ، و « اصدار حكم » ، و « البت بقرار » • وهذه أعمال تفترض التفكير ، وتشترط ثقافة عامة فوق بلوغ قدر بعيد من التخصص • ويؤكد الحاجة الى هذه الصفات تجدد نوعية الالات بسرعة متزايدة مع تلاحق الاكتشافات وتحسينها باستمرار ، مما يتطلب — فوق اعادة التدريب المستمرة — استيعاب منهج فى التعامل مع الالة • بغض النظر عن تطبيق هذا المنهج على هذه الالة بالتجديد او تلك •

وكثيرا ما يقال ان هذه الصفات ربما ينبغى توافرها مع العاملين الذين يتعاملون مع أكثر الالات الحديثة تطورا ورقيا فقط ، ولكن هؤلاء لا يشكلون الا قلة مع تعميم « الاتوماشن » فى هذه المجالات • وليست هذه الصفات ضرورية فى عموم قطاعات الانتاج • ولكن الحقائق تدحض هذا التصور • فقد ثبت أن الاتوماشن لم يفض الى اتساع البطالة بالصورة التى تخيلها الكثيرون • وتشير الاحصاءات فى البلدان المتطورةعموما الى أن الذى حدث ، هو انتقال فى نوعية الاعمال ، بتركيز أوسع للعمالة فى مجالات تصميم الالات وصنعها وصيانتها ، بعد أن كان التركيز أساسا فى تشغيلها •

غير أن التغير الاهم فى هذا الصدد ، وهو الذى ينبغى أن يستوقف نظرنا بوجه خاص ، هو أن معنى كلمة « تصميم الالات » قد اتسع الى غير حد ، وأصبح التداخل تاما بين « البحث العلمى » المفضى الى ابتكار آلات جديدة ، وبين « عمليات التطبيق التكنولوجى » الناجمة عن وضع نتائج البحث العلمى موضع التنفيذ فى تصميمات محددة للانتاج • فرغم أن انجازات « الثورة الصناعية الاولى » كانت بالبداهة — كما هو الشأن دائما — ثمرة الاكتشافات العلمية وتطبيقاتها فى الصناعة ، غير أن البحث العلمى لم يكن يبدو وقتذاك كأنما يقوم بدور مباشر فى الانتاج ، وذلك لانه لم يكن يوجد فى معظم الاحوال تلازم زمنى مباشر يربط بين « انجاز اكتشاف علمى محدد » ، وبين اكتشاف وسائل تطويعه لعمليات الانتاج ، واستثماره بشكل اقتصادى كفء فى الصناعة • ولتوضيح هذه الفكرة بمثل محدد .: لقد مضى

ثورة العلم.. وثورة الانسان

نصف قرن بين اكتشاف **فاراداى** للكهرومغناطيسية المتولدة بالتأثير ، وبين تصميم أولى المكينات التى طبق فيها هذا الاكتشاف ـ ولكن اليوم ، لم يفصل سوى ١٥ سنة بين اكتشاف **هان** و **ستراسمان** للانشطار النووى فى اليورانيوم ، وبين تطبيق هذا الاكتشاف فىصنع أول مفاعل ذرى . والتطبيقات الاولى لاكتشاف **أشباه الموصلات** وأشعة **اللازر** لم تتطلب اكثر من خمس سنوات . **وهكذا ، يتجه البحث العلمى فى عصرنا الى أن يتحول الى قوة انتاجية مباشرة** ، وأصبحت تختفى الفواصل التى عزلت فى الماضى النشاط العلمى المجرد عن الانتاج الصناعى ، لا لمجرد زوال الفواصل الزمنية بين المكتشفات وتطبيقاتها ، ولكن أيضا لان البحث العلمى المعاصر أصبح يحتاج الى معامل وأدوات هى أشبه بأضخم وأعقد المصانع ، ولان البحث العلمى ـحسب أحدث التقديرات الاقتصادية فى جميع البلدان المتطورة ـ أصبح يكفل عائدا مما يرصد له من استثمارات ، أعلى من استثمار رأس المال فى أى مجال آخر ٠

ويترتب على هذه التطورات التكنولوجية تغيير هام فى تركيب القوة العامله داخل جميع المجتمعات المتطورة ٠ ويتجه العمل اليدوى والتركيب التقليدى **للطبقة العاملة** الى الانزواء ليحل محـــل هـــذا التصور السابق للعامل ، « عامل من نوع جديد » ، عامل اكتسب المهارات التى تكفل له القدرة على « تقدير موقف » و « اصـدار حكم » و « البت بقرار » ، عامل ينبغى أن يجمع بين الثقافة العامة والتخصص المتقن داخل مجال من المجالات ، عامل ينبغى أن يستوعب المنهج قبل أن يتقن مهنة بذاتها ، أو وظيفة انتاجية محددة ، عامل تنزوى عنده الفواصل بين العمل الذهنى والعمل اليدوى ، تماما كما تتجه الفواصل الى الانزواء بين « العالم » و « العامل » ، **ويحمل هذا التحول الناجم عـن طبيعة « التكنولوجيا » العصرية ، آثارهالبعيدةفى حقل « الايديولوجية » ، فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة والاشتراكية المتطورة على حد سواء ٠ وتبرز هنا ظاهرة ، تبدو كأنما تسير فى اتجاهين متعارضين فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة من جانب ، وفى المجتمعات الاشتراكية المتطورة من الجانب الاخر ، وتعبر هذه الظـاهرة ـ بصورة مكثفة ـــ عن كل مفارقات المواجهة الراهنة بين قضايا التكنولوجيا والايديولوجية فى عصرنا .**

وتنهض هذه الظاهرة انطلاقا من حقيقة أن **ركيزة « الثورة التكنولوجية»** من الناحية البشريه هى **تشكيلات رجال العلم** من علماء ومهندسين وخبراء وفنيين الخ ٠٠ بالصفات المنتظر توافرها فيهم وفقا لما سبق واوردناه ، بينما ركيزة«الثورة الايديولوجية » من الناحية **البشرية هى الطبقة**

وكانت أول مرة يوجد بها « توائم الفضاء لاول مرة فى التاريخ » .

أكتـــوبر :

● « شيرا » الامريكى يدور ســت مرات حول الارض .

● الاتحاد السوفيتى يطلق الصاروخ « المريخ ١ » ليصل الى مجال الكوكب فى مايو التالى .

نـــوفمبر :

● بدء الشركات الامريكية فى بنـاء السفينة القمرية التى سترسو بالرواد على سطح القمر فى المستقبل [أواخر الستينات] .

● اكتشاف أنمائة نوع منالفيروسات تسبب البرد والزكام ومن الصعب عمل فاكسين لها ، وهناك أمل فى احداث مقاومة معقولة للجسم ضد الزكام باعطاء دواء هو بروتين مضاد تفرزهخلايا الجسم ويسمى « انترفيروف » ولكن لن يكون هناك علاج حاسم فى المستقبل القريب.

● انشاء مجالينللتليفزيون فىالولايات المتحدة وكل مجال على مساحة ٤ أميال مربعة ، ومغطاة برقائق الالومنيوم لتمكن مضاعفة الصورة الرادارية لاى مدينـــة فى العالم وللاحظة الانهار والمصانع وكل محتويات المدينة [واستخدام ذلك فى التجسس العسكرى] .

● اختراع الالات التى تركز الموجات الضوئية [من أهم الاكتشافات البشرية بعد أن كانت بحوث العلماء حول نشتت الضوء لا تركيزه وهى آلات مثل انابيب التفريغ التى تضخم موجات الراديو] ، وبالتالى فان اشارة ضوئية واحدة يمكن أن تحمل معلومات أكثر فى الاثير [مثل المكالمات التليفونية وبرامج التلفزيون] ويمكن بزيادة تركيز الاشعاع أن يجرى بها عملية بدون نزيف فى العين مثـلا [جهاز ميزر الضوئى] .

● تكوين لوحات فى الولايات المتحدة سجلت عليها الالوان التى تميزها العين [٢٨ لونا رئيسيا] كل منها يحور قليلا فى الكثافة والتركيز ليعطى ٢٦٧ لونا مختلفا لها أسماء موصوفة ، لكى يمكن التعامل على اساسها فى موضوع الالوان باسماء متفق عليها مما له أبعد الاثر فى كل أمور الصناعة والحياة .

● اكتشاف جزئى أصغر من الذرة ، وهو واحد من ثلاثين نوعا من الجزئيات الصغيرة ، اكتشفت أخيرا داخل نواة الذرة أو نتيجة لاصطدام الذرات .

● جهاز جديد لاعطاء صدمات متتالية للقلب المضطرب تؤدى الى اعادة انتظامه من جديد [مصحح القلب] بدلا من الجهاز السابق الذى كان يعطى صـدمة واحدة .

● عدة حالات مرضية تجرى لهـــا عملية ترقيع صمام الاورطىالتالف بالقلب بصمام آخــر من شخص ميت وتنجح العملية فى ٥ من ٨ حالات، وهى مقدمة لعمليات ترقيع أوسع فى كثير من انسجة الجسم فى المستقبل .

العاملة بالمعنى المألوف للكلمة قبل ظهور بوادر الثورة التكنولوجية العصرية ومتطلباتها .

وتناسق الثورتين وتداخلهما أمر يفترض ــ ضمن مايفترض ــ اختفاء الفواصل بين هذه الركيزة وتلك ، واتجاه الشريحتين الاجتماعيتين الى التطابق ، وهذه عملية مازالت في دور التكوين ، وربما يعترضها في البلدان الرأسمالية بالذات تباين الاصول الطبقية وبالتالي تباين ايديولوجية الفئات الاجتماعية التي تغذي مجموعات العلماء والمهندسين والفنيين الخ .. والشرائح الاجتماعية المختلفة للطبقة العاملة بمعناها التقليدي في هذه البلدان . غير ان هناك ظاهرة تستحق التسجيل كما قلنا ، وتتلخص في أن هناك اتجاهين متعارضين في اتجاه حركة هذه المجموعات من العلماء والفنيين والمثقفين :

● اتجاه حركتها اجتماعيا في البلدان الرأسمالية المتطورة : ففي هذه البلدان ، تتجه هذه المجموعات الى الابتعاد في غالبيتها العظمى ــ عن دوائر المال والاحتكار والسلطة ، لتكتسب بالتدريج موقعا في عمليات الانتاج هي أشبه بمواقع العمال (بالمعنى الواسع والحديث للكلمة) . ويعود هذا التحول الى اعتبارات عدة ، نذكر منها ، تعاظم عدد هؤلاء الفنيين من نوع جديد ، مع تعدد المهام التي يتولونها في تسيير عمليات الانتاج الحديثة ، ومنها افتقاد طابع غالبيتهم العظمى كجزء من « جهاز الادارة والسلطة » التابع لجهات المال المهيمنة على الاحتكارات الكبرى ، ليتحولوا الى مجرد « منفذين » لارادة هذه الجهات ، طبقا لما تصدره اليهم من توجيهات وأوامر وقرارات .

● اتجاه حركتها اجتماعيا في البلدان الاشتراكية المتطورة : وفي هذه البلدان ، تتجه هذه الفئات للابتعاد وتتميز عن الطبقة العاملة بالمعنى المألوف والتقليدي ، رغم انبثاقها في الاساس من نفس الاصول الطبقية . ويعود هذا الاتجاه الى أن هذه الفئات من العلماء والفنيين ، يدخل في تقريرها للاولويات وفي تقديرها للاحتمالات والاختيارات ، الاحساس بوزن الاعتبارات التكنولوجية التي كثيرا ما تتعارض مع النظرة الايديولوجية التقليدية ، الراسخة في صفوف قيادات الطبقة العاملة التي تهيمن على مراكز السلطة في الحزب أولا ، وبالتالي في الدولة .

وتفضي هذه « المفارقة المزدوجة » الى عدد من المشاكل ، مصدرها المشترك هو التباين الذي ما زال قائما في وقتنا الراهن بين جذور ومنطلقات وابعاد الثورة التكنولوجية من جانب ، وبين جذور ومنطلقات وابعاد الثورة الايديولوجية من الجانب الاخر . ورغم أن الاتجاه الحتمي مستقبلا ، هو اتجاه الثورتين الى التطابق ، الا ان « الايديولوجية » تظل الى الان متعثرة عن مواجهة كل متطلبات « التكنولوجيا » ، للاسباب الكثيرة التي أوردناها في هذا المقال ، وهذا التعثر يجد تعبيره الاوضح في التحولات التي تعتري تركيب « الطبقة العاملة » لتكتسب الصفات الجديدة التي تتطلبها ثورة التكنولوجيا في عصرنا ، وهذا التغير في تركيب الطبقة العاملة ، ركيزة التحول الثوري المعاصر ، لابد أن يواكبه تغير ، ومشاكل وتعثرات في النظرة الايديولوجية ــ وذلك هو الذي نشهده في العالمين الاشتراكي والرأسمالي المتطور في وقت واحد ، ويتخذ صورا ومظاهر متعددة .

في بداية هذا القرن ، تعرض علم الفيزياء لازمة خطيرة ، وذلك باكتشاف أن « قانون بقاء المادة » غير صحيح وأن المادة ــ تقبل التحويل الى طاقة . وكان « اجتياز هذه الازمة » ــ بفضل « نظرية الكلمات » التي اكتشفها ماكس بلانك وطورها نيلز بوهر » « ونظرية النسبية التي اكتشفها البرت اينشتاين ــ هو نقطة الانطلاق النظرية التي وضعت أسس « الثورة التكنولوجية العصرية » ، وافسحت أمامها الفرصة بعد ذلك لتلاحق تطبيقاتها ، كما نشهدها مجسدة في انجازات عالم اليوم .

غير أن هذه الازمة في الفيزياء طرحت أزمة ذات دلالات أوسع وأعمق شملت العلوم الطبيعية باسرها . وبدأ في ذلك الوقت ، كأنما النظرة المادية الى الكون معرضة للعصف والانهيار ، ذلك بعد أن ثبت ان الكون « طاقة » ، وبدا كأنما تعريفه بانه « مادة » يخالف آخر اكتشافات العلم .

وكان للينين الفضل في اجتياز هذه المعضلة الفلسفية بكتابه « المادية والنقد التجريبي » . وقد اثبت فيه أن « المادة » لا يرتهن وجودها بتصور محدد لهذا الوجود ، والتحجر عند تصور محدد هو بعينه الموقف العقائدي الجامد الذي لابد وان يتعثر مع كل اكتشاف علمي جديد . وأن النظرة المادية هي في الجوهر قضية منهجية تتصل قبل أي اعتبار آخر بالبدء من منطلق وجود « عالم خارجي » مستقل عن وجود الانسان المتأمل له ، وينبغي التسليم بأن « شكل » هذا العالم الخارجي لابد وأن يتبدل ، وأن يزداد احكاما ودقة مع كل اكتشاف علمي جديد . وليس هناك ما يمس أسس الايديولوجية المادية في التسليم بأن العالم المادي ما هو في جوهره الا « طاقة » .

والقضية المنهجية التي تعرض لها لينين في حقل العلوم الطبيعية ــ لتخطي التعثرات التي واجهت علم الفيزياء في بداية هذا القرن ــ تطرح نفسها من جديد في وقتنا الراهن ، ولكن الحقل الذي تتعرض له في هذه المرة ، هو حقل « العلوم الاجتماعية » . فان الفكر اليميني المعاصر يطرح

ثورة العلم .. وثورة الإنسان

قضية انزواء **العمل اليدوى** للطبقة العاملة مع تعاظم دور الثورة التكنولوجية ـ على أنه **انزواء للطبقة العاملة ذاتها** • وهذا الانزواء « **للطبقة العاملة** » ، ركيزة ومنطلق الايديولوجية التقدمية فى عصرنا ، هو فى الوقت ذاته انزواء لمركز « **الايديولوجية** » ، وتمهيد لاحلال **التكنولوجيا** محلها كمحرك أساسى فى تقرير ملامح الانسان المعاصر ، واتجاهات تطور المجتمعات الانسانية ، ويستند الفكر اليمينى فى طرحه للقضية على هذا النحو ، الى مجموعة المفارقات والحقائق التى طرحناها خلال هذا المقال ، ليستخلص منها نتيجة هى « تعثر » و « أزمة » و « ذوبان » ملامح وخصائص **المنطلق الايديولوجى** •

ومما لاشك فيه ان ازدواج ركيزة ومنطلق الانجاز الكفيل « بخدمة الانسان » فى عصرنا : الانجاز الايديولوجى والانجاز التكنولوجى ، وتباين مصادر هذين المنطلقين ، وما يعقب هذا التباين من « تعثرات ايديولوجية » ، ومن « تعدد المنطلقات الايديولوجية » بتعدد المواقع جغرافيا على اتساع العالم ، واجتماعيا داخل المجتمع الواحد . أمر من شأنه ان **يبذر الشك** فى صفوف انصار « اسبقية الايديولوجية » ، وأن يغذى بالتالى حجج انصار « اسبقية التكنولوجيا » ، ويعمق من ابعاد الازمة **انفصام شخصية القوى الحاملة للتقدم** فى عصرنا الى **فريقين** ما زالا متميزين فى نظرتهما **الايديولوجية** ، وان كان التطور يلزم بتقاربهما وتلاحمهما خلال عملية **تدريجية** لا يمكن انجازها دون أن تتعرض لتعثرات متعددة ومتنوعة :

● فريق « **الطبقة العاملة** » بنظرتها **الايديولوجية التقليدية** التى تميل الى انكار ما تنطوى عليه الثورة **التكنولوجية من تغيير كيفى حاسم** أصبحت تدخله على ملامح عصرنا •

● فريق « **مجموعات المثقفين من العلماء والفنيين** » التى يغلب على نظرتها للأمور النظرة **التكنوقراطية أو التكنولوجية** ، وتعتبر مرتعا خصبا للاستجابة ـ بحكم مواقعها فى عمليات الانتاج ـ الى « **ايديولوجية التكنوقراطية** » التى يشيعها الفكر اليمينى ، المنطلق من فكرة أن **التكنولوجيا** هى المقررة أساسا لملامح عصرنا ، وأن **التشتت** الملحوظ فى تعدد المواقف الايديولوجية لايعبر عن أزمة **عارضة** ، بل عن أزمة **أصيلة** تنبىء بنهاية عصر **هيمنة الايديولوجيات** •

والحقيقة أن مجرد التسليم بأن « التكنولوجيا » **لها اسبقية على « الايديولوجية » هو شكل من أشكال التسليم بأن « الآلة » اسبقية على « الانسان » الذى صنعها ، وليس هذا سوى مظهر مستحدث من مظاهر « الاغتراب » الذى عاشته البشرية فى صور متنوعة عبر تاريخها ، وهو منطق لا يفيد سوى الدوائر الاحتكارية المتسلطة التى**

● منظار جديد المرىء لتشخيص بعض أمراض القلب .

● تركيب مضخة من البلاستيك [قلب بلاستك] لكلب بدلا من قلبه الطبيعى ، وهى تعمل بالهواء . القلوب الصناعية قد تستعمل فى الادميين فى ظرف سنوات قليلة .

● تسجيل الاصوات للتعرف بها ـ عن طريق عقول الكترونية ـ على الاشخاص مثل بصمات الاصابع .

● اكتشاف حزامين من البروتونات حول الارض بواسطة السفن السوفيتية الفضائية خارج الحزام الذى اكتشفه فان آلن سنة ١٩٥٨ .

● تركيب ذراع لطفل قطع تماما من عند الكتف فى حادث فى الولايات المتحدة

● استعمال التثليج فى عمليات المخ لشل بعض الاعصاب بدلا من المشرط .

● دواء مهدىء يستعمله الحوامل يتسبب فى أكبر فاجعة [دواء ثاليدوميد] ولادة أطفال أحياء مشوهين أو ناقصى الاذرع أو الارجل .

١٩٦٣

يناير :

● تكوين المنظمة الاوروبية للفضاء من ١١ دولة أوروبية .

فبراير :

● ارسال القمر الصناعى سينكوم ليستقر فى نقطة ثابتة ويشكل مع اثنين آخرين فى المستقبل نظاما للاتصالات يغطى الارض كلها .

● تجربة ناجحة للصاروخ ساترن الامريكى .

مايو :

● جوردون كوبر الامريكى فى الفضاء ويدور حول الارض ٢٢ مرة .

يوليو :

● الابحاث على الصواريخ المضادة للصواريخ تبتدىء .

● ابتداء بناء ٤٥ مليون مخبأ ضد الغارات فى الولايات المتحدة تزيد الى ٢٤٠ مليونا حتى سنة ١٩٦٨ .

سبتمبر :

● تفصيل بدلة مناسبة للرائد الذى سيهبط على القمر .

● اكتشاف عنصر جديد فى المادة يسمى ١٠٤ ـ العلماء يتوقعون الوصول الى العنصر رقم ١٠٧ .

● استعمال الاشعة والادوية المضادة للسرطان للتغلب على رفض الجسم للكلى المنقولة من شخص لاخر وذلك تمهيدا لنجاح نقل الكلى .

● اكتشافات جديدة فى المواد

تضمن بهذا المظهر المستحدث « للاغتراب » استمرار هيمنتها وتسلطها والحيلولة دون ان يتخطى الانسان الانفصام في شخصيته ، وأن يكتسب كل ابعاد تكامله الانساني ٠

ان العلوم الاجتماعية اليوم في حاجة الى « ثوره ايديولوجية » مماثلة لتلك التي طرحها لينين في بداية هذا القرن فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية ٠ وكما أدرك لينين أن **النظرة المادية** لا تختفي مع اختفاء صورة المادة « **كمادة** » وبروزها في صورة « **طاقة** » ، كذلك فان « **الطبقة العاملة** » لا تختفي مع اختفاء صورتها « كطبقة عاملة » تقتصر أعمالها على الاعمال المادية ، **العضلية واليدوية** وحدها ، وبروز صورتها «كطبقة عاملة» تتسم أعمالها أساسا بصفة **الاعمال الفكرية والذهنية ٠**

لا جدال في ان الجيل الراهن يعتريه الشك حول رسوخ ابنية ايديولوجية عديدة كانت تبدو مستقرة تماما منذربع قرن فقط . (تقسيم العالم الى معسكرين : الرأسمالي والاشتراكي ، أحدهما يزداد قوة و تدعيما ، والآخر تتعمق تناقضاته) ٠ ولكن السؤال الذي يستحق الطرح هو : هل هذا الشك يختص « بابنية » ايديولوجية بذاتها أم يتسع الى قضية « الايديولوجية » أصلا ٠

فمن المؤكد ان عالمنا الراهن يشهد ظواهر **في التطبيق** تتنافى مع المسلمات والمعطيات **النظرية** التي تمليها الافتراضات الايديولوجية (بلوغ الصراع بين دول اشتراكية حد الصدام العدائي ـ تقارب السياسة العملية بين دول تنتمي الى منطلقات ايديولوجية متعارضة ـ بروز التعارض بين الدول المتطورة والمتخلفة بغض النظر عن انتماءاتها الايديولوجية) ٠ وهذه الظواهر لم يعد من المقنع الاكتفاء بتفسيرات لها تبريرية او تلفيقية او ترقيعية ٠

وهذه الظواهر لا يمكن ارجاعها كذلك الى مجرد اعتبارات **عارضة أو جزئية ٠**

صحيح ان المؤتمر العشرين للحزب السوفيتي قد كشف حقائق كانت مجهولة عما كان يبدو متماسكا ، وخاليا من التناقضات المكبوتة ، في الفترة السابقة للتطبيق الاشتراكي ٠ ولكن يحق السؤال . هل كان طرح ما أصبح من المتعارف على تسميته « بجرائم الماضي » وانتهاكات تكررت للشرعية والاخلاقية الاشتراكية ، هو «**حكم مطلق**» كان يصح لكل مكان وزمان ، أم **كان مجرد تقييم لاحق لظروف سابقة** بعد ان انزوت الى الخلف « أولويات » فرضت في ظرف تم تجاوزه انتهاج مسار بعينه ؟ ولا يجوز أن نغفل في هذا الصدد ما أفضى اليه « **التعايش السلمي** » في ظل **انتعاش الرأسمالية تكنولوجيا** ، وتجديد ترسانتها الاستعمارية باللجوء الى الاساليب الاكثر خبثا والتواء وتكيفا لظروف العصر التي أصبح يبتكرها **الاستعمار الجديد ٠** في محاولات لم يكف عنها لتسريب ايديولوجية الى صفوف القوى الاشتراكية والتقدمية ، مستعينا بتفوقه في استخدام « **تكنولوجيا المواصلات** » وتسخيرها لاغراض الاعلام والدعاية ٠ وليس اغفال الحقائق ، أو التوقف عند صياغات عقائدية جامدة في تفسيرها ، مما يسهم في دعم **مناعة** قوى الاشتراكية أمام هذه المؤثرات ٠

للشك الذي يعتري مسار المنطلق الايديولوجي في وقتنا الراهن اسبابه الاصيلة ٠ وهو شك يحمل خصوبة بالغة ، برفضه لمنتصف الحلول ، وبما يحتمه من نظرة نقدية شاملة وبالعودة الى الاصول ٠

لقد كان **لينين** على صواب عندما قرر أن الثورة الاشتراكية لابد من الانطلاق فيها دون تردد متى توافرت ظروف تفجيرها ٠٠ ولكن كان **ماركس** أيضا على صواب بتقريره أن الثورة الاشتراكية يرتهن انتصارها ، وقدرتها على الازدهار الكامل فقط باستثمارها أكثر ما أنتجته البشرية من تقدم ، وبالذات في أكثر مواقع الرأسمالية تطويرا ٠ فان الاشتراكية ليست رهنا بتعبير في علاقات الانتاج الاجتماعية فحسب ، بل بتوافر قوى الانتاج المتقدمة الكفيلة بتحقيق **عصر الوفرة** ، والازدهار الشامل للانسان ٠ **ان أوجه القصور التي عانتها تجارب الاشتراكية ، رهن بلا شك بحقيقة انه قد اتيحت لها فرصة النجاح « قبل الاوان » ، وفي اقل مواقع الارض تهيؤا لانتصارها على أفضل وجه ٠** وبقدر قصور الواقع عن تحقيق ما كان منتظرا له نظريا وأيديولوجيا تحقيقه ، تحجر التصوير عند صياغات حاولت بالكلمة تعويض التصور ، واستمر التطبيق الاشتراكي يحمل اشكالا مستجدة « للاغتراب » ٠

ان بداية السبعينات تنبيء برؤية اوضح لما ينطوي عليه عصرنا من امكانيات لتخطي الانسان الانفصام الازلي لشخصيته ، ولبلوغ ابعاد تكامله وازدهاره الحق ٠ وهذا التكامل يستحيل في مجتمع يحكمه السباق وراء الربح ، والحكم على الانسان بالتجرد من كل تفكير ، وعبوديته لما يفرضه عليه من هياكل وأنماط ٠

ان الشك الذي يعتري عصرنا لا يحمل معنى ادانة الايديولوجية ، بل هو شرط تجاوز النظرات الايديولوجية التي تجمدت عند انماط يجري تجاوزها ٠ وفي عصر ازدهار التفكير المبدع والخلاق ، ٠ هو حافز على تحديد ملامح لايديولوجية تلفظ التبسيطات المخلة ، فان « السيبرناطيقا » ليست علما للتكنولوجيا العصرية فحسب ، بل هي منهج للتوجه في مجال الايديولوجية كذلك ٠

ثورة التكنولوجيا المعاصرة .. بداياتها التاريخية واتجاهاتها المستقبلة

د. عبد المنعم عبيد

كل انسان كان له حظ الحياة ليشهد هذه الحقبة الحافلة من الزمان القصير المفعم بالتقدم والتغيير ، رأى بعينيه وسمع بأذنيه وأدرك بعقله التشابك المتزايد للمعرفة والعلوم مع التطبيقات الصناعية .

واصبح كل انسان يدرك الان كيف ان تقدم العلوم يتفتح عن ثمار كثيرة يانعة ، تمتع البشر بانجازات تكنولوجية مذهلة ، وكذلك فان الانجازات والتنظيمات التكنولوجية المعاصرة تؤدى الى تسهيل البحث العلمي وفتح مجالاته ، والى اكتشافات علمية جديدة كيفيا ، سرعان ما تجد تطبيقاتها فى تكنولوجيا جديدة تماما .

اصبح كل انسان — حتى كبار السن — يكاد يجزم بأنه سيشهد فى حياته — قصرت ام طالت — تطورات فى اساليب العيش والفكر والمتعة لم تكن تخطر على قلب او يجرؤ حلم بشر على تخيلها . والى جانب انباء السياسة والحرب ، اخذت انباء القفزات والطفرات المفاجئة فى العلوم والصناعة يوميا تخطف الابصار ، وتستحوذ على الاهتمام وتدعو اعدادا اكبر من البشر الى التفكير والتأمل .

فمتى بدأت الثورة التكنولوجية المعاصرة ؟ وما كنهها وطبيعتها وتعريفنا لها ؟

وما هى احتمالات انجازاتها المستقبلة ، وما هى

تطوير العقول الالكترونية ووسائل المستعملة فى الترانزستور تساعد على الاتصال .

● اختراع حجرة يوضع فيها المواليد ناقصو النمو تحت ضغط كبير لغاز الاكسوجين لمساعدتهم على الاستمرار أحياء .

● استعمال الكومبيوتر [الحاسب الالكترونى] على نطاق واسع فى الطب وسيصبح وسيلة المستقبل لتشخيص الامراض بصورة دقيقة .

● أدوية جديدة لمنع الحمل تمنع انطلاق البويضات من مبيض المرأة ، وأدوية أخرى تمنع التصاق البويضات بجدار الرحم ، ومحاولة للوصول الى ادوية تغير الصفات الوراثية للبويضة للحصول على مواليد أقوى وأصح .

● نقل كلى من سيدة متطوعة الى مريض بالكلى لاول مرة .

● اكتشافات هامة فى الوراثة فى موضوع حمض د.ن.أ. داخل الخلية وكيف تورث الصفات المختلفة من جيل لاخر . هل يتحكم البشر فى قوانين الوراثة فى المستقبل ؟

● نجاح أول عملية لنقل الكلية الى الانسان .

١٩٦٤

أكتوبر :

● فجرت الصين الشعبية قنبلتها الذرية الاولى فى ١٦ اكتوبر .

● صنعت مادة جديدة تتحمل الحرارة حتى درجة ١٤٠٠ مئوية مما يساعد صناعة كبسولات الفضاء .

١٩٦٥

مارس :

أولا — فى الفضاء

● ليونوف وبيلاييف فى السفينة فوسخود ٢ يتمان ١٧ دورة حول الارض [٢٦ ساعة] ليونوف يخرج من السفينة ويسبح فى الفضاء بسرعة ٨ كيلو فى الثانية لمدة عشر دقائق .

● اعداد الاجهزة الامريكية التى ستمسح سطح القمر وتقيس الظروف الجوية والتضاريس عند الهبوط عليه .

مايو :

● فجرت الصين قنبلتها الذرية الثانية فى ١٤ مايو .

● التوصل الى طريقة جديدة بمعهد كورشاتوف بالاتحاد السوفيتى للسيطرة على عملية الانشطار النووى ، وبذلك تفتح امام الانسان مصدرا لا حد له من الطاقة يمكن استخدامه فى مجالات علمية

الاثار التى تخلفها فى التطور الاجتماعى لعالمنا المعاصر ؟ والى اى حد تتأثر التحولات التكنولوجية الثورية بالظروف والعلاقات الاجتماعية والانسانية ؟

تاريخ التكنولوجيا

يمكن تقسيم التاريخ المتعلق بعلوم وتطبيقات وأساليب العمل الالى (تاريخ التكنولوجيا) الى عدة فترات :

● **الفترة الاولى** : من وقت ظهور اول ادوات العمل اليدوى حتى تحولت الى آلات ميكانيكية او ماكينات ، وتبدأ هذه الفترة منذ عرف الانسان الادوات البسيطة التى شكلت امتدادا لاعضائه المتحركة المنتجة . بل ان بعض علماء الاجتماع يرون ان الادوات الاولى كانت مشكلة على غرار الايدى والقبضات (مثل المطارق) او على شكل الاصابع والاظافر (المخاريز والادوات الحادة) أو فى صورة الاسنان البشرية (المبراة او المنشار) . ونمتد هذه الفترة فتشمل المجتمع المشاعى البدائى ثم مجتمع ملكية العبيد فالمجتمع الاقطاعى ، وتتميز هذه الفترة باسلوب شخصى فردى فى الانتاج التكنولوجى ، وتكون المعادلة فيها على هيئه العلاقه بين « الانسان ــ والعامل اللاحيوى » فى عملية الانتاج . اى أن الانسان هو الذى يتحكم فى الادوات التى يخلقها هو لتساعده على تذليل الطبيعه لمصلحته . وتجرى سلسلة من التحولات على وسائل الانتاج عبر هذه المرحلة الطويلة ، حين تفسح الادوات الحجرية طريقها للادوات البرونزية ، التى تركت مكانها بدورها للادوات الحديدية ، ثم تتعدد الانواع وتصبح اكثر تعقيدا وتخصصا . ويحدث التطور فى الالات على عدة مراحل حسب ادخال هذه الوظيفة او تلك من وظائف العمل فى استعمال الالة (فى تكنولوجيا الالة) وحسب المادة التى تصنع منها وحسب مستوى تعقيدها وتخصصاتها ، وحسب تنظيم العوامل الانسانية فى عملية الشغل نفسها .

ولكن كل هذه التطورات **تحدث فى مرحلة واحدة** مادام لم يحدث تغير جذرى فى الطريقة التى يندمج فيها طرفا المعادلة السابقة . ويتميز العمل فى هذه المرحلة بأنه يدوى ، وبأن الانسان يتحكم فى الادوات .

● ويمهد تخصص الادوات وتنوعها وتعقيدها **للتحول الى المرحلة التكنولوجية الثانيه فى التطور** ، الا وهى تحول العمل اليدوى الى العمل الميكانيكى . وتنتقل الوظيفة الرئيسية لعمل الانسان الا وهى التحكم فى الادوات الى الالة .

وتنتقل المعادلة الخاصة بعملية الشغل لتصبح الان بالترتيب الاتى :

« العوامل اللاحيوية اى الالية ــ الانسان » ويصبح اسلوب التكنولوجيا موضوعيا ، ويصبح العمل للمرة الاولى ممكنا .

● **واخيرا سيبزغ فجر مرحلة ثورية ثالثة جديدة فى تطور التكنولوجيا** ، حين يظهر الاوتوميشن (تلقائية تشغيل الآلات) وحينئذ يسير العمل تلقائيا وذاتيا وآليا ، مما سيسمح لا بترجمة وتحويل العمل العقلى (الوظائف العقلية) الى تكنولوجيا آلية فقط ، بل باكمال الميكنة الى أكمل حد كذلك ، وذلك بميكنة كثير من الاعمال الاضافية النهائية كذلك (مثل عمليات التفريغ والشحن والنقل) .

ولا يقصد بكلمة الاوتوميشن ما يبهرنا اليوم من الناحية العملية فى المصانع الشبه ــ اوتوماتيكية التشغيل ، التى نسمع بها فى الدول المتقدمة صناعيا . فهذه لا تمثل الا صورة انتقالية من مرحلة الماكينات العادية الخاصة بالمرحلة الثانية الى الالات الاوتوماتيكية التى نعنيها فى هذه المرحلة الثالثة التى نشرحها . ان الالات الشبه اوتوماتيكية الموجودة فى الوقت الحاضر فى التكنولوجيا المعاصرة يتم العمل فيها بوسائل ميكانيكية فقط بدون الاعتماد على وسائل سيبرناتيكية (للتحكم والاتصال والبرمجة عن بعد) ، ولا يزال الانسان مندمجا فى العمل ويساعده بفكره وقوته العضلية ، هذا نوع من التكنولوجيا لا يمثل الاوتوماتيكيه الكاملة فى العمل بسماتها المميزة ولا يزال يجمع الجوانب المعارضة للعمل ويحرم العمل من المساهمات الخلاقة للبشر ويساعد على مزيد من تفتت العمل .

التحولات الرئيسية المنتظرة

فى الاوتوميشن

اما الاوتوميشن المقصود والمنشود والمأمول والمرتجى فسيمر عبر ثلاث قفزات يمكن تصورها كما يلى :

١ ــ **الاوتوميشن الاولى او الجزئى** : ماكينات منفصلة ، مزودة ببرامج للتحكم السيبرناتيكى . اما الانسان فيتمتع بحرية نسبية فى العمل نظرا لاندماجه فى العمل فى حدود واجباته فى الاشراف العام وضبط ومراقبة استمرار عمل الآلات ، وقد يكون دور العامل فى هذه المرحلة بسيطا ورتيبا ومملا .

٢ — **الاوتوميشن المتطور** : وفيه توجد مصانع اوتوماتيكية مجهزة بوسائل الكترونية لكل عمليات الانتاج وتنظيم المعدات والشحن والتفريغ ونقل المواد ثم المنتجات النصف مصنعة فالمصنعة · ولا يلعب العامل هنا دورا مباشرا فى العملية الانتاجية ·

٣ — **الاوتوميشن الكامل** : وهو الذى يوفر العمل الاوتوماتيكى لكل اقسام الانتاج من اول التخطيط حتى تسليم المنتجات المصنعة، بل يتضمن اختيار الظروف الملائمة للانتاج ، بل والتحول الى نوع آخر من الانتاج ، وكذلك التخطيط التلقائى حسب برنامج موضوع، اى أن تخطيط الانتاج والتحكم فى عملياته ينتقل الى منشآت أوتوماتيكية ويصبح الانتاج على مستوى المجتمع كله · فى هذه الحالة لا يستبعد من العملية التكنولوجية — لا عمل العمال فقط ولكن عمل المساعدين الفنيين ايضا ، والى حد لا بأس به عمل المهندسين كذلك ، الذى ينتقلون الى أعمال اكثر ابداعا واكثر اتصالا بالعلم ·

ومن هنا فان تفهم الدرجة التى وصل اليها الاوتوميشن يعتمد على تحديد الأطار السليم للعلاقات الاجتماعية فى كل مرحلة ، وتوضح أن الرأسمالية قد تستطيع التأقلم مع الاوتوميشن الاولى ، الا أن الذى يفتح الطريق امام الاوتوميشن الكامل — وهو فى طى المستقبل — ويستطيع جنى ثماره ، ليس الا التنظيم الاجتماعى الدقيق للعمل فى ظروف اقتصاد اشتراكى مركزى كامل التخطيط ·

من هذا التسلسل التاريخى نصل الى انه كلما تطورت الالات من ادوات بسيطة الى ماكينات ، ثم من ماكينات الى منشآت اوتوماتيكية ضخمة كلما ازدادت اهمية الدور « اللاحيوى » فى هذا العمل المعقد كلما قلت مشاركة البشر ، حتى اذا ما تحققت الاوتوماتيكية الكاملة فى الانتاج — فى فجر المستقبل — فسيخرج العامل البشرى تماما من العملية الانتاجية المعقدة التى ستصبح تكنيكيه تماما · ولا يعنى هذا ان العلاقة الجدلية بين الانسان والتكنولوجيا ستنفصم عراها ، ولكن بغض النظر عن درجة التلقائية (الاوتوميشن) التى ستصل اليها التكنولوجيا فى تطورها — فان الوظيفة الاجتماعية للتكنولوجيا لن تتغير وستبقى اداة من أدوات النشاط الانسانى الذى يخلقه البشر ·

التعريف بالتكنولوجيا

ليس كافيا اذن ان نعرف التكنولوجيا بأنها مجرد « مجموع ادوات العمل » كما يرى علماء

وعملية مختلفة ، تم بذلك الحصول على بلازمات اليكترونات تبلغ درجة حرارتها ١٥ مليون درجة مئوية .

ثانيا — فى العلوم والطب

● تغيير مفصل ركبة مريض بمفصل ركبة سليم فى الاتحاد السوفيتى .

١٩٦٦

ينـــاير :

● اكتشاف أربع قواعد كيميائية تعتبر الحجر الاساسى فى تكوين حامض د.ن.أ المسئول عن الوراثة فى نواة الخلية .

● اختراع أصغر جهاز تسجيل يابانى فى العالم [٢٠ × ١٠ سم] .

فبرايـــر :

● محطة الفضاء السوفيتية « لونا ٩» تحقق أول هبوط هادىء على سطح القمر وتقوم بدراسات لمنطقة الهبوط .

● سفينة الفضاء الامريكية « جيمينى ٨ » تحقق أول عملية رسو فى الفضاء .

مـــارس :

● سفينة الفضاء السوفيتية الزهرة نزلت فوق كوكب الزهرة لاول مرة فى التاريخ ووضعت عليه العلم السوفيتى بعد رحلة استغرقت ١٠٥ أيام .

● توصل العلماء الالمان الى رفع درجة حرارة الهيدروجين المشحون بشحنات موجبة اى ٦٠ مليون درجة مئوية ، والالكترونات التى تدور حولها اى ٢٠ مليون درجة مئوية . ولم تتوصل امريكا أو الاتحاد السوفيتى الى ذلك .

أبريـــل :

● محطة الفضاء السوفيتية « لونا — ١٠ » تتخذ مدارها حول القمر ، وهى أول تابع صناعى له .

● التحام بين عنقى جيمينى والصاروخ آجينا الامريكى ، وهو أول التحام من نوعه يتم فى الفضاء .

● الصين الشعبية تفجر أول قنبلة هيدروجينية .

● اليابان تطلق صاروخا من ثلاث مراحل الى ارتفاع ١٨٠٠ كم .

مايـــو :

● خيوط صناعية تتحمل درجة حرارة تبلغ ٣ آلاف درجة مئوية وستستعمل فى ملابس الجنود وكبسولات الفضاء وفى الصناعة والاقمشة .

أغسطس :

● العقول الالكترونية تنظم عمليات الشحن الجوى .

● محطة « لونار أوربيتر » الامريكية تهبط بهدوء على سطح القمر وتنجح فى تصويره .

الاجتماع الغربيون ، لاننا بذلك نعزل تحليل تطور التكنولوجيا عن العلاقة الجدلية العضوية بالعوامل البشرية (عضليا وذهنيا) كما أن هذا التعريف لا يمكن أن يتضمن كثيرا من المواد والادوات الاضافية المستعملة فى الصناعة او الوسائل التكنيكية الهامة مثل الانتاج الحربى والتجهيزات المنزلية (ليست من أدوات العمل) وآلات الموسيقى مثلا وبعض الالات المستعملة فى التعليم والتدريب ٠

ويرى بعض علماء الاجتماع الاشتراكيين (١) ان التكنولوجيا « تحتضن كل الادوات المادية التى خلقها المجتمع وكل الاساليب المستعملة فى كل المجالات الاجتماعية » ويرى البعض الاخر أن هذا التعريف فضفاض ولا حدود له ٠

ويقارن ماركس فى رأس المال بين بعض اعضاء جسم الانسان « كأعضاء منتجة للانسان الاجتماعى » وبين « اعضاء التكنولوجيا (ادواتها) ويوضح ان التكنولوجيا « تكشف وتعرى اسلوب البشر فى معالجة الطبيعة ، اى تكشف عملية الانتاج التى يحافظ بها الانسان على حياته ، ومن هنا نعرى أسلوب تكوين علاقاته الاجتماعية ومعتقداته العقلية التى تنبع منها » ٠

وهذا التعريف للتكنولوجيا على أنها الاعضاء المنتجة للانسان الاجتماعى ليست الا تعبيرا وصفيا تصويريا وهو يحدد آلات التكنولوجيا على أنها « مواد فى الطبيعة تتحول الى اعضاء للسيطرة البشرية على الطبيعة وتقوم بتنفيذ ارادة البشر فيها وكأدوات للمخ البشرى خلقها الانسان كقوة مادية للمعرفة » ٠ وبالتالى فالعلاقة الجدلية هنا واضحة بين « مواد الطبيعة التى تتحول الى اعضاء للسيطرة البشرية على الطبيعة » وبين الانسان « وسائل المخ البشرى التى خلقها البشر اى القوة المادية للمعرفة » ٠ ويقدم عودكوف السوفيتى (٢) تعريفه لتكنولوجيا على أنها « نظام للادوات الصناعية للنشاط الاجتماعى للانسان ، اى ادوات لسيطرته على الطبيعة ، تكونت فى خلال العملية التاريخية لاندماج وظائف العمل وعادات العمل والخبرة والمعرفة فى المواد الطبيعية ، ومن خلال التعريف على قوى وقوانين الطبيعة ، واستعمالها فى الانتاج » ، وهو يعتبر ان ادوات الانتاج تلعب الدور الاكبر من بين الوسائل التكنيكية فهى التى ترسى الاساس المادى للمجتمع وتعتبر دليلا للعلاقات الاجتماعية التى يتم من خلالها العمل ٠

وكما يمكن أن نفهم من دراسة تاريخ التكنولوجيا فان عادات العمل ومهاراته حين تصبح تلقائية (اوتوماتيكية) فانها عاجلا او اجلا تتحول الى ميكانيزم (اسلوب منفذ فى صورة تلقائية) خلق اساسا لهذا الغرض ٠ وتتحول المهارة فى داخل هذا الميكانيزم الى مسألة مادية ، او على حد تعبير ماركس « تتحول المهارة الى قوة صماء للطبيعة » ٠

اى ان الاعمال التى تمارس بصورة ميكانيكية تماما من غير تفكير ، وبحركات موحدة ورتيبة ـ وذلك نتيجة تقسيم العمل ـ تتحول تدريجيا الى الاساليب التكنيكية ٠ اى ان **التكنولوجيا يمكن اعتبارها « قوة مادية للمعرفة »** مادام يمكن خلق ابنية تكنيكية جديدة على اساس معرفة قوانين وصفات الطبيعة علميا ٠ ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار **المعرفة العلمية** « تكنولوجيا محتملة » اذ أن العلم يحتمل ان يصبح فى أى وقت **قوة منتجة مباشرة حين يلتحم مع التكنولوجيا** ٠

مراحل تاريخية ثورية

فى تطور التكنولوجيا

ان التكنولوجيا كالحياة الاجتماعية ، لم تعرف التطور التدريجى دائما ، وانما خبرت المنعطفات الحادة والثورية فى الوسائل التكنيكية القديمة وخلق وسائل تكنيكية جديدة بصورة جذرية ٠

فالثورات فى ميدان التكنولوجيا عديدة الحدوث حين يصبح لكل اكتشاف علمى جديد تطبيق تكنيكى ، مثلما حدث بعد اختراع الالات البخارية ومعرفة الطاقة الكهربائية ثم تطبيق الاكتشافات الكيميائية ٠

وبعض هذه **الثورات التكنيكية** لا تمثل مجرد تغير فى هذا الفرع او ذلك من فروع التكنيك ، ولكنها تؤدى الى « ثورة » فى كل النظام التكنولوجى ، وتفضى الى عصر جديد تماما ٠ والى مرحلة جديدة فى تطور التكنولوجيا ٠ فان « هبة » او « ثورة » من هذا القبيل ادت الى تحويل وسائل العمل من الالات الحرفية الى الماكينات ٠ واليوم

[١] كيرت تسمان [المانيا الديموقراطية]
[٢] عصر الانسان أو الروبوط [المشاكل السوسيولوجية للثورة التكنولوجية]

ثورة العلم .. وثورة الإنسان

نشهد ميلاد مرحلة تاريخية جديدة تتميز بتحول الماكينات الى آلات تلقائية العمل (اوتوميشن) ٠

وهكذا مررنا بدءا من آلات العمل اليدوى ، وعبورا بالماكينات ووصولا الى الآلات التلقائية ، تلك هى الخطوات ، او القفزات الرئيسية فى مسيرة التطور التكنولوجى ٠ ومن الصعب وضع الحدود بين مراحل هذه الثورات المختلفة ، الا ان الفرق هوانهبينما كانت القوة المحركة فىالادوات هى الانسان (عمل يدوى) ، وكانت القوة المحركة فى الماكينات هى المياه او الرياح او الحيوانات او غيرها من قوى الطبيعة (بعدان تتحول الوظائف الجسمية للبشر الى التكنولوجيا) اما الاوتوميشن فتتحول فيه الوظائف العقلية الرئيسية فى العملية التكنولوجية الى الماكينات ، وذلك حين تساهم فى الانتاج آلات سيبرناتيكية تقوم بالاشراف والتحكم وبرمجة الانتاج ٠

وكذلك فان تحول وظيفة (الحركة) او (القوة المحركة) من الانسان الى الالة البخارية هو الذى أدى الى مزيد من التطورالتكنولوجى وتحسين الماكينات التى حلت محل العامل اليدوى ٠ وحين ننتقل الى الاوتوميشن تصبح المسائل اكثر تعقيدا وذلك حين تتحول مجموعة كاملة جديدة من وظائف العمل تحولا ماديا تكنولوجيا ، مثل الاشراف والمتابعة والتحكم فى سير الانتاج والتوقيت والايقاف للماكينات والضبط والاصلاح والبرمجة وغير ذلك ٠

العلاقة الجدلية بين العوامل الانسانية وبقية عناصر العمل فى البناء التكنولوجى

ان التحول الثورى فى مسار التكنولوجيا هو الذى يؤدى الى تغير جذرى فى طبيعة الارتباط بين العوامل الانسانية وبقية العوامل اللاحيوية فى عملية الانتاج ، ويأخذ ذلك شكل التطور التاريخى الذى تحل فيه التناقضات الموجودة فى عملية الانتاج ٠

● **وتبدأ هذه التحولات منذ اللحظة التى ينتج فيها الانسان بمعونة اصغر الآلات** ، وذلك نتيجة للتناقض فى عملية الشغل ، الناتج عن قصور اعضاء الانسان وعدم كمالها فى تعامله مع الطبيعة (لا يستطيع اسقاط شجرة بيديه واسنانه مثلا) ٠

● **وتأخذ اعمال الانسان ازاء الطبيعة فى التعقيد ويضطر الى خلق معدات اكثر تعقيدا والى**

سبتمبر :

● بناء أكبر حوض يابانى لبناء السفن فى العالم .

● الكهرباء تستعمل لتسيير السيارات بدلا من البنزين فى المستقبل .

● أطلقت الولايات المتحدة السفينة « جيمينى ١١ » .

أكتوبر :

● الصين الشعبية تطلق صاروخا يحمل سلاحا نوويا لاول مرة .

● الاتحاد السوفيتى يطلق ثلاثة اقمار صناعية فائقة الثقل من طراز بروتون [١٢ طنا] لدراسة الاشعة الكونية .

● بلغ عدد الادوية الحديثة التى أنتجتها المعامل من [١٩٦٠ — ١٩٦٥] ٣٣٠ عقارا بالترتيب فى كل من أمريكا والمانيا الغربية وفرنسا وسويسرا وانجلترا واليابان ، وهى اساسا لعلاج الميكروبات والفيروسات لامراض الجهاز العصبى والامراض النفسية والهرمونات وأمراض القلب والدورة الدموية .

● أقوى جهاز أشعة فى أوربا لعلاج مرضى السرطان يزيد نسبة الشفاء أى ٢٠ — ٢٥ ٪ .

● مجهر جديد يكشف الذرات داخل جزئيات المادة وثمنه نصف مليون مارك

● انشاء مولدات ذرية اقتصادية ذات حجم صغير لتوليد الطاقة الكهربائية تحل محل اساليب توليد الكهرباء القديمة وتعطى طاقة رخيصة جدا .

١٩٦٧

يناير :

● كارثة فضائية ، انفجار سفينة الفضاء الامريكية وهى على الارض واحتراق ثلاثة رواد بداخلها . الاتجاه الىعدم استعمال الاكسوجينالنقى داخل السفينة فى تجارب الاطلاق فى تدريبات الاطلاق واعداد كوة سهلة الفتح فى المركبة قد تؤدى التعديلات الى تاخير البرنامج عامين .

أبريل :

● الاتحاد السوفيتى يطلق سفينة من طراز سويوز « أسرع وأكبر سفينة فى العالم بواسطة صاروخ قوى جدا » وهى أول سفينة تطلق أثناء الليل .

● اصطدام السفينة بالارض اثناء رجوعها واحتراق الرائد بداخلها .

أكتوبر :

● رصد ٢٠٠٠ مليون دولار لمشروع وكالة الفضاء الامريكية بالاشتراك مع لجنة الطاقة الذرية لتطوير الصاروخ النووى الذى سيضاف كمرحلة علوية لاكبر صاروخ كيميائى اذا أراد الانسان

تنظيم نفسه فى صور جديدة من العمل التعاونى (فى الورش مثلا) وذلك لرفع انتاجية العمل على حساب العامل البشرى لان من المستحيل عند هذا الحد احداث مزيد من التطور فى الالات الموجودة وتكون الظروف الضرورية اللازمة لظهور آلات جديدة لم تنضج بعد . وفى هذه المرحلة يصبح الانسان (غير حر) فى افعاله حين يسيطر على الة واحدة وحين يصبح ضحية لتقسيم العمل وحين يتفتت شمول الانسان ، وحين يوجد التناقض بين احتياجات نمو شخصية الانسان وبين احتياجات التكنولوجيا فى حالة الانتاج الميكانيكى • ولكن الانسان على أى حال يظل الاساس المادى لميكانيزم العمل فى حين تشد الالة من أزر الانسان وتوسع من قدرات اعضائه ، ولكن فى اطار (الاسلوب الشخصى) للعمل •

● وبظهور الالة يحدث تغير جذرى ، وبدلا من أن يكون الانسان هو الاساس المادى لعملية الانتاج كالسابق ، يصبح هو أداة الالة وعقلها وعضلاتها • ويصبح الانتاج منظما حسب اسس موضوعية (لا اسس شخصية) وهكذا فان الانتاج الميكانيكى (الالى) انما هو اسلوب (موضوعى) لدمج العامل الانسانى فى العوامل اللاحيوية فى العمل •

فى مرحلة الورش كان يطلب من العامل ان يتحلى بخبرات ومعلومات وحيل حرفية • ولكن فى المرحلة الميكانيكية هذه تقوم الالة بتكييف الانسان للقيام بانجاز اعمال آلية رتيبة وتجعل منه عبدا (وكان المفروض هو العكس) من ناحية ثانية يعتبر الانسان « اداة غير كاملة » فى الجسم التكنيكى للالة يمنعها من العمل بالسرعة المطلوبة ويعطل تطورها ، ورغم أن الانسان غنى فى أفعاله الحيوية (وكونى) فهو مع ذلك فقير فى قدرته على التكيف لاداء الاعمال التكنيكية الخالصة • فالتناقض موجود بين الالة وبين الذى يقوم بتشغيلها وهو مربوط بها بلجام واحد يعوق حركتهما كلما مر الوقت أكثر فأكثر ويعطل نموهما المشترك • الانسان يجب أن يكيف نفسه للنظم التى يكون هو معها كلا واحدا ومستعبدا بواسطتها فى نفس الوقت ، والتكنولوجيا ايضا يجب ان تكيف حسب قدرات العامل • وتتضخم هذه التناقضات فى ظروف الانتاج الرأسمالى والبيروقراطى بفضل التعارض بين العامل والذى يقوم باستغلاله او السيطرة عليه •

● ويطرح الاوتوميشن امكانية ازالة التناقضات بين الانسان وبين بقية العوامل اللاحيوية فى عملية الانتاج ، اى بين الانسان والالة ويفك القيد الحديدى ويكسر اللجام بينهما ، وبمقدور الاوتوميشن ان يجعل الانسان حرا ومكرما بملء الفم وبمعنى الكلمة • وهذا التحرير لتطور الانسان هو فى نفس الوقت تحرير لتقدم التكنولوجيا ، حين تتوفر الظروف الضرورية للتطور الحر لملكات البشر ، كما يمكن أن تتطور الالة حسب طبيعتها ومنطقها الخاص •

ويقل دور العامل البشرى فى العمل حين يتم ادماج كل فكرة علمية جديدة كبرى فى التكنولوجيا ، ولكن هذا التقليل لا يؤدى الى انقاص ، بل الى « امتداد للامكانيات الحيوية للذين يمتلكون مفاتيح الاوتوميشن ، وتتفتح مجالات جديدة لتطور كل من الشخصية الانسانية والتكنولوجيا معا ، كما يكسب الانسان الوقت لخدمة تطوره حين يتحرر من العمل الرتيب مما يتفق مع مصالح التطور للشخصية الانسانية المتفتحة الجديدة •

الاوتوميشن ميلاد عصر جديد للتكنولوجيا

لكن الاوتوميشن ليس كما يظن البعض مجرد اتجاه مثله مثل استعمال الطاقة النووية او غزو الفضاء الخارجى او فتح الافاق للكيمياء فى الصناعة • انما الاوتوميشن مرحلة جديدة للتطور الصناعى — وكما أن له سوابقه التكنولوجية تاريخيا فهو يحدث فى عصر تاريخى جديد للتطور التكنولوجى ، **بل ان الاوتوميشن عنصر لكل تقدم علمى وتكنولوجى جديد فى جميع الاتجاهات •**

الاتجاهات الجديدة لنمو الانتاج وعلاقتها بالاوتوميشن

ان نمو الانتاج وتطوره يسير فى اتجاهات التطور فى علوم الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة (البيولوجى) والعلوم الكونية (٣)

---

[٣] المقصود بالاتجاهات الكونية فى التكنولوجيا ، استعمال خواص بعض المواد الموجودة فقط فى الفضاء الخارجى لاغراض انتاجية ، وفى المستقبل ، تنظيم الانتاج فى الفضاء الخارجى •

وهذا النمو للانتاج فى هذه الاتجاهات كلها ، وكذلك فى مجال استعمال مصادر قوية جديدة للطاقة، **مرتبط بالتقدم فى مجال الاوتوميشن، ولا يمكن تحقيقه بدونها** . وسيتضح ذلك فيما يلى حين نستعرض الاتجاهات العلمية الجديدة .

اولا — فى مجال الفيزياء :

اخذ الانسان منذ العقدين الاولين من القرن الحالى يتفحص ببصره فى التركيب الداخلى للمادة وفى عالم الذرة ، واليوم — من خلال معرفتنا بالتركيب الداخلى للمادة — نستطيع ان نغير من صفات المواد حين نريد . وتوالت الاكتشافات فى مجال علوم الفيزياء وخاصه فيما يتعلق بالمواد الصلبة . ونتيجة لدراسة نواة الذرة — وهى العامل السلبى فى معظم الظواهر الفيزيائية والكيميائية — تفتحت عيوننا على كثير من المعجزات الجديدة ونشأت علوم جديدة هامة ، مثل علم الفيزياء النوويه واكتشفنا التحولات الاشعاعية للذرة والتحولات الصناعية للذرة وفلق العناصر الثقيلة وتكوين نظائر للعناصر المعروفة . وقادتنا دراساتنا للتفاعل المتسلسل فى كتلة اليورانيوم الى الوصول الى القنبلة النووية ، ولم يكن هناك اىاشارة سابقة — ولو عابرة ، سواء فى العلوم او فى الطبيعة الى هذا التفاعل المتسلسل كما انه ليس من المحتمل ان يكون هذا التفاعل يجرى فى آى مكان من الكون . لقد وصلنا الى هذا الاكتشاف واتممناه كنتيجة للبحث العلمى البحت فى نواة الذرة .

وكذلك اكتشفنا التفاعلات النووية الحرارية للعناصر الخفيفة التى تشكل مصدر طاقة النجوم والشمس على وجه خاص ، ووجد هذا التفاعل تطبيقه فى تصميم القنبلة الهيدروجينية كما تم اكتشاف كثير من الجزئيات الجديدة وهى على درجة كبيرة من عدم الثبات وتتحلى بصفات مدهشة تدل على وجود بعض القوانين الاساسية الجديدة والعامة للكون .

ان هذهالدراسات المستمرة والعميقةللمادة قد أدت الى الوصول الى مجموعة واسعة من الانواع الجديدة للماكينات والى ظهور فروع جديدة للانتاج ، وممايظهر للوهلة الاولى على أنه ليس ذو اهمية بالمرة ، قد يؤدى بعد ذلك الى التطوير الثورى للصناعة ، ويكون هذا التطوير كاسحا بمقدار ما كانت اغراض البحث العلمى اكثر نقاء من الناحية العلمية . فالعمل العلمى الخاص فى تحطيم تركيب الذرة ادى الى اكتشاف الطاقة الذرية .

ان يخطو بقدميه فوق سطح المريخ والزهرة .

● **تصاعد فى الانفاقات لتطور المواصلات والاتصالات والتنبؤات الجوية والملاحة الفضائية والسيطرة علىالطيران**

● **رحلة أبوللو ٧ يدور فيها ٣ رجال حول الارض لمدة عشرة أيام .**

● **اطلاق « سويوز ٢ » ثم « سويوز ٣ » بعد ١٨ شهرا من مقتل كوماروف فى السفينة سويوز ١ .**

نوفمبر :

● **زوند ٦ حول القمر .**

ديسمبر :

● **أول قمر صناعى أوروبى ومرحلة الصاروخ الاولى فيه انجليزية والثانية فرنسية والثالثة المانية ، أما القمر الصناعى فأغلب أجزائه مصنوعة فى ايطاليا ، وقدمت بلجيكا محطات توجيه القمر ، وقدمت استراليا قاعدة الاطلاق فى « وومبرا » .**

● **أخطرالتجارب الامريكيةوالسوفيتية على السواء فى أبوللو ٨ ، ثم نجاحها فى ٢٥ ديسمبر ودار الرواد بورمان ولوفيل واندرسن فيها حول القمر . الهبوط على القمر أصبح مسألة وقت فقط .**

١٩٦٨

ينـاير :

● **محطة سرفيور ٧ تهبط على القمر وتكاد تتحطم وترسل صورا للارض .**

مـارس :

● **زوند ٤ — السوفيتية ، أولمحطة فضاء تدور حول القمر ثم تعود للارض ويعتقد المراقبون الغربيون أنها تمثل نموذجا لسفينة الفضاء التى ستحمل أول انسان الى القمر فى منتصف هذا العام**

● **موت جاجارين فى ٢٩ مارس فى حادث اثناء تجربة احدى الطائرات الجديدة [أمضى ١٠٨ دقائق فى دورة حول الارض فى ١٢ أبريل سنة ١٩٦١ ، أما جون جلين الامريكى فقد قام بأول ثلاث دورات حول الارض فى ١٩ فبراير سنة ١٩٦٢] .**

أبريـل :

● **العالم السوفيتى جورج بيتروف يقول أن من الممكن ارسال مراكب فضائية الى المريخ والزهرة خلال ١٠ — ١٥ سنة وأن الوسائل الفنية قائمة ولكن الصعوبات تكمن فى تمويلها .**

● **نجاح ثانى عملية التحام بينقمرين صناعيين فى الفضاء [كوزموس ٢١٢ ، ٢١٣ السوفيتى] عن طريق التحكم البعد باشارات توجيه من الارض ، أكد**

ومن المهام العاجلة تطويع التفاعل النووى للحصول على مصدر جديد للطاقة اذ ان مصادر الطاقة الحالية ، وخاصة تلك التى تستعمل لانتاج الكهرباء لن تبقى الى الابد رغم أنها لا تزال كبيرة جدا ، وستذبل بسرعة بمرور الزمن. ان استعمال التفاعل النووى سيتيح للانسان امكانيات خرافية للطاقة ، ولكن ذلك غير ممكن عمليا حتى الان نتيجة للكمية الهائلة من الحرارة التى تنطلق اثناء التفاعل وتصل الى مئات الملايين من الدرجات مما لا يستطيع اى جدران أن تتحمله ، ولكن هذه المسائل سيعثر العلماء لها على حل فى خلال هذا القرن ، اذ تدل خبرتنا التاريخية فى التكنولوجيا، على أن ما هو منطقى فى المبدأ سرعان ما يمكن ادخاله فى مجال التطبيق .

ولكن التقدم فى هذا الشأن يعتمد على التقدم فى مجال الاوتوميشن ايضا الا ان الطاقة التى يمكن ان نحصل عليها من التفاعل النووى اقل بكثير مما يمكن الحصول عليه من الطاقة الشمسية حين نحولها الى كهرباء حتى لو استفدنا من العشر من الطاقة الشمسية الساقطة على الارض . وكذلك نحتاج الى نقل الكميات الهائلة من الطاقة عبر مسافات شاسعة بوسائل جديدة تماما بعد الحصول على موصلات عالية الكفاءة .

وكذلك فان اشعة ليزار المكتشفة حديثا ـ نتيجة لاهتمامنا العلمى بتجميع اشعة الضوء لا بتفريقها ـ ستستعمل بكفاءة فى نقل الطاقة عبر الهواء وفى الفراغ ، وفى مختلف مجالات العلم والمواصلات والهندسة والطب .

ويبدو أن محطات الطاقة الحرارية النووية والشمسية والطاقة المستخرجة من الاعماق الارضية، ستبنى عندما تقترب نهاية هذا القرن وسيتصاعد الانتاج السنوى للطاقة الكهربائية فى العالم فى المائة سنة القادمة الى عشرة آلاف مثل المستوى الحالى ، بحيث نتمكن بفضل هذه الكميات الهائلة من الطاقة من النظر فى التحكم فى طقس الارض وتحويلها الى فردوس مكيف مزدهر ، والنظر فى استعمال الطاقة النووية لجعل كواكب النظام الشمسى صالحة للسكنى وخاصة المريخ .

ثانيا : العلاقة بين الاوتوميشن وتطور الصناعة مع تقدم الكيمياء :

ان الكيمياء هى اساسا وسيلة خاصة للتأثير على الطبيعة ، وقبل استعمال الوسائل الكيميائية فى الصناعة يجب أن توضع فى صورة تكنولوجية، بل فى صورة ميكنة او أوتوميشن، وقد تمكن ماركس بعبقريته من أن يتنبأ بأنه « باتقان الوسائل والتفاعلات الكيميائية ، فان المعالجة الميكانيكية ستفسح الطريق تدريجيا للمعالجة الكيميائية » وهذا ما هو فى طريقه للحدوث فعلا ، بل ان كثيرا من الفروع الصناعية المتعلقة بالفيزياء مثل الالكترونيات الاشعاعية والطاقة النووية لا يمكن تحقيقها من غير وسائل المعالجة الكيميائية .

وستتيح لنا الكيمياء التوصل الى مواد مخلقة جديدة ويحل اللف واللصق محل الغزل والنسج بل يمكن عمل الملابس بطرق العجائن المختلفة ، كما ستتيح الكيمياء تحويل الفلاحة الى طريقة علمية للتحكم فى الدورات البيولوجية للنبات .

وفى الماضى لم يكن البشر يملكون الا تطويع المواد الموجودة فعلا فى الطبيعة لاحتياجاتهم عبر القرون العديدة . ومع تغير النظم الاجتماعية والاقتصادية وتقدم الالات واضمحلال الحرف اليدوية ، ظلت المواد المستعملة كما هى مصدرها الطبيعة التى منحتها . ولكن هل تكفى مصادر الطبيعة لاحتياجات البشر ؟ .

ان المواد الخام فى الطبيعة كانت منحة اولية (كمبلغ من المال يعطى لشاب فى مقتبل العمر حتى يقف على رجليه ويكسب استقلاله) واليوم اصبحت الكيمياء فى المستوى الذى يمكنها من تخليق وتركيب المواد بالمواصفات المطلوبة ، بل ويمكنها ان تشبع كل الاحتياجات التكنولوجية واصبح تحت تصرف المصممين مدى لا حدود له من المواد .

وتتفوق وسائل المعالجة الكيميائية بعدة مزايا على وسائل المعالجة الميكانيكية ، فهى ارخص بصورة واضحة ، كما أن المعالجة الكيميائية تحدث تغييرا جذريا فى المواد وتحولها الى حالة كيفية جديدة ، الى مواد جديدة . ولا تحتاج المعالجة الكيميائية الى التأثير المباشر بواسطة الآلات على المادة ، لان الخواص الكيميائية هى التى تلعب دور هذه الالات ، وليس هناك احتياج لاستعمال القوة المطلوبة فى الوسائل الميكانيكية لادارة الالات ، اذ بمجرد ان تتلامس المواد يحدث التفاعل الكيميائى ويستمر بصورة اوتوماتيكية، وكذلك فان المعالجة الكيميائية عملية مستمرة فى حين ان المعالجة الميكانيكية نتيجة لسلسلة من الحركات المتناثرة المفردة .

ان هذه العمليات الاوتوماتيكية التى هى لب التفاعلات الكيميائية هى التى لا غنى عنها فى عملية الاوتوميشن ، ومن هنا تستجيب الكيمياء لروح الاوتوميشن . كذلك لا تستغنى التفاعلات الكيميائية عن الاوتوميشن لان الأولى كثيرا ماتكون

ضارة بالصحة ، وتتطلب دقة مطلقة لاتتوافر الا بالوسائل السيبرناتيكية .

وسيؤدى التحالف الجديد بين الكيمياء والاتوميشن الى خلق مواد مركبةجديدةلهاخواص معجزة ، مما سيطور الاوتوميشن نفسه ، وكذلك فان الاوتوميشن يتجهنحو تطوير عملياتتكنولوجية متقدمة جديدة باقل اعتماد على الوسائل الميكانيكية مع خلق وسائل بالغة الفعالية فى الانتاج ، وهو ما لايحدث طالما ظللنا فى حاجة الى المساهمة المباشرة للبشر .

وستفسح مصانع الماكينات الضخمة المزعجة ، طريقها الى آلات عديمة الصوت انيقة من البلاستيك !! .

وتسمح التفاعلات الكيميائية باستغلال المادة كلها لا جزء منها فقط .

وهكذا حين نستعمل الكيمياء سنبسط من العمليات التكنولوجية ونرخص من سعرها ونستعمل العادم ونشبع احتياجات المجتمع والصناعة .

ثالثا : التطور فى مجال البيولوجيا النووية :

ان الصورة البيولوجية للمادة ارقى من الكيميائية والفيزيائية والميكانيكية ، وبذلك تقرر القوانين العامة للطبيعة بعض القوانين الخاصة بالتطور التكنولوجى ، وستكون القفزة المنتظرة فى التكنولوجيا هى بالاعتماد على استعمال الخواص البيولوجية للمواد الحية فى الانتاج . وتطوير الكيمياء بجعلها على مثال العملياتالتى تحدثفى الكائنات الحية سيمكننا من تصميم «نوع جديد من الالات يعمل على أساس الانقباضات العضلية ويحول الطاقة الكيميائية مباشرة الى عمل ميكانيكى ذو كفاءة عالية » .

كما أنبناء آلاتتعمل على غرار بعض الوظائف المنطقية للمخ البشرى سيجعلها قادرة على فعل اشياء لا يمكن فهمها على الاطلاق بلغة التكنولوجيا السائدة اليوم .

بل ستمكننا التكنولوجيا الكيميائية الحيوية والايونية الحيوية من تحويل الطبيعة الحية (الانسان والحيوان) ومن توجيه نشاط المادة الحية ، والاستفادة الكاملة من خواصها الرائعة من اجل خير البشرية .

وستغزو تكنولوجيا المستقبل كل مجالات حياة البشر (لا مجالات الانتاج فقط) ، بما فى ذلك مجالات الذكاء والفسيولوجيا وعلم النفس .

الاستاذ كيلويش رئيس اكاديمية العلوم السوفيتية ان حل مشكلة الالتحام الآلى يفتح أبواب مستقبل عريض لارسال محطات علمية تدور حول الارض ، وهى خطوة ضرورية فى انشاء منصة فضائية تدور حول الارض يمكن استخدامهاكقاعدة لاطلاق الصواريخ الى القمر والكواكب

● القمر الصناعى الروسى « مولنيا انه بنقل برامج تليفزيون موسكو الى سيبيريا وشرق ووسط آسيا والىفرنسا .

أكتوبر :

● الاتحاد السوفيتى يطلق سفينة فضاء [كوزموس ١٨٦] تلتحم بسفينة أخرى [كوزموس ١٨٨] ويتم الالتحام لاول مرة أوتوماتيكيا والكترونيا بدون رواد فضاء وبدون الاستعانة بالرؤية البصرية ، وتنفصل المركبتان أوتوماتيكيا بعد ثلاث ساعات ونصف .

● هبوط السفينة الزهرة ٤ — وهى معمل علمى على سطح كوكب الزهرة على بعد ٥٠ مليون ميل من الارض ، وفى اليوم التالى دارت السفينة الامريكية مارنير ٥ على بعد ٢٤٨٠ ميلا من الكوكب

● اطلاق أول قمر صناعى لفرنسا .

وكان أهم انجاز فى ميدان العلوم فى ٢ — ٣ سبتمبر وهو اتمام نقل قلب فتاة الى مريض بالقلب « واشكافسكى » فى مدينة كيب تاون بجنوب افريقيا بواسطة الاستاذ الدكتور « بارنارد » .

يوليو :

● أبوللو ٧ تدور حول القمر .

● أشادت وكالة تاس بشجاعة وتفوق رواد الفضاء الامريكيين وقالت أن دورانهم حول القمر يعتبر مرحلة جديدة فى تاريخ استكشاف الفضاء وقفزة جديدة فى ميدان التقدم العلمى والفنى .

١٩٦٩

يناير :

● أطلق الاتحاد السوفيتى فينوس ٥ [١١٣٠ كجم] الى كوكب الزهرة لتهبط عليه فى منتصف شهر مايو سنة ١٩٦٩ لاستكمال مهام فينوس ٤ [١٩٦٧] والتى أكدت انه لا حياة على كوكبالزهرة

● أطلق الاتحاد السوفيتى فينوس ٦ لتصل مع فينوس ٥ فى وقت واحد تقريبا الى كوكب الزهرة وتهبط على الجانب المظلم ، ولكى تدرس السفينتان الاجواء بمناطق الزهرة المختلفة .

● أطلق الاتحاد السوفيتى « سويوز — ٤ » تحمل شاتالوف وأذيع اطلاقها من التليفزيون لاول مرة وتوقع الخبراء اطلاق سفينة أخرى وتبادل رجلى الفضاء لاماكنهم .

● أطلق الاتحاد السوفيتى سويوز ٥

وستأخذ التكنولوجيا الايونية شكل الحواس الصناعية واعضاء التفكير وعلم النفس مما سيدعم الاعمال التى تقوم بها الحواس الطبيعية . ويعكف العلماء على خلق قلوب ورئات صناعيةتعمللفتره طويلة . وهكذا فان تكنولوجيا المستقبل ليست قوة منعزلة عن الانسان فيظروف المجتمع الاشتراكى ، ولكنها قوة انسانية تستجيب لاحتياجات البشر ومساعداتهم فى مختلف اوجه نشاطهم .

وحين يتم استبدال الوسائل الميكانيكية فى التكنولوجيا بوسائل اكثر فعالية (فيزيائية وكيميائية وبيولوجية وفيزيو كيميائية ، وكيميوبيولوجية .. الخ) فستحدثتحولاتعميقة فى النظم التكنولوجية من ناحية المواد والتكنولوجيا والشكل . وستأخذ الالات اشكالا غير متوقعة ، بل ستخترع وسائل يتمفيها تركيب الجسم الحى على وسائل تكنيكية (مثلاستغلال حاسة الشم عند بعض الحشرات فى اكتشاف الغازات السامة واستغلال دقة بعض الافعال المنعكسة العصبية فى نوع من انواع الحمام لاكتشاف الاخطاء فى بعض منتجات الصناعة واستبعادها بل واشراك الحمام فى الاجهزة التى تتحكم فى اطلاق الصواريخ) .

ولما كانت الافعال المنعكسة العصبية فى الحيوانات اكثر فعالية بمراحل من وسائل التحكم الالكترونية ، ففى الامكان ان يستعمل الجهاز العصبى للحيوانات بطريقة تجعل التيارات البيولوجية المتحكمة فى القلب بامكانها ايضا التحكم فى وحدة تكنيكية . وتتكون اجسام الحيوانات ايضا من اجهزة بالغة الدقة تلقائية التنظيم (سيبرناتيكية) توجه عمل القلب والدورة الدموية والرئتين وحركة المياه والاملاح .. الخ وتكتشف اجهزة المتابعة الجهاز العصبى فى الجسم البشرى كثيرا من الانحرافات وتعيد تنظيمها ، ويستطيع الجهاز العصبى للحيوان ان يعيد النظام اذا اختل فى وحدة تكنولوجية تعتمد على الجهاز العصبى فى عملها .

كما انه يمكن استعمال التيارات البيولوجية فى داخل الالياف العصبية (٥ فولت) بمثابة اشارات تحكمية تساعد على نقل المعلومات وعلى تزويد الالات بالكهرباء .

وفى حين انه تم استعمال الطرق الفيزيائية فى انتاج الطاقة ، لا يزال استعمال الطرق الكيميائية والبيولوجية من انجازات المستقبل . وتتفق الطرق البيولوجية مع قواعد الاوتوميشن اكثر من الطرق الكيميائية لان الجسم الحى والخلية هما اكثر النظم التلقائية والسيبرناتيكية فعالية ، وهذاالاتفاقفى الاسس يمكننا من بناء اشكال تكنولوجية اكثر ما تكون ملاءمة لاحتمالات الجسم البشرى ، كما ستمكننا من مضاعفة نشاط الحواس العصبية فى الانسان عدة مرات ، وبذلك تلعب التكنولوجيا دور مجموعة من الاعضاء الصناعية للانسان الاجتماعى . اين ستوجد مبانى المصانع فى المستقبل ؟ وهلستكون غارقة فى الخضرة والشجر والضوء والهواء ؟ اغلب الظن ان هذهالمنشآت السيبرناطيقية فى المستقبل ستكون تحت سطح الارض لتلافى تلوث الجو وشغل مكانعلىسطح الارض ، اما وجه الارض فسيتيح للناس التمتع بالخضرة والماء والوجه الحسن .

وفى الفترة الاخيرة مكنتنا الاساليب التكنولوجية الحديثة ان نغوص الى اعماق تركيب الخليه الحية والنواة التى تشكل مركز النشاط الحيوى فيها . كما توصلنا الى معرفة تركيب الاحماض الرئيسية داخل النواة وهى التى تشكل اللبنات الاساسية فى بناء النواة ، وينتج عن الترتيب المركب والمتعدد لهذه الاحماض ، تميز الصفات الوراثية .

ان الاهمية الكبيرة لمعرفتنا الحالية والمستقبلة فى موضوع الاسس النووية لكل الاشياء الحية ليست الان فى مجال التطبيق العملى ، ولكنها ستطرح لنا مشكلات بيولوجية وطبيه جديدة وتطرح الحلول لها ، وستساعد الانسان على التحكم فى مواضيع مثل الفيروسات وامراض الحساسية وامراض المفاصل الشبيهة بالروماتزم ، ونرجو ان تمكننا من التحكم فى السرطان وكبر السن .

وتلقى هذه المعلومات عن التركيبات النووية فى الخلية ضوءا على الكون وعلى مكاننا فيه ، اذ أن كل الكائنات الحية لها نفس النهج الخلوى ، وترتبط برباط وثيق ببقية اجزاء الطبيعة .

ونحن نقترب الان بصورة ادق من فهم اصل الحياة ونشاتها التى لابد انها كانت مرتبطة بصورة كبيرة بأصل الترتيب الوراثى ، هذا الترتيب الذى بدأنا ندرك كنهه .

ويمكننا الان توقع صور مختلفة من الحياة فى العوالم الاخرى ،

تغيير الاساس فى عالم الاوتوميشن

ان النظام الذى يميزالميكنة القديمة السائدةهو اندماج الالة مع العامل مما يكون تركيبا غير متجانس وغير متصل ، كما ان الاتصال ما بين مختلف وحدات وخلايا الانتاج غير مباشر اللهم الا فى ان الانتاج النهائى هو نتيجة عمل مختلف وحدات الانتاج .

ويحتاج تقدم العمل والانتاج الى جعل الاتصال

مباشرا بين مختلف الوحدات ويعنى الانتاج الاوتوماتيكى المتطور بناء تكنيكيا مختلفا من الجذور عما هو موجود حاليا من اشكال الانتاج . سيحل فى المستقبل محل الكتلة المكونة من « الحديد واجسام البشر » نظام تكنيكى جديد ترتبط فيه كل أجزاء البناء الانتاجى بغير مشاركة حركة اليد البشرية (٤) .

واستبعاد العامل البشرى من البناء التكنولوجى تماما فى المستقبل سيزودنا بدليل آخر على ان كل هذا البناء ما هو الا عامل ، مجرد اداة للنشاط الانسانى ، وبدلا من أن يكون الانسان مجرد اضافة للبناء التكنيكى ، ستصبح التكنولوجيا اضافة كبيرة للنشاط الانسانى ، وحينئذ ، فى ظل التكنولوجيا الراقية ، وعلى مستوى اكثر سموا مما بلغته الالة القديمة ، ستشد التكنولوجيا من أزر الانسان وتمده باعضاء جدد ، وخاصة فيما يتعلق بنشاطه الذهنى ، وهذه الاعضاء لن تكون نسخة اخرى من اعضاء البشر الطبيعية ، وانما ستضخم من القدرات الانتاجية للانسان وتعوض عن النقص وعدم القدرة وقلة الكفاءة فى الاعضاء البشرية .

مستقبل السيبرناتيكا

كما ان الانتاج بواسطة الاوتوميشن سيؤسس مستقبلا على انجازات الكيمياء والبيولوجيا وعلوم الفيزياء المتقدمة والنووية والالكترونية والاشعاعية ، فان السيبرناتيكا تقوم على مجموعة من العلوم والفنون وتربط بين هذه العلوم والفنون وبين الانتاج الاوتوماتيكى بحيث يتضمن دور القوة الانتاجية وقدراتها ، لا الكيمياء والفيزياء فقط وانما يتضمن علوم الحياة والمنطق الرياضى والفسيولوجيا وخاصة فسيولوجيا الجهاز العصبى المركزى وعلم النفس ، هذا الى جانب الممارسة الاجتماعية للاقتصاد السياسى وعلوم الاجتماع .

ومثلما كانت ترجع كفاءة الماكينات الى قدرتها — اكثر من الانسان — على تأدية الاعمال الميكانيكية ، فكذلك ترجع كفاءة الحاسبات الالكترونية — الى تخصصها . فالعقل البشرى ليس آلة حاسبة فحسب ، اذ انه قادر على انجاز عمليات معقدة اخرى ، وكل واحدة من هذه العمليات التى

[٤] تنبأ بول لافارج فى نهاية القرن التاسع عشر بصورة المجتمع الاوتوماتيكى فقال « ان المستقبل ينتمى الى الالة التى ستحل محل الانسان فى كل مجالات الانتاج حتى مجال بناء الماكينات ، وستكون الماكينات قادرة على الانتشار التلقائى ، تاركة للبشر مهمة الاشراف ، وهو دور محدود جدا لان الكهرباء ستقوم بدور الجهاز العصبى » .

وبها ٣ رواد [فولينوف ، ويليسيف — مهندس وأستاذ تكنولوجيا ، كولونيل خرونوف — مهندس أبحاث] . توقع الخبراء اجراء الالتحام بين السفينتين وتبادل الركاب بينهما وتركيزهم على بناء محطات فضاء ، كما توقعوا اطلاق سفينة ثالثة وأكدوا أن محطات الفضاء المدارية تعتبر مرحلة حيوية لارسال آدميين الى القمر والزهرة والمريخ ، وأن عصر السفر المنظم — وليست السفريات والرحلات الفردية — قد بدأ .

● تم الالتحام بين السفينتين لمدة ٤ ساعات ، ٣٥ دقيقة ، وخرج رائدان من مركبتهما وسبحا لمدة ساعة . تم الالتحام باقتراب السفينتين ذاتيا الى ١٠٠ متر ثم بالتوجيه اليدوى حتى اللقاء ثم بالتمشيق الميكانيكى . ثم تم توصيل الدوائر الكهربائية فى كل منهما معا ، وتم تركيب اتصال تليفونى داخلى بين القمرات الاربع .

مارس :

● أطلقت « أبوللو ٩ » ومركبة الهبوط فوق القمر فى رحلة لمدة عشرة أيام يمشى خلالها أحد الرواد لمدة ساعتين فى الفضاء .

● نشأ وتطور علم جديد هو فسيولوجيا الهندسة الفضائية [١] ، وذلك لدراسة علاقة كل عضو من أعضاء الجسم بالالات والمعدات الموجودة فى سفن الفضاء المختلفة ولمعرفة احسن وسائل اختيار رواد الفضاء الصالحين المناسبين لكل نوع من الرحلات وتدريبهم واعدادهم للعمليات الفضائية المختلفة ودراسة اهمية البصر والسمع [الحاسة الثانية] .

مايو :

● هبطت السفينة « الزهرة — ٥ » فعلا على سطح الزهرة بعد أن أطلقت جهاز الباراشوت الخاص بها ، وقطعت مسافة ٣٥٠ مليون ميل فى الفضاء فى ١٣٠ يوما ووضعت راية تحمل اسم لينين وشعار الاتحاد السوفيتى .

● وصلت « الزهرة — ٦ » فعلا الساعة التاسعة وخمس دقائق بعد ٢٤ ساعة من وصول « الزهرة — ٥ » ، وأجرت دراسة هامة . تمت عملية اتصال مع السفينتين ، وتحقق لاول مرة دراسة جو كوكب الزهرة علميا بواسطة كوكبين صناعيين فى منطقتين مختلفتين من الزهرة فى وقت واحد .

● اطلقت ابوللو ١٠ وعليها ٣ رواد فضاء [يانج — سيرنان — ستافورد] لتصل الى مدار يبعد ١٢٠ كم من سطح القمر ويستقل ٢ من روادها المركبة القمرية الصغيرة الملحقة بالسفينة ثم ينفصلان بها بعيدا تاركين الثالث لتعود

[١] صلاح جلال — الاهرام ١٧ ابريل سنة ١٩٦٩ .

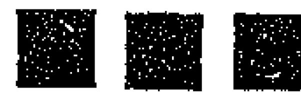
يقوم بها المخ البشرى ، يمكن ان تضخم مرات عديدة مما يضع امامنا احتمالات خرافية حقا ، فستكون هناك آلات (كاملة) فى قدرتها على الحساب ، والتذكر ، وتجميع وتقسيم المعلومات ، والترجمة من لغة الى أخرى ، وبناء التكوينات المنطقية التى لا يجانبها الصواب ٠٠ الخ ٠ وليس من الضرورى ان يقوم بكل هذه الوظائف عقل اجتماعى واحد (ولم يكن ضروريا فى أى وقت ان تقوم آلة واحدة بصب المعادن ونسج المنسوجات وحرث الارض وطبع الصحف) ٠

فالتكوينات السيبرناتيكية ستكون قادرة على القيام بعمليات فردية بصورة احسن وادق واسرع من البشر ، الآلــة دائمـاجهاز متخصص ، اما الانسان فهو (جهاز) جامع شامل يحشد فى العمل كل ملكاته الذهنية والجسـدية والعاطفية ولا يحتاج الانسان الى قـرين ذكى ، ولكن الى أداة (ذهنية) لقدراته العقلية الخـلاقة ٠ ان الانسان لا يحتاج الى زوج اضافى من الارجل ، بل الى عربة او قطار او طائرة او صاروخ ٠

وليس المطلوب ان تضاعف السيبرناتيكا من الذكاء او العبقرية او التخيل ، وكان المفروض ان توفر احسن الشروط الممكنة لتفتح هذه الملكات البشرية ٠ وستعمل السيبرناتيكا فى مجـالات تستهلك الان وتضيع جزءا كبيرا من وقت وطاقة الانسان الكاتب او المؤلف او الشاعر ، هـذه المجالات الميكانيكية المجهدة للعمل الذهنى البشرى التى لا تشكل متعة خالقة ، وعلى حد قـول الاسـتاذ « بارين » السـوفيتى ، « فقد تتمكن التكنولوجيا الالكترونية والسيبرناتيكا ، كنتيجـة لثورة تكنيكية من أن تفرز من ملايين الناس الذين تحرروا من الاعمال الذهنية الميكانيكية ، عدة مئات فقط ، او حتى (دستة) من الشعراء والكتـاب والمثـاليين والفنـانين الجـدد ، وسـتخلقهم وتصنعهم ـ لا من صمامات الكترونية او خلايا ترانزستور ـ وانما من لحم ودم ، اعتقوا من العمل الذى القى على كاهل الالات الجديدة » ٠

ان تحليلنا كبشر لمستقبل السيبرناتيكا يجب الا ينطلق من مجرد الاحتمالات التكنيكية المحدودة من ناحية المبدأ ، ولكن من **احتياجات المجتمع قبل كل شىء** ، **فهى التى تحدد** اتجاه التطور التكنولوجى ، فكلما جدت حاجة اجتماعية الى اختراع معين او تغيير **تكنولوجى ما** ، سرعان ما يحدث ذلـك بالفعل ٠

واذا اردنا استكشاف مستقبل التكنولوجيا ، يجب ان نفهم منطق تطورها التاريخى ، ومنطق الاحتياجات الاجتماعية ٠ ليس هناك حدود للمعرفة البشرية وتطبيقاتها ، ولكن من اعمـاق اكوام الاحتمالات ، يتخير المجتمع البشرى هذه الانواع من المعرفة وتطبيقاتها التى يرى انها لاغنى عنها ، وتتحكم اهداف واحتياجات التطور الاجتماعى فيما هو ممكن ، وما ليس كذلك ٠



فى العالم الرأسمالى شجرة وارفة بلا ثمار حقيقية

وديـــع وهيـــب

عندما حقق رائدا الفضـاء الامريكيان **ارمسترونج والدرن** اول هبوط بشرى فوق سطح القمـر كتبت مجلة **فورين انيرز** الامريكية تقول:

« لقد كان حريا بهذا الانجاز التاريخى أن يطلق عشرات العقـول المفكرة لابتكار نظـريات ISMS جديدة تمجد نظام الاقتصاد الحر وخاصة فى أمريكا ، وكان ممكنا ان نشهد عصرا أمريكيا ، بين جمهور المثقفين فى العالم قاطبة ، لولا ذلك الفلاح العنيد المختبىء فى ادغال الفيتنام والذى يسد الطريق أمام كل سبل الدعاية الامريكية لاستغلال هذا الانجاز الكبير » ٠

والواقع ٠٠ ان اهتمام السـاسة الامريكيين بالجـانب الدعائى فى رحلة ابوللو ، ومحـاولة استغلالها فى مهرجان استعراض القوة الامريكى قد غطى لدرجة سيئة على المغزى الكبير لهـذه الحلقة الهامة من حلقات الثورة المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا والتى يمكن تعريفها اليوم بشىء من الاطمئنان بأنها « الانتقال من عصور ميكنة العمل اليدوى الى عصر ميكنة مساحات واسعة من العمل الذهنى ، بكل ما يتضمنه ذلك ليس فقط من سرعة فى انجاز بعض العمليات الذهنية ، بل وانجاز بعض العمليات لم يـكن للمخ البشرى القـدرة على انجازها أصلا رغم تميزه ـ الذى سيستمر ـ بخاصيتى المرونة والتعويلية KELIABILLEY

اللتين ستمكنانه من التفرد بالخلق والابداع ٠

لقد ساهم عدد كبير من العلماء والباحثين من مختلف البلدان فى التمهيد للثورة المعاصرة للعلم والتكنولوجيا ، وكان للعالم الامريكى الرياضى الكبير الاستاذ بمعهد ماساشوستس التكنولوجى **نوربيرت ويفر** (١٨٩٤ ـ ١٩٦٤) الفضل فى صياغة هذا الاتجاه العلمى الجديد المتمثل فى « **النظرية العامة للتحكم الرياضى** » التى صاغها فى عام ١٩٤٧ تحت عنوان « **السيرناطيقا** » مشتقا لها هذا الاسم من الكلمة اليونانية القديمة « كبرينتس » بمعنى « دفة الربان » أو « اداة التوجيه » ، ومعرفا اياها بأنها « علم التوجيه وعمليات الاتصال فى الكائنات الحية وفى الالات » ٠

وسرعان ما نما هذا الاتجاه العلمى الجديد ليطوى داخله أهم نظريات التحكم فى العالم الطبيعى والبيولوجى مثل **نظرية الاعلام** التى يمكن تعريفها فى المعنى التكنيكى كنظرية توصيل المعلومات والاخبار بواسطة قنوات الايصال ٠ **ونظرية الالعاب** التى صاغها عالم الرياضة الحديثة الكبير ج ٠ نيمان من خلال دراسة العاب الشطرنج والورق والدومنو مستخلصا نظرية رياضية كاملة لتخطيط سلوك الاطراف المشتركة فى عملية ما بهدف الحصول على نتائج معينة ، مرسيا أساسا علميا كاملا للبرمجة الخطية ٠

ونظرية الفعل المنعكس الشرطى وغير الشرطى للعالم الروسى بافلوف عن دينميكية المخ الانسانى ، كما فرض هذا الاتجاه نفسه على كافة النظريات وفروع العلم الاخرى ليعيد تشكيل صورة المستقبل بأثرها ٠

لقد وجدت النظرية العامة للتحكم الرياضى مجالا واسعا للتطبيق واحتلت المركز الطليعى فى كل أعمال التطوير ، واكتسبت أهمية بالغة فى مجال العلوم الهندسية بشكل خاص حيث يشار الى هذا الجزء من مملكة المعرفة المتطورة حديثا بالسبرنتيك التكنيكى الذى يرمى الى خلق نظرية الالخورزمات (١) (البرامج) بهدف التحكم فى العمليات الصناعية التى تتم اوتوماتيكيا بشكل كامل ، ودراسة المشاكل المرتبطة بنقل المعلومات وتداولها داخل قنوات الايصال ، وتطوير مبادىء جديدة للتحكم الاوتوماتيكى ٠

---

[١] نسبة الى العالم الرياضى العربى الكبير « الخوارزمى » اعترافا بفضله على علم الرياضة .

أبوللو ويتجهان الى أسفل حتى بعد ١٤ كم من القمر ويصوران الاماكن الصالحة للهبوط .

يوليـــو :

● **اطلق الاتحاد السوفيتى « لونـا ــ ١٥ » فى الوقت الذى كانت أبوللو ١١ تستعد للوصول الى القمر .**

● **فى تمام الرابعة ، ٣٢ دقيقة بعد الظهر انطلقت أبوللو ١١ تحمل نيـل ارمسترونج ومايكل كولنز وادوين الدرين بواسطة صاروخ ساتيرن ٥ ، .**

● **هبطت السفينة على سطح القمر نزل منها ارمسترونج وخطا أولى خطواته على القمر ثم تبعه الثانى . جمعـوا عينات من تربة القمر وعادوا فالتصقوا بالسفينة الام وعادوا الى الارض .**

اغسطس :

● **تمت تجربة محرك ذرى أمريكى لدفع الصواريخ كفيل بان يطلق سفن الفضاء الى حافة النظام الشمسى أو ما بعدها . وهو محرك مثبت حول مفاعل ذرى مهمته تسخين الهيدروجين السائل أكثر من ١٩٨٠ درجة مئوية .**

اكتوبر :

● **اطلق الاتحاد السوفيتى « سويوز ــ ٦ » تحمل رائدين [ســونين وكوماسوف] ويعتقد ان سفينتين آخرتين ستنضمان الى سويوز ــ ٦ ويكونان معا منصة فضائية تتسع لطاقم من ستة رواد وذلك بعد عشرة شهور من اطلاق قاعدة الفضاء الاولى [سويوز ٤ ، ٥] . سبق أن قام السوفييت بتجارب عـاش فيهـا ٣ علماء سوفييت سنة كاملة منعزلين عن العالم يأكلون طعاما محفوظا [٤ شهور للامريكيين] .**

● **انطلقت سويوز ٧ وبها ٣ رواد فضاء اثنان منهما من العسكريين والثالث مهندس وينتظر اطلاق سويوز ــ ٨ وتوجـد مقصورتان فى كل مركبة حجم كل منها ٩ متر مكعب ، ويعيش الرواد بملابسهم العـادية [فلينشـنكو ــ فولكـوف ــ جورباتكو] فاصبح لاول مـرة فى التاريخ خمسة رواد فى الفضاء فى وقت واحـــد .**

● **اطلق الاتحاد السوفييتى « سويوز ــ ٨] وعليها اثنـان من قدامى رواد الفضاء . علق المصمم السوفييتى للسفن بان توجيه ثلاث سفن فى وقت واحـد يعتبر أكثر تعقيـدا . جربت فى هـذه الرحلة مختلف طرق اللحام فى الفضـاء على البارد وأعيدت السفن فى المـدة من ١٧ الى ١٩ أكتوبر .**

أبعاد الثورة التكنولوجية في العالم الرأسمالي

ولقد احتلت الحاسبات الاليكترونية المعروفة باسم « العقول الاليكترونية » ـ رغم كونها ليست التطبيق الوحيد للنظرية العامة للتحكم الرياضي ـ مركز العلامة المميزة لتلك الثورة الحقيقية في العلم والتكنولوجيا ، بحيث أصبح انتشار استخدامها في مجتمع ما من عدمه مقياسا على نصيب هذا المجتمع من الاخذ بانجازات هذه الثورة .

لقد كان المعدل المذهل للسرعة في الانتقال من الكشف العلمي الى التطبيق العملي ، الاستثمار الصناعي هو القسمة الثانية لهذه الثورة العلمية التكنولوجية الكبرى ، فبينما احتاج هذا الانتقال الى ١١٢ عاما بالنسبة للتصوير الفوتوغرافي ، ٥٦ عاما بالنسبة للتليفون ، ٣٥ عاما للراديو ، فهو لم يستغرق في حالة الترانزستور والدورات المتكاملة الخاصة بالحاسبات الالكترونية أكثر من ثلاث سنوات .

وفي غضون عشر سنوات تالية شاهدت الحاسبات الالكترونية ثلاث طفرات هائلة من التطوير والتحسين ، كان الجيل الاول مبنيا على اللمبات الالكترونية العادية وكانت الالات بطيئة نسبيا ، وبعدها بخمس سنوات استبدلت اللمبات بالترانزستورات الصغيرة ، ثم بعد ذلك جاءت الخطوة العملاقة التي ادخلتها شركة أي ·بي ·أم الامريكية ببناء الحاسبات المبنية على الدورات المتكاملة ـ Integrated Circuits ـ والدوائر المتجانسة Multilayer Circuits والدوائر ذات الطبقات Monolithic Circuits المتعددة بحيث وصلت السرعات الى مرحلتها الحدية

ولقد فاق انتشار الحاسبات الالكترونية توقعات أكثر الخبراء تفاؤلا في الولايات المتحدة · لقد أنجزت أول آلة الكترونية امريكية بكاملها في عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٥٥ كانت الولايات المتحدة تستخدم ١٠٠٠ حاسبة ، وبينما قدر خبراء الحكومة الامريكية حينئذ أن عام ١٩٦٥ سيشهد استخدام ١٥ ألف حاسبة ، اذ بالرقم يرتفع الى ٢٥ ألف حاسبة ، ثم يقفز في عام ١٩٦٧ الى ٤٠ الفا ، ثم يقترب من المائة الف في عام ١٩٧٠ ، بحيث لم تعد هناك مؤسسة امريكية كبيرة لا تستخدم حاسبة الكترونية أو أكثر ·

قفزت هذه التطورات والارقام بالولايات المتحدة الى الافاق الواسعة للتطور التكنولوجي الحديث مخلفة وراءها حتى الدول الرأسمالية التقليدية الكبرى . وباستثناء اليابان والمانيا الاتحادية اللتين مكنتهما ظروف اعادة البناء الاقتصادي الشامل بعد الحرب من الاستفادة بالانجازات العلمية الحديثة وقطع شوط لابأس به في هذا المجال ، فان معظم الدول الرأسمالية وقد عجزت عن اعادة تجديد تجهيزاتها الصناعية على الاسس الجديدة ظلت تواجه فجوة تتسع بينها وبين الولايات المتحدة في هذا المضمار · لقد حاولت دول غرب أوروبا اللحاق بالقفزة الامريكية بمشاريع التطوير المشتركة (مثل طائرة الكونكورد البريطانية الفرنسية) ومشاريع البحوث والتطوير الموحدة التي تشرف عليها السوق الاوروبية المشتركة وغيرها من الهيئات ، وحققت بالفعل تقدما لا بأس به عن طريق هذه الاجراءات الا أنها ما زالت عاجزة عن اللحاق بالجواد الامريكي ·

اتجاهات التطوير الامريكي

لقد شهد تاريخ الانسانية عدة ثورات للعلم والتكنولوجيا ، كانت آخر اثنين منها هما الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ثم تلك الثورة العلمية ـ التكنولوجية التي نعيشها اليوم . ولقد كان الاثر المباشر لكل تلك الثورات هو نمو هائل في كمية السلع المتاحة للمجتمع ، فمع استخدام الطاقات الجديدة سواء كانت البخار أو الكهرباء والوسائل التكنيكية الجديدة أرتفع معدل الانتاجية للفرد وارتفعت معه انتاجية المجتمع ككل ، وشهدت المجتمعات التي واكبت ركب استخدام الطاقة البخارية والطاقة الكهربائية طفرات هائلة في النمو الاقتصادي والحضاري ·

وازاء المعدلات السابق عرضها للتفوق الامريكي في مضمار تطبيق نتائج الثورة المعاصرة في العلم والتكنولوجيا ، فان أول اما يتبادر الى الذهن أن يصاحب هذا بالضرورة نمو مواز في الانتاجية الاقتصادية للفرد والمجتمع الامريكي .

وبالنسبة لانتاجية الفرد فلقد حققت الولايات المتحدة انتاجية عالية بالفعل · أما بالنسبة لانتاجية المجتمع الامريكي والنمو الاقتصادي فيه فان الصورة تنقلب رأسا على عقب فطوال تلك السنوات من تطبيق نتائج الثورة العارمة في العلم والتكنولوجيا لم يتخط معدل الزيادة في الانتاج القومي الامريكي نسبة ٣ في المائة في العام بل ووقف في بعض الاعوام عند ٨ر٠ في المائة وهي أرقام تفوقها فيه كثير من الدول المتخلفة . وبالرغم استئثار الولايات المتحدة بهذا المركز المتفوق في المضمار التكنولوجي فقد شهدت سنوات ١٩٤٨ — ١٩٦٥ هبوط نصيبها من الانتاج الرأسمالي العالمي من ٥٤ في المائة الى ٤٥ في المائة وهبوط نصيبها في الصادرات العالمية في نفس السنوات

من ٦ر٣٣ فى المائة الى ١ر١٦ فى المائة رغم ما هو مفترض من تحسن فى نوعية السلعة الامريكية نتيجة للتطبيقات التكنولوجية الجديدة ٠

وهنا يكمن المأزق الحقيقى الذى تواجهه الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة فى العالم الراسمالى اذ تجد نفسها شجرة وارفة ولكن بلا ثمار ناضجة فى مضمار النمو الانتاجى ٠

ان الصحافة الامريكية تركز كثيرا فى الحديث عن «الفجوة» و «الهوة» التى تقف الولايات المتحدة على طرف منها ويقف العالم على الطرف الاخر منها ، بينما تتغافل عن تلك الفجوة العميقة بين الامكانيات الانتاجية التى تتيحها الثورة العلمية التكنيكية وبين تحقيقها اليوم فى الولايات المتحدة الامريكية ٠

ان الرأسمالية الامريكية بحكم مخاوفها من أن يؤدى غمر السوق بالسلع الى القضاء على نظام الاسعار الاحتكارى وهلعها من أزمات تراكم السلع التى لاحقتها فى سنوات ٤٦ ــ ٤٨ ، ٤٩ ــ ٥٣ ــ ٥٤ ــ ٥٧ ــ ٥٨ ــ ٦٠ ــ ٦١ ... تعجز من جانب عن مسايرة النتائج الحتمية لتطبيقات الثورة العلمية التكنولوجيه المعاصرة فى مجال الانتاج ، ويعرض الاقتصادى الامريكى **الفن • هـ • هانسون** مخاوف الرأسمالية بهذا الصدد بقوله « ان أهم مشكلة تواجه الستينات هى كيف سنستخدم الموارد الانتاجية الواسعة التى يطلقها الاوتوميشن » ٠ بينما هى من الجانب الاخر تتلهف على هذه التطبيقات كروافع فى استراتيجيتها للسيطرة العالمية ولمواجهة التحدى الذى يفرضه الصراع بين النظامين العالميين ٠ وهذان العاملان هما اللذان حددا اتجاهات التطوير الامريكى التى صاحبت الثورة العلمية التكنولجية المعاصرة ٠

لقد احتلت الابحاث العسكرية المركز الاول فى اتجاهات التطوير الامريكية فاستأثرت هذه الابحاث بانفاق بلغ ثلاثة اضعاف ما ينفق فى المجالات المدنية فى هذه الفترة ، وارتفعت جملة المصروفات على الابحاث العسكرية من ٢٦ مليون دولار عام ١٩٤٦ الى ١٥٣٠ مليون دولار عام ١٩٥٣ الى ١٤٨٣٣ مليون دولار فى عام ١٩٦٤ ٠

ثم يلى ذلك الاندفاع الى تطوير واسع لاجهزة التجسس ووسائل الامن الداخلى التى وصفها الصحفى الامريكى مايرون برنتون فى كتابه « **غزاة الحرية الشخصية** » التى قالت عنه صحيفة نيويورك « انه مثير الى اقصى حدود الاثارة لانه يتضمن معلومات وبيانات عن أجهزة التجسس الالكترونية أقل ما يمكن أن توصف به أنها تجمد الدم فى العروق ٠ » وعلق عليها **ايرل وارين** رئيس قضاة الولايات المتحدة السابق بقوله « ان التقدم المذهل فى مضمار الاتصالات الالكترونية يشكل خطرا كبيرا على حياة الفرد الخاصه » ٠ لدرجة أن المواطن الامريكى ــ كما استخلص برنتون فى كتابه ــ لم يعد قادرا على الحديث على انفراد فى غرفة وهو بمأمن من انتقال هذا الحديث الى أى جهة أخرى الا اذا كانت هذه الغرفة سميكة الابواب والجدران بحيث لا تخرج منها الذبذبات الصوتية ومزودة بمواد لامتصاص الصوت ومحاطة بجدار معدنى لا تخرج منه أى موجات ، وبستائر سميكة داكنة لا ينفذ منها أى اشعاع ، وبدائرة ضوء كهربائية بحيث لا تنقل موجات الراديو ، ثم عليه بعد ذلك ان يمتنع عن التحدث بصوت عال ، وقد يكون من الخير ان يستخدم الشفرة فى الكلام » !

وبالمثل شهدت وسائل الخدمات والاعلام خاصة تطويرا تكنولوجيا مماثلا باعتبارها من أهم وسائل السيطرة على الرأى العام ٠

وأخيرا ٠٠ كان الاندفاع الى غزو الفضاء ، فهنا مجال للتطوير لا حدود له ، لا تفوح منه رائحة البارود بشكل مباشر ، ويستأثر باهتمام البشرية قاطبة ، ويبتعد كل البعد عن خلق أزمات تراكم السلع ، بل هو قد يساعد على تفاديها لفترة من الوقت ٠

لقد وجدت الحاسبات الالكترونية وتطبيقات الثورة العلمية والتكنولوجية طريقها الى مجالات الانتاج كأداة للتحليل والتسعير والمحاسبة والاحصاء والتحكم الاوتوماتيكى فى الانتاج ، ولكن استئثار الصناعات العسكرية بنصيب الاسد ثم الطاقات الالية المعطلة ، واستغلال الزيادة فى انتاجية الفرد لا لزيادة انتاجية المجتمع بل للتخلص من الايدى العاملة حيث تضاعف عدد العمال المتعطلين تعطلا كاملا فى الفترة ما بين ١٩٥٣ ــ ١٩٦٣ ٠ قد حافظ على تلك الهوة بين امكانيات الثورة العلمية التكنولوجية وبين النتائج المرجوة منها فى مجال الانتاج ٠

الاساس الاجتماعى للثورة المعاصرة فى العلوم والتكنولوجيا

ان المأزق الذى تواجهه الثورة المعاصرة للعلم والتكنولوجيا فى العالم الرأسمالى نتيجة لاتجاهات التطوير الرأسمالية لا يلغى ذلك التساؤل الذى تشير اليه مجلة فورين افيرز عن العلاقة بين انجازات هذه الثورة وبين « الاقتصاد الحر » ٠

والواقع ان الحديث فى هذا المجال عن « الاقتصاد الحر » بالمعنى التقليدى ينطوى على مغالطة كبيرة ، فالأبحاث والتطبيقات التكنولوجية الحديثة باهظة التكلفة مما تعجز المؤسسات الخاصة

عن مجاراتها تماما ، ولم يكن من الممكن احراز اى تقدم فى هذا المجال بدون التدخل الواسع للدولة فى الانفاق على هذه البحوث ، وتذكر المؤسسة العلمية الوطنية الامريكية انه من بين ٦ر٧٣ مليون دولار انفقت على أبحاث الالكترونيات والكهرباء والطيران والقذائف الصاروخية بلغت الحصة التى تمولها الدولة ٥ر٣ مليون دولار اى بنسبة ٨٠ فى المائة من مجموع مصاريف الابحاث • وتقف الولايات المتحدة فى هذا الشأن على رأس الدول الرأسمالية قاطبة حيث تبلغ الحصة التى تمولها الدولة الامريكية مثلا فى المؤسسات الالكترونية تسعين ضعفا بالنسبة للحصة التى تمولها دولة مثل فرنسا • وبهذا لا يكون دور رأس المال الخاص سوى دور المستفيد الاول من نتائج هذه الابحاث التى يتم الانفاق عليها من اموال الضرائب •

ولكن لماذا وجدت الثورة المعاصرة للعلم والتكنولوجيا مهدا لها فى الولايات المتحدة الامريكية ؟

ان البعض يميل الى تفسير الامر على أساس رغبة الرأسمالية فى احلال الماكينات الاوتوماتيكية الطيعة محل العامل « المشاغب » • ولكن مثل هذا التفسير لا يكفى ، فهذه الرغبة ليست وليدة اليوم . والرغبة فى تقليل جهد العنصر البشرى فى العمليات الانتاجية هى رغبة مشتركة بين النظامين العالميين المتعاصرين الاشتراكية والرأسمالية ، رغم اختلاف الاهداف • كما ان الاشارة الى قضية المنافسة بين هذين النظامين كعامل حاسم فى هذا المجال انما تطرح من الاسئلة اكثر مما تقدم من الاجابات • والواقع ان الثورات العلمية ترتبط اساسا بقوى الانتاج وليس بعلاقاته وهى تنطلق حيث تتوفر شروط ومتطلبات هذا الانطلاق ، ثم هى بتأثيرها على قوى الانتاج بتعمق التناقض بين هذه القوى وبين علاقات الانتاج فيباشر الانسان حل هذا التناقض لصالح تقدمه الاجتماعى وتوسيع قدرته العلمية فى السيطرة على الطبيعة من حوله •

وبالنسبة للثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة كانت الشروط والمتطلبات الاساسية لانطلاقها على أساس التطورات الداخلية التى وصلت اليها العلوم الطبيعية والبيولوجية فى اواخر النصف الاول من القرن العشرين هى : توفر قدر ضخم من رأس المال « الفائض » يمكن توظيفه فى استثمارات لاتدر عائدا سريعا بل قد لا تدر عائدا على الاطلاق ، وتوفر قوة كافية من الباحثين والعلماء والمهندسين ، وقاعدة صناعية ملائمة لتطبيق نتائج الابحاث العلمية • ولقد توفر للولايات المتحدة هذه الشروط الثلاث ••

لقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية بأقوى قاعدة صناعية فى العالم •

اما بالنسبة لرأس المال « الفائض » فالى جانب ثروات امريكا الطبيعية فلقد امكن للولايات المتحدة فى سنوات ما بعد الحرب ان تستنزف جزءا ضخما من ثروة العالم ، ونظرة واحدة الى الارباح التى تحققها الشركات الامريكية العاملة فى بلدان العالم الثالث بل وفى اوروبا كافية لاظهار ذلك الاستنزاف الذى لم يسبق له مثيل الذى مارسته الولايات المتحدة • لقد بلغت ايرادات الشركات التابعة للصناعات التمويلية الامريكية فى الخارج فى عام ١٩٦٢ وحدة ١٠٠ر٢٨ مليون دولار اى اكثر من ضعف ونصف مجموع ايرادات الصادرات الصناعية الامريكية فى تلك السنة • وما بين سنتى ١٩٦١ و ١٩٦٨ حصلت الاحتكارات الامريكية على خمس دولارات مقابل كل دولار استثمرته فى امريكا اللاتينية • وبينما كانت نسبة الارباح الصناعية الى الناتج القومى للشركات الفرنسية مثلا تنخفض ما بين اعوام ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ من ٦ر٦ فى المائة الى ٥ر٣ فى المائة كانت نسبة الشركات الامريكية تتزايد من ٧ر٧ فى المائة الى ٥ر٩ فى المائة • وفى الفترة من ١٩٥٣ حتى ١٩٦٣ زادت تراكمات الشركات المتحدة الامريكية من ٧٠٠ر١٩ مليون دولار الى ٦٠٠ر٣٧ مليون دولار ، وهى تمثل ضعف الزيادة فى المصروفات على المنشآت والمعدات •• وهكذا ضاعف الاستنزاف الذى باشرته الولايات المتحدة لثروة المجتمع الامريكى نفسه من تراكم رأس المال « الفائض » الذى لا تستطيع المشروعات الرأسمالية بحكم طبيعتها ومصالحها من استخدامه لتوسيع استثماراتها الرأسمالية •• حقا ان الرأسمالية الاحتكارية واجهت دائما مشكلة تراكم رأس المال « الفائض » وكان الرأسماليون يحلون المشكلة باللجوء الى المضاربات فى التأمينات لزيادة ثروتهم بطريقة طفيلية ولكن هذه الوسيلة لم تكن بكافية ولا بناجعة بازاء التضخم الخيالى لرأس المال «الفائض» فى الولايات المتحدة •

اما بالنسبة لتوفر الباحثين فالى جانب الثروة العلمية الضخمة فى الولايات المتحدة حيث كان يذهب الى الجامعات الامريكية فى عام ١٩٦٥ ـ ٤٤ فى المائة من الشبان الذين يؤهلهم عمرهم لارتيادها ، فلقد استطاعت الولايات المتحدة ان تقيم لنفسها « احتكارا عالميا للادمغة » استنزفت بواسطته اعدادا ضخمة من العلماء والمهندسين والباحثين من كافة ارجاء العالم •

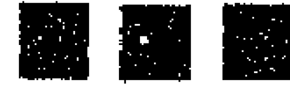
وكان توافر هذه الظروف الثلاثة كافيا بالفعل لانطلاق الثورة العلمية التكنولوجية فى أمريكا ، ثم

كانت طبيعة النظام الرأسمالي الامريكي هي التي حددت اتجاهات التطوير وأوجدت الفجوة بين امكانيات هذه الثورة وبين تحقيقها في المجال الانتاجي ·

ثورة العلم والتكنولوجيا والصراع الاجتماعي في العالم الرأسمالي

ما ان بدت البوادر الاولى للثورة العلمية والتكنولوجية حتى ارتفعت الاصوات كالعادة عند أي منعطف معلنة انتهاء مرحلة الصراعات التحررية والاجتماعية · لقد اختار البعض جانب الابتزاز معلنين أن الاستعمار قد حصل على تفوق تكنولوجي لا قبل لحركات التحرر بمقاومته ، وأن الراسمالية قد حصلت على سلاح لايجد العمال امامه مفرا الا الانحناء ازاءه ، والا حلت الالات محل معظمهم · بينما اختار البعض الاخر جانب الاعلان بأن ثورة العلم والتكنولوجيا قد حلت المشكلة من جذورها بأن نقلت السلطة في المجتمع الرأسمالي بالفعل من يد الرأسمالية وكتب **جون كينيث جالبريث** « ان انتقال السلطة قد تم ، الى حد كبير ، دون أن يحس به أحد » · الا أن تطورات الاحداث قد جرفت معها كل هذه النداءات فاتسع نطاق النضالات الديمقراطية والاجتماعية في الولايات المتحدة وازدادت اضرابات العمال وأثبتت حركات التحرر صلابة نادرة واذا نحن لم نتوقف عند التجربة الفيتنامية ومغزاها فلقد قدمت الثورة الليبية وفي الجنوب اليمني والسودان برهانا آخر على مدى ماتحمله التطورات التكنولوجية المفاجئة من صحوة لشعوب البلدان المتخلفة قبل أن يترك التطور الرأسمالي الطويل بصماته عليها ·

والواقع ان الثورة المعاصرة في العلم والتكنولوجيا قد جاءت معها بتفجير اضخم للتناقض بين الطبيعة الاشتراكية للانتاج والبحث وبين الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وبزيادة لحدة التناقضات بين العمال ورأس المال ، بل والى تحول يتزايد لذوي الياقات البيضاء من ابناء الطبقة الوسطى الى جزء من الشعب العامل · ولكن لعل أخطر ما جاءت به الثورة المعاصرة في العلم والتكنولوجيا هو انها قدمت لاول مرة امكانية عملية لتحقيق ذلك الشعار الذي أطلق من قبل بزوغها بأكثر من مائة عام ، شعار « من كل حسب قدرته الى كل حسب حاجته » والذي لم تكن الظروف المادية مهيأة له بعد ذلك الوقت فجاءت الثورة العلمية المعاصرة لتؤكد انه ليس الشعار انسانيا جذابا فحسب ، بل هو شعار قابل للتحقيق ايضا ·



الثورة التكنولوجيه والنظام الاشتراكي

د · اسماعيل صبري عبدالله

تستخدم الامبريالية « الثورة العلمية والتكنولوجية » في عملية تضليل واسعة تستهدف رفع ذكر النظام الرأسمالي سيء السيرة والسمعة · ويبدأ التضليل بمفهوم الثورة العلمية والتكنولوجية ذاته · فأبواق الدعاية تقدمها لا على أنها ظاهرة علمية تحكمها قوانين موضوعية ، لها اسباب ونتائج من صنع العقل البشري ، وبالتالي لا تعلو على ادراكه · بل انها تقدمها على انها قوة سحرية غامضة ورهيبة لا يدرك كنهها الا الامريكان · وهم بكشفهم لتلك الاسرار ضمنوا لانفسهم تفوقا أبديا على سائر البشرية ، ليس في العالم الثالث ذي المصاعب والمطالب فحسب بل حتى في أوروبا الغربية ذاتها ·

فالثورة العلمية والتكنولوجية هي تلك الصورة ثمرة من ثمرات النظام الرأسمالي في تعبيره الاكمل والاعنف : الاقتصاد الامريكي · وبالتالي فهي شهادة مؤكدة بتفوق الرأسمالية على الاشتراكية · بل انها بما تتيحه من معدلات نمو اقتصادي مرتفعة ، في اقتصاد هو أصلا في المحل الاول بين اقتصاديات العالم ، تجعل في وسع الولايات المتحدة أن تحل جميع المشكلات الاجتماعية وأن تحقق « **مجتمع الرفاهية** » الذي تخيله كثير من الاقتصاديين البورجوازيين ، أو « **المجتمع العظيم** » الذي تحدث عنه جونسون

وان كان الحظ لم يحالفه فى تحقيقه فترك منصب الرياسة وبلاده غارقة فى حرب فيتنام ، والصراع العنصرى ينهش جسد البلاد ، والجريمة والمخدرات والتحلل الجنسى تفكك عرى المجتمع ٠

واذا كانت الاشتراكية ذاتها لا تصمد أمام معجزة الثورة العلمية والتكنولوجية ٠ فماذا بقى أمام شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية من امل فى الخروج من التخلف وما يعنيه من فقر وجهل ومرض ؟ الجواب واضح تماما : لا آمل أمامنا فى عبور الهوة التى تفصلنا عن الدول المتقدمة والتى تتسع يوما بعد يوم ٠ بل ان أوروبا الغربية تهبط تدريجيا الى مهاوى التخلف النسبى ٠ لقد تحقق للولايات المتحدة الامريكية ما أخفق الرايخ الثالث فى تحقيقه برغم عبقرية الشعب الالمانى : لقد أصبح الامريكيون العنصر السيد والممتاز بلا منازع والى الابد ٠ ولم يبق للشعوب الاخرى الا أن تقر بسيادته وتسعد بخدمته وتؤمل فيما يمنحها من فتات ٠٠

ونقطة البدء فى تمزيق نقاب التضليل الامبريالى هى الفهم الصحيح للظاهرة التى يدور حولها الحديث ، فالكل يتكلمون عن « الثورة العلمية والتكنولوجية » دون أن يعنى أحد بتحديد المقصود من هذا الاصطلاح على وجه الدقة ٠ والواقع انه يوحى بعدة معان متشابكة ٠ ومن الضرورى تحديدها وتحليلها ٠ فهو فى ذهن البعض يشير الى التقدم المذهل فى العلوم الطبيعية وبالذات الفيزياء النووية وعلوم الفضاء ٠ وقد أدى هذا التقدم الى زيادة ضخمة فى المعارف البشرية ، بحيث أصبح من المألوف القول بأنها تتضاعف الآن مرة كل عشر سنوات ٠ ويمكن فى المستقبل القريب أن تتضاعف مرة كل خمس سنوات فقط ٠ وليس فى هذه الظاهرة ، بذاتها ، ما هو جديد تماما ٠ فأن ما يميز الانسان عن الحيوان هو قدرته على الاستفادة من معرفة سابقة فى اكتساب معرفة جديدة ٠ ولذلك فانه من الطبيعى أن يتزايد بمرور الزمن معدل سرعة التقدم العلمى ٠ والنظرة السليمة الى تاريخ العلم تؤكد هذا المعنى ، وتبين ان التقدم العلمى متصل لم ينقطع منذ اقدم العصور ٠ وقد راج فى أوروبا لفترة طويلة الاعتقاد بأن العصور الوسطى كانت عصورا مظلمة ، لان المعرفة العلمية فيها لم تحرز تقدما ، بل تراجعت عما كانت عليه أيام اليونان والرومان ٠ ولكن هذا الاعتقاد خاطىء لا يفسره الا تجاهل الاوروبيين لما جرى خارج قارتهم ٠ نعم لقد تخلفت أوروبا فى خلال العصور الوسطى ، ولكن البشرية واصلت التقدم على يد العرب ٠ وحين تخلف العرب تجدد التقدم فى أوروبا ٠

ولكن الكشوف العلمية لا تؤثر تأثيرا مباشرا الا حين تأخذ طريقها الى التطبيق العملى ، حين يتحول العلم الى تكنولوجيا باستخدامه فى الانتاج ٠ فمصر فى عهد البطالسة ، والعرب بعدها ، كانوا يعرفون أن الارض كروية ، ولكنهم لم يستخدموا هذه المعرفة فى اجتياز « بحر الظلمات » كما كان المحيط الاطلسى يسمى عندهم ، ولم يصلوا لامريكا ، لانهم لم يكونوا قد اكتشفوا « البوصلة » ٠ ولا يكفى فى هذا المجال معرفة كيف نستخدم ظاهرة طبيعية معينة من الناحية التطبيقية ، بل لابد ان يتم استخدامها بالفعل فى الانتاج بشكل منتظم ٠ وهنا تلعب الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دورا حاسما فى تحول العلم الى تكنولوجيا ٠ فالصين اكتشفت الطباعة قبل جوتنبرج بعدة قرون ، ولكنها لم تستخدمها الا فى صناعة « ورق اللعب » (الكوتشينة) ٠ كما أنها اكتشفت البارود قبل أوروبا ، ولكنها استخدمته فقط فى « الالعاب النارية » ولم تنشأ لديها مدفعية ٠٠٠ الخ ٠ ولذلك فانه اذا كان تيار التقدم العلمى متصلا لا ينقطع ، فان معدلات التقدم التكنولوجى تختلف من فترة الى أخرى ومن بلد الى آخر ٠ ومن ثم فلابد من التركيز على الجانب التكنولوجى فى الثورة العلمية والتكنولوجية ، لانه وحده الذى يغير ظروف الانتاج ، ويغير بالتالى شكل المجتمعات ٠

الثورة الصناعية الثانية

ولكن التطورات التكنولوجية التى شهدتها العشرون سنة الاخيرة متعددة ومتنوعة ومتفاوتة الاهمية : من الطاقة الذرية الى الترانزستور ، ومن الحاسبات الاليكترونية الى الصواريخ الفضائية ٠٠٠ الخ ٠ فأى هذه التطورات يشكل « الثورة التكنولوجية » ؟ انه من غير الجائز أن نعدها جميعا عناصر فى ثورة تكنولوجية واحدة ، لان بعضها أقل أهمية من البعض الآخر ٠ والثورة التكنولوجية ليست مجموعا حسابيا لعدد كبير من الاختراعات ، ولكنها تغيير جذرى فى التكنولوجيا يصبح ما بعده مخالفا كيفيا لما قبله ٠

وبهذا المفهوم الدقيق لتعبير الثورة التكنولوجية نجد أنها تتمثل فى **تطور الصناعات الاليكترونية الذى جعل من الممكن صنع آلات تقوم بعدد كبير من الاعمال الذهنية التى يقوم بها الانسان ، وتؤديها بكفاءة أعلى فى بعض الاحيان** ٠ فالانسان منذ وجد على وجه الارض مارس العمليات الانتاجية ، أى بذل جهده لينزع من الطبيعة ما يشبع به حاجاته المتعددة والمتجددة ٠ وسرعان ما اكتشف

...الانسان انه بوسعه أن يستعين فى نشاطه الانتاجى بأدوات يصنعها فتزيد من فاعلية هذا النشاط . وهكذا اخترع السكين والفأس والعجلة ... الخ . ولكن كل الادوات التى اخترعها الانسان خلال آلاف السنين كانت تعتمد فى حركتها على قوة الانسان العضلية . وبالتالى ظلت فعاليتها محدودة . وتحايل الانسان لاستخدام قوة محركة أكبر يستمدها من الطبيعة فاستخدم الحيوان ، كما استخدم أحيانا قوة الريح (فى ادارة طواحين الهواء) أو قوة اندفاع المياه فى الانهار . وكانت **الثورة الصناعية الاولى حين اكتشف الانسان قوة البخار واستخدمها فى تسيير الالات** . فهنا لاول مرة فى تاريخ البشرية وجدت الالة التى تحل محل مجهود الانسان العضلى والتى لا تقنع بزيادة فعالية هذا المجهود . بل لقد كانت القوة المتحركة التى اكتشفها الانسان أعظم بما لا يقارن من قواه العضلية . وهكذا بدأ عصر جديدفى تاريخ الانتاج البشرى : عصر الصناعه الاليه . وهكذا يكون تعبير الثورة صحيحا ، فكل ما تلاها من تطورات انتاجيه يختلف تماما عن كل ما سبقها . انها كانت نقطه تحول جذرى ، وقد اكتشف الانسان بعد ذلك مصادر طاقه محركة اخرى : منتجات البترول فى المحركات ذات الاحتراق الداخلى ، والطاقه الكهربائيه ، وأخيرا الطاقه الذريه . وكانت تلك كلها خطوات جباره فى تطور الصناعه ، ولكنها لم تكن ثوره ، فكل الالات أيا كانت الطاقه التى تحركها تقوم بعمل الانسان العضلى فقط .

ولذلك فان الثورة الصناعية الثانية هى بالدقة اختراع الالات التى يمكن أن تقوم بعمل الانسان الذهنى : عن طريق عمليات التحكم التى تفضى الى « الاوتوميشن » أو المصانع التى « تدير نفسها بنفسها » ، وعن طريق الحاسبات الاليكترونية . فنحن بالفعل فى فجر عصر جديد فى تاريخ الانتاج البشرى سيكون مختلفا جذريا عن العصور السابقة . وليس هنا مجال الخوض فى النتائج القريبة والبعيدة التى ستؤدى اليها الثورة التكنولوجية المعاصرة . **ولكن علينا أن نشير الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى جعلت حدوثها ممكنا فى الدول الرأسمالية الكبرى وفى مقدمتها امريكا** . لقد عرف النظام الرأسمالى خلال القرن الماضى تطورا تكنولوجيا رائعا وسريعا . ثم تلا ذلك ـ فى الثلث الاول من القرن العشرين بنوع خاص ـ نوع من البطء فى معدل التقدم التكنولوجى أرجعه الاقتصاديون الى انتشار الاوضاع الاحتكارية . فالمنافسة بين الرأسماليين كانت تدفعهم دفعا الى السعى لخفض التكاليف عن طريق استخدام الاختراعات الجديدة . أما المحتكر ، فان سيطرته على السوق تجعله قادرا على زيادة أرباحه عن طريق التغيير فى الكمية المنتجة وسعر البيع ودون تخفيض فى التكاليف . ولذلك فان المحتكر يفتقد الحافز الى التطور التكنولوجى ، وقد أصبحت الاحتكارية الطابع الغالب للرأسمالية منذ نهاية القرن الماضى ، ولذلك لم يكن غريبا أن يتباطأ معدل التقدم التكنولوجى .

وانما الغريب هو ان الرأسمالية الاحتكارية فى أعلى درجات تركزها تندفع من جديد غداة الحرب العالمية الثانية فى عملية تطوير تكنولوجى واسعة . فما هى الاسباب التى حملتها على ذلك ؟ هناك فى الواقع عدة أسباب ، وأول تلك الاسباب هو قيام الاشتراكية فى عدة دول وتحولها الى نظام عالمى منافس للنظام الرأسمالى . ان المعسكر الاشتراكى حين يرفع شعار التعايش السلمى انما يعلن التحدى الاقتصادى معتمدا على ان تخلصه من تناقضات الرأسمالية سيمكنه من تحقيق تطورات اقتصادية رائعة . ويوم يصبح للنظام الاشتراكى النسبة الاكبر من الانتاج الصناعى العالمى ستتحول كفة الميزان نهائيا ضد الرأسمالية . ولذلك كان على الاحتكارات الكبرى أن تواجه هذه « المنافسة » الجديدة وأن تكف عن عرقلة التقدم التكنولوجى ، بل وأن تسعى للاستفادة من ثماره . ومن ناحية أخرى ـ وهذا هو السبب الثانى ـ استند نضال الطبقة العاملة فى البلاد الرأسمالية الكبرى من أجل أجور أعلى وظروف عمل أفضل ومستوى معيشة أكرم . وليس من سبيل الى الاستجابة الجزئية لمطالب العمال دون مساس بأرباح الاحتكارات الا بالارتفاع المستمر بانتاجية العمل . ولا سبيل لزيادة انتاجية العمل الا بالتطور المستمر للالات والمعدات . وهكذا بالرغم من الارتفاع المتجدد لاجور العمال يزيد فى الحقيقة عبء الاستغلال الواقع عليهم ؛ لان انتاجية ساعة العمل تزيد بنسبة أكبر بكثير من الزيادة فى أجر ساعة العمل . وأخيرا ـ وهذا هو السبب الثالث ـ أدت حركة التحرر الوطنى لشعوب المستعمرات الى تصفية نظام الاستعمار القديم القائم على السيطرة المباشرة والقهر العسكرى ، وأصبح على الامبريالية أن تعتمد على أساليب الاستعمار الجديد . ان أساليب الاستعمار القديم كانت تسمح لكل دولة استعمارية بأن « تقفل » أسوار مستعمراتها فى وجه غيرها من الدول الرأسمالية . ومن ثم لم يكن الرأسماليون مضطرين لخفض التكاليف لضمان تصريف الانتاج بسعر مجز . أما اليوم وقد أصبح فى وسع كل دولة من دول العالم الثالث أن تشترى من أى دولة

تشاء ، فلابد أن يسعى الاحتكاريون الى ضمان تلك الاسواق بالاساليب الاقتصادية ، وفى مقدمتها تخفيض الاسعار نسبيا نتيجة لتخفيض التكاليف ٠

وخلاصة القول اننا لسنا بصدد ظاهرة تجدد لشباب الرأسمالية ، وانما نحن نشهد رد فعل نظام مدان تاريخيا يستخدم حتى آخر قطرة ثمار تفوقه المتراكمة فى محاولة للتخلص من متناقضاته ٠ وكان يمكن لتلك المحاولة أن تغير وجه التاريخ لو لم تكن الاشتراكية قد استقرت نظاما تقدميا فى عدد كبير من الدول فى وسع بعضها على الاقل أن يخوض الثورة التكنولوجية بخطى ثابتة ٠

ظاهرة توقعها الفكر الاشتراكى

والامر الذى يجب ألا يغيب عن الاذهان هو ان الفكر الاشتراكى العلمى قد توقع منذ أكثر من قرن استمرار التطور التكنولوجى ، وبالذات الثورة التكنولوجية . فأئمة هذا الفكر قالوا ان المجتمع يدخل المرحلة العليا للاشتراكية اذا نجح فى تحقيق عدة شروط فى رأسها تصفية التناقض بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ٠ واذا كان بعض الاشتراكيين الخياليين قد تصور ان تصفية هذا التناقض تأتى عن طريق الاستغناء عن الالة وممارسة كل أفراد المجتمع للعمل اليدوى ، فان الاشتراكية العملية ترى عكس ذلك على خط مستقيم ٠ انها ترى أن السبيل الوحيد لتصفية التناقض بين العمل اليدوى والعمل الذهنى تصفية نهائية هو انتهاء العمل اليدوى من المجتمع ، أو بعبارة أخرى تحوله الى عمل ذهنى ٠ أن الرأسمالية قد حطمت كيان العامل وأصابته بالاغتراب ٠ فبعد أن كان صانعا حرفيا يصنع بيديه سلعة كاملة ويكتسب من أجل ذلك خبرة ومعرفة ويكتسب من ذلك متعة وسعادة نفسية حين يتأمل ما صنعت يداه ، أصبح العامل فى ظل تقسيم العمل واستخدام الالات محروما من كل تفكير ، يتعين عليه أن يكون جزءا مكملا للالة يخضع حركته لحركتها ، ينفق جهده العصبى والعقلى فى اجراء عدد محدود جدا من الحركات الرتيبة يجريها مدى الحياة . وفى الوقت نفسه أصبح تصميم الالة وبناء المصنع وتسييره عمليات معقدة تقتضى ممن يقوم بها تحصيل علوم متعددة خلال دراسة تستغرق بضعا وعشر سنين . وهكذا تعمقت الهوة بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ٠ وفى ظل الاشتراكية يؤدى التقدم التكنولوجى المستمر الى اختراع الات تزيد من انتاجية العمل مما يسمح بتقصير يوم العمل وزيادة أوقات الفراغ ويتيح الفرصة للعامل اليدوى لكى يتعلم ويتثقف ٠ ولكن التغيير الحاسم يتم باختراع الالات التى تقوم حتى بالعمليات الذهنية ٠ فعندئذ يشهد الانتاج ظاهرة مزدوجة : فهو من ناحية يستغنى عن العمل اليدوى بالتدريج ، وهو من جهة أخرى يحتاج لادارة الالات الحديثة المعقدة الى عامل على مستوى مرتفع من العلم والثقافة ٠ أو كما قال أحد أئمة الفكر الاشتراكى فى القرن الماضى : يصبح العامل مهندس التشغيل ٠

ان نتائج الثوره التكنولوجية فى ظل الاشتراكية تكاد لا تحصر ٠ ان نجاحها يجعل من الممكن فى المستقبل القريب أن يصبح يوم العمل خمس ساعات فقط ، وأن يكون التعليم الزاميا حتى الثانوية العامة (أو سن ١٨ سنة كما يستهدف الاتحاد السوفيتى) وعندئذ تختفى الحدود الفاصلة بين المثقف وغير المثقف ، وفى نفس الوقت يصبح تلقى العلم غرضا يقصد لذاته وليس لمجرد اكتساب مهنة ٠ ان وجه البشرية يتغير بالفعل ٠

الدول الاشتراكية والثورة التكنولوجية

ومع ذلك فالامر الذى لا شك فيه هو أن البوادر الاولى للثورة التكنولوجية قد ظهرت فى البلاد الرأسمالية الكبرى ٠ وقد أشرنا الى أسباب ظهورها فيها ٠ ويبقى أن نفسر التأخر النسبى الذى تعانيه الدول الاشتراكية فى هذا المجال ٠

ان الامر الذى كثيرا ما يهمل فى مثل هذه المناقشات هو أن **الثورة الاشتراكية قد وقعت بصفة عامة فى بلاد متخلفة ، وأن الحكومات الاشتراكية كان عليها أن تواجه مهمة مزدوجة : تصفية التخلف وبناء الاشتراكية** ٠ اننا نقارن اليوم الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة الامريكية وننسى أن الانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢٠ كان لا يزيد عن ٢ فى المائة من الانتاج الامريكى ، وانه أصبح يمثل ٦٨ فى المائة منه فى سنة ١٩٦٦ ٠ وذلك بالرغم من أن الحرب العالمية الثانية كلفت الاتحاد السوفيتى عشرين مليونا من زهرة شبابه فضلا عن تدمير كل شىء فى معظم أراضيه الاوروبية التى احتلها الالمانى . وذلك فى حين ان نفس هذه الحرب كانت فرصة ذهبية للانتاج الصناعى الامريكى الذى زاد خلالها بنسبة ١٠٠ فى المائة ٠ ان التقدم المذهل الذى أحرزه النظام الاشتراكى فى أول دولة اشتراكية فى العالم فى النصف قرن الماضى هو خير ضمان للحاقه بالولايات المتحدة ثم سبقه لها ٠

ويدعم هذا الاعتقاد أن دولة السوفيت قد أولت البحث العلمى منذ نشأتها عناية فائقة . والاتحاد السوفيتى يضم اليوم ربع المشتغلين بالبحث العلمى فى العالم كله . ومن ناحية أخرى نجد أن البلدان الاشتراكية التى بدأت من ظروف أكثر تقدما ، مثل جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، تحتل مكانا بارزا فى التقدم التكنولوجى . فهذا البلد الصغير (١٧ مليون فقط) يحتل المرتبة الثامنة بين دول العالم من حيث الانتاج الصناعى .

ولكن اكتمال الصورة يقتضى الاشارة الى أن الاتحاد السوفيتى وبعض الدول الاشتراكية الاخرى قد تأخرت فى اجراء التطورات التنظيمية فى أساليب التخطيط وادارة وحدات الانتاج مما عطل خلال بضع سنوات حركة التقدم الاقتصادى والتكنولوجى . لقد تكون نظام التخطيط والادارة تاريخيا فى ظروف اقتصادية بالغة الصعوبة حيث كانت قوى الانتاج على قدر كبير من التخلف . والان وقد تطورت قوى الانتاج تطورا باهرا ، لابد من أن تتطور كذلك أساليب التخطيط والادارة واشكال الديموقراطية الاشتراكية حتى لا يغدو البنيان العلوى للمجتمع الاشتراكى بتخلفه عقبة فى سبيل المزيد من تطور قوى الانتاج .

وأخيرا فان دور الدول الاشتراكية فى الثورة التكنولوجية يمسنا بشكل مباشر . فاسهامها بقسط وافر فى تلك الثوره يعنى الا يبقى التقدم التكنولوجى احتكارا بيد الامبريالية تحظر على الدول النامية أن تستفيد منه . فالخبرة التكنولوجية للدول الاشتراكيه متاحة للشعوب المناضلة التى ترفض التبعية ، وتصر على بناء مستقبلها المستقل وتستهدف بناء الاشتراكيه .

وعلى الدول النامية بدورها أن تستفيد بأعلى درجة ممكنة من التكنولوجيا الحديثة ، وعليها ان تحرص على تطوير البحث العلمى والتكنولوجى المحلى بهدفين : الاول هو تطويع التكنولوجيا المستوردة للواقع المحلى ، أو ابداع تكنولوجيا محلية . والثانى ، هو ان يصبح فى وسعها ان تسهم بدورها فى التقدم العلمى والتكنولوجى ولو بقسط متواضع . فبهذا الجهد يتأكد استقلالها وتتدعم خطاها فى طريق التقدم .

وهكذا تكون الاشتراكية هى الضمان الوحيد للبشرية ضد محاولة الامبريالية الامريكية أن تجعل من « الثورة العلمية والتكنولوجية » سندا لتفوق دائم وسيطرة أبدية .



الثورة العلمية التكنولوجية والعالم الثالث

صلاح جلال

كثر الكلام فى السنوات الاخيرة — وبعد الانتصارات العلمية الكثيرة فى الفضاء وعلى الارض فى كل مجالات الحياة — عن التكنولوجيا وعن العلم وارتباطهما او تقديم واحد منهما عن الاخر وتفسيرات وشروح عن معنى التكنولوجيا أو (التكنية) فى تعبير البعض .

والذى لاخلاف عليه أن التكنولوجيا غير العلم وهى : « **مهارة يكتسبها الافراد والجماعات نتيجة القدرة على استخدام المعرفة العلمية لانتاج مادى من متطلبات الحضارة الحديثة** » ، والعلم أوسع من التكنولوجيا فى تفسير ظواهر الكون والحياة دون أن يكون هذا هادفا للتطبيق، أو حتى امكانية التطبيق فى الحياة العملية ، والتكنولوجيا محصلة المعرفة العلمية والخبرة العملية ، وتستمد من كل منهما بعض مكوناتها . وهى ترتبط بالانتاج وبخلق معرفة عملية ، ولكثرة الاهتمام بالصناعة فان المفهوم السائد أن التكنولوجيا تطبيق للحقائق العلمية فى مجال الانتاج الصناعى ، ولكن هذا مفهوم محدود ، وآفاق التكنولوجيا أوسع وأرحب وتشمل الانتاج الزراعى ايضا ، ولو أن الدول المتقدمة تركز فى الاساس على استخدام التكنولوجيا الحديثة فى التطوير الصناعى الواسع المدى ، والذى نتج عن اختلاف مستويات وأعماق تطبيقاتها ، فجوات كثيرة وكبيرة ، ليس فقط

بين الدول المتقدمة ، والدول النامية أو (المتخلفة) ـ على وجه الدقة وليس للمجاملة ـ ولكن الفجوات التكنولوجية موجودة وعميقة بين أوروبا وبين الولايات المتحدة ، وبين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية ، وبين أوروبا والولايات المتحدة من جهة وبين أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا (ماعدا اليابان) من جهة أخرى ٠

واذا كانت التكنولوجيا الحديثة هي الرائدة في كل تطور صناعي يحدث الان في العالم، واذا كانت الدول المتقدمة علميا وتكنولوجيا عندها المؤسسات التي تجمع بين المعرفة العلمية والخبرة الصناعية لتطوير الانتاج كمية ونوعا ؛ فان الحقيقة الواضحة هي أن الدول المتخلفة (أو النامية) ليست عندها هذه المؤسسات ، واذا وجدت في صور وأشكال جنينية ، فانها لا تمارس المضمون الحقيقي لوجودها ، والصناعات تقام نقلا عن الخارج ٠ دون أجهزة آلية أو انسانية ، ومع الافتقار الى القاعدة المادية في المجال العلمي ٠ والواقع الصناعي ٠ ان هذه الدول تستورد كلا من المعدات والخبرة من الخارج ٠ وتتم محاولة تدعيم أصولها بأساليب مصطنعة ، كالشجرة التي تقتلع من جذورها لتزرع في غير تربتها ، ولابد من حدوث ارتباط وتلازم بين السياسة الصناعية والتقدم التكنولوجي اذ أن الانفصال بين الاثنين ضار بكليهما معا ، والارتباط والتفاعل المتبادل بين الصناعة والتكنولوجيا هو الاساس في حيوية المجتمع صناعيا وتكنولوجيا ٠ والاستيراد المستمر للتكنولوجيا من الخارج ونقلها لا يكون ناجحا ومفيدا الا اذا صاحبه وجود تكنولوجي أصيل في المجتمع ، وفي المجتمعات الصناعية تختلط وتتفاعل الخبرة والمهارة الاصيلة مع الحقائق العلمية المتجددة ٠ وعن طريق الاخذ والعطاء والتبادل والتفاعل بين العلم والتكنولوجيا تخرج الصناعات القوية السليمة على أسس صحية تسمح لها بالنمو والازدهار ، وليس بالعلم وحده تقوم التكنولوجيا وتستمر ولكن بالخبرة والمهارة معه أيضا ، وفي استعراض سريع لواقع التكنولوجيا المعاصرة في الدول النامية تتضح ثلاثة اتجاهات :

أولا : انشاء مصانع محلية باستيراد الالات والخبرة معها ، لانتاج بضائع وسلع ومنتجات تستوردها هذه الدول من الخارج وتعمل على الاستغناء عن السلع المستوردة ، وتقوم هذه الصناعة بحماية جمركية عالية لاتستطيع هذه الصناعات أن تنافس مثيلتها في الدول المتقدمة صناعيا بدون هذه الحماية الجمركية والاجراء الوقائي الصناعي ٠

ثانيا : قيام صناعات تعتمد على الموارد المحلية كالخامات الزراعية والمعدنية والصناعية، وأغلب انتاج هذه الصناعات للتصدير ، وهذه الصناعات يسهل استمرارها اذا استعملت الوسائل التكنولوجية الحديثة لتستطيع أن تجاري متطلبات الاسواق المستوردة الخارجية ورغبات المستهلكين في هذه الدول ٠

ثالثا : اقامة صناعات تشبه الموجودة في الاسواق العالمية الى حد كبير وقادرة على الدخول في منافسة معها، وتخضع للمواصفات العالمية. والنوع الاول والثاني يمكن قيامه واستمراره لفترات متفاوتة من الوقت في الدول النامية ويناسب قدراتها وامكانياتها وظروفها ٠

والنوع الاول يكتفي بقدر قليل من التكنولوجيا المستوردة وكذلك النوع الثاني ، فيما عدا خامات البترول وتصنيعها لان الشركات العالمية الكبرى هي التي تقوم بهذه الصناعات أساسا وفقا لاحتياجات الاسواق العالمية ونتيجة لهذه السيطرة الاحتكارية فان هذه الصناعات البترولية تكون جيوبا منفصلة في المجتمع الصناعي والتكنولوجي ٠

التخطيط العلمي
ومشكلات التطبيق

والدول النامية في أغلبها ليس عندها السياسة الدائمة بعيدة المدى التي تدعم الصناعة حتى تشارك في الانتاج العلمي الصناعي ولا تكتفي بمجرد استبدال الواردات وتصدير المنتجات الخام كما هي أو نصف مصنعة ٠ ومن هنا فان مشاركة الدول النامية في الاسواق العالمية للمنتجات الصناعية مشاركة قليلة وغيرمحسوسة، ويبقى سؤال يحتاج الى اجابة وهو : امكانية الجمع بين هذه الاتجاهات الثلاثة في الدول النامية ومثال منها الدول العربية ٠

اننا نجد في الواقع العملي أن المستهلك العربي لا يجد كل متطلباته من المنتجات الصناعية الحديثة والضغط المستمر على طلب هذه المنتجات يجعلها لا تكفي ، وتصبح ثغرة الاستيراد ـ الطبيعي وغير الطبيعي ـ مفتوحة لاستيراد ما يكمل طلب المستهلكين المستمر والضاغط ، وهذا له آثاره الجانبية الضارة بالاقتصاد وان كانت هذه المشكلة لا تعاني منها الدول النامية وحدها ولكن الدول الصناعية المتقدمة تشكو هذه الضغوط ، وان كانت أقدر على تحملها ومواجهتها وتقبل حالة استمرارها ٠

ولا يمكن للتكنولوجيا الحديثة أن تقدم للصناعة الدعم الكافي لمواجهة هذه المتطلبات المتزايدة ، لانه

حتى المجتمعات الصناعية المتقدمة تواجه تحديات كبيرة لها آثارها وانعكاساتها ومنها :

● تكلفة الانتاج الصناعى تزيد باستمرار زيادة كبيرة نتيجة لارتفاع الاجور والتكاليف ، وهذا بدوره يؤدى الى زيادة اسعار المنتجات الصناعية ويضعف الى حد ما من قدرتها على المنافسة العالمية مما ينتج مجالا للدول النامية التى عندها الايدى العاملة الارخص ولكنها فى نفس الوقت الاقل خبرة وتدريبا واستعدادا ، ويمكن باستكمال هذا النقص ـ بقدر ما ـ الاستفادة من هذا الوضع .

● التطور التكنولوجى السريع يجعل عمر المصانع الحديثة يقل سنة بعد سنة ، وبعض المصانع التى تعتبر حديثة وتتراوح أعمارها بين ٥ و ١٠ سنوات تجد بعض الدول الصناعية الكبيرة انها اصبحت قديمة مع انها فى حالة ميكانيكية تسمح باستمرار انتاجها فى مكان آخر من العالم لعشرات السنين بعدها .

● التكامل الصناعى والاقتصادى يزداد فى أوروبا والولايات المتحدة ودول الكتلة الشرقية ، وعمليات التجميع والتركيز بين الصناعات المتشابهة والمتنافسة فى نفس الوقت لقيام تجمعات عملاقة يجعل فرص حياة واستمرار المصانع المتوسطة والصغيرة فرصا ضعيفة ومكلفة ومرهقة .

● تسابق الدول الصناعية على اسواق الدول النامية سواء للحصول على المواد الخام منها، او لتصدير المنتجات اليها ، فتح الباب لنوع جديد من العلاقات الصناعية بين المنتج الاصيل والمنتج المساعد، ومثال لهذا مايحدث فى اليابان التى تطورت صناعيا الى حد كبير خلال السنوات العشرين الاخيرة ، ولكن نتيجة لتوالى ارتفاع الاجور فيها وزيادة التكلفة الصناعية فان الصناعة اليابانية بدأت ترسى قواعد للتصنيع اليابانى خارج اليابان للاستعانة بالايدى العاملة الارخص والاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة فى تعويض نقص مهارات الافراد فى هذه الدول التى نقلت اليها الصناعة وشاركتها فيها لتضمن بذلك استمرار نموها الصناعى ولو خارج حدودها .

خطة عمل في مواجهة التحدي

والان ما هى الاستراتيجية الواجبة على الامم الصغيرة والنامية فى مواجهة هذا التحدى .

● ان نفقات التقدم التكنولوجى وتطويع التكنولوجيا وتطويرها والاستمرار فى تطبيقها يحتاج الى نفقات واستعدادات باهظة ، وتكلفتها غالية، ولكنها بكل المقاييس والمعايير الاقتصادية عملية مربحة وتؤتى ثمارها ، ويمكن بحسن الاختيار والاصرار على التحسين والتطوير الوصول الى نتائج عملية وايجابية . ومثال على هذا ما يحدث فى سويسرا وبلجيكا وهولندا وهى دول لا تمتلك امكانيات صناعية كبيرة .

عقبات في طريق ملاحقة ركب التطور

وبالنسبة للدول النامية ومحاولة سد الثغرة التكنولوجية وتقليل المسافة بينها وبين الدول الاكثر تقدما فهناك مشكلات رئيسية تواجهها :

الاولى : ان التقدم التكنولوجى فى الولايات المتحدة وبعدها الاتحاد السوفيتى بالغ السرعة ويكاد يكون هناك شبه احتكار فعلى لكثير من نتائج التقدم التكنولوجى والاكتشافات العلمية الحديثة بين الدولتين ، وتختلف الدول الاخرى فى نسبة قدراتها على المشاركة فى هذا المجال ، واقلها بالطبع فى الدول النامية .

هجرة العلماء والمهندسين والاطباء من ٥ دول عربية الى الولايات المتحدة

السنة	الجمهورية العربية	سوريا	لبنان	الاردن	العراق
١٩٥٦	٢٨	٥	٢٨	١٥	١٣
١٩٦٢	٢٧	٢٩	٤٧	٢٢	٢٧
١٩٦٣	٤٨	٢٥	٧٢	٢٣	٢٨
١٩٦٤	٣٦	١٨	٥٤	٢٢	٣٤
١٩٦٥	٢٣	١٦	٥٩	٢٥	٣١
١٩٦٦	٥١	٢٥	٦٩	٢٥	٣٨
١٩٦٧	٨٥	٢٨	١٢٥	٤٣	٦٤

الثانية : هجرة الفنيين من البلاد العربية والدول النامية الى الدول الاكثر تقدما والجدول المرفق مثال من ٥ دول عربية في ٧ سنوات بالقياس الى الدول الصناعية المتطورة ولكنها متقدمة تكنولوجيا الى الحد الذى امكن فيه لصناعة الحديد في النمسا أن تطور طريقة صنع بعض انواع منه ، وقامت صناعة الحديد والصلب في الولايات المتحدة بشراء حق استعمال هذا الاكتشاف ولا يزال هـذا الاكتشاف وحده أحد مصادر الدخل المستمر للنمسا .

الثالثة : ان ٨٠ فى المائة من صناعات العالم الكبيرة مركزة فى الدول الكبرى ومجموع سكانها لا يزيدون عن ٣٠ فى المائة من سكان العالم ، وأصبحت الدول الكبرى فى غير حاجة ملحة وعاجلة الى الدول الصغرى بعد أن أمنت وسيطرت على مصادر كثيرة واساسية لخامات صناعاتها . ولم يبق الا البن والشاى والمطاط الطبيعى لا تزال تحتاجها من هذه الدول الصغرى .

● ومن الاستراتيجية الواجبة على الدول النامية تحديد اختياراتها على أسس اقتصادية وعلمية ، وان تقتنع بان كل مجالات التكنولوجيا لا يمكن دخولها معا .

● وفى الدول النامية يجب وضع حد لعملية الانفصال بين الاندفاع الى التعليم والعلم وبين الخبرة والتجربة العملية ، فالتحامهما معا أمر ضرورى تتولد عنه التكنولوجيا الاصيلة الخلاقة . وأما استمرار استيراد الالات والخبرة ، والتدريب فى الخارج واستقدام الخبراء بغير تأصيل للتدريب المحلى فى البيئة والظروف الطبيعية التى تقوم فيها الصناعة ذاتها ، فاقل ما يقال فيه أنه اتجاه غير عميق الجذور وغير صحى اذ لابد من تطوير كل هذا الى قدرة ذاتية .

● ان التكنولوجيا الصناعية مرتبطة بالانتاج الصناعى . ومن هنا تظهر ضرورة توثيق الصلة بين مراكز الانتاج الصناعى ومراكز التعليم والتدريب بكل مستوياتها ومسمياتها وحاليا فان الانفصال بينها واضح وظواهره موجودة فى كل المجالات .

● عند انشاء وحدات للانتاج من الطبيعى ان تضم عناصر تطوير هذا الانتاج ، وليس فقط المحافظة على استمراره من وحدات التصميم الصناعى ومراقبة جودة الانتاج والابحاث الصناعية والمعلومات وبراءات الاختراع .

● لا يكفى لرفع مستوى الخبرة العلمية والتكنولوجية مجرد تدريب الافراد سواء فى الخارج حيث مراكز الصناعة المستوردة ، أو فى الداخل حيث اقيمت الصناعة وبدأ انتاجها ، ولكن المهم هو توصيل ما تحصل نتيجة التدريب الى التطبيق الصناعى والا أصبح العلم ومعه التكنولوجيا حبيسة عقول العاملين يتكلمون عنها ولا يمارسونها .

● الانفصال بين المجتمع الصناعى والزراعى القائم فى مصر وبين المجتمع العلمى يحتاج الى علاج ، بعد ان تبين ان اتصال هذه المجتمعات الثلاثة بالخارج اوثق الى حد ما من اتصالاتها ببعضها على أرض الواقع هنا وفوق ميدان تجربة الحياة وممارستها .

الاستيراد والنقل

مع التأصيل والتطوير

وفى النهاية فان التكنولوجيا المتقدمة فى الدول الصناعية هى الاساس الذى تقوم عليه صناعاتها، وتتطور وتزدهر وتمتد وتنتشر ، ليس فقط فوق أرضها ولكن الى خارجها .

ومع التسليم بان نقل التكنولوجيا استيرادا من الخارج لا يكفى وحده ، الا ان المؤكد انه لابد من عملية النقل أولا ثم التأصيل ثانيا .

ويكفى أن نعرف أن الثورة التكنولوجية التى بدأت فى منتصف القرن التاسع عشر قلبت موازين الدخل عند الشعوب التى شاركت فى هذه الثورة ، بينما بقيت على حالها ـ هذا ان لم تنقص ـ فى الدول الاخرى ، وبينما كانت الطاقة ـ محرك الصناعة ـ المستمدة من قوى الانسان والحيوان والرياح عام ١٨٥٠ تمثل ٩٤٪ من مجموع الطاقة المستخدمة فى الانتاج، وبعد الثورة التكنولوجية انقلب الميزان وأصبحت الطاقة المستمدة من الفحم والكهرباء والبترول تمثل ٩٤ فى المائة بينما أصبحت الطاقة التقليدية القديمة ٦ فى المائة فقط من الطاقة المستخدمة فى الانتاج فى العالم ، وهذا بخلاف الطاقة الذرية التى بدأت تدخل الى موازين الطاقة فى العالم .

وتغيرت الصورة أيضا بالنسبة لنوعيات الانتاج فى الدول الصناعية المتقدمة فهبطت نسبة الانتاج الزراعى الى الانتاج الكلى من ٥٠ فى المائة الى ١٠ فى المائة . ولكن نتيجة لاستخدام الاساليب التكنولوجية الحديثة فى الانتاج فقد ارتفعت قيمة الانتاج الزراعى فى نفس الوقت الى أربعة اضعاف ما كانت عليه قبل ثورة التكنولوجيا التى

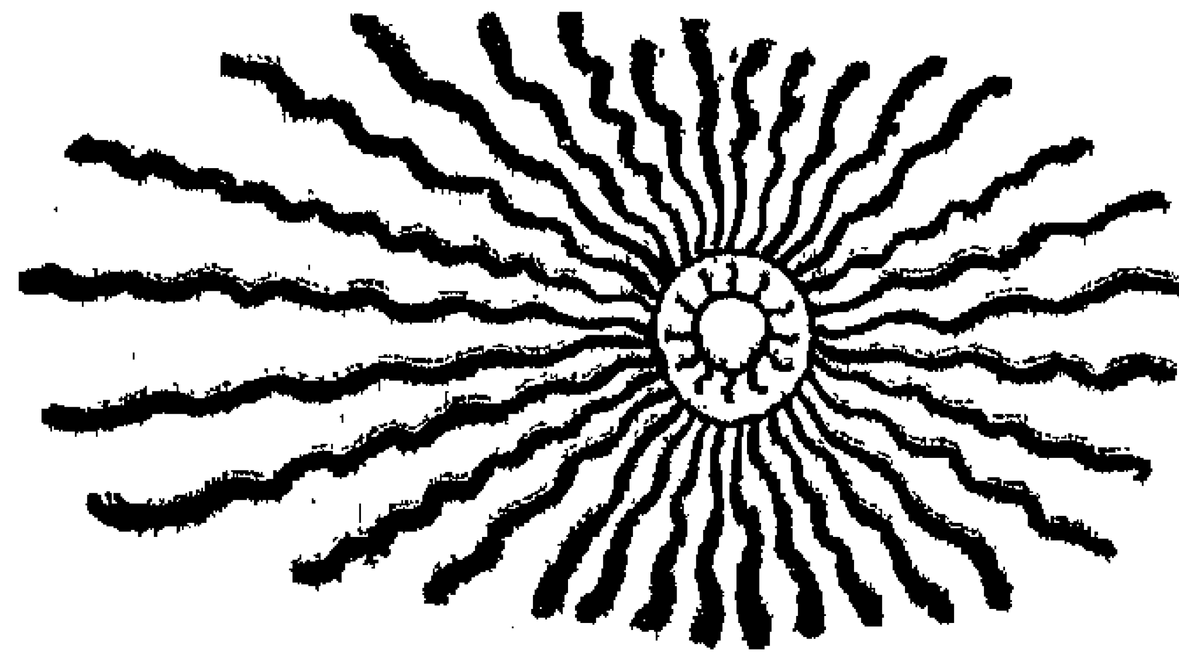
بدأت عام ١٨٥٠ ، وتضاعفت قيمة الانتـــاج الصناعى ما بين ٣٠ ، ٤٠ ضعفا عما كان عليه قبل الثورة التكنولوجية .

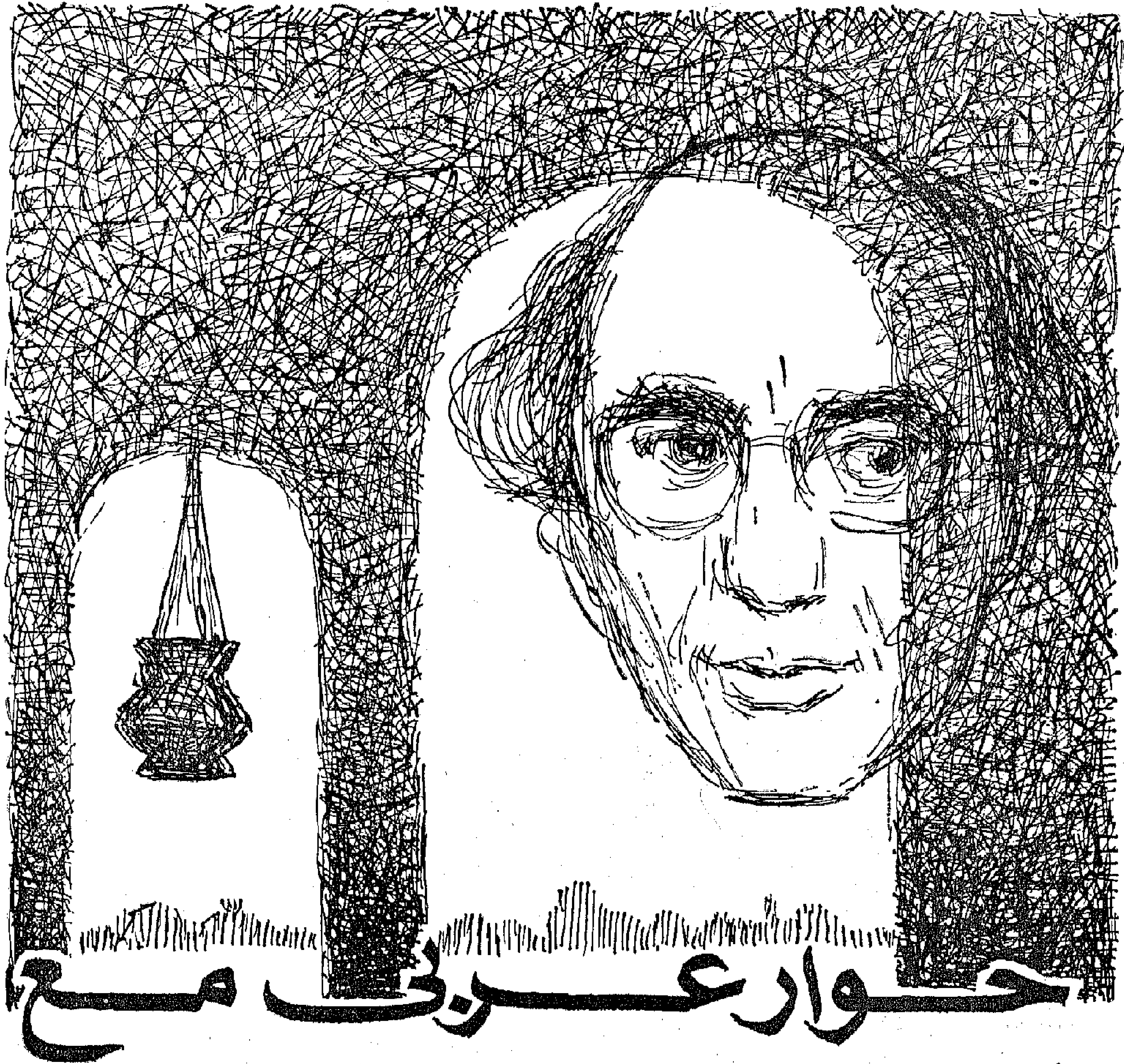
ولان ما تنفقه الدول الكبرى على البحـوث العلمية والصناعية وبحوث التطوير يفوق بكثير قدرات الدول النامية فان براءات الاختـراعات الحديثة هى الباب الذى يمكن الدخول منه للحصول على بعض ما يضمه من ثروات لينعكس اثر هذا على التطوير التكنولوجى • ومثال على هذا ما تنفقه بعض دول العالم الكبرى علـى البحث والتطوير فى سنةواحدة ١٧٫٥٠٠ مليون‌دولارفى الولايات المتحدة ، ٤٣٦٠ مليون فى أوروبا الغربية منهـا ١٧٧٥ مليون دولار لبريطـانيا ، ١١٠٨ لفرنسا ، ١١٠٥ لالمانيا الغربية ويساوى هـذا الانفاق ٣٫١ فى المائة من جملة انتـاج العالم بالنسبة للولايات المتحدة ، ٢٫٢ فى المائة بالنسبة لبريطانيا ، ١٫٥ فى المائة بالنسبة لفرنسا ، ١٫٣ فى المائة بالنسبة لالمانيا •

وحصيلةهذه البحوث اختراعات جديدة بعضها يستفاد منه ويطبق وتنعكس اثاره على التطور التكنولوجى والانتاج الصناعى والزراعى ، ويقدر ما تسجله أجهزة براءات الاختراع فى العالم كل سنة بحوالى ٣٠٠ ألف براءة اختراع ، وهى تمثل حوالى ١٨٠ ألف اختراع نظرا لتسجيل الاختراع الواحد فى اكثر من بلد واحد فى اغلب الاحيان ، ويمكن بنفقات معقولة شراء بعض براءات الاختراع هذه ومحاولة حل شفراتها ، أو التعاقد علـى ترخيص باستغلال اختراعات يثبت فائدتها لبعض انواع انتاجنا ، وقد اهتمت الامم المتحدة بهذا الموضوع ،وكلفت السكرتير العام‌باعداد تقرير عن « دور براءات الاختراع فى نقل التكنولوجيا الى الدول النامية » •

وأوصى هذا التقرير بتشجيع أصحاب براءات الاختراع على استغلالها فى الدول النامية بشروط مناسبة وأوصى الدول النامية باعداد القـوانين والتشريعات اللازمة لنقل التكنولوجيا ، وهـذا يقتضى انشاء جهاز لبراءات الاختراع ، يعد له فئة متخصصة من القانونيين الاقتصاديين يتخصصون فى الملكية الصناعية ، ومن المهندسين يتخصصون فى قوانين براءات الاختراع •

وبعد الحصول على الافكار الجديدة من واقع براءات الاختراع يبقى تطويرها وتطويعها لتناسب صناعاتنا وتكون دما جديدا يجدد شبابها ويدفع بها الى ترسيخ قواعدها ، والى النمو والانتشار على أساس واقعى ، وليس تحت مظلة مـن التشريعات والقوانين والقيـود التى تحميها من المنافسة ومن النقد وابداء الرأى بحجة ان الصناعة الوليدة تحتاج الى فترة زمن حتى يشتد عودها ، لان المهم ليس الزمن بل كيفية الاستفادة من هذا الزمن ، والطريق الذى يسير فيه الانتاج ليس فقط كميا ولكن نوعيا أيضا •





حوار عربى مع مكسيم رودنسون

تنشر « الطليعة » ابتداء من هذا العدد النصوص الكاملة لمحاضرات الاستاذ « مكسيم رودنسون » والمناقشات التى دارت حولها ، وكذلك الندوات التى اشترك فيها خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة .

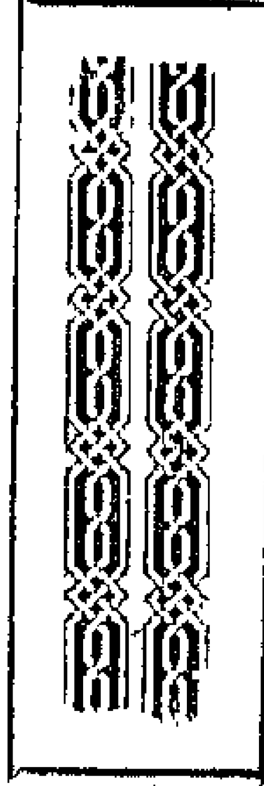
وكان « رودنسون » استاذ علم الاجتماع بالسربون والمستشرق الاشتراكى المعروف ، قد لبى دعوة اسرة تحرير الطليعة لزيارة القاهرة وادارة حوار مفتوح مع المثقفين والمناضلين العرب . وذلك فى الفترة من ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩ حتى ٨ يناير ١٩٧٠ .

وتأتى زيارة « رودنسون » الذى عرف بمواقفه الشجاعة والموضوعية فى فرنسا ضد الحركة الصهيونية ، فى اطار خطة الطليعة لادارة حوار عربى مع أخصب عقول عالمنا المعاصر ، واتاحة أرحب الفرص للقاء والتفاعل مع تيارات الفكر التقدمى فى العالم على اختلاف اتجاهاتها .

النصـــــوص الكاملـة للمحاضرات والمناقشـات

المحــاضــرة الأولى

صورة العالم الإسلامي في أوربا
منـذ العصـور الوسـطى .. حـتى اليـوم



- ألقيت المحاضرة بقاعة المحاضرات بدار الاهرام مساء السبت ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ .
- قدم المحاضر : لطفى الخولى .
- ادار المناقشـة : الدكتـور عبد العزيز كامل .
- اشترك في المناقشة : د. عثمان امين ـ د . محمد احمد خلف الله .

التقـديم

قدم « لطفى الخولى » المحاضر بكلمة قال فيها :

يسعدنا اليوم ان نلتقي الاستاذ مكسيم رودنسون . والاستاذ رودنسون ، ليس في حاجة الى التعريف به في مصر او في اي بلد من بلدان الوطن العربي . فهو كمفكر

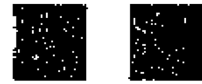
ومناضل اشتراكي ومستشرق ، قــدمولا يزال جانبـا هاما من فكره وجهــده للقضية العربيــة فى صراعها التــاريخىضد الظلم والاستعمار والصهيونية .

ومن هنا كان من حقنا وواجبنا فى نفس الوقت ان نعرف الاستاذ مكسيم رودنسون بانه صــديق عظيم للشعب العــربى .والصداقة لا تمنع من وجــود اختــلاف فى بعض وجهات النظر . ولكنه اختلاففى اطار الاحترام والتقدير المتبادلين .

ولا شك ان اجتماعنا اليوم بالاسـتاذرودنسون واستماعنا له واتاحة الفرصــة للحوار معه ، يغنى حصيلتنا من المعــرفةومن الوقــوف على رأى الاصــدقاء — الايجابى والسلبى — فى موقفنا وحركتنا.كما يتيح له فى نفس الوقت الوقوف على ما وصلنا اليه فكرا وحركة واتجاها .

ثمة نقطة اخرى اود ان اشير اليها .وهى انه منذ اعلن عن زيارة الاســتاذ مكسيم رودنســون ، تلقت « الطليعة »عديدا من الاسئلة عن القضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى لتوجيههــاللاستاذ مكسيم صــاحب المواقف المعروفة والدراسات العميقة حول هــذه المواضيعذات الاهمية الكبرى بالنسبة لكل عربى . وقد تم الاتفاق مع الاستاذ رودنسون أن تجمع الاسئلة التى وردت ،والتىسوفترد بحيث يمكن صياغتها فى عــدد محــدوديغطى مضامينها الاساسية على ان يجيب عليها دفعة واحدة بعد الانتهاء من القــاءمحاضرته الثالثة يوم الاثنين القادم . وعلى هذا الاساس نرجو من جميع الراغبين فىتوجيه اسئلة حول القضيــة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى ان يتفضلوابتقديمها فىميعاد غايتهظهر الغد ،وذلكحتى يمكن اعدادها وتلافى ما قد يكون فيهــامن تكرار .

موضوع محاضرة الليلة يتناول صــورةالعالم الاسلامى فى اوربا منذ العصــور الوسطى حتى اليوم . وكما جرى التقليدفانه سيعقب انتهاء المحاضر من القــاء محاضرته فترة راحة لمدة ربع ساعة يفتحبعدها باب النقاش . ويتولىادارة النقاش السـيد الدكتور عبـد العزيز كامل وزيرالاوقاف ، شــكرا . واتــركالميكروفون للاستاذ رودنسون .



المحــاضرة

كان المسلمون لفترة طويلة يمثلون خطــرابالنسبة للغرب المسيحى ، قبل أن يصبحوا مشكلة بالنسبة له . فقدحدثانتقال للسلطة فىالمناطق النائية من الشرق ، حيث قام شعب صاخبيمارس النهب — وغير مسيحى قبل كل شىء — بغزو وتدمير مناطـــقشاســعة من الارض وانتزعها من ايدى المسيحيين .

وعلى هذا النحو يحكى لنا عن هذا الحدث،بعد انقضاء ثلاثين أوأربعين سـنة علىوقوعه، أحد المؤرخين من بورجونى . فقد جـاء فىكتاب « أوروز » أن العرب الهاجريين (من نسل

هاجر) الذين يطلق عليهم ايضا اسم « العرب الساريين (١) (من نسل سارا) وهم شعب يمارس الختان ،ويسكن على حدود القوقاز شمال بحر قزوين فى مقاطعة اركوليا ـ كان عددهم قد تزايد الى حـــد كبير ، فحملوا الســـلاح وانقضـــوا على الولايات التى يحـــكمها الامبراطور « هرقل » ·· وطبقا لعادتهم فقد توغلوا فيها وهم ينهبون بدون توقف (كتاب تاريخ فريديجير ، فقرة ٦٦)

وفى خلال حكم الامبراطور قسطنطين ثم الامبراطور كونستان اللذين خلفا هرقل ، « قام العرب بعمليات تخريب مروعة · وبعـد ان استولوا على بيت المقدس وقلبوا نظام الحكم فى مدن أخرى غزوا مصر العليا والسـفلى ،واستولوا على الاسكندرية ونهبوها ، وخربوا افريقيا كلها واستولوا عليها ·· » واجبر الامبراطور على أن يدفع لهم جـزية (نفس المصدر ، فقرة ٨١ ، مترجم فى مجلة جيزو) ·

وحلت الكارثة بعد ذلك باسبانيا وسواحل ايطاليا وبلاد الغال · وكان الامر يتعلق ايضا بنفس الموجه من الغزاة الهمجيين . وقد لخص القس « بيد » هذه الاحداث عندما راجع قبل وفاته بقليل فى عام ٧٣٥ كتابه عن « التاريخ الكنسى للزوايا » فكتب يقول : فى هذا العصر حلت نكبة مروعة حيث اجتاح العرب بلاد الغال وقاموا بمذبحة مؤسفة ، ولكن بعد ذلك بقليل نالوا فى هذا البلد العقاب الجديد بما اقترفوا من فســـاد » (« التاريخ الكنسى » ، الجـــزء الخامس صفحة ٢٣) ·

ويبدو ان قليلا من البحث قد جرى بشأن هذا الشعب الذى كان يمثل كارثة بالنسبة للشعوب المسيحية الغربية ، كذا بالنسبة لعدد مـن الشعوب الهمجية · ففى عام ٧٩٣ جـاء فى « **الاخبار التاريخية الكارولينجية** » التـى اطلق عليها خطأ اسم « الاخبار التـاريخية لاجينار » « بينما كان الامبراطور مشغولا بهذا الشكل حلت تجربتان قاسيتان من ارضيـن مختلفتين »(٢) ، وهما الثورة الســاكسونية وتدخل العرب فى **سبتيمانيا** (الجزء الجنوبى الغربى من بلاد الغال)

ولم يغير من الموقف الاساسى للفـرنجة الحملات على الاقاليم التى تقع على حدود اسبانيا بما فيها من اسباب النجاح والفشل او التحالف مع الامراء الامويين المتنازعين الذين كانوا يجيئون احيانا الى « اكس ـ لا ـ شابيل »طلبا للمساعدة ، او الكفاح ضد الهجمات فى بلاد الغال وضد القرصنة على سواحل بروفانس وكورسيكا وساردينيا وايطاليا ، أو العمليات الاخرى مثل نزول بونيفاس دى لوك فى **تونس بنى الاغلب (٢)** فى عام ٨٢٨. وطبقا لما كتبه المؤرخون فقد ظلت العلاقة مائعة بين العرب فى الغرب والمغاربة الذين كانوا يشتركون احيانا فى عمليـاتهم التخـريبية **والعـرب** فـى افريقية · (تونس) **والعرب** فى فارس الذين كان يحكمهم امير المؤمنين الذى اطلقوا عليه اسم ملك الفرس (وفى اماكن أخرى ملـك العرب) ·

وكان **العرب** معروفين منذ زمن بعيد قبل الاسلام بمدة طويلة ، وفى بادىء الامر لم يثر تغيير ديانتهم الا القليل من الاهتمام · فقد جاء مثلا فى وصف للعالم فى القرن الرابع انهم كانوا يحصلون بفضل « الغزو والنهب على كل مايحتاجون اليه للمعيشة » ؛ (دراسة للعالم والناس ، فقرة ٢٠ ، الناشر :ج روجيه باريس ١٩٦٦) ولم يكن المرء فى حاجة الى معرفة المزيد عنهم · وقد كان العلماء يخطئون فى تسميتهم بالعرب **الساريين** نسبة الى اسم سارة زوجة ابراهيم بينما كانوا هم فى الحقيقة (كما كان يتضح من اسمهم الاخر **العرب الهاجريين**) من نسل هاجر ، الخادمة التى طردت فـى الصحراء مع ابنها اسماعيل وكان ذلك يمثل مشكلة ·

وكان مسيحيو اسبانيا الاسلاميـــة ، أهـل الكتاب ، وحدهم يسيرون الى ابعد من ذلك فى الدراسة لاسباب واضحة · فقد كانوا يخضعون للسيطرة السياسية للمسلمين التى كانت تفسح مجالا واسعا لتأثير ثقافة عربية يرونها هادمة لايمان المسيحيين ، فقد كان من الضرورى لهؤلاء المسيحيين أن يكون لديهم صورة اكثر دقة ان لم تكن اكثر صحة عن قاهريهم وعن افكارهم وكما

---

(١) وهى تسمية خطأ . والاصح أن يقال : « العرب غير الساريين » وسينبه الاستاذ المحاضر على هذا الخطأ بعد قليل .. ولقد آثرنا تصحيح التسمية فى الترجمة (الطليعة) .

(٢) وكانت « القيروان » عاصمة هذه الدولة . واستمر حكمها قرنا كاملا (٨٠٠ ــ ٩٠٩ م) (الطليعة) .

حدث في البلاد الشرقية التي تم فتحها فقد شاعت بين الجماهير المسيحية واليهودية اساطير مهينة وجارحة ممزوجة بانطباعات اكثر صحة مستمدة من الاتصالات اليومية • وكما حدث ايضا عند المسيحيين الذين خضعوا في الشرق (فلنذكر حنا الدمشقي (٣) فقد حاول المثقفون ايضا أن يتعمقوا بقدر اكبر في تحليل الايديولوجية الاسلامية ، وذلك بهدف امكان محاربة تأثيرها المحتمل • ولكن الحماس النضالي لالوج ولالفار ولانصارهما في الفترة القصيرة مابين عام ٨٥٠ وعام ٨٥٩ ومجهوداتهم (غير المجدية) لاقناع السلطة والجماهير المسيحية وتعطشهم الى الاستشهاد كان من أثره ان اصبحوا غير قادرين على ذلك المجهود الذهني العميق لمعرفة « العدو » وفهمه •

وفي القرن الحادي عشر تتضح صورة العالم العربي بقدر بسيط لاسباب واضحة ، فقد كان النورما نديون والمجريون وجزء من السلاف قد اعتنقوا الاسلام ، وكان العالم الاسلامي لا يزال العدو الرئيسي • ولم تعد المعارك التي تخوضها ضده في اسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية عبارة عن مقاومة فقط. فقد بدأ التقدم المسيحي البطيء والمتغير يحقق في احيان كثيرة علاقات سياسية وكذلك علاقات ثقافية مع الشعوب المحكومة ولم يعد الامر يتعلق بحروب محلية ، ولكن عبأت كل اوروبا نفسها للقتال الى جانب الاسبان الذين قاموا باسترداد البلاد وعبر النورمانديون من انجلترا الى ايطاليا وكان يتم التغلب على التقسيم الشديد للدول بواسطة الحركة الكلونيزية المرتبطة بخلق وبصعود الايديولوجية البابوية • فقد خلفت هذه الايديولوجية البابوية القائمة اساسا على القيم الدينية الايديولوجية الامبريالية الكارولينجية المركزة في القارة الاوروبية فقد اذل البابا الامبراطور بطريقة رمزية في «كانوسا» في عام ١٠٧٧ ، وكان يتحتم دعم الوحدة المسيحية التي اشاد بها البابوات عن طريق مشروعات عظيمة يتم تنفيذها بطريقة جماعية تحت اشرافهم ، وما هو العمل المشترك الذي يبعث الحماس اكثر من حركة استرداد البلاد التي شملت منطقة البحر الابيض المتوسط حيث كانت المدن التجارية الايطالية في هذا الوقت بالذات تتجه نحو نجاح متزايد في المجال الاقتصادي !

ولم تكن الحروب الصليبية كما قيل ، هي العامل الاهم في تكوين صورة للاسلام ، بقدر اثر الوحدة الايديولوجية للعالم المسيحي اللاتيني التي تبلورت ببطء والتي ادت في نفس الوقت الى توحيد وجه العدو وتوجيه الطاقات نحو الحرب الصليبية وقد اصبح الاشتراك في الحملة الى الاراضي المقدسة واجبا مقدسا للمؤمنين ، وذلك بفضل المثل الذي ضربه الحجاج الى الاراضي المقدسة الذين كان عددهم في تزايد مستمر كما كان تنظيم رحلاتهم في تحسن دائم خلال القرن الحادي عشر ، حيث كانوا ينخرطون في العمل المسلح ضد « البدو النهابين » كذا قيمة كل من بيت المقدس كقبلة يتجه لها الانسان ، والقبر المقدس المدنس بتواجد « غير المؤمنين » ، بالاضافة الى القيمة التطهيرية للحج ومبدأ واجب تقديم المساعدة للمسيحيين « الاذلاء » في الشرق .

وكان يتحتم ، بعد ان ركز الكفاح ووجه على هذا النحو ، ان يحدد عدو له سمات واضحة جدا ونوعية وصورة موحدة الى حد ما • واذا كان العرب يعتبرون في نظر الحجاج اشخاصا بدون ملامح وكفارا ليست لهم اية قيمة ومجرد وجود واقعي قليل القدر يتحركون بينهم . واذا كانت ملحمة « رحلة شارلمان للحج » الخيالية الساخرة في القرن الحادي عشر او في بداية القرن الثاني عشر تظهر لنا الامبراطور وهو يتنقل في القدس دون الاتصال بهم على الاطلاق فان « ملحمة رولان » التي كتبت في نفس التاريخ تقريبا تصور لنا باسلوب خيالي بنفس القدر تقريبا دينا اسلاميا قويا وغنيا فيه عدد من الاشخاص اصحاب السلطة الذين يعاونون بعضهم بعضا ويملكون في الواقع قوات كثيرة من الوثنيين ومعهم بعض النوبيين والسلافيين والارمن والزنوج والافاريين والبروسيين والهون والمجريين (رولان ، ٣٢٢٠) ولكنهم متحدون حول دين محمد وترفاجون وابوللو •

وبدأ روجيه دوتفيل في استرداد صقلية في عام ١٠٦٠ ، ودخل الفونس السادس طليطلة في عام ١٠٨٥ ، ودخل جودفري دي بويون القدس في عام ١٠٩٩ ، واصبح الاتصال بالمسلمين

---

(٣) هو القديس « يوحنا الدمشقي » . توفي سنة ٧٤٣ م . كان أبوه من كبار الموظفين . وعمل هو مستشارا للخليفة الاموي « هشام بن عبد الملك » ثم استقال . وتولى منصبا دينيا قبل سنة ٧٣٥ م . وينسب اليه اول مؤلف في الجدل بين المسيحية والاسلام [الطليعة] .

وثيقا على هذه الجبهات الثلاث . وبدأت صورة الاسلام فى التكوين ، وستصبح أكثر دقة وأكثر صدقا مع مرور الزمن ، ولكنها ستتأثر خلال قرون طويلة بسبب المنافسة الاديولوجية التى ستضفى على الاسلام تحريفاتها المعتادة ·

وفى الواقع لم يكن لدى أوروبا المسيحية صورة واحدة لهذا العالم المعادى الذى تصطدم به ، ولكن كان لديها عدة صور له · وقد تم بصفة خاصة دراسة أفكار الاوروبيين عن الدين الاسلامى · ولكن العالم الاسلامى بأسره هو الذى يظهر أمامهم كموضوع يثير الدهشة أو الاستنكار · ويمكن بطريقة موجزة تبين ثلاثة مظاهر لهذه المخاوف. فعالم الاسلام يمثل قبل كل شىء تنظيما سياسيا ــ أيديولوجيا معاديا ،ولكنه يمثل أيضا حضارة مختلفة ومنطقة اقتصادية أجنبية · وقد أثارت هذه المظاهر المختلفة فضولا وردود فعل متباينة الاشكال أحيانا عند نفس الاشخاص · وكانت الانقسامات السياسية بين المسلمين معروفة ــ وغالبا من مصادر وثيقة الصلة بهم مباشرة ــ ولكن من المعروف أيضا أن هناك تضامنا شاملا مستترا وراء هذه الانقسامات وأنه من المحتمل فى أى وقت أن تعقد الوحدة من جديد ضد المسيحية ، وأن روح هذا التضامن هى الايديولوجية والايمان المشترك ·

وتشكل الدول الاسلامية نظاما معاديا ·ويمكن الاستفادة من منافساتها ، ويمكن التحالف بصفة مؤقتة مع احدها كما يمكن استخدامها ويمكن أيضا العمل فى خدمتها أحيانا كما روى « مينيه » فى ملحمة شارلمان وهو فى شبابه حيث نجده يخدم بوفاء جلافر ملك طليطلة العربى (٤) ويتزوج ابنته جالينا (التى بالطبع تعتنق المسيحية) ، (مينيه) · وقد كانت الاحداث من هذا القبيل كثيرة فى أسبانيا وفى الشرق · ولكن العداء يكون خفيا ويمكن أن يبعث دائما من جديد ·

وأنه من المدهش ، كما أشار عدد كبير من المؤلفين ، أن يرى المرء كم يشبه موقف العالم المسيحى تجاه العالم الاسلامى بوصفه تنظيما سياسيا ايديولوجيا ، موقف العالم الرأسمالى الغربى اليوم تجاه العالم الشيوعى ، فمن الناحية الهيكلية فان أوجه التشابه واضحة · ففى كلتى الحالتين يوجد نظامان يتجابهان ،يضم كل منها دولا منقسمة ومتعادية ولكنها موحدة بفعل الايديولوجية ·

ومن المؤكد أن رجال السياسة وموظفيهم ومخبريهم وجواسيسهم كانت لديهم صورة عن العالم الاسلامى لا نعرف عنها الا قدرا غير واف . ومن المؤكد أنها كانت أكثر دقة من الصورة التى كانت لدى الايديولوجيين والجماهير · ومن المؤكد أن النبلاء فى الارض المقدسة ، وهم أقرب الناس ، كانوا يعلمون الكثير عن الانقسامات الداخلية فى الدول الاسلامية · ومن هنا فقط يمكن تفسير التحالفات المتكررة التى كانت تتم بين بعض حكام الفرنجة وبعض الحكام المسلمين ضد حكام آخرين · ويتضح ذلك بعض الشىء فى كتاب التاريخ الذى ألفه غليوم دى تير (صور) فى حوالى عام ١١٧٠ بناء على طلب أمورى ملك القدس · وقد كان غليوم رئيسا للاساقفة ثم أصبح رئيسا للعدل (٥) فى مملكة القدس · وقد كلف فى أحيان كثيرة بمهام دبلوماسية · وهو يعرف جيدا الصراع الذى كان قائما بين السنيين والشيعة والاختلافات الموجودة بين العرب والاتراك ويبرزها · وهو يعرف كذلك العداء الموجود بين بعض الحكام المسلمين الذين ينتمون الى نفس السلالة البشرية · وعندما أغتيل مردود أتابك الموصل فى دمشق فى عام ١١١٣ كان غليوم دى تير يعرف أن « البعض ظنوا أن تاغتيجين ملك دمشق هو الذى دبر اغتياله أو على الاقل وافق عليه لانه كان يخشى كثيرا (مودود) (٦) الذى كان ماهرا وقويا وكان يخاف كثيرا أن يأخذ منه مملكته » . ويتعرف المرء فى هذه الاوساط على علاقات القوة بين الدول وعلى العلاقات القائمة بينها مع تشبيه هذا الموقف بطريقة تلقائية بالموقف الاوروبى · وكان الخليفة يعتبر بطريرك

---

[٤] الاسرة التى اعتلت عرش «طليطلة» زمن ملوك الطوائف بالاندلس ، هى أسرة « ذو النون » ، وليس من بين حكامها من له هذا الاسم ، مما يدل على أن هذه الاسماء هى لاشخاص أسطوريين وليست لملوكها الحقيقيين [الطليعة] .

[٥] وهو منصب يوازى ما كان معروفا لدى المسلمين يومئذ بمنصب « قاضى القضاة » [الطليعة] .

[٦] كانت دمشق فى ذلك التاريخ تحت حكم السلاجقة [١٠٩٤ ــ ١١١٧ م] وليس من بين ملوكهم هذه الاسماء فهم خمسة « تتش ألب أرسلان » وابناه « رضوان » و « دقاق » ثم « ألب أرسلان الاخرس » و « سلطان شاه » ابنى « رضوان » ، و « رضوان » هو الذى مات سنة ١١١٣ م [الطليعة] .

المسلمين (خلفاء العرب)Chev elavit وهو فى نفس الوقت « أميرهم الاعلى » و « قائدهم الكبير » (الرئيس) • وقد جاء فى كتاب « تقسيم أراضى ما وراء البحار » فى حوالى عام ١٢٠٠ أن بغداد هى عاصمة Chig Chig الوثنية بأسرها ، مثلما روما عاصمة المسيحية بأثرها •• وكان جوانفيل يعرف فى القرن الثالث عشر عن طريق التجربة المباشرة اشياء كثيرة عن تنظيم امبراطورية المماليك معتقليدها الغريب الخاص بوضع ادارة الدولة بين أيدى العبيد ، وهو الامر الذى كان قد أثار من قبل دهشة المترجم (جوانفيل) والخليفة الفرنسى لغليوم دى تير • ولكن هذا الكنز من معرفة رجال السياسة فى الشرق لم يكن يذاع قط خارج وسطهم • ولم تكن الحكومات الغربية تستغل ذلك الا بالقدر الادنى اللازم لسياستها فى الشرق ، فلم يكن هناك جمهور فى الغرب لعرض تفصيلى للتاريخ السياسى للاسلام أو اهتمام واسع بعض الشىء بالمنازعات السياسية التى كانت توقع الانقسام بين « الكفار » •

ولكن على النقيض فقد أوجدت الحرب الصليبية جمهورا واسعا متعطشا للحصول على صورة اجمالية وتركيبية وترفيهية ومرضية بالنسبة له للأيديولوجية المعادية بوصفها نظاما للافكار • وتبدو دائما العقائد فى الظاهر على ما تريد أن تكون عليه بالنسبة للمؤمنين بها ، وهو أن تكون الاساس • ولكن الجمهور الكبير كان فى حاجة الى أن توضح له الصورة المعروضة أمامه ما يريد اضفاءه على الاسلام من طابع بغيض، مع شرحه بطريقة مبسطة وأن تكون فى نفس الوقت قادرة على ارضاء ميوله الادبية نحو ما هو خيالى ، وهى ميول واضحة الظهور فى كل انتاج العصر ، وأن تتضمن هذه الصورة السمات الاجنبية البارزة التى شدت اليها اهتمام الصليبيين فى علاقاتهم مع المسلمين والى جانب ذلك فكما تكون كل حركة أيديولوجية تاريخا مقدسا يشرح من الناحية التاريخية ظهورها كعلاج ضرورى لمصائب القرن وكأنها تستمد سلطتها من عوامل خارقة للطبيعة أو على الاقل متميزة وكنهاية محتمة للتاريخ الانسانى ، ويصور مؤسسها وقد منح مواهب غير عادية ، ويمجد حتى يصبح أحيانا الها ، كذلك تتبين كل حركة معادية جوهر الطابع المضر لمنافسها فى هذا التاريخ المقدس الذى يصبح شيطانيا وفى النشاط المضر لمؤسسها •

وقد تولى المؤلفون اللاتينيون فيما بين عام ١١٠٠ وعام ١١٤٠ ارضاء هذه الحاجة عند الجماهير العريضة • وهكذا ركزوا جهودهم على حياة محمد دون أن يلتزموا كثيرا بالدقة • وكما قال ر • و • سازرن فقد أطلقوا سراح « جهل الخيال المنتصر » • •• وكانت تزين هذه الصورة أساطير مستمدة من الفولكلور العام ومن الادب القديم ومن النصوص البيزنطية عن الاسلام ومن الروايات الاسلامية التى حرفها مسيحيو الشرق بطريقة مشينة • ويقول لنا سازرن أن جيبيردى نوجان كان يعترف أن ليس لديه مصادر مكتوبة وأنه قدم فقط رأى الشعب دون وجود أية وسيلة لتبين الصحيح من الخطأ • ولكنه كان يكشف بطريقة ساذجة الاساس الحقيقى لكل نقد ذى طابع أيديولوجى • وقد توصل الى هذه النتيجة: « يمكن بدون تردد أن نذكر بالسوء من تكون دخيلة نفسه فائقة فى الرداءة عن كل ما يمكن وصفه به من سوء » •

وقدمت رؤية الادب هذه ، كما هو الحال دائما ، للجماهير العريضة معلومات بقدر أكبر للصورة التى احتفظت بها الاجيال التالية من المؤلفات الاكثر علما ودقة • وازدادت أيضا هذه الرؤية جمالا • بفضل العديد من الاعمال الادبية، وكان الخيال المطلق الذى يهدف فقط الى اثارة انتباه القارىء يمتزج بنسب متفاوتة مع التحريفات الايديولوجية التى كانت تزيد من الكراهية تجاه « العدو » • وقد وصلت الملحمات الى أقصى درجات الاختراعات الخيالية • ونسب الى المسلمين ممارستهم لطقوس وثنية كما اتهم المسلمون بدورهم المسيحيين بالشرك •

ولم تكن هناك نظرة موضوعية فى ذلك الحين الا فى مجال مختلف تماما لا يمس الا بطريقة غير مباشرة على الاطلاق الدين الاسلامى ،وهذا المجال هو مجال العلوم بأوسع معنى

للكلمة • فمنذ بداية القرن العاشر حاولت بعض الاوساط المغلقة زيادة كنز المعرفة النظرية عن العالم وعن الانسان ، وهو ما تتضمنه بضع كتب لاتينية أنقذت من غرق الحضارة القديمة • وكان قد علم فى هذه الاوساط أن المسلمين يملكون ترجمة عربية للكتب الهامة التى صدرت فى العصور القديمة ، وأن لديهم كتبا كاملة فى العلوم التى كانت تعتبر أساسية • وقد بدأت تظهر مع مرور الزمن ترجمات لاتينية لهذه الكتب ، وبدأت حصيلة العلوم العربية تنتشر فى انجلترا واللورين وساليرنو وخاصة فى أسبانيا حيث كانت الاتصالات أسهل ، ونمت أعمال الترجمة ونظمت فى أسبانيا بعد الاستيلاء ــ فى عام ١٠٨٥ ــ على مدينة طليطلة الكبرى ، وهى أحد المراكز الثقافية (٧) . ومما لاشك فيه أن البحث فى المخطوطات العربية لم يكن يستهدف الوقوف على صورة للاسلام أو للعالم الاسلامى ؛ ولكنه كان بغرض الحصول على معرفة موضوعية عن **الدنيا** ، ولكن **بحكم** الظروف كان الباحث يحصل فى نهاية الامر على بعض المعلومات عن النظرة الاسلامية لهذه المعرفة • كما كان يوجد أيضا اتصال وثيق بالمترجمين الذين كانوا من المسلمين فى بعض الاحيان ، لكنهم كانوا على أى حال اما من المهتدين أو أهل الكتاب أو اليهود الذين لديهم معرفة واسعة ودقيقة عن العالم الاسلامى •

وكان لابد أن تنتشر معلومات اكثر دقة عن هذا العالم عن طريق هذا المصدر • ومن المرجح ان ذلك هو التفسير لبعض الملاحظات التى ترجع الى النصف الاول من القرن الثانى عشر ، وهى ملاحظات تختلف بدقتها الموضوعية عن السيل الخرافى للادب الترفيهى ، ولدينا البرهان بالنسبة لبيدرو دى الفونسو ــ اليهودى الاسبانى ــ الذى عمد فى هويسكا فى عام ١١٠٦ واصبح فيما بعد طبيب هنرى الاول ملك انجلترا ، (وقد توفى فى عام ١١١٠) • وقد ترجم كتبا فى الفلك ، كما الف أول كتاب يتضمن معلومات لها شىء من القيمة الموضوعية عن محمد والاسلام •

وقد قام « **بيير لى فينيرابل** » قس **كلونى** (الذى ولد فى حوالى عام ١٠٩٤ وتوفى فى عام ١١٥٦) بمجهود غير عادى للحصول على معرفة علمية على اسس موضوعية للدين الاسلامى ، ولنشر هذه المعرفة • وهو يمثل نقطة التقاء بين تيار الاهتمام الثقافى بالتراث العلمى للعالم الاسلامى وتيار الفضول الشعبى تجاه الاسلام • وتوجد عدة اسباب لهذه المبادرة المدهشة من قبل **بييرلى فينيرابل** وهى : المعرفة المكتسبة ولو بطريقة غير مباشرة للمشكلات الاسلامية ولنشاط المترجمين اثناء زيارته لاديرة طائفته الدنية فى اسبانيا والحرص على محاربة الفتن واليهودية والاسلام بحجج جدية قائمة على اساس ذهنى وبعطف تجاه اشخاص الافراد « الذين يعيشون فى الخطأ » وينبع هذا الحرص من طابع قس كلونى نفسه ، وقد اعطى عدة امثلة منه فى حالات اخرى • **وكان بييرلى فينيرابل** يدرك تماما المخاطر التى تتعرض لها الكنيسة وهى تدخل فى عصر من الاضطراب الثقافى والانشقاقات المخيفة والجدال العام • وكان يريد ان يسلحها ضد هذه المخاطر نظرا لاقتناعه الشخصى ولكونه رئيسا لطائفة تهب نفسها لهذا الهدف • وكان يريد استجابة لطباعه وربما ايضا كانعكاس لطرق جديدة فى التقدير كانت لا تزال محدودة جدا أن يسلح الكنيسة باسلحة متينة دون أن يهدر روح المحبة التى يكنها المسيحى الصادق لكل شخص صادق • ومن المحتمل جدا ايضا ان يكون بييرلى فينيرابل قد اندفع دون ان يدرى بسبب فضول نزيه كان يخجل منه وكان يخفيه عن نفسه •

وكان يعلم ان مبادرته لن تلقى الا القليل من الفهم ، وقد اكد له هذا الاقتناع الطريقة التى استقبل بها ، خاصة من قبل صديقه واحيانا عدوه « برنار دى كليرفو » ، وقد اعتذر بيير لى فينيرابل عن هذه المبادرة باستخدام نفس الحجج التى استخدمها دائما تجاه « المناضلين » المخلصين والمثقفين النظريين المبتعدين ظاهريا أو حقيقة عن الصراعات القائمة وقتئذ والذين ينظرون اليها على الاقل بشىء من البعد « واذا كان يبدو أن هذا العمل غير لازم لانه لا يمكن اصابة العدو بمثل هذه الاسلحة فاننى اجيب انه فى دولة ملك كبير توجد بعض الاشياء لاغراض الحماية واشياء اخرى للتزين وثالثة ايضا للهدف الاول والثانى معا • وقد اوجد **سليمان الحكيم** اسلحة من اجل الحماية لم تكن ضرورية فى عصره ، واعد داود زينات للمعبد رغم انه لم يكن من الممكن ان تكون مثل هذه الزينات مفيدة فى عصره •• ويبدو ايضا انه لا يمكن وصف

---

[٧] اي المسلمين من اصل مسيحي [الطليطلة] »

هذا العمل بأنه غير مفيد ، واذا لم يكن من الممكن اهتداء المسلمين الضالين بفضله فعلى الاقل لا يمكن ان يتجاهل العلماء المتحمسون للعدالة ان يحذروا الضعفاء فى الكنيسة الذين يصدم شعورهم بسهولة والذين ينفعلون دون أن يدروا لاسباب تافهة » (٨) ٠

ومول بيير لى فينيرابل فى اسبانيا مجموعة من المترجمين يعملون فى فريق ٠ وانتهى البريطانى « روبرت دى كينون » من ترجمة القرآن فى عام ١١٤٣ ٠ وترجم الفريق سلسلة من النصوص العربية واختار اجزاء من نصوص أخرى ، وهذا ما يسمى بالديوان الكلونيزى الذى كان يتضمن بحثا قام به بيير لى فينيرابل بنفسه ، وقد انتشر هذا الديوان على نطاق واسع ولكنه لم يستغل كما كان من الممكن ان يحدث ٠ وقد استخدمت الاجزاء التى تفيد الجدل القلمى بطريقة مباشرة وسريعة باكبر قدر حيث ذكرت كما هى ٠ ولم تستخدم المعلومات التى تضمنها هذا الديوان فى دراسة جديه ومتعمقة للاسلام ، ولم تكن مثل هذه الدراسة تثير اهتمام احد ، ولم تكن تبدو مفيدة للصراعات الدائرة خاصة وأن الجدل القلمى الدينى لم يكن موجها ضد مسلمين من صنع الخيال يمكن سحقهم بسهولة على الورق ، وفى الواقع يبدو الهدف أن يعطى المسيحيون أسبابا وجيهة لدعم ايمانهم ٠ ومن ناحية اخرى لم تكن الحالة الذهنية للغرب اللاتينى تؤهله لان يهتم بالايديولوجيات فى حد ذاتها كما كان يحدث فى الشرق الاسلامى ٠

واكتشف اللاتينيون فى مجال يقع أيضا فى ملتقى عدة تيارات هامة صورة اخرى للاسلام كانت تتناقض بشدة مع الصورة التى كانوا قد كونوها لانفسهم فى الاطار الدينى وهذه الصورة الاخرى هى الفلسفة ، وقد ظهرت الفلسفة فى باديء الامر كمجرد ملحق للعلوم ٠ وقد تم استكمال الكتب المعتمدة فى علوم الطبيعة بمؤلفات ما يمكن تسميته بالمنهجية العلمية وبمؤلفات المنطق ونظرية الكون والانسان وكان نفس مؤلفى الموسوعات وعلى رأسهم ارسطو وابن سينا قد تناولوا نفس هذه الموضوعات ٠ وكان الغرب اللاتينى يدرس فلسفة ارسطوا الذى كانت بعض بحوثه قد عرفت عن طريق الترجمات اللاتينية القديمة التى قام بها « بويس » وعن طريق الترجمات الجديدة من اليونانية مباشرة ٠ وقد ذهب « جيرار دى كريمون » (الذى ولد عام ١١١٤ وتوفى عام ١١٨٧) الى طليطلة ليبحث عن نصوص عربية ليقوم بترجمتها ، وذلك بغرض اضافاتها الى كنوز الفلسفة الغربية ٠ وفى حوالى هذه الفترة ، بدات ترجمة « الشفاء » وهى الموسوعة الفلسفية الكبيرة التى كتبها ابن سينا ٠ وفى حوالى عام ١١٨٠ تم جمع اول ديوان للمؤلفات الفلسفية لابن سينا ونشر فى اوروبا وكان تاثيره كبير جدا ، وقد أعقبته بسرعة ترجمات لفلاسفة آخرين ٠

وقد قدمت مؤلفات ابن سينا للاتينية نموذجا للبحث المبتكر ويبدو ان هذا كان يسمو ويفوق الاتجاهات المتناسقة التى كانت تتجابه فى الاوساط الفلسفية المسيحية فى نهاية القرن الثانى عشر والتى كانت مستمدة من القديس اوغسطين ومن المدعو « دينى الايروباجى » ومن ارسطو ٠ وقد اضاف ابن سينا فى شرحه المتكامل ، للعالم وللانسان ، الى البحث الاريسطاطالى — الذى كان قائما على المفهوم العلمى للعالم — مجال البحث عن الخلاص وتاكيد وجود اله خالق ، وهما قيمتان ضروريتان للفكر المسيحى ٠ وعلاوة على ذلك فقد كانت مؤلفات ابن سينا توفر المثل والحافز لاعادة التفكير بطريقة مبتكرة فى العلاقات بين الله والعالم والانسان مع اسلوب ارسطو فى التفكير فى مجال المعرفة ونظريتها ٠ ولذا فلا يدعو نجاح هذه المؤلفات الى الدهشة ٠ وقد شرح روجربيكون (١٢١٤—١٢٩٢) (٢٥٠) وهو يعرض فى كلمات قليلة تاريخ الفلسفة قائلا : « لقد جدد ارسطو الفلسفة باللغة اليونانية بصفة خاصة كما فعل ذلك ابن سينا باللغة العربية »

---

[٨] المترجمان اللذان ترجما القرآن الى اللغة اللاتينية فى ذلك التاريخ هما « روبرت أوف تشستر Robert Of Chester » و « هرمن Hermann » الدلماطى والاول انجليزى ، وقاما بالترجمة لحساب الراهب « بطرس المحترم » [الطليعة] ٠

[٩] [٩٨٠ — ١٠٣٧ م] كان طبيبا وفيلسوفا وشاعرا وفقيها ، ولامتيازه فى كل هذه الاشياء لقب فى تاريخ الفكر العربى بالشيخ الرئيس [الطليعة] .ھ

وكانت صورة العالم الاسلامي — كمهد للفلاسفة — ذات مكانة كبيرة ، وكانت هذه الصورة تتعارض بشدة عند المفكرين مع صورته كتنظيم سياسي تحكمه ايديولوجية معادية وقائمة على الخطأ ، وذلك طبقا للافكار الشعبية المستندة الى خرافات بغيضة تثير السخرية . وكان من الصعب التوفيق بين هاتين الصورتين . وكان في استطاعة الفلاسفة من علماء اللاهوت ان يطبقوا على المسيحية افكار ابن سينا التي تتعلق بالحضارة الاسلامية كما طبق روجر بيكون تمجيد دور البابا ما قاله ابن سينا عن الامام وكان العرب يظهرون في بعض النواحي كأمة فلسفية . ويبدو أن كلمة فيلسوف كانت تعني في الواقع « مسلم » كما حدث عند « ابيلار » (الذي توفي في عام ١١٤٢ والذي كان صديقا لبيير دي فينيرابل (. وبعد ذلك بقرن كتب توما الاكويني « بحث ضد الوثنيين » . وكان يقصد به هي الواقع العرب . وهو بحث استهدف منه اثبات النظريات المسيحية على ضوء العقل فقط » .

ومن المعروف ان هذا البحث قد كتب في حوالي ١٢٦١ — ١٢٦٤ بناء على طلب القديس « ريمون دي بينيافور » (١٠) « المبشر المتحمس بالايمان بين العرب » من أجل حملاته التبشيرية في اسبانيا .

وقد أمكن الخروج من هذا التعارض بافتراض أن الفلاسفة كانوا بطريقة او بأخرى على خلاف مع الدين الرسمي لبلادهم ، وهو رأي موجز جدا وعام جدا ، ولكن يمكن اسناده الى معلومات دقيقة معينة ، وربما كان الفلاسفة قد وافقوا على عقائد او ارشادات معينة بوصفها نافعة بالنسبة لشعب جاهل وهمجي . وقد لقي التلاميذ الغربيون لابن سينا — وتلاميذ ابن رشد بعد ذلك بقدر اكبر — صعوبات مع علماء اللاهوت المحافظين حتى عندما كانوا يدخلون التحفظ الذي تلقوه من الخارج في مؤلفات تجمع اراء من طراز ما اسماه اجيلسون بالاوغوستينية (١١) . على طريقة ابن سينا . وقد تعاظمت هذه الصورة عندما ذهب البعض الى حد انشاء « مذهب لابن سينا لا تيني » (ر دي فو) ، بينما نحا آخرون نحو فلسفة ابن رشد . وكان ذلك يؤهلهم لكي يكتشفوا في العالم الاسلامي تقسيمات تكاد تكون متماثلة . وكانت هناك عدة عوامل داخلية في العالم الغربي تحمل على التفكير المرن بين الصور والمواقف التي عرفت عن العالم الاسلامي ، ولكن ليست من مهمتنا تحليلها .

ولم يكن هذا العالم الاجنبي يثير الاهتمام لاسباب سياسية او عسكرية او لما فيه من اتجاهات ايديولوجية أو علمية فحسب ، بل كان يثير ايضا اهتمامات كثيرة عند الاشخاص المتعطشين للروايات الغريبة اللاذعة بسبب الطرافة التي تنطوي عليها . وهنا ايضا ادى تزايد الاتصالات عقب حرب استعادة اسبانيا ، وفتح صقلية الاسلامية واقامة دول لاتينية في الشرق الى أن تصبح المعلومات الاكثر تفصيلا والاكثر دقة ضرورية ، وذلك دون اغفال للاحكام المجملة عن الاسلام كدين او للروايات الخيالية التي نقلها الادب الترفيهي الواسع الانتشار . وكان المرء يتعلم بالرغم من ذلك اشياء كثيرة وصحيحة بقدر كبير عن جغرافيا العالم الاسلامي وعن مناخه ، وعن مدنه وعن تنظيمه وعن النباتات والحيوانات وعن المنتجات الزراعية والصناعية ، كما عرفت ايضا الكثير من التقاليد العرب والبدو ، وفيما بعد التتر اي المغول . وكان العرب يطلقون لحاهم وكانوا يعيرونها اهتماما كبيرا ويحلفون بها ويتأثرون جدا بفقدها ، وكانوا يرتدون عمائم تحميهم من الاصابات في القتال ، كما كانوا يعقدون أيديهم

---

[١٠] اسم هذا القديس « ريموندلل » Raymond Lull من أهل « كاتلونيا » ، أسس سنة ١٢٧٦ م في « ميرامار » كلية للرهبان تدرس العربية ، وكان هدفه ان يحل التبشير محل الحروب الصليبية في غزو الشرق . [الطليعة] .

[١١] نسبة الى القديس « اوغسطين » [٣٥٤ — ٤٤٠ م] . خرج على المسيحية في شبابه ، ثم عاد اليها ، وعمل اسقفا لمدينة « عنابة » الجزائرية ، وصار زعيم الكاثوليكية الافريقية [الطليعة] .

على صدورهم كدليل على الاحترام ، ويأكلون وهم جالسون على حصر ، ويدفنون موتاهم الكبار ومعهم بعض المجوهرات والاشياء الثمينة وصورة لمحمد وكانت تقاليد الضيافة مقدسة بالنسبة لهم . وكان المرء يضمن سلامته عندما يكون قد اكل معهم العيش والملح · وكانوا يحترمون الشيوخ ، ويحبون الالوان الصارخة · وكانت ثروتهم من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والاقمشة الجميلة وتصور حكامهم المزينة بالذهب والفضة والرخام والنافورات المرطبة تثير الاعجاب · وكانت توجد في هذه القصور عصافير ذات الوان متعددة جلبت من كل انحاء الشرق · وكان يوجد في حدائق الحيوان كل انواع الحيوانات وكان البدو الرحل يخضعون العرب ، ويمارسون التجارة وتربية المواشي ، ولم تكن لهم مساكن ثابتة ، وكانوا جنودا سيئين يتجنبون القتال وينتظرون حتى يروا من من العدوين سيقهر لينهبوا معسكره ·

وكانت نفس العوامل تدفع الى القيام من الناحية التاريخية بأولى المحاولات الجدية · ففي القرن الثاني عشر ضمن جوديفروا دي فيتيرب سكرتير الاباطرة الالمان في كتابه عن « تاريخ العالم » بحثا بمعلومات كثيرة عن حياة محمد · وفي بداية القرن التالي كتب الكاردينال رودريجو كريمينيز رئيس اساقفة طليطله اول كتاب تاريخ غربي عن العرب مبتدئا من محمد ومن الخلفاء الاولين ولكن مركزا اساسا على نشاط العرب في اسبانيا ·

وينسى المرء في كثير من الاحيان أنه كان هناك حافز آخر دفع الى معرفة العالم الاسلامي . وهو الدافع الاقتصادي والبحث عن الربح التجاري · وكان العالم الاسلامي مجالا اقتصاديا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الاوروبيين ·

وقد بدأ الغربيون في أول الامر يتاجرون مع الشرق الاسلامي عن طريق بعض الاجانب مثل اليونانيين والسوريين أو اليهود انصاف الاجانب · ولكن منذ القرن الثامن أخذت المدن الايطالية التي تخضع للحكم البيزنطي مثل البندقية ونابولي وجاتيا وأمالفي التي ستحصل تدريجيا على الاستقلال تسيطر على هذه التجارة ، وبدأ الاسكندنافيون ايضا بالقيام بدور هام كوسطاء ، وقد أدى اعتناقهم المسيحية ، الى أن أصبحوا اعضاء في العالم المسيحي الغربي · ودخلت بعد ذلك الشعوب المسيحية الاخرى الى هذا المجال · وقد تطلب هذا حدا أدنى من التنظيمات المشتركة للتقريب بين العالمين : تداول عملات العرب في الغرب وتقليدها ، اشكال العقود التجارية · وقد عرف التجار الغربيون في بادىء الامر العرب على انهم قراصنة وكانوا يخشونهم · ولكن الايطاليين كانوا أول من أتيح لهم قدر كاف من القوة للافلات منهم أو للرد عليهم قبل أن يصبحوا هم انفسهم المعتدين · وسرعان ما دخلوا في البلاد العربية ، وكانوا يقومون احيانا باعمال غير قويمة مثل عملية سرقة رفات القديس مرقص من الاسكندرية في عام ٨٢٨ التي قام بها اهالي البندقية . ولكنهم كانوا يحملون بطاقات « أمان » في أحيان كثيرة ويتصلون مباشرة بزملائهم المسلمين أو المسيحيين الشرقيين وكان ذلك يحتم — مع تزايد حجم التبادل وتأكيد القوة الغربية — وجود علاقات مع رجال الجمارك ومع صغار الموظفين ثم مع موظفين يتمتعون بسلطات أوسع · وقد فرضت التجارة منذ زمن مبكر علاقات على المستوى الحكومي ، وقد تم على هذا المستوى مثلا تحالف مدن كامبانيا وخاصة المالفي مع العرب في القرن التاسع رغم تهديدات وترغيبات البابا ورغم تباكي الامبراطور لويس الثاني الذي كانت نابلي قد أصبحت بالنسبة له باليرمو او مهدية اخرى (١٢) . وكان أهالي أمالفي في بداية القرن التاسع في حاجة الى مثل هذه العلاقات مع فلسطين لاعادة بناء كنيسة « سانتا ماريا دي لاتينا » في القدس التي كان « الحاكم بامر الله » قد دمرها ، أو لاقامة سوق يوم ١٤ سبتمبر من كل عام ، حيث كان يستطيع الفرد عرض بضاعته مقابل دفع عملتين من الذهب · وقد بنوا حيالهم في انطاكية قبل الحرب الصليبية الاولى · وبالطبع أصبحت هذه العلاقات المحدودة اكثر عددا واهمية بعد الحروب الصليبية · ونحن نعرف كيف زاد عدد الوكالات التجارية الايطالية التي لعبت دورا ازداد أهمية على الدوام ·

---

(١٢) اشارة الى اسم المدينة التي انشأها الفاطميون في افريقيا [تونس] وجعلوها عاصمة لدولتهم الثائرة على الحكم العباسي [الطليعة] .

وكان العالم الاسلامى ، فى نظر هؤلاء التجار القادمين من مناطق مختلفة ، مصدرا للكماليات التى كانت تجلب احيانا من بلادابعدمثل : البردى والعاج والاقمشة الثمينة والتوابل ، كذا مصدرا لمنتجات الاستهلاك الكبير مثل زيت الزيتون • وكان العالم الاسلامى ايضا سوقا «للمواد الاولية » أوللمواد الخام الاوروبية مثل الخشب والحديد ومعادن أخرى ولصمغ الصنوبر والعبيدوالفراء • ثم انقلبت أوضاع العلاقات شيئا فشيئا فاصبحت أوربا تصدر المنتجات المصنعة مثل السيوف الاسكندنافية وخاصة الاقمشة بكميات متزايدة •

ومن الواضح أن هؤلاء التجار الاوربيين الذين تربطهم علاقات عمل مع العالم الاسلامى مهما كان تمسكهم بالعقيدة المسيحية ، لم يكن ممكنا لهم أن يشاركوا بالموافقة على الافكار المجملة التى كانت تدور حول هذا العالم فى أوساط أخرى من أوربا • ولدينا شهادات متفرقة ولكن لها دلالتها عن العلاقات الودية التى كانت قائمة بين التجار المسيحيين والمسلمين • وكان الانطباع العام لروبرتولوبيز، وهو واحد من أفضل من يعرفون هذه المشكلات أن « المجتمعين لم يكن أحدهما الحب للاخر ولكنهما لم يحتقرا بعضهما كما كان اليونانيون والرمان القدماء قد احتقروا البربر أو كما احتقر المسيحيون المنتصرون الوثنيين » • وكان « التواطؤ المكتوم للتجار يؤدى الى بروز تقرير متبادل » •

وكان من المشاهد ايضا وجود هذا التقدير فى اطار آخر وسط المعارك التى وقعت بين الصليبيين والعرب فى الشرق • ورغم كل الاحقاد فقد كان كل منهم يعترف ــ عندما تأتى المناسبة ــ ان العدو يملك القيم التى كانت ايديولوجية الفروسية قد أدت الى تمجيدها • وقد دون ايطالى مجهول من الصليبيين انطباعاته خلال الحملة الصليبية الاولى ، فقال انه معجب جدا بالشجاعة والفطنة والمواهب الحربية للاتراك (١٣) فى معركة دوريلى التى اشترك فيها فى عام ١٠٩٧ وقال هذا الشخص ان الاتراك يشعرون بنفس هذا التقدير • وهم يدعون انهم من سلالة الفرنجة ويدعون انه ليس لاحد فيما عدا الفرنجة وانفسهم الحق فى أن يلقب نفسه بالفارس » • واشار الكاتب وهو مدرك للجرأة التى تنطوى عليها كتابته مثل هذه الكلمات (لاتينى ص ١٨٠) الى انهم لو كانوا قد التزموا بصلابة بايمانهم بالمسيح « لما كان لهم ند فى القوة والشجاعة وعلوم الحرب » • وبعد ذلك بقرن اثار صلاح الدين الايوبى ــ العدو الكبير ــ اعجابا منقطع النظير عند الغربيين • وكان قد خاض الحرب بانسانية وفروسية، ولم يكن الصليبيون مثله وخاصة ريتشارد قلب الاسد • وفى حصار عكا (١١٨٩ ــ ١١٩١) فى الفترات التى تخللت المعارك ، كان الاعداء يتآخون ويرقصون ويغنون ويلعبون معا ، هذا الى جانب غانيات اوروبا اللاتى جئن لرفع الروح المعنوية للصليبيين واللاتى كان بعض المسلمين يحظون ايضا بهن • وقد نشأت فى هذا الجو الروايات التى انتشرت تمجد السلطان الايوبى بعد فترة مسيئة له الى حد ما • (ويتعلق الامر بالروايات التى نشأت بدون شك فى الوسط المسيحى فى المشرق والتى تدل على معرفة طيبة بظروف المنطقة) • وفى القرن الرابع عشر وصل الامر الى أن كتبت عنه فى « خلاندرز » قصيدة شعرية طويلة جدا تشمل كل الاحداث التى جمعتها حوله الروايات الخيالية السابقة • وكانت هذه القصيدة تحكى كيف ان صلاح الدين استولى على القاهرة وهو متنكر وكان يتصف سلوكه النبيل بدقة فى عدة مواقف • ويقال انه ذهب فى رحلة الى فرنسا مارا بروما حيث استمع الى اعترافات الفرسان الفرنسيين للبابا ، التى لم تستحوذ على أعجابه • ولاحظ ايضا فى باريس انه اذا كان البلاط يقدم الطعام لاثنى عشر فقيرا كذكرى لحواريى المسيح فان هذا البلاط حريص على تقديم فضلات الموائد لهم فحسب • وقد وقعت ملكة فرنسا ، زوجة فيليب اغسطس ، فى غرامه واستمر حبهما تحت ستار المناقشات اللاهوتية • واقتضت طبيعة هذا الفكر أن يرتبط فارس كامل الصفات مثل هذا بالمسيحية • وفى هذا الاتجاه تخيلوا أن والدته هى الكونتيسة « دى بونتيو » التى حملتها عاصفة الى مصر، كما حكوا ايضا بأنه قد اعتنق المسيحية وهو على فراش الموت • وقد قيل عنه ايضا انه غرر بالبينورداكيتيين التى جاءت الى فلسطين قبل حكمه بعشرين عاما » • وقد أطلق اسمه على عدد كبير من الاطفال •

---

[١٣] المراد بالاتراك هنا : السلاجقة ، فهم من أصل تركى نزحوا من أواسط آسيا ، وكان لهم حكم سورية زمن الغزو الصليبى ، اما الاتراك الذين ينصرف اليهم اليوم الذهن عند ذكر هذا الاسم فلم يكونوا قد ظهروا فى هذه المنطقة بعد [الطليعة] •

وعلى نفس الوتيرة ، افترض بالنسبة لبعض المسلمين الكبار مثل زنكى وقليدى وارسلان انهم من أصل مسيحى . وبعد فترة نسبت الى توماس بيكيت أم عربيسة ، وعلى كل حال فقد اعدت بالفعل مشروعات زواج بين الملوك الاوروبيين والمسلمين .

نمـــو وتدهـــور رؤيـــة أقـــل اثـــارة للنقـــاش

ان تراكم المعارف الدقيقة عن الاسلام واصوله وعن الشعوب الاسلاميه ، والعلاقات العلمية التى توافرت سواء فى ميدان السياسة اوميدان التجارة، والتقدير المتبادل الذى نشأ عن هذه العلاقات فى بعض الحالات ، والمكانة العظيمة التى حظيت بها المذاهب العلمية والفلسفية التى نشأت أصلا فى أرض الاسلام ، كل ذلك مضافا الى التطور الداخلى البطىء للعقلية الغربية، قد أدى رويدا رويدا الى تغير الزاوية التى كان ينظر منها الى هذا العالم الاجنبى .

لكن العامل الجوهرى فى هذا التطور كان هو التحول الذى طرأ على العالم اللاتينى . لقد كانت المسيحية حركة أيديولوجية منتصرة تستخدم فى فرض هذا الانتصار جهاز الدولة الرومانية كيما تصبح مركزا مزدوجا للتوجيه الايديولوجى والسياسى . ولقد استمرت هذه الوحدة الايديولوجية (بالنسبة للجزء اللاتينى من المسيحية) بينما اخذت الوحدة السياسية فى الانهيار . ولم يستطع شارلمان ان يعيدها الا لفترة وجيزة وبصورة جزئية . وقد استطاعت الحركة من أجل السيادة البابوية المرتبطة بالحملة المشتركة فى الأراضى المقدسة التى قررها مجلس كلير مونت أن تعيد صورة من الوحدة حول - مشروع مشترك دون أن يتوفر لهذه الوحدة مركز سياسى متميز ومستقل .

الا ان عوامل الطرد المركزى السياسية ،سرعان ما عادت الى تأكيد فاعليتها حتى فى ميدان الحملات الشرقية المطبوع بطابع الوحدة الايديولوجية ، لقد كانت الملكيات تتطور مقدمة أطرا للمشاعر القومية التى راحت مظاهرها تبزغ وتترسخ مع مرور الايام .

كانت التنافرات الداخلية تبرز شيئا فشيئا على حساب الوحدة الايديولوجية التى انتهى بها الامر بعد تطور بطىء أن تقتصر على المجال الروحى البحت . وعندما تأخذ حركة ايديولوجية فى التمزق نتيجة للتوترات الداخلية بعد أن كانت موحدة أصلا على صعيد التوجيه السياسى (الامر الذى نشهده الان بوضوح فى أوربا الشرقية) فان الامر ينتهى بها فى خاتمة المطاف الى أن تصل الى الحد الذى تصبح فيه الخصومة مع العدو الايديولوجى أقل شأنا من الصراع ضد المؤمنين بنفس العقيدة ، خاصة حين يأتى عنصر ايديولوجى جديد - كان ثانويا فى أول الامر - ليزكى هذا الصراع. وكان هذا العنصر الايديولوجى فى حالتنا هذه هو ارهاصات الوعى القومى ثم الوعى القومى بعد ذلك .

لقد أخذ التحول يتم رويدا رويدا الى مواقف أكثر عنفا ، تصم العدو السياسى الأيديولوجى « بالتشيطن » المانوى والى مفاهيم أكثر دقة وتعقيدا على الاقل فى بعض الاوساط .ذلك ان الصورة التى غرست فى اذهان الناس فى العصر الوسيط المتأخر والتى اشاعها الأدب الواسع الانتشار ظلت تؤثر على الأعداد الغفيرة من بسطاء العقول .

لكن المؤكد ان مفهوم نسبية الايديولوجيات لم يكن قد تم التوصل اليه بعد ، اللهم الا فى حالات قليلة العدد، منها الامبراطور المحب للاسلام والمستعرب فردريك الثانى الذى كان يناقش الفلسفة والمنطق والرياضيات مع المسلمين والذى دفعه تأثره بالعادات الاسلامية الى انشاء مستعمرة اسلامية فى لوسيرا تضم أولئك الذين كانوا يعملون فى خدمته ، وقد أقيم بها مسجد ووفرت فيها وسائل الترفيه على الطريقة الشرقية وقصة « الحملة الصليبية » الغربية

التى قام بها هذا الامبراطور الذى صدر ضده قرار بالحرمان الكنسى معروفة، وكذلك علاقاته **بالملك الكامل** وصداقته مع الامير **فخر الدين ابن الصايخ** ، والمعاهدة التى عقدت فى عام ١٢٢٠ والتى بمقتضاها أعاد السلطان الى المملكة الفرنجية بعض الاراضى وفى مقدمتها المدن المقدسة الثلاث القدس وبيت لحم والناصره مع ضمان باستمرار العبادات الاسلامية فى قبة الصخرة ٠

وقد أصدر البابا **جريجوار التاسع** قرارا بالحرمان الكنسى ضد فردريك الثانى فى ١٢٣٩ وكان ضمن التهم التى وجهت اليه ـ فضلا عن ميله الى المسلمين ـ انه يقول بأن العالم قد سيق الى الضلال على يد الانبياء ٠ وربما كانت التهمة باطلة كما زعم الامبراطور ٠ لكن هذا الاتهام يثبت على الاقل ان هذه الفكرة كانت شائعة فى هذا العصر فى اوروبا المسيحية ٠ هذا فضلا عن أن كاهنا فى تورناى قد وجهت اليه تهمة الوقوع فى نفس هذا الضلال قبل اتهام فردريك الثانى بقليل ٠

وحين كان المسلمون يقدمون للمسيحين فى أحيان كثيرة كأمثلة تحتذى فى التقوى فى ممارسة العبادات او فى فضائلهم العملية فلربما استطعنا ان نفسر ذلك بأنه نوع من الدهاء لجأ اليه الدعاة الاخلاقيون أو بأنه مظهر للتيار المعادى للكهنوت المعروف جيدا فى القرون الوسطى ، لكن هذا كان يدعم بشتى الطرق الاتجاه الى النظر الى المسلمين كاناس يعبدون الله شأنهم شأن كل البشر ، حتى لو كانوا يفعلون ذلك فى اتجاه خاطىء ٠

وفى عهد فردريك الثانى نرى هذا الاتجاه متمثلا الى أقصى مداه فى أعمال الشاعر البافارى **فولفارم دسكبناخ** ففى **فليهالم** نراه يقتبس موضوع أنشودة البطولة الفرنسية عن الاستيلاء على أورابخ ٠ لكن عرضه للصراع بين المسلمين والفرنجة ـ اللذين يسبغ عليهما معا نفس الفضائل الفروسية ـ يتجلى فيه جهدا واضح للتفهم والتقدير ، وتتوجه الحسناء المسلمة ارابل التى اعتنقت المسيحية وتسمت باسم جيبيرج ، تتوجه بنداء تدعو فيه الى التسامح ٠ ويعلق الشاعر : « أليست خطيئة ان نذبح كالبهائم رجالا لم يتحدثوا بسوء أبدا عن المسيحية ؟ بل أنى أقول أنها كبيرة من الكبائر ، ذلك ان الناس جميعا مهما اختلفت لغاتهم هم مخلوقات الله » وفى عمل آخر لفولفارم هو بارتسيفال ، نراه يغير ايضا من ملامح وجو شخصيته المسيحية النمطية **ترويز** ٠ فنحن نرى هنا **جاميرت** ابا **بارتسيفال** يشد الرحال الى الشرق لكنه لايرحل الى هناك ضمن احدى الحملات الصليبية بل هو يضع نفسه على العكس فى خدمة **باروك** بغداد وهو كما يقول فولفارم الرئيس الروحى او بابا المسلمين « لقد استقبل الحياة فى انجو وفقدها على ابواب بغداد من أجل الباروك » (الفقرة ١٠٨ من ترجمة ويلموت) ٠ وهو يدفن فى عاصمة الاسلام فى مقبرة فخمة يأتى اليها المسلمون لذكر محاسنه والبكاء عليه ٠ اما فيير فتز المسلم الفروسى الخصال ، فهو الاخ غير الشقيق لبارتسيفال وثمرة توفيق جاميرت فى الحب ٠ وقد نسى الناس فى غمرة هذه المواقف الجياشة بالمشاعر فى كثير من الاحيان ان يلتفتوا الى أمر المصادر الشرقية لفولفارم ٠

وأيا كان أمر هذه المصادر فان من الضرورى ان نذكر ان مؤلفنا كان يكتب الاسماء العربية للكواكب بطريقة صحيحة تماما (الفقرة ٧٨٢) وأنه كان يزعم ان مصدره ٠ الاساسى هو مخطوطة اسلامية اكتشفت فى توليدو على يد شخص غامض يدعى كيوت (الفقرة ٤٥٣) تنسب الى الساحر والمنجم فليجيتانس وهو من أصل نصف يهودى نصف مسلم ٠ وقد يدهش القارىء حين يعلم ان اروع مافى أسطورة جرال فى القرون الوسطى وهى قمة من قمم التعبير الادبى للروح المسيحية فى العصور الوسطى ـ مع التسليم بمصادرها الكلتية المعروفة ـ انما كان ملحمة مفعمة بالعناصر الاسلامية ومشربة بالنزعات الغنوصية والمانوية التى تمتد اصولها الى العالم الشرقى ٠ ولقد كان فولفارم ـ المسيحى المخلص لمسيحيته ـ يدعو الى التخلى عن بعض الوثنيين (المسلمين) الذين ماكانوا ليكونوا كذلك لولا ان الفرصة لم تتح لهم لكى يتعرفوا على رسالة المسيح ٠

وقد عزز التطور فى هذا الاتجاه امران : الخطر المغولى واكتشاف العالم الوثنى خارج حدود الاسلام هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى توالى الانقسامات الايديولوجية فى العالم المسيحى على الصعيد الروحى نفسه اى على صعيد العقيدة التى كانت تشمله جميعا ، وبحيث أصبحت تلك الانقسامات تتجاوز حدود المنازعات بين الوحدات السياسية التى كانت عملية التكوين الايدلوجى للقيم العرقية (الاثنولوجية) بها السابقة على القومية او القومية ماتزال بعد فى طورها الاولى ٠

وقد اخذ الغزو المغولى جزئيا على محمل المؤامرات المانوية التى كانت تقول بها النظرة التهجمية السابقة . ولم ير فيه الكثيرون غير هجوم يجتاح العالم الاسلامى ويأخذه على غرة من حيث لا يتوقع ، الامر الذى ينعش الامال فى الاجهاز عليه نهائيا • وكثيرا ماكان يضخم فى المعطيات الدقيقة عن قوة • النسطورية فى آسيا الوسطى وعن التعاطف الذى يبديه بعض قادة المغول للمسيحية ، وعن دور بعض المسيحيين فى الدولة والجيش المغولى الامر الذى ساعدت عليه بصورة ملحوظة خرافة القس جان . ومن الامور المعروفة الاتصالات الدبلوماسية التى كانت ترمى الى انشاء ائتلاف عسكرى لاتينى مغولى ضد الاسلام •

لكن الاوروبيين سرعان ماابدأوا يدركون ان المغول لم يكونوا مسيحيين وان تأييدهم لقضية المسيحية ليس شيئا مضمونا وان من الضرورى السعى الى كسب هذا التاييد والمحافظة عليه • « لقد اخضع المغول بقسوة امما مسيحية وكانت لديهم النية فى قهر العالم بأسره » ان يخربوا اراضينا جميعا وان يحولوا شعوبنا الى عبيد كما كتب جان دى بلان كاربان بعد انتهاء سفارته التى استمرت من عام ١٢٤٥ الى عام ١٢٤٧ • لقد كان على يقين من أنهم لو قدر لهم الانتصار فسيجهزون على العقيدة المسيحية وبالاختصار ، كان الخطر من هذا الجانب يبدو له اعظم بكثير من ذلك الذى يأتى من جانب الاسلام • لقد عقدت هذه القوة الوثنية الهائلة من المشاكل تعقيدا بالغا • وأضحى من الصعب ان تظل كلمة « وثنية » مرادفة لكلمة الاسلام • واذ اخذت تتزايد المعارف التى حملها السفراء والتجار عن آسيا الوسطى والشرقية كان لابد لذلك التقسيم الذى كان يشق العالم نصفين ان يصبح اكثر مرونة ، الامر الذى أضفى نسبية اكبر بكثير على النظرة الايديولوجية . ماعاد المسيحيون اذن يمثلون نصف او ثلثى سكان العالم ، بينما يمثل المسلمون الجزء الغالب من بقيتهم وانما هم العشر او الواحد على مائة من انسانية عديدة الالوان واخذ الشعور يقوى بوجود فكرة مشتركة بين الاسلام والمسيحية تقوم على أساس من التوحيد ذلك الشعور الذى كان يظهر من قبل بين الحين والاخر ليعود الى الاختفاء من جديد وفى عام ١٢٥٤ دعا جيوم دى روبرويك مبعوث سان لويس فى حديث أمام الخان الاعظم الى حوار بين النسطوريين والمسلمين والبوذيين والى قيام تحالف بين الاولين ضد هؤلاء الاخيرين • ولم يقدر لهذا التيار فى تفهم الايديولوجية الاسلامية بصورة أكثر شمولا ، الذى نجم عن هذه الظروف ان يعيش طويلا • فقد تحدث روجر بيكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٤) ومن بعده ريموند لول (١٢٣٥ ـ ١٣١٦) عن ضرورة استبدال الجهد العسكرى ضد الاسلام بجهد تبشيرى يقوم على الدرس المتعمق للعقيدة وتعلم اللغات • وكان بيكون يضع موضع الاعتبار الاسهام الايجابى للاسلام بالتبسيط الذى احدثه على صعيد الوحى الالهى وهو الامر الذى كان قد بدأ يفعله منذ قليل المتقدمون من الكاثوليك منتهجين طريق الدعوة الانسانية الشاملة ، نعم كان الكفاح ضد الاسلام مسألة مطروحة دائما ، لكن التعمق فى فهمه كان لابد وان يؤدى الى نظرة اكثر موضوعية ، وأكثر نسبية على المدى الطويل • وفى بداية القرن الرابع عشر ، استثنى دانتى من الجحيم ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين ، جاعلا مكانهم على الاطراف • وكان هؤلاء هم الوحيدين الذى استثناهم من بين المحدثين ووضعهم الى جانب أبطال وحكماء العالم القديم وقد اصدر مجلس فيينا فى عام ١٣١٢ قررا بتحريم افكار بيكون ولول عن تعلم اللغات واللغة العربية بوجه خاص •

لكن الوقت كان قد فات فقد وضع سقوط عكا فى عام ١٢٩١ حدا نهائيا للامال التى علقت على الحملات الصليبية وكان الكفاح ضد الكفار فى الشرق قد أضحى منذ زمن بعيد عاجزا عن تعبئة الغرب وحلت المشروعات السياسية الوطنية نهائيا محل خطة توسع تقوم بها اوروبا المسيحية متحدة . وكانت اسبانيا هى البلد الوحيد الذى استمرت فيه الدعوة لاستعادة الاراضى المقدسة لكنها كانت تدخل فى مشروعات من هذا القبيل • من ناحية اخرى لم تعد الدول الاسلامية تمثل خطرا منذ منتصف القرن الثالث عشر واصبحت السياسة التى تنتهج حاليا مجرد مشكلة ثانوية • وكانت سياسة التسامح التى اتبعت نحو الرعايا المسلمين (واليهود) للدول المسيحية ظاهرة ملحوظة فى أسبانيا بوجه خاص ولكنها كانت تبدو أمرا غريبا على الجو العام ولهذا فلم يقدر لها ان تعمر طويلا •

ان اوروبا اللاتينية وقد استدارت نحو صراعاتها الداخلية واخذت تتقدم ثقافيا لم تعد تولى للاسلام اهمية جوهرية على الصعيد الايديولوجى لقد اخذت تفقد اهتمامها به على حين أصبحت الصراعات الايديولوجية الداخلية نفسها تحتل المقام الاول • ان اصلاح الكنيسة هو الذى يجب كل ماعداه فى رأى جون ويكليف وتقوية المسيحية سيؤدى الى اضمحلال الاسلام . والرذائل التى تؤخذ على المسلمين ، لاريب فى وجودها ايضا بين المسيحيين اللاتينيين

فالكنيسة مسلمة ، ان اليونان واليهود والمسلمين ليسوا بعيدين عن الخلاص بأكثر من بعد المسيحيين عنه وقد اخذ هذا الرأي الاخير في الشيوع شأنه شأن فكرة المضللين الثلاثة .

من وجهة النظر الفكرية فان كبار الكتاب المسلمين الذى كان اكتشافهم من قبل عنصرا مجددا يجرى تمثلهم واستيعابهم في الثقافة المشتركة . ولقرون متعاقبة ظلت أعمال ابن سينا وابن رشد والغزالي في الفلسفة وابن سينا وعلى بن عباس والرازى فى الطب ، ومؤلفات اخرى فى غير ذلك من العلوم تنسخ وتطبع وتدرس ويعلق عليها . ولقد كان الطبيب النموذجي الذى قابله تشوسر (الذى ألف أيضا رسالة في الاسطرلاب مستعينا بالترجمات اللاتينية للكتاب العربى ماشاء الله) في ١٣٩٠ في حان تابارد فيكنتربرى قليل المعرفة بالكتاب المقدس ، لكنه كان يعرف ايضا معرفة تامة اسكولاب القديم وديكوريديز وكذاروفوس وابقراط القديم وهالى وجالينوس وسيرابيون والرازى وابن سينا وابن رشد ويوحنا الدمشقى وقسطنطين وبرناردر وجاتسدين وجيلبرتين (حكايات كانتربرى ـ الافتتاحية ـ البيت ٤٢٩ ـ ٤٣٤)

ولكن العرب بعد احتلوا مكانهم بين الكلاسيكيين الى جانب اليونانيين ، جاءت النهضة لتفضل هؤلاء الاخيرين عليهم . وأصبحت الترجمات عن اليونانية عبر العربية رمزا على تزييف العصر القديم على يد الروح « القوطية » للعصور الوسطى . وسيكون التجديد هو تجاوز هؤلاء والوصول رأسا الى المنبع . وأصبحت صفة « العربية » تعنى التهوين من شأن من تطلق عليه . واتسعت الزراية بالعصر البربرى الذى كان ينبغى الكفاح ضده لتشمل كل ماهو عربى ويعبر بتراك عن عدم استساغته لاسلوب الشعراء العرب الذين ماكان قطعا يعرف شيئا عنهم .

على أن هذا لم يمنع بأى حال الاقتباسات الثقافية من الشرق الاسلامى أكثر من أى وقت مضى ، وتزايدت الاقتباسات فى ميدان الادب ، الامر الذى يعود فيه الفضل بلا ريب الى العلاقات التجارية التى غدت اكثر انتظاما واشد وثاقة . لكن على الصعيد النظرى ، أخذ الاهتمام بمعرفة وتفهم الايديولوجية الاسلامية الذى كان موجودا من قبل فى التراجع تاركا مكانه للامبالاة على الاقل فى بعض الاوساط .

الاتجاه نحو التعايش : العدو يتحول الى شريك

ان نمو الامبراطورية العثمانية منذ نهاية القرن الثالث عشر على حساب أوربا البلقانية المسيحية ، قد بعث لبعض الوقت الاهتمام بالدين الاسلامى فى بعض الدوائر اللاهوتية . واذ تجلت صعوبة بعث الروح الصليبية فى تلك الحالة من التفكك التى كانت توجد عليها فكرة المسيحية ذاتها ، فقد وجد اللاهوتيون أنفسهم مدفوعين الى مناقشة ما اذا كان الصراع العسكرى فعالا حقا ، بل ما اذا كان الجهد التبشيرى نفسه كافيا أو مجديا فى صورته المعتادة ، وما اذا كان هناك تقارب يمكن أن يتم بين الذين يحملون رسالة واحدة لا تختلف فى جوهرها . تلك هى « لحظة الرؤية » التى تحدث عنها ر . و . سوثرن التى تقع بين عام ١٤٥٠ وعام ١٤٦٠ أى حوالى الفترة التى سقطت فيها القسطنطينية بكل ما فى ذلك من دلالة . وقد وضع جان دى سيجو فى (١٤٠٠ ـ ١٤٥٨) مشروعا فى ١٤٥٤ لعقد سلسلة من الاجتماعات مع الفقهاء المسلمين . وهو يؤكد أن هذه الطريقة ستكون مفيدة ، حتى لو لم تسفر عن تحول الطرف الاخر للحوار الى المسيحية . وقد قام بترجمة للقرآن (مفقودة) حاول أن يتجنب فيها خطأ الترجمات السابقة وهو : تحوير المعنى الاصلى لكى يتفق مع المفاهيم اللاتينية . وقد اثار هذا عليه ثائرة جان جرمان ، أسقف شالون سير ساون الذى كان من أنصار الوحدة المسيحية والردع العسكرى للاسلام ، واحياء الروح الصليبية ، لكنه لقى تجاوبا من نيكولاس دى كوز الذى سعى الى ايجاد الوسائل العملية

لتحقيق خططه ، وحاول في كتابه عن القرآن (١٤٦٠) أن يقوم بدراسة لغوية وتاريخية دقيقة للقرآن · وكان جان دى سيجوفى أيضا واحدا من الذين أوحوا برسالة **بى الثانى الى محمد الثانى (١٤٦٠)** ، وهى وان كانت آية فى الجدل السياسى، الا انها كانت فى الحقيقة مناورة لرجل سياسى تفتقد الى روح الاخلاص ·

كان الاتراك العثمانيون يمثلون خطرا جسيما · لكن فى الجو الجديد الذى ساد القرن الخامس عشر ، كان ينظر الى هذا الخطر باعتباره خطرا سياسيا وثقافيا أكثر منه ايديولوجيا ، وحتى أولئك الذين بدأوا يدعون الى الدفاع عن المسيحية كانوا يصدرون عن الروح الفروسية بأكثر مما كانت تحركهم الغيرة الدينية · نعم ، ظل الكثيرون يحلمون بالحملات الصليبية، وبفتح الاراضى الاسلامية، خاصة تلك التى أخذت أخيرا من المسيحيين كالبلقان ، أو يأملون فى هبة عامة تقوم ضد الاتراك ، الا ان الظروف قد أجبرتهم على ان يلتزموا سياسة الدفاع . فلم يكن نشر المسيحية بمستحق ابدا فى نظر الامراء أن يضحوا من أجله بمصالحهم السياسية — التى انتهت الى أن تصبح مصالح قومية — أو بقادر على تعبئة الجماهير كما كان الامر من قبل · ولقد قالها **هنرى الثامن** بوضوح لسفير البندقية فى ١٥١٦ ، وأصبحت الامبراطورية العثمانية منذ ذلك الحين فى أنظار الواقعيين دولة كسائر الدول ، بل ودولة أوربية بعد الفتوحات التى قامت بها أكثر دنوا مما كانت عليه أى دولة اسلامية أخرى خلال زمان طويل · ومن هنا كانت ضرورة العلاقات السياسية معها · ان انتهاج سياسة التحالف أو الحياد أو الحرب سيتوقف على عوامل سياسية بعيدة عن الايديولوجية الدينية. واذ كانت هذه عقيدة باقية باخلاص فى أعماق القلوب ، فلقد كان يظن أن من المستطاع وضعها بين قوسين (لفترة مؤقتة كما كان يظن) من أجل القيام بعمليات سياسية « جادة » ·

وبدأ السفراء العثمانيون يفدون الى أوربا ويبقون فيها فترات طويلة · ودخلت التركية الى البندقية كاحدى لغات التعامل · وعلى حين كان شارل الثالث الغارق فى شطحات الخيال يفكر فى غزو ايطاليا ليستخدمها قاعدة لحملة صليبية يفتح بها القسطنطينية والقدس ، كانت البابوية تتلقى مبلغا سنويا خلال الفترة من ١٤٩٠ الى ١٤٩٤ من **با يزيد** الثانى للابقاء على أخيه ومنافسة **جم** سجينا هناك · وقد استقبل البابا اسكندر الثانى بكل التبجيل سفير الخليفة التركى فى عام ١٤٩٣ فى بهو الاجتماعات السرى ، محاطا بالكرادلة والاساقفة والسفراء الاوربيين · ونحن نستطيع أن نقرأ هذه العبارة الغريبة على روح القرون الوسطى الى كومينز : « سرعان ما أرسل الاتراك سفيرا الى أهل البندقية ·· الذى توعدهم — بتحريض من البابا — اذا لم يعلنوا الحرب على ملك (فرنسا) » · والحق أن البابا قد أرسل الى السلطان رسالة — لدينا نصها — يشجب فيها مشروع الحملة الصليبية التى كان يستعد **شارل الثامن** للقيام بها ، ويطلب اليه التدخل لدى أهل البندقية ضده ، ويطلب اليه فقط أن يتوقف « لبعض الوقت » عن مهاجمة المجر أو أى بلد مسيحى آخر ، الامر الذى يمكن أن يضعه (البابا) فى موقف حرج · ويطلب اليه با يزيد فى مقابل ذلك أن يعين **نيكولاس شيبو** كاردينالا وأن يقتل جم عارضا عليه مقابل ذلك ٣٠٠٫٠٠٠ دوكات ، ويقسم له بالقرآن ألا يمس المسيحيين بسوء · وهناك دلائل قوية على أن الاتفاق قد روعى على خير وجه ، وبعد ذلك بعامين اتفقت ميلانو ومانتو وفيرارى وفلورنسا على أن تدفع للاتراك لكى يهاجموا البندقية وحين أخذت فينسيا وفرنسا بعد عامين آخرين تستعدان لمهاجمة ميلانو ، أرسل دوق ميلانو لودوفيك لى مور ومعه بعض الامراء الايطاليين الاخرين الى با يزيد يحذرونه من أن الاستيلاء على ميلانو لن يكون الا خطوة نحو استئناف الحملات الصليبية . وفى أعقاب ذلك اعلن السلطان الحرب على البندقية وبعد ذلك بعدة عقود حين كان السلطان سليمان الاعظم قد فتح المجر وبدأ يعمل على تحويل البحر المتوسط الى بحيرة تركية ، عقد معه فرانسوا الاول تحالفا نشطا ، واشتركا معا فى أعمال عسكرية ضد شارل كوينت (١٥٣٥) . واذا كانت ثمة احتياطات ايديولوجية لاتزال تتخذ للدفاع عن العقيدة المسيحية ، الا أن الملكة **اليزابيث** قد وصمت ملك أسبانيا عند السلطان باعتباره زعيما للكفرة · انها تعرض التحالف هذه المرة على الصعيد الايديولوجى نفسه ·

ان لهذه الواقعة دلالتها حتى وضعنا فى الحسبان افتقار الملكة العذراء الى الاخلاص ، وكانت معاملات شبيهة بتلك التى تمت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر قد جرت من قبل فى الشرق أثناء وجود الامارات الصليبية · ولكن الامر كان لا يخرج اذ ذاك عن كونه سياسة استعمارية · أما أن تجرى هذه الامور فى قلب أوربا ، فأمر مختلف تماما · وفى

ايطاليا كانت جماعات كاملة من السكان تهدد الحكومات المستبدة بأن تستقبل بالترحيب الغزو التركى اذا ما وقع ، كما فعل من قبل جزء من مسيحيي البلقان ».

لقد دخل الاتراك اذن ضمن الجماعة الاوربية على الصعيد السياسى • لا يعنى هذا القول بأن هذا الاندماج كان كاملا من جميع الوجوه • فمن الطبيعى ألا يكون عنصر التناقض الايديولوجى والعداء الدينى قد اختفى بعد • بل كان الامر أبعد ما يكون عن هذا • وكما بين نورمان دانييل ، فان القسمات الجوهرية لصورة العقيدة الاسلامية كما صيغت فى العصر الوسيط ، تلك الصورة التهجمية الملتزمة بالدفاع عن العقيدة المسيحية ، والتى تتسم الى حد بعيد بالزراية وسوء التقدير ، قد ظلت قائمة دون تغيير • على أن تفاقم الاحقاد الدينية داخل المسيحية نفسها قد جعل من الاسلام شيئا أقل غرابة وتنفيرا . لقد كان ينظر اليه فى العصر الوسيط باعتباره انشقاقا على المسيحية وهرطقة . وعلى هذا النحو كان يراه دانتى • وحين تعددت هذه الانشقاقات لا كايديولوجيات فحسب ، بل مصحوبة ببواعث سياسية كما هو الحال مع الاسلام ، أصبح طبيعيا أن يوضع الاسلام ضمن نظام متدرج حيث لم يكن يبدو أشد هذه الانشقاقات تنفيرا •

وعلى الصعيد الثقافى كذلك ، اذا ما كان البعض قد أدمج الاتراك فى الانساب الخرافية التى كانت (مودة) رائجة فى هذا العصر ، باعتبارهم أشقاء للامم الاوربية ، ناسبا اياهم الى الطرواديين ، الى بريام ملك طروادة أو أسلافه ، شأنهم شأن الفرنسيين والايطاليين • فان البعض الاخر قد احتج على هذا الرأى الذى سيفضى الى الاعتراف بشرعية الوجود التركى فى الاناضول ، وأيا كان الامر فان الانتقام من أجاممنون وشعبه بغزو اليونان والبلقان ، كان يبدو وقد فاق كل حد • أما أصحاب الرأى الثانى ، فقد نسبوا الاتراك الى **الاسكيثيين** وهو الامر الذى كان يتيح تفسيرا انسانيا للعداوة المسيحية القديمة اذ لم يعد الامر حينئذ مسألة صراع ضد الكفار ، بل دفاعا ضد البرابرة (موضوع بلاغى شائع فى هذا العصر) وهو الامر الذى كان له أثر السحر على العقول التى تربت على كتابات **هيردوت** واكسينوفون •

كان الاسلام قد أخذ يتمثل عمليا فى الاتراك ، وأصبحت كلمة تركى مرادفة لكلمة مسلم • وكانت أوربا المسيحية قد أخذت تتعرف الى الايرانيين الذين كانت عداوتهم السياسية والدينية للامبراطورية العثمانية تتيح القيام بعمليات سياسية معقدة • ثم قامت الصلات بعد ذلك مع مسلمى الهند وحكامهم من المغول العظام • أما العرب الذين انتهى بهم الامر الى أن يفقدوا وزنهم السياسى • فما عادوا يظهرون فيما يكتب عن الشرق الا بصورة ثانوية وقد استحالوا الى شىء قريب من البدو الذين يعيشون على النهب ، على النحو الذى كانوا يصدرون به منذ عهد **جوانفيل** على الاقل • وأخذت كلمة العربى المسلم تختفى رويدا رويدا من الاستعمال الشائع •

وعلى الرغم من دمغ الاتراك المسلمين بالبربرية السكيثية على يد مدعى المتحذلقين ، فقد ظلوا يعتبرون سادة لاقوى امبراطوريات أوربا ، وأصحاب القسطنطينية ذات الكنوز العجيبة ، التى أصبحت الآن أكثر قربا بفضل تقدم المواصلات ، لقد كانت فخامة الباب العالى تبهر الاوربيين وقوته تفرض نفسها عليهم ، الامر الذى تبينه من استهانة لويس الرابع عشر بقرار الحرمان الكنسى ، وارساله فرقة عسكرية الى روما فى ١٦٨٧ لان البابا جرؤ على مطالبته بالتخلى عن امتيازات سفارته التى كانت تمتد فوق حى كامل ويحتمى بها الخطاة ، على حين لم يحرك ساكنا حين كان سفراؤه فى القسطنطينية يتعرضون للسجن واللطم على الوجوه ، وفرض الضرائب عليهم ، ويتعرض موظفوهم لكل أنواع المهانات ».

من التعايش الى الموضوعية

ان القرب الجغرافى ، والعلاقات السياسية الوثيقة ، والعلاقات الاقتصادية المتزايدة ، والعدد الكبير من الرحالة ورجال البعثات الذين توافدوا على الشرق ، واضمحلال السيادة الايديولوجية للمسيحية فى أوربا ـ كل ذلك قد أسهم فى جعل الدراسة الموضوعية للشرق المسلم أمرا أكثر يسرا • بل أن هذه الدراسة قد أصبحت أكثر من أى وقت مضى أمرا لا غنى عنه بالنسبة للساسة والمسافرين ، وأخذت الكتابات ـ التى تعنى بالوصف المفصل الدقيق ـ المتزنة والموضوعية بقدر الامكان ، تتوالى بعد وصف ارنولد فون هارف فى

١٤٩٦ . وكان تحليل العادات الخلقيةيتم من وجهة نظر غير تلك التى كانت قائمة من قبل ، أى مدى اقترابها أو ابتعادها عن الاخلاق المسيحية وأصبح النظام السياسى والادارى والعسكرى للامبراطورية العثمانية موضوعا للتساؤلات ، النقدية أحيانا ، والمنطوية فى أحيان أخرى على الاعجاب بكفايته فى جوانب عديدة . لقد كان الشرق الاسلامى يبدو فى مجموعه كمنطقة غنية تتمتع بالرخاء ، متفوقة الحضارة ، مخيمة الابنية ، تحيا فى ترف خيالى لا مثيل له .

وقد كان للروح الكوزموبوليتية والموسوعية لعصر النهضة ، وطرائقه المتأنقة فى التعبير الثقافى ، نصيب فى الشرق المسلم ، فى الدراسات عن الشرق الادنى . لكن الشغف بالشرق لم يكن قد تحول بعد الى ذلك التعلق بالاشياء المجلوبة ، ذلك الميل الى الاشياء المنقولة من بلاد أخرى ، والتى تحاط على نحو مفتعل بمظاهر بيئتها الاصلية ، سواء تم ذلك فى ميدان الفن أو فى طريقة الحياة . فنحن لا نرى بعد الا البدايات الاولى لهذه المظاهر لدى أشخاص متفرقين كأولئك الرحالة الذين أخذوا بعد عودتهم الى أوربا يرتدون الزى التركى ، لكن الامر الشائع كان هو اضفاء الطابع الغربى على الشرق وليس العكس ، بالرغم من كل المكانة السحرية التى رفع اليها فى كتابات أريوست أونى تاس ، وبالرغم أيضا من أن عددا من الحكايات أو الموضوعات كانت حقا ذات أصل شرقى ، أو أن الخطوط الرئيسية للعمل الادبى كانت تستعار كلية من التاريخ الشرقى كما هو الحال فى **مارلو** . واذا كان القراء والمتفرجون يستمتعون بهذه الحكايات الخرافية ، فلم يكن فيهم من ينشد فيها معلومات عن التاريخ أو العادات الخلقية للشرق الاسلامى .

ولكن التأثير الذى احدثته المعلومات الصحيحة التى جاء بها الرحالة والدبلوماسيون قد أخذ يتزايد بمرور الزمن . وأخذ اللون المحلى يفرض نفسه رويدا رويدا . لقد درج مصورو حياة المسيح أو الشهداء منذ زمان طويل على أن يضعوا عمائم مضحكة على رؤوس أعضاء المجلس اليهودى أو الحكام الشرقيين . أما عطيل فلم يكن قد بقى له من أصله المغربى سوى ذلك المنديل السحرى المشئوم الذى أعطته لابيه ساحرة مصرية (**عطيل** : الفصل الثالث – المشهد الرابع – البيت ٥٣ وما بعده) ولكننا فى عام ١٦٧٠ نجد موليير يكلف نفسه مشقة نقل عبارات تركية حقيقية فى المراسم الهزلية التى تجرى فى مسرحيته **البورجوازى النبيل** : وفى ١٦٧٢ يحدثنا راسين فى مقدمته لتراجيديا **باجازيه** عن حرصه على الرجوع الى وثائق التاريخ التركى . ويأخذ عليه كورنى وآخرون أنه لم يظهر فى مسرحيته شخصية واحدة تصدر عن المشاعر التى ينبغى أن تصدر عن الناس فى القسطنطينية ، فكل الشخصيات بالرغم من الزى التركى الذى تتزيى به مشاعرها فرنسية وقد وجد راسين أن عليه أن يرد على هؤلاء فى مقدمات الطبعات اللاحقة ، ولقد ألزمت نفسى بأن أعبر على خير وجه فى هذه التراجيديا عما نعرفه من عادات وقواعد السلوك عند الاتراك .

ان الموضوعات المستجلبة من الشرق لم تكف عن الظهور دون انقطاع فى الاعمال الادبية منذ عصر النهضة . ونحن نحس لدى بعض المؤلفين بجهد محسوس لاثراء هذه الاعمال الادبية بالتفصيلات الصحيحة ، وقد أخذ التعلق بما هو مجلوب من الشرق يزداد بصورة جلية فى فن القرن السابع عشر ، ليتجاوز كل الحدود فى القرن الثامن عشر . على أن المعلومات الدقيقة المعروفة عن الحضارات الشرقية التى كان يتخذها الادب والفن مادة لهما كان لابد لها أن تشوه اذ تدمج فى بناء تحكمه نظرة للعالم مختلفة أشد الاختلاف ، وان كانت تتوهم أنها شاملة . ولم يتم الانتقال الى الفكرة المجردة عن نسبية الحضارات الا ببطء شديد ، وقد أخذت فى التكون على نحو واضح فى القرن الثامن عشر عند ادخال الوقائع المتعلقة بالشرق فى كليات بعيدة عن روح مركزية الاشعاع العرقى وربما كانت هذه العملية لم تبلغ بعد نهايتها حتى يومنا هذا . لقد بدأت هذه العملية بانهيار المكانة الممتازة التى كانت تحظى بها الايديولوجية المركزية للحضارة الاوربية أى المسيحية ، على الرغم من أن هذه المكانة قد ظلت تحدث أثرها فى الايديولوجيات الجديدة ، فى الثقافة والحساسية والذوق الاوربى . وأصبح من الممكن أن يدرس العالم الاسلامى بموضوعية بعد أن اصبحت قيمه وأفكاره لا توصم بالضلال المطلق . ولم يزد دور السياسة العملية والملاحظة الموضوعية للرحالة والتجار عن تمهيد الطريق . ثم لحق بهما التيار الجديد فى الدرس العلمى .

والدرس العلمى ينحو بمحض طبيعته الى درجة معينة من الموضوعية ، حتى حين يدخل فى الاطار العام لمشروع للدفاع عن العقيده على الصعيد الاجتماعى . وهو يجد سندا أكبر

للموضوعية حين يأخذ هذا المشروع في الاضمحلال والاندثار . ان الحقيقة الجزئية كانت تستخدم في تركيب تهجمي حيث كانت تتخذ معنى يشوهها، اما الدرس العلمي فهو يبحث عن الحقيقة لذاتها . ان الوقائع تدخل دائما في مفاهيم تركيبية واعية. لكن كون هذه الوقائع لم يبحث عنها ولم يقع الاختيار عليها او تجرى صياغتها من أجل مركب ايديولوجي واع ، هو تقدم كبير .

مـــولد الاســـتشراق

كان الدافع وراء البدء في دراسة اللغات وتجميع المواد دافع ايديولوجي محض، وقد بدأت الدراسات العربية على هذا النحو في العصر الوسيط لخدمة العمـــل التبشـــيري . ثم اهملت بعـد ذلك اهمـالا تاما بعـد ســـقوط غرناطة في عام ١٤٩٢ ، وبعد أن أصبحت الاقليه الوحيدة الموجودة بها من المور الذين يتكلمون لغة من اصل لاتيني . ثم عادت الى الظهور في روما مندمجة هذه المرة في الدراسات السامية حيث كانت الكنيسة مهتمة بوحدة الكنائس الشرقية . ثم جاءت الحركة الانسانية بما تنشده من ثقافة شاملة ، والمصالح السياسيه والتجارية ، لتوسع من هذا الاهتمام فيشمل مجموعة من الدراسات الاسلامية . وقد اسهم جيوم بوستل (١٥١٠ ـ ١٥٨١) بالرغم من صوفيته ، بل وحماقته ايضا ، وحماسه في خدمة العقيدة المسيحية ووطنيته الفرنسية اسهاما كبيرا في تقدم دراسة اللغات والشعوب، كما جمع مجموعة هامة من المخطوطات اثناء وجوده في الشرق (٦٥) . وقد بدأ تلميذه جوزيف سكاليجيه (١٥٤٠ ـ ١٦٠٩) ذو التبحر الموسوعي ، بوضع بذور الاستشراق ،مبتعدا به عن أي اهتمامات تبشيرية . وفي عام ١٥٨٦ أصبح في وسع الطباعة العربية في أوربا أن تســتعين في ١٥٨٦ بالمطبعة التي أنشأها فرديناند دي ميدتش كاردينال ودوق توسكانيا الاكبر . ولا مرية في أن هذا كان يتخذ من العمل التبشيري مبررا له ، لكن هذه المطبعة أخذت تطبع منذ البداية المؤلفات الطبيــة والفلسفية لابن سينا ، وكتبا في النحــو والجغرافية والرياضيات .

وفي نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر كان ثمة جهود أخرى في باريس وهولندا والمانيا تسعى بوجه خاص الى تعميق المعرفة بطب ابن سينا .

وقد شهدت نهاية القرن الســادس عشر والقرن الســـابع عشر ازدهارا في الاعمال العلمية والدراســـية المتخصصة التي كانت تستخدم وتمول وتساند من أجل المشـــاريع الايديولوجية والسياسية والاقتصادية التي كانت محل الاهتمام حينذاك . ان النمــو الاقتصادي الذي كان يلقى الحماية ويخضع لاشراف دول قوية قد جعل من المرغوب فيه ، ومن الضروري أحيانا ، تطوير المعرفة في كثير من الميادين. وقد أدى التنظيم النسبي الذي نشأ عن هذا الدفع من أعلى الى فرض تخصيص معين بدا مغايرا للروح الموسوعية الفــردية لعصر النهضة . وقد نشأت عن هذه النزعات شبكة منظمة تحميها وتمولها الدول ، تعمل على تحصيل المعرفة ونشرها ، بينما اخذت تشيع الفكرة القائلة بأن القيام بهذا البحث العلمي هو واجب اجتماعي، وأدى التخصص ووجود قدر معين من التخطيط الى فرض التعـــاون بين الباحثين ، وقد أصبحوا اكثر عددا ، وهـــذه النزعة وان كانت قد افضت الى تراجع الطموح الفردي وانكماش آفاق الباحثين كأفراد ، الا انها ســاعدت علــى ايجــاد مــا يمكن أن نسميه « بالموضوعية الميدانية » بمعنى ان العالم المتخصص يقتصر في درسه أو يسعى الى قصره على واجب محدد ولكنه يجهد أن يقوم بهذا الواجب بضمير حي . وهو اذ تخلص من عبء التأليف بين النتائج في كل مركب ، يستطيع أن يبيح لنفســـه أن يترك النتائج الايديولوجية والفلسفية والسياسية والاجتمــاعية التــي يستطيع الاخرون أن يستخلصوها من أعماله . أما أولئك الذين دفعهم التلهف الى استخلاص النتائج الى مواصلة الاحلام الموسوعية لعصر

النهضة فقد كانوا يؤلفون فئة « السادرين في الخيال » التى كانت تميز على نحو متزايد من « العلماء الجادين » ولم يكن هناك الى جانب هؤلاء الا الفلاسفة ذلك أن اشكالات العلوم الانسانيه لم تكن قد تقدمت بعد حتى تنفصل وتكون شيئا آخر غير مباحث فى الفلسفة العامة • وكان التعدد الايديولوجى الذى نشأ فى أوربا بعد الحروب الدينية دون أن يستطيع أى من الاطراف أن يقضى على الاخر نهائيا • سببا فى أن يتعاون العلماء ذوو الانتماءات الايديولوجية المختلفة ، وهو الامر الذى هيأ ظروفا أفضل للروح الموضوعية •

وكان لهذه العوامل العامة أثرها الكبير فى ميدان الاستشراق • فالبابوية ومعها الكثيرمن المسيحيين كانت مهتمه بوحدة الكنائس ، ناشدة الاتفاق مع مسيحيى الشرق ، الامر الذى كان يقتضى دراسة لغاتهم ونصوصهم • أما انجلترا وفرنسا وممالك البلاد الواطئة المتحدة فقد كانت تولى أهتماما أكبر للتجارة ولمشروعاتها السياسية فى الشرق • وقد قادت السهولة المتزايدة للمواصلات عمداء موازنة الى اوربا • بل أن اربينيوس قابل فى كونقلان تاجرا مراكشيا مسلما فى ١٦١١ • كذلك كان تفسير نصوص الكتاب المقدس ، وهو أحد الموضوعات ذات الاهمية الكبرى فى المناقشات التى دارت بين البروتستانت والكاثوليك ، أحد الاسباب التى ادت الى دراسة فقه اللغات الشرقية • ورغم الردة « المعادية للعرب » ظل الاطباء على اهتمامهم بابن سينا • وقد دفع الخطر التركى الاوربيين الى دراسة الامبراطورية العثمانية والاسلام عن كثب • كما أتاح أضمحلالها نظرة أكثر اطمئنانا وأناة • وأثار نمو القوة والثقافة الاوربية الاهتمام فى البلاطات الشرقية بالرحالة الاوربيين (الذين كانوا يتزايدون باستمرار) والذين كانوا يحملون ومضات عملية مفيدة فى بعض ميادين كانت لا تزال محدودة منها الفن العسكرى بوجه خاص •

ان هذه العلاقات الوثيقة وهذه الاهتمامات وهذه الظروف تفسر مولد شبكة استشراقية محكمة العرى • ففى ١٥٣٩ ينشأ أول كرسى للغة العربية فى باريس ، فى الكوليج دى فرانس التى كانت قد أنشئت حديثا ليشغله جيوم بوستل ، وهو عالم متنور من طراز « ناشىء » جدا كما رأينا ، ولكنه قام بنشر أولى الموجزات الدراسية ، وتربى على يديه تلاميذ كان من بينهم جوزيف سكاليجيه الذى امتاز بتكوين استشراقى له أهميته النسبية فى ذلك الحين • وستقدم مجموعات المخطوطات فى المكتبات المواد اللازمة للعلماء كى يثروا معارفهم على نحو جاد • وستيسر المطبعة ـ خاصة المطبعة ذات الحروف العربية التى رأينا كيف بدأت ـ للعلماء أن يستفيدوا من أعمال بعضهم البعض • وستعمل مجموعة من المتخصصين على توفير أدوات العمل الضرورية : الاجروميات ، والمعاجم ، وطبعات النصوص • وفى مقدمة من يبرز اسمهم فى هذا الميدان الهولندى توماس فان أرب (اربينيوس) (١٥٨٤ ـ ١٦٢٤) الذى ينشر أول اجرومية عربية ، وأولى طبعات النصوص على أساس من مناهج البحث اللغوى السليم ، وتلميذه جاكوب جوليوس (١٥٩٦ — ١٦٦٧) • وفى النمسا ينشر لى لوران فرانز مينينسكى معجمه التركى الضخم فى عام ١٦٨٠ • وتتكاثر كراسى الدراسات الشرقية ، التى كانت مقصورة من قبل على باريس • فيدرس ف • رافلنجين (١٥٣٩ ـ ١٥٩٧) العربية فى ليدن لسنوات • ويؤسس اربان الثامن فى روما عام ١٦٢٧ كلية الدعاية ، وهى مركز نشط للابحاث ، ويفتتح ادوارد بوكوك كرسيا للعربية فى أوكسفورد فى عام ١٦٣٨ •

ويأخذ المتخصصون فى التمرس بالنزاهة وتجرد العلماء • ويمضون فى تجميع أدوات العمل والمواد والدراسات التى تتناول فى الغالب موضوعا محددا حيث تظهر أحيانا بعض العناصر التى لا تتمشى مع الصورة العامة للاشياء التى كانت تفرضها الايديولوجية السائدة فى المجتمع • وهم لا يسعون جاهدين الى تغيير هذه الصورة أو الوقوف فى وجه هذه الايديولوجية بطريقة واعية ، فهم فى الغالب الاعم من أصحاب الفكر المحافظ • لكن المناخ العام فى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر يحدث أثره فيهم ، فهو لا يطالبهم على الاقل بأن يتخذوا موقف التهجم القاسى والدفاع الاعمى • واخلاصهم للايديولوجية المسيحية يمكن أن يقتصر على بيانات (سواء كانوا صادقين فيها أم لا) تلحق بمؤلفاتهم وهو أمر لا يمس الطابع المحايد لهذه المؤلفات او محتواها •

وقد بدأت النسبية الايديولوجية تشيع فى أوساط المثقفين والجمهور المثقف قبل العلماء • لكن الجو الذى اشاعته قد جعل الطريق مفتوحا أمامهم • فهؤلاء الذى يشدهم ميلهم الشخصى المتأجج نحو الشرق يستطيعون الان أن يعملوا فى اطمئنان ودعة • ويأخذ ب • دربلو (١٦٢٥ ـ ١٦٩٥) فى تحرير **مكتبته الشرقية** (نشرها جالان فى ١٦٩٧ بعد وفاة دربلو) على

أساس من مواد بالغة الوفرة ، وهي الصورة الاولى لدائرة المعارف الاسلامية • ويعطي ا • جالان دفعة حاسمة للذوق الميال للشرق حين ينشر في فجر القرن الثامن عشر ترجمته **لألف ليلة وليلة** التي سيكون تأثيرها عظيما . ان العالم الاسلامي لا يبدو منذ الان كمملكة للمسيح الدجال كما كان من قبل ، ولكنه يصبح موطنا لحضارة تبهر الحس والشعور ، ذات سحر ، تعيش في جو خرافي مأهول بالجان ذوي النزوات ، الاخيار منهم والاشرار ، ويدخل البهجة على قلوب جمهور طالما استمتع بالحكايات الاوربية عن الساحرات •

عصـــــر الأنـــــوار

كانت ثمة اختيارات عملية قد تمت خارج نطاق الايديولوجية المسيحية . وقد أخذت تتكون حول هذه الاختيارات البدايات الاولى لايديولوجية « قطاعية » ميدانية ، راحت تتجسد أكثر فأكثر ، وتتأكد على نحو واضح لا باعتبارها مستقلة عن الايديولوجية المسيحية ، بل باعتبارها منافسة لها ، تحاول أن تكون مثلها مفهوما شموليا للعالم ، هي الايديولوجية العقلانية ، التقدمية ، العلمانية لعصر التنوير • وينشب الصراع ضد مفهوم القرون الوسطى عن العالم الذي كان يرمي الى الابقاء على الكيانات السياسية القائمة والدفاع عنها • ان الصراع ضد « تعمية العصور الوسطى » الذي لم يتوقف منذ عصر النهضة ، يتخذ الان صورة الكفاح ضد المسيحية نفسها ، التي لم تكن قد تخلصت حتى ذلك الوقت من تلك الصياغة الايديولوجية التي قامت بها القوى القديمة • وقد ظلت على هذا النحو ترتبط ـ خاصة في البلاد الكاثوليكية ـ بالابنية السياسية التي راحت تترصد بصبر نافذ القوى الجديدة الصاعدة •

ويصبح من الممكن النظر الى الايديولوجية الدينية المنافسة للمسيحية نظرة لا تحيز فيها ، بل نظرة مشبعة بالتعاطف اذ يبحث فيها (ويعثر فيها بلا ريب) عن تلك القيم نفسها التي تضعها الايديولوجية الجديدة في مواجهة المسيحية • وقد دافع الكثير من المؤلفين ، خلال القرن السابع عشر ، عن الاسلام ، ضد تحاملات العصور الوسطى ، وضد التجنيات التهجمية العنيفة ، وأظهروا قيمة واخلاص التقوى الاسلامية • كان هذا شأن ريشار سيمسون Richrad Simon مثلا ، الذي كان كاثوليكيا الدوجماطيقية (الجمود المذهبي) بعناد ضد التشويهات التي كانت تفرضها مخلصا ، ولكن غزارة علمه دفعته الى الكفاح على الوقائع الموضوعية ، سواء عند قراءة الكتاب المقدس أو في دراسة المسيحيين الشرقيين وهو يصف في كتابه **التاريخ النقدي والعادات عن أمم الشرق (١٦٨٤) عقيدة وطقوس المسيحيين الشرقيين ، ثم يثني بوصفها عند المسلمين وصفا متزنا واضحا معتمدا في ذلك على مؤلف لأحد رجال الدين المسلمين ، دون أن يعمد الى أهانة أو تجن ، بل وبتفهم ايجابي واعجاب في كثير من الاحيان • وحين يتهمه ارنور بأنه كان شديد الموضوعية فيما كتبه عن الاسلام ، ينصحه بأن يستفيد من « الدروس الرائعة » للاخلاقيين المسلمين • وفي عام ١٧٠٩ يقوم ا • ريناك المستعرب الهولندي باقتدار علمي رفيع ، باصدار مؤلف موضوعي عن الدين الاسلامي معتمدا على المصادر الاسلامية وحدها • ويقدم الفيلسوف بيير بايل المعجب بالتسامح الاسلامي ترجمة موضوعية لحياة محمد في القاموس النقدي** (المطبعة الاولى عام ١٦٩٧) وقد عاد اليها بالتنقيح في الطبعات اللاحقة مستعينا بدراسات أكثر عمقا •

وسينتقل الجيل التالي من الموضوعية الى الاعجاب • فها هو بايل وكثيرون غيره يقدمون للمسيحيين التسامح الذي تعامل به الامبراطورية العثمانية كل أنواع الاقليات كمثل **يحتذى : فهذا هو العصر الذي يلجأ فيه الكالفينيون من المجر وترانسلفانيا والبروتستانت** من سيليزيا والمؤمنون القدامى من القوزاق في روسيا ، الى تركيا أو يتجهون بأبصارهم الى الباب العالي كي يتخلصوا من اضطهاد الكاثوليك أو الارثوذوكس ـ محتذين في ذلك حذو اليهود الاسبانيين منذ قرون مضت • وينظر الى الاسلام كدين يقوم على العقل ، بعيدا عن العقائد المسيحية التي تتعارض أشد التعارض مع العقل ، وهو لا يحتوي الا

على الحد الادنى من المفاهيم الغيبية والطقوس الغيبية (وهو حد أدنى ضروري بلا ريب فى رأيهم لكسب تاييد الجماهير) ، وهو يوفق بين الدعوة الى حياة خلقية وبين احترام معقول لحاجات الجسد والحس والحياة الاجتماعية . انه فى كلمة موجزة دين قريب جدا من ذلك الذى يعتنقه أغلب مفكرى التنوير . ويبسط الضوء تاريخيا على الدور الحضارى للاسلام ، فالحضارة لم تخرج من الاديرة ، وانما تمتد أصولها الى الوثنيين من اليونان والرومان ، وهى قد انتقلت الى أوربا على أيدي غير المسيحيين من العرب .

على هذا النحو كان يفكر ليبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) ثم ذلك المؤلف المجهول الذى أصدر كتيبا بعنوان استفزازى هو « **محمد ليس مضللا** » (١٧٢٠) ، وهنرى دى بولانفييه الذى نشر فى عام ١٧٣٠ كتاب **حياة محمد** الذى يلتزم فيه بالدفاع عن المسيحية ، وفولتير المعجب بالحضارة الاسلامية . ويتذبذب هذا الاخير بين موقف الدفاع على أساس من عمق سياسى ، فهو مؤسس لدين عقلانى ، وبين الفرصة التى يتيحها المذهب الرسمي لبلاده فى أن يشجب فى شخص محمد هذا الصورة الاولى لكل المضللين الذين يحاولون أن يسيطروا على الناس بالخرافات الدينية .

وقد انتهت روح العصر بأن لحقت أيضا بالمتخصصين ، خاصة أولئك الذين كانوا يعملون خارج اطار الوظائف والتقاليد الجامعية . الامر الذى يتجلى فى المحامى المستعرب ، والمسيحى المتنور جيورج سال (١٦٩٧ - ١٧٣٦) الذى ينشر فى عام ١٧٣٤ ، ترجمة تبعث على الاعجاب للقرآن مع مقال تمهيدى وملاحظات تتسم بالاتزان وتنم عن الدقة وغزارة المعلومات ، وكانت مصدرا لكثير من المؤلفين اللاحقين ، والذى يتجلى على وجه أخص فى العبقرى العصامى الالمانى ج.ج ريسكه (١٧١٦ - ١٧٧٤) الشغوف بالعلم والذى لم يكن يدانيه احد فى معرفته بالاداب والتاريخ العربيين ، والبحاثة الذى لايكل الذى تعرض لاضطهاد الاستاذين شولتنز وميشاليس اللذين كانا يريدان ان يبقيا الدراسات العربية فى فلك دراسات « فقه لغات الكتاب المقدس » وتفسير الكتاب المقدس . ان هذا العالم المتبحر ، كان يقر هو الاخر بان فى تاسيس الاسلام شيئا ذا طبيعة الهية . وفى الكتاب الذى كتبه سيمون أوكلى الاستاذ بجامعة أكسفورد عن تاريخ المسلمين ، والذى قدمت فيه لاول مرة نتائج البحوث الاستشراقية للجمهور الواسع من القراء ، تعلى مكانة الشرق المسلم فوق الغرب . وتنهل العقول الشغوفة بالتركيب مثل فولتير وقد أتينا على ذكره من قبل وادوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤) من معطيات الدرس والافكار العامة ، وتخص التقديرات المتزنة لهذا الاخير العالم الاسلامي بمكان هام فى التاريخ الثقافى والفكرى للانسانية . وتأخذ أسطورة فى الذيوع ، أسطورة محمد كحاكم ومشرع متسامح وحكيم .

والحق أن القرن الثامن عشر كان ينظر الى العالم الاسلامي بعين الاخوة والانصاف ، وسمحت فكرة تساوى الاستعدادات الطبيعية عند البشر جميعا ، التى قام باذاعتها التفاؤل النشط ، وهو الدين الحقيقى للعصر ، بأن تدرس بروح نقدية النقائص التى تاخذها العصور السابقة على العالم الاسلامي . ان القسوة والبربرية موجودتان حقا فى الشرق ، ولكن هل كان الغرب بلا نقيصة ؟ ان الرق فى تركيا أقل وطأة منه فى اى مكان آخر . والمسيحيون الايمارسون هم أيضا القرصنة ؟ هكذا جرى الحديث عندئذ . لقد كان الحكم المطلق نظاما سياسيا يبعث على الاسى ، لكنه قمين بأن يدرس وأن يفسر شانه شأن اى نظام آخر بالرجوع الى الاسباب البيئية والاجتماعية . وربما كانت الظروف الجغرافية الشرقية هى التى وفرت الظرف الملائم لنشأته ، ولكنه امعن فى التطور فى هذا الاتجاه . ويستشهد مونتسكيو الذى كان يلح كثيرا على فكرة الحتم الجغرافى بنصوص من دومتيان باعتباره القدوة التى احتذاها صوفيو الفرس ، واصبحت الليبرالية الجنسية النسبية للاسلام ، التى كانت مصدرا للفزع فى القرون الوسطى (أو الجسادية الغامضة وغير الواعية) محلا للتعاطف من حضارة تغرس الايروسية فى النفوس . إن المسلمين ، هم في نظر قرن الانوار بشر كسائر الناس ، بل أن الكثيرين منهم هم خير من الاوربيين . يكتب توماس هوب الذي قام برحلات الي الشرق في نهاية القرن « ان التركى حين لا يصيبه التعصب ، يصبح انسانا عطوفا ومحلا للثقة » . وفي خاتمة **كانديد** لفولتير ، يجد الابطال بعد أن اكتسبوا الحكمة السلام بالقرب من القسطنطينية حيث يعملون بنصائح « درويش ذائع الصيت كان يعتبر أفضل فلاسفة تركيا » وشيخ متهدم مسلم عامل ، يتسم بالاتزان ولا يبالى بالسياسة ، ويتزايد عدد الذين يرحلون الى الشرق ، واذا كان الكثيرون منهم — مثل رجال بعثات التبشير — يعيشون فى أغلب الاحيان فى عالم

منطو على نفسه ؛ فان آخرين من أمثال ج . بردس وكارستن نيبور وهـ . موندريل ور. بوكوك وج . دى لا روك ون . سافارى وت . شو ، قد استطاعوا أن ينقلوا وقائع تثير الاهتمام تضاف الى الحكايات التى كانت تجد قبولا حسنا من القراء فى القرن السابق والتى كتبها رجال مثل شاردان وتافرنيه . واستطاعت ليدى مونتاجو أن تتسلل الى العالم النسائى الاسلامى فى استامبول وأن تصفه دون أساطير ودون أسرار . ومن الاتجاه الاخر ـ يتوافد الشرقيون وخاصة المسيحيون منهم ـ الى أوربا . ان ج . ج . روسو الشاب ، وهو ابن لساعاتى فى قصر السلطان فى القسطنطينية ، بين أولاده قنصل فى ايران وقنصل فى البصرة وحلب وبغداد وطرابلس ، لا يدهش حين يقابل فى نيو شاتل (مدينة سويسرية) أن شمندريت (كاهن فى الكنيسة الشرقية يلى الاسقف فى المرتبة) من القدس مزيف ، هو لا شك مغامر يونانى ، وأحد رعايا السلطان . ويحقق « الجاسوس التركى » كموضوع أدبى نجاحا هائلا ، وهو يتعرض بالوصف النقدى لاخلاق وعادات الاوروبيين ، وكان أول من عالجه مغامر من جنوا يدعى ج . ب . مارانا عاش طويلا فى مصر ، وهو يبلغ الاوج فى **الرسائل الفارسية** لمونتسكيو (١٧٢١) .

ان التيار السابق على الرومانسية الذى كانت تروق له الرؤية التى تنشد الغرابة والسحر فى الشرق المسلم ، التى بدأت على يدى ا . جالان ، لا يتزحزح عن هذه النظرة للشرق ، وينتج رائعة أدبية هى **فاتك** التى كتبها وليم بكفورد (١٧٨١) الذى سيعشق فى مدريد عام ١٧٨٨ شابا مسلما يدعى محمد . وتجد هذه النظرة رمزا لها فى شخصية كاجليوسترو « **المسيحى الكبير** » الذى يزهو بسياحاته الطويلة فى الشرق . ويدفع ذوق جمالى أقل تعلقا بالفانتازيا وليم جونز الى دراسة الاداب الشرقية ، لكنه مثل فولتير وكثيرين غيره ، يعمد الى تحويل الاشكال والمضامين بقدر ما يستطيع الى المعايير والمعولات الاوربية ، فينقل الشعر العربى مثلا الى الاوزان الاغريقية ـ اللاتينية . على أن التيار الواقعى ، الايجابى والشامل النظرة ، يستمر مكتسبا قوة أعظم ، ويتكون على يديه رجال مثل فولنى الذى يعد كتابه **رحلة فى سوريا ومصر** (١٧٨٧) آية فى التحليل المدقق ، وهو يتسم بحكمة مدهشة فى مادته السياسية والاجتماعية ، ويلتزم بمراقبة الواقع مخيبا الى أقصى حد آمال القارىء الذى يبحث عن الامتاع فى الوصف . وكان فولنى يعرف لغات الشرق وعلى علم غزير به ، لكنه كان يخص بالاهتمام الواقع الحى . وقد لعب دورا عظيما فى التحضير للحملة الفرنسية على مصر ، التى ستكون احدى نتائجها الكتاب الرائع « **وصف مصر** » ، فهو تجميع لا مثيل له لدراسات دقيقة ومعمقة تتناول الاثار والجغرافية وعلم السكان والطب والتكنولوجيا وعلم الاجتماع .

وكان فولنى على معرفة حسنة بالتاريخ الشرقى ، لكنه كان يرى أن الطريقة الفضلى للفهم هى البدء من ملاحظة الواقع الحى فى الشرق . وقد بذل جهودا من أجل تطوير الدراسة العملية للغة العربية المنطوقة ، وأنحى باللائمة على العلماء الذين يتبحرون فى معرفة نحو اللغة العربية فى القرون الوسطى ولكنهم يعجزون عن فهم العربية التى يتكلمها الناس فى زمانهم . ان اهتمام فولنى بالواقع الحى ، وشغفه بمعرفة الطريقة التى تحدث بها الاشياء ، لا يلائمان كثيرا الدراسات الفيلولوجية البحتة التى أخذت فى التدهور خلال القرن الثامن عشر كله . وقد وضع بعض الموازنة من أمثال اسيمانى فى ايطاليا وكازيرى Casiri فى اسبانيا « كتالوجات » عن ذخائر المخطوطات . وقد أسس لويس الرابع عشر فى عام ١٧٠٠ ومارى تريز فى ١٧٥٤ مدارس قصد بها أساسا غاية عملية هى اعداد المترجمين . ويؤسس وليم جونز فى ١٧٨٤ الجمعية الاولى للاستشراق ، وهى الجمعية الآسيوية (للبنغال) ، حيث وجد فى هذا البلد الاسلامى مجموعة من البريطانيين تهتم باللغات والاداب الاسلامية ولغات وآداب الهند الكلاسيكية فى آن واحد . وتؤسس شركة الهند الشرقية من أجل غايات عملية ايضا كلية فورت ويليام ، التى سينشر تحت رعايتها ، وعلى أيدى مؤلفين من أبناء البلاد فى كثير من الاحيان ، ترجمة لعدد كبير من الكلاسيكيات الفارسية والعربية وكتب دراسية وأدوات أخرى للعمل . وكان لايزال يظن هناك أن المعرفة بالشرق هى أساس ضرورى

القرن التاسع عشر : التعلق بالأجانب والامبريالية والتخصص

وظهر القرن التاسع عشر باتجاهاته الثلاثة المترابطة : النزعة الغربية النفعية الامبريالية الممثلة احتقارا لكل المدنيات الاخرى ، التعلق الرومانسي بالاجانب الذى يتغنى بشرق سحرى يزيد بؤسه المتزايد من سحره ، والدراسة العميقة المتخصصة التى ترتبط فى المقام الاول بدراسة العصور الخالية ٠٠ وهى اتجاهات ثلاثة متكاملة اكثرمنها متناقضة رغم ماقد يبدو فى الظاهر ٠

ولم يولد التعلق الرومانسى بالشرق من تغير العلاقات بين الغرب والشرق كما اقترح البعض فهذا التعلق لم يكن أكثر من حالة خاصة ولكنها من حالات التطور الداخلى للتذوق الجمالى الغربى ، انه لم يكن مجرد تذوق للغربة لكنه ابراز لكل ما هو أكثر خصوصية وأكثر نوعية فى اللوحة التى ترسم أويرسمها المرء لنفسه عن الخارج ٠ لقد كان الاجنبى دائما غريبا لكن ثمة استمتاعا الان بكل ما هو أكثر غرابة . وتمتد جذور هذا الاتجاه الذى بدأ — مقتفيا اثر روسو — فى تمجيد العاطفة والفرد والفج ٠ ومن هنا نبع اتجاه ماقبل الرومانسية الانجليزى — بشغفه بالشعر البدائى المزعوم — وهو الاتجاه الذى يبدو أنه قد حرك فضول ويليم جونز . وكذلك الامر بالنسبة Sttum and Drang الالمانية — حيث كان هيردر الذى اهتم من بين ما اهتم به بالاداب الشرقية والذى وضعت ابحاثه عن التركيب التاريخى مساهمة الاسلام فى المقام الاول على اعتبار أن العرب كانوا « أساتذة أوروبا » ٠ غير أن الرغبة فى معرفة العوالم الاجنبية وفهمها ظلت فترة طويلة مرتبطة بنظرة شاملة كلاسيكية تبحث فى الشرق — كما تبحث فى غيره — أولا عن الانسان فى كل مكان وزمان . وقصائد جوته (١٤) فى تمجيد محمد — وبخاصة ترنيمة محمد فى ١٧٧٤ — أكثر شاعرية بما لا يقارن من « محمد » فولتير (١٧٤٢) الا انها تحمل قدرا أقل من اللون المحلى ٠ وحين كتب بعد ذلك بأكثر من أربعين سنة فى عام ١٨١٩ نداءه الاول « بهجرة » نحو الشرق حيث نهل الشاعر شبابا جديدا ، فصدره Hider Chiser بملاحظاته العالمة وتأملاته المليئة بالحكمة الشرقية — رأى — بصراحته المألوفة — ان عليه أن يعتذر اذ لاح فيها أصله الاوروبى ولغته الخاصة التى أظهرت أنه اجنبى ٠ وبقليل من المبالغة ، يصف المستشرق ميركى (Mery) مشرق جوته بأنه «خيال ظل غير موجود» لانه — كما قال هـ. ليختنرجر (H. Lichtenberger) « لم يكن يريد ان يصور الشرق ولا الغرب وانما الانسان الذى اكتشفه بالحدس هناك » ٠

لقد كان جوته يحتفظ فى عام ١٨١٩ بروح عصر مضى أوانه ٠ فقد بلغ رد الفعل ضد الكلاسيكية — فى ألمانيا أولا — درجة لا تتناسب مع تيارات الفكر التى تولدت عن فشل الثوره الفرنسية أو انتصارها المبهم ويقظة القومية الالمانية ٠ وأعلن فريدريك شليجل منذ ١٨٠٠ التحالف بين النزعة القوطية والاستشراق ضد الكلاسيكية وقال « فالشرق هو المكان الذى يجب أن نبحث فيه عن الرومانسية العليا » واستدار نحو الهند ٠ ولم يكن تجاوز الادب البورجوازى للعصر الجديد الذى بدا راجعا الى تكامل كلاسيكى ٠ وانما للجوء الى سحر الذاتية المقيدة والتغنى بما هو بربرى ونوعى وأجنبى .

ولاشك ان هذا الاتجاه قد أسهم فى موجة جديدة من الدراسات الشرقية بلغت مستوى نهضة فعلية ، وقدمت بدورها للرومانسية مادة غنية ٠ ورغم هذا فان الاستشراق المتبحر

---

(١٤) هو الشاعر الالمانى الذى درس الشرق وكتب عن الاسلام ، ومن اشهر كتاباته فى هذا المجال [الديوان الشرقى للشاعر الغربى] ٠ [الطبعة] ٠

قد امتد بجذوره الى اهتمامات HUFKLAREMG . فكل من كانوا يرغبون في أوروبا في دراسة جادة للغات ومدنيات الشرق الادنى قد تحولوا الى مدرسة اللغات الشرقية في باريس التى أسستها الجمعية الوطنية في مارس ١٧٩٥ نتيجة لجهود لانجلس (١٥). وقد ابرز هذا اولا الفائدة العمليه بعد أن أكد كذلك دور اللغات الشرقية في « تقدم الاداب والعلوم » ومن المفارقات ان محرك هذه المدرسة الاكبر كان سيلفستر دى ساكى الملكى الجانسينى الوضعى ، المرتبط بقيم الماضى ، والذى كان ينظر الى اللغات في اطار نظره شاملة مجردة تحددها « الآجرومية العامة » بروح رجال (البورت رويال) وأصبح دى ساكى استاذ الكل الاستشراق الاوروبى ، وغدت باريس كعبة كل من يريدون التخصص في دراسة الشرق الادنى واستطاع وهو عالم اللغات (الفيلولوجيا) المدقق المتحرر ، الحذر الى أقصى حد في نتائجه ، والذى لا يرغب في ان يقدم شيئا لا يمكن التدليل عليه بدقة من النصوص ، والوضعى أمام الحروف ، استطاع ان يفرض على عالم المتخصصين الاوروبيين هذا التشدد الذى اعده له مذهبه كجانسينى . وظل أسلوبه في العمل هو أسلوب عالم المستشرقين الى حد كبير حتى يومنا هذا . وان تكن الانتقادات التى تهاجم موقفه اليوم قد بدأت في الظهور حتى في ذلك العصر ، فقد اثار ضيق الافق الذى حبذه (ولكنه لم يكن أبدا نتيجة الزامية بل استطاع أكثر اتباعه بروزا وموهبه التخلص منه) سخط فولنى ثم رينان فيما بعد ان التزمت العلمى يميل الى الفصل بين مشاكل الماضى وبين مشاكل العالم القائم مما يضر أحيانا بفهم المشاكل الاولى وكثيرا ما يخضع بلا وعى للافكار العامة في الوسط الذى أفرزت فيه . كما يمكن ان يؤدى رفضه للنتائج التركيبية غير الحذرة الى نوع من اللاأدرية العقيمة أو يجعله ينقل دون نقد ايديولوجيات كامنة يضمنها فحسب قدر متبحر مهيب ، غير أن هذا كله ليس سوى الوجه الاخر لكفاءات ومزايا غير عادية لا غنى عنها للتقدم العلمى فقد كان الشك ازاء التركيبات البراقة المستخفة مهما كان الجور الذى يلحقه أحيانا بنظريات صحيحة وهامة هو الشرط الضرورى لاقامة بناء جديد على قاعدة متينة .

أما الشرط الثانى فكان هو الانفصال الحاسم عن اللاهوت الذى طغى على جو القرن الثامن عشر في فرنسا وانجلترا . فقد ادى الانشغال العملى بتدريب تراجمة في باريس وفيينا الى خلق تعاليم متخلصة من اغلال اللاهوت ، وبناء على هذه التعاليم التى خلقها الحماس الثورى الفرنسى — قدمت مدرسة اللغات الشرقية في باريس - وعلى رأسها سيلفستر دى ساكى المتزمت نموذجا لمؤسسة استشراق عمليه وعلمانية في نفس الوقت . أما في الدول الناطقة بالالمانية فقد ظلت الجامعات في ايدى علماء اللاهوت . وكان لابد أن يغرس الاستشراق العلمانى اولا على يد الهواة وفي المقام الاول على يد جوزيف فون هامر — بورجتشتال (١٦) (١٧٧٤ — ١٨٦٥) ابن الاكاديمية الشرقية في فيينا ومهنة الترجمان ، الذى كان يفتقر الى الدقة الفيلولوجية ، الا انه لم يكن له نظير في نشر المعلومات عن الشرق ، وكان هو مؤسس اول مجلة استشراق متخصصه في (مجلة Fuvdergruben de Grients (١٨٠٩ — ١٨١٨) التى اشترك في تحريرها كل المستشرقين الاوروبيين ورجال الاداب الشرقيين الذين يقاسمونه اهتمامه بالماضى والحاضر .

وكان هذا النجوء الى الموضوعية ، والى العمل الجحود للمتخصص يتمشى مع الاتجاهات العميقة لعصر يستدير الى تنظيم البحث العلمى في قلب مجتمع رفعت فيه الرأسمالية تطورا صناعيا لم يسبق له مثيل ، ويوضح هذا جيدا نجاح تعاليم سلفستر دى ساكى في كل أوروبا وكذلك ازدهار المعاهد المتخصصة . ففى ١٨٢١ تأسست جمعية باريس الاسيوية . وفى ١٨٢٣ أصدرت نشرة دورية هى « لوجورنال آسياتيك (١٧) . وفى ١٨٣٤ بدأت في الصدور صحيفة الجمعية الاسيوية الملكية في بريطانيا وايرلندا وهى الجمعية التى تأسست في

---

[١٥] [١٧٦٣ — ١٨٢٤ م] اهتم كثيرا بادب الرحلات عند العرب ، وكتب عن رحلاته هو الى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، كتابا سنة ١٧٩٩ م ، وحقق بعض الكتب التاريخية ومنها قسم من [نشق الازهار في عجائب الامصار] لابن اياس ، وكان يجيد الفارسية الى جانب العربية . [الطليعة] .

[١٦] مستشرق نمسوي اشتهر بكتابه [تاريخ الدولة العثمانية] في عشرة مجلدات ، وبالمجلدات السبعه التى كتبها عن تاريخ آداب اللغة العربية ، ودائرة المعارف الشرقية التى وضعها ، وكذلك ترجماته لديوان المتنبى وتائية ابن الفارض ، وغيرها من الاثار العربية الاسلامية [الطليعة] .

[١٧] اصدرت الجمعية الاسيوية الفرنسية هذه الصحيفة سنة ١٨٢٢ م ، واشتهرت باسم المجلة ، وكانت تصدر فصلية كل ثلاثة أشهر ، ولقد صارت من أهم مصادر حركة الاستشراق في أوربا على وجه العموم [الطليعة]

١٨٢٣ • وفى ١٨٣٩ حلت نشرة منتظمة هى صحيفة « الجمعية الاسيوية فى البنغال» فى الهند محل الابحاث الاسيوية لمجموعة وليم جونز • وفى ١٨٤١ أصدر فرع بومباى من هذه الجمعيـه مجلته الخـاصـه . وفى ١٨٤٢ تأسست « الجمعية الشرقية الامريكية » التى أصدرت بدورها مجلة باسمها كما أثار صبغ روسيا بالصبغة الاوروبية نوعا من الازدهار فى أعمال الاستشراق فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر • فابتداء من ١٨٠٤ أنشىء معهد جامعى للغات الشرق الاسلامى فى خاركوف وفى كازان وسرعان ما انطلق مركز كازان تحت دافع احتياجات السياسة تجاه المسلمين فى داخل الدولة الروسية •

وهكذا ولد الاستشراق ، وظهرت كلمة مستشرق فى اللغه الانجليزية حوالى عام ١٧٧٩ وفى الفرنسية حوالى عام ١٧٩٩ •• كما دخلت كلمة الاستشراق على معجم الاكاديميه الفرنسية فى ١٨٣٨ • وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق • ولم يكن المتخصصون بعد من العدد بحيث تتشكل جمعيات أو مجـلات متخصصة فحسب فى بلد واحد او شعب واحد أو منطقة واحدة من الشرق • ومن الناحية الاخرى كثيرا ماكان أفق هؤلاء المستشرقين يشمل عديدا من المجالات بطريقة غير متوازية فـى عمقهـا • ومـن هنـا بـدأ تصـنيفهم « كمستشرقين » وشـهدت فكرة الاستشراق تعمقا الا أنها تعرضت كذلك لاصرار وندوب ، وكان الشرق يأخذ مكانه فى مؤلفات القرن الثامن عشر الى جانب العرب فى أفق شمولى • وبدأ الناس يدركون انهـم لا يستطيعون الحديث بجدية عن الشرق قبـل دراسة مسبقة ، تقوم على اساس النصوص الاصلية ، وبالتالى على معرفة ضافيه باللغات الاصلية ، ومع المواد التى أصبحت متاحة الان بدت هذه الدراسة المسبقة هائلة : نشر وترجمة النصوص ، تجميـع المعـاجم والاجـروميه مستوعبة بطريقة علمية ، التحقق من وقائع التاريخ •• الخ • ويمكن أن تكون للمتخصصين افكار عامة ، الا أنهم ينبغى بقدر الامكان أن ينحوها جانبا خلال عملهم . فلم يعد لديهم سوى القليل من الوقت للالمام بالاتجاهات العلمية خارج ميدان تخصصهم • وكانت العلـوم الانسانية لا تزال فى طفولتها ، تفتقر الى منهج دقيق يتيح لها تطوير كتلة المعلومات الهائلة المكتسبة فى تركيب متين نظريا ، ولـم تكن المذاهب الفلسفية البالغة العمومية لتتيح لها ذلك بل كانت تمثل خطرا حيث تدفع البعض الى تلوين رؤياهم فى اتجاه ايديولوجية كامنة •

وكانت اقامة معاهد الاستشراق تجرى بسرعة نسبية • ففى عام ١٨٢٩ كتب فيكتور هوجو فى مقدمة « الشرقيات » (التى تضم ثلاث اقتباسات عن السعدى (١٨) ، وسلسلة من الترجمات لاشعار عربية وفارسية) يقول : « ان الدراسات الشرقية لم تندفع ابدا بمثل هذه الدرجة • ففى عصر لويس الرابع عشر كان الجميع هيلينيين ، اما الان فالجميع مستشرقون •• ولم يحدث ابدا من قبل ان قام مثل هذا العدد من العقول فى نفس الوقت بدراسة هذه اللجة الاسيوية الكبيرة ولدينا الان عالم متخصص فى كل من مأثورات الشرق من الصين حتى مصر » • وكان العلماء يرشدون الادباء والفنانين : فقد تلقى هوجو تعليمه على يد ا • فونييت وايكشتاين وجوته على يد فريدريك فون دييز وغيره الخ ••

وقد لقى الاستشراق الادبى والفنى بالطبع التشجيع من كل الاحداث المتعلقة بـالشرق الاسلامى ، وبخاصة من « المسألة الشرقيـة » التى غدت من أكبر مشاكل السياسة الاوروبية فى القرن التاسع عشر ، ومما له دلالة أن نقطة انطلاق الرومانسية كانت هى حرب اليونان التى جذبت بايرون (حيث مات هناك عام ١٨٢٤) وألهمت اول لوحات الاستشراق (عرضت لوحة مذبحة سكيو بريشة ديلاكروا فى نفس ذلك العام) • وتبدو فى هذه اللوحة صورة الشرق الرومانتيكى – وهى الصورة التى ظلت منتشرة طويلا بين كل فئات الجمهور الواسع وفى الشرقيات (وقد كتب هوجو اول قصائد هذا الديوان فى عام ١٨٢٥) الالوان الصـارخة والبذخ والعنف البربرى والحريم ونظام التسرى والرءوس المقطوعة والنساء اللواتى يلقى بهن فى البسفور فى أجولة ، والفلائك واستدارة القباب اللازوردية والمآذن البيضاء والجوارى والخصيان والوزراء والينابيع النقيـة تحت اشجار النخيل والاسرى المستسلمين لهـوى المنتصر العنيف . لقد أشبعت هذه اللوحات ذات الالوان الصارخة الى حد كبير الغرائز العميقة والاحاسيس المضطربة والمـاسوشية والسادية الكامنة فى البورجوازيين الغربيين

---

[١٨] شاعر صوفى فارسى مشهور [الطليعة]

الهادئين كما رأى هاين جيدا من قبل • وحتى حين كان الغربيون يذهبون الى الشرق فقد كانت هذه الصورة هى التى يبحثون عنها هناك ،فينتقون المشـــاهد الاليمة ، ويهملـــون كـل ما لا يتمشى مع هذه النظرة المقررة من قبل •

وعبرت هذه الصورة التى لونتها الاحاسيس الاوروبية كذلك ـ بفضل تطورها الداخلي ـ عن واقع الوضع • ففى القرن التاسع عشر كان الشرق الاسلامى لايزال عدوا تم قهره • وفى عام ١٨٥٣ كان فى وسع نقولا الاول ان يتحدث لسير هاميلتون سيمور عن « الرجل المريض •• البالغ المرض » الــذى تحمله اوروبا « على ذراعيها » قاصدا به الامبراطورية العثمـــانية ولكن قبل ذلك بوقت طويل لم يكن تفوق اوروبا موضعا للشك . فقد كان ارتداد الاتراك عن البلقـــان واضـــحا منــذ القـــرن الثـــامن عشر ، ووصل الى الامبراطورية مع استقلال اليونان • وبدأ الاستعمار مع احتلال الفرنسيين للجزائر عام ١٨٣٠ واستيلاء الانجليز على عدن فى ١٨٣٩ اذا ما تركنا جانبا الهند البعيدة وماليزيا حيث بدت القبضة الايجليزية منيمة كالقبضة الهولندية فى اندونيسيا • واشارت كل الدلائل الى أن الشرق يعترف بـــالتفوق الاوروبى ، وربمـــا بـــالاصطباغ بـــالصبغة الاوروبية فى وقت طال او قصر ، لقد ألانه ضعفه هو • ولم يعد عنفه يثير السخط ، فمن السهل والملائم أن تضفى شرف الحرب على عدو يستسلم • واصبحت البربرية سمة اخـــلاقية يمكن للمرء ان ينتشى تجاهها دون خوف .

لقد بدت دول الشرق وكانها شاهد متحلل على ماض يمكن ان نسبغ عليه كل تمجيد طالما ان رجال السياسة ورجال الاعمال يصنعون كل شيء للاسراع بهذا التحلل ، ولم يكن تقديم هذه الدول او صبغها بالصبغة الحديثة ليثير اى حماس • بل انه يهدد بفقدها لهذه اللمسة الاجنبية التى تشكل سحرها • وكان الشاعر والفنان والجمهور الواسع الذى يتشكل حولهما يفزعون من هذا الاحتمال ، تماما كما يفزع منه لاسباب اكثر واقعية ـــ موجهو السياسة والاقتصاد لو انه كان متصورا • فالشرقى ،هذا العدو اللدود الذى ظل على نفس مستوى القرون الوسطى ،انســان ما قبل كل اقنعة القرن الثامن عشر وايديولوجية الثورة الفرنسية التى تولدت عنها ، قد اصبح كائنا منفصـــلا مأسورا •• فى خصوصيته التى يمكن للمرء ان يتنازل فيمجدها • ومن هنا ولد مفهوم **الانسان الاسلامى** الذى لم يهتز كلية بعد •

وهكذا اصبح الجميع يعتــرفون بفكرة المدنيات المختلفة التى تتطور كل منها فى منطقة محددة ، واتخذت هذه الفكرة صيغتها النظرية فى شكل فلسفى خالص اثر على عصر المطالب القومية فى اوروبا نفسها • فلكل جـــوهره الخاص به ، والبحث عن هذا الجوهر هو الذى يفسر الاتجاه المتزايد لدى العلماء الى ترك دراسة العصور الحـــديثة للتخصص فـــى العصور « الكلاسيكية » تلك التى اظهرت فيها هذه المدنيات طابعها « الخالص » وكان ممـــا اسرع بهذا الاتجاه العلمان الانسانيان اللذان غرسهما القرن الثامن عشر: تاريخ الاديان وتاريخ اللغات واللغات المقارنة . فتاريـــخ الاديان الذى ولد خلال صراع الجمـــاعة البـــورجوازية النســـبية ضـــد الاحتكار الايديولوجى المسيحى ولد اهتماما بالغا بدراسة الاديـــان الشرقية كبديـــل ماض او حـــاضر للمسيحية ، واصبح من المألوف ـ فى ظل المثالية النظرية الكامنة فى ذلك العصر ـ اعتبار ان الجوهر النواة الاساسية لكل مدنية أنها تكمن فى المجال الدينى ، وأن كل شيء يمكن تفسيره انطلاقا من هذا المجال • وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ اللغات واللغات المقارنة الذى خلقه فرانز بوب (وكان من تلاميذ سيلفستر ساكى) فقد كان الاهتمام الكبير باكتشافات هذا العلم يستهدف كذلك اعطاء اللغة ـ كل لغة ـ دورا رئيسيا • فكل شعب يمكن ان يطابق بلغته ، وان يحدد بخصائص هذه اللغة • والقرابة بيـــن اللغات تفترض القرابة بين ارواح الشعوب ،بين جوهرها الاكثر عمقا ، الذى يفترض بدوره انه يفسر كل الظواهر الاجتماعية التى يمكن تتبعها فى تطورها التاريخى • وجذبت النظرة التطورية البيولوجية ، وخلق علم الانســـان الفيزيقى الاهتمام الى تصنيف الناس فـــى اجناس وهو ما زاد من قدره على الفور طابعه العلمى القريب من العلوم الطبيعية • وصورت الاجناس بدورها باعتبارها جواهر تتمتـــع بفعالية بالغة القوة • ولم يكن فى وســـع التخصص المتزايد الا ان يقر بالتقدير المتنوع لمكتسبات هذه العلوم ، فكل منها قد تلقـــاه متخصصو المجالات الاخرى فى أكثر اشكاله ابتذالا وميكانيكية • ولم يكن لدى علمـــاء اللغة (الفيلولوجيا) الذين يتلقون تقريبا كل دراسة للمدنيات الشرقية اية مشكلات نظرية سوى دراسة النصوص (نقد النصـــوص .. الخ) فلم يكن فى وسعهم الا ان يتبعوا فى تقديرهم العوامل التاريخية والاجتماعية الاتجاه العام للمجتمع الذى يعيشون فيه •

وهكذا فرغم القدر الهائل من الوثائق والمعطيات المحددة التى تراكمت على يد المتخصصين ، فقد اخذ الانفصال يتزايد بين معرفة هؤلاء – وهى معرفة عميقة الا انها مركزة حول رؤيا شمولية ثقافية اختفت من حيث هى كذلك وينسب لهامع ذلك فعل ثابت مجهول ، تصوره التصورات العامة للعصر ، تحيط بهانتائج تاريخ الاديان وتاريخ اللغات وعلم الانسان الفيزيائى فى شكلها المبتذل الذى يبالغ بصورة غير محددة فى فعالية الدين واللغة والجنس من ناحية ومشاكل الحياة الواقعية الفعلية لهذه المجتمعات من ناحية أخرى وهى مواد اقل نبلا تترك للملاحظة العملية للتجار والرحالة والدبلوماسيين والاقتصاديين · ورغم أن المعرفة النظرية للقرن الثامن عشر كانت تسعى الى مساعدة الانسان العملى فى فهمه للحاضر الا اننا نستطيع بشكل عام ان نقول ان التدخل النادر من جانب القرن التاسع عشر والقرن العشرين كان اشد وبالا فقد كان متأثرا بالتحيزات الجارية اكثر من تأثره بالعلم · واوقع اولئك الذين لجأوا اليها وتبعوا ارشادها متأثرين بالكفاءة البالغة للعلماء ، وهى كفاءة حقيقية الا انها محدودة وموجهة اوقعهم ذلك فى اخطاء جسيمة ، ومن الناحية الاخرى فان التشدد فى دراسة النصوص – الذى تأثر كذلك ابتداء من خمسينيات القرن التاسع عشر بالموجة الوضعية والعلمية – بطرح كمثل اعلى تشددا بالغا فى اقرار الوقائع والنتائج المستخلصة منها · غير أن هذا المثل الاعلى كثيرا ما تخلف فى الواقع ، وبخاصة حين يفتقد العلماء ان من حقهم ان يلجأوا – لتوجيه وتنظيم نظرتهم – الى الافكار العامة لمجتمعهم ويستفيدون من غير وعى الى هذه الافكار لترتيب نتائجهم ·

وظهرت تصورات اقل انتظاما عن بلاد الشرق الاسلامى كمجتمعات تتطور ، قابلة للتقدم اذا ما توفرت لها الشروط ، بشكل خاص لدى رجال السياسة والتكنيكيين والاقتصاديين فى ظروف ملائمة الى حد ما · وهكذا مثلا كان الشعور تجاه مصر فى عصر محمد على التى اثارت نوعا من الحماس فى فرنسا فى اطار سياسة معادية لبريطانيا · واذا كان التعلق الجمالى بالاجنبى يدفع بغالبيته انصاره الى الحنين الى الماضى والخسوف من الصيغة الاوروبية الحديثة فقد كان من المفارقات انه دفع آخرين بتأثير اهتمام حماسى مخلص بالبلاد ذات الشأن الى الوقوف فى صف تقدمها حيث كان الاهتمام مركزا على الحركات المعاصرة التى تولد فى صفوفها · وهنا ايضا ظهرت مفارقات · فمن الممكن ان يظهر اكثر من اتجاه ، ابتداء من التطور المرغوب فيه تحت وصاية وطن الشخص نفسه (لياوتى ول · ماسيجنون (١٩) و ت · ا · لورنس فى البداية) حتى اتخاذ مواقف مضادة لهذا الوطن (واس · بلنت) مع كل الالوان الانتقالية الممكنة الاخرى ومع تحول هذا اللون الى ذلك فى مجرى الحياة ، ويرتبط هذا الخيار برؤى تبريرية عن الماضى او الحاضر ، وهكذا ظهر فرنسيون يجمعون بين خليط عجيب من المعاداة النظرية للاستعمار ومن الوطنية المعادية للانجليز يرسمون لوحة عجيبة لسودان المهدى · ولونت افكار العصر العامة المفاهيم والتصورات · وقدم و · س · بلنت ، (٢٠) بخططه عن بعث العالم العربى والاسلام بالعودة الجزئية الى تركيبات العصور الوسطى مادة بالغة الاهمية استعارها وتمثلها ورددها اول منظرى القومية المسلمين والعرب ·

وكانت اكثر الظواهر تحديدا للرؤية الاوروبية للشرق ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر هى الامبريالية · فقد اصبح التفوق الاقتصادى والتكنيكى والعسكرى والسياسى والثقافى لاوروبا ساحقا بينما كان الشرق ينوء بالتخلف · واصبحت ايران والامبراطورية العثمانية محميات اوروبية ، فى حين امتدت السيطرة الاستعمارية الى آسيا الوسطى على يد الروس والى المغرب والشرق العثمانى على يد الانجليز والفرنسيين والايطاليين ، وبشكل خاص ابتداء من ١٨٨١ تاريخ احتلال مصر وتونس (٢١) ، ولم يكن من

---

[١٩] لويس ماسينيون [١٨٨٣ – ١٩٦٢ م] من أشهر المستشرقين الفرنسيين فى القرن العشرين ، عاش فى اغلب حواجز العالم الاسلامى ، وأنتج العديد من الاثار الفكرية حول التراث العربى الاسلامى ، وكانت رسالته للدكتوراه فى السوربون عن آلام الحلاج ، المتصوف الاسلامى الشهير ، والقى بجامعة القاهرة محاضرات فى تاريخ المصطلحات الفلسفية ، بلغت أربعين محاضرة [١٩١٢ – ١٩١٣] . [الطليعة] .

[٢٠] اشتهر « بلنت » بدفاعه عن الثورة العرابية ، وعلاقاته الفكرية بجيل عصر الاحياء فى الوطن العربى فى النصف الثانى من القرن الماضى ، وكتاباته ونشاطه ضد الاحتلال الانجليزى لمصر . [الطليعة] .

[٢١] احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١ م ، أما احتلال الانجليز لمصر فلقد تم فى سنة ١٨٨٢ م [الطليعة] .

شأن هذا الا ان ييسر فكرة اوروبا كمركز للحضارة ، تلك الفكرة التى كانت متمكنة دائما لكنها اتخذت الان لونا مليئا بالاحتكار . لقد كانت هذه الفكرة الكامنة فى القرن التاسع عشر – استرشادا بالايديولوجية الشاملة لهذا العصر – تحترم المدنيات والشعوب خارج اوروبا لانها تكشف بحق فى تطورها التاريخى او تركيبها المعاصر عن سمات انسانية شاملة . وكانت تنسب لها بسذاجة غير نقدية نفس الاسس الكامنة التى للحضارة الاوروبية ، ولا ترى فيها نوعية خاصة الا على مستوى سطحى للغاية . اما فكرة اوروبا كمركز للحضارة كفكرة واعية منظرة فى القرن العشرين فقد ارتكبت الخطأ العكسى . فقد افترضت نوعية لا يمكن التقليل منها على كل المستويات الممكنة ، وانكرت الدوافع والسمات الشاملة او نظر لها باحتقار . وعلى النقيض من ذلك كان الامر الشامل الوحيد المتصور هو تبنى النموذج الاوروبى بكل جوانبه . لقد اعلنوا ضرورة ذلك ، وابرزوا استحالته نتيجة للخصوصية النوعية المتطرفة لدى غير الاوروبيين ، الامر الذى ادى الى طرح تحققه الى مستقبل بعيد غامض ، والى الابقاء على الحضارات الاجنبية فى اشكالها المنحلة وخضوعها السياسى .

وكان الشرقيون وكأنهم يقدمون مبررا لهذا التشخيص ، لهذه النظرة الى الامور ، فقد تبنى البعض النموذج الاوروبى بادئين باكثر جوانبه سطحية ، بينما عارض البعض الاخر كل اصطدام بالقيم العتيقة فى حضاراتهم رغم انها كثيرا ما تجددت من الداخل . وكانت ردود الفعل العنيفة للجماهير ضد القبضة الاوروبية ووضعت ردود الفعل هذه بالعتاقة ، وهوجمت فى نفس الوقت كمظهر من مظاهر التعصب الاسلامى .

أما العلماء الذين ضاعفوا وعمقوا الدراسات المتخصصة عن العصور الكلاسيكية ، وعن العناصر الاكثر ارتباطا بحضارات هذه العصور ، ولاحظوا بميل مفهوم كل مظاهر فعاليتها فى العصر الحالى فقد أسهموا – بوعى أو بغير وعى – بحذرهم العلمى فى مثل هذا التصوير للامور .

وقد شجع الوضع المهين الذى كان عليه العالم الاسلامى بعثات التبشير المسيحية ووفر لها امكانية العمل . وحاولت هذه البعثات الانتقال الى الهجوم العنيف ، وقد نفد صبرها أمام العوائق التى تفرضها الشريعة الاسلامية من ناحية وادارتها هى من ناحية أخرى لقلقها من ردود الفعل الممكنة ازاء جهد صريح . وفى اطار الاتجاهات الانسانية المألوفة – ووفقا للافكار العامة للعلم فى عصرهم – أرجعوا نجاح الامم الاوربية الى الدين المسيحى ، وتخلف العالم الاسلامى الى الاسلام ، فالمسيحية بحكم طبيعتها تساعد التقدم بينما الاسلام بحكم طبيعته يؤدى الى الركود والتخلف الحضارى ، وكان الهجوم على الاسلام عدوانيا الى أقصى حد ممكن ورددت ثانية حجج العصور الوسطى مع بعض الزينات المستحدثة (٢٢) . وهكذا قدمت هنا وهناك تفصيلات عن الاثر الشرير للاسلام . وهاجم الكاثوليك الفرنسيون مثلا المؤامرة على التقدم والحقيقة المتمثلان فى الكنيسة ، تلك المؤامرة النابعة من الجبهة التى كونها مع المسلمين البروستانت والبريطانيين والماسونيين الفرنسيين واليهود الذين يتدرجون جميعا فى صفوف اتباع الشيطان . وبدت هذه الافوات الدينية مجموعة من التنظيمات الخطرة التى يدفعها حقد بربرى على المدنية . ومن المفارقات والامور ذات الدلالة أن نتائج مماثلة قد توصلت اليها الدوائر المعادية للكهنوتية ذات الاصل الفولتيرى التى كانت تمجد الحضارة الهيلينية (٢٣) ، والمدنية القائمة على حرية الفكر وعبارة العقل والجمال مصدر الامجاد الاوروبية ، ضد الروح السامية منشأ التجمد التشدد والدوجماطيقية المدرسية والايمان المتعصب والقدرية الخاملة ، واحتقار الفنون التشكيلية التى تنسب لها الشرور المجتمعة لليهودية والمسيحية والاسلام . وكانت الوحدة الاسلامية شبحا مفزعا فى نفس اتجاه وعصر الخطر الاصفر . لقد كانت أوروبا الظافرة ترى فى كل محاولة لمقاومة سيطرتها

---

[٢٢] وفى هذا الاطار يدخل الهجوم الذى شنه السياسى الفرنسى « جبرييل هانوتو » على الاسلام والمسلمين فى مطلع هذا القرن ، وهو الهجوم الذى تصدى لرده الشيخ محمد عبده بمقالاته الشهيرة فى « المؤيد » سنة ١٩٠٠ م [الطليعة] .

[٢٣] الهيلينية هى الثقافة والحضارة التى كانت سائدة بالمشرق عندما سادته تعاليم الاسلام ، وهى ثمرة لامتزاج التراث الفكرى الاغريقى بديانات الشرق ، وخاصة المسيحية والزرادشتية ، ومن المراكز الثقافية الهلينية التى دخلت فى الدولة الاسلامية « الرها » و « حران » و « انطاكية » و « الاسكندرية » وكانت فيها وفى غيرها مدارس للفكر والمنطق والفلسفة ، استفادت منها الحضارة العربية الاسلامية الى حد كبير . [الطليعة] .

نشاطا خارجا على كل ما هو خير ومؤامرة شريرة تنسب لها ـ بميكانيزم دائم فى تاريخ الايديولوجيات ـ وحدة اتجاه موهومة، وتطبيقا حريصا على تنفيذ أغراضها السوداء وأساليب خداع وقسوة وماكيافيلية • فكل مظهر معاد للامبريالية حتى لو كان دافعه محليا صرفا ينسب الى الوحدة الاسلامية • بل كانت الكلمة نفسها تشير الى جهاز للسيطرة وايديولوجية عدوانية ومؤامرة على النطاق الدولى • واذا كانت هذه النظرة قد نفذت الى كتلة العقول الاوروبية بفضل الصحف والادب الشعبى وكتب الاطفال فانها لم تخل من تأثير على العلماء انفسهم، وبخاصة اذا ما اشتركوا فى اعطاء النصائح لواضعى السياسة الامبريالية لحكوماتهم . وكان اكثر الناس اهتماما بالدراسات المعاصرة من أمثال سنوك هربونجى أو س. هـ. بيكر الذين أفزعتهم بهذه الدرجة أو تلك الوحدة الاسلامية والذين حللوها بدرجة أو أخرى من التنوع قد مالوا رغم هذا الى أن يروا فيها رد فعل يتسم أساسا بالعودة الى الماضى . ودون ان يستسلموا لكل الاساطير المشتركة الا انهم مالوا لأن يروا قدرا من الوحدة والتنظيم أكبر مما هو موجود فى الواقع فى اتجاهات متباينة تكاد الا تكون منظمة • وحملهم تبحرهم الى اثارة خطر العودة الخالصة البسيطة الى الدولة الثيوقراطية فى الماضى • وباختصار لقد استولت عليهم نظرة مماثلة لنظرة العصور الوسطى فى اطار مماثل من الصراع بين تركيبين سياسيين ـ ايديولوجيين •

غير أن غالبية المتخصصين لم يكونوا يهتمون بهذه المشاكل، واكتفوا بتبنى وجهات النظر الجارية فى بيئتهم حيثما كان عليهم ان يتعرضوا لامور خارج ميدان نشاطهم العلمى • ولم يكن هذا يتجدد الا ببطء فى عقليته ومناهجه • واستمرت سيطرة الاتجاه الفلسفى على الدراسات الشرقية • وتكدست المواد العلمية، وأصبحت المناهج العلمية أكثر وأكثر تشددا، وتضاعفت العلاقات بين العلماء وتنظمت حتى على النطاق الدولى بفضل المؤتمرات الدولية للمستشرقين التى عقد أولها فى باريس عام ١٨٧٣ • ورغم هذا لم يتقدم تحليل المجتمعات والحضارات والافكار الا بفضل الفكر الشخصى لقلة منتخبة من العلماء •

ولم يؤد الخلق البطىء للعلوم الانسانية الى تغيير هذه الصورة الا قليلا • فقد كانت علوم كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم السكان والاقتصاد السياسى مجهولة لدى أغلبية المتخصصين فى الشرق الاسلامى الذين لم يروا فيها فائدة لدراساتهم الخاصة . صحيح أن أول علماء الاجتماع قد اعتبروا العالم الاسلامى مرتبطا باهتماماتهم، غير ان الامر هنا كان متعلقا اما بالعالم الاسلامى الكلاسيكى أو بالاخلاق والتقاليد العتيقة للعالم الاسلامى الحديث • وكان علماء الاجتماع العام قليلو المعرفة بالاسلاميات ففضلوا ـ بحذر محمود ـ تجنب التقدم فى أرض ليست معروفة لهم جيدا . أما المتخصصون ـ ذوو التكوين الفيلولوجى أساسا ـ فقد كان من الممكن ان يتأثروا ببعض الافكار التى أعلنها علماء الاجتماع الا ان أحدا منهم لم يكتسب تكوينا متخصصا فى علم الاجتماع • وكان علم سلالات الشعوب الاسلامية هو المجال الذى تأثر أبلغ التأثر الجديد بحيث ظهرت كتابات بارزة مثل كتابات ا . دوته (٢٤) ، وا. ويستمارك . أما التطورات المعاصرة للأمم الاسلامية، فقد تركت دراستها باستعلاء لعلماء الاقتصاد والصحفيين والهواة • ووجد اتجاه للسكوت عنها ولاستجلاء الاثار العتيقة فى هذه المجتمعات • كما ارتبط علماء الاجتماع ـ بسبب نقص تكوينهم الفيلولوجى ـ عندما ينتقلون الى الدراسة التجريبية المحددة بدراسة المجتمعات الاوربية والامريكية • وبطريقة غريبة أصبحت هذه الدراسات هى المعنى المحدد لكلمة « علم الاجتماع » •

وأدى عدم وجود تعقيدات للتركيبات والتطورات الاجتماعية الى ابقاء التاريخ فى مجال الاستشراق كما فى غيره من المجالات عند مستوى مذهب وصفى اساسا . غير انه تجدد بالتشدد النقدى فى تحليل المصادر، وهو اتجاه يرجع الى ب • ج • نايبور (ابن كارستين نايبور الذى كان رحالة فى الدول العربية) وليوبولد فون رانك • وفى نفس الاتجاه يوجد مؤرخون مستشرقون مثل ج • ويل وا . شبرنجر ور. دوزى (٢٥) وم . آمارى

---

[٢٤] كان أستاذا بجامعة الجزائر، وله دراسات عن التقاليد الشعبية ولهجات بلاد الشمال الافريقى وآثاره الاستشراقية منشورة فى العقود الاولى من هذا القرن . [الطليعة] .

[٢٥] مستشرق هولندى [١٨٢٠ ـ ١٨٨٣ م] اشتهر باهتماماته الكبيرة بالدراسات الاندلسية، حقق الكثير من النصوص التاريخية والجغرافية، ومن رسائله فى نحو ٥٠٠ صفحة عن الملابس العربية [الطليعة] .

وكانوا متشددين فى التحقق من الوقائع ، لأدريين من حيث المبدأ بالنسبة للعوامل التاريخية التى تلعب دورها . متأثرين فى الواقع بالافكار العامة فى عصرهم من حيث فهم سير الاحداث . وهكذا كان شيرانجر (الذى جدد بطريقة انتقادية تاريخ النبى) متأثرا بالمفهوم الهيجلى عن روح العصر . وكان الفريد فون كريمور (٢٦) (١٨٢٨ ــ ١٨٨٩) بلا شك متخصص حاول أن يفكر فى تاريخ الاسلام كشىء كلى . ونظم عرضه حول مذهب تأثير الافكار السائدة الذى يزودنا « بمفتاح فكر النظام الدينى والاجتماعى للاسلام » . وكان غالبية المتخصصين مخلصين للفكرة العامة ــ التى كثيرا ما كانت نابعة من سيادة العامل الدينى والمثالى عموما . وظلت مدرسة المؤرخين الفرنسيين فى أعوام ١٨٢٠ ــ ١٨٥٠ التى أقامت تحليلها التاريخى على الحركة الداخلية للصراع بين المجموعات الاجتماعية بعيدة عن التأثير على المجال الشرقى حيث كان الصراع البادى أقرب الى صراع بين « أجناس » وكذلك بين أديان . وهكذا فسرت حركة الشيعة كرد فعل للروح الفارسى الارى ضد الاسلام السامى .

الا أن عالم اللغة هـ . جريم ــ تحت تأثير المعارك الاجتماعية فى عصره ــ قد بحث أولا فى حياة محمد ــ بطريقة موجزة للغاية ــ عن تأثير العوامل الاجتماعية . ورأى عالم اللاهوت ج . ويلهاوزن (٢٧) ــ الذى اشتهر بأبحاثه عن نقد الكتاب المقدس والتاريخ القديم لاسرائيل ــ فى تتابع المذاهب الدينية وتتابع الاسرات فى بداية الاسلام نتيجة للمعارك السياسية والاجتماعية . وتابع س . هـ . بيكر هذا الطريق ، وذهب ل . كايتانى (٢٨) الى ابعد من ذلك فى الاستناد الى العوامل الاقتصادية . وظهر فى بداية القرن العشرين ــ تحت تأثير الاهتمامات العامة للعصر ــ اتجاه لزعزعة الوضعية الانتقائية التى سادت العصر ، لا لصالح عامة للتركيب الديناميكية الاجتماعية وانما بالتبديل بين العوامل السائدة فى العالم الاوروبى المعاصر . بينما كان رد فعل غالبية المتخصصين متشككا ازاء هذه المحاولات التى كثيرا ما اصابتها المبالغة وكانت موضعا للانتقاد . فاكتفوا بالبقاء فى اطار لا ادارية خدرة .

تزعزع أوربا كمركز للحضارة

زعزعت حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ فى هذا المجال ــ كما فى غيره من المجالات ــ ثقة الحضارات الاوروبية فى ذاتها ، وايمانها بتقدم غير محدود وفق نفس الاتجاهات وبوضع أوروبا كمركز للحضارة . ان ثورة العرب فى الشرق رغم انها دفعت فى طريق محدد ، والحركة الكمالية ، واهتزاز البلاد المنفصلة من الامبراطورية الروسية القديمة ، وثورات الهند واندونيسيا وغيرها من الثورات ؛ كل هذا مع امتداد الثورات التركية والايرانية ما بين ١٩٠٨ ــ ١٩١٤ قد ولد أحساسا بأن سيادة أوروبا يمكن أن تتعرض للشك . وبدأ البحث عن تفسير شائع فى مؤامرة خبيثة ضد الخير ، وأضاف ظهور البلشفية الروسية دعما لهذه النظرة عن الخبث الماسونى والفساد اليهودى والكاثوليكى والبروتستانتى (حسب الاحوال) . وظهر غداة الحرب مؤلف ا . شبينجلر المشهور « أفول أوروبا » (١٩١٨ ــ ١٩٢٢) . وبطريقة أكثر تحديدا أصدر الامريكى ت . لوتروب ستودارد كتابه

---

[٢٦] من كبار المستشرقين الالمان ، نشر الكثير من النصوص العربية ، وخاصة فى المغازى والسير والسياسة كما ألف العديد من الدراسات حول التراث الاسلامى . [الطليعة] .

[٢٧] مستشرق المانى ، ولد فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، ومن كتبه الشهيرة كتابه عن الدولة الاموية وعنوانه [تاريخ الدولة العربية] وكتابه عن [الخوارج والشيعة] ودراساته عن أديان العرب وتاريخهم على وجه العموم . [الطليعة] .

[٢٨] [١٨٦٩ ــ ١٩٢٦ م] وهو أمير ايطالى يعد بمؤلفاته أكبر مستشرق فى التاريخ العربى [الطليعة] .

« موجة الملونين الصاعدة ضد سيادة الرجل الابيض » (١٩٢٠) ، كما نشر نفس الكاتب مؤلفا يحمل عنوانا له دلالته هو « عالم الاسلام الجديد » (٢٩) (١٩٢١) . وأوضح هذا الكاتب غير المتخصص وان كان يدعم كتاباته جيدا بالوثائق - ودون أن يخفى عنصريته الاساسية - التغييرات العميقة التى خلقت « شرقا جديدا غريبا » هو لدرجة كبيرة نتاج للتأثيرات الغربية . والصورة الجديدة التى قدمها هى فى الاساس صورة عالم يرتكز على نواة غامضة مختلفة تماما ومعادية ومنفرة بعض الشىء ، وتقوم على الجهل والوحشية التى تكبحها بصعوبة ضوابط الدين والعادة فضلا عن نخبة مستنيرة قليلة العدد . غير أن العوامل التى صورها كانت هى نفس العوامل التى يراها المرء فى التاريخ الغربى : الصراع بعد القهر او التدخل الاجنبى ، ومطامح الفئات الاجتماعية المتميزة ، وكل هذا يجد ترجمته فى الايديولوجيات .

وظلت هذه النظرة للامور هى نظرة الناس فى اوربا وامريكا بشكل عام (بما فيهم غالبية المتخصصين) الا حيثما يركز على العامل الأول : الوحشية الكامنة والتعصب المنطلق فى مواجهة دفع الحضارة الغربية .

غير أن هذا القزعزع لم يكن دون نتائج . ففى استطاعتنا ان نرى فى شخص واعمال ت . ا . لورنس تزعزع التعلق الرومانسى بالاجنبى وواقعية تجريبية ذات ابعاد شاملة الا انها تتلون بالتقدير للون المحلى . ويمكن أن يؤدى التعلق بالاجنبى الى فهم أكثر عمقا لآمال السكان الاصليين كما حدث لدى عدد من أصدقاء الاتراك على نمط بيير لوتى . الا انه كثيرا ما كان أعداء الاستعمار يتحلون بشمولية لا تهتم كثيرا بالماضى أو بالخصائص النوعية للحاضر التى تمثل بقايا عصر بربرى ينبغى تحطيمه ، كما أدى التعلق بالاجنبى بالساسة الاستعماريين الى فرض المحافظة على القديم ، والتحالف مع المحافظين من أهل البلاد الاصليين وتحويل المثقفين القوميين سواء كانوا أصلاحيين أو ثوريين ، اشتراكيين أو غير اشتراكيين الى صور باهتة لاوروبا ، تدفعهم افكار مجردة أساءوا فهمها الى تحطيم تراثهم ذاته ، وبشكل عام كان هذا هو حكم الجميع ، فقد كان التحويل العصرى يعتبر عنصرا غير أصيل وخيانة للخصائص النوعية . وفى نفس الاتجاه تقف نظرة الذين يبحثون فى الشرق الاسلامى وفى الشرق البوذى مثلا عن نموذج لحياة حكيمة وعن اتصال بالحقائق التى تعلو حواسنا ، وعن اسرار سلفية نقلت عبر الاجداد . وبدلا من أن يروا فى الاخوة الاسلامية الهاما شيطانيا أخذوا يبحثون فيها عن أجهزة نقل تقاليد الحكمة الدينية السلفية . بل لقد تحول بعضهم الى الاسلام وماتوا فوق أرض اسلامية مثل رينيه جونيون (١٨٨٦ - ١٩٥١) . وأدى هذا الاتجاه الفكرى وهذه النظرة العجيبة للاسلام الى نجاح كثير من الطوائف التى تستلهم الاسلام الى هذا الحد أو ذاك ، وبالتالى نجاح كل الوان سوء الفهم حتى للاسلام الحرفى او لدين كالبهائية (٣٠) .

ولم يؤد انشقاق وانقسام أوروبا وظهور روسيا الماركسية الى تنوع كبير فى النظرة الليبرالية المعادية للاستعمار الموروثة عن الثورة الفرنسية . وكان الدور الضئيل الذى لعبته الماركسية المبتذلة التى صممت وفقا للاتينية الفوقية الايديولوجية ينظر الى العالم الاسلامى كمجرد جزء من العالم المتخلف المستغل الذى تقهره الرأسمالية الاوروبية ، فالمسلمون يتبعون بالدقة نفس الدوافع التى يتبعها غيرهم من الناس . بما فيهم القاهرون « الاقطاعيون » أو البورجوازيون الذين يستغلون جماهير الشعب المستعدة للثورة حالما تتبدد « التحيزات » التى تمثل عقبة أمام وضوح رؤياها . وهذا « الامتلاك للوعى » سيتم بصورة جبرية بفضل القوى المجددة بطبيعتها وهى بروليتاريا البلد الاصلى . ويعطى الضعف النسبى للبروليتاريا الصناعية فى هذه البلاد المكان الاول فى هذا الدور الى النوايات المتواضعة التى تشكلها الاحزاب الشيوعية التى تجسد الفكر النظرى والاستراتيجى للبروليتاريا العالمية . وبالنسبة للشيوعيين فى البلاد الغربية المتقدمة (وبخاصة تلك البلاد التى لها مستعمرات) الذين يشتركون

---

[٢٩] ترجم هذا الكتاب الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، باسم [حاضر العالم الاسلامى] ، واضاف له الامير شكيب ارسلان عدة فصول وفقرات [الطليعة] .

[٣٠] فرقة دينية ، ظهرت اول ما ظهرت فى القرن التاسع عشر ببلاد فارس على يد رجل يدعى « المرزا » على محمد ، ادعى انه المهدى المنتظر ، ولقد لعبت هذه الطائفة فيما بعد ادوارا مشبوهة لحساب الاستعمار الغربى لبلاد المشرق العربى . [الطليعة] .

فى النظرة العامة لعالمهم فقد كان المسلمون باقون فى تخلفهم الثقافى بقوة التعصب التى يحملها دينهم بين طياته ، ولابد أنه سيأتى يوم « يستنيرون » فيه ، ولكن الى ان يأتى هذا الوعى البعيد فان الدور الثورى حتى فى بلادهم يقع على عاتق النخبة الاوروبية · وفى داخل الاتحاد السوفيتى كان المسلمون بالنسبة للقادة الشيوعيين الروس مجرد أناس متأثرين بشكل خاص بتحيزات سلفية · وينبغى لفهمهم قبل كل شىء منع تلك الرقة التى يحفزها اتجاه التعلق بالاجنبى ، وحالما تتحطم العناصر « الاقطاعية » والبورجوازية ، حالما يقام أساس الاقتصاد الاشتراكى الضرورى ، فان هذه التحيزات ستتهاوى شيئا فشيئا بفضل « تنوير » الاخ الروسى الاكبر الاكثر تقدما فى هذا الطريق · فالاسلام دين ينبغى أن يكافح كغيره من الاديان مهما كانت المراحل الانتقالية والتحفظات التكتيكية فى الصراع ضد الدين ·· والثقافة القومية للشعوب الاسلامية توجد وينبغى المحافظة عليها فى جوانبها السليمة أى بعد احيائها بمحتوى اشتراكى متطهر من كل ما له صلة بالدين ·

وقد ظهرت عناصر نظرة أخرى أكثر تنوعا منذ البداية الاولى ، لكنها لم تتغلغل الا بصعوبة من حيث الوضوح والمستوى النظرى · فمنذ بداية النظام السوفيتى صور الشيوعى التتارى سلطان جاليف العالم الاسلامى باعتباره عالما يمكن أن يتقبل الايديولوجية الشيوعية بشكل خاص وأن ينشرها بفضل الخصائص النوعية الاسلامية ذاتها (٣١) . (وبالتالى لم يعد فيها ما يحارب او يدمر) ، وقد أبعد بعنف . ولم تعد أفكاره تتردد الا فى الخارج ـ وبشكل حى بطىء للغاية ـ على يد بعض الشيوعيين فى البلاد الاسلامية وبخاصة فى اندونيسيا (٣٢) . والبلاد العربية . ومرة أخرى تخطى جزء كبير من دعاة هذه الافكار خط التمييز فى العالم الشيوعى وغدوا قوميين متمركسين أو حتى مجرد قوميين يتحدثون عن الاشتراكية ·

ومالت موجة حركة التحرر العنيدة من الاستعمار الى تعديل صورة العالم الاسلامى فى قطاعات محدودة لكنها ذات نفوذ فى المجتمع الغربى · وأثارت حركة الاستقلال فى جوانبها القومية الخالصة والتى تجسدت فى مسلمين من الفئات العليا من المجتمع يرغبون فى التكيف مع الغرب لاكتساب الفضائل الديناميكية القاهرة للمشروع الحر تعاطفا كبيرا فى الدوائر الغربية الحاكمة أو دوائر رجال الاعمال · ورأى الاتجاه الرأسمالى العام فى المسلمين نظراء يمكنهم أن يسيروا بدورهم فى طريق التطور الذى اتبعته اوروبا وأمريكا البيضاء منذ القرن التاسع عشر . وكتبت الانجليزية فريا ستارك عام ١٩٤٥ كتابا بعنوان له مغزاه هو « الشرق هو الغرب » أهدته الى « اشقائى من شباب لافندية » وأخذت فيه موقف النقيض من موقف كيبلنج الامبريالى (٣٣) . وبالطبع لم يكن هذا يستبعد وضع الخصائص المحلية فى الاعتبار الا أنها اعتبرت ذات طابع ثانوى ، واعتبر الاسلام دينا من نفس طراز الاديان الاخرى ، يوفر لاتباعه أسبابا روحية للحياة ، ولا يعوق نشاطهم الاقتصادى ، ويمكن أن يكون سدا أمام تخريب الايديولوجية الشيوعية الملحدة ·

أما الايديولوجية المعادية للاستعمار لدى اليسار فقد سارت فى اتجاه آخر تماما · فقد كانت الشمولية التى استمدتها من جذورها الليبرالية أو الاشتراكية تتجه ـ على العكس ـ الى التحصن من الاعتراف ـ ثم فى تمجيد ـ الخصائص النوعية · وأضفت على العالم الثالث نظرتها له كقوة أولية مستغلة مقهورة وحشية ستقوم بزعزعة العالم القديم القائم على البؤس والسيطرة · ومن هنا لقيت القيم الخاصة لهذه الشعوب حظها من التقدير حتى وان أدى سوء الفهم الطبيعى الى اكتشاف نفس القيم التى تدفع الدوائر الاوروبية وان يكن فى شكل نوعى خاص ، وبدا الاسلام فى حد ذاته لبعض المنغمسين فى هذا الاتجاه باعتباره « تقدميا » بطبيعته ، بل لاحظنا انتقال البعض الى الدين الاسلامى ·

وقد ظهر هذا الاتجاه بأجلى صوره لدى مجموعة من الكاثوليكيين اليساريين كان على

---

[٣١] من آراء « سلطان جاليف » أيضا دفاعه عن فكرة الجامعة الاسلامية ، باعتبارها الشكل الشرقى الاولى للحركات القومية المناهضة للاستعمار . [الطليعة] .

[٣٢] من الشيوعيين الاندونيسيين الذين دافعوا عن هذا الاتجاه « تان مالاكا » وهو الذى نجح فى مؤتمر الكومنترن الرابع سنة ١٩٢٢ م فى أن يعدل موقف المؤتمر من حكومة الجامعة الاسلامية ، فيؤيدها ، بعد أن أدانها المؤتمر الثانى سنة ١٩٢٠ م . [الطليعة] .

[٣٣] صاحب العبارة الشهيرة : « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » . [الطليعة] .

رأسهم متخصص فرنسى متبحر هو لويس ماسيجنون • لقد كان هذا العالم مصطبغا بنظرة صوفية الى التاريخ ، وبتعطش للتضحية من أجل البؤساء والمستذلين يمتد بجذوره الى تيار مسيحى مدرسى ، فدفع الى أقصى حد الاتجاه الكامن فى المسيحية فى سنواتها الاخيرة ، والذى عبرت عنه بقوة ووضوح الكنيسة الكاثوليكية ، فقد أدى خطر الالحاد ، ومراجعة وجهات النظر التقليدية الى نزع المسيحية من بين الجماهير الغربية بشكل واضح ، كما أدى اللجوء الى القيم الاساسية الاصيلة للعقيدة المسيحية ، الى نشوء عاطفة من التضامن أكبر من العداء تجاه الاديان الاخرى • وبدا الاتجاه المسكونى – دون أن يتخلى عن زعمه أنه هو الذى يمتلك الحقيقة الكاملة وأنه نظريا المسئول عن هداية الضالين رافضا مع ذلك كل ضغط من خارج الروح – يرى فى الاخرين نظراء وحلفاء محتملين ، وأناسا ذوو نوايا طيبة يحتفظون بقيم جديرة بالاحترام ، وليسوا قوة معادية ينبغى قهرها، ويلهمها الشيطان • وفى أكتوبر ١٩٦٥ قدم المجلس المسكونى للفاتيكان تقديره للاسلام من أجل « الحقائق »التى نقلها عن الرب وقدرته ،وحول المسيح وعن مريم وعن الانبياء والرسل • وهكذا ففى حين كانت القرون الوسطى نرى فى هذه « الحقائق » مجرد خداع لتسريب الدجل الاساسى للاسلام ، فقد ظهر هنا – على العكس من ذلك – اعتراف بأن « أخطاء » المسلمين هى الى هذا الحد أو ذاك ثانوية بالنسبة لرسالة التوحيد الاساسية التى حملها الاسلام •

وأدى هذا التحول الايديولوجى الى أن الحكم المسيحى على محمد أصبح امرا حرجا • فلم يعد ممكنا ان نرى فيه دعيا كما كان الامر فى العصور الوسطى • واذا كان اغلب المفكرين المسيحيين المهتمين قليلا بالمشكلة قد احتفظوا بتقديرهم هذا بحذر فان بعض المتخصصين الكاثوليك رأوا فيه « عبقرية دينية » بينما ذهب بعض آخر الى مدى أبعد وبدأوا يبحثون عما اذا لم يكن – بشكل ما – نبيا حقيقيا طالما أن القديس توما الاكوينى قد تحدث عن نوع من النبوة التوجيهية لا تتضمن بالضرورة عدم الخطأ والعصمة • وانتقل عدد من المسيحيين من اتجاه ل.ما سيجنون – ممن ادهشتهم قوة الايمان فى التجارب الدينية الاسلامية ،وأذهلتهم المظالم التاريخية التى وجهتها طائفتهم الى الاسلام سواء باعتباره دينا أو باعتباره مجموعة من الشعوب المقهورة المحتقرة فى العصر الراهن – انتقلوا الى صيغ يمكن ان تتعرض للاتهام بأنها « هرطقة اسلامية » أثقلهم بها أهل البلاد الاصليون الساخطون •

وهكذا انتقل اليسار المعادى للاستعمار – مسيحيا كان أو غير مسيحى – الى تقديس الاسلام والايديولوجيات المعاصرة فى العالم الاسلامى منتقلين من تطرف الى تطرف • فمن الناحية التاريخية مثلا ذهب ن • دانييل الى حد أن يضع فى مصاف المفاهيم التى تشوبها روح العصور الوسطى أو الامبريالية كل نقد للموقف الاخلاقى للنبى واتهم بنفس هذه الاتجاهات كل تفسير للاسلام ولخصائصه على ضوء الميكانيزم العادى للتاريخ الانسانى • وهكذا انتقلنا من محاولة الفهم الى محاولة التبرير الخالصة • ولم يكن يخفف من حماس هذا القطاع من الرأى الا اتجاهات بعض افراده – وأحيانا بصورة متطرفة كذلك – الى تمجيد جماعات عنصرية ، أو شبه عنصرية أو دينية أخرى كان العالم الاسلامى على نزاع معها أو لا يزال على نزاع معها وفى المقام الاول الامريكيون الزنوج واليهود •

وعارضت فى هذه المصالحة الكبيرة كذلك قطاعات من الرأى العام الاوروبى والامريكى • فهناك أولا العناصر التى ذكرناها من قبل والمسيحيون المتشردون ، والاتجاه اليمينى بشكل عام المرتبط بمفاهيم العصور الوسطى أو بالمفاهيم الامبريالية ، والمصمم على الدفاع عن المدنية المسيحية والاوروبية ضد موجة البربرية الاسلامية الصاعدة • وانقسم العلماء المتخصصون بين اللامبالاة وبين هذه الاتجاهات المختلفة بكل ألوانها •

وأخيرا وصل تأثير المعضلات الجديدة للعلوم الانسانية الى مجال الدراسات الشرقية • وبدأ عدد متزايد من المتخصصين الذين يوجهون انتباههم الى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى أو فى عصور أقرب يدرسون المشاكل من زاوية اجتماعية • وانتهى التاريخ الاقتصادى والتاريخ الاجتماعى اللذان طالما أهملا بأن يصبحا مجالا لعمل عدد كبير من المتخصصين • وأصبح فى وسع المرء أن يرى فى كل مجالات دراسة الاسلام جهودا لتخطى اطار العمل الفيلولوجى المحض للوصول الى نظرات تركيبية جزئية لا يلهمها فحسب

مجرد الادراك السليم أو أفكار عامة ذات طابع فلسفى ، بلّ تلهمها النتائج التى توصلّ اليها الباحثون الذين يعملون فى مجموع الظواهر الاجتماعية ، وأصبح المـؤرخون فى هـذه المجموعة أو تلك يربطون بين الظواهر السكانية والاقتصادية والاجتماعية .. الخ .

وفى موازاة ذلك تضاعفت الصلات مـع المتخصصين من سكان البلاد الاصليين • فقد كانت العقبة الرئيسية لفترة طويلة هى قلة عدد المتخصصين الحقيقيين المتحررين من أسلوب الدراسة والتفكير فى العصور الوسطى وفى كثير من الاحيان كان لابد للعالم الاوروبى من أن يعيد التفكير فى كل مايقدمه لهمن معاونة . أما العقبات الاجتماعية أمام تكوين فرق مـن المتخصصين فكانت ترجع من ناحية الى التقاليد الاجتماعية والثقافية • وقد أمكن التغلب على هذه المصاعب (جزئيا فحسـب) • الا أن مصاعب أخرى نشأت ولدتها بشكل خاص قوة الخيار الايديولوجى فى قلب العالم الاسلامى فى فترة من الصراع الحاد ضد كل آثار ونتائج السيطرة الاوروبية • ومثل هذه الفترات تساعد على بعث أيديولوجيات متطرفة تجعل الدراسة الموضوعية أمرا شاقا • وكثيرا ما يستريب العلماء الاوروبيون فى هذا التطرف دون أن يفهموا دائما دوافعه ، ومتناسين المكونـات الايديولوجية لاحكامهم هم • لكن العقبة حقيقية حتى وأن كان من السهل تخطيها حين تكون المسألة مسألة أبحاث ضيقة ومحددة للغاية •

وثمة اتجاه عام آخر يتألف من الاهتمام أكثر مما سبق بما كان يسمى فى استعلاء « العصور الدنيا » • فقد أدت اتجاهات ثقافية تبرز أولية الدين ــ وأحيانا أولية « الجنس » ــ وتعتـرف بوجود واستمرار نموذج « خالص » لكل مدنية الى تحبيذ دراسـة العصـور الوسطـى الاسلامية • وأوضح تأثير الابحاث الاقتصادية والاجتماعية واتجاه علم الاجتماع الى دراسة الشرق ، والارتباطات بعلماء الاقتصاد والسكان وعلماء الانسان ، أوضح كل ذلك الاهميـة الموازية لدراسة فترات أكثر حداثة تتميز بوجود وثائق وفيرة • وتذكر العلماء من بين ما تذكروا أن الامبراطورية العثمانية وأن ايران ودولة المغول قد ارتبطت ببلوغ الاسلام ذروة معينة . وحتى فترة الاتصالات الوثيقة مع العرب ــ فترة ميلاد الايديولوجيات الحديثة ــ تطرح مشاكل لا تجعلها حداثتها الى هذا الحد أو ذاك مشاكل يمكن اهمالها أو احتقارها •

وكما حدث للعلوم الانسانية الاخرى وصلنا الى التفكير بأسلوب المشاكل التى ينبغـى احاطتها ومناقشتها وتوضيحها بكل الوسائل الممكنة ، الامر الذى يتطلب تنسيقا بين نظم علمية متعددة ، ويستبعد تقسيما مصطنعا بين نظم نبيلة وأخرى شريرة ، وأخلى الاتجاه الى تجميع المواد واعدادها وتقديمها بأفضل الطرق الممكنة وتحقيقها وحصرها ــ وهو على أى حال لم يكن اتجاها مانعا ــ أخلى مكانه أمام اتجاه المناقشة العقلية للمشاكل • ولكل من هذين الاتجاهين مزاياه وعيوبه • ومحل التشرد الذى يمكن فى بعض المناسبات أن ينقلب الى تحديد ضيق للآفاق حلت نظرات أكثر اتساعا يمكن أن تصل الى الثرثرة غير المتماسكة • وهذا الاتجاه يمكن أن يؤثر بطريقة مؤسفة على عمل لا غنى عنه هو نشر الوثائق الاساسية التى ما زال عدد هائل منها ينتظر النشر والحفظ والتحقق • وان كان من الصحيح أن الاساليب الفنية الحديثة تسمح لنا بأن نأمل ــ فى حدود معينة ــ فى معالجة أسرع لهذه المواد .

وفى الختام •• تحدث البعض عن نهاية الاستشراق ، وينبغى أن تدرس المسألة بأوجهها المتعددة • أما الذى أصبح موضعا للجدل فهو نهاية سيادة الفيلولوجيا • فقد بدىء فى رفض الفكرة الكامنة التى سيطرت على هـذه الدراسات منذ قرن والتى تقول أن التكوين الفيلولوجى يمكن أن يكفى للمعالجة السليمة لكل المشاكل التى يطرحها مجال للدراسة يتحدد بحدود لغوية • وقد جاءت هذه الفكرة ــ التى لا يمكن مساندتها عقلانيا ــ من الحاجة الملحة الى الاعداد الفيلولوجى من أجل الدراسة الجادة للمشاكل المثارة داخل هذا المجـال • لكن تضاعف المواد المتاحة وكذلك أدوات العمل ، وتقدم مناهج الدراسة يسمح الان ــ لا بتخطى مرحلة الفيلولوجيا ــ وانما باعطائها قدرا أقل من الوقت • كما أوضح تقدم العلوم الانسانية كذلك تعقد المشاكل التى لا يمكن للمرء أن يحلها بأسلحة المعرفة العميقة للغة وحدها وللادراك السليم والهام الافكار الفلسـفية شـديدة العمومية • وهكذا أصبحت ممارسة الدراسات الشرقيـــة ــ والدراسات الاســـلامية بشكل خاص ــ أكثر صعوبة وأقل خصوصية ، وأصبح الاتصال بالنظم العلمية الاخرى ــ وهو الذى كان ترفا فيما مضى ضرورة ملحة • والتقدم الذى يلوح عن هذا الطريق يثير الانبهار ، وليس الثمن الذى ينبغى أن يدفع له بالغ الارتفاع •

المناقشات

د٠ عبد العزيز كامل :

اعتقد انني أعبر عن رأينا جميعا في تقديم خالص الشكر والتقدير الى السيد الاستاذ مكسيم رودنسون على هذه الرحلة الطويلة التى شاركناه فيها ابتداء من العصور الوسطى حتى الوقت الحاضر ٠ ومع هذه الرحلة الزمنية الطويله ، هناك امتداد مكانى ضخم يمتد ما بين المحيط الاطلسى غربا الى المحيط الهادى شرقا ٠ ويمتد من اعماق قارة افريقيا حيث يصل الاسلام الى اقصى شمال القارة الاوروبية ٠ويشمل منطقة من التفاعل الضخم بين العالم الاوروبى والعالم الاسلامى ٠ ومن طبيعة هذا الموضوع الشامل انه لابد فيه من نظرات شاملة واسعة٠ من اجل ذلك كان تقسيم المحاضرة الى هذه المراحل الرئيسية التى استمعنا اليها جميعا ٠

ومع هذا الشمول أبى فن الاستاذ مكسيم رودنسون — واسمحوا لى ان استخدم هذا التعبير — ابى ذلك الفن الا أن ينقلنا نقلات سريعة وقوية ، ما بين خطابات شخصية متبادلة بين الحكام والملوك ، وما بين كتابات ادبية وفنية ، وما بين هذه النظرات الشاملة الكبيرة ٠

وفى خلال هذه الرحلة الزمنية والمكانية والعلمية والفنية ، ظن ان الوقت قد طال بنا ، بينما كنا — ومازلنا — فى شوق الى ان نستمع منه الى مزيد من القول ٠

ومن طبيعة هذا الموضوع الضخم فى امتداده الزمانى والمكانى والموضوعى ايضا ، ما دمنا بصدد الحديث عن العلاقة بين الشرق والغرب او ما بين الاسلام والعالم الاوروبى ، فلابد ان تشمل هذه العلاقة مجالات متعددة ٠ وذلك من النواحى العلمية فى أوسع مدلولاتها ، ومن النواحى الثقافية والحضارية. والى جانب ذلك النواحى السياسية والنواحى العسكرية. ثم مايتصل بذلك ايضا من التكوين الايديولوجى الذى ينبنى على كل هذه الدراسات فى العالم الاسلامى وفى العالم الاوروبى ٠

ولاشك انها رحلة محفوفة بكثير من المخاطر ٠ ولا يمكن ان يجرؤ على خوض غمارها الا انسان اوتى هذا القدر الواسع من العلم الذى أوتيه الاستاذ مكسيم رودنسون ٠ ولكن ما دمنا نحن المستمعين لا نملك الا ان نستمع ، ولا نملك الا أن نعلق ولا نملك الا ان نسأل عن بعض الفراغات التى تهمنا ، فلا حيلة له الا فى ان يجيبنا الى بعض ما نطلب ٠ وارجو ان لا يشق عليه هذا المطلب كثيرا ٠

من طبيعة البحث الواسع انه لابد أن يكون قائما على اساس من الاختيار ، والاختيار اساسه ذاتى ، مهما قيل عن موضوعيته ٠ والانسان فى مثل هذه الدراسات لابد ان يكون له أساس يختار به هذه الاحداث ٠

ولو تفضل الاستاذ مكسيم رودنسون فاعطانا مؤشرا على ماهية الأساس الذى استخدمه فى اختيار هذه الحقائق التى اعطانا بها هذه الصوره الكلية ، كنت له اول الشاكرين فى هذا المجال ٠

هذه ناحية اولى اود ان يتفضل بتوضيحها ٠

النقطة الثانية هى طبيعة النظرة الموضوعية، ولقد كان فى تحديده العلمى لدراستها اننا نبدأ عادة من فكرة نظرية ، من فكرة ذاتية ثم نحاول مع تقدم العلم ان نتحول بها شيئا فشيئا الى الموضوعية ٠

ولكن هل نستطيع فى مثل هذه الدراسة ان نصل الى موضوعية شاملة او قريبة من الشمول ؟ اننى اذكر له مثالا واحدا لاشك انه يعرفه جيدا ، وهو المقال الذى كتبه الاستاذ هورنشو فى كتابه عن علم التاريخ وذكر فيه حادثا حدث فى مجلس العموم البريطانى ، حينما كان سفير روسيا يجلس يستمع الى احدى الجلسات ٠ وعلقت على هذا الحديث ثلاث صحف من صحف لندن ٠ قالت الاولى انه كان يتتبع الحديث بكل دقة ويعلق من وقت لاخر على بعض نقاط الحديث الى سكرتيره الذى يجلس بجواره ٠ وقالت الثانية انه كان لا يجيد الانجليزية وكان من وقت الى آخر يسأل سكرتيره عن بعض معانى الكلمات الصعبة . بينما قالت الثالثة انه كان لا يعرف الانجليزية ، وكان يشتغل من وقت الى آخر بالحديث الى سكرتيره ليقطع الوقت الذى حضره فى الجلسة ٠

ويسوق الاستاذ هورنشو هذا المثال البسيط على صعوبة تركيب القضية الكبرى فى التاريخ ، فضلا عن اختيار الحقائق الكبيرة ، فضلا عن تكوين فكرة كلية عليها ٠

فهل نستطيع ـ متعاونين ـ ان نحاول الوصول الى فكرة فيها اكبر قدر من الموضوعية فى العلاقات ما بين الاسلام والعالم الاسلامى من ناحية واوروبا من ناحية اخرى ، خلال هذه المساحة الزمنية والمكانية والموضوعية ؟

هذا ايضا سؤال قد يكون من الصعب الاجابة عليه ٠ ولكنه يفرض نفسه علينا فرضا كسؤال ٠ ويفرض نفسه علينا فرضا كواجب علمى علينا ان نتصدى له وأن نقوم به ٠

ناتى بعد هذا لنقطة ثالثة ، تتعلق بالاطـــار الجغرافى للموضوع ٠ وليأذن لى الاستاذ مكسيم رودنسون باستخدام هذا التعبير لانه كما يقولون من تعابير المهنة ومن تعابير التخصص ٠

معظم الاسئلة ، ان لم تكن كلها ، التى وردت فى الحديث كانت تقتصر الى حد كبير على منطقة جغرافية محدودة من العالم الاسلامى ٠ بعض هذه الاسئلة جاء عن المغرب وهذا قليل ٠ ومعظمها جاء عن المشرق العربى بمعناه الجغرافى المحدود ٠ بينما هناك عالم ضخم اسلامى كانت له علاقات ايضا بأوروبا . هذا العالم الاسلامى الآسيوى الذى يمتد حتى جزر الفلبين فى اقصى الشرق ، والذى يمتد فى افريقيا جنوبا الى ما وراء خط الاستواء ٠ ويمتد فى اطار ضخم حول المحيط الهندى ٠ هذا العالم كانت له تفاعلاته ٠ وكتب عنه كثيرون من الرحالة الاوروبيين والكتاب الاوروبيين ووصفوا جوانب منه ٠وأعتقد ان فى عرض بعضها مايساعد على القاء ضـــوء قوى على الموضوع ، وارجو أن يأذن الوقت الان بالقاء بعض الضوء على هذا الجانب ٠

ناحية اخرى تتعلق بالنماذج المختارة ومدى علاقتها بما يمكن ان نسميه قمة المجتمع وقاعدة المجتمع ٠

ولقد اسعدنى اشـــارته الى دراسات فورنى حينما تعرض للحياة المصرية وما تعرض له من دراسة لواقع هذه الحياة .

ولاشك ان هذه الدراسة المتعلقة بواقع الحياة الاسلامية العربية والتى تتعلق ايضا بواقع الحياة اليومية الاوروبية يمكن ان تلقى ضوءا آخر، وذلك الى جانب الضوء الذى تلقيه الدراسة الخاصة بالحكام والملوك والامراء ٠

لا شك اننا استمعنا الى جوانب تتعلق بالقواعد الشعبية فى العالم الاوربى والعالم الاسلامى ٠ ولكن اضافة المزيد الى هذا ، ونحن فى حاجة الى ذلك فى عصر أصبحت فيه للشعوب هذه المكانة الاولى التى تستطيع بها أن تقرر مصائرها وتصنع تاريخها وحاضرها ومستقبلها وتعيد النظر فى تاريخها ٠

أعتقد ،ونحن بهذا السبيل ،اننا محتاجون الى ان نزيد من دراستنا للجانب الشعبى وجانب القواعد التى ينبغى أن نعنى بها ٠

هذه ملاحظات أرجو أن يتفضل وقت السيد مكسيم رودنسون بتوضيحها ، وان لم يكن فى هذه الليلة فيمكن أن تكون الصلات الفكرية مستمرة بيننا وبينه كما كانت من قبل ٠

على سبيل المثال اذكر صورة نظرة الغرب الى ـ لا أقول العالم الاسلامى وحده وانما ـ العالم الاسلامى وما اصطلحنا نحن على تسميته بالعالم الثالث . حينما بدأ عهد الكشف الجغرافى فى القرن الرابع عشر والخامس عشر وأوائل السادس عشر ، وبدأت تظهر هذه الثروات الضخمة الموجودة فى العالم الاسلامى والعالم الافريقى والاسيوى، نجد أن المرحلة الاولى من كتابة هذه الوثائق كانت تشمل تمهيدا واضحا لعلم العرب وحضارتهم ، لان هذا كان أول لقاء ما بين الحضارة الاسلامية، وعلى سبيل التخصيص فى عالم المحيط الهندى والحضارة الاوربية ٠

واذا رجعنا ـ على سبيل المثال ـ الى ما كتبه بازل ديفدسون ـ واعتقد أنه فى الاتجاه الفكرى للاستاذ رودنسون ومحاربته للاستعمار ـ خط واضح فى (كتابه OedAFRICA Sedircover) نجد انه وصف العلم والتقدم الذى كان موجودا فى هذه المنطقة ٠ ثم بين بعد هذا جناية الاستعمار الاوربى على كل التقدم الذى كان موجودا فى عالم المحيط الهندى ، مدن كاملة أحرقت عن آخرها ٠ حضارات كاملة أبيدت عن آخرها ٠ ثم بعد هذا التدمير الذى حدث فى عالم المحيط الهندى ، انتقل بعد هذا الى عالم غرب أفريقيا ٠ ولا يمكن أن يحدث هذا التدمير وهذا التخريب بعد فترة الاعجاب الاولى الا اذا صور هذا العالم الاسلامى وصور هذا العالم الذى نسميه بالثالث والعـــالم الافريقى والاسيوى فى صورة تشجع العالم الاوربى على أن يقتحم هذا العالم الجديد ٠

فى هذا نجد أنه بعد الصورة الاولى التى تدل على الاعجاب بالنسيج ، بالحضارة بـالالات

البحرية ، بالخرائط الفلكية ، بما كان موجودا فى هذه المنطقة .. جاءت بعد هذا صورة أخرى مشوهة عن هذا العالم كله . لماذا ؟ لكى تستطيع أوربا أن تفسر لماذا نهجم على هذا العالم . وبدأ يظهر ما يسمى بعبء الرجل الابيض ومهمة الرجل الابيض فى تحضير هذه المخلوقات المتأخرة . وأعود مرة أخرى الى ما كتب على سبيل المثال عن حروب الزنج فى وسط أفريقيا ، كانوا اذا ما حاربوا خصومهم لا يمكن أن يحيطوا الجيش احاطة كاملة . ولا يمكن أن تبدأ عندهم معركة فى الصباح وانما تبدأ المعركة عندهم بعد الظهر كى لا تستمر الا وقتا محدودا . واذا ما حاصروا الجيش لم يكملوا حصاره حصارا كاملا ، وانما تركوا له فرجة فى آخره، فاذا ماضغط على الجيش وأحس أنه قارب الهزيمة سمحوا له بأن ينسحب دون أن يسفكوا من دمائه الا القليل .

أعطى كتاب الانثروبولوجيا هذا عن وسط أفريقيا . ما كتبه على سبيل المثال فاول ، وما كتبه على سبيل المثال ايفانز ريتشارد عن هذه القبائل وكان هذا قبل الاستعمار .

ثم قال ان البطش والعنف الذى عومل به هؤلاء القوم قد انتقل الى أخلاقهم والى أنفسهم فاذا بهم بعد أن يطش بهم هذا البطش العنيف ، اذا بهم يبطش بعضهم ببعض ، ويستخدمون فى ضرب بعضهم بعضا .

بل ان ديفدسون كتب عن حروب الهند قبل الاستعمار ، فقال ان هذه الحروب كانت أقرب ما تكون الى مباراة كرة القدم. كانوا يحاربون صدر النهار، فاذا ماجاء الغروب وضعوا أسلحتهموقام بعضهم الى جوار بعض وسأل بعضهم بعضا هل عندكم من ماء ، هل عندكم من أرز ، هل عندكم من دخان ، هل عندكم من كذا ، هل عندكم من كذا ، ثم ينامون فىاطمئنان. فاذا أصبحوا فى اليوم الآخر أذن مؤذن الحرب ، وبدأوا يحاربون بعد أن يعطى الحكم أمرا بهذه المباراة الحربية .

ليس معنى هذا انه لم يكن هناك عسف ولا جبروت ولا طغيان ، وانما كانت هناك ايضا قيم كريمة يعيش بها هؤلاء الناس . وكتب نفر من علماء أوربا هذا بصدق وباخلاص . كما كتبه أيضا نفر من علماء الاسلام . ولا زلت أذكر نصا ذكره « المسعودى » فى « مروج الذهب » عن الزنج حينما اتصل بهم المسلمون ، وقالوا انهم من أعدل الناس حكما وانهم يجلسون فى القضية الواحدة ، قبل نظرها يبدأ حكيمهم يذكرهم بربهم ويذكرهم بالاخرة ويحذرهم من الظلم . ويستمعون الشهود يوما ويوما ويوما حتى يستطيعوا ان يهتدوا الى الصواب فى الامر الذى بين أيديهم .

كتب هذا المسعودى فى مروج الذهب حينما درس أحوال الزنك اذا كانت هناك صورة أولى مشرقة ظهرت عند هذا التفاعل الحضارى، ثم بعد هذا حينما جاءت هذه الاوضاع الاقتصادية الجديدة من القرن الـ ١٥ ، ١٦ والـ ١٧ ، والـ ١٨ جزء منه وهذه الفترة التى سميت فترة تخريب افريقيا وفترة التدمير وفترة الاستعمار الهدمى فى القارة كان لابد من تصوير هذه القارة بأنها قارة متخلفة ومن أجل هذا علينا مهمة تحضيرها ومن أجل هذا نحن موجودون فيها ، هذا ينطبق على اجزاء كثيرة من العالم الاسلامى وينطبق ايضا فى نفس الوقت على العالم الثالث فى افريقيا وفى آسيا، هؤلاء القوم وخصوصا فى العالم الاسلامى ظلوا واقفين فى صلابة وصمود أمام هذا الطغيان الذى جاءهم من الخارج، وفى عصر الكشف الجغرافى فى القرن الـ ١٥ و ١٦ و١٧ لم تستطع اوروبا ان تخترق السيادة الاسلامية الممتدة من المحيط الاطلسى حتى وسط آسيا وانما دارت حولها فى حركة الكشف الجغرافى واهتدت فى نفس الوقت الى امريكا فى هذه الفترة، حدث ذلك التقدم العلمى الكبير فى أوروبا حينما كان المستوى العلمى متقاربا بل حينما كان المستوى العلمى فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى متقدما لم تستطع اوربا تحطيم هذه السيادة، وحينما مال جانب العلم الى أوروبا واستطاعوا بتطورهم العلمى والتكنولوجى ان يكتسبوا أسلحة جديدة استطاعوا فى القرن ١٩ أن يهزموا هذا العالم الاسلامى هذه الهزيمة الساحقة على ذلك . فالنظرة الى العالم الاسلامى التى صورت لهذه الشعوب الاوربية التى كان عليها ان تندفع الى الحروب انما كانت نظرة لها أسبابها الاقتصادية فى نفس الوقت ولها أسبابها الاقتصادية والاستعمارية التى يمكن أن تلقى ضوءا اضافيا الى جانب الاضواء التى تفضل بالقائها السيد مكسيم رودنسون . ومن هنا أجد نقطة فيها كثير من الذكاء والاحتياط وردت فى كلام الاستاذ مكسيم رودنسون قال فى صدر حديثه أننى فى هذه الليلة ألقى القول وأعرض دون أن أصل به الى نتائج عامة شاملة فزادنا تشويقا الى استماع محاضرة الغد ومحاضرة بعد الغد من أجل ذلك لم أكن أطمع فى هذه الليلة ولا أظن أحدا من الاخوة الطامعين أمثالى كنا نود أن يكون العرض شاملا او كما يقولون علماؤنا فى العربية جامعا مانعا وان يكون عليه التعقيب الذى يصل به الى نتائج فى نفس الوقت لكنه أمل نرجو ان يتحقق ان شاء الله ، نموذج آخر يمكن أن يأخذه من كاتب المانى تكلم عن تأثير الحروب الصليبية، هذا النموذج الاول الذى أخذته من ارنولد توينبى فى كتابه النموذج الاخر من كتاب .. فايس .. الاستاذ محمد أسد ويقول فيه وطبعا محمد أسد لا يتهم بعصبيته لانه عاش فى أوروبا فترة طويلة من حياته ثم بعد هذا عاش فى

اجزاء كثيرة من العالم الاسلامى فيقول يوبولد فويس لقد كانت للحروب الصليبية التأثير الاقوى على مدنية بدأت تعى ذاتها ، فمن وجهة النظر التاريخية ،كانت هذه الحروب تمثل أول محاولة قامت بها أوروبا وكانت ناجحة تماما فى النظر الى نفسها على ضوء الوحدة الثقافية ، ثم بعد ذلك يقول ولقد أعطت تجربة الحروب الصليبية أوروبا وعيها الثقافى وكذلك وهبتها وحدتها ولكن هذه التجربة نفسها كان مقضى عليها منذ ذلك الحين فصاعدا أن تهيأ اللون المزيف الذى كان على الاسلام أن يبدو به فى أعين الاوروبيين ليس فقط لان الحروب الصليبية كانت تعنى اراقة الدماء لان كثيرا من الحروب أثيرت بين الامم ثمتناستها فيما بعد وأن كثيرامن العداوات والاحقاد قد انقلبت الى صداقات بعد أن ظن فى حينها انها غير قابلة للزوال ٠

ولا شك فى ان الاذى الذى جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على صدام استخدمت فيـــه الاسلحة ، بل كان اولا وقبل كل شىء أذى عقليا نتج عنه تســـميم العقل الغربى ضد العـــــالم الاسلامى عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الاسلامية تفسيرا خاطئا متعمدا ، لانه اذا كانت الدعوة الىحملةصليبيةان تحتفظ بصحتهافقد كان من الواجب الضرورى ان يوصم بنو المسلمين بعدو المسيحوان يصوردينه بابلهالعبارات كينبوعللفسق والفجور والانحراف عن الحق وفى أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الاوروبى وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة بان الاسلام انما كان دينا يدعو الى عبادة الشهوة والى القوة الوحشية دينا يدعو الى اقامة الشعائر الدينية بدلا من تطهير القلب ثم بعد ذلك ذكر امثلة عنيفة من أساليب اتبعت فى الاذى العقلى فى اوروبا فى ذلك الوقت هذا نموذجمن كتاب اوروبىليوبولدفويس، وعاش فى ارض الاسلام وحمل اسم محمد اسد فى كتابه الانجليزى الطريق الى مكة، هنا ايضا يمكن ان نجدتفسيرا مادامتاوروباستهاجمهذا الشرقفكان عليها ان تهىء هذا اللون ولكن هناك انتاج علمى لنا فى ارضنا ، هنـــا وهناك واقـــــع تاريخى عشنا به نحن المســـــلمين ونحن المسيحيين فى بلادنا على أساس من دفاعنـــا المشــترك عن ارضـــــنا وعن مقدســاتنا . . وانه لثــابت تاريخيا او أهل هــــذه الارض مـــن مســيحيين ومن مسلمين تعاونوا معا ضد ذلك العدو الذى جاء من اوروبا فىهذه الفترة، هذا ثابت، وهناككتب حديثهووثائق قديمةفى هذا الموضوع، اتىبعد ذلك الى نقطة ثالثة تتعلق ببعض الاجزاء من العالم الاسلامى واستند فيها ايضا الى مرجع اوروبى له مكانتهفىالدعوةالاسلامية، ونظرة الاوربيين اليها وهو كتاب ٠٠٠٠توماس ارنولد وهذا الكتاب ترجم الى العربية مرات متعددة، وميزة توماس ارنولد يشاركه فيها الاستاذ ماكسيم رودنسون وهى الاحاطة بعدد كبير من اللغات الحية التى مكنته من ان يجعل من كتابه هذه المنزلة الباقية التى استمرت حتى الان اكثر من نصف قرن ولم يستطع كاتب ان يكتب كتابا الى جواره يصعد الى مستواه فى انتشار الدعوة الاسلامية باى لغة مـــن اللغات ٠٠ فيما يتعلق بالاتراك بالذات يقول السير توماس ارنولد وعاش كما تعلمون فى الهند فترة طويلة ، وزار مصر ، وزار كثيرا من اجزاء العالم الاسلامى يقول ومن اولى الخطوات التى اتخذها محمد الثانى بعد سقوط القسطنطينية واعادة اقرار النظام فيها انيضمها ولاء المسيحيينبان اعلننفسه حامى كنيسة الاغريقيين فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا ومنح البطريق الجديد مـرسوما يضمن له ولاتباعه ولمرءوسيه من الاساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التى كانوا يتمتعون بها ثم بعد ذلك جعل له مهرجانا رسميا يخرج فيه . بعد ذلك عرض سير توماس ارنولد لبعض نواحى العسف والعنف التى مارسها الاتراك ، وبين ان سببها انهم كانوا يريدون اجبار الناس على انيدخلوهم الجنة شاءوا هذا ام كرهوا عن طريق ادخالهم الاسلام وكتب هذا بوضوح فى كتابه هذا ثم تكلم بعد هذا عن بعض الضرائب العنيفة التى فرضت عليهم وكيف جاء بعض الحكام بعدذلك، فأزالوهاعنهم،ليسهذا هوالجزءالرئيسى الذى اود ان اقف عنده وانما اريد ان اسجل جانبا يتعلق بالقطاع الآسيوى ، والقطـــاع الافريقى باعتبارهما قطاعين لم يرد ذكرهما فى هذه المناسبة فأما مايتعلق بالقطاع الآسيوى يذكر فيه عن جيوش التتار بعد ان اسلمت ويأخذ تاريخ حياة بركة خان على سبيل المثالوالمرجع فيهبعد ذلك الجوزجانى فيقول انجيشه كان مسلما، ويذكر الثقات بأنهقد جرت العادة بأن يحمل كل فارس فى جيشه سجادة للصلاة حتى اذا ماحان وقت الصلاة اشتغلوا بصلاتهم كما لم يكن فى جيشه شخص واحد يتعاطى اى مسكر وكانت الطبقة الاجتماعية الراقية فى بلاده تضم مشاهير العلماء من المفسرين ورجال الحديث والفقهاء وعلماء الكلام ، وذكر بعد ذلكانه حينما تحولوا الىالاسلام — وكتب فىهذا كتابمن الغرب والشرق — حدث تغير ضخم جدا فى اخلاقياتهم وفى تعاملهم مع غيرهم من الناس المثال الذى اود ان اذكره من افريقيا وهى المنطقة التى اخذتمنحياتىاكثر مما اخذتاية منطقةاخرىيقول فيها عنالاسلام، والمراجعهنا كلها مراجعاوروبية على سبيل المثال كتاب بلايدن يقول فيه ومن المهم ايضا ان يلاحظ ان لون الزنجى وجنسه . لم يحملها بأية حال اخوانه الجدد فى الدين على ان يتعصبوا عليه ولاشك فى ان نجاح الاسلام فى تقدمه فى افريقيا الزنجية تقدما جوهريا كان بسبب عدم كل احساس باحتقار الاسود وصفها حتى بهذه الترجمة ٠٠ وفى الحق يظهر ان الاسلام لم يعامل الاسود قط على انه طبقة منحطة كما هو الحالفى

كثير من الاحيان فى العالم المسيحى والذى كتب هذا هو الاستاذ بلايدن فى كتابه عن المسيحية والاسلام وافريقيا السوداء ثم تكلم بعد هذا عن المساواة التى كانت موجودة بين الداعى والمدعو فى افريقيا الاستوائية واعطى امثلة كثيرة على ذلك .

ولكن اعتقد ان من أهم الامثلة التى ذكرها هو تأثير دخول الاسلام من وجهة النظر الاوروبية على العالم الافريقى يقول عن افريقيا والمرجع هنا ما كتبه منجوبارك فى كتاباته عن منطقة النيجر وقد اصبح المسجد الجيد البناء النظيف بما فيه الاذان خمس مرات فى اليوم وقبلة يتجه اليها فى مكة وامام وصلاة جماعة مركزا للقرية بدلا من دار عبادة الاوثان، ثم بعد هذا يقول واصبحت لهم لغة شريعة وقانون مكتوبة ثم يقول وبعد هذا وهذا تغير يعتبر فى ذاته تقدما هائلا فى الحضارة فالذى كتبه منجوبارك فى هذا هو ان دخول الاسلام فى هذه المناطق ادى الى تقدم ضخم فى حضارتها وهذا جانب من نظرة الاوروبيين ايضا الى اجزاء من العالم الاسلامى يمكن نعطيه كثيرا من عنايتنا ثم بعد ذلك يذكر نصوصا عن قبائل الفولا فى انهم كانوا على خلق فاضل كريم وانهم كانوا يحسنون معاملة اخوانهم وانهم كانوا يحسون انهم والناس جميعا سواء وعلى المستوى الفردى والمستوى الجماعى، هذه بعض النماذج التى احببت أن اقولها عن افريقيا وعن اسيا وعن النظرة الى الحروب الصليبية، واستندت فيها استنادا كاملا الى ما كتبه الكتاب الاوروبيون، ولم ارد ان الجأ الى اى كاتب مسلم فى هذا المجال ما دام الحديث هو عرض افكار اوروبا ونظراتها الى العالم الاسلامى .. لو اذن لى بعد ذلك السيد مكسيم رودنسون بتعقيبات صغيرة وردت فى اثناء الحديث ما يتعلق بمنهج الفاتح الاسلامى نفسه وعلاقته بهذه الشعوب وكيف ان الاسلام حينما دخل هذه الشعوب دخلها دون ان يكون مقيدا الا بقيد رئيسى وضعه النبى عليه الصلاة والسلام فى قوله الذى قاله للجيوش والذى قاله خلفاؤه من بعده : « لا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا امرأة ولا شيخا ولا طفلا ولا عسيفا اى اجيرا ولا تقطعوا شجرة الا لطعام وستمرون على قوم ترهبوا فى صوامعهم فدعوهم وما هم فيه » ليس معنى هذا ان الحروب كلها كانت على هذا النسق ،ولكن هناك احساس فى نفس المسلم انه اذا ما خرج عن هذا لاى سبب من الاسباب فهو انما يقترف ذنبا سيحاسبه الله تبارك وتعالى عليه يوم القيامة اذا ما فر من حساب هذه الدنيا . فيما يتعلق بعناية الاسلام والعالم الاسلامى بالعلم الاغريقى اود ان اضيف نصا بسيطا كان يحدث فى العصر العباسى وهو انه من بين المعاهدات التى كانت تعهد فيما بين الامبراطورية الرومانية من ناحية والدولة العباسية من ناحية هو تسليم بعض المكتبات اما لنسخها واما للاحتفاظ بها وكان هذا يعتبر شرطا اساسيا من شروط الصلح وكما قال الاستاذ مكسيم رودنسون كل حاكم وكل ملك كان له تجاره ، وكان له جواسيسه الذين يجلبون له المعلومات فكان لهؤلاء الحكام ايضا عيونهم التى تحصر لهم الاخبار ليس فقط عن نظام الحكم ولكن ايضا عن الوثائق العلمية فاذا ما اصدرت بها امرا الى دار الخلافة او اعطت بها توجيها دخلت تسليم هذه المكتبات العلمية فى نصوص المعاهدات التى تعقد ما بين الدولتين ولم يشعر العالم الاسلامى باى غضاضة فى ان يأخذ من علوم الهند او من علوم فارس او من علوم اليونان او من علوم الرومان ذلك لانه يعتقد ان العلم اولا وقبل كل شىء انما هو أمر الهى امره الله تبارك وتعالى على كل مسلم فى اول انزال الله من قرآن « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ..

ومازلنا حتى فى حياتنا اليومية ، هنا فى الريف اذا ما وجد الريفى او الفلاح ورقة مكتوبة نظر اليها بتقدير واحترام ووضعها الى جانب الطريق قد يكون فيها شىء مفيد وهو لايمكن ان يدين لشىء غير مفيد. الى هذا الحد عندنا ذلك الاحترام للعلم فى حياتنا اليومية فاذا جمعوا هذه العلوم ولم يحاولوا ان يغيروا فيها شيئا وانما اضافوا لها شيئا. واود ان اضيف كلمة موجزة الى ما تفضل بقوله السيد مكسيم رودنسون هو ان جورج سارتون فى دراسته الضخمة عن تاريخ العلم جاء فى هذه الفترة الاسلامية الضخمة، فكان يؤرخ للعصر باسم العالم الاسلامى ، فهناك فترة معينة على رأسها البيرونى وهناك فترة على رأسها ابن سيناء وابن رشد دون ان يكون هناك اى تعصب ضد هؤلاء ما داموا قد ادوا هم للانسانية هذا العمل وما داموا قد قاموا هم بحفظ هذا التراث وتسليمه بعد هذا للاجيال وجعلوه امرا يدخل حتى فى داخل حروبهم ومعاهداتهم ..

فيما يتعلق بعهد صلاح الدين لقد تفضل سيادته فأعطانا جوانب مشرقة وجوانب باسمة وجوانب مسلية عن هذا العهد ومزج فيها مزجا رائعا رشيقا بين الحقيقة والاساطير والخيال فهنا يمكن أن نلمح من خلال هذا العرض الفنى السخى التفسير الاجتماعى له وهو ذلك التناقض الغريب الذى حدث فى العالم الاوروبى حينما يرى حاكما اسلاميا بهذا الخلق ثم عليه بعد هذا أن يحارب العالم الاسلامى الذى يمثله ذلك الحاكم ، اعتقد ان هذا ايضا من انواع التناقضات الضخمة التى حدثت فى العالم الاوروبى والتى تحتاج منا أيضا الى شىء من

العناية وطبعا نحن نعلم الكثير من حياة صلاح الدين واخلاقياته ، ولا اود ان نتصور ان سلاح الدين كان فى هذه الحروب يتمتع بقوة بدنية خارقة وأنه كان هرقلى الجسم عملاقا ، الوصف الدقيق لصلاح الدين أنه فى هذه الفترة كان قد اشتدت عليه الامراض والعلل ولكن هذا لم يفقده ايمانه ولا قوته ولا ايمانه بالمثل العليا التى عاش بها،كان يأتى بعد المعركة فيستمع الى درس القرآن والى درس الحديث والى درس التاريخ موجزا ثم بعد هذا تعرض عليه كل هذه الامور ويقوم الى صلاته ،فاذا جاء الصباح أعانوه على الصعود الى جواده،يقول مؤرخوه : واذا ما امتطى جواده لم نعرف كيف يمضى نهاره على ظهر الجواد . هذا ما كتبه عنه بهاء الدين بن شداد فى سيرته وفى دراسته، فهنا أيضا يمكن أن نفسر جانب العقيدة القوية التى كانت فيه وحتى أن الغرب حاولوا أن يأخذوا منا صلاح الدين ونحن لانعتبر صلاح الدين ملكا لنا وانما هوملك للانسانية كلها فى كل عصر وزمان ومكان فليكن أبوه من يكون ولتكن أمه من تكون فكل الذى نعرفه عنه أنه صلاح الدين وأننى لاذكر فى هذا قول المتنبى فى رثاء جدته حينما ماتت فقال فيها فلو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أبوك الضخم كونك لامة هو نفسه الذى ينسب اليه الناس ولا ينسبه الى أحد وأننا ليسعدنا أن يكثر التنازع على صلاح الدين لان هذا التنازع انما يمثل تنازعا على مثاليات اخلاقية عاش بها ذلك الرجل الذى جاء من بلاد الكرد الى مصر هنا وفى بلاد الشام فما قال له أحد من أى بلد أنت وانما أسسموه قيادة أمرهم ووسدوه هذا الأمر وساروا وراءه جيشا واحدا فى سبيل قضية يؤمنون بعدالتها ·· فيما يتعلق فى وضع المغول أود ان أضيف اضافة موجزة وجاءت فيها بعض الاسئلة هو ان المغول فى ذلك الوقت وفى أواخر العهد العباسى كانوا ينقسمون الى قسمين القسم الشمالى وهومملكة سيراى وكانت هذه على علاقة ود وصداقة مع المصريين والجزء الشرقى الذى اصطلينا منه العنت والارهاق وكان هذا على علاقة طيبة بالعالم الاوروبى وحينما تبلورت هذه المعارك مع الاوضاع كلها فى معركة عين جالوت انما كانت صراعا دوليا عالميا فى ذلك الوقت، لان مغول الشمال كانوا الى صفنا ، ومغول الشرق كانوا فى الصف الاوروبى ، وهناك دراسة وافية شاملة فى هذا كتبها استاذنا المرحوم أمين الخولى بعنوان « صلات بين النيل والفولجا » فى مؤتمر قدمه فى الاتحاد السوفيتى عن العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وبين مؤتمر الاستشراق فيما أذكر وقدم فيها هذا البحث عن العلاقة بين مملكة سيراى وبين مصر · وهذا جانب من جوانب البحث فقط وانما هناك أيضا جوانب أخرى ·

ملاحظة أخرى عن تسمية العصور الوسطى بالعصور المسلمة وظلمات العصور الوسطى — وأعتقد أن العصور الوسطى فى العالم كله لم تكن على درجة واحدة فى الاضاءة، ولم تكن على درجة واحدة فى الاظلام — وانما رأينا مدنا كبيرة وحضارات كثيرة كانت موجودة فى هذا العالم — حتى أن كتابا اوروبيين، وكتابا فرنسيين واذكر منهم على سبيل المثال « فيدال دى لابلاج » كان يقول أن هذه المدن الاسلامية فى افريقيا وآسيا وحول الصحراء انما تمثل خطا من النجوم المضيئة التى توجد على حافة هذه المنطقة ، ورسم لها خرائط متعددة أهمها الخريطة التى رسمها فى كتابه ·· عن المدن الكبرى التى كانت موجودة فى هذه الفترة ·

من أجل ذلك لا نستطيع أن نصور هذا بأنه كان عهدا مظلما — قد يكون فيه استظلام فى بعض الاماكن ، وقد تكون عندنا أيضا بعض جوانب مظلمة ، ولكن التراث العلمى بطبيعته كان موجودا وكان مثمرا ثم حدث بعد هذا انتقال المشاعل الحضارية من العالم العربى الى العالم الاوروبى ، وبرغم هذا ظلت هناك بعض المناطق الحية اليقظة التى بقيت محافظة على شعلة الحياة فيها ويمكن أن نرجع فى هذا الى ما كتبه على سبيل المثال « جراتشكو فيسكى » فى كتابه عن تاريخ الادب الجغرافى ، وما كتبه نفيس أحمد أيضا عن هذه الفترة من تاريخ العالم الاسلامى ·

بعد ذلك أصل الى النقطة الاخيرة وهى النقطة التى انتهى فيها حديث الاستاذ مكسيم رودنسون فى هذه الليلة وهى شعور الحزن والاسى الذى بدى فى بعض الاوروبيين عندما حدث الاستعمار الضخم الواسع فى القرن التاسع عشر ، واننى لاعتقد أنه من الجيل التالى لهذا الذى يمثل نظرة التفاؤل بمستقبلنا لا الرثاء لماضينا فى القرن التاسع عشر ، أما فيما يتعلق بالتعقيبات التى ذكرها ومع اعتبارها خاتمة ، فلقد أوقفنى فى موقف لا أستطيع أن أتقدم فيه ولا أن أتأخر ، وهو أنه أرجأنى الى غد ، فموعدنا غدا ان شاء الله .

وليأذن لى بعد ذلك أن أقدم السيد الدكتور عثمان أمين ، وأرجو أن لا أكون قد أسأت استغلال مكانى بالاطالة عليكم فى هذا الحديث ·

د · عثمان أمين :

أود ان اقدم بعض التعليقات : أولا أريد ان أحيى الروح الموضوعية التى تتميز بها هذه المحاضرة · ويبدو لى حقا أن الوقائع التى ذكرت فى هذه المحاضرة كانت وفيرة من كل من الجانبين ، وقد اطلعت أيضا على الخطوط العامة لهذه المحاضرة التى ترسم مراحل ذلك التاريخ الطويل للعلاقات

بين الغرب والعالم الاسلامى بشكل واضح للغاية • والى جانب ذلك هناك الاسلوب الجذاب الذى قدمت به بفيض من الرقة عند التعرض لعادات وتقاليد المسلمين • كانت المرحلة الاولى بالطبع ، مرحلة الجهل تماما بحقيقة الاسلام ، جهل شبه تام بل ونوع من التناقض وهذا واضح من الامثلة العديدة التى قدمها لنا • أما المرحلة الثانية ــ فكانت مرحلة النظرة الفضولية لهذا العالم ، ومع قيام الحروب ، واقصد الحروب الصليبية بالطبع، اتصل الكثيرون من غير المسلمين اتصالا مباشرا بالمسلمين . ومن خلال الحملات الصليبية ، ظهرت لهم أمثلة حية لمسلك قادة الجيش أو الافراد العاديين • وحدث نوع من التعاطف • ومع بداية القرن الثامن عشر ــ وهنا أود أن أشير الى ان العرض الذى قدمه لنا عن هذه المرحلة بالذات كان فى غاية الموضوعية فى تقييمه للعالم الاسلامى ــ ذلك أن القرن الثامن عشر كان قرن العقل ، ولذا فسواء تعلق الامر ببييربيل فى قاموسه التاريخى والنقدى أو بفولتير فى قاموسه • وانا انتهز هذه الفرصة لكى اذكر كتاب فولتير «كانديد»، ولكن هناك مقالات لفولتير فى قاموسه أوصى الكثيرين من المسلمين بقراءتها لكى يروا كيف تمكن فولتير من أن يرى بفطنته ، وبتعمق لم يدركه أحد فى زمانه • لقد تفهم مغزى الاسلام والمبدأ الاسلامى • وأذكر بهذا الصدد وبنوع خاص مقالا له عن النبى محمد فقد قدم أمثلة عديدة عن التاريخ الاسلامى مع مقارنات بين ما فعله المسيحيون مع غير المسيحيين ، وما فعله المسلمون مع غير المسلمين •

وأضيف أيضا لامارتين • يجب أن نذكر لامارتين . لقد قرأت فى كتاب له وهو كتاب غير معروف كثيرا وعنوانه على ما أذكر « تاريخ تركيا » • هناك صفحات رائعة عن نبينا محمد • وينتمى لامارتين الى القرن التاسع عشر ، ولذا فانى لا أستطيع أن أقول ، كما ذكر رودنسون أن القرن التاسع عشر كان قرن المعارضة أو التضاد مع الاسلام •

ولكن هناك شخصيات ، ومنهم رحالة الى الشرق مثل جان مارى كاريه على سبيل المثال • فقد كتب على ما أذكر كتابا عن الرحالة الفرنسيين فى الشرق ،وهو كتاب رائع ذكر فيه حالات كثيرة لرحالة من القرن التاسع عشر استطاعوا أن يقدموا صورة مختلفة تماما عن الصورة التى قدمها المعادين أو الموالين للاستعمار الغربى ، كما ذكر الدكتور عبد العزيز كامل مثلا • ولكن هناك اناس من القرن التاسع عشر أرادوا أن يكونوا أكثر موضوعية • وكان هناك بالطبع آخرون ساروا فى ركب الاستعمار الغربى • وفيما يختص بالاستعمار فلن أتكلم عن ذلك بالطبع لان الدكتور عبد العزيز كامل أوضح ذلك بشكل فعال وعميق •

أريد أن أقول ، بل أريد أن أؤكد فى تعليقى على نقطة يبدو لى انها لم تذكر فى هذه المحاضرة، واذا سمحتم لى فاننى سأذكر مثلا فيما يختص بالفلسفة ، الجانب الثقافى ، اذ يجب ان نؤكد الدور الفكرى للثقافة الاسلامية ، كيف استطاعت الثقافة الاسلامية ، أى الحياة الفكرية الاسلامية ، أن تنتقل الى العالم الغربى • لقد تم ذلك بفضل الكتب وترجمات الكتب •لم تكن هناك وسيلة أخرى بالطبع لان الاتصال المباشر لم يكن سهلا فى أغلب الاحوال • ومن هنا فان الكتب واختيار الكتب يدل على الاعجاب الشديد • لا يفكر أحد بالطبع فى ترجمة أعمال فاشلة ، اذ يختار الناس الروائع ، روائع الفلسفة العربية أى الاسلامية ، ذلك أن اللغة العربية كانت لسان الفلسفة العربية وقد ترجمت قبل القرن السادس عشر بمراحل . فقبل القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر ، تمت ترجمات لاعمال الفارابى وابن رشد وابن سينا. ومن الغريب اننى رأيت بنفسى فى أوروبا منذ حوالى ثلاثين سنة ، فى مكتبة سبينوزا فيلسوف القرن السابع عشر اليهودى ومؤلف

Tractaus the alagico politico.

ترجمة لمؤلف بن رشد « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » • لقد رأيت هذا الكتاب بعينى وقد ورد ذكره على أى حال فى قوائم المؤلفات التى وضعها روزنتال • وانى لاتذكر الان، لقد وضع روزنتال مصنفا كبيرا لما احتوته مكتبة سبينوزا من مؤلفات ، وكانت ترجمة مؤلف بن رشد من بين كتب مكتبة سبينوزا وكان يوجد بها ترجمة « دليل التائهين » لموسى بن ميمون ، وكان ابن ميمون ، وهو أحد عباقرة الفلسفة اليهودية ، كان يكتب بالعربية . هذه حقيقة يجهلها الكثيرون فى أوروبا • كان يكتب باللغة العربية ولكن العبرانيين أى اليهود حولوا اللغة العربية الى كتابة عبرية . هذا كل ما فى الامر . وأريد أن أذكر أيضا فى القرن الثامن عشر الشاعر الالمانى الكبير جوته • لعل الكثيرين يجهلون أن « الديوان الشرقى » متشبع بالافكار الاسلامية ولا داعى بالطبع لان أؤكد لكم منزلة جوته • كما أن

أزنتا لاسيوسى ، وهو مستشرق أسبانى أثبت لنا فى بداية هذا القرن أن أبو العلاء المعرى ، الشاعر العربى الكبير، كان النموذج الذى اقتفى به الشاعر الايطالى الكبير دانتى تلك بعض الامثلة للاتصالات المباشرة ، وهى وقائع تتعلق بالحياة الفكرية فى العالم الغربى • وانى لارى أن هذا أكثر أهمية وحسما فى اثبات تأثير العالم الاسلامى والتقدير الكبير الذى كان يحظى به فى العالم الغربى عن طريق اللغة والفكر والفن والحياة الفكرية والروحية •• ان التمسك بالحياة الروحية يؤكد ذلك الاعجاب الذى يفوق بمراحل الاعجاب

ببعض الزخارف الخارجية المتناثرة • ولذا أريد أن أذكر أيضا فى العصور الحديثة كتاب ديلان مثلا.

أود أن أؤكد فى النهاية على جانب يبدو لى مهما لمفهوم أساليب الاستعمار الغربى لمحاربة الاسلام • وهنا أريد أن يستمع البروفسور رودنسون لما أقول لانى أقوله له هو بالاخص ـ أنه اسلوب بسيط جدا لمهاجمة الاسلام ـ وذلك لامن أجل التبشير بالطبع ـ فانا لا أؤمن كثيرا بهذا الحماس للتبشير، فالاسلام قوى بذاته، وكل جهود المبشرين لن تنال منه، ولكنهم يسلكون طريقا ملتويا بالهجوم على اللغة العربية • هذه ظاهرة حقيقية فهناك هجمات كثيرة توجه للغة العربية . لغة القرآن . وأنا لست فى حاجة الى تأكيد ذلك وانهى كلامى بأن أقول أنه بالنسبة لمصر فى العصور الحديثة كان هناك مفكران احدهما **الكونت داركور** الذى رد على كتاباته المفكر المصرى الكبير **قاسم أمين** • وكان هجوم الكونت داركور يسير فى هذا الاتجاه ، كما أن هجوم **هانوتو** ، رد عليه الشيخ **محمد عبده** •

د • محمد أحمد خلف الله :

عندما تحدث د • عبد العزيز كامل تحدث عن اختيار الامثلة أو الوقائع التى تستطيع أن توصل الى نتائج معينة من اختيار المحاضر او من كلامه ـ المسألة التى أريد ان اتحدث عنها مسألة واحدة ليطمئن الدكتور عبد العزيز كامل ـ هذه المسألة فيما يمكن ان يكون من أثر للعقيدة الاسلامية فى العقيدة المسيحية كما تصورها الاوروبيون أشار المحاضر الى علاقات القوى والضعف بين المسلمين اوبين الخليفة المسلم وملوك أوروبا اوبابا روما ـ وكانت علاقات قوة ـ فبابا روما يصادق خليفة المسلمين من أجل ملك فرنسا ـ وملكة بريطانيا تصادق خليفة المسلمين من أجل ملك أسبانيا ، ولكن هناك أشياء كنت أعتقد انها أهم من هذا كله اشار اليها طفيفا وهى العلاقة بين البروتستانتية والاسلام او العلاقة بين الاسلام كحركة تقدم فى صلب المسيحية وفى العقيدة المسيحية ـ البروتستانتية تمتاز عن الكاثوليكية بشيئين مهمين أحدهما بشرية الرسل والثانى حق الانسان فى تفسير الكتاب المقدس ـ هذان الامران من الامور التى أصر عليهما القرآن وأصر عليهما الاسلام منذ اللحظة الاولى . فالاسلام يصر على بشرية الرسل، بل فعل ماهو أكثر من هذا ـ أوقف الرسالة وأوقف النبوة ـ اعلن القرآن الكريم ان الرسالة قد انتهت ، وهذه الفكرة أثرت فى اليهودية وفى المسيحية، فوقف اليهود ووقف المسيحيون عن ان يكون بينهم رسل يعنى حينما اعلن القرآن بان الرسالة والنبوة قد انتهت وقف المسيحيون ووقف اليهود فلم يقم بينهم رسول فيما بعد، المسألة بشرية الرسل وانتهاء النبوة حركة تقدمية فى الاسلام ، وحركة تقدمية تسلم أمور الحياة الى العقل البشرى فكان من الممكن ان تنظر الى العلاقة بين البروتستانتية والاسلام من هذه الناحية . الامر الثانى كما قلت هو حق الانسان فى تفسير الكتاب المقدس وقراءة الكتاب المقدس ـ لم يكن هذا الحق مسلما به فى المسيحية ولكنه مسلم به منذ اللحظة الاولى فى الاسلام ـ وذلك أيضا يعتبر من الفكر التقدمى الذى وضعه الاسلام فى الحياة ـ فمن حق الانسان ان يقرأ الكتاب المقدس وأن يفهمه وان يفسره مادام مستواه الثقافى يصل به الى هذا دون ان يكون هناك رجل دين مهمته ان يفسر الكتاب المقدس وان يملى على الناس تفاسير بعينها ـ تلك هى المسألة التى أقف عندها ، والسلام عليكم •

د • عبد العزيز كامل :

جاءت بعد ذلك أسئلة واعتقد ان موعد الاجابة عنها فى محاضرة الغد منها سؤال عن الاستشراق الجديد وعلاقته بالاستعمار من ناحية التمويل ، ومن الممكن جدا ان يكون هذا فى موضوع الغد ـ مقدم من الاستاذ محمد عمارة ••

وهناك سؤال من الاستاذ فخرى العاصى : ماهى الصورة الحالية للشرق الاسلامى والعربى بصفة خاصة لدى الرأى العام الاوروبى والاسس التى تستند عليها هذه النظرة ؟ وهذا ايضا مادام متعلقا بالوقت الحاضر فهو فى محاضرة الغد • وهناك سؤال عن : هل من تأثير للنظم والشريعة الاسلامية فى نظام الحكم والتشريع فى أوروبا ـ ثم بعد ذلك يتكلم عن الدور « دور النورمان فى هذا ـ مقدم السؤال من السيد ـ حسين توفيق •• ولو سمح لى الاخ بأن اذكر له مرجعا فى هذا الموضوع يتكلم فى اصلاح المسيحية وصلاته بالاسلام ـ مقدم من الاستاذ المرحوم أمين الخولى ـ فى أحد مؤتمرات الاستشراق الثلاثينيات من هذا القرن ، ولا اذكر السنة بالتحديد، ولكنه بحث درس هذا الموضوع واستند فيه الى مراجع ايطالية ومراجع المانية على وجه التحديد وعنى بصفة خاصة بموضوع الاصلاح البروتستانتى بنوع خاص ـ وهى النقطة التى أشار اليها الاخ ..

ـ ممكن فى محاضرة الغد ان نضيف تأثير الاسلام على التطورات التى حدثت فى اوروبا والوضع المقابل •

بعد ذلك ارجو ان نسعد جميعا بالاستماع الى تعقيب الاستاذ مكسيم رودنسون على الموضوعات التى أثيرت ...

مكسيم رودنسون :

الواقع انى ، اما أن اقول محاضرة ، واما انكم تقترحون علىتقديم عشر محاضرات لان كل القضايا التى لم يرد ذكرها ، هى مسائل لا حدود لها وشاسعة . وقد وجه لى الدكتور عبد العزيز كامل اسئلة فى غاية الاهمية ، تتعلق بالموضوعية اساسا . وبالطبع انا لا ادعى انى موضوعى على طول الخط . فلا يوجد انسان ينطبق عليه هذا الوصف . وانا ابذل كل جهدى لكى أكون موضوعيا بقدر الامكان . وقد وجهتم لى السؤال حول الطريقة التى سأختار بها الوقائع . والواقع ان هذه هى القضية الاساسية فى الموضوعية التاريخية . فالوقائع التاريخية عديدة . يجب أن نختار من هنا ومن هناك . ومن المؤكد اننى عندما اختار ، فانى افعل ذلكوفقا لتركيب ذهنى معين غير واع أو لا واع الى حد ما ، والمجتمع الذى أعيش فيه هو الذى يشغل هذا التركيب ، كما أن مدى تقدمى فى السن لهدخل فى الموضوع .. الخ من عوامل . وانا لا ادعى اننى استطيع أن اصل الى اشياء تفوق طاقة البشر . ولكن عندما نحاول أن نبذل جهدا موضوعيا ، فان اول شىء فى اعتقادى هو أن تكون ماثلة دائما فى ذهننا الاتجاهات التى قد تنزلق فيها . ولذا فيجب ان نحذر بالاخص أن نكيل المديح لانفسنا . يجب أن نكون حذرين من انفسنا ، من ميولنا الطبيعية . لقد اتهمنى الصهيونيون مثلا بكراهية نفسى . فهناك كلمة المانية « سبتراس » ، وهى تشير الى مرض نفسى منهذا النوع . انى احاول أن اتبين دائما ما اذا كانت هناك بعض الحقائق فى النقد الموجه لى . وهناك بالطبع جانب حقيقى فى كل نقد ، ايا كان مصدره . واستطيع أن اقول لكم انى تراسلت معطالبة مصرية فى المانيا وشرحت لها ذلك، لانها تأثرت بشدة من مقال كتب ضدى فى المانيا، وقد ارسلتالىالمقال وقالتلى أنها تشعر بتعاطف شديد معى حول هذه المسألة . ووصفت لى كيف إنها عندما وصلت الى المانيا وجدت نفسها فى وسط كان يعتبرها متوحشة ومعادية للسامية لمجرد كونها عربية ، وكانت تحاول أن تبتعد عن المسائل العربية فى المرحلة الاولى ، ولكنى اكتشفت بعد ذلك أن هذا الموقف مضر فى أى حال من الاحوال وكان رد فعلها واقعيا . واعتقد انى حاولت أن احمى نفسى من الانسياق الايديولوجى الذى قد ينشأ عن هذه الاوضاع . وبالطبع هناك اشياء لم اتمكن على الارجح من رؤيتها ، لقد حاولت أن اجد فى تاريخ هذه العلاقات ما كان منها مناسبا وما كان مقيدا وله مغزى . ولا اظن انى تركت نفسى انساق فى طريق تقديسوتفخيم المسلمين . انا لا اتكلم عن الاسلام ولكن عن المسلمين ، انى اتكلم عن مبدأ معين وهو ان البشرهم جميعا بشر، وكما اوضح لنا ارسطوطاليس ، فانهم ليسوا بهائم ولا آلهة - وكان يقول آلهة ، اما الترجمات الاسلامية فتقول ملائكة فنحن نقول ملائكة بدلا من آلهة - والا لكانت المسائل ابسط بكثير فالناس تقع بين الطرفين ، ولذا فنحن نستطيع أن نسمع كل شىء عن اى انسان ، ويكون كل شىء عنه طيبا تماما او سيئا تماما . عندما يعتنق انسان أفكارا جميلة ورائعة ولها خصائص بديعة ويتضح لنا ان هناك دفعة اخلاقية جعلته يؤمن بهذه الافكار التى اعتنقها باقتناعه ، لا لمجرد ان والده كان يعتنق نفس الافكار ، ولكن هناك اثقال تجره نحو تلك المواقع . والاختيارات الانسانية والاجتماعية فى الحياة اليومية تدفعه فى هذا الاتجاه .. وباختصار شديد يمكننا أن نقول أن معتنقى هذه الافكار قد يصبحون بسرعة فى تناقض مع افكارهم، ولذا فان موقفى بسيط . لقد حاولت أن اعتبر المسيحيين والمسلمين الذين على علاقة بما جاء فى محاضرتى ، بشرا وانه أيا كان جمال وعظمة الافكار أوالمعتقدات الاسلاميةمن جانبوالافكار أو المعتقدات المسيحية من جانب آخر ، فان كلا الطرفين بشر قبل كل شىء انهم خاضعون للقوانين الانسانية . ولذا يجب ان نتوقع منهم كل شىء ، لا أكثر ولا اقل وان ننظر للمسائل بهذه الطريقة . وسأحاول ان اتكلم قليلا عن هذا الموضوع ، فانه يدخل على ما اعتقد، فى موضوع محاضرة الغد . لقد كلمتمونى عن المسلمين خارج الشرق العربى . ووجهتم لى اسئلة مناسبة بهذا الخصوص والواقع انى اعرف بشكل افضل نسبيا العالم العربى وخاصة العالم العربى الشرقى .والمسألة نسبية بالطبع .

ولاشك انى تعرضت اليوم لمرحلة العصور الوسطى ، وأن العلاقات الاولى للمسيحيين كانت بعرب الشرقوالمغرب ولذا فقد حدثت ثورة فى الفكرالاوروبى اثناء الغزو المغولى، لقد تم اكتشاف جديد . كان الاعتقاد قبل ذلك أن المسيحيين يكونون نصف العالم ، والمسلمين النصف الاخر ثم اذا بهم يكتشفون ان هناك اناسا كثيرين آخرين ، وقد احست اوروبا

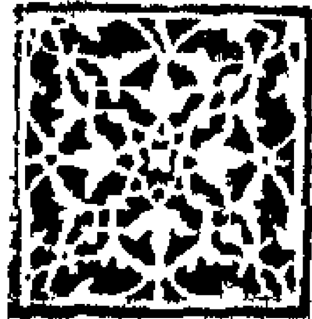
بذلك . وهناك نصوص خاصة بهذه المرحلة – ويمكنني ان أقدم اسماء مراجع اذا لزم الامر لمن يعنيهم الامر – كانت نصوص هذه المرحلة تقول ربما نحن لسنا سوى عشر او جزء من عشرين ، بل وربما واحد على مائة من الجنس البشري. وهكذا تغيرت الامور كثيرا. واذا كان المسلمون الان هم والمسيحيون يكون كل منهم نصف العالم ، لكان هناك مكان لهم ولنا . ولكن اذا كانوا هم العشر ونحن العشر، فان الكثرة لن تكون لها اهمية عندئذ . ولكن القضية ستكون مقلوبة وسننظر للمسائل من زاوية اخرى . ولو انى تعرضت بالتفصيل للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر لظهر الدور الكبير الذي لعبته تركيا والمغول .. الخ ،الامبراطورية المغولية . وهنا اجد بالفعل أن القومية العربية ، ايا كانت فضائلها وعيوبها ، بمعايب صغير او كبير من وجهة نظر الاسلام . وانا لا اخوض ، من وجهة النظر هذه ، في مناقشات سياسية كبيرة ، وذلك ان هذه المرحلة بالنسبة للعرب(القرن السابع والثامن والتاسع عشر) كانت عصر الانحطاط . ولكن اذا نظرت للاشياء على صعيد الاسلام بصفة عامة فماذا ستجد ؟ في القرن السابع عشر كانت توجد ثلاث امبراطوريات اسلامية كبيرة : الامبراطورية التركية العثمانية وكانت امبراطورية شاسعة ، والامبراطورية الفارسية الساسانية وامبراطورية المغول ، ونحن نقول الهند .

كانت هذه الدول عظيمة وكانت على قدر كبير من التحضر ، ولها نوع من الهيمنة على العالم . لقد قلت في هذا المقال أن هناك أشياء لا تستلفت أنظارنا . فهناك مثلا بعض التفاصيل الصغيرة عثرت عليها في كتاب مناسب جدا على ما يبدو لي . لاشك أن لويس الرابع عشر كان ملكا عظيما وكان يعتبر نفسه «الملك الشمس» وانه صاحب سلطان كبير على الصعيد الاوروبى . ولذا عندما تحداه البابا واعتدى على سفيره في روما ، لان البابا كان لا يريد أن تمتد الحصانة الدبلوماسية الخاصة بالسفارة الفرنسية اذ كان يلجأ اليها الخارجون على القانون، وقد رفض البابا ان يتمتع كل الحى بالحصانة قائلا أن في ذلك مبالغة، لان كل الخارجين على القانون من غير الفرنسيين سيلجأون اليه . وعندئذ غضب لويس الرابع عشر وأرسل قوة واحتج وقطع علاقاته بروما . وقامت حركة احتجاجات واسعة ولكن في نفس الفترة كان سفيره في تركيا . وبمجرد قيام حرب مع أي دولة مسيحية كان هذا السفير يسجن في قلعة القصر ويجلس في الصف الاخير بين المدعوين ويلقى صنوفا من المضايقات . ولكن لويس الرابع عشر كان لا يحتج . كان لا يستطيع أن يحتج لان هذه الدولة كانت أكبر من دولته . وكان يدرك ذلك تماما بالرغم من كل تصريحاته . واعتقد ان المقارنة بين هاتين الواقعتين مفيدة جدا . وهكذا فانا لم أتحدث بما يكفي عن الاتراك والفرس والاندونيسيين الخ. وهذا صحيح وأود أن أقول للسيد عثمان أمين ، الذي عاتبني بلطف على عدم ذكر هذه الشخصية أو تلك ، أني لم أسرد في مثل هذا الوقت القصير كل شيء ، بل لا أستطيع ذلك . ولعلي سردت اسماء كثيرة جدا بالنسبة الى المدة التي تكلمت فيها . وأود أن أقول أيضا للسيد كامل انه فيما يختص بالفتوحات العربية في القرن السابع عشر والتعاليم الانسانية ، فاني دافعت منذ أيام في رسالة في باريس ، عن العرب ضد دارس كان يدعي أن الفتح العربي لم يكن سوى مجموعة من المذابح الفظيعة، وهنا أيضا يجب الا نكون مغالين لامن هذا الجانب أو ذاك . لقد كان الفتح العربي نسبيا انسانيا للغاية ، بالمقارنة الى حالات أخرى . وعلى أى حال فقد كانت العادات في هذا الوقت عنيفة ولا يمكن أن نأخذ على الناس عنفهم في عصور معينة . ومن الصحيح أيضا أن المسلمين أى الفاتحين المسلمين كانوا لايرون ، كما يقال في أوروبا لمدة طويلة ، أن يدخلوا الناس في الاسلام بالقوة . فهذا ليس صحيحا، فمن المؤكد أن المسيحيين واليهود كانوا يحتفظون بدينهم وهناك نصوص كثيرة بهذا الخصوص . وكانت ردود الفعل مختلفة بالنسبة للفتح العربي ، فقد استقبل كثير من المسيحيين واليهود الفتح بصدر رحب . ويمكنني أن أقدم محاضرة في موضوع الفتح ولكن ليس هنا المجال لذلك .. ولكن من جهة أخرى لا يجب أن نقول أنهم كانوا محاربين مثاليين قادمين في نزهة وسط الهتافات ، يجب ألا نقع في مغالاة سواء في هذا الاتجاه أو ذاك . وكما قلت منذ لحظات كان المسلمون بشرا محاربين، وهناك نصوص عربية تتعلق بذلك ولاشك أنه لامر جميل جدا أن يكونوا على هذا القدر الكبير من التسامح . وسأحكي لكم قصة عن التسامح جاءت في نص لا أذكره الان . أنتم تعرفون بالطبع أن أحد مبادىء الاسلام هى أن أهل الكتاب ، أى اليهود والمسيحيين ، لا يجوز ادخالهم في الاسلام قصرا . فمن حقهم الحفاظ على معتقداتهم . أما بالنسبة للاخرين ، أى الكفار ، فان المسألة أصبحت مشكلة ذلك أنهم لابد أن يختاروا من حيث المبدأ بين الاسلام أو حد السيف . ولكن سرعان ما ظهرت حالة المجوس وهم الايرانيون الفرس « الزردشتيون » . وكانت القضية مثار مناقشة لانهم كانوا لايؤمنون برب واحد من

جهة كما انهم كانوا يعبدون النار من جهة أخرى • ولجأ المسلمون الى تفسير أرحب فقد شبهوا المجوس ، الزردشتيين بالمسيحيين واليهود بالرغم من أن المسألة محل جدال • وثارت مناقشات وبصفة عامة شبه المجوس بأهل الكتاب • وهناك قصة رائعة أذكرها بهذا الصدد كان الخليفة المأمون، ثانى ابناء هارون الرشيد يمر بمدينة حران فى بلاد ما بين النهرين ، وفى نفس المدينة التى مر بها من قبل ابراهيم • وكانت مدينة وثنية لا تزال تحتفظ بمعابدها الوثنية لعبادة الشمس والقمر •• الخ •

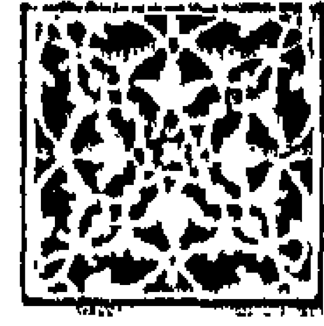
وخرج المأمون ذات يوم ليلاقى البيزنطيين ومر بمدينة حران وسأل عن هؤلاء القوم فأوضحوا له انهم من الكفار فقال أن ذلك أمر فظيع ومخالف للاسلام واستدعاهم وقال لهم أنتم على خلاف تام مع شريعة الاسلام وأنا أمنحكم بضعة شهور ، سأذهب للحرب ثم أعود (وكانت الحروب موسمية) بعد ثلاثة أو ستة شهور وعليكم أن تختاروا لانفسكم خلال هذه الفترة أحد اديان « أهل الكتاب » اذا أردتم فلتكونوا مسيحيين أويهودا، وان كنت أفضل ان تصبحوا مسلمين ولكن على أى حال فمن حقكم أن تعتنقوا المسيحية أو اليهودية • وأريد أن يتم ذلك قبل عودتى • وبالطبع تضايق أهل حران ، واستشاروا علماء المسلمين المجاورين لهم فقدموا لهم نصيحتهم قالوا لهم أن القرآن ذكر اليهود والمسيحيين كما ذكر أيضا قوما مجهولين يقال عنهم « الصابئون »ونحن لا نعرف فى الحقيقة من هم هؤلاء القوم • فعليكم أن تدعوا أنكم الصابئين وهكذا ستنعمون بالراحة.وقد عملوا بالنصيحة وهكذا احتفظوا بمعبدهم قرنا أو قرنين من الزمن •

ومع ذلك أود أن أكرر أن الاوضاع لم تكن مثالية ورائعة مثل الزهور • وقد قال السيد خلف الله ، بقدر ما فهمت ، انه عقد مقارنة بين الاسلام والبروتستانتية واثبت عن حق أن البروتستانتية أقرب الى الاسلام من الكاثوليكية . وهذا ما رأته أيضا الملكة اليزابيث كما ذكرت من قبل. وانا أعتقد فعلا أن ذلك صحيح ولكن هناك فارق لا يزال قائما وهو فارق أساسي وهو مسألة الوهمية يسوع والثالوث • وقد تكون هذه المسائل ثانوية بالنسبة لبعض البروتستانت الليبراليين فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • وهناك قضايا أخرى أتركها لعلماء الدين ليناقشوها فأنا لست من علماء الدين وانظر للمسائل من الخارج • وأنا لا أعرف اذا كان السيد عثمان أمين قد قال لنا أشياء مهمة أنا أوافق عليها بصفة عامة ، وان كانت لى بعض التحفظات فى شأن أبو العلاء المعرى مثلا ، باعتباره النموذج الذى اقتدى به دانتى • فهذه المسألة ليست مؤكدة تماما • وقد درستها بنفسى عن قرب • ومن المحتمل أن يكون دانتى قد اطلع على مصادر اسلامية أخرى ومنها كتاب عن المعراج ، فهذا محتمل لان هذا الكتاب كان قد ترجم الى اللاتينية ونحن نعرف ان هناك شاعرا من توسكانيا ، بلد دانتى ، •• بعد ذلك بثلاثين سنة ، انه فاتزيو دى امبرتو • واذا كان هذا الشاعر قد عرف كتاب المعراج ، فمن المحتمل جدا أن دانتى عرفه هو أيضا . وهناك آثار لمعارف مختلفة • ولكن ديوان أبو العلاء بالذات ، فان الاحتمال بالنسبة له غير قائم وبعيد جدا • والشىء الملفت للنظر بالنسبة لدانتى هو انه لم يجرؤ مثلا على وضع كبار رجال الاسلام فى الجحيم ، فهو يبحث عن ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين فيجدهم فى الحافة القائمة بين الفردوس والجحيم وهى مرحلة وسطى لايلاقون فيها عذابات الجحيم ويجاورون سقراط وافلاطون •• الخ• فهؤلاء لم تواتهم فرصة ادراك المسيح ولكنهم كانوا فضلاء أو طيبين أو قديسين •• الخ • وهذا له مغزى كبير •• انه لامر يدعو للتعجب . اعتقد اننا نستطيع أن نسترسل ساعات طويلة وهذا شىء ممتع ولكنى أعتقد انه لابد أحيانا من وقف أفضل الاشياء •



حوار عربي مع "جارودي"

المحاضرة الثالثة



نتابع نشر النصوص الكاملة لمحاضرات الاستاذ « روجيه جارودى » التى القاها بالقــاهرة ، وذلك بدعوة من أسرة تحرير « الطليعة » ، خــلال زيارته للجمهــورية العربية المتحدة فى الفترة من ١٠ ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٩ .

والمحــاضرة التى ننشرها فى هــذا العدد ـ وهى المحاضرة الثالثة ـ تدور « حول تعدد النماذج الاشتراكية » ، وذلك وفقا للرؤية الخاصة بالاستاذ جارودى . كما ننشر أهم المناقشات التى دارت حولها وانتقدت جوانب من أفكارها .

وفى العدد الماضى [ينــاير ١٩٧٠] نشرنا النص الكامل لكل من محاضرة « اثر الحضارة العربية على الثقافة العالمية » ومحاضرة « الاشتراكية والاسلام » .

حول تعدد النماذج الاشتراكية

- القيت المحــاضرة بقــاعة المحاضرات بدار الاهرام مساء الاربعاء ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ .
- قدم المحاضرة لطفى الخولى
- أدار المناقشــة : كمال الدين رفعت .

● اشترك فى المناقشـــة : د. ابراهيم سعد الدين — عبد الكريم احمد — حسن حنفى — سعيد خيال — د. محمد احمـد خلف الله — الاخضر الابراهيمى [سفير الجزائربالقاهرة] — محمد سيد احمـد — لطفى الخولى .

التقـــديم

قدم « لطفى الخولى » المحاضر بكلمةجاء فيها :
هذه هى المحاضرة الثالثة فى سلسلةاللقاءات العـامة المفتوحة مع الاســتاذ روجيه جارودى .

محاضرة اليوم تتناول قضية معـــاصرةتكتسب أهمية بالغة فى كل من الحقـل النظرى والحقل العملى للاشتراكيةالعلمية،ونعنى بها ظاهرة تعدد النماذج الاشتراكية وهى الظاهرة التى تولدت واثارت العديدمن المناقشاتوالصراعات واختلافوجهات النظر فى صفوف الاشتراكيين ، وذلك بعدأن أصبحت الاشـتراكية نفسها ظـاهرة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية تضـمعدة بلاد فى العالم متنوعة فى ظروفهـا التاريخية والجغرافية والموضوعية . وبعدأن بلغت فى التطبيق عمرا يناهز نصـف القرن ، بعد نجاح أول ثورة اشتراكية فىالتاريخ الانسانى بروسيا القيصيرية .

والمحاضرة بطبيعتها وبالمواقف الفكريةالخاصة بالاستاذ جارودى ، سوف تثير بلا جدال نقاشا عميقا . وكل ما نرجوه أنيستمر النقاش فى اطاره الموضوعى الذى يثرى الجدل ، والذى التزمنا به جميعا فىالمحاضرتين السابقتين .

وكما جرت العـــادة فسيعقب القـــاءالمحاضرة فترة راحة لمدة ربع الســاعة ، نستأنف بعدها الاستماع الى السادةالذينيرغبون فى طرح آرائهم وتساؤلاتهم حول موضوع المحـاضرة . وسيتولى الاستاذكمـــال الدين رفعت وزير العمـــل ادارة المناقشات هذه الليلة . فالمرجو ممن يرغبالاشتراك فىالمناقشة أن يتقدم الىسيادته برغبته .

وقبل أن أغادر مكانى أود أن يســمحلى بتسجيل رجاءين : الرجاء الاول اتقدم به الى الاستاذ كمـــال الدين رفعت بأنيتفضل خـلال ادارته للمناقشـــة باتاحة الفرصة الاولى فى النقاش للاخوان الذينلم يسبق لهم الاشتراك خلال الحوار الذى دار عقب المحاضرتين الماضيتين . واعتقدأنه يوافقنى اذا قلت بأن الحوار يكتسب عمقا وابعادا غنية اذا هيأنا لكل التيارات والاتجاهات الفكرية الممثلة فى الحاضرين هذه الليلة الاشتراك فيه . أما الرجـــاءالثانى فانى أتقدم به الى السادة الراغبين فى النقاش وهو الالتزام بما اتفقنا عليهوهو أن لا تتعدى كلمات التعقيب مدة عشر دقائق لكل منها . واعتقد أننا بذلك نوفقبين اعتبارين : أولهما أن نتيح الفرصـــة لاكبر عددممكن من الاشتراك فىالنقاش،وثانيهما أن لا نجور على عدد ساعاتالنوم اللازمة للاستاذ جارودى ، خاصـــة وانهسيركب فى صباح الغد طائرة الســاعة السادسة الى أسوان . شكرا .

المحـــاضرة

ان ميثاقكم الوطنى يؤكد، وهو يحـددالمبادىء التى يقوم عليها المجتمع المصرى أن الاشتراكية ضرورة لتحقيق الاهـــداف الثلاثةالكبرى التالية :
— الاستقلال الوطنى .

ـ التطور الاقتصادى •

ـ العدالة الاجتماعية .

ويوضح الميثاق : « ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر » ٠٠٠٠ لم يكن احتمالا لنا فيه خيار ، وانما كان حتمية تاريخية فرضها الواقع » .

وعندما قرأت هذا النص استرعى انتباهي بشكل خاص أن فيديل كاسترو فى كوبا مر بالتجربة نفسها فى ظروف مختلفة تماما • فقد قال لى نفس العبارة خلال حديثى معه « ان الاشتراكية لم تكن ابدا اختيارا بالنسبة لنا نحن الكوبيين » واضاف قائلا : « لم أكن فى البداية الا وطنيا ، ولكن من خلال الكفاح أدركت أن كل مرحلة من مراحل الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى لبلادى تقتضى القيام بخطوة الى الامام فى اتجاه الاشتراكية » •

ومن هذه الزاوية فان التجربة المصرية ، واضحة الدلالة : فكل اجراء من شأنه تحديد امكانيات المناورة الرأسمالية اتخذ على أنه رد فعل ضد تهديد الاستقلال الوطنى والتطور الاقتصادى المصرى • وسواء تعلق الامر بتأميم قناة السويس ، الذى كان نواة للقطاع العام ، أو بقرارات تمصير البنوك وشركات التأمين الصادرة بعد ثلاثة أسابيع من جلاء المعتدين ، أو بقيام « المؤسسة الاقتصادية » بهدف مضاعفة الدخل القومى خلال عشر سنوات ، وتوزيع هذا الدخل بطريقة أكثر عدلا ، وسواء تعلق الامر بخطة عام ١٩٦٠ أو بتأميمات عام ١٩٦١ ، وتحديد الملكية الزراعية عن طريق الاصلاح الزراعى أو النظام العام للضرائب الذى رفع نسبة الضريبة من ٢٥ فى المائة الى ٥٠ فى المائة على الدخول المرتفعة فان كل هذه الاجراءات نابعة من نفس التجربة الاساسية وهى استحالة السير فى طريق التطور الرأسمالى :

أولا ـــ لان الدول الرأسمالية رفضت ان تشترك فى مشروع تطوير مصر ، بسحبها لعروض تمويل بناء السد العالى بأسوان ثم بمحاولة استعادة امتيازاتها بالعدوان المسلح فى السويس وبالتدخل بألف طريقة فى الشئون الداخلية لمصر •

ثانيا ـــ لان غالبية تجار رأس المال المصريين رفضوا أن يعرضوا أنفسهم لمخاطر التصنيع الحقيقى سواء لارتباطهم برأسمال الاجنبى أو لانصرافهم الى العمليات التى تدر عائدا سريعا ، فأثبتوا بذلك أنهم عاجزون عن كفالة الاستقلال الاقتصادى وتطوير البلاد وعن توزيع فائض القيمة الناتج عن عمل كل الشعب توزيعا عادلا •

وحين أعلن الرئيس عبد الناصر أن اشتراكيته تتمثل أساسا « فى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج » كان قد استنبط المبدأ الاساسى للاشتراكية وعثر على التراث العظيم للينين الذى قال ان الاشتراكية ليست مجرد تسيير الحياة الاجتماعية **للشعب** ولكن **بالشعب** أيضا •

ان الاشتراكية خلق مستمر ، شأنها فى ذلك شأن الديمقراطية وقد حدد ماركس بلا أى لبس الشروط الثلاثة الاساسية للاشتراكية :

الشرط الاول : ملكية جماعية وتسيير جماعى لوسائل الانتاج الكبيرة والمواصلات والائتمان والتبادل وذلك بالغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج التى تؤدى الى الاستغلال والى تغريب أولئك الذين لا يسعهم الا أن يبيعوا قوة عملهم اليدوية أو الذهنية والذين يظلون بمعزل عن اتخاذ القرارات فى كل المجالات •

الشرط الثانى : انتقال السلطة السياسية الى الجبهة التاريخية المكونة من العاملين اليدويين والذهنيين والعمال والفلاحين ، تلك الجبهة التى تضع حدا لكل سيطرة طبقية وتمهد لذبول الدولة بوصفها أداة لهذه السيطرة ، وذلك بعد ان تحقق هيمنتها فى الصراع الطبقى ضد رأس المال .

الشرط الثالث : خلق احتياجات جديدة انسانية على وجه التحديد ، وثقافة جديدة تتجه نحو الازدهار الكامل للانسانية بأسرها ولكل فرد منها .

ان نماذج الاشتراكية وطرق تحققها وأشكالها انما تتوقف على مجموعة من الظروف التاريخية الخاصة بكل شعب :

ـ فوفقا للتركيب الاجتماعى الداخلى قديكون النموذج الاشتراكى مركزيا فى البداية على الاقل، أو ديمقراطيا قائما على التسيير الذاتى •

ـ ووفقا للتقاليد السياسية الخاصة بكل شعب، فان شكل هذه الاشتراكية سيتضمن اما تعدد الاحزاب والاجهزة النيابية واما ديمقراطية مباشرة تقوم هى أيضا على التسيير الذاتى •

ـ ووفقا للملابسات وعلاقات القوى داخل الامة وعلى الصعيد العالمى فان الطريق اما أن يكون عنيفا أو سلميا •

ان تعدد النماذج ناجم عن التركيب الاقتصادى والاجتماعى لكل بلد •

ولنتجنب أولا الخلط اللفظى . ان لفظ « النموذج » حسب التعريف التقليدى هو ما يعتبر مثلا يحتذى او يجب ان يحتذى بسبب أوجه الكمال فيه. وهذا ما نعنيه عندما نقول « انهن فتيات نموذجيات » وبالطبع نحن لا نستخدم هذا اللفظ بهذا المعنى • فقد منحت السبرنطيقا Cybernatique مضمونا جديدا لهذا اللفظ لايتضمن أى حكم تقويمى ••• فالنموذج لم نعد نعرضه لكى يكون محل اعجاب أو محاكاة الجميع، بل يطلق لفظ نموذج لاى جهاز أو تنظيم أو وظيفة بمعنى أنه **نظام صناعى يتضمن بعض جوانب التماثل مع نظام معين من أجل اظهار جوانب أخرى متماثلة** • وثمة تمايز عام بين نوعين من « النماذج » :

« النماذج » الفيزيقية التى تتكون أجهزتها من نظم مادية متفاعلة مع بعضها البعض والنماذج الجدلية التى تقوم على المنطق الداخلى للاصل بعد ترجمتها الى لغة حسابية أو تصورية •

ان تعدد « النماذج » لا يمس أبدا الهدف الاساسى للاشتراكية • بل ان هذا التعدد ينبع فقط من اختلاف درجات التطور الاقتصادى والاجتماعى التى بلغها كل شعب من الشعوب عندما يصل الى بناء الاشتراكية • ولم يكن فى وسع ماركس أن يتصور الا نموذجا واحدا، هو نموذج لنظام اشتراكى يأتى مباشرة فى أعقاب نظام رأسمالى حين يبلغ أوج ازدهاره ويأخذ فى الانحلال • وبعد نصف قرن واجه لينين مشكلة جديدة هى امكانية انتقال مجتمعات اقطاعية (فى آسيا مثلا) مباشرة الى الاشتراكية . ثم أكد أن « البروليتاريا ، فى مثل هذه المجتمعات، تكاد تكون غير موجودة » وأن « فكرة التنظيم السوفيتى فكرة بسيطة ، وهى ممكنة التطبيق لا فى اطار العلاقات البروليتارية فحسب ، ولكن أيضا فى اطار العلاقات الفلاحية ، ذات الطابع الاقطاعى ، أو شبه الاقطاعى » • كما أنه أوصى بانشاء سوفيتات « فلاحية » خالصة (١) بل حدد بوضوح أن الدولة ليست هى وحدها التى ينبغى أن تتصور بطريقة مختلفة (اذ أن الطبقة التى وصلت الى السلطة لن تكون ـ فى مجموعها ـ البروليتاريا الصناعية بل فلاحى الاقطاع) • بل انه ينبغى أيضا « تكييف المؤسسات السوفييتية والحزب الشيوعى (تركيبها وأهدافها الخاصة) لتناسب مستوى المجتمعات الفلاحية فى الشرق المستعمر (٢) •

يعتمد النموذج اذن على التركيب الاقتصادى والاجتماعى الذى يبدأ منه بناء الاشتراكية • ويترتب على هذا أن نماذج أخرى من الاشتراكية ـ غير تلك التى تحققت حتى الان ـ ممكنة التصور • ففى أفريقيا السوداء ، وفى المجتمعات التى تلعب فيها القبلية دورا هاما حتى مرحلة بناء الاشتراكية ، ينبغى ان تصاغ نماذج جديدة • وهذا واضح بالنسبة لبلد كمصر التى كانت تتميز قبل عام ١٩٥٢ بسمات خاصة، فقد كانت مصر قد دخلت فى فلك الاقتصاد الرأسمالى المتميز بتغلب الانتاج من اجل السوق وبالعمل المأجور، وذلك بالرغم من استمرار العلاقات الاقطاعية بين الفلاح ومالك الارض الكبير ، واستمرار مخلفات الفكر الاقطاعى • وكان اقتصادها متأثرا الى أقصى حد بالابنية الاستعمارية • أما من الناحية الثقافية فان الاسلام قد أضفى على حياتها الروحية والاجتماعية أشكالا متميزة وضرورة وجود النموذج المتميز الاصيل للاشتراكية واضح بشكل خاص فى هذه الحالة •

وحتى نتجنب أى تفسير مذهبى متزمت لفكرة النماذج نضيف ثلاث ملاحظات :

---

[١] لينين : الاعمال الكاملة ـ الجزء ٢١ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ •
[٢] لينين : الاعمال الكاملة ـ الجزء ٤١ ـ الطبعة الروسية الخامسة ص ٤٥٧ •

١ ــ ان هذا التصنيف الموجز ــ الذى يقوم على أساس درجات تطور كلّ بلد يظل الى حد بعيد أمرا تجريبيا . ذلك لان **نموذجا واحدا لم يتحقق بصورة نقية** خالصة وانمــا شــابه تشويهات تاريخية متعددة • ومن هنا فان من الامور البالغة الصعوبة أن نميــز مثــلا فى « النماذج » الرئيسية ــ سواء تلك التى بنيت فيها الاشتراكية ابتداء من كيانات رأســمالية متفــاوتة التطــور (الاتحاد الســوفييتى ويوغوسلافيا مثلا) أو تلك التى بنيت فيها ابتداء من كيانات اقطاعية أساسا حيث توجد بقايا لما أسماه ماركس « بأسلوب الانتــاج الاسيوى » (مثل الصين) اومستعمرة (فيتنام) اوشبه مستعمرة (كوبا) ــ نقول : من الامور البالغة الصعوبة أن نميز فى كل حالة من هذه الحالات بين ما ينجم أساسا عن التركيب الاقتصادى والاجتماعى السابق ، وبين ما هو ناتج عن الظروف التاريخية أو الملابسات • ان الدراسة العلمية الضرورية للنماذج لا يمكن أن تتم الا على أساس بحث مقارن يعتمد على سلسلة من الدراسات عن الاشكال المختلفة المتحققة تاريخيا فى كل نموذج •• ان أفكارنا عن مبدأ يحكم تصنيف النماذج وينطلق من التركيبات السابقة لا تزعم لنفسها أنها قد حلت مشكلة ، بل هى بالاحرى تطرح مشكلة . انها تضع خطوطا عامة لفرض يسترشد به فى العمل ، فرض يمكن أن تكون له قيمة « عملية » فى صياغة النماذج الخاصة بكل بلد •

٢ ــ ان هذا الفرض الذى يسترشد به فى العمل ونعنى به الفرض الخاص ببيان العلاقة بين التركيب الاقتصادى ــ الاجتماعى ، المبتدىء به من جهة ونموذج الاشتراكية من جهــة أخرى ــ نقول ان هذا الفرض لا يتضمن أى **حتمية آلية** • فمثل هذا التركيب الاجتماعى قد أوجد الظروف المناسبة لتحقق مثل هذا النموذج دون أى من النماذج الاخرى • ولكنه سيكون أمرا بلا معنى (ومخالفا فــى نفس الوقت للماركسية) أن نستخلص من هذا نــوعا من « التحديد المسبق » • مثله تماما مثل كتابة التاريخ دون ذكر للبشر الذين صنعوه • ان مثال لينين نفسه يوضح لنا كيف أن عددا من الصيغ المتتابعة قد استهدفت ووضعت موضع التجريب

٣ ــ وأخيرا فان تعدد النماذج ، بسبب أنه يقوم على تنوع التركيبات الاجتماعية السابقة ، لابد وأن يكون بالضرورة **ذا طــابع تاريخى مؤقت** •

أ ــ أن تعدد طرق الانتقال الى الاشتراكية ، لا ينبع من التركيب السابق ولكن من الملابسات الداخلية او الخارجية فى الوقت الذى يتم فيه هذا الانتقال • فكون هذا الطريق عنيفا او سليما يتوقف الى حد بعيد على علاقات القوى • ان القول مثلا بامكانية الانتقال السلمى الى الاشتراكية لا يعنى أبدا اشاعة الوهم بـأن الطبقات الحاكمة ستتخلى عن السلطة عن طيب خاطر ، وينطبق نفس الشىء على الحديث عن التعايش السلمى ، فنحن لا نعتقد ان الامبريالية قد غيرت من طبيعتها ، وانما نعتقد ببساطة أنه يمكن ان تنشأ علاقات بين القوى لا تستطيع معها الامبريالية أن تلجــأ الى الحــرب لحــل تناقضاتها • وعلى هذا النحو فنحن نعتقد ان الطبقة الحاكمة ، دون أن تغير طبيعتها ، قد تجد نفسها فى موقف لا تستطيع معه أن تلجأ الى القوة المسلحة وتضطر الى الاستسلام (عزلة الاحتكارات عن الامة ــ الوحدة العميقة بين الفئات الشعبية العريضة ضد الاحتكارات ــ استحالة الحصول على مســـاندة الثورة المضادة الخارجية فى ضوء علاقات معينة عالمية بين القوى) ومن المفيد أيضا أن نتذكر مرة ثانية ما هى الثورة • ان الثورة لا يمكن ان تعرف قطعا بأنها العنف ، ولكنها اولا تغيير فى علاقات الانتاج : كالانتقال مثلا من الاقطــاع الى الرأسمالية فى الثورة البورجوازية او من نظام الاستغلال الطبقى الى نظام للملكية العــامة لوسائل الانتاج فى الثورة الاشتراكية •

ان الامكانيتين العنيفة والسلمية قائمتان دائما ، وتحققهما يرتهن بالملابسات . فمن المفهوم تماما مثلا ان يكون الكفاح المسلح هو الطريق الممكن الوحيد فى الكثير من بلاد امــريكا اللاتينية ، فى مواجهة الانظمة المفروضة على الجماهير بارهاب القوات المسلحة ، انظمة الاستغلال الاقطاعى والقهر شبه الاستعمارى الذى تمارسه الولايات المتحدة • وكون الظروف الجغرافية ، مثل الغابات الواسعة التى يصعب اختراقها والجبال التى تحد من استعمال العتاد والاسلحة الحديثة ، تجعل من حرب العصابات وسيلة فعالة اذا ما اقترنت بحركة جماهيرية ، أمر مفهوم تماما •

بل اننا يجب أيضا أن نتوقع أنه بعــد الاستيلاء على السلطة فى احد البلاد العربية فان السلطة السياسية الجديدة للعاملين سيكون عليها أن تحمى العمل لبناء الاشـــتراكية من محاولات الطبقات المستغلة القديمة الراميــة الى اعادة الرأسمالية وسيطرتها على الحكم .

ب ـ ان تعدد اشكال الاشتراكية لا يرتبطفحسب بالتركيبات السابقة وبالملابسات الداخلية والخارجية ، ولكنه يرتبط ايضابالتقاليد التاريخية القومية والسياسية والروحية لكل شعب • ونكتفى بان نورد امثلةبسيطة فنقول ان من الواضح انه فى البلاد ذات التقاليد النيابية العريقة ، مثل انجلترا وفرنسافان البرلمان والنظام الحزبى يستطيعان فى ظل اشكال جديدة ، ان يلعبا دورا كانا عاجزين عنالقيام به فى بلاد كروسيا او الصين حيث لم يوجد ابدا نظام برلمانى حقيقى ، نتيجة لان الثورة البورجوازية فيهما لم تتمكن من تثبيت جذور راسخة ، ولم يكن لها تنظيم سياسى طويل كما حدث فى انجلترا وفرنسا •

وينطبق نفس الشىء على اثر التقاليد الثقافية او الروحية • فمشاكل العلاقات بين الفرد والمجتمع او حوافز العمل مثلا ، لا يمكن انتطرح فى بلاد اصبحت الفردية فيها هى الطابع السائد للثقافة والاخلاق وللدين نفسه ، مثلاوروبا منذ عصر النهضة والولايات المتحدة ، بنفس الطريقة التى تطرح بها فى بلد كالصين حيث أدى التكوين الكونفوشيوسى والنتائج السياسية بل كذلك النتائج الاخلاقيةوالفكريةلبقايا الاقطاع ولاسلوب الانتاج الاسيوى ولنمط الحياة المرتبطة به ، الى خلق مناخ انسانىآخر •

ولقد طرحنا ملاحظات مشابهة فيما يتعلق بالاسلام فى المحاضرة السابقة • ان هذا التمييز بين نماذج واشكال وطرق الاشتراكية ليس له على الاطلاق أى طابع مدرسى ، فهو يسمح بوضع سلم تصاعدى للمستويات مع التمييزفى نفس الوقت بين ما هو ناجم عن التركيبات الاجتماعية السابقة وعن التقاليد الوطنية والملابسات منتحيا بذلك الفرصة للوقوف ضد الجمود المذهبى لاولئك الذينلايتسع تصورهم لاكثر من نموذج واحد • ومن هنا فانهم يستخدمون « قالبا » واحدا فىتكوين احكامهمعن الانظمة شديدة التباين وفى تصورهم لافاق المستقبل •

ان هناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من الاتحاد السوفييتى فيما يتعلق بتطبيق القوانين العامة لبناء الاشتراكية.وكما كتب لينين « انالمثال الروسى يقدم لكل البلاد شيئا اساسيا للغاية بالنسبة لمستقبلها القريب والحتمى » •

ولكن لينين كان يفرق أيضابعناية بين ما لهقيمة عالمية فى ثورة اكتوبر الاشتراكية وبين ما هو روسى بحت •

اولا ، لان الاشتراكية لم تقم فى روسيا وفقا للنموذج الكلاسيكىلماركس،كتخطى لرأسمالية وصلت الى قمة نضجها • لقد عرفت عبقريةلينين كيف تجيب بكل جسارة على انصار الجمود امثال كاوتسكى ، الذى استند علىتجربته الشهيرة البورجوازية فى فرنسا لكى يستنتج ، أن الظروف الاقتصادية فى روسيالم تكنقد نضجت بعد ،وبالتالى فمن الواجب الا تقوم الثورة •

فقد كان جوابه على النحو الاتى : ان اسوأ خطا يمكن أن يرتكبه الثوريون هو أن ينظروا الى الوراء نحو ثورات الماضى فى الوقت الذىتمدنا فيه الحياة بعناصر جديدة » (٣) •

لقد فتح لينين اولثغرة فى النظام الرأسمالىوأوجد أول بديل اشتراكى ملموس للامبريالية اعتمادا على هذه الماركسية الحية التى لمتتحول الى (كتالوج) من القوانين الرأسمالية أو الفلسفية الصالحة لكلمكان وزمان واعتماداً على علم وفن استخلاص الامكانيات الثورية •

وكان لينين يدرك تماما انه يعمد الى مخاطرةكبيرة ، ففى هذه الظروف ستتداخل مهمتان : مهمة محاربة التخلف ، ومهمة تأسيس الاشتراكية . وفضلا عن ذلك كان يتعين بناء الاشتراكية فى عزلة دونأية مساعدة خارجية ووسط محيط رأسمالى معاد مستعد دائما للقضاء على أولدولة تسير فى طريق الاشتراكية سواء بالحصار الاقتصادى ، او العدوان المسلح .

وقد تركت هذه الظروف الخاصة بروسياطابعا عميقا على النموذج السوفييتى للاشتراكية : ففىمثل هذه الاحوالكان لابدمنتركيز الموارد والسلطة بشدة لتحقيق الانتصار • ولذا قام نموذج مركزى حكومى لالاسباب مبدئية ولكن لاعتبارات تاريخية • وقد

---

[٣] لينين : مقدمة لقرارات مؤتمر ابريل سنة ١٩١٧

قال لينين منذ ديسمبر ۱۹۲۰ (٤) : ان دولتنا اليوم دولة عمالية ظهر فيها تشويه بيروقراطى • ان دولتنا اليوم فى وضع يقتضى من البروليتاريا المنظمة تماما ان تدافع عن نفسها ، وعلينا ان نستخدم المنظمات العمالية للدفاع عن العمال ضد دولتهم ومن أجل دفاع العمال عن دولتنا » •

وكان الشاغل الرئيسى للينين فى السنوات الاخيرة من حياته هو الكفاح ضد التشويه البيروقراطى. فقد كتب فى فبراير ۱۹۲۱ لأحد قادة التخطيط فى الدولة « أن الخطر الاكبر يتمثل فى البيروقراطية المفرطة فى التخطيط للاقتصاد الوطنى • انها لخطر جسيم » (٥) •

كان لينين يرى بوضوح مصدر هذا الخطر، انه نابع من الظروف الخاصة بروسيا فى عام ۱۹۱۷ ، اذ كانت تفتقر الى اى تراث ديمقراطى بورجوازى وتنوء بتراث ثقيل من التخلف الثقافى • وكتب لينين يقول : « ان هذا المستوى الثقافى المنخفض يجعل من السوفيتيات ـ التى هى حسب برنامجها اجهزة حكومية تدار بالعمال ، يجعلها فى الواقع اجهزة حكومية يد عمال » (٦) •

وقد اشار الى علاج هذا الاغتراب قائلا « ان الكفاح ضد البيروقراطية حتى النهاية ، حتى الانتصار الكامل ، لن يكون ممكنا الا اذا شارك كل الشعب فى ادارة الدولة » •

ان الشرط الجوهرى للبدء فى دفع هذا الاغتراب ، هو وضع حد لهذه الملكية الخاصه لوسائل الانتاج وهى نقط البدء فى بناء الاشتراكية •

انه شرط ضرورى وان كان غير كاف ، كما توضح تحليلات لينين •

ان ما يميز النموذج السوفييتى للاشتراكية هو المطابقة بين الملكية العامة لوسائل الانتاج وملكية الدولة •

لكن الدور الثورى للدولة البروليتارية لايستتبع ابدا أن يتحول الى دور ادارى •

ان الثورة البروليتارية تتضمن بالضرورة استيلاء الطبقة العاملة وحلفائها على السلطة، لتحقيق هدف محدد هو التغيير الجذرى لعلاقات الانتاج والتعبير القانونى عنها ، اى حق الملكية •

ان الوظيفة الثورية للدولة الطبقية الجديدة فيما يتعلق بمشكلة الملكية لا تكمن فحسب فى الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج واقامة ملكية اجتماعية لوسائل الانتاج ـ بصورة كاملة وغير قابلة للتبديل ـ وانما ايضا فى وضع « قواعد للعمل » تمنع تحولها ثانية الى الملكية الخاصة سواء فى صورة ملكية افراد او ملكية جماعة يمكن أن تستأجر او تستغل عمالا او تتحول الى مساهمين فرديين •

فاذا ما تجاوزت الدولة فى ممارستها لوظيفتها الاقتصادية دورها هذا فى احداث التغيير فى علاقات الانتاج وفى وضع « قواعد العمل » فان دورها الثورى يتحول الى دور ادارى •

وقد تدفعها الظروف التاريخية الى القيام بهذا الدور خلال المراحل الاولى للثورة كالندرة فى الموارد والكوادر ، ومحاولات الثورة المضادة ، التى تفرض نوعا من اقتصاد الحرب والمركزية الشديدة فى الموارد وفى السلطة •

لكن هذا الدور الادارى ـ المشروع والضرورى خلال فتره « شيوعية الحرب » ـ اذا ما استمر الى ما بعد هذه الفترة ، فان ملكية الدولة التى كانت خلال فترة الهجوم الثورى تمثل الشكل الاول للملكية الاجتماعية تأخذ فى التمييز عنها شيئا فشيئا • ان الدولة ـ فى الواقع ـ ليست معنى مجردا ، فهى تتجسد فى مجموعة من الناس . «ان البيروقراطية ـ كما كتب ماركس ـ تملك جوهر الدولة •• ان الدولة تصبح ملكيتها » (٧) •

---

[٤] لينين : الجزء ۳۲ ص ۱۷ « النقابات فى الوضع الراهن » •
[٥] لينين : خطاب الى كيرمانوفسكى [اعمال لينين الجزء ۳٥ ص ٤٨٩] •
[٦] لينين : خطاب فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى السوفيتى « مارس ۱۸۱۹ [اعمال لينين الجزء ۲۹ ص ۱۸۲] » •
[٧] كارل ماركس ، نقد فلسفة القانون عند هيجل •

وفى نموذج الاشتراكية الذى تتطابق فيه الملكية الاجتماعية بصــــورة دائمة مع ملكية الدولة ، يصبح احتكار الادارة تخصصا ومهنة لمجموعة اجتماعية معينة .

ان الامتيازات الجوهرية التى تنفرد بها هى:

١ ــ احتكار ادارة ملكية الدولة .

٢ ــ احتكار اصدار القرارات السياسية ، الناتج عن احتكارها لتحديد الاهــداف والبرامج .

٣ ــ احتكار استخدام القيم الجـديدة المنتجة ، وهذه البيروقراطية لاتشكل طبقــة اجتماعية لسببين :

١ ــ انها لاتملك وسائل الانتـــاج بل حق ادارتها فقط .

٢ ــ وان حق الادارة هذا لا يمكن التصرف فيه للغير كالملكية .

كذلك لا ينبغى اغفال ان هذا التطابق بين الملكية الاجتماعية وملكية الدولة، وبوجه خاص فى دولة مركزية وبيروقراطية ، لا يسمح بحل المشكلتين الاتيتين بطريقة مرضية :

ــ اعداد البلاد للاستفادة من الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة التى تتطلب المشاركة الى اوسع مدى ، والمبادرة الخلاقة ، واشتراك الجميع فى المسئولية .

ــ القضاء على الاغتراب .. وهذا هو هدف الاشتراكية الاكبر، ذلك لان العامل فى مثل هذا النظام يتحول الى أجير لدى الدولة وان كان لا يعمل لحساب صاحب عمل خاص .

ان صياغة نموذج مختلف يتطلب اولا وعيا واضحا بأن ملكية الدولة ليست الا شكلا واحدا من اشكال الملكية الاجتماعية . ومن الضرورى ان نسترجع المكونات المتعددة لمفهوم الملكية ومفهوم الدولة .

١ ــ ان الملكية هى اولا سلطة تحديد اهداف الانتاج ، اما من اجل الربح ، واما من اجل الاحتياجات الفردية او الاجتماعية او من اجل اية غاية اخرى .

٢ ــ والملكية ــ بعد ذلك ــ هى سلطة تحديد طرق وتنظيم معدلات العمل وتـوفير الادارة الفنية للمنشأة .

٣ ــ والملكية هى الاستحواذ على ثمار العمل ــ اى الاستيلاء على فائض القيمة وتحديد اســتخدامه وتوزيعه بين الاستهلاك المباشر والاستثمارات .. الخ .

٤ ــ والملكية هى « حق التصرف بلا منازع » فى الشىء الممتلك ، حق استعماله أو اساءة استعماله . بمعنى أنه اذا كان الامر متعلقا مثلا باداة من أدوات الانتاج ، فان للمالك حق تحطيمها أو بيعها لتحويلها كلية الى سلعة استهلاكية .

وصاحب هذه الملكية يمكن ان يكون فردا أو جماعة أو دولة (فى صورة رأسمالية الدولة أو اشتراكية الدولة) أو مجموع العاملين فى مجتمع ما . ويمكن أن توجد أيضا أشكال مختلطة مثل الرقابة العمالية التى أنشأها لينين والتى مع تسليمها بملكية صاحب العمل لبعض وسائل الانتاج ، فانها كانت تستبعد أولا تحطيم وسائل الانتاج سواء فى صورة التبديد أو التخريب ، وتتحكم فى الاستعمال عن طريق احصاء كميات السلع المنتجة، وتوجيه الانتاج نحو الاحتياجات الأكثر الحـاحا ، وباشرافها أيضا على الادارة الفنية بهدف ضمان وفائها بالمتطلبات اللازمة واحترامها لشروط العمل ، وتتحكم فى النهاية فى توزيع فائض القيمة عن طريق التدخل فى تحديد الاسعار أو الضرائب التى تحدد الارباح .

وهكذا يمكن أن ينشأ « نموذج » جـديد للاشتراكية .

ما هى سمات هذا « النموذج » وفقا للمعايير الاربعة التى حددناها من قبل ؟ .

ان الانتاج ــ خلافا لما يحـدث فى ظـل الرأســــمالية ــ لا يرتبط بالربح ولــكن باشــباع احتيــاجات المجتمــع ، هو الامــر الذى تتســم به كل اشكال الاشتراكية . بيد أنه خلافا لما يحدث فى ظـل نموذج الدولة المركزية (السوفيتى) فان هذه الاحتياجات لا يتم تحديد «أعلى» بواسطة توجيهات مركزية من الحزب والدولة ولكن عن طريق عمل السوق

والطلب . وفيما يتعلق بالادارة الفنية فى عصرنا ؟ فان التكنوقراطيين والمهندسين والتكنيكيين والخبراء يقومون فيها بالضرورة بدور مهم . ولكن هذه نتيجة حتمية للتنظيم العلمى المتزايد للانتاج . والمشكلة الوحيدة هى أن نعرف من الذى يشرف على التكنوقراطيين والفنيين وأى معايير تستخدم ولأى اغراض . وحتى الان قدمت مختلف أنواع المجتمعات على هذه المشاكل اجابات يمكن أن تدرج فى ثلاثة أنواع :

ـ فى البلاد الرأسمالية تمارس الرقابة والتوجيه فى نهاية الامر بواسطة ملاك وسائل الانتاج أى بواسطة الاحتكارات الكبرى .

ـ فى البلاد الاشتراكية من الطراز القائم على سلطة الدولة المركزية يتم التوصية بواسطة قيادة الحزب والدولة .

ـ فى البلاد الاشتراكية التى تبحث عن طراز يقوم على « التسيير الذاتى » تتم عن طريق مجالس العمال .

وفى النظام الاخير اعترض البعض على أنه يوجد ، فى مجالس العمال المركزية فى المشروعات الكبيرة فى يوغوسلافيا ، عدد من المهندسين والخبراء . وتلك حقيقة لا نزاع فيها ، لكنه يكفى ان نذكر اولا انهم قد انتخبوا لهذه المجالس من جانب العمال أنفسهم . وأن عليهم أن يبلغوا مجموع العاملين ويقنعوهم كى يحصلوا على موافقتهم فى كل قرار هام (وان مجالس العمال تستطيع أن تطلب بيانات مختلفة بل مناقضة من خبراء خارج المشروع) . وأخيرا فان هذه البيانات والمتناقضات التى تدور حولها تشكل وسيلة دائمة للتعليم ترفع المستوى التكنيكى والمستوى الثقافى لمجموع العاملين وتتيح لهم بالتالى فرصة الوصول الى كل المناصب الادارية والاشتراك فيها على نحو متزايد .

وبشكل عام فان مشكلة اشراك العمال فى اتخاذ القرارات التى يتوقف عليها مصيرهم هى اليوم المشكلة الرئيسية فى البحث عن نماذج نوعية من الاشتراكية .

وأود أن أوضح هذه المشكلة انطلاقا من تجربتين مختلفتين بل متعارضتين للبحث عن نموذج للاشتراكية يتوافق مع بعض السمات الخاصة وهما : النموذج الصينى ، والنموذج اليوغسلافى .

ويبدو لى أن من الضرورى للماركسى كى يصدر حكما موضوعيا على التجربة الصينية أن يحدد نطاق انطلاقه على أساس من التحليل الماركسى .

١ ـ كان التطور الصينى فى جوهره تطورا فلاحيا . وقد اعترف لينين منذ ١٩٢٠ بامكانية الانتقال مباشرة من النظام الاقطاعى الى الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية ونضجها . وأضاف لينين أن هذا يتضمن مفهوما مختلفا للدولة والحزب . وكان هذا اعترافا بمشروعية وجود نموذج خاص .

وأتاح تطبيق منطق هذه الثورة الفلاحية على استراتيجية الاستيلاء على السلطة وكذلك على البناء الاشتراكى فى الصين تحقيق التراكم البدائى عن طريق تعبئة الايدى العاملة بطريقة تختلف تماما عنها فى الدول الغربية . أولا لان ضخامة البلاد واحتياجاتها تطلبت أن يقلب النموذج التقليدى : وهو التصنيع أولا ثم التجميع ، وأن يستخدم تغيير العلاقات الاجتماعية بالعكس كوسيلة لاجراء التصنيع . وبهذا أمكن تجنب خطرين : الاول هو تأخير اعتماد البلاد على نفسها فى مسألة توفير الطعام اللازم ، والثانى هو تعميق التعارض بين وجود بعض المؤسسات الصناعية العملاقة وبين التخلف الزراعى للبلاد واطالة أمد هذا التعارض . وكانت اللامركزية شرطا حيويا فى تحول الصين . وتمت عملية التجميع الزراعى على أساس تحليل مختلف للعلاقات الطبقية والفئات الاجتماعية فى الريف .

أما عن التصنيع فقد كانت نقطة البداية منخفضة للغاية . ورغم الاخطاء الكبيرة التى ادت الى كثير من التبديد ، **مثل افران الصهر الريفية فى « الوثبة الكبرى الى الامام »** ، **فقد تطورت الصناعة بمعدل بالغ السرعة . وتراوح معدل التنمية بين ٩ فى المائة و ١٤ فى المائة .**

وكانت الاهداف النهائية في البداية هي انتاج الادوات والالات الزراعية وكميات كبيرة من المضخات للري ثم الاسمدة ٠

٢ ــ وكانت النتيجة الاولى لمثل هذا الاتجاه هي وضع **العوامل الذاتية** في المقدمة ـ بل المبالغة في تقديرها في بعض الاحيان ـ ويبدو أن الثورة الثقافية من وجهة النظر هذه ـ قد استهدفت تحقيق مهمتين أساسيتين :

فلقد كانت هذه الثورة أولا محاولة ، يمكن المجادلة في الوسائل التي اتبعتها ، لمكافحة تبلور البيروقراطية في أجهزة الحزب لمواجهة خطر ظهور «نخبة فكرية»، جديدة يحيط علمها بكل شيء ، متجمدة الى حد ما وتمنح الاشتراكية للجماهير « من الخارج » ٠ وليست تصفية الالاف من حقوق الثقافة المقدسة في بضع سنوات مسالة بسيطة . وهذا هو السبب الذي يدعونا لان نكون حذرين في ادانتنا لهذه الزلزلة التي استهدفت تصفية عقلية القرون الوسطى ، والخروج بسبعمائة مليون شخص من ظلام استمر ٢٠٠٠ سنة . وتعبئة الطاقات الهائلة لازالة سحر السلطة الصينية القديمة أو البورجوازية ذات الطراز الاجنبي ٠ وقد أقدم ماو على هذه المخاطرة لتجنب خطر مخاطبة الجماهير من وراء ظهر الحزب ذاته ٠ وكان هذا النداء للجماهير أساسا نداء للشباب في بلد يشكل من يقلون عن الحادية والعشرين نصف سكانه السبعمائة مليون . ولم يكن الحزب يعتبر العامل الذاتي الوحيد في الثورة . فالاهابة بمبادرة الجماهير التاريخية من التقاليد اللينينية .

أما المهمة الثانية التي اسندت للثورة الثقافية ـــ وهي المهمة الكبرى ـــ فهي مهمة استبدال المستوى المنخفض للقوى الانتاجية ، وعدم كفاية الظروف المادية بتنمية الوعي الاشتراكي . ولا شك ان في ذلك تطرفا مثاليا، هو الايمان بامكانية خلق « الانسان الجديد » قبل أن تتحقق الظروف الموضوعية لهذا التحول . لكننا هنا ايضا اقل بعدا عن الماركسية من ذلك المفهوم الميكانيكي الذي يقول اخلقوا الظروف المادية للاشتراكية وسيولد بالضرورة انسان جديد .. ! فلو لم يكن من الممكن ايقاظ الروح الثورية طالما لم تولد الظروف الموضوعية بعد لما تحقق كثير من الثورات ٠

فالحق أن « الصينيين قد تغيروا » وأن الحزب الشيوعي قد نجح الى حد بعيد ـ في بلاد عاشت آلاف الاعوام في الركود والاتكالية ـ في أن يبث في مئات الملايين من الرجال والنساء الوعي بأن في وسعهم أن يغيروا العالم القائم ونظامه القائم على التفاوت ٠ صحيح أن هناك « الكتاب الاحمر » وعقائديته الطفولية لكن هناك ايضا التعليم عن طريق التليفزيون ، والمفهوم الحديث الذي يتمشى مع الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة ، والنظر الى التعليم كقطاع مستقل ولكنه قطاع حاسم ٠ من قطاعات الاقتصاد ٠ وعن هذه الطفرة قال شواين لاي في يناير ١٩٥٦ في تقريره عن المثقفين أنها «ثورة تتخطى أهميتها كثيرا أهمية الثورة الصناعية التي ارتبطت بالبخار والكهرباء » وقد وضعت في ذلك العام خطة لاثنتي عشرة سنة لمشروعات طويلة الامد للابحاث العلمية .

ومنذ ذلك الحين ـ وخلال حوالي عشر سنوات ـ انجزت الصين في نفس الوقت ثورتها الصناعية وثورتها العلمية والتكنيكية الثانية ـــ التي تتجاوب مع تقدم الاوتوعية واستخدام الطاقة النووية كما يشهد بذلك ـــ بطريقة مثيرة ـــ صنع الصين للقنبلة الهيدروجية وللصواريخ الموجهة ٠ وقد تحققت النهضة العلمية في عديد من المجالات منذ صنع الانسولين المحضر صناعيا والبنزين المحضر صناعيا حتى فصل البارافين عن البترول بواسطة البكتيريا ، ومهما كانت المبالغة في الانجازات والجمود المذهبي الذي تستغلها فان الثورة الثقافية لا يمكن أن تدان من حيث المبدأ ، لان هذه الثورة لم تتألف فحسب للقضاء على الامية ونشر المعرفة التي كانت من قبل مقصورة على البعض ومحرمة على الاخرين ٠ بل ساهمت في أن تغرس لدى ملايين الرجال والنساء رؤيا لعالم « أكثر اتساعا من شاغلهم الذاتية » وثقة لاحد لها في قدرة الانسان على تغيير العالم ٠ ورغم أن هذه الثورة قد تكون مفتقرة الى الوضوح في ظروف الصين الخاصة فان التأمل النقدي من بعيد يسمح لنا بأن ننظر الى الثورة الثقافية كمرحلة شاقة ـ لكنها ضرورية ـ لتحقيق الاشتراكية في الصين .

٣ ــ طرح الماركسيون الصينيون مشكلة اساسية ثالثة هي مشكلة تعدد **معايير التطور**، فحين يبرز الشيوعيون الصينيون أحيانا الجوانب الكيفية وليس الجوانب الكمية وحدها

فانهم يضعون فى جدول الاعمال مسألة البديل أمام المجتمعات (من الطراز الامريكى) القائمة على النمو من أجل النمو وعبادة الوسائل . ولا نـزاع فـى أن تجسيد سياسة الزهد والتقشف ترتبط بموقف محدد من التخلف وأنه قد أدى ـ فى أشكاله المتطرفة ـ الى اعطاء الاشتراكية الماركسية صورة زائفة : هى صورة تجميع البؤس على طرف نقيض مع أفكار ماركس • غير أنه يتأكد بهذه الطريقة مبدأ البحث عن طراز جديد من الاستهلاك وصياغة احتياجات جديدة ونموذج آخر للمدنية لا يقوم فحسب على الراحة الفردية. وتلك مشكلة لا يمكننا التهرب منها دون أن ننزع عن الاشتراكية التأمل الضرورى فى أهدافها •

ودون تأمل عميق ، نقدى ، لكنه موضوعى علمى فى هذه المشاكل الرئيسية التى تطرحها الثورة الصينية لا يمكن الوصول الى أية فكرة جديدة عن مفهوم تنوع نماذج الاشتراكية •

ونفس الوضع ينطبق على تجربة طـراز الاشتراكية القائم على التسيير الذاتى الذى يتطور فى يوغوسلافيا .

فمنذ عـام ١٩٤٨ هـددت التشويهـات البيروقراطية الثورة . وقد مرت يوغوسلافيا بدورها بتجربة قاسية ، فلا يمكن أن تنتهى الاشتراكية الى مجرد وصفة لتحقيق التراكم المبدئى دون أن تفقد دلالتها الانسانية • فتشريك الانتاج الضرورى يسمح بوضع حد للاستغلال الرأسمالى ، لكن تضخم جهاز الدولة وتركيبه المركزى البيروقراطى المتسلط يسمح ـ حتى بعد الغاء الاستغلال الرأسمالى ـ ببقاء نوع من الاغتراب للطبقة العاملة مناقض لذات مبدأ الاشتراكية التى ليست مجرد شكل من أشكال تنظيم علاقات الانتاج لكنها أيضا ـ وانطلاقا من هذه العلاقات الجديدة التى هى الوسيلة ـ تحرير للعاملين من كل أشكال الاغتـراب وازدهار كامل للانسانية ولكل فرد منها الذى هو الغاية النهائية للاشتراكية .

لكن هذا التناقض كان مختفيا فى البداية تحت الحاح المهام الاولية لبعث الاقتصاد والتراكم البدائى .

ويحدث أن تظهر ـ اثناء اعادة النظر العميقة فى النماذج المركزية ـ اتجاهات مساواة فوضوية وتلك حقيقة لا نزاع فيها • بل ان ثمة منظـرين يمجدون الى غير ما حـد ـ بروح ليبرالية وبرودونية ـ فضائل التلقائية الخالصة

غير أن النتيجة العامة التى تترتب على ذلك تتطلب العودة الى تعاليم لينين بغض النظر عن اللينينية التى تحولت الى تقنين على يـدى ستالين •

ونحـن نذكر كيف ميز لينين دائمـا بين الاجراءات الانتقالية التى يفرضها وضع الحرب أو الخطر او حالة الطوارىء ، وبين تلك التى تترتب على المبادىء •

وينبغى أن تدرس النصوص الاساسية حول « الرقابة العمالية » دراسة منظمة • واننا لنذكر لينين وهو يقول أمام مؤتمر السوفييتات الثالث فى يناير ١٩١٨ بشأن بناء الاقتصاد الاشتراكى الجديد « وحين نطبـق الرقـابة العمالية فاننا نعرف أننا لا يمكن أن نطبقها على الفور فى كل الروسيا ، لكننا نريد أن نشير الى اننا لا نرى سوى طريق واحد هو طـريق التحولات من أسفل ، حيث يقوم العمال فى القاعدة بصياغة المبادىء الجـديدة للنظـام الاقتصادى •• ونحن نعرف جيدا أن مهمتنا شاقة ، لكننا نؤكد أنه ليس اشتراكيا الا ذلك الذى ينطلق ـ فى التطبيق ـ مستندا الى خبرة وغريزة الجماهير العاملة . وسيرتكب العمال والفلاحون كثيرا من الاخطاء . .فهم ليس لديهم بعد ثقة فى قواهم . •كما أن التقاليد قديمة العهد قد عودتهم على انتظار الاوامر من أعلى •• غير أن ذكاء عشرات الملايين من المبدعين سيوفر شيئا اكثر سموا من أوسع النبوءات وأكثرها عبقرية » • (٨)

« وينبغى أن نوفر للجماهير الشعبية حرية ابداع كاملة » • (٩)

---

[٨] لينين : الاعمال الكاملة المحلية ٢٦، ص ٨٤٩ ـ ص ٤٩٦ .
[٩] نفس المصدر ص ٢٦٩ .

ان الاشتراكية ليست نتيجة مرسوم صادر من أعلى ، والالية الادارية والبيروقراطية غريبة على روحها • فالاشتراكية الحية الخلاقة هي عمل الجماهير الشعبية ذاتها • (١٠)

« ان الرقابة العمالية تمارس من جانب كل العمال وكل المستخدمين في المشروع اما بشكل مباشر اذا كان المشروع من الصغر الى الحد الذى يجعل هذا ممكنا ، او عن طريق ممثليهم المنتخبين الذين يجب ان ينتخبوا مباشرة في الجمعيات العمومية » •

تلك هي نقطة الانطلاق في افكار الشيوعيين اليوغوسلاف بشأن وضع نموذج للاشتراكية يقوم على أساس مساهمة أوسع للعاملين في اتخاذ القرارات والذى أسموه – في مواجهة النموذج المركزى – النموذج القائم على التسيير الذاتي للعاملين •

وليست الاشتراكية القائمة على اساس التسيير الذاتي – كما يؤكد الشيوعيون اليوغوسلاف عن طيب خاطر حتى الان – واقعا متحققا بل هي لا تزال – في جانبها الاكبر – برنامجا واتجاها ، ولا يزال تحققها الكامل يصطدم بعقبات موضوعية أهمها هو ضرورة التغلب على الارث الثقيل للتخلف ، وعقبات ذاتية أهمها ضرورة النضال بلا هوادة ضد الاتجاهات الليبرالية والانفصالية ، وكذلك ضد بقايا العقلية البيروقراطية والتسلط ، والحنين الى راحة نموذج الادارة الستاليني •

لكن الاتجاه لا يزال قائما منذ عشرين عاما وهو يلهم العمل النظرى والاجراءات العمالية الجوهرية •

لقد بدأ الشيوعيون اليوغوسلاف التحول الاشتراكي باتخاذ سلسلة من الاجراءات لمنع وتغيير **الاتجاه الى سيطرة الدولة على المجتمع الذى يؤدى** – كما اشار لينين – الى احلال الحزب والدولة محل الطبقة العاملة وبناء الاشتراكية **من اجلها وليس بواسطتها** •

وقد اتخذ أول اجراء من هذا القبيل في بداية عام ١٩٥٠ ، فأوقف تضخم جهاز الدولة بالغاء مايقرب من مائة الف منصب •

أما الاجراء الثاني والذى بدأ عملية لا رجوع فيها فقد وضع نهاية للخلط بين الملكية الاجتماعية وملكية الدولة ، فوفقا للقانون الصادر في ٢٧ يونيو ١٩٥٠ نقلت ادارة المصانع الى العمال •

ومنذ ذلك الحين بدأ « الانعطاف » نحو التسيير الذاتي . وقد سيطرت على تطور هذا النظام فيما بعد ثلاثة أفكار اساسية :

١ – ينبغي أن تصبح ملكية الدولة ملكية اجتماعية لا تدار من مركز موحد شامل السلطان ، بل من جانب مجموع المنتجين المباشرين والعاملين . ونحن ننتقل هنا من المفهوم المركزى للخطة الى المفهوم الذى يعطى ثقة متزايدة لمبادرات القاعدة •

٢ – ومن الاقتصاد ينبغي أن يمتد هذا الشكل الجديد ليشمل مجموع العلاقات الاجتماعية • « فذبول » الدولة الذى تنبأ به ماركس ولينين لا يمكن ان يؤجل الى مالا نهاية مالم تكن الخلايا القاعدية للمجتمع محرومة من حياتها الخاصة وليست أكثر من أدوات تنفيذية « المركز » شامل القدرة تصدر عنه كل التوجيهات • وفي هذا المجال كما في كل المجالات الاخرى ينبغي أن يبدأ التغيير الكبير الذى يضع محل الدولة البيروقراطية المركزية نظاما من التسيير الذاتي يشترك فيه ملايين الناس في اتخاذ القرارات التي يتوقف عليها مصيرهم •

٣ – ينبغي أن يتباعد الحزب عن الدولة حتى لا يصبح جهازا تنفيذيا وحتى يكون حقا معبرا

---

[١٠] نفس المصدر ص ٣٠٠ •

عن الطبقة بأسرها وعن الوعى النظرى للطبقة ولا تكون رسالته الاساسية هى اعطاء التوجيهات بل بعث المبادرات وتنسيقها •

وكانت هذه مسيرة شاقة • فأفضل مجال لتحقيق نموذج اشتراكية التسيير الذاتى هو حالة القوى الانتاجية تكون فيها الثورة السيبرناطيقية قد كشفت عن كل نتائجها وتكون فيها « مجالس العاملين » (حيث يتحقق التلاحم بين العمل اليدوى والذهنى) قادرة على السيطرة على الانتاج بطريقة واعية ذاتية •

وهذان الشرطان : لم يتحققا بعد فى يوغوسلافيا فى عام ١٩٦٩ وبالاحرى فى عام ١٩٥٠ • ومن هنا فقدوجب ـ كما اشار لينين ـ قلب الخطة النظرية : وتماما كما لم يتردد لينين فى قلب الترتيب « النموذجى » وهو : النضوج الاقتصادى ثم الاستيلاء على السلطة السياسية ، ولهذا غير لينين العلاقات الاجتماعية والسياسية اولا لكى يدفع بعد ذلك تطور القوى الانتاجية والنضوج الاقتصادى فان الشيوعيين اليوغوسلاف كذلك ـ وعلى أساس مادى وان كان لا يزال ضعيفا ، قد منحوا الثقة لحركة التسيير الذاتى للعاملين اليدويين والذهنيين الذين تعلموا بهذه الطريقة بفعالية متزايدة كيفية اتخاذ القرارات •

وكان الانتقال من ملكية الدولة ـ التى تولد استقطاب فئة بيروقراطية ـ الى الملكية الاجتماعية لمجموع العاملين هو الشرط الاول للتحول ـ لان الديمقراطية الاشتراكية لايمكن ان توجد حين تكون الطبقة العاملة شكليا فى السلطة لكنها محرومة من الحق الاساسى لكل طبقة حاكمة ، حق التصرف فى فائض قيمة العمل الاجتماعى •

فاذا ظل هذا الحق احتكارا لجهاز بيروقراطى ممركز فان الطبقة العاملة فى مجموعها تكون فى وضع من التبعية والاغتراب • وتكتسب كل المؤسسات عندئذ حتى تلك التى تبدو وأكثرها ديمقراطية ـ طابعا شكليا » كما يحدث فى ظل الديمقراطية البورجوازية •

وطبقا لمبدأ التسيير الذاتى فى يوغوسلافيا فان المنتج هو صاحب كل الحقوق وهو الذى يقرر ـ كما يقول الدستور (المادة العاشرة) ـ « بصورة مباشرة قدر الامكان » • لا ظروف العمل وحدها بل كذلك توزيع العائد ، وتوزيع فائض القيمة •

وكما جاء فى مشروع لينين عن الرقابة العمالية فان المجلس العمالى فى المشروعات الصغيرة (حتى ٣٠ عاملا) يتشكل من مجموع العاملين ، أما فى المشروعات الكبيرة فهو يتشكل من اعضاء ينتخبهم مجموع العاملين ، كما يكون لكل عامل حق حضور اجتماعات المجلس وليس من حق أحد أن ينتخب مرتين للمجلس حتى يكفل أقصى حد من المساهمة عن طريق التناوب •

ويقرر العاملون بأنفسهم سياستهم فى الانتاج • وهكذا فانهم يرثون الحقوق الفعلية لملاك وسائل الانتاج ، « وقاعدة العمل » الوحيدة هى انهم لا يستطيعون أن يحطموا وسائل الانتاج (الا من أجل استبدالها بوسائل اكثر تقدما) وانهم لايستطيعون كمجموعة ـ استغلال عمل آخرين : فكل من يعمل فى المشروع له كافة حقوق العاملين فى هذا المشروع •

وفى ظل هذين التحفظين يقرر مجلس العمال طبيعة المنتجات وحجمها ونوعيتها كما يقرر بعد تأدية التزاماته تجاه المجتمع ككل ـ توزيع المزايا (الاستثمارات ـ معدلات المهايا • الخ •)

وبلغت كفاءة هذا النظام الى حد انه فى مجال زيادة الانتاج القومى الكلى بالنسبة للفرد من السكان كانت يوغوسلافيا ورومانيا فى مقدمة كل البلاد الاشتراكية (بما فيها الاتحاد السوفيتى) فى السنوات من ١٩٦٠ حتى ١٩٦٦ وفيما يتعلق بالمقارنة مع البلاد الرأسمالية فى مجال زيادة انتاجية العمل ـ فى الزراعة والصناعة فقد كانت يوغوسلافيا اول دولة

اشتراكية استطاعت — وان لم يكن دون صعوبة — ان تحقق امكانية تبادل عملتها مع عملات الدول الرأسمالية . (١١)

ويتساءل البعض احيانا ما اذا كان العاملون الذين يملكون حق التصرف بحرية في فائض القيمة المنتج – وهذا المبدأ الاساسى فى التسيير الذاتي – لن ينزعوا الى « استنفاد » هذا الفائض فى صورة اجور على حساب الاستثمارات والتنمية وربما كان هذا هو ماسيحدث فى نظام رأسمالى أو فى نظام اشتراكى مركزى وبيروقراطى — حيث لاتوجد علاقة اقتصادية مباشرة بين الجهد المبذول والمزايا التى تتحقق فى المستقبل ذلك أن صاحب العمل هو الذى يملك – فى الحالة الاولى – حق التصرف فى فائض القيمة — أما فى الحالة الثانية فان فائض القيمة هذا يدخل فى الكتلة العامة المجهلة – التى تتصرف فيها الدولة • ولكن عندما يرتبط الدخل الفردى بصورة مباشرة وملموسة ويدخل المشروع – باعتبار هذا الدخل دالة مباشرة لامكانيات الانتاج والمعدات الحديثة فى المشروع فان الاستثمارات تصبح بالنسبة للعاملين فى أهمية الدخل المباشر • وليست المسألة هنا ذات طبيعة نظرية ، اذ أن الخسائر الناجمة عن النقص فى التراكم والاستثمارات ضئيلة الى اقصى حد بالنسبة ليوغوسلافيا فى مجموعها .

ان وجود مشاكل بلا تناقضات عديدة، ليس محلا للافكار، بل ان مايميز المناخ الفكرى فى يوغوسلافيا هو أن القادة انفسهم يلفتون أنظار الزائر الى الصعاب وأوجه النقص •

وقد وصل التسيير الذاتي فى يوغوسلافيا في الوقت الراهن، الى نهاية مرحلة اللامركزية ، وهو يواجه مرحلة جديدة هى مرحلة التكامل . ويريد الشيوعيون اليوغوسلاف أن تتم هذه الحركة على نفس مبادىء التسيير الذاتى اى عن غير طريق التوجيهات العلوية، بل فى ارتباط مع القوانين الاقتصادية الموضوعية والاحتياجات الفعلية التى يحس بها المنتجون انفسهم •

وفى ارتباط بالقوانين الاقتصادية الموضوعية، لان اى تكامل ليس بالضرورة عملا مثمرا، فان ضم عدد من الورش الحرفية الى بعضها البعض لن يكون مصنعا، ان الوحدات الجديدة ينبغى أن تنشأ عن ضرورة اقتصادية •

وفى ارتباط بالاحتياجات الفعلية للعاملين ،حتى يتقبلوا تكامل منشآتهم فى كل اكثر اتساعا (ان التكامل يتقرر دائما عن طريق استنقاء جميع العاملين المعنيين) • وحتى يؤدى هذا التغيير الى تحسين ظروف عملهم ومعيشتهم سواء على المدى القصير أو الطويل •

ومعنى هذا ان مستقبل التسيير الذاتى فى يوغوسلافيا يطرح المشاكل النظرية والعملية للتخطيط والتكامل اللذين يتيحان المشاركة الكاملة فى الثورة العلمية والتكنيكية واحداث التغييرات التى تتطلبها فى مجمل العلاقات الانسانية •

لقد اردنا فقط ان نوضح الخطوط العريضة للنماذج الاشتراكية القائمة وبالاخص نماذج الاتحاد السوفيتى والصين ويوغوسلافيا •

ولسنا هنا بصدد الاشادة باحد هذه النماذج ولا بصدد نقدها ولكننا بصدد تفهم الظروف التاريخية المصاحبة لقيام كل من هذه النماذج، والعلاقة بين الابنية والثقافات السابقة والمميزات الخاصة بكل نموذج •

وقد قمت بهذا العمل بشكل أكثر تفصيلا فى ثلاثة كتب لى فى السنوات الاخيرة لكى تساعدنا هذه الدراسة المقارنة نحن الفرنسيين على رسم نموذجنا الاشتراكى الخاص المتمشى مع مقتضيات ماضينا ، ومع الازدهار الكامل لوضعنا ، ومع آمال شعبنا ومع الاوضاع العالمية الراهنة •

---

[١١] المصدر : الكتاب السنوى لاحصاءات الحسابات القومية الأمم المتحدة ١٩٦٧ .

ولا يمكن ان ينقل أبدا بشكل مباشر أى نموذج اجنبى آخر • فالاتحاد السوفيتى أو الصين او يوغوسلافيا لن يكونوا مستقبل فرنسا، ولن يكونوا ايضا مستقبل مصر ، ولكن تجاربهم الغنية فى بناء الاشتراكية والمصاعب التى واجهوها بل وأخطاءهم ستكون دروسا نستفيد منها جميعا •

والمهم هو أن نقوم بدراستها بلا جمود مذهبى ودون ان ننسى أبدا ان الاشتراكية العلمية المناضلة هى فى آن واحد علم وفن اكتشاف الممكن ابتداء من الواقع ومن التناقضات الخاصة بكل دولة وكل مرحلة • وكما كان يقول لينين « ان الديالكتيك ليست نصوصا جامدة ولكنها مرشد للعمل » •



المناقشات

كمال رفعت :

فى الواقع قبل ما نبدأ المناقشة أرجو أن نلتزم بكلام الاستاذ لطفى الخولى من ناحية تحديد وقت المناقشة • وذلك لاعطاء الفرصة لاكبر عدد ممكن أن يبدوا رأيهم وخصوصا أن المحاضرة التى ألقاها الاستاذ جارودى محاضرة مهمة ، وتطرقت الى نواح كثيرة سواء من النواحى النظرية او التطبيقية ومست تجارب كثيرة بحيث أنه ـ حسب تقديرى ـ لا يمكن مناقشة هذا الموضوع فى جلسة واحدة • ومن الممكن أن تتم مناقشات كثيرة فى هذا الموضوع بالذات وفى نقط معينة لهذه المحاضرة على العموم على مهل بعد ذلك •

أبدأ تعليقى على المحاضرة وكنوع من بيان بعض وجهات النظر ، ولا يؤخذ هذا الموضوع على انه نوع من النقد فعادة النقاد يوصفون بأنهم مؤلفون فاشلون ، ولكن هى نوع من الملاحظات نفسى كل المحاضرة • أرجو الاخوان الذين سيعلقون على المحاضرة من بعدى يستطيعون أن يكملوا المواضيع التى لم أتطرق اليها • وعلى العموم نحن نشكر الاستاذ جارودى على هذه المحاضرة الدسمة ، والتى فتحت فى الواقع آفاقا كبيرة للمناقشة وآفاقا كبيرة للفكر الاشتراكى نفسه ، وتطوير هذا الفكر • وخصوصا فى المرحلة التى يمر بها الفكر الاشتراكى الان • وأود أن أبدأ تعليقى على محاضرة الاستاذ جارودى ببعض البديهيات والمسلمات التى ارتبطت بتطور الفكر الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ، منذ ثورة ١٩٥٢

كلنا نذكر ما جاء فى كتاب فلسفة الثورة • جاء فيه: لكل شعب من شعوب الارض ثورتان: ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، او من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه • وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد •

من هذا المفهوم فى الواقع انطلقت الثورة فى مصر تضع مبادىء جديدة للنضال العربى بعد فترة الفراغ الفكرى والايديولوجى الذى أضفى على الحركات العربية طابع الارتجال • ولم يكن فى الواقع هذا الفراغ وليد المصادفة أو نتيجة طابع قومى • بل كان النتاج الضرورى للتخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بصفة عامة ، الذى ورثته هذه المنطقة عن عهود طويلة من السيطرة الاستعمارية ، والاستغلال الاقطاعى والراسمالى • لذلك كان من الضرورى أن يضع الشعب المصرى نفسه لنفسه نظرية شاملة للتغيير .. نظرية تربط اهدافه بوسائله وبواقعه. ومن واقع الامة العربية ومن تفاعل كامل مع حركة النضال ، ومعاناة التجربة الثورية تبلور الفكر الثورى فى صورة دليل للعمل الثورى ينبثق من وضوح لرؤية الاهداف ، ومن تحليل علمى سليم للواقع ، ويؤلف اطارا للحركة السياسية والاجتماعية ، وأساسا لملء الفراغ الفكرى والايديولوجى الذى بدد الجهود التقدمية للطلائع وضيع الطاقات الثورية للجماهير • ولتكون الدعوة الجديدة متفقة مع السير الحضارى للانسانية •

الا أنه ينبغى ألا يفهم من الناحية النظرية أن تكون هذه الفلسفة جديدة فى كل شىء لان ذلك لا

يتفق مع واقع الحياة الانسانية، ومع تاريخ الحضارة على الارض . اذ أن مشاكل الانسان، من ناحية خطوطها الكبرى متقاربة ومشاكل الانسان لا تختلف فيما يتصل بالآمال الكبرى فى الحياة واكتشاف المجهول واقامة العدالة وتحقيق الرخاء . كما لا ينبغى أن يفهم الامر على العكس من ذلك، حيث يتصور أن النظرية لا تكون لها فاعلية الا اذا نقلت بحذافيرها عن فلسفة سابقة عليها . ان الالتزام الحرفى بفلسفة اجتماعية سابقة، وان وهبت الملتزمين بها صلابة تجدى فى بعض المواقف، فانه يعرضهم الى الجمود المذهبى والالية الفكرية التى لا تتفق وطبيعة المجتمع البشرى فى تطوره واختلاف ظروفه وبيئته وزمانه . وهناك فرق كبير بين نظرية علمية تخضع لها المادة الجامدة، ونظرية أخرى علمية أيضا ولكن مادتها المجتمع البشرى والنفس الانسانية . كما لا ينبغى أن يفهم أنه ما بين طرفى الابتكار والتقليد، لا يتسع المجال لغير التلفيق والترقيع، فذلك تصور خاطىء يحاول به أصحاب النظريات أحيانا أن يرضوا كل طرف فينتهى بهم الامر ألا يرضى عن نظرياتهم ولا يتحمس لها أى طرف . ولكن ينبغى أن تكون النظرية متكاملة، بريئة من التناقض، وثيقة الصلة بالواقع وبالتطور الحضارى على المستوى الوطنى والعالمى معا وبمراحل التقدم التاريخى لحياة البشر . وأن يلتقى فيها الوضوح الفكرى بالمصلحة العملية نفسها . وقد أشار الاستاذ جارودى فى بدء محاضرته الى بعض هذه الحقائق عن التجربة المصرية، وخصوصا بعد تأميم قناة السويس وجلاء المعتدين عام ١٩٥٦ . وانى أتفق مع الاستاذ جارودى على الشروط الاساسية للاشتراكية، وهى الملكية الجماعية والادارة الجماعية لوسائل الانتاج . وهى فى الواقع تنطلق من مفهومنا كما جاء فى الاسلام «ولله ملك السموات والارض» . كما يتحدد عنصر آخر: من هم الذين يملكون السلطة السياسية فى المجتمع؟ لان هذا فى الواقع يحدد النهج الاشتراكى، أو الطريق الذى تأخذه الاشتراكية . العنصر الثالث هو العمل على خلق احتياجات انسانية وثقافة جديدة، تتجه نحو الازدهار الكامل للانسانية بأسرها ولكل فرد منها .

وقد اشار الاستاذ جارودى ان تعدد النماذج الاشتراكية ناجم عن التركيب الاقتصادى والاجتماعى لكل بلد . وفى تقديرى ان هذه النقطة فى حاجة الى ايضاح اكثر، بل انها تتسع لاكثر من ذلك فقد يكون هذا مفهوما من الناحية النظرية فقط . ولكن من الناحية التطبيقية نجد ان عوامل كثيرة تتداخل فيما بينها، ومالم تدرس بعناية فانها تؤدى الى وجود ثغرة بين النظرية والتطبيق، فهناك عوامل أخرى بجانب هذين العاملين، أهمها التراث الحضارى والثقافى بما يحويه من قيم ومبادىء واحكام التاريخ . أو بعبارة ادق التطورات الحضارية لكل بلد وتأثيرها على الفكر الاشتراكى نفسه . فالاراء تنبثق عن التاريخ، كما ان الاراء نفسها تكيف بدورها التاريخ . وقد اشار الاستاذ جارودى فى محاضرة الامس (الاشتراكية والإسلام) الى ان الاشتراكية العلمية تكونت من التراث الثلاثى المكون من الفلسفة الكلاسيكية الالمانية، ومن الاقتصاد السياسى الانجليزى، ومن الاشتراكية الفرنسية . أى أنها تكونت من مكونات الحضارة الاوروبية . وتقديرى انه مالم تتفاعل اى نظرية او اى فلسفة جديدة مع الحضارة الانسانية كلها، مهما كان موقع هذه الحضارة ومهما كان تاريخها، فلن تستطيع هذه النظرية مالم تتطور وتتحرر من الجمود التى هى فيه ان تواجه مشاكل المجتمعات الحديثة ومشاكل الافراد فى المجتمع الحديث . كما ظهر عامل جديد آخر، وخصوصا فى السنين الاخيرة، وهو اختلاف المصالح القومية . وهو عامل لم يتطرق اليه ماركس فى كتاباته . الا أن لينين أحس بهذه المشكلة نظرا لتعايشه مع المجتمع الروسى نفسه واستطاع ان يحس بهذه المشكلة فأشار اليها فى كتاباته . وهو ماجعله يفرق بين ماله قيمة عالمية، وبين ماهو روسى فى الاصل كما قال الاستاذ جارودى . كما انه توجد عوامل أخرى أهمها الوقت الذى تتم فيه التحولات الاجتماعية نحو الاشتراكية فى مجتمع ما، فى أطار الاوضاع السياسية والاقتصادية العالمية . ومما لاشك فيه ان ذلك يلعب دورا فى درجة هذا التطور وفى عمق هذا التطور . بل ان الوضع الجغرافى والاستراتيجى لبلد ما يؤثر فى درجة هذا التطور . بل ان الاحداث نفسها التى تمر بالعالم تؤثر على امكانية احداث هذا التحول . وأنا أعطى مثالا فى هذا بالثورة الروسية حينما قامت فى اعقاب الحرب العالمية الاولى لم تكن الرأسمالية مستعدة لكى تهاجم النظام الاشتراكى الجديد لانها خرجت من الحرب محطمة، ولو انه حصلت بالفعل مهاجمة للنظام الجديد وحاولت جيوش الدول الرأسمالية مهاجمة النظام الجديد، الا أن هذا الهجوم لم يكن بالجدية الكافية لكى يقتلع هذا النظام الجديد . وهذا له سبب، وهو ان الثورة قامت فى أعقاب الحرب العالمية الاولى، ولم تكن القوى الرأسمالية على استعداد لتجاذف بحرب اخرى . ماينطبق على الثورة الروسية ايضا قد ينطبق على الثورة الصينية التى حققت نجاحها عقب الحرب العالمية الثانية .

كما أنه من الضرورى أن نفهم ان الامكانيات المادية والبشرية لاى مجتمع تؤثر أيضا على درجة تطور الاشتراكية، وتلعب دورا حاسما فى هذا

المجال • وكما اشار ايضا الاستاذ جارودى فى المحاضرة الى عامل التقاليد التاريخية القومية السياسية والروحية لكل شعب •

ولكن مع ذلك اتفق معه فى أن تعدد النماذج لا يمس ابدا الهدف الاساسى للاشتراكية. كما اتفق معه فى الملاحظات الثلاث التى ابداها بهذا الخصوص ،وقد اشار الاستاذ جارودى الى مشكلة البيروقراطية كما جاءت فى اقوال لينين • والبيروقراطية فى الواقع خطر يهدد مسار الاشتراكية فى اى مجتمع ، خصوصا اذا كان هذا المجتمع يرتبط بنظرية ، ويحتكر العمل السياسى والايديولوجى فيه فئة تعتبر نفسها وصية على الحركة الثورية ، ودون ان تعمل على تطوير فكرها واساليبها لتواجه تطلبات التطورات الداخلية والخارجية للمجتمع •

وقد تطرق المحاضر الى الكيفية التى تمارس بها الرقابة والتوجيه فى الانظمة المختلفة ، وهى مشكلة واجهت التجارب الاشتراكية فى كل مكان، واجهتها فى الاتحاد السوفيتى وفى الصين وفى يوجوسلافيا ، وأوضح أهمية اللامركزية والتسيير الذاتى ، وهى فى نظرى اضافات جديدة ايضا فى الفكر الاشتراكى خصوصا من الناحية التطبيقية •

فى الواقع المحاضرة تطرقت الى التجارب الروسية والصينية واليوجوسلافية سواء من الناحية النظرية او من الناحية التطبيقية • وفى الواقع لكى تناقش هذه التجارب كلها ، فان الامر يحتاج الى وقت طويل. ولذلك فانى أقتصر على مناقشة نقطة معينة وهى عن طابع الفلسفة الصينية السياسية . ورغم ان هذه فى حد ذاتها تحتاج الى مناقشة طويلة ايضا، لكن سأحاول وضع النقط على الحروف لكى تكون الامور واضحة • لاشك ان الثورة الصينية تحمل بين طياتها اثر الموقف التاريخى الذى عاش فيه الشعب الصينى • ولم يستطع ضغط الغرب الاقتصادى والسياسى والثقافى منذ القرن الثامن عشر ان يؤثر أو يصبغ الصين بالصبغة الغربية • يرجع هذا لسببين أساسيين : ان الصين لم تخضع ابدا لتأثيرات حضارية من الخارج ، بل بالعكس كانت الحضارة الصينية هى التى تشع دائما الى الخارج • والسبب الثانى هو أن الطبقة الحاكمة فى الصين، كانت دائما تعمل على الحفاظ على تقاليد المجتمع الصينى . على هذا الاساس استحال أحداث أى تغيير جذرى فى المجتمع الصينى ،وظلت الصين على ضعفها بل لقد شاع الفساد فى ربوعها طول حركة محاولة صبغها بالصبغة الغربية • وبالتالى كان هناك تياران فى الواقع يتنازعان عقلية « ماوتسى تونج » وغيره من المفكرين الصينيين: أول تيار هو تيار القومية الصينية وما يحمله من تزمت وانعزالية • والتيار الثانى تيار العالمية نفسه بما يتضمنه من المشاركة فى حركة التقدم البشرى • ومن هنا كان الطابع الصينى الفريد فى نوعه الذى يتركز اساسا فى مقاومة كل ماهو غربى مما له انعكاساته ايضا على الاحزاب الشيوعية الاسيوية • وبالرغم من هذه المشاكل استطاعت الثورة الصينية ان تتغلب على مشاكل كثيرة بالنسبة لقضية التحول نحو الاشتراكية، وان تمضى فى طريق التصنيع بسرعة • كما وفق النظام فى الحد من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الناس ، وفى توسيع نطاق الخدمات • بل اننا نستطيع اليوم ان نقول ان الامية تقريبا فى الـ ٧٠٠ مليون نسمة الموجودين فى الصين انتهت . الا ان استقرار المجتمع على هذه الصورة ونتيجة التطور العلمى والتكنولوجى قد يؤدى الى ان يحجب المثقفون العقائديين على طول المدى • وهذه قضية تواجهها التجارب الاشتراكية ، ومن هنا أصبح من وجهة نظر التفكير الصينى قيام علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة تعكس ايديولوجية جديدة • ومناط انبعاث الايديولوجية الجديدة ايجاد نوع من الناس تتفاعل مع نظام اجتماعى جديد • ويقتضى تنفيذ ذلك احداث تغييرات جذرية فى اذهان الناس وقلوبهم وهذا فى الواقع ناتج من تفكير « ماوتسى تونج » الذى يقرر ان كل شىء يبرز على طول المدى نقيضه • وانبعاث التناقض يتيح للمجتمع مزيدا من التقدم • وهذا فى الواقع يخالف آراء ماركس بما تنادى به من تحقيق المجتمع حيث يعمل كل فرد وفقا لطاقته ، ويحصل من ناتج المجتمع على احتياجاته • لان ماو فى الواقع يؤمن بأن أى فكرة تعنى الوقوف عند مرحلة معينة • والوقوف يعنى الجمود والتحجر ثم التخلف • بينما التقدم البشرى لا نهائى • وماو فى هذا فى الواقع متأثر بالفكرة الصينية القديمة عن السكون والحركة • فالسكون يتبعه حركة تتبعها سكون يولد حركة الى مالا نهاية . ويعتبر السكون والحركة هما وجه التغيير ، بمعنى ليس السكون نقيض الحركة ، بل نقيضها هو ما يطلق عليه النكوص ، أى العودة الى الوراء . أى الرجوع الانحلالى الى فترة سابقة من التطور . وهنا فى الواقع تكمن جذور الثورة الثقافية الصينية التى أشار اليها الاستاذ جارودى فى محاضرته ، حيث يهدف « ماو » الى دوام الثورة ، أو بعبارة أدق تحقيق سلسلة من الانتفاضات المتتابعة يفصل احداها عن الاخرى جيل او اقل . كما يؤمن ان لا شىء غير هذا يستبقى شعلة النضال الثورى متقدة . وفى الواقع ان المغزى الذى اتسمت به الثورة الثقافية هو استمرارها فترة طويلة . وهى تمثل جانبا من حملة ضخمة فى الواقع . وهى حركة التثقيف الاشتراكى التى تدخل اليوم تقريبا

عامها السابع · سمة أخرى نتبينها فى تولى تنفيذ هذه الثورة ، حشد من المنظمات · وقد امتدت الحملة الرئيسية بالذات الى دنيا المثقفين والى الحزب والحكومة والقوات المسلحة · فى الوقت التى شنت فيه حملة قوية لاعادة تكييف عقلية الجماهير وصياغتها من جديد · وتناولت الحملة بالتالى كثيرا من الشخصيات البارزة فى الحكومة وفى الحزب وعلى رأسهم « ليو تشاوتشى » · فى الواقع ان الثورة الثقافية بصرف النظر عن الاسلوب الذى اتبعته ، وهذا موضوع آخر ، تعنى نوعا من التجديد لشباب الثورة بعد ان بلغت الثورة الاشتراكية مرحلة تطور معينة .. تطور قام على اساس العلم والتكنولوجيا ، تجمدت فى وضع معين وظهرت طبقات على شكل معين وظهرت سلطة على شكل معين سواء فى الحزب او فى الحكومة . اذن كان من الضرورى بعث الثورة من جديد فى داخل الجموع الشعبية · ومن هنا كان الهدف الاساسى من الثورة الثقافية ·

والواقع ان الثورة الثقافية الصينية فى حاجة الى كثير من البحث . فمشكلتها هى مشكلة جميع الثورات التى تقوم، لانها تتبلور فى عدة نواح، هى الصراع بين العقيدة والخبرة والصراع بين أهل الثقة واهل المعرفة ، والصراع بين المثالية والواقعية، وهذا فى تقديرى يعنى أهم المشاكل التى تواجه الثورات الاشتراكية فى وقتنا الحاضر . والتناقضات الجديدة التى تظهر فى المجتمع الاشتراكى فى حاجة الى حوار دائم وعميق لان الامبريالية تتلمس مثل هذه الثغرات التى قد تحدث فى المعسكر الاشتراكى ، وتحاول ان تعمل على تفتيت وتمييع المبادىء الاشتراكية نفسها ·

لا أريد ان آخذ وقتا أكثر من ذلك حتى أعطى فرصا أكبر للمناقشة . ومرة أخرى أشكر الاستاذ جارودى على محاضرته القيمة · وارجو ان تتاح لنا الفرصة ان نقرأ الكتب الثلاثة التى اشار اليها والتى تمس هذا الموضوع وشكرا ·

د· ابراهيم سعد الدين :

أرجو أن اطمئن السيد الرئيس انى سألتزم بالوقت تماما حتى لو لم أنهى ملاحظاتى ·

اولا أود أن أشكر السيد المحاضر على المحاضرة الدسمة فى الواقع ، والتى تثير كثيرا من القضايا النقاشية والخلافية فى الوقت نفسه ، ولكنى لضيق الوقت سأقتصر فى واقع الامر على قضيتين اساسيتين من وجهة نظرى :

القضية الاولى تتعلق بالاتجاه العام للمحاضرة ذاتها ·

والقضية الثانية تتعلق بالنماذج التى عرضها المحاضر ووجهة نظره فى النماذج المختلفة للاشتراكية ·

من المعلوم بالنسبة للاشتراكيين ان الانتقال الى الاشتراكية تحكمه ظروف عامة وظروف خاصة فى كل مجتمع · فالمحاضرة قد اتخذت أساسا ، او مالت اساسا ، الى ابراز الاسباب التى تؤدى الى تعدد النماذج ، ومن ثم فانها ركزت تركيزا شديدا على الاسباب الخاصة او على الظروف الخاصة فى واقع الامر التى تؤدى للاختلاف بين نماذج الاشتراكية ·

اما بالنسبة للظروف العامة والمشتركة بين تجارب الاشتراكية فلم تشر المحاضرة اليها الا اشارات عابرة فى واقع الامر — وفى رأيى انه قد يكون من المناسب تماما وخاصة فى بلاد العالم الثالث أن نركز بدرجة كبيرة على ما هو عام كما نركز ايضا على ما هو خاص. انبعث رأيى هذا من احساس معين بأن الخطر الرئيسى فى التجارب الاشتراكية فى العالم الثالث لا ينبعث فى واقع الامر عن نسيان ما هو خاص ببنيانها الاجتماعى انما ينبعث عن نسيانها فى كثير من الاحوال ما هو عام وضرورة أن نتمسك به فى محاولة التحول الى الاشتراكية · ويكفى فى واقع الامر أن نبدى او نلقى النظر على عديد من التجارب او محاولات البناء للاشتراكية فى خلال الاعوام العشرة السابقة، وما انتهت اليه فى افريقيا وآسيا لنتبين أن عددا من هذه التجارب قد انتهت الى انقلابات ادت الى عودة الاحوال الى ما كانت عليه ، والى اعادة السيطرة الاستعمارية فى كثير من المناطق التى كانت تتطور فى اتجاه ما من اتجاهات الاشتراكية ·

يكفى هنا ان نذكر هنا تجربة غانا ·· تجربة مالى .. تجربة اندونيسيا .

فى تقديرى أن احد الاسباب الرئيسية فى الفشل فى هذه التجارب كان نسيانها لقضية اساسية من قضايا الانتقال الى الاشتراكية ، وهى قضية عامة · تلك هى قضية السلطة ، وضرورة تكوين سلطة جديدة ذات طابع جديد ، وتحطيم جهاز الدولة السابق من أجل بناء نموذج اشتراكى حقيقى فى مثل هذه المجتمعات ·

المتتبع لهذه التجارب جميعها ، يلاحظ ان الجيش اداة السلطة قد بقى فى هذه البلاد جميعها يمثل فى واقع الامر الفئات الاجتماعية التى قضى

على نفوذها السابق • وتمكنت أدوات السلطة هذه فى هذه الدول المختلفة فى مراحل مختلفة أن تصفى المحاولات الثورية لتحويل المجتمع • ولن أطيل أكثر من ذلك فى هذا الموضوع • وانما أردت فقط هنا أن أنبه الى حقيقة هامة • وهى أن فى كثير من دول العالم الثالث تبدأ اغلب هذه الدول وتركز على تجربتها الذاتية بل وترفض فى كثير من الاحيان التعلم من التجارب العالمية • وفى مثل هذا الموقف خطر شديد على هذه التجارب •

وأقول مرة اخرى أن الخطر الاكبر فى هذه الاحوال ليس هو فى الانسياق وراء النماذج السابق تطبيقها ، بل من التمسك بشدة بالتجربة الذاتية دون الاستفادة بالتجربة العالمية ، ولذلك كنت أود فى مثل هذه المحاضرة أن يلقى الضوء على ما هو عام ، كما ألقى الضوء على ما هو خاص أيضا فى قضايا الانتقال الى الاشتراكية •

القضية الثانية التى انتقل اليها هى ما يتعلق بالنماذج الاشتراكية التى عرضها السيد المحاضر • وقد انهى السيد المحاضر محاضرته فى واقع الامر باتخاذه موقف الحياد بين نماذج الاشتراكية المختلفة التى عرضها ، وقال ان عرض هذه النماذج لم يتضمن نقدا ، او لم يتضمن مفاضلة • ولكن على الرغم من هذا فليسمح لى السيد المحاضر ان أقول : فى واقع الامر ان هذا العرض كان يتضمن بلا جدال مفاضلة أساسية بين نموذجين على الاقل ، النموذج المركزى للاشتراكية ، ونموذج التسيير الذاتى •

وقد أوضح السيد المحاضر بما لا يدع مجالا للشك فى تفضيله لنموذج التسيير الذاتى • وليست هذه فى واقع الامر نقطة نقد • فان لكل أن يختار من النماذج ما يعتبره النموذج الامثل من وجهة نظره •

ولكن اختيار هذا النموذج والتركيز عليه فى بعض النواحى ، يثير فى بعض الاحيان بعض القضايا الخلافية ، وبعض القضايا التى تحتاج الى شرح وتركيز • لقد اتخذ السيد المحاضر موقفا معينا من دور الدولة ، وبالتالى من دور الحزب ، فى عملية التحول الاشتراكى • ويتمثل هذا فى قوله أن دور الدولة الاشتراكية هى فى نقل أدوات الانتاج من الملكية الخاصة الى الملكية الاجتماعية ، وفى وضع القواعد التى تمنع عودة الملكية الى شكل من أشكال الملكية الخاصة • سواء فى ذلك الملكية الفردية أو ملكية مجموع العاملين ، أو ملكية المساهمين أو غير ذلك من الاشكال • أما اذا انتقلت الدولة من هذا الدور الثورى الى دور الادارة فقد تحولت الدولة الثورية عن طبيعتها الى اتخاذ الاساليب الادارية فى تسيير الاقتصاد ، بما يترتب عليه فى واقع الامر من بيروقراطية ، وبما يترتب عليه فى النهاية كما قال السيد المحاضر نفسه من عدم امكان استيعاب التقدم العلمى والثورة التكنولوجية • وفى مواجهة مثل هذا الموقف اختير موقف آخر ، ذلك هو موقف النموذج الذى تستطيع فيه الوحدة الانتاجية أن تقرر بذاتها ، أى بواسطة عامليها • والقضية التى أثارها السيد المحاضر فى واقع الامر هى قضية الاغتراب ، وأى الاسلوبين يمكنه معالجة الاغتراب • والفرض الذى افترضه فى واقع الامر ، هو أن النموذج المركزى يعنى الاغتراب • وهذا فرض مبنى على أنه فى النموذج المركزى ، لا تستطيع القوى العاملة بشكل من الاشكال أن تشارك مشاركة حقيقية فى اتخاذ القرارات بشأن مجتمعها • وعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بالنموذج الثانى ، فان مشاركة العاملين فى اتخاذ القرارات تقضى حقيقة على قضية الاغتراب ، ولكنى أود أن أطرح العلاقة بين هذين النموذجين من زاوية مختلفة تماما عن زاوية الاغتراب • تلك هى العلاقة بين السوق وبين التخطيط ، لانه يبدو فى الاختيار الذى اختاره السيد المحاضر انه قد فضل تفضيلاً واضحا النموذج المبنى على حرية الوحدات الاقتصادية المدارة ذاتيا فى اتخاذ قراراتها على أساس من السوق دون ما حاجة الى التدخل المركزى فى واقع الامر • وهذا يثير قضية هامة ، وهى قضية التخطيط ودوره فى البلد الاشتراكى • والتخطيط هنا فى واقع الامر لا أقصد ان يكون بالضرورة مركزيا كاملا ، ومن أعلى كاملا • ذلك ان التخطيط يمكن أن يتخذ من الوسائل ما يربط بين حرية الوحدات وبين التوجيه المركزى • ولكن المجتمع الاشتراكى يثير قضية هامة ، وقضية أساسية ، تلك هى أن المجتمع يحاول أن يرشد الاقتصاد فى مجموعه •• لا يحاول فقط أن يسعى الى الرشد الاقتصادى على مستوى كل مشروع على حدة ، وانما يسعى ايضا الى تحقيق الرشد الاقتصادى على مستوى المجتمع فى مجموعه • وهذا يتطلب قدرا من المركزية فى التخطيط ، تعمل على توجيه موارد المجتمع فى مجموعها لتحقيق ما هو مفيد لصالح المجتمع • لا يعنى هذا بطبيعة الحال أن يستبدل المركز نفسه بكافة مراكز الانتاج ليصدر هو وحده القرارات • وانما تختلف قضية المركزية من مرحلة الى أخرى ، طبقا للظروف التى يمر بها المجتمع • فقضية المركزية واللامركزية ، هى قضية جدلية ايضا ، تتطور جدليا طبقا للظروف • وليس هناك اختيار حاسم بأن تكون اللامركزية هى النموذج الامثل ، أو المركزية هى النموذج الامثل •

وكنقطة أخيرة ، سؤال يطرح هنا - ما هو الاثر

الذى يترتب على تطور الوحدات الانتاجية وكبرها وضخامتها وتشابك العلاقات الاقتصادية بين هذه الوحدات فى ضرورة التخطيط ؟ وشكرا .

عبد الكريم أحمد :

طبعا لابد أن نشكر جميعا البروفيسير جارودى على الاستعراض الشامل الذى قدمه الينا اليوم عن تعدد النماذج الاشتراكية فى العالم المعاصر . وأحب أن أبدأ ملاحظاتى ، وهى فى الواقع ملاحظة واحدة . وذلك بالقول : بأنه فيما يتصل بامكانية تعدد النماذج الاشتراكية وتعدد طرق الوصول الى الاشتراكية . نحن هنا فى مصر وفى الامة العربيه بصفة عامة ، ندين الى حد كبير بالتصور الذى وضعه امامنا الاستاذ جارودى . ويكفينا ان نفتح الميثاق لنرى فيما يتصل بتعدد طرق الوصول الى الاشتراكية ان الميثاق باستمرار عندما يتكلم عن الثورة ، يتحدث عنهابأنها ضرورية بالنسبة للشعب المصرى أو للامة العربية . ولم يقل الميثاققط فى أى فقرة من فقراته ان الثورة ضرورة أو حتمية بشكل مطلق . وهذا وحده دليل على ان الفكر الثورى فى مصر والفكر الثورى العربى عموما يقبل مفهوم تعدد طرق الوصول الى الاشتراكية . واذا قارنا بين هذه العبارة فى الميثاق وعبارة حتمية الاشتراكية بصفة مطلقة نعلم أن الفكر المصرى فى هذا الموضوع ، لا يتقيد بأسلوب معين بشكل مطلق للوصول الى الاشتراكيـــة ، وان كان يعتبـــر الاشتراكية فى جميع الاحوال نهاية أو غاية حتمية تصل اليها المجتمعات ، الى هنا نتفق تماما مع ما تكرم الاستاذ جارودى فى محاضرته .

ولكن لى هنا ملاحظة ،فى الواقع تحدث الاستاذ جارودى عن تعدد النماذج الاشتراكية وأسبابها ، ولم يتحدث ــ وله الحق فى هذا لضيق الوقت ــ عن أسباب هذا التعدد بتفصيل . ولكن هناك عامل مشترك ترك أثرا حاسما فى تعدد هذه النماذج ، وأقصد به العامل القومى . وسيعذرنى الاستاذ جارودى عندما أتحدث عن القومية فى بلد عربى باعتبارها شغلنا الشاغل . أود أن أقول أن القومية لم تكن عاملا حاسما فى تعدد النماذج الاشتراكية وفى خلق نوع جديد كامل .. مجموعة كاملة من النماذج الاشتراكية فى العصر الحاضر فقط ، ولكن دائما وباستمرار كانت القومية ــ من أوائل ظهور الاشتراكية العلمية على الاقل ــ عاملا من العوامل التى أظهرت نماذج جديدة من الفكر الاشتراكى ، ثم نماذج جديدة من التطبيق الاشتراكى . ويكفى ان نذكر ان مدارس مثل الاشتراكيين الحقيقيين بزعامة هيث احد زملاء انجلز وماركس ، ونذكر مدرسة الماركسيين النمساويين ؛ وصحيح أن هؤلاء يحاولون تعديل القومية أو مفهوم القومية لادخالها فى نطاق الاشتراكية العلمية ، حتى هذا أدى الى خلق مفهوم جديد للاشتراكية ظهر بوضوح بعد ان انتقلت الاشتراكية بشكل واضح وبصورة تكاد تكون عامة الى البلاد النامية . والمسألة فى تقديرى الشخصى تتضح حتى من المثل الذى أعطاه لنا عن الصين « ماوتسى تونج » الديمقراطية الجـديدة وما تنطوى عليه من تحالف قوى الشعب العاملة الاربع ، اصبحت فى الواقع نموذجا يحتذيه معظم قادة البلاد النامية لسبب بسـيط وقوى . ليس السـبب هـو مجـرد انهـا مراحل متقـاربة أو انها جميعـا أو معظمهـا يمر فى مراحـل متقاربة من النمو ، ولكن السبب الاساسى ــ فى رأيى ــ هو أنها جميعا تنتقل الى الاشتراكية داخل اطار القومية . داخل اطار النضال القومى . تنتقل هذه البلاد النامية جميعا الى الاشتراكية الى المرحلة الاشتراكية ، وبذلك نخلق نماذج جديدة تماما . وواضح أن الخلاف بينها وبين نماذج أخرى هو نقطة القومية . « ماوتسى تونج » ليس وريثا لما يسمونه استاذ الجامعة الذى انشأ فى مطلع العشرينات الحزب الشيوعى الصينى . ولكنـه حقيقة وريث « صان يات صـن » ، الثـورى الوطنى .. الثورى القومى الصينى . وكل من يراجع كتابات ماوتسى تونج يستطيع أن يرى الى أى مدى تأثر بما أسماه صان يات صن ، مبادىء الشعب الثلاثة . واضح من كتاباته هذا . هذا ما وددت أن أسوقه كملاحظة على هذه المحاضرة الجميلة التى ألقاها علينا الاستاذ جارودى .

وأريد أن أقول كلمة واحدة أخرى لا تتعلق بمحاضرته ولكن تتعلق بصديقى الدكتور ابراهيم سعد الدين . أنا اتفق معه الى حد كبير فيما قاله عن السمات العامة للاشتراكية والسمات الخـاصة للاشتراكية ، وانه ليس هناك ما يدعو الى التركيز على السمات الخاصة للاشتراكية فى مـواجهة السمات العامة الموحدة . معروف ان الاشتراكية كنظام حضارى سننتهى جميعا اليه .. جميــع الشعوب .. واننا يجب أن ندخل فى اعتبارنا باستمرار السمات العامة ، ولكن لا أعرف لماذا ربط بين القيادات العسكرية فى البلاد النـامية والانقلابات . أريد أن أقول شيئا فى هذه النقطة . فى كتابات جميع المراقبين بلا استثناء ، وانا اعرف ما أقول ، وكتابات الاساتذة الذين بحثوا هذه الموضوعات يعتبرون فئة المثقفين هم القـادة الطبيعيين لثورات البلاد النامية بلا اسـتثناء واحد . وأنا مسئول عما أقول ويعتبـرون العسكريين فى بعض هذه البلاد هم ممثلون لهذه الفئة ، ويقسمون العسكريين الى فئتين ، فئة تقوم

بانقلابات كما فى أمريكا اللاتينية ، وفئة تقوم بثورات اجتماعية أصيلة تمثل فعلا الفئة المثقفة فى المجتمع . وتقوم فعلا بدور قيادة الحركة الثورية القومية فى المجتمع . وشكراً .

د. حسن حنفى :

يا سيادة الاستاذ ، بعد هذه المحاضرة الرائعة التى استمعنا اليها الليلة فاننا نشكركم شكرا جزيلا على العناصر التى قدمتموها لنا . ولكن اسمحوا لى أيضا بأن اوجه اليكم سؤالا بسيطا، بسيطا للغاية .

لقد ذكرتم ثلاثة نماذج معروفة جيدا : النموذج الصينى والنموذج السوفيتى والنموذج اليوغسلافى . ولاشك أن هذه النماذج تتميز بالاستقرار . وكما قال زميلى الدكتور ابراهيم سعد الدين فأن هذه النماذج الثلاثة المستقرة أصلا ، لها خطوط مشتركة وسمات مشتركة تجمعها .. ولكن الذى يدفعنا الى التفكير حقا هو ذلك النموذج الذى بدأ يقوم على اثر انتشار حركات التحرر الوطنى ، أعنى النموذج الافروآسيوى .

وكنا نود أن نستمع حقا الى بعض التوضيحات والتفسيرات من جانبكم بخصوص هذا النموذج ، خاصة وأن هدفكم هو اعادة بناء الماركسية من جديد ، أو تقديم بعض العناصر الجديدة حول ماركسية القرن العشرين ، بضم بعض التجارب الجديدة الى صميم الماركسية . يبدو لى ان هذا النموذج الرابع الذى لا يزال حتى الان على مستوى الخطوط العريضة البسيطة ، يفتقد حقا بعض الوضوح .

فاذا سمحتم لى ، ساوجه لكم السؤال بالطريقة التالية : الى أى حد يمكن بناء الاشتراكية فى ظل نموذج جديد مع وجود العناصر التالية : اولا الافتقاد التام لايديولوجية واضحة . اننا نعانى ، فى ظل « الاشتراكية الافريقية » من ذلك المظهر التجريبى المستمر ، او بعبارة اخرى ، ذلك المبدأ الانجليزى « التجربة والخطأ » . فاذا اردتم ، فلتتفضلوا بأن تقدموا لنا بعض العناصر الجديدة ، الى أى مدى يمكننا ان نوضح ايديولوجيتنا ، فليست لدينا نظرية واضحة حول الارض ، هل يمكن ان تكون الاشتراكية اشتراكية استهلاك او اشتراكية استثمار ؟ لا توجد لدينا نظرية صحيحة وواضحة حول الملكية ، حول الملكية الفردية والملكية العامة . لا توجد لدينا نظرية واضحة حول ما يسمى الرأسمالية الوطنية ، أو الرأسمالية البورجوازية الوطنية . والواقع اننا نشعر اننا فى حاجة ماسة الى بعض الوضوح الايديولوجى . والواقع أن ذلك النموذج الرابع الافروآسيوى الذى يفتقد الايديولوجية الواضحة يمس شغاف قلوبنا .

والعنصر الثانى هو : ما مدى امكانية بناء الاشتراكية فى ظل نموذج جديد ، مع عدم وجود حزب شعبى ثورى ، أنتم تعلمون بالطبع ان الاتحاد السوفيتى كان لديه الحزب البلشفى ، وفى الصين يوجد الحزب الشيوعى وفى يوغسلافيا توجد رابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، ولكن فى كثير من البلاد الافروآسيوية ، لا يوجد حقا حزب شعبى وهذا الوضع عام وهو يرجع الى اسباب تاريخية كنا مستعمرين وكان هدفنا الاول هو التحرر اولا من الاستعمار ومن الامبريالية . ولما كانت أغلب الاحزاب المنتمية الى مرحلة ما قبل التحرر ، هى احزاب اقام اغلبها الاقطاعيون ، فان الوسيلة الوحيدة للتحرر ، كانت فى الواقع هى الاعتماد على الجيش الذى كان حقا الطليعة الوطنية والقوة الوحيدة المنظمة . ولكن بعد مرحلة التحرر الوطنى ، تأتى مرحلة بناء الاشتراكية ، ولا شك انكم تدركون مصاعب بناء حزب عندما تكون طليعة الوطنيين فى السلطة ، ونحن نعانى فى الواقع حتى الان من افتقاد الحزب الشعبى الثورى الذى يعتبر حقا الضمان الوحيد للحفاظ على الاشتراكية .

ولذا ارجو منكم أن توضحوا لنا هاتين المسألتين فى النماذج الافرو آسيوية التى نعيشها . هل يمكن بناء الاشتراكية مع افتقاد الايديولوجية الواضحة ، ومع عدم وجود حزب ثورى ؟ . شكرا .

سعيد خيال :

فى الواقع لى تعليق كباقى اخوانى المعلقين عابر . وأنا أتردد فى التعليق العابر على مثل هذه المحاضرات الغنية الشاملة . لكن ما يدفعنى هو رغبتى فى أن أشكر المحاضر من القلب ومن العقل أيضا ، لانه أغنى وأثرى . وليس غريبا فباريس مشهورة بأنها عاصمة الثقافة فى العالم . والاخ جارودى مثقف فرنسى ولكنه هو واخوانه بفكرهم المضىء كما قال يبحثون أيضا ويدرسون التجارب والنماذج استخلاصا لشكل أو تجربة تلائم المجتمع الفرنسى المتقدم . وهذا يدعونا أيضا ليس للبدء ، فقد بدىء فى مصر هذا ، ولكن للاستمرار فى دراسة النماذج والتجارب الخاصة بالشعوب الاخرى التى

تبنى الاشتراكية • ذلك لان التجارب ••• كل التجارب فيها الخطأ والصواب • والخطأ يدفع ثمنه، والشعب الروسى دفع ثمنا لمظاهر من اخطاء التجربة • وكذلك الشعب الصينى ، وكل الشعوب ونحن أيضا أخطأنا فى تجربتنا ودفعنا الثمن • ولكن كى نزيل عن كاهل شعبنا ، نحن المصريين ، مهمة دفع أثمان ليست ضرورية ، لان الغير دفعها ، يتعين علينا أيضا أن ندرس هذه التجارب بفكر مفتوح • أو كما قال الميثاق دون تعصب وبفكر مفتوح • وفى الواقع تتداعى الى الفكر ، وكلكم مفكرون ، قضايا كثيرة من الواقع المصرى على ضوء ما سمعنا •

ونحن نعلم أو أنتم تعلمون أيضا أن حوالى ٨٠ فى المائة من قوى الانتاج الصناعية فى مصر تملكها الدولة الان • وأن الانتاج الزراعى مخطط عن طريق التجميع والتسويق والتسعير وخدمات الدولة • ويسر الناس بعدما سمعوا المحاضر أن الفكر الاشتراكى فكر غنى، ويغتنى باستمرار ويتقدم ويحلق باستمرار • ولا يجب على المفكرين المصريين ان يتوقفوا، وانا أعلم ان محاولات جادة كثيرة من رجال مفكرين مخلصين للفكر الماركسى وللاشتراكية ، ولوطنهم بالدرجة الاولى ، حاولوا ويحاولون • لكن فى الحقيقة القضية ليست قضية أفراد • القضية تحتاج الى جهد منظم • وكان فى مصر المعهد الاشتراكى • فيه أمل كبير أن يستمر ، لا فى تثقيف كوادر الاتحاد الاشتراكى أو كوادر العاملين فى الحقل الانتاجى والاجتماعى فقط ، وانما يتقدم بخطوات أكثر لدراسات وأبحاث تنشر ويكون مركزا من مراكز اشعاع الفكر الاشتراكى • وينطلق الحوار والنقاش بين الاراء المختلفة فى مصر ، لانه طبعا المجتمع وهو يتحول ، يتحول أيضا من فكر بعيد عن الاشتراكية الى فكر اشتراكى • وهذا التحول يجب أن ينظم وأن يدعم وسائل البحث فى الفكر الاشتراكى، مواقع كثيرة كانت مضيئة وربما النكسة التى حلت بمصر صرفت جهودا كثيرة الى مواجهة العدوان الخارجى، ولكن حقيقة لا يجب أن ننسى أيضا الحقل الداخلى •

الاهرام له فضل انه أتاح لنا مثل هذه المناقشات والمحاضرات • والمسألة تحتاج الى كثير من سعة الصدر وسعة الافق وعبد الناصر نفسه هو الذى رفع فى المؤتمر القومى قبل الماضى ـ شعار المجتمع الثورى المفتوح • ولا يبقى الا أن ننظم هذا الانفتاح الثورى وننظم المناقشات والحوار الفكرى من مختلف الاتجاهات ، لاننا لا نستطيع أن نبنى الاشتراكية حقيقة بجزء وانما بالكل ، وحتى كما رأينا أمس ، فان الحوار مع رجال الدين كان مثمرا وغنيا وتحتاجه بلادنا • لا أقول الدين فالدين كما قال الدكتور لبيب شقير لا يمكن أن يتعارض مع سعادة الانسان والاشتراكية. يجب ان نتكاتف جميعا فى بناء وطننا على الاسس الاشتراكية •

واختم بأنه وقد اثارت محاضرة الاستاذ جارودى فى أذهاننا نحن المصريين انتباهات والتفاتات وتساؤلات كثيرة تخص واقعنا، نستطيع ان نقول انه هو أيضا اذا ساهم معنا فى مشاكلنا وفى البحث عن طرق ووسائل ونشاطات أفضل • وكل الذى نرجوه أن نواصل نحن المصريين هذا الحوار وأن ينظم وأن يدعم ، وأن تضع الدولة تحت يد القادرين أو النشيطين أو الراغبين امكانية البحث والدرس والنشر، واعتقد ان الاستاذ كمال الدين رفعت ينضم الينا فى هذا الطلب وشكرا •

د • محمد أحمد خلف الله :

عندى أن ظاهرة تعدد النماذج فى الاشتراكية ظاهرة طبيعية • فتعدد النماذج يتناول كل عقيدة أو كل نظام سواء كان سياسيا أو اجتماعيا. ولو أخذنا الاديان المسيحية والاسلام لوجدنا أيضا تعدد النماذج موجود • فالاسلام فى البلاد العربية له نموذج خاص به ، والاسلام فى الهند والباكستان والمناطق الاخرى له نموذج خاص به • فتعدد النماذج أمر طبيعى ، ويرجع كما قال الاستاذ جارودى الى التركيب الاقتصادى والاجتماعى ، وأنا سأسميه التركيب الثقافى • بمعنى أن الثقافة عندى هى أساليب يمارس بها المجتمع الحياة • وخلفية هذه الاساليب أفكار وآراء ومعتقدات • فأن يكون لمصر أو للجمهورية العربية المتحدة نموذج اشتراكى خاص بها هذا أمر طبيعى • والذى علينا أن نتعرف على مكونات هذا النموذج : كيف يتكون ؟ سيتكون من الفكر الاشتراكى ومن التركيب الثقافى فى الجمهورية العربية المتحدة • والذى علينا أن نلاحظه أن لا يكون التركيب الثقافى من القوة بحيث يحتوى الفكر الاشتراكى ويرده الى فكر قديم لا الى فكر جديد •

اذن علينا أن نربط بين الفكر الاشتراكى وبين التركيب الثقافى فى الجمهورية العربية المتحدة • التركيب الثقافى فى الجمهورية العربية المتحدة له مقومات • هذه المقومات منها الخبرة المتوارثة ومنها الدين • فالفكر الاشتراكى لابد وأن يرتبط بالخبرة المتوارثة فى الجمهورية العربية المتحدة ولابد وأن يرتبط بالدين أيضا • فكيف نربط بين الفكر الاشتراكى وبين الخبرة وبين الدين ؟ من

حيث الخبرة مسألة يسيرة . علينا أن نجعل الخبرة فى ممارستنا فى معتقداتنا وعاداتنا مرتبطة بالعلم . يعنى علينا أن نغذى هذه الخبرة بقواعد عملية ، ليكون اسلوب ممارستنا للحياة اسلوبا علميا سليما . يبقى بعد ذلك الجانب الاخر وهو الجانب الدينى . كيف نزاوج بين الفكر الاشتراكى والدين ؟ المسألة أيضا يسيرة لو حاولنا أن نتبين القيم أو المبادىء التى يبشر بها الدين ونضعها فى صيغ تناسب الى حد ما صيغ الفكر الاشتراكى . فمثلا فيما يخص ملكية وسائل الانتاج ، عندما نزل القرآن كانت وسائل الانتاج فى الغالب هى الموارد الطبيعية ، ولم تكن هناك أشياء تتعلق بالصناعة . كانت صناعات يدوية . ولم يكن هناك ملكية لوسائل الانتاج ، لانه لم يكن هناك مجتمع صناعى . الموارد الطبيعية فى نص القرآن ، انما خلقت للبشرية جمعاء .. « والذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ، !! والذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا » . فالموارد الطبيعية فى القرآن انما خلقت للبشرية جمعاء . فالذى علينا ان نحاوله هو أن نزاوج بين الفكر الاشتراكى وبين القيم والمبادىء الروحية أو الدينية . حينما ننطلق من الدين نجد أن وظيفة الدين ، هى اسعاد الانسان فى حياته ، فى الدنيا وفى الاخرة . كل الاديان ما جاءت الا لتسعد الانسان فى حياته الاولى والثانية ، الدنيا والاخرة . وكل النظم التى اخترعها الانسان ، اخترعها أيضا لينظم بها حياته . ويسعد بها الانسان . فالهدف من الاديان هو نفس الهدف من النظم أيا كان نوع هذه النظم . النموذج الاشتراكى نختاره لانه يهتم بالمجتمع أكثر مما يهتم بالفرد ، ويهتم بمشكلات نعانيها الان ، ونرجو أن نجد لها حلا من الثقافة أو التركيب الثقافى فى الجمهورية العربية المتحدة ومن الفكر الاشتراكى . وكما قلت المسألة ليست صعبة فقيم الحق والعدل موجودة ، قيم رفض التمييز العنصرى أو الطبقى موجودة . كل القيم الخيرة التى تسعد الانسان موجودة فى الاديان . انما علينا نحن أن نضع هذه القيم فى صيغ تلائم العصر الذى نعيش فيه ، وفى الوقت نفسه تلائم الصيغ الاشتراكية أو الفكر الاشتراكى الذى نعتمد عليه .

الاخضر الابراهيمى :

انى مدين بالعرفان العميق لمضيفيك الذين سمحوا لى بحضور هذه المحاضرة التى كانت على جانب كبير من الاثراء بالنسبة لى . انى أشكر رئيس هذا الاجتماع ، صديقى كمال الدين رفعت الذى سمح لمناضل جزائرى مثلى ، بأن أقول كلمة وأن أعرض على الحاضرين وعليكم بعض الانطباعات .

وتنطلق تلك الانطباعات من ملاحظة جاءت على لسانكم فى بداية المحاضرة وهى أن الكثيرين من بيننا يكتشفون من خلال الممارسة اليومية للحياة ، أن الاشتراكية ليست اختيارا ، بل ضرورة . وهذا صحيح تماما فى حالات كثيرة ، وصحيح بشكل خاص فى بلاد العالم الثالث ، فالحياة اليومية التى نمارسها والمشاغل التى نواجهها ، نحن المثقفين والعاملين ، تكشف لنا هذه الضرورة بالفعل ، بين الوعى بضرورة السير فى طريق التنمية غير الرأسمالية فى البداية ثم الاشتراكية .

ولذا فبين الوعى بهذه الحقيقة ووضعها موضع التنفيذ ، تثور قضايا هائلة حقيقية لبلاد العالم الثالث ، وهى قضايا طبيعية ، تثور مع تحول المجتمع ومع انتقال السلطة من يد طبقة الى يد طبقة أخرى . وهذه القضايا عديدة وتزداد تعقيدا وخطورة فى الوقت الحالى بسبب القبضة الامبريالية الشديدة على هذه البلاد . والمجموعات والاحزاب بل والقادة الذين يدركون هذه الضرورة ويريدون تحويل مجتمعهم ، لا يواجهون فقط طبقة رجال المال والجماعات المسيطرة على الحكم ، وهى جماعات رجعية ، بل يواجهون أيضا الامبريالية التى نصبت نفسها حامية فعالة وقديرة للنظم القائمة خاصة وأن للامبريالية مصالح حقيقية هامة جدا ومحددة . فهناك اذن تحالف كبير وفعال للغاية بين الرجعية فى بلادنا والامبريالية وبالاخص الولايات المتحدة . وفى مواجهة هذا التحالف يوجد من الناحية النظرية تحالف بين الطبقات المعدمة وقطاعات مجتمعنا التى تجد أن التغيرات من صالحها ، وتريد أن تقيم الاشتراكية مع الطبقة العاملة فى البلاد الصناعية. غير أن هذا التحالف للاسف ليس فعالا مثل تحالف الجانب الاخر حتى عندما لا يكون مجرد تحالف نظرى . وبهذا الخصوص ، فانى أعتقد فيما قاله فيديل كاسترو ، وهو أن كان وطنيا وأصبح اشتراكيا بالضرورة ، وربما كان ذلك فرصة بالنسبة له ، لانى أعتقد أنه لو كان الامريكيون يشكون فى نواياه منذ بداية حركته ، وأنه يريد أن يقيم الاشتراكية فى كوبا ، لخلقوا له مصاعب تفوق بكثير المصاعب التى واجهها .

وبالطبع هناك محاولات كثيرة فاشلة أمام أذهاننا لحركات تحرر وطنى وقادة ادركوا هذه الحقيقة فواجهوا تحالف الرجعية المحلية مع الامبريالية. ومن الامثلة المتميزة فى هذا الصدد، حالة مصدق ، وقد منى بفشل ذريع ، لقد ادرك

الحقيقة ، وأراد أن يحقق الاستقلال وأن يضفى عليه مضمونا ولكنه فشل . والمثل الكلاسيكى الثانى هو مصر ، ففى عام ١٩٥٦ ، كان تأميم قناة السويس ، أول تعبير عن هذا الوعى . وقد مر هذا الوعى بتجارب قاسية . وهناك أيضا مثل بارز وهو الخاص بجمهورية الدومينيكان حيث كانت هناك مجرد بادرة تحول ، فنزلت قوات مشاة البحرية الامريكية . وأريد أن أؤكد هنا نقطة ذات أهمية كبرى بالنسبة لبلاد العالم الثالث فى السنوات القادمة ، وذات أهمية أيضا بالنسبة لمستقبل العلاقات الدولية وهى تنظيم التحالف بين البلاد المتخلفة وبالاخص الفئات المعدمة والاكثر وعيا فى هذه البلاد ، والقوى المعادية للامبريالية فى البلاد النامية والبلاد الصناعية ، سواء كانت دولا اشتراكية ، او كان اليسار فى البلاد الغربية . أشكركم .

محمد سيد أحمد :

اعتقد ان المسألة الجديرة بأن نشيد بها فى محاضرة اليوم ، هى طرحها من الوجهة المنهجية قضية « النموذج » .. وميزة طرح المسألة على هذا النحو تكفل الابتعاد عن النظرة الجزئية المنطلقة من تجربة بعينها فى تقييم التجارب الاخرى ، وتجاوز هذه النظرات الجزئية بجعل المنطلق الاساسى هو تنوع التجارب ومشروعية هذا التنوع — ويبدو لى ان هذه النظرة هامة ، خاصة فى الوضع الراهن للحركة الاشتراكية العالمية ، وما تواجهها من صعاب وتعثرات فى العلاقات بين التجارب المختلفة . وهى نظرة تسمح بايجاد تفسير لهذه الصعاب ، وللتغلب عليها ، دون اللجوء الى أساليب تتسم بطابع التوفيق أو الشكلية ، تحقيقا لهذا الهدف . أن هذا المنهج فى علاج القضية يسمح على عكس ذلك ان نبرز محتوى الدواعى التى تفضى الى تنوع التجارب وان نبحث عما يتسم بطابع موضوعى وما يتسم بمجرد طابع ذاتى فى التمييز بين تجربة وأخرى . وفى التعثرات التى تشوب العلاقات بين التجارب المختلفة .

غير أن طرح « مشروعية تنوع التجارب » — بطرح فكرة « النماذج » — ينبغى ان تطرح فى مواجهتها ثلاثة تحفظات :

● التحفظ الاول يتصل بأساليب عمل الاستعمار الجديد ، وقدرته على الاستفادة من الثغرات فى وجدانية وتماسك قوى الاشتراكية ، لينفذ الى مواقعه — وهو أمر يعقد من ملامح هذا التنوع ، ويلزمنا بأن ننتبه الى احتمال تأثر بعض مظاهره بالتدخل الاستعمارى فى صور متنوعة . وهذا بدوره يطرح حدود ما هو مشروع فى التنوع ، والخطوط الفاصلة التى تميز تفرقا بين ما ينتمى الى تنوع أصيل فى تجارب اشتراكية ، وبين ما يرجع سببه الى مؤثرات استعمارية .

● التحفظ الثانى يتصل بالتطبيقات العصرية للتعايش السلمى وما تقتضيه من صور مختلفة للتعامل بين دول تنتمى الى نظم اجتماعية مختلفة ، ربما كانت صورتها البارزة العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، تجنبا لانفجار حرب نووية بينهما . ومما لاشك فيه ان هذه العلاقات لابد وان تنعكس على العلاقات بين الدول الاشتراكية — وكان لهذه القضية على وجه التأكيد اثرها فى العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والصين مثلا — ولا شك ان التعايش السلمى له أثره فى تحديد ابعاد التنوع ، وفى التأثير على العلاقات بين التجارب الاشتراكية المختلفة ، مع تباين مواقع هذه التجارب فى المواجهات الكبرى التى تحكم عالم اليوم .

● التحفظ الثالث يتصل باثر الثورة العلمية والتكنولوجية العصرية ، وحقيقة ان هذه الثورة تسمح للدول المتطورة بمزيد من التطور ، بينما تزداد الهوة النسبية اتساعا بين هذه الدول المتطورة بالذات ، وتلك التى لم تصل الى « عتبة » محددة . وذلك بغض النظر عن انتماءاتها الايديولوجية . ومن المؤكد ان هذه المفارقة تسمح للدول الاستعمارية لاستثمار هذا الواقع الجديد واستغلال اوجه التباين التى تزداد عمقا .

من هذا كله يتضح أن هناك قضية تتصل بضمان التجانس والتماسك بين التجارب والقوى الاشتراكية ، بجانب قضية الاعتراف بشرعية تنوعها . ولا يكفى طرح القواعد التى تحكم وتفسر التنوع دون ان يستكمل العرض بالقواعد التى تطرح حدودا لهذا التنوع ، تجنبا للوقوع فريسة مؤثرات الاستعمار الحديث .

لطفى الخولى :

أرجو أن يسمح لى — فى حدود الوقت المتاح — ببعض الملاحظات المركزة .

يمكننى أن أصوغ الملاحظة الاولى على الشكل التالى : ان أهم سمة نخرج بها من محاضرات

الاستاذ جارودى الثلاث ، على تنوع موضوعاتها هو أننا أمام مفكر ماركسى واسع الثقافة مفتوح الافق يعادى الجمود • ويبذل من خلال منهجه الخاص وقناعاته وتجاربه محاولات جسادة كى تستوعب الماركسية حقائق الحياة الجديدة فى الثلث الاخير من القرن العشرين وتغتنى بنتائجها الايجابية • وهو فى سبيل ذلك يعمد بشجاعة الى طرح عديد من الاسئلة بصراحة وقوة • ويقدم عليها اجابات • وهنا يجب أن نميز بين أمرين أساسيين • الموقف من طرح الاسئلة التى يثيرها الواقع الجديد والموقف من الاجابات التى يقدمها الاستاذ جارودى على هذه الاسئلة •

وفى اعتقادى أن الاستاذ جارودى على حق فى طرحه لهذه الاسئلة وأن الفكر الاشتراكى العلمى يغتنى بطرحها وبطرح غيرها • وأن كل خشية أو حاجز يحول بين الاشتراكى وطرح ما يعتمل فى نفسه من أسئلة يجب أن يسقط وأن يدان • يبقى بعد ذلك الموقف من الاجابات التى يقدمها الاستاذ جارودى • وهنا من حق كل اشتراكى علمى أن يتفق أو يختلف موضوعيا مع اجابات الاستاذ جارودى • ومن خلال عملية الاتفاق والاختلاف يغتنى التراث الاشتراكى على الدوام ويتغلب على آفة الجمود وعلى تحويل الماركسية على أيدى من سماهم لينين نفسه « أوباش الاشتراكية » خلال تعبيره الغاضب ضد الجامدين ، الى عقيدة جامدة لا تنفتح على الدوام وباستمرار على متطلبات الحياة الجديدة •

ومن هنا فقد اختلف مع جارودى فى عدد من آرائه وأفكاره بل ومواقفه مثل موقفه مثلا من أزمة تشيكوسلوفاكيا • ولكنى أتفق معه تماما فى وقوفه ضد قفل باب الاجتهاد فى الماركسية • فليست ماركسية النصف الثانى من القرن العشرين محصورة فقط فيما أتى به ماركس وانجلز ولينين • وانما هى أيضا كل ما نتج وينتج عن الجهود البناءة والتحديات الفكرية والعملية خلال التجربة السوفيتية وغيرها من التجارب الاخرى التى جاءت بعدها • وأعتقد أن وضع هذه الملاحظة فى الاعتبار يضمن الموضوعية فى الحوار مع الاستاذ جارودى •

والملاحظة الثانية هى ان موضوع محاضرة الليلة يتركز بالدقة حول ظاهرة تعدد النماذج الاشتراكية فى عالمنا المعاصر • بمعنى أن ظاهرة التعدد أى ظاهرة اختلاف النماذج هى موضوع البحث ، وليست الاشتراكية نفسها كنظام عام وفكر عام وأصل واحد لكل هذه النماذج • ومن هنا يكون الاستاذ جارودى منطقيا مع موضوع محاضرته حينما يركز على الظروف الخاصة التى تفرخ هذا التعدد ، لا على الخطوط العامة الموحدة للاشتراكية التى تربط كل هذه النماذج الى أصل واحد •

الخطوط العامة هنا ليست موضع نقاش وانما هى مفترضة طالما الحديث يجرى عن تعدد نماذج فى اطار الخطوط العامة للاشتراكية • وهى الخطوط التى تحدث عنها الاستاذ جارودى فى محاضرته حين أوضح أن الثورة الاشتراكية تعنى التغيير الاساسى فى علاقات الانتاج ، وتعبر عن نفسها – قانونا – فى تحديد الموقف من الملكية الخاصة • وأقصد بالموقف هنا تأميم هذه الملكية وتحويلها الى ملكية جماعية • وقد تختلف صور الملكية الجماعية من تجربة اشتراكية الى أخرى • فقد تأخذ شكل الملكية العامة للدولة ، كما قد تأخذ شكل الملكية الاجتماعية • وتتعدد بالتالى أساليب ادارة الملكية فقد تكون مركزية من جانب الدولة وأجهزتها المختلفة • وقد تكون فى شكل التسيير الذاتى الذى يقوم به العاملون والمنتجون فى كل مشروع بدرجات متفاوتة من الاشراف العام للدولة وأجهزتها • والذى يحدد هذا الشكل أو غيره من أشكال الملكية وأساليب الادارة هو الظروف الخاصة بكل مجتمع يأخذ بطريق الاشتراكية العام • ومن هنا فعندما نتعرض لتعدد النماذج الاشتراكية يجب أن نتعرض لها بفكر مفتوح • فطالما هى جميعا تستند الى الاصل الاشتراكى العام فهى جميعا تغنى هذا الاصل دون أن تجمده على نموذج واحد • ومعنى هذا أن تفضيل نموذج على نموذج آخر فى مجتمع معين بظروف معينة خروج على الاشتراكية أو أنه هو وحده النموذج الاشتراكى وغيره لا يمت الى الاشتراكية •

وتعدد النماذج الاشتراكية أصبح حقيقة واقعية فى عصرنا •

ما السبب ؟ هناك أكثر من سبب • فأولا أصبحت الاشتراكية ظاهرة عالمية بعد أن ظلت حتى قبيل الحرب العالمية الثانية قائمة فى أول بلد اشتراكى وهو الاتحاد السوفيتى • اليوم الاشتراكية تضم بلادا عديدة تختلف فى ظروفها التاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية وتتنوع درجات نموها الاقتصادى وتراثها القومى • ومن هنا كان لا مفر من تنوع نماذج التطبيق الاشتراكى •

وعلى هذا الاساس فانى اذا كنت أتفق مع الدكتور ابراهيم سعد الدين فى نقطة ضرورة عدم اهمال الخطوط العامة للاشتراكية ، الا أنى أختلف معه فى ان المحاضرة كان يجب أن تركز على هذه الخطوط العامة بجانب الظروف الخاصة للتطبيق الاشتراكى بكل مجتمع وتجاربه الذاتية • لانه عند الحديث عن مناخ وأسباب التعدد لابد من التركيز على الظروف الخاصة والتجارب الذاتية • وهناك فى الفكر الاشتراكى خلاف حول وزن الظروف

الخاصة بالنسبة للظروف العامة فى تجربة كل مجتمع . وحتى بدايات الخمسينيات كان هناك رفض شبه تام لتعدد النماذج الاشتراكية فى الفكر الاشتراكى . وكانت الستالينية فى أحد جوانبها السلبية ـ مسئولة عن ذلك . ولعل الاستاذ جارودى نفسه كان من ذلك الرأى قبل أن يقوم بنقد ذاتى شجاع وشامل . ثم جاء المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى فأكد النظرة الماركسية اللينينية عن امكانية تعدد طرق الوصول الى الاشتراكية ونماذجها .

الملاحظة الثالثة هو أنه من الخطأ فى رأيى الحديث هنا عن تجارب العالم الثالث أو البلاد النامية التى تسعى نحو الاشتراكية وذلك على ضوء ما جاء بمحاضرة الليلة . فالمحاضرة تتحدث عن ثلاثة نماذج فى مجتمعات اشتراكية . أما فى البلاد النامية التقدمية فانها فى مرحلة التحول نحو الاشتراكية .. مرحلة الانتقال . بمعنى أنها لم تصبح بعد اشتراكية ، وبالتالى لم تبين تماما نموذجها الاشتراكى طبقا لظروفها وأنما هى فى مرحلة التكوين والبناء . وفى مصر مثلا نحن مازلنا فى مرحلة الانتقال ولم نصبح بعد بلدا اشتراكيا . وهذا ما حرص المناضل جمال عبد الناصر على تأكيده . وفى سعينا على الطريق الاشتراكى فى ظروفنا الخاصة ، نحاول فى الاطار العام للاشتراكية بناء نموذجنا الذى يتفاعل مع ظروفنا الخاصة التى تتصل بدرجة التطور والأوضاع القومية وقضايا تحالف قوى الشعب العاملة بما فى ذلك الدور الوطنى التقدمى للجنود كجزء من تحالف قوى الشعب العاملة فى مرحلة الانتقال .

وهنا أود ان أعلق على كلمة الاستاذ عبدالكريم أحمد حول حديث الدكتور ابراهيم سعد الدين حول الانقلابات العسكرية المضادة التى وقعت فى بعض البلاد النامية التقدمية . اذ يبدو أن عبد الكريم فهم أشياء لم يقلها ابراهيم سعد الدين . لقد تحدث ابراهيم عن أوضاع محددة فى غانا وأندونيسيا ومالى بالذات . والاحداث تقطع بأن ثمة انقلابات عسكرية قد وقعت فى هذه البلدان ضد السلطة الوطنية التقدمية ، بدرجات متفاوتة ـ والتى كانت قائمة . ومعنى ذلك أن هناك دورا رجعيا لبعض الجيوش فى البلدان الافريقية والتى لم تتطهر من العناصر المعادية للتقدم . ولكن ذلك لا ينفى الدور الوطنى التقدمى للجيوش الوطنية التى ارتبطت بحركة الشعب كما حدث فى مصر والجزائر وليبيا والسودان مثلا . وهو الدور الذى كتب عنه ابراهيم سعد الدين نفسه كثيرا . وهو الدور الذى أصبحت دراسته مطروحة فى الفكر الاشتراكى العلمى . وكانت التجربة المصرية هى أول تجربة طرحت نظريا وعمليا طبيعة هذا الدور الوطنى التقدمى للجيوش فى البلدان النامية . وذلك عندما تنفجر الثورة فى شكل انقلاب عسكرى ، ولكنها سرعان ما تتخطى حدود الانقلاب وتلتحم بالجماهير الشعبية وتأخذ أبعادها الوطنية والاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية . وتصبح بالتالى ثورة وطنية اجتماعية تقدمية .

والملاحظة الرابعة والاخيرة . وأرجو أن أكون فى حدود الوقت المسموح به . خاصة بالبيروقراطية فى التجارب الاشتراكية . وهنا أخالف الاستاذ جارودى فى أن البيروقراطية تحتل مكانا أوسع فى النموذج الاشتراكى المركزى عنه فى نموذج التسيير الذاتى مثلا . وأعتقد أنه بطبيعة الحال لا يخلو نموذج من قدر معين للبيروقراطية بل والى أشكال للبيروقراطية خاصة به . والمشكلة هى دائما فى محاصرة البيروقراطية وتصفيتها اولا بأول . طبعا فى النموذج المركزى هناك نوع من البيروقراطية . وفى الاتحاد السوفيتى لا يخفون هذه البيروقراطية ويعملون على محاربتها . الا يرى السيد المحاضر مثلا ان الاصلاح الاقتصادى الجديد فى الاتحاد السوفيتى كان من بين أهدافه الرئيسية والناجحة الى حد بعيد فى رأيى ، محاصرة وعلاج للبيروقراطية .

وعلى العموم فلاشك أن البيروقراطية أمكن بدرجة كبيرة تخطيها فى تجربة الاتحاد السوفيتى والا لما كان قد وصل فى فترة لا تزيد عن نصف قرن ، تخللتها حروب عديدة ومصاعب لا حصر لها ، الى هذه الدرجة العالية من التقدم الاقتصادى والاجتماعى واقتحام عصر الفضاء . خلال زيارتى ليوغوسلافيا ومعايشة نموذجها الاشتراكى يلمس المرء بيروقراطية من نوع آخر . وهم أيضا هناك لا يخفون ذلك ويواجهونها بشجاعة . ففى عدد من المؤسسات المدارة ذاتيا تتكون ما يمكن أن يسمى بأرستقراطية عمالية تحول دون التوسع واستخدام عمال جدد قد يقاسمونهم العائد "

الوقت لا يسعفنى لمزيد من التعليق على كل النقاط . ولكن ما أريد أن أختم به هو أن نفسح الصدر الى أوسع مدى للحوار والاخذ والعطاء والانفتاح دون عقد أو حساسيات على الفكر الانسانى التقدمى كله ، فبذلك نغتنى ، وذلك ايضا نغنى الفكر العالمى نفسه بنتاجنا وفكرنا وتجاربنا . ويكفينا ما أصاب الانسانية نتيجة قفل باب الاجتهاد الفكرى بكل صوره وأشكاله . ليكن الانفتاح الواعى المسئول على أساس الغاء استغلال الانسان للانسان هو طريقنا المختار . وهذا ما الح عليه شاكرا للاستاذ جارودى محاضرته القيمة وسعة صدره .

روجيه جارودى :

اطمئنوا ، لن أقدم لكم محاضرة أخرى ، أريد فقط ان أبدى ملاحظتين :

الاولى لها طابع عاطفى الى حد ما ، اذ أريد أن أشكر صديقنا سفير الجزائر الذى أكد بقوة مقتضيات ضرورة فهم ما يوحدنا فى كفاحنا المشترك ضد الامبريالية ، سواء اذا تعلق الامر بالاحزاب العمالية فى العالم الراسمالى المتقدم أو بحركات التحرر الوطنى الكبيرة .

أعتقد أن تلك أحد مفاتيح المستقبل ، وما ذكره صديقنا يجب أن يكون القاعدة التى تقوم عليها العلاقات بيننا . لم يكن الامر بسيطا دائما فى الماضى ، ونحن نذكر أيام كان الرجعيون الفرنسيون والمستعمرون الفرنسيون يتهموننا بالخيانة لاننا كنا نبذل كل جهودنا لكى نثبت أن حرب الشعب الجزائرى حرب عادلة ، وأن الحرب التى كان الاستعماريون الفرنسيون يخوضونها ضدهم حرب ظالمة . كانوا يتهموننا بالخيانة ، ولكننا كنا على ثقة من موقفنا ، وفقا لتعاليم ماركس ، واذكر قوله : « ان الشعب الذى يضطهد شعبا آخر لايمكن أن يكون شعبا حرا » . ومن هنا فان دفاعنا عن الحرب العادلة التى كان يخوضها الشعب الجزائرى كان نضالا من أجل حريتنا . وانى لاشكر صديقنا لانه أكد أن تلك هى القاعدة الاساسية التى يجب أن توحد بيننا فى المستقبل كما وحدت بيننا فى الماضى .

أما الملاحظة الثانية التى أريد أن أبديها هى أنه بصفة عامة فان أغلب المتحدثين أدركوا ما هو غرضى منذ البداية . فلم يكن غرضى تقديم كتالوج لمختلف النماذج الاشتراكية أو تقديم تحليل مفصل لها ، اذ أننى سأتجاوز بذلك لا حدود لمدة المحاضرة فحسب ، بل وحدود امكانياتى بصفة عامة . كما أننى لم أتوخ تقديم مدح أو قدح لاى نموذج من النماذج ، فانا لم أختر الامثلة من بين هذه النماذج بوحى من الحياد ، كما تصور احد المحدثين ، فلى رأى محدد جدا بصدد هذه المسألة . ولكننى أرى أن تلك ليست قضية الليلة . فالقضية الاساسية هى ان ندرك كيفية تكون البيروقراطية داخل نظام الملكية الاشتراكية . ولذا فالمسألة بالنسبة لى لا تتعلق بدراسة اختلاف النماذج ولكن باظهار القانون المشترك فى ظل ذلك التنوع فى النماذج . أردت ان أوضح ان هناك قوانين تدهور بيروقراطى ممكن للاشتراكية فى مختلف النماذج ، وأن ندرس ، على هذا الاساس ، امكانية وجود قوانين لمحاربة هذه البيروقراطية . هذا ما يبدو لى أنه القضية الاساسية . وأعتقد من وجهة النظر هذه ، أنه ليس من المبالغة أن نقوم بدراسة منتظمة ومقارنة لطريقة تطور مختلف النماذج لكى نستفيد من كل التجارب ، لا التجارب الناجحة فقط ، ولكن من التجارب التى أخفقت أو وقعت فى أخطاء . وأعتقد أن ذلك من الضرورى جدا ، بالنسبة لكل واحد منا ، اذا أردنا أن نحقق ، ما جاء ذكره منذ قليل فى تعبير رئيسكم ناصر ، عن « المجتمع الثورى المفتوح » . ومن وجهة النظر هذه ، فانى أعتقد أنه من أجل تحقيق هذا المجتمع الثورى المفتوح ، فانه لا يوجد ما هو أفيد وأخصب من الحوار . وأود أن أشكر الطليعة والاهرام لانهما أتاحا لقيام هذا الحوار .

وقد سعدت للغاية عندما علمت ان هذا الحوار سيستمر على صفحات الاهرام والطليعة.. وأود وأنا أختم كلامى ، ان أشكركم لاتاحتكم لى فرصة المشاركة فى هذا الحوار . وأكرر لكم شكرى مرة أخرى .

كمال رفعت :

بانتهاء هذه المحاضرة الثالثة للاستاذ جارودى ينتهى حوار مثمر استمر ثلاث محاضرات وثلاث مناقشات وفى حد ذاتها كانت هذه المناقشات دسمة وغنية بأفكارها وغنية بالمواد التى تشملها والافكار الجديدة التى قالها السيد المحاضر .

كما أن المناقشات التى دارت فى هذه المحاضرات الثلاث تدل على مدى الوعى ومدى الفهم العميق للفكر الاشتراكى وأهمية السير فى هذا الطريق مهما كانت العقبات التى يواجهها أى مجتمع وبالذات العقبات التى يواجهها مجتمعنا فى الظروف الحالية .

وأود أن أوضح للاستاذ جارودى أن المصاعب التى نعانيها حاليا من الصهيونية العالمية والاستعمار العالمى انما هى تأتى أساسا من اتجاهنا نحو تحرير أنفسنا سياسيا واقتصاديا من السيطرة الاستعمارية ، بل واتخاذنا الطريق الاشتراكى كطريق للنمو وطريق للتطور . ولكن بالرغم من هذا وبالرغم من هذه الظروف القاسية وبالرغم من المحاولات الكثيرة التى حاولها البعض وتحاولها

الرجعية وتحاولها قوى الثورة المضادة باستمرار لكى تثنينا عن هذا الطريق ، فان هذا الطريق اصبح واضحا وحتميا بالنسبة للقيادة الثورية وبالنسبة لجماهير الشعب التى من مصلحتها الحقيقية هو السير فى هذا الطريق .

واذا كان العدوان الذى وقع علينافى سنة ١٩٦٧ وخططت له الصهيونية والامبريالية العالمية ولا يزال مستمرا على أرضنا وعلى الارض العربية كان يهدف أول ما يهدف الى اعاقة السير فى هذا الطريق فاننا متأكدون ان تضامن الشعوب وتضامن القوى الاشتراكية فى العالم ستستطيع أن تدحر هذا العدوان وتستطيع القوى الاشتراكية أن تخرج منتصرة على قوى الصهيونية العنصرية وقوى الامبريالية العالمية .

ونحن هنا فى الجمهورية العربية المتحدة نسعى بكل قوانا وبكل امكانياتنا لكى نثبت دعائم مرحلة التحول الاشتراكى سواء من النواحى القانونية أو الدستورية أو النواحى النظرية والتطبيقية .

فيوجد فى الجمهورية العربية المتحدة دستور قائم وهو دستور مؤقت يشتمل على جميع العناصر الدستورية التى يقوم عليها أى دستور وقد جاء فى ميثاق ٣٠ مارس الذى وافق عليه الشعب بالاجماع من أهمية وضع دستور دائم للمجتمع المصرى .

وفى تقديرى ان هذه المرحلة التى نمر بها بالرغم من صعوبتها فانها تجربة قوية لكى تضع أسسا دستورية سليمة فى المستقبل .

وقد نص بيان ٣٠ مارس على أهميـة وضع دستور دائم بعد انتهاء العدوان أو ازالة آثار العدوان .

من ناحية التطبيقات الاشتراكية ، بالرغم أيضا من الصعوبات فقد تم تحولات كبيرة حتى فى هذه الفترة العصيبة ، تم تحديد الملكية ايضا بأقل مما كانت عليه — تم تحديد من هم الفلاحون ومن هم العمال بتحديد أدق مما كان قبل ذلك — كان قبل ذلك الفلاح هو من يملك ٢٥ فدانا — اليوم أصبح هو من يملك عشرة أفدنة — ومن هنا يتضح اننا نسير فى طريق التحول الاشتراكى بخطى ثابتة رغم الظروف الصعبة التى يجتازها مجتمعنا .

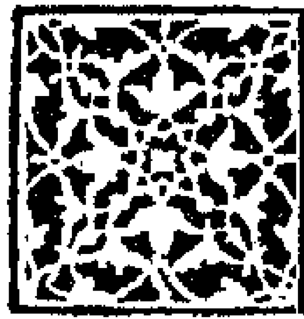
وبالنسبة لقضية الارض عموما ، فقضية الارض من القضايا الشائكة فى المجتمعات الاشتراكية نفسها ، بل ان كثيرا من البلاد الاشتراكية لم تستطع حتى وقتنا هذا الحالى حل هذه المشكلة .

وأمامنا أمثلة فى بولندا فى ألمانيا الشرقية وغيرها من بلاد الكتلة الشرقية .

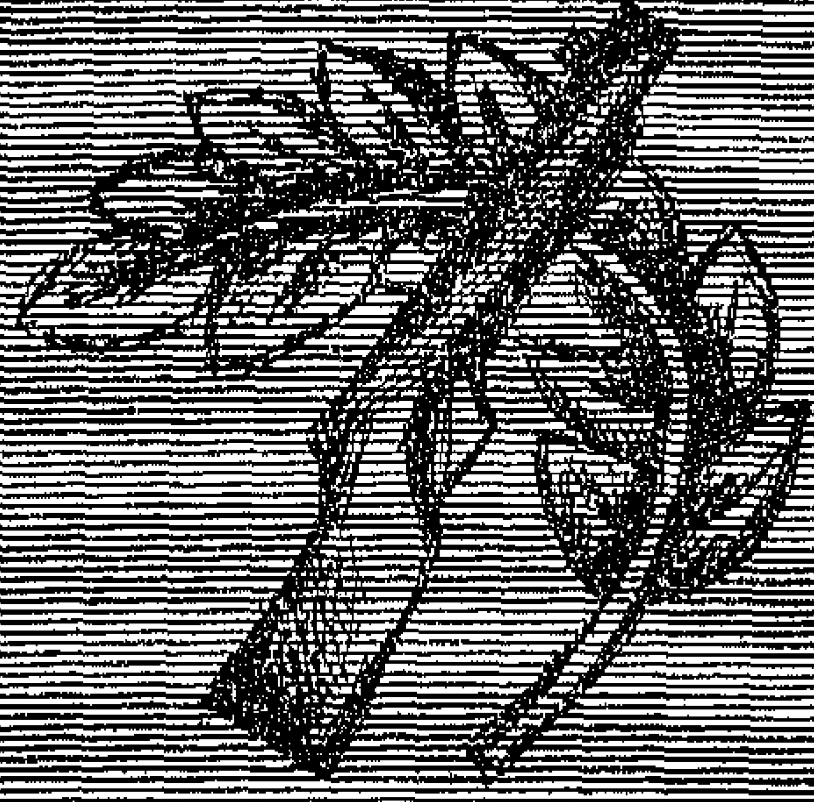
ولكن بالرغم من هذا فاننا نؤمن بالمبادىء الاساسية للاشتراكية وان طريقنا للاشتراكية هو لتحقيق هذه المبادىء ، قد نختلف فى الطريق اليها وقد نختلف فى أسلوب تحقيقها ولكنها فى النهاية تنتهى الى المبادىء الاشتراكية الاساسية .

وانى أشكركم مرة أخرى على هذه المحاضرة القيمة وهذه المحاضرات التى أثرت فكرنـا الاشتراكى وزادت من أهمية الفكر الاشتراكى فى وقتنا الحاضر ، ونشكر أيضا جريدة الاهرام التى أتاحت لنا جميعا هذه الفرصة لكى نتنـاقش ونتدارس مشاكل لها أهمية ليس من وجهة النظر الاشتراكية فقط بل من وجهة النظر الوطنية ايضا فى مجتمعنا الذى يتطلع الى مجتمع اشتراكى سليم .

وانى أشكركم مرة أخرى وأتمنى لكم حياة طيبة والسلام عليكم .



تقرير من "آلما - آتا"



في هذا العدد ، تواصل الطليعة تقديم جانب من أعمال ندوة « آلما — آتا » ، التي عقدت في الفترة مابين ١ — ٨ اكتوبر ١٩٦٩ .

وكانت ندوة « آلما — آتا » ، قد عقدت في اطار الاحتفالات بذكرى مولد لينين المئوية ، وشاركت في اعمالها وفود من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية وأوربا . وذلك بدعوة من أكاديمية العلوم السوفيتية واللجنة السوفيتية للتضامن الاسيوى الافريقى .

الوعى التحررى العربى بين التقدم .. والانكماش

عزيز شريف

عزيز شريف ، مناضل تقدمى من العراق عين أخيرا وزيرا للعدل فى الحكومة العراقية . وهو من الحائزين على « جائزة لينين للسلام » وسكرتير المجلس القومى للسلام فى العراق .

وقد شارك عزيز شريف فى أعمال ندوة آلما — آتا بالبحث الذى ننشره هنا ، ويعرض فيه ثورة اكتوبر الاشتراكية : مواقفها وتأثيرها فى تطور حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات .

ان فضل لينين على حركات التحرر الوطنى متعدد الصور والسبل .

ليس ذلك لكون لينين من خلال بحوثه النظرية ونضاله ، قد طور السلاح الايديولوجى لهذه الحركات فحسب ، بل ولانه قاد عمليا ثورة اكتوبر التى هزت أساس الامبريالية ، وشقت الطريق للشعوب للنضال الناجح من اجل تحررها ، وقدمت المثال العملى لحل المسألة القومية ، واقامت الدولة الاشتراكية الاولى التى أصبحت سندا لدعم نضال الشعوب التحررى سياسيا ودبلوماسيا وادبيا وماديا .

وقد اضطرنى ضيق المجال وسعة الموضوع ان اقصر نظرتى هنا على :

● الخطوط الاساسية لتطور الوعى التحررى فى المشرق العربى :

ان معضلة الوعى التحررى هى احدى اشد المعضلات التى تواجه حركة التحرر الوطنى فى بلادنا ، فى الظروف التاريخية الحالية ــ ان لم تكن اشدها جميعا . وذلك لسببين : أحدهما خاص بوضع بلادنا الحالى ، باعتبارها على مفترق أحوال تاريخية منوعة : القديم بصوره العديدة ، وبالدرجات المختلفة لشيخوخته واهترائه ، والصور العديدة لتقمصه لقمصة مستعارة لاعادة مظاهر الشباب فيه · والجديد المنوع الصور ايضا ، الذى يضم مواليد تنتمى الى الحياة المتجددة ، الى المستقبل ، ومواليد تنتمى الى الماضى المندثر او الآيل الى الانهيار .

اما السبب الثانى ـ فهو ان الوعى الاجتماعى يتأثر بعوامل عديدة ، ولا سيما بميزان القوى الاجتماعية ــ الطبقية ، المحلية والاجنبية · وبقدرة هذه القوة ، او تلك على دفع استنتاجاتها فى الحوادث الى الرأى العام بالصيغة التى تلائم مصالحها .

ولذا فان معضلة الوعى التحررى ــ الاجتماعى ، موضع كفاح لا يفتر بين قوى التطور والثورة من جانب ، وقوى المحافظة والردة من جانب آخر . وبالنظر الى ان الجماهير لا تستطيع ـ وهى فرادى ــ ان تستوعب العملية التأريخية على صحتها وسموها ، وان تبلور منها حكما موحدا ولا ان تخوض نضالا ظافرا ــ وهى فرادى ــ فان الشرط لامكان الوعى ، ولاستخدامه فى النضال انما يتحقق عن طريق الطليعة الماركسية ــ اللينينية ، التى هضمت سلاح النظرية وتمرست فى استعماله فى الظروف الحسية المتباينة ، واستطاعت تنظيم الجماهير وتعبئتها وزجها فى المعركة ، ولست اقول هذا انتقاصا للمستقلين المناضلين فى سبيل حرية الشعب ، فانا نفسى ديموقراطى مستقل · ولم اقل « الحزب الشيوعى » لان « الشيوعية » تسمية للحزب ، و « الماركسية اللينينية » وصف مشروط · ومحض التسمية بالشيوعية ليست سحرا يخلق المعجزات ، وهانحن نرى احزابا تتسمى بالشيوعية ، ولا تصونها التسمية من الانزلاق حتى فى التعصب القومى الشوفينى .

ونظرا الى التفاوت الكبير فى التطور بين مختلف البلاد العربية ، والى التباين الطبقى والفكرى ، بين الطبقات والفئات الحاكمة ، وكذلك بين مختلف القوى الاجتماعية الاخرى ، فان معضلات الوعى تتباين باختلاف هذه البلاد ، ومن ثم تنعكس فى التباين (الحاد جدا فى بعض الاحيان) بين مواقف القوى التى يتالف منها مجتمع كل قطر ، بينما تواجه عدوا موحد الخطط ، موحد الاهداف .

لناخذ مثلا من السياسة العدوانية للولايات المتحدة الامريكية ضد حركة التحرر العربى ، لنأخذ مصالحها ومصالح شركائها الامبرياليين البريطانية الاستراتيجية والاستثمارية ، وكذلك شركائهم الامبرياليين الجدد الديناميكيين الالمان ــ هؤلاء واسرائيل واجهوا بلادنا بمخطط مشترك نفذ فى الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

فعلى اى وجه ادركت الزمر الحاكمة هذا العدوان ، وكذلك القوى والزمر الوطنية المعارضة المختلفة ؟ لقد كانت هنالك صور عديدة لفهمه ، ومن ثم تفرقت السبل فى اتخاذ المواقف تجاهه .

طلائع الوعى التحررى الاجتماعى القومى ضد الاستبداد والاستعمار

بعد سبات طويل تحت نظم وعلائق تحمل معالم قوية من القرون الوسطى ، شهد القرن التاسع عشر ظاهرتين متضادتين فى منطقة الشرق الاوسط :

ظاهرة التوسع الاستعمارى ، فالامبريالية وظاهرة بوادر الحركة من اجل الديموقراطية والتحرر الوطنى · فى اوائل عهد حركة التحرر الوطنى كان الوعى فى درجة الجنين ·

ففى الميدان الايديولوجى فى الدولة العثمانية التى كانت تسيطر على المشرق العربى نجد حركتين:

(أ) حركة الاصلاح تحت الشعارات الدينية لمقاومة الاستبداد والاستعمار ، (ممثلا فى الاستعمار البريطانى بالدرجة الاولى) ، لقد كانت الدعوة الدينية الى الاصلاح ذات وجهين فبالاضافة الى وجهها التقدمى الآنى (مقاومة الاستبداد والاستعمار) ، كان لها وجه رجعى بوقوفها ضد العلمانية ، وبدعوتها الى الوحدة الاسلامية التى استغلت منذ عهد عبد الحميد وما زالت تستغل حتى الان ضد الحركة من اجل الديموقراطية والتحرر .

(ب) الوعى القومى العربى ، والحركة الديموقراطية البورجوازية ·

يقول لينين : « ان الرأسمالية العالمية وحركة سنة ١٩٠٥ فى روسيا قد ايقظتا آسيا نهائيا ، فمئات الملايين من السكان المهانين الغرقى فى سبات القرون الوسطى قد نهضوا للحياة الجديدة ، للنضال من اجل ابجدية الحقوق البشرية ، من اجل الديموقراطية ·· ان استيقاظ آسيا وشروع البروليتاريا المتقدمة فى اوروبا بالنضال فى سبيل السلطة يرمزان الى مرحلة جديدة فى التأريخ

العالمى بدأ فى القرن العشرين (لينين – استيقاظ آسيا ، اقتبس منه مجموعته .. حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية) .

ولقد اسهم المثقفون القوميون العرب (والكلام هنا عن المشرق العربى) مع زملائهم فى المملكة العثمانية فى النشاط السياسى من اجل الاصلاح الديموقراطى . ولكن عندما كشف قادة تركيا الفتاة (الذين قادوا الانقلاب ضد عبد الحميد فى عام ١٩٠٨) عن سياسة التمييز القومى والعمل من اجل الوحدة الطورانية وتتريك العناصر غير التركية ، اصبح رد الفعل هو الطموح الى الاستقلال التام من النير التركى .

ان نقص الوعى القومى العربى كان مبنيا بظواهر عديدة اهمها نقص الاستقلال الفكرى . فلقد مر القوميون العرب فى تجارب واخطاء عديدة قبل ان يصلوا الى فهم صحيح لواقع التأريخ الجارى آنئذ .

يهمنا من هذا النقص تطلع بعض الزمر القومية الى الحرية عن طريق التعاون مع هذا الفريق أو ذاك من الذئاب الامبرياليين الذين كانوا يتهاونون (ثم اخذوا يقتتلون) لافتراس اراضى وشعوب هذه المنطقة . ومن هنا يتيسر لاعداء حركة التحرر العربى ان يخلطوا بين عملاء الدول الامبريالية المتسترين بستار القومية ، والقوميين الذين أملوا ، باخلاص ودون وعى ، المعونة من هذه الدولة الامبريالية ، أو تلك .

تأثير الحرب العالمية الاولى والثورة السوفيتية

ان الحرب الامبريالية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا قد قفزا بالوعى التحررى فى هذه المنطقة قفزة كبيرة جدا .

ان بيان لينين للسلام، الذى اعلنه «باسم حكومة العمال والفلاحين المنبثقة عن ثورة ٢٤ – ٢٥ أكتوبر من أجل الصلح الذى يقوم على الفور من غير ما دمج يفرض (أى من غير اغتصاب للاراضى الاجنبية ، الى كيان دول أخرى بالقوة) ومن غير ما جزية تفرض» . ان هذا البيان ، وان رفض حكومة الثورة لجميع الامتيازات التى لروسيا القيصرية فى ايران وتركيا والصين ... وان تتويج النضال السابق للبولشفيك من أجل حرية الامم فى تقرير مصيرها بتطبيقه الثورى على الشعوب التى كانت تحت نير روسيا القيصرية ..

وان فضح المعاهدات السرية – ومنها اتفاق سايكس – بيكو الامبريالى الذى وضع لاقتسام البلاد العربية العثمانية وغيرها من قبل الانكلو – فرنسيين وحلفائهم .. ان وقوع هذا كله وغيره من اجراءات ثورية ضد الامتيازات الامبريالية ، وضد مصالح الطبقات والفئات الرجعية .. ان وقوع هذا فى روسيا التى هى قطر أوربى آسيوى تقع على ابواب الشرق الاوسط ، قد هز ضمير شعوب المنطقة ومنها الشعوب العربية التى كانت تمنى بآمال التحرر من قبل الحكومات الامبريالية ذاتها التى كان افتراس اوطان هذه الشعوب هدفا بارزا من الاهداف الرئيسية لخوضها هذه الحرب .

ان شاعر العراق الحر معروف الرصافى قد عبر عن ضمير الرأى الوطنى العام حول شعبية ثورة اكتوبر قبل افتضاح المطامع الامبريالية حيث قال :

للانكليز مطامع فى بلادكم
لاتنتهى الا بان تتبلشفوا

ولذا تميزت فترة مابعد الحرب بالنشاط الثورى فى اقطار هذه المنطقة : الثورة المصرية عام ١٩١٩ . الثورات العراقية فى السليمانية ، ومنطقة العمادية وفى النجف ، وقد كانت هذه مقدمات للثورة العراقية العامة (١٩٢٠) . وفى سوريا ثورة ١٩٢٥ – ١٩٢٧ . أما نضالات وثورات الشعب العربى فى فلسطين ، فانها لم تكد تنقطع : حركة ابريل – ما بيس ١٩٢٠ وانتفاضة الفلسطينية الاولى ضد الامبريالية ١٩٢٤ – ١٩٢٩ ، فالانتفاضة الفلسطينية الثانية – أكتوبر ١٩٣٠ ، ثم الانتفاضة المسلحة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ .

ولكن جاءت فترة من التوقف وحتى الارتداد فى الوعى التحررى .

لقد اعترف الامبرياليون بالاستقلال السياسى المقيد لكل من مصر والعراق وبقدر من الاستقلال الذاتى لسوريا ولبنان ، بعد ان ضمنوا ربطها جميعا بنفوذهم بصور مختلفة (انتدابات ، معاهدات .. الخ ، واخضاعها لسيطرتهم الاستراتيجية والسياسية لمشاريعهم الاستعمارية وذلك عن طريق حكومات موالية ، بنوها اوساعدوها على البناء كطبقة بيروقراطية ارستقراطية (شبه اقطاعية) بورجوازية كومبرادور . وقد اتجهت هذه الطبقة نحو الارتباط الوثيق بالامبريالية البريطانية والامبريالية الفرنسية – حسب القطر التابع الذى اقيمت على الحكم فيه .

وقامت هذه الطبقة – اضافة الى عملها الارغامى (كجندرمة) – بدور المخدر والمضلل للجماهير . وكذلك يدور الحاجز BUFFEN بين الامبرياليين والجماهير الوطنية التى اصبحت

نضالاتها موجهة بالضرورة نحو فضح واسقاط الطبقة الحاكمة ، لكي يتيسر الهجوم على مواقع الامبرياليين فى البلاد ٠

وفى هذه الفترة ظهرت بوادر تكون الطبقة العاملة ، وظهرت بوادر الرأى الماركسى ـ بالدرجة الاولى تحت نفوذ شعبية ثورة أكتوبر ٠ ثم تكونت المنظمات الماركسية الاولى وان بدأت ضـيقة ومعزولة بسبب ضعف الطبقة العاملة عـدديا وضعف تجربتها وضيق مجال تثقيفها ٠

وفى الاتجـاه التقـدمى ذاته وجـدت ونمت نشاطات وطنية ديمقراطية ثورية حديثة ٠

واخذت فصـائل من المثقفين ابناء الطبقـات الوسطى (من الاوساط المحافظة) تتبنى الشعارات القومية الشوفينية ـ ولا سيما فى الثلاثينات ـ تحت تأثير عوامل عديدة : الاصل الطبقى المحافظ، الـدعاية الفاشـية الايطـالية (اشـتراكية موسولينى) ثم الدعاية الهتلرية الاشد عنفا، وكره الاستعمار (البريطانى والفرنسى) ٠

تطور الوعى الثورى الوطنى بعـد الحرب العالمية الثانية

(١) ارتفاع المد الثورى التحررى فى المشرق العربى بعد الحرب العالمية الثانية :

كانت النتيجة المنطقية الاولى لمقدمات الحرب وللحرب ذاتها التى شنتها الهتلرية ضد الشعوب ولانكشاف المؤامرة الامبريالية البشعة التى شجعت بناء الهتلرية، وسقوط العديد من شعوب أوربا تحت براثن الفاشست ، هى افلاس الطبقات الحاكمة فى أقطارنا ـ الطبقات التى ربطت نفسها والبلاد بتلك الحكومات المتآمرة التى نثرت الوعود جـزافا بالحرية لشعوب المستعمرات والاقطار التابعة، ثم تنكرت لهذه الوعود حتى قبل الانحسار التام للطوفان الفاشى ٠

ان اغتناء حركة التحرر الوطنى بوزن نوعى اكبر للطبقة العاملة : كما بنشوء بعض الصناعات فى سنى الحرب، وكيفا بتغلغل الافكار الماركسية بين الجماهير، وبتجارب مآسى سنى الحرب ٠٠

وان انتصار الاتحاد السوفيتى بوصفه قوة عالمية من الطراز الاول ، وان ظهور المعسـكر الاشتراكى كقوة دولية فى جبهة النضال التحررى فى مقابل قوة الامبريالية الدولية ٠٠،

ان هذا أوجد ظرفا تاريخيا جديدا لنجـاح النضال الجدى لحركة التحرر الوطنى ٠

فى هذه الحقبة خاضت شعوبنا معارك الجلاء بالمظاهرات والانتفاضات الجماهيرية التى اخذت تزلزل اقدام المحتلين فى بغداد ودمشق والقاهرة وبيروت ٠٠

ولقد شهدت دمشق فى عام ١٩٤٥ اول واعظم تصادم استعملت فيه القوات الاستعمارية الفرنسية المدافع ضد الاهداف المدنية، فكانت خاتمة لوجودها فى سوريا ولبنان ، واضطر الكفاح فى العراق فى سبيل الديمقراطية ، السلطة الى الاعتراف بتأليف الاحزاب حيث ظهرت على المسرح احزاب وطنية ديمقراطية (١٩٤٦) ٠ وبعد عامين ونيف مـن الصراع بين القوى الوطنية والحكومات المرتبطة بالاستعمار البريطانى شهدت بغداد التصـادم العظيم الذى انتهى بانتفاضة كانون الثانى ١٩٤٨ بوضع نهاية لمشروع ربط العراق بعجلة الامبريالية البريطانية عسكريا وسياسيا ٠٠ الخ بمعـاهدة بورتسموث التى اراد الامبرياليون البريطانيون ان يعتبروها نموذجا لربط الاقطار العربية بسياستهم فى الشرق الاوسط ٠

الطموح الى الوحدة العربية والوعى الاجتماعى بعد الحرب

ان التعاطف والتضامن بين الشعوب العربية فى نضالها ضد الامبريالية العالمية قديم ، ولقد كان كفاح الشعب الفلسطينى (بوجه خاص) محط عطف وتأييد هذه الشعوب على الدوام ٠ ولكن الحرب والظروف التى اعقبتها زادت فى توثيق هذا الترابط ٠

وكان النضال حول مصير الشعب العربى فى فلسطين أهم محك لقيمة الجامعة العربية وللزمر الحاكمة فى البلاد العربية ٠

الردة المؤقتة : ولقد اسـتطاعت الامبريالية الانجلو ـ أمريكية ان تنفذ مشروعها لاقتسام النفوذ فى فلسطين ، ومن ثم استطاعت هذه الامبريالية ذاتها عن طريق عملائها فى داخل البـلاد العربية (ولا سيما الزمر الحاكمة) ان تشن حربا صليبية شعواء ضد كافة القوى الديمقراطية ٠ كان ذلك اولا تحت شعار استنكار قرار التقسيم الذى تم التصويت عليه فى هيئة الامم المتحدة فى نوفمبر

١٩٤٧، تم بدرجة اشد عنفا وهستيرية تحت ستار ضرورة حماية مؤخرة الجيوش العربية فى الحرب لانقاذ فلسطين . حيث تم وضع البلاد العربية تحت الادارات العرفية العسكرية فى مارس ١٩٤٨ . فى **هــذه العطفــة فى التاريخ العربى ارتد الوعى التحررى وقتيا : ففى ضوضاء وابواق حــرب فلسطين انتعشت الرجعية الحاكمة، ولقيت تأييدا نشيطا فى الوسط القومى الشوفينى ، وظهر الاخوان المسلمون على المسرح كقوة فــوضوية تخريبية خطيرة .**

ولكن لم يمر وقت طويل حتى تكشفت مؤامرة حرب فلسطين كمؤامرة امبريالية ــ صهيونية ــ كبرى فكان فى ذلك دفع بالوعى العربى خطوة كبيرة الى الامام .

فلقــد افلست كليــا الايديولوجيا المــوالية للامبريالية . وافلست جزئيا ايديولوجيا القومية الشوفينية لانها أيدت بحماس سياسة اضطهاد القوى الديمقراطية والجماهير الشعبية .

ففى سوريا، انتهى عهد الدكتاتوريات العسكرية المباشرة فى فبراير ١٩٥٤ نتيجة مقاومة جبهة من الجماهير الواسعة (وفى مقدمتها الاحــزاب الوطنية التى لعب الشيوعيون فيها دورا فعالا) .

ومنذ ١٩٥٠ انعكس الضغط الشعبى فى العراق فى البرلمان ضد احتكار النفط، ثم تعددت الاضرابات والمظاهرات ضد جيوش الاحتلال البريطانية ، وضد وحشية استبداد السلطة ، وضد الحــركات المشبوهة لربط العراق بالمشاريع التكتيكيــة الامبريالية العدوانية الحديثة «قيــادة الشرق الاوسط» اولا، ثم «حلف بغداد» . ولقد ولد حلف بغداد معزولا فلم تستطع الارتباط به غير حكومة نورى السعيد، التى كان سببا هاما لعزلها اولا ، وبداية لفضحها والاطاحة بها مؤخرا ، فى ثورة الشعب العراقى الظافرة عام ١٩٥٨ .

وفى مصر بعد المظاهرات الجماهيرية من اجل الجلاء ، وبعد قتال مسلح فى منطقة القنال بين قوى غير متكافئة « اكتوبر ١٩٥١ ــ يناير ١٩٥٢ » وبعد ان بلغت فوضى الحكم تعبيرها باحراق القاهرة بتدبير تآمرى رجعى « يناير ١٩٥٢ » أنهى حكم فاروق والباشوات المتفسخين بانقلاب يوليو ١٩٥٢ الثورى الذى تلاحقت بعده خطوات ثورية غيرت وجه مصر السياسى القديم ، وادخلتها فى دور تطور سياسى ــ اقتصادى ، يختلف اختلافا كيفيا عن سياسة واقتصاد العهد الفاروقى المنقرض .

فمن اعلان الجمهورية الى اتفاق الجلاء مع بريطانيا ، ثم تمصير بعض المصالح الاجنبية ، وشق الستار الحديدى الذى اقامه الامبرياليون بين بلادنا والبلاد الاشتراكية ، ولا سيما كسر احتكار السلاح .. الخ حتى تأميم القنال ، والمعارك السياسية التى رافقت هذه الانجازات . ان هذه تؤلف طريقا جريئا شقت مصر معظمه امام الاقطار العربية الاخرى . وقد انتهى بها هذا الطريق الى مركز الطليعة امام حركة الوحدة العربية ، وذلك بوقوفها ضد العدوان الثلاثى الاسرائيلى ــ الانكلو ــ الفرنسى عام ١٩٥٦ .

ان معركة مصر قد وحدت حولها جميع قوى النضال العربى ونضال شعوب الشرق الاوسط . كما اكسبتها عطف وتأييد كافة قوى الحرية والسلم فى العالم اجمع وخصوصا الاتحاد السوفيتى الذى كان انذاره للمعتدين القوة الحاسمة التى اوقفت العدوان .

وفى خضم الكفاح لتأييد مصر تيسر انشاء الجبهات الوطنية فى العراق ، وفى عدد من الاقطار العربية ، هنا بلغ الوعى الكفاحى التحــررى والوحدوى ذروة لم يبلغها فى اى وقت مضى . وكانت اعظم ثمار هذا التوحد بالنسبة الى العراق القضاء على النظام الملكى وهز النظام الامبريالى بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

ضعف اليقظة أمام الخطر الامبريالى

ان الاحداث التى تعاقبت منذ العدوان الثلاثى ضد مصر وحتى العدوان الاسرائيلى ــ الامبريالى فى عام ١٩٦٧ ، تكون اهم مراحل التصادم بين الامبريالية ، وحركة التحرر الوطنى العربية ، ولذا فان البحث فى هذه المرحلة يحتاج الى استقراء اوسع لايتسع له ضيق الوقت امامنا ، وهذا ما اضطرنى الى حصر التأكيد فقط على مسألتين اساسيتين فى هذا الخصوص :

١ ــ ان بعض الزمر القومية العربية قد خامرها اعتقاد مبتسر بقرب زوال الامبريالية . ومن هنا فقد ضعفت يقظتها ضد الخطر الامبــريالى وعملائه . وعلى هذا الاساس تم شق الجبهات الوطنية فى عدد من البلاد العربية ، ومن ثم شق حركة الوحدة العربية .

وهكذا مرت حركة التحرر العربية فى التمزق لعدة سنوات، وانتعشت الرجعية فكانت هذه فترة من الارتداد فى تطور الوعى الاجتماعى والقومى . وينبغى التأكيد على حقيقة ان ذلك التمزق والارتداد كان من العوامل التى ساعدت على تيســـير العدوان الاسرائيلى الامبريالى .

ولكن رغم هذا الارتداد استمرت عوامل التطور التأريخي التقدمي تؤثر في دفع حركة التحرر العربي الى الامام . ففي هذه الفترة ذاتها تمت الاطاحة بنظام القرون الوسطى في اليمن، وتحققت في مصر وسوريا تحولات اجتماعية اقتصـادية عميقة . وانتصرت القوى الثورية في السودان وفشلت الحملة الصليبية ضد القوى الديمقراطية في الاقطار العربية المتقدمة .

وحتى العـدوان الاسرائيلي الامـبريالي لم يستطع ايقاف هذ االتطور . ففي اليمن الجنوبي انتصرت الثورة التحررية الوطنية . ومنذ عهد قريب جدا تمت الاطاحة في ليبيا بالنظام الملكي الممقوت .

ان العدوان الاسرائيلي ـ الامبريالي قد هز الضمير العربي والعالمي . ولكن من سبق الاوان تقدير تأثير هذا العدوان في تطوير الوعي لدى الشعوب العربية ، لان ذلك يتعلق بالتطور الداخلي في بلادنا ، ولاسيما في الاقطار التي اصيبت بالعدوان ، وبقدرتها على نقد الذات . ولكن المهم جدا توطيد التضامن بين قوى التحرر العربي والعالمي ضد المخططات الامبريالية التي كان ذلك العدوان جزءا من تحقيقها . ان ذلك العدوان انما هو صورة من صور الصدام على النطاق العالمي بين قوى السلم والاشتراكية، وفي ضمنها حركات التحرر الوطني من جانب ، والقوى الامبريالية العالمية والرجعية ، من جانب آخر . فالشعوب العربية وفي مقدمتها شعب فلسطين تقف اليوم في الخط الامامي من هذا الكفاح ، فهي لا تدافع عن حريتها ذاتها فحسب ، بل وبوصفها احـدى الفصائل المكافحة عن حرية الشعوب الاخـرى في العالم اجمع .

لتعش وحدة كافة القوى الثـورية ضـد الامبريالية . . ولتعش اللينينية .



■ ■ ■

حركة التحرر الوطنى بين المفهوم البورجـوازى والمفهـوم اللينـينى

يوسف خطـار الحـلو

يوسف خطار الحلو من المناضلين اللبنانيين له تاريخ قديم في حـركة النضال الوطني والاشتراكي . وهو كاتب وصحفي من اصل عمالي .

وفي بحثه « حركة التحرر الوطني بين المفهـوم البورجـوازي والمفهـوم اللينيني » ، الذي ننشره هنا ــ يركز بشكل خاص على الاخطـار التي تتهـدد ثورة التحرر الوطني في تطبيقاتهـا وفق مفاهيم بورجوازية .

انما نشكر اللجنة السوفيتية للتضامن الاسيوي الافريقي واكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي التين نظمتا هذه الندوة العلمية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد **فلاديمير ايلتش لينين العظيم .**

الانحراف اليسارى واليمينى

ان مستوى حركة التحرر الوطني والظاهرات الجديدة التي تبرز فيها كثيرا ما يقال انها لم تعالج

فى الفكر الماركسى . غير أن لينين منذ حوالى السبعين سنة وقبله ماركس عالجا قضايا شعوب المستعمرات وشعوب الشرق عامة . فما من ظاهرة جديدة فى حركة التحرر المعاصرة الا وتجد لها أساسا أو جذرا فى كتابات لينين .

ان جميع الذين يحاولون أن يخفوا المبادىء الاساسية التى أشار اليها لينين حول قضايا شعوب الشرق ونضالها التحررى ينطلقون اما من مواقف معادية مباشرة لحركة التحرر الوطنى ، واما من تحريف « يسارى » أو يمينى لتعاليم الماركسية اللينينية .

فالتمسك بالمبادىء اللينينية لمعالجة قضايا التحرر المعاصرة يكتسب أكثر فأكثر أهمية بالغة . **فليس من نظرية مهما ادعت أنها جدية وجديدة فى معالجة قضايا حركة التحرر الوطنى المعاصرة يمكن أن تكون ذات فائدة لنضال شعوب الشرق اذا كانت معادية أو معارضة للينينية** . فالمنطلق الاساسى للنظرة اللينينية لقضايا التحرر الوطنى هو ربطها بنضال البروليتاريا العالمية فى سبيل الاشتراكية ، هى النظرة المنطلقة من مصالح ومواقع الطبقة العاملة العالمية والثورة الاشتراكية العالمية . واستعراض السير الموضوعى منذ أكثر من خمسين سنة لتطور نضال الشعوب المستعبدة سابقا يؤكد أن هذه الحركة تسير فى المجرى العام الذى تنبأ به لينين . فحركة التحرر المعاصرة تبرز اليوم على المسرح العالمى كقوة عالمية وكاحدى الفصائل الرئيسية للعملية الثورية العالمية ، ان الاتساع والعمق اللذين اتخذتهما حركة التحرر الوطنى المعاصرة لا يمكن تفسيرها موضوعيا الا بالتبدلات الاساسية التى غيرت وجه العالم ، هذه التبدلات التى بدأت مع ثورة أكتوبر ونشوء الدولة الاشتراكية الاولى فى العالم والدور السياسى والفكرى والاقتصادى والعسكرى الذى لعبته دولة العمال والفلاحين الاولى فى العالم . فجميع الحركات التحررية منذ ثورة أكتوبر قد جرت ، كما أشار لينين ، تحت تأثير قيام الجمهورية السوفياتية وبالارتباط بها .

تأثير الثورة السوفيتية

فتحت الثورة الاكتوبرية آفاق التحرر السياسى لجملة من البلدان الاسيوية والافريقية ، وسهلت للعديد من البلدان ، وبخاصة فى أوربا والشرق الاقصى وفى جنوب شرقى آسيا أن تدفع حركة التحرر السياسى الى التحرر الاجتماعى وانجاز الثورات الاشتراكية . ان نشوء المنظومة الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية ، قد خلق وضعا جديدا أكثر مواتاة لتطور واندفاع حركة التحرر الوطنى ، ونهضت شعوب بكاملها تناضل ضد السيطرة الاستعمارية ، وأخذت تتحول من قوة خامدة « سماد للارض » الى قوة نشيطة فاعلة فى مجمل الحركة الثورية العالمية ، وباجتذاب عشرات ومئات الملايين الى النضال التحررى فى الظروف العالمية الجديدة ، وبالاستناد الى القوة الاقتصادية المتنامية لبلدان المنظومة الاشتراكية ، قد فتحت الامكانيات أمام الشعوب التى نالت استقلالها السياسى لطرح مهام الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى . وعندما ترددت البورجوازية المحلية الكبرى ، عندما عجزت هذه البورجوازية ، انطلاقا من مواقفها الطبقية ومن ضعفها الاقتصادى والسياسى ، وبسبب روابطها ، بهذا الشكل أو ذلك ، بالاحتكارات الامبريالية الاجنبية ، تجاوزت الحركة الجماهيرية العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، الاطر والحدود التى كانت تحصر البورجوازية الكبرى للمجتمع ضمنها ، وطرحت أمامها فى العديد من البلدان مهام التحويل الاجتماعى وآفاق الاشتراكية .

الا أن هذا الاتجاه فى التحويل يجرى عبر صراع طبقى حاد ، داخلى وخارجى ، وجميع القوى البورجوازية الكبرى وبقايا الاقطاعية ، وكذلك الامبريالية ، تسعى لعرقلة هذا السير .

واذا كانت مساعدة الاتحاد السوفياتى والبلدان الاشتراكية الاخرى لهذه البلدان تعطل ضغط الامبريالية على البلدان ذات الانظمة التقدمية وتساعدها فى بناء القاعدة المادية للاستقلال الاقتصادى ورفع المستوى المعيشى والروحى للجماهير الشعبية ، وتقوى موقفها السياسى والدفاعى فان جملة من المواقف غير الصحيحة الناشئة عن التركيب الطبقى للقوى الديمقراطية الثورية من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة تعرقل السير التقدمى لهذه البلدان ، وهذا القول لا يعنى اغفال الدور الثورى الخاص للبورجوازية الصغيرة فى بلدان حركة التحرر الوطنى .

أخطار المفهوم البورجوازى للتحرر الوطنى

ان المواقف غير الصحيحة الناشئة عن الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الصغيرة ، وعن ضغط التقاليد والاوهام الدينية والقبلية ، تؤدى الى عدم الحزم ، فى كثير من الاحيان ، باتخاذ التدابير تجاه القوى الرجعية ، ولعرقلة تحالف قوى الكادحين والى الحذر تجاه الطبقة العاملة وممثليها السياسيين الماركسيين اللينينيين . وفى هذا الجو تعمل القوى الرجعية والامبريالية للافادة من تفكك القوى ذات المصلحة فى التقدم الاجتماعى ، وللقيام بردات رجعية ، ولعل غانا وغيرها من البلدان براهين مأساوية على هذه الحقيقة .

وتقدم الحركة التحررية العربية مثالا آخر بخصائصه المميزة للمرحلة الجديدة التى بلغتها حركة التحرر الوطنى بصورة عامة . فمن حيث الاساس تسير حركة التحرر العربية ، بتحالفها الوثيق مع الاتحاد السوفياتى ومنظومة البلدان الاشتراكية ، بذات الطريق من الاستقلال السياسى الى التحويل الاجتماعى المعادى للامبريالية وللرأسمالية المحلية الكبرى والاقطاعية ، غير أن التطور التاريخى للحركة العربية تداضفى على قضية الاستقلال الوطنى وحق تقرير المصير خاصية مميزة نظرا لان العلاقة بين الشعوب العربية ،وبين الامبريالية لم تكن علاقة مباشرة فقط ، بل ان الامبريالية نجحت فى فرض علاقة أخرى غير مباشرة عن طريق أداتها الصهيونية لمنع الشعوب العربية من التمتع بحقها فى الاستقلال السياسى وحق تقرير المصير واختيار طريق تطورها الاجتماعى المقبل .

اسرائيل وموقف ماركس من التشكيك

ان قيام اسرائيل لم يكن حدثا طارئا فى حياة المنطقة ، ولم يكن لاسباب «انسانية »، لتخليص مجموعات بشرية عانت الاضطهاد الوحشى من قبل النازية ، ومن قبل الرأسمالية نفسها فى البلدان الاستعمارية ، فالشيوعيون لا يمكنهم الا أن يشجبوا كل اضطهاد يمس أية مجموعة بشرية، ولا يمكن الا أن يساندوا هذه المجموعة ، وان يدافعوا عن حقها فى الحياة ، والعيش المطمئن . غير اننا انطلاقا من تعاليم اللينينية نفسها ، وأمانة لهذه التعاليم ، لا يمكننا أن ننظر الى اية مسألة أو قضية بماضيها فقط ، بل وبحاضرها ومستقبلها كذلك، ولا يمكننا أن ننظر الى حلها بصورة مجردة . بل الى ما يؤثره هذا الحل على التطور المقبل للحركة الثورية . فليس الخلاف هو على خلق اطار لمعيشة يهود اضطهدوا ، بل الخلاف هو أن لا يكون الحل على حساب منع شعب آخر من تقرير مصيره فى أرضه بالعنف والقوة وتشريده من أرضه ووطنه . فليست القضية الموافقة على حق تقرير المصير لليهود فى فلسطين، أوعدم الموافقة على ذلك، بل القضية أن لا يكون حل مأساة اليهود التى سببتها الرأسمالية الامبريالية على حساب الشعوب الاخرى ، على حساب الشعب العربى الفلسطينى ، على حساب الحركة الثورية فى الشرق العربى .

ان السياسة التى تمارسها اسرائيل منذ وجودها مرتبطة ارتباطا وثيقا بجميع المؤامرات الامبريالية المعادية لحركة التحرر العربية، وينبغى الاعتراف أن هذه السياسة التى تمارسها الفئات القائدة فى اسرائيل ليست محصورة داخلها . فبعد كل عدوان اسرائيلى على البلدان العربية يرتفع أوار الشوفينية والعنصرية المعادية للعرب بقوة هائلة . فالمبدأ اللينينى لتقرير المصير ليس مبدءا مجردا، وقد أشار الى ذلك لينين ومن قبله ماركس. ففى تعليق للينين فى مؤلفه : «الثورة الاشتراكية وحق الامم فى تقرير مصيرها » على موقف ماركس الذى رفض للشعب التشيكى حق تقرير المصير سنة ١٨٤٨ كتب يقول : « كانت ثمة أسباب تاريخية وسياسية سنة ١٨٤٨ للتمييز بين الامم الرجعية والامم الديمقراطية الثورية . وكان على حق فى شجب الاولى، وفى الدفاع عن الثانية . ان حق تقرير المصير هذا هو أحد مطالب الديمقراطية الذى ينبغى بالطبع أن يخضع للمصالح العامة للديمقراطية » .

وبذات المعنى كتب لينين فى مؤلفه «خلاصة النقاش» حول حق الامم فى تقرير مصيرها يقول : « كان التشيكيون بالفعل شعوبا رجعية ، مراكز أمامية للقيصرية » . ان أى تحليل للوضع القائم فى الشرق الاوسط منذ قيام اسرائيل يعطى صورة مشابهة ، الى حد كبير ، لما كان عليه الوضع فى أوربا قبل أكثر من مائة عام. ان كلامنا هذا لاينتقص مقدار ذرة من نضال القوى الديمقراطية فى داخل اسرائيل، من نضال الشيوعيين الذين يقفون موقفا ثوريا أمميا بطوليا، الا ان التقييم العام للتطور فى داخل اسرائيل وبخاصة بمقارنته بالتطور العام فى الشرق العربى ، يظهر ليس الفرق الكمى أو تأثر التطور فى الاتجاه الثورى، بل يظهر تطورا باتجاهين متعاكسين . ان موقف الشيوعيين اللبنانيين ، أولا وقبل كل شىء ، ينطلق من مصالح تطور الحركة الثورية فى المنطقة ، من مصالح تطور النضال ضد الامبريالية ، من مواقع الماركسية اللينينية ، والاممية البروليتارية . وفى اعتقادنا أن هذا الموقف ، والتطور العام للحركة الوطنية التقدمية فى الشرق العربى، هما أكبر مساعدة أممية للقوى الثورية فى داخل اسرائيل . ان وضع القضية على هذا النحو يفترض ، من جهة أخرى ، الانتباه الى الميول والاتجاهات القومية الضيقة والشوفينية فى داخل الحركة الثورية العربية نفسها وذلك لمصلحة الحركة التحررية العربية بالذات . ولذلك فاننا لا نتردد فى فضح وعزل كل اتجاه أو عنصر يحاول أن يطمس جوهر الصراع القائم فى الشرق الاوسط ، وان يحول اتجاهه فى صراع بين شعوب هذه المنطقة ، وبين الامبريالية والصهيونية ، كما هو فى الواقع الى صراع عنصرى دينى بين العرب واليهود ، أو بين المسلمين واليهود، واخفاء الطابع الطبقى السياسى والاجتماعى لهذا الصراع .

الموقف من الفدائيين الفلسطينيين

وانطلاقا من مجموعة هذه المبادىء العامة نحدد موقفنا من التيارات السياسية والحركات المختلفة فى الشرق العربى ، بما فيها حركة المقاومة المسلحة

للانصار الفلسطينيين • فالفدائيون الفلسطينيون يناضلون أولا : ضد قوى احتلال غاشمة اغتصبت أرضهم في حرب حزيران ١٩٦٧ . ثانيا — يناضل الانصار الفلسطينيون من أجل تمكين الشعب العربي الفلسطيني من حقه وتقرير مصيره . وأخذت بصورة أكثر وضوحا ، في سير النضال ، بأنه لا يراد من تحقيق هذين الهدفين مس الحقوق الطبيعية للجماهير اليهودية في العيش • ولكن لا يمكن أن نفهم من ذلك أن الاطار الوحيد لهذا الحق هو الاطار الحقوقي لدولة اسرائيل بطبيعتها العدوانية واتجاه سياستنا الراهنة .

وحركة الفدائيين الفلسطينيين تتمتع بتأييد متعاظم من الجماهير الفلسطينية في داخل فلسطين وفي خارجها ، ومن الشعوب العربية كافة ، وهي تصبح ، أكثر فأكثر ، حركة جماهيرية واسعة • نحن لا ننكر أن ثمة اتجاهات غير سليمة داخل بعض فصائل حركة الفدائيين ، وهذا ناجم عن التركيب الطبقي غير المنسجم لهذه الفصائل ، وعن تأثيرات التقاليد والاوهام القديمة التي أشرنا اليها . ولكن الذي يحدد موقفنا العام لا يمكن الوقوف عند هذه الجوانب الثانوية ، بل الاتجاه الثوري التقدمي الاساس الذي تتطور فيه هذه الحركة • أما الاتجاهات غير السليمة فيمكن ان يجري ضدها نضال سياسي وفكري لا هوادة فيه لدحضها وعزلها ومنعها من التأثير على الحركة الجماهيرية • وهذا الموقف يقتضي بأن لا نكتفي بدور الوعاظ في خارج الحركة ، بل ان نكون في صلبها، وان نسعى لتوجيهها. وهذا يتفق اتفاقا تاما مع النصائح والتعاليم اللينينية • وقد كتب لينين في الفقرة العاشرة من حصيلة النقاش حول حق الامم في تقرير مصيرها يقول : « ان من ينتظر ثورة اجتماعية صرفة لن يعيش أبدا ليراها . فالثوري بالكلام فقط هو الذي لا يفهم شيئاً عما هي الثورة الفعلية . أن الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ كانت ثورة ديمقراطية بورجوازية انحصرت في مجموعة من المعارك التي خاضتها كل الطبقات والجماعات والعناصر من السكان غير الراضين • وكان بينها الجماهير ذات الافكار الاكثر وحشية التي تناضل من أجل الاهداف الاكثر غموضا والاكثر خيالية ، كانت هناك مجموعات ضئيلة تقبض في اليابان ، وكان هناك مضاربون ومغامرون الخ .. وكانت حركة الجماهير موضوعيا تهز القيصرية وتفتح الطريق للديمقراطية ولذلك كان العمال الواعون على رأس هذه الحركة » •

الا ان حركة الانصار الفلسطينيين ونضال الشعب الفلسطيني ، ودور اسرائيل بالارتباط مع الامبريالية وبخاصة الامبريالية الامريكية ، ليست قضية محصورة بالارض الفلسطينية . فالشعب الفلسطيني كجزء من الامة العربية ، وسياسة اسرائيل المعادية لمجمل حركة التحرر العربية يخرجان القضية الفلسطينية من نطاقها الجغرافي الضيق ويجعلانها قضية يدور حولها الصراع على نطاق الشرق الاوسط كله، صراع تشترك فيه قوى من خارج المنطقة أيضا • فالمساندة الامبريالية وبخاصة الامريكية المباشرة وغير المباشرة والمتعددة الوجوه تزيد من عدوانية اسرائيل وتضاعف خطرها • كما أن الدعم والمساندة من قبل الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية العالمية وجميع القوى الديمقراطية في العالم يزيدان من قوة وثبات الانظمة التقدمية العربية ويقويان مواقف المقاومة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، ولذلك كان الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية الذي انعقد في موسكو في حزيران الماضي ، على حق حين أكد أن الصراع الجاري في الشرق الاوسط هو جزء من الصراع العالمي بين قوى السلم والحرية والاشتراكية من جهة ، وبين قوى العدوان والامبريالية والرجعية من جهة أخرى •

ولذلك فاننا نقف ضد كل المحاولات التي تسعى لحصر الصراع في المنطقة بقضية واحدة هي القضية الفلسطينية • فاذا كانت فلسطين هدفا بذاته للعدوان والاغتصاب من قبل الامبريالية واسرائيل، ففلسطين نفسها هي، من جهة ثانية، منطلق للامبريالية والصهيونية ضد حركة التحرر العربية بمجموعها، وبخاصة ضد فصائلها الاساسية والانظمة التقدمية العربية . ولازالت سياسة الامبريالية واسرائيل متجهة لتحقيق هذا المخطط الذي عجز عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ عن تحقيقه • وهذا ما يفسر عناد القادة الاسرائيليين المدعمين من الامبرياليين الامريكيين وحلفائهم في عدم تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، كما يفسر استمرار الاعتداءات والاستفزازات العسكرية المتكررة من قبل اسرائيل على خطوط النار وما وراء هذه الخطوط •

واذا كانت الاحزاب الماركسية اللينينية في العالم العربي تناضل في سبيل افساد مخطط المستعمرين وعميلتهم اسرائيل ، واذا كانت تناضل بشدة ضد الاتجاهات اليمينية وضد الاتجاهات « اليسارية » المغامرة المعادية للانظمة التقدمية العربية في داخل البلدان العربية نفسها ، فان هذه الاحزاب تناضل ، في الوقت نفسه ، من أجل معالجة الضعف في هذه الانظمة نفسها، ولتجاوز النواقص والاخطاء التي تقع فيها ، فهي تعمل من أجل توسيع وتوطيد تحالف الجماهير الكادحة في هذه البلدان وتوسيع الامكانات أمامها لممارسة حقوقها الديمقراطية وتقوية تأثيرها على السياسة الداخلية والخارجية لهذه البلدان ولتطهير جهاز الدولة والجيش من العناصر الرجعية المترددة ، من أجل الاستمرار في السير لتحقيق التحويلات الاجتماعية ، من أجل توطيد وتوثيق التحالف بين هذه البلدان وبين الاتحاد

السوفيتي كشرط رئيسي لضمان سيرها التقدمي المقبل .

وينبغي القول ان مثل هذا النضـــــال يلاقي صعوبات جمة، خاصة تحت تأثير النشاط التخريبي للقادة الصينيين • فالقادة الصينيون الذين لم يقدموا لحركة التحرر الوطـــني العـــربية الا المســـاعدات الكـــلامية الفارغة ، يعملون في الواقع في الاتجاهات الرئيسية التالية : يشجعون التيارات الشوفينية الضيقة في حركة التحــرر العربية ويدعمونها ، يشجعون التيارات المغامرة ويسعون لدفع حركة التحرر الوطنية العربية الى صدامات قبل الاوان مع عدو قوي ، ويشوهون سمعة الاحزاب الشيوعية العربية ويعملون لعزلها عن الحركات والمنظمات الوطنية الاخـرى ، بالاضافة الى العمل لتمزيقها، كما انهم يشـوهون بصورة هيستيرية ، مواقف الاتحاد الســوفيتي السياسية والمبدئية في دعم الشعوب العــربية ونضالها ، ويعملون لخلق الشــــقاق بين حــركة التحرر العربية وسائر فصائل الحركة الثورية العالمية ، وتمزيق صلات الشعوب العربية مع أوفى وأخلص وأقوى حلفائها ، الاتحاد السوفيتي .

هكذا يتبين ان نيل الاستقلال السياسي للبلدان العربية لم يحل بعد قضية حق تقرير المصير للشـــعوب العربية ككل بصــــورة تامة ونهائية ، وبخاصة بالنسبة للشعب العربي الفلسطيـنـي المحروم كليا من هذا الحق • وبذلك نلاحظ ظاهرة اندماج قضايا تقرير المصير مع قضية التحويل الاجتماعي في البلدان العربية في ظروف يزداد فيها الوزن السياسي للجماهير الشعبية الكادحة والقوى التقدمية • ونظرا لهذا الواقع ولبــروز ثغرات وبعض العجز عن التطور الاجتماعي والسياسي في برامج البورجوازية الصغيرة التي ترأست النضال الوطني حتى الان ، تنضج الظـروف الموضوعية ، تدريجيا ، من أجل أن تلعب الطبقة العاملة واحزاب الماركسية اللينينية دورا متزايدا في الحركة الثورية العربية ، بوجهيها الوطنـــي والاجتماعي . فاذا كانت مهمة الاحزاب الشيوعية العربية ان تكمل شروطها الذاتيـــة السياسية والفكرية ، من أجل السير في طليعة هذا النضال ، فمن البديهي انها مدعوة في الوقت نفسه الى تقوية يقظتها وتشديد انتباهها المستمر ، لعلها تتحاشى المبالغة بالجانب الوطني تجنبا للشوفينية ولعدم المبالغة بالجانب الاجتماعي تجنبا للمغامرة نظرا لظروف التخلف المريعة في الميادين الاقتصادية التي وجدت فيها هذه البلدان بعد حصولها على استقلالها السياسي •

واذا كنا نحذر من مخاطر المبالغة بالناحية القومية، فذلك لايعني أننا نغفل الاهمية الخاصة للعامل القومي في بلدان حركة التحرر الوطني والدور الذي يؤديه نضال الشعوب العربية في سبيل الوحدة •

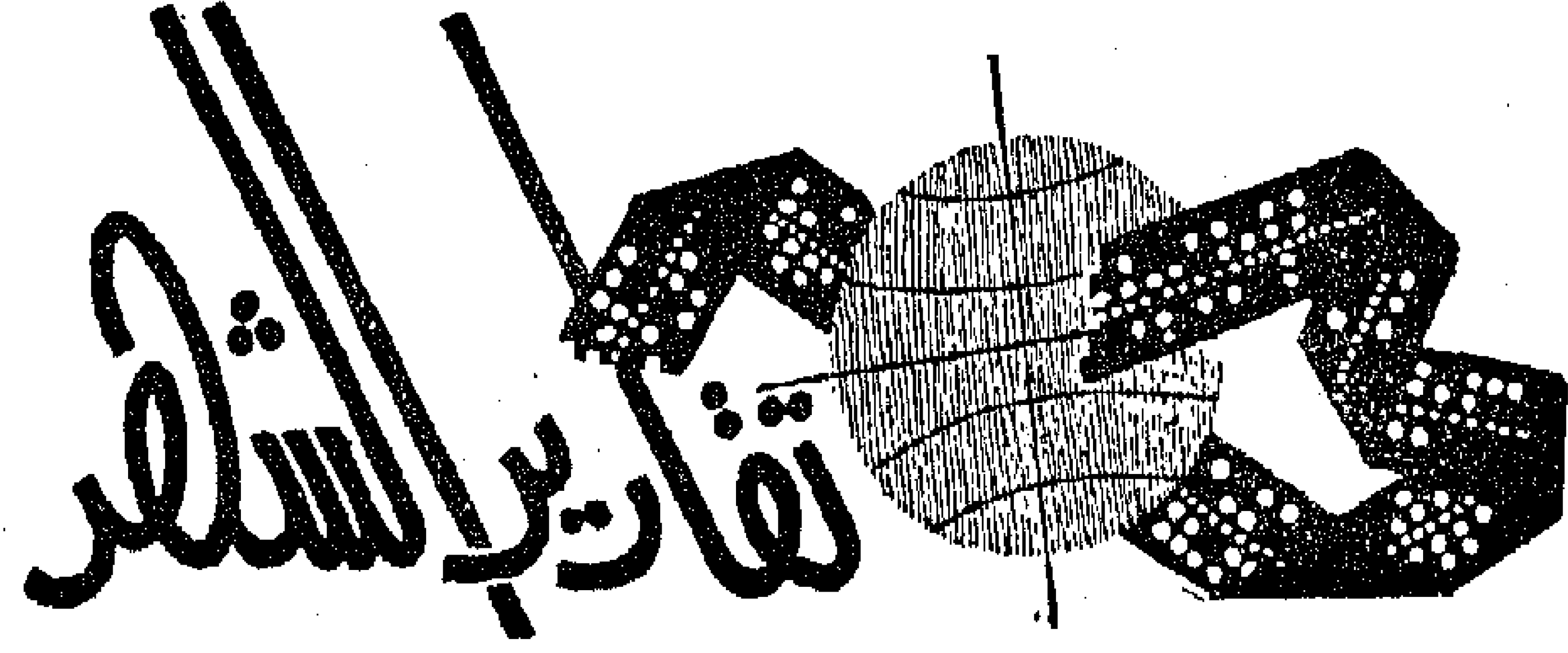
التحـرر والحركة من أجل الوحدة العربية

ان الحركة في سبيل الوحدة العربية تغتني ، رغم كل ما حاولته القوى الاستعمارية والرجعية العربية لتوجيه هذا الطموح لخدمة مصالحها ، لمضمون اجتماعي تقدمي ، وتتسع وتتعمق في صفوف الجماهير العربية الدعوة لاقامة الوحدة العربية على أسس اشتراكية •

ان حركة التحرر العربية رغم الصـعوبات والعقبات العديدة التي تواجهها ، ورغم اشتداد الهجوم الامبريالي ، تواصل ســيرها في طريق التحرر الوطني والاجتماعي • ورغم شراســة عدوانيتها تثبت تجربة النضال الثوري العالمي . ان الامبريالية عاجزة عن تغيير سير التاريخ الصاعد ، وعن تغيير ميزان القوى لصالحها • فالعدوان الامبريالي الاسرائيلي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عجز عن تحقيق أهدافه السياسية الاساسية في اسقاط الانظمة التقدمية العربية في مصر وسوريا بخاصة ، وعجز كذلك عن ضرب حركة التحرر في الوطن العربي التي صمدت في وجه العدوان ، وما لبثت أن عادت توجه الضربات الجدية للاستعمار والصهيونية والرجعية . فالاحداث الثورية الهامة التي جرت في السودان وليبيا قوضت مواقع قوية أساسية للامبريالية والرجعية في المنطقة ، وعززت جبهة القوى التقدمية العربية والانظمة التقدمية العربية •

وفي فيتنام عجزت الامبريالية الامريكية عن اخضاع ثورة الشعب الفيتنامي البطل في سبيل حريته وحق تقرير مصيره ، ويعطي نضال الشعب الفيتنامي البطولي الدليل الساطع علــى أن الامبريالية لم تعد حرة التصرف في عصرنا ، وأنها أصبحت عاجزة عن منع الشعوب ، حتى الصغيرة منها ، من شن النضال الظافر في سبيل حريتها واستقلالها الوطني •

واذا كانت حركة التحرر المعاصرة تعطي أمثلة عديدة في أيامنا هذه على صحة نظرية لينين بشأنها ، فان الدليل العملي الساطع على صحة هذه النظرية قد سبق وقدمته تجربة جمهوريات الشرق السوفيتية ، ومنها جمهورية كازاخستان التي تستضيف ندوتنا هذه • لقد تمكنت شعوب الشرق السوفيتي من انجاز مهمات التحرر والقضاء على تخلفها وبناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، بتحالفها مع الثورة الاشتراكية الظافرة ، هذه البلدان التي فتحت بهذا التحالف طريقا جديدا لبناء المجتمع الجديد متجنبة المرور بمآسي المرحلة الرأسمالية • ان تجربة جمهوريات الشرق السوفيتي كانت ولا تزال مصدر الهام لحركة التحرر الوطني في العالم بعامة وفي شرقنا العربي بخاصة •



■ التصنيع الثقيل يمر عبر السد العالى
■ نيجيريا تكسب السلام .. بقى ان تكسب المستقبل
■ من الخلاف المزعوم الى تصعيد العدوان
■ عبرنا الخليج .. هاجمنا العدو .. وعدنا

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

« التصعيد » بعد اتفاق طرابلس

لا يستطيع اى مراقب الا ان يلحظ تلك الصلة الدقيقة بين تصعيد الهجمات العسكرية الاسرائيلية وما يصاحبها من تصريحات اسرائيلية وامريكية ضد **الرئيس جمال عبد الناصر**، وبين تلك المظاهرات الوطنية التى عاشتها جماهير الامة العربية فى طرابلس وبنغازى والخرطوم فى الاونة الاخيرة .

ومن الواضح أن الاستقبالات الشعبية الضخمة التى قابلت بها جماهير الشعبين الليبى والسودانى الرئيس جمال عبد الناصر قد اقلقت الاسرائيليين وحلفاءهم بعد انكانوا قد منوا النفس بأن تكون هبة الجماهير فى ٩ ، ١٠ يونيو الخالدة « مجرد هبة عاطفية لجماهير لم تعرف حجم الهزيمة » كما رددت دعاياتهم اذ ذاك .

ولكن استقبالات شعب ليبيا والسودان جاءت لتذروا بأمالهم مع الرياح . ومن ثم كانت الهجمات وكانت التصريحات لترد على ما أعلنه جمال عبد الناصر فى طرابلس : « نحن مصممون على تحرير الارض .. ان السلاح الذى يتدفق على اسرائيل من امريكا لن يرهبنا ... » ، وما أعلنه فى بنغازى « اننا نقول لهم ان الامة العربية صممت على أن تسير فى طريق الكفاح لتحرر بالقوة ما أخذ بالقوة » . وما اعلنه فى الخرطوم « اننا اليوم نضع على جبهة القناة ٥٠٠ الف مقاتل .. **ونبنى الجيش القوى الذى سوف يصل الى مليون مقاتل** .. اننا لا نحارب اسرائيل وحدها ، **اننا نحارب من ورائها أمريكا والدول الاستعمارية** .. اننا نرفض المشروعات المشبوهة التى تدعو للاستسلام . وعلينا ان نعمل من أجل النصر .. ونحن نطالب بالقدس وبالضفة الغربية **وبالجولان** قبل أن نطالب بسيناء » .

ثم ما أعلنه العقيد معمر **القذافى** بقوله « سنخوض المعركة بكل قوتنا »

وما اعلنه اللواء **جعفر النميرى** فى حزم « من أن جيش السودان يحارب وسيحارب الى جانب جيش مصر فى معركة المصير » .

وقبل كل شيء ما هتفت به الجماهير دعوة للقتال والنصر .

ولم يكن ما تم فى طرابلس وبنغازى والخرطوم مجرد مظاهرة حماسية فحسب ، بل لقد شهدت تلك الاجتماعات مولد « **اتفاق طرابلس** بين ج.ع.م وليبيا والسودان الذى أعلنه اللواء جعفر النميرى رئيس مجلس قيادة الثورة السودانى أنه « **مقدمة لبناء دولة عربية موحدة من الدول الثلاث ، وهو لا ينطلق على أساس اعتبارات اقليمية ، بل هو نواة للوحدة العربية الكبرى** » .

ومع أن اتفاق طرابلس لم يأخذ أبعاده الكاملة بعد ، فان الاستعمار بكل فصائله ليس بغافل عما جاء فى البيان المشترك للرؤساء الثلاث من أن : « قيام الثورات فى كل من السودان وليبيا لتلتقى بالثورة المصرية الرائدة .. يوفر الشروط الموضوعية لتحقيق الوحدة العربية أمل أمتنا المناضلة » . ، ولم تكن اسرائيل بغافلة عن قول البيان ان لقاء الرؤساء الثلاثة « يوسع جبهتنا القتالية فى وجه العدو الذى يدنس أرضنا ، وبه يتسع ميدان النضال ضده من القاهرة الى طرابلس والى الخرطوم حيث تحشد وتكثف كافة الطاقات والامكانيات وهى كثيرة وصولا الى النصر ، وردعا للعدوان وتحريرا للارض العربية » .

ورغم الكلمات القاطعة التى حدد بها الرؤساء الثلاثة مسئولياتهم ازاء القضايا العاجلة والقضايا المصيرية للامة العربية فلقد حرص مصدر مصرى مسئول على أن يعلن أنه « ليس المهم ما حدث فى لقاء طرابلس ولكن المهم ما سيحدث بانتهائه » .

وبالفعل فلم تمض اسابيع على اتفاق طرابلس حتى بدت فى اجتماعات وزراء خارجية الدول الثلاث ملامح تخطيط واقعى فى سبيل الوحدة العربية يرتكز على النضال المشترك ضد العدو الصهيونى المشترك ، والسير على طريق تحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الثلاث ، ومن أجل خطة تنمية اقتصادية وصناعية مشتركة تتخطى الهياكل الاقتصادية القديمة بكل ما تقيمه من عراقيل موروثة من عهود الاستعمار » ثم التحرك نحو تحقيق اللقاء والوحدة بين التنظيمات الشعبية لبلدان اتفاق طرابلس .

ان على أرض ج.ع.م وليبيا والسودان يعيش حوالى الخمسين مليونا من البشر هم نصف القوة البشرية للوطن العربى ، وتتواجد فى البلدان الثلاثة اكبر قاعدة صناعية عربية ، وواحد من اهم واكبر احتياطيات البترول فى الوطن العربى ، واضخم واوسع رقعة زراعية وثروة حيوانية ، كل هذا فى منطقة جغرافية متلاحمة ، تمثل امتدادا واحدا .

ولم يكن غريبا ، اذن ، ان يشتد السعر الاسرائيلى الامبريالى ضد البلدان العربية ، وعلى رأسها ج.ع.م ورئيسها جمال عبد الناصر ، للحيلولة دون تجسد ونمو هذا الهدف ، هدف الوحدة ، الذى هو احدى المعطيات الموضوعية لحركة التحرر العربى المعادية للامبريالية والصهيونية .

●

التصنيع الثقيل يمر عبر السد العالى

كان ٩ يناير الماضى هو العيد العاشر لسد اسوان . وقد اكتسبت هذه المناسبة اهمية خاصة نظرا لقرب انتهاء العمل فى المشروع وتنفيذ المرحلة المتبقية وقدرها ٦ شهور .

وكان قد تم بناء جسم السد منذ العام الماضى ، ووصل الى اقصى ارتفاع له وهو ١١١ مترا فوق قاع النهر ، كما انتهى العمل فى الستارة الارضية للسد واكتملت قدرته على حجز المياه .

ويجرى العمل فى الوقت الحاضر لوضع اللمسات الاخيرة المتعلقة باستكمال الطريق فوق جسم السد وتكسية جوانبه بالصخور ، وتركيب التوربينات الثلاثة الباقية فى محطة الطاقة الكهربائية لتعمل بكامل قوتها ومن المفهوم ان هذه المحطة تعد من حيث قوتها ثانى محطة من نوعها لتوليد الطاقة من مساقط المياه فى العالم . ويبذل الخبراء العرب والسوفيت جهودا فائقة حتى يكون المشروع جاهزا قبل ٢٣ يوليو القادم ، وهو العيد الثامن عشر للثورة .

ويرى المراقبون ان السد العالى قد فتح الطريق أمام ج . ع . م لتدخل بسرعة أكبر عصر الصناعات الثقيلة . فقد تقرر البدء فورا فى استخدام الطاقة الفائضة من كهرباء السد فى تنفيذ عدد من المشروعات الصناعية والزراعية الكبرى : مثل مصنع الالومنيوم ، ومصنع الحديد والصلب فى اسوان ، ومصنع « الفيروسيكلون » وهى المادة التى تدخل فى انتاج الصلب . ومشروع النوبارية ووادى الريان وانقاذ معابد فيلة باسوان . وسيقوم الاتحاد السوفيتى بتوريد المعدات والالات فى الشهور القليلة القادمة .

والجدير بالذكر ان الاتحاد السوفيتي قد وافق على تقديم المعونة الفنية الخاصة بالدراسة والتصميم لاقامة سلسلة قناطر ومساقط للمياه على النيل من أسوان الى القاهره للاستفادة منها فى توليد المزيد من الطاقة الكهربائية .

وينتظر ان تبلغ قيمة الزيادة فى الدخل القومى من مشروع السد العالى بعد اتمامه حوالى ٢٣٥ مليون جنيه سنويا ، وانه سيغطى تكاليفه (٣٢٠ مليون جنيه) فى مدى عامين ، الامر الذى لم يحدث - فى رأى الخبراء بالنسبة لاى مشروع من قبل ان غطى تكاليفه بمثل هذه السرعة .

ومن المعروف أيضا ان المبالغ التى امكن توفيرها منذ بدء العمل فى المرحلة الثانية للسد فى عام ١٩٦٤ تقدر بحوالى ٢٨٠ مليون جنيه هى قيمة الخسائر الناجمة عن أخطار الفيضانات واغراق الاراضى واتلاف المحاصيل ، وفى تدعيم الجسور وتعلية وتقوية جوانب النهر .

ويجمع المراقبون على ان النجاح فى انجاز هذا المشروع التاريخى « الذى كان حلم الاجيال » يؤكد مرة أخرى ان الصداقة العربية السوفيتية التى كان السد العالى رمزا مجسدا لها قد دللت عمليا على ما يمكن ان تقدمه الى البلدان النامية التى تدافع بعناد عن استقلالها السياسى والاقتصادى، وان هذه الصداقة لم تعد مجرد شعور عاطفى بل هى نتاج ظروف موضوعية ، ومحصلة طبيعية للسياسة التى ينتهجها البلدان : الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة ، سياسة التعاون المنزه ، والتعاون فى مجال البناء السلمى ، وفى النضال المشترك الذى لا يهدأ من أجل تصفية مواقع الاستعمار العالمى .

●

■ الاتحاد الاشتراكى العربى

المؤتمر الاول للتثقيف

كيف يقوم العمل التثقيفى بدوره فى استمرار الصمود وتهيئة المجتمع للحرب الحتمية ؟

هذا هو السؤال الذى حاول المؤتمر الاول للتثقيف الاشتراكى الذى دعت اليه لجنة الفكر والتثقيف الاشتراكى المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، والذى عقد فى الفترة ما بين ٦ ، ٩ يناير الماضى .

ولقد سبق عقد المؤتمر فترة تحضير . بدأت باجتماعات لجان التثقيف فى الوحدات الاساسية ثم مؤتمرات لجان التثقيف على نطاق القسم ، ثم مؤتمرات لمسئولى التثقيف بالاقسام على نطاق كل محافظة ..

وفى كل هذه الاجتماعات طرحت للمناقشة نقاط حول محصلة العمل التثقيفى لعام ٦٩ - وما فيها من ايجابيات وسلبيات ، وجرى البحث عن اقتراحات وحلول لتخطى العقبات التى تعرقل العمل التثقيفى .

وأمام المؤتمر الذى دعت اليه لجنة الفكر والتثقيف الاشتراكى برئاسة **ضياء الدين داود** - طرحت حصيلة هذا كله فى محاولة لايجاد الصيغة الملائمة للعمل التثقيفى خلال عام ١٩٧٠ .

وطبقا لتقدير لجنة الفكر والتثقيف الاشتراكى تحققت الانجازات التالية فى العمل التثقيفى :

اولا : على المستوى المركزى

● عقدت خمس دورات مركزية لاعداد الموجهين السياسيين ، استوعبت اكثر من ٨٠٠ دارس

● عقدت ثلاث دورات للتدريب على اساليب العمل التنظيمى .

● اصدار النشرة الدورية لتثقيف القيادات والنشرة الدورية للتحليل السياسى .

● بدء المتابعة الميدانية للعمل التثقيفى بالمحافظات .

● وضع البرنامج الموحد للتدريب السياسى لمنظمات الدفاع الشعبى .

● التنسيق مع الثقافة الجماهيرية فى التدريب السياسى للدارسين واعداد رواد الثقافة الجماهيرية .

ثانيا : على مستوى لجان الفكر والتثقيف بالمحافظات :

● تم تنفيذ ٩٠٦ دورات لتثقيف قيادات الاتحاد الاشتراكى ببرنامج التثقيف العام حضرها ٢٤١٣٢ من قيادات التنظيم على كافة المستويات .

● تم تنظيم ٦٠١ دورة تثقيفية عامة بالتعاون مع المؤسسات والمنظمات الاخرى مثل منظمات الدفاع الشعبى والمدنى والتنظيم النسائى والشرطة واجهزة الادارة المحلية وغيرها .

● تم تنظيم ندوات جماهيرية ولقاءات سياسية تثقيفية لمتابعة تطورات الاحداث زاد عددها على ٥٠٠٠ ندوة .

● تم اصدار ٤٠٩ نشرات دورية خاصة لتحليل موضوعات مرتبطة بالتطورات السياسية والعسكرية والمناسبات القومية .

هذا ويتضمن برنامج التثقيف العام الذى كان محور العمل التثقيفى فى المرحلة الماضية عدة موضوعات أهمها :

- الصراع العربى الاسرائيلى فى اطاره العالمى .
- عدوان يونيو — اهدافه ونتائجه ووسائل ازالته .
- قضايا التغيير .
- نظرة تاريخية لتطور التنظيم السياسى ومستقبل التنظيم السياسى فى مصر .
- تنمية المهارات التنظيمية للقيادات .

والى جانب هذه النتائج الايجابية كانت هناك سلبيات كثيرة أهمها :

- لا يزال النشاط التثقيفى محصورا فى غالبيته فى اقامة الدورات والندوات وحدها ، دون أن يصاحب ذلك استفادة مماثلة من اساليب التثقيف الاخرى الاكثر ملاءمة لعملية التثقيف الجماهيرى .
- لم تستغل حتى الان كافة الامكانيات المتوفره لاجهزة ومؤسسات الثقافة الجماهيرية والثقافه العمالية ومراكز الاعلام . وبعض هذه المؤسسات كالثقافة العمالية ما زالت برامجها متخلفة سياسيا عن برنامج التثقيف العام .
- ما زال عدد الموجهين أقل بكثير من ان يغطى كافة المواقع بشكل فعال علاوة على عدم انتظام عملية التثقيف الذاتى لهم والتى تضمن تنمية قدراتهم الفكرية .

تعليق

الفلسفة والميثاق

هل الدائره مربع ؟

سؤال يخطىء من يجيب عنه ، ذلك ان صياغة السؤال زائفة . والزيف لا ينشأ عنه الا الزيف . ولهذا يمكن القول بأن الجواب السليم من السؤال السليم.

هذه مقدمة لازمة لحسم الخلاف الذى دار حول كتاب ((الفلسفة)) للصف الثالث الثانوى من تاليف د. سعيد اسماعيل على .

فقد نشر فى جريدة ((الاهرام)) صباح السادس من شهر يناير لهذا العام مقال بقلم مؤلف هذا الكتاب يقرر فيه ان وزارة التربية والتعليم قد وزعت منشورا على مدارسها تطلب فيه عدم تدريس ما يتصل بمذاهب فلسفية ثلاثة : الماركسية والوجودية والبرجماتية ، وذلك حين عرض لها فى الفصل الرابع الخاص بمشكلة الحرية .

ثم يرد مؤلف الكتاب السبب فى توزيع هذا المنشور الى تقرير مرفوع الى الوزارة ((يطعن فى اتجاهات الكتاب ، وبانه يشيع مبادىء وافكار لا يرضى عنها المجتمع المصرى . وكان القصد منصبا على ما جاء بالكتاب من شروح للماركسية والوجودية والبرجماتية)) .

وفى ختام المقال يرى المؤلف ان ((الاقتصاد على عرض ما يتفق ورأينا فقط جريمة مروعة فى حق العقل العربى عموما والفكر المصرى خصوصا الذى ارتضى ان يكون فكرا مفتوحا لكل التجارب))

وفى اليوم التالى لنشر هذا المقال ظهر كاريكاتير بريشة الفنان صلاح جاهين يسخر فيه من شطب الماركسية والفلسفات المعاصره فى الوقت الذى فيه تقوم الجامعه الامريكية فى بلدنا بتدريس الماركسية .

وفى اليوم الثالث أرسل وزير التربيه والتعليم الى جريدة الاهرام بيانا يرفض فيه تصوير المؤلف لاسباب الحذف . يقول ((لا اعتراض مطلقا على الكتاب ولا اعتراض مطلقا على تدريس المذاهب العقائدية والنظريات الفلسفية ... انما الاعتراض على مدى صلاحية تدريس هذه المواد لطالب ثانوى)) .

والبيان الوزارى ، على هذا النحو يفيد ان المسألة ليست مسألة ((رفض)) للفكر الفلسفى المعاصر ، وانما المسأله هى مدى ((صلاحية)) هذا الفكر .

ومع ذلك فان محمد سيد أحمد — المسئول عن الصفحة المنشور فيها البيان — يعقب قائلا ((ان الامر المحير نوعا هو ان تعتبر النظريات العصرية أقل صلاحية للدراسة من نظريات الفلسفة الكلاسيكية لطالب ثانوى ، علما بان الفلسفة الكلاسيكية لا تقل عن الفلسفات الحديثة تعقيدا)) ثم يزيد تعقيبه حدة فيقول ((وقضايا الفلسفة الحديثة لا يمكن ان تكون من اختصاص طلاب الفلسفة بالجامعة وحدهم ، بل تمت بصلة اكيدة الى الثقافة)) .

وفى نفس اتجاه محمد سيد أحمد ، ولكن بأسلوب اكثر حدة ، تنشر جريدة ((الجمهوريه)) ، فى اليوم التالى للبيان الوزارى ، مقالا بقلم أمير اسكندر عنوانه ((الذين يريدون شدنا الى الوراء)) ، يضع فى مقدمة هؤلاء مسئولا فنيا فى الوزارة اسمه ((صلاح العرب عبد الجواد)) اذ هو اول من قدم تقريرا ((يطعن فيه بعدم صلاحية بعض فصول الكتاب ، وهى الفصول التى تعالج مشكلة الحرية وآراء الفلاسفة الماديين والوجوديين والبرجماتيين بصددها ، ويزعم ان هذه الفصول لا تتفق مع فلسفتنا القومية وان دراسة هذه المذاهب لا تتلاءم مع ايديولوجيتنا)) .

وقيل ان هذا المسئول الفنى قد قال — ردا على ذلك — انه لم يقصد الى شطب الماركسية من حيث هى كذلك ، ولكنه قصد الى شطبها هى وخصومها من الوجوديين والبرجماتيين فى الفصل الخاص بمشكله الحريه . وحجته فى هذا الشطب ان المؤلف لم يطرح هذه الفلسفات فى مواجهة ((ميثاقية)) مباشرة، وانما طرحها كما هى . ثم طرح وجهة نظر ((الميثاق)) بمعزل عن هذه الفلسفات، بل ان المؤلف لم يذكر لفظتى الماركسية والبرجماتية الا فى سطر واحد . ودلل هذا المسئول الفنى على حجته هذه بان ثمة صفحات يطرح فيها المؤلف وجهة نظر الماركسية والبرجماتية ولم يقترح شطبها لانها طرحت فى مواجهة ((ميثاقية

● ضعف خطوط الاتصال وعدم وصول القيادة المركزية بانتظام للمستويات القاعدية .

● انصراف الكثير من القيادات عن حضور الدورات التثقيفية وعدم اهتمام بعض المستويات بعملية التثقيف .

● عدم الاهتمام بعملية المتابعة الميدانية .

● النقص فى الكتب والمكتبات بصفة عامة .

وعلى ضوء الايجابيات والسلبيات حدد المؤتمر تصوره لاطار العمل التثقيفى خلال عام ١٩٧٠ على اساس النقاط الاربع التالية :

اولا : ان الصراع العربى ضد السيطرة الاستعمارية والعدوان الاسرائيلى ـ قد وصل الى مرحلة حاسمة هى ان نكون اولا نكون ، وفى هذه النقطة يجب ان يتم التركيز على شرح معنى حرب الاستنزاف طويلة الامد ، وتوعية الجماهير بحجم المسئوليات والتضحيات التى يفرضها خوض المعركة وحتميتها ـ كما يجب التركيز على ان القوة الذاتية للامة العربية هى العامل الحاسم فى تحقيق النصر وتأكيد ثقة الجماهير بنفسها وبقياداتها الثورية .

ثانيا : تعميق الفهم للاساس النظرى والعلمى للاشتراكية بشكل يضمن استيعاب قوى الشعب العامل للاسس العامة للاشتراكية العلمية ، وحتمية التحول الاشتراكى فى مجتمعنا . على أساس ان تدعيم التحول الاشتراكى وتعميقه ـ فضلا عن أهميته الشديدة تجاه المعركة ـ يمثل على المدى البعيد كل آمالنا فى التقدم والعدالة الاجتماعية والقضاء على كل أمل للاستعمار فى تحقيق السيطرة على مقدراتنا .

مباشرة » (الصفحات : ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦) .

خلاصة الامر ان ليس ثمة صياغة محددة لمشكلة هذا الكتاب ، فالصيغ متعددة ، ولكن رغم تعددها الا انها جميعا تدور على منوال صياغة السؤال المطروح فى مقدمة هذا المقال :

هل المدائرة مربع ؟

ونزيد الامر ايضاحا فنقول ان الفقره التى جاءت فى الصفحة الخامسة من الكتاب قد آثارت اشكالا وهميا . تقول هذه الفقرة :

« دراسة بعض المشكلات الفلسفية الكبرى مع بيان الحل الذى قدمه الميثاق الوطنى لكل منها » .

١ ـ مشكلة الحرية الانسانية : الجبر والاختيار ـ الفرد والمجتمع

٢ ـ مشكلة العلاقة بين الفكر والواقع وكيف واجهها المثاليون والبرجماتيون .

٣ ـ مشكلة الشك واليقين : الشك المذهبى والشك المنهجى .

وهذه الفقرة تلزمنا بطرح سؤال وهمى :

هل الميثاق الوطنى مذهب فلسفى ؟

ان هذا السؤال لم يكن مطروحا فى كل ما دار حول الميثاق من جدل طوال عشر سنوات لسبب بسيط هو ان من شأن المذهب الفلسفى ان يقدم نظرية فى المعرفة وفى الوجود تستند الى مصطلحات فنية معينة . ولا يعيب ميثاقنا الوطنى الا يكون كذلك ، اذ هو « دليل عمل » فى المقام الاول والاخير . وليس ادل على ذلك من ان المناضل جمال عبد الناصر لم يوجه اى نقد لاحدى المذاهب الفلسفية بدعوى معارضته للميثاق .

اذن مجرد طرح السؤال فى هيذه الصياغة اما ان يولد ارهابا فكريا ليس له أى مبرر على الاطلاق واما يولد اجتهادا طفوليا لا يرقى الى مستوى التأصيل النظرى . وليس ادل على ذلك من ان المؤلف لم يستطع مواصلة طرح وجهة نظر ميثاقية ـ لا من بعيد ولا من قريب ـ فيما يختص بمشكلة الشك واليقين . ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، يمكن تبرير التقرير المرفوع من الاتحاد الاشتراكى فى رفضه للكتاب بدعوى انه « لا ينتظم منهجا فكريا موحدا ، بيد ان ثمة اضافة ضرورية ينبغى ذكرها ان ليس فى امكان اى كتاب فلسفى ان ينتظم منهجا فكريا موحدا اذا التزم بالصياغة المطروحة .

يبقى بعد ذلك تعقيب على الكتاب من وجهة نظر فلسفية بحتة . ان الكتاب ملىء بالتناقض ومشحون باحكام غير فلسفية ، وينقصه التكنيك الفلسفى .

مثال على التناقض :

يقول المؤلف ان الفلسفة اليونانية تبحث عن الحقيقة فقط ثم يعرض لافلاطون من حيث هو مصلح اجتماعى .

مثال على حكم غير فلسفى .

يقول عن التفكير التأملى انه التفكير الرياضى ، ويقول عن فلسفة العصور الوسطى انها ليست فلسفة ، ويقدم تعريفا ساذجا للفلسفة من حيث هى « روح التفكير المطلق غير المقيد » .

مثال على غياب التكنيك الفلسفى اللازم لغياب الفهم الفلسفى « المستوى او العالم الاول للحرية مرتبط بالضرورة . ذلك انه طالما كان الناس مجبرين على العمل لكى يعيشوا فانه يجب تبعا لذلك انتاج المواد الضرورية للحياة بغض النظر عن الطريقة التى يتم بها هذا الانتاج ، اى حتى لو كانت الغالبية الساحقة تفقد انسانيتها خلال هذا العمل فى حين ان القلة تعيش عيشة مترفة على ما ينتجه العمال من سلع للجميع ، وحتى لو كانت الغالبية تعمل فى ظل ظروف غير ملائمة وغير لائقة بكرامة الانسان ، وحتى لو كانت الغالبية تعمل عملا شاقا الى حد لا يبقى لهم معه وقتا حر الا لكى يأكلوا ويناموا ليعاودوا الكدح الشاق ، فمن الواضح ان الانسان فى ظل هذه الظروف ـ وهى ظروف الانتاج الراسمالى ـ لايكون قد بلغ حالة الحرية وهو فى هذا المستوى الادنى من المجال الاقتصادى للنشاط الانسانى اذ لا يبلغ الناس حالة الحرية وغالبيتهم تخضع لسلطة الطبيعة هذه وللمجتمع الذى يكرههم على ان يعيشوا حياة قاسية فى شقاء متصل .

أما المستوى او العالم الثانى للحرية الذى يشير اليه « ماركس » فهو غير منفصل عن الاول لانه ليس شيئا فى نهاية يوم العمل ، بل هو على النقيض من ذلك يضرب بجذوره فى عملية العمل ذاتها . وهذا المستوى او العالم لايكون ممكنا على نطاق واسع ـ وليس مقصورا على قلة ـ الا عندما تبلغ قوى الانتاج من النمو الحد التى تشبع معه ضرورات الحياة المتزايدة دون بذل مزيد من العمل الشاق او الشقاء » (ص ٩٦) جاء ذكر هذه الفقرات فى الحديث عن الماركسية .

هذا قليل من كثير ومن يطلب المزيد عليه بقراءة الكتاب . والخلاصة ان « الفلسفة » فى هذا الكتاب تعانى من « الاغتراب » .

د. مراد وهبه

كما دعا المؤتمر لان تقترن دراسة سمات التطبيق العربي للاشتراكية بالتأكيد على قيم وسلوكيات المجتمع الاشتراكي ، وتنمية روح النقد البناء للانجازات التي حققها التحول الاشتراكي والمكتسبات الشعبية التي ترتبت عليها ، وكشف اساليب التشكيك في الاشتراكية التي تعمد اليها القوى المضادة للثورة .

ثالثا : ان فاعلية التنظيم السياسي هي السند لصلابة الجبهة الشعبية . وهذا يتطلب تنمية دور الاتحاد الاشتراكي بوصفه الاطار المنظم لحركة الجماهير والمعبيء لقواها نحو مجالات العمل المرتبطة بالمعركة ، والتأكيد على دور « لجان المواطنين من اجل المعركة » وابراز اهمية قيام هذه اللجان بالنسبة للتنظيم السياسي واثرها في تحريك القواعد الشعبية ، وكيفية الاستفادة من القيادات الشعبية التي سيبرزها نشاط هذه اللجان بما يتيح استقطابها الى العمل السياسي .

وفي هذه النقطة يقع على عاتق التثقيف مهمة التعريف بالديمقراطية ومضمونها ، والتأكيد على الرقابة الشعبية على سائر اجهزة الدولة والفنية الى نواحي القصور في العمل السياسي ، وطرح المشاكل التي تساهم في تثقيف القيادات .

رابعا : لما كان الجانب التطبيقي في الميثاق سيطرح للتغيير في هذا العام - فان ذلك يمثل مناسبة لها اهميتها يتحمل العمل التثقيفي مسئولية الاستفادة منها في تعميق الفهم للاساس الايديولوجي الذي ترتكز عليه الثورة والميثاق ، وتأكيد ان شعبنا لم ير في اي حقبة من تاريخه ان ايمانه يعوق تقدمه بل على العكس يشكل لديه قوة دافعة الى التقدم

ومن اجل القيام بالمهام التي يتطلبها العمل التثقيفي اوصى المؤتمر بضرورة الاسراع في :

افتتاح المعهد العالي للتثقيف السياسي وتدريب القيادات على ان يقوم الى جانبه مستويان من المعاهد .

- معاهد محلية بكل محافظة تكون بمثابة المستوى الاول للقيام بالتربية السياسية - وتديرها لجان المحافظات حسب امكانياتها ، وتكون مدة الدراسة بها شهرا ، ويكون الميثاق هو المحور الاساسي في برنامج هذه المعاهد .

- معاهد اقليمية تكون المستوى التالي وتخدم مجموعة متجاورة من المحافظات وتتضمن الدراسة بهذه المعاهد تعميقا لفكر الميثاق من خلال الدراسة النظرية لجوانب المعرفة الاساسية للاقتصاد والتاريخ والعلاقات الدولية والتنظيمات السياسية مع التركيز على تعميق الخبرات التنظيمية والعمل الميداني .

وفي التوصيات العامة دعا المؤتمر الاول للتثقيف الى ايفاد بعثات تعليمية للخارج من بين قيادات العمل التثقيفي بالاتحاد الاشتراكي على جميع المستويات وذلك للاستفادة مما وصلت اليه خبرات التنظيمات الاشتراكية الاخرى .

كما دعا المؤتمر الى ضرورة المشاركة في اعداد المادة الفكرية والسياسية التي تعطى للدارسين بمراكز ومعاهد المؤسسة الثقافية العمالية .

ونادى المؤتمر بضرورة ان يتولى مسئولية العمل الفكري بلجان المواطنين من اجل المعركة قيادات فكرية ملتزمة .

●

الدورة الخامسة لمؤتمر وزراء العمال العرب

انعقد في القاهرة من ٥ الى ٨ يناير ١٩٧٠ مؤتمر وزراء العمال العرب في دورته الخامسة ، والذي كان مقررا انعقاده في بيروت في الفترة من ٣ - ٦ نوفمبر ١٩٦٩ - ولكن الظروف الداخلية في لبنان وقتئذ حالت دون انعقاده .

وانهى المؤتمر اعماله بمجموعة هامة من القرارات ، منها البدء في انشاء منظمة العمل العربية ، وكان المؤتمر الاول لوزراء العمال العرب ، الذي انعقد في بغداد في يناير ١٩٦٥ ، قد اتخذ قرارا بقيام هذه المنظمة التي تأخر قيامها بسبب عدم توفر النصاب القانوني للتصديق على ميثاق تأسيسها . وقد توفر هذا النصاب أخيرا بتوقيع ثماني دول على أحكام دستورها وهي الاردن والجزائر والسودان والعراق وسوريا والجمهورية العربية المتحدة والكويت والمغرب واليمن الجنوبية . كما وعدت ليبيا واليمن ولبنان بالتصديق على أحكام دستور المنظمة .

وقرر المؤتمر الدعوة لعقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة في موعد أقصاه نوفمبر ١٩٧٠ ، على أن تبدأ المنظمة نشاطها أول يوليو ١٩٧٠ . كما وافق المؤتمر على انشاء مقر مؤقت لمكتب العمل العربي في القاهرة الى أن يقرر المؤتمر اختيار المقر الدائم لمنظمة العمل العربية .

وبمجرد انتهاء أعمال المؤتمر بدأت بعض البلاد العمل للتحضير لقيام المنظمة ، ففي السودان تشكلت لجنة من وزارة العمل واتحاد نقابات العمال وبعض المتخصصين للتحضير لقيام المنظمة واعداد الدراسات العلمية الخاصة بذلك .

ويمثل قيام منظمة العمل العربية انجازا هاما في مجال الاهتمام بتنظيم علاقات العمل فى البلاد العربية من أجل الوصول الى مستويات متماثلة فى التشريعات العمالية ، والتأمينات الاجتماعية ، والى تخطيط مشترك فى مجال القوى العاملة العربية وتشغيلها ، ووضع خطة مشتركة للتدريب المهنى تتفق وحاجات الدول العربية ، وتساير اهداف التنمية فيها ، ولتشجيع انشاء معاهد الثقافة العمالية وتبادل الخبراء والاخصائيين والمعونات الفنية فى مجالات العمل المختلفة .

ووافق المؤتمر كذلك على قرارات هامة أخرى — منها قرار بالعمل على تشكيل صندوق لتمويل عملية تقرير رواتب تقاعدية للفدائيين الفلسطينيين او لاطفالهم عند العجز او الاستشهاد .

كما قرر المؤتمر ضرورة اسراع الدول التى لم توقع الاتفاقية العربية لتنقل الايدى العاملة الى التوقيع عليها وخاصة لتحقيق حرية تنقل العمال الفلسطينيين فى الدول العربية .

تعليق

تحية لذكرى أحمد فهيم

فقدت الحركة النقابية العربية في اواخر شهر ديسمبر الماضي — شخصية بارزة من شخصيات الحركة النقابية العربية . أحمد فهيم رئيس الاتحاد العام للعمال فى ج . ع . م .

كان احمد فهيم بعد تخرجه فى اواخر الثلاثينيات من احدى المدارس الصناعية قد اشتغل عاملا ميكانيكيا فى ١٩٣٨ بشركة المحلة — مصر للغزل والنسيج — وظل يعمل بها حتى عام ١٩٤٢ . ثم تركها وانتقل الى العمل فى القاهرة ، حيث عمل فى بعض المصانع الصغيرة ، ثم عمل فى مصانع سباهي . وفى منتصف الاربعينيات والحركة النقابية لعمال النسيج تواجه هجوما شرسا من قبل الحكومات الرأسمالية ونقابة العمال فى شبرا الخيمة تغلق ، ويشرد ويسجن قادتها وتدبر المؤامرات ضدهم بواسطة اوفيبا سالم واسماعيل صدقى — كون أحمد فهيم نقابة رؤساء ومساعدى المصانع بشبرا الخيمة .

وفى اواخر الاربعينيات وعندما اخذ سباهى يصفى أعماله فى القاهرة وينقل مصانعه الى الاسكندرية حصل احمدفهيم على مكافأته وأسس هو وعدد من زملائه مصنعا خاصا اطلقوا عليه اسم «الشركة النموذجية» للنسيج واستمر رئيسا لنقابة رؤساء ومساعدى المصانع .

وابتداء من ١٩٥٣ ، بصفة خاصة ، بدأ أحمد فهيم نشاطه النقابى الحقيقى . وفى هذا العام كانت قد تكونت لجنتان تحضيريتان لتأسيس الاتحاد المهنى لعمال الغزل والنسيج بجمهورية مصر ، كما تشكلت فى المحلة رابطة لنقابات الغزل والنسيج التابعة لشركات بنك مصر . وتأسس الاتحاد فى ١٩٥٣ ، والذى رأسه أحمد عبد العال اليابانى . وفى الدورة الثانية للاتحاد (١٩٥٤) أصبح أحمد فهيم رئيسا للاتحاد المهنى لنقابات الغزل والنسيج .

وفى يناير ١٩٥٧ اشترك فى تأسيس الاتحاد العام للعمال واصبح وكيلا للاتحاد ونائبا لرئيسه ، ثم رئيسا للاتحاد فى ١٩٦٤ .

ومارس نشاطه فى الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وفى مكتب العمل الدولي وهيئة التامينات الاجتماعية . وانتخب عضوا فى مجلس الامة عام١٩٦٤ عن دائرة روض الفرج ، واعيد انتخابه فى ١٩٦٨ حيث أصبح وكيلا لمجلس الامة

ان تاريخ أحمد فهيم النقابى — وهو تاريخ قائد نقابى عاش قبل الثورة وبعدها ، تطورت نقابيته من مرحلة الى مرحلة : فهو قبل الثورة نقابى مثل أساسا الفئات العليا من عمال النسيج — رؤساء ومساعدى المصانع — وبعد الثورة اهتم احمد فهيم بالعمل النقابى الواسع وخاصة بعد ان أصبح رئيسا للاتحاد المهنى لنقابات الغزل والنسيج وفى الفترة من ١٩٥٤ كان كل نشاطه مركزا فى دائرة العمل النقابى البحت : مشاكل الاجور وساعات العمل ، وظروفه فى صناعة النسيج . واشترك فى تنظيم عدد من المؤتمرات الثقافية لعمال الغزل والنسيج .

وابتداء من ١٩٥٧ امتد عمله النقابى الى النشاط السياسي والوطني واشترك فى بعض الحملات السياسية العامة المعادية للاستعمار مثل الحملة المعادية لمشروع ايزنهاور . وفى هذه الفترة وثق احمد فهيم علاقاته بكثير من المنظمات النقابية والنقابيين فى البلدان الاشتراكية

ورغم ان أحمد فهيم كان يقدر صداقة الاتحاد العالمى للنقابات ومواقفه المعادية للاستعمار ، فانه كان يرى مع مجموعة من الفئات النقابية العليا الاستمرار فى « الحياد النقابي » الدولي ، وهو موقف ليس فى مصلحة الشعوب المناضلة من اجل الاستقلال والتحرر ، حيث يصبح من الضرورى مواجهة العدو وتوثيق عرى الصداقة مع الحليف والنصير دون تردد لذلك كان من الضرورى الاعتماد على القوى النقابية الدولية الصديقة والمعادية للاستعمار والرأسمالية فى مواجهةالقوى المضادة للثورة على النطاق الدولى وخاصة على النطاق العربى والافريقى .

كان احمد فهيم من الشخصيات النقابية الاولى — وكان اكثر الشخصيات النقابية من بين الفئة العليا من النقابيين المصريين تجاوبا مع الاحداث الثورية ومع القيادات النقابية وقطاعات كبيرة من القاعدة العمالية .

فتحية لذكراه — فقد فقدنا قائدا نقابيا له تاريخ ولعب دورا مؤثرا فى الحركة النقابية العمالية .

عبد المنعم الغزالي

■ بترول

البتـــرول العـــــربى في ختام حقبة الستينات

شهدت حقبة الستينات التى انتهت قبل شهر تطورا ضخما في انتاج البترول أكدت فيه المنطقة العربية اهميتها الكبيرة الى درجة وضعتها فى المركز الاول من قائمة المنتجين ، وهو مركز كانت المنطقة الامريكية تحتله طوال السنوات الماضية. ويشير الخط البيانى لارقام الانتاج الى تزايد فى ارقام البترول العربى يفوق اى تزايد فى منطقة اخرى .

وعلى مستوى الدول فلقد احتفظت الولايات المتحدة الامريكية بمركز القمة يجيء بعدها الاتحاد السوفيتى الذى سجل انتاجه فى الستينات زيادة ضخمة ، ثم ايران ، ثم ليبيا التى كانت مفاجأة حقبة الستينات . فقد بدأت من الصفر فى عام ٥٩ الى ١٥٠ مليون طن فى آخر العام الماضى . وبعد ليبيا جاءت فنزويلا فى المركز الخامس وهى التى ظلت طوال السنوات الماضية تحتل المركز الثالث بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، واحتفظت بهذا المركز ايضا طوال سنوات الستينات فيما عدا السنة الاخيرة من هذه الحقبة (عام ١٩٦٩) فقد هبطت فيها الى المركز الخامس .

وبوجه عام فان الستينات شهدت زيادة مضاعفة فى انتاج البترول . فبينما بدأت هذه الحقبة بانتاج بلغ ١٠١٠ ملايين طن ، اذ تنتهى الى انتاج وصل الى ٢١٣٠ مليون طن ، وكانت نسبة الزيادة في كل سنة في حدود ٧ر٧ في المائة فيما عدا السنة الاخيرة حيث بلغت الزيادة فيها وحدها نحو ١٢٠٠ مليون برميل ، او ما يعادل ٨ فى المائة اكثر من العام السابق .

ويدل هذا على زيادة الطلب على البترول رغم فترة التوقف غير الطويلة التى اعقبت حرب يونيو ١٩٦٧ فى المنطقة العربية . وبوجه عام فلقد اصبح البترول يحتل اليوم المركز الاول كمصدر للطاقة

لقد شهدت الستينات تغيرات كثيرة ، لكن اكثر هذه التغيرات كانت فى المنطقة العربية فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا . ففى هذه المنطقة :

● اكتسحت ليبيا بصورة مذهلة كل أرقام الانتاج المتوقعة ، واصبحت فى خلال ثمانى سنوات من اوائل الدول المنتجة فى العالم . وقفز انتاجها من لا شيء عام ١٩٥٩ الى ٤١ مليون طن عام ٦٤ ، ثم الى ١٢٤ مليونا عام ١٩٦٨ ، ثم الى ١٥٠ مليون طن (بمعدل اكثر من ٣ ملايين برميل يوميا) فى السنة الاخيرة .

وهكذا ظهر نجم ليبيا فى سماء البترول منيرا وقويا وشديد التأثير خاصة وان موقعه قريب من الاسواق المستوردة الاولى فى العالم (اوربا الغربية) بالاضافة الى ارتفاع جودة الخام الليبى وخلوه تقريبا من المواد الكبريتية التى تدور الحرب اليوم لخفضها فى المنتجات البترولية بعدما تأكد من تأثير عادمها على الصحة .

● **ظهرت ايضا الجزائر** التى تضاعف انتاجها خلال هذه الحقبة حوالى ٣٥ مرة فارتفعت من ٣ر١ مليون طن الى ٤٤ مليون طن . وقد ظهرت خلال الستينات امكانيات الجزائر البترولية . واعلنت الحكومة الجزائرية انها تنوى رفع انتاجها بنسبة ٤٣ فى المائة خلال السنوات الاربع المقبلة .

● قفزت الى السطح البترولى ايضا **امارة ابو ظبى** وبسبب البترول عرف الكثيرون اسم هذه الامارة التى كانت جزءا صغيرا فى الساحل الجنوبى للخليج العربى . وفى بداية الستينات كان العمل لا يزال دائرا فى هذه المنطقة الجافة من الارض بحثا عن نقطة زيت ، ثم منذ منتصف حقبة الستينات عرفت الناقلات طريقها الى ميناء الامارة وحملت منها ١٠ ملايين طن ظلت تتزايد حتى وصلت فى العام الماضى الى ٨ر٢٨ مليون طن .

● وفى افق السماء البترولية ظهرت ايضا **مسقط وعمان** تلك الامارة التى يحيط بها حكم متخلف وقوانين تمنع دخول أى عربى الى هذه الارض وتقصرها على الاجانب وحدهم . وعمر البترول فى هذه الامارة التى تجلس على بوابة الخليج العربى لا يتجاوز ثلاث سنوات . لكنه استطاع ان يصل فى خلال هذه السنوات القصيرة الى انتاج سنوى قدره ٣ر١٦ مليون طن .

● وفى محيط العمل البترولى العربى ، فان حقبة الستينات اختتمت اعمالها بتسجيل بدء الانتاج من **دبى** وقد سجلت اول انتاج لها فى العام الماضى وقدره مليون طن ، وحتى ظهور البترول فلقد كانت موارد البترول فى هذه الامارة تتركز على التجارة وتهريب الذهب الى اسواق الهند والدول الاسيوية . وقد قدر انها اشترت فى العام الماضى بما قيمته ٤٠٠ مليون جنيه سبائك ذهبية . ومن الغريب ان هذه الكميات المهولة من الذهب لم تسجل فى دفاتر موانيها رغم ان من يطلع على هذه الدفاتر يجد الحرص فيها شديدا على قيد كل صغيرة او كبيرة تدخل الامارة . ولان كل ما وصل من ذهب وضع فى بند الترانزيت فانه لم يدخل قوائم الاستيراد او التصدير ، وانما اتجه « من

بره بره » الى المخابىء السرية التى يحملها المهربون ويقصدون بها اهدافهم ·

ولقد شهدت دبى فى حقبة الستينات نشاطا بتروليا كبيرا منه اقامه اول خزان بترولى تحت مياه الخليج وهو مشروع جديد فى تجربته · وفى نظرة الهند والدول الاسيوية الى هذا النشاط البترولى فان الامانى هناك ان يكون له اثر على تخفيف حدة عمليات التهريب التى تقع بين يوم وآخر .

● وفى حقبة الستينات اصبحت **سوريا** ايضا لاول مرة بلدا منتجا للبترول وقد بدأ هذا الانتاج منذ عام ١٩٦٨ بمليون طن زاد فى العام الماضى الى ٥ر٣ مليون طن · ولا شك ان دخول سوريا هذا المجال سوف يحقق لها الكثير ·

● وفى حقبة الستينات كذلك تحولت **مصر** من دولة منتجة صغيرة الى متوسطة رغم ما فقدته فى خلال حرب ١٩٦٧ من حقول فى سيناء · واستطاعت مصر بعد هذه الحرب ان تعوض ما فقدته وتضاعفه ، وفى بداية الستينات كان الانتاج ٣ ملايين طن وقد وصل فى العام الماضى الى اكثر من ١٢ مليون طن ·

كان ذلك فى المحيط العربى ، اما على المستوى العالمى فلقد شهدت حقبة الستينات التطورات التالية :

● **فى الولايات المتحدة** زاد الطلب على المواد البتروليه بنسب تفوق اى بلد · ومع هذه الزيادة فى الطلب حاول المنتجون زيادة الانتاج من ٣٧٨ مليون طن عام ٥٩ الى ٥١٠ ملايين فى العام الماضى ، الا ان هذه الزياده لم تكف ، وبالتالى اصبحت الولايات المتحدة فى النصف الاخير من الستينات دولة مستوردة للبترول ، بعد أن كانت دولة مصدرة · وبدأت اشباح الاخطار من المستقبل تطاردها بصورة جعلت شركات البترول ــ أمام ضوء الامل الصغير الذى ظهر فى الاسكا ــ تدفع فى يوم واحد نحو ١٠٠٠ مليون دولار خلو رجل لحكومة الاسكا للبحث عن البترول فى الاراضى التى عرضتها الولاية للايجار فى مزاد مفتوح ·

● **وفى الاتحاد السوفيتى** تحققت خلال الستينات معدلات انتاجية مرتفعة تزيد على معدلات النمو التى تحققت فى بقية انحاء العالم · فمن ١٢٩ مليون طن عام ٥٩ بلغ الانتاج فى العام الماضى ٣٢٨ مليون طن · ويتجه الاتحاد السوفيتى حاليا الى تطوير الحقول المنتجة فى سيبريا بعد ان بلغت الحقول القديمة الذروة فى الانتاج وبدأ خطها ــ ككل الحقول فى الهبوط ·

الا ان الستينات شهدت خطوتين هامتين فى الاتحاد السوفيتى : اولاهما مد خط الغازات الطبيعية الى ايران ، والثانى بدء دول اوربا الشرقية باستيراد البترول من الشرق الاوسط وشمال افريقيا بعد أن كان الاتحاد السوفيتى هو الذى يتولى امداد هذه الدول باحتياجاتها من المواد البترولية ·

● **وفى اوربا الغربية** فان الستينات شهدت ظهور الغازات الطبيعية فى بحر الشمال واكتشاف حقول ضخمة فيها · وفيما عدا ذلك فان الانتاج البترولى لم يسجل شيئا يستحق الذكر .

■ ■

■ النزاع العربى الاسرائيلى

من الخلاف المزعوم الى تصعيد العدوان

كشف

تطور احداث الشهر الماضى حقيقة المقترحات الامريكية الاخيرة لتسوية ازمة الشرق الاوسط . فلقد اشار المعلقون السياسيون الى ان تلك المقترحات لم تكن سوى مناوره سياسية تواجه بها الولايات المتحدة امكانية تحقيق تضامن عربى أوثق فى وجه العدوان · واستفادت تل ابيب من جو الخلافات المزعومة مع وشنطن حول هذه المقترحات كى تعمل على تعبئة العناصر الصهيونية فى العالم لمزيد من المساندة لاسرائيل ، ولتخطى الخلافات القائمة داخل الوزارة الاسرائيلية بخصوص الازمة وسرعان ما أعلنت **جولدا مايير** عقب ما سمى « بأزمة العلاقات الامريكية الاسرائيلية » بأن هناك اتفاقا كاملا داخل الوزارة الاسرائيلية حول :

● ان اسرائيل لن تنسحب خطوة واحدة قبل اتفاق صلح .

● وان هذا الاتفاق لابد وأن يكون عن طريق مفاوضات مباشرة ·

● وانه يجب أن ينص على حدود آمنة ومتفق عليها ·

كما استفادت اسرائيل من الازمة المزعومة للتمهيد لتنشيط عملياتها العسكرية ، وقد أشارت **الايكونوميست** الى ذلك فقالت :

« **لقد بدأت جولدا مايير فى افتعال الخلافات مع الولايات المتحدة من أجل تمهيد الطريق لتنشيط العمليات العسكرية ضد جيرانها · والتاريخ يدل على أن اسرائيل كلما كانت بسبيل توجيه ضربة مفاجئة ترى من المناسب أن تبدو مظلومة أمام العالم** » ·

« وأوضحت الايام التالية ـ « **كما قالت البرافدا** » ـ محاولات جديدة تقوم بها تل أبيب لزيادة استفزازاتها ضد الدول العربية وللابقاء على التوتر فى المنطقة كلها » .

وقد أشار نائب رئيس الجمهورية **أنور السادات** الى ذلك حينما قال : **أنه من المتوقع أن يقوم العدو بغارات على نطاق أوسع ، والى أعماق أبعد فى المرحلة الحالية بغرض النيل من الروح المعنوية العربية كجزء من خطة الحرب النفسية** .

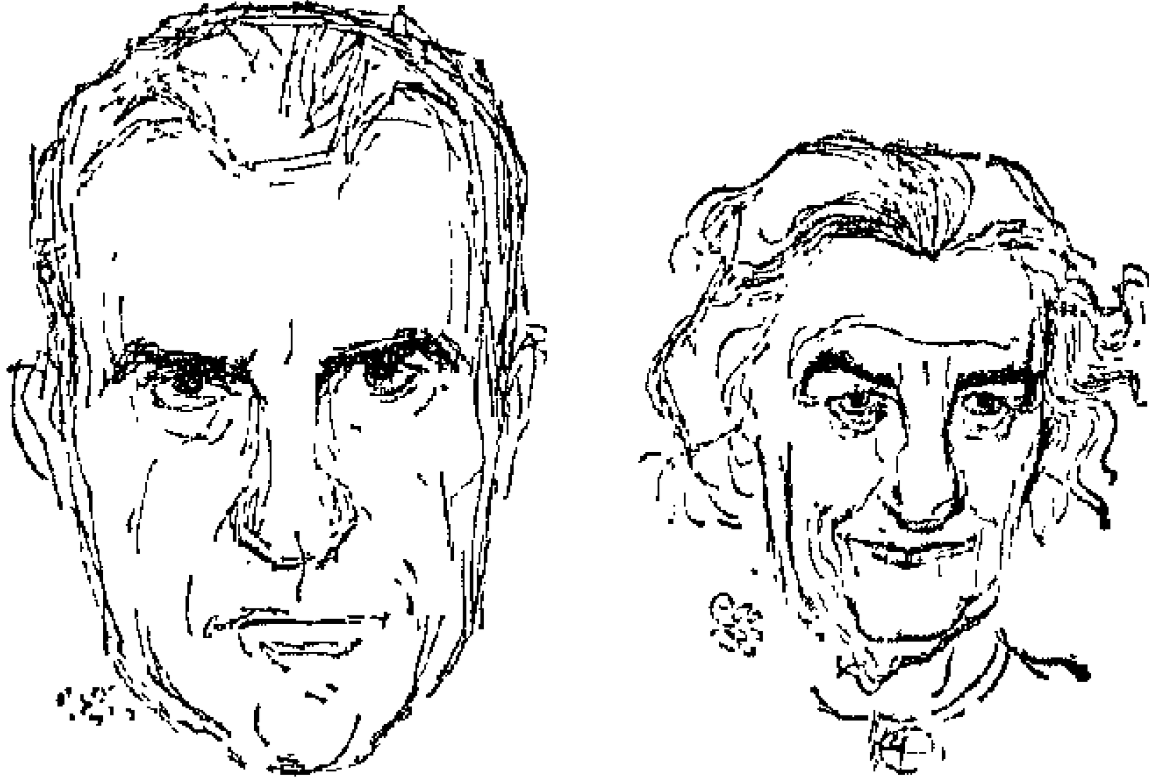
وقد حاولت اسرائيل كذلك ان تستغل « الازمة المزعومة » لتغطية شحنات السلاح الجديدة التى وصلت اليها من أمريكا وانجلترا . فقد سلمت بريطانيا لاسرائيل ٢٠٠ دبابة سنتوريون جديدة واعلن **المتحدث الرسمى** ان حكومة ج . ع . م . تنظر بكثير من القلق والانزعاج الى المعلومات التى وصلتها عن ارسال اسلحة بريطانية الى اسرائيل . واننا نعتبر هذا الاجراء دعما للعدوان وعملا عدائيا ضد الدول العربية .

وسرعان ما أعلن الاتحاد السوفيتى رفضه للمقترحات الامريكية ووصفها بأنها مقترحات متحيزة لاسرائيل . وأكدت **الحكومة السوفيتية فى ردها على المقترحات تأييدها الكامل لحقوق السيادة المصرية على شرم الشيخ ، كما طالبت بعودة الاوضاع فى قطاع غزة الى ما كانت عليه قبل يونيو** .

وعلى اثر ذلك خيم جو الركود من جديد على الاتصالات الدولية . وصرحت المصادر المطلعة فى الامم المتحدة أن الولايات المتحدة أبلغت الاتحاد السوفيتى انها تتمسك بمقترحاتها الاخيرة بشأن الازمة ، وانها لن تقدم أية تنازلات جديدة . ورغم اجتماعات مندوبى الدول الاربع فان الامل يبدو ضعيفا فى امكانية التوصل الى مخرج فى المستقبل القريب .

وفجرت صفقة الميراج التى عقدتها ليبيا مع فرنسا من جديد الخلافات الفرنسية الامريكية حول أزمة الشرق الاوسط . وواجهت فرنسا حملة صهيونية أمريكية محمومة . وقد علقت **التايمز** البريطانية على تلك الحملة فقالت : « ان فرنسا كانت أول دولة غربية أدركت مدى الخطر الذى يمكن أن يترتب على تطور النزاع العربى الاسرائيلى الى نزاع شامل بين الشرق والغرب . ويجب على الدول الغربية أن تدرك أن السياسة الفرنسية هى التى ساعدت أكثر من أى سياسة غربية أخرى على ألا يتحول النزاع العربى الاسرائيلى الى صفحة اخرى فى الحرب الباردة » .

وفى مواجهة تلك الحملة المحمومة على السياسة الفرنسية صرح **موريس شومان** وزير الخارجية



جولدا مائير — نيكسون

الفرنسية قائلا : « **اننا لسنا على استعداد للمخاطرة بهذه السياسة ، تحت أى ضغط كان ، لانها ادت الى استعادة وجودنا فى العالم العربى كله مشرقه ومغربه .. ولو لم تكن لنا مثل هذه السياسة** فربما احتلت مكاننا على الفور دولا أخرى وليس بالضرورة أن تكون دائما نفس الدول » .

وعلى ضوء الاتجاهات التى برزت على السطح فى سياسات الدول الكبرى يقوى فى بعض العواصم العربية اتجاه الى اعادة تقييم موقفها ، خاصة تجاه السياسة البريطانية والفرنسية فى المنطقة ، لمحاولة الاستفادة بدرجة أكبر من موقف فرنسا المستقل لخدمة أهداف القضية فى المجال الدولى .

■ ■

■ **الخرطوم**

قانون جديد للجامعة

فى ١٠ يناير أجتمعت الجمعية العمومية **لاتحاد الطلبة بجامعة الخرطوم** لاتخاذ قرار حول الموقف الذى اتخذه مجلس الاتحاد باعلان الاضراب فى الجامعة احتجاجا على ابعاد عدد من اساتذة الجامعة المرتبطين بالاحزاب الرجعية وبجماعة الاخوان المسلمين،وذلك بعد ان ثبت أنهم يساعدون فى استخدام الجامعة « وشعار استقلال الجامعة » كمظلة تحتمى تحتها القوى المعادية لثورة مايو . وبعد أن تأكد أن المخابرات الامريكية **قد خططت لاستخدام الجامعة كمركز لتحركات معادية للثورة** .

وقد اتخذت الجمعية العمومية لاتحاد الطلبة قرارا برفض موقف مجلس الاتحاد الخاص باعلان الاضراب • وما أن اتخذ القرار حتى قادت القوى التقدمية فى الجامعة مظاهرة جامعية كبيرة لاعلان تأييد الجامعة لثورة مايو ، واستعداد الطلبة لحماية الثورة وادانة الاتجاهات الرجعية المضادة التى ظلت لامد غير قصير معشعشة فى الجامعة تدبر المؤامرات ، وتنظم العمل مع القوى المعادية خارج الجامعة • وتأكد ذلك عندما اعتقل النقابى سليمان سعيد المرتبط بجبهة الميثاق (الاخوان المسلمين) والمعادى لاتحاد العمال • وضبطت عنده منشورات باسم « العمال الاحرار » وبيان « اتحاد الطلبة » ضد قرارات مجلس الثورة الخاصة بتطهير الجامعة من العناصر الرجعية والمالئة للغرب والمعادية للاشتراكية •

وانضم الى مظاهرة جامعة الخرطوم طلاب جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم كما انضمت اليهم ايضا اقسام واسعة من الشعب ، واستمرت المظاهرات طوال الليل ، معلنة دحر مؤامرة الاخوان المسلمين والقوى الرجعية • وفى نفس الوقت ، اتخذ اتحاد العمال قرارا بتسيير موكب كبير فى ١٥ يناير لشجب مؤامرات القوى المضادة للثورة • وكان موكبا ضخما جدد مسيرات الطبقة العاملة السودانية التى تظاهرت فى يونيو الماضى لدعم ثورة مايو الوطنية الديمقراطية التى وضعت هدفا لها الانتقال بالسودان من مجتمع متخلف الى مجتمع اشتراكى •

ولقد بدأت القوى المضادة للثورة تحركاتها من داخل الجامعة بعد أن أعلن اللواء أركان حرب **جعفر نميرى** فى خطاب له فى ٨ يناير الماضى : « ان هدفنا هو ان تمارس جامعة الخرطوم دورها الطليعى والطبيعى ، باعتبارها حقلا لاعداد القيادات الفكرية والمهارات الفنية المتخصصة ، وأداة من أدوات الفكر الاشتراكى التقدمى ، ومنطلقا للبحوث الاكاديمية الموضوعية المرتبطة بخطط التنمية الاجتماعية لثورة مايو ، تثرى الفكر السودانى ، وتكشف عن التراث القومى ، وتخصب القدرات التكنولوجية ينطلق العلم منها ليصب مباشرة فى مواقع الثروة الطبيعية فى بلادنا ، استثمارا وتطويرا • ولتصبح الجامعة جهازا تفخر به هذه الامة ، وعملا صالحا من اعمال هذه الثورة » •

وأعلن الرئيس نميرى أن قانون الجامعة الجديد الذى أقره مجلس قيادة الثورة انما يهدف الى تحقيق ذلك ، والى جعل استقلال الجامعة ، ليس استقلالا عن المجتمع السودانى والشعب السودانى والثورة السودانية ، وانما يهدف الى ربط الجامعة بالمجتمع ، لتصبح الجامعة اداة فعالة تفى بالاحتياجات العلمية والفكرية للمجتمع السودانى ، الامر الذى يعنى ضرورة التصدى لمحتوى التعليم الجامعى •

وأمام مقاومة عنيدة من القوى المضادة للثورة صدر القانون الجديد لجامعة الخرطوم لسنة ١٩٧٠ والذى يعتبر من أهم القوانين والاجراءات الثورية الجديدة لثورة مايو •

وتميز هذا القانون بما تضمنه من مبادىء جديدة :

فأولا : تضمن القانون الجديد مادة مستحدثة توضح الاهداف التى تلتزم بها الجامعة بتنفيذها • وحددت هذه الاهداف بأنها تنظيم التعليم الجامعى وتطويره ، وتشجيع البحث العلمى ، وتحقيق تقدم العلوم والمعرفة ، ونشر الثقافة الوطنية ، وتوثيق العلاقات مع المنظمات الاخرى خاصة المؤسسات الحكومية • ويلزم القانون الجديد الجامعة أن تؤدى هذه المهام على أساس العناية عناية خاصة باوجه النشاط العلمى المرتبط باحتياجات الشعب ، وتطلعاته نحو الاشتراكية التقدمية ، والوحدة القومية ، وتوثيق الصلات الفكرية والعلمية بين الشعوب العربية والافريقية .

ثانيا : نادى القانون الجديد بالتطبيق الديمقراطى لادارة شعبية للجامعة ، فأصبح لها بنص القانون مجالس تمارس الصلاحيات والمهام الاكاديمية التى كانت من تبل وقفا على رؤساء هذا الشعب ، كما تضمن القانون الجديد ضمانات كافية تتصل بشروط العمل وحقه بالنسبة لاعضاء هيئة التدريس •

ثالثا : اتخذ القانون الجديد موقفا من الطلاب مقدرا فيه دورهم فى الجامعة • فبينما تجاهلهم القانون القديم تجاهلا تاما ، اعترف القانون الجديد بوجودهم ودورهم ، وصحح الوضع الخاطىء تصحيحا جذريا وثوريا ، واعطى الطلاب حقوقا وضمانات هامة وأساسية . فأدخلهم فى تعريف تكوين الجامعة باعتبارهم جزءا لا يتجزأ كما أتاح لهم القانون الجديد المساهمة فى تسيير سياسة الجامعة فنص على تمثيلهم تمثيلا مباشرا بعضوين ينتخبهما اتحاد الطلاب تأكيدا لاعتبار اتحاد الطلاب جهازا رسميا من أجهزة الجامعة •

رابعا : تحقيقا لارتباط الجامعة بالمجتمع نص القانون الجديد على اشراك القوى الديمقراطية • وقوى الشعب العامل فى مجلس الجامعة بواسطة منظماتهم النقابية والديمقراطية ، وهى القوى صاحبة المصلحة فى التغيير والتقدم وتحويل المجتمع السودانى من مجتمع متخلف الى مجتمع اشتراكى •

لقد صدر هذا القانون فى وجه مقاومة عنيفة من القوى المضادة للثورة ، وخاصة بعد أن استشعرت أنه يقطع عليها طريق استغلال الجامعة كمظلة للقوى الرجعية المعادية لثورة مايو •

ولقد كشفت تحركات القوى المضادة فى الجامعة ، وخاصة تحركاتها ضد تطهير الجامعة وضد القانون الجديد ، عن التاكتيك الجديد الذى بدأت تتخذه القوى المضادة . والذى يتمثل فى أن هذه القوى بدأت تجمع صفوفها تحت تنظيمات وشعارات تقدمية براقة تخفى اغراضها واهدافها الحقيقية التى من اجلها انشئت ، واخذت تشكل تنظيمات تطلق على نفسها اسماء « قومية » و « عربية » . ومن ثم وجدت العناصر الرجعية والانتهازية مظلة مريحة وزائفة تستظل بها .

ويرى المراقبون انه يعتبر قانون الجامعة من الاجراءات الثورية العميقة ، بقدر ما ساعد صدوره على عزل القوى المضادة للثورة فى السودان ، وهى القوى التى تحاول ان تسمم الابار فى طريق النظام الوطنى التقدمى الجديد فى السودان .



■ **نيجيريا**

نيجيريا تكسب السلام .. بقى أن تكسب المستقبل

فشلت حتى كتابة هذا التقرير .. المحاولات التى قامت بها القوى الغربية التى وقفت وراء **أوجوكوو**، لاحياء كيان الانفصال فى «**بيافرا**». فقد سعت هذه القوى — وبخاصة **امريكا** — الى البحث عن ثغرة ، تنفذ عن طريقها ، للتدخل المباشر فى **نيجيريا** ، وذلك تحت شعارات « **تقديم المساعدات** للمنكوبين واللاجئين » و « دعوة **الامم المتحدة** الى ارسال قوات دولية لوقف اراقة مزيد من الدماء » . وقد رد **جوون** زعيم الحكومة الاتحادية على الاقتراح الاول بقوله ان « على هؤلاء المتباكين على اللاجئين أن يحتفظوا لانفسهم بمعوناتهم الملوثة بالدماء فنحن لا نريدها » . كما أوضح **متحدث رسمى** باسم الامم المتحدة أن ارسال قوات دولية لا يمكن أن يتم الا بناء على طلب من الحكومة الاتحادية » .

والواقع أن تطورات الاحداث فى نيجيريا ، كانت — فيما يبدو — أسرع من توقعات أوجوكوو والقوى الغربية التى كانت تسانده (والى جانبها **اسرائيل**) . فقد وقع الجنرال **فيليب افيونج** قائد القوات الانفصالية فى ١٥ يناير ، اعلانا رسميا بالاستسلام دون قيد أو شرط وقبول سلطة الحكومة الفيدرالية باعتبار **الاقليم الشرقى** (بيافرا) جزءا لا يتجزأ من نيجيريا . وذلك بعد محادثات استمرت ثلاث ساعات بين جوون وافيونج الذى صحبه وقد يضم ثلاثة ضباط من قيادة قواته وقائد البوليس فى الاقليم . وقد أعلنوا جميعا فى اذاعة لاجوس ولاءهم الكامل للحكومة الفيدرالية . ومن جهة أخرى صدر بيان عن المكتب الصحفى لبيافرا فى **جنيف** سجله أوجوكوو — الذى هرب الى مكان غير معلوم — يحذر فيه من المجاعة فى بيافرا ويناشد حكومات العالم مساعدة الاقليم وأضاف أوجوكوو — الذى يعتقد أنه بعث بالبيان من البرتغال — أنه خسر الحرب ولكن « بيافرا ستبقى » .

ومن المعروف ان الحرب الاهلية فى نيجيريا ، بدأت فى أعقاب اعلان أوجوكوو انفصال بيافرا فى ٣١ مايو ١٩٦٧ . وبذلك تكون الحرب الاهلية قد استمرت ما يقرب من ثلاث سنوات خسر شعب نيجيريا خلالها — وبسببها — ٦٠٠ مليون جنيه ابتلعتها الحرب ، فضلا عن المنشآت والكبارى التى خربت ودمرت . وفقد شعب نيجيريا فيها أرواح حوالى مليونين من ابنائه . ويرى المراقبون ان شعب نيجيريا كان فى أمس الحاجة — ولايزال — للاستفادة من مثل هذه الامكانيات التى بددت ، فى خطط التنمية القومية ، ولرفع مستوى معيشته حيث يعانى ظروفا اقتصادية صعبة بسبب سيطرة الاحتكارات الاجنبية على « مفاتيح » اقتصاديات البلاد وثرواتها .

وكانت نيجيريا — (وكان الغرب يسميها « نموذج الديمقراطية الغربية فى أفريقيا ») قد شهدت فترة من الاضطرابات السياسية منذ استقلالها فى اكتوبر ١٩٦٠ ، حين تسلم السلطة أبناء قبيلة « **الهوسا** » ، فى الاقليم الشمالى . وعند اجراء الانتخابات العامة فى اواخر عام ١٩٦٤ ، اتضح ان حكومة **ابو بكر باليوا** — وقتها — كانت قد زيفت نتائجها الحقيقية . وقتها ، عمت البلاد المظاهرات السياسية والاضرابات . وفى مارس ١٩٦٦ قاد الجنرال **ايرونسى** انقلابا عسكريا أعقبته اجراءات سياسية قام الجنرال **جوون** بانقلاب فى يوليو ١٩٦٦ ، ألغى بعده الاجراءات التى اتخذها ايرونسى ، وأبقى على أوجوكوو رئيسا لحكومة الاقليم الشرقى الذى انفصل بعد ذلك .

وجدير بالذكر أن الاقليم الشرقى لنيجيريا ، يعد من أغنى أقاليم البلاد ثروة ومن أكثرها تقدما . وقد عملت القوى الاستعمارية فى دفع الاحداث الى ما تطورت عليه ، وكانت امريكا والمانيا الغربية واسرائيل تمد اوجوكوو بالمساعدات العسكرية والمادية والسياسية .

ونظرا الى أن القوى التقدمية والوطنية — سواء فى نيجيريا أو خارجها فى أفريقيا — لم تحدد موقفا مبنيا على دراسة علمية جادة من « المسألة القومية » ، سواء فى أفريقيا بشكل عام أو فى نيجيريا ، فقد تعرضت بعض القوى التقدمية الحاكمة — كما فى تنزانيا — لشكل من أشكال

البلبلة الفكرية ، أدت الى جانب ضغوط الكنيسة الكاثولوكية الى اعتراف تنزانيا بجمهورية بيافرا . وأعقب ذلك ثلاث دول أفريقية أخرى هى أوغندا وزمبيا وساحل العاج .

ان المراقبين التقدميين قد ادانوا من قبل مبدأ الانفصال الذى أقدم عليه أوجوكوو نظرا لانه يعد سابقة خطيرة يمكن ان تؤدى الى اضطرابات خطيرة فى القارة التى تعانى من هذه المشكلة فى معظم أراضيها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، نظرا لطبيعة القوى التى كانت تقف وراء أوجوكوو .

ومما يذكر أن مفاوضات كثيرة كانت قد أجريت ـ بشكل مباشر وغير مباشر ـ بين أرجوكوو وجوون ، فى غانا مرة ، وفى أوغندا مرة أخرى ، ومن خلال منظمة الوحدة الافريقية مرة ثالثة . الا أنها جميعا فشلت فى تحقيق أية نتائج ايجابية ملموسة .

وعلى أية حال فان المراقبين الافريقيين ، يعتقدون أن شعب نيجيريا اليوم قد كسب معركة السلام بانهاء الحرب الاهلية وتجنيبه مزيدا من الخسائر المدمرة . ولكن يبقى ـ فى نظر هؤلاء المراقبين ـ ان تقدم حكومة جوون على الاسراع الى تصفية آثار هذه الحرب ، واتخاذ كل الاجراءات والضمانات السياسية التى توفر لكل القوميات ـ والاقلية منها بصفة خاصة ـ حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفرض المساواة المتكافئة ، لتتجنب بذلك تكرار نفس الاحداث الدامية . على أنها مطالبة ـ فى نفس الوقت ـ بأن تتيقظ للمحاولات التى يمكن أن تقدم عليها القوى الغربية لاحياء الكيان الانفصالى من جديد .

■ ■

رسالة من سيناء

عبده مباشر

عبرنا الخليج .. هاجمنا العدو .. وعدنا

لايستطيع البيان العسكرى بكل جفافه واقتضابه أن يصور حقيقة الرحلة الخطيرة التى يقوم بها رجالنا الذين يعبرون خط وقف أطلاق النار الى الشرق . ان البيان العسكرى يكتفى بالنتائج ولا تعنيه التفاصيل . أما أنا فقد كانت هذه التفاصيل هى التى تعنينى ، فالمشاعر والافكار ، الماضى والمستقبل ، الحق والواجب ، الفرد والوطن .. هذه كلها التى تضطرم بها قلوب العابرين وعقولهم ، كيف أستطيع التعرف عليها ، كيف أتمكن من تلمس نبضاتها ، خفقة خفقة ؟

تلك كانت علامات الاستفهام التى ترتسم فى خاطرى ، وأنا أتلقى الموافقة على اصطحاب احدى الدوريات الفدائية أثناء تأدية مهمتها .. لقد شحب صوتى فى البداية وأنا أخاطب الضابط المكلف بتبليغى عن الزمان والمكان المحددين لبدء الرحلة المحفوفة بالمخاطر ... ولكن هذا الصوت سرعان ماقد تغير ، وأنا استقبل مع الرجال دفء الامل وحرارة الايمان . لم تكن ارتعاشة صوتى الاولى خوفا ، وانما كانت أشبه ما تكون برادار يحاول التقاط الظواهر المجهولة .

وعندما تقرر اختيار مطار الطور .. قاعدة العدو الجوية جنوبا ومواقع رجال المدفعية والمظلات المجاورة للقاعدة هدفا للهجوم عليها بدأت عملية جمع المعلومات عن هذا الهدف . وليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك معلومات سابقة عنه .. هناك دائما معلومات عن العدو متجددة باستمرار .

كان الهدف من المعلومات الوصول الى أكبر قدر وأدق قدر من المعلومات عن هذا الهدف .. الوصول الى حجم المعلومات الذى يضمن نجاح هذه المهمة ..

والوصول الى هذه المعلومات يتم بأكثر من وسيلة ، الاستطلاع الجوى وتقوم به القوات الجوية ، والاستطلاع البرى وتقوم به دوريات

استطلاع ، دوريات مهمتها فقط الحصول على معلومات .. بالاضافة الى مصادر المعلومات الاخرى .

وبدأت المعلومات تتجمع عن القاعدة الجوية ، عدد الطائرات ، مواقع الدشم .. دشم الطائرات ودشم الافراد ، قوة الحراسة ونظامها ، المخازن قوة المدافع المجاورة وقدراتها على نجدة القاعدة الجوية عند الهجوم ، والوقت الممكن أن تستغرقه .

مواقع رجال الدفعية ، رجال المظلات مناطق تجمعاتهم ودوريات العدو ، كما تضمنت أسلوب العدو فى الدوريات الجوية .

وبعد تجمع هذه المعلومات بدأت دراسة حول أسلوب الهجوم على الهدف .. ووسيلة الهجوم .

وتقرر اختيار وسيلة نقل الرجال الى الساحل الشرقى لخليج السويس مع مراعاة التنويع حتى يمكن وضع العدو فى موقف لايستطيع منه معرفة أى أساليب النقل تستخدم قواتنا .

وتقرر اختيار الصواريخ فى قصف مواقع العدو ، على ان يتم استخدام أسلوب الضرب المساحى ، أى ضرب كل مسطح المنطقة حتى يلحق اكبر قدر من الدمار ومعنى ذلك استبعاد أسلوب الضرب المباشر أى التصويب على أهداف محددة

وكانت الخطوة التالية هى اختيار المنطقة التى سيتم منها العبور والمنطقة التى يصل اليها الرجال على الساحل الشرقى لخليج السويس . وهذا الاختيار يراعى فيه عدم تمكن العدو من اكتشاف المهاجمين خلال المراحل المتعددة للدورية .

وبدأت عملية جديدة لجمع المعلومات عن الساحل الغربى لخليج السويس فى المنطقة المواجهة لمناطق العدو التى تقرر الهجوم عليها .

وتقرر اختيار منطقة تضمن اخفاء الرجال ومعداتهم أمام احتمال قيام العدو باستطلاع جوى

فرغم كل الاحتياطات من ناحية اختيار التوقيت الذى لا ينشط فيه العدو جويا والمنطقة التى لا تشملها دائرة الاستطلاع الجوى للعدو ، الا أن هناك احتمالا قائما دائما بأن يقوم العدو بهذا الاستطلاع وفى الوقت الذى يستعد فيه الرجال للعبور .. وهذا ما دفعهم الى مراعاة اختيار منطقة يسهل فيها اخفاء الاستعداد الاخير قبل أن يتحرك الرجال شرقا فى اتجاه الهدف ..

ووضعت الدراسة والمعلومات والخطة والاسلوب أمام السلطة العسكرية المسئولة . وبعد مناقشة لتوضيح بعض ابعاد المهمة وافقت السلطة على التنفيذ ، وحددت موعده ، وكانت هذه الموافقة تعنى انتهاء مرحلة من مراحل الاستعداد والتحضير وبدء مرحلة أخرى .. هى اعداد الرجال لهذا الواجب ..

زادت ساعات التدريب بالنسبة للجنود والصف ضباط .. والضباط .. وفهم الجميع انهم فى طريقهم لاداء مهمة جديدة ..

ورغم أن هؤلاء الرجال يتمتعون بميزات خاصة تؤهلهم للقيام بمثل هذه العمليات ، الا انه من الضرورى تدريبهم على كل مهمة محددة يكلفون بها ..

وهم يختارون بعناية وطبقا لشروط قاسية من ناحية اللياقة الطبية .. واللياقة البدنية والقدرة على التحمل ويمرون بأشق مراحل التدريب فى القوات المسلحة .. ويبدأ اشراكهم فى العمليات العسكرية مرحلة بعد مرحلة . المرحلة الاولى تتمثل فى عبور قلة من الافراد الجدد مع مجموعة من الافراد اصحاب الخبرة فى دورية من دوريات الاستطلاع وتتطور العمليات من عبور للاستطلاع الى عبور لنصب الكمائن الى عبور للاغارة وهكذا حتى يكتسبوا الخبرة جرعة جرعة ..

وطوال فترة التدريب ينقطع فيها الجميع عن الحياة الخارجية .. وخلال هذه الفترة يبدأ اعداد المعدات والاسلحة والذخائر والالغام والصواريخ

ولان الجميع يدركون أن الاداء عمل جماعى ، وأن واجب كل فرد يدعمه واجب زميله ، وأن أى خطأ معناه تعرض الجميع للخطر ، خطر يؤدى الى استشهادهم ، ولذلك يبذلون جميعا عناية خاصة فى اعداد كل شىء .. وفى ايتيعاب كل شىء ..

التحرك الى الهدف

وعندما بدأنا نتحرك لم استطع أن اسأل الى أين .. فقط كنت احاول أن افتح ذهنى وعينى وأذنى لاستنتج وأعرف .. ولارى .. ولاسمع

ووصلنا الى منطقة ما ، وكان أول ما فعله الرجال تناول وجبة غذاء - كانوا جميعا يأكلون بنهم شديد وبكميات حتى يستطيعوا مواجهة برودة الليل والفترة التى ستمضى قبل أن يأكلوا الوجبة الاخرى ..

واشرف قائد كل جماعة فرعية على رجاله حتى انتهت وجبة الغذاء وبدأ كل قائد يراجع كل التفاصيل التى تخص جماعته من معدات وسلاح وذخيرة وبوصلات ومشاعل وطلقات اشارة واجهزة لاسلكى وعشرات الاشياء الصغيرة والهامة ..

وبعد هذه المراجعة كان كل قائد يقوم باعطاء رجاله التعليمات الخاصة بالمهمة الجديدة .

واعطى قائد كل جماعة « تمام » لقائد الدورية .. فأصدر أمره بالتحرك الى المنطقة التى سبق اختيارها كمكان يبدأ منه الرحيل .

وعندما شرعنا فى التحرك نحو المنطقة الجديدة ، بدأ قائد الدورية يشرح لى أين نحن والى

أين نتجه ••• وطبيعة المهمة الجديدة والواجب الذى سيقوم به هو ورجاله •

وسألنى القائد اذا كنت مازلت مصرا على مرافقتهم ، وأجبت مؤكدا بأننى مازلت مصرا ..

والقائد الشاب الذى يقود هؤلاء الرجال كان قد سبق له أن عبر أكثر من اربعين مرة ورجاله منهم من عبر أكثر من هذا الرقم ومنهم من عبر أكثر من ثلاثين مرة والغالبية عبرت اكثر من عشرين مرة

يقول القائد انه يعانى ضغطا مستمرا من جماعته وخاصة هؤلاء الذين عبروا كثيرا يطالبون بالعبور باستمرار ، ويعانى ضغطا من نوع آخر من الرجال الجدد للعبور •••

والرجال الذين عبروا اكثر من اربعين مرة •• قال لى أحدهم •• أبدا أنا لا أشعر أننى بطل ، ولا أشعر أننى أقوم بشىء غير عادى ، اننى أقوم بعمل أحبه • لا تتعجب ، أنا احب القتال ••

ويقول قائد جماعة .. فتى أخضر هرقلى القوام •• وسيم •• حتى فى زيه العسكرى لا تنقصه الاناقة . « **اننى استمد قدرتى على الحياة بأدائى هذا الواجب .. لماذا أحيا اذا كنت لا أستطيع القيام بعمل ايجابى ؟** » •

ويقول أحد الجنود •• **ان القائد يتقدمنا نحو الخطر فكيف لا أحاول أن أسبقه •• ان القائد أول من يطأ أرضنا المحتلة بقدمه ، وآخر من يغادرها بعد أن يطمئن الى أن كل فرد فى مكانه ••**

ويواصل : لقد تعلمت الكثير من قيامى بالعبور •• تعلمت شيئا اسمه التضحية بالروح •• شىء لا يمكن أن يشعر به غير المقاتلين الذين يتعرضون معا لخطر واحد ، ويحاول كل منهم أن يعرض نفسه للخطر لانقاذ الاخرين •••

وتذكرت فى هذه اللحظة هؤلاء الثلاثة الذين اختاروا البقاء بعد الهجوم على مواقع العدو فى البلاح لحماية انسحاب باقى الرجال •• يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٩ هذا الموقف يجسد بصورة مثالية ما يقوله هذا الجندى ••

وقائد آخر من قادة الجماعات طويل القامة نحيل كالرمح أسمر البشرة يبدأ العقد الرابع من عمره •• لم يقل أكثر من أنه يشعر أن المكان الوحيد الذى خلق له هو ، خلف خطوط العدو ••

وفى المنطقة التى سينطلقون منها الى الساحل الشرقى لخليج السويس بدأ كل منهم يؤهل نفسه لبدء العبور •• سواء بالزى المناسب والتسليح المناسب •• أو المراجعة الاخيرة لكل شىء ••

ولان الرجال انقطعوا لساعات عن آخر المعلومات وصلهم تصديق بتنفيذ العملية وكان هذا آخر تصديق عسكرى للعملية وقام القائد بمراجعة قادة الجماعات الذين راجعوا كل شىء من جماعاتهم وأعطى كل منهم « تمام » للقائد ، وأعطيت التعليمات النهائية للرجال ••

والتفت القائد الى يسألنى هل أنا مستعد ؟، وعندما سمع اجابتى بنعم أعطى اشارة البداية ••

وتحركت وسيلة النقل التى تقل الرجال الى الساحل الشرقى لخليج السويس ، وطبقا للمسار الذى تحددت زاويته من قبل للوصول الى المنطقة المحددة للهجوم ••

وكان محددا لكل جماعة طبقا للواجب المكلفة به ان تصل الى منطقة معينة .

وخلال الرحلة كان كل فرد يحاول التأكد من سلامة السلاح ويحاول استرجاع كل شىء عن الواجب المكلف به ••

وكنت أحاول ملاحظة كل فرد فى الجماعة التى رافقتها لارى ملامح وجوههم وهل تنطق بشىء .. وتنبهت الى أن الرجال خلال تأكدهم من سلامة سلاحهم ومراجعتهم لواجباتهم كانوا يراقبون تصرفاتى •• وابتسمنا رغم الظلام •• عندما امسكنا باللحظة التى قرأ كل منا فيها افكار الاخرين ••

وبعد وصولنا الى الساحل الشرقى •• ساحل أرضنا المحتلة انطلق الرجال كل منهم الى أداء واجبه •• وأرسل القائد اشارة لاسلكية الى الذين ينتظرون على الساحل الغربى يفيدهم بأنه وصل الى الساحل فعلا •• وكان كل شىء حتى هذه اللحظة يتحرك طبقا للتصور السابق والخطة الموضوعة ••

وبدأت الجماعات فى تنفيذ الواجب المكلفة به •• وأعدت جماعات اعداد الصواريخ صواريخها للانطلاق نحو الهدف •• ورغم أنه سبق تحديد زوايا الاطلاق ومسافته الا أن مراجعة أخيرة لا بأس بها •• واعتلى أحد الضباط أحد المرتفعات الموجودة فى المنطقة والمطلة على القاعدة الجوية والمعسكرات المجاورة وبواسطة البوصلة أعاد تحديد زوايا الاطلاق وكانت هى نفس الزوايا التى سبق تحديدها ••

وأرسل القائد اشارة عن استعداده لاطلاق الصواريخ بعد أن تأكد أن كل جماعة قامت بواجبها ••

وبدأت الصواريخ تنطلق فى اتجاه الهدف •• ونتيجة للزوايا والمسافات التى انطلقت على أساسها الصواريخ بدأت الحرائق والانفجارات فى منشآت العدو •• فخطة الضرب اختارت الضرب المساحى أى ضرب كل المنطقة حتى يمكن الحاق أكبر قدر من الخسائر بها ••

وبعد أن انطلقت الصواريخ أخذت المجموعات طريقها للعودة ، وحددت الخطة أن تقوم جماعة من

الجماعات باعداد وسائل النقل بعد قيامها بمهمتها ..

وخـــلال رحلة العـودة كان القــائد اكثر رجاله سعادة بنتيجة الدورية .. فالدورية دورية مثالية .. واختيار الهدف مثالى .. هدف صعب لم يتصور العدو امكانية الهجوم عليه .. والاستطلاع وجمع المعلومات كانا فى غاية الدقة سواء عن أهداف الهجوم أو المنطقة المنتخبة لبدء العبور .. ولم تحدث أية مفاجآت .. ولا تعطيل ، ولم تحدث أية مفاجآت فى حالة الرجال الصحية ..

ورغم السعادة البادية على وجوه الرجال الا أن المهمة لم تنته بعد .. نهايتها بالوصول الى القــاعدة أو على الاقل الى الســاحل الغربى للخليج ..

ووصل الرجال .. ولقاء بالاحضان وحمد الله على سلامتكم .. ومبروك . ورغم هذه السعادة كان هناك أسى على الوجوه .. أسى دفع الكثير من الرجال الى النظر ناحية الشرق .. هناك كان استغراقهم فى الواجب يمنعهم من التفكير .. وجاءت كلمة مبروك لتثير فيهم الفكر .. انها أراضيهم والعدو يدوسها بأقدامه . مبروك لانهم قاموا بازعاجه برفع حجم خسائره . ولكن متى يقولونها عندما لا يصبح العبور الى الساحل الاخر مخاطرة ؟!

وفى غمرة هــــذه المشــــاعر بحثت عن مشـــاعرى فوق أرض سيناء ، لقد وقفت كثيرا فوق أرض سيناء من قبل بل أستطيع أن أقول اننى سرت فوق كل طرقات سيناء وزرتها منطقة منطقة .. ولم يكن فى خاطرى سوى الهدف الذى سعينا من أجله .. أما فى هذه المرة فقد كان الموقف مختلفا .. احتاج الوصول الى سيناء الى تساؤل عن نتيجة عمليات العبور ، بدأ بمحاولة للتعرف على مشاعر أفكار هؤلاء الرجال الذين يعبرون .. وتحول التساؤل الى فكرة ملحة .. وتحولت الفكرة الى ارادة .. وتحولت الارادة الى سعى للحصول على موافقة سلطات عسكرية .. والى خطوات متصلة من الاستعداد والتحضير لكى أصل الى سيناء وأقف فوق أرضها ..

شىء آخر غير الاجراءات .. الاحســاس بالارض .. والوطن .. اننا نحيا فوق أرضنا ولكننا لا نشعر بمعنى الارض والمواطنة الا بعد موقف كالذى نعيشه الان .

والتفت الى يد تربت على كتفى .. لاجد القائد وقادة الجماعات ، ويقول القائد هذه المشاعر التى نعيشها عقب انتهاء كل عبور هى التى تدفعنا الى القيام بدوريات جديدة ..

ويعطى القائد أوامره باعداد كل شىء لرحلة العودة .. بعد انتهاء الرجال من تناول وجبة كانت فى انتظارهم ..

وبعد انتهاء الرجال من طعامهم بدأت عملية مراجعة لكل شىء .. خلال هذه الفترة اتجه القائد الى جهاز ارسال لاسلكى ليجيب على القيادة التى تطلبه .. ويعلن أن نجاحه كان كاملا .. ويتكرر سؤال القيادة ماذا يعنى بهــذا ؟ . فيجيب أن المهمــة نفــذت « تمام » والافــراد « تمام » والمهمات « تمام » ويعود السؤال مرة أخرى .. فيوضح القائد أكثر ليرضى لهفة القيادة على المعرفة فى انتظار التقرير الذى سيعده عن هذه العملية ... فيقول ان المجموعة استطاعت أن تصل الى منطقة الهدف .. واستطاعت أن تصيبها وتلحق بها خسائر كبيرة ... وأن النيران اشــتعلت فى القاعدة والمستودعات

رسالة من دمشــق

غالى شكرى

انســـانتا الجـــديـــد .. هـــو القضـــية

لا يسع المراقب الموضوعى المنصف، لما يحدث فى الفكر والفن السوريين، الا ان يسجل هذا التحول الهام من مرحلة الغضب الهائم ، الى مرحلة التفكير الهادىء المتزن .. ولا يعنى ذلك أن الادباء والفنانين فى دمشق قد طرحوا عن أكتافهم الهم الثقيل الذى ترزح تحت وطأته الامة العربية كلها ، وانما هم قد أخذوا يناقشون المســائل الاساسية بروح جديدة بانية للانسان فى بلادنا . قد تلمس هنا أو هناك لذعة غضب أو لوعة أسى ،

ولكنك سرعان ما تلمس فى نفس الوقت رغبة حقيقية فى السيطرة على زمام الغضب وتحويل الطاقة الانفعالية الى الثورة •

ماذا بعد الغضب ؟

وفوق الحافة الحرجة بين التمرد والثورة ، يقف الفكر والادب والفن فى سوريا ، صارخا بأعلى صوت : الغضب مقدس ، نعم ، ولكن ماذا بعده ؟ ويتوجه بالسؤال ، الى الذات والمجتمع والحكم والوطن والعالم ، كل من يمسك قلما سوريا داخل الحدود أو خارجها ، من ينتمى الى النظام ومن لا ينتمى اليه ، من يملك منبرا ومن لا يملك سوى قوت يومه يقتطع منه الليرة فوق الليرة ثم يذهب الى احدى المطابع المتواضعة لتخرج له كلمته وفى قلبه أمل أن تكون هذه الكلمة هى البلسم وهى الشفاء • فى طبعات أنيقة مغرية اصدرت دار « النهار » اللبنانية عدة كتب للسياسى السورى السابق « **سامى الجندى** » عناوينها « البعث » ، « صديقى الياس » ، « كسرة خبز » • واخيرا صدر له عن غير هذه الدار « أتحدى والهو » •• فى معظمها يتخذ القالب القصصى أداة تعبيرية ، وفى جميعها يطرح تجربته السياسية وتجربة حزبه وتجربة وطنه للبحث والمناقشة • ويقرأ السوريون نقده المر ويزدادون مرارة ، ويتلقفون جوابه على كثير من الاسئلة الحرجة ثم يعيدون اليه الجواب فى صورة سؤال اكبر واضخم : وماذا بعد ؟ وهو السؤال الذى يلتف حوله الشباب كلما قرأوا لابن جيلهم « **صادق جلال العظم** » فبعد أن أصدر « النقد الذاتى بعد الهزيمة » فى عدة طبعات عن دار الطليعة اللبنانية ، توقف « القول » لديه عند حدود النقد التفصيلى لما حدث وما يحدث ، والاكتفاء بالشعارات العامة عندما يتوجه بالخطاب الى المستقبل • هكذا هو فى أحدث كتبه « **نقد الفكر الدينى** » الذى أثار ضجة كبيرة رغم الطابع الصحفى والمتعجل فى تناول القضية ، فالاثارة والكليشهات المتطرفة من السلبيات التى نقدها العظم وتورط فيها ، غير أن هذا لا ينفى أن بعض التجاوب الذى تلقاه كتاباته تعود الى « الاتجاه الفكرى العام » لهذه الكتابات ، مهما تطرفت حينا أو عممت حينا آخر ، وهو الاتجاه الذى يجد أكثر تعبيراته ايجابية فى مقدمة « نقد الفكر الدينى » حيث يقول « قامت حركة التحرر بتجريد (العلاقة الاستعمارية) فى حياة الوطن العربى عن جملة الظروف التاريخية والاوضاع الاجتماعية العربية المتشابكة معها والمحيطة بها الى درجة جعلت (الاستعمار) يبدو وكأنه الحقيقة المباشرة الوحيدة الماثلة فى مجرى الاحداث فى المنطقة والمحركة لها • أى كان هناك اختلال اساسى فى التوازن بالنسبة لنظرة حركة التحرر الى نفسها وواقع مجتمعها ، والى أعدائها والعالم الخارجى المحيط بها بصورة عامة • بالغت عملية التجريد هذه فى تبسيطها للواقع التاريخى المعقد مما جعل الاستعمار (أحيانا الصهيونية العالمية) يبدو وكأنه القوة الوحيدة المتحكمة ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بحركة المجتمع العربى وبالبيئة التى تثير ردود فعله ، ادى هذا القصور الى ما يشبه الاهمال التام لاوضاع القوى والمؤسسات والتنظيمات والمجهودات الذهنية الموجودة دوما فى التركيب الاجتماعى (العربى) والفاعلة باستمرار فى حياته ، والمهمة ايضا فى تحديد ردود فعله وانماط سلوكه الجماعية والفردية • ان الوجه الاخر لعملة تجريد العلاقة الاستعمارية على هذا النحو هو التعصب للوهم المثالى الكبير القائل بأن الايديولوجية الغيبية والفكر الدينى الواعى الذى تفرزه ، مع ما يلتف حولها من قيم وعادات وتقاليد الخ •• هى حصيلة للروح العربية الاصلية الخالصة الثابتة عبر العصور ، وليست أبدا تعبيرا عن اوضاع اقتصادية متحولة ، أو قوى اجتماعية صاعدة تارة وزائلة تارة أخرى ، او بنيات طبقية خاضعة للتحول التاريخى المستمر ولا تتمتع الا بثبات نسبى » •

ولكن الشباب السورى ليس « موجة واحدة » ، وانما هو موجات متلاطمة ، فاذا كان الفكر الطبقى يشكل احداها ، فان الفكرة الليبرالية — غير المتخلية عن الثورة الاجتماعية فى الوقت نفسه (!) — تشكل موجة اخرى يحسن التعبير عنها **حيدر حيدر** فى رفضه الحاسم لاية معوقات ضد الحرية مهما تزيت بالاوضاع الاستثنائية وحالة الحرب ، ذلك انه بعد تصفية القاعدة المادية للاقطاع والبرجوازية وعداء الاستعمار ، لا ينبغى أن يكون لنا من أهداف سوى أن نبنى انسانا جديدا

من مواقع فكرية مختلفة يشارك الرسميون وغير الرسميين من الاجيال المختلفة فى حوار ما بعد الغضب ، فيكتب **ياسين الحافظ** عن الوحدة العربية قائلا ان « **التجزئة هى فى آن واحد محصلة الاوضاع الامبريالية ومفتاحها • لذا فان حماية التجزئة وترسيخها يشكلان حجر الزاوية فى استراتيجية القوى الامبريالية • الوحدة من هذه الزاوية ليست هدفا قوميا وحسب ، بل هى كذلك نقطة الانطلاق فى هذا التحرر وأرضيته الصلبة** » بينما يكتب **أنطون المقدسى وسليمان الخش** مؤلفا مشتركا يقولان فيه ان الارتجال وضعف الروح الجماعية والهزال الفكرى وضعف الروح الوحدوية والبيروقراطية قد أدت الى ما نحن فيه من مأساة • وعندما يرد الحديث على لسان احد المسئولين كسليمان الخش — وزير التربية

والتعليم سابقا ورئيس اتحاد الكتاب حاليا — قالته يتخذ دلالة بالغة الاهمية . يقول مع انطون المقدسي أن السياسة توضع بمعزل عن الشعب ، والايديولوجيا تفرض عليه فرضا ، ومازالت البنى الاجتماعية القديمة قائمة ، تعطل عمل البنى الجديدة ، فالعلاقات شخصية اكثر منها تعاونية وتخضع لنزوات الفرد اكثر مما تخضع لمقاييس تشريعية ثابتة أو شبه ثابتة » •• ويتحدثان عن الدولة فيقولان « انها تتأرجح بين حدين متطرفين ، لا ندرى أيها أشد خطرا من الاخر : طغيان البيروقراطية ، التى تضعف روح التفتح الفردى والفوضى الحزبية التى تقتل الروح التعاونية ، وتجعل من الوطن مسرحا لتصارع وحدات صغيرة تظل فى تناحر مستمر على الوجود ، كما أنها تتأرجح بين الايديولوجيا الصارمة والفوضى الفكرية ، وكلاهما يشل الحركة الثقافية ، ولهذا فالدولة عندنا ، فى كيانها الداخلى ، ضعيفة ، تلجأ بسبب ضعفها ، الى المخابرات ، لتفرض سلطتها » •

ذلك هو الاطار العام للصراع الفكرى فى سوريا : شبه اجماع على أن الحال ، بخاصة بعد الهزيمة ، ليس على ما يرام ، واجماع مماثل على أن الغضب وحده لا يثمر فى النهاية الا الرضا عن النفس بواسطة الاعتراف بالذنب •• ولكن ماذا بعد الغضب؟ بعضهم يقول مزيدا من الحرية ، والبعض الاخر مزيداً من الاشتراكية والبعض الاخير مزيدا من الوحدة •

هزيمة الفن •• ام فن الهزيمة ؟

عندما يسير الفنان خلف السياسى ينتج شيئا كهذا الذى صوره او نحته او حفره بعض الفنانين التشكيليين العرب قبل الخامس من حزيران : الترويج لفكرة النصر بالتضخيم والمبالغة وشحذ الانفعال الى حده الاقصى ، أقواس النصر والفرسان الفاتحون والعدو فى لحظة السقوط العظيم . كانت محنة الفن التشكيلى على وجه الخصوص هى الخلط بينه وبين وسائل الاعلام ، والخلط بين الحماس الموقوت والرؤية الثاقبة جدار المجهول ، والخلط بين السياسى والثائر • الفنان لا يسير خلف أحد ، الفنان يتوحد مع الثائر فى صياغة الثورة ، أحدهما يمنحها الوجه السياسى ، والاخر يمنحها الوجه الحضارى • هذا هو الدرس الاليم الذى طالعت ملامحه فى انتاج وأحاديث الفنانين التشكيليين فى دمشق : نذير نبعة ، عبد القادر ارناؤوط ، الياس زيات ، فاتح المدرس غياث الاخرس •• رغم تباين الاتجاهات الفنية أحسست أن ثمة لوحة مشتركة تربطهم جميعا بخيط لا يرى •• حتى أعمال ميلاد الشايب الموغلة فى كلاسيكيتها تشعر فيها بهذه اللوحة الخفية مهما ارتدت من ثياب أكاديمية محافظة •

والفنان التشكيلى السورى عموما ، يعايش مرحلة تجريب مستمرة ، لا يعرف الاستقرار على اتجاه فنى بعينه خلال فترة زمنية وجيزة ، بل قد ينعكس هذا التجريب المستمر على اللوحة الواحدة ، فيصبح من أخطر عيوبها — وربما من اهم مزاياها ! — أنها تشكلت على نحو غير متجانس جماليا ، فهذه لمحة سريالية وتلك لمسة تكعيبية وأخرى تعبيرية ، وهكذا •• ولكنك فى النهاية لا تستطيع الا ان تقر بوجود « تجربة » حقيقية عاناها الفنان بكل ذرات دمه

ولقد وجدتنى قريبا غاية القرب من أعمال الفنان نذير نبعة ، والانتاج الاخير لالياس زيات أما الاول فيأتى انتاجه ، فى تصورى ، فى مقدمة الانتاج التشكيلى السورى المعاصر ، ذلك أن الارتباط العميق بين نذير نبعة والارض الصلبة التى يقف عليها يلهمه ذلك التوازن العجيب بين أصالة التجربة المحلية التى يعالجها ، ومعاصرة أحدث منجزات التكنيك فى الغرب • نذير نبعة يعى حتى النخاع أن «الفدائى» هو الانسان — النموذج للحياة العربية الجديدة ، ولكنه لا يتخذ منه بديلا للسياسى القديم ، ويسير خلفه •• انه يتوحد مع الفدائى فى صياغة الوجه الاخر للثورة • لذلك قد لا تجد الدبابات والجنود والبنادق فى تصوير نذير نبعة ، ولكنك ستجد حتما ، الانسان العربى ، وهو يتخلق من جديد ، على نحو غاية فى التعقيد • ومن اليسير أن تكتشف تأثرات نذير باللون والخط والتكوين عند آباء التعبيرية والتكعيبية ، ولكنك من أعسر العسير أن تضع هذا الفنان الاصيل الموهوب فى احدى الخانات المحددة سلفا لان عملية اكتشافه لذاته ، وللانسان من حوله هى عملية « حياة وموت » دائمة ، بغير انقطاع • قال لى نذير بصوته الهادئ المفعم أسى : لقد هزم الفن فى يونيو ١٩٦٧ كأى شئ آخر ، ولكن لا ينبغى أن نكون صدى سلبيا للهزيمة •

حول ثيمة أخرى تتجمع اللوحات الاخيرة لالياس زيات ، ولم تدهشنى المجموعة الهائلة من الايقونات التى يحتفظ بها هذا الفنان •• فهو يستدرج الفن المسيحى من العصور الوسطى الاوروبية الى مهد المأساة ، فلسطين ، ليعيد صياغة الفداء المسيحى فى اضواء الثلث الاخير من القرن العشرين وأضواء الخيام المعلقة منذ عام ١٩٤٨ ترسم بنورها الخافت معالم أبشع جريمة عنصرية فى التاريخ الحديث ، وأخيرا أضواء ذلك المسيح الجديد ، ذلك الفدائى الجديد الذى جعل من روحه قنديلا يضئ به يافا والناصرة والجليل • ويصبح الصليب وغصن الزيتون ووجها الطفل والمرأة والحصان المنطلق أهم العناصر التشكيلية فى أعمال الزيات ، وان اتخذت أوضاعا تختلف من

اللوحة الى الاخرى ، وان استلهمت ملامح العديد من المدارس الفنية في اللوحة الواحدة .

يتميز **عبد القادر ارناؤوط** بأنه « موسوعى » الاهتمامات ، متعدد المواهب ، ولكنها ميزة وخطر معا .. انه من اندر مصممي « الغلاف » و « الاعلان » فى الوطن العربى ، وهو – مع نذير نبعة – يقتصران في هذين العملين على احتياجات المقاومة الفلسطينية . ويكتب عبد القادر الشعر ايضا ، ويشتغل بالنحت احيانا . قلت له ان هذا الشتات الام يفضى ؟ هذه الاعمال « التجارية » مثلا ، انت لست فى حاجة اليها ! وتحول رمز المرح الذى كانه فى لحظات الى تعاسة لا حد لها ، وتمتم فيما يشبه الصمت : قل لى ، بصراحة ماذا نصنع جميعا ؟ انا وأنت وهؤلاء (واشار الى مجموعة من المثقفين) .. اننا مخدرون ، ان المكان الوحيد الجدير بنا ليس هنا ، وانما هناك مع اولئك الذين يخلقون من العدم أروع شرارة فى حياتنا على الاطلاق » . استقبلت حماسه بفتور بادىء الامر ، احس هو بذلك ،قاطع افكارى « لا تقل لى ارجوك ، ان الفكر والفن لا يقلان خطورة عن البندقية ، لا تقل لى ان اعمارنا واجسادنا لا تسمح لنا ، لا تقل لى .. لاننى اقول لنفسى هذه الاشياء ولست مقتنعا ، فلا اقل من أن نرسم لهم غلافا لكتاب او اعلانا لحائط » . وشحب وجه **عبد القادر ارناؤوط** وامتد شحوبه الى صفحات ديوانه الاول « رماد على أرض باردة » حيث استطاع ان يحقق مع نذير نبعه عملا فنيا جميلا ، بالكلمة والرسم ، يحاكيان « **ابولينير** » فى هذا اللون المزدوج من الاخراج الفنى البديع . فى « **البئر** » يطفو الجوهر الحزين لارناؤوط الذى يبدو فى الظاهر كمهرج اصيل ، يقول انه وصل الى البئر حين لم يقصد الوصول اليها والقى فيها بحجر اعلن صمته ان البئر جافة ، فألقى حصاة صغيرة سمع صوتها فى الماء :

« ففرحت
وادليت بدلوى سريعا
وغاب الدلو
وانتهى الحبل .. ثم انقطع
وهوى الدلو الى الاعماق دون ان يصل الى الماء
وفى الوقت الذى كنت فيه
اموت من العطش
وبدأت نسور الصحراء
تحوم فوق رأسى
سمعت ضحكة ساخرة تنبعث من قاع البئر
تلاها صوت بعيد يقول :
– لقد تسرعت .. ابحث عن بئر اخرى »

وحول الهزيمة تدور معظم موضوعات غياث **الاخرس** فى الحقل ، ومن باطن الفولكلور السورى يستوحى الجميع اشكالهم التعبيرية .

الكلمة تغلى في اناء بارد !

اذا كان الغضب فى الفن التشكيلى يستطيع التخفى تحت اردية كثيفة من الخطوط والالوان ، فان الفن الادبى قلما ينجو من الغضب وقد اسفرت « الكلمة » عن وجهه الحاد ، المعتم أحيانا . ولكن الكلمة الفنية فى سوريا ، رغم غليانها ، راحت تكتسى بثياب « باردة » ، ثلجية احيانا .. وهذه خطوة فى المستوى الجمالى ، تتجاوز ادب اللطم على الخدود والنواح على ما كان ، وتستشرف بقدر ما يتاح لها من الضوء احتمالات الغد ، وترجيحات المستقبل . فى الشعر يبدو الغليان عند حده الاقصى ، ويؤثر ذلك على اناء الحروف والكلمات والاشطر فيتوهج بدفء جذاب يغريك بتلمس الروح الشعرية التى سرعان ماتحرقك .. **محمد الماغوط وعلى الجندى وممدوح عدوان** يهجرون العتاب الرقيق على ما حدث ، ويخترقون بنصل ملتهب شغاف القلب .. ولكنهم جميعا لا يحكون الجرح ولا يستثيرون الاشجان ، وانما ينفضون غبار الغضب الكثيف ، لعلهم يعثرون تحت ركام الانقاض على بارقة أمل . أما **صدر الدين الماغوط** (زيوس) و**محمد اديب عثمان** (ابو الفتح) فلا يزالان رغم التجربة الجمالية المتمردة تحت سطوة الغضب العنيف ، لذلك كان من الطبيعى أن يكون اليأس المطلق – بعد الغضب العنيف – هو مآل التجربة الفنية عند الماغوط ، فهو لا يعانى فقدان البصر ، لان أزمته فى الواقع هى أنه يرى اكثر من اللازم :

« وغدا تكون القضية مهزلة
بل كلمات مصابة بالاجهاض
والعقم
ولا شىء غير العقم »

محمد اديب عثمان « ابو الفتح » يغلب اليأس على ماعداه ، ولكن فى صورة تخدش الحياء المزيف وتفضح العرف الاخلاقى الاخذ فى المساومة بديوانه «صفر» . وفى « بطاقة الى فلاديمير ايلتش لينين » يكتب :

« ما العمل ؟
وهم :
يضاجعونها
وهى فى المخاض
ما العمل ؟ »

على غير هذا النحو يتعامل الماغوط مع الغضب اليائس ، انه يحدد خريطة العار نقطة نقطة ، ولا يلقى بك فى وهاد اليأس ولا يحلق بك مع طائر

الامل ، وانما هو يتركك تستنشق العفن ذرة ذرة ، فاما ان تستهويك الرائحة النتنة وتسرى فى دمك كالمخدر حتى تقتلك وأنت تضحك منتشيا ٠٠ واما ان تستفز أضلعك فتقاتل السم السارى فى عروقك بما تبقى من ماء :

الإسم : حشرة
اللون : اصفر من الرعب
الجبين : فى الوحل
مكان الإقامة الدائم : المقبرة أو سجلات الاحصاء ٠ ٠

الحرية هى الثيمة الرئيسية فى « شواطىء متعرجة لا يحدها البصر » ، ولا تزال الصورة الشعرية هى العمود الفقرى لمحمد الماغوط شاعرا ، ولكنه يصل بها الى أعلى الذرى المتألقة فى ضوء الشمس الباهر :

« لو كانت الحرية ثلجا
لنمت طوال حياتى بلا مأوى » .

وهو يوهمك بأن الانتحار والظلام الكامل ، هما نهاية الطريق ، ولكنك يجب أن تعيد قراءة قصائده مرة ومرة حتى تدرك هذا الحرف الصغير « لو » ٠٠ أنك لن تجده هكذا بلحمه ودمه ، ولكنك عبر دهاليز اللغة المتوترة والوجدان المتقد ستعثر عليه ، مع الكلاب السوداء التى تنهش الكتب الدامية من حقائب المارة ، وستعثر عليه فى الاماكن غير المتوقعة :

« ادخل الى المرحاض واوراقى الثبوتيه بيدى
أخرج من المقهى وأنا أتلفت يمنة ويسرة
حتى البرعم الصغير
يتلفت يمنة ويسرة قبل أن يتفتح » .

وتظل عبارات مثل « قصيدة النثر » أو « شعر بنثر » او « الشعر المنثور » او « النثر الشعرى » محاولات مخفقة لتجسيد الثورة الشعرية الجديدة التى تتخطى « وحدة التفعيلة » مصطلحا موسيقيا للشعر العربى الحديث ٠ ولكن المصطلح يبقى سارى المفعول الثورى فى تجديد الشعر ، خلقا وتذوقا .. لهذا تبرز اشعار **ممدوح عدوان وعلى الجندى** رغم تباين اتجاهيهما الفنيين ، كورقة رابحة فى يد الشعر السورى الحديث . يقترب اتجاه ممدوح عدوان من التبلور فى قصيدته الطويلة « رحيل فى المدن الجوفاء » حيث يقول فى المقطع الاول « مصطفى البدوى » :

« عندما ينهره الشرطى فى الشارع او يجرى وراءه
وهو يجرى
بدويا عابرا دون زمن
عاريا فى الضجة البلهاء الا من عباءة
لم تكن الا كفن » ٠

ويزداد الاتجاه ــ نحو الحرية ، القارب الوحيد للنجاة ــ تبلورا حين يصيح فى المقطع الثانى بألا نستبدل الحرب بأخبار الحروب ، وحين « يتكلم » يصمت مولاه ، ويحمل الحاجب صوته فى اناء ٠ ولكن الشاعر لا يسد الطريق فيصور الامر كما لو كنا فى صحراء :

ظمأى نبحث عن قطرة ماء

• • •

حين أتت طائرة الاعداء

• • • •

ألقت كل قنابلها
فتفجر نبع الماء »

يسلك **على الجندى** اتجاها آخر هو الاستقرار الوزنى على التفعيلة الواحدة ، والشعور الرومانسى العارم بثقل اللحظة التى يعيشها الانسان فى بلادنا .. **وعلى الجندى** من رفاق السياب والبياتى وعبد الصبور وحاوى ، رواد حركة التجديد فى الشعر العربى ، لذلك فشعره يتمتع بهذه النغمة « الكلاسيكية » ان جاز التعبير عن الحفاظ الشديد والحرص البالغ على « أصول » الشعر الحديث،النغمية والفكرية والعاطفية.وفى ديوانه الجديد « الحمى الترابية » يستلهم التراث والعصر والخامس من حزيران أروع أغنياته ، ولكنه يظل وفيا للبناء الشعرى المنسجم ، وأمينا لتكوينه الباكر ، ومستقرا على « التقاليد الشعرية » المعترف بها الان . تحت عنوان « بعد ٥ حزيران » يقول :

«أوف » تتناهى من آخر أعماق النفس
من مستنقع حزن يترسب فى الظلمة لا تكشف زيف ترسبه الشمس
ولكن من يفسر « أوفا » تتناهى من آخر اعماق القلب
أن تهمد ، أن ترجع أو تصبح زغرودة
والانسان المعلوك اذا ما راوده كره او حب
لا يمكن الا أن يطلق من شفة جراح مسدودة » ٠

وهكذا يبرد الاناء الشعرى تماما ، رغم الكلمات التى تغلى بأحاسيس ما بعد الغضب ٠

البيت الكبير : هل يحترق ؟

رغم ان الشعر يكاد يغطى المساحة الرئيسية فى المجلات والصحف السورية **«الطليعة»** ، **«المعرفة»**، **«جيش الشعب» وكذلك يأخذ نصيبا بارزا من مطبوعات وزارة الثقافة وادارة التوجيه المعنوى ٠٠ الا أن القصة القصيرة والرواية والمسرحية تشق لنفسها طريقا واضحا فى الادب السورى الجديد . حنا مينة** يجدد شباب الرواية السورية بعد صمت دام حوالى اثنى عشر عاما على روايته الاولى « المصابيح الزرق » ٠٠ يثور حنا على واقعيته التقليدية الزاعقة فى أغلب الاحيان ، ويؤسس فنا روائيا يعتمد الواقعية اسلوبا فى

التعبير ، ولكنه يطور أدواته الجمالية تطويرا أخاذا فى « **الشراع والعاصفة** » و « **الثلج يأتى من النافذة** » • وربما كانت علامة الطريق الجديدة التى وضعها حنا بهاتين الروايتين قد استطاعت أن تحرك الركود الذى أصاب الرواية السورية بعد صمت **عبد السلام العجيلى** وتحول **كوليت خورى** الى القصة القصيرة •

ويبدو أن تحول كوليت الى القصة القصيرة هو تحول موقوت ، لانى وجدتها تكتب الصفحات الاخيرة من رواية جديدة ، كما أن القصة القصيرة الطويلة التى أصدرتها بعنوان « **دمشق بيتى الكبير** » تؤكد انها أرادت فحسب أن تقول « كلمة » فيما يجرى ، وان تقولها بسرعة •• والفن الروائى يتطلب التأنى والتمهل • لذلك تبدو « دمشق بيتى الكبير » رغم شفافيتها الشعرية وعذوبتها فى السرد ، أقرب ما تكون الى « مشروع رواية » لم يتح له الاكتمال •• غير أن الجديد بالملاحظة هو بوادر التحول الموضوعى فى انتاج كوليت ، اذ هى تهجر التيمات المفرطة فى العاطفة الرومانسية كما هو الشأن فى « **أيام معه** » و « **ليلة واحدة** » ، وتتجه نحو الالام العميقة الاغوار فى النفس العربية ، خاصة بعد الخامس من حزيران • انها لم تهجر الاطار الرومانسى تماما ، ولكنها تبقى عليه كأداة تشويق فنية تجذب العقل والقلب الى ما هو أهم ، الى الجراح التى تعانيها بطلة « **التهمة** » على الحدود ، وبطلة « **المرحلة المرة** » على الشريط الضيق الفاصل بين الحياة والموت • فى « دمشق بيتى الكبير » تلتقى الفتاة السورية بالشاب العراقى ويفترقان ، بصورة أقرب ما تكون الى الميلودراما ، ولكنهما بين اللقاء والفراق ، يتعرفان على اشياء كثيرة ما احوجهما — واحوجنا معهما — الى التعرف عليها • يعرفان مثلا اننا « لا نعادى ما نجهل •• بل نجهل عدونا » ونعرف أيضا أن كثيرين منا « **يهدمون الحاضر ، يجعلونه ماضيا ، ثم يعرضونه فى المتاحف** » • وتصدمنا الفتاة وهى تقول فى هدوء يوقظنا من سباتنا « **العينان اللتان نملك همـا للبكاء •• يلزمنا يا صديقى عينان لنرى** » وليست هذه الكلمات جملة بليغة تبرق كومض ، وانما هى تيمة تلح على كوليت بين حين وآخر ، ففى قصتها « **التهمة** » ينتهى الامر بأن تعاقب الفتاة — على جريمة لم ترتكبها — بأن تظل لها عينان ، لترى ! ! وتتسلل السخرية اللاذعة فى سطور كوليت ، تقريبا من كل شىء : قاعة السينما تحولت الى مجلس للنواب فلم يختلف الامر ، فاذا سئلت هل هى مع الحكم الحالى أجابت انها مع دمشق ، لان الحكم يشبه حبيبها فى انه « **لا يحب الاقامة معنا طويلا** » .. وتحلم فى رأيها احلاما **مشروعة مهما بدت غرابتها ، تحلم بأن تتحول** السجون الى مطاعم وكازينوهات وحدائق جميلة •

لو تركنا الاطار الرومانسى الحالم لكوليت خورى ، نواجه الاطار الواقعى الصارم **لعبد الله عبد** ، وهو الموهبة القصصية الشابة التى تعد بالكثير •• انه يذكرك بيوسف ادريس القديم ، وقد خلت لغته من العامية والمزاوجة بينها وبين الفصحى ، وقد نحت أدواته التعبيرية نحو المزيد من الوقار والرصانة ، ففى غمرة الالتفات الى أعماق الذات وتشابكاتها الداخلية المعقدة وفى غمرة التأثر بالاتجاهات المعاصرة فى الغرب ، ينزوى عبدالله عبد فى برج حصين من واقعية تشيكوف وشاعريته ، يواجه العالم الخارجى أكثر من التفاته للذات والالتفاف حولها .. فى مجموعته « **مات البنفسج** » نتنسم عبير الواقعية من جديد فى صورة متطورة حقا ، ولكنها ملتزمة بالقواعد التقليدية فى القصة الواقعية . فى قصة «**المتشرد**» يحاول الغريب أن يجد مأوى من الجوع والبرد والعراء العاطفى دون جدوى ، فلا يرى بدا من أن ينطوى « **على نفسه وراح يقص عليها قصة حياته** » •• ما أقرب هذه الخاتمة من قصة تشيكوف التى ينفرد فيها الحوذى بحصانه ليروى له قصة حياته التى لم يجد أحدا يرغب فى الاستماع اليه يحكيها . وفى قصة «**مات البنفسج**» يعيش حلما دسما بالفتاة الشاحبة الخجول التى لا تكلم أحدا ، ويفجعه الواقع بوجه آخر للفتاة لا أثر فيه للخجل ولا للشحوب . ومرة أخرى ما أقرب هذا الكاتب الموهوب الى تشيكوف ، ولكنها ليست قرابة الصورة للاصل ، وانما قرابة التأثر الواعى المفتوح على التجربة الفنية بكل ابعادها • ان عبد الله عبد كاتب أصيل سوف يعطى فى المستقبل القريب عطاء ينسجم مع موهبته الكبيرة وخبرته بالحياة وثقافته ، عطاء يتجاوز هذا « الاستقرار » الذى يطالعنا فى قصصه ، استقرار البناء والعاطفة البعيدة الى حد ما عن التوتر ، والخالية نوعا من التوهج . على غير هذا النحو تتجه القصة الجديدة التى يكتبها **زكريا تامر ووليد اخلاصى وحيدر حيدر وهانى الراهب** . وهى القصة التى تتفاوت درجات تمردها على الاسلوب الواقعى من الانحياز المطلق الى المدارس الحديثة فى الغرب الى الاقتراب التدريجى من المستوى الذوقى الراهن للقارىء العربى • فى قصة « **حالة طلق** » لحيدر حيدر يبلغ الكاتب مستوى رفيعا من التعبير الجمالى عن تجربة ذلك الذى خرج للصيد والامل يملأ عينيه باسراب البط التى سيعود بها ، وهو فى طريقه بين القصب والشبح يعود الى أسرة فتدهمه ذكرى الانثى الابنوسية الشفتين ، والطمى يجذب قدميه الى أسفل ، الى أسفل « **وغمر الطمى**

العينين فاغفي » بينما كانت أوجاع المرأة وطقوس الكاهن لا تزال ترن في الاذنين • وقد أثارت القصة عند ظهورها لاول مرة في الاداب (سبتمبر ١٩٦٩) ضجة كبيرة تستحقها ، ولكني فوجئت بأن مبعث الضجة اسقاطات سياسية حينا ، وجنسية احيانا ، والقصة بغناها العجيب ، اعمق من ان تنفرد بها احدى الدلالتين •

وليد اخلاصي في « **حدود مرسومة على الخرائط** » يشارك الوطني أنينه المعذب ، ويلتقط من بين نغمات هذا الانين أكثرها انجذابا لفكرة الحرية •• في المقطع الاول « **لعبة الخطوط الوهمية** » يستوقف الشرطي على الحدود أحد العابرين ويأخذ جواز سفره ولا يلقى بالا الى احتجاجه أو استفساره أو رغبته في العودة ، لا يأذن له بالعبور ولا بالعودة من حيث أتى • وفي المقطع الثاني « **المخابرة** » يأمره الطرف الاخر على التليفون بأن يكون على استعداد بعد دقيقة واحدة • وفي المقطع الثالث « **الجريمة والعقاب** » يواجه بأنه قد خالف المادة ١٩ من القانون ١٤٠٣ وعليه أن يعترف بجريمته خلال فترة لا تزيد عن العد من ١ الى ١٠ ولما يجد نفسه في موقف لا يختلف عن موقف بطل كافكا في « **المحاكمة** » يخبره الشرطي « **لقد برهنت عن شجاعتك أيها المواطن** » وتمتد يده اليه بسيجارة لا يرفضها ، لان اليد الاخرى قد امتدت برصاص ساخن نفذ في اللحم والعظم • وفي المقطع الرابع والاخير « **الحرية** » تصل السخرية بالكاتب أبعد مداها حين نجد المتهم « **الخالد** » مع بقية المتهمين أمثاله في مقهى تحيطه الاسوار من كل جانب ، ولا يستطيع أحدهم ان يخرج الى موعد ، او عمل ، او الى البيت •• أبدا • وهكذا يزاوج الكاتب بين الرمز والمباشرة في اطار لا يستعصى على القارىء المتوسط الذكاء والثقافة ، ولا يتخلف في الوقت نفسه عن مستوى العصر •

أما **هاني الراهب** ، ففي قصته « **موزاييك عربي ذو جلد مسحور** » يشارك مشاركة فعالة في تجديد القصة القصيرة - تجديدها من داخلها كما يمكن أن نطلق القول على هذه التجربة ، لا من خارجها كما يفعل البعض في تزيين قصصهم بديكورات جميلة وخلابة ، ولكنها غير ذات موضوع • في قصة هاني الراهب ، محاولة صبورة لاكتشاف « الجمال » الخاص بالتجربة التي يعانيها •• منذ أن هجمت الحية السوداء على اسماعيل فوق قمة الجبل خلال المغامرة التي أراد من ورائها أن يتعرف على الشكل الجغرافي للمدينة ، الى أن سقط – هو الوحيد بين زملائه الثلاثة – جثة هامدة عند الينابيع يتذكر الحية السوداء الهاجعة في أطلال تدمر • يزاوج الكاتب هنا ايضا ، بين الرمز والمباشرة ، ولكن في صياغة أكثر تركيبا حيث يتراوح السرد والحوار بين التجسيد والتجريد •

في هذه القصص وغيرها قليل ، تتجدد القصة السورية القصيرة التي كان زكريا تامر من روادها على الصعيد القومي ، ولا يزال عليها حريصا ، وان كان أدب الاطفال هو شغله الشاغل هذه الايام • تتجدد القصة السورية القصيرة في موازاة التجارب الطليعية في الشعر والمسرح • غير ان المسرح – كالرواية – يكاد لا يجد رواجا بين الكتاب بنفس القدر الذي يلقاه عند المشاهدين • لقد سمعت عن **مسرح الشوك** ولم أره ، المسرح الذي تخصص في النقدات الاجتماعية والسياسية •• ولكني قرأت المسرحية الرائدة التي كتبها **سعد الله ونوس** « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » وهي المسرحية التي تؤرخ لمولد مسرح سوري حقيقي ، يستلهم التراث والعصر معا ، بغير اعتساف أو افتعال أو تزمت • والغضب في « حفلة سمر » يعلو فوق صوت المؤلف الهادىء ، الصوت الهامس بماذا •• بعد الغضب ؟ !

وليس المسرح السوري نصوصا فحسب ، انه اخراج وتمثيل وديكور وموسيقى أيضا •• هذه العناصر مجتمعة تخلق مسرحا جديدا في دمشق • وقد أتيح لي أن أشاهد عرضا لمسرحية « **فرهاد وشيرين** » **لناظم حكمت** وقد أخرجها الفنان الذكي المرهف **رفيق الصبان** بعنوان « **حكاية حب** » فاستطاع بجهود مجموعة ممتازة من الممثلين أن يجسد هذه الاسطورة التركية التي صاغها ناظم حكمت في قالب عصري تجسيدا يرتفع بالنص الى مستوى رفيع من الجمال •• ولقد كانت **منى واصف** في تمثيلها لدور الاميرة مهمنة نموذجا قادرا على التوفيق بين الجانب الابداعي في حياة الممثل الكبير ، وجانب « الانضباط الفني » لتعاليم المخرج •

ان دمشق على النقيض من بعض البلدان العربية ، لا تعاني من « **الكم** » في الانتاج الادبي والفني ، فما أقل الادباء والفنانين بالنسبة للامكانيات المتاحة لهم • دمشق أيضا ، على النقيض من بعض البلدان العربية ، لا تعاني من قضية « **صراع الاجيال** » فالجيل الرئيسي الذي يمسك بزمام السلطة الادبية هو جيل الشباب • ولكن دمشق تعاني ادبا وفنا ، مع جميع ادباء وفناني الوطن العربي مشقة الاجابة على هذا السؤال : **وماذا بعد الغضب ؟**

تستأنف « الطليعة » نشر التعليقات التى وصلتها حول قضية الادباء الشباب فى الوطن العربى ، وسوف نواصل هذا الحوار المفتوح بين مختلف الاطراف ، ونقتصر فى ذلك على « التعليق » دون « الشهادة الواقعية » حتى نتيح الفرصة كاملة للمناقشات أن تتخذ مسارها الموضوعى الى نتائج فكرية محددة .

حوار فكرى

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

يتناول عبد المنعم عبد الحليم الهوارى ـ بشركة كيما بأسوان ـ ظاهرة الغموض فى أدب الشباب ، ويردها الى أن ثمة شيخوخة كامنة فى أعماق الذين يكتبون هذا الادب .

الشيخوخة المبكرة لأدباء الشباب

لست أدعى لنفسى علما او استاذية كما يفعل الاخرون ، فمازلت طالبا للثقافة وسوف أظل كذلك ما وسعتنى الحياة .

ينبغى أن نحدد مقدما اطارا نسير عليه ونقتصد فى الكلمات بعيدا عن كل شبهة أو التباس، فلقد صارت اللغة العربية فضفاضة من كثرة ما استحدث فيها مؤخرا من عبارات وكلمات غازية غير ثابتة تلبس شتى الاثواب وتملأ اى حيز ..

وسأتناول فى هذه الكلمة ثلاث ملاحظات ولن آتى بشواهد أو أمثلة حيث يضيق المقام عن ذلك :

١ ـ هل نحن جادون فى بناء الاشتراكية أم أن البعض يأخذ العملية تمشيا مع الظروف . ؟ .. يأتى بعد ذلك سؤال فرعى : اذا كنا جادين فى ذلك : هل انتهينا من البناء وحسبنا كل مشاكل التعارضات الموجودة فى المجتمع . أم مازالت ثمة مفارقات وتناقضات تخنق الحياة ، وفقر وسوء توزيع لناتج الدخل القومى .. ؟ ينبغى أن نتحلى بالشجاعة .. ؟

يدفعنى لطرح هذه الاسئلة الهجوم ذو النبرة العالية والمتزايدة هذه الايام على حركة الواقعية الاشتراكية .. سواء الحركة الاولى او الحركة

الاخيرة المطعمة ببذور وجودية • قد يعترض معترض على هذا الكلام . لكن هذه مقدمة لابد منها لان بعض السادة الكتاب لا أقول الجدد – حتى مدعى الفن للفن منهم – يحمل أعماله مضامين سياسية واضحة • ؟ لقد ارتضينا لانفسنا منهاجا فى الحياة يتطابق مع أمانى وأشواق الاكثرية العظمى من ساكنى هذه الارض الطيبة . ان الادب لا يقل شأنا عن السياسة . • ؟ اننى لا ادعو لكارثية مصرية .. فقط أقول : ينبغى أن نكون يقظين .

هنا أصل الى ما أريده من عنوان هذه الكلمة : اذا كان الادب الجديد كتب ليقرأ فى مقاهى شارع سليمان والتحرير على اضواء الليل الرائعة وعلى مرأى من الحسان الغاديات ؛ او على بعض الشلل فى شقق جاردن سيتى والدقى المفروشة . • فهذا مفهوم . • !

أما اذا كان كتب لان تنشره مؤسسات قومية انشئت أساسا لتخدم اغراض الشعب العامل فهذا غير مفهوم .. ؟ لماذا .. ؟ لان جموع العمال والفلاحين لا تفهم هذا الادب الغامض • . اننى اتكلم عن تجربة . لاننى امارس الحياة الثقافية وسط قطاع عمالى واسع . وقد يتهمنى السادة بالجهل كما يفعلون مع بعض الاساتذة الكبار . عزائى انه ليس ذنبى اذا كنت أعيش تلك الحياة .

ان مقياس الرجعية والتقدمية ، الشباب والشيخوخة ، الثورة والجمود ليس بالقطع هو السن . هناك بعض الشباب تفوح منهم رائحة الرجعية – أبناء الاسر المرفوعة المشربين بأفكار الرجعية والاستعمار والمنقوعين فى سموم الحقد الطبقى – وبعضهم وجد فى الادب مهنة سهلة نتيجة لكونهم يقاسون الفراغ الممل ، اننى لا ادعو لحجر صحى فى الادب . لكن هذا غير مفهوم الا اذا تساهلنا بعض الشىء ، ومن يدرى كم نتساهل . . ؟ ايضا لا أتهم احدا ، الا من يحس ان هذا الكلام موجه له هو . . . !

٢ – من الواضح أن معظم السادة الكتاب الجدد يحاول أن يخلق لنفسه عالما (كافكيا) خاصا به . واصبحت موضة الجديد والثائر والشباب ، الغموض وحشو العمل بأكبر قدر ممكن من العبارات والكلمات الغازية القاءها والاغراق فى الشكل اللفظى والبنائى .. أنا لا أنكر ان الحياة مليئة بالغموض والتيه والسيولة والكذب والخداع والقيم الزائفة لا انكر ذلك . لكن مقابل هذا هناك قطاعات واسعة من حياتنا الاجتماعية تحيا وتمارس كل شروق شمس قيم الحق والصدق والطهر الاجتماعى ، وكل المحاولات التى بذلت لاستكشافات هذه القطاعات لم تمس سوى السطح منها ..

ان كافكا وجيمس جويس وصموئيل بيسكيت وناتالى ساروت انجبتهم مجتمعات الرأسمالية العفنة ، ومن الواضح أن معظم الكتاب الجدد متأثرين بهم ، يضاف الى ذلك تقدم هذه المجتمعات لتقبل هذه الانماط من الادب . وهؤلاء الكتاب أبطال يهربون من ضغوط مجتمعاتهم فى تيه الاشكال والرمزيات ، ومن المؤكد أنهم ضد حركة الرأسمالية • . وبرغم الفرق الشاسع بين شعبنا والشعوب الاوربية والامريكية ، هو جسم هذا الادب هناك ولم يستقر بعد .

يختلف الحال عندنا . الغموض مرفوض أساسا وتيه الرمزيات لا يجدى مع شعب ٧٠ فى المائة منه فلاحون حظهم من القلم قليل • .

٣ – الصراخ التعالى رفضا للحياة رفضا للحياة لا يحمل شيئا جديدا ولن يكون بشكل من الاشكال بداية ثورة الادب المصرى كما يحبه البعض أن يسميه . ان معظم الاخوة الشبان لا يمتلك القدرة على مواصلة الطريق بثراء وعطاء ، وما هذا الصراخ الا الخوف بذاته . الفنان المتمكن لا يشكو اطلاقا • لكنه يغير بفنه ويكشف الغموض والالتباس والعفن ويطرق طريقا واضحا مشرقا ، وهذا هو تاريخ الآداب فى مراحل شبابها ، أن من يظن نفسه تشيكوف عصره أو جوركى زمانه لانه أصدر مجموعة لم يوزع منها شيئا ليس هذا فننا . . ! لا أنكر ان ثمة ادباء عظاما نأمل عطاءهم مستقبلا ، وربما كانوا أقل الاخوة كلاما وأكثرهم احتراما للتراث سواء الكلاسيكى أو السابق عليهم .

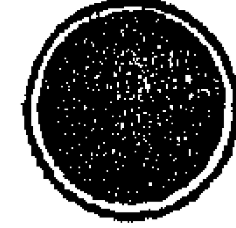
ان الغموض والهلوسة يصاحب دائما الشيخوخة • وقتامة الروية علامة على انفصام فى علاقة الانسان بعصره ، والتيه يدل على انه لايقدر على استيعاب العصر وقصره عن المشاركة فيه •

كان بودى أن اعطى امثلة مما يكتب الاخوة الجدد ، ولا ادرى لماذا يحاولون الانفصال عن بقية الحركة الادبية . فدائما تتداخل حركات الفكر والادب فى كل العصور والامكنة ، خالقة تلك السيمفونية التى تميز ، وتكون الاداب القومية وتعطيها مقوماتها بكل اتجاهاته وصوره •.

ان القراءة الواعية للانتاج الجديد فى القصة والشعر والتحليل النزيه لا يثبت الا شيئا واحدا . ان الادباء الشبان ، تنتابهم حالة شيخوخة مبكرة .. هذه حقيقة واضحة · وينبغى أن يبدأ البحث من هذه النقطة ·· وأنا على أتم الاستعداد لاثبات ذلك .· انهم شبان عجائز . شباب شيوخ .. هذه هى الحقيقة المرة المؤلمة التى استطعت ان اصل اليها ، وان هؤلاء الشبان فى مأساة حقيقية من كونهم اكبر بكثير من سنهم وانهم يحاولون ان يصلوا الى شىء ، ذلك الشىء الذى عبر عنه الشاعر الجزائرى **مالك حداد** · حين قال :

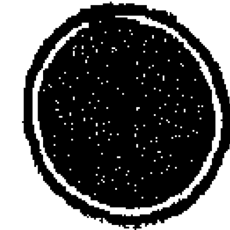
نثأر من شعرنا الابيض ونحن فى العشرين

الشبان يحاولون الثأر من ذلك الشىء لكنهم ولاشك اخطأوا المكان .



يعالج تيسير زبيدى ـ عضو رابطة الكتاب الفلسطينيين بالاردن قضية الارتباط الحى الخلاق بين الاديب والمجتمع ، ويرى أن هذه هى نقطة الانطلاق فى كل ادب عظيم

حياتنا الحقيقية مصدر كل أدب عظيم



رغم تحديد الحوار الفكرى الذى تديره مجلة الطليعة ورغم الطابع الاقليمى الذى يسيطر عليه ، الا اننى اجد نفسى مدفوعا بوحى المشاركة فى المسئولية لان ابدى بعض الاراء التى لا تخصنى وحدى ، بل ومعظم الاعضاء فى رابطة الكتاب الفلسطينيين فى الاردن والذين يحاولون ايجاد منطق ثورى لادبنا الجديد ، خلال دروب الدم والمقاومة خلف النهر وامام النهر ، وان كان هنا مجال لرجاء فهو ان يتخطى هذا الحوار الفكرى القيم والهادف نطاقه الاقليمى الى نطاق عربى قومى حتى يستطيع الادب العربى ان يشارك فى المعركة المصيريه موحدا ومدعوما برؤيا طليعية شاملة .

لعلنى لا اتجاوز الحقيقة ان قلت ان معظم الاراء التى طرحت فى الحوار حول القضايا فى الادب الجديد لم تكن الا افكارا ذاتيـة لم يحالفها حظ التقييم الشمولى . وحتى لا اقع فى هذا الخطأ الذى قد تكون له مبرراته ، اود ان اورد نقاطا تعالج صلب الموضوع ولا تحجبها الاعتبارات الذاتية الى حد التعمية والغموض :

● ان الواقع الاجتماعى الذى نعيشه الان قد طور تعريف كلمة الادب لنقول بأنه القوة الدافعة الخفية التى تكمن وراء كل انتفاضة فردية كانت ام جماعية ، اجتماعية كانت ام سياسية ، وهذه الانتفاضة تهدف على كل حال الى تغيير وجه ما من وجوه الحياة الانسانية على هذه المعمورة . واى بحث عن تطور دلالة كلمة الادب لابد له ان يكتشف مدى ارتباط هذا التطور بوجوه التغير الاجتماعى مؤثرة عليه ومتأثرة منه ·

● من هنا نستطيع أن نحدد نقطة أساسية للبحث بحيث لا نضل الطريق الذى نهدف الوصول اليه أو المسير عبره. ان تعريف كلمة الادب تعنى انه لكى يكون الادب ذا قيمة خلاقة فى التراث الانسانى فلابد له من الالتزام · الالتزام بكل ما تعنيه هذه الكلمة من ابعاد · الالتزام بمعالجة الواقع الاجتماعى وتحليل قضاياه وتركيز الضوء على النواحى الهامة منها ، والبحث عبر متاهات الايام المقبلة عن دروب واراض صلبة لكى يخطو المجتمع البشرى عبرها بثبات نحو مستقبل افضل · واذن فلا يكون هنا اى مجال ولو كان ضئيلا للغاية

لظهور مبادىء ومذاهب ذاتية مثل « الفن للفن » والفن التجريدي والسريالية ، ذلك في وقت نعاني فيه من مشكلة مصيرية تتطلب ارتباط الادب بصلب القضية واعماقها . والا فما الفرق بين ادب الجنس الفردي النزعة والمبتذل احيانا ، وبين ادب « الفن للفن » مهما بلغت قيمته الجمالية مادام يعاني من خواء الالتزام وضحالة الواقعية واهتراء الجذور . ان التذرع بطبيعة الفنان الذاتية للاتجاه الى مذهب فردي خاص هو نفي مطلق له من عالم الادب الحقيقي ، وهو اعتراف مباشر منه بعجزه عن المساهمة في خلق واقع افضل ، وعن المساهمة بثورية في رسم خطى المستقبل .

ولعل الفهم المبتذل الساذج الذي ابداه بعض ممن اشتركوا في الحوار الفكري يرجع الى قصورهم عن رؤية ابعاد هذه الكلمة وعن تحمل الاثقال التي تفرضها على الفنان .

● بما ان التزام الفنان هو ضرورة من ضرورات وجوده واستمراريته ، فان البحث عن مواقع العمل والنزول الى تخومها هو بداية الالتزام العملية التي يجب ان يحياها هذا الفنان واعني بهذا « المعاناة » . ان المعاناة تشبه تماما عملية تفتح حياة الانسان خلال مناصات الخلايا المعتمة ، الحمل وهو تكون شيء ما في جزء ما من واقع الفنان ومن مجتمعه ، مشكلة او قضية تتطلب المعالجة والتركيز والاضاءة . ويلي ذلك مرحلة المخاض والولادة وكم هو مؤلم ان لا يكون الابن شرعيا او لا يكون مكتملا .. ! سوف لا تكتب له الحياة ، وان عاش سوف يعيش كالمنبوذ ، وهذا هو واقع الادب غير الملتزم ، أو الذي يعاني من نقص في المعاناة والتجربة . ان الوريث اللاشرعي للادب هو ما خلا من اهم دعاماته الفنية وهي الالتزام والمعاناة ، ونحن نرى بوضوح مصير هذا الادب اذا نظرنا نحو **احسان عبد القدوس** ، **ويوسف السباعي وعبد الحليم عبد الله** مقارنة بالاديب الطليعي **نجيب محفوظ** .

● ان المعاناة تحدد في ذاتها قضايا كثيرة يعانيها الادب الجديد الان ، ويمكن تعدادها في نقاط هي الاخرى اذا حاولنا انتهاج سبيل ما للعلاج :

١ ـ ارتباط الرؤيا الادبية بالواقع الاجتماعي وبكل ابعاده ، وملاحظة التغييرات التي تعانيها الاعماق وليست تقلصات السطوح .

٢ ـ التزام الخط الثوري الشامل دائما لان ذلك يكفل للادب التصاقا قويا بواقع الفنان المتغير باستمرار ، ويكفل له الابتعاد عن القيم الفردية التي تغرقه في المتاهات بعيدا عن الدروب الشاقة المضنية التي تخطو فيها القوى التقدمية من عمال وفلاحين ومن مثقفين في ثورتهم ضد واقع اجتماعي او سياسي سيء .

٣ ـ ان العمل الفني لا يجب ان ينحصر بالضرورة في واقع اقليمي ضيق . هناك الافق الانساني الرحب يستشرف منه الفنان مادته الادبية . ولا احد يستطيع ان ينكر ان شعارات الثورة الامريكية لم تؤثر على الثورة الفرنسية ، ولا أن الادب الروسي لم يساعد على دفع مجاديف الثورة الاشتراكية في روسيا وفي غيرها . وخير مثال ايضا هو ان الكتب التي كتبت خلال مراحل مقاومة الاحتلال يعاد طبعها في كل بلد يقع تحت نير الاحتلال .

● الشيء الاخير الذي اود ان اضيفه هو عن مدى ارتباط الكتاب والادب العربي بواقعنا العربي حتى الان او بالواقع الاقليمي على الاقل . لقد فسر البعض ان الضياع الذي يعاني منه الادباء الان هو كثرة المتاعب والعواصف التي تواجههم ، كما قال **ابراهيم ابو سنه** ، ولكني اقول : ان السبب الوحيد هو عدم ارتباطهم بقوة في رحم الواقع الاجتماعي ، ولذلك عانوا من الضياع والانحراف وعانوا من الحيرة وقصور الرؤيا الادبية . هناك مثال واضح على صدق هذا وهو الانحراف الظاهر في الاتجاه الادبي الذي عاناه الادب المصري بصورة خاصة ، والادب العربي بصورة عامة ، رغم كل ما بذلته القوى التقدمية في سبيل دفع السفينة نحو خطها الامثل .

وقبل ان انهي الحديث اورد مثالا مضادا وهو صلابة ادب المقاومة التي ارتفع في فلسطين قبل حزيران ٦٧ ، وفي البلاد العربية عموما بعد حزيران ٦٧ ، ان التعلل بكثرة المتاعب وعتمة الضباب ليست من شيم الفنان الثوري الطليعي ، الثوري الذي لا عمل له الا من خلال ذلك لان الامل اكبر ، اكبر من ان توقفه متاعب ، او ان تطفيء مشاعله ضبابه .■

مناقشات مفتوحة

بداية فكرية .. تستقبل السبعينات

تعليقا على افتتاحية العدد الماضي (يناير) للطفى الخولى بعنوان « اسئلة تطرحها السبعينات » كتب عطية الصيرفى ـ العامل بالنقل البرى ـ يقول :

ان ما قاله **لطفى الخولى** فى افتتاحية **الطليعة** بالعدد الماضى يعبر عن أروع بداية فكرية تستقبل الايام الاولى للسبعينات . من حيث موضوعيتها الشجاعة فى تشخيص الوجيعة المزمنة فى ثورة البلاد النامية عموما بما فى ذلك الثورة فى البلاد العربية . هذه الوجيعة التى أشار اليها لطفى الخولى بقوله .. غير أن التجربة ايضا وخاصة بعد ١٩٦٧ قد كشفت عن ان مثل هذا البناء التنظيمى الواسع لقوى الثورة وحلفائها يظل غير قادر على الحركة المؤثرة والفعالة ، اذا لم يستند تنظيميا الى عمود فقرى يتكون من أصلب وأوعى العناصر الاشتراكية المتجددة القوى باستمرار . بحيث يغدو فى الواقع الفعلى ـ ومن خلال العمل السياسى . لا التعليمات السياسية ـ راس وقلب التنظيم الواسع .

وهذا التشخيص الصريح والخالى من اى استحياء قد تبعه عدد من الاسئلة استهلها لطفى الخولى بقوله .. ما هو الشكل الملائم لكل بلد عربى لبناء التنظيم الواسع الذى يضم كل قوى الثورة وحلفائها على ضوء حصيلة الستينات ؟ وعليه فان مثل هذا التنظيم الواسع لن يتحقق وجوده فى الحياة والمجتمع عن طريق العضوية الفردية المباشرة والمختلطة فكريا وطبقيا ـ بل يتحقق وجوده فقط بالتحالف بين قوى الثورة ممثلة فى العمال والفلاحين ـ والمثقفين والجنود من خلال نقاباتهم وتعاونياتهم واحزابهم السياسية التى تجمعها اهداف مرحلية .

وان وجود التنظيم الجماهيرى الواسع بدون هذه المواصفة يجعله معرضا حتما لتحطيم نفسه ذاتيا بفعل التناقضات المباشرة فى صفوف اعضائه من عمال وأصحاب أعمال ومديرين وكبار موظفين ومن حرفيين وتجار صغار وتجار كبار ومن اجراء زراعيين وفلاحين فقارى ومعدمين وفلاحين شباعى وأغنياء .. الى آخر قائمة المنضمين للتنظيم تربطهم به عضوية فردية مباشرة ومختلطة تهدف الى تعايش سلمى بين مصالح وافكار اعضائه

المختلفة التى تسوقها غصبا عنها ورغم ارادتها مشاكل الحياة اليومية الى أن تتلاطم ثم تتصادم وتتناطح بحيث تغدو تناقضات التنظيم الداخلية مغلفة بغلاف عدائى صارخ يجعلها غير متميزة عن التناقضات العدائية القائمة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة التى ترى ان مثل هذا الوضع هو حليف لها لابد من الحفاظ عليه بواسطة جنودها المجهولين والمعلومين من ممثلى الرأسمالية الذين يتمتعون عادة بمكانة ممتازة فى مجتمعات البلاد النامية · والذين يتمتعون ايضا بقدرة فائقة فى التسلق الى صوارى التنظيمات السياسية التى تبنى فى هذه البلاد فور الاستيلاء على السلطة من قبل القوى الوطنية والمتقدمة . ولهذا فهم واضعو نظرية التنظيم المختلط وحده لاحلال الوفاق الشكلى محل الصراع الخلاق . وتنطق بذلك مثلا شعاراتهم محل الصراع الخلاق . تنطق بذلك مثلا شعاراتهم هيئة تحرير » « كلنا اتحاد قومى » « كلنا اشتراكيون » ، « وكلنا عمال » . ولايعنى هذا غير تشبث الرأسمالية بالتنظيم الجماهيرى المختلط الذى لا يتلاءم مع تطور ثورة البلاد النامية بما فى ذلك ثورة البلاد العربية حيث يظل غير قادر على الحركة المؤثرة والفعالة على حد تعبير لطفى الخولى لافتقاره الى عمود فقرى ارى انه يتمثل بالدرجة الاولى فى تحقيق التحالف بين قوى الثورة ممثلة فى تنظيماتها النقابية والتعاونية والسياسية التى تشكل حلقات العمود الفقرى للتنظيم الجماهيرى القادر بفضل هذا التحالف الثورى على تخطى هزيمة ١٩٦٧ والمضى بالثورة نحو غاياتها المتقدمة والعظيمة لانجازاته الهامة التالية :

اولا : اتاحة الفرصة لوحدة القوى الاشتراكية لكى تصبح عقل وقلب التنظيم الجماهيرى ·

ثانيا : غربلة وفرز التناقضات وتحديد طبيعتها بما يتفق ومصالح الشعب والثورة ·

ثالثا : تحديد مدى ثورية كل قوة من قوى الثورة وتحديد دورها ازاء مراحل الثورة ·

رابعا : اشاعة العمل السياسى الديمقراطى فى كل نواحى الحياة والمجتمع ·



رد .. من أسرة الكاتب باكثير

نشرت الطليعة فى عددها ١٢ (ديسمبر) ١٩٦٩ ، تقريرا من تقارير الشهر عن الكاتب الراحل على احمد باكثير ، وقد تلقت الطليعة ردا من ابراهيم الازهرى ــ فنان تشكيلى وهو من اسرة باكثير ، كتبه بعنوان رد اسرة الكاتب الراحل باكثير على ما نشر فى الطليعة » يقول :

كان شيئا طيبا من **الطليعة** ان تخصص صفحة **لعلى احمد باكثير** تحت عنوان « باكثير من الريادة الى الانتكاس » فقد كانت هذه الصفحة كسرا « للحجاب الحاجز » الذى ضرب اخيرا حول كل ما يتصل بباكثير حتى فارق دنياه اخيرا ، وهو ممتلىء بلا شك بالمرارة ·

ورغم اعترافى شخصيا بالجميل لمجلة الطليعة ، الا انى ارجو ــ بعيدا عن العاطفية وعن الاشفاق لكل ما يتصل بباكثير ــ أن أضع وجهة نظر ، لا اقول مقابلة او معارضة تماما لوجهة نظر صاحب المقال « القصير » ولكنها فقط تصحيح بعض المفاهيم ، وتوضح فهما آخر لباكثير ·

● حرص الكاتب على ان يضع **باكثير وأبى حديد والدكتور لويس عوض** فى جانب واحد ثم اصدر حكما على الجميع بأنهم مجددون ، وفى الوقت الذى صمت فيه عن الاخيرين اصر على توضيح ان هناك انتكاسة فكرية عند باكثير ، والحق اقول ان تجارب لويس عوض ليست من التجديد فى شىء لانها اتبعت نسق الموشحات الاندلسية دون ان تخرج بها الى وحدة التفعيلة ، ومثل هذا فعل ابو حديد حين اتبع طريقة الشعر المرسل وهو الشكل القديم المتخلص فقط من القافية ، ومع انه فعل بعد ذلك مثلما فعل باكثير الا ان تجربته الاخيرة كانت لاحقة لاعمال باكثير ، ومن هنا يمكن القول بأن باكثير ــ رغم عملية التجهيل السائدة فى هذا المجال ــ هو المجدد الحقيقى للشعر العربى ، ذلك لانه بضربة واحدة استطاع ان يصل الى التفعيلة الواحدة وان يكتب بامكانياتها الغزيرة ·

● القول بان كتابة باكثير لنفرتيتى واخناتون من باب التيار الرومانسى العارم وانه يشبه ان

يكون خروجا على خط باكثير القومى ، القول بهذا فيه نوع من الاسراف ذلك لانه جزء لايتجزأ من فهم باكثير للواقع العربى المعاصر،والقائم على ان ما ورثه العرب من حضارات قديمة كالفرعونية والبابلية والفينيقية ، ليس شيئا مضادا للعروبة • وانما هو جزء لا يتجزأ منها •

● القول بأن باكثير قد تعرف على « قوام » المسرح النثرى عن توفيق الحكيم شيء فيه مبالغة فمسرح كل منهما مختلف عن الاخر ، ومنهج كل منهما مختلف عن الاخر ، قد يكون باكثير قد انتفع بمسرح الحكيم فيما انتفع به من اطلاع على المسرح الغربى ، وماكتب بالعربية كذلك ، ولكن يبقى دائما عملية « تفرد » باكثير بعد أن هضم العديد من التيارات المسرحية ، وبخاصة مسرح شكسبير

● من الغريب القول بأن باكثير قد ارتبط فجأة « ودون مقدمات كامنة » بأكثر القيم الفكرية المحافظــة تخلفا ، حين تعرض لبعض مراحــل تاريخنا القومىوالدينى ، وحين تصور « أن الدين هو العامل الوحيد فى الصراع بيننا وبين الغرب الاستعمارى » ومع أنه موضوعيا لا يلزم أن يكون التزام الكاتب ببعض المراحل القومية والدينية تخلفا ، ومع أن أى عمل من أعمال باكثير – اى عمل — لا يظهــر فيه الدين وحده كعامل وحيد ورئيسى ، الا أن كاتب المقال يحاول أن يضع باكثير فــى هــذه الدائــرة الضيقــة ليبــرر بهــا كلمة « الانتكاس » •

وللتدليل على هذا يمكن اعادة قراءةاى عمل من أعماله سواء أكان هذا العمل رواية او مسرحية فمن خــلال هــذه القــراءة يظهــر للقارىء ان الدين – وهذا ليس عيبا – هو العامل الرئيسى فيما يكتب باكثير ، ذلك لان نظرة من هذا النوع تحول العمل الى نوع من الدردشة ، والى انهيار البناء من الداخل ، صحيح ان باكثير كان ملتزما بقضايا العروبة ، وكان يرى أن الاسلام ليس مجرد دين وانما بناء حضارى متكامل عرف كيف يصمد ، وتحققت الانتصارات تحت رايته وفىضوء هذالا يكون الاسلام « دينا » فقط ، وانما يكون عــالما متكاملا فيه الوعى الاجتماعى ، والاقتصــادى بالاضافة الى الوعى العقلى •

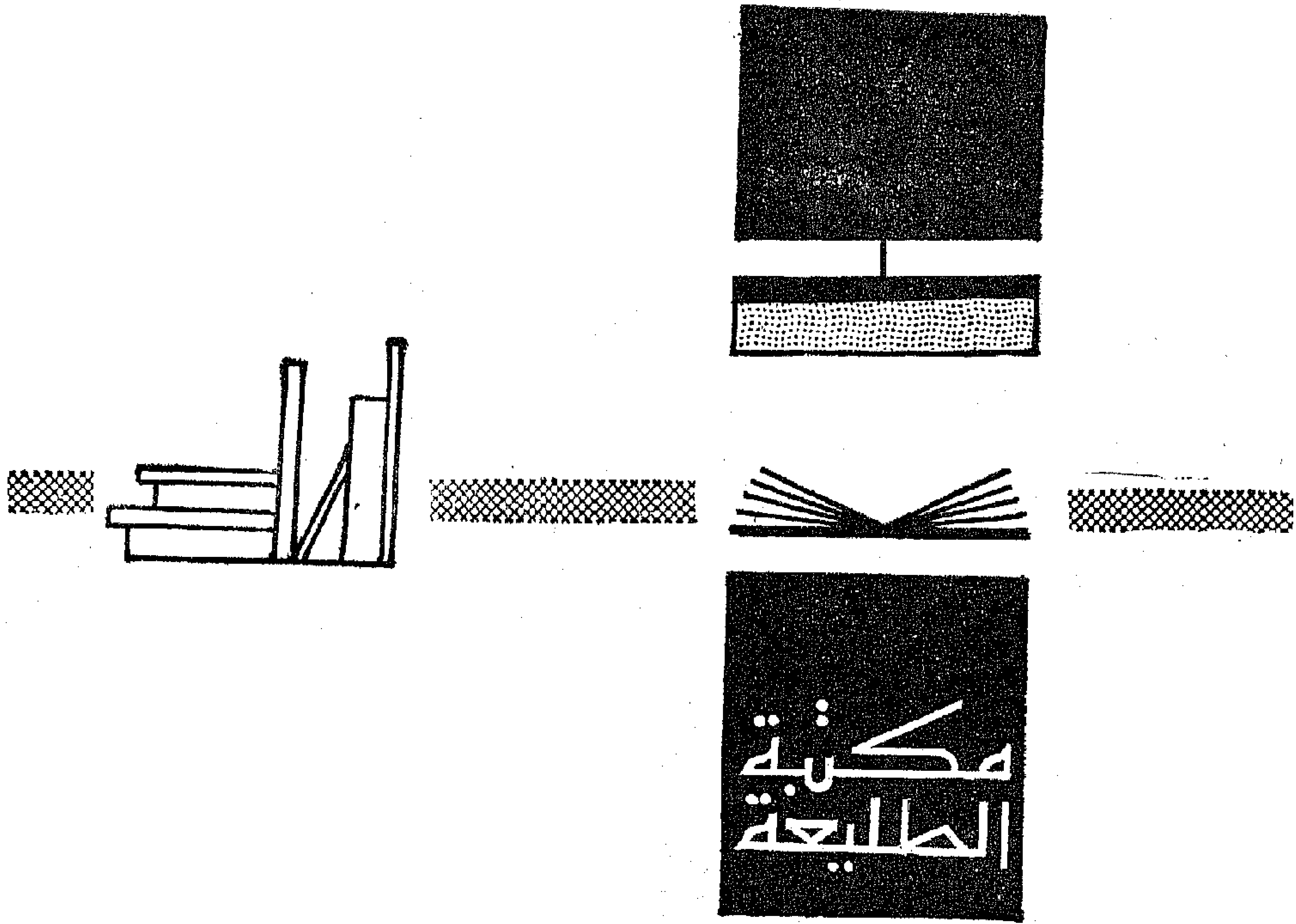
● تبقى « ردةباكثير » وكونهاصبح واحدا من كبار المغالين فى معاداة الشعر الجديد،« والحقيقة تؤكد أن باكثير ليس له هذاالجانب من المعاداة،بل يمكن أن نقرأ كلمته فى اعادة الطبعة الثانية لنفرتيتى واخناتون ، فهو فى هذه المقدمة فخور ومعتز بالشعر الجديد ، وبأن عملــه هــذا هو « الاصل للانتفاضات التى خرجت بعد ذلك » ،• وهى فى الواقع لم تحقق من حيث الشكل خطوة بعد باكثير •

● واخيرا تبقى مشكلة « حبل الغسيل » وهذه المسرحية بالذات لا تعبر عن الموقف الفكرى الذى التزمه باكثير قدر تعبيرهاعن صرخة شخصية ضد رجال وقفوا يناصبونه العداء ، ويذودونه ذودا قاتلا عن عالمه الحقيقى ، عن المسرح ، ومن هنا فهو « صرخة » لانسان يمزق بعنــف ويــدفع بوحشية – عن بيته الحقيقى ، ولكل كاتب الحق فى رفع صوته على قاتليه ، فى عمل من أعماله •• ونحن نقول هذا •• لمصلحة من كانت تتجاهل مسرحيات باكثير التى تدور حول قضايا العروبة ، وحول قضايا فلسطين بصفة خاصة ؟

ولمصلحة من كان « يطارد » لا داخل المسرح فقط ، ولكن حتى فى دور النشر فكتابه «اخناتون ونفرتيتى » كماكان يقول ، خرج من المطبعة وذهب الى المخزن حتىلايقابل قارئه ، وعمله الاخير الذى قدمته دار الكاتب العربى لم يحصــل – ولعله الوحيد فى هذا – على مكافأته •

صحيح ان احدى دورالنشر فى العالم العربى قد تعاقدت على تقديم كل أعماله ، ولكنه كان يرى أن على مصر والقائمين على امر الثقافة فيها الا يتجاهلونه ، فكلمته يجب ان تبدأ من مصر الى العالم العربى وليس العكس •

ان على احمد باكثير ، قد ظلم اخيرا فى حياته ، فلا أقل من ألا نظلمه قليلا بعد موته ، فقد قال كلمته ، وتمزق دونها ، وهذه الكلمة ليست ملكا لهذا الجيل الذى يسيطر الان على الثقافة ولكنها ملك للعديد من الاجيال ، ومن خلال هذه الاجيال وبوساطتها سينال « باكثير » حقه من التقدير ، ولن يكون اول انسان ظلم ولن يكون الاخير •• واذا بقيت كلمة لاسرته – وانا واحد منهــا – « فهى الشكر لكل الذين يذكرون باكثير حتى ولو كانوا يهاجمونه ، او يتعسفون فى تحليل مواقفه فهو كاتب يثير العديد من القضايا •• وهذا دليل على خصوبته ، وانه (لن يموت) » •



□ اسـرائيل ويهـود العـالم
□ الأقلية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية

• تألـيف :
مصطفى عبد العزيز

• عرض وتعليق :
د . وليم سليمان

أصدرت السفارة الامريكية فى تل أبيب بيانا رسميا فى أكتوبر الماضى أعلنت فيه أن المواطنين الامريكيين يمكنهم الاحتفاظ بجنسيتهم الامريكية حتى لو اصبحوا مواطنين اسرائيليين **ومجندين بالجيش الاسرائيلى .**

ومن قبل ذلك كانت المحكمة الفدرالية العليا الامريكية قد اصدرت حكما فى ٢٩ مايو ١٩٦٧ اقرت فيه لاحد المواطنين الامريكيين اليهود بالاحتفاظ بجنسيته الامريكية رغم تجنسه بالجنسية الاسرائيلية واشتراكه فى انتخابات الكنيسيت الاسرائيلى .

ومن الواضح ان هذه المواقف تخالف المبادىء

المتعارف عليها فى المجتمع الدولى ــ سواء على صعيد القانون الدولى ، او القانون الداخلى ، تلك المبادىء التى تحترم سيادة كل دولة على رعاياها وضرورة الحد من حالات ازدواج الجنسية .

وليس من شك فى ان التناسق فى السياسة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، ومواصلة هذه تقديم العون السياسى والاقتصادى والعسكرى لاسرائيل قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ وبعده ــ كل ذلك يقف وراء هذا « **الولاء المزدوج** » الذى تسمح به الولايات المتحدة الامريكية لرعاياها فى علاقتهم باسرائيل .

ولكن للمسألة بعدا آخر أكثر عمقا يتصل اتصالا وثيقا بالايديولوجية الصهيونية نفسها ــ ومنه تتفرع كل هذه النتائج الخطيرة . وهى سياسة رسمها الفكر الصهيونى لتشمل يهود العالم فى مجموعهم .

وعندما ظهرت اسرائيل جهدت المنظمة الصهيونية العالمية ليكون هؤلاء من وراء الدولة ، وتكون لهذه عليهم حقوق تأخذ صورا قانونية يعترف بها المجتمع الدولى

ولتتبع هذه الناحية الهامة اصدر الدبلوماسى المصرى الشاب **مصطفى عبد العزيز** دراستين نشرهما مركز الابحاث التابع لمنظمة تحرير فلسطين : **اسرائيل ويهود العالم ــ دراسة سياسية وقانونية** . ثم طبق ما جاء فى هذه الدراسة على أهم جماعة يهودية موجودة خارج اسرائيل وذلك فى كتابه الاخر : **الاقلية اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية** .

وفى الدراسة الاولى عن يهود العالم : يحدد الكاتب فى **الباب الاول** المفهوم الاسرائيلى « للشعب اليهودى » وعلاقته بيهود العالم . ثم يتابع فى **الباب الثانى** النتيجة المنطقية التى تترتب على هذا المفهوم وهى « تجميع يهود المنفى » داخل أرض اسرائيل . ولكن نجاح هذا التجميع يتوقف على وجود انفصال بين اليهود فى كل مجتمع وبين هذا المجتمع نفسه ، ولذلك يدرس المؤلف فى **الباب الثالث** عملية « عزل » اليهود عن مجتمعاتهم الدولية وربطهم باسرائيل . هذا العزل لابد ان يثير تناقضا حادا لدى هؤلاء اليهود بين الالتزامات الوطنية والالتزامات الاسرائيلية . وهذا ما يدرسه المؤلف فى **الباب الرابع** . وبذلك نصل الى الهدف النهائى الذى تنشده الصهيونية واسرائيل من فكرة « الشعب اليهودى » . نعنى بذلك ادعاء اسرائيل حق الوصاية على يهود العالم . وهذا ما يدرسه الكاتب فى **الباب الخامس والاخير** من كتابه .

ماهو المفهوم الاسرائيلى لفكرة الشعب اليهودى ؟

نحن نعلم ان اليهودية دين ينتمى اليه ــ ككل دين ــ مواطنون من جميع الجنسيات . غير أن الزعماء الصهيونيين والاسرائيليين استحدثوا مفهوما جديدا للمنتمين الى اليهودية ــ فخلقوا كيانا قانونيا وسياسيا ، تحت اسم « الشعب اليهودى » . هذا الكيان يتيح لاسرائيل فرصة سيادتها خارج اقليمها وعلى غير رعاياها .

هذا الكيان تقيمه اسرائيل والصهيونية على جملة مقومات . بعضها **قانونى** كورود عبارة « الشعب اليهودى » فى بعض الوثائق الدولية مثل وعد بلفور وصك الانتداب على فلسطين . وبعضها **دينى** يجعل من اليهودية دينا وقومية . وبعضها **عنصرى** يعتبر اليهود عنصرا جنسيا متميزا . والبعض الاخر **تاريخى** يقول بأن تاريخ اليهود يكفى وحده لخلق رباط قومى شامل .

ولقد أوردت اسرائيل عبارة « الشعب اليهودى » فى وثائقها الرسمية ــ اذ تضمنها **اعلان قيام الدولة** ، وكذلك اول قانون اصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ وهو **قانون العودة** .

وثمة وحدة بين ما ينادى به الزعماء الاسرائيليون وقادة الصهيونية فى هذا المجال . فنحن نجد نفس الافكار يرددها بن جوريون وابا ايبان وناحوم جولدمان .

واهم ما يميز المفهوم الاسرائيلى الصهيونى للشعب اليهودى انه :

ا ــ **كيان سياسى قانونى** ، بمعنى أنه يفرض نظاما للحقوق والواجبات على يهود العالم تجاه دولة اجنبية هى اسرائيل

ب ــ **كيان مفروض** ، لا يدع مكانا للاختيار الفردى . فالعلاقة بين يهود العالم واسرائيل طبقا لعبارات بن جوريون « الزامية وعضوية وتاريخية وحيوية » .

ج ــ **كيان يتعدى القوميات** .

ويرى الكاتب ان نظرية « الشعب اليهودى » اقتبست الكثير من المفاهيم التى كانت تنادى بها **النظرية الالمانية فى القومية** التى تعتبر ان جميع المنحدرين من الجنس الارى ايا كانت جنسياتهم يدينون بالولاء الاول لالمانيا ويجب ان يصبحوا مواطنين لها باعتبارها وطنهم الحقيقى . وقد

شاهد العالم ما سببته هذه النظرية المتطرفة من دمار للبشرية كان اليهود أول ضحاياها .

ما مدى صحة هذه المقومات التى تضعها الصهيونية واسرائيل اساسا لمفهوم الشعب اليهودى ؟

هنا يناقش المؤلف بتفصيل الحجة التى تقول بأن ورود عبارة « الشعب اليهودى » فى وعد بلفور وصك الانتداب يعنى وجود كيان قانونى سياسى يعرف بالشعب اليهودى ، وان هذا اساس قانونى يؤكد أن ثمة كيانا معترفا به دوليا ويضم كافة اليهود فى عضويته .

فيقول ان نص الوعد نفسه ـ بالاضافة الى عدم مشروعيته ، وتعارضه مع الوعود البريطانية الاخرى التى اعطيت للعرب ـ يتضمن تحفظين صريحين يتعارضان تماما مع فكرة الكيان المعترف به . فالوعد ينص على أنه ا ـ « لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان فى فلسطين » ب ـ « ولا الحقوق او الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الاخرى » وهذا يترتب عليه أن فكرة الكيان السياسى الشامل لليهود فى بلاد العالم تتعارض مع الحقوق والوضع السياسى لليهود فى البلدان الاخرى . وقد كان الوزير البريطانى اليهودى ادوين مونتاجو ـ وراء ادخال هذا الشرط فى الوعد ، اذ كان زميلا لبلفور فى وزارة لويد جورج عند اصدار الوعد .

يضاف الى ذلك ان الوعد استخدم كلمة « وطن » لا دولة . ولم يشر الى هجرة يهود العالم لفلسطين ، بل أن هذه الهجرة تتعارض مع التحفظ الاول الخاص بعدم المساس بحقوق غير اليهود المقيمين فى فلسطين لان هؤلاء سيتحولون الى اقلية لوفتح باب الهجرة الى فلسطين نتيجة لفكرة الكيان السياسى الشامل لليهود فى العالم .

وقد تضمن صك الانتداب تحفظا مشابها لما ورد فى الوعد .

وفضلا عن ذلك كله فلا يجوز ان يفرض ما تنادى به اسرائيل وهى لاتضم سوى مايقرب من ١٧ فى المائة من يهود العالم ـ يفرض رأيها على أغلبية اليهود خارجها . ان استناد الصهيونية واسرائيل لما ورد فى وعد بلفور وصك الانتداب يقدم نموذجا لما تتبعه الدبلوماسية الصهيونية والاسرائيلية فى تزييف المعانى الاصلية للاتفاقات الدولية للقول بأن هذه الاتفاقات تعطى الصهيونية واسرائيل حقوقا وتفرض على الاخرين التزامات .

وفى خصوص السند الدينى الذى تحاول الصهيونية استخلاصه من اليهودية ، ترد على الفور ملاحظة اولية وهى أن هذه الحركة هى فى جوهرها حركة سياسية علمانية وليست دينية . ولكنها استغلت فكرة « العودة » و « الخلاص » ونسبوها للدين اليهودى . وهنا يورد المؤلف ابحاث المتخصصين فى اليهودية ، التى انتهت الى أن الانقسامات الحادة التاريخية والحالية بين الفروع المختلفة لليهودية تناقض فكرة وجود الجماعة اليهودية الشاملة التى يكون الافراد المنتمون اليها تجمعا عرقيا واحدا والمثل البارز لذلك هو وضع اليهود الامريكيين .

وتعتبر اليهودية الاصلاحية نتاج التكيف الكامل للعقيدة الدينية اليهودية مع الحياة الثقافية الحديثة . وهى تعتبر الدين اليهودى عقيدة دينية فقط . ومنذ وقت مبكر وسابق على المؤتمر الصهيونى الاول اعلن الحاخامات فى مؤتمر بتسبرج « اننا لا نعتبر انفسنا امة بل مجرد مجموعه دينية ، ولذا فنحن لا نفكر فى العودة الى فلسطين .. او احياء اية قوانين تتعلق بالدولة اليهودية » . وهذا ما يعلنه حاليا المجلس الامريكى لليهودية .

يضاف الى هذا كله ان محاولة اسرائيل ربط مفهومها للشعب اليهودى بالدين لا تتمشى مع الاتجاه السائد فى العالم . اذ تعددت الاديان واصبح كل منها يشمل أكثر من جنس او طائفة او شعب . والادعاء بوجود قومية او دولة على أساس دين يعتبر خطوة انتكاسية فات اوانها .

ثم ما هو موقف العلم من فكرة « الشعب اليهودى » ـ وهى التى رددها هرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » ، اذ قال ان اصل اليهود يختلف عن سائر الاصول البشرية وأنهم يشكلون شعبا واحدا وجنسا متميزا ـ وأن عليهم أن يتمسكوا بهذه الفوارق التى تميزهم عن الاخرين . هنا يورد المؤلف خلاصة الابحاث والدراسات الانثروبولوجية التى تؤكد وجود فوارق وتباين واضح فى المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة فى جميع دول العالم . علاوة على اختلاط وامتزاج العناصر اليهودية بالشعوب التى عاشوا بينها .

واخيرا تأتى الحقائق التاريخية والسياسية .. فيقول المؤلف ان يهود العالم يفتقرون الى خاصيتين اساسيتين من خصائص تكوين اى قومية ـ وهما الارض المشتركة ، واللغة الواحدة . كما أنه لا يوجد تاريخ مشترك لهم ، اذ انهم عاشوا خلال الالفى عام الماضية منتشرين فى داخل دول

مختلفة ، يحملون ذكرياتها ويمرون بما مرت وتمر به شعوبها المتعددة من تجارب وليس من رابطة تضمهم سوى الدين .

اما التطبيق العملى لفكرة « الشعب اليهودى » فهى ضرورة تجميعه فى اسرائيل . هذا التطبيق تقوم به اسرائيل سواء فى مخططاتها الرسمية ، او فى تشريعاتها الداخلية .

ان اسرائيل والصهيونية تفترضان ان جميع المجتمعات الدولية التى يعيش فيها اليهود معادية للسامية . ولذا فان حل المشكلة اليهودية فى العالم لا يتم الا بعودة اليهود الى اسرائيل . ولا يتوقف القادة الاسرائيليون لحظة عن دعوة يهود العالم للعودة الى ارض الميعاد . وتحاول اسرائيل ان تجد المبررات التى تقنع اليهود فى كل مكان بالعودة ــ فعندما يخاطب قادتها يهود البلاد المتخلفة يصورون لهم الهجرة على أنها عملية انقاذ مادى لهم ، اما بالنسبة للبلاد المتقدمة فهى نقل روحى . وطبقا لما كان يراه ليفى اشكول فان المرحلة الحالية بالنسبة لليهود لا تعتبر مرحلة كفاح للحصول على حقوق متساوية مع باقى المواطنين فى مختلف بلاد العالم ــ ولكن من أجل تأكيد الشخصية اليهودية ، ومن أجل حصول اسرائيل على القوة من ناحية الحجم والقيمة من يهود العالم . وان عملية التجميع لاتنتهى بوصول بضعة ملايين من اليهود الى اسرائيل بل هى أبعد من ذلك .

وهكذا يوضح المؤلف أن تجميع اليهود هو عملية التجميع لا تنتهى بوصول بضعة ملايين من المرادف العملى للنزعة التوسعية والعنصرية . فاقامة دولة اسرائيل تعتبر فى نظر الزعامة الاسرائيلية والصهيونية خطوة واحدة فقط للحصول على الموافقة القانونية على الادعاءات بشأن « الشعب اليهودى » وتحقيق حلم « اسرائيل الكبرى » . ومن الطبيعى أنه لا يمكن تصور قدرة اسرائيل على استيعاب المزيد من ملايين اليهود المهاجرين دون أن يقترن ذلك بمخططات للتوسع الاقليمى وهذا ما توضحه اعتداءات اسرائيل المتكررة على الشعب الفلسطينى والدول العربية .

ولعل الفصل الخاص **بمركز يهود العالم فى التشريعات الداخلية الاسرائيلية** هو أحد الفصول الهامة فعلا فى هذه الدراسة .

والمؤلف يشرح هذا المركز من ناحية قانون العودة ، وقانون الجنسية .

ذلك أن الحركة الصهيونية بعد أن نجحت فى تحقيق هدفها الاول باقامة دولة اسرائيل اتجهت لتحقيق الهدف الثانى وهو تجميع يهود المنفى . وحتى تتمكن اسرائيل من تهيئة الأوضاع الداخلية لهذه الغاية أصدرت عددا من التشريعات والقوانين التى تهدف الى تشجيع وتسهيل الهجرة اليهودية اليها . وكان أول قانون أصدرته لهذا الغرض هو **قانون العودة** عام ١٩٥٠ ، وطبقا لهذا القانون يكون لاى يهودى فى العالم الحق فى المجىء الى اسرائيل بصفته مهاجرا عائدا ، والاستيطان فيها فى أى وقت . وهذا النص يعنى أن كل يهودى أيا كان وجوده أو جنسيته يحمل جنسية خفية تابعة لدولة اسرائيل تصبح علنية بمجرد دخول اسرائيل ما لم يرفض هذه الجنسية . كما أن القانون عمم الحكم بالنسبة لمن هاجر قبل صدور هذا القانون . وبذلك أعطت الحكومة الاسرائيلية مهمة تجميع يهود العالم قالبا تشريعيا . وغنى عن البيان أن هذا القانون يعبر عن روح تعصب دينى واضحة . اذ أن دولة اسرائيل تمنح أفضلية قانونية لديانة اليهودية على باقى الديانات الاخرى . على أن المفارقة تبدو صارخة حين يمنح حق الذهاب لفلسطين لشخص غريب عن هذا البلد بمجرد اعتناقه اليهودية ، بينما يحرم من هذا الحق سكان الاراضى المقدسة المسلمون والمسيحيون .

أما بالنسبة **لقانون الجنسية** فان رابطة الجنسية تمنح للشخص بناء على قرائن تعبر عن ارتباط الفرد باقليم الدولة ــ مثل البلاد أو التوطن . أما بالنسبة لقانون الجنسية الاسرائيلى الصادر عام ١٩٥٢ فانه يمنح الحق فى الحصول على هذه الجنسية لاشخاص لا تربطهم بالدولة أية رابطة من ميلاد أو توطن وهم يكونون « الشعب اليهودى » فى نظر اسرائيل . والقانون بذلك يفرض بطريقة اجبارية على أى يهودى جنسية ثانية محتملة قائمة على الدين .

بل ان هذا القانون يفرق فى منح الجنسية بالتوطن ، فبينما يحصل اليهود المقيمون فى اسرائيل على هذه الجنسية تلقائيا ، فان العربى المقيم فى فلسطين المحتلة لا يعتبر مواطنا فى اسرائيل الا اذا توافرت فيه عدة شروط تتعلق بمدة الاقامة واتقان العبرية . وهى شروط لا تتطلب بالنسبة لليهود .

ويعلق المؤلف على هذين القانونين بأنهما يخالفان المبادىء المتعارف عليها فى دساتير العالم . فليس ثمة دخل لعامل الدين فى شروط منح الجنسية فى أى من بلاد العالم . كما أن مهمة تجميع يهود العالم تؤدى الى حث هؤلاء على هجر أوطانهم ، والى تفتيت المجتمعات الدولية ، والى الاعتداء على الاوضاع القانونية للمواطنين اليهود ممن يحملون جنسيات غير اسرائيلية . فضلا عما يترتب على فتح أبواب دولة اسرائيل لباقى يهود العالم من آثار بالنسبة للبلاد العربية المجاورة وذلك فى حالة ما اذا اعلن ملايين اليهود عن رغبتهم فى المجىء الى هذه البلاد .

ان هذين القانونين يتعارضان مع مفهوم وروح ميثاق حقوق الانسان لانهما موجهان ضد كل من هوليس يهوديا ويعطيان وضعا خاصا ومتميزا لاى يهودى فى العالم ٠

ولكن ما هى الوسائل التى يتم بها تنفيذ مهمة تجميع يهود العالم ٠٠ ؟

ان الوسيلة الناجعة التى تستخدم فى هــذا المجال هى عزل اليهود عن المجتمعات التى يعيشون فيها ، وهنا نجد نشاطا تشترك فيه اسرائيل من ناحية ، والمنظمة الصهيونية العالمية من ناحية أخرى ٠

فاولا ــ **نجد محاربة مستمرة تشنها اسرائيل والصهيونية ضد اندماج اليهود بمجتمعاتهم ٠ اذ** تقومان على الدوام باشعار اليهود بانهم مهددون ومعرضون لمخاطر الاضطهاد والتمييز ٠ وأن أملهم الاخيرهو خارج أوطانهم فىاسرائيل . ولذلك يندد الزعماء الاسرائيليون والصهيونيون بـاندماج اليهود فى مجتمعاتهم ، ويعتبرون ذلك خطرا يهدد الشعب اليهودى ٠

وازاء ذلك **يثيرون الارهاب ضد يهود العالم لمقاومة الاندماج** . حتى ان ناحوم جولد مان يرى ان انخفاض حالة اللاسامية العلنية يشكل خطرا جديدا على البقاء اليهودى ٠ ولقد نشرت صحيفة دافار الاسرائيلية لاحد محرريها مقالا يقول فيه « لن أشعر بالخجل وأنا أعترف بأنه لو كان لدى السلطة بمقدار ما لدى من الرغبة لاخذت عشرة من الرجال الشباب الاذكياء المخلصين لمثلنا العليا الــذين يتحرقون شوقا من أجل توجيه اخوانهم اليهود وارســـلهم الى البلدان التى يوجد فيهـــا يهود استكانوا الى رغد العيش خارج اسرائيل ٠ وتكون مهمة هؤلاء اليهود أن يتخفوا على أنهم من غير اليهود، ثم يبثون شعارات معادية للســـامية ٠٠ وعندئذ أستطيع أن أشهد بأن النتائج فيما يتعلق بنسبة الهجرة الى اسرائيل من هذه البلدان ستصل الى ما يزيد عن عشرة آلاف مرة أكثر من النتائج التى حققتها الان البعثات التى كانت تصب وعظها فى آذان صماء » ٠

ثم يأتى **تهويد وصهينة البرامج الثقافية ليهود العالم** ٠ فالاندماج الثقافى ليهود العالم يشكل خطرا أكبر من خطر « اللاسامية » ولذلك تقوم اسرائيل والمنظمات الصهيونية بالتدخل فى الشئون الثقافية والتعليمية ليهود العالم بفرض برامج ذات طابع صهيونى عليهم لتكون بمثابة حاجز يفصلهم عن المحيط الثقافى والتعليمى العام والسائد فى الدول التى يعيشون فيها ٠

على أن العديد من اليهود يعارضون الوسائل والاساليب التى تلجأ اليها اسرائيل لعزلهم عن مجتمعاتهم ٠ مثل ما حدث فى الدنمرك اذ استنكر رئيس الجالية اليهودية فى كوبنهاجن ما صرح به بن جوريون من قلقه على مستقبل اليهود فى البلدان التى يتزايد فيها اندماجهم ٠

وطلب رئيس حاخامى الدنمرك من هذا الاخير بأن يكون حذرا فى تصريحاته التى أضرت بمصالح يهود الدنمرك ٠ ويتخذ الحاخام الامريكى المريرجر نفس الموقف أيضا من نمو محاولات عزل اليهود عن مجتمعاتهم ٠

والواقع ان اسرائيل والحركة الصهيونية تنظران الى مسألة اندماج يهود العالم كشر يجب مواجهته والا فان هذه الحركة ستفقد قدرتها على الحياة وستصبح اسرائيل مجرد « تجربة تاريخية » فشلت فى كسب دعم يهود العالم لها ٠ ان الاندماج يعنى تزايد الفرصة لاستئصال المفاهيم اليهـودية والصهيونية المنغلقة والمتعصبة من وسطهم ٠ كما أن أساليب الصهيونية واسرائيل لا تتمشى مع التطور الانسانى الطبيعى نحو تحطيم الحواجز العنصرية والدينية بين أفراد المجتمع الواحد ٠

وثمة سؤال يثور فى هذا المجال ــ كيف يمكن أن تصل اسرائيل الى مواطنى الدول الاخرى ؟ ان سيادة كل دولة على رعاياها واقليمها تقف حائلا دون امتداد نفوذ اسرائيل كدولة خارج حدودها والى غير رعاياها ٠ فما هى وسيلتها اذن لعزل يهود البلاد الاخرى عن مجتمعاتهم وربطهم بها ؟

هنا يأتى دور المنظمة الصهيونية العالمية

فلقد وجدت اسرائيل بعد قيامها أنه من المصلحة الابقاء على المنظمة الصهيونية العالمية ، الا أن الوضع تطلب ايجاد صيغة جديدة للعلاقة بين المنظمة والدولة . وفى ١٩٥٢/١١/٢٤ اصدر الكنيسيت القانون التشريعى الذى يحدد طبيعة العلاقة بين المنظمة الصـــهيونية العالمية ودولة اسرائيل ٠ وطبقا للفقرة الرابعة من هذا القانون تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات والتى سوف تتابع عملها فى دولة اسرائيل لتوطين البــلاد وتطويرها ولاستيعاب المهاجرين ٠

وهذه الفقرة توضح أن المنظمة الصهيونية هى وكالة مخولة السلطات تعمل نيابة عن اسرائيل فى « المنفى » . وهى بذلك تعد تابعة لها . وبالتالى فان النشاطات الصهيونية التى تقوم بها هذه المنظمة وفروعها تعتبــر امتــدادا للسيـاسة

الاسرائيلية ومتكاملة معها .. ويتم تخطيطها بين المنظمة والدولة عن طريق لجنة التنسيق المنصوص عليها فى نفس هذا القانون .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٤ تم توقيع « الميثاق » بين المنظمة والدولة وقد ربط هذا الميثاق قانونا بين المنظمة وحكومة اسرائيل وخص هذا الميثاق المنظمة الصهيونية بمهام محددة هى تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل وتشجيع هجرة الشباب اليهودى وتطوير الاستيطان الزراعى فى اسرائيل والاشتراك فى اقامة وتوسيع مشاريع التنمية فى اسرائيل وتنسيق نشاط المؤسسات اليهودية فى اسرائيل والمنظمات العامة لتحقيق هذه المهام .

وهكذا يبين أن المنظمة الصهيونية العالمية تعتبر قانونا هيئة تابعة للحكومة الاسرائيلية وتقوم بمهامها نيابة عن الدولة : حتى أن بن جوريون صرح بأن ميزة انشاء الدولة تعتبر فى ذات الوقت قيدا لها نظرا لوجود أغلبية اليهود خارج هذه الدولة . ولذلك فانه كى يمكن لاسرائيل أن تتدخل فى شئونهم لابد من الابقاء على المنظمة الصهيونية التى سيكون فى مقدورها تحقيق المهام التى تتعدى نطاق سلطة الدولة . وقد دعا ذلك البعض الى وصف الوضع الناشىء عن العلاقة التى تربط بين المنظمة الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل بأنها تشكل نوعا من الحكومة القومية العليا ، وتعتبر بمثابة « حكم ثنائى » اسرائيلى صهيونى .

وهذا الوضع يجعل النشاط السياسى الذى تقوم به المنظمات الصهيونية ويخضع لتوجيه واشراف دولة أجنبية عملا يتعارض مع القوانين الداخلية والدولية ومصالح كل دولة وسيادتها على رعاياها .

ولذلك فان هذا الوضع لابد أن يثير التعارض بين الالتزامات الوطنية والالتزامات الاسرائيلية . ذلك ان اسرائيل لا تنظر لنفسها على اعتبارها دولة عادية تقتصر ممارستها لسلطاتها على رعاياها وتحترم سيادة كل دولة على مواطنيها ـ بل ما زالت تسير على النهج الصهيونى الذى يفرض نوعا من الالتزامات على يهود العالم باعتبارها تمثل وطنهم القومى .

وتتمثل هذه الالتزامات أولا فى **حض يهود العالم على هجر اوطانهم وجعل هذه الهجرة واجبا مقدسا .**

ولكن الحقيقة ان قادة اسرائيل يواجهون حاليا ما يمكن تسميته بتحدى الهجرة وأصبح هذا التحدى أكثر الحاحا وخطورة من أى مشكلة أخرى

وهكذا أصبح انخفاض حركة الهجرة الى اسرائيل وزيادة نسبة الهجرة العكسية منها مصدر تخوف بالغ للزعامة الاسرائيلية والحركة الصهيونية ، وقد أعلن مدير الوكالة اليهودية انه مقابل كل يهوديين مهاجرين الى اسرائيل ينزح عنها يهودى واحد . ولهذا تتخذ السلطات الاسرائيلية عددا من الاجراءات والوسائل للحد من تدهور هذه الحركة .

ثم يأتى بعد ذلك **دعم يهود العالم الفنى والمالى لاسرائيل وتزويدها بالخبرة الفنية ، ودعمهم لمخططات التوسع ، والتبرعات الدورية التى يقدمونها .**

هذه التبرعات ليست مجرد معونات خيرية تجمع لاغراض انسانية ، بل انه قد ثبت من تقارير مجلس الشيوخ الامريكى نفسه ان هذه الاموال تستخدم فى خدمة أهداف سياسية اسرائيلية وصهيونية ، وليس فى الاغراض الانسانية الخيرية التى جمعت باسمها واعفيت بسبب ذلك من الضرائب بدون وجه حق . بل ان جزءا من اموال التبرعات يعتبر احد المصادر الرئيسية لتمويل الاحزاب السياسية الاسرائيلية التى بدونها لا يمكن لاى منها ان يقوم بحملة انتخابية ناجحة .

هذا التعارض الذى تقيمه الصهيونية واسرائيل بين الالتزامات الوطنية والالتزامات الاسرائيلية ، يصل الى اثارة قضية **الولاء المزدوج** ـ ان ناحوم جولدمان يصرح بانه يجب أن تكون لدى اليهود خارج اسرائيل الشجاعة ليدافعوا عن علاقاتهم فى المشاركة والمسئولية نحو اسرائيل ، وعليهم ان يتغلبوا على الشعور الواعى واللاواعى بالخوف مما يسمى بالولاء المزدوج . بل ان الزعماء الاسرائيليين والصهيونيين نادوا برأى غريب مؤداه ان السماح للافراد بولاءات متعددة هو جوهر الديمقراطية ، وأن فكرة مطالبتهم بولاء واحد تعد فكرة نازية .

وقد اثار هذا الموقف الشائك الذى عرضت فيه اسرائيل والصهيونية يهود العالم الى العديد من الانتقادات والهجوم الحاد والرفض من كثير من يهود العالم . وأوضحوا فى عبارات حاسمة انه لا يوجد ثمة تعارض بين الولاء السياسى والانتماء الدينى . « فسياسيا نحن أمريكيون ودينيا نحن يهود » « فالاختلاف الوحيد بين المواطن الانجليزى اليهودى وزميله المسيحى ان الاول يتعبد فى كنيس والثانى يتعبد فى كنيسة » .

ومن الواضح ان مبدأ الولاء الاسرائيلى خطر على مصالح الدول التى يعيش فيها اليهود . وقد

سجل ذلك كثير من الرجال الرسميين فى الولايات المتحدة • وعلى العموم فان هذا المبدأ يوضح بجلاء أن دولة اسرائيل ليست دولة طبيعية كباقى دول العالم التى تقف سيادتها عند حدودها الاقليمية وعلى رعاياها • وهذا وضع يتنافى مع المبادىء القانونية السائدة فى المجتمع الدولى •

وهكذا نصل الى ذروة نتائج فكرة الشعب اليهودى — **ونعنى بها ادعاء اسرائيل حق الوصاية على يهود العالم** •

فهى أولا تدعى حق التحدث باسم يهود العالم — طبقا لتصريح صدر عن جولدا مائير • • • «

• • • وقد مارست اسرائيل هذا الحق حين ارسلت فى ٧ يناير ١٩٦٠ مذكرات رسمية الى خمس وعشرين دولة تعرب فيها عن اهتمامها وقلقها لحوادث رسم الصليب المعقوف على مساكن اليهود ومؤسساتهم • وقد انتقد المجلس الامريكى لليهودية هذا التصرف وأوضح أن المذكرة الاسرائيلية تضمنت تدخلا فى الشئون الداخلية للدول التى وجهت اليها ومن بينها الولايات المتحدة الامريكية • وكذلك عارض عدد من اليهود البريطانيين نفس المذكرة التى وجهت لحكومة المملكة المتحدة •

بل ان **اسرائيل تدعى حق التحدث باسم يهود العالم فى المنظمات الدولية** مثل ما حدث عندما اثار مندوب اسرائيل فى الامم المتحدة أوضاع اليهود فى الاتحاد السوفيتى • على الرغم من أن اليهود فى هذا البلد يتمتعون باوضاع اجتماعية متفوقة •

وهى ثانيا : تدعى انها وريث عام لرعايا الدول الاخرى وذلك كما حدث فى مطالبتها بالتعويضات عن ضحايا النازيين • فلقد شغلت مسالة تعويضات اليهود ممن لاوارث لهم تفكير الزعماء الصهيونيين بمجرد انتهاء الحرب • وطالبوا بأن تؤول هذه الاموال الى ممثلى الشعب اليهودى لاستخدامها فى اعادة التوطين المادى والروحى والثقافى لليهود • وقالوا انه طالما أن غالبية اليهود الاوربيين الموجودين على قيد الحياة يرغبون فى جعل فلسطين موطنهم الدائم فان المبالغ التى سيتم الحصول عليها من المانيا كتعويض يجب استخدامها فى اعادة توطين اليهود فى فلسطين وان تسلم الى الوكالة اليهودية لتحقيق هذه الغاية • ونجحت اسرائيل فى الاستيلاء على هذه التعويضات • وكان لها أكبر الاثر فى مساعدة اسرائيل اقتصاديا وعسكريا وفى مشاريع الهجرة والتوطين مما زاد من قدرتها على التوسع •

وهذا الادعاء مخالف للقانون الدولى لان جنسية ضحايا النازية لم تكن اسرائيلية ، وبالتالى فليس ثمة رابطة قانونية تربط بينهم وبين اسرائيل يمكن أن تنشا عنها حقوق وواجبات • بل ان هؤلاء الضحايا ماتوا قبل ١٩٤٨ أى قبل أن تظهر اسرائيل فى الوجود الدولى وكانوا يعتبرون قانونا من رعايا دول اخرى •

واسرائيل ثالثا تجعل قضاءها الداخلى يتخطى حدود الاختصاص الاقليمى • وقد حدث هذا بمناسبة قضية ايخمان الذى اختطف من الاراضى الارجنتينية ونقل سرا على طائرة اسرائيلية الى اسرائيل حيث جرت محاكمته عن الجرائم المنسوبة اليه والتى ارتكبها فى أوربا ايام الحكم النازى • واستندت المحكمة لتبرير اختصاصها بمحاكمته الى أن اسرائيل هى دولة اليهود • وعلى ذلك فان أى جريمة تهدف الى ابادة الشعب اليهودى تكون من اختصاص محاكم هذه الدولة • وهكذا طبقت السلطة القضائية الاسرائيلية المفاهيم الصهيونية القائلة بأن « الشعب اليهودى » ذو سيادة كاملة وكيان قومى منفصل عن الامم الموجود بينها افراد هذا الشعب •

ولقد دفع هذا الموقف العديد من اليهود فى العالم الى اعلان استنكارهم له لمخالفته لاحكام القانونى الدولى والداخلى •

والحقيقة ان ايخمان ارتكب من الافعال ما يستوجب معاقبته باقسى انواع العقاب ، ولكن يجب ان يتم ذلك اما طبقا للسلطان القضائى للاقليم الذى ارتكبت فى نطاقه الجرائم ، أو امام هيئة أو محكمة دولية تمثل جميع الضحايا أيا كانت جنسياتهم أو دياناتهم •

وفى الكتاب الثانى الذى الفه نفس المؤلف : « الاقلية اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية » نجد دراسة تطبيقية لما استخلصه المؤلف فى دراسته العامة عن « اسرائيل ويهود العالم » •

فى بداية هذا الكتاب يقدم « لمحة عن تاريخ الهجرة اليهودية الى الولايات المتحدة » وفى الفصل الثانى « بعض الخصائص الديموجرافية للاقلية اليهودية الامريكية » وفى الفصول الثلاثة التالية » يدرس الاوضاع الاقتصادية ، والتعليمية ، والدينية للاقلية اليهودية •

ثم يدرس العلاقات بين الاقلية اليهودية والمجتمع الامريكى ، ويخصص فصلا للعلاقة بين الاقلية اليهودية الامريكية والاحزاب السياسية الامريكية • وفى الفصلين الاخيرين يدرس علاقة هذه الاقلية بالصهيونية ، ثم باسرائيل •

والواقع ان الاقلية اليهودية الامريكية تعتبر أكبر

التجمعات اليهودية فى العالم ، ومنها فانها المصدر الاكبر للعون المادى والسياسى لاسرائيل ، علاوة على انها تعمل كجماعة ضغط داخل بلادها تحمل حكومتها على اتخاذ المواقف المؤيدة للسيـاسة الاسرائيلية .

ما هى مميزات العنصر البشرى الذى منه ينبثق النشاط الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لهذه الجماعة ـ أى ما هى الخصائص الديموجرافية للاقلية اليهودية الامريكية ..

أولا : **من ناحيه الحجم** ، قدر الكتاب السنوى اليهـودى عـــددهم الاجمـــالى سنة ١٩٦٧ بـ ٥٫٧٠٠٫٠٠٠ يهودى،أى بنسبة ٢٫٩٦ فى المائة من اجمالى السكان المقدر عددهم ذلك العام بمائتى مليون نسمة . وهكذا تعد الولايات المتحدة مركز الثقل اليهودى الاول فى العالم .

ثانيا : **من ناحية التوزيع** نجد ان هذه الاقلية تتمتع بخاصية **عدم التشتت** . اذ يتضح من توزيع التجمعات اليهودية فى انحاء الولايات المتحدة أن الغالبية العظمى لليهود الامريكيين تتركز فى عدد صغير من المدن الامريكية ، وبخاصة الكبـرى منها ، وعلى الاخص مدينة نيويورك .

ولا يكاد يعيش فى الريف من اليهود الامريكيين أكثر من ٢٫ فى المائة من اجمالى عددهم . وهذا يعطيهم ميزة خاصة فى المجتمع الامريكى لان المدن تلعب دورا هاما فى النشاط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى ، كما أنه يمكن فى هـذه الاوضاع ربطهم فى منظمات خاصة تزيد وزن الاقلية المؤثر . ولقد وفر عدم التشتت أعباء التنظيم وساعد على تكوين تكتلات تمارس ضغطا مؤثرا عند اللزوم .

ويتركز اليهود الامريكيون بصفة خاصة فى نيويورك ـ ففيها يعيش ٤٠ فى المائة من اجمالى عددهم ويمثلون ١٤ فى المائة من سكان المدينة وثلث العنصر الابيض فيها .

وتظهر اهمية **الوضع الاقتصادى لليهـود الامريكيين** من الدعم المالى الذى يقـدمونه لاسرائيل . واذا اخـذنا نيويورك مثلا ، فأن احصائية ١٩٥١ توضح ارتفاع نسبة اليهود فى شرائح الدخل العليا وانخفاضها فى الشرائـح الاقل . بعكس وضع غير اليهود .

ومن ناحية أخرى فان ثلثى اليهود فى نيويورك يقومون باعمال غير يدوية . وفى مجالات الطب والمحاماة وطب الاسنان يشكلون أغلبية المشتغلين بها .

ويتضاءل عددهم فى نقابات العمال ، لان نسبة مساهمة الايدى العاملة اليهودية فى القوى العاملة الامريكية نسبة ضئيلة .

ومما يساعد على سيطرتهم الاقتصادية تحكمهم فى العمليات الوسيطة التى تستخدم فى المجتمعات الرأسمالية لتنمية رأس المال واقتنائه والحصول عليه . اذ يتحكمون فى المهن التى تمثل الجهاز العصبى فى النظام الرأسمالى ، وتعود بارباح طائلة ،مكاتب كبار المحامين ،السماسرة ،شركات الاعلان والتسويق واعمال التسليف .

وهكذا فانه عن طريق الحجم ، وعدم التشتت ، والسيطرة الاقتصادية يصبح للاقلية اليهـودية كجماعة ضـغط وزن يزيد من فعالية تأثيـرها السياسى والاجتماعى .

أما العلاقات بين الاقلية اليهوديه والمجتمـع الامريكى فانه يحكمها نفس المبدأ الصهيونى الذى يرفض الاندماج . ولذلك فان غالبية هذه الجماعة تعيش حياة منعزلة . فالصهيونية الامريكية تخشى اندماج اليهود الامريكيين فى المجتمع الامريكى حتى ولو توافرت ظروف التعايش السلمى وتبادل المصالح بين مختلف طوائف الوطن الواحد . لقد صرح ابا ايبان فى المؤتمر الذى عقده المؤتمر اليهودى الامريكى فى القدس المحتلة سنة ١٩٦٢ : « نريد أن نحدثكم بجلاء ـ فنحن الاسرائيليـون متشائمون ازاء استمراركم فى المعيشة كفئـة يهودية ، وانى أومن بأن ثمة خطرا على بقائكم يهودا لعدم تعرضكم لضغط أو اضطهاد » .

ولقد كان اليهود الامريكيون فى القرن التاسع عشر لا يهتمون بالسياسة ، اما الان فانهم أكثر الطوائف انغماسا فيها . ويتضح من خلال تحليل انتساب اليهود الى كل من الحزبين الرئيسيين أن الثقل اليهودى يزيد فى الحزب الديمقراطى بالمقارنة مع الحرب الجمهورى الا ان انتماء افراد الاقلية اليهودية لكلا الحزبين ادى الى حصولهم على تأييدهما معا .

وتظهر ظاهرة عدم التشتت أهمية الصـوت اليهودى فى انتخابات الرئاسة ، اذ ان نظـام الانتخاب يجعل للولايات الهامة ثقلا خاصا . فمثلا ثلث أصوات نيويورك فى يد اليهود . ويوضح تاريخ الانتخابات فى القرن الحالى أن الاغلبيـة الساحقة من رؤسائها وصلوا للحكم وقد كسبوا أصوات هذه الاقلية . فرغم انهم أقلية الا ان تركزهم فى المدن يجعل لهم ثقلا خاصا .

ويظهر نفس الوضع بالنسبة لاعضاء مجالس

الشيوخ والنواب • **هذا** علاوة على تحكمهم فى **الدعم** المالى للاحزاب الامريكية •

وفى الفصل الثامن من الكتاب يدرس المؤلف علاقة **الصهيونية بالاقليـــة اليهودية فى أمريكا** • ومن المعلوم انه باندلاع الحرب العالمية الثانية انتقل مركز النشاط الصهيونى السياسى الى الولايات المتحدة الامريكية ونشط فيها العمل على كسب تأييد هذه الاقلية الحيوى للمخططات الصهيونية فى فلسطين ـ وذلك عن طريق جذب الرأى العـــام الامريكى والتأثير عليه واستخدامه فى الضغط على الحكومة الامريكية • ولقد استطاعت الصهيونية باستغلال واقع الاقلية اليهودية من حيث الحجم وعدم التشتت ، وعن طريق التنظيم المحكم أن تستخلص من هذه الجماعة تأثيرا يتجاوز حجمها مرات عديدة •

ان المخطط الاعلامى الصهيونى فى أمريكا يقوم على معرفة دقيقة بالمجتمع ، ويخاطبون فيه مراكز القوة منذ اللحظة الاولى • ويركز المخطط على القيادة التى تصنع الرأى وتصوغ الخط السياسى وهذا يتطلب مجهودا أقل ، ويؤدى الى نتائج أكثر فعالية •

وتتبع الصهيونية فى هذا المجال وسائل تهدف الى التخلص من المعارضة فى كافة الاوساط بشتى الوسائل ، والتغلغل فى صفوف النخبة ومذهبة عقول القادة •

وهنا ايضا تستفيد الصهيونية من السيطرة اليهودية على صناعة الافلام ووسائل الاعـــلام الاخرى من اذاعة وتليفزيون وصحافة •

وبالنسبة لمحتوى المضمون الدعائى نفسه فقد اعتمد على عدد من المفاتيح التى تمثل نقطا حساسة فى المجتمع الامريكى • فهم يخاطبون كل طائفة بما يناسبها ، فمن ناحية البروتستانت يستغلون ما ورد فى العهد القديم من نبوات ، وبالنسبة للزنوج يركزون على تعرضهم للاضطهاد والتمييـــز • وبالنسبة للكاثوليك يبرزون أنهم اقلية مثلهم • وفى مخاطبة أهل الشمال حيث تسود النزعة التحررية يقدمون اسرائيل بنظامها المشـــابه للـــولايات المتحدة • وحين يتحدثون الى البيض ذوى النزعة العنصرية يبرزون أن اسرائيل ليست سوى امتداد أوربى داخل المنطقة الاسيوية الافريقية •

وهكذا تستثمر الصهيونية ما تتميز به كل فئة بالوسيلة التى تضمن استجابتها ، وبذلك تكسب تأييد قطاعات واسعة من الجماهير الامر الذى يمهد الطريق للتأثير على المواقف الحكومية •

ولكن الصهيونية هوجمت بعنف من بعض اليهود الامريكيين • ومن ابرز المنظمات اليهودية الحالية المعارضة للصهيونية فى الولايات المتحدة **المجلس الامريكى لليهودية** • وهذه المنظمة على الرغم من قلة عدد اليهود الامريكيين المنضمين اليها نشطة جدا فى الدعاية واتصالات الاروقة ، وهى تؤمن بالديانة اليهودية كتعبير روحى ـ وبأن اليهودى الامريكى لا يستطيع أن يكون امريكيا مخلصا وصهيونيا فى الوقت نفسه • ويرى المجلس أن القومية والدين امران مفترقان وان ليس ليهودى أو لجماعة من اليهود ان يتكلموا باسم جميع اليهود الامريكيين وان اسرائيل ليست الا وطنا لسكانها وهى ليست وطنا لكل اليهود •

وقد استصدر المجلس عام ١٩٦٤ وثيقة مـــن وزارة الخارجية الامريكية لا تعترف بأى علاقة قانونية سياسية مبنية على أساس التعريف الدينى للمواطنين الامريكيين • ولا تنظر للشعب اليهودى كمفهوم فى القانون الدولى •

وعدد المجلس امثلة لانتهاك الصـــهيونيين للقوانين الامريكية مثل نقل اسلحة لفلسطين قبل ١٩٤٨ ، وتكرار تحدث وزير الخارجية الاسرائيلى نيابة عن الشعب اليهودى ، كمـــا أن الوكالات الصهيونية فى الولايات المتحدة تقوم باعمال نيابة عن اسرائيل لا تستطيع هذه القيام بها وينسق السفراء ووزراء اسرائيل عملهم مـــع الوكالات الصـــهيونيه فـــى الدول الاجنبيـــة • ويعلـــن الصهيونيون انهم ينظرون للهجرة كاحدى المتطلبات الرئيسية •

كما أعلن المجلس سنة ١٩٦٥ رفضه لوجود علاقة بين اسرائيل ويهود العالم ، ورفضه للقول بأن لليهود حقا قانونيا وسياسيا فى فلسطين •

ولكن المجلس مع معارضته للصهيونية يرى أن وجود اسرائيل اصبح أمرا لا يقبل الشك ، وان السبيل لحل النزاع العربى الاسرائيلى هو اللجوء للمفاوضات المباشرة • وهو لا يرى مانعا من تأييد اسرائيل والعطف عليها بشرط عدم تعارض ذلك مع الولاء لامريكا •

وقد طلب المجلس بعد العدوان الاخير من اليهود الامريكيين وضع مصلحة امريكا فى المرتبة الاولى وطالب بحياد الحكومة الامريكية فى النـــزاع وعارض فى ضم القدس •

والواقع انه مع نجاح برامج الصهيونية فى تجنيد عدد من اليهود فان العديد منهم يبتعدون عن الانتماء للصهيونية ، وعبر عن ذلك جولدمان اذقال ان أكثرية اليهود الامريكيين ترفض قبول مبدأ

العمل اليهودى الدولى الموحد وبالتالى تحجم عن الانتساب للمنظمات الدولية اليهودية .

وأصبحت الحركة الصهيونية الامريكية تعانى من فتور الحماس لها نتيجة لمناخ الحرية الذى يعيش فيه اليهود الامريكيون فضلا عن ان قوة مقاومتهم لتيار الاندماج مع المجتمع الامريكى بدأت تضعف مع مرور الوقت . وأصبحت الاجيال اليهودية الامريكية الاحدث اكثر ميلا للتفاعل مع الجو الثقافى والاجتماعى المحيط بها والحقوق المتساوية والرفاهية الاقتصادية التى تتمتع بها .

ولقد وصف جولدمان مخاطر هذا التطور بقوله انها مشكلة أكبر من اللاسامية والعوز الاقتصادى .

وفى الفصل الاخير من الكتاب يعرض المؤلف للعلاقه بين الاقلية اليهوديه الامريكية واسرائيل .

ولقد رأينا ان ثمة تيارين يتنازعان الاقلية ـ التيار اليهودى الذى يرى ان اليهودية دين وانها لاتمس ولاء المنتمين اليهــا لامريكا ، وان عليهم أن يسيروا مع الامة دون تحفظ أو ولاء متطور ـ والتيار الصهيونى الذى يرى أن هناك رابطة بين يهود العالم تربطهم باسرائيل وان اليهود جزء من شعب دولى . وهذا التيار يمارس نشاطه عن طريق الدعم المالى لاسرائيل ، ويمــارس للحصول على هذه الاموال انواعا من الضغط . ويقدم لاسرائيل اموالا ضخمة تتوقف عليها حياة اسرائيل .

كما أنه يزود اسرائيل بالدعم البشرى . وهنا تبرز اهمية هجرة اليهود الامريكيين لاسرائيــل لموازنة اعداد المهاجرين من اليهود الشرقييــن المتزايدة وارتفاع نسبة المواليد بينهم ، ولحاجتهم الى الفنيين والمثقفين .

ولكن اسرائيل تلاقى صعوبة بالغة فى هجرة اليهود الامريكيين اليها نظرا للرفاهية الاقتصادية والاوضاع الملائمة التى يعيشون فيها فى الولايات المتحدة . بل ان هناك هجرة عكسية لليهــود الامريكيين من اسرائيل الى الولايات المتحدة . ولهذا فان جهود اسرائيل لن تنجح فى هذا المجال ، وستكتفى باستمرار الدعم المادى لليهود الامريكيين لاسرائيل ، فضلا عن استخدام الاقلية اليهودية الامريكية للحصول على الدعم السياسى الامريكى لمواقفها .

ويكفى استعراض المواقف الامريكية المتوالية نحو اسرائيل لمعرفة مدى ما تحدثه هذه الاقلية من تأثير . سواء من النــاحية الســياسية ، أو

حــول التعليــق علــى كتـــاب تـــاريــخ الفكــر الاشــتراكى فى مصر

رفعت السعيد

يتعين على ان ابدأ بشكر الاستاذ/ ابوسيفة يوسف على تقييمه لشخصى تقييما يفوق ـ دون اى ادعاء للتواضع ـ كل ما استحق .

اما تعليقــه على كتابى « تاريخ الفــكر الاشتراكى فى مصر » فاننى اختلف معه فيه فى عديد من النقاط سأركز هنا فى هذه العجالة على النقاط الاساسية منها :

● اتفق مع الاستاذ/ ابوسيفه فى اننا نختلف معا فى المنهج الذى كان يتعين اتباعه، فهــو يريد منى كباحث فى تاريخ المفــكرين الاشتراكيين المصريين ان ابحث عن آب أوربى لكل فكرة ترددت على لسان هؤلاء المفكرين .

فرفاعه الطهطاوى اما برودونى او أى شيء آخر .

وشميل من اتباع بخنر .. وهكذا .

وانا ازعم ان هذا منهج غير علمى ، حقيقة ان الباحث قد يجد ان مفكرا قد تأثر كثيرا او قليلا بمفكر آخر ، ومن ثم يتعين عليه اعلان ذلك وقد حدث هــذا فعلا بالنســبة للكتاب موضوع النقاش.فسلامة موسى فابى، والكواكبى مفكر اسلامى والقارىء المجهول قلت انه متأثر بماركس .

لكنه ليس شرطا ان نبحث لكل مفكر عن « خانه » نضعه فيها قسرا . فثمة مفكرين كثيرين درسوا وتمثلوا آراء عديد ممن سبقوهم او عاصروهم ثم مزجوا ذلك كله واستخلصوا منه شيئا جديدا يصعب وضعه فى خانه من الخانات السابقة عليهم .

● اختلف مع الاستاذ/ ابوسيف فى ان رفاعه الطهطاوى من اتباع برودون . ربما تأثر به لكنه تأثر بغيره ايضا . وليس صحيحا كذلك ان الطهطاوى كان مفكر الطبقة الوسطى ... فأية طبقة وسطى هذه الذى ينادى ممثلها بأن « العمل اساس كل قيمة » وبأن « حق التمليك ووضع اليد على المزارع .. يجعل المالكون يعتقدون انهم ارباب أســتحقاق عظيم وانهم الاولى بالسعادة والغنى .. وان من عداهم من اهل المملكة لا يستحق من محصول الارض شيئا الا فى مقابل خدمته .. واخيرا بقول رفاعــه « وهذه التمليلات محض مغالطــة »

ان رفاعه يهاجم الملاك جميعا وهذه مسألة تستحق التأمل .

وثمة براهين اخرى كثيرة ، لكن ضيق المقام لا يسمح بايرادها .

● اختلف مع الاستاذ ابوسيف ايضا فى قوله ان شبلى شميل قد وقع تحت التأثير الكلى لبخنر ، والصحيح ان شميل تأثر ببخنر وخاصة فى مستهل حياته ، لكن الصحيح ايضا انه تأثر بغيره .

الاقتصادية • يكفى أن نعلم انه فى الفترة بين ١٩٤٨ ، ١٩٥٩ حصلت اسرائيل على ضعف معونات البلاد العربية كلها مجتمعة •

هذا فضلا عن مختلف انواع الاسلحة •

ويأتى فى النهاية المتطوعون الامريكيون فى القوات المسلحة الاسرائيلية •

وبعد ...

فان الهدف الاول الذى تضعه الصهيونية العالمية واسرائيل امامهما هو تأكيد « **اغتراب** » اليهود فى كل مجتمع يعيشون فيه ، سواء عن طريق نشر ايديولوجية تقوم على اساس عنصرى بينهم ، أو بجهود مخططة ومركزة ومستمرة لعزلهم عن مجتمعاتهم ، ثم ربطهم بالمنظمة والدولة • مع خلق الابنية القانونية والمؤسسات العاملة لتحقيق هذا العزل تمهيدا لجمعهم فى ارض فلسطين •

هذا الاغتراب يأخذ شكله المادى حين ننظر الى العلاقة التى نشأت عبر الاجيال ، وبسبب الظروف الاجتماعية والسياسية المتراكمة بين اليهود والانتاج • فالملاحظ ان أغلبية هؤلاء لا يعملون فى المجالات والوظائف المرتبطة مباشرة بالانتاج ـ كعمال فى الزراعة او الصناعة • وهذا ما رأيناه واضحا تماما عندما عرضنا للاقلية اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية •

ويعطى اغتراب الاقلية الفرصة المناسبة كى تحتويها قوى الاستعمار العالمى، وتستخدمها وسيلة لتحقيق أهدافها فى مختلف بلاد العالم • وهذا ما حدث فعلا بالنسبة للحركة الصهيونية • ان مذكرات هرتزل تكشف بصراحة لا غموض فيها أنه كان يدعم مقترحاته فى شأن ترحيل اليهود من بلادهم وجمعهم فى مكان واحد ـ بحجة مزدوجة ، أولا ـ ان ترحيل اليهود وهم يشكلون احدى القوى الساخطة فى المجتمع، والذين تظهر بينهم حركات الثورة على الاوضاع القائمة سيحرم قوى الثورة الداخلية من أحد عناصرها • وثانيا ـ ان جمع اليهود فى فلسطين سيخدم اهداف الاستعمار البريطانى فى المنطقة، ويكون ركيزة لها بعد أن يعود الحكم الى الشرقيين فيها •

وما زال الاغتراب هو الذى يحرك اسرائيل • فهى فى حقيقة الامر تمثل « جيتو » كبير ، معزول عن المنطقة ،وتحتويه قوى الرجعية العالمية لتنفيذ مخططاتها لتصفية قوى الثورة فى المنطقة ، ولابقاء النفوذ الامبريالى فيها •.

بل ان شميل يهاجم بخنر فى بعض كتاباته قائلا « ومع انه من غلاة الماديين المعاصرين ، الا انه لم يستطع ان ينجو من مفعول تربية الاحلام الخيالية .. لان كلامه هذا شعرى لا معنى له. لقد استهوته المعانى الشعرية والفاظها الفارغة » .

كذلك فاننى ارفض بشدة محاولة الاستاذ ابوسيف يوسف موقف شميل من نظرية دارون بانه محاولة لاستخدام نظرية داروين «كفرملة» لوقف التطور الثورى فى المجتمعات الرأسمالية

والصحيح ان شميل استخدم نظرية داروين كأداة لنشر الوعى العلمى والمنهج العلمى فى التفكير ولمحاربة الافكار الرجعية والبالية ... ومع ذلك فقد تخلص من كل آثارها فيما يتعلق بالموقف من الثورة .

فشميل داعية للثورة ،بل وداعية لثورة يقول عنها انها « ثورة تنصر الشعوب فيها بعضها بعضا ، والامم بعضها بعضا ، ينصرون بعضهم على حكوماتهم لقلبها وابدالها بما يكون اوفق لروح العصر واحفظ لمصلحة الجمهور » ، وفى مكان آخر ينادى شميل « بثورة العمال ضد اصحاب المال » .

كذلك فاننى ازعم ان شميل لم يكن فقط مؤمنا بالجدل لكنه قد قدم صياغة عربية ممتازة لقوانين الجدل جميعا يضيق المقام عن ايرادها

● كذلك اختلف تماما مع قول الاستاذ ابوسيف « ان القضية التى كانت تحتاج الى تأصيل اكثر فى الكتاب هى اننا بازاء مجموعة من المفكرين الاشتراكيين الطوباويين الذين عاشوا فى مصر .. »

والذى اختلف فيه هو وصف هؤلاء المفكرين بانهم جميعا ودون استثناء « طوباويون » .

ان الطوباويين هم أناس رسموا احلاما حول مجتمع اشتراكى لكنهم « عجزوا عن اكتشاف الطرق المؤدية لتحقيق هذا المجتمع » .

لكننا نجد امامنا ـ على الاقل بالنسبة لعدد من هؤلاء المفكرين ـ جهودا خلاقة تتحدث عن الثورة وعن ضرورتها كسبيل لتغيير المجتمع الرأسمالى الى مجتمع اشتراكى . بل ويحدد بعضها ان المطلوب هو « ثورة للعمال » كما رأينا فى كتابات شميل .

ختاما لست اريد ان اؤكد ان كل ما اوردت فى كتابى صحيح مائة بالمائة ، لكننى مع ذلك اصمم على اننا لازلنا لا نقدر مفكرينا القدامى تقديرا كافيا وان الكثيرين منا ينظرون اليهم ـ لا ادرى لماذا ـ نظرة المتشكك الباحث عن السلبيات قبل الايجابيات غير مقدرين انهم كانوا روادا فى طريق بالغ الصعوبة وبالغ الخطر وغير مقدرين طبيعة الظروف التى رددوا فيها افكارهم .

وعلى اية حال فان دراسة تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر اوسع واضخم من ان تكون مجالا لجهد فردى ، وستظل بحاجة دوما الى مزيد من الجهود المتأنية ، ولن يكون كتابى ـ مهما بالغت فى تقديره ـ سوى خطوة على طريق لابد وان يشغله الكثيرون بابحاثهم ودراساتهم .

وثائق

وثائق تاريخية عن:

مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

١٨

القسم الثانى

لينين

الانقضاض والتطويق

نتابع نشر نصوص كتابات لينين عن مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية فى تقرير « الانقضاض والتطويق » يعالج لينين مشكلة الانتقال من « السياسة الاقتصادية القديمة » الى تكتيك جديد يتناسب مع الظروف المتغيرة «السياسة الاقتصادية الجديدة » ما اصطلح على تسميته « بالنيب »، وهى السياسة التى تعتمد على نظام رأسمالية الدول الاشتراكية ٠ وهو نموذج للمرونة والوحدة الجدلية بين الاهداف ووسائل تحقيقها والمبادرة فى الوقت المناسب الى تغيير التكتيك للتوصل الى افضل السبل لانجاز الهدف الرئيسى المحدد ٠

وقد نشرنا في العدد السابق الجزء الاول من كتابات لينين حول هذه المشكلة تحت عنوان « قضية الدولة في المرحلة الأولى للبناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٣ »

وفي العددين ١٠، ١١ من الطليعة نشرنا المقدمة التمهيدية التي يقدم بها الاستاذ شارل بتلهايم لنصوص وثائق مرحلة الانتقال . وقد تناولت موضوعين « ملاحظات شبه ابستمولوجية » « والجمود التروتسكي » .



السياسة الاقتصادية الجديدة

تقرير قدم في الجلسة المنعقدة يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢١

أيها الرفاق : يهمني قبل ان اتناول معالجة السياسة الاقتصادية الجديدة ان اذكر لكم ان فهمي لهذا الموضوع قد يختلف عما يترقبه كثير من الرفاق الحاضرين في هذا الاجتماع . وانا على وجه الدقة ، لا استطيع ان اعالج في هذا المجال ، سوى جانب ضئيل من الموضوع .

والامر الذي قد يثير الاهتمام في هذا المجال ، هو بطبيعة الحال ، تقديرنا في الحكم على القوانين والقرارات التي اصدرتها سلطة السوفييت اخيرا في شأن السياسة الاقتصادية الجديدة . ويزداد الاهتمام – بحق – بمثل هذه المسائل ، نظرا لتزايد عدد القوانين ، ونظرا للشعور المتزايد بالحاجة الى ترتيبها وتلخيصها وجعلها فعالة . على انه بحسب ملاحظاتي في مجلس قوميسيري الشعب (مجلس وزراء الشعب) ، ارى هذه الحاجة تبرز اليوم بشكل ملح ، كما ارى ان الرغبة في الالمام بالوقائع والارقام المطروحة امامنا عن حصيلة السياسة الاقتصادية الجديدة امرا طبيعيا للغاية .

حقا ان مجموع الوقائع والارقام التي تم التأكد من صحتها ومراجعتها مازال قليلا جدا ، على انه مما لاشك فيه ان دراسة السياسة الاقتصادية الجديدة تستدعي بالضرورة متابعة الوقائع مع محاولة تلخيصها . ولكنني لن استطيع معالجة اي من هذين الموضوعين . وانا على يقين – اذا كانت هذه المسائل تثير اهتمامكم – انكم سوف تجدون المقررين المختصين بها . اما الذي يعنيني ، فهو قضية اخرى قضية التكتيك ، او بتعبير آخر ، قضية استراتيجية الثورة التي تعمل على وضعها في التطبيق مرتبطة بانعطافة سياستنا . ومؤدى هذه القضية هو معرفة الى اي مدى تتمشى هذه السياسة مع مفهومنا العام عن مهامنا ، من جهة ، والى اي حد يتطابق رأى الحزب ووعيه ، في الوقت الحاضر مع ضرورة هذه السياسة الجديدة . تلك هي المسألة بالتحديد التي اريد تكريس الحديث عنها ولا مسألة سواها

ان مايثير اهتمامي – باديء ذي بدء – هو معرفة الى اي حد من حقنا ان نحكم على سياستنا الاقتصادية السابقة بانها كانت خاطئة ، في الوقت الذي نقيم فيه سياستنا الاقتصادية الجديدة – وترتيبا على ذلك مامدى فائدة وضرورة الحكم على تلك السياسة الاقتصادية القديمة .

واعتقد ان هذه المسألة مهمة لانها تمكننا من تقدير ابعاد اتفاقنا اليوم داخل الحزب حول المسائل الجوهرية في سياستنا الاقتصادية الحالية .

هل على الحزب ان يقصر اهتمامه اليوم على المسائل المحددة التي تثيرها تلك السياسة

الاقتصادية ، ام عليه ان يعنى — ولو من وقت الى آخر — بدراسة الظروف العامة لهذه السياسة ومعرفة ما اذا كانت يقظة الحزب ووعيه ومصلحته تستجيب لهذه الظروف العامة • وعندى ان السياسة الاقتصادية الجديدة ليست واضحة — حتى اليوم — بالقدر الكافى امام جماهير الحزب العريضة ، وارى اننا لن نستطيع انجاز مهامنا ، تلك المهام التى تتمثل فى خلق قواعد سياستنا الاقتصادية الجديدة واعطائها اتجاها محددا اذا لم ندرك بوضوح مافى سياستنا الاقتصادية السابقة من خطأ •

ومن أجل ايضاح هذه الفكرة ، ورغبة فى تحديد ابعاد الخطأ الذى وقعت فيه السياسة الاقتصادية السابقة ، استبيح لنفسى ان اقدم لكم حادثة من الحرب الروسية اليابانية ، على سبيل المثال • وفى اعتقادى ان هذا المثل سوف يعيننا على ان نفهم ، بشكل ادق ، ارتباط مختلف النظم والمناهج السياسية ، بعضها بالبعض الاخر خلال ثورة كثورتنا ••• وهذا هو مثل استيلاء الجنرال اليابانى نوجى على بورت آرثر • والذى يعنينا بشكل خاص من هذا المثل ، هو ان الاستيلاء على بورت آرثر تم على مرحلتين مختلفتين كل الاختلاف • ففى المرحلة الاولى منيت جميع هجمات اليابانيين بالفشل وتكبد الجنرال اليابانى المعروف عددا ضخما من الضحايا • اما المرحلة الثانية فقد بدأت عندما اضطر اليابانيون الى وضع الحصار حول القلعة ، مستخدمين فى ذلك قواعد الفن العسكرى جميعها • وكان الحصار صعبا وشاقا وبطيئا ، الا انه قد تم بهذه الوسيلة الاستيلاء على القلعة بعد فترة من الزمن •

وعندما نتدارس هذه الوقائع يثور فى اذهاننا بطبيعة الحال السؤال التالى : الى اى حد من حقنا ان نحكم بخطأ التكتيك الاول الذى اتبعه الجنرال اليابانى للاستيلاء على القلعة — هل كان من الخطأ ان يشن تلك الهجمات على بورت آرثر ؟ واذا كانت هذه الهجمات خاطئة فما هى الظروف التى يجب ان يتم فيها الاعتراف بذلك الخطأ حتى يستطيع الجيش اليابانى انجاز مهامه ؟ والى اى مدى يجب ان يتم الاعتراف بهذا الخطأ ؟

يبدو لاول وهلة ، وكأن الرد على هذا السؤال امر فى منتهى البساطة، ذلك انه طالما فشلت الهجمات العديدة التى شنت على بورت آرثر — وهذه حقيقة — وطالما كانت خسائر المهاجمين فادحة — وهذا لا يمكن انكاره — فمن البديهى ان وصف هذا التكتيك بالخطأ تكتيك الانقضاض المباشر على قلعة بورت آرثر — أمر ليس فى حاجة للتدليل عليه • غير اننا — من جهة اخرى — ونحن نواجه موضوعا ذا جوانب كثيرة مجهولة — وطالما لم نتحصل على التجربة العملية اللازمة — فمن الميسور لنا ان ندرك صعوبة ان نحدد — بدقة كاملة او على الاقل بدقة كافية — الوسيلة التى ينبغى استخدامها ضد قلعة العدو • فمن غير المستطاع تحديد هذه الوسيلة قبل ان يتم اولا اختبار مناعة هذه القلعة اختبارا عمليا ، ومناعة استحكاماتها ، واختبار حاميتها •• ولا يستطيع اكبر القادة — ولا شك ان الجنرال نوجى يعد واحدا منهم — اختيار التكتيك المناسب للاستيلاء على القلعة ، دون ان يكون ملما بهذه المعلومات •

ومن جهة اخرى ، يقتضى الهدف الكلى للحرب ووجوب انهائها بالنصر ، ان يتم حل هذه القضية على اسرع وجه • وفى نفس الوقت كانت هناك امكانيات واسعة لتعويض الخسائر تعويضا كبيرا اذا استدعى الامر تكبد خسائر فادحة للاستيلاء على القلعة بالانقضاض عليها • وكانت هذه الامكانيات تتيح للجيش اليابانى القيام بعمليات عسكرية فى جبهات أخرى ، كما تتيح له انجاز احد المهام الاساسية قبل ان يسمح الوقت للعدو — اى الجيش الروسى — بتزويد الجبهة البعيدة بالامدادات ذات الاهمية ، وان يحسن اعدادها والتى قد يجعل منها قوة أكبر من قوة الجيش اليابانى ».

واستنادا الى دراسة تطور العملية العسكرية فى مجموعها ودراسة الظروف التى عمل فيها الجيش اليابانى ، نستطيع القول بان الهجمات التى شنت على بورت آرثر تشهد ببسالة الجيش اليابانى الفائقة ، وقد تحمل اكبر التضحيات • ليس هذا فحسب ، بل كانت تلك الهجمات تمثل التكتيك الوحيد الممكن فى هذه الظروف ، بمعنى انه كان عند بدء العمليات ، هو التكتيك الوحيد المفيد والضرورى • ولاشك انه لم يكن هناك وقتذاك ما يدعو — قبل الاختبار العملى لقدرة القوات على الاستيلاء على القلعة انقضاضا — ودون امتحان لمدى مقاومة العدو — الى الدخول فى معركة طويلة جدا وشاقة جدا •• معركة كان يترتب عليها — نظرا لطولها هذا — اخطار من طبيعة اخرى • فاذا نظرنا الى العملية ككل ، لوجدنا الجزء الاول منها — اى الانقضاضات والهجمات — شيئا ضروريا ومفيدا ، لانه ماكان للجيش اليابانى — كما قلت — أن يلم قبل هذه التجربة بالظروف الواقعية للمعركة الماما كافيا •

فماذا كانت حالة الجيش اليابانى عندما انتهت مرحلة الانقضاضات على قلعة العدو ؟

لقد سقط فى الميدان الوقت عديدة من الجنود ، الا ان الاستيلاء على القلعة ما كان ليتم بهذه الوسيلة حتى وان فقد الجيش عدة الوف اخرى . هكذا كان الوضع حين ايقن جزء من الجيش أو أغلبيته بوجوب العدول عن الهجوم والقيام بالحصار . واذ اتضح خطأ هذا التكتيك وجب وضع حد لهذا الخطأ ووجب الاقرار بأن كل مايرتبط بهذا التكتيك يشكل عقبة امام العمل الذى يجب ان يتم طبقا لخطة جديدة . يجب اذن العدول عن الهجوم وبدء الحصار . يجب تغيير مواقع الجيوش والعتاد . هذا عدا الاعمال والوسائل الخاصة الاخرى .

يجب الاعتراف بان الخطأ قد استمر حتى هذا الوقت - على ان يكون الاعتراف واضحا ودقيقا وحاسما للغاية ، وذلك اتقاء للعقبات التى قد تعترض سير الاستراتيجية والتكتيك الجديدين للعمليات التى ينبغى ان تتخذ - منذ ذلك الوقت - اتجاها مختلفا تماما . وقد توجت هذه العمليات بالنصر كما نعلم رغم انها استغرقت مدة اطول مما كان مفترضا .

ويصلح هذا المثل - كما اعتقد - لتفهم الحالة التى وجدت فيها ثورتنا حين كان عليها ان تنجز مهامها الاشتراكية فى البناء الاقتصادى . ونستطيع ان نميز فى هذا الصدد مرحلتين اولاهما من بداية سنة ١٩١٨ تقريبا الى ربيع سنة ١٩٢١ والثانية تعقب ذلك .

وباسترجاع التصريحات الرسمية وغيرها التى أدلى بها حزبنا منذ أواخر سنة ١٩١٧ حتى بداية سنة ١٩١٨ ، ستلحظون أننا كنا ندرك منذ ذلك العهد أنه يمكن من أجل تطور الثورة ، وتطور المعركة ، سلوك طريقين : أحدهما قصير نسبيا ، والاخر طويل جدا وشاق جدا .

غير أننا كنا نعتمد على فرض الانتقال المباشر للبناء الاشتراكى . كان ذلك هو موقفنا - فى سبيل تقدير احتمالات التطور ، وأنا لا أذكر استثناء ما ، ولو انه لم يعبر دائما عن هذا الفرض تعبيرا صريحا ، الا أنه كان مفهوما دائما بشكل ضمنى . وقد أعدت عن عمد - وعلى سبيل المثال - قراءة كتاباتنا فى مارس وابريل سنة ١٩١٨ عن مهام ثورتنا فى مجال البناء الاشتراكى ، فاقتنعت بأن هذا الفرض كان قائما بالفعل .

لقد انتهينا فى ذلك الوقت من حل قضية أساسية ، قضية تحتل من الناحية السياسية مركز الصدارة ... أعنى قضية الاستيلاء على السلطة واقامة نظام الدولة السوفيتية محل النظام البرلمانى البرجوازى القديم . ثم انسحبنا من الحرب الامبريالية - ولم يكن ممكنا أن يتم لنا هذا الانسحاب - كما نعلم - الا بتحمل تضحيات فادحة للغاية بابرام معاهدة بريست ليتوفسك للسلام بشروط تكاد لا تحتمل ، ومذلة اذلالا لم يعرف التاريخ له مثيلا . وقد بدت فى هذه المرحلة - من مارس سنة ١٩١٨ حتى صيف هذه السنة - أى بعد ابرام اتفاقية السلام - ان المهام العسكرية قد انجزت فعلا . ولكن الاحداث دلت بعد ذلك على خلاف هذا . فعندما خرجنا من الحرب الامبريالية سنة ١٩١٨ ، دخلنا فى مرحلة الحرب الاهلية التى بدأت تلوح بوادرها فى وضوح متزايد منذ تمرد التشيكوسلوفاكيين فى صيف سنة ١٩١٨ .

وكنا نواجه مناهج الانتقال التدريجى - فى حديثنا وقتئذ عن مهامنا ، أى فى مارس وابريل سنة ١٩١٨ - بمناهج عمل تعنى أولا بمصادرة أموال الغاصبين . وقد اتسمت الشهور الاولى لثورتنا بهذه المناهج ، أى نهاية سنة ١٩١٧ وبداية سنة ١٩١٨ . وقلنا منذ ذلك العهد ان عملنا فى تنظيم الجرد والرقابة يختلف كثيرا عن عملنا فى مصادرة أموال الغاصبين . ومعنى هذا أننا صادرنا أموالا بقدر يفوق قدرتنا على جرد تلك الاموال ورقابتها وتوجيهها .. وعليه ، كان ينبغى الانتقال من مصادرة وتخريب سلطة المستغلين والغاصبين الى تنظيم عمليات الجرد والرقابة ، أى أنه كان علينا أن نعالج مهام البناء العاجلة التى يمكن وصفها بأنها مهام دون المستوى الذى تتوق النفس الى تحقيقه . وقد اضطررنا منذ ذلك الوقت الى التراجع فى أكثر من مسألة . ومن هذا القبيل ، طرحت فى مارس وأبريل سنة ١٩١٨ مسألة مرتبات الاخصائيين ، آخذين فى الاعتبار العلاقات البرجوازية وليس العلاقات الرأسمالية ، أى طرحت مسألة منح الاخصائيين مرتباتهم - لا بالنظر الى صعوبة العمل وظروفه الشاقة للغاية - ولكن استجابة للعادات البرجوازية وظروف المجتمع البرجوازى . لم يكن فى برنامج حكومة السوفييت منح مرتبات مرتفعة ارتفاعا استثنائيا على مستوى المرتبات فى النظام البرجوازى ، وكان هذا يتعارض مع كثير من القوانين التى صدرت فى نهاية سنة ١٩١٧ ، غير أن حزبنا قالها بصراحة فى بداية سنة ١٩١٨ ، انه علينا أن نتراجع خطوة الى الوراء فى هذه المسألة ، وأن نتقبل قدرا من « المساومة » (استخدم العبارة التى كانت مستعملة آنذاك) . وقد أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا قرارا بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩١٨ يقر تغيير نظام مرتبات الاخصائيين بأسره .

لقد كانت نظرتنا الى البناء الاشتراكى الذى أعطيناه فى ذلك الوقت مركز الصدارة ، نظرة من زاوية واحدة ، ذلك ان هدفنا كان

الانتقال المباشر للاشتراكية مع تجنب المرحلة الاولية ـ مرحلة ترويض الاقتصاد القديم للتمشى مع الاقتصاد الاشتراكى ، ظنا منا اننا أقمنا نظاما اقتصاديا جديدا للانتاج والتوزيع يختلف عن سابقه بمجرد قيامنا بتنظيم الانتاج والتوزيع عن طريق الدولة • كنا نعتقد أن هذين النظامين ـ أى نظام الانتاج والتوزيع عن طريق الدولة ، ونظام الانتاج والتوزيع الخاص ـ سوف يتشابكان فى ظروف تتيح لنا تنظيم الانتاج والتوزيع كله بواسطة الدولة ، وذلك بدحر نظام العدو خطوة بعد اخرى ، وكنا نقول بأن مهمتنا تقتضى منذ ذلك الوقت تنظيم الجرد أكثر مما تقتضى مصادرة أموال الغاصبين ، كما تقتضى رفع انتاجية العمل وتدعيم الانضباط أكثر مما تقتضى تنظيم الرقابه • هذا ما قلناه فى مارس وابريل سنة ١٩١٨ ، غير اننا لم نتساءل اطلاقا ، ماذا تكون عليه علاقات اقتصادنا بالسوق وبالتجارة •

وعندما طرحنا مثلا فى ربيع سنة ١٩١٨ مسألة رأسمالية الدولة ، بمناسبة الحملة النقاشية على بعض الرفاق المعادين لاتفاقية برست ليتوفسك للسلام ـ لم نقل ان ذلك سيكون خطوة الى الوراء ، وقلنا ان مهامنا الاشتراكية سيقترب تحقيقها اذا كانت رأسمالية الدولة هى النظام الاقتصادى السائد فى روسيا • تلك هى النقطة التى أريد توجيه نظركم اليها على وجه خاص ، فذلك ضرورى لادراك معنى ومدى التغيير الذى طرأ على سياستنا الاقتصادية •

سأقدم لكم مثالا يبين بمزيد من الوضوح والدقة الظروف التى دارت فيها معركتنا ، اذ أتيحت لى أخيرا فرصة الاطلاع فى موسكو على نشرة للاعلانات الخاصة • فقد بدت لى نشرة الاعلانات هذه ـ بعد مرور ثلاث سنوات على السياسة الاقتصادية السابقة ـ شيئا عجيبا حقا ، شيئا جديدا وغريبا جدا ، غير انه ليس فى هذا الشىء ما يدعو للعجب من زاوية المناهج العامة لسياستنا الاقتصادية • عندما نتأمل فى هذا المثل البسيط مع مدلوله الهام ، ينبغى أن نذكر كيف دارت معركتنا وماذا كانت أهدافها ومناهجها أثناء الثورة منظورا اليها فى مجموعها •

ان من أوائل القوانين التى صدرت فى نهاية سنة ١٩١٧ قانون يمنح للدولة حق احتكار الاعلانات • فما مدلول هذا القانون ؟ انه يعنى ان البروليتاريا ـ وقد استولت على السلطة السياسية ـ كانت تستهدف اقامة علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وانجاز هذا التحول بأوسع الخطوات الممكنة ـ يعنى ان البروليتاريا كانت لا تهدف الى الغاء الصحافة الخاصة ، بل اخضاعها لنوع من رقابة الدولة وتوجيهها فى طريق رأسمالية الدولة • وكان قانون منح الدولة حق احتكار الاعلانات يتضمن مبدئيا بقاء صحف خاصة فى البلاد ، والاحتفاظ بالسياسة الاقتصادية التى تتطلب اعلانات خاصة ، والابقاء أيضا على نظام الملكية الخاصة ، واستمرار بقاء مجموعة من المؤسسات الخاصة التى فى حاجة الى دعاية واعلان • هكذا كان مفهوم قانون احتكار الاعلانات ، وهكذا يجب أن يكون • وفى قوانين المصارف والعمليات المالية ما يشابه هذا الوضع غير اننى سأسكت عنها منعا لتعقيد المثل الذى سقته •

ماذا كان مصير قانون احتكار الاعلانات الخاصة الذى نشر فى الاسابيع الاولى للنظام السوفيتى ؟ سرعان ما انتهى أمره وصار الى العدم • وعندما نسترجع اليوم تطور المعركة والظروف التى دارت فيها ، لا يسعنا سوى الابتسام من فرط سذاجتنا حين فكرنا أن نقيم فى أواخر سنة ١٩١٧ احتكار الاعلانات الخاصة • أى نوع من الاعلانات الخاصة فى تلك الفترة النضالية العصيبة ؟! لقد كان رد العدو ـ أى الاوساط الرأسمالية ـ على هذا القانون الذى أصدرته حكومة السوفييت ، هو الاستمرار فى المعركة الى النهاية ـ وتوصيلها الى الذروة • هذا القانون كان يفترض ان النظام السوفيتى ودكتاتورية البروليتاريا أصبحا على درجة من القوة بحيث لا يمكن أن يكون هناك نظام اقتصادى آخر خلاف هذا النظام الذى أقامه العهد الجديد • وكان يفترض أن جميع أصحاب المؤسسات وكل أرباب الاعمال سيخضعون حتما لهذا النظام الاقتصادى الجديد ، ويقبلون استمرار المعركة على الارض التى حددناها لهم نحن السلطة السياسية • قلنا لهم وقتذاك : ستحتفظون بالنشرات الخاصة وستكون لكم المبادرة فى مؤسساتكم ، وستحتفظون بحرية نشر الاعلانات اللازمة لتنمية مؤسساتكم .. ستكتفى الدولة بفرض ضريبة على تلك الاعلانات ويقتصر عملها بعد ذلك على جمعها بين أيديها •• ونحن لا نلغى نظام الاعلانات الخاصة على الاطلاق ، بل ندعكم تستفيدون من المزايا الناتجة عن تركيز الدعاية تركيزا سليما •

الا اننا أرغمنا ـ فى حقيقة الامر ـ على الدخول فى المعركة على أرض مختلفة تماما ، فقد أجاب العدو ـ أى طبقة العناصر البرجوازية الرأسماليين ـ على هذا القانون الذى أصدرته دولتنا ، برد سلطة الدولة بأسرها • فلا يمكن أن يكون هناك محل لأى

نوع من الاعلانات ، اذا قامت كل العناصر البرجوازية والرأسمالية — التى كانت لاتزال باقية فى ظل نظامنا — بتوجيه كل قواها منذ ذلك الوقتنحو الكفاححولقواعد السلطة نفسها . لقد تقدمنا للرأسماليين وقتذاك بالعرض التالى:«اناخضعوا للوائحالدولة، اخضعوا لسلطة الدولة ، ونحن لن نلغى بشكل كامل الظروف المرتبطة بالمصالح السابقة وبعادات وأفكار الشعب القديمة ، بل سنجرى تغيير كل هذا تدريجيا بلوائح الدولة » • وقد رد الرأسماليون علينا بطرح قضية وجودنا نفسها • ان التكتيك الذى

اتبعته طبقةالرأسماليين تتمثلفى ارغامنا على الدخول فى معركة يائسة لا هوادة فيها ، معركة أجبرتنا على الانتهاء من العلاقات القديمة على مستوى أشد قسوة مما كنا نبتغيه •

التقرير السياسى

المقدم من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) لروسيا فى ٢٧ مارس

لقد تحسنت أوضاعنا بقدر كبير على الصعيد العالمى • فقد حصلنا على شكل الدولة السوفيتية ، وتلك خطوة الى الامام سجلتها الانسانية بأسرها •• هذا ما تؤكده لنا الاممية الشيوعية بالاخبار التى تأتى تباعا من كافة البلاد ، وهذا أمر لا يشك فيه انسان • أما فيما يختص بالنشاط العملى ، فالامور تتضح كالاتى : اذا كان الشيوعيون عاجزين عن مساعدة الجماهير الفلاحية عمليا ، فسوف لا تساندهم تلك الجماهير •

لا يجب أن يكون محور اهتمامنا هو اصدار التشريعات ونشر القوانين الممتازة •• لقد اجتزنا مرحلة كانت القوانين فيها شكلا منأشكال الدعاية، وكانوا يهزأون بنا •• ويقولون ان البلاشفة لا يدركون أن قوانينهم لا تطبق • وكانت صحافة الحرس الابيض تزخر فى هذا الشأن بالتهكمات • ولكن كان لهذه المرحلة ما يبررها حين استولى البلاشفة على السلطة وقالوا للفلاح العادى وللعامل العادى : هكذا نريد أن تحكم الدولة ، اليكم هذا القانونفجربوه . وبذلككنا نعرض على العامل والفلاح مفهوماتنا السياسية دفعة واحدة على صورة قوانين • أما عن نتيجة هذا كله ، فقد حصلنا على تلك الثقة الهائلة التى متعنا بها — وتمتعنا بها — الجماهير الشعبية : انها لفترة ومرحلة ضرورية فى بداية الثورة ، والا ما أمكن أن نكون على رأس الموجة الثورية ، بل كنا سنبقى فى ذيلها • واكتسبنا ثقة العمال والفلاحين جميعهم ، وقد كانوا يرغبون فى بناء حياة جديدة على أساس جديد • بيد أن هذه المرحلة قد ولت ، وهذا ما لا نريد ادراكه ، فالفلاحون والعمال سيسخرون الان اذا ما أمرناهم بانشاء أو بتنظيم ادارة أو أخرى • ان العامل العادى والفلاح العادىلايهتمان الان — بحق — بهذه الامور، لان مركز الثقل ليس هنا ، فلا يمكنكم أنتم أيها الشيوعيون التقدم الى الشعب على هذا الاساس • وبالرغم من أن هذه التفاصيل تثقل عاتقنا فى المصالح الحكومية ، فليس هناك ما يدعو الى القول بأن هذه الحلقة من السلسلة هى التى يجب الامساك بها • ليس هذا هو لب الموضوع ، ولكنه فى أن الناس ليسوا فى اماكنهم، فهذا الشيوعىالمسئول الذى اشترك بجدارة فى الثورة عهد اليه بالعمل فى مؤسسة تجارية أو صناعية لا يدرك عنها شيئا ويحول دون رؤية الحقيقة، لان لصوصا وتجارا فاسدين يختفون وراءه ببراعة • وجوهر الموضوع هو أننا لا نملك أن نراجع عمليا حقيقة ما ينجز • انها مهمة غير مثالية ، مهمة بسيطة •• انها أعمال صغيرة • ولكننا نعيش بعد انقلاب سياسى ضخم،وينبغى علينا أننعيش — فترة من الزمن — فى كنف نظام رأسمالى • فليس لب الموقف مقصورا على السياسة بمعناها الضيق (فالذى يكتب فى الصحف ليس الا ثرثرة سياسية ولا يمت للاشتراكية بصلة) • وليس لب الموقف فى القرارات والادارات واعادة التنظيم — ومع ذلك سنقوم بانجاز كل هذه الامور بقدر حاجتنا اليها — ولكن جنبوا الشعب هذا الكلام ، واختاروا الرجال اللازمين للعمل وتحققوا من التنفيذ العملى •• وهذا ما سوف يقدره الشعب •

نحن لسنا سوى قطرة ماء فى محيط الجماهير الشعبية ، وليس بمقدورنا ممارسة السلطة الا بالتعبير بدقة عما يجيش فى صدور الشعب ، والا ما استطاع الحزب الشيوعى قيادة البروليتاريا ، وما استطاعت البروليتاريا قيادة الجماهير وراءها ، ولأدى الامر الى تفكك البنيان كله . فالمسألة الجوهرية اليوم بالنسبة للشعب وللجماهير الكادحة هو اقتصار العمل — واقعيا — على تجنب البؤس البشع والمجاعة ، والتدليل حقيقة على وجود هذا التحسن الذى يحتاج اليه الفلاح واعتاد عليه • ان الفلاح يعرف ما هو السوق وما هى التجارة • لم نستطع اقامة التوزيع الشيوعى المباشر نظرا لقلة عدد المصانع والماكينات ، فيجب علينا بالتالى تموين البلاد عن طريق التجارة ، على الا يكون هذا التموين فى مستوى أقل من الذى كان يقوم به الرأسماليون ، والا فلن يتحمل الشعب مثل هذه الادارة • هنا يكمن جوهر الوضع بأسره ، وهو جوهر كل عملنا سنة ١٩٢٢، ما لم تطرأ أمور غير مرتقبة (*)

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

ريق المصريين الى الفكر الثورى المعاصر

٣

مارس ١٩٧٠
السنة السادسة

إنسان الثورة الفلسطينية... الواقع الجديد .. والمواجهة المسلحة

«تحقيق سياسى من واقع المقاتلين»

مكان الخطة فى الاقتصاد القومى

«من وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية»

الماركسية ودراسة العالم الإسلامى

«نص المحاضرة الثانية والمناقشات مع مكسيم رودنسون»



الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د . ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د . اسماعيل صبرى عبدالله
د . جمال العطيفى
د . رشدى سعيد
د . عبد الرازق حسن
د . لطيفه الزيات
د . محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تلفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

السنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الثالث — السنة السادسة — مارس ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميــدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ٠

من هذا المفهوم تفتح «الطليعة» صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر «قد اختلف معك فى الرأى ولــكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟

الافتتاحية

ماذا يمكن أن نصنع مع أمريكا ؟

لم يعد ثمة مجال للشك فى حقيقة دور الولايات المتحدة الامريكية فيما اصطلح على تسميته « أزمة الشرق الاوسط » . لقد تأكد بشكل قاطع أنها طرف أصيل فى الصراع الدامى الذى اتفقت كلمة العرب على اعتباره صراعا مصيريا . ان حكومة واشنطون تريد قمع الثورة العربية وارهاب شعوبنا لتتمكن من السيطرة على مقدراتنا واستغلال مواردنا وعرق عمالنا وفلاحينا . فالولايات المتحدة بوصفها زعيم الامبريالية العالمية تريد أن تكون الوريث الشرعى لبريطانيا وفرنسا ، بأساليب جديدة . انها ترى فى كل انتصار للثورة التحررية فى الاقطار العربية تقلصا لنفوذها وانكماشا لرقعة استغلالها للشعوب ،وتضييقا عليها يهدد اقتصادها بالكساد . وترى الولايات المتحدة فى الحرب التى بدأت صباح ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ بالعدوان الاسرائيلى فرصة ذهبية لضرب حركة التحرر العربى . فالجيش الاسرائيلى يقوم بدور « المرتزقة » فى تنفيذ خطط الامبريالية الامريكية ويغنى الامريكيين عن التورط المباشر الذى يثير قلاقل داخلية فى أمريكا ذاتها كما هو الحال فى حرب فيتنام . من هنا الاصرار الشديد من جانب واشنطون على مساندة اسرائيل بكل الوسائل المتصورة . وهى فوق ذلك تدرك تماما أن نجاح الشعوب العربية فى تصفية آثار العدوان لابد ان يشكل دفعة كبرى للثورة العربية . ان العدوان فى ذاته قد شحذ نضال الشعوب العربية ، وفى اطار النضال ضد آثار هذا العدوان انتصرت حركة الثورة العربية فى اليمن الجنوبى والسودان وليبيا . وبوسع أى انسان أن يقدر أثر تصفية آثار العدوان فى تعاظم النضال العربى من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة .

تعدد الجبهات وتعدد أساليب الحرب

والقول بأن الولايات المتحدة الامريكيــةطرف أصيل فى الصراع لا يعنى أن اسرائيل مجرد اداة فى يد واشنطن . فالصهيونيةفى ذاتها حركة استعمارية ، وجــزء من الامبريالية، ووليدها الذى وضعته فى قلبالوطن العربى دولة استعمارية ذات مطامع توسعية تستهدف احتلال المزيد من الاراضىالعربية لتوفر لنفسها قاعدة للحركة قادرة على الحياة اقتصاديا دون معونات ضخمة ،كما تستهدف السيطرة الاقتصادية علــى المنطقة كلها لحساب الاحتكارات العالمية وفىمقدمتها الاحتكارات الامريكية وتلك التى تسيطر عليها المصالح الصهيونية ٠ ولذلكفمن الخطــأ تركــيز جهــودنا ضــد اسرائيل والتغافل عن دور امريكا ، يكونمن الخطأ ايضا أن نركز نضالنا ضد أمريكا وحدها ونهون مــن شــأن الاســتعمارالصهيونى ٠

وهكذا تتضح حقيقة من أهم حقائق هذاالصراع المصيرى الذى نخوضه الا وهى حقيقة أنها حرب متعددة الجبهات ٠ ويجبان نضيف ايضا انه يجب ان تكون حربا متعددة الاساليب ٠ فالحرب الشاملة التىنخوضها تغطى كل المنجزات العسكريــة والاقتصادية والسياسية والاعلامية .. الخ ولكــن حتى الان لم تســـــتخدم كل تلك الوسائل بنفسالمستوى فى نفس الوقت ،وانما لكلاسلوب مناساليب النضال اهميته الخاصة فى لحظــة معينــة ، وفى جهــهمحدده . وهذا ما يصدق بنجاح خاص فيما يتعلق بصراعنا ضد الاستعمار الامريكى ٠فنحن لا نقاتل الامريكيين وجها لوجه ٠ ومن ثم فان اعمال القتال تنصب على الاسرائيليينومن رفع نجمة داود من الامريكيين ٠ ولكن اساليب النضال الاخر، يمكن ان تنال من الولايات المتحدة مباشرة ٠

ومن الطبيعى حين نتحدث عن الصراعضد الاستعمار الامريكى أن تتجه الانظار الى البترول ٠ فأمريكا تحاول ضرب حركةالتحرر العربى لضمان حماية مصالحها ٠ والمصالح الاقتصادية فى رأس القائمة ولاشك ٠ كما أنه من المعروف أن البترول يحتل مركز الصدارة من تلك القائمة ٠ فحوالى ٥٦فى المائة من رؤوس الاموال الاجنبية الموظفة فى استخراج ونقل البترول العربى رؤوسأموال أمريكية ٠ ومعنى ذلك أن نفس النسبة من الارباح تؤول الى أمريكا ، تلك الارباحالتى تقدر كل عام بآلاف الملايين مــن الدولارات ٠ كذلك من المعروف ان تكلفةاستخراج البترول العربى أقل بكثير من تكلفة الاستخراج فى الولايات المتحدة ، كماأن تكلفة النقل (فى ظروف تشغيل قناة السويس أو أى بديل لها) الى اوروبا أقلبكثير من تكلفة نقل البترول الامريكى ٠ وأخيرا فان البترول العربى (مع بترولايران) يوفر احتياجات الاسطول السادس (فى البحر الابيض المتوسط) والاسطولالسابع (فى الشرق الاقصى) والقــوات الامريكية فى فيتنام ٠ ومن ثم فان أكبر ضربةيمكن أن توجه الى الاستعمار الامريكى هى بلا جدال تأميم المصالح الامريكية مــنالبترول العربى ٠ بل انه يمكن ان نقول أن هذا الاجراء لابد أن يفضى الى تصفية شبهكاملة للمصالح الامريكية فى المنطقــة ، وبالتالى يجعل اسرائيل تفقد جزءا كبيرا منأهميتها ككلب حراسة لتلك المصالح ٠

ولكن تأميم المصالح الامريكية فى البترولالعربى ليس اجراء سهلا ٠ فــدونه أولا صعوبات سياسية تتمثل فى موقف بعضالحكومات العربية ٠ وهناك احتمالات ردود

فعل عنيفة من جانب أمريكا يجب أن يحسبلها حسابها وتعد العدة لمواجهتها • وفى المستوى الاقتصادى لابد من الاستعداد - عنطريق الاتصـالات الدولية المنـاسبة - لاجراءات تكتل بيع البترول بالرغم من أىحملة مقاطعة يمكن ان تحاول واشنطون تنظيمها • كذلك لابد من توفير العدد اللازممن الفنيين لادارة المنشآت البترولية • ولكل هذا فانه حتى اذا تقرر مبدأ التأميم ، فانتوقيته يخضع لاعتبارات كثيرة • وعليه فلابد من الدعوة لهذا الاجراء والتعبئة منأجل اتخاذه ، ولكن لابد فى الوقت نفسه من اتخاذ اجراءات أخرى متعددة • يجب انتضع قائمة طويلة من الاجراءات التى من شأنها الاضرار بالمصالح الامريكية والتىيمكن تنفيذها فى بعض الدول دون البعض الاخر ، والتى يمكن للجماهير الشعبية أنتطبقها دون حاجة الى قرار حكومـى • فالمعرفة الدقيقة بواقع الامور فى الوطنالعربى تملى علينا الا نتمسك بـأشد الاجراءات فقط ، والا نقتصر على تلك التى لافاعلية لها الا اذا أجمعت عليهـا الدول العربية ، ويمكن ان نضرب عددا من الامثلة:

فى المستوى العسكرى :

ان الوجود العسكرى الامريكى يجب أنينتهى من الارض العربية • لابد من تصفية القواعد الامريكية • ولابد أيضا من استبعادالخبراء العسكريين الامريكيين والاستغناء تماما عن السلاح الامريكى • وقضيـةالقواعد حاسمة لا تحتمل النقاش • واذا لم تصفها الحكومات ، فان من واجب الشعوبان تناضل من أجل تصفيتها بكل الوسائل • فليس يجدى أن نقاتل من أجل طرد المحتلالاسرائيلى ، وبين ظهرانينا قواعد تسانده• ان القواعد العسكرية فى عصر الصواريخعابرة القارات لم يعد لها آية أهمية فى استراتيجية الصراع العالمى بين القوتينالاعظم فى هذا العالم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . ولكن الاستعماريينيتمسكون بها لانها مخافر للبطش بالشعوب وارهـاب حـركات التحـرر ، وهى فىبلادنا - الى جانب الاسطول السـادس - السند المباشر لاسرائيل •

ان كل سلاح امريكى يرسل لبلد عربىيستخدم مبررا لمزيد من التسلح لاسرائيل بحجة حفظ التوازن • بل ان اسرائيل تتلقىأحدث الاسلحة من الغرب ، والدول العربية تتلقى ما أصبح متخلفا منها • وأمـريكاتخطر اسرائيل بكل قطعة سلاح ترسلها لبلد عربى ، وفى ضوء سياسة فرنسا الحالية فىبيع السلاح لم يعد لاى بلد عربى - بما فى ذلك البلدان التى ترفض التعامل مع الدولالاشتراكية - مبرر فى التسلح الامريكى • أما فى خط المواجهة فلابد من السـلاحالسوفيتى ، اذا أردنا توحيد جبهات القتال ضد العدو الاسرائيلى • ذلك أنه من المعروفأنه لا يمكن توحيد الجيوش أو التنسيق بين حركتها فى مسرح القتال الا فى ظل تنظيممتقارب وتسليح متجانس • وأخيرا فـان السلاح يصطحب بالتدريب ، ومن يتسلح منأمريكا لابد أن يستعين بمدربين أمريكيين أو ان يوفد ضباطا للتدريب لدى البنتاجون .

وفى المستوى السياسى فان عددا كبيرا منالدول العربية قد قطع علاقاته السياسية مع الولايات المتحدة الامريكية • وهذا موقفبررته الاحداث اللاحقة تماما ، واذا نهضت

فى بعض البلاد العربية اعتبارات معينة لاتجعل قطع العلاقات الدبلوماسية أمرا ممكنا فورا ، فمما لاشك فيه أن التمثيل الدبلوماسي يمكن أن يستمر دون أن يعكس ذلك علاقات سياسية وثيقة • ان السفير الامريكى يمكن أن يبقى فى عاصمة عربية ويشعر مع ذلك بعزلة كاملة • ويتحقق هذا اذا عجز السفير عن ان يكون له اثر فى حياة البلد السياسية ، واذا كانت مواقف الحكومة التى يمثل أمريكا لديها فى المسائل الدولية معارضة لمواقف أمريكا ، واذا اشتركت تلك الحكومة فى قرارات ادانة السياسة الامريكية • ومما يؤكد تلك العزلة أن تضغط الجماهير لكى يقاطع المواطنون السفارة الامريكية • فحيث تبقى سفارة للويالات المتحدة فى بلد عربى ، يجب أن يصبح التردد عليها فى غير عمل رسمى فعلة مشينة تدينها الجماهير ولا يأتيها اى عنصر وطنى •

والمصالح الامريكية لا تقتصر على البترول ، فالدول العربية تستورد كميات كبيرة من المنتجات الامريكية وتصدر الى امريكا رؤوس الاموال والفنيين • وللدول البترولية دور بارز فى هذا الشان • فحصة تلك الدول من عائدات البترول يعود الجزء الاكبر منها مرة ثانية الى أمريكا فى شكل ثمن سلع استهلاكية فاخرة (سيارات ، ثلاجات ، مشروبات ••• الخ) وودائع فى البنوك الامريكية • والدول غير البترولية تستورد من امريكا رغم قلة صادراتها اليها • كما انها كثيرا ما تترك الفنيين من أبنائها (رأس المال البشرى) يهاجرون الى ما وراء الاطلسى •

والان ونحن فى ذروة معركة وطنية هى كبرى معاركنا ، علينا أن نسترشد بشعارات النضال الوطنى العربى وفى مقدمتها مقاطعة بضائع العدو ، ان أكثر أشكال النضال ضد الصهيونية كان حتى الان سلاح المقاطعة الاقتصادية • وعلينا أن نجرب نفس السلاح مع الولايات المتحدة • وهذا يعنى أن ترفض الحكومات التقدمية أى استيراد من أمريكا ، وأن تنتشر بين الجماهير صيحة مقاطعة البضائع الامريكية بحيث يصبح استهلاكها سبة وعارا ، وأن تضغط الجماهير من أجل ان تسحب الحكومات ودائعها من البنوك الامريكية •

ان الولايات المتحدة تعانى عجزا كبيرا فى ميزان المدفوعات • ولاشك أن سحب الودائع العربية ، والمطالبة بزيادة العائدات البترولية ، ومقاطعة البضائع الامريكية يمكن ان تسبب لواشنطن مشكلات بالغة الخطورة •

ومن غير المقبول ، أن تحاربنا أمريكا ثم تقدم لها شبابنا تعلمه فكرها الاستعمارى ونفتح أبواب بلادنا لتيارات الثقافة الاستعمارية • ان الصدام الرهيب الذى نعيشه يملى علينا اعادة النظر فى كل المؤسسات الثقافية الامريكية ومنظمات « المعونة » المختلفة • وفى وسع جماهيرنا أن تقاطع الجامعات الامريكية والصحافة الامريكية وهيئات « التعاون » الثقافى التى « لا تسعى للربح » •

نحن لا نريد ان ننغلق فكريا أمام الثقافة الامريكية ، ولكننا نريد امرين : الاول مقاطعة المظاهر الاستعمارية لتلك الثقافة ، والثانى أن يحس الامريكيون بأننا غاضبون ولا يمكن ان ندير خدنا الايسر لكى نصفع على خدنا الايمن • فما يمكن أن يكون من

الفرد حلما وكرم أخلاق ، يصبح من قبل الشعوب تخاذلا يغرى المعتدى بمزيد من العدوان ٠

ولابد من كلمة خاصة عن السينما الامريكية ، فمازالت اغلبية الافلام التى تعرضها دور السينما فى معظم الدول العربية أفلاما امريكية ٠ ومن المعروف أن معظم تلك الافلام تنقصه القيمة الفنية العالية فضلا عن نقدية المحتوى ٠ ولذلك فلابد من حصر منح تراخيص العرض للافلام الامريكية فى تلك التى تمثل قيمة فنية عالية تعبر عن معنى انسانى شريف ، ويجب ان نفتح أمام جمهور رواد السينما الباب على مصراعيه ليتعرف على السينما الفرنسية والايطالية واليابانية والسوفيتية ٠٠ الخ ٠ لا يليق أن تبقى اسواقنا احتكارا للشركات الامريكية حتى لا نرى فيلما غير أمريكى الا اذا كان توزيعه بيد شركة أمريكية ٠

وفى الوقت ذاته يجب أن يكون واضحا أننا نقاوم سياسة حكام أمريكا العدوانية ، ولكننا لانكن أى عداء للشعب الامريكى . ولايمكن فى هذا الصدد أن نؤكد هذا المعنى فيما نقول فى بلادنا ، بل يجب أن نسعى لكى يعرفه الشعب الامريكى ٠ وهناك وسائل كثيرة لذلك ، فنشاط جمعيات الطلبة العرب فى الولايات المتحدة له دور ممتاز ٠ ويمكن فى اتجاه مماثل أن يكتب كل عربى لكل من يعرف من الامريكيين خطابا شخصيا يوضح له حقيقة الامور ٠ فالعرب الذين درسوا فى الجامعات الامريكية ، أو الذين جمعتهم بأمريكيين علاقات العمل أو المؤتمرات العالمية أعداد كبيرة ، ومن يعرفونهم من الامريكيين يمثلون قطاعات مختلفة من الرأى العام ٠ والكتابة اليهم لابد أن تحدث أثرا ٠ ولا تكفى الكتابة مرة ، بل لابد من التكرار واختيار المناسبات ٠ فالحكومة الامريكية مثلا تستبعد من وعاء الضريبة على الدخل التبرعات لاسرائيل ٠ وهذا ما يحمل بعض الشركات أو الافراد على التبرع لمجرد تفادى الدخول فى شريحة دخل تدفع ضريبة أعلى . ويعنى ذلك أن واقع الضريبة الامريكى محمول على مساندة اسرائيل حملا ٠ ولكن كم من دافعى الضرائب فى أمريكا من المواطنين البسطاء يعرف تلك الحقيقة ؟ وحين ضربت طائرات الفانتوم أبو زعبل ، كم من أصدقائنا الشخصيين فى أمريكا عرف تلك الحقيقة فى كل بشاعتها ؟

اننا لم نسع للصدام مع الاستعمار الامريكى ٠ ولكن عدوانية حكومة واشنطون فرضت علينا النضال ٠ وككل الشعوب التى واجهت الاستعمار ، لابد ان نواجه الاستعمار الامريكى وأن ندرك أن لدى الجماهير العربية أسلحة متعددة يمكن أن تنال منه لو أحسنا استخدامها ٠



إنسان الثورة الفلسطينية
الواقع الجديد .. والمواجهة المسلحة

الطليعة فى مواقع المقاتلين الفلسطينيين

تحقيق سياسى

وجهت « فتح » دعوة الى « الطليعة » بمناسبة مرور خمس سنوات على قيامها بالكفاح المسلح ، وذلك للتعرف — فوق أرض المقاومة ، وعن قرب — على نضال ثوار فلسطين .

واستجابة للدعوة اوفدت الطليعة بعثة من محرريها ، اشترك فيها :

أبو سيف يوسف — عبد المنعم القصاص — خيرى عزيز — محمد حلمى ياسين .

وأمضت البعثة الفترة من ١١/١ فبراير فى محاولة لتفهم ما يجرى على أرض الثورة الفلسطينية المعادية للامبريالية والصهيونية .

وقد لمست البعثة ، عقب وصولها ، انه قد يتعذرعليها — لضيق الوقت — ان تقوم بدراسة وافية لكل القوى التى تتواجد فى الساحة الفلسطينية . ومن ثم فقد ركزت بعثة الطليعة عملها فى ثلاثة اتجاهات :

الاول : اللقاء فى قواعد الثوار بالفدائيين ومحاولة التعرف — عن كثب — على ملامح المقاتل والثائر الفلسطينى .

الثانى : التعرف على فتح باعتبارها اكثر منظمات الكفاح المسلح ثقلا فى الساحة الفلسطينية ، وذلك من خلال نشاطها العملى ، ومن خلال الحوار مع عدد من قادتها ومقاتليها .









قام بالتحقيق :

أبو سيف يوسف — عبد المنعم القصاص

خيرى عزيز — حلمى ياسين

الثالث : التعرف على وجهات نظر عدد من المنظمات والاحزاب التى تتواجد فى الساحة الفلسطينية ، واستطلاع آرائها ومواقفها حول بعض المسائل الملحة ، وفى مقدمتها :

- قضية الوحدة الوطنية ، كما يطرحها كل تنظيم .
- العلاقة الراهنة فى صورتها العلمية بين المنظمات .
- رأى المنظمات فى شعار دولة فلسطين الديموقراطية .

واذا كانت بعثة الطليعة قد التزمت بتنفيذ البرنامج السابق ، الا ان الامانة تقتضى ان نضيف الى انه لم يكن من الميسور ، فى المدة المحددة ، ان تلم البعثة بكل جوانب الموقف على ارض الثورة . وعلى سبيل المثال لم يتح للبعثة ان تلتقى بمقاتلى قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين . ومن المعروف ان لهؤلاء المقاتلين تضحياتهم ومواقفهم ، ومنهم المعروف فى العمل الفدائى . وانهم موضع التقدير التام من قبل الاوساط الوطنية والنقدية فى الساحة الفلسطينية .

وتود البعثة بأن تنوه بالتعاون الاخوى والايجابى الذى لقيته من الاخوة فى فتح ، ومن قادة المنظمات والاحزاب الذين رحبوا بادارة الحوار معها والاجابة عن الاسئلة التى طرحتها .



« فتح » .. بعد ٥ سنوات

دعتنا « حركة التحرير الفلسطينى (فتح) » الى زيارتها وكان ذلك بمناسبة مرور خمس سنوات على اعلانها « للكفاح المسلح فى سبيل تحرير فلسطين » ـ أتيحت لنا فى الواقع ـ نحن أعضاء أسرة تحرير الطليعة ـ أن نعايش تجربة هامة ، وأن نضع أيدينا ، باختصار ، على بعض قسمات المقاومة على أرض المقاومة . ولكن سيظل مثل الثوار الفلسطينيين من الطلائع المقاتلة فى القواعد الامامية ، أثمن ما وصلنا اليه واكتشفناه . ذلك أن صورة المقاتل الفلسطينى ومثاله لم يعرفها المواطنون بعد فى بلادنا حق المعرفة ، بكل أبعادها ، وبكل مواقفها وأعمالها ، فالبلاغات المقتضبة عن أعمال الفدائيين ، ليست ، ولن تكن كافية . وتعدد هذه البلاغات ، وأحيانا اختلافها وتناقضها (بسبب الخلافات الفكرية والسياسية القائمة بين بعض منظمات الكفاح المسلح) ، يحجب عن أعين المواطن ، ليس فقط الصورة الحية للفدائى ، بل صورة شعب عربى ينخرط فى ثورة ، فى حركة وطنية معادية للاستعمار والصهيونية .

لذلك كان اهتمامنا مركزا منذ البداية على التعرف على (فتح) وذلك لاكثر من سبب :

أولها : أن (فتح) هى أكبر المنظمات فى ساحة الثورة الفلسطينية .

وثانيها : أنها ولدت ونمت كحركة عريضة للتحرر الوطنى تستوعب أكثر من اتجاه وتيار فكرى .

وثالثها : انها تؤثر بالفعل فى قطاع واسع من جماهير الشعب الفلسطينى على اختلاف تجمعاته وذلك من خلال نشاطها العملى ومؤسساتها القائمة .

وهناك ـ فى العادة ـ أكثر من منهج للتعرف على حركة ما ، أو تنظيم ما ، او حزب ما . هناك منهج الحكم عليه من خلال أقواله وشعاراته ، من ناحية . ومن ناحية أخرى ، هناك منهج الحكم عليه من خلال مواقفه العملية . وفى تقديرنا أن الاكتفاء بمنهج دون الاخر يعطى صورة احادية الجانب ، لا تخدم الحقيقة ، برؤية واضحة . لذلك سنحاول أن نقوم بتحقيق سياسى عن فتح من خلال نشاطها العملى ، ومن خلال حوار لم ينقطع تقريبا بين

قادة فتح وأعضائها وبين بعثة الطليعة التى زارت عمان فى الفترة ما بين ١ – ١١ فبراير ١٩٧٠ .

سنقدم نشاط (فتح) من خلال ما هو قائم فعلا من أعمال ومؤسسات :

● أول ما زرنا من المؤسسات التى زرناها ، « مؤسسة بيت المقدس لرعاية بنات الشهداء » . تضم المؤسسة ٧٠ طالبة تتراوح أعمارهن بين ٥ر٥ – ١٤ سنة . من الصف الاول الابتدائى الى الصف الاول الاعدادى .

ويمكن أن نتحدث طويلا عن نظام هذه المؤسسة لكن سندع ذلك ونركز على ما لفت انظارنا .

لقد عرفنا أن الطالبات – منذ الصف الخامس يدرسن اللغة العبرية . لسببين قدمتهما مديرة المؤسسة : ١ – لمعرفة العدو . ٢ – « نحن فى المستقبل سنكون دولة ديمقراطية ينبغى أن نتعايش فيها مع اليهود . وينبغى أن تكون هناك وسيلة للتفاهم » .

كما أن وسائل الشرح والايضاح كلها متعلقة بالمعركة . والتربية تركز بوسائل عملية على غرس روح العمل الجماعى فى الطالبات .

● زرنا فى يوم آخر ، مدرسة الكوادر التابعة لفتح . وهى مدرسة عسكرية شرح لنا الاستاذ المحاضر الغرض من انشائها : **تكوين الانسان الثورى** . « نحن بحاجة الى النضال الثورى وليس فحسب الى القتال أو العمل العسكرى البحت » . نشأت فكرة المدرسة على اساس أن الانسان الثورى يتصف بصفتين : (١) الاستعداد للقتال أو العطاء (٢) الرؤية الواضحة والوعى الكامل بالطريق .

يقول المحاضر « **المناضل ما لم يدرك القضية استراتيجيا لا يمكن أن يستمر . فالذى يخوض معركة أو اثنتين أو ثلاثا ، ولم يحقق شيئا سوف ييأس . أما الذى يعرف أن هذه المعارك جزء من خطة استراتيجية ، ومعركة طويلة فسوف يصبح قادرا على الاستمرار** » .

« المقاتل الجيد يأتى الى مدرسة الكادر ليتعلم أساليب الحرب الشعبية . فى مدرسة الكوادر هنا نتعلم لماذا ينبغى أن نعامل الجماهير معاملة جيدة . هذه ضرورة من ضرورات الحرب الطويلة الامد التى تعتمد على الانسان كعنصر أول وعلى السلاح كعنصر ثان » .

منهج الدراسة يتضمن أكثر من مادة فى المجالات العسكرية والسياسية والتاريخية وتجارب الثورات فى الصين وفيتنام والجزائر وكوبا . ولكن هناك أيضا دراسات زراعية للكوادر حدد المحاضر أنها :

« **لتمتين الصلة بين جماهير الفلاحين وبين المقاتلين . لابد أن تكون هناك صلة أصيلة بين جماهير الفلاحين وبين المقاتل الفلسطينى** ، نريد تقويتها بمشاركتهم فى أعمالهم ومساعدتهم حتى نكون تعبيرا حقيقيا عن روح الثورة المتمثلة فى (فتح) . وبدون أن نكون مخلصين للقضايا الجماهيرية ، وبدون أن نربى كوادرنا بروح الاخلاص للجماهير وخدمة الشعب باخلاص لا يمكن أن نقوم بدورنا كما حددته (فتح) » .

ولكن كيف تدار مدرسة الكوادر ؟

« بالنسبة للادارة نعتمد على أسلوب الادارة الذاتية ، مع المراقبة والاشراف . ومن شأن هذا الاسلوب أن ينمى القدرات القيادية لدى الكوادر .. الاخوة يقومون بالاشراف على أنفسهم ، وضبط النظام على انفسهم ومتروك لهم قدر كبير من حرية التصرف » .

هل هذه الدورات كل شىء ؟

« هناك دورات ذهبت الى الخارج ، وتعتبر دورات كوادر . والاخوة الذين يدرسون التجارب الثورية ، هم انفسهم درسوها على الطبيعة فى بلادها » .

● فى اربد ، فى شمال الاردن ، زرنا مخيم اللاجئين . كان يموج بحركة كأنه خلية النحل . رأينا سيدة أمام مخبأ يبنى ، تنخل الرمال . وأخرى تنقل الاسمنت . فى هذا المخيم أقامت (فتح) عددا من المخابىء لحماية ارواح سكانه ، بعد أن استمرت غارات الطائرات واستمرت المدفعية الاسرائيلية تقصف المخيم لفترة امتدت من ١ – ١١ – ٦٩ الى ٥ – ١ – ٧٠ – الى جانب المخابىء العامة ، والمخبا الذى انشأته [فتح] لمجموعة من المدارس ويسع ٥٠٠ تلميذ ، قامت بتدريب سكان المخيم على بناء مخابىء صغيرة خاصة بمساكنهم .

● فى دار النقاهة التابعة لفتح رأينا عددا من المقاتلين المصابين باصابات مختلفة . بعضهم من مقاتلى فتح ، والبعض من منظمات اخرى . وقبل تأسيس الهلال الاحمر الفلسطينى (أوائل ١٩٦٩) كانت الخدمات الطبية لفتح هى الجهاز الذى يقدم الخدمات لكل القوى العاملة

فى الساحة الفلسطينية • وفى أكثر من مخيم توجد عيادات تقدم الخدمات والدواء بلا ثمن للمرضى من سكان المخيم • وهى خدمات مختلفة فى نوعيتها عن تلك التى تقدمها وكالة غوث اللاجئين • فالطبيب هنا ينتقل الى المرضى ، ويفحص أهل المخيمات ، ويقوم بمسح صحى فى المخيمات • على سبيل المثال وجدوا أن ٣٠ فى المائة من أهل المخيمات يعانون من نقص التغذية ، و ٢٠ فى المائة مصابون بأمراض جلدية • ويتفشى السل بنسبة كبيرة فى مخيم البقعة •

● وتولى (فتح) أطفال المخيمات عناية خاصة • فتقيم معسكرات لاشبال « العاصفة » • وفيها يتلقى الطفل تدريبا عسكريا مناسبا وتثقيفا بقضية فلسطين • وقد حدثنا الاخوة من (فتح) أيضا عن معسكرات للزهرات وللفتوة •

أما الميليشيا المسلحة فهى الجيش الشعبى الذى ينتشر فى الاحياء والقرى ، وقد أصبح من الدعامات الرئيسية فى تنظيم (فتح) الى جانب قوات الفدائيين العاملة فى القواعد ، وقد اشترك افراده فى بعض معارك الفدائيين •

فاذا حاولنا بعد ذلك أن نعلق على النشاط اليومى والعملى لفتح ، أمكن أن نقول :

● انه يتجه الى مزيد من الانتشار فى صفوف الجماهير الفلسطينية •

● وأن الاجيال الشابة توعى بأهمية الارتباط بالجماهير كعامل أساسى لحماية الثورة ، ومواصلة الكفاح ضد الصهيونية والامبريالية •

● وأنه يؤكد على ابراز الشخصية الفلسطينية وذلك ، بالتخصيص ، ومن خلال نوع الخدمة المقدمة •

● وانه من خلال الصعاب والمشاكل ينفتح على التجارب الثورية الاخرى •

● وانه لكل ما تقدم يغنى الحركة الثورية
ـ موضوعيا ـ بمضمون ديمقراطى عام •

ـ ٢ ـ

اذا كانت تلك بعض مظاهر النشاط العملى لفتح ، وتلك دلالته فما هى المواقف الرئيسية التى حكمت وتحكم مسيرة فتح • وكيف تكونت •

هنا ننتقل من مجال العمل ، الى مجال البحث عن نظرية تحكم مواقف (فتح) ، الى مجال « الايديولوجية » •

ربما لاحظنا ، أن بعض الاخوة من قيادة فتح يتحفظ على كلمة الايديولوجية ، ربما لانه يستشعر محاولة ـ واعية أو غير واعية ـ من فرض أو تسرب آراء اجتماعية معينة ، ترى (فتح) انها ليست فى مكانها أو زمانها ، وذلك على اساس أن المرحلة مرحلة تحرر وطنى • وفى هذا الصدد أيضا ، اشار بعض الاخوة من قيادة فتح الى أن هناك من ينسب الى (فتح) الرأى القائل « بان التجربة سابقة على النظرية » • وأنها ، من ثم ، لا تلزم نفسها بموقف قبل التثبت من صحته . [وفتح] ترى أن هذه ليست بتهمة • ويقولون اننا لا نستخدم « روشتات » على سبيل المثال : ان (فتح) لم تستخدم أسلوب القتال الحالى لمجرد أنه استخدم فى كوبا والصين وفيتنام • بالطبع استفادت [فتح] من تجارب الاخرين •لكن سبق استخدام هذا الاسلوب فى القتال تحليل اثبت أن تجاربنا تتطابق مع تجارب الاخرين • على سبيل المثال أيضا : ترى (فتح) تشابه ظروف الثورة الفلسطينية الان مع فيتنام اكثر من تشابهها مع ثورة الجزائر • وان ظلت هناك أيضا نقاط تشابه مع الجزائر • وفيما يتعلق بالماركسية اللينينة ، فان قادة فتح يرفضون، أن تستخدم ، كوصفة » ، أو ان تفرض كدائرة للحركة ، ولكن ليس هناك ما يمنع من أن تستخدم كأداة تحليلية •

كان اهتمامنا فى الواقع هو التعرف على قسمات نظرية الثورة الفلسطينية فى مفهوم (فتح) • واذا كانت منشورات فتح تقدم اليوم مجموعة من المواقف النظرية التى تحكم مسيرتها والتى قد نتفق مع بعضها أونختلف :

ـ نظرية الشمول ، أو الولاء الفلسطيني •

ـ الوحدة الوطنية •

ـ نظرية العمود الفقرى للثورة •

ـ الوحدة العربية •

ـ المضمون الاجتماعي للثورة •

نقول ، فان هذه المفهومات او المواقف النظرية لم تولد كاملة ومحـــددة يوم أن ولدت فتح عام ١٩٥٨ ، وانما اكتملت صياغتها عـــبر المراحل التى مرت بها الحركة • لكن يظل هناك موقفان أساسيان ثابتان ، حكما كل مفهومات موقفان أساسيان ثابتان ، حكما كل مفهوما فتح منذ مولدها وهما :

١ ـ أن الثورة يجب أن تكون فلسطينية في مولدها وقيادتها وأرضها ، وأن تتحمل فـــي الاساس مسئولية تحرير أرضها •

٢ ـ الكفاح المسلح هو طريق تحـــرير فلسطين •

الموقف الاول : تأكيد الشخصية الفلسطينية للثورة هو الذى جعل نواة (فتح) المؤسسة تقبل في صفوفها : البعثى والقومى والاخوانى والشيوعى ، على أساس ان فتح حركة تحرير وطنى عريضة ، ومفتوحه لكل القوى الراغبه فى تحرير فلسطين •

وهذا الشـــعار « تأكيد الشـــخصية الفلسطينية » ، كان لابد وأن يلقى استجابة واسعة فى مختلف أوساط الفلسطينيين : فى المخيمات والبلاد العربية وحيثما وجـدوا • ويكفى أن نتعرف على شدة جاذبية هذا الشعار اذا نظرنا الى أنه طرح فى وقت كان قد تمزق فيه شعب فلسطين شر ممزق ، وفقد أرضه ، وفقد شخصيته الدولية ، وعصفت به سنوات الجوع التى اجتاحت المخيمات (٥١ ـ ٥٢) ، وانتهى دور قيـــاداته الوطنيـــة العشائرية أو شـــبه الاقطـــاعية . ثم جـــاء العدوان الثلاثى عام ٥٦ ليضع الشـــعب الفلسطينى فى قطاع غزة تحت ارهاب صهيونى دموى ، كان فى حد ذاته من أكبر الحوافز التى دفعت الشباب الوطنى الى رفع شعار لقاء وطنى فلسطينى عريض فى وحدة وطنية قوية من أجل ثورة مسلحة (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) فمن ناحية المناسبة التاريخيه فان الموقف صحيح • وكان ايجابيا أيضا على الصعيدين العربى والدولى • على الصعيد الاول حدد المسئول الاول عن حل القضية ، (وهو شعب فلسطين) بما يكفل للقوى الوطنية العربية أن تتحرك بحرية أكثر • وعلى الصعيد الثـــانى ، بعث شخصية فلسطين فى المجال الدولى ، وقدم نضال فلسطين فى اطار النضـــال الوطنى التحريرى فى العالم •

ويحتل التأكيد على « فلسطينية الثـــورة » جانبا أساسيا وعميقا من مـــواقف (فتح) الفكرية ومن مواقفها العملية ، بل انه يحتل مركزا حاسما فى دعايتها •وربما دعا هذا الحرص الشديد على تأكيد « فلسطينية الثورة » بعض فصـــائل العمـــل الفلسطينـــى الى اتهـــام (فتح) بـــأنها تغلـــب النـــزعة الاقليمية (القطرية) على النزعة القـــومية • ولكن يبدو أن ليس لهذا الاتهام اسس قوية يستند اليها •

ففى الظروف التى يمر بها ويعانيها شعب فلسطين يعتبر التأكيد علـــى الشـــخصية الفلسطينية مساهمة أساسية فى دعم قضية القومية والوحدة العربية فى مجمـــوعها • والواقع أنه لا تناقض اطلاقا بين دعوة الشعب الفلسطينى لتأكيد الولاء لثورته ، وبين الولاء لحركة القومية العربية • وذلك لسبب بسيط هو انه كلما زادت مساهمة الشعب الفلسطينى فى المعركة ضد الاستعمار والصهيونية كلما أغنى ذلك قضية الوحدة العربية بمضمون نضالى ثمين •

اذن فتأكيد فتح على وضع المسئولية الاولى فى حل قضايا الثورة الفلسطينية على عاتق شعب فلسطين ، لا يلغى البعد العربى ، بل يـؤكده • وذلـك مـن المساهمات الايجابية (لفتح) •

وتمسكها الثابت بهذا المبدأ ساعدها ، من ناحية اخرى ، على أن تأخذ ـ فى الواقع العملى ـ مواقف مرنة وتتخلى عن بعض المواقف التى كان يبدو انها جمدت فى فترة من الفترات • وعلى سبيل المثال كان حرصها على أن تظل ثورة فلسطين فى ايدى الفلسطينيين من الدوافع التى حملتها على أن تطور مواقفها الخاصة من قضية الوحدة الوطنية ، وأن تبدى تقاربا من فصائل العمل الفلسطينى الاخرى ، وأن تغير موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية فى محاولة لتجعل منها اطار اللقاء أو الجبهة الوطنية التى تلتقى فيها القوى الفلسطينية • كل هذا حتى لا « تستوعب » الثورة الفلسطينية من قوى « غير فلسطينية » •

واذا صح ان صياغة (فتح) لقضية « فلسطين الثورة » لاتزال سليمة كنقطة بدء نظرية وعملية ، الا أنه يحدث ـ فى بعض الاحيان ـ أن تكون لهذه الصياغة بعض امتدادات فكرية تتصل ببعض القضايا الخلافية . وتتطلب هذه الامتدادات من [فتح] ان تعيد النظر فيها وتناقشها ـ لافى صفوفها فحسب ـ بل وايضا مع القوى الثورية الاخرى فى الوطن العربى . وهذا ـ فى رأينا ـ ما تفرضه المتطلبات الموضوعية لنمو وتطور حركة الثوره العربية ككل ، ولمصالح النضال العام الذى تخوضه العسكرية العربية من اجل التقدم والديموقراطية . فالواقع أن استراتيجية الثورة الفلسطينية لن تكون ـ فى خاتمة المطاف ـ سوى استراتيجية حركة التحرر الوطنى العربية ذاتها . لان ثورة فلسطين ـ كما هو معلوم ـ جزء لايتجزأ من هذه الحركة العامة المعادية والتى تستهدف تصفية كل عوامل التخلف للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، التى فرضها الاعداء على الوطن العربى .

— ٣ —

قضية الكفاح المسلح :

فى قضية الكفاح المسلح تقدم فتح ـ خصوصا بعد يونيو ـ اكثر من فكرة جديرة بالمناقشة والاعتبار من جانب القوى الوطنيه والتقدميه فى الوطن العربى • وهى تعمل باستمرار على تطوير اساليب العمل الفدائى وتأمين قواعد انطلاقه • وفى هذا العدد من الطليعة قدمنا تطبيقا لفكر فتح العسكرى هو معركة الكرامة (مارس ١٩٦٨) • غير أننا نكتفى هنا بعرض نموذج من هذا الفكر • ففتح ترى أن العدو الاسرائيلى يسير على استراتيجية هجومية قادرة عن طريق الطيران والاليات والتسليح المكثف الى نقل المعركة باستمرار خارج الارض المحتلة • وهى ترى أن هدف المقاومة المسلحة هو ابطال فاعلية هذه الاستراتيجية • ان المقاومة الفلسطينية المسلحة « تنقل المعركة من خلال استراتيجية مضادة الى قلب الارض المحتله فى قتال مواجهة مع الغزو الاسرائيلى ، يجد نفسه فيه وحيدا منفردا من غير حماية يواجه المقاتل العربى فى بيته وعلى أرضه فى الطريق •• فى المقهى •• وفى السينما وفى معسكرات الجيش ، فى كل مكان بعيدا عن سيطرة الطيران والاليات الاسرائيلية التى كانت توفر له الحماية وتفرض عليه المقارنة بين حياة الاستقرار والهدوء التى كان يعيشها فى بلده الاول ، وحياة الفزع والذعر التى وجدها تنتظره على الارض الفلسطينية • بما يدفعه فى طريق الهجرة العكسيه . وتكون الاستراتيجية الاسرائيلية بهذا فقدت الغرض الاصلى من وجودها لتأمين سلامة الفرد الاسرائيلى » (مجلة الثورة الفلسطينية ـ العدد ٢٢ ـ يناير ١٩٧٠) • على أن دراسة الفكر العسكرى لفتح ومناقشته ومحاولة اكتشاف الجديد فيه ، يجب الا ينسينا لحظة واحدة نشاط الفدائيين الذى لا يتوقف ، على طول الحزام المسلح الذى يمتد من الجليل الاعلى مرورا بالجولان والاغوار حتى العقبة ـ هذا الحزام قد سبب ارباكا وارهاقا للعدو لم يعد يسجله الفدائيون فحسب ، بل تعترف به أوساط متزايدة الاتساع فى الغرب بما فى ذلك الصحافة الامريكية ذاتها . وفى هذا تتبدى الجبهة الشرقية تحت ضوء جديد • واذا كانت فتح من بين منظمات الكفاح المسلح قد قدمت العدد الاكبر من الشهداء ، فقد حمل مقاتلوها اذن هذا الشرف الكبير ، شرف ارباك العدو وارهاقه بل اضعاف هيبته والحد من جرأته •

وفى الذكرى الثانية لمعركة الكرامة ، قد تجد (فتح) نفسها فى مركز أفضل ، لكن هذا لا يعنى أن الصعوبات قد زالت والمخاطر قد توارت ، بل على العكس . تجد فتح نفسها مطالبة بحكم وزنها بأن تخوض أشق نضال على الجبهة الفلسطينية داتها ، من أجل دعم وحدة العمل الفدائى . وهو الواجب المقدس الذى سيضعه موضع الاعتبار كل مقاتل وفدائى أيا كان التنظيم الذى ينتمى اليه . وهذه خبرتنا على أساس ، رؤيتنا للفدائيين فى جميع المنظمات التى زرنا قواعدها ، وتحدثنا الى مقاتليها ».



معـــــركـــة الـكــــرامـــة

من حرب العصابات الى حرب المواجهة المحدودة

على امتداد التاريخ العربى القديم ، شهدت منطقة الاغوار عدة انتصارات عربية حاسمة اعتبرت فى وقتها وما زالت ــ نقاط تحول فى خط النضال العربى القديم ــ انتصار خالد بن الوليد عام ٦٣٤ على الروم فى اليرموك وهزيمة الصليبيين عام ١١٨٧ على يد صلاح الدين الايوبى فى حطين وانتصار قطز على المغول عام ١٢٦٠ فى عين جالوت .

وفى النضال العربى المعاصر ــ ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية شهدت الاغوار عام ١٩٦٨ نصرا عربيا مؤكدا حققه الثوار الفلسطينيون ــ فى معركة الكرامة ــ تلك المعركة التى يعتبرها الثوار معركة فاصلة بين مرحلتين من مراحل النضال الفلسطينى المسلح .

ان الاهداف التى خطط العدو لتحقيقها من معركة الكرامة ، والنتائج التى ترتبت على هزيمة مخططه ــ .. هى التى جعلت من معركة الكرامة معركة استراتيجية .. تدرس معركة الكرامة كتطبيق سليم لاستراتيجية الحرب الشعبية فى مواجهة استراتيجية الحرب الخاطفة التى يعتنقها ديان .

قبل الكرامة

ان فهم الابعاد الحقيقية لمعركة الكرامة يتطلب منا ان نستعرض النضال الفلسطينى المسلح قبل الكرامة .

بعد هزيمة يونيو ــ وسقوط الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلى دون عناء كبير ــ استحكم اليأس وانتشر تصور انهزامى يدعى ان أى عمل ضد القوات الاسرائيلية ــ سوف يترتب عليه ذبح المواطنين . وساد هدوء ظاهرى وبسبب هذا الهدوء استطاع الاسرائيليون ان يرفعوا حظر التجول بعد شهر واحد من الاحتلال .

ولكن ثوار فتح ، الذين كانوا يعملون سرا قبل يونيو رفضوا هذا المنطق ورفعوا فى مواجهته ــ ضرورة ان يبطل بسرعة مفعول الانتصار العسكرى الاسرائيلى . وضرورة منع المحتل من أن يحرز انتصارات سياسية .

ولم يكن تحقيق هذا الهدف ممكنا دون القيام باعمال بطولية تدحر الافكار الانهزامية وترفع معنويات المواطنين الفلسطينيين فى الضفة الغربية وفى المخيمات اينما كانت .

واتخذ قرار بالانتقال الى الضفة الغربية ــ وكان ياسر عرفات وباقى القيادة على

رأس الذين انتقلوا الى هناك. ثم طبق ذلك ايضا على اعضاء تنظيم فتح فى الخارج • واصبح الذهاب للضفة الغربية والارض المحتلة محكا ومقياسا للعضوية فى فتح .

وفى ١٩٦٧/٨/٢٨ بدأت العملية الاولى فى غزة • ثم توالت العمليات التى جذبت الانظار مثل عمليات القدس •

فى ذلك الوقت ـ كان المقاتل يضرب ولا يعرف اين ينام او يختبىء كانت الكوادر تهيم فى المنطقة المحتلة تهاجم الجنود وتبث الالغام وتتحدث الى الجماهير تدعوها للمقاومة ، وذلك بكيفية تكاد تكون علنية •

لقد اضطر العدو لاعادة فرض منع التجول فى ٦٨/٢/١ • واعترف ديان بالمقاومة ، وان كان قد راح يخفف من هذا الاعتراف بتأكيده ان المقاومة فى كفه كالبيضة ـ يستطيع ان يهشمها لو اطبق عليها كفه •

لكن استمرار المقاومة فى العمل على النحو السابق كان يشكل خطرا على المقاومة ذاتها • على سبيل المثال اخذت بعض العناصر تندس على صفوف المقاومة لتصفى ثآرات قديمة مرتدين ملابس الفدائيين . كما أخذ الاسرائيليون يتخفون تحت أسم المقاومة ليكتشفوا المتعاطفين مع المقاومة ، وسقط ٤٦ شهيدا من رجال المقاومة خلال تلك المرحلة •

وكان لابد من انهاء هذه المرحلة التى سميت بمرحلة « المشردين الهائمين » . وطرحت هنا ضرورة بناء قواعد آمنة للثورة • واتجهت قيادة فتح الى استغلال الميزة الرائعة للثورة الفلسطينية وهى ان تقاتل العدو على أرض لم تحتل منه كلية • وذلك ببناء القواعد الامنة للثورة على امتداد خط المواجهة •

وحددت فتح مواصفات القاعدة الامنة فى ذلك الوقت بابعاد ثلاثة :

١ ـ ان تكون القاعدة فى تماس مع العدو •

٢ ـ ان تكون القاعدة وسط الجماهير •

٣ ـ ان تكون القاعدة فى مكان يمكن ان يدافع عنه ضد عمليات التطويق والابادة •

وكانت هذه المواصفات متوافرة فعلا فى كثير من نقاط خط المواجهة : فى الجولان وجنوب لبنان والاغوار .. وعلى أساس ان فلسطين ليست مساحة جغرافية وانما هى بعد قومى فان انشاء القواعد فى هذه المناطق سوف يتيح حشد واستخدام الطاقات الجغرافية والطبوغرافية والبشرية والمهددة بالتوسع الاسرائيلى ، فى شن حرب شعبية ضد العدو الاسرائيلى •

وما أن بدأت المقاومة فى التمركز فى القواعد حتى اعلن ديان تصريحه المشهور والذى كان بمثابة انذار بمعركة الكرامة وذلك عندما أعلن « انه لا يستطيع ان يقف موقف المتفرج من جيش يتشكل من الفدائيين على بعد كيلومترات من حدوده » •

كان هذا هو الموقف عشية معركة الكرامه وبدا واضحا ان نتيجة هذه المعركة هى التى سوف تقرر : هل يمكن أن تنشأ وتستمر القواعد الامنه فى الضفة الشرقية أم لا ؟ هل توجد القواعد شرق نهر الاردن او لا توجد ؟ •

وقرية الكرامة التى اصبح اسمها علما من اعلام الثوره الفلسطينية ، قرية كبيرة تقع فى سهل الشونه .. على بعد كيلو ونصف شرق نهر الاردن بين جسرى حسين ودامية وترتفع خلفها جبال السلط العالية التى تتخللها أودية وممرات •

استراتيجية العدو الاسرائيلى :

كانت استراتيجية ديان تتلخص فى :

تطويق الكرامة وافناء قوات المقاومة المتمركزة فيها واحتلالها لاثبات انه لا امكانية لوجود قواعد للمقاومة شرق النهر •

تكتيك العدو :

١ ـ قصف عنيف بالطيران لارغام القوات الشعبية على الالتجاء الى الملاجىء .

٢ ـ الهجوم بالدبابات والاليات على ثلاثة محاور عبر الجسور الثلاثة حسين داميه والامير محمد على ان يكون الاعتماد الاساسى على الجناحين (جسرى حسين وداميه) والتقدم لتطويق الكرامة واختراقها ، وابادة القوات والوصول الى الجبل •

٣ ـ انزال قوات مظلات فوق جبال السلط لسد طريق التراجع امام القوات الشعبية فى حالة انسحابها .

القوات المستخدمة :

اما القوات المسلحة التى استخدمها العدو فكانت تتشكل من :

- الطيران •
- كتيبة دبابات •

● لواء مشاة محمول على عربات نصف جنزير .
● قوات مظلات .
● مجموع القوات المستخدمة ١٢ الف جندي

الخطة الدفاعية للمقاومة :

بعد ان اكدت اجهزة الرصد التابعة لفتح ـ ان العدو الاسرائيلي يعبيء حشودا من الدبابات والمصفحات نصف مجنزرة وسيارات فوقها مكبرات للصوت ـ لم يبق هناك مجال للشك في استعداد الاسرائيليين لتوجيه ضربة عنيفة تهدف الى ابادة قوات المقاومة واحتلال السهل شرق النهر . وكان على المقاومة أن تصدق تهديدات ديان وان تستعد لها .

ودارت مناقشات بين قيادة فتح وبين العسكريين التقليديين ـ حول تصور خطة العدو واسلوب مواجهتها .

كان رأى العسكريين ان تتراجع القوات الشعبية الى الجبل ولا تبقى فى السهل والا اضطرت الى الاستسلام خلال ثلاث ساعات أوتتعرض للفناء .

وكان رأى قيادة فتح ـ كما عبر عنه « أبو عمار » ان العدو اذا نجح فى العبور وبقى فى المنطقة مدة يومين أو ثلاثة فان ذلك يعني نجاح خطته فى دخول الضفة الشرقية واحتلالها وقتما يريد . وان القوات الفدائية المقاتلة اذا تمركزت فى السهل فسوف يمكنها الدفاع عن الجبل . ـ ولن تستطيع الدفاع عن الجبل لو بدأت بالتراجع اليه ـ وأكد ياسر عرفات انه لو كان على المقاومة أن تتراجع الى الخلف فمن الافضل أن تنتقل الى دمشق أو الى عمان ولا تبقى فى الاغوار .

واصرت فتح على البقاء فى السهل وان يكون مقاتلوها رأس الرمح لصد الهجوم .. وطالبت بنسف الجسور قبل المعركة على أساس أن الاسرائيليين سوف يستخدمونها فى العبور لحاجتهم الى السرعة من ناحية ومن ناحية اخرى لاستهانتهم بما ينتظرهم على الجانب الشرقي من النهر . وقد رفض هذا الطلب . ولم يغير ذلك الرفض من موقف فتح ورسمت خطتها الدفاعية لدحر خطة العدو واستراتيجيته على النحو التالى :

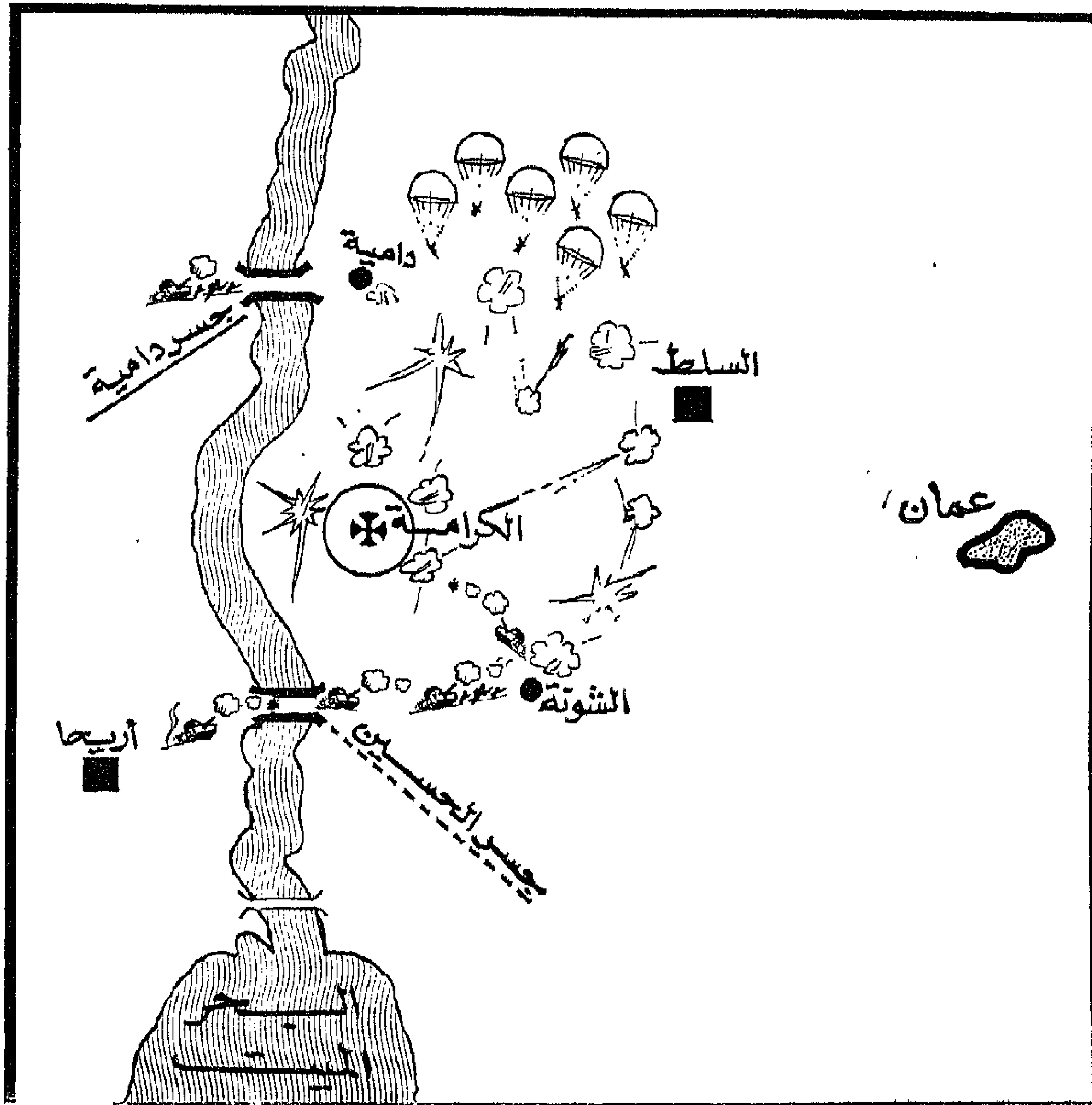
١ ـ تركيز مدافع الهاون بحيث تكون معدة للاطلاق ومحسوبة الزوايا على مداخل الجسور ، وبحيث تصيب القذائف مجموعة مصفحات فى نفس الوقت ..

٢ ـ وضع قوة للانذار جيدة التسليح على بعد ١٥٠ مترا من النهر .

٣ ـ بناء ملاجيء فى السهل تكون مرتفعة بحيث تتيح للمدافعين مجالا افضل للرؤية والتصويب .

٤ ـ بناء انفاق بين البيوت بحيث تمكن المقاتلين من الحركة من بيت الى آخر .

٥ ـ القتال داخل القرية من بيت الى بيت لمنع تقدم القوات الاسرائيلية



٦ ـ وضع قوة فوق الجبال لمقاومة محاولة الالتفاف ٠

٧ ـ توفير افضل الاسلحة وبشكل خاص ، الاسلحة المضادة للدروع ٠

وكان ترتيب قوات المقاومة وتوزيعهـا اكثر المشاكل صعوبة فى معركة الكرامةفبعدانسحاب مقاتلى الجبهة الشعبية ـ القيادةالعامة ـ (أحمد جبريل) كانت جماعات المقاتلين المحتشدة فى الكرامة تمثل خيرة كوادر فتح والى جانبهم قوات من جيش التحرير التابع لمنظمة تحرير فلسطين ٠

ونظرا لانه لم يكن هناك أى شك فى طبيعة المعركة المنتظرة فقد اعلنت القيادة أن الاشتراك فى المعركة اختيارى ، وان أى مقاتل يمكنه الانسحاب قبل المعركة دون اخطـار او احراج ، ودون ان يترتب على ذلك أية نتائج بالنسبة لاشتراكه فى المعارك الاخرى المقبلة ٠

ومن أجل ضمان استمرار وجود بعض القيادات لتتمكن من مواصلة قيادة المعركة ، قام ياسر عرفات ، بتوزيع خيرة المقاتلين من اعضاء فتح بين السهل والجبل ٠

ولا تذكر هذه المرحلة الشاقة من الاعداد للمعركة ـ الاوتذكرمعها الروح النضالية العالية التى ابداها المقاتلون وروح البذل والعطاء دون حدود التى اتسم بها الموقف العام للمقاتلين ٠

ويذكر الذين قاتلوا فى الكرامة ـ ما قاله المناضل الشهيد«الفوسفورى» لياسرعرفات عندما طلب منه أبو عمار أن يتراجع عن مكانه المتقدم فى السهل وان يصعد الى الجبل ٠ قال الفوسفورى **« اعرف ان هـذا ليس خنـدقى ، وانما هـو قبرى ٠ ولكن يجب أن يأتى جيل يصمد »** ٠ لم يكن الثوار يقاتلون ضد العدو الاسرائيلى فقط ولكن كانوا يقاتلون ضد « عقدة الفرارية » .

لقد بقيت قوات فتح فى منطقة الانذاروفى الكرامة وفى السهل واتخذت قوات التحـرير الشعبية مواقعها على تل معين شرقى الكرامة ٠

سير المعركة :

بدأ الهجوم الاسرائيلىالساعة ٣٠ر٥من صباح الخميس ٢١ مارس ١٩٦٨ متأخرا نصف ساعة عن الموعد الذى توقعته قيادة المقاومة ٠

وبدأ القصف الجوى العنيف لارغام المقاتلين على الالتجاء ٠ وتقدمت الدبابات الاسرائيلية على ثلاثة محاور عبر الجسور الثلاثة ـ ولكن الزحف الرئيسى كان من الجانبين ، من جسر الملك حسين وجسر دامية ٠

وخلف الدبابات كانت تتقدم المدرعات المجنزرة تحمل لواء منالمشاة . وبدأت عملية انزال قوات المظلات فوق جبال السلط ، خلف الكرامة لاحكام عملية التطويق وقفل طريق التراجع امام القوات المتمركزة فى السهل ٠

وانطلقت هاونات الفدائيين المعدة لـلاطلاق ، والمضبوطة الزوايا واصابت مجمـوعة مـن المجنزرات وعطلتها ٠ وحتى لا يفقد الهجوم سرعته وحدته بسبب اختناق الطريق ، كان العـدو الاسرائيلى قد أعد بولدوزر الى جوار الجسر ٠ وكان البولدوزر يقذف بأى مجنزرة اسرائيليـة تصاب بمن فيها منالجنود الى النهر لاخلاء الطريق ٠ ثم ينزل رجال الاسعاف الىالنهـر لاسعاف من فيها ٠

واستغرق العدو نحو الساعة ليعرف مواقع الهاونات ويسكتها واستطاعت قوة الانذار المتقدمة فى مقدمةالطريق على بعد ١٥٠مترا منالجسران تعطل الهجوم وتنزل الارتباك فى صفوفه ـ بعمل كمين للدبابات مستخدمة مجموعة من المـدافع ار ٠ب ٠ ج المضادةللدبابات ورشاشاتكلاشينكوف ونجحت فى ضرب مجموعة من الدبابات مرة واحدة ٠

وقد قاتلت قوة الانذار ، والتى كان يقودهـا بشير أبو تمام طالب من جامعة القاهرة والذى عرف باسم أبو تمام ٠ قاتلت ببسالة وعناء حتى نفذت ذخيرتها تماما، ثم التحمتبالقوات المهاجمة حتى استشهد كل افرادها . وقد فحص مراسل رويتر الجثث فى هذا الموقع وسجل انه لم يجد واحدا من القتلى مصابا فى ظهره ٠

وفى الساعة ٣٠ر٨ بعد ثلاث ساعات من بدء الهجوم بدأتالمدفعية الاردنية المتمركزة فىالسلط التدخل فى المعركة ٠

وفى هذا الوقت كانت قوات المظلات الاسرائيلية التى انزلت فوق الجبل قد تمكنت من القضاء على القوة الموجودة على التل شرق الكرامة .

لقد تم انزال القوات الاسرائيلية فى نفس الموقع الذى كانت تحتله قوات جيش التحرير الشعبى [٣٣ مقاتلا] . وامكن لهذه القوة الصغيرة ان تؤخر عملية التطويق وان تعطى بمقاومتها الوقت الكافى لكى تعيد قيادة المقاومة ترتيب قواتها فى السهل ومركزتها ٠

وفى السهل أمام الجسور ، وبعد قتال ضار ، وبالغ العنف ، استمر من الخامسة والنصف صباحا حتى الساعة ١١ تقريبا ـ بدا ان الهجوم الاسرائيلى قد نجح فى اختراق الدفاعات المعدة من جانب القوات الشعبية ٠

واخذ الاسرائيليون ينزلون قوات مشاة على الجبل خلف الكرامة وبدأوا يدفعون بالسيارات حاملة مكبرات الصوت والقاء منشورات تطالب الناس بوضع السلاح أمام البيوت واغلاق الابواب لتامين انفسهم •

ولكن داخل القرية الباسلة كانت تنتظر القوات المهاجمة ـ أعنف مقاومة شهدتها المعركة • لم تكن فقط مقاومة تصفها بطولات فردية ، كهؤلاء الشباب من المقاتلين الذين كانوا يصعدون الى اسطح المنازل ، ويقفزون فوق المجنزرات الاسرائيلية محملين بالعبوات الناسفة ومفجرين انفسهم مع المجنزرة ومن فيها ـ ولكنها كانت مقاومة باسلة ومخططة •

ومن ابرز أحداث المقاومة داخل المدينة ـ ماقام به الملازم « رؤوف » الذى كان متخصصا فى استخدام مدفع آر ـ بى • جى • وكان رؤوف مسؤولا عن مجموعة من المقاتلين فى منطقة مدرسة القرية ـ وقدر ان القوات المهاجمة سوف تركز هجومها على المدرسة • فلم يحشد قواته فيها وانما وزعها على المنازل المحيطة بالمدرسة والطرق المؤدية اليها • وبقى هو وحده فى المدرسة ـ لقد سقط رؤوف وتحت جثته اربعة قذائف فقط آر • بى • جى لم يسعفه الوقت لاطلاقها ـ ولكنه استطاع مع مجموعته ان يكلف المهاجمين خسائر فادحة فى المصفحات والافراد فى قتال ضار استمر لمدة ساعة ونصف الساعة •

وبعد الظهر بدأت مدفعية الجيش الاردنى التى كان يقودها اللواء « مشهور » تكثف قصفها على السهل أمام الكرامة وكان لذلك قيمة كبيرة فى تطور المعركة • فقد ارتفعت خسائر العدو بشكل ملحوظ فى المصفحات والافراد •

وفى هذه الفترة المبكرة من بعد ظهر الخميس ، تم تقييم الموقف كما تراه قيادة فتح على النحو التالى :

اذا امكن منع القوات الاسرائيلية المهاجمة من الوصول الى التلال والسيطرة عليها قبل حلول المساء ـ فان العدو سوف يكون مرغما على البقاء فى السهل وبالتالى فلن يستطيع اتخاذ مواقع دفاعية ثابتة ـ وسوف تتوافر لقوات المقاومة عندئذ فرصة لحشد قواتها •

ومن ناحية اخرى كان فى تقدير قيادة فتح المشتركة فى المعركة ان المصفحات المجنزرة تحتاج الى شىء من الاصلاح بعد استخدامها المستمر لمدة ١١ او ١٢ ساعة • واذا اراد العدو اصلاحها او استبدالها بمعدات جديدة فسوف تكون هذه المدة هى الفرصة المواتية لضربه بهجوم مضاد •

ولم تكن هذه الحقائق تغيب عن الاسرائيليين بل كان عليهم أن يضعوا فى اعتبارهم الى جانبها ـ ما حدث خلال القتال من تمرد بعض الجنود وهربهم من المجنزرات عندما شاهدوا الشباب يقفز فوق المجنزرات المتقدمة وينسفها بجسده الملغم • وكذلك رد الفعل بين الجنود بسبب القاء المجنزرات المعطلة الى النهر بمن فيها ثم ارتفاع الخسائر بشكل ملحوظ •

وبدأ العدو يفكر فى الانسحاب منذ الرابعة بعد الظهر ـ ولكن المشكلة الاساسية ، بالنسبة له ، لم تكن فقط تامين الانسحاب فى وقت قصير لهذا العدد الضخم من الاليات والمصفحات والجنود ـ وانما ايضا اخلاء الاليات والجرحى والقتلى الذين قدرتهم مصادر عسكرية من غير دول المواجهة بحوالى ١٢٢٨ جنديا •

وربما يطرح هـذا السـؤال : لمـاذا يصر الاسرائيليون على اخلاء ميدان المعركة من الخسائر ؟

ان ديان ينفذ وصية بوفر القائد الفرنسى الذى قاتل ضد الثوار الجزائريين والتى تقول بعدم ترك رجل العصابات يشعر بانتصاره • وكان ترك هذه الخسائر الاسرائيلية الفادحة على ارض المعركة ـ أمر يثير الرضا والفرح فى نفوس رجال المقاومة البواسل •

وبدأ الانسحاب حوالى الساعة ٦ مساء ، عبر اثنى عشر جسرا انشأها الاسرائيليون لتامين الانسحاب •

نتائج معركة الكرامة :

ان الابعاد الحقيقية لهزيمة الاسرائيليين فى الكرامة لا تقاس بالخسائر الفادحة التى اصابت القوات الاسرائيلية ومن بينها وفاة واصابة قائد المعركة الذى عثر على عصاه فوق الجبل ولم يعثر على جثته كما انها لا تقاس بالتكاليف التى قدرتها مجلة افياسيون الامريكية بعشرين مليون دولار ـ ولا بتصريح ديان « ان من يضـع يده فى عش الزنابير لن يسلم من اللدغ » وكان ذلك عندما سئل بعد الكرامة عن نظرية « البيضة والكف » التى وصف بها المقاومة من قبل •

ان التقييم الحقيقى لنتائج معركة الكرامة ينطلق من انه فى الكرامة هزمت النخبة المختارة من القوات الاسرائيلية التى دفع بها ديان الى احتلال الكرامة • وان هذه الهزيمة وما صاحبها من خسائر باهظة فى الرجال والمعدات قد اوضحت للقادة الاسرائيليين •

● ان التحرك المستمر نحو الشرق لم يعد ممكنا كلما ارادوا •

● وان هذا النوع من المعارك باهظ التكاليف وغير مضمون النتائج ٠

● وان جيش الفدائيين الذى يتشكل على بعد كيلو مترات قليلة من قواتهم أكثر مرارة من ان يستطيع الاسرائيليون ابتلاعه ٠

● وارغم العدو على تغيير استراتيجيته ٠

وقد أكدت الكرامة صحة ما ذهبت اليه فتح من ضرورة وامكانية انشاء القواعد الامنة على طول خط المواجهة ٠ وفرضت بطولات الكرامة على الجميع احترام بنادق المقاتلين ٠

بعد الكرامة :

وهكذا التزم العدو الاسرائيلى لاول مرة بموقف دفاعى وهو « مسمرة » الجنود خلف خطوط امن الكترونية فى بعض المناطق وبشرية فى مناطق أخرى ٠ ووضع الاسرائيليون استراتيجية المطاردة الساخنة ٠ بمعنى ان قوات المقاومة التى تدخل الارض المحتلة تطارد مطاردة عنيفة ومكثفة تشترك فيها كافة الاسلحة بما فى ذلك المدفعية والطيران خاصة الهيلوكبتر ٠

وبعد انتصار الكرامة انتهجت المقاومة خطة المواجهة المحدودة ٠ فعشرون مقاتلا من الثوار الفلسطينيين قادرون بفضل عنصر المفاجأة والاستعداد والتسليح الجيد ، غزارة النيران ، قادرون ان يواجهوا ٣٠٠ جندى اسرائيلى وعدة مجنزرات وان يقتلوا منهم نحو الثلاثين ٠

وهذا هو ماحدثفى معارك جباريس والموجة وقرنطل ووادى القلط وخسر العدو الاسرائيلى فى هذه المعارك بعض كبار ضباطه من رتبة الكولونيل واللفتنانت كولونيل ٠

وفى منتصف عام ١٩٦٩ قام الثوار الفلسطينيون باخطر العمليات وأجرئها — عندما فتحوا فى ليلة واحدة ٢٨ ثغرة فى الحواجز الالكترونية التى أقامها الاسرائيليون فى الشمال والتى يضعون فيها كل موانعهم (موانع الكترونية — الغام — اسلاك مكهربة) وكذلك عند قيامهم بعمليتى الحمة والحزام الاخضر فى المنطقة التى كان ديانيعتبرها منطقة مغلقة فىوجه المقاومة ٠

عامان بعد معركة الكرامة :

كيف تبدو الصورة بعد عامين من الكرامة ؟ أثرت أعمال الثوار المقاتلين على الجانب الاسرائيلى — لم يعد من الممكن اخفاؤها أو التقليل من خطورتها ونتائجها ٠ ان اصداء هجمات الثوار الفلسطينيين وقذائف مدفعيتهم وصواريخهم — قد اخذ يتردد فى حياة الاسرائيليين وبات لـه انعكاساته فى الاقتصاد الاسرائيلى ٠

لقد ازدادت الهجرة من وادى بيسان واقفرت الاراضى الزراعية من العمال الى الدرجة التى أرغمت الحكومة الاسرائيلية على أن تعلن عن اعفاء سكان منطقة غور بيسان من كافة انواع الضرائب، على انيشمل هذا الاعفاء كل القاطنين فى الغور حاليا أولئك الراغبين فى العودة اليه ٠

وفى ميزانية عام ٧٠ — ٧١ خصصت الحكومة الاسرائيلية مبلغ ٣٧ مليون جنيه استرليني لمواجهة نفقات تدريب الاحتياطى، وبناء الملاجىء والنفقات الناشئة من مرابطة قوات عسكرية فى خطوط المواجهة ٠

وديان يمضى فى سياسة المطاردة الساخنة ويبرر اشتراك المصفحات والهيليوكوبتر فى المطاردة بان مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين سوف تحتاج الى لواء كامل لمطاردتها اذا تسربت الى تل ابيب ٠

وقد احتلت اخبار المعارك وهجمات الفدائيين فى القطاع الجنوبى لخط المواجهة (جنوب البحر الميت) مكانا بارزا وبشكل خاص تلك الهجمات التى ادت الى توقف مصنع البوتاس جنوبى البحر الميت توقفا يكاد يكون تاما ٠

وقد ادى عنف الضربات التى وجهت للمصالح الاقتصادية الاسرائيلية فى القطاع الجنوبى الى أن يدفع ديان بجنوده الى احتلال الجبال فى غور الصافى حتى يؤمن المصنع ، ويبعده عن مدى صواريخ الثوار. ولكنه ارغم على الانسحاب بفضل معركة باسلة (يناير ٧٠) خاضتها القوات المحلية لفتح فى القطاع الجنوبى والميليشيا الشعبية (وهى أول معركة اشتركت فيها القوات السعودية) ٠ ومن اجل المحافظة على معنويات الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعرفون مهمتهم فسر الاسرائيليون التراجع عن احتلال الجبال بانه تم بسبب الاحوال الجوية ٠

أما من جانب الثوار فعود المقاومة يتصلب، والقواعد تصبح اكثر استقرارا وأكثر مناعة، وكفاءة التسليح والتدريب تزداد ، والتنظيم الشامل من أجل تحويل قوات المقاومة الى جيش للتحرير الشعبى يأخذ مجراه وتتسع قاعدة العمل المسلح بتكوين الميليشيا المسلحة ٠

شهادات واقعية

الفدائى الفلسطينى المقاتل .. والانسان

عند الخط الرفيع الذى يفصل بين الحرية والعبودية ، وعند البرزخ الذى يفصل فعلا بين الحياة والموت ، هناك داخل القواعد التى يعيش فيها ويقاتل الفدائيون ، وينطلقون عبر الجبال ، نحو العدو ، نحو الارض المحتلة . وعبر النهر ، وعبر الصحارى ، وفي مراكز اقامها المقاتلون فى الاردن ، في الشمال ، والوسط ، والجنوب ، هناك التقى محررو « الطليعة » بالطلائع المقاتلة من ابناء فلسطين ، ليشهدوا الفلسطينى الجديد ، ليتعرفوا على أفكاره ، وليستشرفوا آفاق تطوره كمقاتل ، وكانسان وهب حياته للدفاع عن انبل القيم وأعلاها .

في هذا المناخ الذى يعيش فيه المقاتلون، اهتمت الطليعة بأن تستطلع رأيهم فى نقاط محددة طرحت على شكل اسئلة هى :

ما هى تجربتك — كما عشتها — فى العمل الفدائى ، وذلك من حيث :

أ — تطور ونمو المقدرة القتالية للفدائى

ب — العلاقة بين فدائيين ينتمون الى تنظيم واحد .

جـ — العلاقة بين فدائيين ينتمون الى تنظيمات مختلفة .

د — تقييمك للجندى الاسرائيلى على اساس الاحتكاك المباشر به .

اهم حدث عرض لك فى حياتك كمقاتل واثر فى نفسك .

حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح)

الاسم : ناصر عبد الحميد .
السن : ٢٨ سنة .
العمل السابق : محلل كيماوى .
المنطقة : قضاء حيفا — ثم نابلس .

■ أولا :

●(أ): فى تصورى هناك مرحلتان للنضال الفلسطينى . الاولى فترة ما قبل حزيران [يونيو ١٩٦٧] ، والثانية فترة ما بعد حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . قبل ١٩٦٧ كان الانسان الفلسطينى غير مهيىء نفسيا لان يعمل ويخوض معركة مسلحة . وكانت هناك عوامل أساسية خلقتها ٢٠ سنة من البعثرة والاذابة للشعب ، وكانت لها آثار سلبية لانها حرفت تفكير الشباب الفلسطينى بحيث دفعه الى البحث عن الحياة المستقرة من حيث الوظيفة ووسائل الرزق . الجيوش العربية ، وان فلسطين ستعود بحرب كلاسيكية . وكان ذلك الاعتقاد قد ترسخ بواسطة الاعلام العربى من صحافة واذاعة ومواقف رسمية وكان لا دور للشعب الفلسطينى فى معركة التحرير . أى كان فيه نوع من التواكل .

كذلك فيه تجربة سابقة للشعب الفلسطينى بوجه عام وأقصد التجربة الحزبية . فى سنة ١٩٥٦ مثلا وحتى اوائل سنة ١٩٥٨ كان من النادر ان تجد شابا فلسطينيا لا ينتمى الى حزب ، وانا كنت مناصرا لحزب معين ، هو حركة القوميين العرب . وفى سنة ١٩٦٥ كان هناك نوع من النشاط غير الملتزم فى حركة القوميين العرب وكنت أقوم

وكان هناك فى ذلك الوقت تصور قائم على الاعتماد المطلق على بنشاطى على اعتبار انه من خلال هذا التجمع يمكن أن نصل للبندقية .

ولذا فان تجربة سنة ١٩٦٧ وهزيمة الجيوش العربية جسدت موقفا جديدا أمام كل شاب فلسطينى بشكل عام ، لانها دعمت الاعتقاد بأنه اذا كان لابد لهذا الجيل أن يتحرك فى سبيل قضيته ، فليمارس ذلك مباشرة ولم يكن ممكنا الوصول الى ذلك من غير الطلقة والبندقية لان البيانات لم تعد مجدية تماما .

وفيما يتعلق بموقفى بعد حزيران (اى يونيو سنة ١٩٦٧) قد يبدو هناك تساؤل عن سر تجميد نشاطى فى حركة القوميين

العرب واتجاهى الى حركة فتح .
والحقيقة انه كانت هناك اتهامات عديدة تثار ضد هذه الحركة قبل أن يتاح للانسان العادى الفرصة ليكتشف هويتها بالتحديد . وقد اتجهت الى حركة فتح لاسباب عديدة ، وخاصة انها كانت أول من باشر العمل المسلح عامة ، وبعد حزيران (يونيو) كذلك كانت أول من أطلق النار فى وجه العدو ، لتعلن للعدو وللعالم أجمع أن الشعب الفلسطينى والعربى لم ينته . كذلك فانه حتى سنة ١٩٦٧ لم يكن أىتنظيم آخر قد مارس العمل العسكرى ضد اسرائيل بل انه لم يقتنع أساسا بذلك .

وفيما يتعلق بتطور القدرة القتالية ، أعتقد ان القدرة القتالية لا تأتى الا عن الايمان والقناعة . والايمان والقناعة التى تولدت بعد حزيران كانت اهم المنعطفات التى أثرت تأثيرا مباشرا فى نفسية الشباب الفلسطينى . والحقيقة أن منعطف معركة الكرامة كان هو المقياس الوحيد الذى نأخذه للمقارنة ما بين القدرة القتالية للمقاتل الفلسطينى قبل هذه المعركة وبعدها ، وهذا التطور لم يكن عشوائيا، بل كان ناتجا عن قناعات معينة أكدت هذا الشعور .

وفى رأيى ان المقدرة القتالية تعتمد اساسا على الممارسة . ومن المواجهة المحدودة التى أثرت كثيرا على تطوير مفهوم المقاتل للحرب الشعبية ، وعلى مقدرته العسكرية ، ترسخت القناعة أكثر بجدوى هذا العمل .

فيه هناك عدة معارك تؤكد المقدره وآخرها معركة **غور الصافى** ، قلنا انها امتداد لمعركة الكرامة . انا فى تقديرى انهاأهم من الكرامة . فى الكرامة كنا متمركزين والعدو متقدم . وفى غور الصافى كان العدو متمركزا وكنا نحن مهاجمين . وكان هناك اعتقاد بضرورة خوض هذه العملية لاعتبارات جماهيرية ، ولاعتبارات ناتجة عن تصميم المقاتلين انفسهم . رأيت مشاهد معينة فى معركة غور الصافى . كان الاحوار بازلين بطريقة الانسان المتفائل تماما من أجل تحقيق النصر . العملية لم تكن عمليه تكليف من القيادة لخوض معركة ، بل كان كل مقاتل يعتقد ويشعر أن هذا دوره الطبيعى . فى الكرامة كان فيه مدفعية ثقيلة نبع الجيش، تساند الفدائيين ، أما فى غور الصافى فمنطقة الجيش لاتوجد بها مثل هذه المدفعية ، ولكن هل يمكن اعتبار ذلك مغامرة ؟ لا بل كان اصرارا على المواجهة وكان فيه قناعة تامة بضرورة هذه العملية .

والمقدرة القتالية بصورة عامة تلاحظ من دراسة تطور المعارك نفسها وليس فحسب من مجرد القاء نظرة على التخطيط العسكرى . وأكثر فأكثر نجد الانسجام بين قناعة المقاتل بالقتال عامة ، وبين قناعته بالتخطيط العسكرى .

أعطيك مثالا بسيطا ، فى الكرامة كان المقاتل يتدرب ١٥ يوما بعدها يصير مقاتلا ، كان الكلاشينكوف شيئا فريدا من نوعه .

فى معركة الكرامة ، أذكر كان فيه رشاش دوشكا متوسط م . ط وكان عطلان . وكان فيه اثنانأو ثلاثة من مدافع الـ « ر . ب . ج ٢ » ومدفع ١٠٦ وهو مدفع غير مرن ومضاد للدروع . وكانت العملية محصورة وكان المقاتل محصورا فى حمل بعض العبوات الناسفة .

فى الكرامة مثلا لم تستطع قواتنا مسح المنطقة من الالعام ، لاننا كنا نفتقر الى مجموعات هندسيةتستطيع تمشيط المنطقة، ولكن فى الصافى تونتالعمايه كاملة ، ومجموعة هندسيةكاملة من قواتنا .

فى الكرامة لم نكن نعرف مواجهة الطيران ، فى الوقت الحالى أصبح الطيران لعبة طريقة يحب المقاتلون ممارستها. احد اخواننا استشهد خلال ايام ويدعى (عبد العزيز سالم) . كانت الطيارة تضرب وزميله يضرب عليها وهو يمزح معه بينما كانا يقومان بالضرب .

● (ب) : العلاقة فى الواقع هى علاقة أخوية ، وعندنا قاعدة عامة هنا ، هى جماعية الرأى ، وديكتاتورية التنفيذ . هذه القاعدة مطبقة ، ولكنها ايضا تطور مع كل يوم عن طريق التوعية الثورية قد تجد تفاوتا بين البيئات التى نشأ فيها كل واحد من المقاتلين . فمنهم من عاش فى الضفة الغربية أو الشرقية أو سوريا أو لبنان أو قطاع غزة أو دول الخليج . ومظاهر الحياة العامة قبل الثورة لا يمكن أن يستطيع الانسان تغييرها فورا كما نتمنى ولكن هناك شيئا أساسيا هو مدى تقبل المقاتل للتطوير ، ومدى اقتناعه اساسا بوجوده فى هذه القاعدة ، وبالعمل الذى يمارسه . ولا يوجد انسان ترك حياته العادية ، وقد تكون مرفهة فى العديد من الاحيان ، الا وعنده — فى نفس الوقت — قناعة . والحقيقة انه انطلاقا من القناعة ، يستطيع المقاتل التطور . تحدث كثير من المواقف . وقد يتصرف المقاتل فى لحظة من اللحظات بطريقة عصبية ولكنه الى أى مدى تصل به هذه النرفزة ، هل يمكن ان تصل الى ترك الكفاح المسلح . لا . لسنا ملائكة نتعامل مع بعض — وهناك نزعات موجودة فى نفس كل انسان . مثال : حدثت مشكلة بسيطة على خطأ فى أمر عسكرى ، والخطأ سبب أرباكا ومشكلة . فى هذه الحالة حدثت مناقشة بين الاخ المسئول الذى أصدر الامر وبين الاخوة المقاتلين . فاتنرفز واحد من الاخوة ، واتنرفز الاخ المسئول ولكن هذه الخلافات هى كالخلافات التىتحدث فىكلبيت، بين الاخوة الذين يأكلون فىطبق

واحد ، وعندما تحدث مشكلة كبيرة للغاية ، فأقصى المسألة هو أن يطلب الانسان نقله من قاعدة الى أخرى أو من موقع الى آخر .

كذلك يمارس الاخوة النقد والنقد الذاتى فيعترف المقاتل بالاخطاء التى يرتكبها كأن يكون أطلق النار خطأ أو ترك موقعه . وبالنسبة للصدى الذى أحدثه النقد فى نفوس المقاتلين نجد أنه حدث تطور ملموس فعلا بالنسبة لبعض الاخطاء الشائعة مثل خطأ اطلاق النار دون داع ، ومع ذلك لم تفرض عقوبات اطلاقا بالمعنى التقليدى ، ولم يدفع مناضل ثمن رصاصة أطلقها . والعقوبات هنا تتمثل فى حفر خندق او ساعة حراسة زيادة .

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين المقاتل والضابط فنجد ان وجود الضابط ضرورة وليس مركزا ، وانما لشغل مكان تنظيمى معين . احد مراسلى مجلة «دير شبيجل» سأل : هل يستطيع المقاتل مواجهة الضابط ، وسأل أحد المقاتلين ، هل تستطيع مناقشة أبو عمار فقال له : بالطبع .

● (جـ) : فيه قناعة عند المقاتلين .. ان الخلافات بين التنظيمات القائمة لا تمس ولا تتصل أساسا بالمقاتل . فمقاتل فتح يعتبر أى مقاتل آخر زميلا له يشترك معه فى القتال . حياه الله . وهناك مثل شائع وهو انه بعد البراميل ما فيه منظمات (والبراميل هنا تشير الى البراميل التى توضع للجيش الاردنى كمراكز للحدود) . أى ان الكل بعد البراميل اخوة مقاتلين ضد العدو ، لانه عندما تنتهى المخافر الاردنية . مثلا لو احتاجت احدى الدوريات التابعة لتنظيم آخر فى احدى عملياتها لمدفع « ار . ب . ج » غير موجود عندها ، فتح تعطيه لها للقيام بالعملية ثم يعيده التنظيم الاخر بعد انهاء العملية .

وكل التناقضات الموجودة فى الملصقات على جدران عمان ، غير موجودة مطلقا فى صفوف المقاتلين . ولو دخلت مقهى بهذه المنطقة ستجد كل المقاتلين مع بعض شلة واحدة « وبيحكوا » .

● (د) : استطيع ان اقيم الجندى الاسرائيلى بناء على مواقف حصلت . أعتقد ان الجندى الاسرائيلى ليس مقاتلا أصلا بالمعنى الحقيقى . الاسرائيلى لا توجد لديه مقومات المقاتل الفلسطينى أو العربى ، أى المقومات المعنوية . المقدرة الفنية لديه قد تبدو متوفرة . والمقدرة التكنولوجية موجودة أيضا لديه . ومع ذلك فقد بلغ الامر بجنودنا فى مواجهة العدو الى حد الاعتقاد بأن عقوبة المقاتل تكمن فى حرمانه من القيام بالدوريات .

■ ثانيا :

أهم التجارب الانسانية التى أثرت فى هى التى تحدث فى ساحة المعركة . ولكن ما يمر بنا من ظروف اعتبره شيئا طبيعيا فى حياتنا . والذى يلمس هذه المواقف ، هو المراقب الذى يهمه البحث عن مثل هذه الملاحظات .

●

الاسم : عدنان .
السن : ٢٢ سنة .
العمل الحالى : طبيب اسنان .
المنطقة : يافا .

■ اولا :

● (أ) : درست فى احدى الدول الاسلامية ، خارج الدول العربية . واثناء دراستى كنت احد العاملين فى اتحاد طلبة فلسطين بتلك الدولة ، وكان مجال عملنا سهلا لانه بين اصدقاء لا اعداء . كانت هناك سفارات عربية معينة لاتبرز القضية الفلسطينية لشعب ذلك البلد ، وكانت السفارات الامريكية تعمل على ضرب القضية الفلسطينية . وعلى أية حال لما انهيت تعليمى، التحقت بالعمل الفدائى فى الخدمة الطبية .

● (ب) : العلاقات بين الاخوة المقاتلين ، سواء داخل العيادة، او فى القواعد التى نزورها ، هى علاقات اخوية لا تشوبها شائبة، ومعاملتهم لبعض كالاخوة ، والذى يحكمها هو الهدف الذى يسعون اليه والغاية السامية التى تجمعهم وتزيل اى حلاقات ، سواء طبقية بينهم او فى وجهات النظر . وخدماتنا الطبية تشتمل الاهالى والمقاتلين والخدمة للاهالى محدودة فى وقت معين وبعد ذلك نتفرغ للمقاتلين . أما تأثيرنا السياسى فيأتى عن طريق علاج الناس والاهتمام المخلص بهم .

● (جـ) : العلاقات بين المقاتلين من كافة التنظيمات علاقات أخوة ومحبة .

● (د) : عملى الطبى لم يتح لى المواجهة مع الجندى الاسرائيلى مباشرة .

■ ثانيا :

من التجارب ذات الاثر فى النفس ، انه لما عرضت على عائلتى مسألة الخدمة الطبية فى صفوف الفدائيين ، تساءلت العائلة عن هذه المسألة وقالوا : « لقد علمناك وصرفنا عليك ، فكيف يكون حالنا بعد ذلك . فأوضحت لهم ان الثورة لها على حق ، مثلما هم لهم حق . والان هم مقتنعون بموقفى تماما . وبدأوا يعرفون انه يجب عليهم أن يضحوا بشىء حتى يستردوا ما سلب منهم .

الاسم : صقر عباس .
السن : ٢٣ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : نابلس .

■ **اولا :**

● **(أ) :** الفدائي كلما ينزل معارك اكثر كلما يكون اقوى مما سبق . والتعليم من التجارب نفسها أهم . والفدائي يكتشف العدو من التجارب ، ويعرف كيف يكتشف تحركاته المختلفة .

● **(ب) :** العلاقات مترابطة بين الثوار وبعضهم والروح اخويه ليس لها حدود . وطبيعة العمل ، وطبيعة الصداقة هنا مختلفة ، لاننا دائما مترابطون مع بعض ، نقاتل مع بعض ، ونعيش مع بعض ، والانانية غير موجودة بالمرة ، والخطا يكون بالاصلاح والنقد الذاتي . اذا وجد عنصر خاطيء يؤخذ على جنب ويفهم الخطا ، ونتيجة التجارب التي يمر بها يعرف الصواب والخطا ، ويتخلص من الانانية والشوائب الدنيئة كلها .

● **(جـ) :** الثوره تنبع من أرض المعركة لا من المكاتب ، والمقاتل يعرف ان المقاتل الاخر الذي ينتمي الى منظمة اخرى ، اخوه في المنظمه الاخرى ، يقاتل مثله ، ولذا فهو يساعده ويعطيه ذخيرة وكل شيء . وعلاقتنا بالمناضلين الاخرين من المنظمات الاخرى هي مثل علاقتنا ببعضنا .

● **(د) :** انطباعي ان العدو لايزال قويا ، ولابد من مواجهته بقوة اكبر من قوته . وهذه تكمن في ايماننا وتصاعد عملياتنا . ونحن نواجه الجنود احيانا بطريقة غير مباشرة بالهاون مثلا .

■ **ثانيا :**

من التجارب ذات الاثر في نفسي ، انني اشتركت في مرة في عملية انا وأخ زميل مقاتل . وبعد ان نفذنا العملية وبدأنا نخرج من الارض المحتلة ، قطعنا السلك الشائك ، وكان موضوع الغام على بعد معين بعد السلك الشائك ، وده اسلوب خداع . ودخلنا حقل الغام فجرحت ولكني وجدت زميلي مجروح اكثر مني . أنا جرحت ، وكان هو في مكان بعيد عني ، وكان يزحف زحفا . ولم تكن المجموعة الثانية تستطيع ان تمد له يد المساعدة ، لاننا كنا مجموعتين ، كل منهما من اثنين مقاتلين . وأنا وجدت زميلي في حالة خطرة ، ولكني وجدت نفسي استطيع السير ، وكانت اصابتي بشظايا في اليد اليسرى والوجه والظهر والرجل من الحلف . ووجدته بحالة يرثى لها ، لانه لما انفجر فيه اللغم رفعه الى فوق ، واثر على مفاصله وجسمه ، وقد اثرت حالته في نفسي ، وعزت على كرامتي ، فتحاملت على نفسي ، وتحملت مسئولية اخراج زميلي من حقل الالغام . وانا ، نتيجة انه لم يستطع المشي ، حملته على كتفي ، ووجدت صعوبات في اخراجه من الارض المفتوحة المكشوفة وتبلغ ٢٠ كيلو مترا . ولم يكن معي سوى زمزمية ماء . فحرمت على نفسي شرب الماء من اجله ، وساعدته على السير ، ووصلنا للحدود ، واستلمنا الجيش الاردني ، وساعدونا ، وعدنا الى احدى المناطق للمعالجة ، وكان موقف جنود الجيش الاردني منا اخويا حقيقة .



●

الاسم : محجوب عمر .
السن : ٣٨ سنة .
العمل الحالي : طبيب في الخدمات الطبية لقوات العاصفة .
المنطقة : بلد عربي .

■ **اولا :**

● **[أ] :** أنا عاصرت العمل الفدائي منذ الثلث الاول من عام ١٩٦٩ حتى الآن أي منذ عام . في الماضي كان ممكن تلاقى شبان مايعرفوش يمشوا في هذا الوادي او ذاك او ينزلوا في الغور دون دليل . اليوم يعرفون هذه الارض وهم مغمضين . خلال عام واحد ، وجدنا من يستطيع ان يصل الى اعماق هدفه في صحراء النقب دون دليل ، وهذا في حد ذاته مكسب للثورة الفلسطينية . واذا كانت عمليات الثورة في الجهات الوعرة تحصى بعدد البيانات ، فهذا مقياس غير عادل . لان الشبان في مرات عديدة يجوبون الجبال على أرجلهم مدة طويلة للاستكشافات . اليوم المقاتل عندما يقال ان فيه طيران فوق القاعدة ، يكون هذا ادعى « للاستنفار » ، والان الشبان يضربون على الطيران قبل ان يبادرهم الطيران بالضرب ، والشبان ازدادوا خبره وادراكا لقيمة الانضباط . في البداية كان اعداء الدوريات مشكلة بما فيها مشكلة الادوية . النهاردة معروفة الطلبات الخاصة بكل دورية على حسب نوعها . في عملية غور الصافي الاخيرة ، كان الشبان عارفين اماكنهم جوه الغور . في المرات القادمة سيكون الوضع افضل من ناحية الخدمات .

الشيء الثاني الذي ادى اليه هذا ، هو ان اليوم ، عندنا

مصابون يمكن انْ يرجعوا الى القتال وهم مصابون بعد عدة ايام من المشى • وهؤلاء فى الماضى كانوا يقعون فى الاسر او يموتون . العام الماضى شهد تطورا كبيرا فى الكفاءة القتالية. والعدو نفسه معترف بزيادة درجة الكفاءة القتالية • اهم شىء ، ان الشبان اصبحوا اليوم عارفين الارض ، كذلك فان هؤلاء الشبان يتسمون بسلوك رهبانى او اكثر ، بسلوك ملائكى برغم انهم قادمون من مجتمع شيطانى •

واليوم فى القواعد ، تجد كتب «ليدل هارت» عن الاستراتيجية ، «وماوتسى تونج» عن حرب العصابات ، وعند الشبان الدوافع لزيادة ثقافتهم ، ثم انهم نجحوا لاول مرة فى استخدام الجمال فى حرب العصابات •

● (ب) : العلاقة بين المقاتلين تطورت ، فهؤلاء المقاتلون قادمون من معسكرات مقاومة فى بلاد مختلفة ، ومن دورات فى بلاد مختلفة . أول مشكلة هى تعرفهم على بعض • وعدم تعرفهم يمكن يخلق مشاكل ، اذ يحدث مثلا ان الذين من بلد واحدة ، يتجمعون مع بعض ، او ان لا يحدث تعاون معا • على آخر السنة ، كان العمل العسكرى اما لفظ العناصر غير القادرة على الاندماج فى عمل ثورى عام غير اقليمى ، واما اذاب عناصر من نشأة مختلفة ، وظروف مختلفة • فيه جانب اهم : ان القواعد تضم أناسا مختلفى الثقافة ، اميين وغير اميين ، فى اغلبهم عمال وفلاحون وقليل منهم من المثقفين ، ومع ذلك لا تحس بالفروق فى القواعد ، ففى هذه القواعد علموا الاميين القراءة والكتابة . وهذا يرجع لعاملين ان الذين حول المقاتل زودوه بفكرة عن العالم ، واقنعوه انه لا سبيل له الى التقدم العسكرى سوى بالعلم • رأيت مظهرا غريبا فى العلاقات بين المقاتلين ، انا لم ار مقاتلين يبكون على شهداء اصدقاء ، ورأيت مقاتلين يمزحون فى قضية الموت •

وأنا اذا كنت رأيت بعض المشاحنات بين المقاتلين ، فأنها لم تكن تزعجنى • لان الجميع يتشاجرون على الكمال – غير أن هذه المشاحنات ، لا توجد حزازات •

● (ج) : فى الجانب الخاص بى كخدمات طبية ، لا افرق سواء فى خط المواجهة أو غيره بين مقاتل وآخر من منظمة اخرى • وفيه قرار من القيادة العامة لقوات العاصفة بتقديم كل الامكانيات لاى مقاتل فى سبيل تحرير أرضه • ونحن نتحرك وراء اى مصاب يصاب من اى تنظيم ، وقد حملت واحدا من « الصاعقة » من تحت النار ، وعولج •

● [د] : انا لم اواجه جنودا اسرائيليين مباشرة ، ولكنى قابلت جنودا مصابين وداوريات عائدة ، وفى تقدير المقاتلين اليوم أن الجندى الاسرائيلى ، لا يملك دافعا يجعله يبادر مقاتلا ، وانما هناك الفرار والحرص على تفادى الاشتباك . وانا شفت عمليا عمليات كثيرة العدو فيها متفوق تكنولوجيا جدا ، ومع ذلك لا يود العدو الاشتباك •

■ ثانيا :

هناك شاب صغير سنه ١٨ سنة مظهره لا يوحى بمخبره . كان واقفا فى أثناء القصف على رشاش «دوشكا» . ولما وصلنا ، ونحن نلف على المواقع ، كانوا يقولون لى ان الاخ عمل كذا . فوجدت يديه فيها دم • وجدت ٣ أصابع من احدى يديه مصابة بشظية ، وفوق كتفه وجدت تمزقا فى القماش • فقال : لابد أن شظية مزقته • فلما خلع ملابسه وجدنا أن شظية أصابته فى الظهر لمسافة كبيرة • فقال هذا شىء بسيط ، تغير لى ، وارجع الان •

حادث آخر : شابان صديقان نزلا باحدى الدوريات . قبل نزولهما قالا لبعض : « باين واحد فينا موش راجع ، فاللى ما يرجعش أخوه يقول لاهله كذا . ونزلا وفعلا استشهد واحد منهما ، وجرح ٣ آخرون . فالآخر وهو راجع لاستعادة باقى المصابين ، أنا سالته عن عبد العزيز ، فقال لى : ألف رحمة عليه •• استشهد • وعاد صديقه الى القاعدة وكتب تحت صورة الشهيد اسمه وشعار العاصفة.

●

الاسم : وطواط محمد ابو علاء «
السن : ١٨ سنة .
العمل السابق : صياد «
المنطقة : غزة «

■ أولا :

● (أ) : كل يوم يزداد وعينا وتزداد عزيمتنا ، لاننا نقاتل بأمل تحرير بلادنا ونأخذ تثقيفا سياسيا «.

● (ب) : المقاتلون اكثر من الاخوة فى البيت ، ولا تحدث مشاكل لاننا نقضى وقتنا فى اعداد الخطط والتدريب والتثقيف والحراسات والدوريات فليس هناك وقت والمشاكل تحل بواسطة الزملاء •

● (ج) : علاقتنا مع المقاتلين من المنظمات الاخرى هى نفس الشىء ، ننسق معهم فى حالة الضرورة ، وكأننا حركة واحدة •

● (د) : انا اشتركت فى ٣ عمليات فى منطقة الدروز ، ونزلنا فى وادى عربة ، وبعد استطلاع ٣ أيام عثرنا على الكمين الذى أرسلتنا القيادة بشأنه وبعد ٧ أيام حضرت سيارة لديهم ، واقتحمنا الموقع ومات منهم اثنان ولم يطلقوا غير طلقة

واحدة ، وانطلق واحد يقول « علشان محمد علشان الله » وكان مصابا في نصفه الاسفل وحطمنا سيارة نقل و ٣ جرارات وعند عودتنا لحقتنا سيارة مجنزرة فأخذت تطلق النار في الهواء ثم فرت .

■ ثانيا :

أكثر ما أثر في أننا كنا في المقاومة الشعبية في غزة ولما لم نستطع منع اسرائيل ، شرد كثير من الشعب اما بسلاحهم أو بعد اخفاء السلاح .

●

الاسم : الحاج اسماعيل .
السن : ٢٨ سنة .
العمل السابق : طالب جامعي .
المنطقة : غزة .

■ أولا :

● (أ) : النفسية التي يحملها الانسان المقاتل اليوم ، اصبحت اقوى بكثير، واليوم بتطوير التسليح وزيادة الفنيين في معسكرات التدريب ، اصبحت قدرتنا تفوق ما كنا عليه . في الكرامة مثلا كنا موجودين في المعركة من أولها لاخرها ، وكان للايمان بالصمود ، واصرارنا على العمل ، التأثير الاكبر على المواجهة المحدودة في الكرامة . في الكرامة كانت الروح المعنوية قوية ، وازدادت اليوم قوة . في الكرامة بدأنا نشاهد اسراب المدرعات القادمة تنزل على النهر ، ولو أطلعت على وضعنا والاسلحة التي كانت معنا ، لما تصورت أنه كان يمكننا أن نصمد عند المواجهة . كان السلاح المضاد للطيران الذي نملكه في ذلك الوقت هو مدفع جرينوف ، ومدفع « ر . ب . ج ٧ » المضاد للدروع و « ب . أ » ، و « ر . ب . ج ٢ » . وكنا مستعيرين المدفع الجرينوف من جيش التحرير ، وعملنا له موقع في غرب الكرامة

كنا نعتز كثيرا بهذا الرشاش لانه لم يكن يوجد لدينا غيره . تقدمت علينا المدرعات مسبباتها بعدد قليل من القذائف . وبدأت تتحرك تجاه الكرامة . وبدأت المعركة بدخول ٣ أو ٤ مدرعات الى منتصف الطريق على أساس ان نضربها عن قرب . وهناك في الحقيقة يا اخوان ، ظهرت بطولات نادرة الشهيد أبو أمية ، والشهيد ريحي ، وأبو شريف في المنطقة التي تقع غرب الطريق الاسفلت . واخيرا حدثت مواجهة بالسلاح الابيض ، وكفاءتنا القتالية ما كانت على المستوى المطلوب لمعركة كهذه .

بعد ذلك أصبحنا نزود المقاتلين بخبراتنا في الكرامة ، وأصبح التدريب جيدا . وقد ثبت من التجارب العملية ، ان القدرة القتالية الفائقة تقلل الخسائر ، وقد بدأت ترداد العمليات في قطاعنا الغربي ، كما بدأ يزداد النشاط والتدريب .

واصبح عدد قواتنا اليوم كبيرا ، وازددنا في الكفاءة القتالية والتسليح .

ومن المعارك ذات الدلالة أيضا معركة العرقوب ، وايضا غور الصافي . البطولة التي اظهرتها قواتنا في معركة غور الصافي ، كانت نادرة جدا . ولم يكن القادة العسكريون للجيش الاردني والسعودي يتوقعون أن نقاتل بهذا السلاح ، في عمليات المناورة قال أحد الضباط الكبار : « أنه في تاريخي العسكري لم أجد رماة على « الـ ١٠٦ » المضاد للدروع مثلما وجدت هؤلاء » .

والانضباط لدينا جيد ، وعندما تصدر الاوامر تجد الكل ينفذها . معاركنا الاخرى البسيطة التي لا تذكرها الصحف العربية ، وتحدث فيها مواجهة

في القطاع الجنوبي . هذه المعارك في تصوري جيدة جدا — ولو أطلع خبير عسكري لما تصور ان خططه العسكرية من الممكن تحقيقها في هذه المناطق . ومع ذلك نوقع بالاسرائيليين خسائر كثيرة . لا نقول أننا وصلنا الى المستوى العالي من التدريب وانما نسعى للوصول الى مستوى أعلى من الكفاءة . والحقيقة ، المقاتل في بعض القطاعات يستنزف جهدا كبيرا حتى يؤدي واجبه ، نظرا لطبيعة الظروف . طبيعة الرجال الموجودين هنا تختلف من ناحية الصرامة والقسوة التي يجابهونها من واقع البيئة ومشكلاتها ، بحيث يمكن لنا أن نقول ان الثوري الحقيقي بصلابته يتشكل هنا . وعلى أية حال فقد اصبحنا اليوم في مستوى قتالي جيد ، واعداد المقاتلين ثوريا اعدادا جيدا . اخواننا المفوضين السياسيين لهم نشاطهم الطبيعي والملموس في توجيه المقاتلين . وقد أصبحت النشرات تصلنا من الاعلام المركزي أولا بأول وهذه عملت على غرس الروح الثورية الحقيقية في نفوس المقاتلين .

● (ب) : اوضح دليل على التعاون الجيد بين المقاتلين لدينا ، يتمثل على سبيل المثال في صندوق التعاون البسيط . اذ يضع فيه المقاتلون مساعدات لبعضهم ، تعطى للمحتاج منهم . وذلك وفر علينا كثيرا من المشاكل . مثلا انا متزوج ، وأريد أن أعود الى البيت لان زوجتي مريضة ، معي ٣ دنانير بينما أحتاج الى ٥ ، من أين لي ؟ من الصندوق . والتعاون يسود المقاتلين كأسرة واحدة .

● (ج) : لنا تجربة مع اخواننا في التنظيمات الاخرى واكبر دليل عليها معركة غور الصافي الاخيرة حيث كان هناك التعاون

الجيد فى داخل أرض المعركة ، ولم يكن هناك أى تفريق بين مقاتل وآخر ونحن نحس هذا الاحساس من المقاتلين الاخرين .

● (د) : الجندى الاسرائيلى لولا الامكانية المتوفرة لديه لا يستطيع التحرك من مكانه ، ويتصف بالجبن . فى ١٩٦٨ كانت لى مهمة فى القدس مع زميلين استشهدا مع الشهيد « منير » . فى ١٩٦٨ كنا ذاهبين للقدس ونحن ماشيين فى الطريق بين أحد المعسكرات ونقط المراقبة . لاحظت وجود اثنين من الجنود الاسرائيليين واقفين على التبة ، وكان يمكن أن نقضى عليهما قضاء مبرما ، وكان بامكانى أطلق عليهما وفعلا أخذت وضع الاستعداد ، ولكنى كنت أود الذهاب الى الهدف . وكان يمكن لهما أيضا أن يطلقا علينا . ومع ذلك لم يطلقا واعتقد أنهم رأونا . العدو يخاف على الطاقة البشرية ، ولكن عنده قدرة قتالية ، نعم . قدرة حركة ، نعم . . ولكن هذه تغطى عنصر الجبن ، وتجعله يقاتل بمهارة .

■ ثانيا :

منير صديقى خضنا معا جميع المعارك جنبا الى جنب . العدو ما عنده انسانية بالمرة . الانسانية مفقودة لديه أصلا ، وثق تماما أننا لن نعامل العدو بمعاملته ـ منير زميلى كان يتحاشى دائما قتل أرواح لا داعى لقتلها . تمرق سيارة اسرائيلية محملة بالسيدات ، فلا يطلق عليها النار . لكى تعرفوا قساوة العدو ، المدرعات صعدت على جثة الزميل منير ورفاقه . وفى معركة غور الصافى أطلقوا الرصاص بغزارة على أحد شهدائنا وهو ميت وسحبوه مسافة مائتى متر وهم يطلقون عليه النار ـ هذا التشويه لا يضعف قدرتى القتالية ، بل على العكس يزيدنى ايمانا .

الاسم : احمد عبد اللطيف .
السن : ٢٢ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : غزة

■ اولا :

● (أ) : اننا لم نذهب الى كليات حربية او مدارس عسكرية ، الحرب هى مدرستنا ، سواء من ناحية التكتيك او استعمال الاسلحة . لا توجد معركة تمر بدون مناقشة ومعرفة للاخطاء . ومن المناقشات نزيد من قدرتنا ونستفيد من تجاربنا . كذلك نوصل تجاربنا الى المناطق الاخرى ليستفيدوا منها .

وهناك تطور ظاهر فى عملنا يتمثل فى عمليات مصنع البوتاس ، ومستعمرة الغمر ، وحراب الفتح ، وغور الصافى . وهى اثبات قاطع . اول مابدأنا العمل الفدائى ، كنا جماعات قليلة . الان اصبحت لنا القدرة لنواجه العدو اينما كان ، وبجميع قدراته ، كنا نضرب دائما مناطق معينة بعينها ، أما الان فنضرب عدة اهداف اقتصادية .

● (ب) : فى داخل القواعد ارواح الاخوان متلاقية لا تجد واحدا يحقد على الثانى او يكرهه . لو جرح واحد فكأن القاعدة كلها جرحت . داخل



المعركة لا يمكن أن يقع جريح واخوانه ، يتركونه ، كذلك يبذل الجهد المستحيل لجلب اى شهيد من شهدائنا الا فى حالات خاصة يترك فيها فى أرض المعركة . وهناك عدة امثلة على هذا الموضوع ، كذلك فان الاخوان يتسابقون على المواقع الخطرة ، المواقع المتقدمة . وانت تجد الرحمة دائما فى صفوفنا ، من الرؤساء حتى المقاتلين . ولدينا مبدأ النقد والنقد الذاتى داخل القواعد واذا اخطأ احد الزملاء ولم يستطع التوصل الى حل مع مسئوله المباشر ، يتصل بمسئول اكبر منه ، ويرفع تقاريره الى القيادة العامة واحيانا يكون الاخ « ابو عمار » .

● (ج) : كان لنا قاعدة فى داخل الاراضى المحتلة فى منطقة ما ، وهذه القاعدة رغم انها كانت مركز لانطلاقنا وتحركنا فانها كانت مركزا لتحرك الرفاق من المنظمات الاخرى . اذكر اننا بتنا ليلة كنا فيها ٢٠ شخصا ٩ من فتح والباقى من منظمات اخرى ، ولم يكن موجودا سوى ٣ أرغفة فقط اقتسمناها فيما بيننا . كان السؤال بيننا : ماهو الهدف الذى نود ضربه ؟ ولم يكن السؤال بيننا : من أى منظمة انت ؟ .

والان لنا دوريات استطلاع مشتركة فى بعض المواقع من فتح ، والصاعقة ، وقوات التحرير . اذا احتاجت منظمة اخرى لعتاد واشياء اخرى ، نعطيهم . اذا كان عندهم دورية وينقصهم الغام ، اكون خائنا اذا لم اعطهم الالغام .

● [د] : واقتحمنا منطقة مصنع البوتاس ودمرنا كل منشآت المصنع على البحر الميت . وكان هناك جنود اسرائيليون ، فاطلقنا الرصاص على بعض المواقع ، فرد علينا الجنود من مواقع محدودة ، وباقى الجنود فى هذه الساحة لم يطلقوا علينا ولو طلقة

واحدة رغم اننا بقينا ٣ ساعات فى المواقع ·

لا يوجد لدى الجندى الاسرائيلى اى ايمان بشىء او احساس بأن هذه الارض ، ارضه لانه قادم من بلد اجنبى . فى معركة غور الصافى ، الفوات المتقدمة منهم تركت رشاشاتها ، وشردت ، والقائد بتاعهم كان ينادى عليهم « بوينا بوينا » اى « عودوا عودوا » ولم يرجعوا ، وقتلوا ، وقضينا عليهم » فى منطقة فيفا ، فى غور الصافى قضى على كل الجنود الاسرائيليين فيهما وهم شاردين ويصرخون · والذين بالدبابات كانوا يقاتلون عن طريق انه كلما تتقدم الدبابات مترا وتنطلق النار ، يتقدم الجنود من ورائها ·

■ ثانيا :

انا اعتقلت فى اسرائيل ولم يكونوا قادمين للقبض على كانوا قاصدين صاحب البيت · قبضوا علينا، واستمروا يضربوننا لمدة ٢٢ ساعة . وثانى يوم بداوا يستخدمون الاساليب النفسيه وابقونا اسبوعا بدون نوم وكانوا يلقون بالمياه فى الزنزانات وبعد ذلك يأتى الضرب ووصلنا للمرحلة الاخيرة من التعذيب · صديقنا الذى استضافنا خلعوا اظافره ، واظافر رجليه · ولكنه انكر انه يعرفنا وقال انهم ضيوف عند والده وقد رايته وهم يعلقونه فى حبل من رجليه وينزلونه فى برميل ماء . هذا الاخ بعض اهله كانوا استشهدوا فى ١٩٤٨ وعمه استشهد فى ١٩٦٧ ·

●

الاسم : داهش محمد .
السن : ١٩ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : الجليل — حيفا .

■ اولا

● (ا) : اول ما دخلت الحركة لم اكن اعرف شيئا عن السلاح، وانما كنت اعرف شيئا عن قضية وطنى · ودرست اشياء كثيرة عن حركة فتح واهدافها ومبادئها ومن ذلك انطلقت ودخلت السلك العسكرى ·

وخلال ممارستى للعمل كنت اتقدم مع كل يوم بشكل خاص ، وهناك انظمه فى القواعد ، فاذا لم اكن اعرف استخدام وتركيب قطعة سلاح ياتى واحد من الاخوة يدربنى عليه · كذلك فان الاخوة عندما ينهون عمليه يشرحون لنا تجاربهم كيلا نقع فى نفس الخطا الذى ربما يكونون وقعوا فيه وبذا صار عند الواحد خبرة عن اكثر انواع السلاح ·

العمليات كانت أولا نضرب ونهرب · ولم نكن نقوم بعمليات واسعة كثيرة الان صرنا نقوم بعمليات واسعة كبيرة · وفى البداية كنا نضرب مستعمره ، والان نضرب عدة مستعمرات معا · فى البداية كنا نضرب مستعمرة بالهاون ، او نضع عبوات ناسفة ، ونقوم بعمليات بسيطة · الان صار هناك اقتحام ونصف اكثر من الاول · وفى يوم من الايام سوف نحتل مناطق لا مستعمرة فحسب وسياتى هذا اليوم وباقرب وقت ممكن ·

● (ب) : العلاقات بين الاخوه فى القاعدة اكثر من اخوية · يمكن فى البيت لم اكن اشوف اخى اكثر من ساعة قبل النوم ، وساعة بعد النوم ، ولم اكن اتعاون معه باى عمل · اما هنا فننام مع بعض ، ونخرج دوريات مع بعض ، والواحد يواجه اوقات حرجة جدا مع زملائه ، لم يكن يقابلها مع اخيه فى البيت · لما تكون هناك مشكلة لدى واحد من الاخوان تكون مشكلة لدى الكل · لا يوجد عمل محدد لواحد ، الكل يشترك فى العمل وكل واحد يحاول ان يبذل اكبر مجهود ممكن عن الاخرين ·

● (ج) : نفس الشيء العلاقة مع الاخوة فى المنظمات الاخرى لاننا جميعا لنا هدف واحد ، وطريق واحد ، اللهم فيه مبادىء تختلف · وقت العمل لصالح الثورة لا يوجد اى فرق . ابن المنظمة الثانية يحارب نفس العدو · وقد حدث عدة مرات ان وجدنا دوريات لاخواننا من غير تموين ، فنتقاسم التموين معهم ، وكذلك الذخيرة ، وكل شىء فجميعنا لنا طريق واحد ، وهدف واحد · ولى اصدقاء ومن اعز اصدقائى ، فى منظمات أخرى · وكل واحد له افكار ومبادىء ، انا افكارى ، افكار ومبادىء فتح تقبلتها بروح ثورية رماشى عليها · اخى تقبل مبادىء آخرى وماشى عليها ·

● [د] : الجندى الاسرائيلى اكيد ١٠٠ فى المائه جبان لانه اذا كان يحارب عن عقيدة فعقيدته غير ثابتة من خلال تجاربى ثبت لى ان اكثرهم جبناء ، واكثرهم مرتزقة لو يستطيع الواحد منهم يقتل زملاءه وينجو هو ، لفعل ذلك · اكثر رمايتهم بالجو ، ولا تحقق اى اصابة او اى شىء · والجندى منهم لا يعرف ايـن يضرب واين يصوب ، ويظل يضرب قذائف الى ان يتعب ولكن دون نتيجة · وكأن لسان حاله يقول : « ابعدوا عنى واضربوا حتى كل اسرائيل · هناك كذلك كمائن لا تطلق نار كى لا يحدث اصطدام معها · واحيانا فى الكمائن الخاصة بهم تصدر عنهم اصوات كى تنبهنا انهم موجودون هنا ، كى نتجنبهم · وفى احدى المرات وضعنا عبوات وانسحبنا ورجعنا وبعد ان خرجنا من مدى رشاش الـ ٥٠٠ بدأ الاسرائيليون يطلقون النار ·

■ ثانيا :

اصيب احد الاخوان واصيب الجمل الذى يقوم بالنقل · وكان الوصول الى اقرب منطقة لتطبيبه عن طريقين : احدهما يستغرق يوما ، والاخر يومين فقررنا ان

نسلك تلك التى تستغرق يومين على أساس اننا يمكن ان نوفق فيها اكثر من الاولى • وقررنا ان نكمن بالنهار ونسير بالليل وكلنا تعاونا معا حتى نفد الماء • فوزعنا الماء على بعض ، وكفى ثلاث ارباع الطريق • كان كل واحد منا يحمل الاخر بعض الوقت وبعد مسافة من الطريق طلبت استريح مدة ثم ألحق بالزملاء ورحت فى اغفاءة وبعد ماقمت تهت عنهم ، فرجعوا يفتشون على وبقيت تائها لمدة يوم وفى ذلك اليوم كنت سأموت من العطش والجوع • ولكنى كنت من الاساس مستعدا لان اضحى بحياتى كى ينقذ اخى المصاب • وقد رجع الاخوان للبحث عنى وفتشوا عنى المنطقة كلها الى ان وجدونى وعادوا بى الى قاعدتنا •

●

الاسم : ابو عبيدة •
السن : ٥٠ سنة •
العمل السابق : تاجر •
المنطقة : الجليل — قضاء عكا •

■ أولا :

● (أ) : القدرة القتالية اليوم اقوى وانشط • وايدينا فى ايدى بعض من حديد ، وفعالة مع العدو • فى ١٩٣٦ ما كان فيه وعى ، وما كان فيه تكتل مثل الوضع الحالى • فى ١٩٣٦ كان كل واحد يريد يعمل راس (اى زعيم) • فى ١٩٣٦ كان فيه اهمال ولا يوجد انضباط • اليوم من يهمل لابد من محاكمة شديدة العقاب • التدريب اليوم احسن من ١٩٣٦ بكثير • فى ١٩٣٦ كان فيه حكم عرفى ، وعلى « الخرطوشة » اعدام ، يعنى من يحمل السلاح كان مصيره خطير • قوات العاصفة تغيرت • صارت اقوى من السابق • فى الروح المعنوية والرجال والسلاح وفى كل شىء •

● (ب) : العلاقات بين الاخوة طيبة ، كأنهم اخوة اشقاء ، والاخوة يحترموننى كأولادى • وأولادى فى البيت لا يقدروننى كما يحدث مع الاخوان • لو حدثت لى مشكلة مع آمر القاعدة ارفعها له ليرد على • فان لم يحدث ارفع مشكلتى لآمر القطاع •

● (ج) : انا عندى عقيدة بحاملها ، ان كل المنظمات اخواننا ، وكل من يدير بارودته (أى بندقيته) على العدو هو حبيبى ، وعينى ، وما فيه تفرقة أبدا •

● (د) : الجندى الاسرائيلى لا اعتبره رجلا ، انا دخلت معه معارك كثيرة ، أنا دخلت معركة الكابرى . وطلعت قافلة كى تفرق أكل سنة ١٩٤٨ أنا حضرتها • لم تكن حرب بارود (أى بنادق) بل بالدبابات والمصفحات • فى ذلك الوقت راح ١٠٠ قتيل اسرائيلى و٦ عرب جرحوا لان الاسرائيليين لم يكونوا يجرؤون على استخدام اسلحتهم •

■ ثانيا :

لما كنت فى التدريب بمعسكر التدريب جاء شخص عندنا وقال : أنا احيى رجال فتح ، لانهم كلهم متوجهون للامام ، ويعطون وجههم للمعركة ، ولا أحد يعطى ظهره •

كذلك أنا عندى أكثر من ولد من أولادى فى « فتح » • الكبير فى « الديمقراطية » • (يقصد فى الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين) • وانا عندما سألته عن مكان شغله قال : « اشتغل ضد اسرائيل » وهو يحيينى لانى لا ازال شوريا • أولادى ، دخلوا الحركة المسلحة قبلى • وهم كانوا يرون انى وطنى أحب واساعد فى العمل • واولادى عندما دخلوا المنظمات لم يخبرونى • وابنى الصغير قال لى انه يود العمل مع « الديمقراطية » •

●

الاسم : ثائر ابو المجد •
السن : ٢٢ سنة •
العمل السابق : ميكانيكى •
المنطقة : اللد •

■ أولا :

● (أ) : فتح تزداد قوة عن الاول • اليوم تملك المدفع والصاروخ والمقاتلين الاشداء • اننا هنا مختلفون عن الجيوش النظامية • ونحن نقاتل لا من أجل راتب او علاوة وانما للدفاع عن الوطن • كذلك فان الثورة هنا تكفل لنا التدريب على جميع الاسلحة الخفيفة والمتوسطة •

● (ب) : مشاكلنا عموما بسيطة ونجتمع بالقاعدة ونحلها بنفسنا •

● (جـ) : انا اعتبر كل المناضلين الذين يرفعون سلاحهم فى وجه العدو أخوانى • ولا فرق بين مقاتلى الصاعقة وفتح وغيرهم • لى معارف فى الجبهة الشعبية ، واعتبر اننا كلنا شىء واحد ، ولا يفرقنا غير الاسم •

● (د) : انا دخلت كل معارك « الصافى » واعتبر الجندى الاسرائيلى جندى « آلى » وليس جندى مشاة ، اى لا يستطيع مواجهتك وجها لوجه • لا نستطيع ان ننكر ان عدونا قوى بالاليات والامكانيات فقط ، ولكن ليس بالروح المعنوية والعزيمة التى لا توجد عنه •

■ ثانيا :

الصورة التى اثرت فى نفسى ان قوة قليلة العدد من العاصفة تقدمت ودخلت لمواجهة كتيبة دبابات ، ومدافع ورشاشات

اسرائيلية ، رحنا نقابلهم بصدورنا . ان قوة الايمان غلبت قوة العدو والاستعداد .

●

الاسم : جمال غالب حسين .
السن : ٢٦ سنة .
العمل السابق : مزارع .
المنطقة : قضاء الجليل .

■ أولا :

● (أ) : التحقت بالحركة منذ سنتين ، ولم أكن في الاول اعرف شيئا . ودخلت مركز تدريب وتدربت على الاسلحة الموجودة فيه . وقد استفدت من كثرة العمليات التي تحدث . وبالنسبة للطيران ، نقاومه الان ونظل في مواقعنا ثابتين على استعداد لمواجهته ، وليس كالماضي حين كنا نبتعد عنه .

● (ب) : العيشة التي بيننا لا نتصور احسن منها بالمرة . وباستمرار تصبح احسن من الاول . ونحن نحب بعضنا أنا وزميلي صار بيني وبينه مشكلة . مثلا — فيمكن يحلها أمر القاعدة ... في القاعدة نعمل معا ونساعد بعضنا وأي نقص يحدث يعالج بتقديم النصيحة لاي أخ .

● (جـ) : اننا نحب زملاءنا من المنظمات الاخرى ، مثلما نحب بعضنا لانهم يرفعون السلاح في وجه عدونا .

● (د) : العدو يرمي الف قذيفة في الساعة ، وكل ما يرمي ٤ او ٥ قذائف نقوم بزيادة الضرب عليه ولو اراد الاسرائيليون ان يتقدموا لاستطعنا مواجهتهم بقوة .

■ ثانيا :

انا عندي عائلة من ٣ افراد أعولهم ولكنني لما سمعت عن الحركة وقرأت كتبها ، لم اقبل وأنا شاب أظل « مرمى » والعدو يحتل أرضي . فقررت أن اقاوم العدو حتى يترك بلادنا مهما كانت التضحية .



●

الاسم : ابو سلطان .
السن : ١٤ سنة .
العمل السابق : ميكانيكي .
المنطقة : نابلس .

■ أولا :

● (أ) : الواحد لايظل على طول صغيرا ، انما يكبر . وكذلك الحركة هناك تقدم . اليوم أنا احسن في استخدام السلاح . الحركة اتسعت ، وصار عندها معسكرات تدريب ، وصار فيه سلاح وكل ما يحتاجه الفدائي .

● (ب) : العلاقة بين الاخوان ، مثل الاخوة في الدار ، أخي في الدار لا أشوفه أو يشوفني مثلما يحدث هنا . في أي مشكلة تحدث لابد اسكت على أية اساءة من أي أخ باعتباره أخا اكبر . وكلنا جميعا واحد في كل شيء . وانا أنزل المعارك مثل اى زميل وأتولى الحراسة كذلك ، ولا اقبل تخفيف نوبة الحراسة علي .

● (ج) : انا احب زملائي في المنظمات الاخرى كزملائي في هذه القاعدة ، لانهم يشتركون معي في العمل من أجل فلسطين .

● (د) : اشتركت في معركة الغور (يقصد غور الصافي) الاخيرة ، العسكري الاسرائيلي لا يقدر ينزل يقاتل مثلنا ، وانما من داخل الدبابة . في الكرامة كان مربوط بجنازير .

■ ثانيا :

انا أهلي عندما قلت لهم عن دخولي للحركة ، وافقوا فعلا ، وقالوا لو ما راحش فدائي ، يروح في الجيش عسكري يضرب سلام . نحن هنا في حرب العصابات . الاخرون في الجيش ينتظرون حتى يأتي الامر بالضرب فيضربون ، قبل ذلك لا . نحن بمجرد ان يضرب العدو ، نضرب على طول . من الاشياء التي تؤثر على النفس انه اذا كان دوري بالنسبة للعملية قد جاء واختاروا زميلي وليس أنا ، اشعر بضيق فلماذا لا انزل أنا ؟ هذا ما يضايقني .

●

الاسم : جرمق .
السن : ٣٥ سنة .
العمل السابق : مجموعة مهن كثيرة منذ سن الرابعة عشرة ، انتهت بالمسائل الثقافية .
المنطقة : المثلث [جنين — نابلس — طولكرم] .

■ اولا :

● (أ) : الفدائي الفلسطيني كان يتدرب في البداية ١٥ يوما قبل حزيران وبعد ذلك بدأت الفترة تطول ، لان عدد المقاتلين بدأ يزداد . وطول الفترة كان لرفع الكفاءة القتالية وبدأ المقاتل يأخذ دورات متخصصة في الاسلحة الثقيلة والهندسة . وبعد ذلك بدأ يأخذ دورات متخصصة لمدة سنة على مختلف انواع

الاسلحة والاساليب القتالية التقليدية حسبما تدرس فى الكليات الحربية . وهناك كذلك عملية دراسة التجارب الثورية فى العالم والاستفادة منها وقد بدأ المقاتلون يدرسون التجارب فى الصين وفيتنام وكوبا ، وطبعا هذه التجارب الثورية كانت تنعكس على المقاتلين ككل ، لان الكادر الذى كان يستفيد من هذه التجارب الثورية ، كان يحاول ان يفيد غيره . من هنا نستطيع ان نقول بان المقاتل بدأ بالسلاح الخفيف والمتوسط وهو الان فى بداية السلاح الثقيل وهو الصواريخ والمدفعية والتجارب الثورية من اضخم انواع التجربة ، ودراستها سلحت المقاتل بفهم دور فتح فى المنطقة، ودور المنطقة فى العالم . وبالتمرس والتجربة يحاول المقاتل فى فتح من خلال قيادته ان يفهم خصائص هذه الثورة ، وان يفهم خصائص العدو الذى يواجهه ، وخصائص المنطقة طبوغرافيا . ومن الطبيعى طبعا ان هذا الفهم لم يكتمل ، ولهذا فهو قابل للاكتمال كل يوم . ومن هنا فالسلاح الذى يملكه مقاتل فتح ليس حديدا فحسب لكنه الوعى ايضا .

● [ب] : هذه العلاقة تبدأ عادة كما فى الثورات شخصية ودية . وبتوسع الثورة تتوسع العلاقات ، وتبدأ الوجوه تلتقى بوجوه جديدة ، وينمو المقاتلون ويصبح البعض منهم فى مواقع المسئولية ، وهنا نجابه بالامراض التى حملها المقاتل من المجتمع مجتمع ماقبل الثورة، هذه الأمراض تظهر اكثر بوضوح داخل الثورة ، لان مساحة الثورة اصغر من مساحة المجتمع ، ولكن وعى الثورة بهذه الامراض يجعلها تقاتل ضدها بسلاح التوعية ، ومن هنا تبدأ هذه الامراض فى التلاشى وتبدأ العلاقات بين الثوار تنمو فى اتجاه مناقض للبيروقراطية .

● (ج) : نحن نعرف ان هناك مجموعة من العوامل التى وجدت فى الوطن العربى هى التى حددت مسالة نشوء المنظمات المتعددة فى الثورة الفلسطينية ، ولا نريد ان نطلق على هذه المنظمات تسميات ليست من الواقع ، فهى منظمات تنتمى من ناحيه قواعدها لجماهير الشعب الفلسطينى . نشأت هذه المنظمات لان هناك قوى ارادت ان تنافس فتح لا ان تشاركها ، هذه المنظمات تنتمى لمواقع « سلطوية » اذا صح التعبير فى الوطن العربى . هذا من حيث القيادات ، اما من حيث القواعد ، فالمقاتلون جميعا يعرفون تماما ان ولاءهم للثورة والجماهير ، ومن هنا فالعلاقات بين مقاتلى الثورة الفلسطينية هى علاقات اصيلة وثورية . ومن خلال تجربتى ارى ان كل الشعارات المطروحه للمزايدة على فتح ، لا تفصل المقاتل الفلسطينى فى المنظمة الاخرى ، عن المقاتل الفلسطينى فى فتح او العكس . وهذا يقرره مانراه احيانا ، وما نمارسه فى واقع المعركة مع المقاتلين الاخرين ، اذ تسالهم عن الشعارات التى تطرح احيانا فيجيبون : انهم انما يقاتلون من اجل تحرير فلسطين ، ولا يتحدثون عن تحليل لهذه الشعارات ، وهذا يجعلنا نقرر ان الشعارات مطروحة من فوق وليست نابعة من القواعد .

● (د) : الجندى الاسرائيلى ذكى وله خبرة فى القتال ، لكنه ليس شجاعا . فالشجاعة بالمفهوم التقليدى لها هى الفروسية ، والمقاتل العدو ليس فارسا ، انه متخندق خلف رشاشه ، او فى طائرته ، او فى مدرعته . انه لا يجرؤ على مطاردتى راجلا لراجل، قد يفسر هذا بأن العدو يخشى على قواه البشرية ، لكن هذا ليس كل المسألة ففى معركة جنين الاخيرة ، طوق العدو ٣ من رجالنا بمائة وعشرين جنديا راجلا ، واستشهد اثنان واستطاع الثالث ان ينسحب بسلام . هذا يبرهن على أن العدو ليس فارسا .

■ **ثانيا :**

جندى اردنى بكى لما عبر رجالنا النهر ، وقال خذونى معكم ، انا ارفض هذا الخندق .

●

الاسم : شرف العروبة .
السن : ٢٣ سنة .
العمل السابق : خياط وعدة اعمال اخرى .
المنطقة : القدس .

■ **اولا :**

● (أ) : كانت ثورتنا فى البدايه صغيرة الحجم والامكانيات وكانت مده التدريب لا تزيد عن ١٥ يوما . وقد حدث تقدم بعد ذلك اذ اصبحت الثورة قادرة على ارسال المقاتلين للتدريب دورات فى الخارج فى الدول العربية والدول الصديقة ، واصبح لدى مقاتلنا كفاءة وقدرة قتالية اكبر فى الفترة السابقة .

● (ب) : علاقاتنا قائمة على التفاهم ، وكلنا مع بعض يد واحدة ورأى واحد . واى انسان أخطأ يحاسب جماعيا . ولذا لا تحدث هناك اى مشكلة وان صارت تحل جماعيا فى مجلس القاعدة .

● (ج) : علاقاتنا مع المناضلين من منظمات اخرى اخوية تتسم بالروح المخلصة ، والموجود فعلا ان رفيق السلاح لا يهم ان يكون من نفس المنظمة، لا خلاف موجود فى المنطقة بالنسبة للمقاتلين من كافة المنظمات والخلافات السياسية لا تؤثر علينا . ونحن مصممون على ان نكون يدا واحدة لها هدف واحد هو الثورة الفلسطينية .

● (د) : الجندى الاسرائيلى

الذى واجهته فى عدة معارك ، لا توجد لديه الجرأة او الشجاعة التى يقدر يجابهنا بها مثلما نقابله • ودخولنا الموقع « تبعه » واقتحامه فى خندقه احيانا يدل على ان الجنــــدى الاسرائيلى تنقصه الشجاعة ».

■ ثانيا :

لمـــا التحقت بالعمل الفدائى كنت اضع امام عينى ان هذه قضيتنا ولا يمكن اتخلى عنها • وكان رد الفعل عند زوجتى ان هى طلبت الاشتراك معى فى القتال ممـــا كان له الاثر فى نفسى •

شيء اخر : اننى عبرت النهر فى معركة تلة النجار، وعندما رجعنا عبر النهر ، وجدنا اخواننا من الجيش الاردنى فى استقبالنا وكنا خارجين من النهر « نرتجف من البرد » فكلهم اعطونا ملابسهم وصرنا عندهم نبدل ملابسنا واحسسنا باخوتهم لنا •

●

الاسم : فتحى رمضان »
السن : ٢٧ سنة .
العمل السابق : جندى »
المنطقة : بيسان ».

■ اولا :

● (أ) : بالنسبة للمقدرة القتاليه عندى خبرة سابقة لانى خدمت عدة سنوات فى الجيش ولكن خبرتى كانت كعسكرى مقاتل فى خندقه فقط • ولكن لما تفجرت الثورة حاولت ان انتقل من هذا الخندق واتدرب على حرب العصابات ، والمعلومات السابقة افادتنى كثيرا • وطبعا الوضع اصبح مختلفا بكثير لان السلاح فى الجيش لم أقاتل به الا قليلا لكن حاليا اقاتل به كل يوم •

● (ب) : من ناحية العلاقات القائمة هى علاقات اخوية، مثلا انسان يريد اجازة تبحث قضيته ، وبعد البحث يعطى مايتفق عليه حسب الحالة التى يتقدم بشانها •

● (ج) : بالنسبة للمقاتلين فى المنظمات الاخرى علاقاتنا بهم حسنة جدا • وهى حسنه مع كل انسان يحمل السلاح ضد العدو • التنسيق بيننا وبين الجهات الاخرى اخوى ، ومستمر حتى فى الكرامة . فى ايام الكرامه كانت مجموعات فتح هى الاغلبيه والرابطة بيننا وبين المنظمات الاخرى كانت موحدة اداريا فى ارض المعركة علما بانها كانت مجموعات قليلة جدا •

● (د) : الجندى الاسرائيلى انسان محمول فى دبابه واذا نزل من الطيارة او الدبابة فانه لا يبعد عنها مسافة ٥ امتار فقط .

والذى رأيناه فى الوقت الذى صار فيه التحام ، انه تقريبا غير شجاع : فمعلوماته العسكرية وتدريبه يضيعان حسب اعتقادى انه غير شجاع لانه لم يخض معارك مشاة وجها لوجه • هذا الانسان الاسرائيلى مستغل ،وانا صاحب الحق فانا فى اى مكان مدفوع اكثر منه لكى احافظ على الارض •

■ ثانيا :

كان لى زميل تدرب حديثا واحب ان يشترك معنا فى عملية من العمليات فدخل معنا هــذا الانسان ، وقبل العملية سلمنى هويته على أساس ان اعطيها لامه بعدما أرجع ، فقلت له اننا سوف نرجع معا ، او ربما اننى يمكن استشهد انا وليس هو • وبالفعل قمنا بالعملية وعند جسر داميا اطلقت علينا رشاشات الـ ٥٠٠ فاصيب وكنت انا على بعد ٢٠ او ٣٠ مترا والمسافة كلهــا كانت ملغمة فحاولت انزل، ونزلت فى الماء عشان يسقط على وأحمله ، فسقط فعلا ولكنه كان شهيدا •

الاسم : عقاب النقب »
السن : ١٧ سنة .
العمل السابق : طالب اعدادى .
المنطقة : القدس ».

■ اولا :

● (أ) : فى السابق لم اكن اعرف السلاح او استخدامه ، وبعد التحاقى بالثورة صرت اعرف هذه الاشياء • وهذا التقدم ليس خاصا بى ، وانما بكل الزملاء المقاتلين ، وقد تدربت على جميع الاسلحة التى نستخدمها •

● (ب) : المعيشة هنا افضل من السابق ولا توجد هنا اى تفرقة . والعلاقات عادية ولا توجد بيننا اى خلافات بالمرة • ولا تنشأ خلافات ولو حدثت خلافات تكون بسيطة • اننا فى الثورة كل واحد يعتبر الثانى اخوه •

● (ج) : نفس العلاقة الاخويه تربطنا بالمقاتلين من المنظمات الاخرى لانهم اخوتنا فى الكفاح والنضال •

● (د) : بالنسبة للجندى الاسرائيلى انا شفت انه جبان ، لان كل انسان دخيل على الارض ، لا يقاتل بقوة بل يكون متخاذلا • فى دورية لنا فى مكان ما فى الارض المحتلة عندما وصلنا الى الهدف واقتحمنا الداخل ، صارت الرشاشات ترمى علينا ، فسكتنا بعد دقيقتين • ثم اطلقنا الرصاص من الخارج على نصف القوة الاسرائيلية ، فصاروا يضربون بعضهم بالنار ، واحنا اقتحمنا الهدف •ثم ان الاسرائيليين يطلقون النار فى السماء ، يضع الجندى منهم راسه لاسفل ويضرب الرشاش لفوق ، وهذه الظاهرة شاهدها الكثير من الصحفيين •

■ ثانيا :

كان لى صديق اعرفه معرفة

سابقة من الضفة الغربية ، كنت معه فى قاعدة واحـدة ، اردنا ننزل دورية ، ونزل هو الدورية فعلا وبعد عن النهر ، وبعث لنا كتاب بان لا ننزل دورية الا بعد ان ارجع او استشهد ، فطلبت جماعـة منـا ان تنزل نفس الدورية ، فكان الرد ان فيه كمائن وتحصينات كثيرة . ومنعى من نزول الدورية هو الذى اثر فى نفسى ذلك اليوم .

●

الاسم : رمزى حنا .
السن : ٢٣ سنة .
العمل السابق : ممرض ومصـور اشعة فى بلد عربى .
المنطقة : يافا .

■ اولا ،

● (أ) : بعد معركة الكرامة التى اثرت فينا ، احببت اللجوء للثوار ، وانضم للعمل الثـورى الذى هو قضية ارضنا وعرضنا وكرامتنا . وفضـلت اضحـى واستقيل من العمل الذى كنت فيه لانضم للثورة . وقـد عملت كممرض وكصيدلى فى الحركة اخيرا ، ولكنى رغم كل هذا ، لم اكن راضيا عن نفسى ، رغم انى اقدم حاجات مفيدة . ولـذلك اردت اشارك زملائى فى العمل القتالى ، فعشت فى القـواعد ورحت دورات تدريبية بالنسبة للسلاح ، ودورة هندسة مفرقعات ودخلنـا عمليات مع اخـواننا المقاتلين .

● (ب) : لاتتصور مدى سعادة الانسان لوجوده مع زملائه فى القواعد . أنا لم أكن راضيا عن نفسى ، رغم انى كنت ممـرضا وصيدليا ، الا لما عشت مـع المقاتلين اخوانى وجربت القتال معهم ، فهذه لحظات سعيدة جدا معهم وعلاقاتنا اكثر من آخوية صميمة .

● (ج) : ان كافة المقاتلين الذين يوجهون رصاصهم للعـدو هم اخوتى تماما كاخوانى فى هذه القاعدة .

● (د) : اجمالاميزات الجندى الاسرائيل لا اقدر احددها ، ولم ار حاجة معينة بحيث اقـول عليها .

■ ثانيا :

عنـدى فى البيت مسجل ، سجلت فيه اغنية « فدائيون » لعبـد الحـليم حـافظ وهـى اغنية احبهـا كثيرا ، ودائمـا احب سـماعها عندما انزل فى اجازة . وعندما سجلت هـذه الاغنية كانت والدتى واختـى بجانبى فى الغرفة ، فلما وصلنا لمقطع فى الاغنية عن الموت اخذت امى واختى تبكيان وطلبتا اغلاق المسجل لان الاغنيـة محـزنة وتذكرهم بالموت . فأنا هدأت امى وفهمتها انه لا ينبغى لها ان تحزن لو مت ، مع أن لى أخا أيضـا فدائيا فى فتح ، وفعلا بعد مدة تلاشت الحكاية ، وصارت أمى تعتبرها شيئا طبيعيـا ، بـل واصبحت تحب كافة الاغنيات عن الفداء والفدائيين .

●

الاسم : ابو محمد .
السن : ٣٠ سنة .
العمل السابق : ضابط باحدالجيوش العربية .
المنطقة : جنين .

■ اولا :

● [أ] : طبعـا فيه تقـدم ملحوظ . وحدث تطور كبير جدا من السنة الماضية حتى اليوم . كل شىء يتقدم بالنسبة لماكان عليه فى الماضى ، فى نظامه ، فى نوعه فى كل شىء . وقد تـوفرت كفاءات من خلال العمل ، ومن خلال دورات التدريب فى البلاد الصديقة . وبعد ان يتخرج هؤلاء ويلتحقون بالقطاعات ، يطورون العمل . وهنـاك تطـور فـى التسليح . واذا كان فى الماضى لـدينا « السيموبال » ، وهـو رشاش تشيكى يشبه مسـدس آلى ، فالان قد توفر سـلاح افضل .

● [ب] : العلاقات هنـا ، علاقات العائلة الواحدة والاخوة والتضحية والفداء .

● [ج] : المقاتلون انفسهم علاقاتهم طيبة سواء كانوا من فتح او من المنظمات الاخرى ، لان الهدف تحرير فلسطين ونحن لا نقبل الدخول فى جدل سياسى واجتماعى ، ذلك ان الهـدف واضـح ولا يحتـاج لتعليـل وتحليـل ، وهـــذا ليس وقت النقاش .

● [د] : الجندى الاسرائيلى يوجد منه نوعان : الاول شباب جديد اعتقد انه متربى فـى الكيبوتزات تـربية صـهيونية عنصرية حاقدة ، وهذا ينظـر للعرب نظرة حقـد واحتقـار والثانى : هم كبار السن وليس عندهم روح التعصب مثل غيرهم وقتالى مع الجنود الاسرائيليين اغلبه بالليل . واللى بيصير فى بعض الاحوال مواقف جبـن ، وبعض الاحيان يكون مـوقفهم موقف جنود عاديين يقاتلون . الجنود الاسرائيليـون عنـدما يحسوا بشىء ، يرموا عتاد من غير حساب ويظلوا يضربـون برشاشات الـ ٥٠٠ بدون هدف .

■ ثانيا :

دخلت على رأس دورية داخل الاراضى المحتلة فى ١٩٦٨ ، فى مهمة خاصة ، وبقينا فى الداخل



٦ أيام ورجعنا • وقد فاجأنا الكمين الاسرائيلي بغتة ، وانا تلقيت اول صلية من الرصاص ، اصابتني اصابة مباشرة في ابطي • وضرب الاسرائيليون قنابل تنوير لانهم لم يروا احدا غيري • وكان معي رشاش سيمويال ، الان يدي توقفت عن العمل • وكان الكمين على بعد ٧ امتار فقط ، وفتحوا على ٦ رشاشات • وكان رصاصهم ياتي في العتاد الذي كنت احمله بظهري واكثر من ٢٠٠ طلقة جاءت في العتاد ، واحترقت ملابسي • الشبان الاخرون قضوا على الكمين واسكتوه . وكان ورائي في ذلك الوقت شاب آخر وأنا اعتقدت ان ذراعي مقطوع وقلت له تطلع هل يدي مقطوعة • وبدأنا نمشي وبدأت تلاحقنا ٣ مجنزرات اسرائيلية كانت على مسافة ٤٠٠ متر منا . ولحقتنا ، فاعطيت سلاحي لزميلي ، واطلقت على صلية جاءت في الرئة • وفكرت انها جاءت بصدري وانني ميت ميت ، فأعطيته سلاحي وبلغته سلامي للاخوان وبينما كنت اسلمه سلاحي ، اصبت في قصبة رجلي برصاص رشاش ٥٠٠ وقلت له سر انت ، ولكنه كان يتركني فترة ويرجع الي ، وكانت الدنيا نهارا نتيجة قنابل التنوير ، وقلت له انفد بنفسك ، ووصلت لسياج الزراعة وبدأت اشرب ماءوقرأت الفاتحة وظللت أزحف وكنت على بعدكيلومترا من النهر . وكان هناك سيارة جيب فيها ٤ جنود على بعد ١٥٠ مترا مني . وكنت بين القش ازحف زحفا .. وكاد يغمى علي عندما ارفع رأسي بسبب النزيف . وبقيت ازحف وامشي . وطلع على النهار وانا على بعد ٢ كم غرب النهر ، وبعدما شربت المية ، حاولت أقوم بعد ما مرت السيارة ، ونهضت ومشيت على رجلي ، لان عظمة واحدة منها كانت مكسورة ، وكان فيه عدد من المزارعين العرب في الضفة الشرقية بالقرب من النهر ، فقربت منهم واخذت اصيح عليهم وكانت الساعة ١١ر٣٠ وكانوا هم ماشيين يريدون ان يصلوا الى النهر . وتعرفت على ناس منهم . وعبر سياحيان اثنان منهما النهر ، استعنت بهم ، وعديت النهر بمساعدتهم ، وبعد ذلك نزل مطر • وكان العمل الفدائي حينذاك ممنوعا بالاردن ، فطلبت منهم ان يخلعوا ملابسي . وظللت بملابسي الداخلية فقط ، وارسلت في سيارة الحكومة بمعاونة الناس الى المستشفى الحكومي بعد ١٦ ساعة من اصابتي •

●

الاسم : نضال منصور •
السن : ٢٧ سنة •
العمل السابق : نجار •
المنطقة : الخليل •

■ أولا :

● [أ] : بعد ٥ حزيران ، وجدت ٤ مدافع هاون ، كنت اعتبرها مواسير مياه ، وبعد ذلك التحقت بالعمل الفدائي ، وتخصصت في الـ ر •ب •ج ٧ وتقدمت في كافة النواحي • وتعلمت الاسلحة الموجودة • وهناك دورات ثقافية ، ولكن للظروف العسكرية ، أفضل حمل السلاح •

● [ب] : العلاقات بيننا طيبة وأخوية ، وعند حدوث اي سوء تفاهم ، نجمع أنفسنا كاخوة ، ويحصل نقد ، والاخوان يدرسون المشكلة في أولها ويتشاورون على رأي واحد ونقوم نتصالح مع بعض ، والمخطئ يقوم بحفر خندق أو أي عمل لصالح القاعدة • واذا حدث واختلفت مع آمر القاعدة ارفع المشكلة للمسئول الاعلى ، وهو نفسه يوقع معي على التقرير الخاص بي •

● [ج] : العلاقات مع رفاق المنظمات الاخرى طيبة جدا • صداقة السلاح هي التي تربطنا بهم • في مرات عديدة أكون بحاجة لسلاح أكثر ، آخذه من قوات التحرير ، ومن قوات الصاعقة ، ثم أرده لهم • وعندما يحتاجون الى سلاح يأخذوه من عندنا • كذلك فاننا أحيانا نقف لهم حماية • في الشتاء جرح ٢ من قوات التحرير استشهد أحدهما ، والاخر جرح • فمجموعتنا كلها قررت تنزل وتغطي عليهم لسحبهم ونزلنا بالليل سحبناه من تحت الكمين وكان يبعد عنا ١٥٠ مترا ، وبعد أن أطلقوا طلقات التنوير . كما أخذنا الشهيد التابع لقوات التحرير الشعبية ووضعناه معنا بالسيارة •

● [د] : الجندي الاسرائيلي مدرب تدريبا كافيا ومتمركز وهو يختلف في هذا عن المقتحم • وعندما يسمع أقل صوت ، يطلق النار فورا ، وهو مدرب من الصعب ابادته ، ولكننا نعمل المستحيل لابادته فورا • والملحوظ أن الاسرائيليين يعترفون بالقتلى الوطنيين منهم • أما المرتزقة فلا يعترفون بهم • وقليلا ما يعترفون بخسائرهم • كذلك لا يذكرون قط أي سيرة لعملية القناصة •

■ ثانيا :

في احدى العمليات كنا ٤ مقاتلين مكلفين بالقيام بها ، وقسم حماية • وانا كان معي ر •ب •ج ٧ » وزميل آخر معه « روكت لانسر ٣ر٥ بوصة » ، وحددت لزميلي أن يرمي المجنزرة ، وأنا قلت أرمي المجنزرة أيضا • ولذلك بعد ما رمى « الروكت لانسر » تطلعت على المجنزره ، فوجدتها لسه ثابتة . وضعت القذيفة الثانية وضربت الروكت لانسر مع زميلي ولكن السلاح كان فاقد الكهرباء ، فلم يطلق القذائف • وبعدما أطلقنا القذائف سقطت بيننا قذيفة

١٠٦ فأطارت الروكت لانسر من يد زميلي وعلقته فوق الشجرة · الحماية قامت بدورها وغطت انسحابنا ولكن مع غزارة نيران الجيش الاسرائيلي لم نستطع الانسحاب بالمرة الى أن طلع الطيران علينا ، وأطلقوا قذائف دخانية لتحديد الهدف ، ليقصفنا الطيران ، وفعلا قصفنا حوالى الساعة ٩ — ٩ر٥ تقريبا ، وخرجنا · وبعد ما خرجنا قصفوا المدنيين في القرية القريبة من الضفة الشرقية ، والخسائر من الناحية الغربية كانت : حرق جحشين ، ووصلنا لقواعدنا بسلام ·

●

الاسم : ابو زيدان ،
السن : ١٨ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : قطاع غزة .

■ أولا :

●[أ] : اول مابدأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني [فتح] باعتبارها أول منظمة اتبعت طريق الكفاح المسلح واجهت صعوبات عديدة ، والاسلحة كانت من مخلفات الحرب · وكل من كان عنده بارودة قديمة (أى بندقية) يعطيها للثورة · وكانت الاسلحة فى الاول بسيطة ، وكانت القواعد سرية لدرجة ان الاب لم يكن يعرف أن ابنه مقاتل أما الان فلا · وتوجد الان مكتبات فى القواعد ، وموجهون فكريون ، كما تعد أيضا دورات تدريبية لتزويد المقاتل بالاستعداد القتالي كما أصبحت تصلنا أسلحة فردية وثقيلة جديدة ، ولكننا ما زلنا بحاجة الى المزيد منها ·

● [ب] : العلاقة عائلية ، كالاخوة الذين تجمعهم عائلة واحدة · ونحن نحل مشاكلنا مع بعض وما يصير بالنسبة للاخرين ، يصير بالنسبة لي · والكل نفس الشيء ·



● [ج] : العلاقات مع الاخوة فى المنظمات الاخرى هى علاقات الاخوة تحت السلاح ·

●[د] : الجندى الاسرائيلى يتدرب على مستوى عال ، وعنده أسلحة كثيرة جدا · وهو محصن فى مناطق الدفاع وعنده غطاء جوى قوى جدا ، ومع هذا كله ، نقدر نقول عنه جبان ، يعنى لو جابهته بغزارة نيران ثابتة ، يضع رأسه فى الخندق ويضرب نيران فى أى جهة ·

■ ثانيا :

فى الواقع أنا أكبر اخوتى ولم اترك الدراسة الا فى معركة حزيران · فالسلطات الاسرائيلية فرضت علينا الدراسة فرضا ، وقلت فى نفسى : « ما بدى المدرسة » وبقيت فى القطاع اشتغل وأساعد أهلى ، ولقيت ضربا مستمرا على المدنيين ، فعندما كانت تضرب لهم مجنزرة بالليل ، يضربون المدنيين ومازالت ضرباتهم معلمة فى ايدى ، فطلعت على الاردن ، ووجدت المجال للالتحاق بالثورة الفلسطينية ·

الاسم : محمد خالد ابو دياب ،
السن : ٢١ سنة .
العمل : طالب .
المنطقة : العراق .

■ أولا :

●[أ] : ارتبطت بالعمل الفدائى عن طريق تساؤلى عن سبب التبرعات من أجل فلسطين ، اذ تعرفت منذ ذلك الوقت على حقيقة الثورة الفلسطينية ، وانا كنت أسمع صوت فتح من الاذاعة ، وفعلا تركت المدرسة وسافرت ووصلت الى معسكر التدريب هناك ولى سنتان الان فى العمل الفدائى ·

● [ب] : علاقاتنا كالاخوة من أب وأم · نحن نقاتل من أجل أرضنا ووطننا ، ونحن احسن من الاهل مع بعض ·

● [ج] : نفس العلاقة مع أفراد المنظمات الاخرى ، المهم هو تحرير فلسطين ·

● [د] : العدو جبان ولكنه قوى ، عنده طيران ورشاشات الـ ٥٠٠ الى جانب التدريب ، كذلك نحن نكون مكشوفين وهو فى خنادقه ·

■ ثانيا :

أتذكر انني قمت بعملية مع نضال منصور · وكانت أول مرة فى حياتى أشترك فى عملية ، ونفذنا العملية ونسفنا ثلاث مجنزرات ، ونفذت منى الذخيرة · وطلع علينا الطيران ، ولم يبق معى سوى ٧ طلقات ، ولم أكن أعرف كيف اتفادى الطيران ، وعاد الطيران وألقى علينا نابالم ، واستمر القصف لمدة ساعة وكلما اختبأت ، اكتشف مكانى وضرب على ·

●

فتح

الاسم : ابو مسعد .
السن : ٣٣ سنة .
العمل السابق : مزارع .
المنطقة : سوريا .

■ أولا :

● [أ] : القتال مع العدو يكسب الانسان خبرة غير الدراسة فى الدورات · لان التطبيق العملى

يجعلنا نكتسب اشياء من العدو المخادع • وفى التماس مع العدو نكتسب متى يرد العدو على الضربة ، ولماذا يستعمل الدعاية ، وفى أى وقت يجب أن ينهى المقاتل العملية • حتى بدأت أشعر من خلال العمليات متى ابدأ ومتى انتهى •

● [ب] : أنا رجل متزوج ، تشده الحياة الزوجية • لكن بسبب حبى لاخوانى وحبهم لى كدت انسى زوجتى واطفالى • حتى الان لم يحدث خلاف بينى وبين زملائى • ولو كنت آمر الموقع أقوم بالتوفيق بين من يختلفون • وطالما ان الهدف مشترك وان العمل هو السبيل • وعنه لا نفهم الا لغة القتال ، ورأيى أن الضعيف لا مكان له فى هذه الارض . وسيعود المجد الى هذه الامة •

● [ج] : هناك لقاءات فى عمليات . والقتال يوحد بين المقاتلين ويظهر معادن الرجال • وهناك الطلقة لا تفرق بين مقاتل ومقاتل • وقد حاولت السياسات الخارجية عن الوطن فرض هذا الوضع • وباذن الله سوف نوحد المجاهدين فى بوتقة فتح •

● [د] : لقد عشت تجارب بالنسبة للمقاتل الاسرائيلى .أنا لا اتجنى • ولكنه اجبن انسان وجد على هذه الارض لانه لا يؤمن الا بالقيم المادية ونحن لنا قيم سماوية أعلى . ولذلك ما خضنا معركة الا تركوا جنزراتهم • فى ٢٩ /١/ ٧٠ احضروا ست دبابات وثمانى جنزرات لمواجهة خمسة افراد لديهم الاسلحة ولكن ينقصهم الايمان •

■ ثانيا :

اكثر ما أثر فى أننى كنت أسير فى شوارع اربد مرتديا ملابس القتال • رأيت رجلا عمره ٧٠ عاما أو أكثر يتقدم منى ويقبل لحيتى • ولن انسى ذلك أبدا •



طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)

الاسم : حسين محمود .
السن : ٢١ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : جبل الكرمل .

■ **أولا :**

● [أ] : الانسان يتطور من مرحلة لمرحلة ، بيزداد نشاطه فى الدوريات الداخلية مع العدو • كما نأخذ محاضرات فى القضية الفلسطينية ، والقضية العربية عامة • الفدائى معنوياته عالية لانه يقاتل من أجل الشعب العربى الفلسطينى والقضية الفلسطينية عامة •

● [ب] : كل انسان يخطىء، يحدد خطأه للمسئول عنه • والمشاكل تحل بيننا •

● [ج] : العلاقة طيبة بيننا وبين المقاتلين الاخرين ، ولا توجد مشاكل بيننا . كذلك يصير تنسيق بيننا فى العمليات ضد العدو ، والمناقشات التى تصار تكون بالنسبة للقضية .

● [د] : بالنسبة لنا الانسان يقاتل من أجل قضية ، أما العدو فمستعمر استيطانى ، نحن ندافع بكل مجهود ، أما هم فمرتزقة لا تهمهم العمليات القتالية ولذا فان العدو ضعيف .•

■ **ثانيا :**

أصبت مرة داخل الاراضى المحتلة فساعدنى الرفاق لقطع النهر ، حتى وصلنا لسيارة الاسعاف ودخلت المستشفى •

●

الاسم : سرحان بشارة .
السن : ٢٠ سنة .
العمل السابق : طالب مدرسة .
المنطقة : قطاع غزة .

■ **أولا :**

● [أ] : الفدائى يتلقى الان جميع التدريبات المناسبة للدوريات ، ويتلقى أيضا بعض النشاطات الرياضية والعسكرية وبعض المحاضرات السياسية التى تشمل قضية العرب والثورة العربية جميعها والثورة الفلسطينية • وفى القواعد العسكرية نتفرغ للعمل العسكرى والدوريات داخل الاراضى المحتلة . ممارسة العمليات جعل الفدائى أكثر فأكثر قوة .

● [ب] : العلاقة فى القاعدة علاقة ودية اخوية تحكمها المودة لاننا نناضل من أجل قضية • فكل انسان تارك أهله وجيرانه وماضيه من أجل قضية • وهذا يجعل العلاقات ودية • وعندما يخطىء انسان ، نجمع جميع العناصر فى القاعدة ونحكم عليه بالاجماع • فيه عندنا عقوبات ميدانية ، رياضية ، الزحف لمسافة ٥٠٠ متر فى منطقة وعرة ، حفر خندق ، طابور حراسة زيادة •

● [ج] : العلاقة مع المقاتلين من المنظمات الاخرى علاقات ودية واخوية ، ولكن القياديين منهم ما « بننطبق » معهم. المقاتلون علاقتنا بهم ودية واخوية •

● [د] : الجندى الاسرائيلى طبيعته أنه مرتزق ، الذين على الخطوط موتزقة • والذين على خط الهدنة يغيرونهم • وليسوا كلهم يهودا • منهم دروز من الارض المحتلة وسود ، ليس هناك يهود سود • والجندى الاسرائيلى جبان يطلق الرصاص بكثرة حتى لايحاسب من رئيسه اذا لم يطلق النار على الدورية الفدائية • فى احدى الوقائع كانت العملية

مستطلعة منذ عدة أيام ؟ وكان هدفنا فيه كمين للعدو . كما وزعنا الدورية اطلقنا مدافع ار ب . ج فاصيب أحد زملائنا ، وحمله اثنان من الرفاق والباقى استمروا فى المعركة ، وقد حملنا المصاب حتى نقل الى عربة الاسعاف ، وكانت رماية العدو اثناء ذلك رماية عالية أى لفوق .

■ ثانيا :

بعد الاطلاع على مبدأ حرب التحرير الشعبية ، تركت مدرستى وأهلى من أجل الانضمام للمقاتلين لاسترداد الارض المغتصبة والوطن المغتصب ، وعائلتى لم تعترض وهى عائلة كادحة تعيش فى خيمة ممزقة .

●

الاسم : حافظ نور الدين .
السن : ٢٤ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : بيسان .

■ أولا :

● [أ] : بعد حزيران ،حمل الفدائى السلاح وبخاصة طلائعنا ، نتيجة نداء الحزب بأن حرب التحرير الشعبية هى الاسلوب الوحيد لتحرير فلسطين . المناضل يتدرب على الاسلحة وتكتيك القتال . قضيتنا ليست قضية فلسطين وحدها لان العدو احتل أراض عربية أخرى . والمقاتل هنا يأخذ محاضرات عن القضايا العربية . فى أول عملية يصاب الانسان برهبة ، وبعدها يشعر بنشوة ويفكر بعملية ثانية . المسألة مختلفة بالنسبة لبعض الرفاق اذ يحتاجون لعملية أو اثنين حتى تصبح المسألة عادية — كان زمان الواحد يفكر فى القتال والعودة . الان يفكر فى الاحتلال ، المرحلة الثانية التى نحن على أبوابها هى الاحتلال والهجوم .

●[ب] : العلاقة بين المقاتلين هى علاقة تعاون وأخوة ، العلاقة بين الاخوة فى السلاح ، أقوى من العلاقة بين الاخوة فى البيت . بالنسبة للمشاكل فى القواعد ، المشاكل نادرة وعلى أشياء بسيطة .

● [ج] : العلاقة مع المقاتلين من المنظمات الاخرى لاتختلف . اذا تقابلنا فى الميدان أو القاعدة وأحيانا تكون القواعد متجاورة ، نتبادل الرأى عن الصعوبات لانه تتوفر لى أحيانا معلومات عن هدف لا تتوفر لهم فأمدهم بها .

● [د] : الجندى الاسرائيلى ، كان أسطورة فى خيالى : كيف تمكن من قهر الجيوش العربية . يمكن الجندى منهم قاتل ١٠ من العرب ، هذا ما كنت اعتقده . ولكن عندما نزلنا أول عملية لنا ، وجدناه بآلياته ومدرعاته ، كما وجدناه فى خندقه قابع يطلق طلقات فى الهواء كي يتفاداه الفدائى ، بعد اطلاق أول صلية لرشاش العدو ، نكون على مستوى سطح الارض . والعدو يضرب النيران فى الهواء . وكثير من جنود العدو يتحدثون كى تمر الدورية ، ولا تطلق عليهم .

■ ثانيا :

فى الصيف الماضى ، العدو أصبح يطلق النيران على المزارعين ولذا اتجه الفدائيون الى العمل مع المزارعين وساعدناهم فى حصاد القمح والرى بالماء لانهم لم يكونوا يستطيعون العمل سوى بالليل .

●

الاسم : باسم فارس .
السن : ٢٠ سنة .
العمل السابق : طالب
المنطقة : اربد .

■ أولا :

● [أ] : حزب البعث العربى الاشتراكى طرح أسلوب حرب التحرير الشعبية كطريقة لتحرير الارض العربية وفلسطين فى مقدمتها . وقد طرح الحزب نداء لجماهير الحزب لتحمل السلاح وتكون طليعة لجماهير الشعب العربى وقد استجبت له كتكليف حزبى ربما انى رفيق فى حزب البعث .

بالنسبة للخبرة القتالية تقدمت ، وبعد ما تخرجنا من معسكرات التدريب دخلنا فى العمليات . وفى كل عملية نتقدم عن الاخرى وهناك تقدم مستمر بالنسبة للمقاتلين ككل ، والعمل الفدائى ككل فى جميع التنظيمات المقاتلة تقدم .

● [ب] : العلاقات بين الرفاق المقاتلين علاقات محبة وأخوة بما أن الرفاق يعايشون بعضهم البعض ، اكثر مما يعايش الاخ أخوه . ولذا يسود جو المحبة بين الرفاق .

● [ج] ، لنا معارف من المنظمات الاخرى نتبادل معهم الزيارات ونلتقى معهم ونتناقش عن طبيعة العمل . مرة كان حضر عندنا رفاق من قوات التحرير الشعبية ، ومجمل حديثنا كان على هدف . كانوا يريدون القيام بعملية عليه ، وكان لنا رفيق يعرف الهدف جيدا ، فوضح لهم طبيعة الارض هناك وقوة العدو هناك واستفادوا من هذه المعلومات .

● (د) : من خلال العمليات التى دخلناها ، العسكرى الاسرائيلى يسيطر عليه الرعب . فقبل أن ندخل الارض المحتلة ، نجد اشارات التنوير باستمرار وهى دليل على أنهم يتوقعون فى كل لحظة هجوما عليهم من الفدائيين العرب . وأحيانا

يتابعون هذه الاشارات بعمليات من رشاشاتهم ، واحيانا بقذائف . فى مرة كنا ذاهبين نهاجم سرية فيها عدة دبابات ومجنزرات للعدو ، وحولها كان فيه عدة كمائن لصد أى هجوم فدائى . وقد سمع أحد رفاقنا وهو واقف على رأس تله الجندى الاسرائيلى بين جبلين ، وهو ينبه زملاءه الاخرين ، وهذا دليل على انهم ينامون فى كمائنهم ، معناه انهم مصرين على أن يموتوا نايمين . الجندى الاسرائيلى فى كل لحظة متوقع الموت ، ولذا قد يقضى عليهم أحد رفاقنا بقنبلة يدوية . هذا ظاهر أمامنا . ونلمسه .

■ ثانيا :

منذ طفولتى وعندما دخلت المدرسة فى الصف الابتدائى الاول ، كانت مأساة شعب فلسطين وطرده من أرضه ، اكبر حادثة اثرت فى نفسى الى الان.

●

الاسم : منير سلامة .
السن : ٣٠ سنة .
العمل السابق : عامل .
المنطقة : سوريا .

■ أولا :

● (ا) : العسكرية التى خدمت فيها ، تختلف عن العمل الفدائى . لما جئت للعمل الفدائى ، تدربت على أنواع جديدة من السلاح ، وخاصة بالنسبة للهندسة والاسلحة الكثيرة المستخدمة والتى تختلف كثيراً عن الاوضاع العسكرية. كما انى اتلقى توجيها سياسيا .

● (ب) : العلاقة بين المقاتلين اخوية ، كأعز اخوة ، الانسان يعز زميله اكثر من اخيه وأهله. لما يجوع ، يجوع معه ، لما يتعب يتعب معه، لما اروح اجازة ٤ أيام اشتاق لرفاقى الذين أعيش معهم وافكر فى العملية التى لابد اخوضها بعد الاجازة .

● (ج) : اننا نشترك مع اخواننا المقاتلين من المنظمات الاخرى فى بعض العمليات ولنا جميعا هدف واحد .



● (د) : الجندى الاسرائيلى جبان . أولا لما يحس بأى شيء من النشاط الفدائى ، يفقد أعصابه . هم يطلقون علينا الرشاشات ، وهم يطلبون النجدة ، ويضربون الى أعلى حتى تأتى المدفعية وتأتى نجدة قوية للقضاء علينا ، ونحن نضرب هدفنا وننسحب .

■ ثانيا :

زيارتى لبعض المخيمات فى سوريا والأردن ، اثرت فى نفسى مناظرها ، وبخاصة الطبقة الفقيرة ، وهم المتعبون ليلا نهارا ، فبالنسبة للعدو ، يفتح عليهم المدفعية والرشاشات وهم مطرودون من أرضهم كما أنهم لا يستطيعون العيش فى أرض غيرهم .

●

الاسم : بادى ابو اللبن .
السن : ٣١ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : قطاع غزة .

■ أولا :

● (أ) : قبل أن ادخل المنظمة لم أكن أعرف أى شيء عن القتال .

وقد تدربت تدريبا جيدا على العديد من الاسلحة ، ومارست العمليات القتالية داخل الارض التى يسيطر عليها العدو . فى أول أو ثانى عملية يحس الانسان بتهيب . بعد عمليتين او ثلاثة يصبح دخول الارض المحتلة شيئا عاديا . وقد يستشهد دون أن يشعر بشيء اسمه خوف بالمرة. وقد خضرت دورات تدريب سياسى استفدت منها لاننى فى البداية لم أكن أعرف غير جزء صغير من المعرفة عن قضية فلسطين . وظروفها . أما الان فأعرف ان لنا أخوان عرب وشعوب عربية مغلوبة على أمرها ، ودول عربية لا تزال لم تتحرر ، فكنا نشعر بشعورهم واذا ما فهم الانسان لماذا يقاتل ويقدم حياته يكون سعيه للنضال أعظم واوعى .

● (ب) : فى داخل الوحدة احنا عناصر موجودة من الكويت والجمهورية العربية المتحدة ومن سوريا ولبنان ، لما ننظر نجد هؤلاء الرفاق عرب تركوا بيوتهم وأهلهم . وهذا يشعرنى أن هؤلاء الناس جديرون بالاحترام والحب . وفى اقسى الظروف لو غلط أحدهم معى لازم اتحمله على اساس انه واجب أن نتحمل بعض ، وكلها حاجات بسيطة لا يشعر بها أى مسئول .

● (ج) : جميع الاخوة فى المنظمات على اختلافها ، علاقتنا بهم طيبة للغاية ، واشعر انهم زملاء لى يقاتلون من أجل نفس الهدف وليس هناك فرق مطلقا .

● (د) : الجندى الاسرائيلى حسبما رأيته وحسب خبرتى يعتمد فى الدرجة الاولى على الامكانيات من ناحية الاسلحة والدشم المسلحة . وأما فى تلك الحالات عندما يكون الاسرائيليون فى كمين منفرد ، الفدائى ربما لا يخاف من ٥ افراد ، وهذا دون مبالغة رغم اطلاق العدو لطلقات التنوير واستعماله لمدافع « الهاوزر » .

■ ثانيا :

فى يوم من الايام ذهبنا

لعملية ، واصطدمنا بكمين قد يكون نتيجة ان الاستطلاع كان خطأ ، وفوجئنا بالكمين ، ونحن متجهون الى ضرب هدف · واخذت تنهال علينا القنابل اليدوية من العدو والرشاشات من مسافة ٣٠ أو ٤٠ مترا وأصيب احد الرفاق وكانت الرماية غزيرة جدا علينا . وسمعته يصيح « لا تتركوني انا زميلكم » فلما سمعت صوته في الحقيقة نسيت حاجة اسمها موت رغم ان المؤكد ان المجازفة في حالة كهذه كانت تعني موت الريد من المقاتلين ، ولذا وقفت المجموعة في محلها وتقدمنا ثلاثة نحوه وتمكنا من سحبه انقاذه ·

●

الاسم : عمار .
السن : ١٥ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : نابلس .

■ **أولا :**

● (أ) : التحقت بالعمل الفدائي منذ سنة وروحي المعنوية اعتبرها عالية وتملأني العزيمة والايمان بالقضية · وقد تدربت على جميع الاسلحة الموجودة لدى المقاومة وكذلك المتفجرات وعمليات الاقتحام ·

● [ب] : علاقتي مع اخواني اننا أكثر من أشقاء ، ولا توجد بيننا مشاكل ، واذا نشأت يحلها المسئول .

● (ج) : المقاتلون ما بينهم شيء ، القياديون هم المسئولون . نحن ليس لدينا الخلاف السياسي ، وانما لدينا شيء هو المقاتل ·

● (د) : الجندي الاسرائيلي جبان مرتزق لا يحارب من قلبه · نحن ابناء القضية ·

■ **ثانيا :**

في معركة ام نخلة اصيب أحد زملائنا ورغم شدة نيران العدو حملناه وانقذناه ·

■ ■ ■

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الاسم : فهد .
السن : ٢٥ سنة
العمل السابق : طبيب .
المنطقة : من بلد عربي .

■ **اولا :**

● (أ) : تطور العمل الفدائي شيء طبيعي · في اول الامر ، يندفع المقاتل اندفاعا عفويا كرد فعل للحرب والاحتلال · خلال وجودي بالتنظيم واشتراكي في العمل الفدائي ينتقل الاندفاع فيتحول من مجرد العاطفة ، الى السير في طريق علمي ، هذا في رأيي اهم تطور في العمل الفدائي : ان يعرف الانسان لماذا يقاتل وكيف يقاتل ·

بالاضافة الى ذلك ، الكفاءة القتالية قضية فيه يحكمها المثل القائل بان الحاجة أم الاختراع · فمادام خصمك قويا فلابد من رفع الكفاءة القتالية بالاضافة الكفاءة القتالية تطورها محكوم برفع الذهنية العلمية ، والاسس العلمية يحكمها الديالكتيك ·

● (ب) : علاقاتنا رفاقية مائة في المائة ، جرت التربية على اساس الا يكون تمييز بين المقاتلين اذا حدث خلاف يتم حله في اجتماع ، وبهذا تذوب الحسابات .. يوجد بين الرفاق جو نفسي جديد · لنفرض ان مسئولي عاقبني ، ساتقبل العقوبة ولكن سأرفع تقريرا الى المرجع التنظيمي

● (ج) : المقاتلون من مختلف التنظيمات هم تنظيم واحد في مواجهة الخطر ، احيانا تجري بيننا مناقشات سياسية · وكل واحد له منطلقاته ، والحوار مستمر وذو الحجة القوية هو الذي على حق ·

● (د) : لم اشترك بعد في قتال ولكن في عمليات استطلاع وفي حدود هذا لاحظت ان العدو الاسرائيلي له مستوى فني وتكنولوجي عال ، ونحن نذكر مثلا الحديث عن سلاح الجو الاسرائيلي وكيف كان للعدو في خدمة الحرب ١٥ من العقول الالكترونية ، وهم يريدون ان يرفعوا هذا العدد ·

■ **ثانيا :**

اهم حدث اذكره قصة احد المقاتلين الذين يحملون سلاح ار · ب · ج [المضاد للدبابات] استطاع برباطة جأش ان يصيب آلية للعدو بان يطلق قذيفتين في ٣٠ ثانية ، هذا الزمن تقدير العسكريين يدل على قوة اعصاب هائلة .

●

الاسم : طلعت حسن .
السن : ١٥ سنة .
العمل السابق : في مدرسة اعدادية .
المنطقة : من منطقة اريحا .

■ **اولا :**

● [أ] : لم أكن من قبل تدربت على السلاح ، دخلنا معسكرات التدريب تدربنا على انواع من السلاح · تدربت على الجرينوف والكلاشينكوف وكارل جوستاف · وتدربت على الالغام والمتفجرات ·

بالاضافة كانوا يدرسون لنا السياسة ، درست قضية فلسطين والثورات .

● [ب] : علاقتنا علاقة أخوية ونساعد بعضنا البعض لانه اذا لم نساعد بعضنا فمن يساعدنا ؟ اذا صارت مشكلة يحلها آمر القاعدة واذا كانت مشكلة بسيطة نحن نحلها والقيادة هي التي تقرر واذا شعرت بالظلم يقع على

نكتب تقريرا ونرسله الى القيادة او في الاجتماع الاسبوعي ندرس الاخطاء التي تقع منا ٠

● [ج] : علاقاتنا جيدة تماما لا خلاف بيننا بعض المنظمات ، خط سيرها فيه اخطاء ٠ ونتناقش معهم في اوضاع الثورة الفلسطينية كلها ٠

● (د) : الجندي الاسرائيلي جبان ٠ هو يعتمد على سلاحه ٠ ويحاول بقدر الامكان ان يبعد عنه الفدائيين حتى لا يصطدم بهم ، الجنود الاسرائيليون يجلسون في تحصينات من الباطون (الاسمنت) ٠ ونحن نقتحم هذه الكمائن ٠

■ ثانيا :

اكثر حادث اثر فى انه في يونيو الماضي لما انهزم الجيش الاردني وقعت اخطاء من بعض الجنود الفارين وصاروا يخطفون من الشعب في ذلك الوقت كان الطيران الاسرائيلي يضرب الجنود الاردنيين ويضرب الشعب ٠ كان يحز في نفس ان يضربنا بعض الجنود وفي هذا الجو لي اصدقاء اعزاء قتلوا ٠

●

الاسم : خالد العراقي .
السن : ١٤ سنة .
العمل السابق : الصف السادس الابتدائي
المنطقة : بعد ٤٨ كنا في طولكرم وبعد ٦٧ جئت الى الاردن .

■ أولا :

● [أ] : بدأت اتدرب على السلاح في معسكرات التدريب تدربت على استعمال كارل جوستاف وسيمبنوف ودكتريوف وكلاشينكوف، كان هناك تثقيف سياسي كنا نقرأ ماوتسي تونغ ولينين، نتعلم من تجارب وكيف نحارب ومن اصدقائنا ومن اعدائنا، السلاح بلافكر يساري صفر ٠ ما بيكفي حمل البندقية ٠

● [ب] : المقاتلون كلهم اخوان والمشاكل يحلها الاخوان عندما اعمل خطأ احكيه للمسئول كل خطأ له عقوبة مثلا الخطأ الصغير يحجز مرتكبه في المغارة ٠

● [ج] : المقاتلون مثل الاخوان ٠٠ الصاعقة وجبهة النضال ، كل اعضاء المنظمات اخوة مثلا في اربد طورد احد شباب الجبهة ولكن كل المنظمات تدخلت ٠

● [د] : قمت بوضع الغام وفي عمليات الاستطلاع رأيت الجندي الاسرائيلي، في الحقيقة هم يخافون لكن منهم ناس لا يخافون، المرتزقة في الجيش الاسرائيلي يخافون كثيرا قوتهم ليست في ايديهم لكن في السلاح ٠

■ ثانيا :

كنا في البيت أثناء حرب حزيران وكان في البيت احد المقاتلين وكنا في ذلك الحين في معسكر جفتلك بالغور فهاجمونا الاسرائيليون وقتلوا والدتي بعد ذلك نزحنا من المنطقة ٠

●

الاسم : رشيدة عبيدو .
السن : ٢٣ سنة .
العمل السابق : مدرسة في الجزائر والبحرين .
المنطقة : القدس .

● [أ] : قبل حزيران كنت اعمل من خلال التنظيم ، ونحن جيل النكبة كان علينا ان نحرر الارض ٠ رفضنا الواقع وسعينا الى واقع آخر ٠ دخلت تنظيم القوميين العرب وبسبب الخطة الاسرائيلية الموضوعة لتهجير شبابنا المقيم في الارض المحتلة، ذهبت الى البحرين لكن لم انس قضيتي بعد ٦٧ لم استطع ان استمر في الحياة غير العادية الحياة الطبيعية ان نشارك في قضيتنا.. تركت عملي والتحقت بصفوف الجبهة الشعبية ٠

اول دورة تدريبية للفتيات كانت بعد سنة ٦٧، وكانت معنا في الدورة الشهيدة شادية ابو غزالة في المعسكر كانت الفتاة منا تخوض معركتين معركة ضد العرف الاجتماعي، وضد محاولة عزلها عن المعركة وصارت معركة تحدي بيننا وبين المدربين لنثبت لهم كفاءة المرأة ، لنفتح الطريق امام المناضلات الاخريات الفكر يوجه بندقيتنا ٠

بعد التدريب تسللت الى الارض المحتلة ، وانضمت للخلايا السرية في الارض المحتلة في البداية كان للعمل رهبة لكن الخوف والرهبة انتهت وصارت لنا الفة للسلاح وألفة للظلام ٠ المرأة الفلسطينية بعد ان تدربت رأت في نفسها قدرات وقدرات وانها تستطيع ان تعطى للارض والقضية، كنا نرفض أن نستثنى من اي برنامج يعطى للشباب صارت الفتيات يدربن الفتيات ٠ تدربنا على اسلحة خفيفة ومتوسطة وتكتيك وطبوغرافيا وبالذات تعطى كل فتاة العمل الذي يناسب قدرتها وكفاءتها ٠

ونحن ندخل في عمق العدو ونزرع المتفجرات.. شادية ابو غزالة اول شهيدة هناك، عايدة سعد حكم عليها بالاشغال المؤبدة هناك عبلة طه التي كانت تنقل الاسلحة وهي حامل اعتقلت وعذبت وافرج عنها ٠

● [ب] : العلاقة بين الفدائيين من نوع خاص ٠ العلاقة بين الاخوات علاقة رفاقية ويمكننا التنظيم والانضباط من خلال التنظيم ، الحياة في المعسكر أروع حياة ■

● [ج] : علاقاتنا بالفدائيين فى منظمات أخرى مفروض ان تكون اخوية ورفاقية، فى بعض الاحيان يثور نقاش واختلافات فى وجهات النظر على الخط السياسى ٠ ولكن نحرص على الا يحدث نوع من الاستفزاز ٠ نتناقش بدون استفزازات او تشنجات .

● (د) : كانت عندى صورة خاطئة عن الجندى الاسرائيلى كانت الصورة انه جبان وانه فى خلال ٤٨ ساعة تنتهى اسرائيل ٠ لكن العدو يخطط وعلمى ويعرف كيف يعمل ٠ وهم يعبئون كل انسان لخوض المعركة : الصغير والكبير، لكن يبقى شىء واحد يمكن ان نستغله نحن قيما بعد ، هو ان نستفيد من التناقضات الموجودة بين اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين ٠ وبين العمال وغير العمال ٠

■ ثانيا :

فى حياتى لم اتخيل ان اقتل نملة ، كلفت بدراسة عملية السوبرماركت، رأيت هناك بعض الاطفال ، وانا احب الاطفال بعمق تصورت انى سأقتلهم ماذنبهم ؟ لكن من الذى فرض علينا ان نقتلهم ؟ كنت اتمنى — وانا احمل العبوة الا يكون هناك اى طفل فى داخل السوق اخذت اردد فى نفسى : نحن لسنا مجرمين انهم يحتلون ارضنا لا نريد ان نقتل لمجرد القتل ٠

بعد العملية ، فتحت اذاعة العدو لارى هل اصيب الاطفال ام لا لحسن الحظ لم يحدث ٠

●

الاسم : ليلى على خالد .
السن : ٢٥ سنة .
العمل السابق : مدرسة .
المنطقة : حيفا .

■ أولا :

● [أ] : لم تكن لى معرفة بالسلاح قبل صيف ٦٩ دخلت المعسكرات وبدأنا التدريب وكلف الينا مهمة خطف الطائرة بعد هذه العملية توقفت عن العمل ٤٥ يوما . فقد كنت فى سوريا ، تدربت على كل انواع السلاح الخفيف والمتفجرات، كنت اتعب فى التدريب ٠ لكن حبى للعمل لم يجعلنى اشعر بأن التدريب شاق ٠ كان مريحا من الناحية النفسية ٠

كان هناك تدريب سياسى ٠ كنت فى التنظيم قبل حزيران ، فى صيف ٦٩ تركت عملى عندما كنا فى التنظيم درسنا استراتيجية الجبهة ٠ فى المعسكر نحن نركز على دراسات حول حرب العصابات والتاكتيك الذى يستخدم فى الثورات، بالاضافة فان المعسكرات تشتمل على مكتبات فيها دراسات عن اسرائيل ومن مخططات العدو وكل مايتصل بذلك ٠ وتوجد كتب اشتراكية لكل من فى المعسكر ماهى الاشتراكية ؟ ما هى أسس الفكر الاشتراكى العلمى ٠٠ الخ بعد الدراسة تدور مناقشات ٠ وهذا يتم فى معسكرات تدريب المقاتلين وفى معسكرات المليشيا وفى القواعد ٠

المقاتل ليس صيادا يريد أن



يقتل عددا من الافراد يريد ان يفهم لماذا يقاتل ٠

● [ب] : العلاقة العامة علاقة رفاقية ٠ تحدث بالفعل مشاكل نعالجها بشكل جماعى . المسئول لا يقرر كل شىء بشكل تعسفى ٠ العقاب الوحيد هو النقد : اما أن ينقد الشخص نفسه واما أن ينقده غيره ٠ وعندما يشعر بالخطأ يصحح نفسه ٠ توجد عقوبات أخرى على الاخطاء الاشد ، أداء تمرينات رياضية — زحف لمسافة معينة .. الخ .

● [ج] : لم اختلط بمقاتلين من منظمات أخرى ٠ من أى حى تنظيم آخر غير تنظيم الجبهة ٠ نتناقش بشكل موضوعى لانه من طرف وأنا من طرف ٠ احيانا تثور مناقشات يشوبها بعض الاستفزاز ولكن هذه أمور عابرة ٠

● [د] : على مستوى المقاتلين يسود التعاون ٠ دورية من تنظيم معين تحمى دورية من تنظيم آخر ٠ هناك تبادل فى الذخيرة والادوات الطبية ٠ فى داخل الارض المحتلة لا يقول انسان أنه من تنظيم وان هذا من تنظيم آخر ٠

● [هـ] : لم يحدث لى تجربة الاحتكاك بالجندى الاسرائيلى ٠ من خلال معلومات رفاقنا الذين احتكوا يمكن أن يقال أن الجندى الاسرائيلى لا يعتمد على شجاعته ولكن على التخطيط العلمى . الجندى الاسرائيلى مدرب تدريب تكنولوجى وهو يوعى سياسيا ٠ لانه ما الذى يجبر يهودا من أمريكا مثلا على أن يأتوا ويموتوا الا اذا اقتنعوا بذلك ؟

نقطة الضعف عند الجندى الاسرائيلى أنه يخاف المواجهة والصورة التى ينقلها المقاتلون هى أن الجنود الاسرائيليين عندما يدخلون شارعا يدخلونه

بقوات مسلحة ومصفحات ، فهم يخافون المواجهة كما ذكرت .

■ ثانيا :

كان لنا رفيق – ابو صخر – يتمير بقدرات ممتازة كمقاتل ، وبقدرة هائلة على التضحية . بعدما عدت من سوريا بعد خطف الطائرة علمت انه استشهد . عندما علمت بالنبأ ظللت مذهولة وعاجزة عن تفسير أي شيء . استكثرت عليه أن يموت . رحت أتخيل أننا لابد وأن نقدم قوافل وقوافل من الشهداء . قوافل لابد أن تكون من نوعية جيدة هذا يعطينا القدرة على أن نواصل الطريق .

●

الاسم : رمزية .
السن : ١٩ سنة .
العمل السابق : طالبة .
المنطقة : غزة .

■ أولا :

● [أ] : بالنسبة للسلاح كنا نتدرب في الفتوة (في المدرسة) . وكانت لنا فكرة بسيطة عنه ، واثناء تنظيمنا بالحركة عرفنا أيضا بعض الشيء عن استخدامه . لم تكن لي فرصة للالتحاق بمعسكر تدريب . الذي حدث هو أننا تدربنا من خلال المعركة مباشرة .

الفتاة الفلسطينية أثبتت أنها تستطيع أن تخوض المعركة بجانب الرجل . في اطار الجبهة الشعبية وجدت الحافز لنقوم بهذا . شعرنا نحن الفتيات أننا نستطيع أن نتحرك أكثر من الرجال لان العدو يلاحظهم ويركز عليهم .

الفتاة هي الساعد الايمن للعمل الفدائي ، في البداية كان عملي الاتصال . بعد ذلك نزلت في عمليات نسف وكمائن وقتل جواسيس . سأقول لك لماذا قتلت الجواسيس . لانه اذا كنا نحقد على عدونا قيراطا نحقد على العربي الخائن ٢٤ . لابد من قتله قبل الصهيوني لانه اخطر علينا . وأنا عمري ست سنوات تفتحت عيناي على الصهاينة وهم يقتلون خمسة أفراد من عائلتنا ، بينهم أبي . قتلوهم في فراشهم في ٥٦/١١/٣ ، ظل هذا المنظر في ذاكرتي الى أن جاء حزيران ، فلم أهاب أن أقتل الجاسوس .

● [ب] : علاقاتنا هي أولا علاقات رفاق سلاح أسمى من العلاقات العائلية . كلنا معا لا نفترق الا مع الموت ، حتى علاقاتنا برفاقنا الشباب علاقات رفاقية أسمى من أي علاقة أخرى . أسلوب المناقشة والجدل يحل المشاكل ، والانضباط هو أساس كل شيء .

●[ج] : نحن نعتبر انفسنا جميعا أخوة مقاتلين . الخلاف بيننا وبينهم على المبادىء . هم لهم مبادىء مقتنعون بها . ومن رأيي أن تعدد المنظمات يخلق التنافس فيما بينها على العمل . لكن ليس معنى هذا أن تظهر كل يوم منظمات جديدة . ظهورها معناه انهم يريدون أن يندسوا على العمل الفدائي .

●[د] : لم يحدث احتكاك . الجنود الاسرائيليون فيهم الجبن ، الدليل على ذلك أن كمائنهم تعلن عن نفسها لابعادنا عنهم . وعلى الرغم من أنهم أعداؤنا الا أن لهم خططا محكمة .

■ ثانيا :

في معركة عيسان الكبيرة في ضواحي خان يونس استشهد لنا أربعة رفاق . بعد المعركة حوصرنا من العدو وعجزنا عن الاختفاء . اضطررت أنا ، ومجموعة من الرفاق الشبان الى ترك القطاع . خرجنا من القطاع ماشيين على أرجلنا . ظللنا نمشي مدة عشرين يوم وليلة . أعظم ما أثر في نفسي هو أنه رغم أنني كنت الفتاة الوحيدة بين عشرة شبان في هذه الرحلة الا أن معاملتهم لي كانت في منتهى الانسانية .

●

الاسم : رجب سلطان .
السن : ٢٢ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة السابقة بفلسطين : نابلس

■ أولا :

● [أ] : لم يكن لدي فكرة عن السلاح قبل سنتين ونصف . بعد نكسة حزيران تدربنا تدريبا بسيطا على الاسلحة الفردية والجماعية . أجيد خصوصا استخدام سلاح آر . ب . ج ثم الدوكشا .

وفي مجال القواعد يتم التثقيف بصورة مستمرة . كل انسان بدون فكرة مصيره الفشل . ندرس العلاقات التنظيمية – كيفية مواجهتنا للمعركة : كيف يكون مصيرنا في مواجهة المستقبل – ندرس تجارب الثورات السابقة والاستفادة منها كتجربة بالنسبة للشعب الفلسطيني .

● [ب] : العلاقات متكافئة بين العناصر ، لا سيد ولا مسود ، علاقات أخوة ورفاقية . اي مشكلة تحل حلا جماعيا . تعقد لجنة من قبل القاعدة ويصدر الحكم جماعيا . عندما يقع الانسان منا في خطأ فان أقصى عقوبة هي احتجازه يومين أو ثلاثة . اذا كان الخطأ أشد يحال الى القيادة العسكرية .

● [ج] : علاقاتنا رفاقية . لا يوجد اختلاف بيننا كأفراد .

● [د] : العسكري الاسرائيلي هو كأي عسكري آخر ، لكن يتصف بالجبن . اذا كان في كمين يشعل السجائر ويتحدث أو يسكر . الهدف من ذلك ابعاد

الفدائيين عن الكمين . لكن اذا كانوا قد هزمونا فبسبب تخطيطهم ودراستهم للمعركة ، بينما أخذنا الامور بشكل ارتجالى .

■ ثانيا :

عملية قمنا بها فى عيد الاضحى عام ١٩٦٨ واستشهد فيها ٨ من الرفاق ، الذى أثرفى شعور الرفاق قبل المعركة والكلمات التى قالوها ، كانوا كانهم ذاهبين الى حفلة . كانت معركتنا غير متكافئة عدد قليل من الفدائيين ضد ثلاثين مجنزرة . ولكنهم صمدوا ٦ ساعات . اذكر كلمة لقائد المجموعة الشهيد محمود دياب عثمان . قال : انى اذا استشهدت فسأجد من يتابعون مسيرتى . وكتب وصيته وطالب فيها بضرورة العناية بتدريب الشباب .

●

الاسم : وليد نصرى .
السن : ٢٥ سنة .
العمل السابق : عامل .
من اى منطقة بفلسطين :
(أصر على انه من فلسطين) .

■ أولا :

● [أ] : كنت فى أول الامر بالتنظيم ، لويكن لى خبرة سابقة بالسلاح . وفى الارض المحتلة كنا ننظم أنفسنا . لم يكن عملنا عسكريا فى البداية . فيما بعد دخلت دورات محلية .. أجيد كل انواع السلاح .

فى القاعدة كنا نأخذ محاضرات عن العمل العسكرى وعن قضايا سياسية .

● [ب] : علاقة أخوة لانه لا يوجد فرق بينى وبين زميلى . مصيرنا واحد . نحل المشكلة على أساس المحاسبة من قبل القاعدة . ولو سجن انسان يوما واحدا يحس كانه سجن عشر سنوات أو ٥ سنوات .

اذا أحسست بخطأ من المسئول ارفع كتابا الى القيادة . والعلاقة فى القاعدة هى الانضباط .

● [ج] : علاقاتنا بالفدائيين من تنظيمات اخرى اخوية . تصير مناقشات فى قضايا سياسية لكن نتيجة النقاش اننا نصير أصدقاء .

● [د] : اشتركت فى بعض عمليات . . العسكرى الاسرائيلى مدرب وخبير . تدريبه عال . وفى الكمين يقاتل العسكرى بشراسة . أهم ميزة فيهم (الاسرائيليون) قدرتهم على ارسال نجدات سريعة .

■ ثانيا :

دخلنا فى الارض المحتلة ففوجئنا بنيران من أمام ومن خلف . كنا مجموعة صغيرة فانسحبنا الى حافة النهر حاصرونا هناك من ٩ مساء الى ٣ صباحا . فى الظهر سكتت رماية العدو علينا . رأيت أن زملائى قد تفرقوا . القيت بنفسى فى النهر فسحبتنى الدوامات الى الضفة الشرقية . هناك علمت أنه قد استشهد لنا رفيق هو أحمد فائق عمران ، حاولنا أن نحضر جثة الشهيد لكن لم نستطع . وهذا ما أثر فى .



●

الاسم : خالد جهاد .
السن : ٢٢ سنة .
العمل السابق : عامل .
المنطقة : الفالوجا .

■ أولا :

● [أ] : قبل حزيران لم أكن مدربا على السلاح . تدربت عليه مع فتح فى احدى البلاد العربية .

فى القواعد هناك دورات كادر . ندرس تجارب الحروب فى العالم .

● [ب] : علاقاتنا رفاقية . الاخوة فى البيت يختلفون . ولكن العمل والواجب يشدنا الى بعض . اذا صارت مشكلة توجد لجنة تقوم بحل المشاكل . هناك جلسات نقد كل أسبوع ثلاث مرات . أوجه النقد الى مسئولى اذا أخطأ . اذا أخطأت عوقبت بالسجن . لكن السجن يختلف عن سجن أى دولة فالمعاملة فيه رفاقية والكتب موجودة . عوقبت بالسجن بسبب فقدى لسلاحى . سجنت شهرين .

● [ج] : العلاقة سليمة مع الاخرين . ونحن على اتصال دائم ، فتح لا ترحب باثارة قضايا فكرية فى القاعدة . لكن نطالب بوحدة المقاتلين مهما كانت الظروف السياسية .

● [د] : الجندى الاسرائيلى يتعلم الفن العسكرى ، وضابطه يتقدمه . ونحن لابد وأن نتدرب ونتعلم أكثر منه لكى نتغلب عليه . نقطة الضعف فيه أنه مرهق دائما من أعمال الفدائيين ومن الاشتباكات مع الدول العربية .

■ ثانيا :

قمت بعملية الساعة ٦.٥ صباحا ، كان الجندي الاسرائيلي يمسك بمدفع ٥٠٠ محمولا على نصف مجنزرة ، فجأة وجدت نفسي على بعد أربعة امتار منه . اربكته المباغتة فأرخى الرشاش ولم يطلق على وصار يضرب على رأس زميله ويصيح .

الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

الاسم : ابو مجدى .
السن : ٢٥ سنة .
العمل السابق : عامل .
المنطقة : شرق الاردن .

■ أولا :

● [أ] : بعد مرور ما يقارب السنتين او أكثر على حركة المقاومه ككل نلاحظ ان هناك تطور جيد بين جميع مقاتلى وفصائل كل حركة المقاومة وخاصة عندما بدأت حركة المقاومة بسلاح بسيط وتطور حسب امكانياتها الذاتية ، صار عندها الان السلاح الذى يمكن استخدامه ضد العدو ، لما جاء العمل الفدائى جاء بطريقته عفوية ، ولكن لما المقاتل تنظم فى صفوف تنظيم ثورى أصبح المقاتل يلتزم بعقيدة أساسية . وأصبحت قدرة المقاتل أكبر من الماضى . كون المقاتل جاء بعفوية سابقة نتيجة ارتباطه العفوى فى التنظيم تحول من مقاتل باندفاع عاطفى الى مقاتل بتنظيم وعقيدة ومبادىء هي مبادىء حرب التحرير الشعبية وازدادت قدرته القتالية اكثر نتيجة ممارساته اليومية بالقتال ضد العدو ، نتيجة لمسه لكل المشكلات التى تحيط بالقضية الفلسطينية من مؤامرات ونتيجة اشتراكه فى عدة عمليات قتالية من خلال الممارسة ازدادت جرأته القتالية فى العمل .

● [ب] : فى الحقيقة احنا تنظيم الجبهة الديموقراطية الشعبية كتنظيم يسارى ملتزم بالفكر الماركسى اللينينى الطريق الوحيد للقضاء على المشاكل هو الحل الرفاقى بين الرفاق من خلال جلسات النقد والنقد الذاتى . معظم المقاتلين جايين من مختلف طبقات المجتمع الا أن هذا التنظيم استطاع أن يحول هؤلاء المقاتلين الذين جاءوا بعفوية



الى أن يلتزموا بعقيدة بمبادىء حرب التحرير الشعبية .

● [ج] : العلاقات بين قواعد التنظيمات المقاتلة ككل هى علاقات رفاقية الكل منا يحمل السلاح ضد عدو مشترك .لكن هناك بعض النزاعات غير ناجمة من المقاتل لان المقاتل حسبما يبنى يصبح . ولكن هناك تعاون مشترك وتحالف مشترك وهناك تنسيق فى العمل العسكرى ومع بعض المنظمات فى العمل السياسى ، وبنتسق مع بعض المنظمات فى عمليات عسكرية واحدة .

● [د] : فى الحقيقة الجندى الاسرائيلى يعتمد فى قتاله ضد الشعب العربى والفلسطينى يعتمد على تفوقه التكنولوجى والعلمى وتخلف عدوه من الناحية التكنولوجية والعسكرية — توعية المقاتل الاسرائيلى بالتحديد هو مقاتل زى أى واحد ولكن اعتماده على الامكانيات العسكرية هى التى تجعله يقاتل اكثر .

■ ثانيا :

احد الرفاق من المقاتلين ، هذا المقاتل بعد ٥ حزيران هو فلسطينى نزح بعد ٤٨ الى الضفة الشرقية سكن فى منطقة الشونة الشمالية بالضفة الشرقية ، وكان عامل فى البداية وأنا كنت اشتغل وياه منذ الصغر أنا طبيعى بعد ٥ حزيران التحقت بالعمل الفدائى نتيجة دوافع وطنية هو كان لا يزال يعمل وهو الوحيد الذى يعول أهله كنت أناقشه باستمرار على أن المفروض أن يلتحق بالعمل الفدائى ، وهذا واجب أساسى لكن كانت هناك عقبات أمامه كمعين لاهله وهم كانوا عقبة فى طريقه ونتيجة ازدياد حركة المقاومة فى المناطق بدأ العدو يقصف القرى والمدن الامامية فى خط المواجهة كانوا أهله ساكنين فى بيت ونتيجة القصف دمر البيت وهو لا يملك الا هذا البيت . وعندما هدم البيت احتار انه لاجىء من ٤٨ وها بيته انهدم بعد ٦٧ طبيعى حالتهم المادية فقيرة جدا آخر مرة شفته فيها بعدما انهدم بيته أول ١٩٦٨ طرحت عليه موضوع العمل ، كان متجاوبا الى درجة بعيدة ، أدرك أنه ولو فضل عامل يعول أهله نفس الشىء كما لو كان غير مشتغل ، فالطبقة العاملة تذوق المصاعب وين ما كانوا ، فترك أهله وعائلته والتحق بالعمل الفدائى ، ومن خلال الممارسة فى الجبهة الديموقراطية الشعبية ، هو مقاتل جيد يخدم أفكار هذه الطبقة ومصالح الطبقة .

■ ثانيا :

●

الاسم : عماد اليسار .
السن : ٢١ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : غــزة .

■ أولا :

● [أ] : الممارسة العملية للقتال ومواجهة العدو باستمرار والتقدم الذى ينشأ فى المنظمات المختلفة — تقدم فى نوعية السلاح بيرفع ويعمق من قدرات المقاتل العسكرية ، فى البداية كانت العمليات كلها تنحصر فى بث الالغام وعمليات بسيطة فى مداها . وبازدياد المواجهة ابتدات تتخذ طريقا تصاعديا ، فتطورت من ها المرحلة حتى مراحل المواجهة . هذا التطور مر عبر سلسلة طويلة من المراحل وبالمقابل ازدادت قدرات المقاتلين الفلسطينيين وملكوا السلاح وعرفوا نوعية العدو وانطلقوا فى قتالهم لتطوير الحرب الى حرب طويلة الامد للتحرير .

● [ب] : العلاقات اذا جاز التعبير أكثر من عائلية تقوم على الحب والاحترام المتبادل بين الرفاق ونكران الذات فى سبيل المجموع . المشاكل تحل عبر جلسات النقد والنقد الذاتى ومشاركة كل الرفاق فى مناقشة المشكلة المطروحة والتوصل الى حل جماعى لهذه الفترة . فى الحقيقة مافيه مشاكل بمعنى مشاكل وبالتالى كلها بعض الاخطاء البسيطة العقوبات تبدأ من توجيه النقد الى الفصل من التنظيم مزودا بتطبيق بعض العقوبات الجزئية .

● [جـ] : العلاقة القائمة بين مقاتلى التنظيمات المختلفة تماما كالعلاقة القائمة بين اعضاء التنظيم نفسه . الروح الرفاقية والحب المتبادل ونكران الذات .

● [د] : خـلال تجربتى البسيطة فى العمل الفدائى جائز الصورة اللى أخدتها ماتكونش متكاملة ولكن هناك بعض الاوليات ارتكازه على قوى مساندة له . ونظرا لانتصاره فى معارك متكررة ضد الدول العربية اعطاه بعض الغرور فى مقابلته للجندى العربى . مجابهته للفدائى الفلسطينى مختلفة . الجندى الاسرائيلى لا يختلف عن سائر الجنود النظاميين . نحن قدراتنا كمقاتلين ميزاتنا هى نعرف متى نسدد الضربة له كاسبين عنصر المفاجاة عليه كما انه لا يستطيع أن يرانا نهارا او ليلا ، كالممثل على المسرح ، الصالة مطفأة والمسرح مضاء .

■ ثانيا :

المواطنين نتيجة لظروفهم الحياتية اضطروا للنزول الى خط المواجهة للعمل مافيه عمل متوفر داخل البلد ما لعمل متوفر هناك وما بينزل هناك الا الغلابة . هناك فى بيارات أما ننزل ونروح فى احدى المرات كان أحد الرفاق نزل فى عملية قنص ونفذ عملية قنص جندى اسرائيلى وكان فى منطقة بعيدة عن منطقة العمال هذه . وبدأت رماية على الرفيق كثيفة كعادة العدو دائما ، فأحد العمال الموجودين راح ركض تحت الرماية وعرض نفسه للقتل لانه كان فيه دورية تود تعدى كى تخطفه ، والعامل لا يملك سوى الفاس بتاعه وراح على الرفيق الجريح ووجد اصابته خطيرة نوعا ، فحمله واستطاع أن ينزح به والعمال وقفوا أمام الدورية كتحد ، فالدورية رمت عليهم ووقع بينهم الكثير من الشهداء .



الاسم : ابو الاشواق .
السن : ٢٠ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : سوريا .

■ أولا :

● [أ] : عندما تشكلت المنظمات الفدائية كانت لا تملك شيئا سوى بعض الاسلحة الخفيفة ، ونتيجة التقائها مع الجماهير العربية ونتيجة دعم الجماهير العربية طورها من ناحية السلاح ، والسلاح طور قدرتها القتالية ، فتطورت من بث الالغام والقنص من مسافات بعيدة الى العبور للداخل وانشاء الخلايا داخل الارض المحتلة . وزادت من الضغوط على العدو واستنزافه .

● [ب] : العلاقات أكثر من اخوية . ولا يوجد مشاكل سوى سوء تفاهم بسيط قد يقع ويقتصر على أن رفيق ينهى المشكلة فى جلسة نقد لكى لا يصير حقد على بعض وتعالج بطريقة علمية .

● [جـ] : نفس العلاقات الطيبة نروح عندهم زيارات نتبادل أحاديث عن الاوضاع العربية والمقاومة ، ولى أقارب فى منظمة فتح ووالدى فى منظمة فتح .

● [د] : الجندى الاسرائيلى متفوق جدا ولكن تفوقه لا يجدى شيئا أمام المقاومة ، فعنصر المباغتة يتفوق على القدرة الفنية .

■ ثانيا :

حصل سوء تفاهم وأنا فى القاعدة مع أحد الرفاق وتطور الى حد الاشتباك (غير مسلح) وعرضت المشكلة على القيادة فأمر آمر القاعدة بحلها داخل القاعدة فعرضت على الرفاق جميعا وقرروا عقوبة هى شهرين بدون أجازة • العقوبة تتخذ بشكل جماعى والشيء الجيد عندنا أن الرفيق يقتنع بخطئه •

●

الاسم : خالد محمود خالد •
السن : ٢٦ سنة •
المهنة : عامل •
المنطقة : قطاع غزة •

■ أولا :

● [أ] : هناك تقدم ملموس فى الطاقة القتالية والسياسية ، فعلى الصعيد العسكرى استطاعت حركة المقاومة أن تسقط وهم الغرور اللى كسبته اسرائيل بالحرب والسكان الاسرائيليين أصبحوا الان يتملكهم الرعب وتسقط عنهم أوهامهم ، ومن الناحية السياسية يتنامى الوعى السياسى الى جانب القتالى وكلما تتضح الرؤية السياسية التى يناضل من أجلها الانسان ، يزداد جراة فى العمل القتالى • التقدم ممتاز وقياسى ونأمل أن يحقق المهمات الملقاة على عاتق حركة المقاومة •

● [ب] : الشعب الفلسطينى كان شعبا متخلفا ، تترتب عنه خلفيات ورواسب شتى ، وجود الانسان الجديد فى القاعدة يجعل الشوائب تخف عبر العلاقات الاخوية والتثقيف وكل هذا يؤدى فى الحقيقة الى اخفاء او زوال حتى بعض الشوائب ، الا أن هناك لابد أن تظهر بعض الاخطاء لكنها بسيطة جدا تعالج فى جلسات النقد والرفاق تسودهم بشكل عام المحبة المتبادلة •

● [ج] : العلاقات مع الرفاق فى منظمات اخرى هى أيضا فى تقدم ملموس وتزداد الصلات توطيدا أثناء الزيارات والعمليات المشتركة ونأمل أن يؤدى ذلك الى اقامة جبهة وطنية عريضة من القاعدة الى القيادة للوقوف أمام الاخطار التى تجتاح حركة المقاومة الفلسطينية •

● [د] : الجندى الاسرائيلى لا يشذ عن قاعدة الجيوش النظامية الكلاسيكية ، اكثر الجنود الاسرائيليين يأتوا مدفوعين اجباريا للمواجهة ولا توجد لديهم اقتناعات ذاتية ، الان تقريبا ، ومن توجد لديهم هذه القناعات تنهار شيئا فشيئا أمام ضربات المقاومة القاصمة • ان ما نملكه أمام هذا التفوق التكنولوجى عنصر المباغتة والقوة أو القدرة على الحركة السريعة وتوجيه الضربات والى جانب هذا أيضا قلة الخسائر عندنا وكثرتها لدى العدو وهذا يرجع لممارسة التكتيكات العسكرية الخ •

■ ثانيا :

بينما كانت الطائرات الاسرائيلية تقصف أثناء احدى العمليات كانت امرأة تتجاوز حوالى الخمسين سنة على يدها طفل صغير تحمله وكمان ماسكة بايدها طفل عمره ٦ سنوات كانت هاربة من الغارة ويمتلكها ذعر شديد من الطيران انفجر قربها صاروخ أو قذيفة من الطيران أدى الى شق بطنها وبرزت أمعائها بينما هى ارتمت بعد الضرب مباشرة كان الطفل الصغير يصرخ ويلعب فى أمعائها ، والطفل الاخر يصرخ وكان هذا مشهد مؤثر للغاية •

●

الاسم : ابو جهاد •
السن : ٢٠ سنة •
العمل السابق : جندى باحدى الجيوش العربية •
المنطقة : نابلس •

■ أولا :

● [أ] : أنا خدمت فى احدى الجيوش العربية ، ولما ظهرت منظمات فدائية تحولت الى الجبهة الشعبية الديمقراطية التى تطرح الفكر اليسارى لمساعدة العمال والفلاحين ، وفعلا دخلت فيها وقاتلت فى صفوفها •

وهذا زودنى بفن فى القتال والممارسة ، وجعلتنى اعتمد على نفسى ، فى نفس الوقت وطبعا تدربت على أسلحة التدريب فى المنظمات أحسن من التدريب فى الجيش الذى كنت فيه • وحصل تقدم لكن موش كثير •• التقدم الضئيل اللى حصل اننا غير مرتكزين على خلفنا ولا يحصل التقدم الا لما نكون مطمئنين لخلفنا •

● [ب] : العلاقات فى الجبهة علاقات رفاقية وأحسن من أخوية ولا توجد فيها مظاهر طبقية •

● [ج] : لا فرق بين مقاتل وآخر من كافة المنظمات •

● [د] : الجندى الاسرائيلى مرتكز على قاعدة خلفه ومرتكز على الاستعمار ، خبرته العسكرية لا تزيد الا قليلا ، او محتمل أن تزيد قليلا عن الجيوش النظامية وشجاعته لا تزيد على شجاعة الجندى العربى •



الفلاحون الموجودون بهذه القرى صارت رعايتهم منجانب الفدائيين وهناك فلاحة كانت خارجة تزرع وهى عائدة ولدت ووضعت طفلها والطائرات كانت تطاردها بالطريق ، ولدت وهى ماشية دون أن تدرى ، وبعدين وجدوها الفدائيين وقالت لهم انها شعرت بأنها وضعت وهى تسير . وطلبت من الفدائيين حملها فى السيارة فحملوها الى المستشفى ولا أعرف مصير ابنها ولا مصيرها .

●

الاسم : حربى على يوسف .
السن : ١٤ سنة .
العمل السابق : طالب .
المنطقة : القدس .

■ **أولا :**

● [أ] : ماكانش فيه أسلحه ـاكانش فيهمقاتلين، ولمتكن فيه ـواعدكفاية الافكاراتحسنت وقد ـادنى الدخول فى معارك فعلية كثر من التدريب .

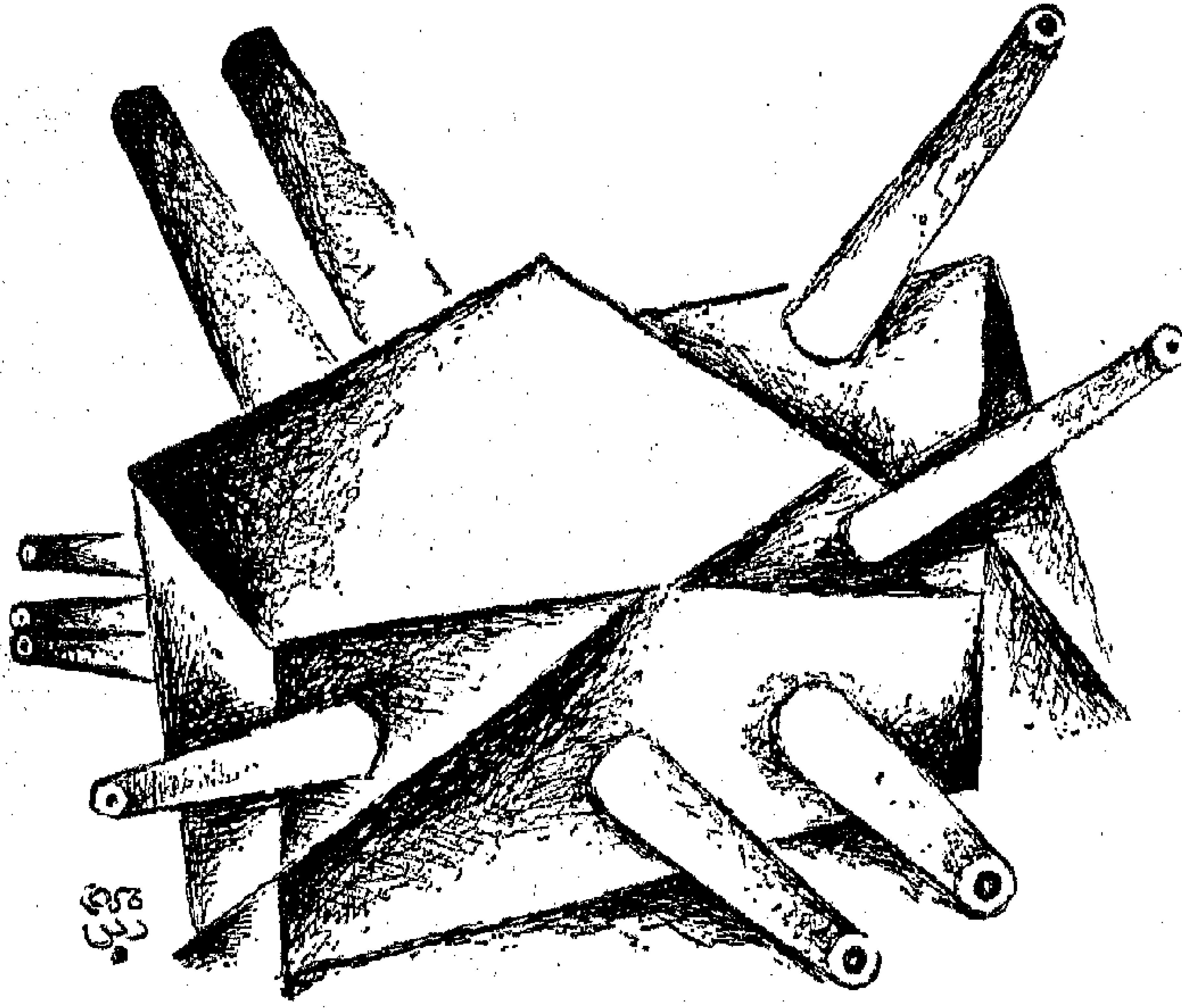
● [ب] : أنا عامل زى اى ـفيق من الرفاق . حل آى مشكلة حل رفاقى ، الكل بيجتمع والعلاقات بينهم علاقات رفاقية طيبة .

● [ج] : علاقتى بالرفاق فى منظمات أخرى علاقات طيبة وهم مقاتلين يقاتلون لنفس الهدف . ونحن مستعدون لمساعدة زملاءنا المقاتلين فى منظمات أخرى .

● [د] : بنحارب بسلاح ـرشاشات خفيفة بيطلع علينا ـطيران ودبابات ورشاشات ٥٠٠ و٨٠٠ (والمضادة للطيران) قبل ما تنزل العملية بنرسم خطة ونفاجئه وهذا يعطينا ميزة على العدو .

■ **ثانيا :**

أن أكثر ما يحز فى نفسى انيجد الانسان نفسه عاجزا عن تنفيذ خطة وضعتها القيادة لاسباب خارجة عن ارادته .



أضواء

حول الاستراتيجية العسكرية

محمود عزمي

يقول الكاتب العسكري الفرنسي المعاصر «**اندريه بوفر**» في كتابه « **مدخل الى الاستراتيجية**» « ان حقائق وخبايا كلمة الاستراتيجية خافية مجهولة غالبا رغم ترددها على السنة الكثيرين • ان هذه الكلمة هي بلا شك من أكثر التعابير الشائعة التي يتداولها الناس وهم يجهلون معناها الحقيقي . واسباب هذا الجهل عديدة، وأهمها : ان الاستراتيجية كانت لفترة طويلة من الزمن علم وفن كبار القادة ، ولم تكن تشغل الا اهتمام حفنة صغيرة من الناس ، ثم انتقلت معرفتها من جيل الى جيل بشكل سري مغلق عن طريق الامثلة التي قدمها القادة المشهورون في كل جيل ، وكانها « مهارة » يتناقلها معلمو حرفة من الحرف » . (١)

والواقع أن هذا القول يعبر الى حد كبير عن حقيقة الغموض وعدم المعرفة العلمية الواضحة المحيطة بمفهوم كلمة « الاستراتيجية » التي كثر

(١) مدخل الى الاستراتيجية ـ ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي ـ بيروت ١٩٦٨ ـ صفحة ٢٣ .

تداولها خلال السنوات الاخيرة بين أوساط الرأى العام العربى المتابع لحركة الاحداث السياسية والعسكرية عالميا ومحليا ٠

وتهدف هذه الدراسة الموجزةالى القاء بعض الاضواء العلميةالاولية على هذا الموضوع الحيوى الهام الذى زادتأهميته بشكل كبير فى شرقنا العربى منذ أحداث يونيو ١٩٦٧ ، وما زالت تلك الاهمية فى ازدياد مع استمرار تصاعد وتطور [illegible] الامبريالية التى تقف وراءه ٠

تعريف الاستراتيجية : لقد تطور مفهوم وتعريف كلمة « الاستراتيجية » عبر عصـور التـاريخ العسكرى بطريقة مشابهة لتطور وتغير مفهـوم وتعريف كلمة « فلسفة » ٠ واختلف هذا التعريف من عصر الى آخر وفقا لاختلاف وتطور التكنيك العسكرى فى كل عصر عنالاخر ، ذلك التكنيك الذى يرتبط بشكلوثيق بمستوى تطور وسائل الانتاج والمواصلات ٠كما تباين مفهوم وتعريف الاستراتيجية لدى كل قائد أو مفكر عسكرى او سياسى، وفقا لتباين المدارس الفكرية والفلسفية العامة التى ينتمى اليها كل قائد او مفكر ممن تعرضوا لهذا الموضوع ٠ ومن هنا تنبع الصعوبة البالغة فى تقديم تعريف جامع مانع لكلمـة استراتيجية ، لانه لايوجدتعريف موحد متفق عليه فى أى عصر منالعصور حتى يومنا هذا ، خاصة وأن النظرة الفلسفيةوالسياسية العامة تؤثر الى حد كبير فى تحديدمفهوم الاستراتيجية وتوضيح مغزاها ومجال أعمالها أو استخدامها ٠ ولما كانت هذه النظرة تختلف اختلافا كبيرا بين الافراد وبعضهم البعض والطبقات والدول المختلفـة وبعضها البعض تبعا لاختلاف وتباين المصالح الاقتصادية والاهداف السياسية لكل ، كان من المنطقى تماما أن ينعكس هذا الموقف السياسى والفكرىفى مجالالاستراتيجية، الامر الذى ترتب عليه عدم وجود تعريفموحد ومفهوم متفق عليه بالنسبة لها ، مثلها فى ذلك أيضـا مثل كلمـة الفلسفة ، التى لميتوفر لها هى الاخرى حتى الان تعريف موحد أو تحديد متفق عليه لمفهومها ٠

ومن خلالاستقراء أبرز التعريفات التىقدمتها مـدارس الفكر العسكرى الحـديث لعلـم الاستراتيجية ، وربطها بحقائق العصر المتعلقة بعالم الحرب والسياسة والاقتصاد ، سنحاول أن نحدد التعريف المناسبلهذا العلم الذى لم يكتسب بعد صفة الاستقرار الموضوعى النسبى الذى تتمتع به العلوم الطبيعية ، مثله فى ذلك مثلمعظم العلوم الاجتماعية الاخرى ، التى ما زالت محلا لاختلاف الاراء والعقائد الفكرية والمصـالح الطبقيـة والسياسية المختلفـة ٠ لقـد اشـتقت كلمـة اسـتراتيجية ، أى « Strategy » أصلا من الكلمة اليونانية « Stretegos » التى كانت تعنى فن قيادة القوات ، وهو فن مارسه بمهارة بعض القادةالقدماء من أمثال **الاسكندر المقدونى وهانيبالويوليوس قيصر** دون أن يدونوا خبرتهم عنه فى صياغات مكتوبة تحدد للحرب قوانين معينة،ولهذا ساد اعتقاد كبيرلفتره طويلة من الزمن بأن الاستراتيجية مجرد فن يمارسه القادة الموهوبون عن حدس وعبقرية خاصة فحسب دون وجود أو امكان وجود أى قواعد قياسية للحرب ، وبالتالى لا يمكن أن تكون علما له قواعده ونظرياته الخاصة . ولكن منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ، أى مع مقدمات عصر الثورة الفرنسية فى أوروبا ، عصر تقدم قوى الانتاج الصناعى وازدهار العلوم الطبيعية وسيـادة الفلسفة العقليةعلى الفكر الاوروبى الداعى الى التحرر من قيودالاقطاع ٠ بدأتدراسة الحرب على أسس علمية وبدأت محاولات وضع تعريفات علمية للاستراتيجية والتكتيك ، وتطورت ايضا وسائل القتال وتنظيم الجيوش ، وكان نابليون

جوميني :

Jomini (١٧٧٩ — ١٨٦٩) :
ولد انطوان هنرى جوميني فى الجزء الفرنسي من سويسرا فى أسرة بورجوازية تعمل فى التجارة والمصارف ، ثم التحق بالعمل باحد مصارف باريس فى اواخر القرن الثامن عشر ورشحته خبرته الادارية وميوله العسكرية واعجابه بنابليون الى الالتحاق ــ بشكل غير رسمى وبغير أجر ــ يعمل فى ادارة التموين بالجيش الفرنسي والتى كانت تابعة حينئذ لهيئة أركان حرب الجيش ثم اصبح رئيسا لاركان حرب الماريشـال « ناى » ــ أحد كبـار مساعدى نابليون ــ أثناء معركة « اوسترلو » . وقـد نشر بمعاونة « ناى » اول مجلدات تاريخه العسكرى الذى تناول فيه حملات فردريك الاكبر وقارن بينه وبين « نابليون » فى فن القيادة ، وقد اطلع « نابليون » من خلال « ناى » على الكتاب وأبدى اعجابه بالمؤلف ، الذى منح نتيجة لذلك رتبة « كولونيل » فى الجيش الفرنسى عام ١٨٠٦ . وقد اشترك « جوميني » فى معظم حملات « نابليون » بعد ذلك حتى حملة روسيا عام ١٨١٢ كرئيس لاركان حرب « ناى » ولكنه لم يرق الى رتبة أعلى من قائد لواء ولم يتول قيادة مستقله ، ولذلك لجأ الى روسيا عام ١٨١٣ حيث منح رتبة جنرال وعمل مستشارا عسكريا . وهناك وجد الفرصة للتفرغ للتأليف فى التاريخ العسكرى والاستراتيجية وفن الحرب عموما ، وقد عاش متنقلا بين روسيا وفرنسا، وحين مات عام ١٨٦٩ كانت كتبه مستخدمة فى جميع الدراسات العسكرية فى العالم . واهم كتبه هو « دراسة موجزة فى فن الحرب » وقد صدر فى مجلدين ونشر عام ١٨٣٨ .

وحروبه الطويلة الحديثة الاساليب ، والتى أحدثت ثورة كبرى فىفن الحرب وقتئذ ، هو نتاج هذا التطور التكنيكى والاقتصادى والسياسى . ولكن نابليون نفسه لم يترك كتابات علميـــة بالمعنى المعروف عن الاستراتيجية أو التكتيك ، وانما ترك مجموعة من « الحكم » العسكرية العامة التىلا تشكل نظرية واضحة المعالم .

وقـــد تصــــدى لشرح اســــتراتيجيــــة نابليون وأساليبه فى القتال واستنباط القواعد القياسية المستفادة من خبراته العملية كاتبان عسكريان ، قدر لهما أن يصبحا مؤسسا العـــلوم العسكريـــة الحديثة ، هما « **جوميني** » الضابط الســويسرى الاصل الذى عمل فى بداية حياته كضابط أركان حرب فى جيش نابليون ، و « **كلاوزفيتز** » الضـابط البروسى الشهير الذى شارك فى القتال ضد نابليون كضابط أركان حرب فى الجيش البـروسى والروسى .

ولكن « جوميني » لم يقدم تعـــريفا محـــددا للاستراتيجية ، وانما قام بتحديد بعض مبــادىء الاستراتيجية الاساسية موضحا أن « هذه المبادىء الاساسية هى التى تتوقف عليها النتائج الحسنة فى الحرب فى كل الاوقــات .. » وأن « العقــل البشرى يستطيع أن يوجد وأن يقدم بصورة منطقية الوسائل التى تمكن من النجاح فى الحرب » . (٢) أما « كلاوزفيتز » فقـــد عرف الاســــتراتيجيـــة بأنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب » (٣) وكان يقصد بذلك التعريف الاعتراض على التفرقةالتى أوجدها بعض الكتاب بين الاستراتيجية والتكتيك، واعتبارهم ان مجال الاستراتيجية هو التحركات العسكرية التى تتم خارج مدىرؤية العدو ،او كما يعرفها احد الكتاب المحدثين وهو « **فردريك موريس** » بأنها « أساليب قيادة الجنود حتى يتم الاتصال مع العدو » ليفرقها عن التكتيك الذى يعرفه بأنه « أساليب استخدام القوات المتصلة بالعدو » (٤) .

والواقع ان « كلاوزفيتز » قد وضع هذا التعريف للاستراتيجية فى ضوء مفهومه الاساسى عن الحرب من حيث أنها « **استمرار للسياسة بوسائل أخرى** » وأن « الاهداف السياسية هى النهاية ، والحرب هى الوسيلة ولا يمكن أن تحقق الوسائل أغراضها بدون الوصول الى النهاية » . (٥) أى أنه كان يرى ان الاستراتيجية هى النظرية التى تدار بها المعارك فى صورتها العامة لتحقيق الهدف السياسى للحرب ، وهو بذلك المعنى يكون قد ربط ربطا وثيقا بين الاستراتيجية العسكرية والسياسة العامة للحرب ، الامر الذى دفع بعض الكتاب المحدثون فى الاستراتيجية الىالقول بأن كلاوزفيتزقد خلطبهذا التعـــريف بيـــن الاســــتراتيجية العسكريـــة والاستراتيجية العليا أو الاستراتيجية الشــاملة للدولة . وقد قدم القائد البروسى « **مولتكه** » ــ وهو المنفذ العسكرى لسياسة « **بسمارك** » ــ التعريف التالى للاستراتيجية فقال « انها اجراء المــلائمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد الى الهدف المطلوب » (٦) . وهو بذلك التعريف يكون قد ابتعد بالاستراتيجية العسكرية عن مجـــال السياسة العامة للدولة وقصر مجالها علـــى الاستخدام الامثل للوسائل العسكرية المتاحة للقائد لتنفيذ الهدف السياسى الموضوع من قبل الدولة للحرب . هذا وقد اعتبر « مولتكه » أن القواعد النظرية العامة للاستراتيجية ليست لها غير قيمة نسبية ، لان كل موقف يتطلب تفهما للظـــروف المحيطة به « كما يتطلب حلا تتجمع فيه التجربة والمعرفةوالجرأةوالتصور» (٧)،وان ذلك هو الدرس الاساسى الذى يمكن استنباطه من دراسة التاريخ العسكرى . ولهذا اعتبر دراسة التاريخ العسكرى من الزم وأهم الدراسات بالنسبة للضباط ، وجعل الاشراف عليها من مسئولية هيئة أركان الحرب البروسية دون الاقسام التابعة لها .

أما الكاتب والناقد العسكرى البــريطانى الشـــهير « **ليدل هــارت** » فقـــد عـــاب علـــى تعريف « كلاوزفيتز » للاستراتيجية انه يدخلها فى مجال السياسة ، أى « فى أعلى مستوى لقيادة الحرب » وهى أمور لا تتعلق بعمل القـــادة العسكريين الذين تستخدمهم الدولة ليقوموا بادارة العمليات وتنفيذها ، كما أنه يعيب عليه تحديده لمعنى الاستراتيجية فيما يتعلقباستخدام المعارك فقط ، ثمقدم تعريفه الخاص للاستراتيجية فقال أنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوســـائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة » (٨) ، وهو يعتقد أن الهدف من الاستراتيجية ليس هو البحث

---

(٢) ادوارد ميدايرل ــ رواد الاستراتيجية الحديثة ــالترجمة العربية ــ القاهرة ١٩٥٦ ــ الجزء الاول ــ صفحة ٢٩١ .

(٣) فى الحرب ــ الجزء الاول ــ الكتاب الثالث ــالفصل الاول ــ صفحة ١٨١ .

(٤) رواد الاستراتيجية الحديثة ــ الجزء الاول ــصفحة ٣٥٥ .

(٥) المرجع السابق ــ صفحة ٣٦٠ .

(٦) ليدل هارت ــ الاستراتيجية وتاريخها فى العالم ــالترجمة العربية ــ بيروت ١٩٦٧ ــ صفحة ٣٩٧ .

(٧) رواد الاستراتيجية الحديثة ــ الجزء الثانى ــصفحة ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٨) الاستراتيجية وتاريخها فى العالم ــ صفحات ٣٩٩ ، ٤٢٩ .

كلاوزفيتز :

«Von Clausevitz»» (١٧٨٠ – ١٨٣١) جنرال بروسي وأشهر مفكر عسكرى خلال القرن التاسع عشر ، بل انه اكثر الكتاب العسكريين تاثيرا على معظم القادة حتى الان . اشترك فى حروب بروسيا ضد « نابليون » ووقع فى الاسر عام ١٨٠٦ وبعد ان أمضى عاما فى فرنسا وسويسرا عاد الى بروسيا حيث ساهم مع « شار نهورست » – وزير الحربية البروسى الذى نظم هيئة أركان الحرب البروسية الشهيرة – ثم التحق بالجيش الروسى كأحد البروسيين الاحرار فى ١٨١١ بعد ان ارغمت بروسيا على التعاون العسكرى مع « نابليون »، ثم عاد كرئيس أركان حرب فيلق فى الجيش البروسى بعد هزيمة « نابليون » الاولى واشترك فى معركتى « لينى » و « واترلو » فى عام ١٨١٥ ، ثم تولى ادارة الاكاديمية العسكرية فى برلين من عام ١٨١٨ حتى ١٨٣٠ ، وقد مات عام ١٨٣١ نتيجة اصابته بوباء الكوليرا .

وقد طبعت مؤلفاته فى ١٠ مجلدات صدرت كلها بعد وفاته ، وأهمها هو كتابه المشهور « فى الحرب » الذى علق عليه « انجلز » فى عام ١٨٥٧ بقوله « انه يقدم اسلوبا عجيبا من الناحية الفلسفية ولكنه من الناحية الموضوعية كتاب جيد جدا » . كما أعجب « لينين » بقول « كلاوزفيتز » من ان « الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى » وقال فى كتابه « الاشتراكية والحرب » « ان هذه الكلمة المأثورة انما قالها « كلاوزفيتز » وهو من اعمق الكتاب فى القضايا العسكرية . وقد اعتبر الماركسيون بحق دائما هذه الفكرة اساسا نظريا للمفاهيم حول صفة كل حرب معنية » . وقد انتقده المفكرون العسكريون من دعاة الاستراتيجية غير المباشرة مثل « ليدل هارت » لقوله « اننا لا نحب ان نسمع عن قادة ينتصرون دون سفك الدماء ، واذا كانت المعارك الدامية مخيفة المنظر فان هذا يجب ان يكون السبب فى ان نقدر الحرب حق قدرها » ولقوله « ان تدمير قوة العدو المسلحة يعتبر دائما انه الوسيلة الافضل والاكبر تاثيرا .. ان الحل الدامى اى الجهد الذى يبذل لتدمير قوة العدو هو المولود الاول للحرب » . وذلك على اساس أنه جعل من المعركة الهدف الوحيد للاستراتيجية الامر الذى دفع قادة الالمان والحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى الى التضحية بارواح الكثير من الجنود فى معارك افناء غير مجدية .

عن المعركة « بل البحث عن وضع استراتيجى ملائم ان لم يؤد بنفسه الى النصر خلق ظروفا ملائمة للمعركة تأتى بعده وتنتزع النصر حتما » .

ويعرف « ريمون آرون » الاستراتيجية بقوله « فلنقل ان الاستراتيجية هى قيادة مجمل العمليات العسكرية » (٩) . وينتقد الجنزال « أندريه بوفر » كلا من تعريفى « ليدل هارت » و « ريمون آرون » باعتبار أنهما لا يتعلقان الا بالقوى العسكرية كوسيلة وحيدة لتحقيق الاستراتيجية مع أن هناك وسائل أخرى فى ظروف معينة تؤدى الى تحقيق هدف الاستراتيجية دون استخدام القوة العسكرية بشكل مباشر ، ثم يقدم تعريفه الخاص للاستراتيجية فيقول « اننى أعتقد أن روح الاستراتيجية كامنة كما قال فوش فى اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض ارادتين ، انها الفن الذى يسمح بعيدا عن كل تكنولوجيا ، بالسيطرة على معضلات كل صراع ، حتى يسمح باستخدام التكنولوجيا بأقصى فاعلية ممكنة، انها اذن فن حوار القوى أو بالاحرى فن حوار الارادات التى تستخدم القوة لحل خلافاتها » . (١٠)

ويقدم « ماوتسى تونج » التعريف التالى للاستراتيجية فيقول « حيثما كانت حرب ، يوجد وضع كلى للحرب . وقد يشمل الوضع الكلى للحرب العالم بأسره أو قطرا بأكمله ، أو منطقة مستقلة لحرب العصابات ، أو جبهة مستقلة كبرى للعمليات العسكرية . وكل وضع حربى يجب أن تؤخذ فيه بعين الاعتبار مختلف الجوانب والمراحل يعتبر وضعا كليا للحرب . وان دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتحكم فى وضع الحرب الكلى ، هى مهمة علم الاستراتيجية » (١١) .

اما فى الولايات المتحدة الامريكية فقد تم تحديد مفهوم الاستراتيجية، بواسطة هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى عام ١٩٥٩، على أنها « فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة بغرض تحقيق أهداف السياسة القومية عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها » (١٢) .

وتقدم المارشال « سوكولوفسكى » وبقية مؤلفى كتاب « الاستراتيجية الحربية السوفييتية » تعريفا مطولا للاستراتيجية نقتطف منه العبارات التالية : « الاستراتيجة الحربية عبارة عن نظام المعلومات العلمية عن القواعد القياسية للحرب كصراع مسلح يخدم مصالح طبقية معينة . وعلى أساس دراسة خبرة الحروب ، والموقف العسكرى السياسى ، والامكانيات الاقتصادية والمعنوية للدولة ، والوسائل الجديدة للصراع المسلح ونظرات العدو المحتملة ، تقوم الاستراتيجية

(٩) اورده اكرم ديرى والهيثم الايوبى فى كتابهما « نحو استراتيجية عربية جديدة » – بيروت ١٩٦٩ – صفحة ٢٢ .
(١٠) بوفر – المرجع السابق – صفحة ٢٩ .
(١١) قضايا الاستراتيجية – المؤلفات المختارة مجلد١ – بكين ١٩٦٨ – صفحة ٢٦٩ .
(١٢) اورده مؤلفو كتاب « الاستراتيجية السوفيتية » – الترجمة العربية – القاهرة ١٩٦٩ – صفحة ٨٩ .

بدراسة احوال وطبيعة الحرب المقبلة ، وفي الوقت نفسه هي ميدان النشاط العملي للقيادة السياسية العسكرية العليا، والقيادة العسكرية العليا، والرياسات العليا المختلفة، التي تهدف الى فن تجهيز الدولة والقوات المسلحة للحرب وادارة الصراع المسلح في ظروف تاريخية معينة » (١٣) .

ومن الواضح أن أكثر الجوانب بروزا في مختلف التعريفات السابق ذكرها للاستراتيجية ، والذي يمكن أن نعتبره قاسما مشتركا أعظم بينها جميعا، هو أن مفهوم كلمة الاستراتيجية ينصرف الى الخطط والوسائل والتصرفات أو القرارات التي تعالج الوضع العام أو الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة بشكل مباشر أو غير مباشر من أجل تحقيق هدف أوأهداف سياسية معينة يتعذر تحقيقها عن غير ذلك السبيل • وأن الاختلافات بين التعريفات المذكورة يتعلق معظمها بمدى صلة القيادة العسكرية التي تضع وتنفذ الخطة الاستراتيجية بالسياسة العامة للدولة التي تقف وراء الاستراتيجية وتحدد أهدافها • وعموما ستتضح لنا فيما بعد الابعاد الحقيقية لكل تعريف من هذه التعريفات ، والطبيعة الحقيقية للاستراتيجية ، بعد أن نتناول بالدراسة مختلف الجوانب الاخرى للموضوع. ونكتفي الان أن نقرر أن تعريف كل من « ريمون آرون » و « ماوتسي تونج » هما أقرب التعريفات الى الوضوح والبساطة وايجاز المعنى العام للاستراتيجية الذي لا يختلف عليه الجميع من حيث معالجتها لما هو كلي في الصراع المسلح ، وعلى وجه الخصوص تعريف « ماو » القائل بأن « الاستراتيجية هي دراسة قوانين الوضع الكلي للحرب » • هذا ويستند كل من التعريفين الصيني والسوفيتي الى فكرة « كلاوزفيتز » عن ارتباط الحرب بالسياسة، وذلك بحكم اعجاب كل من « انجلز » و « لينين » بكتاب كلاوزفيتز « On war » « في الحرب » ، وقد علق « لينين » على عبارة « كلاوزفيتز » الشهيرة القائلة « الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى » بقوله « السياسة هي الفكر أما الحرب فهي الوسيلة فقط وليست عكس ذلك » (١٤) ولذلك نلمس في التعريف السوفييتي حرصه على تأكيد وحدة القيادة العسكرية والسياسية العليا عند وضع وممارسة الاستراتيجية الحربية ، وحرصه أيضا على تقدير العوامل الاقتصادية والمعنوية عند وضع الخطة الاستراتيجية .

هدف الاستراتيجية : تهدف الاستراتيجية الى الوصول للاهداف التي حددتها السياسة بأفضل استخدام ممكن للوسائل العسكرية المتاحة • بمعنى أن الاستراتيجية انما تهدف الى تحقيق نتيجة حاسمة في حل التناقض السياسي الذي أوجد الصراع القائم أصلا ودفع به الى ذروته • وفي هذا الصدد يقول « أندريه بوفر » « النتيجة الحاسمة في حوار الارادات حدث نفسي نريد وقوعه عند العدو ليدفعه الى الاقتناع بأن الاشتباك أو متابعة الصراع أمر غير مجد • ويمكن الوصول الى هذه النتيجة بالنصر العسكري ، ولكن ليس هذا النصر ضروريا دائما ، وهو في بعض الحالات صعب أو غير ممكن • .ويتم الوصول الى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال وضع يؤدي الى تفتت معنويات الخصم بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة • وهنا تكمن كما نرى الفكرة الاساسية لحوار الارادات » • (١٥)

وبدون تحقيق مثل هذه النتيجة الحاسمة ، المتمثلة في تفتيت العدو على المستوى الاستراتيجي العام ماديا ومعنويا الى حد ارغامه على قبول الشروط المفروضة عليه والتي تحسم حل التناقض السياسي مصدر النزاع أو الصراع المسلح ، فان الاستراتيجية العسكرية تعتبر أنها لم تحقق هدفها الاساسي وغايتها الجوهرية • وعلى هذا الاساس يمكن لنا أن نعتبر أن الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية مثلا ، لم تحقق هدفها الرئيسي من اشعال الحرب مع العرب في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وأن الاستراتيجية العسكرية الامريكية قد فشلت في تحقيق الهدف من حرب فيتنام رغم أن القوات الامريكية لم تهزم هناك بعد ، هزيمة عسكرية بالمعنى المعروف •

قواعد الاستراتيجية : يقول « جوميني » ان الحرب مأساة كبرى تعمل فيها آلاف العوامل المعنوية والمادية بقوة كبيرة أو صغيرة ولكن لا يمكن تخفيض هذه القوة بواسطة العمليات الحسابية •• ولكني يجب أن أقول بأن تجارب عشرين سنة قد قوت عندي الاحكام التالية ، هناك عدد قليل من المبادىء والاصول الاساسية للحرب والتي يكون اغفالها من الخطورة بمكان ، كما أن تطبيقها أو اتباعها كان من ناحية أخرى سبب النجاح في كل حالة » • (١٦)

---

(١٣) المرجع السابق ـ صفحة ٣٠ .
(١٤) الاستراتيجية السوفيتية ـ المرجع السابق ـ صفحة ٣٦ .
(١٥) بوفر ـ المرجع السابق ـ صفحة ٣٠ .
(١٦) نص أورده كتاب ـ « رواد الاستراتيجية الحديثة » ـ الجزء الاول ـ صفحة ٢٩٣ ، ٢٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٩٦ .

ليدل هارت :

«Sir Basil Liddell Hart»

كاتب عسكرى بريطانى معاصر اشترك فى الحرب العالمية الاولى كضابط فى المشاة برتبة كابتن — نقيب — ثم احيل الى الاستيداع بعد انتهاء الحرب وعمل بالكتابة فى الشئون العسكرية منذ عام ١٩٢٠ تقريبا حتى يومنا هذا ، وقد اضحى اشهر واقدر كاتب عسكرى فى بريطانيا، بل ربما فى العالم الغربى كله . وقد تأثر فى بداية حياته الفكرية بالجنرال « فوللر » رئيس أركان حرب فيلق الدبابات البريطانى عام ١٩١٨ والذى دعا دائما فى كتبه التى بلغ عددها نحو ١٠٠ كتاب الى فكرة الحرب الميكانيكية واستخدام المدرعات على نطاق واسع . وقد قدم « ليدل هارت » منذ عام ١٩٢٠ فكرة الحرب الخاطفة التى تعتمد على الاستخدام الواسع للمدرعات والطيران ثم طور فكرة استراتيجية الهجوم غير المباشر وربط بين الفكرتين . وقد رفضت افكاره هو وفوللر فى بريطانيا ولكنها طبقت فى المانيا بواسطة الجنرال « جوديريان » و « فون سيكت » و « روميل » الذين اهتموا بنظريات هذين الكاتبين اهتماما كبيرا واشاروا الى ذلك مرارا فى مذكراتهم . أشهر كتبه هو « الاستراتيجية وتاريخها فى العالم » الذى عرض فيه بتفصيل بارع نظريته عن « الاقتراب غير المباشر » .

وهكذا وقف « جوميني » باعتباره أحد أقطاب الفكر العسكرى فى عصر الثورة الفرنسية ونابليون ، فى وجه كل الاراء الغيبية السابقة التى كانت تعارض أى محاولات لاخضاع الحرب للدراسة المنطقية ، تلك الاراء التى عبر عنها الماريشال الفرنسى « دى ساكس » فى منتصف القرن الثامن عشر بقوله أن « الحرب علم تغطية الظلمة الحالكة ، وفى وسط هذه الظلمة لا يستطيع الانسان السير بقدم ثابتة ، ان لكل العلوم أصولا ومبادىء كثيرة ، ولكن لا شىء من هذا للحرب » (١٦) !

وقد كان جوميني هو أول من أوضح أن حملات ومعارك نابليون التى أذهلت الفكر العسكرى التقليدى وقتئذ ، انما قامت على أساس تطبيق قواعد رئيسية للحرب مستقاة من الاستقراء الجيد لخبرات التاريخ العسكرى ، وأن عبقرية نابليون انما تكمن فى كيفية استخدام هذه القواعد بنجاح وبطريقة تتفق والتطورات الحديثة فى التسليح والتنظيم العسكرى وادراك أهمية العنصر المعنوى . فبينما اعتبر «كلاوزفيتز » ان نابليون هو اله الحرب العبقرى الذى يضع الاسس والرجل الذى يرسم الاصول » نجد أن « جوميني » « قد قدم نابليون على انه الآلة التى مكنت هذه الاصول من أن تلعب دورها بنجاح » (١٦) . هـذا وقد امتدح « نابليون » نفسه كتابات « جوميني » موضحا أنها انما تقدم المبادىء الاساسية فحسب ، تاركة المجال لعبقرية الفرد تعمل وفقا لما لها من مقدرة ولغاية . هذا ويمكن تلخيص قواعد الاستراتيجية التى استنبطها « جوميني » فى النقاط الاربع التالية :

● حشد القوى الرئيسية لضرب خطوط مواصلات العدو والمناطق الاستراتيجية الحاسمة دون أن تتعرض مواصلاتنا نحن فى نفس الوقت للخطر .

● المناورة الاستراتيجية بهدف تركيز قوة كبيرة لضرب أجزاء صغيرة من قوات العدو فى كل مرة لسحقها .

● المناورة التكتيكية فى مسرح المعركة نفسها من أجل تركيز القوى ضد المنطقة الحاسمة فى هذا المسرح .

● تنظيم اجراءات الحشد ، وتجميع القوى ليس فقط فى المكان الحاسم ، وانما بشرط ان تشترك هذه الحشود فى المعركة مجتمعة وبسرعة، وبذلك فانها تستطيع القيام بجهد مزدوج فى وقت واحد . والفكرة الرئيسية فى هذه القواعد هى قطع وتهديد خطوط المواصلات وحشد أكبر قوى ممكنة فى توقيت موحد ضد النقط الحاسمة ، وبحيث يكون هناك تفوق محلى فى كل مرة يتم فيها الاشتباك ، الامر الذى يتطلب فى رأى جوميني اختيار خط العمليات الصحيح الذى يجب أن يعتبر القاعدة الاساسية للتخطيط الجيد للحملة ، وبالتبعية فأنه مركز وقلب كل النظريات العسكرية » (١٦) .

أما «كلاوزفيتز» فقد قدم مجموعة من القواعد الاستراتيجية الرئيسية تتلخص فى المبادىء الثلاثة الاتية : ١ — حشد القوى . ٢ — عمل القوى ضد القوى ٣ — الحل الحاسم بالمعركة فى الحقل الرئيسى عن طريق معركة دفاعية هجومية [١٧] وذلك وفقا لاسلوب «نابليون» الذى قال فى احدى حكمه الشهيرة « فن الحرب عبارة عن دفاع مدروس وحذر جدا يعقبه هجوم سريع وجرىء »

وقد عبر «كلاوزفيتز» نفسه عن خلاصة قواعده بقوله « أحسن استراتيجية هى أن تكون قويا جدا من ناحية عامة أولا ثم أن تكون كذلك على التخصيص فى النقطة الحاسمة » (١٨)

(١٦) المرجع السابق

(١٧) أوردها مؤلفا كتاب — « نحو استراتيجية عربية جديدة » — المرجع السابق — صفحة ٢٧ .

(١٨) اوردها « هانز روسفيلق » فى كتاب « رواد الاستراتيجية الحديثة » — الجزء الاول — صفحة ٣٦٨ ، ٣٧٨ .

وبقوله « ان الهجوم السريع العنيف مثله مثل بريق السيف المصقول ، وبهذا فهو ألمع نقطة فى العملية الدفاعية » (١٨) • وقد لخص الماريشال الفرنسى « فوش » – الذى تولى القيادة العامة لقوات الحلفاء فى فرنسا خلال المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الاولى – مبادىء الاستراتيجية فى مبدأين اثنين رئيسيين هما :

- المحافظة على حرية العمل •
- الاقتصاد فى القوى •

ويشرح الجنرال « أندريه بوفر » هذين المبدأين فيقول « يمكننا أن نكتشف فى كل استراتيجية عنصرين واضحين متباينين رئيسيين هما :

- اختيار النقطة الحساسة الحاسمة الواجب بلوغها ، حسب تكوين الخصم ونقاط ضعفه •
- اختيار المناورة التحضيرية الرامية الى بلوغ هذه النقطة • ويحاول كلا الخصمين القيام بهذا العمل ، وتتعارض مناورتاهما التحضيريتان ، ثم ينتصر من يعرف كيف يمنع مناورة عدوه وييسر بمناورته الى هدفها • وهذا ما يسميه « فوش » فى الاستراتيجية التقليدية « المحافظة على حرية العمل » وينقلب صراع الارادات الى صراع من أجل حرية العمل •، وعلى القائد أن يعرف كيف يوزع قواته ووسائله بشكل معقول لتحقيق ما يلى :

- الحماية ضد مناورة العدو التحضيرية •
- تأمين مناورته التحضيرية الذاتية •
- القيام بالعمل الحاسم ، وتسمى الاستراتيجية التقليدية هذا التوزيع الامثل : الاقتصاد بالقوى ، وهكذا يؤدى تحليل مخطط الصراع المصاغ بجمل مجردة الى اعادة تركيب القانون التالى : يجب الوصول الى النقطة المعادية الحساسة الحاسمة بفضل حرية العمل التى يتم الحصول عليها باقتصاد جيد للقوى » (١٩) •

أما « ليدل هارت » فيقدم ست قواعد ايجابية وقاعدتين سلبيتين وفقا لنظريته الشهيرة « استراتيجية الاقتراب غير المباشر » ، والقواعد الايجابية هى :

- مطابقة الهدف مع الامكانيات •
- عدم اضاعة الهدف ومتابعة الجهد •
- اختيار الخط الاقل توقعا •
- استثمار خط المقاومة الاضعف •
- أخذ خط عمليات يؤدى الى أهداف متناوبة •
- المرونة فى المخطط والتشكيل بحيث يتلاءمان مع الظروف •

أما القواعد السلبية فهى :

- عدم الزج بكل الامكانيات اذا كان العدو محترسا •
- عدم تجديد الهجوم على نفس الخط أو بنفس الشكل بعد فشل الهجوم السابق (١٩) •

والفكرة الرئيسية فى هذه القواعد هى اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة اقتراب غير مباشر والمفاجأة عن طريق عمل غير منتظر ، وحشد القوى ضد المراكز الضعيفة ، والبحث عن الحل الحاسم فى مسارح العمليات الثانوية اذا كان ذلك ممكنا •

ويعلق « ليدل هارت » على قواعده الاستراتيجية هذه بقوله « وتدل هذه المبادىء على أنه ينبغى لتحقيق حل مشكلتين هامتين هما ، تفتيت قوات العدو ، ثم استثمار هذا العمل • ومن المتعذر عليكم ضرب العدو بشكل فعال قبل أن تمهدوا لذلك بخلق ظروف ملائمة لتحقيق هذا العمل • ولا يمكن أن تصبح الضربة حاسمة الا اذا استطعتم استثمار الفرصة الجديدة قبل أن يسترد العدو وعيه » (١٩) •

أندريه بوفر :

«André Beaufre» جنرال فرنسى معاصر اشترك فى الحرب العالمية الثانية ثم عمل مساعدا للماريشال « دولاتردوتاسينى » احد قادة الجيش الفرنسى اثناء حرب التسع سنوات فى فيتنام . ثم عين رئيسا لهيئة الدراسات التكتيكية بحلف الاطلنطى ، واشترك بعد ذلك فى عام ١٩٥٥ فى حرب الجزائر كقائد منطقة عمليات ، ثم تولى قيادة الفيلق الفرنسى فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتولى بعد ذلك منصب رئيس الاركان العامة فى قيادة حلف الاطلنطى ، وكان آخر مناصبه الرسمية هو تمثيل فرنسا فى هيئة قيادة الحلف الدائمة فى واشنطن . وقد أصدر بعد تقاعده كتابا هاما فى عام ١٩٦٥ بعنوان «مدخل الى الاستراتيجية» قدمه « ليدل هارت » بقوله انه اكثر الابحاث الاستراتيجية التى ظهرت فى هذا العصر كمالا ودقة وتماسكا » . والكتاب يهدف الى دراسة الاستراتيجية بطريقة شبه رياضية ومنطقية لارشاد الدول الغربية عن اخطائها فى الاستراتيجية التى يعتقد الكاتب انها سبب الهزائم التى لحقتها فى فيتنام والجزائر ومصر !

---

(١٨) بوفر – المرجع السابق – صفحة ٤٩ .

(١٩) ليدل هارت – المرجع السابق – صفحة ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .

هذا ويوضح « ليدل هارت » فى كتابه عن « الاستراتيجية وتاريخها فى العالم » انه استنبط قواعد نظرية « الاقتراب غير المباشر Strategy of indirect approch » من استقراء تاريخ الحروب الحاسمة النتائج منذ الحروب اليونانية القديمة حتى الحرب العالمية الثانية .

وقد كان هذا النموذج من الاستراتيجية يعرف من قبل فى المصطلحات الاستراتيجية التقليدية باسم « المناورة ذات الطابع الجغرافى » نظرا لطابعها غير المباشر فى الاقتراب من الهدف الاستراتيجى المطلوب . وتهدف هذه المناورة الى الالتفاف الاستراتيجى حول مجنبة الخصم للوصول الى مؤخرته وتجنب كل مقاومة فعالة ممكنة خلال تنفيذ هذه الحركة وبعد انتهائها ايضا ، ولذلك فهى تسلك أقل سبل التقدم مقاومة ، اى تسلك خط التقدم الاقل توقعا من جانب الخصم . وبطبيعة الحال لا يقصد « ليدل هارت » أن يقول بأن أى سير مباشر نحو مؤخرة العدو يشكل هجوما استراتيجيا غير مباشر ، لان الاستراتيجية المذكورة ليست على هذا النحو من البساطة ، وانما من الضرورى قبل ذلك القيام بهجمات تضليلية فى مناطق مختلفة قبل القيام بالهجوم الرئيسى غير المباشر ، وذلك حتى يمكن تأمين أفضل ظروف النجاح لمثل هذا الهجوم عن طريق هذا التشتيت لانتباه العدو ودفعه الى توزيع قواه على عدة مراكز أو توجيهها نحو أهداف عقيمة ، بحيث يتعذر عليه أن يحشد القوى الكافية فى الوقت المناسب للتأثير بحسم على نتيجة المناورة غير المباشرة ، ويفقد بذلك حرية العمل ويمتنع عليه عملا نتيجة لكل هذا تغيير اتجاه عملياته الرئيسية خلال المعركة الحماسية .

هذا ويعلق « بوفر » على هذه الاستراتيجية فيقول « والواقع أن مناورة الاقتراب غير المباشر هى وسيلة تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين اذا كان لا يثق ثقة تامة بانه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه فى معركة تنشب على أرض يختارها عدوه .. ولقد كان « ليدل هارت » على حق فى معظم الحالات التى ذكرها ، الا أنه يبقى شىء وهو أن الفكرة الرئيسيةمنهذا المفهوم هوقلبميزان القوى المتجابهة قبل أختيار المعركة بالمناورة لا بالقتال . فبدلا من أن نجابه العدو مجابهة مباشرة نستعين بلعبة دقيقة نرمى من ورائها الى تعويض النقص الذى نجد أنفسنا فيه بالنسبة لقوات العدو » (٢٠) .

ومما يجدر بنا ذكره بصدد قواعد استراتيجية الاقتراب غير المباشر هذه ، أن العدو الاسرائيلى يعتبرها استراتيجيتهالمفضلة ،ويسعى الىتطبيقها دائما خلال حروبه الثلاث ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ . وقد أشار « ليدل هارت » نفسه الى هذه الحقيقة فى مقاله الذى علق فيه علىحرب٥يونيو ١٩٦٧بعنوان « استراتيجيةحرب » .

أما المبادىء الاستراتيجية التى يعتنقها السوفييت فيمكن لنا أن نلخصها من واقع تطبيقات الحرب الاهلية والحرب العالمية الثانية فى النقاط الاساسية التالية : هناك ثلاث قواعد رئيسية على مستوى الاستراتيجية الشاملة أى على المستوى السياسى وهى كما أوضحها « لينين » :

- تحقيق تلاحم معنوى كامل بين الشعب والجيش .
- أهمية النشاط السياسى والعسكرى فى مؤخرة العدو .
- الاعداد النفسى والسياسى للقوات قبل البدء فى القتال واثنائه .
- وذلك بحكم أنه من الخصائص المميزة للاستراتيجية الحربية السوفييتية تقدير العوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية » (٢١) .

وبالاستناد الىهذه القواعد السياسيةوالمعنوية تقرر الاستراتيجية السوفييتية على المستوى العسكرى المباشر القواعد التالية :

- اختيار مكان الضربة الرئيسية فى المكان الحاسم .
- تحقيق تفوق القوى فى المكان المحدد ، وذلك لانه « بالاضافة الى ايجاد حل المهمة الرئيسية للاستراتيجية بنجاح ، ألا وهى تحديد المناطق الخطرة واختيار اتجاه الضربة الرئيسية ، فان حشد القوى والوسائل فى الاتجاه الذى تم اختياره لتوجيه الضربة الرئيسية هو الخاصية التالية المميزة للاستراتيجية الحربية السوفييتية » (٢١) وذلك وفقا لما قاله « لينين » من « أن قانون النجاح العسكرى هو تحقيق التفوق الساحق فى القوى فى اللحظة المناسبة ، وفى المكان المناسب » (٢١) .
- تغيير شكل القتال حسب الموقف ، أىالعمل بمرونة وفقا لقول « لينين » « لا يمكننا بأى حال من الاحوال فى أية مناورة استراتيجية أن نقيد انفسنا بأية قيود ، فكل شىء يتوقف على النسبة بين القوى » (٢١) .

---

(٢٠) بوفر — المرجع السابق — صفحة ١٥٢ .
(٢١) الاستراتيجية الحربية السوفيتية — المرجعالسابق — صفحة ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ .

● تأمين احتياطى استراتيجى يكفل المحافظة على حرية العمل فى جميع الحالات التى يجتازها الصراع المسلح ، ففى حالة اتخاذ موقف الدفاع الاستراتيجى جبرا أو اختيارا يستخدم هذا الاحتياطى لمواجهة التطورات السيئة التى تنجم عن اختراق العدو الاستراتيجى للجبهة فى مكان او أكثر ، وفى حالة موقف الهجوم الاستراتيجى يستخدم هذا الاحتياطى فى دعم قوات الجبهة القائمة وفى زيادة القوة الضاربة بغرض تطوير الهجوم فى الاتجاه العام للضربة الرئيسية وفى غير ذلك من أعمال تأمين العمليات الهجومية وزيادة فاعليتها (٢١) ٠

● تحقيق التعاون والتنسيق بين القوات والجبهات المختلفة المشتركة فى القتال وتوحيد القيادة العليا ٠

● تحقيق الاستخدام الاستراتيجى المناسب لجميع أفرع القوات المسلحة من قوات برية وجوية وبحرية « اعتمادا على القاعدة القائلة بأن النصر فى الحرب يمكن الوصول اليه فقط بالعمل المشترك لجميع أفرع القوات المسلحة » (٢١) ٠

● تحقيق المفاجأة الاستراتيجية باتخاذ تدابير السرية والامن عند التحضير للهجوم ووضع الخطط ، وبالقيام بالهجوم فى اتجاه لا يتوقعه العدو ، وبامداد العدو بمعلومات خاطئة لخداعه عن مكان وزمان وقوة الضربة ٠

هذا ويلخص بعض الكتاب العسكريون قواعد الاستراتيجية التى يرونها ثابتة لا تتأثر بتغير الاجواء وتطور المعدات واستحداث التكتيكات فى المبادىء التالية : ١ ـ الحصول على المبادأة ٢ ـ تحقيق المفاجأة ٣ ـ قوة الحشد ٤ ـ خفة الحركة ٥ ـ بساطة المخطط الاستراتيجى ٦ ـ تحقيق التعاون والتنسيق ٧ ـ توحيد القيادة (٢٢) ٠

هذا ويعلق « بوفر » على مشكلة ثبات القواعد الاستراتيجية أيا كانت فيقول « هل تتضمن الاستراتيجية قواعد تسمح بتوجيه التفكير المؤدى الى اختيار الحلول؟ لقد قدمت الاستراتيجية العسكرية التقليدية فى الماضى مثل هذه القواعد ، وادعت أنها تجد فيها قوانين عامة ودائمة ، تعطى الاستراتيجية ثباتا يتناقض مع التبدلات المستمرة للاساليب التكتيكية المسايرة لتطور المعدات ٠ ولكننا نملك الان أسباب عديدة تدفعنا الى الشك بثبات الاستراتيجية ٠ ويمكننا رغم هذا أن نعتبر ، أن القواعد هى العامل الثابت لاسلوب التفكير الاستراتيجى الذى تطوره التطبيقات العملية » (٢٣) ٠ ويقول فى موضع آخر من كتابه « وليست الاستراتيجية فى الحقيقة عقيدة واحدة جامدة ، ولكنها أسلوب فى التفكير يسمح بتصنيف الاحداث حسب اهميتها ، واختيار اكثر الوسائل الملائمة فاعلية ٠ فلكل موقف استراتيجية معينة تنسجم معه ٠ وقد يكون اختيار هذه الاستراتيجية أو تلك صائبا فى ظروف معينة وغارقا فى الخطأ فى ظروف أخرى ٠ وفى هذه الفكرة تكمن الحقيقة الاستراتيجية الاساسية » (٢٣)

والواقع أن نسبية ظروف تطبيق المبادىء الاستراتيجية المرتبطة بظروف الزمان والمكان ونوعية المعدات والاسلحة ، لا يمكن أن تعنى انعدام وجود قوانين عامة للحرب فى كل مرحلة تاريخية على الاقل ، والا لما كانت هناك جدوى من دراسة الخبرات السابقة فى التاريخ العسكرى ، الامر الذى يتعارض مع كل خبرة القادة العسكريين العظام ، فنابليون مثلا يقول فى احدى مأثوراته « اقرأ واقرأ حملات كبار القادة » ولا يمكن للاستراتيجية ان تكون علما بدون استنباط ومعرفة القوانين التاريخية للحرب ، كما أن القادة لايمكنهم وضع الخطط الاستراتيجية المستقبلة والمتعلقة باعداد الدولة لحرب مقبلة محتملة « دون الالمام بالقواعد القياسية العامة للصراع المسلح ٠٠ واستخدام هذه القواعد بنجاح عند قيادتهم للحرب ٠٠ وهنا يظهر الجانب الشخصى فى استخدام القواعد الموضوعية ٠ وعلى ذلك فاكتشاف ودراسة قوانين الصراع المسلح لها أهمية عملية كبيرة للقيادة العسكرية عند تجهيز الاعمال الحربية على المستوى الاستراتيجى » (٢٤) ٠ هذا « وتعتبر قوانين الاستراتيجية قوانين موضوعية تؤثر بدرجة واحدة على الطرفين المتصارعين » (٢٤) ٠

ان هناك بلا شك مجموعة من القواعد العامة للاستراتيجية تكتسب نوعية خاصة وفقا لظروف التطبيق المختلفة ووفقا لاختلاف وتطور طرق ادارة الحرب ، وهى وسائل وكيفية استخدام معدات وتشكيلات القتال المختلفة ، وادراك أهمية وفاعلية المخترعات الجديدة فى مختلف المجالات على مستقبل العمليات الحربية ، وتسخيرها لتنفيذ المهام الاستراتيجية والتكتيكية المطلوبة ٠ ولذلك ترتبط طرق ادارة الحرب بمستوى التطور الاقتصادى والتكنيكى والعلمى السائد ، ولذلك

---

(٢٢) جون برد The Framwork of Battle ـ الذى ترجم بعنوان «تبسيط الاستراتيجية» ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ ص ٣٢
(٢٣) بوفر ـ مدخل الى الاستراتيجية ـ المرجع السابق ـ صفحات ٤٥ ، ١٩ ٠
(٢٤) الاستراتيجية الحربية السوفيتية ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٧ ٠

أيضا كان لكل عصر أو مرحلة تاريخية معينة طرقها الخاصة فى ادارة الحرب ، بغض النظر عن وجود قواعد استراتيجية عامة توالى تطبيقها فىعصور كثيرة ، وفى هذا الصدد يقول « فردريك انجلز » « ان منطق الطريقة النابوليونية لادارة الحرب حتمه النمو الذى حدث فى قوى الانتاج . وما من شك ان حتمية اية طريقة متطورة جديدة فىنظام ادارةالحرب سيكون ايضابسببتطورجديدفىهذه القوى » (٢٥) ، ويقول ايضا «ان الاختراعات فى ميدانالتكنولوجيا سببت، وبطريقة عنيفة، وغالب ضد رغبة القيادة العسكرية ، انقلابا ، بل ثورة فى طريقة ادارة المعركة » (٢٥) . ولا تتوقفطرق ادارة الحرب، خاصة من حيث طريقة التنظيم ومدى تقدير فاعلية العنصر المعنوى ، على مستوى تطور قوى الانتاج فحسب، او درجة التقدم العلمى فقط ، وانما تتوقف ايضا هذه الطرق وخاصة فى تطورها وسرعة هذا التطور على نوعية البناء الاجتماعى والسياسى والفكرى للدولة . وقد أشار المؤرخ العسكرى الالمانى الشهير **«هانز ديلبروك»** الى هذه الحقيقة حين قال « ان الدوافع السياسية الجديدة التى جاءت بها الثورة الفرنسية ، قد أوجدت تكوينا جديدا للجيش ، هذا التكوين الذى أوجد بدوره تكتيكات جديدة ، ومن هنا كان من الضرورى أن تنمو استراتيجية جديدة » (٢٦) . والمقصود بالاستراتيجية الجديدة فى مثل هذه الاحوال نوعية جديدة فى تطبيق المبادىء العامة التى تكتسب أبعادا أكثر عمقا وتطورا مع كل تطور فى طرق ادارة الحرب وما يصاحبها من تطور تكنيكى وفكرى . وتتوفر هذه النوعية الجديدة المتطورة فى تطبيق المبادىء الاستراتيجية لدى القادة الافذاذ السياسيين والعسكريين وخاصة فيمن تتوافر فيهم الصفتان أمثال « نابليون » ، ويؤدى توفرها الى حصولهم على التفوق - ولو بصفة مؤقتة - نتيجة مفاجأة التطور الجديد لخصومهم . وفى هذا الصدد يقول « بوفر » « وهكذا كانت العوامل الاساسية للاستراتيجية العسكرية التقليدية هى فهم تطورات الحرب بسرعة اكبر من سرعة فهم العدو لها ، وبالتالى فهم وتوقع العوامل الجديدة . ولقد سمحت هذه العوامل بتفوق الحصون الدفاعية حينا ، والمعركة الحاسمة ، او العمليات الخاطفة الهجومية حينا آخر » (٢٧) .

هذا وتختلف طبيعة المخططات الاستراتيجية رغم وحدة المبادىء الاساسية التى تحكمها وذلك تبعا لاختلاف نوعية الوسائل العسكرية المتوفرة وظروف الزمان والمكان ، واهمية الهدف وطبيعة الظروف الدولية ومدى اتساع حقل حرية العمل العنيف ، ونتيجة لهذا التباين فىكل هذه العوامل والظروف ، قد تكون الاستراتيجية المنفذة « استراتيجية افناء وتدمير عنيف سريع » أو « استراتيجية انهاك طويل الامد » ومن هنا تنبع خطيئة الجمود القاتلة عند تصور أن هناك نوعا واحدا من الاستراتيجية واجب التطبيق فى كل الظروف مادام هذا النوع قد سبق تطبيقه بنجاح من قبل !

العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك :

يقول « نابليون » عن الاستراتيجية انها « علم سهل ولكن المهم هو التنفيذ » ويطرح تنفيذ الاستراتيجية عملا ضمن مايطرح منمشكلات ، مشكلة العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك . ان التكتيك هو وسيلة من وسائل تطبيق الاستراتيجية على مستوى ادنى أو جزئى ، وهو كما يقول « بوفر » « فن استخدام الاسلحة فى المعركة للوصول الى المردود الاقصى لها » . ومن هنا كان على التكتيك أن يتبع الاستراتيجية لا العكس . هذا ويتأثر التكتيك بدرجة كبيرة للغاية بنوع ودرجة تطور التسليح والتنظيم العسكرى للوحدات المشتركة فىالقتال وهذا مايدفع الكثيرين الى فهم الفن العسكرى على انه مجرد اتقان للتكتيك وامتلاك اسلحة ومعدات قوية حديثة فحسب ، متناسين الاستراتيجية وبقية العوامل الاخرى السياسية والمعنوية والاقتصادية التى تؤثر على النتيجة النهائية فى الحرب . هذا مع أنالتجربة التاريخية قد أثبتت مرارا أن الهزيمة قد تلحق جيشا كبيرا حسن المعدات جيد التدريبعلى المستوى التكتيكى ، بسبب استخدامه لقدراته الكبيرة هذه بطريقة سيئة استراتيجيا . ان تكتيكا ناجحا يجب أن يتم فى اطار استراتيجية ملائمة حتى يؤتى ثماره كاملة ، والاستراتيجية الناجحة لا يمكن أن تكون بدون اختيار واستخدام تكتيكات ملائمة ، لان استخدام تكتيك غير ملائم يعنى الاندفاع فى استراتيجية عقيمة غير مؤدية الى نتيجة حاسمة ، كما أنه على الاستراتيجية « أن تحدد للتكنولوجيا والتكتيك سبيل تطورهما واختراعاتهما وأبحاثهما ، حتى يتجه التطور فى اتجاهات مجدية متلائمة مع الطريق المؤدى الى غاية الصراع الاساسية ، وهى النتيجة الحاسمة » (٢٧) كما يقول « بوفر » . ومن هنا كان على الاستراتيجية أن تتابع نتائج العلوم الطبيعية وتطور التكنولوجيا ، حيث انه يستحيل

---

(٢٥) نص أورده مؤلفو « الاستراتيجية السوفيتية » - المرجع السابق - صفحة ٢٧ ، ٣٦٩ .
(٢٦) نص أورده « بالمر » فى كتاب « رواد الاستراتيجيةالحديثة » - الجزء الاول - صفحة ١٩٤ .
(٢٧) بوفر - المرجع السابق - صفحة ٨٢ - ٧٨ .

بدونها ، خاصة فى العصر الحديث الذى نعيش فيه ، حل مسائل تجهيز واستخدام القوات المسلحة فى الحرب ، ولانه ايضا « مما يحتم ضرورة ارتباط الاستراتيجية بالعلوم الاخرى ارتباطا وثيقا ان بعض العلوم التكتيكية ، التى تعد أقرب من غيرها للانتاج الحربى ، تتلقى من وقت لاخر مهام عامة واحيانا مهام فنية تكتيكية محددة لتصميم أسلحة ومعدات جديدة تحددها لها الاستراتيجية » (٢٨) على حد تعبير مؤلفى « الاستراتيجية السوفييتية » .

العلاقة بين الاستراتيجية والسياسة : تبعا للمفهوم العلمى السليم من أن الحرب ليست هدفا فى حد ذاتها ، وانما هى وسيلة من وسائل السياسة ، فان الاستراتيجية تصبح تابعة للسياسة وليس العكس ، كما أنها تتأثر بطبيعة الهدف السياسى الذى يحدد طبيعة الحرب نفسها وما اذا كانت حربا عادلة أم غير عادلة ، وذلك من حيث حصولها على مساندة الشعب أو معارضته لها أى من حيث العنصر المعنوى ، وهو عنصر بالغ الاهمية فى تقرير نتائج الحرب نفسها والاستراتيجية المطبقة فيها ، كما أن السياسة تؤثر على الاستراتيجية من حيث توقيت بدء العمليات الحربية ومن حيث اختيار مكان الضربة الاستراتيجية العامة أحيانا ، كما ان السياسة تستطيع قبل وأثناء الحرب أن تخلق الظروف المناسبة لنجاح الاستراتيجية ، وذلك عن طريق اكتساب الحلفاء مثلا أو ضمان حياد بعض الدول وما الى ذلك من النشاطات السياسية . ومن ناحية تتأثر السياسة فى كثير من الحالات خاصة أثناء الحرب بمتطلبات الاستراتيجية ، بل انها يجب ان تضعها فى اعتبارها خاصة أثناء التنفيذ الفعلى للمخططات الاستراتيجية الموضوعة ، كما ان تأثير السياسة على الاستراتيجية فى المراحل الاخيرة من الحرب يكون له اهميته الخاصة « لان الوضع الدولى بعد الحرب يتوقف الى حد كبير على الموقف الذى تكون فيه الدولة فى المرحلة الختامية من الحرب (٢٨) .

العلاقة بين الاستراتيجية والاقتصاد : تعتمد نتيجة الحرب النهائية ليس فقط على الاستراتيجية والتكتيك ، وانما ايضا على الظروف الاقتصادية المختلفة ، وخاصة فى عصرنا الحديث ، عصر الصناعة الضخمة وتطور المعدات القتالية الهائل والسريع ، الذى يحتاج الى قدرات صناعية وعلمية عالية ، وتوفر موارد ضخمة للمواد الخام والطاقة المحركة بمختلف أنواعها ، تلك الموارد التى يلعب حجمها والاحتياطى الموجود منها دوره الواضح على طبيعة الاستراتيجية المنفذة من حيث اعتمادها على العمل العسكرى السريع الخاطف أو من حيث لجوئها الى وسائل حرب الانهاك الطويلة الامد الخ . ومن هنا تنبع الاهمية البالغة فى اعداد اقتصاد الدولة للحرب ، وجعل الصناعة والمواصلات قادرة على تلبية مطالب الاستراتيجية بسرعة ومرونة ، ولذلك يجب أن تمد الاستراتيجية الاقتصاد بالبيانات الخاصة بمتطلباتها وأن تضع فى اعتبارها ايضا توفير الحماية للاهداف الاقتصادية عند الدفاع ، وتدميرها أو شلها عند الهجوم . والخلاصة ان مضمون الاستراتيجية لا يتحدد فقط بنوع المبادىء أو القوانين الاستراتيجية التى تدخل فى عملية انشاء وتنفيذ المخطط الاستراتيجى ، وانما يتحدد ايضا بتأثير العوامل السياسية والمعنوية والعوامل الاقتصادية والجغرافية والتاريخية التى تحكم الصراع القائم من حيث المكان والزمان والامكانيات كما يتحدد ايضا بطبيعة الحرب المتوقعة أو الدائرة فعلا ومدى تطور طرق ادارتها وتكتيكاتها ، ويتأثر ذلك المضمون أيضا بطبيعة النظريات الاستراتيجية للعدو أو للخصوم المحتملين ، ولذلك « لا يظل مضمون الاستراتيجية الحربية ثابتا دون تغيير ، بل هو يتطور ويتغير تبعا لتعريف موضوع الاستراتيجية والمهام التى تحددها سياسة الدولة للاستراتيجية الحربية ، وتبعا للامكانيات المادية والمعنوية ، أى تبعا للقوى والموارد التى تتخصص تحت أمرة الاستراتيجية » (٢٩) .

هذا ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن حديثنا هذا عن الاستراتيجية انما يتعلق بعموميتها المطلقة ، وأن هذه العموميات تأخذ أشكالا شديدة الخصوصية فى ظروف التطبيق الاستراتيجى العامة المتباينة ، فالقواعد الاستراتيجية وطرق ادارة الحرب تأخذ طابعا خاصا مثلا فى الحروب الشعبية الثورية التى تستند الى اساليب حرب العصابات ، كما أنها تكتسب نوعية مختلفة بشكل شديد فى ظروف الحرب الذرية ، ونأمل أن نخصص لكلا الموضوعين بحثا خاصا بهما يوضح خصائص استراتيجية كل منهما .

وأخيرا نقول أن نجاح أى استراتيجية لا يتوقف فقط على صحة المبادىء العسكرية التى تطبقها ، وانما ايضا على صحة وكفاءة حشد كل الموارد المادية والمعنوية والسياسية للدولة ، أو كما يقول « كلاوز فيتز » « ان البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن استخدام جزء من وسائله ، فى الوقت الذى يصمم فيه خصمه على استخدام وسائله كلها » .

---

(٢٨) المرجع السابق — صفحة ٢٥ ، ٤٨ .
(٢٩) المرجع السابق — صفحة ٢٦ .

الاحتكارات الأجنبية في الوطن العربي



د٠ احمد مراد

يكتب هذا المقال للطليعة ، الدكتوراحمد مراد عميد كلية الحقوق بجامعة بمشق ، حول قضية البترول العربي،بعد انيعرض للاطار التاريخيلتسرب الاحتكارات العالمية لمواقع البترولالعربي ، يعرض للعلاقة المباشرة بين حركة التحرر الوطني العربية وبينالثروة البترولية والدور الذى يمكن ان تؤديه في تثبيت دعائمها وتطورهاالتقدمي ٠

من المعروف ان كل مشروع اقتصادى يحتاج للبدء به الى مبلغ من المال بمثابة راس مال ٠ وبهذا المبلغ من المال يستطيع رب العمل أن يشترى أدوات العمل من تجهيزات وآلات وغيرها منناحية ٠ومواد العملمنمواد اولية وموادمساعدة وغيرها من ناحيةثانية ٠وللاستفادةمن هذهالبضائع التىاشتراها ، عليه أن يستاجر عمالا يستخدم قوة عملهم بمساعدة ادوات الانتاج للتاثير فى المواد الاولية وانتاج بضاعة جديدة تختلف عن البضائع الاولى من حيث قيمتها واغراض استعمالها ٠ ان قيمة البضاعة الجديدة هى أكبر من قيمة البضائع المستخدمة بادىء ذى بدء فى عملية الانتاج. كما ان استعمالات البضائع الجديدة تختلف عن استعمالات البضائع الاولى المستخدمة فى عملية الانتاج ٠ **ان هذه البضاعة الجديدة ، حاصل** عملية الانتاج ، لا يحتاجهارب العمل لذاتها ، بل لا بد من بيعها فى السوق وقبض ثمنها مالا ، ليستطيع أن يعيد الكرة مرة اخرى ، فيبدا عملية الانتاج من جديد . وعملية شراء مستلزمات الانتاج وتصنيعها وانتاج بضاعة جديدة وبيعها ومن ثم اعادة شراء مستلزمات انتاج جديدة تسمى عملية تكرار الانتاج ٠

ان صاحب العمل يقبض من بيعه البضاعة المنتجة مبلغا أكبر من تكلفة هذه البضاعة فى العادة ويشكل هذا الفرق بين سعر تكلفة الانتاج وبين سعر بيع المنتج **الربح** ، وهو الهدف الذى يقوم الراسمالى من أجله بكل عملية تكرار الانتاج ٠ فاذا لم يحصل على الربح فانه يتوقف عن متابعة العمل ويعمد الى الانتقال لعمل آخر ٠

ويستعمل رب العمل الربح الصافي الذي حصل عليه من عملية تكرار الانتاج في غرضين: **أولا** يصرف قسما من هذا الربح على معيشته وعائلته ، **ثانيا** يستخدم القسم الباقي من الربح في عملية الانتاج مرة أخرى فيوسع من عدد عماله ومن المواد الاولية التي يشتريها ومن الالات والتجهيزات الموجودة لديه • وتسمى عمليته هذه **تكديسا لرأس المال** • وهكذا فان حجم عمله يزداد بعامل ازدياد موجوداته من ناحية ، وازدياد عدد عماله من ناحية أخرى • ويبدأ رب العمل الدورة الانتاجية الجديدة عادة براسمال أكبر من الراسمال الذي استخدمه في الدورة الاولى • وهكذا يزيد رأس المال ويتوسع باستمرار • ويسمى ذلك **نمو رأس المال** •

وفي النظام الرأسمالي تتنافس المشروعات مع بعضها • والمشروع الكبير أقدر عادة على المزاحمة من المشروع الصغير ، كما أن العمل الالي أقدر على المزاحمة من الورشة اليدوية • وبذلك تخرب الورشات اليدوية دوما وباستمرار وتفلس المشروعات الصغيرة ، بينما تتوسع المشروعات الكبيرة دوما وباستمرار • ان امكانية المشروعات الكبيرة على المزاحمة انما تأتي من قدرتها على شراء الالات والتجهيزات من ناحية وتحقيق وفورات مختلفة داخلية وخارجية من ناحية أخرى • فهي تستطيع أن تستخدم خبرة الاداريين والمستشارين الحقوقيين والاقتصاديين ، وتستطيع شراء مواد أولية بسعر أرخص ، وبيع البضاعة المنتجة بسعر اغلى بسبب اتساع الكميات ، كما إنها تستطيع الحصول على قروض أكبر وبسعر فائدة أرخص وبصورة أسرع • ان مجموعة هذه العوامل تمكن المشروع الكبير من تخفيض تكلفة انتاجه بحيث يستطيع أن يبيع بسعر أرخص من المصنع الصغير الذي يقع في هاوية الافلاس • وقد شهدت الحرف والصناعات اليدوية هذا المصير •

ان الوحدات الاقتصادية في المجتمع الراسمالي تتخذ ثلاث صفات أساسية :

١ ـ **صفة التوسع والكبر** ، بحيث يحتل المشروع الكبير مكان المشروع الصغير •

٢ ـ **صفة التركز** ، حيث أن مشروعا واحدا أو بضعة مشروعات أصبحت تسيطر على حصة عالية من انتاج صناعة معينة ، وذلك اما نتيجة توسع المشروع أو اندفاع عدد من المشروعات في الاتحاد فيما بينها •

٣ ـ **صفة الامتداد خارج الوطن** ، حيث أن السوق الداخلية لم تعد تكفي هذه المشروعات الكبيرة ، فتعمد الى البحث عن الاسواق في الخارج •

ويعامل التكديس الرأسمالي والمنافسة تشكل الاحتكارات بأنواعها **كالكارتل والتروست** وذلك عن طريق **التكامل الافقي والرأسي** حيث تتجمع مشروعات متماثلة أو متكاملة في رابطة أو في اتحاد للمنتجين لتقاسم الاسواق وتحديد أسعار البيع ، أو تحديد كميات الانتاج • وبذلك انتقلت **رأسمالية المنافسة الى رأسمالية الاحتكارات** • وقد سيطرت الاحتكارات على الحياة الاقتصادية في أوروبا وأمريكا منذ العشر الاخير للقرن الماضي • وعمدت المشروعات الاحتكارية الى التوسع خارج حدود الوطن ، مشكلة **أساس** الاستعمار الامبريالي حيث تم تقاسم أسواق المستعمرات بين مختلف الاحتكارات العالمية ، كما تم تقسيم مختلف أراضي العالم بين الدول الرأسمالية في العشر الاول من القرن الحالي •

ان توسع المشروعات هو أول أشكال التمركز • ويشكل اندماج المشروعات ، وتشكيل الاحتكارات البعد الثاني لنمو رأس المال • ويشكل الامتداد خارج حدود الوطن الام **البعد الثالث لابعاد التمركز والاحتكار** • وتستطيع من خلال سيطرتها على أسواق البيع والشراء **التحكم في أسعار المواد الاولية** ، وأسعار البضائع المصنوعة محققة أرباحا كبرى ، كما يمكنها **تدمير المشروعات** المنافسة داخل البلد وخارجه ، وتنصيب الحكومات وشن الحروب الاستعمارية لتحقيق مصالحها • وتحديد السياسة الخارجية والداخلية لحكوماتها تجاه جميع المسائل المعروضة • ونذكر مثالا على ذلك عملية **بترول ايران** وتضافر الاحتكارات البترولية فيها • ثم قلب **حكومة مصدق من قبل** الاستعمار الامريكي •

وقد استطاعت الاحتكارات العالمية من خلال توسعها خارج حدود الوطن وتصدير رؤوس الاموال للعمل في الصناعات الاستخراجية والبترولية والمشروعات المصرفية ومشروعات التأمين وغيرها تحقيق ارباح هائلة فاقت حدود التصور وحدود ما تحصل عليه من وطنها الام ، وهكذا نجد شركات استاندرد اويل نيوجرسي وسوكوني موبيل [وماكنات النقد] وشركة سنجر ، وبورو ، وكولكايت بالموليف ، تحصل على أكثر من نصف ارباحها من خارج الولايات المتحدة الامريكية • وهي لذلك تتوسع في توظيف رؤوس أموالها في الخارج ، وفي عام ١٩٦٥ بلغ مقدار الاموال الامريكية الموظفة يوميا في الخارج مقدار ١٠ ملايين دولار بالنسبة لامريكا فقط دون غيرها • ولاشك أن هذه الاستثمارات ذات عائد عال جدا فقد بلغت نسبة أرباح صناعة السيارات الامريكية مثلا ما يعادل ٢٧ في المائة من قيمة رأس المال وذلك بعد طرح الضرائب رغم أن هذه الصناعة تلاقي منافسة كبرى ولا تعتبر من أفضل المشروعات •

كيف تسربت الاحتكارات الغربية الى العــــالم العــــربي ؟

لقد تسربت الاحتكارات الغربية الى الاقطار العربية بأشكال وطرق عديدة ، وكان من أوائل أشكال تسرب الاحتكارات الغربية الى الاقطار العربية اقراض الانظمة الرجعية البالية فى الاقطار العربية المختلفة أموالا واسعة لتهيئة الانقضاض على هذه البلدان والتوسع فيها • وهكذا شهد القرن الماضى وخاصة النصف الثانى منه منح القروض للخزينة العثمانية وللسلطنة المصرية بمبالغ كبرى وارتبطت عمليات القروض هذه باتفاقات مع السلطة العثمانية ومصر لتقرير **الامتيازات الاجنبية** وتطبيق **مبدأ حرية التجارة** فى وجه البضائع الانجليزية ، ومن ثم البضائع الاوروبية بصورة عامة • ولم ينته القرن الماضى حتى أصبحت مالية البلاد العثمانية تحت سيطرة الاجانب وذلك عن طريق البنك الامبراطورى العثمانى وصندوق الدين العام العثمانى • كما سيطرت الاحتكارات الاجنبية على مالية القطر المصرى •

وقد عمدت الاحتكارات المصرفية الى افتتاح فروع مصرفية لها فى مختلف الاقطار العربية •

وزحفت رؤوس الاموال الاجنبية الى الاقطار العربية المختلفة واختارت لها مواقع مناسبة فاقامت السكك الحديدية ، وسيطرت على مرافق النقل والكهرباء والصناعات الاستخراجية والصناعة البترولية • فسيطرت على مناجم الحديد فى الجزائر ومراكش وعلى بترول العالم العربى فى العراق والسعودية والكويت وليبيا والجزائر وأقطار الخليج العربى • كما سيطرت على منابع الغاز فى هذه البلدان •

وقد عمدت الاحتكارات الى التسرب الى الانظمة النقدية فى مختلف الاقطار العربية • وهكذا تمت اقامة الليرة السورية واللبنانية على أساس الفرنك الفرنسى ، كما أقيم الجنيه المصرى والدينار العراقى والاردنى على أساس الجنيه الاسترلينى • وأقيمت عملات الجزائر وتونس ومراكش على أساس الفرنك الفرنسى • واستطاعت هذه **التبعية النقدية** أن تعمق تبعية الاقطار العربية الى البلدان الرأسمالية الاوروبية والامريكية وأن تربط مختلف الاقطار العربية باقتصادات الاحتكارات الغربية ، وقد ساعد هذا الربط على تطوير عمليات التجارة الخارجية بين الاقطار العربية المختلفة والبلدان الاوروبية •

وقد ساعد **الاحتلال الاستعمارى العسكرى** على خدمة الاحتكارات الاجنبية فى الاقطار العربية فقوى من نفوذها ومن مواقفها •

لقد بلغ عدد العمال المصريين الذين يعملون فى المصانع التى أنشأها **محمد علي** أكثر من سبعين الفا أى ما يعادل ٣ر٢ فى المائة من عدد السكان آنذاك • فهبط هذا العدد بعامل حرية التجارة ومزاحمة البضائع الاجنبية ولم يبق فى عام ١٨٧٣ سوى عدد قليل من المصانع فى مجال التعدين يعمل فيها ٧٠٠٠ عامل تقريبا ، وعدد من مصانع النسيج والملابس يعمل فيها حوالى ٢٨٠٠ عامل • ثم جاء الاحتلال الانجليزى عام ١٨٨٢ فدعم هذا الاتجاه وزاده سرعة •

وقد أثرت الاحتكارات الاجنبية تأثيرا بالغا على وضع القطر السورى بمعناه الطبيعى . ففى لبنان مثلا بدأت صناعة الحرير تتحول الى استخدام المغازل الالية • وفى عام ١٨٤٠ تأسس أول معمل آلى لغزل الحرير ، وكان معملا فرنسيا . وحتى عام ١٨٥٠ كان هناك خمسة معامل أخرى كانت ثلاثة منها فرنسية وحتى عام ١٨٨٥ كانت هناك ١٠٥ معامل للحرير تخضع كلها لرأس المال الفرنسى ، ولاسيما لشركات مدينة ليون • وكان نصف رأس المال الموظف فى شراء شرانق الحرير يقترض من ـ ليون ـ بفائدة تصل عمليا الى ١٠ فى المائة كما كان كل الحرير اللبنانى تقريبا يمون سوق ليون •

ان الحديث عن كيفية تسرب الاحتكارات الغربية الى الوطن العربى حديث طويل ويستحق الكثير من العناية • وخاصة فى قطاع المصارف وشركات التأمين واصدار النقود ، والصناعات الاستخراجية والبترولية • **وربما كان فى عرض سيطرة شركات النفط على البترول العربى بعض الفائدة •**

١ ـ **كان العراق** أحد الميادين الرئيسية لصراع شركات النفط ، وقد وصل هذا الصراع الى سيطرة **الاحتكارات الانجليزية والفرنسية والامريكية** على البترول العراقى • **فقد** منحت الدولة العثمانية أول امتياز لمد الخطوط الحديدية فيها **لشركة المانية** كونها البنك الالمانى عام ١٨٨٨ لهذا الغرض ووعدت هذه الشركة بأولوية استثمار الثروة المعدنية فى ولايتى الموصل وبغداد بما فى ذلك البترول ، وبدأت منافسة الاحتكارات الانجليزية

للالمانية، واشــــتدت بعـد حصول الانجـليز على استغلال بترول ايران • ودخلت أمريكا الحلبة عام ١٩٠٨ • ولكن الانجليز تعاونوا مع الالمان ضد الامريكان وانتهت المفاوضات عام ١٩١٠ بتأسيس شركة مشتركة بينهما هى شركة البترول التركية •

وعقب انتهاء الحرب اخرجت المانيا من الشركة لتدخلها فرنسا • ولكن انجلترا اضطرت للتراجع تحت الضغط الامريكى • واستمرت المفاوضات بين الدول الثلاث حتى عام ١٩٢٧ حتى انتهت بتفاهم القوى الثلاث : **انجلترا وأمريكا وفرنسا** على ألا تنفرد أية شركة من الشركات المساهمة فى الشركة التركية بالحصول على امتياز وحدها ضمن حدود الامبراطورية العثمانية باستثناء مصر والكويت ، وسميت هذه الاتفاقية **باتفاقية الخط الاحمر** ، وتم تحويل شركة البترول التركية الى شركة البترول العراقية ، ثم اشتد النزاع مرة اخرى حتى تم الاتفاق مجدداً فى عام ١٩٣٤ ، فاستغلت اراضى العراق حتى الان •

شركة البترول البريطانية المحدودة ٢٣ر٧٥ فى المائة

مجموعة شركات شل الهولندية الملكية ٢٣ر٧٥ فى المائة

شركة البترول الفرنسية ٢٣ر٧٥ فى المائة •

شركة استثمار الشرق الادنى [ستاندر أويل سوكونى موبيل أويل] ٢٣ر٧٥ فى المائة •

شركة كالوست سركيس كلنيكان ٥ فى المائة •

٢ ــ **وفى امارة البحرين والمملكة العربية السعودية** فشلت شركة بترول العراق فى الحصول على امتياز • ونجحت **شركات البترول الامريكية** • منذ عام ١٩٢٧ حصلت شركة الخليج الامريكية على امتياز فى البحرين ولكنها باعته لشركة امريكية أخرى بسبب ارتباطها باتفاقية الخط الاحمر • وتأسست شركة خاصة باسم شركة بترول البحرين ضمنت للحكومة البريطانية بعض النفوذ على الشركة •

وكذلك انتصرت الشركات الامريكية فى المملكة العربية السعودية حيث فشلت الشركات الانجليزية والالمـانية والايطالية واليابانية ، واستطاعت الشركة الامريكية توقيع اتفاق الامتياز عام ١٩٣٢ ومن ثم توسيعه على اراض جديدة عام ١٩٤٠ وادخلت فيها ثلاث شركات أمريكية تحت اسم شركة الزيت العربية الامريكية [**ارامكو**] وزعت كما يلى :

شركة ستاندر أويل [كاليفورنيا] ٣٠ ٪ •

شركة تكساس ٣٠ ٪

شركة ستاندر أويل [نيوجرسى] ٣٠ ٪ •

شركة سوكونى موبيل اويل ١٠ فى المائة

وقد امتعضت شركة البترول العراقية والحكومة البريطانية لهذا النجاح الذى يهدد نفوذها ، ونجحت شركة البترول العراقية فى تأسيس شركة فرعية تابعة لها عام ١٩٣٥ باسم**شركةالامتيازات المحدودة** حصلت على امتيازات التنقيب فى غرب المملكة العربية السعودية وقطر والساحل المحايد واليمن وعدن وحضرموت ولبنان وسورية وفلسطين وشرق الاردن •

٣ ــ **لقد استقلت الاحتكارات البريطانية** بالمناطق المصرية والكويتية اثر اتفاقية الخط الاحمر بسبب وجود بريطانيا فى مصر، والاستفادة من الشركة الايرانية بالنسبة لمنطقة الكويت • ومنذ عام ١٩٢٧ بدأت الشركات الامريكية والفرنسية تنافس الشركة الانجليزية فى مصر ، واشتد الصراع فيالكويت بين الاحتكارات الامريكية والانجليزية حتى تأسست شركة مشتركة بينهما باسم **شركة بترول الكويت** دخلت فيها شركة زيت الخليج الامريكية وشركة البترول الايرانية •

واشتد الصراع حول المناطق المحايدة بين الكويتوالسعودية، وحصلت شركة امريكية على حصة السعودية فى المنطقة • كما ظفرت ثمانى شركات أمريكية بحصة الزيت فى المنطقة وكان ذلك عام ١٩٤٨ •

ودخلت اليابان **ميدان الصراع** على البترول العربى فى عام ١٩٥٨ ، وحصلت على امتياز للتنقيب عن البترول فى المياه الاقليمية للمنطقة المحايدة وبشروط أفضل من شروط الشركات الاخرى مما أثار ضجة عالمية بين الشركات البترولية الاحتكارية •

٤ ــ **وقد اشتد الصراع** على **بترول الجزائر وليبيا** بعد عام ١٩٥٠ • وحصلت ثلاث شركات **فرنسية** على امتيازات فى الجزائر فى عام ١٩٥٣ ، وازداد عدد الشركات البترولية فيها • وامتد التنافس الى ليبيا منذ عام ١٩٥٥ حيث سيطر على بترولها عدد من الشركات منها ١٣ **شركة امريكية وواحدة انجليزية وواحدة انجلو هولندية وواحدة فرنسية والمانية وايطالية •**

لقد أدى تسرب الاحتكارات الغربية الى الوطن العربى فى قطاعات النقد والتسليف والتأمين والصناعة الاستخراجية والصناعات البترولية الى تعميق تجزئة الاقتصاد العربى ، وتدعيم تبعيته

للاقتصاديات الامبريالية فى العالم الرأسمالى والى فرض التبعية السياسية على مختلف أقطار الوطن العربى ٠ وجاءت الحرب العالمية الثانية لتسجل قوى التحرر الوطنى انتصارات عديدة فى مختلف أنحاء الوطن العربى ٠ فظفر القسم الاكبر بالاستقلال السياسى وهو يعمل لتحقيق التحرر الاقتصادى ٠ كما يعمل القسم الاخر للتحرر من الاستعمار السياسى لشق طريقه فى التحـــرر الاقتصادى ٠

اهمية ودور الاحتكارات الاجنبية البترولية فى الاقتصاد العربى

يقدر احتياطى البترول العربى بـ ٦٠ فى المائة من الاحتياطى العالمى ٠ ويبلغ انتاج البتـرول العربى حوالى ٢٧ فى المائة من الانتاج العالمى ٠ وتسيطر على انتاج هذه الكمية الضخمة من الاحتياطيات والانتاج ثلاث شركات احتكارية كبرى بصورة رئيسية ٠

أولها : شركة البترول العراقية وتسيطر على حوالى ٢٠ فى المائة من احتياطى الوطن العربى ٠ وترجع تبعية رأس مال هذه الشركة الى الشركات التالية :

٢٣ر٧٥ فى المائة من أسهم هذه الشركة ملك الشركات الانجليزية ٠

٢٣ر٧٥ فى المائة من أسهم هذه الشركات ملك الشركات الامريكية ٠

٢٣ر٧٥ فى المائة من أسهم هذه الشركة ملك الشركات الفرنسية ٠

ثانيها : شركة الـزيت العـربية الامريكيـة [**أرامكو**] وتسيطر على حوالى ٣٠ فى المـائة من احتياطى بترول الوطن العـربى ورأس مال هذه الشركة أمريكى بالكامل ٠ وتزيد مسـاحة مناطق نفوذ هذه الشركة على ٣٦٥ ألف ميل مربع ٠

ثالثها : شركة بترول الـكويت وتسيطر على حوالى ٣٧ فى المائة من احتياطى البترول العربى ويملك رأسمال هذه الشركة شركة أمريكية وأخرى انجليزية مناصفة ٠

ويتبين من كل ما سبق أن حوالى ٨٧ فى المائة من احتياطى البترول فى الوطن العربى تسيطر عليه الاحتكارات البترولية الامريكية والانجليزية والفرنسية ٠ وهذه الامتيازات هى :

١ ـ **خمس شركات أمريكية** : هى كاليفورنيا وتكساس ونيوجرسى وسوكونى وفاكوم وشركة زيت الخليج ، ويخصها قرابة ٦٠ ٪ من انتـاج البترول العربى ٠ ولم تكن تملك هذه عام ١٩٣٧ اكثر من ١٣ فى المائة منه فقط ٠

٢ ـ **شركتان انجليزيتان** هما الشركة الانجليزية الايرانية والشركة الهولندية الملكية ـ شـل ـ ويخصهما ما يزيد على ٢٥ فى المائة من انتاج البترول العربى ٠

٣ ـ **شركة فرنسية واحدة** هى شركة البترول الفرنسية ويخصها حوالى ٤ فى المائة من انتاج البترول العربى فقط ٠

ولم يتحرر من مجموع البترول العربى حتى الان الا حوالى ٩ ملايين طن فى مصر ، ٥ ملايين طن فى **سوريا** ، وحوالى ٣٠ ألف طن فى **الجزائر** وتعادل كلها ١٠ فى المائة فقط من مجموع انتاج البترول العربى ٠

ثمة عدد من الحقائق الاساسية حول وجود الاحتكارات النفطية فى الوطن العربى ٠ ومن أهم هذه الحقائق ما يلى :

١ ـ **يستخرج البترول العربى** بحدود ضئيلة ٠ فمع أن احتياطى البترول العربى يساوى ٦٠ فى المائة من الاحتياطى العالمى فان انتاج البترول العربى يبلغ فقط ٢٧ فى المائة من الانتاج العالمى ٠ وتركز الاحتكارات البترولية كميـة الانتاج بما يتوافق ومصالحها الخاصة ٠ وربما كانت الاقطار العربية فى أشد الحاجة لتطوير استخراج البترول لتأمين الاموال اللازمة عن هذا الطريق لتصنيعها الوطنى ورفع مستوى شعبها وتأمين احتياجاتها العسكرية ٠

ان انتاج البترول العربى يمكن أن يضاعف بدون أدنى شك ٠

٢ ـ **ان النفط العربى المستخرج** لا يستغل استغلالا كاملا ٠ فهو يصدر بترولا خاما الى خارج الوطن العربى ولا تستفيد الاقطار العربية من استخراجه وتصديره بهذا الشكل الخامى الا بمورد عائدات انتاج النفط ٠ وقد قدرت أرباح شركات النفط بين عامى ١٩٥٠ ـ ١٩٦٤ بحوالى ١٧ر٨٩٢ مليون دولار مقابل ١٢ر٨٥٩ مليـون دولار حصلت عليها حكومات الاقطار العربية ٠ ان مجموع أرباح الشركات هى من حق الشـعب العربى ٠ ان حصة الحكومات لم تصرف لمصلحة الشعب العربى ٠

وقد لجأت الشركات الامريكية الى أسـاليب احتيالية لزيادة أرباحها ٠ فمنحت شركات البترول

المشترية تخفيضات على الاسعار المعلنة ، ولما كانت الشركات المشترية تعود ملـكيتها لنفس الشركات البائعة فان هذه الحسميات ادت الى تخفيض نصيب الحكومات فى صافى الربح الى ما دون ٣٠ فى المائة ورفعت نصيب الشركات الى ٧٠ فى المائة من الربح ٠

٣ ـ ينقل النفط بصورة اساسية بناقلات البترول الاجنبية من الخليج العربى أو من شواطىء افريقيا فلا تستفيد الاقطار العربية من عوائد المرور الا بمبالغ جزئية ضئيلة أهمها عوائد المرور بقناة السويس ٠ ويبلغ مجموع عوائد المرور ١٥٠ مليون دولار سنويا ٠ وقد اكتشف القطر العربى السورى فى عام ١٩٦٦ الاساليب الاحتيالية التى تتبعها شركات النفط لزيادة حصتها على حساب حصته واضطرت الشركات الاحتكارية للرضوخ لمطالب الشـعب العـربى السورى ٠

ان نقل البترول بناقلات النفط الاجنبية يؤدى الى خسارة الاقطار العربية مبالغ كثيرة مقـابل أرباح النقل ٠ ومع أن **المجلس الاقتصادى العربى قد** أقر انشاء أسطول بحرى من ناقلات النفط منذ ما ينوف عن خمس سنوات فان هذا المشروع لم يظهر لحين الوجود بعد ٠

٤ ـ يجرى تكرير النفـط العربى فى البلدان الاجنبية بصورة رئيسية ، حيث ان ما يكرر من بترول العرب داخل اراضيهم فى مجموعه لا يزيد على ١٢ ٪ من انتاجه الاجمالى ، ويذهب هـذا التكرير للاستعمال المحلى فى الاقطار العربية ولتموين السفن الاجنبية، وتلحق الاقطار العربية خسارات كبرى فى ميـدان الاستخدام والربح والتصنيع والتدريب الفنى من جراء تكرير البترول العربى خارج التراب العربى ٠

٥ ـ يبلغ احتياطى الغاز العربى حوالى سدس الاحتياطى العالمى ٠ ومع ذلك فان هذه الثروة لا تستثمر الا بحدود ٣ فى المائة من الانتاج العالمى للغاز ٠ وتخسر الاقطار العربية سنويا حوالى ٣٠٠ مليون دولار نتيجة احتراق الغاز الطبيعى دون استثمار وذلك عدا الخسارات الناجمة عن عدم تصنيع الغاز واستثماره ٠

٦ ـ لا يصنع النفط فى الارض العربية ، ولا يشكل انتاج الاسمدة الازوتية فى كل من مصر والكويت شيئا يذكر فى مجال تصنيع النفط ، ويتم تصنيع النفط العربى خارج الوطن العربى حيث تحقق الصناعات البتروكيمائية ارباحا كبـرى لصالح الشركات الاحتكارية القـائمة بهـذه المشروعات ٠

ان مجموع هذه الظواهر ناجم عن وضع استثمار مجموع البترول العربى فى أيدى الاحتكارات الدولية البترولية التى تسيطر على مجموعة صناعة البترول فى العالم ٠ وقد عمدت هذه الشركات الاحتكارية الى تركيز استخراج البترول فى يدها وفى حدود صالحها ٠ كما ركزت نقل البترول الخام وتكريره وتصنيعه فى الشركات المرتبطة بها أو التابعة لها وأوقفت استثمار الغاز العربى ، وبذلك جعلت صناعة البترول خـارج الاقتصاد العربى ومجالا للنهب والاستغلال ٠

ان الحسابات التى قام بها الاقتصادى الامريكى « **فيكتور برلو** » هى ذات دلالة كبيرة ٠ **ان كل دولار تجنيه الاحتكارات الامريكية من انتـاج البترول فى الوطن العربى تعود منه ١٠ سنتات فقط الى حكومة البلد الذى يستخرج البترول من ارضه ويعود سنت واحد الى عمال البترول ٠ اما الحكومات الغربية فهى تقتص ٥٢ سنتا بشكل ضرائب ، ويعود الباقى وقدره ٣٧ سـنتا الى الاحتكارات البترولية ٠**

ويصح ما ذكرناه على مجموع الاقطار العربية تقريبا ، بهذه الدرجة أو تلك ، عدا القطر العربى السورى الذى طرح شعار استثمار النفط وطنيا وبدأ عملية الاستخراج والنقل والتسويق والتكرير بصورة ذاتية ويبنى الان مصنع السماد الازوتى لتصنيع النفط وطنيا ٠ وقد عمد القطر العربى الجزائرى فى العام الماضى الى تاميم مجموعة صناعة النفط والغاز فى القطر ووضعها بيـد الدولة ٠

وقد عمدت الاقطار العربية المنتجة للنفط الى الاستفادة جزئيا من عائدات النفط فى اقامة بعض المشروعات العمرانية • وتركزت الاموال المصروفة فى العراق على الابنية والقصور والسدود والطرقات وحفر الابار وشق القنوات • كما تركزت الاموال المصروفة فى المملكة العربية السعودية على اقامة بعض السدود الصغيرة وتوسيع استخدام مضخات المياه ومشروعات الصرف » ومشروعات تعبيد الطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية • وجرى التوسع فى الخدمات الصحية والثقافية وتطوير المطارات فى جميع الاقطار العربية • وأدت الاموال المصروفة من الشركات مباشرة ، وتوزيعات عوائد البترول الى تحريض عدد من النشاطات العمرانية فى البلاد فتوسع عمران المدن بصورة رئيسية وتطورت صناعة الاسمنت والبناء والملابس ونشأت مدن جديدة وتطورت مدن قديمة •

ولكن عوائد البترول لم تستخدم بشكل مناسب لتنمية الاقطار العربية وتطوير اقتصادها القومى ورفع مستوى شعبها • فالمشروعات الانمائية التى تمت اقامتها باموال النفط هى مشروعات هيكلية زراعية وللبناء والتشييد ومشروعات هيكلية أخرى وهى مشروعات لا مردود لها وتشكل نفقات استهلاكية فى غالب الاحوال •

ويتضخم فائض الرساميل لدى البلدان المنتجة للنفط عاما بعد عام بعامل تضخم العائدات النفطية من ناحية وعدم استخدامها فى عمليات التنمية من ناحية أخرى وتناهز هذه العائدات مليونى دولار فى السنة •

ويرجع عدم استخدام العائدات البترولية فى البلدان المنتجة الى عدم وجود تكامل عربى يسمح باستخدام هذه العائدات فى الاقطار العربية المحتاجة لرؤوس الاموال • وكذلك عدم انتهاج سياسة تنمية حازمة تستخدم أساليب التخطيط الاقتصادى •

وعليه أودعت الاموال فى المصاريف الاجنبية ، فانتقلت من الاحتكارات المصرفية باقراض هذه الاموال للاحتكارات النفطية لمتابعة عمليات تكرير وتصنيع البترول العربى بالاموال العربية فى خارج الاقطار العربية •

ان مجموع هذه الاوضاع تطرح بكل قوة ضرورة اجراء مايلى :

١ – **استثمار النفط وطنيا** لصالح الشعب العربى فى مختلف اقطاره بعد ان اثبت القطر العربى السورى امكانية تحقيق ذلك •

٢ – **تطوير نقل البترول** فى البلدان العربية عن طريق شبكات الانابيب ضمن الاقطار العربية وانشاء اسطول ناقلات بحرى حيث تلزم الشركات المشترية بالنقل بوساطته •

٣ – **اقامة صناعات تصفية لتكرير البترول** العربى المنتج فى الوطن العربى قبل تصنيعه او تصديره •

٤ – **تطوير صناعات بتروكيميائية** مشتركة بين الاقطار العربية عن طريق التعاون الاقتصادى العربى باستخدام عائدات البترول لصالح السوق العربية ككل •

ومن الطبيعى ان مجموع هذه الاموريستوجب تطوير حركة التحرر الوطنى فى مختلف الاقطار العربية والسير بها فى اتجاه الاستقلال السياسى والتخلص من التبعية الاستعمارية والتجزئة السياسية والتخلف •

دور الاحتكارات المصرفية الاجنبية فى الاقتصاد العربى

يلعب النظام النقدى وكذلك المصارف الاحتكارية الاجنبية دورا واسعا فى الاقتصادات العربية من حيث ربطها بعجلة الاقتصاد الرأسمالى من ناحية ، ومن حيث استغلال الاموال المتاحة فيها ومن حيث توجيه مجموع النشاط الاقتصادى لصالح البلدان الاجنبية •

ولقد ارتبطت عملات مختلف الاقطار العربية الى هذا الحد او ذاك بالعملات الاوروبية المختلفة مع نمو الاحتكارات الدولية ودخولها مختلف مناطق الوطن العربى • ومازال هذا الوضع قائما

حتى الان فى بعض الاقطار العربية بينما حررت بعض الاقطار الاخرى نقدها من هذا الارتباط • وقد كان ربط نقود الاقطار العربية بكتلة الفرنك او كتلة الاسترليني واتخاذ هذا او ذاك اساسا للعملة المحلية واحتياطاتها مدعاة الى هبوط قيمة العملة المحلية مع هبوط الاسترليني والفرنك وغالبا ماهبطت قيمة هاتين العملتين • وكانت الاقطار العربية تخسر الكثير من موجوداتها نتيجة هذا الهبوط . وبذلك فان قيمة النقود المحلية لا تتعلق بالوضع الاقتصادى الداخلى وبمستوى النشاط الاقتصادى ومازلنا نذكر انخفاض سعر الفرنك الفرنسي والجنيه المتكرر حتى اليوم •

لقد حررت الاقطار العربية المختلفة نقودها من الارتباط المباشر بالعملات الاجنبية بعد الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٠ ، ولكن حل محل ذلك انواع من الارتباط غير المباشر •

ولكن الامر الاشد اهميـة ، هو ان فروع الاحتكارات المصرفية وشركات التأمين مازالت تحتل دورا اقتصاديا هاما فى الكثير من الاقطار العربية • وتكمل فروع الاحتكارات المصرفية عمل الاحتكارات البترولية •

ففى تونس مثلا يعمل عدد من المصارف الاجنبية، منها البنك الفرنسى التونسى والكريدى فرنسية للجزائر وتونس ، والكريدى ليونيه وديسكرنت دى كريدى للصناعة والشركة الفرنسية التونسية دى بنك ودى كريدى والشركة المارسيلية والبنك البريطانى للشرق الاوسط وغيرها . كما يعمل فيها عدد من شركات التأمين الاجنبية مثل تأمينات ليبجلى ، وتأمينات كريستا العامه وجريشام وهلفستيا ، وشركة موند ، والشركة السويسرية الوطنية وشركة دى مان الفرنسية العامة للحوادث والفرنسية للحياة وغيرها وكل تلك المراكز تمارس تأثيرا متفاوتا داخل الاقتصاد التونسى •

لقد كانت امثال هذه الاسماء واسماء شبيهة بها ، مالوفة لدينا حتى عام ١٩٦١ و١٩٦٣ ؛ ولكنها مازالت تعمل الى الان فى بعض الاقطار العربية .. وهذه الشركات وامثالها تقوم على استخدام ودائع الاهلين ومصادر التمويل الخارجية لدعم الفروع الاقتصادية التى تهتم بها الاحتكارات الاجنبية مثل استخراج الفوسفات والحديد والكوبالت واستخراج البترول فى الاقطار البترولية ، وتمويل زراعة الحمضيات والحبوب والاقطان فى اقطار اخرى • وتقوم فروع المصارف الاجنبية بتحقيق ارباح احتكارية من خلال عمليات الودائع والقروض والكفالات وفتح الاعتمادات وتمويل التجارة الخارجية وتمويل الزراعة الراسمالية والمضاربة على الاراضى • وتساعد مجموع هذه العمليات على ربط الاقتصاد المحلى لا بالاقتصاد العربى ككل بل بالاقتصاديات الاوروبية والامريكية المختلفة حسب المصرف الام . وتحول الارباح الناشئة عن هذا النشاط المصرفى الى خارج البلاد •

وقد تبدت خلال السنوات الاخيرة حركة انتقال للنظام المصرفى الى الكويت •فتوسع الجهاز المصرفى وتأسس صندوق التنمية الكويتى ويجرى العمل حاليا على انشاء صندوق اخر للائتمان . ووضع اتفاقية لضمان رؤوس الاموال • ان كل هذا يشير بتحول جزئى للودائع البترولية المتأتيةمن الخليج العربى الى السوق الكويتية بدلا من السوق اللبنانية ، وسيحدد المستقبل مدى نجاح حركة الانزلاق هذه •

لقد حطم القطر العربى السورى ومثله القطر العربى **المصرى** والقطر **الجزائرى** دور هذه الفروع المصرفية الاحتكارية عندما امم مجموع النظام المصرفى ونظام التامين ووضع مجموع الادخارات فى خدمة تمويل القطاعات الاقتصادية الداخلية . وهذا طور حجم التمويل من حيث الكم ومن حيث الكيف • ويعتبر هذا الاجراء الطريق الوحيد لازالة اساليب الاستغلال الاستعمارى من خلال النظام النقدى والمصرفى والادخارى وتحويل اموال البلاد العربية لخدمة مصالحها • كما طبق القطر **العراقى** هذا الاسلوب

لقد تحدثنا عن الاحتكارات الاجنبية البترولية وعن الاحتكارات الاجنبية المصرفية والمالية فى الوطن العربى كمثال على الاحتكارات الاجنبية فى

الوطن ، ولكن مازالت هناك انواع اخرى من الاحتكارات تركز على استخراج الثروات الطبيعية من الوطن العربى وتصديرها خاما •

ان الاحتكارات الاجنبية تسيطر على القسم الاكبر من الصناعات الاستخراجية فى الوطن العربى : الحديد ، النحاس ، القصدير ، الزنك ، الكروم ، التنجستين والكوبالت والمعادن الثمينة •

ان مجموع الاحتكارات الاجنبية تستغل الوطن العربى ابشع استغلال ومع أن القسم الاكبر من الاقطار العربية قد حقق استقلاله السياسى ، فان السيطرة الاستعمارية الاقتصادية مازالت قائمة فى مختلف مناطق الوطن العربى •

الصلة بين الاحتكارات الاجنبية واسرائيـــل

لقد جرى فى القدس ، منذ مدة ، لقاء دورى لرجال الاعمال اليهود • وحضر هذا الاجتماع كما هو معلوم حوالى ٣٠٠ مليونير جاءوا من مختلف انحاء العالم • ويمثل هؤلاء رأسمال يقدر بأرقام خيالية ، ويفوق ميزانية اى بلد راسمالى بما فىذلك الولايات المتحدة الامريكية • وقد دخل هذا اللقاء الدورى فى التاريخ باسم مؤتمر أصحاب الملايين •

ان تحليل قائمة اسماء المشتركين فى المؤتمر يكشف الصلة بين الاحتكارات الاجنبية فى الوطن العربى وبين الرأسمال الصهيونى العالمى باعتباره جـــزءا مكونا ورئيســـيا فى الكونســـتورســـيوم الراسمالى العالمى توحد بين أعضائه أيديولوجية وسياسة مشتركة تتمثل فى الصهيونية العالمية ، التى خلقت اسرائيل كقبضة فولاذية لها كما يقول بن جوريون •

ان الرأسمال الصـــهيونى يسيطـــر علـــى الاحتكارات الكبرى فى مختلف الدول الرأسمالية المتطورة ، مثل انجلترا والولايـــات المتحـــدة الامريكية والنمسا وفرنسا وبلجيكا وهـــولندا ولوكسمبورج ، وافريقيا الجنوبية وسويسرا وكندا وألمانيا الغربية واليابان والسويد وغيرها من الدول • ورغم التشتت الجغرافى يتمتع الراسمال الاحتكارى الصهيونى بعدة مراكز كبيرة يتمركز فيها بشكل اســـاسى ، ويمارس من خلالها دور الامبريالية ، السياسى والاقتصادى ، وخاصة فى الشرق الاوسط • ومن أهم المراكز نيويورك ولندن ومانشستر وكولن وباريس ويوهانســـبرج • ان الرأسمال الاحتكارى الصهيونى العالمى يتميـــز ضمن الرأسمال العالمى بسيطرته المصرفيـــة والبترولية • وبوجود ١٠١ اسرائيل فى خدمتا حيث تقوم فى كل مكان بأداء الدور الموكول لها • كما يتميز بأيديولوجية فاشية متميزة (١) •

ان أهم العائلات فى الرأســـمال الاحتكارى الصـــهيونى هى عائلات روتشـــيلد ، روكفلر ، مليون ، الخ ....

لقد كانت عائلة روتشيلد هى التى استلمت وعد بلفور بتأسيس وطن قومى يهودى فى فلسطين • وكان أفراد هذه العائلة من المشتركين الدائمين فى « مؤتمر اصحاب الملايين » ، لقد سيطرت عائلة روتشيلد على النظام المصرفى الاوروبى • وهى تلعب منذ مابنوف على ١٥٠ عاما دورا بارزا فى اقتصاد وسياسة البلدان الاوروبية • وقد مولت كونسرن – رويال – داتش شل للبترول ، وشراء أسهم شركة قناة السويس ، كما أنها تملك بنك باركليز المعروف •

ان امبراطورية روكفلر تعتمد على البترول بصورة أساسية ، وهى تملك من بين ما تملكه شركات ستاندر أويل كاليفورنيا وستاندرد أويل نيوجرسى وسكونى فاكوم وهى أعضاء فـــى الاحتكار الدولى للبترول الذى يستثمر بتـــرول الوطن العربى ، كما تملك شركة الارامكو وبنك

---

(١) راجع يفنيني يفسييف : العلاقات الاقتصادية والسياسيةلاسرائيل كراس حرية للاستعمار ــ نفط العرب ، تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٩ •

تشير مانهاتن وغيره • ان روكفلر هو ملك البترول في العالم وان قسما هاما من البترول العربي يقع تحت يد امبراطورية روكفلر الصهيونية (٢) •

أما امبراطورية ميلون، فتملك من بين ما تملك، شركة نفط الخليج وتشارك كل من شركة نفط الخليج التابعة لميلون، وشركة ستاندر اويل التابعة لروكفلر في الاحتكار الدولي للبترول الذي يسيطر على البترول العربي •

لقد اشتد صراع الشعب العربي في السنوات الاخيرة ضد الامبريالية واحتكاراتها في الوطن العربي، وخاصة الاحتكارات النفطية • لقد تم تأمين الاحتكارات المصرفية الاجنبية في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية الشعبية الجزائرية، وقامت سوريا باستثمار النفط وطنيا • وعملت الجزائر على تأميم الشركات البترولية الاجنبية واستثمرت نفطها بنفسها • وعملت مصر على اتباع أسلوب المشاركة وشهد العراق بالذات صراعات محمومة حول البترول وحقق خطوات محمودة وجريئة، وقد اثار كل هذا تململ الاحتكارات الاجنبية النفطية •

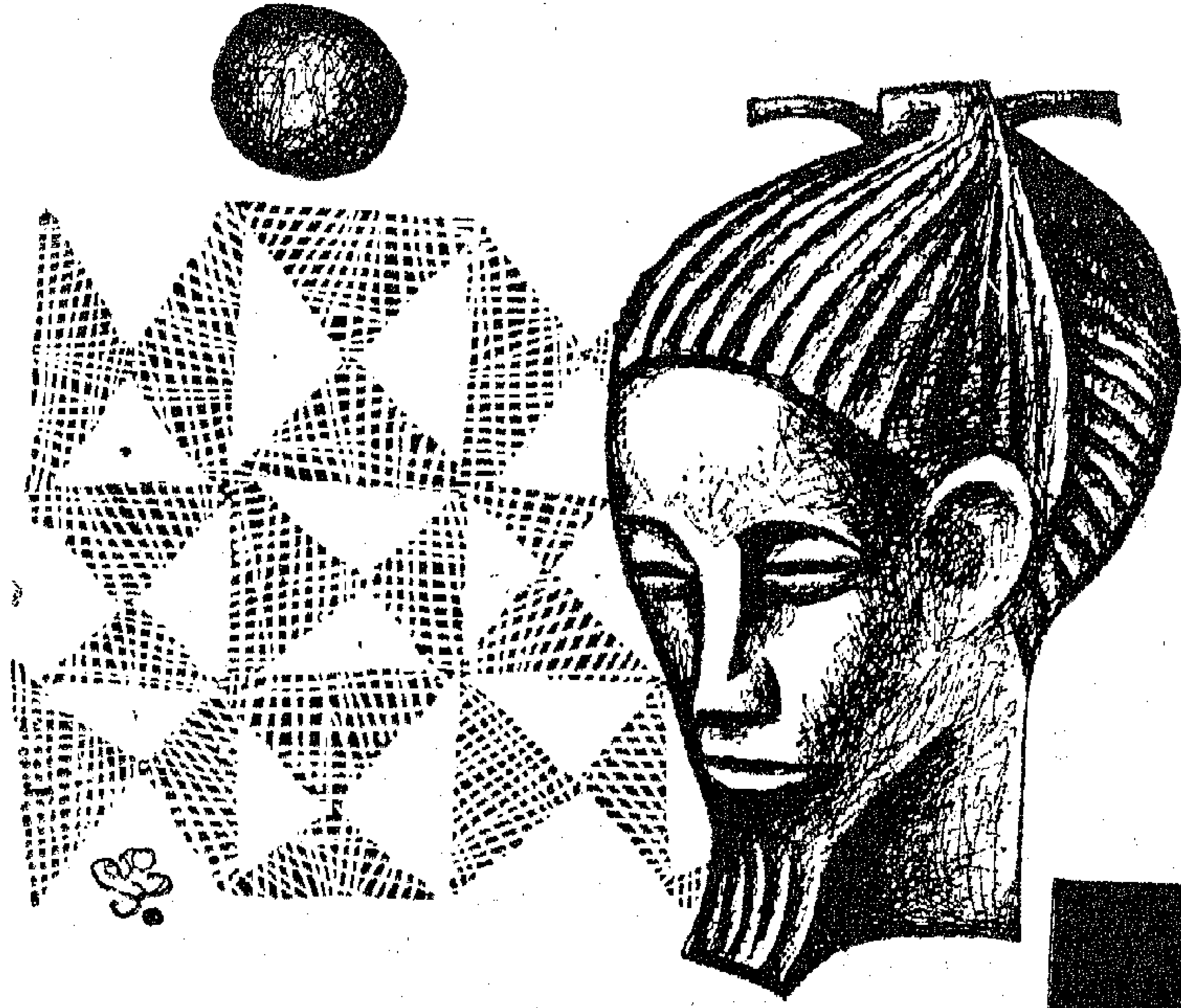
« وقد حان الظرف الدقيق في نهاية ١٩٦٦ ومطلع ١٩٦٧ حين ارغمت الحكومة السورية شركة نفط العراق، التي تمثل اغلبية اعضاء الكارتيل الدولي للبترول على زيادة عائدات نقل البترول في اراضيها كاشفة تلاعب الشركات الاجنبية بالحسابات • وحصل لبنان ايضا على زيادة مماثلة في العائدات • ورفعت سوريا، وتبعها لبنان، طلبات مماثلة الى الشركات الامريكية التي تنقل النفط من المملكة العربية السعودية عبر الاردن وسوريا ولبنان ». وقد لقيت سوريا ومن ثم لبنان مساندة الجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليمن • وكان من الواضح في شهر آيار (مايو) ١٩٦٧ امام الاحتكارات الامريكية التي تنقل النفط من المملكة العربية السعودية بوساطة خط الانابيب الى ساحل البحر المتوسط انها مطالبة بأن تفتح خزائنها المالية هي ايضا، وفي هذه الظروف جاء العدوان الاسرائيلي • لقد حركت الاحتكارات البترولية ذراعها الفولاذية • ولكن ضربتها فشلت ولم يحقق العدوان اهدافه (٣) •

ان معركة الشعب العربي ضد الامبريالية والصهيونية انما تحتاج اكثر من اي وقت مضى الى وضع امكانات الشعب العربي في يده واستعمال هذه الامكانات لتحقيق التحرر السياسي والاقتصادي وتحرير الاجزاء المغتصبة من الوطن العربي وتحقيق حياة أفضل وأكثر سعادة لجماهير العاملين في الوطن العربي، وهذا يستوجب وعيا اعمق وتنظيما اشد والتحاما امتن ووحدة عربية شاملة •



---

(٢) راجع فكتور برلو : دولة المالية العليا، ديتز فرلاجص ٢٠٣ •
(٣) فارن ى • بوغودين : الاحتكارات تخرج من وراء الكواليس — مجلة البترول والغاز العربي — شباط (فبراير) ١٩٦٩ •



كينيا مأساة أفريقيا الجديدة

حسين شعلان

لو أن الأمر ، اقتصر على اعتقال **اوجينجا اودينجا** ، والهجوم على اليسار في كينيا ، لكان ممكنا أن نرصده تحت باب « **المناورة السياسية** » .. أو « ظاهرة التطورات المفاجئة » التي تغلب على أحداث القارة الافريقية .. أوحتى تحت بند « الخلافات السياسية » .ولكن حدوث ذلك فيأعقاب أسابيع قليلة من اغتيال **توم مبويا** الذي حدثبدوره فيأعقاب سلسلةمنالصراعات الحادة داخل حزب الكانو وخارجه في البلاد، ثم غداة تطورات الصومال وأوغندا ــ تقول : (ان ذلك يثير عددا من الدلالات الهامة داخل كينيا من جهة ، بل وتفوق حدودها المحلية او حتى القارية من جهة أخرى .. لتتعدى ذلك الى حدود كثير من دول « العالم الثالث » وقضاياه) .

فحتى قبل اغتيال مبويا ، شهدت كينيا في عام ١٩٦٦ انقسام الكانو وتأسيس حزب اتحاد شعب كينيا ، هذاالانقسام الذيكان بدوره نتاجا طبيعيا لسلسلة منالتطورات البالغةالاهمية، منذ الخلاف داخل الكانو حول ماسمي « **بالاشتراكية الافريقية** » .

•• كيف حدث هذا ؟

•• ولماذا انشق « **اتحاد شعب كينيا** » ؟

•• وماذا يعني اغتيال مبويا ؟

•• وماالذي يعنيه الهجوم على اليسار الكيني اليوم ؟

•• وفوق ذلك كله : الى أين تتجه كينيا آخر الامر ؟

الارض .. الارض .. الارض

كان النظام القبلى فى كينيا - عشية الاستعمار - أن يصل مرحلة التداعى ، بعد أن اتسع العمل بالزراعة والرعى والصناعات الحرفية وأقامت مناطق القبائل فيما بينها نشاطا ملحوظا من التبادل التجارى · ومن ثم بدأت مناطق مختلفة فى البلاد تتخصص فى انتاج انواع معينة من المحاصيل والبضائع ، فاتسعت التجارة الداخلية مما أدى بالتالى الى تطوير العلاقات السلعية النقدية ·

ومنذ القرن ١٨ والحكام يمنحون الاراضى - على اساس مؤقت - لرؤساء القبائل ورجال الحزب بشرط الولاء السياسى والعسكرى · وبعد الاحتلال البريطانى ثم اتفاقية ١٨٨٦ بين بريطانيا والمانيا حول تقسيم شرق افريقيا ، انتقلت اراضى القبائل الى ايدى المستوطنين الذين لم يقنعوا بالاراضى التى منحوها بل سعوا فوق ذلك بتمليكهم الاراضى الخصبة ، ملكية خاصة فتحولت معظم أراضى كينيا الى ما سمى وقتها «**بحديقة الخضروات فى بيت اللورد**» · ومنذ عام ١٩١٥ أصبح المستوطنون يستأجرون الارض لمدة ٩٩٩ سنة مقابل ايجار زهيد للغاية ·

وفى ١٩٠٤ استقدمت بريطانيا مستوطنين آخرين من جنوب افريقيا ومنحتهم أراضى زراعية ومراعى بدون ايجار ، بل وبدون ضرائب . ليس ذلك فحسب بل وطردت بريطانيا الافريقيين من الاراضى التى كانوا يزرعونها أو يعملون فيها الى « **المعازل** » التى أقامت أول واحد منها فى ١٩٠٦ · وفى ١٩١٥ بلغ نهب الاراضى ذروته حينما أصدرت بريطانيا مرسوما تعلن فيه أن « كل أراضى محمية كينيا من ممتلكات التاج البريطانى » ، مع تحويل الافريقيين الى مجرد مستأجرين ·

ولقد كان من الصعب ان يتمكن المستوطنون من تحويل المساحات الواسعة من الاراضى التى حازوها الى مشروع **راسمالى** يدر الربح دون **استغلال الايدى العاملة الرخيصة** ·

وكيف يجبر الكينى على العمل لحساب « الابيض » فى نفس « الارض » التى انتزعت منه وحرم منها ؟

وكان لابد من التوصل الى طريقة أو عدة وسائل لاجبار الكينيين بها على العمل ، **فاحل المستوطنون الراسماليون السخرة - ! - محل قانون العرض والطلب فى مجال الايدى العاملة** ·

ومن ثم ارتفع عدد الكينيين العاملين فى المشروعات الزراعية من ١٢ الفا فى ١٩١٢ الى ٩٠ الفا فى ١٩٢٠ والى ١٨٥,٥٠٠ فى ١٩٢٧ · واكتمل الامر حينما أصدر « **اتحاد المستوطنين** » قرارا يقضى بتخفيض أجور هؤلاء الى الثلث ·

وبزراعة المستوطنين للمحاصيل النقدية ، استمرت بريطانيا فى نزع ملكية الاراضى فى كينيا بسرعة كبيرة ، حتى أصبح الاوربيون يمتلكون حوالى **٤ ملايين فدان** من أراضى كينيا ، بل لقد بلغ ماوضعوا ايديهم عليه فى ١٩٢٨ وحدها ما يزيد عن **نصف مليون** فدان ·

·· الاوربيون يحوزون أخصب الاراضى ويملكونها ويجنون الارباح ·

·· والكينيون يقيمون فى « **المعازل** » **ويدفعون** ضرائب « الراس » و « الكوخ » **ويسخرون** ·· باجور لا يجدون معها سوى الفقر البشع والمرض · ولا يملكون من الاراضى سوى عدة أشبار تكفى لأن يدفن الواحد منهم تحتها - اذا سمينا ذلك ملكية !

« الارض تنبت وطنيين »

ولكن « حديقة الرجل الابيض » لم تخل من المتاعب للاستعماريين الذين يخلقون - دون وعى - وهم يستغلون ، حفارى قبورهم ·

فالمزارعون الاجانب فى حاجة الى الايدى العاملة · وهنا وفى ظل أبشع ظروف القهر والاستغلال ، تنبت وتنمو طبقة **الاجراء والفلاحين** ·

وأصحاب المصانع التى أقيمت ، فى حاجة أيضا لقوة عمل تصقلها الالة وتنمى وعيها وتعمق احساسها بالاستغلال وهنا أيضا ، تصنع طبقة **العمال** ·

والادارة الاستعمارية فى حاجة الى عدد كبير من صغار الكتبة والموظفين يعملون فى ظل لوائح لاتضمن لهم الا الاهانات والذل على أيدى رؤسائهم الاجانب الذين يشككون فى قدرتهم على العمل الادارى لافقادهم الثقة بالنفس وفى المستقبل ، وتبدأ تتشكل نواة **المثقفين** ·

وزراعة المحاصيل النقدية للتصدير واتساع التجارة الداخلية وتطويرها ، يخلق ويهيء فرص قيام **البورجوازية** ·

وكلما ازدادت قوة هذه الفئات الاجتماعية عددا ، وكلما نما وتطور وعيهم ، تعمقت تناقضاتهم مع السلطات الاستعمارية ونظمها

وفى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، ثم قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا ، التهب حماس الوطنيين فى كينيا ، كما فى غيرها من بلدان اسيا وافريقيا . فبينما كادت الحرب أن تنتهى ، بدأت قبائل كينيا (**والكيكويو بالذات**) تبدى استياءها الصريح من كل شىء : السخرة ونزع الملكية وظروف العمل وانخفاض الاجور .

وعندما استشعر الاستعماريون الخطر ، فكروا فى « اجهاض » هذا « التبرم » أو « مقدمات التمرد » فشجعوا رؤساء الكيكويو المعتدلين على اقامة « **رابطة الكيكويو** » فى ١٩٢٠ لامتصاص السخط ، ولا بأس من توجيه بعض النقد ، ولكن عجزت رابطة الكيكويو عن أن تستمر .

فانشأ مجموعة من المثقفين الوطنيين « **رابطة شباب الكيكويو** » فى ١٩٢١ بزعامة **هارى ثوكو** (كاتب البريد) ورفضوا التعاون مع عناصر الرابطة السابقة ، وقد وعت قيادة ثوكو خطورة الانغلاق على حدود الكيكويو فقررت توسيع نشاط المنظمة ليضم قبائل أخرى . وبدأت تتشكل ملامح جنين تنظيم وطنى قومى .

ومن خلال صراع السلطة الاستعمارية بالمنظمة الوطنية واعمال الارهاب والاعتقال والنفى ، اتسع نطاق رابطة شباب الكيكويو الى حدود أوسع هى « **الرابطة المركزية للكيكويو** » وبدأ وجه **جوموكينياتا** بعد اعتقال ثوكو ، يبدو فى الافق الوطنى ويلمع .

وطبيعى أن تحتل قضية « الارض » حجما أساسيا فى برنامج الرابطة المركزية للكيكويو . فقد ركزت على أهمية وضع حد لنزع ملكية الاراضى واتاحة الحقوق السياسية للافريقيين وتمثيلهم فى المجلس التشريعى وان يكون رؤساؤهم منتخبين . ثم طالبت باطلاق سراح **هارى ثوكو** .

لقد بدا واضحا ان قضية الوعى بالمشاركة فى السلطة ولو فى حدود ضيقة ، أصبحت تحتل اهتمام الوطنيين الكينيين متجاوزين بذلك حدود المطالب الاقتصادية البحتة .

وبتاثير حركة المثقفين الوطنيين ، تمكنت الرابطة من أن تبسط نفوذها على قطاعات من الجماهير ، بشكل اشتم معه الاستعماريون الخطر الجديد ، فراحوا يضيقون الخناق على الرابطة ، وراحت الرابطة تبحث عن التأييد فى خارج كينيا أيضا ، فأرسلت بكينياتا - الذى أصبح سكرتيرا عاما - الى لندن حيث قام بنشاط وطنى واسع

وفى لندن احتك كينياتا بمختلف التيارات السياسية ، وانضم الى اليسار وتعرف على الماركسية .

وفى السجن ، ونتيجة للعزلة عن الجماهير ، تحول ثوكو الى وطنى معتدل الافكار .

وبذلك انقسمت الرابطة الى تيارين ، وبعد خروج ثوكو من السجن انفصل عن الرابطة بمن يؤيدونه وشكل منظمة أخرى .

الى جانب هذه الحركات الوطنية ، تفجر عدد من حركات التمرد الاجتماعى والسياسى ، اتخذ شكل **الاحتجاج الدينى** الذى بدأ فى صورة احتجاج الطوائف الوثنية ضد الكنيسة والارساليات التى وقفت تماما الى جانب السلطة الاستعمارية . ومن هذه الطوائف ، طائفة واتا **وامونجو** (شعب الله) التى تأسست عام ١٩٣١ وكانت تنكر كل ماله اصل اوروبى . والواقع ان حركة كل هذه الطوائف كانت ذات طابع عام معاد للاستعمار .

أرض .. « الماوماو »

حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كان المنطلق الفكرى والسياسى للحركة الوطنية فى كينياتا ، محدودا بطابع حركة ونشاط القيادات الوطنية التى حصرته فى التركيز على مخاطبة « الضمير » ! البريطانى - الحكومى والشعبى - بأمل تغيير بعض ملامح أسلوب الحكم البريطانى الاستعمارى لكينيا ، دون أن ينضج بعد الى حدود العمل على « تقويض » هذا الحكم .

ولكن ظروف الحرب نفسها ، أحدثت تغيرات اقتصادية واجتماعية هامة فى البلاد ، فخلال سنى الحرب ، وعزلة كينيا عن بريطانيا ، اتسعت مشاريع الانتاج الزراعى النقدى ، ودخلت زراعة محاصيل نقدية جديدة كالقطن والسيسال .

وعلى عكس ماتوقع اصحاب الاراضى القليلون من الكينيين وكذلك **الفلاحون** ، ونتيجة لتحكم بريطانيا فى أسعار شراء هذه المحاصيل ، انخفض أسعارها ، ومن ثم زاد عداؤهم للاستعمار البريطانى ، ووقعت بعض أشكال التمرد حتى أثناء الحرب ، كما حدث فى ١٩٤٥ .

ونتيجة للحرب ، قوى جناح **البورجوازية التجارية** ، نتيجة لاتساع نشاط التجارة فى المحاصيل النقدية . وحينما اضطر الاستعماريون البريطانيون الى اقامة صناعات محلية - صغيرة - بديلة لتلك التى كانت تستورد من بريطانيا ومنعتها ظروف الحرب ، اضطروا كذلك الى كسب رضاء البورجوازية التجارية بادخال بعض عناصرها - بشكل محدود - كشركاء فى بعض هذه

الصناعات • وفى نفس الوقت ، اضطرت بريطانيا الى العمل على كسب ود ملاك الارض من الكينيين • كما ترتب على قيام الصناعات الجديدة ، زيادة عدد العمال من ٣٧٧ الفا قبل الحرب الى ٦٢٠ الفا بعدها • ولكن معظم هؤلاء العمال كانوا من اصل ريفى ويعملون بشكل موسمى •

ولكن الاستعماريين ، حرصوا على الوقوف ضد اتجاه ودعوة المثقفين فى كينيا الى العمل على زيادة نسبة المدارس وعدد المتعلمين • فاغلقوا العدد القليل الذى أسسه المثقفون خلال الحرب وعرف باسم « مدارس الكيكويو المستقلة » •

أما الجنود الذين جندوا للاشتراك فى معارك الجيوش البريطانية فى شمال افريقيا والحبشة ومدغشقر وبورما ، فقد تفتحت أمامهم آفاق جديدة جعلتهم يتوقون الى العودة الى بلادهم للنضال فى سبيل استقلال كينيا وشعبها •

وفى عشية انتهاء الحرب الثانية، تفجرت الحركة الوطنية فى كينيا شأنها فى ذلك شأن بقية المستعمرات. وتأسس اتحاد كينيا الافريقى ليضم الوطنيين لا من قبيلة الكيكويو وحدها بل ومن قبائل « الليو وكامبا » وليعبر عن مصالح البورجوازية الوطنية والفلاحين والعمال والمثقفين • وكانت الاهداف الرئيسية لاتحاد كينيا الافريقى ، تتحدد اساسا فى النضال من اجل « الارض » و « الاصلاحات الديمقراطية » • وقد اتسعت عضوية الاتحاد ، حتى بات يضم فى ١٩٥٢ ; ١٠٠ الف عضو ، وأصبح له ٥٠ فرعا فى مختلف انحاء كينيا •

ومن الملاحظ ، أن تاريخ الحركة النقابية فى كينيا قد ارتبط بهذه الفترة • ففى ١٩٤٩ تأسس اتحاد العمال ليضم العمال الكينيين والهنود معا لاول مرة فى تاريخ البلاد • وقد أزعج تأسيس اتحاد العمال ، ونمو حركة ونشاط اتحاد كينيا الافريقى ، السلطات الاستعمارية ، فراحت تشن هجماتها المضادة ضدهما معا •

حقيقة « الماوماو »

من خلال عملية الصراع بين المنظمات الوطنية والعمالية، وبين السلطات الاستعمارية، نضجت الحركة الوطنية الكينية • وقد تمكن اتحاد كينيا الافريقى من أن ينظم اجتماعا جماهيريا فى نيروبى حضره ٣٠ الف شخص، وفى يوليو ١٩٥٢ ، عقد الحزب اجتماعا جماهيريا فى جيتينجورى ضم ٣٠ الف مزارع وفلاح من مختلف أنحاء كينيا •

وسارعت السلطات الاستعمارية ــ بعد تمثل الخطر ــ بشن حملات الارهاب والاعتقال الواسعة ضد الوطنيين •

هنا ، وفى مواجهة الارهاب الذى اتخذ طابعا عنصريا شرسا ضد الكينيين ، تأسس عدد من المنظمات السرية الصغيرة فى كينيا اتخذ بعضها ــ كرد فعل ــ طابعا دينيا وعنصريا مضادا لعنصرية الاستعمار والاوربيين • ولم يجد الوطنيون الكينيون امام ضراوة أعمال الارهاب والقتل البريطانية سوى أن يحملوا السلاح دفاعا عن النفس أولا وفى مواجهة الاستعماريين ومن اجل استقلال بلادهم آخر الامر •

والغريب ، ان الرواية الشائعة عما سمى بحركة « الماو ــ ماو » ، لا يوجد عليها دليل فى الواقع التاريخى لكينيا • فليس معروفا ــ مثلا ــ ماذا تعنى كلمة « ماو ــ ماو » اذ ليس لها أصل فى اى لغة من لغات البلاد •

ويقول بعض الخبراء فى الشئون الافريقية ، بأن بريطانيا كانت فى حاجة الى اختلاق مثل هذه الاسطورة واضفاء اكبر قدر من الاثارة حول نشاطها ووحشيتها لتبرر أعمال العنف والارهاب ضد العناصر الوطنية النشطة بشكل عام وأعضاء اتحاد كينيا الافريقى بشكل خاص • وقد ساعدت روايات بريطانيا عن « الماو ــ ماو » ونشاطها ، أن تعلن حالة الطوارئ فى اكتوبر ١٩٥٢ ، لتلقى القبض بشكل جماعى على اعضاء اتحاد كينيا الافريقى ، وفى مقدمتهم جومو كينياتا بتهمة قيادة « منظمة الماو ــ ماو » •

ويؤكد صدق تفسير هؤلاء الخبراء أن « ماشاريا » الشاهد الاول فى قضية كينياتا ، قد اعترف فى عام ١٩٥٨ بأن السلطات البريطانية قد رشته بالنقود ليدلى بوقائع مزيفة ضد كينياتا •

وتحت شعار القضاء على منظمة « الماو ــ ماو » الوهمية ، نظمت السلطات البريطانية غارات من رجال البوليس والجيش على القرى ومصادرة المواشى مع البشر •

وهنا ، اضطر الكينيون ــ والفلاحون اساسا ــ الى الهروب الى الادغال حيث تهيأت الظروف المواتية لقيام حرب العصابات لاول مرة ــ على نطاق واسع ــ فى تاريخ القارة •

والواقع أن انتفاضة الكفاح المسلح (١٩٥٢ ــ ١٩٥٦) ، لم تكن سوى حركة تلقائية للفلاحين تهدف الى طرد الاستعماريين من البلاد والحصول

على الارض، ولكن افتقارها الى التنظيم، حال دون استمرارها طويلا وبخاصة أمام تصاعد القهر البريطاني ، واستخدام الطائرات واحدث الاسلحة .

وبعد أن فقدت كينيا ٣٠ ألفا من أبنائها قتلوا فى أثناء الهبة المسلحة ، وبعد أن اعتقل ما يقرب من ٨٠ ألف كينى ، تدعمت الحركة الوطنية الى الحد الذى لم تجد بريطانيا أمامه بدا من الافراج عن كينياتا والتمهيد للتفاوض من أجل الاستقلال .

وقبيل المفاوضات ، اضطرت بريطانيا الى أن تسمح بتأسيس حزب **اتحاد كينيا الافريقى الوطنى** KANY بزعامة كينياتا ، ولكنها — من جهة أخرى — أوعزت الى العناصر القبلية الانفصالية ، وملاك الارض ، وبعض مثقفى البورجوازية ، بتأسيس **حزب اتحاد كينيا الافريقى الديمقراطى** KANY ، لتفتيت الوحدة الوطنية من جهة ، ومواجهة كينياتا بحزب (قومى) من جهة أخرى .

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٦٣ ، وبعد الاتفاق فى المفاوضات على استقلال كينيا واجراء انتخابات عامة ، حصلت كينيا على استقلالها السياسى وتولى كينياتا رئاسة الدولة الجديدة .

خريطة الصراع .. بعد الاستقلال

عندما استقلت كينيا ، توقع المراقبون أن تحتل مكانا بارزا فى مقدمة الثورة الافريقية ، ومن أجل الاستقلال الحقيقى والتحرر الاجتماعى، وقد كان لهذا التوقع ما يبرره .

ولكن ، بعد مضى **ستة أشهر فقط** ، فوجىء الرأى العام الكينى والافريقى ، بعزل **بيلداد كاجيا** — رفيق كينياتا فى السجن — من منصبه فى الحكومة . وكان كاجيا واحدا من زعماء اليسار الكينى داخل حزب الكانو . وكان ذلك بمثابة اعلان عن هجوم واسع ضد الجناح التقدمى فى الحزب .

ففى غداة الاستقلال ، كان هناك اتجاهان رئيسيان واضحان داخل الكانو . اتجاه **توم مبويا** — سكرتير عام الكانو ووزير المالية والتخطيط الذى تلقى تدريبه النقابى فى الولايات المتحدة — ويدعو الى نبذ سياسة التأميم والدعوة الى **بيع** الاراضى التى تركها المستوطنون أو أخذت منهم **بتعويض كاف** . ويتم هذا البيع تحت شعار « بيع الارض للمزارعين ذوى الخبرة والمقدرة » . والبيع هنا **يعنى تدعيم** طبقة ملاك الاراضى القادرين على **الشراء** ، ثم التأكيد على اهمية دور الاستثمارات الخاصة سواء الكينية منها أو الاجنبية . وباختصار اتجاه « **الاشتراكية الافريقية** » والبحث عن طريق خاص ثالث لا ينتهى فى التطبيق العملى الا بارساء الطريق الراسمالى فى البلاد .

أما الاتجاه الثانى ، فهو اتجاه **اوجينجا اودينجا** — نائب رئيس الجمهورية واحد زعماء الكانو — **وبيلداد كاجيا وتشينج اونيكو** — من المناضلين التقدميين فى زعامة الكانو — وكان يعارض اتجاه بيع الارض ويصر على أن اهتمام الدولة الجديدة ينبغى ان يتجه اولا الى المقهورين والمعدمين والمقاتلين السابقين . ومن ثم دعا هذا الاتجاه الى **توزيع** الارض لا بيعها حيث لا يملك المعدمين ثمنها وبالتالى لا أمل لهم فى الارض التى قدموا التضحيات غالية من اجلها . كما يرى فى نفس الوقت ضرورة قيام قطاع عام فى الاقتصاد القومى ، ورفض سياسة « فتح الباب » امام الراسمال الاجنبى . وفى نفس الوقت تهيئات البلاد — فكريا وماديا — من أجل تطبيق « **الاشتراكية العلمية** » .

وتحت شعار « **التوفيق** » بين الجناحين و « **عدم نبش الماضى** » ، الذى انتهجه كينياتا ، تدعم وجود جناح مبويا الذى انتبه بذكاء الى أهمية **تركيز مناصب الدولة والحكومة فى أيدى عناصره** — باعتبار أنها المؤسسات الاقوى والاكثر نفوذا — وترك كثير من مناصب الحزب للجناح اليسارى واحتفاظ مبويا بمنصب السكرتير العام وفقا لقوله الشهير « ليس مهما أن نفكر كثيرا فيما يمكن ان يحدث داخل الكانو ، ما دمت سكرتيره العام » .

فى ذلك الوقت ، اتسعت العلاقات الاقتصادية بين كينيا **والولايات المتحدة والمانيا الغربية** والبنك الدولى الذى قدم الى كينيا فى الفترة مابين ٦٣ — ١٩٦٦ قروضا قيمتها ٤٤ مليون جنيه استرلينى . وفى عام ١٩٦٥ — وحده — بلغت استثمارات المانيا الغربية — كمثال — ٥ر٥ مليون جنيه استرلينى . بل وامتدت هذه العلاقات الى حدود **اتساعها مع اليابان ثم اسرائيل** .

وفى ١٩٦٤ ، اعلن مبويا — وزير التخطيط — عن خطة التنمية للسنوات الست (يوليو ٦٤ — يونيو ١٩٧٠) التى تخصص ٣٧٠ مليون جنيه استرلينى للاستثمارات فى الزراعة والصناعة والمجالات الاخرى . وكان نصيب الاستثمار الحكومى فى الخطة ١٢٩ مليون جنيه استرلينى ، على أن يقوم القطاع الخاص ورأس المال الاجنبى بتغطية الاستثمارات الاخرى . ومن هنا كان واضحا منذ البداية الدور القيادى فى خطة التنمية موكول للقطاع الخاص ورأس المال الاجنبى .

ومنذ ١٩٦٤، ومشكلة البطالة تواجه الحكومة الجديدة . ولكن عدم الاقدام على أيجاد حل مناسب لها ، أدى الى قيام ٢٩١ اضرابا للعمال العاطلين فى ١٩٦٤ ، وفى ١٩٦٦ اشترك ٤٠ الف عاطل فى ١٥٥ اضرابا . وأدى عدم رفع اجور العمال وفقا لما كانوا يتوقعونه بعد الاستقلال ، الى قيام ١٦ الفا من عمال السكك الحديدية باضراب عام فى مارس ١٩٦٥ مطالبين برفع أجورهم .

حدث ذلك ، فى نفس الوقت الذى اثرى فيه الكثيرون من الارض التى « سرقوها » . بتعبير بيلداد كاجيا .

ولم تكن هذه النتيجة ، باى حال ، مكسب للشعب الكينى الذى قدم تضحيات كبيرة من أجل الاستقلال .

ثورة زنزبار .. عامل حاسم

فى يناير ١٩٦٤ ، قامت الثورة التقدميه فى زنزبار ، وكان من الطبيعى أن تؤدى الى استقطاب واضح بين القوى السياسية فى شرق أفريقيا ككل . وقد بدى أمام كينياتا نفسه ، أن التراخى فى تحقيق مطامح شعب كينيا بعد تحقيق الاستقلال ، يعنى ضياع السلطة من يديه ، ودعم وجود الجناح اليسارى فى الكانو والدولة .

فى ذلك الوقت ، حدد كينياتا موقفه الجديد وفكر فى استدعاء قوات بريطانية لحماية « الدولة الجديدة » أمام احتمالات تأثر ارضــاع كينيـا بالوضع الجديد فى زنزبار . وزاد من حدة هذا « التخوف » قيام اتحاد زنزبار وتنجانيقا فى ١٩٦٤ تحت اسم جمهورية **تانزانيا** .

وتربص مبويا الفرصه ، وغذى « تخوفات » كينياتا وراح يعد معه لهجوم واسع ضد اليسار داخل الكانو . كينياتا يعمل لحساب بقائه، ومبويا يعمل لحساب الولايات المتحدة من خلال العمل من أجل وجوده نفسه

أما أودينجا ، فقد استمر فى الكانو بعد عزل كاجيا وقد تحددت حركته فى الكانو — فى ذلك الوقت — بتأثير فكرة أن لابد من البقاء حرصا على الا يسيطروا عليه تماما على الاقل، يدفعه فى موقفه هذا ، الامل فى فعالية الكانو وجماهيره من جهة وتاريخ كينياتا ووطنيته من جهة أخرى .

مبويا يخرب الكانو

اصبح جهاز الدولة فى يد جناح مبـويا وسيطرته ، بينما الكثير من **كادر الكانو وجماهيره** مع جناح أودينجا .

وفى العالم الخارجى المحيط : **دولة تقدمية فى** تانزانيا على الحدود ، **وثورة وطنية مسلحة** على الحدود الاخرى مـع **الكونجـو** (**ليوبولدفيل**) ـ كينشاسا .

وثقل اليسار من داخل وخلال الحزب، وعزله يتم عن هذا الطريق . وبدأ مبويا خطة تخريب واسعة داخل الكانو بهدف التخلص من أى جذور جماهيرية كأساس لتيار اودينجا .

تجميد الانتخابات الداخليه فى الكانو، وبالتالى تجنب مخاطر تجدد القيادات بشكل دائم وما يحتمله ذلك من دعم جناح أودينجا .

الاتصال باعضاء **البرلمان من الحزب** اما لرشوتهم أو لتهديدهم بالانصياع حتى لا يفقدوا تزكية الحزب لترشيحهم فى أى انتخابات قادمة .

تسويد فكرية ان « **الموافقين** » وحدهم داخل الحزب على خط قيادته — ومبويا سكرتيره العام — هم الذين يمكن أن يسلكوا طريقهم نحو المستقبل .

وأدى ذلك الاسلوب الى ما وصفه اودينجا فيما بعد بقوله « ماتت فروع الحزب . وعلى الاكثر أصبحت لا تعمل الا فى أوقات الانتخابات وكمجرد آلة انتخابية او لرفع الاعلام » .

واستكمالا لخطة تخريب الكانو، تفاوض مبويا — ممثل **النفوذ الامريكى** — مع مجموعة **نجالا ونجونجو** (زعماء حزب الكادو المعارض الذى يعمل بسرا، وممثلى **النفوذ البريطانى**) ، على أن يحل الكادو نفسه لينضم الى الكانو وبالتالى يتدعم ثقل اليمين داخل الكانو وينكمش ثقل اليسار فيعزل ويقصى آخر الامر .

وفى أواخر عام ١٩٦٤ ، أعلن انضمام أعضاء حزب الكادو وقيادته الى حزب الكانو وتولى بعض عناصره القيادية مناصب قيادية فى الكانو .

وبدأ الهجوم على الفور .

فى أوائل ١٩٦٥، شن مبويا هجوما حادا ضد مدرسة الكادر فى الحزب والتى كان يتولى أمرها اليسار ، وحلت المدرسة . واتسع الهجوم تحت الشعار التقليدى « **انقاذ كينيا من الشيوعية** » .

وباسقاط العضوية الحزبية عن كاجيا ، أعيدت الانتخابات فى منطقة مورانجا (منطقة نفـوذ كاجيـا) لانتخـاب عضو جـديد ، وزورت الانتخابات .

وبعد ان اطمأن مبويا الى « **حجمه** » الجديد، دعا الى عقد مؤتمر عام للكانو وهو المطلب الذى طالب به أودينجا قبل ذلك بعامين ورفضه مبويا . وأصبح واضحا أن هناك خطة لتضييق الخناق على أودينجا لاقصائه . وشارك كينياتا ونجالا فى دعم دعوة مبويا .

وفى مارس ١٩٦٦ عقد مؤتمر الكانو فى « ليمورو » فى وقت عم الحديث — حتى فى صحف الغرب — عن دور السفير الامريكى فى كينيا — اتوود — الذى كتب فى مذكراته المعنونة « بالحمر والسود » ، يقول « لقد كان هدف مؤتمر ليمورو ، طرد الحمر » •

وبالفعل اقصى اودينجا عن منصبه الحزبى ومعه اونيكو ، ثم بدأت الحلقة الثانية من الخطة لاقصائه عن منصبه فى الدولة •

مرحلة جديدة من الصراع

العام : ١٩٦٦ •

توم مبويا : سكرتير عام الكانو ووزير التخطيط ، وصاحب اقوى نفوذ فى الحزب والدولة • وفى كلمات اخرى : النفوذ الامريكى •

مجموعة نجالا : التى خلقتها بريطانيا سياسيا تتحين الفرصة لتجد ثغرة تنفذ منها • وفى كلمات اخرى : النفوذ البريطانى يبحث عن فرصة ليحل محل النفوذ الامريكى : مبويا •

مجموعة اوجينجا اودينجا : بات واضحا امامها ان الاستمرار فى العمل — داخل الكانو لاحداث تغيير ، أمر صعب • فانشقت وأسست حزبا جديدا : حزب اتحاد شعب كينيا ، ومعها خرج ٢٨ عضوا من البرلمان •

والاتجاهات الثلاثة — بما فيهم اليسار — يلتقون حول فكرة واقعية واحدة : ان الهجوم على كينياتا عملية صعبة بل ومستحيلة • ومن ثم ، يعمل الاتجاه الامريكى والبريطانى من خلاله • أما اليسار فلم يجد سوى الشارع وجماهيره بديلا ومستندا له .

الرصاصة التى دعمت النفوذ البريطانى

•• وهكذا تم عزل اليسار والخلاص منه •

وبدأ صراع آخر بين جناح مبويا وجناح نجالا وآراب موى — نائب رئيس الجمهورية خلفا لاودينجا ، ونجونجو وزير العدل الجديد •

وراح الجناحان يعدان لتصفية الحساب الختامى ، فحملا معا لواء الدعوة الى اجراء انتخابات عامة فى البلاد ، وتعد المرة الاولى لاجرائها منذ الاستقلال فى ١٩٦٣ : أى بعد حوالى ٧ سنوات •

وكان مقدرا أن يفوز مبويا — أى النفوذ الامريكى — بنصيب الاسد • فقد أعد نفسه تماما ليخلف كينياتا (٧٨ سنة) •

وفى يوليو ١٩٦٩ ، طيرت وكالات الانباء خبرا مثيرا للغاية يقول : « تم اغتيال توم مبويا سكرتير عام حزب الكانو ووزير المالية والتخطيط وخليفة كينياتا الذى كان متوقعا » •

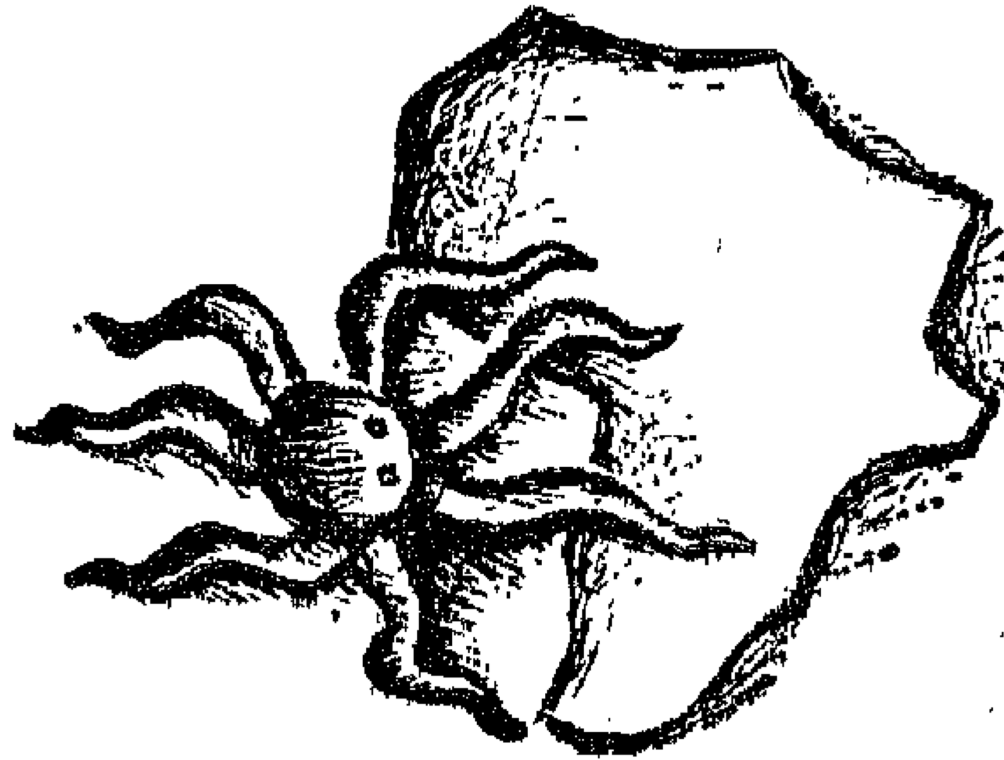
ولسنا فى حاجة الى جهد كبير لان نستشف من الذى وقف وراء اغتيال مبويا والاستفادة من ذلك • وتميعت عملية التحقيق ثم محاكمة قاتل مبويا • وقيل ان « أسبابا قبلية » تكمن وراء الاغتيال •

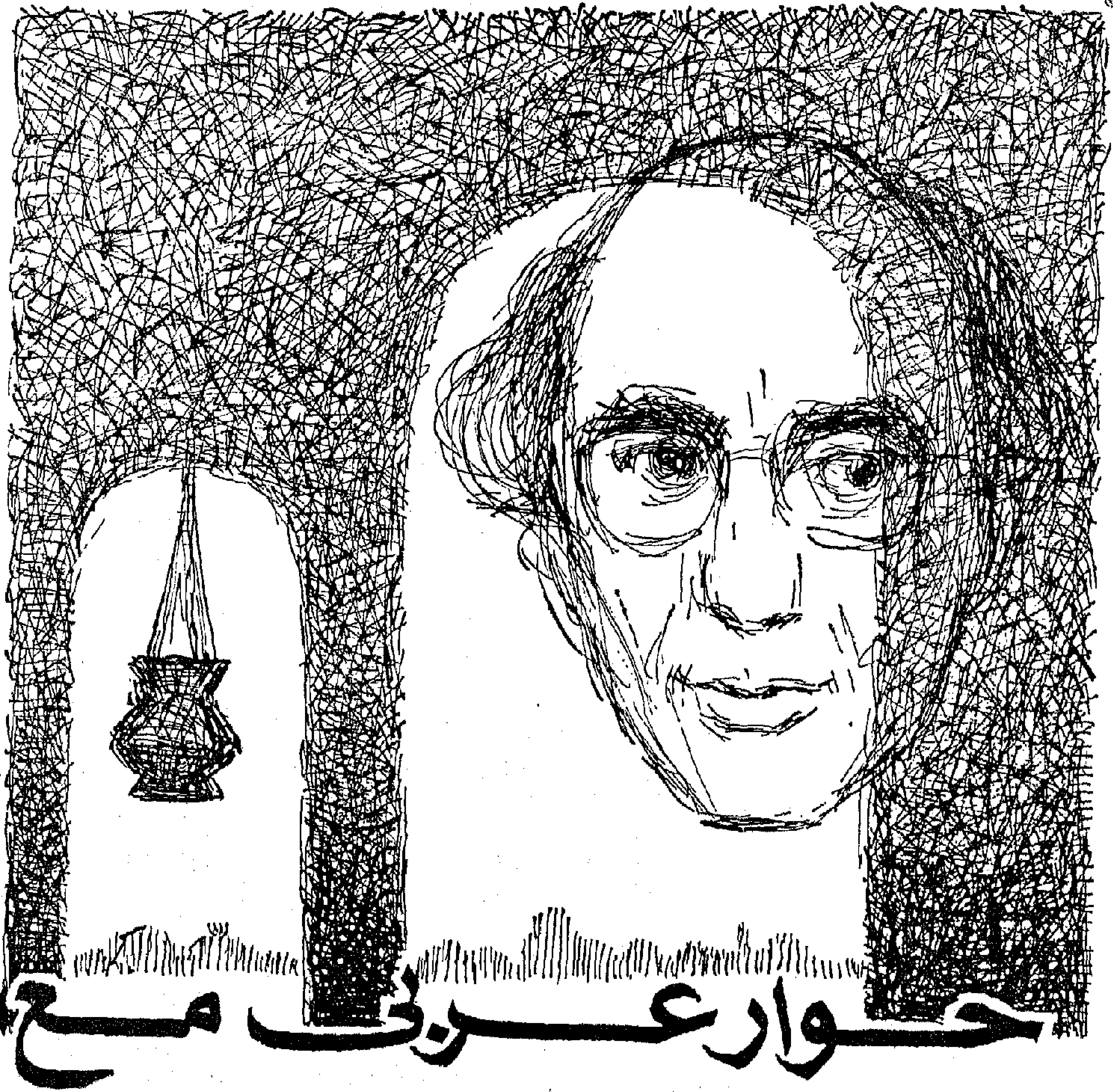
وبقى منافسون آخرون لهم ثقلهم فى الحياة السياسية : قيادة حزب اتحاد شعب كينيا .

وبدأ هجوم — غير مفاجىء — ضد حزب أودينجا الجديد • فاعتقل أودينجا وعشرات من اعضاء حزبه القياديين •

النفوذ البريطانى اذن ، يسعى لان ينفرد بنتائج الصراع ، بل بكينيا كلها .

ولن يعنى ذلك ان « نقطة » آخر الجملة سوف توضع . ولكن صراعا جديدا لابد وأن يبدأ . عناصره قائمة ، واحتمالاته تبدو فى الافق بوضوح (•)





حوار عربي مع مكسيم رودنسون

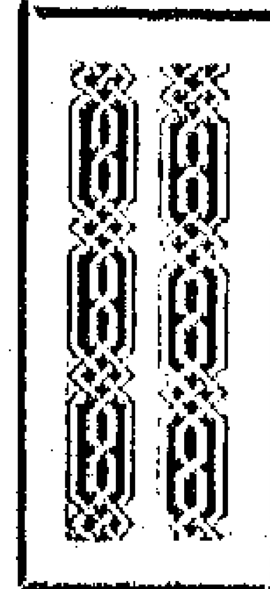
الماركسية ودراسة العالم الاسلامي

تتابع الطليعه نشر النص الكامل لمحاضرات الاستاذ مكسيم رودنسون والمناقشات التى دارت حول موضوع المحاضرة .

وننشر فيما يلى نص محاضرة ومناقشات ((الماركسية ودراسة العالم الاسلامى)). وكانت المحاضرة الأولى التى نشرت فى العدد السابق عن ((صورة العالم الاسلامى فى أوربا منذ العصور الوسطى حتى اليوم)) .

النصـــوص الكاملـة

للمحاضرة الثـانية والمناقشـــات



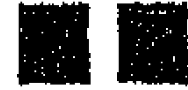
- القيت المحاضرة بقاعة المحـاضرات بدار الاهـرام مساء الاحد ٢٨ ديسمبر ١٩٦٩
- قـدم المحـاضرة : لطفى الخـولى
- ادار المناقشة د . لبيب شـــقير
- اشترك فى المناقشة : د. محمـد شـوقى الفنجرى — د. عبـد المنعم خـلاف — محمد عماره — د. يحيى هويدى .

التقـديـم

قدم لطفى الخولى المحاضرة بكلمة قال فيها :

محاضرة اليوم للاستاذ مكسيم رودنسون هى عن علم الاجتماع الماركسى ودراساته عن العالم الاسلامى، واعتقد انه موضوع شيق ومهم، وسيثير من النقاش الذى نرجو أن يكون

موضوعيا حول هذه النقطة، وبصدر مفتوح بغية الوصول الى مزيد من الاضواء على هذه القضية كل ما ارجوه هو أن نراعي في المناقشات ما نقوله باستمرار عن ضرورة التركيز ولا نلتزم به دائما ، وارجو ملاحظة انه في مساء هذا اليوم بعد المحاضرة والنقاش هناك موعد محدد للاستاذ رودنسون مع الزملاء الصحفيين والكتاب وقد حددوا هم الميعاد في الساعة السابعة والنصف على اساس ان ذلك هو الوقت المناسب بالنسبة لطبيعة عملهم ، وبالتالي فنحن مضطرون اضطرارا ايضا الى الالحاح على نقطة التركيز في المناقشات والحوار. سيتولى ادارة النقاش بعد المحاضرة اليوم السيد الدكتور لبيب شقير واني لاحمل اليه ايضا الرجاء في ان يستخدم سلطاته وخبرته كرئيس لمجلس الامة في عمليات تركيز النقاش .. شكرا لاستاذ مكسيم رودنسون .



المحاضرة

مكسيم رودنسون :

سيداتي سادتي :

ان العرض الذى سأقوم به اليوم ، والذى أنوى حصره فى الماركسية من ناحية ، وفى الاسلام من ناحية أخرى ، قد يدهش ربما كلا من الماركسيين والمسلمين فى آن واحد •

اننى أقدم لكم أفكارى كما هى • وهى أفكار رجل منفرد : فلست أنتمى لاى تنظيم ولا أدعى قول الصواب ، فلست نبيا • بل سأعرض أفكارى عليكم كما أفكر فيها بصراحة ، وبطبيعة الحال لا أعتقد أنى معصوم من الخطأ بأى حال ، وأنا على استعداد دائما لتعديلها لو أثبت لى نقاش علمى عقلى أننى على خطأ •

ومن المحتمل أننى أنا نفسى بعد وقت قليل من الان سوف أجد أن أفكارى قد تعدلت ، لقد تعدلت من قبل كثيرا فى الماضى • وبالتالى ، فلا أعتقد ولا تعتقدون أنتم أننى مرتبط بها بطريقة دوجماطيقية ، بل اعرضها ببساطة ، ومادام الامر يتعلق بأفكار ماركسية فسوف أشرح لكم بايجاز ما الذى أعنيه بأفكار ماركسية •

ان أناسا كثيرين يحدثونكم عن الماركسية • وتوجد ، فى الغالب ، عند كل من الماركسيين وعند اللاماركسيين أو عند مناهضى الماركسية ، توجد عند كل هؤلاء فكرة تبدو لى خاطئة تماما ، كذلك لدى الكثير من الناس ، ــ وأعتذر مرة أخرى فأنا أتكلم بصراحة ــ فكرة شبيهة بتلك التى عن نوع من الالات الالكترونية : نضغط على زر ونقدم سؤالا وتقوم الالة بالعد ــ ١ ــ ٢ ــ ٣ ثم تجيب علينا : ما هو الحل الماركسى للاسرة ؟ أو أى شىء من هذا القبيل • لا أعتقد أن الامر على هذا النحو • بل ولا أعتقد أن هناك ماركسية واحدة بل هناك ماركسيات متعددة بينها نواة مشتركة ، وهى ماركسيات كلها شرعية ، ولن أطرح السؤال حول أى الماركسيات هو الصحيح ، لاننى لا أعتقد ان هناك ماركسية صحيحة ، وأنتم تعرفون أن ماركس نفسه أيام كان يمر بفرنسا ، قيل له : يوجد هنا حزب اشتراكى ولقد انقسموا قسمين ، وهناك حزب ماركسى لديه فكرة ما ، وحزب غير اشتراكى لا ماركسى لديه فكرة أخرى ، ثم حزب آخر ، قال هو أيضا بفكرة ثالثة • فأجاب : لست أعرف أيهم على صواب تماما ، ولكن على كل حال ، أن ماركس قال عن نفسه لست ماركسيا • وربما كانت هذه أجمل الكلمات التى قالها فى حياته .

أنا أيضا لست أكثر ماركسية من ماركس • ولست أدعى أن ماركس قد يتفق دائما مع ما قوله • فهناك مثلا مذاهب مسيحية كثيرة وكل منها يعتقد حقا انه يجسد فكرة مؤسس لمسيحية •

اذن فأنا أميز ماركسيات عديدة سأسميها بالمركبات الماركسية ـ الجديدة •

كذلك سأسميها شمولية ، لانها تريد أن تطوق كل شيء • وهي تحوى فلسفة ، وعلم اجتماع ، وعلم جمال ، وسياسة ، وغيرها • وتوضع هذه المركبات الايديولوجية فى خدمة ما أسميه الحركات الايديولوجية. ومرة اخرى ينبغى أن نعرف ما هى الحركة الايديولوجية ، لقد حاولت لك فى بعض المقالات وهو أمر معقد • لكن عليكم أن تعرفوا فقط أن الحركة الايديولوجية ، لشيوعية مثلا ، أو الشيوعيات ، وارى انه يمكن اضافة الاسلام وبعض أشكال المسيحية الى هذه لفئة ، ولا تنسوا أننى مازلت أعبر عن رأيي وحدى •

كل هذه الحركات الايديولوجية لديها رصيد من الافكار الشمولية تحوى شعارات ، وكذلك مواثف وقواعد للسلوك العملى ••• الخ • وكل ذلك يتحد ، أو بالاحرى يقدم كوحدة أو كمجموع به وحدة متماسكة والذين يتمسكون بهذه الحركات يعتقدون أننا لا نستطيع رفع أى جزء صغير منها ففى ذلك ضياع للكل ، فالكل متحد بالضرورة • واذا كنت أعتقد أن الاقتصاد يلعب دورا فى المجتمع فذلك اقتناع علمى كغيره قابل للمناقشة •

وهناك طبعا عديد من الحركات الايديولوجية الماركسية لانه كانت هناك فى الاصل حركة ثم تجزأت ، وتقسمت مثل الاسلام بمذاهبه السبعين أو لا أعرف على وجه الدقة بحيث أن كلا من هذه المذاهب يتقدم على أنه القضية الصحيحة ، وأتم النماذج هو ما نسميه بالفلسفة السوفيتية • وهو ما يسمى بالروسية (ديامات) مادية جدلية ، ولقد عنى العلماء اللاماركسيون بدراسة المادية والجدل . وأفضل هؤلاء هم العلماء الكاثوليك وبعض القساوسة كالأب [بوشنسكى] على وجه الخصوص ، وآخرون أيضا ليسوا من رجال الدين درسوا ذلك تحت عنوان الفلسفة السوفيتية ، ولم يقولوا فلسفة ماركسية .

هناك أيضا مجموعة كتب فى هولندا تسمى بمجموعة كتب فى الفلسفة السوفيتية • وأعتقد أنهم على صواب لانهم لا يتحزبون ، بل يقولون هذه هى الفلسفة ، وهى مركب اجمالى سوفيتى ، وهو ماركسى بطبيعة الحال • لكن ، الى جانب ذلك توجد بالفعل مركبات أخرى يمكن أن نعتبرها ماركسية هى أيضا • كذلك توجد ـ وراء كل ذلك ـ مجموعة من الافكار أو المواقف ، ولا أقول بأن هناك نوعا من الوحدة ـ فأنا أراها أشياء مختلفة عن بعضها تماما ـ أقول توجد مجموعة من الافكار أو من المواقف الذهنية التى ساهمت فى تكوين هذه المركبات ، والمركبات قد أخذت عناصرها من هنا ومن هناك وصنعت منها مركبات .

وهذا المجموع من الافكار والمواقف ، أزعم أن كلا منها يمكن أن نحكم عليه وفق صلاحيته الخاصة من خلال المقاييس العقلية • ونستطيع أن نتقبل الواحدة ، كما نستطيع أن نرفض الاخرى ، لكن هناك بالطبع روابط بين الواحدة وبين الاخرى • ويجب أن نرى ما اذا كنا بموافقتنا على الواحدة ، يصحب ذلك بالضرورة عدم رفض الاخرى • ان ما يتعين علينا هو النظر فى كل منها فحسب • وهذا هو المنهج العلمى • وهو يبدو لى صالحا فى حالة أيديولوجية تزعم أنها علمية ، فلماذا لا نطبق الاساليب العلمية على هذه الايديولوجية ، أى لماذا لا نطبق عليها أساليبها الخاصة •

واذن فأنا أميز برغم كل هذا ومن خلاله نواة مشتركة تصعد الى فكر ماركسى ، وتوجد فى هذه النواة أشياء أعتبرها صالحة . ولهذا السبب أعتبر نفسى ماركسيا • هناك أولا : علم اجتماع أو بالاحرى قضايا اجتماعية أساسية • ولقد كان صديقى الاستاذ لطفى يسألنى منذ قليل عما اذا كان هناك علم اجتماع • وأنا لا أعرف فليس هناك كتيب لعلم الاجتماع هذا • كذلك ليست هناك جماعة من الناس رأت ان تكون كتيبا • فهناك آراء اجتماعية وموضوعات اجتماعية أساسية قال بها ماركس ، ما أكثر ما ساء فهمها ، وساء فهمها من الماركسيين أنفسهم ، ومن اللاماركسيين • حاولت أنا شخصيا أن أعرفها كما أفهمها • وهى تبدو لى صالحة تماما • وسوف أقول ببساطة ـ لاستبعاد أى تشويه من التشويهات الشائعة ـ أن الامر ليس بالمرة عبارة عن مذهب اقتصادى صرف ، أى أننا سنفسر كل شيء من خلال الاقتصاد •

لقد أكد ماركس ثقل الضرورات الاجتماعية في الاوضاع الديناميكية للتاريخ • وثقل الضرورات الاجتماعية يعني ثقل الواجبات الاساسية في المجتمع • واعتقد أنه يمكن أن نعتبر علم الاجتماع الماركسي ، أو الافكار الاجتماعية الماركسية على أنها تأكيد من نوع خاص للواجبات • فكل مجتمع عليه أن ينجز بعض الواجبات ، ويبدأ بأكثرها أهمية في أسرع وقت ، وهي التي تتعلق بالانتاج • وهو ما نراه بجلاء في أي حالة من حالات الحرب، عندما يبدأ النظام الاقتصادي في التزعزع ، وعندما نكون هناك صعوبة في الانتاج • اذن فنحن نرى بوضوح أن المهمة الاساسية التي تسبق كل شيء ،هي ان يكون هناك انتاج طبيعي ملموس ومستقر ، وذلك له عواقب عديدة • ولا أريد ان ادخل في تفصيلات حول هذا • فقد يتطلب الامر بعض الصياغات المجردة الى حد ما . لهذا اقول ببساطة ، ان هناك واجبات أساسية أصنفها الى واجبات أساسيه اولية ، و اجبات أساسية ثانوية • لكن مهما كان الامر ، فهناك رصيد من الواجبات الاساسية في كل مجتمع لانستطيع اغفالها ، فلو أن المجتمع بأكمله شرع يحلم بالفكرة الخالصة أو بالله الخ لمات المجتمع في خلال فترة وجيزة ويكون قد انتحر • واذن فمن المهم أن نرى ما هي هذه الواجبات التي تتقدم غيرها وما لتحقيقها من أثر على مجموع الحياة الاجتماعية وعلى الافكار أيضا •وفي ذلك أيضا ساء فهم فكر ماركس • وغالبا ما أساء الماركسيون أنفسهم فهمه . وأعتقد ان الافكار عند ماركس ليست مشروطة على الاطلاق • ولسنا نريد أن نقول (وأتكلم هنا بصيغة الجمع لانني أعتقد أن كل أنواع الماركسيين على وجه التقريب قد يقولون نفس الشيء وربما قالوا شيئا مختلفا عن هذا في أفكارهم العملية لكنهم سوف يقولونه في نظريتهم) •• ونحن لا نريد أن نقول ان الافكار ليس لها دور ، فليس هذا ما نريد قوله. بل نريد أن نقول ان الافكار لا تهبط علينا من السماء ببساطة • انها تتولد في وسط ما ، بفعل أوضاعه الاجتماعية التي لها ثقلها في تكوينها وفي صياغتها • وليس هناك تاريخ مستقل للافكار . ان تطور الافكار له دعائمه والذين يصيغون لانفسهم أفكارا يصيغونها في وسط معين، وفي أوضاع اجتماعية معينة، ولا يخلو ذلك من التأثير في الطريقة التي تصاغ بها هذه الافكار •

قلت اذن « علم اجتماع » وسأعطيكم خطوطه العريضة فحسب •• ونحن هنا ندخل في مجال مشرف في عذريته، الاوهو مجال علم الاجتماع الماركسي . والموضوع الذي سأطرقه جديد تماما ، وهو أن علم الاجتماع المذكور لا يمكن فهمه لو استبعدنا وجود فكرة عن الانسان في أساسه ، أي انثروبولوجيا ، لكن ماركس اعطى في ذلك مجرد اشارات ، وبعض الخطوط الاولية • ويسرني أن أرى في الدوائر الماركسية الآن اتجاها الى هذه الانثروبولوجيا. وقواعد علم الاجتماع تنطبق كما رأى أرسطو من قبل على الانسان من حيث هو انسان • وكما كان أرسطو يقول : لو كان الناس آلهة أو حيوانات فان هذه القواعد لن تجد ما تنطبق عليه • كذلك قال ــ ولم يلقبه العرب بالمعلم الاول جزافا ــ ان الانسان حيوان اجتماعي يدخل في جماعات لها تطلعات ومصالح مختلفة ، وهذه التطلعات والمصالح تتصارع مع بعضها بالضرورة ، واستثنى ماركس عهود ما قبل التاريخ ((Posthistoire)) ، والفترة التي تجيء بعده (Préhistoire) • ولست متأكدا من هذا • لكن ماركس كان متأكدا ، ولا اعرف ان كان ماركسيا أكثر مما يجب في هذه النقطة ، أو كان متأثرا بأيديولوجيته التي تعارض في كثير من الاحيان علم اجتماعه •

والامر عبارة عن مجموعة من القضايا تبدو لي ذات طابع علمي ، قابلة للمناقشة والتعديل الخ ، قابلة كذلك للمعارضة والنقد ، ولكنني أعتقد أنه يمكن للجميع أن يعترفوا بها مهما كانت الايديولوجية التي ينتمون اليها ، فهي مسألة علمية • لكن هذا لا يعني عدم وجود عقبات أيديولوجية أمام الاعتراف بها ، وان كان هذا لا يثبت شيئا • فلقد كانت هناك فيما مضى عقبات أيديولوجية أمام الاعتراف بدوران الارض لكن بعد أن اتضحت الامور تماما جاء التسليم بدورانها • واذن أعتقد أنه يمكن اعترافنا بها مستقلة عن الايديولوجية التي نتمسك بها سواء كانت أيديولوجية ماركسية أو غيرها قبل الايديولوجيات الدينية •

وهذه القضايا ليست هي الماركسية لان كثيرا من المؤرخين قد عرفوها برغم تباين آرائهم ولقد اعتبرت صالحة بوجه عام في علوم الاجتماع وبالطبع فان أفكار ماركس في هذا ، وأفكار الماركسيين الذين طوروها ــ قليلا وليس كثيرا ــ لاسباب أيديولوجية ــ يمكن بل ويجب أن تزداد تطورا •

لكن ماركس غفل عما يسمى مستوى التنظيم الذى يكتسب استقلاله وقوانينه ، ومستوى الايديولوجية الذى له استقلاله وقوانينه أيضا • ولقد تغافل أحيانا - عن عمد - لاسباب أيديولوجية ، وأتباعه (كلينين) مثلا اقترب من اكتشاف هذه المستويات بل واكتشفها حول بعض النقاط ، لكنه أنكرها لاسباب أيديولوجية وعملية حول بعض النقاط الاخرى •

ميزت اذن داخل هذه النواة المشتركة ، علم اجتماع أو أسسا لعلم اجتماع ، وسوف أميز أيضا ايديولوجية ، أو بالاحرى ميتاأيديولوجية • والايديولوجية كما أعتقد تبنى حول اختيار أو أكثر ، اختيارات وجودية • فبالفعل يحتاج كل مجتمع ، وكل طبقة ، وكل فرد ، الى اجابة على الاسئلة الكبيرة التى تطرح نفسها باستمرار أمام البشرية وأمام الانسان • ما هو الانسان فى هذا الكون ؟ كيف يستطيع أن يضفى معنى على حياته ؟ وفى مقابل أى قيمة عليه أن يكبح جماح دوافعه الغريزية ، وأن يضحى بها ، ويضحى برغبات (الهى) كما يسميها المحللون النفسيون وفرويد وليس هناك سوى عدد محدود من الاجابات ، فمثلا يجب ان نعرف ان كان العمل الانسانى يستطيع تحسين عالمنا أم لا ، ان علينا أن نختار لنعرف ما اذا كانت هذه الافعال تعطى معنى للحياة أم لا تعطى . يجب أن نعرف ان كنا سنضحى حتى لا نكون أنانيين فحسب ، أو اذا كنا نرغب فى التضحية بأنفسنا لاحدى هذه القيم الثلاث : - أى الجماعة الدولية بصفة عامة فى وقتنا الحالى - ، أو الله - بالنسبة للمؤمنين بالله - ، أو الانسان بصفة عامة . وعلى سبيل المثال اختار ماركس ، قبل أن يكون ماركسيا ، وحتى وهو ماركسى الى حد ما فى شبابه ، اختار خدمة الانسان • لكن ذلك تبسيط الى حد بعيد • ويجب أن يكتسب الامر نوعا من الايضاح ان شئنا أن نفهم بشىء من الاجمال والتوضيح ، والنقط التى انفصل حولها عن معظم الماركسيين ، وخصوصا مع صديقى العزيز (جارودى) الذى تحدث اليكم من قبل ، هى أنى لا أعتقد أن هناك اجابات علمية جبرية أو كما يعتقد السيد (جوليان) وكما تعتقد الفلسفة السوفيتية بصفة عامة مثلا ، والتى شيدت تصورا يسمى الايديولوجية العلمية • واعتقد أن هذا التصور فى الواقع مناهض للماركسية بشدة وأنه لا توجد أيديولوجية لها حجج جبرية من النوع العلمى • فهناك دائما لحظة ما يجب أن نقوم فيها بقفزة وباختيار . فلو برهن لى أحد على أن الرأسمالية يجب أن تختفى من العالم فى ستة أشهر أو عشر سنوات أو مائة سنة مثلا ، فيجب أن يكون البرهان صحيحا تماما . لكن حتى لو برهنوا لى على ذلك فى خلال عشرين عاما ، فسأقول « حسنا » ما زالت أمامى عشرون سنة من الحياة يمكن أن أكون فيها رأسماليا وأفعل ما أشاء . . اذن لابد أن يقوم بقفزة أو اختيار فى لحظة ما • والاختيار الماركسى هو أكمل الانواع المقترحة حتى الآن لانه اختيار من أجل الانسان والفعل فى أطار من التفاؤل الفعال الذى هو اختيار أيضا . وفى كل الادب الشيوعى بصفة عامة اذا قيل عن أحد بأنه متشائم ففى ذلك كناية عن ادانته لكن كما يقول [رونو] ، أن الحقيقة قد تكون محزنة ، فما الذى يثبت لى ضرورة تفاؤلى • لكن هذا اختيار وجودى ، واعتقاد فى امكانية مجتمع منسجم يناسب الانسان ، امكانية بناء انسان يتلاءم مع هذا المجتمع ، نتقاسمه بدرجات متفاوتة • وهذه ربما كانت نظرة متفائلة أكثر مما يجب • ذلك ما أعتقده أنا شخصيا ، لكنها فكرة من عندى لا أفرضها على أحد ، ربما كانت مسرفة فى تفاؤلها لكنها تحث على الحركة • تحث على عمل اجتماعى مصلح وأظن أن هذا ايجابى بدرجة كبيرة • فلو استغنى أحد عن رؤية هدف مثالى غاية فى الجمال كالجنة على الارض وذلك لكى يقوم بفعل صالح هذا أمر جميل ، واذا لم يستطع أن يستغنى عن رؤية هذا الهدف المثالى فيجب أن تغلق العيون على ما فى هذه الفكرة من أشياء مجافية لكى يعجب بشجاعته وانطلاقه . وينظم مؤسس أية ايديولوجية - أو الله لو شئتم من أجل المؤمنين بالله . ومن أجل الايديولوجيات الدينية - اما أنا الذى لا أؤمن بالله فأقول بأن مؤسس أية ايديولوجية ينظم ايديولوجية ، أو تنظيم حول اختيار أو مجموعة اختيارات وجودية وتخلق جماعة وهذه الجماعة تتطور ويثقل على عملية تطورها ، وعليها هى نفسها ليس فقط الاختيار الذى تم فى البداية ، بل والواجبات التى عليها انجازها ، الواجبات التى تأخذها على عاتقها ، والمواقف التى يدخل فيها عملها ، والديناميكا الخاصة بالتنظيمات والايديولوجيات التى كنت أشير اليها منذ برهة وقاعدتها الاجتماعية • وتعرفون هذه الجملة المشهورة التى ربما كانت للامارتين ، فلم أعد أتذكر : « اننى رئيسهم اذا فعلى أن اتبعهم » • هذه جملة لها تطبيقها فى القوانين الاجتماعية ويمكن أن تنطبق ليس فقط على شخص فى مكان لرئاسة ، بل وعلى تنظيم ، وعلى حزب ، وعلى دين • فهى تريد أن تقود لكنها فى الغالب تنقاد بالقاعدة التى حولها ، ويمكن أن نبين ذلك بأمثلة فى حالة الاسلام ، وفى حالة المسيحية ، وفى حالة الماركسية ،

ايضا ، تبدأ عملية تطور كاملة تعدل وتفسر وتعيد التفسير تحيي أيديولوجية المنطلق لكن مع ذلك يبقى شيء فيما أعتقد بصفة عامة ، وهو اختيارات الاساس - تبقى تحت مجموعة من المظاهر السطحية - يمكن ادراكها . وهناك في كثير من الاحيان ماسأسميه - مع اعتذاري للماركسيين - اسم : « الجسم المقدس » أي هناك نصوص الاساس التي نرجع اليها ، وهي أحيانا تبقى وسط أيديولوجية الاساس على شكل نواة . وأحيانا برغم كل ما لهذا التطور الاصلاحي من ثقل، توجد روح جديدة ، ويظهر من يربط نصوص الاساس بروح جديدة، ويقول لنفسه كان هناك شيء يبدو لي أنه لم يعد يتناسب مع ما تمارسه الكنيسة، أو التنظيم خاليا ، فهناك أوضاع جديدة وموقف جديد يجعل الايديولوجيات والتنظيمات بعيدة كل البعد عن المبادئ التي انطلقت منها بطريقة لا تتناسب بالمرة مع الاوضاع الجديدة . عندئذ يصبح من الضروري ان يقوم شخص أو أكثر بما تسميه الكنيسة الكاثوليكية الحالية (aggiornamenro) (عملية تجديد) وهو ما كان يسمى في الاسلام باسم (التجديد أوالاحياء) الخ ... وهو يسمى في الماركسية باسم (المراجعة) . كذلك يمكننا تعديل العلاقات بين العناصر الايديولوجية التي كانت في الاصل وهذا بعينه ما نراه في الكنيسة الكاثوليكية الحالية التي تختار (التفاؤل الفعال) كقيمة . ويأخذ التفاؤل صورته على المستوى الدنيوي . وهذه مثلا قيمة لم تستخدمها الكنيسة دائما . أعود الان الى الموضوع الرئيسي بعد ما قلته والذي سيساعدكم على فهم ما سوف أقوله فيما بعد في النصف الثاني من هذه الندوة : ما الذي يمكن أن تقدمه القضايا الاجتماعية الماركسية من أجل دراسة العالم الاسلامي ؟

هذا سؤال له طابعه العلمي ، واعتقد ان الافكار الماركسية قد جاءت بالكثير لدراسة العالم الاسلامي بوساطة المستشرقين الاوروبيين على الاقل ولو بطريقة غير مباشرة .

وقد يتضمن هذا استبعادنا للتصورات التي تعتبر الافكار غير مشروطة ، وان لها تاريخا مستقلا ، واذا استبعدنا هذه الافكار فاننا ندخل في دائرة علم الاجتماع الماركسي ، ويجب رفض الفكرة التي تعتبر الناس يتشكلون بالافكار فقط، أو يتصرفون بناء على الايديولوجيات التي يعتنقونها دون ان تؤثر على هذه الافكار أوضاع حياتهم العملية ، او اعتقد انه من الممكن ان يقبل المؤمن هذه النظرة ، اذ ان هناك تصورا لم يتطور بالدرجة الكافية في علم الكلام ، او ربما تحت شكل خاص لكنه في نفس الوقت تطور في اللاهوت المسيحي، الا وهو تصور العلل وهو ما نسميه بالعلل الثانوية ، والكل يسلم بهذا في قوانين الطبيعة ، او ليس اكثر الناس ايمانا عندما يرى الحرارة ترتفع يفكر في احد العوامل الفيزيائية . ولا يقول أن الله هو الذي يصعد الترمومتر مباشرة بل يعتقد ان الله قد وضع عددا من المبادئ والقوانين وهذه القوانين تسري بصفة عامة وهذا ما يسميه علم الكلام في الغالب باسم سنة الله. واذن فيمكن للمؤمن ان يركن الى هذه القوانين في العالم الاجتماعي. وسأعطي امثلة على ذلك ما حدث في العصر الاسلامي الوسيط . ومنها النقطة الحساسة لدى المسلم المؤمن وهي نبوة محمد ، ان المؤمن يقبل دور الله في هذه النبوة . لكن الاخرين يفسرون الامور على نحو آخر . لكن حتى في لغة المؤمنين توجد الاوضاع الاجتماعية فيمكن القول بان الله مثلا قد هيأ المجتمع العربي وشخصية محمد ونفسيته لتقبل الوحي . وفي تحليل عند (ابن خلدون) يقول : ان المجتمع العربي في ذلك العصر كان مهيئا بان كانت ابنيته معدة لتقبل الوحي . واعتقد ان ابن خلدون كان مسلما صالحا . ونرى بعد ذلك مشكلة اخرى وهي اتساع الجماعة . فهناك رأي (سني) يذهب الى ان التبشير بالاسلام قد قام به رجال بدون خطيئة فرضوا الخير والحق . ولقد قلت انها نظرة (سنية) وليست تقليدية . فلو نظرنا الى المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط نراهم يشيرون في كل لحظة الى ارادة الله . لكن هناك ايضا تبريرات كثيرة ليست دينية لفكرة ان الله يفعل بوساطه العلل الثانوية .

واذكر بالمناسبة فقرة من كتاب الخراج لابي يوسف فيها يقول : فيما اعتقد ان هناك رأيا متوارثا عند العرب يقول باننا قديما في الاسلام كنا نداس بالاقدام، اما الان فنحن الذين ندوس غيرنا بالاقدام . ولكن نستطيع القول بأن ذلك تفسير بعيد عن الاسلام . وغالبا ما يوجد لدى المؤرخين القدامى كثير من الاشارات الى تبريرات من هذا النوع . وبالتالي فليس هناك ما يمنع المؤرخ المؤمن او عالم الاجتماع في دراسة لتوسع الجماعة الاسلامية من الاسهام

الى دراسة اكثر منهجية واكثر عمقا مما كانحتى الان عن التبريرات الاجتماعية والانسانية حتى وان افترض ارادة الله من وراء ذلك ·

المشكلة الثالثة : ان شئتم هي تجزؤ الجماعة ... لقد اشرت من قبل الى انقسام الاسلام الى مذاهب . ترى نظرة سنية ان ذلك مجرد تفريعات لاهوتية روحية صرفة عقائدية · فالبعض كان يرى اعطاء دور لحرية الاختيار ، والبعض الاخر يؤمنون بالحتمية الالهية ، وظهر اذن مذهب القدريين ، وهكذا بلغ العدد سبعين مذهبا !

ولا يسير التاريخ الاسلامى التقليدى فى هذا الاتجاه . وهو يذكر طبعا تبريرات عقائدية لكنه كثيرا ما يذكر تبريرات اخرى · ولكن بينما فى المسيحية يعلن مؤسسها «ان مملكتى ليست من هذا العالم» · فان الاسلام يختلف معها فهو منذ البداية عبارة عن عقيدة لاهوتية سياسية .

فيجب ان يخلق على الارض ايضا مجتمع متلائم مع الشريعة والقانون الالهى ، واذن فالتفريعات ليست فقط حول المسائل اللاهوتية بل كذلك حول التطبيقات السياسية والاجتماعية وحول طابع هذا المجتمع المتلائم مع الشريعة ·

وظهر على مر الاجيال تحزب لهذا المذهب او ذاك واذن فمن المؤكد انه كانت هناك تبريرات سياسية واجتماعية ، فسأعطيكم مثلا بسيطا ساخرا ايضا ، وهو مثل الحركة الوهابية التى تأسست فى القرن الثامن عشر على ايدى عبدالوهاب فى الجزيرة العربية ، وكانت مسايرة للاتجاه الحنبلى . يقول التفسير التقليدى بأنها كانت مسألة دينية بحتة · لكننى ارى الان مسلمين كثيرين يقولون انها كانت مظاهرة واحدة من اولى المظاهرات القومية العربية هذا اذن تبرير انسانى واعتقد انى قرات ذلك عند بعض المسلمين العظام ·

كذلك نرى الاسباب العميقة لهذه التفرعات فى بداية الاسلام بين معاوية وبين على بن ابى طالب والامر يحتاج الى دراسة متعمقة فى المذاهب والاحزاب الدينية والسياسية ·

والمثل الرابع والاخير الذي اقدمه هو مثل اقرب الى عصرنا وهو رد الفعل امام اوروبا والاسلام المعاصر · توجد هنا ايضا انقسامات فكرية حيث نرى افكارا خالصة تستحوذ على عقول الناس مثل فكرة العروبة .

وعند تأسيس الجمهورية العربية المتحدة فى سنة ١٩٥٨ ــ مثلا ــ ظن بعض الكتاب ان الفكرة استولت على عقول الرجال وانها فى طريقها للامتداد فى كل اتجاه · واظن ان الاعوام الثلاثة التى تلت هذا ظهر فيها ان الامور ليست بهذه البساطة · ولا انكر طبعا قوة هذه الفكرة واهميتها . بل اقول بضرورة تفسيرها فى اطار الدور الذى تلعبه الاوضاع الاجتماعية ومن ثم ، نرى الوسط الذى تنتشر فيه وبأى رد فعل من هذا الوسط او ذاك والاوضاع الاجتماعية التى نشأت فيها فكرة العروبة هذه التى لم تكن موجودة بشكلها هذا ولقد كان هناك بالتأكيد شعور قومى منتشر وغريزى لدى العرب منذ محمد · لكن يجب الا نخلطه بالايديولوجية الخالصة للقومية العربية كما تظهر فى القرن التاسع عشر . ولقد تورن هذا بالمناقشات التى ثارت فى العصر العباسى فى اطار الصراع بين الشعوبيين وبين غيرهم وهو شىء مختلف ولا اريد انكار وجود شعور قومى فى الاساس ، هذا الشعور الذى ربما بقى كنواة دائمة كشعور قومى لدى العرب كما قلت ، الا انه دخل فى مركبات ايديولوجية مختلفة · ولو اردنا اذن دراسة هذه التصورات الحالية فعلينا ان ندرس الاوضاع الاجتماعية · والسياسية والثقافية وليس الاقتصاد فحسب فهذا رأى خاطىء تماما ·

فالاقتصاد لا يكفى وحده بدون العوامل السابقة الى جانب رد الفعل تجاه اوروبا ودورها المحسوس من الجميع ، واذكر ان الخديوى توفيق ربما ــ او غيره ــ كان يقول عندما ارى احد الحراس الانجليز تخالجنى رغبة فى النزول من قصرى وخنقه بيدى · ولا اعتبر ان هذا رد فعل طبقى لكنه كان يشعر بنوع من الذل (ولو انه كان ينسى ذلك احيانا ويتحدث بلطف الى الانجليز) ·

لكنه على الاقل كان لديه ذلك الشعور · اذن رد الفعل هذا والشعور بالذل ينتشر ، وفيما بعد تظهر على هذا الاساس اعمال المفكرين فى وضع النظريات التى رأيناها فى البداية

مختلفة وفى اتجاهات متباينة ، فهى عند جمال الدين الافغانى مختلفة عنها عند محمد عبده الذى يختلف ايضا عن مصطفى كامل · وهكذا فهذه كلها ايديولوجيات تجيب على مواقف متشابهة اذن فهناك تاريخ معقد للفكرة وفى كل وقت من التاريخ يوجد صراع بين ميول متعارضة بين القوى الاجتماعية مثلا والتطلعات القومية كما هى الحالة مع توفيق ـ مثلا ـ الذى كان لديه هذا التطلع وعليه ان يحافظ على وضعه الطبقى وربما كان يفكر فى رصيده فى أحد المصارف (البنوك) أو فى أسرته .. الخ

وكان لهذا صورته فى كل الطبقات داخل المجتمع المصرى أو العربى أو فى العالم الثالث بصفة عامة · فمثلا كان هناك توتر بين الشعور بالتضامن الاسلامى، وبين الوطنية المصرية، وبين الشعور بالاخوة العربية . . وكانت هذه الثلاثة تتوازن بطرق مختلفة وفقا للاوضاع والشروط المختلفة · هذه اذن بعض النقاط التى يمكن لقضايا علم الاجتماع الماركسى ان يجىء بشأنها بما يفيد فى دراسة الاسلام · بل اذهب الى ابعد من ذلك واقول بانه يمكن البحث عن اجابة « ماركسية » وأضع كلمة ماركسية بين قوسين على المشكلة الاساسية فى دراسة العالم الاسلامى وهى مسألة نوعية · وهى ليست اجابة نهائية لكنها أقرب الى ان تكون بحثا من مقالات واجابات توحى بها مجموعة استنتاجات علم الاجتماع الماركسى كذلك اجابة اخرى لكنها اجابة شخصية من عندى أنا ، وهى اجابة رجل واع بحدود الايديولوجية الماركسية ، لكنه من ناحية أخرى منفصل عن اية حركة ايديولوجية ماركسية ، بعينها · لكنى ماركسى لاننى مقتنع بقيمة قضايا علم الاجتماع الماركسى · أما عن النوعية فتوجد بالتاكيد نوعية فى العالم الاسلامى لم تفهمها ـ عالمية ـ القرن الثامن عشر ، كذلك لم تفهمها الماركسية التقليدية · والسؤال هو الاتى : هل توجد نواة للتطور العام للعالم الاسلامى ؟ وما هى هذه النواة ؟

يقول البعض انها الاسلام فى ذاته ، والبعض الاخر يعتبرونها نواة قومية ·

اعتقد اننا نستطيع تقديم اجابة سلبية على سبيل التقريب ·

أولا : اعتقد ان الدين الاسلامى ككل ليس عبارة عن نواة كلية · واعتقد ان الفكر الاسلامى نفسه يقبل هذا الرأى ما دامت هناك فكرة الاحياء · لان الاحياء معناه ان هناك شيئا ما ادركته لمسة الموت · وفكرة التجديد ايضا فكرة قديمة جدا هى وفكرة الاصلاح · ولن اطيل عليكم كثيرا حول هذه النقطة ولكنى لا انكر وجود نواة او الهام اومنطلق اولى ، قديظن البعض انه آت من الله تعالى ، والبعض الاخر انه من محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الافكار الانسانية المصاحبة للعصر · وكل فرد حر فى هذا الظن · لكن كانت هناك انطلاقة اولية ، معدة ـ ان لم تكن مشروطة ـ باوضاع اجتماعية وتاريخية وسياسية وثقافية ، الخ ··· لكنها نواة ازلية بمعنى انها سلسلة من الاجابات على اسئلة وجودية أزلية كالتى عددتها ، وهذه النواة تبقى على الاقل فى صورة كامنة قد نجدها تحت مظاهر متعددة، ويمكن الرجوع اليها · لكن الحق ان هذه الانطلاقة تبلورت منذ البداية ـ كما هو الحال فى الاسلام ـ فى صورة ايديولوجية أو تنظيم فعال · ويتغير باستمرار ثقل الايديولوجية وثقل التنظيم والعمل الضرورى لهذا التنظيم الاسلامى · وكذلك يتغير ثقل القاعدة الاجتماعية والقومية · ويتطور كل ذلك بعضه مع بعض وتصاحبه مراجعات عملية مستمرة والا ما قال احد ـ كما قال الغزالى ـ بالاحياء ومن ثمة النداء بالتغيير · ويصح هذا فى كل الاديان · وكما يصدق على الاديان اعتقد انه يصدق على كل الايديولوجيات ، وعلى كل الحركات الايديولوجية وخاصة الماركسية ·وفى الجزء الاخير من حديثى سوف نرى ما الذى يمكن ان تتحدى به الماركسية الاديان واعبر عن ذلك بكلمة استعيرها من الانجليزية (Challenge) (تحدى) التى استخدمها توينبى مثلا بخصوص مصر ، تحدى حافز فى مصر القديمة ، كانت ظروف مصر سيئة للغاية وكانت هناك مستنقعات فى كل مكان والنيل يمتد فى كل اتجاه ، ولهذا ظهرت أول حضارة عظيمة فى التاريخ ، لان الامور لم تكن سهلة يسيرة · ولان الرد على التحدى كان أمرا ضروريا، هذا التحدى الخلاق ، الا تستطيع الايديولوجية الماركسية أن تقترحه على الدين ؟

انكم ترون اختلاف موقفى عن موقف جارودى، فأنا لا أعرف ماقاله لكم هنا ، لكنى أعرف ما يقول للكاثوليك فى فرنسا فى الوقت الحالى ، وربما تغير فى المستقبل · انه يقترح

معاهدة كالمعاهدة الاستراتيجية : معاهدة بين حركتين ايديولوجيتين • ولا أعرف ان كان فيها اغراء للكاثوليك • ذلك لان كل حركة ايديولوجية لها مايثقل عليها، اذن سوف يكون هناك ثقل مضاعف على الايديولوجيات المتعاهدة . لكن هناك نوعـا آخـر من التحـدى ، أو نـوعا آخـر من النفـع ، تسـتطيع الماركسية ، ان تقدمه للاديان وهو ان تدفعها الى احتواء القيم الضرورية للعالم الحديث والمشكلات الحديثة • اذ ان هناك سؤالا هاما قد يطرح نفسه، قد أثاره من قبل بعض المسيحيين فى السنوات الاخيرة وهو : لماذا لا تلهم الاديان فى صورتها التقليدية ، الحـركات الكبيرة الحالية ؟

ولنـأخذ مـثلا قريبـا هـو مشكلة فلسطين • لقد حـدث فى عهـد الحمـلات الصـليبية شىء شـبيه بمـا يحـدث الان وكان يطلب من الفلسطينيين وباقى العرب والمسلمين ان يقاوموا باسم الاسلام • اما الان فالى جانب هذا تغلب فى كثير من الاحيان — الدعوة الى المقاومة باسم اشياء اخرى : باسم العروبة مثلا ، او باسم حقوق شعب فلسطين الخ •••

ولو قارنا الموقف الايديولوجى فى زمن الحملات الصليبية بالموقف حاليا لاتضـحت اشياء جديدة فهناك قيم تتعلق بـالعالم وبالانسان ، اى ان القيم القومية ليسـت مرفوضة بل تقف مكملة للقيم الانسانية • وانا اتحدث عن الماركسية المثالية ، هناك مفهوم التفاؤل الخلاق الذى يمكن تقبله كعامل يحث على الحركة لتحسين مجتمع العالم •

واعتقد انه من السهل على الاسلام ، من الوجهة المبدئية ان يقبل هذه القيم ويدخلها ضمن قضاياه لان هذه القيم كانت فيه دائما وربما اندثرت ، او اختفت فى وقت ما بفعل الجمود • لكنها كانت موجودة منذ البداية مثل فكرة العالمية مثلا • ونحن نعرف ذلك النص المنسوب الى النبى محمد فى خطبة الوداع ،حيث تكلم عن تآخى الناس جميعا • وطبعا لم يراع هذا دائما لان هناك ثقل الاشياء التى حدثتكم عنها • لكنه موجود كمبـدأ يمكن الرجوع اليه • ولقد عثرت مؤخرا على حديث ربما لا يعرفه كثير من المسلمين ، فبهرنى عندما قرأته لانى ارى فيه شيئا مفيدا للغاية سأحاول قراءته عليكم بلغتى التى تدعو للرثاء :

((العصبية ان يعين رجل قومه فى ظلم))•

هذه الكلمة جميلة جدا ، لكن اجمل كلمات الاسلام فى رأيى هى كلمة لابى ذر الغفارى، كانت المسألة تتعلق بنص قرآنى فيه نقد للقساوسة المسيحيين والربانيين اليهود على أساس انهم يستغلون وضعهم الاكليريكى ولقد قال ابو ذر ان هذا النقد ليس لهم وحدهم بل ولنا ايضا • ولقد نفى لهذا السبب وعانى من مضايقات كثيرة فى عصر معاوية • وجاء (على) يحييه عندما نفى من المدينة وكانت هذه مظاهرة من مظاهرات المعارضة ، ظهرت مـن قبـل فـى وقت عثمان — جاء (على) يحييه ومعه اولاده قبل النفى ، واعتبر ذلك مظاهرة معارضة من تلك التى كان على يسمح لنفسه بها فى ذلـك العصر •

اعتقد اذن ان فى كل ايديولوجية لحظة يتساءل فيها كل فرد ألم يذكر ذلك لنا ايضا ؟

ذلك انه لكى لايقوم احد بظلمنا علينا الا نظلم احدا ، وتعرفون انه فى مجال مناهضة الاستعمار • كان اشرس اعداء الاسـتعمار الانجليزى هم الفرنسيون والد اعداء الاستعمار الفرنسى هم الانجليز • ولقد حاولت تطبيـق مضمون هذا الحديث حتى قبل ان اعرفه • ويجب الا نعتقد ان هناك تنظيما بريئا تماما • فلقد حاربت مثلا ضد فكرة ان اليهود شعب مقدس ، فليس هناك شعب مقدس .

يوجد اذن مفهوم التفاؤل الخلاق فى الاسلام منذ البداية برغم كل التشويهات التى اصابته • وكذلك مفهوم مجتمع بلا ظلم ، وان الشريعة يجب أن تضمن حمايته من الظلم • وانى اسأل المسلمين الحاليين : هل تكفى الشريعة وحدها الان لتحقيق ذلك ؟ اننى اطرح السؤال فقط وليس على ان اجد له اجابة •

يجب أن تأخذ هذه الافكار القديمة شكلا يتناسب مع العصر الحالى بعد أن توارت عن المنظر بفعل ثقل التاريخ • ويجب ايضا ان نهضم دروس العلم ، ونتابع تقدم المعرفة والعلم

والمجتمعات ، أو من ثمة قضايا علم الاجتماع الماركسي؛ وأود الا ينساها الماركسيون؛ وهو ما يفعلونه كثيرا • ولست اعتقد ان هناك جنة على الارض ولا مجتمعا بلا صراعات الان • ربما فى المستقبل عندما يستطيع الطب تبديل العقول (الامخاخ) البشرية لكن لا توجد ثورة خاتمة ، وبالتالى يجب ان يستمر النقد الذاتى ،وتستمر المراجعات فسوف يبقى الصراع ضد الظلم كشيء ضروري . لكن فيما وراء كل ذلك تقف الاختيارات الوجودية الازلية • ومرة اخرى لا اعتقد بايديولوجية علمية جبرية مفروضة • واذكر مناقشة لجارودى فى ردهات اليونسكو بباريس فى مايو عام ١٩٦٨ • كان الموقف قلقا للغاية فى باريس ، وكان هناك ماركسيون وامريكيون وسوفييت ومناهضون للماركسية الخ، وكذلك كان هناك الرجل الذى اصبح مشهورا السيد **البرت ماركوز** نبى الثورة الطلابية ثورة الشباب تحدث . وحضر جارودى يوما واحدا فقط يوم تحدث ماركوز وكان جالسا فى اخوة الى جوار احد الاساتذة الفرنسيين اليمينيين الذى خاطب ماركوز فى عبارات وقورة قائلا له : « قل لى يا ماركوز هل انت حقا ــ فوضوى ــ هل انت بـاكونينى ؟ » فأيده جارودى ثم رأيته بعد ذلك فى احدى الردهات وسألته : هل هناك جريمة ان يكون احدهم فوضويا ؟ **فأجابنى جارودى :** ان هذه فكرة قديمة ، وتخطيناها ومن الخطأ ان نعود الى الافكار التى تخطيناها •

كان يريد التعبير عن تصوره أننا فى مرحلة متقدمة الان •

فقلت لجارودى : اننى اعتقد ان التمرد على الابنية الاجتماعية اختيار أبدى ، وسوف يوجد دائما فوضويون . ولم يبد عليه السرور فى ذلك الوقت وذهب يتناول قدحا من القهوة •

لكنى اعتقد بامكانية العمل المتصل بين أناس لهم اختيارات مختلفة • العمل من أجل انفتاح مجموع الناس الى أقصى درجة ، على الوضوح ، والمساواة ، والتقدم ، والاخاء ، وحرية الناس • ولكى يطوعوا أمامهم• وأمام هذه القيم أكبر قدر من القوى العمياء البدائية التى يحويها كل انسان فى نفسه مثل الانانية الوجودية التى يستمر أثرها ملموسا ، ولا يمكن أن ينمحى نهائيا ، لاسباب ينسبها المسيحيون الى الخطيئة الاصلية • أما أنا فانسبها الى شيء آخر • ولا تعتقدوا أنى أقدم موعظة عن نوع من المصالحة العالمية أو الشاملة بين النوايا الحسنة • والا لكنت قد أسأت التعبير عن نفسى لاننى سأبقى ماركسيا حول هذه النقطة الا وهى استحالة وجود مصالحة شاملة برغم النوايا الحسنة التى يظهرها أحد الجوانب أو الاخر • صحيح انه لابد من وجود أكبر قدر ممكن من المصالحة ، وأنا أعمل بقدر استطاعتى على تحقيق هذا من جانبى لكن فى كل لحظة يستطيع أى تنظيم أن يقدم اتجاها تقدميا • لكن يظل دائما ذلك الثقل الذى يحاول اسقاطه • وبالتالى فهناك من يحاولون تشويهه سواء من الداخل أو من الخارج بحيث يبقى أمام الفرد المخلص لرؤيته الداخلية دور مهم • وسأنتهى بالاستشهاد بأحد الكتاب الروس الكبار فى العصر الحالى .. هو اسكندر سولجينيتش :

« فى سجن أحد المعتقلات يوجد رسام روسى معاصر من العصر الستالينى ويشرح لاحد رفاقه فى السجن :

••• يملك الكائن البشرى منذ مولده ثمة ماهية هى نواة هذا الكائن ان لديه ما يستطيع أن يقيس لنفسه به نقطة يستطيع الرجوع اليها •

« ويملك فى داخله صورة عن الكمال تطفو أمام رؤيته الروحية فى لحظات نادرة » :

« وينتهى بكشف اللوحة التى رسمها والتى حاول فيها تجسيد هذه الرؤيا • »

ولقد اعجبت بشدة منذ ثلاثة ايام، وانا اقرا هذه الفقرة ، لانه يدخل فى هذه الرؤيا التى تحدثت عنها ــ بالامس ــ لفولفرام دى شونباخ فى العصر الوسيط ، وهو الذى كان يرى أن المسلمين والمسيحيين آدميون على السواء •ويسعدنى أن أنهى كلامى بهذه السطور حتى وان لم ترق لكم تماما وحتى ان ظهرت لكم على أنها شديدة المثالية أو شديدة التدين • وهى تظهر لى أنا على هذا النحو أحيانا كانت اللوحة ترتفع بمقدار ضعف عرضها ، وكان فيها واد عميق بين جرفين ، وعلى كل جانب من الجانبين ، يمينا ويسارا ، غابة بدائية مليئة بالنباتات والخضرة من كل نوع • وقد اكتسا جانبا الوادى بالخضرة أيضا • ويخرج من الغابة من أعلى اللوحة الى اليسار جواد رمادى فاتح يمتطيه فارس على رأسه (كاسكتة) ، ويرتدى وشاحا كبيرا ولم يكن الجواد يخشى الهاوية، ومتأهبا لاطاعة أمر الفارس بالتراجع أو

بالقفز • ولم تكن الهاوية ــ هى التى ينظر اليهاالفارس ــ لكنه كان ينظر مبهورا الى البعد حيث كان هناك ضوء ذهبى ضارب الى الحمرة ، قديكون آتيا من الشمس ، أو من مصدر أنقى من الشمس ، كان يسطع من خلف قصر فى قمةالجبل الذى كان يتدرج فى الارتفاع • وبالمثل كـــان القصر يرتفـــع بتدرج وبأبـــراج يمكن مشاهدته من أسفل ، من خلال النبـــاتات والاشجار ، مرتفعـــا صوب السماء ، يبـــدو بعيدا عن الحقيقة كما لو كان تكوينا مـــن السحاب ، مهتزا مبهما مع أنه واضح فى كماله الذى لم يكن ينتمى لهذا العالم كان القصر يقف تعلوه هالة من البنفسج ».



المناقشـــات

د • لبيب شقير :

أعتقد أنه يجب على أن أشكر البروفيسور رودنسون باسم كل الحاضرين هنا لما بذله من جهد كبير تحليلا وتبسيطا فى هذه الندوة ، وعندما نقول تحليلا من جانب وتبسيط من جانب آخر نواجه دائما السؤال التالى : هل سيروق هذا التبسيط للجميع ؟ وهل هو يترجم تماما الافكار المبسوطة ؟ هذا هو السؤال الذى أعتقد أنه يراود كلا منكم ، أن البروفيسور رودنسون يحثنا من خلال عرضه على ادخال كل شىء فى دائرة الضوء ، ضوء الدراسة والتحليل، وفيما يختص بمحاضرة اليوم أعتقد أنها ، الى حد ما ، امتداد لمحاضرة الامس فيما يختص بدراسة العالم الاسلامى ، وأستطيع أن ألخص بطريقة سريعة الخطوط العريضة لهذا العرض لكى نفتتح المناقشة على أساسها • • اول مسألة عالجها البروفيسور رودنسون هى :

هل هناك فرق بين الماركسية ، كما تتصورها الجماعات الماركسية المختلفة وما يعتبره افكارا ماركسية وما يفضل تسميته بافكار ماركسية حيث أنه فيما أرى لا يريد اعطـــاء أية درجـــة من الدوجماطيقية حيث أنه لا يريد التعبير بأية درجة من الدوجماطيقية على أية نظرية كانت بل يريد افساح الطريق أمام الفكر الحر للانسان ليختار آراء ويترجم نسقا فكريا معينا اذا كان مؤسس المذهب أو النسق ذاته لم يعط نفس الدرجة التى عند اتباعه من التوكيد ، فانه بفتح هذا الطريق يحاول تبسيط الافكار الماركسية ولا يتكلم عن الماركسية، حول بعض الافكار التى يحاول تطبيقها فى مواقع كثيرة من علم الاجتماع وتطور العالم الاسلامى وغيره ، هذا هو السؤال الاول الذى أثاره • أما السؤال الثانى وهو سؤال مهم أيضا ، هو اعطاء صورة عن محتوى الافكار الماركسية ومفتـــاح العـــرض فى رأيى يمـــكن حصرهما بالفكرتين الاوليين • وهو الرأى الذى يعتبر أن الافكار مشروطة بالوسط الاجتماعى والعـــوامل الاجتماعية التى تؤثر على التفكير وذلك دون اغفال لاهمية الافكار فى حياة المجتمعات وهذه العوامل الاجتماعية لا يجب أن تقف فقط عند حدود العوامل الاقتصادية التى تعد عند البعض العوامل الوحيدة فى الفكر الماركسى التى يجب وضعها فى الاعتبار •

والفكرة الثانية ، تكمل الفكرة الاولى وهـــى التبريرات ، والعمل الانسانى ، ولا نستطيع أن ننسب العمل الانسانى الى مجرد تحليل خالص للعوامل الايديولوجية، بل الى جانب هذه العوامل توجد أيضا عوامل اجتماعية ومادية ومؤثرات الحياة المختلفة ، ويحاول البروفيسور رودنسون من هذا المنطلق أن يسلط مزيدا من الضوء على فعل التاريخ فى عموميته •

أما السؤال الثالث فهو تطبيق كل هذا التحليل على التطور والتعبير فى العالم الاسلامى وفى تحليل الاسلام بوصفه نسقا دينيا أو دينيا سياسيا ومن بين هذه الاسئلة ما يمكن اثارته هنا ــ ما هو

تصور وفكرة الاسلام فى دور الانسان فى الحياة ؟ كما عبر عنه البروفيسور رودنسون .

هناك سؤال رئيسى فى كل نسق حالى لماذا يحيا الانسان ؟ أهو من أجل جماعته ، أم من اجـل الله (الاله) ؟ هل هو من أجل نفسه ؟ ذلك سؤال أول ، والسؤال الثانى المهم هو كيف يتصـور الاسلام الانساق الفكرية هل تولد الافكار من عالم فكرى أم أن الافكار فى الاسلام لا تولد فقط من عالم فكرى ، بل يوجد تأثير العـوامل الاجتـماعية والاقتصادية والمـادية الى جـانب الانسـاق الايديولوجية أو الانساق الفكرية بصفة عامة .

المسألة الثالثة هى مسـألة التجـديد أو الاحياء ـ احياء علوم الدين فى الاسلام ـ هل الاحياء الذى كان ومازال عملية يحاول المفكر المسلم من خلالها أن يواجه المشاكل التى تعاصره فى العالم ، هل حركة التجديد فى الاسلام تعنى تجديدا فى المبادىء الاساسية الاسلامية ، أم مجرد احياء لتطبيق الاسلام .

والمسألة الاخيرة هى الآتية : هل الشريعة وهى كلمة يصعب ترجمتها . . هل هى الدين . . أم انها هنا هى تحليل الفقهاء ؟ أننا نستخدم كلمة شريعة فى العالم العربى والاسلام ، فالشريعة تعنى مثلا القانون والقضاء الاسلامى ، لكن كلمة شريعة أيضا عند المسلمين : الفكرة الاساسية فى الاسلام وهل تعنى الكلمة فى هذا المقام المعنى الاول ام المعنى الثانى أم كليهما معا . وينشأ السؤال عما اذا كانت كلمة شريعة تستطيع بوساطة مبادئها الحالية أن ترشد النضال ضد الضغط والظلم الاجتماعى . كذلك سؤال اخير يستحق عناية خاصة عن مسـألة القومية العربية .

ما هى الاسس التاريخية للقومية العربية هل القومية العربية لها مضمون تقدمى ، أم انها رد فعل لبعض المفكرين الذين كانوا يحاولون احيـاء الشريعة أيضا واحياء علوم الدين ؟ .

هل القومية العربية هى هذا أو ذاك ؟ ذلك أمر يطرحه امامنا البروفيسور رودنسون . لا أدعى انى متخصص فى كل هذا لكنى احاول فقط ان اعبر عن فكرى بطريقة شخصية حول مسألة الافكار فيما يختص بالقومية العربية ، وفيما يتعلق بالاسئلة الاخرى عن التجديد وكذلك عن الاحياء وعن قدرة الشريعة على خلق دافع وايجاد تحد الخ . .

ومما هو جدير بالذكر أن نجد الان نقاشا مفتوحا حول كل المسائل وبين كل الناس وبين كل التيارات الفكرية ، ونحن نسمع هنا الان وبين كل التيارات الفكرية ، ونحن نسمع هنا الان تحليلا قد يروق للبعض دون البعض الاخر لكن أهم شىء اننا كلنا منفتحين على هذا الحوار ، واننا نحاول بمعنى ما ايجاد الحل السليم والصحيح لذلك عن طريق الفكر الانسانى والذهن الانسانى مما يدعم الاخوة الانسانية وهو كذلك من أعظم مبادىء الشريعة .

وأقول بأننى أقبل المفهـوم الذى أعطـى البروفيسور رودنسون تحليلا عن تصور الافكار عند ماركس فى ضوئه ، وذلك على قدر فهمى للنظرية الماركسية ونفس هذه الفكرة قد أكدها البروفيسور (شمبيان) وهو أحد رجال الاقتصاد ومشهور فى العالم على أنه رجل اقتصاد وربما لا يعرف كثير من رجال الاقتصاد غيره انه بدأ حياته هنا كمحام فى المحاكم المختلطة . ولقد قدم نفس التحليل الذى قام به الان البروفيسور رودنسون عن ماركس عالم الاجتماع فى كتابه « الراسمالية والاشتراكية ـ والديمقراطية » بالانجليزية ولقد ترجم الى الفرنسية ، بنفس العنوان ولقد قسم الكتاب ماركس فى نواح متعددة : ماركس عالم الاجتماع ، وماركس عالم الاقتصاد وحتى ماركس النبى الخ ... تعبيرا عن أن ماركس حـاول اعطاءها تنبؤا بمجتمع الغد وفى هذا الفصل عرض تلك الافكار التى قدمها الان البروفيسور رودنسون وأنا أعرف شيئا عن الاسلام وهو ما ذكرناه فى الحوار مع البروفيسور جارودى هنا ، وهو أن كلمة الاسلام كلمة فضفاضة فهناك اسلام الاساس [الحديث] ، والاسلام الذى هو عبارة عما كتبه المفكرون والفقهاء المسلمون ، وهناك الاسلام فى صورة الحضارة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، كل ذلك يطلق عليه اسم اسلام . وأعتقد أن الاسلام عندنا نحن المسلمين هو بالمعنى الاول . وما يجب تذكره هو أن المبادىء العامة فى القرآن والحديث هى القاعدة الوحيدة التى يقبلها الجميع ، أما اذا كان هناك شىء مكتوب من كاتب أو من فقيه فذلك يقبل المناقشة ، ولقد عبر عن ذلك أحد الفقهاء عندما قال : انهم بشر ونحن بشر بمعنى أن لديهم فكرهم ولدينا نحن فكرنا ونستطيع أن نتناول الافكار من خلال مفهومنا ولا يوجد ما هو اجبارى فيما يكتبه هذا المؤلف او ذاك ، كذلك أقول : ان مفهوم الاسلام والافكار كما عبر عنه بعض هؤلاء المؤلفين ، واذكر على سبيل المثال اثنين : الشافعى ، واحد الشعراء ، وهنا يوجد نوعان من الافكار : الافكار الشرعية ، أو الفقهية ، والافكار الادبية ، ولقد كتب الشافعى تحليلا كاملا عن نسق شرعى عندما كان فى بغداد ، وعندما حضر الشافعى الى القاهرة وجـد أن الاوضاع الاجتماعية ، والاوضاع المادية لمصر تثير مشاكل مختلفة فغير الشافعى تماما نسقه الفكرى مقدما تحليلا جديدا ، واذن فالافكار حقا عبارة عن أبناء ، أبوها هو صـاحب الفـكرة وأمها هى الاوضاع الاجتماعية والعوامل الاجتماعية التى تؤثر على المفكرين ، وتوجد لذلك آثار كثيرة فى الاسلام . وأعتقد أننا سنحاول تحليل هذه النقطة

ضمن ما سننشره فى (**الطليعة**) لكى نقف على تحليل كامل لها ٠

نعود الى الشاعر الذى عرف فى العصر العباسى وهو « ابن المعتز » والذى كان يعطى لمساته الفنية فيما كان يصفه ، وكان يصف أفكار العصور وأفكار الطبقة التى عاش فيها وعندما كان يصف القمر كان يعطى أفكاره بادئا من بحيرة من الفضة الخ ٠٠ عليها سفينة مملوءة بالعنبر ، وعندما قيل له : ما هذا الذى تكتبه ؟ قال : لقد رأيت ذلكحقا فى هذه الاوساط ، وهى الاوساط التى أعيش فيها ، وفى هذه الفترة كذلك كان يعيش ابن الرومى فى أزقة بغداد يشاهدمنيعيشونليل نهار من أجل العمل فأعطى ابن الرومى صورة كاملة عن المجتمع الذىعاشفيه واصفا ومعبرا عنرد الفعل الفكرى لكل الطبقة التى عاش فيها أيضا أبو نواس وأفكار أبى نواس أيضا أبناء شرعيون لاب ولام هى : الاوضاع الاجتماعية والمادية الخ ٠٠٠ وأبو نواس الذى عاش فيها لم يكن عربى الاصل تماما وكان يفسح المكان فى فكره لاهمية هذا الاصل غير العربى وهذا واضح تماما فى تحليل الادب العربى مما يوضح أن الفكرة التى ذكرتها سيادتكم الان ، ليست الافكار فى الاسلام من عالم أفلاطون وراء هذا العالم ولكنها من عالم يظهر فيه فعلا تأثير العوامل الاجتماعية والمادية ٠

كذلك فيما يختص بتبرير العمل الانسانى والاجتماعى ، وهنا أشيد بما قاله البروفيسور رودنسون من أن الاسلام على خلاف بعض الاديان الاخرى ، ليس مجرد نسق دينى بل وسياسى كذلك ؟ وسأضيف من عندى أنه دينى وسياسى واجتماعى أيضا — لماذا ؟

لان الاسلام يحتقر كثيرا من يقضون حياتهم فى الصلاة فحسب ، بمعنى أن الاسلام لا يؤيد الحياة التى تحركها العوامل الدينية فقط أو أنها تعطى نفسها تماما للصلاة ، بل ان الاسلام يحترم الذين يحترمون الطبيعة البشرية ويعملون ، والذين يكسبون رزقهم ، اذن فالاسلام هنا يضع العوامل المادية الى جانب العوامل الدينية فى الافعال الانسانية ، وكل هذه العوامل داخل اطار من القواعد الاخلاقية التى وضعها الاسلام ٠

وانتقل الى مسألة القومية العربية ، اننا لا نعتبرها مجرد فكرة بل نسقا فكريا من التطلعات والقواعد يستمد دعائمه من الحضارة العربية بأسرها بأوسع معانيها ، والتى يتوحد فيها فكر الشعوب العربية من بعض الوجوه ، والتى تقوم أيضا على رد فعل ضد الظلم الذى وقع على العالم العربى من استغلال العالم الرأسمالى له رغبة فى خلق أمة عادلة تترجم المبادىء الذهنية لكل الفكر العربى ٠

والان اترك الكلمة لمن يريدون توجيه الاسئلة ٠

الدكتور محمد شوقى الفنجرى

عرض الاستاذ مكسيم رودنسون فى الشق الاول من محاضرته الى بعض الافكار الماركسية ، وفى الشق الثانى عرض من وجهة نظره الى الدور الذى أدته الماركسية الى العالم الاسلامى ٠ وأنا من جانبى أضع المسألة فى جانبها الصحيح لابين دور الفكر الاسلامى فى تصويب الفكر الماركسى ، ولبيان ذلك أعرض مسألتين أساسيتين :

١ — تتعلق أولاهما بالفروق الاساسية بين الفكر الاسلامى والفكر الماركسى ٠

٢— وتتعلقثانيتهما بالتجربة السوفيتيةوموقف المسلمين السوفيت ازاءها ٠

وقبل أن أستطرد فى حديثى ، أرى لزاما على أن أوضح نقطة هامة أعتبرها بمثابة المقدمة والمدخل لهذا الحوار ٠

فمدخلنا هو أن الاسلام ليس مجرد دين أو مجرد عقيدة دينية أو مجرد عبادات ، وانما فى نفس الوقت الذى هو فيه عقيدة اجتماعية ، فهو شريعة وهو تنظيم سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع ٠

ومتى قلنا أن الاسلام تنظيم سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع ، فانه يتعين علينا أن نتعرف وأن نكشف وأن نحدد فلسفة وأيديولوجية هذا التنظيم ٠

وبحسب تصورى تقوم فلسفة الاسلام وأيديولوجيته كشريعة على دعامتين أساسيتين :

١ — الدعامة الاولى هى أن الاسلام يقوم على قيم روحية اساسها الايمان بالله وحساب اليوم الاخر ، وفى ذلك الايمان صمام أمان لسلامة السلوك الاجتماعى ، بل وشرعية النشاط الاقتصادى ، لشعور الفرد المؤمن بأنه اذا استطاع أن يفلت من رقابة ومساءلة القانون فانه لن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى ٠

٢ — الدعامة الثانية أن الاسلام يعتد بمصلحة الفرد كما يعتد بمصلحة الجماعة ويقوم على حفظ التوازن بين المصلحتين والتوفيق بينهما باعتبار أن

كلاهما يكمل الاخر وفى حماية أحدهما حماية للاخر • وأساس ذلك هو قوله تعالى : (لا تظلمون ولا تظلمون) ، وقول الرسول : (لا ضرر ولا ضرار ••) • على أنه اذا تعذرت هذه الملاءمة بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، كان الاجماع فى الاسلام هو تقديم مصلحة الجماعة والتضحية بمصلحة الفرد ، باعتبار أن حق الجماعة هو حق الله تعالى الذى يعلو فوق كل الحقوق •

ومن ذلك يبين أن الاسلام كشريعة لـه ايديولوجيته الخاصة ، فهو فى الظروف العادية والغالبة حيث يمكن التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة يخالف الاسلام المذاهب الفردية [ومنها الراسمالية] التى تقدم الفرد على المجتمع ، وتعارض تدخل الدولة . كما يختلف عن المذاهب الجماعية [ومنها الماركسية] التى تقدم الجماعة على الفرد ، وتفرض احتكار الدولة لكل نشاط — على أنه فى الظروف غير العادية وبخاصة حيث يتعذر التوفيق بين المصلحتين العامة والخاصة ، يتفق الاسلام مع المذاهب الجماعية والماركسية والتى تقدم مصلحة الجماعة وتضحى بمصلحة الفرد •

ومن هنا تختلف التطبيقات الاسلامية باختلاف الزمان والمكان . وهذا ما يعبر عنه فقهيا بتغير الاحكام بتغير الازمنة والامكنة ، وقولهم أن هذا اختلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان ، ومن ثم يكون الاسلام أكثر اتفاقا مع المنطق الجدلى وأكثر استجابة ومراعاة للتناقضات الاجتماعية •

وحتى تكون الصورة واضحة نعرض باختصار لتطبيق هذه الايديولوجية فى مجال الملكية : فنجد الاسلام رعاية لحق الفرد يقر الملكية الخاصة • فالرسول يقول : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) ، ويقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) • الا أنه رعاية لمصلحة الجماعة يضع الاسلام قيودا عديدة على الملكية الخاصة ، هذه القيود تضيق أو تتسع بحسب ظروف كل مجتمع • ولعل أدل هذه القيود فى نظرنا والتى يغفل عنها الكثير من الكتاب أنه لا تحترم الملكية الفردية فى الاسلام الا بعد كفالة حد أدنى لمعيشة كل فرد يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية Minimum Vital أو حد الغنى Minimum de Richesse ، فالاساس فى الاسلام أن لكل فرد فى المجتمع بوصفه انسانا أيا كانت ديانته أو جنسيته الحق فى أن يحيا حياة حرة كريمة ، فاذا تعذر لسبب خارج عن ارادته لمرض أو عجز أو شيخوخة أن يوفر لنفسه المستوى اللائق للمعيشة فنفقته تكون واجبة فى بيت مال المسلمين أى على الدولة التى لها حق توظيف الاموال وتأميمها بقدر الحاجة ، ونذكر بصدد ذلك قول الرسول : (من ترك كلا فليأتنى فأنا مولاه) أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه ، وكلنا يذكر واقعة سيدنا عمر بن الخطاب مع الشيخ اليهودى الضرير • هذا الى قيود أخرى عديدة أهمها أن هناك أموالا لايجوز أن ترد عليها ملكية خاصة وهى مانسميه بالقطاع العام ، فهناك أموال لا يجوز أن تكون مجالا للملكية خاصة وهى التى عبر عنها الرسول بقوله : [الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار] وفى حديث آخر (الملح وما معاش عليه) ، وهذا النص يعنى أن كل ماكان ضروريا لحياة الناس مجتمعين لا يصح أن يترك لفرد أو أفراد تملكه بل تستقل به الدولة وهو ما يطلق عليه بالتعبير الحديث القطاع العام ، والذى يختلف ضيقا واتساعا بحسب ما تقتضيه مصلحة كل مجتمع باختلاف ظروفه ••• الخ من القيود مما يضيق الوقت عن بيانه •

نعود بعد ذلك الى المقدمة اللازمة الى بيان الفروق الاساسية بين الفكر الاسلامى والفكر الماركسى :

١ — وأول هذه الفروق فى نظرى هو أن الفكر الماركسى فكر ملحد يقوم على أساس المادة وأنها هى التى تحدد العلاقات بين الافراد ، بخلاف الامر فى الاسلام فالاساس هو الله تعالى وخشيته وابتغاء مرضاته هى التى تصوغ علاقات الافراد ببعضهم •• وقد سبق أن بينا أهمية ذلك فى السلوك ، وان الوازع فى الاسلام هو وازع دينى ودنيوى معا ، فى حين أن الوازع فى الفكر الماركسى هو وازع دنيوى فقط فالرقابة فيه محدودة وقاصرة •

٢ — وثانى هذه الفروق فى نظرى أن الفكر الماركسى يستهدف الغاء الملكية الخاصة لتحل محلها الملكية العامة سواء كانت ملكية الدولة كما هو فى روسيا ، أو ملكية الجماعة كما هو فى يوغوسلافيا ، بخلاف الامر فى الاسلام فالتأميم ليس هدفا وانما هو وسيلة وأن للشارع الاسلامى أن يوسع أو يضيق من دائرة الملكية الخاصة بحسب ظروف كل مجتمع •

٣ — وثالث هذه الفروق فى نظرى أن الفكر الماركسى يقوم على أساس الصراع بين الطبقات واقامة دكتاتورية الطبقة الواحدة ، فى حين أن الفكر الاسلامى يقوم على أساس تعاون الطبقات واقامة تحالف قوى الشعب العاملة •

ننتقل بعد ذلك الى نقطتنا الثانية ونصل بها ما تقدم ، وهى خاصة بالتجربة السوفيتية وموقف

المسلمين الروس ازاءها . ومن المعروف أن عدد المسلمين فى روسيا يزيد على ٣٠ مليونا .

فقد قامت الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧ انتصارا للفكر الماركسى ، فمر المسلمون الروس ازاءها بثلاث مراحل :

١ - المرحلة الاولى وهى مرحلة المعارضة والمعاداة بسبب الفروق الاساسية السالف ذكرها . وقد ظهر ذلك على أشده فى مناطق القوقاز والتتار حتى لقد تعذر خلال هذه المرحلة على القائمين بالثورة البلشفية اخضاع هذه المناطق للفكر والتطبيق الاشتراكى .

٢ - ثم كانت المرحلة الثانية وهى مرحلة التفهيم والتلاقى . فقد أدرك المسئولون الروس أنهم لن يستطيعوا أن ينفذوا بثورتهم الاشتراكية الى مناطق القوقاز والتتار الا باسم الاسلام ، كما تبين لعلماء المسلمين الروس ان الاسلام يقر الماركسية فى نواحيها الرئيسية : كحربها ضد الاستغلال والاستعمار ، وتصفيتها للرجعية والاقطاع ، وانكارها للربا والفائدة ، واعلائها قيمة العمل فوق كل قيمة وجعله معيارا لتقييم الانسان ، واقرارها للمساواة الفعلية والمشاركة الشعبية للحكم .. الخ من المبادىء الاشتراكية الاساسية ، والتى سبق أن قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

٣ - ثم كانت المرحلة الثالثة وهى مرحلة المساهمة والتطوير فى الفكر الاشتراكى الماركسى . وقد برز فى هذا المجال سلطان جالييف الذى اغنى بفكره الاسلامى الفكر الاشتراكى ، بل وصحح الكثير من المفاهيم الماركسية . ومن قبيل ذلك ما يأتى :

أولا : أوضح سلطان جالييف انه لاعلاقة بين المادية والاشتراكية ، وأن محاولة الربط بين التفسير المادى للكون الذى يرفض الدين بالضرورة وبين الاشتراكية هى محاولة لا ضرورة ولا محل لها ، فقد يكون المادى اشتراكيا وقد يكون غير اشتراكى ، كما أن الاشتراكى قد يكون ماديا أو غير مادى وتاريخ الفلسفة كما أن تاريخ الاشتراكية شاهد على ذلك بغير حاجة الى تحديد الاشخاص أو ذكر الامثلة . هذا الى ما أوضحه أن التصور المادى للوجود ، والقول بأن المادة هى سبب كل موجود هو من قبيل التصورات الميتافيزيقية ، وهو على هذا النحو نوع من عملية استبدال اله حقيقى باله آخر .

اننا نجد الان الكثير من الماركسيين يسلمون بهذه الحقيقة ، وانه لا علاقة بين الالحاد والاشتراكية ، وأن عهدنا بالاستاذ روجيه جارودى فى هذه القاعة ليس ببعيد .

ثانيا : اظهر سلطان جالييف ان الغاء الملكية الخاصة والتأميم الكامل ليس هدفا فى ذاته وليس هو السبيل الوحيد للاشتراكية ، وانما المهم هو سيطرة الشعب على أدوات الانتاج . وأوضح أنه قد تتعدد طرق الاشتراكية ، بل انه يجب أن تختلف التطبيقات الاشتراكية بحسب ظروف كل مجتمع .
Les Voies multiples du Socilisme selon les criconstances différentes de chaque paye.

وان هذه الحقيقة التى ابرزها سلطان جالييف بوضوح لاسيما فى مؤتمر الحزب الشيوعى لسنة ١٩٢٣ بدأت تغزو الفكر الماركسى الحديث ، حتى اعتنقها المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى المنعقد سنة ١٩٥٦ ، بل لقد ذهب هذا المؤتمر الى المناداة بالتعايش السلمى بين مختلف المذاهب .

ثالثا : ابرز سلطان جالييف أنه بعد انتصار الثورة البلشفية لم يعد هناك محل لفكرة كراهية أو صراع الطبقات كما لم يعد هناك محل لتمييز العمال على الفلاحين أو اقامة دكتاتورية الطبقة الواحدة ، وأحل محل ذلك فكرة تعاون أفراد المجتمع واقامة تحالف قوى الشعب العاملة .

ولم يكتف سلطان جالييف بذلك بل نبه الى أن حقيقة مشكلة كل مجتمع هو فى التعارض بين الاغنياء والفقراء واتساع الفوارق بينهما . وأن حقيقة مشكلة العالم هى فى وجود دول غنية أو شعوب بورجوازية ودول أخرى فقيرة أو شعوب بروليتاريا ، وهو الصراع الحقيقى الذى يعانيه عالمنا الحاضر .

رابعا : وأخيرا فان سلطان جالييف كان يرى أن المجال الحيوى لثورة أكتوبر البلشفية
L'Espace Vital de la Révelution d'Cctobre
هو الشرق وليس الغرب ، فكان ينكر على المسئولين الروس اهتمامهم بالمجتمع الغربى والرأسمالى ، ويرى أن الثورة البلشفية يجب أن تصحح طريقها وأن الثورة البلشفية يجب أن تصحح طريقها وأن مجالها هو آسيا والدول الفقيرة . وكان يبرر ذلك بأن الدول الغربية هى دول غنية فهى أقل تقبلا للاشتراكية وبعيدا عن الشيوعية ، بخلاف دول الشرق فهى دول فقيرة وهى مجال نصرة الاشتراكية لان الاشتراكية فى صميمها هى محاربة الاستغلال وخاصة الاستعمار وهو ما يعانيه الشرق بصفة خاصة .

وهذا الرأى الذى كان وقتئذ بمثابة رؤيا هو ما انتهى اليه الفكر الحديث بأن حتمية الحل الاشتراكى ليس نتيجة تناقضات المجتمع الرأسمالى المتقدم كما يتصور الفكر الماركسى والذى يرفض رفضا قاطعا امكان تصور قيام الاشتراكية فى البلاد المتخلفة ، وانما هو الحتمية التى تقتضيها ظروف المجتمع خروجا من التخلف وتحقيقا للتقدم كفاية وعدلا .

وختاما فانه مهما يكن الامر فقد أغنى المسلمون الروس الفكر الاشتراكى ، كما أسهموا فى تطوير الفكر الماركسى ، بل وتصحيح الكثير من مفاهيمه ، وهو ذات الدور الذى حققته اشتراكيتنا العربية .

ولا تعجب اذ نجد تلاقيا بين اشتراكيتنا كما أوردها الميثاق ، وبين الآراء التى نادى بها سلطان جالييف ، وذلك لان الاصل واحد وهو الفكر الاسلامى الذى له آيديولوجيته الخاصة وله ذاتيته المستقلة .

واخيرا اشكر للاستاذ مكسيم رودنسون ، وللقائمين على جريدة الاهرام بأن اتاحوا لنا فى هذا فرصة هذا الحوار ، وشكرا للحاضرين على الاستماع .

د . لبيب شقير :

ـ أنا أرجو أن الاسئلة التى أثارها الاستاذ مكسيم رودنسون والتى يتوقع الحقيقة منا فيها اجابة لانه هو فاتح حوار ، نحن سمعنا تحليله للجانب الماركسى وأثار نقطا يسأل فيها عن جوانب من الناحية الاسلامية ، ونحن نقول : ميزة هذا اللقاء فى انه لقاء حوار ، علينا أن نعطى اجابة فاصلة عن النقط التى نثيرها وهناك نقط وردت فى كلام الاخ شوقى ، يمكننى أن أعلن عدم موافقتى عليها ، اذ يقول : ان الاشتراكية خاصة بالشرق دون الغرب ، يعنى معنى هذا تأييد للرأسمالية ـ أنا غير موافق على هذا ولا أوافق فكريا عليه ، والاشتراكية يمكن أن تطبق فى أى مكان اذا ادت اليها ظروفها الموضوعية .

الدكتور عبد المنعم خلاف :

الشكر للاستاذ مكسيم رودنسون ولجريدة الاهرام ومجلة الطليعة ، ويهمنا أن نستعرض النقاط التى آثارها الاستاذ رودنسون بسرعة فهو قد تساءل عن القيمة التى يمكن أن يختارها الانسان لتكون قيمة عامة فى الحياة ، أنا أعتقد ان القيمة التى يمكن أن يختارها كل انسان هى الايمان بالانسان أولا كمدخل للايمان بكل القيم الاخرى ، منها قيم الدين ومنها قيم العلم ، قيم الدين ، وقيم العلم مترتبة على الايمان بقيمة الانسان ، لاننا اذا أهدرنا قيمة الانسان فقد أهدرنا عقله ، فلا يبقى لنا ماندرك به الكون ولا ماندرك به رب الكون . اذن **فالمنطقية الاولى** المركزة هى أن نؤمن بقيمة الانسان وأن نرشده بفكر خارج عنه كأننا كائنون غيره ، وكأننا ننظر اليه مفارقين لوجوده ، عندئذ نرشده كأننا نوع من الخلق الاخرين . فماذا نرى ؟ ـ نرى أن هذا الكائن قد أثبت عمليا بعدما أثبت نظريا ـ أثبت عمليا فى هذا العصر أنه شىء ذو قيمة كبرى فى الكون يغير وينقح ويضيف ، ويخترق القيود ، ويكسرها ويخترق الحجب حتى يصل الى أن يطرق أبواب السماء . اذن فلنركز على الايمان بقيمة الانسان ، أولا ـ لتسلمنا بعد ذلك جميع القيم التى يحكم بها العقل الانسانى ، سواء كانت عن طريق العلم أو كانت عن طريق الدين .

فالدين قضية منطقية لازمة ومترتبة على القيمة الاولى وهى القيمة الانسانية ، لان هذا الكائن الانسانى يؤمن بالسببين ، ويؤمن بأنه لاشىء يوجد الا معللا ـ فماذا يكون ـ فماهو الكون ؟ وماهو ماوراء الكون ؟ وما مصير الكون ؟ تلك هى الاسئلة الخالدة التى أشار اليها الاستاذ رودنسون والتى هى محور الفلسفات والعلوم والاديان . التساؤل فى داخل رحاب هذا الكون ، وعندئذ يسلم لنا الاساس الذى نبنى عليه جميع القيم الدينية الاخرى .

ولنمر بهذه النقطة سريعا ...

ما الذى يشغل بال الماركسيين ، أو ماهى الظاهرة التى أضافها الفكر الماركسى ؟ أنه أضاف العناية بالطبقات الكادحة ، والحرب من أجلها ـ هذا هو الجديد الذى أضافه الفكر الماركسى ، وهو الطابع الذى أعلن حربه على الافكار الاخرى باسمها . هل هناك داع لاجل أن نعلن الحرب على الدين ـ من أجل الطبقات الكادحة أو المحرومة ؟ ان الدين يحل المشكلات التى ذكرناها ولا يستغنى الانسان عنها مهما حل مشكلة العيش ـ هناك مشكلات للفكر والاعتقاد وهناك مشكلات للعيش .

الماركسية تحاول حل مشكلة العيش ، ومشكلة الفكر والاعتقاد حلتها بأن قطعتها ـ فرغت وفرضت ان الانسان هكذا يعيش حيوانا سائما يعيش هذه الدنيا ، ولا يتساءل عما وراء هذه الدنيا . يأكل ويتمتع ، هبوا وافرضوا أننا فرغنا من كل شىء ووصلنا الى المستوى الاعلى فى المتاع والرفاهية والرغد ، هل نكون قد فرغنا من كل ما شغل افكارنا فى الايام السابقة وفى هذا الجيل ، الاشتراكى أو الشيوعى الملحد الذى لا يؤمن بالفكر الدينى ولا يؤمن بالدين ـ عندما يجلس فى بيته ويسمع الموسيقى ، ويتمتع بالتمثيليات وأنواع الرفاهية هل يكون قد فرغ من كل الاسئلة التى صادفته ؟ الا يتساءل ما وراء هذا الكون ؟ الا يتساءل ما هى قصة حياته وماذا وراءها ؟ الا يتساءل من هو القائم على هذا الوجود المحكم ـ العالم ـ المركب بالعلم والحكمة والعدل والرحمة ـ أظن انه لا يستطيع أن يطوى كل هذه الاسئلة بمجرد أن يكون قد وصل الى أنه متع نفسه وفرغ من كل مشكلات العيش ـ لابد من الاشتغال بحل

مشكلة الفكر والاعتقاد ــ والذى يحل مشكلة الفكر والاعتقاد هو الدين ، ويحل مشكلة التساؤل عن امتداد حياة الانسان لان كل انسان يتمنى أن تمتد حياته الى ما وراء هذه الفترة الضئيلة التى يحياها فى هذا الوجود .

ولو دخل الفكر الماركسى الى انصاف الطبقات الكادحة عن طريق الدين لاعلنها حربا مقدسة وجند لها جميع القوى سواء كانت قوى رأسمالية أو قوى غير رأسمالية ، لان بعض الرأسماليين يؤمنون بالدين ، فاذا أقنعته عن طريق الدين فقد جندته للحرب التى تعلنها على الظالمين والطغاة الذين أخذوا هذه الحقوق .

فليكن المدخل الى اعلان الحرب على الطبقات المستغلة عن طريق الدين ــ هذا يجند العالم كله لهذه الحرب ــ وما من أحد يستطيع أن يقر أن استغلال الانسان للانسان يمكن أن يؤدى الى توازن فى الوجود ــ ان الدين يبرىء نفسه ، ويبرىء القدر ، ويبرىء الله من أن يظلم الناس ، انه يقول : « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ، فيقول ربى أكرمن ، وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ، كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما » فانتم المسئولون عن الاخلال بالاوضاع الطبيعية التى تعيشون فيها والتى تتألمون منها ــ أنتم الذين تسألون عن الظلم الواقع على المحرومين والكادحين ومن اليهم ــ فلنرفع هذا الاخلال من مستوى الحياة التى نحياها ، وعندئذ يسلم لنا الاعتقاد فى الله ــ لان الله لا يمكن أن يدخلنا الى هذه الحياة ، ويقول لنا « اعبدونى واشكرونى وأنا الرحمن الرحيم » ويكون قد رحمنا من أن نتمتع باللبن الصحيح من ثدى الام لان الام الفقيرة ترضع ابنها لبنا مسموما بالامراض ولا تستطيع أن تحميه من عوادى الجو وعوادى الفقر وعوادى كذا وكذا ــ فالله لا يمكن ان نتصوره ظالما جبارا الى حد أن يقول لنا « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ويحاسبنا على هذا كله ونحن لا نملك أن نأكل ولا أن نشرب .

فالعقيدة الدينية الصحيحة لا تبنى الا بعد تغيير المفاهيم الاساسية فى أسباب الغنى والفقر ، ويجب أن نعلم ... وأخاطب اخواننا الدينيين ــ يجب أن نعلم أن الرزق الذى يقال : ان الدين يقول : « ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » معناه أنه قسم الناس الى طبقات فى الفقر والغنى وما الى ذلك ليس هذا هو المقصود ، الرزق هو كل مواهب الله ــ كل نعم الله على الانسان ــ الصحة ــ القوة ــ الجاه ــ الغنى ــ المال ــ الحيلة ــ الذكاء ــ أما الحد الادنى الذى يحيا به كل فرد والذى أشار اليه الدكتور الفنجرى فى أن الدولة الاسلامية تفرض حق كل انسان يدخل فى رحابها الى الحياة ــ هذا الرزق ــ هو الحد الادنى المكفول باسم الله ــ وهو الذى يناط به الدعوة الى عبادة الله بعد ذلك ــ فكل انسان له الحق ــ كل انسان سواء كان مسلما أو غير مسلم ، ملونا أو غير ملون ــ تظله الدولة الاسلامية يفرض له فى بيت المال حقه الادنى بمجرد ان يولد ويوضع له اسم فى هذا الوجود ــ فلنفرق بين الرزق بمعناه الواسع ــ وهذا كله لابد من تفاوته ــ والرزق بمعناه المالى ، وهذا هو الذى يجب أن نتحكم فيه لاجل ان نبرىء عدل الله ورحمته من القسوة وما الى ذلك .

محمد عمارة :

أولا : أشكر الاستاذ رودنسون على هذه المحاضرة القيمة ــ نقطة واحدة اريد ان اتحدث فيها ، وهى النقطة الاخيرة من المحاضرة ، الاستاذ رودنسون عبر بانه توجد بعض الافكار الماركسية وطلب من المسلمين أو من الناس فى العالم الاسلامى أن يدخلوا هذه الافكار الماركسية ضمن تعاليمهم وفكرهم ليكون هناك تجاوب ونصل الى امكانيات للتطور أكثر من ذى قبل .

أنا أريد ان أقول ان هذه الافكار التى عبر عنها الاستاذ رودنسون ليست جديدة بالنسبة للفكر الاسلامى ، وهو ركز فى أكثر من نقطة .

فى النقطة الاولى مسألة العلل والاسباب ــ فمعروف فى الفكر الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى خاصة فى مدرسة المعتزلة أن الاسباب ترتبط بالمسببات .

صوت : هل يمكن يا اخ محمد ان تسمح لى .... هو قال نفس الشىء : ان ربط الفكر بالمسببات قال به الفلاسفة الاولون . وهو قال : ان المسلمين من الاول ربطوا العلة .. الى آخر .

محمد عمارة : هذا هو السبب الثانى ــ وهو ما اعترض عليه ــ وأنا أريد أن أقول : ان الفكر المغربى بالذات قال ان كل ما هو موجود فى محيط الانسان وكل الافعال الانسانية سببها الانسان ، وفرق ما بين الافعال التى يعملها الانسان والتى يعملها غير الانسان ــ كل فعل انسانى سببه الاول هو الانسان وليس السبب الثانى ، العلة الاولى له هى الانسان وليس الانسان العلة الثانية . والنقطة التى اريد أن أشير اليها ... النقطة الثانية ، وهى ارتباط الفكر بالظروف الموضوعية .. أنا أريد ان أقول بأن هذا موجود فى الفكر الاسلامى ، وهناك عشرات

الامثلة التى توضح ذلك ، ومن ضمنها ما قاله الدكتور لبيب شقير حول مذهب الامام الشافعى وكيف أنه فى ظرف فى بغداد عمل تفكيرا فلما جاء الى القاهرة عمل تفكيرا فى النظريات السياسية فى الاسلام والامامة — شروط الامامة تختلف من عصر الى عصر ، شروط الذين يختارون الامام تختلف من عصر الى عصر فأنا أريد أن اقول بأن هذه الافكار موجودة فى الفكر الاسلامى • وأعتقد أنها ليست الحاجة التى يمكن للفكر الاسلامى أن يستفيدها من الماركسية ولعل المنهج الذى يفكر به الماركسيون هو الشىء الذى يحتاج له المسلمون حتى يروا من خلال هذا المنهج تراثهم وفكرهم ويمكنهم انيقدموا جديدا ، فالمنهج بالفعل الموجود فى الماركسية هو هذا الميزان الذهبى الذى يحتاجه المسلمون لتقييم تراثهم منجديد حتى يقدموا نتائج جديدة •

وأخيرا يوجد تصحيح لواقعة تاريخية — وهى موضوع نفى أبى ذر الغفارى وهذه كانت فى عصر عثمان بن عفان ولم تكن فى عهد معاوية — واريد أن أقول بعد ذلك ان موضوع العداء الذى وضعه الاستاذ رودنسون ما بين الاختيارات الانسانية وما بين الايديولوجية يبدو لى أنه غير سليم لانه يمكن للواحد أن يكون له اختيارات انسانية ومسالة الاختيار موجودة فى الفكر الاسلامى ضد الجبر لكن لم يقل احد ابدا ان الاختيار الانسانى يعنى عدم وجود أيديولوجية علمية والا تحول هـذا الاختيار الانسانى الى اختيار فردى بحت وربما يؤدى بنا لا الى الثورية وانما الى الفوضوية •.. وشكرا •

د • يحيى هويدى :

سيداتى سادتى : سأحاول الاختصار بقدر الامكان حتى لا أطيل هذا اللقاء الذى أشار اليه الاستاذ الخولى لتوه ولانه بعد اجتماع مثل الذى حضرناه اشعر أن الاراء تطغو وكذلك الارض تطغو على السواء • وعلى قدر فهمى أرى ان السيد رودنسون أراد أن يقول ان هنـــــاك عديدا من (الاسلام) وكذلك عديدا من الماركسيات، وان انواع الاسلام المختلفة تتصارع فيما بينها وايضـا الماركسيون يتصارعون وأن هذا الصراع سيدوم الى الابد ، وبالطبع توجد نقطة مشتركة وسوف تكون للاسلام حرية الاخذ ببعض النقاط الماركسية لكن لن يكون هذا من وجهة النظر الايديولوجية لان الايديولوجية قد تركت جانبا والجانب العملى هو الذى تم عرضه وتوضيحه والسيد (رودنسون) من حيث هو عالم اجتماع تكلم ببساطة عن الشروط التاريخية والاجتماعية وأعتقد ان ثمة فلسفة وراء كل علم اجتماع • ويوجد وراء الاجتماع الماركسى فلسفة ماركسية، ولقد لفت نظرى أمر فى هذه الندوة وهو أن السيد رودنسون وهو ماركسى لم يستخدم كلمة (جدل) وكلمة جدل سواء كانت جدلا عن الطبيعة أو المجتمع لم تستعمل ولا أعرف ان كان ذلك لمجرد التبسيط لكنى أرى أنه فى اجتماع عن الماركسية كان يجب استخدام كلمة (جدل) •

ان الاوضاع التاريخية لها الكلمة العليـا والاوضاع المادية والماركسية ان احترمت المادة فليس هذا من قبيل العبادة لان المادة تعنى عندهم هذه الاوضاع المادية والاجتماعية والاقتصادية ، اذن السؤال الذى اريد توجيهه للسيد (رودنسون) هو ما اذا كان يؤمن بالجدل فى الطبيعة أم لا ؟ هل يعتقد أن هناك فلسفة ماركسية من وراء علم الاجتماع الماركسى ؟

السؤال الثانى :

عندما نضع أنفسنا فى هذه الوجهة من النظر ازاء الاسلام اريد أن أناقش مسألة تعالى الله لان هذا السؤال الهام يلعب دورا هاما فى تصور العالم لدى كل المسلمين ، ان تعالى الله تعنى أن الله ليس حالا فى هذا العالم أى أنه بعيد عن افعال البشر أى أن حرية الناس ليست موضع نقاش .•

مكسيم رودنسون :

لا أعتقد أنه يجب على الاجابة عن كل شىء ، هناك أشياء مثيرة قد ذكرت ليست مما يستوجب الاجابة ولا ادعى أننى سآتى بالحقيقة التى سيركع أمامها الجميع كما كان ماركس يقول، وعندما تحدثت عن العلل الثانوية تحدثت عنها بحرص ولم أراجع السؤال قبل التحدث عنها، وأعتقد اننى قلت بأنها متضمنة فى اللاهوت الاسلامى تحت مظاهر متنوعة، ولا أعرف ان كان لفظ العلل الثانوية قد تم تطويره كما حدث فى اللاهوت المسيحى لكنى قلت انى اعتقد ان هذا المفهوم كان موجودا لكن سيادتكم على حق ويجب على أن أدرس المسالة بمزيد من التعمق فى علم الكلام •

لقد قلت ان المعركة ستستمر، كذلك قلت بوجود انواع عديدة من الاسلام بمعنى ما فيها من اشياء مشتركة ، كذلك انواع عديدة من الماركسية بأشياء

مشتركة فيما بينها أيضا لكنى لم أقل بأن الصراع سيكون صراعا مقصورا على الماركسية فيما بينهم أو أنواع الاسلام فيما بينها ، لكنى فقط أردت أن أقول أن الصراع الانسانى من كل نوع سيبقى ، سواء أقامه صراع ايديولوجى أو طبقى كما فى الاجتماع الماركسى ، ولو أن كلمة طبقة استعملت كثيرا وأفضل استعمال كلمة مستويات تدرجية اجتماعية وشىء آخر لم يتركز عليه ماركس وهو الصراع بين المجتمعات ككل مع بعضها . ولا أدعى أننا سنرى استمرارا للصراعين ، ولكن أنواع الاسلام وأنواع الماركسية قد تتصارع كما حدث فى الماضى وهو ما نراه أمام أعيننا على كل حال .

ولقد ذكرت فى مقال لى فى (Le Monde) أن ماوتسى تونج أشار بطريقة عمليـة الى أن الصراعات الدولية لم تنته بالقوة الاشتراكية . بينما كانت الماركسية فى بدايتها تتصـور أن مجتمعين اشتراكيين لن يتصارعا فيما بينهما ، كذلك يرجع الفضل (لماوتسى تونج) فى التعبير عن فكرة وجود تناقضات فى المجتمع الاشتراكى وهو ما ذكره السوفيت لكن بطريقة مخففة .

لكن ماوتسى تونج قال بان هذه الصراعات لن تنتهى بصدامات عنيفة فى المجتمعات الاشتراكية . بينما تنتهى فى المجتمع الرأسمالى بصـدامات عنيفة . وبعد ذلك قال مفكروه بان هذا الصراع لم يبدأ فحسب بل وسوف يستمر ربما لقرون عديدة ، ولكن فى هذا استباقا نظريا أعتقد ان ماركس لم يكن وفيا لمبادئه الاجتماعية بـالاعتقاد أن كل المشاكل ستزول بعد الثورة الاشتراكية ، ولن يكون هناك صراع من أى نوع ولقد وضحت هذا فى المقال الذى ذكرته بمزيد من التفصيل حول اهماله بعض التحذيرات ولو أنه اقترب من ذكرها ، وما دمت فى هذا الصدد فسأجيب على سؤالكم عن الجدل . وفيما يتعلق بالسؤال عن الجدل أرى أنى اتقدم بحذر فى الميدان الفلسفى لانى أعتقد حقا ان الماركسية يجب أن ترجع لماركس نفسه وأن افكاره لم تكن من الهام لفلسفة سابقة بل كانت من الهام أيديولوجية سابقة وهو أمر مختلف . وهـذه الايديولوجية فيما أعتقد كانت موجودة مع بعض الفلسفات المختلفة بالمعنى الفنى للكلمة وهـى مستلهمة من مذهب هيجل ومن جدل (فوير باخ) لكنه لم يشر الى ذلك بعد شبابه ، بل احتفظ بفكرة الجدل بطريقة فعالة أى أن الصراع شىء داخل فى طبيعة الاشياء ، أما أنا فلا أعرف طبيعة الاشياء واتشكك فى هذه المسائل مثل جدل الطبيعة عند (انجلز) وهناك أمثلة عديدة حللها البعض بطريقة تفصيلية ، كذلك هناك أمثلة عديدة كما يقـال بالانجليزية ((Trar Fetched) (مشدودة من شعرها) لا تثبت شيئا وأقول ببساطة ان هناك نوعا من الانثروبولوجيا يقول عنها (جوليان) انها انثروبولوجيا فلسفية ، أما أنا فأكتفى بكلمـة انثروبولوجيا فقط . وهناك انثروبولوجيا ماركسية يكون فيها الانسان دائما فى حالة صراع مع الانسان، ويبدو لى حتى الان دون أى سبق فلسفى أن كل هذا يؤيده التاريخ الانسانى والتحليل الاجتماعى الذى يمكن أن نخرج به ودون الدخول فى تفاصيل ، أقول بأنه هناك الكثير مما يؤكد قيمة هذه الانثروبولوجيا المبنية على هذا الميل للصراع وفيما يتعلق بمسألة القيم والايديولوجية أعتقد أن هذا يمكن أن يدخل فى اطار الانساق الفلسفية المختلفة بشرط أن يحتفظ ببعض السمات المميزة، وبحيث تضمن هذه الانساق بطريقة أو بأخرى قيمة التفاؤل الفعال على سبيل المثال أو القيمة العليا الممنوحة للانسان بصفة عامة . وان أكثر من نسق فلسفى يمكن أن توجد مع بعضها لكنى لا أزعم انى أفهم كثيرا هذه المسائل ولذلك أتواضع كثيرا حول هذه النقط . وأعتقد أن أحد الفلاسفة قد يصوغ ذلك بطريقة يقبلها الفلاسفة اما انا فلست اتمتع بهذه القدرة .

والسيد الذى تكلم قبل ذلك اعتقد انه لم يفهمنى تماما عندما قال انى ادعو لادخال بعض القيم الماركسية فى الاسلام ليس الامر على هذا النحو تماما ولقد قال وانا ايضا اقول ان بعض هذه القيم موجود بالفعل فى الاسلام عندما اعطيت بعض الامثلة مثل التفاؤل اتحدث عن التحديات ، هو ان الاسلام كما هو وليس كما يجب ان يكون ، يمكن ان يستلهم من هذا المثل ليضع فى الصف الاول من القيم تلك التى كانت فى المرتبة الثانية فى الصورة الحالية للاسلام ، هذا مجرد اقتراح ، لكن ما يحدث الان فى الاسلام يذكرنى بما حدث فى الكاثوليكية فى القرن التاسع عشر وحتى فى بداية القرن العشرين وكانت النتيجة فى الكاثوليكية هى بعض النفور من جانب رعيتها بحيث ان الكاثوليكية اضطرت مؤخرا للجوء الى عملية تجديد
aggiernamento

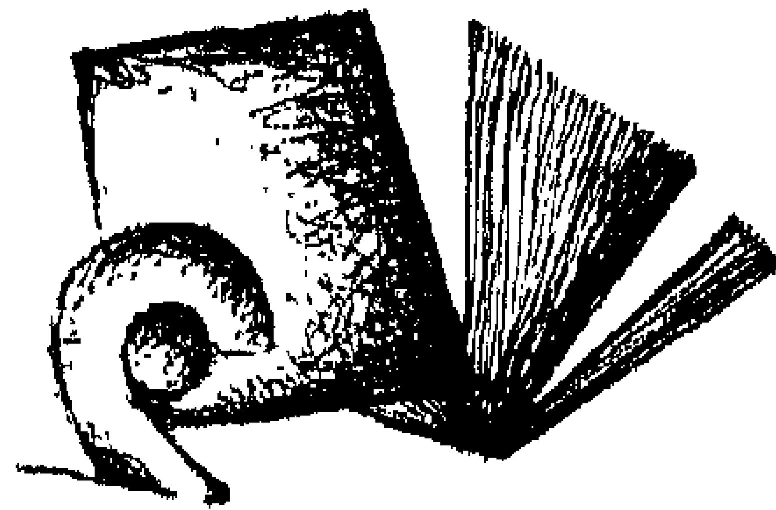
كذلك ندم الى حد ما على موقفه فى الماضى القائل بأن الامور سهلة ويكفى الرجوع الى الماضى حيث كان المجتمع المسيحى فى العصور الوسطى يسير بطريقة ممتازة، كذلك كانت مبادئه ممتازة، وقال القديس توما الاكوينى بضرورة وضع قيود على الملكية الخاصة الخ . وكانت هناك فترة كان يكتفى فيها بهذا اما الكاثوليكية الان فقد فهمت انها تستطيع تعديل بعض القيم بما يتناسب والعصر الحالى دون مساس بقيمها الاساسية، وان ذلك يسمح لها بالتقرب الى الناس الوقت الحالى . واذكر ذلك على سبيل المثال فقط ولن ازيد عليه .

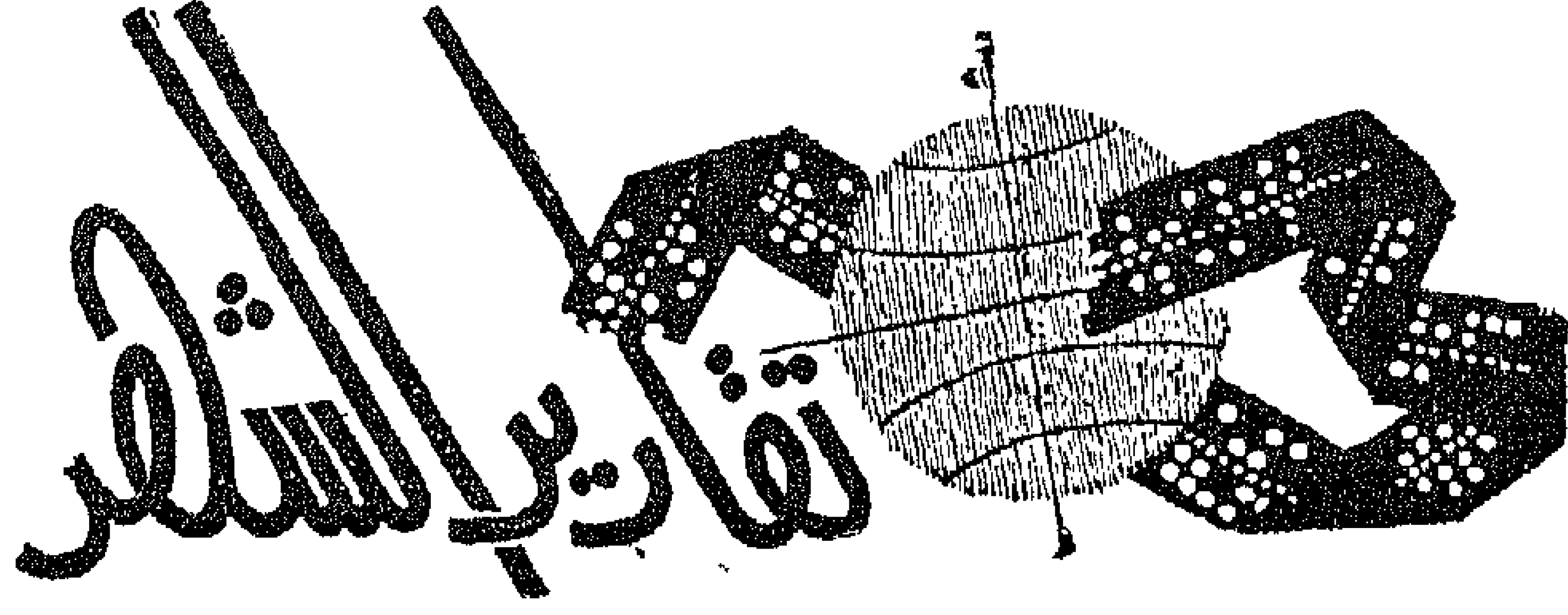
والسيد عبد المنعم خلاف يقول ان الماركسية تقف عند حدود العالم المادى ، وانا اسأله ان يفكر

فى الاتى : ان الماركسيين الذين يؤمنون بهذا العالم المادى قاموا بتضحيات مذهلة واحيانا فى ظروف تدعو للرثاء ولقد قاموا بهذه التضحيات باسم ايمانهم ، وضحوا بالكثير. وهناك نماذج عديدة، فتاريخ الاتحاد السوفيتى هو مثل للتبدل والتضحية، من آلاف الناس فى سبيل هذا الايمان ومن السهل ان نقارن من ناحية بين مثل أعلى للاسلام كما ينبغى ان يكون والمسيحية كما ينبغى ان تكون مع اهمال ما يبقى من تشويهات وانحرافات ، ومن ناحية أخرى بين التطبيق وانا اوافق على عظمة المبادىء الاسلامية والمسيحية واليهودية والبوذية والماركسية ، وذلك يذكرنى بالحجج التى تستخدمها الصهيونية ضدى فى الندوات التى يذكروننى فيها ، اقول هذا او ذاك من الحاخامات وينتهون الى أنه من الضرورى ان تعضد دولة اسرائيل ولكن الوضع مختلف تماما فى الواقع فليست اسرائيل تجسيد لهذه الاقوال الجميلة لمجرد انها تدعى صلتها بها . ويلهمنا هذا النموذج بعدم الركون الى مبدأ اساسه جميل للحكم على مجتمع بأكمله . ولقد كتب السيد [تنجرى] كتابا كبيرا تكرم باهدائى نسخة منه وهو لم يطبع بعد ، عن الاشتراكية الاسلامية، واعتقد اننى لا اتفق معه تماما كما ذكرت فى كتابى (الاسلام والراسمالية) لكن ذلك يتطلب كثيرا من الايضاح لشرحه لكن المهم فى الامر يقرب مما ذكرته الان ، وعندما نقول ان الماركسية تطوى الفرد تحت المجتمع ، لنقل فقط بانها نوع ما من الماركسية ، وهنا ايضا لا يجب ان نطبق المسالة بطريقة ضجماطيقية فليس هناك ماركسية واحدة بل اشياء كثيرة، فليست الماركسية هى فقط ما يمارس فى الاتحاد السوفيتى او الاسلام ما يمارس فى باكستان او السعودية الخ .. بل هناك تجسيد للقيم فى مجتمع ما ولا يعنى هذا ان المجتمع يترجمها بدقة . فعندما نقول ان ثورة ١٩١٧ انتصار للفكر الماركسى فهذا صحيح وغير صحيح لانها انتصار لحركة ايديولوجية مستلهمة من الماركسية اما انتصار الفكر الماركسى فأمر مختلف تماما . أما عن الاسلام عند السوفييت فيجب ان نتحلم عنه كثيرا ولدى بعض الاصدقاء المتخصصين فى هذا الموضوع وانا ايضا كتبت عن (سلطان جالييف) وتجربته مثيرة للغاية، واعتقدانك كنت على حق عند قولك بأن فيها اشياء مستقبلة كثيرا مثل التوجيهات الاشتراكية فى الدول النامية ، ولقد قلت ذلك انا ايضا فى مقال منذ بضع سنوات ولا اعتقد ان الاسلام السوفيتى كان بعيدا عن البلشفية لانه كان يملك كل الحلول فمن الصعب جدا ان نعرف امرا كهذا بتفاصيله العديدة ، لكنى لا اعتقد انه كان منفصلا عن الفكر الماركسى وكما قال لى بعض الاصدقاء المتخصصين ان مفكرى دول ارباكستان وغيرها من الدول السوفيتية التى فيها اسلام قد تقبلوا النظام السوفيتى بصفة عامة فيما اعتقد ولقد اخبرنى بذلك اناس محايدون لا يتحزبون لاى شىء .وبهذا انتهى ولا اعرف ان كنت قد احسنت الاجابة والتعقيب على الآراء المختلفة التى لفتت نظرى كثيرا واشكركم على تفهمكم واستقبالكم العظيم ؟

د. لبيب شقير :

اشكر الاستاذ رودنسون على كل التحليلات التى قام بها واعتقد انه فى نهاية هذه الندوة وهذه المناقشات ثمة شىء نستطيع اثباته وهو انه من المفيد دائما ان نتناقش من الجوانب المختلفة لنقف على آراء بعضنا ونخلق تضامنا انسانيا مبنيا على فهم كل طرف للطرف الآخر ، وبذلك نصل الى سعادة الانسان فى كل مكان من العالم ... وشكرا ..





■ الشعب السوفيتي يدعم المقاومة الفلسطينية
■ جولة روجرز حلقة جديدة في التآمر ضد أفريقيا
■ المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي
■ الفيلسوف في مواجهة أعداء الانسان

■ الجمهورية العربية المتحدة

دول المواجهة ومهام المرحلة القادمة

النتائج التى حققها مؤتمر دول المواجهة كانت ردا حاسما لما قيل عن مؤتمر الرباط • لقد أشاع العدو ان العرب لا يمكن ان يقوموا بعمل موحد ، وهذا غير صحيح ، لان مؤتمر المواجهة جاء ردا على هذه الدعايات المغرضة • لقد اتخذ المؤتمر موقفا موحدا ، وخرج بنتائج موحدة ، واستطعنا ان نخرج بحلول ايجابية •

بهذه الكلمات علق **الرئيس جعفر نميرى** على مؤتمر المواجهة الذى انعقد فى القاهرة فى أوائل الشهر الماضى ، وحضره رؤساء كل من مصر والسودان وسوريا والاردن ونائب الرئيس العراقى • ولقد ناقش المؤتمر الوضع العسكرى فى الجبهتين المصرية والشرقية على ضوء التقرير الذى تقدم به **اللواء محمد فوزى** باعتباره قائدا عاما • وبحث المؤتمر تطورات الوضع المترتب على تصعيد اسرائيل لعملياتها العسكرية ولغاراتها البربرية على المدن العربية وعلى المدنيين ، ودعم امريكا لاسرائيل وتزويدها بالسلاح الذى يستخدم لضرب العرب • كما ناقش المؤتمر كذلك خطة العمل العسكرى فى المستقبل وامكانيات تعبئة القوى على طول الجبهة الشرقية حتى تتمكن من مواجهة اى هجوم مفاجىء •

ويرى المراقبون ان البيان الصادر عن المؤتمر يتضمن عدة نقاط على جانب كبير من الاهمية فى الظروف الحاضرة :

● فالبيان يكشف بوضوح عن اقتناع الدول المشتركة فيه بضرورة استمرار الحرب حتى يتم تحرير الارض المحتلة ، وعن رفض دول المواجهة لوقف اطلاق النار ، طالما وجدت قوات احتلال فى اراضيها • وجاء فى البيان « أن دول المواجهة لتؤكد من جديد عزمها على تحرير الارض العربية المغتصبة وايمانها المطلق بحتمية الانتصار » •

وعلقت وكالة الانباء الفرنسية على ذلك قائلة : « ان ج • ع • م ودول المواجهة قد رفضوا نهائيا وقف اطلاق النار قبل تحرير الارض المحتلة » •

● وفضح المؤتمر موقف الولايات المتحدة المؤيد لاسرائيل وأدان هذا الموقف بصراحة تامة حين قال :

« ينعقد اجتماعنا هـذا فى وقت تتخذ فيـه الولايات المتحدة الامريكية موقفا عدائيا جديدا ضد الامة العربية وتكشف عن ارتباطاتها الحقيقية مع الصهيونية والمخطط التوسعى الاسرائيلى . ان الولايات المتحدة بمسلكها هذا وبدعمها المتواصل لاسرائيل انما تعمل على تعريض الامن والسلام فى الشرق الاوسط والسلام العالمى للخطر فتتحمل بهذا مسئولية خطيرة امام المجتمع الدولى والانسانية جمعاء » .

● كما هدد المؤتمر بتصفية المصالح الامريكية فى المنطقة على اعتبار ان هذه التصفيه هى الرد العملى على موقف التأييد والمساندة الواضحةمن جانب وشنطن لاسرائيل . وجاء فى البيان « ان **الامه العربيه ترفض ان ترى مواردها وخيراتها تستغل وتحول لتقديم عونا وسلاحا لاسرائيل وان استمرار مثل هذا الاستغلال ليعتبر عمـلا استعماريا ويستوجب على الامه العربيه ان تعمل على تصفيته** » .

وقد صرح **فاروق ابو عيسى** وزير الدولـة السودانى عقب انتهاء المؤتمر بان المؤتمر كان ايجابيا عندما حدد مهام المرحلة القادمه بتعبئه العمل السياسى والجماهيرى لمواجهة السياسة الامريكية المنحازة لاسرائيل بالعمل على ضرب كافة المصالح الاستعمارية فى منطقتنا وعلى راسها المصالح الامريكية وتصفية استثماراتها وتحويل كل الامكانيات لمصلحتنا ولخدمة المعركة ضـد العدو » .

● وختم المؤتمر بيانه بالدعوة الى وحدة وتضامن كل القوى الشريفة المعادية للعدوان من اجل اعادة الحقوق المغتصبة الى اصحابها ومن اجل اقرار السلام فى المنطقة ، وذلك حينمـا قال : « ان دول المواجهة تتوجه الى جميع الشعوب المحبة للحرية وللتقدم والسلام ، وحكوماتها لتقف بحزم فى جبهة مشتركة لردع العدوان وتوطيد دعائم الحق والعدل والسلام » .

●

لجان المواطنين من أجل المعركة

بات

من المتوقع ان تبـدأ خـلال الايام القليلة المقبلةالاجراءات التنفيذية لتشـكيل « **لجـان المواطنين من أجل المعركة** »، وذلكبعد أناقرت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى اجتـماعها يوم ٣ فـبراير الماضى — التقـرير الذى قـدمه **الرئيس جمـال عبد النـاصر** الى اللجنـة ، متضمنا الراى الـذى كانت اللجنة التنفيذية العليا قد خلصت اليه بشـأن القواعد الواجب مراعاتها فى تشكيل لجـان المواطنين .

وعلى أساس أن التصور العام للجمـاهير الشعبيه بكل تنظيماتها – هو أن معركتنا مع العدو هى معركة شاملة طويلة المدى ضارية الصراع تحتمل كل غدر منه، وكل صورة منصورالعدوان الذى لايميز بين هدف عسكرى وبين آخر غير عسكرى . وبين وسائل حربية مشروعة وبيـن وسائل غير مشروعة دوليا – فان مثل هذه المعركة لابد لها من حشد كلالامكانيات التى تختزنها قوى الشعب العاملة دون ما تمييز ، ودون رد أى مواطن عن رغبته فى المساهمة فى هذه المعركة المصيرية بأى جهد وبأى امكانية .

وقد وافقت اللجنة المركزية على الاطار العام الذى حددته اللجنة التنفيذية العليا لتشكيل لجان المواطنين من كافة الراغبين فى الانضمام اليها على أساس التطوع الاختيارى . بشرط أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى [يستثنى من هذا الشرط رجال القضاء وأفراد القوات المسلحة) – كما قررت اللجنة المركزية عدم تعدد مستويات هذه اللجان لما تقتضيه طبيعة عملها من مبادرة ذاتية وسرعة وبعد عن التعقيد .

أما خطوات تشكيل اللجان كما وضعت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى خطـوطها العامة فسوف تتم على النحو التالى :

١ – يفتح باب التطوع لعضوية لجان المواطنين من أجل المعركة فى القرى والوحدات الجماهيرية والسكنية ذات الاهمية الاستراتيجية .

٢ – يتمتوزيع المواطنين المتطوعين فىكلموقع على الانشطة الفرعية التى تتطلبها المعركة كالدفاع الشعبى والدفاع المدنى والانقـاذ والحـريق والاسعاف واصلاح الطرق والمواصلات والمرافق العامة ورعاية أسر الجنود والمهجرين .

٣ – تختار كل مجموعة من مجموعات النشاط الفرعى مقررا لها .

٤ – يتكون من مجموع مقررى هذه الانشطة الفرعية مكتب للجنة المواطنين من أجل المعركة .

٥ – ينتخب المكتب من بين أعضائه مسئولا أو سكرتيرا .

٦ – تتكون لجنة اتصال على مستوى المحافظة من مجموع مسئولى لجان المواطنين الاكثر أهمية استراتيجية بحيث لا يزيد عددها عن ٢٠ عضوا ينضم اليهم المحافظ وأمين الاتحادالاشتراكى .

٧ ـ تقوم على قمة تشكيلات لجان المواطنين من أجل المعركة ـ لجنة عامة يجرى اختيارها من بين القيادات المناضلة ذات الثقل فى مجال العمل الوطنى ويتم تشكيلها بقرار من رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى وعدد أعضائها حوالى الخمسين عضوا يكفل اختيارهم تمثيل المؤتمر القومى واللجنة المركزية والمحافظات وكذلك النوعيات المختلفة لفئات المواطنين بما فيهم رجال الدين والعسكريون ورجال القضاء ورجال الشرطة ٠

وتختص اللجنة العامة بتنظيم طريقة تكوين لجان المواطنين وتحديد اختصاصاتها ومسئولياتها ونظام سير العمل بها وطريقة اتصالها بغيرها من التنظيمات والاجهزة الاخرى ٠

وتشكل اللجنة العامة من بين أعضائها « أمانة عامة » يرأسها امين عام للجنة، وهو الذى يمثلها فى الاتصال بكافة الاجهزة ٠ كما أن لها أن تقسم العمل بين أعضائها بحيث يكون لكل محافظة عضو واحد على الاقل كمسئول عن الاتصال بها واقامة التشكيلات فيها ومتابعة النشاط بها ٠

هذا ومن المقرر طبقا لما اقرته اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى أن يتم تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة فى جميع محافظات الجمهورية تدريجيا بحسب الاهمية الاستراتيجية للمواقع التى يجرى التشكيل بها ٠

●

تكامل اقتصادى عربى

شهدت القاهرة خلال الشهر الماضى عدة اجتماعات ولقاءات عربية اقتصادية على أعلى مستوى ، فأجريت مباحثات ثنائية بين الجمهورية العربية المتحدة وكل من سوريا والعراق، ثم تحولت الى مباحثات ثلاثية ، كذلك اجتمع مجلس الوحدة الاقتصادية العربية الذى يضم سبع دول عربية ، وأعقبه اجتماع لمجلس وزراء الاقتصاد العرب ٠٠ واذا ربطنا كل هذا باتفاقيات التكامل الاقتصادى التى سبق ووقعت بين كل من الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا ٠ فانه يمكننا أن ندرك عمق الاحساس الذى يجتاح الشعوب العربية بأهمية التعاون والتكامل الاقتصادى العربى باعتباره سلاحا هاما وخطيرا ينظم ويجمع الطاقات العربية فى مواجهة العدوان الاستعمارى الصهيونى على الشعوب العربية ٠ وباعتباره يضع الاسس المادية ـ أيضا ـ لخلق وحدة وتكامل عربى حقيقى فى كافة الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية ٠

ويرى المهتمون بشئون الاقتصاديات العربية ان الاتفاقيات التى وقعت بين كل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق قد تناولت عدة نقاط هامة كفيلة لو نفذت بأن تضع أسسا قوية لخلق تكامل اقتصادى بين هذه البلاد الثلاثة ، ولقد شملت هذه الاتفاقيات بنودا خاصة بالتبادل التجارى والصناعى من ناحية كما شملت ايضا انشاء شركات عربية مشتركة للقيام بعدد من المشروعات والاستثمارات الانتاجية فى البلاد الثلاثة ٠٠

ويضيف خبراء الاقتصاد العربى بأن مثل هذه الاتفاقيات الثنائية والثلاثية التى وقعت بين ج ٠ ع ٠ م وسوريا والعراق من ناحية ، وبين ج٠ع٠م والسودان وليبيا من ناحية أخرى ، تساهم فى وضع نواة للوحدة الاقتصادية العربية المنشودة. كما يلاحظون ان الوعى العربى بأهمية التعاون والتضامن الاقتصادى قد تعدى حساسيات كثيرة كانت وما زالت الدوائر الاستعمارية والرجعية تعمل على تفجيرها وتأكيدها لوضع العقبات أمام تكامل اقتصادى عربى حقيقى ٠٠

فيلاحظ مثلا فى اجتماعات المجلس الاقتصادى العربى ان عددا من وزراء الاقتصاد العرب ورؤساء الوفود قد نددوا بسياسة تجميد المشروعات الحيوية التى مضى على بعضها أكثر من ١٥ عاما ولم تخرج الى حيز التنفيذ ٠ وأشاروا الى أن العرب لم يتحركوا بما لديهم من امكانيات واسعة لمواجهة التكتلات الاقتصادية والاقليمية ٠

وقد أجمعت كلمات الوزراء ورؤساء الوفود على ضرورة وضع الاقتصاد العربى فى خدمة المعركة ، وتأمين الموارد الكافية للصمود والمواجهة ، وتعبئة القوى الاقتصادية العربية وبضرورة وضع جدول زمنى لتحقيق الاهداف الاقتصادية ٠

ولعل أهم نتيجة عملية اسفرت عنها اجتماعات المجلس الاقتصادى العربى هى وضع مشروع الصندوق العربى للاتحاد الاقتصادى والاجتماعى موضع التنفيذ بعد أن ظل حبرا على ورق سنوات طويلة ٠ فقد اعتمدت بالفعل ميزانية هذا الصندوق كما وزعت أنصبة الدول المساهمة وحددت بعض المشروعات التى يقوم بها الصندوق، كذلك نوقشت بعض الموضوعات الاقتصادية الهامة والتى تتعلق بتوحيد التعريفة الجمركية ، واعداد دراسات لتوحيد قوانين التأمينات الاجتماعية والضمان الاجتماعى وحرية انتقال الايدى العاملة ٠

وكان من أهم الاتجاهات التى سادت المحادثات الاقتصادية التى جرت خلال الشهر الماضى بين الدول العربية سواء فى اللقاءات الثنائية أو الثلاثية ، أو من خلال المجلس الاقتصادى العربى أو مجلس الوحدة الاقتصادية :

أولا : انه من الضرورى دعم التكامل الاقتصادى العربى دعما حقيقيا لمواجهة التكتلات الاقتصاديه الاستعمارية ·

ثانيا : ان يدخل الاقتصاد العربى والامكانيات العربيه المعركة بوضوح ضد اعداء الشعب العربى ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية التى تساند وتدعم العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية · وفى هذا الصدد لاحظ بعض وزراء الاقتصاد العرب أن اسرائيل تستفيد كثيرا من الارصدة العربية الموجودة فى بنوك انجليزية وأمريكية ، وايضا من استمرار استنزاف بعض الشركات الاستعماريه لطاقات وامكانيات بعض الدول العربية ·

ثالثا : انشاء أجهزة متابعة ووضع جداول زمنية للتنفيذ حتى لا تضيع المشروعات أو تغمر فى تيه من الكلمات والاوراق والتى لا تخرج بها الى حيز التنفيذ ··

ويجمع المراقبون على أن التحركات الاقتصادية التى شهدها الشهر الماضى تعبر بدرجة كبيرة عن احساس الجماهير العربية بأهمية تنظيم الاقتصاد العربى ودعمه ليكون سلاحا قويا فى المعركة المصيرية التى تخوضها الشعوب العربية ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية ·

■ ■

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

لن توقف اطلاق النار الا بعد تحرير الارض المحتلة

أحدثت الغارة الاسرائيلية البربرية على مصنع المنتجات المعدنية بأبى زعبل رد فعل عنيف ، وأثارت موجة من الاستنكار فى جميع الاوساط الشعبية والرسمية على نطاق العالم · وكانت هذه الغارة المتعمدة ، كما وصفتها وكالة الانباء الفرنسية جزءا من مخطط الحرب النفسية الذى تشنه الولايات المتحدة واسرائيل ضد ج·ع·م· بهدف اشاعة الذعر بين صفوف الشعب والنيل من قدرته على الصمود · وعلى الرغم من موجة الاستنكار الواسعة التى اثارتها الغاره اعلنت الولايات المتحدة تحديها السافر للامة العربية بتصريح المصادر المسئولة ان الغارة لن يكون لها اى تاثير على قرار الرئيس نيكسون بشأن تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم والسكاى هوك · ورد الدكتور الزيات على ذلك بقوله « اننا لا يهمنا تقديم اسلحة جديدة لاسرائيل الا انه اعلان عن قيام حلف عسكرى بين اسرائيل وحكومة نيكسون » .

وخلال الشهر الماضى تمادت اسرائيل فى تصعيد عملياتها العدوانية ليس فقط على طول جبهات القتال وانما مدت غاراتها الى اعماق الارض المصرية · فقامت الطائرات الاسرائيلية بضرب الاهداف المدنية وكشفت جولدا مايير عن هدف تلك العمليات بتصريحها « بأن غارات اسرائيل لابد وأن تضعف مركز النظام المصرى فى البلاد وتجبر المصريين على قبول السلم ! ! » ·

وقد علقت صحيفة الفيجارو الفرنسية على العمليات الاخيرة التى قامت بها اسرائيل وتساءلت « أليس ذلك كله مقدمة لعمليات أكثر اتساعا فى الشرق الاوسط ؟ وأشارت الصحيفة المذكورة الى أن الخبراء العسكريين يؤكدون أن محاولات السلاح الجوى الاسرائيلى الاخيرة فى ج · ع · م انما تهدف الى اتاحة الفرصة لقراصنة الجو الاسرائيليين للقيام بعمليات مسح اوسع نطاقا فوق اراضى ج · ع · م · » ·

ويؤكد كثير من المراقبين بأن الهدف من وراء عمليات تصعيد العدوان ضد ج · ع · م هو محاولة خبيثة من قبل اسرائيل والولايات المتحدة لزيادة تحرج الوضع فى المنطقة لتمهيد الطريق أمام مناورة استعمارية جديدة للتدخل وفرض وقف اطلاق النار او ارسال قوات الطوارىء على خطوط وقف اطلاق النار بهدف حماية أمن اسرائيل فى المناطق المحتلة والحيلولة دون أن تشن القوات العربية هجوما شاملا لتحرير الارض المحتلة وجعل احتلال اسرائيل لهذه الارض أمرا واقعا ونهائيا ·

وازاء تزايد الاوضاع تدهورا نتيجة للعمليات الاسرائيلية الاخيرة بعث الاتحاد السوفيتى بمذكرة شديدة اللهجة الى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا · واتهم الاتحاد السوفيتى فى هذه المذكرة اسرائيل والولايات المتحدة بعرقلة الجهود التى تبذل لايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط وأكد ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة دون قيد أو شرط كطريق لتسوية الازمة · وقالت الاسوشيتدبرس ان الاتحاد السوفيتى هدد بزيادة مساعداته العسكرية للدول العربية اذا ما استمرت اسرائيل فى تصعيد

عملياتها العسكرية ضد الدول العربية • وكانت مذكرة الاتحاد السوفيتى بمثابة انذار موجه الى واشنطن ، فسارعت الولايات المتحدة باجراء مشاورات عاجلة مع باريس ولندن بغية التوصل الى موقف موحد لمواجهة الموقف السوفيتى • وجاء الرد الامريكى على المذكرة السوفيتية استمرارا لمساندة اسرائيل ووصفته وكالة تاس بانه دفاع عن اسرائيل وبأنه يضع المعتدى والضحية على قدم المساواة ، ويهاجم الكفاح العادل للعرب ويهدد بزيادة الاسلحة لاسرائيل ولا يمكن وصفه الا بانه تشجيع للمعتدى » • وأعلنت اسرائيل رضاها الكامل عن الرد الامريكى فصرحت جولدا مايير قائلة « بأن نيكسون ركز فى رده على كوسيجين على المطالبة بوقف اطلاق النار وهو نفس مطلب اسرائيل » • وجاء الرد البريطانى فى نفس الاتجاه مطالبا بضرورة العودة الى وقف اطلاق النار وضرورة فرض حظر على صفقات الاسلحة التى ترسل الى المنطقة » • وذكرت المصادر الفرنسية أن الرد الفرنسى تضمن اقتراحا بأن يطلب مجلس الامن الى الدول المتحاربة العودة الى الالتزام بوقف اطلاق النار وعودة قوات الطوارىء الى خطوط وقف اطلاق النار •وفى أعقاب رد الدول الثلاث شنت الصحف الاستعمارية حملة واسعة تدعو الى ضرورة وقف اطلاق النار •

وفضح المتحدث الرسمى باسم ج • ع • م هذه المناورة فأكد أن وقف اطلاق النار الصادر فى يونيو ١٩٦٧ وقرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر من العام نفسه لا يمكن النظر الى احدهما دون الاخر والا تحولت خطوط وقف اطلاق النار فى نظر اسرائيل الى حدود وهو أمر غير مقبول بتاتا . وصرح الرئيس جمال عبد الناصر للصحفيين الامريكيين تعليقا على ذلك قائلا « انه لا بديل لاستمرار القتال غير انسحاب القوات المعتدية انسحابا تاما من جميع الاراضى المحتلة •• ان وقف اطلاق النار معناه قبول العرب لمواصلة احتلال اسرائيل لاراضيهم » •

وفى مواجهة هذا الموقف الممالىء لاسرائيل والمساندة الكاملة لها من قبل الولايات المتحدة أعلن الاتحاد السوفيتى بأنه سوف يقدم الى الدول العربية كل انواع الاسلحة اللازمة للمحافظة على أمنها وسلامتها ، وفى نفس الوقت تم تعزيز الاسطول السوفيتى فى البحر الاحمر بانضمام ١١ قطعة جديدة اليه من بينهما حاملة طائرات ضخمة •

وعلى خط القتال واجهت القوات المسلحة العربية تصعيد اسرائيل للعمليات العسكرية بتشديد هجماتها على طول الجبهة وفى اعماق سيناء خلف خطوط العدو ، وشهد الشهر الماضى عملية للضفادع البشرية المصرية فى أجرأ غارة على مياه ايلات حيث تم نسف سفينتين عسكريتين • وقد اصابت هذه الضربة اسرائيل بذهول كامل وقالت الاسوشيتدبرس « ان المراقبين العسكريين فى تل أبيب اعترفوا بأن هجوم الضفادع البشرية المصرية فى ايلات كان له وقع المفاجأة الكاملة فى اسرائيل • كما اشارت جريدة ها ارتس الاسرائيلية الى أن فشل الجيش الاسرائيلى فى صد الهجوم المصرى يحمل فى طياته المزيد من الخطورة وأن هذا الفشل يعتبر خطأ جسيما » • وفى نفس الوقت شهد الشهر الماضى اوسع عمليات لسلاح الطيران فى الغارات الجريئة على مواقع العدو ومراكز تجمعاته ، والمعارك الضارية التى اشتبك فيها مع سلاح الطيران الاسرائيلى ، واثبتت هذه المعارك قدرة الطيران المصرى على التصدى لطيران العدو رغم قوته بل وعلى تسديد ضربات شديدة اليه • ولقد خسر العدو فى هذه المعارك العنيفة عددا من طائراته يفوق ما خسره في المعارك السابقة . وعلقت وكالة الانباء الفرنسية على معارك الطيران قائلة « ان المعلقين الاسرائيليين يرون ان انتصار مصر فى معارك الطيران الاخيرة سيقوى من اصرارها على مواصلة القتال » •

●

■ الاردن

•• وتمكنت المقاومة من تخطى أزمة جديدة

وأخيرا تمكنت المقاومة من التوصل الى اتفاق مع حكومة الاردن لحل الازمة الحادة التى نشبت بينها وبين السلطات الاردنية ، هذه الازمة التى بقيت مستحكمة على الرغم مما اعلنته الحكومة الاردنية قبيل العيد من تجميد القرارات التى اتخذتها من قبل ، والتى اعتبرتها المقاومة الفلسطينية قيودا جديدة تشكل خطرا كاملا ومصيريا على الثورة الفلسطينية ، بالرغم من حرص منظمات المقاومة على تفادى جميع الاعمال التى تتسم بالتحدى او الاستفزاز •

وعلى اثر اعلان الحكومة الاردنية تجميد القرارات التى اتخذتها بفرض « قيود الأمن »



● ياسر عرفات

قدمت القيادة الموحده لمنظمات المقاومة العشر ميثاقا من سبع نقاط لحل الازمة . وتقوم النقاط التى تضمنها الميثاق المقترح من جانب منظمات المقاومة على اساس تعزيز علاقات منظمات المقاومة مع الجيش الاردنى وقوات الامن ليقفوا صفا واحدا فى مجابهة الغزو الصهيونى الامبريالى .

وعشية استئناف المباحثات بين السلطات الاردنية وممثلى القيادة الموحدة لمنظمات المقاومة أعلنت القيادة الموحدة لمنظمات المقاومة بيانا للشعب تدعوه لليقظة ازاء « عمليات تعبئة تتم فى بعض اجهزة الجيش والبوليس » ، « وعملية تعبئة تتم على اساس التفرقة بين الفلسطينى والاردنى » . كما تم تسريح عدد من ضباط الجيش واشتكى عدد آخر منهم من ان قوات البادية قد فرضت عليهم الرقابة .

وكانت الازمة قد نشبت ــ كما هو معلوم ــ بسبب القرارات التى اصدرتها الحكومة الاردنية والتى تنص على منع التجول بالسلاح فى العاصمة او الاحتفاظ به داخل المركبات ومنع جميع المظاهرات والنداءات والتجمعات واصدار النشرات والمجلات ، ومنع النشاط الحزبى باى صورة من الصور ، وكانت الحكومة الاردنية قد حشدت كتيبة من الدبابات فى عمان قبل اصدار هذه القرارات .

وفور اعلان هذه القرارات عقدت منظمات المقاومة اجتماعا طارئا وأعلنت تشكيل قيادة مشتركة لقيادة العمليات ضد اى محاولة لضرب العمل الفدائى او الحد من حريته . واجتمع ممثلو منظمات المقاومة مع السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء وابلغوه رفضهم للقرارات التى اتخذتها الحكومة ، وواصل رجال المقاومة تجولهم فى شوارع عمان رغم قرار الحظر الحكومى ، كما أقاموا المتاريس والخنادق حول اماكن تجمعاتهم ومكاتبهم . وعندما قطعت الاتصالات التليفونية استعانوا فى اتصالاتهم بأجهزة اللاسلكى .

وفى محاولة من جانب قوات البادية لتفريق اجتماع عند « جبل التاج » فى العاصمة الاردنية قتل ١٥ من رجال المقاومة منهم ٨ من فتح أحداهم سيدة ، واحرقت سيارتان لرجال الامن وقتل ثمانية .

وكانت قيادة الكفاح المسلح قد اعلنت انها لن تطلق الرصاصة الاولى ، ولكنها ستطلق سيلا من الرصاص اذا ما أطلقت الرصاصة الاولى ضدها وأن حركة المقاومة تحاول ضبط النفس قدر المستطاع .

وأصدرت منظمات المقاومة بيانا مشتركا هاجمت فيه قرارات الحكومة . وكانت المنظمات قبل اصدار هذا البيان قد اجرت مشاورات مع ياسر عرفات فى موسكو حول الموقف الذى نشا بعد صدور قرارات الحكومة الاردنية . وجاء فى البيان المشترك الذى اصدرته منظمات المقاومة « ان القيود التى اعلنتها الحكومة تعد خطرا كاملا ومصيريا على شعبنا الذي حمل السلاح لتحرير بلاده وبارك الكفاح المسلح كحق عادل ومشروع في الصراع مع الصهيونية والإمبريالية » . كما اشار البيان الى « أن حركة المقاومة تعلن لكافة فصائلها انها تقف جبهة واحدة صلبة وحديدية لمواجهة الموقف ، وأنها أوكلت الى قيادة موحدة مهمة حماية المقاومة من التطويق والتصفية ومتابعة المعركة ضد العدو الصهيوني الامبريالي . وحركة المقاومة لن تتنازل عن شعرة واحدة من حقوقها التى ناضلت من أجلها منذ هزيمة يونيو حتى الان » .

وعلى اثر توتر الموقف اجتمع الملك حسين ورئيس الوزراء مع ممثلى منظمات المقاومة وأعلنت الحكومة أن قرارها لا يقصد به تقييد حركة العمل الفدائي وانما هو تنظيم ادارى يتمشى مع النظام والقانون ودواعى الامن الداخلى .

وقد أثارت اجراءات الحكومة اجتمع الملك حسين مرة أخرى بممثلى منظمات المقاومة ، وعقب الاجتماع اعلنت الحكومة الاردنية وقف العمل بالقرارات .

واعلن الملك حسين ان الاجراءات داخلية بحتة، ولم تستهدف المقاومة .

ويرى المراقبون ان حركة المقاومة تجتاز الان مرحلة صعبة على طريق حماية القضية الفلسطينية وان الامبريالية العالمية عاما والامريكية خاصة تسعى الى القضاء على المقاومة وتصفية القضيه الفلسطينية . وان بعض الجهات تسعى لدفع الحوادث الى مداها وتعرقل الوصول الى حل سليم . ومن هنا فان الانظار كلها معلقة بالاجتماعات التي بدأت بين السلطات الاردنية وبين ممثلى منظمات المقاومة والتي يشترك فيها الملك حسين وبهجت التلهوني وياسر عرفات .

●

■ فلسطين المحتلة

الشعب السوفيتى .. يدعم المقاومة

في ٩ فبراير غادر القاهرة الى موسكو وفد سياسى وعسكرى من **منظمة التحرير الفلسطينية** ، برئاسة ياسر عرفات فى زيارة رسمية للاتحاد السوفيتى ، بناء على دعوة من لجنة التضامن الاسيوية الافريقية بالاتحاد السوفيتى.

وقد أثارت هذه الزيارة اهتمام كثير من الدوائر التي تشغلها ازمة الشرق الاوسط، خاصة وان هذه هى المرة الاولى التى توجه فيها دعوة لوفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية لزيارة الاتحاد السوفيتى .

وتجرى هذه الزيارة فى وقت تقوم فيه اسرائيل بتصعيد عملياتها العدوانية بهدف تصفية نضال الشعب الفلسطينى وتقف امريكا بوجهها سافرة تقدم السلاح لاسرائيل لتضرب به العرب ، ولتحاول استمرار فرض احتلالها للارض العربية . وقد اشار ياسر عرفات قبيل سفره الى ذلك حينما صرح قائلا : « **انه فى نفس الوقت الذى تحاول فيه الولايات المتحده اعاقة تقدم ثورتنا عن طريق امداد عدونا بالسلاح والمعدات التدميرية فان الاتحاد السوفيتى الصديق الذى يقف دائما مع الشعوب يوجه الينا الدعوة لزيارة موسكو** » .

ويشير المراقبون الى أن اهمية هذه الزيارة تكمن فى أنها تحدث فى اعقاب تأييد الحكومة السوفيتية صراحة وبشكل محدد للنضال المشروع والعادل لشعب فلسطين، واعلانها عن استعدادها لتقديم كافة المساعدات للعرب الفلسطينيين من اجل استرداد حقوقهم العادلة والمشروعة .

وقد اعلنت المصادر الوثيقة الصلة بالمنظمة بأن الوفد المسافر الى موسكو سوف يبحث مع المسئولين السوفيت احتياجات الفدائيين الفلسطينيين من الاسلحة والعتاد وبشكل خاص المدافع المضادة للطائرات .

وقبيل سفر الوفد الى موسكو صرح ياسر عرفات « بأن ابرز التحديات التى تواجه الثورة الفلسطينية الان هى المؤامرات الامريكية لتصفية القضية الفلسطينية ، ومع أننا نقف فى وجه هذه المؤامرات باستمرار الا اننا نطالب بالتأييد والعون من كافة الاصدقاء فى العالم وفى مقدمتهم شعب

تعليق

« سنابل » كفر الشيخ .. تدعو للأمل

من الملاحظات المتكررة لاى راض دؤوب يتابع الحركة الادبية خارج العاصمة ، ان محافظة كفر الشيخ فى مختلف عهودها الادارية تبرز دائما كوجه لامع من وجوه العطاء الثقافى لاقاليم مصر . ولقد خطت هذه المحافظة فى عهدها الاخير خطوة الى الامام باصدارها مجلة ادبية اسمتها « سنابل » تحمل بين صفحاتها كلمة ابناء الاقليم ، لعل هذه الكلمة المتواضعة ان تصل فى زحمة وضجيج مجلات العاصمة الى اصحاب القلوب والعقول .

ومن واقع الاعداد الثلاثة التى صدرت من « سنابل » نستطيع القول بأن هدفها الرئيسى من شقين : اولهما : العمل على تقديم البراعم الشابة الجديدة التى كثيرا ما توارت للسبب التقليدى وهو ازمة النشر . والثانى : ان تدفع الى اوسع رقعة من الضوء اولئك الجادين من ادباء الاقاليم الذين تترفع منابر العاصمة كثيرا عن الالتفات اليهم بالرغم من جودة انتاج الكثيرين منهم .

ان هذا الهدف الذى يمكن تلمسه من واقع الاعداد التى صدرت ، لا يمنعنا من تلمس بعض الشوائب وابرزها « الغزو » الظاهرة للمجلة .. اذ انه مع ايماننا بضرورة التعايش بين ادباء مصر جميعا ، بل وبين ادباء الوطن العربى كله ، الا ان الطبيعة الخاصة لمجلة « سنابل » تملى عليها التركيز وتسليط الضوء على ادباء الاقاليم اولا . ومن الشوائب ايضا « غزو الشيوخ » لصفحاتها القليلة .. ومع ايماننا كذلك بأهمية التعايش بين الشباب والشيوخ ، الا انه يجب اختيار اكثر الشيوخ شبابا واقلهم عددا ، ذلك ان « سنابل » ثانيا هى مجلة الجيل الجديد .

على ان هذه الملاحظات لا تنفى بأية حال ، المجهود الامين والمخلص والمستوى الطيب الذى حققته « سنابل » .

غالى شكرى

الاتحاد السوفيتي العظيم الذى تفهم قضيتنا وعدالة نضالنا من اجل تحرير ارضنا » .

واضاف : « اننا نطالب من الاصدقاء السوفيت دعم مساندتهم لنا فى اوقات المحن ، واننا متأكدون من انهم سيقفون الى جانب شعبنا الفلسطينى ، خاصة وان الثورة الفلسطينية بحكم مواجهتها للامبريالية العالمية واداتها الصهيونية ثورة تقدمية .

■ الوطن العربى

الدور التقليدى لجماعة الاخوان

كانت التصريحات التى أدلى بها مؤخرا **الجنرال بوفر القائد الفرنسى** فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ للرائد عبد المنعم الهونى عضو مجلس قيادة الثورة الليبية ونقلتها جريدة الثورة الليبية ، موضع اهتمام الكثيرين ممن يتتبعون تطورات الاحداث فى عالمنا العربى ، ورأوا فيها أضواء كاشفة تنير خلفية كثير من الاحداث التى تجرى اليوم .

لقد أكد الجنرال بوفر ان خطته كانت تهدف الى « ان يحتل القاهرة لاسقاط حكم **الرئيس جمال عبد الناصر** وتسليم الحكم بعد ذلك للاخوان المسلمين . »

ويكتسب اعتراف الجنرال الفرنسى اهميته الخاصة بسبب صدوره فى فترة دقيقة يشتد فيها سعار القوى الامبريالية والصهيونية ضد نظم الحكم التقدمية فى الوطن العربى ، وتجمع فيها الانباء عن دور بارز **لجماعة الاخوان** فى المخططات المناهضة لهذه النظم فى البلدان العربية المتحررة .

لقد أعلنت حكومة الثورة السودانية منذ فترة اكتشاف مؤامرة رجعية استعمارية خطيرة ، اثبتت التحقيقات واعترافات المتهمين فيها أن الولايات المتحدة والمانيا الغربية واسرائيل كانت تقف وراءها بكل قواها فالولايات المتحدة والمانيا كانتا تقدمان كل أنواع التدريب العسكرى والاسلحة للمتآمرين بينما أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل كان يعد شركاء المؤامرة من الانفصاليين فى الجنوب أثناء اجتماعه بهم فى أوغندا بتقديم كل عون يحتاجونه ضد النظام السودانى الراهن . والى جانب اعضاء حزب الامة والانفصاليين فى الجنوب كان الشريك الثالث هم أفراد جماعة الاخوان المسلمين فى السودان الذين تلقوا الوعد « بمعونة عسكرية أجنبية تأتيهم من قاعدة عسكرية تقع فى بلد مجاور للسودان » .

وبينما كانت تجرى محاكمة المتآمرين فى السودان كانت سلطات **جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية** تعلن القاء القبض على عدد من اعضاء التنظيم السرى لجماعة الاخوان فى اليمن الجنوبية . وأعلن السيد **محمد محمد صالح اليافعى** وزير الداخلية ان الوثائق التى ضبطت مع الاشخاص المقبوض عليهم فى هذا التنظيم السرى اثبتت وجود اتصال بينهم وبين بعض السفارات المعادية فى عدن وعلى الاخص سفارات أمريكا وألمانيا الغربية (قبل قطع العلاقات معها) وقد صرح مصدر مسئول فى عدن ان الوثائق كشفت عن اشتراك المخابرات الامريكية مع الاخوان فى التآمر ضد نظام الحكم فى اليمن الجنوبية الشعبية وقال ان هذه المخابرات قد جندت عددا من العملاء لجمع المعلومات لصالح اسرائيل .

ولا يستبعد المراقبون ظهور عدد آخر من التحركات المشبوهة للقوى الرجعية فى الظروف الراهنة مرتبطة بجولة وليم روجرز وزير الخارجية الامريكية فى أفريقيا وذلك لتحقيق نفس الهدف الرئيسى . القديم الجديد للاستعمار والصهيونية . وهو ضرب حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية والصهيونية وقطع طريق التقدم الاجتماعى على البلاد العربية .

■ ■

■ الخرطوم

١٤ دولة .. وقرارات هامة

عقد فى الخرطوم فى الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٨ يناير ١٩٧٠ مؤتمر القمة السادس لدول وسط وشرق افريقيا . وقد رأس الاجتماع اللواء جعفر نميرى رئيس مجلس الثورة والوزراء بجمهورية السودان . وحضر المؤتمر ممثلون لأربع عشرة دولة ، من بينهم اربعة من رؤساء هذه الدول .

وقد درس المجتمعون توصيات مؤتمر وزراء خارجية هذه الدول الذى عقد فى لوساكا فى يناير ١٩٧٠ . وركز المؤتمر اهتمامه على مناقشة عدد من النقاط التى تهم النضال الافريقى وتحرير افريقيا من النفوذ الاستعمارى ومن العنصرية .

ويلاحظ المراقبون ان المؤتمر اعطى الاولوية لمناقشة التحدى الذى توجهه السلطات العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا للرأى العام العالمى والافريقى وللقانون الدولى ولحقوق الانسان ، واكد المجتمعون ضرورة العمل على مجابهة هذا التحدى العنصرى والعمل على تصفيته .

كذلك ناقش المجتمعون قضية الاستعمار البرتغالى لبعض اجزاء افريقيا ، والنفوذ الاستعمارى بشكل عام، واكدوا انه ازاء رفض للمشكلات التى تواجهها القارة الافريقية ، فليس هناك من طريق سوى ان تقدم الدول الافريقية المتحررة مزيدا من المساعدات لحركات التحرر الافريقية .

وقد اكد المجتمعون التزامهم بالقرار السابق الذى اتخذه رؤساء الدول والحكومات الاعضاء فى المنظمة والذى ينص على أن تبذل الدول الاعضاء كل ما فى وسعها لتحرير المناطق التى مازالت خاضعة للسيطرة الاستعمارية، وأشار المجتمعون الى ان ميثاق المنظمة يؤكد هو ايضا ضرورة تقديم مثل هذه المساعده .

وفوض المؤتمر **الامبراطور هيلاسلاسى** فى الاتصال بحركات التحرير الافريقية لحثها على تنسيق نشاطها ، وذلك كى تكون تضحياتها ومساعدتها لافريقيا المستقلة على اكبر قدر من الفعالية .

وفى البيان المشترك الذى صدر عن المؤتمر اكد المجتمعون ارتياحهم التام لانتهاء الحرب الاهلية فى نيجيريا وتشجيعهم للحكومة الفيدرالية على المضى قدما فى جهودها الرامية الى تحقيق المصالحة الوطنية .

وفيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط فقد اعرب المجتمعون فى بيانهم الرسمى الصادر عن المؤتمر عن قلقهم لتدهور الحالة فى الشرق الاوسط . واكدوا ان السبب فى هذا التدهور هو عدم تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ واكد المجتمعون تأييدهم لقرارات مؤتمر رؤساء

تعليـــق

الثـورة التكنـولـوجيـة .. ومـا تثـيره مـن قضـايـا

فتحت النكسةعيوننا على بعض مظاهر التخلف التكنولوجى الذى كنا نعانيه من قبل ، وجاء بيان ٣٠ مارس ليؤكد ضرورة قيام الدولة العصرية المبنية على العلم والتكنولوجيا . ومع ذلك فما اقل ما كانت معالجة هذا الموضوع ، ولعل الدراسة التى أوردتها الطليعةفى عددها الماضى عن « ثورة العلم .. ثورة الانسان » هى من أول الاعمال الموسعة من قضية تشغل ذهن كل مثقفى العصر الحديث .

فالثورة التكنولوجية ، وهى النتاج الطبيعى لحصول المعرفة الذى تراكم طوال عمر البشرية ، والذى تزايد معدل تراكمه بصورة صاروخية فى العقدين الاخيرين من القرن الحالى صارت العامل الاساسى لعديد من القضايا التى تشغل العالم المعاصر .

والمشاهد انه معالحقائق التى أبرزتها النكسة العسكرية فان أخذنا بأسلوب الحياة الذى يتفق مع هذا العصر ،يسير بسرعة السلحفاة أو لايكاد يتجه نحوه على الاطلاق فيما يتعلق بالقطاع المدنى. لقد أثبتت قواتنا المسلحة ، وتثبت كل يوم أنها قادرة على امتلاك القدرةوانتزاع زمام المبادرة من العدو كلما اخذت بناصية الاسلوب التكنولوجى ، ولكن القطاع المدنى مازال بعيدا عن متابعة هذا الدور الرائد الذى تلعبه القوات المسلحة .

وفى معالجة أمر الثورة التكنولوجية يجب ان نحذر دائما من خطرين : خطر التهويل ، وخطر التهوين . ان ثورة العلم وهى المؤثر الرئيسى لقضاياالعالم المعاصر يمكن أن تكون المنطلق لعديد من المواضيع الهامة . ولكنها فى ضوء الهالة الدعائية الضخمة [التى تروج لها قوى الاستعمار اساسا فى محاولة لان توهم العالم بأنها قد وهبت اكسير الحياة] يمكن أن تتحول الى مارد مخيف لايمكن للانسان العادى معه الا أن يرد الطرف وهو حسير ، ليقع فى براثن اليأس القاتل . ان تساؤلات عديدة على أهميتها مثل ، هل ذهب الوقت بالدول النامية وعليها ان تقبل الفتات ؟ هل ثمة اكتشاف علمى يمكن أن يقلب موازين القوى العسكرية بحيث يقيم من امتلكه القيامة على الارض ؟ .. الى غير ذلك من التساؤلات ، التى يمكن أن ترجع المرء عن محاولة فهم هذه الظاهرة الجديدة وتبين طريقة وسطها الى الوقوف موقف الانذهاش ، ثم بعد الوقوف ، الانزواء ، والاكتفاء منالغنيمة بالاياب .

وكما أن التهويل خطر ، فان التهوين من أمر ما ستعكسه ثورة العلم على العالم خطر آخر . ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان العصر الحديث لم يعد يتيح لاى دولة أن تغلق أبوابها دون العالم ، فأول الثائرين عليها فى هذه الحالة هم أبناؤها الذين ستتكفل وسائل المواصلات الحديثة باطلاعهم على كل ما أريد لهم ألا يعرفوا . وستظل مظاهر التقدم فى البلاد الاخرى تطرق أبوابها حتى تدخل كاسحة أمامها كل ما هو قائم من نظم لا تتفق ومرحلة تطور العصر. ان التهوين من أمر الثورة التكنولوجية وآثارها على قوى الانتاج ثم بالتالى علاقات الانتاج لن تكون نتيجته الا مزيدا من التأخر والتخلف .

ولكن الحديث عن الثورة التكنولوجية وان كان ما يزال بعيدا عن الكفاية

دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية فى أديس أبابا فى ديسمبر ١٩٦٩ .

ويرى معظم المراقبين ان هـذا المؤتمر يمثل بنجاحه خطوة جديدة فى طريق دعم الوحـدة الافريقية وتعزيز اسهام الدول الافريقية المتحررة فى النضال الشعبى الافريقى ضد الاستعمار والتفرقة العنصرية ، كما يصفونه بأنه خطـوة ايجابية ايضا نظرا للدور الهام الذى لعبه فيه السودان ، مؤكدا مدى الامكانيات المتاحة امام سودان الثورة كى يكون معبرا ثوريا بين الدول العربية المتحررة وبين افريقيا بكل ما يترتب على ذلك من مقاومة التسـلل الاسرائيلى الى دول افريقيا المتحررة .

كذلك فان الموقف الايجابى الذى اتخذه المؤتمر من قضية النزاع العربى الاسرائيلى يمثل بغير شك مكسبا للحق العربى ، وخطوة هامة فى طريق توضيح الحقائق لدول افريقيا المتحررة التى تحاول اسرائيل ان تمد اليها نطاق دعايتها .

■ افريقيا :

حلقة جديدة فى التآمر ضد القارة الافريقية

كانت جولة **وليام روجرز** وزير خارجية الولايات المتحدة لعشر من الدول الافريقية « الصـديقة » للولايات المتحدة مثار التساؤل فى اوساط المراقبين ، حـول ذلك الاهتمـام المفـاجىء من جـانب الولايات المتحدة بالقـارة الافريقية ، الامـر الذى لا يمكن تفسـيره الا فى ضـوء تطـور الاحـداث فى القـارة الافريقيـة ، وتقهقر نفوذ الولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة نتيجة قيام الثورات والحكومات الوطنية والتقدمية فى السودان وليبيا والصومال ، والتطورات التى تجرى الان فى غير صالح الولايات المتحدة فى نيجيريا بعد انتهاء الحرب الاهلية والقضاء على الحركة الانفصالية .

الا أنه يطرح امام المناضل السـياسى عديدا من القضايا التى لابد أن توضع لها الحلول على الفور . ان العرض الذى قدمته الطليعة يجب أن يثير اتجاها حاسما الى القضاء النهائى على عديد من المعوقات امام تطورنا الواجب للدخول الى مشارف العصر الحديث .

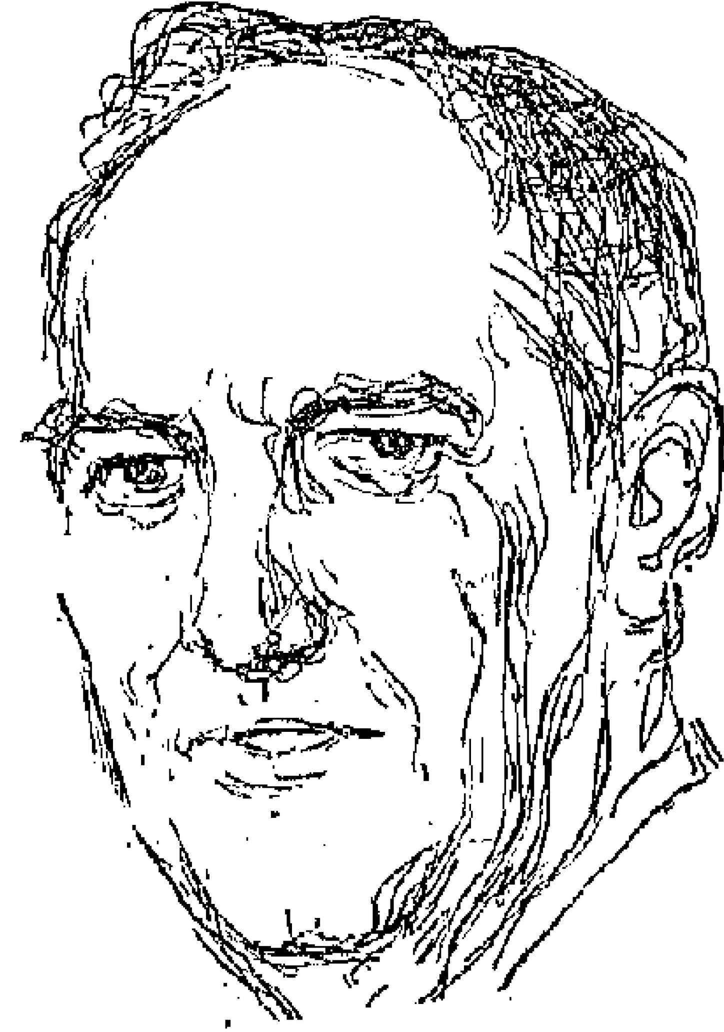
واولها قضية العلم : فما زلنا نذكر انه حتى وقت قريب كانت تطرح قضية العلم البحت والعلم التطبيقى . وهى ان كانت قد انزوت من مضمار الحديث الا انها مازالت قائمة فى التطبيق . ان العالم فى معمله أصبح قوة انتاجية ولم يعد عمله ترفا فكريا . وانجازات البحث لم تعد اليوم وسيلة الى درجة علميـة وعلاوة ، بل صـارت نقطة بدء لانجاز تكنولوجى ينعكس فورا على صورة قيمة مادية فى انتاج المجتمع . ورغم التصريحات والاجتماعات مازال أهـل العلم فى واد وأهل الانتاج فى واد آخر لايربط بينهما رباط عضوى يجعل مشاكل وانطلاقات كل منهما ترشد الاخر وتوجه عمله . هذه قضية يجب أن تحسـم عمليا ، ولن يتم ذلك الا اذا ارتبط بأسلوب جديد مغاير فى تقييم الاعمال .

وبهذا تاتى القضية الثانية العاجلة . هل يجوز أن يستمر تقييم الاعمـال على اساس مالى فحسب ؟ أم أن الواجب والضرورى أن تقيم على أساس من دلالات الكفـاية الانتاجية وتطورها . وبتعبير تكنى هل تظل الحسابات المالية هى المحدد الوحيد أم يجب أن تصاحبها حسابات التكاليف . ان دخول هـذا العامل الاخير سوف يجعل أدوات الانتاج عندنا لاترفع راية رفع الاسعار قدر ما تعمـل على خفضـها ، ولن تستطيع المؤسسات الخفض الا اذا أدخلت العلم حقل الانتاج ، وجعلت معمل البحث مقدمة للمشروعات أو على الاقل مواكبا لها . ان معاملات محددة لمدى ارتفاع الكفاية الانتاجية ، ومدى انخفاض التكلفة ، ومدى دخول الاسلوب العلمى الحديث فى الادارة ، أو كلها مؤشرات يجب ان تأخذ طريقها الى التنفيذ السريع سواء فى حقل الانتاج او الخدمات .

وثمة قضية ثالثة : هى الاخرى بحاجة الى ان تأخذ طريقها الى التنفيذ السريع ، فكما انه من غير الممكن أن تقيم نظاما ـ فى انعزال ـ عـن مسـتوى الوعى العـام فى مجتمـع ، فـانه من غيـر الممـكن ان ندعم خطواتنـا نحو الالمام بأساليب عصر العلم والاخذ به ما لم يواكب ذلك مجتمع يؤمن بالعلم ويمارسه يوميا ويستوعب انجازاته وهنا يأتى دور الثقافة التى تزكيها الى الشعب ، الثقافة التى تكونها وسـائل التربية ووسائل الاعلام على حد سواء . ان مناهج التعليم ، ونشاط الشباب ، والاندفاع نحو تدعيم الهوايات وبرامج الاعلام يجب أن تتضمن كلها اكبر قدر يستطيع الممارس تحصيله من حقـائق العلم وانجازاته ، وأن يشجع عـلى ممارستها عمليا ، وان تدفع بالشباب الى ان يكتسب منها ما تتيح قدراته من هواية .

وثمة قضية رابعة : هى واجب على المثقفين وهؤلاء الذين يتاح لهم أن يطلعوا أو يعرفوا بانجازات العلم والتكنولوجيا فى الخارج . انه ليس مطلوبا منهم أن « يغزمونا » فحسب بصورة ذلك المجتمع الذى تقوم فيه الماكينات بتسيير زميلات لها ، واصلاحها وضبط حركتها بل وربما اختراع جديد منها فحسب ، بل أن يبحثوا بجوار هذا كيف تفعل الدول التى فى نفس امكانياتنا ، وكيف استطاعت دول صغيرة نسبيا مثل السويد وسويسرا وغيرها أن تجعل لها مكانا محفوظا فى موكب عصر العلم والتكنولوجيا .

د. محمد عجلان



وقد بدأت الاهداف الحقيقية من وراء جولة وليام روجرز تتضح شيئا فشيئا . وذلك فيما أعلنته المصادر الامريكية فى الرباط بخصوص المحادثات التى جرت بين وزير الخارجية الامريكى وعبد الهادى أبو طالب وزير الخارجية المغربية : « وانهما قد أعربا عن قلقهما من اتجاهات الحكم الثورى فى ليبيا ، واتفاقهما على أن التعاون العسكرى والمدنى بين ليبيا ومصر يهدد بابعاد ليبيا عن الاتجاه الذى تعتبره أمريكا والمغرب مناسبا » .

وذكر مصادر الحكومة التونسية ان تونس قد أعربت لوزير خارجية الولايات المتحدة عن قلقها ازاء الموقف فى الشرق الاوسط وتزويد اسرائيل بالسلاح ، وان كان من غير المنتظر أن تتخذ الحكومة التونسية موقفا متشددا لمواجهة وعد الرئيس نيكسون بتزويد أمريكا لاسرائيل بالمساعدات العسكرية » . وقد رحبت وكالة الانباء التونسية بالمبعوث الامريكى ونوهت بالصداقة التونسية الامريكية وبأهمية المساعدات الامريكية لتونس . وذكرت وكالة رويتر ان تونس من البلدان التى تستفيد أساسا من المساعدات الامريكية ، وان مجموع المساعدات التى حصلت عليها تونس منذ عام١٩٥٧تبلغ ٦٢٦مليوندولار .

وقالت مجلة يو . اس نيوز اند وورلد ريبورت الامريكية فى تقرير لها بمناسبة زيارة روجرز لاثيوبيا : ان الولايات المتحدة لا تشعر بالاطمئنان ازاء الوضع الحالى فى اثيوبيا بعد ان بلغ الامبراطور هيلاسلاسى من العمر ٧٧ عاما ، وتزايد المد الثورى داخل اثيوبيا ، مما يخشى معه على مستقبل القواعد الامريكية الجوية والبحرية فى أسمرة على البحر الاحمر : والتى تعد من أهم مراكز المواصلات العسكرية التابعة لوزارة الدفاع الامريكية ، وقالت : ان الخبراء العسكريين الامريكيين يتولون الان تدريب القوات الاثيوبية وتربطهم علاقات طيبة بالقادة العسكريين هناك .

وقد اجتاحت المغرب وتونس ونيجيريا موجة من السخط والمظاهرات العنيفة احتجاجا على زيارة روجرز ، ووزعت فى المغرب منشورات تصف فيها روجرز بأنه عميل صهيونى وتندد بالمؤامرات الامريكية والصهيونية ضد الشعوب العربية . وفى تونس وقعت مصادمات عنيفة بين طلبة الجامعة والبوليس استمرت لمدة يومين واضطرت السلطات الى فرض حراسة قوية على روجرز خوفا على حياته ، وألقى القبض على ٤٠ شخصا .

وفى نيجيريا هاجمت الصحف دور الولايات المتحدة أثناء الحرب الاهلية واستنكرت قدوم روجرز الى نيجيريا ووصفته بأنه مبعوث أمريكى غير مرغوب فيه وطلبت منه العودة الى بلاده .

ويتوقع المراقبون أن تكون جولة روجرز مقدمة لسلسلة من المؤامرات الامريكية فى محاولة لوقف المد الثورى فى القارة وضد الحكومات الوطنية والتقدميه وتمهيد الطريق لزيارة حجم الاستثمارات الامريكية لاستغلال موارد القارة الغنية بالثروات المعدنية المختلفة . وتقدر الاستثمارات الامريكية الحالية فى افريقيا بما يزيد عن ٢٫٥٠٠ مليوندولار .

■ ■

■ **فيتنام**

حصاد عام من سياسة « الفتنمة »

استهلت حكومة نيكسون عامها الثانى بتصعيد خطير للحرب الفيتنامية بعد ان هجرت عملية محادثات السلام فى باريس ففى الثامن والعشرين من يناير ، أعلنت وكالة انباء فيتنام الشمالية أن الطائرات الامريكية عادت لمهاجمة المناطق الآهلة بالسكان فى الجانب الغربى من اقليمى كوانج بينه وهايتنج وقد اسقطت منها ثلاث طائرات ليصل مجموع الطائرات الامريكية التى اسقطت فوق فيتنام الشمالية الى ٣٣١١ طائرة ، وفى الرابع من فبراير اذاعت الوكالة أيضا ، ان اربعين طائرة امريكية شنت غارات متكررة على المناطق الاهلة بالسكان شمال المنطقة المجردة من السلاح .

وقد لزمت القيادة الامريكية الصمت فى بادىء الامر . ثم لجأت الى الادعاء بأن الطائرات الامريكية كانت مجرد طائرات استطلاع وان اسقاط هانوى لها يعتبر تصعيدا للحرب من جانبها !! ووقف نيكسون ليعلن بنفسه أن « أى تصعيد للحرب من جانب هانوى يترك امريكا حرة فى الرد » . وبالفعل سرعان ما أعلنت القوات الامريكية فى سايجون فى السادس من فبراير ان قاذفاتها

هاجمت مواقع الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات فى فيتنام لثانى مرة خلال اسبوع .

ومع هذا التصعيد الامريكى الخطير للحرب فى فيتنام انغمست الولايات المتحدة أكثر فأكثر فى حربها الجويه الاجرامية ضد اكثر من بلد فى جنوب شرق آسيا • فكما هو معتاد اعلنت القيادة الامريكية ان مقاتلة أمريكية من طراز ب٥٢ القت ١٠٨ قنابل على منطقة شرق تايلاند بطريق الخطأ !!

ثم عادت بعد اسبوع لتعلن ان القاذفات المقاتلة الامريكية • عبرت حدود كمبوديا وأغارت على مواقع بطاريات مضادة للطائرات تحت زعم أنها تابعة لثوار فيتنام • هذا الى جانب الحرب الحقيقية التى تشنها القوات الامريكية سرا فى لاوس •

ومن جانب آخر فاذا كانت أنباء الشهر الماضى قد حفلت بهجمات الثوار البطولية على القوات الامريكية وقوات حكومة العملاء بسايجون (حتى بلغ متوسط عدد القتلى الامريكين خلال السنوات الاخيرة ٤٠ الف قتيل حسب الاحصاءات الامريكية) فلقد اضطرت القيادة الامريكية امام الفضيحة التى ثارت حول بلاغاتها العسكرية الكاذبة لان تسحب لاول مرة بلاغا لها تحدثت فيه عن مصرع ٢٣٤ من قوات الثوار فى معركة قرب حدود كمبوديا ، معلنة ان القتلى الذين تحقق سقوطهم كان ٢٧ فقط •

ولقد امتلأت الصحف والبيانات الامريكية بالاعترافات بجرائم الحرب الحقيقية التى ترتكبها القوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية ، فأعلن الجيش مواصلة التحقيق فى قضية اطلاق القوات الامريكية النار على قرويين فى احدى قرى دلتا نهر الميكونج بقصد التدريب على اصابة الهدف • وأعلن عن مذبحة جديدة قادها الكابتن توماس ويلتجهام ضد عدد من المدنيين فى فيتنام الجنوبية فى وقت معاصر لمذبحة قرية ماى لاى الشهيرة • بينما أعلن الدكتور روبرت جاى الاستاذ بجامعة ييل الامريكية . فى شهادته أمام الكونجرس الامريكى أنه اتضح له فى احاديثه مع الجنود والضباط الامريكين العائدين من فيتنام أنه لم تدهشهم المذابح الاخيرة بل انهم اعترفوا بأن هناك أكثر من مذبحة ، وان هذه المذابح اصبحت من الامور العادية فى حياة القوات الامريكية فى فيتنام • بينما شهدت قاعة المحكمة الفيدرالية مهزلة قضائية امريكية فاثناء محاكمة تسعة من الامريكين المناهضين للحرب الفيتنامية بينهم أربعة قساوسة وراهبة بتهمة اقتحام مكاتب شركة «دو» الكيمائية ابرزت الراهبة صورا لاطفال فيتنامين **مصابين بحروق نتيجة للهجوم عليهم بقنابل النابالم** التى تنتجها هذه الشركة فقال القاضى ان هذه الصور ليست لها علاقة بالقضية !! مما أدى الى نشوب معركة عنيفة فى قاعة المحكمة .

ان حصاد عام من سياسة نيكسون المسماة بسياسة فتنمة الحرب فى فيتنام كانت فشلا كاملا، وجرائم متصلة، وهزائم مستمرة. وقد أعلن اخيرا عن سفر وزير الدفاع **ليرد** والجنرال ايرل هويلر الى فيتنام لدراسة النتائج التى تحققت خلال العام الذى انقضى على تطبيق هذه السياسة . بينما اعلنت لجنة التعبئة الامريكية لانهاء الحرب الفيتنامية انه سيخصص اسبوع فى منتصف مارس القادم لتنظيم المظاهرات والاجتماعات احتجاجا على الحرب الفيتنامية تحت شعار « لا تنضم الى الجيش » •

■ ■

■ **الولايات المتحدة الامريكية**

نفاق حكومة نيكسون بالارقام

فى خضم حملة اعلامية واسعة قدم الرئيس الامريكى **نيكسون** مشروع الميزانية الامريكية الجديدة للكونجرس معلنا بصوت عال :

« أنه لاول مرة طوال عقدين كاملين سوف تنفق الحكومة الفيدرالية على البرامج الانسانية اموالا اكثر مما تنفقه على الاغراض العسكرية .

ورغم ان أرقام الميزانية ظاهريا تعلن أن ميزانية الدفاع قد خفضت من ٧٦ مليارا و٥٠٥ ملايين دولار الى ٧١ مليارا و١٩١ مليون دولار أى بنسبة ٣٤٫٦ فى المائة من الميزانية العامة (وقد بلغت ٤٨ فى المائة فى عام ١٩٦١ ، ٤٤ فى المائة فى ١٩٦٩) ، فلقد علق السناتور الامريكى مايك مانسفيلد على الامر بقوله •• ان هذا الانكماش ليس سوى وهم » •

لقد لجأت حكومة نيكسون الى تغيير بعض ابواب الميزانية لاخفاء حقيقة المصروفات العسكرية بعد ان فاحت علاقاتها الوثيقة بالمؤسسة العسكرية الصناعية . وقد اعترفت جريدة هيرالد تريبيون الامريكية فى ٣ ــ ٢ ــ ١٩٧٠ بأن أرقام الميزانية العسكرية الحقيقية تصل الى ٤٦ فى المائة من « المخصصات الفيدرالية » •

ولقد لاحظ المعلقون أن حكومة نيكسون قد لجأت الى نفاق الارقام هذا نتيجة عدة عوامل من أهمها :

أولا : رغبة نيكسون وحكومته فى تنفيذ بل وتوسيع شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ التى

تصر عليها المؤسسة العسكرية الصناعية، بينما لقيت معارضة علمية وسياسية بل وعسكرية واسعة لم يشهدها برنامج تسلح من قبل · بحيث ارغمت الحكومة على تمريرها ضمن ميزانية عسكرية، تبدو مخفضة ظاهريا لتكسر موجة المعارضة للنفقات العسكرية المتزايدة ·· وقد علق السناتور مايك مانسفيلد على ذلك بقوله: «ان **الميزانية الجديدة تحتوى على بذور انظمة دفاعية ستتكلف عشرات البلايين من الدولارات فى السنوات المقبلة اذا ما تمت الموافقة المبدئية عليها فى هذا العام**».

وبالفعل تذرع نيكسون بما اسماه بـالتهديد الذرى الصينى ليعلن قبل عرض الميزانية ـ بأيام ـ قراره ليس فقط بالمضى فى تنفيذ مشروع شبكة الصواريخ، بل والانتقال بها من مشروع الشبكة الخفيفة الى مشروع الشبكة المتوسطة ·

ثانيا: أمام المعارضة المتزايدة للحرب الفيتنامية، نجات حكومة نيكسون، لاول مرة منذ أربع سنوات، الى عدم تخصيص باب مستقل لنفقات الحرب الفيتنامية، بل ودون أى اشارة الى حجمها مكتفية بالقول بأن سحب القوات الامريكية من فيتنام سيتيح تخفيض المخصصات اللازمة لها فى نفس الوقت الذى كانت تلجأ فيه الى تصفية العمليات فى فيتنام بشكل خطير.

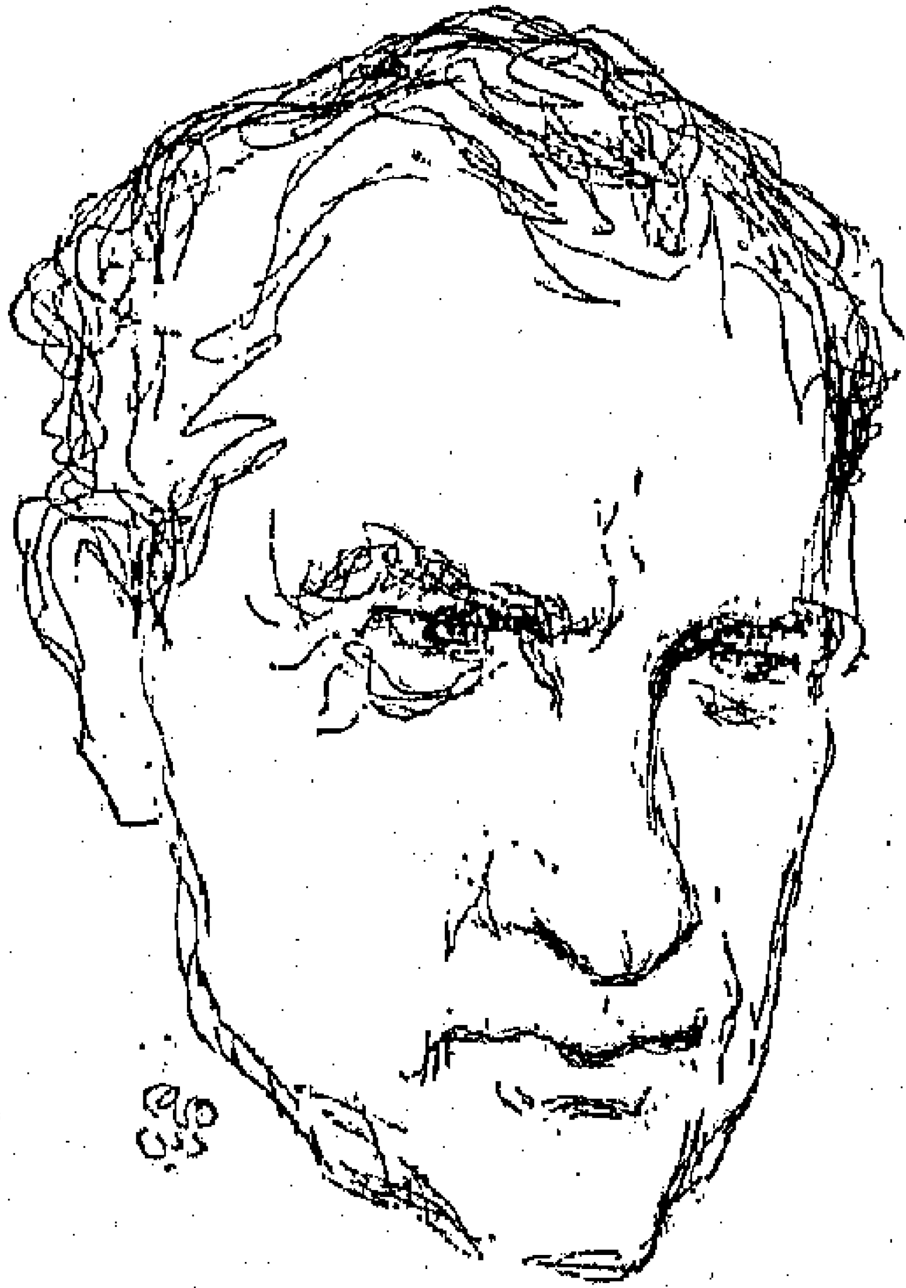
ثالثا: ان محاولات حكومة نيكسون للتغلب على مشكلة التضخم فى الاقتصاد الامريكى فى وقت أعلنت فيه عدم فرض أى ضرائب مباشرة جديدة، بل ولجأت فيه الى زيادة الضرائب غير المباشرة بزيادة اسعار الخدمات البريدية والتليفونية وغيرها كان سيواجه الميزانية باضخم انواع المعارضة . وكان لابد من الاعلان القاهرى عن زيادة نسبة مخصصات «الاغراض الانسانية التى اخفيت خلفها ـ على سبيل المثال ـ مجموعة الطرق العسكرية اللازمة لمشروع شبكة الصواريخ السيئة السمعة ·

والواقع ان كل محاولات حكومة نيكسون فى المجال الداخلى انما تصطدم بالصراعات الاجتماعية العنيفة التى تتزايد حدتها، بحيث لا تصلح أى محاولات من هذا القبيل أن تكون مهدئات الماضى وحده حقيقة ما يجرى فى مجتمع الرفاهية لها . ولقد كشفت تقارير ثلاثة نشرت فى الشهر الماضى وحده، حقيقة ما يجرى فى مجتمع الرفاهية الامريكى من تناقضات تتجه الى العنف بشكل حتمى ·

فمن سان فرانسسكو، اعلن أن أكثر من ١٥٠ من الهنود الحمر الامريكان استولوا على جزيرة الكاتراز فى خليج سان فرانسسكو نيابة عن ٢٠ قبيلة هندية فى الولايات المتحدة، وثابروا على احتلالهم للجزيرة مؤيدين من الستمائة الف هندى امريكى (من اصل عشرة ملايين) لمدة اكثر من سبعين يوما . واصدروا بيانا أكدوا فيه «اننا نحن الامريكيين الاصليين نسترد الارض على جزيرة الكاتراز باسم جميع الهنود الامريكان وفقا لحق الاكتشاف ·· وكشف البيان بعمق نفاق الامبرياليين الامريكان وتعنتهم الوحشى للهنود الامريكان ·

كما كشف تقرير لاحدى لجان الكونجرس عن احوال الهنود الامريكيين، ان معظم الاراضى التى بقيت لديهم هى من الاراضى الجدباء، أو المناطق الصحراوية . وان السلطات الحكومية المختصة تتعمد ألا تمد المستعمرات الزراعية التى يملكها الهنود الحمر فى الولايات الغربية بالمياه اللازمه للزراعة، وهو الامر الذى يحول دون نهوضها اقتصاديا · وأن أكثر من ٤٠٠ر٤ من الاطفال الهنودقد اصيبوا بالمرض بسبب المجاعة والنقص فى التغذية · وتنتشر البطالة بين الهنود بنسبة تعادل عشرة أضعاف البطالة فى البلاد كلها، وأن متوسط دخل الهندى الامريكى لا يبلغ ربع معدل الدخل للامريكى العادى · وترتفع نسبة الوفيات بين اطفالهم الى ثلاثة اضعاف مثيلتها على نطاق البلاد ·

واذا كانت **مشكلة الزنوج** عبرت عن ابعادها العميقة فى ظاهرة العنف التى سادت المحاكم الامريكية التى شهدت قضايا الفهود السوداء وهو الحزب الذى يتزعم اليوم حركة الزنوج الامريكيين بعد مصرع دكتور مارتن لوثر كينج · فلقد تبين من دراسة جديدة أجراها عدد من الباحثين بالمعهد القومى الامريكى ان المدنيين البيض المسلحين كانوا هم الاكثر تورطا من السود فى الاضطرابات العنصرية، وانه على الرغم مماشاع فى وسائل



● نيكسون

الاعلام الامريكية من وجود « اعشاش » من القناصة السود فان عصابات البيض هى التى كانت تقوم بأعمال العنف واطلاق النار خلال الاضطرابات . ولم يكن لجوء السود الى الرد بالمثل الا من قبيل الدفاع عن النفس . كما دلت دراسة عسكرية اجريت على الجيش الامريكي بناء على طلب الجنرال وليم وستمور لاند ، على ان جميع الدلائل تشير الى **زيادة التوتر العنصرى داخل صفوف الجيش الامريكي** : وأن الجنود السود قد فقدوا ايمانهم بالنظام القائم فيه .

والواقع ان نفاق حكومة نيكسون بالاقوال وتحايلها بالارقام لا يغير شيئا من اتجاهات حكومة المؤسسة العسكرية الصناعية ، سواء فى المجال الداخلى او المجال الخارجي ، ولا من واقع الفشل الذى ينتظرها فى هذه المجالات .



■ **فرنسا**

المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى الفرنسى

انعقد المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى الفرنسى ببلدة نانيتر فى ضواحى باريس من ٤ الى ٨ فبراير الماضى . وفى هذا المؤتمر الذى حضره ٦٠ وفدا من الاحزاب الشيوعية والعمالية ، ومن تنظيمات ديموقراطية ووطنية من مختلف ارجاء الارض — منها **الاتحاد الاشتراكى العربى** [مثل لجنته المركزية محمود أمين العالم وكامل زهيرى] ، ومنها منظمة « **فتح** » — اكد الحزب الشيوعى الفرنسى الخطوط العريضة لسياسيته فى البحث عن افضل وسائل مواصلة الكفاح ضد سيطرة الاحتكارات ، و « تحقيق تجمع القوى العمالية والديموقراطية الفرنسية من اجل ديموقراطية متقدمة والاشتراكية » .

ولمؤتمر الحزب الشيوعى الفرنسى الراهن اهميته الخاصة ، لاكثر من سبب .

■ هناك فى المقام الاول أسباب **داخلية** : فان المؤتمرينعقدبعد ان تبددتآمالكثيرة كانت متعلقة بانجاز نتائج ملموسة فى مستقبل منظور حول **وحدة اليسار الفرنسى** — وكانتالصورة تبدوعلى هذا النمو وقد انعقاد مؤتمر الحزب السابق فى سبتمبر ١٩٦٥ . غير أن أحداث تشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨ ، وحركات الطلبة والعمال فى مايو من نفس السنة ، فتتت كثيرا من الجهود التوحيدية فى صفوف اليسار الفرنسى . واكتسبت السياسة الفرنسية ملامح لاشك مغايرة عقب ماترتب على أحداث مايو من تنحية **ديجول** ، وانتخاب ممثل الديجولية **بومبيدو** بدلا منه. وبعد أن حقق الحزب الشيوعى نجاحا فاق كل التوقعات فى انتخابات الرياسة (معركة **جاك ديكلو**) رغم مناوءة المجموعات اليسارية المتطرفة ، ورغم انحياز قادة الحزب الاشتراكى الى جانب قادة الوسط . ومناصرتهم **لبوهير** [عملية **ديفير** الانقسامية] بدلا من تأكيد تحالف اليسار ، ترتب على ذلك — مع التغييرات التى ادخلها بومبيدو على سياسته من عدد من القضايا الهامة — **أن تعددت أسباب الخلاف داخل اليسار الفرنسى** (حول السياسة الاوربية ، وفى الموقف من ازمة الشرق الاوسط وفى الموقف من التحالف الاطلنطى ، وفى الوقت من مقدار التأميمات المطلوب انجازها لاحداث انعطاف حقيقى فى التحول الاجتماعى الفرنسى .]

■ هناك فى المقام الثانى **أسباب دولية**: فان الحزب الشيوعى الفرنسى الذى كان أحد أحزاب اوربا الغربية الكبيرة التى عبرت عن اعتراضها رسميا لدخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا ، قامت بابرز دور بين هذه الاحزاب لمحاولة رأب الصدع الفكرى الذى ترتب على الخلاف داخل الاحزاب الشيوعية حول هذه القضية . وكان للحزب الشيوعى الفرنسى بالذات دور كبير فى صياغة **وثيقة موسكو** التى أقرتها الاحزاب الشيوعية فى مؤتمر موسكو (يونيو ١٩٦٩) ومن الملاحظ ان المؤتمر الراهن للحزب الشيوعى الفرنسى ، يتميز باقبال عدد كبير من الاحزاب الشيوعية والعمالية والتقدمية على حضوره وتفتح المؤتمر لحضور حركات وطنية — وديموقراطية من مختلف ارجاء العالم ، تعبير مؤكد عن خطوة جديدة فى اعادة المياه الى مجاريها ، وتأكيد لملامح الوحدة الاممية بين الأحزاب الشيوعية ، وهى وحدة تعرضت خلال عام ١٩٦٨ لهزة عنيفة . ومن هنا كان اهتمام الحزب السوفيتى الملحوظ بالمؤتمر ، وحضوره بوفد من ١٢ عضوا على رأسه **كيريلنكو** من المكتب السياسى للحزب السوفيتى .

■ وربما كانت « مشكلة **روجيه جارودى** » سببا **ثالثا** لجذب الانتباه الى المؤتمر . فكان جارودى عضو المكتب السياسى بالحزب قبل المؤتمر — قد نشر كتابه « **التحول العظيم للاشتراكية** » قبل عقد المؤتمر ببضعة أسابيع طرح فيه علانية أوجه خلاف واضحةمع خط الحزب

واتجاه الحركة الشيوعية العالمية • ولاشك فى أن الاحداث التى اعترت الحركة الشيوعية فى السنوات الاخيرة ، وخاصة أحداث تشيكوسلوفاكيا وكذلك الصعاب التى مازالت تواجه اقوى حزب فى المعارضة الفرنسية ، فى أن يتخطى أسباب التعثر فى جذب وتجميع كافة القوى المعادية لسلطة الاحتكارات من العناصر الهامة التى أسهمت بدور بارز فى طرحه خطا بديلا ، كان مفتاح منهجه فيه تقدير وتقييم مختلف لاثر **الثورة العلمية والتكنيكية العصرية** فى ادخال تعديلات هامة على **تركيب** الطبقة العاملة فى البلدان المتطورة ، ومايراه من ان هذه التعديلات تحتم ـ بالتالى ـ تغييرا فى أساليب عمل الحزب الشيوعى وفى القواعد التى تحكم نشاطه (المركزية الديموقراطية) وفى تحديد طبيعة التحالفات • (خلق « كتلة تاريخية جديدة » تضم العاملين اليدويين والذهنيين] . كما ثار الخلاف حول فكرة « تعدد نماذج الاشتراكية » باعتبارها تختلف جوهريا عن مفهوم تعدد الطرق فى الانتقال الى الاشتراكية •

قد سبق المؤتمر اعداد واسعله ابتداء من شهر ديسمبر ١٩٦٩ • وخصصت صحيفة الحزب « **لومانيتيه** » من يوم ١٠ ديسمبر الى يوم ٣١ يناير صفحة مفتوحة لعرض الاراء المعارضة او المقترحات البديلة او التعديلات المقترحة الخ •• واتيح لجارودى ان يعرض وجهة نظره فى عدد لومانيتيه بتاريخ ٢ يناير . **وقد لعب تصسدى جارودى بخط بديل دورا هاما فى تنشيط المناقشات واحيائها على مختلف المستويات من الخلايا القاعدية الى القيادة** ، حتى أضطرت الصحافة البرجوازية نفسها فى فرنسا ان تعترف بأن هناك جديدا فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، وحرية فى مناقشة الاراء المتصدية لمقومات خط الحزب الاساسية ، لم يسبق ان شهد مثلها • وحرصت القيادة على ايفاد مائة من أعضاء اللجنة المركزية واكثر من ٣٠٠ مسئول الى مختلف المناطق والاقسام لمناقشة الاراء التى طرحها جارودى فى مختلف مستويات الحزب •

ولم يحضر **فالديك روشيه**، سكرتيرعام الحزب المؤتمر لمرضه • وعرض سكرتير التنظيم ، **جورج مارشيه** ، تقرير الحزب الاساسى باسم اللجنة المركزية ، تحت عنوان « **الصراع ضد سلطة الاحتكارات وتجميع القوى العمالية والديموقراطية من أجل ديموقراطية متقدمة ومن اجل الاشتراكية** •• وتعرض التقرير لدراسة مسهبة اتسعت لكافة المشاكل التى تواجه الحزب فى الوقت الراهن ، واتسم التقرير بهجومه العنيف ضد **السوق الاوربية المشتركة** ، وقد وصفها بأنها « مؤسسة تعمل على تصفية الاسس الاقتصادية والتكنيكية للاستقلال الوطنى » كما استرشد التقرير بمنهج قوامه « تأكيد مايوحد بين الشيوعيين ، مع استبعاد مايفرق بينهم » عملا بخط وثيقة موسكو ، وأكد اهمية مكافحة كل الاتجاهات التى تتسم بالعداء للاتحاد السوفيتى وأهمية زيادة التضامن بين الاحزاب الشيوعية • والالتفاف حول النظام الاشتراكى العالمى الذى يحتفظ فى عصرنا •• بالمبادرة التاريخية •• واستجابة لهذه الدعوة جذف مندوب الحزب الايطالى بنص فقرات خطابه الى المؤتمر وامتنع عن أى تدخل فى الخلاف حول مشكلة جارودى [كانت جريدة الحزب « **يونيتا** » قد أبدت تعاطفها مع بعض أفكار جارودى] .

وتضمن تقرير مارشيه دراسة مطولة لاساليب مواجهة مشاكل الشباب فى فرنسا وكذلك مشكلة التعامل مع **المسيحيين** ـ وتضمن التقرير تحديدا لمفهوم « الديموقراطية المتقدمة » التى تعتبر مرحلة انتقال **نحو الاشتراكية** ، وهى مرحلة تنتزع فيها السلطة من الاحتكارات دون ان تعنى الامتداد بعمليات « التأميم الى مايمس مصالح صغار ومتوسطى التجار والمزارعين . كما تضمن التقرير تحديدا للموقف من الثورة العلمية والتكنيكية • ومع تسليم التقرير بأهميته الا انه يرى ان هذه الثورة تتعرض للحدود التى تفرضها الملكية الفردية لوسائل انتاج ، ولسياسة الاحتكارات المعادية للوطن •

وهاجم التقرير بقوة الاتجاهات الانتهازية اليمينية واليسارية فى وقت واحد • وحدد أسباب انبعاث هذه الاتجاهات بتدهور وضع فئات مختلفة من البرجوازية الصغيرة وانتقالها الى مواقع البروليتاريا ، وهى تحمل معها ايديولوجيتها الطبقية • وخصص التقرير وكذلك التقرير المستقل الذى قدمه **اتيان فاجون** ، رئيس تحرير «لومانيتيه» عن المبادرة النظرية للحزب، فقرات مطولة حول موقف جارودى • وشخص موقفه بالانتهازية اليمينية التى انزلقت الى مواقف مصيفة ورفضت فكرة « الكتلة التاريخية الجديدة » التى لا يمكن اعتبارها كقضية واردة فى الوقت الراهن ، والتى من شأنها تمييع الدور القيادى والمستقل للطبقة العاملة ، وفعاليتها فى قيادة الصراع العملى ضد الاحتكارات وأكدت هذه التقارير أن رفض هذا المفهوم لا يمس سياسة الحزب فى تأكيد تحالفاته مع كافة القوى الديموقراطية الاخرى المعادية لسلطة الاحتكارات

وخاصة الحزب الاشتراكى مع ضرورة مقاومة الاتجاهات اليمينية لقياداته ·

وقد سجلت الصحافة البرجوازية ان المؤتمر اتسم بطابع المناقشة المستفيضة لقضايا نظرية وتطبيقية متعددة · ورغم ان كلا من فاجون وجارودى حاولا تقريب مايفرق بينهما فى تقريرهما أمام المؤتمر الا أن الخلافات الاساسية ظلت كبيرة · وقد وافق المؤتمر بالاجماع على تقرير سكرتير عام الحزب بالنيابة (مارشيه) وعلى رفض موقف جارودى ، ولم يعد ترشيحه لهيئات الحزب القيادية · واعتبر المؤتمر خطوة مؤكدة فى اتجاه تنقية الجو وتأكيد معانى التضامن والاممية ·



■ السلام العالمى

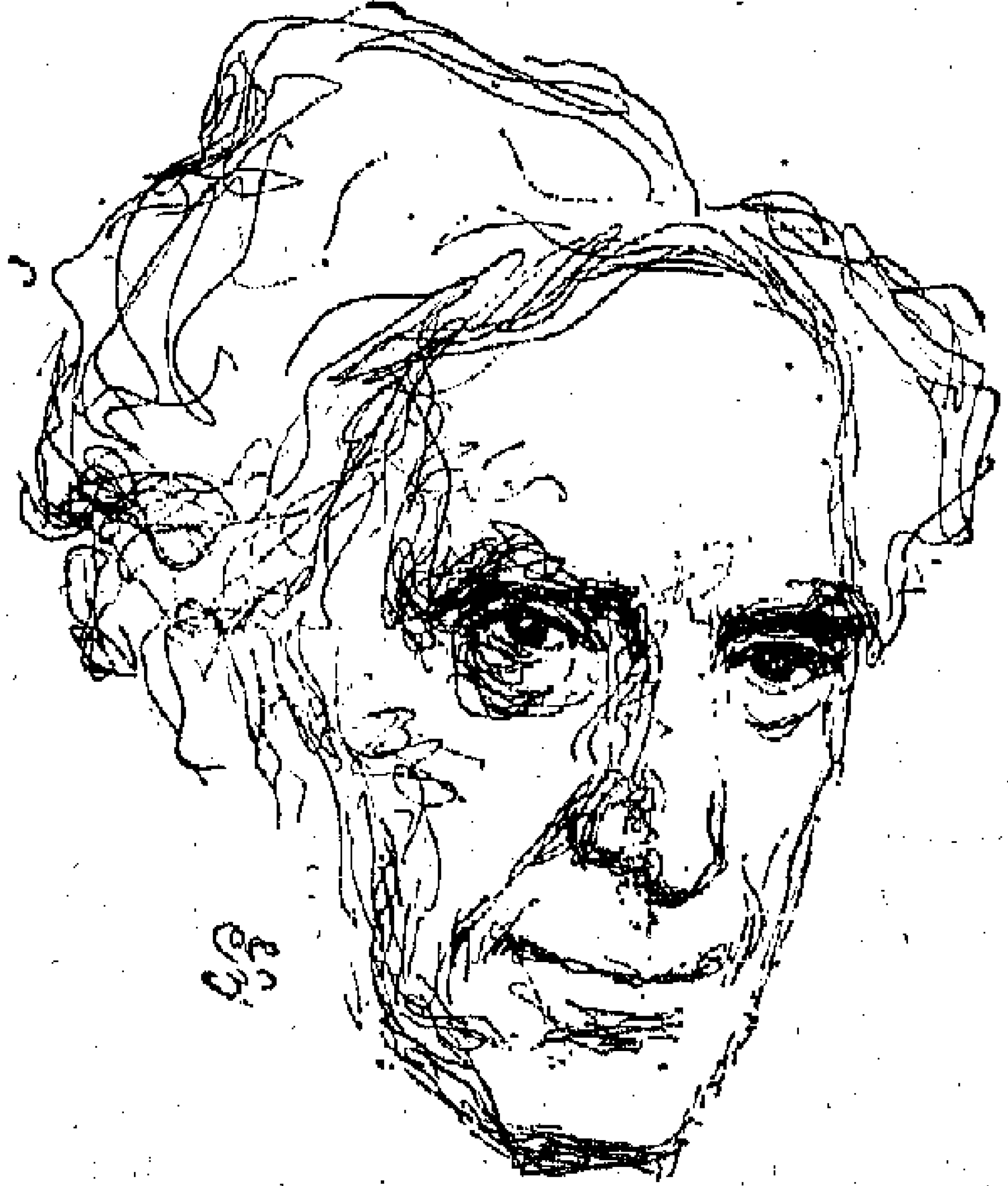
راسل : الفيلسوف فى مواجهة اعداء الانسان

مع الاهمية الكبيرة التى تترسب فى ضمير البشرية من حياة أحد مفكريها العظام هى مدى ماحققه من وحدة الفكر والسلوك ابان السنوات التى قضاها من عمره على ظهر هذا الكوكب ، فكم من أفكار عظيمة لم تؤد رسالتها على خير وجه ، لان صاحبها كان يعانى فصاما وازدواجا فى شخصيته ، بحيث كانت كلماته على الطرف النقيض من أفعاله · من هنا كانت القيمة الباقية فى حياة **برتراند راسل** وفكرة هذه الوحدة العميقة بين شخصيته الفكرية وشخصيته الانسانية · ومن هذه الزاوية يمكن القول بأنه قد أعاد الى الفلسفة اعتبارها فى القرن العشرين ، وبخاصة فى ظل الحضارة البرجوازية التى جنحت بعد حربين عالميتين الى « **تجريد** » القضايا الفلسفية وعزل الفيلسوف عن مجرى الحياة « **العامة** » ·

وتتضاعف قيمة راسل حين نعلم أنه قد ولد فى أسرة انجليزية عريقة (عام ١٨٧٢) وكان يحمل شخصيا لقب « لورد » مما كان يؤهله بحكم البيئة الارستقراطية البريطانية ، لان يسلك طريق « **الصفوة** » بمعناها الطبقى والفلسفى ، ولكن راسل قد استطاع بمجهود شخصى ممتاز أن يرتفع فوق البيئة ومعاييرها الذاتية منذ أن توجه فى الحادية عشرة من عمره الى دراسة الرياضيات التى استكمل تخصصه فيها بجامعة كمبردج · واذا كانت العلوم الرياضية تبدو فى مظهرها ايغالا فى التجريد ، الا أنها من ناحية اخرى كانت بالنسبة له ايغالا فى الموضوعية · وهى نقطة الانطلاق التى آتاحت له أن يرى المسائل من وجهة نظر اكثر علمية من الرؤيا السائدة لابناء طبقته ·

وكان من الطبيعى أن تكون مؤلفاته حول القضايا الفلسفية البحتة كما هو الشأن فى كتبه « **فلسفة ليبنتز** » (١٩٠٠) و « **مبادىء الرياضة** » (١٩٠٣) و « **مقالات فلسفية** » (١٩١٠) و « **مشكلات الفلسفة** » (١٩١٢) · ثم اخذ يخرج عن نطاق المؤلفات النظرية الخالصة منذ كتب « **معرفتنا بالعالم الخارجى** » (١٩١٤) و « **مبادىء اعادة البناء الاجتماعى** » (١٩١٦) و « **الطرق الى الحرية** » (١٩١٨) و « **البلشفية نظريا وعمليا** » (١٩٢٠) و « **التعليم والنظام الاجتماعى** » (١٩٢٣) و « **مستقبل الحضارة الصناعية** ـ بالاشتراك مع دورا راسل » (١٩٢٣) و « **الزواج والاخلاق** (١٩٢٩) و « **الحرية والتنظيم** » (١٩٣٤) و « **السلطان** » (١٩٣٨)
الرحلة، اذ راى أن ثمة بوادر ـ كالسوس ـ تنخر
قضية الديموقراطية هى شغله الشاغل حتى هذه المرحلة : اذ رأى أن ثمة بوادر ـ كالسوس ـ تنخر فى البناء الاجتماعى الغربى باسم الديموقراطية · لذلك أخذ يتتبع فى صبر وأناة بالغين هذا الداء الخطير فى جدران البناء الاجتماعى المتمثلة فى التعليم والزواج واجهزة الحكم · ولكنه رويدا رويدا راح يضع يده على قضية أكثر شمولا من « **جزئيات** » المجتمع البريطانى والغربى عامة، تلك هى قضية السلام العالمى ، أو الديموقراطية بين الامم كما كان يدعوها · فالديموقراطية المهيضة الجناح « داخل » المجتمع الصغير جزء لا ينفصل عن الديموقراطية المغتالة خارجه ، بين الشعوب وبعضها البعض ، وفقا للمصالح الانانية الضيقة للدوائر الحاكمة فى ظل النظام الرأسمالى ، ووفقا للظروف المريرة التى يجتازها النظام الاشتراكى ، والظروف الاكثر مرارة التى تعيشها الشعوب والانظمة الحديثة الاستقلال ·

ولقد ظلت تحفظات راسل على « جميع » الانظمة فى العالم المعاصر بالنسبة لقضية الديموقراطية قائمة حتى يوم وفاته (٣ فبراير سنة ١٩٧٠) ٠ ولكنه كان قد اختار أن يناضل على أرحب الجبهات اتساعا ، وهى جبهة السلام ، ضد أعتى القوى المعادية للديموقراطية ، وهى الامبريالية الامريكية ، وقد بدأ هذا النضال بدءا من التظاهر فى شوارع لندن حتى زجت به السلطات البريطانية فى السجن مرتين ، الى أن أسس مع بعض مؤيديه « **مؤسسة راسل للسلام** » وعقد محاكمة علنية للرئيس الامريكى جونسون باعتباره مجرم حرب لما اقترفته وتقترفه القوات الامريكية فى فيتنام ٠ ولئن كانت الحرب العدوانية على الشعب الفيتنامى هى محور تفكير راسل واهتمامه خلال السنوات الاخيرة ، الا أن مخاطر الحرب النووية هى التى كانت مصدر انشغاله المتصل بقضية السلام العالمى ، لهذا يقول فى النبذة التى أصدرها بمناسبة انشاء « مؤسسة راسل للسلام » : « **نحن الذين نعمل ليل نهار خلال عدة سنوات ضد خطر الدمار النووى ندرك الاحباط الذى نكابده بسبب عدم توفر الوسائل الكفيلة بنقل أفكارنا الى الرأى العام ، وبسبب عدم امداد الناس ـ بطريقة منظمة ـ ببديل يحل مكان السياسات اليائسة التى تنتهجها بعض الحكومات ٠٠٠ وتنوى مؤسسة السلام التى جاء مولدها بعد اعداد طويل وعناية وحرص أن تنظم انشاء وسائلنا الخاصة التى تمكننا من الاتصال بجماهير الناس على نطاق لم يسبق أن حاوله أحد من قبل حتى ندعم العمل الدولى المناهض للحرب النووية ٠ وسوف نضع نهاية لاعتمادنا على الذين يتقاضون الاجر من السلطات نظير كذبهم وتمويههم نيابة عنها** » ٠



ولقد تابع راسل بعين ذكية وقلب مفتوح صراعات الشعوب المقهورة ، ومن بينها الشعب العربى ، فكتب عام ١٩٦٥ خطابا مفتوحا الى المثقفين العرب نشرته « الطليعة » (بعدد ابريل من سنتها الاولى) قال فيه « **نحن فى الغرب ندرك أن الضغط الرهيب الذى تمارسه حكوماتنا ضد البلاد الغربية ، والذى يتخذ شكلا اقتصاديا مرة ، وشكلا عسكريا مرة أخرى ، أوجد مشاكل عديدة فى مواجهه الحكومات المستقلة وحركات الاستقلال الشعبية فى هذه المنطقة** » ، « ان شعوبكم تتطلع اليكم ، وتلقى مسئولية تأكيد الديموقراطية خلال عملية التطور عليكم » ، « ونحن اذ نواجه سباقا للتسلح الذرى فى العالم بما فيه الشرق الاوسط ، نجد أن التناقضات المختلفة التى تهدد السلام فى العالم تمثل أيضا خطرا جسيما على حياة الشعوب العربية » ٠ ولقد علقت « الطليعة » على خطاب راسل بنفس العدد الذى نشر به بأن شاركت المفكر العظيم همومه وأرقه حول السلام العالمى عموما ، والسلام فى الشرق الاوسط خصوصا ، وأبدت بعض التحفظات حول ماجاء فى هذا الخطاب الهام من تعميم لحركة التحرر العربى من السيطرة الغربية ، فلا زالت هناك بعض أجزاء من الوطن تعانى من هذه السيطرة بشكل سافر أو بشكل غير مباشر ٠ ودار التحفظ الثانى حول مركزية القيادة فى بعض البلدان المتحررة حديثا ، اذ أن الطابع التقدمى لهذه القيادة لا يضعها فى صف واحد مع أشكال الحكم الفردى والمطلق فى ظل النظام الرأسمالى ٠

وقد عاد برتراند راسل الى الحوار مع « أصدقائه العرب » كما دعاهم فى مقدمة « مقاله الممنوع » بالولايات المتحدة والذى نشرته **الطليعة** أيضا [فى عدد نوفمبر ١٩٦٥] حيث قال : « فى الوقت الحالى ، تقوم وكالة المخابرات المركزية بضغط كبير ، وبالتآمر على الرئيس ناصر والشعب المصرى وانجازاته الثورية وأمانيه » ، « **واننى لمغتبط أن دعتنى الطليعة ـ المجلة الاشتراكية الرائدة فى العالم العربى وافريقيا ـ التى تصدر بالجمهورية العربية المتحدة الى المشاركة فى تحريرها بهذا المقال ، وذلك من خلال المناقشات القيمة التى دارت بين**

رئيس تحريرها وبيني في منزلي بويلز .. وانني أرحب بالحرية الكاملة التي التزمتها الطليعة في تبادل الرأي .. لقد انتقدت في خطابي السابق جوانب معينة في الحياة السياسية المصرية وفي الثورة العربية . وقد نشرت هذه الانتقادات بحرية وبلا تردد . والمقال التالي ينتقد بعض الجوانب الهامة في الحياة الامريكية . وقد رفض نشره في الولايات المتحدة من عديد من كبريات الصحف . ان الولايات المتحدة تدعى الايمان بالديموقراطية وحرية التعبير ، لكنها تتخذ في الحقيقة خطوات لمنع كليهما » .

ولقد تابع برتراند راسل الصراع العربي الاسرائيلي ، حتى كانت « وصيته السياسية » التي نشرت على العالم أجمع بعد وفاته ، ادانة شجاعة للعدوان الامبريالي الصهيوني على بلادنا ، ودعوة صريحة الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية ، والحاحا على ضرورة اعادة أبناء فلسطين المشردين الى ديارهم والاعتراف الكامل بحقوقهم القومية .

لذلك كانت وفاة راسل تمثل خسارة كبيرة للانسانية التقدمية ، وان ظلت القيم التي دعا اليها في حياته تؤتي ثمارها بعد موته ، بل لعل برتراند راسل أحد أولئك القلائل في تاريخ البشرية ، الذين تستمر حياتهم بعد موتهم .



■ تشيكوسلوفاكيا

تطورات جديدة في الموقف

شهد الاجتماع الاخير للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي سلسلة من التطورات الهامة . ففي يوم واحد فقط ، هو اليوم الاول للاجتماع ، استقال تشيرنك رئيس وزراء الاتحاد ، واستقال معه سبعة من وزرائه ، كذلك اعفي تشيرنك مع ثلاثة آخرين من مناصبهم في رئاسة الحزب ، واستقال الكسندر دوبتشك من عضوية اللجنة المركزية للحزب ، كذلك تم اختيار لوبومير ستروجال رئيسا للوزراء .

وقد علق أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب وهو جوريف هافلن على هذه التغييرات بقوله : « ان ما تم ليس عملية تطهير ، لكنه مجرد تغييرات ضرورية للكادر السياسي والتنظيمي للحزب بغرض دعم دور الحزب في المرحلة القادمة وخاصة في المجالات الاقتصادية .. » وتحدث هافلن عن النتائج الاخرى لاجتماع اللجنة المركزية فقال « انه قد تقرر تاكيد دور القيادات الحزبية في الاقتصاد التشيكوسلوفاكي بهدف تحقيق الخط الذي رسمته اللجنة المركزية للتوصل الى أهداف اقتصادية محددة » وقال : « ان اللجنة المركزية قد أكدت على ضرورة قيام القيادات الحزبية بدور الموجهين والمشرفين على الادارة في مختلف المؤسسات والمصانع دون التدخل المباشر في عمل الادارة . وبالاضافة ، تقرر العمل على دعم دور القيادات الحزبية في الاتحادات العمالية » .

ومن ناحية أخرى أعلن متحدث باسم وزارة الداخلية التشيكوسلوفاكية أنه قد تم اكتشاف تنظيم معاد للثورة يعمل تحت اسم « الحزب الاشتراكي الثوري » . وهو تنظيم تصفه وكالة الانباء التشيكوسلوفاكية بانه يضم في الاساس عناصر تروتسكية . وتقول انه كان على علاقات وثيقة بعدد من التنظيمات الطلابية ذات الميول الفوضوية في أوربا الغربية . وتشير الانباء كذلك الى أنه من بين المقبوض عليهم سيدة من ألمانيا الغربية .

وكانت عناصر هذا التنظيم التي وصفها راديو براغ بأنها « عناصر برجوازية صغيرة ذات نزعات فوضوية وتروتسكية » تعمل تحت شعارين أساسيين هما « لنعمل ضد البيروقراطية » « لنعمل من أجل بناء مجتمع متحرر تحررا تاما » .

ولا يقف التروتسكيون والفوضويون وحدهم في ميدان العداء للنظام الجديد ، فهناك أيضا العناصر الصهيونية التي تكشف أخيرا الدور الخطير الذي لعبته منذ الايام الاولى للازمة التشيكوسلوفاكية . فقد صرح بوهمير مولنار أحد كبار المسئولين في وزارة الداخلية قائلا : « ان عددا من كبار الرسميين الذين عزلوا من مناصبهم في حركة التطهير التي تمت في العام الماضي كانوا على صلة وثيقة بالحركة الصهيونية العالمية .. وان تصرفاتهم كانت من بين الاسباب التي أدت الى الاضطرابات التي وقعت في تشيكوسلوفاكيا .

وفى المقابل تواصل الحكومة التشيكوسلوفاكية عملها بتجريد العناصر المناوئة من المنطلقات التى تستمد منها شعاراتها البراقة • فقد كانت المعارضة تستند الى ماسمته بالازمة السلوفاكية التشيكية والى الازمة الاقتصادية . وفى مواجهة ذلك اتخذت اللجنة المركزية سلسلة من القرارات الرامية الى دعم النظام الفيدرالى الذى يقوم على أساس وحدة فيدرالية قائمة على أساس المساواة التامة بين جمهوريتى التشيك والسلوفاك •

وفى نفس الوقت تتخذ سلسلة من الاجراءات الرامية الى تحسين الاوضاع الاقتصادية والى تعزيز دور الحزب فى قيادة المجتمع •

وفيما يتعلق بدور الحزب ، فان عددا من المراقبين يرون أن الحلقة الرئيسية فى حل المشكلات فى هذا البلد الاشتراكى ، لا تزال هى الدور الذى يتعين على الحزب أن يؤديه فى حياة المجتمع والبلاد • ومن هنا فان التغييرات التى توالت على القيادات الحزبية تؤكد هذه الحقيقة وهى أن المنطلق فى تجاوز كل الازمات الداخلية يكمن فى قدرة الحزب على تجاوز مشكلاته الداخلية •



■ بترول

العمل البترولى الافريقى بين زيادة سعر البترول الافريقى وتوقف الحرب الاهلية النيجيرية

تشهد الشهر الماضى حدثين بتروليين هامين فى القارة الافريقية ، التى يعتبر العمل البترولى فيها حديثا نسبيا • ذلك أن المصالح الاستعمارية فى محاولاتها القديمة لاستغلال ثروات الشعوب ركزت فى عمليات البترول على منطقة الشرق الاوسط التى كانت واضحة المعالم من الناحية الجيولوجية ، بينما كانت احراش وغابات وضآلة المعلومات الجيولوجية عن القارة الافريقية تعوق عمليات البحث عن البترول واستغلاله فى ذلك الوقت • ومن ثم سلك الاستغلال الاستعمارى مسالك أخرى فى القارة ، ووجه اهتمامه لاستخراج الذهب والنحاس والماس والكوبالت، بالاضافة الى استغلال الموارد النباتية المختلفة وتنميتها •

ومنذ الخمسينات ظهر الاهتمام بالبترول الافريقى، خاصة بعد حرب السويس عام ١٩٥٦، وظهور الشركات البترولية المستقلة التى خرجت تبحث عن مكان لها بجوار الشركات الثمانية العملاقة التى كانت حتى وقت قريب تستأثر بالعمل البترولى خارج الولايات المتحدة والكتلة الشرقية •

وفى الشهر الماضى شهدت القارة الافريقية هذين الحدثين الهامين فى مجال البترول وهما :

١ ـ بدء مفاوضات زيادة الاسعار المعلنة للبترول الليبى •

٢ ـ توقف القتال فى نيجيريا ، وتطلع الشركات البترولية الى تحقيق مزيد من الانتاج •

■ زيادة الاسعار المعلنة للبترول الليبى

ان البترول الليبى يعتبر اسطورة حقيقية • **فقبل أقل من ١٠ سنوات قفز انتاج هذا البترول من ١٨ الف برميل فى اليوم الى أكثر من ٣ ملايين برميل وهو معدل لم يسبق أن عرفه تاريخ العمل البترولى** • والبترول من الثروات التى تتبدد بخروجها من باطن الارض ، ولهذا يعتبر استغلاله مسئولية ينوب فيها الشعب المعاصر لعملية الاستغلال عن كل الاجيال القادمة • وبقدر اهتمام الشعب المعاصر لعملية الاستغلال بقدر ما يتحقق من خير للجيل القادم • من هنا كان اهتمام الثورة الليبية بتصحيح مغالطات الشركات البترولية التى استنزفت ملايين الدولارات على حساب الشعب • فمنذ بدء تصدير البترول الليبى عام ١٩٦١ حددت شركة استاندرد نيوجرس (اسو) سعرا للبترول الليبى يتناقض تماما مع وجه العدل والسعر الذى يستحقه هذا البترول الليبى ، والذى يتلاءم مع امتيازات كثيرة يتمتع بها : مثل قلة تكاليف استخراجه ، وارتفاع جودته ، وقربه من الاسواق المستهلكة ، وانخفاض نسبة الكبريت فيه الى حد كبير • وهى ميزات هامة اليوم على المستوى العالمى •

ولقد انفردت شركة اسو بتحديد سعر البترول الليبى دون أن تشرك فى ذلك الحكومة الليبية التى اكتفت ما بين وقت وآخر بتقديم احتجاج كانت تحفظه الشركات فى ملفاتها دون أن تحاول اعطاءه الاهمية المستحقة •

وفى الكلمة التى افتتح بها **العقيد معمر القذافى** رئيس الثورة الليبية جلسات المفاوضات بين ممثلى الثورة والشركات البترولية لم يقصر رئيس الثورة **الليبية حديثة علىقضية السعرالبترولى ، وانما حرص أيضا على تسليط الضوء على قضية أخرى لا تقل أهمية وهى « مدى استفادة الانسان الليبى بصناعة البترول فى بلاده لا من حيث العائد المادى ، وانما من حيث الخبرة والعمل أيضا » .** وهذا ما أوضحهالعقيد القذافىعندماحدد مطالب الشعب الليبى فى :

١ ــ حصوله على السعر العادل لبتروله .

٢ ــ معاملة العامل الليبى فى شركات البترول بوصفه صاحب الحق وصاحب البلاد .

٣ ــ رفع نسبة العاملين فى شركات البترول من الليبيين .

٤ ــ اتاحة الفرصة لتدريبهم .

٥ ــ توفير المواد الاستهلاكية الكبيرة التى تستوردها الشركات منبلادها، وتتلفها عمدا على حساب عائدات الشعب الليبى من البترول .

وفى أعقاب كلمة العقيد القذافى بدأت الجلسة الاولى فى محادثات اللجنة التى شكلتها الحكومة الليبية مع ممثلى الشركات . وقد تحدث **السيد عز الدين جرول وزير النفط الليبى** فلم يشرفى حديثه الى أى اقتراح حول الزيادة المطلوبة فى سعر البترول الليبى . **وكانت التكهنات قد ذكرت أن الحكومة ستطالب بزيادة سعر البرميل بمعدل ١٠ ــ ١١ سنت وهو ما يحقق زيادة فى عائدات الحكومة الليبيةقدرها ٦ سنتات عن كل برميل أوما يعادل ٦٨ مليون دولار سنويا على أساس معدل انتاج عام ١٩٦٩ والذى كان ٣ر١ مليون برميل يوميا .**

الا ان وزير النفط الليبى أكد فى حديثه الى ممثلى الشركات أن ما يهم ليبيا من شركات البترول [ولها فىأكثر منبلد مصالحبترولية] **هو أن يعامل البترول الليبى من حيث السعر على قدم المساواة مع بترول الدول المنتجة والمصدرة الاخرى .**

والمهم انالحكومة الليبية تطالب بتطبيقالزيادة فى السعر بأثر رجعى الى عام ١٩٦٥ على أساس أن الفترة السابقةكانت قد تمت تسويتها عندالنظر فى موضوع تنفيق الاتاوة . **وتقدر العائدات التى ستدخلالخزينة الليبية تحقيقا لذلك بأكثرمن ٣٠٠ مليون دولار .**

■ توقف الحرب الاهلية فى نيجيريا

شهد النصف الاول من عام ١٩٦٧ قبل اندلاع الحرب الاهلية فى نيجيريا فى شهر يوليو ، نموا كبيرا فى الانتاج البترولى ــ الذى كان قد بدأ منذ عام ١٩٥٦ ــ وقد وصل الانتاج فى يوليو ٦٧ قبل الحرب الاهلية مباشرة الى ٥٧٨٢٠٠ برميل يوميا بزيادة ٥ر٥٣ فى المائة عن السنة السابقة ، وكان من المتوقع أن تحتل نيجيريا بهذا المقياس مكانا بارزا بين الدول المصدرة فى مطلع السبعينات ، الا أنقيام الحرب الاهلية أضاع آمال نيجيريا وانخفض الانتاج كثيرا ، وأقفلت الكثير من حقول الانتاج كما أوقفت عمليات المسح والتنقيب .

ولا شك أن البترول كان له دخل كبير فى مأساة الحرب الاهلية التى عاشتها نيجيريا أكثر منعامين ونصف. فنيجيريا مقسمةالىأربعةأقاليم تجمعهما حكومة اتحادية ، وطبقا للنظام المعمول به تدفع ايرادات البترول الى الحكومة الاتحادية فى لاجوس . وتقسم هذه الايرادات الى قسمين :

● ضرائب على الارباح وهذه تسدد بالكامل الى الحكومة الاتحادية وتحتفظ بها كاملة .

● بدلات ايجارات ورسوم جمارك وعائدات موانىء وهذه تسلم الى وكلاء الحكومة الاتحادية فى الاقاليم . وتحتفظ الحكومة بنسبة قدرها ٢٠ فىالمائة منهذه الايرادات، وتعطىالاقليم الاصلى الذى يخرج منه البترول ٥٠ فى المائة ، وتوزع النسبة الباقية وقدرها ٣٠ فى المائة على الاقاليم الاربعة حسب عدد سكانها .

ولقد اثار هذا النظام الاقليم الشرقى الذى تزعم حركة الانفصال . وبالطبع كانت أصابع الشركات البترولية ملموسة وراء هذا الصراع وكانت تشجع هذه النزعات الانفصالية خوفا من الاتجاهات التحررية الاقتصادية للحكومة الاتحادية .

والشركات العامة فى نيجيريا هى :

ــ **شل بريتش بتروليوم**، وتعملعلى البروهى أكبر الشركات البترولية المنتجة فىنيجيريا وقدبلغ انتاجها قبل الحرب ٥٠٠ الف برميليوميا انخفض الى ٢٠٠ الف برميل ثم ارتفع فى العام الماضى الى ٣٨٠ الف برميل يوميا .

ــ **شركة جولف الامريكية** ، وهى الشركة المحظوظة من بين جميع الشركات العاملة فى نيجيريا لان انتاجها لم يتأثر بالحرب الاهلية فلها

حقول خمسة تملكها فى اقليم الغرب الاوسط وقد استمرت فى الانتاج محققة زيادة من ٥٧ الف برميل يوميا عام ١٩٦٧ الى ٢٠٠ الف برميل حاليا .

ـ شركة **سافراب الفرنسية** وكان انتاجها ٤١ الف برميل يوميا وقد توقفت عن الانتاج كليا .

ـ **شركة اجيب ـ فيليبس** الايطالية الامريكية وقد توقفت هى الاخرى وكانت على وشك انتاج قدره ٢٠ الف برميل يوميا .

ـ شركة **اوفرسيز الامريكية** وقد توقفت هى الاخرى وكان انتاجها ٢٥ الف برميل يوميا .

ـ **شركة موبيل اويل الامريكية** وكان برنامجها يقضى ببدء الانتاج فى بداية عام ١٩٧٠ .

ولا شك ان الشركات البترولية كانت تطمع فى بذر بذور الخلاف بين اقاليم نيجيريا ، الا أنهـا حصدت توقف الانتاج فى بعض المناطق وانخفاضه فى مناطق اخرى .

غير ان ما كانت تخشاه الشركات قد وقع فى نيجيريا ، فقد اصدرت الحكـومة قانونا بتروليا جديدا يرسم امن سياسة نيجيريا البترولية المستقلة ويحقق لها عائدات اكثر . فقد نص القانون الجديد على حق حكومة نيجيريا فى المشاركة والاشراف على الانتاج والمحافظة على الثروة البتـرولية وبالذات فيما يتعلق باستغلال الغاز الطبيعى . اذ رفع القانون الجديد نسبة العائدات المفروضة على الغاز من ٥ فى المائة الى ١٠ فى المائة ، كما اتجه القانون الجديد الى التحول من الاسعار المتحققة التى كان الحساب يتم على اساسها الى الاسعار المعلنة وهو النظام الذى تأخذ به دول الاوبك . ومع أن نيجيريا ليست عضوا فى الاوبك الا أنها حرصت مستفيدة من دمائها التى نزفتها فى معـاركها الداخلية ـ على الحصول على حقها العـادل والوقوف فى وجه الشركات البترولية .

■ ■

■ علوم

حول البرنامج البيولوجى العالمى

أعلن خبراء الامم المتحدة أن عدد سكان الكرة الارضية سيصـل عـام ٢٠٠٠ ، الى ضعف العدد الحالى الذى يبلغ الان ٣٫٥٠٠ مليـون نسمة ، وبالتالى سـيتراوح عدد السـكان عام ٢٠٠٠ بين ٦٠٠٠ مليون و ٧٠٠٠ مليون نسمة . وبذلك يواجه الانسان مشكلتين من اخطر المشاكل التى تواجـه البشرية وهما : توفير الطعـام والمياه . وتشغل المشكلتان بال العلماء فى كافة أنحاء الارض وتفرض عليهم التعاون فى كافة الجهود للتوصل الى حلول مشتركة . وتتجـه الجهود حاليا ، الى البحث عن مصادر الغذاء فى طبقات القشرة الارضية العميقة وفى قاع المحيطات العالمية ، خاصة وان ١٠ فى المائة فقط من اليابسة وجزءا طفيفا من المحيطات هى التى تسـتغل حاليا . هذا الى جانب أن هناك نقصا كبيرا فى مياه الشرب والمياه التى تستخدم فى الصناعة ، خاصة وأن كميات متزايدة من المياه العذبة ، والجوفية ، والبحار والمحيطات تصبح غير صالحة للاستخدام نتيجة قذف فضلات الانسان والفضلات الصناعية فى هذه المياه .

ونتيجة لذلك اشتركت ٦٠ دولة تابعة للامم المتحدة ، وفى دراسة هذه القضـايا عـن طريق «البرنامج البيولوجى الدولى» . ومن المنتظر ان تنتهى ابحاثه فى نهاية سنة ١٩٧٢ ، ومن أهم قضايا هذا البرنامج : توفير الغذاء ، وتنقية المياه والهواء .

وتتجه أنظار العلماء الى « الميكروبيـولوجى » فعن طريق الكائنات الحية الدقيقة يمكن الحصول على المواد البروتينية من المواد الخام الخالية من المواد الغذائية مثل الفضلات الزراعية ومنتجات البترول . وكذلك عن طريق البروتين نفسه الموجود فى الكائنات الدقيقة الحية يمكن تغذية الحيوانات الزراعية . هذا الى جانب انتاج البـروتينات والاحماض الامينية كيمائيا .

كما يمكن عن طريق التحكم فى الصفات الوراثية للحيوانات ، تربية انواع جـديدة من الحيوانات والطيور ، ذات انتاجية عالية ولكن من غير المنتظر ان نرى نتاج هذه الدراسة فـى السبعينات ، على الرغم من ان الطب الحديث بدأ فى دراسة واسعة لعلم الوراثة ، ومن المنتظر فى القريب التحكم فى كثير من الامراض الخطيرة التى تنتقل بالوراثة من جيل الى جيل .

ولقد لاحظ العلماء فى هذه الدراسات ان هناك بعض الكائنات التى تستطيع ان تستخلص من السوائل عددا كبيرا جدا من المواد الموجودة بها ، بما فى ذلك المواد المشعة . وهذه الظاهرة تفتح امكانيات واسعة أمام الصناعة ، وفى تنقية مياه البحار والمحيطات والانهار من كثير من المواد الضارة .

وتتطلب هذه الجهود تعاون الكيمائيين مع الاطباء ورجال الفسيولوجى ، وعلماء الحياة ، الى جانب رجال الرياضيات ، وبذلك تتداخل كثير من العلوم حتى ليصبح علم الحياة أكثر انتـاجية وفاعلية فى المستقبل القريب . ومن الواضح ان حل هذه المشكلات يصبح مستحيلا اذا ما اقتصر على جهود دولة بمفردهـا .. ان الحل يتطلب التعاون الوثيق للعلم العالمى .

المؤتمـر الدولى للبرلمـانيين

حول قضـية الشرق الأوسـط

عـرض وتحليـل لأهـم الاتجاهات التى بـرزت خـلال المـؤتمـر

عبد الهادى ناصف

كان المؤتمر الدولى للبرلمانيين الذى عقد فى القاهرة فى الفترة الاخيرة من ٢ الى ٥ فبراير سنة ١٩٧٠ لبحث قضية الشرق الاوسـط والذى اشترك فيه اكثر من مائتين وخمسـين مندوبا يمثلون خمسا وخمسين دولة من قارات العالم الخمس ، وما دار فيه من مناقشات ، وما قدم اليه من بحوث وتقـارير مؤشرا قويا دالا على حدوث تحول ملموس فى نظرة الرأى العام العالمى الى قضية من أخطر قضايا العصر وأشدها تأثيرا ليس فى مستقبل المنطقة فقط ولكن بالنسبة لمستقبل العالم كله ٠

وأكثر ما يلفت النظر فى هذا التحول أنه لم يأت فحسب نتيجة انفعال عاطفى تأثرا بـالسلوك الاجرامى الذى تسلكه العصابة الصهيونية بتأييد وتشجيع من حلفائها الاستعماريين حيال الحقوق الانسانية المشروعة لشعوب الارض المحتلة بوجه عام والشعب الفلسطينى بوجه خاص ، وانما جاء فى المقام الاول بناء على فهم مـوضوعى لكل الحقائق المتصلة بالصراع الدائر فى المنطقـة وآثاره ـ ما هو واقع منها فعلا وما هو محتمل بالنسبة للمستقبل على قضايا السلم العالمى ونضال الشعوب من أجل التحرر والتقدم فى وجه العدوان الامبريالى المستمر بشراسة متزايدة ، تستهدف ايقاف حركة التاريخ والانتكاس بالبشرية كلها الى وضع تصبح فيه مصائر الغالبية العظمى من سكان الارض رهنا بمشيئة قوة حمقاء باغية تحـركها أصابع حفنة من أصحاب الاحتكارات والمغامرين العسكريين ٠

ونستطيع ان نلخص الروح العلمية التى سادت كل أعمال المؤتمر ـ منذ بداية التحضير له فى أعقاب المؤتمر الثانى لنصرة الشعوب العربية فى فبراير سنة ١٩٦٩ الى انتهاء أعماله وصدور بيانه فى ٥ فبراير سنة ١٩٧٠ ـ فى أن هذه الروح كانت ترجمة صادقة للمطلب الوحيد الذى عبر عنه المناضل جمال عبد الناصر فى كلمته الجامعة الى المؤتمر عندما خاطب أعضاء المؤتمر فى بداية كلمته ثم عاد ليؤكد نفس المعنى فى نهـايتها وهو « اننا لا نريد منكم غير صدق الصديق ، ولا نريد من العالم الذى نعيش فيه غير الفهم » ٠ كما نستطيع القول بأن جوهر الحقائق الكامن وراء ملامح الازمة التى تواجهها الامة العربية والتى أوردها الرئيس عبدالناصرفىخطابه بايجاز ودقة معجزين فى تصويره لتطورات الازمة منذ أن بدأت الحركة الصهيونية مستعينة بقوى الاستعمار فى الانقضاض على جزء من وطن الامة العـربية لاغتصابه الى العدوان التوسعى الذى شـنته بمساعدة وتأييد قوى الاستعمار فى صيف سنة ١٩٦٧ ، الى اصرارها على اسـتغلال النصر العسكرى الذى حققته من عدوانها فى فـرض الاستسلام النهائى لكل مطـامع الصـهيونية والاستعمار على الامة العربية ، ذلك الاصرار الذى يستند أيضا الى تأييد ومساعدة قوى الاستعمار وفى مقدمتها أمريكا التى تعطى العنف الارهابى الذى تمارسه اسرائيل كل الادوات التى يمارس بها دوره المجرم ،كما تساعده سياسيا ودعائيا ، الى موقفالصمود المشروع الذى تقفه شعوب الامة العربية أداء لواجبها الوطنى وتمسكا بأرضها وحريتها وحقها ٠ لم تكن هذه الحقائق بعيدة عن أذهان المشتركين فى المؤتمر على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم ، وهى حقائق أكدت عشرات التقارير التى قدمت للمؤتمرمنبلاد مختلفة، والكلمات التى القيت فى المؤتمر استبصارا لها واقتناعا بها ، حتى القلة القليلة التى شذت عن الاتجاه العام الجارف

للمؤتمر لم تستطع انكارها فضلا عن تنفيذها . وكان قصارى ما استطاعت هذه القلة التى لم يتجاوز أفرادها أصابع اليد الواحدة عدا هو دعوة أصحاب الحق المغتصب الى مساومة الغاصب فيه .

ولقد كانت الرسالة الرائعة التى بعث بها الفيلسوف الراحل برتراند راسل الى المؤتمر ، والتى كانت آخر ما كتب فى حياته الخصبة الحافلة تعبيرا عن النبض الصادق للضمير الانسانى ازاء أزمة من أخطر الازمات التى امتحن بها هذا الضمير ، والتى تشكل فى نفس الوقت تهديدا لمستقبل الانسان ذاته . ان هذه الرسالة التى كتبها فى الايام الاخيرة من حياته رجل لا يمكن اتهامه بالتحيز لغير الحق والعدل ، وعالم وفيلسوف لا يمكن اتهامه بالانسياق وراء العاطفة ، هذه الرسالة على قصرها تحمل من الصدق والفهم ما لو أصغى اليه العالم لصدق مع نفسه وأدرك قبل فوات الاوان الى أى هاوية تجره الشرذمة الصهيونية وزبانية الاستعمار الجديد .

لقد بدأ راسل من آخر المراحل التى تطور اليها الصراع وهى الغارات التى تستهدف عمق الاراضى المصرية وأكد أنها لن تحمل السكان المدنيين على الاستسلام بل ستدعم تصميمهم على المقاومة ، وضرب أمثلة من الغارات الامريكية التى استمرت بعنف ووحشية لسنوات عديدة على شعب فيتنام والتى لم تنجح فى تصاعد شدتها الا فى تمكين الشعب الفيتنامى من اسقاط المزيد من الطائرات الامريكية ، وايضا الى الغارات النازية على الشعب البريطانى فى عام ١٩٤٠ والتى لم تنجح ايضا الا فى تأكيد ووحدة وتصميم الشعب على مقاومة العدوان ، ثم أكد حتمية فشل الهجمات الاسرائيلية فى تحقيق أهدافها الحيوية ، وفى نفس الوقت طالب بادانتها بشدة فى كل أنحاء العالم .

ثم انتقل راسل الى تطورات الازمة فقرر أن اسرائيل توسعت لفترة تزيد على العشرين عاما معتمدة على قوة السلاح ، وانها بعد كل مرحلة من مراحل هذا التوسع تنادى بالاحتكام الى « التعقل » وتقترح « المفاوضات » . ودفع راسل هذا الاسلوب بأنه كان دائما الاسلوب الذى تمارسه الدول الامبريالية ، لانها ترغب فى ان تدعم باقل الصعاب ما سبق أن استولت عليه بالعنف ، ومن ثم تصبح كل عملية غزو جديدة أساسا للمفاوضات من مركز القوة .

ثم انتقل راسل الى أصل المشكلة ولخصها فى أن دولة أجنبية قد أعطت وطن الشعب الفلسطينى لشعب آخر من أجل خلق دولة جديدة ، وأكد أن الاستمرار فى انكار حق الشعب الفلسطينى فى وطنه الذى طرد منه لا يعنى فى الحقيقة سوى استمرار النزاع فى المنطقة .

ثم عرج راسل على الدعوى القائلة بوجوب التعاطف مع اسرائيل بسبب ما عاناه يهود أوروبا على أيدى النازى . فدفع هذه الدعوى بأنها نفاق صارخ ، فما تقوم به اسرائيل اليوم من اضطهاد ضد العرب لا يمكن أن يبرره ما لاقاه اليهود فى أوروبا فى الماضى . بل أكثر من هذا فان ما تقوم به اسرائيل يهدد الدول العربية التى خرجت لتوها من وضعها كمستعمرات بالاستمرار فى الفقر ، اذ تصبح للاحتياجات العسكرية اللازمة لامنها الاسبقية على احتياجات التنمية القومية .

وأكد راسل فى نهاية رسالته أن أول خطوة نحو تسوية النزاع فى المنطقة يجب أن تكون بانسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

ومرة أخرى نستطيع التأكيد بأن رسالة راسل كانت بمثابة منارة ظلت تضىء الطريق أمام عقول المشتركين فى المؤتمر وضمائرهم ، وأن البيان الذى صدر عن المؤتمر كان فى غالبيته تبنيا لوجهة النظر التى طرحها راسل من خلال رسالته .

ولقد كان البيان الذى صدر عن المؤتمر يمثل الحد الادنى لما يمكن أن يتمثل فيه حل الازمة ، ولكنه كان فى نفس الوقت يمس الحد الاقصى لما يمكن أن يجمع عليه مندوبون من خمس وخمسين دولة من قارات العالم الخمس ينتمون فى نفس الوقت مشارب وايديولوجيات مختلفة ، وتختلف زوايا تناولهم للازمة باختلاف اهتماماتهم بشكل عام وتأثرهم بالازمة نفسها بشكل خاص .

وانطلاقا من هذه الحقيقة نستطيع أن ندخل الى تفصيل أكثر حول القضايا المختلفة التى اشتمل عليها جدول أعمال المؤتمر والاتجاهات التى برزت حيالها من واقع التقارير المقدمة من مختلف الوفود حول هذه القضايا ، وايضا من كلمات الاعضاء التى القيت :

لقد اشتمل جدول أعمال المؤتمر على أحد عشر بندا هى :

١ — حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ومدلولها وتطورها .

٢ — آثار الموقف الناجم عن هذه الحرب على السلم العالمى .

٣ — الاخطار التى يثيرها احتلال الارض العربية على حركات التحرر الوطنى .

٤ — آثار اغلاق قناة السويس على اقتصاد عدد كبير من الدول .

٥ — تطورات المشكلة الفلسطينية وضرورة ايجاد حل عادل يقبله شعب فلسطين .

٦ – مشروعية المقاومة الفلسطينية السياسية والمسلحة ، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

٧ – نظام الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

٨ – ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن المتعلقة :

- بتصفية آثار حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .
- حقوق شعب فلسطين .
- عدم شرعية العدوان وضم الاراضي بالقوة .

٩ – ضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقدس .

١٠ – ضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين .

١١ – سياسة دولة اسرائيل بالنسبة للقانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان .

وقد تفرعت عن المؤتمر لجنتان :

اللجنة الاولى : هي اللجنة السياسية التي انضم اليها غالبية أعضاء المؤتمر .

اللجنة الثانية : هي لجنة القانون الدولي وحقوق الانسان .

وقد وزعت بنود جدول الاعمال على اللجنتين فاختصت اللجنة الاولى بالبنود ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ واللجنة الثانية بالبنود ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١ ، أما البند ٨ فكان مشتركا بين اللجنتين .

وقد قدم وفد الجمهورية العربية المتحدة الى المؤتمر تقريرا وافيا عن كل بند من بنود جدول الاعمال، كما قدمت بعض الوفود الاخرى تقارير تناولت بعض بنود جدول الاعمال، وذلك بالاضافة الى الكلمات التي ألقاها أعضاء يمثلون كل الدول المشتركة في المؤتمر .

ولا يتسع المجال هنا بطبيعة الحال لعرض وتحليل كل ما جاء بتقارير الوفود وكلمات الاعضاء، وانما قد يكون من الافيد أن نقدم للقارىء رصيدا لاهم الاتجاهات والاراء التي برزت من خلال كلمات الاعضاء في كل من لجنتي المؤتمر بادئين باللجنة السياسية ، وهي اللجنة التي أتيح لي بحكم عضويتي لها ضمن وفد ج ع م حضور جلساتها وتتبع كل ما دار فيها ، على امل ان يتاح لي بعد الاطلاع على مضابط لجنة القانون الدولي وحقوق الانسان أن أقدم عرضا وتحليلا لما دار فيها ، وان كنت أفضل أن يتولى ذلك أحد الزملاء من الذين أتيح لهم حضور جلساتها بحكم عضويتهم لها .

اولا – حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ومدلولها وتطورها

تناولت الغالبية العظمى من الاعضاء المتحدثين في اللجنة السياسية هذا الموضوع، وقد برز من خلال كلماتهم مجموعة من الاراء نستطيع القول بأنه كان هناك اجماع بالنسبة للاتجاه العام الذي تشكله ، كما كانت هناك أغلبية ساحقة تؤيد كلا منها على حدة . وتتلخص هذه الاراء فيما يلي :

١ – ان الحرب التي شنتها اسرائيل ضد الدول العربية في يونيو سنة ١٩٦٧ كانت حربا عدوانية الهدف منها التوسع على حساب الارض العربية من جهة، وتصفية النظم التقدمية في البلاد العربية بوجه عام والنظام الثوري في الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص من جهة أخرى .

٢ – أن استمرار احتلال اسرائيل للارض التي أخذتها أثناء عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ معناه أن العدوان مازال مستمرا .

٣ – أنه لولا التأييد المطلق والتحريض والمساعدة المستمرين من جانب القوى الاستعمارية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية لم تكن اسرائيل لتقدر على شن العدوان في المقام الاول ، أو الاستمرار فيه متحدية بذلك ارادة المجتمع الدولي والرأي العام العالمي .

٤ – أن عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ كان حلقة من سلسلة الاعتداءات التي توجهها قوى الاستعمار والامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ضد حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي العالميتين ، وهو عدوان تحالفت فيه مع الصهيونية العالمية من أجل تحقيق أهدافهما المشتركة .

٥ – أن وقوع هذا العدوان واستمراره يؤكد الحقيقة القائلة بأن الحركة الصهيونية هي أحدى الاخطار الكبرى في عصرنا وأنها حركة عنصرية استعمارية مندمجة المصالح مع الاستعمار والامبريالية العالمية ، وأن الصهيونية في حد ذاتها هي شكل من أشكال الاستعمار الجديد .

٦ – أن الهيكل الداخلي لاسرائيل وطبيعة القوى المسيطرة على سياستها لا تساعد على امكانية الوصول الى حل سلمي للازمة .

٧ – أن اسرائيل لم تستطع حتى الان أن تصل الى تحقيق أهدافها من عدوان يونيو سنة ١٩٦٧، بسبب موقف الصمود العربي الذي كان له أكبر الاثر في تعديل موازين القوى ، ومن ثم فانها تعمد من وراء هجماتها المتصاعدة بالغارات الجوية على عمق البلاد العربية، وخاصة ج.ع.م الى القضاء على هذا الصمود وارغام الشعب العربي على الاستسلام لارادة المعتدين .

٨ ـ أن قوى الاستعمار بوجه عام، والولايات المتحدة الامريكية بنوع خاص هى المسئولة عن استمرار اسرائيل فى سياستها العدوانية بما تمدها به من أسلحة وما تقدمه اليها من دعم اقتصادى وسياسى ودعائى .

٩ ـ أن قطاعات واسعة من الرأى العام العالمى كانت مضللة بالدعايات الصهيونية الامبريالية وقد أخذت تدرك حقائق الصراع الدائر فى المنطقة وتتفهمها، وانقوى العدوان الصهيونىالامبريالى اخذت وبشكل متزايد تجد نفسها فى موقف مواجهة مع كل قوى السلام فى العالم .

١٠ ـ أن العالم كله قد بدأ يصغى بانتباه وينظر بالتقدير والاعجاب الى المقاومة البطولية لشعب فلسطين الذى استطاع أخيرا أن يبرز على مسرح الاحداث ويفرض نفسه عليها مقاتلا من أجل استرداد حقه المشروع فى وطنه الذى طرد منه .

ثانيا ـ آثار الموقف الناجم عن هذه الحرب على السلام العالمى

كان هناك اجماع بين المتكلمين المتناولين لهذا الموضوع حول ما يشكله استمرار العدوان الاسرائيلى من خطر على السلام العالمى .. وتلخصت الاراء التى طرحت بهذا الشأن فيما يلى :

١ ـ ان استمرار اسرائيل فى احتلال اراض لثلاث دول عربية يجعل من واجب هذه الدول بناء قوتها العسكرية لتسترد بالقوة ما أخذته اسرائيل بالقوة مما ينذر باندلاع حرب شاملة فى المنطقة .

٢ ـ أن استمرار الولايات المتحدة فى تزويد اسرائيل وهى مازالت تحتل الارض العربية بكميات متزايدة من الطائرات والاسلحة الحديثة يزيد من احتمالات الدمار التى ستسببه هذه الحرب عند اندلاعها .

٣ ـ أن ازدياد التورط الامريكى فى الصراع يوما بعد يوم خصوصا بعد أن سمحت للامريكيين بالعمل فىجيش اسرائيل مع احتفاظهم بجنسيتهم الامريكية يتصاعد بالازمة الى موقف يزيد من احتمال المواجهة المباشرة بين الولايات المتحدة الامريكية والبلاد العربية وهو أمر قد يترتب عليه اتساع نطاق الصراع ليشمل قوى أخرى من خارج المنطقة .

٤ ـ ان اتساع الصدام المسلح فى منطقة لها مثل ما لمنطقة الشرق الاوسط من حساسية لا يمكن الا ان يجر مضاعفات تؤدى الى انفجار الصراع المسلح فى مناطق أخرى من العالم .

٥ ـ ان اسرائيل بتجاهلها لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن واصرارها على تحقيق مكاسب اقليمية بحق الغزو، ومساعدة أمريكا لها على هذا الموقف المتعنت هو موقف يهدد بنسف كل المبادىء التى أقرها ميثاق الامم المتحدة ، ويشجع قوى العدوان فى كل مكان على الالتجاء الى القوة لتحقيق اغراضها، ويرتد بالمجتمع البشرى كله الى أسلوب القرن التاسع عشر عندما كان منطق الغزو والضم هو المنطق السائد فى العلاقات الدولية .

ثالثا ـ الاخطار التى يثيرها احتلال الاراضى العربية على حركات التحرر الوطنى

بالنسبة لهذا الموضوع فقد كان هناك شبه اجماع كامل على أن العدوان الاسرائيلى على الدول العربية كان جزءا من مخطط استعمارى يستهدف ضرب حركة التحرر الوطنى فى العالم كله بتصفية هذه الحركة فى جزء من اكثر أجزاء العالم اشتعالا بها ، ومن هنا فان قوى الاستعمار بزعامة الولايات المتحدة الامريكية وهى صاحبة المصلحة الكبرى فى تصفية حركة التحرر الوطنى كانت ولا تزال وراء هذا العدوان الذى يحقق أطماع اسرائيل فى التوسع والسيطرة بنفس القدر الذى يحقق أغراض الاستعمار فى تأمين سيطرته استراتيجيا واقتصاديا على المنطقة العربية. وأن تمكين الحلف الاستعمارى ـ الصهيونى من تحقيق اغراضه سيكون بمثابة ضربة قاصمة توجه الى حركات التحرر الوطنى فى كل مكان من العالم . فقضية التحرر كل لا يتجزأ وانتكاسها فى أى جزء من العالم لابد وأن ينعكس بالضرورة على وضعها فى كل مكان من العالم

رابعا ـ آثار اغلاق قناة السويس على أقتصاد عدد كبير من الدول.

كان التقرير القيم الذى قدمه وفد الجمهورية العربية المتحدة عن هذا الموضوع والمدعم بالارقام والاحصاءات المستمدة من مصادر دولية لا يرقى اليها الشك هو الذى وضع المؤتمر بشكل مباشر أمام مجموعة الحقائق الرهيبة التى تؤكد أن استمرار اغلاق قناة السويس هو فى حد ذاته هدف من أهداف العدوان واستمراره .

ويكفى للدلالة على ذلك ان جميع الدول التى كانت تستخدم قناة السويس أو تعتمد عليها كطريق مختصر لنقل صادراتها ووارداتها، أوتقوم بخدمة السفن فى سلسلة الموانى المرتبطة بحركة السفن عبر هذا الطريق الحيوى قد اصيبت باضرار فادحة نتيجة لاغلاق القناة باستثناء دولتين اثنتين هما الولايات المتحدة الامريكية وحكومة جنوب أفريقيا العنصرية بالاضافة الى اسرائيل التى وجدت فى اغلاق القناة فرصة لتعزيز جهودها من أجل انشاء خط أنابيب للبترول وطريق برى ممتد بين ايلات وأشدود . هذا بالاضافة الى أن اغلاق

القناة قد خلق بعض الصعوبات بالنسبة الى امداد دول المعسكر الاشتراكى لجمهورية فيتنام الديموقراطية بالمساعدات التى تعينها على مقاومة العدوان الامريكى ٠

خامسا — تطورات المشكلة الفلسطينية وضرورة ايجاد حل عادل يقبله شعب فلسطين ٠

كان الاحساس بالتفاقم الخطير للمشكلة الفلسطينية خلال أكثر من عشرين عاما من العدوان الصهيونى المستمر على شعب فلسطين العربى يكاد يكون عاما بين المشتركين فى المؤتمر ، والاراء التى برزت من خلال مناقشات اللجنة السياسية لهذا الموضوع يمكن أن نلخص أهمها فيما يلى :

١ — أن الجريمة التى ارتكبتها الصهيونية والاستعمار فى سنة ١٩٤٨ بالاستيلاء على أرض هى من حق الشعب الفلسطينى وطرد ما يقرب من مليون فلسطينى من أرضهم بالقوة لم تقف عند هذا الحد ، فقد بدأت العناصر الصهيونية المعتدية فى سنة ١٩٤٨ بالانقضاض على أرض خصصها قرار التقسيم الصادر من الامم المتحدة واحتلتها بالقوة وبذلك وسعت من رقعة الارض التى أعطاها لها قرار التقسيم فى حدود ٥٤ فى المائة من أرض فلسطين لتصل بعدوانها سنة ١٩٤٨ الى احتلال ٨٢ فى المائة من هذه الارض ٠ ثم توسعت مرة أخرى باحتلال المناطق المنزوعة السلاح وطرد ممثلى الامم المتحدة منها ، ثم احتلت بعدوان يونيو سنة ١٩٦٧ أرض فلسطين كلها وطرد نصف مليون مواطن فلسطينى منها لينضموا الى معسكرات اللاجئين، ثم عمدت الى انشاء مستعمرات جديدة فى هذه الارض ، واستجلاب مهاجرين اجانب جدد للاستيطان بها .

٢ — أن اسرائيل ضربت بكل قرارات الامم المتحدة بعودة اللاجئين الى أرضهم عرض الحائط طوال عشرين عاما تكرر صدور القرار فيها كل عام ٠

٣ — أن قبول اسرائيل لعضوية الامم المتحدة لم يتقرر الا على أساس تعهدها باعادة اللاجئين الى أرضهم التى طردتهم منها .

٤ — أن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره على أرضه هو حق مشروع بحكم كل القوانين والاعراف الدولية وحقه فى القتال من أجل استرداد هذا الحق ليس أقل مشروعية من الحق نفسه ٠

٥ — أن بقاء مشكلة الشعب الفلسطينى دون حل يرضاه سيحول دون استقرار السلم فى المنطقة وأن تجاهل هذه المشكلة هو السبب المباشر فى استمرار وتفاقم النزاع خلال العشرين سنة الماضية ويمكن أن يؤدى استمرار هذا التجاهل الى مخاطر أكبر ٠

سادسا — ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة ومجلس الامن المتعلقة بتصفية آثار عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، واعادة حقوق شعب فلسطين ، وعدم مشروعية العدوان وضم الاراضى بالقوة ٠

لم يختلف اثنان حول ضرورة امتثال اسرائيل لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ، بل أكثر من هذا فقد كانت النغمة السائدة لدى الغالبية العظمى تدور حول « ارغام » اسرائيل على الامتثال لهذه القرارات وتنفيذها ، وقدم بهذا الشأن عدد من المقترحات التى نورد فيما يلى أهمها :

١ — مساعدة الدول العربية فى بناء قوتها المسلحة حتى تتمكن من تحرير أرضها المحتلة ٠

٢ — تأييد المقاومة الفلسطينية وحق شعب فلسطين فى وطنه ٠

٣ — تكتيل الجهود الدولية من أجل ارغام اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الامن والانسحاب الكامل من الارض العربية التى احتلتها فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧

٤ — توقيع العقوبات على اسرائيل ٠

٥ — دعوة الدول المتحررة الى قطع علاقاتها مع اسرائيل ٠

٦ — دعوة كل قوى التحرر الى تشديد ضرباتها للاستعمار الامريكى فى كل مكان ٠

٧ — العمل على عزل اسرائيل عالميا باعتبارها القوى المعتدية .

وأحب قبل أن أختم هذا العرض الموجز أن أشيد بالمناخ الديموقراطى الرائع الذى ساد اجتماعات المؤتمر ولجانه والروح العلمية التى سادت مناقشاته. لقد كان المؤتمر بحق نافذة واسعة أطل منها العالم على وجه الحقيقة فى الصراع المصيرى الدائر فى منطقتنا بين قوى العدوان والسيطرة وقوى التحرر والتقدم ، ومنبرا حرا خاطبت منه قوى السلام العالمية عقل العالم أكثر مما استثارت عاطفته ٠

وأعتذر للقارىء من أننى لم أشر بالاسم الى الوفود والاعضاء الذين كانت لهم فى المؤتمر مواقف أكثر من عظيمة وأكثر من رائعة، وعذرى فى هذا أنهم كانوا عشرات وعشرات يضيق المجال عن حصرهم وتأبى روح الانصاف أن أذكر البعض وأغفل البعض الاخر ٠ فتحية لهم جميعا ،

أجندة الستينات

الآداب والفنون

قدمت الطليعة ابتداء من يناير الماضى ، أجندة الستينات « السياسية والاقتصادية » ثم أجندة الستينات في عدد فبراير « العلمية » ، وفى هذا العدد تنشر أجندة الستينات « الفنية » ونبدأها بالقسم الخاص بالأدب ، لتنشر بعد ذلك فى العدد القادم الاقسام الاخرى الخاصة بالمسرح والسينما والفنون التشكيلية .

لا شك أن السنوات العشر الممتدة من ١٩٦٠ حتى ١٩٦٩ قداستطاعت أن تضيف الى الادب فى مصر وفى أغلب أقطار العالم العربى اضافات عديدة ، وان تخوض به مغامرة طموحة فى شتى المجالات .. فقد تأكدت خلال هذه السنوات تيارات الحداثة التى هبت على وجه أواخر الخمسينات . وتصلب عود هذه التيارات التى خرجت من اهاب الخمسينات على الشعر والنقد والاقصوصة مع استحياء . ووفدت على ساحة الستينات تطلب فيها الفهم والنضوج . وخرجت بعد رحلتها معها وقد اكتسبت لنفسها المواقع والانصار .. فقد حفلت سنوات الستينات ، كما سنرى من خلال هذا الرصد السنوى لابرز العلامات على طريقها ، بالمعارك الفكرية وبالاعمال الادبية الشاهدة على ميلاد جيل جديد من الكتاب فى مختلف فروع الادب وفنونه . بل وعلى ميلاد فهم جديد لقضايا الادب والحياة .

تلك المعارك التى حسمت خلالها عشرات القضايا والتى استطاعت أن تحيل بعض الموضوعات الخلافية الى بديهيات تدلف الى ساحة السبعينات اليوم ووراءها تراث من المعارك التى أكدتها وأفحمت المشككين فيها . فلم يعد هناك من يفكر — ونحن على أبواب السبعينات اليوم — فى ادارة طاحونة النقاش المزعجة حول قضايا الفصحى والعامية أو الالتزام والالزام ، او هل الفن للفن أم للحياة أو القومية أو العالمية فى الادب .. وغير ذلك من القضايا التى ماجت بها الخمسينات ثم حسمتها رحلة الستينات بالصورة التى تطالعنا بها شهادات الادباء الشبان فى عددى [الطليعة] — سبتمبر وديسمبر ١٩٦٩ — تلك الشهادات التى تؤكد أننا على أبواب مرحلة جديدة وقضايا أدبية جديدة وأن رحلة الادب مع السبعينات ستطرح خلف ظهرها كل مشاكل رحلته مع الستينات . بمعنى أنها ستكون تجاوز لها لا مجرد امتداد . فاذا كانت الستينات هى سنوات الحسم فى القضايا المعلقة من الخمسينات فان السبعينات ستكون سنوات اعادة الطرح والتقييم العميق لاغلب القضايا والمسلمات الادبية . اعادة طرحها من منطق جديد وبمنهج جديد .

فقد تركت الستينات الحركة الادبية العربية وهى على أبواب مخاض عظيم .. وعلى مشارف مغامرة جديدة يتوقع لها أن تشكل انعطافة كبيرة فى تاريخ ثقافتنا العربية الحديثة .. ولنترك

هذه التوقعات الآن لاننا اذا استسلمنا لاغراءات التعرف على بذورها الجنينية الواعدة بالخصوبة ، سننصرف عن موضوعنا الرئيسى . . ولنتعرف على العلامات البارزة على طريق الستينات الطويل . . على المعارك التى دارت . . والمؤتمرات التى عقدت . . والمجلات التى ظهرت أو استمرت أو توقفت . والكتب التى صدرت والوجوه الرائدة التى رحلت . . والوجوه الشابة التى أطلت ، او التى أكدت مع الستينات أصالتها وموهبتها . . وغير ذلك من العلامات . . ولنبدأ بالعام الاول

١٩٦٠

● هاجم الازهر فى مطلع هذا العام رواية نجيب محفوظ [أولاد حارتنا] وطالب بايقاف نشرها فى كتاب . . وكانت الرواية قد نشرت مسلسلة فى جريدة [الاهرام] من ٢١ سبتمبر حتى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٩ . ودافع عنها بعض النقاد

● أصدرت مجلة [الاداب] البيروتية عددا خاصا عن (الادب الثورى) فى يناير . حافل بالدراسات النقدية حول هذا الادب وببعض نماذجه فى الشعر والاقصوصة .

● أقيم مهرجان الشعر الاول بدمشق . . وهو تقليد جديد أراد به المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب احياء الاسواق الادبية العربية فى الشعر . كما رافق هذا المهرجان احتفال بذكرى الشاعر العربى أبى تمام .

● دارت معركة نقدية طويلة بين رجاء النقاش ونازك الملائكة حول مفهوم القومية العربية فى الادب . وحول دور الكاتب فى ابرازها وتأكيدها واشترك فيها عدد من الادباء العرب منهم على محافظة وعلى محمد أسعد من سوريا وصالح عبده الدهان من البحرين وعبد الرزاق البصير من الكويت . وكانت أغلب مقالات هذه المعركة فى [الاداب]

● عاودت مجلة [الشهر] المصرية التى كان يصدرها سعد الدين وهبه الصدور بعد أن كانت قد توقفت لعدة شهور بسبب المشاكل المادية .

● أصدرت وزارة الثقافة فى ٤ مايو العدد الاول من سلسلة روائع المسرح العالمى .

● دارت معركة فكرية بين غالى شكرى وعلى بدور حول قضية الفرعونية واشترك فيها عدد آخر من الكتاب من مصر والسودان وسوريا . ونشرت أغلب مقالات هذه المعركة فى [الاداب]

● أعلنت مجلة الاداب عن مسابقة لاختيار أفضل الاعمال الادبية غير المنشورة فى الشعر والرواية والدراسة النقدية .

● دارت معركة بين الكاتبين السودانيين جيلى عبد الرحمن وعبد الله حامد الامين حول ركود الادب السودانى وموته . أولهما يدلل على هذا الموت والركود والاخر ينفيه . وقد بدأت هذه المعركة على صفحات جريدة [المساء] ثم انتقلت الى [الندوة] السودانية ثم الى [الاداب] البيروتية .

● فاز عباس محمود العقاد بجائزة الدولة التقديرية فى الادب ، وهى الجائزة التى أنشأها المجلس الاعلى للفنون والاداب فى العام الماضى لاول مرة والتى تمنح لاثار مؤلف كبير كان لها دور واضح فى خدمة الثقافة العربية وقد فاز بها فى العام الماضى الدكتور طه حسين . كما فاز الدكتور عبد الحميد يونس بجائزة الدولة التشجيعية فى النقد الادبى عن كتابه [الاسس الفنية للنقد الادبى] بينما حجبت جائزتا المسرحية وأدب الرحلات لعدم رقى الاعمال المتقدمة فى كل منهما الى مستوى الجائزة .

● فاز الكاتب اللبنانى الكبير مارون عبود بالجائزة التقديرية لجمعية أصدقاء الكتاب فى لبنان . وهى جائزة تمنح لمؤلف لبنانى كبير تقديرا لدوره الثقافى ولاهميته . كما فاز بجائزة الدراسة الادبية مناصفة أحمد أبو حاقة عن كتابه [أبو فراس الحمدانى] والفريد خورى عن كتابه [الكلمة العربية فى المهجر] . . وقد أنشئت هذه الجوائز لاول مرة هذا العام أسوة بجوائز المجلس الاعلى للفنون والاداب فى الجمهورية العربية المتحدة . . خاصة وأن هذه الجوائز لا تشمل الا كتاب الجمهورية العربية وحدها .

● فاز ديوان الشاعر العراقى بدر شاكر السياب [انشودة المطر] بجائزة مجلة [شعر] البيروتية لافضل ديوان شعرى عربى .

● مات الكاتب اللبنانى سعيد تقى الدين فى مارس . . وقد سبق له ان عاش فترة طويلة فى المهجر شارك خلالها فى الحركة الادبية العربية هناك وله أربع مسرحيات واربع مجموعات قصصية . . اهمها [الثلج الاسود] ١٩٤٦ و [نخب العدو] ١٩٤٦ و [موجة نار] ١٩٤٨ و [غابة الكافور] ١٩٥١ و [ربيع الخريف] ١٩٥٤ الى جانب عدد كبير من الدراسات والمقالات النقدية والسياسية .

● مات الشاعر السورى الشاب عبد الباسط الصوفى منتحرا فى كينيا بأفريقيا وهو شاعر أثبتت قصائده المنشورة موهبته الفائقة وحساسيته .

● من أهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [العودة من النبع الحالم] لسلمى الخضراء الجيوسى [لبنان] و [كلمات لا تموت] لعبد الوهاب البياتى و [قرارة الموجة] لنازك الملائكة [العراق] و [من القمر والطين] لصلاح جاهين [مصر]

● من أهم المجموعات القصصية التى صدرت هذا العام [صهيل الجواد الابيض] للكاتب السورى زكريا تامر وهى مجموعة تخوض بالاقصوصة مغامرة أصيلة مع الشكل وأساليب التعبير وتبشر بكاتب موهوب و [رسالة الى امرأة] ليوسف الشارونى و [الديك الاحمر] لفاروق منيب من مصر و [الوجه الاخر] لفؤاد التكرلى من العراق .

● من أهم الروايات التى صدرت هذا العام [الباب المفتوح] للطيفة الزيات و [لا تطفىء الشمس] لاحسان عبد القدوس من مصر و [المصابيح الزرق] لحنا مينا و [جيل القدر] لمطاع صفدى من سوريا .

● من أهم الاعمال المترجمة الى العربية هذا العام رواية جان بول سارتر [دروب الحرية] من ترجمة سهيل ادريس .

● توفى الاديب الفرنسى ألبير كامو فى حادث سيارة فى ٤ يناير .

١٩٦١

● عقدت فى لبنان [بيروت] حلقة دراسية باسم [حلقة الكتاب العربى] لدراسة وسائل تيسير الكتاب العربى ونشره بدعوة من الامانة العامة لجامعة الدول العربية وحضرها ممثلون للحكومات العربية وللناشرين العرب فى مصر ولبنان والعراق وسوريا وتونس والمغرب والسودان والاردن والسعودية وليبيا واليمن وفلسطين .

● دارت معركة نقدية كبيرة حول مفهوم النقد الادبى وموقفه من العمل الفنى بين الدكتور محمد مندور والدكتور رشاد رشدى ، وتشكلت على أثر هذه المعركة وبسببها جمعيتان نقديتان تضم

كل منهما معسكراً من النقاد له موقفا متجانس من هذه القضية الكبيرة .. أولاهما [جماعة النقاد العرب] وتضم الدكاترة محمد مندور ولويس عوض وعبد القادر القط ومحمد القصاص ومصطفى ناصف والاساتذة انور المعداوى وفؤاد دواره وابراهيم حمادة وغيرهم وترى هذه الجماعة أن للعمل الادبى محتوى فكريا ، وموقفا سياسيا من القضايا المثارة فى واقعه .. وأن الشكل فى العمل الفنى ليس الا الاطار الذى يصب فيه الفنان رؤيته للواقع وفهمه له وموقفه منه .. ومن ثم فهو ليس غاية فى حد ذاته ، ولكنه وسيلة تستهدف توصيل المعنى الى المتلقى . أما الثانية فهى [جمعية النقاد] وتضم الدكتور رشاد رشدى وآخرين .. وتنادى هذه الجماعة برأى اليوت فى المعادل الموضوعى . وتقول أن العمل الفنى شكل خاص وليس من حق الناقد تناوله الا من داخله دون محاولة الوصول الى محتواه لان اى محاولة لتحميل العمل الفنى بمحتوى فكرى أو اجتماعى ليست الا نوعا من الاسقاط الذى يمارسه الناقد على العمل الفنى . ودارت هذه المعركة الواسعة فى أغلب الصحف والمجلات الادبية فى القاهرة وبيروت .

● ثارت من جديد ذيول معركة العام الماضى حول القومية العربية والفرعونية بمناسبة صدور كتاب الدكتور حسين فوزى الهام [سندباد مصرى] وقد اثارها عدد من الكتاب السوريين منهم محمد حمويه ونظير زيتون ومحمد ابراهيم الخالدى على صفحات مجلة [الاداب]

● ودارت على صفحات نفس المجلة مناقشة حول انسانية الفلسفة الماركسية بين مجاهد عبد المنعم مجاهد الذى قطع بلا انسانيتها وفراس سواح الذى فند مزاعم مجاهد وناقشها .

● اثار محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام مناقشة واسعة حول قضية أزمة المثقفين وموقفهم من الثورة المصرية . اشترك فيها عدد كبير من الكتاب والمفكرين بصورة بلورت القضية وحددت أبعادها .. نذكر منهم د. لويس عوض ود. محمد انيس ود. سيد عويس ولطفى الخولى ود. مجدى وهبة ود. كلوفيس مقصود ود. عبد الرازق حسن وغيرهم .

● ثارت معركة ادبية حول ديوان ابراهيم ناجى الذى أصدره المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وأشرف على جمعه الشاعران أحمد رامى وصالح جودت فقد ضما اليه ١٧ قصيدة للشاعر كمال نشأت .. وكتب حول هذه القضية التى تمس الضمير الادبى والحس الثقافى لشاعرين مشهورين عدد كبير من الكتاب خاصة بعدما رفض صالح جودت الاعتراف بحق كمال نشأت فى هذه القضية .. ومن الذين وقفوا الى جانبه كمال نشأت رجاء النقاش وفتحى الابيارى .. ثم جاء الدكتور مندور وحسم القضية نقديا ونهائيا لصالح الشاعر كمال نشأت .. ودارت هذه المعركة فى معظم الصحف المصرية واللبنانية .

● ثارت على صفحات [الاداب] معركة نقدية حول عروض الشعر الحر اشترك فيها عدد كبير من النقاد والشعراء منهم ملك عبد العزيز والحسانى حسن عبد الله وعبد الجبار عباس .. وغيرهم

● ثارت على صفحات مجلة [المجلة] معركة حول ما هو الجديد فى الشعر الجديد بدأها الدكتور زكى نجيب محفوظ واشترك فيها الدكتور محمد مندور والدكتور عز الدين اسماعيل ثم نقلها محيى الدين محمد الى بيروت واشترك فيها هناك يوسف الخال وآخرون .

● عقد فى ٢٧ يوليو فى الرباط مؤتمر أدبى باسم [مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربى] اشترك فيه كتاب من المغرب وتونس وليبيا .وناقش ضرورة اتحاد كتاب المغرب العربى فى اتحاد ادبى واحد ووضع أسس هذا الاتحاد ولائحته وقانونه وانتخب الاديب الفيلسوف الدكتور محمد عزيز الحبابى رئيسا له .

● بدأت الاستعدادات لاقامة مهرجان الشعر الثانى فى سوريا فى دمشق فى شهر سبتمبر ولكنه ما لبث أن توقف بسبب أحداث الانفصال الدامية . وكان بنية المهرجان الاحتفال بذكرى البحترى الى جانب القاء القصائد الشعرية .

● اصدرت مجموعة كبيرة من الادباء فى كل من مصر ولبنان والعراق بيانات تستنكر فيها حركة الانفصال الرجعية فى سوريا .

● عقد فى أكتوبر مؤتمر [الادب العربى المعاصر] فى روما تحت اشراف معهد الشرق الايطالى ومجلة [تمبو بريزنتى] الايطالية والمنظمة العالمية لحرية الثقافة . واشترك فيه من القاهرة محيى الدين محمد ود. ابراهيم بيومى مدكور ود. بنت الشاطىء ومن العراق بدر شاكر السياب وجبرا ابراهيم جبرا ومن لبنان يوسف الخال وجميل صليبا ومن سوريا على أحمد سعيد [أدونيس] ومن الاردن عيسى الناعورى .. واصدرت منشورات منظمة حرية الثقافة الابحاث التى ألقيت فى المؤتمر فى كتاب ، وقد دارت معظم الابحاث حول قضايا الحداثة والتجديد .

● فاز توفيق الحكيم بجائزة الدولة التقديرية فى الاداب وفاز عبد الرحمن صدقى بجائزة الدولة التشجيعية فى الدراسات الادبية عن كتابه [الشرق والاسلام فى أدب جوته وفاز بها فى القصة القصيرة الدكتور بديع حقى عن مجموعته [التراب الحزين] .

● فاز الاديب اللبنانى ميخائيل نعيمه بالجائزة التقديرية لجمعية اصدقاء الكتاب بلبنان وفاز اديب مروة بجائزة الدراسات الادبية عن كتابه [الصحافة العربية] . بينما حجبت جائزتا المسرحية والرواية لعدم رقى الاعمال المقدمة فيهما الى مستوى الجائزة .

● فاز الكاتب السورى الشاب هانى الراهب بجائزة الرواية فى المسابقة التى أعلنت عنها مجلة [الاداب] البيروتية فى العام الماضى ، عن روايته [المهزومون] وفاز ديوان الشاعر السورى عبد الباسط الصوفى — الذى مات منتحرا فى أفريقيا فى العام الماضى — [ابيات ريفية] بجائزة الشعر . بينما حجبت جائزة الدراسة الادبية .

● فاز ديوان الشاعر السورى المقيم فى لبنان على أحمد سعيد المعروف باسم أدونيس [أغانى مهيار الدمشقى] بجائزة مجلة شعر لافضل ديوان شعرى

● صدر فى القاهرة العدد الاول من مجلة [الكاتب] الشهرية فى ابريل يرأس تحريرها أحمد حمروش وتصدر عن دار التحرير للطبع والنشر .

● صدرت فى تونس مجلة أدبية لغوية شهرية بعنوان [اللغات] ويرأس تحريرها احمد بلوخه . وقد صدر عددها الاول فى اكتوبر .

● أصدرت مجلة [الاداب] عددا خاصا من قضايا النقد الادبى ضم دراسات لاهم التيارات والمدارس النقدية المختلفة . فى يناير من هذا العام .

● عقد فى القاهرة من ٢٤ فبراير الى ٢ مارس اجتماع اللجنة التحضيرية الدولية للمؤتمر الثانى للكتاب الافريقيين الاسيويين. وحددت موعد انعقاد المؤتمر الثانى وجدول اعماله . وكان المؤتمر الاول قد عقد فى طشقند بالاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٥٨ .

● عقد فى طوكيو من ٢٨ — ٣٠ مارس الاجتماع الطارىء للمكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا لمناقشة اهمية كفاح الشعب اليابانى ضد التحالف العسكرى الامريكى اليابانى ، وخطر الاسطول السابع الامريكى والقواعد العسكرية . وكذلك مناقشة المواقف العاجلة فى لاوس والكونغو والجزائر وتأكيد واجب الكتاب ازاء ابراز دقة الموقف لشعوبهم وفضح طبيعة الاستعمار الجديد .

● صدرت مجموعة الشاعر اللبنانى سعيد عقل [يارا] مطبوعة بالحروف اللاتينية فاثارت من جديد تلك المشكلة القديمة حول طباعة الاعمال العربية وكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .. وقد ناقشت عدة صحف ومجلات لبنانية هذه القضية .

● من أهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [الناى والريح]

لخليل حاوى [لبنان] و [اقول لكم] لصلاح عبد الصبور [مصر] و [أعطنا حبا] لفدوى طوقان [فلسطين] .

● من أهم الروايات التى صدرت هذا العام [ثائر محترف] لمطاع صفدى و [ستة ايام] لحليم بركات و [اللص والكلاب] لنجيب محفوظ .

● من أهم المجموعات القصصية التى صدرت هذا العام [آخر الدنيا] ليوسف ادريس و [موت سرير رقم ١٢] لغسان كنفانى و [فتاة فى المدينة] لابى المعاطى أبو النجا و [عطشان يا صبايا] لسليمان فياض .

● من أهم الدراسات [الثورى والعربى الثورى] لمطاع صفدى و [العرب وتجربة المأساة] لصدقى اسماعيل و [البحث عن الجذور] لخالده سعيد و [الاسطورة فى الشعر المعاصر] لاسعد زروق .

● من أهم المترجمات ، البدء فى ترجمة رباعية الاسكندرية للورانس داريل وظهر الجزء الاول منها [جوستين] من ترجمة الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسى و [ازمة الماركسية الراهنة] لهنرى لوفافر .

● زار القاهرة الشاعر القروى رشيد سليم الخورى وقد اهتمت الحركة الادبية بزيارته وتابعتها المجلات الادبية المختلفة بدراسة أعماله والتعريف بها .

● احتفل فى ٤ نوفمبر بالذكرى المئوية لشاعر الهند طاغور .

● صدر فى بريطانيا كتاب [اله ملتون] للناقد وليم امبسون .

● نال الاديب اليوغوسلافى ايفواندريتش جائزة نوبل للاداب .

● فاز الكاتب الاسبانى [جوان جارسيا هورتيلانو] بجامعة فورمنتر العالمية وقدرهما عشرة آلاف دولار . وكانت قصته التى عرضت على لجنة المحكمين فى باريس تحمل اسم « عاصفة صيف » .

● اقيم فى لندن مهرجان للشعر نظمته جماعة « دواوين الشعر » فى مسرح جمعية « حورية البحر » واشترك فيه المعهد الفنى البريطانى ، واتحاد التليفزيون .

● عقدت فى روما ، فى المدة من ١٦ الى ٢١ اكتوبر ، حلقة دولية لدراسة الادب العربى المعاصر اشترك فيها لفيف من الدارسين العرب مع أساتذة الدراسات الشرقية فى جامعات روما وباريس واكسفورد وأمريكا .

● عقد فى موسكو المؤتمر الخامس والعشرون للمستشرقين ، وحضره الف ومائتا مندوب من مختلف بلاد العالم .

١٩٦٢

● عقد فى القاهرة من ١٢ — ١٦ فبراير المؤتمر الثانى للكتاب الاسيويين الافريقيين حول موضوع دور الكتاب فى كفاح الشعوب الافريقية الاسيوية ضد الاستعمار من اجل السلام وضم المؤتمر وفود ٤٤ دولة افريقية آسيوية وكان من أبرز شخصياته الشاعر التركى الكبير ناظم حكمت والكتاب الجزائريين مالك حداد وكاتب ياسين ومصطفى الاشرف والشاعر الهندى مولك راج أناند والشاعرة العراقية نازك الملائكة وعدد كبير من كبار كتاب آسيا وأفريقيا بلغ عددهم ١٥٧ كاتبا وأديبا . وكانت أهم توصيات المؤتمر بعد النداء الكبير الذى صدر عنه والذى وجهه الى كل كتاب العالم يتقدم لهم فيه فكره وموقفه من قضايا الانسان والتحرر .. التوصيات الخاصة بدور الترجمة فى تقوية روح التضامن الافريقى الاسيوى ، وتنمية التبادل الثقافى بين الشعوب . وبالعمل على تقوية الثقافات القومية فى البلاد الافريقية الاسيوية . وتصحيح تاريخ شعوب هذه البلدان والتعريف بحضارتها ودراسة وضع الكتاب فى آسيا وأفريقيا وانشاء دائرة معارف لاسيا وأفريقيا وتبادل الكتب والزيارات الى جانب القرارات التنظيمية التى حاولت ايجاد الصيغة المناسبة لتحقيق كل هذه التوصيات واخراجها الى حيز النور .

وقد كان هذا المؤتمر فرصة مواتية لازدهار الحركة الادبية فى مصر اذ ضم وفد مصر كل الادباء والكتاب المصريين ، وامتلات الصحف والمجلات الاسبوعية والشهرية بالدراسات المختلفة حول الادب الافريقى الاسيوى وبالمقابلات الادبية المختلفة مع أعضاء الوفود والاحاديث التى تتيح للقارىء العربى أن يكون صورة واضحة من آداب مختلف هذه البلدان المتنوعة التى عمل الاستعمار على عزلها وعزلة آدابها .

● عقد فى بيروت باشراف اليونسكو وبدعوة منها مؤتمر المائدة المستديرة حول موضوع [السينما والثقافة العربية] تناول دور السينما فى تطوير الثقافة العربية وأثرها عليها ومدى تأثيرها على الاشكال الفنية الاخرى . وقد ضم المؤتمر وفودا من الجزائر وتونس ومصر والكويت وسوريا ولبنان بالاضافة الى مراقبين من فرنسا وايطاليا والاتحاد السوفيتى وأمريكا وبريطانيا .. وقد اثار عقد هذا المؤتمر عدة قضايا حول موضوعه فى الصحف والمجلات البيروتية

● عقد بتطوان فى اغسطس مؤتمر ادبى ضم عددا كبيرا من كتاب ومفكرى بلدان المغرب العربى وناقش موضوع [المغرب بين مختلف التيارات الادبية والفكرية فى العالم] . وأصدرت هيئة المؤتمر وثيقة فكرية تسجل موقف الكتاب فى بلدان المغرب العربى من مختلف التيارات الفكرية . وأثارت هذه الوثيقة نقاشا واسعا حول محتواها الفكرى فى عدد كبير من الصحف والمجلات فى المغرب وتونس .

● عقد مهرجان الشعر الرابع فى أول نوفمبر بمدينة الاسكندرية ..وأجمع النقاد على أنه كان مهرجانا بلا شعر . حيث أصر العقاد مقرر لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب ، وهى اللجنة المشرفة على المهرجان والداعية له ، على ابعاد الشعر الحديث من المؤتمر . وان ناقشت أبحاث المؤتمر التى قدمها الدكتور زكى نجيب محمود والدكتورة سهير القلماوى قضايا التجديد فى الشعر . واهتمت بنماذجه الحديثة برغم موقفها المسبق منها .

● فاز احمد حسن الزيات بجائزة الدولة التقديرية فى الاداب وفاز بالجائزة التشجيعية فى الدراسات الادبية الدكتور محمد مندور عن كتابه [المسرح النثرى] وفى الشعر محمود عماد عن الجزء الثانى من [ديوان عماد] ولما حجبت جائزة الرواية توفرت جائزة من جوائز الاداب لديوان [فى ظلال الثورة] لمحمود غنيم ففاز هو الاخر بجائزة تشجيعية فى الشعر .

● فاز عبد الله العلايلى بالجائزة التقديرية لجمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية وفاز بجائزة الرواية مناصفة اميلى نصر الله عن روايتها [طيور آيلول] وسهيل ادريس عن روايته [أصابعنا التى تحترق] وبجائزة الشعر خليل حاوى عن ديوانه [الناى والريح] أما جائزة المسرحية ففاز بها مناصفة يوسف عواد عن مسرحيته [السائح والترجمان] وأنطوان معلوف عن مسرحيته [بابل]

● زار بيروت الروائى الايطالى أفناسيوسيلونى رئيس تحرير مجلة [تمبوبريزنتى] الايطالية التى تصدر من المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، والقى فيها محاضرة عن [العدمية والصنمية فى الادب المعاصر] .

● مات الكاتب الجزائرى مولود فرعون — المولود عام ١٩١٣ — صريعا برصاص [منظمة الجيش السرى] الارهابية فى ١٥ مارس ومن أهم رواياته [ابن الفقير] ١٩٥٥ و [الارض والدم] ١٩٥٧ و [الدروب التى تصعد] ١٩٦١ .. وقبيل نهاية هذا العام أصدرت مجلة [بريف] الفرنسية ملحقا خاصا منه بمناسبة مصرعه الدامى ذاك ، وعن القضية الجزائرية ككل ، وركزت فيه على الادب والارهاب والاغتيالات السياسية .

● مات الكاتب اللبنانى مارون عبود فى ٣ يونية عن ٧٧ عاما وقد ولد مارون عبود فى عين كفاع فى ٩ فبراير ١٨٨٦

وعمل فى التعليم والصحافة ؟ وله أكثر من خمسين كتابا بين الرواية والدراسة والمسرحية والاقصوصة .

● مات فى ٦ نوفمبر المستشرق الفرنسى الكبير لويس ماسينيون عن ٧٩ عاما .

فقد ولد فى ٢٥ يوليو ١٨٨٣ فى احدى مقاطعات اقليم السين بفرنسا . وبعد أن أتم دراسته العالية فى باريس جاء الى المعهد الفرنسى للبحوث الشرقية بالقاهرة .. ليعد رسالته عن الدكتوراه ومنذ حصوله عليها وهو يكرس كل جهده لخدمة الدراسات العربية والاسلامية حتى ترك وراءه كما كبيرا من الدراسات والتحقيقات الهامة . وقد كان عضوا فى مجمع اللغة العربية الذى عقد حفلا لتأبينه القيت فيه عدة دراسات عن دوره وأعماله ومكانته .

● احتفل البرنامج الثانى باذاعة القاهرة ، وهـــو البرنامج الثقافى المتخصص بها ، بمرور خمس سنوات على انشائه .. وقد استطاع البرنامج خلال هذه السنوات الخمس أن يكون نافذة مفتوحة على مختلف التيـــارات الادبية والفكرية فى العالم وعلى القيم الاصيلة فى أدبنا وتراثنــــا فى نفس الوقت . وأن يلبى عــــدة احتياجات أساسية للمستمع المتعطش الى الثقافة الرفيعة . وقد قدم البرنامج حتى هــذا العام ٧٥ حلقة فى برنامج مع الادباء و ٣٠ حلقة فى برنامج مع العلماء وهى حلقات طويلة تهدف الى تعريف المستمع بحياة هذه الشخصيات وفكرها وأعمالها وموقفها من الحياة .. وقدم ١٥٠ برنامجا خاصا و ١٣٠ مسرحية قصيرة وأكثر من ١١٠ مسرحية طويلة .. وفى هـــذه البرامج واللقاءات والمسرحيات استمع المستمع العربى ، بل والمثقف العربى معه لاراء وأعمال عدد كبير من أعـــلام الادب والفن فى العالم مثل .. ستريندبرج وآرثر ميللر وميترلنك ووايلدر وويليامز واليوت ويوربيديس واسخيلوس وتيرانيس وتورجنيف ووليم انج وبريخت وتشيكوف وأوديتيس وأنوى وشـــيللر وسارويان وهيلمان وأنـــدريف وآداموف وبـــول جيرالدى وجـــان جـــاك روسولوتريك وأناتولى فرانس وبروست وسان جون بيرس وبايرون وشيللى ويونج ويوشكين وهاردى وهمنجـــواى ومـــوزار وديدرو وتوماس مان وبرديائيف وتوينبى وييتس .. وعشرات غيرهم .. هذا الى جانب مئات القصص القصيرة المترجمة والمؤلفة وعشرات الدراسات الجديدة عن اتجاهات الادب والفن والتغطية النقدية المستمرة لجوانب النشاط الادبى فى حياتنـــا الثقافية .

● انشأت جمعية للكتاب والمؤلفين العراقيين كانشقاق على اتحاد الكتاب العراقيين الذى أنشىء عقب ثورة ١٩٥٨ ، واصدرت فى أبريل العـــدد الاول من مجلتها الادبية الشهرية [الكتاب] .

● انتهجت المنظمة العـــالمية لحرية الثقافة فرعا لها فى بيروت فى منتصف هذا العام . وفى نوفمبر أصدرت العدد الاول من مجلتها التى تصدر مرة كل شهرين [حوار] وهى مجلة أدبية فكرية . ومنذ صدور العدد الاول من هذه المجلة والمقالات تتابع فى الصحف اللبنانية والسورية والمصرية والعراقيـــة لكشف وتأكيد عمالة المنظمة والمجلة معا لوكالة المخابرات المركزية الامريكية .

● أصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومى السورية فى مارس العدد الاول من مجلتها الشهرية [المعرفة] وهى مجلة ثقافية شـــهرية برأس تحريرهـــا الكاتب السورى الكبير فؤاد الشايب .

● تولى يحيى حقى رئاسة تحرير المجلة فى مايو من هذا العام خلفـــا للدكتور على الراعى .. وقـــد رأس تحرير [المجلة] قبلهما ، وهى [المجلة] الشهرية الادبية الفكرية الوحيدة التى تصدرها وزارة الثقافة فى هذا الحين ، الدكتور حسين فوزى ثم الدكتور محمد عوض محمد .

● صدر فى يناير العدد الاول من الفصلية الادبية [أدب] التى تصدر عن دار مجلة شعر فى بيروت . ويرأس تحريرها الشاعر يوسف الخال .

● أهم الدواوين الشـــعرية التى صدرت هذا العام [المعبد الغريق] لبدر شاكر السياب (العراق) و (قصائد فى الاربعين) ليوسف الخال .

● أصـــدرت مجـــلة [الاداب] البيروتية عددا خاصا عن الاتجـــاهات الفلسفية فى الادب المعـــاصر يدرس تأثيرات الفلســـفة على الادب ويحلل الاتجاهات الفلسفية لعدد من الاعمال الادبية الكبيرة،وخاصة الرواية التى نالت جانبا كبيرا من اهتمام هذا العـــدد باعتبارها أكثر الاشكال الفنية قدرة على استيعاب القضايا الفلسفية .

● أهم الروايات التى صدرت هذا العام [السمان والخـــريف] لنجيب محفوظ و [الرجل الذى فقد ظله] لفتحى غانم و [الساقية] لعبد المنعم الصاوى و [العيب] ليوسف ادريس و [جنت الدموع] ليوسف السباعى [مصر] و [طيور أيلول] لاميلى نصر الله و [لن نموت غدا] لليلى عسيران و [أصابعنا التى تحترق] لسهيل ادريس [لبنان] .

● أهم المجموعات القصصية التى صدرت هذا العام [العسكرى الاسود] ليوسف ادريس و [زوجة الصياد] لمحمود البدوى و [الزمن الوغد] لسعد مكاوى [مصر] و [عيناك قدرى] لغادة السمان [سوريا] .

● من أهم الدراسات النقدية التى صدرت هذا العام [أزمة الجنس فى القصة العربية] لغالى شكرى و [قضايا الشعر المعاصر] لنازك الملائكة و [اللغة الشاعرة] للعقاد .

● من أهم المترجمات الادبية التى صدرت هذا العام رواية ســـيمون دى بفوار [المثقفون] ترجمة جورج طرابيشى ورواية البير كامى [الطاعون] ترجمة الدكتورة كوثر عبد الســـلام البحيرى و [ثلاثية الدار الكبيرة] الروائيـــة للكاتب الجزائرى محمد ديب ترجمة سامى الدروبى ورواية [نجمـــة] للكاتب الجزائرى كاتب ياسين ترجمة ملك أبيض العيسى .

● صدرت فى يناير عن وزارة الثقافة سلسلة أدبية جديدة للتراجم هى سلسلة أعلام العرب وكان عددها الاول ترجمة لحياة وفكر [محمد عبده] كتبهـــا الاستاذ عباس محمود العقاد .

● القى سارتر خطابا عن الثقافـــة واستخدام الرأسماليين لها كسلاح من أسلحة الحرب فى مؤتمر السلام ونزع السلاح بموسكو [٩ — ١٤ يوليو] .

● صدرت فى أمريكا « لوليم فوكنر » رواية « اللصوص » .

● احتفل فى بريطانيا ، فى شـــهر أكتوبر ، بعيد ميلاد الشاعرة أديث سيتويل [٧٥ سنة] .

● توفى الفيلسوف الفرنسى جاستون باشلار ، وهو الذى نال جائزة الـــدولة عام ١٩٦١ .

● احتفلت الاكاديمية الفرنسية فى ٦ ديسمبر باستقبال العضو الجـــديد جيوجيهينر فى كرسى أميل هنريو .

● حصل الكاتب ج.ك فروليك على « جائزة الادب الكبرى للشباب » فى باريس عن كتابه « رحلة الى بلاد الحجر العتيق » .

● نالت قصة غضب تحت الشمس للكاتبة الفرنسية جرمين ليمارى جائزة دى مونتانا .

● احتفلت الاوساط الادبية الفرنسية بمرور ١٠ سنوات على وفاة الشاعر الكبير بول ايلوار .

● منحت جائزة الشعر فى ايطاليا للشاعر الرومانى تريستان تزارا مؤسس الحركة الـــدادية وللشــــاعر الايطالى ليوناردو ايجالى .

● احتفلت تشيكوسلوفاكيا بمرور مائة عام على وفاة الـــكاتب التشـــيكى بوزينا نمكوفا . واحتفلت بلجيكا بالذكرى المئوية لميلاد الشاعر والكاتب المسرحى موريس ميترلنك .

● توفى فى باريس الكاتب والمفكر الفرنسى جورج باتاى ، ومن أهم مؤلفاته « التجربة الداخلية » . وكان يعتبر من تلامذة الفيلسوف الالمانى نيتشه .

● جائزة أفضل كتاب أجنبى منحت فى فرنسا للقصصى الالمانى جونتر جراس عن روايته « الطبول » .

● زار الشاعر الافريقي ليوبولد سيدار سنغور رئيس جمهورية السنغال المؤسسات الثقافية في ايطاليا وحاضر فيها عن العلاقات بين الدول اللاتينية والافريقية .

١٩٦٣

● أقيم في القاهرة من ١٩ الى ٢٦ اكتوبر [أسبوع الكتاب العربي] وتشكلت للاسبوع لجان مختلفة لمناقشة مشكلات الكتاب تأليفا وطباعة ونشرا ، واشتركت فيه وفود من معظم الدول العربية وقد رافق المؤتمر معرضا كبيرا للكتاب العربي وندوات يومية للتعرف على اعمال وأفكار كبار الكتاب العرب .

● اقيم في سوريا مهرجان الشعر الرابع وعقد في حلب في الفترة من ١ الى ٥ نوفمبر واشتركت فيه عدة وفود عربية ، كما تم فيه الاحتفال بذكرى الشاعر أبو فراس الحمداني حيث القيت عدة دراسات عنه .

● أقام المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة احتفالا بالذكرى المئوية الثامنة لميلاد موفق الدين عبد اللطيف البغدادي في يوليو من هذا العام .. والقيت في الاحتفال عدة دراسات عن هذا العالم والمفكر العربي الكبير الذي جمع الى علوم الادب واللغة والفقه والدين عدة معارف اخرى كالطب والصيدلة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا .. وكانت اهم الدراسات التي القيت حوله دراسات الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور سليمان حزين والدكتورة دولت صادق .

● احتفل في لبنان في أواخر أغسطس بالذكرى الثلاثين لنقل جثمان جبران خليل جبران الى بلدته بشري . وأقيم اسبوع أدبي بهذه المناسبة القيت فيه القصائد والدراسات وتحدث فيه عدد كبير من الكتاب اللبنانيين .. ومن أهم الدراسات التي تدمت في هذه المناسبة دراسات الدكتور انطون غطاس كرم وادمون وهبه وأنطون تازان .

● اقيم في سبتمبر مهرجانان أدبيان في لبنان الاول تكريما لذكرى مي زياده والثاني تكريما لذكرى فيلسوف الفريكه أمين الريحاني .. والقيت فيهما الاشعار والدراسات .

● دارت معركة فكرية في المجلات اللبنانية والسورية المتخصصة حول قضية الدين والدولة ، دعا البعض الى أنه قد آن الاوان لفصل الدين عن الدولة وأبرز الاخرون اهمية ربطهما معا .. واشترك في هذه المعركة محمد النقاش من لبنان وجورج صلاح من المهجر وماجد حكواتي من سوريا وغيرهم .

● دارت معركة نقدية حول مسرح اللامعقول ومدى حاجتنا اليه وذلك على اثر افتتاح مسرح الجيب في القاهرة لاولى مواسمه بعرضه لمسرحية صمويل بيكيت [لعبة النهاية] وترجمة مسرحيته الثانية [في انتظار جودو] .. واتسع نطاق هذه المعركة بصورة اختلط فيها الثمين بالغث وادلى كل من لا تؤهله امكانياته لفهم اي عمل ادبي برأيه في الموضوع .. فظهرت آراء غريبة ترى في عرض بيكيت عداء للاشتراكية . وأخرى تتهمه بالرجعية والاستعمارية .. بينما كانت الاراء المتأنية القادرة على فهم هذا العمل وتحليله واتخاذ موقف فكري منه قليلة للغاية .. ثم تجددت المعركة من جديد ، ولكن بصورة أخف ، مع عرض مسرحية أونيسكو [الكراسي]

● حدثت الفضيحة النقدية المشهورة في القاهرة باسم فضيحة [الهواء الأسود] حينما أدعى الصحفي أحمد رجب ان مسرحية ساذجة من تأليفه باسم [الهواء الاسود] هي ترجمة لاحدث مسرحيات الكاتب السويسري دورينمات القصيرة . وقدمها الى كل من د. عبد القادر القط ورجاء النقاش وسعد أردش وعبد الفتاح البارودي للتعليق عليها فأثنوا عليها جميعا .

● أثار الدكتور لويس عوض قضية الناقد الكبير المهضوم الحق أنور المعداوي الذي اعتزل الحياة العامة لمعاناته من الادواء النفسية والبدنية .. وطالب الدولة بتكريمه والاهتمام به .. وكان لمبادرته تلك صدى طيبا لدى جميع الكتاب .

● أثار صدور رواية [الميراث] للكاتب المغربي الذي يكتب بالفرنسية ادريس شريبي ضجة أدبية كبيرة في الأوساط الفرنسية .. خاصة وأنها صدرت بعد شهور قليلة من صدور رائعة محمد ديب [من يذكر البحر] ورواية آسيا جبار [أبناء العالم الجديد] ورواية الكاتب الشاب الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين بعد مراديوربون [تل الرتم] — والثلاثة كتاب من الجزائر يكتبون بالفرنسية — .. وقد اثار صدور كل هذا الانتاج العربي بالفرنسية في عام تعاني فيه الرواية الفرنسية من ازمة واضحة ويعاني فيه الضمير الفرنسي من احساس مرير بالذنب حيال القضية الجزائرية وموقف منظمة الجيش السري الارهابية منها اهتماما واضحا مما دفع مجلة [الاداب الفرنسية] الى اصدار عدد خاص عن الادب الجزائري .

● دارت معركة أدبية في القاهرة حول أي من الناقدين احق بجائزة الدولة التشجيعية في النقد .. الدكتور محمد غنيمي هلال عن كتابه [مدخل الى النقد الادبي الحديث] أم الدكتور محمد صقر خفاجه عن كتابه [النقد الادبي عند اليونان] بعد أن تسربت أخبار عن منحها للثاني دون الاول .. وقد اشترك في هذه المعركة عدد كبير من الكتاب أيد معظمهم منح الجائزة للاول دون الثاني .

● فاز بجائزة الدولة التقديرية للاداب محمود تيمور وبالجائزة التشجيعية في أدب الاطفال محمد سعيد العريان عن كتابه [رحلات سندباد] وبجائزة المسرحية علي احمد باكثير عن مسرحيته [هاروت وماروت] .. اما جائزة النقد فقد حجبت على اثر المعركة التي ثارت حولها .

● فاز بالجائزة التقديرية لجمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية أنيس المقدسي وقسمت جائزة القصة القصيرة مناصفة بين مجموعتي [الساعة والانسان] لسميرة عزام و [الارض القديمة] ليوسف حبشي الاشقر . وجائزة المسرحية لانطون معلوف عن مسرحيته [الازميل] وقسمت جائزة أدب الاطفال مناصفة بين ادفيك شيبوب عن كتابها [الطبيب الصغير] ورشاد دراغوث عن كتابه [في العشايا] .

● زار بيروت الشاعر الفرنسي جابرييل بومووران والقى بها عدة محاضرات وندوات دار اغلبها حول حركة الليتريسم التي تكونت بفرنسا عام ١٩٤٥ وكان هو وأيزيدور ايزو زعيميها الروحيين . وهي حركة تستفيد من كل انجازات الحركات الشعرية السابقة عليها وتؤكد على جرس الالفاظ وعلى المغامرة في اعماق النفس البشرية مع الرمزيين والسيرياليين وعلى الاهتمام بنقاء اللغة وبعدها البكر القادر على الايحاء .

● زار بيروت الشاعر البرازيلي السوري الاصل ماريو سامي وهو أحد رواد الحركة الشعرية الطليعية في سان باولو ورئيس تحرير مجلة براكسس .. وقد قام باختيار مجموعة من القصائد العربية الحديثة لترجمتها الى البرازيلية

● أنشىء مسرح الحكيم ، لا على أن يكون مجرد مسرح عادي ولكن كمشروع يطمح في أن يكون بؤرة اشعاع كبيرة للثقافة المسرحية ينشطها ويخلق فيها التيارات الجادة المستمرة . حيث هدف المشروع الى اصدار مجلة للمسرح وانشاء اكاديمية للثقافة المسرحية يلتحق بها خريجي الجامعة وانشاء ناد للمسرح وعقد مسابقات للتأليف المسرحي .

● بدأ المجلس الاعلى مشروع المكتبة العربية وهو بصورته التي أعلن عنها — والتي لم ينفذ منها شيء يذكر حتى الآن — يعد أخطر مشروع ثقافي في تاريخ الفكر العربي . لانه خطط لتزويد المكتبة العربية بأمهات الكتب الانسانية في مختلف فروع المعرفة سواء عن طريق الترجمة أو التحقيق أو التأليف .. بحيث يشكل في نهايته وبعد اكتماله مكتبة عربية متكاملة في شتى فروع المعرفة

القادرة على تكوين مثقف عصرى كبير.

● مات المفكر المصرى الكبير أحمد لطفى السيد . الذى كان أستاذ الجيل بأكمله من المثقفين المصريين .

● مات بشر فارس عن ٥٦ سنة وقد كان سكرتيرا فخريا للمجمع العلمى المصرى وله عدة أعمال ادبية هامة منها [مفرق الطرق] مسرحيـــة ١٩٣٨ و [سوء تفاهم] مجموعـــة قصص قصيرة ١٩٤٢ و [جبهـــة الغيب] أحدوثة شرقية فى خمس مراحل ١٩٦٠ و [سر الزخرفة الاسلامية] دراسة فى فلسفة الفن ١٩٥٢ وغيرها .

● بدأت عودة مجلتى [الثقافـــة] التى يرأس تحريرها محمد فريد أبو حديد فى ٢٣ يوليو و [الرسالة] التى يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات فى ٢٥ يوليو .

● بدأ صدور [تراث الانسانية] وهى شهرية تهدف الى تعريف القارىء العربى بأمهات الكتب العالمية تعريفـــا شافيا لا يخضع لمنطق الحيز الصحفى ولكنه يميل الى الشمول والموسوعية .

● أصدرت مجلة [الاداب] عددا خاصا فى مارس عن الرواية الحديثة اهتمت فيه بدراســـة أهم الاتجاهات الروائية الحديثة وأهم نماذج المدارس الروائية المختلفة بشكل تطبيقى .

● أصدرت [الكاتب] فى يناير من هذا العام عددا خاصا عن نجيب محفوظ درست فيه أهم أعماله والقضايا التى تثيرها فى حقل الادب .

● توقفت مجلة [أدب] البيروتية التى كانت تصدر فصلية عن دار مجلة [شعر] بعد أن أصدرت ثمانية أعداد فى عامين .

● أهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [منزل الاقنان] لبدر شاكر السياب و [أعاصير] للشاعر القروى رشيد سليم الخورى و [رباعيات] لشاعر العامية المصرية صلاح جاهين و [أغنيات للصمت] لعبد الرحيم عمر [الاردن] .

● اهم الروايات التى صدرت هذا العام [رجال فى الشمس] لغســـان كنفانى فلســـطين و [لا شىء يهم] لاحسان عبد القدوس و [سيف بن ذى يزن] لفاروق خورشيد و [ليل له آخر] ليوسف السباعى و [زقاق السيد البلطى] لصالح مرسى [مصر] .

● من أهم المترجمات الادبية فى هذا صدرت هذا العام [ربيع فى الرماد] لزكريا تامر و [طريق الجامعة] لشكرى محمد عياد و [لا بحر فى بيروت] لغاده السمان و [حادث النصـــف متر] لصبرى موسى .

● من اهم الدراسات التى صدرت هذا العام [تطـــور الرواية المصرية الحديثة] لعبدالمحسن طه بدر و [مسرح برناردشو] لعلى الراعى و [العالم ليس عقـــلا ؟] لعبـــد الله القصيمى و [الجامعة والمجتمع الجديد] للويس عوض .

● من اهم المترجمات الادبية فى هذا العام [جسر على نهر درينــا] رواية الكاتب اليوغوسلافى ايفواندريتش ترجمها د . سامى الدروبى و [الكلمـــات] الجزء الاول من سيرة سارتر الذاتية ترجمها سهيل ادريس .

● توفى الشاعر الانجليزى لويس ماكنيس فى ٣ سبتمبر عن ٥٥ عاما .

● توفى الشاعر والكاتب المسرحى الفرنسى جان كوكتو .

● اصدر الملحق الادبى لصحيفـــة التايمز اللندنية عددين [يوليو واغسطس] خصصهما لدراســـة المذاهب النقـــدية الحديثة فى اوربا وامريكا .

● احتفلت المجر ببلوغ سلطان كوداى، اكبر موسيقار مجرى معاصر ، ســـن الثمانين .

● صدرت فى باريس مجلة فنية جديدة اسمها « لاجاليرى ديزار » ، ثم صدرت منه طبعة اخرى باللغة الايطالية ،واعلنت انها تزمع اصدار طبعات بلغات اخرى، وتعنى المجلة بوجه خاص بالنزعات الحديثة فى الفن .

● اصدر الملحق الادبى لجريدة التايمز ثلاثة اعداد خاصـــة ، الاول عن كتب الاطفال ، والثانى عن الكتب الدينية، والثالث عن انتاج الكتاب .

● توفى الشاعر الامريكى روبرت فروست عن ٨٩ عاما .

● احتفلت روما بمرور مائة سنة على وفاة شاعرها جيوزيبى جيوكينوميللى ..

● نالت الكاتبة الفرنسية فيكتورا كوسفال جائزة « الفيرتيه » لعـــام ١٩٦٢ ، عن كتابها « سيدة وابنتهـــا تبحثان عن عمل » .

● توفى فى دبلن الشاعر الايرلندى بريان اوهيجنز عن ٨٠ سنة .

● حصل القصصى الايطالى اوبتيرو اوتييرى على الجائزة الادبية « جانوتا » فى ميلانو .

● اقيمت فى لينينجـــراد بالاتحـــاد السوفيتى الدورة السنوية لرابطة كتاب اوربا التى تأسست عام ١٩٥٨ ،وتضم ١٤٠٠ من ادباء اوربا ،وناقشت «مشكلات الفن المعاصرة » .

● احتفلت ايطاليا بالذكرى الخمسين لوفاة شاعرها جيوفانى باسكولى .

● صدرت فى باريس مسرحية « الملك يحتضر » ليوجين يونسكو ، وآخـــر قصص الاديب الفرنسى هنرى دى مونترلان « الفوضى والليل » .

● منح جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار جائزة « تورى ارجنتو » الايطالية، بمناسبة عرض مسرحية سارتر : «الشيطان والاله الطيب » وتقديرا لادبهما .

● فازت رواية « انسان الغـــاب المحترم » للقصصى الايطالى سرجيـــو انطونيللى بالجائزة الادبيـــة المعروفـــة باسم « الصحافة الحرة » ومقدارها ثلاثة آلاف فرنك سويسرى .

● فاز بجائزة لينين الشاعر القوقازى رازول جامزاتون [٤٠ سنة] وهو نائب فى البرلمان السوفيتى .

١٩٦٤

● عقد فى نيودلهى من ٤ — ١٠ يناير المؤتمر السادس والعشرين للاستشراق، وقد اشترك فى هذا المؤتمر وفود عديدة من الادباء العرب من مصر وســـوريا والعراق ولبنان وتونس وغيرها على عكس المؤتمر الخامس والعشرين الذى عقد فى موســـكو عام ١٩٦١ والذى اقتصر على ممثلى حركات الاستشراق ومراكزه الكبيرة فى اوروبا وامريكا . وقد ناقش هـــذا المؤتمر عدة موضوعات،كان فى مقدمتها تنسيق الجهود الرامية الى دراسة التراث العربى والاسلامى وجمعـــه وتحقيقـــه وفهرسته . وتشجيع الدراســـات التى تستهدف سد الثغرات المعروفة فى تاريخ الاداب والدراسات العربية . كما تناول المؤتمر عدة موضوعات خاصة بآداب الهند والصين ومنطقة شرق آسيا التى عقد المؤتمر فى احدى دولها فاكتسب بذلك طابعا خاصا فى هذا المجال .

● دارت معركة نقدية طويلة حول ديوان الشاعر صلاح عبد الصبور الاخير [احلام الفارس القديم] او بمناسبته. تركزت حول قضية الحزن فى العمل الفنى عامة ، وفى ظروف مجتمع كمجتمعنا بوجه خاص . وقد اثار هذه المعركة محمـــود امين العالم الذى عاد الى الحياة النقدية بعد غياب طويل حينما استنكر على شاعر يعيش فى مجتمع يبنى السد العالى ويتحول صوب الاشتراكية ان يكون حزينا الى هذا الحد.. وكتب عدد من النقاد يردون على راى العالم ذاك . كما كتب لويس عوض دراسة عن الديوان — من جزءين — رد فيها — بطريق غير مباشر طبعا — على كل هـــذه الاتهـــامات والتساؤلات .. واشترك فى المعركة الى جانب العالم معين بسيسو والى الجانب الاخـــر عدد كبير من الكتاب منهم فاروق خورشيد و د . محمد النويهى وغالى شكرى و د. عز الدين اسماعيل وصبرى حافظ . وقد كانت دراسة غالب هلسا الطويلة [معركة حول الادب والموقف] من اهم الدراسات التى نقلت هذه المعركة من جانبهـــا التطبيقى الى جانبها الفكرى العام محللة اسسها وجذورها .

● ظهرت فى نوفمبر من هذا العام تلك المذكرة الغريبة التى اثارت زوبعة كبيرة فى الحياة الادبية والتى اصدرتها لجنة الشعر فى المجلس الاعلى لرعاية الفنـــون والاداب ورفعتها الى وزير الثقافة والارشاد القومى حتى يمكنها من الهيمنة على كافة

مجالات نشر الشعر او اذاعته فى مصر. وقد نشرت هذه المذكرة فىمجلة [الثقافة] الاسبوعية — عدد ٧٠ الصادر فى ١٧ نوفمبر — فأثارت سخط عدد كبير من الكتاب الذين ردوا عليها فى مختلف الصحف والمجلات الادبيـــة ... ورات مجموعـــة كبيرة من الكتـــاب والادباء التقدميين ان مجرد الرد على الصحف لا يكفى فدعت الى عقد جمعية عموميـــة غير عادية لجمعية الادباء لمناقشةالقضية. وانعقدت الجمعية بتاريخ ٩ ديسمبر فى جلسة عاصفة انفضت دون الوصول الى قرار لتعسف سكرتير الجمعية بصـــورة ادت الى استقالة عدد كبير من اعضـــاء مجلس ادارتها ... فقدمالادباء التقدميون مذكرة برؤيتهم للواقع الثقـــافى جملة وللتيارات المتخلفة التى تعوق حركته ولما ينبغى ان تكون عليه الحركة الفـــكرية والادبية فى مصر من تقدم وانفتـــاح وما ينبغى عمله فى ميدان الفكر والثقافة. وقد وقع على هذه المذكرة ٤٣ اديبا منهم د . محمد مندور و د . لويس عوض ولطفى الخولى وصلاح جاهين ومحمـــود امين العالم وصلاح عبد الصبور واحمد عباس صالح وغيرهم . وقد ادت هـــذه المذكرة الى عدة تغيرات ملموسة منها توسيع قاعدة الادباء فى جمعية الادباء وضم عدد كبير من الادباء التقدميين اليها.

● فاز بجائزةالدولةالتقديرية فىالاداب محمد فريد ابو حديد وفاز بالجـــائزة التشجيعية فى القصة القصيرة امينيوسف غراب من مجموعته [اشياء لا تشترى] وفاز بجائزة ادب الرحلات انيسمنصور من كتابه [حول العالم فى ٢٠٠ يوم] وفاز بجائزة التراجم د. أحمد كمال زكى عن كتابه [الاصمعى] .

● فاز بجائزة جمعية اصدقاء الكتاب التقديرية فى لبنان الدكتور اسد رستم المؤرخ اللبنانى وفاز بجائزة الشـــعر مناصفة [الابواب المغلقة] ليوســـف عضوب و [جرار الصيف] لرضوان الشهال .

● سافر الدكتور لويس عوض الى انجلترا للمشاركة فى احتفال العـــالم بمرور اربعمائة عام على مـــولد وليم شكسبير .

● اصدر مكتب الاستعلامات الامريكى بالقاهرة فصلية ثقافيـــة هى [الثقافـــة الامريكية] تهتم بتقديموجهةالنظرالامريكية فى الادب والفكر والعلوم الانسانيـــة وتعتمد فى مواردها على الكتابالامريكيين بصورة تجعل معظم موادها مترجمة .

● اصدر مسرح الحكيم مجلة شهرية للمسرح فى يناير يرأس تحريرها د .رشاد رشدى هى مجلة [المسرح] التى تقـــدم الى جانب النص المسرحى المترجمدراسات نقدية فى المسرح المصرى والعالمى . كما انشأ مسرح الحكيم ايضا ناديا للمسرح واعلن عن مسابقة للمسرحية .

● أصدرت المؤسسة المصريةللتاليف والنشر فى يوليو من هذا العام مجـــلة شهرية تتابع الكتب الجـــديدة بالدرس والتعريف هى [مجلة الكتاب العربى] ويراس تحريرها على ادهم .

● مات فى ١٢ مارس الاديب الكبير عباس محمود العقاد عن ٧٥ عاما واكثر من سبعين كتابا . ودور العقاد الكبير فى الثقافة العربية غنى عن التعريف . وقد شيعته الحركة الادبية كلها واهتمت به على طول العام تابينا وتحليلاودراسة.

● اصدرت مجلة [الاداب] عددا خاصا عن قضية فلسطين اهتمت فيـــه بجذور المأساة الفلسطينية واصولهـــا وبشتى المعالجات الادبية لها .

● فى يناير من هذا العام عين احمد عباس صالحرئيسا لتحرير مجلة [الكاتب] واهتمت المجلة بالدراســـات الفكرية والسياسية اكثر من اهتمامها بالادب .

● اصدرت وزارة الثقـــافة مجلتين متخصصتين شهريتين الاولى [للشـــعر] ويرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط والثانية [للقصة] ويرأس تحريرها محمود تيمور .

● صدر فى نوفمبر العدد الاول من مجلة [دراسات عربية] وهى شهرية ثقافية فكرية تصدرها دار الطليعة للنشر فى بيروت ويراس تحريرها جوزيف صغير.

● بعدد الصيف من هذا العام توقفت مجلة [شعر] البيروتية بعد عددهـــا ٣٢/٣١ التى طالعت به القراء وقـــد كتب عليه [العدد الاخير] معلنةتوقفها لاسباب مادية بحتة . وقد صدرت هـــذه المجلة عام ١٩٥٧ وكانت المجلة المتخصصة الوحيدة فى الشعر فى العالم العربى وقتها .. وظل يوسف الخال رئيســـا لتحريرها طوال هذه الفترة .

● من اهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [احلام الفارسالقديم] لصلاح عبد الصبور و [عاشـــــق من افريقيا] لمحمد الفيتورى [السودان] وديوان شاعر العامية المصرية عبدالرحمن الابنودى [الارض والعيال] ومجموعـــة القصائد القديمة المعاصرة التى جمعهـــا ادونيس من الشعر الجاهلى وقدم لهـــا فى ديوانه الكبير [ديوان الشـــــعر العربى] .

● من اهم الروايات التى صـــــدرت هذا العام [الطريق] لنجيب محفـــوظ و [رجال وثيران] ليوسف السـبـاعى و [الحوار الاخرس] لليلى عسيران .

● من اهم المجموعات القصصيـــــة [الابتسامة الغامضة] لابى المعـــاطى ابو النجا و [ابواب الليل] لسعد مكاوى و [حتى يبقى العشب اخضر] لاديب نحوى .

● من اهم الدراسات الادبيــــــة [دراسات فىالرواية المصرية] للدكتور على الراعى و [ثورة على الفكر العربى المعاصر] لمحيى الدين محمد و [المتنبى] لغالى شكرى .

● صودر فى هذاالعام كتاب [سفينة حنان الى القمر] وهو مجموعة قصص لليلى بعلبكى فى لبنان ، بتهمة اساءته الى الاخلاق العامة ثم صدر قرار بالافراج عنه بعد محاكمة الكتاب والكاتبة وبرائتهما معـــــا .

● اصدرت مجلة « المائدة المستديرة» [لاتابل روند] التى تصدر فى فرنسا عددا خاصا ، فى شهر مارس ، عن الشاعر والكاتب المسرحى الفرنسى بول كلوديل ، حوى له نصا ذا طابع دينى ينشر لاول مرة .

● افتتح فى موسكو ، فىشهر يوليو، معرض لمؤلفات الكاتب الامريكى ارنست همنجواى بمناسبة ذكرى ميلاده الخامسة والستين .

● احتفل العالم بمرور ٤٠٠ سنة على وفاة ميكايل انجلو ، و ٤٠٠ سنة على مولد شكسبير ، و ١٠٠ سنة على ميلاد الموسيقار ريتشارد شتراوس ، و ١٠٠ سنة على مولد الفنان الفـــرنسى تولوزا لوتريك .

١٩٦٥

● عقد فى بغداد من ١٥ الى ٢٥ فبراير مؤتمر الادباء العرب الخـــامس واشتركت فيه وفود من مصر والمغـــرب والجزائر وتونس والســـودان واليمن وفلسطين ولبنان والاردن والســـعودية وسوريا والكويت وقطر . وكان موضوع المؤتمر هو « دور الاديب فى معـــركة التحرر والبناء » واصدر عددا كبيرا من التوصيات كان اهمها التركيز علىالقضية الفلسطينية ، وعلى دور الادب فى تدعيم الحس القومى . ودارت معظم بحـــوث المؤتمر حول موضوعات الادب والغزو الفكرى ، والادب ومعـــركة التحـــرير السياسى ، والادب والتمهيد للثورة ، والادب ودوره ازاء قضايا فلســـطين والوحدة العربية والتراث القومى والبناء الاشتراكى . وغير ذلك من القضـــايا الهامة .. وقد رافق المؤتمر مهرجان للشعر القيت فيه القصـــائد فحسب واكتفى بالابحاث التى تناولت جـــوانب الشعر المختلفة ضمن تناولها العـــام للقضايا المطروحة على مؤتمـــر الادباء نفسه ولم يكن للمهرجان ابحاثه الخاصة.

● عقدت محافظة المنصورة مؤتمـــرا ادبيا ضم عددا كبيرا مـــن ادباء مصر وناقش قضايا الصراع بين القديموالجديد

التيارات الفكرية المختلفة فى عالمنا الحديث ويرأس تحريرها د . زكى نجيب محمود .

● اصدرت مجلة [المجلة] عددا خاصا عن الفنون الادبية والتشكيلية منذ ثورة ١٩٥٢ حتى اليوم بمناسبة مرور ١٣ عاما على قيام الثورة [عدد يوليو] .

● توقفت مجلات وزارة الثقافة الاربعة [الرسالة] الاسبوعية وتوقفت فى ٢٢ يوليو و [الثقافة] الاسبوعية وصدر عددها الاخير فى ٢٧ يوليو و [الشعر] الشهرية وصدر عددها الاخير فى اول اغسطس و [القصة] الشهرية وصدر عددها الاخير فى اول اغسطس .

● اهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام هى [لم يبق الا الاعتراف] لاحمد عبد المعطى حجازى و [بيادر الجوع] لخليل حاوى و [شناشيل ابنة الجلبى] و [اقبال] لبدر شاكر السياب و [كتاب التحولات والهجرة فى اقاليم الليل والنهار] لادونيس و [النار والكلمات] لعبد الوهاب البياتى و [ايقاع الاجراس الصدئة] لبدر توفيق .

● واهم الروايات [الشحاذ] لنجيب محفوظ و [الرجل والطريق] لسعد مكاوى و [التفاحة والجمجمة] لمحمد عفيفى و [المتمردون] لصلاح حافظ و [السهول البيض] لعبد الحميد جودة السحار .

● من اهم المجموعات القصصية [لغة الاى آى] ليوسف ادريس و [بيت سىء السمعة] لنجيب محفوظ و [عالم ليس لنا] لغسان كنفانى و [حكايات] لصبرى موسى .

● من اهم الدراسات [دمعة فابتسامة] ليحى حقى و [على محمود طه] لانور المعداوى و [معارك فكرية] لمحمود امين العالم و [كتابات لم تنشر] لمحمد مندور و [عشرة ادباء يتحدثون] لفؤاد دوارة و [دراسات ادبية] ليوسف الشارونى .

● من اهم المترجمات [سلسلة مواقف] لسارتر ترجمها جورج طرابيشى و [بودلير] لسارتر وترجمه طرابيشى ايضا و [قدر الانسان] لاندريه مالرو و [وقائع تربة ترافينك] لايفو اندريتش ترجمة د . سامى الدروبى .

● نال الروائى الروسى ميخائيل شولوخوف جائزة نوبل فى الادب ، وهو ثالث روسى ينالها بعد ايفان بونين [١٩٣٣] وبوريس باسترناك [١٩٥٨] .

● توفى الشاعر والناقد الانجليزى ت . س . اليوت فى شهر مارس .

● اقيم مهرجان دولى للموسيقى المعاصرة فى زغرب بيوغوسلافيا .

● فازت مسرحية بريخت « السيد بونتيلا وتابعه مالى » بجائزة احسن عرض اجنبى من جوائز جمعية نقاد الدراما والموسيقى الفرنسية ، وفازت مسرحية [الحرب الاهلية] لمونترلان بجائزة احسن عرض فرنسى .

● قدم المسرح القومى بباريس مسرحية يوريبيديس التى عصرها سارتر وغير اسمها الى « الطروادبات » ، واخرجها ميشيل كاكويانيس وديكور جون تساروكيس .

● احتفل فى تشيكوسلوفاكيا بالذكرى المئوية السابعة لمولد الشاعر الايطالى دانتى اليجيرى ، واقيم معرض من اعماله فى مكتبة بلدية براغ .

● اقيم فى مدينة نانسى بفرنسا المهرجان الدولى الثانى للمسرح الجامعى . وقد اشتركت ٢٥ دولة فى هذا المهرجان .

● توفى الكاتب المسرحى الطليعى اوديبرتى فى ١١ يوليو .

١٩٦٦

● عقد فى القاهرة من ١٩ — ٢٠ يونيو الاجتماع غير العادى للمكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين وناقش اعمال سكرتير عام المكتب ومدى متابعته للتوصيات الهامة التى اصدرها المؤتمر الثانى للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد فى القاهرة فى عام ١٩٦٢ .. وقرر المكتب فى هذا الاجتماع سحب سكرتاريته ومقره الدائم من كولالمبور فى سيلان ونقلها الى القاهرة وتعيين سكرتير وفد الجمهورية العربية المتحدة سكرتيرا عاما له . كما اصدر المكتب بيانا بشأن فيتنام يستنكر فيه حرب العدوان الامريكية القذرة ضد هذا الشعب المناضل من اجل حريته ووحدته .

● وفى ٢ سبتمبر عقد اجتماع اللجنة التنفيذية للكتاب الافريقيين الاسيويين فى باكو وحضره مندوبو الجزائر وغينيا وداهومى والهند والعراق وكينيا ولبنان ومالى ومنغوليا والجمهورية العربية المتحدة والسودان وسيلان وجنوب افريقيا وتركيا واليابان وبحث الاجتماع الترتيبات اللازمة للاعداد لعقد المؤتمر الثالث فى بيروت فى عام ١٩٦٧ وانتخب لجنة تحضيرية من مندوبى حوالى ١٩ دولة للاشتراك فى هذه اللجنة التى تضع جدول اعمال المؤتمر ، وتتولى الدعوة له والاشراف على المراحل التنفيذية من عمله .

● وقد انعقدت هذه اللجنة التحضيرية فى القاهرة من ١٣ — ١٤ نوفمبر وحددت الموضوع الرئيسى للمؤتمر وهو « قضايا التحرر الوطنى كما تنعكس فى آداب آسيا وافريقيا » بالاضافة الى موضوع فرعى آخر وهو « مناهضة التغلغل الاستعمارى والاستعمار الجديد فى الميادين الثقافية » وبعض القضايا التنظيمية . وتقدمت اللجنة الى المؤتمر بمشروع رابطة للكتاب الافريقيين الاسيويين وطريقة تكوينها ولائحتها المقترحة ، كما حددت الاسس التى توجه وفقا لها الدعوة الى الكتاب لحضور المؤتمر الثالث فى بيروت وحددت الدول المدعوة وعددها ٥٩ دولة .

● عقد فى غزه من ٢٩ نوفمبر — ٢ ديسمبر المؤتمر الاول للكتاب الفلسطينيين وحضر المؤتمر عدد كبير من الادباء الفلسطينيين المقيمين فى لبنان وسوريا والقاهرة والكويت والاردن والعراق والمهجر . وانبثق عن هذا المؤتمر الذى ضم شتات الكتاب الفلسطينيين للمرة الاولى انشاء اتحاد عام للكتاب الفلسطينيين يكون مقره الدائم فى القدس ومقره المؤقت فى القاهرة — بمنظمة التحرير الفلسطينية بها وهى الهيئة الداعية للمؤتمر — ووضعت لائحة تنفيذية لهذا الاتحاد . وقام المؤتمرون بانتخاب مكتب لهذا الاتحاد . واصدر المؤتمر عدة توصيات هامة منها ضرورة العمل على تجميع التراث الادبى الفلسطينى الشفوى منه والمكتوب . وشجب المؤتمر منح جائزة نوبل للكاتب الصهيونى عجنون . وازجاء التحية للبلدان التى وقفت الى جانب القضية الفلسطينية والتأكيد على ضرورة توضيح الابعاد الحقيقية للقضية الفلسطينية لدى الرأى العام العالمى وتأكيد ضرورة صمود الشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة وغير ذلك من التوصيات .

● عقد بالاتحاد السوفيتى فى نوفمبر بمعهد الادب العالمى التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية لمدة اربعة ايام مؤتمر ثقافى حول موضوع « المسائل الراهنة لدراسة الادب العربى فى افريقيا » . اشترك فيه معظم المترجمين والمستشرقين فى الاتحاد السوفيتى الى جانب عدد من الكتاب العرب الذين ينتمون الى خمس دول عربية هى مصر ولبنان والسودان والعراق والجزائر .. وقدمت للمؤتمر عدة دراسات هامة حول هذا الموضوع تركز معظمها على الادب فى مصر وربط بين التحولات الاجتماعية التى طرات على المجتمع المصرى بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وبين وضع الادب والاديب العربى عامة والمصرى خاصة .

● مثل صلاح عبد الصبور وصلاح جاهين مصر فى مؤتمر الشعراء الدولى ببلغراد .

● دارت معركة حامية حول اخلاقية الادب بمناسبة نشر رواية احسان عبد القدوس [انف وثلاث عيون]

وبين التراث والتقدم .. وكان لهذا المؤتمر اثر كبير في تحريك الحركة الادبية في مصر ، واقيمت مع المؤتمر عدة أمسيات شعرية

● تكونت في ليبيا لجنة عليا لرعاية الفنون والاداب على غرار المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة . ولا تهتم هذه اللجنة بالاداب والفنون وحدها ولكنها تهتم الى جانب ذلك بالعلوم الاجتماعية ايضا . وقد استهلت اللجنة نشاطها هذا العام بالاعلان عن جوائز متعددة في الاداب والفنون والاجتماع والتاريخ .

● اقيم في اكتوبر مهرجان كبير في بيروت بمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاة اديب الفريكة الكبير أمين الريحاني وشارك في هذا المهرجان ادباء من مختلف البلدان العربية والقيت فيه عدة بحوث ودراسات حول حياة الريحاني وأدبه

● استمرت في هذا العام المعركة التي تفجرت في اواخر العام الماضي بين القديم والجديد بمناسبة مذكرة لجنة الشعر .. وظهرت في المجلات الادبية المختلفة في مصر وسوريا ولبنان عدة دراسات متأنية حول هذا الموضوع . وتفجرت قضية الشعر والتجديد مرة اخرى . وقد تركت هذه المعركة ظلالها على مؤتمر المنصورة الادبي .. ومن اهم الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع دراسات د . عبد القادر القط وصلاح عبد الصبور ورجاء النقاش ومحمود العالم واحمد عبدالمعطي حجازي وغالي شكري وصبري حافظ .

● ارتفعت حدة الحملة الموجهه ضد مجلة [حوار] ومالت الى الموضوعية بعد ما صدر من اعداد المجلة بما يكفي لدراسة موقفها بصورة دقيقة .

● شن محمود محمد شاكر على صفحات مجلة [الرسالة] الاسبوعية حملة رهيبة طوال عام كامل على لويس عوض وكتاباته بدأها عندما وقع لويس عوض في خطأ ساهو يقرأ بعض أبيات ابي العلاء المعري وردد بعض اصداء هذه الحملة اقلام عديدة من الكتاب الرجعيين الذين يتجمعون على صفحات [الرسالة] و [الثقافة] كل اسبوع .. وتحولت الحملة التي بدأت موضوعية الى مهاترات سقيمة وتصيد مترصد للاخطاء المقصودة وغير المقصودة ..

● طرحت امانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي مشروع ميثاق للمثقفين في عدد مجلة [الاشتراكي] الصادر في ١٣ نوفمبر — العدد ٢١ — وثارت في الحياة الادبية مناقشات طويلة حول هذا الميثاق الذي اكد على عدد كبير من الافكار التقدمية الهامة الصادرة على حسم الصراعات الدائرة بين قوى القديم المتخلفة والمتشبثة بالاماكن الرسمية القديمة وبين قوى الجديد الراغبة في تأكيد الوجه التقدمي والاشتراكي لفكرنا ومجتمعنا .. ومن اهم الافكار الجمالية التي اكد عليها هذا الميثاق فكرة الالتحام العضوي بين الشكل والمضمون . والوحدة الجدلية بين الاصالة والمعاصرة .. تلك الافكار التي خلص منها الى الدعوة الى الالتزام الذي ، شيء غير الالزام البغيض .

● زار القاهرة في يناير الشاعر الامريكي روبرت لويل وزوجته الروائية الناقدة اليزابيث هاردويك والقيا عدة محاضرات في الجامعة الامريكية .

● زار القاهرة المستشرق بلاشير لحضور جلسات المجمع اللغوي والمستشرق جاك بيرك لاعداد بعض الدراسات عن تاريخ مصر .

● زار دمشق المستشرقان بلاشير وجاك بيرك والقيا بها عدة محاضرات اهمها [الجمهور الفرنسي والرواية العربية] للاول و [نحو علم اجتماع جديد] للثاني .

● فاز بجائزة الدولة التقديرية في الاداب عزيز اباظة وبجائزة الدولة التشجيعية في الترجمة الى العربية الدكتور حسن عثمان عن ترجمته للجزء الثاني من [الكوميديا الالهية] لدانتي [المطهر] وبجائزة الرواية فاروق خورشيد عن روايتيه [سيف بن ذي يزن] و [مغامرات سيف بن ذي يزن] وبجائزة الشعر محمود حسن اسماعيل عن ديوانه [قاب قوسين] .

● فاز بالجائزة التقديرية لجمعية اصدقاء الكتاب اللبنانية الشاعر امين نخله وبجائزة تقديرية اخرى الاستاذ شفيق معلوف . وبجائزة اللغة العربية جبران مسعود عن معجمه [الرائد] وبجائزة الترجمة الدكتور ماجد فخري لترجمته [لسلسلة الوجود الكبرى] لارثر ليفجوي وبجائزة النقد حسين مروة عن كتابه [دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي] .

● منحت مجلة [حوار] جائزتها التقديرية الخاصة للدكتور يوسف ادريس .. وثارت ضجة حول هذا الموضوع ترتبا يوسف ادريس عن قبول الجائزة .. وقد اعتذر يوسف ادريس عن قبولها بعد ذلك .

● مات في مطلع هذا العام الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب قبل ان يكمل اعوامه الاربعين وبعد ان عانى من المرض طويلا .. وكان هذا الشاعر الموهوب علامة خارقة في تاريخ شعرنا الحديث بخصوبته وتدفقه وعمقه وتجديداته ومغامراته الكبيرة التي خاضها مع الشعر . وقد ترك عدة دواوين هامة هي [ازهار ذابلة] و [اساطير] و [انشودة المطر] و [المعبد الغريق] و [منزل الاقنان] و [شناشيل ابنة الجلبي] الذي صدر قبل وفاته بأيام و [اقبال] الذي صدر عقب وفاته] .. وقد مات في الكويت .

● وفي ١٩ مايو مات الدكتور محمد مندور عن ٥٨ عاما فقد ولد في كفرمندور منيا القمح شرقية عام ١٩٠٧ وكان له اثر ودور كبيرين في الحياة الادبية والسياسية قبل الثورة وبعدها . وله عدد كبير من الكتب الهامة ، منها [نماذج بشرية] و [النقد المنهجي عند العرب] و [في الميزان الجديد] [مسرح شوقي] و [المسرح النثري] [قضية الشعر] وغيرها .

● وفي ٢٠ نوفمبر مات الشاعر كامل الشناوي بعد حياة حافلة ساهم خلالها في تطوير الصحافة العربية والشعر العربي .

● وفي ٧ ديسمبر رحل انور المعداوي عن الحياة الادبية بعد ما عانى طويلا من الصمت والجمود .. وكان قد كف عن الكتابة عدة سنوات ومن كتبه [نماذج فنية في الادب والنقد] و [علي محمود طه الشاعر والانسان] الذي صدر قبل وفاته بايام و [كلمات في الادب] الذي صدر بعد وفاته .

● وفي سوريا مات اورخان ميسر وهو مثقف واديب سوري كبير ساهم بدور فعال في تطوير النقد والقصة والشعر في سوريا .

● وفي العراق مات الشاعر عبدالقادر رشيد الناصري ميتة بائسة اذ كان وحيدا في بغداد بعيدا عن اهله في الناصرية وحفظت جثته دون ان يتعرف عليها احد في ثلاجة الطب العدلي لمدة سبعة ايام .. بالرغم من ان الشاعر قد نذر عمره للكلمة ، وانه اعاد بصورة فنية ناضجة احياء شعر الكؤوس والاخوانيات والحب في الشعر العربي الحديث .

● صدر في يناير العدد الاول من مجلة [الطليعة] بالقاهرة ويرأس تحريرها لطفي الخولي .

● صدر في يناير العدد الاول من مجلة [الفنون الشعبية] تصدرها وزارة الثقافة للاهتمام بالفلكلور والدراسات الشعبية ويرأس تحريرها د . عبدالحميد يونس .

● صدر في يناير العدد الاول من مجلة [الافق الجديد] الشهرية الاردنية وهي مجلة ادبية خاصة يرأس تحريرها الشاعر الاردني امين شنار .

● صدر في مارس العدد الاول من مجلة [الفكر المعاصر] وهي شهرية فكرية تصدرها وزارة الثقافة لمتابعة

مسلسلة فى [روز اليوسف] وانتقلت المعركة من الصحف الى قاعة مجلس الامة حيث طالب بعض اعضاء المجلس بايقافها ، وناقشت اللجنة الثقافية هذا الطلب وتوجهت باستجواب بشأنه الى وزير الثقافة والارشاد القومى والى المسئولين عن الصحافة .

● فاز احمد رامى بجائزة الدولة التقديرية فى الاداب وفاز انور المعداوى بجائزة الدولة التشجيعية فى النقد الادبى عن كتابه [على محمود طه .. الشاعر والانسان] والفريد فرج بجائزة المسرحية عن مسرحيته [سليمان الحلبى] وحجبت جائزة ادب الاطفال فتوفرت بذلك جائزة لمسرحية صلاح عبد الصبور الشعرية [مأساة الحلاج] التى نالت عددا مساويا من الاصوات للعدد الذى نالته [سليمان الحلبى] التى رجح فوزها ان صوت المقرر فى جانبها .

● فاز بالجائزة التقديرية لجمعية اصدقاء الكتاب اللبنانية الدكتور صبحى المحمصانى وفاز بجائزة القصة غسان كنفانى عن روايته القصيرة [ما تبقى لكم] وبجائزة الشعر ميشال سليمان عن ديوانه [رثاء الخيول الهرمة] .

● بلغت سياسة التوسع الكمى فى مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومى حدها الاقصى . اذ بلغ المطبوع من الكتب فى هذا العام وحده ٦٥/٦٦ ما يقرب من مليونى نسخة ١٧٩٢٦٩١ بيع منها ٥١٠٧٩٩ نسخة اى بنسبة ٢٨٫٥٪ وبلغ توزيع الكتب ٥ر ـ ٪ ووصلت كمية المخزون من الكتب الكاسدة فى مخازن الوزارة ـ سلاسل الدار القومية وحدها ـ ٣٫٤٣٥٫٦٠٠ وتشكل هذه الكتب المخزونة ٧١٫٥٪ من جملة المطبوع منها بالاضافة الى ١٠٢٫٦٠٠ من مخزون كتب الدار المصرية للتأليف والترجمة .

● زار القاهرة هذا العام الناقد الفرنسى المعروف رينيه ويج والقى محاضرة بها وزارها كذلك الاديب الفرنسى ڤايتان بيكون والقى محاضرة بها ثم زارها وزير الثقافة الفرنسى اندريه مالرو والتقى بنخبة من ادبائها ومثقفيها .

● تأسست فى يناير من هذا العام الشركة الوطنية للنشر والتوزيع فى الجزائر وهى اول شركة حكومية تهتم بموضوع الكتاب العربى وتحاول ان تنشىء سوقا ومطبعة له وان تشجع حركة التأليف بالعربية فى هذا البلد الشقيق .

● تولى الدكتور ثروت عكاشة وزارة الثقافة فى سبتمبر من هذا العام بعد ان استقلت عن الارشاد القومى والسياحة .

● رحل عن الحياة الادبية هذا العام امين الخولى فى ٩ مارس عن واحد وسبعين عاما . وكان رئيس جمعية الامناء الادبية التى دعت فى وقت مبكر للغاية الى ضرورة ربط الادب بالحياة ومن كتبه الهامة [رأى فى ابى العلاء] و [فن القول] و [فى الادب المصرى] و [مناهج تجديد و [مشكلات حياتنا اللغوية] وغيرها .

● رحل عن الحياة الادبية كذلك المفكر الكبير على عبد الرازق صاحب [الاسلام واصول الحكم] والدكتور مصطفى مشرفة والكاتب المسرحى الشاب مصطفى مشعل .

● مات الشاعر الليبى على محمود الرقيعى عن ٣٢ سنة فى اواخر ديسمبر اثر حادث مروع لسيارته . وهو الشاعر الفائز بجائزة اللجنة العليا للفنون والاداب عام ١٩٦٥ عن ديوانه [اشواق صغيرة] وله ايضا ديوان [الحنين الظامىء] ويعتبر الرقيعى ابرز شعراء المدرسة الحديثة فى ليبيا .

● اصدرت مجلة [المجلة] ثلاثة اعداد خاصة : الاول فى مارس عن المسرح والثانى فى يونيو عن قضايا اللغة العربية والثالث فى اغسطس عن القصة القصيرة الشابة فى مصر .

● اصدرت مجلة [المسرح] فى يوليو عددا خاصا عن المسرح المصرى منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٦٦ يدرس اهم الاحداث فيه ويحلل لاعلامه المعاصرين ابتداء من توفيق الحكيم حتى شوقى عبد الحكيم .

● اصدرت مجلة [الهلال] فى فبراير عددا خاصا عن الدكتور طه حسين .

● اصدرت مجلة [الاداب] فى مارس عددا خاصا عن الشعر العربى الحديث .

● من اهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [سفر الفقر والثورة] و [الذى ياتى ولا ياتى] لعبد الوهاب البياتى و [الطوفان والمدينة السمراء] لكامل ايوب و [الى مسافرة] لفاروق شوشه و [صياد وجنية) لشاعر العامية المصرية سيد حجاب و [قصائد ورق] لصلاح جاهين و [لابد] لمحمود حسن اسماعيل و [قال المساء] لملك عبد العزيز .

● من اهم الروايات [ثرثرة فوق النيل] لنجيب محفوظ و [قنطرة الذى كفر] لمصطفى مشرفة و [العنقاء] للويس عوض و [بنك القلق] لتوفيق الحكيم و (السائرون نياما) لسعد مكاوى و [ماتبقى لكم] لغسان كنفانى و [الغبى] و [تلك الايام] لفتحى غانم و [الخروج من التابوت] لمصطفى محمود و [الشراع والعاصفة] لحنا مينه .

● من اهم المجموعات القصصية [عرس الزين] للطيب صالح من السودان و [ياقوت مطحون] للطفى الخولى و [الناس والحب] لابى المعاطى ابو النجا و [القمر المشوى] لسعد مكاوى و [سور حديد مدبب] لفتحى غانم و [ليل الغرباء] لغادة السمان .

● من اهم الدراسات [على هامش الغفران] للويس عوض و [ادباء ومواقف] لرجاء النقاش و [ثورة المعتزل] لغالى شكرى و [فى النقد المسرحى] و [فى القصة القصيرة] لفؤاد دواره و [ادب المقاومة فى فلسطين المحتلة] لغسان كنفانى .

● من اهم المترجمات [الوجود والعدم] لسارتر و [محيى الدين بن عربى] لاسين بلاسيوس ترجمة د . عبد الرحمن بدوى و [نصوص النقد الادبى اليونانى و [آجا ممنون] ترجمة د . لويس عوض و [باباهمنجواى] لهوشنر ترجمة ماهر البطوطى و (أصول الدافع الجنسى] لكولن ولسن .

● من اهم المنشورات المتفرقة قصائد شعراء الوطن المحتل التى اطلت علينا بغزارة من وراء اسوار العسف الصهيونى وكانت ظاهرة العام الادبية بحق .

● توقفت فى ديسمبر سلسلة روائع المسرح العالمى بعد ان اصدرت ٨٠ مسرحية عالمية .

● انعقد فى بلغراد مؤتمر الشعر الدولى الثالث وكان موضوعه « الشعر كوسيلة للتفاهم » . مثل الجمهورية العربية المتحدة فيه الشاعران صلاح عبد الصبور ، وصلاح جاهين .

● عقدت فى متحف بوشكين بموسكو ، فى شهر نوفمبر ، ندوة فنية احتفالا بمرور مائتى عام على مولد الموسيقار البولندى ميخائيل كليوفاس اوجينسكى .

١٩٦٧

● عقدت وزارة الثقافة فى مطلع هذا العام عدة مؤتمرات للسينمائيين والمسرحيين والتشكيليين والكتاب . وقد ناقش مؤتمر الكتاب وضع الحركة الثقافية الراهن . واشترك فى المؤتمر الى جانب معظم مثقفى القاهرة والمسئولين

عن دور النشر فيهـا سـهيل ادريس عن لبنان ومحمد المسعدى رئيس تحرير جريدة الشعب الجزائرية عن الجزائر وحسن ساكثير عن اندونيسيا ووزير الثقافة فى جمهورية اوزبكستان السـوفيتية . وناقش المؤتمرون طوال ايام ثلاثة وضع الكاتب والكتاب وحقوق التاليف وضرورة توسيع دائرة توزيع الكتاب العـربى والاهتمام بتسويقه .

● عقد فى دمشق من ٤ — ٧ نوفمبر مؤتمـر المثقفين العرب لمناقشـة [المأساة الفلسطينية] بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومى السورى . وقدمت فيه عدة دراسات عن مأسـاة فلسطين فى الشعر والقصة وعن الابعاد المختلفة لهذه المأساة واشترك فى المؤتمر عد كبير من الكتاب العرب مـن مصر ولبنان والعراق وسـوريا الى جانب المستشرق الفرنسى جاك بيرك .

● عقد فى بيروت مؤتمر المـائدة المستديرة الخامس الذى تشرف عليـه اليونسكو وكان موضوع هذا المؤتمـر [المسرح والسينما] .

● دارت معركة ادبية حول احقيـة ابراهيم الوردانى بجـائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة بينمـا تتقدم ابو المعاطى ابو النجا لنفس الجائزة، وقاد هذه المعركة رجاء النقاش الذى حلل قصص كل من الكاتبين واكد احقيـة ابو المعاطى ابو النجا بالجائزة بدلا من الوردانى وقد اشترك فى هذه المعركة ابراهيم الوردانى مدافعا عن نفسـه . كما اشترك فيها احمد حجازى مؤيدا رأى رجاء النقاش واشترك فيها ايضا عـدد من الصحفيين الذين لا يعرفون الفرق بين القصة القصيرة والرواية دفاعا عـن الوردانى مثل موسى صبرى .

● ثارت قضية موقف د . لويس عوض من تفسير الجبرتى وقراءته له ولرفاعة الطهطاوى فى مقالاته عن الفكر المصرى الحديث .. وقد اثار هذه القضية على صفحات الكاتب عبد الجليل حسن .

● قام المجلس الاعلى للفنون والاداب بتشكيل عدة لجان لتقييم اعمـال وزارة الثقافة منذ انشائها عام ١٩٥٨ حتى الان .. وقد قامت هذه اللجـان باعداد تقارير ضافية قيمت فيها اعمال هذه الوزارة فى مجالات الثقافة المختلفة . وتقدمت فيها بعدة اقتراحات نابعـة من هذا التقييم المدروس .

● حجبت جائزة الدولة التقديرية هذا العام بعد ان اقترع المجلس خمس مرات بين المرشحين اللذين نجحا فى التصفية النهائية وهما يحيى حقى ومحمد خلف الله احمد ولم يفز اى منهما لعدم حصوله على اربعة اخماس الاصوات فقد حصل يحيى حقى على ٢١ صوتا و د . خلف الله على ٩ اصوات .. وفاز بجـائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة ابراهيم الوردانى عن مجموعته [الليالى البيضاء] وفى التراجم محمد عبد الغنى حسن عن كتابه [احمد فارس الشدياق] وفى الترجمة د . محمد على مكى لترجمته رواية [السيدة بربارا] .

● احتفل البرنامج الثانى هذا العام بمرور عشر سنوات على تأسيسه وقد قدم هذا البرنامج الثقافى الهام منـذ انشائه حتى اليوم ١٥٠ حلقة من برنامج مع الادباء الذى يجرى فيه حوارا عميقا مع كبار الادباء فى العالم وفى مصر سواء عن طريق الاعداد الحى بالنسـبة للمصريين او ترجمة اللقاءات الادبيـة الممتازة بالنسبة للعالميين ، وقدم ٦٠ حلقة فى برنامج مع العلماء وهـو كالبرنامج السابق ولكن فى مجال العلم .. و ٣٠٠ برنامج خاص عن اعلام الادب والفن والفكر الانسانى يقدم فيها عرضـا دراميا لحياتهم ولاعمالهم وللمعارك التى خاضوها ولعالمهم الفنى . و ٢٤٠ مسرحية قصيرة و ٢٢٠ مسرحية طويلة . وقـد قدم فى هذه المسرحيات عشرات الاعمال التى يسمع بها المثقف العربى لاول مرة كأعمال فرناندو آرابال وكريستوفر فراى وجلدونى وثيوتيـكا واوسـتروفيسكى وكاتذاكيس وفريش وفايس وبنتر وبولت وماكنيس وميروجيك والبى ويوخنروبيتس وغيرهم .

● زار القاهرة فى يناير من هذا العام الناقد الانجليزى الكبير ا.ا. ريتشاردز صاحب [معنى المعنى] و [مبادىء النقد الادبى] و [منشيوس والعقـل — تجارب فى تعدد المعنى] و [العلم والشعر] و [كوليردج والخيـال] وغيرها .

● زار القاهرة فى ٢٥ فبراير بدعوة من جريدة الاهرام جان بول سارتر وسيمون دوبفوار وقد قاما بجولة فى مصر والقيا فيها عدة محاضرات .

● زار القاهرة بدعوة من دار الهلال الشاعر الروسى ايفجينى ايفتوشـنكو واقيمت له ليلة شعرية فى دار الاوبرا .

● زار القاهرة المستشرق الفرنسى جاك بيرك واقيمت له عدة ندوات ولقـاءات فيها .

● عقد فى بيروت من ٢٥ — ٣٠ مارس المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين واشترك فى المؤتمر وفود ٥٤ دولة افريقية واسيوية ، واصدر المؤتمر عدة قرارات بشأن قضايا فيتنام وفلسطين ومناهضة التغلغل الاستعمارى الجديد فى الميادين الثقافية . كما اصدر ميثاقا رابطة الكتاب الافريقيين الاسيويين وقرارا بأن تكون القاهرة مقرا لمكتبه الدائم وبأن يعقد المؤتمر الرابع للكتاب الافـريقيين الاسيويين فى نيودلهى بعد ثلاث سنوات .

● اجتمع المكتب الدائم للكتـاب الافريقيين الاسيويين فى القاهرة من ٤ — ٥ يوليو واصدر عدة قرارات وتوصيات تنظيمية اهمها انشاء مجلة للادب الافريقى الاسيوى تصدر بثلاث لغات .

● رحلت عن الحياة الادبية فى ٨ ابريل القصاصة الفلسطينية الموهـوبة سميرة عزام من اهم مجموعاتها القصصية [أشياء صغيرة] و [الظل الكبير] و [.. وقصص أخرى] و [الساعة والانسان] .. ولها رواية لم تستكمل هى [سيناء بلا حدود] .

● مات محمد فريد أبو حديد فى ١٨ مايو عن ٧٤ عاما فقد ولد فى ١٨٩٢ وله عشرات الاعمال الروائية الناضجة والرائدة منهـا [أبو الفـوارس] و [المهلهل] و [جحا فى جانبولات] و [انا الشعب] و [صحائف من حياة] و [زنوبيا] وغيرها .

● فى اواخر اكتوبر مات الـكاتب اللبنانى رئيف خورى وهو ناقد أدبى معروف له عدة كتب ومقالات فى النقد الادبى . وقد نال جائزة جمعية أصدقاء الكتاب التقديرية هذا العام .

● مات الشاعر العراقى عـدنان الراوى فى أبريل بعد مرض كبدى عضال .. وللشاعر عدة دواوين شعرية منها [هذا الوطن] و [شعر من العراق] و [المشانق والسلام] وغيرها .

● بدأت دار الكاتب العربى مشروع اصدار الاعمال الكاملة لديستويفسكى وجمال الدين الافغانى .

● عاودت مجلة [شعر] البيروتية الصدور ، بعد أن كانت قد توقفت منذ عامين ، وأصدرت عددا مزدوجا للشتاء والربيع معا وقد انسحت المجلة بعض صفحاتها لفنون الادب الاخرى وان ظل اهتمامها الاول مركزا على الشعر .

● توقفت مجلة [حوار عن الصدور] فى مايو بعد ان تأكد بشكل سافر تبعية المنظمة التى تصدرها للمخابرات الامريكية وبعد أن استقال الشاعر ستيفن سبندر من رئاسة تحرير [انكاونتر] الانجليزية التى تصدرها نفس المنظمة .

● صدرت فى العراق مجلة ادبية

جديدة هى [الكلمة] التى تصدرها فى النجف مجموعة من الشباب العراقى بجهودهم الخاصة . ويرأس تحريرها حميد المطبعى وموسى كريدي . وقد صدر عددها الاول فى يناير ، وهى مجلة شهرية .

● اصدرت مجلة [الهلال] عددا خاصا عن عباس محمود العقاد وأصدرت [المجلة] عددا خاصا عن الاستعمار الامريكى — اغسطس — واصدرت [المسرح] عددا خاصا عن شكسبير وأصدرت [الاداب] عددا خاصا عن قضايا التحرر الوطنى . واصدرت [الهلال] عددا آخر فى مايو عن يفتوشنكو بمناسبة زيارته للقاهرة .

● من اهم الدواوين الشعرية التى صدرت هذا العام [أمام الباب المغلق] لفدوى طوقان و [الجواد والسيف المكسور] لجيلى عبد الرحمن و [هوامش على دفتر النكسة] لنزارقبانى و [قلبى وغازلة الثوب الازرق] لمحمد ابراهيم أبو سنه .

● من اهم الروايات [ميرامار] لنجيب محفوظ و [موسم الهجرة الى الشمال] للطيب صالح و [سداسية الايام الستة] لاميل حبيبى و [شىء من الخوف] لثروت اباظه و [البيت الصامت] لمحمد عبد الحليم عبد الله و [حكاية بنت اسمها مرمر] لمحمد عفيفى .

● من أهم المجموعات القصصيه [احزان الصباح] لفاروق منيب ، و [وراء الزجاج] لعبد الله خيرت و [الصغار والكبار] لمحمد البساطى و [السمت الطاهرة] لعبد الغفار مكاوى و [الموقع] لامين ريان و [للكتاكيت أجنحة] لعبد العال الحمامصى و [التفتيش] لحسن محسب و [حكايا للحزن] لاديب نجوى .

● من اهم الدراسات [المحاورات الجديدة] للويس عوض و [مناهج النقد الادبى] لدافيد ديتشيس الذى ترجمه د. محمد يوسف نجم و [شخصية مصر] د. جمال حمدان .

● تحولت مجلة الكتاب العربى ابتداء من يوليو الى مجلة فصلية .

● احتفل المجلس الاعلى للفنون والاداب فى ٩ فبراير بمرور مائة عام على مولد كل من احمد زكي المعروف بشيخ العروبة والمرحوم انستاس الكرملى والمرحوم عبد القادر المغربى بمبنى جامعة الدول العربية وألقيت فى هذا الاحتفال ابحاث ودراسات من تاريخ كلٌ منهم ودوره فى خدمة الثقافة واللغة العربية .

● منحت جائزة جونكور الادبية للروائى الفرنسى أندريه بييرماندرياج .

● توفى الاديب الفرنسي اندريه موروا فى أكتوبر من هذا العام .

● توفى الكاتب السوفيتي ايليا اهرنبورج فى موسكو عن ٧٥ عاما فى اوائل شهر سبتمبر .

١٩٦٨

● عقد المؤتمر السادس للادباء العرب فى القاهرة من ١٦ الى ٢١ مارس واشتركت فيه وفود من العراق والمغرب وفلسطين وسوريا والسودان والاردن وليبيا والكويت وعمان والشارقة واليمن وكان موضوع هذا المؤتمر «رسالة الاديب العربى فى مكافحة الامبريالية . ودعا المؤتمر فى توصياته الى تأييد العمل الفدائى والى تحية شعراء الارض المحتلة والاهتمام بهم والى الاهتمام بأدب المقاومة والتركيز عليه . كما تام المؤتمر بوضع اللائحة التنفيذية لاتحاد الادباء العرب وانتخب يوسف السباعى امينا عاما له وسامى الدروبى وسهيل ادريس أمينين مساعدين . وقدمت للمؤتمر عدة أبحاث هامة كان فى مقدمتها بحث الوفد السورى الذى قدمه هانى الراهب عن [رسالة الاديب فى مكافحة الامبريالية] وبحث غسان كنفانى عن [ابعاد ومواقف فى ادب المقاومة الفلسطينى] .

● عقدت فى القاهرة من ٢٨ — ٢٩ فبراير الدورة الرابعة للمكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين . وقامت هذه الدورة ببحث عدة موضوعات واصدار عدة قرارات كان فى مقدمتها البيان الذى أصدرته الدورة لتأييد كفاح شعب فيتنام ضد الاستعمار الامريكى وبيان آخر بتأييد قضية الشعوب العربية وتبنى موقفها ازاء العسف الصهيونى بالاضافة الى القرارات والتوصيات حول خطة عمل مجلة الادب الافريقى الاسيوى ومحتويات عددها الثانى وميزانيتها وتوزيعها وحول انشاء جائزة اللوتس السنوية للاداب الافريقية وانشاء مركز للوثائق المركزية الافريقية الاسيوية وتشكيل لجان للمكتب الدائم وغيرها من التوصيات الهامة .

● دارت معركة نقدية فى صحف القاهرة ومجلاتها حول اعتراض لجنة الفتوى بالازهر على عرض مسرحية عبد الرحمن الشرقاوى [ثأر الله] التى تتناول حياة الحسين واستشهاده خاصة بعدما اعلن الشيخ أحمد حسن الباقورى أنه يرى عرض المسرحية ولا يجد نصوصا دينية تحول دون ذلك ..

● أثار رجاء النقاش معركة أدبية حول موضوع [هل نجيب محفوظ عقبة فى تاريخ الرواية العربية ؟] واشترك فى هذه المعركة عدد من الكتاب بين مؤيد ومعارض وادلى نجيب محفوظ نفسه بحديث تفصيلى حول هذه القضية

● أثار لويس عوض معركة حول دور المجلس الاعلى للفنون والاداب فى الحياة الثقافية وعن كونه ليس فى مستوى اللحظة الراهنة التى نعيشها خاصة بعدما أعلن فى برنامج [٣٠ مارس] عن اعادة النظر فى تشكيل مجالس متخصصة جديدة على مستوى اللحظة الحضارية الراهنة .. واشترك بعض الكتاب فى هذه المعركة للدفاع عن دور المجلس فى الحياة الثقافية وكان أبرزهم عبد الرحمن الشرقاوى .

● دارت معركة أدبية فى صحف ومجلات بيروت ودمشق والعراق والقاهرة حول اشتراك شاعرى المقاومة فى الارض المحتلة سميح القاسم ومحمود درويش ضمن وفد اسرائيل فى مؤتمر صوفيا .

● ثارت معركة فى الصحف البيروتية على نزاهة اعضاء لجان التحكيم فى جوائز جمعية اصدقاء الكتاب اللبنانية وحول جمود هذه الجمعية وتخلفها .

● فاز بجائزة الدولة التقديرية فى الاداب يحيى حقى وبالجائزة التشجيعية فى الرواية مصطفى محمود عن [رجل تحت الصفر] وفى الشعر العوضي الوكيل عن [فراشات ونوار] وفى أدب الرحلات عبد المنصف محمود عن [فى بلاد البقرة المقدسة] .

● فاز الكاتبان الاردنيان تيسير سبول وأمين شنار مناصفة بجائزة ملحق جريدة [النهار] الادبى فى الرواية .. الاول بروايته [انت منذ اليوم] وهى رواية تدور حول النكسة ولكاتبها ديوان شعر بعنوان [احزان صحراوية] والثانى عن روايته [الكابوس] التى تدور حول نفس الموضوع ولكاتبها ديوانان شعريان هما [المشعل الخالد] ١٩٥٣ و [سماء] ١٩٦٦ وروايتان هما [الصرخة والصدى] و [لكى يولد النهار] .

● تم وضع المشروع النهائى لاتحاد الكتاب السوريين فى دمشق ومن أبرز أعضائه المؤسسين حنا مينا وسليمان العيسى وسليمان الخش وزكريا تامر وهانى الراهب وحيدر حيدر وممدوح

عدوان وعلى كنعان وفايز خضور ومحمد جديد ومحمد عمران وغيرهم .. ويعتبر هذا الاتحاد فرعا اقليميا للاتحاد العام للادباء العرب .

● تشكل فى اغسطس ببيروت اتحاد للادباء اللبنانيين ، من أهم اعضائه حسين مروه وسهيل ادريس وخليل حساوى ومحمد يوسف نجم ورفيق خورى وغيرهم وهو ايضا ضمن الاتحادات الاقليمية المشتركة فى الاتحاد العام للادباء العرب

● انشات فى الجزائر ندوة ادبية هى [ندوة الاساتذة] وهى جمعية ثقافية ادبية قامت فى موسمها الاول بنشاط كبير فى المجال الثقافى ويشرف على هذه الجمعية الدكتور ابو القاسم سعد الله المفكر الجزائرى المعروف .

● زار بيروت الاديبان السوفيتيان المعاصران سفرونوف وروميانتسيف فى سبتمبر من هذا العام واجريا عدة لقاءات مع كتاب لبنان وأدبائه .

● مات فى اوائل يوليو زكى الارسوزى وهو من كبار أعلام الفكر السورى وقد ولد فى اللاذقية عام ١٨٩٩ ونشأ فى انطاكية وارتبط اسمه بالكفاح العربى فى لواء الاسكندرونة وتخرج من كلية الاداب [بالسوربون] بباريس، وله عدة كتب ودراسات فكرية هامة منها [اللغة والفن] و [الفلسفة والاخلاق] و [العرب والانسانية] و [المدنية والثقافة] وغيرها .

● مات الامير مصطفى الشهابى رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق فى ١٥ مايو وقد ولد فى نوفمبر ١٨٩٣ واهتم بالدراسات المجمعية واللغوية وله عدة كتب فيها .

● مات فى ٢٧ يوليو الدكتور محمد غنيمى هلال عن ٥٢ سنة فقد ولد فى ١٨ مارس ١٩١٦ وتخرج من دار العلوم ١٩٤١ ثم سافر الى فرنسا ١٩٤٥ وعاد منها بعد حصوله على دكتوراه الدولة من السوربون ١٩٥٢ ، ومن اهم كتبه [الرومانتيكية] ١٩٥٦ و [مدخل الى النقد الادبى الحديث] ١٩٦٢ و [الادب المقارن] ١٩٦٢ و [الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية] ١٩٦٠ وغيرها

● صدر العدد الاول من مجلة [نادى القصة] التى يرأس تحريرها يوسف السباعى فى ابريل وهى مجلة تهتم بالانتاج القصصى الجديد .

● فى يناير صدرت مجلة المسرح والسينما ويرأس تحريرها د. عبد القادر القط ود. سعد الدين وهبه .

● صدر فى مايو العدد الاول من مجلة [٦٨] وهى مجلة طليعية تهتم بالادب التجريبى .

● صدر فى اكتوبر العدد الاول من مجلة مواقف وهى مجلة ادبية فكرية تصدر مرة كل شهرين ويرأس تحريرها الشاعر الكبير ادونيس .

● أصدرت [المجلة] عددين خاصين الاول عن القصة القصيرة فى فبراير والثانى عن احمد شوقى فى ديسمبر و (الاداب) عددا خاصا عن ادب المقاومة فى ابريل و [الهلال] عددين خاصين الأول عن توفيق الحكيم فى فبراير والثانى عن احمد شوقى فى نوفمبر ، وأصدرت مجلة [شعر] البيروتية عددا خاصا عن شعر الارض المحتلة عدد الربيع وأصدرت الطريق البيروتية فى نوفمبر عددا خاصا عن ادب المقاومة فى فلسطين المحتلة أيضا .

● اصدرت مجلة [الكلمة] العراقية مجموعة هامة من المطبوعات لكتاب الجيل الجديد من الشباب العراقيين فى القصة والشعر والرواية .

اهم المجموعات الشعرية التى صدرت هذا العام [ديوان الوطن المحتل] الذى جمعه وحرره الشاعر الفلسطينى يوسف الخطيب و [المسرح والمرايا] لادونيس و [انهار الملح] لكمال عمار و [رحلة الحروف الصفر] لبلند الحيدرى و [الموت فى الحياة] لعبد الوهاب البياتى و [قيامة الزمن المفقود] لبدر توفيق و [من دفتر الصمت] لمحمد عفيفى مطر .

● من اهم الروايات [شجرة الدفلى] لاملى نصر الله و [الكابوس] لامين شنار و [انت منذ اليوم] لتيسير سبول و [الحب والصمت] لعنايات الزيات .

● من اهم المجموعات القصصية [تحت المظلة] لنجيب محفوظ و [حكايات النورس المهاجر] لحيدر حيدر و [بعدنا الطوفان] لسليمان فياض و [وديع والقديسة ميلادة] لغالب هلسا .

● من اهم الدراسات [السكوميديا المرتجلة] لعلى الراعى و [شعرنا الحديث الى أين] لغالى شكرى و [ادباء ومواقف] لرجاء النقاش و [فى الرواية المصرية] لفؤاد دوارة

● من اهم المترجمات الى العربية [علم الفلكلور] ترجمة رشدى صالح و [نحو رواية جديدة] ترجمة مصطفى ابراهيم مصطفى .

● من أهم المترجمات من العربية مجموعة [قصص قصيرة عربية حديثة] ترجمها الى الانجليزية دينيس جونسون ديفيز و [الادب العربى اليوم — القصة القصيرة] ترجمها د. محمود المنزلاوى و [يا طالع الشجرة] لتوفيق الحكيم و [موسم الهجرة الى الشمال] وترجمهما جونسون ديفيز أيضا .

● حصل المؤلف الامريكى وليم ستيرون على جائزة بوليتزر عن قصته « اعترافات ناتتيرنر » وتدور حول ثورة الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية

● توفى فى مدينة سيرفيا بايطاليا الروائى جيوفانى جواريسيش عن ٦١ عاما .

● فاز الكاتب الاسبانى جوزى ماريا سانستيه بميدالية هانز كريستيان اندرسون لادب الاطفال .

● أصدرت مجلة «الادب السوفيتى» عددا خاصا لتكريم ذكرى مكسيم جوركى بمناسبة عيد ميلاده المائة .

● فاز سيرجى كروتيلينى بجائزة جوركى عن رواية « ليبياجى » ودافيد كوجو ليتنوف عن ديوانه « انى معاصرك » وبوريس روسيتوف عن قصيدته «كيوبانا» وديوانه « شيمبن حمراء » و« فالنتينا »

● بدأ فى داكار بالسنغال المؤتمر العالمى الافريقى الثانى لمناقشة النفس البشرية واشتركت فيه ٤٠ دولة بينها ج. ع. م.

● منحت جامعة ليبريا الدكتوراه الفخرية لجوليوس نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا فى ختام ليبيريا .

● صدرت فى لندن مجلة « اكتشاف الفن » قدمت للقارىء قصة الفن من أول نشأته حتى القرن العشرين .

● انتخبت الشاعرة الاسبانية ماريا خوسيه فرنانديتش من قرطبة أميرة للشعر لعام ١٩٦٨ وقد تقلدت ماريا وسام الشرف فى حفل أدبى اقيم بأحد الاحياء القديمة بغرناطة .

● اصدرت دائرة المعارف السوفيتية للنشر قاموسا [روسى — عربى] من ١١٢٠ ويضم ٤٢٠٠٠ كلمة .

● صدرت فى اللغة السواحيلية ترجمة لمسرحية شكسبير « يوليوس قيصر » ترجمة الرئيس جوليوس نيريرى

● احتفل فى الاتحاد السوفيتى

بذكرى مرور ٥٠٠ سنة على وفاة مؤسس الطباعة يوهان جوتنبرج .

● أقيم فى متحف الدولة بموسكو احتفال بمرور ١٤٠ عاما على مولد ليوتولستوى .

١٩٦٩

● أقيم فى القاهرة من ٢٢ — ٣٠ يناير المعرض الدولى للكتاب وهو المعرض الاول من نوعه فى البلاد العربية واشتركت فيه عدة دول عربية واجنبية وبلغ عدد المعروض فيه حوالى ٢٥ الف كتاب . وقد عقدت بمرافقة المعرض الحلقة الثانية لدراسة وسائل تيسير تداول الكتاب العربى بمبنى جامعة الدول العربية واشترك فيها ممثلون عن سوريا ولبنان والاردن والكويت ومصر والسعودية واليمن الجنوبية وقطر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . واقرت الحلقة مشروع القانون الاساسى لاتحاد الناشرين العرب ومشروع قانون الايداع للمصنفات ومشروع قانون بحماية المؤلف واوصت بتخفيف القيود المفروضة على الكتاب العربى تصديرا واستيرادا .

● عقد فى القاهرة من ١٥ — ١٩ فى بغداد من ١٩ الى ٢٨ أبريل وكانت أبرز موضوعات البحث فى المؤتمر [الادب العربى بعد يونيو] و [دور الاديب العربى فى مكافحة الصهيونية والاستعمار] ومشكلات توثيق الارتباط بالتراث والنشر والتفرغ .. وقد رافق انعقاد المؤتمر مهرجان للشعر فى بغداد والبصرة .

● عقد فى القاهرة من ١٥ — ١٩ مايو المؤتمر الثانى للكتاب الفلسطينيين واصدر فى نهاية جلسته عدة قرارات سياسية وادبية منها رفضه لقرار مجلس الامن ودعوته الى توحيد المنظمات الفدائية وتوحيد اجهزة الاعلام وتطويرها ودعوة الجماهير الفلسطينية لتحمل مسئولياتها فى الكفاح ومطالبة الحكومة السويسرية بالافراج عن الفدائيين المعتقلين بها وشجب المؤامرات الاستعمارية ضد عروبة الخليج وطالب المؤتمر بضمان حرية التنقل وحرية الفكر للفلسطينيين فى جميع البلاد العربية ، وتوجه بنداء الى الكتاب الاحرار فى العالم يناشدهم الوقوف الى جوار نضال الشعب الفلسطينى . وانتخب مكتبا دائما له من خيرى حماد وابو سلمى وعوده بطرس عوده ومحمد زهدى النشاشيبى ونادرة السراج ومحمود يعقوب .

● عقدت فى باريس من ٢٩ مايو — ٣ يونيو فى مبنى اليونسكو وبدعوة منها حلقة دراسية حول [الثقافة العربية المعاصرة] انتخبت د. سهير القلماوى رئيسة لها واشترك فيها تسعة عشر خبيرا بين عرب ومستشرقين أبرزهم شرباتوف [روسيا] وجاك بيرك [فرنسا] وفون جرونبوم [أمريكا] وخوان فرنيه [أسبانيا] وفؤاد ابرام البستانى [لبنان] ومهدى المنجرا [المغرب] .. وبحثت هذه الحلقة الصعوبات التى تواجه الثقافة العربية فى التكيف مع تراثها من جهة ومع الثقافة الاجنبية من جهة أخرى .

● عقدت فى موسكو يومى ١١ ، ١٢ سبتمبر ندوة لبنانية سوفيتية مشتركة بدعوة من اتحاد الكتاب السوفييت حول موضوع [الادب والمجتمع] وناقشت فيها وسائل تدعيم العلاقة بين اتحادى الكتاب اللبنانى والسوفيتى . وعلاقة الادب بالمجتمع وتركز اغلب نقاش الندوة حول موضوع الشعر فبحثت علاقته بالثورة وبالجماهير وبالتراث وموقفه من كل هذه القضايا .. واشترك فى هذه الندوة عدد كبير من الكتاب السوفييت وكان الوفد اللبنانى مكونا من أدونيس ود. سهيل ادريس ود. يوسف جم وحسين مروه وجوزيف مغيزل ومحمد دكروب وعايده ادريس .

● عقد فى دمشق من ١١ — ٢٠ اكتوبر المؤتمر الاول للاثار الكلاسيكية ضم اكثر من ٣٥٠ عالما يمثلون حوالى ٦٠ مؤسسة عالمية .

● اقيم فى دمشق فى ١٨ يناير احتفال بذكرى المفكر السورى زكى الارسوزى اشترك فيه ممثلون من لبنان والجزائر وتونس والعراق ومصر والمهجر الى جانب معظم الكتاب السوريين . ألقيت فيه عدة دراسات وقصائد عنه .

● أقيم فى دمشق فى شهر مايو مهرجان دمشق الاول للفنون المسرحية اشتركت فيه فرق مسرحية من المانيا الديمقراطية وبلغاريا ومصر والكويت والاردن ولبنان .

● صودر فى بيروت كتاب د. صادق جلال العظم [نقد الفكر الدينى] وصدر قرار بابعاد مؤلفه عن لبنان وابعد بالفعل الى سوريا وقد أثار هذا القرار معركة فكرية واسعة حول حرية الفكر والادب ونوقشت القضية فى شتى الصحف والمجلات الادبية وعلى كل المستويات واصدر النادى الثقافى العربى بيانا ضد هذا القرار وقعه عدد كبير من المفكرين اللبنانيين .

● عقد فى بيروت مؤتمر المائدة المستديرة حول موضوع [الفلكلور وخيال الظل فى اسيا وافريقيا] وحضر المؤتمر وفود عدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية الى جانب بعض خبراء اليونسكو التى دعت الى هذا المؤتمر ونظمته ومثل مصر فيه د. لويس عوض ود. على الراعى .

● نظم اتحاد كتاب أسيا وافريقيا مسابقة للادب الافريقى الاسيوى فى مجال الشعر والرواية والدراسة الفكرية سميت مسابقة [اللوتس] .

● اصدر اتحاد الكتاب فى المغرب مجلة فصلية تعنى بشئون الادب والفكر هى مجلة [آفاق] .

● زار مصر الروائى الفرنسى ميشيل بوتور المولود فى عام ١٩٢٦ والذى كان يعمل مدرسا للغة الفرنسية فى مصر فى احدى فترات حياته . وينتمى بوتور الى مدرسة النظر او الرواية الجديدة الفرنسية وله عدة روايات اهمها [ممر ميلانو] و [الجدول] و [التغيير]

● فاز بجائزة اليونسكو فى المسرحية ممدوح ذياب عن مسرحيته [الزوبعة] وانطون معلوف عن مسرحيته [جاد] وقد اثار طه طاهر قضية هامة حول هذه المسرحية الاخيرة المأخوذة عن مسرحية يوربيديس المشهورة [عابدات باخوس] دون اشارة للمصدر لا من المؤلف ولا من لجنة التحكيم .. كما اثار ادونيس قضية فوز هذه المسرحية الهابطة دون مسرحية سعد الله ونوس الرائعة [حفلة سمر من اجل ٥ حزيران وشكك فى موقف اللجنة التى اعترف له احد اعضائها بأنهم اجمعوا على جودة وامتياز مسرحية سعد الله ونوس ولكنهم رفضوها ايثارا للسلامة ورغبة فى عدم المساس بالحكومات العربية .

● صدر فى مارس العدد الاول من مجلة [الشعر ٦٩] فى العراق ويرأس تحريرها فاضل العزاوى . وقد أثار صدور العدد الاول من هذه المجلة عدة مناقشات حول البيان الشعرى الذى افتتحت به عددها الاول والذى أثار عدد من القضايا الهامة حول التجديد والثورة فى الشعر الحديث وقد وقع هذا البيان فوزى كريم وخالد على مصطفى وسامى مهدي وفاضل العزاوى .

● اصدرت مجلة [الاداب] فى مارس عددا خاصا عن الثورة الفدائية واصدرت [٦٨] فى أبريل عددا خاصا عن القصة المصرية المعاصرة وأصدرت [الهلال] فى أغسطس عددا خاصا عن القصة القصيرة وأصدرت [المجلة] عددين خاصين الاول فى اغسطس عن القصة القصيرة والثانى فى ديسمبر عن غاندى ، واصدرت [المعرفة] عددا خاصا عن غاندى فى نوفمبر واصدرت [الطليعة] عددين خاصين عن الادباء الشبان [سبتمبر ونوفمبر] .

● عاد الشاعر العراقى الكبير محمد مهدى الجواهرى الى العراق بعد غيبة

٩ سنوات بناء على رغبة من نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية وشارك في مؤتمر الادباء العرب السابع ومهرجان الشعر .

● صدر في فبراير العدد الاول من مجلة [المثقف العربي] العراقيــة وتصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية

● صدرت في فبراير مجلة [المسرح] مستقلة عن مجـلة السينما ويرأس تحريرها صلاح عبد الصبور ثم صدرت في اغسطس مجلة [السينما] مستقلة هي الاخرى ويرأس تحريرها سعد الدين وهبه .. وكانت المجلتان تصدران معا في مجلة كبيرة واحدة منذ يناير ١٩٦٨

● صدرت في كفــر الشيخ في ديسمبر مجلة ادبية شهرية تهتم بأدب شباب الاقاليم ويشرف على تحريرها عقيل مظهر .

● من اهم الدواوين الشعرية التي صدرت هذا العام [بريد العـــودة] لمحمد مهدي الجواهري و [ملامح من الوجه الانبا دوقليسي] لمحمد عفيفي مطر و [حيث تبدأ الاشياء] لفوزي كريم و [حديقة الشتاء] لمحمد ابراهيم ابو سنه و (اعناق الجيـاد النافرة) لفواز عيد و [الابل والفرسان]لفدوى طوقان و [في انتظار طائر الرعد] و [سقوط الاقنعة] لسميح القاسم و [ادفنوا امواتكم وانهضوا] لتوفيق زياد و [البكاء بين يدي زرقاء اليمامة] لامل دنقل و (نخلة الله) لحسب الشيخ جعفر .

● من اهم الروايات [عودة الطائر الى البحر] لحليم بركات و [للزمن بقية] لمحمد عبـد الحليم عبـد الله و [الثلج ياتي من النافذة] لحنا مينا و [العودة الى المنفى] لمحمد ابو المعاطي ابو النجا و [نحن لا نزرع الشوك] ليوسف السباعي و [ايام الانسان السبعة] لعبد الحكيم قاسم.

● من اهم المجموعات القصصيــة (النداهة) ليوسف ادريس و (الزحام) ليوسف الشاروني و [النســاء لهن أسنان بيضاء] لاحسان عبد القدوس و [أحزان حزيران] لسليمان فياض و [أوراق شاب] لجمال الغيطاني .

● من أهم الدراسات [توفيق الحكيم فنان الفرجة والفـكر] لعلي الراعي و [محمود درويش شاعر الارض المحتلة] لرجاء النقاش .

● عقد في القاهرة من ١١ — ١٢ نوفمبر اجتماع المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين في دورته الخامسة وبحث في التحضير للمؤتمر الرابع للكتاب الافريقيين الاسيويين في نيودلهي وسوف يعقد هذا المؤتمر في خريف عام ١٩٧٠ واعد جدولا لاعماله . وفي تأجيل ندوة الشعر الافريقي الاسيوي المقترح عقدها في داكار الى عام ١٩٧١ واصدر المكتب عدة توصيات حول موضوع تأييد نضال شعب فيتنام والشعوب العربية وحول جائزة اللوتس ، وقضايا النشر ،وموضوع العضوية في المكتب وموضوع البـلاد التي ستدعى لحضور مؤتمر نيودلهي أو ندوة داكار .

● أقيم في الاتحاد السوفيتي معرضا للكتب لخدمة القضية الفيتنامية ، وضم المعرض أكثر من ٨٠٠ كتـاب باللغات الفيتنامية والروسية والفرنسية .

● فاز الكاتب الفرنسي برنار كلافيل بجائزة جونكور لعام ١٩٦٨ كما فاز بجائزة رينودو الكاتب الافريقي الشاب يامبو اولوجيم [٢٨ سنة] من مالي .

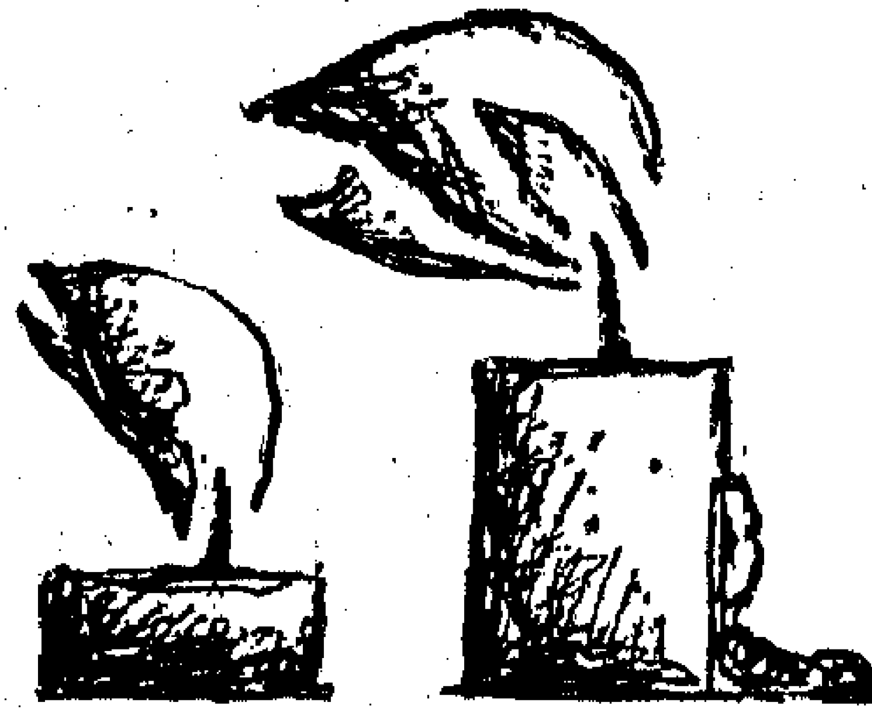
● توفي العالم والمؤرخ الاسباني رامون منندـيش بيدال رئيس اكاديمية اللغة الاسبانية ، وقد خلف بيدال اكثر من ٥٠٠ مؤلف في مختلف الموضوعات الادبية والتاريخية وعلوم فقه اللغــة والنحو .

● احتفل في اسبانيا بيوم الكتاب ، وهو احتفال سنوي ينعقد في ذكرى وفاة الكاتب الاسباني الشهير سيرفانتيس .

● فاز الروائي السوفيتي سيرجي زالجين بجائزة الدولة لعام ١٩٦٨ عن روايته « وادي الملح » .

● عقد في باريس المؤتمر التمهيدي لاول مؤتمر عالمي تشرف عليه اليونسكو لوزارات الثقافة في العالم .

● أعلنت أكاديمية الاداب السويدية في ستوكهولم فوز الـكاتب الايرلنـدي الاصل صامويل بيكيت بجائزة نوبـل للاداب في نوفمبر هذا العام .



تواصل « الطليعة » نشر التعليقات التى وصلتها حول قضية « الادباء الشباب » فى الوطن العربي ، واستكمالا للحوار الفكرى الذى نتابعه فى الاعداد القادمة .

حوار فكرى

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

يقدم رجائى فايد ، مفتش التعاون الزراعى بالمنوفية ، شهادته الواقعية التالية ، وفيها يؤكد انه ينتمى لجيل له أساتذة قطعوا شوطا فى تاريخ الادب والفن ، وعلى الاجيال الجديدة ان تضيف خطوات جديدة .

جيلنا له أساتذة

بدايتى مع القصة كانت فوق الفرن الدافىء وتحت الحرام الخشن فى قاعتنا ذات الهواء المدخن وحكايات الشاطر حسن والسفيرة عزيزة .. عالم كامل مسحور أغمض عينى لاراه وأعيش فيه .. لو اقتحم هذا العالم .. لو أستطيع أن أقص كما يقصون .. محاولات عاجزة أول الامر .. ومازالت عاجزة حتى الان .. أحس أن عندى الكثير ولكننى أعجز عن اخراج هذا الكثير .. مشكلة كانت تقلقنى دائما هى أن أجد نفسى لفترة ومن خلال أكثر من عمل اننى لم أقدم الجديد الذى أنشده .. بالطبع لابد ان يجرب الانسان أنواعا مختلفة من التعبير الفنى .. حاولت أن أكتب الشعر وفشلت فلست بشاعر .. جربت كتابة المسرحية .. الى جانب كتابة القصة .. لا أدرى بالضبط المجال الحقيقى الذى أستطيع أن أمارس فيه امكانياتي .. بالتأكيد لو عرفت هذا المجال فسأستريح كثيرا ..

● لقد أخذت جزءا كبيرا من ثقافتى من الاجيال التى سبقتنى .. اننى أنظر بكل اكبار لهم .. أحبهم كثيرا أتذكر أول مرة التقيت فيها بالاستاذ

نجيب محفوظ فى ريش ... لم أتحدث يومها حرفا واحدا .. لم تتحرك عينى من على وجهه .. ضحكت كثيرا لضحكاته .. واستمعت لكل كلمة من كلماته .. وعندما رجعت لمنزلى بيلتها كنت فى منتهى السعادة .. أنا اعارض زملائى الذيـن يقولون اننا جيل بلا أساتذة .. أبدا .. انهم أساتذتنا وقدموا لنا كثيرا ونظلمهم اذا طالبناهم بأكثر مما قدموا .. كل ما فى الامر اننا لا يمكن بطبيعة الحال أن نقف عندهم ولا نضيف أو نطور ونجدد .. بالطبع لا اذ ما معنى أن تسير الحياة وتتقدم وتتطور ..

● ليس شعارا براقا ولا لافتة ذات خط جميل أن اقول اننى مع التغيير الاجتماعى .. ان طبيعة نشأتى وظروفى تجعلنى اقف مـع التغييـر الاجتماعى .. فأنا مثلا أسافر كل يوم من القاهرة الاجتماعية ..

ترى : هل يقف الانسان ازاء قضية التغيير الاجتماعى ساكنا وهو يرى هذا التناقض المريع .. مواطن يعطى للوطن بلا حدود ومحروم من كل شىء .. وآخر لا يعطى للوطن سوى السحط .. ويأخذ كل شىء .. !!

● أنا سعيد بعملى فتعاملى مع القطاع الطيب فى بلدنا .. قطاع احبه وقلمى لا يكون صادقا الا معه .. ثم ان تعاملى مع الفلاح يكون فى صلب مشاكله .. من خلال علاقة الفلاح بالجمعية التعاونية والمشاكل التى لا حصر لها .. توريد .. تسليف .. ايجار .. تسـويق .. آفـات .. مبيدات . حسابات معقدة . الخ .. مشـكلات ترهقنى قليلا فى حلها . ويسعدنى كثيرا التغلب عليها .. أحس أننى أستفيد كل يوم وانني سأكتب فى يوم من الايام عملا كبيرا عن الفلاحين .. متى ... ؟ لا أدرى .

بطبيعة الحال لو كنت موظفا مكتبيا فى القاهرة كنت سأعيش الحياة حينئذ بطريقة مغـايرة تماما .. لا شىء أفعله فى المكتب سوى حل الكلمات المتقاطعة وامضغ مع زملائى الحديث عن زحام المواصلات والعلاوات الجديدة حتى تحين الفرصة لتزويغ نصف ساعة قبل الميعاد والاتـوبيسات فاضية .. !

● لقد بكيت كما لم أبك فى حياتى ليلة ٩ يونية تجسدت الهزيمة أمام عينى كمخلوق خرافى لزج كريه يكتم أنفاسى .. يحطم ضلوعى .. أخـى الاكبر مقاتل فى الجبهة .. أجلس مع أولاده .. أشرح لهم القضية ببساطة . هو هناك ليعطينا الامان .. افتخروا وسط زملائكم به ..

أرى أن وجود اسرائيل باطل أسـاسا . وجودها ضد حركة التاريخ .. فهى تحطيم لكل القواعد والمبادىء والقيم والمثل التى أرسى قواعدها الانسان على مر التاريخ .. وجود اسرائيـل امتصاص دائم للجهد العربى الخلاق .. وتعطيل لنا عن عملية البناء ..

● علاقتى بدور النشر سيئة للغاية .. أنا أكتب منذ مدة واعلم جيدا ماذا أكتب .. ؟ ومع ذلك فان مكتبى ملىء بالقصص .. كل ما نشرته فى حياتى قصة فى مجلة بناء الوطن قبل أن تغلق .. وأخرى فى مجلة صباح الخير ، واذيعت لى قصـة فى البرنامج الثانى بالاذاعة .. الذين يملكون ناصية النشر فى بلادنا يحتاج كل منهم الى طريقة خاصة فى التعامل .. وأنا لا أجيـد ذلك .. فلأحفظ كرامتى ولاكتب لنفسى وأصدقائى حتى يتحسن المناخ الذى يسيطر على دور النشر .

● علاقتى بمعظم الزملاء طيبة .. لكن هناك كلمة حول طبيعة العلاقات نفسها .. لا توجد علاقة عميقة .. الحب مفتقد بيننا تماما .. ما قيمة ما نكتبه اذا افتقدنا الحب .. كذلك فان الصدق عملة نادرة .. ما قيمة اذن ما نقدمه للناس .. ؟ دائما أحس بعد كل جلسة اجلسها مع الزملاء بالكآبة .. لا أذكر اننى خرجت مرة واحدة من احدى هذه الجلسات وأنا سعيد .. اطلاقا لا .

حـــول الصراع والصراع الفكرى

يختلف فاروق وادى بالجامعة الاردنية من عمان ، مع الرأى الذى أدلى به زميله فايز محمود فى شهادته الواقعية حول معنى الصراع فى الفكر والواقع .

فى الاستفتاء الذى طرحته مجلة « الطليعة » على مجموعة كبيرة من الادباء الشباب فى الوطن العربى ، كانت الشهادة الوحيدة من الاردن ـ والتى نشرت فى عدد ديسمبر ١٩٦٩ ـ هى الشهادة التى قدمها الزميل فايز محمود .

وقد جاء فى مقدمة الدراسة التى وضعتها مجلة الطليعة أن « ... هناك بلادا لا يمكن أن تمثلها الشهادة المنشورة لبعض أدبائنا الشباب فى هذه الدراسة » . واذا كان ذلك ينطبق على كثير من البلدان ، فانه ، وبشكل واضح ، ينطبق اكثر ما ينطبق على الاردن . فالشهادة التى قدمها فايز محمود لا أعتقد أنها تنطبق الا على واحد فقط ، هو فايز محمود نفسه . فالذى يقرأ نتاج الادباء الشباب فى الاردن شعرا ونثرا ، لا شك سوف يستنتج ، وبدون عناء ، أنه من الاجحاف أن نعمم شهادة فايز محمود على الجيل الادبى الجديد فى الاردن .

وربما تكون اجابة فايز محمود على السؤال الثالث الذى وجهته « الطليعة » هى الاجابة الوحيدة التى أرى أنه من حقنا ، بل ولزاما علينا ، أن نناقشها بروية وموضوعية .

يقول السؤال الثالث : « ما هى المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى ابداعك الفنى ؟ وأين تقف ـ بهذه المؤثرات ـ من قضية التغيير الاجتماعى فى بلادك بشكل عام وقضية العدوان الاسرائيلى وقضايا العالم المعاصر ؟ »

يقول فايز محمود فى بداية اجابته : « أعتمد بشكل رئيسى على الواقع حينما أشرع فى التفكير بمعالجة موضوعى » .

لست أدرى ما الذى يتبقى من « الواقع » بعد أن يسقط منه الاخ فايز الابعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية !! . فهو يسقط البعد السياسى من مفهوم « الواقع » عنده اذ يقول انه لم يقتنع حتى الان « بأى مبرر يجيز صراع الانسان على كافة المستويات الفردية أو الجماعية أو القومية بشكل وحشى دموى عنيف .. » ثم يسقط البعد الاجتماعى والاقتصادى من مفهوم « الواقع » عنده اذ يقول : « .. فالظواهر الاجتماعية التى تمسنى بشكل شخصى بالدرجة الاولى هى التى تلقى ظلها على آثارى الكتابية . وأهمها لدى : الفقر ، بؤس العمل . . » الخ . .

بعد ان يسقط فايز محمود كل ذلك من حساب « الواقع » فان سؤالا ملحا يفرض نفسه بسرعة وهو : أى « واقع » هو الذى يتبقى ليتحدث عنه الاخ الكاتب ؟ انه ، وباختصار ، واقع الفرد المسلوخ عن مجتمعه ، اللامنتمى الى عالمه ، والذى لا يهمه فى الوجود شىء أكثر من مصلحته الفردية الانانية . هنا ، يقع فايز محمود صريع الايديولوجيات البورجوازية التى تخفى وجهها القبيح بقناع « الانسانية » الطاهر .

وبضرب من المثالية الطوباوية ، يرفض فايز محمود كل الصراعات بشتى أنواعها ، ولكنه يستثنى من ذلك صراعا واحدا اذ يقول : « ... ولا أومن سوى بصراع الأفكار ، هذا الصراع الانسانى المهذب » .

انا لا أنكر قيمة الفكر والصراع الفكرى ، لكن التفكير الميتافيزيقى هو الذى نرفضه اذا كنا

نحرص على تغيير واقعنا · أنا أفهم أن الفكر هو نتاج المادة · فالتناقض الموجود فى المادة يسحب نفسه على الفكر ، ويؤدى صراع المادة الى صراع الفكر ·

أما أن نعزل الفكر عن المادة ، ثم نتصور صراعا فكريا مهذبا يتجاوز حياتنا المادية ، فأعتقد أن ذلك ضرب من المثالية التى عناها أفلاطون فى جمهوريته ، حيث صراع سقراط الفكرى مع السوفسطائيين حول قيم مجردة معزولة عن الحياة المادية .

ان هذه الانواع من الصراعات لم يعد لها أية جدوى فى هذا القرن ، حيث يواجه العالم قوة كبيرة ممثلة بالامبريالية العالمية والطبقات المستغلة (بكسر الغين) والفقر والمرض · فأى دور يمكن أن تلعبه المثالية فى هذا الصراع ؟

اذا اقتنعنا برأى الاخ فايز محمود ، فان على الطبقات المستغلة (بفتح الغين) والشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) أن تجلس فى شوارع روما القديمة وتتصارع « فكريا » مع عدوها وقاهرها ·

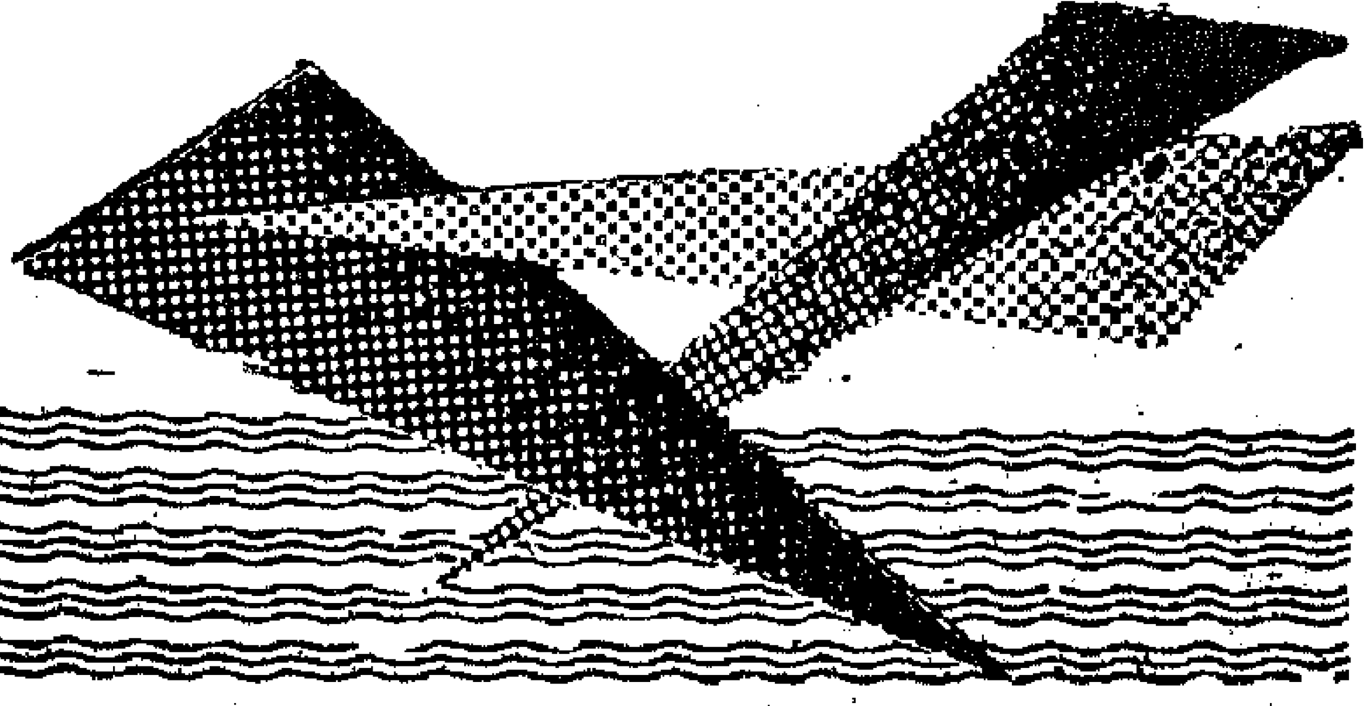
ان عملية استقراء تاريخية بسيطة كفيلة بأن تثبت عدم فعالية الافكار التى يدعو اليها فايز محمود ، فالثورة البلشفية والثورة الصينية والثورة الكوبية ·· وغيرها من الثورات ، كلها ، وان اعتمدت الفكر (ليس الفكر المثالى الغيبى) ، الا أن الفكر كان بالنسبة لها قوةنظرية هائلة تلتحم التحاما وثيقا بالممارسة اليومية الثورية ·

كما قلت ، فانا لا أنكر قيمة الصراع الفكرى ، على الا يكون هذا الصراع على حساب الصراع المادى ويلغيه · فما فائدة انتصار الفكر البروليتارى مثلا – على الصعيد النظرى – على الفكر البورجوازى ، بينما يظل الفكر البورجوازى هو المهيمن على كل المؤسسات وهو الذى يمارس يوميا ·

ان التناقضات البسيطة يمكن أن تحل بالصراع الفكرى ، بالنقد والنقد الذاتى · ولكن ، حينما تصل هذه التناقضات الى مستوى « التناقضات التناحرية » كالتناقض الموجود بيننا وبين الاستعمار والصهيونية والطبقات المستغلة (بكسر الغين) ، فان قوة الفكر لدينا – وهو بالضرورة فكر علمى – لابد ان تمتزج بالقوة المادية لتخلق الثورة التى تضمن للانسان المسحوق خبزه وحريته وانسانيته ·



مناقشات مفتوحة و كتابات جديدة



معالم على طريق النضال الفلسطيني المسلح

حاتم نصر فريد

قضية الكفاح المسلح، مثار مناقشات ووجهات نظر متعددة . وهي في نفس الوقت مثار اهتمام ومتابعة الرأي العام العربي بقطاعاته السياسية والاجتماعية المختلفة .
وفي هذا المقال يعرض حاتم نصر فريد ، لوجهة نظره الخاصة في هذه القضية الهامة .

مع بداية هذا العام طرقت الثورة الفلسطينية أبواب عامها السادس أشد ماتكون عنفا وعنادا ، ملقية خلف ظهرها كل شعارات اليأس والهزيمة ناسجة بيديها من خيوط الامل شمس المستقبل المشرقة .

ان الثورة الفلسطينية التي فجرت طاقاتها الهائلة « فتح » في يناير عام ١٩٦٥ ، بدأت بعدد من قطع السلاح المحدودة، لكنها بدأت ايضا وسط ظروف طبيعية ونفسية لم تعهدها حركة تحرر وطني من قبل .

● **طبيعة الارض الفلسطينية** ، مسرح العمليات الفدائية سهلية ومكشوفة ليس بها غابات كما في فيتنام ، ولا جبال كما في الجزائر ليحتمي بها المقاتلون .

● ان نسبة **التعداد البشري** للمقاومة الى التعداد البشري للعدو بالاراضي الفلسطينية المحتلة لم تحدث من قبل . فلم يحدث ان كان عدد قوات العدو اكبر من قوات المقاومة ، فهناك في فيتنام يقف مايقرب من ٤٠ مليونا من الفيتناميين أمام نصف مليون جندي امريكي ، وهناك في الجزائر وقف عشرة ملايين من الجزائريين أمام ٤٠٠ر٠٠٠

جندى فرنسى . أما فى فلسطين المحتلة فان تعداد العرب أقل من مليون — ولا يتمتعون بكامل حقوق بل وتفرض عليهم القيود — بينما تعداد العدو أكثر من مليونين .

ان طبيعة ظروف الثورة الفلسطينية ، تختلف عن ظروف أى ثورة اخرى اختلافا أساسيا . فلاول مرة يقوم شعب بثورة وهو مشرد خارج وطنه .

● **ان العدو** الذى تواجهه الثورة الفلسطينية ، شرس بالطبيعة ،مدعم باحدث وسائل العلم والتقدم التكنولوجى تسانده أعظم القوى الامبريالية فى العالم، ويحاول مستخدما كل ذلك تصفية الكيان الفلسطينى معززا فى ذلك بأحدث وسائل الاعلام واقدرها .

والسؤال الهام الذى يفرض نفسه الان : **ماهو مستقبل ومصير العمل الفدائى الفلسطينى ؟**

للاجابة عليه يجب ان يسبقه سؤال آخر عن الفلسطينى وتجعله «محددا» وليس «محدودا» ؟ . العوامل والظروف التى تحيط بالعمل الفدائى

الثورة الفلسطينية كيف تفجرت ؟

كان لشعور العربى الفلسطينى بفساد واقعه وبالظلم الذى يعيش تحت وطأته وللتناقض الكبير بين واقعه فى المخيمات وآماله فى استعادة ارضه، أن أخذ يتحرك — بوعى اوبغيروعى لنتائج تحركه — معبرا عن نفسه ، ومفجرا نقمته على هذا الواقع الفاسد بعد أن اختزنها فى نفسه سنوات عديدة .

من هذا المعنى انطلقت الثورة الفلسطينية المسلحة مع بداية عام ١٩٦٥ ، ممثلة فى حركة « فتح » ايمانا منها ومن واقع خبرة الانسان ونضاله عبر العصور ، أن الثورة المسلحة هى اقصر طريق لتحقيق امانى واهداف الشعوب .

وما بين عام ١٩٦٥ حيث انفجرت الثورة،وعام ١٩٦٩، حيث طرقت الثورة باب عامها الخامس، كانت نكسة يونيو العسكرية . وفى اعتقادى ان هذه النكسة كانت نقطة تحول ، وحدا فاصلا بين مرحلتين :

● مرحلة الغليان الثورى .
● مرحلة الانفجار الثورى .

فمرحلة الغليان الثورى ، **هى المرحلة التى سبقت النكسة ، وهى التى تمثلت فى تكوين الطلائع الثورية القيادية ، وتعبئة الجماهير تعبئة نفسية** لتكون قادرة على تفجير طاقاتها الثورية الهائلة المختزنة عبر سنين مضت . ولقد اوضحت مذكرة حركة التحرير الوطنى الفلسطينى المقدمة الى ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمرهم الثالث « بالدار البيضاء » فى عام ١٩٦٥ ، اوضحت طبيعة هذه المرحلة« مجموعة من الشباب عقدوا العزم على استرداد وطنهم ، وأخذ يلتف حولهم يوما بعد يوم مئات الشباب من الفلسطينيين الظامئين الى معركة شرف حقيقية ، بعد ان هدهم الشوق الى أرضهم وحالت الآف الحواجز والعراقيل بينهم وبين نوعية الجهاد الذى يتوقون الى الانضمام تحت لوائه فى سبيل استرداد وطنهم السليب »، أى أن هذه المرحلة مرحلة **تحضيرية** لزحف طويل ، وليست عمليات نسف مواقع العدو وخطوط السكك الحديدية وزرع الالغام ، وغير ذلك ، سوى مظهر من مظاهر هذا الغليان الثورى .

أما مرحلة الانفجار الثورى ، فهى تلك المرحلة التى بدأت بعد النكسة ، والتى تميزت بالعنف الثورى بعد ان تخلص الشعب الفلسطينى من رواسب الماضى وبدأ يمسك زمام الموقف ، كما استطاع الشعب الفلسطينى أن يضع قضيته فى موضعها المناسب بين « قضايا التحرر العالمى، كما استطاع فى هذه المرحلة من ثورته ان يوجه الضربات القوية المؤثرة الى العدو فى أكثر من مكان يحتله ، الى حد أن وصلت اعمال المقاومة الى قلب عاصمته — تل أبيب — ليخاطب قادته باللغة الوحيدة التى يفهمونها ، ولعل اهم آثار الثورة على العدو ، الى جانب اضعاف معنوياته وتحويل حلاوة نصر يونيو العسكرى الخاطف الى عبء جعل تغير اتجاه الهجرة اليهودية الى « اسرائيل » بطريقة عكسية .

كيف يواجه العدو المد الثورى ؟

من الطبيعى انه كلما تصاعد العمل الفدائى الفلسطينى فى الاراضى المحتلة، كلما زادت شراسة العدو ،ولعل معركة «**الكرامة**» اوضح مثل على هذه الحقيقة، والواقع ان هذا الهجوم وغيره لم يؤد الا الى زيادة نشاط الفدائيين فى الاراضى المحتلة، مما حدا بالعدو الى التفكير فى اساليب أخرى لايقاف العمل الفدائى ثم القضاء عليه معتمدا فى ذلك على آخر ما وصل اليه العلم فى التكنولوجيا وفنون حرب العصابات والحرب النفسية .

● **وتعتمد اساليب العدو** فى مواجهة الثورة الفلسطينية ، وقمع العمل الفدائى على ثلاث وسائل اساسية :

● وسائل عسكرية .

● وسائل الضغط على الدول العربية المجاورة

● وسائل نفسية وسيكلوجية .

الوسائل العسكرية :

يعتمد العدو فى ذلك على الآتى :

أولا : السيطرة على الحدود التى تفصل بين الاراضى المحتلة والدول العربية المجاورة بطرق عدة أطرحها ـ باختصار ـ على النحو التالى :

● **زرع** حقول الالغام ، وخاصة فى الممرات السهلة والاجبارية مثل الوديان .

● **اقامة** « مخافر امامية » على الحدود للمراقبة فى النهار وبينها كمائن ليلية تزود أحيانا بكلاب بوليسية .

● **اقامة** صفوف عديدة متتالية ومرتفعة من الاسلاك الشائكة خلف حقول الالغام .

● **انشاء** طريق خلف حقول الالغام والاسلاك الشائكة ، مرشوش برمل ناعم أبيض بعرض ٨ أمتار ،يترك من يمر عليه اثرا يستدل به فى معرفة الاماكن التى دخل منها الفدائيون، والمناطق التى يمكن توجههم اليها .

● **استخدام** الاشعة تحت الحمراء بواسطة الكمائن .

● **اقامة** الحواجز الاليكترونية .

● **استعمال** وسائل الانارة المختلفة ليلا على طول الحدود .

● **قيام** دوريات نهارية بالطائرات العمودية بتفتيش الجبال المجاورة للحدود .

هذا بالاضافة الى أنه يعتقد أن **الحدود التى وصل اليها** فى حرب يونيو ـ مرتفعات الجولان ، ونهر الاردن والبحر الميت ، وقناة السويس ـ تشكل عقبة فى المرور .

ثانيا : اقامة وحدات خاصة بجميع الاراضى المحتلة ، تكون تحت تصرف القيادات العسكرية المختلفة ، وتتميز هذه الوحدات بأنها :

● على استعداد دائم **للتحرك** السريع بالآليات والطائرات العمودية . كما أنها مجهزة بالرشاشات والصواريخ بعد ان دربت تدريبا جيدا .

ثالثا : شق شبكة من الطرق السبرية فى الاراضى المحتلة .

● لسهولة الوصول الى **الهدف** باقصى سرعة ومن اكثر من جهة ولمحاصرة الفدائيين .

رابعا : اقامة شبكة سلكية ولاسلكية لسهولة وسرعة **اتصال** المواقع الامامية المختلفة بالقوات الجوية .

خامسا : حراسة **الاهداف الحيوية** بالوسائل «العادية الكلاسيكية» كاستخدام الكلاب البوليسية ... الخ

سادسا : ضرب تجمعات الفدائيين وقواعدهم ومعسكراتهم الموجوده بالاراضى العربية المجاورة ، كما حدث فى الاغارة على اربد والسلط فى العام الماضى .

سابعا : تطويق **مواقع** الفدائيين ، ثم العمل على ابادتهم كما حاول فى هجومه على الكرامة فى العام الماضى

وفى كل ماسبق يقوم العدو بدفع **العملاء** للتجسس على الفدائيين لمعرفة عددهم وخططهم المستقبلة للقضاء عليها قبل تنفيذها . كما أنه يستخدم أجهزة المخابرات الغربية الاستعمارية وأجهزة مخابراته للقيام بعمليات تجسس واسعة على الفدائيين .

وسائل الضغط على الدول العربية المجاورة :

ويعتمد العدو فى ذلك على الضغوط السياسية المباشرة ، والغير مباشرة : على الدول العربية المجاورة التى ينطلق منها الفدائيون الى الاراضى المحتلة، والدول العربية التى تدعم ماديا ومعنويا العمل الفدائى ، وتتلخص هذه الضغوط فيما يلى :

● **توجيه الضربات العسكرية المباشرة** الى الدول العربية التى ينطلق منها العمل الفدائى مثل الاردن ولبنان وسوريا بغرض **ارهابها** ، حتى لا تستمر فى فتح أراضيها أمام العمل الفدائى لينطلق منه ويتمركز قوته .

● **الضغط** على الدول العربية لتمتنع عن تقديم المساعدات للعمل الفدائى ــ عن طريق الدول **الاستعمارية الكبرى** ، وذلك بالتلويح بقطع المعونات ــ « والتطويق السياسى » .

● **محاولة اثارة الاضطرابات وعدم الاستقرار** فى الدول العربية لتصبح بذلك غير قادرة على التفاعل والتأثير مع النشاط الفدائى بطريقة مؤثرة وفعالة .

● العمل على اثارة **الخلافات** بين التنظيمات الفلسطينية والفدائية من جانب وبين انظمة الدول العربية من جانب آخر . كما أنه يعمل ايضا على اثارة الخلافات بين التنظيمات الفلسطينية والفدائية المختلفة لتبقى دائما فى حالة تنافر، ايمانا منه بأن قوة العمل الوطنى فى وحدته .

الوسائل النفسية والسيكلوجية :

تعتمد **استراتيجية العدو**، وفى جانب كبير منها فى صراعه مع الامة العربية ـ ومنذ زمن بعيد ـ على حرب الكلمات، وما تحدثه من تأثير معنوى يؤدى حتما الى تأثير مادى فى ميدان القتال، قد لا يحققه تأثير العمليات العسكرية .

فعلى المدى **البعيد** كانت **مذبحة دير ياسين** فى ١٠ ابريل عام ١٩٤٨، وما دار حولها من قصص بشعة حول قوة ووحشية عصابة « **ارجون زفاى ليومى**» ـ حيكت بمكر ودهاء ـ مما كان له اكبر الاثر فى هجرة ٦٣٥ الف عربى، الى حد أن «مناحم بيجين» قائد العصابات الصهيونية فى فلسطين ـ فى ذلك الوقت ـ تفاخر بهذه الواقعة فى كتابه « الثورة » .

وعلى المدى القريب، فانه بعد نكسة يونيو، وبعد وقفة الجماهير الخالدة يومى ٩، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧، رفضا للهزيمة واصرارا على النضال، تعرضت عديد من البلدان العربية لحرب نفسية عنيفة ـ لازالت مستمرة حتى الان ـ بغرض فرض الصلح وتحقيق النصر السياسى، الذى فشلت فى تحقيقه فى ميدان القتال، وتمثلت هذه الحرب النفسية فى التلميحات والاشارات «المفتعلة» التى كانت تصدر عن طريق دول الغرب عن هجوم اسرائيلى كبير لغزو هذا البلد او ذاك بغرض فرض الصلح بالقوة، فى الوقت الذى كانت قواتنا المسلحة منهكة القوى .

هذان نموذجان من نماذج **الحرب النفسية**، نموذج على المدى البعيد وقد نجح، ونموذج على المدى القريب وقد فشل .

أما هدف الحرب النفسية الان من الثورة الفلسطينية فهو يتمثل ـ باختصار ـ على النحو التالى :

التأثير النفسى على الجماهير العربية فى الاراضى المحتلة، وعلى الفدائيين العرب بغرض التقليل من القدرة القتالية للفدائيين، وعزل الفدائيين عن الشعب العربى فى الاراضى المحتلة ليصبح العمل الفدائى بذلك « **كالسمك بدون ماء** » وهو يحقق بذلك :

ـ قطع الامدادات ـ كالطعام والاسعاف ـ عن الفدائيين .

ـ منع المعلومات عن تحركات ونوايا العدو، عن الفدائيين التى قد يعرفها الشعب الفلسطينى بالاراضى المحتلة بحكم طبيعة وجوده بها .

ـ وقف تصاعد وانتقال الثورة الفلسطينية فى الاراضى المحتلة، الى مرحلة حرب التحرير الشعبية، حتى لا تنتقل الثورة الفلسطينية الى أبعد من مرحلة الاعمال الفدائية الخاطفة .

ويعتمد العدو فى ذلك على وسائل منها :

■ سجن وتشريد وتعذيب كل من يقدم مساعدة لفدائى ونشر الخبر واعلانه .

■ محاصرة المدن والقرى وقطع الامدادات عنها لفترة طويلة، ونسف المساكن وحرقها .

■ عرض جثث الفدائيين الذين يسقطون فى معارك الشرف، على الشعب « الاسرائيلى » كله للتأثير فى معنويات واعصاب العرب، وبث الثقة والطمأنينة فى نفوس الاسرائيليين، وكثيرا ما عرض العدو الاسرى بواسطة التليفزيون والراديو لتحقيق نفس الهدف .

■ العروض العسكرية الضخمة، التى تقوم بها قوات العدو بكافة اسلحتها كنوع من استعراض العضلات .

■ اقامة اذاعة موجهة باللغة العربية، برامجها وفقراتها موجهة الى المواطن العربى لتوحى له بأن « اسرائيل » قادرة على فعل كل شىء، ولا يستطيع أحد أن يقول لها أى شىء .

■ القاء المنشورات على الاراضى العربية المحتلة بالطائرات على مناطق تجمعات السكان والفدائيين .

وسط هذه العوامل ـ وغيرها ـ تشق الثورة الفلسطينية طريقها عبر الجبال والسهول مجتازة العقبات والصعاب .

وبرغم ذلك، فمازال هناك العديد من المسئوليات

لابد من حملها خاصة ـ انه مع الايام والشهور القادمة سيواجه العمل الفدائي الفلسطيني مواقف صعبة ومحاولات مختلفة من جانب العدو لسحقه والقضاء عليه خاصة بعد تصاعد الموقف في المنطقة الى هذه الدرجة من العنف ، وبعد ان زاد الفدائيون من نشاطهم لن يقف العدو امام كل ذلك موقف المتفرج وانما سيوجه الضربات الانتقامية الشرسة لكل مكان تصل اليه قبضته البشعة .

ثم اقول مؤكدا . . انني لست اشك لحظة واحدة ان الثورة الفلسطينية ستحمل مسئولياتها المصيرية الكبرى، مندفعة لاداء واجبها ، اشرف ما يكون الاداء •

مناقشات مفتوحة

الدعوة واعداد الدعاة

كتب المواطن **اسماعيل عبد العال** ، يقول :

لا تتم الدعوة عن طريق الخطب ، وانما بمعرفة المشاكل ومعرفة علاجها •

والداعية يتحمل واحدة من اهم مسئوليات التنظيم السياسي • وتتعدد مسئولياته في اكثر من مجال • فان كان في مجال للانتاج ، يتطلب منه ذلك العمل على توعية الجماهير بأهمية زيادة الانتاج وتحسينه والفوائد التي تعود على البلاد بشكل عام وعلى العامل في الانتاج ايضا • وعليه ـ في هذا المجال ـ ان يدرس ويتدرب على احدث انواع الالات بشكل مستمر في مجال انتاجه •• وطرق استخدامها وصيانتها ليصبح رائدا لكل حركة تطوير جديدة في الانتاج • وهو في نفس الوقت يقوم بتدريب زملائه وينقل اليهم الخبرة التي اكتسبها ليرفع من مستوى مهارتهم •

وفي مجال العمل السياسي ، عليه ان يعبىء الجماهير بمفاهيم التنظيم السياسي وخطه السياسي وان يشحذ يقظتهم ضد اعداء الشعب والتنظيم السياسي • . وهو في نفس الوقت يناقش الجماهير في سياسة التنظيم ليرد على استفساراتهم دون تجاهل او صد •

ونسأل : وكيف يتم اختيار الداعية ؟

ونقول يتم اختياره من افضل عناصر التنظيم السياسي مع اعداده في حلقات دراسية جماعية ثم يلتقي هؤلاء كل فترة محددة لمناقشة الاحداث الجارية على ضوء سياسة التنظيم السياسي ليتبادلوا الخبرات السياسية والفكرية •

ولابد للداعية من ان يدعم علاقاته بزملائه في مجال العمل او السكن ـ اي مجال عمله السياسي ـ وان يوثق علاقاته بهم وان يقدم امامهم القدوة الطيبة والنموذج الذي يجب ان يحتذى • وبذلك يمكن للداعية ان يحقق ما هو مطلوب منه •

●

من أجل سميح القاسم

جاءنا من **تجمع الكتاب والفنانين التقدميين بالخرطوم (السودان)** ، البرقية التالي نصها :

باسم الظاهرة الشعرية المقامة لاجل سميح القاسم ، بدار الثقافة بالخرطوم ، نستنفر العالم المسئول ان يجهر صوته بالاحتجاج ليرفع الجلادون ايديهم عن سميح ، وليعد صوت شعره رمزا لقدرة الانسان على جعل العالم لائقا بالبشر في وجه القبح العنصري الاستعماري ، وليعد بشارة صحو ووهج للكبرياء الانساني .

تجمع الكتاب والفنانين التقدميين ـ الخرطوم

سؤال للطليعة :

جاءنا من رفعت الشعرانى (سوريا) السؤال التالى :

● ما هو جوهر الموقف السوفيتى من قضية فلسطين عامة ومشروع التقسيم خاصة ، وهل كان عتراف الاتحاد السوفيتى بمشروع التقسيم ودولة اسرائيل وقفا لحرب ليست في صالح العرب آنذاك كما اتصور ، ام أن هناك دوافع اخرى لهذا الاعتراف ؟

● ما هو جوهر موقف اليسار العربى انذاك واوجه الخلاف بين الموقفين المذكورين ؟

ظل الاتحاد السوفيتى ـ منذ قيامه ـ مناصرا لقضيتنا فى فلسطين .. وقد ادان لينين ـ على سبيل المثال ـ **نظام الانتداب** فى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩١٩ ، كما اصدر **مؤتمر شعوب الشرق المنعقد فى باكو** عام ١٩٢٠ قرارا بادانة الانتداب البريطانى على فلسطين .

كما كان للاتحاد السوفيتى موقفه المبدئى الثابت ، والمعادى للصهيونية ، باعتبارها حركة رجعية « تريد ان تدفع الى الوراء عجلة التاريخ » وانها « اداة يستخدمها الاستعمار البريطانى » و « اكذوبة لا مثيل لها فى التاريخ » و « قاعدة للثورة المضادة والردة بين اليهود ، وبؤرة التقاء كل فاشييهم السود وعناصرهم الكهنوتية » ويؤكد الكاتب الرأسمالى الغربى « ان الشيوعية كانت ـ منذ البداية ـ مناهضة لفكرة اعادة توطين اليهود فى فلسطين » . وكانت الاوساط السوفيتية تصف الحركة الوطنية الفلسطينية بانها « نضال ثورى وطنى » .

وبالنسبة للتقسيم ، فقد اكد المندوب السوفيتى فى جلسة الامم المتحدة المنعقدة فى ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٧ « انه لا يمكن ضمان مستقبل شعب فلسطين الا **باستقلالها** » ودعا الى « اقامة دولة ديمقراطية مستقلة فى فلسطين » .

وبعد فشل مشروع الدولة الموحدة ، نتيجة للعراقيل التى وضعها الاستعمار والرجعيات العربية الحاكمة آنذاك ، ايد الاتحاد السوفيتى مشروع التقسيم باعتباره « احسن الحلول السيئة » ولانه بقبول التقسيم واقراره سينتهى الانتداب ، وستتوقف الهجرة اليهودية .

ويرى **دافيد دالين** ان تأييد الاتحاد السوفيتى للتقسيم « كان مدفوعا بالاتجاه المعادى لبريطانيا ، اكثر منه بالاعتبارات المؤيدة لاسرائيل » كما يؤكد **الفريد ليلنتال** « ان هدف التصويت السوفيتى لصالح تقسيم فلسطين كان هو طرد البريطانيين كخطوة اولى لتحقيق الانسحاب الغربى التام من الشرق الاوسط » ويرى ليلنتال « انه من الممكن ان نعتبر الحكومة السوفيتية اى شىء الا ان تكون مؤيدة للصهيونية » .

ويمكننا ان نضيف الى الاسباب التى اوردها هذان الكاتبان الغربيان ما يلى :

● لم يكن **ميزان القوى** فى الشرق الاوسط فى صالح الشعب العربى الفلسطينى ، او الشعوب العربية ، مما يحتم قبول **التقسيم كمرحلة ورفضه كمبدأ** .. اذ ان رفض التقسيم ، مرحلة ومبدأ ، كان سيؤدى من وجهة نظرهم الى ان يخسر العرب كل شىء .

● لم تكن **حركة التحرر العربية** مهيأة ولا مؤهلة لمواجهة التحالف الاستعمارى الصهيونى .

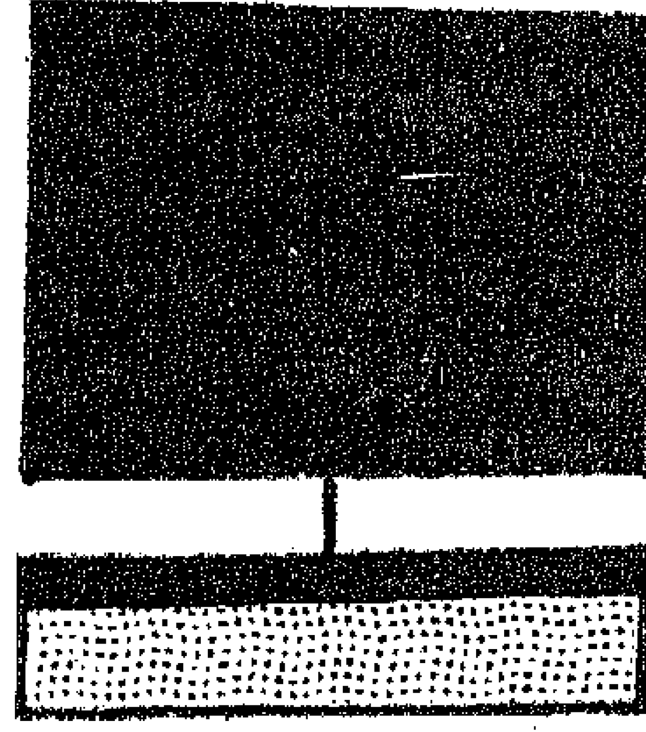
● تحكم عملاء الاستعمار فى امور البلاد العربية ـ آنذاك ـ مما لا يبشر باحداث تقدم ، فى حالة رفض التقسيم .

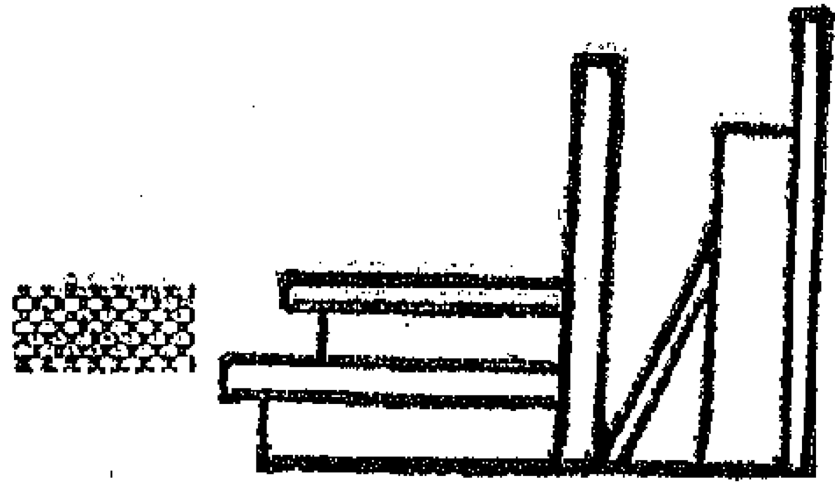
وهنا يصبح صحيحا كل الصحة قولك ان موقف الاتحاد السوفيتى هذا ، كان فى احد وجوهه « وقفا لحرب ليست فى صالح العرب » .

اما الاحزاب الشيوعية العربية فقد ظلت على عدائها للصهيونية ، وتمسكها بقيام دولة ديمقراطية مستقلة فى فلسطين ، وانهاء الانتداب ، ووقف الهجرة اليهودية .

وعندما اقرت الامم المتحدة قرار التقسيم ايدته **عصبة التحرر الوطنى** الماركسية الفلسطينية . فى حين التزم الحزب الشيوعى السورى اللبنانى الصمت ، ولم يصدر كلمة واحدة فى تاييده او رفضه ، وادانت المنظمات الشيوعية المصرية حرب فلسطين باعتبارها ستارا لضرب الحركات الوطنية العربية ، وتنفيذا لمشيئة الاستعمار البريطانى .

الطليعة









الامبريالية والوطنية فى السودان

[دراسة فى التطور الدستورى والسياسى فيما بين ١٨٩٩-١٩٥٦]

- تاليف : مدثر عبد الرحيم
- الناشر : اكسفورد ١٩٦٩،
- عرض وتحليل : د. احمد عبدالرحيم مصطفى أستاذ التاريخ الحديث بجامعتى عين شمس والموصل

نشهد الان بداية فترة جديدة فى تاريخ العلاقات المصرية ــ السودانية ، ولكى تكون اسس هذه العلاقات وطيدة ومثمرة، يجدر بنا ان نستعرض تاريخ العلاقات السابقة بين البلدين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بوجه خاص ، وذلك حتى نتجنب كثيرا من العثرات التى ارتكبت واستغلها اعداء البلدين فى محاولة خلق حاجز نفسى وتوطئة لفصل كل منهما عن الاخر والانفراد به على حدة ووضعه فى الاطار الذى يريده لخططه الامبريالية • ومن هذه العثرات ماكان من قسوة «التركية الاولى» وهو الاسم الذى يطلقه السودانيون على فترة الحكم التركى ــ المصرى الذى قضت عليه الثورة المهدية ، ثم ما تعمده الحكام الانجليز فى الفترة المعروفة باسم « الحكم الثنائى » من حيث النزج

بالموظفين المصريين ــ الذين كانوا يشغلون وضعا ادنى فى ادارة السودان ــ فى مآزق حرجة توطئة للتشهير بهم لدى جماهير الشعب السودانى • وبالاضافة الى هذا كله فان ساسة مصر **قبل عام** ١٩٥٢ لم يتفهموا وجهات النظر السودانية وانساقوا وراء تبريرات بعض الكتاب والباحثين الذين نظروا الى الوحدة بين البلدين فى اطار منطق خاطىء يستند الى « حق الفتح والاسترجاع » وما سمى بالروابط التاريخية بين البلدين ، وهى روابط غذتها المقومات الكلاسيكية الخاصة بالفتح والضم سواء من الجانب المصرى او من الجانب السودانى وارتباط البلدين بنهر عظيم كالنيل يضم حوضه عديدا من الوحدات الجغرافية والسياسية الى جانب مصر والسودان !

على ان العلاقات بين البلدين اعمق وابعد من مثل هذه النظرات الجزئية القاصرة ، خاصة وقد ربطتهما اهداف القومية العربية ومحاربة الامبريالية والعنصرية والصهيونية ، ومحاولة ازاحة تراكمات الماضى التى اثقلت كواهل الجماهير فى كل منهما .

والكتاب الذى نقدمه الى القراء يهدف الى **دراسة تطور السودان من الناحيتين الدستورية والسياسية منذ توقيع اتفاقيتى ١٨٩٩ حتى الاستقلال الذى تحقق فى اول عام ١٩٥٦** ، **وهى** الفترة التى اطلق عليها ــ خطأ فى رأى المؤلف ــ اسم الحكم الثنائى : المصرى ــ الانجليزى ، الذى كان حكما انجليزيا فى كل شىء ولم يكن لمصر فيه سوى الشكل لا أكثر ولا اقل !

وحين وضعت اسس هذا الحكم الثنائى لم تتم استشارة السودانيين بصدده ولهذا فحين امكنهم التعبير عن ارائهم طالبوا بان تعود اليهم السيادة على بلادهم فى ظل الاستقلال الوطنى • وحينئذ رأى بعضهم (الاشقاء) ان من المستحسن تحقيق هذا الهدف بمساعدة مصر ، على حين رأى البعض الاخر (الانصار) الاستناد الى انجلترا • وحول هذا الاختلاف فى الاسلوب نشأت الاحزاب السودانية التقليدية التى تأثرت الى حد كبير بالتشكيلين الدينيين الكبيرين فى السودان : **الختمية** الموالية للطريقة **الميرغنية** ، **والانصار** الموالية للحركة **المهدية** •

ومما زاد فى تعقيد اوضاع السودان ما كان من اختلافات اقليمية بين الشمال والجنوب وبين اهل الحضر ، والبدو الرحل او اشباه الرحل ، ومحاولة الانجليز استغلال هذه الخلافات فى تطبيق سياستهم المعروفة « **فرق تسد** » ومحاولة فصل الجنوب عن الشمال وضمه الى امبراطوريتهم الافريقية ، خاصة وقد فتحت ابواب الجنوب امام المبشرين المسيحيين الذين بنوا المدارس ووضعوا الكتب باللهجات العامية وباللغة الانجليزية ، فى الوقت الذى تعمدوا فيه استبعاد الاسلام واللغة العربية ، ووضعوا خطة للاجهاز عليهما فى شتى ربوع المناطق الجنوبية . بل لقد وصل الامر بالسلطات البريطانية الى حد مقاومة ارتداء ملابس سكان الشمال وفرض الملابس الاوروبية وتحريم التخاطب باللغة العربية فى الدوائر الرسمية واستبدالها باللغة الانجليزية •

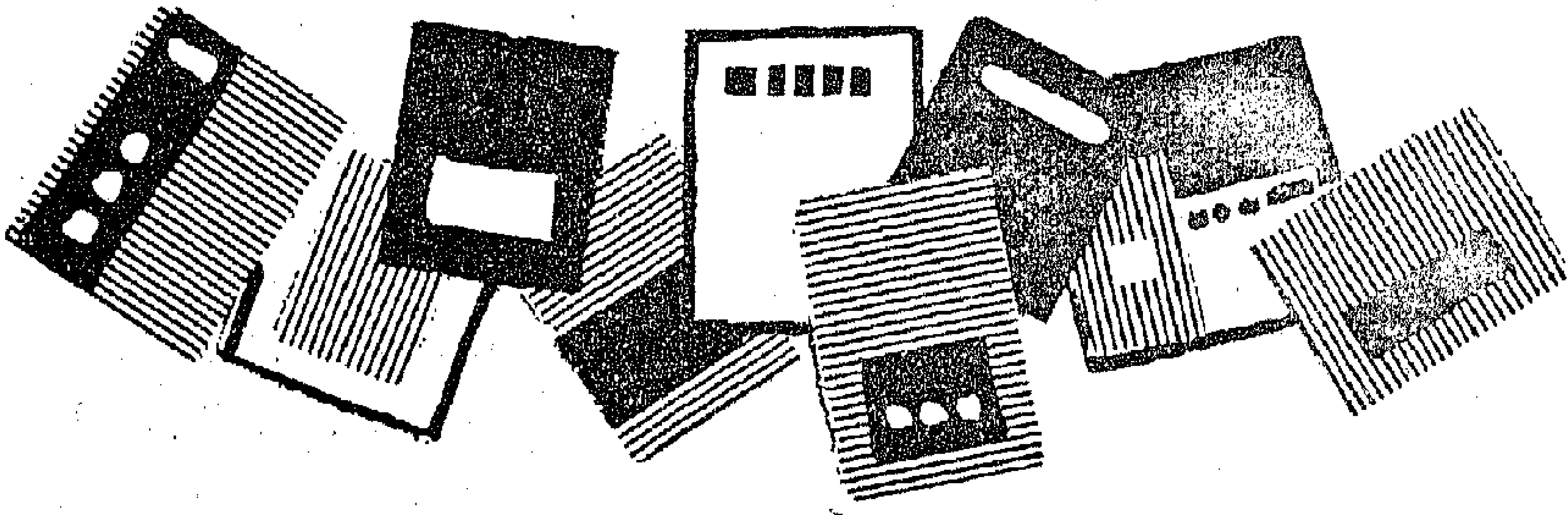
وامعنت السلطات البريطانية فى اعقاب الحرب العالمية الاولى فى تطبيق سياستها الخاصة بفصل السودان عن مصر ، مدعية ان هذا الاتجاه يتمشى مع رغبات الشعب السودانى • واستغلت مقتل السردار وثورة ام درمان فى عام ١٩٢٤ فى التعجيل بالقضاء على ما تبقى لمصر فى السودان من نفوذ واه ، وفصل جنوب السودان عن شماله مستعينة فى ذلك بالبعثات التبشيرية وباحلال التنظيم القبلى محل الاساليب البيروقراطية التى كانت تقتضى تعليم السودانيين وتدريبهم على ادارة البلاد ولو بقدر محدود . وتمادت بريطانيا فى تطبيق هذه الخطة ، الى أن ارغمت تحت وطأة ضرورات الموقف الدولى على توقيع معاهدة ١٩٣٦ التى أذنت باشتراك مصر فى ادارة السودان بنفس الاسلوب الذى كان عليه الوضع قبل عام ١٩٢٤ ، الا ان السودانيين استاءوا لما جاء فى المعاهدة من ان « الغاية الاولى (لادارة مصر وانجلترا) فى السودان يجب ان تكون رفاهية السودانيين » ــ اذ ان هذه الفقرة قد تضمنت معنى الوصاية وحرمان السودانيين من التعبير عن رأيهم فى شئون بلادهم • **وهكذا كان توقيع المعاهدة يشكل نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الحركة الوطنية السودانية** التى افرد لها الكتاب فصلا كاملا (الفصل الرابع) ، وابرز فى ثناياها قيام الاحزاب وطبيعتها وانتعاش الحركة الفكرية فى السودان وصلتها بالنهضة الفكرية والسياسية التى شهدتها مصر فى اعقاب ثورة ١٩١٩ .

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية دخلت الحركة الوطنية السودانية مرحلة جديدة ، وبخاصة بعد أن استؤنفت المفاوضات المصرية ـ البريطانية وطرح شعار « وحدة وادى النيل » فى كل مــن مصر والسودان • ولقد وقف حزب الامة موقفا مناوئا للوحدة ، اذ كان يخشى أن يتم تسليم السودان لمصر نتيجة لضغط الولايات المتحدة التى كانت تسعى هى وبريطانيا الى اقناع مصر بتبنى مشروعات الدفاع عن الشرق الاوسط وتحاولان ارضاء ساستها بوسيلة او بأخرى •

ولهذا أصر حزب الامة على المطالبة بالحــكم الذاتى المباشر كخطوة اولى نحو الاستقلال التام • **أما الحزب الوطنى الاتحادى (الاشقاء)** فقد فضل التمسك بشعار « وحدة وادى النيل » ، والاعتمــاد على مصر فى التخلص من انجلترا ، تمهيــدا للاستقلال التام الذى اتحدت الاحزاب السودانية فى المطالبة به

وحين قامت ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ فى مصر تهيأ الموقف لتعديل جذرى • فلقد جاءت هذه الثورة **بمثابة تمرد على التسلط الامبريالى وركائزه** ، ومن ثم معالجتها للقضية السودانية بروح ثورية واقعية امكنها انتزاع زمام المبادرة من البريطانيين وأن تكفل للسودانيين حق تقرير المصير الذى تمخض عن الاستقلال التام •

هذه هى القضايا الرئيسية التى يعالجها الكتاب الذى نقدمه للقراء • ولقد وفق مؤلفه ــ **الاستاذ مدثر عبد الرحيم** ـ رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة الخرطوم ــ فى ايضاح تأثير هذه الاحداث فى تطور السودان الدستورى فى فترة « الحكم الثنائى » وتأثرها به • وعلى حين انه احيانا ما يعرض للعلاقات المصرية ـ الانجليزية حيثمـا استدعى ذلك سياق بحثه ، فانه يركز على **التطور الداخلى للسودان** من وجهة نظر سودانية **يلتزم فى** ثناياها بالموضوعية التاريخية المجردة عن النزعات العاطفية التى كثيرا ما تميل بالكتاب بعيدا عن النظرة الكلية الشاملة • وهو يعتمد على المادة الوثائقية غير المنشورة التى لم يسبق استعمالها وعلى الوثائق المنشــورة وغيرها من المصـــادر العربية والافرنجية •



وثائق

وثائق تاريخية عن :

مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

١٨

نصوص مرحلة الانتقال

ننشر في هذا العدد نص كتابات ليون تروتسكى عن مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية . وهو الذى اختاره الاستاذ بتلهايم من كتاب ((اتجاه جديد)) لتروتسكى ، وذلك فى اطار التجميع التاريخى الذى قام به عن المرحلة .

ثم ننشر بعده نص التقرير الذى قدمه ريتوفييف فى اجتماع الاممية الشيوعية الذى عقد فى ٩ يناير ١٩٢٤ بعنوان ((اختلاف الآراء فى الحزب الشيوعى الروسى)) ويدور حول ((المسائل الاقتصادية)) . وهو ايضا نص اختاره الاستاذ بتلهايم ضمن الوثائق التى تنشرها الطليعة عن ((مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية)).

وكانت الطليعة قد نشرت فى العددين ١٠ و ١١ [١٩٦٩] المقدمة التمهيدية التى قدم بها الاستاذ بتلهايم لنصوص وثائق هذه المرحلة . وقد تناولت موضوعين :

« ملاحظات شبه ابستمولوجية » ، و « الجمود التروتسكى » . وفى عددى ١ ، ٢ (١٩٧٠) نشرت الطليعة نصوص كتابات لينين عن : « قضية الدولة فى المرحلة الاولى للبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى علم ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ » ، و « الانفضاض والتطويق » وهو التقرير الذى قدم فى اجتماع المؤتمر السابع للحزب لمنطقة موسكو فى ٢٩ اكتوبر ١٩٢١ .

القسم الرابع

تروتسكى (١)



مكان الخطة فى الاقتصاد القومى

.. **والحق** انى لم يكن لدى اية رغبة فى شغل القارىء بالامر رقم ١٠٤٢ ، خاصة وأن الحملات الموجهة اليه فى حقيقتها طرق للهروب والتخلص أو تلميحات غامضة الغرض منها أن تبين أن من يستخدمها يعرف أكثر بكثير مما يقول ، بينما المسكين لا يعرف شيئا على الاطلاق فى حقيقة الامر . ومن هذه الناحية فان « الاتهامات » الموجهة ضد الامر رقم ١٠٤٢ لا تختلف كثيرا عن الـ ١٠٤١ تهمة الاخرى الموجهة ضدى .. ان القصور فى الكيف يكمل بالكم . وتشوه الحقائق بلا ضمير ، وتمسخ النصوص ، وتعدل النسب ، ويكدس كل شىء فوق بعضه فى كوم واحد بلا ترتيب ولا منهج . ولكى يستطيع المرء تكوين فكرة واضحة عن الاختلافات فى وجهات النظر وعن اخطاء الماضى ، يجب أن يكون فى الاستطاعة استعادة الوضع آنذاك بدقة . فهل يتسنى لنا ذلك ؟ وهل يستحق الامر أن نرد على الهجوم عند عودة « الامر رقم ١٠٤٢ » الى الظهور ، بعد أن أهملنا عديدا من التلميحات والاتهامات الخاطئة فى جوهرها ؟

بعد اعمال الفكر قلت لنفسى أن هذا ضرورى ، لاننا هنا بصدد حالة نموذجية فى نوعها من حيث الاستخفاف وسوء النية فى توجيه الاتهام . ان مشكلة الامر ١٠٤٢ مشكلة مادية متعلقة بالانتاج ، ومن ثم فانها تتضمن بيانات دقيقة وأرقاما ومقاييس . وانه لامر بسيط وسهل نسبيا أن يجمع المرء بشأنها معلومات موثوقا بها وأن يستند الى وقائع حقيقية ، ولذا ينبغى على من يشغلون أنفسهم بهذا الموضوع أن يلتزموا ابسط مبادىء الحرص ، اذان من السهولة بمكان ان نثبت لهم انهم يتكلمون عما لا يعرفون ولا يفهمون - فاذا ما اتضح ـ مع ذلك ـ من هذا المثال المحدد والدقيق أن هذا العنصر الخفى ليس فى الحقيقية سوى مهرج طائش ، فقد يساعد هذا عددا من القراء على فهم الاساليب المسرحية التى تنطوى عليها « الاتهامات » الاخرى ، تلك الاتهامات التى لايمكن مع الاسف التحقق من زيفها الا بقدر اقل بكثير مما هو الحال بالنسبة للامر ١٠٤٢ .

وسأجتهد فى خلال عرضى للمشكلة الا أكتفى ببيانات تاريخية وبأن اربط مسألة الامر ١٠٤٢ بقضايا خطة التنظيم والتوجيه الاقتصادى . وفى أغلب الظن أن الامثلة التى سأوردها سوف تلقى بعض الضوء على المسألة .

ان الامر ١٠٤٢ يتعلق باصلاح القاطرات وباستخدام كافة طاقات

(١) من كتاب « اتجاه جديد » بقلم ليون تروتسكى ، ص ٧٧ وما يليها .

وموارد ادارة السكك الحديدية والدولة فى هذا المجال استخداما منظما تحقيقا لذلك الغرض . وقد قضى اكفأ الفنيين أمدا طويلا فى وضعه ، وهم ما زالوا يشغلون وظائف كبيرة فى ادارة السكك الحديدية • وقد بدأ فعلا تطبيق الامر ١٠٤٢ فى مايو – يونيه ، وبدأ رسميا فى اول يوليو ١٩٢٠ • ولم تكن الخطة تهم ورش اصلاح شبكة الخطوط الحديدية فحسب ، بل كانت تخص أيضا المصانع المتصلة بها والتابعة لـ « مجلس الاقتصاد الشعبى » • ونحن نورد فيما يلى جدولا مقارنا يوضح تنفيذ الخطة بمعرفة ورش السكك الحديدية من جهة ومصانع مجلس الاقتصاد من جهة أخرى • والارقام التى نوردها منقولة عن البيانات الرسمية التى لا مجال للطعن فيها والتى تقدم بصفة دورية الى **مجلس العمل والدفاع** بمعرفة **اللجنة الرئيسية لشئون النقل** وبتوقيع ممثلى **قومسيرية وسائل المواصلات** ، **ومجلس الاقتصاد الشعبى** •

هكذا اذن ، بفضل تكثيف العمل بورش قومسيرية طرق المواصلات ، امكن منذ اكتوبر زيادة المعدل الشهرى الواجب الاداء بنسبة ٢٨ فى المائة • وبالرغم من هذه الزيادة فان تنفيذ الخطة خلال النصف الثانى من عام ١٩٢٠ تجاوز الرقم المحدد بنسبة ٣٠٪ • وفى خلال الشهور الاربعة الاولى من عام ١٩٢١ جاء تنفيذ الخطة دون المعدل المحدد بعض الشىء • ولكن فيما بعد ، عندما شغل دزير جنسكى منصب قومسير طرق المواصلات ، واجه مشاكل خارجة عن ارادته ، وهى من جهة نقص المعدات ومواد اساسية تلزم الموظفين المخصصين للاصلاح ، ومن جهة أخرى نقص الوقود لاقصى حد بحيث تعذر حتى استخدام القاطرات الموجودة • وقد قرر مجلس العمل والدفاع فيما بعد ، بمقتضى مرسوم مؤرخ ٢٢ ابريل ١٩٢١ ، أن يخفض بقدر كبير للمدة الباقية من عام ١٩٢١ معدلات اصلاح القاطرات التى حددتها الخطة رقم ١٠٤٢ • وفى الاشهر الثمانية الاخيرة من عام ١٩٢١ يشكل ما انجزته قومسيرية طرق المواصلات ٨٨ فى المائة من الخطة الاصلية وما أنجزه مجلس الاقتصاد الشعبى ٤٤ فى المائة من تلك الخطة •

وقد عرضت نتائج تنفيذ الامر ١٠٤٢ خلال الستة شهور الاولى ، وهى أكثر الفترات دقة بالنسبة للمواصلات ، على الوجه الاتى فى القضايا التى اعتمدها المكتب السياسى للحزب لعرضها على المؤتمر الثامن للسوفيتات •

« هكذا اكتسب برنامج الاصلاح طابع الدقة لا بالنسبة لورش السكة الحديد فحسب ، بل ايضا بالنسبة لمصانع مجلس الاقتصاد الشعبى التى فى خدمة وسائل النقل • ومع ذلك فان البرنامج الذى تم وضعه بفضل مجهود كبير واعتمدته لجنة النقل الرئيسية ، قد نفذ بنسب متفاوتة جدا فى ورش السكة الحديد (قومسيرية طرق المواصلات) وفى المصانع (مجلس الاقتصاد الشعبى) ، فبينما زادت اعمال الاصلاح الرئيسية والمتوسطة ، مقدرة بوحدات الاصلاح المتوسط من ٢٥٨ قاطرة الى أكثر من الف خلال هذه السنة فى الورش ، اى أن الزيادة بلغت اربعة اضعاف ، وتمثل ١٣٠ فى المائة من البرنامج الشهرى المحدد ، فان مصانع مجلس الاقتصاد لم تقدم معدات وقطع غيار الا بنسبة ثلث البرنامج الذى وضعته لجنة وسائل النقل بالاتفاق مع الادارتين (السكة الحديد ومجلس الاقتصاد)

ولكن ابتداء من لحظة معينة

انجاز الامر رقم ١٠٤٢
[النسبة المئوية لانجاز الخطة]

١٩٢٠	ورش السكة الحديد	مصانع مجلس الاقتصاد	
يوليو	١٣٥ر٠	٤٠ر٥	
اغسطس	١٣١ر٦	٧٤	
سبتمبر (٢)	١٣٩ر٣	٨٠	
أكتوبر	١٣٠ر٠	٥١	
نوفمبر	١٢٤ر٦	٧٠	
ديسمبر	١٢٠ر٨	٦٦	
الجملة	١٣٠ر٢	٧٠(٣)	
١٩٢١			
ينـاير	٩٥	٣٦	بينما كان
فبراير	٩٠	٣٨	امشانوف
مارس	٩٨	٢٦	قومسيرا
ابريل	١٠١		لوسائل المواصلات

[٢] بالنظر الى ما تحقق من نجاح بعد نجاح فى تنفيذ الخطة ، زيدت المعدلات الواجب اداؤها بنسبة ٢٨٪ ابتداء من أكتوبر – ل.ت.

[٣] فيما يتعلق بتزويد ورش السكة الحديد بالمواد وقطع الغيار ، لم تنجز مصانع مجلس الاقتصاد الشعبى الا ٣٠٪ من البرنامج الذى تعهدت بتنفيذه – ل.ت.

تعذر تنفيذ المعدلات المقررة في الامر ١٠٤٢ بسبب نقص المواد الاولية والوقود • وقد يقول بعض النقاد ممن علموا بهذه الحقيقة لتوهم عند قراءة هذه السطور ، ان هذا يثبت بالذات ان الامر كان خاطئا فبماذا نرد عليهم الا بان الامر ١٠٤٢ كان ينظم اصلاح القاطرات وليس انتاج المعادن واستخراج الفحم ، وان هذين تنظمهما اوامر اخرى ومؤسسات اخرى ؟ ان الامر ١٠٤٢ لم يكن خطة اقتصادية كاملة ، وانما كان خطة لوسائل النقل ليس الا •

وقد يقال : اما كان يجب ربطه بمواردنا من الوقود والمعادن الخ ؟

ونحن نرد : طبعا ، ومن أجل هذا على وجه التحديد أنشئت لجنة وسائل النقل التى اشترك فيها عدد متساو من ممثلى قومسيرية طرق المواصلات ومجلس الاقتصاد الشعبى • وتم وضع خطة على ضوء بيانات ممثلى مجلس الاقتصاد الشعبى الذين قرروا أن فى امكانهم توريد هذه الموارد او تلك • وبالتالى لئن وقع خطأ فى الحساب فانما يقع الخطأ فيه كله على عاتق مجلس الاقتصاد •

ولربما كان هذا هو ما قصد اليه النقاد على اى حال ؟ هذا امر مشكوك فيه . ان « النقاد » يبدون اهتمامهم الشديد بالحقيقة التاريخية ، ولكن بشرط أن تجازيهم هذه الاخيرة بالمثل • بيد أن من ضمن هؤلاء الناقدين للامور بعد وقوعها ، نفرا كانوا – يا للاسف – يتحملون آنذاك مسئولية ادارة شئون مجلس الاقتصاد الشعبى ، وهم فى توجيه انتقاداتهم يخطئون فيمن يوجهون اليه النقد • وهذا امر يمكن ان يحدث • وعلى كل يجب ان نذكر من بين الظروف المخففة ان وضع التقديرات فيما يتعلق باستخراج الفحم وانتاج المعادن الخ • ، كان حينذاك اشد صعوبة بكثير من اليوم • ولئن كانت تقديرات قومسيرية طرق المواصلات بشأن اصلاح القاطرات ادق بما لايقارن من تقديرات مجلس الاقتصاد الشعبى ، فانما السبب فى ذلك – الى حد ما على الاقل – ان ادارة السكة الحديد كانت أشد تمركزا واكثر خبرة • ونحن نسلم بذلك • ولكن ذلك لا يغير شيئا من حقيقة أن الخطأ فى التقدير يتحمله مجلس الاقتصاد وحده •

هذا الخطأ الذى استوجب خفض معدلات الخطة ولكنه لم يؤد الى الغاء الخطة ذاتها لا يشهد بطريق مباشر او غير مباشر بخطأ الامر ١٠٤٢ الذى كان ذا طابع توجيهى فى جوهره ويتقبل التعديلات الدورية التى تشير بها التجربة • ان ضبط خطة انتاجية ما من أهم نقط انجازها • وقد رأينا فيما تقدم أن معدلات الانتاج فى الامر ١٠٤٢ زيدت ابتداء من أكتوبر ١٩٢٠ بنسبة ٢٨ فى المائة لانه اتضح أن الطاقة الانتاجية لورش قومسيرية طرق المواصلات أكبر مما اعتقد بفضل ما اتخذ من اجراءات • وقد رأينا ايضا ان هذه المعدلات خفضت تخفيضا كبيرا ابتداء من مايو ١٩٢١ نتيجة لظروف لا شأن لتلك القومسيرية بها • ولكن رفع وخفض هذه المعدلات يتم وفقا لخطة محددة على اساس الامر ١٠٤٢ •

وهذا اقصى ما يمكن ان يطلب من خطة توجيهية • وبالطبع كان أهم ما فى الموضوع هو أرقام الشهور الاولى والنصف الاول من العام التالى ، اما الارقام الاخرى فما كان يمكن الا ان تكون تقريبية • ولم يكن واحد من المشتركين فى وضع الامر يعتقد انذاك ان تنفيذه سوف يستغرق بالضبط اربع سنوات ونصفا . وعندما اتضح أن من الممكن رفع المعدل ، خفضت المهلة الافتراضية التقريبية الى ثلاث سنوات ونصف • ولكن أدى نقص المواد الى اطالتها من جديد • ومع ذلك فالثابت ان فى ادق فترة عصيبة مرت بعملية تشغيل وسائل النقل (نهاية عام ١٩٢٠ وبداية عام ١٩٢١) اتضح ان الامر مطابق للواقع وتم اصلاح القاطرات وفقا لخطة محددة ، وبلغ أربعة امثال ما كان عليه وأفلتت السكك الحديدية من الكارثة التى كانت تهددها •

ونحن لا ندرى بأى خطط مثلى يقارن نقادنا المحترمون الامر ١٠٤٢ • وفى رأينا انه ينبغى مقارنته بالوضع قبل اصداره •• والثابت انه فى تلك الفترة ، كانت القاطرات تعطى لكل مصنع يطلبها لتموين نفسه بالمنتجات الغذائية • وكان هذا اجراء يائسا ادى الى اشاعة الفوضى فى مرفق النقل وسبب تبذيرا مروعا فى العمل اللازم للاصلاح • وقد اشاع الامر ١٠٤٢ الوحدة وأدخل فى عملية الاصلاح عناصر التنظيم الشيدة للعمل بتخصيص مجموعات معينة من القاطرات لورش معينة ، بحيث غدا اصلاح المعدات يتوقف لا على مجهودات متناثرة للطبقة العاملة بل على تسجيل دقيق الى حد ما للطاقات وموارد ادارة النقل • تلك هى الاهمية الرئيسية للامر ١٠٤٢ بغض النظر عن مدى توافق ارقام الخطة وارقام التنفيذ • ولكن كما سبق ان قلنا : كل شىء سار على ما يرام من هذه الناحية أيضا •

وبطبيعة الحال ، الان وقد طوى الحقائق النسيان ، يمكن للمرء ان يقول فى الخطة ١٠٤٢ ما يتراءى له بأمل الا يخطر لاحد ان يتحقق من صحة الكلام وبان يبقى للكلام ، بالرغم من كل شىء ، بعض التأثير • ولكن فى ذلك الوقت كان الامر واضحا تماما ولا جدال فيه • ويمكن ذكر عشرات الشواهد على ذلك • وسنختار منها ثلاثة مختلفة المصادر ولكن لكل منها مغزاه •

فى ٣ يونيو كتبت برافدا رأيها

فى حالة وسائل النقل على الوجه الاتى :

« •• وقد تحسن الان سير وسائل النقل من بعض الوجوه • ويستطيع كل مراقب ولو سطحى ان يلاحظ شيئا من النظام ، ما زال ناقصا جدا ، ولكن لم يكن له وجود من قبل • فلاول مرة توضع خطة انتاجية دقيقة ، وتحدد مهمة معينة للورش والمصانع والمخازن • وهذه اول مرة منذ الثورة يجرى فيها تسجيل كامل ودقيق لكافة امكانيات الانتاج • ومن هذه الناحية فان الامر ١٠٤٢ بتوقيع تروتسكى يمثل نقطة تحول فى عملنا فى مجال النقل •• »

وقد يعترض بأن هذه الشهادة لا تعدو أن تكون تقديرا مسبقا وأنها بتوقيع ن • ب • ومن ثم فانها صادرة عن بوخارين وحده ، ونحن لا نجادل فى هذا ، ومع ذلك فان برافدا تعترف فى هذه الفقرة بانهقدبدا ادخال النظام فى عملية اصلاح معدات السكة الحديد .

ولكننا ننقل شهادة اكثر وزنا ومبنية على تجربة نصف عام • لقد قال لينين فى المؤتمر الثامن للسوفيتات :

« ••• لقد سبق أن رأيتم من خلال رسائل امشانوف وتروتسكى وغيرها ان لدينا فى هذا المجال (اعادة وسائل المواصلات الى حالتها الاصلية) خطة حقيقية موضوعة لعدة سنوات ، فالامر ١٠٤٢ يمتد لخمس سنوات ، وفى خمس سنوات نستطيع اصلاح مرفق النقل وانقاص عدد القاطرات المعطلة ثم هناك أمر هام وهو أن الرسالة التاسعة توضح اننا خفضنا بالفعل المهلة المحددة للانجاز » •

عندما تظهر خطط كبيرة موضوعة لعدة سنوات ، كثيرا ما يوجد متشككون يقولون :

« ماجدوى التنبؤات لسنوات عديدة قادمة ؟ لو استطعنا انجاز مهامنا الحالية فهذا جميل جدا » • أيها الرفاق يجب ان نعرف كيف نجمع بين الامرين •

« **ولا يمكننا** ان نعمل وان يكون لدينا احتمالات جادة للنجاح دون خطة موضوعة لفترة طويلة • والامر الذى يثبت ضرورة وجود مثل هذه الخطة هو التحسن الذى لا جدال فيه فى سير مرفق النقل • وأنا ألفت نظركم الى ذلك الجزء من الرسالة التاسعة الذى يتضمن ان مهلة اصلاح مرفق النقل ستكون أربع سنوات ونصفا ، ولكنها خفضت بالفعل لاننا ننجز أكثر من المعدل المرسوم • وقد حددت المهلة بالفعل بثلاث سنوات ونصف **هكذا يجب أن يكون العمل فى باقى فروع الاقتصاد ••• »**

وهكذا بعد انقضاء سنة على نشر الامر ١٠٤٢ نقرأ فى أمر دزير جنسكى المعنون : فى قواعد العمل مستقبلا بقومسيرية وسائل المواصلات بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٢١ :

« نظرا لان خفض معدلات الامرين رقم ١٠٤٢ و١١٥٧(٤) اللذين كانا التجربة الاولى الباهرة لتطبيق الخطة فى المجال الاقتصادى ، انما هو خفض مؤقت وناشىء من أزمة الوقود التى نجتازها •• فانه يحسن اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة وتجديد المعدات والورش ••• » •

هكذا اذن بعد تجربةاستمرت لمدة عام وبعد الخفض الاجبارى لمعدلات الاصلاح يعترف المدير الجديد (الذى جاء بعد امشانوف) للسكك الحديدية بأن الامر ١٠٤٢ كان « التجربةالاولى والباهرة لتطبيق الخطة فى المجال الاقتصادى » • وانى أشك جدا فى أن يكون من الممكن الان اعادة النظر فى التاريخ أو تغييره ، ولو فيما يتعلق باصلاح معدات السكك الحديدية • بيد انه يحاول عدة أشخاص فى الوقت الراهن أن يعيدوا تشكيل الحقائق على وجه التحديد وأن يكيفوها « واحتياجات » الوقت الراهن • ومع ذلك فانى لا اعتقد ان لاعادة التشكيل هذه (التى تتم هى الاخرى وفق خطة) فائدة اجتماعية وانها تؤتى فى النهاية نتائج ملموسة ••

صحيح ان ماركس أطلق على الثورة اسم قاطرة التاريخ •• ولكن اذا كان من الممكن تجديد قاطرات *السكة الحديد* فليس من الممكن أن تفعل نفس الشىء بقاطرة التاريخ •• ان أمثال هذه المحاولات تسمى فى اللغة العادية تزييفا (٥).

---

[٤] تضمن الامر ١١٥٧ بالنسبة لاصلاح عربات السكة الحديد ما تضمنه الامر ١٠٤٢ بالنسبة لاصلاح القاطرات .

[٥] فى سبيل تعقيد الامور يمكن بالتاكيد اهمال الارقام والحقائق والتحدث عن اللجنة المركزية للنقل او طلبات شراء القاطرات من الخارج . واعتقد أن من الواجب الاشارة الى أن هذه المسائل لا علاقة لها ببعضها . فقد استمر الامر ١٠٤٢ يحكم عملية الاصلاح فى عهد امشانوف ثم دزرجنسكى فى الوقت الذى تغير فيه كلية تشكيل اللجنة المركزية للنقل . أما فيما يتعلق بطلب شراء قاطرات من الخارج فانى أذكر أن هذه العملية حلت وانجزت بدون تدخل قومسيرية طرق المواصلات، وبغض النظر عن الامر ١٠٤٢ وعن تنفيذه فهل ثمة من يجادل فى هذا ؟ — ل.ت.

ولقد رأينا ان اللجنة الرئيسية للنقل حققت بصفة جزئية وبخطى وئيدة التوافق بين الفروع المرتبطة من الاقتصاد ، وهذا العمل يمثل في الوقت الراهن وعلى نطاق أشد اتساعا وانتظاما بكثير مهمة لجنة تخطيط الدولة (جوسبلان) والمثال الذى اوردناه يبين في نفس الوقت مهام الخطة في ادارة الاقتصاد والصعوبات التى تعترض انجازها .

ان أى فرع من فروع الصناعة ، كبر أو صغر ، وأى مشروع ، لا يستطيع توزيع موارده وطاقاته توزيعا رشيدا دون أن يكون أمامه خطة توجيهية . وفى الوقت ذاته ، فان كافة هذه الخطط الجزئية نسبية وتعتمد على بعضها بعضا وتتوقف على بعضها بعضا . وهذه التبعية المتبادلة يجب بالضرورة ان تكون معيارا أساسيا في وضع الخطط في تنفيذها ، أى في متابعتها دوريا على أساس النتائج المحققة .

ولا شيء أسهل من السخرية من الخطط الموضوعة لسنوات طويلة والتى يتضح فيما بعد عدم تماسكها . لقد وجدت خطط كثيرة من هذا القبيل . وغنى عن الذكر انه من غير المناسب استخدام الخيال في مجال الاقتصاد . ولكن للتوصل الى وضع خطط رشيدة ، لابد - مع الاسف - من البدء بخطط بدائية وغير متقنة ، كما أنه لم يكن بد من البدء بالفأس الحجرية قبل التوصل الى السكين المصنوعة من الصلب .

والخطة العامة المتفق عليها على هذا النحو ، كل سنة مثلا (والمتضمنة الاجزاء السنوية من الخطط الخاصة لثلاث سنوات أو خمس سنوات .. الخ وهى تمثل فروضا ليس الا) هذه الخطة العامة هى التى يمكن ويجب ان يعتمد عليها عمليا الجهاز المتولى الادارة والذى يكفل انجاز الخطة ويدخل التعديلات الضرورية اثناء هذا الانجاز ذاته . في هذه الحالة ، بينما تحتفظ الادارة بمرونتها ، فانها لا تستحيل الى سلسلة من الاعمال الارتجالية ، بقدر ما تكون مبنية على نظرة عامة منطقية للعملية الاقتصادية في مجموعها ، وفى الوقت الذى تدخل التعديلات الضرورية فانها سوف تميل الى ضبط الخطة الاقتصادية وفقا للظروف والموارد المادية .

تلكم هو الهيكل العام للخطة في اقتصاد الدولة . ولكن وجود السوق يعقد بدرجة كبيرة انجاز الخطة . ففى المناطق البعيدة ، يلتحم اقتصاد الدولة أو يسعى بالاقل للالتحام بالاقتصاد الفلاحى الصغير . والاداة المباشرة للالتحام هى تسويق منتجات الصناعة الصغيرة وجزء من منتجات الصناعة المتوسطة . أما الصناعة الكبيرة التى تغذى مباشرة الدولة (الجيش ، وسائل النقل ، الصناعات المملوكة للدولة) فانها لا تدخل الميدان الا بطريق غير مباشر وجزئى وفى وقت لاحق . ان الاقتصاد الفلاحى غير خاضع لخطة بل مرهون بالسوق التى تنمو تلقائيا . وفى وسع الدولة ومن واجبها أن تؤثر على ذلك الاقتصاد وأن تدفعه الى الامام ، ولكنها ما زالت عاجزة تماما عن التحكم فيه وفقا لخطة واحدة . وما زال الامر يتطلب سنين طويلة للتوصل الى ذلك (وسيتم هذا على الارجح بفضل كهربة الريف) . أما في الفترة القادمة وهى التى تهمنا بطريق مباشر ، فسوف يكون لدينا اقتصاد مملوك للدولة وموجه وفقا لخطة معينة ويلتحم أكثر فأكثر بسوق الريف وبالتالى يتكيف معها أولا بأول خلال تطوره .

وبالرغم من ان هذه السوق تنمو بطريقة تلقائية وطبيعية ، فانه لا يترتب على ذلك أن الصناعة الحكومية يجب أن تتكيف تلقائيا واياها . وعلى العكس فان نجاحاتنا في مجال التنظيم الاقتصادى سوف تتوقف الى حد كبير على مدى توصلنا - بفضل معرفة دقيقة بأحوال السوق وتقديرات اقتصادية سليمة - الى ربط الصناعة الحكومية بالزراعة وفقا لخطة محددة . والمنافسة بين المصانع المختلفة أو بين التروستات المملوكة للدولة لا تغير شيئا من حقيقة أن الدولة هى صاحبة كل الصناعة المؤممة ، وأنها بصفتها مالكة ومديرة تعتبر ما هو مملوك لها كلا واحدا بالنسبة لسوق الريف .

وبطبيعة الحال ، يستحيل مقدما ان يؤخذ بدقة في الاعتبار سوق الريف وكذا السوق العالمية التى سوف تتوثق بها علاقتنا ، وبصفة رئيسية عن طريق تصدير القمح والمواد الاولية . ولا مفر من وقوع أخطاء في التقدير ولو بسبب تفاوت المحصول . وسوف تظهر هذه الاخطاء في السوق في

صورة عدم كفاية المنتجات وحركات فجائية وأزمات • ومع ذلك فمن الواضح ان هذه الازمات سوف تكون أقل حدة واستطالة كلما طبقت الخطة بطريقة أكثر جدية فى كافة فروع الاقتصاد الحكومى • واذا كان مذهب البرنتانيين (أنصار الاقتصادى الالمانى لويس برنتانو) والبرنشتينيين القائل بأن سيطرة التروستات الرأسمالية من شأنها ان تكفل انتظام السوق بجعل الازمات التجارية الصناعية مستحيلة ـ اذا كان هذا المذهب خاطئا من الاساس ، فهو صحيح تماما اذا ما طبق على دولة العمال باعتبارها ترست الترستات وبنك البنوك وبعبارة أخرى فان زيادة أو تضاؤل الازمات سوف يكون فى اقتصادنا أوضح وأصدق مقياس لا يخطىء لما يحرزه الاقتصاد الحكومى من تقدم بالقياس الى رأس المال الخاص • والخطة هى سلاحنا الرئيسى فى نضال الصناعة الحكومية لكسب السوق • وبدون ذلك يصبح التأميم عقبة فى سبيل النمو الاقتصادى ولا مفر من أن يسحق رأس المال الخاص الاشتراكية من جذورها •

وبطبيعة الحال نحن نعنى بالاقتصاد الحكومى (المملوك للدولة) بالاضافة الى الصناعة ، مرفق النقل وتجارة الدولة الخارجية والداخلية ، والمالية • وكل هذا البناء المركب ـ فى مجموعه وفى أجزائه ـ يتكيف وسوق الريف ومع الفلاح المنعزل باعتباره دافع ضرائب • ولكن هذا التكيف هدفه الاساسى تدعيم وتنمية الصناعة الحكومية وهى حجر الزاوية لدكتاتورية البروليتاريا ، ودعامة الاشتراكية • ومن الخطأ تماما الاعتقاد بأن من الممكن تنمية بعض اجزاء هذا البناء المركب والوصول بها الى حد الكمال ، سواء فى ذلك قطاع النقل أو المال أو غيره • ان تقدمها وتخلفها مترابطان ترابطا وثيقا • وهذا هو مصدر الاهمية البالغة للجوسبلان التى يصعب جدا افهام الناس دورها عندنا •

ان الجوسبلان يجب ان توجه كل العناصر الاساسية لاقتصاد الدولة وأن تربطها فيما بينها وأن تربط بينها وبين الاقتصاد الفلاحى • ويجب أن يكون شاغلها الرئيسى تنمية صناعة الدولة (الصناعة الاشتراكية) وهذا ما قصدته على وجه التحديد عندما قلت انه فى داخل جهاز الحكومة المركب يجب ان تكون « الدكتاتورية » لا لجهات التمويل ولكن للصناعة • ولكلمة الدكتاتورية هنا ـ كما أوضحت ـ دلالة محدودة جدا ومشروطة • انها تقابل الدكتاتورية التى كانت تطالب بها اجهزة التمويل • وبعبارة أخرى فليست التجارة الخارجية وحدها بل أيضا ايجاد عملة مستقرة من جديد ، يجب أن يخضع كلاهما خضوعا تاما لمصالح صناعة الدولة • وغنى عن الذكر أن هذا غير موجه على الاطلاق ضد « الالتحام » ، أى ضد قيام علاقات رشيدة بين جهاز الاقتصاد الحكومى المركب برمته وبين الاقتصاد الفلاحى • وعلى العكس ، فهذا هو السبيل الوحيد للتوصل تدريجيا الى تحقيق هذا « الالتحام » الذى لايزال مجرد حبر على الورق • والقول بأن طرح المسألة على هذا النحو ينطوى على اهمال شأن الفلاحين أو على الرغبة فى انهاض صناعة الدولة بما لا يتفق مع وظيفة الاقتصاد القومى فى مجموعه ، انما هو حماقة محضة لا يزيدها التكرار قدرة على الاقناع •

ان اصلاح مهمات النقل لم يكن يشكل سنة ١٩٢٠ جزءا من خطة اقتصادية شاملة ، اذ لم نكن بعد بصدد وضع مثل هذه الخطة • وقد طبقت فكرة الخطة كأداة للعمل على مرفق النقل ، أى على ذلك الفرع من فروع الاقتصاد الذى كان الاشد عرضة للخطر ويهدد بالانهيار التام • ولقد كتبنا فى الرسائل المعدة لمؤتمر السوفيتات الثامن ما نصه :

« فى الظروف التى يجتازها الان الاقتصاد السوفيتى فى مجموعه ، بينما لا يزال وضع وتطبيق خطة اقتصادية فى مرحلة الربط التجريدى بين الاجزاء الاوثق ارتباطا ببعضها من تلك الخطة المستقبلة ، كان من المحال تماما على مصلحة السكة الحديد ان تقيم خطتها لاصلاح وادارة الخطوط على بيانات خطة اقتصادية واحدة ما زالت آنذاك مشروعا تحت الاعداد » •

وبعد ان تحسنت وسائل النقل بفضل خطة الاصلاح ، اصطدمت فى تطورها بتخلف الفروع الاخرى للاقتصاد ؛ وهى الصناعات التعدينية والوقود والقمح • ولهذا السبب بالذات طرحت الخطة رقم ١٠٤٢ مسألة خطة اقتصادية عامة • وقد عدلت النيب من اوضاع طرح هذه المسألة وبالتالى أساليب حلها • ولكن المسألة ذاتها ظلت قائمة بكل وطأتها ، وهذا ما تشهد به القرارات المتتالية بشأن ضرورة جعل الجوسبلان هيئة أركان حرب الاقتصاد السوفيتى •

القسم الخامس :

زينوفييف

« اختلاف الآراء في الحزب الشيوعي الروسي »

تقرير مقدم للأممية الشيوعية

في اجتماع ٩ يناير سنة ١٩٢٤

المسائل الاقتصادية

لهذا الموضوع أهميته الخاصة • فهل فى حزبنا خلافات جوهرية فى الرأى حول المسائل الاقتصادية ؟ كلا ، انها اتجاهات وليست خلافات •

ويبدو ان بعض عناصر « المعارضة » — وليس من بينهم على حد علمى الرفيقان تروتسكى ورادك — يفكرون فى اقتراح باعادة النظر فى السياسة الاقتصادية الجديدة • ومع أنه لم يعلن صراحة عن هذا الاقتراح حتى الان ، فقد استغل ضدنا رغم ذلك ، الحقد والاحتقار اللذين يكنهما العمال نحو أولئك الذين يستفيدون من السياسة الاقتصادية الجديدة (Nepman) وكان ذلك خلال معركتهم ضد الشيوعيين القدامى •

انكم تدركون ، أيها الرفاق ، أن الحقد على البرجوازية ليس أمرا يقتصر على العامل الالمانى مثلا ، وهو الذى يبدو عليه هذا الحقد فى قوة وحدة ، نتيجة للاشكال القاسية التى يتخذها الكفاح فى ألمانيا • فالامر عندنا ليس بهذه الصورة ، لانه اذا كان العامل فى بلادنا يحقد على البرجوازية ، فهو فى وضع غريب يمسك به عن الاطباق عليها فى الوقت الحاضر ، بل ويدفعه الى التغاضى عنها • فهذا العامل يشاهد المحلات الزاخرة بالاشياء الانيقة ، ومع هذا لا يقوم بغلقها رغم قدرته على ذلك فى كل وقت ، ويضطر — فى وعى — الى تقبل وجودها • وهذا الوضع يولد فى نفوس عمالنا حالة نفسية خاصة • فالعامل عندنا يدرك أن البرجوازية الحالية فى روسيا داء لابد منه ، والحقد المستعر الذى يشعر به البروليتارى نحو البرجوازيين مازال يتقد فى صدره — هذا الشعور هو السلاح الذى تستخدمه « المعارضة » ضدنا لعجزها عن العثور على أسلحة أخرى • ومهما كان الامر ، فانه لم يقدم حتى الان أى اقتراح ايجابى باعادة النظر فى السياسة الاقتصادية الجديدة •

كثيرا ما وقعت بيننا وبين الرفيق تروتسكى أكبر الخلافات حول المسائل الاقتصادية ، ولينين معنا • ولم يأل لينين جهدا فى القول لتروتسكى « عليك أن تفهم أن المسائل الاقتصادية تختلف عن الامور العسكرية اختلافا جوهريا • فحين ننزل بـ (رانجل) هزيمة نكراء خلال الحرب الاهلية ، فان هذا الانتصار يضعنا فى موقع جديد على أرض المعركة • أما فى ميدان الاقتصاد ، فليس الامر كذلك ، اذ ليس به انتصارات من هذا القبيل ، وانما يجب هنا أن نتسلح بالصبر وأن ندرك أن عامل الوقت شيء أساسى ، وأننا فى حاجة الى فترة طويلة حتى تصبح الانتصارات الاقتصادية شيئا ملموسا حقا » •

لقد كان تروتسكى على الدوام من الرفاق القلقين الذين يتبرمون بكل شيء ، وتبدو أمامه كل الامور تسير بطريقة سيئة • وتروتسكى يفتقد تماما نظرة الاقتصادى البروليتارى ، فهو لا يحس بحقيقة الوضع الاقتصادى فى روسيا ، ولا يشعر به ابدا . تلك حقيقة سيكلوجية ينبغى ألا ننساها •

سأعدد لكم هنا باختصار ، الهيئات الاقتصادية (صاحبة السلطة العليا) فى الدولة السوفيتية • عندنا أولا مجلس وزراء الشعب (مجلس قوميسييرى الشعب) وبداخله عدد كبير من أعضاء اللجنة المركزية للحزب ، وعدد من نخبة موظفى الدولة • وفى هذا المجلس ، يتولى الرفيق دزرجنسكى مسئولية وسائل النقل ، وهو أحد رفاقنا المرموقين وعضو اللجنة المركزية • ويتولى ادارة المالية فيه الرفيق سولولنيكوف ، وهو بلشفى قديم ومجرب وعضو اللجنة المركزية • ويتولى مسئولية الشئون العليا للاقتصاد ، الرفيق ريكوف ، وهو بلشفى قديم ومجرب وعضو اللجنة المركزية •

ومن هذه الهيئات ، مجلسا العمل والدفاع اللذان ينتمى اليهما أيضا بعض أعضاء اللجنة المركزية •

وتشكل الهيئات التى عددتها

الجهاز المكلف بالادارة الفعلية للاقتصاد القومى · وتوجد ـ بالاضافة الى ذلك ـ لجنة « خطة الدولة » المكونة من ثلثمائة أستاذ وأخصائى تمرسوا من قبل فى العمل بالميدان الاقتصادى ، وتقدم لنا خبراتهم وعلمهم اجل الخدمات ، بيد انهم ـ عموما ـ من العناصر البرجوازية · ويرأس هذه الهيئة الرفيق كرجيجانوفسكى ، وهو شيوعى قديم وشريف ، كما كان يرأسها قبل ذلك شيوعى آخر قديم هو الرفيق زيوديوبا ، ويتضح من هذا ان لجنة « خطة الدوله » ذات قيادة شيوعية ، ولكن لا تخرج عن أنها هيئة بتكوين طائفى من أساتذة ومثقفين برجوازيين تقع على عاتقهم مهمة اعداد خطة شاملة اعدادا علميا ، كما أن عليهم جمع ودراسة المعلومات اللازمة لحل المشاكل الاقتصادية العامة ·

الا أن تروتسكى يدافع بضراوة عن فكرته بجعل لجنة « خطة الدولة » أهم الهيئات الاقتصادية فى روسيا وذلك على حساب حق السيادة الاقتصادية لكل من مجلس وزراء الشعب ومجلسى العمل والدفاع · ورغم أن تروتسكى عضو قديم فى مجلسى العمل والدفاع فهو مع ذلك لا يحضر اجتماعات هذين المجلسين ، بل قاطعها سنوات طويلة · وقد اقترح لينين بنفسه ـ اثر مرضه ـ بالاتفاق مع اللجنة المركزية ، تعيين تروتسكى رئيسا احتياطيا لكل من مجلس وزراء الشعب ، ومجلسى العمل والدفاع · وقد قاطع تروتسكى أكثر الهيئات أهمية فى الدولة ، ولا يتوقف عن الزعم بعدم اهتمامنا بالقدر الكافى بلجنة خطة الدولة التى يرى انها تستطيع تنظيم الامور على مستوى أفضل من غيرها · لقد وقع تروتسكى فى خطأ جسيم ، ومصدر خطئه يكمن فى مفهوماته البعيدة عن الواقع والتى لم تتجرد ـ فى اعتقادى ـ من أفكار المنشفيك ·

كيف يتصور المنشفيك عملية الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكى ؟ انهم يتخيلونها بالصورة التالية ، على وجه التقريب :

ستلاحظ الطبقة العاملة ـ فى يوم من الايام ـ أنها تشكل الاغلبية فى البلاد ، أغلبية البروليتاريين الحقيقيين ذوى الاردية الخضراء ، فتستولى هذه الاغلبية على الحكم وتقوم على الفور باعداد خطة اقتصادية مدروسة ، خطة من الطراز الاول · ويظن المنشفيك ان كل شىء سوف يسير بعد ذلك على ما يرام طبقا لهذه الخطة · لقد كان برنامج ارفورت بمثابة (وصفة) تستعمل لكل شىء ، ويمكن أن نطلق عليها اسم (وصفة بلامى) أيضا ، لان الخيالى بلامى يتصور الامور بهذا الشكل تقريبا ·

وهكذا يتصور هؤلاء الناس الثورة الاشتراكية ! وهذا المفهوم الخيالى هو أساس فكرة الانتهازيين عن اقامة الاشتراكية · وقد حاول لينين مرارا أن يشرح لنا وللرفيق تروتسكى كيف تنشأ الاشتراكية الحقة فى الواقع لا فى الخيال ! ، أى ليس بانجاز بارع لخطة متقنة ، بل على أساس الحالة الموضوعية ، وعلى أساس توازن القوى الحقيقى ·

فالانتقال للاشتراكية ، لم يبدا عندنا فى الحقيقة بانجاز مشروع ما ، وانما تم بالكفاح ضد (ماذا تظنون !) ، ضد (المطبات) المباغتة التى تصادفنا ·

ولينين سبق أن قال ذلك فى أواخر عام ١٩١٩ أمام المؤتمر السوفييتى الثامن لعموم روسيا ـ قال لينين وقتذاك « اما أن تنتصر الاشتراكية على الازمات ، أو تنتصر الازمات على الاشتراكية » (١) ·

بدأت الاشتراكية تتحقق فى بلد زراعى فقير ، بلد فككت الحرب أوصاله ، دون أن يكون لدى منفذى ارادة الجماهير الثورية خطة محددة · وأية خطة يمكن أن تكون لدينا ، اذا كان علينا منذ ثمانية عشر شهرا أن نصدر الذهب الى آخر ما نملكه من الاحتياطى لنحصل من الخارج على القمح اللازم لاطعام بترسبرج وموسكو وانقاذ العمال من الموت جوعا ؟ أية خطة تلك التى يمكن أن تكون لدينا ، فى الوقت الذى لا تملك فيه السكك الحديدية عندنا ما يلزم من الوقود الا ما يكفى لتسيير خط بتروجراد ـ موسكو لمدة ١٢ ساعة فقط ·

وأى وقود هذا الذى استعملناه ! ؟ انه الخشب الذى انتزعناه على الفور من أشجار الغابات ! وذلك أن حوض الدونتز ، وهو مركز مناجم الفحم فى بلادنا ، كان فى حوزة الاعداء (البيض) · وقد وصل انتاج النفط الى الصفر ، وأصبح الروبل شيئا لا قيمة له · والشخص الذى يحصل على ١٠٠ مليون روبل ، سيرى قيمتها تنخفض الى ٨٠ مليونا فى اليوم التالى ، ويستمر الانخفاض فى اليوم الذى يليه ، وهكذا ··

أية خطة يمكن ان تكون لدينا ، ونحن لا نملك الخبز أو وسائل النقل ، أو النقود أو الفحم ، أو النفط ؟

وهذا ما جعل الرفيق لينين يلح دوما على تأكيد هذه الحقيقة المرة ، مبينا الطريق الحقيقى الذى تسلكه الاشتراكية الحية · فالاشتراكية لا تسير وراء بلامى ، ولا وراء برنامج ارفورت ، ولكن تولد بانشاء المجمعات الصحية ، وبتحسين طعام الجنود ، ومحاربة الفقر ، وانهيار النقد السوفيتى ، وبالكفاح ضد نقص الحبوب ·

---

(١) ف · لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ١٦ ـ موسكو سنة ١٩٢٢ (باللغة الروسية) ·

بورسعيد !!



للسجاير المصرية
الفاخرة

بالمنتول

عبد الفتاح

مطابع الأهرام التجارية



طريق المناضلين الى الفكر العربي المعاصر



ابريل ١٩٧٠
السنة السادسة

لينين

مائة عام من التاريخ

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة » :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٢ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠ع٠م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهرس

العدد الرابع — السنة السادسة — أبريل ١٩٧٠



عــــدد
تـــاريخـــى
خــــاص

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

الافتتاحية

خطـــوتان الى الأمـــام

تحقق

فى الوطن العربى ، خلالَ الربع الاولَ من عام ١٩٧٠ ، حـدثان سياسيان على قدر عظيم من الاهمية الاستراتيجية . بمعنى أن أثر كل منهما لا يقف عند حد انجاز أهداف مرحليـة وحسب . انما هو يشحن قوى التحرر الوطنى العربية ذات الآفاق الاشتراكية بطاقة ايجابية ، وذلك فى نضالها التاريخى ــ الطـويل النفس المتعدد الجبهات ــ ضد الامبريالية والصهيونية والتخلف واستغلال الانسان للانسان ، والاقليمية الضيقة الافق .

الحدثان اللذان نعنيهما ، هما :

- **الاتفاق الذى تم التوصل اليـه فى العراق بين مجلس قيـادة الثورة وبين الحزب الديمقراطى الكردسـتانى فى ١١ مارس الماضى ، وتضمن « حـلا سلميا ديمقراطيا للقضية الكردية » .**
- **اللقـاء الـذى تم بين الثورة الفلسطينية وبين الاتحاد السوفيتى فى موسكو ، خلال الفترة من ١٠ الى ٢٠ فبراير ١٩٧٠ .**

والواقع أن الاتفاق العربى ــ الكردى يملك ، فى حد ذاته ، اكثر من بعد .

فهو من ناحية ، يبنى القاعدة الاساسية للوحدة الوطنية فى اطـار الجمهورية العراقية وشعبها . وينهى بانتصار الاخوة العربية الكردية ، ذلك الصراع الـدامى الذى استمر تسع سنوات ، وبذر الشقاق والعنف اللامجدى بين أبناء الشعب الواحد الذى يتكون من قوميتين تاريخيتين أساسيتين : العربية والكردية .

وهـو من ناحيـة ثانية ، يقدم نموذجا صحيا لحل مشاكل وقضايا الاقليات القومية فى الوطن العربى ، وذلك باعتراف القومية العربية صاحبة الاغلبية بجميـع حقوق القوميات الاقلية . وهو حل يطهر قومية الاغلبية من كل ما علق بها ، نتيجة الحكم الاستعمارى ــ الاقطاعى ، من أوشـاب عنصرية . وهى اوشاب غريبة عن جوهر حركة قومية تبلورت من خلال نضـالها الطويل والشاق ضد الامبريالية والاستعمار العنصرى الاستيطانى للجزائر وفلسطين والاستغلالى الاقطـاعى ، وسـيطرة البرجوازية المحلية الكبيرة بالتعـاون مع الاحتكارات الاجنبية . فالحكم الاستعمارى المباشر فى العراق ، وما تلاه من نظم رجعية ، عمدت دائما الى بذر بذور التفـرقة بين عرب العـراق وأكـراده . وذلك بهدف الحيلولة دون توحده فى النضال التحررى . ورغم أن القوى الوطنية التقدمية العربية والكردية جاهدت دوما من اجل الوحـدة وتحرير شعب القوميتين معا من الاستبداد والاستغلال ، الا انه بين حين وآخر كانت تشتعل الازمات وتضخم أخطاء هذا الجانب أو ذاك ويعمم ما قـد يقع من انحرافات شخصية لاشعال نيران الحقد بين القوميتين وفحر هوة من الشكوك وعدم الثقة بينهما .

وتنمي في كل منهما تيارات واتجاهات رجعية ضيقة ، مستخدمة ترسانتها المدمرة ابتداء من « **الشعوبية** » حتى « **المطالبة بالانفصال** ».

و « **حدث ١١ مارس ١٩٧٠** » في العراق، يعني موضوعيا ان احترام الحقوق القومية لكل الاقليات في الوطن العربي ، يمكن تحقيقه في اطار وحدة كل القوى الشعبية في الوطن على قدم المساواة . وان ما امكن انجازه اليوم سلميا وديمقراطيا في العراق، يمكن انجازه غدا في السودان وفي كل بلد عربي آخر تعيش فيه قومية أخرى بجانب القومية العربية .

وهو **من ناحية ثالثة** ، وفي هذا الوقت بالذات الذي يخوض فيه الوطن العربي صراعه الدامي المصيري مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، يقدم عالميا ، دليلا ماديا محسوسا على معاداة حركة التحرر الوطني العربية للتعصب العنصري والتمييز القومي . وان الوطن العربي في مسيرته الثورية يتسع برحابة وعمق للاخاء القومي بين اجناس واصول متعددة . وذلك على أساس من وحدة الارض الوطنية والمصالح الشعبية وبناء المجتمع المتطهر من استغلال الانسان للانسان ، أيا كان أصله القومي او معتقده الديني .

وفي هذا الاطار ، فان الجانب العربي في الصراع ، يطرح — نظريا وعمليا — بديلا تقدميا وانسانيا ، لما يطرحه الجانب الصهيوني من كيانات مسممة ، بالعنصرية والتعصب الديني ، مجسدة في اسرائيل .

والحق ان بناء هذا الكيان التقدمي الانساني للاخاء القومي بالعراق اليوم ، يوجه ضربة قاصمة للحملة الصهيونية الواسعة النطاق التي تركزت على العراق في الاونة الاخيرة ، متهمة اياه بالعنصرية والتعصب القومي .

وعلى المستوى الدولي ايضا ، فان الحل السلمي الديمقراطي للمشكلة الكردية في العراق، والذي هو جزء من الامة العربية، يكشف عن مدى عمق الصدق والاصالة فيما تطرحه الثورة الفلسطينية اليوم من تصميمها على بناء دولة ديمقراطية بديلة للكيان العنصري الصهيوني ، يعيش في احضانها دون تمييز المسلمين والمسيحيين واليهود من عرب فلسطين وغيرهم ممن ينتسبون لقوميات أخرى .

ومن هنا كان طبيعيا ان تكون الثورة الفلسطينية في مقدمة الاصوات التي ارتفعت ، فور اعلان الاتفاق في العراق ، مؤيدة له بكل قواها .

وليس من شك في ان « **عراق ما بعد ١١ مارس** » قد توفرت له من القوة السياسية والشعبية والاقتصادية ، ما تمكنه من أن يغير كيفيا ، « **عراق ما قبل ١١ مارس** » بكل ما ورثه من سلبيات ، سواء على الصعيد المحلي او القومي أو العالمي .

فالاخوة العربية الكردية — على اساس وحدة الشعب والارض من جانب ، والحكم الذاتي الكردي من جانب آخر — من شأنها ان تخلق مناخا مواتيا لبناء متكامل للوحدة الوطنية العراقية . ولقد تكشفت بوادر هذا بوضوح مشرق ، في احتضان القوى السياسية الشعبية لاتفاق ١١ مارس ، ممثلة في حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي .

ان ثمة قاعدة تقدمية يجري ارساؤها اليوم في حقل المجتمع العراقي ، قادرة على استيعاب جبهة قواه الثورية . وذلك كأداة جماهيرية واعية — ولا غنى عنها — لبناء ما بشر به بيان ١١ مارس من « عراق جديد » .

والحق ان « العراق الجديد » اليوم ، لم يعد مجرد امنية حبيسة الصدور ، او حلم يخفق به وجدان المناضلين ، وانما صار امكانية فعلية ممكنة التحقيق . وذلك من خلال التنفيذ الواعي والامين للاتفاق ، نصا وروحا . فمع هذا التنفيذ تذوب كل

رواسب الشك وعدم الثقة التي كثيرا ماقيدت حركة العراق في خطوة « محلك سر » وتلتحم كل الطاقات والخبرات العربية والكردية في عملية التنمية الصناعية والزراعية التي يزخر بها العراق ، وتتوفر كل الامكانيات والموارد الضخمة التي ظلت طوال سنوات الصدام الدامي المؤسف تتبدد هباء — في أحسن الظروف — وتهدر — في اسوئها — دون طائل دماء الشباب العراقي، عربا واكرادا .

وفوق هذا وذاك ، فان العراق — قوة موحدة — يستطيع دون قيود ، أن يجند كل طاقاته في خدمة معركة الوطن العربي المصيرية ضد الامبريالية والصهيونية ، وان يقطع الطريق على مخططات الاستعمار وعملائه في المنطقة .

في ١١ مارس ١٩٧٠ ، **صححت القضية** وفقا لمبدأ أن امة تضطهد أمة اخري لا يمكن أن تكون حرة . فلم يعد العرب يحاربون الاكراد والاكراد يحاربون العرب ، والاستعمار هانيء يذرف بين حين وحين دموع التماسيح على الدماء التي خطط لسفكها ، وانما غدا العرب والاكراد معا في وحدة شعبية نضالية ضد الاستعمار وخططه .

باختصار : نستطيع القول ، في ضوء حرص جميع الاطراف على تنفيذ هذا الاتفاق التاريخي تنفيذا حقيقيا يتخطى كل الرواسب والعقبات ، ان « العراق الجديد » لن يكون كسبا اقليميا لشعبه العربي — الكردي فحسب ، وانما هو في نفس الوقت انتصار واقعي — لا يقدر بثمن — لحركة التحرر العربي المعاصرة من ناحية ولحركة الانسانية التقدمية كلها من ناحية اخرى .

ومن هنا تبرز مسئولية كل القوى التقدمية في الوطن العربي ، في دعم وحماية اتفاق الاخوة العربية الكردية في العراق ، وان تضفي على « روح ١١ مارس الديمقراطية » بعدها القومي الشامل .

وحدث العراق ، يأتي تاليا لحدث آخر ، هو ذلك اللقاء الذي تم بين الثورة الفلسطينية ممثلة في منظمة التحرير بكيانها الجديد المجسد لمنظمات المقاومة ، وبين الاتحاد السوفيتي ممثلا في اللجنة السوفيتية للتضامن الاسيوي الافريقي .

ولقد وقع اللقاء على مستوى نضالي بين مؤسستين نضاليتين تعملان في اطار حركة التحرر الوطني العالمية ، بآفاقها التقدمية المعاصرة ، وعلى مستوى شعبي واسع ، اذ اتيح للوفد الفلسطيني أن يدير — كممثل للشعب الفلسطيني — حوارا واسعا ومثمرا مع جماهير الشعوب السوفيتية في المصانع والمزارع والجامعات والكتاب ورجال الاعلام والفنانين .

كذلك فان اللقاء شمل القضايا الفكرية والسياسية والعملية للثورة الفلسطينية ، وذلك باعتبارها حركة تحرير وطنية تنتمي — مصيريا — لحركة التحرر الوطني العربية وتدخل في نسيج حركة الانسانية التقدمية ككل .

ولقد أتيح لي أن اتابع عن قرب — في موسكو — احداث ومناقشات هذا اللقاء . واستطيع أن اؤكد انه انتج ثمرات ناضجة سواء من الناحية الفكرية أو السياسية أو العملية .

ولقد كانت مشكلة « **ياسر عرفات** » بعد انتهاء الزيارة هي في كيفية التعبير عن ثمار هذا اللقاء — بمسئولية ودقة — تكشف عن جوهر هذا اللقاء دون أن تتورط في اذاعة تفاصيل . واخيرا اهتدى الى عبارته البليغة : « **كانت الحرارة تحت الصفر بعشرين درجة ، ومع ذلك كانت ثلوج موسكو دافئة** » .

ويمكن في اطار نظرية « ثلوج موسكو الدافئة » أن نرسم صورة لهذا اللقاء الفلسطيني .. السوفيتي في الخطوط السبعة الاساسية التالية :

● الثورة الفلسطينية ، ليست مجردرد فعل عــاطفى أو عنصرى للصهيونية وعدوانها ، وانما هى فعل ثورى اجتماعى سياسى لشعب محروم من حقوقه القومية المشروعة ، يميز تمييزا دقيقــــا بين اليهودية والصهيونية .

● وبالتالى فالثورة الفلسطينية هى فى التحليل الاخير حركة تحــرير وطنية تتطلب الوحـــــدة الوطنيــة للشعب الفلسطينى ، وليست منعزلة عن حركة التحرر الوطنى العربية ككل أو حركة التحرر العالمية . ومن هنا يصبح واجبا على كل القوى التقدمية فى العالم ان تساندها وتدعمها معنويا وماديا .

● ان اللجنة الســوفيتية للتضـــامن الاسيوى الافريقى التى نظمت اللقـــاء الفلســــطينى ــ الســوفيتى ، هى المؤسسة الشعبية الاساسية فى الاتحاد السوفيتى المسئولة عن تنظيم العلاقات مع جميع حركات التحرر فى العالم مثل فيتنام وأنجولا وغينيا المسماة بالبرتغالية الخ ..

● أصبح محــددا اليوم أن ما يسمى « بمشكلة الشرق الاوسط » يستوجب حلها العادل ، تحقيق أمرين اساسيين : ازالة آثار عــدوان ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

● أن الثورة الفلسطينية ليست ضداًى عمل يبذل من أجل ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ عن البلاد العربية المحتلة أرضهــ سلما أو بالقوة ــ على أن لا يخل ذلك بالحقوق القــومية للشعب الفلسطينى ونضاله المشروع بكل الوسائل من أجل تحقيقها .

● أن الثورة الفلسطينية فى حـــربها التحررية العادلة ضد الصهيونية ، تعى تماما أن العدو الاستراتيجى لها لا يقف عند الواجهة الاسرائيلية الصهيونية وانما يمتد الى الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية .

● أن طبيعـــة الثورة الفلسطينيـــة ومسارها من ناحية وطبيعة عدوها من ناحية ، هى التى تحدد ــ موضوعيا ــ حلفاءهـــا فى البلدان الاشتراكية عامة والاتحاد الســوفيتى خاصـــة وفى كل الشعوب المحبة للحرية والسلام والاخاء الانسانى المعادى للعنصرية بما فى ذلك اليهود غير المنتمين الى الصهيونية .

باختصار ، ان هذا اللقاء أكد حقيقتين هامتين : مشروعية حركة تحرير فلسطين ، وتقدير دور الاتحاد السوفيتى كحليف قوى ومخلص لحركة التحرر العربية .

وبعد .. ان مسيرة حركة التحرر العربى قد سجلت فى فبراير ومارس ١٩٧٠ خطوتين ايجـــابيتين الى الامام تمهدان لخطـــوات أخرى ، أصبح من الضرورى انجازها . ولعلنا ــ فى النهاية ــ لا نبنى قصورا فى الهواء ، اذا الححنا على تجميع الجهــد وتكثيفه من أجل بناء وحدة القوى الثورية العربية فى كل بلد عربى . وفى مقدمتها شعب فلسطين ، وعلى المستوى القومى . وذلك وفقا لبرنامج عملى يحدد الاهـــداف الرئيسية المشتركة لمرحلة الصدام الحتمى القائم مع الامبريالية والصهيونية .

لطفي الخولي

لينين

مائة عام من التاريخ

تخصص « الطليعة» هذا العدد لدراسةشاملة عن « لينين » : انسانا ، ومفكرا ، ومناضلا ، وقائدا لاول ثورة اشـــتراكيةناجحة فى التاريخ .

وكان « مجلس تحرير الطليعة » قـــداتخذ فى اجتماعه الدورى لشـــهر يناير ١٩٧٠ ، قرارا بالاشتراك فى الاحتفـــال العالمى بالذكرى المئوية لميـــلاد « لينين » وذلك بتقديم « رؤية عربية » لافكار وتراثهذا العقل الانسانى الخصيب ، وانطلاقا من ان « لينين » بقدر ما هـــو روسى ـــسوفيتى ، بقدر ما هو عالمى ، وهب كل جهده وحياته لتحرير الانســـــان : ماديا ومعنويا . ومازال هذا الجهد يضىء طريق النضال الانسانى خلال ثورات الاشتراكية والتحرر الوطنى .

وفى هذا الضوء ، خططت « الطليعة » دراســـتها ، بحيث تتجسد فى اقســـام تتناول على التوالى : رسم صورة انسانيةلحياة لينين ونضـــاله خلال الـــ ٥٤ عاما التى عاشها، فكره الفلسفى والاقتصادى،تراثه فى معالجة قضايا الطبقة العـــاملة والفلاحين والشباب والعلم والتكنولوجياوالادب والفن ، موقفه من حركات التحرر الوطنى، والعنف الثورى والحرب والتعايش السلمى ، اللينينية فى مواجـــهتها لواقع العصر الراهن وأحداثه . وذلك بالاضافةالى عرض لأربعة كتب لينينية ذات وزن خاص .

لينين - مائة عام من التاريخ





الإنسان والثورة والتاريخ

- "٥٤ عامًا فى سطور"
حياة ڤلاديمير اليتيش
اوليانوف - لينين
(٢٢ ابريل ١٨٧٠ - ٢١ يناير ١٩٢٤)

- لينين .. إنسانا

٥٤ عاما في سطور



فلاديمير ايليتش أوليانوف – لينين
٢٢ أبريل ١٨٧٠ – ٢١ يناير ١٩٢٤

● ولد فلاديمير ايليتش أوليـانوف [لينين] ، في **٢٢ أبريل سنة ١٨٧٠** ، بمدينة سيمبيرك [أوليانوفسك حاليا] ، الواقعة على نهر الفولجا ، في أسرة من المثقفين التقدميين .

● انحدر والد لينين من أسرة بورجوازية صغيرة ، وعرف مرارة الحاجة ، واستطاع بفضل دأبه وجهوده ، من مواصلة الدراسة حتى تخرج من جامعة « قازان » ، واشتغل مدرسا في مدرسة ثانوية ، ثم مفتشا فمديرا للمدارس الابتدائية بمدينة سيمبيرك . وكان رجلا واسع الثقافة ، تقدميا في تفكيره .

● أما والدة لينين ، فكانت ابنة لطبيب ، درست في المنزل ، وتعلمت عدة لغات أجنبية ، وشغفت بالادب والموسيقى ، وقد بذلت عناية كبيرة في تربية أبنائها .

انجب الوالدان ستة أبناء ، كان فلاديمير [لينين] ، الثالث ، حسب ترتيب الأعمار . وقد اهتم الوالدان بتعليم أطفالهم وتثقيفهم وتربيتهم على حب العمل والاستقامة والتواضع ، والتفاعل مع قضايا الشعب ، وكراهية الاستبداد القيصري ، واستغلال كبار ملاكي الاراضي والراسماليين ، وبالعطف على بؤس الفلاحين والعمال . وقد أصبح الابناء الستة جميعا من المثقفين الثوريين .

● امتاز لينين ، باجتهاده وحبه للدراسة والعلم ، ومساعدة زملائه على استيعاب دروسهم . وعكف منذ صباه على دراسة مؤلفات الكتاب الروس العظام ، أمثال بوشكين ، وليرمنتوف ، وتورجنيف ، ونيكراسوف ، وسالتيكوف ، وتولستوى ، وكذلك مؤلفات الديمقراطيين الثوريين الروس ، أمثال بيلينسكى ، وجيرتسين ، وتشيرنيشيفسكى ، ودوبروليوبوف ، وبيساريف ، والتى كانت مؤلفاتهم محظورة فى ذلك الوقت .

● ظهرت ميول لينين الثورية فى اواخر مراحل دراسته الثانوية ، حتى قال له مدير المدرسة ذات يوم ، وهو يعيد اليه كراسة الانشاء : « **وما هى هذه الطبقات المظلومة التى تكتب عنها هنا ، وما هو مكانها هنا ؟** »

● وتعلق « لينين » بأخيه الاكبر « الكسندر » ، الطالب بجامعة بطرسبورج ، الذى كان مهيأ ليصبح عالما فى الكيمياء . ولكنه اختار طريق النضال الثورى ضد النظام القيصرى ، وكان عضوا فى الجمعية السرية « ارادة الشعب » ، التى تكونت فى روسيا **سنة ١٨٧٩** . وكان الاخ الاكبر قد بدأ يتحول من الشعبية الى الماركسية ، وعن طريقه عرف لينين الفكر الماركسى .

● **وفى عام ١٨٨٦** ، مات الاب . وقبل ان تفيق الاسرة من محنة فقد عائلها ، قبض على الاخ الاكبر الكسندر **فى مارس سنة ١٨٨٧** ، لاشتراكه فى محاولة لاغتيال القيصر الكسندر الثالث .

● **وفى مايو سنة ١٨٨٧** ، اعدم « الكسندر » . وبالرغم من حب لينين لشقيقه الاكبر ، واعجابه برجولته وبطولته ، غير انه لم يكن يؤمن بالاغتيال كوسيلة لاسقاط القيصرية وتحرير الكادحين ، وفضل البحث عن طريق آخر .

● **وفى اغسطس سنة ١٨٨٧** ، التحق « لينين » بكلية الحقوق بجامعة قازان ، وفى الجامعة بدأ يتصل بالعناصر الطليعية الثورية .

● **وفى ديسمبر سنة ١٨٨٧** ، طرد « لينين » من الجامعة ، واعتقل لنشاطه الثورى ، وأبعد الى قرية كوكوشكينو ، ووضع تحت رقابة البوليس . وهناك انصرف الى القراءة ومواصلة الدراسة بنفسه ، وبعد مضى عام سمح له بالعودة الى قازان . ولكن السلطات رفضت طلبه للعودة الى الجامعة .

● وفى « قازان » ، انضم لينين الى احدى الحلقات الماركسية التى نظمها « فيدوسييف » ، وهو واحد من الماركسيين الثوريين الروس الاول . ووجد « لينين » فى الماركسية العلم الذى يشرح قوانين تطور المجتمع ، ويبين الطرق الثورية لاعادة خلقه من جديد . ورأى فيها السلاح الفكرى الذى تستطيع الطبقة العاملة الروسية عن طريقه ، تحرير نفسها وتحقيق الاشتراكية .

● **وفى اواخر سنة ١٨٨٩** ، رحل « لينين » الى سمارا ، وعاش فيها اربع سنوات ، انصرف خلالها الى العمل والدراسة وتعلم اللغات الاجنبية ، وخاصة الالمانية . وقرأ مؤلفات ماركس وانجلز بالالمانية . وترجم الى اللغة الروسية « البيان الشيوعى » . وكان يدرس سرا فى حلقات الشباب الثوريين ، كما عنى بنشر التعاليم الماركسية .

● وفى سمارا ، ناضل « لينين » ضد الشعبيين خصوم الماركسيين ، وانتقد تعاليمهم وافكارهم ، وبين خطأ نظريتهم المنافية للواقع الروسى ، والزعم بأن الرأسمالية لن تتطور فى روسيا ، وانكار دور الطبقة العاملة التاريخى . حيث كانوا يعتقدون ان الفلاحين هم القوى الثورية الاساسية التى تناضل ضد القيصرية .

● **وفى خلال سنة ونصف السنة** ، درس « لينين » البرنامج الدراسى الجامعى المعد لاربع سنوات . **وفى عام ١٨٩١** ، اجتاز بنجاح كبير امتحان كلية الحقوق بجامعة

بطرسبورج ، وحصل على شهادة الحقوق . وفى بداية سنة ١٨٩٢ ، أصبح يزاول مهنة المحاماة فى مدينة سمارا .

● وفى مدينة سمارا ، نظم « لينين » أول حلقة ماركسية ، استطاعت ان تجذب اليها عددا كبيرا من الاعضاء ، كما بدأ يتصل بالماركسيين فى مدن الفولجا .

● وفى اغسطس سنة ١٨٩٣ ، انتقل « لينين » الى العاصمة بطرسبورج ، التى تعد من أهم المراكز الصناعية ، وتتركز فيها جماهير العمال . وكانت توجد فيها حلقات ماركسية سرية ، انضم لينين الى واحدة منها ، وكان قد اصبح ماركسيا ثوريا . وبفضل اطلاعه العميق على الماركسية ، وبراعته فى تطبيقها على الواقع الروسى ، وكفاءاته التنظيمية ، أصبح قائدا للماركسيين فى بطرسبورج .

● وفى صيف سنة ١٨٩٤ ، وضع « لينين » كتابه : « من هم أصدقاء الشعب ، وكيف يناضلون ضد الاشتراكيين الديمقراطيين ؟ » . وفيه نقد لينين تعاليم « الشعبيين » ، وهم من المثقفين الثوريين ، بوصفهم المعبرين عن مصالح الكولاك [كبار الملاك فى الريف] . وكان لينين أول ماركسى تقدم بفكرة تحالف العمال والفلاحين ، من أجل اسقاط القيصرية وكبار ملاك الاراضى والبورجوازية ، واقامة المجتمع الاشتراكى الجديد . ووضع « لينين » أمام الماركسيين فى روسيا مهمة توحيد الحلقات الماركسية ، وتكوين حزب ثورى واحد ليقود حركة العمال . وقد طبع الكتاب ونشر سرا فى عدد قليل من النسخ .



● وفى نفس العام ، وضع « لينين » كتابه الثانى « المحتوى الاقتصادى للنزعة الشعبية » . ولم يقتصر فيه بالهجوم على ايديولوجية الشعبيين ، بل هاجم أيضا جماعة « الماركسيين الشرعيين » ، وهم من المثقفين البورجوازيين ، الذين كانوا يكتبون عن الماركسية فى الصحافة الروسية العلنية ، ويجردونها من محتواها الثورى . وذلك بالتوفيق بينها وبين المصالح البورجوازية الروسية .

● وفى ذلك الوقت ، تعرف لينين على « ناديجا كروبسكايا » ، المدرسة فى مدرسة الاحد المسائية العمالية ، وكان كثيرون من تلاميذها أعضاء فى الحلقات التى يقودها لينين ، وكانت القضية المشتركة أساسا للصداقة العميقة التى ربطت بين الاثنين .

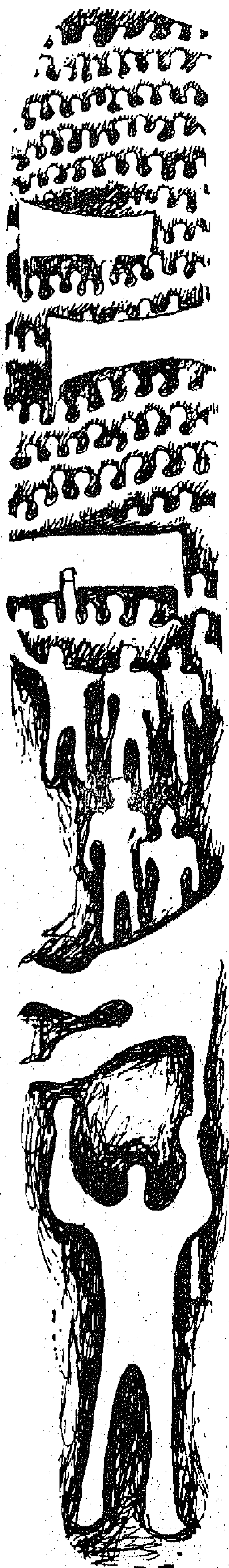
● وفى ربيع عام ١٨٩٥ ، سافر لينين الى سويسرا ، بناء على تكليف من الماركسيين فى بطرسبورج ، لاقامة الروابط مع جماعة « تحرير العمل » ، أول جماعة ماركسية روسية أسسها « بليخانوف » ، رائد الماركسية فى روسيا ، الذى فر ورفاقه الى جنيف سنة ١٨٨٣ . وقد قاموا بترجمة كتب ماركس وانجلز الى اللغة الروسية ، وارسالها الى روسيا سرا .

● وفى سويسرا ، اتفق لينين مع بليخانوف وآكسيلرود على الاشتراك فى نشر مجموعة مقالات ، تحت عنوان « رابوتنيك » [العامل] . ثم سافر لينين الى باريس وبرلين للاطلاع على حركة العمال فى أوربا الغربية ، وفى باريس تعرف على « بول لافارج » ، صهر كارل ماركس وأحد قادة الحركة العمالية الفرنسية البارزين ، وكانت أمنيته التعرف الى « فريدريك انجلز » ، زميل ماركس ، فى تأسيس النظرية الاشتراكية العلمية ، ولكنه لم يتمكن من تحقيقها ، فقد كان انجلز يعانى وقتذاك المرض الشديد .

● وفى سبتمبر سنة ١٨٩٥ ، عاد لينين الى « بطرسبورج » ، وانصرف الى العمل الثورى ، دون أن يخشى الرقابة البوليسية ، وقد غير مكان اقامته مرات عديدة .

● وفى ذلك الوقت ، وحد « لينين » حلقات عمال بطرسبورج الماركسية فى منظمة سياسية واحدة ، أطلق عليها اسم « اتحاد النضال فى سبيل تحرير الطبقة العاملة » . وكانت هى الجنين التى تكون منها الحزب الماركسى فى روسيا .

● وفى ديسمبر سنة ١٨٩٥ ، قبض على لينين وعدد كبير من قادة « اتحاد النضال » ،



وقضى لينين اكثر من ١٤ شهرا فى سجن بطرسبورج فى زنزانة منفردة ، ولكنه استمر يناضل وهو سجين ، ووجد الوسيلة لقيادة اتحاد النضال والاتصال بالرفاق فى الخارج ومراسلتهم . وفى السجن كتب اول مشروع برنامج للحزب الماركسى ، وبدأ كتابة مؤلفه الكبير « تطور الراسمالية فى روسيا » .

● وفى شهر فبراير سنة ١٨٩٧ ، حكم على لينين بالنفى الى سيبيريا لمدة ثلاث سنوات .

● قاسى لينين من الحياة فى المنفى ، ولكنه لم ينقطع عن العمل الثورى ، واهتم بدراسة ظروف معيشة وحالة الفلاحين وعمال مناجم الذهب فى سيبيريا ، وتقديم الإستشارات القانونية لهم ، ومساعدتهم فى دفع مظالم الاغنياء والسلطات المحلية .

● وفى العام التالى ، وصلت « ناديجاكروبسكايا » الى سيبيريا ، وقد اعتقلت فى قضية « اتحاد النضال » ، ونفيت الى مديرية « اوفا » . ولكن سمح لها بقضاء مدة النفى فى قرية شوشينسكويه ، بوصفها خطيبة لينين . وهناك تزوجا ، وظلت حتى وفاته صديقته الحميمة ، ومساعدته المخلصة ، وزوجته الوفية .

● وفى المنفى ، كان لينين يتلقى الكتب والمجلات والمطبوعات التى يحتاجها فى دراساته . وقد وضع لينين برنامج الحزب ، وكتب أكثر من ثلاثين بحثا ، حدد فيها مهام الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الروس . كما انجز مؤلفه الضخم « تطور الراسمالية فى روسيا » .

● وكانت حياة لينين فى المنفى ، موزعة بين الدراسة والعمل الفكرى ، ومتابعة تطورات الحركة العمالية الثورية فى روسيا وفى الخارج . وقضاء وقت الراحة فى القيام بجولات للصيد فى الغابة والنزهة بجوار البحيرات والالتقاء بالرفاق المنفيين والاشتراك معهم فى المرح والغناء ، والرد على رسائل الاهل ، وكانت رسائله تفيض بالحب والحنان لامه ، وكان دائم القلق على صحتها ، وكان يرجوها دائما ان تكون مطمئنة بشأنه .

● وفى عام ١٨٩٩ ، كتب لينين « احتجاج الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الروس » ، فى الرد على برنامج « الاقتصاديين » ــ وهم الجناح الانتهازى من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس ــ وكانوا يدعون فيه العمال الى خوض النضال الاقتصادى وحده من أجل رفع الاجور وتخفيض ساعات العمل ، وتحسين ظروف العمل ، والتخلى عن النضال السياسى للبورجوازية . وكان « لينين » يرى فى نشاط الاقتصاديين خطرا كبيرا يتهدد حركة العمال الروس ، ودفعها الى التفاهم مع البورجوازية ، واخضاع مصالح العمال لمصالح البورجوازية .

● وقضى لينين الاشهر الاخيرة بالمنفى ، فى وضع مشروع انشاء حزب ماركسى فى روسيا . وتقول كروبسكايا عن تلك الايام « جفا النوم عينى فلاديمير ، واصيب بهزال مريع ، كان يقضى الليالى وهو يعمل الفكر فى مشروعه بجميع جزئياته ، وبمقدار ما كانت الايام تمر ، بمقدار ما كان صبر فلاديمير يقل ، وبمقدار ما كان شوقه الى العمل يشتد » .

● وفى يناير سنة ١٩٠٠ ، افرج عن لينين ، بعد انتهاء مدة النفى ، وقد حظرت عليه الاقامة فى بطرسبورج وفى المراكز الصناعية . وقد اختار الاقامة فى مدينة بسكوف .

● وفى مايو سنة ١٩٠٠ ، اعتقل لينين لدخوله بطرسبورج سرا ، واصبحت الاقامة فى روسيا بالنسبة له خطرا يتهدد حياته . ولقد كتب قائد البوليس فى تقرير الى رؤسائه يقول : « لا يوجد فى الثورة اليوم شخص أكبر من لينين » ، واقترح تدبير اغتياله .

● **وفي يوليو سنة ١٩٠٠** ، سافر لينين الى الخارج . وفي مدينة ميونيخ بالمانيا ، شرع لينين فى تنظيم اصدار جريدة ثورية لعامة روسيا باسم « الايسكرا » أى (الشرارة) . وقد واجهت هيئة تحرير الجريدة جملة متاعب ، وقدم الاشتراكيون الديموقراطيون الالمان مساعدات كبيرة فى اعداد بناء للمطبعة ، وتوفير الحروف الروسية .

● **وفي ديسمبر سنة ١٩٠٠** ، ظهر العدد الاول من جريدة « الايسكرا » . وقد حملت الجريدة فى صدر كل عدد ، عبارة لينين المأثورة « من الشرارة يندلع اللهب » . وجاء صدورها في وقت كانت تتصاعد فيه الحركة الثورية فى روسيا ، وعلى رأسها الطبقة العاملة ، وكثرت اضرابات العمال والفلاحين والطلبة . ورأى « لينين » أن الظروف اصبحت تتطلب تكوين حزب ماركسي منظم قوى لقيادة هذه الحركة . وناضلت الايسكرا اللينينية لتأسيس هذا الحزب .

● وكانت الايسكرا تنشر أنباء الحركة الثورية فى روسيا ، وكانت تحمل الى روسيا سرا ، وازداد انتشارها بين العمال الروس ، وكتب أحد العمال الروس يقول : « عندما نطالع الايسكرا ، نفهم سبب خوف الدرك والشرطة منسا نحن العمال ، ومن اولئك المثقفين الذين نسير نحن وراءهم » .



● **وفي فبراير سنة ١٩٠٢** ، وضع لينين كتابه « ما العمل ؟ » ، شرح فيه مشروع الحزب البروليتارى المطلوب تأسيسه ، حزب من طراز جديد لا يشبه الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية القائمة وقتذاك ، وشدد لينين على أهمية النظرية الماركسية لطبقة العمال ولحزبها ، وانه « بدون نظرية ثورية ، لا يمكن أن تكون هناك حركة ثورية » . وحدد البرنامج أهداف الحزب ، وهى : اسقاط القيصرية واقامة الجمهورية الديمقراطية .

● **وفي ابريل سنة ١٩٠٢** ، انتقل « لينين » ، هو وهيئة تحرير الايسكرا ، الى لندن . وذلك بعد اكتشاف البوليس الالمانى لمقر الجريدة فى ميونيخ ، واختيرت لندن مكانا جديدا لاصدار الجريدة .

● وفي لندن ، درس لينين الحركة العمالية وحياة الانجليز ، وحضر اجتماعاتهم . وكان يقضي جزءا كبيرا من وقته فى مكتبة المتحف البريطانى الشهيرة ، وهى نفس العادة التى كان يتبعها كارل ماركس من قبل .

● وبدأ لينين يعد للمؤتمر الثانى لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطى الروسى ، الذى اصبح حزبا ماركسيا ثوريا . **وفي يوليو سنة ١٩٠٣** ، افتتح المؤتمر ، وفي البداية عقد المؤتمر جلساته فى بروكسل ، ثم انتقل الى لندن ، بسبب مطاردة الشرطة البلجيكية . وقد تصدى لينين داخل المؤتمر للاتجاهات الانتهازية التى تقول ، بأنه يكفى المرء لكى يعتبر عضوا فى الحزب ، أن يعترف ببرنامج الحزب ، وان يقدم له المساعدة المادية ، دون الالتزام بالاشتراك فى منظمات الحزب والخضوع لنظام الحزب ، الامر الذى يجعل الحزب مائعا ، ويفتح ابوابه أمام العناصر المتذبذبة ، ومما يحول دون انتصار العمال على أعدائهم الطبقيين .

● وقد كان المؤتمر بداية الانشقاق داخل حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى ، وظهور الاتجاه البلشفى [أى الاغلبية] ، الذى يتزعمه لينين ، ضد جماعة المنشفيك [اى الاقلية] .

● **وفي مايو سنة ١٩٠٤** ، أصـــدر « لينين » كتابه « خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء » . وكشف فيه عن انتهـازية المناشفة ، وطور التعاليم الماركسية بشأن الحـزب ، بوصـــفه المنظمـــة القـــائدة للبروليتاريا . وأوضح « لينين » ان الحزب هو جزء من الطبقة العـــاملة ، وفصـيلتها الامامية الواعية ، وانه لا يمكن للحزب أن يقود نضال البروليتـــاريا بنجاح ، الا حين يتحد جميع أعضـــائه فى فصيلة واحـــدة ، تبلورها وحدة الارادة والعمل .

● **وفى صـــيف عـــام ١٩٠٤** ، ناضـــل « لينين » من أجـــل عقـــد المؤتمر الثـــالث للحزب ، نظرا للوضع التاريخى الناشىء فى روسيا ، ومواجهة متطلبات الثورة الآخذة فى النضج ، والاستعداد لها ، ومن ناحية أخرى ، كان لابد من وضـــع حد لنشـــاط المناشفة الانشقاقى ، الذين احبطوا قرارات المؤتمر الثانى ، وأفسدوا عمل الحزب .

● **وفى ٩ يناير سـنة ١٩٠٥** ، أطلقت النيران فى بطرســبورج على العمال الذين توجهوا الى القيصر ، فى مظاهرة سلمية ، ليتقـدموا اليه بطلبـــاتهم ، وهزت المذبحة البلاد من أقصاها الى أقصاها ، ورأى لينين فى هذه الاحداث بداية الثورة ، وكان يوجه بنفسه لجان الحزب . كما رأى أيضـــا أن الثورة ســـتنمو وتتطور ، وأن هذا الظرف يلقى على عاتق الحزب أعظم المســئولية ، وانه يتعين عليه تحديد اتجاهه السلوكى فى الثورة ، والاتفاق على أشـــكال ووســـائل النضال . وطلب « لينين » ، بالحاح ، عقد المؤتمر الثالث للحزب ، وأخذ يحضر له بكل نشـــاط .



● **وفى ابريل سـنة ١٩٠٥** ، ســـافر « لينين » من جنيف الى لنـــدن ، لحضـــور المؤتمر الثـــالث للحـــزب الاشـــتراكى الديمقراطى ، وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر بلشـــفى ، اذ رفض المناشـــفة حضوره ، ونظموا فى جنيف مجلســـا عاما لهم . وقد وصـــف لينين الوضـــع فى الحزب بقوله : « مؤتمران ـــ حزبان » .

● وقاد لينين عمل المؤتمر ، وألقى عددا من التقارير والخطـــابات ، وأعد القرارات الاســـاسية بصـــدد الانتفاض المســـلح ، والحـــكومة الثورية المؤقتة ، والموقف من حركة الفلاحين .

● **وفى يوليو سنة ١٩٠٥** ، أصدر لينين كتابه « خطتا الاشـــتراكية ـــ الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية » . وبين لينين فى كتابه ان البلاشـفة والمناشفة وقفوا موقفين مختلفين فى نظـــرتهم الى الثـــورة ، والى قواتها المحركة .

فقد كان البلاشـــفة يعتبرون ان الثورة التى بدأت فى روسيا ، من حيث مضمونها ، **ثورة ديمقراطيـــة بورجوازية** ، وان مهمتها كانت القضاء على بقايا القنانة ، واســـقاط القيصرية ، واعلان الحريات الديمقراطية ، وكانت للبروليتـــاريا مصلحة فى انتصـــار الثورة البورجوازية انتصـــارا تاما ، لانها تقرب وتسهل نضالها فى سبيل الاشتراكية ، وانه ينبغى للبروليتـــاريا ان تكون القـــوة المحركة فى الثـــورة وزعيمتهـــا ، وحلفاء البروليتاريا هم الفلاحون اصحاب المصلحة فى انتزاع الارض من الاقطـــاعيين ، وأن البورجوازية الروســـية كانت تريد الحفاظ على القيصرية ، وهى لا تستطيع ان تكون ثورية ، بسبب طبيعتها الطبقية ، ولذا يجب فصل البورجوازية وعزلها عن الجماهير .

أما خطة المناشفة ، فقد انبثقت من نقطة الانطـــلاق التـــالية : ما دامت الثـــورة

بورجــــوازية ، فينبغي للبورجــوازية أن تتزعمها، وان دور البروليتاريا هو تأييدها ؟ وعارض المناشفة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، لانهم لم يكونوا يؤمنون بقوة الفلاحين الثورية ، وعارضوا بشدة ضرورة الانتفاض المسلح .

وبين لينين ان الخطة المنشفية هى خطة خيانة الثورة ، وتهدف الى اخضاع البروليتاريا لقيادة البورجوازية ، والخوف من احتمال انتصار الثورة الشعبية .

● **وخلال ربيع وصيف سنة ١٩٠٥** ،تصـــاعدت الحركة الثورية ، ووقعت اضرابات كبيرة فى المراكز الصـــناعية ،وشملت حركة الفلاحين مناطق عديدة .

● **وفى شهر يونيو سنة ١٩٠٥** ، اندلعت انتفاضة المدرعة « بوتومكين » ، من اسطول البحر الاســـود . وأولى « لينين » هـذا الحادث اهتماما كبيرا ، وأرسل « فاسيليف يوجين » الى ميناء « أوديسا » ، لمساعدة السفينة الثائرة ، غير انه وصل متأخرا ، بعد ان غادرت المدرعة الميناء .

● **وفى اكتوبر ســنة ١٩٠٥** ، اندلع اضراب سياسى عام ، واصاب الشلل التام كافة مظاهر الحياة فى البلاد ، وكان هـذا الاضراب شــكلا جـديدا فى نضــال البروليتاريا الســياسى لم يحدث من قبل ،وطلب العمــال من القيصر التنـازل عن العرش ، وقد أصـدر القيصر بيانا وعد فيه باحترام الحريات العامة . غير ان « لينين » حذر من الثقــة بوعود القيصر ، وأعلن ان مهمــة البروليتــاريا هى فى الاســتمرار بتصــعيد الثورة وقيــادة الجمــاهير الى الانتفاض المسلح .

● **وفى نوفمبر ســنة ١٩٠٥** ، وصــل لينين الى بطرســبورج سرا ، قــادما من جنيف . وأخذ يقود ، بصــورة مبــاشرة ، الحزب والنضــال الثورى . وكانت حكومة القيصر تسعى الى اعتقال « لينين » لحرمان الثورة من قائدها ، وقد اضــطر لينين الى تغيير مكسنه مرات ، وان يهرب الى فنلندا عدة مرات .

● **وفى ديسمبر ســنة ١٩٠٥** ، وقعت انتفاضة عمال موسكو المســلحة ، وكانت ذروة الاحداث ، واستمرت تســعة ايام ،وقعت خلالها معــارك عنيفة بين آلاف من العمال المســلحين ضــد جيش القيصر فى موسكو ، ونيجنى نوفجورود ، وروستوف ونوفوروســييسك ، ويكاتيرينوســلاف ،واوفا ، وغيرها من المدن . وقمعت الحكومة القيصرية ، بمنتهى القسوة ، جميع هـذه الانتفاضات المتفرقة .

● وقدر لينين آيات البطولة العمالية فى هذه الانتفاضــات ، التى كان يراها بمثابه مدرسة ربت أجيالا جديدة من المناضــلين ،ونوه بما انطوت عليه من نواح أيجــابية ، وبين اسباب انهزامها . واشار الى انه كان ينبغى حمل الســلاح بحــزم أكبر ، وشن معــارك هجوميــة ، بــدلا من المعــارك الدفاعيــة ، والعمل لاكتســاب الجنود ، واشراك الفلاحين فى النضال العام . ودعا « لينين » جميع العمــال الواعين ، الى دراسة دروس الانتفاضة ، والى الاستعداد لخوض معارك جديدة .

● ولم يحل الهدوء فى الثورة ، فالجماهير الشعبية لم تبد رغبة فى التقهقر ، واستمر غليــان الفلاحين والنضــالات الثورية فى الاسطول والجيش . وقاد لينين نضــالات البروليتاريا الكفاحية الجماهيرية ، والسير بالثورة الى الامام . وطالب العمال بوحدة الحزب ، لكى يسير نضالهم ضد القيصرية فى اتجــاه أضــمن للنجــاح ، وأيد لينين والبلاشــفة هـذا الطلب ، واقترحوا على المناشفة عقد مؤتمر توحيدى .

● **وفى ابريل ســنة ١٩٠٦** ، انعقد فى ســتوكهولم بالســويد ، المؤتمر الرابع ، التوحيدى ، لحزب العمــال الاشتراكى ــ الديمقراطى الروسى . وكان التفوق عددي فى المؤتمر للمناشفة ، واحتدم بين البلاشفة والمناشفة نضال عنيف . ووافق لينين على التوحيد ، ولكنه عارض طمس الخلافات ،ووجه اشد النقد لاتجاه المناشفة الانتهازى

● واستغل المناشفة تفوقهم العددى فى المؤتمر ، وفرضوا قراراتهم ، وانتخبوا فى

اللجنة المركزية أكثرية ممثليهم . والتوحيد الذى تم فى المؤتمر لم يكن سوى اجراء شكلى بين البلاشفة والمناشفة ، وبقى كل منهما متمسكا برأيه فى القضايا الهامة المتعلقة بالثورة وبنشاط الحزب . واستمر لينين ، بعد انتهاء المؤتمر ، يدافع عن خطة البلاشفة . ونجح لينين ، بعد نضال عنيف ، فى جمع صفوف المنظمات الحزبية حول البلاشفة ، وطرح مهمة عقد مؤتمر جديد للحزب ، واخذ يعد له نشاط .

● **وفى ابريل سنة ١٩٠٧** ، سافر لينين الى لندن ، للاشتراك فى مؤتمر الحزب . وتقدم أمام المؤتمر بتقرير حول قضية الموقف من الاحزاب البورجوازية ، وكانت أكثرية المؤتمر بجانب البلاشفة ، الذين سجلوا نصرا هاما على المناشفة .

● **وفى يونيو سنة ١٩٠٧** ، وصل « لينين » الى روسيا ، قادما من لندن ، وقد بات واضحا ان الثورة قد هزمت ، وانتقلت الحكومة القيصرية الى شن هجوم حاسم ضد القوى الثورية . وبدأت السنوات العصيبة الحالكة السواد فى تاريخ روسيا .



● وضاعفت قوات الامن فى بطرسبورج من مطاردتها للينين ، والبحث عنه . وهرب « لينين » الى فنلندا ، وطلبت السلطات الروسية تسليمه من فنلندا ، غير ان اقامته فى مكانه الجديد اصبحت امرا خطرا ، وقد اتخذ المركز البلشفى قرارا بسفر لينين الى الخارج . بيد ان الخروج من فنلندا لم يكن امرا سهلا . واضطر لينين الى أن يركب السفينة لا من رصيف الميناء ، بل من احدى الجزر ، وكان عليه لبلوغ الجزيرة ، ان يسير ليلا فى الخليج الفنلندى على جليد لم يتماسك بعد ، وكاد ان يغرق ، فقد أخذ الجليد ينزاح تحت قدميه ، وفيما بعد تذكر « لينين » ما كان يفكر فيه فى تلك اللحظة ، وهو : « ما أبلد مثل هذا الموت » . وتمكن لينين من الهرب ، وقد استمر وجوده فى الخارج هذه المرة ، أكثر من تسعة أعوام .

● **وفى اغسطس سنة ١٩٠٧** ، اشترك لينين فى مؤتمر الاممية الثانية بمدينة شتوتجارت بألمانيا ، وقدم لينين مع روزا لوكسمبرج ، اقتراحا ذا أهمية تاريخية ، ويتعلق بموقف الاشتراكيين من قضية الحرب ، ويلزم الاشتراكيين باستغلال الازمة الناجمة عن الحرب من أجل استثارة الجماهير واسقاط الرأسمالية . وقد وافق المؤتمر على هذا الاقتراح .

● **وفى يناير سنة ١٩٠٨** ، وصل لينين الى جنيف . وقد كان للكلمات التى توجه بها باسم الحزب ، دوى عظيم : « استطعنا ان نعمل سنوات طويلة قبل الثورة ، وليس من باب الصدف ان خلعوا علينا صفة الصلابة ، لقد اسس الاشتراكيون — الديمقراطيون حزبا بروليتاريا لا يفقد معنوياته لاخفاق أول هجوم عسكرى . حزبا لايركب رأسه ولا تجذبه المغامرات .. وهذا الحزب سائر الى النصر » .

● واخذ لينين يعد العدة لاستئناف اصدار الجريدة البلشفية « بروليتارى » . وضم الى أسرة تحريرها الكاتب « مكسيم جوركى » و « لوناتشارسكى » ، وغيرهما من الكتاب البلاشفة المعروفين . وصدر العدد الجديد من « بروليتارى » فى شهر فبراير سنة ١٩٠٨ .

● وعمل « لينين » على صيانة وتقوية منظمات الحزب السرية ، والعمل فى الوقت نفسه داخل المنظمات الجماهيرية العلنية ، وداخل مجلس الدوما [البرلمان] . وقد

أخذ المناشفة ، بعد انهزام الثورة ، ينسحبون من الحزب ، ويتبرأون من شعارات الحزب وبرنامجه الثوري ، وأخذوا يدعون الطبقة العاملة الى التفاهم مع البورجوازية ، والى التسليم بالاوضاع ، والى الغاء الحزب السري . وقد شهر لينين بالمناشفة ، ووصفهم بالمصفين ، أعداء الحزب ، وبين ضرورة النضال ضدهم بلا هوادة .

● **وفي اواخر سنة ١٩٠٨** ، نقل «لينين» مقر اصدار جريدة « بروليتاري » الى باريس ، التي كانت وقتذاك مركز المهاجرين الروس . وفي باريس دعا « لينين » الى عقد مجلس عام يمثل الحزب في روسيا كلها ، وسارت أعمال المجلس العام تحت شعار : « النضال ضد اتجاهي التصفية والانسحاب من المنظمات العلنية الجماهيرية » ، التي كان المناشفة وبعض العناصر اليسارية من البلاشفة يدعون اليها . وكان المجلس العام ، كما وصفه « لينين » : « نقطة انعطاف في حياة الحزب في تلك السنوات العصيبة ، وكان انتصارا كبيرا للبلاشفة » .

● **وفي شهر مايو سنة ١٩٠٩** ، وضع لينين كتابه : « المادية ومذهب النقد التجريبي » ، الذي عمم فيه كل ما حققته تجارب وأبحاث العلماء في عصره ، في ميدان الفلسفة والعلم . وقد فضح فيه اعداء الفلسفة الماركسية التحريفيين ، وبين الطابع الرجعي للفلسفة البورجوازية المعاصرة ، ودافع فيه عن الاسس النظرية للحزب الماركسي ، وعن الصلة الوثيقة بين الفلسفة والسياسة .

● **وفي يونيو سنة ١٩٠٩** ، عقدت هيئة تحرير « بروليتاري » ، برئاسة لينين ، اجتماعا موسعا ، وتصدى فيه للعناصر التي تطالب بالانسحاب من مجلس الدوما والمنظمات الجماهيرية العلنية ، اولئك الذين يحبون الكلمات الثورية المنمقة ، ولكنهم لا يحسنون العمل الثوري اليومي العادي ، ولا يريدون القيام به . وكتب لينين يقول فيما بعد : « ان البلاشفة استطاعوا بعد انهزام الثورة ، أن يتقهقروا بنظام ، وأنهم ما كانوا ليستطيعوا الحفاظ على صفوفهم ، لو لم يشهروا ، دون رحمة ، بثوريي الكلمات ويطردوهم » .

● وهاجم لينين « تروتسكي » ، الذي كان يعوق نضال البلاشفة ، من أجل حزب ثوري ، ويدافع عن التصفية ، بزعم انه يريد بلوغ السلام في الحزب ، وأخذ يكون من الفرق والتيارات المعادية للحزب كتلة ضد لينين ، وقد وصفه لينين بأنه منافق ووصولي ، وبأنه « يهوذا » .

● وعمل لينين ، في هذه الفترة ، على تلخيص نتائج الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ — ١٩٠٧ ، ودراسة الخبرة الناشئة من نضال الجماهير . ورأى أن البروليتاريا اكتسبت دور الزعامة في الثورة الديمقراطية . وبين مبلغ أهمية تعزيز تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، وأظهرها للثورة الروسية من أهمية عالمية كبرى ، وتأثيرها في اتساع نضال الشعوب الاسيوية ، في سبيل التحرر الوطني ، وفي نهوض الحركة الثورية بأوربا .

● وبذل لينين الكثير من وقته لدراسة المسألة الزراعية وأوضاع ملكية الارض في روسيا ، ووضع في تلك الفترة مؤلفه الهام « برنامج الاشتراكية — الديمقراطية الزراعي في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ — ١٩٠٧ » . وبين فيه أن الارض لا ينبغي ان تكون ملكا لكبار ملاكي الاراضي والرأسماليين ، انما ينبغي بعد اسقاط القيصرية ، أن تصبح ملكا للدولة ، ليستفيد منها الفلاحون دون مقابل .

● **وفي خريف سنة ١٩١٠** ، سافر لينين الى ستوكهولم ، للقاء أمه ، التي لم يرها منذ ثلاث سنوات ، وكانت قد حضرت من روسيا لرؤيته . وفي يوم سفرها سار لينين في وداعها حتى الميناء ، ولكنه لم يستطع الصعود الى الباخرة ، التي كانت ملكا لشركة روسية ، وكان يمكن أن يعتقل فيها . وكتبت زوجته كروبسكايا تقول : « كانت هذه آخر مرة يرى فيها أمه ، وقد أحس قلبه ذلك ، وظل يشيع الباخرة

المبتعدة بعينين حزينتين ، وحينما عاد الى روسيا فى سنة ١٩١٧ ، كانت أمه قد فارقت الحياة » .

● وفى سبتمبر سنة ١٩١٠ ، عاد لينين الى باريس ، وقد استطاع ان يقود الحزب فى هذه المرحلة العصيبة الحالكة ، وان يحدد له الطريق الصحيح لمواصلة التقدم الى الامام .

● وفى صيف وخريف سنة ١٩١٠ ، بدأت نبوءة لينين تتحقق . واخذت حركة العمال والجماهير الثورية فى روسيا تنتعش من جديد . فقد وقعت فى مصانع بطرسبورج وموسكو والمدن الكبيرة ، الاضرابات والمظاهرات والاجتماعات الجماهيرية ، وأخذ الحزب البلشفى يترأس حركة الجماهير الثورية .

● وفى ربيع سنة ١٩١١ ، كون لينين مدرسة حزبية فى بلدة « لونجيومو » ، على مقربة من باريس ، للعمال المناضلين السريين فى منظمات الحزب . وكان لينين يشرح للعمال بعبارات سهلة واضحة ، أصعب قضايا الاقتصاد السياسى والفلسفة ونظرية الاشتراكية العلمية . وفيما بعد تم ارسال هؤلاء العمال الى روسيا ، للعمل داخل منظمات الحزب .

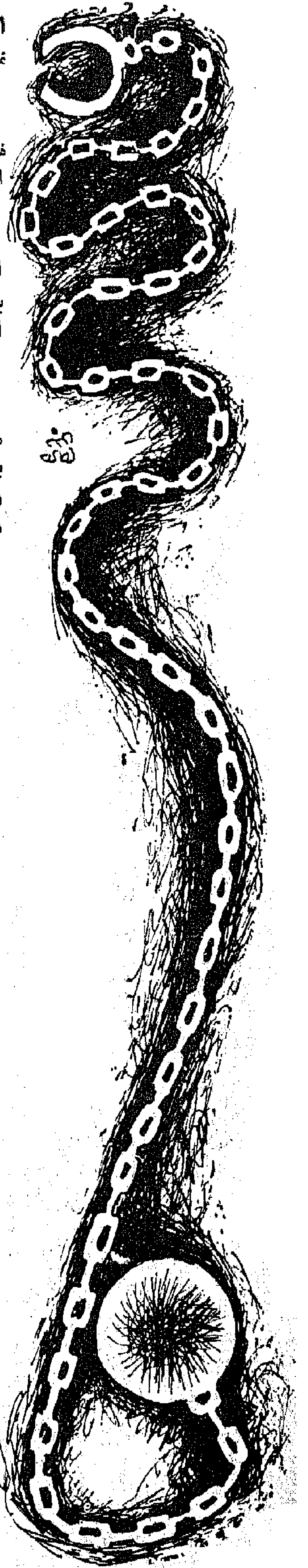
● ومع انتعاش حركة العمال والجماهير الثورية ، بدأ لينين يفكر فى مسألة تعزيز هيئات الحزب القيادية ، وتقوية عمل المنظمات الحزبية ، واتخذ لينين التدابير لعقد مجلس حزبى عام .

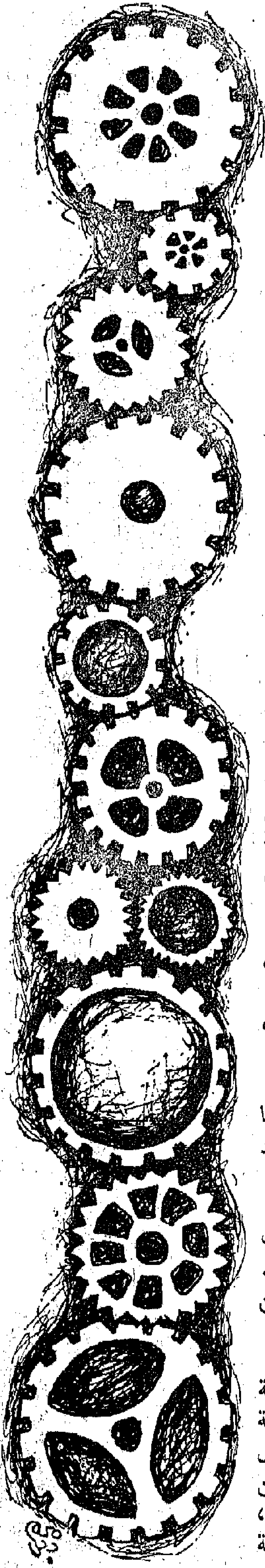
● وفى يناير سنة ١٩١٢ سافر لينين من باريس الى براغ ونزل هو وجميع المندوبين ضيوفا على العمال التشيكيين ، وفى مبنى مطبعة وهيئة تحرير الجريدة الاشتراكية — الديمقراطية التشيكية ، اجتمع المجلس الحزبى العام ، وقام المجلس بدور بالغ الاهمية فى بناء الحزب البلشفى ، اذ قرر طرد المناشفة المصفين من صفوف الحزب ، والنضال ضد تيار التصفية ، كما انتخب المجلس لجنة مركزية على رأسها لينين وتألفت من رجالات الحزب البارزين ، الذين أظهروا رباطة الجأش والرجولة فى العمل السرى المرهق .

● وبعد انتهاء المجلس عاد لينين الى « باريس » ، ثم انتقل الى « كراكوف » لكى يكون قريبا من روسيا التى اخذت تتصاعد فيها الحركة الثورية .

● وفى ابريل ١٩١٢ ، انشئت بمبادرة عمال بطرسبورج جريدة بلشفية علنية باسم [البرافدا] — وتعنى فى اللغة الروسية [الحقيقة] . واعد العدد الاول « ستالين » و « بوكروفسكى » [النائب فى مجلس الدوما الثالث] وغيرهما . وكان لينين يوجه البرافدا ويكتب لها بصورة يومية ويجند لها خيرة العناصر الادبية فى الحزب . وكتب يقول : « ان انتصار الحزبية هو انتصار البرافدا وبالعكس » . وايد لينين على صفحات البرافدا الثورة الصينية فى ذلك الوقت ، وكذلك الحركة الوطنية التحريرية فى البلدان الآسيوية الاخرى .

● وفى خريف سنة ١٩١٢ ، جرت انتخابات مجلس الدوما ، وقد اعتبر لينين ان الاشتراك فى الحملة الانتخابية سيساعد الحزب فى توثيق روابطه بالجماهير وينشط عمل المنظمات الحزبية . كتب يقول : « على نتيجة الانتخابات تتوقف امور كثيرة تتعلق ببناء الحزب » . وتولى لينين كتابة البرنامج الانتخابى ، وصدر فى منشور على حدة باسم اللجنة المركزية . وكان بمثابة توجيه للحزب فى حملته ، وقد تركزت حملة البلاشفة الانتخابية حول ثلاثة مطالب اساسية : الجمهورية الديمقراطية ، اقرار يوم عمل بثمانى ساعات ، ومصادرة جميع اراضى كبار ملاكى الاراضى . وتابع لينين المعركة الانتخابية وقدم الى هيئة تحرير البرافدا الارشادات لتنشيط وتقوية اشتراك العمال فى الانتخابات ، وقد انتخبت الدوائر الصناعية





السنت الرئيسية التى كانت تتركز فيها اربعة اخماس البروليتاريا الروسية كلها ، نوابا بلاشفة فى مجلس الدوما ».

● وكان لينين يوجه عمل النواب البلاشفة ، ويكتب معهم مشروعات الخطابات فى القضايا السياسية الهامة . كما كان النواب يقصدونه للتزود بارشاداته وبلور معهم استخدام منبر مجلس الدوما فى الدعاية الثورية ».

● حقق النواب العمال البلاشفة تحت قيادة لينين عملا كبيرا فى نشر الدعوة بين الجماهير ورفعوا علم الحزب فى مجلس موغل فى الرجعية . وقد كتب لينين يقول : « ان النواب البلاشفة لم يلمعوا بالعبارات الطنانة ، ولا بانفتاح منتديات المثقفين البورجوازية امامهم . وانما لمعوا بارتباطاتهم مع جماهير العمال ، بتفانيهم فى العمل بين هذه الجماهير بقيامهم بوظائف متواضعة ، غير مرئية ، صعبة ، لايذكرها لهم أحد ، وخطرة جدا بوظائف المنظم والداعية الذى يعمل فى السر » .

● **وفى نوفمبر سنة ١٩١٢** ، سافر لينين الى سويسرا للاشتراك فى المؤتمر فوق العادة للاممية الثانية فى مدينة [**بال**] ، وذلك بمناسبة حرب البلقان وقرب نشوب حرب اوربية دولية . وقد نبه « لينين » المؤتمر الى الطابع الاستعمارى للحرب العالمية المقبلة ، وطالب الاشتراكيين فى جميع البلدان بالنضال ضد الحرب .

● **وفى ربيع سنة ١٩١٣** ، ساءت صحة زوجته ناديجا كروبسكايا فسافر معها الى سويسرا للعلاج . وفى سويسرا القى لينين تقارير حول المسألة الوطنية فى مدن زوريخ وجنيف ولوزان وبرن . وفى طريق عودته القى تقارير فى نفس الموضوع فى باريس ولايبزيج وكراكوف ، وتركت تقاريره هذه أثرا عميقا فى نفوس المستمعين ».

● **وفى ذلك الوقت** كان الرأسماليون الاستعماريون يحضرون للحرب العالمية المقبلة ، وكانت الحكومة القيصرية تخنق الحركة الوطنية التحريرية ، وتحرض الشعوب ضد بعضها . وقد طرح لينين امام البلاشفة مهمة الذود عن وحدة حركة العمال الأممية ، وامتزاج نضال العمال الروس مع نضال العمال وجميع الكادحين فى الامم المظلومة .

● وكانت الحركة الثورية فى روسيا تتسع باستمرار ، وكانت الاضرابات الاقتصادية تتلاحم مع الاضرابات السياسية وكانت البلاد تسير نحو ثورة جديدة . واخذ « لينين » والبلاشفة يعدون لعقد مؤتمر حزبى جديد ، ولكن حالت نشوب الحرب الاستعمارية العالمية فى أغسطس **سنة ١٩١٤** ، دون ذلك .

● ودار الصراع فى الحرب بين فريقين من الدول الاستعمارية الكبرى : المانيا والنمسا والمجر من جهة ، وانجلترا وفرنسا وروسيا من الجهة الاخرى . وفيما بعد تدخلت فى الحرب ، الولايات المتحدة الامريكية واليابان ودول اخرى .

● وكان لينين يقيم فى النمسا **وقت اندلاع الحرب** . وقد اعتقلته السلطات النمساوية بناء على وشاية كاذبة بتهمة التجسس لحساب روسيا القيصرية (!) . وبقى فى الاعتقال لمدة اسبوعين ، ثم افرج عنه تحت ضغط القوى التقدمية والمثقفين عموما فى النمسا ، وسافر الى سويسرا وبقى هناك حتى **ابريل سنة ١٩١٧** .

● **وعند اندلاع الحرب** اخذت تتكشف امام لينين خيانة زعماء الاحزاب الاشتراكية فى بلدان اوربا الغربية الاستعمارية . وكانوا قد تعهدوا فى المؤتمرات الاشتراكية الأممية بالنضال ضد الحرب ، وباستنهاض الطبقة العاملة عند اندلاع الحرب للنضال فى سبيل اسقاط الرأسمالية ، ولكنهم خانوا مصالح العمال وجعلوا يبررون سياسة الحكومات الاستعمارية فى بلدانهم ، ويدعون العمال وشعوبهم الى تأييد الحرب ، وانه لاينبغى لهم فى ظروف الحرب خوض الصراع الطبقى ضد حكوماتهم الرأسمالية

الاستعمارية ، ويجب أن يعيشوا معها في سلام وان يدافعوا معها عن الوطن، واخذوا يحرضون العمال في بلادهم ضد عمال البلدان الاخرى — وكان بليخانوف من الاشتراكيين الروس البارزين الذين خانوا قضية الاشتراكية أمام ظاهرة الحرب .

● ورفع لينين والبلاشفة راية الاممية في هذا الظرف التاريخي العصيب ، ودعا لينين الى اشهار الحرب على الحرب التى سببت للشعب الآلام والنكبات .

● **وفى سبتمبر ١٩١٤** ، القى لينين في اجتماع عقده البلاشفة الذين يعيشون في سويسرا تقريرا بصدد الموقف من الحرب، اطلعهم فيه على مبادئه ، ومعارضته النداءات الانتهازية التى تمنع البروليتاريا من خوض النضال الطبقى ضد الرأسماليين الاستعماريين . وبين « لينين » أن « شعار [الدفاع عن الوطن] في الحرب الاستعمارية هو خداع للشعب، لان الحرب قد اشعلها الرأسماليون، ولان الرأسماليين لايشنونها دفاعا عن الوطن، انما يشنونها باسم ارباحهم، يشنونها بقصد نهب الشعوب الاخرى . وينبغي للثوريين فى كل البلدان المحاربة العمل على انهزام حكوماتهم في الحرب » (٥)



● **وفى نوفمبر ١٩١٤** ، اعاد لينين من جديد اصدار جريدة الحزب المركزية « سوسيال — ديموقراط » ، وصدر العدد الاول وقد تضمن بيان اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى ، وهو البيان الذى كتبه لينين على اساس مبادئه عن الحرب . وبذل لينين جهوده لكى تصل نداءات البلاشفة الثورية الى العمال فى روسيا والبلدان الاخرى . وشن لينين نضالا عنيفا ضد البورجوازية الروسية وخدامها الانتهازيين الذين ناهضوا شعارات البلاشفة ، واتهموا لينين والبلاشفة بعدم الاهتمام بمصالح الوطن .

● وكتب لينين **فى ذلك الوقت** مقساله الشهير « بصدد كرامة الروس الوطنية » بين فيه جوهر الوطنية البروليتارية الصادقة ، والموقف الصحيح من الوطن . وأن نضال حزبه البلاشفة من اجل الاشتراكية يجرى وفقا لمصالح الوطن ، وان المصالح الوطنية لعمال روسيا تتفق والمصالح الاشتراكية للطبقة العاملة فى العالم اجمع . وبين « لينين » كيف ينبغى للعمال أن يفهموا طابع الحرب ، وان يحددوا موقفهم منها ومن شعار « الدفاع عن الوطن » ، وبين أن « الحروب غير العادلة » هى حروب الغزو ، هى الحروب الاستعمارية التى تشنها البورجوازية ، والتى تستهدف قمع حركة الشعوب التى تدافع عن حرية بلادها واستقلالها . هذه الحروب التى تشن بقصد تعزيز سيطرة البورجوازية ونهب الشعوب الاخرى ، ولذلك ينبغى ان يناضلوا ضد هذه الحرب ، ولذا فان شعار « الدفاع عن الوطن » فى حالات هذه الحروب هو مجرد خدعة . واعتبر لينين ان « الحروب العادلة » هى الحروب الدفاعية التى تخوضها الشعوب ضد الغزاة الاستعماريين ، هى الحروب الوطنية التحريرية التى تخوضها الشعوب المظلومة ، هى الحروب الاهلية التى تخوضها البروليتاريا بهدف التحرر من الظلم الرأسمالى ، هى حروب الدفاع عن الدول الاشتراكية للحيلولة دون هجوم الاستعماريين ، ومن واجب العمال فى حالات الحروب العادلة ان يؤيدوا شعار « الدفاع عن الوطن » .

● **وفى فبراير سنة ١٩١٥** ، انعقد تحت قيادة لينين مجلس عام لمنظمات البلاشفة فى الخارج ، وتقدم لينين الى المجلس بتقرير بشأن الموقف من الحرب ، وقد وافق المجلس على التقرير والقرارات التى عرضها لينين وحدد فيها مهام الاشتراكيين : التصويت ضد الاعتمادات الحربية ، ومطالبة الاشتراكيين بخروج ممثليهم من الحكومات البورجوازية ، وانشاء منظمات سرية ، وتأييد تآخى الجنود على الجبهات ، وتأييد العمال وجماهير الكادحين فى جميع نضالاتهم الثورية .

● وكان لينين يواصل اتصالاته مع منظمات الحزب فى روسيا ، ويبعث اليها بالارشادات التى توضح طرق النضال ضد القيصرية والبورجوازية ، وضد



الحرب الاستعمارية ، وكان يلقى التقارير فى زوريخ وبرن وجنيف وبقية المدن السويسرية الاخرى حول موقف البلاشفة من الحرب .

● **وفى يونيو سنة ١٩١٥** ، اصدر لينين كتابه « افلاس الاممية الثانية » فضح فيه خيانة زعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، والتقائهم مع المناشفة الروس فى التخلى عن مصالح الطبقة العاملة والجماهير الكادحة ، وكيف يسهمون فى الشقاء الاستعمارى .

● **وفى اغسطس سنة ١٩١٥** ، أصدر لينين كتابه « الاشتراكية والحرب » وبين فيه موقف حزب العمال الاشتراكى ـ الديمقراطى الروسى من الحرب. وقد وزع الكتاب على المشتركين فى المجلس العام الاشتراكى العالمى فى زيمير فالد. وتوصل لينين فى المؤتمر الى انشاء فرقة « زيميرفالد اليسارية » بقصد جمع صفوف اليساريين والنضال ضد الانتهازيين ، وقد قامت الفرقة بنضال ثورى نشيط بين العمال فى مختلف البلدان .

● وعمل لينين باصرار ودأب فى سبيل جمع انصار الاممية البروليتارية ، وكان يراسل بنشاط الاشتراكيين اليساريين فى بلغاريا وهولندا والسويد والنرويج وفى بلدان غرب اوربا ، الذين كانوا يؤلفون فى ذلك الحين أقلية ضئيلة فى حركة العمال. ولكن لينين كان مؤمنا ايمانا لايعتريه الشك فى حتمية انتصار الاممية البروليتارية .

● وكانت ظروف حياته المادية فى غاية العسر، ولم يشعر قط بمثل العوز الذى عاناه فى **فترة الحرب** ، وكان قلمه المصدر الرئيسى لحياة العائلة. وكان نشر المقالات السياسية والكتب الموجهة ضد الحرب أمرا بالغ الصعوبة . وكان لينين بحاجة دائمة الى البحث عن عمل يتكسب منه ، وقد جاء فى رسالة كتبها الى أحد رفاقه : « و فيما يتعلق بى شخصيا أقول انى بمسيس الحاجة الى عمل اتقوت منه ، والا لايبقى غير الموت . يالله ! غلاء المعيشة بلغ حدا شيطانيا ، وليس من مورد ».

● **وفى يونيو سنة ١٩١٦** وضع لينين كتابه الهام « الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية » ، ويعتبر الكتاب امتدادا لافكار كارل ماركس، ويكشف عن السمات الاقتصادية فى المرحلة الجديدة . وقدم فيه لينين تحليلا لجوهر الرأسمالية وتناقضاتها واهدافها الاستعمارية ، واستخلص من نتائجها العلمية حتمية انتصار الثورة الاشتراكية .

● **وفى اكتوبر سنة ١٩١٦** ، أصدر لينين كتابه « ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية » . وفيه طور لينين افكاره ودراساته السابقة حول المسألة الوطنية ، وحق الامم فى تقرير المصير ، ودعم البرنامج الماركسى فى المسألة الوطنية .

● **وفى ذلك الوقت** ، كانت الطبقة العاملة الروسية تبرز فى مقدمة صفوف البروليتاريا الاممية المناضلة ضد الحرب . فالهزائم تتوالى على جبهات القتال ، وكان الخراب والجوع دليلا على تعفن القيصرية وعجزها عن ادارة البلاد ، واشتد السخط على السياسة القيصرية بين جميع فئات الشعب ، واشار « لينين » الى ان الثورة فى روسيا تقترب .

● **وفى ٩ يناير سنة ١٩١٧** ، جرت فى « بتروجراد » مظاهرة كبرى ضد الحرب . كما جرت مظاهرات أخرى فى موسكو وباكو ونيجنى نوفجورود وغيرها من المدن . ومنذ هذا التاريخ ، أخذ نضال العمال الثورى يشتد فى جميع أنحاء روسيا ، من يوم لآخر .

● **وفى فبراير سنة ١٩١٧** ، تلبية لنداء الحزب البلشفى ، نظم عمال « بتروجراد » اضرابا سياسيا عاما ، اشترك فيه أكثر من ٢٠٠ ألف من العمال والعاملات ، ورفع العمال شعارات « فليسقط القيصر » « فلتسقط الحرب » .. « نريد الخبز » .

ورفض جنود الجيش استخدام القوة لقمع الثورة ، وانضموا الى العمال الثائرين فى مهاجمة القيصرية . وأسقط الحكم القيصرى المطلق ، الذى كان يرهق شعوب روسيا طيلة قرون ، ووجدت المبادرة الثورية للعمال والجنود فى « بتروجراد » تأييد العمال والجنود فى موسكو والمدن الاخرى ، وتحقق نجاح الثورة الديمقراطية البورجوازية فى روسيا .

● وتتبع « لينين » ، وهو فى سويسرا ، تطورات الاحداث الثورية فى روسيا ، وبادر بارسال توجيهاته الى البلاشفة ، وتوجه بندائه الي العمال الثوريين فى روسيا : « اظهرتم فى الامس معجزات من البطولة البروليتارية ، اذ أسقطتم القيصرية ، ولا مندوحة لكم من ان تظهروا مرة أخرى فى مستقبل قريب ، معجزات من هذه البطولة لاسقاط سلطة كبار ملاك الاراضى والرأسماليين » .

● **وخلال الثورة** ، انبثقت مجالس [سوفييتات] نواب العمال والجنود ، غير أن المناشفة والاشتراكيين الثوريين كانوا الاكثرية فى هذه المجالس ، وبمساعدة هؤلاء ، شكلت القوى البورجوازية الحكومة المؤقتة الجديدة . وظهرت السلطة المزدوجة : سلطة البورجوازية ، متجسدة فى الحكومة المؤقتة ، وسلطة العمال والفلاحين ، متجسدة فى السوفييتات .

● وغيرت الثورة الوضع فى البلاد ، وأعلنت الحريات العامة ، وأفرج عن كثير من البلاشفة فى المنافى والسجون . وخرج حزب البلاشفة الى مسرح النضال العلنى ، ولم تسمح الحكومة البورجوازية الجديدة « للينين » ، وعدد من البلاشفة فى الخارج بالعودة الى روسيا ، وأدرجت اسماءهم فى القائمة السوداء .

● **وفى مارس سنة ١٩١٧** ، كتب لينين مجموعة رسائله الى الحزب ، بعنوان : « رسائل من بعيد » ، أعطى فيها اجابات مفصلة عن جميع الاسئلة التى طرحها الموقف الجديد .

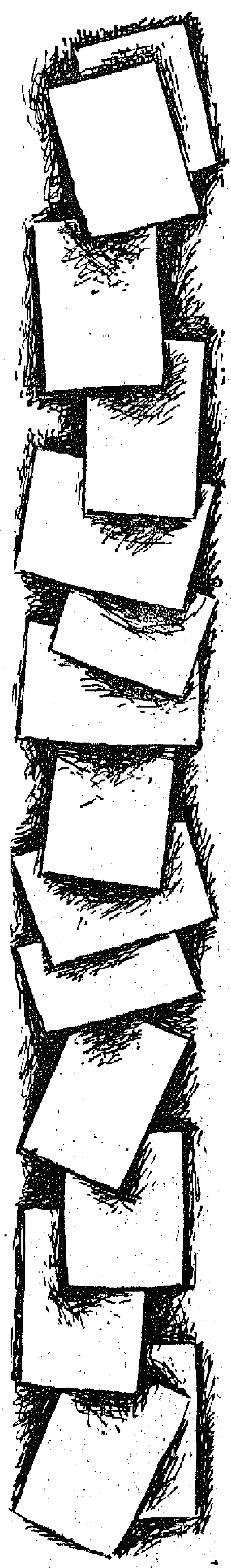
● وطرح لينين أمام البلاشفة مهمة ضرورة توعية الجماهير ، بأن السلام والخروج من الحرب الاستعمارية ، لا يمكن الحصول عليه الا من خلال سلطة الكادحين ، وان الحكومة المؤقتة البورجوازية لن توافق عليه .

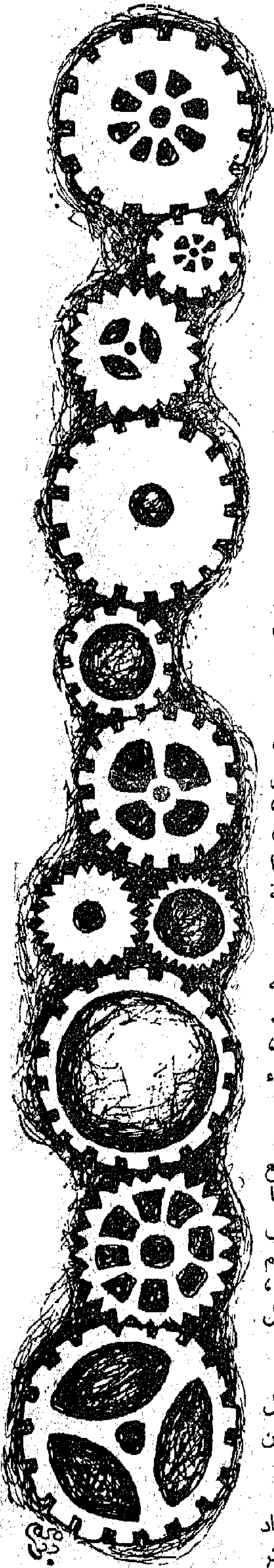
● واتجه لينين الى الوطن بكل أفكاره وبكل قلبه . كتب الى رفاقه يقول : « بوسعكم ان تتصوروا ما نعانى جميعا من عذاب ببقائنا هنا فى مثل هذا الوقت » .

● وجعل لينين يبحث باصرار عن سبيل للعودة الى الوطن . وكتبت « كروبسكايا » فى مذكراتها تقول : « جفا النوم عيون لينين منذ بلغته أنباء الثورة ، وأصبح يقضى الليالى فى وضع مختلف المشاريع التى لا يتصورها العقل » . وبمساعدة الاشتراكيين — الديمقراطيين السويسريين ، استطاع « لينين » ان ينظم عودة جماعة من البلاشفة الى الوطن سرا .

● **وفى مساء يوم ٣ أبريل سنة ١٩١٧** ، وبعد اغتراب استمر حوالى عشر سنوات ، وصل لينين الى بتروجراد ، وقد استقبلت روسيا الثورية زعيمها بابتهاج كبير ، وتوجه الى المحطة الوف من العمال والعاملات ، حاملين الاعلام الحمراء . وشكلت الفصائل الثورية من الجنود والبحارة ، حرس شرف لاستقباله . ووسط الهتافات ، ركب لينين سيارة مصفحة كانت فى انتظاره ، وتوجه الى العمال والجنود والبحارة ، مهيبا بهم ، أن يناضلوا فى سبيل ثورة جديدة ، بروليتارية ، فى سبيل سلطة مجالس السوفييت .

● **وفى ٤ أبريل سنة ١٩١٧** ، قرأ لينين فى اجتماع للبلاشفة « مبادىء ابريل » . وقد تضمنت مشروع النضال فى سبيل الانتقال من الثورة الديمقراطية — البورجوازية ، التى أعطت السلطة للبورجوازية ، الى الثورة الاشتراكية ، التى من شأنها ان تضع السلطة فى أيدى الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين . وبين « لينين » أن





الحكومة المؤقتة تدافع عن مصالح الرأسماليين وكبار ملاك الاراضي ؟ وان الحرب تظل كالسابق ، حرب اغتصاب وسلب ، وان لا سبيل الى تأمين السلم للشعب ، والارض للفلاحين ، والخبز للجياع ، الا عن طريق انتقال السلطة بأكملها الى مجالس السوفييت . وطرح شعاري : « لا تأييد للحكومة المؤقتة » .. و « كل السلطة لمجالس السوفييت » .

● وقد أنارت « مبادىء ابريل » اللينينية الطريق أمام الطبقة العاملة الروسية ، للنضال الثوري في الظروف التاريخية الجديدة ، وقد حدد فيها « لينين » : ان اسقاط الحكومة المؤقتة ليس ممكنا الان ، وينبغي التذرع بالصبر ، والعمل على كسب جماهير العمال والجنود والفلاحين الى جانبهم ، والحصول على الاغلبية في مجالس السوفييت ، وجعلها بلشفية . وانه في حالة تحقق هذا الظرف ، يمكن للسلطة ان تنتقل بصورة سلمية الى أيدي العمال والفلاحين . وان نجاح الثورة الاشتراكية يتوقف على قيام التحالف المتين بين العمال وفقراء الفلاحين . وتولى لينين وزملاؤه من قادة الحزب شرح سياسة الحزب للعمال والجنود والفلاحين ، وتنظيم الجماهير وتربيتها سياسيا . وكان يخطب في اجتماعات العمال والجنود والبحارة ، ويكتب المقالات لجريدة « البرافدا » ، بصورة يومية ، وينفضح الحكومة المؤقتة وسياستها المعادية للثورة ، ويشهر بسياسة التفاهم مع الحكومة ، التي كان يسير عليها المناشفة والاشتراكيون الثوريون .

● **وفي ٣ يوليه سنة ١٩١٧** ، خرجت جماهير العمال والجنود الى شوارع « بتروجراد » ، احتجاجا على سياسة الحكومة في مواصلة الحرب ، وسوق الجنود الى جبهات القتال ، والامعان في مواصلة استغلال العمال والفلاحين ، وطالب المتظاهرون بتحويل السلطة كلها الى مجالس السوفييت .

● وبموافقة مجالس السوفييت ، المؤلفة من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ، انقضت الحكومة بالسلاح على المتظاهرين ، وسالت دماء العمال والجنود الثوريين في شوارع بتروجراد ، وتعرض حزب البلاشفة ومنظمات العمال لافظع تدابير القمع ، وقبض على عدد كبير من البلاشفة ، ودمر « اليونكر » [طلبة المدرسة الحربية] ، مبنى تحرير جريدة البرافدا . وقد نجا لينين من التنكيل صدفة ، وانتقلت السلطة كلها الى أيدي الحكومة البورجوازية ، وانتهى ازدواج السلطة ، وانتهت المرحلة السلمية في الثورة .

● واصدرت الحكومة البورجوازية أوامرها بالقبض على « لينين » وقتله فورا ، وشنت الصحف البورجوازية حملاتها على البلاشفة ، ودعت الى التنكيل بهم . ورد لينين على افتراءات البورجوازية ضد حزب البلاشفة بقوله : « نحن نؤمن به ، ونرى فيه عقل العصر وشرفه وضميره » . وقد أصدرت اللجنة المركزية قرارا باخفاء لينين في مكان أمين .

● واختبأ لينين **عدة ايام في** منازل عمال « بتروجراد » ، بصفته عاملا من عمال مصنع سيستروريتسك ، ثم في خص ، على بحيرة رازليف ، بقرب بتروجراد ، بصفته مزارعا فنلنديا ، ومع حلول البرد انتقل الى فنلندا ، بصفته العامل ايفانوف ، الوقاد في القاطرة ، والاختفاء عند العمال في احدى القرى الفنلندية ، بصفته كاتبا روسيا ، ثم انتقل الى هيلسنغفور ، وبعد ذلك الى فيبورج . واستمر لينين ، بصورة يومية ، يقود نشاط الحزب ونضال الطبقة العاملة الروسية من مخبئه ، وكان مطلعا على كل ما يقع في البلاد ، وعلى جبهات الحرب من الاحداث .

● واقترح لينين على الحزب ، ان يسحب ، بصورة مؤقتة ، شعار « كل السلطة لمجالس السوفييت » ، لان مجالس السوفييت ، المؤلفة من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ، قد تحولت ، بصورة نهائية ، الى ملحقات للحكومة المؤقتة .

● **وفي أواخر يوليو سنة ١٩١٧** ، انعقد المؤتمر السادس لحزب البلاشفة ، وقاد لينين ، من مخبئه ، أعمال المؤتمر . وقد انتخب المؤتمر « لينين » رئيسا فخريا واقر

اقتراحـــاته . ووجه المؤتمر الحـــزب الى الاستعداد للانقضاض المسلح ، واســـقاط سلطة البورجوازية وكبار ملاك الاراضى .

● **وفى سبتمبر ســنة ١٩١٧** ، وضـــع لينين مؤلفه « الدولة والثورة » فى مخبئه ، وطور فيه أفكار ماركس وانجلز عن الدولة ودكتاتورية البروليتـــاريا ، طبقـــا للظروف التاريخية الجديدة .

● وكان لينين يتتبع مؤامـــرات اعـــداء الثورة بانتباه ، فقد كان وضع البلاد يزداد سوءا ، وعم الخراب ، واشتد نقص الخبز واللحم والسكر ، واحـــدق خطر المجاعة ، وارتفع غلاء المعيشة . ونبه لينين الحزب والشـــعب ، الى ان البورجوازية وكبـــار ملاك الاراضى والضباط الرجعيين يحضرون مؤامرة على الثـــورة ، ودعـــا الى اليقظة والاستعداد لمواجهة العدو .

● **وفى ٢٥ أغسطس سنة ١٩١٧** ، وقع ما تنبـــأ به لينين ، وقامت البورجـــوازية بمحـــاولة للتنكيل بالثورة ، وقام الجنرال كورنيلوف بحركة عسكرية معادية للثورة ، وزحف بجيوشـــه على بتروجـــراد ، وذلك بهدف تحطيم الثورة والاستيلاء على السلطة وتنصيب نفسه دكتاتورا عســـكريا ، وقاد البلاشفة نضـــال الجماهير الشعبية ضـــد حركة كورنيلوف ، وتم تحطيمها خلال بضعة أيام . وأخذت الجمـــاهير الشعبية تنعطف بقوة نحو البلاشفة وتنتخبهم فى مجـــالس الســـوفييت ، **وخلال شـــهرى أغسطس وسبتمبر** ، اصبح مجلسا سوفييت بتروجراد وموسكو بلشـــفيين . وكان اطـــلاع لينين العميق على الماركســـية ، وبراعته الفائقة فى تطبيقهـــا على النضـــال العملى ، قد ساعداه على فهم طبيعة الاحداث بسرعة ، وعلى رسم الطريق الصحيح امام الحزب ، وعلى رسم استراتيجية الحزب وخطته .

● وبناء على ارشـــادات لينين ، طرح الحزب من جـــديد شـــعار « كل الســـلطة لمجالس السوفييت » ، الذى كان بمثابة نداء الى الانتقـــاض المســـلح على الحـــكومة البورجوازية . وقد أيد هذا الشعار أكثر من ٢٥٠ مجلسا للسوفييت فى البلاد .

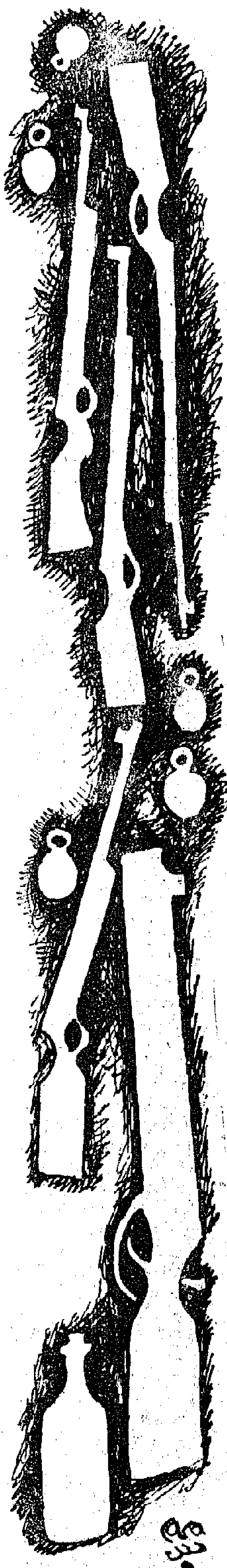
● **وفى منتصف سبتمبر ســـنة ١٩١٧** ، ارســـل « لينين » من مخبئه بفنلنـــدا ، الى اللجنـــة المركزية ، والى لجنتى الحزب فى بتروجراد وموسكو ، رسالتين : « يجب على البلاشـــفة ان يأخـــذوا الســـلطة » . . و « الماركسية والانتفاض المسلح » . كتب يقول : « ان بوســـع البلاشـــفة ، ومن واجبهم ، بعد ان أصبحوا الاكثرية بمجلسى السوفييت فى العاصـــمتين ، أن يأخـــذوا سلطة الدولة فى أيديهم » ، وقد تضـــمنت هاتان الرسالتان مشروعا بالخطوط الكبرى للانتفاض المسلح . وأرسلت اللجنة المركزية رسالتى لينين الى جميع منظمات الحزب ، بصفة توجيه . وانصرف الحزب الى تحضير الانتفاض المسلح .

● وانتقل لينين من « هيلســـنغفور » ، الى « فيبورج » ، ليـــكون قريبـــا من « بتروجراد » ، وجعلت الجريدة البلشـــفية « رابوتشى بوت » تنشر مقـــالاته ، الداعية الى الكفاح ، والى الاستعداد بعناية للنضال فى سبيل السلطة . كتب يقول : « نضجت الازمة . ان مصير الثورة الروسية بأكمله يقرر الان » .

● **وفى أول أكتوبر سنة ١٩١٧** ، ارسل لينين رسالة الى اللجنة المركزية ، ولجنتى موسكو وبتروجراد ، والى البلاشفة أعضاء مجلسى موسكو وبتروجراد . وأشار لينين الى « ان التبـــاطؤ فى الانتفاض المســـلح لا يجوز ، وانه يجب الاقدام على الانتفاض فورا » .

● **وفى ٧ أكتوبر** ، انتقل لينين سرا الى بتروجراد ، وجعـــل يشرف بنفســـه على تحضير الثورة المسلحة .

● **وفى ١٠ أكتـــوبر** ، القى لينين فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب تقريرا ، أكد



فيه ان ساعة استيلاء العمال وفقراء الفلاحين على السلطة قد حانت . وتم انتخاب مكتب سياسى ، على راسه لينين .

● **وفى ١٦ أكتوبر** ، القى لينين تقريرا آخر فى جلسة موسعة للجنة المركزية ، وحضرها ممثلو منظمات العمال ، وطلب بالحاح البدء بالانتفاض على الفور . وحصل لينين على موافقة أغلبية الحاضرين ، وتم انتخاب مركز ثورى عسكرى لقيادة الانتفاض المسلح . وتقول كروبسكايا عن تلك الايام : « لقد كان لينين متجها الى الثورة بكل أفكاره ، فسرت الى الرفاق عدوى نفسيته ويقينه » .

● وكان لينين يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة للتحضير للثورة ، ودمغ بوصمة الخيانة كامينيف وزينوفييف ، اللذين عارضا الثورة المسلحة وأفشيا للبورجوازية قرار الحزب ، وذلك بنشرهما فى جريدة المناشفة « نوفايا جيزن » ، بيانا يعلنان فيه انهما لا يوافقان لجنة حزب البلاشفة المركزية . وهاجم لينين أيضا مسلك الخيانة الذى سلكه « تروتسكى » ، اذ طلب تأجيل الثورة المسلحة .



● وطالب لينين ، بكل حزم ، بالانتفاض المسلح ، قبل افتتاح المؤتمر الثانى لمجالس السوفييت **فى ٢٥ أكتوبر** ، حتى يمكن قطع الطريق على القوى المعادية التى كانت تستعد لتحطيم الثورة .

● **وفى مساء ٢٤ أكتوبر** ، وصل لينين الى مبنى « سمولنى » ، الذى كان مقرا لهيئة اركان الثورة ، وارسلت الاوامر ببدء العمل الى المصانع والمناطق والوحدات العسكرية . وأخذت فصائل الحرس الاحمر تحتل المراكز التى كان لينين قد أشار اليها . وجرى تحقيق الانتفاض المسلح بكل الدقة ، وفق جميع قواعد الفن العسكرى .

● **وفى صباح ٢٥ أكتوبر** ، [٧ نوفمبر حسب التقويم الجديد] ، كان الثائرون العمال والجنود والبحارة ، قد استولوا على المرافق العامة فى البلاد ، واهم دوائر العاصمة . لقد انتصرت ثورة أكتوبر المسلحة ، واسقطت سلطة كبار ملاك الاراضى والرأسماليين ، وفى مساء نفس اليوم ، شنت الوحدات الثورية الهجوم على « قصر الشتاء » ، واحتلته ، واعتقلت أعضاء الحكومة المؤقتة .

● **وفى صباح ٢٥ أكتوبر أيضا** ، أذاعت اللجنة الثورية العسكرية ، التابعة لمجلس سوفييت نواب العمال والجنود فى بتروجراد ، بيانا كتبه لينين « الى مواطنى روسيا » ، يعلن سقوط الحكومة المؤقتة ، وانتقال السلطة الى مجالس السوفييت ، و « ان القضية التى ناضل الشعب من اجلها .. أصبحت مضمونة » .

● **وفى نفس اليوم** ، افتتح مجلس سوفييت بتروجراد « جلسته التاريخية » . واستقبلت الجماهير لينين بالهتافات ، والقى خطابا عن انتصار الثورة الاشتراكية ، ومهام السلطة السوفيتية ، وقال : « يبدأ الان عهد جديد فى تاريخ روسيا ، ومن شأن هذه الثورة الروسية الثالثة ، أن تفضى فى نهاية المطاف الى انتصار الاشتراكية » .

● **وفى ٢٦ أكتوبر** ، تقدم لينين الى المؤتمر الثانى لمجالس السوفييت فى سمولنى ، بمشروع « مرسوم السلام » ، الموجه الى شعوب وحكومات جميع البلدان المتحاربة ويدعوها ان تعقد الهدنة فورا على جبهات القتال . وتقدم لينين الى المؤتمر كذلك ، بمشروع «مرسوم الارض» ، ويقضى المرسوم بالغاء ، الى الابد ، وبدون تعويض ، ملكية كبار ملاك الاراضى ، وتحويلها الى الشعب . وانتخب المؤتمر « لينين » رئيسا لمجلس مفوضى الشعب . وتم تشكيل اول حكومة عمال وفلاحين فى العالم بقيادة لينين .

● ووضع لينين مهمة جذب الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين الى الاشتراك النشيط فى البناء الاشتراكى . وقد اشار الى ضرورة وضع حد لمزاعم البورجوازية من ان ادارة الدولة أمرا لا يستطيعه غير الاغنياء او الموظفين الكبار بأنفسهم ،

واشار الى أن بوسع العمال والفلاحين أن يتعلموا بانفسهم ادارة الدولة .« وكان يتكلم في مختلف الاجتماعات ويدعو الجماهير الى ان يقدموا بجرأة على ادارة الدولة ، والى بناء الحياة الجديدة .«

● واقرت الحكومة السوفييتية ، **بعد تشكيلها بأيام** ، مشروع قانون ، اقترحه لينين بشأن اقامة رقابة العمال على الانتاج والتوزيع . ووضع لينين « بيان حقوق الشعب الكادح والمستثمر » وهو البيان الذى أصبح أساسا للدستور السوفيتى الاول . والاساس المتين للعلاقات والصداقة بين شعوب البلاد السوفييتية .

● واقترح لينين عقد صلح مع المانيا بصورة منفصلة عن الحكومتين البورجوازيتين ، انجلترا وفرنسا ، اللتين رفضتا المفاوضات لاقرار السلم . وقد قبل الاستعماريون الالمان الشروع بمفاوضات الصلح ، ولكنهم وضعوا شروطا مهينة قاسية . فقد طالبوا باقتطاع قسم كبير من الاراضى السوفييتية .

● **وفى يناير ١٩١٨** ، اطلق الارهابيون الرصاص على عربة كان يستقلها لينين ، ولكنه نجا من الاصابة .

● وبين لينين ان الضرورة تفرض انهاء الحرب ، والحصول على فترة تنفس بغية تعزيز السلطة السوفييتية وصيانة مكتسبات الثورة . وأنه ينبغى ان يفسح ، أمام العمال والفلاحين ، مجال الراحة من اهوال الحرب الاستعمارية . والبدء بتعمير الاقتصاد الوطنى وبتشكيل جيش جديد ، الجيش الاحمر .

● وقاوم مجموعة من الشيوعيين اليساريين عقد الصلح مع المانيا ، ودعوا الى حرب ثورية ، ملتقين بذلك مع البورجوازية والاشتراكيين اليساريين والمناشفة ، كما خالف « تروتسكى » رئيس الوفد السوفيتى فى المفاوضات مع المانيا تعليمات لينين ولجنة الحزب المركزية والحكومة السوفييتية ، ولم يوقع اتفاقية الهدنة مع المانيا ، واعتبر هذا المسلك خيانة للجمهورية السوفييتية وخدمة للاستعماريين الألمان .«

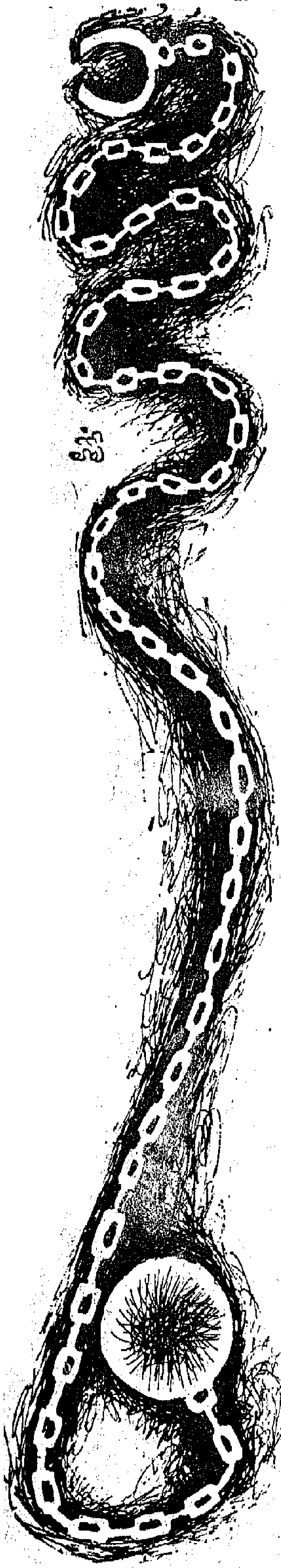
● **وفى شهر فبراير ١٩١٨** ، انتقل الجيش الالمانى الى الهجوم ، بغية اعادة السلطة للقيصر ، والاراضى والمصانع والبنوك للاقطاعيين والراسماليين . وتولى لينين والحزب البلشفى تنظيم الدفاع بسرعة . ولم يكن فى استطاعة الجنود تأمين حماية الدولة بسبب ضعف قدرته القتالية من جراء الحرب الطويلة المضنية على الجبهة الروسية — الالمانية .

● **وفى ٢١ فبراير ١٩١٨** ، توجه « لينين » الى الشعب بندائه الشهير « الوطن الاشتراكى فى خطر ! » وقال : « ان واجب عمال وفلاحى روسيا المقدس هو الدفاع بتفان عن جمهورية السوفييت ، ضد جحافل الامبريالية الالمانية » . واخذت تتشكل فصائل الجيش الاحمر الثورى الجديد من العمال والفلاحين للدفاع عن الوطن الاشتراكى ، وبلغ عدد افراده فى اواخر عام ١٩١٨ الى ١ر٧ مليون رجل ، وحوالى ٣٧ الفا من الكوادر العسكريين القدماء الذين التحقوا بالجيش السوفييتى .

● **وفى ٦ مارس ١٩١٨** ، تقدم « لينين » أمام المؤتمر السابع للحزب باقتراح عقد معاهدة « بريست — ليتوفيسك » للصلح مع الالمان . وقد وافق المؤتمر باكثرية الاصوات على اقتراح لينين [**وفى نوفمبر ١٩١٨** وقعت الثورة وثيقة الصلح فى المانيا ، ولكن المعاهدة فقدت مفعولها وتأكد للجميع ان لينين على حق]

● وقرر المؤتمر بناء على اقتراح لينين تغيير اسم الحزب ، بعد ان تغير وضع الحزب بصورة جذرية ، فاصبح الحزب الحاكم ، وتحقق احد الاهداف الرئيسية التى نادى بها المؤتمر الاول ، وتسميته بـ « الحزب الشيوعى [البلشفى] الروسى » .«





● **وفى ٢٩ ابريل ١٩١٨** ، القى لينين تقريرا فى جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بعنوان : « حول المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية » ، شرح فيه اسباب انتصار الثورة، وبين صعوبات البناء الاشتراكى ، واهاب بالعمال ان يتعلموا تنظيم وادارة الانتاج،وحدد الطريق المؤدية الى انشاء الاقتصاد الاشتراكى .

● واستحوذ القلق على الامبريالية العالمية بسبب نجاح السلطة السوفييتية فى تكوين القوات المسلحة السوفييتية ،وعقد صلح بريست ، وفشل المحاولات لخنق الجمهورية الوليدة بأيدى الامبرياليين الالمان ، والخوف من تأثير نجاح الثورة الاشتراكية على النظام الرأسمالى العالمى.

● **وفى ربيع سنة ١٩١٨** ، شن الرأسماليون فى ١٤ دولة وعلى رأسها الامبريالية الالمانية والانجليزية والفرنسية والامريكية واليابانية الحرب على الدولة الاشتراكية الوليدة للاطاحة بها ، وذلك بالتحالف مع الرأسماليين وكبار ملاك الاراضى فى الداخل . وكتب لينين يقول :« معلوم للجميع أن هذه الحرب قد فرضت علينا فرضا، ففى مستهل عام ١٩١٨ أنهينا الحرب القديمة ، ولم نبدأ حربا جديدة ، والجميع يعلمون ان الحرس الابيض سارضدنا فى الجنوب والغرب والشرق بفضل مساعدة دول الحلفاء فقط » ورفع لينين شعار « كل شىء لتحطيم الاعداء » ، بغية تعبئة كافة موارد الدولة من أجل المعركة :

● **وفى صيف سنة ١٩١٨** ، اشتدنقص الغذاء فى البلاد، فقد اخفى الفلاحون الاغنياء والمضاربون الحبوب رغبة منهم فى خنق الثورة بالجوع ، والقى لينين شعار : « النضال فى سبيل الخبز هو النضال فى سبيل الاشتراكية » . وتوجه لينين بنداء الى العمال للذهاب الى الريف،وكتب يقول : « ايها الرفاق العمال تذكروا ان الثورة فى حرج . تذكروا انكم أنتم وحدكم القادرون على انقاذ الثورة وليس من أحد غيركم » . وكون عشرات الالوف من العمال الواعين فصائل للتموين فى الريف .

● **وفى يونيو سنة ١٩١٨** ، وقع لينين مرسوما بتشكيل « لجان الفلاحين الفقراء » ، التى اصبحت دعامة الدولة السوفييتية فى النضال ضد الكولاك ، وفى تموين الجيش والشعب بالغذاء ، وعززت مجالس السوفييت فى القرى ، وساعدت على اكتساب متوسطى الفلاحين الى جانب الدولة السوفييتية .

● **وفى ٣٠ أغسطس ١٩١٨** ، أطلقت «كابلان» وهى عضو فى حزب الاشتراكيين الثوريين عدة رصاصات مسمومة من مسدسها عن قرب ، فى صدر لينين ، فاصيب بجراح خطيرة ، وبذل الاطباء جهودا كبيرة لانقاذ حياته .

● **وفى شتاء ١٩١٨ — ١٩١٩** ، انزل الاستعماريون اكثر من مليون جندى مجهزين بأحدث الاسلحة فى الاراضى الروسية فى الشمال ، وفى أوديسا والقرم وما وراء القفقاس وآسيا الوسطى وفى الشرق الاقصى ، واشاعت الدمار فى كل مكان ، وانقطع الاتصال بالعالم الخارجى.

● **وفى يناير سنة ١٩١٩** ، توجه لينين الى العمال فى أوربا وأمريكا داعيا الى تأسيس الاممية الثالثة .

● ولم يخف لينين الصعوبات التى كانت تواجه الوطن ، وكان يتوجه الى الجماهير دائما بالحقيقة سافرة . واكد قائلا : « فى رأينا ان الدولة تكون قوية بالجماهير الواعية ، واذا عرفت الجماهير كل شىء فانها تستطيع ان تصدر احكامها عن كل شىء ، وان تفعل كل شىء باخلاص » .وكان الشيوعيون يتحدثون بدون حرج عن وضع البلاد السوفييتية ، ويدعون العمال والفلاحين والجنود والبحارة الى تعزيز السلطة السوفييتية والدفاع عنها .

● وفى مارس سنة ١٩١٩ ، تقدم لينين امام المؤتمر الثامن للحزب تقارير عن عمل اللجنة المركزية ، وعن برنامج الحزب ، وعن العمل فى الريف . واشار لينين الى ضرورة تعزيز الدولة البروليتارية وقوتها الدفاعية ، وعرض فى تقريره للموقف من الفلاحين المتوسطين الذين يؤلفون الجمهور الرئيسى من سكان الريف، وقد وقف كثيرون منهم موقف التريث وفى انتظار لمن تكون الغلبة — وابتداء من خريف سنة ١٩١٨ أخذ الفلاحون المتوسطون يتجهون ناحية السوفييت . ولاحظ « لينين » ذلك فى حينه ، وطلب فى تقريره لمؤتمر الحزب انشاء تحالف وطيد مع الفلاح المتوسط . واتخذ المؤتمر بناء على تقرير لينين قرارا بانتهاج سياسة التحالف الوثيق مع الفلاح المتوسط الحال .

● وكان لينين يقوم بعمل جسيم فى بناء السلطة وتنظيم الدفاع عن البلاد . وكان يجد مع ذلك متسعا من الوقت لاستقبال وفود العمال والفلاحين وممثلى الاحزاب الشيوعية فى البلدان الاخرى ، والساسة البورجوازيين الاجانب . وكذلك العناية بحاجات وطلبات العمال والفلاحين ، واتخاذ التدابير لبناء المصحات ومؤسسات الاطفال وتحسين برامج المدارس .

● وكان لينين يأمر بأن تعطى الاولوية لغذاء الاطفال عن التى تعطى للمواد الحربية ، وكان يبعث الى بيوت الاطفال بهدايا الطعام التى كثيرا ما كانت ترسل الى الكرملين وتتذاك كهدايا له .

● وفى مارس ١٩١٩ ، القى لينين امام المؤتمر الاول للاممية الثالثة « الشيوعية » المنعقد فى موسكو تقريرا عن الديمقراطية البورجوازية ودكتاتورية البروليتاريا ، وعن السلطة السوفييتية . وبين مضمون دكتاتورية البروليتاريا ، وفضح لينين انحراف زعماء الاممية الثانية من الاشتراكيين الديمقراطيين عن التعاليم الماركسية ومهادنتهم للبورجوازية ، ووقوفهم ضد دولة دكتاتورية البروليتاريا .

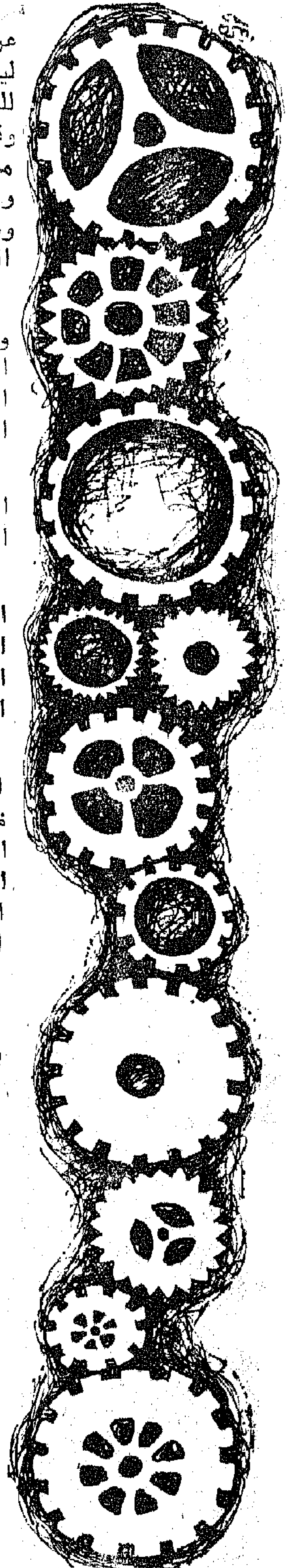
● وفى نوفمبر ١٩١٩ ، القى « لينين » تقريرا امام المؤتمر الثانى للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق ، وفضح فيه موقف الدول الاستعمارية فى مؤتمر فرساى وعصبة الامم وقال : « ونحن نعلم حق العلم انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات ، فانما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب ، اعطاء اقلية ضئيلة من سكان الكرة الارضية حق استثمار الاكثرية من سكان الكرة الارضية ، وهذه الاكثرية التى ظلت حتى اليوم بصورة تامة خارج اطار التقدم التاريخى لانه لم يكن بوسعها ان تمثل قوة ثورية مستقلة » .

● وفى الفترة من مارس ١٩١٩ حتى فبراير ١٩٢٠ ، احرز الجيش الاحمر انتصارات هامة على قوات الحلفاء والثورة المضادة فى الداخل ، مما جعل « لينين » يفكر فى توجيه قسم كبير من الامكانيات التى كانت توجه للمعركة من قبل الى البناء الاقتصادى .

● وفى مارس ١٩٢٠ ، القى لينين امام المؤتمر التاسع للحزب تقريرا عن المشروع الاقتصادى الموحد الذى تحتل فيه كهربة الاقتصاد الوطنى المكان الرئيسى واشار فيه الى ان بناء الاشتراكية فالشيوعية يتطلب تطوير الصناعة الثقيلة وكهربة البلاد ، وان الاشتراكية مستحيلة بدون العلم والتكنيك ، وان العلم لايستطيع ان يتطور التطور الكامل بدون الاشتراكية ، وان الاشتراكية هى وحدها التى تستطيع تحرير العلم من قيود الرأسمالية

● وفى يونيو ١٩٢٠ ، اصدر لينين كتابه « مرض اليسارية الطفولى فى الشيوعية » بغرض اطلاع الاحزاب الشيوعية فى مختلف البلدان على خبرة الشيوعيين الروس وتثقيفها بهذه الخبرة ومساعدتها على اصلاح أخطائها .

● وفى اكتوبر ١٩٢٠ ، القى لينين خطابا أمام المؤتمر الثالث للشبيبة « الكومسومول » بعنوان « مهمات اتحادات الشبيبة » شرح فيه للشباب : انه ينبغى له ان يتعلم بناء الشيوعية . وان بناء الشيوعية لايمكن الا بالاستناد الى العلم ، الى المعارف التى جمعتها البشرية جمعاء ، لابد من تعلم الرياضيات والكيمياء والفيزياء



والتاريخ وتكنيك البناء ، ولابد من الجمع بين هذه المعارف والعمل في مجرى الانتاج .

● **وفي نوفمبر ١٩٢٠** ، دخلت القوات السوفييتية القرم وحطمت جيش الجنرال « الابيض » فرانجل ، ووضعت نهاية للحرب الاهلية . وقد استمر تصفية قوات الحلفاء والثورة المضادة نهائيا **حتى عام ١٩٢٢** .

● وجاءت نتيجة المعارك مصداقا لقول لينين : « انهم لن يغلبوا ابدا شعبا ادرك عماله وفلاحوه باغلبيتهم ، وشعروا ورأوا ، انهم يدافعون عن سلطتهم ، عن السلطة السوفييتية ، سلطة الشغيلة ، انهم يدافعون عن قضية يؤمن انتصارها لهم ولاولادهم امكانية التمتع بجميع نعم الثقافة ، بجميع منجزات العمل البشري » .

● **وفي مارس ١٩٢١** ، انعقد مؤتمر الحزب العاشر ، ووضع « لينين » امام المؤتمر اساس السياسة الاقتصادية الجديدة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، واقترح ابدال فائض المؤن بالضريبة العينية والسماح للفلاحين بالتجارة الخاصة بفائض الحبوب والمؤن الغذائية .



● واولى لينين أهمية كبرى لوحدة الحزب . **ففي أواخر سنة ١٩٢٠** ، كان اعضاء الحزب يزيد على ٥٠٠ الف عضو ، وقد تسرب الى الحزب عدد من الذين كانوا من قبل اعضاء في حزب المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، وكان قسم من أعضاء الحزب لايتصفون بالرسوخ السياسي ، والانضباط الحزبي . وظهرت تكتلات معادية للحزب على راسها « تروتسكي » « وبوخارين » وغيرهما . وكان هؤلاء يعارضون « لينين » ويعارضون اتجاه الحزب في مسألة البناء الاشتراكي ودور النقابات ، وقد خرج المعارضون على نظام الحزب وحاولوا شقه وتقويضه .

● وحذر لينين من هذا الخطر ، وكان يرى أن وحدة الحزب تحد من ينابيع قوتنا الاساسية ، وان أي انشقاق في داخل الحزب سيفضي بالتالي الى انشقاق تحالف العمال والفلاحين وتقويض السلطة السوفييتية ، والى عودة الرأسمالية الى روسيا . وطالب لينين المؤتمر العاشر ان يمنع وجود ونشاط الكتل والجماعات في داخل الحزب . وقد وافق المؤتمر على مشروع قرار « لينين » ويقضي بطرد أي عضو في الحزب بما في ذلك اعضاء اللجنة المركزية في حالة قيامه بنشاط تكتلي .

● **وفي اواخر سنة ١٩٢١** ، دعا لينين الحزب ان يطهر صفوفه من جميع العناصر غير النظيفة وغير الثابتة من جميع الشيوعيين الذين تحولوا الى عناصر وقوى بيروقراطية ، وادت عملية التطهير الى تحسين وضع الحزب وتعزيز وحدته .

● **وفي ذلك الوقت** ساءت صحة لينين نتيجة للاجهاد الشديد ، ومن تأثير الجرح الخطير الذي اصيب به اثناء محاولة اغتياله ، ووجود احدى الرصاصات في جسده . وامام اصرار الاطباء كان مضطرا الى التقليل من نشاطه والتوقف عن العمل بين الحين والآخر .

● **وفي مارس ١٩٢٢** تكلم لينين امام مؤتمر الحزب الحادي عشر ، واعلن في تقريره عن تقديره لنتائج السنة الاولى من تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة ، وانتقد بشدة النقص في العمل . واعلن ان التقهقر قد انتهى ويجب تنظيم الهجوم على العناصر الرأسمالية . وأشاد بدور الحزب في بناء الحياة الجديدة ، وتنبأ معلنا انه « لا توجد قوة في العالم في طاقتها ان تنتزع منجزات ثورة اكتوبر الاشتراكية ، لان هذه المنجزات اكتسبت الطابع التاريخي العالمي » .

● **وفي مايو ١٩٢٢** ، اشتدت عليه وطأة المرض ، وقصد الى قرية « جوركي » بضواحي موسكو لقضاء الصيف ، وبعد ان تحسنت صحته بعض الشيء استأنف في **شهر يوليو** عمله من جديد .

● **وفي اكتوبر ١٩٢٢** ، تراس لينين جلسات مجلس مفوضي الشعب ، واشترك في اعمال لجنة الحزب المركزية ، والقى الخطابات في جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، وفي المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية .

● وفى نوفمبر ١٩٢٢ ، القى لينين خطابا فى جلسة عامة لمجلس سوفييت موسكو ، عرض فيه وضع البلاد بعد هزيمة المتدخلين الاجانب وقوى الثورة المضادة، وبين المهام المطروحة امام الشعب ووسائل القيام بها . ودعا الى تصريف شئون الاقتصاد بحكمة ، واشار بصفة خاصة الى دور الحزب فى بناء المجتمع الاشتراكى .. وكان هذا الخطاب آخر آخر خطاب يلقيه لينين امام نواب الشعب.

● و نبه لينين فى ذلك الوقت الى أهمية تعزيز الصداقة بين الشعوب . والنضال دائما ضد الظلم الوطنى ، وضد عدم المساواة بين الشعوب . كما ابدى عناية مستمرة بتطوير الجمهوريات غير الروسية. وطرح مهمة توحيد الجمهوريات السوفييتية وفق مبدأ الحرية والاختيار فى دولة اتحادية واحدة . وفى ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، اتخذ المؤتمر الاول لمجالس السوفييت فى عامة الاتحاد السوفييتى قرارا بتأسيس « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » .



● وفى دسمبر ١٩٢٢ ، ساءت صحة لينين من جديد .

● وفى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٢٣ ، استرد لينين بعض العافية ، وقد أملى خلال هذه الفترة مقالاته الشهيرة : صفحات من اليومية — وحول التعاونيات وحول ثورتنا — وكيف نعيد تنظيم لجنة العمال والفلاحين للتفتيش — ومن الافضل أقل ، شرط ان يكون احسن» . وفى هذه المقالات طور « لينين » مشروعه السابق لبناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى .

● وفى مارس ١٩٢٣ ، ساءت صحة لينين لدرجة كبيرة ، وفى شهر مايو انتقل الى قرية جوركى من جديد . وكان الحزب والعمال والفلاحون يتتبعون حالة زعيمهم الصحية بقلق .

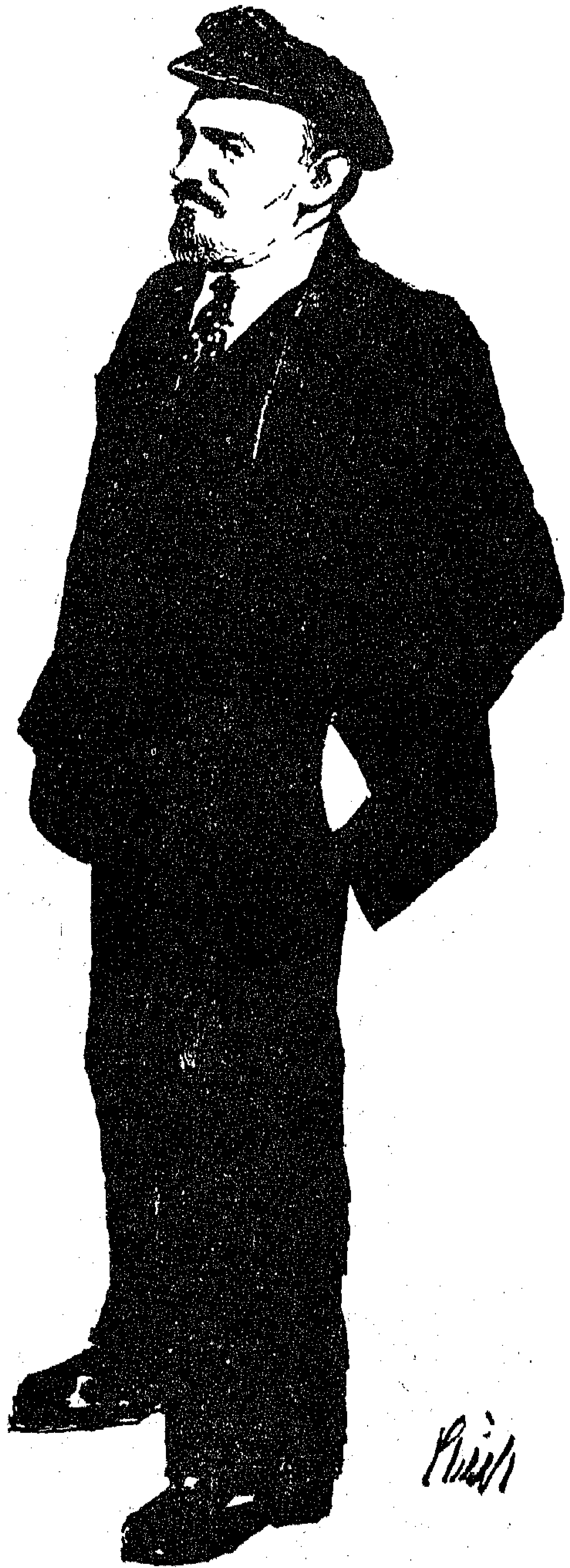
● وفى ١٩ اكتوبر عاد « لينين » الى موسكو ، ودخل شقته فى الكرملين ، ثم اطل على قاعة جلسات مجلس مفوضى الشعب ، بالقرب من شقته ، ووقف برهة والقى نظرة على ماحوله ثم دخل مكتبه ، واخذ بضعة كتب من المكتبة ثم نزل الى ساحة الكرملين . وبعد ذلك ركب سيارته وطاف بها شوارع موسكو الرئيسية ثم قصد المعرض الزراعى لعامة روسيا ، واستمرت هذه الجولة مدة ساعتين .

● وفى اوائل شهر نوفمبر ١٩٢٣ ، استقبل لينين فى قرية جوركى وفدا من عمال مصنع جلوخومو لمدة خمس دقائق ، ثم استأذنوا وقبلوا لينين وانصرفوا . وكان العامل « كورنيتسوف » وهو فى الستين من العمر آخر من ودع لينين ، ووقف الاثنان مدة دقيقتين متعانقين . وكان العامل الشيخ يردد من خلال الدموع : « انا عامل ، انا حداد يافلاديمير ايليتش ، انا حداد. نحن نصنع بالمطرقة كل ماترسمه أنت » .

● وبقى لينين وحده هذه الليلة يقرا ويعيد قراءة الرسالة الموجهة اليه من عمال مصنع جلوخومو ، وكان ذلك آخر لقاء للينين مع العمال .

● وفى مساء ٢١ يناير سنة ١٩٢٤ ، توفى لينين نتيجة نزيف داخلى فى المخ .

● وفى ليلة ٢٢ يناير سنة ١٩٢٤ عقدت لجنة الحزب المركزية اجتماعا عاما ، وتوجهت الى الشعب بنداء جاء فيه : « مات الرجل الذى خاض حزبنا تحت قيادته ، الكفاح يلفه دخان البارود ، ورفع بيد جريئة علم اكتوبر الاحمر فوق البلاد من اقصاها الى اقصاها ، وتغلب على مقاومة الاعداء ، وثبت بصورة وطيدة سيادة الكادحين فى روسيا القيصرية القديمة . مات مؤسس الاممية الشيوعية ، زعيم الشيوعية العالمية ، موضع حب البروليتاريا الاممية وفخرها ، علم الشرق المظلوم ، ورأس دكتاتورية العمال فى روسيا » .



لينـــــــين .. انســـــــان

خـــيرى عزيز



هنـــاك دون شـــك صـــعوبة خاصة فى ابراز شخصية جبارة كشـــخصية « **فلاديمير ايليتش لينين** » بكامل قوامها ، لكننـــا مقتنعون تمام الاقتناع بانه اذا كان حقا ان جوهر حـــركة البروليتـــاريا نفســـه يتنـــافى مـع البهرجـــة الخـــارجية ، وبخاصـــة فى اعمـــال البطل الرئيسى للثورة البروليتارية، الا وهـــو : جماهير الشعب، فانه يحق لنا فى هذه الحالة ان نتوقـع ظهور **بساطة خاصة** ، اذا جاز القول، فى أولئك الاشخاص الذين قدر لهم ان يقوموا بدور تاريخى .. دور قادة البروليتاريا، وكل من تناول بحث هذا الموضوع يتذكر على الفور تحليل ماركس عن الصفات المميزة للثورة البرولىتارية بالمقارنة مع الثورة البورجوازية ، وآثار تلك الصفات على ابطال هذه الثورات عامة .

وعلى اية حال ، فلم تعد تلك المسألة التاريخية النظرية مجرد توقع بصدد حالتنا لان انعدام

« البهرج الخارجي » كان صفة مميزة « لفلاديمير ايليتش لينين » حسبما أقر بذلك أقرب معاصريه • فقد كان مظهره بسيطا متواضعا فقامته الربعة مع غطاء الرأس « الكيبى » العادى كان من السهل ان تضيع فى أى حى عمالى روسى دون أن تجذب اليها الانظار ، وبمثل هذه السهولة كان بوسع فلاديمير ايليتش اذا تزيا بالزى الريفى من القماش البسيط ان يضيع وسط أى جمهور من فلاحى منطقة الفولجا • « لقد كان فى هيئته شىء كأنه آت مباشرة من هذه الاعماق الشعبية وكأنه قريبها بالدم »، حسبما اوضح غ • م « كرجيجانوفسكى » عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) السوفيتى من ١٩٢٩ – ١٩٣٩ فى دراسته عن لينين •

يقول كرجيجانوفسكى : « ومع انه لم يكن يوحى بالعظمة فى النظرة الاولى ، الا انه ما أن يتمعن المرء فى عينيه غير العاديتين النفاذتين المفعمتين بقوة داخلية وحيوية ، حتى يبدأ فى الاحساس بأنه امام انسان غير عادى على الاطلاق • وهو الانطباع الذى يخلف بسرعة الانطباع الاول عن بساطة مظهره الخارجى » •

ولقد وضع « كرجيجانوفسكى » يده على تلك الحقيقة ذات الدلالة ، وهى ان جوهر فلاديمير ايليتش الانسانى ، كان يظهر بقوة وجلاء عند مخالطته للناس لا من الانطباع الناجم عن مظهره الخارجى • ان فلاديمير ايليتش لا يقول كلمات طنانة فخمة ، الا ان كل ما يقوله سيكون من الوزن والمغزى الكبير ، ومن السداد ودقة التعبير بحيث تصبح الموهبة غير العادية لهذا الانسان القادر على الكلام بهذا الشكل ، واضحة للجميع » •

على ان تلك القوة الداخلية كانت ملاحظة لدى فلاديمير ايليتش منذ وقت مبكر فى شبابه. يقول كرجيجانوفسكى : « عندما أعود بذاكرتى الى الوراء واسترجع فى ذهنى شخص فلاديمير ايليتش الدى كان آنذاك فى الثالثة والعشرين ، تتراءى لعينى الان بوضوح ، الملامح الخاصة لذلك النقاء الروحى المذهل وذلك الحماس الدائم المقرون بالاستعداد الدائم للعمل البطولى والتضحية بالنفس حتى النهاية • ربما يكون ذلك قد جاء اليه من فاجعة العائلة ، من المثال البطولى لاخيه (الكسندر الذى أعدمته القيصرية سنة ١٨٨٧)، فربطه ذلك ، بطريقة مختلفة عنا ، بتقاليد النضال الثورى البطولى الماضى » •

وعلى اية حال فان الكاتب الامريكى « جون ريد » الذى التقى بلينين عام ١٩١٧ ، يلخص لنا المسألة على نحو رائع عند ما يقول عنه انه : « زعيم بمحض فضائل عقله ، بلا أى تزويق ولا تأثر بالعواطف ، ودون أهواء مؤثرة » .

كذلك توضح لنا « يلينا ستاسوفا » الشخصية البارزة فى الحزب الشيوعى والدولة السوفيتية والتى كانت عضوا فى الحزب الشيوعى السوفيتى منذ عام ١٨٩٨ فى دراستها عن لينين بعنوان « معلم وصديق » ان فلاديمير ايليتش كان متواضعا الى حد غير عادى ، وتذكر لنا بهذا الصدد احدى الوقائع • ففى احدى الاستمارات وأمام السؤال : « ما هى اللغات التى يعرفها ؟ أجاب فلاديمير ايليتش « الانجليزية ، والالمانية ، والفرنسية بشكل ردىء ، والايطالية بشكل ردىء جدا » • الا انه فى عام ١٩٢٠ عند انعقاد المؤتمر الثانى للكومنترن ، وجه لينين انتقاداته لقيادة الحزب الشيوعى الالمانى باللغة الالمانية ، ولحظ الايطالى سيراتى باللغة الفرنسية. وانا اتذكر ذلك «الطنين» الذى جرى فى القاعة ، ذلك ان الرفاق الاجانب لم يستطيعوا أن يتصوروا ان الروسى الذى تكلم بالالمانية منذ لحظات بشكل لامع ، يجيد اللغة الفرنسية بمثل هذه الطلاقة • على هذا النحو كان فلاديمير ايليتش يعرف اللغات (بشكل ردىء) » •

وعندما منعه أحد طلاب مدرسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، ممن كانوا يقومون بحراسة الممر المؤدى الى شقة فلاديمير ايليتش لينين فى الكرملين ، وكان هناك عدد كبير من هؤلاء الشبان لا يعرفون فلاديمير ايليتش من وجهه ، عندما منعه الطالب من دخول الشقة ، وطلب منه أن يبرز ترخيصه ، عندئذ أشار فلاديمير ايليتش الى باب شقته ، وقال : « هذا باب شقتى » • فأجاب الطالب لا يمكن أن اعرف ذلك • هناك أمر بعدم السماح بدخول أحد بدون ترخيص • وهنا عاد فلاديمير ايليتش وذهب الى مقر القيادة وأخذ ترخيصا وذهب الى شقته • وعندما عرف الطالب فيما بعد أنه منع لينين ، هرع اليه ليعتذر ، الا ان فلاديمير قال له : « لا ، ليس هناك ما تعتذر منه • الامر الخاص بمنطقة الكرملين ، انما هو قانون، فكيف لى وأنا رئيس مجلس مفوضى الشعب ، أن أخرق هذا القانون؟ كنت أنا على خطأ وانت على صواب » •

البساطة والتواضع

وثمة مظهر آخر من حياة لينين وزوجته المناضلة « ناديجدا كروبسكايا » ، حدثتنا عنه « كلارا زيتكين » (١٨٥٧ — ١٩٣٣) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الالمانى • قالت « كلارا زيتكين » . « كانت شقته الخاصة فى الكرملين، تتميز بالبساطة المتناهية والتواضع ، وقد صادف ان زرت مرات عديدة شققا عمالية ، كانت اغنى أثاثا من شقة (دكتاتور موسكو المطلق !) وجدت زوجة لينين وأخته على مائدة العشاء التى دعيت اليها فى الحال ، دعوة غاية فى الصدق وكان

عشاء متواضعا ، مما يمكن أن يقدمه أي مستخدم سوفيتي متوسط من مستخدمى ذلك العهد • وكان يتألف من الشاى والخبز الاسود والزبده والجبن. ثم كان على الاخت أن تبحث « تكريما » للضيف عن شيء « حلو » • ومن حسن الحظ عثر على علبة صغيرة من المربى • ومن المعروف أن الفلاحين جلبوا الى « ايليتشهم » بوفرة الدقيق الابيض والسمن والبيض والفواكه وغير ذلك ، ومعروف ايضا أن من هذا كله ، لم يبق شيء منه فى بيت لينين • كان كل شيء يرسل الى المستشفيات وملاجيء الاطفال ، لان عائلة لينين تلتزم بصورة دقيقة بمبدأ العيش فى الظروف التى تعيش فيها جماهير الشغيلة أيضا •• وقد كانت زوجته ، كروبسكايا ، تجسيدا للاستقامة والبساطة والتواضع « البيوريتاني » المحض • تركت فى نفسى بشعرها الناعم المصفوف الى الوراء وبثوبها البسيط ، انطباعا بأنها زوجة عامل ، مشغولة الفكر دائما بالاجتهاد فى تأدية عملها وعدم تضييع الوقت •• » •

وكان لينين يكن حبا شديدا للاطفال، ويستفسر دائما عن الشئون المتعلقة بهم وعن حياتهم بالتفصيل وعندما اسست فى نهاية عام ١٩٢٠ فى الكرملين مدرسة فى الجناح الايسر لمبنى الحكومه ، كان الاطفال فى فترات الراحة يلعبون دائما بالقرب من باب المدرسة ، وكثيرا ما كانوا يلتقون بلينين الذى كانوايحيطون به رأسا ، وتبدأ فى الحال محادثة مرحة صاخبة •

المرح والموسيقى

وكما كان حب العظمه غريبا على لينين ، كان كذلك انسانا مرحا ذا اهتمام لايكل بالعالم كله ، يعامل الناس برقة وود • كانت له ضحكة طفولية تميز بها . يقـول « **الكسندر سيرافيمو فيتش** » الكاتب السوفيتى وعضو الحزب الشيوعى السوفيتى منذ عام ١٩١٨ . «انا لم التق قط بانسان قادر على أن يضحك بشكل يغرى بالضحك ، كما كان يضحك فلاديمير ايليتش • بل كان غريبا أن يستطيع انسان واقعى صارم ، ورجل أعمال تاريخيه عظيمة ان يضحك كما يضحك الاطفال حتى تدمع عيناه » • وتقول ستاسوفا ، « كان بالامكان أن تسمع غالبا اثناء جلسات اللجنة المركزية انفجارات من القهقهة الهادرة ، لان فلاديمير ايليتش شرع يضحك معديا بمرحه كل الاخرين » •

وكان « ايليتش » يحب الموسيقى ويهوى الاغنية الجيدة • تقول « **كلافديا سفيردلوفا** » (١٨٧٦ - ١٩٦٠) العضو فى الحزب الشيوعى السوفيتى منذ عام ١٩٠٤ ، ورئيسة أمانة سر اللجنة المركزية للحزب حتى عـام ١٩٢٠ ، انه : « لم تكن تمر محادثة من محادثاتنا فى استوكهولم البعيدة دون غناء يدعو اليه فلاديمير ايليتش » • وقد كان لينين معجبا بموسيقى **بيتهوفن** وبخاصة سوناتاتة وعلى وجه أخص « **اباسيوناتا** » كما كان يحب بشغف « **كوريولان** » و « **ايجمونت** » لبيتهوفن ، و « ملك الغابات » **لشوبيرت**، وكثيرا من الحان شوبيرت وشوبان ، ولم تجتذبه الموسيقى المفرطة فى التحذلق •

لا اثر « لرجل السلطة »

وتقول « **ستاسوفا** » موضحةلنا جانبا آخرمن جوانب شخصية لينين : « بالاضافة الى أن فلاديمير ايليتش كان قائدنا ، الا انه كان فى الوقت نفسه أقرب صديق لنا • كان بوسعنا أن نهرع اليه بكل هم يصيبنا . وبكل البلايا ، وبكل المسائل •• ليس فقط السياسية منها بل والشخصية »

وتقول كلارا زيتكين : « كان المرء وهو يرى كيفية معاملته للشبان يحس بفرح قلبى • كانت معاملته رفاقية محضة ، متحرره من الحذلقة واللهجة الاستاذية ، أو التعالى النابع من الادعاء بأن كبر السن هو بحد ذاته فضيلة وتفوق لا يقارن بشيء • وبين الرفاق كان لينين يتصرف تصرف الند للند بين أنداد مرتبط بهم بكل نياط قلبه ، ولم يكن هناك أثر فى تعامله معهم « لرجل السلطة » • والمحادثات الحية الصاخبة الطليقة ، كان مركزها دائما « لينين » الذى كان بارعا فى الاصغاء لكل متحدث ، والادلاء فى الوقت المناسب بالتعليق اللازم او بالنكتة المرحه ، وتقديم النصيحة الحكيمة العميقة ، وتوضيح أعقد الامور واشدها اختلاطا وغموضا » • على ان لينين بقدر ما كان بسيطا ومهتما باصدقائه والمشاركين له فى المعتقد ، كان بلا رحمة مع الخصوم واعداء الماركسية ، وكانت لديه مهارة مطبوع عليها ولا تحاكى فى تمزيق خصومه •

وكان « لينين » خطيبا من طراز خاص • وفى هذا الصدد يقول **وليام فوستر** (١٨٨١ ـ ١٩٦١) رئيس اللجنه الوطنية للحزب الشيوعى الامريكى : « انه عندما تكلم « لينين » فى المؤتمر العالمى الثالث للاممية الشيوعية فى موسكو فى عام ١٩٢١ ، تابع المؤتمر كله محبوس الانفاس ، تطور افكاره • فقد كان لينين مفكرا عميقا ، وفى الوقت نفسه كان يفصح عن افكاره بوضوح تام ، حتى انه حين كان يتكلم أو يكتب ، كان يبدو وكأنه يضع على راحة يده الجوهر الواضح البين للقضية التى يعالجها » . وكان لينين فى خطابته يستغرق وقتا أقل عادة من الخطباء الاخرين الذين كانوا يخطبون قبله أو بعده ، ولكن خطبه كانت تترك دائما انطباعا اعظم • وكان لا يستسيغ الخطب التى تقال فى مدحه مثلما حدث فى الاحتفال

باقتراب الذكرى الخمسين لمولده فى ٥ أبريل سنة ١٩٢٠ ، حيث انصرف لينين بعد ان تولى اثنان من الرفاق الكلام ، واتصل بعد ذلك بالاجتماع لوقف الخطب التى كان من المستحيل وقفها .

روح تشع التفاؤل والثقة

ومن أهم سمات « لينين » كذلك انه كان واثقا ثقة لا تتزعزع بأن البروليتاريا الروسية والبلاشفة سينتصرون، وكان يجلب معه أينما حل، تلك الثقة العظيمة التى كان يتحلى بها ، وكان سحر شخصيته من القوة بحيث ان مجرد تذكره فى اللحظات الصعبة كان يثير فى نفس الثوريين الروس قوى جديدة ويولد حماسة ، وتفاؤلا كبيرين . وكان كل امرىء لذلك ، يشتاق لان يكون اقرب الى هذا الرجل الباهر المستبشر بالحياة . كذلك فان من أعظم مميزات « لينين » ، قوته التنبئية العلمية الهائلة . ففى أوائل عام ١٩٠٤، قبل ثورة ١٩٠٥ فى روسيا بعام ، نسمعه يقول لرفاقه فى جنيف : « ان العام الذى يوشك ان يولد ، سيشهد نهوضا لاحقا فى الحركة الثورية فى روسيا ، وسيسير بنا الى المعارك الحاسمة فلنحتفل ايها الرفاق بليلة راس السنة احتفالا مرحا » . وان اصراره وثباته الثوريين انما يتضحان من موقفه فى مؤتمر الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى سنة ١٩٠٣ . فقد قال له **كرجيجانوفسكى** حينذاك « واخيرا انظر يا فلاديمير ايليتش أى موقف سيئ فى واقع الامر . ان الجميع يقفون ضدك بحزم، وحتى بين القلائل الذين يصوتون معك ، يوجد حسب رأيى اناس يقدمون على ذلك بشكل رئيسى ولاء لشخصك ، اذن فانت واحد ضد الجميع » . وكان لينين حينذاك يقف بصلابة ضد خط « المناشفة والاشتراكيين الثوريين » الذى يصفى تماما ثورية الحزب . وقد دللت الاحداث التى أعقبت ذلك على ان فلاديمير ايليتش ، كان حاد البصيرة حقا فى الفهم التاريخى . واذا كانت العبقرية تكمن بالذات فى التنبؤ بالاحداث والتعرف عليها قبل سنين طويلة من ادراك الناس العاديين لجوهرها ، فان بصيرة فلاديمير ايليتش التاريخية العبقرية قد ظهرت بجلاء فى هذا التصرف المبكر بسقوط كل اعداء البلشفية فى روسيا .

وكان « فلاديمير ايليتش » نشيطا خفيف الحركة كالزئبق، كما يقول بعض معاصريه ، وكان ولوعا بالهواء الطلق الصقيعى ، وبالسير السريع ، والتزحلق ، ولعب الشطرنج ، والصيد . يقول **كرجيجانوفسكى** : « ما كان أروعه من رفيق مرح بشوش حلو المعشر فى ساعات الراحة فى الهواء الطلق ، أو خلال معركة على رقعة شطرنج » . كان بصره جيدا وقدماه سريعتان ، وكان يقوم بمهارة بعمليات التملص من الجواسيس ومراوغتهم ، كذلك كان يتصف بصفة مدهشة هى السرعة الخارقة فى التعرف على الكتب قلبيا ، حتى من خلال تصفحه السريع لها ، وكان يحدث ان يتصفح المجلد السميك ويستخرج منه بسرعة مقتطفات تكشف حقيقة وجوهر المؤلف .

حب العمل الجماعى

كان يحب العمل الجماعى بأصدق معانى هذه الكلمة ، أى وضع الصيغ على أساس المسودة المعينة التى يشترك فى اعدادها عدة أشخاص . يقول « **اناتولى لوناتشارسكى** » (١٨٧٥ - ١٩٣٣) رجل الدولة السوفيتى فى مقاله عن لينين فى عام ١٩٠٥ : « كنا نعمل بروح جماعية ومودة، وقد وجدنا متعة عظيمة فى تلك القيادة الملتهبة (قيادة لينين) الحسنة التدبير ، الحيوية دائما ، وكانت تبهرنا فى زعيمنا القدرة على ايجاد وجوه المقارنة بين عدة حقائق ، كانت تبدو ذات اصول مختلفة جدا ومتباعدة بعضها عن بعض وسرعته المذهلة فى تحديد الاتجاه وسداد الصيغ ، وكان ذلك مطعما بالدهاء الذى يفوق الوصف ، الدهاء الفاتن ازاء الخصم » .

والحقيقة ان من أهم صفات لينين فى العمل هى خضوعه الواعى لرأى الجماعة ، حتى فى تلك الحالات التى كان يعتقد فيها أن الجماعه على خطأ، وكان يحاول عادة - بماله من تأثير معنوى كبير - ان يقنع رفاقه، سواء فى أجهزة الحكومة أو الحزب . ولكن كانت هناك بعض الحالات التى لايتقبل فيها رأيه او تقبله الاقلية ، فى مثل هذه الحالات كان لينين يخضع للتنظيم كلية ودون شرط . ولم يحدث قط ان استخدم سلطته كسلاح للضغط . كان كل ما يفعله هو أن يبذل اقصى ما فى وسعه فى المناقشة والاقناع . ولم يحدث ان استخدم نفوذه لكى يتغلب على مقاومة اناس يحملون وجهة نظر تختلف عن وجهة نظره . كان يسوق الحجج ويحاول الاقناع ولا يعرف الراحة حتى يقتنع خصومه ، ولم يكن يعتبر أن انتصاره على أحد الخصوم يزيد على مجرد انتصار لوجهة نظره فى اطار التنظيم .

وتقول **ناديجدا «ف» كروبسكايا** «زوجته» فى مقالها بعنوان (صورة لينين كانسان) : « لقد كانت غريبة عليه الاشياء التافهة ، الحسد الرخيص ، والحقد ، وحب الانتقام ، والغرور .. وهى صفات يتميز بها كثيرا الفرديون من ذوى الملكات الصغيرة » .

كان لينين يكافح ويضع القضايا بحدة ، ولكنه لم يدخل فى النقاش قط شيئا شخصيا . وكان يعالج المسائل من الناحية العملية ، ولهذا لا يتكدر

الرفاق من حدته فى العادة، وكان قادرا على أن يقبل على الناس بحساسية رائعة ويكتشف فيهم كل ما هو طيب وقيم ، ويمكن وضعه فى خدمة القضية العامة .

اعتبـــارات العمـــل والاعتبارات الشخصية

وكان « لينين » يرى ـ حسبما أوضح « **جورجى شيشرين** » ١٨٧٢ ـ ١٩٣٦ الذى تولى وزارة الخارجية السوفيتية من ١٩١٨ حتى ١٩٣٠ : « أن اعتبارات العمل يجب أن تسود دائما على الاعتبارات الشخصية ، وكل مصلحة شخصية ينبغى أن تتراجع أمام مصلحة القضية . كان هذا المبدأ جزءا متكاملا من حياة لينين ، بحيث كنت تحس حين تتحدث اليه انه لا يليق بك أن تشير الى اعتبار شخصى حين يكون الحديث متعلقا بمصالح القضية . وكل من تحدث الى لينين ، كان لابد وان يشعر أنه من المخجل أن يتحدث عن أمر شخصى عند حديثه عن القضية ، ولم يحدث أن رأيت لينين مستفز المشاعر أكثر منه حين تعترض المنازعات الشخصية الصغيرة طريق العمل ، حين تحل الحملات الخبيثة والمشاحنات الشخصية ، محل اعتبارات العمل ، وحين يبدأ الناس فى الحديث عن الصفات الشخصية لهذا الشخص أو ذاك ، أو يلجأون الى الهجوم الشخصى ، ويعطلون العمل » .

وتتعرض « **كروبسكايا** » لبعض سمات لينين الاخرى فتوضح أن « البعض يقولون ان لينين رجل طيب . ولكن كلمة (طيب) المأخوذة من قاموس الفضائل القديم ، لا تنطبق على لينين الا قليلا ، فانها غير كافية وغير دقيقة على نحو ما ، ولم يكن عند لينين قط انعزال عائلى أو ضمن حلقة معينة مما كانت تتميز به تلك الفترة المبكرة . وهو لم يفصل قط الخاص عن العام ، أو اندمجا عنده فى شىء واحد . وكان يتسم بقدرة هائلة على حب الناس والتعلق بهم بشدة . ونموذج لذلك تعلقه « **بليخانوف** » الذى تلقى منه الكثير ، ولكن ذلك لم يمنعه من ان يناضل بكل طاقته ضد بليخانوف حين كان يرى ان بليخانوف غير صائب ، وان وجهة نظره تضر بالقضية ، ولم يمنعه من الانفصال عنه نهائيا حين أصبح بليخانوف من انصار الدفاع » .

وكان « لينين » يجيد تركيز كل قدرته المذهلة على العمل . تقول **ستاسوفا** : « نحن الذين كنا نعرف لينين عن كثب ، كان يبهرنا حبه غير الاعتيادى للعمل ، أتذكر حوادث فى فترة ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ ، عندما كنت اعمل سكرتيرة للجنة المركزية للحزب ، كانت ناديجدا قسطنطينوفنا (زوجته) او ماريا ايلينيتشنا (اخته) تأتيان الى او تبلغاننى بالتليفون : يجب اتخاذ اجراء . لقد عمل فلاديمير ايليتش الى حد الارق . عند ذلك يكون على الاتصال بأعضاء اللجنة المركزية لاصدار قرار باعطاء فلاديمير ايليتش أجازة ، وحين صدر القرار أبلغته به تليفونيا : يا فلاديمير ايليتش ، يوجد قرار من اللجنة المركزية باعطائك أجازة لعدة أيام ، وردا على ذلك قال فى التليفون بصوت غاضب جدا ، قولى متى ستبدأ الاجازة ؟ . لم يجادل فلاديمير ايليتش ما دام هناك قرار بذلك من اللجنة المركزية . وفى الاجازة كان يخرج الى الصيد ويجمع الفطر ويصطاد السمك ، ولكنه لم يخرق مرة قرار اللجنة المركزية للحزب ، وبشكل عام ، كان لينين يقف من قرارات اللجنة المركزية موقفا جديا للغاية » .

الدقة البالغة فى العمل

وكان فلاديمير ايليتش شديد الدقة فى كل ما يفعله . وكان يصر على توفر هذه **الدقة البالغة** فى كل من يعملون معه ، كان يريد من محدثه أن يورد الكلام مدعما بالوقائع على نحو دقيق . وكل من عمل مع لينين يعرف أن حديثا لا يدعمه سند من الحقائق ، كان يعنى عنده لاشىء . « ولكى تقدم اليه بيانا عن أى شىء ، كان لابد لك من أن توزن الاسماء والحقائق والارقام والاستشهادات وباختصار وقائع ملموسة ومدروسة بعناية بالغة » . وكان من الافضل عنده حسبما يقول « **شيشرين** » ان تقوم بعمل أقل ، يتميز بالدقة والوضوح والتمحيص ، وخير عنده الا تقول شيئا من أن تلقى قولا لا تسنده الحقائق والوقائع . ويقول **جورجى شيشرين** انه « اذا كان هناك من يريد أن يتعلم من لينين ، فليذكر هذا : لا تقفز أبدا الى النتائج . لا تقدم أبدا أية معلومات لا تسندها الوقائع . لا تتسرع بابداء رأى الا بعد أن تتأكد من انه يقوم على معطيات دقيقة .

« وكانت دقة فكر لينين نفسه تتحقق فيها هذه الميزة على أكمل وجه . فكل رأى يبديه ، كان نتيجة جرى استخلاصها بدقة من وقائع ثابتة ، وكل فكرة من أفكاره ، كانت ثمرة جهد فكرى عميق ، وكانت من الكمال والصقل بحيث لا يتبقى فيها ذرة واحدة من الغموض أو اللبس ، وبحيث تحس فيها من البداية حتى النهاية بأنها واضحة ومحددة كالبللور » .

وكان العمل مع لينين « يقتضى أن يكون المرء قادرا على تنفيذ التوجيهات التى كان يقدمها دائما فى صورة افكار واضحة متماسكة البنيان تقوم على حقائق الواقع » .

ويقول شيشرين : « لقد تعلمنا من لينين أن نفكر بدقة ، أن نرى الوقائع الحقيقية على ما هى عليه فى الحياة . ولكننا تعلمنا فوق ذلك — كيف نقوم بتنفيذ المهام بدقة كاملة ، حين تصاغ فى صورة فكرة واضحة او توجيه دقيق . وكان لينين يبدى اعجابه باولئك المنفذين الذين يعرفون كيف يقدرون الموقف بكل مافيه من جوانب ، الذين يعرفون ما يصنعونه فى هذا الموقف المعين ، ويقدرون على انجاز عملهم بدقة كاملة رغم كل الصعاب التى تصادفهم .

اما الشيء الذى كان يصعب فعلا ان يتعلمه الانسان من لينين — الشيء الذى يفوق فى صعوبته كل الامور الاخرى — فهى قدرته على أن يكون منظما فى كل ما يفعله — حتى فى أقل التفصيلات شأنا .. فأيا كان المكان الذى يعمل فيه ، كان يوم العمل يخضع عنده لنظام صارم ومحدد . وكنت تجد نفس النظام الصارم فى كتبه واوراقه ، وفى كل حياته الشخصية » .

المنهج المنظم فى حياة الناس

وكان لينين يعتقد أن العقلانية والمنهج المنظم الدقيق ، ضرورة فى حياة الناس الشخصية أيضا . كان يصر على أن ينال العاملون معه حقهم فى الاجازات فى موعدها ، وأن يتخذوا اجراءات الرقابة الصحية ، وأن ينظموا حياتهم ويخضعوها للعقل بحيث لا يصبح ثمة مكان للصدفة ، أو للاهمال فيها . وكل شيء عنده ينبغى ان يفكر فيه بعناية ، وأن يخضع للنظام ولا محل للاهمال . وقد أوضح كرجيجا نوفسكى أنه كان قبل الثورة وفى مرحلة العمل السرى يهاجم الرفاق « بسبب التراخى الذى كنا نتسامح به فى علاقاتنا الشخصية ، وهى صفة من صفات المثقفين ، عندما كنا نتزاور غالبا ، لا لشأن من شئون العمل ، بل لمجرد الترويح عن النفس » .

قرارات انسانية

وكان الاهتمام بالرفاق سمة مميزة له ، فكان يهتم بهم وهو رهين السجن ، وهو طليق ، وهو فى المنفى ، وهو فى المهجر ، وعندما صار رئيس مجلس مفوضى الشعب . ولم يكن يهتم بالرفاق فقط ، بل وبأناس بعيدين جدا كانوا محتاجين الى مساعدته . كان لينين يحرص بشكل مؤثر على صحة الرفاق ./ وتقدم ستاسوفا مثالا على ذلك ، ما حدث منه ازاء « تسيوروبا »

و « دزيرجينسكى » ، تقول « لم يكن الرفيق أ . د . تسيوروبا يهتم بصحته بينما كان فلاديمير ايليتش لا يجيز ذلك . كان يقول ان الشيوعيين ملكية عامة ولا يجوز التفريط فيها . فى بادىء الامر ، كتب لينين الى تسيوروبا بلهجة رقيقة : انه اصبح غير محتمل على الاطلاق فى موقفه من الملكية العامة . وعندما لم يؤثر ذلك ، اصدر ايليتش أمرا صارما : نظرا للموقف غير الحذر من الملكية العامة (نوبتان قلبيتان) ، يحذر أ . د تسيوروبا تحذيرا أوليا ، ويؤمر بالسفر الى موطنه فورا .

[لينين]

كذلك فعندما علم « فلاديمير ايليتش » بأن ف . أ . دزيرجينسكى اشتغل كثيرا حتى صار يبصق دما ، ولا يريد أن يستريح ، اتصل بى تليفونيا . واقترح أن يصدر قرار من اللجنة المركزية بالايعاز الى دزيرجينسكى بالسفر فى أجازة لمدة أسبوعين الى ناروفومينسك . وفى ذلك الحين كان فى ناروفومينسك أحسن سد فخور قريب من موسكو ، وكان بمستطاع دزيرجينسكى أن ينال تغذية جيدة هناك . وقد فكر فلاديمير ايليتش بكل شيء الى حد الاشياء الدقيقة الصغيرة ، كما أخذ بعين الاعتبار عدم وجود تليفون فى السوفخوز ، وبالتالى سيتعذر على دزيرجينسكى الاتصال التليفونى بموسكو فيستطيع بذلك أن يستريح على نحو أفضل » .

وفى ذلك الحين ، تقول ستاسوفا : « كان على سكرتير اللجنة المركزية أن يشتغل ليس فقط بالقضايا السياسية ، بل وبالتجهيز كذلك ، فكان غالبا ماينصل بى فلاديمير ايليتش تليفونيا طالبا توفير قبعة لهذا الرفيق ، وحذاء لذلك وشيئا آخر لثالث . وفى اليوم التالى ، كان يتأكد حتما من تنفيذ أمره » .

الاشياء الصغيرة والكبيرة

ويمتاز « فلاديمير ايليتش » بقدرته على أن يتذكر الاشياء الصغيرة ، وسط جميع مشاغل الدولة الهائلة وأن يكون دائما « رفيقا حريصا » وبهذا الصدد توضح « الكسندرا كولونتاى » (١٨٧٢ — ١٩٥٢) التى تولت فى عام ١٩٢٠ رئاسة القسم النسائى فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) الروسى : « انه فى احدى المرات كان فلاديمير ايليتش ذاهبا للراحة فى فنلندة فأعطيته وزوجته وأخته ٣ معاطف من الفراء مأخوذة من مستودع مفوضية الشعب ، لانه كان عليهم أن يركبوا احدى الزحافات فى العراء بين المحطة والمصحة ، وكانت المسافة بينهما كبيرة جدا . وبعد أن عاد لينين ، تلقيت منه المذكرة التالية التى كتبها بخط يده :

« ارسل لك مع الشكر بحالة سليمة تماما ، معاطف الفراء المأخوذة من ودائع مفوضيتكم الشعبية · وقد نفعتنا كثيرا · فقد تعرضنا لعاصفة ثلجية · وكان المقام فى « خاليلا » نفسها جيدا · اما الماركات الفنلندية (التى كان قد اخذها عنها) فلا أرسلها اليك الان · ولكننى قد حسبت على وجه التقريب ، ماذا تساوى بالعملة الروسية ، أى ٨٣ روبلا · وها أنا أقدمها · أنا أعرف أن أموركم المالية ليست على ما يرام · لينينك » ·

النضال ضد المكتبية

وكانت السمة المميزة لاسلوب لينين فى العمل هى النضال ضد الميل الى المكتبية ، وتحبير الاوراق فى جهاز الدولة .. وقد اعطى فلاديمير ايليتش امرا بأن ينجز كل ما هو ممكن عن طريق التليفون ، دون حاجة الى مكاتبات ، وكان هو نفسه يصدر اوامره مباشرة بالتليفون حين يكون ذلك ممكنا ·

كان لينين ينظر الى استقبال الزائرين باهتمام شديد ، ويطلب مثل هذا الموقف من كل مشتغل ، « واذا حدد موعدا لاستقبال رفيق ، وعرف فى الصباح انه فى الساعة المحددة لن يستطيع استقبال الرفيق ، كان يتصل بالتليفون شخصيا (لا عن طريق السكرتير) بالرفيق ويقول انه لا يستطيع ان يستقبله فى الساعة المتفق عليها ، ويتفق على الوقت الذى يستطيع ان يستقبله فيه . واذا كان واضحا ان ساعة استقبال الرفيق تقترب بينما هناك قضايا مستعجلة (وفى ذلك الحين كانت كثيرة جدا) لاتسمح لفلاديمير ايليتش باستقبال الرفيق الذى قد جاء ، فأنه كان يرسل سكرتيره الى غرفة الاستقبال ليقول للزائر : لاتنتظر ولاتضيع الوقت فى الجلوس عبثا ، فأن فلاديمير ايليتش لا يستطيع ان يستقبلك · عند ذاك يجب أن يتفق السكرتير على الوقت الذى يستطيع الرفيق ان يأتى فيه للمقابلة ويكتب رقم تليفونه ليستطيع فلاديمير ايليتش الاتصال به تليفونيا » .

وكان لينين يقدر كثيرا عامل الوقت ، كانت جلسة اللجنة المركزية تبدأ عادة فى الساعة العاشرة صباحا ، وكان فلاديمير ايليتش يفتتحها فى وقت لا يتعدى العاشرة و ١٥ دقيقة · وكان وقت الخطباء يحدد بدقة ، وفى العادة تعطى للخطيب دقيقتين · وكان فلاديمير ايليتش يراقب الخطباء على ساعة التوقيت وكان لا يحتمل تبادل الاحاديث اثناء الجلسة . ما ان يبدأ أحد بالكلام حتى يهدده بأصبعه مهمهما له ويشير قائلا له « اكتب » · اذا كنت تريد ان تبلغ شيئا لرفيق اكتب له ، ولكن لا تعرقل عمل الاخرين بالاحاديث الجانبية · ولهذا كان يجرى اثناء الجلسات تبادل كثير من المذكرات · وكان فلاديمير ايليتش وهو يدير الجلسة يقوم فى نفس الوقت بتسجيل الملاحظات لكلمته الختامية ، ويتبادل المذكرات مع الحاضرين

زيارات « الرسل »

ولقد احب فلاديمير ايليتش لينين الشعب وأناس العمل البسطاء · وكان قلبه يخفق بحب حار لجميع الشغيلة ، وكان وهو رئيس الحكومة السوفيتية يتحادث مع العمال والفلاحين عن رغبة ، وكانت معرفة رأى العامل والفلاح ، ومزاجهما بالنسبة له ، لا تقل أهمية عن معرفة رأى اعضاء اللجنة المركزية للحزب ، ومجلس مفوضى الشعب · ولقد احب فلاديمير ايليتش بشكل خاص التحدث مع العمال ، وكان يشاطرهم افكاره الصميمة ويقدر رأيهم للغاية ، كما كان يقدر تقديرا كبيرا رسائل الفلاحين المنشورة فى صحيفة (بيدنوتا) اى « فقراء الفلاحين » وكان يقول عنها « انها وثائق انسانية حقيقية ، وانا لا اسمع ذلك فى أى تقرير » .

« وبالرغم من انشغال فلاديمير ايليتش الزائد على الطاقة الانسانية بأهم قضايا الدولة والحزب ، الا انه كان يجد الوقت لاستقبال الزوار · كان يستقبلهم بنفسه ويتحادث معهم ، ليس فقط لانه كان يعتبر ذلك التزاما لرئيس الدولة ، بل قبل كل شيء لانه كان يشعر بحاجة ملحة الى اتصال حى بالشعب ·

كان « الرسل » المنتخبون فى اجتماعات فلاحية يأتون من كل انحاء البلاد بواسطة وسائل النقل أو مشيا على الاقدام الى لينين فى موسكو ، حتى كان للينين ، يوم خاص لاستقبال الفلاحين « الرسل » » ·

وكانوا يأتون الى الكرملين فى الساعة المعينة ، مرتدين الستر المنسوجة يدويا ، والخفاف الليفية ، وعلى أكتافهم الاجربة التى كانوا يضعونها على الارض عند حائط فى غرفة الاستقبال ، وينتظرون متهامسين فى قلق حتى يدعوا للدخول الى رئيس مجلس مفوضى الشعب ·

وكانوا لا ينتظرون طويلا ، وسرعان ما ينادونهم ، فيشدون احزمتهم ، ويمسدون شعورهم بأيديهم ، ويدخلون مكتب لينين ، بوقار · اما هو فيخرج من وراء المكتب للقائهم مصافحا كل واحد منهم بترحيب ويدعوهم الى الجلوس ·

ويسأل فلاديمير ايليتش كل واحد منهم عن اسم عائلته واسمه واسم ابيه ، وعن المكان الذى جاء منه ، وتبدأ محادثة بسيطة قلبية .

وكان يدهش الموفدين تذكر فلاديمير ايليتش لاسمائهم ، فقد كان يسمى كل واحد منهم اثناء الحديث باسمه واسم ابيه (تقليد روسى) · وكان يدهشهم اكثر ان فلاديمير ايليتش حسن الاطلاع على حاجات قراهم ، يعرف اية أراض يملكون ، بل

كان احيانا يذكر اسم المالك العقارى الذى كان يستثمرهم ، وبالطبع لم يكن الفلاحون يعلمون ان لينين قد درس اقتصاد كل منطقة فى البلاد دراسة ممتازة ، وكان لينين فى الحقيقة قوى الاسر ، بحيث لم يكن يشعر المرء امامه باى تقيد فى شكل التعبير ، فيفصح عن كل شىء ، وما ينساه يستطيع لينين ان يلتقطه بنفسه من الاسئلة .

وبمقدار ما كان لينين ينفر من اصحاب البنوك والسماسرة طفيلى الرأسمالية وخدمها المتلاعبين، والمضاربين بالقيم ، كان يكن الحب نحو جميع منتجى القيم وعمال الفحم والحجارة والمعدن ، نحو كادحى الحقول والغابات . يقول الصحفى الامريكى التقدمى « **البرت ريس ويليامس** » (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) الذى اشترك فى احداث ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وانضم فى عام ١٩١٨ الى صفوف الجيش الاحمر : « بالرغم من ان لينين كان يقابل دائما جمهورا متنوعا من الناس : دبلوماسيون ومستخدمون وضباط ومراسلون واناس من الطراز البرجوازى القديم، الا انه لم يكن يشعر بأى متعة مع مثل هذا الجمهور بل كان يقوم بواكب وظيفة فقط وعلى عجلة منه . اما العمال والفلاحون فكان يفضل ان يهب وقته كله لهم ، وكانوا عنده فى الدرجة الاولى » .

يقول ا . ا **تشيرنوف** الفلاح اللاحزبى من سيبريا بهذا الصدد : « لقد وصلت الى لينين من سيبريا فى فروتى الكبيرة الطويلة ، قضيت فى الطريق الى موسكو شهرين ، وذهبت الى مجلس مفوضى الشعب قبل الموعد . وكان ينبغى اتصالى تليفونيا بالسكرتيرة الرفيقة « **جلاسير** » ، وانا لا اعرف كيف استعمل التليفون ، فطلبت من الانسة الحارسة ان تتكلم عوضا عنى ، ويضحك الجميع ، ولكن الانسة الحارسة تتلطف بالتكلم عوضا عنى . ومع ذلك اتذكر وكأنه الان ، ان فلاديمير ايليتش عندما قدمت عليه ، نهض وسار لملاقاتى وكأننى زائر رفيع المقام » .

لقد كان لينين مثل جميع الرجال العظماء حقا يصغى بلهفة حتى الى اكثر الناس جهلا وأمية من اولئك الذين كانوا مع ذلك يعطونه الشىء الكثير . كان واضحا تماما للينين ، تفكير وشعور الفلاح السيبيرى ، او جندى الجيش الاحمر ، او القوزاقى من الدون ، وكان ينفذ الى افكار عامل الصهر من مصنع بوتيلوف ، او الحمال من الفوجا، او عاملة النسيج من موسكو .. ويحدس رغباتهم .

والعمل اليدوى ايضا

وعندما كان يقتضى رفع وعى العمال والضبط ، كان لينين يشترك فى « ايام السبت الشيوعية » (١) . وبهذا الصدد يقول « ا.ا.يوريسوف » (١٨٩٢ ـ ١٩٤١) مفوض دورات الرشاشات فى الكرملين فى اعوام ١٩١٩ ـ ١٩٢١ وعضو لجنة موسكو للحزب الشيوعى (البلشفى) الروسى : « كان لينين فى السبت الشيوعى الذى اشتركت فيه معه ، يحاول طول الوقت ان يأخذ الرافدة لا من جزتها الرفيع بل من جزتها السميك . بينما كنت اريد انا ان اعطيه الجزء الاخف ، فحدث بيننا جدل وقال : سيكون عليك على هذا النحو ان تحمل حملا اثقل مما احمل .. وكنت اظهر له اننى بالذات على حق فى تصرفى واقول : لانك فى الخمسين بينما انا فى الثامنة والعشرين » .

ولكنه اشتغل بروعة ، لم يكن يمشى بل يركض سابقا الاخرين مستعجلا ، وكأنه يريد ان يقول : يجب الاشتغال بسرعة . وتعبت انا . ثم ان جميع العاملين جلسوا ليستريحوا قليلا .

وبعد الاستراحة كان علينا ان ننقل كتل خشب بللوطية ثقيلة جدا ، وكان يجب ان يتعاون ستة فى حملها على اعواد ، وان يستريحوا مرة او مرتين حتى يوصلوها الى مكانها . واشتغل فلاديمير ايليتش مع الطلاب اربع ساعات حينذاك ، وهذه الساعات الاربع التى قضيتها مع الرفيق لينين فى عمل عضلى شاق ، باقيه فى ذاكرتى طول العمر » .

« ان شخصية لينين ـ كما تقول المناضلة الالمانيه والعالميه الكبيره (**كلارا زيتكين**) ـ تشف عن التلاحم المنسجم بين عظمه القائد وعظمة الانسان ، وبفضل هذه السمة انغرست شخصيته عميقا فى قلب الطبقة العامله العالمية ، والشعوب المضطهدة والطامحة الى التحرر ، لان الشغيله ، وكل الذين هدموا قرابين للرأسمال ، وكل الذين لا يعرفون الكذب التقليدى للعالم البورجوازى ورياءه يدرجون بحاسة فطريه مرهفة ، الفرق بين الصادق والزائف ، بين العظمة المتواضعة ، وبين الغطرسة المتبجحة ، بين الحب الفعال الموجه نحوهم ، وبين تصيد الشهرة الذى لاينم الا عن الغرور الفارغ » .

وبعد .. فلم يكن فلاديمير ايليتش لينين ، على هذا النحو ، عقلا عبقريا فحسب ، وانما قلبا انسانيا عظيما ، تشبع بعذابات المضطهدين من البشر ، واجتمعت فى شخصه ، العبقرية والنبل فاستحق فى النهاية ، كل ذلك الحب الذى يحظى به من العمال والفلاحين والمثقفين وكل المضطهدين ، والمظلومين فى العالم .

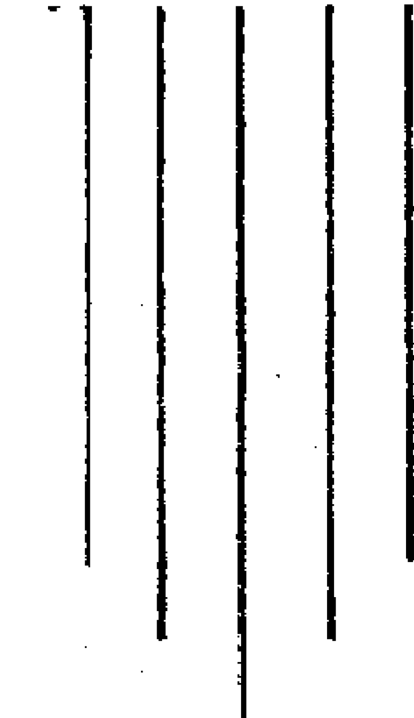
---

(١) عمل تطوعى بلا اجر ، كان يقوم به العاملون السوفيت لمنفعة الوطن فى ايام العطلة الاسبوعية ، او بعد وقت العمل .



الفلسفة والاقتصاد

- لينين والفلسفة
- لينين مفكرًا اقتصاديًا



لينين .. والفلسفة

أبو سيف يوسف



في التخطيط الذى وضع لعدد ابريل من « **الطليعة** » كان الموضوع الذى كلفت به « **لينين فيلسوفا** » غير ان العنوان الجديد قد فرض نفسه - ولم يكن السبب تحرجا من وضع صورة « الفيلسوف » محل صورة الثورى . لان « لينين » كان بالفعل فيلسوفا ، كما كان قائدا « بروليتاريا ، ومثقفا موهوبا » ، ورجل دولة من طراز جديد .

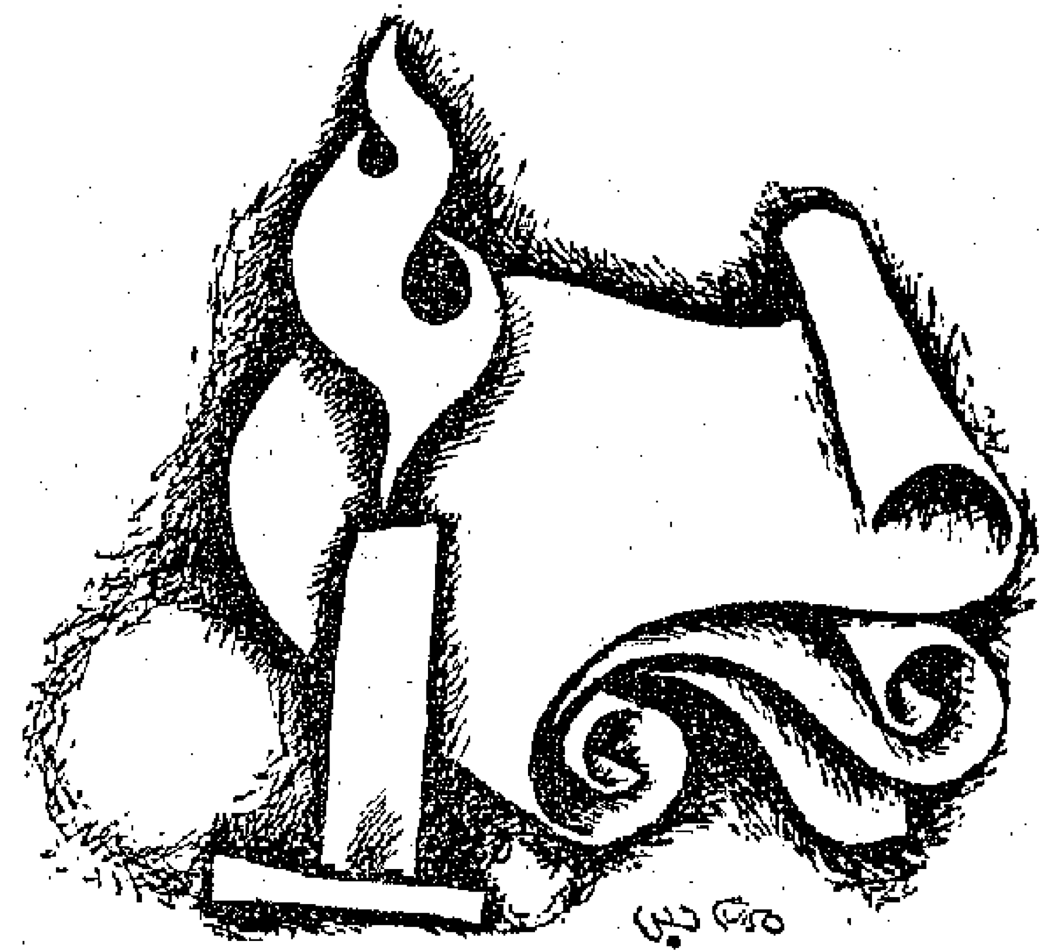
ربما كان السبب فى تغيير العنوان اننا نستجيب — فى ذكرى لينين المئوية — لدواعى التواضع الذى اشتهر به لينين . فقد كان يقول عن نفسه : **لست فيلسوفا** . وكان يقول : **انني أعلم أن صياغاتي (فى الفلسفة ، غامضة وغير دقيقة** . وفى خطابه الى « جوركى » [٧ فبراير ١٩٠٧] يضيف أيضا « **أن اعدادى فى هذا المجال لم يكن على مايرام** » .

وربما أضفنا أيضا ، أن تغيير العنوان كان الدافع اليه دعوة الى المثقفين الذين يشتغلون بقضايا الفلسفة ، ومع ذلك ، يبدون تحفظا شديدا بازاء اى محاولة لادراج اسم « لينين » فى سجل « الفلاسفة الرسميين » المعترف بهم فى قاعات المحاضرات . لان هذا - بالفعل - هو موقف كثير من أساتذة الفلسفة ومدرسيها فى الاوساط الاكاديمية . وفى هذا يقول « **ألتوسير** ، المفكر الفرنسى الماركسى ، ان الفلسفة الفرنسية فى الجامعات لم « تتكرم » أو تتنازل لتناقش فكر لينين الفلسفى ، وذلك على الرغم من أن لينين ، فى كتابه « المادية والنقد التجريبى » يحلل باسهاب ، وبانصاف ، أعمال فلاسفة وعلماء فرنسيين من امثال : **بوانكاريه ودوهيم وآبل رى** .

على آية حال ، علينا أن نعترف - مع ذلك - بأن لينين قد يبدو ، فى بعض مواقفه وكتاباته ، خصما للفلسفة ، ولكثير من الفلاسفة ، ولعدد أكبر من مدرسى وأساتذة الفلسفة الاكاديميين .

لكن السؤال الذى يطرح - ولايزال يلح - هو : **هل كان لينين من خصوم الفلسفة فعلا ؟** اما السؤال الثانى فهو : **من هم الفلاسفة وأساتذة الفلسفة - الذين خاصمهم - لينين وحل به غضبهم ؟**

فيما يتعلق بالسؤال الاول ثمة موقف « للينين » فى عام ١٩٠٨ . فى ذلك الوقت كان « لينين » فى صحبة « جوركى » فى جزيرة كابرى . وفى يوم ، دعاه جوركى الى أن يشترك فى مناقشة فلسفية مع مجموعة صغيرة من البلاشفة الروس ،



رتشارد أفيناريوس

(١٨٤٣ ـ ١٨٩٦)

فيلسوف سويسرى ينتمى الى التصورية الذاتية . من الداعين الى «النقدية التجريبية» رأيه فى التجربة انها تجمع بين المتناقضات ، أى بين الوعى والمادة ، النفسى والفيزيقى ولهذا تبنى مبدأ التنسيق بين الموضوع والذات ولكنه ألحق الموضوع بالذات نقده لينين فى كتابه « المادية والنقدية التجريبية » .
مؤلفه الرئيسى « نقد التجربة الخالصة » [١٨٨٨ — ١٨٩٠] .

كان « جوركى » يشاطرهم آراءهم . وكانت المجموعة واقعة تحت تأثير البلبلة الفكرية والسياسية التى تفشت كالوباء، ونجمت عن فشل ثورة ١٩٠٥ . هنالك ، اندفع كثيرون من المثقفين البلاشفة الى تكوين مجموعة عرفت باسم « **المقاطعين** » أو (الاوتزفست) . على المستوى السياسى ، تبنت هذه المجموعة موقف اليسار المتطرف ، فطالبت بمقاطعة كل شكل من أشكال الكفاح القانونى (دخول البرلمان .. الخ) والانتقال المباشر الى العمل العنيف . وعلى المستوى الفلسفى اعتنق « المقاطعون » فلسفة « من أحدث طراز » ، كانت فى ذلك الوقت بدعة العصر ، هى فلسفة النقد التجريبى . ولكن ، لما كان « المقاطعون » بلاشفة وماركسيون فى آن واحد ـ فقد حاولوا أن يحلوا التناقض القائم بين الماركسية وبين المادية التجريبية . الا أنهم فعلوا هذا على حساب الماركسية ، فأعلنوا انه ينبغى رفض المادية الديالكتيكية ، لانها تمثل الجانب الميتافيزيقى من الماركسية .

كان هدف « جوركى » أن يدعو « لينين » الى مناقشة مع هؤلاء الفلاسفة « الاوتزفست » غير أن « لينين » وضع شروطه :

« عزيزى اليكس ماكسيمو فتش :

كم وددت الحضور لأراك ، غير أنى أرفض كل مناقشة فلسفية .. »

كتب لينين هذا ، وفى اكتوبر ١٩٠٨ ، وفى العام التالى ، كان قد انتهى من وضع كتابه « المادية والنقد التجريبى » (١٩٠٩) . فهنا يخوض لينين معركة حامية الوطيس على الجبهة الفلسفية ، وهنالك يرفض لينين المناقشة الفلسفية ، فكيف نفسر هذا التناقض ؟ سنترك مؤقتا الاجابة على هذا السؤال .

أيا كان الامر ، فالثابت أن لينين لم يكف عن دراسة الفلسفة ، وتلمس النظريات الفلسفية فى مظانها . وكان يضاعف هذا الجهد خصوصا فى لحظات الانعطاف الحاد التى عرضت للثورة الروسية ، وكما أشرنا ، رأى « لينين » أن انتكاسة ثورة ١٩٠٥ قد صحبتها ، فى صفوف المثقفين، ردة على المستوى الفلسفى . فعكف لينين على دراسة « هذه الفلسفة العصرية : النقد التجريبى » التى جذبت الى حظيرتها كثيرين من الماركسيين كانوا يسمون أنفسهم ماركسيين . ودرسها لينين فى كتب مؤسسيها **أرنست ماخ** (١٨٣٨ — ١٩١٦) وافينا ريوس ، ثم فى كتابات من تأثروا بهم من الروس من أمثال : **بوجدانوف** ، **وبازاروف** ، **ويرمان** الذى نشر كتابه « الديالكتيك فى ضوء النظرية الحديثة للمعرفة » والذى ذهب فيه الى ان الديالكتيك عند « انجلز » هو نوع من التصوف (١) . وفى الفصل الخامس من المادية والنقد التجريبى يعرض ويناقش « لينين » كتاب عالم الفيزياء الشهير **هنرى بوانكاريه** « قيمة العلم » ، كما يحلل كتب ودراسات عدد كبير من علماء الطبيعة والفلاسفة الفرنسيين والالمان والانجليز .

أرنست ماخ

عالم فيزياء نمساوى وفيلسوف . من مؤسسى « النقدية التجريبية » يذهب الى أن الاشياء جملة احساسات ميعارض المادية . ويتخذ من فلسفة هيوم سندا لتبرير آرائه فيرفض معانى العلية والضرورة والجوهر بدعوى ان هذه ليست فى التجربة . وطبقا « لمبدا الاقتصاد فى الفكر » ـ وهو من مبادىء الماخيين يرى أن العالم ينطوى على « عناصر حيادية » ليس الا ، أى احساسات .
التصورات ، فى رأيه ، رموز تدل على « جملة من الاحساسات ، والعلم ليس الا جملة فروض تغنى عن الملاحظة المباشرة .
نقده لينين فى كتابه « المادية والنقدية التجريبية» ونعت مذهبه بانه تصورى ذاتى .
من مؤلفاته : « تاريخ وأصل مبدأ حفظ العمل » [١٨٧٢] « الميكانيكا وتطورها » [ط ٢ ، ١٨٨٩] « مبادىء نظرية الحرارة » [١٨٩٦] « تحليل الاحساسات » [١٨٨٦]

---

(١) لينين : المادية والنقد التجريبى ص ٩ ـ الطبعة الانجليزية ـ موسكو

وفي عام ١٩١٤ نشبت الحرب العالمية الاولى . وكان « لينين » في برن ، واثناء اقامته هناك أعاد مرة أخرى قراءة كتاب المنطق الكبير **لهيجل** . اي أنه درس كتابا مجردا ، في فترة كانت تتفجر فيها بعنف جميع تناقضات المجتمع الرأسمالي . فكيف حدث ـ كما يقول « **لوفيفر** » ـ أن لينين عاد الى قراءة أكثر الفلاسفة المثاليين غموضا . وكيف حدث انه عندماوضع لينين ملاحظاته على منطق هيجل ، لم تكن هذه الملاحظات عن الامبريالية والحرب ، بل كانت عن نظرية المعرفة (٢) .

لكن يكفي ان نتصفح « **الكراسات الفلسفية** » ونلقي نظرة على الملخصات التي يتضمنها هذا الكتاب ، والمقتطفات الطويلة المنقولة من كتب الفلاسفة وكتب مؤرخيها ، وان نتابع الملاحظات والهوامش التي دونها أثناء قراءاته الفلسفية . ففي ١٩٠٣ يقرأ كتاب اوبرفيج « موجز تاريخ الفلسفة » والكتاب في ثلاثة أجزاء . وفي ١٩٠٤ يقرأ كتاب أرنست هيجل « لغز الوجود » . وفي ١٩٠٩ تشتمل كراسته الفلسفية على « ملاحظات عن كتب في العلوم الطبيعية والفلسفية في مكتبة السوربون » . ومن ١٩١٤ ـــ ١٩١٦ ، يلخص في الكراسات كتب علم « المنطق » « ومحاضرات في تاريخ الفلسفة » و « محاضرات في فلسفة التاريخ » لهيجل . ويضيق بنا المقام لو عددنا كل ما قرأه وعلق عليه لينين ، لكننا نجد ايضا في الكراسات ملخصا لكتاب « الميتافيزيقا » لارسطو . وأخيرا فقد كان يقرأ الفلسفة باللغات التي كتبت بها : بالالمانية والفرنسية والانجليزية .

ولم يكن لينين يجد من دواعي الفخر أن يعرض الانسان عن دراسة الفلاسفة الكبار ، ومن ثم نفهم النقد الذي وجهه الى بليخانوف ، عندما قال : « **لقد أهمل بليخانوف كتاب « المنطق الكبير » ، علم المنطق لهيجل ، بعد أن كتب آلاف الصفحات (في الفلسفة) ولا شيء عن منطق هيجل** » (٣) ـــ وكان قد نقد بليخانوف وروزا لوكسمبورج [١٨٧٠ ـــ ١٩١٦] عندما أشار الى أنه يستحيل فهم كتاب « ماركس » « رأس المال » فهما سليما دون قراءة هيجل وفهمه ، ودون تمثل الطريقة الديالكتيكية (٤) . ونحن نعلم ان **بليخانوف وروزا لوكسمبورج ومهرنج** كانوا يمثلون في فترة الدولية الثانية ، التيار

بافل سولوفونوفتش يوشكوفتش

(١٨٧٣ ـ ١٩٤٥)

فيلسوف روسي وجه نقدا الى الماركسية من وجهة نظر ماخية . وتبنى « النقدية الرمزية » ومؤداها ان العلم خلاصة رؤية فنية وعاطفية ذات طابع عقلي .

له مؤلف بعنوان « نظرة كونية ونظرات كونية » [١٩١٢]

« الارثوذكسي في الفلسفة الماركسية ، التيار الذي كان يتمسك ويطبق تطبيقا حرفيا عبارات ماركس عن نهاية الفلسفة الكلاسيكية . كانوا يذهبون الى أن الماركسية والبروليتاريا الصاعدة تلغيان كل الفلسفة الكلاسيكية التقليدية . لكن هذا الموقف انتهى بالاتجاه « الحرفي » أو « الارثوذكسي » في الماركسية ، الى الغاء الفلسفة برمتها . وتحت تأثير النظرية التي نادوا بها ، من أن الماركسية هي في الاساس نظرية اقتصادية ، انتهوا أيضا الى أنه لا فلسفة ماركسية .

ناضل « لينين » اذن ضد كل اهمال للفلسفة وضد تحقيرها . لكنه أيضا ، ناضل ضد ابتذالها باسم الماركسية ، ضد أي تقييم سطحي لاعمال الفلاسفة الكلاسيكيين . وفي « الكراسات الفلسفية » يقدم لينين نموذجا لهذا الابتذال، كتاب **ف . شولياتيخوف** « تبرير الراسمالية في الفلسفة الاوربية الغربية (من ديكارت الى ماخ) ـ موسكو ١٩٠٨ » . في هذا الكتاب يذهب المؤلف الى أن : « .... كل المصطلحات والصياغات الفلسفية التي تستخدمها (الفلسفة) تدل على هوية « الطبقات الاجتماعية ، والجماعات ، والطوائف وعلى ما بينها من « علاقات متبادلة . وعندما نتعامل مع المذهب الفلسفي لهذا المفكر « البورجوازي أو ذاك ، فنحن انما نتعامل مع صورة للتكوين « الطبقي للمجتمع ، رسمت بوساطة رموز اصطلاحية . « وتظهر أشهار المذهب الاجتماعي لمجموعة بورجوازية محددة .... » .

---

(٢) لوفيفر : فكر لينين ترجمة كمال الغالي واديب اللجمي ص ٢١٧ ـــ ٢١٨ ـــ دمشق ١٩٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٣ .

هنرى بوانكرية

(١٨٥٤ ـ ١٩١٢)

عالم فرنسى فى الرياضة والفلك . يذهب الى ان ليس للنظريات العلمية قيمة مطلقة ، اذ هى رموز مجردة يركبها العقل ، وهى « نافعة » و « اصطلاحية » . ولهذا يطلق على مذهبه بانه « برجماني » و «اصطلاحى»

وغايته من اضعاف يقينية العلم وتأكيد نسبيته أن يفسح مجالا للاخلاق . يقول « ليس ثمة أخلاق علمية ، ولكن ليس ثمة علم « مناف » للاخلاق باعتبار أن الاخلاق تقوم على الامر ، وليس فى العلم ما يؤيد الامر أو يعارضه .

من مؤلفاته : « العلم والفرض » [١٩٠٢] « قيمة العلم » [١٩٠٥] « العلم والمنهج » [١٩٠٩] « خواطر أخيرة » [١٩١٣]

علق « لينين » على هامش هذه الفقرة من كتاب شولياتيخوف بقـوله : « غير صحيح .. غـير صحيح » (٥) .

فى مكان آخر يقول شولياتيخوف : « ان تصور اسبينوزا عن العالمهو اغنية رأس المال المنتصر، رأس المال الذى يلتهم كل شئ ، والذى يزداد تركزه شمولا ، فليس ثمة وجود، ولا أشياء ، بمعزل عن الجوهر الفرد ، وليس ثمة وجود للمنتجين بمعزل عن المشروع الصناعى الكبير ... » .

يعلق « لينين » على هذا بقوله : « صبيانى » .

وهكذا ، فان موقف لينين من الفلسفة انما يدافع عن نفسه بنفسه .

فاذا عـدنا الى رفض « لينين » المناقشـة الفلسفية مع « المقاطعين » ، أمكننا أن نقبل التفسير القائل بأن « لينين » عندما قاطع المناقشة الفلسفية كان يتحرك على المستوى السياسى لدعم الوحدة بين المهاجرين الروس . وفى حدود هذا الموقف التاكتيكى كان يرى أن الفلسفة ـ من الناحية **الموضوعية لاتوجد ، بل تقسم: وانها لا توحد الا من خلال التقسيم » (٦) .**

غير أن هـذا ينقلنا بالضرورة الى مناقشـة القضية المعلقة بين لينينوبين الفلاسفة والفلسفة الاكاديمية

ـ ٢ ـ

لم تكن الخصومة بين « لينين » وبين الفلاسفة الاكاديميين راجعة الى رأى خاص للينين فى المثقفين ، أو نزوعا منه الى التقليل من دورهم فى الحركة الثورية . وذلك على الرغم مـن كل الانتقادات التى وجهها اليهم . فمن المعروف أن لينين كتب الى « جوركى » فى ٧ فبراير ١٩٠٨ ، يبدى قلقه من تدنى الدور الذى يقوم به المثقفون فى الحزب ومن هروبهم من الحزب . قـال : « **الا فلتحمل الريح الطيبة الينا هؤلاء الاوغاد** » .. وفى خطاب آخر ، فى نفس العام ، قال لجوركى : **اعتقد أننى لا أطارد المثقفين كما يفعل النقابيون الحمقى** و « **لست أنكر أنهـم ضرورة للحركـة العمالية** » (٧)فالقضية اذن كانت تتعلق بنوع معين من الفلاسفة الجامعيين ، بنشاط فلسفى معين يقومون به .

وفى كتاب « المادية والنقد التجريبى » أكد لينين على صحة موقف العامل الالمـانى « جوزيف ديتزجين » الذى أخذ على الاساتذة ومـدرسى الفلسفة الجامعيين أنهم بينمـا يتظـاهرون بأنهم« مفكرون احرار » يشوشون عقول الشعب بمحاضراتهم السقيمة عن « الخير الاسمى » . ثم

بيير دوهيم

(١٨٦١ ـ ١٩١٦)

عالم فرنسى فىالفيزياء . يلتقى مع بوانكريه فى القول بنسبية العلم الحديث . درس تاريخ المذاهب الكونية فوجد أنها ترجع الى مذهبين احدهما أن النظرية العلمية تفسير حقيـقى للظواهر ، والاخر أنها مجرد تصور للظواهر وقوانينها لايدعى النفاذ الى جواهر الاشياء ، وهذا يجعلها افتراضا ليس الا . فآثر المذهب الثانى على الاول ، ولكنه لا ينتهى بنسبيةالعلم الى مذهب الشك . فاختيار الفروض ليس فى نظره أمرا اعتباطيا ، وانما من نتائج تطور العلم . ومن هنا جاءت الاهمية الكبرى لدراسة تاريخ العلم .

من مؤلفاته : «النظرية الفيزيائية ،موضوعها وتركيبها » [١٩٠٦] « نظام العالم ، تاريخ المذاهب الكونية من أفلاطون الى كوبرنيكس » [فى خمسة مجلدات ١٩١٣ ـ ١٩١٧]

---

(٥) لينين : الكراسات الفلسفيةص ٤٨٦ ، ٤٩٣ .
(٦) التوسير : لينين والفلسفة ص
(٧) المرجع السابق ص ٥٩ .

هم فى حياتهم العملية يستخدمون الفلسفة لا كعلم بل كوسيلة دفاع ضد الاشتراكية الديموقراطية، ضد الاشتراكية (٨)، وانه بالرغم من التحرر الفكرى الذى يزعمونه لانفسهم يقفون كتلة رجعية واحدة.

فالخلاف على هذا الاساس ـ بين لينين وبين الفلاسفة الاكاديميين ـ لم يكن حول ما اذا كان ماركس وانجلز « فيلسوفين حقيقيين » أم لا، بل كان ـ فى جوهره ـ حول قضية أساسية هى « الممارسة الفلسفية » (٩). أوالفلسفة فى التطبيق.

فالفلاسفة الاكاديميون كانوا يسددون العقل البشرى فى اجترار أفكار مستهلكة .. لكنهم ـ اذ يفعلون ذلك ـ كانوا يخفون شيئا أخر غير الفلسفة، وغير المذاهب المعلنة. كانت الفلسفة عندهم اجترارا للسياسة واستمرارا لها، ولكن بطريقة أخرى. غير أن لينين كان يرى ان هذه الاتجاهات الفلسفية مهما تعددت راياتها وأسماؤها ترتبط ـ فى نهاية المطاف ـ بمواقف وصراعات طبقية (١٠) يقول لينين :

« كان ماركس وانجلز متحزبين فى الفلسفة من البداية حتى النهاية، وكان بمقدورهما أن يكشفا الانحراف عن المادية والتنازلات المقدمة للمثالية داخل كل تيار من التيارات « الحديثة ». ولذلك فقد خصا بثنائهما هكسلى من زاوية ثباته على الموقف المادى. ولقد وجها اللوم، من ثم، الى فويرباخ، لانه لم يتابع المادية حتى النهاية، ولأنه رفض المادية بسبب الاخطاء التى تردى فيها الفلاسفة المفردون، ولانه حارب الدين ليجدده، أو ليخترع دينا جديدا، ولانه فىعلم الاجتماع، لم يخلص نفسه من العبارات الجوفاء ويصبح ماديا » (١١).

كان لينين، اذن، يذهب الى أن كل فلسفة ينبغى انتنحاز،وأن تتشيع لحزب ما، وذلكلسبب، هو أن الفلسفة كاتجاه أساسي يتعين عليها أن تقف فى وجه الاتجاه الاساسى المقابل أو المعارض : المادية فى مقابل المثالية أو العكس.

وهنا نصل مرة أخرى الى الفكرة التى سبق أن أشرنا اليها من أن الفلسفة بهذا المفهوم تقسم، وانها لا توحد الا من خلال التقسيم.

امانويل كانط

(١٧٢٤ ـ ١٨٠٤)

فيلسوف المانى. نشأ على « الشيعة التقوية » وهى احدى الشيع البروتستانتية. نرى أن محل الدين الارادة لا العقل فكان لذلك اثره فى توجيه فكره فى كتابه الاكبر « نقد العقل الخالص » اشاد فيه نظريه العلم حسب مقتضيات المذهب التصورى، لكن لا التصوريه المطلقه الجاحده للوجود الخارجى، والا فاتتنا مادة العلم، بل التصوريه المعتدلة تعترف بحقيقه للوجود، بدليل أن الاحساس انفعال، وأن المنفعل خاضع لتأثير شىء فعال وان كنا لا ندرك من الاشياء سوى انفعالنا بها.

والنتيجة المحتومة أن ليس باستطاعة عقلنا البرهنة على قضايا الميتافزيقا : وجود الله وحرية الانسان وخلود الروح. ولكن هذا لا يعنى ابطالها، فالباب مفتوح للايمان بها ان وجدت وساطة لذلك. والوساطة موجودة وهى الاخلاق.

من مؤلفاته : « نقد العقل الخالص » [١٧٨١] « تأسيس ميتافزيقا الاخلاق » [١٧٨٥] « نقد العقل العملى » [١٧٨٨] « نقد الحكم » [١٧٩٠]

لكننا هنا، ومع لينين، يتعين أن نحظر منعزل المواقف الاساسية للماركسية عن تيار الحياة الدافق. فاذا قلنا أن الفلاسفة ينقسمون ـ عموما ـ الى معسكرين : معسكر الماديين ومعسكر المثاليين، وهو صحيح، الا انه لا ينبغى أن نستنتج من هذا أن مهمة الفيلسوف المادى أن يقضى حياته فى تصنيف الافكار ووضعها فى « خانات » تحمل كلمتى : مادى ومثالى. وينبغى أيضا الا نستنتج من هذا أن الفيلسوف المادى يقصر كل جهده على مجرد اصدار الادانات، ورفض الى ومسبق لكل فكر مثالى. الفيلسوف المادى لا يرفض الفكر المثالى، ولا يستطيع أن يفعل ذلك لان المثالى يقف دائما فى مواجهته. ومعنى هذا انه يتعين عليه أن يتعامل معه. غير أن صورة التعامل ليست هى التنازل عما هو جوهرى فى المادية، فى المبدأ، بل يتم التعامل عن طريق مجهود نقدى،رائعوخصب الى أقصى حد.

---

(٨) لينين : المادية والنقد التجريبىص ٣١٩ ـ ٣٢١.

(٩) التوسير : نفس المرجع ص ٥٣

(١٠) لا بد من التأكيد هنا مرةأخرى على هذه الفكرة وهى ان لينينلم يقل أبدا أن الفلسفة ترد بطريقة آلية الى صراع الطبقات بمفهومه البسيط

(١١) لينين : المادية والنقد التجريبىص ٣١٩.

فاذا كان من الخطأ أن يرفض الفيلسوف المادى المثالية ابتداء لانها هى نفسها «ظاهرة موضوعية» (كما ان الخطأ لحظة وظاهرة موضوعية فى حياة الفكر). فثمة أيضا سبب آخر يوجب التعامل مع المثالية، ذلك أن خطيئتها اخر يوجب التعامل مع المثاليين، ذلك ان خطيئتها الاساسية هى نظرتها الاحادية الجانب. يقول لينين:

«ان المثالية الفلسفية هى هراء فقط من وجهه **نظر المادية الخام، والساذجة، والميتافيزيقية. وعلى العكس، فان المثالية ومن وجهة نظر المادية الجدلية ــ أحادية الجانب، مبالغ فيها، وهى نمو متورم لوجه واحد، أو لحد واحد من الاوجه، أو الحدود المميزة للمعرفة» (١٢).**

وعند هذا، يتحدد الأفق، الذى ينبغى ان يتحرك ويتجه اليه الفيلسوف المادى أو أنصار المادية الثورية:

● فمن ناحية، هناك تاريخ الفكر البشرى، وتاريخ الفلسفة وهو تراثهم، او هكذا يجب أن يكون، وهو مجال تفكيرهم وتقييمهم المستمر، **وهذا بعد أول.**

● ومن ناحية أخرى، فان تكوينهم الفلسفى ــ أو النظرى ــ رهن بالموقف النقدى من العناصر المثالية فى الفلسفة. ويتصلب هذا التكوين وينمو فى الصراع مع الفلسفات المثالية، فى عملية نقدها. **وهذا بعد ثان.**

والحق، ان لينين الفيلسوف قد نما وتكون تحت هذا الافق. وتحت هذا الافق اكتملت ممارسته الفلسفية، وجدد الماركسية كفلسفة، وأغنى الفكر الفلسفى الماركسى.

ــ ٣ ــ

ولكن المسألة الاساسية فى نشاط لينين الفلسفى هو انه قرأ الفلسفة الكلاسيكية، وانخرط فى صراع ضد المذاهب المثالية، واقفا ومثبتا قدميه على أرضية محددة هى أرضية روسيا التى كانت تتهيأ للثورة. الا أن التناقض الذى بدا ــ اذ ذاك ــ هو أن الظرف الموضوعى للثورة (الطبقة العاملة والشعب) كان مواتيا، فى حين أن الظرف الذاتى [القيادة] لم يكن مستعدا استعدادا كافيا. وعندما دخل لينين معمعان الكفاح الثورى كان «انجلز» قد مات منذ فترة قصيرة. ورغم كل ما قام به «انجلز» للدفاع عن الماركسية على الجبهة الفلسفية، الا أن الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية المنتمية الى الدولية الثانية سطت على تراث ماركس وانشأت «ماركسيات» لا تمت الى هذا التراث بصلة. وعلى سبيل المثال، ظهرت فى المانيا **اتجاهات رئيسية ثلاثة** فى تلك الفترة:

١ ــ اتجاه عبر عنه «**ادوارد برنشتين**» (١٨٥٠ــ١٩٣٢) انصب على مراجعة (**تحريف**) المسلمات الاساسية فى الماركسية، **استبعد** الديالكتيك، ورفع شعار العودة الى فلسفة كانط. وعلل ذلك بقوله: ان الماركسية تعتنق المادية باعتبارها «فرضية مسبقة» لايصح أن تكون اساسا فلسفيا للاشتراكية، لان «المادية المحضة المطلقة هى روحية مثل المثالية المحضة والمطلقة» [١٣]. وباستبعاد الديالكتيك، تنكمش الماركسية أو العلم الاشتراكى فى حدود الاقتصاد السياسى والتاريخ. ولا شأن لهذا العلم بالصراع السياسى وسلوك الحركة العمالية، ومن ثم لايوجد الا طريق واحد للعمل: الوسائل البرلمانية المشروعة. والحزب اذن هو حزب اصلاح (١٤).

٢ ــ اتجاه عبر عنه «**كونراد شميت**» «**وماكس ادلر**»، بدأ ارثوذكسيا يتمسك بحرفية ما كتبه «ماركس وانجلز». فنادى بالغاء كل فلسفة، ورفض الماركسية كفلسفة وكمفهوم للعالم، وانتهى ــ كما انتهى الاتجاه السابق ــ الى محاولة للتوفيق بين الماركسية وبين الكنطية الجديدة. وقد تمسك هذا الاتجاه بالديالكتيك، لكنه فصله عن مضمونه الفلسفى فأصبح نوعا من السفسطة. وأصبحت مقولات المنطق الديالكتيكى (وحدة الاضداد) و (التركيب) أساسا لمحاولات المصالحة والتوفيق فى السياسة.

٣ ــ واخيرا اتجاه كان من أبرز ممثليه **روزا لوكسمبورج وكارل ليبنخت**، وقد ذهبا الى أن الاشتراكية سوف تتحقق تحت تأثير حدث حاسم ووحيد يأتى معه عالم جديد.

والرأسمالية ــ فى رأى لوكسمبورج ــ لا تستطيع أن تحقق التراكم عن طريق السوق الداخلية أو عن طريق استغلال البروليتاريا، ولكن عن طريق استغلال الفلاحين وشعوب المستعمرات. وعندما تفقد الرأسمالية السوق

---

(١٢) أورده «جون لويس» فى كتابه الماركسية والمثالية الحديثة ص ٨ عن المادية والنقد التجريبى.
(١٣) لوفيفر: فكر لينين ص ٢٤.
(١٤) لوفيفر: المرجع السابق ص ٢٦.

الخارجية (المستعمرات) تدخل فى أزمة عامة تكفى للاطاحة بها حركة البروليتاريا العفوية • فالعامل الذاتى (الوعى السياسى) ينضم بصورة آلية الى الوضع الثورى الموضوعى • ومن ثم لا تقوم هناك رابطة ديالكتيكية بين الذاتى وبين الموضوعى ، بين العفوية وبين المعرفة • وفى التطبيق ليست هناك رابطة بين الجماهير وبين الحزب السياسى الثورى • ومادامت الثورة التى يبشران بها شاملة وعالمية فلا مكان لان تهتم الحركة الثورية بمسألة فلاحية ، أو استعمارية ، أو قومية (١٥) .

واذا كنا قد أبرزنا الاتجاهات الفلسفية لدى الاشتراكيين الديموقراطيين ، وعموما لدى قادة الدولية الثانية ، فليس معنى هذا أن أضعف ما فيهم كان موقفهم الفلسفى • فالواقع ان الاسوأ كان على الصعيد السياسى • فهؤلاء القادة قد انخرطوا فى صراعات برلمانية حادة ، ومع ذلك لم يطرحوا قضية الثورة كمهمة ملحة وعملية • وكانوا مصابين بالهواية وبالقدرة على التوفيق بين مواقف لاتقبل التوفيق . وكان من بينهم من يعرف الماركسية معرفة ممتازة ويحفظ نصوصا بأكملها عن ظهر قلب ، لكنهم كانوا يفهمونها فهما معاكسا لفكر ماركس • وانتهى موقفهم النظرى والعملى الى اعلان أن الثورة البروليتارية بالمعنى الذى ذهب اليه ماركس مستحيلة وغير مرغوب فيها (١٦) .

وكان لكل هذا الفكر الفلسفى والسياسى انعكاساته على الحركة الثورية الروسية . وعندما انضم « لينين » الى الحركة الثورية كان عليه ان يشق طريقه وسط ركام هائل من النظريات التحريفية والمعادية للماركسية من كل نوع •

وهنا لابد وان نتوقف بعض الشيء قبل ان نتحدث عن مساهمة لينين فى اغناء الفكر الفلسفى للماركسية • وذلك لنشير الى حقيقة فى تاريخ الماركسية ، وهى ان « ماركس » لم يتح له الوقت الكافى لصياغة فكره الفلسفى • وجاء الدفاع عن الفلسفة الماركسية على يد «انجلز» بعدفترةطويلة نسبية من وفاة ماركس • وقد فسر « ألتوسير » هذا التأخير على ضوء الحركة العامة لتاريخ الفلسفة • وفى رأيه ان العلم هو شرط ظهور الفلسفة • فالفلسفة ظهرت فى اليونان [**طاليس**] وكان ظهورها تاليا لظهور العلم الرياضى • وفى العصور الحديثة جاء علم الطبيعة [**جاليليو**] . ثم جاءت بعد ذلك الفلسفةالحديثة [ديكارت . . الخ] وهذا ينطبق فى رأى «ألتوسير» على الفلسفة الماركسية ، فاكتشافات ماركس العلمية وبالتحديد ظهور علم التاريخ والاجتماع الماركسى ، كان لابد من ان يثير ردود فعل داخل الفلسفة ، لكن هذه الردود تأتى متأخرة ، وهذا يفسر مثلا لماذا لم يصدر كتاب انجلز « الرد على دوهرنج » الا بعد ثلاثين عاما من ظهور كتابه عن فويرباخ [١] .

اذن فقد وجد لينين ان ما تم فى مجال صياغة الفكر الفلسفى للماركسية قليل للغاية • ومن ثم تعين عليه ان يلتمس هذا الفكر فى كل ما كتب ماركس وانجلز . وكان يقول انه ينبغى البحث عن الديالكتيك فى كتاب رأس المال ، فمن هذا الكتاب يمكن استخلاص ان المقولات الفلسفية الجديدة . انها موجودة فى صورتها او فى وضعها العملى او التطبيقى • ومن ثم انخرط « لينين » فى هذا العمل •

لكن ماينطبق على ماركس وانجلز ينطبق سواء بسواء على لينين • فاذا صح انهما لم يتمكنا من ان يكتبا كتابا فى الفلسفة او مرجعا كبيرا فيها — وهو المرجع الذى يفتقده الماركسيون ، فان لينين هو ايضا لم يكتب هذا المرجع . لانه باستثناء ما قدمه فى « المادية والنقد التجريبى » وفى هوامشه وتعليقاته الموجزة فى « الكراسات الفلسفية » فان دارسى فكر لينين الفلسفى يتعين عليهم ان يلتمسوه ويتتبعوا نموه وتفتحه ، بادئين من الكتب الاولى التى وضعها لينين .

ففى كتاب «**من هم اصدقاء الشعب — ١٨٩٤**»، يصوغ لينين تصوره للابنية الاقتصادية والاجتماعية • وهو يبدأ دراسة هذه الابنية من علاقات الانتاج . ويشير الى ان لكل بنية علاقاتها العضوية مع الابنية الاخرى • ولكنه لا ينكر نوعية كل بنية واستقلالها • وفى هذا الكتاب ايضا يستنكر لينين اى اتجاه يخل بدور الفرد فى التاريخ •

وفى كتاب « **تطور الرأسمالية فى روسيا** » [**١٨٧٦ — ١٨٩٩**] وهو كتاب « فى علم الاجتماع الاقتصادى ، ليس له مثيل » (١٨) على حد تعبير ألتوسير ، يعمل «لينين» على اثبات أن **ايقاع التطور الديالكتيكى** الذى حدده ماركس بالنسبة للمجتمعات الرأسمالية الغربية ينطبق ايضا على روسيا • ولينين يثبت هذا من واقع التحليل الدقيق للوقائع المعطاة فى حياة المجتمع الروسى •

---

(١٥) لوفيفر : فكر لينين ص ٣٣ .
(١٦) لوفيفر : نفس المرجع ص ٦١
(١٧) التوسير : لينين والفلسفة ص ٢٧ وما بعدها .
(١٨) التوسير : لينين والفلسفة .

وفي كتاب « **ما العمل** «**المشكلات الملحة لحركتنا ١٩٠٢** » يهتم بدور الوعي، و «الذات» في النشاط الثوري ، ويورد اقتباساً لاديب ثوري روسي هو « ديمتري بيساريف » (١٨٤٠ ـ ١٨٦٨) عن دور الحلم (الوعي) الذي يسبق مجرى الاحداث الطبيعي ..

فالخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب أي ضرر ، على أن يكون الشخص الحالم صادق الايمان بحلمه ، وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه . ويقارن بين ملاحظاته والقصور التي يبنيها في الهواء .. وعلى أن يعمل بوجه عام وبصورة وجدانية على تحقيق حلمه، فعند وجود التماس بين الحلم والحياة تسير الامور على مايرام»، وقد علق « لينين » على هذا بقوله : « **هذا النوع من الاحلام قليل جداً لسوء الحظ في حركتنا** » (١٩).

وفي ١٩٠٤ صدر كتاب لينين « **خطوه الى الامام وخطوتان الى الوراء : الازمه في حزبنا** » ورغم ان الكتاب انصب اساسا على تفنيد الفكر الانتهازي في قضايا تنظيم الحزب ، فان « لينين » لا ينسى في آخر الكتاب ان يهاجم ابتذال الانتهازيين للديالكتيك في المعركة التي دارت بين الاغلبية وبين الاقلية التي استولت على مجلة « اسكرا » فيكتب تحت عنوان « بعض كلمات عن الديالكتيك » :

« **ان الديالكتيك الحقيقي لا يبرر الاخطاء الشخصية، انما يدرس الانعطافات المحتومة، مثبتا حتميتها ، بدراسة هذا التطور دراسة مفصلة ملموسة. ان المبدأ «الاساسي للديالكتيك هو انه ليس ثمة حقيقة مجردة ، فالحقيقة ملموسة أبدا .. كذلك لا ينبغي ان نخلط بين الديالكتيك الهيجلي العظيم وبين هذه الحكمة المبتذلة ، التي احسن هذا المثل الايطالي في التعبير عنها : « وضع الذنب حيث لا يمر الرأس** » (٢٠) .

والواقع لقد تعمدنا ان نورد الامثلة السابقة لكي نؤكد على هذه الحقيقة ، وهي ان فكر « لينين » الفلسفي يجب ان يستخلص من كتاباته عن موضوعات غير فلسفية ، من الكتابات التي تعد التطبيق الحي لمنهجه المادي الجدلي . غير ان هذا يقودنا الى حقيقة اخرى ، وهي ان بين مواقف لينين السياسية وبين موقفه الفلسفي توجد ثمة روابط وثيقة وعضوية . وفيما بعد ، وعندما يوسع لينين اهتماماته وقراءاته الفلسفية في الفترة بين ١٩١٤ ـ ١٩١٦ سوف نجد ان روائع لينين التي كتبها في فترة الحرب العالمية الاولى ومنها : « **الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية** » و « **الاشتراكية والحرب** » ، « **حق الامم في تقرير مصيرها** » هذه الكتب لا يمكن فصلها عن « **الكراسات الفلسفية** » [٢١].

فيورباخ

(١٨٠٤ ـ ١٨٧٢)

فيلسوف مادي الماني ، تلقى تعليمه بجامعة ارلانجن ، لم يتفهم فيورباخ طبيعة الثورة عام ١٨٤٨ ، ولم يتقبل الماركسية بالرغم من التحاقه بالحزب الاشتراكي الديمقراطي في اواخر حياته التي امضاها باحدى القرى ، وقد تحدد اتجاهه من الدين بتأثير افكار الشباب الهيجلي عن المادية ، ثم ترك اثرا واضحا على معاصريه من المثقفين ، حتى ان انجلز كتب عنه يقول « لقد اصبحنا فيورباخيين مرة واحدة » .

وقد كانت الانثروبولوجيا ملمحا بارزا في فلسفة فيورباخ المادية ، كذلك كان نقــده للجانب المثالي في فلسفة هيجل من اهم جوانب هذه الفلسفة ومنطلقاتها ، وقد ربط ربطا ذكيا ومحكما بين المثالية والدين ، لذلك احتدت لهجته الهجومية على مثالية الجدل عند هيجل ولكنه بالغ في الهجوم للدرجة التي لم يضع يده معها على جوهر الهيجلية الايجابي الديالكتيك .

كانت المادية هي الاساس الفلسفي في تفكير فيورباخ ، ولكن تصوراته الانثروبولوجية « ابتذلت » ماديته باتخاذها الانسان كوحدة فردية مجردة ، وكائن بيولوجي صرف ، وهو لم ينكر تماما الطبيعة الاجتماعية للمعرفة والوعي الانساني ، ولكنه لم يتخل عن مادية ما قبل الماركسية ، على أن هذه المادية الانثروبولوجية قادته الى فهم مثالي لحركة التاريخ ، وراح ينظر الى الدين كمظهر من مظاهر الاغتراب الانساني ، وهكذا ايضا أصبح الدين لديه « وعيا ، وعيا ذاتيا » ، ومع ذلك تظل دراساته عن الجذور الاجتماعية والتاريخية للدين من اعمق الدراسات المادية في الاطار الانثروبولوجي ، ومن هذه الزاوية تعد فلسفته من « اسلاف » الماركسية ، وان كان المثاليون المعاصرون يعتمدون على افكاره الانثروبولوجية في تزيين مثاليتهم الجديدة .

---

(١٩) لينين : المختارات : ص ٣٤٠م ١ ـ ج ١

(٢٠) لينين : المختارات نفس المصدر ص ٦٠١ .

(٢١) لينين : الكراسات الفلسفية ـ مقدمة الناشر ص ١٤ .

« وان عمله الدؤوب فى حقل الفلسفة الماركسية، والاستخدام الخلاق للمنهج الديالكتيكى، والتحليل العلمى الدقيق للفترة التاريخية ، كل هـذا كان قاعدة الاكتشافات النظرية التى توصل اليها لينين» [٢٢] .

ـ ٤ ـ

ربما يكون الوقت قد حان لنطل اطلالة سريعه على جانب من مساهمة لينين فى اغناء الفكر الفلسفى للماركسية .

عندما انتهت ثـورة ١٩٠٥ البـورجوازية الديموقراطية باخفاق ، شرعت الثـورة المضادة تنتقم لنفسها فنظمت عصابات من القتلة (**المائة السود**) ونفت العمال والفلاحين الى سـيبيريا واعدمت كثيرين منهم . وقد واجهت العناصر المترددة وغير الثابتة من المثقفين هذا الموقف برده على المسـتوى الايديولوجى ، فتفشت النزعات الشوفينية والدروشة، وسعى كثيرون من المثقفين الى عقد مساومات مع المؤسسة الدينية فى روسيا القيصرية بكل ما كانت تمثله. لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد فحاولوا صياغة نظريات فلسفية واجتماعية معتمدين على مواقف المراجعة التى غذتها الدولية الثانية ، بقيادة برنشتين . وطفت على السطح فى روسيا مجموعات كبيرة تهاجم الفلسفة المادية بعنف وتعمل على هدم الماركسية .

وكان من ابـرز الاسـماء ـ كمـا اشرنا ـ « **بوجدانوف** » و « **برمان** » ...الخ. وكما ذكرنا من قبل ، وجد هؤلاء فى القارة الاوروبية فلسفة « على آخر طراز » هى فلسفة النقـد التجريبى التى نشأت تحت وطأة الازمة التـى واجهت العلم الطبيعى منذ نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . ففى ١٨٩٥ تم اكتشاف **شـعة اكس** ، **وفى** ١٨٩٦ **النشـاط الاشعاعى** ، وفى ١٨٩٧ **اكتشف الالكترون** وفى ١٧٩٨ **اكتشف الراديوم** . هذه الاكتشافات غيرت تماما صورة المادة كما عرفها علم الطبيعـة الكلاسيكى (٢٣). وهنا بدا للبعض ان « المادة قد فقدت ماديتها » . وتحت تأثير هذا الاكتشاف اهتز يقين الفلاسفة والعلماء المثاليون ، وبدلا من ان يقدموا المادة فى صورتها الجديدة ، انتهوا الى هذا الموقف المزدوج :

فمن ناحية ذهبوا الى ان التجربة لا تقدم سوى كثرة من الاحساسات التى لا يرتبط بعضـها ببعض ، وانه لا يوجد فى العالم الخارجى اى اساس لتصوراتنا عن الاجسام حال تحركها فى المكان .

ومن ناحية اخرى، يترتب على هذا ان نرفض

هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣٠)

احد كبار الفلاسفة الكلاسيكيين الالمان ، مثالى موضوعى ، رحب بالثورة الفرنسية فى شبابه ، وهاجم النظام الاقطاعى فى بروسيا ولكن سقوط نابليون أحدث لديه رد فعل عنيفا غير من اتجاه تفكيره ، وفى عام ١٨١٨ عمل استاذ بجامعة برلين ، واصبح الناطق الفلسفى الرسـمى للنظـام البروسى ، ولكن افكاره الراديكالية والمحافظة على السواء ، كان لها اكبر الاثر على الثقافة البرجوازية فى عصره.

ومن مؤلفاته التى قال عنها ماركس : انها تحتوى « حقيقة وسر الهيجلية » اوضح تطور الوعى الانسانى من بداياته الاولى ، الى الوعى المتطور بالعلم والمنهج العلمى ، وقال انجلز : ان فـكرة الروح الانسـانية واصل التاريخ هى مصدر تفـكير هيجل ، ويتضمن المجلد الاول (١٩٠٧) الاطار العام لفكرة الاغتراب حيث اكتشف قيمة العمل ولكن من وجهة نظر مثاليه ، كما يتضمن فـكرته عن الديالكتيك والمطلق ، وهما عماد النظام الهيجلى القـائم على اساس التطور الذاتى للفكرة المطلقة تطورا جدليا ، وهو التطور الذى يقود الى « غائية العالم » او « روح العالم » وتمر الفكرة المطلقة فى ثلاث مراحل :

١ ـ تطور الفـكرة من داخلها « عنصر التفكير الصرف » بوساطة المنطق .

٢ ـ تطور الفكرة عبر كائن آخر ، هـو الطبيعة .

٣ ـ تطور الفكرة من خلال الفكر والتاريخ . وبين عامى ١٨١٢ و ١٨١٦ انجز هيجـل مؤلفه الهام فى المنطق حول الديالكتيك وبخاصة قوانين الحـكم والـكيف والسلب والايجاب والشكل والمضمون والضرورة والصدفة. غير ان الجدل الهيجلى ظل مع ذلك فى اطار فلسفته المثالية من ناحية الفكر ، والاطار البرجوازى من الناحية الاجتماعية ، فقد انتهى به الامر الى تجسد الفكرة المطلقة عبر تطورها الجدلى فى النظام البروسى ، ولقد اكتشفت الماركسية اهم الجوانب الايجابية فى فلسفة هيجـل وطورتها .

---

(٢٢) لينين : الكراسات الفلسفية : مقدمة الناشر ص ١٤ .

(٢٣) راجع فى هذا العدد ولمزيد من الايضاح مقال لينين والعلم وعرض كتاب المادية والنقد التجريبى .

التصورات المتعلقة « بالمادة القديمة » والخاصة بالجوهر ، والعلية والضرورة.

في المرحلة الاولى انكر الماديون التجريبيون موضوعية العالم الخارجي .

وفي المرحلة الثانية رفضوا الطابع الموضوعي للقوانين التي تحكم التطور في الطبيعة والمجتمع . « فالقوانين الطبيعية نتاج لحالتنا النفسية ولحاجتنا الى الشعور بأننا في انسجام مع الطبيعة » [٢٤] .

وعندما تصدى « لينين » لهذا الموقف الفلسفي ، وقف هوبدوره علىارضية فلسفية « **ارض المادية الديالكتيكية** » .

وبدأ « لينين » بتمييزه المشهور بين مقولات الفلسفة وبين التصورات العلمية . وهذا الموقف من مواقف لينين الرئيسية ، وكان يردد ان هذا التمييز حيوى بالنسبة للفلسفة الماركسية . يقول : « **المادة مقولة فلسفية** » ويقول : « **الخاصية الوحيدة للمادة التي يحدد الاعتراف بها المادية الفلسفية ، هي كونها حقيقة موضوعية** » .

فالمقولة الفلسفية للمادة تجمع هذا الثنائي بين الوجود وبين الموضوعية . ولا يجوز الخلط بينها وبين التصورات العلمية عن المادة . لان التصورات العلمية عن المادة تحدد معارف ترتبط بالوضع التاريخي للعلوم ، عن موضوع هذه العلوم . ومعنى هذا ان مضمون التصور العلمي عن المادة يتغير بنمو وتعميق المعرفة العلمية . ولكن معنى المقولة الفلسفية لايتغير لانه لاينصب على اى موضوع من موضوعات العلم ، وان ظل يؤكد على موضوعية كل معرفة علمية . باختصار يمكن القول بأن « مقولة » المادة لا يمكن ان تتغير أنها مطلقة [٥] . والخاصية الوحيدة للمادة هي كونها « **واقعا موضوعيا ، وكونها موجودة خارج شعورنا** » .

ويستخلص « لينين » من هذا التمييز نتائج رئيسية :

● **فيما يتعلق بما اصطلح على تسميته بأزمة الفيزياء ، اوضح لينين ان الفيزياء ليست في أزمة ، ولكنها في نمو .**

● **وفيما يتعلق بالمادة ، فان المادة لم تتلاشى ، ولكن التصور العلمي عن المادة هو الذي غير محتواه . ولسوف يفعل ذلك باضطراد ، لان عملية المعرفة لا نهائية ، كما ان المادة وهي موضوع المعرفة لا نهائية .**

وهنا يصل بنا « لينين » الى نتيجة بعيدة المدى وهي التمييز بين الحقيقة المطلقة وبين الحقيقة النسبية وكل حقيقة هي، في الوقت نفسه نسبية ومطلقة : **نسبية** بمعنى انها ، ان عاجلا او آجلا سيتم تخطيها بنظرية اشمل تدخلها في نسيجها فلا تعود غير حالة خاصة ، او لحظة من حقيقة اعم وهي **مطلقة** بمعنى انها تمثل مجموع الحقائق النسبية التي تدخل في نسيجها .

وعندما تتأكد « موضوعية » المادة ، فالعلم اذن ممكن ، والقانون العلمي لا يمكن ان ينظر اليه كتحصيل حاصل . ويضيف « لينين » هنا فكرة هامة وهي ان العلماء المتخصصين في علوم الطبيعة هم « تلقائيا » ماديون ، وان لم يكن بعضهم على وعى بهذا ، وهم ماديون بحكم الممارسة العلمية .

لكن كيف تصبح المعرفة ، اى معرفة ، ممكنة ؟

رغم ان « لينين » تمكن من خلال الاراء التي طرحناها ، والتي تضمنها كتاب المادية والنقد التجريبي من انزال الهزيمة بالفلسفات المثالية والوضعية ، والتجريبية . الا انه لم يقدم ، في هذا الكتاب عن عملية المعرفة سوى افكار محدودة . لقد قدم في الاساس « فكرة الانعكاس » فقال ان المادة تنسخ وتصدر وتنعكس على احساساتنا .

ومع انه تفادى أن يصور هذا الانعكاس بطريقة آلية ، وحاول في الواقع ان يصور عملية المعرفة كعملية جدلية ، حية . نقول ـ كان لابد وان ننتظر « الكراسات الفلسفية » ليقدم لينين نظريته الخصبة والبالغة التعقيد في المعرفة . وهي بحق اضافته الرئيسية في حقل الفلسفة الماركسية الامر الذي تتضح اهميته اذا عرفنا ان ماركس وانجلز لم يقدما صياغة لنظرية المعرفة .

هنا يوضح « لينين » انه عندما يقترب العقل البشري من الشيء المفرد ليعرفه ، اى ليستخلص منه مفاهيم وصورا مجردة ، فان هذا لن يكون فعلا بسيطا مباشرا ، ميتا . انه ليس انعكاسا في مرآة ، بل فعلا معقدا مزدوجا متعرجا ـ فعلا يتضمن امكان الطيران بالخيال خارج الحياة (٢٦) .

---

(٢٤) الموسوعة الفلسفية الموسعة : مادة « ماخ ، أرنست » ـ مجموعة الالف كتاب ـ مطبعة الانجلو المصرية القاهرة ـ ١٩٦٣ .

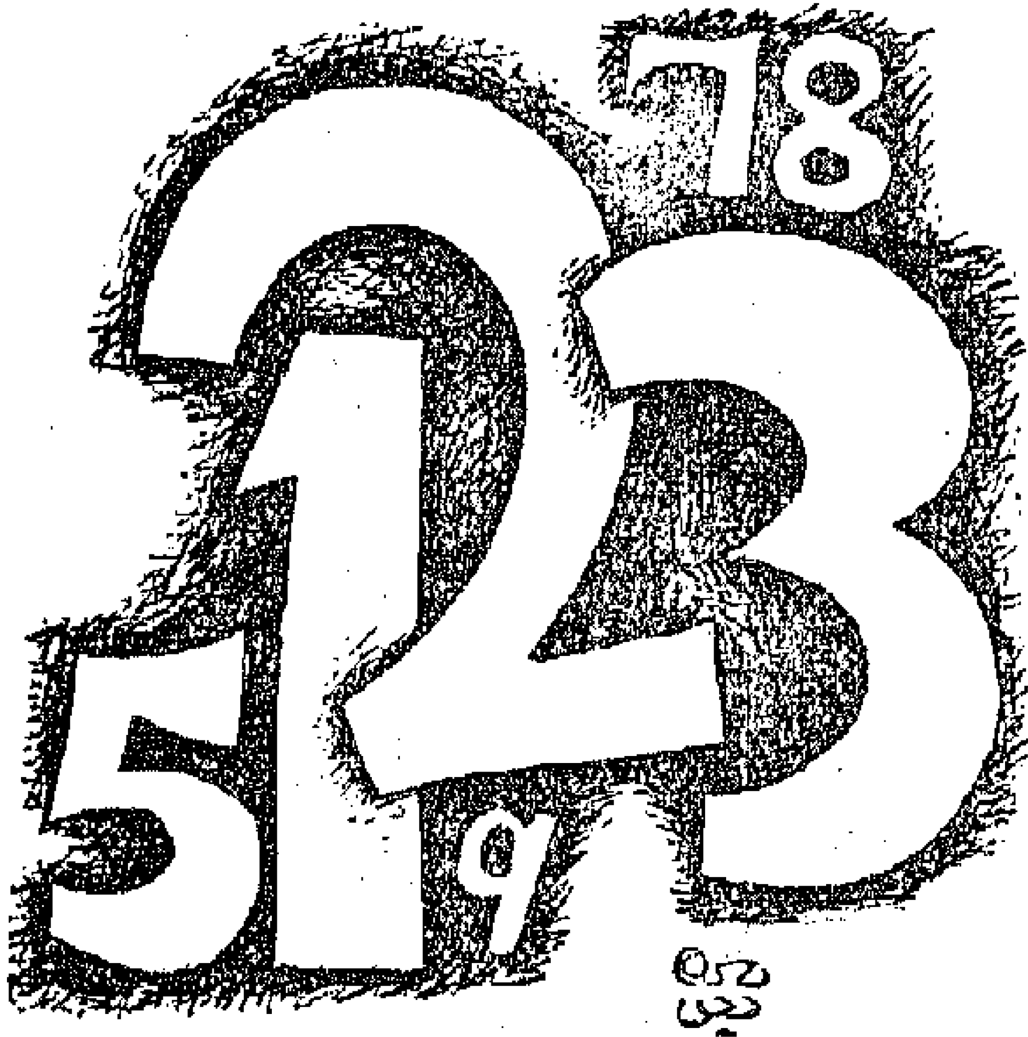
(٢٥) التوسير : لينين والفلسفة . (٢٨) لوفيفر : فكر لينين .

والواقع ان نظرية المعرفة عند لينين ، كما يمكن تجتمع عناصرها المتفرقة من الكراسات الفلسفية ، توضح كيف استفاد « لينين » من ديالكتيك « هيجل » أقصى فائدة مع تصحيحه . وفى هذا يستخدم «لينين» فى شرح نظريته فى المعرفة ولاول مرة ـ كل مقولات المنطق الديالكتيكى منطق المادية الفلسفية . وليس هنا مجال تقديم عرض شامل لهذه النظرية ، فهذا يخرج عن حدود المقال فى المناسبة التى يكتب من اجلها وفى حدود التقديم الموضوع له .

وانما يكتب المقال تحية للذكرى المئوية لميلاد هذا الفيلسوف ، بهدف محدد هو ان يطرح المقال بهذه المناسبة هذه القضية : **وهى ان تراث لينين الفلسفى شأنه كل تراث انسانى فى أى عصر من العصور ويجب ان يلقى العناية كل العناية من الاوساط المهتمة بالفلسفة فى الوطن العربى .**



لينين .. مفكرا اقتصاديا



د . فؤاد مرسى

يمتد التراث الفكرى للينين على مدار ٣٠ عاما ، منذ كتاباته الاولى فى عام ١٨٩٣ الى آخر مقالاته فى عام ١٩٢٣ . وخلال هذه المدة استطاع لينين ، بادراكه لحقيقة أن مضمون الفكر الاقتصادى الماركسى هو دراسة علاقات الانتاج فى مجتمع محدد تاريخيا من حيث ولادة هذه العلاقات وتطورها وزوالها ، استطاع ـ وهو المفكر الماركسى والمناضل الثورى ـ أن يكون ايضا المفكر الاقتصادى الماركسى لمرحلة الثورة الاشتراكية ، وبذلك أمد الماركسية والاشتراكية العلمية بطاقة جديدة للحياة ، رافعا الى أعلى صرح هذا العلم الذى يكون على الاشتراكيين أن يتطوروا به أبدا ، محافظين بذلك على سرعة خطوهم مع خطو الحياة .

وشأن كل عالم ثورى ، كان « لينين » صاحب العبارة المشهورة : « **بدون نظرية ثورية لاتوجد حركة ثورية** » . لكنه أيضا كان يفكر من أجل العمل . وقد وصفه المؤرخ الانجليزى «**كار**» بأنه

«كان الوحيد بين زملائه الذى يعرف ما يريد » .
ولانه كان يعرف ما يريد ، فلقد كان يقوم بدراسة عميقة لماركس وانجلز ، ويقرأ كتبهما ويعيد قراءتها بانتظام ، ليحصل على فكرة أوضح عن مرحلة الثورة الاشتراكية . ولذلك كانت أعماله الفكرية مقدمات نظرية لاتقدر بثمن للحركة الثورية للطبقة العاملة . وعلى سبيل التحديد ، فلقد كانت كتاباته الاقتصادية بالذات زادا نظريا من أجل التحضير للعمل الثورى ، لم يكن يكفيه أن يقول ان الاقتصاد محرك التاريخ ، بل كان على معرفة موسوعية بالاقتصاد الروسى والاقتصاد الرأسمالى العالمى . ومن هذه المعرفة استطاع ان يقدم افكارا جديدة ، تعتبر اضافات لا شك فيها للماركسية فى تحليلها للرأسمالية وتوقعها للاشتراكية . وفى هذا الصدد يمكن ان نلحظ بين مؤلفاته ثلاثة اعمال فكرية يبدأ كل منها مرحلة فى الصراع الطويل من أجل الاشتراكية . **فأولى** كتاباته الاقتصادية عن [**تطور الرأسمالية فى روسيا**] تبدأ مرحلة تحديد طبيعة الثورة الروسية ، وكتاب [**الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية**] يفتتح مرحلة امكانية قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا وحدها . ودراسته بعنوان [**المهام العاجلة للسلطة السوفيتية**] ثم دراسته عن [**المبادرة الكبرى**] ثم دراسته بصفة خاصة عن [**الاقتصاد والسياسة فى عهد ديكتاتورية البروليتاريا**] ثم أعمال المؤتمر العاشر للحزب عن السياسة الاقتصادية الجديدة ثم دراسة لينين [**حول التعاون**] .. كلها تحدد معالم مرحلة بناء الاشتراكية وأمكانية انتصارها فى بلد واحد . وبالطبع هناك كتابات اقتصادية أخرى وعديدة ، تكمل أو تشرح أو تضيف أو تستخلص شيئا جديدا . لكن تبقى فى تطور فكر « لينين » الاقتصادى معالم ثلاث مراحل متميزة الى حد كبير ، هى مراحل فى الرقى صعودا الى الاشتراكية كحياة يومية لمئات الملايين من البشر .

تطور الرأسمالية فى روسيا أو تحديد طبيعة الثورة الروسية

فى الستينات من القرن الماضى [اكتشف] الثوريون الروس ، وهم مفكرون ماديون ، الفلاح الروسى . وظل هذا الفلاح محور اهتمام الثوريين الروس ، وبخاصة من أطلقوا على أنفسهم اسم [الشعبيين] . أما الاشتراكيون الديمقراطيون فكانوا منشغلين بما يمكن أن نسميه معارك الحرب الاقتصادية المبعثرة للطبقة العاملة الروسية . ثم انفجرت اضرابات العمال فى عامى ١٨٩٥/١٨٩٦ . عندئذ كانت حركة الطبقة العاملة تتسع وتتعمق ، وتمهد الطريق لبداية حركة المظاهرات التى ميزت المرحلة التى سبقت الثورة الروسية فى عام ١٩٠٥ .

وفى منفاه فى سيبيريا ، وبمعونة زوجته «ناديا كروبسكايا» ، وبالرجوع الى ٥٠٠ مرجع ، كتب لينين [**تطور الرأسمالية فى روسيا**] . بدأ كتابته فى عام ١٨٩٦ وأنتهى منه فى عام ١٨٩٩ ونشره فى مارس ١٨٩٩ . كتبه لاثبات الدور القيادى للطبقة العاملة وبيان أن قوتها فى عملية التاريخ اكبر بما لا يقاس بنصيبها من مجموع السكان .

وكتاب [**تطور الرأسمالية فى روسيا**] امتداد فى الواقع لكتاب [**رأس المال**] . ففى [**رأس المال**] يكشف « ماركس» عن القانون الاقتصادى لحركة المجتمع الرأسمالى ، وذلك بدراسة علاقات الانتاج فى المجتمع البرجوازى من حيث ولادة هذه العلاقات وتطورها وزوالها . ولكى يكشف « ماركس » عن قانون الرأسمالية ، يبدأ بتحليل وحدة الثروة الرأسمالية ، أى « **السلعة** »

الشعبيون

احد تيارات الحركة الثورية الروسية ،يمثل فى الاساس عناصر البرجوازية الصغيرة ، وقد نشأ هذا التيار فى ستينات وسبعينات القرن ١٩ .

أعلن الشعبيون انهم يريدون تصفية الحكم الاوتوقراطى ، وتصفية الملكيات الاقطاعية ، وتوزيعها على الفلاحين .

لكنهم كانوا يتجاهلون تطور ونمو العلاقات الراسمالية فى روسيا ، ومن ثم فقد تجاهلوا وجود البروليتاريا الروسية وامكانياتها الثوريه وأعلنوا أن القوة الطليعية فى الثورة هى : الفلاحون وليس العمال .

وقد أعلن الشعبيون أن مجال نضالهم هو القرية وليس المدينة ، وأعلنوا أن واجب الثوريين هو النزوح الى الريف .. « الى الشعب » الحقيقى .

ولقد اتجه تولستوى الى الريف متأثرا بدعوى الشعبيين .

لكن هجرة « الشعبيين » الى الريف لم تحقق النتيجة المطلوبة ، ورويدا رويدا بدأ الشعبيون فى التحول الى جماعة اصلاحية تهادنت مع القيصر ، وركزت كثيرا من جهودها فى الهجوم على الماركسية .

بوصفها نتاجا للعمل ، العمل الانساني المجرد ، - العمل الانساني بوجه عام . فكل سلعة تمثل جزءا من وقت العمل الضروري اجتماعيا . ومن ثم تتحدد قيمتها بهذا العمل الاجتماعي الضروري . وتتبادل القيمة والنقود تأثيرا هاما من خلال السلع . فعند حد معين من تطور الانتاج السلعي ، تتحول النقود الى رأس مال . ولقد كانت المقدمة التاريخية لظهور رأس المال ، هي في المقام الاول ، تراكم قدر معين من النقود في أيدي بعض الافراد ، ووجود عمال أحرار أو متحررين من زاويتين : **أنهم** أحرار في بيع قوة عملهم او عدم بيعها ، **وأنهم** احرار أي معدمون لا يملكون شيئا سوى قوة عملهم . ويبدو هذا الاتجاه التاريخي للتراكم الرأسمالي ، بصفة خاصة ، من خلال تطور الرأسمالية في الزراعة . فان انتزاع ملكية قسم من سكان الريف وطردهم من الارض لا يحرر عمالا للصناعة ووسائل العيش والعمل لهم من أجل رأس المال الصناعي فحسب ، بل يخلق السوق المحلية أيضا . . انه يخلق الرأسمالية . ان السوق المحلية تكون الرأسمالية .

من هنا يبدأ « لينين » كتابه « **تطور الرأسمالية في روسيا**]. ولذلك لايكتفي بهذا العنوان ، بل يضع له عنوانا ثانيا هو [**أو عملية تكون السوق المحلية للصناعة الكبيرة**] ، وبالفعل يكشف «لينين» عن عملية تكون السوق الروسية ، أي تكون الرأسمالية الروسية . انه يبحث العملية الشاملة لتطور الرأسمالية من زاوية السوق المحلية فحسب ، ، تاركاجانبا السوق الخارجية .

فالسوق المحلية مقولة من مقولات الاقتصاد السلعي الذي يتحول في مجرى تطوره الى اقتصاد رأسمالي . وفي ظل هذا الاقتصاد الرأسمالي فحسب يكتسب الاقتصاد السلعي غلبة كاملة وسيادة عامة . ومن ثم ينتقل من الاقتصاد السلعي البسيط ويتابع تحوله التدريجي الى اقتصاد رأسمالي .

ويوضح « لينين » منذ البداية ان أساس هذا التحول هو التقسيم الاجتماعي للعمل ، وقيام الاشكال العديدة لتشكيل المواد الخام وانفصالها عن الزراعة الواحد بعد الآخر ، بحيث تصبح فروعا مستقلة للصناعة ، تتبادل منتجاتها وقد غدت سلعا مع منتجات الزراعة . بل ان الزراعة نفسها تغدو صناعة ، أي منتجة للسلع . وتجري بداخلها عملية التخصص ذاتها . وهكذا يبحث « لينين » السوق المحلية للرأسمالية ، بادئا بدراسة الزراعة ، وعملية التمايز بين فئات الفلاحين ، ثم تطور الرأسمالية في الصناعة ..

والمراحل الاولى للرأسمالية في الصناعة .. من صناعة ريفية صغيرة هي المعروفة باسم الصناعة اليدوية الى الصناعة المانيفاتورية ثم الصناعة الرأسمالية المحلية والصناعة الآلية الحديثة .

ومن ثم يكشف « لينين » عن أهم قوانين عملية اطراد التقسيم الاجتماعي للعمل . **فمن جانب** يبرز « لينين » ان القانون الذي يحكم كل اقتصاد سلعي متطور ، وبدرجة أكبر الاقتصاد الرأسمالي ، هو ان عدد السكان الصناعيين ، اي غير المشتغلين بالزراعة ينمو بسرعة أكبر من نمو عدد السكان الزراعيين ، وأن قسما متزايدا باطراد من السكان يصرف أو ينصرف عن الزراعة الى الصناعة التحويلية . **ومن جانب آخر** ، يؤكد « لينين » على قانون آخر ، هو قانون أن فصل المنتج المباشر [العامل] عن وسائل الانتاج ، أي نزع ملكيته بمعنى التحول من الانتاج السلعي البسيط الى الانتاج الرأسمالي يعتبر الشرط الضروري لهذا التحول ، ويخلق السوق المحلية .

ان عملية خلق السوق المحلية تجري عندئذ في اتجاهين :

في اتجاه أول ، نجد وسائل الانتاج التي [يحرر] منها المنتج الصغير تتحول الى رأسمال في أيدي ملاكها الجدد وتستخدم في انتاج السلع ، وبالتالي تتحول هي ذاتها الى سلع ، تباع وتشترى . ان وسيلة الانتاج ، مثل المنتجات نفسها ، تصبح سلعا .

وفي اتجاه ثان ، نجد وسائل معيشة المنتج الصغير تصبح العناصر المادية لرأس المال المتغير ، اي لمبلغ النقود المصروف من صاحب العمل على استئجار العمال . انها تتحول الى سلع ، وتخلق سوقا محلية لمواد الاستهلاك .

ثم يناقش « لينين » الفكرة الماركسية الخاصة بتصريف السلع المنتجة أو تحقيق **فائض القيمة** . وهنا يلقي الضوء على أمرين ضروريين لفهم الموضوع :

أولهما أن الناتج الاجتماعي شأنه شأن الناتج الفردي يتحلل من حيث القيمة الى ثلاثة أجزاء هي : رأس المال الثابت ورأس المال المتغير وفائض القيمة .

وثانيهما أن الناتج الاجتماعي ، في شكله الطبيعي ، ينقسم الى قطاعين كبيرين ، هما قطاع وسائل الانتاج وقطاع مواد الاستهلاك . وقد أوضح « ماركس » بالاستناد اليهما عملية

تصريف الناتج بصفة عامة وتحقيق فائض القيمة بصفة خاصة فى الانتاج الرأسمالى ، وأوضح أيضا أنه من الخطأ أن نجر السوق الخارجية فى موضوع هذا التصريف أو التحقيق . وانما تلقى نظرية التصريف او التحقيق ضوءا على مشكلة الاستهلاك والدخل القوميين .

وهكذا ينتهى « لينين » الى أن السوق المحلية تظهر عندما يظهر الاقتصاد السلعى ، يخلقها تطور الاقتصاد السلعى ، ويتحدد مستوى تطورها بمدى تنوع التقسيم الاجتماعى للعمل . وهى تتسع بامتداد الانتاج السلعى من المنتجات الى قوة العمل ، وبقدر ما تتحول قوة العمل الى سلعة ، تحتضن الرأسمالية الانتاج بأسره متطورا أساسا على حساب وسائل الانتاج وباختصار فان درجة تطور السوق المحلية هى تعبير عن درجة تطور الرأسمالية فى البلد المعين .

وبعبارة أخرى ، ينتهى « لينين » الى هذه النتيجة ، وهى أن الرأسمالية تقدم تاريخى ، ليس فقط فى الصناعة وانما فى الزراعة ايضا. وبتحليله للزراعة فى روسيا ، يؤكد « لينين » الدور المزدوج للفلاحين . **فمن جانب** ، فان بقايا نظام السخرة وكل بقايا نظام القنانة ، مع الافقار الذى لم يعد له مثيل ، والدمار المطرد للفلاح الصغير ، توضح جميعا الجذور العميقة للطابع الثورى للفلاحين كجماهير . **ومن جانب آخر** وفى مجرى الثورة ، فان طابع الاحزاب السياسية والاتجاهات الفكرية والسياسية يكشف التركيب الطبقى المتناقض داخل هذه الجماهير ، طابعها البرجوازى الصغير ، والتناقض بين اتجاهات كل من المالك والمعدم بداخلها . ويضيف « لينين » أن تردد البرجوازية الصغيرة ، بين البرجوازية المضادة للثورة والبروليتاريا الثورية ، أمر لامفر منه بوصفه الظاهرة الموجودة فى كل مجتمع رأسمالى ، حيث أن أقلية ضئيلة من صغار المنتجين تغتنى وتتحول الى برجوازية ، بينما الاغلبية الساحقة تنهار بالكامل فتصبح عمالا بالاجر ، أى معدمين ، أو تحيا حياة أشباه المعدمين .

واستنادا الى هذه القاعدة الاقتصادية، تصبح الثورة الروسية ثورة برجوازية حتما . لكن تطبيق هذه الحقيقة على الحياة السياسية يتطلب تحليلا دقيقا لاوضاع ومصالح الطبقات المختلفة. فهناك خطان محتملان لتطور الثورة الروسية . **أولهما** استمرار اقتصاد كبار الملاك وتحوله الى نظام اقتصادى صرف ، استنادا الى التطور الحر لزراعة الفلاح الصغير . **وثانيهما** تحطيم اقتصاد كبار الملاك بالثورة ، عن طريق الدور الغالب للبروليتاريا بالتحالف مع جماهير الفلاحين ، مما يضمن التطور السريع والحر للقوى الانتاجية .

حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي

كان بليخانوف هو أول من أسس جماعة ماركسية بروسية فى عام ١٨٨٣ ، هى فرقة تحرير العمل ، وقد لعبت هذه الجماعة دورا هاما فى نشر الفكر الماركسى وفى الدفاع عن المادية الجدلية والمادية التاريخية .

وفى ١٨٩٥ أصدر بليخانوف كتابه « النظرة الواحدية فى التاريخ » وهو كتاب تحدث عنه لينين قائلا : « ان جيلا كاملا من الماركسيين الروس قد تربى عليه » .

لكن جماعة « تحرير العمل » لم تفعل كما قال لينين : « اكثر من تاسيس الاشتراكية الديمقراطية نظريا ، وأنها خطت الخطوة الاولى نحو حركة الطبقة العاملة » .

وانتشرت الحلقات الماركسية فى روسيا بعد ذلك فى بطرسبرج وموسكو وغيرها من المدن .. وفى ١٨٩٥ اسس لينين « اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة ، موحدا حوالى ٢٠ من الحلقات الماركسية فى بطرسبرج

وعندما اعتقل لينين فى ١٨٩٦ فى سجن بطرسبرج ، اثار قضية تأسيس مؤتمر يوحد المنظمات الماركسية فى البلاد ، غير أن نفى لينين الى سيبيريا مع غيره من قادة « اتحاد النضال » قد أجل تنفيذ هذه الفكرة .

وفى ١-٣ مارس ١٨٩٨ عقد المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكى الروسى ، وقد حضره ٩ مندوبين يمثلون ٦ منظمات

واتخذ المؤتمر قرارا بتوحيد المنظمات الممثلة فيه فى تنظيم حزب واحد باسم حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى ، وانتخب لجنة مركزية ، واعترف بجريدة «رابوتشايا جازيتا» جريدة رسمية له ..

واستمرت المنظمات تعمل منفصلة تحت راية الحزب الموحدة .. الى أن عقد المؤتمر الثانى ، عقد فى يوليو — اغسطس ١٩٠٣ فى بروكسل ثم فى لندن ، وهو المؤتمر الذى دعت اليه « ايسكرا » جريدة لينين ، والذى حضره ممثلون لمختلف الاتجاهات داخل الحركة الماركسية الروسية ، وفى هذا المؤتمر شن لينين نضالا عنيفا ضد التيارات الانتهازية ..

وقد أقر المؤتمر لائحة الحزب وبرنامجه ، وانتخب الهيئات القيادية . وقد حدد البرنامج ان المهمة الاساسية للحزب ، هى النضال من اجل تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا .

وقد شهد المؤتمر الثانى أيضا انقسام الحزب الى جناحين « البلاشفيك » و « المنشفيك »

وهكذا أجهز كتاب [**تطور الرأسمالية فى روسيا**] على « الشعبيين ». لقد كشف عن تقدم الرأسمالية فى روسيا ، وكشف عن تناقضات المجتمع الرأسمالى ، وكشف عن نمو الطبقة العاملة الروسية. وعلى الرغم من صغر عددها، فانها كانت القوة القيادية التى آلت اليها قيادة الحركة الثورية . وعلى أساس من هذا الكتاب، استطاع لينين ان يكتب فى عام ١٨٩٨ [**مهام الاشتراكيين الديمقراطيين الروس**] ، حيث حدد طبيعة الثورة الروسية ومرحلتيها من ثورة ديمقراطية الى ثورة اشتراكية . ودعا لضرورة قيام حزب موحد للعمال . وانتهت المعركة ضد الشعبيين بالاعتراف بأن الحزب الاشتراكى يعتبر العمال لا الفلاحين ، هم القوة الدافعة للثورة المقبلة . وبدأ الاشتراكيون يركزون اهتمامهم على العمال الصناعيين من أجل تحويل الحرب الاقتصادية المبعثرة الى صراع طبقى واع . وبذلك كان [**تطور الرأسمالية فى روسيا**] مساهمة حاسمة فى بناء نظرية وبرنامج وتاكتيك الحزب الاشتراكى الروسى .

الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية

أو امكانية قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا

لم يعد شك اذن فى ان روسيا بلد رأسمالى ، وأن الطبقة العاملة هى القوة الدافعة للثورة الاشتراكية فى روسيا . وأصبح نضال الحزب الاشتراكى الروسى من أجل الاشتراكية يتقدم بخطى ثابتة على الرغم من هزيمة ثورة ١٩٠٥ .

لكن الرأسمالية ، كنظام للانتاج له الغلبة على المستوى العالمى ، كانت تتطور بخطى لاتقل ثباتا نحو حرب عالمية شاملة . وعندما وقعت الحرب اخيرا فى عام ١٩١٤ . لم تكن مفاجأة « للينين » . فمنذ مؤتمر « شتوتجارت » للاشتراكيين الاوربيين فى عام ١٩٠٧ ، أصدرت الاممية الثانية بالحاح من « لينين » نداء للاشتراكيين بأن يستخدموا فى حالة الحرب [**الازمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب لكى يعجلوا بالقضاء على السيطرة الطبقية للرأسمالية**] . وتكرر التحذير نفسه فى مؤتمر « بال » الذى انعقد فى عام ١٩١٢ ، (**فى المؤتمرين اتفق قادة الاحزاب الاشتراكية فى اوربا على معارضة الحرب ، فاذا ما اندلعت، كان عليهم العمل على تجميع الطبقة العاملة للاطاحة بالرأسمالية** ، لكن عندما اندلعت الحرب فى عام ١٩١٤ فعلا ، خافوا وانضموا البرجوازية فى بلادهم .. **واتخذ** « **كاوتسكى** » فى المانيا « **وتروتسكى** » فى روسيا و **واونجيه** » فى فرنسا موقفا وسطا . أما « **لينين** » الذى حذر باستمرار من أن الرأسماليين يعدون لحرب عالمية ، فقد دعا لاعلان [**الحرب على الحرب**] من أجل [**تحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية**] .

وفى منفاه فى سويسرا ، اخذ ينتقل فى بداية عام ١٩١٦ من برن الى زيوريخ لاعداد كتاب يحلل هذه المرحلة الخطرة من تطور الرأسمالية. وفى صيف ذلك العام ، كتب لينين [**الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية**] ، فى محاولة لبيان كيف كانت فى بداية القرن العشرين الصورة الاجمالية للاقتصاد الراسمالى العالمى . ومن ثم يعتبر الكتاب تطويرا لكتاب [**رأس المال**] . فاستنادا الى كتاب الاقتصادى الانجليزى « **هوبسون** » عن الامبريالية ، ومستعينا بالمادة التاريخية التى تراكمت خلال نصف القرن منذ ظهور [**رأس المال**] ، يصل «لينين» الى الاستنتاج القائل بان الرأسمالية دخلت المرحلة العليا والاخيرة من تطورها ، وهى مرحلة الامبريالية . ان هذه الامبريالية مرحلة رأسمالية تستمر فيها السمات الجوهرية للنظام الراسمالى ، من الملكية الفردية وعلاقات الاستغلال ، وتواصل فيها القوانين الاقتصادية للرأسمالية عملها المألوف. غير انها مرحلة رأسمالية لها سماتها الخاصة ايضا ، **من تركز الانتاج وقيام الاحتكارات، وتعاظم دور البنوك ، واندماج رأس المال المصرفى ورأس المال الصناعى ، ونشوء الجماعات المالية ، وتصدير رأس المال ،واقتسام الاسواق بين الاحتكارات الدولية ، وتقسيم العالم بين الدول الكبرى** .

وقد اوضح « لينين » فيما بعد ان الامبريالية هى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية ،الطفيلية ، المحتضرة . وبالتالى تحددت سماتها الثلاث الجوهرية فى انها الرأسمالية فى مرحلتها الاحتكارية ،وقد غدت رأسمالية طفيلية ،واشرفت على نهايتها .

ان الامبريالية هى الرأسمالية الاحتكارية . وكانت بداية تحول الرأسمالية من المنافسة الى الاحتكار فى السنوات السبعين من القرن الماضى. بفضل التركز المستمر والمطرد فى الانتاج .واستمر

نمو الاحتكارات حتى بداية القرن الحالى فغدت الرأسمالية احتكارية . فالامبريالية اذن هى رأسمالية الاحتكارات الضخمة ،الاحتكارات التى صارت دولية ، الاحتكارات التى استنادا الى ما تسيطر عليه منموارد الثروةومصادر الانتاج، صارت تلعب دورا ضخما فى تطوير الانتاج ، وفى اتخاذ الانتاج اكثر من ذى قبل لطابعه الاجتماعى . لكنها اذ تحكم الاقتصاد تحكم السياسة ايضا ، وتملىارادتها على الحكومات. وتكتسب الرأسمالية ، **لاول مرة** ، طابعرأسمالية الدولية الاحتكارية .

ونتيجة لتركز الانتاج ، والتركز المطرد لرأس المال ، قامت البنوك بدور خطير فى تدعيم الاحتكارات ، واخذت تتحول عن مهمتها الاصلية كوسيط فى المدفوعات ، تحول رأس المال النقدى الخامل الى رأسمال عامل يدر الارباح ، وتجمع الموارد النقدية وتضعها تحت تصرف المقترضين من الرأسماليين . فصارت احتكارات تجمع تحت ايديها الجزء الاكبر من رأس المال النقدى المدخر من قبل الرأسماليين وصغار اصحاب الاعمال ، وتتحكم فى جانب هام من وسائل الانتاج ومصادر المواد الخام .وهكذا اقتحمت عملية الانتاج ونفذت الى الصناعة . فالبنك يجمع بين يديه مقادير كبيرة من رءوس الاموال .وعندما يتقدم رجلالصناعة لفتحساب جار لمشروعه لدى البنك يستطيع البنك انيعرف بصورة ادق واكمل حالة العميل الاقتصادية . وتمكنت البنوك فعلا مناخضاع رجال الصناعة، وامتزج رأسمال البنوك برأسمال الصناعة،مكونا اقلية مالية هائلة القوة والجبروت الاقتصاديين ، رأسمالها يسمى رأس المالالمالىوميدانها المفضل هو البنك لا البورصة ، تسعى بكل وسيلة لتصدير رأس المال بجانب تصدير السلع ،وتعمل على كسب الاسواق الخارجية وضممناطق النفوذ والتوسع فى المستعمرات . ومن ثم فقدت الرأسمالية ، للابد ، **طابعها السلمى** الذى كان يطبعها بصفة عامة فى ظل المنافسة الحرة .

وصارت نظاما عالميا لظلم الاكثرية العظمى من سكان الارض استعماريا ، وخنقها ماليا من قبل حفنة من البلدان المتقدمة .

وقد رفضت « **روزا لوكسمبورج** » قول « **لينين** » بان الامبريالية او الاستعمارية هى الرأسمالية فى مرحلتها الاحتكارية . فمن رأيها على العكس ان الاقتصاد الرأسمالى يواجه منذ نشأته مشكلة تصريف فائض انتاجه فى اقتصاديات غير رأسمالية ، اى انه يواجه منذ نشأته الحاجة الى اسواق خارجية فى مناطق غير رأسمالية . وتصريف فائض الانتاج عندها لا يعنى تصدير المنتجات فحسب وانما يتناول ايضا تصدير رأس المال . وهكذا فان الاقتصاد الرأسمالى يحتاج فىرأيها لبيئة غير رأسمالية ينمو معها ولا يمكن ان يوجد بغيرها .

لكن الامبريالية ليست — كما رأت روزا لوكسمبورج — هى الرأسمالية منذ نشأتها ، الامبريالية هى الرأسمالية فى مرحلتها العليا ، مرحلتها الاحتكارية ،حين تصبحرأسماليةطفيلية. فقد تحولت الرأسمالية الى رأسمالية منتجة الى رأسمالية طفيلية ، من رأسمالية صناعية الى رأسمالية مالية . وبعد ان كانت تنتج السلع للربح ، صارت تهتم بالقروض لا بالانتاج ، وتعيش من ريع السندات والاوراق المالية وتتحول الى رأسمالية ربوية . وعندما تخرج بحثا عن المستعمرات ، يتأكد اكثر واكثر ، طابعها الطفيلى على شعوب وثروات مستعمراتها . غير ان لينين كان مهتما ،فىكتابه، بدراسة ظاهرة الامبريالية من جانب الدول الرأسمالية التى بلغت مرحلة الامبريالية ، وترك الدراسة العميقة لهذه الظاهرة من جانب المستعمرات لشعوب المستعمرات نفسها . وقد عنى «لينين» فيما بعد بهذا الجانب الاخير، وعدد امام شعوب الشرق قضاياها الملحة قائلا [هذه هى القضايا التى لاتجدون حلولا لها فى اى كتاب من كتب الشيوعية ، ولكنكم تجدون حلولها فى النضال العام الذى بدأته روسيا .

وقد عاد لينين فيما بعد لبيانالنتائجالسياسية الهامة المترتبة علىتحولالرأسمالية الىرأسمالية طفيلية ، فى مرحلة الامبريالية . ولقد وجه انتباها خاصا لنقد افكار « كاوتسكى » التى كانتتشكل تيارا فكريا عالميا هو نتاج انحلال الامميةالثانية ونتاج افكار البرجوازيين الصغار اسرى الاوهام البرجوازية . فان حفنة من الدول فىمنتهىالغنى والقوة صارت تنهب العالم كله بمجرد [قص الكوبونات] . ان هذا الربح الاضافى الهائلالذى تجرى اضافته الى الربح الرأسمالى ، يمكن الاحتكارات من رشوة زعماء العمال والفئةالعليا من العمال التى تكون ما يسمى بارستقراطية العمال .

والواقع ان هذه الرأسمالية الطفيلية قد تحولت الى قوة خطرة . ان السعى لاقتسام الاسواق وتقسيم العالم ، ثم اعادة اقتسامها وتقسيمه كل حين ، جعلت الحروب العالمية امرا لا سبيل لتجنبه . انها حروب استعمارية ، ظالمة ، يجب الوقوف ضدها . ومع ذلك توجد فى المرحلة الاستعمارية حروب عادلة ، دفاعية، ثورية — هى حروب التحرير الاجتماعىوالتحرر الوطنى .

ولذلك فان مسألة معرفة الطبقة او الطبقات التى تشن الحرب والتى تواصلها هى مسألة فى منتهى الاهمية .

كل هذا يجعل من الامبريالية رأسمالية محتضرة. انها رأسمالية احتكارية ، والاحتكار الرأسمالى مثل أى احتكار آخر يولد حتما الميل الى الركود والتعفن . ومن رأسمالية نامية تصبح الامبريالية نذيرا بنهاية الرأسمالية وبشيرا بقرب الاشتراكية. ان ازدياد حدة الاستغلال النسبى للطبقات العاملة ،وازدياد حدة التناقضات بين المستعمرات ومستعمريها ، وازدياد حدة الخلافات بين مجموعات الاحتكارات الدولية ، يدفع لتداخل الرأسمالية الاحتكارية مع جهاز الدولة ،وتتحول الرأسمالية الى رأسمالية الدولة الاحتكارية . وقد وصف « لينين » الامبريالية بانها عشية الثورة الاشتراكية ، لكنه وصف رأسمالية الدولة الاحتكارية ، بالتحديد ، بانها المرحلة التمهيدية المباشرة قبل الاشتراكية . لكن « لينين » كان حريصا على ان يوضح ان اتجاه الرأسمالية الاحتكارية الى الركود والانحلال ، فالاحتضار لا يستبعد امكان نموها السريع . فما زالت هذه الرأسمالية قادرة على النمو بفضل حقن التقوية، مثل التوسع والحرب والتطور العلمى والتقدم التكنولوجى .

من هذه الدراسة المستفيضة للرأسمالية المعاصرة ، خلص لينين الى ان جميع التناقضات الملازمة للرأسمالية تتأزم حتما فى ظل الامبريالية.

ومن هنا استطاع ان يطور الماركسية فيما يتعلق بتطور الرأسمالية وامكانية انتصار الاشتراكية فى بلد رأسمالى واحد مأخوذا على حدة . لقد اكتشف قانون التطور المتفاوت للرأسمالية بوصفه قانونا مطلقا للرأسمالية . وعلى اساس من هذا القانون توصل الى استنتاج امكانية قيام الاشتراكية ، فى البداية ، فى عدد من البلدان ، ولو حتى فى بلد واحد . فمن قبل كان تحليل الظروف اللازمة للثورة يتم من وجهة نظر الوضع الاقتصادى فى بلد معين ، ما الان فأصبح يتعين النظر الى هذه الظروف من وجهة نظر الوضع الاقتصادى فى بلد معين ، أما الآن نظرا لان الاقتصاديات القومية قد كفت عن ان تكون وحدات مستقلة وقائمة بذاتها ، وانما اصبحت حلقات فى سلسلة واحدة هى الاقتصاد العالمى .

ان الثورة فى بلد معين صارت نتيجة لتطور التناقضات التى يحتويها النظام العالمى للامبريالية ، بما فيها تناقضات البلد نفسه .وعلى ضوء هذا المفهوم ، استخلص « لينين » امكانية انتقال البلدان المتخلفة إلى الاشتراكية متخطية الرأسمالية . فلقد دخلت الرأسمالية كنظام عالمى للامبريالية مرحلة ازمتها العامة منذ بداية القرن .

امكانية بناء الاشتراكية فى روسيا

وتحولت الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية، ونجحت بالفعل اول ثورة اشتراكية فى اكتوبر من عام ١٩١٧ فى روسيا بقيادة «لينين» .وعندما تسلم الحكم [**هذا الحالم فى الكرملين**] ، على حد قول الكاتب الانجليزى « **ويلز** » ، كان الانتاج القومى يمثل ١/٧ ما كان عليه فى عام ١٩١٤ . حقا ، كان يجب ان يكون مثل هذا الحاكم قادرا على ان يحلم .

وتصدى « لينين » لبناء الاشتراكية فى بلد رأسمالى متخلف طحنته الحرب الاستعمارية العالمية ، وزادته ثلاث ثورات وهبات فى فبراير وابريل واكتوبر من عام ١٩١٧ بؤسا على بؤس. واصبحت افكار « لينين » واعماله شيئا واحدا هو الاجراءات الثورية للدولة الاشتراكية الوليده . واعلن « لينين » بفرح غامر ان الاشتراكية هى اول نظام فى التاريخ يعطى الملايين من الشعب العامل امكانية استخدام طاقاتهم ومواهبهم التى يزخر الشعب بها والتى كانت الرأسمالية تخنقها وتدوس عليها بالاقدام .

اولا ــ خلق اقتصاد اشتراكى :

وكان على « لينين » ان يواجه مهمة خلق اقتصاد اشتراكى . وفى نهاية عام ١٩١٧ وبداية عام ١٩١٨ ، جرت محاولة للانتقال المباشر الى الاشتراكية بترويض الاقتصاد القديم كى يتمشى مع الاقتصاد الاشتراكى .ومن ثم كانت التأميمات التى سماها لينين [**هجوم الحرس الاحمر على رأس المال**] .

ويجب الاعتراف بان لينين كان متفائلا بتطور الاحداث وبخاصة بعد توقيع صلح برست ليتوفسك فى مارس ١٩١٨ ، كان مشغولا بالتحديد بزيادة الانتاج ، ومن ثم وضع كل اهتمامه على قضية رفع انتاجية العمل البشرى . فى يناير ١٩١٨ كتب مقاله [**كيف ننظم المباراة**] . وفى ابريل ١٩١٨ وضع « لينين » برنامجا للبدء ببناء الاشتراكية فى تقريره [**المهام العاجلة للسلطة السوفيتية**] . عندئذ ، فى الربيع ، بدأ « لينين » يضع افكاره الاقتصادية لمرحلة الانتقال الى الاشتراكية . وتميزت هذه الافكار بانها طرحت قضية التخطيط **لاول مرة** . وكان « لينين » قد كتب فى اكتوبر ١٩١٧ يقول [**عندما تنتصر البروليتاريا فانها تقوم بالاتى : انها تدفع الاقتصاديين والمهندسين والخبراء الزراعيين واشباههم الى العمل تحت اشراف منظمات**

العمال فى سبيل رسم خط قائم لاختبارها ، ثم لتعميم وســـائل توفير العمـل عـن طـريق المركزية] . وفى الربيع ايضا بدأ العمل فىخطة طويلة المدى لتطوير الاقتصاد هى خطة كهربةكل روسيا . لكن لم تكد السلطة السوفيتية توقـع معاهدة « **صلح برست ليتوفسك** » حتى بدأت الامبريالية العالمية حروب التدخــل واندلعت نيران حرب اهلية مفجعة . وبدأ « لينين » يعيد النظر فى السياسة الاقتصادية .

لكن ستظل [**المهام العاجلة للسلطة السوفيتية**] هى الوثيقة الاساسية لنظرية بناء الاقتصــاد الاشتراكى . فابتداء من وضع وصفه « لينين » بانه [**خراب اقتصادى فى غاية الايلام**] اعتبر ان الصعوبة الرئيسية انما تكمن فى الميــدان الاقتصادى . فمع انه قد غلبت البرجوازية على امرها ، لكنها لم تستأصل شأفتها بعد ، ولما نقض عليها كليا . بل انها لمرتسحق بعد . ولهذا يرد فى جدول الاعمال شــكل جديد ، ارقى من اشكال النضال ضد البرجوازية ، هو عبـارة عن الانتقال من المهمة الابســط وهى مهمــة الاستمرار فى مصادرة املاك الرأسماليين الى مهمة اشد تعقيدا وسموا بكثير ، وهى مهمـة ايجاد ظروف لا تستطيع فيها البرجـوازية ان تعيش ولا ان تتكون من جديد . وبديهى انهذه المهمة ارقى بما لا يقاس ، وانه طالما لم تتحقق ، فلن تكون هناك اشتراكية .

ان الصعوبة الرئيسية هى تحقيق اشد انواع المحاسـبة والرقابة صراحـة فى كل مكان على انتاج وتوزيع المنتجات وجعل الانتاج اجتماعيـا فى الواقع . وبالتالى تبرز فى المرتبـة الاولى مهمة جذرية قوامها انشاء تركيب اجتماعى ارقى من تركيب الرأسمالية . اى زيادة انتاجيةالعمل — وبالارتباط مع هذا ، ولاجل هــذا ، تنظيم العمل تنظيما ارقى .

وقال « لينين » ان الاشتراكية يمكنها انتهزم الرأسماليةتماما اذا ما استطاعتانترفع انتاجية العمل الاجتماعى الى مستوى اعلى منمستواها فى ظل الراسمالية ، ولهذا ما استطاعت ان تكفل مستويات اعلى لمعيشة الشعب العامل . فلقد كان سبب انتصار الراسمالية على الاقطاع هو نجاحها بالدقة فى خلق انتاجية للعمل لم تعرف فى ظل الاقطاع . كان « لينين » مشـغولا فى الواقع بتنظيم الانتاج فى المشروعات المؤممة . كان يقول [**لقداقنعنا روسيا، لقدظفرنا بروسيا من الاغنياء لصالح الفقراء ، من المستغلينلصالح العاملين . وعلينا الان ادارتها**] . كانت مهمـة تنظيم الادارة فى مقدمة جدول الاعمال . وفن الادارة لا يولد مع المرء ، وانما يكتسبه بالتجربة .

لابد اذن من الادارة . وبدون قيادة الاخصائيين فى شتى ميادين المعرفة والتكنيك والتجربة ، يستحيل الانتقال الى الاشتراكية ،لان الاشتراكية تتطلب تقدما واعيا وجماهيريا نحو انتاجيـــة فى العمل ، هى ارقى من انتاجية العمل فى ظل الرأسمالية . وتستطيع الدولة الاشتراكية ان تستخدم خبرة المنظمين والاخصائيين **اما حسب الطريقة القديمة** ، الطريقة البرجوازية ، اىلقاء اجور عالية — **واما حسب الطريقة الجديدة** ، الطريقة الاشتراكية ، اى بايجاد ظروف لمحاسبة ورقابة يمارسهما الشعب باسره من اسفل ،ظروف تؤدى حتما من تلقاء نفســها الى اخضــاع الاخصائيين لنا واجتذابهم الى جانبنا .

القضية اذن ، ومن اى النواحى اتيناها ، هى رفع انتاجية العمل البشرى . وكل ما عداهــا مقدمات او وسائل او اساليب . ولهذا فانتطوير انتاجية العمل يتطلب قبل كل شىء تأمين القاعدة المــادية للصــناعة الكبيرة ، أى تطــوير انتاج الوقود والحديد وصناعة الانشاءات الميكانيكيــة والصناعة الكيماوية .

وهناك شرط آخر لتطوير انتاجية العمــل هو اولا نهوض التعليم والثقافة عند جمــاهير السكان ، وثانيا تطوير طاقة العاملين ومهارتهم فى العمل واجتهادهم وتشديد العمل وتحسين نظامه .

وهكذا طرح « لينين » قضية الانتقــال الى الاشتراكية فى الجبهة الاقتصادية . لابد مـن انتاجية عالية للعمل ، بالاعتماد على اولويةتنمية الصناعة الثقيلة ، ورفع مستوى العمال الثقافى وتأهيلهم التكنيكى ، وكفالة انضباط عالفىالدولة والمشروعات باجراءات تربوية واجراءات قمع ، وتوفير الحوافز المادية للعمال ، وخلق الحافز المعنوى للعمل بالمنــافسة ، وفرض المحــاسبة والرقابة بكل صرامة . وبالطبع هبت المعــارك ضد « لينين » ، من فئات اجتماعية شتى ، ووجه «لينين» نيرانه على البرجوازية ، لكنه كان يحذر بمرارة من اخطاء البرجوازية الصغيرة فى الفكر والتطبيق .

ثانيا — شيوعية الحرب :

ثم اندلعت حروب التدخل ضد الثورة الوليدة وبدأت من ربيع ١٩١٨ الى ربيع ١٩٢١ مرحلة جديدة ، كانت هى مرحلة توجيه الاقتصـــاد الاشتراكى الناشىء لخدمة الحربالعاتية ،ولذلك سميت بمرحلة [**شيوعية الحرب**] . فقد اجبرت الدولة على اعادة تنظيم اقتصادها . وبدأتعملية

تحطيم لكل العلاقات القديمة [**بدرجة هائلة لم نكن نقصدها من قبل**] . لقد طبقت سياسة اقتصادية ، ذات طبيعة استثنائية ، كانت عناصرها تصفية الرأسمالية وسحقها تماما ، والاستيلاء على فائض الاغذية ،والمبادلة المباشرة في السلع بين المدينة والقرية ، ووقف التجارة ، واحلال نظام توزيع السلع بواسطة الدولة ، والتجنيد الشامل للعمل ، ودفع الاجور عينا ، وتوحيد نظام دفع الاجور ، ومركزية صارمة في ادارة الصناعة . وتلك هي السياسة الاقتصادية التي سميت بشيوعية الحرب .

وفي يوليو ١٩١٩ كتب « لينين » مقاله [**المبادرة الكبرى**] عن بطولة العمال في المؤخرة ، ليؤكد من جديد امكانية التغلب نهائيا على الرأسمالية، لان الاشتراكية تخلق انتاجية عمل جديدة ، اعلى بكثير . ان « لينين » يعلن فكرة ذهبية هي ان بطولة الجماهير الكادحة التي تتحمل التضحيات عن وعي من اجل انتصار الاشتراكية انما هي اساس الانضباط الجديد للعمل . انها بداية انقلاب اوفر صعوبة واكثر جدية واعمق جذورا واشد حزما من اسقاط البرجوازية ، لان هذا انتصار على التحجر والاستهتار والانانية البرجوازية الصغيرة ، انتصار على هذه العادات التي تركتها الرأسمالية ارثا للعامل والفلاح . وهكذا ينشأ الانضباط الاجتماعي الجديد ، الانضباط الاشتراكي .

ويشرح « لينين » هذا الانضباط الاشتراكي . فكل تنظيم للعمل الاجتماعي يتطلب انضباطا معينا ، يتطلب طاعة منظمة . لكن اساس هذه الطاعة هو الذي يختلف من نظام اجتماعي الى نظام اجتماعي آخر . فديكتاتورية البروليتاريا لا تعني فقط استعمال العنف ازاء المستغلين ، بل انها لا تعني العنف في الاساس . ان الاساس الاقتصادي لهذا العنف الثوري ، وان ضمان حيويته ونجاحه هو ان البروليتاريا تمثل وتحقق بالقياس الى الرأسمالية النموذج الاعلى لتنظيم العمل في المجتمع . ان التنظيم الاقطاعي للعمل الاجتماعي كان يرتكز على **طاعة العصا** ، على الامية والحد الاقصى من ارهاق العاملين الذين كانت تنهبهم وتستبد بهم حفنة من كبار ملاك الاراضي . وكان التنظيم الراسمالي للعمل الاجتماعي يرتكز على **طاعة الجوع** ، وكان السواد الاعظم من العاملين يظلون جماهيريقتلها الرعب ، جاهلة ، جماهير من العبيد بالاجر ، او من الفلاحين المرهقين تنهبهم وتستبد بهم حفنة من الرأسماليين . اما التنظيم الاشتراكي للعمل الاجتماعي فانه يرتكز ، وسيرتكز اكثر فاكثر،على **طاعة واعية** يتقبلها العاملون انفسهم بملء حريتهم بعد ان يخلعوا عنهم نير الملاك والرأسماليين .

ويطور « لينين » نظرية بناء الاقتصاد الاشتراكي في دراسته [**الاقتصاد والسياسة في عهد ديكتاتورية البروليتاريا**] التي كتبها في نوفمبر ١٩١٩ . في هذه الدراسة طور « لينين» بالفعل فكرة المرحلة الانتقالية بين الرأسمالية والشيوعية ، هذه المرحلة التي تحمل سمات وخصائص هذين الشكلين من اشكال الاقتصاد. فهذه المرحلة الانتقالية هي المرحلة الاشتراكية . والقضايا المرتبطة بقوانين الاقتصاد وبالعلاقات بين الطبقات في المرحلة الانتقالية تشكل العلاقات الاجتماعية الاشتراكية .

ومهمة الاشتراكية هي الغاء الطبقات ، لكن من المستحيل محو الطبقات دفعة واحدة . ولذلك ستبقى الطبقات في ظل ديكتاتورية البروليتاريا. لكن الطبقات لن تزول بدون ديكتاتورية البروليتاريا هذه . ان الطبقات ما تزال باقية ، لكن مظهر كل منها قد تغير في ظل الاشتراكية ، كما تغيرت العلاقة بين الطبقات . ان الصراع الطبقي يبقى ، لكن يرتدي اشكالا جديدة .

من هنا تتعدد الاشكال الاقتصادية في ظل المرحلة الاشتراكية . وفي روسيا ، كانت هناك الاشكال الاساسية الاتية : **الرأسمالية ،الانتاج السلعي الصغير ،الشيوعية** ،وقواها الاجتماعية هي على التوالي : **البرجوازية والبرجوازية الصغيرة [وبخاصة الفلاحون] والبروليتاريا** . ففي هذا الاقتصاد المتعدد العناصر ، يمثل كل عنصر منها اسلوبا معينا للانتاج لطبقات وفئات اجتماعية معينة . فالبروليتاريا السائدة تقود صراعا ضد الرأسمالية المهزومة . لكنها لم تهزم بعد نهائيا. وبينهما البرجوازية الصغيرة، وبخاصة الفلاحون ، تحتل مركزا وسطا .

ويوضح « لينين » ان سياسة مرحلة الانتقال هي سياسة تضمن **التحالف** بين الطبقة العاملة والفلاحين ، بينما تتحول البرجوازية الى عقبة في سبيل التحرر الاجتماعي . ان على الطبقة العاملة، بعد ان تتغلب على البرجوازية ان تتبع على الدوام ازاء جماهير الفلاحين الخطة التالية: ان تميز ، وان تعرف الفوارق بين الفلاح الكادح والفلاح المالك ، بين الفلاح الكادح والفلاح التاجر ، بين الفلاح الكادح والفلاح المضارب . [**ففي هذا التمييز يقوم كل جوهر الاشتراكية**] . ومع ذلك فان اقتصاد المرحلة الانتقالية في روسيا هو اقتصاد العمل [**ضد الانتاج السلعي الصغير وضد الرأسمالية التي تبقى او تتوالد على اساس هذا الانتاج**] . والاقتصاد الفلاحي مازال انتاجا سلعيا صغيرا . وفي ذلك للرأسمالية قاعدة واسعة الى اقصى حد ، لها جذور عميقة جدا ومكينة جدا . وعلى هذه القاعدة تبقى الرأسمالية وتتوالد من

جديد في اشد صور النضال ضراوة ضد الاشتراكية ، الاوهى المضاربة ضد قطاع الدولة .

ومن جديد يحدد « لينين » برنامج بناء الاشتراكية في روسيا في كلمات : **اولا** ، تنظيم المحاسبة والرقابة من قبل الشعب باسره . **ثانيا** ، زيادة انتاجية العمل البشرى . **ثالثا** ، تطوير المباراة او المنافسة الاشتراكية . بل فيكلمة هى : تربية طاعة بروليتارية جديدة .

لكن يجب الا ننسى ان « لينين » كان يكتب هذا كله وحروب التدخل قائمة ،وشيوعية الحرب هى السائدة . كان يعد لاعادة التعمير عندما تنتهى الحرب الاهلية الاليمة . وفى عام ١٩٢٠ طرح « **لينين** » فكرة اعادة البناء الاقتصادىالواسع وتحويل الاقتصاد الروسى الى قاعدة تكنيكية ارقى ، وذلك على اساس **كهربة الاقتصاد كله** . وفى ديسمبر من العام نفسه ، اقر المؤتمر الثامن لسوفيتات كل روسيا خطة كهربة البلاد . وكانت الخطة من الطموح بحيث اعتبرتها البرجوازية خرافة ، واطلق عليها « ويلز » [**يوتوبيا الكهربائيين**] ، لكن « لينين » كان يريد فقط ان يستبدل بالحصان الهزيل لدى الفلاح حصان البروليتاريا ، حصان الصناعة الآلية الكبيرة ، حصان الكهربة .

ثالثا ـ السياسة الاقتصادية الجديدة :

وانتهت الحرب الاهلية ، واصبح ممكنا بعث الاقتصاد الوطنى وتطويره على اسس مخططة، بينما غدت سياسة شيوعية الحرب قيدا على البناء الاشتراكى . فقد كانت هذه السياسة تقوم فى سنوات الحرب الاهلية على منع التجارة الخاصة منعا تاما وتطبيق المصادرة وتوزيع الاغذيةبالتساوى .كانتتدبيرا اضطراريا لتعبئة جميع القوى وجميع الموارد الاقتصاديةمن اجل الدفاع عن البلاد . لكنها اثقلتبكاهلها الثقيل على الفلاحين .

وفى ربيع ١٩٢١ اقر المؤتمر العاشر للحزب السياسة الاقتصادية الجديدة ، سياسة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . وبدأت هذه السياسة ،،كما يمكن ان نتوقع ، من ضرورةاقامة علاقة اقتصادية سليمة بين المدينة والريف ،بين الصناعة والزراعة . ومثلما اكدت هذهالسياسة على التصنيع الثقيل ، طرحت كل اشكال التعاون فى الريف . ولذلك يمكن القول بان السياسة الاقتصادية الجديدة هى سياسة التصنيع الثقيل والتعاون فى الريف . انها سياسة صيانة واستخدام الانتاج السلعى والتجارة والنقود وخلق الاسس الاقتصادية للتحالف بين العمال والفلاحين .

جوهر السياسة الاقتصادية الجديدة ، هو اذن اقامة علاقة اقتصادية سليمة بين المدينة والريف . ومن ثم تبدأ اعادة البناء بالزراعة ، وبخاصة الزراعة الصغيرة . وبدلا منمصادرة المحاصيل ، فرضت ضريبة عينية ، وسمح بالتجارة الخاصة فىالحبوب والفوائضالغذائية. ومعنى هذا ان التجارة اصبحت الشكلالرئيسى للارتباط بين المدينة والريف . وفيما بعد ، فى مقالته [**حول التعاون**] فى يناير ١٩٢٣ ، كتب « لينين » يقول [**بواسطة السياسة الاقتصادية الجديدة قمنا بتنازل للفلاح بوصفه تاجرا ،ولمبدأ التجارة الخاصة . ومن هنا بالضبط ، وعلى عكس ما يعتقد البعض ،اهمية التعاون الهائلة**]. فان خطة تحويل الزراعة تحويلا اشتراكيا ، تقوم بالتحديد على التعاون .

فالسياسة الاقتصادية الجديدة [**تتكيفبالنسبة لمستوى الفلاح العادى تماما ، ولا تطلب منه شيئا يفوق طاقته**] . كانت ترمى الى اشتراك مجموع سكان الريف فى تعاونيات . ولهذا الغرض كان ينبغى [**مرحلة تاريخية كاملة**] ، عشر سنوات او عشرون سنة . وكانتالخطة التعاونية من اجل كسب الفلاحين تتلخص فى توحيد الوحدات الانتاجية الفلاحية الصغيرة وتنظيم الانتاج الاجتماعى الكبير ، مع استخدام الالات وتطبيق الاساليب العلمية لادارةالزراعة. فالتعاون هو [**السبيل الوحيد ، الابسط والاسهل والاقرب منالا ، للفلاحين للانتقال من الاقتصاد الصغير الى الانتاج الجماعى والعمل الجماعى**]. التعاون هو اقرب الطرق الى الاشتراكية فى الريف. ولهذا يجب السير بحذر فىهذاالطريق. ان طريق التعاون هو طريق تطوير ابسطاشكال التعاون ، من تعاونيات الاستهلاك وتعاونيات التوريد وتعاونيات التسويق وتعاونيات الائتمان وجمعيات المنتجين . وفى الوقت نفسه ينبغىمنح التعاون عددا من المزايا الاقتصادية والمالية والمصرفية . [**فاذا نجحت سياسة التعاون فسوف يترتب على ذلك رفع انتاجية الاقتصاد الصغير ، وتسهيل انتقاله فى فترة غير محدودة الى اقتصاد ذى انتاجية كبيرة قائم على اساس من التجمع الاختيارى**] . مثل هذا التعاون هو فى الحقيقة عمل تثقيفى هائللجماهير الفلاحين. [**فاذا استطعنا تنظيمجميع السكان فىالتعاونيات، رسخت اقدامنا فى الميدان الاشتراكى**] .

وكالتعاون ، فان لتطوير الصناعة الثقيلة ، اى انتاج وسائل الانتاج ، اهمية حاسمة فىبناء الاشتراكية . والامران وجهان لعملة واحدة هى

التحول الاشتراكي . فالواقع ان الصناعة الالية الكبيرة هي مفتاح تحويل الزراعة تحويلا اشتراكيا. وفي سبيل تطوير الصناعة الثقيلة ، منحت الدولة الرأسماليين الاجانب تراخيص لاقامة مشروعات صناعية كبيرة ، بل ومتوسطة ، كما سمحت للافراد باقامة مشروعات صناعية صغيرة.

وتعرض « لينين » عندئذ لجانبين حاسمين في التطور الصناعي ،هما اعادة تنظيم اجهزة الادارة لصناعات الدولة ، وتطبيق مبدأ المصلحة المادية للعاملين ، فدعا « لينين » لتعلم الادارة الاقتصادية والتغلب على الاقتصاديين في ميدانهم وهو الاقتصاد . وفي وجه معارضة عمالية طالبت باحالة ادارة الاقتصاد الى النقابات ، منكرة دور الدولة الاشتراكية في بناء الاقتصاد ، رأى «لينين» اطلاق يد الادارة في الحصول على المواد الخام والوقود وفي تسويق انتاجها . وسمح لها بان تستأجر العمال من سوق العمل . لكنه قيدها بمبدأ تغطية تكاليفها . وفي الوقت نفسه خاطب العمال خطابا واقعيا . لابد من تطبيق مبدأ المصلحة المادية . [**فليس بالاعتماد مباشرة على الحماس ،بل بواسطة الحماس الذى تولده الثورة الكبرى وتحريك المصلحة الشخصية والنفع الشخصي ، وتطبيق مبدأ التوازن الاقتصادي ، يجب عليكم ان تبنوا باديء الامر جسورا متينة تقود في بلد من صغار الفلاحين الى الاشتراكية غير الرأسمالية**] .

ولم يعش « لينين » حتى يرى المؤتمر السابع عشر للحزب في عام ١٩٢٥ يقر خطة تصنيع البلاد ، وهي الخطة التى عطلتها مناقشات الانتهازيين فيما بعد اربع سنوات ، حتى طبقت بالفعل اول خطة شاملة في اعقاب تصفية العناصر الرأسمالية تصفية كاملة .

فالواقع ان السياسة الاقتصادية الجديدة التى كانت تفترض اباحة التجارة الخاصة والمشروع الخاص لفترة من الزمن ، كانت تبقي على العناصر الرأسمالية ، ولقد ادت الى انعاشها بعض الشيء . لقد افترضت هذه السياسة التضييق تدريجيا على العناصر الرأسمالية . ولذلك قبل « لينين » اشكالا مختلفة من رأسمالية الدولة، بوصفها اشكالا انتقالية لتحويل وسائل الانتاج الى الاشتراكية . وكان يقول ان السياسة الاقتصادية الجديدة تعبير عن [**الدرجة اللازمة لتنسيق المصلحة الخاصة ، المصلحة التجارية الخاصة ، مع قيام الدولة بالتحقق من هذه المصلحة وبمراقبتها**] .

وفي سبيل اقناع الحزب بضرورة رأسمالية الدولة ، خاض « لينين » صراعا فكريا عظيما .

لقد كان البعض يعترضون على رأسمالية الدولة، حتى اسمها . [**كانوا يفكرون بانه لا يجوز اطلاق اسم رأسمالية الدولة على نظام يكون فيه وسائل الانتاج ملكا للطبقة العاملة ، وتتقلد فيه هذه الطبقة العاملة زمام الحكم**] . ومن ثم شرح لينين فكرته : [**انى استعملت تعبير رأسمالية الدولة اولا : لاوضح الصلة التاريخية بين موقفنا الحالى وبين الموقف الذى وقفته في جدال مع الذين يطلق عليهم اسم الشيوعيين اليساريين . ففي ذلك الحين ، بينت ايضا ان راسمالية الدولة تفوق النظام الاقتصادى القائم في بلادنا . وكان المهم في رأيى ان ابسط الصلة المنطقية القائمة بين رأسمالية الدولة العادية ورأسمالية الدولة غير العادية . بل غير العادية اطلاقا التى تحدثت عنها عندما عرضت السياسة الاقتصادية الجديدة . ثانيا : ان ما شغل بالى على الدوام انما هو الهدف العملي . والواقع كان الهدف العملي من سياستنا الاقتصادية الجديدة ان تكون في بلادنا امتيازات ، وهذه الامتيازات كان من البديهى انها ستكون في ظروفنا شكلا صرفا من رأسمالية الدولة**] .

ومع ذلك فان رأسمالية الدولة ليست خطرا على الاشتراكية ، ما دامت المواصلات والصناعة الكبيرة في ايدى البروليتاريا . بل انها مفيدة وضرورية [الى حد معين طبعا] في بلد من صغار الفلاحين ، فاق فيه الخراب والتأخر كل حد .

هكذا توفرت في رأى « لينين » امكانيات بناء المجتمع الاشتراكى . [**وبالفعل ، هناك سلطة الدولة على جميع وسائل الانتاج الكبيرة ،وسلطة الدولة في ايدى البروليتاريا ، وتحالف هذه البروليتاريا مع الملايين ، والملايين من صغار الفلاحين ومن الفلاحين الصغار جدا ، وضمان قيادة الفلاحين من قبل هذه البروليتاريا ، الخ .. اليس ذلك كل ما ينبغي ، لكى نبنى بواسطة التعاون ، وبواسطة التعاون وحده ، الذى كنا نقف منه سابقا موقفا من شيء تجارى ، والذى لا يزال يحق لنا من بعض الوجوه أن نقف منه الموقف نفسه كذلك اليوم ايضا في عهد السياسة الاقتصادية الجديدة — اليس ذلك كل ما هو ضرورى لكى نبنى المجتمع الاشتراكى الكامل ؟ ان ذلك ليس بعد بناء المجتمع الاشتراكي ،ولكنه كل ما هو ضرورى وكاف لبنائه**] .

وبالفعل ، وبفضل تعاليم « لينين » ، لم تبق الاشتراكية بعد ذلك مسألة مستقبل بعيد . بل تحولت روسيا [**السياسة الاقتصادية الجديدة**] الى روسيا [**الاشتراكية**] .

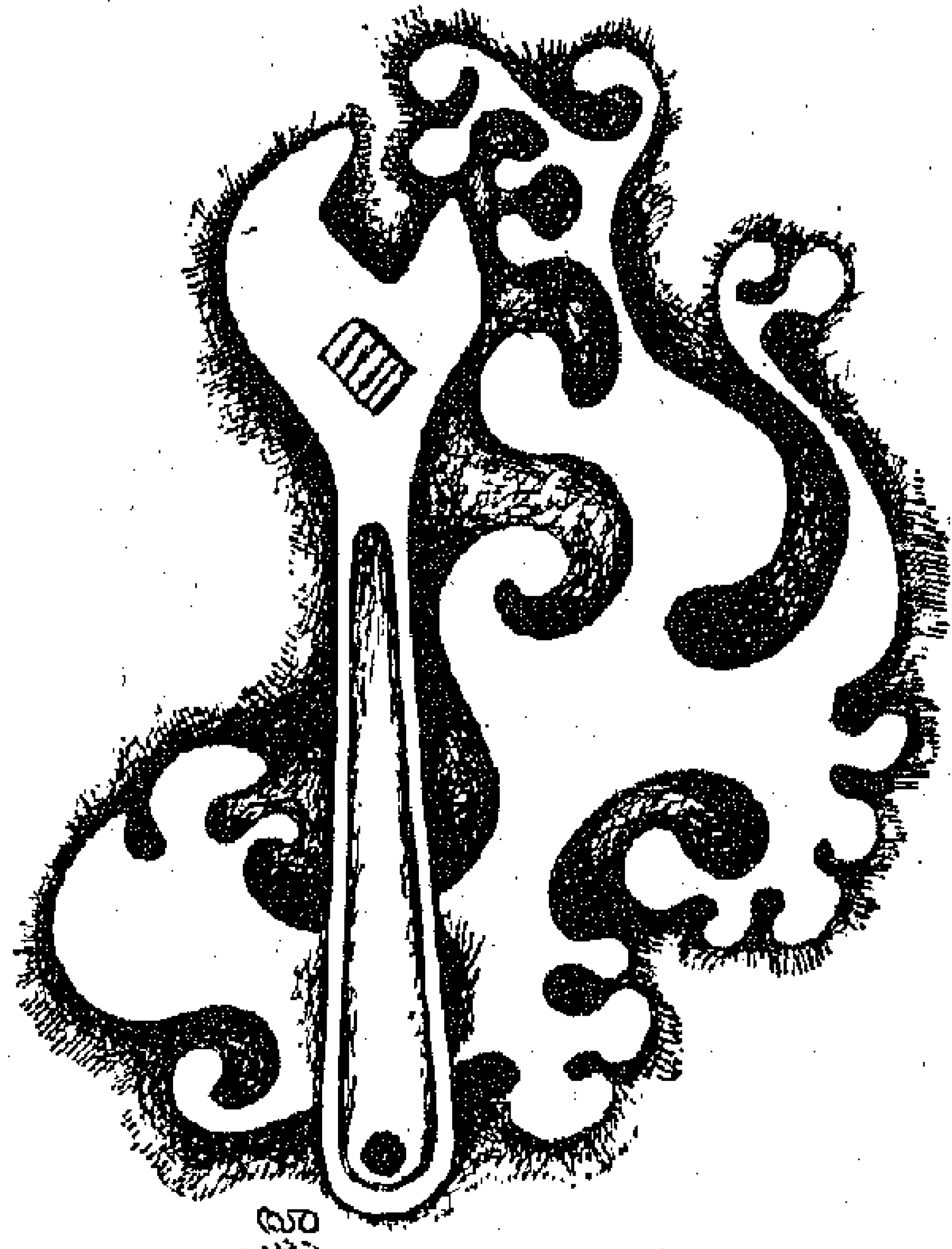
٣

الرؤية اللينينية لقضايا:
الطبقة العاملة - الفلاحين - الشباب
العلم والتكنولوجيا - الأدب والفن

- لينين والنقابات
- لينين والفلاحون
- لينين والشباب
- لينين والثورة العلمية
- الموقف اللينيني من الأدب والفن

لينين .. والنقابات

عبد المنعم الغزالي



بدأ فلاديمير ايليتش لينين نشاطه الثورى فى الحركة العمالية ، فى وقت احتدم فيه الصراع الطبقى فى روسيا القيصرية ونشطت حركة تكوين النقابات العمالية والجمعيات العمالية السرية والتى شاركت فيها العناصر الاشتراكية . وفى المجال العالمى شهدت الحركة العمالية نموا وتطورا فازداد عدد النقابات العمالية والاحزاب السياسية الخاصة بالطبقة العاملة . وفى هذه الفترة كان الاتجاه الغالب فى الحركة العمالية وتنظيماتها القومية والدولية هو الاتجاه الانتهازى بمختلف فرقه ــ المراجعين للماركسية ، المروجين للفكر الليبرالى البورجوازى ، الارهابيين السندكاليين ، الاقتصاديين ... الخ .

ووسط هذا البحر المتلاطم الامواج واجه « لينين » مشاكل العمل الثورى المعقد فى الحركة العمالية ــ وأبدى « لينين » اهتماما خاصا بالعمل النقابى وبالنضال ضد القوى الانتهازية والتى تمكنت بمساعدة الدوائر الاحتكارية والدوائر الانتهازية فى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية أن تسيطر على المراكز القيادية فى العديد من التنظيمات النقابية على النطاقين القومى والدولى ــ الدولة الثانية ــ واتحاد النقابات الدولى الذى تأسس قبل الحرب العالمية الاولى .

لقد صاغ « لينين » نظرية العمل الثورى بين النقابات منذ ان خطا خطواته الاولى فى العمل بين حركة الطبقة العاملة ، ولم تكن نظريته تلك فقط فى مواجهة الانتهازية الروسية فقط داخل الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، ولكنه صاغها كذلك ضد الفرق والتيارات الانتهازية الدولية .

وبعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى ــ ثورة أكتوبر ١٩١٧ ــ حدد « لينين » دور الطبقة العاملة ونقاباتها فى البناء الاشتراكى ، وهو بذلك صاغ نظرية العمل النقابى فى مرحلة بناء الاشتراكية ، وقد صاغها فى مواجهة أعباء عملية ونضالية جديدة .

لينين يواجه الفكر الاقتصادى والنقابية البحتة

فى ١٩٠٢ نشرت جريدة الايسكرا ــ الشرارة ــ كتاب لينين «**ماالعمل؟**» [1]، وفى هذا الكتاب

---

(1) المختارات ــ المجلد الاول ــ الجزء الاول من ص١٥٣ ــ ٣٦١ الطبعة العربية ــ موسكو .

الايسكرا ـ (الشرارة)

أول جريدة ماركسية لكل روسيا اسسها لينين في ١٩٠٠ وأدت دورها في تأسيس حزب الطبقة العاملة الماركسي الثوري في روسيا . وقد وضع لينين مشروع اصدارها وهو في المنفى بسيبيريا ، وصدر أول اعدادها في ليبزج [ديسمبر ١٩٠٠] ونتيجة الصراع داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي بين لينين والانتهازيين بقيادة بلخانوف تمكن الانتهازيون من السيطرة على الايسكرا ابتداء من العدد ٥٢ [١٩٠٣]

ناقش « لينين » الفكر الاقتصادي والنقابية البحتة، وصاغ النظرية الثورية عن العمل النقابي .

ان شعارات الاقتصاديين الروس لم تكن في الحقيقة الا ترديدا وامتدادا لنفس الفكر الانتهازي في الحركة العمالية الاوروبية « برنشتين » في ألمانيا ، الفابيون في بريطانيا . وتلخصت هذه الشعارات والافكار في أن مهمة النقابات هي « النضال في سبيل المطالب الصغيرة » ـ « النضال من أجل تحسين الحالة الاقتصادية للعمال في اطار النظام القائم » ـ « العمال للعمال » ـ « ان زيادة كوبيك على روبل أغلى وأعز من كل اشتراكية وسياسة ـ العمال يناضلون لانفسهم وليس لاجيال واشتراكية في طيات الغيب » ـ « ان الحركة العمالية الصرفة تستطيع بحد ذاتها أن تصنع لنفسها أيديولوجية وان ذلك لا يتطلب غير قيام العمال « بانتزاع مقدراتهم من أيدي القادة . »

ودحض « لينين » هذا الفكر مقدما وجهة نظر الاشتراكية العلمية عن العمل النقابي .. وهي وجهة نظر تعرضت لكثير من التحريف والمراجعة بعد ماركس وانجلز . ولقد أوضح « لينين » في دحضه لهذا الفكر أهمية التفريق بين النضال النقابي البحت والنضال النقابي الذي يتحول الى نضال اشتراكي ـ ديمقراطي ، فظهور الصراع بين العمال وأصحاب الاعمال حول المطالب الاقتصادية يعني أن نضال العمال مازال نضالا طبقيا جنينيا ، ولكن عندما يصبح هذا النضال نضالا مع كل النظام السياسي والاجتماعي القائم يكون العمال قد وعوا حقيقة الصراع بينهم وبين الرأسمالية ، أي أن الطبقة العاملة قد وعت ذاتها في هذا الصراع .

وأوضح « لينين » أن الاثارة الاقتصادية ـ وهي نشاط نقابي فقط ـ لا تشمل من ناحية الجوهر غير العلاقات بين العمال وأصحاب العمل في مهنة معينة ، ولا تسفر الا عن نتيجة واحدة ، وهي أن الذين يبيعون قوة عملهم قد تعلموا كيف يبيعون هذه « السلعة » بفائدة اكبر ، وكيف يناضلون مشتري قوة العمل على صعيد المساومة التجارية الصرفة . ان الاثارة الاقتصادية يجب أن تكون نقطة انطلاق للنشاط الاشتراكي الديمقراطي وجزءا لا يتجزأ منه ، والا انتهى الى النضال المهني وحده ، والى حركة عمالية غير اشتراكية ـ ديمقراطية . ان الاشتراكية الديمقراطية لا تقود نضال الطبقة العاملة في سبيل ظروف افضل لبيع قوة العمل فقط ـ بل كذلك وفي الاساس ـ في سبيل القضاء على النظام الاجتماعي الذي يرغم المعدمين على بيع انفسهم الى الاغنياء .

وأوضح « لينين » أن الاشتراكية الديمقراطية تمثل الطبقة العاملة ، لا في علاقاتها مع فئة معينة ، بل وفي علاقاتها مع جميع الطبقات في المجتمع الراهن ومع الدولة بصفتها قوة سياسية منظمة . ومن هنا يصبح واجب الاشتراكيين هو العمل على تربية وتكوين الطبقة العاملة سياسيا وتنمية وعيها السياسي . وعليه فلا يمكن للعمال أن يقصروا نضالهم على مجرد النضال الاقتصادي .

ودحض « لينين » المفهوم الاقتصادي التجريبي عن تلقائية التنظيم والايديولوجية بالنسبة للنقابات ، وأوضح أن النقابات يجب أن تكون ذات بناء قوي وقيادة مركزية ونظرية واعية ، وأن التكوين الواعي للطبقة العاملة لا يمكن أن يترك لتلقائية الحركة والصراع الطبقي ، بل يجب أن يكون مهتديا بنظرية ثورية علمية . وكشف عن ان عنصر الوعي الاشتراكي هذا يأتي للطبقة من خارجها ، وينقل الى نضالها ولا ينبثق منه تلقائيا . ان مهمة الاشتراكيين هي أن يحملوا الوعي الى الطبقة العاملة حتى تعي ذاتها ورسالتها . ولا يعني ذلك أن العمال لا يشتركون في هذه العملية ، ولكنهم عندما يشتركون في صنعها انما يشتركون بوصفهم من علماء

ادوارد برنشتين

ـ ١٨٥٠ ـ ١٩٣٢

واحد من قادة الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني ـ مراجع للماركسية وعارض نظرية الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا وحتمية الانتقال من الرأسمالية للاشتراكية .

الاشتراكية النظريين ، وهم يسهمون في ذلك بمقدار ما يتمكنون من استيعاب معارف عصرهم وتطوير هذه المعارف ، بمعنى أنه من الواجب على العمال ألا يحصروا أنفسهم في مطبوعات للعمال يضيق اطارها بصورة مصطنعة ، وانما يجب ان يتعلموا كل معرفة .

والطبقة العاملة بقواها الخاصة لا تستطيع أن تكتسب غير الوعى النقابى ، اى الاقتناع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد اصحاب الاعمال ومطالبة الحكومة باصدار هذه او تلك القوانين الضرورية للعمال الخ . ان الاشتراكية العلمية بكل قوانينها قد صاغها ووضعها متعلمون ومثقفون من أبناء الطبقات المالكة ذلك لان الاشتراكية العلمية تحتاج في تكوينها الى معرفة شاملة بالنظريات الاقتصادية والفلسفية وبالتطور العلمى . وكل الذين يرددون شعارات العمال للعمال محاولين ابعاد المثقفين الثوريين عن الطبقة العاملة انما يحرمونها من قوة هامة واساسية في البناء الفكرى والسياسى .. ان مثل هذه المحاولات تنتهى الى تقوية ودعم نفوذ الايديولوجية البورجوازية بين العمال .. ان دعاة التطور التلقائي لايديولوجيه حركه العمال انما يعملون على اخضاعها للايديولوجيه البورجوازيه ، والنقابيه البحته ،هى اخضاع العمال فكريا للبورجوازية ، لان الايديولوجية البورجوازية من حيث نشاتها اقدم من الايديولوجية الاشتراكيه بكثير ، ولانها مبحوثة بصورة اكمل من جميع الوجوه ، ولانها تتصرف بوسائل للنشر اكثر . وأكد « **لينين** » أنه ليس هناك غير ايديولوجيتين ، ايديولوجيه بورجوازيه وايديولوجية اشتراكية . وليس هناك وسط بينهما « **والبشرية لم تصنع بعد ايديولوجيه ثالثه — ونه في مجتمع تمزقه التناقضات الطبقيه لا يمكن ان توجد اية ايديولوجيه خارج الطبقات او فوق الطبقات — ولذلك فان كل انتقاص من الايديولوجيه الاشتراكية وكل ابتعاد عنها ، هو في حد ذاته بمثابة تمكين للايديولوجيه البورجوازيه وتوطيدها . ان على الاشتراكيين الديمقراطيين ان يستفيدوا من ومضات الوعى السياسى التى يثيرها في العمال النضال الاقتصادى لكى يرتفعوا العمال الى مستوى الوعى الاشتراكى الديمقراطى** » [٢] .

واوضح لينين ان الاتجاه الاقتصادى والنقابى البحت — السندكالى — ينكر على الطبقة العاملة ضرورة نضالها من أجل التسليح بتنظيم خاص ، حزب سياسى ثورى يختلف في بنائه ومحتواه واسلوب عمله عن النقابات . فنضال الاشتراكية السياسى أوسع جدا واكثر تعقيدا من نضال العمال الاقتصادى ضد أصحاب الاعمال والحكومة .. ومن هنا فان تنظيم الحزب الاشتراكى الديمقراطى لابد وأن يكون من نوع آخر يختلف عن تنظيم العمال للنضال الاقتصادى (التنظيم النقابى) . وأى محاولة للخلط بينهما انما تؤدى في النهاية الى ان تفقد الطبقة العاملة اركان حربها في نضالها من أجل الاجهاز على النظام الرأسمالى اجهازا تاما . وقد انتقد « لينين » بشدة ، اتجاه النقابية الثورية — او السندكالية الثورية — باعتبارها تيارا بورجوازيا صغيرا شبه فوضوى ظهر في الحركة العمالية في بعض بلدان اوروبا الغربية في أواخر القرن التاسع عشر . وهو تيار انكر على الطبقة العاملة ضرورة خوضها للنضال السياسى ، وأنكر دور الحرب القيادى وديكتاتورية البروليتاريا . ورأى ان النقابات تستطيع ان تسقط الراسمالية وأن تأخذ ادارة الانتاج في ايديها دون حاجة الى ثورة وعن طريق تنظيم الاضراب العام للعمال . ولقد وصف « **لينين** » هذا التيار بأنه جاء في كثرة من البلدان بوصفه النتيجة المباشرة والحتمية للاصلاحية والبرلمانية الليبرالية السائدة .

حياد النقابات

ودحض لينين خلال نضاله ضد الفكر الانتهازى للاقتصاديين نظرية حياد النقابات ، عن الاحزاب والمنظمات السياسية . وخلال ثورة ١٩٠٥ اختلفت الكتل الاشتراكية الديمقراطية الثلاث — البلاشفة والمناشفة والاشتراكيون الثوريون حول هذه القضية ،وذلك عندما عقد في خريف ١٩٠٥ اجتماع كبير للعمال النقابيين في مسرح اوليمبيا بموسكو . وفي هذا الاجتماع ، اعلن المناشفة ان هدف الحزب يختلف عن هدف النقابات فبينما يهدف الحزب الى القضاء على الرأسمالية واقامة الاشتراكية ، فان مهمة النقابات هى تحسين ظروف العمل في اطار النظام الرأسمالى ولضمان احسن الظروف لبيع قوة العمل . وعليه فان النقابات ليست وحدات مناضلة ، ولكنها تضم العمال من كل المهن . ومن ثم يجب ان تكون محايدة في الصراع بين الكتل والاحزاب السياسية المختلفة .

وقال الاشتراكيون الثوريون : ان النقابات يجب أن تكون محايدة حتى لا تنقسم صفوف البروليتاريا . وعارضوا اى قصر لنشاط النقابات على النشاط الاقتصادى .

---

(٢) الماركسية والنزعة التحريفية ص ٩٤ — المختارات مجلد ١ — جزء ١ الطبعة العربية — موسكو .

الجمعية الفابية

منظمة اصلاحية بريطانية تأسست فى ١٨٨٤ — وسميت باسم القائد العسكرى الرومانى القديم « فابيوس مكسيم » . والذى عاش فى القرن الثالث ق.م والذى اشتهر بخطة الانتظار وتجنب المعارك الفاصلة فى الحرب ضد هانيبال . وكان معظم اعضاء هذه الجمعية من المثقفين البورجوازيين الانجليز امثال ويب وبرنارد شو وماكدونالد . وفى ١٩٠٠ انضمت الجمعية الفابية الى حزب العمال — وقد سمى لينين الفابية « بالانتهازية المتطرفة » .

اما البلاشفة فقد اعلنوا انه لا يمكن فى عصرنا فصل «السياسية » عن « المهنة » ، وانه يجب أن تكون هناك وحدة وثيقة بين الحزب الاشتراكى الديمقراطى والنقابات ، وانه يجب ان **يقودها** .

يقول لينين فى مقاله « حياد النقابات : » (٣) .

« ان القضية ليست على الاطلاق كيف يتشكل الحزب ، واى نضال واى انقسامات تحدث فى العمليه انها قضية ان الحزب الاشتراكى والنقابات موجودة بالفعل فى كل بلد راسمالى ، ومهمتنا تحديد العلاقات الاساسية بينها . اذ المصالح الطبقية للبورجوازية تدفعها بالضرورة الى محاولة حصر النقابات فى حدود نشاط ضيق وصغير فى اطار النظام الاجتماعى القائم ، لابعادهم عن اى ارتباط بالاشتراكية ، ونظرية الحياد هى الغطاء الايديولوجى لهذه المحاولات البورجوازية . وان المراجعين داخل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية يحاولون بطريقة او اخرى ان يمهدوا الطريق لانفسهم فى المجتمع الراسمالى » .

وكشف « **لينين** » الجوهر البورجوازى لنظرية الحياد فى ظروف الصراع الطبقى للقرن العشرين .

وفضح العلاقة بين الفرق الانتهازية داخل الحركة النقابية فى كل البلدان الراسمالية : المناشفة الروس ، الفابية فى بريطانيا ، الجومبرزية (نسبة لصموئيل جومبرز) فى الولايات المتحدة ، وليجين فى المانيا .

وصاغ « لينين » فكرته حول علاقة النقابات بالحزب ، ومدى علاقاتها به . وقد رأى «لينين» ان النقابات ليست منظمات تابعة تبعية تنظيمية للحزب ولكنها ليست محايدة بالنسبة له . فالنقابات والحزب يناضلان فى وحدة متناسقة ضد الاوتوقراطية ، وضد الاستعمارية من أجل الاشتراكية ، وكما ان للراسمالية أركان حربها [أحزابها السياسية] ، فللطبقة العاملة أركان حربها (حزبها السياسى) .

ووفقا لافكار لينين اتخذت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى قرارا خاصا بالنقابات نشر فى مجلة بروليتارى العدد (٢١) ١٣ فبراير ١٩٠٨ — وجاء فيه : « انه على اعضاء الحزب ان يؤلفوا جماعات حزبية داخل المنظمات النقابية وان يعملوا داخلها بتوجيه من المراكز الحزبية المحلية . واذا ادى القهر البوليسى الى استحالة تنظيم نقابات أو باعادة تنظيم النقابات التى حلت فان اللجنة المركزية تقترح ان تنظم نواة النقابات والنقابات سريا . وبالنسبة للمنظمات العلنية مثل الجمعيات الخيرية وجمعيات منع المسكرات وغيرها فان قرر اللجنة المركزية طالب منظمات الحزب المحلية ان تشكل داخلها مجموعات من الاشتراكيين الديمقراطيين لتوجيه عمل الحزب بين اعرض جماهير ممكنة » (٤) .

الانحراف اليسارى

لقد خاض لينين نضالا عنيفا ضد التيارات اليسارية داخل الحركة الاشتراكية ، باعتبار انها كانت تعبيرا عن نزعات البورجوازية الصغيرة الثورية ، وهى نزعات تتصف بعدم الثبات والعقم ، وبقابليتها للتحول سريعا الى خضوع وخمول وتخيل ، ولقد انتعش التيار اليسارى خاصة بعد

صموئيل جومبرز
١٨٥٠ — ١٩٣٤

واحد من قادة الحركة النقابية الامريكية ، عدو لدود للاشتراكية ، ومن المروجين لنظرية عدم اشتراك الطبقة العاملة وتنظيماتها فى السياسة ، وانه لا داعى لوجود حزب سياسى خاص بها . دعى الى الوفاق الطبقى مع الاحتكارات ووقف الى جانب الامبريالية الامريكية فى الحرب العالمية الاولى . وكان من مستشارى الرئيس ويلسون . وتولى رئاسة اتحاد العمل الامريكى AFL من ١٨٨٣ حتى ١٩٢٤ . وعرف تياره فى الحركة النقابية الدولية بالجومبرزية .

---

(٣) مجموعة اعمال لينين — الجزء ١٣ من ص ٤٦٠ - ٤٦٩ الطبعة الانجليزية — موسكو .
(٤) مجموعة اعمال لينين — الجزء ١٣ ص ٥٣٢ - ٥٣٣ الطبعة الانجليزية — موسكو .

هزيمة ثورة ١٩٠٥ · وركز هؤلاء اليساريون شعاراتهم على المطالبة بعدم المشاركة فى البرلمان الرجعى وفى جمعيات العمال العلنية والتى خضعت لاكثر القوانين رجعية ، مثل تشريع اللوائح النظامية المؤقتة للجمعيات المهنية للعاملين فى المشروعات التجارية والصناعية ولاصحاب هذه المشروعات · وكان هدف هذه اللوائح تحويل نقابات العمال الى مجرد جمعيات للمعونة المتبادلة والصداقة ، والى وضعها تحت اشراف السلطات ، كما حرمت على المنظمات العمالية تكوين اتحادات محلية او اقليمية او قطرية او قومية ·

وقد انتقد « لينين » بشدة موقف اليساريين هذا واعتبرهم هروبا من مواجهة الرجعية فى المنظمات الديمقراطية ، وبحثا عن تكوين نقابات تشبيهية نقية ، يصنعونها على هواهم ، واعتبر لينين ان رفض العمل داخل النقابات الرجعية يعنى ترك الجماهير العمالية التى لم تتطور او المتخلفة تحت نفوذ الزعماء الرجعيين ، وعملاء البورجوازية والاوتوقراطية . ودعى لينين الى العمل حيث توجد الجماهير مهما كانت الصعاب ·

وفى السنوات من ١٩٠١ ـ١٩٠٣ ـ١٩٠٥ وحيث لم يكن هناك اى امكانيات للعمل العلنى والديمقراطى ، وحاول رجل البوليس زوباتوف انشاء نقابات بوليسية · وكان موقف لينين عدم ترك هذه النقابات ، بل العمل من داخلها وخلق روابط مع الجماهير · ورغم صعوبة هذا العمل والتضحيات البالغة التى قدمها العاملون فى هذه النقابات فقد نجحوا فى عملهم وانقذوا العمال من زوباتوف .

وقد حارب **لينين** بعد انتصار ثورة اكتوبر هذا الانحراف اليسارى فى المجال الدولى . يقول لينين فى كتابه الشيوعية اليسارية عبث أطفال (٥) ·

« **ولكن النضال ضد « الارستقراطية العمالية » انما نقوم به باسم جماهير العمال ، ومن أجل جذبهم الى جانبنا ، والنضال ضد الزعماء الانتهازيين والاشتراكيين الشوفينيين انما نقوم به لجذب الطبقة العاملة الى جانبنا ، ونسيان هذه الحقيقة البسيطة والواضحة بذاتها يكون حماقة ، وهذه الحماقة بالذات يرتكبها الشيوعيون الالمان « اليساريون » الذين بسبب رجعية الفئة المتزعمة فى النقابات ، وعدائها للثورة ، يخلصون الى هذه النتيجة ·· وهى الخروج من النقابات ! ! والامتناع عن العمل فيها ! ! وانشاء أشكال ، جديدة ، مصطنعة لتنظيم العمال !! وتلك هى الحماقة التى لا تغتفر ، والتى تضارع تماما أعظم خدمة يمكن ان يقدمها الشيوعيون للبرجوازية ، لان مناقشتنا مثل جميع زعماء النقابات الانتهازيين والاشتراكيين الشوفينيين والكادتسكيين ليسوا سوى عملاء للبورجوازية فى حركة العمال » · (كما كنا نقول دائما ضد المناشفة) أو « وكلاء طبقة الرأسماليين بين العمال »**

labour lieutenants of the capitalist class

حسب التعبير الرائع والصائب للغاية الذى صاغه اتباع دانيال دى ــ ليون فى امريكا . ان رفض العمل فى داخل **النقابات الرجعية يعنى ترك جماهير العمال التى لم تتطور أحد كاف ، أو المتأخرة تحت نفوذ الزعماء الرجعيين ، وعملاء البورجوازية والارستقراطيين من العمال او « العمال الذين تبرجزوا » (٦) (راجع رسالة انجلز الى ماركس سنة ١٨٥٨ حول العمال الانجليز) ·**

« والواقع ان « النظرية » السخيفة القائلة بعدم اشتراك الشيوعيين فى النقابات الرجعية تظهر بمنتهى الجلاء أى موقف طائش يتخذه هؤلاء الشيوعيون « اليساريون » من مسألة النفوذ فى « الجماهير » والى أى حد من الغلو يمضون فى زعيقهم بكلمة « الجماهير » · فلكيما تستطيع مساعدة « الجماهير » ، واكتساب عطف « الجماهير » ومؤازرتهم وتأييدهم ، ينبغى عدم الخوف من الصعوبات ، ينبغى عدم الخوف من المكائد والمحاكمات والاهانات والملاحقات من جانب « الزعماء » : الذين لكونهم انتهازيين واشتراكيين شوفينيين يكونون فى أغلب الحالات اما بصورة مباشرة او غير مباشرة ،مرتبطين بالبورجوازية وبالشرطة) وينبغى لزاما ان **تعمل حيث توجد الجماهير** · ينبغى ان تكون قادرا على تحمل آية تضحيات ، وان تذلل اعظم العوائق لكيما تقوم ، بصورة منظمة وبعناد وصلابة وأناة لبث الدعاية والاثارة ، بالضبط فى تلك المؤسسات والجمعيات والاتحادات حتى وان كانت اشدها رجعية ، ولكن حيث توجد جماهير البروليتاريا وأنصاف البروليتاريا » ·

ويقول لينين كذلك : « **لا يمكن تصور طيش**

---

(٥) مختارات لينينية المجلد ٣ الجزء ١ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ الطبعة العربية ـ موسكو .

(٦) وضح ماركس وانجلز فى دراستهما عن الحركة العمالية والانجليزية كيف ان الازدهار الصناعى يساعد على شراء العمال وصرفهم عن النضال وافساد معنوياتهم ، وكيف ان البروليتاريا الانجليزية تتبرجز ، وكيف ان الامة الاكثر بورجوازية بين الامم (الامة الانجليزية) تبدو كأنها تريد آخرا ان يكون لديها ، الى جانب البورجوازية ، ارستقراطية بورجوازية وبروليتاريا بورجوازية ، وكيف ان الطاقة الثورية تتلاشى وتزول لدى البروليتاريا الانجليزية . وكيف ان الزعماء الانجليز يحتلون موقفا وسطا بين البورجوازيين الراديكاليين والعمال » .

كارل ليجين

١٨٦١ ـ ١٩٢٠

قائد الجناح اليمينى فى الحركة النقابية الالمانية ، واتخذ موقفا شوفينيا خلال الحرب الامبريالية العالمية الاولى ، وظل على راس الحركة النقابية الالمانية حتى وفاته فى ١٩٢٠ كما كان سكرتيرا للاتحاد الدولى للنقابات منذ ١٩٠٣ .

أكبر ، وضرر للثورة أكبر من هذا الضرر الذى يلحقه بها الثوريون « اليساريون » اذ حتى لو أردنا نحن الان فى روسيا وبعد سنتين ونصف من الانتصارات التى لم يسبقها مثيل على بورجوازية روسيا والائتلاف أن نجعل « الاعتراف بالديكتاتورية » [٧] شرطا للدخول فى النقابات ، لارتكبنا حماقة ، ولقوضنا نفوذنا فى الجماهير ، ولساعدنا المناشفة ، ذلك لان كل مهمة الشيوعيين هى أن يكونوا قادرين على اقناع الفئات المتأخرة ، قادرين على العمل بينها ، لا أن يضعوا بينهم وبينها سياجا من الشعارات الصبيانية « اليسارية » المخترعة .

« ما من شك فى أن السادة جومبرز وهندرسون وجوهو وليجين واحزابهم ممتنون غاية الامتنان من هؤلاء الثوريين « اليساريين » الذين هم على شاكلة المعارضة الالمانية « المبدئية » (رحماك اللهم من هذه « المبدئية ») او على شاكلة بعض الثوريين الامريكيين من عمال العالم الصناعيين » .

لقد أدان لينين اتجاه الشيوعيين اليساريين الخاص بالنقابات واعتبره طيشا بالغ الضرر بقضية الثورة ، وبنضال الطبقة العاملة اليومى من أجل حياة أفضل .

النقابات وبناء الاشتراكية

ان عملية التحول من الراسمالية الى الاشتراكية عملية يقودها حزب الطبقة العاملة ، ولكن لايمكن انجازها الا بالمشاركة الفعلية والمنظمة والواعية لجماهير الطبقة العاملة ، وكل الكادحين وبتعبئة منظماتها الديمقراطية فى العمل . وبانتصار الثورة الاشتراكية حدثت ظروف جديدة مختلفة اختلافا جذريا عن الظروف السابقة . فالنظام الجديد الذى أقامته الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون يعنى: نظاما تقوم به علاقات انتاج جديدة ، ويلغى فيه استغلال الانسان للانسان . فى هذه الظروف الجديدة وفى ظل هذا النظام الاجتماعى الجديد والذى لم تشهده البشرية من قبل يتغير نشاط النقابات ، طابعا ومحتوى وهدفا . فحيث قامت الملكية العامة للاراضى والمصانع ووسائل الانتاج على أنقاض الملكية الفردية الرأسمالية بهدف تحويل روسيا — الاقطاعية البورجوازية — الى بلد صناعى كبير وبناء الاشتراكية ورفع مستوى المعيشة فان مهمة النقابات تصبح هى نفس مهمة هذا النظام . حيث تتفق الاهداف التى كانت تناضل من أجلها فى ظل النظام القديم تماما مع أهداف النظام الجديد .

ولقد عالج « لينين » مهمة وواجبات النقابات فى ظل المجتمع الجديد . فأضاف بذلك الى الفكر الاشتراكى جديدا ، وهو يضيف هذا الجديد ليثرى به الفكر الاشتراكى ؟ حيث حارب جبهتين رئيسيتين ، واحدة منهما جبهة التروتسكيين ، والثانية ، الاتجاه النقابى .

وقد كانت وجهة نظر تروتسكى هى تحويل النقابات الى مراكز تابعة للدولة واعتبارها مجرد

زوباتوف سرجى فاسيليفتش

١٨٦٤ ـ ١٩١٧

كولونيل فى البوليس القيصرى .. نظم الاشتراكية البوليسية . وحاول أن يؤسس فى موسكو ومدن أخرى نقابات عمالية بوليسية لصرف العمال عن النضال الثورى . عصف المد الثورى فى ١٩٠٥ بالمنظمات التى كان قد انشأها .

●

دانيال دى ليون

١٨٥٢ ـ ١٩١٤

قائد من قادة الحركة العمالية بالولايات المتحدة الامريكية . وزعيم ومفكر لحزب العمال الاشتراكى الامريكى . ناضل ضد انتهازية وخيانة الزعماء النقابيين الامريكيين . مؤسس وواحد من قادة منظمة عمال العالم الصناعيين

---

(٧) يقصد لينين ديكتاتورية البروليتاريا وهو شرط طالب به الشيوعيون اليساريون الالمان .

هيئات انتاجية يكون هدفها الاخير هو تحقيق الكفاية الانتاجية ٠

اما الاتجاه النقابى — السندكالى — وهو اتجاه ينكر دور الحزب السياسى ، فقد كان يرى تبعية كافة الاجهزة الادارية الاقتصادية للنقابات ، وان تركز فى النهاية بين يديها كل ادارة الاقتصاد بما فى ذلك ما اسموه وسائل الحرب ضد بيروقراطية الجهاز الاقتصادى ، وذلك دون أى اشراف فكرى أو تنظيمى من قبل الحزب ٠

وعارض لينين كل هذا الفكر ٠ وأعلن أن أى محاولة من قبل الدولة — وهى دولة ثورية — تجسد مصالح العمال والفلاحين والكادحين الذهنيين لامتصاص النقابات انما ستكون نتيجتها ان تصبح النقابات اجهزة بيروقراطية ، وستفقد المحور الاساسى فى بنائها ، باعتبارها منظمات جماهيريه عامة غير حزبية توحد كل جماهير العمال والموظفين من مختلف المهن على أساس اختيارى وبدون اعتبار للفروق القومية والجنس والدين والعقيدة ٠٠٠ الخ ٠

وتدعم بذلك الخط اللينينى الذى يرى النقابات كمنظمات نضالية للطبقة العاملة ، وهى الطبقه الحاكمة الجديدة بعد ثورة أكتوبر ٠ ولذا فهى تساهم فى بناء الدولة اقتصاديا ، ولكن رغم ذلك — فانه كما اكدت الافكار اللينينية — فان النقابات لم تصبح منظمات حكومية او شبه حكومية ٠

والنقابات — كأجهزة تربوية ، مدرسة للاشتراكية والديمقراطيـة والادارة ، فى ظـل النظـام الجديد ٠ يشترك فى عملها بنشاط أعداد كبيرة من العمال غير المنضمين الى الحزب ، وهى تمارس نشاطها هذا بملء ارادتها ، واقتناعها وثقتها فى النظام الثورى الجديد كمعبر عن مطامحها وآمالها ٠

ومن هنا فان أى اتجاه لجعل النقابات تابعة للحزب او الدولة انما يفقدها طبيعتها الجماهيرية والديمقراطية ، ومن ثم يفقدها قدرتها النضاليه ومقدرتها على تحريك طاقات الجماهير الخلاقة ٠ ولقد رفضت اللينينية بشدة كل فكر تروتسكى وكل فكر يسارى لجعل الدور القيادى للحزب فى حياة النقابات وفى أى منظمات ديمقراطية جماهيرية هى دور الوصى أو الحارس ، أو أن تحل وحدات الحزب ومنظماته محل النقابات ، وانه لخطأ كبير وضار بالثورة وجود أى رقابة عسفية من الدولة أو من الحـزب على التنظيم النقـابى ، فللنقـابات استقلالها وكيانها وشـخصيتها الاعتباريـة ٠ وأكد — « لينين » ضرورة التمسك بالديمقراطية البروليتارية فى النقابات ، وان تختار الجماهير بنفسها زعماءها ، وان يسعى أعضاء الحـزب بنصـحيانهم ومواقفهـم الغير انانية ووعيهـم وبمسكهم بالخلق الثورى لكسب ثقة الجماهير دون ارغـام ودون ممارسـة أى نـوع مـن انواع الضـغط الى كسـب ثقة الجمـاهير كأصـدقاء لهـم ، ومدافعين عن مصـالحهم الاقتصادية ٠ وهذا هو الطريق الوحيد لتحقيق قيادة الحزب للتنظيم النقابى ٠

وأكدت اللينينية انه فى فترة البناء الاشتراكى ، فان تصور البعض ان وظيفة النقابات كمدافعة عن مصالح العمال قد انتهت ، هو تصور خاطىء ذلك ان مصالح العمال والمستخدمين ، مثلا — قد تضار بسبب تصرفات خاطئة من جانب بعض المديرين أو الاجهزة الادارية التى تخرق القانون الاشتراكى ، وعندئذ تتصدى النقابات للعمل من اجل حماية حقوق اعضـائها ٠ والى جانب ذلك ستجد وظائف النقابات العادية مستمرة ، ولكن فى ظروف جديدة ٠ فهى المشرف على التـأمين الاجتماعى ، وعلى العلاج ، والمنظم لاوقات الفراغ والعطلات والاسكان ، وهى تشارك فى حـل منازعات العمل ، وتنظم النشاط الثقافى والتربوى لاعضائها ٠ والتنظيم النقابى يقوم بوضع سياسة الاجور وتحديد معدلاتها والحوافز المادية وهو الذى يقوم بتوقيع اتفاقيات العمل الجمـاعى — التى نظمها القانون الصادر فى ٢ يوليو ١٩١٨ — وهو الذى يحدد نظام الاستخدام والفصل وساعات العمل والاجور والمعايير المرسومة للمنتج والتزام الادارة والنقابة بانجاز الخطة المرسومة وتطوير المنافسة الاشتراكية والتدريب وتحسين مهـارة العمال والتكنيكيين والمهندسين وموظفى المكاتب ونظام العمل وحمايته ٠

ولقد حدد « لينين » هذه المهام للطبقة العاملة وتنظيماتها بعد الثورة فى العديد من كتاباته ٠ قال « لينين » فى ١٧ ديسمبر ١٩١٧ محددا مهام لجان المصانع والنقابات :

« ويجب مكافحة الوهم الزاعم أن البرجوازية وحدها قادرة على حكم الدولة ، يجب علـى البروليتاريا ان تضطلع بمهمة ادارة الدولة ٠ »

« ان الرأسماليين يبذلون قصارى لعرقلة تنفيذ مهمات الطبقة العامله فعلى جميع المنظمـات العمالية — النقابات ، ولجان المصانع ، الخ — أن تخوض نضالا حاسما فى الميدان الاقتصادى ٠ أن البرجوازية تفسد كل شىء ، تخرب كل شىء قصد تقويض الثورة العمالية ٠ أن مهمات تنظيم الانتاج منوطة بكليتها بالطبقة العاملة ٠ فلنقلع دفعة واحدة والى الابد عن الوهم الزاعم أن شئون الدولة

جوهوليون

١٨٧٩ ــ ١٩٥٤

من زعماء الجناح الانتهازى فى الحـركة النقابية الفرنسية والعالمية .

●

هندرسون ارثر

١٨٦٣ ــ ١٩٣٥

زعيم من زعماء حزب العمال البريطانيين اليمينيين . اشترك عدة مرات فى الحـكومة البريطانية .

وادارة البنوك والمصانع مهمة ليست فى متناول العمال ولكن كل ذلك لا يمكن تحقيقه الا بعمل تنظيمى هائل ، دائب متواصل » .

« **فمن الضرورى تنظيم مبادلة المنتجات ، وجعل الحساب والرقابة منتظمين** ، وتلك هى مهام الطبقة العاملة ، أما المعارف اللازمة لتادية هذه المهام فقد **اعطتها آياها حياة المعامل والمصانع » .**

« **فلتشعر كل لجنة مصنع بانها مجندة ، لا لشئون مصنعها وحسب ، بل أيضا بوصفها خلية منظمة لانشاء كل حياة الدولة » [٨] .**

وكتب عن دور العمال والتنظيم النقابى فى زياده الانتاجية وتنظيم العمل فى تقريره عن المهـام العاجلة للحكومة السوفيتية :

« **فى كل ثورة اشتراكية ، وبعد أن تحل البروليتاريا قضية الاستيلاء على السلطة ، وبعد الانتهاء من انجـاز مهمة تجريد الملاك السابقين** وسحق مقاومتهم ، فان المهمة الرئيسية التى تصبح **فى الصدارة بالضرورة هى خلق نظام اجتماعى متفوق على الرأسمالية آى زيادة انتاجية العمل . وفى هذا الخصوص (ولتحقيق هذا الغرض) لابد من ضمان تنظيم جيد للعمل » (٩) .**

ورأى « لينين » أن زيادة انتاجية العمل تتطلب :

أولا : توفير القواعد المادية للصناعة الكبيرة بتطوير انتاج الوقود والحديد والصناعات الهندسية والكيماتية .

ثانيا : رفع المستوى التعليمى والثقافى لجماهير الشـعب .

ثالثا : رفع مستوى النظام لدى الشعب العامل .

كما أوضـح « لينيـن » أن انتصـار الاشتراكية : « لا يمكن تحقيقه الا **بانتصار النظام البروليتارى الواعى على تلقائية البورجوازية الصغيرة الفوضوية . ولتحقيق ذلك أصدر مؤتمر جميع نقابات روسيا تعليمات عن ضبط العمل** » .

ومن أجل ذلك طالب لينين بضرورة تطبيق نظام العمل بالقطعة ، واختباره فى التطبيق والاخذ بكل ما هو علمى وتقدمى فى نظام « تايلور » وربط الاجر بالانتاج ، أو بكمية العمل المبذولة .

وزيادة انتاجية العمل ــ تطلبت درجة عالية من النظام والضبط والربط بثوريين فى العمل . ولقد قام لينين بجهد فكرى كبير لتوضيح ذلك ، وسنقدم بعض الامثلة من هذا الجهد الفكرى :

ففى خطابه فى مؤتمر قوميسيرات العمل فى ٢٢ مايو ١٩١٨ يقول : « ليس فى امكاننا أن نقاتل ضد **الجوع والازمة التى تقترب الا ببناء نظام حديدى للعمال الواعين سياسيا** ، بدونه لن نتمكن من فعل شىء » (١٠) .

ويقول فى نفس الخطاب : « **أيها الرفـاق قوميسيرات العمل** ، استفيدوا من كل اجتماع **تعقدونه فى أى مصنع** ، من أحاديثكم مع وفود العمال ، **استفيدوا من كل فرصة لشرح الوضع ، وذلك حتى يعلم العمال أننا مواجهون أما بالدمار أو بالنظام الذاتى ، بالتنظيم وبامكانية الدفاع عن** أنفسنا . **عرفوهم أننا مهددون بعودة كورنيلوف روسى أو المانى أو يابانى »** .

وقال لينين فى خطاب فى المؤتمر الاول للمجالس الاقتصادية : « أننا يجب أن نقيم **كياننا الاقتصادى**

---

(٨) المختارات ــ المجلد (٢) الجزء (٢) ص ٦١ الطبعة العربية .

(٩) المختارات ــ الجـزء الثانى . ص ٦١ الطبعـة الانجليزية ــ موسكو .

(١٠) المختارات المجلد (٢) ص ٧٧٦ الطبعة الانجليزية ــ موسكو .

خلال عملية العمل ذاتها ، مجربين للنظم المتنوعة • مراقبين لعملها ، مختبرين أياها بالخبرة الجماعية العامة للشعب العامل ، وفوق ذلك كله بنتائج العمل • يجب أن نفعل ذلك خلال عملية العمل ذاتها ، وأكثر من ذلك في وضع النضال المستميت والمقاومة العنيفة للمستغلين ، والذين أصبحوا أكثر عنفا كلما أقتربنا من وقت التخلص من آخر ناب ردىء للاستغلال الرأسمالي • ومن المفهوم أنه لو كان علينا ان نغير النماذج واللوائح واجهزة الادارة في مختلف فروع الاقتصاد القومي مرات عديدة خلال فترة زمنية قصيرة فليس هناك أدنى أساس للتشاؤم في هذه الظروف ، على الرغم من أن ذلك يقدم أرضية ملائمة للتشهير سيء النية من جانب البورجوازية والمستغلين ، الذين يؤذى ذلك مشاعرهم •• »

ويقول لينين في نفس الخطاب : « نحن نعلم ان التنظيم وهو المهمة الاساسية والرئيسية للسوفيتات سيتطلب بالضرورة عددا كبيرا من التجارب ، عددا كبيرا من الخطوات ، عددا كبيرا من التغييرات : عددا كبيرا من الصعاب ، خاصة فيما يتعلق بمسألة كيفية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، ذلك اننا لا نملك خبرة في هذا ، وهنا علينا ان نخطو كل خطوة بانفسنا ، وبقدر ما تزيد خطورة الاخطاء التي نرتكبها في هذا الطريق بقدر ما سيزداد اليقين انه مع كل زيادة في عضوية النقابات ومع كل ألف جديد من الاعضاء ومع كل عشرة الاف آخرين يأتون من معسكر الشعب العامل والمستغلين الذين كانوا يعيشون من قبل مذعنين لحكم التقاليد والعادة يأتون الى معسكر بناه المنظمات السوفيتية ، فان عدد الناس الذين سيوفون بما تتطلبه المهام من احتياجات والذين سيقومون بتنظيم العمل على اسس سليمة سيزداد » •

وحدد « لينين » كذلك واجبا هاما للنقابات في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وهو أن تهتم النقابات بالاخصائيين ـ المهندسين والعلميين والتكنيكيين القدامى ، وحتى ولو كانوا معادين للاشتراكية ـ وطالبهم ان يحافظوا عليهم « كحبات عيونهم » • واعتبر هيئات الحزب والنقابات مسئولة عن الحفاظ عليهم في المقام الاول » •

وفي موضع آخر كتب لينين : « لا يستحق اسم شيوعي الا ذاك الذى يفهم انه لا يمكن انشاء او تطبيق الاشتراكية دون التعلم على يد منظمى التروستات • ونحن حزب البروليتاريا لا نستطيع ان ناخذ من اى مكان كان فن تنظيم الانتاج الكبير جدا على غرار التروستات ، وعلى التروستات ـ من اى مكان كان الا اذا اخذنا من اكفأ اختصاصيي الرأسمالية » (١١)

ولقد كان لينين واضحا فى صياغته لفكره عن النقابات ومهامها ودورها فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية • ويهمنا هنا أن نختتم مقالنا هذا بهذه الفقرة من كتابه :

مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية

« ان الرأسمالية تترك للاشتراكية ، ولا مناص ، ميراثا هو من جهة الفوارق القديمة المهنية والحرفية الناشئة خلال القرون بين العمال ، ومن جهة اخرى ، النقابات التى لايمكنها أن تتطور ولن تتطور الا بشكل بطيء جدا ، خلال سنوات طوال ، الى نقابات انتاجية اكثر اتساعا وأقل نسبها بالنسبة لطوائف الحرفيين والحرف والمهن وحدها ، ثم بعد ذلك ، وعن طريق هذه النقابات الانتاجية يجرى الانتقال الى القضاء على تقسيم العمل بين الافراد وتربية الافراد وتعليمهم وتدريبهم ليكونوا متطورين من جميع النواحى ومتعلمين من جميع النواحى ، وباستطاعتهم عمل كل شيء ان الشيوعية تسير نحو هذا الهدف ، ويجب ان تسير نحوه ، وهى ستدركه ، ولكن فقط بعد سنوات طوال ، ان من يحاول ان يتوصل عمليا الى النتائج التى تعود بها فى المستقبل شيوعية متطورة للغاية ، وطيدة

فردريك ونسلوتايلور
١٨٥٦ ـ ١٩١٥

مهندس أمريكى مؤسس لنظام ترشيد العمل والذى يعنى الاستفادة القصوى من يوم العمل وفي ظل الرأسمالية . استخدم هذا النظام لزيادة حدة استغلال الشعب العامل .

●

جيورجيفتش كورنيلوف لافر
١٨٧٠ ـ ١٩١٨

جنرال فى الجيش القيصرى ، قاد الفتنة المعادية للثورة الاشتراكية فى ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر وقاد جيش المتطوعين من الحرس الابيض .

---

(١١) المختارات الجزء ٣ ، لينين عن النقابات والاخصائيين ص٧١٤ ـ ٧١٥ ـ الطبعة الانجليزية ـ موسكو

ومستقرة تماما ، شيوعية واسعة وناضجة تماما ، لهو كمثل من يحاول تعليم الرياضيات العالية لطفل في الرابعة من العمر .

« ان بامكاننا (ويجب علينا) ان نبدا بناء الاشتراكيه ، ولكن لا بمواد وهمية ، ولا بمواد بشريه نوجدها نحن خصيصا ، بل بتلك المواد التى آورثتنا اياها الراسمالية . حقا ان ذلك « عسير » للغاية ، ولكن اى علاج آخر لهذه المهمة سيكون هزلا لا يستحق حتى الحديث عنه » .

« كانت النقابات فى بدء تطور الرأسمالية تقدما هائلا للطبقة العاملة ، فقد كانت انتقالا من حالة التشتت والعجز عند العمال الى بدء اتحادهم الطبقى . وعندما اخذ يتنامى اعلى اشكال اتحاد البروليتاريين الطبقي ، ونعني حزب البروليتاريا الثوري ، (الذى سوف لا يستحق هذه التسمية الا عندما يربط الزعماء والطبقة والجماهير فى كل واحد متجانس لا يتجزأ) عند ذاك أخذت النقابات تبدي ولا مناص بعض السمات الرجعية ، وشيئا من ضيق الافق الحرفى ، وقدرا من اللامبالاة فى السياسة ومن التحجر .. الخ : لكن تطور البروليتاريا لم يجر ولا كان ممكنا ان يجرى فى اى مكان فى العالم الا عن طريق النقابات ، وعن طريق تفاعلها مع حزب الطبقة العاملة . ان استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية هو خطوة هائلة الى الامام تقطعها البروليتاريا كطبقة ، ولذا يجب على الحزب اكثر من السابق أن يربى النقابات لا بالطريقة القديمة وحدها ، بل وبطريقه جديدة ، وأن يقودها ، وألا ينسى ، الى جانب ذلك ، أن النقابات تبقى وستبقى لزمن مديد « مدرسة للشيوعية ، لابد منها مدرسة أعدادية للبروليتاريا لاجل تحقيق ديكتاتوريتها اتحادا ضروريا للعمال من أجل انتقال ادارة كامل الحياة الاقتصادية فى البلاد انتقالا تدريجيا الى أيدى الطبقة العاملة (لا بعض الحرف) ، وبعد ذلك الى ايدى الكادحين جميعا .

« هناك ، بعض النواحي الرجعية » في النقابات ، حسب المفهوم المذكور أعلاه ، لا مناص منها في عهد ديكتاتورية البروليتاريا . وعدم فهم هذا الامر يعنى عدم فهم بالمرة للظروف الاساسية للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . والخوف من هذه « النواحي الرجعية » ومحاولة اجتنابها وتخطيها هو حماقة كبرى ، لان ذلك يعنى الخوف من ذلك الدور الذى يقع على عاتق الطليعة البروليتارية ، والذى يتضمن تعليم وتثقيف الفئات الاكثر تأخرا ، والجماهير من الطبقة العاملة والفلاحين ، وتربيتها وجذبها الى الحياة الجديدة » (١٢) .

■■■■■

لينين .. والفلاحون

ميشيل كامل





« لينين » النضال فى أكثر من جبهة ، وكانت أهم المعارك التى خاضها هى تلك التى شنها ضد الاتجاهات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة داخل صفوف القوى

(١٢)المختارات المجلد (٣) الجزء (١) ص ٤٩٦ ـ ص ٥٠١ الطبعة العربية ـ موسكو .

الثورية وتنظيماتها السياسية .. « **البرودنية** » و « **البلانكية** » و « **البرنشتينية** » و « **القيادات الفوضوية** » ، ضد « الاشتراكيين الشعبيين » و « الاشتراكيين الثوريين » و « المنشفيك » ، ودعاة الوفاق الطبقي من الاشتراكيين الديمقراطيين انصار الدولية الثانية . وقد ذكر لينين ان الماركسية لم تتوطد وتتدعم دفعة واحدة، بل اثر نضال طويل النفس ضد جميع انواع المذاهب المتأخرة ، وخاصة ضد اشتراكية البورجوازية الصغيرة والنظريات الاختيارية المختلطة التوفيقية .. حتى انه كتب في مقاله عن « **اشتراكية بورجوازية صغيرة ، واشتراكية بروليتارية** » ، عام ١٩٠٥ يقول « **ان كل تاريخ الفكر الثوري الروسي في غضون ربع القرن الاخير هو تاريخ نضال الماركسية ضد الاشتراكية الشعبية البورجوازية الصغيرة** » [١]

ومن خلال هذا الصراع قام « لينين » بتطوير النظرية الماركسية في ميدان الزراعة ، واستنادا الى دراسة دقيقة متعمقة لواقع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في روسيا ، أرسى قاعدة راسخة للفكر الثوري مازالت حتى يومنا هذا مرشدا للعمل للقوى الاشتراكية بين الفلاحين .

تحالف العمال الفلاحين

كان « لينين » اول من دعا الى اقامة تحالف ثوري بين العمال والفلاحين ، كأساس لاسقاط القيصرية والتخلص من سيطرة الاقطاع والرأسمالية . كما أوضح طبيعة الثورة البورجوازية الديمقراطية في تمايز مع الثورة الاشتراكية ، وحدد القوى الاساسية والحليفة والقوى المستهدف تحييدها ثم كسبها في الثورتين وأكد على دور الطبقة العاملة القيادي في مواجهة القائلين بأن تقوم البورجوازية بالدور الرئيسي في الثورة الاولى وأن تترك لها مقاليد الحكم .

وبعد انتصار الثورة البورجوازية الديمقراطية مباشرة ، حث لينين العمال على الاعداد للمرحلة التالية من الثورة .. المرحلة الاشتراكية ، ودافع عن حق الفلاحين في الاستيلاء على الارض فورا ، بل ودعاهم الى ذلك باعتباره السبيل الوحيد لحل المشكلة بطريقة ثورية ، ورفع شعار « **كل الحكم والسلطة للسوفييت** » . وكانت كل قرارات الحزب معتمدة على فكرة « لينين » القائلة بأن الشرط الاساسي لانتصار الثورة الاشتراكية هو التحالف بين الطبقة العاملة وبين الفلاحين المعدمين . وحدد « لينين القاعدة السياسية لتنظيم السلطة والخطوات العملية الاولى التي يجب على « ديكتاتورية البروليتاريا » ان تقوم بها، كما عالج مشكلات التطبيق العملي لبرنامج الاصلاح الزراعي بمرونة وحكمة عكست قدرته الخارقة على القيادة السياسية وربط النظرية بالتطبيق [٢] ، وصاغ الاسس النظرية لسياسة الحزب في فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وقاد عمليات بناء وتنظيم الاقتصاد الاشتراكي .

وفي العقدين الاخيرين من القرن الماضي ومستهل القرن الحالي ، كانت تسود نظريات وتيارات انتهازية « كالاقتصادية » والاشتراكيون الثوريون والشعبيون ، تنكر سيطرة الرأسمالية في روسيا وترفض الدور الطليعي للعمال الصناعيين والحزب القيادي وأهمية النظرية الثورية وتنتقص من أهمية الثورة السياسية وتدعو الى القيام بانقلاب اشتراكي مباشرة دون المرور عبر مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية وعلى أساس من المشاعة الفلاحية والزراعة الصغيرة ، كانوا يعتقدون ان رجل المستقبل في روسيا هو « **الموجيك** » [الفلاح] . و « **يرى الشعبي أن حركة الفلاحين هي حركة اشتراكية حقا واشتراكية مباشرة** » [٣] ، بينما يؤكد لينين « **أن رجل المستقبل في روسيا هو العامل** » .

ويقول : « **أما الماركسي فانه يرى أن حركة الفلاحين ليست حركة اشتراكية ، انما هي بالضبط حركة ديمقراطية . فهي في روسيا كما كان شأنها في سائر البلدان ، الرفيق الملازم للثورة الديمقراطية التي هي ثورة بورجوازية من حيث مضمونها الاجتماعي والاقتصادي . وحركة الفلاحين هذه ليست موجهة ضد اسس النظام البورجوازي ، ضد الاقتصاد السلعي ، ضد رأس المال ، بل هي موجهة بالعكس ضد العلاقات القديمة قبل الرأسمالية ، ضد العلاقات الاقطاعية في الريف ، وضد الملكية العقارية الكبيرة ، التي هي السند الرئيسي لجميع بقايا الاقطاعية . ولهذا لن يؤدي انتصار هذه الحركة القائمة الى محو الرأسمالية ، بل انه سيخلق**

---

(١) المؤلفات — المجلد ١٢ — اشتراكية بورجوازية صغيرة — اشتراكية بروليتارية .
(٢) كان هذا التحديد بل والتقرير النظري الهام ممثلا في كتاب « الدولة والثورة » و « هل يستطيع البولشفيك الحصول على الحكم ؟ » .
(٣) اشتراكية بورجوازية صغيرة واشتراكية بروليتارية — المؤلفات المجلد ١٢ .

البرودونية

نسبة الى « جوزيف برودون » [١٨٠٩ — ١٨٦٥] وهو اقتصادى فرنسى يعتبر أحد مؤسسى الفوضوية .

وقد انتقد برودون الملكية الرأسمالية الكبيرة ولكن بنظرة بورجوازية صغيرة ، فقد حلم بتخليد الملكية الخاصة الصغيرة .

وقد اقترح برودون تنظيم بنك شعبى وبنك للمقايضة يستطيع العمال بمساعدتهما على حد زعمه الحصول على وسائل الانتاج الخاصة ليصبحوا حرفيين ويؤمنوا تصريف منتجاتهم بطريقة عادلة .

ولم يدرك برودون دور البروليتاريا التاريخى ، كما أنكر نظرية ماركس عن النضال الطبقى والثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا . كما أنكر برودون ضرورة الدولة على أساس نظرة فوضوية .

وقد ناضل ماركس وانجلز بدأب ضد آراء وافكار برودون ومحاولاته لفرض آرائه على الاممية الاولى ، وتعرضت البرودونية لنقد مرير فى مؤلف ماركس « بؤس الفلسفة » وانتهى النضال الذى خاضه ماركس وانجلز وانصارهما ضد البرودونية — بانتصار الماركسية فى صفوف الاممية الاولى .

وقد وصف لينين البرودونية بانها بلادة ذهن البروجوازى الصغير التافه الضيق الافق العاجز عن تبنى وجهة نظر الطبقة العاملة .

بالعكس مجالا أرحب لتطور الرأسمالية ، انه سيعجل ويزيد من التطور الرأسمالى **الخاص » (٤) .**

قيادة حركة التحرر الديمقراطى

ويؤكد « لينين » أن حركة التحرر الديمقراطى، رغم أنها بورجوازية من ناحية محتواها الاقتصادى والاجتماعى فهى ليست بالضرورة بورجوازية من ناحية قيادتها « **فمن الممكن أن تكون قواها المحركة لا البورجوازية بل البروليتاريا والفلاحين** [٥] وكان يعزو وقوع الغالبية العظمى من الفلاحين تحت تأثير الاحزاب البورجوازية الرجعية الى الافتقار لقيادة الطبقة العاملة ، ويدعو الى تكوين « **منظمة خاصة للعمال الاجراء تشن نضالا طبقيا دائبا منسجما الى النهاية ، هى فقط القادرة على انتزاع الفلاح من تأثير البورجوازية . وأن توضح له أن وضع المنتجين الصغار لا مخرج منه فى المجتمع الرأسمالى .. فقط البروليتاريا الصناعية فى المدن تستطيع بقيادة الحزب الشيوعى ، أن تحرر الجماهير الكادحة فى الارياف من نير الرأسمالى ، والملكية العقارية الكبيرة ... وليس ثمة من خلاص للجماهير الكادحة فى الارياف الا بالتحالف مع البروليتاريا** [٦]

وينبه « لينين » الاذهان الى خطورة تولى البورجوازية قيادة الثورة الديمقراطية ، فهذه الطبقة تدرك أن الانتصار الكامل للثورة وتحقيق الحريات الديمقراطية على نطاق واسع يشكل خطرا على مصالحها ، لان البروليتاريا سوف تستخدم الحرية سلاحا فى صراعها الطبقى ضد البورجوازية . ولذلك فان الاخيرة تميل الى اجهاض الثورة البورجوازية فى منتصف الطريق وتتجه الى المساومة مع السلطات القديمة ، تتهادن مع الملاك الاقطاعيين بهدف كبح جماح الانطلاقة الثورية الى آفاق تهدد مصالحها .

وهكذا يكتب « لينين » قائلا أن : « البورجوازية **عاجزة عن المضى بالثورة الديمقراطية الى النهاية فى حين أن الفلاحين قادرون على ذلك . وينبغى لنا أن نساعدهم بكل قوانا** » [٧] . ومن ثم فانه « **يستحيل على الحركة الديمقراطية البورجوازية احراز الانتصار التام ، الا رغم أنف البورجوازية الليبرالية التوفيقية ، الا اذا سارت جماهير الفلاحين الديمقراطية وراء البروليتاريا فى النضال من أجل الحرية المطلقة ومن أجل تسليم الفلاحين كل الارض** » [٨]

وينتقد « لينين » بشدة النظرة القائلة بأن مدى الثورة سيتقلص بانصراف البورجوازية عنها ، ويرى على النقيض من ذلك أن الثورة لن تبلغ أوسع آفاقها الديمقراطية الا حين تنفض البورجوازية عنها ، وعندما يضطلع الفلاحون ، جنبا الى جنب مع العمال ، بدورهم الثورى النشط . وانه « **لكى تمضى ثورتنا الديمقراطية الى النهاية بانسجام ودون تخاذل ، ينبغى لها أن تعتمد على قوى قادرة على شل تذبذب البورجوازية المحتوم** » . وهو يدعو الى البروليتاريا الى القيام بالانقلاب الديمقراطى الى النهاية بأن « **تضم اليها جماهير الفلاحين ، لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة ولشل تذبذب البورجوازية .. شل تذبذب الفلاحين والبورجوازية الصغيرة** » [٩]

هذا من جانب ، ومن الجانب الاخر يرى « لينين » أن العمال الصناعيين لن يتمكنوا من

(٤) نفس المصدر .
(٥) المسألة الزراعية وقوى الثورة المؤلفات — المجلد ١٥ .
(٦) الفلاحون والطبقة العاملة المؤلفات المجلد ٢٣ .
(٧) خطتا الاشتراكية الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية المؤلفات المجلد ٩ .
(٨) المسألة الزراعية وقوى الثورة — المؤلفات — المجلد ١٢ .
(٩) خطتا الاشتراكية الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية — المؤلفات المجلد ٩

القيام برسالتهم التاريخية بتحرير الانسان من نير الاستغلال الراسمالي ، اذا ما عزلوا انفسهم في اطار مصالحهم المهنية الضيقة ، وفي نطاق الصراع المباشر مع راس المال . وفي هذا المجال يشير الى انه « **بمثل هذا الجهد الرامي الى هدم المجتمع القديم نصف الاقطاعي هدما ديمقراطيا مطلقا ، بمثل هذا الجهد فقط تستطيع البروليتاريا أن تزداد قوة بوصفها طبقة مستقلة ، تستطيع أن تستخلص المهمات الملقاة على عاتقها ، أي المهمات الاشتراكية من مجمل المهمات الديمقراطية التي تهم كل الشعب المظلوم** » ، **وأن تؤمن لنفسها خير الشروط لخوض نضال حر حقا ، لخوض النضال الاوسع والاعنف في سبيل الظفر بالاشتراكية** » [١٠] .

وهكذا فانه « **ازاء حركة تحرر ديمقراطية بورجوازية لم تكتمل ، لم تبلغ نهايتها ، ترى البروليتاريا نفسها ملزمة بأن تكرس مزيدا من الجهود ، لا في سبيل اهداف بروليتارية ضيقة ، أى اشتراكية ، بل في سبيل مهمات ديمقراطية عامة ، أى ديمقراطية بورجوازية** » [١١]

وهكذا ، فان الطبقة العاملة تجمع بين « **النضال البروليتاري الصرف وبين النضال الفلاحي العام . ولكنه لا ينبغي خلطهما . ينبغي مساندة النضال الديمقراطي العام والنضال الفلاحي العام ، دون الامتزاج بهذا النضال الذي ليس نضالا طبقيا** » اذن ، فرغم تأكيد «لينين» على الدور القيادي للطبقة العاملة للنضال من اجل السير بالثورة البورجوازية الديمقراطية حتى نهايتها ، فقد كان يحذر دائما من الغرق في متاهاتها ، ومن خطر الابتلاع والاحتواء داخلها ، وهو الاتجاه الذي كانت تدعو اليه بعض القوى المعادية للخط اللينيني في روسيا ، بهدف تصفية اداة الثورة وحزبها : « **ينبغي أن نظل حزبا مستقلا بروليتاريا صرفا ، يقود الجماهير الكادحة بثبات وحزم ، نحو هدفها الاشتراكي العظيم** » [١٢]

البورجوازية الصغيرة .. والاشتراكية :

والحق أن القول بتبني البورجوازية الصغيرة للفكر الاشتراكي العلمي وامكانية قيادتها لمرحلة التحول نحو الاشتراكية التي تروج اليوم لدى عدد من المفكرين في بعض البلدان النامية ، ليست ابتكارا جديدا ، بل أمتدادا لافكار سبق ان واجهها لينين وافاض في كشف مغزاها . وكان يتحدث عنها باعتبارها « الهوة المبدئية » التي تفصل بين الاشتراكية الخيالية وبين الماركسية . « فالمفهوم الاول يرى أن حركة الفلاحين هي حركة اشتراكية بينما يقول الثاني بأنها حركة ديمقراطية بورجوازية » [١٣]

كما يؤكد لينين على ضرورة التميز بين المرحلتين او الحربين الاجتماعيين ، اذ يقول « **فقط أولئك الذين يجهلون كل شيء عن الاقتصاد السياسي وعن تاريخ الثورات في العالم كله ، هؤلاء لا يسعهم أن يروا هاتين الحربين الاجتماعيتين المختلفتين المتباينتين . واذا تجاهل المرء حقيقة تباين هاتين الحربين بوساطة هذا التعبير الرخيص دفعة واحدة ، فكأنه طير يخفي رأسه تحت جناحيه ويقلع عن تحليل الواقع** » [١٤]

ورغم تأكيده على ضرورة الجمع بين النضال البروليتاري الخالص وبين النضال الفلاحي العام لكنه ينبه أنه « **لا ينبغي خلطهما** . ينبغي مساندة النضال الديمقراطي العام والنضال الفلاحي العام ، دون الامتزاج بهذا النضال الذي لا يعد نضالا طبقيا ، دون جعله ابدا مثلا أعلى بوساطة تعبيرات تافهة مزيفة كتعبير [جعل الملكية اجتماعية] ، دون أن ننسى أبدا ، ولو للحظة واحدة أن من الضروري تنظيم بروليتاريا المدن والارياف في حزب طبقي ، في حزب الاشتراكية الديمقراطية ، في حزب مستقل تماما » .

ويلقي مزيدا من الاضواء على التمايز مجسدا في الناحية التنظيمية ، اذ يقول « نحن نعتقد أنه يجب الا نكون ثمة لجان **فلاحية اشتراكية** ديمقراطية ، فاذا كانت هذه اللجان اشتراكية ديمقراطية ، **فهذا يعني أنها ليست فلاحية ، فقط ، واذا كانت فلاحية ، فهذا يعني انها ليست بروليتارية خالصة ، ليست اشتراكية ديمقراطية . هناك عدد كبير من الهواة يخلطون بين هاتين المهمتين ، اما نحن فلسنا من عداد هؤلاء الهواة ،** اننا سنجتهد لكي ننظم لجانا لنا ، لجان حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي حيث امكن ذلك [١٥]

---

(١٠) المسودة الاولى للموضوعات المتعلقة بالمسالة الزراعية من اجل المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ــ المؤلفات المجلد ٣١ .
(١١) المسالة الزراعية وقوى الثورة ــ المؤلفات المجلد ١٢ .
(١٢) البرنامج الزراعي للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ المؤلفات المجلد ١٣ .
(١٣) موقف الاشتراكية الديمقراطية من حركة الفلاحين ــ المؤلفات ــ المجلد ١١
(١٤) اشتراكية بورجوازية صغيرة . واشتراكية بروليتارية ــ المؤلفات المجلد ١٢
(١٥) موقف الاشتراكية الديمقراطية من حركة الفلاحين ــ المؤلفات المجلد ١١

البرونشتينية

نسبة الى « ادوار برنشستين » (١٨٥٠ — ١٩٣٢) — أحد زعماء الجناح الانتهازى فى الاشتراكية الديمقراطية الالمانيه فى اواخر القرن التاسع عشر .

وقد شرع برنشتين بعد وفاة انجلز — فى تحريف تعاليم ماركس الثورية ونشر فى المدة من ١٨٩٦ — ١٨٩٨ سلسلة من المقالات بعنوان « قضايا الاشتراكية » — عارض فيها الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا وحتمية الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية — كما سعى الى تحويل الحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى الى حزب برجوازى صغير ينادى بالاصلاحات الاجتماعية

ويعتبر كل من الماركسيين القانونيين والاقتصاديين والبونديين والمناشفة الروس من أنصار برنشتين .

مقومات نجاح الثورة

ان الحلقة الرئيسية فى ارساء مقومات النجاح للثوره ، هى التحديد العلمى السليم للعدو والحليف ، بما لا يسمح بتسرب قوى معادية الى صفوف الثورة ، وفى الوقت نفسه لا يضع القيادة بين أيدى قوى مترددة تعجز عن الاستمرار وتفتقر الى الحسم فى قضية الثورة ، حتى وان كانت هذه القوى من بين حلفاء المعركة .

ومن هنا كانت نقطة البدء لدى لينين هى تحليل الاوضاع الطبقية فى الريف ، للتعرف على وضع وموقف الطبقات والفئات الاجتماعيه المتباينة فى كل من مرحلتى الثورة البورجوازية الديمقراطية والاشتراكية . وقد هاجم بعنف الاتجاه الى تمويع **الفوارق بين الطبقات** وطمس معالم تميزها ، والذى كان سائدا فى ذلك الحين — وما زال حتى يومنا هذا — والقائل بأن العمال والفلاحين .. **الكادحين** .. « يؤلفون طبقة واحدة » . ولذلك اهتم لينين بصفة خاصة بتعريف الطبقات تعريفا علميا محددا . فهذه التعريفات ليست تاكتيكية عرضة للتغيير بين حين وآخر ، ولم يكن اهتمامه مقصورا على نقاء التنظيم الحزبى ، بل وايضا التنظيمات الجماهيرية ، فقد ناضل من أجل التنظيم المستقل للفلاحين الفقراء ، وفضح اتحاد « المير » [المشاعة الفلاحية] لان أثرياء الريف كانوا أعضاء فى هذه المشاعة ويسيطرون عليها بحكم وزنهم وقوتهم فى المجال الاقتصادى والاجتماعى . فجاء لينين ليندد بهذا التنظيم قائلا « نريد اتحادا من أجل النضال ضد الاغنياء، ولذا كان الاتحاد المشاعى لا يصلح لنا على الاطلاق » . وقد دعا الى تكوين اتحاد لا يضم غير العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء « من أجل النضال ضد جميع الذين يعيشون على عمل الغير » .. ومن هنا ايضا كانت الدعوة الى تكوين « اللجان الفلاحية الثورية » التى تشكلت فعلا وتم تحويلها بعد نجاح الثورة الى سوفييتات ريفيفة .. الى مؤسسات للسلطة .

وقد حدد لينين طبقات المجتمع الريفى التى يمكن كسبها الى صفوف الثورة ، رغم تباين مواقعها من العملية الثورية فيما يلى :

اولا : البروليتاريا الزراعية ، اى العمال الاجراء . وقد دعا الى تنظيمهم تنظيما مستقلا ومتميزا بالنسبة لسائر فئات سكان الريف .

ثانيا : انصاف البروليتاريا ، أو « الفلاحين جزئيا » ، وهم الذين يحصلون على قسط من أسباب المعيشة من القيام بالعمل المأجور فى المشروعات الراسمالية الزراعية والصناعية وعلى القسم الاخر من مقومات الحياة من استثمار قطعة أرض يمتلكونها أو يستأجرونها ولكنها لا تفى بحاجتهم من المواد الغذائية الضرورية .

ثالثا : انصاف البروليتاريا ، او « الفلاحين الذين يملكون أو يستأجرون قطع ارض صغيرة، ويسعون الى سد حاجات اسرهم دون ان يلجأوا الى بيع قوه عملهم . وقد أوضح لينين أن هؤلاء أيضا يمكن كسبهم الى جانب الثورة الاشتراكية، الا أن المساندة الحقيقية من جانبهم لا تأتى الا بعد الثورة ، وبعد أن يتبينوا عمليا مصلحتهم فى الارتباط بها . ورغم تأرجح هذه الطبقة فى مرحلة الانتقال خاصة بحكم عادات الملكية ونتيجة لتراث التشكك من السلطة ، الا أن هذا لا يغير من موقفها الى جانب البروليتاريا .

البلانكية

نسبة الى « لويس اوجست بلانكى » (١٨٠٥ — ١٨٨١) — وهو ثورى فرنسى كبير من ممثلى الشيوعية الطوباوية [الخيالية] البارزين .

وقد راس بلانكى عددا من الجمعيات السريه الثورية وعمل على الاستيلاء على السلطة بوساطة جماعة صغيرة من الثوريين المتآمرين ، ولم يدرك الدور الفاصل لتنظيم الجماهير بهدف النضال الثورى .

ويرى البلانكيون أن تحرير الانسان من عبودية العمل المأجور يمكن أن تتم عن طريق مؤامرة يقوم بها عدد محدود من المثقفين ويرفضون تماما طريق الصراع الطبقى للبروليتاريا .

وقد كانت خدمات بلانكى الثورية محل تقدير من جانب ماركس وانجلز ولينين ولكنهم فى نفس الوقت وجهوا اشد النقد لاخطائه وانعزاليته وخطته التآمريه .

هذه الفئات الثلاث ، التى تؤلف فى مجموعها الاكثرية الساحقة لسكان الريف ، تضمن نجاح الثورة الاشتراكية فى الريف كما هو الحال فى المدن ، طالما نظمت وعبئت وعزلت عن نفوذ البورجوازية .

رابعا : الفلاحون المتوسطون ، والمقصود بهم من الناحية الاقتصادية الزراع الصغار الذين يستثمرون بالملكية او الايجار قطعا من الارض ، تؤمن لهم حاجات اسرهم ، وتتيح لهم **احيانا** ، وفى ظل النظام الراسمالى ، امكانية ادخار فائض يمكن ان يتحول الى راسمال فى سنوات الرخاء وهم لا يلجأون الى استخدام الايدى العاملة المأجورة الا فيما ندر ، الا ان القاعدة العامة فى الفلاح المتوسط انه لا يستثمر عمل الاخرين ، بل يشتغل بنفسه مع اسرته فى ارضه ويعيش من كدحه .

« وجميع الفلاحين المتوسطين يرغبون فى الارتفاع الى مستوى المستثمرين .. ولكن قليلين منهم يبلغون هذا الهدف » .. وهم بحكم وضعهم البيئى هذا ، فى الوسط بين اثرياء الفلاحين والبروليتاريا،« عندما يحتدم النضال بين الاغنياء والفقراء ، بين الملاك والعمال ، يقف الفلاح المتوسط فى الوسط ولا يعرف الى أى جانب يقف فالاغنياء يجذبونه الى جانبهم قائلين له : الست مستثمرا ، الست مالكا ؟ ليس لك ما تفعله بين العمال المعوزين . أما العمال فانهم يقولون له ان الاغنياء سيخدعونك ويسلبونك ، وليس ثمة أى خلاص لك الا بمساعدتنا فى النضال ضد جميع الاغنياء » [١٦]

خامسا : كبار المزارعين أرباب عمل رأسماليون ، يستخدمون الاجراء ، « ولكن حتى مصادرة أملاك الفلاحين الكبار لا يمكن لها ابدا ان تكون المهمة المباشرة الموضوعة امام البروليتاريا الظافرة ، لان الشروط المادية ، وبالاخص التكنيكية بل والاجتماعية ايضا من أجل جعل هذه الاستثمارات الريفية استثمارات اجتماعية لم تتوافر بعد » [١٧] ولذلك فلم تنتزع ملكيتهم مباشرة ، بل انصب عمل الحزب على النضال من أجل الحد من تأثيرهم الفكرى والسياسى على الفلاحين .

الموقف من القوى الاجتماعية

كان الموقف من الفلاح المتوسط من القضايا المعقدة فى أعقاب الثورة ، فقد تجاذبتها الاتجاهات اليسارية واليمينية ، وهنا برز نبوغ « لينين » ونظرته الواقعية والبساطة المعجزه فى طرح القضايا والحلول . كان يشرح وضعهم وطبيعتهم وموقفهم المتردد ، ثم يحدد الموقف منهم بقوله « ان واجب الحكومة الاشتراكية فيما يتعلق بالفلاحين المتوسطين هو أن تنتهج سياسة قوامها التفاهم » [١٨] و « ان مهمة التاثير على المترددين ليست مماثلة لمهمة القضاء على المستغل والتغلب على العدو النشط .. ومن الاهمية بمكان ان نعرف كيف تجد مجالا للتفاهم مع الفلاح المتوسط ، دون أن نقلع لحظة عن النضال ضد الكولاكى » [١٩] ، و « أن السلطة السوفيتية لم تشن عليهم ابدا الحرب ، لم تشنها عليهم فى أى ميدان من الميادين ، وكل الاعمال والتصرفات المغايرة لهذا الخط تستحق اعنف اللوم ، وينبغى وضع حد لها » [١٩] .

الكولخوز

شكل للمؤسسة الزراعية التى قامت فى الاتحاد السوفييتى فى الاعوام التالية لنجاح ثورة اكتوبر لنقل الانتاج الفلاحى الصغير الى الانتاج التعاونى الكبير .

ويقوم الكولخوز على أساس الانضمام الاختيارى من جانب الفلاحين — والملكية التعاونية لوسائل الانتاج والعمل الجماعى لاعضائها .

وقد بدأ تحول الفلاحين الجماهيرى الى انشاء الكلخوزات فى عام ١٩٢٩ نتيجة اقتناع الفلاحين بافضلية الاقتصاد الجماعى على الاقتصاد الفردى الصغير — خاصة عندما بدأ امداد الكلخوزات بالالات الحديثة والجرارات .

وللكلخوز لائحة — تحدد اهدافه ومهامه ونظام استغلال الاراضى وسائر وسائل الانتاج الموضوعة تحت تصرفه ، كما تحدد اللائحة كيفية توزيع الدخل لتلبية الاحتياجات الشخصية لاعضاء الكولخوز حسب كمية ونوع العمل الذى قام به كل عضو ، كما تحدد اللائحة اختصاص الهيئات المنتخبة والاشخاص المعينين — ويخصص لكل عائلة قطعة صغيرة تستغل فى الانتاج الشخصى لاشباع احتياجاتها .

ويدار الكولخوز على اسس ديمقراطية — حيث تنتخب الجمعية العمومية لاعضاء الكولخوز هيئة لادارة شئونه ولجنة للرقابة تشرف على حساباته .

(١٦) الى الفلاحين الفقراء المؤلفات مجلد ٦
(١٧) المسودة الاولى للموضوعات المتعلقة بالمسالة الزراعية المؤلفات المجلد ٣١ .
(١٨) لجان الفلاحين الفقراء . المؤلفات المجلد ٢٨ .
(١٩) من خطاب امام مندوبى لجان الفلاحين الفقراء فى منطقة موسكو — المؤلفات — المجلد ٢٨ .

وقد طالب « لينين » الحزب بالعمل على « تحييد » هذه الفئة فى المراحل الاولى للثورة ، ثم كسبها الى جانب الثورة ، لانها تستطيع الاسهام فى نفس المعركة ولا مصلحة لها فى الاستغلال . ومن ثم قامت سياسة الحزب ازاء الفلاحين المتوسطين على اشراكهم باضطراد ودأب فى عملية البناء الاشتراكى .

كان « لينين » يرى أن الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكى يقتضى التملك الجماعى للارض والتعاون فى زراعتها ، وان تقوم مؤسسات الدولة والمؤسسات الاجتماعية ثم الكوميونات والتعاونيات الزراعية ، بادارة استثمارات كبيرة ومشروعات واسعة لتجنب تمزيق الملكية وتفتيتها. وكتب « لينين » يقول « **يجب على حزب البروليتاريا أن يوضح أن الاستثمار الصغير فى ظل نظام الانتاج السلعى لا يستطيع تحرير الانسانية مما تعانيه الجماهير من بؤس وظلم** » [٢٠] .

وبعد الثورة كان هناك برنامجان مطروحان للتطبيق . برنامج **الحزب البلشفى** ثم برنامج **المناشفة والاشتراكيين الثوريين** ، تحت شعار « جعل الارض ملكية اجتماعية » ، ويتضمن الغاء الملكية الخاصة للارض وتوزيعها بالتساوى على الفلاحين . وكان الحزب البلشفى فى السلطة يستطيع فرض وجهة نظره ، خاصة وانه طالما هاجم هذا القانون بعنف وأدانه باعتباره عقبة فى طريق التطور نحو الاشتراكية . ولكن لينين دعا الحزب الى التصويت على البرنامج الثانى واقر برنامج « **جعل الارض ملكية اجتماعية** » ... فلماذا ؟

أن التعرف على حقيقة هذا الموقف ، بجانب انه يكشف عن حكمة لينين واصالته الثورية ، فهو درس فى مبدأية التصرف والموقف والمحتوى الديمقراطى العميق للمنهج الماركسى .

لقد قال « لينين » فى تفسير هذا الموقف « **نحن البلاشفة كنا خصوم هذا القانون ، ولكننا وافقنا عليه مع ذلك . لاننا لم نكن نريد معارضة أغلبية الفلاحين فان ارادة الاغلبية مقدسة دائما من وجهة نظرنا ، ومعارضة هذه الارادة انما تعنى خيانة للثورة** » [٢١]

يقول لينين « **ان جماهير الفلاحين الذين عانوا وطأة الاستثمار اكثر من غيرهم فى ظل الرأسمالية بسبب المركز الذى كانوا يشغلونه فى الاقتصاد هم أشد المتشككين ازاء الانعطافات والانتقالات الحاسمة ..** »

وفى مجال آخر يقول « **كنا نعلم تمام العلم ان الفلاحين يعيشون وكأن اقدامهم مسمرة فى الارض ، يخشون التجديدات ويتمسكون بالتقاليد بعناد . كنا نعلم ان الفلاحين لن يدركوا فائدة هذا التدبير أو ذاك الا اذا توصلوا الى فهمه من تلقاء انفسهم ، ولذا أيدنا توزيع الاراضى ، مع علمنا انه ليس ابدا بحل ..** » ودعا الى ترك الفرصة للفلاحين للتعليم « **بتجربتهم ،بعرق جبينهم** » ولكن ذلك لن يتحقق تلقائيا ، بل « **بقدر ماتقنع الامثلة الملموسة الفلاحين بأفضليات التعاون فى العمل ، وبقدر ما تقنعهم بتجربتهم الذاتية بهذه الافضليات** »

كان يعتقد انه من الضرورى وضع تكتيك لمرحلة طويلة ، قوامها التعاون مع الفلاحين المتوسطين . وأن يكون الدور الاساسى فى انجاز التحول هو الاقناع بالتجربة والممارسة والنموذج الحى ، وهو يؤكد ان « **الفلاح عندما كما هو فى العالم باسره رجل عملى وواقعى ينبغى ان تقدم له أمثلة ملموسة ، تثبت له أن الكوميون هو خير الامور** » [٢٢] . وقد هاجم « لينين » بعنف وقسوة ، أولئك الذين يتسرعون فى اتخاذالقراراتويثرثرون ، ويثيرونالمشاحنات

السوفخوز

السوفخوز هو مؤسسة زراعية كبيرة ، تقوم على اساس ملكية الشعب كله ، اى ملكية الدولة التى تملك وسائل الانتاج ومنتجات السوفخوز .

والسوفخوز هو المؤسسة الاشتراكية القيادية ، فى الريف وعليه أن يضرب المثل للكولخوز فى استخدام الطرق المتقدمة علميا والمفيدة اقتصاديا .

وقد بدأ انشاء السوفخوزات فور انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ولعبت السوفخوزات دورا هاما فى التمهيد لنشر التعاون فى الزراعة ، وابرزت بوضوح تفوق الزراعة الجماعية الآلية الكبيرة ، على الزراعة الفلاحية الصغيرة .

ويحتفظ السوفخوز بجزء من الربح لانفاقه على تطوير الانتاج وتحسين الخدمات الثقافية والمعيشة للعمال والمستخدمين .

ويدار السوفخوز كسائر الهيئات الحكومية على اساس المسئولية الفردية مع الاشتراك الواسع لجماهير العمال والمستخدمين ، وتقوم الهيئات الاقتصادية القيادية بتعيين مدير السوفخوز الذى يوصى بدوره بتعيين نائب المدير وكبار الخبراء الذين يتحملون مسئولية العمل وتنفيذ الخطة الانتاجية فى الفروع التابعة لهم .

---

(٢٠) خطابان امام مندوبى لجان الفلاحين الفقراء فى منطقة موسكو ـ المؤلفات ـ مجلد ٢٨ .
(٢١) نفس المصدر السابق .
(٢٢) نفس المصدر .

قائلا « ان ممثلى السلطة السوفيتية الذين يسمحون لانفسهم باللجوء الى الاكراه لا المباشر فحسب ، بل حتى غير المباشر بقصد ضم الفلاحين الى الكوميونات ، انما يجب ان يتحملوا اشد المسئوليات صرامة ، وينبغى ابعادهم عن العمل فى الريف » [٢٣] لانهم « بدل الاحترام يثيرون السخرية ، وانها لسخرية مشروعة تماما »

وهو يطالب بعد ذلك بتنظيم الكوميونات بصورة مقنعة تكسب معها ثقة الفلاح ، ويقول « نحن من الان وحتى ذلك الحين تلامذة الفلاحين لا معلموهم » [٢٤] .

وفى خطابه بالاجتماع الاول لعامة روسيا ، حول عمل الحزب فى الريف ، أكد انه « لا يمكن ابدا فرض الانتقال الى الاشتراكية بالعنف » ويستطرد « اننا لن نبنى هنا أى شىء بواسطة العنف » .

مصاعب مابعد الثورة

كان « لينين » يردد ان الثورة أمر سهل ، اذا ما قورنت بصعوبات المرحلة التالية عليها ، عند مواصلة السير على الطريق الثورى . كان على الحزب الشيوعى أن يشرع فى بناء أول اقتصاد اشتراكى فى التاريخ فى ظروف شاقة وفى دولة يشكل الفلاحون — وخاصة صغار الملاك — معظم سكانها . وأوضح « لينين » ان البلاشفة قد نجحوا فى اقناع الشعب بصحة برنامجهم ، وانتزعوا روسيا من الاغنياء لصالح الفقراء ، من المستغلين لصالح العمال . وأضاف أن المهمة التالية الحاسمة هى تنظيم الادارة فى البلاد ، وتطوير الاقتصاد الاشتراكى « ان الانتصار الذى احرزته الاشتراكية على الرأسمالية ورسوخ الاشتراكية لا يمكن اعتباره امرا مكتسبا ، الا بعد ان تسحق سلطة الدولة البروليتارية نهائيا كل تعاون منجانب المستثمرين وتضمن الاستقرار الكامل . فتعيد تنظيم الصناعة كلها على اسس الانتاج الجماعى الكبير والتكنيك الحديث [القائم على كهربة الاقتصاد كله] . وهذا ما سيتيح للمدن ان تسدى الى الارياف المتأخرة المشتتة مساعدة هامة تكنيكية واجتماعية من شأنها توفير القاعدة المادية لنمو عائد العمل نموا كبيرا فى زراعة الارض والاقتصاد الزراعى عامة ، وان تحفز صغار الزراع على الانتقال ، لما فيه مصلحتهم الى الزراعة الكبيرة التعاونية وامداده بالآلات » [٢٥] .

ولكن « زيادة الانتاج الزراعى الكبير ،بل الحفاظ عليه ايضا ، يفترضان وجود بروليتاريا ريفية متطورة تماما ، واعية ، ثورية ، متخرجة من مدرسة جادة للتنظيم السياسى والنقابى . وعندما لا يتوافر هذا الشرط ، أو عندما يستحيل الاعتماد على عمال صناعيين واعين واكفاء وتكليفهم بالمهمة بصورة مجدية ، فان المحاولات الرامية الى الاسراع فى انشاء استثمارات زراعية كبيرة تديرها الدولة لا يمكن لها الا ان تسىء الى الحكم البروليتارى .. » [٢٦]

لينين .. واليسار المتطرف

وشن « لينين » حملة ضارية على التيارات اليسارية الخيالية ، اذ كان يرى أن تحويل المزارع الصغير ، وتحويل ذهنيته وعاداته ، أمر ليس باليسير ، ويستغرق وقتا طويلا وجهدا عظيما . وان هذه المسألة لا يمكن ان تحل بالدعاية والاثارة وحدها ، انما تحل فقط بتطوير الاساس المادى والتكنيكى للانتاج باستخدام الجرارات والالات فى الزراعة ، على أوسع نطاق ، بالكهرباء .. بالقدوة والمثل والنموذج الحى .

وقد ووجه « لينين » بهجوم عنيف من جانب اليسار المتطرف ، عندما طرح شعار « الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية » كسياسة قصيرة المدى ، وحينما دعا الى استخدام الاخصائيين البورجوازيين ، تحت اشراف السلطة السوفيتية وعندما توصل الى حل وسط مع النظام التعاونى البورجوازى القديم ، اذ كان يرى ضرورة الابقاء عليه بتنظيماته وموارده ، مع الشروع مباشرة فى اضفاء المضمون الاشتراكى عليه ، عنطريق تخليصه من العوامل المعادية وتوسيع واجباته وامكانياته الاقتصادية والسياسية .

وفى نفس الوقت قام الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية ، بزعامة لينين ، بتطوير الزراعة عن طريق انشاء مزارع مميكنة ضخمة قائمة على أساس الانتاج الجماعى .

وقاد « لينين » حملة توجيه العمال التقدميين الى القرى ، بارسال ممثلى العمال الصناعيين الى الريف ، لادارة ورش صيانة واصلاح الالات

---

(٢٣) نفس المصدر

(٢٤) الفلاحون المتوسطون — قرارالمؤتمر الثامن للحزب الشيوعى المجلد ٣١

(٢٥) المسودة الاولى للموضوعاتالمتعلقة بالمسالة الزراعية — المؤلفاتالمجلد ٤١ .

(٢٦) نفس المصدر .

(٢٧) خصص لها مقالا عنوانه « طنه له الجناح اليسارى وعقلية البورجوازيةالصغيرة » .

الزراعية ، ولقيادة فقراء الريف وتوعيتهم وتنظيمهم لبناء حياة جديدة .

ومن اجل تحـويل الزراعة الى الطـريق الاشـتراكى ، كان لينين يرى أن يتم ذلك عن طريق :

● تنظيم مزارع حكومية [سـوفخوز] فى الاراضى التى يمتلكها الشعب .

● تنظيـم مزارع جمـاعية [كولخوز] على أرض يمتلكها الفلاحون جماعيا ، على أن تقدم لها البروليتاريا كل المساعدات المادية والتنظيمية والمالية لتطويرها .

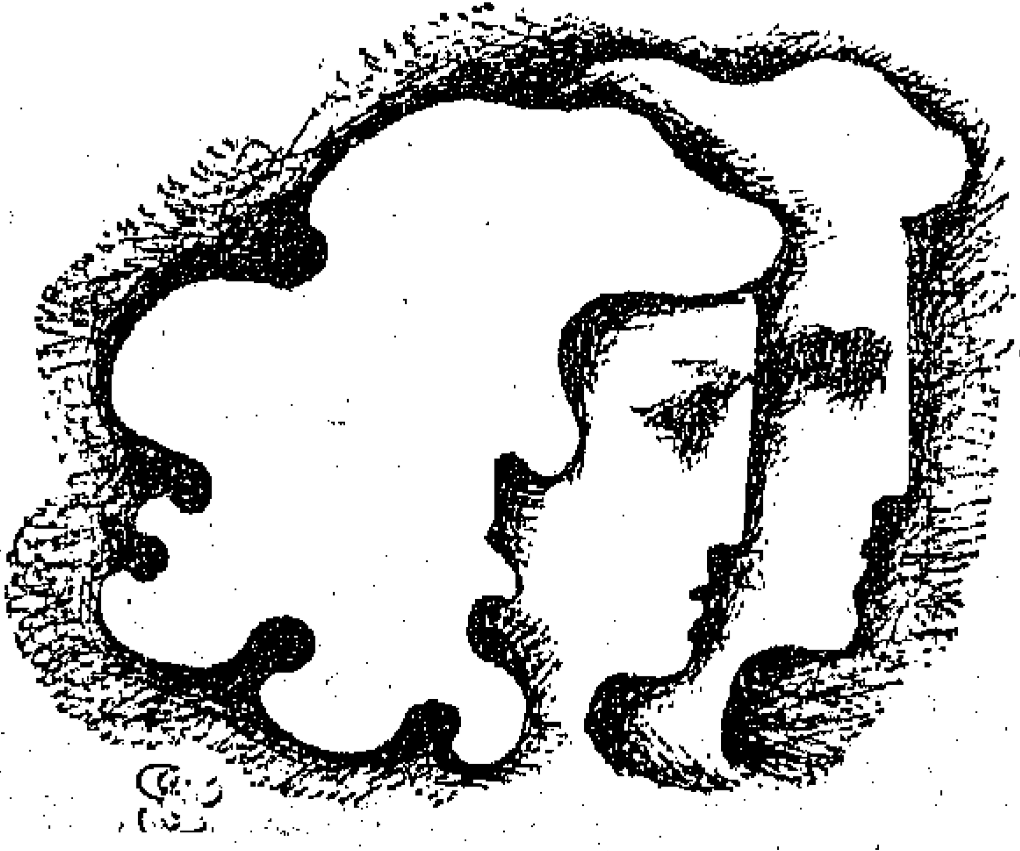
ان الانجازات الضخمة التى حققها الاتحـاد السوفيتى ، هى شاهد على عبقرية لينين وقيادته الحكيمة ، ان التطوير الذى ادخله « لينين » على النظرية الماركسية فى ميدان الزراعة ، مازال حتى يومنا هذا مرشدا ودليلا للعمل الثورى فى النضال الانسانى الهادف الى القضاء على قوى الامبريالية والرجعية وبناء مجتمع جديد يختفى فيه استغلال الانسان للانسان .

لقد كتب « جوركى » قائلا : ان « لينين » كان ينظر من الحاضر عبر نافذة المستقبل ، وقد امدنا بسلاح حاسم فى النضـال . ان التزام المنهج الماركسى اللينينى هو السبيل الى حل قضـايا العصر ومن بينها قضية تحرير الفلاح .



لينين .. والشباب

حمـدى عبد الجواد



ارتبطت أفكار « لينين » بقضـايا الشباب وحركته ، كما لم ترتبط بها افكار مفكر آخر فى القرن العشرين ، فمع بداية هذا القرن بدأت افكار لينين تلعب دورا متزايد الاهمية فى تحديد مـلامح ومستقبل الصراع الاجتماعى فى عالمنا . ولقد جددت أفكاره شباب البشرية بما فجرته من طاقات وبما منحته من قوة البصيرة فى اندفاعها نحو حل المعضلات التى تعوق تقدم البشرية ونحو خلق مجتمع تتوفر فيه السعادة للانسان .

بعـد وفـاة « **ماركس** » و « **انجلز** » عـادت الانتهازية تزحف من جديد لتطمس معالم النضال الثورى ولتشيع الشيخوخة والانحلال فى أوصال حركة التغيير الاجتماعى وتصيبها بـالعجز . وجاءت أفكار « لينين » لتزيح عن الفكر الماركسى ما علق به من آثار الانتهازية ، ولتحول الماركسية الى سلاح أكثر قوة فى يد حركة الثورة ولتساعدها

بذلك على تحقيق انتصارات شكلت أكثر التحولات الاجتماعية جذرية وعمقا فى تاريخ المجتمع البشرى ٠

الشباب وحركة التغيير الاجتماعى

ولما كان الشباب هو المعين الاساسى للطاقات البشرية فى المجتمع ، والمصدر الرئيسى للعمل الاجتماعى وللخلق والبناء ، فانه يشكل على الدوام القوى الرئيسية للثورة والتغيير الاجتماعى ٠ ويتحدد مصير الثورة والتغيير الاجتماعى بالدور الذى يلعبه الشباب وبمدى وعيه وادراكه لحقيقة التغيير ، وبمدى مساهمته فى هذا التغيير ٠ ومن هنا كان تشكيل افكار الشباب والتأثير فى اتجاهاته من القضايا الاساسية التى شغلت كل المفكرين المهتمين بقضايا التغيير الاجتماعى ٠

ولقد أشار « لينين » الى أن القضية الجوهرية للشباب هى قضية التغيير الاجتماعى ، فهم الذين يساهمون بالعبء الاكبر فى احداث هذا التغيير ، كما كانوا دائما معاول تحطيم كل الانظمة والتقاليد القديمة والبالية فى حياة المجتمع ودعاة التجديد باعتبار هذا التجديد ضرورة تفرضها ظروف الحياة المادية المتطورة على الدوام ٠

وارتبطت حركة الشباب دائما بحركة التجديد ، فالشباب الذى يتحمل العبء الاساسى فى العمل الانسانى يرتبط على الدوام بالتطورات التى تحدث فى ظروف المجتمع البشرى المادية ويتفاعل بدرجة أو أخرى مع هذه التطورات ٠ ولذلك نراهم أكثر من غيرهم احساسا بالجديد الذى ينمو تحت بصرهم بل ويساهمون أكثر من غيرهم فى تحقيقه ٠ غير أن هذه التطورات عادة ما تتم بسرعة كبيرة لا تستطيع معها الانظمة والعلاقات القائمة أن تتواكب معها ٠ ومن هنا ينشأ التعارض بين الجديد الذى ينشأ وينمو على الدوام وبين العلاقات والابنية القديمة التى تعوق نمو الجديد ٠ والشباب هم أكثر الناس احساسا بهذا التناقض فى المجتمع الذى ينعكس فى حالة من التوتر الاجتماعى أو ذلك القلق الذى يعبر عنه الشباب فى رغبته الدائمة وطموحه الى احداث التغييرات فى الابنية الاجتماعية ، واجراء الاصلاحات الهيكلية فى جميع المجالات بما يسمح بحل التناقضات الاجتماعية التى يعيشون فى ظلها ويشهدونها امام اعينهم ٠ ان هذا الشعور بضرورة التغيير والرغبة فى تحقيقه ، والمشاركة فى تخطى العقبات التى تعترض طريقه يولد ما يسمى **بالحركة التلقائية للتغيير الاجتماعى** ٠ وتتوقف قوة هذه الحركة وضعفها ، اتساعها وضيقها ، وحدود ما تطمح اليه على درجة الوعى التى تسود الحركة التلقائية وعلى الافكار والاتجاهات التى تلهمها فى سيرها نحو غاياتها ٠ ان الافكار التى تلهم حركة الشباب العريضة الطامحة الى التغيير الاجتماعى تحدد فى النهاية نجاح أو فشل تلك الحركة وحدود هذا النجاح أو الفشل ٠ واذا لم ترتبط تلك الحركة بأرقى درجات الوعى ، أى بنظرية علمية قادرة على اعطاء تفسير واضح ومقبول للتناقضات الاجتماعية ، وتقدم حلولا تستطيع ان تعبىء حولها الغالبية الساحقة للراغبين فى التغيير وتنظمهم ، بما يمكن تلك الحركة من ان تصبح عامل بناء ودفع لحركة المجتمع ، فستتعرض تلك الحركة للتشتت وتواجه خطر الضياع ، بل انها قد تتحول الى حركات ضارة بالتقدم الاجتماعى ٠

ان توفر نظرية واعية تلهم حركة الشباب ووجود قيادة واعية تسترشد بتلك النظرية الواعية ، سوف يتيح فرصا لا حد لها لنجاح آمالهم وتحقيقها وبالتالى بتحقيق التوازن النفسى والاجتماعى للشباب لاحساسهم بفعاليتهم داخل المجتمع ودورهم الايجابى فى تطويره ٠ غير أن احساس الشباب بضرورة التغيير وأهميته اذا ما ارتبط باحساس بالعجز عن تحقيق هذا التغيير ، او بأن سبل تحقيقه موصدة فى وجههم انما يولد احساسهم بالغربة عن المجتمع ، والعجز عن تحقيق مطامحهم ويدفع بهم الى كافة الاتجاهات المغامرة والسلبية بما تحمله من اخطار الانحراف بكافة اشكاله وتهديد المجتمع كله بالانحلال والفوضى ٠

وهكذا فان الوعى ، وان وجود نظرية علمية مرشدة وتوفر قيادة ذات كفاءة انما يحول حركة الشباب من مجرد حركة احتجاج جزئية ، وفردية ، من مجرد حركات اندفاع ومغامرة الى حركة فعالة وبناءة ، الى حركة واسعة تعبىء كل الطاقات الخلاقة فى المجتمع فى اتجاه توفير ظروف افضل للملايين من اعضائه ٠

ولعب « **لينين** » هذا الدور عن جدارة لا فى روسيا وحدها وانما على نطاق العالم ٠ فلقد قدم بناء فكريا متكاملا ألهم حركة الشباب فى عصره ، وساعدها على احداث اكبر واعمق تغيير فى تاريخ المجتمعات البشرية ، وطور بما قدمه من أفكار نظرية علمية ارادة شباب روسيا الذى كان يموج بالرغبة فى التغيير على توحيد صفوفه وتعبئة قواه والاندفاع نحو الامام فى اتجاه احداث هذا التغيير ٠ ومن هنا فان لينين لم يكن ملهما لشباب روسيا لتخطى كل عثرات حركتهم ، وانما ايضا كل شباب العالم الذين يتطلعون الى احداث تغييرات فى بلادهم فى اتجاه تحقيق رفاهية شعوبهم وتقدمها ٠

لينين يقود الشباب نحو الثورة

لقد نشأ « **لينين** » وشب فى روسيا فى وضع كانت فيه البلاد تجتاحها حركة شبابية واسعة تطمح الى الاصلاح والتغيير ، حركة ادركت اهمية

هذا التغيير ، بل وسعت اليه بكافة الاساليب التى كانت فى متناولها • كان ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وعلى عتبة القرن العشرين حين شهدت روسيا اندفاعا هائلا لشبابها نحو الافكار الثورية التى تنشد التغيير الاجتماعى • وكانت حركة الشباب العملاقة تتحرك فى أشكال متباينة من الاحتجاج ، شملت البلاد بأسرها ضد القهر القيصرى • وسارت حركة الاحتجاج الروسية تحت رايات فكرية متباينة ، لكنها عجزت جميعا فى تلك الفترة عن أن تحقق مطامح الشعب فى التغيير الاجتماعى • وشكلت الافكار النارودنية ، فى ذلك الوقت ، التيار الرئيسى الذى ارتبطت به أعداد ضخمة من شباب روسيا ومثقفيها الطامحين الى تغيير النظام القيصرى ، وشكلت النارودنية حركة احتجاج ضخمة ضد القيصرية • ولكنها رغم احتوائها لاعداد غفيرة من شباب روسيا المثقف كانت عاجزة أن تحقق التغيير الاجتماعى المطلوب • ويرجع السبب فى عجز النارودنية الى أن الاحتجاج النارودنيكى لم يكن يؤمن بدور الجماهير الواسعة من شباب العمال والفلاحين في التغيير ، وانما حصر نفسه فى أعمال الارهاب والاغتيال باعتبارها وسيلة لاثارة الجماهير الجاهلة والعريضة فى روسيا ، وفى نفس الوقت كان الاحتجاج النارودنيكى فى رفضه للنظام القيصرى قد رفض كذلك الرأسمالية باعتبارها تجربة فاشلة وغير قادرة على حل مشاكل الشعب • ولكنه فى رفضه للرأسمالية رفضها رفضا سلبيا ، رفضها بكل جوانبها ، مما ادى الى رفضه للاعتماد على حركة الطبقة العاملة ، وعدم الايمان بها كمعبرة عن النظام الاجتماعى الذى يتطلع اليه ، وبالاضافة الى ذلك فقد رفض كذلك الصناعة الحديثة باعتبارها ملازمة للرأسمالية ومولدة شرورها ، ولذلك فقد تطلعت النارودنية الى نوع من **الاشتراكية الفلاحية** التى ترتكز على الجماعة الفردية والحرف والاكتفاء الذاتى • ولم تكن تلك المطامح لتعبر عن آفاق وامكانيات التطور الاجتماعى فى روسيا • وفى ذلك يكمن مصدر عجزها وقصورها • ان قصور الاحتجاج النارودنيكى عن أن يرضى مطامح الحركة العارمة للتغيير الاجتماعى التى شملت أقساما عريضة من شباب روسيا أدى الى تحول طلائع الشباب الى **الاشتراكية الديمقراطية** كنظرية أكثر قدرة على توجيه النضال الاجتماعى •

وكان « **لينين** » واحدا من هؤلاء الشبان الطليعيين الذين اتجهوا الى الاشتراكية العلمية بعد ان فقدوا الثقة فى أشكال الاحتجاج النارودنيكى وتأكدوا من عدم جدواه وعجزه عن تحقيق مطامح حركة الشباب العريضة التى شملت عمال روسيا وفلاحيها ومثقفيها • غير أن الفكر الاشتراكى الديموقراطى الذى انتشر بسرعة بين الشباب لم يكن من الوضوح والنضوج الذى يمكنه استيعاب الحركة التلقائية الواسعة والهادفة الى التغيير الاجتماعى • ومن خلال هذا التحول برز دور « لينين » وبدأ يتبلور كفكر نظرى لحركة الثورة المتعاظمة وكقائد لحركة التغيير الاجتماعى التى انتهت الى ثورة أكتوبر الاشتراكية • لقد واجه « **لينين** » منذ البداية كل الاتجاهات العاجزة والقاصرة فى حركة الثورة ، وشن نضالا لايعرف الكلل ضد كل التيارات السائدة والمعرقلة لتقدم نضال الشعب واعتبر أن مثل هذا النضال وخاصة ضد الفكر النارودنيكى أمر لازم لخلق الحركة والوعى ولبلورة نظريتها ولتعبئة قواها من اجل تحقيق اهدافها • واستطاع « **لينين** » بفضل هذا النضال الذى شنه على رأس الاشتراكيين الديموقراطيين الروس من أن يسهم بالدور الرئيسى فى نقل حركة الاحتجاج من مسارها التلقائى الى مسارها الواعى ، ومن أجل تحول الثوريين الى راية الاشتراكية الديموقراطية لتصبح راية للاحتجاج الاجتماعى ولتلتحم بحركة الجماهير العريضة من شباب العمال والفلاحين • وبفضل أفكاره وبفضل جهوده البارزة أمكن هزيمة النارودنية ومعها كل الافكار والاتجاهات التلقائية العاجزة ، كى تحتل مكانها نظرية علمية متكاملة للتغيير الاجتماعى ، ولكى تتحول الحركة التلقائية الى حركة ثورية واعية محددة الملامح •

ومن خلال هذا النضال الذى شنه « لينين » على رأس الشباب الثورى فى روسيا استطاع أن يطور أفكار « **ماركس** » و « **انجلز** » بما يتلاءم مع ظروف عالم القرن العشرين ، وأن يقدم للعالم نظرية متكاملة للاحتجاج والتغيير الاجتماعى • واستطاع حزب لينين مسترشدا بأفكاره أن يستوعب حركة الاحتجاج فى روسيا وأن يعبر عنها وأن يقودها الى النصر ، وأن يعطى المثل لكل المغلوبين على أمرهم فى جميع أنحاء العالم ويرسم لهم طريق الخلاص • وهكذا تمكن حزب لينين عندما نجح فى تنظيم حركة الاحتجاج المتعاظمة فى روسيا أن يخلق أكثر الحركات الاجتماعية أصالة وراديكالية فى تاريخ البشرية ، وأن يؤسس أول دولة اشتراكية فى عالمنا •

ويعلم الشباب كيف يبنى الاشتراكية

غير أن دور « لينين » وأفكاره لم يتوقف عند حد مساعدة حركة التغيير الاجتماعى على تحطيم النظام القديم • ولكنه أشار مرارا الى أن الجماهير العريضة لشباب العمال والفلاحين التى تحملت العبء الرئيسى فى احداث التغيير الاجتماعى ونجحت فى ذلك انما يقع عليها بعد

انجاز هذه المهمة واجبات جديدة هى المحافظة على النظام الجديد ، والعمل من اجل بناء الحياة الجديدة . وأوضح « لينين » انه دون اشراك وتعبئة وتنظيم ورفع وعى الجماهير العريضة من شباب العمال والفلاحين يصبح من المستحيل المحافظة على مكاسب التغيير أو بناء الحياة الجديدة التى تطمح اليها تلك الجماهير . وهكذا واصلت اللينينية مسارها الثورى والطليعى لتحدد المهام التى تواجه جماهير الشباب فى المجتمع الجديد من أجل مواصلة حركة التغيير الاجتماعى التى لا تتوقف والتى تتخذ اشكالا جديدة بعد تحقيق النصر فى معركة ازاحة النظام القديم .

بعد نجاح ثورة أكتوبر فى روسيا ، لم تستطع البلاد ان تلتقط انفاسها . فسرعان ماأنهت الدول الامبريالية الحرب العالمية الاولى لتشن حربا جديدة على روسيا الاشتراكية . وبدأت روسيا تواجه حروب التدخل التى كانت ترمى الى القضاء على الثورة الوليدة ، وتمسكنت روسيا بفضل وحدة جماهيرها العريضة وتضحيات وتفانى شبابها وبفضل توجيهات لينين من الخروج من الحرب الاهلية منتصرة .

غير ان الوضع داخل البلاد كان فى غاية السوء « **فلقد خرجت روسيا من الحرب** — كما قال لينين — **كرجل ضرب حتى قارب الموت . فلسبع سنوات تلقت روسيا ضربات متوالية ، وسيكون من العجيب اذا ماأستطاعت ان تسير حتى ولو على عصا** » . كانت المصانع معطلة وشبكة النقل مخربة ، وأزمة الغذاء حادة ، والبطالة متفشية فى كل مكان . وادى نقص الاغذية الى انتشار السوق السوداء والمتاجرة فى أقوات الشعب . وواجه لينين على رأس الدولة السوفيتية الفتية مهمة انقاذ البلاد من هذا الوضع وبنائها من جديد على أسس جديدة . كان لابد من انقاذ الصناعة وتحسين مستوى الشعب وتخفيف آلامه ، والهامه لبناء حياة جديدة كى يحولوا روسيا المتخلفة الى دولة اشتراكية قوية . لقد رأى « لينين » بثاقب بصره ان حركة الشباب العريضة التى تحملت مسئولية التغيير الاجتماعى انما يقع عليها كذلك مهمة بناء البلاد واقامة المجتمع الاشتراكى الجديد .

ووقف « لينين » فى المؤتمر الثالث لعصبة الشباب الشيوعى ليحدد واجبات حركة الشباب فى بناء المجتمع الجديد . وتعتبر تلك الواجبات التى حددها لينين فى ذلك المؤتمر برنامجا لقضية الشباب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى منذ ذلك الوقت . لقد لخص لينين واجبات الشباب لمواجهة بناء وتعمير البلاد واقامة المجتمع الاشتراكى الجديد فى شعاره الشهير « **تعلموا** » ثم عاد ففصل مايعنيه بهذا الشعار وحدد الاسس الذى يجب ان يرتكز عليها تعليم وتربية وتنشئة الشباب بروح الاشتراكية ولكى يكون قادرا على بناء الاشتراكية :

● أوضح لينين ان تعليم وتربية الشباب يجب ان تبدأ من حيث انتهت الرأسمالية ومدارسها وتراثها الفكرى . ان نفى الاشتراكيه للرأسمالية ورفضها لها لا يعنى رفض كل ماخلفته الرأسمالية وما اضافته لتراث المعرفة البشرية ، وانما يجب الاستفادة من هذا التراث الفكرى الرأسمالى بشرط تنقيته من كل ماعلق به من آثار ضارة ناتجة عن المصالح الاستغلالية للطبقات المستغلة .

« **فلابد ان يبدأ تعليم وتدريب وتربية الشباب من التراث الذى خلفه لنا المجتمع القديم . اننا نستطيع ان نبنى الشيوعية فحسب على أساس جماع المعرفة والتنظيمات والمؤسسات ومن طريق الاستفادة من ذخيرة القوى والوسائل البشرية التى خلفها لنا المجتمع القديم** » .

● وانطلاقا من فرضيته الفلسفية بأن الحياة والتطبيق يجب ان يكونا الاساس فى نظرية المعرفة اوضح « لينين » ان تعليم الشباب لا يجب ان يقتصر على حفظ وترديد ماجاء فى الكتب لان متن هذه المعرفة المجردة لا علاقة لها بوابع الحياة ، ولا يمكن ان يجد الشباب حلولا للمشاكل الجديدة التى تواجه البلاد بين سطور الكتب وانما عليه ان يتعلم كيف يحل هذه المشاكل من خلال الفهم العميق لظروف الحياة والاسترشاد بخبره وتراث المعرفة الانسانية . ان الربط الوثيق بين المعرفة التى تمثل تجمع خبرة وتراث الانسانية بعد تعميمه وبين الدراسة والفهم العميق للظروف القائمة والمشاكل التى تواجه الشباب هو السبيل الوحيد لخلق تربية وتدريب سليم لجيل من الشباب قادر على حل مشاكل البناء الاشتراكى .

اننا لا نؤمن بالتعليم والتدريب والتربية اذا ما اقتصرت فقط كما يقول لينين « **على غرف الدراسة وفصلت عن الحياة** » وانما « **يجب ان نتعلم من خلال ربط كل خطوة فى الدراسة وفى التدريب والتربية والتعليم ربطا وثيقا بنضال الشعب العامل ضد الاستغلال** » .

« **وستكون عصبة الشباب الشيوعى جديرة باسمها كتنظيم للجيل الشيوعى الشاب عندما تربط كل خطوة فى التعليم والتدريب والتربية التى تقوم بها بالمشاركة فى النضال العام الذى يشنه الشعب بأسره ضد المستغلين** » .

● وأوضح « لينين » ان هناك أشكالا مختلفة من التربية والتعليم والتدريب هى التربية

السياسية ، والتعليم النظرى والعالى ، والمعارف الاولية والعامة •

وفيما يختص بالتعليم والتربية السياسية اوضح ان رفع مستوى التربية السياسية لاعضاء منظمة الشباب ولكل الشعب العامل تعتبر شرطا ضروريا لمشاركة الجماهير العريضة من الشعب فى بناء وتعمير البلاد ، ولكى تكون تلك الجماهير مدركة لمهامها السياسية وحتى يستطيع الحزب والدولة قيادة الجماهير والاستفادة من كل طاقاتها فى تحقيق اهداف البناء الاشتراكى . ان التربية السياسية تعنى توعية جماهير الشباب بأهداف وبرنامج البناء الاشتراكى ، وبالواجبات المباشرة التى تواجههم وبأولويات البناء الاشتراكى حتى يكونوا على صلة وثيقة بحزبهم ، وحتى يمكن انقاذ البلاد من الاوضاع التى تعانى منها ودفعها الى الامام ، وحتى يمكن مواجهة الاعداء والعقبات والتغلب عليها • ان التربية السياسية تفرض على طلائع الشباب وعلى منظمات الحزب بأن تقوم بأوسع دعاية وتوضيح ممكن لكل الواجبات والمهام التى تواجه البلاد واقناع الجماهير العريضة بتلك المهام والواجبات واثارة حماسها حتى يمكن ان تفجر طاقاتها الخلاقة فى النضال من اجل تحقيق تلك الاهداف •

وفيما يتعلق بالمعارف النظرية العالية فقد اوضح « لينين » ان التربية السياسية وحدها ليست كافية . ففى سبيل بناء المجتمع الاشتراكى ستكون هناك حاجة ملحة لا الى المعارف العامة والتربية السياسية فحسب، وانما ستكون هناك حاجة ماسة الى اعداد متزايدة من الفنيين والتكنولوجيين فى جميع ميادين المعرفة الانسانية ومن الضرورى الاستفادة بما هو موجود منها وتدريب اعداد واسعة على آخر مستحدثات العلم والتكنيك لكى تتمكن البلاد من السير الى الامام فى طريق البناء الاشتراكى قال لينين :

« انكم مواجهون بمهمة تعمير البلاد اقتصاديا واعادة تنظيم كل من الزراعة والصناعة والنهوض بهما على أسس تكنيكية حديثة ترتكز على العلم الحديث والتكنولوجيا ، على الكهرباء • وانتم تدركون جيدا ان الناس الاميين لا يمكنهم ان يقوموا بعملية الكهرباء ، وان الالمام بالقراءة والكتابة لا يكفى كذلك • ليس بكاف ان يفهم المرء ماهى الكهرباء وانما هو فى حاجة الى معرفة كيفية تطبيقها تكنيكيا فى الصناعة والزراعة وفى فروعها المختلفة »

ومن هنا تبرز أهمية المعرفة والتربية النظرية والعلمية والتكنيكية العالية •

● ثم انتقل « لينين » الى المشكلة الجوهرية التى تعترض التربية السياسية والتدريب العلمى والتكنيكى العالى وتعوق اى عمل جاد من أجل بناء البلاد واقامة النظام الاشتراكى الا وهى مشكلة الامية « فالمجتمع الشيوعى كما يقول لينين لا يمكن **بناؤه فى بلد جاهل** » • ولذلك فقد اعطى لينين اهتماما كبيرا بقضية محو الامية ، وشدد عليها باعتبارها مشكلة حيوية يجب التغلب عليها أولا ، وحث الشباب ومنظماته على المشاركة على أوسع نطاق ممكن فى تحقيق هذه المهمة باعتبارها مهمتهم الرئيسية وواجبهم المقدس فى سبيل تحرير البلاد من الجهل واطلاق قواها الخلاقة نحو بناء الشيوعية •

« ومهمة عصبة الشباب لا تقتصر فحسب على اكتساب المعرفة ، وانما مساعدة الشباب الذين لا يستطيعون ان ينتشلوا انفسهم من ظلام الامية » •

« وطالما وجدت الامية فى بلادنا فمن العسير ان نتحدث عن التربية السياسية ولكنها شرط لاجدوى بدونه من أى حديث فى السياسة ، فالامى يقف بعيدا عن السياسة اذ عليه قبل كل شيء ان يتعلم القراءة والكتابة وبدون ذلك لا يمكن ان تكون هناك سياسة » •

وانطلاقا من «ان النضال ضد الامية ونقص الثقافة يجب ان يكونا قضية الطبقة العاملة ، والشعب بأسره» ، دعا «لينين» منظمات الشباب الى ان تعبىء كل قواها من أجل هذه المعركة •

وقد لعبت منظمة الشباب الشيوعى اهم الادوار فى المعركة ضد الامية والجهل استجابة لدعوة لينين فعقب صدور قانون محو الامية عام ١٩١٩، شنت العصبة حملات واسعة على نطاق كل البلاد من اجل القضاء على الامية وخصصت مكافآت لمن يقدم أكبر مساعدة فى تلك الحملات ، قام أعضاء منظمة الشباب بمسح شامل للاميين ، ونظموا فصول محو الامية ، وجمعوا التبرعات لشراء الكتب والادوات وواصلوا نضالهم على كافة المستويات حتى أمكن لروسيا ان تقضى على الامية نهائيا فى البلاد عام ١٩٣١ ، وبذلك أمكن لمنظمة الشباب ان تنفذ وصية لينين وان تفجر طاقات الشعب التى استطاعت ان تبنى النظام الاشتراكى فى البلاد •

لم يقف دور الشباب فى معركة البناء الاشتراكى كما وضحه لينين على التربية السياسية والعلمية والقضاء على الامية فحسب ، انما تطرق لينين الى أن الشباب عليه واجبات أخرى ومتعددة فى بناء البلاد • لقد اشار لينين الى ان على الشباب ان

يتصدى لمساعدة الشعب فى كل الميادين » وان على منظمات الشباب ان تنظم أعمال المساعدة فى كل مكان فى القرى او الاحياء ، فى امور تتعلق بالصحة العامة او بتوزيع الطعام او بغيرهما من الاعمال »

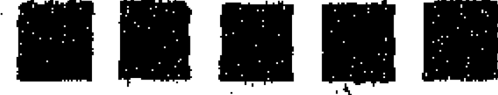
وعليهم ان يستفيدوا من كل وقت فراغهم للمساهمة فى خدمة الشعب وحل قضاياه .

وعليهم ان يقوموا بنشر الوعى الصحى بين الشعب ونشر مبادىء الزراعة والتكنولوجيا والمعارف العامة .

« وعليهم ان يعلموا كل الشعب ان يرتبط بالعمل الواعى المنضبط فى سن مبكرة »

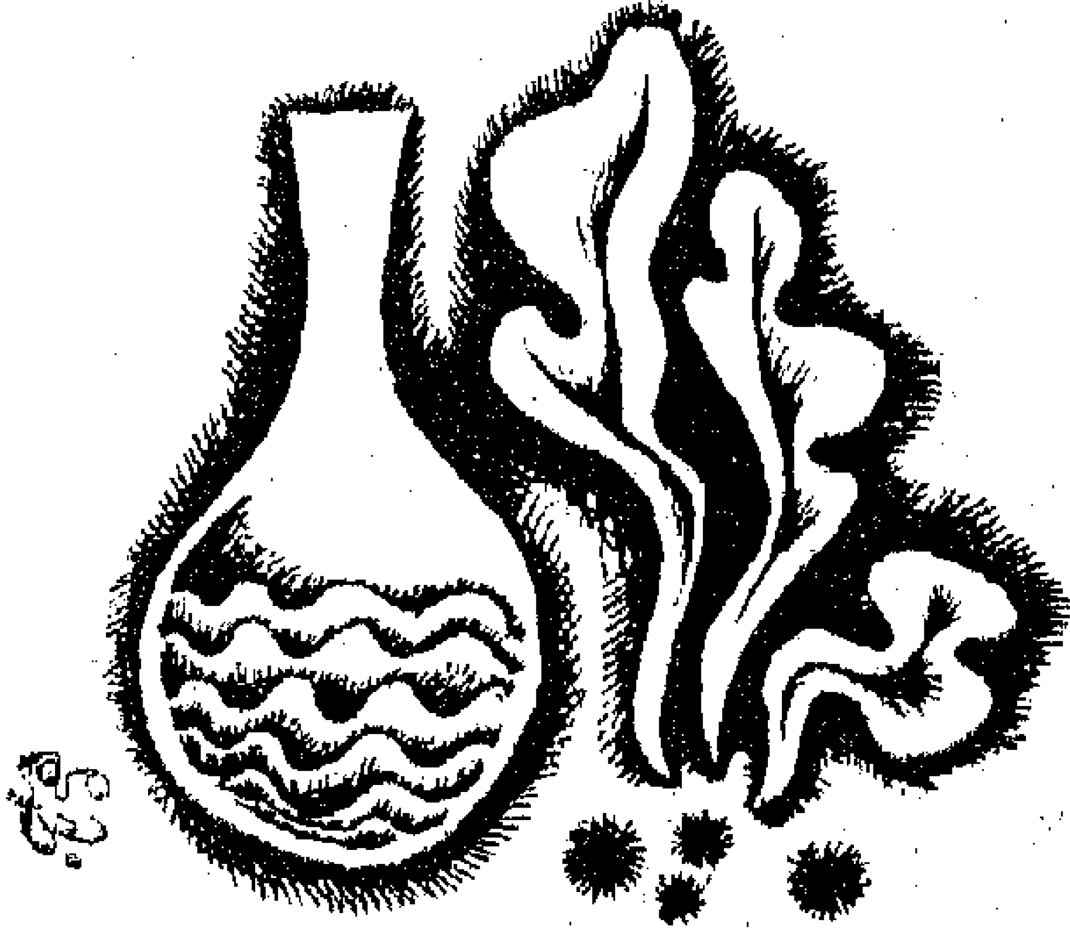
« وعليهم ان يشركوا جماهير شباب العمال والفلاحين فى العمل من اجل بناء الشيوعية » .

« ان على عصبة الشباب ان تكون فصيلة للصدام تقدم مساعدتها فى كل عمل ، وتكشف عن مبادرتها وفعاليتها ، عليها ان تكون ذلك التنظيم الذى يساعد أى عامل على ان يرى فيها تنظيما يضم أناسا ، قد لا يفهم تعاليمهم . وقد لا يؤمن بها بسرعة ، ولكنه يستطيع أن يرى من خلال نشاطهم وعملهم انهم اناس يرشدونه الى الطريق السليم » .



لينين .. والثورة العلمية

محمد سيد أحمد



سؤال له اهميته المؤكدة فى هذا العصر الذى يشهد بصورة لم يسبق لها مثيل تداخل « الثورة الاجتماعية » (القائمة على الوعى الايديولوجى)، « بالثورة التكنولوجية » القائمة على العلم — وبالذات على العلوم الطبيعية) . هذا السؤال هو : « الى أى حد يمكن ان يصلح « الوعى الايديولوجى » اداة لاستكشاف آفاق التنبؤ فى مجال « العلم التكنولوجى » والتوجه بمايكفل اقوى دفع للعلوم الطبيعية فى غزو الانسان للمجهول ، والسيطرة على الطبيعة الصماء ، وتسخيرها لصالحه ؟ » .

بتعبير آخر : « الى اى حد يمكن للمنهج المستمد من المباشرة الثورية للمتناقضات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، ان يصلح فى الوقت ذاته قياسا ومنهجا لاستكشاف تناقضات الانسان — عموما — مع الطبيعة ، وزيادة تطويعها لاهدافه ؟

وهذا السؤال فى الواقع يطرح عددا من الاسئلة ، تقبل بدورها ان نجملها فى الآتى :

● هل هناك علاقة عضوية بين « **المنهج** »في مجال العمل الثوري الاجتماعي ، و « المنهج » في مجال البحث العلمي ، وبالذات فيما يختص منه بالعلوم الطبيعية ؟

■ اذا ما سلمنا بوجود هذه « العلاقة العضوية » بشكل ما - وهي قضية تحتاج الى اثبات وتحديد - فما هو مقدار تطابق «المنهج» في وقت محدد ، ولمجال محدد من مجالات العلوم ، وضعا في الاعتبار التباين النوعي المؤكد بين طبيعة « الحركة الثورية الاجتماعية » وما تنبته من افكار ومناهج في مجال « الوعي الايديولوجي » ، وبين طبيعة « حركة العلوم الطبيعية » ، وماتنتجه من مكتشفات تنطوي على فك لاسرار الطبيعة ، وهي مكتشفات لا ترتبط حتما وبصورة آلية بمقدار تقدم « الحركة الاجتماعية » ، ومقدار ما تحمله من « وعي » .

■ اكتشاف « الرباط » او « العلاقة العضوية » بين « المنهج » في المجالين - مجال « الوعي الايديولوجي » ومجال «العلم التكنولوجي» - ليس الهدف منه « **نظريا مجردا** » فقط بل ينبغي ان ينطوي كذلك على هدف « **تطبيقي عملي** » . قوامه هو **دفع العمل في المجالين - ثوريا - الى الامام** . ولا يكون من شأنه **عرقلة** هذا العمل او **اعاقته**، او **وضع الحواجز** امام انطلاقه ، وهذا الهدف « **التطبيقي العملي** » بجانب دلالة هذا « الرباط العضوي » من الوجهة **النظرية** المجردة - أمر بديهي ينبغي ان يصاحب كل جهد ثوري يمتد الى مجال « الوعي الايديولوجي » والا افتقد هذا الجهد ركنا اساسيا من اركانه ، **هو ربط النظرية بالتطبيق** ، وفقدت النظرية **طبيعتها كمرشد للعمل** .

لذلك :

■ لا ينبغي ان يكون الربط بين «الايديولوجية» وبين العلم وتطبيقاته التكنولوجية ، او بعبارة اخرى ، لا ينبغي ان تكون **ترجمة** مناهج العمل في مجال العمل الثوري الاجتماعي ، على مناهج العمل في مجال البحث العلمي ، وفي مجال تطبيق نتائج هذه الابحاث ومكتشفاتها تكنولوجيا ، سببا في الحد من المبادرات الخلاقة في « **التصور العلمي** » وفي القدرة على ابتداع ابنية نظرية جريئة ، والا كانت هذه «الترجمة» سببا في العقم الفكري ، بدلا من ان تكون حافزا على توسيع دائرة الاستكشاف ، ودفع حركة الكشف الى الامام .

ويكمن العيب - أساسا - في هذا التطبيق الخاطيء والمضر لعملية « الترجمة » في ان **الترجمة هنا تقتصر على « نقل قوالب »** بدلا من **استشراف المنهج** ، **واستخدامه كمرشد للكشف** العلمي .

وقد عرفت الدول **الاشتراكية** تجارب دلت على تدخل « الايديولوجية » ، في صورة « عائق » على انطلاق العلم ، وعلى المبادرة باقرار او طرح وبناء تصورات نظرية جريئة في مجال العلوم الطبيعية ، لمجرد انه وجد هناك من أدان هذه التصورات وملك سلطة اعتبارها من المحظورات » ، باسم « الايديولوجية » وكانت « الايديولوجية » في هذه الحالات « قوالب جامدة » لا يجوز الابتعاد عنها ، بدلا من ان تكون « منهجا للفكر » و « مرشدا للعمل » وحافزا على الابداع الايجابي والخلق المثمر .

هناك فترة في تاريخ الاتحاد السوفيتي شهدت - على سبيل المثال - ادانة « نظرية النسبية » ، وفترة شهدت ادانة « علم السيبرناطيقا » ، باعتبارهما يتنافيان فلسفيا مع « المادية الجدلية » .. ولكن « المادية الجدلية » في الحالتين فسرت بصورة قاصرة ، وردت الى مجموعة قوانين ذات صياغة محددة وجامدة . ولم يكن العيب في المنهج المادي الجدلي - بل في التفسير الجامد لصور قوانين الجدل ، وكان لابد لهذه « الادانات » ان تصطدم مع تدفق حركة العلم ، وتلاحق تقدمه . وسرعان ما تهدمت الصور القاصرة في تقنين « الجدل » وصياغة « قوانينه » ومع تهدم هذه الصور القاصرة ، برزت العلاقة الخلاقة بين الجدلية كمنهج ، وبين ما تضيفه هذه العلوم الى المعرفة الانسانية .

كذلك شهد الاتحاد السوفيتي في تاريخه فترة رجحت نظريات في مجال علم البيولوجيا ، وعلم الوراثة ، وعلم الاجرونوميا ، على نظريات اخرى بدعوى ان هذه النظريات - قبل او دون غيرها - تأتي تأكيدا لتفسير استقر لقوانين المادية الجدلية . ولكن تعارض بعض هذه النظريات مع مكتشفات جديدة لاحقة عليها ، او عجز هذه النظريات عن انتاج التطبيقات المنتظرة منها ، لم تكن ادانة للنظريات وحدها ، بل للتفسير الجامد للجدل الذي برز بمقتضاه صلاحيتها . **وتأتي هذه الامثلة نماذج او ادلة على خطأ النقل الميكانيكي من مجال الايديولوجية الى مجال التكنولوجيا ، او من مجال الوعي الايديولوجي الى مجال العلوم الطبيعية . وهي ادلة على خطأ « افتعال علاقة سهلة » ، غير مدروسة** ، وغير علمية . **ولكنها لا تحمل في طياتها ولا ينبغي ان تفسر على انها ادانة لوجود علاقة اصلا** .

كذلك

■ لا ينبغي ان يكون **الربط** في الاتجاه العكسي متعسفا . اي الربط الناجم عن تطبيق نتائج

الكشف العلمى فى مجال العلوم الطبيعية ، وفى مجال التقدم التكنولوجى ، على العلوم الاجتماعية بما يتنافى مع المبادىء والقوانين التى ينتجهـا العمل الثورى الاجتماعى ، وتجد بلورتها فى الوعى الايديولوجى الثورى • وهذه ظاهرة ـ على عكس الظاهرة السابقة ـ واسعة الانتشار فى المجتمعات **الرأسمالية** ، التى تشهد فى وقت واحد تدفقا لم يسبق له مثيل ـ خاصة فى المجتمعات الرأسمالية **المتطورة** ـ فى البحث العلمى والكشف العلمى ، وتحديات تتعاظم للمؤسسات القائمة من جانب قوى اجتماعية ثورية ، متنوعة الاصول والمنطلقات • وكثيرا ما تحاول الجهات المهيمنة على السلطة فى هذه المجتمعات ، الحد من اثر « **التحدى الايديولوجى الثورى** » باستخدام ادوات « الكشف العلمى والتكنولوجى » ضده • وهنا تبرز محاولات متلاحقة لطبع النظريات الاجتماعية ، والفكر الايديولوجى ، بنظريات وافكار وتطبيقات مستمدة من الانجازات فى العلوم الطبيعية ، تحمل هى الاخرى من الوجهة الفنية صفة « النقل الميكانيكى » و « المتعسف » لما يصلح فى مجال الى ما لا يصلح فى مجال آخر • ولكنها تستهدف فى اغلب الاحوال ـ من حيث محتواها الاجتماعى والايديولوجى ـ الاستغناء عن الفكر الايديولوجى الثورى الاصيل ، والعمل على استبعاد ما ينطوى عليه من اخطار وتحديات ، بدعوى « تخطيه » أو « تشذيبه » او « تطويره » بالاستفادة من آخر انجازات العلم •

هذه الشواهد ـ والسابقة عليها ـ تبرز خطورة النقل الميكانيكى والمتعسف ، كما قلنا ، من مجال « الوعى الايديولوجى » الى مجال « العلم التكنولوجى » والعكس • ولكن هل يبرر احتمال انجاز الربط بشكل ميكانيكى ضرورة تجنب البحث عن ربط اصلا ؟ وهل معنى ذلك انه من الصعب تحديد ملامح للعلاقة العضوية بين المجالين : فى عصرنا بالذات الذى يشهد اعظم تداخل للثورة الاجتماعية والثورة التكنولوجية ؟

ينهض « لينين » بأعماله التى خصصها « للجديد » فى مجال العلوم الطبيعية فى عصره ـ اى فى بداية هذا القرن ، وهو وقت لم تكن فيه الثورة التكنولوجية قد اكتسبت بعد ابعادها وخطورتها الراهنة ـ ينهض لينين بهذه الاعمال نموذجا ودليلا على :

■ **ان الربط ممكن •• بل ولازم •**

■ **ان هـذا الربط بحكم انه يمكن اكتشافه « ذاتيا » فهذا فى حد ذاته دليل على انه قائم « موضوعيا » •**

■ **ان هـذا الربط ، وقد اكتشف لينين ابعاده وحدوده ، بعيدا عن تعثرات النقل الميكانيكى • لم يكن مجرد دليل على قيامه « نظريا » بل حمل من ناحية « التطبيق » قوة اثراء المجالين معا : اثرى الوعى « الايديولوجى » بتوسيع آفاقه وتعميق جذوره المنهجية والفلسفية ، واثرى « العلم التكنولوجى » بتفتيح ابواب اوسع للتلاحق الاكتشافات العلمية ، ووضعها موضع التطبيق العملى •**

وربما كان « **اثبات** » لينين لهذه الحقائق بالذات ، هو اهم ماينبغى ان نتذكره ونستفيد منه ، ونحن نتناول مساهمته الفلسفيه البالغة الخطورة وهو يتعرض « **لازمه الفيزياء** » التى وقفت عند مفترق طرق انطلاقة العلوم الطبيعية جميعها عند بداية هذا القرن • وما من شك فى ان القيمة الذاتية لعمل « لينين » فى تحديد دلالة هذه « الازمة » وما تنطوى عليه من معان للمستقبل ، تحمل فى حد ذاتها معنى خطيرا ، لا لعلم الفيزياء وحده ، بل لجميع العلوم الطبيعية فى ذاك الوقت . **ولكن الاهم ، هو ان مساهمة « لينين » لم تقتصر على مجال « العلم التكنولوجى » وحده ، بل تجاوزته الى صميم العلاقة التى ينبغى ان نحكم صلة العلوم الطبيعيـة بالوعى الايديولوجى ، والنظرة الاجتماعية الثورية فى عصرنا •**

لماذا وجد لينين ضرورة التصدى لقضايا العـلوم الطبيعية

قد يبدو غريبا لأول وهلة أن « لينين » الذى كرس حياته كلها للعمل الثورى فى أصعب ظروف النشاط السرى ، قد وجد متسعا من الوقت لدراسة متمعنة تعرضت لاخر المكتشفات ـ وقتذاك ـ فى مجال علم الفيزياء . وبلغ فهمه للقضايا المثارة ، حدا اتاح له فرصة الادلاء برأى حول ما **تنطوى** عليه هذه القضايا من معان ودلالات •

وبديهى أن « لينين » لم يكن عالم فيزياء ، ولم يكن متخصصا فى أى علم من العلوم الطبيعية حتى يقوم تدخله بطابع علمى محض • وقد حرص « لينين » تماما على تجنب التعرض لصميم العمل العلمى ، او ما افضى اليه الاكتشاف العلمى من نتائج محددة •

ولكن كان مجال التدخل هو **التفسير الفلسفى** لنتائج بعض الاكتشافات العلمية . ووجد « لينين » ان هذا التدخل كان **ضروريا** لان بعض الاكتشافات العلمية فى مجال علم الفيزياء بالذات فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، استخدمت **كركائز** ، لمحاولة نقض المعطيات

الفلسفية التى نهض عليهـا العمـل الثـورى الاجتماعى ، ومحاولة نقض « المادية الجدلية » .

ومن هنا برزت ضرورة التصدى فى نظر لينين لقضايا ربما بدت جد بعيدة عن مشاغله النضالية المباشرة . ولكن لم يكن من الممكن تجنب التعرض لها ، دفاعا عن وحدة النظرة الفلسفية ، ووحدة المنهج ، وللاحقة خصوم جدد فى مجال الفلسفة ، حاولوا احياء نظريات فلسفية عتيقة بالاستناد الى مكتشفات علمية جديدة .

النظرة الميكانيكية وخصائص

الفكر البورجوازى

لقد افسحت الثورات البورجوازية للطبقة الرأسمالية ان تتولى زمام السلطة . وبتبوئها هذا المركز توافرت الظروف لتحول خطير فى اساليب الانتاج الاجتماعية ، عرف بالثورة الصناعية الاولى .

وربما كان ابرز ما حققته الثورة الصناعية الاولى ، هى القدرة على اتمام « الانتاج بالجملة » بعد أن ظل الانتاج الحرفي فى المجتمعات السابقة يتسم « بالانتاج بالقطعة » التى تقصر الانتاج — مهما بذل فيه من جهد — على حجم معين لايمكن تجاوزه ،كان يصلح فقط لاشباع حاجات قلة من الفئات المترفة دون أن يحقق لغالبية البشر حدا ادنى من الحياة اللائقة .

ويرجع الفضل فى هذه الطفرة — من الانتاج بالقطعة الى الانتاج بالجملة — الى الميكنة MECHANIZATION التى ضمنت لاول مرة الانتفاع من مصادر الطاقة لانجاز العمليات الانتاجية ذات القدرة التى تتجاوز آلاف المرات ، قدرة عضلات الانسان . (البخار . ثم الكهرباء . ثم البترول . الخ ..) ومصادر الطاقة هذه ، لم تتح فرصة استثمارها الا بفضل تقدم العلم ، وربط اكتشافات العلم بعمليات الانتاج ، وتطبيق بعض هذه المكتشفات لتصميم آلات معقدة ، كان لابد ان تزداد تعقيدا وتنويعا واتقانا ، مع زيادة قوة الرأسمالية المهيمنة ، وزيادة قدرتها على الاستثمار ، بفضل تراكم ماانجزته من ارباح .

وكان للميكنة التى اتاحت فرصة الوثبة ، وأفضت للانتاج بالجملة (مصدر ثراء البورجوازية ، ومصدر زيادة هذا الثراء على الدوام بتوسيع نطاق السوق منطقها الخاص : منطق يجد تجسيده فى طبيعة العمليات الانتاجية . كما يجد تجسيده فى طبيعة علاقات الانتاج الرأسمالية ، وكما يجد تجسيده فى تصورات البرجوازية للعالم المحيط وادراكها الفلسفى له .

تنهض الميكنة على تصور ميكانيكى للعالم . حيث المعقد ما هو الا حاصل جمع لمجموعة عناصر بسيطة . حيث كل شيء قابل لان يرد الى أصول بسيطة . حيث العناصر البسيطة المكونة للعالم تحتفظ كل منها باستقلاليتها الذاتية ، وبتكاملها الذاتى ، لاتؤثر بعضها فى بعض . وحيث المتناهى فى الصغر والمتناهى فى الكبر ، ما هما الا امتداد للواقع المحيط بخصائصه التى نلمسها حسيا . كل شىء بالتالى يقبل التعميم . تماما كما ان كل تعميم ، او كل بناء معقد ، يقبل التحليل الى عناصره الاولية .

هذه النظرة الميكانيكية ظلت صفة ملاصقة لفكر البورجوازية فى كل اطوار تطورها . سواء فى مرحلتها الصاعدة ، وقد تجسدت هذه النظرة وقتذاك فى صورة « المادية الميكانيكية » او فى مراحلها التالية التى اتسمت بتخليها عن النظرة المادية دون التخلى عن النظرة الميكانيكية .

وقد وجدت هـذه النظرة الميكانيكية اداتها المنطقية فى المنطق الصورى ، واستطرادها فى المنطق الرياضى والابنية الرياضية . ولم يكن المنطق الصورى يفيدها من حيث انه منطق تثبيت للواقع ، ومنطق لا يسلم بمشروعية الطفرات الكيفية (ذات التطبيقات الخطرة فى مجال العمل الثورى الاجتماعى بالذات ، ولكنه فى نفس الوقت منطق يعبر عن المنهج الميكانيكى فى تناول الواقع ، ويبرر تعميم استخدامه فى كافة المجالات . تماما كما ان الهيكل الانتاجى كله قد اتسم فى ظل المجتمع الرأسمالى باتجاه نحو زيادة تحليل عناصره الى عناصر بسيطة ، متشابهة ، وتفتقد الحاجة الى أى جهد فكرى ، وتتسم بالتكرار والرتابة المملة [صورتها] الابرز نظام تيلور فى امريكا ، وقد زادت القدرة على تحليل العمليات الانتاجية الى عمليات بسيطة كلما زادت القدرة على تصميم وصنع آلات أكثر تعقيدا — كذلك اتسم الهيكل الفكرى البورجوازى ، فى تصور العالم الطبيعى انه هو الاخر قائم على منطق مماثل — وقد صورت الطبيعة كأنما تقبل التحليل الى ذرات بسيطة ، لاتقبل التجزئة الى ما هو ابسط —ومكونات الكون (الزمان — المكان — الكتلة الخ) تتسم كلها باستقلاليتها الذاتية ، وبتكاملها الذاتى ، لا تؤثر بعضها فى بعض . وعمم فى المتناهى الصغر ، وفى المتناهى الكبر ، صورة العالم كما تبدو للحواس ، وبأعمال المنطق الصورى فى ادراك ملامحه .

غير ان زيادة التعقيد فى صنع الالات بدأ يفسح للعلماء فرصة صنع ادوات معملية ، ومشاهدة عوالم لا تنتمى الى العالم المحيط الذى يقبل المشاهدة بالحواس وحدها ، وهنا اصطدمت الاختبارات العملية مع التصورات المجردة التى لا ترتكز الا على استنتاجات عقلية ، وهى استنتاجات متأثرة حتما بطبيعة المنطق المستخدم ، وقاصرة بمقدار قصور هذا المنطق فى بناء العملية

الذهنية ، وربما تعرضت البورجوازية منذ بداية القرن الماضي **لمفارقات علمية** من شأنها التشكيك ـ موضوعيا ـ في الصواب المطلق لمنطقها وصلاحيته للتطبيق في كافة المجالات . نذكر كأمثلة لهذه المفارقات ، **الهندسات غير الاوقليدية** للعالم الرياضي الروسي **لوباتشيفسكي**، وللعالم الرياضي الالماني **ريمان** ، واكتشاف علم **البيولوجيا** لملامح **الخلية الحية** [بفضل تطوير صنع **المجاهر**]، ونظرية داروين في **النشوء والارتقاء** ، وبعض نظريات علم الوراثة ، الخ .. غير ان **الازمة التي تعرض لها علم الفيزياء بالذات في نهاية القرن التاسع عشر ، حمل في طياته ما لم يعد ممكنا تجنبه ، وهو التسليم بأن البنيان الفكري كله للبورجوازية اصبح في حاجة الى اعادة نظر ، وان القضية لم تعد تقبل قصرها على ظواهر جزئية فحسب ، بل تمس صميم النظرة الكلية للعالم . وتلك الازمة في مجال علم الفيزياء التي شهدت من جانب العلماء البورجوازيين محاولات للافلات من التسليم بالنتائج الفلسفية المترتبة عليها حتما ، هي القضية التي تصدى لها « لينين » ليلاحق فكر الخصوم في موقع احتل مكان الصدارة على امتداد خط المواجهة الفكرية بين قوى التقدم والتخلف وقتذاك .**

اكتشافات علم الفيزياء والازمة الفلسفية التي طرحتها

لقد تعرض **علم الفيزياء** قبل اي مجال علمي آخر ـ في نهاية القرن الماضي ، لتناقضات **لاتقبل العلاج** الا بتخطي النظرة الميكانيكية للعالم . وقد اقترنت هذه « الازمة » باكتشافات اساسية ، اصبحت متاحة ، ليس فقط بفضل توالي وتقدم الابحاث والمكتشفات في علم الفيزياء عبر القرن الماضي ، ولكن كذلك نهض تطوير الادوات العملية ـ مع تقدم تكنولوجيا الصناعة ، وزيادتها تعقيدا واتقانا شرطا كان لاغنى عنه لتجاوز العالم الذي يحيط بالانسان مباشرة ، والذي يملك بحواسه ادراك ملامحه MACROCOSMOS الى عوالم « المتناهي في الصغر » MICROCOSMOS

وكان أهم اكتشافين في علم الفيزياء في ذلك الوقت هما : اكتشاف « **وجود الالكترون** » واكتشاف ظاهرة الاشعاع الذري RADIOACTIVITY . وكانت دلالة هذين الاكتشافين ان كل بنيان طبيعة **نيوتن** قد احتاج الى اعادة نظر جذرية . وبعد أن كانت « الذرة » هي التي تعتبر اللبنة الاولى في تركيب الكون . وهي « وحدة اساسية » لا تقبل الرد الى ماهو اصغر ، او التجزئة الى عناصر مستقلة مكونة لها ، اصبح « الالكترون » يبدو كأنما يحتل هذا المكان . وان « الذرات » ليست مكونات بسيطة ، بل مكونات **معقدة** ، بدليل ان كلا منها يتكون من عدة عناصر ، وان هذه العناصر المكونة لها تتسم هي الاخرى بصفات ليست بسيطة ، وتملك قدرة اصدار او استيعاب كميات معينة من الطاقة، بدليل اكتشاف ظاهرة **الاشعاع الذري** .

وبديهي انه في اللحظات التي يصل فيها العلم الى اكتشاف ظواهر جديدة تبدو متعارضة مع كل ما كان يبدو مستقرا ونهائيا من قبل ، تبرز للمقدمة القضايا المنهجية والفلسفية التي تحكم المنطق العلمي كله .. وكان لابد لأوجه التناقض التي برزت في علم الفيزياء ان تطرح اسئلة حول قضايا اساسية ، في مقدمتها :

■ **هل المادة موجودة حقيقة** ، بدليل امكانية تحويلها الى طاقة ، وبدليل اكتشاف ما ينقض قانون **بقاء المادة** ، الذي بدأ لايقبل النقض من قبل في ضوء المفهوم السابق عن « الذرة » **(كيمياء لافوازية) ؟**

■ هل علاقات **السببية** CAUSALITY المعروفة صحيحة ، أم هناك علاقات اخرى مختلفة عنها نوعيا ـ تحكم المكونات الاولية والاساسية للكون ؟

■ هل ماهو صحيح في العالم ، الذي نملك ادراكه بحواسنا MACROCOSMOS ظل صحيحا في عوالم تختلف عنه (حجما) عوالم تنتمي الى المتناهي الصغر » MICROCOSMOS . والى « المتناهي الكبر » MEGACOSMOS ؟

وهل ما هو صحيح في اطار « الحركة » وبالتالي بمقاييس « الوقت » التي نختبرها في تجاربنا الحسية فوق سطح الارض ، هو ايضا صحيح في حالة الحركة ذات سرعات عظمى ، او بمقاييس زمنية تختلف نوعيا عن المقاييس التي نألفها؟ بعبارة أخرى، هل ما نلمسه عن « المكان» SPACE والزمان TIME صحيح في كل الظروف ويملك صفة « الاطلاق » ؟ هل ما نشهده بحواسنا من المقبول « تعميمه » الى غير حد ؟ .

تلك الاسئلة كلها طرحت « **أزمة النظرة الميكانيكية** »، وعجزها عن أعطاء تفسير متسق ومتماسك للواقع ، بمجرد ان اصبح من المتاح **مشاهدة واختبار** ما يجرى في « عالم المتناهي الصغر » (عالم الذرة) وهو ما لم يكن « معروفا » من قبل الا من خلال افتراضات عقلية ، واستنتاجات نظرية مجردة .

وكما استباح علماء لانفسهم من قبل ، ان يتحدوا « المنطق السائد » والمفهومات المألوفة والادراك العادي للامور COMMON SENSE ابرز نماذج ذلك في مجال الرياضيات مثلا . اجتهادات **لوباتشيفسكي وريمان**

وبناؤهما « **هندسات غير أوقليدية** » . . كذلك تمكن بعض العلماء العباقرة أن يبلوروا تصورات وان يقيموا ابنية منطقية متقسة فى تفسير هذه الظواهر الجديدة دون ان يطرحوا فى الوقت ذاته الاصول الفلسفية التى لابد ان تثيرها نظرياتهم . وكان من ابرز الابنية فى هذا الصدد **نظرية النسبية لاينشتاين ونظرية الكمات** QUANTUM THEORY **لماكس بلانك** ، مستعينين فى تصوراتهم لانجازات نوباتشيفسكى وريمان فى الرياضة ــ وقد ثبت ان ماقدماه من نظريات ، بدت وقتذاك كأنما هى مجرد « طرائف منطقية » دون تطبيق لها فى الواقع ، اكثر صدقا فى التعبير عن واقع الكون من هندسة اوقليد .

التطبيق الخلاق لمنهج العمل الاجتماعى الثورى على مجال العلم والتكنولوجيا

قبل أن طرحت ــ فى نهاية القرن الماضى ــ « **ازمة الفيزياء** » فى مجال العلوم الطبيعية ، ازمة « **النظرة الميكانيكية** » ، وبالتالى ، ازمة مقومات **الفكر البورجوازى** عموما ، كانت علاقات الانتاج الرأسمالية ، قبل الظواهر المرتبطة « بالعلوم الطبيعية » وبالقوى الانتاجية ، قد كشفت عن هذه الازمة ، كما طرحت المقومات **لفكر بديل** هو فكر الطبقة الصاعدة اجتماعيا الفكر الثورى للطبقة العاملة ، المرتكز الى المنهج **المادى الجدلى** . وكان مصدر تكوين « لينين » لنظرته الى العالم ، ومصدر استيعابه وتبنيه للمنهج المادى الجدلى هو ممارسة النضال العملى فى حقل الصراع الاجتماعى ، متبنيا قضية الطبقة المتقدمة اجتماعيا ، ومناضلا من اجل تحريرها من العبودية الرأسمالية ، ومن اجل الاشتراكية .

غير ان المكتشفات الجديدة فى علم الفيزياء ، والتفسيرات الفلسفية التى لجأ اليها بعض العلماء البرجوازيين ، لم تكن طرحا للازمة وكشفا لابعادها فحسب ، بل تضمنت فى الوقت ذاته محاولة للنيل من اتساق وصواب المنهج الثورى للطبقة العاملة . ومن هنا لم تكن القضية تحتمل ــ من جانب ممثل لفكر الطبقة العاملة ــ الاغفال او الاهمال .

واذا صح ان بعض كبار العلماء ــ فى محاولة اعطاء تفسير فلسفى للظواهر الجديدة التى اصبحت معلومة فى علم الفيزياء قد ظلوا مخلصين فى الاساس للنظرة **المادية** ، مع عدم اخفاء احساسهم ان النظرة **الميكانيكية** تنطوى على اوجه قصور مؤكدة تحملهم واجب اعادة النظر فيها ، والبحث عن نظرة بديلة ، وفى طليعة هؤلاء العلماء **طومسون (لورد كيلفن) وبولزمان وليبيديف ، وماكس بلانك** ، غير أن نهاية القرن الماضى شهدت ايضا علماء لا يقلون عن السابقين اهمية فى مجال الاجتهاد العلمى البحت . وفى مقدمتهم **ماخ ودرجيم وبوانكاريه** ، قد تخلوا ــ ازاء المكتشفات الجديدة ــ عن ارضية المادية تماما ، ولرفضهم تبنى المنطق الذى توصل اليه ممثلو الطبقة الاجتماعية الصاعدة : منهج المادية الجدلية كبديل للمادية الميكانيكية وللمثالية على حد سواء ، قد ارتدوا الى مواقف فلسفية فى تفسير الظواهر الجديدة ، جددت فى صياغات مبتكرة مفهومات فلسفية عتيقة ، تراوحت بين **اللاادرية والذاتية المطلقة** (التصورية المطلقة لبيركلى) المعبرة فى نهاية الامر عن انكار كل وجود للواقع الموضوعى وللحقيقة الموضوعية .

وقد اتخذت هذه المفهومات الفلسفية التى عفا عليها الزمن صياغات جديدة ، منها **الوضعية المنطقية** [ماخ] **ومنها التوماسية الجديدة** NEOTHOMISM وهى عبارة عن تجديد لمنهج **توماس الاكوينى** ، فيلسوف القرون الوسطى ، الذى اعطى تفسيرا للعالم يرتكن الى اسس دينية . ومنها بوجه خاص نظرية **النقد التجريبى** EMPIRIOCRITICISM وهى نظرية فلسفية تدعى لنفسها تخطى الصراع بين المادية والمثالية ، وترفض ما اسمته بالافتراضات « الميتافيزيقية » فى تفسير العالم .

وهى بالدقة هذه التأسيسات الفلسفية للاكتشافات الجديدة فى العلوم الطبيعية وفى علم الفيزياء بالذات ، التى أشعرت « لينين » بحتمية تدخله دون التعرض بالطبع للجوانب العلمية المحضة . وانطلاقا من التسليم بما كشف عنه العلم . وكان هذا التدخل فى كتابه الشهير « المادية والنقد التجريبى » يتركز حول قضايا « المنهج » بالذات ، تأكيدا لحتمية تخطى النظرة الميكانيكية ، ودفاعا عن « المادية » بتخليصها من المنهج الميكانيكى ، واكسابها المنهج الجدلى .

■ عارض « لينين » التفسير « الميكانيكى » الذى قدم عقب اكتشاف الألكترون ، بادعاء ان « الالكترون » قد حل محل « الذرة » فى احتلال موقع « اللبنة الاساسية » والعنصر الاولى **البسيط** فى تكوين الكون ، وتمسك بمفهوم الجدل أن دحض صفة « الذرة » بوصفها « لبنة اساسية » للكون ، بعد اكتشاف الالكترون ، هو دحض لوجود عنصر اولى بسيط **اصلا** . وان الالكترون ، مثل الذرة يتسم بصفات **معقدة** ، وليس هناك فى الوجود بسيط اولى اطلاقا . وان « الالكترون » لا

يقبل « الاستنفاد » شأنه شأن « الذرة » فى هذه الصفة ٠

■ عارض « **لينين** » المفهوم الميكانيكى القائل بأن ما يبدو صحيحا فى اطار حيز مكانى محدد ، يقبل تعميمه لأى حيز مكانى يمتد الى المتناهى الصغير والمتناهى الكبر ٠ وكذلك ما يبدو صحيحا فى اطار حيز زمنى محدد ، وداخل نطاق «حركات» تتصف بسرعات محددة ، هو صحيح على وجه العموم ٠ وطرح فى وجه ذلك كله المفهوم الجدلى القائم على ان الصحيح مشروط ومبنى فى صحته بأن يظل صحيحا فى اطار حد كمى محدد ، ويتعرض لطفرات كيفية بعد تجاوز هذا الحد . فقوانين **نيوتن** القائمة على تصوير المكان والزمان والكتلة كحقائق منفصلة تحتفظ **بصحتها** فى حدود زمانية ومكانية معينة ، ولكنها **تفقد** صفة الانفصال ، ويبرز الترابط العضوى بين الزمان والمكان والكتلة اذا ما تجاوزنا هذه الحدود ، وفقا لما تؤكده نظرية النسبية ، ووفقا للاثباتات المستمدة من التجربة التى برزت بعد ذلك ٠

■ عارض « لينين » المفهوم اللاأدرى الناجم عن ازمة النظرة الميكانيكية حيال المكتشفات الجديدة ، والقائل بأن الحقيقة **نسبية** فقط ، ولا ترتقى ابدا الى مستوى الحقيقة **المطلقة** ٠ وطرح « لينين » فى مواجهة هذا المفهوم **اللاأدرى الذى** يكشف عن **جذور مثالية وذاتية** تهدم كل بنيان العلم **واليقين** العلمى ــ المفهوم **الجدلى** القائل بأن الانسان يسعى دائما الى **الحقيقة المطلقة** ، واذا كان من المستحيل بلوغها كلية ــ والا كان معنى ذلك ان الحقيقة الموضوعية تقبل « **الاستنفاد** » وليست **لا نهائية** فى ابعادها ــ غير ان الانسان يقترب من هذه الحقيقة المطلقة ، الموضوعية اكثر واكثر على الدوام ٠ كذلك ، فان عدم توصل وعى الانسان « **الذاتى** » الى كل ابعاد الحقيقة « **الموضوعية** » لا ينطوى على معنى انعدام وجود هذه الحقيقة الموضوعية اصلا خارج وعى الانسان ، ولا يحمل معنى تعلق الوجود بالوعى به ٠ **ان الجدلية تقر أن التمييز بين المطلق والنسبى ، هو ايضا نسبى ، بينما النظرات « الذاتية » و « السفسطائية » تنفى المطلق فى النسبى ، وتقر أن النسبى فقط نسبى ، وتلفظ المطلق ٠**

■ نبه « لينين » بحماس شديد لخطورة وأهمية ظاهرة اقتحام الرياضيات مختلف فروع العلم ، ولخطورة واهمية ترجمة العمليات الطبيعية NATURAL PROCESSES الى انماط ونماذج رياضية يمكن من خلال **تصنيف وترتيب** هذه الانماط الرياضية ، اكتشاف اوجه **شبه واختلاف** بين هذه العمليات الطبيعية بغض النظر عن تباين مظهرها الخارجى ، واختلاف وظيفتها الطبيعية ٠ **ولكن حذر « لينين » فى الوقت ذاته من جعل الترجمة** الرمزية والرياضية المنطقية للظواهر الطبيعية هى الاساس ، **بما ينطوى على معنى صرف النظر عن « أدوات الادراك والتصور » التى تميز بين** « محتوى » هذه الظواهر ٠ فان « محتوى » العلم ليس مجرد « **لعبة رمزية** » بل لابد من الاهتمام « **بالمحتوى** » كقطب مقابل ، ومكمل لقطب « الشكل » الذى يجد صياغته الادق فى المعادلات الرياضية ٠

ان هذا المنهج الذى التزم به « لينين » هو الذى افسح المجال لتفسير ظواهر طبيعية اكتشفت وقتذاك ٠ ولم يكن من الممكن ايجاد تفسير شاف لها بغيره : **ظاهرة الطبيعة المزدوجة والمتعارضة** للضوء كظاهرة ينبغى تفسيرها فى وقت واحد ذات وذات طبيعة تموجية WAVE CHARACTER جسيمية CORPUSCULAR CHARACTER

لم يتم التبنى العلمى المطلق لهذه النظرة الا بفضل اعمال **نيلز بوهر** BOHR **ودى برويل** DE BROGLIE بعد ان قدم لينين الافتراض النظرى بسنوات وعرف **بالتصور التكميلى** Complementarity Concept **ظاهرة العلاقة بين السببية والحتمية** DETERMINISM ظاهرة **العلاقة بين القوانين الاستاتيكية والديناميكية** ، والتغيرات المتبادلة فى شكل وصفات الجزئيات الاولية ٠٠ الخ ٠

ان منهج « لينين » فى وقت اراد البعض تفسير قانون اينشتاين عن التحويل المتبادل بين المادة والطاقة على أنه دليل على زوال المادة ، اختفاء الاساس المادى للكون ، لم يكن يعنى فقط **الدفاع عن النظرة المادية** باثبات النظرة المادية لا تقتصر على تصور محدد للمادة ، ولكن تكمن فى الايمان بالوجود الموضوعى للكون ، بصرف النظر عن صورته كما تبدو فى ذهن المشاهد الذاتى ، وبغض النظر عن تطور وتبدل هذه الصورة مع كل اكتشاف علمى جديد ٠٠ **بل ان منهج « لينين » كان ينطوى على ما هو اخطر ، وهو ابراز المنهج الوحيد الكفيل باعطاء تفسير فلسفى متسق لكافة الحقائق العلمية الجديدة التى تم اكتشافها ، وبما يفتح للاجتهاد العلمى آفاقا جديدة ومثمرة للارتياد ٠**

وبالفعل جاءت المكتشفات العلمية التى تلاحقت ، منذ تخطى ازمة الفيزياء فى بداية هذا القرن ، مؤكدة لصحة النظرة الفلسفية اللينينية ، ومؤكدة لما تختزنه من قدرات خطيرة على التنبؤ ، وما تنطوى عليه من « قوة نفاذة » كمرشد ودليل للعمل ٠

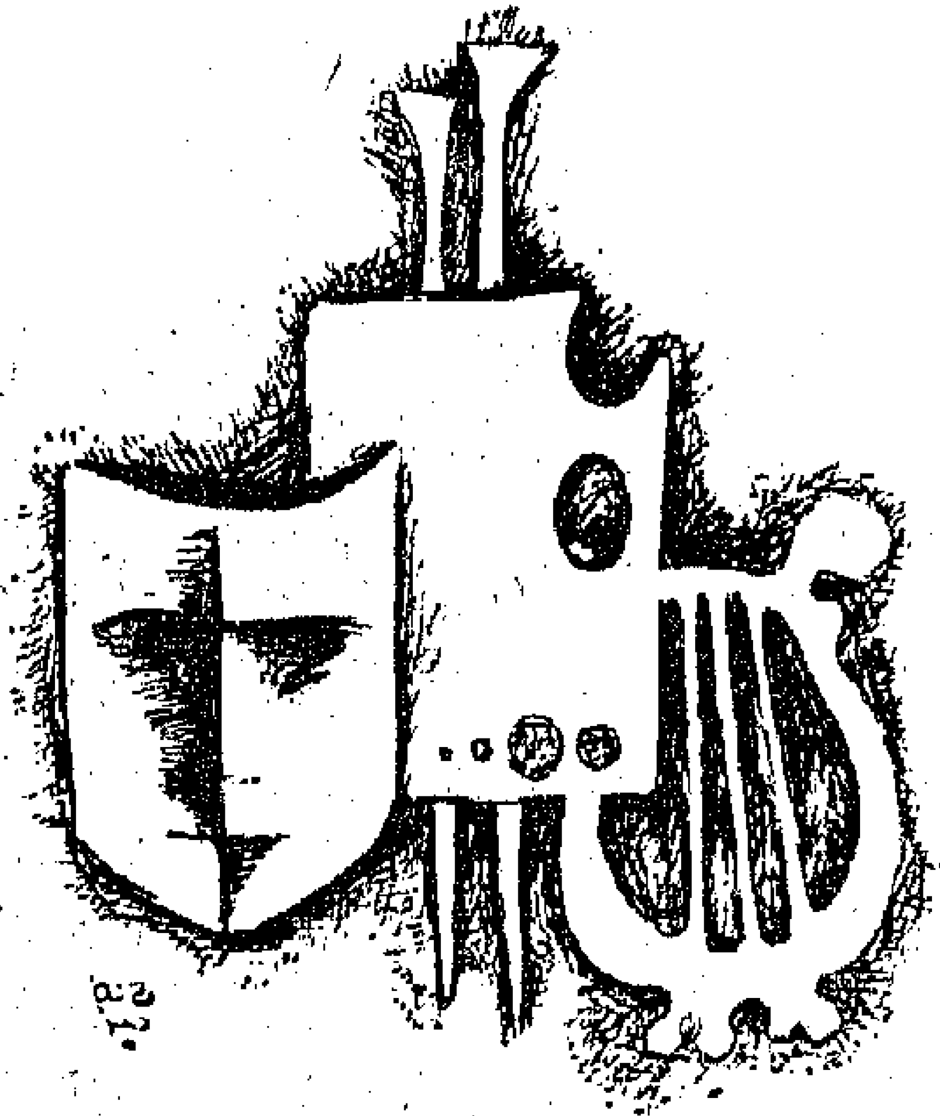
ومن المؤكد – لاسباب اجتماعية – ان عددا كبيرا من العلماء المعاصرين فى عالم الغرب لا يتبنون نظرة لينين ومنهجه فى تكشف حقائق العلوم الطبيعية لانهم يرفضون تبنى ما يترتب على هذا المنهج من اثار تتصل بالاوجه المختلفة الاخرى من سلوكهم وحياتهم • ولكن النتائج التى يصلون اليها لم يثبت فى اى وقت انه يمكن الاحتجاج بها لتفنيد صلاحية المنهج اللينينى ، بل ثبت فى اكثر من مناسبة ان استخدام المنهج اللينينى كان يكفل لطريق الاستكشاف ادخارا فى الجهد واختزالا فى الوقت •

وربما كانت النتيجة الاهم التى يتعين ابرازها فى هذا الصدد ، هى ان أزمة الفيزياء فى بداية هذا القرن تضمنت الارهاصات الاولى للثورة التكنولوجية العصرية التى تشهد اليوم انطلاقاتها بقوة دفع هائلة • ونفس المنهج الذى افسح المجال لتفسير المكتشفات العلمية الحديثة بصورة متسقة والتى يعود « للينين » الفضل فى تأكيده وابراز ملامحه ، هو المنهج الامثل لتناول تطبيقات هذه المكتشفات ولتحديد افضل وسائل استيعاب تدفقها الهائل ، وزيادة سرعة وفعالية هذا التدفق •

منهج « لينين » فى مواجهة ثورة العلوم الطبيعية فى بداية القرن العشرين ، هو المنهج الامثل لادراك محتوى وابعاد الثورة التكنولوجية فى السبعينات •• انطلاقة قوى الانتاج الحديثة بملامحها العصرية الجديدة التى تواكب التحولات العميقة فى العلاقات الانتاجية والاجتماعية المعاصرة ، وتخلق الظروف المثلى لمجتمع الانسان المتحرر من كل صور الاستغلال والاغتراب •

لينين .. والأدب والفن

غالى شكرى



« يالسحر تاريخ الفن ! ويالللأعباء التى يجدها الماركسى فى انتظاره • اننى لم استطع أن أنام حتى الصباح ، فقد أخذت أقلب كتابا بعد آخر ، وشعرت بالاسى لاننى لم أحصل ، ولن أحصل ، على وقت أخصصه للفن » (١) •



نقرأ هذه الكلمات للينين ، لاينبغى لنا – ولا يحق – ان نتصور انها صدرت عن رجل « متواضع » ، لان التواضع كالغرور ، كلاهما فى رأى لينين « رذيلة بورجوازية » . ولاننا اولا

وأخيرا بازاء كلمات لقائد يعي مسئولية ما يقول ، وعيا ارتفع به الى مستوى التاريخ • ولم تكن هذه الكلمات مجرد فقرة عابرة في حياته، وانما كانت « مدخلا » الى كل فكرة أو انطباع راوده حول الفن . ويؤكد « **اناتولى لوناتشارسكى** » ـ وعلاقته بلينين من أقوى العلاقات ـ أنه « **على طول تاريخه لم يتوفر للينين الوقت الكافى لدراسة الفنون ، ولانه كان بعيدا عن الهواية السطحية ويكرهها اذ هى تغاير طبيعته ، لم يكن يرغب فى الادلاء بأية آراء فى الفن** ••

ولعل التعبير فى اللغة الانجليزية أكثر قدرة على الايحاء بأنه لم يكن يرغب فى صياغة انطباعاته عن الفن بصورة تؤخذ فيما بعد على انها « مقولة لينينية » • ويروى **لوناتشارسكى** ان حديثا حول الفن كان يدور بين لينين وبعض الشباب ، فتخلص منهم مازحا وهو يقول : « **لست مؤهلا بالدرجة الكافية لمناقشة جادة حول الفن** » **(٣)** • ويختتم ذكرياته عن لينين قائلا انما لديه من حقائق يدفعه للاعتراف بأن « **فلاديمير اليتش لم يصغ اية مبادىء مرشدة** « Guding principles » **من نفوره أو ميوله الجمالية** » **(٤)** •

تنبع ضرورة هذه المقدمة وأهميتها البالغة من عاملين اساسيين : **أولهما** ، ان الحماس السياسى المفرط ، قد اشتط بالبعض الى درجة اعتبار جملة الخواطر والانطباعات التى سجلها لينين حول الفن « علما » و « نظرية متكاملة » . **وثانيهما** : ان المعادين للفكر الماركسى عامة ولعلاقة الماركسة بالادب خاصة قد اجهدوا قرائهم فى التقاط كلمة من هنا وكلمة من هناك من كلمات لينين فى الادب والفن ليعمموا بعدئذ مجموعة من النتائج البعيدة كل البعد عن جوهر الماركسية وجوهر الادب على السواء . بينما يقتضى الاخذ باسباب المنهج الموضوعى الاقرب الى الصواب ان تقيم افكار لينين فى سياقها التاريخى من ناحية ، وفى اطار انها آراء قائد سياسى لا عالم للجمال من ناحية أخرى • وهى بالتالى افكار وآراء تطرح للنقاش الواسع ، واحدة من أخطر قضايا الادب والسياسة فى عالمنا المعاصر ، واعنى بها قضية العلاقة بين السلطة الثورية والفن • فلعل خواطر لينين وانطباعاته الادبية قد أمست مع الايام ذات قيمة تاريخية ، ولكن المثال الديمقراطى الذى جسدته شخصيته السياسية كقائد ثورة لا يزال مثالا حيا باقيا على الزمن •• ذلك ان العلاقة بين السلطة اللينينية والفن تكاد تكون القدوة النموذجية الوحيدة على طول الثورات الاشتراكية التى أكدت أنه فى ظل الديمقراطية ، تزكو انضج ثمار الادب والفن •

ونحن نستطيع ان نضع اليد على ثلاثة مصادر رئيسية لمعظم ما تعرضت له نظرات لينين الادبية والفنية من قضايا ومشكلات . **المصدر الاول** هو مقالاته الخمس عن تولستوى •• **والمصدر الثانى** هو رسائله الى جوركى •• **والمصدر الثالث** هو مقاله الخطير « التنظيم الحزبى والادب الحزبى » • وتبقى بعد ذلك رسائل وتعليقات وذكريات وقرارات تتصل من بعيد او قريب بمشكلات الفن وقضايا الادب ، ولكنها تحتل بالنسبة الى المصادر الثلاثة الاولى مركزا ثانويا .

الاساس الفلسفى

ولقد أوضح لينين فى « **الكراسات الفلسفية** » وكتابه الهام « **المادية والنقد التجريبى** » موقفه النظرى من الفكر الجمالى السائد على الفلسفات المثالية والمادية المبتذلة جميعا • وقد سبقت اشارات لينين مجموعة من المؤلفات التى ظهرت قبل الثورة ، مثل « علم اجتماع الفن » **لفريتشه** ، و « ادب هذه السنين » **لكوجان** ، وكانت الموضوعات المثارة حينذاك هى « ادب الطبقة ، الشروط الاجتماعية ، دور الكاتب فى الثورة ، الشكل والمضمون ، العارض والخالد فى الادب ، الشعر والسياسة ، العقيدة والدعاية فى الفن » الى غير ذلك من موضوعات تناولتها عدة تيارات من التحليل الماركسى المعتدل حينا كدراسة **بولونسكى** والتطرف احيانا كدراسة **ليليفتش** وقد جمعتا فى كتاب واحد • ولعل بداية الانحراف الحقيقية هى تلك التى عرفت طريقها آنذاك **تحت** شعارات **بريفيرسيف** وتلاميذه القائلين بان « **كل اثر فنى يعبر بصورة مستقيمة ومباشرة عن البنيان الاقتصادى المجتمع ، وانه يمكن البحث عن الحركة الاقتصادية فى الاستعارات والصور** » (٥) . تلك كانت بداية الانحراف التى تطورت على يدى **بوجدانوف** صاحب الدعوة الى « الثقافة البروليتارية » الخالصة ، والتى اتهمه بشأنها لينين على أساس أن دعوته تمت بصلة قرابة الى افكار **ماخ** لا الى افكار **ماركس** •

والحق ان لينين فى هذه الفترة خاض نضالا رائعا فى صفوف الماركسيين الروس ضد التبسيط المبتذل للمادية التى لا تميز بين الفن والحياة

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) راجع « فى الادب والفن » للينين ـ الطبعة الانجليزية الاولى ١٩٦٧ ـ دار التقدم بموسكو ـ (ص ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

(٥) راجع « علم الادب السوفيتى » لبنيامين جوريلى ـ ترجمة جلال فاروق الشريف ـ منشورات دار الصحافة بدمشق (ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) .

كانعكاس لانعدام تمييزها الفلسفي بين الوجود والوعي (**بوجدانوف**) . وكذلك ضد التصور الساذج لدور الفنان القاصر عند بعضهم على مجرد التوضيح لمسائل نظرية مجردة ، أي عدم التفرقة بين المعرفة الجمالية وبين المعرفة على وجه العموم (**كاوتسكي**) . وبرهن لينين من وجهة نظر المادية الجدلية على ان الفن « **وسيلة متميزة ومهمة جدا من وسائل المعرفة ، وهو وسيلة وحيدة في جنسها وليس لها مثيل ، وان كانت تنطبق عليها كل القوانين العامة في نظرية المعرفة** » (٦). ولذلك كان لينين يرى بصورة شبه يقينية أن « **اغنى الاشياء أكثرها تشخيصا واكثرها ذاتية** » . ومن هنا تولد احساسه العميق بعظمة الفن ، وأسفه الاعمق على انه لم يتيسر له الوقت الكافي لدراسته . ولكنه بشكل عام قد استطاع ان يمد اهتمام الماركسية الى الجماليات من زاوية نظرية المعرفة، حيث اومأ بأن الخيال والتصور والتلقائية من سمات المعرفة الانسانية عامة ، ولكن الفن يكثف هذه السمات العامة ويركزها في دائرة أكثر خصوصية فيصبح التخييل والتصوير والعفوية من جوهريات الابداع الفني . ولا ينفي هذا بطبيعة الحال أن تكون « الحياة » هي المقياس الحاسم لتقييم صحة التصورات والملاحظات التي يبديها الفنان في عمله الادبي . وفي علاقة الفن بالحياة – وهي من اخطر القضايا النظرية – اكتفى « لينين » بان الوحدة الجدلية بين ما يعكس وبين كيفية انعكاسه هي أساس ماهية الفن . وسوف نكتشف ان هذه الكلمات القليلة قد أدت دورا بالغ الاهمية للفن والفنانين ابان المرحلة اللينينية في الثورة الاشتراكية الاولى . ذلك انها كانت بالقدر الذي كافحت به المناهج المثالية في التفكير الجمالي ، كافحت ايضا المناهج المادية المبتذلة . فلا ريب « ان **الاحاسيس بالنسبة لصاحب الايديولوجيه الماديه هي صور عن الحقيقة النهائية ، وهي وحدها الحقيقة الموضوعية** » (٧). ولكن ما هي العلاقة بين هذه الاحاسيس والحقيقة ؟ وبعبارة أدق كيف يتم التفاعل بين الوجود والوعي ؟ . يجيب « لينين » في نفس المصدر (ص ٤٨) : « **ان وجود المادة غير مرتبط بالاحساس ، فالمادة أولية وسابقة على الشعور ، أما الاحساس والفكر والوعي ، فهي النتاج الاعلى للمادة المنظمة بصورة خاصة** » . وهو بذلك يوضح حدود الاستقلال النسبي للخيال الفني عن الواقع المادي ، كما يوضح ابعاد العنصر الذاتي في عملية الخلق ، وهو العنصر الذي يتكامل مع الحقيقة الموضوعية رغم نسبيته ولا يتعارض معها .. هكذا يحلّ الظاهرة المادية والظاهرة الشعورية في نفس المرجع (ص ١٢٨) قائلا أن « **المادة مقولة فلسفية تدل على الحقيقة الموضوعية التي تعطى للانسان بوساطة احساساته والتي تنسخ وتصور ، وتعكس بوساطة احساساتنا فيما هي موجودة بصورة مستقلة عن هذه الاحساسات** » .

وعلى هذا النحو كان « لينين » يؤصل مقولة « **انجلز** » عن العلاقة بين الادب والتطور الاقتصادي ، وهي العلاقة التي لا تقوم على أساس الانعكاس المباشر ، والا كانت الفنون والاداب والفلسفات والاديان وغيرها من المعنويات مجرد أصداء سلبية للواقع الاقتصادي . وينسى المتطرفون « الميكانيكيون » ، كما دعاهم لينين ، أن الصدى السلبي لا يثمر فعلا ايجابيا ، وبالتالي فما قيمة السياسة والقانون والفلسفة والفن اذا لم يكن لها دور مؤثر على تطور الانسان وواقعه ؟ وأين « الجدل » قبل ذلك وبعده ؟ ان الفن ليس لهوا تمارسه بعض القوى الخفية ، ولكنه أيضا ليس مرآة جامدة للواقع . ويا له من تقارب في خاتمة المطاف بين المثالية التي لا ترى أية آصرة أو وشيجة بين الفن والحياة ، والمادية التي تجعل من الارتباط بين الفن والواقع صورة كاريكاتورية .. انهما رغم كل شيء يلتقيان أخيرا في النظرة الى الفن باعتباره نشاطا ثانويا في الحياة ، عديم الفعالية والجدوى .

القديم والجديد

لم يضع « لينين » نظرية جديدة في الفن ولم يؤسس علما للجمال ، ولكنه أضاف الى تراث ماركس وانجلز من ناحية ، وتراث الديمقراطيين الثوريين الروس من ناحية أخرى اضافة تتميز بطابع تطبيقي ، هو خلاصة اللقاء العملي المباشر بين قائد أول ثورة اشتراكية ناجحة في تاريخ الانسان والواقع الخام الذي يواجهه بكل تعقيداته وتناقضاته ، وظواهره وخباياه ومن بينها الظاهرة الفنية وخباياها .

ولقد كان من الطبيعي أن تكون قضية القديم والجديد في الفن من أهم القضايا التي تواجه السلطة الجديدة التي تبني على الشاطىء السياسي والاجتماعي والاقتصادي للثورة ، مجتمعا جديدا كل الجدة .. فماذا يكون الامر بالنسبة للشاطىء الاخر للثورة : الادب والفن ؟ لقد اختار

---

(٦) راجع « الجمال في تفسيره الماركسي » لعدد من المفكرين السوفييت – الترجمة العربية – وزارة الثقافة بدمشق – (ص ١٥٤) .

(٧) اجع « المادية والنقد التجريبي » الطبعة الانجليزية – موسكو (ص ١٢٧) .

لوناتشارسكى ١٨٧٥ ـ ١٩٣٣

رجل دولة سوفيتى ، وكاتب متخصص فى نظرية الفن ، وصحفى التحق بحركة الطبقة العاملة فى ١٨٩٠ واصبح بلشفيا عام ١٩٠٣ وفى أعقاب هزيمة الثورة الروسية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ خرج عن البلشفية واصبح ماخيا ومن دعاة « بناء الله » وألف كتابا من جزءين عنوانه « الاشتراكية والدين » [١٩٠٨ ـ ١٩١١] وفى عام ١٩١٧ عاد مرة اخرى الى الحزب البلشفى ، ومن عام ١٩١٧ الى ١٩٢٩ شغل منصب « مفوض الشعب للثقافة والتعليم » . وفى عام ١٩٣٠ انتخب لاكاديمية العلوم . من مؤلفاته الباكرة « أسس الجماليات الوضعية » [١٩٠٤] ولكن أهم هذه المؤلفات كان كتابه « حوار حول الفن » [١٩٠٥] وكتابه « واجبات الاشتراكية الديمقراطية نحو الفنون » [١٩٠٧] ثم « رسائل حول الادب البرولىتارى » [١٩١٤] و « الثقافة فى الغرب وفى بلادنا » [١٩٢٨] و « الصراع الطبقى فى الفن » [١٩٢٩] و « لينين والدراسات الادبية » [١٩٣٢] وقد أعار انتباهه الشديد فى هذه المؤلفات الى العلاقة بين الفن البرولتارى والثورات ، وكذلك قضية الحداثة والمعاصرة فى الادب . كتب ايضا بعض الاعمال المسرحية .

البعض ـ كما سبق أن ذكرت ـ موقف المعارضة الجذرية للقديم أيا كان اتجاهه ، والاصرار على خلق « ثقافة بروليتارية » خالصة وصافية ونقية ـ وتلك هى الالفاظ التى استخدمها بوجدانوف ـ بغير ان تشوبها شبهة التأثر بظلال الماضى ، مهما كانت روعتها . ومن الواضح أن التصور الميكانيكى لعلاقة الفن بالواقع هو الذى أملى على أولئك المتحمسين لدرجة التشدج فكرة أن القاعدة الاقتصادية الجديدة للمجتمع سوف تخلق بالضرورة قيمها الفنية المغايرة للقديم ، الذى كان . والفكرة صحيحة فى مجملها ، ولكن المشكلة تثور مع التفاصيل ، وتبلغ حدتها فى التطبيق . فالقاعدة الاقتصادية الجديدة نفسها لا يتم بناؤها بين يوم وليلة ، بل هناك مرحلة تحول طويلة ومريرة ومعقدة . مرحلة الانتقال من النظام الاقتصادى القديم الى النظام الجديد . يضاف الى ذلك أنه اذا كانت « القرارات » الاقتصادية والسياسية تعجل بالتغيير الاجتماعى المنشود ، فان الاداب والفنون تختلف فى مسار تطورها ، ومعدل هذا التطور ووسائله ، اختلافا يكاد يكون كيفيا عن مسار التطور الاقتصادى. وهذا ما دعا لينين الى الوقوف بحسم فى وجه دعاة « الثقافة البروليتارية » .. حتى أنه اضطر كرجل دولة أن يصدر قرارا رسميا فى التاسع من أكتوبر ١٩٢٠ يقول فى مادته الثانية « **لا اختلاق ثقافة بروليتارية جديدة . بل تطوير خيرة نماذج وتقاليد ونتائج الثقافة الموجودة من وجهة نظر الماركسية عن العالم** » [٨] . ولم يكن هذا القرار محض سيطرة ادارية لتسويد صياغة نظرية ، بل كان تجسيدا عميقا لما يشعر به لينين فعلا ازاء التراث . وتروى « **ناديجدا كروبسكايا** » عن ذكرياتها عنه أنه أحيط ذات مرة بمجموعة من شباب الجيل الفنى الجديد ، فسألهم عما اذا كان **بوشكين** ضمن ما يقرأون « ولكن أحدهم صاح : كلا ، كان بورجوازيا ، نحن نقرأ مايكوفسكى ! وابتسم لينين قائلا فى هدوء : « أعتقد أن بوشكين أفضل » . كذلك تروى « **كلارا زيتكين** » أنه خاطب بعض الرسامين يوما خطابا واضحا لا لبس فيه اذ قال انه ينبغى الحفاظ على « الجميل » واتخاذه قدوة ومثالا والانطلاق منه « حتى وان كان قديما » . وتساءل لينين : لماذا يتعين علينا أن ندير ظهورنا للجميل ونتخلى عنه كنقطة انطلاق للتطور ، لسبب واحد هو أنه قديم ؟ ويجيب فيما يذكر **لوناتشارسكى** « يجب الاحتفاظ بكل ما هو لائق فى الفن القديم » . ولقد أشار لينين صراحة الى « جمعية الثقافة البروليتارية » حين قال ان عزل الثقافة البروليتارية عن تراث الثقافة الديمقراطية ، هو أخطر ما يمكن أن يحيق بتطور الثقافة الاشتراكية وازدهارها .. « **وقد صرفت هذه النظريات تطور ابداع الكثيرين من الادباء ورجال الفنون الذين سعوا باخلاص الى خدمة الثورة** » (٩) .

بل انه أشار الى التراث البورجوازى على نحو خاص ، لا لكى تتبنى منه الثورة الاشتراكيه أكثر جوانبه تقدما فحسب ، بل لكى تستطيع عن طريق جوانبه السلبية أيضا أن تتعرف أكثر فأكثر على طبيعة الحضارة التى قدر لنا أن نرثها وأن نغيرها فى وقت واحد . وفى التاسع عشر من سبتمبر ١٩١٨ وقع لينين مرسوما « **بحظر نقل الاشياء ذات الاهمية الفنية والتاريخية الخاصة الى البلدان الاجنبية وبيعها لها** » ، مستلهما فى توقيع ذلك المرسوم فكرة « **ماركس** » عن الاستقلال النسبى للفنون وكيف أنه رغم ارتباط بعض « التحف » بأشكال اجتماعية معينة لا تتلاشى أهميتها بزوال هذه الاشكال . وكان « **ماركس** » قد أشار الى أن « **تحف الفنون اليونانية لا تزال تعجبنا من**

(٨) راجع « فى الثقافة والثورة الثقافية » للينين ـ الطبعة العربية ١٩٦٧ دار التقدم ـ موسكو (ص ١٤٦).
(٩) راجع مقال « لينين وحضارة الماضى » ليعقوب ستريتشكوف ـ سلسلة « دراسات فكرية » نوفستى القاهرة ١٩٦٧/٩/٢٣ (ص ١٢) .

الناحية الفنية وتحتفظ الى درجة ما بأهمية القياس والنموذج الذى لا مثيل له » (١٠) .

على أن هذا الموقف العلمى الدقيق من قضيه « القديم » لم يوازنه لينين بموقف مماثل من قضية « الجديد » .. فظلت من المشكلات التى أرقته طويلا ، أن يفرق بين مزاجه الشخصى الذى رأى فى الفن الجديد شيئا « **غريبا ، وغير مفهوم** » كما نقلت عنه **كروبسكايا** فى ذكرياتها ، وبين وعيه النافذ الى أهمية « **استيقاظ القوى الجديدة وعملها من أجل خلق فن جديد وثقافة جديدة فى روسيا السوفيتية .. ينبغى لنا ان نعوض ما فاتنا فى سباق قرون وقرون** » . . وفى احدى اللحظات – مع كلارا زيتكين – أحس بهذا التمزق يكوى ضلوعه فهمس لها : « **أجل ، ياعزيزتى كلارا ، ليس فى اليد حيلة ، فنحن كلانا عجوز . وليس لنا أن نواكب الفن الجديد ، انما سنسير ببطء وراءه** » .

وقد تناوبت لينين موجات الشد والجذب تناوبا عنيفا .. كان يخشى – لحد المرض – هذه المودات الغريبة التى يولع بها البعض افتعالا فى كثير من الاحيان . وحينذاك كان يصرخ فى عصبية ظاهرة : لماذا يجب ان ننحنى امام الجديد كما ننفعل أمام الرب ، ولماذا يتحتم الخضوع له لمجرد أنه جديد ؟ « **هذا غير معقول ، غير معقول اطلاقا** » (١١) . ولو استعدنا موقفه من **بوشكين** ومايكوفسكى لتبين لنا من المتابعة الدقيقة لهذا الموقف أنه كان موقفا من المدرسة « المستقبلية » التى يمثلها مايكوفسكى فى الشعر الروسى ، ولم يكن قط موقفا شخصيا من الشاعر الذى أحب كثيرا قصائده فى نقد البيروقراطية السوفيتية (١٢) . ولعل المفارقة هنا تفصح عن جوهر لينين الديمقراطى فالقصائد التى اعجبته لمايكوفسكى هى القصائد العنيفة فى نقد الجهاز البيروقراطى للدولة الجديدة . بينما هو – من الناحية المزاجية البحتة – لا تستهويه القصائد الاخرى التى تضع مايكوفسكى فى طليعة الشعر الاوربى آنذاك . ودائما كان يحل هذا التناقض بين عقله وعواطفه حلا وسطا لا يجانب جوهره الديمقراطى . . وهذا ما نلاحظه مثلا على البرقية التى كتبها الى **لونا تشارسكى** ووبخه فيها على طبعه خمسة آلاف نسخة من كتاب لمايكوفسكى ، وكان الاجدر به أن يقتصر على طبع الف وخمسمائة نسخة توضع فى المكتبات العامة (١٣) .

ويبدو هذا التمزق كأوضح ما يكون عندما يطالب برؤية الظواهر الفنية الجديدة « **بعين نفاذة محلله . ولا ينبغى أن يسمح لهم – يقصد الاجيال الفنية – باقتحام الميدان عنوة ، وانما ينبغى أن يمنحوا الفرصة للظفر بمكانة أفضل عن طريق الاعمال الفنية الحقيقية وعلى هذا النحو يمكن اتاحة كافة الامكانيات امامهم** » (١٤) .

ولقد وجه « لينين » أعنف انتقاداته الى الفن التجريدى عند بداية ظهوره ، وذلك « **لاتجاهه غير الانسانى** » .. ففى معرض دولى بلوزان (١٩١٦) شاهد احدى الصور تبعثرت فيها مجموعة من السيقان ورسغ وأذن وألوان مبعثرة كتب تحتها انها بورترية لفريتز كريزلر . وانتحى لينين بالفنان صاحب اللوحة المعروضة وسأله عما اذا كانت تعجبه ، فأجاب الفنان بأنه لم يدرس الاتجاه **الجديد بعد الدراسة الكافية للفهم ، وحينئذ اقبل** بعض الفنانين المستقبليين يتناقشون حول التجريد ، ونشب بينهم حديث يقوده لوناتشارسكى الذى كان يرى ان لشكل انسان انطباعاته الخاصة للواقع واصغى لينين جيدا للحديث ثم سأل أناطولى : قل لى بصراحة ، هل تحب أن يبقى لك من بعدك مثل هذا البورتريه ؟ وضحك لوناتشارسكى قائلا : كلا ، فى الواقع ؟ واستأنف لينين : ها انتذا ! وذلك يوضح كل شىء (١٥) . وفى كلمات أكثر ايجازا ووضوحا قال فى حديثه مع كلارا زيتكن « **لا استطيع ان اعتبر مؤلفات المدرسة الانطباعية والمستقبلية والتكعيبية وغيرها من المدارس المماثلة غاية العبقرية الفنية . انى لا أفهمها . وهى لا تبعث فى نفسى أى شعور بالفرح** » ، مشيرا بذلك الى تعريف ماركس للفن بأنه أقصى درجات الفرح . ولينين – بهذا الموقف من الفنون الجديدة – لا يختلف عن ملايين البشر الذين استقبلوا هذه الاتجاهات بشىء كثير من الدهشة التى تصل أحيانا الى درجة الاستنكار .

---

(١٠) راجع لينين ومسائل نظرية الفنون » لبيترفيدوسييف مدير معهد الماركسية اللينينية .. مقال وزعته « نوفستى » بالقاهرة فى نسخ محدوده .

(١١) « فى الثقافة والثورة الثقافية » – الطبعة العربية المذكورة سابقا (ص ٢٢٧) .

(١٢) المصدر السابق (ص ٢٢٢) .

(١٣) (فى الادب والفن) – الطبعة الانجليزية المذكورة سابقا – (ص ٢١٤) .

(١٤) المصدر السابق – (ص ٢٦١) .

(١٥) راجع « الانسان والمجتمع » – الطبعة الانجليزية الاولى – ١٩٦٦ – دار التقدم بموسكو (ص ١٦٣ ، ١٦٤) .

وهو موقف « محافظ » على مستوى التذوق ، ولكنه على الوجه الاخر للعملة يتكامل مع الموقف اللينيني من الديمقراطية حيث « **لم يكن مع ذلك يطرح ذوقه الجمالي قانونا عاما ، كما كان يرفض التدخل الاداري الفظ في شئون الفن ، بالاضافة الى استعداده للاعتراف دوما بعدم كفاءته للحكم في هذه المسألة او تلك من مسائل الفن** » (١٦) . ولم يعط لينين « **وصفات جاهزة** » — على حد تعبير بيزوبيتوف — بل كان يسعى دائما للتأكيد على تعدد وسائل التعبير تبعا لتعدد شخصيات الفنانين وتجاربهم الجمالية .

الفن .. والحرية

لا تنبع الفكرة الديمقراطية عند لينين من قدرته على الموازنة بين الرأي الشخصي واحترام آراء الاخرين ، فهذه الموازنة رغم أهميتها ليست في التحليل الاخير الا قيمة اخلاقية . بينما كانت الديمقراطية اللينينية ذات جذر فلسفي اصيل في البناء الفكري للينين ، هو ذلك التصور لمعنى « الانعكاس » . وقد اوضحه في « الكراسات الفلسفية » قائلا انه : « **ليس فعلا بسيطا مباشرا . ميتا ، انه ليس انعكاسا في مرآة ، بل فعلا معقدا، مزدوجا ، متعرجا .. فعلا يتضمن امكانية تحويل** (غير مدرك ، لا يشعر به الشخص) **للمفهوم المجرد ، للفكرة ، وهي بدعة خيالية** (وهي التحليل النهائي الاله) . **ذلك انه يوجد في ابسط انواع التعميم ، وفي ابسط اشكال الفكرة العامة شيء من الخيال** » (١٧) . أن هذه الفكرة الجوهرية عن مراحل « الانعكاس » وتحولاته وتفاعلاته ، هي الاساس النظري لفكرة الحرية في الفن . ولقد خاض « لينين » نضالا عنيفا ضد ما اسماه « **بالذاتية اليسارية** » التي كانت تركز الضوء على المصدر العاكس ، وتهمل « عملية » الانعكاس نفسها ، وتغفل نهائيا الشيء المعكوس . هذا التصور « المادي » المبتذل ، يقود بالضرورة — عند التطبيق — الى الارهاب والعبودية . وكان يقصد بذلك جماعة « الثقافة البروليتارية » التي دعت الى حرق الاثار الفنية القديمة ومصادرة كل ما هو غير بروليتاري . لذلك اصدر لينين قراره الشهير بحماية الاثار والتحف القديمة ، ولذلك ايضا اصدر قراره بأن ثقافة البروليتاريا هي وريثة أعظم منجزات الثقافة الانسانية على مر التاريخ . ولم يكن لينين بحاجة الى اتخاذ قرارات من موقع السلطة لولا انه أحس يقينا بتهديد خطير للديمقراطية دفعه للقول بأن « **تنمية الديمقراطية حتى النهاية هي احدى المهام الاساسية للثورة الاجتماعية** » (١٨) .

هكذا تصبح الاشتراكية في رأي لينين اداة تحرير للفنان ، لا سوط عذاب كما يصورها المتحمسون الاغبياء والاعداء الاذكياء جميعا . ان الاشتراكية تحرر الفنان أولا وقبل كل شيء من عبودية السوق في ظل الراسمالية حيث يتحول العمل الفني — الذي استثناه ماركس في تحديده للسلعة — الى رقم في البورصة . بل ان حملة لينين الضارية لمحو الامية لا يمكن فهمها الا على ضوء موقفه من الحرية .. فاذا كانت الاشتراكية تحرر الفنان من الحاجة الى مشترين رأسماليين تتدخل أذواقهم بصورة أو بأخرى في صنع الاتجاهات الفنية ، فان انتشار التعليم يحرر متلقي الفن من سول الفئات المتساقط من موائد السادة « المتعلمين » . لقدحاول البعض أن يصور موقف لينين من قضية « التعليم » على أنه يراها سابقة في مجال الاولويات على قضية « الفن » . وليس هذا صحيحا ، وانما كان يهدف لينين في غير موارية الى القول بانه «كم من المواهب تهلك»

(بوجدانوف ١٨٧٣ — ١٩٢٨)

فيلسوف روسي واقتصادي ، التحق بالبلاشفة عام ١٩٠٣ حاول أن يخلق منهجا خاصا به هو « مذهب الوحدانية التجريبي » وهو نوع من الفلسفة المثالية الذاتية التي انتقدها لينين انتقادا حادا في كتابه « المادية والنقد التجريبي » . وعلى اثر هزيمة الثورة الروسية ١٩٠٥ — ١٩٠٧ راح ينظم مدرسة معادية للحزب في جزيرة كابري . وفي ١٩٠٩ طرد من الحزب . وفي عام ١٩٢٦ اصبح مديرا لمعهد نقل الدم وقد مات اثناء تادية احدى التجارب على نفسه . هو الذي اسس « جماعة الثقافة البروليتارية » التي هاجمها لينين لانعزاليتها ورفضها التراث . من اهم مؤلفاته « العناصر الاساسية للنظرة التاريخية الى الطبيعة » [١٨٩٩] و « المعرفة من خلال وجهة النظر التاريخية » [١٩٠١] و « الاحادية التجريبية » [١٩٠٤ — ١٩٠٦] و « فلسفة التجربة الحية » [١٩١٣] و «التنظيم العالمي للعلم» [١٩١٣ — ١٩١٧] و « حول الثقافة البروليتارية » [١٩٠٤ — ١٩٢٤]

---

(١٦) راجع « أ . ن . بيزوبيتوف » بالاشتراك مع اخرين في كتاب « الجمال في تفسيره الماركسي » — الطبعة العربية — (ص ١٦٥) .

(١٧ ، ١٨) النصان منقولان الى العربية في ترجمة د. كمال الغالي واديب اللجمي لكتاب هنري لوفيفر ، « فكر لينين » — منشورات وزارة الثقافة بدمشق — (ص ١٥٨ ، ٣٨٤) .

بسبب أميتها ، فلعل الفطرة كانت تثمر فى انسان ما ثمارا فنية رائعة خنقتها وحرمتنا منها « أميته وجهله » . ومن ناحية أخرى كان يهدف « لينين » من الحرب التى أعلنها على الامية أن تكون مقدمة ضرورية لاستهلاك الفن العظيم من جانب الاغلبية الساحقة . فاذا تحرر الفنان من السوق ، وتحرر المتلقى من الجهل بلغت حرية الفن حدها الاقصى . وهو الحد الذى يتيح أعلى درجة من المرونة لعملية « الانعكاس » الفني بزوال عوائق القهر بين الفنان وخامات تجربته الجمالية من واقع وخيال ووعى ،وعندما يتحرر مناخ الخلق والتذوق الفنى من قيود « السوق » و « الجهل » ، لا يتبقى أمام الفنان والمتلقى كليهما ، الا التفرغ لذلك المزيج المركب من الذات والموضوع ، أى ذلك التفاعل بين التكوين الداخلى والحقيقة الخارجية ، حينئذ يصبح « **لكل فنان ، ومن يعد نفسه فنانا ، الحق فى أن يبدع بكامل حريته ، وفق مثاله الخاص** » (١٩) .

ويطيب هنا للكثيرين من اعداء الفكر الماركسى عامة ، ولعلاقة الماركسية بالادب خاصة ، ان يستشهدوا بمقال قديم كتبه « لينين » فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٠٥ تحت عنوان « **التنظيم الحزبى والادب الحزبى** » ولا يتجاوز حجمه فى الطبعة الانجليزية خمس صفحات . يبدأ لينين حديثه بأنه فى وجه التقاليد البورجوازية الرامية الى اجتناء الربح ، وفى وجه مؤسسات النشر التجارية البورجوازية التى تؤدى فى النهاية الى « الاحتراف » الادبى ، والفردية والفوضى الارستقراطية واقتصارها على استهداف الربح بأية وسيلة كانت .. فى وجه ذلك كله يتعين على البروليتاريا الاشتراكية أن تقرر مبدأ « الادب الحزبى » ، وأن تطور هذا المبدأ وأن تضعه موضع التطبيق ما استطاعت الى ذلك سبيلا . **فما هو هذا المبدأ العام للادب الحزبى ؟** انه الايمان بأن الادب لا يمكن ان يقتصر على اثراء فرد او مجموعة من الافراد ، ولا ان يصبح مسئولية فردية ، ولا ان ينعزل عن الاهداف العامة للبروليتاريا . على الادب أن يكون جزءا من هذه الاهداف ، وأن يرتبط من أجل ذلك بالوعى السياسى الطليعى للطبقة العاملة ، أى أن يدخل ضمن تنظيمات وخطط الحزب الاشتراكى الديمقراطى ويتكامل معها . ولكننا ـ يقول لينين بالحرف ـ لا ننكر أن « **الجانب الادبى من قضية البروليتاريا لا يتطابق بصورة آلية مع بقية الجوانب** »[٢٠] والمقصود هو أن وسائل النشر كالصحف والمجلات والدوريات واتحادات الكتاب والمكتبات العامة يجب أن تخضع للرقابة الحزبية الديمقراطية ، بالاشتراك فى عضوية التنظيم والجوار داخله ، فنمحو بذلك اسس المثل الروسى شبه التجارى « الكاتب عليه أن يكتب ، والقارىء عليه أن يقرأ » . اذ ينبغى أن نتخلص من سجن العلاقات التجارية البورجوازية فى ميادين النشر « **يجب أن نؤسس ، وسوف نؤسس صحافة حرة ، لا من الشرطة فحسب ، بل من رأس المال ، أيضا والاحتراف ، وأكثر من ذلك ، من الفوضى البورجوازية الفردية** » . (٢١) ويعمد المعادون للينينية الى اغفال مثل هذه الفقرات الرئيسية فى المقال ، والتى تحدد بصورة واضحة أن لينين كان يفكر فى وضع الادباء والفنانين أثناء بناء الحزب ، ولم يكن بالقطع يفكر فى تقنين جمالى للادب ، لذلك يقول صراحة أن « **لكل انسان الحق فى أن يكتب وأن يقول ما يشاء بغير أية قيود . ولكن ايضا لكل مؤسسة حرة ـ كالحزب ـ أن تطرد من بين صفوفها الاعضاء الذين يدعون باسمها الى وجهات نظر معادية للحزب . ان حرية المؤسسة يجب ان تكون مكفولة تماما هى الاخرى** » (٢٢) . ويستطرد لينين فى شرح هذه النقطة قائلا ان حرية الفكر والنقد « داخل » الحزب ، لن تدعنا ننسى حريتنا فى تنظيم الشعب بهذه المؤسسات المعروفة بالاحزاب . ويعلم لينين أن البورجوازية تضلل الكثيرين من الادباء والفنان باشاعتها العريضة والكاذبة ، عما تسميه بالحرية المطلقة . وهى الحرية المحاصرة من الناحية الفعلية بقوانين المال وسيطرة الرأسماليين ، وهو أمر مختلف عين مجتمع يغص بالجماهير الكادحة فى الفقر . ويخاطب لينين فى هذا الصدد ، الكاتب الذى يعيش فى ظل البورجوازية متسائلا : « **هل أنت حر فى علاقتك بالناشر البورجوازى حين يطلب اليك أن توافيه بقصص الجنس والدعارة .. الحق أن الانسان لا يستطيع أن يعيش فى المجتمع وأن يكون حرا من المجتمع . ان حرية الكاتب البورجوازى والفنان ، او الممثلة هى فى الحقيقة قناع يخفى وراءه كيس النقود والفساد والدعارة** » (٢٣) . ونحن الاشتراكيين نعرف حق المعرفة ـ يقول لينين ـ ان الادب الحر حرية مطلقة لن يوجد الا فى ظل المجتمع اللاطبقى ، لذلك كانت الطبقة العاملة بديلا موضوعيا . نكافح من أجله ، ومن أجل ان يرتبط الادب به ارتباطا منفتحا « Openly linked » أى ذلك الارتباط الواعى الحر بالفكرة الاشتراكية والتعاطف مع الشعب العامل ، لا عن طريق « الاحتراف المهنى » ، وانما باستيعاب أحدث كلمة فى ثورة الفكر البشرى والتجربة الحية

(١٩ ، ٢٠) راجع « فى الادب والفن » للينين ،هذا العرض التفصيلى وخاصة المقاطع المأخوذه بين اقواس (ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) .

(٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) المرجع السابق (ص ٢٥ ، ٢٦) .

والعمل الخلاق لاكثر الطبقات ثورية فى عالمنا الراهن . واذن فعلى « **كل آداب الاشتراكية الديمقراطية ان تتحول الى ادب حزبى** » (٢٤) بأن تصبح كل صحيفة ومجلة ودار نشر « منظمة » داخل الحزب ودينامو للعمل الثورى « **وحينئذ فقط تستحق آداب الاشتراكية الديمقراطية هذا الاسم، وحينئذ فقط تقوم بواجبها كاملا ، حتى داخل الاطار البورجوازى للمجتمع لتكسر عبوديته وتواكب حركة الطبقة الثورية والتقدمية حقا** » (٢٥) .

هذا هو على وجه التقريب ، نص المقال الشهير الذى كتبه لينين عام ١٩٠٥ . ويبدو من طريقة الصياغة، أنه كان خطابا توجه به الى الكتاب الثوريين ، وهو المقال الذى يسترشد به المعادون للاشتراكية فى رؤية العلاقة بين الماركسية والادب من زاوية شديدة الالتواء وبالغة الخبث . فالحق ان لينين فى هذا النص لم يناقش أية قضية فنية بالمعنى الدقيق للكلمة ، لم يناقش مثلا قضية الشكل والمضمون ، او العلاقة بين الادب والمجتمع ، او التفسير الطبقى للادب ، وغيرها من القضايا الفنية الحقيقية التى كانت تناقش قبله وظلت تناقش بعده . بل ان لينين فى هذا النص لم يناقش مطلقا العلاقة بين السلطة والفن . وانما كان لينين — ببساطة — يبنى حزبه الثورى . وقد رأى من واجبه أن يحدد مكانا فى هذا الحزب لاولئك المؤثرين فى وجدان الجماهير من المؤمنين بالفكر الاشتراكى . وهذه نقطة فى غاية الاهمية ، لانه لم يتعرض قط للذين يختلفون مع هذا الفكر من البداية ، وانما كان يرد على دعواهم الخاصة بالحرية المطلقة . وهو لم يكن يفعل أكثر مما تفعله الاحزاب والمؤسسات البورجوازية التى كانت « تنظم » كتابها وفنانيها تنظيما دقيقا عن طريق صحفها ومجلاتها واذاعاتها ودور النشر التابعة لها . ولم يهدف لينين الى اكثر مما تقوم به البورجوازية ، ولكن فى مواجهتها .. فهو لم يشر بحرف واحد الى تفاصيل الخلق الفنى ، بالتوجيه أو الالزام ، وانما كان همه الاكبر هو ألا يترك هذا الجيش من الانصار الموالين للاشتراكية مبعثرا أو مشتتا ، يسهل التهامه بأنياب أعدائه الفكريين . فحزبية الادب التى دعا اليها لا تتصل بقضية الشكل والمضمون ، وهى عماد نظرية الفن ، ولا تتصل بلحظتى الخلق والتذوق ، وهما محور علم الجمال . وانما حزبية الادب وتنظيم الفن ، هى على وجه الدقة « الاطار السياسى » الذى يضم الادباء والفنانين كمؤسسة فكرية . وقد كان لينين فى هذا المقال « مسئولا سياسيا » لا فيلسوفا للجمال .

على أنه اذا كانت الاشتراكية هى الاداة الاقتصادية لتحرير الفنان من قيود السلطة التجارية فى السوق الرأسمالى ، واذا كانت الحرب ضد الامية هى الاداة الثقافية للتحرير من الجهل .. واذا كان لينين قد جسد هاتين الاداتين فى تنظيم وسائل النشر تنظيما حزبيا ، وفى تقديم وسائل التعليم الابتدائى على أية لوحة فنية رفيعة المستوى ، فان أخشى ما يخشاه الفنان فى ظل الاشتراكية وأبشع ما يروج له اعداؤها فى نفس الوقت هو الانحدار بالمستوى الجمالى الى درجة من التبسيط (للنزول الى مستوى الجماهير) ودرجة أخرى من الدعائية (للتعبير المباشر عن فكر الحزب) . ولكن لينين لم يترك مكانا لهذه « الثغرة » فى موقفه من الادب والفن ، اذ قال بالحرف : « **ليس من شك فى أن الادب لا يخضع للتوافق او المطابقة الميكانيكية ، أو لسيطرة الاغلبية على الاقلية . وفى هذا الميدان على وجه الخصوص يجب ان نوفر الحد الاقصى للمبادرات الفردية والميول الشخصية ، والفكر والخيال والشكل والمضمون .. اننا لا نبشر بمذهب جامد ، أو حل هذه المشكلة بالقرارات والانظمة . كلا ، ففى هذا المجال ليست القضية أبدا صياغة تجريدات** » (٢٦)

واذا كانت عبرتنا فى التطبيق هى الاساس ، فان الموقف اللينينى تبرز أهميته أكثر فأكثر ، وبخاصة أن لينين لم يعد الى الافكار الرئيسية فى هذا المقال القديم « ١٩٠٥ » بعد توليه السلطة الفعلية ، الا مرة واحدة فى الثامن من أكتوبر ١٩٢٠ حين قال تحت عنوان « حول الثقافة البروليتارية » انه : « **فى جمهورية العمال والفلاحين السوفيتية ينبغى على كافة الاعمال الثقافية سواء فى حقل الثقافة السياسية عامة أو فى حقل الفنون خاصة أن تتشبع بروح النضال الطبقى للبروليتاريا** » (٢٧) . ولا جدال فى ان هذا النص يختلف كثيرا عن صياغة « الادب الحزبى » التى قال بها لينين من قبل . فضلا عن أنها الاشارة الوحيدة كما قلت ، التى أدلى بها بعد توليه السلطة فى صدد العلاقة بين الفن والحياة الجديدة للمجتمع السوفيتى . ولقد كانت المواقف العملية للينين من الادباء والفنانين ، بعد الثورة ، هى الصياغة الاكثر حضورا من كافة التجريدات

(٢٤ ، ٢٥) المرجع السابق (ص ٢٧) .
(٢٦) راجع « الانسان والمجتمع » — الطبعة الانجليزية المذكورة سابقا — (ص ١٥٤) .
(٢٧) راجع « حول الايديولوجية الاشتراكية والثقافة » الطبعة الانجليزية الثانية — دار النشر باللغات الاجنبية بموسكو — (ص ٧٨ ، ٧٩) .

جماعة الثقافة البروليتارية (١٩١٧ ـ ١٩٣٢)

عرفت فى اللغة الروسية باسم «بروليتكولت! وهى منظمة ثقافية أسسها بوجدانوف فى سبتمبر ١٩١٧ كمنظمة عمالية مستقلة واصلت الذود عن « استقلالها » بعد ثورة اكتوبر . تسرب اليها مثقفو البرجوازية الروسية المناهرة وأخذوا يؤثرون فيها أيديولوجيا تحت شعارات يسارية متطرفة مضللة انكر اعضاء بروليتكولت أهمية التراث الثقافى وقالوا أن الثقافة البروليتارية ينبغى ان تظل بمنأى عن الماضى والقديم ، وأن تنعزل تماما عن كل ما هو غير بروليتارى . كان بوجدانوف رئيسها يعترف بالماركسية قولا وينقضها فعلا بترويجه للفلسفة الماخية ، المثالية الذاتية . لم تكن بروليتكولت منظمة متجانسة ، فالى جانب المثقفين البرجوازيين الذين كانوا يضطلعون بالدور الاول فى قيادتها الفكرية والتنظيمية .

كان هناك أيضا عمال شباب يحاولون بكل اخلاص أن يساعدوا الدولة السوفيتية فى البناء الثقافى . بلغت المنظمة أعلى درجات تطورها عام ١٩١٩ ثم أخذت تنهار حتى عام ١٩٣٢ حيث توقفت نهائيا عن العمل .

النظرية والقرارات الادارية التى أدانها فيما سبق دون تحفظ .

الكاتب .. والسلطة

عندما تولى لينين السلطة السياسية فى روسيا السوفيتية لم يكن مجرد حاكم جاء الى الحكم بصورة أو بأخرى ، بل كان قائد ثورة . ولم يكن أيضا قائد احدى الثورات التى تندرج فى الأطار العام لثورة أشمل منها ، وانما كان قائدا لاول ثورة اشتراكية ناجحة فى التاريخ ، ومؤسسا لاول دولة تمثل جماهير العمال والفلاحين . وبالتالى ، فان ما نتوقعه من رجل ، تلك هى مسئوليته التاريخية ، هو أن يحتل الادب والفن مكانا من سومه . ولكنه المكان الذى لا ينبغى ان نبالغ فى تضخيمه للدرجة التى نتصور معها أن يتفرغ لينين للتقنين والتنظير . ولا هو ايضا بالمكان الذى تتضاءل قيمته للدرجة التى نتصور معها ـ بالمعنى السطحى الساذج للسياسة ـ أن رجلا مثله ما كان ليعير امثال هذه المسائل ادنى اهتمامه . وانما يمكن القول بأن موقف لينين من الادباء والفنانين بعد توليه السلطة ، كان امتدادا لموقفه قبل ذلك ، مضافا اليه عنصر التطبيق والواقع العملى .. أو ان هذا التطبيق فى واقع الامر كان البديل للفروض النظرية التى وضع يده عليها خلال فترة بنائه للحزب . واذا كانت فترة بناء الحزب قد استوجبت منه تلك اللهجة المتشددة نوعا ، والقائلة بحزبية الادب ، فان المرحلة التالية على الوصول الى السلطة لم تتطلب منه هذا التشدد بل وضعت كلتا يديه على المشكلات الواقعية للكاتب والفنان ، سواء كأن اشتراكيا أو غير ذلك . فالظروف التى تم فيها بناء الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، كانت من الصعوبة والتعقيد بحيث فرضت عليه أن يستقطب ادباءه وفنانيه فى تنظيم محكم . أما الوصول الى السلطة فيعنى الحصول على درجة أعلى من الحرية تتيح له بالضرورة درجة أكبر من الموضوعية .

فما هى المواقف اللينينية قبل السلطة وبعدها ، من الادب والفن ؟ لنتابع مثلا علاقته « بجوركى » منذ كتب اليه فى السابع من فبراير ١٩٠٨ يعرض عليه فكرة اصدار مجلة « البروليتارى ، ويطلب اليه أن يعاونه فيما يخص الادب والنقد الادبى . سأله لينين عن المساحة الواجب توفيرها للنقد ، وما اذا كان يستطيع أن يكتب له بضع مقالات قصيرة . ثم استدرك لينين قائلا أنه يترك له الخيار ، فاذا كانت لديه مشروعات طويلة الاجل ، فلا يحق له ان يؤجلها ، بل يشرع فى كتابتها فورا . ولكنه يرى فى جميع الاحوال أن يزداد العمل الادبى ارتباطا بالعمل الحزبى ، بصورة منتظمة ومستمرة ومؤثرة . وكان يقصد بذلك ان « البروليتارى » ، وهى الصحيفة الحزبية ، يجب ان تنال حظها من مواد الكتاب ، وأن تكون بمثابة همزة وصل بين الكاتب والقاعدة الجماهيرية للحزب . فقد لاحظ أن المواد الهامة ـ وبخاصة الطويلة منها ـ ينشرها الادباء المنتمون الى الحزب فى صحف شبه حزبية واحيانا غير حزبية على الاطلاق . بينما كان الامر يختلف فى بقية انحاء اوروبا حيث يرتبط النقاد والادباء بصحافتهم الحزبية ارتباطا عميقا . ويمكن للاعمال الطويلة ـ اذا كان الطول حجة ـ أن تنشر فى كتب ودوريات تصدر عن الحزب (٢٨) . ويبدو أنه كانت ثمة ملاحظات ـ أو تحفظات ـ «لجوركى» حول ما جاء فى هذه الرسالة ، مما يمكن أن نستشعره فى رد « لينين » المؤرخ ١٣ فبراير ١٩٠٨ حيث قال له « **لنبدأ معا مرة واحدة ، وسوف نكتشف خلال العمل لغة مشتركة** » . ثم يعبر له عن سروره البالغ بالخطة التى اقترحها بأن يكتب بعض الصور الادبية القصيرة للبتروليتارى « **ومن الطبيعى انه اذا كنت تكتب عملا كبيرا ، اكرر رجائى بألا تتوقف عنه** » (٢٩) .

(٢٨) راجع نص الرسالة بكتاب « فى الادب والفن » (ص ١٦٩ ، ١٧٠) .
(٢٩) راجع نص الرسالة فى المصدر السابق (ص١٧٤)

وحدث ذات يوم أن شنت بعض الصحف البورجوازية حملة منظمة تقول أن « جوركي » قد فصل من الحزب الاشتراكى الديمقراطى • وبالرغم من أن مجلس تحرير « البروليتارى » قد أرسل عدة تكذيبات للصحف التى نشرت هذم الشائعة الا أن هذه الصحف قد تجاهلت ـ لسديموقراطيتها الشديدة ! ـ هذه التكذيبات واصرت على موقفها الغريب بايعاز من الاحزاب البورجوازية التى تصدرها • يقول لينين أن هذه الصحافة وأحزابها ترغب بطبيعة الحال فى أن يترك جوركى حزبه وأن تقدم صورة قاتمة عن الحزب لقرائها « **ولكن نشاطهم سيذهب عبثا ، لان الرفيق جوركي باعماله الفنية العظيمة قد ارتبط بالحركة العمالية فى روسيا والعالم** » (٣٠) .

ولكن لينين ، لم يكن يخفى بذلك أن اختلافا عميقا فى وجهات النظر بالنسبه لبعض القضايا قد حدث بينه وبينجوركي •

كانت هناك مثلا أزمة المثقفين التى عالجها لينين فى رسالتين بعث بهما الى جوركى بعد الثورة بحوالى عامين • كانت الاولى فى ٣١ يوليو ١٩١٩ وقد استخدم فيها لينين بعض العبارات العنيفة • وكان جوركى قد أشار فى رسالته القديمة (عام ١٩١٣) الى مشكلة الديمقراطية كمسالة ملحة على وجدان المثقفين ، واستخدم تعبير « الديمقراطية بشكل عام » ، ثم الحت عليه القضية الحاحا متصلا ، دفع لينين الى القول بأنه لا شك فى ان عددا متزايدا من مثقفى البورجوازية يساعدون العمال والفلاحين ، وهو الامر الذى تفتقده « بتروجراد » ـ عاصمة روسيا حتى مارس ١٩١٨ ـ وهى المدينة التى تضم عددا استثنائيا كبيرا من البرجوازيين [والانتلجنسيا] الذين فقدوا مكانتهم فى الحياة (وعقولهم) ولكن الامر بالنسبة لروسيا كلها ، لم يعد موضع شك ، اما فى بتروجراد فمن الصعب ان نجد واحدا على درجة طيبة من الثقافة السياسية ، فضلا عن التجربة السياسية الواسعة . وهذا ـ يخاطب جوركى ـ مالم تدركه ، رغم ارتباطك لا بالسياسة والعمل السياسى وحدهما ، بل ما هو اكثر خصوصية بهسؤلاء المثقفين البورجوازيين الذين لا يفهمون شيئا ، ولا يتعلمون شيئا وفقدوا الاتجاه وراحوا يتأوهون بأسهم ويؤكدون تحاملهم ، ويرتعدون من الموت بل ويرعبون أنفسهم حتى الموت • واذا شئت أن تراقب الامور جيدا ، عليك بمراقبتها من أسفل حيث يمكنك أن تتابع العمل الحقيقى لبناء الحياة الجديدة فى مصانع العمال ومزارع الفلاحين .

هناك لن نحتاج الى البيانات المعقدة ، وانما الى صدق الملاحظة . ولكنك بدلا من ذلك وضعتنفسك فى موقع « محرر الترجمة المحترف » . وهو الموقع الذى لا تستطيع أن ترى منه البناء الجديد لحياة جديدة • وهو أيضا الموقع الذى يوفر لك فحسبأن تصرف همك الى مراعاة التذمر المرضى لانتلجنسيا العاصمة • لقد وضعت نفسك حيث لن تستطيع أن تبصر الملامح الجديدة فى حياة العمال والفلاحين ، وهم يشكلون تسعة أعشار سكان روسيا ، لانك آثرت ان تعنى بهوامش الحياة فى العاصمة السابقة التى تركتها زهرة شباب العمال الى الجبهة ، والى الريف ، ولم يبق فيها سوى هذا العدد الهائل من المثقفين الذين يبحثون عن « مكانة » بلا عمل • ان الوطن يعيش صراعا عنيفا ضد البورجوازية العالمية ، وعلى « محرر الترجمات الادبية » ان ينصت لوقع هذا الصراع على ملايين العمال والفلاحين المناضلينلبناء حياتهم الجديدة ، وهو عمل اعظم كثيرا من الانصات لوقع مزيف تنبض به قلوب مثقفى العاصمة . . .

« **لقد عبرت لك عن افكارى بصراحة فى مجال الرد على رسالتك ، ومن خلال محادثاتى معك كنت اعلم بنفس افكارك ، ولكن رسالتك اعطت لهذه الافكار شكلها المحدد ونتائجها** ، لقد بلورت لى انطباعاتى **التي سبق لى أن استخلصتها من احاديثنا المشتركة • وأننى لا أملك أن أقدم لك النصيحة** ولكن أيضا **لا** أملك الا أن أقول لك **غير من الملابسات المحيطة بك ، البيئة التى تقطنها والحرفة التى تمتهنها .. وبغير ذلك ستنفرك حياتك من الشيء الافضل** » (٣١) .

وفى الرسالة الثانية التى كتبها « لينين » الى « جوركى » فى الخامس عشرمن سبتمبر عام ١٩١٩حيث يقيم فى بتروجراد ، يقول انه لا ينبغى أن يخلط بين « القوى المثقفة » للجماهير والقوى البرجوازية المثقفة • ولنأخذ « كورولنكو » مثالا ، فلقد قرأت له « الحرب والوطن والانسانية » الذى كتبه فى أغسطس ١٩١٧ أى منذ فترة قصيرة • وكورولنكو كما تعلم منشفيكى حقيقى يطلى دفاعه المقزز عنالحرب الامبرياليةبكلمات معسولة « يا له من مادى تعس اغرته تحايلات البرجوازية ، ان مقتل عشرة ملايين فى حرب استعمارية لا يثير لديه غير (التحفظ ضد الحرب) أما مقتل مئات الالوف فى حرب أهلية ضد الاقطاعيين والرأسماليين فقد استدعى منه كل هذا اللهاث والهستريا • ان أمثال هذه « المواهب » تستحق السجن لانها تنزلق الى خطط تآمرية بوعى منها أو بغير وعى • ولكننا

(٣٠) راجع المصدر السابق (ص ٣٤) .
(٣١) المرجع السابق (ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

اكتفينا باعلان أسرار المؤامرة التى شارك فيها بعض « الاساتذة » دون ريب . وفى مواجهة ذلك تنمو القوى المثقفة للعمال والفلاحين وتزداد قوة لتصبح عقل الامة الحقيقى ، بدلا من مثقفى البرجوازية الذين لم يعودوا عقلا ، بل نفايات « ان القوى المثقفة التى ترغب فى اثارة الشعب ـ لا ان تشتغل قوادةللعاصمة ـ سوف نجزيها على عملها بأكثر من المعدلات المعروفة . هذه حقيقة ، وسوف نحرص عليهم » . ولقد اخبرتك ـ يقول لينين لجوركى ـ سواء فى كابرى أو بعد ذلك ، انك محاط بأسوأ عناصر الانتلجنسيا البرجوازية ، لذلك فأنت مضطر ـ للاسف ـ لان تستمع الى بضع مئات قليلة ، ولا تود الاستماع الى أصوات الملايين الكادحة التى تعرضت طويلا لاذى وضراوة الفئة الاولى . وثق « اننى أفهم تماما ، أفهم تماما والى غير حد أن كاتبا يستطيع أن يردد لنفسه (الحمر كالبيض أعداء للشعب) يستطيع أيضا أن يكتب (المناضلون ضد الرأسماليين والاقطاعيين لا يختلفون عن أعداء الشعب من الرأسماليين والاقطاعيين) ، بل وحتى الايمان بالله وأبانا الذى فى السموات . أفهم ذلك تماما . وأود أن اقول لك انك سوف تذبل وتضمحل وتفسد اذا لم تفك حصار مثقفى البرجوازية من حولك . اننى أرجو لك من كل قلبى أن تفك هذا الحصار بأسرع ما تستطيع » ثم يكتب لينين « حاشية» للرسالة بعد أن اختتمها بهذه الكلمات العنيفة ، يقول فيها « لذلك أنت لا تكتب الان ، كما تعرف ! اليس ذلك هو الذبول أو ليس عارا لفنان ان يضيع نفسه فى عويل المثقفين المنحلين،فلا يكتب؟»[٣٢]

هاتان هما النقطتان الاساسيتان فى الحوار الهام بين لينين وجوركى ، وغير ذلك نجد ان لينين هو الذى نفذ لجوركى مشروعه الكبير لترجمة الاداب العالمية وافتتاح دار للنشر ترعى انتاج الادباء بمختلف أجيالهم واتجاهاتهم الفنية . ونجد ان لينين لم يفوت مناسبة واحدة للثناء الشديد على أعمال جوركى وفى مقدمتها « الام » ، رغم تحفظاته الفكرية عليها ، فقد دعا الى انتشارها الواسع بين الجماهير . ولكن هذا لا ينفى ان اختلافا عميقا فى وجهات النظر قد حدث بين الرجلين ، رجل الادب ورجل السلطة اللذين يربطهما رغم الاختلاف خيط واحد هو الثورة . ولا تهمنا هنا وجهات النظر قدر اهتمامنا بالاطار الذى وضعت داخله ، والاسلوب الذى عولجت به .

ويمكن القول بالنسبة للقضية الخاصة بقلق المثقفين بعد الثورة ، ان جوركى من موقع الفنان كان حريصا على ما أسماه « الديموقراطية بشكل عام » بينما كان لينين ـ من موقع السياسى ـ حريصا على الديموقراطية بمدلولها الطبقى فى ظل الاشتراكية . والنغمتان مع تباينهما يكملان بعضهما البعض ، فلابد للكاتب أن يظل على الدوام حصنا أمينا للديموقراطية .. وبخاصة اذا صدرت صيحة الحرية من كاتب مثل جوركى لا سبيل الى الشك فى نواياه ، انه حينئذ يصبح كنوع من «الفرامل» للسياسى فى اندفاعته الثورية . ولاشك ان المناخ البالغ الاستثنائية الذى عاشته السلطة الاشتراكية الاولى فى التاريخ ، كان لابد وأن تصاحبه أعراض القلق التى لفتت نظر جوركى . وكان لابد له بالتالى من ان يلفت نظر لينين .وفى هذه القضية تبدو الامور دائما هكذا : ان الفنان على صواب فى موقفه المتشدد من قضية الحرية والسياسى لا يقل عنه صوابا ، لذلك فالرأيان على المستوى النظرى لا يلتقيان . وهنا تبرز الاهمية الفائقة للاطار الذى وضعت فيه القضية ، وأسلوب المعالجة الذى تنوولت به . لقد ضرب لينين مثالا رائعا للثورى الديموقراطى ، فبالرغم من كل العبارات العنيفة التى استخدمها فى حواره مع جوركى ، وبالرغم من المنطق العملى والمباشر ، فان لينين قد عمد الى « الحوار » أسلوبا فى التعامل مع الفنان . واعتمد « الصراع الفكرى » اطارا للثورة ، ولم يلجأ قط الى التدخل الادارى فى شئون المثقفين ، حتى اولئك الذين اشتغلوا بالدعارة الفكرية فى العاصمة وكانوا يسوون من قبيل الحذلقة بين اعداء الشعب ومناضليه . لقد وصلت لغة لينين الى درجة حادة من العنف ، ولكنه لم ينقل هذه اللغة من مستوى القول الى صعيد الفعل . ويجب أن نؤكد دائما هذا الحرص الشديد على الفنان ، كما تبدى فى العلاقة الحميمة بين جوركى ولينين ، فانه كان جنبا الى جنب مع لهجته العنيفة حريصا على جوركى وفنه « من كل القلب » على حد تعبيره وسلوكه الفعلى معه .

ولاشك ان ثمة علاقة خاصة تربط جوركى بلينين ، ولكن موقف لينين من الادب والفن لم يكن موقفا شخصيا من جوركى ، وانما كان موقفا عاما فى جميع الاحوال والظروف .. هكذا تنطق رسائله وقراراته الاخرى . يبدى إهتمامه بالادب والنقد فى رسالة كتبها الى لونا تشارسكى فى ١٣ فبراير ١٩٠٨ ، قال له « والواقع اننى احلم بأن يكون للادب والنقد حيز دائم فى مجلة البروليتارى » (٣٣) . وكتب اليه مره اخرى فى ١٨ يناير ١٩٢٠ يقترح عليه ضرورة القيام باعداد

---

(٣٢) المرجع السابق (ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠) .
(٣٣) المرجع السابق (ص ١٧٢) .

معجم للغة الروسية « أليس ذلك هو الوقت المناسب لظهور معجم للغة الروسية الحقيقية ، معجم يتكلم بلغتنا الراهنة ، ولغة الاقدمين من بوشكين الى جوركي ، ماذا لو أكب ثلاثون أكاديميا على هذا العمل ؟ » (٣٤) . ومن الطبيعي ان يبدي حماسة البالغ ازاء الاعمال الادبية التي يراها دافعا قويا للثورة ، لذلك يكتب في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاة « يوجين بوتييه » مؤلف نشيد الاممية ، يقول ان الشاعر الذي يتغنى العمال في جميع أنحاء العالم بذكراه لا تزال زوجته وابنته يعيشان في فقر كما عاش هو طيلة حياته . ثم يذكر انه في عام ١٨٧٦ كتب بوتييه قصيدته « من عمال آمريكا الى عمال فرنسا » حيث اكتشف حياة العمال وبؤسهم في ظل الرأسمالية . ولم يكن قد مضى أكثر من تسع سنوات على الكومونة حين عاد بوتييه الى فرنسا لينضم الى حزب العمال الثوري [٣٥] ويبدي ملاحظات ثاقبة على بعض الاعمال الادبية التي اتيح له ان يقرأها كما نجد في رسالته الى « انيسا ارماند » عام ١٩١٤ حيث يقول عن أحد اعمال « فينيشنكو » انه يتضمن أجزاء طيبة ولكنه أيضا يتضمن تقليدا في الاجزاء الاخرى لدوستويفسكي ، وهو تقليد رديء لاردأ جوانب دوستويفسكي . ولاشك ان الحياة مليئة بهذه الحالات الفردية التي يصفها فينيشنكو ولكن التعميم هو الذي يصدم القارىء (٣٦) . وحول مجموعة القصص التي أصدرها اركادي افرتشنكو في باريس عام ١٩٢١ تحت عنوان (١٢ سكينا في ظهر الثورة) كتب لينين مقالا في البرافدا بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ١٩٢١ يقول فيه ، ان الكاتب لم يوفق حينما تصدى لوقائع حياة شخصيات حقيقية « وكمثال ، هذه القصة التي تسرد جانبا من الحياة الخاصة للينين وتروتسكي ، انها تحتوي على حقد كثير وصدق قليل ، أيها المواطن العزيز افرتشنكو ! أؤكد لك ان لينين وتروتسكي قد ارتكبا كثيرا من الاخطاء في كل الجوانب بما فيها جانب الحياة الخاصة . ولكن اذا أردت وصفها ، عليك أن تعرفهما بدقة . وهذا مالا تدركه .. غير أن المؤلف يبدي تعمقا حقيقيا عندما يتحدث عن الطعام ، وكيف كان الاغنياء يأكلون في روسيا القديمة ، وكيف كانوا يربون ثعابين تكلفهم من ١٤ الى ٥٠ روبلا » هذه الاشياء يعرفها جيدا ، هذه الاشياء جربها ، لذلك فهو هنا لا يخطىء . ان معرفته بالموضوع واخلاصه يبلغان درجة ممتازة » ، « وفي اعتقادي ان بعض هذه القصص يستحق اعادة الطبع ، فالموهبة تستحق التشجيع » (٣٧) . ويظل لينين عند رأيه في قضية الديموقراطية التي سبق له أن ناقشها طويلا مع جوركي ، فيكتب الى ماياسنيكوف بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٢١ قائلا « اننا لا نؤمن بالمطلقات ، واننا لنضحك مما يسمى بالديموقراطية المطلقة » (٣٨) . ولم يكن لينين يقدر دور الادب والفن في بلاده وحدها ، وانما كان على اتصال بمختلف الاتجاهات الديموقراطية والتقدمية بين الادباء والفنانين في جميع أنحاء العالم . هكذا نراه يكتب الى جماعة CLARTE التي نظمها هنري باربوس في باريس عام ١٩١٥ ، وكانت تضم بين أعضائها رومان رولان وستيفان زفايج و هـ . جـ . ويلز وتوماس هاردي وابتون سنكلير وآخرين ، كتب اليهم في ١٥ نوفمبر ١٩٢٢ رسالة نشرت في مجلتهم الفرنسية لاول مرة عام ١٩٢٥ جاء فيها « لقد كنت مريضا جدا ، ولعام كامل لم أتمكن من متابعة نشاط جماعتكم أرجو أن يكون تنظيمكم « D'rs anciens combattants » لا يزال قائما ويزداد قوة لا في الكم فحسب بل في الكيف أيضا ، وخاصة فيما تعنون به من نضال ضد الحرب الامبريالية . ان النضال ضد هذه الحرب جدير حقا بأن يهب له المرء حياته كلها » (٣٩) .

تلك نماذج من المواقف العملية للينين من قضايا الادب والفن في مجتمعه وعصره ، وهي تتكامل مع تذوقه وتقييمه للتراث السابق على هذا العصر .. أتيح له ذات مساء أن يقرأ قصة تشيكوف القصيرة « الغرفة رقم ٦ » فكان انطباعه الذي سجله على نفسه في اليوم التالي مباشرة انه شعر بضيق ولم يستطع المكوث في غرفته فنهض وخرج « لقد كنت أشعر وكأنني أنا الاخر مسجون في الغرفة رقم ٦ » (٤٠) . وكانت تهزه من الاعماق موسيقى بتهوفن ، وكذلك النغمة الداخلية المؤكدة للحياة في قصة جاك لندن « حب الحياة » (٤١) وقد رأى في شعر نكراسوف وروايات شيدرين ـ وكلاهما من أدباء النصف الثاني للقرن التاسع عشر ـ تراثا علم « المجتمع الروسي أن يميز مصالح الاقطاعي وراء مظهره البراق الناعم وأن يبغض رياء أمثال هؤلاء وغلظة

---

(٣٤) المرجع السابق (ص ٢١١) .
(٣٥) كتب المقال في البرافدا عدد ٣ يناير ١٩١٣ ويراجع النص في المصدر السابق (ص ٧٦ ، ٧٧) .
(٣٦) المرجع السابق (ص ١٩٤) ويذكر المحرر ان الرسالة قد كتبت فيما قبل ٥ يونيو ١٩١٤ .
(٣٧) المرجع السابق (ص ١٥٦ ، ١٥٧) .
(٣٨) المرجع السابق (ص ٢١٥) .
(٣٩) المرجع السابق (ص ٢٢١) .
(٤٠) راجع الطبعة العربية من « الجمال في تفسيره الماركسي » (ص ١٦١) .
(٤١) المرجع السابق (ص ١٦٢) .

بوشكين (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧)

يعد فى نظر مؤرخى الادب العالميين رائدا للشعر الروسى ،وبالرغم من انه ينحدر من اصل ارستقراطى عريق ، الا انه تعرض للنفى عام ١٨٢٠ لكتاباته « نشيد الحرية » وقصائد ثورية اخرى . تأثر أولا بالادب الفرنسى كما يظهر فى قصيدته القصصية الخيالية «رسلان ولودميلا» [١٨٢٠] ثم وقع تحت تأثير الشاعر الانجليزى بيرون اثناء اقامته فى جنوب روسيا فكتب مجموعة من القصائد التى تتغنى بجمال الطبيعة هناك خلال الفترة ١٨٢١ ـ ١٨٢٤ ، كذلك اتخذ بوشكين تاريخ روسيا موضوعا لقصائده فأخرج « بولتافا » [١٨٢٨] و « الفارس البرونزى » [١٨٣٣] .

ولعل أروع مؤلفاته روايته الشعرية « يوجين اونيجين » [١٨٣١] وقد كتب بوشكين بعض المسرحيات أهمها « موزارت وساليرى » و « الضيف الحجرى » [١٨٣٠] كما الف بعض الحكايات الشعبية اهمها « الديك الذهبى » التى استمد منها الموسيقى كورساكوف احدى اوبراته . وكذلك استمد تشايكوفسكى بعضا من اوبراته من روايات بوشكين وفى مقدمتها « يوجين اونيجين » .

قلوبهم » (٤٢) . غير ان التقييم الاشمل لدور التراث الأدبى السابق على الثورة ، كان لينين قد ادخره لادب تولستوى العظيم .

التراث .. والثورة

لم يكتب لينين مقالاته الخمس عن تولستوى خلال فترة زمنية واحدة ، بل كتبها فى عدة مناسبات بين عامى ١٩٠٨ و ١٩١١ . ومعنى ذلك ان الافكار الرئيسية تكاد تتكرر حينا ، وتتأكد حينا آخر ، ولكنها على الدوام لا يصيبها التغيير من موقف الى نقيضه .

ولقد مر تراث تولستوى الادبى ، بعدة مراحل أخطرها تلك المرحلة التى عبرت عن نفسها على لسان لينين فى روايته « انا كارنينا » حين قال « فى ذلك الوقت تجلت له ــ لاول مرة ــ فكرة ان كل حى ليس أمامه شىء يتوقعه الا العذاب والموت والفناء الابدى ، وهذا شأنه هو نفسه أيضا . فقرر انه لا يمكنه المضى فى الحياة على هذا النمط ، فاما أن يجد تفسيرا للحياة واما أن يضرب نفسه بالرصاص » . يتجاور جنبا الى جنب مع البحث فى سر الوجود ، البحث فى سر شقاء البشرية . ولئن استمر تولستوى دؤوبا فى البحث عن السر الاول فانه قد اكتشف ان « المال » ــ بصورة عامة ومجردة ــ هو السر الثانى ، فبين الفقراء والاغنياء « سور من التربية الخاطئة » وقبل التفكير فى مساعدة الفقراء ، يقول تولستوى ، يجب أن نهدم هذا السور .. « لقد وجدتنى مسوقا الى هذه النتيجة : ان ثروتنا هى السبب الحقيقى فى شقاء العامة » . لذلك هاجم تولستوى الملكية هجوما عنيفا باعتبارها « أصل الشرور جميعها » ، اذ هى مصدر العذاب لاولئك الذين يملكون والذين لا يملكون . كما هاجم « الدولة » باعتبارها مع « الكنيسة » تشكل التنظيم البوليسى والكهنوتى للشر « فلا يجوز أن نحارب الشيطان برئيس الشياطين » . ولا يجب أن نستخدم القوة فى مواجهة القوة لان ذلك يعنى اعترافا بمبدأ القوة فى ذاته . وتلك هى مسيحية تولستوى ، التى تختلف بلا ريب عن فكرة « بناء الله » المعروفة عند جوركى ، فهذه الاخيرة اقرب الى ان تكون فكرة فنية . ولكن فكرة تولستوى اقرب ما تكون الى « المدينة الفاضلة » ذات الاسس الميتافيزيقية من الناحية الفلسفية ، والاسوار الاجتماعية المضطربة بين الفوضوية والعدمية . وهو يقول صراحة « عندما نقابل الثوريين نخطىء فى كثير من الاحيان فنحسب اننا نتفق واياهم على بعض النقاط . فكلانا يصيح (لا دولة ، لا ملكية ، لا ظلم) الى كثير غير ذلك . ولكن هناك فرقا كبيرا . فعند المسيحى لا وجود لدولة ما ، اما هؤلاء الناس فانهم يرغبون فى القضاء على الدولة . وعند المسيحى لا وجود للملكية ، اما هم فيريدون الغاءها . وعند المسيحى كل الناس سواسية ، أما هم فيريدون القضاء على عدم المساواة . ان الثوريين يكافحون من الخارج ، أما المسيحية فلا تكافح مطلقا ، بل تحطم أسس الدولة من الداخل » والحل التولستوى لردم الهوة الفاغرة بين الفقراء والاغنياء أن ينزل هؤلاء عن امتيازاتهم طوعا « ليعش كل انسان من عمل يديه فقط » [٤٣] . ولقد علق « ستيفان زفايج » على

(٤٢) المرجع السابق (١٦١) .
(٤٣) كافة المقتبسات الماخوذه عن تولستوى منقوله من كتاب ستيفان زفايج « الافكار الحيه لتولستوى » الترجمة العربية بعنوان « نصوص مختارة من تولستوى » بقلم د. شكرى عياد ــ دار القلم بالقاهرة .

هذا التراث فى كتابه « الافكار الحية لتولستوى » بقوله انه لم يكن بين الثوريين الروس فى القرن التاسع عشر من مهد السبيل للينين وتروتسكي مثل هذا « الكونت المناهض للثورة » • وكانت أعماله التى تصادرها الرقابة تنسخ باليد وتصل الى مائة ألف قارىء « **واذن فقد اعتنق الملايين ، بعضهم فى ثورة روسيا الايجابية وبعضهم فى ثورة الهند السلبية ، أفكار هذا الثورى الرجعى أو هذا الرجعى الثائر •• وان فعلوا ذلك بطريقة كان صاحب هذه الافكار جديرا بأن يستفظعها او ينكرها** » (٤٤) .

لا تختلف كثيرا هذه النتيجة التى انتهى اليها « زفايج » عن مجموعة النتائج التى سبقه اليها لينين • وكان السؤال الذى طرحه لينين وسط فيض غامر من ردود الافعال التى تجاذبت تراث تولستوى بين الليبراليين والثوريين من ناحية ، وبين الثوريين وبعضهم البعض من ناحية أخرى ، هو ما اذاكان تولستوى يستحق الانضمام الى تراث الثورة وبالنسبة لفريق الليبراليين ، ادرك لينين فى وقت مبكر انهم كانوا يتلقون الاوامر بمهاجمة تولستوى والاشادة به كلما استدعت ظروفهم السياسية ذلك متخذين من اسم تولستوى مجرد مشجب يعلقون عليه خطاياهم أو راياتهم .. « **ان هذا التفخيم المصطنع والجمل المنمقة حول (الباحث الكبير عن الله) ليست أكثر من بهتان وأباطيل ،لان الليبراليين الروس لا يؤمنون بالله تولستوى ولا يعطفون على النقد التولستوى للنظام القائم • لقد التصقوا باسم شعبى ليزيدوا (رصيدهم) السياسى ويلعبوا دور القائد للمعارضة الوطنية** » (٤٥) . كذلك كان هناك من الثوريين فريق يرى فى تولستوى رسولا رجعيا فحسب ، ينبغى محاربته • من هنا تبدو الاهمية البالغة لتقييم لينين ، وقد أجاب عما اذا كان من قبيل الافتعال أن نضم فنانا عظيما الى الثورة التى يتضح من تراثه انه لم يفهمها • اننا اذا كنا فعلا بازاء فنان عظيم ، فلابد وأن يكون قد عكس فى مؤلفاته بعضا من الملامح الاساسية للثورة • ثم يطرح لينين سؤاله الثانى : من أين جاءت التناقضات الكبيرة للتولستوية ، وأى نقائض ونقاط ضعف تعكس من ثورتنا ؟ .

ويجيب بأن هذه التناقضات ليست الا تعبيرا عن الشروط والمتناقضات التى كانت تسود الحياة الروسية فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر • ولا يكفى — فى رأى لينين — أن نحكم على تناقضات تولستوى من وجهة نظر الحركة العملية والاشتراكية المعاصرة « بل من ناحية الاحتجاج على الرأسمالية المقبلة » أيضا • ويربأ لينين بالروس والاجانب أن يصوغوا من اضعف جوانب تولستوى مذهبا وعقيدة ، لان عظمة تولستوى الحقيقية هى تجسيده لافكار وأهواء ونزعات ملايين الفلاحين الروس عند قيام الثورة البرجوازية فى روسيا •• « **وان تولستوى أصيل ، لان مجموع أفكاره اذا أخذ جملة واحدة يعبر بالضبط عن خصائص ثورتنا بصفتها ثورة فلاحية برجوازية • ان التناقضات فى أفكار تولستوى من هذه الناحية هى مرآة صحيحة للظروف المتناقضة التى كانت تسود النشاط التاريخى للفلاحين فى ثورتنا** » (٤٦) .

وأوضح لينين ان المناخ الفلاحى للثورة كان مناخا شديد الاضطراب والتعقيد ، اذ أن فقراء الفلاحين وجدوا أنفسهم فجأة بين نارين : الاقطاع بسلطته الطاغية المتحالفة مع الكنيسة ، والرأسمالية الوليدة التى أحس الفلاح معها بقدوم سيد جديد يخلصه من الارض ليرمى به الى العراء •• كانت القيم السائدة على الريف الممزق بين سيد قديم وسيد جديد ، هى قيم « النظام الابوى » ، المناهض للمقاومة ، مما تسبب فى « انكسار اول حملة ثورية » . وكانت مؤلفات تولستوى كما يراها لينين ، هى المرآة المصقولة للقوة والضعف فى حركة الفلاحين المتمردة على القناة الاقطاعية والافلاس الرأسمالى فى آن •• وهى أيضا المؤلفات ذات النقمة الحارة والحادة معا على الدولة البوليسية والكنيسة الرسمية ، بحيث عبرت اخلص تعبير واعمقه عن مشاعر

مايكوفسكى (١٨٩٣ — ١٩٣٠)

شاعر وكاتب مسرحى روسى . كان رائدا للمدرسة المستقبلية فى الشعر ، ولسان حال الثورة . تتصف صوره الشعرية فى رأى النقاد بالحيوية والعنف . كتب ثلاث مسرحيات اهمها « البقة » [١٩٢٨] و « الحمام » [١٩٣٠] اطول قصائده عنوانها « ١٥٠ مليون » . وقد مات منتحرا .

---

(٤٤) المرجع السابق (ص ٣٢) .
(٤٥) لينين « مقالات حول تولستوى » الطبعة العربية (ص ٤) دار النشر باللغات الاجنبية — موسكو .
(٤٦) المرجع السابق (ص ٦) .

الديموقراطية البدائية عند الفلاحين ، المشاعر التى كدسها ظلم القنانة الاقطاعية ، كما عبرت أخلص تعبير وأعمقه عن الرعب الهائل للفلاحين الذين « **تحسسوا بعدو جديد خفى ، غير مفهوم يأتى اليهم من المدن أو من الخارج يدك جميع أسس الحياة الريفية ويحمل اليهم خرابا لا مثيل له** » (٤٧) . هذا التمزق الملتاع والتهدم فى اسس الحياة الريفية ، هو الذى ينعكس فى تراث تولستوى وسلوكه العملى .. فهو الكونت الذى قطع علاقته بإصله النبيل الارستقراطى وحاول أن يؤسس دينا جديدا يحل مكان الاقطاع والرأسمالية والثورة جميعا . أى أن تولستوى ظل يرى الامور من وجهة نظر الفلاح الساذج الخاضع للنظام الابوى ، وينقل نفسية هذا الفلاح فى نقده ومذهبه . وهو بذلك لم « يتجاوز » تمرد الفلاحين الى الثورة ، وانما اكتفى بتجسيد التحول العميق فى أرواحهم التى كادت أن تتحرر من ربقة العبودية الاقطاعية فواجهت عدوا جديدا مروعا يفغر فاه لابتلاعها . « **لقد عبر تولستوى عن حالة فكرهم بأمانة عظيمة حتى أنه ادخل بنفسه فى تعاليمه سذاجتهم وصدودهم عن السياسة و (لا مقاومتهم للشر) واللعنات العقيمة على الرأسمالية و (سلطة المال) . ان احتجاج ملايين الفلاحين ويأسهم قد انصهرا فى مذهب تولستوى** » (٤٨) .

وعلى هذا النحو يفضح تولستوى الطبقات المسيطرة « بشدة واخلاص » ، على حد تعبير لينين ، « **الا ان مذهبه قد كان مع ذلك متناقضا مع حياة وعمل ونضال البروليتاريا** » (٤٩) . غير ان الطبقة العاملة الروسية ستتعرف من خلال مؤلفاته الفنية الكبيرة على أعدائها تعرفا أفضل ، لانها ستحيط بضعف الكاتب الكبير الذى عاقه عن أن يتم عمله العظيم حتى النهاية . توقف تولستوى عند المرحلة الطوباوية من رحلة الفكر « **الا انه لا ينبغى لنا أن نستنتج من ذلك مطلقا انه لم يكن اشتراكيا ، أو انه لا يحتوى على عناصر نقدية تقدم مواد ثمينة لتثقيف الطبقات التقدمية** » (٥٠) . ويعى لينين — بطبيعة الحال — ان ثمة فروقا شاسعة بين اشتراكية واشتراكية ، ولكنه يضع تراث تولستوى — بوضوح لا يقبل الشك وكلمات لا تحتمل اللبس — فى أحد صفوف الثورة الاشتراكية . بل ويختتم دراسته قائلا ان فى تراث تولستوى « **ما لا يضيع فى لجة الماضى ، بل يخص المستقبل** » (٥١) .

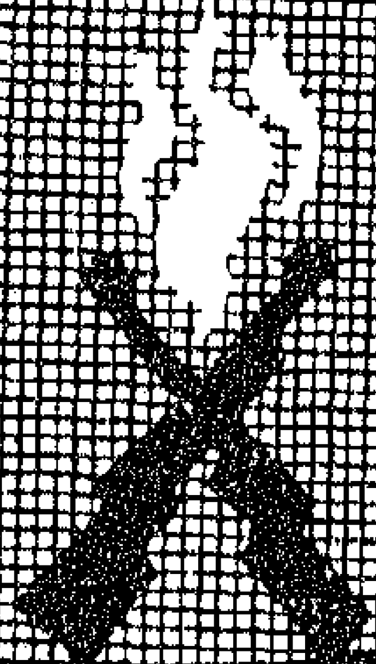
ان التقييم اللينينى لتراث تولستوى ، هو فى جوهره تقييم سياسى ، ولكنه اعمق ما قدمه لينين من نظرات فى الادب والفن ، وهو أكثر مواقفه اتساقا ووضوحا وديموقراطية .. لقد أشار بغير مساومة الى أن القضايا الجمالية لا تحتمل النظرة الاحادية الجانب « أبيض وأسود » لان الظلال التى بينها لا حد لغناها . لذلك هاجم الليبراليين والثوريين المتشنجين معا وفى وقت واحد . كذلك أشار لينين — ولو من بعيد ودون تحديد أكاديمى — الى أن الصدق وحده هو معيار عظمة الفن ، وبقاءه على الزمن .

ولينين بذلك لم يناقش قضية واحدة فى فلسفة الفن أو نظرية الادب ، بل هو لم يتابع الافكار الرئيسية التى طرحها من سبقوه وفى مقدمتهم ماركس وانجلز وبليخانوف . وحين سأله لوناتشارسكى ذات يوم عما اذا كان فى استطاعته ان يستشهد به فى احدى المسائل المتعلقة بالادب والفن أجابه لينين « **وما الداعى؟ لست متخصصا فى شئون الفن** » (٥٢) . وليس من قبيل الصدفة بعد ذلك كله ان تعرف المرحلة اللينينية كأزهى عصور الديموقراطية التى عرفتها الاداب والفنون فى ظل السلطة الاشتراكية ، وليس غريبا كذلك أن تثمر هذه المرحلة اروع ثمار « الجمال » السوفيتى فى الرقص والموسيقى والسينما والفنون التشكيلية .

لقد كان لينين « موقفا » من الفن كثيرا ما أسىء فهمه فحرف وشوه وفرغ من محتواه الديموقراطى .. ولكن هذا الموقف سيظل لامد طويل « ضميرا » يؤرق كل سلطة تتجاوز حدودها — ظلما — باسم الثورة .

---

(٤٧) المرجع السابق (ص ١٣) .
(٤٨) المرجع السابق (ص ٢١) .
(٤٩) المرجع السابق (ص ٢٣) .
(٥٠) المرجع السابق (ص ٢٩) .
(٥١) المرجع السابق (ص ١٧) .
(٥٢) راجع « فى الادب والفن » لينين والطبعة الانجليزية المذكورة سابقا (ص ٢٦١ ، ٢٦٢) ٣



لينين - مائة عام من التاريخ

٤

حركة التحرير الوطنى

- خطوط أساسية فى مفهوم لينين عن القومية
- لينين والحركة الوطنية المصرية
- ملاحظات عن حركة التحرر الوطنى فى ضوء أفكار لينين

خطوط اساسية في مفهوم لينين عن القومية

وديع وهيب

كانت بدايات القرن العشرين تدنو ، وفلاديمير اليتش لينين لم يبلغ الثلاثين بعد ، وطبقة من الجليد كثيفة كانت قد غطت اوربا في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، أن كثيرا من المشاكل تحل على حساب ممتلكات ماوراء البحار ، ومن فائض أرباح المستعمرات أمكن ترويض النمر الاشتراكي ليصبح على يد زعماء الدولية الثانية قطا أليفا يبشر بالسلام الاجتماعي والتطور البرلماني الهادىء في ظل الديمقراطية البورجوازية ٠٠ الى الاشتراكية ٠

« وكان الانتهازيون لم ينتهوا من تمجيد السلام الاجتماعي » وامكانية تجنب العواصف في ظل الديمقراطية حتى تفجر في آسيا ينبوع جديد من العواصف العالمية الكبيرة » (١) ٠

وأدرك « لينين » أن الامبريالية لم تأت ـ وما كان لها أن تأت ـ بالسلام الاجتماعي ، بل هي قد عمقت تناقضات الرأسمالية في اوربا بتحولها الى رأسمالية طفيلية ، كما أن « الامبريالية تعني تخطي رأس المال لاطار الدولة القومية ، تعني اتساع الظلم القومي وتفاقمه على اساس تاريخي جديد (٢) ٠ تعني ارتباط المهام الاشتراكية بمهام ديمقراطية عامة ، واتساع جبهة النضال ضد الرأسمالية ٠ وكانت « يقظة آسيا وشروع الطبقة العاملة المتقدمة في أوربا بالنضال في سبيل السلطة يرمزان الى مرحلة جديدة في التاريخ العالمي في أوائل القرن العشرين » (٣) ٠

وواجه « لينين » خصومه معلنا « على الرغم من بارابيلوم » فانه يتوجب علينا ان تربط النضال الثوري في سبيل الاشتراكية ببرنامج ثوري في قضية القوميات » (٤) ٠

ومن هنا كانت اللينينية هي الماركسية في عصر الامبريالية ونمو الثورة الاجتماعية ضدها ، الثورة الاجتماعية برائديها الاشتراكي والوطني



---

١ ـ لينين ـ المآل التاريخي لمذهب كارل ماركس ـ الاعمال الكاملة ـ المجلد ٢٣ ـ ص ١ ـ ٤

٢ ـ لينين ـ البروليتاريا الثورية وحق الامم في تقرير المصير ـ الاعمال الكاملة ـ المجلد ٢٧ ـ ص ٦١ ـ ٦٧

٣ ـ لينين ـ حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ـ ص ٨

٤ ـ لينين ـ البروليتاريا الثورية وحق الامم في تقرير المصير ـ الاعمال الكاملة ـ المجلد ٢٧ ـ ص ٦١ ـ ٦٧

الديموقراطى ». وتمثلت عبقرية «لينين » فى قدرته على التمييز بين الثورتين ، الاشتراكية والقومية ، بدقة ، ثم المزج بينهما بقوة ليكونا تيارا ثوريا واحدا ، شكل ومازال يشكل نهر الصراعات الرئيسى فى عالمنا لاكثر من نصف قرن .. وحتى اليوم .

مفهوم لينين للقومية في القرن العشرين

واجه «لينين» فى ارسائه لمفهوم القومية ،شتى انواع التحريفات الانتهازية التى كانت قد تسربت الى الحركة العمالية ، ابتداء من أولئك « الاشتراكيين الامبرياليين » الذين ذهبوا الى الدفاع عن فضائل الاستعمار فى ايقاظ شعوب الشرق ونقل المدنية اليها ، الى اولئك الذين حاولوا تسريب المفهوم النفساني للحركة الصهيونية عما يسمى « باستقلال الثقافة القومية الذاتى » . الذى دافعت عنه « **روزا لوكسمبرج** » فى بولندا، وتنظيم البوند (الاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا) والتصفويين فى روسيا .

وفى مواجهة هؤلاء وأولئك ، كان سلاح لينين

ج . ف . بليخانوف

(١٨٥٦ ـ ١٩١٨)

من رجالات الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، ويعتبر مؤسسا للماركسية الروسية ـ وله مؤلفات نظرية عديدة منها « النظرة الواحدية للتاريخ » و « الماركسية والفن والادب » .. الخ . تحول الى جانب الاقلية (المنشفيك) منذ ١٩٠٣ ، ووقف موقفا شوفينيا منذبداية الحرب الامبريالية العالمية ١٩١٤ .

روزا لوكسمبرج

اسمها المستعار يونيوس (١٨٧١ ـ ١٩١٩). من قادة حركة العمال الالمانية والبولندية والدولية الثانية ، ومن مؤسسي الحزب الشيوعى الالمانى . وقفت مواقف خاطئة فى عدد من القضايا النظرية والسياسية ولكنها عادت فاعلنت نقدها لها .

الذى لا يثلم هو اصراره على أن الجواب على ما تطرحه قضية القوميات وحق تقرير المصير « **انما ينبغي تحريه فى دراسته الحركة القومية دراسة تاريخية اقتصادية** » (٥) . وبتطبيق هذا المنهج على الحركات القومية التى كانت قد انتصرت فى أوربا بالفعل استنتج « **لينين** » :

« **ان اساس تلك الحركات الاقتصادية يقوم على أن تفوق الانتاج السلعي تفوقا تاما يتطلب استيلاء البورجوازية على السوق الداخلية وتوحيد الارض التى يتكلم سكانها لغة واحدة فى دولة واحدة ، وازالة كل حاجز من شأنه ان يعوق تطور تلك اللغة ورسوخها فى الادب . ذلك ان اللغة هى الوسيلة الكبرى لاتصال الناس بعضهم ببعض . كما أن وحدة اللغة وحرية التطور هما من أهم الشروط لقيام مبادلات تجارية حرة شاملة حقة تتوافق والرأسمالية الحديثة ، ولتكتل الناس تكتلا حرا واسعا داخل كل طبقة من الطبقات ،واخيرا الاقامة علاقات واسعة بين السوق وبين كل رب عمل كبير او صغير، بين السوق وبين كل بائع ومشتر** »(٦) .

ثم باخلاصه غير المحدود لمنهجه فى ضرورة التحليل المحدد فى الظرف التاريخي المحدد لكل قضية ذهب لينين للتفرقة بين ثلاثة نماذج من البلدان فى هذا الصدد :

أولا ـ البلدان الرأسمالية المتقدمة فى اوربا الغربية والولايات المتحدة . ففى هذه البلدان انتهت الحركات القومية التقدمية البورجوازية منذ زمن بعيد . وكل من هذه الامم الكبيرة تضطهد أمما أخرى فى المستعمرات وفى داخل البلاد ..

ثانيا ـ شرق أوربا ، أو النمسا والبلقان وخاصة روسيا . ففى هذه البلدان كان القرن العشرون هو الذى أنمى الحركات القومية البورجوازية الديمقراطية بقوة خاصة وشحذ حدة النضال الوطنى ..

ثالثا ـ البلدان شبه المستعمرة (مثل الصين وايران وتركيا) وجميع المستعمرات . وفى بعض من هذه البلدان لا تزال الحركات البورجوازية الديمقراطية فى خطواتها الأولى ، وفى بعضها الاخر لاتزال بعيدة عن بلوغ نهايتها . (٧) .

وازاء هذه الفئة الثالثة من البلدان حدد لينين عددا من السمات الخاصة ، تبرزها كتاباته التالية :

١ ـ ان الحركة هنا يمكن أن تبدأ تحت شتى الرايات المختلفة لعمق التناقضات التى تثيرها

---

٥ ـ لينين ـ حق الامم فى تقرير مصيرها ـ الاعمال الكاملة ـ المجلد ٢٥ ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦١
٦ ـ المصدر السابق .
٧ ـ لينين ـ الثورة الاشتراكية وحق الامم فى تقرير مصيرها ـ الاعمال الكاملة ـ المجلد ٢٧ ـ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

الامبريالية «فحملة هذه الحركة الديمقراطية فى آسيا هم – أولا – الجماهير الشعبية فى جاوة التى استيقظت بينهـا حـركة قوميـة تحت لـواء الاسلام » (٨) .

٢ – لقد تعفنت البورجوازية الغربية ووقفت امامها الطبقة العاملة ، حفار قبرها ، اماف اسيا فلا تزال توجد بورجوازية كفء لتمثيل ديمقراطية مستقيمة ، كفاحية ومخلصة ، لتكون رفيقا جديرا بالمبشرين العظام والرجالات العظام الذين انجبتهم فرنسا فى اواخر القرن الثامن عشر (٩) ، وان لم ينف هذا وجود «بعض التقارب بين بورجوازية البلدان الاستعمارية وبورجوازية المستعمرات ، مما جعل بورجوازية البلدان المظلومة – مع تأييدها للحركات الوطنية ، تناضل فى الوقت نفسه فى حالات كثيرة ، بل قل فى معظم الحالات ، ضد جميع الحركات الثورية والطبقات الثورية بالاتفاق مع البورجوازية الامبريالية ، أى معها » (١٠) .

٣ – ان « جماهير الكادحين – الفلاحين فى المستعمرات – على الرغم من انها لا تزال الان متأخرة ، ستلعب دورا ثوريا كبيرا جدا فى المراحل المقبلة للثورة العالمية » (١١) .

٤ – انه « من الواضح كل الوضوح أن حركة أكثرية سكان الكرة الارضية التى تتجه فى البدء وجهة التحرر الوطنى ، ستنقلب على الرأسمالية والامبريالية فى المعارك الفاصلة التى ستخوضها الثورة العالمية فى المستقبل ، وقد تلعب دورا ثوريا أكبر جدا مما نتوقع » (١٢) .

٥ – « سوف تصل جميع الامم الى الاشتراكية ، ان هذا أمر محتوم ، ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة ، فستحمل كل منها أمرا تنفرد به الى هذا الشكل أو ذاك من اشكال الديمقراطية ، الى هذا المظهر أو ذاك من مظاهر ديكتاتورية الطبقة العاملة ، الى هذه السرعة أو تلك فى تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية علـى أسس اشتراكية – وليس من شىء احق نظريا وأدعى للضحك عمليا من ان نتصور المستقبل من هـذه الناحية بلون رمادى واحد » (١٣) .

استقلال الثقافة القومية الذاتى

برنامج انتهازى تقدم به فى العقد العاشر من القرن الماضى الاشتراكيان النمساويان باور ورينر وتبناه فيما بعد كل من روزا لوكسمبرج فى بولندا والاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا (البوند) ، ويتلخص هذا البرنامج فى أن ابناء القومية الواحدة الذين يعيشون فى بلاد معينه يؤلفون بصرف النظر عن الناحية التى يعيشون فيها اتحادا قوميا تضع الدولة فى صلاحياته شئون المدارس وغيرها من فروع التعليم والثقافة ، وقد انتقد لينين هذا الشعار اشد الانتقاد معلنا انه لو تحقق لادى الى زيادة نفوذ العناصر الرجعية من رجال الدين والايدولوجية الشوفينية الرجعية فى كل جماعة قومية .

مفهوم لينين عن التناقضات الخـــاصـــة بين الامـــم

كان بليخانوف واضرابه ممن عجزوا عن فهم الطبيعة الخاصة للحركة القومية كظاهرة مستقلة ، قد حاولوا الزج كيفما اتفق بالتناقض العام بين رأس المال والعمل فى قضية القوميات معلنين انه ليس للاشتراكيين أن يدافعوا عن حق الامم فى تقرير مصيرها ، بل أن يرفعوا شعارات مثل « حق الطبقات الكادحة فى تقرير المصير » .

وكان لينين يدرك أن مثل هذا الخلط فـى التناقضات التى تحكم الظواهر المختلفة ليس سوى هزء بالماركسية وليس سوى محاولة من هؤلاء الاشتراكيين الزائفين للافلات من مهمة مواجهـة حكوماتهم بموقفهم فى مناصرة شعوب المستعمرات والبلاد المضطهدة .

وفى مواجهة هــذا الخلط كان لينين يعلن :

« ينبغى أن يكون مكان الصدارة فى برنامج

---

٨ – لينين – استيقاظ آسيا – الاعمال الكاملة – المجلد ٢٣ – ص١٤٥

٩ – لينين – الديمقراطية والشعبية فى الصين – الاعمال الكاملة – المجلد ٢١ – ص ٤٠٠ – ٤٠٦

١٠ – لينين – تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية وشأن المستعمرات فى المؤتمر الثانى للكومنترن – الاعمال الكاملة المجلد ٤١ – ص ٢٤١ – ٢٤٧

١٠ – لينين – تقرير عن خطة الحزب الشيوعى الروسى – الاعمال الكاملة – المجلد ٤٤ – ص ٣٥ – ٣٨ .

١١ – نفس المصدر

١٢ – نفس المصدر

١٣ – لينين – بصدد الهزء بالماركسية وبصدد الاقتصادية الامبريالية – الاعمال الكاملة – المجلد ٣٠ – ص ١١٦ – ١٢٣

الاشتراكيين الديمقراطيين تقسيم الامم الى أمم ظالمة وأمم مظلومة .. ومن هذا التقسيم ينبثق بالضرورة تعريفنا الثورى الديمقراطى فى النهاية ، التعريف الذى يتفق والمهمة العامة ، مهمة النضال فى سبيل الاشتراكية دون ابطاء .. تعريف وحق الامم فى تقرير مصيرها » (١٤).

وكان تمسك « لينين » بدراسة القومية كظاهرة محددة ، هى التى مكنته فى بحثه للعلاقات بين الامم من أن يضع يده ، لا على التناقض بين الامم الظالمة والامم المظلومة فحسب ، بل على سلسلة من التناقضات الاخرى التى تثيرها ظاهرة القومية ، كظاهرة لها خصوصيتها ، فهناك تناقضات بين الامة الكبيرة والامة الصغيرة ، بين القوية والضعيفة ، ويكتب فى عام ١٩٢٢ بعد اعلان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية قائلا :

« ان الحديث عن القومية بوجه عام بصورة مجردة ، لايصلح ابدا ، فمن الضرورى التفريق ، بين قومية الامة الظالمة وقومية الامة المظلومة ، وبين قومية الامة العظمى وقومية الامة الصغيرة .

ونحن ابناء الامة الكبيرة ، نقترف بصورة دائمة تقريبا فى الواقع التاريخى عددا لايحصى من أعمال العنف حيال قومية النوع الثانى ، اضف الى ذلك اننا نقترف دون أن نلاحظ عددا لايحصى من أعمال العنف والاهانات » (١٥) .

ويشير بكلمات عنيفة الى ما تسببه البيروقراطية واستخدام الجهاز الادارى فى حل مشاكل القوميات من خلق ظروف من شأنها أن تجعل :

« حرية الخروج من الاتحاد التى نبرر انفسنا بها مجرد ورقة ، ليس فى طاقتها أن تدفع عن رعايا روسيا من ابناء الاقوام غير الروسية غزو ذلك الروسى الوقح ، ابن الامة الروسية العظمى ، غزو ذلك الشوفينى الذى هو فى الجوهر سافل ومعقد واعنى البيروقراطى الروسى النموذجى . وليس من شك ان النسبة الضئيلة من العمال السوفيتيين والمصبوغين بالصبغة السوفيتية ستغرق فى بحر الاوباش الشوفينيين الروس كالبرغوث فى اللبنية » [١٦] .

الحل اللينينى للقضية القومية

اذا كانت خبرة شعوب القارات الثلاث فى السنوات الاخيرة قد دللت لها بشكل قاطع أن حصولها على استقلالها السياسى فى دول قومية ليس بكاف لان يحقق لها انعتاقا حقيقيا من الاضطهاد ، وان لامناص من اجراء تحويلات اجتماعية جذرية بعيدا عن الرأسمالية ، فان هذه الخبرات فى الواقع كانت مصداقا لقول لينين :

« من المستحيل فى ظل الرأسمالية القضاء على الاضطهاد القومى والسياسى بوجه عام ، ولتحقيق ذلك من الضرورى القضاء على الطبقات أى تطبيق الاشتراكية » (١٧) .

واذا كان هذا ينطبق على دول اوربا وأمريكا التى تضطهد امما غيرها فى المستعمرات وفى داخل البلاد ، فان انطباقه بخصوص القضية القومية فى المستعمرات اشارة الى الحل النهائى والجذرى للقضية ، لا يعنى الخلط بين المهام الديمقراطية والمهام الاشتراكية للحركة الثورية ، فتحقيق الاستقلال السياسى فى دول قومية هو الخطوة الاولى والضرورية للسير اللاحق نحو الاشتراكية حتى لو ارتبطت المرحلتان فى خيط واحد ، ومن هنا كان اصرار لينين على ضرورة تقديم حل خاص للمشكلة القومية فى اطار المهام الديمقراطية ، حل يتمثل فى شعار « **حق الامم فى تقرير مصيرها** » .

على هذا الاساس عمل « لينين » على تربية الحركة العمالية الاوربية بروح التضامن مع شعوب الامم المستعمرة والمظلومة ضد استعمار وظلم دولهم ــ ودولهم بالذات .

« ان الاشتراكى من ابناء الامم الظالمة انجلترا ، فرنسا ، المانيا ، اليابان ، روسيا ، الولايات المتحدة .. الخ) الذى لا يعترف بحق الامم المظلومة فى تقرير المصير ولا يذود عن هذا الحق [أى عن حقها فى الانفصال الحر] ليس فى الواقع باشتراكى انما هو شوفينى »

و « **من المضحك ان نوهم انفسنا أن اناسا ينتمون الى الامم الظالمة ولا يذودون للامم المظلومة عن حق تقرير المصير ، يستطيعون انتهاج سياسة اشتراكية » (١٨) .**

لقد حاولت العناصر الانتهازية فى الحركة العمالية أن تتهرب من شعار حق الامم فى تقرير

١٤ ــ لينين ــ البروليتاريا الثورية وحق الامم فى تقرير المصير ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ٢٧ ــ ص ٦١ ــ ٦٧.
١٥ ــ لينين ــ حول المسألة القومية او الحكم الذاتى ((مواصله)) ــ الاعمال الكاملة ــ مجلد ٤٥ ــ ص ٣٥٦
١٦ ــ لينين ــ حول المسألة القومية او الحكم الذاتى ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ــ ٤٥ ــ ص ٣٦٣
١٧ ــ حل القضية القومية حلا لينيا ــ من مقالات فرنستى فى العيد المئوى لمولد ف . ا لينين ١٩٧٠/٢/٨ .
١٨ ــ لينين ــ مسألة السلام ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ٣٦ ــ ص ٣٠٤

مصيرها بكل طريق وطريق • تارة بالزعم بان سيادة الاستعمار وشموله جعلت من المستحيل قيام حروب وطنية ، وان أى حرب وطنية ستتحول الى حرب امبريالية ، وكان رد لينين الذى أكدته الاحداث :

« ان الحروب الوطنية ضد الدول الامبريالية ليست ممكنة ومحتملة فحسب ، بل هى أمر محتوم تقدمى وثورى » (١٨) •

و **((يقف الاشتراكيون على الدوام الى جانب المظلومين ، فلا يمكنهم اذن ان يكونوا خصوم الحروب متى كان هدفها النضال الديمقراطى والاشتراكى ضد الظلم •• ولا يخشى حزبنا أن يعلن على الملأ انه يقف موقف التحبيذ من حرب أو انتفاضة قد تبدأ بها ارلندا ضد انجلترا ، أو مراكش ، والجزائر ، وتونس ضد فرنسا ، أو طرابلس الغرب ضد ايطاليا ، أو أوكرانيا وايران والصين ضد روسيا » (١٩) •**

وتارة أخرى كانوا يزعمون انه ما دام تطور الانسانية يتجه الى الغاء التناقضات بين الامم ونحو اندماجها، وما دامت الاشتراكية ستأتى بحل لمشكلة الاضطهاد من جذورها ، فلماذا يصر الاشتراكيون اليوم على حق شعوب المستعمرات فى الانفصال وكان « لينين » يرد عليهم : **« يقول الرفاق البولنديون (الفقرة الاولى — المقطع الثالث) ان الاشتراكية ستمنح الشعوب المتخلفة فى المستعمرات عونا منزها دون ان يسيطر عليها ، هذا صحيح تماما ، ولكن ما الذى يدعو الى الاعتقاد بأن أمة كبيرة ، بأن دولة كبيرة لن تعرف بعد انتقالها الى الاشتراكية كيف تجتذب أمة صغيرة مضطهدة فى أوربا ((بعون ثقافى منزه » (٢٠) •**

« ان الطبقة العاملة لن تصبح قديسة لمجرد أنها قامت بالثورة الاجتماعية • لن تكون معصومة من الاخطاء ونواحى الضعف ، ولكن الاخطاء المحتملة (والمصالح الانانية عند الذين يسعون الى قضاء شئونهم على حساب الآخرين) ستدفعها حتما الى ادراك هذه الحقيقة)) (٢١) •

ومن هذا الادراك العميق لحساسية التناقضات بين الامم كان « لينين » يعلن بقوة سياسة الدولة السوفيتية فى احترام الارادة المستقلة للامم الاخرى « **فان ثمة امرا لا يقبل الشك ، هو ان الطبقة العاملة الظافرة لا تستطيع أن تفرض أية سعادة على شعب أجنبى دون ان تقوض بذلك انتصارها هى بالذات » (٢٢) •**

ومن هذا الادراك كان يغرس روح التضامن والاحترام المتبادل بين شعوب وقوميات الاتحاد السوفيتى معلنا :

« ان الاممية من جانب الامة الظالمة أو المسماة بالعظمى (وان كانت عظمتها لا تتجاوز أعمال العنف ، لاتتجاوز عظمة درجيجودا) لا تستقيم بمجرد مراعاة المساواة الشكلية بين الامم بل بنوع من عدم المساواة يعوض من جانب الامة الظالمة ، الامة العظمى ، عدم المساواة التى تتكون فى الحياة فعلا •• ومن لا يفهم ذلك لا يفهم الموقف البروليتارى الحق فى المسالة القومية •• لا تكفى المساواة الشكلية ، لذلك ينبغى عليها (على الطبقة العاملة) بمعاملتها لابن القومية الاخرى ، اى بتساهلها معه ان تعوض بشكل أو بآخر ما خلقته فيه حكومة أمة « الدولة العظمى » خلال الماضى التاريخى ، من ريبة وظنون وشعور بالاهانة •• ولذلك فان الزيادة فى اتجاه التساهل واللين حيال الاقليات القومية هى فى هذه الحالة خير من النقص » (٢٣) •

هكذا يتبلور الحل اللينينى للقضية القومية فى الدعوة الى حق الامم فى تقرير مصيرها ، وتأييد الحروب الوطنية الثورية لشعوب المستعمرات ، واحترام الارادة المستقلة للامم فى اختيار نظامها الاجتماعى ، وتعويض اضطهادات القرون الغابرة بالزيادة فى التساهل واللين ازاء القوميات الصغيرة •

القومية والتضامن الاممى

ويرتبط التضامن الاممى بشعارات «لينين» لحل القضية القومية برباط لاينفصم، فلم يكن « لينين » يصدر فى دعوته لحق تقرير المصير وحق الامم فى الانفصال عن رغبة فى الانعزال والانغلاق القومى ، بل عن ايمان بأن هذا هو الطريق الوحيد لتنمية التفاهم بين الامم والغاء التناقضات فيما بينها •

١٨ — لينين — خلاصة المناقشة حول حق الامم فى تقرير مصيرها — الاعمال الكاملة — المجلد ٣٠ — ص ٣٤ — ٣٧
١٩ لينين — من كتاب مفتوح الى موريس سوثارين — الاعمال الكاملة — المجلد ٣٠ — ص ٢٦٢ — ٢٦٥
٢٠ — لينين — خلاصة المناقشة حول حق الامم فى تقرير مصيرها — الاعمال الكاملة — المجلد ٣٠ — ص ٣٤ — ٣٧
٢١ — المصدر نفسه
٢٢ — نفس المصدر
٢٣ — لينين — حول مسالة القوميات او الحكم الذاتى — الاعمال الكاملة — مجلد ٤٥ — ص ٣٥٦ — ٣٦٢

« ان كل عامل ذكى يفكر ، على النمط التالى : ب · كينسكى بالذات يعلمنا ، نحن العمال أن نصيح · اخرجوا من المستعمرات ·· معنى ذلك انه ينبغى لنا نحن العمال الروس أن نطالب حكومتنا بالخروج من منغوليا وتركستان ومن ايران ، وانه ينبغى للعمال الانجليز أن يطالبوا الحكومة الانجليزية بالخروج من مصر ومن الهند ومن ايران ·· الخ· ولكن هل يعنى ذلك اننا نريد نحن البروليتاريين الانفصال عن العمال والفلاحين المصريين ، عن العمال والفلاحين المنغوليين أو التركستانيين أو الهنود ؟ وهل يعنى ذلك أننا نحن ننصح جماهير الكادحين فى المستعمرات بالانفصال عن الطبقة العاملة الاوربية الواعية ؟ كلا ، قطعا ، لقد ايدنا على الدوام ولا نزال نؤيد وسنؤيد أوثق التقارب والاندماج بين العمال الواعين فى البلدان المتقدمة والعمال والفلاحين والعبيد فى جميع البلدان المظلومة · وكنا على الدوام ننصح جميع الطبقات المظلومة فى جميع البلدان المظلومة بما فى ذلك المستعمرات، وسننصحها على الدوام بأن لاتنفصل عنا ، وبأن تقترب منا وتندمج فينا ما أمكن » (٢٤)

وكما وقف « لينين » ضد كل مظاهر التعالى من الامم الكبيرة وقف ضد كل مظاهر ضيق الافق والتعصب القوى من الامم الصغيرة ، ضد كل مظاهر تقسيم حركة العمال بدعوى الجنس أو الدين ، ضد كل مظاهر اشاعة البغضاء والكراهية وعدم الثقة تجاه الشعوب الاخرى . ضد كل الدعاوى العرقية والعنصرية الداعية الى ابدية البغض ، والتناصر بين الامم الرامية الى تفتيت وحدة العمال فى كل بلد وعلى النطاق العالمى.

ان النضال من أجل الثورة الاشتراكية يستدعى بالضرورة المزج بين القومية والتضامن الاممى ، ومن أجل هذا صاغ « لينين » مفهومه عن الاممية بقوله « القومية البورجوازية الصغيرة ترى الاممية فى الاعتراف بالمساواة بين الامم وحسب (بصرف النظر عن كون هذا الاعتراف لا يعدو حد القول) وتبقى الانانية القومية سليمة، فى حين ان الاممية تتطلب أولا اخضاع مصالح النضال العمالى فى بلد من البلدان لصالح هذا النضال فى النطاق العالمى ، وتتطلب ثانيا ، كفاءة واستعداد الامة المنتصرة على البورجوازية للاقدام على تحمل التضحيات الوطنية الكبرى من أجل اسقاط رأس المال العالمى » (٢٥) ·

اللينينية الد اعداء الصهيونية

كان من الطبيعى أن تصطدم اللينينية وهى تؤسس نظرتها للمشكلة القومية على أساس تاريخى اجتماعى جوهرها النضال ضد الاقطاعية والامبريالية بمفهومات الحركة الصهيونية « التى تعرض قضايا اليهود كقضايا فوق طبقية ، كأنها تنبع بشكل حتمى من مجرد وجود يهود فى وسط شعوب أخرى وتدعى أن سبب اللاسامية هو مجرد كراهية اليهود ·· دون علاقة بالنضالات التى تجرى فى المجتمع » (٢٦) ·

ولقد كانت المفهومات الصهيونية قد تسربت الى الحركة العمالية عن طريق تنظيم البوند خاصة وضد مفهومات هذا التنظيم سلط لينين نيرانه · وفى مناقشاته مع قيادة حركة البوند نراه يؤكد :

« ان حجة البوند الثالثة التى تتذرع بفكرة الامة اليهودية لها بلا ريب طبيعة المبدأ ، ولكن لسوء الحظ ان هذه الفكرة الصهيونية خاطئة خطأ مطلقا ورجعية من حيث الجوهر » (٢٧) ·

ثم يعود ليؤكد :

« ان الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة عن غيرها ، هى غير ثابتة من الناحية العلمية على الاطلاق ، عدا كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية · وتعطينا الوقائع المدونة للتاريخ الحديث وللحقائق السياسية المعاصرة برهانا عمليا لايمكن دحضه على ذلك ·· ففى جميع انحاء اوربا وافق انهيار العصور الوسطى، وتقدم الحرية السياسية التحرر السياسى اليهودى واستعمالهم لغة الشعوب التى يعيشون بينها ، وبوجه عام اندماجهم نسبيا فشيئا مع السكان المحيطين بهم · هل بامكاننا أن نعزو الى الصدفة أن تكون القوى الرجعية فى جميع انحاء أوربا ولاسيما روسيا هى التى تعارض اندماج اليهود وتسعى الى ادامة عزلتهم · ان المشكلة اليهودية على وجه الدقة هى الاندماج او الانعزال، وان فكرة القومية اليهودية هى بلا ريب فكرة رجعية ليست فقط عندما ينادى بها المنادون بصورة سافرة [وهم الصهيونيون] ولكن ايضا

---

٢٤ ــ لينين ــ بصدد الهزء بالماركسية وبصدد الأقتصادية الامبريالية ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ٣٠ ــ ص ١١٦

٢٥ ــ لينين ــ مشروع المبادىء فى المسألة القومية ومسألة المستعمرات ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ٤١ ــ ص ١٦١ ــ ١٦٨

٢٦ ــ جريدة الاتحاد الاسرائيلية ١٣/١٢/١٩٦٨

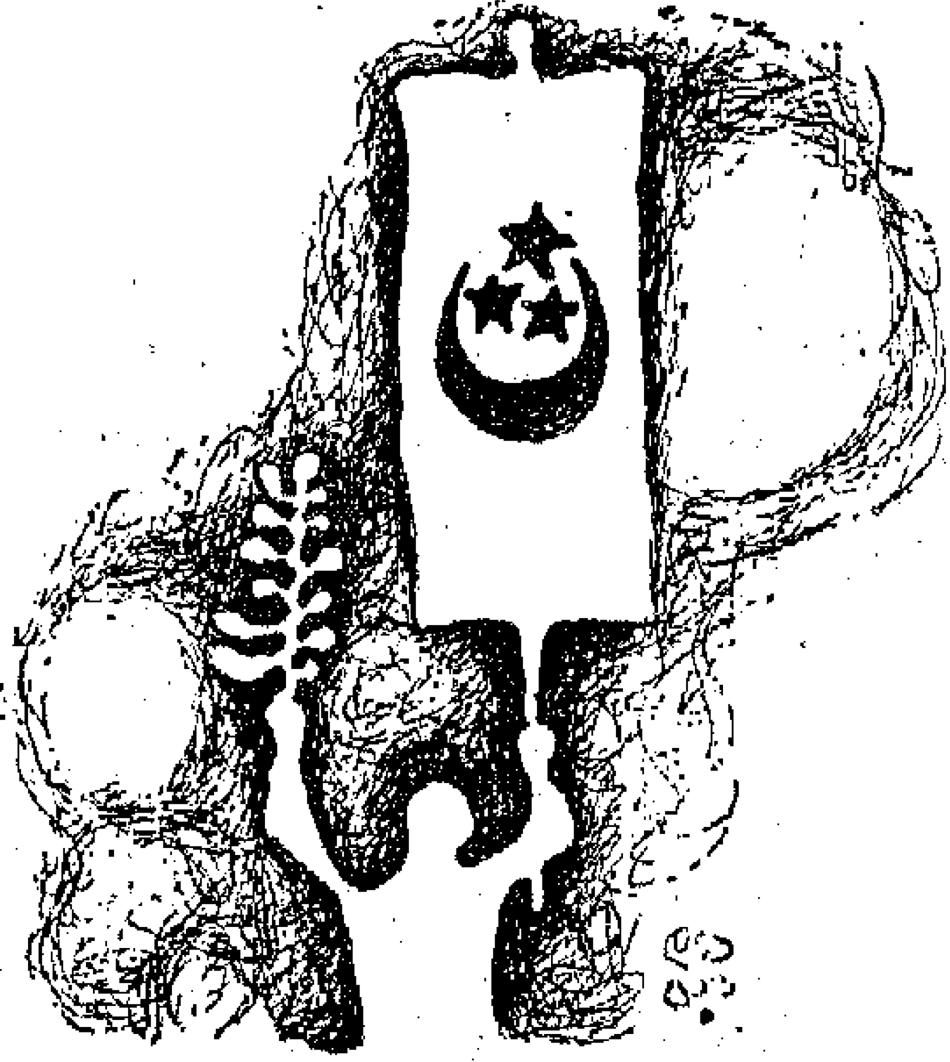
٢٧ ــ لينين « وضع البوند فى الحزب » ــ الاعمال الكاملة ــ المجلد ٧ ــ ص ٢٣

عند أولئك الذين يحاولون ان يجمعوا بينها وبين افكار الاشتراكية الديمقراطية (البوند)» (٢٨).

وفى شعارات المؤتمر الثانى للكومنترن الخاص بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات والذى حضره «لينين» وصاغ قراراته رفع المؤتمر شعار «ان المؤسسة الفلسطينية الصهاينة ، والصهيونية عموما ، لهى مثال صريح على الجهود المتضافرة التى تبذلها الامبريالية العالمية والبورجوازية لخداع الجماهير الكادحة » (٢٩) .



لينين .. والحركة الوطنية المصرية



رفعت السعيد

ربما تصور البعض ان الكتابة تحت عنوان كهذا تمثل مبالغة وافتعالا لعلاقة لم توجد ، لكننى أعتقد ان البحث المتأنى فى صفحات تاريخ مصر الحديث يمكنه أن يكشف عن وجود علاقات وثيقة بين لينين وحزب لينين والدولة الفتية التى تزعم لينين عملية اقامتها ، وبين مصر وحركتها الوطنية والثورية .

واذا كان مؤرخو البرجوازية قد نجحوا فى طمس كل او اغلب معالم هذه العلاقة ، فان علينا ان نحاول الكشف عن جوانبها المختلفة .

والحقيقة أن تأثير الحركة الثورية الروسية فى مصر يمتد منذ أمد بعيد .

فهناك مثلا تأثير **تولستوى** على **المفكرين** المصريين، الامر الذى دفع **أحمد لطفى السيد** الى الهجرة الى قريته « برقين » ليقيم هناك فترة من الزمن محاولا العودة الى « الفلاح » كما فعل تولستوى .

---

٢٨ ــ لينين ــ هل تحتاج البروليتاريااليهودية الى حزب سياسى مستقل ــالاعمال الكاملة ــ المجلد السابع ــ ص ٣٣٠ .
٢٩ ــ مجموعة وثائق المؤتمر الثانىللكومنترن ــ طبعة بتروجراد ١٩٢١ ــص ١٤٠ ــ ١٤١ .

كذلك تركت ثورة ١٩٠٥ أصداء هامة فــي مصر . هـــذا ما يؤكـده « والترلاكور » الذي يقول « لقد تركت ثورة ١٩٠٥ في روسيا و ١٩٠٨ في تركيا وأيران أصداء هامة وسط المثقفيـن المصريين » (١)

ولم يكن هذا الاثر مجرد انعكاسات معنوية للانتفاضة الثورية للشعب الروسى وانما تجسدت في شكل مادى مثير .

البلاشفة في مصر

يرتبط اسم المدرعة « بوتمكين » باســم ثورة ١٩٠٥ . فقد أعلن بحارتها التمرد وانضموا الى صفوف الثوار . وبعد هزيمة الثورة تفرق بحارة المــدرعة « بوتمكين » ووصــل عدد منهم الى الاسكندرية .

كذلك وصل الى الاسكندرية عدد آخر مـن الثوريين الروس هاربين من القهر القيصرى ومن حملة الارهاب التي سادت روســيا عقب هزيمة الثورة .. ويقول مارسيل اسرائيل « ان كثيرا من هؤلاء كانوا أعضاء في الحزب البلشفى » (٢)

المهم أنه قد تكونت في الاسكندرية مجموعة بلشفية بدأت تنشط نشــاطا ملحــوظا ووجهت نشاطها في الاساس الى البحارة الروس الذين كانوا يفدون على السفن القادمة الى الاسكندرية . واتصلت هذه المجموعة بروسى كان يمتلك مطبعة في حلوان . وبوساطته أصدرت مجلة سرية باللغة الروسية اسمها « **مارياك** » اي « **البحار** » كانت توزع على بحارة السفن الروسية .

وفى أحد الاضرابات العمالية التى سادت الاسكندرية عام ١٩٠٧ خرج عدد من أعضاء هذه المجموعة يتصدرون المظاهرة معلنين تضامنهم مع العمال المضربين وكانوا يحملون علما أحمر مكتوبا عليه : « **الحـــزب الاشــــتراكي الديمقراطي الروسى [البلشفيك]** » [٣] .

وثارت ثائرة قنصل روسيا بالاسكندرية ، وطالب السلطات باعتقال قادة المجموعة وترحيلهم الى روسيا . والقى القبض على ثلاثة منهم . وتنشر الاهرام : « القى القبض في الثغر على ثلاثة من الروسيين اللاجئين اليه على أثر الحوادث التي وقعت في بلادهم . ويقال أن أحدهم من حملة الاقلام (الكتاب) هناك . وسيعادون الى روسيا مخفورين ، وقد كان لهذا الحادث تأثير شديد بين النزلة الاوروبيين في الثغر » (٤)

ويوضح هذا الخبر أن المقبوض عليهم وفدوا الى مصر « أثر الحوادث التى وقعت في بلادهم » وهى على الارجح ثورة ١٩٠٥ .

وفى اليوم التالى نظمت في الاسكندرية مظاهرة للاحتجاج على حرمان الثلاثة الروس من حق

المدرعة بوتمكين

على اثر هزيمة روسيا القيصرية أمام اليابان تفجرت الحركة الثورية في روسيا بصورة لم يسبق لها مثيل . وفى ٩ يناير ١٩٠٥ سارت مظاهرة عمالية ضخمة تضم ١٤٠,٠٠٠ من عمال بطرسبرج [لينينجراد حاليا] وانهال رصاص البوليس القيصرى ليقتل الف عامل ويصيب خمسة آلاف آخرين بجراح .

لكن هذا السيل من الدماء لم يرهب العمال الذين اشعلوا في مختلف انحاء البلاد ثورة حقيقية . وبلغ عدد العمال المضربين في شهر يناير وحده ٤٤٠,٠٠٠ عامل .

وفى مايو ١٩٠٥ تفجرت الاضرابات بصورة أكثر عنفا وبدأ العمال في اقامة متاريس في الشوارع معلنين العصــيان رافعين شــعار « الحرية أو الموت » وشعار « ليسقط الحكم البيروقراطى » .

وفي يونيو ١٩٠٥ أعلن بحــارة المدرعة بوتمكين انضمامهم للثورة . وكانت هذه هي المرة الاولى في تاريخ روسيا التى تنضم فيها بعض قطاعات القوات المسلحة القيصرية الى صفوف الثورة .

واتجهت بوتمكين الى ميناء أوديسا رافعة أعلام الثورة مؤملة ان تنضم هناك الى صفوف العمال المضربين ، لكنها ما ان بلغت الميناء حتى وجدت ان البوليس القيصرى قد انهك المجموعة « البلشفية » هناك من المطاردات ، واعتقل عددا كبيرا من قادتها . وعادت بوتمكين الى عرض البحر حيث تفرق بحارتها ووصلت مجموعة منهم الى ميناء الاسكندرية .

وتكمن الاهميــة التــاريخية لتمرد المدرعة بوتمكين في انه قد أثبت بصورة عملية امكانية كسب قطاعات من جنود الجيش القيصرى الى صفوف الثورة .

١ — WALTER. LAQUEUR — COMMUNISM AND NATIONLISM IN THE MIDDLE EAST, ROUTLEDGE AND KEGANPAUL — LONDON. P. 32

٢ — مارسيل اسرائيل . تقرير لم ينشر عن تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر .

٣ — نيكولاى كوتسباريف . من الفسنة على الطريق . ص ١١ وما بعدها .

٤ — الاهرام ١٩٠٧/١/١٩ .

اللجوء السياسي .. وفي مساء ١٩٠٧/١/٢٢ وزع في القاهرة والاسكندرية منشور باللغة الايطالية يقول :

« أيها الرفاق .. اذا كانت المظاهرة الهادئة المنظمة التي اشتركنا بها ، طلبا للمحافظة على كرامة الملجأ لم تنتج النتيجة التي يريدها الاسكندريون، فمن الواجب في صالح ضحايا الظلم اتخاذ وسائل فعالة حتى تنتصر الحرية والانسانية. من الواجب على كل انسان في هذه الظروف الحرجة أن يكون مستعدا للعمل ، وأن يلبي الدعوة عند الحاجة لمقابلة الشدة بالشدة . فليعش الشعب الروسي، وليسقط القيصر السفاح » (٥)

وبعد هذا المنشور اتخذت المظاهرات طابع العنف والقى البوليس القبض على ثلاثة عشر من المتظاهرين بتهمة اهانة قيصر روسيا ..

وتنشر الاهرام : « حوكم اول أمس أمام محكمة الاسكندرية الاهلية .. ثلاثة أشخاص لاتهامهم بانهم أهانوا جلالة قيصر روسيا وأنزلوا على الارض الشعار الروسي . ولا يزال التحقيق جاريا عن أعمال عشرة آخرين » (٦)

وثمة شخص آخر يستحق موقفه بعض التأمل وهو تيودور روزنشتين وهو ثوري روسي هاجر الى لندن ومنها الى مصر ، حيث عمل محررا في الجريدة الانجليزية التي أصدرها الحزب الوطني باسم « ذي اجيبشيان استاندرد » وقد لعب « روزنشتين » دورا هاما وسط شباب الحزب الوطني ، والف كتابه القيم « دمار مصر » . وهو مرجع هام في تاريخ الاحتلال الانجليزي لمصر .

لكن ما يستلفت النظر هو عبارة وردت في مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب بقلم المترجم علي « أحمد شكري » الذي يقول أنه كان على معرفة شخصية وثيقة بروزنشتين ، ويقول : « وعلى اثر نشوب ثورة البلاشفة عاد المسيو روزنشتين الى روسيا حيث اختاره لينين سكرتيرا خاصا له ..ثم عينته الحكومة الروسية فيما بعد وزيرا مفوضا لها في طهران » . (٧)

ولا شك أن شخصية كهذه تستلفت النظر ويستحق الدور الذي لعبته في مصر مزيدا من البحث . كذلك فان عبارة هامة قد وردت في تقرير مارسيل اسرائيل تقول « عندما كان لينين في فرنسا وسويسرا كان يرسل كل رسائله الى الحزب البلشفي عن طريق مصر ، تصل الى مصر أولا ومنها الى روسيا ، وبذلك أمكن تضليل الرقابة القيصرية » ..

فهل كان روزنشتين ـ الذي قيل أنه أصبح فيما بعد سكرتيرا للينين ، هو الذي يقوم بهذه المهمة ؟ ربما ..

اصداء ثورة اكتوبر في مصر

لا شك في أن الثورة البلشفية قد تركت أصداء واسعة في عديد من البلدان ، وفي مصر أيضا تركت هذه الثورة آثارا هامة .

يقول مارسيل كولب : « ان الثورة الروسية ١٩١٧ والنداءات التي وجهتها الدولية الثالثة في السنين التالية الى فلاحي وعمال الشرق الادنى ، والى مسلمي العالم ضحايا الاستغلال ، قد تركت أصداء ذات اثر في المراكز الكبرى وخاصة في الاسكندرية ، وهي بطبيعتها مدينة دولية » (٨)

ولا بد أن هذه الثورة قد تركت أصداء فعلية . الى الحد الذي دفع « سعد زغلول » أن يوجه رسالة سرية من باريس بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩١٩ الى اللجنة المركزية للوفد يقول فيها « الوفد غير راض عن المنشورات التي تفيد اعتماد المصريين على الالمان وتتضمن الانتصار للبلشفيك ، فان هذه المنشورات يستفيد منها أعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية لها اتصال بالالمان وبالحركة البلشفية » (٩)

كذلك تشن الصحف الاجنبية في مصر حملة تحذر فيها مما اسمته بالخطر البلشفي على مصر (١٠) .

ويصل الامر الى حد القول بأن « جماعة البلشفيك حاولت أن تنفذ الى مصر عمالا من أنقرة موفدين من رسل الشعب الروسي أو من الكماليين لنشر أنجيل الاشتراكية .. يعمل فريق منهم في

---

٥ ـ الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤
٦ ـ الاهرام ١٩٠٧/٢/٦
٧ ـ مقدمة الترجمة العربية للكتاب وقد صدرت بعنوان « تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده » طبعة ٩٢٧ صفحة «ب»
٨ ـ MACEL COLOMBE — L'EVOLUTION DE L'EGYPTE — PARISE — 1950 — P. 189.
٩ ـ محمد انيس . دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ـ مكتبة الانجلو ١٩٦٣ ـ ص ٢١.
١٠ ـ اجيبشيان ميل ١٩١٩/٤/١٦ .

المدن وفريق فى القرى .. ففى المدن مفاوضة تجرى مع نقابات عمال السكة الحديد والترام وغيرهاوتحريضهم ضد المسيطرين عليهم وأرباب الاموال وأقناعهم بأن سيادة الرعاعهى وحدها الكفيلة بتحقيق أمانى الشعوب .

وفى القرى يخترق الرسل الحقول أبـان الحصاد، يقولون للفلاحين انه ليس من العدل ان غنيا كبيرا يمتلك الف فدانبينما الفقراء لايملكون شيئا .. اليس من العدل أن تمتلك كل عائلةمن الاراضى ما تعيش منه » (١١)

ثم تصاعدت الحملة الى درجة أن **الجنرال ولسون** قائد قوات التدخل البريطانية ضد ثورة أكتوبر ارسل تقريرا الى حكومته ينصح فيه بالجلاء الفورى عن المناطق المحتلة فى القوقاز لتركيز القوى اللازمة للدفاع عن بعض المناطق الهامة فى الامبراطورية وخاصة مصر والهند اللتين يتهددهما التأثير البلشفى » (١٢) .

وفى أعتقادنا أن هذه الحملات مبالغ فيها بهدف تشويه قيادة الوفد والعناصر البرجوازية والاقطاعية من حركة العمال والفلاحين التى تصاعدت حاملة السلاح متخذة أساليب فى العمل تشبه الى حد ما أساليب ثورة أكتوبر .

لكن الامر الذى لاشك فيه هوأن ثورة أكتوبرقد تركت آثاراهامةفى مصر .

من لينين الى شعوب الشرق

« أيها المسلمون فى الشرق ، أيها الفرس والاتراك والعرب والهنود .

يامن كانت حياتكم وأموالكم وحرياتكم وأوطانكم طوال قرون عديدة سلعة فى يد طغاة اوربا مصاصى الدماء ، أنتم يامنيهددكم القراصنة الاستعماريون الذين اعلنوا الحرب لاقتسام أوطانكم ».

»... اليكم جميعا نتوجه قائلين :

« اننا نعلن أنالمعاهدات السرية المتعلقة بضم القسطنطينية التى عقدهاالقيصر المخلوع وصادقت عليها حكومة كيرنسكى البائدة قد مزقتها اليوم والغتها حكومة الجمهورية الروسية الاشتراكية ..

الحزب الاشتراكى المصرى

فى ٢٨ اغسطس ١٩٢١ صدر البيان التاسيسى للحزب الاشتراكى المصرى موقعا من أربعة اشخاص هم : «حسنى العرابى ـ سلامة موسى ـ محمد عبد الله عنان ـ د. على العنانى » .

وقد كان الحزب فى حقيقة الامر تجمعا لعديد من الاتجاهات : اشتراكيو الدولية الثانية ، الفابيون ، الهيجليون ، الماركسيون. ومن البداية تعرض الحزب لحملة هجومشديدة جدا ساهمت فيها اطراف عديدة ابتداء من الوفد الى الحزب الوطنى الى بعض رجالالدين لكن الحزب استطاع ـ برغم هذه الهجمات وبرغم الصعاب الناتجة عن تضارب الاتجاهات الفكرية المكونة له ـ أن يلعب دورا نشيطا فى الحياة السياسية فى البلاد . واستطاع الحزب أن يكون لنفسه قواعد نشطة فىمختلف انحاء البلاد فى الاسكندرية والقاهرة وطنطا وكفر الزيات والمنصورةوالزقازيق والمنياوالمحلة الكبرى .. الخ .

وقد تضمن البيان التاسيسى للحزب برنامجا عاما يطالب بجلاء قوات الاحتلال من وادى النيل ، وبالنضال الشامل ضدالاستعمار حيثما وجد . وبتحرير المراة وتحسين ظروف العمل وتوزيع الثروة توزيعا عادلا .

وعندما وصل « سعد زغلول » الى الحكم وجهت له اللجنة المركزية خطابا مفتوحا دعته فيه الى توحيد صفوف الامة والى تكليف لجان الوفد بالعمل علىحشد العمال فىنقابات عمالية، والفلاحين الفقراء فى اتحادات . وذلك حتى يمكن توحيد قوى العمال والفلاحين دفاعا عن الحكم الوطنى اذا اقتضت الحاجة . كما طالبته بتحقيق عدد من المطالب لجماهير الشعب .

كذلك اصدر الحزب مجلة اسبوعية اسمها « الشباب » . لكن وزارة الداخلية الغت الترخيص بعد ان صدر العدد الاول الذى خرج يحمل شعار المطرقة والمنجل وتتصدره صورة

---

١١ ـ د.ل الى الاستقلال مصروانجلترا ـ ترجمة ميخائيل بشارة داود
١٢ ـ مارسيل اسرائيل .. المرجع السابق

لينين . كذلك اقام الحزب مدارس ليلية للعمال ومدرسة للكادر الحزبى وترجم واصدر عددا من الكتب الماركسية الهامة .

وفى ٣٠ يوليو ١٩٢٣ عقد الحزب مؤتمره الاول الذى قرر فيه تبنى النظرية الماركسية .. والانضمام الى الكومنترن ، واتفق على ان يبقى اسم الحزب كما هو « الحزب الاشتراكى المصرى » مع اضافة عبارة « الشعبة المصرية للدولية الثالثة » .

وقد ادت هذه الخطوة الى انسحاب « سلامة موسى » و « على العنانى » من الحزب .

وفى نوفمبر ١٩٢٣ قرر المؤتمر الرابع للكومنترن قبول الحزب المصرى عضوا فيه اذا ما استوفى بعض الشروط .

وفى هذه الاثناء عقد الحزب مؤتمره الثانى الذى اصدر برنامجا جديدا طالب فيه بمصادرة الاراضى الزراعية التى تزيد عن مائة فدان وتوزيع الاراضى المصادرة على الفلاحين المعدمين او تحويلها الى مزارع جماعية . وطالب البرنامج باسقاط الديون عن الفلاحين الذين تقل ملكياتهم عن ٣٠ فدانا والغاء الضرائب على الفلاحين الذين تقل ملكياتهم عن عشرة أفدنة . كذلك طالب البرنامج بتأميم قناة السويس والغاء الامتيازات الاجنبية .. الخ.

وفى فبراير — مارس ١٩٢٤ خاض الحزب غمار سلسلة من الاضرابات والمعارك العمالية العنيفة . انتهت بالقاء القبض على قادته ، واغلاق دوره وانديته فى كل انحاء البلاد وتحريم اى نشاط له . وفى هذه الاثناء احصى البوليس عدد الاعضاء المسجلين رسميا فى دفاتر الحزب فبلغوا ١٥٠٠ عضو .

وبرغم المطاردة واصل الحزب نشاطه سرا ، وفى عام ١٩٢٦ اصدر مجلة علنية اسمها « الحساب » الى جانب مجلة سرية اخرى .

وطوال فترة الثلاثينات كانت خلايا الحزب تمارس نشاطها بصورة او باخرى فى وجه مطاردة عنيفة من البوليس .. واستمرت هذه الخلايا فى الوجود حتى التقت بطلائع الحركة الماركسية الجديدة فى أواخر الثلاثينات .

ان مجلس قومسييرى الشعب يعلن أنه يرفض ضم أراضى الغير ، وأن القسطنطينية يجب أن تبقى فى أيدى المسلمين ..

« أيها الرفاق ، أيها الاخوان :

أننا نسير نحو سلام ديمقراطى شريف ، نسير نحوه بعزيمة قوية وقدم ثابتة ، ان راياتنا تحمل فى طياتها التحرر لجميع الشعوب المقهورة فى العالم ..

« أيها المسلمون فى روسيا ، أيها المسلمون فى الشرق ، فى هذا الطريق الذى نسير عليه نحو عالم جديد ننتظر منكم التأييد والمساعدة » (١٣)

والحقيقة أن لينين قد أدرك بوعى تام أهمية حركة التحرر الوطنى فى الشرق فى المعركة من أجل هزيمة الاستعمار على نطاق العالم .

وفى خطاب له أمام المؤتمر الثانى للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق فى جمهورية روسيا قال لينين :

« ويغدو واضحا كل الوضوح أن الثورة الاشتراكية التى يتمخض عنها العالم لن تكون مجرد انتصار البروليتاريا فى كل بلد على برجوازية هذا البلد .. ستكون ايضا نضالا تخوضه جميع المستعمرات والبلدان التابعة ضد الاستعمار العالمى » (١٤)

ويقول لاكور « ان لينين كان أكثر زعماء البلاشفة اهتماما بالشئون الاسيوية ومعرفة بها » (١٥)

ومحاولة تتبع وثائق مؤتمرات الكومنترن التى حضرها لينين ، توضح أنه هو الذى كان يتزعم حملة الاهتمام بالشرق وبحركته المعادية للاستعمار . وفى المؤتمر الثانى جرى نقاش طويل بين لينين والزعيم الهندى « روى » وكان لينين يؤكد : « أن مصير الغرب معلق بمراحل تطور وبقوى الحركة الثورية فى بلاد الشرق » (١٦) .

ويلفت لاكور النظر الى عبارة وردت فى تقرير « زينوفييف » الى المؤتمر الثالث للكومنترن

---

١٣ — البرافدا — ١٩١٧/١٢/٥ .
١٤ — لينين — حركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط — نقلا عن الياس مرقص .
١٥ — لاكور — الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط — بيروت . طبعة المكتب التجارى . ص ٢٠ .
١٦ هانزبياشر . دراسة بالالمانية بمناسبة الذكرى الخمسين لتاسيس الكومنترن .

يتحدث فيها عن « قيالقنا الهامة فى الشرقيين الاوسط والادنى » (١٧) .

وكان لابد لذلك كله أن ينعكس على الحركة الثورية الملتهبة فى مصر .

كذلك تأثر الرأى العام المصرى الى حد كبير بموقف التأييد الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى من الحركة الكمالية فى تركيا .

ويتحدث عن التحالف بين الروس والكماليين قائلا :

ان السفير البلشفى فى تركيا القى خطابا أوضح فيه السياسة الروسية الكمالية جاء فيه :
« ان هناك دافعا يدفعنا الى الانضمام معا ، وهو جمع الصفوف ضد الاستعمار الغربى الذى يرمى الى أستعباد أمم الشرق . فالاتحاد الاقتصادى وتوثيق العلاقات السياسية بين أمم الشرق أقوى سلاح تستعمله ضد الدول الغربية » (١٨)

ويمتد هذا الاهتمام الى الحزب الاشتراكى المصرى الذى يترجم ويطبع منشورا أصدره الكومنترن جاء فيه « أيها العمال عارضوا كل حرب جديدة فى الشرق .

السلام للشعب التركى والحرب ضد الاستعمار الاوربى »

وتنشر الاهرام فى مكان بارز هذا المنشور وتعلق عليه قائلة « ان هذه البلاد (مصر) ليست اشتراكية والاشتراكيه المتطرفه لا تنهض فيها غير أنها تلتفت الى العواطف الروسية بعين الاهتمام» (١٩)

وقد انعكس موقف الاتحاد السوفيتى الصحيح من الثورة الكمالية ومن الحركة الثورية فى الشرق انعكاسا واضحا على جماهيرية الحزب الاشتراكى المصرى .. الى الحد الذى دفع مراسل الاهرام بالاسكندرية الى أن يكتب :

« تجرى فى الاسكندرية الان حركة أشتراكية شيوعية ، لم تر البلاد مثلها من قبل وهى تجتذب اليها العمال وعشاق الاشتراكية من كل جانب . وقد لا نخطىء اذا قلنا ان الحزب الاشتراكى يغتنم فرصة تأييد الروس للترك لنشر دعوته فى مصر ، ونرى الناس يقبلون على اجتماعاته فى شارع نوبار اقبالا كبيرا »]٢٠[.

محمد عبد الله عنان

كان أحد الاربعة الذين وقعوا البيان التأسيسى للحزب الاشتراكى المصرى . وقد اختتم البيان بعبارة تقول : « طلبات العضوية تقدم الى السكرتير العام محمد عبد الله عنان » .
وبعد أن تولى « حسنى العرابى » منصب السكرتير العام ، عمل « عنان » رئيسا لشعبة الحزب فى القاهرة .

وكان « عنان » احد قادة تيار اشتراكيى الدولية الثانية فى الحزب وفى فبراير ١٩٢٤ انفصل عن الحزب .

وفيما بعد عمل محررا فى مجلة «السياسة» الاسبوعية ، وأصدر سلسلة من الكتب الهامة منها « تاريخ الجمعيات والحركات الهدامة » و « تاريخ المؤامرات السرية » . « تاريخ العرب فى أسبانيا » و « قضايا التاريخ الكبرى » .

كذلك اشترك مع « محمد حسين هيكل » و « محمد عبد القادر المازنى » فى اصدار كتاب «السياسة المصرية والانقلاب الدستورى» هاجموا فيه بشدة حكومة اسماعيل صدقى وانقلابها الدستورى .

---

١٧ ــ لاكور ــ المرجع السابق . ص ١٨.
١٨ ــ اهرام ١٩٢٢/٧/٢٢ .
١٩ ــ اهرام ١٩٢٢/١٠/٢١ .
٢٠ ــ الاهرام ١٩٢٢/١٠/١٠ .

السوفيت يتنازلون عن امتيازاتهم

وفور انتصار ثورة أكتوبر ، أعلن السوفييت تنازلهم عن الامتيازات الاجنبية التى كان يتمتع بها الرعايا الروس فى مصر .

وأى مصرى يدرك معنى هذه الخطوة . فلقد ظل شعار « الغاء الامتيازات الاجنبية » مطلبا أساسيا للحركة الوطنية المصرية .

ولقد أستطاعت القوى المعاديةللاشتراكية فى مصرأن تخفى عن الشعب هذه الخطوة البالغة الدلالة . ولم يسمع الناس بها الا بعد سنوات ، عندما القى القبض على بعض الشيوعيين الروس ضمن حملة القبض على قادة الحزب الشيوعى المصرىعام ١٩٢٤، فأصدرالنائب العام بلاغا قال فيه « **ان الروس فقدوا امتيازاتهم الاجنبية التى كانت لهم فى عهد الحكومة القيصرية وأصبحوا خاضعين للقوانين المصرية** » (٢١)

ومع ذلك فان مجلس الوزراء المصرى يحاول جاهدا أن يحتفظ لاعيان الروس فى مصر بامتيازاتهم فيصدر قرارا «بتخويل أعيان الروسيين بالقطر المصرى بعض الاختصاصات وأعتبارهم رؤساء للجالية الروسية .. » وقد أدى ذلك الى منحهم سلطات قضائية وغيرها ..

وعلق **أحمد شفيق باشا** فى حولياته على هذه الخطوة قائلا : « ان الرعايا الروسيينكانوا قبل الحرب وطول الحرب يتمتعون بالامتيازات الاجنبية ونظامها فى مصر ، لكن قيام الثورة فى روسيا ١٩١٧ وانتهائهابالكارثة البلشفية أدىالى قطع العلاقات السياسية بين مصر وروسيا . » (٢٢)

وقد أعربت بعض الصحف عن استيائها من هذه الخطوة قائلة ان فى ذلك « تجاوزا للحدود التى رسمت من قبل ودخول فى ميدان تمتعهم هم الاخرون بنوع من أنواع الامتيازات الاجنبية » (٢٣)

كذلك فان تنازل الاتحاد السوفيتى عن امتيازاته فى مصر قد أدى الى تنازله عن حقه فى التمثيل فى محكمة الاستئناف المختلطة . وأيضا لم يعرف

محمود حسنى العرابى

اتصل وهو شاب بضابط انجليزى فى قوات الاحتلال ، كان عضوا فى حزبالعمال البريطانى وتلقى على يديه بعض المعلومات عن الاشتراكية

وقد بدأ نشاطه بترجمة كتاب « الحركة الاشتراكية » لرامزى ماكدونالد وترجم بعد ذلك كتابا لبوخارين وكان « العرابى » أحد الاربعة الذين وقعوا بيان ٢٨ اغسطس ١٩٢١ الذى اعلن تاسيس الحزب الاشتراكى المصرى .

وابتداء من عام ١٩٢٢ برز اسمه كسكرتير عام للحزب . وفى ١٩٢٣ سافر الى موسكو ليمثل الحزب فى المؤتمر الرابع للكومنترن .

وفى هذه الاثناء زار المانيا حيث اصدر بيانا يعلن فيه تضامن العمال المصريين مع عمال الرور .

اعتقل فىمارس ١٩٢٤ وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات .

وفى عام ١٩٣٠ اتصل « بعصام الدين حفنى ناصف » و « د. عبد الفتاح القاضى » واصدروا معا مجلة ماركسية باسم « روح العصر» . وبعد ان صدر منها ٢٤ عددا اصدرت حكومة صدقى قرارا وزاريا بسحب ترخيصها .

وبعد ذلك هاجر العرابى الى المانيا حيث تواترت انباء عن خلاف حاد نشب بينه وبين ممثلى الكومنترن . وتواترت بعد ذلك انباء عن علاقات بين حسنى العرابى وبين الهتلريين

وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية تدخل « حسن نشأت باشا » لاعادة « حسنى العرابى » . وقد فسر البعض هذه الخطوة بأنها تعبير عن الميول النازية لنشأت باشا ، بينما قال البعض أن الانجليز هم الذين الحوا على اعادة العرابى حتى لا يستخدمه الالمان فى الدعاية لانفسهم .

وعندما عاد « العرابى » عاود اتصاله باصدقائه القدامى ونفى لهم اية علاقة بينه وبين النازى وواصل عمله مع مجموعة من الاشتراكيين كانت تضم «عصام حفنى ناصف» و « الدكتور القاضى » و « عبد المغنى سعيد » وآخرين .

وعندما هاجمت جيوش النازى اراضى الإتحاد السوفيتى قررت المجموعة اعلان مساندتها للسوفيت وانسحب حسنى العرابى وقيل انه عزز علاقاته بالعناصر الموالية للنازى وكون معها حكومة ظل انتظارا لدخول الالمان مصر .

---

٢١ ـــ عبد العظيم محمد رمضان ـــ تطور الحركة الوطنية فى مصر ـــ دارالكاتب العربى ـــ ص ٥٤٥ ـ
٢٢ ـــ احمد شفيق باشا . حولياتمصر السياسية . الجزء الثالث . ص١٨٥
٢٣ ـــ السياسة الاسبوعية١٤/٤/١٩٢٩

الناس بهذه الخطوة ، فقدظل القاضى الروسى ممثل القيصر يشغل هذا المنصب حتى وفاته ، وثار النزاع بين الدول الاوربية لشغل منصبه ٠٠ ومن أخبار هذا النزاع عرف الناس بهذه الخطوة التى وقعت منذ سنوات ٠

وكان طبيعيا بعد ذلك كله أن تتجـــه أنظار الوطنيين المصريين الى الاتحاد السوفيتى والى قائد ثورته لينين ٠

ومن المنفى يوجه محمد فريد البرقية التالية الى لينين :

« **تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شكرها الادبى لحكومتكم الديمقراطية بمعنـــى الكلمة ، بمناسبة تصريحها بأسمى وأغلى مايمكن أن تصبوا اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة ٠٠ ان هذه المبادىء التـــى صرحتم بها وأنتم مجردون عن الهوى والغرض ، قد انعشت النفوس واحيت فى الامم المستعبدة ميت الامال فى حياة جديدة تملؤها السعادة والرفاهية حياة قائمة على تحريرها من أغلال وأصحاب رؤوس الاموال وأصفاد محبى الاستعمار ٠ ان اللجنة تشكركم بصفة خاصة على التلغــراف اللاسلكى الذى أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر، وترجو منكم ان تكلفوا مندوبيكم فى مؤتمر بريست ليتوفسك بأن يطالبوا بتحرير مصر من نير الاحتلال الانجليزى** » (٢٤).

وفى يناير ١٩١٨ وجه محمد فريد برقية الى مؤتمر بريست ليتوفسك جاء فيها :

« **بعد أسابيع قليلة من النداء التاريخى الذى وجهه لينين الى جميع الامم ، يتشرف أعضاء الحزب الوطنى المصرى المجتمعون فى برلين بأن يلفتوا أنظار المؤتمر الى ضرورة تحرير مصر على أساس من المبدأ القومى الذى أقرته جميـــع الدول** » (٢٥) ٠

وثمة ملاحظة تستحق التأمل وهى تلك العبارة الواردة فى برقية محمد فريد الى لينين والذى يشكر فيها على التلغراف اللاسلكى الذى أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر « ولا شك أنه من المفيد البحث عن هذا التلغراف فانه يمثل وثيقة هامة ، كذلك تجدر بنا الاشارة الى ماتردد من أن لينين قد وجه رسالة الى سعد زغلول (٢٦)

وعلى أية حال، فان ثمة حقيقة هامة وهى أن لينين قد أولى اهتماما خاصا للمسألة المصرية لقد كان لينين يدرك أهمية الموقع الاستراتيجى لمصر بالنسبة للاستعمار العالمى ٠٠ ومن ثم أهميتها بالنسبة للثورة العالمية ٠

وينعكس هذا الاهتمام فى نص الوثيقة التى قدمها الرفيق كاتاياما مقرر لجنة المسألة المصرية ــ الى المؤتمر الرابع للكومنترن وقد جاء فيها :

« **أيها الرفاق : لقد اجتمعت لجنة المســألة المصرية عدة مرات واستمعت الى تقرير الحزب الاشتراكى المصرى وناقشت القضية باستفاضة٠**

اننا ندرك أن مصر تحتل مكانا هاما ، فهى من ناحية تفصل بين الشرق والغرب ومن ناحية اخرى تصل بينهما ٠ وهى المفتاح الى الشرق والشرق الاقصى ٠٠

٠٠٠ وفى حالة وقــوع ثورة فى الهند فان مصر بفضل الموقع الجغرافى الذى تشغله ، يمكن أن تفتح الطريق للثورة الهندية وتساندها باغلاق قناة السويس » (٢٧)

ومن فوق منبر المؤتمر وقف **حسنى العــرابى** ليعلن « أن رايات الثورة سوف تخفق حتما فوق ربى الاهرام » ٠

الشعب المصرى يتضامن مع السوفيت

واذا كان السوفييت قد وقفوا الى جانب قضية الشعب المصرى منذ البداية فان الشعب المصرى قد قدر تقديرا كبيرا هذه الخطوة ٠ وفى أكثر من مناسبة أعرب عن تضامنه التام مع الثــورة السوفيتية ٠

---

٢٤ ــ من مقال لصبرى ابو المجد ،مجلة المصور ١٩٦٩/١١/١٤ ، ويلاحظ ان الكاتب لم يشر الى المصــدر الذى نقل عنه نص هذه البرقية ٠

٢٥ ــ الجريدة الالمانيـــة فرسيس زايتونج ١٩١٧/١٢/٢٣ نقلا عن مقــال د. لوتز راثمان ٦ زعمــاء مصريين فى المانيا ، مجلة الطليعة ، ابريل ١٩٦٩

٢٦ ــ لم يمكن العثور على هذه الرسالة بالبحث فى دفاتر الرسائل الصادرة من مكتب لينين ٠

٢٧ INTERNATIONAL PRESS CORRESPONDENCE. V.3-N.2-5/1/1923. P. 21.

وفى الايام الاولى لتكوين الحزب الاشتراكى المصرى، وبالتحديد بعد أربعة أيام من تكوينه أصدر **سلامة موسى** باعتباره « أحد سكرتيرى الحزب نداء الى الامة المصرية يناشدها فيه جمع التبرعات لضحايا المجاعة فى الاتحاد السوفيتى ، ويناشد جمعيتى الهلال الاحمر والصليب الاحمر الاشتراك فى حملة التبرعات · ويقول البيان « **لقد قضى الشعب الروسى ثلاثة قرون وهو رازح تحت نير الاضطهاد والعبودية فى جهل مطبق وفقر مدقع ·· وعندما استيقظ من غفلته وشاء أن يحيا حياة جديدة فاجأته الطبيعة بآفاتها** » (٢٨)

ولم يقتصر الامر على مجرد اصدار بيان من شخصية مرموقة ، ولكن الحزب بدأ فى تنظيم حملة جماهيرية لجمع التبرعات لضحايا المجاعة ·

وينشر الاهرام « **تكونت فى الاسكندرية لجنة جديدة من أنصار الاشتراكية والمشتغلين فى نشر مبادئها وفى مقدمتهم المسيو روزنتال بقصد جمع تبرعات لاغاثة الشعب الروسى لان الاشتراكية لا وطن لها · وقد فهمنا أن هذه اللجنة المؤقتة ستدعى اليوم جميع ممثلى النقابات فى البلدة الى اجتماع يعقد فى آخر الاسبوع لتأليف لجنة أوسع** » (٢٩)

وهكذا تتحول حملة التضامن مع الشعب السوفيتى الى حملة جماهيرية بحق ·

والحقيقة أن الاشتراكيين قد ابتكروا وسائل عديدة لتنشيط حملة التضامن هذه ·· « فقد شكلت لجنة خماسية بهدف الاتصال بالحكومة والقناصل والدوائر الاخرى وعمل أسواق خيرية وأحياء حفلات موسيقية وتمثيلية تدوم عدة أيام ، وقررت أيضا جمع الاكتتابات ، ومما يذكر أن هذه اللجنة قد قررت **أن تطلب من الحكومة المصرية التنازل عن جزء من القمح والدقيق المخزون لديها لاغاثة المنكوبين** » (٣٠)

وهكذا تتسع حملة التضامن، وتتحول الى نشاط متعدد الجوانب ، لجان تتصل بالسفراء والقناصل ، أسواق خيرية ، حفلات موسيقية ، حفلات تمثيلية وهو أمر يوحى انها قد تحولت الى حملة جماهيرية حقا ·

كذلك تأسس فى مصر فرع « **لجنة المعونة الحمراء** » وقد قام هذا الفرع بجمع الف جنيه كتبرع لضحايا المجاعة فى روسيا السوفيتية ·

والحقيقة أن نشاط هذا الفرع لم يقتصر على جمع تبرعات لضحايا المجاعة بل قام أيضا بتنظيم أعمال تضامنية نضالية على النطاق المحلى · فنظم حملة تبرعات لمساندة عمال مرفق مياه أسيوط الذين أضربوا عن العمل فى ١٩٣١ · (٣١)

والواقع انه برغم حملات العداء العنيفة التى شنتها الرجعية ضد النظام السوفيتى الوليد الا أن نجاحات وانجازات هذا النظام كانت وباستمرار تصل الى مسامع الجماهير المصرية وتحوز اعجابها ·

وتنشر « **السياسة الاسبوعية** » مجلة الاحرار الدستوريين خبرا يقول : « فى الخامس عشر من أكتوبر الحالى عقدت فى لينينجراد اللجنة التنفيذية المركزية اجتماعها بمناسبة ماسيجرى قريبا من الاحتفال بالذكرى العاشرة للثورة البلشفية ·· وقررت اللجنة فيما قررت بهذه المناسبة أنقاص ساعات العمل الى سبع بدل ثمان فى اليوم دون تخفيض الاجور ، وزيادة المخصص فى ميزانية الدولة لبناء منازل العمال بمقدار خمسين مليون روبل زيادة على أعتمادها الحالى · وتخفيض الضرائب التى تجبى من الفلاحين والعمال · وتخصيص معاشات لذوى الحاجة من الفلاحين الشيوخ » (٣٢) ·

ولم تكن أخبار كهذه لتمضى بغير أثر ·

ولنتأمل بعض هذه الاثار وانعكاسها على الريف المصرى · من خلال رسالة مذعورة وجهها أحد الملاك الى **الاهرام يقول فيها** « **ان بعض أبناء** الفلاحين من متخرجى الكتاتيب قد هجروا الزراعة وأصيبوا بداء المدن ·· وأخذوا يذيعون فى طول البلاد وعرضها أن البلشفية على أبواب مصر ، ثم شرحوها للفلاحين على غير الحقيقة حتى اصبح الشيخ العجوز والشاب يقولون اذا خلوا لانفسهم متى تكون القسمة « يقصد تقسيم الارض » والمساواة » (٣٣)

---

٢٨ — الاهرام ١٩٢١/٨/٢٣ ·
٢٩ — الاهرام ١٩٢١/٨/٢٦ ·
٣٠ — الاهرام ١٩٢١/٩/٨ ·
٣١ — WALTER LAQUEUR — COMMUNISM AND NATIONALISM, P. 37.
٣٢ — السياسة الاسبوعية ١٩٢٧/١٠/٢٢ ·
٣٣ — الاهرام ١٩٢١/٨/٢٦ ·

الفكر الليبيني في مصر

والامر الذى لاشك فيه ، هو أن الفكر الماركسى قد وصل الى مصر فى وقت مبكر جدا ، بل ان « المؤيد » قد نشرت ما يشبه التلخيص للافكار الاساسية للنظرية الماركسية فى عام ١٨٩٠ (٣٤) وتتابعت بعد ذلك مقالات وكتب عديدة تناقش النظرية الماركسية وتدافع عنها •

لكن السؤال الانهو: هل وجد الفكر الليبينى طريقه الى مصرفى هذه الفترة المبكرة ؟

الحقيقة أن ثمة عقبات كبيرة كانت تعترض وصول هذا الفكر الى مصر •

أولها.. اللغة ، فقبل ثورة اكتوبر كان من الصعب الحصول على مؤلفات لينين باللغتين المتاحتين للمثقف المصرى وهى الانجليزية والفرنسية •

وثانيها •• مطاردة سلطات الاحتلال والرجعية المصرية للفكر الثورى عموما ومنع كتاباته وكتبه من الوصول الى مصر •

ومع ذلك فثمة دلائل تؤكد أن الفكر الليبينى قد وجد متنفسا له فى مصر • وأن عددا من الابداعات الليبينية قد وجدت طريقها الى الادبيات الاشتراكية فى مصر فى مطلع القرن العشرين •

ربما لعبت خلايا البلشفيك فى الاسكندرية دورا فى ذلك • وربما وصلت هذه الافكار عن طريق آخر •

المهم اننا نطالع فى كتابات « **مصطفى حسنين المنصورى** » انعكاسات واضحة للفكر الليبينى • فالحديث عن طبيعة الثورة الروسية وحتمية لجوئها الى العنف الثورى فى مواجهة العنف الرجعى ، يتردد بوضوح فى كتاب المنصورى الذى صدر عام ١٩١٥ • يقول : « **وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التى هم فيها ••• فتراهم فى البلاد الديمقراطية كانجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاة الامور ، ولا يتحرشون بالحكومات** •• اما فى البلاد الاستبدادية كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشدة وسفك **الدماء ، لانهم رأوا أن من الخطأ أن نتصور أن** الاشتراكية مبادىء ثابتة غير قابلة للتعديل أو **التحرير ، أو أن دعاتهايظهرون بمظهر واحد ورأى** واحد فى جميع الامم وأن كانواجميعا متفقين على **الغرض الذى يريدون الوصول اليه، ولكنهم يختلفون فى الطرق التى تؤدى الى ذلك الغرض » (٣٥) •**

بل ان « المنصورى » يشارك لينين حملته ضد احزاب الدولية الثانية لموقفها الانتهازى من مسألة الحرب العالمية الاولى ، فيقول : « **ومما يؤسف له كثيرا أن الاحزاب الاشتراكية فى اوربا قد فشلت فى منع الحكومات من الوقوع فى هذه الحرب الشعواء » (٣٦) •**

وهو ايضا يشارك لينين نبوءته حول نتيجة الحرب العالمية الاولى .. « **فلا شك انه سيكون انتشار الاشتراكية بين الناس أحدى نتائج هذه الحرب سيما بعد مالاقوه من مصاعب الحرب ومصائبها » (٣٧)**

واذا كان لينين هو واضع نظرية الامبريالية والاستعمار باعتبارهما أعلى مراحل الرأسمالية والمصدر الاساسى للحرب ، فاننا نلاحظ أن المنصورى يرددنفس الفكرة تقريبا •• قائلا :

« والحقيقة أن الاستعمار(٣٨) ناشىء من طمع اصحاب الاموال الذين يدفعون حكوماتهم الى امتشاق الحسام ، وقتل الالوف من الناس لتوسيع المجال لتجارتهم • فلو تمكن الاشتراكيون من القضاء على هذه الطبقة لما بقى هناك صوت واحد ينادى بالحرب ، سيما بعد ما شاهدة الانسان من آلات القتل والتدمير الجهنمية » (٣٩)

---

٣٤ ــ رفعت السعيد .. تاريخ الفكرالاشتراكى فىمصر .. ص٢٧٨ ومابعدها
٣٥ ــ مصطفى حسنين المنصورى ــتاريخ المذاهب الاشتراكية . طبعة١٩١٥ . ص ٩
٣٦ ــ المرجع السابق ص ٩
٣٧ ــ المرجع السابق ص ٩
٣٨ ــ يلاحظ ان المثقفين المصريين ظلوا لفترة طويلة لا يفرقون بين الامبريالية والاستعمار .. بل ان كتاب لينين .. الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية ، ترجم فى الاربعينات تحت عنوان « الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية » ولا زالت هذه الترجمة متداولة حتى الان .
٣٩ ــ المرجع السابق ص ٨ .

كذلك نجد أن « محمد عبد الله عنان » يتحدث فى أحد كتبه عن لينين والبلشفية وعن تاريخ ثورة اكتوبر حديثا مستفيضا .

ويتحدث عبد الله عنان عن لينين قائلا : « نرى من واجبنا أن نقول كلمة موجزة عن الرجل الذى أستطاع بعزمه الفياض وذكائه الخارق أن يجعل من مثل ماركس حقيقة واقعة ، وأن يقيم بمؤازرة اخوانه زملائه الاعلام أول جمهورية اشتراكية فى التاريخ . ذلك الرجل هو لينين ، أعظم تلاميذ المدرسة الماركسية . وأعظم دعاة الثورة العالمية ، ومنشىء الدولية الشيوعية الثالثة وأول رئيس لجمهورية روسيا الاشتراكية » (٤٠)

ثم يتحدث عبد الله عنان عن تاريخ حياة « لينين » بالتفصيل ، متحدثا عن فترة شبابه وعن نضاله لتأسيس الحزب . ثم سجنه وحياته فى المنفى .. حتى يصل الى فترة الحرب العالمية الاولى فيقول : « وكان لينين ، هذا الرجل ذو الفكر الثاقب ، والنظر البعيد يكاد يستشف من دخان المدافع ، والتحام الصفوف ، مصائر وطنه روسيا ..ويرى المستقبل ينذر بخلق روسيا جديدة تنهار فيها صروح من الطغيان ليقوم فوق أنقاضها مجتمع جديد ، قد تظفر الثورة بأن تحقق مثلها فيه)) (٤١) .

ثم يتحدث عن اشتعال الثورة ، وعن قيادة لينين لها من أجل اقامة « جمهورية السوفيت الاشتراكية » ويقول :

« وهنا ظهرت مواهب هذا الرجل العبقرى رائعة خارقة ، فقد استطاع فى غمار هائلة من الصعاب والخطوب ان يسير دفة المجتمع الجديد ، الفذ فى نظمه وغاياته بمهارة مدهشة ، وأستطاع أن يرعى الثورة الفتية وأن يحيطها بسياج منيع من الحماية المادية والمعنوية ، فلم يمض عام حتى كانت الجمهورية الجديدة قد جازت أشواطا كبيرة فى سبيل النظام والاستقرار ، وكان الجيش الاحمر الناشىء على أهبة لان يلقى أعداء الثورة فى ميدان القتال »

ثم يتحدث عن موقف الغرب وكيف ألقى بجيوشه للتدخل ضد الحكم الوليد « خشية أن يمتد لهيب الثورة الى ماوراء روسيا من الشرق أو الغرب .. » لكن جموع أعداء الثورة « لقيت جميعا حتفها على يد الجيش الاحمر » « فلجأت الدول الغربية وخصوم الثورة الى سلاح الدعوة فاشهروا على البلشفية وزعمائها حملات هائلة وأذاعوا عن مبادئها تهما رائعة ، ومع ذلك فان معاقل البلشفية نجت من عدوانهم وقوى مركز الحكومة الاشتراكية » (٤٢)

ثم يعود عبد الله عنان ليتحدث عن لينين فيقول : « وقد برهن لينين منذ الساعة الاولى على أنه رجل العقيدة الذى لا ينزل عن عقيدته ، ورجل المبدأ الذى يتفانى فى تطبيقه ، فلم يقبل مساومة فى العدول عن تأييد الثورة داخل روسيا وبثها فى أركان العالم الخارجى .. كان لينين روح الجمهورية الجديدة ، رأسها المفكر ومعقلها المنيع ، وكان أيضا روح الثورة داخل روسيا وخارجها » (٤٣)

ولم يكتف « عنان » بذلك كله فقد تحدث فى كتابه طويلا عن تاريخ الحزب البلشفى وعن أحداث الثورة ، وعن معاهدة «برست ليتوفسك» ، وعن الدولية الثالثة وجهاد لينين من أجل تأسيسها .. الخ .

ولم يكن المنصورى وعنان وحدهما ، لكننا نقدم مجرد أمثلة فقط .

والحقيقة أن تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى فى عام ١٩٢١ كان بداية لحملة واسعة ومنظمة لنشر أفكار اللينينية فى مصر .

فان عددا من كتب لينين قد ترجمت لاول مرة الى اللغة العربية (٤٤) ، كذلك ترجم محمد رفعت

---

٤٠ ــ محمد عبد الله عنان ــ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة . طبعة دار الهلال ١٩٢٦ ص ٢٠٥ .
٤١ ــ المرجع السابق ص ٢٠٧ .
٤٢ ــ المرجع السابق ص ٢٠٧ .
٤٣ ــ المرجع السابق ص ٢٠٨ .
٤٤ ــ فى نقاش أجراه الكاتب مع السعيد الصبرى وحافظ سند وهما مؤسسا فرع الحزب الاشتراكى بالمنصورة عام ١٩٢١ اشارا الى أن المركز الرئيسى للحزب كان يرسل لهما كتبا وكتيبات للينين مترجمة الى العربية .

كتاب « الدولة والثورة » بالاشتراك مع هـايام شــتين ، وترجــم **حســنى العــرابى** كتــاب بوخارين(٤٥)

كذلك دعا الحزب المواطنين الى السفر الى الاتحاد السوفيتى لتلقى العلم هناك ، وقد اثارت هذه الدعوة موجة كبيرة من الحماس لـدى الجماهير، وانهالت الطلبات على الحزب الى الحد الذى دفعه الى طباعة استمارات خاصة لطلبات السفر وارسالها بالبريد لمن يطلبها ٠

وفى تحقيقات قضية قادة الحزب ، أمثلة كثيرة تشير الى الحماس الذى أستقبلت به هـذه الدعوة « **سليمان مصطفى هدايت** قرأ فى الصحف ان الحزب يرسل بعثة للتعليم فى الخارج ، فقدم طلبا باسمه ، وطلبا باسم أخته » ٠

كذلك طلب الانضمام الى البعثة **محمد أفندى جبريل** مدير شركة التعاون التابعة لموظفى السكة الحديد والسيد العنانى التاجر بكفر الزيات (٤٦)

وأمام المحكمة قال **عبد الحميد تره** » أنه كان ينوى السفر الى روسيا طلبا للعلم ، لان التعليمفى مصر غير ميسور الا للاغنياء وهو فقير » (٤٧)

وقد نجح الحزب فى أرسال عدد من الشبان المصريين للدراسة فى الاتحاد السوفيتى، وكان يستعد لارسال فتاتين احداهما من الزقازيق ، والاخرى منسمنود، الامر الذىأثار جريدة الاهرام التى قالت « ان ارسال البنات الى روسيا الحمراء تصرف غير حميد »، **وطالبت الحكومة بمنع الفتاتين من السفر(٤٨)، بل ان الاهرام قد طالب النائب العام ــ فيمابعد ــ بمنع عودة هؤلاء المصريين الى البلاد حتى لا يعود كل منهم من روسيا وهو لينين صغير** ٠

وفى ذكرى ثورة أكتوبر احتفل الحزب احتفالا كبيرا ، واصدر « **أحمد المدنى** » السكرتير العام للحزب بيانا يعلن فيه احتفال الحــزب « **بذكرى اعلان الثورة الروسية وانبثاق فجــر الحرية ، وحضر الاجتماع جمع غفير من الاعضاء وافتتحت الحفلة بالنشيد الدولى ثم وقف الرفيق أحمد أفندى المدنى المحامى والقى خطابا بين فيه تاريخ الثورة الروسيةواسبابها ونتائجها وماصادفتهمن العقبات، وانتهى من خطبته بين التصفيق والهتاف وبعدذلك رفع الستارعن تمثال الحرية المقيدة التىاخذالعامل على نفسه أن يحطم قيودها ويطلقها من الاسر الذى وضعها فيه الرأسماليون، ثم وقف الرفيقيوسف روزنتالوالقىخطابا شرح فيهمعنى الثورةالروسية واشار الى علاقتها بالشرق والشرقيين ، فقوبلت أقواله بالتصفيق ٠ وقام بعده الرفيق السيد هريدى فشرح أعمال الثورة وعلاقاتها بالقضية التركية ٠٠ وانتهى الحفل كما بدأ بالنشيد الدولى » (٤٩)**

كذلك ضــمن الحــزب بــرنامجه بنــدا يطالب « **بالاعتراف بحكومة الجمهوريه الروسية الاشتراكية** » (٥٠). وعندما أصدر الحزب العدد الوحيد من مجلته العلنية « **ألشباب** » كان فى صدر العدد مقال عن لينين (٥١)

وأخيرا ٠٠ وكأنما لتكتمل الصورة الدرامية لهذه العلاقة بين اللينينية ومصر، فان تعليق صورة لينين فى صدر قاعة دار الحــزب بالاسكندرية ورسالة العزاء التى وجهتها اللجنة المركزية للحزب المصرى فى وفاة « الرفيق لينين» كانا بعض أدلة الاتهام التى وجهت الى قادة الحزب أمام محكمة الجنايات (٥٢)

وبعد .. فانهذه الدراسة هىنوع من اقتحام المجهــول ، وهى ليست ســوى علامات عابرة على طريق يتعين حشد جهد جماعى لمتابعة السير فيه بخطى جادة ٠

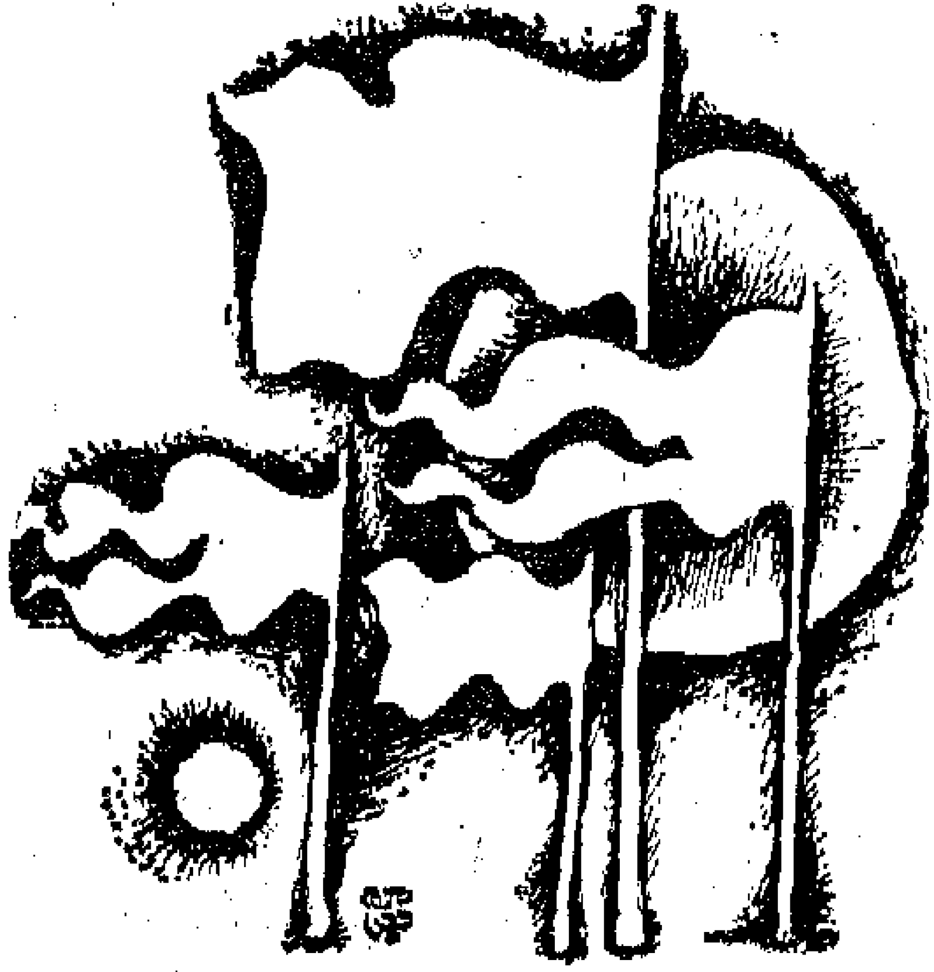
---

٤٥ ــ راجع حيثيات الحكم الصادرضـد قادة الحزب من محكمـة جنايات الاسكندرية عام ١٩٢٤ ٠
٤٦ ــ الاهرام ١٩٢٤/٩/٣٠ ٠
٤٧ ــ الاهرام ١٩٢٤/٧/١ ٠
٤٨ ــ الاهرام ١٩٢٤/١/٣١ ٠
٤٩ ــ الاهرام ١٩٢٢/١١/١١ ٠
٥٠ ــ شهدى عطية الشـافعى ــ تطور الحركة الوطنية ، الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٧ ، ص ٤٣ ٠
٥١ ــ الاهرام ١٩٢٢/٧/١٢ ٠
٥٢ ــ الاهرام ١٩٢٤/١٢/١٩ ٠

ملاحظـــات عن :

حـــركـة التحرر الوطنى فى ضـــوء افكـــار لينـــين

لطـــفى الخـــولى



١ تتمدد مسافة زمنية ، تبلغ نصف قرن ، بين لحظتنا الراهنة ، وبين تلك اللحظة من يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩ ، ففى ذلك اليوم وقف « لينين » امام المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق ، قائلا :

« أنتم تمثلون منظمات شيوعية وأحزابا شيوعية ، تنتسب لمختلف شعوب الشرق ، وينبغى لى ان اقول انه اذا تيسر للبلاشفة الروس احداث صدع فى الامبريالية القديمة ، اذا تيسر لهم القيام بمهمة فى منتهى العسر — وان تكن نبيلة — وهى مهمة أحداث طرق جديدة فى الثورة ، ففى انتظاركم أنتم ممثلى جماهير الكادحين فى الشرق مهمة أعظم وأكثر جدة . اذ يتضح كل الوضوح أن الثورة الاشتراكية التى تتقدم فى جميع بقاع العالم لن تكون قط مجرد انتصار للبروليتاريا فى اى بلد من البلدان على برجوازيتها * »

ولابد أن لينين ، يومها ، قد أحس بتجربته العميقة وحسه الثورى ، أن علامات استفهام ضخمة وغامزة بكيف ؟ ولماذا ؟ تلوح على وجوه أولئك الماركسيين الشكليين الذين يقتلون روح الماركسية ويتمسحون بعد ذلك بحروفها ، ذلك أنه تابع — فى ذات اللحظة حديثه — كما لو كان يجيب على علامات الاستفهام :

« فلو كانت الثورات تجرى بسهولة وسرعة لكان ذلك من الامور الممكنة ، ونحن نعلم أن الامبرياليين لن يسمحوا بذلك ، وأن جميع البلدان مسلحة ضد بلشفيتها الداخلية ، وان تفكيرها يتجه كله الى

* تقدم الكاتب بهذا البحث الى الندوة العالمية التى انعقدت بمدينة « الما — آتا » عاصمة كازخستان السوفيتية فى اكتوبر ١٩٦٩ . وكان موضوع الندوة ، التى انعقدت بدعوة من اكاديمية العلوم السوفيتية ولجنة التضامن هو « لينين وحركات التحرر الوطنى » .

الانتصار على البلشفية فى ديارها ٠ ولذلك تنشأ فى كل بلد من البلدان حرب أهلية ينجذب للاشتراك فيها الى جانب البرجوازية ، الاشتراكيون القدماء دعاة الوئام ٠ وعلى ذلك فالثورة الاشتراكية لن تكون ، لا كليا ولا بصورة رئيسية ، عبارة عن نضال البروليتاريا الثوريين فى كل بلد من البلدان ضد برجوازيتهم ، قطعا ، وانما ستكون نضالا من قبل جميع المستعمرات والبلدان التى تظلمها الامبريالية ، نضالا من قبل جميع البلدان التابعة ضد الامبريالية العالمية ٠ فى برنامج حزبنا المصدق عليه فى مارس من السنة الجارية ، وصفنا اقتراب الثورة الاجتماعية العالمية بقولنا أن حرب الكادحين الاهلية ضد الامبرياليين والمستغلين أخذت فى جميع البلدان المتقدمة ترتبط بالحروب الوطنية ضد الامبريالية العالمية ، يؤكد ذلك مجرى الثورة وسيؤكده أقوى فأقوى ٠ وسيحدث الشيء نفسه فى الشرق أيضا » ٠

ويمضى « لينين » أمام نفس المؤتمر عشية نجاح أول ثورة اشتراكية فى تاريخ الانسانية ، يحلل ويعرض لافاق الثورة العالمية ضد الامبريالية والاستغلال فى العالم ، وذلك من أرضية الواقع العالمى الجديد ـ وقتذاك ـ بعد قيام جمهورية روسيا السوفيتية ، فيقول :

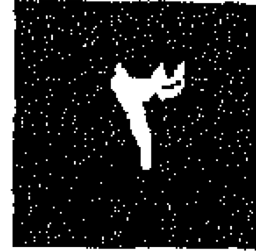
« ان أكثرية شعوب الشرق فى وضع أسوأ من وضع أكثر بلدان أوربا تأخرا : روسيا ٠ غير أنه تيسر لنا أن توحد الفلاحين والعمال الروس فى النضال ضد بقايا الاقطاعية وضد الرأسمالية ، فسار نضالنا بهذه السهولة ، لان الفلاحين والعمال قد اتحدوا ضد رأس المال والاقطاعية ٠ ان الارتباط مع شعوب الشرق هو هنا ذو أهمية فاصلة ٠ ذلك لان أكثرية شعوب الشرق تمثل أصدق تمثيل جماهير الكادحين ـ لا العمال الذين اجتازوا مدرسة المصانع والمعامل الرأسمالية ـ انما جماهير الفلاحين الكادحين المستغلين الرازحين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى ٠ لقد أظهرت الثورة الروسية البروليتاريين الذين تغلبوا على الرأسمالية وتضافروا مع الجماهير الغفيرة من الفلاحين الكادحين المبعثرين ، قد هبوا ضد مظالم القرون الوسطى مظفرين ٠ وينبغى على جمهوريتنا السوفيتية الان ، أن ترص حولها جميع شعوب الشرق المستيقظة كي تناضل مع هذه الشعوب ضد الامبريالية العالمية » ٠



وهكذا ؛ نرى ان القائد الفكرى والنضالى لاول ثورة اشتراكية قد أمسك بوضوح تام ، منذ خمسين عاما خلت ، بالحقيقة الموضوعية لمسار الثورة الاشتراكية فى العالم ٠ وهى الحقيقة التى ظلت تنبؤا نظريا ـ بمنهاج المادية الجدلية التاريخية ـ حتى راحت تؤكد صحتها ، عمليا وبشكل واسع ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. واذا شئنا الدقة منذ أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، حين توالت بلا انقطاع فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ثورات التحرر الوطنى التقدمية ٠ أى بعد حوالى ثلاثين عاما من وفاة لينين ٠

وتكشف هذه الحقيقة الموضوعية أن القضية الوطنية قد أصبحت ـ فى عصر الامبريالية ـ جزءا لا يتجزأ من قضية انتصار الثورة الاشتراكية ٠ وان هذه الثورة الاشتراكية لن تتم على النطاق العالمى ، نتيجة تراكم ميكانيكى لنضال البروليتاريا ، فى كل بلد على حدة ، ضد برجوازيتها ٠ وانما من خلال تفاعل ديناميكى بين النضال الاممى للبروليتاريا ، وبين جميع شعوب المستعمرات ضد الامبريالية العالمية ٠

وفى هذا الوقت المبكر أيضا استطاع لينين ـ بنفس المنهج وبذات القدر من الوضوح الذاتى والموضوعى ـ ان يحدد من ناحية ما هو « **عام مشترك** » بين كل من ثورة البروليتاريا الاممية ـ على ضوء تفجرها فى روسيا القيصرية وبين ثورة شعوب المستعمرات ضد القهر القومى وظلمة القرون السحيقة ، كما يحدد ـ من ناحية اخرى ـ ما هو « **خاص** » بثورة شعوب المستعمرات ٠ وذلك على ضوء معطيات واقع عشية قيام أول دولة اشتراكية فى العالم ، واستشرافه لافاق المستقبل ٠



ويمكن ان نركز « العام المشترك اللينينى » بين الثورتين فى النقاط الخمس التالية :

١ ـ تحديد العدو الاستراتيجى المشترك لكل من الثورتين بالامبريالية العالمية التى غدت « أعلى مراحل الرأسمالية » ذلك انه ، كما يقول لينين (١) : « **بدون الانتصار على الرأسمالية يستحيل القضاء على الظلم القومى وعدم المساواة القومية** » ٠

٢ ـ اقرار حق جميع الامم فى فى تقرير مصيرها بحرية ، وذلك تطبيقا للمبدأ الماركسى القائل بأن شعبا يضطهد شعبا آخر ، لا يمكن أن يكون حرا ٠ وأيضا فى ضوء العلاقة الجدلية التاريخية بين الاستغلال الطبقى والقهر القومى ، حيث أنه كما كتب ماركس وانجلز : « **بقدر ما يلغى استغلال الانسان للانسان ، بقدر ما يلغى كذلك استغلال**

---

١ ـ البند الرابع من المسودة الاولية للموضوعات فى المسألة القومية ومسألة المستعمرات (٥ ـ ١٤ يونيو ١٩٢٠) ٠

الامة للامة » • فبزوال التناقضات الطبقية في داخل الامم ، يصبح من الممكن ازالة الصراعات والعلاقات العدائية بين الامم •

٣ — عدم تجاهل الصراع الطبقي — بدرجاته المتفاوتة — في حقل الثورة ، حيث تتبلور دائما من خلاله ، وبصورة مستمرة ومتجددة ، قوى الثورة الاجتماعية في مواجهة قوى الثورة المضادة •

٤ — جذب الفلاحين الكادحين الى بوتقة الثورة وتوحيد قواهم معها . وذلك للتخلص من مظالم القرون السحيقة ، والقهر القومي والطبقي • فالفلاحون الكادحون ، هم الحليف الاساسى للبروليتاريا في الثورة الاشتراكية ، وهم الجماهير المستغلة الغالبة في ثورة التحرر الوطني •

٥ — ضرورة مراعاة الثورة للظروف الخاصة والمميزة لكل أمة ، سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية او من ناحية العوامل السيكولوجية الوطنية والعادات والطباع والتقاليدالقوميـة • الامر الذى ينعكس بالضرورة في احداث طرق جديدة في الثورة •

٤ **اما « الخاص » بالنسبة لثورةشعوب المستعمرات ، فيمكن تركيزه في النقاط الاربع الرئيسية :**

١ — أن الظروف الخاصة بواقع هذه الثورة مختلفة عن الظروف الخاصة في البلدان الاوربية • ففي ظروف ثورات المستعمرات « **يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسى، وتطرح فيها مهمة النضال ، لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى • وهذه مهمة عسيرة ذات طابع خاص ، غير أنها مهمة تعطى أطيب الثمرات ، اذ تجذب الى النضال تلك الجماهير التى لم يسبق لها أن اشتركت في النضال** » (٢) •

٢ — ان هذه الثورة تنبع من « **القومية البرجوازية التى تستيقظ لدى شعوب المستعمرات ، التى لابد لها أن تستيقظ، والتى لها مبرر تاريخي** (٣) »وأنه « **يفجرها قسم من البرجوازية الصغيرة رغم كل أوهامها وأفكارها الخاطئة** « (٤) » بمعنى انها تقود الثورة وفقا لطبيعتها المزدوجة : التقدميةوالرجعية ، الثورية والمساومة • وينعكس ذلك على تصرفاتها ، وعلى المدى الذى تستطيع أن تصل اليه في المسار الثورى التاريخى • وتتهيأ الظروف الموضوعية لذلك التفجر الثورى نتيجة أن الامبريالية في توسعها ، وزيادة قبضة اضطهادها على البلدان المستعمرة ، وما يصاحب ذلك من تصدير رأس المال اليها ، تنشأ على الرغم من ارادة الاستعماريين بذور رأسمالية تنمو من خلالها برجوازية وطنية وبروليتاريا تعمل على ايقاظ الضمير الوطني للشعوب المستعمرة ، ومن هنا يتهيأ الحقل الاجتماعى لهذه الشعوب بقيام حركة تحرر وطني •

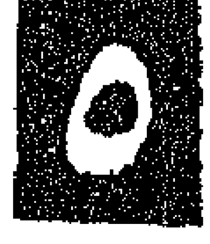
٣ — نتيجة لهذا الوضع ايضا ، فان حركة التحرر الوطني بقيادة البرجوازية لا يمكن أن تحقق تحررا حقيقيا وكاملا عن الاستعمار في اطار سيادة النظام الرأسمالى العالمي • بل ان هذا التحرر لا يتم — موضوعيا — الا في عهد الاشتراكية وقيامها على المسرح العالمي كقوة مؤثرة وفعالة • ويشرح لينين هذا الوضع بقوله : « **وواضح أن التمركز الاقتصادى والسياسى يتم أيضا بالحاق المستعمرات • أما الفرق الاقتصادى بين المستعمرات والشعوب الاوربية — على الاقل فيما يخص معظم الشعوب الاوربية — فقد كان يتقدم فيما مضى في انسياق المستعمرات الى ميدان تبادل السلع ، لا الى ميدان الانتاج الرأسمالى • ولكن الاستعمار بدل هذا الوضع • فالاستعمار يعنى ، فيما يعنى ، تصدير رأس المال • وهكذا ينتقل الانتاج الرأسمالى الى المستعمرات بوتيرة متسارعة على الدوام • ولذا يستحيل انتزاعها من تبعية الرأسمال المالى الاوروبى : فمن الناحية العسكرية : وكذلك من ناحية الامتداد(التوسع) ، لا يمكن أن يتحقق انفصال المستعمرات بوجه عام الا في عهد الاشتراكية • أما في ظل الرأسمالية ، فان انفصال المستعمرات قابل للتحقيق ، أما بصورة استثنائية وأما أثر سلسلة من الثورات والانتفاضات ، سواء في المستعمرات أو في المتروبول** » (٥) •

٤ — أن توالى ثورات المستعمرات وتبلور الظاهرة العالمية لحركات التحرر الوطني ، من شأنهاأن تدفع الى تيارالثورة العالمية « **بأكثريةشعوب العالم التى ظلت خارج اطار التقدمالتاريخي، لانه لم يكن بوسعهاان تمثل قوةثورية مستقلة ••وقد كفت هذه الاكثرية في أوائل القرن العشرين عن أن تلعب هذا الدور السلبى • فنحن نعلم أنه عقب سنة ١٩٠٥ وقعت الثورات في تركيا وايران والصين ، وان الحركة الثورية قد تطورت في الهند ، وان**

---

٢ — تقرير لينين الى المؤتمر الثانى لعامة روسياللمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق (٢٢ نوفمبر ١٩١٩) .
٣ — نفس المرجع السابق .
٤ — مقال خلاصة المناقشة حول حق الامم في تقريرمصيرها — المنشور في اكتوبر ١٩١٦ — العدد الاول من سوسيال .
٥ — المرجع السابق .

الحرب الامبريالية قد مهدت بدورها لتعاظم الحركة الثورية ، اذ أنه تأتى اشتراك أفواج كاملة من الشعوب المستعمرة فى الصراع ضد الامبرياليين الاوربيين » (٦) .



وفى ضوء هذا الاطار الذى انتهى اليه « لينين » قبل العشرينات من هذا القرن ،لحركة التحرر الوطنى ووضعها من الثورة العالمية — بما بينهما من عام مشترك وما تتميز به حركة التحرر الوطنى من أوضاع خاصة — حدد مؤسس اول دولة اشتراكية فى العالم ، مهمات الشيوعيين والبروليتارية الاممية ازاء ثورات التحرر الوطنى فى النقاط التالية :

١ — مساندة وتأييد حركات التحرر الوطنى بكل قوة . وتوثيق أفضل وأعمق تحالف ممكن معها ، وخاصة بينها وبين « روسيا السوفيتية » التى تتحمل « عبء البادىء بالنضال العالمى ضد الامبريالية .

٢ — عدم الاكتفاء « بالاعتراف بالمساواة بين الامم اعترافا مجردا وشكليا ذا طابع اعلانى صرف لا يلزم بشىء من الناحية العملية . وانما ينبغى على الاحزاب الشيوعية أن تفضح على الدوام فى كل دعايتها وتحريضها — من منبر البرلمان وخارج البرلمان — الاخلال الدائم بالمساواة بين الامم .. كما ينبغى لجميع الاحزاب الشيوعية أن تقدم المساعدة المباشرة للحركات الثورية فى الامم التابعة أو المهضومة الحقوق (مثلا فى ايرلندة وبين زنوج امريكا الخ ..) وفى المستعمرات » : لانه « بدون هذا الشرط الاخير والهام منتهى الاهمية ، يظل النضال ضد ظلم الامم التابعة والمستعمرات ، كما يظل الاعتراف بحقها بالانفصال فى دولة مجرد اعلان كاذب ، كما هو الحال لدى احزاب الامية الثانية » (٧) .

٣— ان التأييد والمساندة العامة لحركات التحرر الوطنى ، يجب ان لا يغفل التمييز بين الجانب الثورى لدور البورجوازية فى الثورة وبين الجانب الرجعى والشوفينى المتمثل فى انتهازية البورجوازية . وبالتالى كشف ما تعقده من مساومات مع الامبريالية العالمية . وذلك حين تساير « الخدعة التى تعد اليها الدول الامبريالية بصورة دائمة ، اذ تشكل ، تحت ستار انشاء الدول المستقلة سياسيا ، دولا تابعة لها بصورة تامة من النواحى الاقتصادية والمالية والعسكرية » (٨) . وهو ما عرف بعد ذلك — فيما بين الحربين العالميتين — باسم الاستقلال الشكلى ، وفيما أصبح يعرف بعد الحرب العالمية الثانية باسم الاستقلال فى اطار الاستعمار الجديد .

٤ — تنمية القوى والعناصر البروليتارية الوليدة فى مجتمعات بلاد ثورات التحرر الوطنى ، وعيا وتنظيما ، وذلك باللغة التى تفهمها شعوب هذه البلاد . ولكن مع « ضرورة النضال الحازم ضد صبغ التيارات التحرريه الديمقراطية — البورجوازية فى البلدان المتأخرة بالصبغة الشيوعية » (٩) .

٥ — النضال ضد استخدام عناصر الرجعية من ذوى النفوذ فى البلدان المتأخرة للدين ، فى محاولة « لربط الحركه التحرريه المناهضه للامبريالية الاوربيه والامريكيه بتوطيد مراكز الحاخامات والاقطاعيين والشيوخ الخ .. » (١٠)

٦ — مراعاة الظروف الخاصة ببلاد التحرر الوطنى المتخلفة ، والتى تختلف عن ظروف البلاد الاوربيه ، خاصة « وان اكثريه شعوب الشرق تمثل أصدق تمثيل جماهير الكادحين — لا العمال الذين اجتازوا مدرسة المصانع والمعامل الرأسماليه — انما جماهير الفلاحين الكادحين المستغلين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى .. » . وفى هذا الحقل تواجه الشيوعيين مهمة « لم يواجهوها فى العالم كله من قبل » (١١) .

٧ — اتخاذ موقف المرونة الثورية تجاه ما يشوب حركات التحرر الوطنى بطبيعتها من اتجاهات شوفينية وأنانية ضيقة فى بعض الاحوال . وذلك نتيجة الاتجاهات البورجوازية من ناحية ، وكرد فعل مشروع — من ناحية أخرى — لسنوات القهر القومى الطويلة البشعة من جانب الاستعمار . ويحلل « لينين » هذا الوضع فيقول : « ان ظلم الدول الامبريالية للاقوام المستضعفة والمستعمرة خلال القرون ، لم يترك فى جماهير الكادحين فى هذه البلدان المظلومة النقمة وحسب ، انما ترك فيها أيضا عدم الثقة حيال الامم الظالمة بوجه عام ، بما فى ذلك بروليتاريا هذه الامم . والخيانة السافلة التى اقترفها حيال الاشتراكية اكثرية الزعماء الرسميين لهذه البروليتاريا فى سنوات ١٩١٤ —

---

٦ — تقرير لينين الى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق (٢٢ نوفمبر ١٩١٩) .
٧ — البند التاسع من ((مسودة اولية للموضوعات فى المسالة القومية ومسالة المستعمرات المقدمة الى المؤتمر الثانى للاممية الشيوعية (٥ — ١٤ يونيو ١٩٢٠))) .
٨ — المرجع السابق .
٩ — المرجع السابق
١٠ — نفس المرجع السابق .
١١ — تقرير لينين الى المؤتمر الثانى العامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق .

١٩١٩ عندما جعلوا من (الدفاع عن الوطن) ستارا اشتراكيا - شوفينيا للدفاع عن بورجوازيتهم فى ظلم المستعمرات ونهب البلدان التابعة ماليا ، كان لابد لها من ان تشدد هذه الريبة المشروعة تماما • ومن جهة اخرى بمقدار تاخر البلاد تكون متانة الإنتاج الزراعي الصغير والعلاقات البطريركيه والعزلة عن العمران ، مما يضفى القوة والرسوخ على الاوهام البورجوازيه الصغيره والعميقه جدا • نعنى : اوهام الانانية القوميه وضيق الافق القومى ، ولما كان زوال هذه الاوهام امرا لا يمكن الا بعد زوال الامبريالية والرأسماليه فى البلدان المتقدمه ، وبعد حدوث تغيير جذرى فى جميع أسس الحياه الاقتصادية للبلدان المتاخرة ، فلا مناص من ان يكون اضمحلال هذه الاوهام بطيئا جدا • وهذا يلزم البروليتاريا الشيوعيه الواعية فى جميع البلدان ، ان تكون حذرة كل الحذر ويقظه كل اليقظه حيال بقايا الشعور القومى فى البلدان والاقوام التى رزحت أطول فترة تحت نير الظلم ، كما يلزمها بالاقدام على بعض التساهلات بقصد تعجيل تلاشى الريبة المذكورة والاوهام المذكورة ، فبدون النزوع الطوعى الى التحالف والوحدة من جانب البروليتاريا ، ومن ثم من جانب جميع جماهير الكادحين فى جميع البلدان والامم بالعالم كله ، لا يمكن لقضية الانتصار على الرأسمالية أن تنتهى الى النجاح » (١٢) •

٦ غير ان « لينين » مع هذا التحديد ، لما هو عام ولما هو خاص ، النسبة لعلاقة الثورة الاشتراكية بثورة التحرر الوطنى ، حرص كل الحرص على التنبيه الى اخطار الجمود وقولبة هذه العلاقة فى أوعية وقنوات واساليب ثابتة • ذلك انه بمنهاجه العلمى ، او اذا شئنا التخصيص بتعامله الماركسى الخلاق مع الماركسيه فى التطبيق التاريخى ، كان يرى ظاهرة يقظة شعوب المستعمرات فى بداية تبلورها وانها تثير وسوف تثير مع حركة الحياة وتجددها • مشاكل متعددة وقضايا جديدة لم يحدث للتراث الفكرى الثورى ان تصدى لها . ومن هنا عمد « لينين » فى تقريره الى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ — الى ان يؤكد للمؤتمرين ، خلال عرضه لبعض القضايا الخاصة بثورات التحرر الوطنى لشعوب المستعمرات ، على أمرين رئيسيين متلازمين :

اولهما : « الاستناد فى الميدانيين النظرى والعلمى على المبادىء الشيوعية وان تأخذوا بعين الاعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة فى البلدان الاوروبية » •

وثانيهما : ان هذه القضايا لا تجدون حلولا لها فى اى كتاب من كتب الشيوعية ، ولكنكم تجدون حلولها فى النضال العام الذى بدأته روسيا • لابد لكم من وضع هذه القضية ومن حلها بخبرتكم الخاصة ، وسيساعدكم فى ذلك من جهة ، التحالف الوثيق مع طليعة جميع الكادحين فى البلدان الاخرى ، ومن الجهة الاخرى ، معرفة التقرب من شعوب الشرق » •

ما معنى هذا ؟

معناه ان لينين ، كان يرى ، ان المعالجة الثورية السليمة لقضايا حركة التحرر الوطنى تستلزم :

١ ـ الربط الجدلى الصحيح بين نظرية الثورة الاشتراكية وخبراتها العملية ، وبين الظروف الخاصة المميزة لمجتمعات بلاد التحرر الوطنى التى تختلف فى طبيعتها عن الظروف المعروفة فى البلدان الاوروبية •

٢ ـ التصدى بجهد نظرى شجاع وخلاق لما تثيره وتظل تثيره ، حركة التحرر الوطنى خلال مراحل تطورها من قضايا جديدة لم تتصد لبحثها نصوص الكتب الثورية السابقة ، نتيجة انها لم تعرفها • وبالتالى لم تواجهها •

٣ ـ امتحان هذا المجهد النظرى دوما ، من خلال تعامله مع تجارب التطبيق وتبادل التاثير والتاثر فيما بينهما • وذلك سواء على مستوى التجربة السوفيتية ـ الاولى من نوعها ـ بالنسبة لشعوبها الشرقية ، او على مستوى الواقع النضالى المحلى الخاص بكل حركة تحرر وطنية ، او على مستوى حصيلة الخبرة العالمية الناتجة من تفاعل قوى الثورة الاشتراكية مع القوى التقدمية لحركات التحرر الوطنى •

٧ ولعل اهم سؤال نواجهه فى نهاية الستينات ، على ضوء هذا التحديد اللينينى لموضوع حركة التحرر الوطنى ، ومنهاجه العلمى فى معالجتها يتبلور بالدقة فى : **ماهى طبيعة القضايا الجديدة التى تطرحها فى واقع اليوم ، حركة التحرر الوطنى ، وتتطلب جهدا نظريا شجاعا وخلاقا مشتركا من كل من العناصر الماركسية والعناصر التقدمية فى حركة التحرر الوطنى ؟**

---

١٢ — البند الثانى عشر من « مسودة اولية للموضوعات فى المسألة القومية ومسألة المستعمرات » المقدم الى المؤتمر الثانى للاممية الشيوعية •

واذا كانت القضايا او المشاكل الجديدة لا تنبت شيطانيا فى فراغ • وانما كمحصلة لواقع جديد متحرك ومتطور يموج بصراعات طبقية وفكرية محلية وعالمية • وهو وان كان ابنا وامتدادا لواقع الامس وصراعاته، الا انه يختلف عنه، كما ونوعا •

واذن فالاجابة الموضوعية على سؤال عام نهاية الستينات وبداية السبعينات ـ عام الاحتفال بالذكرى المئوية لميــلاد لينين ـ يمكن ان نتبين ماهيتها وظروفها من خلال عقد مقارنة جديه بين واقع الامس وواقع اليوم، بالنسبة لحركة التحـرر الوطنى ، اى بين واقع لينين حتى وفاته فى ١٩٢٤ والجمهورية السوفيتية الاشتراكية الوليدة ، وبين واقع نهاية الستينات واتحـاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية •

٨ فى واقــع لينين ، كانت اول ثوره اشتراكية فى العالم قد تفجرت وكونت دولتهـا فى اضعف حلقـة فى سلسلة النظـام الراســمالى العالمى السائــد ، وهى روســيا القيصرية ، التى كانت شـديدة التــأخر والتخلف نسبيا • وتحتم على ابناء هذه الثورة ان ينهضوا « **بكامل العبء الذى يحمله البــادىء بالنضال العالمى ضد الامبرياليه** » ولانها اول ثورة اشتراكية ناجحة فى التاريخ الانسانى ، ولانها وقعت فى روسيا ذات المساحات الشاسعة التى تقع على تخوم الغرب والشرق (اوربا وآسيا) فقد احدثت صدعا تاريخيــا فى النظام الرأســمالى ، وانفجر الصراع بين الامبريالية العالمية ككل ، وبين النظام الاشتراكى الوليد وبروليتاريا البلــدان المتقدمة اساسا •

وكان طبيعيا ان تركز الامبريالية العالمية كل قواها لمحاصرة الخطر الذى يمثله النموذج السوفيتى ، سواء كتجربة وطنية او كحدث عالمى • فعمدت الى استخدام كل الوسائل لقتله وخنقه • وفى سبيل ذلك اسهمت فى شن الحرب الاهلية داخل الجمهورية الاشتراكية ، كما عبأت جيوش أربع عشرة دولة فى هجوم متعدد الجبهات ضدها • واضطرت الجمهورية الوليدة ، فى سبيل تعبئة كل جهودها على بناء جبهتها الداخلية ، التى كانت تعانى الجوع والفقر العارمين ، وفى سبيل مواجهه القوى الامبريالية المسلحة ان توقع مع الالمان فى ٣ مارس ١٩١٨ معاهدة صلح « **بريست ليتوفسك** » • وهو الصلح الذى وصفه وقتذاك ـ قرار المؤتمر الرابع فوق العادة للسوفيتات فى عــامة روســيا بأنه (**الصلح المرهق بصورة لا تصدق ، المذل ، المفروض بالعنف** » • **ويرجع اســباب اضــطرار** السوفيت الى قبوله على الرغم من ذلك « **نظرا لانعــدام الجيش وللحــد الاقصى من اســتنفاد الحرب لقــوى الشعب ونظرا لان البورجــوازية والمثقفين البورجــوازيين لم يدعمــوا الشعب فى مصــائبه ، بــل اســتغلوها بـــروح انانيـــه طبقية** » (١٣) •

من ارضية هذا الواقع لم تستطع الجمهورية السوفيتيه الاشتراكية ان تقدم لثورات شـعوب المستعمرات والتحرر الوطنى ـ وقتذاك ـ اى عون مادى • اقصى ما كان فى استطاعتها هو العون السياسى والفكرى المتمثل فى الغاء جميع المعاهدات الاستعمارية التى كانت روسيا القيصرية طرفا فيها ، والتنازل عن جميع ما كانت تتمتع به من امتيازات فى البلاد المستعمرة والتابعة ، وفــى فضح وكشف الدبلوماسية السرية للدول الامبريالية ضد شعوب المستعمرات • وكذلك فى المثل الذى كانت تقدمه فى الصمود ضد العدوان الامبريالى وفى بنائها لمجتمعها الجديد •

اما فى واقع نهاية الستينات ، فقد اصــبحت الجمهوريه الاشتراكيه الوليدة ، تقف الند للند مع اكبر دولة امبريالية فى العصر الراهن وهــى الولايات المتحدة الامريكية • وتصبح بــاتحاد جمهورياتها السوفيتية واحدة من اقوى دولتين فى العــالم ، اقتصاديا وســياســيا وعســكريا وتكنولوجيا • واكثر الدول فى الخريطة العالمية تقدما من الناحيه الاجتماعية على الاطلاق •

وخلال هذه المسيرة من ١٩١٨ الى ١٩٦٩ ، لم تصف فحسب آثار صلح « بريست ليتوفسك » المرهق المذل ، بل كان لها الدور الحاسم خلال الحرب العالمية الثانية فى هزيمة النازية الالمانية • وكانت الدرع الحامى للنظام الاشتراكى فى كل من المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ضد العدوان الامبريالى المباشر وغير المباشر •

ومن ارضية هذا الواقع ، سارع الاتحــاد السوفيتى الى مد جميع ثورات التحرر الوطنى وبلدانها الجديدة بجميع اشــكال المعــاونة والمساعدة المادية والمعنوية ، الفنية والتسليحية • بحيث لا توجد الان حركه تحرير وطنية مسلحة او جيش وطنى ، لا يحمل السلاح السوفيتى فى مواجهته للعدوان الامبريالى والاستعمارى • وبحيث ان بلاد الديمقراطية الوطنية الحديثة ذات الافاق الاشتراكية تتمكن اليوم من بناء القواعد الاساسية لاقتصادها الوطنى المستقل بمساهمة فعالة ـ وغير مشروطة ـ من الاتحاد السوفيتى • وبذلك تترجم اليوم ترجمة فعلية افكار لينين عن التعاون الضرورى بين الثورة الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى •

---

١٣ ـ قرار المؤتمر الرابع فوق العادة للسوفيتات فى عامة روسيا (١٤ ـ ١٨ مارس ١٩١٨) •

٩ في واقع لينين ، كانت الجمهورية السوفيتية الوليدة ، رغم ما احدثته من تغيير جذري لاول مرة في علاقات القوى العالمية التي كانت حبيسة السيطرة الكاملة للقوى الامبريالية ، الا انها كانت جزيرة اشتراكية محاصرة وسط بحر الامبريالية العالمية . فكانت الاشتراكية وقتذاك ظاهرة وطنية اقليمية اكثر منها عالمية . وبالتالي ذات وزن ضعيف نسبيا رغم اتجاهه المستمر الى التزايد ، مما حد من قوة جذبه . خاصة مع حملة التشويه المركزة التي شنتها الامبريالية والقوى الرجعية العميلة لها والمسيطرة في البلدان المستعمرة والتابعة ، ضد الاشتراكية واباحيتها والحادها ، عازفة بتركيز تكتيكي مقصود على الدين الذي كان ـ ولا يزال ـ متغلغلا في الفكر الاجتماعي لهذه البلدان .

وفوق هذه الارضية كانت علاقات القوى الدولية رغم الضربة السوفيتية لاتزال لصالح القوى الامبريالية ، تمكنها من احكام قبضتها على المستعمرات . وقد نتج عن ذلك . بالاضافة الى قصور وبطء وسائل المواصلات والاتصالات العالمية ، فضلا عن عدم النضوج النسبي لوعي الجماهير الشعبية والطبقات الكادحة في البلاد المستعمرة والانعدام شبه الكامل لطبقة عاملة وعناصر بروليتارية .. ان الاشتراكية العلمية لم تطرق الا دوائر محدودة للغاية داخل البلاد المستعمرة . وهي دوائر تكونت بالذات من مجموعات قليلة العدد من المثقفين الثوريين الذين ينبعون من اصل بورجوازي ، اتيحت لهم امكانيات الاطلاع ـ بلغات اجنبية ـ على ما يجري خارج حدود بلادهم في روسيا السوفيتية .

في واقع نهاية الستينات ، اصبحت الاشتراكية ظاهرة عالمية تضم بلادا عديدة في اوروبا وآسيا وامريكا اللاتينية تمثل ٢٦ في المائة من مساحة العالم ، يسكنها ٣٥ في المائة من مجموع البشر ، ينتجون اكثر من ثلث الانتاج الصناعي العالمي . مما غير جذريا من علاقات القوى العالمية بحيث اصبح هذا العصر ـ بحق ـ عصر انهيار الامبريالية وصعود الاشتراكية ، وغدت الاشتراكية وانتصاراتها الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية على النطاق العالمي ، تمثل قوة جذب لاتقاوم لجميع الشعوب والبلدان الفقيرة والمتخلفة والتي عانت سنوات طويلة من القهر الاستعماري والاستغلالي .

وكان « لينين » يعلق اهمية كبرى على قيام الاشتراكية كظاهرة عالمية ، وذلك حتى يمكنها ان تكون ذات اثر حاسم وفعال في السياسة الدولية لخدمة قضايا الثورة العالمية . كتب في ٥ يونيو ١٩٢٠ يقول : « ان من **قضايا الساعة تحويل ديكتاتورية البروليتاريا من ديكتاتورية ذات طابع وطني [أي قائمة في بلاد واحدة وليس في طاقتها ان تقرر السياسة العالمية) الى ديكتاتورية ذات طابع عالمي (أي قائمة على الاقل في عدد من البلدان المتقدمة ، ويمكنها أن تكون ذات تاثير فاصل في كامل السياسة العالمية » (١٤) .**

وفوق هذه الارضية ، كانت علاقات القوى العالمية قد تحولت لصالح قوى الاشتراكية والتحرر الوطني بصورة عامة . واتخذت الامبريالية لاول مرة ـ رغم استمرار شراستها ومغامراتها العسكرية في بعض الاحوال ـ موقف الدفاع امام زحف الاشتراكية والتحرر الوطني . ومع قيام ظاهرة عالمية الاشتراكية تزايد وزنها واصبحت موضع جذب واشعاع واسعى النطاق في العالم كله ، حتى اقصى اطرافه واكثرها تخلفا . وساعد على ذلك تحطيم الستار الحديدي الذي اقامته الامبريالية من حول البلدان الاشتراكية ، وما حققته الاشتراكية في مجتمعاتها من انتصارات ضخمة ابتداء من بناء الصناعات الثقيلة حتى اطلاق الاقمار الصناعية بصواريخ عابرة القارات ، فضلا عن الثورة الهائلة التي حدثت في وسائل المواصلات والاتصالات العالمية ، وترجمة افكار الاشتراكية العلمية الى مختلف اللغات الوطنية على اوسع نطاق ، وانهيار خرافة « البعبع الشيوعي » التي اشاعتها التشويهات الامبريالية وذلك امام ما قدمته البلاد الاشتراكية من عون وتاييد لحركات التحرر الوطني ضد الامبريالية . واتسعت دائرة التاثر والتجاوب مع الاشتراكية العلمية ـ بدرجات متفاوتة ـ بحيث تعدت حدود واعداد المثقفين الثوريين ، الى نواة البروليتاريا التي تكونت ، الى اقسام واسعة من الجماهير الكادحة ومن فئات البورجوازية الصغيرة ، بحيث تبلور في بلاد التحرر الوطني تيار اجتماعي سياسي متزايد الوزن يضم طبقات وفئات اجتماعية مختلفة تتجه من مواقع متعددة الى الاشتراكية ، وتجسد في مجتمعات هذه البلاد ما اصبح يسمى بالجماهير العاملة غير البروليتارية .

١٠ في واقع لينين ، كانت حركات التحرر الوطني التي تقودها بورجوازية المستعمرات الليبرالية النامية في بدايتها . وساعدت على ذلك ظروف الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من رفع شعار « حق تقرير المصير لجميع الامم » عالميا . ومع ذلك فان حركة التحرر الوطني بآفاقها

---

١٤ ـ البند العاشر من « مسودة أولية للموضوعات في المسألة القومية ومسألة المستعمرات المقدم الى المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية » .

البورجوازية وان بدأت مسيرتها التاريخية فى دروب العالم، الا انها ظلت محدودة نسبيا، متفاوتة القدرة، فى عدد صغير من البلدان لم يتجاوز اصابع اليد الواحدة وهى **تركيا وايران والصين ومصر والهند**. وسجل «لينين» هذه الظاهرة بحجمها الموضوعى التاريخى، بقوله «ان الاكثرية المستغلة والمقهورة من سكان الارض «**التى ظلت حتى اليوم بصورة تامة خارج اطار التقدم التاريخى، لانه لم يكن بوسعها ان تمثل قوة ثورية مستقلة، قد كفت فى اوائل القرن العشرين، ونحن نعلم ذلك، عن ان تلعب هذا الدور السلبى**» (١٥).

وعلى هذه الارضية، بدأت تتفجر حركة التحرر الوطنى بشكلها الاولى فى مواقع متعددة، ونتيجة علاقات القوى الدولية وقتذاك، وقيادة البورجوازية ذات الطابع التجارى اساسا لجماهير الفلاحين – مع افتقاد يكاد يكون كاملا فى بعض الاحيان للطبقة العاملة، بالاضافة الى قصر النفس الثورى للبورجوازية بسبب طبيعتها المساومة، وخشيتها من تعاظم الحركة الشعبية، وتحدد مصالحها فى اشتراكها مع القوى الاستعمارية فى السلطة والاستغلال.

ونتيجة لهذا كله وقعت – بدرجات متفاوتة – عمليات مساومة بين قيادة البورجوازية والاقطاع والقوى الاستعمارية لاجهاض الثورة وحصرها فى دائرة الاصلاحات البورجوازية الجزئية، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. والعمل على منع اتصالها بالثورة السوفيتية والقوى الاشتراكية المتقدمة من ناحية، وكذلك الحد من تفاعل بعضها ببعض لتصبح تيارا عاما، متواصلا من ناحية أخرى، حتى ان عددا من قادة هذه الثورات بادر بالالحاح الى نفى «الاتهام بالاشتراكية» او «تعاطفه مع الثورة البلشفية». ووصل الامر ببعضهم الى درجة الاعلان عن رفض التأييد السوفيتى لثورة بلاده واشتراكه مع قوى الاستعمار فى مهاجمة «الاشتراكية البلشفية الملحدة». وغالبا ما انتهت هذه المرحلة من الثورات الوطنية الى نوع من الحكم الذاتى او الاستقلال الشكلى فى اطار التبعية العسكرية والسياسية والاقتصادية للاستعمار. وذلك من خلال معاهدات غير متكافئة تسبغ الشرعية على وجود قوات الاحتلال، وعلى الدوران فى فلك السياسة العالمية للقوى الاستعمارية، وعلى استمرار السيطرة الاحتكارية على السوق الوطنى وبناياته الاقتصادية. وذلك مثلما حدث فى مصر بالنسبة لثورة ١٩١٩ التى اجهضت بمعاهدة ١٩٣٦ التى فرضتها بريطانيا على «مصر المستقلة».

وفى واقع نهاية الستينات، نجد أن حركة التحرر الوطنى قد تطورت حجما ونوعا، وخاصة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من تغييرات هائلة فى الكيان الدولى وعلاقات قواه. فقد اتسع نطاق حركة التحرر الوطنى حتى شمل القارات الثلاث التى قبعت سنين طويلة تحت القهر الامبريالى: قوميا واستغلالا، وهى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وتفاعلت هذه الحركات بعضها مع بعض الى درجة التبلور عن كيانات ومؤتمرات تنظيمية دولية متفاوتة الفاعلية. وذلك سواء على **نطاق رسمى** بين الدول المستقلة حديثا، مثل جامعة الدول العربية (١٩٤٧) ومؤتمر باندونج [١٩٥٥] ومنظمة الدول الافريقية [١٩٦٣] او على **نطاق شعبى** مثل مؤتمر تضامن شعوب اسيا وافريقيا (١٩٥٨) ومنظمة القارات الثلاث (١٩٦٦) كما لقيت ثورات التحرر الوطنى وبلدانها المتحررة الجديدة كل عون ومساندة من الدول الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتى خاصة والقوى الاشتراكية فى العالم. وازاء فشل الحكم الوطنى البورجوازى – شبه الاقطاعى – شبه الرأسمالى المساوم مع الاستعمار، الذى انبثق عن ثورات التحرر الوطنى فيما بين الحربين العالميتين من ناحية، والنمو من ناحية اخرى لقطاعات متزايدة من البورجوازية الصغيرة وكوادرها، ونشوء طبقة عاملة، وذلك نتيجة للاصلاحات الجزئية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تمت .. ازاء هذا كله تولدت المرحلة الجديدة من ثورة التحرر الوطنى فى عصر عالمية الاشتراكية، والانهيار المتزايد للقوى الامبريالية. وفجرت هذه المرحلة من حركة التحرر الوطنى اقساما من البورجوازية الصغيرة، تلحمها بدرجات متفاوتة الانكسار والاتجاهات الاشتراكية التى تتراوح بين الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية المسلمية ولوحظ تزايد مستمر لوزن القوى التقدمية المتأثرة بالاشتراكية العلمية – بدرجات متفاوتة ايضا – فى قاعدة وقيادة هذه الثورات.

وعلى هذه الارضية راحت حركة التحرر الوطنى تتبلور الى ظاهرة عالمية مواكبة لعالمية الظاهرة الاشتراكية .. واخذت اتجاها عاما اكثر تقدما وعمقا من الناحية الاجتماعية والفكرية يميل نحو الاشتراكية، متخطيا فى بعض الاحوال، المرحلة الرأسمالية التقليدية. ويندر منذ اواخر الخمسينات من هذا القرن ان تقوم ثورة تحررية وطنية لا يكون بين اهدافها المعلنة بصراحة شعار «الاشتراكية»، بغض النظر عن المدلول

---

١٥ – تقرير لينين الى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق.

العلمي والواقعي لهذا الشعار • وتتجه غالبا الى تصفية طبقتي الاقطاع والبورجوازية الكبيرة . وتطبق لصالح الفلاحين المتوسطين والفقراء اصلاحا زراعيا ، وتؤمم عددا من الكيانات الاساسية أو الكبرى في الاقتصاد الوطني ، مثل البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية والمصانع الكبيرة والمرافق الجوهرية لتكون « قطاعا عاما » يصبح العمود الفقري والقيادة الموجهة للاقتصاد القومي ، جنبا الى جنب مع القطاع الخاص الذي تهيمن فيه البورجوازية الصغيرة على ملكياتها المحدودة لبعض وسائل الانتاج ، بالاضافة الى قطاع تعاوني يقوم في اغلبه على أساس الملكية ، وفي اقليته على اساس العمل ــ ومع عمليات التنمية الاقتصادية ، ذات الدرجات المتفاوتة من التخطيط القومي ، يزداد وزن الطبقة العاملة ــ كما وتأثيرا ــ في الحياة السياسية والاجتماعية ، ويصل الامر في بعض التجارب الى اعتبار طبقتي العمال والفلاحين القاعدة الاساسية للسلطة من خلال تحالف وطني عريض يضم اليه المثقفين وقطاعات من البورجوازية الوطنية •

ونتيجة لهذا المناخ التقدمي العام ، باوضاعه الاجتماعية والاقتصادية السياسية المعقدة ، تلتقي عند الاشتراكية ، قوى ذات منابع اجتماعية وايديولوجية مختلفة، منها ماهو بورجوازي صغير او عمالي ، ومنها ما يسعى الى التميز عن الاشتراكية العلمية « باشتراكية وطنية » ومنها ما يتخذ من الاشتراكية العلمية منهاجا كاملا او يقترب منه دون عداء واقعي ، فيرفض الجانب الفلسفي منها ويقبل جانبها السياسي والاقتصادي •

وثمة ظاهرة جديدة يكشف عنها عدد غير يسير من ثورات التحرر الوطني التقدمية المعاصرة ، وهي أن الجيش الوطني ، يقوم بديلا ــ استثنائيا ــ عن الحزب الوطني الثوري الذي يفتقد تكوينه لاسباب جغرافية وتاريخية واجتماعية معقدة في بعض الاحوال ، بدور أداة تفجير الثورة واسقاط النظام الرجعي المساوم مع الاستعمار ، عندما تنضج الظروف الموضوعية في المجتمع لذلك ، بمعنى أن ثورة التحرر الوطني هنا تتخذ في البداية صورة انقلاب عسكري لا حركة جماهيرية •• ومن هنا بدأت الجيوش الوطنية تلعب دورا خاصا ومتزايدا في تفجير ثورة التحرر الوطني ، وفي تسييرها . وذلك على عكس ماكان سائدا في الفكر الاشتراكي العلمي في بلاد أوربا من قبل عن رجعية الانقلابات التي تقوم بها الجيوش في هذه البلاد واعتبارها نوعا من الثورة المضادة بشكل عام ، دونما تمييز بين جوانبها الايجابية وجوانبها السلبية.

ولعل لينين قد وضع يده على هذه النقطة مبكرا • وذلك خلال تعداده للقضايا الجديدة لحركة التحرر الوطني التي تتطلب من القوى الاشتراكية البحث عن حلول نظرية وعملية لها من خلال النضال والتجربة لا من خلال احتلاب نصوص الكتب بما ليس فيها • وذلك عندما قال : « **لقد سلحت انجلترا وفرنسا الشعوب المستعمرة وأفسحتا لها مجال الاطلاع على العتاد الحربي والماكينات الحديثة ، وتستخدم هذه الشعوب معرفتها هذه في النضال ضد السادة الامبرياليين** •• » (١٦)

١١

وفي واقع لينين، كان الصراع العالمي، طبقيا وسياسيا ، يتحدد أساسا بين الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الوليدة من جانب وأعتى قوى الامبريالية الموحدة في هذا المجال ــ رغم تناقضاتها الداخلية ــ من جانب آخر • وكانت هذه القوى تتمثل، بالتحديد الذي وضعه لينين نفسه، في كل من المانيا وفرنسا وانجلترا وامريكا ، وهي نفس القوى التي كانت تستعمر وتنهب ــ بالقوة والقهر ــ شعوب المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، فضلا عن القهر القومي الذي كانت تمارسه بالنسبة لشعوب صغيرة أخرى في أوربا • وكانت أمريكا في ذلك الوقت أخفها وزنا واستعمارا بالقياس الى الدول الاستعمارية التقليدية العريقة وقتذاك : انجلترا وفرنسا وألمانيا •

وعلى هذه الارضية ، كان الصراع الطبقي العالمي بين الاشتراكية والرأسمالية في بدايته ، وفي ظروف لم تكن حركة التحرر الوطني قد احتلت موقعها من الصراع في التحالف مع القوى الاشتراكية • ومن هنا كانت كفة الرأسمالية ما برحت الراجحة مما يجعلها في وضع تستطيع فيه بصلف وعناد أن ترفض عرض المباراة السلمية بين النظامين في اطار من التعايش السلمي •

وكانت الامبريالية في قهرها لشعوب المستعمرات تتخذ شكل وأسلوب ما عرف باسم « الاستعمار القديم أو التقليدي » القائم على الاحتلال العسكري وتصدير رأس المال ونهب الثروات الوطنية والسيطرة الكاملة على السوق المحلية •

أما في واقع نهاية الستينات ، فان الوضعية قد تغيرت جذريا • واتسعت وتعمقت بشكل لم يسبق له مثيل ، نتيجة عالمية كل من الظاهرة الاشتراكية وظاهرة حركة التحرر الوطني التقدمية ، عوامل

---

١٦ ــ تقرير لينين الى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق •

الصراع الطبقي ـ السياسي العالمي بين الاشتراكية والرأسمالية • وفقدت الدول الاستعمارية الكبرى مثل انجلترا وفرنسا والمانيا غالبية ، بل كل مستعمراتها السابقة تقريبا بل ان جزءا هاما من الدولة الاخيرة تحول بالفعل الى الاشتراكية • وتحولت بقية هذه الدول في المقياس الدولي ــ سياسيا واقتصاديا ــ الى دول من الدرجة الثانية بالقياس الى كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا • وقفزت أمريكا بامكانياتها الضخمة وتقدمها التكنولوجي لتصبح القائدة الجديدة للامبريالية العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، أي في عصر انهيارها •

وازاء زحف حركات التحرر الوطني ، بمساندة القوى الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، ذبلت ظاهرة الاستعمار القديم وصدأت اساليبه واهترأت اشكاله ،وفقدمواقعه التقليدية في القارات الثلاث : أسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية • وراحت تنمو خلال الظروف الجديدة ظاهرة « **الاستعمار الجديد** » ، الذي يتمثل في فرص الاستغلال الاستعماري أو شبه الاستعماري على دول تتمتع من الناحية الرسمية باستقلالها السياسي ، وتقوم خطه الاستعمار الجديد اساسا على اعلانه احترام الاستقلال السياسي للدول الوطنية الجديدة ، في الوقت الذي يعمد الى تقييدها اليه وخاصة على المستوى الاقتصادي • ويحقق الاستعمار الجديد هذه التبعية بمجموعة ضخمة من الاساليب والوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية والايديولوجية • وذلك مثل « العلاقات الاقتصادية الخاصة » التي تقوم على تبعية الدول الوطنية الحديثة الى الاستعمار الجديد عن طريق « سوق مشتركة » او نظام نقدي » او « اتحاد جمركي » ، فضلا عن المعونات المشروطة وكسب فئات من البرجوازية الصغيرة المتعلمة داخل البلد المستقل حديثا عن طريق المناصب في جهاز الدولة (الذي يعتمد على المعونات الاستعمارية) وفي الشركات الاحتكارية . ساعيا بذلك الى عزلها عن جماهير الشعب العامل وخلق مركز طبقي ممتاز لها تدين به للاستعمار •

وكانت أمام الاستعمار الجديد خبرة الولايات المتحدة الامريكية الثمينة في استعمارها وسيطرتها على بلدان امريكا اللاتينية ، بحيث يمكن القول أن الامبريالية الامريكية ، تمثل تاريخيا ، أول استعمار جديد في تاريخ العالم وتبعتها بعد ذلك المانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا الخ •• وأصبحت أمريكا بحكم امكانياتها ، هي أيضا قائدة الاستعمار الجديد عالميا •

وعلى هذه الارضية ، نجد أن الصراع الطبقي العالمي بين الاشتراكية والرأسمالية قد أصبح يجري في ظروف مواتية ـ موضوعيا وتاريخيا ـ لصالح الثورة العالمية • وذلك نتيجة قيام ونمو كل من ظاهرتي عالمية الاشتراكية وعالمية حركة التحرر الوطني ، وازدياد وثائق التحالف والتعاون بينهما •

غير أن ظاهرة الاستعمار الجديد قد أحدثت بعض التخريب في حركة التحرر الوطني • فمن ناحيه استطاع الاستعمار الجديد أن يعزل عددا من الدول الوطنية الحديثة عن تيار حركة التحرر الوطني التقدميه ، ومن ناحيه أخرى أمكنه ـ في بعض الحالات ـ التسلل الى الكيان الاجتماعي لبعض الدول الوطنية الحديثه ذات الطابع التقدمي وكسب فئات من البورجوازية الصغيرة فيها تشكل جيوبا رجعية ـ متفاوتة الخطر ـ داخل التحالف الوطني تعمد الى اشاعة الايديولوجيات البورجوازية المعاديه للفكر الاشتراكي ، كما تعمل على عرقلة استمرار حركة التقدم السياسي ـ الاقتصادي ـ الاجتماعي نحو الافاق الاشتراكية ، وتثير باستمرار حملات التشكيك في علاقات التعاون مع البلدان الاشتراكية ، وتلجأ في سبيل ذلك الى رفع شعار تكتيكي « **لا رأسمالية ولا اشتراكيه مستوردة بل طريق ثالث** » • وذلك في مواجهة الشعار التقدمي الذي غدا يكسب باستمرار ارضا وقوة جماهيرية متزايدة في بلدان حركات التحرر الوطني « **اشتراكية واحدة وتطبيقات متعددة** » •

وأمام رجحان كفة تحالف قوى الاشتراكية ، مع الكم الغالب من قوى التحرر الوطني ، امكن فرض التعايش السلمي على الامبريالية العالمية ، وتقييد حركاتها المغامرة العدوانية تدفع الانسانية الى هاوية الحرب والدمار • وقد أتاح هذا الوضع ادارة تنافس تاريخي علني على مرأى من شعوب العالم بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي تكتشف فيه للقوى الوطنية وقيادتها التقدمية العجز الموضوعي للطريق الرأسمالي عن تنمية بلادها وتلبية الاحتياجات الضرورية المشروعة للجماهير الشعبية التي ظلت تئن في وهدة الاستغلال أحقابا طويلة •

ونتيجة لهذا كله تتسلح دول التحرر الوطني الجديده ، بامكانيات ماديه وسياسيه وشعبية وفكرية لمقاومة الضغوط الاستعمارية الاحتكارية وحربها الايديولوجية والنفسية • وأن تصبح في موقف قادر على تحطيم تبعيتها التقليدية ـ المالية والاقتصاديه ـ للاستعمار • وأن تمضي حثيثا في بناء اقتصادها الوطني المستقل بمعدل قياسي في سرعته نسبيا ، وذلك بمساعدة اقتصادية وفنية غير مشروطة من الاتحاد السوفيتي ومجموعة البلدان الاشتراكية •

١٢ هذه المقارنة المركزة بين واقع أيام لينين حتى بداية العشرينات من هذا القرن، وبين واقع ايامنا فى نهاية الستينات وبداية السبعينات ، تساعدنا فى القاء الضوء على نقطتين جوهريتين فى المسار التاريخى لحركة التحرر الوطنى ومشاكلها الراهنة .

ولعل **النقطة الاولى** ، تتجسد فى أن حركة الاحداث التاريخية قد أكدت موضوعية وسلامة الافكار اللينينية حول حركة التحرر الوطنى وآفاقها ودورها الايجابى فى الثورة العالمية من خلال تحالفها مع قوى الثورة الاشتراكية · ويظل التحالف ـ الذى ركز وألح عليه لينين ـ بين الثورة الاشتراكية والبروليتاريا العالمية وبين حركة التحرر الوطنى ، هو حجر الزاوية فى القضاء على الامبريالية العالمية والاستعمار القديم والجديد · وتوفير المناخ والامكانيات لدى البلدان المتحررة لمغالبة تخلفها وركودها الطويلين ، بتنمية اقتصادية واجتماعية جذرية ذات معدل سريع ·

والنقطة الثانية ، تتبلور فى أن « البورجوازية ـ بحكم ما تمثله فى البلدان التابعة المتخلفة ـ هى قوة أساسية فى تفجير حركة التحرر الوطنى ، جانبة معها جماهير الفلاحين الكادحة التى تمثل السكم الساحق من شعوب المستعمرات · وأن البورجوازية فى ثورتها الوطنية ضد الامبريالية تحمل معها ، بجانب سماتها الثورية ، سماتها الرجعية والشوفينية والمساومة · غير أنه ـ نتيجة تطور علاقات القوى الدولية بعد قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا وبعد ظاهرة عالمية الاشتراكية ونتيجة للتطورات الاصلاحية الداخلية فى البلدان المستعمرة والتابعة ـ يمكن الان التمييز بين مرحلتين نوعيتين فى حركة التحرر الوطنى:

أولهما : بدأت مع السنوات الاولى للقرن العشرين وامتدت حتى الحرب العالمية الثانية ولعبت فيها البورجوازية الليبرالية والتجارية النامية الدور الاساسى ؛

وثانيهما : شرعت تنطلق بعد الحرب العالمية الثانية وتبلور ظاهرة عالمية الاشتراكية ، وتلعب فيها البورجوازية الصغيرة دورا أساسيا ·

فى المرحلة الاولى ظل دور البورجوازية محكوما بالعوامل الاساسية التالية :

● المثال الثورى الذى جسدته الثورة السوفيتية الاشتراكية بروسيا المتخلفة ، فى القدرة على مواجهة الامبريالية القوية المتقدمة والانتصار عليها بجيش من العمال والفلاحين · ورغم الاثار المعنوية الملهمة لهذا المثال ، فلم تكن قد توفرت بعد امكانيات كبيرة لدى الدولة الاشتراكية الوليدة والوحيدة ، لمد حركة التحرر الوطنى بالعون المادى اللازم ·

● استمرار الحصار الامبريالى القوى لحركات التحرر الوطنى المتفرقة ، والتواجد الاستعمارى السياسى والاقتصادى والعسكرى داخل بلدان هذه الحركات ، وذلك فى اطار الرجحان النسبى لكفة الامبريالية ازاء كفة الاشتراكية فى ذلك الوقت ·

● التخلف الاقتصادى والاجتماعى لبلدان التحرر الوطنى ، الامر الذى انعكس فى ضعف الوعى السياسى والفكرى والتنظيمى لشعوب هذه البلدان التى تتكون جماهيرها الغالبة من الفلاحين الكادحين ، بالاضافة الى افتقاد وجود طبقة عاملة ذات وزن وتأثير فى الحركة الاجتماعية والسياسية ببلادها ·

● استغلال البورجوازية التجارية الى أقصى حد للعامل القومى ، حتى لتبلغ به درجة الشوفينية · وذلك لبناء نظامها وقيمها وحماية مصالحها وتطلعاتها الطبقية ، كما لو كانت هى نظام وقيم ومصالح وتطلعات الامة كلها · فى حين انها فى الحقيقة تسعى الى اقامة ديمقراطيتها ذات الوجه الدكتاتورى المعادى للجماهير الشعبية من بورجوازية صغيرة وفلاحين فقراء ونواة الطبقة العاملة · وتعقد مساومتها مع الاستعمار والاقطاع للمشاركة فى السلطة والاستغلال · وتتحول من خلال هذا كله ، الى بورجوازية كبيرة كمبرادورية · وتفقد مع تطور الاحداث وصراعاتها مع الجماهير الشعبية ، كل ما كانت تتمتع به من سمات وطنية عند تفجيرها للثورة ···

● القيام ببعض الاصلاحات الجزئية للكيان السياسى ـ الاقتصادى ـ الاجتماعى فى البلاد بعد حصولها على الاستقلال الشكلى · الامر الذى يوسع بالضرورة من حجم القوى الاجتماعية فى العمل السياسى ، ويفتح الطريق ـ نتيجة بعض مشروعات التصنيع الخفيف المحدودة ـ إلى تكون نواة الطبقة العاملة وقيام النقابات ، فضلا عن افراز فئات من المثقفين والكوادر الفنية الوطنية ، وتعمق الصراع بين البورجوازية الكبيرة والاقطاع وبين البورجوازية الصغيرة فى الريف والمدن والجماهير الكادحة .

أما فى المرحلة الثانية ، فان البورجوازية الصغيرة بالتحالف مع الفلاحين الكادحين والعمال والمثقفين الوطنيين تنتفض فى حركتها محكومة بالعوامل الاتية :

● استكمال مهام الثورة الوطنية التحررية ، وذلك بالعمل على التحرر الكامل من التبعية

للاستعمار القديم وقواعده العسكرية والاقتصادية فى البلاد • بمعنى ربط الاستقلال السياسى بالاستقلال الاقتصادى ، ويمتد ذلك بالضرورة الى الطبقتين المحليتين المساندتين للاستعمار ، وهما الاقطاع والبورجوازية الكبيرة • فتعمد قوى هذه المرحلة الى سلسلة من الاجراءات تتراوح بين عزلهما سياسيا وتصفيتهما اقتصاديا واجتماعيا •

● تقع هذه المرحلة خلال ظروف عالمية ومحلية متميزة :

فمن ناحية تتواكب تاريخيا ثلاث ظواهر رئيسية فى وقت واحد . اثنتان منها صحيتان ، وهما عالمية الاشتراكية وعالمية حركة التحرر الوطنى • والثالثة ظاهرة مرضية تتمثل فى الاستعمار الجديد •

وفى الوقت الذى تمد القوى الاشتراكية العون المادى والفنى والسياسى - دون شروط - الى حركات التحرر الوطنى ، يعمد الاستعمار الجديد الى خطة متميزة عن خطة الاستعمار القديم فيبادر الى الاعتراف بالاستقلال الوطنى ويلوح بالمساعدات والمعونات ، شريطة أن تظل الدولة المستقلة الحديثة مرتبطة بالنظام الرأسمالى العالمى ، وأن لا تمد تطورها نحو آفاق اشتراكية ولا تتعدى فى تنميتها الاقتصادية حدود الصناعة الخفيفة الى الصناعة الثقيلة •

ومن ناحية اخرى . فان قوى الثورة فى هذه المرحلة لا تقتصر على البورجوازية وجماهير الفلاحين الكادحين فحسب • بل ان الواقع الاجتماعى - نتيجة للاصلاحات الجزئية التى تمت فى المرحلة السابقة - تدفع الى دائرة الثورة ، وبوزن متزايد ، قوى جديدة نامية من الطبقة العاملة والمثقفين الوطنيين التقدميين الذين تسلحوا - بدرجات متفاوتة - بالفكر الاشتراكى العلمى ، وتجذب هذه القوى الجديدة النامية الى صفوفها الفئات الاكثر تقدما (اليسارية) من البورجوازية الصغيرة نفسها ، فضلا عما تكسبه من جماهير الفلاحين الكادحين •

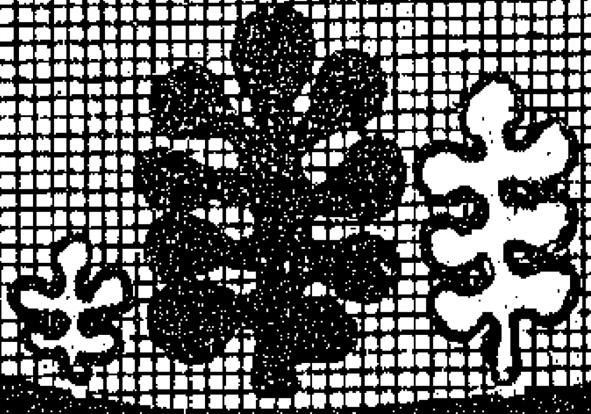
وهنا يتهيأ لقيادة الثورة أن تواجه مسئولياتها ، وتلعب دورا حاسما فى الصراع الذى ينشأ داخل قوى الثورة بين اليمين واليسار • • بين التحالف مع قوى الاشتراكية العالمية والتحالف مع قوى الاستعمار الجديد • ويتجسد هذا الصراع والدور التاريخى للقيادة خلال مواجهة مشاكل وقضايا التنمية للاوضاع المتخلفة ، واختيار أضمن وأفضل وأسرع طريق للتنمية • وبتعبير آخر ، الاختيار بين الطريق الرأسمالى وبين طريق التطور نحو الاشتراكية •

واختيار الطريق الرأسمالى يعنى اختيار يمين حركة التحرر الوطنى والتحالف مع الاستعمار الجديد ، واجهاض الثورة الوطنية التحررية فى النهاية ، كما يحدث فى غانا بعد اسقاط حكومة نكروما الوطنية •

أما اختيار الطريق المعادى للرأسمالية والمتجه نحو الاشتراكية ، فانه يعنى اختيار يسار حركة التحرر الوطنى ، والتحالف مع قوى الاشتراكية ، مثلما هو حادث فى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والسودان وسوريا وتنزانيا . الخ . ويستدعى ذلك القيام بعملية زواج صحية بين أهداف الثورة الوطنية التحررية والثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية ، ويتجسد هذا الزواج فى تعبئة وتنظيم القاعدة الجماهيرية للثورة فى تحالف وطنى تقدمى عريض من حول العمال والفلاحين يقوده تنظيم ثورى طليعى يتخذ من الاشتراكية العلمية منهاجا له • ويعمل دائما - من خلال الصراع داخل التحالف - على تنقية الفكر الاشتراكى واليسارى العام فى المجتمع مما يعلق به من شوائب طوباوية وبورجوازية اصلاحية وطفولة يسارية • وذلك نتيجة تعدد المنابع الاجتماعية والفكرية لقوى التحالف التى ترفع شعار الاشتراكية • كما يتجسد هذا الزواج فى انتهاج أسلوب التخطيط الشامل فى التنمية وبناء قطاع عام متزايد الوزن باستمرار يعمد الى بناء القاعدة الاساسية للاقتصاد الوطنى المستقل المتطور نحو الاشتراكية ، بحيث لا يعطى الفرصة للقطاع الخاص كى يفرز من جديد قوى رأسمالية معادية للتطور نحو الاشتراكية • ويتجسد الزواج أيضا فى اعادة تكوين الجيش واجهزة ومؤسسات الدولة المختلفة ، بحيث تتطهر من العناصر المعادية للاشتراكية ، لتسيرها عناصر وكوادر فنية ذات وعى سياسى وفكر اشتراكى ، او على الاقل غير معادية للاشتراكية •

● يحتل التنظيم السياسى لقوى الحركة الوطنية التقدمية أهمية عظمى فى تدعيم الثورة وحمايتها وضمان تطورها دون الوقوع فى انحرافات يمينية أو التورط فى مغامرات يسارية • ومن هنا فبقدر ما يمكن تعبئة القوى الاجتماعية للثورة فى تحالف واسع ديموقراطى وفقا لبرنامج جبهة وطنية تقدمية ، يقوده - من خلال عمل سياسى - حزب طليعى ثورى يتخذ من المبادىء العامة للاشتراكية العلمية منهاجا له ، بقدر ماتملك الثورة ضمان أمنها ، وبوصلة تقدمها على الطريق نحو الاشتراكية ، ومقدرتها على تطهير صفوفها مما قد ينشأ فى أحضان بعض الفئات البورجوازية الصغيرة من جيوب رأسمالية جديدة تسعى للمساومة مع الاستعمار الجديد ضد وطنها •

لينين - مائة عام من التاريخ



5

العنف الثوري والحرب والسلام

- لينين والعنف الثوري
- لينين واستراتيجية الحرب الثورية
- لينين وقضية التعايش السلمي

لينين .. والعنف الثورى

لطفى فطيم



« لينين » هـو التعبير الفذ عـن استخدام المنهج الماركسى فى فهم الظروف المتطورة لنمو حركة الصراع العالمية بين الامبريالية من جهة ، وقوى الشعوب والطبقات العاملة من جهة اخرى ، وقد خلف لينين ثروة هائلة من الافكار يبدو لنا ان واحدة من اهمها واكثرها ارتباطا بحركة الثورة فى العصر الحديث ، هى نظريته عن العنف الثورى .

دور العنف فى التاريخ

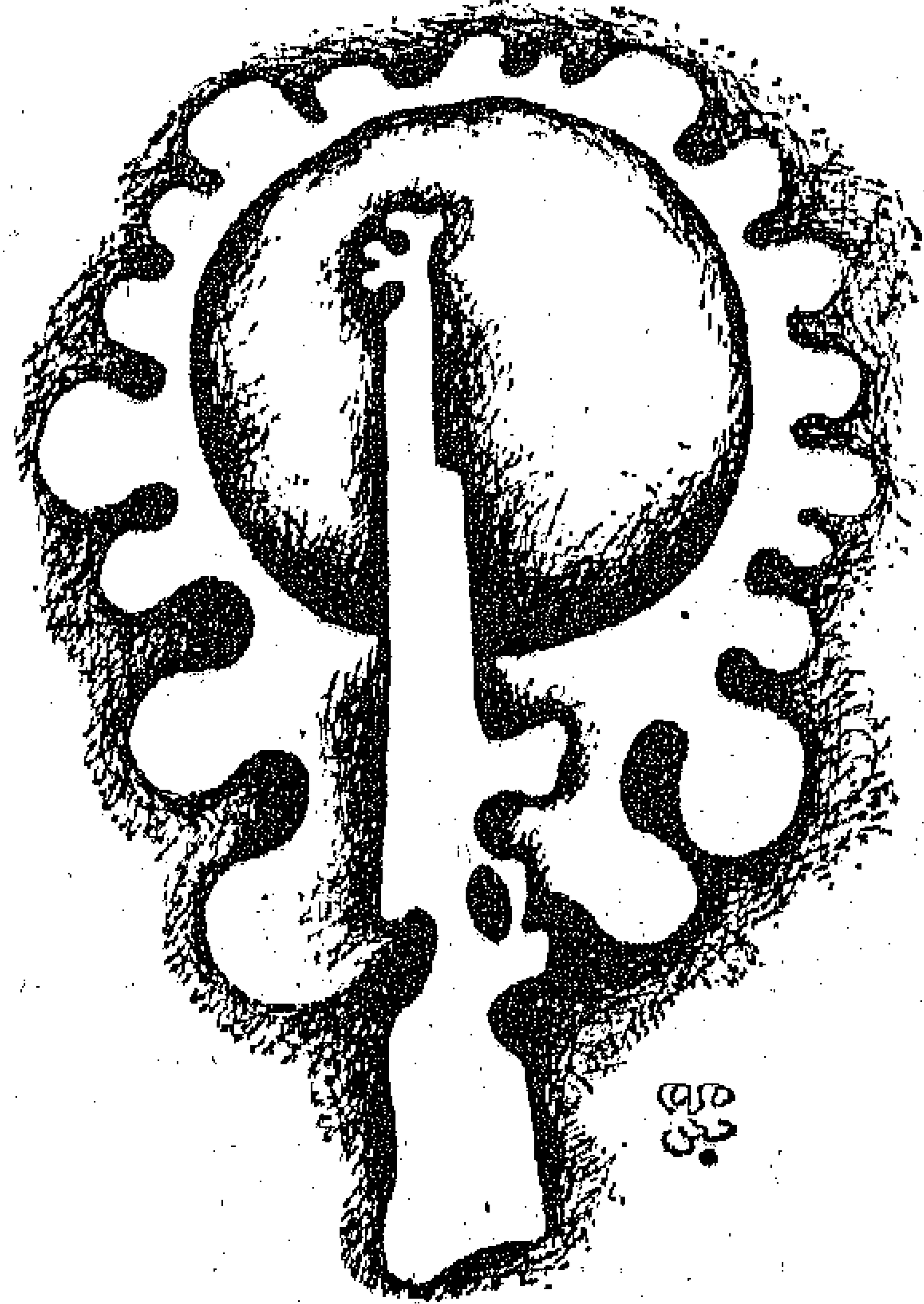
بينت الماركسية منذ اللحظة الاولى لظهورها ان تاريخ كل مجتمع ليس الا تاريخ نضال بيـن الطبقات . فخلال كل العهود التاريخية نجـد المجتمع فى كل مكان تقريبا منقسما بطريقة هرمية متسلسلة الى فئات وطبقات متعددة . وانما يميز عصر الرأسمالية هو انقسام المجتمع الى معسكرين كبيرين متعارضين ، هما : معسكر البورجوازية ومعسكر البروليتاريا .

فالقاعدة الاساسية التى تنطلق منها الماركسية هى قاعدة الصراع بين الطبقات وان هذا الصراع بين المالكين وغير المالكين بين المستغلين والمستغلين بين الحاكمين والمحكومين ، هو محرك التاريخ يقول « انجلز » فى « الرد على دوهرنج » :

« يلعب العنف فى التاريخ دورا ثـوريا . فهو ـ كما قال ماركس ـ يقوم بدور القابلة فى كل مجتمع قديم يحمل فى بطنه مجتمعا جديدا ، وان العنف هو تلك الاداة التى تشق الحركة الاجتماعية بوساطتها الطريق لنفسها وتحطـم الاشكال السياسية المتحجرة والميتة » .

ويخبرنا تاريخ حركة الطبقة العـاملة ان الاعتراف او عدم الاعتراف بضرورة تحطيم جهاز الدولة القـديم ، وضرورة احـلال دكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البورجوازية ، هو الخط الفاصل بين الماركسية اللينينية وبين كل انواع النظريات الاخرى . وترى المـاركسية اللينينية ان الدولة نفسها ، هى نوع من العنف . وأن العنصرين الرئيسيين اللذين يتركب منهما جهاز الدولة هما الجيش والشرطة . ويدل التاريخ على أن جميع الطبقات الحاكمة تعتمد على العنف بقصد الحفاظ على حكمها . يقول لينين « **ما من ثورة عظيمة واحدة حدثت فى التاريخ بدون حرب اهلية .. وان ضرورة تثقيف الجماهير بصورة منظمة بهذا وبالتحديد بفكرة الثورة العنيفة هذه تكمن فى بذور جميع تعاليم ماركس وانجلز** » .

الا ان طريق العنف هو طريق مفروض على



الطبقة العاملة وحلفائها • ذلك لان الطبقات المالكة والحاكمة لن تفرط فى سلطانها بسهولة • ان الطبقة العاملة واحزابها تسعى الى تحقيق الثورة الاشتراكية عن طريق سلمى بدون حرب اهلية ــ ولا شك ان ذلك يتفق ومصالح الطبقة العاملة والشعب بأسره والمصالح الوطنية العامة للبلد ، ومع ذلك فان اختيار طرق تطور الثورة لا يتعلق بالطبقة العاملة وحدها • فاذا التجأت الطبقات المستغلة الى العنف على الشعب اضطرت الطبقةالعاملة الى استخدام الطريق غير السلمى للظفر بالسلطة •

ولقد ظهر العنف فى التاريخ منذ القدم منذ انحلال المجتمعات البدائية الاولى وظهور العبودية التى كانت اول اشكال العنف المنظم الذى تحاربه المجتمعات الانسانية ، والتى ماكان يمكن بدونها نشوء الامبراطوريات القديمة العظيمة وانتقال البشرية من حالتها الهمجية البدائية الى اول طور من أطوار الرقى الذى بلغ قمته فى الدولة الاعريقية وما عاصرها من امبراطوريات قائمة على العبودية • ولقد كان استعباد الانسان للانسان وتسخيره فى الانتاج ، وتحويل اسرى الحرب الى عبيد منتجين ، هو نتيجة حتمية لتطور تقسيم العمل وازدياد الانتاجفى المقام الاول ،وليس نتيجة لاى عنف • انما ظهر العنف بعد ذلك عند انقسام المجتمع الى طبقات واستخدام الطبقة المالكة للعنف لتسخير الطبقات الاخرى •

ولعل نظرية صراع الطبقات هى النظرية الوحيدة من بين افكار الماركسية اللينينية التى لاقت من مناهضى الماركسية كل جهد لتمييعها واخفائها والتلاعب بها وطمس نتائجها ، فأعداء الماركسية يبذلون جهدهم لاثبات انه توجد طبقات فى المجتمعات التى قامت بالثورة الاشتراكية وان ما تدعيه الماركسية من أن هدفها هو الغاء الطبقات والقضاء على الصراع ، وانشاء مجتمع متجانس ، هو امر لا وجود له فى التطبيق الفعلىولعل ابرز مثال على هذا الفكر كتب وآراء المفكر الفرنسى « **ريمون آرون** » . اما الذين يقفون من الماركسية موقفا وسطا فيبذلون جهدهم للتغاضى عن مفهوم صراع الطبقات واستبعاده من مجال البحث والمناقشة ، والخروج بنظريات تستهدف اقناع الناس بأن صراع الطبقات لم يعد له وجود فى مجتمعاتهم •

ويمكن تلخيص اهمية مفهوم صراع الطبقات فى الثورة الاجتماعية بكلام « **ماركس** » نفسه فى رسالة له الى احد اصدقائه حيث قال :

« لايعود الفضل لى فى اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر ولا الفضل فى اكتشاف صراعها ضد بعضها البعض • فمن قبل ، بسط بعض المؤرخين البورجوازيين التطور التاريخى لهذا الصراع الطبقى ، كما بسط بعض الاقتصاديين البورجوازيين التناقض الاقتصادى القائم بين الطبقات • والجديد الذى اتيت به هو اننى بينت :

١ ــ انوجود الطبقاتلايرتبط الا ببعضالمراحل التاريخية من تطور الانتاج • ٢ ــ وان نضال الطبقات يؤدى بالضرورة الى ديكتاتورية البروليتاريا • ٣ ــ وان هذه الديكتاتورية ليست هى نفسها سوى مرحلة انتقالية نحو الغاء جميع الطبقات ونحو مجتمع دون طبقات » •

الدولة الثورة

توضح الماركسية اللينينية ايضا انه فى المجتمعات التى ينمو فيها الصراع الطبقى الى حد المواجهة الحاسمة بين معسكر الشعب ، ومعسكر الرأسمالية ، لابد من الثورة العنيفة التى تؤدى الى الاستيلاء على دولة البورجوازية ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، والسير بالمجتمع فى طريق الاشتراكية • ينبغى لطبقة العاملة اذن الاستيلاء على الدولة • ولقد اكتسبت الدولة « تقدما خاصا » يحلله « انجلز » بقوله « ليست الدوله باية حال قوة مفروضه على المجتمع من خارجه • وكذلك فهى ليست واقع الفكره الاخلاقيه او صوره وواقع العقل كما يدعى هيجل • الدولة هى نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره ، الدولة هى تعبير عن ان هذاالمجتمع قد وقع فى تناقض مع ذاته لا يمكنه حله • وعن واقع ان هذا المجتمع قدانقسم الى متضادات مستعصية ، هوعاجز عن الخلاص منها ، ولكى لا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة ، بالتهام بعضها بعضا • • اقتضى الامر قوة تقف فى الظاهر فوق المجتمع ، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود النظام • هذه القوة المنبثقة عن المجتمع ، والتى تضع نفسها ــ مع ذلك ــ فوقه ، وتنفصل عنه اكثر فاكثر هى الدولة » •

« وهكذا فالدولة لم توجد منذ الازل ، فقد وجدت مجتمعات كانت فى غنى عن الدولة ، ولم يكن لديها اية فكرة عن الدولة وسلطة الدولة • وعندما بلغ التطور الاقتصادى درجة اقترنت بالضرورة بانقسام المجتمعالى طبقات غدت الدولة بحكم هذا الانقسام امرا ضروريا • ونحن نقرب الان بخطوات سريعة من درجة فى تطور الانتاج لا يكفى عندها وجود هذه الطبقات عن انيكون ضرورة وحسب ، بل ويصبح عائقا مباشرا للانتاج • ستزول الطبقات بالضرورة كما نشأت فى

الماضي بالضرورة ـ ومع زوال الطبقات ستزول الدولة بالضرورة » .

الدولة اذن هى نوع خاص من تنظيم للقوة ،هى تنظيم للعنف بقصد قمع طبقة من الطبقات ، وفى مفهوم الماركسية اللينينية ان الصراع الطبقى يقود حتما الى ديكتاتورية الشعب بزعامة البروليتاريا ، كما انه تقعفىالفترة التى تسميها بفترةالانتقالمن المجتمعالرأسمالى الى الشيوعى ، فترة تحولات ثورية لا تكون الدولة فيها شيئا سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا . فالاشتراكية عند ماركس هى اعلان دوام الثورة وسلطتها باعتبارها نقطة الانطلاق اللازمة لازالة الفوارق الطبقية تماما وازالة جميع علاقات الانتاج التى تنشأ عنها . وكذلك ازالة جميع العلاقات الاجتماعية المقابلة لعلاقات الانتاج هذه ، وهى تغيير جميع الافكار التى تنشأ عن هذه العلاقات الاجتماعية . وبين « لينين » ان ديكتاتورية البروليتاريا ليست نهاية الصراعالطبقى بل هى امتداد فى اشكال جديدة ، فهى تعنى ان الصراع الطبقى الذى تشنه الثورة قد انتصر واستولت طليعتها على السلطة السياسية ضد بورجوازية قد هزمت ، ولكنها لم يقض عليها ولم تختف بعد ولم توقف مقاومتها،بل على النقيض من ذلك زادت شدة مقاومتها . وقال ايضا ان ديكتاتورية البروليتاريا هى صراع عنيف ، دام وغير دام .. عنيف وسلمى .. عسكرى واقتصادى .. تعليمى وادارى ، ضد قوى وتقاليد المجتمع القديم .

ويتخلل الصراع بين طريقى الاشتراكية والرأسمالية مرحلة الاشتراكية بأكملها ، ولضمان نجاح البناء الاشتراكى والحيلولة دون عودة الرأسمالية تجب مواصلة الثورة الاشتراكية الى نهايتها فى الجبهات السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية . فالطبقة العاملة لا يمكنها تحرير نفسها نهائيا الابتحرير البشرية كلها . وتتكون المهمة التاريخية لها من جانبين : داخلى وخارجى :

فالمهمة الداخلية : هى فى الاساس ، ازالة الطبقات المستغلة تماما وتطوير الاقتصاد الاشتراكى الى اقصى حدوده ، ورفع مستوى الوعى وازالة الفوارق بين الملكية العامة والملكية الجماعية بين العمال والفلاحين بين المدن والارياف بين العمل العقلى والعمل الجسمانى ، واستئصال اى امكانية لظهور الطبقات من جديد وعودة الرأسمالية وتهيئة الشروط لتحقيق مجتمع يكون المبدأ فيه : « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » .

والمهمة الخارجية : هى اساسا الحيلولة دون عدوان وهجوم الاستعمار العالمى وتقديم العون للثورة العالمية حتى تقضى شعوب جميع الاقطار فى النهاية على الاستعمار والرأسمالية ونظام الاستغلال .

الانتقال السلمى الى الاشتراكية

لاشك ان ما قدمه « ماركس وانجلز ولينين » من افكار حول الاستيلاء بالعنف على الدولة وبناء سلطة الاشتراكية ومجتمعها ، قد ادى الى نجاح الثورة الاشتراكية فى بلد واحد ، ثم الى انتصار الاشتراكية فى عدد من بلاد اوروبا وآسيا ، ثم الى جعل العصر الذى نعيش فيه هو عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . فلقد وضح بعد الحرب العالميه الثانية انقلاب موازين القوى فى العالم لصالح الاشتراكية ، وبدأ انهيار معسكر الرأسمالية العالمى مع بدء انتصار معسكر الشعوب وانتصار شعوب المستعمرات واشباه المستعمرات ، وظهور كتلة الدول النامية التى اصبحت تتخذ طريقا معاديا للاستعمار ومحالفا للمعسكر الاشتراكى بشكل او بآخر . كما تتميز هذه الفترة بازدياد قوة الاحزاب الشيوعية فى عدد من بلدان اوروبا واسيا التى لم تنتصر فيها الثورة الاشتراكية بعد . واصبح من الواضح ان الذى يقرر الموضوعات والاتجاهات الرئيسيه للتطور التاريخى للمجتمع الانسانى فى عصرنا الحاضر ليس الاستعمار بل الكتلة الاشتراكية العالمية وجميع القوى التقدمية المكافحة لتطوير المجتمع عن طريق الاشتراكية ومناهضة الاستعمار . واصبح التناقض الرئيسى فى عصرنا هو التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية .

ولقدأدى كل ذلك الى أن اصبح عدد كبير من المفكرين الاشتراكيين وقادة الاحزاب الشيوعية فى العالم يرى ان الظروف الحالية تدعو الى التركيز على جوانب معينة فى الفكر الماركسى اللينينى ، فظهرت نظرية الانتقال السلمى الى الاشتراكية واختلاف وسائل الوصول اليها . وملخص هذه الفكرة هى ان العنف ليس الصفة الملازمة الاصيلة للعمل الثورى . وان الطبقات الثورية لاتلجأ الى العنف الا عندما تواجه من قبل الطبقات المخلوعة بالمقاومة المسلحة . فالطبقات الثورية لا توجد لديها رغبة خاصةفى استعمالالعنف ،بل هى تفضلعلى الدوام الاسلوب السلمى للعملية الثورية . ولا تلجأ للعنف الا اضطرارا . وان ديكتاتورية البروليتاريا ستتخذ اشكالا مختلفة وفقا لظروف وحالة كل بلد أن يقول « لينين » : « **ان كل الامم ستصل الى الاشتراكية ولكنها لن تصل جميعا من نفس الطريق فكل منها سيسهم بشىء خاص به بشكل ما من اشكال الديمقراطيه وبنوع ما من انواع ديكتاتورية**

البروليتاريا وبدرجات متفاوتة من التحولات الاشتراكية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية » .

ولقد اكدت كافة الوثائق المقدمة من مختلف الاحزاب الشيوعية والعمالية ان التحول الثوري من الرأسمالية الى الاشتراكية ضروري من الناحية التاريخية ، وان اشكال وطرق تطور الثورة الاشتراكية تتوقف على التوازن الطبقي الخاص في كل بلد ، وعلى تنظيم ووضوح الطبقة العاملة وطليعتها وعلى مدى مقاومة الطبقات الحاكمة .

ومن الواضح ان الخلاف القائم اليوم في صفوف الحركة الشيوعية حول هذه القضية هو امر سيحسمه تطور الثورة في مختلف البلدان . وان مسار الثورة سواء بالطريق العنيف او بالطريق السلمي سيتوقف بالدرجة الاولى على ملابسات قيام الثورة ، وعلى نضج الظروف العالمية . ولابد من الاشارة هنا الى ما قاله « لينين » في رسالته في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق حين قال لهم « **في هذا الحقل – اى حقل الثورة – تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعية في العالم كله من قبل : ينبغي لكم ان تستندوا في الميدانين النظري والعملي** على الافكار الشيوعية العامة ، وان **تأخذوا بعين الاعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة في البلدان الاوروبية ، كي يصبح بامكانكم تطبيق هذه الافكار في الميدانين النظري والعملي ، في ظروف يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسي ، وتطرح فيها مهمة النضال لا ضد رأس المال بل ضد بقايا القرون الوسطى .. هذه هي القضايا التي لن تجدوا لها حلولا في أي كتاب من كتب الشيوعية** » .

العنف الثوري والحرب

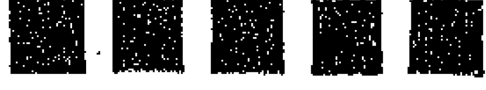
تعتبر الحرب اعنف الاعمال الانسانية ، وهي وسيلة بربرية لتسوية المنازعات . يقول «لينين» : « ان الاشتراكية الديموقراطية لم تتخذ ابدا موقفا عاطفيا من الحرب ، وهي تدين الحرب بلا تحفظ باعتبارها سبيلا وحشيا لتسوية المنازعات في المجتمع الانساني ، إلا ان الاشتراكية الديموقراطية تعرف انه طالما ظل المجتمع مقسما الى طبقات ، وطالما ظل استغلال الانسان للانسان موجودا ، فان الحروب حتمية الوقوع . ان هذا الاستغلال لا يمكن تحطيمه بدون حرب . والحرب في اى وقت وفي كل مكان دائما مايبدؤها المستغلون انفسهم ، تبدؤها الطبقات الحاكمة والمضطهدة . ولقد ندد الاشتراكيون دائما بالحروب بين الشعوب باعتبارها عملا بربريا ووحشيا » .

ويقول « لينين » : « ان موقفنا من الحرب يختلف مبدئيا عن موقف المسالمين البورجوازيين والفوضويين . فنحن ندرك الصلة الحتمية بين الحروب من جانب والنضال الطبقي داخل قطرها من جانب آخر . ونفهم استحالة القضاء على الحروب دون القضاء على الطبقات ودون بناء الاشتراكية ، ونعترف اعترافا كاملا بعدالة وتقدمية وضرورة الحروب الاهلية ، أي الحروب التي تخوضها الطبقة المضطهدة ضد الطبقة المضطهدة ، والتي يخوضها العبيد ضد سادتهم ، والفلاحون ضد الاقطاعيين ، والعمال الاجراء ضد البورجوازية . ونحن الماركسيين نختلف عن المسالمين والفوضويين معا ، اذ نعترف بضرورة دراسة كل حرب على حدة دراسة تاريخية من وجهة نظر ماركس المادية الديالكتيكية . فقد عرف التاريخ جملة من الحروب كانت تقدمية رغم كل الفظائع والاهوال ، والكوارث التي تنطوي عليها حتما كل حرب ايا كانت » .

ونحن – في وطننا العربي – في أمس الحاجة لفهم موقف الاشتراكية من الحرب ، خاصة في هذه الظروف التي نخوض فيها حربا ضد اسرائيل ومن يساندونها من الاستعماريين . لقد رات « اللينينية » دائما ان الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى . فلا ريب ان الحرب القائمة الان هي امتداد للحروب التي شنها الاستعمار دائما في هذه المنطقة من العالم بقصد اخضاعها لنفوذه وسيطرته ونهب ثرواتها وجعلها وقودا لحربه المقبلة مع الاشتراكية . وتؤكد « اللينينية » دور الاسلحة الحديثة والتكنيك الحربي العصري في تنظيم الجيوش وفي الحرب ، ولكنها لاتدعو ابدا الى نظرية ان الاسلحة تقرر كل شيء ، فقد قال « لينين » بعد ثورة اكتوبر « **يكسب الحرب من له احتياطي اعظم ومصادر قوة اعظم وتاييد اعظم بين الجماهير الشعبية** » .

ان تقدير دور الانسان في الحرب تقديرا كاملا

هو مبدأ لينين الاساسى فى قضية الحرب • وتؤكد اللينينية ضرورة معارضة الحروب غير العادلة اى الحروب التى يشنها المستعمرون والمستغلون ، وضرورة تأييد الحروب العادلة • ومن هنا تعطف الاقطار الاشتراكية على جميع الشـــعوب والامم المضطهدة وتؤيدها وتساعدها فى نضالها من اجل التحرر ،ولكن يبقى ان تحرر كلشعب من الشعوب هو مهمته الخاصة.وترى الماركسيةاللينينية ــ فى النهاية ــ انه من أجل صيانة السلم العالمى ومنع نشوب حرب عالمية جديدة يجب الاعتماد على الوحدة والقوة المتزايدة لدى الاقطار الاشتراكية ، وعلى نضال الامم والشعوب المضطهدة ، وعلى نضـــال الطبقة العاملة العالمية ، وعلى نضـــال جميع البلدان والشعوب المحبة للسلام فى العالم •



لينـــــين ..
واســتراتيجيــة الحرب الثورية

عبد الهادى ناصف



عندما تـولى « فلاديمير اليتش لينين » مسئولية قيادة الشـــعب الروسى فى اول ثورة اشـــتراكية فى التاريخ ، وفى ظروف الانهيـــار والدمار الذى جرته على البلاد الهزائم المتواليـــة لجيوش الحكومة القيصرية فى حربها الامبريالية ضد المانيا وحلفائها ..كان يقدرسلفا كل المصاعب التى ستواجهها الثورة بعد انتصـــارها ، والتى تتضاءل الى جانبها كل الصعوبات التى واجهتها الثورة قبل نجاحها فى تقويض النظام القيصرى والاستيلاء على الســلطة .

ولم يكن تقدير لينين لهذه المصاعب قائما على أى نوع من الحدس والتخمين ، وانما انبنى هذا التقدير على الاسس الثلاثة التالية :

١ ـــ دراسةعلمية ، عميقةوشاملة،استوعبت دروس الصراع البشرى فى مراحله التاريخيـــة المتعاقبة والقوانين التى تحكمه ، وتابعت تطور اساليبه التى واكبت تطور المجتمع البشرىذاته.

٢ ـــ وعى كامل بالواقع المعاصر ، بكل ظروفه الموضوعية والقوى المؤثرة فيه وما بينهـــا مـــن علاقات •

٣ ـــ استشراقلافاق المستقبل ببصيرة علمية

نافذة تدرك ، بحكم قوانين التطور ، الاهميـة القصوى لنتائج المرحلة الحاليةمن مراحل الصراع واثرها فى تشكيل صورة المستقبل .

ونستطيع بتفصيل اكثر — ولكن فى حدود الايجاز الشديد الذى يفرضه التعرض لموضوع ملأت دراسته عدة مجلدات ضخمة فى حيز مقال صغير — ومن خلال تحليل هذه الاسس الثلاثة ، ان نتعرف الى مصادر فكر لينين الاستراتيجى ، والاضافات الهامة التى اضافها ، على الصعيدين النظرى والتطبيقى ، الى استراتيجية الحرب الثورية ليتكامل من كل ذلك ، اساس نظرى ، يضـاف اليه بعد التجربة العملية ودروسـها المستفادة من واقع الحرب التى خاضتها قوى الثورة الاشتراكية الوليدة على امتداد اكثر من اربعة اعوام ضد قوى الثورة المضادة وقواتمن اربع عشرة دولة ، من بينهـا امريكا وبريطـانيا وفرنسا والمانيا واليابان . هذا الاساس الـذى اصبح فيما بعد — ومازال الى يومنا هذا — نقطة المنطلق ومصدر الالهام لكل الحروب الثورية التى شهدها عالمنا خلال السنوات الخمسين الماضية، والتى استطاع قادتها العظام ان يطوعوهاللظروف المختلفة والمتغيرة ، وان يضيفوا اليه من واقـع هذه الظروف ابعادا جديدة .

لقد كان المصدر الاساسى للفكر الاستراتيجى لدى لينين ، هو ذلك التراث الضخم الذى تركه « كارل مـاركس » و « فريدريك انجلـز » فى شكل دراسـات تحليلية عميقـة لعوامل النصر والهزيمة لكل الحروب والثورات الكبـرى التى شهدتها قارات آسيا واوروبا وامريكا خلال قرن كامل ، ابتداء من حرب الاستقلال الامريكية فى السبعينات من القرن الثامن عشر الى الحـرب البروسية الفرنسية فى السبعينات من القـرن التاسع عشر .. دراسة شملت جوانب لميتعرض لها من سـبقهم من المفكرين الاسـتراتيجيين . وخاصـة تلك الجوانب التى تتصـل بالتطـور الاجتماعى لكل من طرفى الصراع، وطبيعةالحرب الناشبة بينهما ، من حيث عدوانيتها او عدالتها، ودرجة ملاءمة اشكال الحرب واساليبها المختلفة لنوعية البشر الذين يخوضونها .

واهتمام مؤسـسى الماركسية بهذا النوع من الدراسات امر طبيعى ومنطقى ، بقدر ما هـو ضرورى . فالتحول الاجتماعى الذى يبشران به ويدعوان اليه ، لا يمكن ان يتحقق بغير الثورة ، والثورة سواء فى حدودها الاقليمية او اطارهـا العالمى صراع . والصراع عندما يتصـاعد فان ذروته هى الحرب ، والقوى المعادية للثـورة الاشتراكية لن تستسلم مادامت تملك القدرةعلى المقاومة . وهذه القـوى ممثلة فى الطبقـات الرجعية الحاكمة تملك — محليا وعالميا — آلة الحرب الحديثة ووراءها قوة اقتصادية هائلة ،

وهى لن تكف عن شـن الحرب ضـد الثورة الاشتراكية حتى تقضى عليها او تقضى عليهـا الثورة الاشتراكية . ومن هنا تأتى العـلاقة الوطيدة بين الحرب والثورة . ومن هنا ايضـا تأتى ضرورة البحث عن استراتيجية تلائم قـوى الثورة فى اى من المراحل الاربع التى قد تمـر بهـا :

● مرحلة انتزاع السلطة بالعنف من الطبقات الحاكمـة .

● مرحلة تثبيت السلطة الثورية ضـد قوى الثورة المضادة المحلية .

● مرحلة الدفاع عن الثورة ضد العـدوان الخارجى .

● مرحلة دعم الثورة على النطاق العالمى .

ولقد استطاع « ماركس وانجلز » ان يصـلا الى صيغة عامة لاستراتيجية الحرب الثورية ، لا تلغى المبادىء الاساسية للحرب من جانبهـا العسكرى الصرف . ولكنها تضيف اليها بعض القوانين التى جعلت اساتذة الاسـتراتيجية فى الدول الراسمالية — اخيرا ، وبعد ان درسـوا آثار هذين المفكرين العظيمين — يعترفون بانهما يعتبران بحق مؤسـسى علم الحرب الشـاملة الحديثة . هذه القوانين هى :

١ — لابد مـن خوض الحـرب الثورية بأمة مسـلحة لموازنة تفوق العدو فى آلة الحـرب الحديثة اولا ثم التفوق عليه .

٢ — بناء جيش الدولة الثورية يجب انيستند الى جانب الكفاءة القتالية والانضباط العسكرى، على التربية السياسية والعقائدية .

٣ — عماد القوة الثورية فى الحرب ، هـو تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين .

٤ — التاهب الطويل المدى والحفاظ على قوى الثورة ضمانا لتحقيق اهدافها الاسـتراتيجية ، اهم من اى كسب او خسارة تكتيكية فى مرحلة من مراحل الصراع .

فى ضوء هذه المبادىء وعلى اساس من تقدير شامل للموقف فى سنة ١٩١٧ ، وضـع لينين استراتيجية الثورة امام المهام العاجلة والآجلة . وكان الموقف غداة استيلاء البلاشفة علىالسلطة فى اكتوبر سنة ١٩١٧ كما يلى :

● جحافل الالمان وحلفاؤهم المنتصرة والمتوغلة بالفعل داخل ارض الوطن الروس ، وليس امامها — بعد تمزق الجيش القيصرى — أى قوة تحول بينها وبين اجتياحه .

● الدمار والخراب والمجاعة والفوضى منتشرة فى كل مكان .

● الجيوب الرجعية بزعامة الاقطاعيين الكبار ومئــات مــن قــادة الجيش القيصرى تتأهب للانقضاض على الثورة .

● قوى الثورة المنظمة التى اســتولت على الســلطة لاتتعدى بضــع عشرات الالوف مــن الشيوعيين ، وقلة منها فقط هى المسلحة باسلحة عتيقة .

وهنا وقفت قيادة « لينين » امام امتحان قاس رهيب .

لقد كانت أمام اختيارين كلاهما مر :

أما ان تستأنف السلطة الجديدة حربا مــع الالمان لايمكن فى ضوء الظروف الموضوعية ان تكسبها ، فيفقد الشعب الروسى استقلاله وثورته جميعا .

وأما ان نعقد مع الالمان المنتصرين صــلحا ، لايمكن ايضا فى ضوء نفس الظروف الموضوعية ان يتم بدون تنازلات .

ولقد حاول « لينين » ان يؤجل البت فى أمــر الاختيار انتظارا لتطورات كان يتوقع حدوثها داخل المانيا تؤدى الى تمزق جبهة العدو من الداخل ، ومن ثم تفقد جيوشه على الجبهة اى قدرة على الاستمرار فى الحــرب . فعمد الى المنــاورة السياسية اثناء مفاوضات الصلح مما جعلهــا تمتد لبضعة اشهر . ولكن فى شهر مارس سنة ١٩١٨ ، وقبل حدوث الانهيار الذى توقعه لينين فى جبهة المانيا الداخلية بحوالى سبعة اشهر ، فقد الالمان صبرهم ووجهوا للحكومة السوفيتية انذارا بقبول شروطهم للصلح اواستئناف الجيوش الالمانية لزحفها على الاراضى الروسية .

وهنــا لم يكن امام « لينين » الا قبول اهــون الشرين . وعقد مع الالمان **صلح « بريســت ــ ليتوفسك »** ، خصوصـا وان قوات الثوره المضادة التى تجمعت **فى الشرق** تحت قيادة « **كولتشاك** » وفى **الجنوب** تحت قيادة « **دنكين** » ، كانت قــد بدأت زحفها فعلا فى اتجاه الشمال والوســـط لتصفية الثورة الوليدة والقضاء على حكومتها .

ثم جــاء الامتحــان الثــانى لعبقــرية لينين الاستراتيجية ، عندما تفاقم خطر الثورة المضادة حيث لم تكتف الدول الامبريالية بامــداد جيوش الخونة بالسلاح والعتاد ، بل بادرت غداة انتهاء الحرب العالمية الاولى بارسال وحدات ضخمـــة من جيوشها وجيوش توابعها من الدول المجاورة لروسيا لتشترك مباشرة فى القتال ضد الدولـــة الاشتراكية حيث وجدت نفسها فى نهاية ســـنة ١٩١٨ تحارب فى اربع جبهـــات : فى الشرق والشمال والغرب والجنوب . وهنا نلمح عبقرية لينين كاستراتيجى فذ فى مجالات اربع :

● البرنامج الذى وضعه للتعبئة فى مواجهة هذه الحرب العدوانية الشرسة .

● ادارته لدفة الحرب .

● استخلاصه للدروس المستفادة منها .

● وضع الاسس لاستراتيجية الثوره فى المدى البعيــد .

ونبدا الان بعرض موجز لاهم العناصر التى تبرز الملامح الاساسية لفكر لينين وعمله فى كل من هذه المجالات :

اولا ــ برنامج لينين فى التعبئة لمواجهـــة الحرب الاهلية وحرب التدخل [١٩١٧ ــ ١٩٢٢]

١ ــ انشاء جيش ثورى [الجيش الاحمر] تكون نواته من الشيوعيين المخلصين ، ويجند له كل المستعدين للدفاع عن الاســـتقلال الوطنى والثورة الاشتراكية من جماهير العمال والفلاحين والشباب ، مع الاستعانة بالاكفاء المحترفين من ضــباط الجيش القيصرى الراغبين فى خدمــة الجيش الجديد ، ورفض الدعوة الحمقــاء الى عدم الاستعانة بهم بحجة انهم « بورجوازيون » . خصوصا وأن هناك ضمانات تتمثل فى خضوع الجيش لقيادة الحزب والعمل السياسى المستمر فى صفوف الجيش .

٢ ــ التجنيد الشــعبى من اجل المعركة ، ابتداء من تجمعات الطبقة العــاملة الممثلة فى النقابات العمالية ، وانشاء فرق عمل لمن لا سلاح لهم ، وتكوين احتيــاطى مدرب على القتــال لاحلالهم فورا محل من يسقطون فى المعركة .

٣ ــ تنظيم الدعوه والتحريض ، بواســطة كوادر الحزب بين الجماهير . وخاصـــة بين المجندين ، مع التركيز على التعريف بالعدو وشرح اهــداف الثورة والنتــائج التى ستترتب على انتصارها او هزيمتها .

٤ ــ تركيز الحــد الاقصى من جهود وعمــل الشيوعيين ومجنديهم والعمال والفلاحين ، على المهام المتصلة بالحرب مباشرة .

٥ ــ تكوين مكاتب ولجان فى المدن والقرى ، مهمتها تنظيم توزيع المواد الغذائية والملابس مع اعطاء اولوية اولى للمجندين وعائلاتهم .

٦ ــ تكييف نشاط كل مؤسسات الدولة واعادة تنظيمها ليوافق احتياجات الحرب ، وخاصة فى مجالات الانتاج والاستهلاك .

٧ — احلال النساء فى الاعمال التى تخلو نتيجة لتجنيد الرجال .

٨ — تخفيض او تجميد الاعمال ، التى لاتسهم بشكل مباشر فى المعركة ، والاستعانة بما يوفره ذلك من الكوادر المؤمنة بالثورة فى الاعمال المتصلة بالمعركة .

٩ — الضرب بمنتهى الصرامة على ايدى المخربين واعداء الثورة .

١٠ — تنظيم حملة شاملة لاقناع المواطنين باخراج اسلحتهم المخبوءة وتسليمها للحكومة ، حتى تمد بها تشكيلات الجيش الاحمر .

١١ — تطبيق مبدأ القيادة الجماعية بعيد عن المبالغة التى تؤدى الى المماطلات البيروقراطية وتمييع المسئولية وتحول قيادة المؤسسات الى ندوات للثرثرة .. قيادة جماعية تمتنع عن اسلوب الخطب بل تسرع فى تمحيص الاراء والاقتراحات العملية المحددة واتخاذ القرارات وتنفيذها ، وتقتصر فى جماعيتها على بحث القضايا الاساسية واسناد القيادة الفعلية فى اى عمل لمسئول واحد معروف بالصلابة والعزم والقدرة على تصريف الامور ، ومتمتع بالاهلية والثقة .

١٢ — العمل فى كل المجالات على النمط الثورى [التنظيم — الدعوة — القدوة — المبادرة القائمة على الوعى والاقتناع] .

ولقد نجح هذا البرنامج الى ابعد الحدود الممكنة فى تعبئة طاقات الشعب وراء المعركة ، نجاحا كان يعد ضربا من المستحيلات ، فى مثل الظروف الصعبة التى اتسم بها واقع روسيا فى تلك الحقبة من التاريخ . ولعل الحكمة التى اتصفت بها سياسة لينين والحزب الشيوعى فى تنفيذ مثل هذا البرنامج الطموح من التخطيط العلمى والاهتمام بالجانب المعنوى والانضباط التنظيمى فى كل عمل من اعمال التعبئة ، وعدم التورط فى الاندفاع الى تحقيق كل شىء دفعة واحدة او الوقوع فى هوس تدبيج المشاريع الخيالية ، او الاسراف فى عملية الفك والتركيب للمنظمات والمؤسسات ، هى التى جنبت هذه السياسة عوامل الاخفاق .

ثانيا — ادارة لينين لدفة الحرب :

١ — كان المبدأ الاساسى الذى اتخذه «لينين» فى ادارته لدفة الحرب هو الذى عبر عنه بالكلمات الاتية :

« لايمكننا باى حال من الاحوال فى اى مناورة استراتيجية أن نقيد انفسنا باية قيود . فكل شىء يتوقف على النسبة بين القوى » .

فى هذه العبارة القصيرة القاطعة جمع لينين خلاصة المبادىء التى تقوم عليها اى استراتيجية عسكرية ناجحة . ويستطيع اى انسان على قدر من المعرفة بالاستراتيجية العسكرية ان يكتشف فى هذه العبارة مبادئها الاتية :

الحشد ، المبادرة ، حرية العمل ، المرونة ، المناورة الاقتصادية فى القوى ، المحافظة على الهدف ، الامن .

ولقد كان اتباع « لينين » لمثل هذه الاستراتيجية الغير مباشرة ، فى مواجهة عدو متفوق تفوقا هائلا فى العدد والعدة ، وفى نسبة الضباط المحترفين بين صفوفه وفى القوات الخفيفة الحركة [فرسان القوزاق] وهو فوق ذلك يتقدم زاحفا نحو قلب الدولة من اتجاهات اربعة ، كان اتباع لينين لهذه الاستراتيجية التى لخصها فى تلك العبارة الجامعة اختيارا يدل على بصيرة استراتيجية نافذة . ولقد استطاع الجيش الاحمر باتباعه لهذه الاستراتيجية ان يحقق الاتى :

● اعادة توزيع قواته باستمرار بين جبهات القتال المختلفة . وتركيزها على جبهة بعينها ، كلما تزايدت اهمية هذه الجبهة بالنسبة لمسار الحرب كلها .

● استطاع ان يختار الهدف الذى يوجه اليه ضرباته وان يحدد زمان ومكان معظم المعارك التى خاضها محققا « **تفوقا ساحقا فى القوى فى اللحظة المناسبة والمكان المنسب** » .

● تمكن من اجبار العدو على بعثرة قواته ، بعثرة افقدتهما ميزة التفوق التى كانت تتمتع بهما فى العدد والعدة .

● استطاع ان يستوعب بعض الهزائم التكتيكية التى ترتبت على اخفاقه احيانا فى حشد القوى الكافية فى اتجاه الضربة ، كما حدث فى هجوم اغسطس ١٩١٩ فى الجبهة الجنوبية ، وهجوم مايو ١٩٢٠ فى الجبهة الغربية . وذلك بمحافظته دائما على الهدف الرئيسى للمعركة ، وهو انهاك العدو ثم القضاء عليه حيث وجد ، والاستيلاء على ماتحت يده من ارض وموارد ذات اهمية قصوى لاستمرار الحياة وتطهير الارض منه

● مكنته هذه السياسة من تنسيق التعاون التام بين جميع الجبهات — باستثناء حالات قليلة

ـ تنسيقا وفر له مرونة فائقة في اختيار اسلوب القتال تبعا للمواقف المتغيرة على مختلف الجبهات، تلك المرونة التى عبر لينين عن اهميتها بقوله : **« يجب تغيير طرق الصراع ضد العدو تبعـــا لتغيير الموقف »** .

٢ ـ اعتمدت قوات الجيش الاحمر ، الى حد كبير ، على التموين المحلى لتوفير احتياجاتهـــا وعلى التجنيد المحلى ايضا من بين المواطنين ، محققة بذلك التحاما حقيقيا بين الجيش والشعب وكان للعمل السياسى لكوادر الحزب ولتصرفات العدو الوحشية ضد ســـكان المناطق المحتلة ، الفضل فى مبادرة المواطنين ـ متطوعين ـ الى امداد الجيش بكل ما يستطيعون توفيره من مؤن ورجال واسلحة .

٣ ـ لم تغفل القيادة اهمية تنظيم تشكيلات الانصار التى تقوم بحرب العصابات فى مؤخرة العدو . وقد قامت عناصر من البلاشفة بتكوين هذه المنظمات اساسا من سكان المناطق المحتلة ، واعتمادا على مساندتهم وحمايتهم . ولقد قامت هذه المنظمات باعمال رائعة ضد مؤخرة العدو ، متعاونة مع قيادة الجيش الاحمر . ووصل عدد المنتظمين فيها ، فى نهـــاية عام ١٩١٩ ، الى خمسين الف مقاتل .

٤ ـ كان « لينين » يدرك منذ البداية اهمية تكوين احتياطى دائم للجيش الاحمر . ولقد كان للتأييد المستمر الذى اكتسبته الثورة بين جماهير العمال والفلاحين والشباب ، الفضل الاكبر فى توفير هذا الاحتياطى الذى تكفل بتعويض خســـــائر الجبهات ودعمها بقوة اكبر . وفى منتصف عام ١٩١٩ اصبح للجيش الاحمر احتياطى استراتيجى ساعد على توجيه ضربات قاصمة الى العدو .

٥ ـ لم تصرف مهام الحرب لينين ولا اللجنة المركزية عن قضـــية بناء الاشـــتراكية ، ادراكا للارتباط العضوى بين الحرب الثورية وقضـــية النظام الثورى الذى تدافع عنه . ولذا فاننا نجد لينين يوجه اهتماما خاصا لمعالجة قضايا مرحلة التحول الاشتراكى على الصعيدين الايديولوجى والتطبيقى .

٦ ـ بالرغم من تضـــاؤل امكانيات الدولـــة السوفيتية الوليدة على المناورة الخارجية بسبب الحصار الذى فرضته عليها القوى الامبريالية ، الا انها لم تغفل الاستفادة من كل فرصة اتيحت لها لاستغلال تناقضات الجبهة المعادية بضربها من الداخل وتفتيت قواها ، ولم تنجح فقط فى استقطاب اعداد كبيرة من الروس المنضمين الى قوات الثورة المضـــادة ، بل نجحت ايضـــا فى استقطاب اعداد من جنود الجيوش الاجنبيـــة الغازية .

ثالثا ـ الدروس التى استخلصـــها لينين من الحـــرب :

استخلص « لينين » من واقع التجربة التى واجهتها الثورة خلال الحرب الاهلية وحـــرب التدخل ، دروسا ، اكد بعضها صحة ما وصـــل اليه « ماركس وانجلز » من قبل ، واضاف البعض الاخر مبادىء اثرى بها «لينين» النظرية الماركسية فى استراتيجية الحرب الثورية .

ولقد كان « لينين » يتتبع الحرب فى مراحلها المتطورة بذهنه المتوقد ونظرته النافذة ، يومـــا بعد يوم ، محللا احداثها ، ومستخلصا الدروس من تجاربها الحية ، ومبادرا على الفور الى العمل على الاستفادة الكاملة من هذه الدروس .

وقد يكون من المستحسن ان نتتبع فكر «لينين» فى عرض لخلاصة هذه الدروس من واقع عدد من رسائله وتقاريره فى الفترة التى بلغت فيهـــا الحرب ذروتها :

ففى رسالة وجهها على صفحات البرافدا الى العمال والفلاحين فى ٢٤ اغسطس سنة ١٩١٩، بعد ان حققت قوات الجيش الاحمر نصرا كبيرا بتحرير الاورال من جيش كولوتشاك واندفاعها الى تحرير سيبيريا ، عرض لينين للدروس الاتية :

١ ـ اهمية البناء القوى لجيش ثورى يتسم الى جانب التزامه العقـــائدى بأعلى درجـــات الانضباط العسكرى .

٢ ـ ان الجيش لايمكن ان يكون قويا ، مالم يتوافر للدولة احتياطى من الحبوب .

٣ ـ لابد للنظام الثورى ان يكون صارما وحازما

مع اعدائه ، والا يتهاون فى معاقبة اولئك الذين يعملون بوسائل مختلفة على تخريبه والاطاحة به.

٤ ــ ان سيادة الفكر المعادى للثورة ، يفتح ثغرة فى جبهة الوطن أمام العدو .

٥ ــ تحالف العمال والفلاحين فى الدولة الاشتراكية ، شرط ضرورى لانتصارها على اعدائها .

وفى خطابه الى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وبعد تحقيق النصر فى جبهة سيبيريا ، عرض « لينين » الدروس التالية المستفادة من الحرب :

١ ــ ان واقع التجربة التى تمت فى سيبيريا تؤكد ان الحرب الثورية التى تشنها الشعوب المظلومة ، مهما بلغت هذه الشعوب من الضعف، فانها لا تقهر .

٢ ــ ان صلابة الجبهة الداخلية تتزايد مع تعاظم الحماس الثورى لدى الجماهير .

٣ ــ ان الحرب ليست امتحانا فقط لقوة البلاد العسكرية ، ولكن ايضا لجميع قواها الاقتصادية والتنظيمية .

٤ ــ أن السلطة الثورية ، تتوطد نتيجة للعدوان الاجنبى .

٥ ــ ان هزيمة التدخل الامبريالى ، فى اى موقع ، تساعد بشكل مباشر على هزيمته عالميا .

٦ ــ أن الامبريالية ، لاتستطيع ان تحقق من وراء تحريضها لشعوب اخرى على ان تحارب لها حربها ، مافشلت هى فى ان تحققه بحربها المباشرة .

وفى رسالته الى عمال وفلاحى اوكرانيا بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٩ ، اضاف «لينين» الى دروس الحرب ، درسين يتميزان بانهما يتجاوزان النطاق المحلى الى الصعيد العالمى وهما :

١ ــ أن وحدة البروليتاريا العالمية ضد الراسمالية العالمية واجب له اهميته الكبرى فى دعم حركة التحرر العالمى فى مواجهة الامبريالية .

٢ ــ اهمية التحالف الاختيارى بين الامم المتحررة فى كسب المعركة ضد الامبريالية العالمية .

رابعا ــ الاسس التى تقوم عليها استراتيجية الثورة فى المدى البعيد :

وفى الوقت الذى بلغت فيه الحرب ذروتها ، واصبح النصر النهائى لقوى الثورة على الخونة والمعتدين الاجانب مجرد مسألة وقت ، لم يفت « لينين » ــ وهو يتقدم بتقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر التاسع للحزب فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٠، ــ ان يعرض بشكل مجمل للاسس التى تقوم عليها الاستراتيجية الناجحة للحرب الثورية . لقوى الثورة والتقدم ، لايمكن أن يتحقق الا بالهزيمة النهائية لقوى الرأسمالية والامبريالية العالمية . وفيما يلى الاسس التى استخلصناها من هذا التقرير التاريخى :

١ ــ الحشد الكامل لقوى الشعب فى المعركة .

٢ ــ مركزية القيادة .

٣ ــ الانضباط .

٤ ــ استغلال التناقضات الداخلية فى جبهة العدو ، لاحداث انشقاقات فى صفوفه تؤدى الى اضعافه .

٥ ــ استمرار المناورة الخارجية واهميتها فى تفتيت الاحلاف المعادية وعزل اجزاء منها .

٦ ــ استمرار الاستعداد للحرب ، لإن الجيش القوى هو الضمان الوحيد ضد تدخل امبريالى مجدد .

٧ ــ وعى الطبقة العاملة وثباتها وصلابتها فى تحقيق شعار « الموت ولا الاستسلام » ، تشكل العامل الحاسم فى النصر .

٨ ــ بناء القوة الاقتصادية للدولة الاشتراكية .

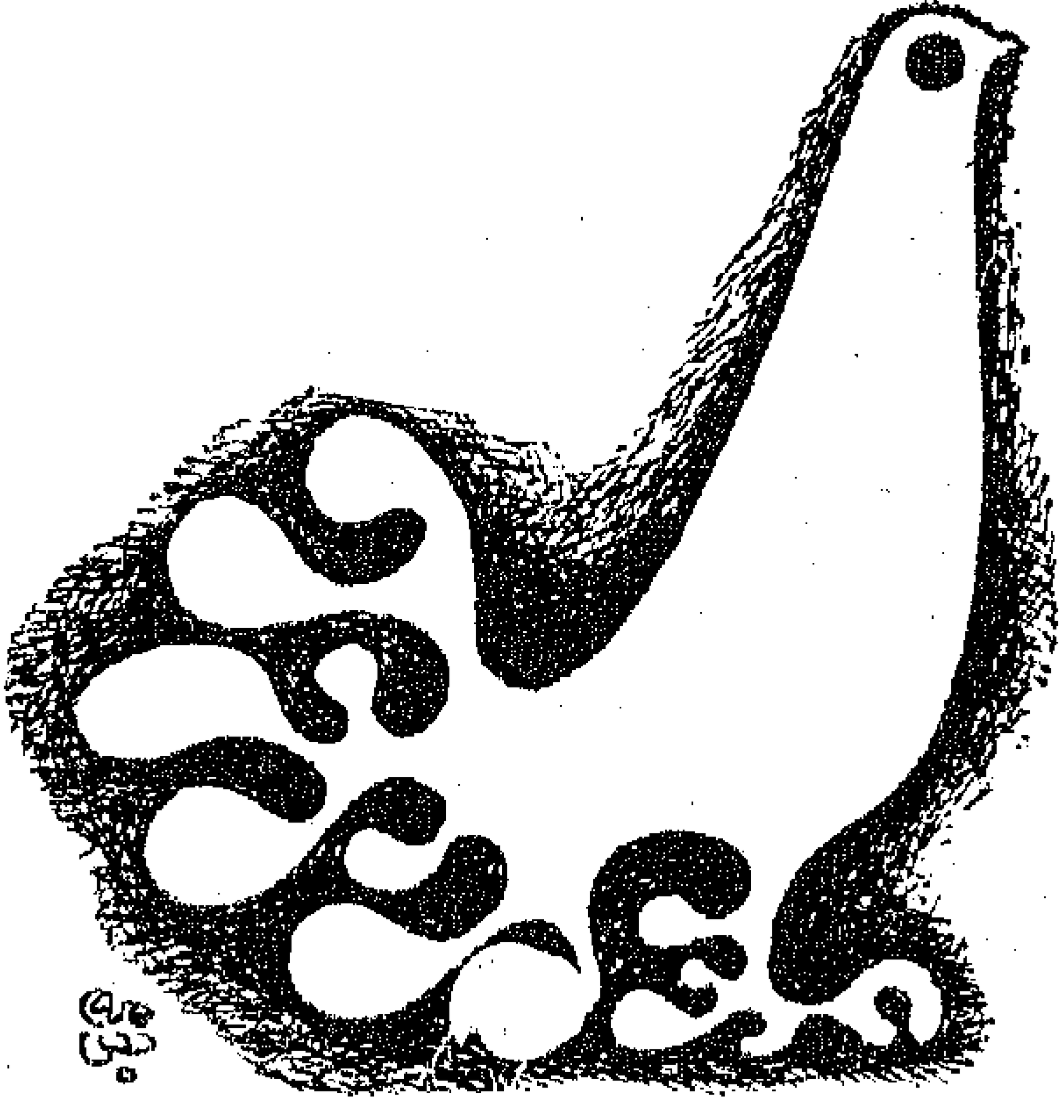
٩ ـ تأكيد سلطة الطبقات الكادحة .

١٠ ـ بناء الدولة العصرية بالعلم والتكنولوجيا .

ورغم مضى خمسين عاما ، حدثت خلالهـا تطورات خطيرة فى اوضاع القوى وعلاقاتها وفى شكل الحرب واساليبها وادواتها ، فان هذه الاراء المستنيرة لذلك الرجل العظيم لم تبل جدتها ، ومازالت ـ وستظل دائما ـ نبراسا يضيء طريق النضال امام الشعوب المكافحة من اجل التحرر والتقدم ، المصممة على الاستمرار فى مصارعة قوى العدوان والاستغلال ، ايا كانت اسماؤها حتى تصرعها ، وهى لاشك فاعلة ، فهذه سنة التطور واتجاه حركة التاريخ . ولن تقف عمليه التطور او تتراجع حركة التاريخ ، ولو نطحتها اضعاف الرؤوس الحمقى المنتشية بخمر الغرور المسمومة ، فى واشنطن وتل ابيب .



لينين وقضية التعايش السلمى



خالد محيى الدين

برزت شخصية « **لينين** » امام الانسانية كقائد ومنظم ومفكر لاعظم ثورة فى التاريخ المعاصر ، ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

فلينين الذى أستطاع أن يتمثل الفكر الماركسى وأن يفهم بوعى الواقع الروسى وأن يحدد نظرية العمل الثورى الروسى ، أستطاع أيضا أن يطور تطويرا خلاقا كثيرا من جوانب النظرية الماركسية بصورة تتفق وظروف العصر .

ان الانجاز الحقيقى للينينية ، هو انها قد حددت وطورت بشكل خلاق استراتيجية وتاكتيك الثورة البروليتارية فى العالم أجمع .

ولفترة من الوقت تركز الصراع الفكرى فى صفوف الماركسيين حول قضية اساسية ، هى طبيعة الثورة المرتقبة : هل هى ثورة عالمية (ويقصد بعالمية هنا أن تشمل فى وقت واحد كل أو معظم بلدان أوربا المتقدمة) أم أنه من الممكن القيام بالثورة فى بلد واحد .. او كما قال لينين توجيه الضربة الى اضعف حلقات السلسلة الرأسمالية ... ؟

كارل كاوتسكي

فيلسوف الجناح اليميني للدولية الثانية . ولد في براغ ثم نزح الى المانيا في ١٨٨٠ حيث حصل على الجنسية الالمانية ، وابتداء من ١٨٧٠ كان يلعب دورا نشيطا في صحافة الاشتراكيين الديمقراطيين .

في ١٨٨١ التقى بماركس وانجلز .

ومنذ ١٨٩٠ كان كاوتسكي هو الفيلسوف الاول للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني . وقد أصدر عددا كبيرا من الكتب اسهمت في نشر الفكر الماركسي لكنها تضمنت أخطاء فادحة تتنافى مع الاسس الماركسية . وقد بادر انجلز الى توجيه انتقادات عنيفة لكاوتسكي على هذه الاخطاء .

وقد ركز لينين في صراعه ضد الانتهازية اليمينية على تفنيد حجج وآراء كاوتسكي .. ومن بين انتقاداته لاراء كاوتسكي قوله « لقد تحدث كاوتسكي طويلا عن الثورة السياسية لكنه لم يقل كلمة واحدة عن الاستخدام الثوري للمواقف الثورية » . وقال لينين ايضا « أن كاوتسكي قد تجنب تماما الحديث عن ضرورة الاطاحة بجهاز الدولة البرجوازي واحلال جهاز بروليتاري بدلا منه » وقد كتب لينين كتابا كاملا في نقد فكر كاوتسكي بعنوان « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

وفي ١٩١٠ كون كاوتسكي ما اسماه « المجموعة المركزية » داخل صفوف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني .. وبعد ذلك بدأ كاوتسكي يتحدث صراحة عن رفضه لفكرة الثورة .

وباختصار فان كاوتسكي يعتبر في نظر الماركسية اللينينية نموذج للانتهازي الذي قاده انحرافه عن المبادىء خطوة فخطوة نحو الخيانة الكاملة للمبدأ الماركسي .

وفي وجه دعاة الثورة العالمية من « **التروتسكيين** » أكد « **لينين** » امكانية قيام البروليتاريا بالثورة في بلد واحد ، وتأسيسها لسلطة ديكتاتورية البروليتاريا في جزيرة محاطة بالنظم الاستغلالية .

ومن هذا المنطلق النظري كان من المحتم البحث عن الصياغة الملائمة للعلاقة بين هذه الجزيرة البروليتارية وبين المحيط الرأسمالي .. وكانت الاجابة هي : **التعايش السلمي بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .**

أي أنه من الممكن اقامة نوع من السلام المستقر بين هذه الانظمة الاجتماعية المختلفة ، والحقيقة ان الفكر الماركسي قد ادرك منذ أمد بعيد طبيعة الحرب ومسبباتها الحقيقية ، وانها كما قال لينين « **ليست مجرد مصادفة سيئة ، او خطيئة ارتكبت من أحد الاطراف** » . وانما هي نتاج طبيعي سياسي واجتماعي لظروف محددة .

كذلك أكد مؤسسا النظرية الماركسية واجب الاشتراكيين في السعي للسلام لان الحرب لا تخدم سوى مصالح الطبقات الاستغلالية . وفرق « **ماركس** » « **وانجلز** » تفريقا واضحا بين الحرب العدوانية وبين الحروب الدفاعية أو الحروب التحررية .

بين الثورة العالمية و التعايش السلمي

ونبعت من هذه الفكرة فكرة أخرى بالغة الاهمية هي : **هل يتحتم على البروليتاريا المنتصرة أن تحاول فرض الثورة على أماكن أخرى ؟ هل يمكن تصدير الثورة الى بلد آخر .. اوتصدير امكانيات التحول الاشتراكي الى بلد لم تنضج فيه هذه الامكانيه بعد ؟**

وهذا التساؤل يحدد بطبيعة الحال امكانية اقتران السلام والتعايش السلمي بين سلطة البروليتاريا التي انتصرت في بلد واحد ، وبين بقية البلدان الرأسمالية ، فلو ان هذه السلطة البروليتارية قد حددت أن واجبها هو مواصلة شن الثورة في أماكن أخرى . أو بالدقة تصدير العمل الثوري الى بلاد أخرى فلا مجال هناك للتعايش مع الانظمة الاخرى . ولا مناص من مواصلة الحرب الثورية لتقويض هذه الانظمة .

ولكن ماركس وانجلز قد أكدوا أن الثورة هي نتاج اجتماعي لظروف موضوعية محددة ، وأن محاولة تصديرها أو غرسها في تربة غير مستعدة لذلك هو أمر غير ممكن .

وفي ١٢ سبتمبر ١٨٨٠ كتب انجلز الى « كاوتسكي » يقول : « ان البروليتاريا المنتصرة لاتستطيع أن تفرض منح « بركاتها » على أية أمة أخرى ، والا فأنها سوف تدمر انتصارها ذاته » .

وهكذا فان الصراع بين اللينينية والتروتسكية كان يدور حول قضية أساسية هي : هذه البروليتاريا التي حققت انتصارها في بلد واحد ، هل تركز جهودها من أجل الدفاع عن مكتسباتها وأن تطور وطنها من أجل خلق قلعة للاشتراكية في هذا البلد .. أم انها تواصل الثورة ضد الانظمة البورجوازية في البلدان الاخرى ؟

وهكذا أيد لينين فكرة عقد **صلح برست ليتوفسك** مع الالمان حماية للوطن الاشتراكي الوليد وتمكينا له من بناء نموذج اشتراكي على أرض روسيا . بينما كان تروتسكي يرى الاعتماد على الثورة في المانيا .. ومنع توقيع الصلح .

وفى هذا الصدد اكد « لينين » اكثر من مرةان الجمهورية السوفيتية لم تأخذ مطلقا على عاتقها ان تعمل على تغيير العالم بأسره ، وانه يكفيها تماما أن تقدم نموذجا أشتراكيا ناجحا على أرضها • وأن توضح أنه من الممكن خلق نظام جديد يكفل للشعب حياة افضل من تلك التى تكفلها له الانظمة البورجوازية ، وانه من خلال اقامة هذا النموذج الناجح فان ملايين الكادحين فى مختلف أنحاء العالم سوف ينطلقون نحو الثورة • وسوف يجدون فى ثورتهم هذه المساندة والتعضيد من الوطن الاشتراكى •

لكن ما هو نوع هذه العلاقة الجديدة بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وما هو الفرق بينها ، وبين الدعوة القديمة لفكرة السلام ؟

السلام والتعايش السلمى

الدعوة للسلام فكرة قديمة قدم أول نزاع نشب بين البشر ، وهى تستهدف أقرار حياة مسالمة وحلول سلمية للمشكلات التى تنشب بين الافراد والجماعات والامم •

فاسلوب النزاع المسلح والحرب ، أسلوب قديم نشب بين الافراد والجماعات والامم لاسباب عديدة ومتنوعة •

وفى مرحلة التطور الراسمالى نشبت الحروب بين الدول الراسمالية ذاتها ، سعيا وراءاقتسام أفضل للاسواق ولمصادر المواد الخام • العلاقة هنا أذن تقوم سواء فى السلم أو الحرب بين دول وجماعات ذات أنظمة أجتماعية واحدة أو متقاربة •

أما الجديد فهو محاولة خلق الصياغة الملائمة للعلاقة بين الدولة الاشتراكية الوحيدة وبين الدول الرأسمالية الاخرى ، العلاقة بين دول ذات أنظمة أجتماعية وسياسية مختلفة •

وحول أبعاد هذه السياسة الجديدة سياسة « التعايش السلمى » قدم لينين مواقف هامة تسترعى الانتباه •

ففى حديث له مع مراسل الجريدة الامريكية **شيكاغو ديلى نيوز** فى٥/١٠/١٩١٩سأله المراسل هل الحكومة السوفيتية على أستعداد لان تضمن بشكل مطلق عدم تدخلها فى الشئون الداخلية للدول الاجنبية ؟

واجاب لينين : نحن على استعداد لضمان ذلك •

وسأل المراسل : ما هو موقف الحكومة السوفيتية من الاتفاق الاقتصادى مع أمريكا ؟

وأجاب لينين : نحن نؤيد تأييدا كاملا التعاون الاقتصادى مع جميع البلاد وخاصة أمريكا •

وفى حديث صحفى آخر مع جريدة « **نيويورك ايفننججورنال** » سأل المراسل : ما هى اسس السلام مع أمريكا ؟ **فقال لينين** : الا يمسنا الرأسماليون الامريكيون ، ونحن من جانبنا لن نمسهم ، بل اننا مستعدون لان نسدد لهم بالذهب ثمن الالات والاجهزة التى نشتريها منهم •

وسأل المراسل : وما هى العقبات فى وجه سلام كهذا ؟

فأجاب لينين : لا توجد أية عقبات من جانبنا •• وانما هناك عقبات من جانب الرأسماليين الامريكيين •

الظروف الموضوعية لروسيا

كانت هذه هى الافكار المبدئية لسياسة التعايش السلمى ، لكن الظروف التى لابست قيام الثورة الاشتراكية فى بلد كروسيا أضفت مواقف موضوعية محددة •

فروسيا ، هذا البلد الضخم الموارد والامكانيات المادية والبشرية ، كان متخلفا الى حد كبير اذا ما قورن بالغرب الرأسمالى المتطور فى ذلك الحين •

والمشاريع والامال التى وضعها البلاشفة لتطوير روسيا كانت بحاجة الى عنصرين هامين : الخبراء والفنيين الاجانب ، والاستثمارات والمساعدات الاقتصادية الاجنبية • وقد أصبحت هذه الحاجة الملحة ، أحد الشعارات الاساسية لسياسة التعايش السلمى فى ذلك الحين •• متمثلا فى شعار التعاون الاقتصادى على أسس متكافئة •

كذلك فان الدولة الاشتراكية الوليدة التى ورثت تركة مثقلة ، والتى كانت بحاجة الى فترة من الوقت تتمكن فيها من أعادة بناء البلاد وتصنيعها والنهوض بالمستوى الصحى والتعليمى والاجتماعى للمواطنين • وباختصار كانت بحاجة من الوقت لتقيم ركائز المجتمع الاشتراكى الجديد •• هذه الدولة كانت فى اشد الحاجةالى السلام •

ومن هنا فان السلام قد تحول من مجرد مطلب فطرى وفكرة انسانية يتمسك بها الاشتراكيون

بحكم تفهمهم لطبيعة الحروب ، وبحكم ايمانهم بقيمة الانسان ، الى مطلب عملى ملح يتمثل فيه الضمان الوحيد لنجاح البناء الجديد ، ولامكانية اقامة الاشتراكية على أرض روسيا .

ومن ناحية أخرى فان الغرب الرأسمالى ، بعد أن استمر لفترة من الوقت منتهجا سياسة فرض الحصار على الدولة السوفيتية فى محاولة لخنق الجنين الاشتراكى قبل ان ينمو ، ما لبث أن اجبر على أقامة علاقات أقتصادية متزايدة مع الاتحاد السوفيتى .

فهو من ناحية ، وجد ان هذا الحصار يزيد من عزيمة السوفييت على خلق جهاز متكامل للانتاج حتى يمكن للدولة السوفيتية الاعتماد على نفسها تماما ، سواء فى مجالات الانتاج المدنى او العسكرى .

ومن ناحية أخرى ، فان الازمة الاقتصادية العنيفة التى حاقت بالدول الرأسمالية جميعا فى نهاية العشرينات ، قد دفعت عديدا من الدول والاحتكارات الرأسمالية الى محاولة ايجاد مخرج لها من هذه الازمة ، وذلك من خلال تعاون أقتصادى مع بلد ضخم كالاتحاد السوفيتى .

وهكذا فان الواقع نفسه كان يفرض على المجتمع العالمى فكرة التعايش السلمى ، ويحولها من امكانية نظرية ومن حل أفضل الى ضرورة ملحة ، يشعر بالحاجة اليها كلا النظامين الاجتماعيين .

الخطوات العملية

ومنذ اللحظة الاولى لانتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا ، بدأ « لينين » فى وضع الخطوات العملية لسياسة التعايش السلمى . فكان **ميثاق السلام** وما تبعه من اجراءات هامة مثل الغاء كافة الاتفاقيات غير المتكافئة التى عقدتها الحكومات القيصرية ، وفضح المعاهدات السرية التى أبرمتها ، واعلان تنازل السوفييت عن كافة الامتيازات التى حصلت عليها الحكومات القيصرية بموجب هذه المعاهدات والاتفاقيات .

وفى مؤتمر « **جنوا** » الذى عقد فى أبريل ١٩٢٢ ، وقف **تشيشيرين** ليعلن مقترحات السوفييت من أجل اقامة تعايش سلمى بين النظامين الاجتماعيين المختلفين : الاشتراكى والرأسمالى .

وهى سياسة تدعو الى التعاون الاقتصادى على أساس المنفعة المتبادلة ، واقامة تجارة متكافئة وعلاقات سياسية على أساس من المساواة ، والعمل على الحد من سباق التسلح مع تحريم انتاج واستخدام أسلحة القتل الجماعى وتعديل ميثاق عصبة الامم بحيث يصبح بحق ميثاقا يكمل تحقيق سلام العالم .

لكن الدول الرأسمالية رفضت هذه المقترحات جميعا ..

الموقف من حركة التحرر الوطنى

ومع تبنى الدول السوفيتية لسياسة التعايش السلمى مع الدول الرأسمالية والاستعمارية برز تساؤل هام هو : **هل يمكن لهذه السياسة أن تؤثر على الالتزام الاممى لدولة البروليتاريا بمساندة حركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار والتحركات الثورية فى أى مكان من العالم ؟**

ليون تروتسكى
(١٨٧٩ ـ ١٩٤٠)

اسمه الحقيقى ليف دافيدوفتش برنشتين .
نفى عدة مرات الى سيبيريا ، لكنه تمكن من الهرب فى ١٩٠٢ حيث غادر البلاد ليقيم حتى عام ١٩١٧ فى فرنسا وبلجيكا والمانيا .

وكان تروتسكى من دعاة الثورة العالمية . واعلن انه يستحيل ضمان انتصار واستمرار الثورة فى روسيا أو فى اى بلد اخر ما لم تنجح البروليتاريا فى كل أو معظم أوربا الغربية فى الاستيلاء على السلطة .

وقبل ثورة اكتوبر شن تروتسكى هجومه ضد لينين وضد برنامج الحزب البلشفى لتحقيق الثورة فى روسيا . وفى ١٩١٧ وبعد ان تفرقت المجموعة الصغيرة التى كانت قد التفت حوله اعلن انضمامه للحزب البلشفى . وفى أعقاب الثورة عين قوميسيرا للشئون الخارجية .

وقد تعرضت تصرفاته فى فترة ما بعد الثورة لانتقادات شديدة من جانب الرفيق لينين . وخاصة عندما رفض الموافقة على توقيع صلح برست ليتوفسك مع الالمان بحجة اتاحة الفرصة للثورة الالمانية فى أن تشتعل أثناء احتجاز الجيش الالمانى على الجبهة الروسية .

وبعد وفاة لينين تزعم تروتسكى التيار المعارض لستالين . وفى ١٩٢٧ طرد تروتسكى من الحزب وفى ١٩٢٩ غادر الاتحاد السوفييتى الى تركيا حيث أقام هناك حتى ١٩٣٣ ومنها الى فرنسا ثم النرويج واخيرا استقر فى المكسيك حيث أعلن تأسيس الدولية الرابعة .

وقد ركز تروتسكى وانصاره هجومهم على الاتحاد السوفييتى الى الحد الذى تقاربوا فيه مع النازى خلال هجومهم على الاراضى السوفيتية .

وفى ١٩٤٠ أغتيل تروتسكى بيد أقرب الناس اليه .

منظمة الوحدة الافريقية

في مايو ١٩٦٣ - بأديس أبابا [اثيوبيا] - عقد المؤتمر التأسيسى لمنظمة الوحدة الافريقية وحضرته ٣٠ دولة افريقية من ٣٢ دولة مستقلة وجهت لها الدعوة [لم تحضر المغرب وتوجو وانضما بعد ذلك] ، بالاضافة الى ٢١ شخصا من ممثلى المنظمات والاحزاب الوطنية فى الدول التى لم تستقل بعد . وتضم المنظمة اليوم ٤١ دولة مستقلة .

وقد تعرضت المنظمة بعد وقوع سلسلة الانقلابات العسكرية فى غرب ووسط افريقيا ، لعدد من المشكلات وقفت وراءها بعض دول التجمعات السابقة على تأسيس المنظمة ، وابرزها مجموعة ((الافرومالاجاش)) . وذلك نتيجة لتزايد عدد القوى الرجعية .

وتعد «لجنة التحرير» واحدة من أهم اجهزة المنظمة ، وهى تقوم بتنظيم وتنسيق عمليات المساعدات المادية والعسكرية من الدول الاعضاء الى المنظمات والاحزاب الوطنية التى تحمل السلاح من أجل تحرير بلادها .

والحقيقة أن « لينين » قد أوضح بحسم ومنذ اللحظة الاولى أنه لا تناقض مطلقا بين التعايش السلمى ، وبين مساندة حركة التحرر الوطنى ، وحركة الثورة فى البلدان الاخرى .

وأوضح الفارق الكبير بين فكرة تصدير الثورة الى بلد آخر وبين المساندة الواجبة لاية انتفاضة ثورية نبعت من الظروف الموضوعية لهذا البلد او ذاك .

كذلك أكد « لينين » أن التعايش السلمى مع الدول الاستعمارية ، لا يعنى مطلقا أتخاذ أى موقف متهاون تجاه حركة التحرر فى المستعمرات والبلدان التابعة .

وتطبيقا لهذه السياسة فقد ساندت الحكومة السوفيتية بحزم ، ليس فقط الحركات التحررية فى كثير من أنحاء العالم ، وأنما أيضا ساندت الحكومات ذات الاتجاه الوطنى بهدف تمكينها من أتخاذ مواقف أكثر صلابة ضد الاستعمار .

ولعل العلاقات الوثيقة التى قامت بين الدولة السوفيتية وبين ، افغانستان وبين حكومة كمال اتاتورك فى تركيا واعلان استعداده لمساندة الثورة المصرية بقيادة سعد زغلول ، هى خير دليل على صدق هذا الموقف فى التطبيق العملى .

واخيرا : فان التطورات التى طرأت على العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكنتيجة لهذه الحروب ، قد خلقت ظروفا جديدة مواتية اكدت صحة السياسة اللينينية فى التعايش السلمى ، وقدم لها أمكانيات أكثر وفرة فى دعمها وتعزيزها .

فالبلد الاشتراكى الواحد تحول الى معسكر ضخم يضم عديدا من الدول ويمثل ثقلا ضخما فى العالم .

وحتى هذا البلد الواحد ، فأنه قد نما بشكل هائل ليكون قوة أقتصادية وصناعية وعسكرية ضخمة قادرة على كبح جماح الامبرياليين الى حد غير قليل .

كذلك فان التطورات التى طرأت على العالم قد أتاحت الفرصة لظهور عدد جديد من الدول المستقلة التى تحررت الى حد كبير من التبعية للاستعمار ، والتى تسعى الى انتهاج طريق مستقل وسياسة مستقلة ، هذه الدول وقفت بحكم الظروف الموضوعية الى جانب فكرة التعايش السلمى بين المعسكرين الكبيرين .

كذلك فان التطور الهائل الذى طرأ على أنتاج الاسلحة الذروية والصاروخية ، والتقدم الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى فى هذا المجال .. كل هذه العوامل أدت الى تعزيز سياسة التعايش السلمى والى تمكينها من أن تنطلق من مواقع أكثر قوة وأكثر تأثيرا .

والحقيقة أن نفس القضية القديمة قد عادت لتثور من جديد : **هل تؤدى سياسة التعايش السلمى الى تعزيز حركة التحرر الوطنى أم الى أضعافها ؟ وهل هناك خطر من الاستمرار فى هذه السياسة على أمكانيات حركة التحرر الوطنى :**

لكن خبرة السنوات الماضية تقدم الاجابة الصحيحة :

فان التزام الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى لسياسة التعايش السلمى ، لم يقف عائقا مطلقا أمام التأييد المستمر والمساندة الفعالة لحركات التحرر الوطنى وتعزيزها .

ان خبرات الاعوام الماضية وتجارب الحاضر ، تؤكد أن سياسة التعايش السلمى كانت ولا تزال هى المنهج الاشتراكى السليم . وأنها تمثل فى نفس الوقت ضمان لتطور ونمو عديد من الدول المستقلة حديثا ، وأنها لم تقف يوما ما عائقا أمام تقديم المساندة الكلية والشاملة لحركات التحرر الوطنى ولحركة القوى التقدمية فى العالم أجمع .

لقد تبنت مجموعة « **دول باندونج** » مبادىء التعايش السلمى وكذلك تبنتها الدول الافريقية المستقلة المنضمة الى **منظمة الوحدة الافريقية** كأساس لسياستها الخارجية ، لكن ذلك لم يمنعها

في نفس الوقت من تقديم المساندة المادية لحركات التحرر الافريقية الاسيوية .

وأظهرت بوضوح أن مجال سياسة التعايش السلمى ، لا يقتصر على صراع الشعوب ضد القهر الاستعمارى والعنصرى ، وأنما مجالها هو العلاقات بين الدول المستقلة ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

وان الابتعاد عن استخدام القوة فى حل المشكلات الدولية يخدم بالدرجة الاولى الدول المستقلة حديثا .

لقد أثبتت مبادىء لينين للتعايش السلمى ، أنها تمثل الحل العملى الوحيد لاسلوب الصراع الجديد الذى برز فى المجال العالمى تحت ظروف التهديد باشعال حرب نووية وصاروخية .

صلح برست ليتوفسك

فى أعقاب ثورة أكتوبر ١٩١٧ . أصدر البلاشفة مرسوم السلام يدعون فيه جميع الاطراف المتحاربة للدخول فى مفاوضات لانهاء حالة الحرب .

لكن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وحلفاءهم رفضوا فكرة التفاوض مع الدولة السوفيتية . وهكذا قرر لينين التفاوض مع الالمان لانهاء حالة الحرب معهم حتى تتفرغ دولة السوفييت لمواجهة المصاعب الداخلية وحروب التدخل وحتى يمكن للدولة الجديدة بناء جيش جديد بدلا من الجيش القيصرى الذى كان قد تفكك تماما .

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ بدأت المفاوضات . وفى ٢ ديسمبر وقعت اتفاقية هدنة . وعلى الفور بدأت مفاوضات لعقد اتفاقية سلام . وفى المفاوضات بدأ الامبرياليون الالمان يطالبون بشروط غاية فى الاجحاف فى محاولة لاجبار السوفييت على قبول صلح غير مشرف . لقد طالبوا بالاحتفاظ بالاراضى التى تحتلها جيوشهم من الوطن السوفييتى مثل لتوانيا وبيلوروسيا وجزء من لاتفيا . بل انهم طالبوا بفصل أوكرانيا عن الاتحاد السوفييتى .

وقد ووجهت مسألة عقد صلح مع الالمان مع تقديم بعض تنازلات بمعارضة شديدة من جانب التيارات اليمينية واليسارية على السواء

وكانت وجهة نظر تروتسكى تتلخص فى ان الصلح يعنى اتاحة الفرصة للامبرياليين الالمان لنقل أكثر من نصف مليون جندى من الجبهة الروسية واستخدامهم فى كبت الثورة الالمانية .. وقال أن الواجب الاممى يحتم على السوفييت مواصلة الحرب ضد الالمان مساندة للثورة الالمانية الوشيكة الاندلاع . وقد استطاعت هذه الحجج أن تكسب الى صفها بعض لجان الحزب التى طالبت بوقف المفاوضات مع الالمان .

ورفض لينين ذلك وقال ان اكبر خدمة يمكن ان تقدم للثورة البروليتارية فى العالم هى انقاذ الوطن السوفيتى ، وقال اننا لا نستطيع ان نحارب .. ان جيشنا غير قادر على مواجهة الالمان وليس امامنا سوى أن نقبل صلحا غير مشرف .. لكنه ليس صلحا أبديا . فلسوف نبنى قوتنا وساعتها سنسوى الامر بصورة أفضل .

ومع تصاعد الخلاف عرض الامر على مؤتمر عاجل يضم أعضاء اللجنة المركزية للحزب البلشفى والمندوبون البلاشفة فى المؤتمر الثالث للسوفييت وعقد المؤتمر فى ٨ يناير ١٩١٨ .. وفى هذا المؤتمر خاض لينين صراعا مريرا ضد الاتجاهات المغامرة حتى نجح فى اقناع المؤتمر بوجهة نظره .

وبالرغم من قرار المؤتمر وبالرغم من التعليمات الشخصية للينين رفض تروتسكى — رئيس وفد المفاوضات السوفييتى — قبول المقترحات الالمانية وابلغ الالمان فى ١٠ فبراير ١٩١٨ أن الحكومة السوفيتية رفضت مقترحاتهم .

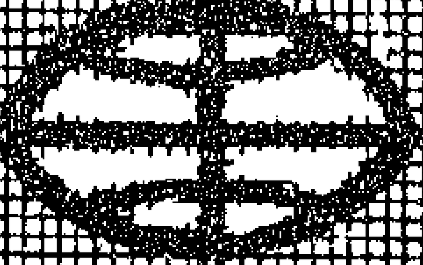
وانتهز الامبرياليون الالمان الفرصة واعلنوا انهاء الهدنة وبدأت قواتهم هجوما عاما على طول الجبهة ، ولم تقو فلول الجيش على مجابهتهم ولم تمض سوى أيام قلائل حتى كان الجيش الالمانى قد احتل بقية لاتفيا وكل استونيا وأجزاء هامة من أوكرانيا .

وهكذا تحققت نبوءة لينين .. أن الوطن السوفيتى فى خطر ووجه لينين نداءه للعمال والفلاحين كى يدافعوا عن وطن الاشتراكية . وتكونت على الفور فرق الجيش الاحمر التى كانت ترسل أولا بأول الى الجبهة . وخلال ذلك كان لينين يخوض صراعا داخل الحزب لاقرار الصلح ، لكن بوخارين وتروتسكى كانا يعارضان . وكون بوخارين مجموعة معادية للحزب باسم « الشيوعيين اليساريين » . وأخيرا استطاع لينين أن يحصل فى ١٨ فبراير ١٩١٨ على موافقة اللجنة المركزية للحزب على عقد الصلح . وارسلت برقية الى الحكومة الالمانية تتضمن الموافقة .

لكن الامبرياليين الالمان قدموا شروطا جديدة مطالبين بمزيد من الاراضى .. كل لاتفيا واستونيا بالاضافة الى المطالب السابقة .

وبعد صراع مرير ضد تروتسكى وبوخارين وأورتسكى وأوموف وبابنوف استطاع لينين الحصول على موافقة اللجنة المركزية على عقد الصلح بالشروط الجديدة .. وفى ٣ مارس ١٩١٨ وقعت معاهدة برست ليتوفسك التى تعتبر باستمرار دليلا على المرونة السياسية وعلى القدرة على تقديم تنازلات فى سبيل انقاذ الهدف الاساسى .

لينين - مائة عام من التاريخ



٦

قضايا معاصرة

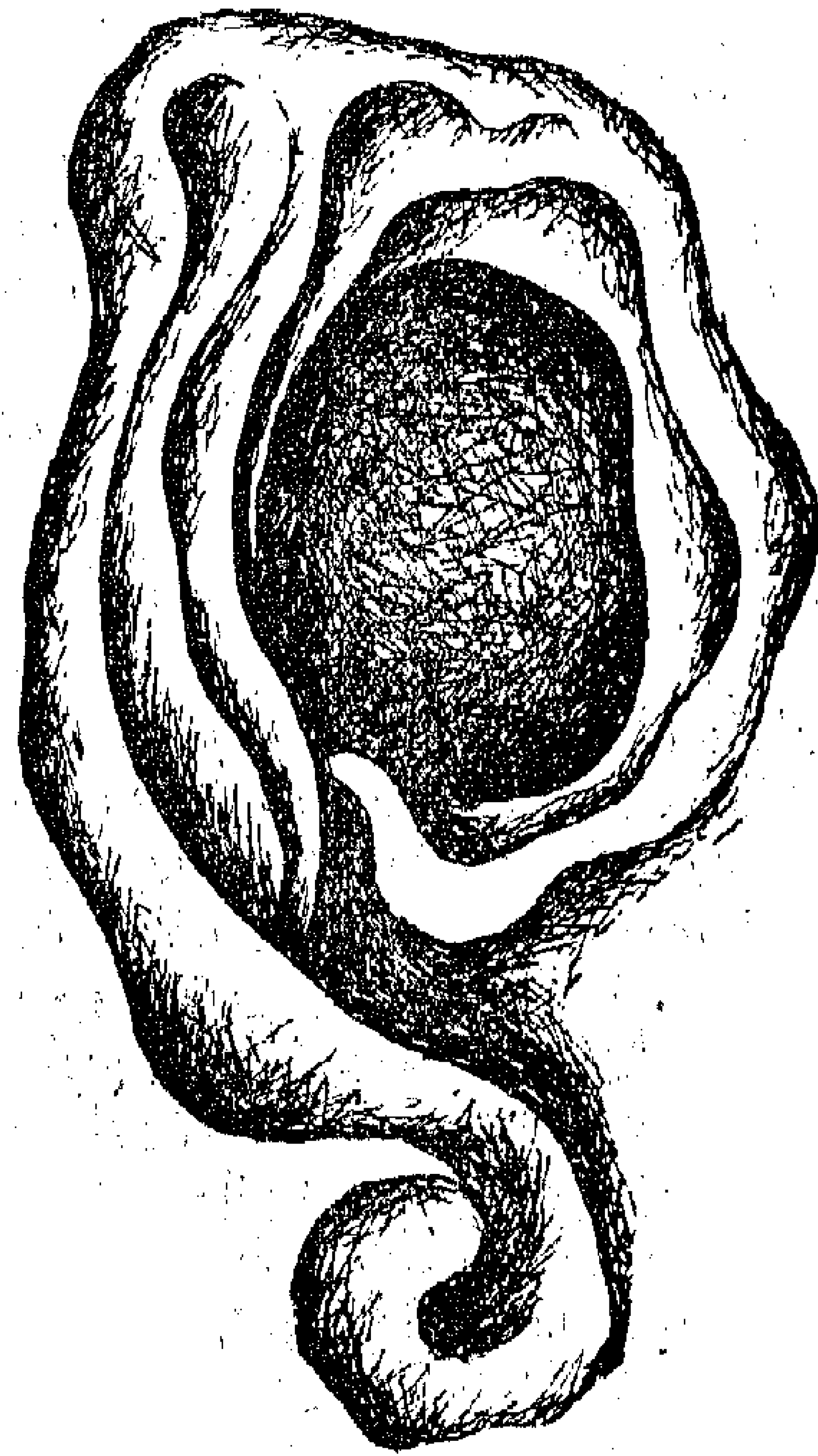
- اللينينية و"أزمة الماركسية الراهنة"

اللينينية وأزمة الماركسية الراهنة

د. اسماعيل صبري عبدالله

يلح دعاة الراسمالية فى الحديث عن ازمة الماركسية المعاصرة ، ويقع من الاحداث ما يظهر بصدده الخلاف بين الماركسيين كأعنى ما يكون الخلاف ، وتبدو الامور بشكل يوحى بأنه ليس هناك «حقيقة ماركسية» واحدة . وحين تتعدد الحقيقة تهتز الثقة بها . وهكذا يشيع الاحساس «بالازمة» ويذيع الحديث عنها حتى نكاد أن ننسى الواقع الاساسى لعالمنا المعاصر ألا وهو الانتشار الواسع للفكر الماركسي . فاكثر من ثلث البشرية يعيشون فى ظل الماركسية . وكل ثورى يناضل ضد القهر والاستغلال يجد فيها مفاتيح اساسية لقضايا نضاله . بل ان خصوم الماركسية انفسهم قد تأثروا بها ، حتى لقد اصبحت بعض المفاهيم الماركسية التى كانت تعتبر حتى الثلاثينات من هذا القرن الغازا او هرطقة، قد غدت مسلمات شائعة . ويكفى أن نذكر مثلا على ذلك : **طبيعة الاستعمار كظاهرة استغلال اقتصادى ، الصراع الطبقى والطبيعة الطبقية للاحزاب السياسية ، التطور المستمر كجوهر للطبيعة والمجتمع .. الخ** . ان وضع الامور فى نصابها يقتضى أن نؤكد أولا الظاهرة الاساسية وهى انتشار الفكر الماركسى ، وهذا التأكيد لا ينفى ضرورة وجود ازمة ، ولكنه يضعها موضعها الصحيح من حيث انها « ازمة نمو » وليست « ازمة اضمحلال » ، وهى على اية حال ليست أول أزمة واجهتها الماركسية ، كفكر وكحركة ثورية .

ولكن ما هى مظاهر تلك الازمة ؟ هناك أولا تلك المجموعة من الافكار التى يقول أصحابها **بتقادم الماركسية** على تفاوت فى تقدير ذلك التقادم . وفى رأس قائمة تلك الافكار نجد القول بأن الماركسية كتفسير للمجتمع نتاج للقرن التاسع عشر ، عصر الالات التجارية والرأسمالية الشابة فى أوروبا ، وهى كنظرية للحركة الثورية لم تنجح على اية حال الا فى المجتمعات التى لم تكتمل بها الثورة الصناعية . وبالرغم فيما بين القولين من تناقض ، تستمر النغمة السائدة فى هذا اللحن أن الماركسية بوجهيها عاجزة اليوم عن فهم العالم المعاصر فى المجتمع الصناعى المتقدم ، وعن الاحاطة بأبعاد حركة التحرر العارمة فى العالم الثالث المتخلف . وفى السنوات الاخيرة ، أصبح « الطبق المفضل » عند أصحاب هذه الاتجاهات هو « الثورة العلمية والتكنولوجية » التى تغير جذريا كل شىء فى حياة الناس . ومن هنا الحديث المتكرر عن أن الاحداث قد « **تجاوزت** » الماركسية ، وقد آن للفكر البشرى بدوره أن يتجاوزها . وأبهت صورة فى هذه المجموعة من الاتجاهات هى الرأى القائل بأن الماركسية كفلسفة لها حدودها التاريخية ، وكنظرية للحركة الثورية تحتاج الى اعادة نظر كاملة يكون حجر الزاوية فيها ، بروز دور المثقفين وتضاؤل شأن الطبقة العاملة . كل ذلك لان « الثورة العلمية



والتكنولوجية » تحدث آثرين هامين • فهى من ناحية نتاج لعمل المثقفين ، وهي من ناحية أخرى تجعل الجزء الاهم من العمل الانتاجي بيد مثقفين (هم المهندسون وغيرهم من الفنيين الذين يديرون الالات الالكترونية الحديثة) • وفى هذا الاطار يصبح جموع العمال اليدويين — فى هذا الراى — مرتبطين بأسلوب انتاج متخلف ، وبالتالى عاجزين عن ان يلعبوا دور الطليعة ويتحولون الى قوة محافظة شأنها فى ذلك شأن الحرفيين فى القرن الماضى • وفى الطرف المواجه لتلك الاتجاهات نجد طائفة أخرى من الاراء التى تتهم الاحزاب الشيوعية بالتخلى ولو جزئيا عن الماركسية وتنادى بالعمل الثورى الحقيقى لتحطيم الدولة والمجتمع، والتى يحلو لاصحابها ان يسموا **اليسار المتطرف** • وهم أحيانا ينتسبون الى « ماوتسى تونج » — بغض النظر عن مدى التزامهم بتعاليم الزعيم الصينى — أو يفتشون فى تاريخ الماركسية عن كل من اختلف معهم لينين من « روزا لوكسمبورج » الى « تروتسكى » ؛ او يتخذون من نضال « جيفارا » الفدائى علما يحاولون أن ينقلوا فى ظله حرب العصابات من ادغال امريكا الوسطى الى دهاليز الجامعات فى أوروبا الغربية ، أو يحاولون تجديد تراث الحركة الفوضوية • وبين هذه الاتجاهات المتضاربة تقف مجموعة الاحزاب الشيوعية وبينها من الخلافات ما أصبح معلوما مشهورا ينال من وحدة الحركة الثورية فى العالم ومن قوتها رغم كل محاولات التأكيد على ضرورة تلك الوحدة •

والامر الغريب هو أن لينين قد واجه فى عنفوان حياته النضالية وقبل ثورة أكتوبر أزمة مماثلة ، فبعد التقدم فى العلوم الطبيعية واكتشاف ان الذرة ليست أصغر مكونات المادة ، بل انها تتكون بدورها من الكترونات ، وأن المادة بالتالى ليست الا صورة أخرى للطاقة ، وبعد اكتشاف الطاقة الكهربائية واستخدامها واختراع المحرك ذى الاحتراق الداخلى واستخدام منتجات البترول ، ظهرت مجموعة من النظريات الفلسفية تحاول تفنيد الماركسية باسم مكتشفات العلم الحديث ، أى باسم « الثورة العلمية والتكنولوجية » ، اذا اردنا الترجمة الى لغة عصرنا الراهن • وظهر من بين الماركسيين اتجاه يسلم بأنه لابد من اعادة النظر فى الماركسية ، لابد من « **مراجعتها** » كما قال « برنشتين » الذى اخترع التعبير ذاته ، حين أكد أن الاشتراكية ليست الا مثلا أعلى مستوحى من الاخلاق يفتقد الاساس العلمى • وفى الوقت ذاته ، وربما كرد فعل لتلك الاتجاهات ، نشطت الدعاوى المنادية بأن الثورة هى « العمل الثورى المباشر » من اضراب لمجرد الاضراب ، الى تخريب للمؤسسات الرأسمالية ، الى اغتيال لرجال السياسة الرجعيين • وتمثل ذلك فيما سمى « بالنقابية الثورية » والحركة الفوضوية وصورتها القصوى « الاتجاه العدمى » •

أما الاحزاب الاشتراكية فقد كانت مسرحا لصراع رهيب بين دعاة التصالح الطبقى باسم « الاصلاحية » ، وبين الاتجاهات الثورية الحقيقية التى بدأت تشدد قواها بعد ثلاثين عاما من المذابح التى تلت هزيمة « **كوميونة باريس** » فى سنة ١٨٧١ •

لكل ذلك ينساق الفكر بالضرورة الى اللينينية حين تشغله معالم الازمة الراهنة • أليس لينين القائد الذى حققت الثورة تحت قيادته أعظم انتصاراتها قاطبة ، وعبرت البشرية خطواتها الحاسمة من مجتمعات الاستغلال الطبقى الى مجتمع القضاء على الاستغلال ؟• ولكن شر ما يمكن ان يصيب اللينينية هو ، بالدقة ، ان نبحث فيها عن حل مباشر لمشكلات اليوم • انها ليست « مجموعة من الوصفات » القابلة للتطبيق المباشر علاجا لكل الادواء فى كل العصور وكل البلاد • ان أعظم انكار لفكر لينين ليتمثل فى البحث فيما قاله لينين قبل نصف قرن عن « وصفة » لحل مشكلة فى الثلث الاخير من القرن العشرين ، لان فى ذلك الغاء للتاريخ ورفضا لحقيقة التطور • وان أسوأ تمجيد للمفكر الثورى العظيم لهو ذلك المنهج الذى يتناول كتاباته بطريقة « الشرح على المتون » • وعلى العكس فان اعظم تحية للينين فى الذكرى المئوية لمولده لهى محاولة استيعاب منهجه فى معالجة مشكلات عصره ، لممارسة نفس المنهج فى معالجة مشكلات عصرنا • فجوهر الماركسية فى النهاية هو كما قال لينين نفسه ، ذلك المنهج الجدلى الذى يشكل أداة رائعة للمعرفة • والمعرفة هى وحدها الاساس الصلب للتغيير الثورى الصادق •

صورة العالم فى عصر لينين

من ماركس الى لينين :

يحلو لبعض خصوم الماركسية أن يقولوا ان الفرق بين « ماركس » و « لينين » ينحصر فى أن الاول فكر ، والثانى دبر ونفذ • ولكن الواقع أن كلا الرجلين اشتغل بالفكر والعمل الثورى فى نفس الوقت ؛ ولا غناء فى المقارنة بينهما • وانما المهم هو المقارنة بين عصريهما • ذلك أن صورة العالم فى عصر لينين كانت تختلف اختلافا عميقا عنها فى عصر ماركس وانجلز ، وعبقرية لينين تتمثل فى الدقة فى ادراكه للجديد فى عصره وأعماله الخلاقة للمنهج الماركسى فى تفسير هذا الجديد تمهيدا لتغيير وجه العالم :

١ ـ كانت الرأسمالية في أوروبا الغربية ، في **عصر ماركس** ، في عنفوان شبابها تملؤها الثقة في المستقبل ، تؤمن ايمانا شديدا بفضائل المنافسة الحرة وخطر تدخل الدولة . وقد نجحت بالفعل في فرض « الحـرية الاقتصـادية » في الداخل ، فصفت « الطوائف الحرفية » ، والغت كل احتكار قانوني يستند الى سلطة الدولة ، وقضت على النظام الاقطـاعي ، وقـررت لـرقيق الارض السابقين « حرية العمل » ليعملوا في صناعاتها النامية . **وفي عصر لينين** كانت « المنافسة تقتل المنافسة » كما قال ماركس . وانتهى الصراع المحموم بين الرأسماليين الى نشأة عدد لا يستهان به من الاحتكارات القوية ، **اصبحت الرأسمالية في عصر لينين رأسمالية احتكارية تحد من المنافسة وتقيد « حرية التجارة »** .

٢ ـ وكانت الرأسمالية ، **في عصر ماركس** تسعى للسيطرة على بلدان من آسيا وأفريقيا لتضمن موارد للمواد الاولية بثمن بخس واسواقا للمنتجات الصناعية بمنأى عن المنافسة . **وفي عصر لينين كانت الشركات الرأســمالية الكبرى والبنوك قد تراكمت لديها رؤوس أموال ضخمة رأت انه من الارجح لها ان تستثمرها خارج بلادها ، فبدأت دول أوروبا الغربية لا تقنع بتصدير السلع بل تصدر كذلك رؤوس الاموال** . واشتد السباق الاستعماري بينها حتى تم لها اقتســام الكرة الارضية (حتى الصين التي كانت اكبر من أن تترك لسيطرة دولة واحدة ، فاتفقت أوروبا على أن تشترك في استغلالها باسم سياسة البـاب المفتوح) . وترتب على ذلك أن أي توسع جديد لدولة رأسمالية لابد أن يتم على حساب دولة رأسمالية اخرى ، ومن هنا تكونت الاحلاف فيما بينها وغدت الحرب الاستعمارية حربا عالمية .

٣ ـ **وفي عصر ماركس** ، كان للرأسمالية بقية من دور ثوري يتمثل في العداء للنظم الاقطاعيةفي اوروبا الشرقية ، حتى وان فترت حدة ذلـك العداء . فالرأسمالية كانت تريد أن تكون نظاما عالميا ، وكانت تريد أساسا أن تسود أوروبا وأن تزيل كل العقبات في طريق تلك السيادة . ثم كان تعاظم الحركة الثورية للطبقة العاملة التي تمثلت اولا في الاضرابات وغيرهـا من صور الصراع الاقتصادي ، ثم حاولت أن تستفيد من ثورة ١٨٤٨ البورجوازية في عدد من الدول الأوروبية ، ثم وصلت الى حد الثورة الاشتراكية واقامة حكومة شعبية في باريس سنة ١٨٧١ . وازاء خطـر الاشتراكية أصبحت الرأسمالية ، **في عصر لينين ، قوة محافظة تدعم النظم الاسـتبدادية في شرقي اوروبا ، وتعتمد في الانتشار هناك على التسربفي حماية الاقطاع وتقاسم ثمار الاستغلال مع الملوك والاقطاعيين** .

برنشتاين (١٨٥٠ ـ ١٩٣٢)

اشتراكي ديمقراطي الماني ، كتب سلسلة من المقالات بين عامي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ تحت عنوان « مشكلات الاشتراكية ، وواجبات الاشتراكي الديمقراطي » راجع فيها الاسس النظرية للماركسية في الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية العلمية ، وقد كان شعاره الايديولوجي « العودة الى كانت » منكرا امكانيـة ان تكون هناك اشـتراكية « علمية » قائلا ..

ان الاشتراكية في جوهرها فكرة اخلاقية ، كذلك رفض دكتاتورية البروليتاريا والصراع الطبقي . وقد تخصص بليخـانوف في نقـد افكار برنشتاين على اثر تسربها الى روسيا .

٤ ـ ونجحت الرأسمالية ، أيام ماركس ، في فرض مبدأ حرية التجارة الدولية في أوروبـا الغربية على الاقل ، وكان معنى ذلك توحيد السوق الدولية الى حد بعيد . وفي ظل سوق واحدة تكون درجة النمو الاقتصادي واحدة في مختلف أجزاء الدولة . ولكن انتشار الرأسمالية في شرقي اوروبا ، بطريقة جزئية ودون تغيير شامل في المجتمع ، في الوقت الذي نمت فيه احتكارات كبرى في غربيها ، أدى الى تفاوت في النمو بين دول اوروبا . وهكذا غدا **الطابع الاساسي للرأسمالية، في عهد لينين ، هو ذلك النمو غير المتكافيء** .

٥ ـ وفي حين كان الغزو الاستعماري الاوروبي لا يصطدم ، في عصر ماركس ، الا بمقاومة ضعيفة من نظم قبلية او اقطاعية ، **اخذ عدد من شعوب المستعمرات ،في عهد لينين ،يناضلونضد السيطرة الاستعمارية بقيادة الرأسمالية المحلية الناشــئة التي كانت تريد لنفســها محــلا تحت شــمس الرأسمالية العالمية** .

٦ ـ لقد مات ماركس ، والحركة العمالية في اوروبا تعاني آثار النكسة الرهيبة التي تمثلت في سقوط الحكومة الثورية لكوميونة باريس وما تلاه من مذابح ذهب ضحيتها في العاصمة الفرنسية اكثر من تسعين ألف شخص . وانتشر البطش والارهاب ضد العمال في مختلف بلدان اوروبا . **اما في عصر لينين ، فقد اشـتد نضال الطبقـة العاملة** ونجحت في عدد من الدول في انتزاع الاقرار بشرعية التنظيم النقابي . كمـا نمت الاحزاب الاشتراكية ونجحت في الوصول الى مقاعد البرلمان . وأخذت الرأسمالية الاحتكارية تحاول ـ بعد الارهاب ـ شراء بعض فئات العمال ورشوة قادتهم ، وانعكس ذلك في بلبلة عميقة من

الناحية الايديولوجية سادت الدوائر الاشتراكية فى مستهل القرن العشرين ، وهددت بتصفية الفكر الثورى فى صفوف المناضلين .

معنى اللينينية

فماذا فعل لينين ازاء كل تلك التطورات ؟ ان اللينينية ، من حيث هى نظرية ثورية ، هى التحليل العلمى لعالم أوائل القرن العشرين والتحديد العملى لاسلوب التغيير الثورى فى ظروف تلك الفترة ، وقد تمثلت مساهمة لينين العظيم ، الذى يبرر قرن اسمه باسم ماركس ، والحديث عن الماركسية اللينية ، فى عدد من الاعمال النظرية الاساسية :

١ ـ لقد حلل « لينين » الرأسمالية الغربية فى عصره تحليلا عميقا ، واثبت بأن طابعها الاساسى اصبح الاحتكار ، وأن احتكارات الصناعة قد امتزجت بالبنوك وتكون من ذلك « **الرأسمالية المالية** » التى تربعت على عرش السلطة محل الرأسمالية الصناعية التى سادت القرن الماضى . وأبرز أن الرأسمالية فى هذه الظروف تصدر ـ الى جانب السلع ـ رأس المال . كما أن كل رأسمالية قومية تسارع فى التوسع الاستعمارى لتبنى امبراطورية ، حتى أصبحت سمة العصر هى بناء الامبراطوريات ، أى الحركة الامبريالية . ومن ثم كان الاسم الشهير الذى اطلقه لينين على الرأسمالية فى عصره : « الامبرياليه اعلى مراحل الرأسمالية » .

٢ ـ كان لينين اول من درس بعمق « **النمو غير المتكافىء** » كقانون أساسى من قوانين التنمية الرأسمالية ، ففى داخل البلد الواحد لا تنمو كل قطاعات الاقتصاد القومى بطريقة متوازنة ومتناسقة ،بل يكون النمو السريع فى تلك القطاعات والمناطق التى تحقق أرباحا أعظم ، فى حين تتخلف قطاعات ومناطق اخرى ، ولكن اهمية القانون الكبرى تبرز فى المستوى الدولى . فمع انتشار النظام الرأسمالى فى العالم ، دون ثورة بورجوازية شاملة ، نجد تفاوتا شديدا فى مستوى النمو من دولة الى أخرى .

٣ ـ وقد رتب «لينين» على النمو غير المتكافىء **نتيجة ثورية بالغة الخطورة . فقد كان « ماركس وانجلز » يريان أن الثورة الاشتراكية ستندلع فى نفس الفترة الزمنية فى كل الدول الرأسمالية . وكان هذا الرأى مبنيا على ان الرأسمالية فى عصرهما كانت فى غرب اوروبا وحدها ،وكانت تعيش فى ظروف حرية تجارة دولية تؤدى الى تقارب كبير** فى درجة النمو وبالتالى فى ظروف الثورة . **اما « لينين » فقد استنتج من قانون النمو غير المتكافىء أن ظروف الثورة يمكن أن تنضج فى بلد معين قبل غيره من البلاد بوقت طويل ، ومن هنا كانت نظرية امكان قيام الثوره فى بلد واحد** التى ادعى « تروتسكى » بأنها تناقض الماركسية .

٤ ـ وفى ضوء هذا الفهم يصبح من المتعين تحليل الظروف الثوريه فى كل بلد على حدة تحليلا وافيا . وهدف التحليل هنا هو الكشف عن وجود او عدم وجود « **وضع ثورى** » ، **اى مجموعه من الظروف الموضوعية تجعل قيام الثورة ممكنا** . فاذا تحقق توافر الوضع الثورى ، لابد لقيام الثورة بالفعل من مجموعة من **الظروف الذاتية** تتلخص فى قدرة الطبقة الثورية واستعدادها لقيادة حركة جماهيرية واسعة تبلغ من القوة ، حد اسقاط الحكم الرجعى واقامة سلطة ثوريه . يقول « لينين » :

« ان الثورة مستحيلة فى نظر الماركسيين اذا لم يتوافر وضع ثورى ، بل انه ليس من الضرورى أن يقود كل وضع ثورى الى حدوث ثورة . فما هى ـ بصفة عامة ـ العوارض التى تدل على وجود وضع ثورى ؟ لا شك انا لا نخطىء اذا ابرزنا العوارض الثلاثة التالية : ١ ـ حين يصبح من المستحيل على الطبقات الحاكمة أن تحافظ على حكمها دون أى تغيير ، حين توجد ازمه ـ فى شكل او آخر ـ فى صفوف الطبقة الحاكمة تفتح ثغرة فى صفوفها يندفع منها سخط الطبقات المقهورة . لانه لا يكفى لقيام الثورة عادة أن تكون الطبقات الدنيا « غير راغبة » فى ان تعيش على نفس الصورة القديمة ، بل يجب كذلك أن تكون الطبقات العليا « غير قادرة » على العيش بالصورة الماضية . ٢ ـ حين يزيد شقاء وحرمان الطبقات المقهورة عن المعتاد . ٣ ـ حين تؤدى الاسباب السابقة الى تعاظم نشاط الجماهير التى تخضع للنهب فى هدوء فى « اوقات السلم » ، والتى على العكس تخرج الى عمل تاريخى مستقل فى « ظروف القلاقل » تحت تاثير الازمة . بتأثير الطبقات العليا نفسها .

وبغير هذه التغيرات الموضوعية المستقلة عن ارادة الافراد والاحزاب والطبقات ، تكون الثورة كقاعدة عامة مستحيلة . ومجموع هذه التغيرات الموضوعية هو الذى يسمى « وضعا ثوريا » (١) .

وبالتطبيق على ذلك قال « لينين » فى ١٩١٧ بامكان قيام ونجاح الثورة فى روسيا القيصرية ، حيث تفاقمت التناقضات بين النظام القيصرى وبين

---

(١) لينين : الاعمال الكاملة ـ الجزء الحادى والعشرون ، ص ٢١٤ .

البورجوازية ، بين العمال والرأسمالية ، وبين فقراء الفلاحين وكبار الملاك ، وبين الطبقة الحاكمة الروسية والقوميات المقهوره . وحين ازداد سخط الجماهير تحت وطأة ثلاث سنوات من حرب طاحنة، وغدا النظام القيصرى عاجزا عن الاستمرار فى الحكم بنفس الاسلوب . وفى الوقت ذاته تقدمت الطبقة العاملة بقيادة الحزب البلشفى لتقود حركة الجماهير :

لقد اطلت قليلا الوقوف عند هذه النقطة لانها بالغة الدلالة من حيث المنهج اللينينى . «فلينين» لم يتقيد بحرفية ما كتب « انجلز » عن الثورة العالمية ، ولكنه فى الوقت ذاته لم يقل بمراجعة الماركسية أو تجاوزها . وانما نفذ الى الاسباب التى نهضت خلف توقع مؤسس الماركسيه للثورة العالميه واكتشف انها لم تعد قائمة نتيجة لتغير الظروف . ثم حلل الظروف الجديدة ليحدد كيف يمكن ان تقع الثورة فى بلد واحد ، وبنى ذلك كله على الفهم العلمى للدافع الموضوعى والقوانين الموضوعية للثورة ، نافيا نفيا قاطعا أن الثورة يمكن أن تقع لمجرد الرغبة فيها ، أو أن تصدر الى بلد لم تنضج ظروفها فيه .

٥ ـ ومن هنا كان اهتمام « لينين » العميق بظروف الثورة الموضوعية . وقد تمثل هذا الاهتمام بالجانب الموضوعى فى دراسته الرائعة لاوضاع روسيا القيصرية فى كتابه الشهير « **تطور الرأسمالية فى روسيا** » ، ثم متابعته الدقيقة لحياة الاقتصادية والسياسية فى بلاده ، وتحليله المستفيض لكل القوى الاجتماعية ، والاحزاب السياسية . وبالذات لثورة ١٩٠٥ فى روسيا واسباب ونتائج اخفاقها . ان « لينين » لم يقنع بأى «تقنين» لافكار «ماركس» و «انجلز» ، كما يمكن ان تستخلص من مؤلفاتهما النظرية ، او من تحليلهما للصراع الطبقى فى فرنسا والمانيا وانجلترا ، وانما نفذ الى اعماق واقع بلاده فى ضوء المنهج الماركسى فألم بها فى مجموعها وتفاصيلها ، وفى قوانين حركتها . حقا لم يكن « لينين » محدود الافق يقصر نظرته على حدود بلاده . بل انه لم يغفل لحظة واحدة وحدة الحركة الثورية فى العالم ، واهتم بمتابعة الحركات الثورية فى كل مكان . ويمكن أن نذكر على سبيل المثال ما كتبه عن ثورة ١٩١٢ فى **الصين وعن صن يات صن** . ولكنه اعطى اولوية دائما لمسئوليته الاساسية .. قضية الثورة فى روسيا القيصرية .

٦ ـ وفى جانب الظروف الذاتية ، عنى « لينين » بابراز **دور النظرية فى نجاح العمل الثورى** . لقد وقف بشدة ضد كل اتجاه للاعتماد على تلقائية الجماهير . لان لينين ـ مثله مثل ماركس ـ لا يجعل من الحتمية التاريخية قدرية تحدث مفعولها فى غيبة من وعى البشر ونضالهم . والضرورة التاريخية للاشتراكية تظل مجرد « ضرورة » حتى يحولها نضال الجماهير الواعى الى حقيقة واقعة . ولا يتحقق الوعى المنشود الا بنظرية علمية . وابتداء من نفس المفهوم تصدى لينين لفضح وتفنيد كل محاولة لفل السلاح النظرى للجماهير عن طريق ابتكار نظريات جديدة ، أو مراجعة الماركسية ، او تطبيقها تطبيقا جامدا . لقد أثبت « لينين » أن الرأسمالية فى روسيا ـ نتيجة لتطور الرأسمالية العالمية ولوضعها الخاص ـ لن تصفى الاقطاع وتبنى مجتمعا رأسماليا « عصريا » . وان الطبقة العاملة هى وحدها القادرة على مواجهة تناقضات روسيا القيصرية ، ومن ثم لم يقنع بانتظار نتائج ثورة فبراير ١٩١٧ البورجوازية ، وبدأ منذ عودته فى ابريل الاعداد لاستيلاء الطبقة العاملة على السلطة . كذلك بين خطأ «الشعبيين» الذين كانوا يزعمون أن سيادة الاوضاع شبه الاقطاعية فى

البوند :

اختصار لاسم « الاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا » .

تأسس فى ١٨٩٧ بوساطه الجماعـات الاشتراكية الديمقراطية اليهودية ، وكان يضم فى الاساس عناصر من الحرفيين [وليس البروليتاريين] .

وعندما عقـد حزب العمال الاشـتراكى الديمقراطى الروسى مؤتمره الاول فى ١٨٩٨ انضم البوند الى الحزب بشرط ان تبقى له استقلالية ذاتيه فيما يتعلق بالمسائل التى تمس العمال اليهود .

وقد لعب البوند باستمرار دورا انفصاليا وعنصريا فى حركة العمال الروسية ، واتخذ على الدوام مواقف انتهـازية ، الامـر الذى ادى بالمؤتمر الثانى لحزب العمال الاشتراكى الروسى الى رفض الاعتراف بالبوند كممثل للبروليتاريا اليهودية ، وانسحب البوند من الحزب ، لكنه عاد للانضمام اليه على أساس قرارات المؤتمر الرابع .

وفى داخل الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى ، كان البونديون على الدوام جزءا من الجنـاح الانتهـازى وايدوا المنشفيك والاقتصاديين .

وعندما رفع لينين شعار « حق الامم فى تقرير المصير » ، عارضه البونديون بشعار « الاستقلال الثقافى الذاتى » ، واثناء فترة الردة الستوليبنية كان البونديون عنصرا نشطا فى محاولات تصفية الحزب ، ثم عنصرا نشطا فى مجموعة تروتسكى « كتلة اغسطس » .

واثناء حروب التدخل والحرب الاهلية انضم البوند كله الى القوى المعادية للثورة .

وفى مارس ١٩٢١ اعلن البوند حل نفسه.

روسيا يجعل للفلاحين الوزن الأساسي في العمل الثوري ، وبما ان الفلاحين لا يتبنون الاشتراكية فلا داعي للحديث عنها. واوضح ان كل ثورة اشتراكية لابد لنجاحها من تحقيق التحالف بين العمال والفلاحين ، وان مفتاح الثورة في روسيا هو اجتذاب فقراء الريف الى حلف وثيق مع العمال ، فقراء المدينة . وفي نفس الوقت تصدى للنزعات الشوفينية والعنصرية التي كان يروج لها بين القوميات والجماعات المضطهدة في ظل القيصرية مبينا ارتباط التحرر القومي بالتحرر الاجتماعي ، واهمية وحدة نضال كل المقهورين ضد النظام القيصري مع التسليم الكامل بحق كل شعب في تقرير مصيره بما في ذلك الانفصال . وكان صراعه الاساسي في هذا الشأن ضد جماعة « **البوند** » اليهودية التي غذت الحركة الصهيونية ووفرت لاسرائيل فيما بعد الجيل الاول من قادتها : وايزمان وبن جوريون وشرتوك وجولدا مائير .

٧ — ولكن لينين كماركس كان يدرك أهمية **الربط الوثيق بين النظرية الثورية والعمل الثوري** . فلا يكفي الدعوة للفكر الثوري كفلسفة او نظرية ، وانما المهم هو تطبيق هذا الفكر يوميا على مشكلات الساعة وتحويله الى شعارات محددة بتحرك الجماهير في ظلها . ومن هنا كانت وقفته ضد « الماركسيين القانونيين » الذين كانوا يقنعون بالكتابة عن الماركسية في معزل كامل عن حركة الجماهير . ان ماركس لم يتصور نظرية مجردة وكان شعاره « **لا يكفي أن نفهم العالم بل لابد أن نغيره** » . وترديد الافكار بعيدا عن العمل الثوري يفرغها من كل مضمون ويعزلها عن مصدر التجدد والتطور وهو نضال الجماهير . انه سوفف تعال عن الجماهير يريد أن يعلمها ولا يرغب في أن يتعلم منها . تقول « ناديا كروبتسكايا » قرينة لينين :

« من خلال العمل بين عمال سان بطرسبورج والحديث معهم والانتباه الى كل ما يقولون ، اكتسب لينين فهما عميقا لفكرة ماركس الكبرى عن الطبقة العاملة كطليعة لكل الشعب العامل ولكل المضطهدين ، وانها لن تنتصر الا اذا كانت قائدا لكل الجماهير الكادحة » .

٨ — على أن أبرز ما خلف « لينين » من فكر يتعلق بنضال الجماهير **هو نظرية الحزب** . فالتحام النظرية الثورية بالعمل الثوري لا يتحقق الا بشكل منظم ، من خلال تنظيم . ان « لينين » لايؤمن بالطبقة العاملة ايمانا ميتافيزيقيا يجعل من كل عامل رسولا لاهم له الا تغيير وجه البشرية . ان الطبقة العاملة تعيش في ظل القهر الطبقي في مجتمع تسوده ايديولوجية المستغلين وقيمهم الاجتماعية ، محرومة من الثقافة ، تلهث في السعي وراء لقمة العيش جل وقتها . ومن هنا كان الحاح « ماركس » في **التأكيد على أهمية** دور « **الطليعة** » . فبين صفوف الطبقة العاملة توجد أقلية اكثر نضالية واستعدادا للتضحية ، وأعظم تقبلا للفكر الثوري ينضم اليها افراد من طبقات أخرى نتيجة للاقتناع عقليا بقضية الاشتراكية . فتتشكل طليعة للعمل الثوري . وأوضح « لينين » ان الشكل التنظيمي لهذه الطليعة هو « **الحزب الثوري** » . وبين انه حزب من نوع جديد يختلف عن الاحزاب البورجوازية والاحزاب الاشتراكية التي تحاكيها . من حيث ان تلك منتديات للمناقشة والصراع الانتخابي والعمل البرلماني ، في حين أن الحزب الثوري كتيبة مناضلة ومنظمة تخوض حربا لاهوادة فيها من أجل تصفية الاستغلال . وظروف ذلك النضال هي التي تفرض الانضباط الحديدي والالتزام الحزبي وممارسة الديموقراطية في الداخل مع الحفاظ على وحدة كلمة الحزب لدى الجماهير .

عالمنا المعاصر

والان ، اين نحن من العالم الذي عرفه « لينين » فدرسه بكل ذلك العمق ، وأبدع في النظرية الثورية أيما ابداع ؟ . لقد كتب « لينين » كل مؤلفاته الاساسية قبل خمسين عاما . والقول بان صورة العالم لم تتغير خلال نصف القرن الذي مضى منذ انتصار الثورة في روسيا تنكر لفكر « لينين » نفسه وانكار لجوهر الماركسية الذي يتحدد في القول بأن التغير المستمر هو قانون كل شيء في الطبيعة والمجتمع ، وأن المهم بالدقة هو فهم جدلية هذا التغيير . فلنحاول اذن رسم أهم معالم صورة العالم في هذا النصف الثاني من القرن العشرين . ولنقل بادىء ذي بدء ان « الثورة العلمية والتكنولوجية ليست السمة الجوهرية للعصر . فالتقدم العلمي والتكنولوجي لا يحدث في فراغ وانما هو دائما « تقدم انساني » أي من صنع البشر . وهؤلاء البشر يعيشون في مجتمعات ومن ثم فان اوضاع المجتمع هي التي تحكم ابتداء مظاهر التقدم الفكري والمادي . حقا ان تلك الظواهر تؤثر بدورها في حياة المجتمعات . فالعلاقة هنا جدلية كما يقول الماركسيون . ولكن لكي لا تصبح الحركة الجدلية حلقة مفرغة لابد دائما من التمييز في كل لحظة بين ما هو فعل وما هو رد فعل :

١ — ان الحقيقة العظمى لعصرنا **هي انتشار الاشتراكية** . فحتى سنة ١٩١٧ كانت الاشتراكية مثلا أعلى تحلم به الجماهير المحرومة ، وهدفا تسعى اليه فئات محدودة منها ، ونظرية تحتمل النقاش . وفي اكتوبر سنة ١٩١٧ فتح البلاشفة بقيادة « لينين » فصلا جديدا في تاريخ البشرية

حين أقاموا مجتمعا لا يعرف الاستغلال على سدس الكرة الارضية • خرجت البشرية يومها - طبقا للصيغة التى استخدمها انجلز قبل ذلك بأربعين عاما - من عصر ما قبل التاريخ الى عصر التاريخ . لقد بدأ الانسان يأخذ مصيره بيده ويشكل مستقبله عن وعى •

وكان الفضل الاعظم للحزب السوفيتى ، هو تحويل هذا النصر التاريخى الى صيغه دائمة وحماية الثورة من الحرب الاهلية التى شنتها عليها الرجعية وحرب التدخل التى نظمتها الدول الاستعمارية ، وحرب الابادة التى اعلنتها الفاشية الهتلرية ، وبناء دولة عظمى للاشتراكية تقف من كبرى دول الاستعمار ، وهى الولايات المتحدة الامريكية موقف الند . وبعد أن انتصرت الاشتراكية فى دول اوروبا الشرقية ، كان نصرها الاعظم فى الصين حين انضم خمس البشرية الى مجموعة الدول الاشتراكية • وانتشر الفكر الاشتراكى فى مختلف بقاع المعمورة • ولم يعد المثل الاعلى الرأسمالى يستهوى الافئدة وحلت ثورة ١٩١٧ الروسية محل ثورة ١٧٨٩ الفرنسية كمصدر الاشعاع للامل فى مستقبل افضل •

٢ - والسمة الثانية لعصرنا هى **تعاظم حركة التحرر الوطنى** التى اجتذب بها أرجاء آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية • وليست تلك مجرد ظاهرة كمية ، مجرد زيادة فى عدد ثورات التحرر ، بل انها تغير كيفى . فمن حيث الاتساع شملت حركة التحرر كل قطر ، ونجحت بالفعل فى تصفية الاستعمار القديم فيما خلا عددا محدودا من الجيوب ، ومن حيث المحتوى لم تعد الجماهير تقنع بمجرد الاستقلال السياسى ، وانما غدت تستهدف تحقيق انبعاث قومى شامل وتطور سريع ، يمكنها من أن تعيش على قدم المساواة مع اوروبا وأمريكا الشمالية ، أخذت الشعوب تتطلع الى الاشتراكية . ومن حيث القيادة لم تعد الرأسمالية تنفرد بقيادة الحركة الوطنية ، بل برزت قيادات اعمق وطنية وأكثر ثورية ذات أصول شعبية • وفى عدد من البلاد المتحررة حديثا تبينت تلك القيادات ان طريق الرأسمالية طريق مسدود ، فتبنى الاشتراكية عدد كبير من القيادات والاحزاب وتحقق هنا وهناك التحام بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية . ان آفاق الاشتراكية هى وحدها التى تضىء اليوم أمام شعوب العالم الثالث •

٣ - وامام هذا الخطر المزدوج حدثت **تطورات عميقة فى الرأسمالية العالمية** • فهى من ناحية ، ابتدعت وطورت أساليب الاستعمار الجديد لتتمكن من الاستمرار فى استغلال شعوب العالم الثالث اقتصاديا ، دون ان تحتل بلادها او تحكمها حكما مباشرا • وهى من ناحية ثانية ، تعنى بالتطور التكنولوجى السريع لترفع انتاجية العمل بسرعة تعوضها عن خسائرها فى المستعمرات وعن ما اضطرها الصراع الطبقى لتقديمه الى الطبقة العاملة من تنازلات • وهى من ناحية ثالثة ، فى ظل هذا التوسع الانتاجى وتهديد أسواقها السابقة تعمل على زيادة الاستهلاك الداخلى حيث يحقق لها الارباح . وهكذا ساد فى الغرب مايسمى «مجتمع الاستهلاك» وهى من ناحية **رابعة** تعتمد على الدولة اعتمادا متزايدا لتفادى الازمات ، لانها تدرك الخطر المميت الذى تعنيه بالنسبة لها ازمة مثل أزمة ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ، ومن هنا اصبح طابعها الاساسى اليوم هو « رأسمالية الدولة الاحتكارية » . وهى اخيرا تحاول التغلب على التناقضات القومية عن طريق الاحتكارات العالمية التى تسمى « شركات متعددة القوميات » ، وعن طريق « التكامل الاقليمى » كما فى حالة « السوق الاوروبية المشتركة » .

وقد ادت كل تلك التطورات وماتفرع عنها الى ظهور عدد كبير من المشكلات أمام الحركة الثورية فى مختلف أجزاء العالم • وازاء تلك المشكلات اختلفت الآراء وتباينت المواقف ، ومن ثم كان الحديث عن أزمة الماركسية :

١ - فبعد ان استقر النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى وحقق منجزاته الهائلة وتم بناء الاشتراكية فى دول صناعية متقدمة مثل تشيكوسلوفاكيا أو المانيا الديموقراطية ، طرحت قضية اساليب التخطيط والادارة الاقتصادية فى الدول الصناعية المتطورة ، وكذلك أسلوب الحكم ، او بعبارة اخرى ما اصطلح على تسميته «قضية الاصلاح الاقتصادى ، قضية الديموقراطية الاشتراكية » . ولاشك فى خطأ الاتجاه الذى ظهر فى بعض الدول الاشتراكية الاوروبية والذى يرى ان حل مشكلات الاقتصاد المتقدم يكمن فى الرجوع الى « آليات السوق » انه من العبث ان يتحدث اشتراكيون عن أهمية السوق كمنظم للحياة الاقتصادية ، فى الوقت الذى اصبح الرأسماليون يدركون ان السوق يقود الى كوارث لا سبيل الى دفعها الا بتكاتف الاحتكارات الكبرى مع الدولة ، فى نوع من التخطيط او على الاقل « السياسة الاقتصادية » ، كذلك لا يمكن ان يكمن تطوير الديموقراطية الاشتراكية فى الانتكاس الى أشكال تحاكى الديموقراطية الغربية التى يضيق بها أبناؤها ويتمردون عليها • ان حل هذه القضية المعقدة لا يمكن تلمسه بحال فى « عودة » من نوع ما الى ماقبل الاشتراكية ، فالتماس حلول الحاضر والمستقبل فى تجربة الماضى هو الرجعية بعينها .

ولكن يجب ان نسلم كذلك بحقيقة القضايا المطروحة وانها ليست مفتعلة افتعالا على يد اعداء الاشتراكية . فأساليب التخطيط والادارة الاقتصادية فى المجتمع الاشتراكى هى علاقات الانتاج . وهى بالتالى محكومة فى التحليل الاخير بتطور قوى الانتاج . وقد تطورت قوى الانتاج فى الاتحاد السوفيتى تطورا هائلا خلال الاربعين عاما الماضية . ومن ثم فان الماركسية نفسها تقول بضرورة تطوير علاقات الانتاج . أما أسلوب الحكم فهو البنيان العلوى للمجتمع المحكوم فى التحليل الاخير ببنائه الاساسى ، وهو اسلوب الانتاج (قوى الانتاج وعلاقات الانتاج) ومن ثم لا يكون هناك اية هرطقة فى النقاش حول تطوير الديموقراطية الاشتراكية ، وفى الحالين تبقى القضية الاساسية هى محتوى التطوير واشكاله واساليبه ، والى جانب هاتين المشكلتين الرئيسيتين ثمة مشكلات اخرى فى هذا المجتمع الاشتراكى المتطور تحتاج الى تحليل وتأصيل وعلاج : مشكلة الشباب ، الاسرة والعلاقة بين الزوجين ، القيم الجمالية واصول الابداع الفنى ... الخ .

٢ ــ وأدى انتشار الاشتراكية فى عدة دول الى ظهور مشكلات جديدة ، فلينين قد وضع نظرية بناء **الاشتراكية فى دولة واحدة** ، ولكنه لم يتعرض للعلاقات بين مجموعة من الدول الاشتراكية . ذلك انه كان يعالج مشاكل الثورة فى عصره ولا يتنبأ بمشكلات المستقبل . وهذه العلاقات تصطدم أولا **بالتفاوت فى درجات النمو بين الدول الاشتراكية .** فالاشتراكية حين تصبح نظاما عالميا ترث أوضاعا خلقتها الرأسمالية ، من أبرزها ظاهرة النمو غير المتكافىء . والى جانب ذلك لا يوجد أساس نظرى واضح للمبادلات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية . **فالسوق الاشتراكية العالمية يتعذر اخضاعها للتخطيط** حيث لا توجد سلطة فوق الدول الاعضاء فيها ، تضع لها جميعا خطة شاملة . وهى لا يمكن ان تسير على قواعد السوق الرأسمالية بشكل مطلق ، والا غدت امتدادا لها وفقدت مدلولها الاشتراكى واصبحت عامل تعميق للنمو غير المتكافىء . وأخيرا **تثور المشكلة القومية** فى مجال العلاقات الاقتصادية والسياسية .. لقد كان لينين عبقريا فى حله لمشكلة القوميات داخل الدولة الواحدة ذات الشكل الاتحادى . ولكنه لم يتعرض لمشكلة القوميات التى تستظل بالاشتراكية ، ولكن فى شكل دول مستقلة تماما تتفاوت من حيث الحجم والامكانيات الاقتصادية والقوة العسكرية والنفوذ السياسى . وطبيعى ان تنشأ عن تلك الاوضاع تناقضات فى داخل المعسكر الاشتراكى .

وطبيعى أن تحاول الامبريالية استغلال تلك التناقضات ، ولا يكفى فى مواجهتها النوايا الحسنة ولا الحلول الجزئية ، بل لابد من تحليل عميق ونظرية شاملة كما كان يفعل « لينين » .

٣ ــ **وترتب على تعاظم حركة التحرر الوطنى واستهدافها التغيير الاجتماعى ان اتجه نحو الاشتراكية قوى اجتماعية وسياسية واسعة من الفلاحين والمثقفين ، تفوق فى بلاد كثيرة قوى الطبقة العاملة الناشئة المحدودة العدد القليلة الخبرة . وطرح هذا الوضع مشكلات جديدة تتعلق بالدور الثورى للبورجوازية الصغيرة** ، وبطبيعة المجتمع الذى تؤول السلطة فيه الى قيادة أو حزب ثورى بورجوازى صغير ، أو تجمع جماهيرى عريض ذو قيادة اشتراكية ، وبضمانات تحقيق التحول الاشتراكى . ويبرز هنا على نوع الخصوص **طبيعة التنظيم السياسى فى مثل هذه** الظروف وكيف يمكن ان يكون طليعيا وان يحقق وحدة كل المناضلين من أجل الاشتراكية فى نفس الوقت ، وماهى الحدود الفاصلة بين الحزب الطليعى والتجمع الشعبى العريض ، كما يثور التساؤل حول طبيعة الدولة فى مثل تلك الظروف .. الخ . كما ان تطور حركة التحرر قد فضح اسلوب الاستعمار فى تفتيت البلاد التى خضعت له . ومن ثم طرحت **قضية القوميات الممزقة** وأسلوب توحيدها ، كما طرحت قضية تجمع الدول التى لا تعبر كل منها عن واقع قومى متميز (كما هى الحال بالنسبة لعدد من الدول الافريقية) واشكال هذا التجمع ، واخيرا ظهرت **قضية الجبهة العالمية المعادية للامبريالية** وعناصر تكوينها وامكانيات خروجها الى حيز النضال الفعلى .. لقد وضع « لينين » صيغة لتعاون الاحزاب الشيوعية فى ظل تنظيم أممى له سلطات مركزية ازاء أعضائه . ثم تخلت الاحزاب الشيوعية عن ذلك التنظيم فى سنة ١٩٤٣ مقدرة انه لم يعد يعبر عن ضرورات العصر ، والان يوجد الى جوار الاحزاب الشيوعية ، أحزاب وحركات ثورية كثيرة بعضها فى السلطة ، وبعضها يناضل من أجل الوصول اليها . وليس من المتصور بالتالى ان يضم كل ذلك تنظيم مركزى واحد . وعليه فقضية وحدة هذه القوى جميعا ــ بالرغم من اختلافها فى نقاط كثيرة ــ مطروحة فى انتظار الحل .

٤ ــ ولم تفلح الرأسمالية الاحتكارية بالرغم من « الثورة العلمية والتكنولوجية » وبالرغم من « مجتمع الاستهلاك » ، فى ان تزين وجهها للجماهير وتكسب ثقتها . وليس أدل على ذلك من هبة الشباب فى كل الدول الرأسمالية الكبرى للتعبير عن ادانته للمجتمع الراسمالى وكثرة لفتاته وتطلعه الى مجتمع أفضل . ولكن التطور الاخير

لرأسمالية الدولة الاحتكارية يطرح عددا لايستهان به من القضايا • فهناك قضية **الطبقات الوسطى** التى يتزايد عدد أعضائها بفضل التقدم التكنولوجى والتى بدأت تحس بالاستغلال الواقع عليها من الاحتكاريين فأخذت تتخلى عن الولاء المطلق للرأسمالية وتنجذب الى طريق البحث عن مجتمع أفضل • وهناك **الشباب (والطلبة بنوع خاص)** الذين كثيرا مايضيقون بأساليب النضال التقليدية من اضرابات وانتخابات ومظاهرات وتنظيم حزبى ويريدون العمل المباشر والسريع • وهناك التطور التكنولوجى وأثره فى **زيادة عدد الكادحين الذهنيين** بين صفوف المستغلين . وهناك قضية **الانتقال السلمى** للاشتراكية وكيف يمكن ان يتميز عن الاجراءات الاصلاحية أو « التحول التدريجى » الذى طالما تغنت به الاحزاب الاشتراكية اليمينية وهناك أخيرا الاستغلال الخبيث والبشع الذى تفرضه الدول الرأسمالية الكبرى على شعوب العالم الثالث بحكم قوتها الاقتصادية ذاتها ، وكيف يمكن ان تشترك شعوب البلدان الرأسمالية الكبرى اشتراكا فعالا فى **النضال ضد الاستعمار الجديد** ، كما شاركت بالامس فى النضال ضد الاستعمار القديم •

وبعد ، فتلك بعض من القضايا الاساسية التى يثيرها العمل الثورى فى عصرنا الراهن • وعبثا نحاول ان نجد لها « حلا جاهزا » فيما كتب لينين فمثل هذا المسعى يتناقض اساسا مع جوهر اللينينية ، كذلك لايجدى نفعا ان ننحى باللائمة على هذا او ذاك من دعاة الفكر الماركسى • ان مشكلات عصرنا – بحكم التقدم ذاته – اصبحت من التعقيد بحيث يستحيل ان يقدم لها الحلول المرضية فرد مهما تكن عبقريته ، كما ان قادة الاحزاب الثورية الحاكمة تستغرقهم بالضرورة مهام الحكم عن ان يتفرغوا للدراسة والتحليل . بل ان قيادات الاحزاب الثورية الكبيرة التى لم تصل الى الحكم بعد ، تشغلها ايضا قضايا النضال اليومى ، ولا تملك ان تهمل حياة الجماهير اليومية لتنخرط فى جهد نظرى خالص • ان « لينين » قد كتب مؤلفاته الاساسية فى سنوات النفى • ففى **سيبريا** (فبراير سنة ١٨٩٧ – يناير سنة ١٩٠٠) ألف « تطور الرأسمالية فى روسيا » • وبين **سويسرا وألمانيا وانجلترا** (يولية ١٩٠٠ – نوفمبر سنة ١٩٠٥) كتب « ما العمل ؟ » و « تكتيكان » ، وفى **فترة النفى الطويلة** (يناير سنة ١٩٠٨ ابريل سنة ١٩١٧) ألف « المادية والنقد التجريبى » و « المذكرات الفلسفية » و « الامبريالية » . وليس معنى ذلك أن لينين كان « متفرغا للجهد النظرى » كأستاذ فى جامعة ، ولو كان كذلك لما انجز شيئا . ولكنه كمناضل وثيق الصلة بنضال شعبه وحزبه والحركة الثورية بصفة عامة ، توافرت له ظروف أعطته الوقت الكافى للتحليل والتأليف ، فضلا عن اكتساب الثقافة الواسعة واتقانه خمس لغات أجنبية •

يقول لينين :

« **نحن لا ننظر الى النظرية الماركسية كشىء استكمل لا يمكن المساس به ، على العكس نحن واثقون انها لم تفعل أكثر من وضع حجر الاساس لذلك العلم الثورى الذى يتعين على الاشتراكيين تطويرها فى كل الاتجاهات اذا ارادوا ان يواكبوا مسيرة الحياة** (٢) •

وهذه الدعوة هى من اهم مايمكن ان ينصت اليه الماركسيون فى احتفالهم بمرور مائة عام على مولد فيلاديمير ايليتش ، مؤسس الدولة الاشتراكية الاولى ، ولكن لكى يسيروا على نهج اللينينية يجب الا نفهم هذه الدعوة على انها رخصة لكل مثقف – أيا كان تفهمه للماركسية – لكى يبنى ماشاء من « نظريات » أو لكل جماعة ان تصيغ لنفسها « ماركسية » ترضيها . وانما معنى دعوة « لينين » هو العمل الجاد الجماعى المنظم من جانب الماركسيين المتخصصين فى مختلف العلوم الاجتماعية لتحديد معالم عصرنا ، التحديد العميق والشامل الذى يمكن القيادات السياسية من تحليلها واقتراح الحلول النظرية لقضايا الثورة المعاصرة • لقد تخلف البحث العلمى الماركسى فى علوم الاقتصاد والاجتماع والانتولوجيا والانتروبولوجيا وعلم النفس وعلم السياسة . الخ خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حكم ستالين ، ثم تجدد خلال السنوات العشر الماضية كجهد متفرق • وفى اعتقادى ان أعظم تحية يمكن ان تقدم للينين فى ذكراه ، هى ادراك اهمية هذه الدراسات لتقدم الثورة والتغلب على التناقضات فى صفوفها ، واعطاؤها بالتالى كل ماتستحق من رعاية وتشجيع وتخطيط ، تمهيدا لتحليل نظرى وسياسى شامل •

ان تمجيد « لينين » يجب الا ينحدر الى نوع من عبادة الفرد ، واتباع اللينينية لايعنى المحاكاة الآلية لما قدمته من حلول ثورية لصلاحيتها حدودها التاريخية • ولكن منهج القائد العظيم سيظل ابدا نبراسا يضىء طريق كل الثوريين •

---

[٢] لينين – الاعمال الكاملة ، الجزء الثانى ص ٣٢٦ [الطبعة الانجليزية] •

لينين - مائة عام من التاريخ



7

٤ كتب لينينية

- ما العمل؟
- الدولة والثورة
- تطور الرأسمالية في روسيا
- المادية والنقد التجريبي

ما العمـــــل ؟

لينين .. والمشاكل الملحة للحركة الثورية في روسيا

احمد نبيل الهلالي

كان تأسيس الحزب الشيوعي البلشفي .. من ابرز منجزات لينين الكبرى . وبناء هذا الحزب الذى قاد البروليتاريا الروسية نحو النصر فى ثورة اكتوبر الاشتراكية ، لم يكن مهمة سهلة ، ففى سبيل تحقيقها خاض « لينين » نضالا ايديولوجيا وسياسيا وتنظيميا عنيدا وطويلا ضد الحكومة القيصرية والعدو الطبقى من جهة .. وضد التيارات الانتهازية المختلفة داخل صفوف الحركة الاشتراكية الديموقراطية ذاتها من جهة اخرى .

● وفى خضم هذا النضال التاريخى .. أثرى لينين الادبيات الماركسية بكتابات ومؤلفات عديدة، يعتبر كتابه « **ما العمل ؟** » من ابرزها واهمها .

نشر لينين هذا الكتاب فى مارس ١٩٠٢ ليطور، ويفصل فيه أفكاره الهامة التى اوردها فى مقال شهير نشره فى جريدة « **الاسكرا** » فى مايو ١٩٠١ تحت عنوان « **بم نبدأ ؟** »

● ان فهم واستيعاب أفكار لينين التى أوردها فى « ما العمل ؟ » يتطلب بالضرورة التعرف على الاطار التاريخى الذى كتب فى ظله .. والظروف السائدة وقتذاك داخل الحركة الثورية الروسية .

ولقد أشار لينين فى كتابه الى أن الحركة الاشتراكية الديموقراطية الروسية مرت عبر مراحل ثلاث :

اولا : مرحلة التطور الجنينى (١٨٨٤ — ١٨٩٤) التى تعتبر مرحلة نشأة نظرية وبرنامج الحركة الاشتراكية الديموقراطية . وكانت الحركة خلال هذه الفترة كالجنين الذى ينمو داخل رحم أمه قبل ان يولد .

ثانيا : مرحلة الطفولة والمراهقة (١٨٩٤ — ١٨٩٨) التى ظهرت فيها الاشتراكية الديموقراطية فى العالم كحركة اجتماعية وكحزب سياسى .. وحققت نجاحات كبيرة .. وان كانت قد تميزت بأن معظم قادتها من الشباب غير المتمرس فى النشاط العملى الذى كان يهجر المسرح بسرعة مذهلة .

ثالثا : مرحلة التشتت والتفسخ والتذبذب، التى بدأت فى ١٨٩٨ . وخلال هذه المرحلة كانت الحركة الاشتراكية الديموقراطية تتسع باضطراد، وتخطو خطوات كبرى الى الامام، فى الوقت الذى كان فيه قادتها يتدهورون ويتقهقرون ويتفشى بين صفوفهم التخلف من الناحية النظرية ومن الناحية العملية . وانحدرت الاشتراكية الديموقراطية خلال هذه

المرحلة الى مستوى النقابية وكفت عن أن تكون نظرية ثورية متكاملة وتحولت الى خليط من الفكر .

وصدر كتاب « ما العمل ؟ » خلال هذه المرحلة بالذات في وقت كانت تسود الحركة الثورية الروسية فيه ظاهرتان أساسيتان :

الاولى : شيوع الانفسامية : فلقد كان الماركسيون مبعثرون في حلقات عديدة ، واذا كان المؤتمر الذي عقدته مجموعة من هذه الحلقات في مدينة **منسك** في مارس ١٨٩٨ قد انتهى باعلان تشكيل حزب العمال الاشتراكي الروسي .. الا ان هذا الاعلان ظل مجرد اجراء شكلي اذ فشل المؤتمر في تجميع الحلقات والمنظمات الماركسية وربطها تنظيميا ، كما ان المؤتمر لم يضع خطا موحدا لعمل المنظمات المحلية ولم يعلن برنامجا أو لائحة للحزب ولم تنبثق عنه قيادة نابعة من مركز موحد .

الثانية : ذيوع الانتهازية ولقد ساعد التفرق التنظيمي للاشتراكيين الديموقراطيين الروس على ذيوع الفوضى الايديولوجية . كما زاد من حدة هذه الفوضى تضخم صفوف المنظمات الماركسية بعدد كبير من المثقفين الثوريين الشبان الذين يفتقرون الى النظرية وتنقصهم الخبرة السياسية والتنظيمية ، والذين لم تكن لديهم عن الماركسية سوى فكرة عامة هي في الاغلب مشوشة وخاطئة . وقد ادى ذلك الى الهبوط بالمستوى النظري والسياسي للتنظيمات الماركسية .. مما خلق ظروفا مواتية لتقوية التيارات الانتهازية وخاصة « الانحراف الاقتصادي » في قلب الحركة العمالية .

● وكانت متطلبات الثورة الصاعدة تطرح بالحاح على الاشتراكيين الديموقراطيين الروس الوحدة في حزب ثوري قادر على قيادة النضال الثوري . ولم يكن أحد منهم ينازع في أهمية بناء حزب اشتراكي ديموقراطي لكل روسيا . غير أن الاشتراكيين الديموقراطيين الروس اختلفوا فيما بينهم حول الخطوات العملية الضرورية لتحقيق هذا الهدف . وطرح سؤال كبير نفسه عليهم : ما العمل ؟ ..

ويقول لينين في مقال (بم نبدأ ؟) :

« ان السؤال : ما العمل ؟ يطرح نفسه في السنوات الاخيرة أمام الاشتراكيين الديموقراطيين الروس بشدة . وليس المقصود اختيار الطريق (كما كان الحال في أواخر العقد التاسع وأوائل العقد العاشر) بل المقصود أن نعرف أي خطوات عملية يتعين علينا أن نخطوها في الطريق المعروف وبأية طريقة على وجه التحديد . أن المقصود هو منهج وخطة النشاط العملي » .

ويضيف لينين :

« المطلوب منا في الوقت الحاضر ليس الحل المبدئي للمسألة ، وانما الحل العملي .. » .

● وصدر كتاب (**ما العمل ؟**) ليقدم الاجابات العلمية على هذا السؤال الهام الذي اختاره « لينين » عنوانا لكتابه . وهي اجابات تحدد الحلول العمليه الضروريه وتحسم الخلافات التي ثارت حول طابع النضال ووسائله ومنهجه .. وتعالج المسائل الملحه للحركة الثورية الروسية في مطلع القرن العشرين وتشرح أسباب الازمه القائمه في صفوف الاشتراكية الديموقراطية في روسيا ووسائل الخروج منها وتفند الاراء الانتهارية حول مشاكل التنظيم .

الاهمية التاريخية للكتاب

يعتبر (**ما العمل ؟**) من اهم كتابات لينين التي سلح بها الطبقة العاملة الروسية ايديولوجيا وسياسيا . فلقد تضمن هذا الكتاب الاسس الاولى لتعاليم لينين حول بناء حزب موحد من طراز جديد .

ولذلك لعب الكتاب دورا هاما ، وملهما بالنسبة لنضال الثوريين الروس ، من اجل تأسيس حزب ماركسي ثوري . وساعد الكتاب على تجميع المنظمات الاشتراكيه الديموقراطيه الروسية حول **جريدة الاسكرا** . وأسهم الى حد بعيد في التحضير للمؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي الذي انعقد ١٩٠٣ ، وفي انتصار الاتجاه اللينيني داخل المؤتمر . وحقق الكتاب هزيمة ايديولوجية ساحقة وكاملة « للاقتصادية » و « الذيلية » و « التلقائية » .

ولقد اعتبر الحزب الشيوعي البلشفي كتاب (ما العمل ؟) دستوره في التنظيم السياسي خلال فترة تكوينه والسنوات التالية على هذا التكوين . كما أن الاسس الايديولوجية الواردة في الكتاب أصبحت فيما بعد القاعدة الايديولوجية للحزب الشيوعي البلشفي .

غير ان اهمية (ما العمل ؟) لا تظهر بالنسبة للحزب الشيوعي السوفيتي وحده . ولا تقتصر على فترة تاريخية محدودة . فاليوم ، وبعد أكثر من ستين عاما على اصداره ، مازالت أهمية الكتاب

النظرية والعملية قائمة · ان ما تضمنه الكتاب من مبادىء وأسس وما احتواه من خبرة ثورية واسعة وعميقة يعتبر مرجعا هاما لكل الثوريين فى كل البلدان ·

دفاع عن الاشتراكية العلمية

استهل « لينين » كتابه بفصل هام ، تصدى فيه لتهجم الاقتصاديين الروس على الماركسية تحت ستار « **حرية الانتقاد** » ·

وأوضح لينين انهم لم يطرحوا شعار « **حرية الانتقاد** » كمبدأ نظرى · وانما طرحوه كمطلب سياسى ردا على سؤال « **هل يمكن توحيد المنظمات الاشتراكية الديموقراطيــة التى تعمل فى خارج روسيا ؟** » ·

فقد تمسك الاتجــاه الانتهازى داخل الحركة الاشتراكية الديموقراطية بشعار حــرية « انتقاد الماركسية القديمة الجامدة » ، كشرط لتــوحيد الاشتراكيين الديموقراطيين الروس ، كــل ذلك بهدف تحقيق حرية تحويل هذه الحركة من حزب للثورة الاجتمــاعية الى حــزب ديمــوقراطى للاصلاحات الاجتماعية · وتحقيق حرية ادخال الافكار البورجوازية الى صفوف الاشتراكية العلمية وترويج الانتقادات البورجوازية لجميــع الافكار الاساسية للماركسية ·

ويقول لينين :

« **الحرية كلمة عظيمة ·· ولكن تحت لواء حرية التجارة ، شنت أفظع حروب السلب والنهب ، وتحت لواء حرية العمل نهب الكادحون · وان الاستعداد العصرى لتعبير (حــرية الانتقــاد) يتضمن نفس الزيف الموروث** » ·

ولقد حمل البعض ، لينين والاشــتراكيين الديموقراطيين الثوريين مسئولية البلبلة التــى أحدثها « الماركسيون القانونيون » الذين انحدروا الى مواقع الاقتصادية ، لان لينين ورفاقه ارتضوا التحالف مع هؤلاء خلال الفترة التى اشتهرت باسم « الماركسية العلنية » ·

غير أن لينين تصدى لهذه الحملة مؤكدا ان انطلاقة حركة العمال التلقائية ، وانعطاف الرأى العام التقدمى فى روسيا نحو الماركسية ، أدت الى اتحاد عناصر غير متجانسة بتاتا تحت لــواء مشترك للنضال ضد عدو مشترك هم الشعبيون الارهابيون ، وقد تجسد هذا الاتحاد فى مرحلة الماركسية العلنية ، التى نجحت الماركسية الثورية فى ظلها ، ورغم الحكم القيصرى المطلق ، من شق طريقها الى المطبوعات العلنية · حتى ان كل فرد أصبح يتباهى بأنه ماركسى ·· وأصبحت الماركسية موضع الاطراء ·

ويقول لينين :

« **ولا يخفى على احد ان الفترة القصيرة التى ازدهرت فيها الماركسية على سطح مطبوعاتنا، وقد تولدت عن تحالف بين الناس من ذوى الاراء المتطرفة واناس من ذوى الاراء المعتدلة جدا · وفى الواقــع كان هــؤلاء الاخيرون ديمقــراطيين بورجوازيين** » ·

وقصــد لينين بذلك « الماركسيين القانونيين » ، وهم جماعة من المثقفين البورجوازيين الذين ارتدوا عباءة الماركسية فى الوقت الذى رفضوا فيــه جوهرها · ويدافع لينين عن سلامة التحالف مع هؤلاء المثقفين ويرد على منتقديه الذين ـــ على حد قول لينين ـــ « **ينظرون الى الامور نظرة مغالية فى الاستقامة** » ، فيقول :

« **هؤلاء الناس مخطئون تماما · ان الذين لا يثقون بأنفسهم هم وحدهم الذين يخشون الدخول فى تحالفات مؤقتة حتى مع اناس لا يعتمد عليهم · ولا يمكن لاى حزب سياسى أن يعيش بدون أحلاف كهذه · لقد كان الاتحاد مع الماركسيين القانونيين هو أول تحالف سياسى حقيقى يعقده الاشتراكيون الديموقراطيون الروس · وبفضل هذا التحالف تم الانتصــار على النــارودنية بسرعة مذهــلة ، وانتشرت الافكار الماركسية (ولو بشكل مبتذل) انتشارا واسعا** » ·

غير أن « لينين » حرص على أن يؤكد ان توافر الحرية الــكاملة للاشتراكيين لبيان التنــاقض العدائى بين مصالح الطبقة العاملة ومصــالح البورجوازية هو شرط جوهرى لقيام مثل هــذه التحالفات · ولذلك عندما انحدر المــاركسيون القانونيون الى مواقع « الاقتصادية » ولجأوا الى افساد الوعى الاشتراكى وأنكروا على الاشتراكية الديموقراطية الحق فى الاستقلال ، وبالتالى الحق فى الوجود ، أصبح الانفصال أمرا ضروريا ·

وحاول الاقتصاديون الروس استغلال معارضة لينين لشعار « حرية الانتقاد » لاتهامه بــالجمود العقائدى والمذهبى · غير أن لينين حرص دائما على تفنيد هذا الاتهام · ففى ١٨٩٩ كتب لينين فى مقاله (**برنامجنا**) :

« **اذا ما دافعنا عن هذه النظرية ، التى نعتقد أعتقادا راســخا بأنها صحيحة ضد التهجمــات**

الباطلة ، وضد محاولات تشويهها ، فان هذا لا يعني اطلاقا اننا أعداء كل انتقاد • فنحن لا نعتبر أبدا نظرية ماركس شيئا كاملا لا يجوز المساس به ، بل نحن مقتنعون على العكس ، بأنها لم تفعل سوى ارساء حجر الاساس لذلك العلم الذي يتعين على الاشتراكيين الانطلاق به في جميع الاتجاهات لو أرادوا ألا يتخلفوا عن ركب الحياة • ونحن نعتقد انه من الضروري بصفة خاصة ان يدرس الاشتراكيون الروس ويطوروا نظرية ماركس بصورة مستقلة ، لان هذه النظرية لاتعطي سوى موضوعات توجيهية عامة تطبق مثلا في بريطانيا على خلاف ما تطبق في فرنسا •• » •

وفي كتاب (ما العمل ؟) ، سخر لينين من صيحات « فرسان حرية الانتقاد » وقال ان عباراتهم الطنانة عن الجمود الفكري ، « **تخفي وراءها عدم الاكتراث بتطوير الفكر النظري والعجز عن تطويره** » •

وقال لينين ان حرية الانتقاد « **لا تعني استبدال نظرية بأخرى • وانما تعني التحرر من أي نظرية متكاملة** » • انها تعني « **الانتقاء وانعدام المبادىء** » •

أهمية النظرية الثورية

وركز لينين في كتابه على الاهمية البالغة للنظرية الثورية مؤكدا انه « **لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية** » •

وقال ان هذه الاهمية تبرز بشكل خاص بالنسبة للاشتراكيين الديموقراطيين الروس ، لان حزبهم مازال في طور التأسيس ، وهو لم يصف بعد حسابه مع الاتجاهات الاخرى في الفكر الثوري التي تهدد بانحراف حركتهم عن الطريق الصحيح •

وأكد لينين ، انه كلما كانت الحركة الاشتراكية حديثة في بلد من البلدان ، وجب تشديد النضال ضد جميع محاولات تعميق وتوطيد الايديولوجية غير الاشتراكية ، ومضاعفة الحزم في تحذير العمال من نصحاء السوء الذين يصرخون ضد (المغالاة في تقدير أهمية الوعي) •

ويعتبر لينين التقليل من شأن النظرية بمثابة تقليل من قيمة ذلك السلاح الذي يمكن الحزب من معرفة الحاضر ومن التنبؤ بالمستقبل •

العلاقة بين الوعي والتلقائية

ناقش لينين في كتابه بالتفصيل العلاقة بين الوعي والتلقائية • وأوضح ان العنصر التلقائي ليس في جوهره سوى الشكل الجنيني للوعي •

وحدد لينين موقف الاشتراكية الديمقراطية من الحركة الجماهيرية التلقائية • وفضح ركوع الانتهازية امام تلقائية الحركة العمالية • وقال ان هذه ليست مجرد ظاهرة روسية ، وانما هي منتشرة انتشارا واسعا بأشكال متباينة في جميع احزاب الاممية الثانية دون استثناء •

وفند لينين معارضة الاقتصاديين لقيام الحزب بدور العنصر الواعي داخل الحركة العمالية ، وهاجم مزاعمهم القائلة بأن الاشتراكية الديموقراطية لا يجب ان ترفع العمال الى مستوى الوعي الاشتراكي ، بل عليها ان تهبط الى مستوى الفئات المحدودة التطور • بل وحتى الى مستوى اشد فئات الطبقة العاملة تخلفا ، واعتبر لينين ذلك دعوة الى الذيلية ، وتحويل الحزب الى مجرد ذنب للتطور التلقائي يرصد الحركة التلقائية ويزحف في مؤخرتها • وأكد لينين ان :

« **نضال البروليتاريا التلقائي لا يصبح نضالا طبقيا حقا •• بروليتاريا حقا •• الا عندما توجهه منظمة ثورية قوية** » •

وقال لينين ، ان الاقتصاديين يخدعون الطبقة العاملة عندما يزعمون ان الايديولوجية الاشتراكية يمكن ان تتولد من الحركة التلقائية للطبقة العاملة • ذلك لان الحركة العمالية الصرفة لا يمكن ان تصنع لنفسها ايديولوجية مستقلة ولا يمكن للعمال اكتساب الوعي الاشتراكي الديموقراطي الا من خارجهم • فالطبقة العاملة لا يمكنها ان تكتسب بقواها الذاتية سوى الوعي النقابي • أما التعاليم الاشتراكية فتنبثق عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي وضعها المثقفون الثوريون •

ان الاقتصاديين ، بانكارهم ضرورة جلب الوعي الاشتراكي الى داخل صفوف الطبقة العاملة يعيدون الطريق امام الايديولوجية البورجوازية ويسهلون لها التسلل الى داخل صفوف الطبقة العاملة •

ويشير لينين الى ان :

« **كل انتقاص من دور (عنصر الوعي) اي دور الاشتراكية الديموقراطية يعني - سواء أراد المنتقص او لم يرد - تقوية نفوذ الايديولوجية البورجوازية على العمال** » •

ويؤكد لينين قائلا :

« **اما ايديولوجية بورجوازية ، واما ايديولوجية اشتراكية وليس « هناك وسط بينهما ، لان البشرية لم تصنع ايديولوجية ثالثة** »

... وفى مجتمع تمزقه التناقضات الطبقية، لا يمكن ان توجد اية ايديولوجية خارج الطبقات او فوق الطبقـات ، ولذلك فان ادنى انتقـاص من الايديولوجية الاشتراكية ، وادنى ابتعاد عنها ، هو فى حـد ذاته بمثـابة تمـكين للايديولوجيـة البورجوازية وتوطيد لها » .

السياسـة النقابية والسياسة

الاشـتراكية الديمقـراطية

هاجم لينين دعوة الاقتصاديين الى تركيـز الاهتمام الاساسى للعمال على النضال الاقتصادى ضد اصحاب الاعمال . ورسم حدا فاصلا بين السيـاسة النقـابية والسيـاسة الاشـتراكية الديمقراطية متهما الاقتصـاديين بتمهيـد الارض لتحويل الحركة العمالية الى اداة للديموقراطية البورجوازية .

ورد لينين على قول الاقتصاديين ـ دفاعا عن انفسهم ـ بأنهم يعملون على اضفاء الطـابع السياسى على النضال الاقتصادى .

واوضح ان الحركة العمالية التلقائية فى حد ذاتها لا يمكن ان تخلق سوى النقابية ، والسياسة النقابية للطبقة العاملة هى بالتحديد سيـاسة بورجوازية ، « **فواقع اشتراك الطبقة العاملة فى النضال السياسى ، بل وحتى فى الثورة السياسية لا يجعل فى حد ذاته من سياستها سياسة اشتراكية ديموقراطية** » .

وعقب لينين على قول الاقتصاديين بان الظروف الروسية الخاصة تدفع الحركة العمالية بشكل حتمى فى الطريق الثورى ، قائلا :

« **ان الطريق الثورى للحركة العمالية قد لا يكون طريقا اشتراكيا ديموقراطيا . فعندما كان الحكم المطلق يسود فى غرب اوروبا كانت البرجوازية هى اوروبا الغربية بأسرها تدفع العمال ـ وتدفعهم بوعى ـ فى الطريق الثورى .. « .... اما نحن الاشتراكيين الديموقراطيين فلا يمكن ان نكتفى بذلك . واذا هبطنا نحن بشكل من الاشكال بالسياسة الاشتراكية الديموقراطية الى مستوى السياسة التلقائية النقابية فاننا بذلك نلعب لعبة الديموقراطية البرجوازية** » .

بنـاء منظمة للثوريين

كان لينين يؤمن ايمانا راسخا ، بان النمو المتزايد للحركة العمالية والحركة الثورية فـى روسيا يفرض ضرورة انشاء حزب موحد للطبقة العاملة الروسية . وكان يرى ان قيام هذا الحزب هو الشرط الاساسى والحاسم لنجاح الثـورة الاشتراكية فى البلاد .

وادرك لينين ان بناء هذا الحزب يجب ان يسبقه عمل ايديولوجى ونظرى ضخم ، لتفنيد كل ماروجته التحريفية والانتهازية من مفاهيم خاطئة ومشوهة ومضللة حول مسألة الحزب .

ولذلك كرس لينيـن القسـم الاكبـر من كتابه (**ما العمل ؟**) لقضية بناء الحزب الثورى والمشاكل التنظيمية المتعلقة بتكوينه ، والدور الذى يمكن ان تلعبه جريدة لكل روسيا فى هذا المجال .

● وناقش لينيـن بالتفصيـل نظرة « الاقتصاديين » الى المهام التنظيمية للثوريين الروس . وقال انه عندما يتحدث الاقتصاديون والاشتراكيون الديموقراطيون عن التنظيم فانهم يتحدثون لغتين مختلفتين . ان مصدر الخلاف بينهم يكمن فى كون النضال السياسى الذى يخوضه الاشتراكيون الديموقراطيون اشد تعقيدا واكثر اتساعا من ذلك النضال الاقتصادى الذى يركز عليه الاقتصاديون . لذلك فان الحزب الاشـتراكى الديموقراطى الثورى يختلف حتما عن تنظيمات العمال الخاصة بالنضال الاقتصادى .

ان الاشتراكى الديموقراطى يـريد « **منظمة للثوريين** » تكون العامل الجوهرى فى القيام بالثورة السياسية والاجتماعية . أما الاقتصادى فهـو يريد « **منظمة عمال** » اى منظمة تقوم بتنظيم نضال العمال الاقتصـادى ، انه لا يريد حـزبا للثورة الاجتماعية بل حزبا للاصلاحات الاجتماعية .

● وتناول لينين ظاهرة تخلف العمال الثورى عن مستوى الحركة العمالية التلقائية .. واتفق مع «ب ـ ف» احد قادة حزب الاشتراكيين الثوريين البرجوازى الصغير فى وجود سمة هامة تميز الحركة العامة للثـورة العمـالية الروسيـة وهى « **النقص العام فى القوى الثورية القادرة على العمل** »

غير ان لينين اختلف مع « ب ـ ف » حول سبب هذه الظاهرة ، فبينما زعم «ب ـ ف» ان السبب هو ان المجتمع لا يقدم غير عـدد محدود جـدا من الاشخاص الصالحين للعمل الثورى ، رفض لينين هذا الاستنتاج الخاطىء مؤكدا :

« **ان المجتمع يقدم من بين صفوفه عددا كبيرا جدا من الاشخاص الاكفاء فى العمل ، ولكننا عاجزون عن الاستفادة منهم جميعا .**

ويلخص لينين الموقف فى جملة فيقول :

« لا يوجد أناس — ومع ذلك يوجد عدد كبير من الناس » .

ويفسر لينين هذه الصيغة بقوله :

« يوجد عدد كبير من الناس لان الطبقة العاملة واكثر فئات المجتمع تنوعا تقدم سنة بعد الاخرى عددا متعاظما من الساخطين الراغبين فى الاحتجاج والمستعدين للمساهمة بكل مادى طاقتهم فى النضال ضد الاستبداد .

وفى نفس الوقت لا يوجد لدينا أناس ، وذلك لعدم وجود قادة ، لعدم وجود زعماء سياسيين، لعدم وجود منظمين موهوبين اكفــاء لتنظيم عمل واسع . وفى نفس الوقت موحد ومنسجم يسمح بالاستفادة من كل القوى ، حتى اقل القــوى أهمية » .

● وتضمن **(ما العمل ؟)** مشروع خطة لبناء الحزب الثورى الذى تنشـــده الطبقـــة العاملة الروسية .

— وتقرر الخطة ان نقطة البدء فى اقــامة الحزب : هى اصدار جريدة سياسية لكل روسيا .

— وتحدد الخطة ان بنيان الحزب يقوم على اطار ضيق من المناضلين الثابتين ، يتكون اساسا من المحترفين . ثم شبكة واسعة من التنظيمات المحلية تضم عددا كبيرا من الاعضاء ، ثم هالة واسعة من العاطفين تحيط بهذه التنظيمات .

— وتعتبر الخطة هدف الحزب المباشر ، هو قلب العنصرية واقامة نظام ديموقراطى ، وهدف الحزب النهائى هو قلب الرأسمالية واقامة الاشتراكية .

وقد شن الاقتصاديون حملة مسعورة ضـــد مشروع لينين لبناء الحزب ، واتهموا افكار لينين بأنها تحول النظرية الى عقيدة ميتة ، تعزلها عن العمل . وتصدى لينين لحجج خصومه بـالرد والتفنيد .

— قال خصوم لينين ان اقامة منظمة سرية قائمة على المركزية ، يتناقض مع « المبدأ الديموقراطى الواسع » .

ورد لينين على ذلك بأن هذا المبدأ الديموقراطى الواســـع يفترض بالضرورة العلنيـــة التـــامة والانتخاب لجميع المراكز الامر الذى لا يمكن تحققه فى منظمة حزبية تعيش فى ظلمات الحكم المطلق .

وتطبيق هذا المبدأ فى ظل السرية لا يؤدى الا الى مساعدة الشرطة على تنظيم حملات الاعتقال الواسعة .

— **واثار خصوم لينين** التخوفات من أن يؤدى تشكيل منظمة مركزية الى اضعاف الحركة الثورية بنقل مركز الثقل من العمل على النطاق المحلى الى العمل على النطاق القومى مما يضعف علاقات الحزب بجماهير العمال كما يضعف الاثــارة المحلية .

ورد لينين على هذا الادعاء ، بان الحركة الثورية تشكو بالدقه من الاستغراق فى العمل المحلى ولذلك فمن الضرورى نقل مركز الثقل بعض الشىء الى العمل على النطاق القومى .

— وعارض خصوم لينين دعوته لان تكون نقطة البدء فى بناء الحزب اصدار جريدة لكل روسيا ، وطالبوا بان يبدأ تكوين الحزب بدعوة المؤتمر الثانى للحزب الذى تكون مهمته تجميع وتوحيد المنظمات المحلية .

غير ان لينين رفض هذا الرأى مؤكدا انه قبل عقد مثل هذا المؤتمر يجب اولا« **توزيع العمل بينهم . وعلى رؤية مجمل النتائج التى حققها العمل المنظم** »

ويرى « لينين » انه بفضل هذه الجريدة يصبح النجاح الذى تحرزه منظمة محلية عاملا مشجعا لمزيد من النجاحات فى المنظمات المحلية الاخرى . وحافزا على الاستفادة من الخبرة التى اكتسبتها منظمة محلية ما ، فى الاجزاء الاخرى من البلاد . وبذلك تسهم الجريدة فى اثراء العمل المحلى كما تساعد على التحضير الواعى مستقبلا لما تم فى مرات سابقة بشكل تلقائى .

— **وزعم خصوم لينين** ان خطته لبناء الحزب خطة بيروقراطية تولد افكارا بيروقراطية وعملا بيروقراطيا .

الا ان لينين اوضح ان خطته على العكس من ذلك تضمن للحزب المرونة الضروريه والقدرة على التكيف الفورى مع اكثر الظروف النضالية تنوعا وأسرعها تبدلا . وشرح لينين الدور الهام الذى يمكن ان تلعبه الجريدة سواء فى فترات الجزر او المد الثورى ، ونبه الى خطأ بناء التنظيم الحزبى على اساس توقع مجرد معارك شوارع او هبات كما نبه الى خطأ بناء هذا التنظيم على اساس توقع مجرد « **النضال اليومى المعتاد** » ، ذلك لان :

« الثورة ذاتها لا يجب باى حال النظر اليها كعمل واحد ، وانما كسلسلة من الانفجارات القوية

التى تحل محلها بسرعة فترات من السكون العميق »

ولذلك فان المحتوى الاساسى لنشاط التنظيم الحزبى الثورى ، وبؤرة نشاطه ، يجب ان يكون مواصلة العمل الممكن والضرورى سواء فى مراحل الانفجارات العنيفة او فى مراحل السكون التام .

ويؤكد لينين ان التنظيم الثورى الذى سيعلو بنيانه حول جريدة نضالية لكل روسيا ستكون « **مستعدة لكل شىء ابتداء من صيانة شرف ومكانة واستمرار الحزب فى مراحل الجزر الثورى حتى الاعداد للثورة المسلحة على النطاق القومى واعلانها وانجازها** » .

بداية مرحلة جديدة

وفى نهاية كتاب (ماالعمل ؟) يتساءل لينين متى تنتهى المرحلة الثالثة من مراحل نمو الحركة الاشتراكية الديموقراطية .. تلك المرحلة التى تميزت بالتشتت والتفسخ . ويبشر لينين بأنه يلمح فى الافق تباشير مرحلة جديدة . ويقول :

« **اننا ننتقل من مجال التاريخ الى مجال الحاضر ، وبشكل جزئى الى مجال المستقبل . لكننا على يقين من أن المرحلة الرابعة ستشهد تدعيم الماركسية المناضلة ، وخروج الاشتراكية الديموقراطية من أزمتها مكتملة الرجولة ، وستحل طليعة حقيقية من الطبقة التى لا تضارعها فى ثوريتها طبقة اخرى محل مؤخرة الانتهازيين** » .

ويختم لينين كتابه محددا الشعار النضالى للاشتراكيين الديموقراطيين الروس فيقول :

« **تلخيصا لكل ماسبق عرضه فان اجابتى على سؤال (ماالعمل ؟) يمكن ان يكون باختصار : « فلنصف المرحلة الثالثة »** .

الدولة .. والثورة

د. ابراهيم سعد الدين

لعل خير ما يبدأ به مقال يعرض، ويعلق على كتاب « لينين » العظيم « **الدولة والثورة** » هو بداية الفصل الاول من الكتاب ذاته ، والذى يعلق فيه « لينين » على الكيفية التى تعامل بها كتابات الثوريين العظام بوساطة البورجوازية والانتهازيين . يقول « لينين » :

« يحدث الان لتعاليم ماركس ما حدث اكثر من مرة فى التاريخ لتعاليم المفكرين الثوريين وزعماء الطبقات المظلومة فى نضالها من أجل التحرر . ففى حياة الثوريين العظام كانت الطبقات الظالمة تجزيهم بالملاحقات الدائمة وتتلقى تعاليمهم ببغض وحشى أبعد الوحشية وحقد جنونى ابعد الجنون وبحملات من الكذب والافتراء وقحة ابعد القحة . وبعد وفاتهم تقوم محاولات لجعلهم ايقونات لا يرجى منها نفع أو خير لوضعهم ان أمكن القول ، ضمن قالب القانون ، ولاحاطة اسمائهم بهالة ما من التبجيل بغرض « تعزية » الطبقات المظلومة وتضليلها ، مبتذلة التعاليم الثورية باجتثاث

مضمونها وثلم نصلها الثورى . وفى أمر « تشذيب » الماركسية على هذا النحو لتلتقى البورجوازية الان والانتهازيون داخل الحركة العمالية، ينسون، يستبعدون ، يشوهون الجانب الثورى من التعاليم روحها الثورية، ويضعون فى المقام الاول ويطنبون فى امتداح ما هو مقبول للبرجوازية أو يبدو أنه مقبول » .

فى مواجهة مثل هذا التشويه المتعمد لتعاليم ماركس عن الثورة والدولة كتب لينين كتابه القيم ليوضح « **تعاليم الماركسية حول الدولة ومهمات البروليتاريات الثورية** » . وفى مواجهة كافة محاولات التشويه فى المرحلة الحالية من مراحل التطور العالمي يجب أن نتذكر كتاب لينين الخالد واستهلاله الصحيح .

واذا كانت النظرية الماركسية ككل نظرية اجتماعية أخرى ، تقبل الاثبات ، او النقض ، أو التطور لمواجهة التطورات الاجتماعية الجديدة ، واذا كان عصرنا الحالي هو عصر تطور تكنولوجى سريع ، وعصر انهيار النظام الاستعمارى ، وعصر بناء الاشتراكية كنظام عالمى ، يطرح على كل الثوريين وعلى الماركسيين بالذات ، ضرورة الدراسة العلمية للظواهر الحديثة والتحديات الجديدة » والاجابة العلمية على الاسئلة الجديدة التى تطرحها . فان هذا لا يعنى ان تطرح جانبا كافة الاجابات الصحيحة التى اثبتها الواقع والتطور التاريخى بالفعل، وانما على العكس من ذلك ، فالتطوير يفترض التمسك بهذه الجوانب من النظرية التى أثبتت الممارسة العملية صحتها وعمقها ، كما يتطلب فى نفس الوقت تعديل ما تبين مخالفته للواقع الحى المتجدد دائما ، وايجاد حلول للمشاكل الجديدة التى لم تكن قد تبينت بعد عند طرح النظرية فى صياغاتها الاولى . واذا كان يحلو للبعض باسم التجديد أحيانا أن يتهموا كل تمسك بالروح الثورية وكل رجوع الى تعليمات الثوريين العظام ، بالجمود والعقائدية التى عفى عليها الزمن والتى أصبحت لا تتمشى مع متطلبات العصر ، وأن ينطلقوا دون الاستناد الى دراسة حقيقية وعميقة للواقع الى استنتاج نظريات أو تعميمات جديدة يعتقدون بقدرتها على الاجابة على ما يثيره التطور التكنولوجى السريع وتطور المجتمع البشرى عامة فى عهد بناء الاشتراكية من قضايا هامة وعميقة . فان خير ما يتمسك به الثوريون حقا هو اتباع والتمسك باسلوب لينين . وابراز المحتوى الثورى العميق لتعليمات الثوريين العظام والتمسك بها والدراسة الموضوعية الجادة للتطورات الجديدة والوصول الى استنتاجات جديدة على أساس من هذه الدراسة الموضوعية ، تزيد النظرية غنى و تطورا .

وفى كتابه عن الدولة والثورة يجابه « **لينين** » بالذات المهمة الاولى : مهمة ابراز المضمون الثورى الحقيقى لتعليمات الماركسية عن الدولة ومهمات البروليتاريا فى تحقيق الثورة . وهو يلجأ لذلك الى اقتباس فقرات طويلة من مؤلفات ماركس وانجلز ليناقش على أساسها المفاهيم السائدة آنذاك عن الدولة فى أوساط الحركة الاشتراكية الدولية ، وخاصة فى أوساط الحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى ، والمناشفة والاشتراكيين الثوريين وغيرهم . ان الخلاف الرئيسى الذى حاول لينين أن يكشفه هو ما اذا كان بناء الاشتراكية يمكن أن يتم عن طريق استيلاء الطبقة العاملة على جهاز الدولة القائم بالفعل واستخدامه ، أو ان الثورة الاشتراكية تتطلب أكثر من ذلك .. تتطلب تحطيم الجهاز القديم واحلال جهاز ثورى جديد يستند الى مبادىء وأسس جديدة .

ان هذه القضية القديمة التى اثيرت قبيل بدء الثورة الاشتراكية فى روسيا كمسالة ذات أهمية عملية ، وليست كمجرد نقاش نظرى حول المبادىء العامة ، لم تزل تحتفظ بحيويتها بعد مرور نحو ٥٣ عاما من كتاب « لينين » فان تعليمات الماركسية لم تتناس بالنسبة لمسالة كاتنوسيت بالنسبة للدولة والثورة . رغم أن هذه التعليمات لم تثبت صحتها واصالتها وثوريتها بالنسبة لموضوع ما ، قدر ما اثبتته بالنسبة لهذا الموضوع .لقد تناسى العديد من الثوريين فى العالم الثالث ـ بل وفى العديد من الاحزاب الماركسية اللينينية ذاتها ـ ما أوضحه ماركس وابرزه لينين من ضرورة تحطيم جهاز الدوله القديم كشرط أساسى من شروط تحقيق الثورة وباعتباره المهمة الاولى لها ، وضرورة بناء جهاز سلطة ثورى جديد ليحل محل الجهاز البيروقراطى السابق . وذلك كشرط ضرورى لاعادة صياغة المجتمع وبناء الاشتراكية . وكان لهذا التناسى أثره فى تصفية العديد من التجارب التى حاولت اقامة شكل من اشكال المجتمع « الاشتراكى » بالاستناد الى اداة الحكم القائمة بالفعل ، أو على الاقل وتوقف بعض هذه التجارب فى منتصف الطريق ، لا تستطيع التقدم لاستكمال مهام الثورة ، أو فى ظهور بيروقراطية جديدة حولت لصالحها نتائج التحول الاجتماعى ، وامتصت الجزء الاكبر من الفائض الذى يتحقق فى القطاع المؤمم .

والان ما هى تعليمات الماركسية حول الدولة ومهام البروليتاريا فى الثورة كما يبرزها لينين :

● المبدأ الاول الذى تعلنه الماركسية هو ان الدولة هى نتاج ومظهر استعصاء التناقضات الطبقية ، فهى تنشأ « **حيث وعندما وبمقدار ما**

تكون التناقضات الطبقية موضوعيا فى حال لا يمكن التوفيق بينها » .

والدولة كقاعدة عامة ، هى دولة الطبقة الاقوى السائدة اقتصاديا ، والتى تصبح عن طريق الدولة الطبقة السائدة سياسيا أيضا مكتسبة وسائل جديدة لقمع الطبقات المظلومة واستثمارها ·

والدولة قوة تنشأ من المجتمع ولكنها تصبح فوقه ، وتنفصل عنه اكثر فأكثر بمقدار ما تتفاقم التناقضات الطبقية داخل الدولة وكنتيجة للتنافس والتناقض الدولى .

وتبقى للدولة هذه الصفات فى أشد النظم تمثيلا وأكثرها ديمقراطية ·

● ان الخطوة الاولى فى اى ثورة عمالية ، هى رفع البروليتاريا الى طبقة سائدة · وعن طريق هذه السيادة يمكن أن ينتزع بالتدريج من البورجوازية رأس المال ، وتمركز ادوات الانتاج .

● ان تحقيق الثورة الاشتراكية لا يمكن أن يتم بمجرد الاستيلاء على آلة الدولة القائمة جاهزة وتحريكها من أجل اهداف الثورة ، ان الواجب الاول للطبقات الثورية هو تحطيم آلة الدولة البيروقراطية العسكرية ·

● ان الطبقات الثورية تستعيض عن آلة الدولة القديمة بتنظيم نفسها فى شكل دولة ذات طابع جديد · ان طبيعة التنظيم الجديد تحدده خبرة الحركة الجماهيرية .

وقد اجابت الثورات العمالية الاولى « **كومونه باريس** » على هذه المسألة بعدد من الاجابات المحددة التى نجحت مع الظروف التى واجهتها · فألغت الجيش الدائم واستبدلته بالشعب المسلح ، والغت الفصل بين الهيئات التشريعية والتنفيذية . وفوضت اعضاء الكومونة المختارين بوساطة الشعب بان يقوموا بكل من التشريع والتنفيذ مع امكان عزلهم وسحب التفويض الممنوح لهم فى أى وقت كان ، وقضت على الامتيازات التى يتمتع بها كبار الموظفين ، وأصبحت الخدمة العامة تؤدى باجور تتمشى مع اجرة العمال ، وخضع جميع الموظفين لمبدأ الانتخاب والعزل ·

وقد أبرزت ثورات ١٩٠٥ ، ١٩١٧ تنظيمات مشابهة هى سوفيتيات العمال والفلاحين · ورغم اختلاف الشكل المحتمل للتنظيمات الجديدة ، فمن الضرورى فى كل حال أن تنظم الطبقات الثورية نفسها فى شكل دولة ذات طابع جديد ·· دولة تحمى نفسها من محاولات الاطاحة بها ، ومن تحول موظفيها من خدم للمجتمع الى أسياد له ·

ويتطلب هذا الاطاحة بجهاز الاضطهاد القديم جميعه ، عن طريق التوسيع الهائل للديمقراطية لتصبح لاول مرة ديمقراطية للشعب ، لا ديمقراطية للاغنياء ، ديمقراطية تتيح للجميع حقا الاشتراك فى ادارة الدولة والرقابة على الانتاج والتوزيع ·

وعندما تاخذ أكثرية الشعب بالقيام بصورة مستقلة فى كل مكان بهذه الرقابة ، وبهذا الحساب على الرأسماليين وعلى المثقفين الذين يحتفظون بالعادات الرأسمالية لا يبقى بالامكان التخلص منها « ولا يبقى للفرار منها ملاذ » ·

● ان جهاز الدولة الجديد ينقل ملكية الانتاج الى كامل الامة ، الى كامل المجتمع · وهو يحل المركزية العمالية الواعية والديمقراطية محل المركزية البورجوازية البيروقراطية · ان المركزية الديمقراطية لاتنفى بتاتا الادارة الذاتية المحلية ، التى ستزيل كل مظهر من مظاهر البيروقراطية وكل مظهر من مظاهر اصدار الاوامر . ان الانتاج الحديث يتطلب وحدة الامة وادارة اقتصادها ادارة مركزية ·

ان اللامركزية ليست هى وسيلة القضاء على البيروقراطية · ان الذى يحول دون تحول اجهزة السلطة الجديدة الى أجهزة بيروقراطية هو فى سيادة مبدأ انتخاب الموظفين وعزلهم فى كل وقت ، وفى عدم منح امتيازات لكبار الموظفين ، وفى الانتقال فورا الى قيام الجميع بوظائف المراقبة والاشراف .

● ان الدولة الجديدة تستمر فى ممارسة سلطتها كدولة ، أى تستمر فى ممارسة سلطة القمع ، ولكنه يكون قمع للاقلية بوساطة الاكثرية ، وتستمر الحاجة الى الدولة ما دام المجتمع لم يزل فى مرحلته الاشتراكية ، أى مادام توزيع الانتاج يتم على أساس من قاعدة مشاركة العاملين المختلفين فى الانتاج · ان بدء اضمحلال الدولة يتطلب تحقيق عدد من الشروط الاساسية · فهو يقتضى زوال التضاد بين العمل الفكرى والعمل الجسدى ، وأن يصبح العمل لا وسيلة للعيش وحسب ، بل الحاجة الاولى للحياة ايضا ، كما يتطلب تنامى القوى المنتجة مع تطور الافراد فى جميع النواحى بحيث تتدفق جميع ينابيع الثروة الجماعية بفيض وغزارة ، وبحيث يمكن أن يتم التوزيع فى المجتمع طبقا لحاجات الافراد ·

ان البناء الاشتراكى يفسح المجال لتطور القوى المنتجة تطورا هائلا · ولكن لا يمكن التنبؤ بدقة بالوقت اللازم لتحقيق الشروط السابق الاشارة اليها ، ومن هنا فلا يحق للماركسيين الا أن يتكلموا عن حتمية اضمحلال الدولة ، تاركين وقت

هذا الاضمحلال أو أشكاله الملموسة معلقة، ذلك لانه لا توجد معلومات تسمح بحل هذه المسألة •

والى أن يحل هذا الطور الاعلى ، فان الاشتراكيين مطالبون برقابة صارمة جدا من جانب المجتمع ومن جانب الدولة ، على مقياس العمل ومقياس الاستهلاك • ولكن هذه الرقابة تبدأ من مصادرة أملاك للرأسماليين ومن رقابة العمال على الرأسماليين ، والا تمارسها دولة الموظفين بل دولة « العمال المسلحين » •

لقد مضى أكثر من نصف قرن منذ كتب « لينين » كتابه عن الدولة والثورة • نصف قرن شاهد قيام الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى، ونشوء النظام الاشتراكى العالمى بعد الحرب العالمية الثانية وامتداده منأواسط أوربا حتى جنوبشرق آسيا وشموله لاكثر من ثلث سكان العالم • كما شاهد بدء انهيار النظام الاستعمارى ونشوء عدد كبير من الدول المستقلة حديثا التى سارت فى طريق التطور المستقل ، والذى اتخذ بعضها طريق التطور غير الرأسمالى ، وانتقل بعضها بالفعل الى بناء الاشتراكية • وتحقق النجاح لبعض هذه التجارب، بينما فشلت تجاربأخرى. وتطرحهذه الاحداث جميعا عديدا منالمشاكلالجديدة بالنسبة لموضوع الدولة والثورة لم يتطرق اليها لينين ، أو أعطى اجابات عامة عنها تتطلب مزيدا من التفصيل ، أو حتى اعادة النظر على ضوء التجارب الواقعية •

فمسألة الديمقراطية الاشتراكية مثلا لم تزل احدى المسائل التى تتطلب البحث واعادة النظر على ضوء التجارب الاشتراكية الواقعية، وكيفية الحيلولة دون نشوء وسيادة البيروقراطية داخل المجتمعات الاشتراكية ، قد أصبحت اليوم أهم المسائل الرئيسية التى يثور حولها الجدل داخل الحركة الاشتراكية، سواء فىالنطاق النظرى أو العملى • وطبيعة السلطة الثورية فى البلاد التى لم تنم فيها البروليتاريا الصناعية ، بحيث تصبح الطبقة القائدة للتحول الاجتماعى، تثير هى أيضا عديدا من المناقشات والقضايا • وواجب القيادات الثورية فى كل مكان أن تناقش مثل هذه القضايا لا أن تتجنبها • على أن واجبها فى مناقشاتها دائما أن تتعلم من لينين القائد الثورى الذى احتفظ دائما لتعاليم الثوريين العظام بمضمونها الثورى الحقيقى ، فى نفس الوقت الذى لم يتردد فى دراسة الظواهر الجديدة دراسة عميقة وموضوعية من أجل ايجاد الحلول الملائمة للمشاكل الجديدة التى يطرحها دائما التطور الاجتماعى السريع والمستمر •

تطور الرأسمالية فى روسيا

كتب

« لينين » هذا الكتاب وهو فى منفاه عام ١٨٩٨ ، بعد دراسة ضخمة وجهد استغرق منه ثلاث سنوات ، وقد بدأ « لينين » العمل الجاد فى هذا الكتاب عند بدء اعتقاله ، ففىخطابه الاول الذى ارسله من منفاه كتب يقول :

« لدى فكرة شغلتنى بدرجة كبيرة منذاعتقالى، وتتملكنى اكثر فأكثر مع مرور الوقت، لقدشغلتنى منذ فترة طويلة مسألة اقتصادية هامة تتعلق بتسويق منتجات الصناعة الحديثة فى البلاد ، وقد انتقيت بعض المراجع ، ورسمت تخطيطا لتحليل تلك المشكلة ، بل لقد بدأت الكتابة بفرض

لنشر عملى فى كتاب اذا مازاد حجمه عن المقال الصحفى .. »

واحتاج « لينين » من اجل دراسة الموضوع الى مئات المراجع والمواد الاحصائية ، فأرسل الى أخته واقربائه ليمدوه بكل مايحتاج اليه من اجل انجاز دراسة الموضوع . وقد اشارت اخته «اوليانوفا» فى مذكراتها الى ذلك ، فكتبت تقول : « بينما كان لينين يعمل فى منفاه فى الكتاب قرر ان يستخدم مكتبات العاصمة ، ليحصل على المواد اللازمة للعمل الذى خطط له ، والتى كان يعرف انه لايمكنه الحصول عليها فى المنفى .. ولقد ارسلت له اكداسا من الكتب ، ونسخت له بناء على طلبه كثيرا من الاقتباسات » .

ومنذ منتصف عام ١٨٩٧ تلقى لينين معظم المواد التى يحتاجها وفرغ من اعداد الكتاب فى اغسطس ١٨٩٨ . وطوال السنوات الثلاث التى عمل فيها « لينين » لاخراج الكتاب ، قام بدراسة نقدية لكل ماكتب عن الاقتصاد الروسى .

وقد عرض لينين المخطوط بعد أن فرغ من صياغته على اصدقائه المقربين ، واهتم بسماع آرائهم ، ثم اعاد مراجعة الكتاب فى صورته النهائية ، وانتهى من ذلك فى يناير ١٨٩٩ ، حيث دفع به الى المطبعة لينشر فى مارس ١٨٩٩ تحت الاسم المستعار « **فلاديمير ايلين** » .

وقد تردد لينين طويلا فى أن يسمى الكتاب « **تطور الرأسمالية فى روسيا** » .. ولقد كان يعتقد ان اعطاء الكتاب مثل هذا الاسم فيه شىء من عدم الدقة ، وكان قد اختار له اسم « **عملية تكوين السوق المحلية للصناعة الكبيرة** » . وازاء اصرار الناشرين صدر الكتاب باسمه الذى عرف به « **تطور الرأسمالية فى روسيا** » ووضع الاسم الذى اختاره له لينين كاسم فرعى للكتاب .

ويعتبر هذا العمل الهام الذى استغرق «لينين» لثلاث سنوات ، استمرارا لرأس المال . فلقد كان تحليل « لينين » لمشكلة تكوين السوق المحلية للرأسمالية الروسية مساهمة هامة فى نظرية ماركس الاقتصادية . وقد ركز « لينين » فى الجزء الاول من الكتاب على القضايا النظرية المطروحة فى ذلك الوقت ، فوضح ان عملية تكوين السوق المحلية انما هى عملية تطور الراسمالية . اذ انها فى جوهرها هى عملية التقسيم الاجتماعى للعمل ، ويشمل ذلك الاشكال المختلفة لتشغيل المواد الخام وانفصالها عن الزراعة الواحدة بعد الاخرى ، لتصبح فروعا مستقلة للصناعة حيث تقوم بمبادلة منتجاتها مع منتجات الصناعة ، وهكذا تتحول الزراعة نفسها الى صناعة تنتج سلعا ويحدث بها نفس عملية التخصص .

ثم انتقل الى توضيح ان السكان الصناعيين انما يتزايدون بدرجة اسرع من السكان الزراعيين حيث يتحول جزء متزايد من السكان من الزراعة الى الصناعة .

وخلال هذه العملية يتم انفصال المنتج عن وسائل انتاجه، اى ينتقل الانتاج السلعى البسيط ليتحول الى الانتاج الرأسمالى ، وهذا بدوره ما يخلق السوق المحلية ، فوسائل الانتاج التى يتحرر منها المنتج الصغير تتحول الى رأسمال فى يد مالكها الجديد ، وتصبح اداة لانتاج السلع ، كما تتحول هى نفسها الى سلع ، وهكذا يتضح ان مشكلة السوق المحلية ترتبط ارتباطا وثيقا بتطور الرأسمالية ، فالسوق المحلية للراسمالية، يخلقها تطور الراسمالية ذاته، الذى يعمق بدوره تقسيم العمل الاجتماعى ، ويقسم المجتمع الى رأسماليين وعمال ، وترتبط درجة تطور السوق المحلية ارتباطا مباشرا ووثيقا بدرجة تطور الرأسمالية فى أى بلد من البلاد .

وبعد أن تناول « لينين » فى الفصل الاول الفرضيات النظرية الاساسية للاقتصاد السياسى حول موضوع السوق المحلية للراسمالية ، انتقل فى الفصول التالية الى الجوانب التطبيقية المتعلقة بتطور الرأسمالية فى الزراعة فى روسيا فى فترة ما بعد الاصلاح . وعلى أساس المعلومات الاحصائية الدقيقة قدم «لينين» صورة حقيقية لتطور روسيا الاقتصادى ، وتحليلا ماركسيا علميا لعملية التباين الطبقى بين الفلاحين . ووضح « لينين » أن الفلاحين الروس قد وجدوا أنفسهم مع تطور البلاد يعيشون فى ظل اقتصاد سلعى يخضع فيه الفلاح خضوعا كاملا للسوق ، ويعتمد عليها سواء فيما يتعلق باحتياجاته الشخصية أو زراعته .

ثم انتقل « لينين » الى توضيح أن نظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائد بين الفلاحين فى [الجماعة القروية] انما يكشف عن وجود كل التناقضات الكامنة فى اى اقتصاد سلعى ، وفى اى نظام للرأسمالية . وكشف قصر نظر « **النارودنيك** » عندما يرون فى الجماعة القروية نظاما متماسكا لايعرف الرأسمالية ، ويمكن أن يكون بمنأى عنها ، ووضح أن « النارودنيك » عاجزون عن رؤية بذور الرأسمالية وبدايتها ، بل وكل تناقضاتها داخل الجماعة القروية ، التى تمثل شكلا من اشكال البرجوازية الصغيرة .

وانتقل « لينين » الى مناقشة التناقضات الاقتصادية فى الريف ووضح انها تتلخص فى عملية التباين الطبقى بين الفلاحين التى تتمثل فى الاتجاه نحو تركيز الانتاج فى أيدى محدودة وافقار الجماهير الواسعة من الفلاحين، وانتشار العمل المأجور فى كافة اشكاله بين الفلاحين الفقراء ، ان وجود طبقة واسعة من صغار الفلاحين فى المجتمع الروسى والمجتمعات الرأسمالية بشكل عام ، لايرجع الى افضلية الانتاج الصغير فى الزراعة . وانما يرجع الى أن مستوى احتياجات بقائهم أقل من العمال الاجراء ، ان حالة العامل الزراعى الاجير افضل من حالة الفلاح الفقير .

ان عملية التباين الطبقى التى جرت فى ريف روسيا كانت تخلق سوقا محلية للرأسمالية الروسية ، فبالنسبة للطبقات الدنيا كانت احتياجاتها الى السلع الاستهلاكية هى العامل الاساسى فى خلق تلك السوق ، وبالنسبة للطبقات العليا كان استحواذها على وسائل الانتاج باعتبارها سلعا عاملا اساسيا بالنسبة لها كذلك .

وانتقل « لينين » الى أن رأس المال التجارى والربوى يلعبان دورا هاما فى الريف ، وفى خلق وتطوير الرأسمالية فى الزراعة ، وعرج بعد ذلك على بقايا العلاقات القديمة المتخلفة عن عصور ما قبل الاصلاح واقتصاد السخرة، ووضح كيف تعوق تلك العلاقات البالية من سرعة نمو الرأسمالية ، وبالتالى من سرعة نمو الرأسمالية ، وبالتالى من سرعة تبلور السوق المحلية فى روسيا .

وناقش « لينين » التغيرات التى طرأت على البناء الداخلى للزراعة فى روسيا ، وكشف عن عملية انتقالها من نظام السخرة الى الاقتصاد الرأسمالى الذى يرتكز على الاستخدام الواسع للآلات وللعمل المأجور ، وأعطى صورة حية للجوانب المختلفة فى اقتصاد البلاد ، وللعلاقات فيما بينها ، وللاستغلال الوحشى الذى يتعرض له فقراء الفلاحون والكادحون بشكل عام من قبل البرجوازية الريفية والرأسمالية الروسية .

وفى نفس الوقت أشار « لينين » الى أن روسيا مازالت متخلفة عن البلدان الرأسمالية الاخرى فى تطورها الاقتصادى ، وأن تطورها يسير بصورة أبطأ بالمقارنة مع معدل التطور الذى يمكن تحقيقه فى ظل مستوى التكنولوجيا والثقافة القائمة ، وأرجع « لينين » كل ذلك الى بقايا العلاقات الاقطاعية التى تعوق تقديم وانطلاق الرأسمالية .

وخلص « لينين » من هذا التحليل الى أنه يوجد طريقان محتملان للتطور الرأسمالى أمام الزراعة الروسية : **أحدهما** هو التحول البطىء لاقتصاد كبار الملاك القديم ، **والثانى** هو القضاء الثورى على كل آثار القنانة ، وبشكل خاص التفاتيش الكبيرة ، **والطريق الاخير** هو الطريق الاكثر ملاءمة لاسرع تطور للقوى المنتجة، على أسس رأسمالية . ولكنه يخلق فى نفس الوقت ظروفا مواتية امام الطبقة العاملة لتحقيق مهمتها الرئيسية فى القضاء على الرأسمالية ، واعادة تنظيم اقتصاد البلاد على اسس اشتراكية .

ولقد كانت القضية الجوهرية المطروحة فى روسيا فى ذلك الوقت ، هى تحديد موقف من تطور الرأسمالية وامكانياتها . وأشار « لينين » الى أنه رغم ما تحمله الرأسمالية من طابع تقدمى بالنسبة للعلاقات السابقة عليها ، فان هناك ثورة شعبية تختمر فى روسيا ، ويساعد التطور الرأسمالى على اختمارها ، وأوضح أن هذه الثورة الشعبية لايمكن أن يكتب لها الانتصار الا اذا قادتها البروليتاريا الروسية النامية ، ان البروليتاريا تنمو بسرعة كطبقة فى المدن والريف وانها تتحول فى روسيا الى قوة سياسية ضخمة وكتب لينين يقول : « **ان قوة البروليتاريا فى عملية التطور التاريخى تفوق نسبتها العددية لمجموع السكان بما لايقارن** » . وأوضح «لينين» أن البروليتاريا لاتنمو عدديا فحسب ، وانما تتركز فى المراكز الصناعية وتشكل مع الفلاحين الغالبية الساحقة من السكان .

وقد مكنه هذا التحليل العميق للتطور الاقتصادى لروسيا من توجيه ضربة نهائية للافكار النارودنية، والماركسية القانونية ، التى كانت تدعى أنه طالما أن البروليتاريا تشكل اقلية ضئيلة من السكان فلا يجب عليها أن تناضل من أجل السلطة والاشتراكية ، كما فند فى نفس الوقت فكرة النارودنيك الخاصة « **بالاشتراكية الفلاحية** » ، والتى ترى فى الجماعة القروية نموذجا لمجتمع بعيد عن تناقضات الرأسمالية وآلامها . ودمغ « لينين » النارودنيك بأنهم أعداء للاشتراكية ، لانهم يدافعون عن استمرار الجماعة القروية فى وجه الزراعة الحديثة الكبيرة ، وقد وصفهم « لينين » بأنهم يمثلون مصالح كبار الملاك الذين يريدون أن يربطوا العمال بهم عن طريق منحهم قطعا صغيرة من الارض .

ولقد أكدت أحداث وتطورات روسيا فيما بعد التحليل الرائع الذى قدمه « لينين » فى كتابه

فقد كشفت عن الدور القيادي للطبقة العاملة واهميته بالنسبة لتقدم الثورة وانتصارها ، كما وضح تطور الثورة الطبيعية المزدوجة للفلاحين ، واستمرار عملية افقارهم المتزايدة مما وصفهم كحلفاء طبيعيين للبروليتاريا في ثورتها .

وعندما أعاد « لينين » نشر كتابه « تطور الرأسمالية في روسيا » عام ١٩٠٨ اهتم في مقدمته الى أن يشير الى تأكيد تطور الاحداث لما صاغه من فرضيات في هذا الكتاب ، وما خرج به من نتائج وضعت الاساس الفكرى للتحليل الطبقي للمجتمع الروسى ، وهو يموج بالثورة البرجوازية .

ح ٠ ع

المــــــــادية ٠٠ والنقـــدية التجـــريبية

د٠ مراد وهبة

ليس ثمة ماركسية ، انما ماركسية لينينية .

لماذا ؟

لان ثمة اضافة نظرية وعملية من لينين الى ماركس . وكتاب « المادية والنقدية التجريبية » هو الاضافة النظرية ، وفيه يطرح « لينين » مفهوم مغلوط عن المادية كما هو كائن عند من يعارض الماركسية في صورتها « المادية الديالكتيكية » ، ويزعم في ذات الوقت انه ماركسى .

وفى رأى « لينين » أن ثمة صنفا من الفلاسفة يدعو الى المذهب الفلسفى الذى يروقه ، وأن ثمة صنفا اخر يتبنى الماركسية ويشوهها في ذات الوقت . واهتمام « لينين » ، في هذا الكتاب ، ينصب على هذا الصنف الثانى ، وهو صنف ، في حقيقة أمره ، يؤثر « النقدية التجريبية » التى يمثلها كل من « ماخ » و « أفيناريوس » ويتبعهما نفر من الفلاسفة الروس من أمثال « بوجدانوف » و « يوشكوفتش » .

وأساس « النقدية التجريبية » مبدآن :

مبدأ « الاقتصاد في الفكر » ، وفحواه أن العالم الخارجي مكون من « عناصر حيادية » أي « احساسات » ليس الا ، وبالتالى فانه يلزم تنقية التجربة من معانى المادة والضرورة والعلية .

والمبدأ الثانى هو « مبدأ التنسيق » ، ويقوم على الربط بين الذات والموضوع . بيد أن هذا الربط يتم لحساب الذات ، ومن ثمة فالنقدية التجريبية تبرير للتصورية (١) .

(١) تصورية Idelisme قيل « مثالية » في ترجمة الاصطلاح الافرنجى ، وينبغى أن نقصر لفظ « مثالية » على النسبة الى نظرية افلاطون في المثل والنسبة الى المثل الاعلى ، وان نقول تصورية للدلالة على المذهب الذى ابتدعه دكارت وباسمه فيه الفلاسفة المحدثون والافرنج اذ يستعملون لفظا واحدا هو « ايدياليزم » يضطرون الى تعيينه بقولهم id. objectif دلالة على النظرية الافلاطونية و id. subjectif دلالة على المعنى الاخر . (المعجم الفلسفى ، ص ٤٢)

الكسندر الكسندروفيتش بوجدانوف (١٨٧٣ ــ ١٩٢٨)

فيلسوف روسى وعالم اقتصاد . كان من اتباع ماخ فى البداية ثم تحول عنه بعد أن اكتشف مافى الماخية من تناقضات . وابتدع نوعا من « التصورية الموضوعية » أدت به الى « الواحدية التجريبية » . حاول تأسيس علم كلى يضم جميع العلوم ، ويفسر جميع أنواع واشكال التكوينات بدعوى أن الكون مؤلف من تكوينات تجريبية .

من مؤلفاته : « فلسفة التجربة الحية » [١٩١٣] « العلم الكلى للتكوينات » [١٩١٢ ــ ١٩١٧] «فى الثقافة البروليتارية» [١٩٢٤]

و « لينين » يرفض « النقدية التجريبية » لانه يرفض هذين المبدأين ورفضه مردود الى التباين الجوهرى بين « النقدية التجريبية » و « المادية الديالكتيكية » ازاء نظرية المعرفة . والفصل من كتاب لينين هذا شاهد على ذلك ، فعنوانه « **نظرية المعرفة عند النقدية التجريبية والمادية الديالكتيكية** » . وتقديم مسألة المعرفة على غيرها من المسائل الفلسفية الاخرى يعنى اظهار الاسباب الاولى التى تحدو بكل فيلسوف الى سائر آرائه .

وثمة سؤالان تدور عليهما نظرية المعرفة :

- **هل العقل يعقل العالم الخارجي ؟**
- **وهل يعقله على حقيقته ؟ .**

يقول « لينين » ، نقلا عن « انجلز » ، ان جواب الفلاسفة فى جملتهم بالايجاب ، و « انجلز » يقصد الماديين ، كما يقصد التصوريين المتسقين مع انفسهم من أمثال « هيجل » ، اذ هو يرى أن المطلق هو الوجود الواقعى . بيد أن ثمة فريقا من الفلاسفة يذهب الى التشكك فى امكانية معرفة العالم الخارجى كما هو فى حقيقته . من هذا الفريق فلاسفة مشاهير أمثال « **هيوم** » و « **كانط** » رغم ما بينهما من افتراق .

« فهيوم » معدود من بين اللاأدريين ، اذ هو يسلم بالمبدأ الحسى القائل ان المعرفة مقصورة على المحسوس ثم يذهب الى نتيجته المنطقية فيبلغ الى « الظاهرية » المطلقة التى ترد المعرفة الى ظواهر الاشياء دون الاشياء ذاتها ، من حيث أن هذه ليس لنا بها أية دراية .

أما « **كانط** » فيعد من التصوريين بمقتضى مبدئه القائل ، اننا لا ندرك من الاشياء سوى انفعالنا بها . ولكنه لا يمضى الى نهاية الشوط ، اذ هو يقر وجود « الاشياء فى ذاتها » رغم عدم قدرة الانسان على معرفتها .

ومع ذلك فثمة اتفاق ، فى رأى « انجلز » ، بين « هيوم » و « كانط » من حيث القول أن ثمة عازلا بين الظاهرة والشىء الموجود وراء الظاهرة ، أو بين الادراك والشىء المدرك ، أو بين « الشىء فى ذاته » و « الشىء بالنسبة الينا » .

وبفضل هذا الاتفاق ، ليس من العجيب ان تكون فلسفة الماخيين خليطا من الهيومية والكانطية ، وان يكون هذا الخليط ركيزة لنقد « المادية » على النحو الذى تدعو اليه الماركسية .

فالماخيون ، فى رأى « لينين » ، كانطيين حين يقولون ان المادة هى الشىء فى ذاته ، والشىء فى ذاته غير معقول وغير معروف . وهم هيوميون حين يقرون أن السبب فى كونه كذلك مردود الى قول ماخ « ان الاشياء جملة احساسات » والى قول افيناريوس « ان الاحساس هو الوحيد الذى يمكن أن نفكر فيه على أنه الموجود » . بيد ان هذا القول او ذاك من شأنه ان يرد الماخية الى البركلية ، أى الى فلسفة « بركلى » على حد قول « لينين » .

وكيف يكون ذلك كذلك ؟

جواب « لينين » أن الاشياء ، عند « بركلى » ، جملة افكار ، والافكار كيفيات محسوسة أو احساسات ، والعقل مدرك لها وما هو مدرك فهو موجود ، وما ليس مدركا فهو غير موجود ، اى ان « الوجود ادراك » . وهذه عبارة مأثورة عن « بركلى » ، ومنها انكار المادة لازم .

والى التدليل على انكار المادة تصدى « بركلى » فى رسالته « نظرية جديدة فى الرؤية » ، اذ اوضح فيها أن البصر لا يدرك بذاته مقادير الاشياء واوضاعها ومسافاتها ، وكل ما يدركه ليس الا علامات على المسافات والاوضاع والمقادير . أما ادراك هذه الكيفيات الاولية فمردود الى اللمس وحده . يقول « أن معانى البصر ، حين نعرف بها

ديفيد هيوم (١٧١١ ــ ١٧٧٦)

فيلسوف انجليزى . سلم بالمبدأ الحسى القائل ان المعرفة مقصورة على المحسوس ، وذهب الى نتيجته المنطقية فبلغ الى «الظاهرية المطلقة التى ترد المعرفة الى ظواهر لا يربط بينها سوى علاقات تجريبية . وهذه الظاهرية تعبير عن الشكية ولهذا نعت هيوم نفسه بالشك ، ورأى أن الفلسفة هى هذا الشك وان الحياة العملية يكفى فيها وحى الغريزة .

من مؤلفاته : « فى الطبيعة الانسانية » [١٧٣٩] « محاولات اخلاقية وسياسية » [ثلاث مجلدات ، ١٧٤١ ، ١٧٤٢ ، ١٧٤٨] « محاولات فلسفية فى الفهم الانسانى » [١٧٤٨] « فحص عن مبادىء الاخلاق » [١٧٥٢] « محاورات فى الدين الطبيعى » ١٧٤٩ .

جورج بركلي

(١٦٨٥ ـ ١٧٥٣)

اسقف وفيلسوف . ولد في ارلندا من اسرة انجليزية الاصل بروتستانتية المذهب . تخرج في جامعة دبلن وبعد سبع سنوات حصل على الاستاذية في الفنون . وفي سنة ١٧٥١ فقد ابنا له وجزع جزعا شديدا فعول على الاعتزال في اكسفورد ، حيث مات فيها اثر اصابته بشلل كلي .

وجد في المبدأ التصوري ، القائل أن الموضوعات المباشرة للفكر هي المعاني دون الاشياء ، وسيلة لانكار المادة والرد على الماديين . ولهذا يسمى مذهبه باللامادية كذلك. وجعل من الله محور مذهبه في الوجود والمعرفة واليقين . فالعقل الالهي هو الذي يعرض علينا المعاني ودوام الله هو الذي يؤيد اعتقادنا بدوام الاشياء ، والارادة الالهية هي التي وضعت العلاقات بينها . ذلك مذهب بركلي يسمى بالتصورية كما يسمى باللامادية .

من مؤلفاته : « نظرية جديدة للرؤية » [١٧٠٩] « مبادىء المعرفة الانسانية حيث يفحص عن أهم اسباب الخطأ والصعوبة في العلوم ، واسس الشك والكفر بالله والالحاد » [١٧١٠] « ثلاثة محاورات بين هيلاسي وفيلونوسي » [١٧١٣] « التسيفرون او الفيلسوف الصغير » [١٧٣٢]

المسافة والاشياء القائمة على مسافة ، لا تدلنا على أشياء موجودة على تلك المسافة ، وانما هي تنبهنا فقط الى ما سوف ينطبع في ذهننا من معاني اللمس (أي الاحساسات اللمسية) تبعا لافعال معينة » .

ومن هذه الزاوية ينعت « لينين » البركلية بانها « تصورية ذاتية » أو « آحادية تصورية » . بمعنى أن الانا وحده هو الموجود ، وأن الفكر لا يدرك سوى تصوراته .

والماخية ، في رأي « لينين » ، ليست سوى هذه التصورية الذاتية أو الاحادية التصورية .

ولكن ما الذي يدفع الماخيه الى المضي بالمذهب الحسي الى التصورية دون المادية ؟

أثارة هذا السؤال أمر لازم لان « لينين » يقر أن المحسوس نقطة البداية في المعرفة ، ولكنه على الضد من الماخيين يعترف بضرورة المادة كأساس للامكانيات الدائمة للاحساسات . وهذه الضرورة ضرورة افتراض ، ذلك أننا لا ندرك من المادة سوى أشكالها . والسبب ، عند « لينين » ، أن الاحساسات مرتبطة بالاشكال العليا من المادة ، أي المادة العضوية . ويترتب على ذلك أن المادة أولية ، والاحساس ثانوي ، وكذلك الفكر والوعي . وهذه هي « المادية » في مقابلة « التصورية » التي تقرر على الضد من ذلك أن الفكر أولي والمادة ثانوية .

والمقابلة هنا واضحة بين المادية والتصورية ، ورغم هذا الوضوح فقد اندفع بعض الماركسيين الروس ، من أمثال « بوجدانوف » و « يوشكوفتش » ، الى تبني الماخية .

السؤال اذن :

لماذا ؟

جواب « لينين » أن سبب ذلك مردود الى أحد أمرين :

اما قصور في رؤية التناقض بين الماركسية والماخية .

واما تصور في الوعي ازاء الانحدار تجاه التصورية .

والقصور ، في الحالتين ، أصل نشأته كامن في أن الماخيين الروس قد وجهوا نقدا الى كانط من وجهة نظر « هيومية » و « بركلية » ، فتبنوا حسية هيوم وانتهوا بها الى تصورية بركلي . والانتقال من الحسية الى التصورية ممكن في غياب شروط معينة ، كما أن الانتقال من الحسية الى المادية ميسور في حضور شروط معينة .

من بين هذه الشروط « الممارسة » على حد قول « انجلز » . ومعنى ذلك ـ على حد تعبير « ماركس » ـ اننا ننتهي بالضرورة الى المادية في نظرية المعرفة بفضل الممارسة . ويمكن تصوير هذا التعبير بمعادلة رياضية على النحو الاتي :

نظرية المعرفة × الممارسة = المادية

ومن ثم فالفصل بين الممارسة ونظرية المعرفه يفضي حتما ، اما الى تصورية بركلي ، واما الى لا أدرية هيوم ، وماخ قد فصل بالفعل بين الممارسة ونظرية المعرفة .

وعلام تدل الممارسة ؟

ادوار لوروا

(١٨٧٠ ـ ١٩٥٤)

فيلسوف فرنسي متأثر بالبرجسونية وهي نزعة روحية تحد من مجال العقل فتقصره على ادراك المادة دون الروح . ولهذا يذهب لوروا الى رفض ادلة وجود الله بدعوى ان استنباط وجود الله يعني انكاره . ولكنه مع ذلك يدعو الى الايمان به من خلال التصوف المتمركز في المحبة ومن خلال المعجزة اذ من شأنها ان تكشف عن أولوية الروحي على المادي .

من مؤلفاته : « بحث في فكرة المعجزة » [١٩٠٦] « العقيدة والنقد في دراسات في الفلسفة والنقد الديني » [١٩٠٧] « مشكلة الله » [١٩٢٩

لودفيج فويرباخ

(١٧٧٢ ـ ١٨٠٤)

فيلسوف ألماني تأثر بصغار الهيجليين ، رفض التصورية ، وربط بينها وبين الدين بأنكره . وانحاز الى المادية .

احتفظ بالمضمون العقلي لفلسفة هيجل ، ولكنه لم يحرص على « الديالكتيك » المميز لهذه الفلسفة فجاءت ماديته عاجزة عن فهم الانسان وفهم المجتمع .

كان له تأثير قوى على معاصريه . قال عنه انجلز ذات مرة «لقد اصبحنا جميعا فويرباخيين» ولهذا يقال انه المهد للماركسية .

من مؤلفاته : نقد فسلفة هيجل [١٨٣٩]

انها تدل على الحقيقة •

ولكن اية حقيقة ؟ •

للجواب عن هذا السؤال يثير لينين سؤالين :

● **السؤال الاول :**

هل ثمة حقيقة موضوعية ؟ اى هل في مقدور المعاني الانسانية أن تكون ذات مضمون لا يتوقف علي الذات ، أي لا يتوقف على انسان أو على الانسانية ؟

● **والسؤال الثاني يلزم من السؤال الاول :**

واذا كان ذلك كذلك ، فهل المعاني الانسانية التي تعبر عن الحقيقة الموضوعية تعبر عنها مرة واحدة والى الابد ، أى تعبر عنها ، ككل ، اطلاقا وبلا شروط ، أم انها تعبر عنها بطريقة تقريبية ونسبية ؟

وللجواب عن هذين السؤالين يحيلنا « لينين » الى سؤال طرحه انجلز فى كتابه « ضد روهرنج » في مفتتح الفصل التاسع من الجزء الاول :

هل منتجات المعرفة الانسانية تتصف باليقين المطلق ؟

وجواب « انجلز » ايجابا وسلبا معا • فالحقيقة المطلقة ممكنة ولكنها ليست ممكنة الا فى اللانهاية • وتفسير ذلك أن ثمة تناقضا بين الفكر الانساني من حيث هو مطلق ، ومن حيث هو محدود في تحققه في كل انسان على حدة • ورفع هذا التناقض ليس ممكنا الا فى تقدم لا متناه للانسانية •

بيد أن هذا التفسير ، على حد قول « انجلز » ، يثير تساؤلا عن مسالة « نسبية المعرفة » relativisme التى يروج لها الماخيون فيتوهمون أن النسبية تستبعد اقرار امكانية الحقيقة المطلقة •

وهنا يدفع « انجلز » عن العقل شبهة العجز عن ادراك الحقيقة المطلقة ، ويثبت له القدرة على البلوغ اليها ، فيقرر ان ليس ثمة فاصل حاسم بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية فى نظر « المادية الديالكتية » •

ونفى هذا الفاصل مردود الى أن « النسبية » لا تعنى « الضدية » (٢) subjectivisme ، ذلك أن المادية الديالكتيكية تقر النسبية ، ولكنها لا تقرها بمعنى انكار الحقيقة المطلقة ، ولكن بمعنى الاقتراب من هذه الحقيقة •

واشكال الماخيين ، فى رأى « لينين » ، ناجم من أنهم ينقدون المادية الديالكتيكية من غير أن يعلموا شيئا عن الديالكتيك أو عن المادية •

فالمادية تقر أن الحواس تعطينا صورا دقيقة عن الاشياء ، وأن فى امكان الانسان معرفة « الاشياء فى ذاتها » وبالتالى فليس ثمة تباين بين الظاهرة والشيء فى ذاته ، وانما التباين قائم بين ما هو معروف وما لم يعرف بعد •

والديالكتيك قائم بين ما هو معروف وما لم يعرف بعد ، بمعنى أن المعرفة لن تكون « ثابتة » ولن تبلغ ابدا الى « الدجماطيقية » (الجمود) •

فما هو « ثابت » هو القول فقط « بانعكاس » العالم الخارجى على العقل الانسانى ، وليس من حقنا بعد ذلك الحديث عن ثابت آخر ، أى عن « ماهية » اخرى أو « جوهر » آخر .

ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، تكون المادية الديالكتيكية منهجا علميا • ومن حيث هى منهج علمى يمكن تحديد ماهية العلم •

ونسأل : **ما العلم ؟**

هو جملة قوانين • ولكن ثمة قوانين تخص العقل ، وأخرى تخص الطبيعة فما الصلة بينهما ؟

يقول « انجلز » فى كتابه « لودفيج فويرباخ » ان القوانين العامة للحركة ، سواء الخاصة بالعالم الخارجي او بالعقل ، متماثلة فى الجوهر ومتباينة فى التعبير • هى متماثلة فى الجوهر لان العقل من منتجات الدماغ ، والانسان ذاته من نتاج الطبيعة • وهى متباينة فى التعبير بمعنى أن العقل الانسانى يستخدمها عن وعى ، فى حين ان هذه القوانين تؤكد ذاتها بلا وعى على هيئة ضرورة خارجية فى الطبيعة ، بل فى معظم مراحل التاريخ الانسانى •

---

(٢) أى ان المعرفة هى من عند العارف المنفعل بالمعروف

القانون اذن ، على مستوى الوعي أو اللاوعي ، موضوعي • وحيث ان القانون ينطوي على العلية والضرورة ، فهما اذن موضوعان •
وهنا يثار سؤالان :

● هل الضرورة تنفي الحرية ؟

● وهل الموضوعية تفترض ثبات القانون ؟

أما عن الضرورة والحرية فجواب « لينين » متأثر بقول « هيجل » « ان الحرية تقدير للضرورة » • تفصيل ذلك ان الحرية ليست في الاستقلال عن القوانين الطبيعية ، ولكن في معرفة هذه القوانين ، وفي امكانية الافادة منها لتحقيق اغراض معينة • ومعنى ذلك أن الحرية تقوم على الضرورة ، أو بعبارة « انجلز » الضرورة الطبيعيه أولية والحرية الانسانية ثانوية • وليس من مبرر بعد ذلك للتحدث عن «ضرورة عمياء» الا من حيث إنها مجهولة بالنسبة للانسان . ويكون جهد الانسان عندئذ هو في تحويل الضرورة العمياء أي « الضرورة في ذاتها » الى « ضرورة لذاتنا » على غرار تحويل « الشيء في ذاته » الى « الشيء لذاتنا » • وبذلك تسقط حجة الماخيين القائلة بأن القانون الطبيعي معنى منطقي أو ميتافزيقي أو وثن ليس الا ، بسبب أنه مماثل للشيء في ذاته بالمعنى الكانطي .

وأما عن الموضوعية وعلاقتها بثبات القانون فالذي دفع « لينين » الى طرح هذا السؤال هو تأثر الماخيين بما يسمى « بأزمة الفزياء الحديثة » • وهو عنوان الفصل الثامن من كتاب « بوانكريه » المعنون « قيمة العلم » •

يقول « بوانكريه » ان أزمة العلم هي أزمة مبادئه • فقد اهتز « مبدأ حفظ الطاقة » بسبب اكتشاف ظاهرة « النشاط الاشعاعي » لمادة « الراديوم » • كما اهتزت مبادىء أخرى مثل « مبدأ حفظ الكتلة » بسبب « نظرية الالكترون » التي كشفت عن أن المادة ذات طبيعة كهربائية في اساسها . بمعنى ان الذرة لم تعد « جزءا لا يتجزأ » ، اذ هي مكونة من جسيمات محملة بشحنات كهربية موجبة وسالبة • واهتز مبدأ « نيوتن » القائل بأن « لكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه » •

ويخلص « بوانكريه » من أزمة الفزياء هذه الى القول بأننا نحيا في « عصر الشك » ، الشك في مفاهيم الفزياء القديمة ومبادئها • فلم تعد الطبيعة هي التي تفرض علينا معاني الزمان والمكان ، وانما نحن الذين نفرض عليها هذه المعاني » • والنتيجة أن هذه المعاني ليست صورا فوتوغرافية عن الطبيعة ، بل هي من منتجات الوعي الانساني • وما النظريات العلمية التي يقال انها حقيقية الا انفع النظريات ، ذلك بأنها رموز مجردة يركبها العقل للتعبير عن العلاقات المشاهدة بين الظواهر • فبالنسبة الى ادراكنا للاشياء نجد أن المكان الاقليدي ذا الابعاد الثلاثة انفع من الامكنة المفترضة في الهندسات اللااقليدية وليس له غير هذه الميزة • ونظرية كوبرنيكس مجرد فرض وهي لا تمتاز على نظرية بطليموس الا بأنها أبسط وانفع •

ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، يمكن أن يقال عن النظريات العلمية ، في رأي « بوانكريه » ، انها اصطلاحية أو مواصفات conventions

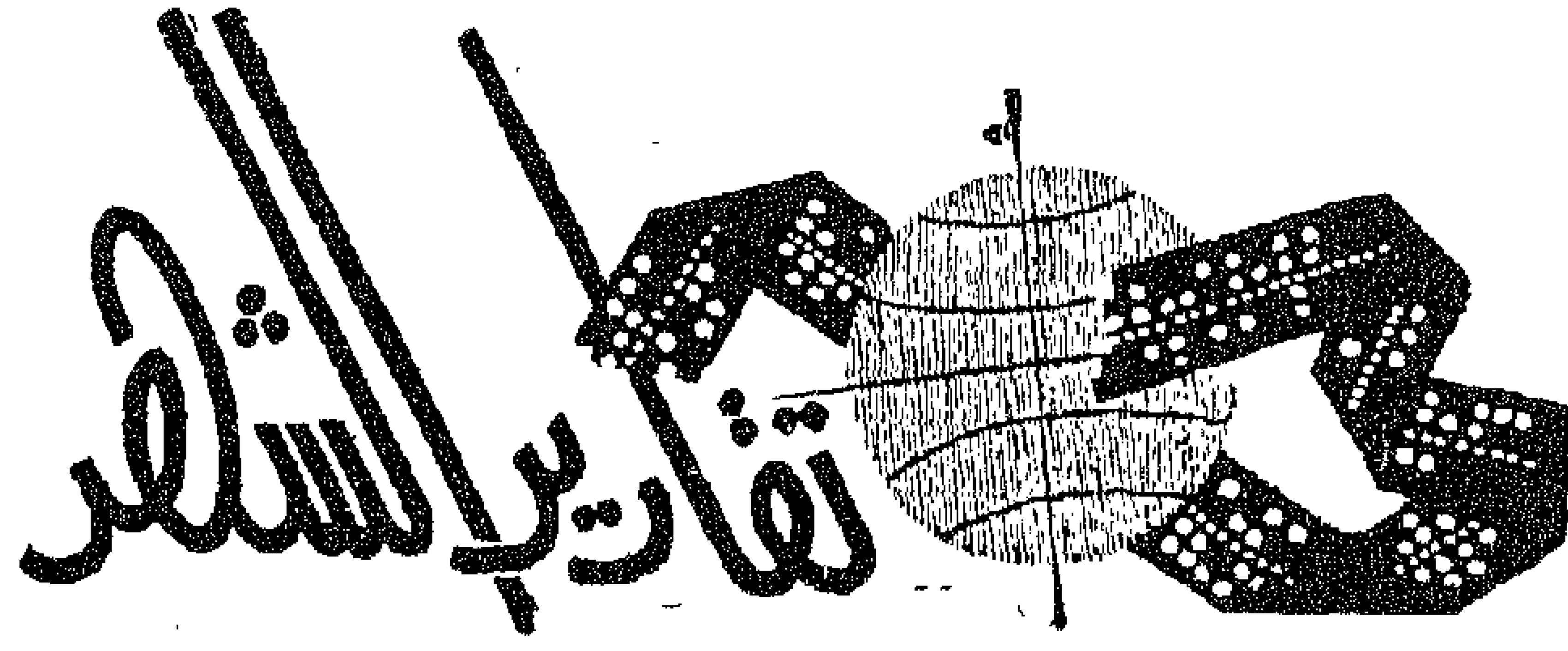
بيد أن « لينين » يلاحظ أن « بوانكريه » ليس هو المنظر لازمة الفزياء الحديثة ، وانما المنظر لها آخرون من أمثال « لوروا » و « دوهيم » •

فقمة التصورية في تفسير مفهوم العلم يمثلها « لوروا » • فالنظريات العلمية ، في رأيه ، رموز اصطلاحية • « انها بطبيعتها غير قابلة للتحقيق ، ولا يمكن ابدا اخضاعها لضوابط الملاحظة • انها في الواقع تعريفات لرموز ، وتبعا لذلك يمكن تعديلها الى غير نهاية » •

وفكريات من هذا القبيل ، في رأي « لينين » ، يمكن أن يقال عن صاحبها انه عالم فزياء ، ولكن ليس في امكان احد ان يعده فيلسوفا ، اللهم الا اذا كان يوشكوفتش !

أما « دوهيم » ، فيرى « لينين » أنه يترنح بين التصورية والمادية الديالكتيكية • فهو تصوري حين يقول « ان التجربة في الفزياء ليست مجرد مشاهد لمجموع من الوقائع ، بل هي ايضا ترجمة لهذه الوقائع إلى لغة رمزية » و « القانون الفزيائي هو من خلق العقل » • ولكنه يقترب من المادية الديالكتيكية حين يقول « الاجسام ليست رموزا للاحساسات ، وانما الاحساسات هي رموز للاجسام » • وكذلك حين يقول ان أي قانون في الفزياء قابل للتغير باستمرار بحكم مواجهته للواقع ، ومن ثم فان النظرية الفزيائية في امكانها مع الوقت أن تكون « انعكاسا » للواقع • والمنهج التجريبي يعجز عن تفسير هذه الحقيقة • ومعنى قول « دوهيم » هذا ان ثمة منهجا آخر غير المنهج التجريبي ، وان « الانعكاس » لا يعني أكثر من استقلال الوجود عن الفكر • وهذه هي وجهة نظر المادية الديالكتيكية •

و « لينين » في نهاية المطاف ، يرى أن العلم الحديث شاهد حق على صحة المادية الديالكتيكية • ولكن لا يعني ذلك أن المادية الديالكتيكية ترقى الى مستوى « المعتقد» dogma ، اذ هي ليست الا منهجا علميا • وهذه هي النغمة السائدة في كتاب لينين هذا •



■ الحلف الثلاثي يمزق اتفاقية القاهرة
■ حول الملتقى الفكرى العربى بالخرطوم
■ انقلاب كمبوديا يمد نطاق الصراع المسلح
■ سؤال تطرحه محادثات ايرفورت

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

الدفاع المدنى .. فى التطبيق

كان تصعيد اسرائيل لعملياتها العدوانية ضد الاهداف المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فرصة مواتية لاختبار كفاءة اجهزة الدفاع المدنى — واكتشاف جوانب القصور فيها — وتحديد انسب الاشكال لاستكمالها وتطويرها .

وقد شهدت الاسابيع الماضية نشاطا ملحوظا حول مشكلات الدفاع المدنى ، وشاركت فى هذا النشاط ، الاجهزة التنفيذية والسياسية على كافة مستوياتها .

لقد بدأ المجلس الاعلى للدفاع المدنى ، بعد اعادة تشكيله برئاسة **أنور السادات** نائب رئيس الجمهورية — بدأ فى اجراء دراسة واسعة لظروف المرافق العامة ، وضمانات تشغيلها فى ظروف الحرب ، ووضع اسس اولويات الدفاع عن المنشآت والمرافق الحيوية على ضوء المقترحات التى تقدم بها الوزراء المختصون .

واتجه المجلس فى أولى جلساته الى زيادة عدد المستشفيات المجهزة لاستقبال المصابين بسبب الحرب من ٩٠ الى ١٢٠ مستشفى ، ومضاعفة عدد سيارات الاسعاف وتدعيم مراكز نقل الدم وكذلك ضرورة الاستمرار فى تجهيز اكبر عدد من الوحدات الريفية والصحية فى كل انحاء الجمهورية لمواجهة حالة الطوارىء ، والاسراع فى استكمال وتجهيز مراكز التطهير من الاصابة بالاسلحة الكيماوية .

وفى العرض الشامل لمشكلات الدفاع المدنى والذى قدمه **شعراوى جمعة** وزير الداخلية الى **مجلس الامة** ، حدد اهم المشكلات والصعوبات التى يواجهها الدفاع المدنى فى نقطتين اساسيتين :

● كثافة السكان بوجه عام وارتفاع نسبة هذه الكثافة فى مناطق معينة بالذات ، ووجود مجموعة كبيرة من المبانى غير الخرسانية التى لا تتوفر لها الوقاية الكافية ، وفى نفس الوقت فان التخطيط الجغرافى لبعض المناطق السكنية لا يسمح باقامة المخابىء والخنادق بالقدر المطلوب .

● تعدد المصانع والمنشآت الحيوية وانتشارها يحتاج الى اجراءات غير عادية للوقاية وخاصة من



انور السادات



شعراوى جمعة

اخطار الغازات والمواد الملتهبة والقابلة للاشتعال التى تستعمل فى الصناعة

وفى اطار الخطة العامة للدفاع المدنى توضع خطة لكل محافظة تستهدف اتخاذ تدابير منع الخسائر والتقليل منها عند حدوثها ، وتتضمن ايضا خطة وقاية كل مصنع ومرفق وحماية العاملين به ــ وخطة سير الاداة الحكومية ، على أساس قيام الاجهزة القيادية والسلطات المحلية بمسئولياتها فى كل الظروف ، كما تتضمن الخطة أيضا توفير مياه الشرب للجماهير والاجراءات اللازمة للوقاية من الاخطار البيولوجية والكيماوية .

هذا وقد تم اعتماد مبلغ مليون و ٢٠٠ الف جنيه لتعزيز مرفق الاطفاء وخدمة الانقاذ واجهزة الانذار وتحصين المصانع والمرافق العامة ، كما تم اعتماد مليون جنيه لانشاء المخابىء والخنادق المكشوفة فى المحافظات .

وقد اكد **شعراوى جمعة** على ان وزارة الداخلية اخذت بنظرية الاعتماد على الخنادق المكشوفة لاستكمال النقص الموجود فى المخابىء العامة ، بعد ما تأكد من الدراسة ومن تجربة معارك فيتنام الشمالية أن الخنادق المكشوفة توفر نفس الوقاية التى تحققها المخابىء العامة ، فضلا عن انها أيسر تنفيذا .

والى جانب النشاط الملحوظ للاجهزة التنفيذية فى محاولة استكمال خطة الدفاع المدنى ، عقدت سلسلة اجتماعات سياسية حضرها المحافظون وامناء الاتحاد الاشتراكى ، وامناء المراكز والاقسام وأمناء الشباب ، لمناقشة خطط الدفاع المدنى ، وتحديد دور ومسئولية كل من الاجهزة التنفيذية والسياسية .

وقد اتفق على أن المحافظ هو المسئول داخل محافظته بالتعاون مع أمين الاتحاد الاشتراكى ، كما ان رئيس مجلس ادارة اى شركة أو مصنع هو المسئول الاول عن اعمال الدفاع المدنى داخل الشركة او المصنع وتم تشكيل لجنة دفاع مدنى لكل منشأة برئاسة المدير المسئول .

كما تحدد دور التنظيم السياسى بأن يتولى بحكم اتصاله بالجماهير ، تعبئة الجماهير وحشدها وتوجيهها الى مواقع عملها فى الدفاع المدنى ، كما يقوم بتكوين فرق مراقبى الغارات وفرق احتياطية للانقاذ والاطفاء .

هذا وبالرغم من الوعى العميق الذى ابداه عمال المصانع فى المناطق التى تعرضت للغارات الاسرائيلية [حلوان ــ هاكستيب ــ ابو زعبل] بأهداف التصعيد الاسرائيلى الجديد الا ان المراقبين يقدرون ان كثيرا من الاصابات [خاصة فى الاقاليم] حدثت بسبب تجاهل التعليمات ، وان كل ما يبذل من جهد ــ لن يحقق الامن والسلامة الا بمعاونة المواطنين انفسهم ومدى وعيهم بالخطر والتزامهم بتنفيذ تعليمات الدفاع المدنى .



■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

مناورة جديدة فى أروقة الامم المتحدة

نشطت الاتصالات داخل أروقة الامم المتحدة مرة أخرى خلال الشهر الماضى ، ورغم أن اوثانت قد أعلن فى بداية الشهر أن يارنج لا يستطيع أن يبدأ مهمته لانه ليس هناك أساس ينطلق منه الا أن « **يارنج** » كان قد وصل بعد فترة قصيرة الى نيويورك وأعلنت مصادر الامم المتحدة انه جاء ليبدأ نشاطا يتصل بمهمته .

وبدأ **يارنج** اتصالاته مع جميع الاطراف ، وراجت شائعات حول تقدم المحادثات التى تقوم بها الدول الاربع حول الشرق الاوسط ، الا أن

بعض المصادر فى الامم المتحدة حذرت من التفاؤل حول امكانيات استئناف يارنج لمهمته ، وقد جددت **بريطانيا وأمريكا** مطالبتهما بوقف اطلاق النار ولكن **الاتحاد السوفيتى وفرنسا** رفضتا المقترحات الامريكية ما لم ترتبط بسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية ، وتحديد فترة وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الامن بكامله .

وقد وصفت « **النيويورك تايمز** » الاتصالات التى يجريها « **يارنج** » بين الاطراف المختلفة فى الامم المتحدة ، بأنها تهدف الى الوصول الى محادثات بين أطراف النزاع ، كما أشارت الى أن نيكسون قد أجل اعلان قراره بالموافقة على ارسال مزيد من طائرات الفانتوم والسكاى هوك الى اسرائيل لبعض الوقت حتى يتيح الفرصة لنجاح المهمة التى يحاول يارنج أن ينجزها بالتوصل الى اتفاق بين الدول الاربع حول اجراء محادثات بين العرب واسرائيل ، وقد علقت بعض المصادر المسئولة على ذلك بأن اتصالات يارنج ليست سوى محاولة جديدة لتهدئة الموقف فى الشرق الاوسط ، بعد الفترة الساخنة التى شهدها أثر تصاعد الغارات الاسرائيلية فى الفترة السابقة

وقد لخص الدكتور عبد الله العريان رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة المناوب فى الامم المتحدة رأى القاهرة فى الاتجاه الى عودة دكتور **جونار يارنج** لاستئناف مهمته فى الشرق الاوسط فى نقاط ثلاث هى :

● ترى القاهرة أن دعوة يارنج الى المنطقة مرتبطة بوجود برنامج تنفيذى لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

● انه لابد من النظر الى قرار وقف اطلاق النار على أنه مرتبط بتنفيذ قرار مجلس الامن .

● ان أى محاولة للفصل بين قرار مجلس الامن الخاص بأزمة الشرق الاوسط ووقف اطلاق النار ، ليست الا محاولة بفرض الاستسلام على الجمهورية العربية المتحدة ، وهو الامر الذى ترفضه ويرفضه الشعب العربى .

وكانت اسرائيل قد قامت ــ خلال الشهر الماضى ــ بعدوان على جنوب لبنان ، أعلنت بعده أنها سوف تقوم بعمليات أوسع نطاقا مالم يتوقف العمل الفدائى فى الاراضى اللبنانية .

وقد ارسلت الحكومة اللبنانية مذكرة بفحوى تلك التهديدات الى كل من الحكومتين السوفيتية والفرنسية ، وصرح وزير الخارجية اللبنانية عقب اجتماعه مع السفير السوفيتى بأن الاتحاد السوفيتى حذر اسرائيل من القيام بأى عمل عدوانى ضد البلدان العربية ، وقد أعلنت الحكومة اللبنانية رفضها للتهديدات الاسرائيلية ، وبأنها لن تقبل بأى حال محاولات الضغط عليها بهدف التوصل الى ما يسميه ابا ايبان « **باتفاق سلام منفرد مع لبنان** » ، كما أعلنت عن تضامنها مع الدول العربية الاخرى ازاء المسألة الفلسطينية ونشاط رجال المقاومة .

وذكرت مصادر مسئولة فى العاصمة اللبنانية أن « دوايت بورتر » سفير الولايات المتحدة فى لبنان ، أبلغ الرئيس اللبنانى عقب التهديدات الاسرائيلية بأنه اذا نفذت اسرائيل تهديدها بالانتقام من لبنان بسبب عمليات المقاومة ، فان ذلك سيتم على نطاق ضيق ولا يحمل طابع عملية عسكرية كبيرة .

وفى نفس الوقت تحدى رجال المقاومة تهديدات اسرائيل وواصلوا عملياتهم فى منطقة الحدود وأعلنوا أنهم لن يوقفوا نشاطهم ضد اسرائيل رغم تهديداتها المحمومة .

ويربط المراقبون بين التركيز الامريكى ــ الاسرائيلى على لبنان ، وبين فشل المؤامرة الامريكية الاخيرة للوقيعة بين حكومة الاردن وبين الفدائيين ، ووصول الطرفين الى اتفاق يحدد أسس نشاط المقاومة من الاراضى الاردنية ، وحل مشكلة الاكراد وعودة السلام الى شمال العراق ، وتعبئة الجهود والامكانيات ضد الامبريالية والصهيونية فى المنطقة .

ويجمع المراقبون فى لبنان على خطورة الوضع واضطرابه فى البلاد ، فهناك اضراب التجار المفتوح ، وأزمة جمعية المقاصد الاسلامية التى توشك أن تحدث انقساما داخل الوزارة والاطاحة بها ، والمطالب العمالية لزيادة الاجور ، والحد من استغلال الشركات الاحتكارية الامريكية واللبنانية فى الداخل ، وانصراف القوى السياسية التقليدية الحاكمة الى الاهتمام بمعركة رئاسة الجمهورية والانشغال بالمناورات السياسية ، فضلا عن الوضع المتدهور على الحدود واستمرار التهديدات والاعتداءات الاسرائيلية . وتلخص جريدة « النضال » اللبنانية ، الموقف الحالى فتقول : ان الحكومة فى موقف حرج لاتدرى معه كيف التصرف ، ومجلس النواب فى موقف مماثل وانه لم يظهر حتى الان سوى اللامبالاة » .

وتتجه الانظار حاليا الى كمال جنبلاط وزير الداخلية بوصفه العنصر اليسارى الوحيد داخل الوزارة ، الذى يحاول تجميع كافة الشئون المتعلقة بالمنظمات الفدائية واللاجئين الفلسطينيين فى يده ، والعمل على فصل قوى الامن الداخلى عن الجيش ، واخضاع جهاز قوى الامن بشكل مباشر لسلطة وزير الداخلية ، وعدم ترك شئون المنظمات واللاجئين موزعة لتعبث بها الجهات المشبوهة التى تحاول دائما الاساءة الى العمل الفدائى وتخريب اتفاقية القاهرة .

وقد اتهم جنبلاط هذه الجهات بتدبير حادث الاعتداء الذى اصيب فيه الملازم رياض عواد المسئول العسكرى لمنظمة فتح فى جنوب لبنان واستشهد فيه ايضا زميله واصف شرارة المواطن اللبنانى وعضو ميليشيا فتح على يد الجيش اللبنانى ، وهدد جنبلاط بالاستقالة اذا لم يعاقب المسئولون عن هذا الحادث .

كما حاولت اسرائيل خلال الشهر الماضى ، تنفيذ مخططها الرامى الى تهويد قطاع غزة وقد بدات العملية بنقل عدد من سكان القطاع الى الضفة الغربية بحجة جمع العائلات ، وتستعد اسرائيل لتنفيذ المرحلة الثانية بنقل ١٨٠ الف لاجىء من معسكرات اللاجئين الى الضفة الغربية ليحل محلهم عدد ضخم من المهاجرين الاسرائيليين والمستعمرات الاسرائيلية ، ثم تأتى المرحلة الاخيرة بترحيل بقية السكان العرب وتقطينهم بالضفة الغربية .

وقد أثارت الاجراءات الاسرائيلية فى قطاع غزة اهتمام الحكومات العربية فصرح عبدالمنعم الرفاعى رئيس وزراء الاردن قائلا : « اننا نتابع المؤامرة الاسرائيلية على قطاع غزة بغاية القلق والاهتمام ، وان الدول العربية سوف تتخذ اجراء مشتركا لمجابهة هذه المؤامرة » ووصفت الحكومة السورية الخطوة الاسرائيلية بأنها أكبر جريمة تقوم بها اسرائيل ، وانها جزء من مخطط خبيث لتصفية المناطق العربية وتهجير سكانها .

وقد قاوم الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة المخطط الاسرائيلى ، ورفض العمال العرب فى القطاع التعاون مع سلطات الاحتلال ، كما شن رجال المقاومة هجمات واسعة على دوريات العدو واستحكاماته ، وخربوا وسائل المواصلات بين القطاع واسرائيل ، وقد هب جميع سكان القطاع فى مقاومة متعددة الاشكال للاحتلال الاسرائيلى ، وصرح **ياسر عرفات** بأن المقاومة فى قطاع غزة تعتبر نموذجا للمقاومة فى جميع الاراضى المحتلة منذ حرب يونيو ، وقال ان الاسرائيلين قد يتمكنون من السيطرة على القطاع أثناء النهار ، الا انه يصبح ملكا للعرب عندما يحل الظلام .

وفى جبهة القناة دارت طوال الشهر معارك عنيفة اشتركت فيها المدفعية والطيران وتميزت معارك الطيران باتساعها وضراوتها ، وشارك سلاح الطيران المصرى بفعالية متزايدة فى التصدى لطائرات العدو واجبارها على التراجع فى معظم الاحيان ، كما وجهت طائراتنا فى نفس الوقت ضربات قوية لمواقع العدو واستحكاماته ونشط الفدائيون فى سيناء حيث هاجموا مراكز تجمعات العدو ودورياته وخربوا خطوط مواصلاته .

■ ■

■ **لبنان**

الحلف الثلاثى يمزق اتفاقية القاهرة

تجددت الاشتباكات بين رجال المقاومة الفلسطينية من جانب وبين قوات الامن وأفراد الميليشيا المسلحة التابعة لحزب الكتائب من جانب آخر . ومن المعروف أن حزب الكتائب يرأسه بيير الجميل وزير الاشغال وهو أحد زعماء « **الحلف الثلاثى** » الذى يضم جماعة كميل شمعون وحزب الكتلة الوطنية الذى يرأسه ريمون اده . ويطالب زعماء الحلف الثلاثى باخراج رجال المقاومة من لبنان « وباعادة توزيع اللاجئين الفلسطينيين » على الدول العربية .

ووسط جو من التوتر ساد العاصمة اللبنانية عقدت عدة اجتماعات فى القصر الجمهورى وفى منزل رشيد كرامى رئيس الوزراء كما عقد مجلس الامن الداخلى عدة اجتماعات لبحث الموقف الذى يهدد بانفجار كبير . وقد استقر الرأى على أن تتكفل قوات الامن دون الجيش بتطبيق الاجراءات التى اتفق عليها لتهدئة الوضع .

وقد صرح كمال جنبلاط وزير الداخلية بأن وراء الاحداث الدامية مخطط رجعى يروج لتيار الانعزالية اللبنانية « ويستوحى نهجه من المخابرات الاجنبية » .

وكانت القوى الرجعية المتآمرة فى لبنان قد بدأت فى تدبير وتنفيذ عمليات اغتيال لقادة منظمات المقاومة ، فقتلت الملازم رياض عواد المسئول العسكرى لقوات العاصفة فى منطقة « بنت جبيل » وواصف بشارة المسئول اللبنانى عن الميليشيا الشعبية هناك . وطالب منظمات المقاومة حينئذ — ممثلة فى اللجنة السياسية العليا للشئون

الفلسطينية ـ بتشكيل لجنة مشتركة من ممثلى المقاومة والجيش لاجراء تحقيق حول « المؤامرة » لمعاقبة المسئولين عنها ، كما طالبت بحرية تنقل رجال المقاومة فى جميع المناطق العسكرية وبتعديلات فى الاجراءات الخاصة بتصريحات المرور ، وبعدم التصدى من جانب رجال الامن لرجال المقاومة . واطلاق سراح المعتقلين منهم فورا ونقل بعض المسئولين الذين لا يكفون عن تحدي المقاومة .

وقد تشكلت اللجنة السياسية العليا للشئون الفلسطينية من جميع منظمات المقاومة عقب اتفاق القاهرة الذى عقد فى ٣ نوفمبر الماضى بين السلطات اللبنانية ومنظمات المقاومة ، واتفق فيه على ثلاثة اجراءات رئيسية هى عدم اطلاق النار على الاهداف الاسرائيلية من خطوط لبنان وعدم استخدام معسكرات اللاجئين الفلسطينيين للتدريب العسكرى أو اقامة قواعد للمقاومة فى المناطق المأهولة بالسكان فى منطقة خطوط لبنان الجنوبية .

وقد أصدرت اللجنة السياسية العليا بيانا تحمل فيه الدولة مسئولية خرق هذا الاتفاق . كما خرجت مظاهرات شعبية ضخمة فى بيروت للاحتجاج على الموقف من المقاومة الفلسطينية ، الذى يستقطب القوى السياسية فى لبنان ، اذ تساند كل القوى الوطنية حركة المقاومة الفلسطينية ، بينما تعمل منظمات « الحلف الثلاثى » على تصفية هذه الحركة وضربها ، وهو الامر الذى كان يتوقعه كافة المراقبين السياسيين المضطلعين على التاريخ الحافل للحلف الثلاثى الذى سبق له ان ادخل لبنان فى اطار مشروع ايزنهاور وسمح بنزول القوات الأمريكية على أرضها وظل دائما مخلصا لعلاقاته مع الغرب الاستعمارى .

■ ■

■ السودان

حول الملتقى الفكرى العربى بالخرطوم

استقبلت الخرطوم ٤٥ مفكرا ومناضلا جاءوا من ١٣ بلدا عربيا ليشاركوا ٥٠ من رجال الفكر بالسودان فى الملتقى الفكرى العربى الذى انعقد فى العاصمة المثلثة بقاعة الشعب ـ مجلس



جعفر النميرى

النواب سابقا ـ فى الفترة ما بين ١٥ ـ ٢٢ مارس . وقد وجهت الدعوة للملتقى على أساس شخصى ، الا أنه روعى فى الاختيار تمثيل المدارس والاتجاهات الفكرية المتباينة ومعظم المنظمات السياسية ، فأسهم فى أعمال الندوة ممثلون لتسعة أحزاب ومنظمات عربية ، من بينهم ١٣ صحفيا وثمانية وزراء وثلاثة وزراء سابقين .

وانعقد الملتقى تحت رعاية اللواء **جعفر نميرى** رئيس مجلس قيادة الثورة الذى القى الخطاب الافتتاحى ، وجاء فى كلمته ان ثورة ٢٥ مايو قد « فكت اسار الطاقات الفكرية وفتحت الافاق رحبة للعمل المنطلق من العلم ، ايمانا منها بأن الاشتراكية هى سيادة العلم . وان العلم هو فى التحليل النهائى العامل الحاسم فى قضية التطور والحياة » ، وبعد ان قام بتقييم للوضع الراهن قال « انه من الضرورى توحيد كل القوى النضالية العربية القادرة على الصمود فى امتحان المعركة ، ويصبح ضروريا كذلك لقاء المفكرين الثوريين وعملهم الدائب الصادق على توضيح المفاهيم وتحديد الاهداف لتسخير الفكر للمعركة » وأوضح ان « انعقاد هذا الملتقى فى مثل هذه الظروف انما يضاعف مسئولية المشاركين فيه لضرورة العمل على الوصول الى الوحدة فى مجال الفكر والعمل من أجل تحقيق وحدة القوى الثورية التقدمية العربية » .

كان جدول الاعمال يتضمن مناقشة عديد من الموضوعات هى : **الارضية التى تتحرك منها**

الثـورة العربية ومرتكزاتها الفكرية والروحيـة وهيكلها الاقتصادى ، قوى الثورة العربية والوعاء التنظيمي الكفيل بحشدها وتعبئتها ، دور القوات المسلحة ومكان الجيش ، التنظيم السـياسى ثم القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية .

قدم أعضاء الملتقى نحو ٢٥ بحثا ودراسة ، الا أن معظمها كان يتسم بالطابع الاكاديمى ، أو يعكس واقعا اقليميا ضيقا لهذا البلد أو ذاك ، يتجه الي تبرير وتنظير أوضاع قائمة وموقف لقوة سياسية ما . لذا فان تقييم أعمال الندوة على أساس البحوث وحدها لا يعكس حقيقة مستواها ان اهم ما انجزه هذا اللقاء جاء اثناء المناقشات والحوار و « أوراق العمل » التى قدمت خلال المناقشات وفى معترك الصراع والتفاعل بـين الاراء المتباينة ، اذ لم يقتصر الامر حينئذ عـلى تحديد معالم عديد من القضايا الخلافية ، بـل تطويرها فى ارتباط بمشكلات التطبيق .

ولا شك ان الجو الديمقراطى الصحى وحرية التعبير كظاهرة أصيلة فى المجتمع السودانى وسودان الثورة قد انعكس على أعمال الملتقى ، الصراحة والوضوح دون تردد او حرج ، وبرز بصورة خاصة فى الجلسة المخصصة لدراسـة دور الجيوش فى الثـورة العربية ، وحضرها الرئيس نميرى واعضاء مجلس قيادة الثـورة ومجلس الوزراء وامتدت اربع ساعات ، فقد قدم د. منصـور خالد وزير الشـباب والشـئون الاجتماعية بحثا ووجه بمعارضة عنيفة شـاملة وهجوم يتسم بالموضوعية من جانب عدد كبير من المشتركين فى اللقـاء من الناحية النظرية [كريم مروة] والقومية [عبـد الله الريماوى] وفى مغزاه ودلالته المحلية على الوضع الداخلى فى السودان [محمد ابراهيم نقد] .

وتميزت بعض الموضوعات بأنها كانت مثار اهتمـام أكبر واحتدم الصراع فيهـا ليتبلور فى النهاية فى نقاط محددة اكتسبت اقتناع الغالبية العظمى من القوى السـياسية الممثلة . وفى مقدمة هذه الموضوعات قوى الثـورة العربية والوعاء التنظيمى وخاصـة دور الراسمـالية الوطنية والصغيرة منها على وجه التحديد فى الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية ثم المرتكزات الفكرية والروحية للثـورة العربية ودور القوات المسلحة .

ومن المعالم البارزة لهذا الملتقى ما ترتب عليه من اجماع الاراء حول عديد من النقاط الايجابية تعدت ما أمكن التوصل اليه فى لقاءات سابقة وتضمنها البيان الختامى ، مع مراعاة ان البيان تضمن فقط النقاط التى حظت بالاجماع ، فقد كانت هناك قضـايا عـديدة اخرى لقيت تأييد الغالبية العظمى من الحاضرين ، وكان يكفى أن يوجد شخص واحـد يعترض عليها لحـذفها من هذا البيان .. ونقاط اللقاء الاساسية تتلخص فيما يلى :

● المعركة الاسـاسية التى يخوضها شعبنا العربى ضد الاستعمار العالمى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية المتحالفة مع الصهيونية المتجسدة فى اسرائيـل تتطلب النضـال ضـد الحلول الاستسلامية والتصفوية لقضية فلسطين ، وتستلزم حشد كافة القوى العربية على امتـداد الوطن العربى الكبير ، بقيادة القوى التقدمية التى تمثل تطلعات الجماهير العربية ، حاجة المصـلحة فى تحرير الوطن والانسان العربى على حد سواء .

● الكفاح الذى تخوضه الجمـاهير العربية بكافة اشكاله الفدائية والعسكرية والسياسية لا ينفصل عن النضال الثورى التقـدمى لكسر طوق التخلف ، وتحرير الوطن العربى من كافة المعوقات التى تقف فى طريق بناء المجتمع العربى الاشتراكى الموحد .

● الاحزاب والفصائل الثورية مطـالبة بأن توحد جهودها وصفوفها فى اطار جبهات وطنية تقدمية فى ظل علاقات ديمقراطية فى كل قطر عربى وعلى صعيد الوطن العربى كله فى ضوء برنامج يحدد مهامها الوطنية والقومية والاجتماعية

● الكفاح ضد الاستعمار مرتبط بالنضـال الهادف لتحرير الطبقات الكادحة من كل استغلال واضطهاد .. والذى **تمثل الاشتراكية العلمية الطريق الوحيد لانجازه .**

● توفير مستلزمات النصر فى المعركة تتطلب دعم الانظمة التقدمية العربية وحمايتها فى وجه المخططات الامبريالية الرجعية .

● الكفاح المسلح الذى يخوضـه الشـعب العربى الفلسطينى قد أصبح الطريق الحاسـم امام جماهير الامة العربية وقواها الثورية طريقا للخلاص من السرطان الصهيونى المتجسـد فى اسرائيل ومن يقف وراءها من قوى الاستعمار والامبريالية .

● الاعتماد على القـوى الذاتية هو طريق الخلاص من القوى المعادية بالاضـافة الى كل

تأييد ودعم من جانب الشعوب المناضلة من أجل الحرية والعدل وفى مقدمتها الشعوب والدول الاشتراكية .

● تأكيد التأييد الكامل لكفاح الشعوب الافريقية والاسيوية وشعوب امريكا اللاتينية فى نضالها ضد العنصرية والاستعمار والامبريالية.

● الدعوة الى مواصلة عقد لقاءات بين المفكرين والمناضلين والمنظمات الثورية العربية دعما لتحقيق وحدة الفكر والنضال العربيين على امتداد الوطن الكبير .

وسوف تقدم الطليعة فى عددها القادم عرضا للاتجاهات المتباينة التى برزت داخل الملتقى الفكرى العربى .

■ ■

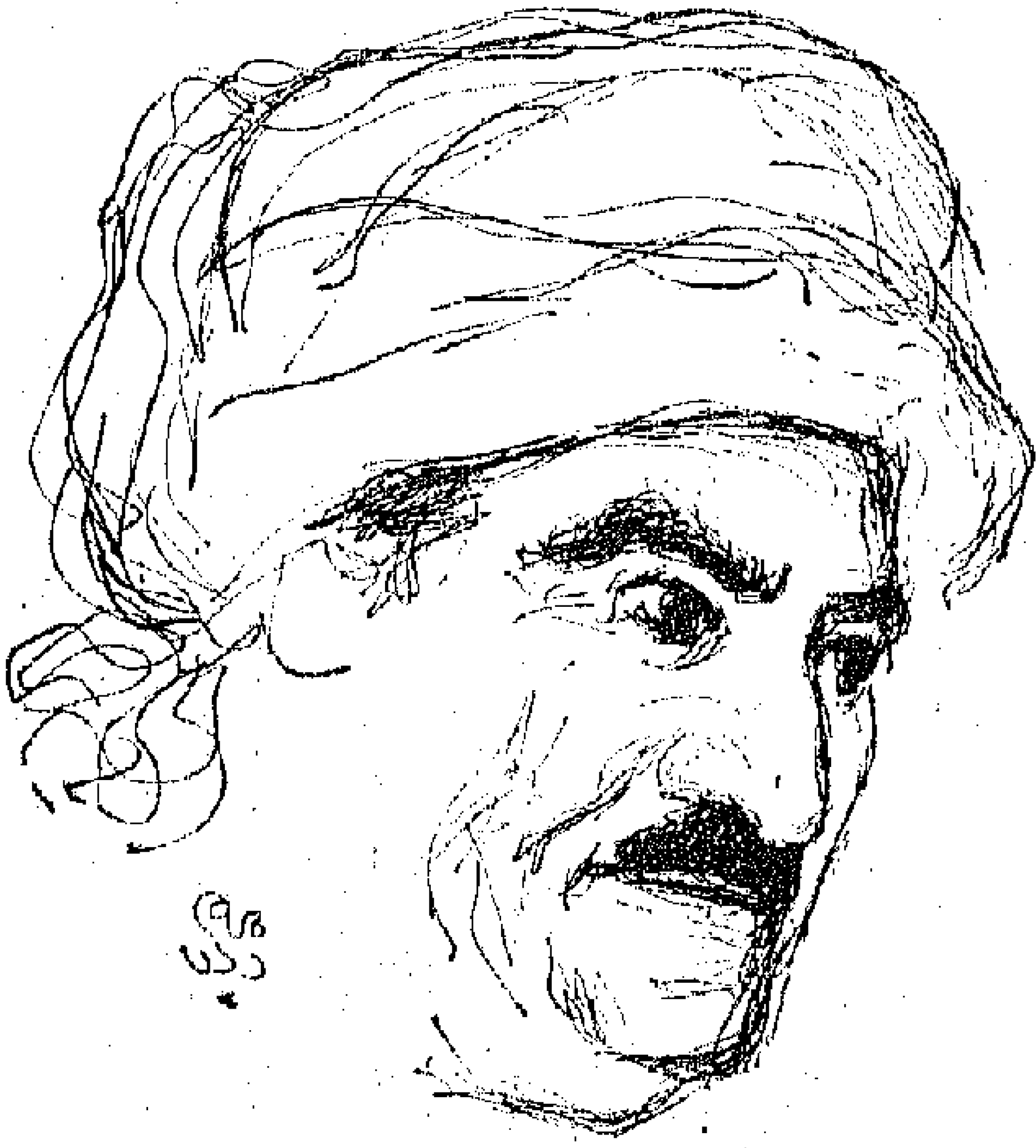
■ العراق :

« خطوة ثورية كبيرة »

فى ١١ مارس ، أذاع راديو وتليفزيون بغداد والاذاعة الكردية ، بيان مجلس قيادة الثورة فى العراق ، الذى تلاه الرئيس **أحمد حسن البكر** ، عن « الحل السلمى والديمقراطى للقضية الكردية » . هذا الحل الذى ينهى نزاعا مريرا بدأ يحتدم منذ عام ١٩٦١ فى العراق ، وكبد البلاد خسائر مالية وبشرية كان يمكن تخصيصها لمعركة التحدى الوطنى والاجتماعى ، ومن هنا يعتقد المراقبون أن تطبيق هذا الاتفاق سوف يسجل لحزب البعث فى العراق والقيادات الكردية ، صفحة هامة فى تاريخ حركة التحرر العربى ، ومن المعروف أن كثيرا من المناضلين العراقيين قد ساهموا بدور ملحوظ فى سبيل التوصل الى هذا الحل ومن بينهم **صدام حسين** نائب أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث .. **وشريف عزيز** وزير العدل العراقى ..

وقد تابعت الاوساط الوطنية والتقدمية العربية ، انباء هذا الاتفاق باهتمام وترحيب بالغين .

وتستجيب القواعد التى قررها الاتفاق ،لامال الشعب الكردى ــ كما عبر عنها **الحزب الديمقراطى الكردستانى** ومختلف زعماء الاكراد



البرزانى

الذين اكدوا مرارا انهم لايسعون للانفصال أو الاستقلال ، بل مجرد الحكم الذاتى للمناطق الكردية **فى اطار الجمهورية العراقية الموحدة** » اذ نص الاتفاق على الاعتراف بالحقوق القومية للاكراد ، وتطوير خصائصهم القومية فى اطار من وحدة الشعب والوطن والنظام الدستورى ، وتمكينهم من حكم الاقاليم الكردية وتعيين نائب لرئيس الجمهورية منهم ، كذلك نص الاتفاق على : انشاء جامعة فى السليمانية ومجمع علمى والاعتراف بالحقوق الثقافية واللغوية ، وتكوين اتحاد للادباء وادارة عامة للثقافة واصدار الصحف الكردية ، واعتبار عيد النيروز عيدا قوميا والعفو عن المسجونين الاكراد وتنفيذ الاصلاح الزراعى والادارة اللامركزية .

ويرى علماء « الكرديولوجى » ، أن الحقوق القومية للاكراد مسألة تتفق مع الخصائص المميزة لهذا الشعب والتى يمكن تلخيصها اساسا فى : نمط الحياة بكل جوانبه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وفى اللغة المشتركة وهى تنقسمان: كوردمانجى وصورانى ، وقد لعبت هذه اللغة دورا هاما فى اكتمال ونمو القومية الكردية ، حول الصحف التى صدرت بهذه اللغة ــ وكانت أولاها فى القاهرة التى صدرت بها صحيفة « **كردستان** » فى ١٨٩٨ ــ تجمعت الحركة القومية ثم اتخذت شكل أحزاب كان أولها حزب « **أمل الاكراد** » الذى أسس فى ١٩٠٤ ، ولكن تجزىء الاكراد بين خمس دول هى تركيا والعراق وايران وروسيا القيصرية وسوريا ، بل وتعاون الحكام الرجعيين لهذه الدول على مقاومة **حقوق الاكراد**

قد عاق نمو القوميـــة الكردية ؟ ومع ذلك فان النضال الكردى ــ القومى والاجتماعى ــ ارتبط تماما بالاوضاع السائدة فى كل بلد على حدة وبالوضع العام فى المنطقة ، وكان أول بلد يقدم حلا ديمقراطيا متقدما لمشكلة الاكراد فيه هــو **الاتحاد السوفيتى** الذى اعترف بالحقوق القومية للاكراد فى نطاق « الوطن السوفيتى » .

ومن الجدير بالذكر أن **الدكتور محمود عثمان** السكرتير العام للحزب الديمقراطى الكردستانى كان قد ظهر على شـــاشة تليفزيون بغـــداد ، ليعلن برقية **الملا مصطفى البرزانى** الى الرئيس البكر مؤيدا ومهنئا « بالبيان التاريخى » الذى كان له « شرف الاسهام فى وضعه » ؛ كما بعث **الحزب الشيوعى العراقى** ببرقية تأييد وتهنئة للرئيس البكر ، باسم اللجنـــة المركزية للحزب وبتوقيع **عزيز محمد** سكرتيرها الاول ، وكان الحزب الشيوعى العراقى قد أصدر فى مارس ١٩٦٩ وثيقة حول القضـــية الكردية أكد فيها حقيقتين :

● ترابط نضال الشعب الكردى معالنضال العام فى العراق ضد الاستعمار والرجعية ، ووحدة الكفاح فى سبيل حكم ديمقراطى ثورى .

● الترابط العضـــوى بين النضـــال القومى الكردى وبين نضاله ضد الاستعمار والحكومات الرجعية فى المنطقـــة ، وضد **اسرائيل** كركيزة اساسية للامبريالية .

ويجىء هذا الاتفـــاق اليوم ، ليـــكون ثانى محاولة ديمقراطية لحل المشكلة الكردية ، الامر الذى يتوقع المراقبون له ، آثارا بعيدة **عــلى الوضع فى تركيا وايران** ، ومن ثم فانهم يشيرون الى احتمال تحركهما لافساد هذا الحل ، سواء بالدس لافساد ذلك التآخى والحوار الديمقراطى بين القوميتين ، أو بالتآمر على النظام القـــائم فى العراق ، وقد أكد الرئيس البكر ، ذلك ــ فى بيانه بهذه المناسبة عندما أوضح « أنه ليس من المصـــادفة توقيت المؤامرة الاســـتعمارية الصهيونية الرجعية على الجمهورية العراقيـــة فى نفس الوقت الذى تظهر فيه بشائر السلام فى ربوع شمالنا الحبيب » .

وقد اثار اتفاق حل المشكلة الكردية هذا ، رد فعل مباشرا وملحوظا فى **اسرائيل**، فتداعلنت صحيفتا « **دافار** » و « **معاريف** » الاسرائيليتان « **أن اتفاق ١١ مارس الذى يكفل للاكراد حقوقهم** القومية فى اطار الجمهورية العراقية **الموحدة** ، يعنى أمرين بالنسبة **لاسرائيل** :

● امكانية قيام العراق بدور اكبر فىالمواجهة ضد اسرائيل ، **وذلك بتحويل ٢٠ الف جندى الى** الجبهة الشرقية ، فضلا عن **توفير ٩٠ مليـــون** دولار كانت تستهلكها الحرب مع الاكراد .

● انضمام بعض المحـــاربين الاكراد ، وهم متمرسون على حرب العصابات ، الى المنظمات الفدائية الفلسطينية ، بكل خبراتهم فى القتـــال وطاقاتهم عليه .

ومن المعروف أن عددا من الاكراد **قد أعلن** انضمامه الى منظمات المقـــاومة الفلسطينية ، وبرغم أن هذه الخطوة ليست جديدة ، اذ طلب عدد منهم الانضمام الى « **فتح** » فى عام ١٩٦٨ ، الا ان عدد الذين طلبوا الانضمام أخيرا فىتزايد واضح .

ومن الجدير بالذكر ان رد الفعل الذى أبداه الجانبان العراقى والكردى ، انهما لا ينظران الى الاتفاقية الجديدة باعتبارها هدنة مؤقتة كالمرات السابقة ، بل يرون فيها « حلا مبدئيا وسياسيا ودستوريا » يضمن التآخى بين العرب والاكراد ويشير الحزب الشيوعى العراقى الى أن هذا الاتفاق « بالاضافة الى كونه خطوة ثورية كبيرة ، يشكل ركنا اساسيا من أركان الجبهة الوطنية الموحدة بين الاحزاب والقوى التقدمية لتحقيـــق الانتصار الحاسم ضد الاستعمار والرجعية من أجل عراق ديمقراطى متقدم ومزدهر ، ومن اجل تكريس طاقاته القصوى لمعركة الامة العربيـــة العادلة ضد الامبريالية والصهيونية » .

■ ■

■ **العالم الاســـلامى**

مؤتمر علماء المسلمين

شهدت القـــاهرة فى اليـــوم الثامن والعشرين من فبراير وحتى اليوم الرابع من مارس الماضى تجمعا اسلاميا دعا اليه [**مجمع البحوث الاسلامية**] ، وضـــم اكثر من ثمـــانين عالما من علماء الاسلام ، حيث عقـــدوا المؤتمر الخامس « **لعلماء المسلمين** »

ومدة انعقاد المؤتمر هذه ، التى دامت ســـتة أيام، هى الفترة الاولى من دورته هذه ، خصصها

المجتمعون لبحث القضية المصيرية التى تواجه العالمين العربى والاسلامى ، قضية **فلسطين** ، وما وصلت اليه بعد العدوان الصهيونى فى يونيو سنة ١٩٦٧ . وكان شعار المؤتمر فى هذه الفترة هو [**الاسلام والمعركة**]، ولقد شارك فى الابحاث والمناقشات فى هذه الفترة أعضاء [مجمع البحوث الاسلامية] ، الى جانب الشخصيات المدعوة ، والذين حضروا كمراقبين.

أما الفترة الثانية لهذه الدورة فهى التى استمرت سبعة عشر يوما ، بدأت فى العاشر من مارس حتى السادس والعشرين .. وقد خصصت لدراسة أبحاث تتعلق بالدين والحياة ، من مثل قضايا [**الاسلام والعلم**] و [**الاسلام والشباب**] و [**دور المسجد فى الاسلام**] **الخ .**

ولقد جاءت الابحاث والمناقشات ، وأيضا التوصيات التى انجزتها الفترة الاولى من دورة المؤتمر هذه ، بعد مضى عام ونصف على المؤتمر الرابع الذى انعقد فى سبتمبر سنة ١٩٦٨ ، والذى تناول كذلك قضيتنا المصيرية فى أعقاب حريق الصهيونيين للمسجد الاقصى .. وقد سجل المؤتمر ، بتكوينه وبالافكار التى طرحت فيه ، عدة قسمات هامة من أهمها :

أولا : ان تمثيله قد شمل الاغلبية الساحقة للبلاد والمجتمعات التى يعيش فيها المسلمون فى مختلف انحاء العالم ، سواء أكانوا اغلبية عددية فى هذه البلاد أم مجرد أقليات تدين بالاسلام .

ثانيا : ان المؤتمر قد شهده عدد من علماء الشيعة المسلمين ،وفى ذلك ابراز للوجه التوحيدى الاصيل للاسلام ، ذلك الوجه الموحد الذى لاقى به الاسلام والمسلمون أعداءهم فى مختلف العصور، عندما دفع الخطر المشترك بالتناقضات الثانوية والمصطنعة الى الوراء والى زوايا النسيان ، ليخوض الجميع المعارك المصيرية ضد الغزاة .

ثالثا : ان المؤتمر قد ضم وفدا يمثل منظمة **التحرير الفلسطينية** ، مما جعل توصياته تولى تأييد العمل الفدائى عناية كبيرة ، وتتحدث عن لجان وقيادات مهمتها الدعوة لهذه الثورة ودعمها بالفكر والمال .

رابعا : ان الكثير من أبحاث هذا المؤتمر قد جاءت تعبيرا صادقا عن الوجه المشرف الذى تخوض به شعوبنا معركتهاضد العدو الصهيونى الامبريالى ، وهو الوجه المبرأ من العنصرية والعصبية القائمة على الدين .. فلقد برز فى المؤتمر الفكر الذى يدين الصهيونية كحركة سياسية استعمارية . كما ابرزت أبحاث كثيرة دور الامبريالية العالمية ، ودور أمريكا بالذات وموقعها فى جبهة الاعداء ، وهو فهم يخرج بالقضية عن التصور الخاطىء الذى يراها مواجهة بين اليهود والمسلمين ، واليهودية والاسلام ، ومن أمثلة ذلك :

● البحث الذى قدمه **الدكتور عبدالعزيز كامل**، فى اليوم الرابع لانعقاد المؤتمر ، عن [**التفرقة العنصرية**] ، والذى بحث فيه عن نقاء الفكر الاسلامى وبراءته من العنصرية والتعصب المذموم ، وكيف ان الانسانية المعاصرة تلتقى فى أحدث وثائقها حول هذا الموضوع بالفكر الاصيل والقديم للاسلام ... وهو الامر الذى يقدم لنا امكانيات لقاء عالمى على أرض العداء للعنصرية تتعاون معنا فيه قوى كثيرة ضد الصهيونية والصهيونيين .

● البحث الذى القاه الاستاذ الاكبر ، شيخ الجامع الازهر ، **الدكتور محمد الفحام** ، عن [استرداد القدس] ، والذى حدد فيه — بعد حديث طويل فى التاريخ — السبيل الى استرداد المدينة المقدسة، وهو الجهاد والقتال، ثم نبه الى ضرورة رفض المسلمين لافكار الحقد وقيم العنصرية وفلسفة التعصب فى معركتهم لاسترداد هذه المدينة ، وذلك على الرغم من أن هذه القيم والافكار والفلسفة هى التى وقفت خلف الاعداء الذين سلبوا منا هذه المقدسات .

● البحث الذى القاه **اللواءمحمودشيتخطاب** عن [التوسع الاسرائيلى] — وهو البحث الذى استعانت به ادارات التوجيه المعنوى بقواتنا المسلحة — والذى ابرز فيه العوامل التى تقف خلف هذه السياسة التوسعية الثابتة لاسرائيل ، فلم يكتف بعامل العقيدة عند اليهود ، وانما ابرز وركز على العوامل : الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية ، والامبريالية .

● كما تضمنت توصيات المؤتمر التى أعلنها باسمه **الشيخ عبد الحميد السائح** — رئيس الوفد الاردنى — يوم ٤ مارس عدة توصيات هامة ومتقدمة ، مثل : الاعتراف بثورة الشعب الفلسطينى ، كطريق مشروع لاسترداد الحق السليب ، ودعمها ماديا ومعنويا بمختلف وسائل

الدعم ، وعلى امتداد بلاد العالم الاسلامى ، والدعوة الى تعميم التجربة الناجحة للثورة الليبية بشأن اقامة [صندوق الجهاد الفلسطينى] لتجمع فيه المساعدات المادية للثوار ، مع دعوة الحكومات للمساهمة فى هذا الصندوق الى جانب الافراد ، والدعوة الى ارسال المتطوعين الى القتال فى الجبهة . الخ .. الخ ..

واذا كانت هذه هى ابرز الجوانب الايجابية فى المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين ، فان بعض المراقبين يرون خطأ الفكرة التى رددها البعض مطالبين باعتبار المعركة بيننا وبين الصهيونية معركة دينية بين اليهودية والاسلام ، متوهمين ان الصهيونية حركة دينية لليهود ، متجاهلين انها حركة قومية عنصرية علمانية ، تستغل الدين اليهودى وأسفار العهد القديم **كأداة** لتعويض « قوميتهم » الوهمية عن التراث والتاريخ والامجاد والذكريات المشتركة التى يفتقدونها ، والتى لابد منها لأى قومية من القوميات ... وأن سند الصهيونيين الحقيقى هم الامبرياليون الذين لايؤمنون بالديانة الموسوية ، بل يعادون اليهودية كدين .

وقد شمل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى اعضاء المؤتمر عندما التقى بهم يوم ٥ مارس ، اشارة غير مباشرة الى هذه المفاهيم ، فلقد حرص على ان يؤكد عدة نقاط ، منها : اننا يجب ان نعمل على « تعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودى الصهيونى ، **لأن اسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحى** » .. كما طلب من اعضاء المؤتمر ان يبلغوا تحياته الى شعوبهم : « **المسلمة ، والمؤيدة للحرية** » ثم قال : « **ونحن فى هذا ايضا لا نفرق بين دين ودين** » .

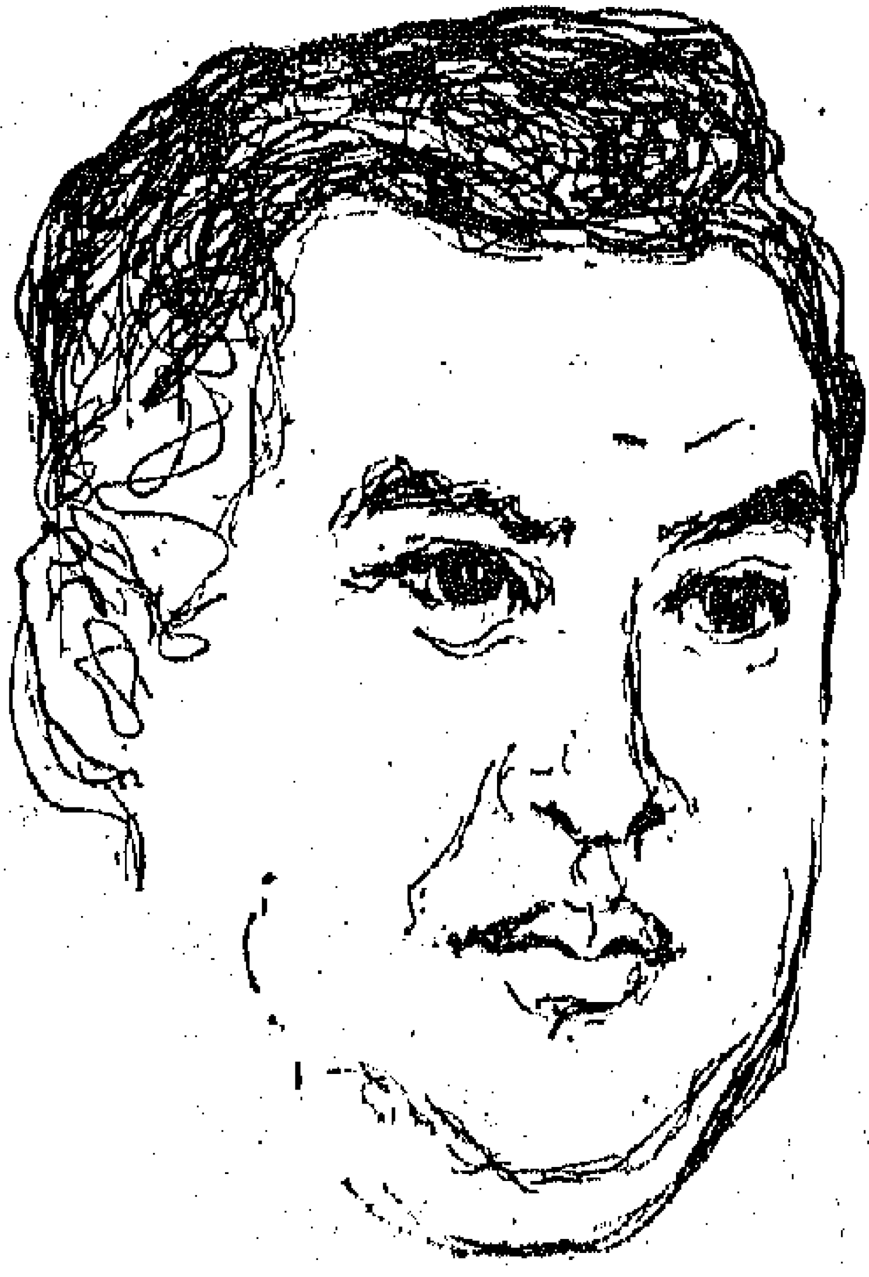
■ ■

■ **كمبوديا**

انقلاب يمد نطاق الصراع المسلح

وجه

الجنرال **لون نول** رئيس وزراء كمبوديا الجديد نداء يطلب فيه من جميع القوات المسلحة الكمبودية الامتثال من الان فصاعدا لاوامر **تشان هان** رئيس الجمعية الوطنية ، الذى اصبح رئيسا لدولة كمبوديا بعد الامير «**نورودوم سيهانوك**» الذى اطاح به انقلاب ١٨ مارس



سيهانوك

السابق — وجاء فى النداء أن من يرفض الامتثال للنداء سيعاقب بشدة .

وقد ترك ذلك النداء انطباعا لدى المراقبين بأن الحكومة الانقلابية الجديدة تعانى من بعض الصعوبات من انصار الامير سيهانوك ، لكن الامير أعلن فى النهاية من ناحيته « أنه لا ينوى القيام بأى محاولة لاستعادة السلطة او للاحتفاظ بلقبه كرئيس لدولة كمبوديا » . مما يلقى الضوء على الامكانيات الفعلية له لاستعادة سلطاته ، وعلى مدى نجاح الانقلاب الجديد فى الاطاحة به ، وفرض اوضاع جديدة على كمبوديا .

وقد اعلن « **الامير سيهانوك** » أن اعداءه من الخونة والعصاة وعملاء الاستعماريين الامريكيين من « الجناح اليمينى المتطرف » هم الذين دبروا هذا الانقلاب ، كذلك يشير عديد من المراقبين السياسيين الى الدور الذى لعبته المخابرات الامريكية فى تأزيم الامور فى كمبوديا ، واشاعة الاضطراب اثناء غياب سيهانوك ، وقد أوضحت بعض المصادر المطلعة فى باريس فى ٢١ مارس الماضى « أن الذين تظاهروا ضد سفارة فيتنام الديمقراطية ، وسفارة الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية فى كمبوديا ، والطلبة منهم بصفة خاصة ، قد نقلوا بالسيارات الى موقع هاتين السفارتين » وأن كثيرا من الاسلحة الامريكية الحديثة الصنع فى العاصمة ، بالرغم من توقف الامدادات الامريكية لكمبوديا بالسلاح منذ ١٩٦٣

وعلى الرغم من أن الجنرال **لون نول** اعلن ان كمبوديا لن تحيد عن سياسة الاستقلال

والحياد ووحدة الاراضى ، إلا انه ادلى بتصريحات أخرى يتضح منها الاتجاه الحقيقى لحكم كمبوديا الجديد ، فقد أعلن فى ٢١ مارس الماضى — « أن حكومته ستواجه اى تدخلات أو عدوان منجانب الفيت كونج بكافة الوسائل ، بما فيها الوسائل السياسية والدبلوماسية والدولية » ، كذلك كانت حكومة اندونيسيا أول حكومة اعترفت ضمنا بالنظام الجديد ، فى حين تكلم راديوهانوى وبكين عن الامير سيهانوك « باعتباره رئيسا لدولة كمبوديا » وذلك حتى كتابة هذا التقرير .

ويرى عديد من المراقبين السياسيين أنانقلاب كمبوديا جاء كرد فعل للتدهور المتزايد فىالموقف الامريكى فى شبه جزيرة الهند الصينية ، ليس بسبب انتصارات ثوار فيتنام عامة فحسب ، وانما بشكل خاص بسبب تدهور موقف عملاء أمريكا فى لاوس بعد اجتياح ثوارها لسهل الجرار ، واضطرار القوات العميلة للجلاء عن قاعدة سام تونج فى الجنوب ، كل ذلك شكل حافزا مفزعا لليمين المتطرف فى كمبوديا ، ليسرع بحركته للاطاحة بسيهانوك خوفا من اختلال توازن النظام المحايد فى أندونيسيا لصالحاليسار والثورة التحررية فى الهند الصينية ، وليس من شك — حسبما أشار عدد من المراقبين التقدميين — أن اليمين أخذ يقوى مراكزه فى كمبوديا منذ ١٩٦٦ بعد انقام سيهانوك بما يسمى « بحركته ضد اليساريين » فى كمبوديا .

على أن الموقف فى الهند الصينية ينطوى على المخاطر نتيجة هذا الانقلاب وبخاصة اذا نشب صراع مسلح بين القوات الكمبودية التى تأتمر بأمر اليمين الحاكم ، وبين الاربعين الف جندى من قوات الفيت كونج وفيتنام الشمالية المرابطين قرب حدود كمبوديا ، والذين يصل عددهم الى نفس عدد الجيش الكمبودى تقريبا ، أو يزيد قليلا ، ومن هذه الناحية فان هذا الانقلاب وان كان قد جاء بوضوح لصالح المخطط الامريكى فى الهند الصينية ، فانه من الافضل للامريكيين أن ينجح فى السيطرة تماما وبهدوء على الوضع فى كمبوديا تمهيدا لتحويلها الى قاعدة عسكرية وسياسية قوية للمصالح الامريكية ، بدلا من توسيع امد الصراع فى الهند الصينية والتورط فى حرب برية أكبر فى آسيا فى الوقت الذى ثبت فيه فشل تلك السياسة فى فيتنام ، وفى الوقت الذى يزداد فيه ضغط الرأى العام الامريكى للانسحاب من هناك .

على أن سقوط كمبوديا فى أيدى اليمينوعملاء الولايات المتحدة سيستتبعه بالطبع الضرب بشدة على ايدى القوى التقدمية والثورية فى هذا البلد ، الامر الذى سيترتب عليه بالضرورة مقاومة متزايدة من جانب الحركة الشعبية فيه، مما قد يؤدى الى وجود حالة ثورية فى كمبوديا ايضا ، تمد نشاط الصراع الثورى المسلح الى هذا البلد فى أمد قريب أو بعيد ، خاصة وأن هناك بالفعل خميرة واقعية لهذا الصراع فيمن يسمون « بالكمبوديين الحمر » ، او « الشيوعيين الكمبوديين » الذين يسيطرون على منطقة الاحراش شرقى كمبوديا ابتداء من بيويو .



■ لاوس

نتائج الهزائم الامريكية فى فيتنام

ينظر عديد من المراقبين السياسيين الى التصريح الذى أدلى به « **وليم روجرز** » وزير الخارجية الامريكية أخيرا وجاء فيه « ان الولايات المتحدة يمكن أن تبحث مسألة ارسال قوات مقاتلة الى لاوس ، اذا تطلب ذلك تطور الموقف هناك » باعتباره اتجاها ينبىء عن اعتزام الولايات المتحدة زيادة تدخلها المسلح فى لاوس يؤكد ذلك الاعتقاد بأن النشاط الهجومى للطيران الامريكى فى فيتنام الجنوبية اصبح — طبقا لرأى الخبراء العسكريين فى سايجون — « على مستوى ضعيف للغاية » وان الجهد الرئيسى لسلاح الطيران الامريكى انصب على لاوس حيث يقدر عدد الطلعات الجوية الامريكية عليها يوميا بـ ٥٠٠ طلعة .

ومع ذلك تفيد آخر الانباء العسكرية التى وردت حتى كتابة هذا التقرير ، والتى صرح بها الامير **سوفانا فوما** فى ١٨ مارس الماضى » بأنه تم الجلاء عن مدينة **سام تونج** ، وانه من المرجح انه سيتم أيضا الجلاء خلال هذه الايام عن « **لونج شينج** » اذا استمرت قوات العدو فى التقدم » . الامر الذى ينبىء بتدهور الوضع العسكرى لاعداء **الباثيت لاو** بعد احتلال القوات الشيوعية لسهل الجرار اخيرا ، وقد اضطر الامير سوفانا فوما الى التصريح اخيرا ، بأن حكومة لاوس مستعدة لان تدع الثوار يستخدمون الطريق المعروف بطريق « **هوشى منه** » على الحدود الفيتنامية ،

على ان ينسحبوا من سائر المناطق الهامة فى لاوس ، ولا يهاجموا مدنها وقراها .

كذلك وافقت حكومة فيتنام على تبادل الرسائل مع ثوار « باثيت لاو » الذين اقترحوا وقف اطلاق النار واجراء محادثات بين جميع الاحزاب السياسية لاقامة حكومة ائتلافية مؤقتة تعمل فى منطقة مجردة من السلاح ، ولكن ذلك لم يحل على اية حال بين متابعة الثوار لنشاطهم العسكرى ، ومواصلة الولايات المتحدة لعمليات القصف المركز لمناطق الثوار فى لاوس بالقنابل ، وتزداد المشكلة تعقيدا اكثر فاكثر ، وقد دعا الاتحاد السوفيتى رغبة منه فى حل المشكلة ، الولايات المتحدة لان توقف فورا وبدون شروط غاراتها على اراضى لاوس ، ويعقب ذلك اجراء محادثات بين الاطراف المعنية فى لاوس نفسها ، ورفض الاتحاد السوفيتى اقتراح **نيكسون** بعد مؤتمر جنيف الخاص بلاوس لمناقشة الموقف فيها ، وفى الولايات المتحدة نفسها ، يتزايد الضغط من جانب الرأى العام الامريكى وداخل الكونجرس للحيلولة دون تورط الولايات المتحدة مرة اخرى فى لاوس .

ويرى عديد من المراقبين السياسيين أن تطور الاوضاع فى لاوس بسرعة لغير صالح عملاء الولايات المتحدة ، انما يعد نتيجة مباشرة لهزيمة الولايات المتحدة وعملائها فى فيتنام ، كما انها أولى الدلائل على الخط الذى ستتطور اليه الامور فى أى بلد فى جنوب شرقى آسيا تتوفر فيه حركة ثورية نشطة بعد بدء الانسحاب الامريكى من هناك .

■ ■

■ **الاتحـاد السوفيتى**

الحملة ضد اسرائيل تثير قلق الاستعماريين

شنت الحكومة والصحف الاسرائيلية حملات محمومة ردا على الحملة الواسعة التى تفجرت ضدها فى **الاتحاد السوفيتى** . فقد نشرت الحكومة الاسرائيلية بيانا اتهمت فيه الاتحاد السوفيتى بتنظيم حملة معادية **لاسرائيل** وهاجم أبا ايبان الحملة السوفيتية وقال — فى رسالة الى الكنيست . « ان الاتحاد السوفيتى يشجع منظمات المقاومة العربية » . كما ذكرت الصحف الاسرائيلية « ان الاتحاد السوفيتى يمهد للقيام بخطوة جديدة فى الشرق الاوسط » .

وتعكس اتهامات الحكومة الاسرائيلية وصحفها مدى القلق البالغ الذى يسيطر على اسرائيل وهى تواجه اقوى حملة منظمة يعبئها الاتحاد السوفيتى على المستوى الشعبى والحكومى ضد خطط الصهيونية والامبريالية فى الشرق الاوسط .

وتتفجر الحملة السوفيتية فى وقت وصلت فيه الصهيونية الى مدى بعيد فى دعوتها الى الكراهية والتعصب القومى ، وممارسة نشاط ايديولوجى هدام ضد البلدان الاشتراكية والافتراء على سياستها فى مسألة القوميات .. فى وقت على وشك ان تحظى فيه اسرائيل بموافقة نيكسون — بمزيد من طائرات الفانتوم ، وتتزايد فيه الاستفزازات الاسرائيلية ضد مصر والدول العربية وتتصاعد رقعة غاراتها حتى شملت أهدافا مدنية ، اثارت استنكار كل القوى التقدمية والشعوب المحبة للسلام .

فعلى اثر الغارات الوحشية على مصانع **الشركة الاهلية فى ابى زعبل** ، هبت موجة من الغضب والاستنكار عمت جميع أنحاء **الاتحاد السوفيتى** . وانعقدت اجتماعات الاحتجاج فى المصانع ، وفى القرى والمزارع تستنكر القصف البربرى والغارات الوحشية بالقنابل والنابالم التى يشنها القراصنة الاسرائيليون ، وتعلن عن تضامن الشعوب السوفيتية مع الشعوب العربية التى تناضل بشجاعة من اجل حقوقها .

وقد ناقشت المؤتمرات الشعبية فى كل مكان ابعاد العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية وربطت بين مخطط اسرائيل وموقف امريكا ضد حركة التحرر العربى . ففى القرارات التى اصدرها المشتركون فى اجتماعات مصنع « سيرب أى مولت » و « بورتيس » بموسكو ، ومصنع « كوزينيتسك » للحديد والصلب فى سيبريا ، واجتماع عمال البترول فى قزوين ، وعمال ميناء « ابليتشيفسك » وعمال المعادن فى « ديتبروبتروفسك » ، وعمال الطاقة الحرارية فى باكو وغيرها .. ادانت الجماهير السوفيتية السياسة العدوانية لاسرائيل ، وربطت بين الصهيونية والنازية ووصمت بالعار التأييد الاستعمارى الذى تقدمه امريكا والدول الغربية لاسرائيل . واختتمت هذه القرارات باعلان التأييد لسياسة اللجنة المركزية **للحزب الشيوعى السوفيتى** والحكومة السوفيتية التى تهدف الى تقديم تأييد شامل للشعوب العربية فى نضالها العادل . كما أعلن المؤتمر المشترك للمجلس

المركزى لجميع الاتحادات العمالية ولجنة السلام ولجنة التضامن الافروأسيوى ولجنة المحاربين القدامى واللجنة النسائية وبقية المنظمات الشعبية الاخرى تأييدهم الكامل للنضال العادل الذى تخوضه الشعوب العربية .

واذ اجمعت الصحف السوفيتية على ان الاتحاد السوفيتى يصر اصرارا كاملا على احباط المغامرات الاستعمارية وعلى استعادة السلام فى الشرق الاوسط ، فان المؤتمرات الصحفية التى حضرها عدد من المسئولين السوفيت تؤكد خطا مبدئيا فى سياسة الاتحاد السوفيتى التى تناهض الامبريالية وتقف الى جانب حرية الشعوب . وقد حظى المؤتمر الصحفى الذى حضره زامياتين — المتحدث باسم الحكومة السوفيتية — أهمية خاصة . اذ حضره ٥٢ شخصية يهودية سوفيتية كبيرة ، من بينهم نائب رئيس الوزراء وعدد من جنرالات الجيش وكبار المفكرين والعلماء ، نددوا جميعا بسياسة اسرائيل العدوانية . واعلن احد الجنرالات فى هذا المؤتمر : « ان بلاده ستزود الجمهورية العربية المتحدة بكل انواع الاسلحة التى تحتاجها للقضاء على العدوان الاسرائيلى » .

وقد اذاعت هذه المجموعة من الشخصيات اليهودية السوفيتية بيانا جاء فيه : « ان الصهيونية ليست الا اداة تستخدمها الدوائر الرجعية والعدوانية المتطرفة فى محاربة حركات التحرر الوطنى، وفى تقويض نظم الحكم التقدمية وفى النشاط الايديولوجى الهدام المتنوع ضد بلدان الاشتراكية .

كما بعثت فئات من يهود كييف برسالة موجهة الى جولدا مائير يردون فيها على تحريضها لليهود السوفيت بالعودة الى ما أسمته « الوطن الام » قائلين لها عبثا ما تحاولين « فاننا نعيش فى وطننا الام » .

وهكذا توضح هذه الحملة السوفيتية الواسعة ان قضية العدوان الامبريالى الاسرائيلى على البلدان العربية هى قضية عدوان على حركة تحرر وطنى . وبمعنى آخر ، هى قضية تمس السلام العالمى ، فلابد اذن من ان تحتل مكانها فى مسئوليات الاتحاد السوفيتى اليوم .. وهذا ما يثير قلق الاستعماريين والصهاينة .

■ **المانيا الديموقراطية**

سؤال تطرحه محادثات ايرفورت

اعلن « **كونراد آلرز** » المتحدث باسم حكومة بون أخيرا أن مباحثات « **ايرفورت** » دارت فى جو خال من التوتر ومن الانفعالات التى كان يخشى منها . وفيما يتعلق بمضمون المباحثات ، أعلن أنها قد أوضحت النقاط التى يختلف بشأنها طرفا المباحثات ، ولكن ردود الفعل لدى الوفدين قد كشفت عن النقاط التى يمكن احراز تقدم بشأنها .

وترجع الاهمية السياسية لهذا اللقاء بين « **فيلى شتوف** » رئيس وزراء المانيا الديمقراطية و « **فيلى برانت** » مستشار المانيا الاتحادية ، الى أنه لاول مرة منذ قيام جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية يجتمع رئيسا الحكومتين لدراسة المسائل الاساسية المتعلقة باقامة علاقات طبيعية بين الدولتين المستقلتين المتمتعتين بالسيادة

وقد أوضح « فيلى شتوف » فى المباحثات حقيقة أن حكومات المانيا الامبريالية تتحمل فى الواقع مسئولية الحربين العالميتين البغيضتين اللتين نشبتا خلال هذا القرن ، واستعرض تاريخ النظام الهتلرى وتاريخ الهزيمة التى انعكست آثارها فى « الدماء التى سفكت وما حدث من خسائر مادية » والتسليم دون قيد أو شرط من جانب النازى ، ونهاية الرايخ الامبريالى وتقسيم المانيا ، وأوضح أن استخلاص الدروس من سياسة الامبريالية الالمانية التى جلبت الكوارث واقامة سلام دائم ينبغى أن يكون هو الهدف الرئيسى لحكومتى ألمانيا الديمقراطية والمانيا الاتحادية ، وأكد « أن سياسة المانيا الديمقراطية تستهدف فى جميع اتجاهاتها تحقيق السلام » .

واشار « شتوف » الى انه اذا كان جدول أعمال المباحثات ينص على اجراء تسوية دائمة وأساسية للعلاقات بين الجمهوريتين الالمانيتين ، فان ذلك لن يتأتى الا باقامة العلاقات بين الدولتين وفقا لاحكام القانون الدولى ، ووفقا لقاعدة المساواة الكاملة فى الحقوق .

وأوضح « ان حكومته على استعداد أيضا لان تبحث مع حكومة بون مشروع الاتفاقية الذى

اقترحه **فالترأولبريشت** [زعيم المانيا الديمقراطية] والذى ينص فى خطوطه العريضة على الاعتراف المتبادل بين جمهورية المانيا الاتحادية وجمهورية المانيا الديمقراطية ، والاتفاق على عدم التدخل فى مسائل السياسة الخارجية ، وعدم المساس بالحدود الحالية ، وترشيح الدولتين الالمانيتين لعضوية الامم المتحدة ، واقرارهما بعدم امتلاك الاسلحة الذرية والبكتريولوجية والكيميائية ، وذلك الى جانب تخفيض نسبة ٥٠٪ من نفقات الدفاع ، وينص كذلك على مراجعة ديون جمهورية المانيا الاتحادية لجمهورية المانيا الديمقراطية مراجعة نهائية واقرارها ، وكذلك تحمل بون لمختلف التعويضات الناتجة عن الحرب » .

وعبر « **فيلى برانت** » فى المحادثات عن اسفه لانحدار العلاقات الانسانية فى شطرى المانيا عن ذلك المستوى الذى تقوم عليه العلاقات المتبادلة بين الدول الاجنبية عن بعضها البعض وبين مواطنيها ، واوضح برانت « انه لن يكون فى امكاننا مستقبلا ان نتحدث عن مسئولية التاريخ بصفة عامة ، أو مسئولية هتلر بصفة خاصة ، **لاننا نحمل هذه المسئولية فى داخلنا** » و « أن العلاقات بين الشرق والغرب لايمكن ان تتحسن بشكل ملحوظ ، اذا استمرت العلاقات فى وسط أوروبا مضطربة » و « اننا لا نريد تغيير وضع برلين طالما لم نجد حلا للمشكلة الالمانية نفسها » وأن اقامة علاقات بين الدولتين على أساس معاهدة ، يمكن ان يساعد على عقد مؤتمر لتدعيم الامن والتعاون فى اوروبا .

واعلن برانت « أن حكومته » تؤيد مسألة التخفيض المتوازن فى القوات المسلحة فى كل من شرق المانيا وغربها . وأكد انه ينبغى أن يكون الاشخاص الذين يعيشون فى المانيا الاتحادية ، والمانيا الديمقراطية هم المستفيدون الرئيسيون من عودة العلاقات بين الدولتين الى الحالة الطبيعية . وطالب فى هذا الصدد ، بوضع حد للتعاسة البشرية ، وتحسين العلاقات بين بون وبرلين الشرقية فى مجالات الاقتصاد والتجارة والبريد والنقل النهرى والسكك الحديدية والشئون الادارية ، ووجوب قيام العلاقات على أساس عدم التفرقة وعلى المساواة فى الحقوق ، ثم وجه الدعوة الى شتوف لاستكمال مباحثات ايرفورت فى مايو القادم فى المانيا الغربية ، واقترح تعيين وزراء مفوضين يتولون تحليل الاقتراحات التى تقدمها الدولتان الالمانيتان خلال فترة توقف المباحثات وافساح مجالات العمل الدائم لهما فى مقر الحكومتين .

وقد اتضح الموقف العملى لكل من الدولتين فى التصريحات التى أدلى بها كل من برانت وشتوف بعد محادثات ايرفورت . وقد أوضح برانت للتليفزيون الالمانى الغربى فى ٢٠ مارس الماضى بعد عودته من ايرفورت « أننا توصلنا الى نتيجتين أساسيتين عن محادثات ايرفورت » أولا ، أننا سنلتقى من جديد فى كاسيل فى ٢١ مايو القادم ، وهو أمر جوهرى من وجهة النظر السياسية ، ثانيا ، ان كلا منا استطاع ان يفهم بصورة افضل آراء الطرف الاخر ، وأبدى فى نفس اليوم فى حديث قصير له أمام البوندستاج « استعداده للتفاوض من اجل عقد اتفاقات تعاقدية مع برلين الشرقية تكون لها صلاحيتها القانونية الدولية كأية معاهدة ، مع عدم اعتبار جمهورية المانيا الديمقراطية بلدا أجنبيا [كى يتجنب الاعتراف بها] اذ يجب أن نضع فى اعتبارنا الظروف الخاصة لالمانيا المقسمة وأوضح برانت أن مشروع المعاهدة الذى اقترحه « **فالتر أولبريشت** » فى ١٨ ديسمبر الماضى لا يتجاوب مع هذه الضرورة وينبغى الاتفاق على نوع آخر من المعاهدات » .

اما فيلى شتوف فقد أدلى بحديث لتليفزيون المانيا الديمقراطية أوضح فيه : « أن لقائى بالمستشار الاتحادى الالمانى فيلى برانت فى ايرفورت كان مفيدا . وان المفاهيم المتعارضة ظهرت بجلاء خلال حديثنا ، ان موقفنا يحدده مشروع الاتفاقية الذى تقدمنا به ، والذى ينص على اقامة علاقات طبيعية بين دولتين متساويتين فى الحقوق ، ان موقفنا واضح لاننا استطعنا ان نستفيد من دروس التاريخ ، وأن نتخلص من أسباب كل العوامل التى قادت شعبنا الى كارثتين خلال هذا القرن . اما موقف المانيا الاتحادية فيختلف بالطبع عن موقفنا ، لانها بدلا من أن تصفى قوى الماضى المشئومة ، اعادتها الى الوجود من جديد ، ومن ثم **يتعين على المانيا الاتحادية ان تتبين ما اذا كانت تريد مواصلة سياستها القديمة القائمة على المغامرة ، وفقا لاساليب تكتيكية جديدة ، أم انها تسعى الى منطلق جديد وذلك عن طريق نبذها للسياسة المسيحية الديمقراطية التى فشلت ؟** »

■ علوم

حول مخاطر « المضادات الحيوية »

أثارت الصحافة المحلية ، مشكلة سوء استعمال الادوية ، ومن بين هذه الادوية التى يساء استخدامها بصورة واسعة ، « المضادات الحيوية » . فكثيرا ما يلحظ الطبيب عواقب سوء استخدام حقن البنسلين والاستربتوميسين ، او اقراص السلفاديازين ، او معلقات الكلورافضيروكول مثل السيدوستين ، وفراستين وجلوبنيكول او لبوسبزموجلوبينكول او سيدوستين بزموت . فكثيرا ما تجىء الام أو الاب او احد الاقارب « المثقفين » ويقول للطبيب لقد لاحظنا ارتفاع درجة حرارة المريض فاعطيناه حقنة كذا أو قرصين كذا من المضادات الحيوية ولم يتحسن المريض فجئنا به لمعرفة السبب . وطبعا لايدرى هذا الشخص انه يرتكب جريمة فى حق المريض . واذا كان ارتفاع استهلاك الادوية ، فعلى المرضى والجمهور ان يدرك ان ١٫٨ مليون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٣٫٢ مليون جنيه عام ٦٩ ، دليل على سوء استهلاك هذه الادوية ، فعلى المريض والجمهور أن يدرك أن المضادات الحيوية ليست كالاسبرين والنوفالجين، وأن سوء استخدامها قد يؤدى الى أمراض لا علاج لها .

فأولا : اذا تعاطى الشخص أى جرعة ناقصة عن الحد المطلوب لقتل الميكروب المعين ، فهذا يعنى أن هذه الميكروبات لم تقتل بالحقنة أو القرصين التى تعاطاها المريض وبالتالى اعتادت هذه الميكروبات على هذا المضاد الحيوى . واذا حدث واحتاج المريض بعد ذلك لهذا المضاد الحيوى بالذات ، فلن يصبح له أى تأثير على الميكروبات فلقد تكونت مقاومة للميكروبات لهذا المضاد نتيجة لسوء التصرف .

ثانيا : ان استخدام المضاد الحيوى لفترة أطول من اللازم يؤدى الى أعراض جانبية ضارة فمثلا أقراص السلفا يؤدى الى التهاب الكليتين وقد تؤدى الى تدمير النسيج الكلوى فى الطفل. كما أن الستربتوميسين قد يؤدى الى الصمم الكامل والكلورفضيركول قد يؤدى الى الاصابة بالانيميا الخبيثة وتغيرات لاعلاج لها فى كرات الدم البيضاء مما يؤدى الى ضعف مقاومة الجسم بشكل عام. هذا علاوة علىالتهابات الفم واللسان والاصابة بالفطريات فىالجهاز التنفسى العلوى ، وأمراض الكبد والكلى .

هذا ممكن ان يحدث نتيجة سوء استعمال الدواء من جانب المريض دوناستشارة الطبيب. ولكن يحدث فى احيان اخرى كثيرة أيضا ، ان يسارع بعض الاطباء باستخدام انواع قوية من هذه المضادات فى الحالات البسيطة ، أو استخدام أكثر من مضاد حيوى واحد بهدف القضاء بسرعة على المرض ،صحيح ان الطبيب قد يحظى بكسب سريع فى معاركه القصيرة مع الإمراض البسيطة، ولكنه يؤدى بتصرفه هذا الى الاضرار على المدى الطويل بمريضه . ويساعد على انتشار هذا الاتجاه البعيد عن الاسلوب العلمى الصحيح ، المنافسة بين الاطباء ، ووجهة نظر الجمهور الذى يحكم على الطبيب بسرعة النتائج الاولوية .

كما يساعد أيضا على انتشار هذا الاتجاه سواء من جانب المريض أو الطبيب ، السهولة التى يستطيع بها المريض الحصول على أى دواء من الصيدلية بدون تذكرة طبية ، مما قد يؤدى الى تواجد هذه الادوية لدى البقالين كما يحدث فعلا فى الارياف .

وقد اهتمت مؤسسة الادوية بدراسة المخاطر المترتبة على سوء استخدام الادوية تحت اشراف **الدكتورين على مختار واحمد مكرم** ، لدراسة نتائج الابحاث التى قام بها الاطباء **عزيز البندارى ومدحت القطان وعادل الازهرى وعلى حجازى وعبد الفتاح شوقى** ، ومن المتوقع ان يستفاد منها فى وضع حلول عملية لحماية المريض من سوء استخدام الدواء .

رسالة من الخرطوم

الاتحـــاد العـــالمى للنقـــابات يعقــد دورته الأولى فى الخـرطوم

عبدالمنعم الغزالى

فى المدة من ٢٤ الى ٢٦ فبراير انعقد فى الخرطوم اجتماع مكتب الاتحاد العالمى للنقابات فى دورته الاولى بعد انتخابه من قبل المؤتمر النقابى العالمى السابع الذى انعقــد فى بودابست فى أكتوبر الماضى .

وقد شهد الاجتماع مجموعة من كبار قادة الحركة النقابية العالمية ، من بينهم **شاندر جاشبار** السكرتير العام للمجلس المركزى للنقابات المجرية وعضو المكتب السياسى لحزب العمال الاشتراكى المجرى. **وهربرت فارنكا** رئيس المجلس المركزى للنقابات الالمانية الحره وعضو المكتب السياسى للحزب الاشتراكى الموحد بجمهورية المـانيا الديمقراطية **وبيميونوف** سكرتير اتحاد النقابات السوفيتية **وروزا كوريتـاروفا** رئيس المجلس المركزى للنقابات البلغارية وعضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى البلغــارى **وجورج ســيجى** السكرتير العــام لاتحاد العمال الفرنسى، وبيير **جنسوس** السكرتير العام لــلاتحاد العــالمى **وانريكو باســترينو** قائد الحــركه النقابية فى أوروجواى ورئيس الاتحاد العالمى للنقــابات **والشــفيع احمد الشيخ** السكرتير العام لاتحاد النقابات السودانى ونائب رئيس الاتحاد العام **والياس الهبر** رئيس الاتحــاد الوطنى للعـــمال والموظفين بلبنان ـ وشهد الاجتماع وفود مــن حوالى ثلاثين بلدا . ومن المعروف أن عضوية الاتحاد العالمى للنقابات تبلغ حوالى ١٣٤ مليون عامل منظم .

ولاول مرة فى تاريخ الاتحاد العالمى للنقابات ينعقد مكتبه خارج القارة الاوروبية . وقد صرح بيير جنسوس عن سبب اختيار الخرطوم مكانا لاجتماع الاتحاد بقوله : « ليس من الصدفة اننا أخترنا الخرطوم مكانا لانعقاد هذا الاجتماع ، لقد أخترنا الخرطوم لانه يوجد فيها اتحاد نقابى عضو فى الاتحاد العالمى للنقابات منذ سنوات عديدة ، كما أخترنا الخرطوم آخذين فى الاعتبار الاحداث التى تجرى فى الشرق الاوسط » .

وقال : « ان الاتحاد العالمى للنقابات يــوجه اهتماما خاصا للتطور الذى حدث فى ليبيــا ، وبالطبع فانا نقدر تقديرا ايجابيا التطورات التى حدثت فى السودان ، واعتقد أن مجرد انعقاد مكتب الاتحاد العالمى للنقابات هذا فى الخرطوم هو مظاهرة للتضامن مع الشعب السودانى والعمال السودانيين ولتشجيعهم ودعمهم بامكانياتنا لمتابعة طريق التطور » .

وعلق شاندر جاشبار على أهمية انعقاد هذا الاجتماع فى الخرطوم بقوله : « انه توجد أهمية كبيرة لانعقاد اجتماع مكتبنا فى الخرطوم من ناحيتين ـــ فاولا، هذه أول جلسه لهذا المكتب تنعقد خارج القاره الاوروبيه . كما ان انعقاد هــذه الجلسة فى أفريقيا يعطى الاجتماع أهمية كبيرة ، وليس من باب الصدفة انعقاد هذه الجلسة فى السودان لانه من المعروف أن النقابات السودانيه هى أكثر النقابات الافريقية تقدما ، وهى عضو اساسى فى الاتحاد العالمى للنقابات ، والنقابات السودانية نقابات مناضلة تبذل قصارى جهدها من اجل رفع مستوى الطبقة العاملة والجمــاهير الكادحة فى السودان ، ونحن نعتبر الحــركة النقابية السودانية قوية جدا ، وفى امكاننا ان نقول أن الحركة النقابية العالمية تنظر الى اتحاد نقابات عمال السودان نظرة الاحترام والتقدير . هذا بينما ينظر عملاء الاستعمار الحديث والنقابات الصفراء بحقد الى النقــابات الســودانية .

ونحن نعتبران الاجتماع بالخرطوم رمز للصداقة التى تربط بين الشعوب العربية والافريقية والبلدان المتحررة والبلدان الاشتراكية ، وخاصة الصداقة مع الشعوب العربية التى تسير فى طريق غير رأسمالى طريق التحرر والديمقراطية الوطنية والاشتراكية » .

وافتتح اللواء أ . ح جعفر نميرى الجلسة الافتتاحية للمكتب فى صباح ٢٤ فبراير الماضى ، بخطاب هام جاء فيه :

« ان حكومة الثورة تقدر تقديرا فائقا الدور الكبير الذى يلعبه اتحاد النقابات العالمى فى الدفاع عن حقوق العاملين فى كافة أرجاء الارض ، وفى الدفاع عن السلم العالمى ومساندة حركات التحرر الوطنى فى كل مكان ، ومع المناضلين الذين يواجهون الاستعمار قديمه وحديثه . فقد وقفتم مع كل الشعوب فى كل القارات دفاعا عن حقها فى أن تكون سيدة أرضها ، وأن تبنى حياتها بالطريقة التى تريدها والتى تتوافق مع تطلعاتها وتطلعات أبنائها ، فاتحاد النقابات العالمى الذى يقود الحركة النقابية العالمية ويوحد صفوفها يمثل قلعة صلبة من قلاع التضامن والنضال الموحد لخير الطبقة العاملة ولخير البشرية جمعاء » .

« ونحن فى السودان ، سودان الثورة نيمم وجهنا دائما شطر أصدقائنا فى الكفاح ، أصدقائنا المناضلين من أجل الاشتراكية ، فثورة الخامس والعشرين من مايو نقلت بلادنا من بلد تابع للقوى الاجنبية تحركه وتديره نيابة عنها رجعية سوداء لا تعرف سوى مصالحها الخاصة ومصالح أسيادها ، الى بلد متحرر ، والى عضو عامل فى الاسرة العالمية التقدمية التى تمثلون انتم فرقة ثورية من فرقها ، فنحن نسير معا على درب النضال الظافر حيث نرى الاشتراكية الوضاءة وحيث يعود جهد الانسان للانسان لا لحفنة من الرأسماليين والاحتكاريين والاستعماريين » .

« وقد أكدت لنا الايام والاحداث صدق تقديرنا وصحته ، فمواقف اتحادكم العظيم من القضية العربية ، وجهوده الموفقة فى تعبئة الرأى العام العمالى ، وما اتخذه من قرارات فى مؤتمراته المتعددة ولقاءاته السابقة تقف خير شاهد على طبيعته النضالية التقدمية » .

ووسط جو حماسى ، ومظاهرات عريضة اشترك فيها عشرات الالوف من القوى العاملة بالسودان ، سارت تحت شعارات « يسقط الاستعمار الامريكى والعدوان الامبريالى الصهيونى » وتحت شعار « يا عمال العالم اتحدوا » ، عقد مكتب الاتحاد العالمى للنقابات اجتماعه فى الخرطوم ، وقد انهى اجتماعه بمجموعة من القرارات الخاصة بعمل الاتحاد ونشاطه خلال عام ١٩٧٠ ، وقرر الاجتماع تنظيم مؤتمر دولى للشبيبة العمالية خلال هذا العام وأعلن تضامنه مع عمال وشعب فيتنام من اجل وقف الحرب القذرة فى فيتنام ، وأصدر بيانا هاما حول مشكلة الشرق الاوسط جاء فيه : « ان مكتب الاتحاد العالمى للنقابات يتابع بقلق كبير تصاعد العدوان الاسرائيلى ، الذى نجد مثلا صارخا له فى القصف الاخير ، واللا انسانى لمصنع أبى زعبل ، والذى ادى الى موت أكثر من ٧٩ والى جرح عدد مماثل من العمال .

« واذ يعلن تضامنه مع نضال الشعوب العربية ومنها الشعب الفلسطينى ضحايا العدوان والاستفزازات الاسرائيلية ، يتوجه مكتب اتحاد النقابات العالمى بنداء حار الى عمال العالم والى منظماتهم النقابية من أجل :

● الشجب الشديد للمعتدين الاسرائيليين الذين يصعدون التوتر العسكرى والسياسى فى الشرق الاوسط ، ويرتكبون ابشع الجرائم ، وضد الانسانية بهدف تحقيق أهدافهم التوسعية » .

● النضال فى منظمات الامم المتحدة والمنظمات العالمية والوطنية المناسبة من أجل شجب جميع انواع المساعدة المقدمة الى اسرائيل ، ومن أجل تطبيق العقوبات الضرورية لارغامها على تطبيق قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، باعتبار ان اعمال اسرائيل العدوانية تنافى ميثاق الامم المتحدة » .

● القيام بحملة فضح شعبية واسعة للطبيعة الاستفزازية والعدوانية والتوسعية لاسرائيل التى تطمح بالاتفاق مع الامبريالية الامريكية بشكل خاص والصهيونية العالمية الى فرض ارادتها بالقوة على الدول العربية ، والى ضم الاراضى المحتلة .

● تنظيم اجتماعات جماهيرية ، ومظاهرات احتجاج ضد تقديم السلاح لاسرائيل من قبل الدول الامبريالية وخاصة الامبريالية الامريكية .

● تنظيم حملة تضامن ودعم معنوى ومادى مع

الفلسطينيين العرب الذين طردهم المعتـــدون الاسرائيليون من بلدهم ومساندتهم فى الاعتراف الكامل بحقهم بالعودة الى وطنهم وحقهم فى تقرير مصيرهم » ٠

« ان مكتب اتحاد النقابات العالمى ، اذ يعبر عن ثقته بانتصار الشعوب العربية والعمال العرب بفضل نضالهم الموحد وبفضل دعم العالم اجمع لهم ، يفوض أمانة السر بالتعاون مع المنظمات النقابية العربية وخاصة من أجل الاهتمام بتكوين لجنة نقابية عالمية للتضامن مع شعب وعمـال فلسطين » ٠

واختتم المكتب نداءه بشعار « لنوسع اعمال دعمنا وتضامننا مع نضال العمال العرب ضد العدوان الامبريالى الاسرائيلى » ٠

واتخذ المكتب قرارا بقبول اتحاد نقابات عمال الاردن عضوا بالاتحاد العالمى للنقـابات وبذلك أصبح الاتحادات العربية العضوة بالاتحاد العالمى هى اتحادات السودان ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين واليمن الجنوبية والاردن ٠

واتخذ المكتب قرارا بالمساهمه فى حملة التحرر من العطش التى تنظمها الثورة السودانية لحل هذه المشكلة فى السودان والتى تعانى منها الارض والانسان والحيوان ، والتى تعتبر عقبة أساسية تواجه تطور الاقتصاد السودانى والاصـــــلاح الزراعى الذى يستهدف استزراع ١٢٠ مليون فدان واعداد ٨٠ مليون فدان للرعى وتربية ٦٠ مليون رأس من الحيوانات المختلفة ٠

لقد كان اجتماع مكتب الاتحاد العالمى للنقابات مظاهرة عالمية ضد الامبرياليـــة والامبرياليــة الامريكية خاصة ، وضد استمرار الحرب القذرة فى فيتنام وضد العدوان الاستعمارى البربرى الذى تقوم به الولايات المتحدة وربيبتها اسرائيل على البلدان والشعوب العربية ٠

النميرى يواجـه الثورة المضـــادة ويكشـف السـتار عن اساليبهـــا

فى الخامس والعشرين من فبراير الماضى القى الرئيس اللواء ا ٠ ح جعفر محمد نميرى رئيس مجلس قيادة الثورة الســـودانى ورئيس مجلس الوزراء خطابا هاما فى الليلة السياسية التى اقامتها قوى الشعب العامل بواد مدنى ــ وقد جاء هذا الخطاب على تحركات مشبوهة بدأت القوى المضادة بالثورة القيام بها ، قـد اخذت هـــذه القوى ــ والتى انتكست من قبل بثورة اكتوبر التى اطاحت بالحكم العسكرى عام ١٩٦٤ تتجمع وتنظم صفوفها تحت شعار تأييد الثورة ، وداخل تنظيم ظهر فجأة بعد ثورة مايو تحت اسم **القوميين العرب** ، وقد بدأت هذه القوى تتحرك بشكل اساسى فى توجيه هجومها الى التعاون القائم بين النظم الثورية الثلاثة ــ الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان ، وتوجه هجومها كذلك الى المعونات غير المشروطة من قبل البلـــدان الاشـــتراكية الصديقة ٠ وقد بدأت دوائر الامن الثورية فى السودان تكشف عن علاقات مريبة لبعض الزعماء والوزراء السابقين باسرائيل والولايات المتحدة »

وتأكدت قيادة الثورة ــ من وجود مخطط كامل للاطاحة بالسلطة الثورية أو محاولة استيعابها وخاصة بعد اتخاذ القرارات الهامة فى مؤتمر المواجهة الاخيرة لتصفية المصالح الامريكية ، وان هذا المخطط يستهدف استخدام المولود الغريب المسمى بالقوميين العرب كمظلة تستر عـورة الرجعيين والعملاء ... ولذلك بدأت الثورة فى مواجهة هذه القوى وفضح طبيعة نشاطها الرجعى الاستعمارى ٠

وقد أعلن الرئيس جعفر محمد نميرى فى خطابه هذا ، الاجابة على مجموعة من الاسئلة الهامة ، والقضايا الرئيسية والتى حاولت القوى المضادة الاستفادة منها ٠

فقال عن اللقاءات الثورية المتعددة مع جماهير العاملين « انها لم تأت صدفة بل نابعة من صميم طبيعة هذه الثورة التى جاءت لمصلحة العاملين من أبناء شعبنا العمال والمزارعين وفقراء الريف الذين يشكلون القدر الساحق من السودانيين » ٠

وقال فى مجال شرح طبيعة وحقيقة العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الاشتراكية : انه لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والتصنيع لابد من « الاستفادة لاقصى مدى من امكانيات بلادنا الهائلة التى يمكن توجيهها لمساعدة البلـدان الصديقة وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة والبلدان الاشتراكية وعلى وجه الخصوص الاتحاد

السوفيتى العظيم الذى ساعد ويبدى استعدادا عظيما مقدرا لمساعدة شعبنا » .

ورد على التساؤل الخاص بمشاركة المزارعين فى ادارة المشروعات بقوله : « انه لتحقيق هذه المشاركة كان لابد من تحرير المزارعين فى الريف من سيطرة الادارة الاهلية والافكار العتيقة الرجعية ولابد من نشر الديمقراطية ، ولابد من تهيئة الجو للمشاركة وليتولوا أمرهم بأنفسهم ولذلك قامت الثورة منذ أيامها الاولى باتخاذ سياسة تصفية الادارة الاهلية وتكوين مجالس قضاة ، واشركنا المزارعين فى ذلك وقمنا ايضا باعادة تكوين مجلس المديرية وأصبح العاملون هم اصحاب الكلمة الاولى وهذه خطوة اولى نحو منح السلطة الادارية والسياسية للعاملين .. »

وبذلك فضح الرئيس نميرى محاولات القوى المضادة للتشكيك فى اتجاهات الثورة الحقيقية بالنسبة للعاملين . ثم أجاب بحسم على القوى المضادة التى حاولت تفسير شعار الثورة للجميع لصالحها ، واتخذته تكأة للتسلل . جيوبا وتكتلات داخل العمل الثورى ـــ فقال :

« ان الاحزاب التقليدية وحكوماتها كانت ترفض السير فى طريق الثورة الاجتماعية والاقتصادية رفض التخطيط الاشتراكى العلمى للانتاج وترفض اقامة الديمقراطية الحقيقية ، ذلك لانها لم تكن تريد تغيير حياة جماهير الشعب وسعادتهم ، بل تريد الانتفاع بالنظام القديم لمصلحة فئة قليلة من الناس وهذا لم يكن مستغربا لدينا ان تعمل تلك الفئات المنتفعة من النظام المباد ضد هذه الثورة وتعمل لاسقاط السلطة الثورية مستخدمة مختلف الاساليب والوسائل التى تؤدى بها الى هدفها الاسود . بالامس كادوا يستغلون شعار الثورة هذا الشعار الذى أعلناه من اول وهلة « الثورة للجميع » والذى قصدنا به التوضيح بأن الثورة ليست امتيازا للطلائع الثورية التى اقتحمت حصون الرجعية فى الخامس والعشرين من مايو

وثيقة من وثائق النضال العربى ـــ اليهودى ضد الصهيونية

خطــــاب الى « بشــــار »

ننشر هنا نص الخطاب المفتوح الذى بعثت به المحامية الاسرائيلية ، المعروفة بمواقفها الانسانية والمناضلة ضد العدوان والاضطهاد الصهيونيين « فيلتسيا لانجر » الى الطفل العربى « بشار » ، وذلك فى صفحات جريدة « زوهديرخ » لسان حال الحزب الشيوعى العربى ـ اليهودى .

و « بشار » هو ابن المناضل العربى « نعيم الاشهب » الذى مايزال فى ظلمة التعذيب بسجون اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ .

وكانت « الطليعة » قد نشرت فى عددها الصادر فى اول أغسطس ١٩٦٩ ، رسالة « نعيم الاشهب » الى محاميته « فيلتسيا لانجر » التى بعث بها اليها من سجنه (الدامون) فى ٥ يونيو ١٩٦٩ ، بعنوان « فى يوم ليس بالبعيد .. سوف تشرق شمس الحرية الدافئة » . يؤكد فيها ـــ رغم كل ما يلاقيه على أيدى سلطات اسرائيل البربرية ـــ ثقته فى دحر الاحتلال الصهيونى الاسود .

والخطاب المفتوح الذى ننشره اليوم من « لانجر » الى ابن المناضل العربى السجين ، يأتى بعد قيام المحاميه بزيارة « نعيم الاشهب » فى سجنه اثر اصابته بجراح خطيرة ، نتيجة اعتداء احد السجناء اليهود على المناضل العربى فى ١٩٧٠/١/٧ بضربه بصينية نحاسية على رأسه محاولا قتله ، الامر الذى أدى الى قيام جميع السجناء العرب بالاضراب عن الطعام .

ولدى بشــــار . . .

ســـتقرأ هذا الخطاب حينما تكبر يابنى ، يابشار . اما انا فاننى أكتبه اليوم لاننى أجد من واجبى أن أحدثك عن أبيك .

لعل أمك أخبرتك بأن أباك فى السجن ، لانه أحب الوطن وكره الاحتــلال . وهـــاتان خطيئتا أبيك . فبسببهما لا ترى ابتسامته أنت أو أمك أو أختك الصغرى . . .

لقد شاهدت اليوم أباك يبتسم ، رغم الجراح التى فى رأسه والاضمدة التى تلفها . وحاولت ان أبكى يا بنى ، يا بشار (وهذا طبع النساء دائما . . أليس كذلك ؟) . لكن أباك ابتسم وقال : تجلدى ! وحين سألته : أتؤلمك جراحك ؟ أجاب : ليس كثيرا .

وأطاحت الى غير رجعة بحكمها الذى استعبد أبناء شعبنا وأصبحت خيرات بلادنا لصلحة حفنة من الناس ، انما الثورة للملايين من كادحى هذا الشعب والذين ظلوا مغلوبين على أمرهم محرومين من الكساء والغذاء والماء وبلادنا يشقها النيل العظيم وأرضها سخية . ان الثورة تتويج لنضال كافة القوى الثورية ضد الاستعمار والرجعية تطلعا للحرية والعيش الكريم ، وقد قلت فى خطابى فى الذكرى الخامسة لثورة الحادى والعشرين من اكتوبر بان الثورة للجميع ولكنى لا أريد للناس ان يفهموا بقولتى هذه أن الثورة مركب مباح يفتح أبوابه للمتسللين فلا مكان لهم ، ويجب ان نعرف جميعا ويعرف الناس المرتشين انه لا مكان فى مركب الثورة للقيادات الطائفية والقبلية التى عملت لتكرس التخلف فى السودان ، ولا مكان فى الثورة للقيادات السياسية التى مكنت للقوى التقليدية ان تتسلط على رقاب الشعب وتعبث بمقدراته ، ولا مكان فى الثورة للذين ارتبطوا فى حياتهم تاريخا ومصلحة ومصيرا بتلك القوى واليوم تظهر نفس تلك القوى السوداء بأقنعة جديدة . واليوم تظهر نفس تلك القوى السوداء بأقنعة جديدة ظانه بانها ستخدع قوى الثورة وتندس بين صفوفها وتهد كيانها من الداخل ، لقد وصلتنا التقارير عن اشخاص يطوفون قرى الجزيرة لتجميع قيادات الاحزاب الرجعية وبعث نشاطها المعادى للثورة تحت قناع مايسمى بالقوميين العرب ، ولكن أيها الاخوان ان هذا النبت الشيطانى لن يفلح اليوم فى تضليل الشعب باسم القوميين والثورة العربية ، كما لم يفلحوا بالامس فى تضليله باسم الدين الحنيف ،

فالذود عن الوجود القومى يعنى فى المقام الاول النضال ضد الاستعمار ، وضد عناصر الفرقة والتجزئة بين الشعوب العربية وضد المصالح والمطامع التوسعية للاستعمار والصهيونية نضال لاجل التحرر والاشتراكية ، وماكان قادة الاحزاب البائدة وعملاؤهم يوما من الايام أهلا للتصدى لمثل هذه المهام القومية النبيلة ، فعلى العكس لقد كانوا بحكم ارتباطاتهم المصلحية والفكرية امتدادا لنفوذ الاستعمار وأداة له فى حكم البلاد .



أناس شريرون جدا أرادوا قتل أبيك . أبيك الطيب الذى يناديه حتى السجناء بيا « أستاذ » . ولسوف تسالنى طبعا : لم أرادوا قتله ؟ ألا يقدر أبى أيضا أن يؤذيهم ؟ لا . . . يا بنى

ان أباك يكره الاذى والظلم ، ويحب الحق والعدل . انه يكره العدوان ، وكان يتمنى ان تلعب أنت والاطفال اليهود تحت السماء الزرقاء الصافية ، متساوين مطمئنين . لذلك لاحقه ويلاحقه جميع أنصار الجريمة والحروب . انهم يخشونه حتى وهو بين جدران السجن ، مع أن الاسلاك الشائكة والكلاب والمدججين بالسلاح يحيطون بسجنه .. ومع أنه فى أغلب الوقت مريض ويداه مكبلتان بالحديد .

انهم يخافون هذه الحقيقة ، يا بنى . لانها حقيقة تخترق أسوار السجن ، وتجتاز القضبان والاسلاك لتستقر فى قلوب الناس ، حيث لا يمكن أن ينالها أحد . . لذلك تتهدد هذه الحقيقة أبناء الظلام وأنصار الحرب .

أبوك يا بشار لم يخنع ولم يترك وطنه . بل حمل صليب عذابه فخورا . لكن معذبيه لم يغفروا له حتى هذا . وستفخر أنت بذلك ، لانه من أجلك يكافح حتى لا توجد — يوم أن تكبر أنت — سجون يعذب فيها من يحبون بلادهم ويحبون الحرية .

كذلك سيأتى يوم تتعرف فيه على أصدقاء أبيك ، على كثرتهم . . ممن ينزلون السجن معه أو يوجدون خارجه ، من عرب ومن يهود .

انني لواثقة أن هؤلاء الاصدقاء لن يهملوه . وهذه الصداقة الرائعة التى يقف امامها السجانون منذهلين ، ستحطم أسوار السجون الى الابد .

وسيأتى يوم ، يا بشار ، تتعلم فيه كلمات « الاحتلال » و « الحرب » وأشباهها فى الكتب ، على اعتبار أنها أشياء كانت ولم يبق لها أثر .

ان طريق الآلام ، التى سار عليها أبوك وأصدقاؤه ، ستوصلنا الى مثل ذلك اليوم . ما أسعد شعبا له أبناء كأبيك ، يا بشار !

« فيلتسيا لانجر »

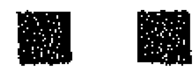


وقال : « اننى أعلن لكم بكل حزم ثورى اننا ندرك حقيقة النشاط الذى تقوم به الرجعية على ارض بلادنا مهما رفعت من رايات وشعارات مزيفة، وان السلطة الثورية لن تتهاون فى الضرب بعنف على كل افكار الرجعية ، ولن يرتاح لنا بال حتى نقضى عليهم لنكفى شعبنا شر مغامراتهم التى تهدف من ارجاعه مرة أخرى الى مواقع التخلف والتبعية للاستعمار ، واليوم تشن الثورة المضادة هجومها المسموم على الثورة لمناصرتها للشعوب العربية، تشنها علينا لاننا نناصر الشعوب العربية ونحن جزء لا يتجزأ منها ، نناصرها على عدوها الاكبر » .

ثم تحدث عن الحلف الثورى بين الدول الثلاث ج. ع. م وليبيا والسودان قائلا : « ان من النتائج المباشرة لهذا الحلف الثورى الجو الجديد الذى نشأ فى العالم العربى وأدى الى أن تتخذ دول المواجهة فى اجتماعها الاخير قرارات ثورية وتاريخية حاسمة لتصفية مواقع الاستعمار الامريكى فى هذه البلدان عقابا له على موقفه الاجرامى ضد الشعوب العربية ومساندته لاسرائيل . هذه المهمة الثورية المقدمة على نطاق العالم العربى منذ أمد بعيد ، ان الشعب المصرى الذى يموت أبناؤه بالآلاف فى الجبهة وتتعرض مدنه ومصانعه ومنشأته للقصف الاسرائيلى المجرم ولتدميره ، هذا الشعب يناضل لا لقضيته هو وحده بل للشعوب العربية كلها . ان اسرائيل عودتنا انها تحاربنا فى جنوب بلادنا او من حولنا مثل ماتحاربنا فى الجبهة التى يعمد ابناؤنا فيها بين الجيوش العربية . ان المساعدات التى نقدمها لمصر واجبة علينا ولمصلحتنا مثل ماهى لمصلحة مصر » .

ان خطاب الرئيس جعفر نميرى فى واد مدنى قد حسم الكثير من القضايا ، كما أنه فتح الطريق أمام التطور الثورى لتلاحم قوى الثورة وقوتها الحقيقية ، والقى على ثورة الخامس والعشرين من مايو وعلى جماهيرها الكادحة وعلى المنظمات الديمقراطية والنقابات مهام وأعباء جديدة ، كما انه بالمثل اوضح أهمية مساندة القوى الثورية والتقدمية والوطنية فى كل العالم العربى لهذه الثورة ، ولم يعد هناك من شك فى انه على هذه القوى الشعبية فى العالم العربى ان تفكر بجدية اكثر فى اشكال المساندة والدعم لثورة السودان .

ويرى المراقبون ــ هنا فى الخرطوم ــ للاحداث الاخيرة ــ ان تطورات هامة فى كافة المجالات وعلى ومواجهة القوى المضادة للثورة، وفى مقدمة هذه مختلف المستويات ستتحقق لدعم تطور الثورة التطورات مزيد من الالتحام والعمل المشترك مع المنظمات الديمقراطية للعمال والمزارعين والمثقفين الوطنيين ومزيد من التطهير فى أجهزة الحكم نفسها للعناصر المضادة والمقنعة .



جاءنا البيان التالى

من « قوات الانصار »

الى جماهير شعبنا الباسلة ، رجالا ونساء !
ايها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون !
يا ابناء شعبنا اللاجئين والمشردين !
الى جميع فصائل ومنظمات ورجال المقاومة الابطال !
الى ابناء شعبنا الرازحين تحت نير الغزو والاحتلال الصهيونى !
الى كل القوى الوطنية والتقدمية !

رغم النكبات والمصائب والهزائم التى حلت ببلادنا العزيزة منذ عام ١٩٤٨ وفى حزيران ١٩٦٧ بسبب موجة الطغيان والغزو والتآمر الامبريالى ــ الصهيونى ، فان ارادة شعبنا القهارة أبت ان تستسلم ، وارتفعت عاليا راية الصمود والكفاح ، تشدها سواعد المقاتلين والمناضلين، وترعاها قلوب الشعب، وتثير الاعجاب والتقدير والتعاطف من قبل الاحرار فى كل أنحاء الارض.

ويوما بعد آخر ، تتضح أكثر فأكثر ، آفاق المستقبل الرهيب والنوايا السوداء، تجاه شعبنا ووجوده ، التى تخطط وتعمل لها وتنفذها قوى الامبريالية العالمية وفى مقدمتها أمريكا ،وقاعدتها وركيزتها اسرائيل . فأكثر من نصف الشعب العربى الفلسطينى قد اقتلع من وطنه وشرد ، والباقون منه يرزحون تحت نير الاستبداد الصهيونى الفاشستى العنصرى ، مهددين فى وجودهم ، والاخطبوط الصهيونى يهدد بالامتداد التوسع أيضا وأيضا وفى كل اتجاه فى الاراضى العربية. ولكن شعبنا الشجاع ابى على نفسه هذا المصير المظلم .. مصير الهنود الحمر ! فانتصب يقاوم ويقاتل ، بكل وسيلة وبكل سلاح ، ويقدم الضحايا والتضحيات بسخاء ، دفاعا عن حريته وحقه فى الوجود والحياة على أرض وطنه ، ومن كل حدب وصوب يدوى صوت المقاومة ويجلجل التنادى الى الكفاح والمقاومة !

ان « قوات الانصار»، اذ تشكل وتنخرط فى صفوف الكفاح ومقاومة العدو وحماته الامبرياليين

فانما تعبر بذلك عن أعمق أعماق ضمير الشعب، وما يختلج به قلبه من حب مفعم بالولاء للوطن والذود عن حياضه بكل غال ونفيس . وتشكيل « قوات الانصار » المكافحة ، هو النتاج الطبيعي اللازم لكفاح المناضلين التقدميين والثوريين الذي امتد عشرات السنين ، ضد الاستعمار وعملائه واحلافه ومعاهداته ، وضد قوى الصهيونية الفازية .. كفاح تاريخي معهود ومجرب وموصوف بالصدق والشجاعة والاخلاص للشعب وجماهيره الواسعة .

ان « قوات الانصار » المكافحة ، اذ تنبرى لمقاتلة العدو ، واذ لاتبغى منافسة أو معارضة أية منظمة مقاتلة ضد العدو .. ستكون رفدا من روافد المقاومة يصب فى نهرها العارم .. وبكل مالديها من كفاءات وطاقات وامكانيات ، محليا وعربيا وعالميا ، تضعها فى خدمة القضية المشتركة ، ولتحقيق الانتصار على العدو المشترك .

ان « قوات الانصار » تحمل السلاح لمقاومة الغزاة الصهاينة وحماتهم الامبرياليين ، وللدفاع عن شعبنا وحقه فى تقرير مصيره على أرض وطنه ، ولتحقيق الغايات الوطنية الكبرى التى تعمل لها حركة المقاومة من اجل تحرير فلسطين . وفى الوقت نفسه ، تعارض وتقاوم كل الحلول والمشاريع والمؤامرات الانهزامية والاستسلامية والتصفوية التى تسعى قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية فرضها على شعبنا .

ان « قوات الانصار » التى تضم فى صفوفها فصائل من قوى الطليعة الواعية المجربة ، كما تضم جمهرة من أبناء الشعب وبناته ، وتسترشد بمبادىء النظرة العلمية ، وبروح الوطنية والاممية ، تستلهم وتستوحى فى نضالها ضد العدو الامبريالى الصهيونى وعملائه الاسس والاعتبارات التالية :

اولا : ان النضال بالسلاح ، وبالاساليب الاخرى أيضا ، ضد العدو واجب وطنى ، ينبغى تطويره وتصعيده وتعميقه على الدوام .

ثانيا : أن نضال شعبنا ضد العدو ، يتلاحم ويترابط ، مع نضال الجماهير الشعبية الكادحة والحركة الوطنية فى الاردن .

ثالثا : ان هذا النضال يتلاحم ويترابط مع نضال ومصالح حركة التحرير والتقدم فى البلدان العربية .

رابعا : ان هذا النضال يتلاحم ويترابط ، فى النطاق العالمى ، مع النضال الذى تخوضه قوى الحرية والتقدم والسلام والاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، ضد قوى الامبريالية والرجعية الدولية والصهيونية العالمية .

خامسا : ان تحقيق وترسيخ الوحدة الوطنية بين جميع منظمات المقاومة والحركة الوطنية والشعبية ، شرط ضرورى وأساسى للنجاح والانتصار وتحقيق الاهداف الوطنية المشتركة .

ان « قوات الانصار » اذ تعتز بدخولها معترك النضال المسلح وتحمل تبعاته ، تتوجه اليكم جميعا ، وتدعوكم الى مزيد من الالتفاف والتلاحم مع قوى منظمات المقاومة ، والانخراط فيها ، والمساهمة فى نشاطها وعملها وكفاحها ، فليس هناك ماتخسره سوى الذل والتشرد والحرمان ، وبنضالنا واتحادنا وتضحياتنا نربح مستقبلنا وحياتنا ووطننا ووجودنا ونصد ونكنس موجات العدوان الامبريالى الصهيونى على بلادنا وشعبنا والامة العربية كلها . فالى النضال ، والى مزيد من النضال ندعوكم . ان عدونا لم يرحم ولا يرحم ، وفى كل يوم تدفع له أمريكا بمزيد من آلات الفتك والدمار ليذبحنا ويقتلنا ويدمر قرانا ومدننا ويقذف بنا فى الصحارى والقفار ، وليذل شعبنا وامتنا فى الوطن العربى الكبير وليعيدها الى الوراء ، الى عهد الذل والعبودية والتبعية الاستعمارية ، بعد أن تحطمت القيود فى اكثر من بقعة وبلد عربى ..

فلنثبت جدارتنا بالحياة .. بالحياة الحرة الكريمة ... ولنحطم كل مايعترضها ... والنصر لنا .

والمجد والخلود لشعبنا وشهدائه الابرار .

٣ آذار ١٩٧٠

« قوات الانصار »

اعتذار

تعتذر الطليعة عن تاجيل نشر محاضرة مكسيم رودنسون الثالثة وعدد من ابوابها فى هذا العدد ، الذى خصص للدراسة الشاملة عن لينين .

وثائق

مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

١٨

بوخارين

البورجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى

نواصل فى هذا العدد ، نشر النصوص الخاصة بمرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية . ونقدم هنا نصا لبوخارين ، تحت عنوان « البورجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى » وهو من النصوص التى اختارها الاستاذ بتلهايم ضمن الوثائق التى تنشرها الطليعة عن « مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية » منذ العدد ١٠ [١٩٦٩] .



... غير صحيح أننا ابتعدنا أو أننا مازلنا نبتعد عن الاشتراكية ، انما العكس بالضبط هو الصحيح ·

ففى عهد شيوعية الحرب ، كان كل شيء تقريبا من الوجهة القانونية فى أيدى الدولة · والواقع أنه كانت هناك سوق سرية ، ابتداء من البورصة غير القانونية وانتهاء « بنقل المنتجات سرا » · فى ذلك الوقت كانت مشروعات الدولة (الفبارك ، المصانع ، الموانى ، وسائل النقل) فى حالة يرثى لها : لقد كانت عاجزة عن اداء عملها اذلم تكن تتلقى فحما ولا مواد أولية ولا قمحا ، وغدا الانتاج الصغير مجزيا أكثر من الانتاج الكبير . وكان التاجر المستتر الصغير مفضلا على محل الدولة الكبير . ولكن فى الوقت ذاته كان نظام شيوعية الحرب يكفل فى الواقع تغذية الجيش والعمال . وعندما وضعت السياسة الاقتصادية الجديدة أخذت القوى الانتاجية تنمو بسرعة · واكتسبت التجارة المنتظمة صيغة شرعية · ولقد جمعت الدولة بين أيديها من الوجهة القانونية أقل بكثير مما كانت تجمع فى عهد شيوعية الحرب . ولكنها اصبحت تملك اكثر فى الواقع لان نمو الصناعة الكبيرة غدا مضمونا ·

ويمكن عرض الصورة على الوجه الاتى : [جدول رقم(١)]

ان اهمية « السواحة الاشتراكية » فى اقتصادنا تتزايد كلما نشطت التجارة ونمت القوى الانتاجية · وهذا ما يطلقون عليه « انهيار الشيوعية » !

والسوق هى التى نقترب عن طريقها من انتصار الانتاج الاشتراكى ومن ثم من السيطرة على السوق · ذلك هو قانون تطورنا ·

والشيء الرئيسى فى عملية الانهاض خلال السنوات الثلاث الاخيرة هو بالتحديد الاستخدام المتزايد لرؤوس أموال البلد الموجودة ولكنها مختبئة · ولم يصبح هذا الاستخدام ممكنا الا بفضل اعادة التجارة وبفضل النظام النقدى ، والضرائب ، والائتمان (١) ·

ولقد سبق أن ذكرنا من قبل أنه فى ظل نظام شيوعية الحرب ، عندما تكون كل وظائف الانتاج والتداول تقريبا فى يد الدولة من الوجهة القانونية ، وعندما تكون التجارة الخاصة محظورة ، فانه يكون للدولة فى الواقع أهمية بالغة · ووفقا للدراسة الخاصة التى اجراها أ · لوزتسكى على ٢٦ حكومة فى فترة ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ، قدم لسكان المدن والتجمعات العمالية ٤٢ فى المائة من المنتجات الزراعية بوساطة قومسيرية التغذية (جهاز التوزيع الحكومى) ، و ٥٨ فى المائة بوساطة « مهربى المواد » · ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الصناعة كانت تعمل آنذاك من أجل الدفاع عن البلاد فحسب · وفى ١٩٢٠ كان تزويد السكان بالمواد التموينية قد هبط بنسبة ٨٦٫٥ فى المائة بالقياس الى سنة ١٩١٢ · ولم يكن الفلاحون يتسلمون الا ١٣ فى المائة مما كان يصلهم سنة ١٩١٢ ·

وقد واجهت الدولة بعد النيب وضعا انعدم فيه جهاز الدولة لتصريف السلع ، بينما تفجر سيل من عدة ملايين من صغار التجار الخصوصيين · وحتى فى مجال تجارة الجملة وفى الصفقات بين هيئات الدولة وبعضها كان « الوسيط الخاص » أى التاجر الرأسمالى يلعب دورا هائلا فى أول الامر · وتسجل احصائية المجلس الاعلى للاقتصاد الشعبى أنه فى الفترة من يناير الى مارس ١٩٢٢ كان حوالى ربع رقم الاعمال لعدد يتراوح بين ٥٤ و٦٣ من منظمات الدولة ، يتم التعامل فيه فى المتوسط مع أفراد · وهناك

(الجدول رقم « ١ »)

	نظام شيوعية الحرب (تجارة مغلقة)		نظام النيب (تجارة مفتوحة)	
	للدولة	للرأسماليين والتجار الخصوصيين	للدولة	للرأسماليين والتجار الخصوصيين
السنة الاولى	١٠٠ ١	١	١٠٠ ١	٥ ١
السنة الثانية	١٠٠ ١ — ن	١ — ب	١٥٠ ١	٥ ١
السنة الثالثة	١٠٠ ١ — س ن	١ — س ب	٢٠٠ ١	٧ ١
	الخ	الخ	الخ	الخ

(١) الاستاذ كافنهاوس : الصناعة الكبيرة فى ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤

دراسة خاصة قام بها جيرمونسكى حول دور رأس المال الخاص ، وهى تبين أن هذا الرقم يقل بكثير جدا عن الواقع (٢) .

وفى النصف الثانى من السنة المالية ١٩٢١/١٩٢٢ (مايو - يونيه - يوليو) كان ٣٧ - ٣٨ فى المائة من رقم الاعمال الكلى لمنظمات الدولة بين أيدى الافراد ، ٣٥ - ٤٥ فى المائة من رقم الاعمال المذكور بين منظمات الدولة والافراد (٣) .

وبالتالى كان الافراد يمسكون بين ايديهم جزءا هاما من مفاتيح الموقف ، فى مصادر الانتاج ذاتها . وتصبح الصورة أوقع اذا نظرنا الى بعض فروع الصناعة الاكثر اهمية فى الفترة من مارس الى نوفمبر ١٩٢٢ .

ففى صناعة المنسوجات كان حوالى ٤٠ فى المائة من الانتاج فى أيدى الافراد بطريق مباشر وفى بعض الشهور كانوا يتمكنون من الحصول على ٧٠ فى المائة الى ٨٠ فى المائة من المنسوجات .

والملح الذى كان يلعب دورا هائلا لم يكن يتم تصريف الجزء الاكبر منه الا بوساطة تاجر الجملة الخاص .

والمطاط كان يشتريه التجار الافراد بالجملة بنسبة ٤٨٫٥ فى المائة .. الخ (٤) .

ويمكن القول انه فى مجال التجارة كان الوضع خطرا جدا . فقد كان هناك قاعدة تضم عددا لا نهائيا من التجار الافراد ، وفى مقدمتهم الفلاحون، وقد ولد هؤلاء التجار الافراد « رأسماليين » صغارا للغاية ولدوا بدورهم كادرات أعظم شأنا . وفى أعلى السلم كان هناك رجال أعمال سريعو الحركة ومرنون ، من نوع المضاربين والانتهازيين ، وقد نفذوا الى كل مسام وفتحات جهاز الدولة ، بعد أن أتيحت لهم فرصة الحركة . لقد تسربوا الى كل مكان به امكانية تحقيق كسب مبالغ فيه أو أرباح باهظة عن طريق المضاربة .

لقد كانت تلك فترة استثنائية تماما لأن الدولة ، والتعاون باعتباره جهازا للتجارة ، لم يكونا يملكان شيئا . ولكن كانت تجرى خلال هذه الفترة عملية مزدوجة . فمن جهة عملية تراكم رأس المال الخاص بعض الشيء . ومن جهة أخرى عملية تنظيم محمومة واختيار أشخاص وتراكم خبرة ادارية فى أجهزة الدولة وأجهزة التعاون الحديثة التنظيم . وبهذه الطريقة ظل دور رأس المال التجارى الخاص خلال هذه الفترة القصيرة هو الى حد ما جنى « المصاريف الدراسية » من المنظمات التى أخذت تقف تدريجيا على قدميها فى نضالها ضد رأس المال الخاص . وفقط بعد فترة البداية هذه تمكنت دولة العمال من القيام بهجوم تدريجى بطيء ويكاد لا يرى فى أول الامر على جبهة التجارة .

... ان تنظيم الفلاحين فى عملية التداول سوف يستتبع حتما وراءه نمو الاشكال الجماعية فى الانتاج ، ابتداء من فروع الزراعة التى دخلها التصنيع أكثر من غيرها . ومن جهة أخرى فان هذه الاتجاهات ذاتها سوف تتلقى مساندة جبارة من السياسة الواعية للتقريب بين المدينة والريف ، وهذا الامر مأخوذ فى الاعتبار منذ الان عند وضع خطط بناء فبارك ومصانع جديدة وميكنة الزراعة والكهربة السياسية التى تقوم بها السلطة السوفيتية . وبالتالى فان دور الاقتصاد الحكومى كمنظم يكتسب أكثر فأكثر طابعا حاسما .

وتتم كل هذه العملية بوساطة وعن طريق السوق . وسوف تزداد سرعة كلما نمت صناعة الدولة عندنا بسرعة أكبر . ان امامنا فى الوقت الحاضر مشكلة اعادة رأس المال الاساسى الى الوجود ، أى مشكلة « تراكم » اشتراكى حقيقى . ان التسهيلات الائتمانية الخارجية لا وجود لها . ولكننا نستطيع أيضا الاستغناء عنها ياسيد كاوتسكى ! لن نموت اذا رفض الرأسماليون الاجانب منحنا قروضا . لذا علينا أن نولى كل اهتمامنا للاسراع بحركة التجارة فى البلد . وزيادة الحركة التجارية وتحريرها من القيود يعنى بطبيعة الحال نمو العلاقات الراسمالية . ولكن بالنظر الى درجة التطور التى بلغناها لا خطر علينا من ذلك ، لانه مع زيادة سرعة الحركة التجارية فان الاشكال الاقتصادية للاشتراكية والاشكال التعاونية التابعة لها مباشرة سوف تنمو بسرعة اكبر ، وسوف تزداد أهمية الاشكال الاشتراكية بلا انقطاع . وبالتالى فان « التنازلات » التى نتنازلها للرأسمالية ، و « التراجع » الذى نتراجعه ، هو فى الحقيقة فى

---

(٢) جيرمونسكى : رأس المال الخاص فى التجارة ، ١٩٢٤ ، ص ١٣
(٣) جيرمونسكى رأس المال الخاص فى التجارة ، ١٩٢٤ ، ص ١٨.
(٤) جيرمونسكى : المرجع السابق ذكره ص ٢١ وما يليها .

الظروف الراهنة هجومنا الاقتصادى نحن ، لان قوانا الاقتصاديه تتغلب أكثر فاكثر .

والشيء المضحك هو أن الد أعدائنا فى المعسكر البورجوازى يعترفون بهذه الحقيقة وهم يكظمون غيظهم . هكذا نقرأ فى افتتاحية لاذعة بشكل خاص للجريدة الانجليزية الاقتصادية ، « ستاتست » بعنوان « الموقف فى روسيا » :

« ان الامل الذى انتعش مؤخرا بأن ينتوى القادة السوفييت ادخال تغييرات هامة فى نظامهم الاقتصادى ـ هذا الامل لم يتحقق مع الاسف . فقد غدا أكثر فأكثر وضوحا انهم ليس لديهم أية نية جادة للتخلى بحسم عن تجربتهم الاجتماعية الكبرى التى بدأوها سنة ١٩١٧ . صحيح أن تطور النيب الشهيرة قد مر ببعض المراحل الجديدة وأن الشيوعية الخالصة صادفت بعض عقبات جديدة . ولكن هذه التغييرات أدت فى الحقيقة ـ وان بدا هذا متناقضا ـ الى استتباب النظام الشيوعى فى النهاية » .

ان امثال هذه الزلات تغتفر طبعا لكتاب جريدة « ستاتست » (عقبات الشيوعية الخالصة ، كما لو أنها وجدت عندنا !) . ولكن من المفيد مع ذلك أن نسجل ان هؤلاء الاعداء السافرين يفهمون الوضع خيرا من عملائهم الاشتراكيين الديمقراطيين .

ان العملية اذن لا تعدو أن تكون عملية تنمية حركة التجارة أى السوق التى تتخطى نفسها . ان مربط الفرس فى تنظيم الاقتصاد الشعبى هو الاتحاد والتمركز المتزايدين أبدا بين صناعة الدولة ملتحمة مع البنوك التى تغذيها بالمال . وحول هذا المركز الاقتصادى ذى القوة الهائلة توجد شبكة من الاجهزة التجارية الحكومية ومن التعاونيات ، ومن التعاون تنطلق خيوط لا عد لها الى منشآت الفلاحين الفردية . ومع تزايد سرعة دوران رأس المال الشعبى برمته تزداد أهمية الاقتصاد الحكومى أكثر فأكثر ، ويتحول الاقتصاد الريفى أكثر فأكثر فيدخل بدرجة متزايدة ميدان التعاون ، وينظم نفسه وينصهر بقوة متزايدة أبدا فى مجموعة كبيرة منظمة تقف على رأسها سلطة الدولة البروليتارية التى تعتمد اقتصاديا على الصناعة الكبيرة والائتمان والنقل والتجارة الخارجية وتأميم الاراضى .

وكلما زادت سرعة نمو القوى الانتاجية ، ولديه كل الفرص ليسير بسرعة النمو فى أمريكا ، اتسع نطاق التأميم والتخطيط ، وتضاءل الدور المحدد للنظام الرأسمالى . وكما يوجد داخل النظام الراسمالى ، داخل « الاقتصاد القومى » ، اتجاه الى التغلب على السوق بالسوق بمقدار تحول المنافسة الى احتكار ، فان تنظيم المشروعات الصغيرة فى الريف ، فى نظام دكتاتوريه البروليتاريا ، يتم عن طريق السوق ، بواسطة التجارة ، تحت الادارة الاقتصادية للدولة التى تزداد اكثر فاكثر تنظيما . ان العناصر الراسمالية الخاصة تتراجع وتدفع للوراء . ويتحول اقتصاد الريف وينجذب الى النظام العام . واذا كان تطور العلاقات الراسمالية محدودا برأسمالية الدولة الكلاسيكية ، فان حدود التطور عندنا هى الاشتراكية .

وغنى عن الذكر أن هذه العملية عملية تطور متناقض . وأنه لكلام نظرى مبتذل للغاية أن نتصور الامر كما لو أن كافة التناقضات تختفى بعد الاستيلاء على السلطة . ان هذا لم يحدث قط ولن يحدث . وليست المسألة انكار هذه التناقضات : ان المطلوب هو تفسيرها ووضعها فى مكانها ، وادراك ديناميكا حركتها (٥) .

تواصل الطليعة فى العدد القادم نشر وثائق

مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

---

(٥) من كتاب « البرجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى » بقلم : ن . بوخارين ، ص ٧٢ وما يليها .

المؤسسة المصرية العامة للأبحاث الجيولوجية والتعدين

الشركات التابعة للمؤسسة :

● شركة النصر للفوسفات	٢٣ شارع طلعت حرب القاهرة
● شركة فوسفات البحر الاحمر	٤ شارع الدكتور محمد حسامد فهمى ــ الدقى
● الشركة المصرية للجبسـاسات والمحاجر والرخام	٤ شارع الدكتور محمد حامد فهمى ــ الدقى
● الشركة العامة للثروة المعدنية	٢ شارع اثر النبى مصرالقديمة القاهرة
● شركة سيناء للمنجنيز .	١ شارع البستان ــ القاهرة
● شركة النصر للملاحات	٢ طريق الحرية الاسـكندرية
● مشروعاستغلال الرمالالسوداء	٢ طريق الحرية الاسـكندرية

الخامات التمدينية الموجودة فى بلادنا بكميات وأنواع صالحة للاستغلال الاقتصادى حتى الان هى خامات الفوسفات ــ الحديد ــ المنجنيز ــ الكاولين ــ التلك ــ الفحم ــ الرمال السوداء ــ الزنك والرصـاص ــ الالمنيت ــ الاسبستوس والفيروميكوليت وغيرها . يضـاف اليها خامات المحاجر المتواجدة بكميات هائلة والتى من أهمها الحجر الجيرى ــ الرخام واحجار الزينة ــ الدولوميت ــ البازلت ــ الطفلة بأنواعها ــ الجبس ــ الاملاح التبخرية مثل الملح .

نشاط المؤسسة المصرية العامة للابحاث الجيولوجية والتعدين :

أولا : مجال الاستكشاف والبحث :

وفى هذا المجال تنطلق البعثات الجيولوجية الكثيرة طبقا لبرنامج مخطط الى اطراف بلادنا فى الصحارى والجبال باحثة عن الثروات التعدينية الجديدة وعاملة على زيادة احتياطيات الخامات الاخرى المكتشفة وتقوم المؤسسة بدراسة المشروعات الاتية :

١ ــ تقييم خام الفوسفات بالوادى الجديد وهو من المناطق المأمولة التى تدل بحوثها المبدئية على احتياطيات تقدر بما لا يقل من ٥٠٠ مليون طن موجودة فى طبقات افقية وسميكة يمكن من فتح المناجم بطاقة انتاجية لا تقل عن ستة ملايين طن من الفوسفات سنويا .

٢ ــ عمل الخريطة الجيولوجية للجمهورية العربية المتحدة وقد تم اعداد حوالى ٥٨ لوحة من مجموع ١٠٧ لوحات بمقياس رسم ١ : ٢٥٠٠٠٠ .

٣ ــ القيام بأبحاث جيولوجية وتعدينية تفصيلية لاثبات مزيد من الاحتياطات وتقييمها للخامات التى ثبت وجودها مع تقديم الخدمات الاساسية فى هذا المجال لشركات المؤسسة .

٤ــ القيام بالابحاث الجيولوجية والتعدينية للقطاعات الاخرى ــ وتقوم المؤسسة فعلا بعمل الدراسات والابحاث عن الحجر الجيرى اللازمة لمجمع الحديد والصـلب وكذلك بالدراسـات اللازمة عن الفوسـفات للمجمع الفوسفورى .

ثانيا : مجال الانتاج التعدينى :

ــ ولبيان الاهمية الاقتصادية للنشاط كعصب الصناعات الهامة الاخرى نورد فيما يلى نظرة عامة عن النشاط الانتاجى لهذه الصناعة

ــ بلغت قيمة الانتاج الكلى لقطاع التعدين خلال عـام ١٩٦٨ [رغم ما فقده القطاع نتيجة العدوان لمناجمه بسيناء] حوالى ١٠٫٨ مليون جنيه منها ٧٫٤ ملايين جنيه قيمة انتاج شركات المؤسسة .

والجدول التالى يبين قيمة الانتاج لمختلف الخامات التعدينية

نوع الخامة	قيمة الانتاج لشركات المؤسسة	قيمة الانتاج القطاعات الاخرى	اجمالى قيمة الانتاج
خامات المناجم	٣٫٦٥٩٫١٨١	١٫٩٨٨٫٩٦٥	٥٫٦٤٨٫١٤٦
الاملاح التبخرية	١٫٩٨٢٫٦٥٠	٣٨٠٫٠٠٠	٢٫٣٦٢٫٦٥٧
مواد المحاجر	١٫٧٧٦٫٠٣٩	١٫٠٢١٫٦٨٨	٢٫٧٩٧٫٧٢٨
اجمالى قيمة انتاج القطاع	٧٫٤١٧٫٨٧٠	٣٫٣٩٠٫٦٥٣	١٠٫٨٠٨٫٥٣١

وفيما يلى أهم القطاعات المستهلكة للخامات المعدنيةوقيمة ما استهلكته حتى عام ٦٨/١٩٦٩ .

١ ــ قطاع الانشاءات والمبانى :

بازلت ٦٥٦٫٣٠٥ جنيهجبس ٦٦٦٫٩٤٠ جنيه
رخامومشتقاته ٣٥٩٫٩٦٢ جنيه

٢ــقطاع الصناعاتالكيماويةوالغذائية والدوائية

ملح ١٫١٥٩٫٨٢٢ جنيــه فوسفات ٢٥٦٫٢١٩ جنيـــه
تلك ١٣٢٫٥٩٥ جنيه

٣ ــ قطاع مواد البناء والحراريات :

رمل زجاج ١٦٤٫٥٥٢ جنيه ــ دولوميت ٢٢٫٦٦٨ جنيه ــ فلسبار وكوارتز ٧٤٫٤٦١ جنيه ــ كاولين ٩٦٫١٥٨ جنيه ــ طينة حرارية ١٣٣٫١٩٩ جنيه

ــ هذا علاوة على ما بلغته جملة الصادرات من الخامات التعدينية خلال هذه السنة وتقدر بحوالى ١٫٩١٦٫١٦١ جنيه

ثالثا : مشروعات خطـــة التنميـــة الثالثـــة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥ :

شمل اطار مشروعات الخطة الخمسية الثالثة فى قطاع الصناعات التعدينية على عدد ٢٣ مشروعا منها ١٠ مشروعات جارى تنفيذها .

٦ مشروعات للاحلال والتجديد .

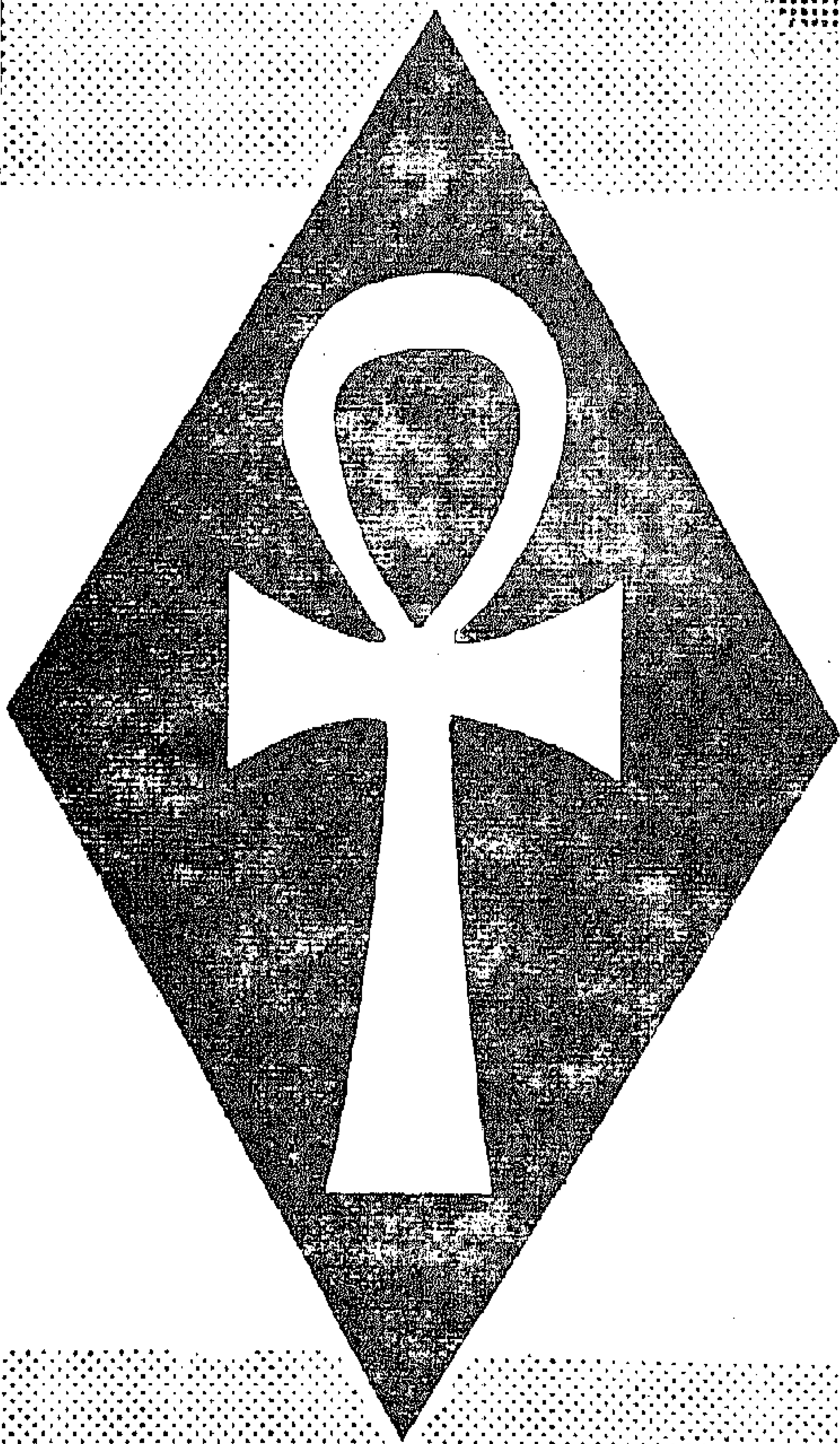
٧ مشروعات جديدة .

هذا وقد روعى فى اعداد الخطة الخمسية الثالثة فىقطاع الصناعات التعدينية الاعتبارات التالية :

ــ استكمال المشروعات التى بدىء فيها فى الخطة الخمسية الثانية ولن يتم تنفيذها قبل ٧٠/٦/٣٠ والاستفادة الكاملة منها ويبلغ عـددها عشرة مشروعات وتحتـاج الى استثمارات قدرها ٣٣٫٧ مليـون طن وتبلغ قيمـة انتاجها السنوى ١٤٫٧ مليون جنيه فى حالة التشغيل الكامل .

ــ تغطية حـاجة السـوق المحلى فى عام ٧٤/٧٥ من منتجات هذه الصناعة ورفع قيمة الصادرات من ٢٫٧٢ مليون جنيه فى ٦٩/١٩٧٠ الى ٥٫٢٥ مليون جنيه فى ٧٤/١٩٧٥ .

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيما
للجودة
والانطلاق

بإنتاجها الجديد
نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الآزوت
تهدى جهود خبراتها الوطنية
وترفع مستوى الإنتاج
الزراعي ..

شركة الصناعات الكيماوية المصرية "كيما" بأسوان

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٥

مايو ١٩٧٠
السنة السادسة

قضايا الثورة العربية بعد يونيو ١٩٦٧

- الخصوصية والعمومية فى الثورة الفلسطينية
- أول مايو : التاريخ والواقع المعاصر
- المشكلة اليهودية عبر التاريخ
- ماذا وراء مؤامرة السودان (رسالة من الخرطوم)



الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهريه
تصدر أول كل شهر

عنوان المراسلات

« الطليعة » :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـــرس

العدد الخامس — السنة السادسة — مايو ١٩٧٠

اوليا نوفسكى وجالينا نكتيينا فى القاهرة





بدعوة من اسرة تحرير الطليعة ، قام كل من د . « أوليانوفسكى » من كبار المفكرين السوفييت وخبراء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، ود . جالينا نكتيينا الباحثة التاريخية باكاديمية العلوم السوفيتية ومؤلفة كتاب « دولة اسرائيل » ، بالقاء محاضرتين وادارة حوار مع المثقفين العرب وذلك حول :

● الموقف اللينينى من قضايا التحرر الوطنى عامة والقضية العربية خاصة .

[أوليانوفسكى]

● لينين : التقييم الطبقى للصهيونية والوضع المعاصر

[جالينا نكتيينا]

وسنقوم بنشر نص المحاضرتين والمناقشات تباعا فى أعداد الطليعة القادمة .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحريه المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

الافتتاحية

الخصوصية والعمومية في الثورة الفلسطينية

ليس معنى ان القضية الفلسطينية ،جزء لا يتجزأ من القضية العربية ؛ ان نغفل او نتجاهل « خصوصية »القضية الفلسطينية بما يكتنفها من ظروف وأوضاع خاصة ، بل وفريدةفي نوعها . ليس فقط بالقياس الى حركة التحرر العربي ، بل والي جميع تجارب حركات التحرر في العالم .

ولعل هذه « الخصوصية » تنبعمن تناقض واقعين محددين :

واقع الاحتلال الصهيوني الاستيطاني لارض فلسطين وتشريده لغالبية شعبها طوال اثنين وعشرين عاما ·

وواقع هذا الشعب المشرد الذى راح يكثف جهوده ويبلور قواه ويجمع شتاته في حركة تحرير وطنية مسلحة ، وذلك منذ ثلاثة أعوام فحسب ·

و « **خصوصية** » القضية الفلسطينية ، لاتعنى انفصالها عن « **عمومية** » القضية العربية · أو بتعبير آخر عن السمات المشتركة لحركة التحرر العربى والتى يمكن أن تتحدد فى نضالها ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، والتخلف الاقتصادى والاجتماعى والتكنولوجى ، والتفتت القومى · وانما يعنى أن حركة التحرر الفلسطينية وهى تحمل كل هذه السمات العامة ، تنطلق من أرضية ذات ظروف واعتبارات مختلفة عن أرضية حركة التحرر فى مصر أو سوريا أو العراق أو الجزائر أو السودان أو ليبيا الخ ··

وهى ، لا تنفرد وحدها بالخصوصية · بل ان كل حركة تحرير وبناء سياسى واجتماعى فى كل بلد عربى لها أيضا خصوصيتها ، التى بدون اعتبارها تورط مسيرتها فى حسابات خاطئة ·

يمكن مثلا أن نلمس جانبا من جوانب خصوصية قضية ليبيا فى ضخامة المساحة الجغرافية التى تصل الى حوالى ثلاثة ملايين كيلومترات مربعة · وذلك بالقياس الى ضآلة حجم السكان الذى يقل عن مليونى نسمة · وهو وضع يختلف عن أوضاع كل من سوريا ومصر والجزائر ·

ويمكن أيضا أن نلمس وجها من وجوه الخصوصية للقضية العراقية فى تكون الشعب من قوميتين : عربية وكردية ، وهو وضع لا نجده مثلا فى القضية المصرية ·

وقد يحدث أن تتشابه ـ بدرجات متفاوتة ـ خصوصية الحركة الثورية بين بعض البلاد العربية ، مثل واقع الاقليات القومية (العراق والسودان) ، بيد ان خصوصية القضية الفلسطينية تنفرد بواقع محدد وحاد ، لا نجد له مثيلا أو شبيها في جميع حركات التحرر العربية على الاطلاق • ونقصد بهذا الواقع ، أن حركة الثورة الفلسطينية تتبلور أساسا من خلال شتات الشعب الفلسطيني في كل أرجاء الوطن العربي وأجزاء متناثرة من العالم ، لتحرر وطنا وقع بكامله في قبضة الاحتلال الصهيوني • وبوضوح ليس هناك حركة تحرير عربية أو غير عربية في التاريخ واجهت مثل هذه التجربة القاسية والفريدة • صحيح أن حركة التحرير الجزائرية واجهت أيضا الاحتلال الفرنسي الاستيطاني ، ولكنها مارست تجربتها مع شعبها فوق أرض الوطن • ودفعت ، مع ذلك ، سبع سنوات ونصف من عمرها النضالي ، وأكثر من مليون شهيد حتى أمكنها أن تحرز النصر •

وعدم رصد وتحليل واستيعاب خصوصية واقع الحركة الثورية في كل بلد عربي ، لا يؤدي فحسب الى افتقاد الارضية الموضوعية للثورة فيه ويعرضها لخطر الوقوع في هوة المغامرة او اليسارية الطفولية ، بل يفقد عمومية الثورة العربية ذاتها ، المنابع الحقيقية لقواها ، وثرائها من خلال تعدد وتنوع التجارب الثورية المحلية المتفاعلة مع واقعها • وتغدو عمومية أو شمول الثورة العربية مجرد شعارات جوفاء تتلاعب بكلمات حماسية ، أو مجرد تصورات وشطحات ذهنية ، تحاول فرض قواعد ، و «وصفات» للكفاح والنضال ، لا يستجيب لها الواقع الحي •

ومن هنا ، « فالخصوصية » لاتعارض « العمومية » ، بل هي السبيل الصحيح نحو عمومية صحيحة وحقيقية • « فالكل » لا ينفي الجزء • والاجزاء في علاقاتها الديناميكية ـ لا بتراكمها الكمي الشكلي ـ هي التي تبني «كلا» سليم الجسد ، والعقل والارادة • والعلاقات الديناميكية تحمي اجزاء الجسد الثوري من أمراض : وصاية بعضها على بعض ، وقتل مبادراتها الخاصة النابعة عن الواقع ، ونقل التجارب من واقع الى واقع آخر نقلا حرفيا دون ما اعتبار للظروف الخاصة ، وفوضى النقد غير المسئول •

والحق ان « خصوصية » حركة التحرير الفلسطيني هي التي أغنت النضال العربي الشامل ، بطاقة ايجابية جديدة ، ظلت ـ لاسباب مختلفة ، من بينها الوصاية العربية ـ حبيسة السلبية ، حتى فجرتها الطلائع الوطنية الفلسطينية منذ عام ١٩٦٥ ، وحين هبط الظلام على الوطن العربي ، مع هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، كانت هي التي بادرت الى العمل ، معبرة عن ارادة الشعب العربي كله ، وجماع حركته التحريرية ، وأول شعلة ضوء تحدت ظلمات يونيو الكئيبة •

ورغم هذه المبادرة التاريخية لحركة المقاومة الفلسطينية ، فانها لم تدع يوما انها مبعوثة العناية الالهية لانقاذ أو تصحيح مسار حركة التحرر في كل قطر عربي • وانما اعتبرت أن ذلك هو ، أولا وأخيرا ، جوهر مسئولية القوى الوطنية الثورية في هذا القطر او ذاك • وركزت كل جهدها ـ من مواقع متعددة خلال فتح والتنظيمات الاخرى التي تبعتها الى الساحة ـ على تعبئة وتنظيم قوى الشتات ، لتحولها من مجموعات لاجئين ومنفيين ولاهثين ـ فرادى ـ خلف لقمة العيش ، الى شعب واع مقاتل يعيد اكتشاف ذاته وهويته وتراثه وقدراته اكتشافا جديدا وثوريا • ويغني حركة التحرر العربي المعاصرة بنموذج نضالي ، يصحح ـ محليا وعربيا ودوليا ـ وضع القضية الفلسطينية • فلم تعد ـ في خصوصيتها ـ صراعا بين طرف معتد محدد هو الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي ، وطرف غير محدد هو الدول العربية تشيع بينها المسئوليات حتى لتبهت وتتجمد وتغدو « الموضوع المفضل » للمزايدات • وانما أثبتت المقاومة ، من جديد ، الطرف الاصيل والضروري في الصراع ، وهو الشعب الفلسطيني ذاته •

وبعد هذا كله وقبل هذا كله فان المقاومة الفلسطينية ، بمنابعها الشعبية ، قد حررت القضية — كمصــدر قومي — من اضابير ومؤتمرات الدول العربية ، لتصبح جوهر العمل الشعبي في الوطن العربي كله ،وتنمي بالتالي وعي الجماهير السـياسي وقدراتها على النضال والصمود والعطاء ٠

على هذا الاساس الموضوعي للخصوصية والعمومية في القضية الفلسطينية ، ليس من حق احد — في هذا القطر او ذاك — ان يعطي لنفسه دور الوصي ، او الاستاذ الذي يلقن المقاومة الفلسطينية — بمختلف فصائلها — دروسا في كيفية حل مشاكلها الداخلية وبناء قواها وتحديد مسار نضالها .

وليس معنى هذا اننا نطالب بقداسة خاصة للمقاومة الفلسطينية ، او انها مبرأة من الاخطاء والنواقص . لا . انها تعمل ،ومن يعمل يخطيء ويصيب ، وهي ككل عمل انساني نضالي تحريري ، لا قداسة فيه الا للهدف الاسـتراتيجي ، وللشـهداء الذين يسقطون في سبيله ٠

وبالتالي فان من حق كل مواطن عربي اوقوة عربية تقدمية ان تولي عميق اهتمامها لمشاكل وقضايا المقاومة ، بل وان تسهم ايجابيا في حلها ، والا وقعنا أسرى لخصوصية ميكانيكية تتجاهل عمومية حركة التحرر العربي ٠ بيد أن هذه المساهمة وذلك الاهتمام ، يضــلان طريقهما ، اذا وقعنا بأسلوب الوصاية وتلقين الدروس والعظات من عل ، او بطريقة نشر غسيل المقاومة ،وجعله مادة للاثارة الصحفية ٠ وانما يجب أن يمارسا بأسلوب نضالي مسئول ينبع من الاقتناع بموضوعية حركة المقاومة كتعبير عن ارادة شعب ينطلق الى العمل بعد سنوات طويلة وقاسية من التشريد والتشتيت والانهــاك ، والوصــايا التي صــادرت مبادراته ٠

بمعنى ان قوى التحرر الوطني في جميع البلاد العربية مطالبة اساسا — خلال تعاملها مع حركة المقاومة الفلسطينية — أن تتطهر من عقدة الوصاية الابوية ، وتقف من المقاومة موقف الند للند ٠ ومن أرضية هذا الموقف عليها أن تتعرف الى واقع المقـاومة وامكانياتها وظروفها ومشــاكلها . . الى خصوصيتها ٠٠ كما هي ، لا كما تحب ان تتصــورها . فالواقــع هــو مادة الحياة والحركة لا التصــورات ٠ وأن تعتبر مساندتها لحركة المقاومة واجب تفرضه « عمـومية حـركة التحـرر العـربي » وضروراتها ، وليست عبئا تفرضه اعتبارات خاصة او تمليه ظروف طارئة ، وتستلزم بالمقابل ثمنا معينا . ذلك ان المقاومة في مواجهتها اليومية الدامية مع الاحتـلال الصهيوني — الامبريالي لا تحقق مصالح الشعب الفلسطيني وحده ، بل ومصالح الشعوب العربية جميعا في سعيها للتحرر والاشتراكية والوحدة ٠ انها في نفس الوقت خط الدفاع الشعبي الاول عن الوطن العربي ، وقوة الصدام الشعبية المباشرة للحركة العربية كلها ، وتتحمل نتيجة لهذا — وبالقياس الى تعداد وامكانيات الشعب الفلسطيني — أفدح ثمن ٠

والمقاومة — كما هو معروف — لها كيانات تنظيمية مسئولة بمستويات مختلفة ٠٠ هناك قيادات كل منظمة ، ومنظمة تحرير فلسطين التي تكون اطار الجبهة السياسي ، والقيادة الموحدة ٠٠ هذه الكيانات هي التي يجب ان نتوجه اليها من خلال — اتصالات جماعية أو فردية — بنقــدنا وملاحظاتنا واقتراحاتنا لعلاج ما نراه من نواقص أو اخطاء ٠ ونفتح بذلك قنــوات ومنــابر تنظيميــة للحوار والمناقشة ٠ وهنا تطرح فكرة بناء جبهة شعبية عربية من حول المقاومة نفســها كضرورة موضوعية في هذا المجال ، لتنظيم الحوار والاخذ والعطاء بين تجارب وافكار حركة التحرر العربي والمقاومة الفلسطينية تنظيما مسئولا .

والواقع ان انتهاج اى اسلوب اخر غيرهذا الاسلوب النضالي المسبون - على الاقل في الظروف الراهنة - يعرض القضيةالفلسطينية ، بل والقضية العربية معا للخطر ، فهو يكرس الانفصام ضد الوحدة. ويشجع القوى الرجعية في الوطن العربي على التطاول ضد المقاومة ، ويفتح امامالمقاومة أبواب معارك فرعية وجانبيه تستهلك جهدها . وذلك فضلا عن انه في النهاية لايؤتى ثماره ، بسبب انه لا يوضع موضع الحوار الجاد المسئول .

ثمة امر اخر ، اود ان أتعرض له ، وهوتلك النغمة التي تزايد عزفها في الاونة الاخيرة حول وحدة حركة المقاومةالفلسطينية ، حتى ليضع البعض « الوحدة » شرطا مسبقا للمساندة والعون .

لا تجعلوا « الوحدة » شماعة نعلق عليها تحفظاتنا تجاه حركة المقاومة .

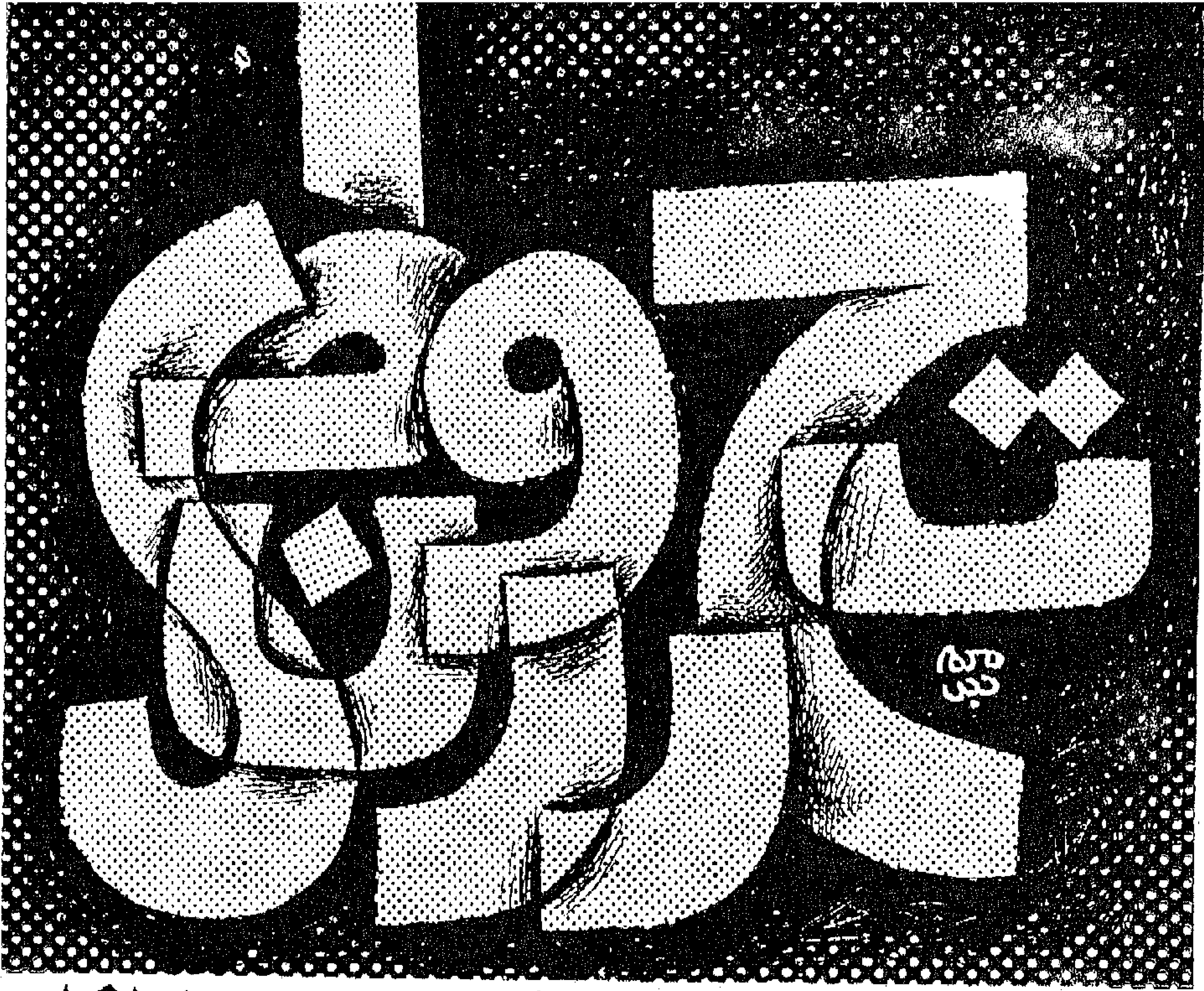
الواقع الفلسطيني الحي يؤكد لنا ان الحدالادنى من الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة متحقق بالفعل ، سواء في اطار« **القيادة الموحده** » او في اطار « **منظمة التحرير الفلسطينية** » . وهذا الحد لا يقل - كما ونوعا - عن الحد الخاص بالثورة الفيتنامية أو بالمقاومة الفرنسية ضد النازيخلال الحرب العالمية الثانية . ان عدد المنظمات الفدائية في كل من الثورةالفيتنامية أو المقاومة الفرنسية يفوق عدد المنظمات الفدائية الفلسطينية . وقد مرتبمراحل متعددة وشاقة - عبر التنسيق والعمليات المشتركة - الى الوحدة الوطنيةفي اطار الجبهة .

وعندما نتحدث عن وحدة المقاومةالفلسطينية ، يجب ان نحذر التجريد الذي يبسط الامور ويضللنا عن رؤية الحقيقةالنامية تاريخيا بالفعل . ان الحديث عن الوحدة - والتي هي مطلب صحيحوشرعي - يجب أن يضع في اعتباره ان الثورة الفلسطينية ما برحت في عامهاالثالث فحسب ، وانها تتفجر وسط ظروف قاسية وشديدة التعقيد ، وانها تتجهباستمرار نحو مزيد من التلاحم في أشكال وكيانات متطورة دوما ، وبعد ذلك فانالوحدة الوطنية الحقيقية لن تقوم بلمسة من عصا سحرية وانما من خلال لهيب المعركةوضروراتها الحتمية في كل من الميدانين السياسي والعسكري .

فلندع مشاكل المقاومة الداخلية للمقاومينانفسهم ، ولنكف عن اثاره الغبار حولها من الخارج . ولنسأل انفسنا عندما نكتب اونصرح بشيء عن المقاومة : هل هذا يدعمها أو يضعفها ؟ فأولى الاولويات هي أن تبقىالمقاومة وتقوى .

وحتى لا نتورط ، ولو بحسن نية ، فيالقيام بدور « **يهوذا** » مع المقاومة الفلسطينية ، علينا أن نتصور ، ولو للحظةواحدة : **ماذا كان يمكن ان يكون عليه وطننا العربي ، لو لم « يقم » الشعب الفلسطينيمن جديد ، وتشرق شمس مقاومته الباسلة على ظلمات يونيو .**

لطفي الخولي



قضايا الثورة العربية بعد يونيو ١٩٦٧

طرحت قضايا الثورة العربية نفسها من جديد بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . وظهرت الحاجة الى مراجعة العديد من المفاهيم والفكريات السائدة وكان مجال الاجتهاد والمبادرة قاصرا على الافراد والجماعات الثورية فى انعزال عن بعضها البعض الا أن اللقاء بين هذه القوى والحوار المباشر فيما بينها لم يتم الا مؤخـرا .. فى الملتقى الفكرى العربى .

وقد اعتبر ملتقى الخرطوم امتدادا لندوة الربيع فى الجزائر ١٩٦٧ ... لكن التباين فى الظروف انعكس بشكل واضح على الموضوعات والطابع العام للحوار . فندوة الجزائر كانت تنحـو الى صياغة المفاهيم الفكرية والسـياسية للحـركة الثورية العربية تستخلصها فى ظروف مواتية ، أما ملتقى الخـرطوم ، فتميز بالنظرة النقدية ، فى محاولة لاستكشاف عوامل الهزيمة والتناقضات التى ادت اليها ، والسبيل الى تخطيها .

ضم الملتقى الفكرى العـربى — المنعقد فى الخرطوم — من ١٥ — ٢٢ مارس — مائة من العرب الذين يجمعون بين النشـاط الفكرى ، والممارسة العلمية للنضـال السـياسى ، جاء خمسون منهم من ١٣ بلدا عربيا . ينتمون الى ٩ منظمات ثورية .

ورغم أن الدعـــوة الى الملتقى وجهت على أسس شخصية ، الا انه كان من الطبيعى ، أن يراعى أيضا تمثيل مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية الثورية .

وكان جدول الاعمال يتضمن مناقشة سبعة موضوعات هى : الارضية التى تتحرك منها الثورة العـربيـة — ومرتكزاتها الفكرية والروحيـة — وهيكلها الاقتصادى — قوى الثورة العربية — الوعاء التنظيمى الكفيل بحشـدها وتعبئتها — دور القوات المسلحة ومكان الجيش فى التنظيم السياسى — ثم القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية .

كان من الطبيعى أن تبدأ الخلافات فى مرحلة الاعداد ، اذ اثيرت بعض التحفظات فى مقدمتها ضيق فترة الاعـداد والتحضـير . وتشعب الموضوعات وتعددها . وقد ظهر اتجاه يدعو الى اطالة فترة الاعداد . والتركيز على موضـوع محورى أساسى . اقترح أن يكون « وحدة القوى الثورية » ، كما طالب الكثيرون بتشكيل لجنة تحضيرية ، لضمان دعوة كافة الاتجـاهــات والتيارات الوطنية والثورية دون استثناء ، وحتى لا تنفرد هيئة واحدة بالتحضير والاختيار ، لكن الشعور بالمسئولية نحا الحساسيات جانبـا ،

وبادرت كل القوى الثورية المدعوة ، الى اسقاط تحفظاتها والاقبال على المشاركة الايجابية الفعالة فى أعمال الندوة .

ومن السمات المميزة للملتقى ، ان عددا كبيرا من البحوث ، وكذلك غالبية المناقشات التى دارت فى اليوم الاول ، كان منطلقها موقف ذاتى مسبق احادى الجانب ، يفتقر الى المرونة ، والتجاوب لمقتضيات الحوار البناء ، لكن هذه السمة السلبية سرعان ما خبت حدتها ، فتميزت الجلسات التالية بالتفتح ، واكتسب الحوار طابعا ايجابيا موضوعيا وتبلورت الافكار والاتجاهات ، واستقطبت فى مواقف محددة حصلت على اجماع أو شبه اجماع سواء عن اقناع حقيقى ، أم تراجع أمام الحجة والمنطق العلمى ، واتسعت رقعة أرضية اللقاء بين القوى الثورية .

وقد برزت الخلافات حول جمع المشكلات والقضايا المثارة ، الا ان الموضوعات التى استحوذت على القدر الاكبر من الاهتمام كانت : تحديد القوى الثورية وطبيعتها ومواقعها فى الحركة الثورية ، ومن أبرز النقاط فى هذا المجال طبيعة ودور البرجوازية الصغيرة ، ثم الوعاء التنظيمى على النطاق القومى والقطرى ، ودور الجيش ومكان القوات المسلحة فى التنظيم السياسى ، والمرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية .

وكان الانطباع العام عن الملتقى الفكرى العربى بعد انتهاء أعماله ، هو أن الجوانب الايجابية طغت على النواحى السلبية ، كما ثبت ان نقاط اللقاء بين القوى الثورية عديدة ، وان الحوار — جنبا الى جنب — مع النضال المشترك هو السبيل الى وضوح الرؤية ، ودعم النضال فى المعركة المصيرية للثورة العربية ، ضد التحالف الاستعمارى الصهيونى الرجعى ، وعلى اساس هذا الانطباع ، كانت الدعوة فى البيان الختامى الى مواصلة عقد اللقاءات بين المفكرين والمناضلين والمنظمات الثورية العربية .

ولتعذر نشر النصوص الكاملة للبحوث والمناقشا ، اضطرت الطليعة الى عرض ملخص لوجهات النظر فى القضايا المثارة .

وقد شارك فى اعمال الملتقى :

● الاردن

عبد الله الريماوى : مفكر عربى ، ووزير سابق .

● الجزائر

محمد شريف مساعدية : الامين العام لجبهة التحرير الجزائرية .

محمد الميلى : عميد معهد الصحافة ، ورئيس تحرير مجلة المجاهد .

الاستاذ الاخضر الابراهيمى : سفير الجزائر بالقاهرة

● السودان

الرائدابوالقاسم هاشم: عضو وسكرتير مجلس قيادة الثورة .

د. محيى الدين صابر : وزير التربية والتعليم

د. منصور خالد : وزير الشباب والرياضة والشئون الاجتماعية

محمد المكاوى مصطفى : مدير عام شركة الخرطوم للغزل والنسيج ، ووزير التخطيط السابق .

محمد ابراهيم نقد : كاتب

بابكر كرار : محام .

محيى الدين عويضة : محام

احمد عبد الحليم : وكيل وزارة الشباب والرياضة والشئون الاجتماعية .

● سوريا

مالك الامين : عضو القيادة القطرية والمسئول عن شئون الاعلام فى حزب البعث العربى الاشتراكى .

سليمان الخش : مدير مكتب الثقافة القومى ، ووزير التربية السابق .

محمد هيثم العقاد : المدير العام لمؤسسة الوحدة للطبع والنشر .

فوزى كيالى : مدير المناهج فى وزارة التربية السورية .

أنطون مقدسى : مدير الترجمة والنشر بوزارة الثقافة السورية

أديب اللجمى : مدير مجلة المعرفة السورية . ووكيل وزارة الثقافة والارشاد .

ماجد برقاوى : رئيس ديوان مكتب الثقافة القومى .

● السعودية

عبد الله الطريقى : مهندس وخبير فى صناعة البترول ، وصاحب ورئيس تحرير مجلة البترول ، ووزير البترول السابق

فلسطين

ابو لطف [فاروق قدومى] : عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .

نايف حواتمه : من قادة الجبهة الشعبية الديمقراطية .

غسان كنفانى : رئيس تحرير مجلة الهدف لسان حال الجبهة الشعبية .

حسن الخطيب : من قادة طلائع التحرير الشعبية [الصاعقة] .

شفيق الحوت : مدير مكتب منظمة التحرير فى بيروت .

● لبنان

كمال جنبلاط : وزير داخلية

لبنان ، ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي
عباس خلف : الامين العام للحزب التقدمي الاشتراكي .
عبد الكريم مروة : رئيس تحرير مجلة الطريق .

● ليبيا

جمعة محمد مهدي : مندوب مجلس الثورة بالجمهورية الليبية

● المغرب

مهدي العلوي : من مفكري حزب القوى الشعبية

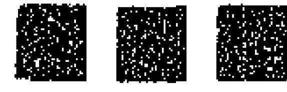
● الجمهورية العربية اليمنية

د. سعيد العطار : نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد .

● جمهورية جنوب اليمن الديمقراطية الشعبية

● الجمهورية العربية المتحدة

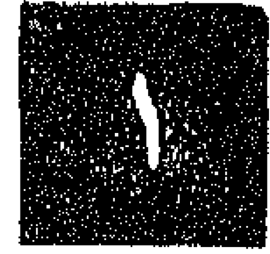
د. مفيد شهاب : عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، ومسئول منظمة الشباب بالاتحاد الاشتراكي .
عبد الهادي ناصف : عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، ومسئول التثقيف بلجنة الدعوة والفكر .
احمد بهاء الدين : رئيس مجلس ادارة دار الهلال .
ابو سيف يوسف : مركز البحوث والدراسات العربية بمؤسسة الاهرام ، وعضو هيئة تحرير مجلة الطليعة .
د. جمال العطيفي : المستشار القانوني لمؤسسة الاهرام . والسكرتير العام لجمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع .
د. اسماعيل صبري عبدالله مدير معهد التخطيط القومي ورئيس تحرير دار المعارف .
د. عبد الرازق حسن : عضو مجلس ادارة المنتدب ببنك مصر
ميشيل كامل : مدير تحرير مجلة الطليعة .
عبد المنعم الغزالي : عضو هيئة تحرير مجلة الطليعة .



١

الأرضية التي تتحرك منها الثورة العربية

البحوث



وصف

ابو سيف يوسف [مصر] الثورة العربية في تقريره بأنها عملية ثورية واحدة — مترابطة لها ملامحها العامة وأهدافها المشتركة بغض النظر عن التفاوت في مستوى التطور التاريخي والاجتماعي بين البلاد العربية — وهي حركة معادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية المحلية .

وأكد على ان الثورة العربية تنمو تحت شعارات تستهدف تحقيق الحرية والتقدم الاجتماعي والوحدة، فمن ثم فهي حركة وطنية واجتماعية في آن واحد .

فمن ناحية تخوض الثورة العربية صراعا ضد الاعداء الخارجيين ومن ناحية أخرى تخوض صراعات داخلية محلية ضد اشكال الاستغلال والقهر الطبقي .

ومنذ عدوان يونيو تواجه المجتمعات العربية ازمة عنيفة ينبغي التقليل من خطورتها ، فقد طرحت نتائج حرب يونيو مشكلة وطنية من جراء اتساع رقعة الاحتلال الصهيوني ليشمل فلسطين كلها، واجزاء من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن — ويفرض هذا العدوان ايضا آلاما وتضحيات متزايدة على الجماهير العربية ويحتم اعطاء الاولوية لاحتياجات المعركة ويفرض اعباء اقتصادية واجتماعية تؤثر بوضوح في معدلات التنمية ، وفي حياة الناس اليومية .

وعلى ضوء هذا، يرى ابوسيف يوسف ان المبدأ القائل بالمساواة في التضحية بين الطبقات المختلفة، وكذلك المبدأ القائل بأنه يجب الا تستفيد طبقة اجتماعية معينة على حساب طبقات اخرى. مبادىء تبين أننا ننطلق من ارض وطنية واجتماعية في آن واحد ، وانها تبين أن حماية الوحدة الوطنية ذاتها تتطلب اجراءات طبقية واجتماعية.

ويؤكد ابو سيف يوسف فى تقريره على أن الثورة العربية تستطيع ان تتخطى هذه الازمة، وذلك على أساس ان الامبريالية الامريكية والصهيونية لم يتمكنا من تحقيق هدفهم الاساسى من وراء عدوان يونيو، وهو ضرب واسقاط النظم التقدمية فى المنطقة العربية بل بالعكس أمكن للثورة العربية بشكل عام ان تحقق رصيدا ايجابيا أثمن ما فيه :

● تمكن النظم التقدمية من الصمود فى وجه العدوان ورفض الهزيمة واعادة بناء القوات المسلحة .

● لاول مرة تمسك طلائع الشعب الفلسطينى بقضيتها الوطنية وتخوض نضالا مسلحا ضد العدوان .

● استعادت قوى الثورة العربية الهجوم على الامبريالية، وهكذا صفى الوجود الاستعمارى البريطانى فى جنوب اليمن، وتحقق انتصار ثورة مايو فى السودان، وثورة الفاتح من سبتمبر فى ليبيا، وهى الثورة التى حرمت الاستعمار العالمى من اقوى قواعده .

● عززت الثورة العربية علاقات التضامن والكفاح المشترك مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية والقوى الديمقراطية على النطاق العالمى .

ويربط أبو سيف يوسف فى تقريره للملتقى — بين كل هذه الانجازات — يربط بينها بعنصر مشترك أساسى وفعال هو حركة الجماهير الشعبية . ويذكر أبرز امثلتها :

● هبة يونيو للدفاع عن النظم التقدمية وتمكينها من الصمود

● تدفق جماهير الشعب الفلسطينى على ساحة الكفاح المسلح

● نضالات الجماهير فى الاردن ولبنان لحماية العمل الفدائى

● الاستجابة السريعة والحماسية من قبل الجماهير لحماية الثورات الوليدة فى السودان وليبيا .

ويؤكد أبو سيف يوسف على أن دور هذه الجماهير يزداد وزنه ويتأكد بسبب حجم ووزن الطبقات الاجتماعية والقوى التى تنخرط فى هذه الحركة الجماهيرية والتى تضم الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين والبورجوازية الصغيرة وقطاعات واسعة من الشباب والطلبة، واقسام من الرأسمالية الوطنية، تتعارض مصالحها مع مصالح الامبريالية والرجعية

ويزداد دور هذه الجماهير فعالية ايضا، بسبب ازدياد الدور الذى اصبحت تلعبه الطبقة العاملة النامية، ويلعبه الفلاحون فى الجبهتين الوطنية والاجتماعية .

ففى البلاد العربية التى لا تزال تعانى من مختلف اشكال السيطرة الاستعمارية وسيطرة البورجوازية الكبيرة والاقطاع، تتسع وتتنوع أساليب النضال الشعبية والوطنية والطبقية .

وفى البلاد التى تقوم فيها نظم تقدمية بدأت الجماهير بعد الهزيمة تطالب باحداث تغييرات عميقة تمكن الجماهير الشعبية من مشاركة حقيقية فى السلطة .

وأكد أبو سيف فى تقريره على أن حركة الجماهير الشعبية فى نضالها على الجبهتين الوطنية والاجتماعية، تمثل الضمان الموضوعى الذى يسمح للثورة العربية أن تتخطى السلبيات والمعوقات، وان تنتقل الى مواقع اكثر تقدما على طريق التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى والوحدة العربية .

وانه رغم كل السلبيات التى تحد من حركة الجماهير فان دورها فى الحركة الثورية لابد وان يزداد ويتأكد، لانها هى التى تتحمل العبء الاكبر فى التضحيات . وانه لم يحدث ان اتحدت الجماهير العربية فى مختلف ارجاء الوطن العربى حول أهداف محددة مثلما حدث بعد يونيو، واساسا اتحادها حول هزيمة العدوان الاسرائيلى، وتصفية الخطر الصهيونى ومساندة الثورة الفلسطينية .

واستنادا الى حقيقة ان الواقع الموضوعى للثورة العربية مهما كان مواتيا، فان الازمة لن تحل من تلقاء ذاتها، بل لابد ايضا من ان يكون العنصر الذاتى فى الثورة العربية مستعدا استعدادا كافيا لحل الازمة التى خلقتها الحرب، حلا صحيحا يؤمن مسيرة الثورة .

ويرى ابو سيف ان العنصر الذاتى فى الثورة العربية هو بالتحديد القيادات التى تتصدى لقيادة النضال الثورى من اجل تحقيق أهداف الثورة العربية فى الحرية والاشتراكية والوحدة .

ويرى أيضا أن هناك تناقضا قائما بين ما هو موضوعى (حركة الجماهير الشعبية) ، وبين ما

هو ذاتى ، أى وضع واستعداد القيادات التقدمية والثوريه ، وأن الذاتى لم تصبح استجابته حتى الان على المستوى المطلوب الذى يمكن من ان يلحق بحركة الموضوعى ويؤثر فيه بالكيفيه التى تؤمن انطلاق الثورة ، وأن هذا الموقف يعكس اشــد السلبيات خطرا على الموقف الراهن ، فواقع الحال أن القوى التقدمية والثورية العربية مشتته وغير موحدة ، وهذا التشتت يحرم القيادات الثورية والتقدمية من أن تفتح آفاقا جديدة لحــركة الجماهير ، من أجل تعبئة اشمل وتنظيم اقوى يكفل هزيمة العدوان ٠

واختتم أبو سيف تقريره بأن وحدة القـــوى التقدمية هى المطلب العاجل والملح ، وهى الشرط الذى يجنب الثوره العربية أخطار الانتكاسات، وأن دواعى الوحدة بين القوى الثورية هــى ـ موضوعيا ـ أقوى من دواعى التشتت والانقسام وأن هذه القوى لن تعجز عن أن تبدأ وحدة العمل على أساس برنامج حد أدنى يجيب أمام الجماهير على أربعة أسئلة :

● ما هى أهداف الثورة العربية فى هذه المرحلة ؟

● من هم الاصدقاء ومن هم الاعداء ؟

● ما هى الشعارات الاساسية اللازمة لتعبئة الجماهير تعبئة ديمقراطية واطلاق مبادراتها ؟

● ما هى الوسائل المشتركه التى تكفل مساندة الثورة الفلسطينية

قدم أديب اللجمى (سوريا) التقرير الثانى من بين التقـــارير الثلاثة التى قدمت للملتقى حول هذا الموضوع ٠

ويستهل أديب تقريره بأن الثورة العـــربية المعاصرة هى فى نفس الوقت ثورة شعبية وحدوية اشتراكية ـ وهى ثورة تحررية تتكامل فى غاياتها ووسائلها مع سائر الثورات المنطلقه من العالم الثالث ـ ومع حركات جميع الشعوب التى تتطلع فى كفاحها الى اقامة مجتمع بشرى ينتفى منه الاستغلال أيا كان شكله ٠

ولقد ثار الشعب العربى فى بقاع مختلفة من وطنه الكبير ، وفى أزمنة متفاوتة ، ومن منطلقات متعددة ، فكانت ثورته ومازال تارة رفضــا للمستعمر ، وطورا تحررا من الاقطاع والرجعية ، وتارة أخرى استعادة لشخصيته التى أريد لها أن تنطمس ، وفى ظروف متعددة كانت تندمج هذه العوامل مع بعضها ، وتتفاعل لتكون هى ذات الثورة ، أن الجماهير بمعناها الواسع هى الة تتحرك واندفاعها على عفويته ، لم يفقد أهدافه ولكنها تحتاج الى من ينظم لها الرؤية ٠

ويرى أنه وان كانت الجماهير العربية تنشد بلوغ المطلق من ثورتها ، فان أكثر أنظمة الحكم العربية لا تنشد أكثر من تحقيق « اصلاح » فليس الحكم العربى ـ مهما كان تقدميا ـ هو السابق فى مسيرة الثورة بل الشعب ، وكثيرا ما يبدو وفا الحكم التقدمى للثورة بصورة اللحاق بالاندفاعيه الجماهيرية ، اما فى الحالات الاخرى فهو سد فى وجهها ٠

وينبغى اذا أردنا للقدرات الشعبية ان تصل الى اهدافها فى التحرر والتقدم وتقويض الاستغلال ، لابد لها من أن تتحول الى قوة منظمة واعية ، والتنظيم هو مهمة الاحزاب الثورية ٠

ويعرف أديب اللجمى الحزب الثورى بـأنه الحزب الذى يعكس فى تنظيمه وسلوكه ارادة الجماهير فى صنع المجتمع العربى ، وبقدر ما يكون اداة تفتح وازدهار لطاقات الشعب ، والحزب الثورى هو الذى تصنعه الجماهير أى ينبثق من خلال النضال الشعبى ولا يهبط عليه من فوق ٠

ويرى أن ما قدمته التجربة الانسانية حتى اليوم فى مجال الثورة ، هو أن الشعب وحده صاحب الحق فى الحكم على صلاح ثورته أو فسادها وانحرافها ، ولئن كنا نشهد اليوم شكا ينتاب الجماهير العربية حول منظمـاتها الحـزبية التقدمية ، وتباعدا بتفاوت الكبر بين هذه وتلك ، فلأن كثيرا من هذه المنظمات التقدمية قد غرقت فى لجة السلطة بعد وصولها الى الحكم ، وأصبحت ممارسة السلطة لا الثورة بالنسبة اليها هــى الغاية ، وتحولت الثورة عند أكثرها فى معظم الاحيان الى شعارات تنطلق ، وهكذا فان فى الثورة العربية الراهنة ثورتين متميزتين ، ثورة الشعب ، وهى أصيلة وكلية ومطلقة ، وثورة كثير من المنظمات السياسية التقدمية ، وهى أقرب الى البرجمانية والنسبية منها الى الثورة الاولى ٠

ويخلص اديب فى هذا الجزء من تقريره الى أنه يمكن القول عموما ان المنظمات التقدمية العربية كانت قبل استلامها السلطة ـ أكثر ثورية ـ وأكثر قربا الى الجماهير وتفاعلا معها واندماجا بها ، وأنها بعد أن أخذت تمارس السلطة قد أصبحت أكثر تحفظا ٠

ويرى الباحث أن الثورة العربية كانت ومازال

توكيدا لحق العروبة فى الحياة وفى النمو ، وأن العروبة ليست حلما دومنطيقيا ولا حنينا الى الماضي أو صنعا للمستقبل فىصورة الماضى، وانما هى كفاح الشعب العربى كله حين يهب فى جميع أقطاره متضامنا تضامنا عضويا مع أى قطر عربى يواجه اخطارا مباشرة .

وثورة الشعب العربى لمتنفصل ابدا بين الكفاح من أجل التحرر والكفاح من أجل ازالة الحواجز والحدود ، داخل الوطن العربى ، فهى ثورة وحدوية لان التجزئة هى من صنع القوى المعادية للشعب ٠

وفى تقدير أديب اللجمى أن التطلع الوحدوى من أكبر القوى التى تحرك الثورة العربية المعاصرة ، وأن الامبريالية العالمية فى نضالها ضد هـذا التطلع، لا تقل شراسة وضراوة عن الرجعيـــة العربية التى تعى وعيا تاما أن تحقيق الوحـــدة العربية هوفى الوقت ذاته قضاء على هذه الرجعية ومصالحها ومبررات وجودها الى الابد ٠

على أن الكفاح العربى الوحدوى مازال يتعثر لحساب خصومه، والظاهرة التى تـواجهها الجماهير العربية الان باستغراب كبير، هى أن المنظمات الثورية العربية بالرغم من شعاراتها الوحدوية لم تحقق أية صيغة عملية تتيح لها أن تتوحد مع بعضها فى جبهة نضالية تقدمية ، وتتيح لها بالتالى أن تزيل من الطريق عقبات تحقيق الوحدة العربية ، وأن شعار لقاء القوى التقدمية العربية مازال فى مكانه مجرد شعار ، كما أن الكفاح العملى للقوى التقدمية من أجل الوحدة فى جميع مستوياتها مازال دون المطلوب بكثير ٠

وفى رأى أديب اللجمى أن الشعب العربى يستهدف من ثورته وكفاحه الراهن وبشكل واع تماما :

● التحرر من البنى الرجعية المتخلفة فى الداخل سواء كانت فى شكل حكم أو فى شكل بنية اجتماعية ٠

● ازالة جميع أشكال الاستغلال الطبقى ، فى صـــيغه الاقطاعية والرأســـمالية والعشـــائرية والطائفية وسواها ، وتحرير المواطن العـــربى ، وجعل الشعب بمجموعه هو المالك الفعلى لقوى الانتاج ووسائله ٠

● تحرير أرضه وثرواته وجهود ابنائه من استغلال الامبريالية العالمية وتسلطها ٠

● اقامة المجتمع العربى التقدمى ٠

ويعتبر الشعب أن نضاله فى سبيل تحقيق هذه الاهداف لابد وأن يكون نضالا شاملا وفى نطاق ثورة اشتراكية ٠

وبالرغم من جميع الجهود التى يبذلها أعداء الشعب لتزييف شعارات الاشتراكية أو لتشويهها بافتعال اثارة المشاعر ضدها ، فقد فشلت كلها ، وكان الجواب الشعبى العربى مزيدا من الاصرار على تحقيق التحرر وتحقيق العدالة الاجتماعية وذلك هوالنضال الاشتراكىفىأبسط صوره،ولكن فى أكثرها شعبية وأكثرها عفوية .

ولكن الثورة الاشتراكية العربية لا تستطيع أن تكتفى بالتحرك النضالى من القاعدة فحسب ، ان عليها أن تصوغ أسلوبا خاصا بها من الحكم الاشتراكى ، وأبرز ما نلاحظه اليوم فى الانظمة العربية التقدمية ، انها لم تستطع بعد ان تقيم الجهاز الحكومى والادارى التقدمى فعلا ، انها ماتزال فى أغلب الاحيان تطبق الاشتراكية بأجهزة تميز اشتراكية ، بل باجهزة مناهضة للاشتراكية، ومن هنا التعثرات والتخبطات العديدة التـى يواجهها الحكم العربى التقدمى ٠

وعلىأساس أنالكفاح العربى الاشتراكىليس كفاحامستقلا بذاته، بلهوفىالواقع جزء منالثورة العارمة الكبيرة التى تخوضها شعوب العـــالم الثالث لتدمير الامبريالية العالمية ، وتحـــرير الثروات القومية ، يرى أديب اللجمى أن المهمة الاولى لقيادات الثورة العربية هى نوعية الشعب العربى بصورة كاملة ، أن معركة الامبريالية وان تكن حتمية من حيث نتائجها فى انتصار الشعب على أعدائه ، هى معركة طويلة ضارية ، لاتقبل أبدا أنصاف الحلول ، وينبغى أن تدرك الثورة العربية بصورة واضحة كلية أن حرب التحرير الشعبية ، هى الحرب الوحيدة المجدية فى دحر الامبريالية واسرائيل ، كما ينبغى لها أن تدرك أن محاولات التمييز بين اسرائيل والامبـــريالية العالمية ، هو ضلال مطلق وتضليل صارخ .

وختم أديب اللجمى تقريره بتأكيده أن آفاق التفتح وازدياد القوة والجدوى مفتوحة امـــام الثورة العربية، ومن المحقق أنها ستنتصر ، ولكن عليها أن تظل يقظة لئلا تنزلق فى مخاطر أهمها :

ـــ أن تفرغ من مضـــمونها فتصبح مجموعة شعارات ٠

ـــ أن تتحول الى مجرد استيلاء على السلطة يصبح بدوره غاية بذاته ٠

ـــ أن تفقد ترسيخ جذورها فى قواعد الشعب فيقوم خصام بين الشعب والقيادة الثورية ينتهى الى عزلة هذه الاخيرة ٠٠

وقدم التقرير الثالث بابكر كرار (السودان) فوصف الثورة العربية بأنها أعظم ثورات العصر ، وهي تحمل في طياتها أقوى البواعث الثورية وتحمل على عاتقها أثقل التبعات والتضحيات ، وتؤكد للعالم كله في كل يوم من أيام نضالها أن الامة العربية ذات قدرات خارقة على الاستمرار في اعطاء الانسانية واثرائها .

وفي سبيل عمليات الحشد الكامل تتحرك الثورة العربية على أرضية عريضة ، فكرية ـ سياسية ـ اقتصادية ـ عسكرية .

والارضية الفكرية للثورة العربية كما يراها بابكر كرار تقوم على أساس أن الامة العربية ذات رسالة انسانية خالدة ، وأن الامة العربية كيان حي واحد لا يقبل التجزئة ولا يقوى على الحياة والتقدم في واقع التجزئة ، وان غاية الثورة العربية هي انهاء كل أشكال السيطرة الاستعمارية على الوطن العربي ، وانهاء الوجود الاسرائيلي في فلسطين ، وازالة مواقع التخلف والتجزئة ، وبناء مجتمع الوحدة المتقدم على مستوى كل الاقطار العربية .

كما يرى أن أية نظرية للعمل الثوري العربي لابد وأن تقوم أساسا على الاسلام ، بوصفه هو المدخل لبناء الامة العربية ، وهو الاساس العقائدي والحضاري للامة العربية ، وهو الذي جعل الامة العربية ذات رسالة انسانية خالدة ، وقدرات خارقة على الاستمرار في اعطاء الانسانية واثرائها ، وان الاسلام كان وما يزال أعظم ملهم للجماهير العربية في جميع ثوراتها ونضالها عبر القرون والاحقاب ، وهو اليوم أشد اثراء وحركة وانماء ، ويعطي الاساس لاحترام وتوطيد الحرية الفردية والكرامة الانسانية في مسار الثورة العربية .

وبالنسبة للارضية السياسية التي تتحرك عليها الثورة العربية ـ حدد بابكر كرار ـ معالم الواقع العربي بأنه ظل منذ أواخر القرن الماضي ساحة للنضال العربي المسلح ،وموقدا للحروب العدوانية الاستعمارية ، وانه يعاني من حالة التبعية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي ، وكذلك فان واقع التجزئة قد ساهم مساهمة كبيرة في عرقلة نمو حركة النضال العربي ضد الاستعمار ، وساعد على اخماد اندلاع الثورة العربية وتعميق مسيرتها ، كما أن ظروف تعاظم قوة الاحتكارات الاستعمارية العالمية وقيام التكتلات الاقتصادية الكبرى والاسواق المشتركة العديدة في عالم اليوم ، يجعل مهام تحرير الاقتصاد العربي وتنميته وازدهاره أمرا مرتبطا ارتباطا تاما وضروريا بالعمل العربي الوحدوي الشامل .

ويقول بابكر كرار ، أن الثورة العربية ارتفعت في الجمهورية العربية المتحدة الى أعلى مستوياتها متصدية لجملة المهام الاساسية للثورة العربية . وذلك من موقع السلطة الحكومية ، ومن موقع التنظيم السياسي الثوري المتفتح ديمقراطيا لكل قوى الشعب العاملة .

ويرى بابكر أن الثورة العربية قد نبذت التناحر الداخلي في الجبهة الداخلية ، وذلك بوضعها الاساس الفكري والنضالي القادر على توحيد كل قوى التحرر والتقدم ، ومن ثم استطاعت الثورة أن تستوعب كل الجماهير العربية على مختلف مستوياتها النضالية .

ويبرز بابكر في تقريره أن هناك ثلاثة ضمانات وضعتها القوى الثورية التي استولت على السلطة في بعض الاقطار العربية .

- وضع القاعدة الاساسية لعمليات الانتاج في ملكية الشعب ممثلة في القطاع العام .

- وضع ميثاق للعمل الثوري يكون هو القوة الفكرية الموحدة والموجهة لنضال الجماهير وقياداتها في العمل الثوري .

- اقامة تنظيم سياسي واحد .

ويرى بابكر كرار أن هذه الضمانات الثلاثة التي ابتدعتها الثورة العربية في مجالات التنظيم السياسي هي وحدها الكفيلة بتعبئة الجماهير العربية وتفجير قدراتها ، وأن هذه الضمانات الثلاثة قد ألهمت الفصائل الثورية الامل في انتصار الثورة العربية ، وساهمت في توضيح الفكر وفي رسم صورة للمستقبل الذي تناضل الجماهير في سبيله ، كما أكد أن هذه الضمانات هي وحدها الكفيلة بتوحيد القوات الاشتراكية واستيعاب كل المدارس الاشتراكية وهي في ذات الوقت أقوى الضمانات الاقتصادية والسياسية والفكرية لتصفية مواقع الرجعية والثورة المضادة .

وبالنسبة للتحرك على الجبهة العسكرية ، يرى بابكر أن الجماهير العربية في كل أجزاء الوطن العربي قد أدركت غداة عدوان يونيو ، أن طريق النصر الاوحد هو طريق النضال المسلح ، وأن الثورة العربية قد استفادت عدة دروس من عدوان يونيو .

- أن ميدان نضال الامة العربية هو الوطن العربي وليس الامم المتحدة .

- اعتبار الولايات المتحدة الامريكية هي العدو الاول للعرب .

● الاعتماد على القدرات العربية الذاتية هو الاساس فى تحقيق النصر .

● من مظاهر انتصار الثورة العربية ــ برزت ظاهرة العمل الفدائى الفلسطينى المسلح الذى يمثل صورة من صور حركة النضال العربى المسلح ضد الاستعمار والصهيونية .

ويؤكد بابكر فى تقريره على ضرورة رفض المحاولات التى تبذل للفصل بين العمل السياسى والعمل العسكرى ، ويؤكد على تبعية العمل العسكرى للعمل السياسى، وأن كل انتصار للثورة العربية هو فى ذات الوقت دعم وتصعيد للعمل الفدائى المسلح وانتصار له .

وفى ختام التقرير يطرح بابكر كرار قضية العلاقة بين الثورة العربية والثورة الافريقية ، ويرى أن الثورة العربية هى جزء لا يتجزأ من الثورة الافريقية ، وهى طليعة الثورة الافريقيه على أساس أن العرب هم أكبر قومية فى أفريقيا ، وأن الاسلام هو أكبر الاديان تبعية فى افريقيا ، وأن اللغة العربية هى أوسع اللغات انتشارا فى افريقيا ــ وأن الامة العربية كانت هى مدخل الحضارة الغربية لافريقيا .

المناقشة

كانت «الارضية التى تتحرك منها الثورة العربية» هى النقطة الاولى فى جدول اعمال الملتقى - وجرت المناقشات حولها فى الجلسة الاولى من جلسات العمل ، ولم يكن اعضاء الملتقى قد تبادلوا حديثا او نقاشا ،او عرضوا وجهة نظر كاملة،وقد ساعد ذلك على سيادة جو من التشتت ، وعدم التركيز فى المناقشة ، كما بدا أحيانا ان بعض المتحدثين يلحون فى اثبات افضلية نظام معين وخلوه من الثغرات او ادعاء كل الصواب المطلق لانفسهم والخطأ المطلق لغيرهم ــ واذا اردنا تلخيص المناقشات التى دارت حول الارضية التى تتحرك منها الثورة العربية فلابد ان نقسمها الى جزئين رئيسيين :

القسم الاول ويتمثل فى الرأى الذى ابداه جعفر محمد (السودان) وردود المشتركين فى الملتقى عليه ويشكل رأى جعفر وجهة نظر كاملة ترفض النقاط الاساسية فى التقارير المقدمة .

● يعارض الاتجاه العام للتقارير الثلاثة ــ على اختلاف مواقعها الفكرية ــ عن شمول الثورة العربية ووحدة حركتها واهدافها .

● عارض تركيز التقارير على دور الجماهير الشعبية وقدم نظرية الصفوة الممتازة .

● عارض فكرة البعد الوطنى والبعد الاجتماعى للثورة العربية .

لقد تصدى عدد كبير من المتحدثين فى المناقشة لتنفيذ الاراء التى نادى بها جعفر محمد ــ ومن خلال كلماتهم قدموا الكثير من أجل تعميق المناقشة حول القضايا الثلاث وطرح التعقيدات والمشكلات التى تواجه الثورة العربية .

يرجع السيد **جعفر محمد** الانفصام بين الشعارات الثورية العربية وبين الانجازات الثورية وكذلك العلة وراء ضعف خطى الثورة الى انه ناتج من اعطاء تجريد واسع لمحتوى الثورة بانها تهدف الى التحرر من الاستغلال واقامة مجتمع الكفاية والعدل ــ وهذا مضمون يضم كل دول العالم الثالث.. ولن يوفر الاستراتيجية الحديثة الصحيحة لنجاح الثورة العربية ــ ويرى أنه من الضرورى رغم ان التجزئة واقع فريد ــ ان نبدا من التجزئة ــ لان الاطار الجزئى للمجموعات العربية هو الاطار الذى ستنبثق منه الثورات العربية،وفى الواقع الحالى هناك شعوب عربية واوطان عربية ــ ولا بد من التركيز على واقع التجزئة لانجاح الهدف الشمولى .

ولقى هذا الرأى معارضة واسعة من عدد غير قليل من المشتركين فى الملتقى .

واكد عبد الله الريماوى ان العرب أمة واحدة ذات قومية واحدة وان ذلك لا يلغيه أو يقلل من حقيقته كل ما يساق من حجج تاريخية أو سياسية او اجتماعية ، كما أكد مالك الامين ــ ان الثورة العربية من صنع الشعب العربى ــ اما عن تعدد الخصائص أو تنوع هذه الحقائق ــ فاننا نجد هذه الخصائص أو المميزات بين مدينة واخرى بل بين حى وآخر فى المدينة الواحدة ــ ولا يمكن لهذه الخصائص ان تكون فاصلا بين شعب عربى فى بلد وشعب عربى فى بلد آخر ــ فقد كان المفوض السامى الفرنسى او الانجليزى يستطيع بجرة قلم ان يغير انتماء المواطن العربى من قطر الى آخر .

وقال عبد الله الريماوى ان التناقضات فى واقع

الامر بالتجزئة وبالاستعمار وبالاستغلال والتخلف هي تناقض واحد مركب بين مظاهره المختلفة صلة تفاعل جزئي تتبلور في تناقض مركب واحد - وهذا يعطى الثورة العربية سماتها المتحيز ، وهي انها ثورة عربية متواصلة بمنطق العصر وواحدة بمنطق الوضع القومي .

ولما كان تقريران من التقارير المقدمة فى موضوع « الارضية التى تتحرك منها الثورة العربية» قد ركزا بشكل واضح على دور الجماهير الشعبية وأثرها فى تقدم الثورة وانجازاتها فقد انتقد السيد جعفر محمد ما اسماه التركيز الحماسي مع حركة الجماهير ، واوضح بانه يرى ان واقع الثورة العربية قد تناولتها مجموعات من مختلف البلدان العربية وحركة الجماهير قد تكون حركة دفع أو استناد شعبى ولكن المبادرة الفعلية للثورة قد نتجت من مجموعات سطوية ليست عامة ولكنها محدودة ، ففى سوريا والعراق والسودان ومصر انتجت الثورة العربية مجموعة سطوية - وان الجماهير العربية فى حاجة الى قيادة طليعية لابد من أن تمسك زمام السلطة وتقديس الثورة على أنها أمر كلى فيه أيضا من الحماس ما يجب ان نتغاضى عنه .

لقد تصدى لتفنيد هذا الراى من زوايا مختلفة كل من بدر الدين المدثر ، ومحيى الدين عويضة (السودان)

على اساس ان مفهوم الصفوة مفهوم خطر يمكن ان يؤدى الى العزلة عن الجماهير والتعالى عليها - وفرض الوصاية عليها - وليس صحيحا ان الثورة العربيه انتجتها الصفوة لكن الصحيح ان جزءا من التحالف الذى أسقط سلطة الاقطاع والراسماليه المرتبطة بالاستعمار وفى مرحله سابقة احتكر الثورة وحاول اسقاط دور الطبقات الاكثر ثوريه والتى هيأت للثورة - وبذلك حفظ الثورة فى نطاق الاصلاحية ولم تحاول ان تتجاوزها لكى تصل الى جذور الحياة الجماهيرية - وهذا هو السبب الاساسى فى ان الجماهير لم تمكن من ان تكون فعالة فى مسيرة الثورة .

ان التقارير المقدمة للملتقى لم تضع حركة الجماهير بديلا للطليعة الثورية - ولم تنف باى حال أهمية وجود طليعة ثورية فى السلطة ولكنها ابرزت ان السلطة الثورية فى بعض البلدان العربية لا تتجاوب التجاوب الكافى مع حركة الجماهير - وأضاف المتناقشون اننا اذا كنا نريد القضاء على الاستعمار والتخلص من الاستغلال فليس هناك ارتياب أو خوف من تسليح الجماهير والاستفادة من طاقاتها ، وهذا الاجراء يدعم الثورة ضد الامبريالية ويضمن نجاح اهدافها ضد العناصر المستغلة المضادة لها .

وان الطليعة المنظمة الملتحمة بالجماهير فكرا وتركيبا هى الصيغة البديلة للصفوة ، وبقدر التحامها بالجماهير بقدر ما تصنع الثورة ، وبقدر قدرتها على تحويل الجماهير الى قوة فعالة منتجه لا تصفق ولا تهلل بقدر ما تكتسب ثوريتها . والطليعة غالبا ذات منشأ بورجوازى صغير تميل الى الحلول القومية السهلة والميل الى فرض الوصاية على حركة الجماهير ، وبمكافحة هذا وبالارتباط بحركة الجماهير يمكن للانظمة العربيه التقدمية ان تتجاوز ازمتها الراهنة .

وفى كلمة **جعفر محمد** - ان القوى العربية غير الثوريه ايضا تسهم فى العمل الوطنى - ففى قضية فلسطين نجد مختلف المعسكرات العربية تعمل سويا - لهذا فليس من الضرورى ان يكون العمل للتحرر الوطنى عملا ثوريا .

وقد رد **الياس فرح (العراق)** باننا يجب ان نتجنب النظرة الجزئية التى تكتفى بجانب من جوانب الصراع ولا تحيط بكل انواع الصراع فى الوطن العربى . ونحن فى صراع مع التجزئة والتحالف الامبريالى الصهيونى والتخلف والاستغلال الطبقى ، ان هذه النظرة الجزئية تبعد الثورة العربية عن حقيقتها .

واكد **الدكتور عبد الرازق حسن (ج.ع.م)** ان هدف المستعمر الاساسى يتلاقى مع هدف المستغلين، فى استغلال موارد وامكانيات الشعب العربى وهو ما تعمل الثورة العربية للقضاء عليه .

وقال **الدكتور عبد الله الريماوى (الاردن)** ان الثورة وعلى الاخص فى العالم الثالث هى ثورة متواصلة بمعنى ان الثورة السياسية والتحررية تلتحم بالثورة الاشتراكية وقد الغى نهائيا منطق الفصل بين الثورتين السياسية او الوطنية الديمقراطية وبين الاشتراكية .

ان الطبقة الراسمالية لا يمكن أن تكون طبقة ثورية لان مفهوم الثورة البورجوازية على طريق الاشتراكية قد سقط .

وأكد **محيى الدين عويضة (السودان)** ان جوهر او أساس الارضية التى تتحرك منها الثورة العربية هو الصراع الموجود اليوم بين الاستعمار

والاشتراكية ـ هذا الصراع له وجهة اقتصادية وفكرية وايديولوجية وسياسية واجتماعية ـ والثورة العربية على هذه الارضية هي جزء من حركة التحرر الوطني العالمية ضد الاستعمار القديم والحديث ـ وهي لذلك حليفة للحركة الاشتراكية العالمية والمعسكر الاشتراكي ونضال الطبقات العاملة في المعسكر الرأسمالي .

كما أكد عمر مصطفى (السودان) ان تفسير الثورة من جهتها الوطنية وحدها وتجريدها من مضمونها الديمقراطي والاجتماعي والطبقي ينتهي بالتفريط في الوطنية نفسها ـ ولا شك أن الطبقة الرجعية صاحبة المصلحة في العودة الى الحكم من جديد تحاول بالعاطفة وبالقوى اغراق الثورة العربية في الكليات واغراقها في الشعارات الوطنية المعممة ـ والرجعية بمختلف مواقعها التي كانت تحتلها في الماضي والتي في كثير من الاحيان تحتلها اليوم من مواقع التنظيمات السياسية واجهزة الدولة والاعلام ـ تحاول الوصول الى هذه الغاية ، وفي السودان نسمع بعد ١٥ مايو انه انتهى الصراع واقصيت الرجعية عن السلطة وكلنا يجب أن نتفق وننسى الماضي ونبدأ من جديد وعفا الله عما سلف ..

وعلى الجانب الاخر من التقارير كانت كلمة نايف الحواتمة (فلسطين) الذي رفض الحديث المطلق عن قضية الثورة العربية في مرحلة ما بعد يونيو ٦٧ وكذلك رفض ما اسماه الحديث الغامض والانشائي والمادح لما هو قائم في المنطقة العربية ـ معلنا ان يونيو ١٩٦٧ قد أكد مجموعة من الموضوعات الايديولوجية والتناقضات السياسية التي يمكن بها اجتياز عنق الزجاجة التي تعيشه الان حركة التحرر الوطني العربية .

فحركة التحرر الوطني العربية هي جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني العالمية ضد الاستعمار والامبريالية وكافة القوى المرتبطة تاريخيا بالاستعمار والامبريالية ـ وفي بلادنا ايضا الصهيونية والرجعية العربية . وتناضل حركة التحرر الوطني العربية من أجل تحقيق الجلاء والاستقلال الاقتصادي والسياسي وتحقيق الوحدة القومية لشعوب الامة العربية في دولة واحدة وتحقيق الديمقراطية السياسية والثورية اى ان حركة التحرر الوطني العربية تجتاز في هذه المرحلة انجاز مهمة الثورة الوطنية الديمقراطية ـ كما تطرح نفسها في البلدان المتخلفة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

ويرى نايف الحواتمة ان الوقائع الملموسة لتاريخ حركة التحرر الوطني في البلدان المختلفة أن انجاز مهمة الثورة الوطنية الديمقراطية مسألة باتت مرتبطة بتحديد الطبقة الموحدة لانجاز مهمات هذه المرحلة ، كما اكد ضرورة تحديد النبع الايديولوجي الذي على الطبقة المؤهلة لانجاز مرحلة الثورة الديمقراطية ان تتسلح به في حركتها من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي وتحقيق الوحدة القومية لشعوب الامة العربية ـ كما اكدت التجربة ان عليها أن تحدد بوضوح الهيكل التنظيمي المسئول عن التسلح بهذه الايديولوجية واستنهاض هم الطبقة الاكثر مصلحة في الثورة في المجتمع المتخلف لالحاق الهزيمة باعداء الثورة القومية .

ولقد اتضح ان الطبقات صاحبة المصلحة في الثورة الوطنية والتي يمكن أن تعمل على تصفية الامبريالية والاستعمار هي الطبقة التي لن تخسر شيئا وهي بالتحديد العمال والفلاحين والقطاع التقدمي من البورجوازية الصغيرة . وتجربة الصين وفيتنام وكوبا ادلة ملموسة على ذلك ، وهزيمة يونيو ادلة ملموسة على عكس ذلك .

ويرى نايف الحواتمة ان القوى الجديدة التي حملت راية الحكم بعد عام ١٩٤٨ ـ والمؤهلة بحكم واقعها الثقافي الماضي استطاعت ان تتحرك على هذا الطريق (بفئات) من القطاعات الجامعية ومن الطبقة البورجوازية الصغيرة ونهضت لقيادة حركة التحرر الوطني العربي على طريق الثورة الديمقراطية الوطنية ولكنها لم تتمكن من التضحية بالجيل الحاضر من أجل اجيال مقبلة ، هذه الطبقة صاحبة المصلحة في تصفية كافة العلاقات مع الاستعمار والامبريالية والرجعية ـ والتي تمكنت من قيادة حركة التحرر عجزت عن حل مشكلة الدولة الثورية ـ فقدمت برنامجا اقتصاديا يقوم على التصنيع الخفيف والزراعة المبعثرة منسجمة بهذا مع مصالحها . فهي وطنية بهذا القدر ـ وقدمت برنامجا عسكريا يقوم على الارهاب وعلى الجيش النظامي ضمن افق بورجوازي طبقي . وقدمت برنامجا يقوم على طرد الطبقات البورجوازية الصغيرة ، وهذا هو البرنامج الذي خضنا به المعركة بعد عشرين عاما وادى الى هزيمة يونيو ٦٧ .

واختتم كلمته بان المهمة المطلوبة تكمن بالتحديد في محاكمة كل ما هو قائم ووضعه في حجمه الحقيقي بعيدا عن مقالات ، لنضع برنامجا ايديولوجيا طبقيا سياسيا وعسكريا ، وهو برنامج لن يكون الا للعمال والفلاحين الفقراء ، والقطاع التقدمي من البورجوازية الصغيرة .

وتعقيبا على كلمة نايف الحواتمة ، حمل ثلاثة من المتكلمين مهمة الرد على محتويات كلمته ،

وهم: **عمر مصطفى (السودان) والياس فرح (العراق) ومحيى الدين عويضة (السودان)**، وتركزت كلمة محيى الدين عويضة حول خطأ التعميم في التحليل أو التجريد ـ فالشعوب العربية ليست في مستوى واحد من مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ـ هناك مثلا ج . ع . م استطاعت بقيادة جمال عبد الناصر ان تنجز مرحلة حاسمة من مراحل النضال ضد الاستعمار القديم والحديث وأن تحقق فعلا مرحلة هامة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية، وبالفعل فان ج.ع.م. اليوم مستقلة تماما سياسيا واقتصاديا، واستطاعت الى درجة كبيرة ان تستنهض الجماهير المتخلفة لتلحق بركب التقدم والحضارة .

وفي نفس الوقت نجد مناطق أخرى من العالم العربي ما زالت ترزح تحت السيطرة المباشرة للاستعمار والنظم العشائرية والاقطاع ومؤسسات القرون الوسطى .

كذلك نجد اجزاء من الوطن العربي دخلت فعلا في مرحلة النضال الاجتماعي وحققت انجازات كبيرة في طريق التطور الاجتماعي لكنها ما زالت في المراحل الاولى في هذا المجال، هذا من ناحية ان الانجازات في العالم العربي لا تسير في تيار متواز .

ومن ناحية اخرى فاننا عندما نتكلم عن دراسة الواقع دراسة علمية فانما نعنى دراسة التناقضات الخاصة بكل جزء من الاطار العربي ــ هــذه الدراسة يجب ألا تقتصر على التحديد العام كان يقال الطبقة العاملة أو المزارعين أو الراسماليــة الوطنية. فالمزارعون في الوطن العربي ليسوا طبقة واحدة فهناك العامل الزراعي، وهناك فقــراء المزارعين، وهناك المزارعون المتوسطون وهناك كبار الملاك ـ وفي بعض أجزاء الوطن العربي هناك اقطاعيون ـ كذلك الطبقة العاملة ليست عبارة مطلقة ـ ففي البلاد العربية المختلفة نجد لهذه الطبقة مميزات مختلفة من ناحية نوعية ارتباطاتها بعلاقات بوسائل الانتاج ومن ناحية تمركزها ومن ناحية عدديتها، ومن ناحية مستواها السياسي، وتجاربها النضالية وهذه كلها اعتبارات لابد من حسابها عند التفكير في وضع الاساس في الجبهة أو الوحدة الوطنية أو التحديد لطبيعة القيادة .

وقد وصف **محيى الدين عويضة** كلام نايف حواتمة بأنه غير علمي اطلاقا بالرغم من أنه يشير في حديثه الى الماركسية اللينينية ودلل عويضة على ذلك بالامثلة التالية :

● تفسير نكسة يونيو على أنها جاءت نتيجة لان الطبقة العاملة في ج . ع . م لا تحكم ولا تقود ـ لانه لا يستبعد ان تصاب دولة اشتراكية تقودها الطبقة العاملة بمثل هذه المحنة ـ ويرى عويضة أن هذا الموضوع يرتبط باستراتيجية علمية وبتوازن القوى العالمية وببعض الاخطاء في التخطيط العسكري، أو قــد يرتبط بمباغتــات الاســتعمار، وتركيزه لارساء هزيمة من وضع معين .

● الكلام المطلق عن الطبقة العاملة في السودان أو لبنان أو الاردن دون تقدير دقيق للوزن الحقيقي لهذه القوى .

● الكلام عن البورجوازية الصغيرة بوصفها قوى محافظة بصورة مطلقة كلام غير علمي ـ ويرى عويضة انه اذا وجدت سلطات وطنية رفعت شعار التقدم والاشــتراكية حقيقة وارتبطت بالشعب ارتباطا حقيقيا وأدركت حقائق العصر وجعلت أساس سياستها تقدميا، تحالفا متينا مع المعسكر الاشتراكي العالمي، فهذا يشكل ضمانا حقيقيا في أن يستطيع هذا التحالف للبورجوازية الصغير مستندا على قوى الشعب العامل كله ان يحقق المرحلة الاولى على الاقل في طريق التطور غير الرأسمالي وبناء المرحلة الاولى للاشتراكية .

واذا كان الملخص السابق يعطي صـورة للمتحدثين الذين تعرضوا للقضايا الاساسية، فان بعض المتحدثين كان حريصا على تصحيح بعض المفاهيم التي رآها خاطئة والتي وردت في المناقشة ومن ابرز الذين تحدثوا في هذا الشأن السيد **عزيز السيد قاسم** (العراق) والذي ارتكز في كلامه على أن هزيمة الخامس من حزيران لم تمنح الفكر الثوري العربي دفعا جديدا متسع الافق فحسب بل انها منحت ايضا افرازات أيديولوجية ضــارة تحاول الاختباء وراء اطارات عامة غير مرفوضة ظاهريا .. ومن الامثلة التي تعرض لها :

● الاختلاطات اللامنهجية متمثلة في الحديث عن تنظيـــم الشـــعب كل الشعب مع تنـــاسي واقع أساسي هو أن الشعب ليس كتلة اجتماعية واحدة التجانس بل هو طبقات ذات حــركات موضوعية متناقضة .

● التأكد على « خلق الانسان الكامل » مع أن الدين نفسه لم يتحدث لا في الاسلام ولا في المسيحية عن الكيان الشخصي .

الثورة العربية بأنها حركة طليعية معادية للامبريالية والصهيونية والرجعية وكان الثورة العربية هى منظمة سياسية فى حين يتعين التعريف العلمى على أساس أن الثورة العربية هى النضال الثورى الكبير الذى تشنه الجماهير العربية الكادحة من أجل تغيير واقعها تغييرا جذريا فى طريق الوحدة والقومية والديمقراطية والاشتراكية مع اشتراط استمرار الثورة العربية كثورة دائمة ، وكجزء فعال من الثوره العالمية ايضا. ومثل تعريف الاشتراكية بأنها عدالة التوزيع مع أن التعريف العلمى هو ان الاشتراكية هى التملك العام لوسائل الانتاج الذى تشرف عليه وتديره وتنظمه الطبقة العامة والفلاحون وحلفاؤهم ، ومن خلال التنظيم السياسى المتماسك ايديولوجيا وتنظيميا وفعالية من خلال الجبهة الشعبية التقدمية .



٢

المرتكزات الفكرية والروحية للثـــــورة العربيـــــة

البحـــــوث

قدم كمال جنبلاط [لبنـــان] البحث الاول فى قضية المرتكزات الفكرية والروحية ، وكان مدخل الباحث عرضا لمراحل الثورة العربية الثلاث :

المرحلة الاولى: مقاومة الاحتلال الاجنبى فى بدايات تسلله وفى مواجهة حملات الغزو .. وفى هذه المرحلة كانت الثورات العربية تستند « بطبيعة تكوين الاجيال البشرية السابقة الى **مقومات الدين ودوافعه، والى نزعة الشعوب الى تحقيق الحرية على نطاق الجماعة ، أى الى تحقيق الاستقلال الذاتى** » .

ثم بدأت هذه الثورات تتخطى حدود الاقليمية ، وتتقارب باسم مفهوم القومية العربية الناشئة ، وكانت القومية العربية تظهر بسرعة ، أو تتباطأ فى تجليها ، فى نضال الشعوب العربية ، لتحل فى الشعور العام وفى الاهداف مكان الرابطة الدينية الاسلامية » . وكانت سوريا الطبيعية التى شملت آنذاك فلسطين والاردن ولبنان وجزءا من الجزيرة العربية هى مهد هذه القومية العربية الناشئة التى عبر عنها الشاعر ابراهيم اليازجى ، وساعد على هذا نمو التجارة فى بلاد الشام وظهور فئة جديدة من العمال الصناعيين والمهنيين وبروز معالم البورجوازية .

هذا المد الثورى المطعم بالثورة الادبية السورية اللبنانية الحديثة تلاقى بتيارات الفكر التحررى العربى المنطلق من وادى النيل .

فى تلك الفترة ظلت بعض شعوب الدول العربية لا تتحسس كما يجب المفهوم القومى العربى ، وقد حتم منطلق التطور أن يكون هذا المفهوم علمانيا وان ظلت بقايا ذهنية المعتقد الدينى تختلط به .

المرحلة الثانية : تميزت بالسعى لتحقيق الحرية السياسية فى الداخل (المطالبة بالدستور ، الحرية الديمقراطية ، حق الانتخاب ، وبزوال الاقطاعية السـياسية ، ثم بالقضاء على الحكم الملكى واستبداله بالحكم الجمهورى) ، وفى هذه المرحلة تأثر الفكر العربى بالمفاهيم الاوربية (الثورة الفرنسية والثورة الامريكية .. الخ) .

ولا تزال هذه الفكرة الديمقراطية « تتفاعل فى الذهنية العربية، لتنقذها من رواسب وآثار العقلية الدينية السالفة » . ولا تزال هذه الفكرة تؤثر داخل الانظمة الرجعية والانظمة التقدمية على

السواء ، لارساء قواعد وأساليب ديمقـراطية سياسية جديدة ٠

المرحلة الثالثة : مرحلة الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، أى الاشتراكية ٠ وقد تجسدت فى الماضى فى انتفاضات فلاحيه أو عمالية اقليمية ، ولكنها لم تنطلق بشكل عملى وعلى نطاق الشعوب العربية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وتحولت مع **الرئيس عبد الناصر** فيما بعد الى ثورة اشتراكية ، هى الاولى من نوعها فى الشرق ، ثم قامت الحركات والانظمة الاشتراكية فى سوريا والعراق والجزائر ، ثم فى اليمن الشمالى واليمن الجنوبى ثم فى السودان وليبيا ٠

من هذا العرض لمراحل الثورة العربية قام بتلخيص المرتكزات الفكرية فيما يلى :

أولا : التراث العربى والحضارة العربية ، فى هذا التراث لابد من الاشارة الى الدور الفريد للغة العربية ، فهذه اللغة ، ولاول مرة ربما فى التاريخ ، تجمد ما تحويه وتتضمنه من تعابير ومعانى ومفاهيم منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة ، أى منذ أن تجلت فى القرآن الكريم ، والظاهرة الغريبة فى بابها هى أن الانسان عادة يبدل فى اللغة وفى معانيها ، ولكننا هنا نجد أن الانسان العربى هو الذى تأخذه هذه اللغة فى شباكها وتبدله من داخله وتستحوذ عليه بمعانيها المتسلسلة اليه منذ أقدم العصور ٠ هذا يفسر لنا السلبيات والايجابيات فى حياتنا ، انه يفسر لماذا لا نزال عقليتنا اسيرة الروح الفردية القبلية ، لكن هذا يفسر ايضا لماذا يتغلب اللسان اللغوى تدريجيا على اللغات الدارجة الاقليمية ، واذا كان التراث الحضارى لا يزال يطبع حياتنا العادية بطابع البساطة والديمقراطية العشائرية ، الا أنه يحمل الينا أحيانا ما قد يثقل مسيرتنا نحو التجدد والتبدل .. والامل ان تعمل تجاربنا التقدمية والاشتراكية على بلورة هـذا التراث واستقطابه فى حركة تنبثق منه ، وتلتف حوله ، وتعود اليه ، وتتعداه ٠ « فالقومية العربية النابعة من تراث هذا الانسان التاريخى العربى هى ملازمة لكل تقدمية واشتراكية عربية ، لا تنفصل عنها أبدا ، بل هى ماهية وهدية هذه التقدمية والاشتراكية » ٠

ثانيا : التراث الاسلامى والمعتقد الاسلامى ، وهذا المرتكز ـ قد سبق فى فترة من الفترات ـ اليقظة القومية حتى أن بعض بلدان المغرب العربى وليبيا والجزيرة العربية قد ركزت فى صراعها التحررى على هذا المرتكز .

« ويجب الا ننسى ٠٠ ان نبى الاسلام محمد كان فى آن واحد ، باعث العروبة ورائـدها الاول ونبيها » ٠ كما أن القرآن والحديث ، وأقـوال الصحابة والانصار وأرباب الفتوح والبلاغة ، كل هذا يؤلف المصدر الاساسى للتراث العربى ٠ وقد تفاعل هذا الاصل بالعقل اليونانى ، وبالتراث الايرانى والمصرى القديم ٠ وبما سبق من مذاهب مسيحية ويهودية وصابئة .

وفيما يتعلق بالمعتقد الدينى فهذا المعتقد يرمى الى ايجاد نظام للسلوك الداخلى فى حياة الفرد يقابل ويكمل نظام القانون الخارجى ، كما انه يجيب على التساؤلات الكبرى فيما يتعلق بمشكلات الحياة والموت ، هذه المشكلات التى لم يحسمها العلم ٠ وهنا يلاحظ انه « كلما نما العلم وتقدم فى كشفه ، كلما تراجعت المفاهيم الدينية فى تفسيرها ان لم تكن منطقية على النظريات والكشـوفات العلمية الاخيرة » ٠

ويرى كمال جنبلاط ان تأثير المعتقد والتراث الاسلامى هو من القوة بحيث أنه « ما من دولة فى العالم العربى ربما استطاعت أن تتجرد من مفهوم التيوقرطيـة الاسـلامية ، وان تعـبر بالدولة المستحدثة الى عقلية ديكارت والعلم الحديث ، والى علمنة الحكم كما يستوجب ان يكون عليه ، وكما نشخص ذلك فى المثال الاوربى المقابل وحتى فى المثال الهندى الحديث » ٠

ثالثا : مفاهيم الديمقراطية الغربية ، وما خلفته فى اوربا والعالم من فكر علمى ، وعقلانيـة ، وعلمانية . وأول مايلاحظ هنا أن العالم العربى لم يستنفد فى تطوره الاجتماعى والسياسى اية مرحلة من مراحل التطور التى ذكرت سابقا ، بل اخذت دويلاته تقفز من مرحلة الى اخرى قبل ان تكون المرحلة السابقة قد أعطت ثمارها كاملة ٠ وقد ترتب على ذلك :

- أننا « لم نتوصل الى مفهوم علمنة الدولة ، وفصل الدين عن الدولة ، مع ابقاء نفحة من الاخلاق العامة والضميرية والوجدانية الروحية فى الحكم وممارسته » ٠

- أننا لم نتوصل الى مرحلة سيطرة الفكر العلمى الحديث ٠

وهذا كله يفسر الاختلاط فى التفكير العربى الثورى الحديث ، وفى محاولات التفسير الذى قدمت له ، كما يفسر عدم النجاح الذى أصيبت به بعض الاحزاب الثورية العربية .

ولكن لعل الفكر الاشتراكى أن يحقق ، مالم يستطع الفكر الديمقراطى العـربى والعـالم الحديث أن يحققاه فى مجتمعنا وفى ذهنيتنا .

والمشكلة هنا ، فيما يتعلق بالفكر الاشتراكى ، أن الثورات العربية عندما فرغت من تحقيق أهدافها السياسية الوطنية،ما لبثت أن تبنت لونا أو الوانا من المبادىء والتجارب الاشتراكية. لكننا لا نزال – فى العالم العربى – فى مرحلة التفتيش عن الفلسفة التفسيرية للمضمون الاشتراكى ، فهناك مثقفون يتبنون الماركسية اللينينية ، وبعضهم – فى مجال التجربة – يتبنى الاشتراكية الصينية ، او اليوغسلافية أو الالمانية الشرقية .

رابعا : المبادىء الاشتراكية والتفكير الماركسى، بدأ تأثيرها فى الفكر العربى منذ ثورة أكتوبر . واخذ هذا الفكر يتسرب الى الشرق العربى . بينما ظلت تؤثر أيضا الافكار الاشتراكية الديموقراطية على النمط الغربى، لكن الصدام الذى كانت تواجهه الامة العربية فى مقاومة الاستعمار وخصوصا الصهيونية ، قد حتم أن تقوم الثورات فى العالم العربى « على اسس قومية دون اى التزام اجتماعى واشتراكى محدد » .

« ويمكن القول أن التجارب العربية ، وخاصة تجربة الجمهورية العربية المتحدة الرائدة ، وفى هذا المجال ، وتجارب سوريا والجزائر والعراق وسواها قد فتحت آفاقا جديدة لتحرير الفكر العربى من الدوغماتيكية ، إذا شاء هذا الفكر وشئنا ، أن يتحرر ويكون أكثر اصابة فى تمنطقه وتفسيره وتصرفه » .

خامسا : المسالك الثورية الحديثة ، ماوتسى تونج ، كاسترو ، جيفارا ، حركة الكفاح الفلسطينى والفداء ، حركة الطلاب والشباب ، ماوتسى تونج يقدم فكرة الاستمرار الدائم بالثورة ، ويركز على أهمية العودة الذاتية الى العفوية وحركة الشباب والطلاب تهدف الى نقض اسس الحضارة الصناعية، أو الى اكمالها فى المعسكرين القائمين وفيما يتعداهما ، أما حركة الكفاح الفلسطينى المسلح فتلعب دور الخميرة النامية فى تبديل الذهنية العربية التى اتصفت أجيالا بالاتكالية والكلاسية السحرية والانتهازية .

« ونحن نظن ان الكفاح الفلسطينى والفداء سيسهمان مع الانظمة الاشتراكية والديموقراطية الصحيحة فى عقلية الفكر العربى ، والذهنية العربية ، بحيث يولد فيها حقا سبينوزا وديكارت، وتصبح جاهزة بأن تطعم بنتائج ونظريات العلم الحديث .. » .

ويقول جنبلاط : من هذا المزيج والخليط من المرتكزات الفكرية والروحية ، استقت الثورة العربية . ولكن الثورة – فى مجملها – لم تعرف:

١ – أن تميز بين النتائج التى كان يجب أن تحققها كل مرحلة من مراحل التطور العربى وبين ضرورة الاخذ بهذه النتائج وتحقيقها ووضعها شعارا للدولة .

٢ – لم تعرف أن تميز بين الدراسات الجدلية الماركسية وسواها وبين منطق الجدلية ذاته منطق التناقض القائم فى كل شىء، فى عقل الانسان، فى نفسيته ، فى شرائح جسده وعاطفته وتفكيره كما هو قائم فى علاقات الفرد بالمجتمع والافراد فيما بينهم ، وبين مجتمع ومجتمع آخر .. بين الذين كمظهر اجتماعى وتفسيرى أخير والمعرفة العلمية ، وبين الدين والاختبارات الروحية الحية .. الخ، هذه الجدلية الاخيرة، جدلية التناقض المستمر هى التى يجب أن يتعلق بها منطق الفكر العربى الحديث ، وأن يتشربها فيما ظهرت عليه ، فى آن واحد ، عند هيداقليطس وفى تطورات ونظريات العلم المتقدم التى لم يكن ماركس – يستطيع بالطبع – ان يتبينها فى عصره .

وختم جنبلاط بحثه بقوله : احوج ماتكون اليه الثورة العربية أن تناقش نفسها ، وتصحح مفاهيمها على ضوء فلسفة التناقض لتتخلص من الدوجماتيكية ، وعلى القائمين على الثورة أن يدركوا :

● أن الثورة بمفهومها التطورى الاجتماعى والحياتى الشامل هى دائمة ومستمرة . ويجب الا نضع أمامها الحواجز حتى الحواجز الثورية ذاتها .

● أن تيار هذه الثورة بدأ يشمل فى عصرنا المتقدم الظواهر المادية والظواهر النفسية فى آن واحد . وان بين هاتين المجموعتين من المظاهر تأثير متبادل .

● أن هذه الثورة قد يتبدل معدل سرعتها باستمرار ، كلما عبرت منا مسالك العلم الى المجهول .

● أن العلم الحديث اضحى من أضخم عناصر التبدل والتغيير فى المجتمعات الحديثة .

اما كريم مروة [لبنان] : فيستهل بحثه قائلا ان دراسة المؤثرات الفكرية والروحية تتطلب بالضرورة تحليلا دقيقا للعملية الثورية فى البلدان العربية ، وهذه العملية – فى كل بلد – هى وليدة عوامل عديدة متشابكة : اقتصادية – أجتماعية – سياسية – قومية – فكرية وروحية . وهنا يؤكد **مروة** على ضرورة دراسة البناء الاجتماعى الاقتصادى لان الفكر انما يستند أساسا فى تكوينه الى هذا البناء ، كما أن محتواه

وأشكاله انما تتحدد وفقا « لمستوى التطور الذى يبلغه البناء الاقتصادى وعلاقات الانتاج السائدة فى مجتمع معين • والروابط التى تنشأ وتتطور بين المجتمعات المختلفة تحت تأثير تطور الالة ووسائل الاتصال العلمية » •

وقدم الباحث الخطوط العامة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التى سادت المراحل المختلفة لتطور الحركة الثورية العربية •

● ففى ظل السيطرة العثمانية ثبتت الدول الاستعمارية قواعدها الاقتصادية والثقافية فى هذا البلد العربى أو ذاك، وانتشرت ثقافة المستعمرين بين أبناء كبار الملاك والتجار ، وأحيانا بين أبناء فئات متوسطة ،ولكن رافق هذا الوجود الاستعمارى الكولونيالى ، بداية تفكك فى العلاقات الاقطاعية (من هنا انتفاضات الفلاحين فى لبنان ١٨٢٠ ، ١٨٢١ ، ١٨٥٩) وثورة عرابى فى مصر •

● طيلة عهود الحكم العثمانى حتى الحرب العالمية الاولى تطورت البلدان العربية بفعل التجزئة الاستعمارية ، بكيفية مستقلة ، الواحد عن الاخر ، ونشأت أوضاع اقتصادية واجتماعية تكاد تكون شديدة الاختلاف حتى التناقض من بلد عربى الى بلد آخر •

● رغم التطور غير المتناسق للبلدان العربية الا أن السيادة ــ طوال فترة الحكم العثمانى وحتى الحرب العالمية الثانية ــ كانت لخليط من الطابع القبلى أو العسكرى ، والاقتصاد البورجوازى : الصناعى الحرفى والتجارى •

● بعد الاستقلال ، تسلم السلطة فى البلدان العربية التى استقلت تحالف من الاقطاع والفئات العليا من البورجوازية المرتبطة المصالح بالرأسمالية العالمية ، لكن توازن القوى داخل هذا التحالف كان يختلف من بلد لاخر فقد كان وزن الاقطاعيين يزيد فى بلد معين فى حين كان وزن البورجوازية أكثر رجحانا فى بلد آخر •

● لما كانت البلدان العربية قد بدأت تتكون كدول مستقلة منفصلة ، فى مرحلة كانت الامبريالية العالمية فيها قد أتمت تقسيم العالم اقتصاديا وسياسيا ، فقد عجزت البورجوازية المحلية عن أن تنمو الا فى اطار العلاقات الامبريالية • وهذا طبع الحركة القومية كلها بطابعه •

● فى هذا الوضع الاقتصادى المتخلف ، لم يكن ممكنا ، بصورة واضحة ومحددة ، أن يتم الاستقطاب الطبقى ، وأن تتكون طبقة عاملة صناعية متطورة عدديا وتنظيميا ، لكن هذا لا ينفى ولادة حركة عمالية نقابية وسياسية منذ مطلع القرن الحالى فى مصر وفلسطين ولبنان ، ورغم أن وزن الاحزاب التى كونتها الطبقة العاملة لم يكن كبيرا نسبيا ، الا أن الاضافة التى قدمتها للحركة الثورية العربية تتمثل فى أنها طرحت فهما جديدا للعملية التاريخية وأشكالا نوعية جديدة لتنظيم الجماهير الكادحة •

● ان العلاقات الاجتماعية السائدة فى مرحلة ما قبل الاستقلال مكنت البورجوازية التى استطاعت ــ لفترة طويلة نسبيا ــ أن تحافظ على وضعها القيادى فى حركة التحرر من أن تصوغ بمفردها البرنامج السياسى والفكرى لحركة التحرر العربى ، لكن هذا البرنامج انعكست فيه أيضا مصالح هذه الدولة ، أو تلك من الدول الاستعمارية •

● على أن مرحلة ما بعد الاستقلال قد طرحت مهمات عجز برنامج البورجوازية عن استيعابها ، ومن ثم بدأ نفوذها على الحركة الوطنية يتقلص ، وعزلتها عن الجماهير الشعبية تزداد ، واستمرت هذه الظاهرة تتعمق فى ظل هزيمة الفاشية وانتصار الاشتراكية على الصعيد العالمى ، وتحت تأثير النهوض الجماهيرى العاصف فى الاربعينات (لبنان ، سوريا ، مصر ، العراق) نشأت وتطورت الى جانب أحزاب الطبقة العاملة ، أحزاب البورجوازية الصغيرة معادية للامبريالية ومناهضة للبورجوازية الكبيرة والاقطاع ، لكن برامجها ــ مع ذلك ــ لم تستطع أن تتحرر من سلبيات معينة (فهم غير علمى للقضية القومية ، العداء للشيوعية ، رفض الصراع الطبقى . الخ) وهذا لا ينفى أن ثمة تغيرات أكثر تقدما وأكثر جذرية طبعت مواقفها اللاحقة •

على ضوء هذه الوقائع الخاصة بتطور العملية الثورية يمكن أن يحدد المؤثرات الفكرية فى الثورة العربية فى كل مرحلة من المراحل الثلاث التى مرت بها :

المرحلة الاولى : أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى •

المرحلة الثانية : المرحلة التى أعقبت نهاية الحرب العالمية الاولى وانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية •

المرحلة الثالثة : مرحلة السنوات الخمس عشرة التى تبدأ بتأميم قناة السويس •

كان مفهوم القومية العربية يتكامل عند الفئات المتقدمة من المثقفين تحت تأثير الوحدات التقدمية فى أوربا ومفاهيمها ، وقد اتجهت حركة القومية

اذ ذاك وجهتين (١) ففى سوريا والعراق اتخذت شكل (تيار عروبى صريح) قائم على أسس اقتصادية وسياسية وثقافية ٠ (٢) وفى الجزائر اتخذت حركة القومية طابعا اسلاميا ٠ على أن كلا الاتجاهين (العروبى والاسلامى) قد تأثر ــ خلال المراحل الثلاث ــ بأربعة مصادر فكرية :

- الثورة الفرنسية والتيارات الفكرية التى مهدت لها ورافقت قيامها ٠
- التيارات الاشتراكية والفلسفية التى سبقت الماركسية : سان سيمون ، برودون ، الحركة النقابية ٠٠ الخ ٠
- ثورة أكتوبر الاشتراكية والفكر الماركسى اللينينى ٠
- الاشتراكية الحديثة المتأثرة بالماركسية ، أو المنبثقة عنها ، والتيارات الاخرى المناهضة لها ٠

ويحلل الباحث اثر كل مصدر من المصادر الاربعة : فبالنسبة للثورة الفرنسية فقد تأثر بأفكارها جيل النهضة من المفكرين العرب الذين شكلوا البدايات الاولى للحركة الثورية فى القرن التاسع عشر ، وفى مطلع القرن الحالى [**الطهطاوى — فرنسيس المراش — الكواكبى — شبلى شميل — فرح انطون — ولى الدين يكن — معروف الرصافى — الزهاوى ٠ الخ**) .

لكن حدث فى تلك المرحلة ايضا ان الاشتراكية اخذت تتحول الى حركة عمالية ٠ ومن ثم كانت « **أفكار الاشتراكية العلمية والطوباوية والفوضوية ونظريات داروين ومندل تشارك أفكار الثورة الفرنسية — بنسب مختلفة — تأثيراتها على المفكرين العرب ، وقادة الحركة الوطنية العربية ، وعلى الحركة العمالية الناشئة ، ولاسيما فى أكثر البلدان العربية تقدما : مصر** » واذا كان سلامة موسى واسماعيل مظهر قد تأثرا بالفابية وبأفكار داروين فان نقولا الحداد ومصطفى المنصورى وشبلى شميل وآخرين قد تأثروا بالفكر الماركسى ، وشرحوا للقراء النظريات الاقتصادية الاشتراكية ، وفضحوا النظام الرأسمالى ، وفى ظل تطور الحركة العمالية العالمية ، وعلى ضوء هذا الفهم للاشتراكية العلمية نشأت وتطورت حركة عمالية قامت بأولى اضراباتها فى مصر عام ١٨٩٤ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ٠٠ الخ وفى لبنان عام ١٩١٢ وما بعده . ومع تطور الحركة الوطنية وتعاظم الاتصال بالفكر الثورى الاوربى ، ولاسيما بالفكر الماركسى ، تكونت على المدى البعيد ظروف ملائمة لانتشار الفكر الاشتراكى فى اوساط الطبقة العاملة الناشئة والمثقفين من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة . ثم ما لبثت ان ازدادت هذه العملية سرعة تحت تأثير انتصار ثورة اكتوبر ٠

ومن هذا كله يمكن القول بأنه « **خلال الفترة** التى سبقت ثورة اكتوبر ، جرت فى آن واحد تقريبا ، احداث تاريخية من نوعين يكمل احدهما الاخر : قامت عدة ثورات وطنية معادية للاستعمار فى مصر والعراق وسوريا والمغرب ــ هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تكونت بشخص الاحزاب الشيوعية التى انشئت فى مصر وفلسطين ولبنان وسوريا بدايات اولية لحركة عمالية منظمة » ٠

اذا جئنا الى المرحلة الثانية ، فسنرى ان الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الاولى وانتصار ثورة اكتوبر ، وبين الحرب العالمية الثانية حتى الخمسينات ، هذه الفترة قد شهدت تطورا بارزا فى الحركة التحريرية ، فى هذه الفترة لعبت الاحزاب العمالية ، حاملة الفكر الاشتراكى العلمى دور ادخال الوعى الاشتراكى — ولو جزئيا — فى صفوف الطبقة العاملة . ولابد من ملاحظة ان هذه الفترة امتازت بصراعات حادة وعميقة على النطاق العالمى بين الاشتراكية وبين الرأسمالية ، وعلى النطاق المحلى زادت التناقضات عمقا بين طبقة عاملة نامية وفئات واسعة من البورجوازية الصغيرة ، تتعرض للاستغلال ، وبين تحالف الاقطاع والفئات العليا من البورجوازية ٠

فى المرحلة الثالثة التى تبدأ من حرب السويس « يمكن القول بأن الفكر الاشتراكى العلمى ــ ارتباطا بالدور المتعاظم للمعسكر الاشتراكى على النطاق العالمى ــ اصبح يشكل الاطار العام لتطور الفكر الثورى العربى » ٠ مع ذلك فقد ظهر فى هذه الفترة اتجاهان :

١ ــ اتجاه يحاول ان يصوغ اشتراكية ذات طابع «قومى» متميز عن الاشتراكية «المستوردة» ٠

٢ ــ اتجاه معاد للاشتراكية يحاول أن يفرغها من مضمونها الاساسى (القضاء على استغلال الانسان للانسان) الخ ٠٠

غير ان هذين الاتجاهين لم يتمكنا من تدعيم مواقعهما فى صفوف الجماهير العربية بسبب الانتشار الاوسع للفكر الاشتراكى ، وبسبب التطورات السياسية فى العالم العربى ، والمكاسب التى تحققت ، والهزائم التى عانت منها الشعوب ، **وفى هذا المناخ حدث تطور جديد اذ خرجت من قلب الحركة القومية فئات اعلنت تبنيها للاشتراكية العلمية ، ايمانا منها بأن هذا هو الطريق الصحيح لمواجهة مشاكلنا المعاصرة ، ولتطوير حركتنا الثورية** ، وهذا بحد ذاته امر هام . الا ان بعض هذه الفئات لم تستطع ان تتخلص من العقلية التى كانت اسيرتها ، ولم تستطع أن تستوعب من الماركسية الا اجزاء منها ٠ فى حين زعم بعض اخر انه استوعب كل الماركسية اللينينية ، ولكنه غرق فى النصوص الحرفية ، ولم يستطع ان يستفيد من

الماركسية اللينينية كمرشد للعمل وكمنهج من التفكير الثوري » •

على أن التأكيد بأن الاشتراكية العلمية تشكل الاطار العام لتطور الفكر الثوري العربي المعاصر لا يعني انه لا توجد مؤثرات فكرية اخرى في الثورة العربية ، التي تخضع في مرحلتها الراهنة لمؤثرات فكرية عديدة تنتقل في أكثر الاحيان ، بصورة ميكانيكية ، من اوربا الغربية وامريكا الى بلداننا العربية ، هنا نجد انفسنا امام مجموعتين من الافكار •

١ – هناك مجموعة الافكار التي يروجها المستعمرون ومفكرو الاممية الثانية ، هؤلاء الذين يطرحون قضايا الثورة العلمية والتكنولوجية ، وبكل ما تثيره من قضايا اجتماعية معقدة ، ليصلوا الى هذه النتيجة ، وهي استبعاد الحل الاشتراكي •

٢ – وهناك مجموعة الافكار التي يبشر بها مثلا فانون واليسار الجديد المؤثر والمتأثر بأفكار جيفارا والتروتسكية الجديدة والقديمة (اخذين بعين الاعتبار – بالطبع – الفروق بين هذه التيارات ، من حيث طبيعتها والدور الذي لعبته سلبا وايجابا في الحركة الثورية) •

وفيما يتعلق بالتيارات الفكرية (الاستعمارية) المدافعة عن الرأسمالية ، لم تستطع ان تجد في الوقت الحاضر ، تربة ملائمة في الثورة العربية ، **لكن التأكيد على تقهقر مواقع الفكر اليميني لاينفي انه لايزال – حتى الان – قادرا على التأثير في قسم من الجماهير ، وذلك تحت تأثير منظمات رجعية (كالاخوان المسلمين)** . غير ان طبيعة واشتداد الصراع الذي تخوضه الشعوب العربية ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية يساعد على توضيح الفكر السياسي في صفوف القوى الطبقية التي تتشكل منها الحركة الثورية العربية المعاصرة ، ويساعد على تبلور المحتوى الطبقي للمعارك التي تخوضها •

وفيما يتعلق بالتيارات اليسارية المختلفة (اليسار الجديد •• الخ) فهي نتيجة طبيعية لتعقد العملية الثورية ونضوجها في الصراع ضد الاعداء الخارجيين ، وضد الاعداء الداخليين ، وهذه التيارات تمثل – من ناحية – وفي احد وجوهها – ردا على الاتجاهات اليمينية المكشوفة ، وعلى الاتجاهات الاصلاحية التي تقصر عن مواجهة المهام المطروحة والمعارك الجارية ، وهي – من ناحية اخرى – رد فعل لهزيمة يونيو • وتعتبر التيارات اليسارية الاوروبية مصدر الهام لها •

ويختم كريم مروة بحثه مؤكدا على النقاط التالية :

١ – جميع هذه التيارات الفكرية على اختلافها طبعت الثورة العربية بطابع خاص ، فاذا كان هناك بالفعل نوع من الاستقطاب الفكري والتنظيمي العام للجماهير باتجاه الالتفاف حول بعض الانظمة والاحزاب فقد ظل هذا الاستقطاب عاطفيا من حيث الاساس • «ويمكن القول على هذا الاساس بأن العفوية كانت ولا تزال احدى نقاط الضعف في الحركة التحررية العربية » •

٢ – لما كانت المعركة التي تخوضها الشعوب العربية متزايدة الحدة ، ونظرا للتطور السريع للاحداث ، ونظرا لان هذا النوع من المعركة تستخدم فيه جميع اشكال النضال ، بما في ذلك النضال المسلح ، فان هذا كله يتطلب نوعا جديدا من المواجهة ايديولوجيا وتنظيميا •

٣ – واذا كانت الاشتراكية قد شكلت الاطار العام لتطور الفكر الثوري العربي في المرحلة الاخيرة من تطور الثورة العربية فان المرحلة القادمة من تطور هذه الحركة ستفرض في ضوء هذه المهمات المطروحة الاشتراكية العلمية ، الماركسية اللينينية ، نظرية وحيدة لهذه الحركة »

وفي البحث الذي قدمه **سليمان الخش وأنطون المقدسي** (سوريا) تحدث الباحثان عن الموضوعات الرئيسية التالية :

- الثورة بذاتها ولذاتها ، وكأنها مستقلة عن التاريخ •
- الثورة العربية في تطورها الذي يكشف عن مراميها وأبعادها •
- منطلقاتنا الفكرية •
- منطلقاتنا الروحية •

في الموضوع الاول عالج الباحثان الثورة

باعتبارها فعلا تاريخيا ، شعبيا ، جذريا ، عنيفا وكليا يتحقق على مراحل .

وفى الموضوع الثانى أشار الباحثان الى أن الثورة العربية بدأت قطرية ، وفى فترات زمنية متقطعة . ففى فترة السلطنة العثمانية كان الهدف انشاء وطن قومى (ثورة عرابى) .

ثم تبدأ الانطلاقة التاريخية فى الحجاز لتطالب بوحدة الوطن العربى فى دولة تضم شتاته . وقد رافق هذا كله حركة لاحياء التراث ، ولاقامة الدولة الحديثة من خلال المطالبة بالاستقلال والدستور. ويلاحظ أن الثورة العربية بين الحربين استمدت أهم منطلقاتها من الثورة الفرنسية . ولم تكتشف بعدها الاجتماعى الا بعد الحرب العالمية الثانية، بعد أن بدأ الصراع الطبقى يأخذ شكلا واضحا ، وفى ظروف دولية ، وتحت تأثير تحولات داخلية معينة (نشوء الصناعة وانتشار التعليم) . ففى ظل هذه الظروف استطاع أبناء الطبقة المتوسطه ودون المتوسطة أن يؤلفوا الاحزاب التقدمية ، ويكونوا النواة الصلبة فى الجيوش . هذه النواة التى قلبت الانظمة الاقطاعية والعشائرية والبورجوازية . وهنا وفى تلك الفترة بالذات حققت الثورة العربية انتصارات حاسمة (ثورة الجزائر .. الخ) ، وفيها بدأت التنظيمات السياسية الجديدة (فى الاتحاد الاشتراكى والبعث .. الخ) . ومن الوجهة الاجتماعية بدا انشاء مجتمع العمل . ومن الوجهة السياسية بدا استبدال الديموقراطية البرلمانية بالديمقراطية الشعبية . وفى تلك الفترة أيضا كشفت الثورة العربية عن بعدها العالمى .

ومع ذلك ، ففى رأى الباحثين ، ان الثورة العربية التى تعود الى أكثر من قرن « لم تبدأ باستكمال شروط وجودها على الصعيدين العربى والعالمى الا فى اليوم الاول من شهر كانون الثانى [يناير] ١٩٦٥ ، عندما انطلقت الرصاصة الاولى ايذانا بالابتداء فى الكفاح المسلح » .

ويستطرد الباحثان فى عرض المرتكزات الفكرية من زاوية الكفاح المسلح : فاذا كانت الابعاد المختلفة للثورة العربية يمكن أن تختزل فى بعدين : الوحدة والاشتراكية . فاننا ـ هنا ـ سوف نكتشف الاضافة التى يقدمها الكفاح المسلح الى هذه الابعاد . وهذا يتضح من (١) طبيعة المعركة التى نخوضها فى فلسطين . (٢) السمة الشعبية لمعركة فلسطين . (٣) التبدل الذى ستحدثه ويجب أن تحدثه معركة فلسطين فى تفكيرنا .

قبل الكفاح المسلح كانت كل الثورات العربية جزئيةوجانبية . وبعد الكفاح المسلح اضحت الثورة العربية كلية ، أو عربية لان ما تواجهه الامة العربية فى فلسطين هو معركة المصير .

قبل الكفاح المسلح كانت قيادة معارك التحرير السياسى للبورجوازية الوطنية (متوسطة وكبيرة) . ثم انتقلت فى الاقطار التقدمية ـ فيما بعد ـ الى قيادات ذات منشأ شعبى . لكن هذه القيادات تكونت بداخلها بيروقراطية عسكرية بكل ما فيها من سلبيات تمثل فيها خطر عزل هذه القيادات عن الشعب والامة . ولكن بقيام الكفاح المسلح تحولت المعركة من معركة قيادات الى معركة الشعب العربى كله ، وهى المعركة المدعوة الى ان تصهر فى بوتقة واحدة الشعب والبيروقراطية القيادية .

وأخيرا فانه فى الكفاح المسلح تعاد تربية الانسان العربى على حب العمل والنظام . وفيه يحل التناقض بين الشعارات التقدمية وبين السلوك الرجعى . وعند خوض المعركة سنجد الاجوبة عن الاسئلة التى لا نزال نطرحها : ماهى الامة ؟ وما هو التاريخ العربى ؟

والثورة العربية من حيث أنها وحدوية واشتراكية هى انسانية ، تتوجه الى الانسان بما هوانسان. وهذا مايجعلها تلتقى ـ فى انتقالهامن التحرر القومى الى التحرر الاجتماعى ـ مع ثورة العالم الثالث وثورة الاحرار فى كل مكان .

وللثورة العربية بمعناها الحديث ثلاثة مستويات :

ـ فى المستوى الاول نجد التعارض الطبقى . ويعبر هذا التعارض عن نفسه فى صورة أخلاقية بين الظالم والمظلوم . ومع أهمية الاخلاق كعامل فى تحريك المجتمع ، الا أن هذا العامل لا يصلح أساسا لثورة اجتماعية شاملة .

ـ وفى المستوى الثانى هناك التعارض بين الامبريالية العالمية بقيادة أمريكا (وذنبها اسرائيل) وبين شعوب العالم الثالث . وهو تعارض يتخطى حدود الديالكتيك الكلاسيكى ، ويجعل من التلاقى بين الحدين المتعارضين مجالا ، لان المسألة مسألة وجود أو لا وجود . ولما كانت الثورة العربية لا تزال بيد الطبقات المتوسطة (وهى لا تستطيع أن تحسم قضايا الثورة) فان حل هذا التعارض يتطلب انشاء مجتمع العمل ، واشراك الشعب فعلا فى كل معركة . وهنا يأتى الكفاح المسلح ليرجح كفة الشعب .

ـ وفى المستوى الثالث هناك التعارض بين القديم والحديث .

وفيما يتعلق بالمرتكز الروحى للثورة العربية ، فيمكن تعريفه بأنه هو الفائض الذى يغذى المرتكزات الفكرية ويحركها . فهو ، على هذا ، العنصر الثورى داخل هذه المرتكزات . ان المرتكز الروحى هو الرؤية التى تتخطى امكانيات الفكر الى المجهول . وهذه الرؤية لم تعد وظيفة الاديب والفنان والفيلسوف فحسب ، لكنها أصبحت اليوم وظيفة رجل العلم والتكنولوجيا والصناعة .

ولابد من أن نعود لنقف عند قضية العلم والتصنيع والتكنولوجيا . لانه فى مجالها تتقدم الانسانية فى قفزات وتنمو باستمرار، وما أجرى

الامة العربية بأن تعيش هذه المنجزات الحديثة وأن تسهم فى صنعها لانها هى التى تستعبدنا وتعيق حركتنا الثورية ، ونحن بالنسبة لها منفعلون لا فاعلون ، مستهلكون لا منتجون • فاذا ما تخلصنا من هذا الوضع ، فان الثورة العربية تستطيع ان تحذف الافكار المستوردة وأن تتمثل العلم والتصنيع والتكنولوجيا فى اطار المثل الاشتراكى ، وأن تصهرها فى الوجود العربى ، عوضا عن أن ينصهر هو فيها • وبذلك لا تعيد ، بل تستعيد روح هذه الامة •

وختم الباحثان الدراسة بقولهما :

وأخيرا فنحن نقول : ان الاشتراكية للامة ، والامة للانسان • واذا كان لنا ان نختار بين هذه المعانى الثلاثة مرتكزا فكريا وروحيا للاخرين ، فسوف يكون منطلقنا هو الامة •

المنـــاقشــــــة

بدأ النقاش حول المرتكزات الفكرية الدكتور **عثمان سيد أحمد** (السودان) ، فأشار الى أن هذا الموضوع يحتم اعادة طرح أسئلة رئيسية عن ماهية الثورة العربية ومن هم الثوار العرب • وتحت اى شعار تحوض الجماهير هذه الثورة • وختم كلامه مشيرا الى أننا جميعا لا زلنا أسرى للفكر الغربى ونحن نقولب فكرنا وحتى لغتنا فى قوالب غربية ولابد وأن نتخلص من هذا •

وعندما بدأت المناقشة تكلم **عبد الفتاح زلط** (العراق) ، فأشار الى أن الازمة الحقيقية التى تواجهها الثورة هى الانفصال الحاد بين النظر وبين العمل • هنا ، وعندما يتحقق هذا الامر ، ولم يتحقق للاسف حتى الان وبعد يونيو ، فان المرتكز الفكرى والروحى والمادى الاول للثورة العربية سيكون الانسان المناضل الذى عرف قوانين ومناهج التغيير ، ومارسها لتغيير ذاته أولا ثم لتغيير مجتمعه •

وتحدث **عبد الله الريماوى** (الاردن) ، فأشار الى أنه لابد لكل عمل ثورى من نظرية ثورية • وهو يرى أن التطورات المعاصرة لا تتطلب أن تكون مثل هذه النظرية من نوع النظرية الكونية الشاملة التى تشمل الطبيعة والمجتمع ، ويكفى ان تؤسس النظرية على ثلاث مسائل : الانسان والمجتمع وحركة التاريخ • ومن هذا الموقف الاساسى تشتق المواقف تجاه :

ـ المسألة القومية ، اى نزوع الامة الواحدة الى اقامة دولتها الواحدة (القضاء على التجزئة ، أو نزوعها الى الاستقلال) •
ـ مسألة الاشتراكية •
ـ مسألة الديموقراطية •
ـ مسألة الكفاح ضد اللاعقلية واللاعلمية •

وختم حديثه بقوله أن سمة النظرية هى انها ذات شمول انسانى لان منبعها التجربة الانسانية كلها • لكن هذا الشمول يتحدد على بعدين : بعد العصر والبعد القومى •

وفى المناقشة اكد **د• جمال العطيفى** [ج•ع•م] على النقاط الخمس التالية :

● تنقية الافكار الاشتراكية المؤثرة فى الثورة العربية من المفاهيم « الليبرالية » التى لاتزال تسيطر على الفكر السياسى العربى •

● تنقية الافكار الاشتراكية من العناصر التى تحاول ان تعزل الاشتراكية العلمية عن المفهوم العام للاشتراكية • مثل اطلاق شعارات لا يراد بها مجرد الربط بين تطبيقنا للاشتراكية وبين القيم العربية والاسلامية والروحية بصفة عامة ، بل تهدف الى ان تقدم بديلا للاشتراكية مستخدمة فى ذلك ، نفس شعارات الاشتراكية •

● التسليم بأن لكل بلد طريقة للوصول الى الاشتراكية •

● تقييم الدور الذى يؤديه الدين فى المجتمع العربى ، لان اغفال هذه الحقيقة يعزل الجماهير عن الحركة الاشتراكية •

● الاعتماد على الدين كسلاح لتدعيم الفكر الاشتراكى يجب أن يقترن فى نفس الوقت بكشف للمؤسسات الدينية الرجعية •

وتحدث بعد ذلك **عزيز السيد جاسم** (العراق) فتناول فى الاساس قضيتين :

الاولى : أن الموقف ازاء الدين الاسلامى هو موقف علمى تقتضيه واقعية الوجود الضخم للديانة الاسلامية ، وواقعية ارتباطها بالقومية العربية والتاريخ العربى ، لكن يجب التمييز بين الدين فى جوهره وبين المحاولات التى تبذل لاستغلاله فى كبح مسيرة الثورة بتغليب العقلية الديموجاجوجية التى تحاول أن تفصلنا عن العلم والحضارة •

الثانية : ان اليسار العالمى الجديد هو مرتكز من مرتكزات الثورة العربية بكل اتجاهاته • وأن الثورة العربية هى حلقة من حلقات اليسار العالمى تدخل فيه وتغذيه • لكن الانتماء الى اليسار العالمى يجب ان يتم من أرضية المجتمع العربى ، ومع عدم نسيان خصائص الثورة العربية القومية •

وفى الكلمة التى اشترك بها **نايف الحواتمة** (فلسطين) فى المناقشة ركز على قضية اعتبرها محورية وهى : أن الذى يحدد طبيعة المرتكزات الفكرية والروحية السائدة فى حركة التحرر الوطنى العربية هو بالتحديد كيفية حل هذه

الحركة لمسألة الدولة والثورة ، باعتبار أن هذه المسألة هي الحلقة الرئيسية التي تمكن الجماهير من أن تنجز مهمات الثورة الوطنية الديموقراطية . وقال انه لا الاقطاع والبرجوازية الكبيرة ، ولا البرجوازية الصغيرة استطاعت أن تنجز مهام هذه الثورة • وأن هذه المهمة تقع على عاتق الطبقة الصاعدة : البروليتاريا •

وعرض **أبو سيف يوسف** (ج • ع • م) في كلمته لثلاثة أنواع من المؤثرات في الواقع الراهن للثورة العربية . وهي :

● القيم الدينية والروحية ، اذ توجد دائرة عمل مشتركة بين الاشتراكية وبين الدين خصوصا وان الدين الاسلامي يتضمن مجموعة من القيم التي تحارب الاستعمار والاستغلال والعنصرية الخ . لكن الدين مع ذلك لا يقدم بوجهه التقدمي الى الناس .

● التراث الثقافي القومي ، ولايزال المجهود الذي يبذل لنسجه في حياتنا العصرية ضعيفا للغاية .

● الثقافة الانسانية وهنا نجد ان خصوم الماركسية يصفونها بأنها « فكر مستورد » لكن هذا القول يسيء الى قائليه لان العرب نقلوا عن اليونان ، واوربا المتقدمة نقلت عن العرب ، ولم تطرح ابدا مثل هذه القضية وانما يجب الا نخلط بين أمرين بين الماركسية باعتبارها أكثر المفاهيم علمية حتى الان لتطبيقها على جميع مجالات الحياة ، وبين الاتجاه النصوصي والجامد الى تطبيقها •

وختم المناقشة **محمد ابراهيم نقد** (السودان) فأكد على قضية محورية هي قضية المنهج في دراسة وتقديم التراث القومي ، والمرتكزات الروحية • هنا أشار المتحدث الى أهمية ربط أفكار الاشتراكية العلمية — كحقيقة من حقائق العصر — بالعناصر التقدمية التي يتضمنها هذا التراث ، هذه العناصر التي يمكن ان تحرك الجماهير الى الكفاح من أجل العدالة ومن أجل الاشتراكيه ، بحيث يقتنع الناس البسطاء بأن حقائق تاريخهم ومواقف الديانات السماوية التي ظهرت في منطقتهم ترتبط بواقعهم وتمثل المجتمع الذي يسعون اليه • فاذا لم نفعل ذلك فسيقع التراث في أيدي القوى الرجعية التي ستدرسه أيضا وتستغله في عرقلة تطور المجتمع •

وليس معنى هذا أننا نريد ان نحول بين المثقفين ، وبين ان يخصوا تراثهم القومي بدراسات اكاديمية عميقة في الجوانب **السياسية والتاريخية** ، بل نريد لهم ان ينطلقوا من نقطة بدء صحيحة — منهجيا — وهي انجاز المهام التي تطرحها الثورة الوطنية الاجتماعية ، كشرط يفتح الطريق أمام بناء الاشتراكية وفي جميع الاحوال فان قضية المنهج في معالجة المرتكزات الفكرية تحتم دائما ان نضع في الاعتبار القضايا التي تطرحها الثورة العربية لا بكيفية مفهومة للجماهير فحسب ، بل انطلاقا ايضا من واقع معين هو الابنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة في المجتمع العربي •





الهيكل الاقتصادي للثورة العربية

البحوث

كان جدول اعمال الملتقى الفكري يتضمن في الاصل ثلاثة تقارير في موضوع الهيكل الاقتصادي للثورة العربية يقدمها : الدكتور **اسماعيل صبري عبد الله، والدكتور محمد سعيد العطار ، والاستاذ محمد المكاوي مصطفى .** وقد حالت ظروف الدكتور العطار دون حضوره بداية الندوة وتقديم تقريره قبل الموعد المحدد لمناقشة الموضوع ، ومن ناحية اخرى ضم الملتقى الى اعماله تقريرا من الشيخ **عبد الله الطريقي** بعنوان « دعوا النفط المؤمم يتدفق » دون أن يكون موضع مناقشة .

ونعرض فيما يلي تباعا للتقارير موضع

المناقشة ثم للآراء التى برزت خلال المناقشة .

اولا : تقريران حول ((الهيكل الاقتصادى للثورة العربية))

١ ــ بدأت الجلسة الرابعة للملتقى الفكرى العربى بتقديم **تقرير د . اسماعيل صبرى عبدالله [ج . ع . م] عن ((الاطار الاقتصادى للثورة العربية))** .. ويمكن تلخيص أهم اتجاهات هذا التقرير على النحو التالى :

● ان التفكير فى اطار اقتصادى للثورة العربية ينبثق من واقع أن الجماهير العربية لها فى هذا المجال أهداف معينة . وتلك الاهداف تتركز فى التحليل الاخيرفى ((التنمية الشاملة))، مع العلم بأن حجر الزاوية فى التنمية الشاملة هو **التنمية الاقتصادية** وهى لاتعنى مجرد ارتفاع متوسط دخل الفرد ، وانما تعنى اساسا **التصنيع وتطوير الزراعة .**

● وثمة شرط أساسى لامكان تحقيق هذا الهدف يتمثل فى **التحرر من السيطرة الاستعمارية .** على ان يعنى التحرر لامجرد تحقيق الاستقلال السياسى وانما **تحقيق الاستقلال الاقتصادى** بتصفية المصالح الاقتصادية والاستعمارية وكذلك تصفية الطبقات الاجتماعية المتعاونة مع الاستعمار . واخيرا لابد من توفير **القوة العسكرية الوطنية** التى تتكفل بحماية الاستقلال .

● والطريق الى التنمية الشاملة ، بعد تحقق شرطها الاساسى . **هو الاشتراكية .** وذلك لان طريق النمو الراسمالى مسدود لعدم توافر الشروط التاريخية التى سمحت للدول الغربية بتحقيق التنمية فى ظل الراسمالية . والاشتراكية تعنى الملكية العامة لاهم وسائل الانتاج والملكية التعاونية فى الانتاج الصغير كما تعنى التخطيط الشامل . ولكن الاشتراكية ليست حلا تكتيكيا ، وانما هى تحول اقتصادى واجتماعى وسياسى وثقافى جذرى عموده الفقرى دور **الجماهير** ، ولكى تلعب الجماهير دورها لابد من العمل على تحقيق أمرين : أن تكون فى الدولة سلطة شعبية تمثل الطبقات الكادحة تمثيلا صادقا ، وان **تشارك الجماهير مشاركة فعالة وفعلية فى تسيير شئون البلاد السياسية والاقتصادية .** وهذا هو **مضمون الديموقراطية الاشتراكية .** واخيرا لابد من فترة انتقال الى الاشتراكية يتم فيها أرساء الاساس المادى للمجتمع الاشتراكى عن طريق التصنيع وتطوير الزراعة ، والاساس الفكرى عن طريق ثورة ثقافية تصفى المفاهيم الرجعية والمختلفة ، وخلال فترة الانتقال تتعايش بالضرورة اساليب انتاج مختلفة ، **وتلعب الرأسمالية الوطنية** دورا لا يمكن اغفاله .

● وهناك ضرورة لنجاح الثورة العربية اقتصاديا هى **الوحدة الاقتصادية** التى تجعل من الممكن الارتفاع بمعدلات التنمية عن طريق **توسيع السوق** والاستفادة من مزايا التكامل الطبيعى **.. ولكن الوحدة الاقتصادية لن تتحقق الا فى أطار اشتراكى** ، ومن ثم فان الاجراءات التى تمهد لها وتقود اليها يجب أن تتم بين الدول التقدمية . ويجب ان تصبح الوحدة الاقتصادية **قضية جماهيرية** تناضل الجماهير من اجلها وتجعلها تتقدم رغم كل الخلافات السياسية أو الفكرية بين النظم التقدمية الحاكمة .

● واخيرا فان الخطر الاعظم الذى يهدد الثورة العربية فى المجال الاقتصادى هو خطر **الاستعمار الجديد .** وتمثل **اسرائيل** فى طموحها للسيطرة الاقتصادية على الوطن العربى صورة حادة من هذا الخطر . ولكن هناك أيضا صورا اخرى لهذا الخطر من اهمها : **المعونات ، والاستثمارات الاجنبية والتجارة غير المتكافئة .**

ثم تلا ذلك تقرير الاستاذ محمد المكاوى مصطفى [السودان]

ويمكن ايضا ان نلخص أهم ما تضمن من أفكار على النحو الآتى :

● ان بعض الدول العربية **متخلفة** وان تفاوتت درجات التخلف من قطر الى آخر

● اختارت الثورة العربية **الاشتراكية العلمية** طريقا يقودها الى التقدم السياسى والاجتماعى والاقتصادى ووسيلة للتحرير الوطنى . واخذ عدد من الدول العربية فى تطبيق الاشتراكية على تباين فى مستويات التطبيق .

● الهيكل الاقتصادى للثورة العربية لابد ان يكون نابعا من المفهومات والمعتقدات السياسية والاجتماعية لهذه الثورة حتى تتكامل معها . وفى هذا الاطار تبرز تجربة **الجمهورية العربية المتحدة** وهى مزيدة بالدروس الدامغة الملهمة لكل من يسيرون بعدها على درب الاشتراكية .

● وتختلف تجربة ج. ع. م عن التجربة الماركسية اللينينية من حيث أن الاخيرة تحتم القضاء على جميع اشكال الملكية الفردية .

● للتطبيق الاشتراكى معالم عامة يمكن الاتفاق عليها بسهولة : التحرر من الاستعمار ، أهمية القطاع العام ، عدالة التوزيع ، التخطيط .. الخ .

● للتكامل الاقتصادى العربى دور حاسم فى التقدم . والتكامل بين السودان والجمهورية العربية الليبية والجمهورية العربية المتحدة خطوة

هامة فى طريق التكامل الاقتصادى العــــربى الشامل وليس عقبة تعرقل الوصول اليه .

رابعا : مشكلة البترول العربى

عالج الشيخ **عبد الله الطــريقى** فى تقـريره قضية البترول العربى ومصيره ودوره فى معركة التحرر وفى الصراع ضد الاستعمار والصهيونية . وقد أبرز بنوع خاص النقاط الآتية :

● **ان نصيب أمريكا من البترول العـــربى من انتاج البترول فى الخليج العربى يمثل ٥٥٫٩٪ من اجمالى الانتاج ، فى حين انه يبلغ ٦٨٫٩ ٪ من بترول شمال أفريقيا**

● الاستخدام الامثل للبترول فى المعركة يتمثل فى تأميم المصــالح الامريكيــة وليس فى وقف الضخ أو تخريب المنشآت البترولية .

● **لن يؤدى التأميم الى مقاطعــة البــترول العربى لان مستهلكيه فى أوروبا الغربية واليابان يخسرون خسارة محققة من تلك المقاطعة .**

● **يؤدى تأميم البترول الى زيادة دخل الدول العربية من البترول بأكثر من الف مليون دولار يمكن أن تخصص لتمويل المجهود الحربى .**

● ادارة مشروعات البترول لن تكون مشكلة عويصة . فالدول العربية المنتجة للبترول قــد تجاوزت مرحــلة التنقيب والكشف وتحــديد الاحتياطات، وهى المرحلة التى تكلف استثمارات باهظة وتستلزم خبرات ممتازة . أما عمليــات الاستخراج فهى ليست بالغة التعقيد .

● **لن تواجه الدول العربية فى حالة التأميم مشكلة نقل للاسواق المستهلكة بالرغم من عدم تملكها لاسطول ناقلات كبير . ويرجــع ذلك الى وجود اسطول عالمى للناقلات يضم أكثر من ثلاثة آلاف ناقلة من حمولة عشرة آلاف طن فأكثر لابد أن يؤجرها أصحابها، ونصفها تقريبا مملوك لدول** تستهلك البترول العربى وفى مقدمتها اليابان .

وأول ما يلفت النظر هو أن **الاهتمام بالجوانب الاقتصادية فى مناقشات الملتقى كان اقل بشكل واضح من الاهتمام بالقضايا الاخرى الواردة فى جدول الاعمال** . فنسبة الحضور فى الجلســة الرابعة اقل منها فى كل الجلسات الاخـرى . كما أن عـــدد المتكلمين كان أقل بكثير منـه فى المناقشات الاخرى حيث أدت كثرة العدد الى عقد جلسات اضافية .

كان هناك اجماع من الحـــاضرين على أن **الاشتراكية هى طريق الثورة العـــربية** . ومن ناحية أخرى كان هنـــاك شبه اجمـــاع على أن المقصود هو **الاشتراكية العلمية** . وانحصر الجدل اساسا فى أشكال التطبيق وان كان قد امتــد أحيانا الى بعض مقومات الاشتراكية .

وكان أكــبر موضـــوع أثار الجدل هـــو **دور الرأسمالية الوطنية** حيث برز اتجاه واضح لدى بعض القوى الثورية الممثلة فى الملتقى الى انكار كل دور ايجابى لها . والملفت للنظر هنا هو أن القوى الماركسية كانت تتصدر عملية توضـــيح طبيعة وأهمية دور الراسمالية الوطنية فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية .

وابرزت اغلبية المتناقشين الرابطة الوثيقة بين الجوانب السياسية والجوانب الاقتصـــادية ، واوضح متحدثون متعددون اهمية سلطة الدولة السياســية ، ودور الحزب الطــليعى ودور الجماهير .

كما الحت اغلبية المتحدثين على اهمية **التكامل الاقتصادى** بين الدول العربية، وأبرزت أن الوحدة الاقتصادية وجه ضرورى من وجوه الثورة العربية .

● كانت هناك أقلية تبرز بنوع خاص ما تراه خصائص قومية للتطبيق الاشتراكى، وتغلب الدعوة الى التعاون الاقتصادى مع كل الدول العربية بما فى ذلك التكامل بغض النظــر عن نظـمها سياسيا بأسم المعركة ضد الصهيونية .

المنـــاقشـــــــة

يلغ عدد المعلقين والمعقبين على الموضوع ١٥ ابتدأ النقـــاش **أحمد بهاء الدين** [مصر] بابـــداء ثلاث ملاحظات : **الاولى** : التباين الواضح بين القول والعمل فى المجال الاقتصادى ، وبالرغم من قيام عدة نظم ثورية عربية وحدوية فى أقطار عربية شتى ، الا أن التقدم فى المجال السياسى بينها لم يتم ، والملاحظ هو العكس ، ويبدو أن العلة هى الخوف على السلطة السياسية . **الثانية** : ان البلدان العربية مواجهة بثورة علمية ، ولم تعد الاوضاع الجغرافية كما عهدناها جامدة ، ولم يعد توفر المواد، أو قرب المسافات كافيا لوجود ميزة خاصة لبلدنا ، والامر يحتاج الى العمل فى الميدان

التكنولوجى ومحو الامية ، والتدريب الخ ..

الثالثة : تغير مفهوم الطبقة العاملة وزيادة نسبة العمل العقلى ، الامر الذى يتطلب اعادة النظر فى صفات الطبقة العاملة ، حتى لا نفقد من صفوف الثورة الفنيين والعلماء .

وبدأ **د. عبدالرازق حسن** المناقشة قائلا : ان الثورة العربية كانت فى بدئها تتلمس نظرية لتحقيق اهدافها ، واتجهت الى التنمية بالاسلوب التقليدى ، مما كان يعنى منح كل وسائل التشجيع لاصحاب الاموال ، والمستثمرين فى الصناعة ، كما حددت الملكية الزراعية وضبطت الاسعار . غير ان هذا الطريق لم يحقق الهدف ، ولم يكن هناك لمواجهة التناقضات من الاخذ بالفلسفة الاشتراكية ، وفى مرحلة التحول ثار الجدل حول الرأسمالية الوطنية ، ودورها ، وأشار الى أن التعاون معها هام فى مرحلة التحول حتى لا تنضم لعناصر الثورة المضادة ، وعن تعدد النماذج الاشتراكية فى البلدان العربية ، ذكر ان هناك خطورة فى ذلك ، وان الامر يتطلب تكاملا ، يضمن التنمية السريعة للبلاد العربية ، وأنه لا خوف من التكامل مع البلاد الاقل نموا الان ، لان التنمية الاشتراكية تقتضى التوازن التام ، بين مختلف المناطق والفئات .

وأشار **انطوان القدسى (سوريا)** الى أن المسائل الاقتصادية مرتبطة بالبعد الاجتماعى ، وأن منطق الثورة ليس منطق الحاجات وانما منطق التطلعات ، كما أشار الى أهمية الحاجة الى تحديد طبقة البرجوازية المتوسطة ، وأكد أن التخلف لا يكون فى الاقتصاد فحسب ، وانما على مستوى ادارة شئون الانسان بنفسه ، والتفكير العلمى ، وقدرة الانسان على تسيير أموره .

وتحدث د. جمال العطيفى (مصر) عن المراحل الاقتصادية التى علينا ان نعنى بها ، وهى مراحل التعاون الاقتصادى ، والتكامل ، والوحدة ، وأشار الى ان التعاون ممكن ، مهما كان شكل النظام الاجتماعى ، أما التكامل فيحتاج الى مزيد من التقارب السياسى والاجتماعى ، أما الوحدة فهى التى تزال فيها الحواجز المختلفة لحركة السلع والاموال والاشخاص ، وفشل اتفاقية الوحدة الاقتصادية ترجع الى اختلاف النظم فى البلاد التى أقرتها .

أما مالك الامين (سوريا) فقد ذكر أن التطبيق الاشتراكى يختلف من بلد الى آخر ، ومن مرحلة الى أخرى ، ورفض منهج الرأسمالية الوطنية باعتبارها مرتبطة بالاحتكارات العالمية ، ويخشى من تخريبها للتجربة الاشتراكية ، وتكلم عن مؤشرات النمو فى الاقتصاد السورى .

واعترض طاهر عبد الباسط (السودان) على القول بأن الماركسية اللينينية تحتم القضاء على جميع أشكال الملكية الفردية لادوات الانتاج ، لتحل محلها الملكية العامة والتعاونية ، وذكر ان ماحدث فى مصر هو مرحلة انتقالية للاشتراكية ، وأن تطبيق الاشتراكية يقتضى خلق المقومات المادية التكنيكية والاجتماعية لهذا الانتقال ، وأن المرحلة تطول او تقصر تبعا للظروف .

وفى رأى عزيز السيد جاسم (العراق) أن شعارات الاشتراكية فى البلدان العربية ، التبست بكثير من مفاهيم البرجوازية الوطنية ، وان هزيمة حزيران قد كشفت الكثير من التنظيمات المنحرفة ، وان بناء الاشتراكية يقتضى وجود حزب سياسى اشتراكى وحدوى ، يتوفر فيه التمثيل الطبيعى لمصالح الجماهير ، وتصفية كيان الرأسمالية ، وأنواع الاستغلال ، وأن الاشتراكية العلمية تحتاج الى نظرية علمية ، ومثل هذه الاشتراكية لا تتحقق بغير اشتراكيين علميين ، وقد أدى غياب الطبقة العاملة عن التنظيمات الى تضخم البرجوازية ورفع شعار التطور اللارأسمالى ، والاخذ بالاشكال البسيطة للاشتراكية ، وارتبط بذلك الاتجاه الى سياسة الملاءمة والتنازلات أمام التوازن العسكرى ، ونعى عن البعض التخوف من المعسكر الاشتراكى ، وتوهم امكان تجنب الراسمالية بدون اتخاذ البديل .

وأشار محمد الميلى (الجزائر) الى ظاهرة تماثل أوضاع البلدان النامية ، وانتشار الفساد والتبديد فى البلدان العربية ، ومظاهر البيروقراطية ، وأكد ان اسهام الجماهير فى التنمية أمر أساسى ، وذلك يتطلب محو الامية وزيادة الوعى السياسى ، وعن الرأسمالية الوطنية قال انها يمكن ان تلعب دورا مرحليا ، بشرط تحديد ميدان عملها ، أما عن التكامل الاقتصادى ، فيجب ان يراعى التوازن الحيوى بين البلدان العربية ، وفى البلد الواحد ، كما يجب الاهتمام فى خطط التنمية بمراعاة النتائج الاجتماعية ، وأشار الى ان تحقيق الوحدة فى العالم العربى مرهون بوجود العناصر المتكونة على أساس وحدوى فى الاجهزة العاملة ، وان ذلك لا يتم بوجود أجهزة اقليمية متخلفة تسلك مسالك فردية ، وان فهم الكثير من مشاكلنا يتطلب وجود الاحصاءات والدراسات .

وتلاه ناصر السيد (السودان) الذى ذكر ان العالم يتجه الى التجمعات الكبيرة ، وأن قضيتنا الاساسية هى قضية التنمية أكثر مما هى قضية الاشتراكية أو الثورة ، وقبل أن تكون قضية عدالة توزيع ، ولهذا يقترح فتح المجال للنظم غير الثورية وغير الاشتراكية ، لتسهم بطاقاتها فى التنمية ، على أساس ان القوى العربية داخل البلدان العربية ستحسم قضية العدالة لمصلحتها فى النهاية ، وانطلاقا من هذا ، ذكر ان قضية البروليتاريا قد أصبحت فى متحف التاريخ لان الالة أصبحت تقوم بعمل العامل ، كما ذكر أن النظام الرأسمالى نفسه ، قد تغير ، واصبحت النظرة الدقيقة لهذا النظام ، تثبت أنه يسير فى طريق الاشتراكية من غير أن يدرى .

ونبه الياس فرح (العراق) الاذهان الى ضرورة بحث البعد السياسى والاجتماعى للمسألة الاقتصادية، وحاجتنا فى ظروفنا الحالية الى أن نكيف اقتصادنا بأن يكون اقتصاد حرب .

كما اكد عبد الله الريماوى [الاردن] ان التقدم لا يتيسر فى العالم العربى الا بالبعد الوحدوى، وربط بين التنمية والوحدة الاشتراكية، وذكر ان تملك وسائل الانتاج يجب ان يتم فى الوطن العربى باسم الطبقة العاملة فى الوطن العربى ككل، كما ذكر ان مشكلة الرأسمالية الوطنية ترجع فى الاساس الى تصنيفنا لهذه الرأسمالية كقوة ثورية ووطنية، ولو أنها فى الواقع تمثل قطاعا من الطبقة الجديدة المؤثرة فى الوطن العربى .

ورد فوزى الكيالى [سوريا] على القول بأن التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا، يخشى ان يقطع طريق التطور فى السودان وليبيا، بأنها خشية لا اساس لها، وقيل مثلها حينما تمت الوحدة بين مصر وسوريا، وكانت النتيجة أن المشروعات اتسعت فى سوريا فى ظل الوحدة، وتوقف الكثير منها بعد الانفصال، وذكر ان التنمية والوحدة فى حاجة الى صناعة ثقيلة ذات طاقة عالية، وفى النهاية ذكر أننا فى حاجة الى تكامل اقتصادى حقيقى .

وتحدث عبد الهادى ناصف (مصر) فبدأ بالاشارة الى أن هدف العدو هدف اقتصادى، وأن مصالح الامبريالية اقتصادية استراتيجية، والبترول عنصر هام فى الصراع، وذو فاعلية فى المعركة، واننا فى حاجة الى توحيد سياسة الدول التقدمية برفع الاتاوات، والمساهمة فى عمليات النقل، والتأميم الجزئى او الكلى للمصالح البترولية وعن الرأسمالية الوطنية اشار الى أنها مرتبطة بمرحلة التطور، ولها دور نسبى، وأن القطاع العام لا يستطيع ادارة المشروعات الصغيرة، وقد وضعت ج.ع.م حدودا لنشاط القطاع الخاص، تحد من قيامه بدور استغلالى، وفى نفس الوقت يعاون فى التنمية، بالاضافة الى وجود رقابة للقطاع العام عليه، واكد ان الاشتراكية لا تهدف الى التنمية فحسب، ورد على القول بان التنمية هى الاساس، وتساءل .. ان التنمية فى النهاية يجب ان تحدد هدفها، لمن ؟ وكيف يتم ؟ وعلى حساب من ؟ ولا نأخذها بشكل مطلق، كما رد على وجود تقارب بين الانظمة بأنه تصور غير سليم، لان الاختلاف اساسى بين الطبقة الرأسمالية المستغلة، والطبقة العاملة المستقلة، وما نفرض من ضرائب، وما يطبق من نظم اصلاحه لا يغير كثيرا من طبيعة النظام .

وكان آخر المتحدثين هو محيى الدين عويضة (السودان) الذى قام بتلخيص كلام المتكلمين وبعض المعلقين، واشار عند تلخيصه لحديث السيد مكاوى مصطفى الى ان دخول السودان فى طريق التكامل الاقتصادى مع ج.ع.م وليبيا لم يطرح على الجماهير، ولابد من اشتراكها، وتساءل كيف يتم التكامل ويكون لفائدة الاطراف الثلاثة، وهى فى مستويات اقتصادية مختلفة، واشار الى اهتمام المتحدثين بهذه المسألة وأهميتها حتى لا يكون هناك ضباب فى اذهان الجماهير .. واشار الى ان الاختلاف بين البلدان المختلفة لا يكون لمجرد ان بعضها يتقدم والاخر غير ذلك، لان الاساس هو القوانين التى تحكم النظم .. رأسمالية او اشتراكية، فقانون النظام الاول تحقيق الربح، والثانى هو المواجهة المستمرة لحاجات الشعب .

٤

قوى الثورة العربية
الخاص والعام .. فى الواقع العربى

البحوث

انصب المدخل العام لمعظم البحوث على محاولة تحديد المرحلة التاريخية التى يجتازها الوطن العربى . وفى هذا المجال ظهر اتجاهان :

أولهما : يقيم تقييمه على نطاق الوطن العربى كله بتجميعه تحت عنوان « مشترك » ، وحشره فى داخل تقسيمات موحدة .

ثانيهما : عمل على تحديد الخاص بما يمثله من تمايز، والعام بما يتضمنه من قسمات مشتركة .

وقبل أن يتطرق الى تحديد هذه المراحل ، يجدر بنا الاشارة الى التعريف الذى قدمه **فوزى الكيالى** (سوريا) للمرحلة، واصفا اياها بانها « الفترة الزمنية التى تبتدىء بصعود طبقة معينة او تحالف عدة طبقات الى السلطة ، لتحقيق برنامج اقتصادى - اجتماعى - سياسى معين ، يتناسب مع مصالح تلك الطبقة او الطبقات المتحالفة ، والتى تنتهى بسقوط تلك الطبقة أو ذلك التحالف » .

وعلى ضوء هذا التعريف حدد مراحل الثورة العربيه بما يلى :

● مرحلة الوحدة الوطنية وقيادة البورجوازية الكبيرة ، وتمتد من بداية الثورة العربية فى العشرينات من هذا القرن حتى قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ . وهى الحركه الموجهه ضد الاستعمار فى سبيل التحرر الوطنى من ثورة الحسين فى الحجاز عام ١٩١٦ على الحكم العثمانى الى ثوره العراق عام ١٩٢٠ الى ثورة ١٩١٩ فى مصر الى ثورة السنوسيين فى ليبيا والامير عبد الكريم الخطاب فى المغرب ، الى الثورات السورية والفلسطينيه المتلاحقة .

ويرى « **الكيالى** » ان قياده هذه المرحلة كانت لاحزاب قطرية التنظيم ، تجلس فى قمة هرمها البورجوازية الوطنية ، وفى قاعدتها جميع قوى الشعب العاملة المناهضة للاستعمار . وكانت هذه الاحزاب من حيث بنيتها وأيديولوجيتها أشبه بالجبهات الوطنية التى تتفق على برنامج وسط يتضمن مطالب مختلفة ، تعبر عن مصالح الطبقات المؤتلفة .

واستطاع الاستعمار الغربى الذى حل محل الاستعمار التركى أن يقسم البورجوازية على نفسها وأن يتخذمن بينها أعواناوحلفاء ، وساعده على ذلك تجزئة البلاد وتمزقها الى دويلات .

وظلت البورجوازية الوطنية الكبيرة المتحالفة مع الاقطاع والعشائرية تلعب دورها البارز فى قيادة العمل القومى والوطنى وفى توجيه الحركات الثورية العربية بحيث لا تؤدى الا الى اجراء التسويات مع الاستعمار ، وذلك حتى عام ١٩٤٨ حين فشلت عن طريق العمل الدبلوماسى وعن طريق الحرب فى منع قيام اسرائيل ، مما أثبت عجز البورجوازية عن الاستمرار فى قيادة الثورة .

● **مرحلة الصمود الثورى بقيادة البورجوازية الصغيرة** ، وتمتد من عام ١٩٤٨ حتى عدوان اسرائيل فى عام ١٩٦٧ .

● **مرحلة ما بعد هزيمة حزيران** .

● عدم جدية بعض التعا يفـ - مثل تعريف

ونقوم بعرض راى **الكيالى** فى هاتين المرحلتين عند تقديم موقفه من قوى الثوره . انما ما يجدر الاشارة اليه هنا نقطتان اساسيتان :

● رغم تعريف « **الكيالى** » لنهاية المرحلة بأنها سقوط الطبقة أو التحالف الطبقى . فانه يعتقد ان « هذه الهزيمه قد كشفت عن الكثير من نقاط الضعف ومظاهر السلبية فى هذه القيادة(البورجوازية الصغيره) . ولكن مما لاشك فيه أيضا، ان الثوره [ما بعد النكسه] لم تتجاوز البورجوازية الصغيرة كطبقة . وما زال أمامها ، كقوة من قوى الثورة ، دور كبير تؤديه لها ، ولا سبيل الى أدائه بدونها . واذا كانت عوامل اخراج البورجوازية الكبيرة من صفوف الثورة عام ١٩٤٨ هى عوامل موضوعية بالدرجة الاولى ، فان اسباب عجز قيادة البورجوازية الصغيرة ترجع الى عوامل ذاتية ليس من المستحيل تخطيها وتجاوزها » .

● كما يرى أنه « فى الغرب مهدت الثورة الديمقراطية للثورة الاشتراكية ، أما فى بلدان العالم الثالث فان الثورة لابد أن تكون ديمقراطية واشتراكية معا » . ويؤكد « ان حرق المراحل ، او مبدأ الثورة الديمقراطية - الاشتراكية ، هو الاستراتيجية الوحيدة الصحيحة للعمل الثورى فى البلدان المتخلفة . وهو وحده الذى يؤدى الى استمرارية الثورة ، وهو الذى يفرض فى الوقت نفسه الا تكون الثورة من صنع طبقة ثورية واحدة » .

وفى مجال الاجتهاد لتحديد مراحل الثورة يتعرض **جمعة محمد مهدى** [ليبيا] لمرحلتين :

● **مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٥٢**؛ وتبرز هذه المرحلة عدة معطيات تتسم بالنضال الوطنى من أجل الاستقلال ومجابهة قوى الاستعمار والسعى لايجاد حكم وطنى وظهور بعض ملامح الدعوة القومية .

● **المرحلة الثانية من ١٩٥٢ - ١٩٦٩** ، بدأت بثورة ٢٣ يوليو كرد جماهيرى على نكبة فلسطين ، صاغت نضال الجماهير العربية من المحيط الى الخليج فى غايات محددة هى الحرية والاشتراكية والوحدة .

اما احمد بهاء الدين (مصر) فيرى أن الثورة العربية تنشأ فى أقطار منفصلة تختلف الظروف بينها فى بعض الاحيان اختلافا كبيرا ، وبالتالى لا تأخذ هذه الثورة فى الاقطار المختلفة صورة واحدة ، الامر الذى يجعل تحديد قوى الثورة العربية ذاتها يختلف من قطر الى قطر . والثورة

العربية بمعناها الشامل تواجه فى فترة زمنية واحدة مهمات عديدة تواجهها الثورات عادة فى فترات مختلفة ٠

ويقدم **بهاء الدين** نماذج للتفاوت من ناحية الارتباط بالخارج ومن ناحية درجة التطور الاجتماعى والاقتصادى والاختلاف فى نظم الحكم نتيجة لعلاقات اجتماعية معينة ، ونوعية المشاكل التى توجد فى الاقطار المتباينة مثل الطائفية .

ويستطرد **احمد بهاء الدين** قائلا :« ولو أن قوى الثورة العربية فى كل قطر ، كانت مهمتها « قطرية » فحسب ، او محصورة داخل القطر الذى تناضل فيه لربما كان الامر ابسط بكثير ٠ ولكن العالم العربى فيه حقيقتان اساسيتان ومتوازيتان ، تكاد لانجد نظيرا لهما فيما يصادف قوى الثورة والتغيير فى أى مكان آخر من العالم » ٠٠ هاتان الحقيقتان هما : **الانفصال والاتصال** ٠

الانفصال ، لان كل قطر عربى له خريطة ودولة وحكومة ، وله ظروف ترتبت بناء على هذا الواقع القطرى القائم بذاته وتراكمت زمنا طويلا ٠ وبهذا المعنى فأن قوى الثورة العربية فى قطر ما ، تواجه مهمة مباشرة خاصة بها فى الدرجة الاولى فى داخل هذا القطر ٠

والاتصال ، بمعنى أن هذه الاقطار العربية رغم أن لكل منها خريطة وراية ودولة وحكومة الا انها لا تعتبر هذا واقعا نهائيا ، ولكنها تستشعر فى قرارة ضميرها رابطة قوية واحدة ٠ وتطمح الى أن تتخطى يوما حواجز الانفصال وتحقق الانتماء القومى العربى الشامل ، فوق الانتماء القطرى الخاص بها .

والحقيقتان الاساسيتان المتوازيتان تجعلان قوى الثورة العربية تواجه مهام ثلاثة بدرجات متفاوتة : حرب التحرير الوطنية والقضاء على الحكم الرجعى والاستعمارى وتغيير العلاقات الاجتماعية والتفكير أو العمل للاشتراكية ٠

ويرى **بهاء الدين** أن مشاكل العلاقات بين قوى الثورة العربية يرجع الى أنها كثيرا ما تحاكم بعضها البعض بظروفها القطرية الخاصة ، ومن محاولة تعميم هذه الظروف القطرية على الجميع ٠ وأنه ليس مصادفة أن نجد عوامل الانفصال بين الاقطار التى وصلت فيها القوى الثورية الى السلطة لم تتغير عما كانت عليه قبل الثورات ، بل وان القوى الثورية التى انتظمت فى أحزاب نشأت وتكونت على المستوى القومى ، قد تعرضت لعوامل الانفصال القطرى حين وصلت الى السلطة ٠

وفى تقييمه « للمهام الاساسية الراهنة للواقع العربى» يرى **غسان كنفانى** [فلسطين] أن المسألة الفلسطينية سوف تحتل الى فترة طويلة قادمة مكانا أماميا فى الثورة العربية ، وتكون ذات موضع مركزى فى هذه الثورة ، مما يرسخ بصورة مضاعفة السمة الاساسية للمرحلة العربية الراهنة وهى سمة التحرر الوطنى الديمقراطى ٠

على أن مركزية القضية الفلسطينية فى الثورة العربية ومكانها الامامى يجب الا يؤخذ على انه ترتيب ميكانيكى بالنسبة لقضايا الثورة العربية الأخرى ، الملحة بدورها والمتشعبة والمعقدة ، بل ان العلاقة بين قضية التحرر الوطنى الفلسطينية وقضايا التحرر الديمقراطية والاشتراكية هى علاقة جدلية متفاعلة تزداد وثوقا من خلال اتصال الممارسات وتصاعدها ٠

ويرى « **كنفانى** » أن قضية التحرر الوطنى الفلسطينى لا يمكن أن تكون منفصلة بأى حال من الاحوال عن النضال العربى للتحرر من الانظمة الرجعية أو الرازخة تحت الاستعمار المباشر أو المنظمة فى مناطق النفوذ الاقتصادى . ففى حين تعطل مثل هذه الانظمة طاقات جماهيرها النضالية وتستغل طاقتهم الانتاجية فى خدمة الترس الامبريالى الذى تمثل اسرائيل احد اسنانه ، فان تحررها يزيد من تصليب واثراء النضال الفلسطينى ويضعف من طاقة الامبريالية ٠ وان صيغة الارتباط يجب أن ترسخ بين النضال الجماهيرى العربى والفلسطينى : طبقيا وايديولوجيا وتنظيميا ٠

وهو يؤكد أن التركيز على قضايا التحرر الوطنى الديمقراطى ناتج عن واقع أن البنية الاقتصادية عامة تشير بما لا يقبل الجدل على الدوران فى فلك النفوذ الامبريالى ٠ ويقدم غسان كنفانى فى بحثه الارقام التى تدعم وجهة النظر هذه ٠

ويعود الى تأكيد التمايز فى المجتمع العربى « وهو لا يعيش من حيث مهماته الراهنة وواقعه الطبقى والوطنى حالة واحدة ، ففى حين يشكل فى بعض ساحاته مجتمعا مستعمرا فهو يشكل فى ساحات أخرى مجتمعا شبه مستعمر واقطاعى وشبه اقطاعى وفى ساحات ثالثة مجتمعا محكوما بنظام بورجوازى صغير ، او نظام عسكرى ، او بأنظمة اصلاحية غير ثورية .

ولكن المجتمع العربى بصورة عامة تحكمه من جهة القوى الامبريالية سواء مباشرة أو غير مباشرة ، وتحكمه من جهة أخرى علاقاته الداخلية

الاقطاعية وشبه الاقطاعية والبورجوازية المرتبطة بالامبريالية والعشائرية ٠

ويؤكد **ميشيل كامل** (مصر) على اهمية تحديد المرحلة التاريخية التى نجتازها بصفة عامة على النطاق العربى ، اذ يتوقف على هذا التحديد أن نتبين بوضوح حقيقة المهام السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى نتصدى لها ، ثم القوى الاساسية والحليفة أو تلك التى ينبغى علينا تحييدها عبر هذه المرحلة ، ونطاق التحالف الوطنى وقواه المحركة ٠

وهو يرى أن الشعوب العربية لم تنجز بعد مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانتقد المحاولات التى يقوم بها بعض المفكرين العرب لطمس المعالم المميزة لمرحلتى الثوره ودمجهما تعسفا فى مرحلة واحدة تحت شعار الانتحام ٠ هناك اليسار المتطرف الذى يبغى تخطى حقبة تاريخية بأكملها ويتصور امكانية القفز عبر مرحلة كاملة دون استكمال مقومات تخطيها ٠ وهو تيار نجده سائدا بين البورجوازية الصغيرة بطبيعتها الخيالية وما تتصف به من تسرع ونفاذ صبر ٠ وهناك من يريد أن يضفى على برنامجه أبعادا فضفاضة لا تتناسب مع حجمه او واقعه متصورا أنه بهذا الموقف يستطيع أن يكسب شعبية واستقرارا ٠

ويرى **ميشيل كامل** أن هناك قدرا من التداخل والتزاوج بين المرحلتين يجعل الظروف ممهدة لتخطى المرحلة الاولى بسرعة أكبر وتضحيات أقل ، لا يصل الى مرتبة دمجهما فى مرحلة واحدة .

وقبل أن نتناول وجهات النظر المتباينة حول قوى الثورة المتعارف عليها ، يجدر بنا أن نشير الى مسألة كانت مجال خلاف بين اتجاهين من المشاركين فى الملتقى من أبناء السودان ٠ مشاكل الاقليات القومية والتكوينات القبلية ٠

وبابكر كرار [السودان] يرفض الاقرار بأى واقع قومى أو قبلى فيرى « أن بلادنا تعيش فى ثورة واحدة وهى الثورة العربية ، وأن انتماء بلادنا الى الثورة العربية هو انتماء شامل ٠ ان بعض الدوائر الاستعمارية والرجعية فى بلادنا تشيع أن السودان افريقى وعربى ، بل أن بعض الدوائر التقدمية فى بلادنا تتوهم أن بلادنا تحتوى ثورتين ، هما الثورة الافريقية والثورة العربية وهذا محض افتراء » ٠

وهو يؤكد ان الكيان العربى فى السودان هو الذى صنع تاريخها الحضارى والسياسى وحمل أعباء صناعة القومية السودانية ، مما ربط كل اجزاء البلاد فى كيان واحد ٠ ويستشهد على هذا الانصهار بأن «**على عبداللطيف**» قائد ثوره عام ١٩٢٤ ، كان ينتمى الى قبيلة الدنكا فى الجنوب ٠ فلقد جذبت حركة التحرر الوطنى اليها الالوف من ابناء الجنوب وربطتهم بالكيان العربى ربطا محكما وابديا ، ومن ثم فقد بات محتما ومحققا أن اتجاه الحركة الموضوعية للتطور والتقدم فى بلادنا تتجه نحو ذوبان القبائل والعشائر فى الكيان العربى الكبير . ولهذا فهو يدين بعنف « النظرية الزائفه القائمة على الزعم بأن السودان موطن لقوميات عديدة ، وأن مهمة الدوائر الحاكمة على مستوى الاحزاب جميعا هى تدعيم هذه القوميات وتطويرها فى اطار الوحدة السياسية » ٠ ويصل الى حد اتهام هذه النظرية بأنها استعمارية صهيونية ٠

أما **محمد ابراهيم نقد** (السودان) فيقدم لبحثه قائلا أن الدوائر التقدمية فى العالم العربى قد حفظت عن ظهر قلب أن قوى الثوره العربية : العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون والجنود والضباط الاحرار ، والرأسمالية الوطنية غير المرتبطة بالاستعمار ، لم يشذ عن هذا التحديد أى من الفصائل الثورية سواء كانت من فريق البعث الاشتراكى أو اتجاه القوميين العرب بمدارسه المختلفة أو الاشتراكيين الوحدويين أو الاحزاب الشيوعية العربية وجبهات التحرير فى الجزائر واليمن الجنوبية الشعبية » ، ربما اختلفت الصياغة ، هنا وهناك ، حول اشكال التحالف فى اتحاد اشتراكى أو جبهة شعبية أو جبهة وطنية ديمقراطية ٠ ولكن اتحاد الفرق الثورية العربية يكمن فى أن منطلقها نحو هذه الصياغة ليس رغبة ذاتية أو خاصية قومية ، بل التعبير الموضوعى عن متطلبات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ٠

الا أن « **نقد** » يدعو الى الخروج من قالب التعميم الى دراسة الواقع الحى وماشمله من تطور وما برز فيه من ظواهر جديدة خاصة فى بلاد كالسودان واليمن الجنوبية والعراق ٠٠ « واعنى مشاكل الاقليات القومية ، والتكوينات القبلية ٠ ففى السودان حيث ٨٥ فى المائة من السكان يعيشون فى اطار المجتمع التقليدى والسابق للرأسمالية ٠ حفزت ثورة اكتوبر كيان المجتمع القديم وحركت ساكن الحياة فى البادية ، ففرضت التكوينات القبلية وجودها ورفعت الحياة القديمة ٠ وابتدعت شكلا اصيلا قريبا من واقعها للتعبير عن ارادتها بتكوين اتحادات وروابط قبلية واقليمية فى المدن الاقليمية وتركزت فى العاصمة والمدن الكبرى حركة دائبة لهذه التنظيمات على أيدى ابناء تلك القبائل من العمال وصغار الموظفين والطلاب وعرضت برامجها الخاصة التى تربطها بحركة التغيير الاجتماعى والثورة الاجتماعية ٠٠٠ » ٠

« اما فى جنوب اليمن فقد اسهمت تكوينات القبائل ، كقبائل ، فى حرب التحرير ومقاومة الاحتلال ، ولا يمكن بالطبع اعتبار هذه التكوينات فروعا لجبهة التحرير ، بل قامت بينهما علاقات تحالف وتعاون وتنسيق ، ولكن هذه العلاقات لم تصل لمستوى تذويب الكيان القبلى أو بالاستعاضة عنه بابنائه المنخرطين فى الجبهة من عمال وموظفين وطلاب » .

وفى السودان والعراق تواجه الثورة العربية قضايا الاقليات القومية ، وأن هذه القوميات تعيش حياة بدائية متخلفة مما يحتم ربط الاعتراف بكيانها القومى بالثورة الديمقراطية لتجديد واقع الحياة فى القطر بأسره · **ولا يمكن بالطبع أن نتجاهل العنصر القومى لوجود هذه الاقليات وكيانها** ، ونستعيض عنه بالعنصر الطبقى وحده ، فنطرح امام هذه القوميات صيغتنا لقوى الثورة لتنتمى اليها من هذا المدخل متناسين أن التكوين الطبقى لهذه القوميات أما أنه فى طور الجنين أو أنه لم ير النور بعد » ·

كان البحثان المقدمان من بابكر كـــرار (السودان) وجمعة محمد المهدى (ليبيا) يتجهان الى التعميم فى تناولهما لقوى الثورة والثورة المضادة · كما كان التعريف أكثر تحديدا فيما يتعلق بقوى الثورة المضادة ، فهى من وجهة نظر **الاول** « قوات الاحتلال البريطانى ومؤسساته السياسية والتعليمية والقوى الرجعية السودانية المتواطئة مع الاستعمار وحركات التبشير الاستعمارية والتدخل الاستعمارى الاسرائيلى المسلح فى الجنوب» · **اما الثانى** فيراها فى « الرجعية العربية والصهيونية والامبريالية العالمية ممثلة فى الاستعمار الامريكى والانجليزى وتحالفاتهما » ·

ورغم أن موضوع البحث هو قوى الثورة العربية الا ان الباحثين لم يتعرضا لتحديد هذه القوى ، وركز **بابكر كرار** على فكـرة الانتماء العربى لثورة السودان وذوبان القبائل والعشائر والقوميات فى الكيان العربى وتحدث كثيرا عن « روح الجماهير السودانية » و « وحدة الكيان العربى وضرورة تأمينه » فى السودان و « الانتماء القومى لسلامة العربية » ووحدة الشعب السودانى ··الخ·

اما جمعة محمد المهدى فقد جاء فى حديثه فيما يتعلق بهذا الموضوع « ترتبط الثورة العربية ارتباطا عضويا بمادتها الحقيقية المتمثلة فى الجماهير، باعتبارها رائدة للنضال الجماهيرى ، القادرة دوما على دحر القوى الرجعية » · و «تصدى الطلائع الثورية المسلحة باعتبارها القوة الرادعة القادرة على مواجهة القوى الرجعية المدعومة بالامبريالية مما أهل هذه الطلائع بحكم انتمائها الشعبى – (الطبقى) – الى تصور القوى الثورية لتقود الجماهير ، ولتحدث التفجير الثورى ·· ولكن هذه الحقيقة يجب أن لا تحجب عنا دور القوى الشعبية فى الثورة » ·

ورأى **جمعة محمد المهدى** فيما يجب أن تكون عليه الاستراتيجية العربية قد يلقى بعض الاضواء على تصوره لموقع القوى الشعبية منها · وهو يقدم التصور التالى :

● ان أى حل لقضية فلسطين لن يكون الا من خلال الوحدة العسكرية العربية جيشا واستراتيجية ·

● لابد من دعم الحركة الفدائية (كطليعة مسلحة فلسطينية القوة ، عربية المحتوى) باعتبارها مدخلا لايجاد الثورة الشعبية المسلحة القادرة على قلب ميزان القوى · فالحركة الفدائية العاملة فى فلسطين والمنطلقة لايجاد الثـورة الشعبية ، قادرة على حمل اعباء التحرر لا فى فلسطين وحدها ، ولكن فى اجزاء الوطن العربى ، لان الوحدة لن تكون الا عبر الثورة الشعبية المسلحة ذات المضمون الوحدوى الاشتراكى ·

● ادانة التصور المبنى على أساس أن الجيوش قادرة عبر استراتيجيتها أن تخوض المعركة وحدها وتنتصر ، ويرى ضرورة تأكيد « تصور جديد ينبع أساسا من هضم التجارب الانسانية كفيتنام ولاوس أى بمعنى آخر حرب التحرير الشعبية دون اغفال دور الجيش المنظم ·

● يدين بصفة عامة الاحزاب العربية – بما فيها التقدمية – لكونها عجزت – بل وفى بعض الاحايين تنكرت للجماهير · والبديل فى رأيه « أداة واحدة ، نظرية ثورية عربية وتنظيم ثورى عربى واحد » ويتخطى « كل الاشكال القومية الحزبية لايجاد صيغـة أكثر عمقا واكثر فاعلية لتواكب هذه المرحلة الجديدة والتى تتمثل فى مبادرة الجماهير العريضة للنضال الثورى الاشد عمقا والاكثر جذرية » ·

وقضية الوحدة العربية كانت محور البحث الذى تقدم به **فوزى الكيالى** ، وهو يؤكد انتقال الموقف الجماهيرى تجاهها من شكله الرومانتيكى، الذى يقوم على أساس من فكرة العزة القومية الى شكله الواقعى والموضوعى ، الذى يستند الى الضرورات المادية للمرحلة التاريخية التى تعيشها الامة العربية .

ان كل طبقة اجتماعية ترى فى العلاقات القائمة

عائقا لنموها ، وحائلا دون تحقيق أهدافها ، وترى في الوقت نفسه أن مصالحها تنمو وتزدهر في ظل العلاقات الجديدة ، انما تمثل قوة من قوى الثورة . الا أن موقف الطبقات الاجتماعية من الثورة ليس ثابتا ، وانما هو يتوقف على مستوى المرحلة التي بلغتها الثورة في مسيرتها ، لتحديد القوى الاجتماعية التي تقف وراءها وتساندها ولتحديد القوى الاخرى التي خرجت من صفوفها . بعد أن تجاوزت الثورة المصالح الطبقية لتلك القوى .

ولقد عرضنا لرأى **الكيالي** في مراحل الثورة العربية ، وتوقفنا عند المرحلة الثانية - ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ — التي يتناولها في بحثه بافاضة يحاول أن يستشف من التجربة نتائج يصوغها في تصور لمتطلبات المرحلة الثالثة التي يحدد بدايتها لهزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

يشير **الكيالي** الى ان تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة — التي تسلمت زمام القيادة - اتخذ أحد صورتين :

● عن طريق الاحزاب ، باندماج عناصر من الطبقات الثورية المختلفة في حزب واحد تقوده البورجوازية الصغيرة ، بايديولوجية تمثل الحدود الوسطى بين ايديولوجية القوى المتحالفة .

● عن طريق المنظمات العسكرية الثورية في داخل منظمات الضباط الاحرار المنحدرين من أصل بورجوازي صغير . فكان التحالف الشعبي يتم وراء هذه الطلائع الثورية .

لم تكن هناك قيادات عمالية وفلاحية جاهزة أعمق وعيا أو أكثر تقدما ، واعية بمقتضيات المرحلة .

ويرى **الكيالي** ان العلاقات بين اطراف التحالف ظلت ديمقراطية مما أنعكس في مد الثورة العربية من أوائل الخمسينات ليبلغ ذروته عام ١٩٥٨ على أثر قيام الوحدة بين سوريا ومصر ، وقيام ثورة بغداد واسقاط حلف بغداد . وسرعان ما لحق التصدع في جبهة التحالف بين قوى الثورة العربية في بغداد الذي يعتبره الباحث بداية لعملية الانحدار التي انتهت الى قاع الكارثة في حرب يونيو .

ويتناول البحث وصفا لطبيعة البورجوازية الصغيرة المتناقضة والمتذبذبة بين الشيء ونقيضه . يؤكد على ضرورة كسبها الى قضية الاشتراكية ، ويفسر وضعها القيادي في البلدان المتخلفة بأنه ناجم عن ضعف التطور الرأسمالي والتمايز الطبقي ، والزيادة الكبيرة التي طرأت على الجيوش العربية على أثر قيام اسرائيل ، مما يفتح الطريق أمامها لتصبح قوة سياسية واقتصادية تفوق في وزنها ما للطبقة العاملة المحدودة العدد والمتخلفة في وعيها الطبقي والسياسي من قوة وتأثير .

« ولكن البورجوازية الصغيرة حين تفقد حليفها بسبب او لآخر — وهي في الحكم — وحين يخمد جو النضال من حولها فان اختياراتها السياسية قد تأخذ طابع التذبذب الذي تمليه عوامل ذاتية » ولذلك فان انعدام الديمقراطية وركود النضال الطبقي هو وحده الذي يمكن أن يجعل منها سيطان الثورة حين تصبح قائدة لها . « بطغيان دور البورجوازية الصغيرة وتقلص دور القوى الاخرى الى درجة أفرغ معها التحالف من مضمونه الشعبي الديمقراطي » .

ويرجع هذا الموقف الى الضعف العددي والنوعي للطبقة العاملة ، وما استقر في ذهن قيادة البورجوازية الصغيرة من رواسب سلبية ضد الديمقراطية البورجوازية « مما أفقدها ايمانها الى حد كبير بجدوى العمل الشعبي وفاعليته في حسم الامور ، فتنصب من نفسها وصيا على الثورة وقواها ، وتستقل بالعمل من فوقها ، وتحرمها من المشاركة فتزداد ضعفا وعجزا » . « وفي مثل هذا الجو من العزلة الجماهيرية تتحول اطر الثورة الى قيد على حركة الثورة ، تشل طاقاتها وتستنزف من جماهيرها كل ما لديها من حماس ومبادرات .. » .

ولكن **الكيالي** لا يخرج من تحليله هذا الى موقف الرفض من قيادة البورجوازية الصغيرة ، بسبب عدم توفر البديل من وجهة نظره ، وهو في الختام يدعوها الى « ادراك » مجموعة من الحقائق للتغلب على سلبياتها .

واستهل غسان **كنفاني** بحثه بعرض بعض ملاحظات أولية عن المسألة التنظيمية باعتبارها مسألة فكرية في الاساس « وشكل التوسط بين النظرية والممارسة » . فالنظرية هي أسبق في الاهمية من التنظيم . وأوضح العلاقة الجدلية بين النظرية والتنظيم والممارسة ، وأهمية توفر الديمقراطية داخل التنظيم وفي علاقاته مع التنظيمات الجماهيرية والثقافية والنقابية .

وينبه **غسان كنفاني** الاذهان الى ضرورة الا نكتفي بتحديد معسكر خصوم التغيير والقوى التي تنتسب لعملية التغيير الثوري ، بل أن نضع في اعتبارنا أيضا « القوى المؤهلة طبيعيا للدخول الى ذلك المعسكر » المعادي .

وهو يشير الى طبيعة التردد والتذبذب التي

تتصف بها البورجوازية الصغيرة ، والى استحالة « حبسها ـ بالرغم من الصفات المشتركة لمعظم شرائحها ـ داخل وصفة جاهزة واحدة » . ويرى أن الشرائح العليا تظل موالية للطبقات المستغلة الا أنه يقول « أن البورجوازية الصغيرة طبقة في الاجمال ذات مهمات وصفات وطنية ، وهي تلعب دورا له أهميته الكبيرة في مرحلة التحرر الوطني ، ولكن من الخطر الاعتماد على برامجها كقيادة ، هذه القيادة التي ينبغي لها أن تتمركز أكثر فأكثر بين أيدي الطبقات الكادحة ذات المصلحة الحقيقية في الثورة الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، وذات النفس الاطول والاكثر التزاما ورسوخا في حمل مهمات هذه الثورة نحو آفاقها المنتصرة . ان العلاقة بين الطبقات الكادحة وبين البورجوازية الصغيرة ترضخ لمبدأ التحالف والصراع في آن واحد ، ولعل حاجة الثورة في جميع مستوياتها الى المزيد من المثقفين الذين يتمركزون بصورة عامة في اطار البورجوازية الصغيرة » ، يجعل من مثل تلك العلاقة أكثر ضرورة وحتمية .

ويستخلص من ذلك صيغة تنظيمية لقوى الثورة العربية هي الجبهة الوطنية المتحدة التي تضم القوى الممثلة لمصلحة الثورة والقوى المحركة لها . ويشير الى الافتقار الى حزب تقدمي قوي في معظم البلاد العربية ، مما يدعو أكثر نحو صيغة الجبهة الوطنية المتحدة . ثم ينبه الى اخطار محتملة تتمثل في تحكم « العسكريتاريا » أو هيمنة برامج ذات صفة بورجوازية صغيرة تهدر الطاقات النضالية للطبقات صاحبة المصلحة والقدرة على انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والانعزال والتكلس ، ثم الهروب الى صيغة الديمقراطية الليبرالية .

وفي تعرضه لوضع القوى الثورية وعلاقاتها ، يعدد **احمد بهاء الدين** هذه القوى في العمال والفلاحين والمثقفين والمهنيين والطلبة والطبقة المتوسطة الصغيرة والرأسمالية الوطنية غير المستغلة والضباط والجنود ، الموجودة بصورة أو أخرى في ساحة الثورة العربية . ثم يقسم هذه القوى تقسيما آخر بين قوى صاحبة مصلحة في الثورة ، وقوى ـ فوق أنها صاحبة مصلحة في الثورة ـ فهي أقدر على انجاز حدث الثورة والقيام بدور أساسي في التغيير الثوري . وبهذا المعنى يحدد القوى صاحبة المصلحة بأنها العمال والفلاحين وسائر الطبقات الفقيرة التي تمثل الاغلبية الساحقة . ولكنه يقول أن هذه القوى بظروفها الراهنة لا تملك قدرة المشاركة في الحدث الثوري أو في قيادة التغيير الثوري ، الا أن التخلف الاقتصادي لم يسمح بقيام قاعدة واسعة من الريف المتقدم أو الصناعة التي تساهم في تكوين طبقة عاملة قوية متقدمة ، بالاضافة الى الملاحقة التي تعرضت لها الحركات النقابية .

كما يشير الى حقيقة ان الاحزاب الثورية العربية لم تتمكن بعد من أن تضم الى صفوفها النشيطة قطاعات كبيرة من العمال والفلاحين . ورغم أن أوسع الجماهير كان لها دور في تأييد الحركات الثورية بانتفاضاتها الكبيرة التي اثرت بها في الموقف في لحظات حاسمة ، الا أن هذا أمر غير أن يكون لها مؤسسات وقيادات موجودة في الساحة باستمرار ومؤثرة الى حد المشاركة في حدث الثورة .

فالمثقفون الثوريون والمهنيون والطلاب قدموا بوجه عام معظم الاطارات في الاحزاب الثورية ، على أن الضعف العام للمؤسسات الجماهيرية وللاحزاب الثورية ، أدى الى وضع أصبحت له صفته الحقيقية التاريخية ، وهو الدور الذي قامت به القوات المسلحة بواسطة الضباط الوطنيين فيها ، في تحقيق حدث الثورة وقيادة التغيير الثوري بعد ذلك .

وقد كان الشكل الذي تم به الحدث الثوري هو الاستيلاء على السلطة من قمتها . ولكن هذه الحقيقة تنطوي على مغامرة خطيرة ، فكما شهدت بلادنا الثورات العسكرية التقدمية ، شهدت أيضا الثورات العسكرية المضادة . وبغير نمو شتى المؤسسات الوطنية التقدمية التي تحمي الثورة ، يصبح هذا الخطر قائما باستمرار .

ومن هذا الموقف يتوصل **بهاء الدين** الى استنتاج أن هناك تقسيما آخر ليس في الاساس طبقيا ولا اقتصاديا ، بقدر ما هو تقسيم واقعي من زاوية عملية وهو قوى ثورية بوجه عام وقوى ثورية تسمح لها ظروفها بالمبادرة بحدث الثورة وهو تقسيم يطرح قضية خطيرة : قضية الثورة بالشعب ، والثورة من أجل الشعب . ومن هنا يدعو الى ايجاد صيغة ديمقراطية لمشاركة القوى الثورية في السلطة ، تناسب ظروف الثورة العربية .

وتحدث **ميشيل كامل** عن اهمية التعرف على موقع القوى الاجتماعية المختلفة من العملية الثورية والتغييرات التي تطرأ على موقعها على امتداد طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ثم الثورة الاشتراكية ، فان الحلقة الرئيسية في ارساء مقومات النصر للثورة هي تحديد العدو والحليف ، تحديدا دقيقا لا يسمح بتسرب قوى معادية الى صفوف الثورة ، وفي الوقت نفسه لا يضع القيادة بين أيدي قوى مترددة تعجز عن الاستمرار وتفتقر الى الحسم ، حتى وان كانت هذه القوى من بين حلفاء المعركة .

وأشار الى أن الطابع البورجوازى للثورة الوطنية الديمقراطية لا يفترض قيام الطبقة البورجوازية أو ممثليها بالدور القيادى - فقد أثبتت التجربة صحة النظرية القائلة بأن البورجوازية - أيا كان مستواها - عاجزة عن المضى بالثورة الديمقراطية الى النهاية ، فهى تتجه الى اجهاضها فى منتصف الطريق • ومن هنا يبرز دور الطبقة العاملة فى القيادة او المشاركة بدور فعال فى القيادة • وهذا لا يعنى تجميد الحركة الثورية او تأجيلها انتظارا لظهور ونضج الطبقة العاملة أو حزبها الطليعى ، بما يؤهلها لاحتلال موقعها القيادى ، « انما يعنى أن نضع نصب أعيننا أن الضمان الوحيد لاستمرار الثورة هو أن يشغل ممثلو الطبقة العاملة الموقع القيادى الكفيل بشل تردد البورجوازية الوطنية » •

ولخص الموقف فى القول بأن البورجوازية الوطنية يمكن أن تفجر الثورة الوطنية وأن تقود مرحلة منها ، كما يجب اشراكها فى انجاز مهامها بالتحالف معها ، الا أن تولى أى خط منها للقيادة يؤدى بالضرورة الى اجهاض الثورة فى منتصف الطريق • كما رد على حجة صغر حجم العمال النسبى ، بتجربة الصين وفيتنام وكوريا حيث تولت أحزاب عمالية تحمل ايديولوجية الطبقة العاملة بقيادة الثورة ، رغم أن حجم الطبقة العاملة بالنسبة لمجموع العاملين كان أقل منه فى معظم البلدان العربية •

وتطرق بعد ذلك الى الحديث عن أهمية التعريف العلمى السليم للطبقة ، دون محاولة لتمييع وطمس الحدود الفاصلة المميزة بينها ، مما يؤدى الى « الرشح الطبقى » وتسرب السلطة الى أيدى فئات بعينها باسم فئات أخرى •

وتعرض للاهمية الخاصة لسيادة مناخ ديمقراطى ، قائلا أن الثورة الوطنية تظل « نصف ثورة » يصيبها العقم والتصدع ان لم تلتزم باطلاق الحرية السياسية باشراك قوى الشعب العاملة - واقعيا وليس نظريا - فى اتخاذ القرارات وباطلاق المبادرات الجماهيرية الخلاقة فى صياغة السياسة العامة للبلاد والاسهام فى تطبيقها والرقابة عليها . وانتقد الاتجاه الى الوصاية على الجماهير ، وهاجم نظرية التخصص المطلق بين قيادة لاتخاذ القرارات وبيروقراطية لتوجيه جهاز الدولة وتكنوقراطية لادارة الانتاج وجيش للقتال ، فالى جانب التخصص هناك ضرورة المشاركة الفعالة من جانب الشعب فى اتخاذ القرارات وادارة الانتاج والدفاع عن أرض الوطن •

كما يرى أنه من القضايا الاساسية التى تؤدى الى اجهاض الثورات الوطنية ، الافتقار الى الحسم فى الموقف تجاه أجهزة السلطة القديمة ومؤسسات الدولة الموروثة • فالسلطة الجديدة عادة ما تعتلى جهازا معاديا ، تتصور امكانية كسب ولائه وتوجيه نشاطه بما يخدم مصالحها دون تغيير فى محتواه الطبقى والفكرى • وهو خطأ شائع من وجهة نظره . وانتقد « تصور سائد مؤداه امكانية تحقيق السلطة الثورية الجديدة فوق الطبقات » ، بينما يؤكد أن مآلها الطبيعى أن تستقطب أن آجلا أو عاجلا الى جانب أحد قطبى الصراع - الرأسمالية والطبقة العاملة - •

وفى ختام بحثه دعا الى دعم الوحدة الوطنية داخل كل بلد على حدة ، كمدخل ضرورى لتوحيد القوى الثورية على النطاق العربى •

ويقول **محمد ابراهيم نقد** أنه بعد تحديد قوى الثورة اتجهت الفصائل الثورية العربية الى وحدة القوى وتفاعلها فكان الاتفاق العام بضرورة قيام اتحاد عام كاطار لهذا التحالف وتنظيم طليعى للقيادة داخل هذا الاطار على ضوء ميثاق سياسى وفكرى • ويرى أن الاجتهاد الفكرى توقف عند هذا الحد • ويطالب باتباع النهج الثورى المتفتح الناقد المجدد باعادة بناء الجبهة الثورية على أسس جديدة فى مجال القيادة والايديولوجية ، حتى لا نواصل نشاط الثورة بنفس الادوات القديمة التى عجزت عن الصمود والمقاومة . وأوضح أن هذا لا يعنى أن نسلك منهجا عدميا فوضويا يرفض كل قديم لمجرد الرفض ، بل يتوخى التطوير فى ضوء التجربة •

وانتقد بعض السلبيات التى تتمثل فى الصراع الدائم من جانب البورجوازية الوطنية ، داخل اطار التحالف ، لفرض قيادتها السياسية بواسطة الاجهزة الثورية نيابة عنها ، وسيادة عقلية ومزاج الطبقة الوسطى فى التوجيه السياسى والفكرى والاعلامى والثقافى ، « ومجهوداتها المتواصلة فى تحويل كل مفاهيم وقيم الثورة وحصيلتها الى الوجهة الايديولوجية للطبقة الوسطى • وفى كلتا الحالتين ، نشهد ضغطا متعمدا أحيانا وتلقائيا فى احيان أخرى لابعاد ايديولوجية الطبقة العاملة عن الصورة ، كما نشهد أسلوبا متكررا يكاد يصل درجة المنهج ، فى أخذ بعض أجزاء ومفاهيم من ايديولوجية الطبقة العاملة ومحاولة تثبيتها كجزء من التراث الثورى العربى • ويرى « نقد » أن هذا الاضطراب الايديولوجى قد أثر بدوره على الكيان التنظيمى وعلى منهج العمل الثورى والقيادة ، وأدى الى اضعاف التحالف وحبسه فى اطار كاد أن يصبح تقليديا •

ونبه « **نقد** » الاذهان الى تحديات حقيقية وصعبة تواجه القوى الثورية ، تتمثل فى جذب

جماهير الاحزاب القديمة لمواقع الثورة بعد ابعاد قياداتها عن السلطة وعن ممارسة النشاط السياسى ، بالاضافة الى كسب الشخصيات الوطنية والتقدمية التى عزفت بسبب او آخر عن الانتماء الحزبى ، واصبحت منبرا لاقسام واسعة من الجماهير غير الحزبية والتى رفضت فكرة وممارسة الاحزاب •

المناقشة

اتسمت المناقشات حول موضوع قوى الثورة العربية بالحيوية المتدفقة ، وتميزت بتباين وجهات النظر ، خاصة فيما يتعلق بتقييم البورجوازية الصغيرة ودورها •

وكانت **فاطمة أحمد ابراهيم** (السودان) اول من تعرض لقضية المرأة كقوة ضمن قوى الثورة تتعرض لاضطهاد مزدوج كانثى وكعاملة وفلاحة وموظفة وتمثل رصيدا ثوريا للطبقة العاملة • ولكنها ترى أن المرأة فى أغلب البلدان العربية قد تحولت الى رصيد مؤقت للقوى الرجعية لعوامل تتعلق بتخلفها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والفكرى ، وللنفوذ البورجوازى على منظماتها •

ان قضية المرأة هى جزء من قضية الاضطهاد الطبقى ، مما يحتم على الطبقة العاملة أن تعمل على مساعدة النساء العاملات على انتزاع قيادة الحركة النسائية لتحويلها الى حركة جماهيرية ديمقراطية واسعة •

وتنصح **فاطمة أحمد ابراهيم** بنشر التفسير العلمى الذى قدمته النظرية الماركسية لقضية المرأة • وتشير الى الخطأ الذى وقعت فيه بعض أحزاب الطبقة العاملة بحصر جهودها فى تكوين منظمات نسائية سياسية تابعة لها بدلا من مساعدة النساء العاملات لينتظمن فى منظمات اجتماعية ديمقراطية مستقلة •

ونعت على القوى الثورية تطاحنها ودعت الى تنحية التناقضات الثانوية حتى تتمكن موحدة من مواجهة التناقض الاساسى بينها وبين الامبريالية والرجعية ، بالاضافة الى ضرورة اتخاذ النظرة الاشتراكية العلمية مرتكزا فكريا ، على أساس ان الاشتراكية واحدة بقوانينها وأسسها العلمية •

وعارض **أديب اللجمى** (سوريا) وجهة نظر **ميشيل كامل** (مصر) القائلة « أن وحدة القوى الثورية على نطاق الوطن العربى كله لا يمكن تحقيقها بنجاح ، الا بدعم الوحدة الوطنية داخل كل بلد على حدة » ، قائلا « فى تقديرى أن حل الاشكال على الصعيد القومى كفيل بحل الاشكالات العديدة بل والمتزايدة العدد على صعيد كل قطر » •

اما **عبد الله الريماوى** (الاردن) فانه طالب بأن يرتكز البحث فى تحديد قوى الثورة على منهاج فى التحليل ، بادراك عاملين ، عامل الزمان وعامل المكان ، وثمة ثلاث دوائر متميزة لتحديد قوى الثورة ، الاولى منها فى البلاد غير المستعمرة غير المجزأة ، والثانية فى البلاد المستعمرة غير المجزأة ، والثالثة فى البلاد المستعمرة المجزأة ، وفى هذه الدائرة الثالثة الاساس الذى يجب الارتكاز عليه لتحديد مهام الثورة العربية وقواها .

وأوضح **د • عبد الرازق حسن** (مصر) أن تحديد قوى الثورة لا يكفى لاحداث التغيير ، بل معرفة كيف تكون هذه القوى ذات فاعلية ؟ أما القوى الثورية التقليدية — العمال والفلاحون — فيمكن اعتبارها قوة كامنة ، لانها راغبة فى التغيير ، ولكن الامر متوقف على فاعليتها ، اذ كثيرا ما نجد أنه نتيجة لتخلفها ، يستغلها البعض كعناصر للقوى المضادة .

والعنصر الثانى فى القوى الثورية فى المجتمعات النامية الحديثة ، التى تتمثل فى المثقفين الثوريين ، ورأس المال الوطنى والجنود . يخلق وصولها الى السلطة أحيانا بعض المشاكل ، عندما تنفرد بها دون اشراك لاصحاب المصلحة الحقيقية ، وحينما تحاول أن تبرر وجودها بفلسفة هى عبارة عن شتات من أفكار ومن فلسفات خيالية ونظريات اصلاحية .

ومن مشاكل التطبيق التى تعرض لها **د • عبد الرازق حسن** ، وعزاها الى عدم وضوح البرامج والفلسفات والتخلف الفكرى ، اتخاذ اجراءات انفعالية غير مدروسة تضر بحركة الثورة واستغلال النفوذ • وانتقد نظرية أهل الثقة وأهل المعرفة • وما تؤدى اليه هذه التفرقة من حساسيات ، وضع سلطات قيادية بين أيدى بعض من يفتقرون الى الكفاية •

وآثار **ميرغنى نصر** (السودان) قضية الطبقة الجديدة التى تولدت نتيجة التطور الفنى — المديرون والفنيون — واشار الى كتابات **جيلاس وجارودى** ، وفى رأيه أن حل مشكلة هذا الخطر يتلخص فى السعى الدءوب على احلال الادارة الذاتية محل المديرين ، فى كلتا مرحلتى الانتاج والتوزيع وفى وضع برامج العمل ، بالاضافة الى ضرورة التخطيط الثقافى والفنى الذى يستهدف التقارب بين مختلف الفئات الاجتماعية عبر الانتاج بمستوى الكفاية الفنية لجماهير الشعب العاملة •

ويرى **ميرغنى نصر**، ان التحدى الكبير لنظرية قوى الثورة نجده فى أقسام كبيرة من المناطق المتخلفة، حيث تعيش بعض قطاعات من الاقتصاد الوطنى فى مرحلة الشيوعية البدائية، يشكل رصيدا سهلا للرجعية، ويرى العلاج فى وضع برنامج خدمات لهذه الاقسام لتقتنع بضرورة الارتباط بقوى الثورة وذلك بصفة عاجلة. أما على المدى البعيد فيقترح وضع مشاريع لاستقرار الرعاة لانهاء هذه الظاهرة البدائية من معالم علاقات الانتاج.

اما **هيثم العقاد** (السودان) فيعزو صعوبة معالجة مسألة قوى الثورة الى ان النضال مطالب بتحقيق ثورات ثلاث فى آن واحد: ثورة المجتمع وثورة على الصعيد الاقتصادى وثورة ضد التجزئة. ثم قال ان هذه المعالجة غالبا ما تنطلق من الواقع القطرى، ودلل على وجهة نظره بالاختلاف البين فى تحديد مراحل الثورة بين ممثلى لبنان وليبيا وسوريا. وخرج من ذلك الى عدم جدوى تحقيق التقبل الفكرى المشترك لتجربة واحدة، ى تعميم التجربة الاقليمية، بل استيعاب الواقع العربى مجردا أو الانطلاق منه الى النضال المشترك.

وهو يدعو الى التفريق بين قوى الثورة وبين قيادة الحركة التى تتحدث باسمها، وعدم الخلط بينهما فى تقييم هذه القوى. كما ينبه الاذهان الى خطر التقليل من شأن ووزن قوى الرجعية، وان ممارسة الديمقراطية لتعميق الصلات بالجماهير ضرورى للتصدى لها. وعلى الحركات الثورية ان تحذر من نفسية البورجوازية الصغيرة وعقليتها اللتان تهددان بافساد الديمقراطية وخلق هوة بينها وبين الجماهير بسبب طبيعتها الفردية، وغرورها وتعاليها والاكثار من الثرثرة «الثورية» .. الخ.

وعبد الله عبد المنعم حسن (السودان)، يرى ان «القوى القومية الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية» هى وحدها القوى التقدمية فى الوطن العربى وكل ما عداها قوى رجعية مهما تباينت عقائدها او اهدافها او شعاراتها. ويخرج من هذا التحديد الى القول بأن القوى التى تقول بتأجيل هدف الوحدة حتى يتحقق بناء الاشتراكية قطريا، هى عائبة للوحدة وغير جادة فى تحقيق بناء الاشتراكية الديمقراطية.

ونايف الحواتمه (فلسطين - الاردن) يستهل حديثه بأنه كان من الممكن ان تريح حركة الثورة العربية نفسها من ثلاثين عاما من التجربة والخطأ فى تحديد قوى الثورة العربية، وقوى الثورة المضادة، لو كانت على اطلاع ثقافى وايديولوجى وسياسى بتجربة شعوب البلدان المتخلفة. واعتبر المسئولية الرئيسية فى غياب الرؤية الايديولوجية تقع على جميع فصائل حركة التحرر الوطنى العربى، وبشكل خاص الحركة الشيوعية، لانها هى قبل غيرها كانت مطالبة بتعميم الثقافة الثورية بحكم امتلاكها للمنهج الماركسى اللينينى.

وتحدث عن الطبيعة الطفيلية الغالبة على بورجوازية البلدان المتخلفة اقتصاديا، مما ربطها مصلحيا وعضويا بالسوق الرأسمالية العالمية، ثم يفرق بين البورجوازية الصغيرة فى اوروبا التى انحازت الى الراسمالية الصناعية وعادت الطبقة العاملة، بينما فى بلادنا كان الاقطاع والبورجوازية الكبيرة متحالفة مع الاستعمار رفضت اعطاء هذه الطبقة دورها فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ودفعها بالضرورة الى اتخاذ مواقف وطنية وقوية معادية لهذا التحالف الطبقى المستغل». ويرى أنه فى ظل غياب المنظمات الثورية القادرة على استنهاض همم كافة الطبقات المناضلة، تمكنت البورجوازية الصغيرة ان تصل الى السلطة وان تنفرد بها». وذلك باسم الشعب العامل.

والمفهوم الذى يقدمه **نايف الحواتمة** عن البورجوازية الصغيرة هو انها «طبقة انتقالية، لا تستطيع ان تبقى طويلا فى موقع المراوحة مع الذات» فهى تنقسم على نفسها، قطاع منها يلتحق بالبورجوازية التقليدية المعروفة، وقطاع آخر يقف فى منطقة الوسط منتظرا تطورات الاحداث، وقطاع ثالث تحت ضغط الحركة العاملة والفلاحين بحكم نزعته الثورية .. اقرب الى مواقع العمال والفلاحين الفقراء، والانحياز الى مواقعهم. ومثل هذه العملية فى صفوف البورجوازية الصغيرة لا يمكن ان تقع الا تحت ضغط الطبقات العاملة والفلاحين الفقراء والجنود.

وأكد ان الطبيعة الطبقية للبورجوازية الصغيرة تجعلها عندما تصل الى السلطة «ترفض التعامل الديمقراطى الثورى مع الاغلبية الساحقة من جماهير الشعب» ولذلك فانها «عندما هددت بهجمات الاستعمار الجديد لم تتمكن فى كثير من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من الصمود لرفضها التحالف مع اوسع جماهير الشعب، كما حدث فى اندونيسيا وغانا ومالى، وما يمكن ان يتبع ذلك». وهو يطالب بأن تحتل البورجوازية الصغيرة «حجمها الحقيقى فى قاعدة الهرم

اجتماعيا ، ويحتل قطاعها التقدمي حجمه الحقيقي ايضا في قيادة التحالف » .

ويعبر **محمد امين حسين** (السودان) عن رأى مغاير للاتجاه العام في الملتقى ، اذ يقول «المهم في هذه المرحلة ان نحافظ بقدر الامكان على لون من الوان الوحدة العربية ، يمكننا أن نجمع اقصى ما يمكن جمعه من الجهود العربية في سبيل المعركة المصيرية التي نخوضها » ومن ثم يدعو الى المحافظة على روح مؤتمرات القمة ، قائلا « ان اخشى ما أخشاه ان ينشأ عن الدعوة الى التحالف بين القوى التقدمية تحالفا في الجانب الآخر ، مما يؤدى الى نشوب صراع آخر في المنطقة العربية بين القوى التقدمية ، وبين القوى الرجعية .. وهذا ما لا يريده أحد في البلاد العربية » .

وأبدى **الياس فرح** بعض الملاحظات عن اخطاء شائعة « اولها حين تعتبر ان الثورة العربية قد بدأت حيث بدأت قناعتنا نحن ، اما الثاني فهي عندما تعتبر ان الثورة العربية هي ما هو موجود في الواقع العربي اليوم » .

ويحدد **الياس فرح** مقاييس يرى ضرورة الالتزام بها حتى نحدد قوى الثورة العربية وهي : أ — البرامج السياسية التي تنطلق من فكرة وحدة الثورة العربية . ب — الالتزام الكلي بمصلحة الطبقة الكادحة والعمل الفدائي . جـ — العمل الجبهوي على الصعيدين القطري والقومي . د — الارتباط الصحيح بحركة الكفاح المسلح .

اما اخطاء المرحلة السابقة فيلخصها في :

● اخطاء الحزبية ، وهي الانكماش والتقوقع والتعالي ووضع التناقضات الثانوية محل التناقضات الرئيسية مما يعبر عن مرحلة افتقار الاحزاب الى استراتيجية محددة .

● اخطاء اللاحزبية ، كرد فعل على الاحزاب والعجز عن تحقيق صيغة اكثر تقدما ، وتحويل المنظمات الشعبية الى واجهة سياسية للسلطة .

● اخطاء العمل الجبهوي القائمة على التكتيك والمناورة المصلحية .

ومن ثم فهو يرى متطلبات المرحلة الراهنة في كسر طوق التجزئة والانفتاح الداخلي فيما بين القوى الثورية العربية انفتاحا فكريا وتنظيميا ، والانفتاح على الصعيد القومي والتخلي عن الصبغ المنفردة ، والمفرقة للصفوف .

وطرح **ابو سيف يوسف** [مصر] قضية الرأسمالية الوطنية باعتبارها مسألة خلافية . واشار الى وقوع الثوريين في خطأ طرح اسئلة بطريقة غير سليمة كالتساؤل عن طبيعة الثورة العربية ، هل هي ثورة وطنية أم طبقية .. كفاح مسلح أم عمل سياسي .. ونفس الموقف نجده في موضوع الرأسمالية الوطنية .. اما انها ثورية او خائنة للثورة .

ويقول « انه اذا حللنا البورجوازية الوطنية وفكرتها الايديولوجية فسوف نرى انها بحكم مصالحها ليست ولن تكون في المدى البعيد من الطبقات التي تتفق مصالحها مع مصالح البناء الاشتراكي » ولكننا نسميها وطنية لان بينها وبين الاستعمار والاحتكارات والاقطاع تناقض في المصلحة .

وهو يحذر من الموقف اليساري المتطرف الذي يستبعد الرأسمالية الوطنية من الثورة العربية ويطالب بتصفيتها تصفية معينة . « ولكن في مقابل هذا الحذر هناك خطر آخر هو ترك الرأسمالية الوطنية كطبقة تفرض هيمنتها وتعزز مواقعها في داخل المجتمع » .

ويقدم **ابو سيف يوسف** تعريفا للرأسمالي الوطني بأنه :

● الذي تتعارض مصالحه مع مصالح ونشاطات الاستعمار الجديد .

● هو الذي يساهم مساهمة فعالة في نطاق مشروعه المتوسط والصغير في البناء الاقتصادي ، ولكن في اطار خطة قومية شاملة للتنمية تخدم اهداف التحول الى الاشتراكية .

● هو الذي يبتعد بنشاطه الاقتصادي عن النشاط الطفيلي .

● هو من ينفذ التشريعات العمالية بما يحفظ للعمال حقوقهم .

وهنا يطرح **أبو سيف يوسف** السؤال التالي وهو : من الذي يضع هذه الشروط ، من يضمن ان نوجه الرأسمالية الوطنية الى خدمة اهداف المجتمع ... ويجيب انه « ليست هي الرأسمالية

الوطنية التى تضمن نفسها وتتعهد بحسن السير والسلوك » . وهنا تطرح قضية الديمقراطية بكل ابعادها .

والمفهوم الاشتراكى للديمقراطية يعتمد على المشاركة الفعلية فى ادارة شئون الاقتصاد ابتداء من الوحدات الانتاجية الى أعلى مستويات الدولة . وتنشيط المنظمات الاقتصادية والاجتماعية للعمال والفلاحين ، وان تعكس المنظمات والاحزاب السياسية التقدمية فى برامجها وتكوينها الوزن الحقيقى للعمال والفلاحين .

وفيما يتعلق بوحدة القوى الثورية فان الصراع الفكرى بين القوى الثورية وحده ليس كافيا، ما لم يؤسس مع مهام نضالية محددة يتفق عليها الثوريون ، مهام ترتبط وتخدم مصالح الجماهير .





الوعاء التنظيمى للثـورة العربيـة

البحـــــوث

في التقرير الاول الذى تقدم به مالك الامين [سوريا] بدأ باستعراض نظرى لبعض القضايا المطروحة للمناقشة ، فقدم عرضا نظريا لنشأة الحزب الثورى وبنائه ، والمشاكل التى تعترضه، ثم انتقل من ذلك الى استراتيجية الحزب ودوره فى قيادة الثورة . ثم انتقل الى عرض نظرى للمشاكل الجوهرية الخاصة بنشأة المسألة القومية وملابساتها فى ظروف عالم اليوم .

وبعد ذلك وصل الى مشكلة الثورة العربية ووعائها التنظيمى على ضوء التجربة السورية ومفهومات حزب البعث العربى .

بدأ بتحديد الثورة العربية بانها حركة تاريخية تعمل على تغيير المجتمع العربى تغييرا جذريا فى مختلف النواحى وعلى جميع المستويات وترفض واقع التجزئة ، وترفض القهر الاستعمارى بكافة اشكاله ، كما ترفض التخلف والاستغلال ، وحدد اهداف الثورة العربية فى تحقيق الوحدة القومية . وتحرير الفرد العربى والوطن العربى . واجراء التغيير الاجتماعى فى اطار واقعها وتجربتها . والثورة العربية تحتل مكانا هاما فى حركة الثورة العالمية باعتبارها جزءا منها .

وتعرض بعد ذلك لتجربة حزب البعث باعتباره احد التجارب التنظيمية فى الثورة العربية ، فأشار الى أن حزب البعث العربى قد نشأ فى ظروف تجزئة الامة العربية الى دويلات خاضعة للاستعمار . وكان الشعور بالعامل القومى حينذاك لا يزال ضعيفا بين الجماهير على الرغم من تصاعد النضال الوطنى .

وفى تلك الظروف تصدى مثقفو البرجوازية لحركة الجماهير وقادوا الحركة القومية العربية فى اتجاه تحقيق مصالحهم الخاصة وتمكنوا فى النهاية من استيعاب حركة الجماهير وتسخير الكيانات الممزقة لخدمة المصالح الانانية لاقسام البرجوازية العربية .

وفى هذه الظروف نشأ حزب البعث وطرح لاول مرة فى التاريخ العربى دليلا للنضال القومى مرتبط بالنضال من اجل الاشتراكية . وقد تميز الحزب فى المرحلة الاولى من نشأته بحكم ظروف المجتمع العربى نفسه انه كان حزبا للمثقفين . ولقد انعكس هذا التكوين العضوى للحزب فى ازمته الداخلية ببعده عن التيارات الثورية الحقيقية للجماهير وبخضوعه للفكر الانتهازى اليمينى . وواجه الحزب ازمة العقلية اليمينية التى حاولت جهدها أن تمنع الحزب أن يتحول الى حزب طبقى ثورى ، اذ أن ذلك كان يتناقض مع تطلعات قيادته البرجوازية ويضع قضية الحزب بين أيدى الممثلين الحقيقيين للثورة العربية .

ولعبت بعض العوامل دورها في المساعدة على تحقيق هذا التحول داخل الحزب ، اى تحوله الى حزب طبقي ثوري للكادحين ، واهمها تجربة الثورة المصرية ، وخبرة نكسة الانفصال ، والاخطاء الفاحشة التي وقع فيها الحزب بعد وصوله الى السلطة سواء في العراق او في سوريا .

وانطلاقا من تجربة الحزب طوال سنوات تاريخه ومن واقع ظروف الثورة العربية وتجربتها في اقطارها المختلفة قرر المؤتمر القومي التاسع للحزب الذي انعقد عام ١٩٦٦ معالجة مشكلة الوعاء التنظيمي للثورة العربية على النحو التالي :

● يجب أن يكون التشكيل الاجتماعي لعضوية الحزب عنصرا هاما من عناصر تشكيل سياسته . ولذلك فان الطبقات الكادحة هي التي يجب أن يرتكز عليها الحزب في عضويته في الاساس .

● يجب التزام المثقفين بقضايا الطبقات الكادحة اذا ما ارادوا المحافظة على استمرارهم في الحزب .

● اليقظة ضد اتجاهات الفكر اليميني التي يسير بها المثقفون بين صفوف الحزب لاضعاف قدراته .

● يجب أن يستند نضال الحزب على نظرة علمية ثورية .

ويرى حزب البعث أن وحدة النضال بين الجماهير العربية تعتبر الاداة الثورية لمواجهة كافة التحديات ومن خلال هذا النضال الجماهيري الشامل يمكن أن تحل كل قضايا التجزئة . وتقع على عاتق القوى الثورية في الوطن العربي مسئولية قيادة الجماهير نحو تحقيق وحدة النضال من أجل اهدافها المشتركة .

ان التحديات التي تواجه الثورة العربية تحديات ضخمة وقاسية نظرا لما تحتله المنطقة من أهمية في المصالح الامبريالية مما يجعل منها بؤرة من أهم بؤر الثورة العالمية . ويفرض ذلك على عاتق الثوريين مهمة طرح ومناقشة قضية الوعاء التنظيمي للثورة العربية باعتبار ذلك من أهم القضايا التي تواجه هذه الثورة .

ولابد لنا ان نقرر أن من أهم الاسباب التي تحول حتى الان دون تنظيم الجماهير العربية وتوحيد طاقاتها انما يرجع الى الضغوط الرجعية والاستعمارية من جانب ، والى أن الحركات السياسية التي تصدت لقيادة الجماهير لم تعمد الى طرح المعركة بكل ابعادها ؟ وانما لجأت الى طرح معارك جزئية فحسب .

ويرى حزب البعث العربي ان الطرح الموضوعي العلمي لطبيعة النضال في هذه المرحلة يتمثل في قيام حرب تحرير شعبية شاملة تساهم في الاعداد لها الجماهير العربية ، على أن تكون تلك الحرب موجهة في الاساس نحو تحرير فلسطين ركيزة الاستعمار الاساسية في وطننا ، وذلك كخطوة نحو تحرير الوطن العربي بكامله وتوحيده . ولذلك نرى ان الجهود المبذولة من اجل لقاء القوى التقدمية يجب ان ترتبط بتلك المعركة معركة تحرير فلسطين، وغيرها من المعارك التحريرية في الوطن العربي.

وانطلاقا من هذا التحديد عمل الحزب على اعادة بناء صفوفه بحيث يستبعد كل العناصر اليمينية التي تعوق انطلاقه ويفتح صدره للتعاون مع كل العناصر التقدمية واستيعابها .

ان لقاء القوى التقدمية انما يتيح الفرصة لاجراء حوار متبادل يمكن ان يخلق اساسا للنضال المشترك بين هذه القوى وبين الجماهير في اقطار الوطن العربي . ومن أجل ذلك فلابد من انهاء المعارك الجانبية بين قوى الثورة العربية ، وتفاعلها على كافة المستويات وفي جميع المجالات حيث يؤدي ذلك الى مرحلة تحقيق الوعاء التنظيمي للثورة العربية الذي سيأخذ في مراحله الاولى شكل جبهة قومية اشتراكية شاملة ذات برنامج عمل محدد ومتفق عليه للوصول من خلال النضال المشترك الى وحدة تنظيمية تنصهر فيها جميع الاحزاب والحركات الثورية في مسيرة الثورة العربية .

ومن الواجب البدء فورا في التعجيل بتكوين هذه الجبهة لان ظروف المعركة لا تحتمل أي تأجيل .

ومن الممكن ان يكون المؤتمر الشعبي العربي الذي يضم جميع الاحزاب والحركات والمنظمات الشعبية العربية التقدمية صيغة معقولة لاخراج هذه الجبهة الى حيز الوجود من اجل قيادة النضال الجماهيري العربي المنظم .

وفي التقرير الثاني الذي قدمه عبد المنعم الغزالي (مصر) حول المنظمات الديموقراطية للجماهير والثورة العربية عرف المنظمات الديموقراطية بانها المؤسسات التي تنظم الجماهير على اساس طبقي أو فئوي بحت للدفاع عن مصالحها . ورغم الطابع الاجتماعي لعمل هذه

المنظمات فانها لم تقف بمعزل عن النضال السياسي ضد الاستعمار بل وشاركت في الحركة الوطنية بادوار مختلفة وفقا لعلاقاتها ·

وان كانت الاحزاب في العالم العربي تعبر عن مواقف وسياسة طبقة معينة ، وتعتبر طلائع لتلك الطبقات ، فان المنظمات الديموقراطيه كنقابات العمال واتحادات الشباب والطلبه والمزارعين هي منظمات تعبيء الجماهير العريضة من الشعب في الدفاع عن حقوقها وفي دفع التغيير الاجتماعي ·

ان التنظيمات الديموقراطية يجب أن تنبع من ارادة الجماهير العريضة ، وأي محاولة لفرض اشكال معينة من التنظيم على الجماهير سوف يجرد هذه المنظمات من محتواها الرئيسي وسيؤدي الى انهيارها ·

ومن الضروري ان يكون لهذه التنظيمات في الوطن العربي استقلاليتها عن الاحزاب السياسية او الاجهزة الرسمية اي يجب ان تكون بعيدة عن اسلوب الفرض العلوي والاوامر، أو ان تكون اجهزة تابعة لاي سلطة أخرى . ولا يعني ذلك استبعاد دور الحزب الثوري القيادي بالنسبة لهذه التنظيمات · غير أن مثل هذا الحزب انما يمارس دوره القيادي بداخلها عن طريق ديمقراطي أي عن طريق اقناع الغالبية باتجاهه وكسب تأييد الرأي العام داخل هذه التنظيمات الى صف خط الحزب الثوري واتجاه حركته ·

وتعاني الثورة العربية سلبية خطيرة في هذا المجال اذ تحولت هذه التنظيمات في اغلب المواقع القطرية الى اجهزة علوية يفرضها هذا الحزب او ذاك او يفتعلها بديموقراطية شكلية مما اضعف فعاليتها في العمل الثوري وجعلها عاجزة عن تعبئة الجماهير ، وتحولت الى مجرد لافتات تتخذ قرارات كثيرة ولكنها لا تفعل شيئا ·

واستفادت البرجوازية العربية من ضعف الاساليب الديمقراطية للسيطرة على هذه المنظمات عن طريق احزابها، أو عن طريق السلطة مما ادى الى اضعاف دورها وفعاليتها في عملية البناء والى عزل الجماهير العريضة عن العملية الثورية ·

ان الحديث عن الدور الطليعي للحزب أو التنظيم الاشتراكي دون مشاركة الجماهير العريضة بواسطة تنظيماتها الديموقراطية في العملية الثورية يفقد العملية الثورية محور حياتها .

فما هي الواجبات المباشرة التي تواجه المنظمات الديموقراطية :

● مقرطة هذه التنظيمات لتحقق اوسع ارتباط بالجماهير ·

● ضمان استقلال هذه المنظمات من قبل كافة الاحزاب الطليعيه ، والعمل على تحريك هذه المنظمات عن طريق رفع وعيها الفكري ·

● ان مرحلة الثورة الاجتماعية تنقل دور هذه التنظيمات من مجرد الدفاع عن المطالب الاقتصادية للجماهير الى ضرورة المشاركة في تحديد مسار الثورة والمشاركة في بناء المجتمع الجديد ومواجهة المؤامرات المعادية للثورة ·

● ان هذا الواجب لا يتعارض مع استمرار هذه المنظمات في الدفاع عن حقوق الجماهير ومطالبها اليوميه العادلة لانها بذلك تضمن التفافهم حولها وتعبئتهم في النضال من أجل الاهداف السياسية والاجتماعية العامة للثورة وللتحول الاجتماعي ·

● ان هذه التنظيمات يجب أن تشارك من اجل بناء الثورة الاجتماعية في البناء الاقتصادي ·

● ان على هذه المنظمات تحقيق وحدة القوى الثورية على اوسع نطاق جماهيري ممكن لضمان نجاح الثورة واندفاعها ·

اننا نواجه اليوم معركة مصيرية وعلينا أن نتنبه الى ان استمرار المنظمات الديمقراطية على النطاق القطري أو القومي على ما هي عليه من فشل وبيروقراطية وعزلة عن الجماهير قد يؤدي بنا ان لم نقم بواجباتنا نحو تخطي أزمتها الى عنق زجاجة أي اننا لن نكون بأي حال قادرين على تخطي النكسة والاندفاع في طريق التطور الاشتراكي ·

أما التقرير الثالث فقد تقدم به د · مفيد شهاب (مصر) حول الوعاء التنظيمي للثورة العربية وعرض فيه القضايا التالية :

● ان موضوع الوعاء التنظيمي للثورة انما هو موضوع معقد ويمكن القول بانه « ترتد اليه في التحليل النهائي حقيقة وازمة الثورة العربية المعاصرة » ·

● وقد بدأ التقرير بمدخل عن مفهوم الثورة باعتبارها تغييرا في جوهر النظام الاجتماعي لمجتمع ما يسقط قوة اجتماعية هابطة ليحل محلها

قوة اجتماعية يمكن فى صعودها تطور المجتمع ماديا وروحيا .

● والثورة باعتبارها تغييرا جذريا فى النظام الاجتماعى تطرح مسألة بالغة الدقة والاهمية وهى تعبئة قوى الثورة الصاعدة من أجل استلامها زمام التغيير بنفسها وقيادة المنجزات الكبرى ومواجهة صعاب ومشاكل التحول الثورى . ويتوقف على حل هذه المسألة نجاح أو فشل الثورة اصلا . فالثورة حين تفلح فى تعبئة قواها الاساسية تفلح فى تنفيذ برنامجها الاساسى . وحين يهتز ميزان التنظيم السياسى بين يديها تفلت من يديها فى ذات اللحظة كل امكانية للبقاء المتطور .

ويزداد وزن هذه المسألة فى عصرنا حيث يتعاظم دور الوعى البشرى والاراده البشرية عن ذى قبل فى احداث التغيير الاجتماعى . ان كل الثورات التقدمية الناجحة فى القرن العشرين لم يقدر لها ان تظفر بالنصر على الاستعمار والاقطاع بغير تنظيمات سياسية وعسكرية تعبىء القوى الرئيسية الفاعلة فى بلادنا .

ان نجاح ثورة ٢٣ يوليو يحمل فى طياته دلالة بالغة على فعالية الوعاء التنظيمى الثورى . اذ بفضل هذا الوعاء « الضباط الاحــرار » حطمت الثورة تحالف الاستعمار والاقطاع ورأس المال ، وسعت نحو توطيد سلطة الشعب العــامل ، واشعلت المد الثورى العربى ضد الاستعمار .

غير أن وقوع نكسة الانفصال عام ١٩٦١ ونكسة يونيو ١٩٦٧ وما أعقبهما من مخاطر على الحركة الثورية العربيه ، انما يعود فى النهاية الى افتقار الثورة العربية لوعاء تنظيمى محدد يستقطب الفصائل الاجتماعية الثوريه من شعبنا العربى ويؤهلها للكفاح من أجل التحرر الوطنى والوحدة القومية لبناء الاشتراكية . ومن هنا تطرح نكسة يونيو مسألة التنظيم بالحاح وتصبح الامة العربية مدعوة لانجاز بناء هذا الوعاء بكل كفاءة وسرعة وفاعلية .

ويدفعنا ذلك الى استعراض التجربة التنظيمية العربية بكل عناصرها لنستفيد منها فى بنــاء التنظيم الجديد .

ومن الممكن تلخيص التجربة التنظيمية العربية فى ثلاث عناصر رئيسية :

الاول : هو التجربة التنظيمية لثورة ٢٣ يوليو .

الثانى : هو الاحــزاب العربية الاخرى التى رفعت الشعارات العربية والاشتراكية .

الثالث : هو تجربة الثورة العربية الفلسطينية فى المجال التنظيمى .

مرت التجربة التنظيمية لثورة ٢٣ يوليو بعدد من المراحل المتتالية فقد وجد أولا تنظيم الضباط الاحرار الذى مهد للثوره وقادها . وكان هــذا التنظيم يضم مجموعة من ضباط الجيش تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ويعمل سرا فى صفوف القوات المسلحة . ولم يتبع هذا التنظيم ايا من النظريات السياسية والاجتماعية المتصارعة فى العالم ولكن تبلورت اهدافه فى المبادىء الستة التى اعلنت عقب قيام الثورة . ولعب هذا التنظيم دور الطليعة بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو التى تمكنت بالفعل من احــداث التغيير والقضــاء على الاوضـــاع القديمة .

وبعد انتصار ثورة ٢٣ يوليو وحل الاحزاب القديمة افتقرت الثورة الى تنظيم سياسى يحول الجماهير الى قواعد منظمة تستطيع مسـاندة الثــورة والانــدفاع معهــا فــى طــريق التحرير .

● وفــى ينــاير ١٩٥٣ اعلن تأســـيس هيئـــة التحـــرير كتنظيـــم جمــاهيرى يعبىء الشعب بمختلف طبقاته رغم ما بينهم من تناقض لمواجهة متطلبات المرحلة الاولى فيما بعد الثورة والتى تتلخص فى مواجهة جيوش الاحتــلال ، ومواجهة تنظيمات الاحزاب المنحلة ، وخلق الاطار الذى يمكنه أن يعبىء كافة القوى الوطنيه حماية الثورة .

وكان شعار هذه المرحلة هو وحدة كافة الفئات الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال مما انعكس فى أن يشمل تنظيم هيئة التحرير كافة القوى المعاديه للاستعمار رغم آرائها حول مستقبل العــلاقات الاجتماعية .

● وفى مايو ١٩٥٧ صدر قرار بتشكيل الاتحاد القومى فى مرحلة تدعيم الاستقلال الوطنى فى اعقاب العدوان وبعد تمصير الشركات الاجنبية أى انه جاء فى المرحلة التى كانت المهمة الاساسيه فيها هى التنمية الاقتصاديه وبناء اقتصاد قومى مستقل والبدء فى الانتقال بالمجتمع من حالة التخلف الى حالة التقدم .

وكان الاتحاد القومى لذلك تعبيرا عن الوحدة الوطنية التى تأكدت بدحر العدوان وعن أهمية دعم هذه الوحدة لمواجهة مهام التطور الاجتمــاعى ومواجهة تحديات الاستعمار فى مصر والعالم العربى . لكن لقد اوضحت تجربة الاتحاد القومى تلقائيه الوحدة الجماهيرية التى كان يعبر عنها . وتسلل العناصر الرجعية الى صفوفه ومحاولة تسخيره لخدمة مصالحها . كما ظهر ايضا افتقار

الاتحاد القومي الى نظرية ثورية أو وضوح فكرى مما حوله الىمجرد التقاء عفوى لممثلين عن طبقات الشعب ينقصهمالوعي والوضوح · ولكن رغم هذه النواقص فقد كان الاتحاد القومي يمثل مرحلة انتقالية من التنظيم ·

● ولكن لقد ظهر بعد التحولات الاشتراكية العميقة في المجتمع بعد يوليو ١٩٦١ وخاصة بعد الانفصال أن هناك حاجة الى تنظيم شعبى اشتراكي يحمى اهداف الثورة في مرحلة التحول الاشتراكي، ولذا أصبحتهناكضرورة لتنظيم يعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية في مرحلة التحول نحو الاشتراكية ·

وهكذا تم تكوين الاتحاد الاشتراكي العربي في مرحلة تم فيها كسب الاستقلال السياسى والاقتصادى وعزل الطبقات الرجعية وتصفيتها اقتصاديا وسياسيا ·

واذ كانت قوانين يوليو ٦١ واغسطس ٦٣ قد غيرت ملامح المجتمع اجتماعيا واقتصاديا ونقلت وسائل الانتاج الى الملكية العامة للشعب ، وخلقت قطاعا عاما مسيطرا يتحمل مسئولية التنمية فلقد جاء الاتحاد الاشتراكي ليعكس آثار هذا التغيير في المجال السياسى · فلقد حدد تحديدا قاطعا قوى الشعب العاملة ونظمها ووضعها في مواضع القيادة ·

ويرتكز بناء الاتحاد الاشتراكي على :

● تحالف قوى الشعب العاملة : في هذه الظروف كان من الواجب ان يستند تحالف قوى الشعب العاملة على العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية لانهم وحدهم اصحاب المصلحة الحقيقية في المضى بعملية التطور الاجتماعى وتغييره اشتراكيا ·

ونتيجة لوضوح مفهوم التحالف وضحت ايضا فكرة الصراع بين الطبقات والتعاون بينهما · فالتناقض بين قوى التحالف ليست الا تناقضات ثانوية غير عدائية يتم حل الصراع الناشىء عنها سلميا ، بينما التناقض مع الطبقات المعادية للاشتراكية تناقض رئيسى وعدائى واجهته الثورة باسقاط تحالف القوى المعادية وعزلها عن التنظيم السياسي وعن مراكز القوة والسلطة ·

● يتميز الاتحاد الاشتراكي بالاتساع والشمولبحيث يضم كل الطبقات التى تشكلجزءا من تحالف قوى الشعب العاملة · ولكن هذا الاتساع رغم أنه يضع أمام الجماهير العريضة فرصة الممارسة الديمقراطية المتصلة ، الا انه يصبح في حاجة الى عمود فقرى يضمن تماسكه ، الى كادر قيادىعلى كافةالمستويات حتى لا يقع في أحد النقيضين الجمود أو ميوعة الحركة ·

ولهذا أصبح الاتحاد الاشتراكي في حاجة الى تنظيم طليعي في داخله له القدرة على القيادة بما يتميز به اعضاؤه من وعى وخبرة في العمل السياسي وقدرة على العمل التنظيمي · وبينما يعبىء الاتحاد الاشتراكي وينظم قوى الشعب العاملة في نطاق قاعدته العريضة فان التنظيم الطليعى يضمطليعة هذهالقوى وقيادتها الثورية ·

وبالاضافة الى القاعدة الجماهيرية لتنظيم الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي له يوجد كذلك منظمة الشباب الاشتراكى التى تعبر عن التنظيم السياسى للشباب الذى يعمل تحت قيادة الاتحاد الاشتراكي · وقد اعلن عن قيام هذا التنظيم في يوليو ١٩٦٦ وكان الهدف من انشائها هو اعداد جيل جديد من شباب الثورة قادر على اتمام التحول الاشتراكي وتحقيق مهام الوحدة العربية · وقد اهتمت المنظمة بتربية وتثقيف كادرها الشبابى بشكل خاص وبمساهمته في خدمة قضايا المجتمع وخاصة قضية المعركة ، وقضية التنمية الاقتصادية ·

وينطلق هذا التثقيف السياسى على خدمة الاهداف البعيدة للثورة العربية [الحرية والاشتراكية والوحدة) والهدف القريب (ازالة آثار العدوان)

وقامت المنظمة بالاضافة الى ذلك باقامة حوار دائم وخلاق مع التنظيمات الشبابية التقدمية في العالم ، بهدف اقناعها بعدالة الحق العربى كي ترفع صوتها الى مراكز التأثير في الاجهزة الرسمية ·

اما العنصر الثانى من عناصر التجربة التنظيمية العربية فهو الاحزاب العربية التى رفعت شعارات الثورة على الواقع العربى ، وادت دورها في التمهيد لانطلاق المد الثورى العربى وذلك بنشر الفكر العربى والاشتراكى ·

اما العنصر الثالث من عناصر التجربة التنظيمية العربية فهو المقاومة الفلسطينية · وقد زودت التجربة التنظيمية للمقاومة الفلسطينية التجربة التنظيمية العربية بحقائق وتجارب غنية ، فلقد اكدت ان الصيغة التنظيمية الفعالة لتعبئة الشعب العربى هى الصيغة التى تتوجه بالجماهير نحو المواجهة المسلحة مع العدو · واكدت المقاومة اهمية التركيب الطبقى لبنية التنظيم واهمية ربط

العمل التنظيمي بقاعدة جماهيرية مؤهلة للعمل الثوري • كما أكدت المقاومة اهمية الربط بين الفكر والممارسة في سعيها الجاد لاقامة وعاء تنظيمي.

ان الوعاء التنظيمي للثورة العربية يمثل في الظروف الراهنة •• مسالة تعبئة الجماهير العربية من أجل المعركة ؟ فكيف يمكن بناء الوعاء التنظيمي للثورة العربية في كل المعركة ؟ من الضروري أن نوفق في بناء الوعاء التنظيمي بين ضرورات المعركة ومقتضيات الثورة العربية الشاملة • وبالاضافة الى ذلك فان علينا أن نوفق بين ضرورات الانطلاق من الواقع المحلي في كل قطر وبين مقتضيات وحدة الثورة العربية • وفي سبيل تحقيق ذلك لابد من تحقيق الوحدة الوطنية الفعالة في كل قطر، وفي رأينا فان أفضل الاشكال لتنظيم الجماهير يمكن أن تكون « لجان الجماهير من أجل المعركة » التي يبدأ تكوينها في دول المواجهة على أن ترتكز على برنامج يقوم على دعم الصمود العربي في وجه العدو ودعم المقاومة الفلسطينية • وبقدر ما ننجح في تطوير عمل هذه اللجان وفي التقارب التدريجي والتوحيد بين تلك التنظيمات بقدر ما نقترب من بناء وعاء تنظيمي للثورة العربية •

المناقشة

استغرقت المناقشة حول الوعاء التنظيمي للثورة العربية على ضوء التقارير الثلاثة السابقة جلستين من جلسات الملتقى الفكري هما : الجلسة السادسة والجلسة السابعة .

واستهل المناقشة **محيى الدين عويضة** [السودان] فاشار الى انه بخصوص الوعاء التنظيمي للثورة العربية يمكن تقسيم الموضوع الى شقين : التنظيمات القائمة فعلا اليوم . والتنظيم الامثل للثورة العربية • اما بخصوص التنظيمات القائمة اليوم فيعتقد انها جميعا تنظيمات قاصرة بدرجات متفاوته لان التنظيم السياسي كي يكون ناجحا لابد من توفر ثلاثة شروط :

- ان يكون تنظيما جماهيريا حقا .

- ان يكون لهذا التنظيم قيادة حقيقية أى قيادة واعية • ولا يكفي فقط ان تؤمن هذه القيادة بالاشتراكية العلمية التي يوجد اتفاق عام على انها ماكتبه ماركس وانجلز ولينين ، وانما يجب بالاضافة الى استيعاب القيادة لتلك النظرية ان تكون قيادة متمرسة قادرة على تعبئة الجماهير حولها •

لابد ان تتحول الثورة الى الجماهير وتنفتح عليها إذا أرادت الاستمرار والا فالانتكاس . ولا يمكن تعبئة الجماهير الا عن طريق تنظيم يجذب الجماهير الى العمل السياسي الواسع .

ان التنظيم السياسي هو الجهاز العصبي لجسم النظام السياسي الذي يربط بين السلطة والجماهير، ولكي ينجح في ...... فانه لابد أن يستند على الجماهير وتكون له قيادة واعية •

ولا ينفي ذلك تعدد التنظيمات السياسية في الوطن العربي في الظروف الراهنة نتيجة للواقع السياسي القائم • ولكن ذلك يستلزم اتحادها من اجل تحقيق اهدافها عن طريق تبادل الخبرات والالتحام مع المنظمات التقدمية في العالم •

ثم اعقبه السيد فوزى كيالي وتتلخص وجهة نظره في أنه لكي يمكننا معالجة القضية التي نحن

في انه لكي يمكننا معالجة القضية التي نحن بصددها لابد لنا من الاشارة الى انه ينبغي الابتعاد في المناقشة عما يدور في اطار حدود كل قطر، وانه ينبغي مواجهة احتياجات المرحلة الجديدة في طريق البحث الموضوعي العلمي وذلك من خلال دراسة نقدية لمختلف التجارب السابقة لهزيمة يونيو • وفي دراستنا لهزيمة يونيو لا ينبغي علينا ان نقلل كما فعل البعض بالقاء المسئولية على اشخاص أو حوادث دون القاء الضوء على السياسات التي افرزت هؤلاء الاشخاص في غفلة من رقابة الشعب المبعد سياسيا •

لقد اكدت هزيمة يونيو ان الشعب العربي كان خارج المعركة مهزوما ، قبل ان تحل به الهزيمة من اعدائه. فلقد كان الشعب العربي معزولا وممنوعا من ممارسة اى دور مسموح له بكل شيء الا ان يكون شعبا منظما في اطر سياسية، ويجرى التعامل معه وارقام لا كارادات فاعلة . ولم يكن من الممكن تحقيق النصر في كل تلك الظروف ولم يكن من الممكن الا ان توقع اسرائيل الهزيمة بنا • ولذلك فان أى سياسة فكرية او تنظيمية لا تستهدف تعبئة عربية شاملة ضد الامبريالية والصهيونية تنتهي حتما بنكسة جديدة . ولا يمكن الحديث عن ثورة نيابة عن جماهير الشعب اذ لا ثورة بدون شعب منظم سياسيا •

وقد شهدت الحياة العربية قبل هزيمة يونيو تيارين مختلفين بالنسبة للتنظيم بشكل عام والتنظيم السياسى بشكل خاص ٠

التيار الاول يتمثل فى محاولة السلطة بناء التنظيم بوسائلها ٠

والتيار الثانى خارج السلطة ويخوض معركته مع الانظمة الرجعية، ويدخل احيانا فى صدامات مع الانظمة التقدمية وهذا التيار يعمل أساسا عن طريق شكل العمل الحزبى ٠

ولكن ماهو السبيل لبناء حياة حزبية ثورية خالية من اخطاء الماضى وقادرة على مواجهة اعباء الثورة العربية ٠

ويشير فى هذا المجال الى ان شعار اللاحزبية ومهاجمة العمل الحزبى أصلا ثم الحديث عن الثورة العربية ووعائها التنظيمى يعتبر مغالطه وتجاهلا لتجارب الشعوب ٠ فشعار اللاحزبية لا يرفض فقط الاحزاب الرجعية وانما تحت هذا الشعار يتم رفض الاحزاب الثورية وبالتالى ترك الثورة العربية دون قيادة على الاطلاق ٠ ولا يستفيد من هذا الشعار — شعار معاداة الاحزاب — بشكل مطلق سوى الرجعية العربية التى تخاف العمل السياسى المنظم ، والحكومات التى تريد ان تحتفظ بسلطتها بعيدا عن الجماهير ولا تثق بالجماهير ، وثالث المستفيدين من هذا الشعار هؤلاء الذين كانوا بعيدا عن معارك الجماهير ٠

اما بخصوص الوعاء التنظيمى للثورة العربية فيرى أنه من المفيد التفرقة بين ما نطمح اليه وبين الواقع الراهن للامور ٠

● يجب ان يكون واضحا ان التنظيم الثورى كما تدل تجارب الشعوب لا يبنى الا بالممارسة عبر النضال الجماهيرى ضد اعداء الثورة وهكذا بنيت كل الاحزاب والتنظيمات الثورية التى غيرت مجرى التاريخ ٠

● يجب ان تكون الاداة التنظيمية للثورة العربية قومية الطابع وعلى جميع التنظيمات القطرية ان تناضل من اجل تخطى التجربة ٠

● يجب ان يكون هذا التنظيم شعبيا ٠

● يجب أن يقوم التنظيم على أساس المركزية الديمقراطية ، ومبدأ القيادة الجماعية ٠

ويؤيد الصيغة المقترحة كوعاء لنضال فصائل للثورة العربية فى المرحلة الراهنة وهى صيغة الجبهة الشعبية التقدمية التى تقوم على ضوء برنامج يوجه النضال فى اتجاه ما يمكن تحقيقه من المنجزات الوحدوية، ويمكن ان يتم ذلك عن طريق اللقاءات وفتح الحوار حول برنامج عمل محدد ومكتوب تساهم فيه الحركات والاحزاب والقوى الثورية ٠

ويرى **ميشيل كامل** انه رغم اقرار الغالبية العظمى من القوى الثورية العربية بقانون الصراع الطبقى داخل صفوف التحالف الوطنى ، وبين قوى الثورة نفسها ، الا ان التطبيق فى هذا المجال يتناقض تماما مع هذه الحقيقة ، اذ يسود الاتجاه الى فرض ايديولوجية محددة لطبقة بعينها بدعوى تمثيلها لقوى الشعب العاملة قاطبة ٠ واشار الى الخلط بين برنامج التحالف الوطنى باعتباره حصة مشتركة للعمل ، ملزمة لكل القوى الثورية على اساس من الاتفاق الحر عليها ، وبين الصراع الفكرى لمنابر مستقلة تعبر عن مواقف ومصالح الطبقات المتحالفة ٠ وهناك الاتجاه الى رفض التمثيل الطبقى داخل التنظيم الجبهوى الواحد ، بما يجسده من انكار لفكرة الصراع الطبقى. ومن جانب آخر تشهد الحملات المضادة للحزبية بصورة مجردة، ودون تفرقة بين الاحزاب التى تعبر عن مصالح القوى المعادية، وبين التنظيمات التى تمثل القوى الثورية ٠

كما حذر من الحساسيات بين الاحزاب الوطنية والثورية فى العالم العربى ، ونفورها من التعاون والتضامن فيما بينها ، خاصة من مواقع السلطة حينما تسيطر احدى هذه القوى عليها ، وهنا يحتدم الصراع فيما بينها ليصل احيانا الى مستويات تفوق مستوى التناقض مع عناصر الثورة المضادة ٠

ومن رأى ميشيل كامل ان تعدد المنابر وحرية التعبير عن مختلف القوى الثورية والصراع فيما بينها امر صحى وضرورى ، بل وهو ضمان لان تدور فى اطار سلمى بناء ، وتجنب تفجيرها ـ كنتيجة للكبت ـ مما يهدد الكيان الثورى كله ، ويخدم القوى المعادية وحدها ٠

واشار الى أن اختيار طريق تعدد الاحزاب او التنظيم الواحد المتعدد المنابر يتوقف على الظروف الخاصة بكل بلد ٠ والقرار فى هذا الاتجاه او ذاك يجب ان ينبع عن الجماهير ، والمحك فى ذلك هو التمثيل الطبقى للحزب او المنبر الداخل فى اطار التنظيم الواحد ٠

وتحدث د٠ احمد عبد الحليم [السودان] وبعد مقدمة حول اهمية التنظيم قال : أن التنظيم

الجماهيرى الشعبى هو الاساس لبناء واستمرار الثورة . ان تجارب الثورة العربية وخاصة تجربة الجمهورية العربية المتحدة كما عرضها د. مفيد شهاب توضح أهمية وجود تنظيم طليعى يقود التنظيم الشعبى من داخله . ويجب ان نضع تلك التجربة فى اعتبارنا وذلك لا بمحاولة فرض تجربة قطر على آخر وانما بأن تجتمع كل التنظيمات الثورية لتناقش بغرض الوصول الى صيغة ملائمة لتنظيم الثورة العربية • ويجب الاعتماد فى الاساس على التنظيمات الجماهيرية لانها ابقى ولانها فى النهاية هى التى تفرض ارادتها على مجرى الامور •

واعقبه **عبد الفتاح زلط [العراق] فقال :** ان ازمة الوعاء التنظيمى للثورة العربية ليست فى تعدداخطاء هذا الحزب اوذاك، وانما الازمةكامنة فى عدم وجود حزب ثورى او تنظيم ثورى على النطاق العربى ويشكل انعدام وجود تنظيم ثورى للوطن العربى ابرز مظاهر الازمة الحضارية التخلفية للثورة العربية •

ان مسألة الوعاء التنظيمى تستلزم اولا واخيرا ان يكون الانسان غاية وليس وسيلة . فالذين يصنعون الثورة ويحققون اهدافها هم المناضلون هم الانسان • فاذا كان هذا الانسان معزولا ليس له حق المشاركة الا من خلال التوقيع الحسابى والقرارات القومية ومن خلال اعتباره وحدة من قطيع فلا يمكن ان تدخل اصلا فى بحث الثورة او مضمونها أو وعائها التنظيمى •

والمظهر الوحيد فى نظره الذى يبشر بمعنى تنظيمى ثورى هو المنظمات الفدائية التى برزت كأمل الامة العربية كلها ، لانها رغم كل ما بهامن نواقص وما بينها من تناقضات تشكل نواة الثورة العربية

وتحدث عبد الله الريماوى [الاردن] : فاشار الى انه يرى ان الاخطاء التنظيمية التى شهدتها الثورة العربيةطوال الفترة الماضية ليست صدفة، وانما لها ظروفها الموضوعية التى تحتاج لدراسة وبحث ، ولا اعتقد ان باستطاعتنا ان نحل كل هذه الاخطاء ونصل الى طريق التنظيم المأمول فيه فى هذه الندوة .

ولكنه يؤكد بعض المفهومات العامة وهى :

● ان التنظيم شرط اساسى لابد منه لكى تؤدى الثورة مهامها

● انه لا تنظيم ثورى دون نظرية ثورية .

● انه كنقطة بدء يجب الانطلاق من النطاق القومى لامكان التغلب على التجزئة القطرية .

وتحدث عزيز جاسم (العراق) قائلا : يعبر التنظيم عن الشكل الوسطى بين نظرية الثورة والممارسة الثورية ، ولا يمكن الحديث عن تنظيم الثورة دون فهم وتحديد معالم الثورة ذاتها . ان الثورة العربية تعانى من التجزئة موضوعيا وتاريخيا ، وتشهد مستويات مختلفة من التطور الاجتماعى ،وبالتالىتشهد مستوياتمختلفة من التنظيم ،وتتعدد لاشكالهحسب ظروف كل قطر، كما نجد أيضا أشكال التنظيم التى تعبر عن المشترك والعام على نطاق الوطن العربى كله .

والوطن العربى ملىء بالتكوينات الطبقية المتباينة ذات القسمات العديدة • وقد وجدت الاحزاب السياسية المختلفة باعتبارها التعبير السياسى عن تلك التكوينات الطبقية. وانعكس عدم النضج الطبقى والاجتماعى للمجتمع العربى على احزاب تلك الطبقات بما حملته من أخطاء وضعت لابد من دراسته على ضوء الواقع والخروج من ذلك بحلول أفضل •

ولذلك يجب البدء من نقطة الاعتراف بوجود احزاب ثورية عربية كأحد المسلمات الاولى النابعة من واقع التطور التاريخى •وبالاضافة الى ذلك فهناك شعار الجبهة الشعبية القومية وهو الائتلاف بين القوى التقدمية التى يشكل الكفاح الفلسطينى المسلح فصيلتها الصدامية • ويجب أن يرتكز هذا الائتلاف على الجماهير العريضة • ولا يمكن تحقيق التعبئة القومية للجماهير الا بوجود احزاب ثورية جماهيرية . وهناك اخطاء هامة يجب الكشف عنها بجرأة ، وأهم هذه الاخطاء هىفكرة واحدية التنظيم فهو يعنى تجاهل الاوضاع الطبقية المعقدة والارادات الطبقية .

ان اتخاذ اجراءات شديدة ضد احزاب ثورية موجودة انما يعكس الخوف الشديد من الجماهير ومن الاحزاب الثورية . ان اللاحزبية فى حد ذاتها هى تيار حزبى برجوازى مناقض للواقع يحمل خصائص الذعر من الثورة والخوف من الجماهير .

كما لا يجب فرض وصاية حزب على مجموع الحركة أو فرض تجربة عليها وانما يجب التواضع وترك الامر لديمقراطية الجماهير سواء داخل الحزب او داخل الجبهة الثورية .

أما بدر الدين المدثر (السودان) فيقول : ان الحزب المستند الى ايديولوجية الثورة العربية والمرتبط بالجماهير هو وحده القادر على تجاوز أزمة النضال العربى • ويجب أن ندرك أن تعدد

المنظمات والأحزاب في الوطن العربي بشكل واقعا موضوعيا لا يمكن تجاهله ، أملته ظروف موضوعية تفعل فعلها بغض النظر عن رغباتنا ، بحيث لا يمكن لاى فرقة ثورية فى الثورة العربية أن تدعى وحدها تمثيل كل القوى الاجتماعية للثورة • ومثل هذه الافكار قد ثبت انها لا تخدم سوى قوى الثورة المضادة . ويمكن تلخيص الظروف الموضوعية التى فرضت هذا الواقع على تنظيم الثورة العربية فى :

● واقع التجزئة الطويلة والعزلة بين الاقطار العربية الذى عبر عن نفسه فى تعدد اساليب وطرق تقدم الثورة واشكال تنظيم ادواتها •

● واقع التخلف المريع الذى نعيش فيه والذى يجعل من الصعوبة بمكان الوصول الى صيغة علمية واضحة لهذا الواقع .

ولذلك فان هذا الواقع يفرض ضرورة الاعتراف بكل الحركات والتنظيمات الثورية وعدم فرض وصاية على اى منها مما يؤدى الى ازمة النضال الوطنى والاجتماعى • كما يفرض فى نفس الوقت الوقوف بحزم ضد الهجوم على الحزبية بشكل مطلق وعلى الحزبية الثورية •

ونحن القوميين الاشتراكيين ، او الاشتراكيين العرب نؤيد العمل الجبهوى بالتفاعل مع كل القوى الثورية قومية اشتراكية كانت ام شيوعية ام اشتراكية اقليمية .

ويفرض علينا واقع التعدد الموضوعى فى المرحلة الحالية ضرورة خلق ملتقى سياسى لقوى الثورة العربية ، فما هى الصيغة الممكنة لهذا التنظيم الشعبى فى الاقطار العربية • هذه الصيغة يمكن ان تكون حزبا او جبهة ولا يوجد شىء بينهما .

وتحدث محمد الميل (الجزائر) : فلفت النظر الى ضرورة مراعاة عدم الكلام النظرى المجرد وضرورة البعد عن الصياغات العامة والمجردة والتى لا علاقة لها بالممارسة ، ودعا الى ضرورة ايجاد لغة تفهمها الجماهير وتساعده على التعامل معها والقضاء على الهوة بين المثقفين وبينها ، وبذلك تحل ازمة الوعاء التنظيمى للثورة العربية .

قال **شكرى ملاية** : لا بد ان نؤكد كاشتراكيين عرب أن التنظيم الامثل للامة العربية هو الحزب القومى الاشتراكى الواحد . وفى نفس الوقت لابد ان نؤكد ايماننا المطلق بضرورة وحدة القوى الثورية فى جبهة تقدمية شعبية على النطاق النظرى كخطوة أولى وعلى النطاق القومى كخطوة ثانية نحو قيام التنظيم الواحد •

ويجب أن يراعى التنظيم المطلوب اصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة ، ويواصل النضال من أجل انجاز أهداف النضال الوطنى •

ان علينا ان نبدأ من حيث انتهت تجربة النضال العربى ونستفيد من هذه التجارب للتوصل الى صيغة ملائمة مع تجنب محاولة فرض صيغة معينة للتنظيم بطريقة قسرية او مصطنعة ، ولذا يجب ان تستبعد فكرة ادانة الحزبية التى يروج البعض لها بهدف فرض حزب معين بالقوة وانكار وجود الحزب الثورى وهذا مرفوض تماما •

واشار **ناصر السيد (السودان)** : الى انه من العبث التمسك بالاشكال الحزبية السابقة تحت أى شعارات كانت ، وانه لكى نخلق وحدة حقيقية للقوى الثورية يجب ان تحل الاحزاب نفسها مهما اضفت على نفسها من اوصاف تقدمية لاقامة الجبهة الثورية ، وان هذا الحل ممكن .

ثم تلاه **عبد المنعم الغزالى** ، فأشار الى أنه من الضرورى نظرا لتباين الظروف بين البلدان العربية تحقيق وحدة القوى الثورية على النطاق القطرى اولا قبل الحديث عن وحدتها على المستوى القومى •

اما عن الوحدة على المستوى القومى فهناك وحدة مرحلية ترتبط بمواجهة مهام المرحلة الحالية ، أى مواجهة العدوان ، ووحدة بعيدة المدى . والوحدة المرحلية هى العملية الملحة والضرورية اليوم حتى يمكن ان نواجه خطر الاستعمار والصهيونية •

وتلاه **عبدالكريم مروة (لبنان)** ، فأشار الى ان الاداة السياسية التى تعبر عن المصالح الاساسية للعمال والفلاحين والجماهير الكادحة هى الحزب الطليعى الذى يسترشد بالنظرية الاشتراكية العلمية ، ومن الضرورى التفريق بين أمرين : بين الحزب الطليعى وبين الجبهة الموحدة ، والجبهة الموحدة هى الشكل الافضل للتعبير عن التحالف القائم بين مختلف الطبقات والفئات ذات المصلحة فى الثورة على النطاق الوطنى •

اما على النطاق القومى ، فان الشكل الارقى للتقارب بين القوى الثورية لاتحدده الرغبة الذاتية لاى قوة وانما تفرضه الظروف الموضوعية • ولذا فان الحوار الهادىء الموضوعى يمكن أن يؤدى الى تحديد شكل العمل المشترك الذى يقدم الصيغة الملائمة للملاقة بين القوى الثورية العربية .

وتحدث **فاروق قدوحى** (فلسطين) فقال : ان تجربة النضال الفلسطينى المسلح يمكن الخروج منها بالنتائج التالية :

● ان العمل الفدائي هو نواة حرب التحرير الشعبية ، وان هذا العمل الفدائي استراتيجي وليس مرحلي .»

● ان الشعب الفلسطيني يمارس نضاله دون اعتبار لاية حلول مرحلية ٠

● ان الوحدة الوطنية ضرورية لتطوير الثورة الفلسطينية الى حرب تحرير شعبية

● الارض العربية المجاورة لفلسطين قواعد ارتكاز وحماية للثورة الفلسطينية المسلحة ٠

● الجماهير العربية بقواها الثورية جبهة تدعم الثورة الفلسطينية وتحميها من القوى المعادية .

● ان التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني الامبريالي يفرض علينا دفع تناقضات القوى الوطنية الثورية الى الخلف في هذه المرحلة الحالية من نضالنا ٠

واشار عبد الله عبيد (السودان) الى إنه من العبث في ظل ظروف التباين بين الاقطار العربية الحديث عن ازالة المؤسسات القائمة في الوطن العربي ٠ ولكن كل القوى الثورية مدعوة بسبب الظروف التي تواجهها الى أن تفكر جديا في كيفية الخروج من أزمتها ٠ والقضية المطروحة أولا يجب أن تكون وحدة قوى الثورة في كل قطر حسب ظروفه ثم حينئذ يمكن ضمان التقدم في كل قطر نحو تحقيق أهداف الثورة .

وعمر مصطفى مكي [السودان] يشير الى ظاهرة اختلاف التقديرات حول دور البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وينتقد فكرة التعميم في وصفات أكاديمية كلاسيكية . ويبرز تجربة البلدان النامية والبلدان العربية بصفة خاصة على انها تؤكد هذه الحقيقة بقيام النظم التقدمية . فالثورات الجديدة (٢٥ مايو بالسودان والفاتح من سبتمبر في ليبيا) بعد حزيران تنفي فكرة أن الثورة قد تجاوزت البرجوازية الصغيرة ، بدليل تحقيق انتصارات جديدة على يديها لمصلحة الثورة العربية ٠

ويقول عمر مصطفى أن الوثيقة التي أصدرها المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي السوداني عام ١٩٦٧ وحذر من الاوهام والاخطاء التي تنشأ عن الافتقار الى التقدير السليم لقيادة الديمقراطيين الثوريين للنظم التقدمية العربية وضد اتجاه يميني يدعـو الديمقراطيين الثوريين [او البورجوازية الصغيرة) بالطبقة العاملة ويدعي أن الثورة قد رحلت مراحلها النهائية بتصديهم للقيادة ٠ ولكن التحذير ابطأ وانصب على الاتجاه اليساري او الليبرالي الانعزالي الذي يجرد الديمقراطيين الثوريين من وضعهم الثوري وينزل بمستوى قيادتهم الى مستوى حركة البورجوازية الصغيرة العاجزة عن مواكبة الثورة ، ناهيك عن قيادتها ٠

وانتقد عمر مصطفى القائلين بأن البورجوازية الصغيرة بعد نكسة حزيران قد سقطت واستوفت أغراضها وقدراتها لقيادة الثورة الاجتماعية ٠

أما **نايف الحواتمة** فقد عرض وجهة نظره بأن عدوان حزيران كان يستهدف انتزاع الاعتراف باسرائيل ضمن حدود آمنة وتطويق حركة التحرر الوطني وضرب النظم التقدمية ،« فليس هناك نظم تقدمية معلقة بالهواء ايديولوجيا وطبقيا وبرامجيا »، وهذه النظم تلحق اضرارا واضحة بقوى الاستعمار القديم والحديث . وحلفاء الاستعمار في بلادنا الاقطاع والبورجوازية الكمبرودارية » وأن برنامج التصنيع والبرنامج السياسي يفتح مناخا لاحداث تحولات في بنية المجتمع ، الا أنه يجب تحديد « دور هذه الطبقة في عملية استكمال مهمات التحرر الوطني الديمقراطية » فهي في بلد متخلف تقف في منتصف الطريق ، الا اذا جوبهت بضغوط طبقية أكثر جذرية وثورية من البورجوازية الصغيرة » ٠

ويتابع حديثه قائلا : أن الطبقة البورجوازية الصغيرة اذا ترك لها العنان ، فهي بطبيعتها الانتقالية الاستهلاكية ليست مع التصنيع الثقيل والزراعة الجماعية والميكنة ٠ وهذا ما يفرض على العمال والفلاحين والطلائع الملتزمة بايديولوجية وبرامج العمل السياسي أن يمارسوا سلسلة من الضغوط المتتابعة سياسيا لتوضع هذه الطبقة في حجمها الحقيقي ٠

ورفض نايف الحواتمة النقد القائل بانه يعالج المسائل معالجة كلاسيكية قائلا أن الماركسية تقول بأن البورجوازية لها دور اساسي ومركزي في الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتلعب البورجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة دورا وطنيا وثوريا وتقدميا ، الا ان هذا الدور محدد ضمن افقها الطبقي والايديولوجي ٠

واستطرد قائلا : « لقد دفعتني ازمة يونيو ١٩٦٧ الى مراجعة ذاتية موضوعية على ضوء التجربة الملموسة التي تولدت عن هزيمة يونيو » ٠

ولقد اكدت هذه التجربة مسئولية النظم التقدمية القائمة مسئولية اساسية عما حدث ٠ ودون تقييم جاد ومراجعة نقدية شجاعة في سبيل التوصل الى

الحقائق سيستحيل وضع شعبنا فى المكان الذى يمكنه من تصفية العدوان .

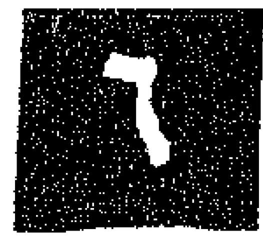
وعليه فان الوعاء التنظيمى فى منطقتنا وفى هذه المرحلة بالذات تتعدد اشكاله وليس من شكل موحد له طبقا لطبيعة التناقضات فى صفوف معسكر الثورة . فالطبقة العاملة يجب أن يكون لها تنظيمها السياسى، والطبقات الاخرى يجب ان يكون لها كذلك هذا الحق ولتدخل جميعا فى تحالف جبهوى ديموقراطى يقوم بمهام الثورة الوطنية الديموقراطية .

ثم تحدث د . **اسماعيل صبرى عبدالله** [مصر] فاشار الى ان قضية الصيغ التنظيمية الملائمة ترتبط بواقع الامة العربية الذى يمكن تلخيصه فى التجزئة وتعدد القوى الثورية وضعف مستوى تنظيم الجماهير فى جميع اقطار الوطن العربى . ومن ذلك يتضح ان الطبقة المتحكمة فكرا وعددا ووزنا هى البورجوازية الصغيرة التى اصبح المثل الاعلى لها هو الاشتراكية بفضل الظروف العالمية وانتصارات الاشتراكية .

هذا بينما قضية قيادة الطبقة العاملة لا يمكن حلها بشعارات مجردة وانما يمكن أن تتحقق من خلال زيادة وزنها الاجتماعى نتيجة الانتشار الصناعى، وازدياد وعيها الفكرى .

والواقع ان هناك صيغ تنظيمية مختلفة فى كل قطر عربى ويجب أن يكون ذلك اساسا للحديث عن الوحدة القومية داخل كل قطر، ثم نتكلم بعد ذلك عن الوحدة على المستوى القومى





القوات المسلحة ومكانها فى الثورة العربية

البحوث

ماكان يمكن لندوة على مستوى « الملتقى الفكرى العربى » التى عقدت بالخرطوم الا وان تتعرض لتلك القضية التى باتت تشغل منذ وقت فكر الطلائع المناضلة فى ساحة الثورة العربية، بل وفكر الكثيرين من المفكرين فى أرجاء العالم الثالث، قضية القوات المسلحة ودورها ومكانها عبر مراحل الثورة المختلفة وذلك من زواياها الرئيسية الثلاث .

الاولى : ما بدا واضحا من خلال التجربة الثورية لبعض الدول العربية من امكانية قيام فصائل من القوات المسلحة بالاستيلاء على الجيوش القائمة واستخدامها فى الاطاحة بنظم الحكم الرجعية القديمة، دونما اشتراك مباشر للتنظيمات الحزبية فى عملية التفجير .

الثانية : تصدى رجال القوات المسلحة — سواء كانت هذه القوات هى استمرار بشكل أو بآخر لجيوش النظم القديمة، او كانت وليدة للحركة الثورية ذاتها — المسئولية الحكم والتطوير بعد اقامة السلطة الجديدة .

الثالثة : الموقف من الجيوش « الموروثة » وكيفية اعدادها لخوض معركة الشعوب العربية المصيرية ضد الاستعمار والصهيونية من جانب وتحقيق التلاحم بينها وبين جماهير الشعب وأهدافه من جانب آخر .

لقد استغرقت هذه القضية الجلسة الثامنة للملتقى الفكرى بأكملها . وحضرها الرئيس اللواء **محمد جعفر النميرى**، وعدد من اعضاء مجلس الثورة

السودانى ، وشارك فى البحث والمناقشة فيها أكثر من أربعة عشر من حضور الندوة من كافة البلدان العربية (*)

لقد اتخذت بعض البحوث المقدمة طابع التركيز على تقديم التجربة الخاصة لبعض الاقطار العربية فى هذا الشأن ، لا من قبيل تفضيل تجربة عربية على تجربة أخرى ــ كما حرص مقدمو البحوث على التأكيد بأن تجارب البلاد العربية فى هذا المجال اصبحت ملكا للامة العربية كلها ، وباعتبارها تجارب خاضها مقدمو البحوث بأنفسهم وشاركوا فيها بجهدهم ، وكانت المجال التى تبلورت من خلاله فكريتهم بصدد القضية المطروقة للبحث . وهنا كانت أمام الندوة :

نموذج الجمهورية العربية المتحدة التى قادت القوى الثورية داخل الجيوش التقليدية عملية الاستيلاء على القوات المسلحة واستخدامها لتفجير الثورة واقامة السلطة الجديدة .

ونموذج التجربة الجزائرية التى اتخذت الكفاح المسلح الطويل المدى منطلقا لها تم من خلاله تكوين الجيش والسلطة ثم الحزب السياسى فيما بعد .

ونموذج التجربة الجزائرية التى اتخذت الكفاح تحركت فصائل الحزب فى الجيش لتنفيذ التحرك الثورى بناء على أوامر الحزب وتحت توجيهه .

ومع ذلك فان كافة البحوث والمناقشات كانت تطرح عددا من المسائل المحورية الهامة تحاول أن تجد اجابة عنها من خلال عرض هذه التجارب ولعل أهم هذه التساؤلات هى :

● هل يمكن للمفكرين العرب على أساس التجارب الست التى تمت فى البلاد العربية بانتصاراتها ونكساتها أن تستخلص صيغة للعمل الثورى تدعو بها الشعوب العربية لان تحجب ثقتها عن الاحزاب والتنظيمات السياسية القائمة وتركز كل أملها فى التغيير الثورى على تحرك من داخل القوات المسلحة القائمة ، أو فى المبادرة فورا بتكوين تشكيلات عسكرية تحل محل تلك الاحزاب والتنظيمات وتتولى حسم الصراع ، أم من الممكن ايجاد صيغة للربط بين العمل الجماهيرى السياسى والعمل العسكرى المسلح ، بين الاحزاب السياسية الثورية خارج الجيش والتنظيمات الثورية داخله ؟

● هل قيام فصائل من القوات المسلحة سواء كانت من داخل الجيوش التقليدية أو كانت قوات تشكلت فى مجرى الثورة نفسها يتحمل أعباء حسم المعركة بين الشعب وأعدائه يبرر الدعوة لان يتصدى الجيش لمسئولية الحكم والتطوير فى ظل النظام الجديد تأمينا للثورة وحفاظا عليها ، أم من الضرورى ايجاد صيغة تميز بين مسئوليات القوات المسلحة فى الظروف الجديدة وبين مسئوليات التصدى للحكم والتطوير قطعا للطريق أمام المغامرات الانقلابية العسكرية ؟

● هل تعتبر القوى الثورية العسكرية التى فجرت الثورة ممثلة للجيش أو مجرد جزء من تنظيم عسكرى ثورى فرضت عليه ظروف ماقبل الثورة نوعا من الاستقلالية عن القوى والتنظيمات الثورية الاخرى ، أم يجب اعتبارها ــ ويجب أن تعتبر نفسها ــ جزءا من حركة أوسع هى حركة المثقفين الثوريين للامة بأكملها بغض النظر عن نوع ثقافتهم ، ان كانت عسكرية أو مدنية ، وأن تنظر الى الاطاحة بالسلطة القديمة باعتباره طريقها للعودة الى وضعها الطبيعى بين القوى الثورية للشعب بأكمله . وما هو الطريق لالغاء « العقد الموروثة فى التفرقة بين المثقفين العسكريين والمثقفين المدنيين ؟

● هل سيكون فى مقدور عناصر الضباط الثوريين أن يقودوا بمفردهم عملية التحول الاجتماعى فى البلدان العربية بعد تحقيق الاستقلال مع استمرار احتفاظهم بأوضاعهم الطبقية ، ومعظمهم من اصول بورجوازية صغيرة ومتوسطة ، ام ان تطورات الحركة الاجتماعية تستدعى قيام قيادات شعبية جديدة تشارك فيها هذه العناصر الثورية بدورها تبعا لطاقاتها الثورية !

واذا كانت كافة البحوث قد حرصت منذ البداية على التذكير بالمهمة الرئيسية الكبرى لدور القوات المسلحة فى المعركة المصيرية للامة العربية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية فان البحوث والمناقشات كانت تبغى التوصل الى الصيغة الملائمة للتكامل بين هذا الدور للقوات المسلحة وبين دورها فى التنظيم الداخلى للثورة العربية والنظم التقدمية العربية لتوفير اقصى ضمانات النصر .

تميز البحث الذى قدمه **محمد الشريف مساعدية [الجزائر]** تحت عنوان « الجيش ومكانته فى التنظيم السياسى للثورة العربية » بعرض تفصيلى لظروف وكيفية تكوين جيش التحرير الوطنى الجزائرى بالامس القريب والجيش الوطنى الشعبى فى الجزائر اليوم ، مع تركيز فى مقدمته للتفرقة بين الجيوش الكلاسيكية والجيوش الثورية الشعبية على أساس « أن التنظيم العسكرى فى أى بلد هو انعكاس مباشر للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة فيه » . ومن هنا فقد كانت الجيوش الكلاسيكية بالضرورة « صورة للانظمة السياسية القائمة ، وجدت اساسا كأداة تستخدمها الطبقة الحاكمة للمحافظة على امتيازاتها الطبقية والدفاع

عنها فى وجه كل تهديد يوجه الى مصالحها ، سواء من الخارج او الداخل ، فالجيش بحكمه هذا ، بمقدار ما يكون جهاز دفاع عن النظام القائم او توسيع نفوذه ، يكون كذلك اداة ارهاب واخضاع للجماهير ومناهضه أمانيها » . مع كل ما يضفيه هذا من قسمات رجعية من حيث أساليب التنظيم والقيادة فى مثل هده الجيوش . بينما يمكن تعريف الجيش الثورى الشعبى بانه « القوة الطليعية المنظمة عسكريا ، التابعة من وسط الجماهير الشعبية والمسلحة عقائديا والمتشبعة بمبادىء الثورة ، والمجندة لتحقيق اهدافها والدفاع عنها » . وعلى اساس هذا المفهوم القاضى باعتبار الجيش الثورى الشعبى هو القوه الطليعية المنظمة عسكريا ، يعرض السيد محمد الشريف القسمات التقدميـــة لجيش التحـــرير الوطنى الجزائرى وللظروف التى تكون فيها . ولتنوع مهمته وتركيبه الاجتماعى « فى مرحلتى الثورة التحريرية والثورة الاشتراكية » ، لقد حوى البحث من جانب آخر على ذخيرة هامة وحيوية للاسس الاستراتيجية لعمل جيش التحـرير الوطنـى الجزائرى وطريقة تنظيمه فى مرحلة الثـورة التحريرية وخاصة بعد مؤتمر الصمام وما انبثق عنه من اساليب تنظيمية جديدة لادماج التدفق الجماهيرى على المعركة فى الجهار الثورى لجيش التحرير بمختلف هياكله .

« وهكذا انتصر جيش التحرير فى مرحلة الكفاح المسلح لانه دخل المعركة بعقيده ثورية وباستعداد كامل للتضحية ، وبروح الاعتماد على النفس ، وبالثقة الكاملة فى النصر ، وبالايمان بالجماهير الشعبية على أنها هى وحدها صانعة الثـورة وصانعة النصر » .

ثم يعرج محمد الشريف بناء على مفهومه عن الجيش باعتباره القوة الطليعية المنظمة عسكريا لدور الجيش الوطنى الشعبى الجزائرى فى مرحلة ما بعد تحقيق استقلال الجزائر ، واهمية مواصلته القيام بدور طليعى فى التنظيم السياسى للثورة العربية وفى مجال البناء السياسى والاقتصادى ، وما اقتضاه ذلك من عمليات تطوير وفرز فى الجيش الجزائرى ، وما استدعته من قيام انتفاضة ١١ يونيو ١٩٦٥ فى الجزائر .

كما تضمن البحث تقريرا تفصيليا لاهميـــة الممارسة الفعلية للكفاح المسلح باعتباره طريق توحيد الشعب وحسم الانجاه الثورى . بل و« خلق النظرية الثورية المتكاملة » .

اما كلمة مالك الامين عضو القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث الاشتراكى السورى فلقد حوت عرضا لتجـربة البعث العـربى فـى اقامة « الجيش العقائدى » ، موضحا كيف يجرى التنظيم الحزبى فى القوات المسلحة كما يلى :

هناك فروع حزبية وشعب مســتقلة فــى الوحدات ، حسب حجمها .. ان ممثلى الفروع . اى أن الحزب فىالوحدات العسكرية ضابط وصف ضابط وجندىيجتمعون لانتخاب ممثلهم فى المؤتمر القطرى، ولا يجب ان يزيد عدد العسكريين فى المؤتمر القطرى عن ٥ فى المائة من مجموع اعضاء المؤتمر القطرى مهما كان عدد افراد التنظيـم العسكرى كبيرا ، ثم تاتى القيادة القطـرية وتعين ــ تعيينا ــ المسئولين عن قيادة الفروع . فالتمثيل الديمقراطى فى المؤتمرات .. اما فى قيادة التنظيم العسكرى فى الوحدة فيتم بالتعيين ضمن المقاييسالتالية : الكفاءة الحزبية ، الاقدمية الحزبية ، الماضى النضالى ، الاقدمية العسكرية والكفاءة العسكرية .. كل هذه امور تؤخذ بعين الاعتبار حين انتخاب امين فرع الحزب فى احدى الوحدات .. ويتولىالاشراف على التنظيم الحزبى فى القوات المسلحة مكتب عسكرى يرأسه احد المدنيين .. وفى قيادة الحزب لا يكون هناك اكثر من اثنين من العسكريين اذا نجحا ، وهما وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة ، اما اذا رشح عسكريون آخرون انفسهم فى القيادة القطرية ونجحا ولم يكونا فى أحد هذين المنصبين فان عليهما ان يتركا القوات المسلحة .. وكل ذلك يجرى وفق نظامداخلى للتنظيم الحزبى فى القوات المسلحة تقترحه القيادة القطرية وتقره القيادة القومية للحزب » .

ولقــد انصب تقـــرير مهدى مصــطفى الهــادى (الســـودان) المعنـــون « القـــوات المسلحة السودانية وثورة مايو» ، على عرض لدور « القوى الحديثة » داخل الجيش السودانى منذ عام ١٩٢٤ حتى اليوم مؤكدا قوله « نحن لا نقول بتفجير الثورة عن طريق القوات المسلحة وضمان استمرارها تفاؤلا ولكن تاريخ السودان أكد ويؤكد الصلة الوثيقة بين القوى الحـديثة المتحركة بالثورة الى الامام والقوى الثورية فى القوات المسلحة » . وقد بنى هذا المفهوم على أساس الرفض لطريق الديمقراطية الليبـرالية الغربية الذى اثبت عجزه الكامل عن الاستجابة لمتطلبات الحركة الثورية ، وصعوبة طريق الثورة الشعبية المسلحة فى بلد كالسودان بالذات ، ومن ثم تفضيل « طريق ثالث ، طريق القوات المسلحة كأداة لحدث الثورة » . ومن هنافهويرى لمرحلة ما بعد تنفيذ الثورة ضرورة استمرار هذه القوات فى التصدى لمسئوليةالحكم والتطوير تأمينا للثورة مع ضرورة » التحام الجيش بالشعب كضمان لتحسس مشاعر الشعب وتطلعاته الاصيلة ، والعمل على تحقيقها ،ثم ضرورة «التوجيه المعنوىوسط القوات

المسلحة ورفع مستواها الفكرى وتطويره باستمرار » .

« ومن خلال هذا العمل الثورى المتصل ينبثق البرنامج ويتبع الوعاء الذى تنصهر فيه كل هذه القوى ويولد التنظيم الجامع لكافة القوى الثورية القادرة على السير بالثورة الى انتصارها النهائى » .

من الواضح — كما يبدو من سير الندوة — أن المفهومات التى عرضت على أساسها التجارب الثلاث لم تكن تقدم اجابات شافية للتساؤلات المثارة فى فكرحضور الندوة. ولذا أثارت القضية كثيرا من المناقشات، ولكن المناقشة تجلت اساسا حول البحث المقدم من الدكتور منصور خالد وزير الشباب والشئون الاجتماعية السودانى والمعنون « الجيش ومكانه فى الثورة العربية » لما تميز به البحث من وضوح الاتجاه ومن محاولة ايجاد صيغة عامة للثورة العربية ككل من خلال دراسة « الاطار الذى تتحرك فيه ، والارضية التى تقف عليها .. سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى » .

وينطلق بحث الدكتور منصور من منطق ادانة كل واقع ما قبل الثورة بكل ما فيه من عوامل متصارعة ، ورفض الاعتراف بالامكانيات الثورية الكامنة فى التنظيمات السياسية الثورية والتنظيمات الجماهيرية ، والحركة الشعبية عموما .

فالمجتمع العربى — من وجهة نظره — « مجتمع متخلف سلفى ممزق ، تعيش بعض أجزائه كما تركها ابن خلدون (البداوة أصل الدولة) وتعيش أجزاء أخرى منه فى العصر الحجرى . مجتمع تبلغ نسبة الامية فى بعض أجزائه التسعين فى المائة ويقوم نظامه التعليمى على خلق ناشئة من الموسوعيين تجيد الخطابة أكثر ما تجيد الافتراض والتحليل والاستنتاج العلمى .. مجتمع عاجز فى بعض أجزائه حتى عهد قريب عن استغلال أسهل ثرواته الطبيعية ، ولم تكن القضية هنا « هى قضية امكانيات مادية أو بشرية .. أو قضية استقلال سياسى .. أو قضية تآمر امبريالى .. بل قضية ادراك آمين وموضوعى لجذور المشاكل .. ومحاولة جادة علمية لحلها » .

« والسلطة السياسية الحديثة وأجهزتها فى المجتمع العربى انحدرت لتصبح ظلالا باهتة أو طبقا عصريا للسلطة التقليدية ...

والاحزاب السياسية أصبحت التقليدية منها واجهات للمؤسسات العشائرية أو الطائفية الدينية بينما أصبحت التقدمية طائفة سياسية مدانة من زاوية تحليلها وقدرتها القيادية .

والتنظيمات النقابية تتصدرها قيادات من الصفوة جاءت عن طريق الحيل الانتخابية التى تمارسها الاحزاب والطوائف لتكون أدوات فى يدها .

وعناصر الصفوة ، وهى طلائع الفكر الحديث الوافد لا تؤمن بالمفاهيم الليبراليه بل تقتنع بها فحسب .

والمواطن العربى يثور بل ويقتل ان اعتدى على شرف أسرته أو على عفاف ابنته ، ولكنه لا يثور ولا يقتل ان اعتدى على شرف أمته أو على عفاف دستوره » .

ولذلك فان الدكتور منصور خالد يرى أن دور الجيوش التقليدية القائمة فى البلدان العربية دور يحتمه واقع هذا المجتمع العربى ، ويؤكده ما يتميز به الجيش « من كونه المؤسسة الوحيدة التى يتأكد فيها صهر الوحدة القومية بميثاق من دم ... »

و « المؤسسة الوحيدة التى دربت على الدفاع عن المبادىء العصرية المجرده مثل الدستور وكرامه العلم » . والذى « يرتكز فى تسليحه على الاسلحة العصرية المتطورة » . ويتميز « بتطهرية فى حياته يكتسبها من حياة الثكنات » . الى جانب الصفات الخاصة للجيوش العربية من حيث حساسيتها السياسية . ولذلك فلقد أصبح مفروضا عليها أن تقوم بدور هام فى معركة التحول الحضارى نحو التحديث باعتباره القضية الاولى والأساسية أمام الثورة العربية كما يرى الدكتور منصور .

واذ يتسلم الجيش السلطة « فان الطريق الوحيد امام أى نظام ثورى فى هذه المناطق لرهين بالوصول الى صيغة جديدة للحكم ، تمكن الجماهير من المشاركة ، ولكنها فى ذات الوقت تضمن للقوى التى حققت الثورة والتى لا يمكن للثورة فى مراحلها الاولى أن تمضى بدونها من أن تبقى فى المفاصل الرئيسية والمراكز القيادية التى يقتضيها الموقف » .

المناقشة

ولقد استحوذ تقرير الدكتور منصور خالد على معظم المناقشة التى دارت فى الندوة والتى افتتحها كريم مروة (لبنان) منتقدا فى البدايه طابع التعميم فى تقرير الدكتور منصور ، ذلك أن الجيوش العربية لم تتكون بشكل واحد فى البلدان العربية ولا فى مرحلة واحدة . بل خضع تكوينها لظروف كل بلد .. وانعكس فى تكوينها كقيادة على وجه الخصوص ، الواقع الطبقى السائد فى مرحلة

تكوينها •• مما يجعل من الصعب علينا أن نحدد بشكل مطلق دور الجيوش فى الثورة العربية •

وأنه من البديهى أن الجيوش لا يمكن أن تشكل بديلا لحركة الجماهير المنظمة وان استطاعت فى ظروف معينة من تطور الحركة الوطنية أن تلعب دورا هاما فى تطور الحركة الثورية فيما يتعلق باحداث التغيير فى السلطة . ثم قدم عددا من الاستنتاجات النظرية بخصوص القضية المطروحة للبحث .. منها :

● أن الدور الحاسم فى حركات الجيوش العربية حتى الان قد لعبه الضباط على اختلاف رتبهم ، وليس الجنود ، ولذلك فان الفهم الاساسى لدور الجيوش العربية يتوقف على فهم التكوين الطبقى والايديولوجى للضباط ولا سيما الرتب الصغيرة والمتوسطة •

● أنه لابد من التوضيح أن القوات المسلحة لا تستطيع التحرك والقيام بعملية التغيير الا اذا كانت الظروف الموضوعية للثورة قد بلغت حدا معينا من النضوج وغدت القضية قضية تصدى لقيادة عملية انتزاع السلطة .

● أن الجيش لا يمكن أن يحدث تغييرا ثوريا من حيث هو جيش مهمته الاساسية كجهاز من أجهزة السلطة القائمة أن يكون أداة قهر بيد هذه السلطة ، وانما يكون التغيير من صنع التنظيم السياسى داخل الجيش ، تنظيم الضباط الاحرار • ولسوف يكون الخطأ الاكبر لقادة هذه الحركات العسكرية الثورية أن يتخلوا عن هذا التنظيم السياسى والانزلاق فى محاولة اقامة حكم للجيش •

● أن الخطأ الكبير الذى وقعت فيه بعض البلدان التقدمية هو أنها حاولت أن تجعل من الجيش قوة سياسية قائدة فى المجتمع بديلا عن الحزب ، وهو أمر من غير الممكن عمليا ومن غير الجائز مبدئيا .

● أن الجيوش فى معظم الانظمة التقدمية لم تتعرض لعملية تغيير سياسية فى تركيبها مما أفسح المجال أمام عناصر قائمة على رأس قطاعات فيها لاستغلال سمعتها الوطنية ومراكزها للحصول على امتيازات ومداخيل غير مشروعة مكونة فئة عسكرية لها مصالحها وامتيازاتها الخاصة التى تدفعها الى الوقوف فى وجه تطور الثورة بل ومحاولة اللجوء فى بعض الحالات الى تنظيم محاولات انقلابية يمينية •

● أن المهمة الاساسية للجيوش العربية فى الثورة العربية هى حماية المكتسبات التقدمية التى تحققت ، والدفاع عنها ضد قوى الثورة المضادة داخليا وخارجيا لاسيما فى النضال لتحرير الارض المحتلة واستعادة الاراضى المغتصبة . أما **عبدالله الريماوى** [الاردن] فقد أسس معارضته لفكرية الدكتور منصور من زاوية التاريخ القومى العربى على أساس أنه :

● ليس صحيحا القول بأنه لا دور للجيش قبل التفجير أو بعد التفجير كما ليس صحيحا القول بانه لا دور للشعب •

● ليس صحيحا أن الشعب العربى حتى فى أكثر قطاعاته تاخرا وجهلا يدافع عن شرف الاسرة ولا يدافع عن شرف الامة أو تحريرها •• فمجموع شهداء هذه الامة فى كافة أقطارها ضد الاستعمار وضد الاستغلال من سنة ١٩٠٨ على أقل تقدير • كانت قوافل شعبية متواصلة دفعت الدم ذودا عن الشرف العربى والتقدم العربى والوحدة العربية •

● وليس صحيحا أيضا أن ما نعانيه من تخلف ليس سببه الرئيسى هو الامبريالية فان انكار هذه الحقيقة انكار لابرز عبر التاريخ العربى الحديث •

● وليس صحيحا بعد هذا ان الاستقلال ليس شرطا لصنع التقدم ، فكيف نصنع التقدم بغير الاستقلال السياسى الصحيح .

● وأخيرا ليس صحيحا أن حق الطلائع الثورية التى تفجر الثورة فى القيادة هو حق مكتسب من أنها فجرت الثورة ، فهذا مفهوم تجارى نابع من المكافاة •• بل يجب أن يكون التصدى للقيادة من مقتضيات الثورة ومصلحتها ولابد أن يوضع فى نطاق هذه المصلحة •

أما **محمد ابراهيم نقد** (السودان) فقد بنى معارضته للتقرير على أساس مغزاد ودلالته بالنسبة للوضع المحلى للسودان •

وانطلاقا من فهمه لتفجر ثورة مايو فى السودان باعتبار القوى التى فجرتها هى جزء من اليسار العربى نشأت معه سواء فى المدارس قبل دخول الكليات العسكرية أو بعد أن تخرجوا فيها ، وتتحمل مع اليسار العربى مسئولية أى نقائص توجد فى الحركة الثورية ، فقد ذهب فورا الى تلخيص المشكلة التى يراها وهى : ماذا بعد تسلم السلطة وبعد أن أدت الفصيلة العسكرية دورها بكفاءة وجدارة ، وما هو سبيل المسار الثورى ؟ المشكلة هنا ليست انتهاء دور الجيش أو عودته الى ثكناته ، هذه ليست المشكلة ، وانما المشكلة

الاساسية فى العملية الثورية هى الانتقال بالعملية العسكرية الى عملية شعبية متكاملة خلال فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر حسب تطور مستوى الحركة الشعبية واستعدادها لتحمل أعباء التغيير وليس فقط الترحيب بالتغيير .

وقارن ابراهيم نقد بين المفهومات التى عرضها الدكتور منصور والمفهومات الواردة فى معظم الوثائق الاساسية للثورات العربية فى مصر والجزائر واليمن الجنوبية الشعبية والخطب السياسية للرئيس نميرى، ثم لخص ما يراه من مشاكل تواجه النظم الجديدة من حيث كثرة المنظرين الوافدين على الحركة الثورية ، والقضاء على العقدة الموروثة للتفرقة بين قدرات المثقفين العسكريين والمثقفين المدنيين ، وبروز التفكير الانقلابى .

كما رفض بشدة هجوم البحث على التنظيمات النقابية والسياسية التقدمية من حيث أن الاختلاف فى التاكتيكات بين فصائل اليسار العربى يجب الا تبيح لاحد ان ينتحل لنفسه حق توزيع الادانات وتوزيع صكوك الغفران ».

وبعد أن رفض مفهوم التمدين مجردا ومعزولا عن المضمون الاجتماعى الذى يتم على أساسه ، علق على دعوة البحث لان تبقى القوى التى حققت الثورة فى السودان فى المفاصل والمراكز القيادية قائلا : ان هذا صحيح ، اذ يجب أن يبقوا ، وأن يساهموا فى العمل القيادى ، لانهم فى المراحل الاولى يتحملون المسئولية ، ولكن وضع الصيغة بهذه الطريقة يقفل الطريق أمام الصيغة التى وردت فى كل وثائق وخطب ٢٥ مايو ، فكيف تنتقل السلطة اذن الى يد القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى التقدم ، فاذا وضعت الصيغة بهذه الطريقة ، فان هذا يؤدى الى قفل الطريق امام تطور الثورة الى الامام لانجاز مهامها الاجتماعية .





القضـــية الفلســـطينية كمحـور للثـورة العربيـة

البحـــــوث

استهل **شفيق الحوت** [منظمة تحرير فلسطين] البحث بالتركيز على الخلفية التاريخية قائلا : ان التحالف الاستعمارى الصهيونى قد التزم باقامة اسرائيل كهدف للصهيونية ولتكون فى نفس الوقت أداة ووسيلة للاستعمار للسيطرة على الوطن العربى ، وقاعدة لحماية مصالحه الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

فى مطلع القرن الماضى بدأت الرأسمالية الاوروبية فى البحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ، وعن موارد وطاقات طبيعية وبشرية جديدة لاستغلالها . وفى هذه المرحلة نشأت الصهيونية ، وقد اعتمدت الحركة الاستعمارية كل الوسائل لتطويق الوعى الوحدوى ، واجهاض كل احتمالات الوحدة العربية . وقد ارتكز التخطيط الاستعمارى على خطين :

- تفتيت الوطن العربى .
- زرع حاجز بشرى غريب فيه .

وجاءت الحرب العالمية الاولى مجالا لمباشرة تلك الاستراتيجية العدوانية (معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور) . وبعد الحرب فرضت بريطانيا سلطتها على فلسطين ، وعملت مع الصهيونية لتهيئة فلسطين لتكون الوطن القومى لليهود .

وفى مواجهة المؤامرة الكبرى قام شعبنا الفلسطينى بانتفاضات فى سنوات ١٩١٩، ٢٢،٢٠ ، ٢٩ ، ٣٥ وبلغت الثورة ذروتها عام ١٩٣٦ . وهنا برز دور الانظمة العربية التى اصطنعها الاستعمار حول فلسطين ، فوجهت نداء الى عرب فلسطين كى ينهوا ثورتهم اعتمادا على حسن نوايا حليفتهم الصديقة بريطانيا !!

وجاء انتهاء الانتداب على نحو مكن العصابات الصهيونية من الاستيلاء على الارض . وتصدى شعبنا وهو شبه أعزل من السلاح ، ومن جديد برز دور الانظمة العميلة ، ودخلت جيوش ملوك وأمراء نداء عام ١٩٣٧ الى فلسطين . وانتهت تلك الجولة بتكريس اسرائيل .

وكانت أسباب فشل النضال العربى :

● تصدى الطبقة التقليدية لقيادة النضال العربى والفلسطينى ، فأغفلت عن وعى المفهوم الاجتماعى للثورة ، وكان همها مساومة الاستعمار .

● فشل القيادات العربية فى استيعاب عمق مخططات العدو .

● دخول الجيوش العربية الى ساحة المعركة من واقع الانفصال والتجزئة .

وبدأت تلك النظم العربية ، بعد ١٩٤٨ ، فى تبنى مؤامرات التوطين والتهجير للاجئين ، وتعرض شعبنا للارهاب والتشريد ، بعد رفضه تلك المؤامرات .

ومع دقات التغيير الثورى الذى أحدثته ثورة يوليو ، صحا شعبنا .

وقام العدو بعدوانه ١٩٥٦ مستهدفا اسقاط الثورة ليتسنى له تنظيم الاوضاع فى المنطقة العربية وقد ترتب على فشل العدوان :

● تأكدت مجددا حقيقة التحالف الاستعمارى الصهيونى ـ الرجعى .

● تعاظم المد الوحدوى ، وانجزت الوحدة بين مصر وسوريا ، وان نجح حلف الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية فى اسقاطها عام ١٩٦١ .

وبرزت، على يد قاسم ، شعارات أقلمة الاهداف القومية مثل (لا يحرر فلسطين الا الفلسطينيون)

وبوقوع الانفصال ضرب شعار (الوحدة طريق التحرير) .
وفى المقابل برزت اتجاهات اخرى أكثر أصـ . ونقدمية وثوريه، للتصدى لاستراتيجيه العدو المتمثله فى :

● تكريس التجزئة فى الوطن العربى .

● الابقاء على حالة التخلف .

● احكام ارتباط الوطن العربى بالمعسكر الامبريالى .

ان احباط تلك الاستراتيجية يكون باعتبار :

● التحرير القومى ردا على محاولات الارتباط بالامبريالية .

● الاشتراكية ردا على التخلف .

● الوحدة القومية ردا على التجزئة .

ولقد تبلور من حول الكيان الفلسطينى اتجاهان رئيسيان : الاول يريده كيانا اقليميا ، والثانى يريده جزءا من الثورة العربية . ثم لحق بهما اتجاه ثالث تبنى الماركسية اللينينية وطرح القضية من زاوية الصراع الطبقى .

وجاءت منظمة التحرير الفلسطينية ، بميلادها كيانا فوقيا ، ومحصلة للعمل العربى الرسمى ــ أرضا ومجالا تتجاور وتتصارع فيه جميع هذه الاتجاهات . وبعدها طرحت شعارات (حرب التحرير الشعبية و (التنسيق) .

وجاءت معركة حزيران نتاجا للسياسات الاقليمية ولاستمرار سيطرة الرجعية .. ولدخول المعركة من خلال كيانات عربية مجزأة .. ولحالة البلبلة الفكرية ، ولحرمان الجماهير العربية من ممارسة حقها فى التسلح والتنظيم .

ان حلف العدو يعمل لاستغلال هزيمة حزيران لزعزعة ثقة الجماهير فى الثورة العربية ، الا ان الجماهير انتفضت فى أكثر من قطر عربى ، وصححت أوضاعا وثارت على أخرى ، كما حدث فى السودان وليبيا . أما فيما يتعلق بفلسطين ، فان لم تكن هى محور الثورة العربية فى تاريخنا المعاصر ، ترى فأى قضية اذن هى محور تلك الثورة ؟

وقدم البحث الثانى **الرائد أبو القاسم هاشم** [السودان] فأوضح أن اسرائيل ــ فى التحليل الاخير ــ هى تحد حضارى تسنده خلفية

حضارية أخرى. وقد بدأت الصهيونية بتقرير ان اليهود يشكلون أمة، في حين يقرر الخبير اليهودي (هاري شابيرو) أنهم «لا يشكلون عشيرة او قبيلة أو أمة بالمعنى الضيق لهذه الكلمة». ويعود اصلهم لمجموعة مختلفة من الاجناس، والرابطة التي تربط اليهود رابطة دينية لاغير (٥).

ان الصهيونية مؤسسة استغلالية ارتبطت نشأتها بتطلع استعماري واضح. ولم يكن باستطاعة الصهيونية تحقيق هدفها، وهو قيام دولة اسرائيل، من غير ان تتحالف مع الاستعمار العالمي. وبالمقابل فان الاستعمار العالمي قد انشأ في المنطقة مصالح مادية متشابكة وكانت هناك استجابة سلبية من قبل الامة العربية، بحكم التجزئة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وفي مواجهة هذا التحدي جاءت ثورة يوليو بمصر، ثم جاءت الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ تأكيدا للمنطق الوحدوي للثورة العربية، وكان نجاح ثورة العراق ١٩٥٨ تأكيدا للمنطق التقدمي للثورة العربية. ثم انتقلت الثورة العربية من مرحلة الافق الوطني الى مرحلة الافق الاشتراكي... فاستجابة الامة العربية تطورت متكاملة من رفض الاستعمار الى رفض الاستغلال.

ولكن الاستعمار والطبقات الرجعية لم تتوقف عن محاربة الثورة العربية، فكانت مؤامرة الانفصال، كما كان من أبرز أهداف عدوان حزيران القضاء على الانظمة الثورية العربية.

قبل حزيران أهدر الكثير من الطاقات وانعدمت الرؤية في كثير من المواقع. واليوم اصبح النضال العربي مطالبا بأن ينهج نهج الاعداء في الاعداد والحشد والتعبئة:

- فيحدد في وضوح أهدافه.
- ويخطط بالعلم بدقة ومرونة.
- وان يستخدم ما انجزه العصر من أدوات ووسائل.

ان العدو يمضي الان مهووسا يوسع من نطاق عدوانه حتى ضواحي القاهرة في محاولة مستميتة لجرنا الى المعركة من جديد قبل أن يفقد نهائيا ميزة الحركة بحرية تامة، بفقدانه القواعد العسكرية الاستعمارية في ليبيا.

ان الظروف الموضوعية مهيأة: فشروخ في المرتكزات الروحية والفكرية للعدو، وانهيار في روحه المعنوية. وبدأ العدو يخسر قطاعا كبيرا من الرأي العام العالمي، وبدأ يفقد ميزة العمل الدعائي.

ان المقاومة قادرة على ايلام العدو واستنزاف جهده بل وهزيمته على المدى الطويل، كما أن البعد الدولي لا يحكم هذه المقاومة، وقد كان هذا البعد ركيزة لمخطط التحالف المعادي.

اننا مطالبون بتعميق الدراسات حول العدو، وأساليبه، وأنماط تفكيره.

ان أمريكا مستعدة للدفاع عن اسرائيل مهما غلا الثمن، تحكمها في ذلك مصالحها واحتكاراتها وعلى الطرف الاخر فان الاصدقاء في المعسكر الاشتراكي وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي يقدمون لنا المزيد من العون رغم تكاليفه الكبيرة.

ان مغالبة الذات والخروج عن مألوف التصور والاحكام هو أحد مكاسبنا في المعركة، والعمل الخلاق هو نتاج لافقه الفكري.

وفي السودان اتجهنا لتغيير المنهج التربوي من أساسه بعد أن كانت الجامعة بعيدة عن خدمة آمال الجماهير.

ان مما يضعف فرصة العدو في التصدي للثورة العربية ان يعم التغيير كافة أجزاء الوطن. ودعوة الوحدة العربية هي الرد الطبيعي والعملي لدرء الخطر وحسمه.

لقد شاركت اسرائيل في كل خطط التآمر على جنوب السودان.

اننا ننبه الى خطر النشاط الاستعماري الدامي لمسخ عروبة محميات الخليج.

لقد سعينا لتأصيل الاتجاه الرامي لتمكين الجماهير من أن تصبح قادرة باستمرار على الحكم على ماتباشره طلائع العمل وقياداته في كافة مواقع النشاط.

علينا ان نكون على بينة من استعدادنا لخوض المعركة.

ان هناك أخطارا كامنة في صميم بناء قوى الثورة ذاتها.. لنتأمل.. الهوة القائمة بين الغاية والمقدرة.. والفارق الكبير بين النموذج

والمعطى .. والبون الشاسع بين ماينبغي أن يكون وما هو كائن .

ان عناصر اليقظة الثورية ليست أمرا ميسورا الا في حدود ضيقة حتى الان .

ان ما افضت به معارك المواجهة على القنال مؤخرا ، أمر ينم على انجاز معجز في مجال الاعداد والتدريب والتوجيه ، في وقت قياسي وبكم هائل .

وقدم **حسن الخطيب** (الصاعقة) بحثا تناول فيه **واقع ونطلعات النضال الوطني الفلسطيني وارتباطه بالثورة العربية** ، فاشار الى ان حركة المقاومة الفلسطينية تعيش أوضاعا ذاتية لا تعدو كونها امتدادا عفويا للاطر الفكرية والتنظيمية التي حكمت حركة التحرر الوطني العربية .. ففي المجال التنظيمي وقعت حركة المقاومة في شرك العفوية والارتجال ، واكتفت بمظاهر الالتفاف الجماهيري الخارجية والسطحية . ووجدت نفسها أسيرة معالجات يومية واستراتيجية خاطئة . وفي المجال الفكري وقعت أسيرة تفسيرها المثالي والغيبي للقوى السياسية والاجتماعية في الواقع العربي . واعتبرت الاندفاع الجماهيري العاطفي قانونا عاما يحكم قضية الثورة الفلسطينية . وبذلك وقفت عند حدود التغني بانبهارها بهذا الاندفاع .

ان ضمان تجاوز حركة المقاومة لمجموعة هذه المنعكسات السلبية ، انما يتوقف على قدرتها على اعادة صياغة مفاهيمها وأساليبها . وقد فرضت المقاومة مفاهيم خاطئة :

● التعميم والفصل ـ تعسفا ـ بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وبين حركة التحرر الوطني العربية . وبهذا المفهوم تجد حركة المقاومة نفسها معزولة كليا عن حركة التحرر العربية . وتقف على ذات الارض مع الدعوات الرامية الى نفي الترابط التاريخي والحتمي بين الاستعمار والرجعية العربية .

● ركزت حركة المقاومة على مسالة تحرير الارض ، ورفضت البحث في قضية المضمون الاجتماعي ،باعتبارها مسالة استباقية ، وتجاهلت حقيقة فشل البورجوازية الفلسطينية والاقطاع العائلي الفلسطيني . مع فقدان الخطوط الاساسية لنظرية ثورية . مما أدى الى تجاهل طبيعة القوى المؤهلة للسير في عملية التحرير الى نهايتها ، والى نفي التلازم بين التحرر السياسي والتحرر الاجتماعي .

● لم تعط حركة المقاومة الاهمية الكافية لبناء تنظيم طبقي مركزي ، يقوم على نظرية ثورية ، واعتبرت ايديولوجية الكفاح المسلح المدخل الوحيد لحل كافة مشكلات الواقع الفلسطيني .

ان مسألة ثورية هذه الحركة وجذريتها وشموليتها ووضوح برامجها السياسية والايديولوجية والعسكرية والتزامها بنظريه ثورية وعلمية تبقى هي الاساس المادي والشرط الاهم لكل عمليه تطور مستقبلة ، ان الجماهير الكادحة المسلحة بالوعي السياسي والعسكري هي الاداة القادره والمؤهله موضوعيا وعمليا على انجاز مهمة التحرر الوطني ، في ظل قيادة تخرج بالعمل الفلسطيني من التجريبيه ومحاولات القفز به من فوق الصراعات السياسية والطبقية ، والاتجاهات التي تتجاهل الضرورات الايديولوجيه لحركة التحرر الوطني الفلسطينية .

ان القيادات الاقطاعية البورجوازية تقف في مقدمة أسباب الهزائم المستمرة التي لحقت بالحركة الوطنية . وهي القيادات التي استطاعت أن تجرف النضال الفلسطيني عن منحاه الحقيقي وأن تساوم الاستعمار . ان البورجوازية الفلسطينية لن تتحرك الا في اطار التزاماتها الطبقيه وارتباطاتها المصلحية .

ومن المسائل الهامة التي يتوقف عليها الى درجة كبيرة مستقبل حركة المقاومة الفلسطينية .

● الحرص على عدم اثارة التناقضات الهامشية والجزئية بين فصائل حركة المقاومة ، نظرا لعدم اكتمال الوعي الثوري والسياسي لدى الجماهير العربية والفلسطينية ، ولقطع الطريق على القوى المضادة للثورة . ولكن هذا الحرص يجب الا يصل الى حد طمس الاختلافات المتعلقة بقضية الثورة . كما يجب اشاعة جو من الجدل الديمقراطي والنقد الذاتي ، والابتعاد عن الاساليب الفاشية والقمعية في معالجة الخلافات اليومية والتكتيكية .

وهناك ظاهرة مرضية خطيرة هي اضافة فصائل جديدة الى حركة المقاومة ، ولا تتمتع هذه الفصائل ، غالبا ، بأي مبرر موضوعي لولادتها ، ولا تستند الى أساس أيديولوجي أو عسكري .

ان تعدد منظمات المقاومة ظاهرة صحية وموضوعية لا يمكن تجاوزها مادامت تعبر عن مواقف أيديولوجية وسياسية . ومعالجة هذه الظاهرة يقوم على :

١ ـ فتح حوار هادف وموضوعي مع عناصر هذه الفصائل .

٢ ـ اخراج هذه المنظمات من ساحة العمل الفلسطينى ، وكشف زيف جميع الادعاءات الايديولوجية التى تختفى وراء طرحها • وتوضيح أهمية استقلال حركة المقاومة عن الانظمة العربية • والعمل على التقاء جميع الفصائل ذات الافق النظرى والاستراتيجى الواحد فى اطار تنظيمى موحد ، كخطوة على طريق توحيد أداة الثورة •

● ان قوى الثورة المضادة تسعى الى ترسيم الثورة الفلسطينية ، اما تحت شعارات التنسيق والتعاون أو عن طريق محاولات الاحتواء والوصاية•

لقد اجتازت حركة المقاومة مرحلة الصعوبة الاولى من حياتها ، وتخطت احتمالات المواجهة السافرة والعلنية من القوى الرجعية والاستعمارية •

ان الذهنية العسكرية غير قادرة ، ولا مستعدة اطلاقا ، على تقبل الدور الطليعى والتاريخى للجماهير العربية ، وللشعب العربى الفلسطينى •

● ان وحدة فصائل حركة المقاومة وقواها المقاتلة فى جبهة وطنية عريضة تقوم على برنامج عمل ، هى الضمان الاكيد لانتصارها وانتزاع المشروعية الدولية لنضالها •

وفيما يتعلق بمنظمة التحرير فان **حسن الخطيب** يرى أنها احدى الصيغ الوحدوية المطروحة ، ولكنها بالتأكيد ليست الشكل الصحيح • وقد مثلت عند انشائها حلا وسطا لتناقضات الانظمة العربية ، وقد جاءت كمحاولة عربية رسمية لاجهاض بدايات التحرك الوطنى لدى الجماهير العربية الفلسطينية • ولازالت المنظمة تحمل حتى الان بذور ولادتها ، كما لا تزال ظلال الوصايه العربية الرسميه تخيم على بعض مفاهيمها ، واجهزتها ، واساليبها •

لابد لمنظمة التحرير من الانتقال من منظمة بيروقراطية الى حركة وطنية ثورية •

أما قيادة الكفاح المسلح فمازالت مفرغة من كل المضامين العملية ، وموظفة لصالح مجموعة اجراءات شكلية ، مثل البلاغات العسكرية ، والانضباط العسكرى ، والاسهام فى حل بعض المشكلات المتعلقة بفصائل حركة المقاومة •

ولابد بشكل أساسى وأولى من التغلب على الامراض الذاتية لمختلف فصائل حركة المقاومة •

وفيما يتعلق بمشكلة **العلاقة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية** يؤكد حسن الخطيب أن الثورة الفلسطينية جزء أساسى من الثورة العربية • ومصير فلسطين سيتقرر تاريخيا مع مصير الاوضاع المحيطة بفلسطين • واذا أتيح للمقاومة الفلسطينية أن تأخذ كل أبعادها النظرية والتطبيقية ، فان نتائجها لن تقتصر على تحرير فلسطين والوطن العربى فحسب ، وانما ستحرر حركة التحرر الوطنى العربية من كل تناقضاتها الذاتية ، ومن كل عوامل التفتت والقصور ، التى لحقت بها أيضا •

ولعل أبرز نتائج التخلف السياسى والاقتصادى والايديولوجى فى الوطن العربى هى :

أولا : ضآلة دور الطبقة العاملة فى قيادة الحركة الوطنية •

ثانيا : انفراد البورجوازية بقيادة الحركة الوطنية ، وهى التى شاركت كل المخططات الاستعمارية التآمرية ضد حركة التحرر الوطنى العربية، بحكم تكوينها الرأسمالى ـ الاقطاعى •

كل ذلك أدى الى تراجع دور الطبقات الكادحة • وعندما حدثت التغييرات السياسية ، برز دور البورجوازية الصغيرة جنبا الى جنب مع نمو الظاهرة العسكرية •

لذا فتصدى الجماهير العربية الفلسطينية لحمل السلاح ، يطرح امكانية تجاوز تناقضات الواقع العربى وتحريك مبادرات الجماهير عبر جبهة وطنية تقدمية عريضة •

أما العلاقة بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العالمى فيتلخص فى أن التناقض الرئيسى القائم فى العالم ، الان ، هو التناقض بين دول المنظمه الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى من جهة وبين الدول الاستعمارية من جهة أخرى • وتتحدد مواقع الثورة الفلسطينية من هذا الصراع ، جدليا ، على ضوء ارتباطها بحركة التحرر العربية •

ولم يعد بوسع أية حركة تحرر وطنى أن تبقى على هامش الصراع بين القوتين الرئيسيتين فى العالم ، الا اذا اختارت أن تتناقض مع مبررات وجودها ، وتضع نفسها فى خدمة الاستعمار العالمى والاحتكارات الرأسمالية العالمية •

وتطرق الخطيب من هذا العرض الى محاولة استكشاف مستقبل المقاومة في صراعها مع الصهيونية قائلا ان الذى يحدث ، الان ، داخل حركة المقاومة لا يمكن أن يعتبر تحولا طبيعيا نحو الثورة الشعبية بقدر ما هو تضخم ظاهرى على حساب الجوهر والمضمون · وهذا التضخم الوهمي يظل عرضة للانحسار والتلاشي تحت ضربات القوى المضادة للثورة ، طالما بقى المنطلق الاساسى فى تكتيل الجماهير وراء النضال المسلح معتمدا على التعبئة العاطفية والعفوية البعيدة عن الالتزام الفكرى الثورى ، والمستندة الى العمليات العسكرية وحدها ·

ان مستقبل المقاومة رهن بتحقيق :

● التزام حركة المقاومة بنظرية ثورية ·

● بناء جبهة وطنية فلسطينية عريضة ، تحت قيادة طليعية ملتزمة ·

ان الصراع الدائر مع العدو يخضع لجملة من العوامل والمؤثرات ، لعل أبرزها :

● الثورة المسلحة ذاتها ، بما تحمله من امكانية بناء الاطارات السياسية والطبقية المقاتلة ·

● التناقض المزدوج داخل المجتمع الصهيونى، والذى يمثل فى شقه الاول تناقضات الكيان الصهيونى الخاصة ، ويمثل فى شقه الثانى تناقضات المجتمعات الرأسمالية بشكل عام · وتفتح الثورة الفلسطينية المسلحة الباب واسعا لتفجير هذه التناقضات ·

● اتساع اطار الجبهة العالمية المناهضة للصهيونية ، والمساندة لحقوق شعب فلسطين ·

ان منظمة (طلائع حرب التحرير الشعبية) تطرح الحل الديمقراطى للقضية الفلسطينية ، مع الانتباه للملاحظات التالية :

أولا : ازالة وتقويض كل مركبات ومكونات الكيان الاستعمارى الصهيونى فى فلسطين ·

ثانيا : أن تنشأ هذه الدولة الديمقراطية فى اطار الوحدة العربية ·

ثالثا : ان الدولة الديمقراطية الشعبية لن يتم الوصول اليها الا من خلال الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية الشاملة ·

وفاروق القدومى (فتح) يؤكد على وضع فلسطين باعتبارها بمثابة القلب فى الوطن العربى · وقد وجدت الدول الاستعمارية فى الحركة الصهيونية سبيلا لخدمة الاطماع الامبريالية ، فاقتطعت هذه الارض العربية · وبدأ الانتداب البريطانى يهيىء فلسطين لوجود وطن يهودى فيها · وبحكم سيطرة الاستعمار والانتداب البريطانى والفرنسى على الاجزاء المجاورة ، استطاع الانتداب عزل عرب فلسطين سياسيا واجتماعيا عن اخوتهم ·

ان الامة العربية تقاتل لاسترداد هذا الجزء من أرضها الى الوطن الام · ولكن وجود كيانات سياسية متعددة ، وضعف بنيتها النضالية يجعل من الصعب أن تتجه الجهود العربية فى وقت قصير بشكل موحد الى تحرير فلسطين ·

ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العربية · ولم تتخذ الثورة العربية بعد سمات محددة ولا مضمونا اجتماعيا مفصلا · فى حين لا يمكننا فصل تحرر الثورة الفلسطينية السياسى عن تحررها الاجتماعى والاقتصادى · وهذا ما يجعلها نواة لثورة عربية شاملة ·

ان اى أصلاح اجتماعى ، أو دفع للتطور الاقتصادى فى أى قطر من الاقطار المجاورة بمعزل عن الاقطار الاخرى هو بمثابة ترسيخ للاتجاه الاقليمى · وبديلا لذلك يجب أن تقوم بتعبئة اقطارها بما لديها من امكانيات وتسخرها لمصلحة الثورة العربية الشاملة ، والذى تجسد نموذجها فى الثورة الفلسطينية ·

ان من المميزات الاصيلة للثورة الفلسطينية استحالة تبلورها فى شكل ثورة اقليمية · وفقدان الثورة لاطارها الاقليمى ، ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية المكتملة ، يخلق فيها عنصر المرونة والتكييف مع النظم الاجتماعية العربية بتعدادها ·

لقد ساهمت الثورة الفلسطينية الى حد كبير فى رد الذهن العربى من متاهاته الغيبية والذاتية · وكانت قضية فلسطين ، وما زالت ، عامل لقاء وتجمع للاقطار العربية · وفى الماضى كانت السلطات العربية والحركات العقائدية تتخذ من قضية فلسطين مادة لخدمة مصالحها · وبانطلاق الثورة الفلسطينية أصبحت طلائعها هى المسئولة عن هذه القضية بالدرجة الاولى ، وبدأت علاقتها تتحدد بالاقطار العربية تحديدا واضحا ثوريا ،

وارتقت النضالات الجماهيرية من مستوى الشعارات الى مستوى تقديم العون المادى والمشاركة الفعلية· وزاد الوعى الشعبى الى حد قلبت فيه القيادات السياسية ، كما تم فى السودان وليبيا ·

ان الثورة الفلسطينية هى فى الحقيقة بؤرة التمرد العربى ضد الواقع الفاسد ·

ويرى فاروق القدومى أن الفكر العربى المعاصر يعالج القضية الفلسطينية من خلال نظرية الحق فقط · وحاولت بعض السلطات إخفاء صورة الحق العربى ، باذابة الشعب الفلسطينى فى المجتمعات العربية أو بامتصاص طاقاته الانتاجية · وطمست وحوربت كل مقاومة لهذه المحاولات ، وانتهت بالاقليمية أو الانحرافية أو الانفصالية ·

ان حركة الجماهير اذا ما تصاعدت وتطورت فانها بالنتيجة سوف تصهر جميع القوى التقدمية بالرغم من تعددها ، وتتخطى جميع العوائق والحواجز وتسقط السلطات السياسية اذا لم تستجب لدعوة الجماهير المشاركة والممارسة والمواجهة ·

وقد أسهمت الثورة الفلسطينية فى بلورة الرأى العام العربى بشكل يخالف ما كان عليه · ودللت هزيمة حزيران على صحة النهج الثورى الذى اختطته الثورة الفلسطينية بقيادة (فتح) ·

ان العلاقة بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية علاقة تتحدد من خلال نفى السلبيات القائمة ولتثبيت العوامل الايجابية المشتركة بين مختلف الاقطار العربية ·· فالتجزئة ، والتفاوت الاجتماعى بين مختلف الاقطار ، وتعدد القيادات وتفاوتها فى الوعى والمضمون ، كلها تناقضات تحتاج الى حل ·

وفيما يتعلق بالخط الاستراتيجى والسياسى للثورة الفلسطينية يرى القدومى أن الامن القومى والمصير العربى يستمدان مفهومهما وحقيقتهما من تحرير فلسطين باعتبارها ضرورة قومية ، اما ماعدا ذلك من مشاكل وقضايا قومية فلابد ان تخضع لمقتضيات الثورة الفلسطينية وضرورة تصعيدها الى حرب شعبية شاملة على الارض العربية ·

ان تحرير فلسطين لابد وان يعتمد على الجماهير العربية ، وليس على الجيوش النظامية فقط · وذلك باتباع اساليب الحروب الهجومية والدفاعية فى آن واحد ، وفى مختلف الجبهات العسكرية والسياسية والاقتصادية ، بشن نضالات يومية ضد التخلف الاقتصادى والاجتماعى وضد التحجر العقائدى ·

وكل هذه الفرضيات جعلت من الثورة الفلسطينية محور القضية العربية ·

ان دور الجيوش العربية فى هذه المرحلة ينحصر فى الردع والحماية ، وتتولى الثورة الفلسطينية وقواتها المسلحة عمليات الهجوم ·

وفى حديثه عن المخططات الصهيونية الامبريالية والاثار الايجابية لحرب حزيران ، يشير الى ان احتلال العدو لجزء من الاراضى العربية المجاورة لفلسطين جعل الجماهير فى هذه الاقطار على نفس المستوى من المعاناة مع الشعب الفلسطينى · كما أن العدو اجبر الاوضاع العربية المرتبطة بالغرب على التورط فى الصراع المسلح ·

وقد رفعت الثورة الفلسطينية شعار عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية مادام امن الثورة مصونا · وذلك كى تتيح لعناصرها اقصى مدى ممكن من حرية الحركة ، لتعبئة الجماهير ، وللابقاء على تماشى الثورة مع الجماهير العربية ·

والثورة الفلسطينية ليست بديلا للثورة العربية ·

لقد وجدت الامبريالية والصهيونية استراتيجيتهما المضادة للامة العربية ، وهذا يفرض بالضرورة وحدة الاستراتيجية العربية بتكامل استراتيجية الثورة الفلسطينية مع استراتيجية حركة التحرر العربى كجزء منها ·

بعد أن فقدت الامبريالية العالمية العديد من قواعدها العسكرية ومستعمراتها فى آسيا وافريقيا جاءت اسرائيل كقاعدة جديدة ، وجاء الغزو التكنولوجى كاسلوب جديد للامبريالية ، لتعود الى استغلال الدول النامية ·

ومقابل التفوق التكنولوجى لاسرائيل تمتلك الامة العربية قدرات بشرية قادرة على سحق العدوان وازالة اسرائيل وتصفية الامبريالية العالمية فى المنطقة ان استطاعت تنظيم وتعبئة هذه القدرات البشرية من خلال استخدامها لحرب التحرير الشعبية الطويلة المدى ·

واستهل المهدى العلوى (المغرب) بحثه بالقول بأن نكبة ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ ، ونكسة ١٩٦٧ ، جاءت نتيجة للاوضـــــاع العـــربية وللثغرات والتناقضات الموجودة فى الوطن العربى والضعف الكامن فى أنظمته السيـاسية والاقتصـادية والثقافية • ومع ذلك فقد كان من نتـائج ٤٨ الايجابية الاطاحة بالحكم الاقطاعى فى مصر • وكان من نتائج حرب ١٩٥٦ الايجابية تعميق العمل الثورى فى مصر ، وخلق المناخ للتغييرات الثورية فى كل من القطرين السورى والعراقى ، وانتصار ثورة الجزائر • واوضحت نكسة ١٩٦٧ عـدم جدوى الاستراتيجية او العقلية التى كنا نواجه بها التحدى الصهيونى الامبريالى •

وقد رفضت امتنا العربية النكسة ، وعبرت عن هذا الصمود ، فكانت التحركات الجماهيرية فى المتحدة وسوريا ولبنان والعراق ، والانتفاضات الثورية التحررية فى السودان وليبيا •

ان تحرير الاراضى العربية المحتلة وتـدعيم الحرب الشعبية لا يتاتى الا :

- بتنسيق العمل بين القوات التقدمية فى الوطن العربى •
- وتوحيد المقاومة الفلسطينية •
- والتعاون مع القوات التقدمية العالمية •

ان لنا فى نضال الشعب الفيتنامى مثالا حيا لما تتطلبه منا المعركة من تضحيات ومن نفس طويل •

ولكى يكون نضال شعب فلسطين بعيدا عن المعارك الجانبية التى تشل من فعاليته الثورية يجب أن تنصهر كل المنظمات الفدائية فى جبهة موحدة عسكريا وسياسيا ، قابلة لبرنامج مرحلى • وهذه الوحدة ليست مرهونة فقط بالعزيمة الثـورية لمناضليها ، ولكنها مرهونة ايضا بالدور الايجابى للقوات الثورية العربية الاخـرى والانظمـة التقدمية •

لقد عرف العدو الصهيونى كيف يعبىء بجانبه كثيرا من القوات التى كان مفروضا ان تكون الى جانبنا •

ان السياسة التى تدعو لها كل من فرنسا وايطاليا، هى فى عمقها سياسة استعمارية جديدة تنطلق من فكرة ما يسمى بالفراغ السياسى فى منطقة البحر الابيض •

وامام هذه النقطة يجب السعى فى تعبئة القوى التقدمية الموجودة حول البحر الابيض المتوسط •

واوضح محمد ابراهيم نقد (السودان) أن قيمة الوجود الاسرائيلى كحصان طروادة ، خطر حقيقى لضرب الثورة العربية التحررية من الداخـل • ونشأت مشكلة اليهود فى أوربا مع نشـأة الرأسمالية • ونشأت الدعوة اليهودية على أساس التزاوج بين النعرة الدينية والمصالح الاقتصادية للبورجوازية اليهودية • وبتحول الرأسمالية الى مرحلة الاحتكار واحتلال اليهود مراكز فى أضخم الاحتكارات العالمية تطورت الى حركة عامة هى الصهيونية ، وتحت تأثير التشابك بين الاحتكارات الصهيونية الانجليزية والامريكية ايدت هـاتان الدولتان فكرة الوطن القومى فى فلسطين •

ان السمة الحتمية للدولة القومية هى وجود القومية نفسها • وليس ثمة سمات مشتركة بين اليهود المقيمين فى مختلف أنحاء العالم مما يجعل منهم أمة واحدة تناضل فى سبيل وطن قومى • ان اليهود يعيشون فى مختلف بلدان العالم كاقليات ومشكلتهم ترتبط بمشكلة الامم التى يعيشـون بينها ، وتحررهم هو تحرر تلك الامم سواء من القهر القومى او الطبقى •

وقيام دولة اسرائيل لم يحل المشكلة اليهودية • ان المفهوم الرجعى العنصرى الذى يعارض ذوبان اليهود فى مجتمعاتهم المختلفة التى يعيشون فيها يعوق اليوم ذوبانهم حتى داخل اسرائيل ويعتبر اساسا لتمييز عنصرى جديد بين اليهود الشرقيين والغربيين •

ان قومية اليهود الوهمية ــ كما يقول ماركس ــ هى قومية التاجر ، قومية رجل الاعمال •

هل هناك امكانية للتغيير الاجتماعى فى اسرائيل من الباطن؟ ان هذا الحل وهمى •• فاسرائيل تفتقد السمات الاساسية للدولة الوطنية، فلقد قامت على أساس اغتصاب مسلح، وهى تبنى سياستها على اساس المطامع التوسعية، وهى تفتقر لشعب معين • كل ذلك يجعل من اسرائيل مجرد اداة للقهر الاستعمارى والعنصرى •

وتعتمد اسرائيل على اقتصاد غير منتج أساسه الخدمات والبناء ، وهى تعتمد على التمـويل الخارجى • وطفيلية اقتصاد اسرائيل تتجلى فى الطابع العسكرى للحياة فيها ، وسكانها بمثابة جيش احتلال •

والحديث عن التغيير الاجتماعى فى اسرائيل ، حيث تفتقد مقومات الحياة الاجتماعية المستقرة والمكونة تاريخيا ، حديث ينافى علم الثورة .

ان القوى الاشتراكية مواجهة بتساؤل حول صحة قرار التقسيم عام ١٩٤٨ .

ان قضية تحرير وطن طرد منه سكانه الاصليون هى فى محتواها قضية صراع طبقى بين الاستعمار الحديث بكل أدواته العسكرية والرجعية فى المنطقة ، وليست قضية نزاع دينى أو عنصرى .

وقيام الدولة العربية الديمقراطية فوق ارض فلسطين يصحح الوضع الشاذ الذى نشأ منذ عام ١٩٤٨ .

المناقشة

للأهمية الخاصة التى تحتلها القضية الفلسطينية فى الثورة العربية خصصت جلستان لمناقشتها .

واستهل المناقشة **عبد الهادى ناصف** (مصر) فأشار الى أن حرب حزيران قد أسفرت عن طائفة من الحقائق هى :

● تجاوز الخطر الصهيونى حدود فلسطين ليهدد كيان الثورة العربية كله .

● اتساع دائرة الصراع .

● العمل الفدائى عامل له أثره الواضح فى الصراع .

● خاضت قوى الثورة العربية المعركة دون استراتيجية .

● مظاهر القصور العربى تمثل فى تجزئة النظر الى الصراع ، وتفتيت الموقف العربى ، والخطأ فى تقدير نسبة القوى ، والتزام الدفاع الثابت ، واغفال دور شعب فلسطين ، واخلاء ميدان المناورة الخارجية للعدو ، واسراف غير مسئول فى التعبئة النفسية للجماهير العربية ، وعجز عن استخدام الرصيد البشرى الهائل والموارد العربية .

ان دروس حزيران لازالت فى حاجة الى استيعاب من قوى الثورة العربية . كما أن صيغة الحرب الشعبية مقبولة من جميع القوى الثورية ، والخلاف على « الصيغة الخاصة » . ولا يمكن للنضال العربى أن ينتظر حتى يتم الحشد العربى الكامل .

ان قوى الثورة العربية مدعوة الى انتهاج استراتيجيةواحدة ، طويلة المدى متعددة المراحل ، وأن تضع فى اعتبارها ما يلى :

أولا — أن ازالة آثار عدوان يونيو ضرورة حتمية على طريق حل قضية فلسطين جذريا ، ولاجتياز مرحلة العمل الفدائى الى مرحلة حرب التحرير .

٢ — تسليح الجماهير العربية .

٣ — الحشد الكامل المتدرج لقوى المواجهة العربية .

٤ — لا يمكن للرجعية العربية أن تأتى مختارة الى ساحة النضال .

٥ — من خلال المعركة يجب أن تتحقق الحرية والاشتراكية والوحدة .

ولابد من برنامج يرتكز على اسقاط احتمالات الحلول الاستسلامية وتحطيم الدروع التى يحتمى بها العدو والمتمثلة فى قوة الردع الذاتى ،

والحماية الامبريالية ، وتأييد الرأى العام العالمى ، والتماسك الداخلى للمجتمع الاسرائيلى •

ثانيا — بناء عقيده قتال هجومية .
ثالثا — زيادة وتقوية الروابط بين قوى الثورة العربية وقوى الثورة العالمية • وتفتيت الجبهة التى يعتمد عليها العدو فى مناوراته الخارجية •

رابعا — الاتجاه نحو الجماهير العربية ..

خامسا — اعادة البناء الداخلى بما يخدم اهداف الحشد •• بتجهيز الارض العربية للقتال ، واعداد الشعب ، وبناء اقتصاد حرب •

ولابد من تحقيق وحدة العمل الثورى بين قوى الثورة العربية ، ولنكف عن لطم الخدود فى مأتم ٥ حزيران ولننهض للعمل •

وتلاه الياس فرح [العراق] قائلا : ان الاحزاب السياسية بعد الخامس من حزيران لمست حقيقة ان ولاء أعضائها بدأ يتوزع بين انتمائها السابق وبين تطلعها الجديد الى المساهمة فى العمل الفدائى • وانتقلت الجماهير العربية من مرحلة الانفعال المنفعل الى مرحلة الانفعال النقدى •

● ان كل نظام وكل حزب وكل منظمة تعبر عن نفسها بموقف التبرير واللامنهجية فى التفكير •• كل واحد منا يقول أنا على حق والغير على خطأ • ولا يصلح الحال الا اذا اتخذ منى النموذج والقدوة •(ما من أحد على حق) : هذا هو شعار ما بعد حزيران •

● والعمل الفدائى هو قلب الثورة العربية ، وعبثا تحاول الحركة الفلسطينية أن تستعين بالوجود العربى ، وعبثا تخشى من تسرب انقسامات الواقع العربى الى داخلها • ان العمل الفدائى لا يمكن له أن يتطور الى حدود الثورة الحقيقية فى معزل عن مجموع الجماهير العربية •

● ان المدخل الى تطوير الثورة العربية هو فى تحقيق الجبهة الوطنية داخل كل قطر ، والجبهة القومية على صعيد الوطن العربى ، وبذلك فقط تتحقق الوحدة العربية على أسس ثورية •

وأبدى **عبد المنعم الغزالى** بعض ملاحظات حول العمل الفلسطينى فى صيغة اقتراحات تضمنت :

● اقامة التنظيم القوى داخل الاراضى المحتلة ، وبدون ذلك فان الكيانات الطبقية العربية سوف تندمج بالكيانات الاسرائيلية ومعظمها كيانات زائفة كالهستدروت •

● التركيز فى العمل بالنسبة للقارة الافريقية ، حيث يحتل النشاط الاسرائيلى مجالا كبيرا • وتشارك اسرائيل فى الحصار المضروب حول ثورة ٢٥ مايو فى السودان ، كما تقود حركة التمرد فى الجنوب •

ان المانيا الغربية وأمريكا قامتا بانشاء معهدين فى اسرائيل أحدهما معهد أفرو آسيوى للدراسات النقابية ، والاخر معهد للدراسات التعاونية أفرو آسيوى أيضا . ونحن لا زلنا نلطم الخدود.

● ان ننطلق الى المنظمات العالمية بمنظمة فلسطينية واحده . فالكيان الفلسطينى لم يتشكل فقط من خلال العمل الثانوى وحده او من خلال العمل العلوى فقط ، ولكن بوساطة تنظيم الجماهير الفلسطينية نفسها •

أما ميرغنى نصر [السودان] فيرى : أن الضمانات الاساسية لاستمرارية الثورة الفلسطينية هى فى:

● وحدة المنظمات الفدائية .

● تلتزم الحركة الفدائية بكونها جزءا من الثورة العربية •

● اقتصاد عربى فى خدمة الجبهة العسكرية •

● تمكين العمل الفدائى من ممارسة وتصعيد العمل الفدائى •

● ضرب مواقع الاستعمار •

● دعم وحماية الانظمة التقدمية •

● رفض قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والعمل على ادانته •

● عدم الاكتفاء على الحرب النظامية والمبادرة بتكوين الجيوش الشعبية •

وتحدث كريم مروه (لبنان) قائلا : ان من المسلم به أن القضية الفلسطينية قضية قومية ، وهى محور لحركة ثورية ، وتشكل الان عنصر تجمع قومى للشعوب العربية • وأود تأكيد بعض الامور :

● تشكل اسرائيل جزءا من الامبريالية العالمية قام على اغتصاب أرض عربية •

● القضية الفلسطينية هى احدى القضايا الاساسية المحورية فى الثورة العربية •

● ولم يحرم الشعب الفلسطيني فقط من ممارسة حقه الطبيعي في تقرير مصيره ، بل حرم كذلك من الارض، ويعطى ذلك للجانب القومي من المسألة مكانا لا يجوز اغفاله •

وعليه فالقوى الطبقية صاحبة المصلحة في الثورة ، هي نفس القوى الطبقية التي تتشكل منها الثورة العربية ، اى الطبقة العاملة وجماهير الكادحين في المدينة والريف ، والفئات الوسطى والمثقفون الثوريون ، وبعض فئات البورجوازية المرتبطة بالسوق المحلية •

ونحن ننظر الى كل واحدة من هذه الطبقات انطلاقا من الحجم الذي تحتله في الثورة •

● التفتت والانقسام وتعدد التنظيمات الفدائية هو ظاهرة طبيعية في هذه المرحلة • والجبهة الوطنية المتحدة هي الصيغة الافضل والاسلم والاكثر علمية ، لتحقيق الوحدة بين فصائل هذه الحركة •

● ان تشكيل منظمة (قوات الانصار) هو النتاج الطبيعي اللازم لكفاح المناضلين التقدميين والثوريين الذي امتد عشرات السنين •

● لابد من الوصول الى صيغة ثورية للعلاقة بين المقاومة والحركة الثورية في كل بلد عربي •

وانتقد سعيد العطار [جمهورية اليمن] الاتجاه السائد في الملتقى بعدم الاشارة الى دور اسرائيل الاقتصادي في المنطقة العربية وفي المنظمات الدولية ، وله أهمية كبيرة • فمن مبادىء اسرائيل الاساسية كسب السوق العالمي واستعمار الدول العربية ، وما هي الا كوبري للامبريالية العالمية والرأسمال العالمي • وعلينا أن نبنى الاقتصاد بالتنسيق والخطة العلمية •

ان الوفود العربية في الامم المتحدة لا تنسق عملها، ان علينا أن نشرح أن قضية فلسطين ليست قضية عربية فحسب بل هي قضية مرتبطة بالقضايا العالمية كقضية فيتنام وروديسيا وجنوب افريقيا، وأن نقدم قضية فلسطين كقضية مستقلة لتحرير أرض فلسطين • ونطالب مكاتب الجامعة العربية بالقيام بعمل فعلي • وأن تضم كل الوفود العربية أحد أعضاء المنظمات الفلسطينية اليها للقيام بنشاط واسع في داخل الامم المتحدة •

وقال **عمر مصطفى مكي** [السودان] ليس متصورا ان الفرق الثورية التي تصاعدت بنضالها الى حده الاقصى : حد النضال المسلح ليس بوسعها او أن ظروفا موضوعية معينة تعوق وصولها الى الحد الادنى من برنامج العمل المشترك الواحد •

ونحن نقول ان القضية الفلسطينية هي محور القضية العربية ، وبالتالي فوحدة النضال الفلسطيني هي محور وحدة القوى الثورية •

اما نايف الحواتمة فيعتب على كريم مروة أنه لم يوضح الموقف من دولة اسرائيل ، كما أن بيان قوات الانصار المرتبطة بالحزب الشيوعي الاردني أوضح ضرورة النضال من أجل تصفية دولة اسرائيل، في حين يقف الحزب الشيوعي الاردني عند قرار التقسيم •

وأضاف قائلا : أن (الجبهة الديمقراطية) طلبت من الدول الاشتراكية تصحيح الموقف الذي انتهت اليه البيروقراطية الستالينية ، ورفض الوجود الاسرائيلي باعتباره قائما على القهر القومي والامبريالي والصهيوني •

ومن رأى **نايف الحواتمة**، أن معظم التنظيمات الفلسطينية ليس هناك ما يبرر وجودها تاريخيا أو ايديولوجيا أو تنظيميا او سياسيا ، بل هي وليدة رغبة ذاتية تجد استجابة واسعة من قبل الزعامات العربية التي تحتضن مثل هذه التنظيمات ، ليكون لها أكثر من قدم في حركة المقاومة •

أن هناك ضرورة للوحدة الوطنية بالاسلوب الديمقراطي ، اذ أن هناك امكانية واسعة للوصول الى برنامج كحد ادنى مشترك سياسي وعسكري بين جميع هذه الفصائل •

كما نبه الحواتمة الاذهان الى أن هناك قوى

طبقية فلسطينية مرتبطة بالقوى الرجعية العربية أو بالسيد الجديد الذى يحتل فلسطين •

ان قضية فلسطين فى هذه المرحلة تتعرض لمؤامرة تصفية دولية مزدوجة ، احدهما محاولة تشكيل حكومة فلسطينية ، والثانية العمل على قتل المقاومة على يد الامبريالية الامريكية بالتعاون مع بعض النظم الرجعية •

■■■

٨

البيان الختامى للملتقى الفكرى العربى
١٥ – ٢٢ مارس ١٩٧٠

ان المثقفين العرب، الذين اشتركوا فى الملتقى الفكرى العربى المنعقد فى الخرطوم بين ١٥ و٢٢ مارس (آذار) ١٩٧٠ تلبية لمبادره من القيادة الثورة للشعب السودانى المناضل ، برئاسة اللواء أ • ح • جعفر محمد نميرى ـ الذى تفضل وافتتح الملتقى وساهم ورفاقه فى مناقشاته •• وهم يتوجهون ببيانهم هذا الى الشعب العربى •• يحيون ثورة الخامس والعشرين من مايو المجيدة ـ التى اتاحت لهم مثل هذا اللقاء على أرض السودان الشقيق .. لتبادل الحوار البناء الهادف ، ومناقشة القضايا المصيرية الهامة التى تواجه شعبنا على طريق نضاله ، من أجل الوحدة والاشتراكية وتحرير فلسطين ، وتصفية الوجود الاستعمارى فى الوطن العربى •

لقد اتاح هذا الملتقى فرصة نادرة لمجموعة من المثقفين العرب ، يمثلون مختلف الاتجاهات ، والقوى العربية التقدمية فى ساحة النضال العربى ، ليديروا حوارا أخويا خصبا ومثمرا ، ستكون له آثاره الايجابية على المسيرة الثورية المشتركة المتصدية لجميع أنواع التحديات الاستعمارية والصهيونية ، وما جرته على الوطن العربى من مشكلات التجزئة والتخلف •

ان انعقاد الملتقى فى هذه الظروف بالذات ، وفى مرحلة تعقب نكسة حزيران ، قد أضفى عليه جوا من الشعور بعظم المسئولية الملقاة على عاتق الفكر الثورى العربى ، والمفكرين الثوريين العرب ، كما ضاعف من الاحساس القومى الملح ، بضرورة بذل كل الجهود الممكنة لتوحيد القوى الثورية العربية ، للتصدى لهذه الهزيمة وتحرير الارض المحتلة والمغتصبة من الاستعمار والصهيونية •

وفى جو من المنهجية العلمية المسئولة ـ ناقش المشتركون عددا من القضايا المتعلقة بالثورة العربية وأبعادها ومهماتها فى هذه المرحلة ، وعلى المدى البعيد ـ دار البحث والحوار حول :

- الارضية التى تتحرك عليها الثورة العربية •
- المرتكزات الفكرية والروحية للثوره العربية •
- قوى الثورة العربية •
- الوعاء التنظيمى للثورة العربية •
- دور القوات المسلحة فى الثورة العربية •
- القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية •

وعلى الرغم من تباين وجهات النظر ، ومن اختلاف الاجتهادات حول بعض القضايا

المطروحة المتفاعلة فى الثورة العربية •• فقدساد الملتقى جو من الروح الرفاقية الاخوية ، ساعد كثيرا على المناقشة الحرة الصريحة ، فى اطار من النقد البناء الذى يشكل القاعدة الاساسية لكل حوار موضوعى هادف ، وملتزم بقضايا شعبنا المصيرية •

ولقد التقى الاخوة المشتركون فى هذا الملتقى على مجموعة من النقاط :

أولا : ان المعركة الاساسية ، التى يخوضها شعبنا العربى ضد الاستعمار العالمى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية المتحالفة مع الصهيونية العالمية المتجسدة فى اسرائيل ، تتطلب النضال ضد كل الحلول الاستسلامية والتصفوية لقضية فلسطين ، وتستلزم حشد كافة القوى العربية على امتداد الوطن الكبير لتأمين النصر فى هذه المعركة ، بقيادة القوى التقدمية التى تمثل تطلعات الجماهير العربية العريضة ، صاحبة المصلحة فى تحرير الوطن والانسان العربيين على حد سواء •

ثانيا : ان الكفاح الذى تخوضه الجماهير العربية بكافة أشكاله الفدائية والعسكرية والسياسية ضد الاستعمار والصهيونية ، لا ينفصل عن النضال الثورى التقدمى لكسر طوق التخلف ، وتحرير الوطن العربى من كافة المعوقات التى تقف فى طريق بناء المجتمع العربى الاشتراكى الموحد •

ثالثا : ان الاحزاب والفصائل الثورية والوطنية ، مطالبة بأن توحد جهودها وصفوفها فى اطار جبهات وطنية تقدمية فى كل قطر عربى ، فى ظل علاقات ديمقراطية بين جميع هذه القوى ، وعلى صعيد الوطن العربى ، على ضوء برنامج يحدد مهامها الوطنية والقومية والاجتماعية •

رابعا : ان الثورة العربية لكى تخوض معركة ظافرة ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وتتمكن من تصفية المصالح الامبريالية فى الوطن العربى •• لابد أن يكون نضالها من أجل تحقيق الوحدة القومية مرتبطا بنضالها الهادف ، لتحرير الطبقات الكادحة من كل استغلال واضطهاد •• والذى تمثل الاشتراكية العلمية ، الطريق الوحيد لانجازه •

خامسا : ان توفير مستلزمات النصر فى المعركة التى تخوضها الامة العربية ، تتطلب دعم الانظمة التقدمية العربية وحمايتها فى وجه المخططات الامبريالية الرجعية ، وتوفير كل مقومات ثباتها وصمودها وتطورها •• وهذا يمثل ركنا أساسيا من أركان تقدم الثورة العربية وانتصارها •

سادسا : ان الكفاح المسلح الذى يخوضه الشعب العربى الفلسطينى ، بكل بطولة وبسالة •• قد أصبح الطريق الحاسم أمام جماهير الامة العربية وقواها الثورية ، طريقا للخلاص من السرطان الصهيونى المتجسد فى اسرائيل ، ومن يقف وراءها من قوى الاستعمار والامبريالية •• وبالتالى فان جميع القوى الوطنية والقومية التقدمية وجماهير الشعب العربى كلها مدعوة لان تأخذ مواقعها الجدية فى هذا الكفاح ، وتعمل على تطويره ، ليكون على مستوى متطلبات المعركة التى تخوضها الامة العربية •

ان دعم الكفاح الفلسطينى المسلح ، باعتباره جزءا من الثورة العربية الشاملة ، لا يتم بمجرد الترحيب بهذا الكفاح والتصفيق له •• انما يتم دعمه بالنضال من أجل تدعيمه ، وازالة جميع المعوقات والعراقيل التى تحول دون نموه وتصعيده ووحدة فصائله •

ولا شك فى ان هذا الكفاح المجيد الذى يخوضه الشعب العربى فى الارض المحتلة ، قد أعاد لساحة النضال العربى الواسعة جماهير فلسطين التى عملت القوى السياسية الرجعية والبورجوازية على تطويقها وتجميد فعاليتها طوال مدة تزيد عن عشرين عاما ، وقد كانت عودتها الى الساحة العربية ، عاملا فى قلب ميزان القوى فى هذه الساحة ، لصالح الثورة العربية والقوى المناضلة تحت رايتها •

سابعا : لقد تضافرت ضد الثورة العربية قوى الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية

العربية على جميع المستويات ، فى الوقت الذى تعتبر فيه ان اعتمادها على قواها الذاتية ، هو طريق خلاصها من هذه القوى المعادية ٠٠ وأنها فى الوقت ذاته قد وجدت فى الشعوب المناضلة من أجل الحرية والعدل ، كل تأييد ودعم ، ويقف فى مقدمة هذه الشعوب ، الدول الاشتراكية الصديقة والحركات التقدمية فى العالم ، وهى تدرك أن مزيدا من الدعم والتفهم من هذه القوى رهن بمزيد من صمودنا وتصعيد مواجهتنا ٠

ولا ريب فى أن هذا الالتقاء الموضوعى بين ثورتنا العربية ، والثورة العالمية ككل ، يضاعف كثيرا فى امكانيات النصر على الاستعمار والامبريالية ٠

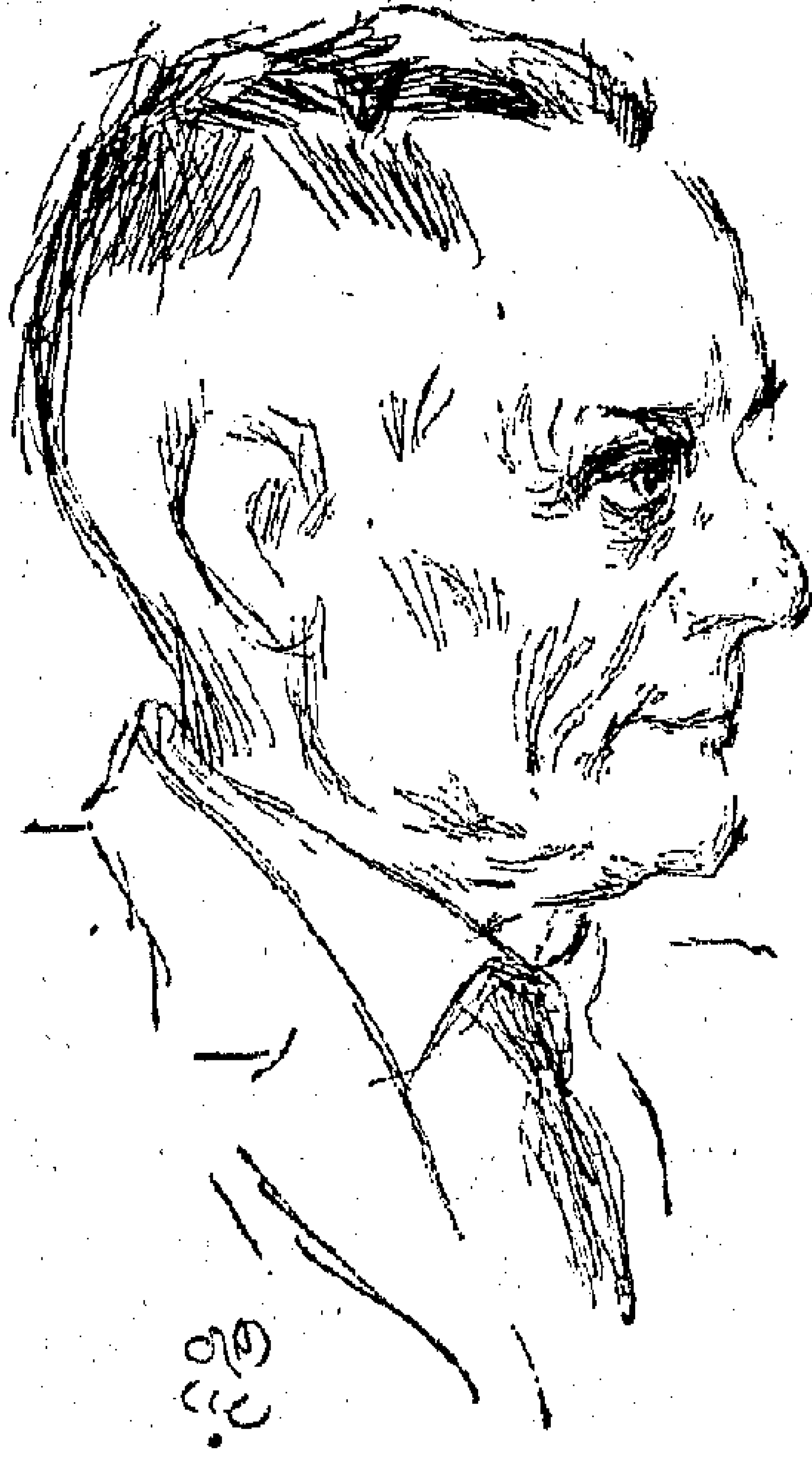
فتحية لجميع الشعوب المناضلة المؤيدة لكفاح شعبنا ، تحية الرفقة فى المعركة الواحدة ضد العدو الواحد ٠

وتؤكد الثورة العربية تأييدها الكامل لكفاح الشعوب الافريقية والاسيوية وشعوب امريكا اللاتينية فى نضالها ضد العنصرية والاستعمار والامبريالية ، وخصوصا شعب فيتنام البطل الذى يخوض منذ سنوات طويلة غمار معركة قاسية ومريرة ، فى سبيل حريته واستقلاله ووحدة ترابه ٠

ويحيى المجتمعون فى الملتقى الخطوة التقدمية ، لتحقيق التكامل الاقتصادى والسياسى والثقافى بين ج ٠ ع ٠ م ٠ والسودان وليبيا باعتبارها خطوة نحو تحقيق الوحدة العربية ٠

ان المشتركين فى الملتقى الفكرى العربى ، الذى جاء امتدادا لندوة الاشتراكيين العرب ، التى انعقدت على ارض الثورة بالجزائر بين ٢٢ و٢٨ مايو (آيار) ١٩٦٧ ، يعلنون وهم يختتمون اعمال الملتقى على ارض سودان الثورة ، عن تصميمهم على ضرورة متابعة العمل من أجل تحقيق وحدة الفكر والنضال العربيين على امتداد الوطن الكبير ٠

ويدعون الى مواصلة عقد لقاءات بين المفكرين والمناضلين والتنظيمات الثورية العربية دعما لتحقيق هذا الهدف ٠



أول مـــــايو التـــــاريخ والواقـــــع المعـــــاصر

يكتب هذا المقال للطليعة العامل « محمد على عامر » ، أحد الرواد البارزين للحركة النقابية والنضال من أجل التحرر الوطنى والاشتراكية فى مصر . وذلك منذ عشرينيات هذا القرن .

ولا يزال ، محمد على عامر ، الذى تعدى السنين من عمره ، يهب كل جهده لخدمة قضايا الطبقة العاملة والتحرر الوطنى والاشتراكية فى مصر والوطن العربى .

و « الطليعة » اذ تنشر له هذا المقال بمناسبة الاحتفال بعيد اول مايو ، تحيى باعزاز دوره التاريخى ، قوميا ونقابيا وسياسيا . هذا الدور الذى شارك فيه باصـــالة ونكران للذات زملاء له مثل يوســف المدرك ومحمود العسكرى وسيد ترك وعوض الباز وكامل العقيلى وفتحى كامل وغيرهم من رواد الحركة النقابية .

محمـــد علـــى عـــامر

لايزال

الكثيرون من عمال مصر يتذكرون كيف كان يقبـــل عليهم أول مايو فى العهد الماضى البغيض ، عهد الاقطاع والانجليز ابان حكم « **رسل باشـــا** » وفرقـــة « **ســليم** « **بك** » **زكى** » . والمستر « **ديز** » ، وكيف كانت قوات البوليس والامن تقوم عشية اول مايو من كل عام بحملةعلى النقابيين الذين يرفضون أن تكون نقاباتهم ملحقة بمكاتب البوليس السياسى ، او القلم المخصوص لا يزالون يتذكرون كيف كانت الاعتقالات تشـمل

العمال النشيطين ، وكذلك الطلبة والمثقفين ،الذين ينتصرون للعمال ويعطفون على قضيتهم .

كانت قوات الامن تقبض على هؤلاء الناس الشرفاء وتحجزهم فى أقسام البوليس مع اللصوص والمتسولين والنشالين ، وكانت تبكر بمحاصرة المصانع منذ الفجر ، ويحتل الجنود ذوو الخوذات والعصى الغليظة والدروع ، كل شبر فى مناطق العمال الصناعية ، وينتشر المخبرون والمرشدون حول دور النقابات حتى لا يحتفل العمال المصريون مع زملائهم عمال العالم بعيد أول مايو .

ومع ذلك فكانت تتم الاحتفالات بعيد اول مايو بأشكال مختلفة ، وفى اماكن مختلفة ، كان العمال يحتفلون بعيدهم فى الحدائق والحقول والمدافن وحول اهرامات الجيزة بعيدا عن انظار البوليس والعملاء ، وقد تكونت على سبيل المثال ، النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها نتيجة لاجتماع تم فى مزرعة خلف نقطة بوليس المطرية يوم أول مايو سنة ١٩٤٦ .

وعندما كانت تعود قوات البوليس والامن الى مواقعها ، وتنسحب من مرابضها فى آخر النهار ، كانت الحركة بين العمال لا تتوقف . فتحدث اللقاءات بينهم فى الحوارى والمصانع ، وداخل المنازل والمقاهى . يتبادل فيها العمال التهانى بعيد أول مايو ، ويقدمون لبعضهم تحيات الاخوة والزمالة ،ويتبادلون شرب القهوة والشاى وحبات الفول السودانى علامة على الاحتفال المشترك بينهم بهذا العيد التاريخى .ولاشك ان من ابرز التطورات التى حدثت فى مجال الحركة العمالية بعد ثورة ١٩٥٢ ، هو اعتبار يوم اول مايو عيدا للعمال ، يحتفل به العمال والدولة معا .

الاصل التاريخى للاحتفال بأول مايو

يرتبط أول مايو تاريخيا بنضال العمال الامريكيين فى الولايات المتحدة ، فمع شروق شمس أول مايو سنة ١٨٨٦ خرجت مظاهرة عارمة من ٣٥٠ ألف عامل امريكى فى شيكاغو ، اخذت تجوب الشوارع والميادين ، كان المتظاهرون يطالبون فيها بتخفيض ساعات العمل من احدى عشرة ساعة الى ثمانى ساعات بنفس الاجر . وكانت الهتافات تشق الفضاء وتبعث الخوف والفزع فى قلوب الرأسماليين ، وبالفعل استجاب بعضهم لضغط العمال ، واضطروا لتخفيض ساعات العمل الى ٨ ساعات بالنسبة لـ ٤٢ الفا من العمال فى اليوم الاول ، الا أن المظاهرات لم تتوقف وخرجت فى اليوم التالى تطالب بأن يشمل التخفيض جميع العمال فى كافة الصناعات وحدث مرة أخرى تخفيض لساعات العمل بالنسبة لـ ١٥٠ الفا اخرين ، واستمرت المظاهرات السلمية بنفس هدوئها السابق ، وفى اليوم الثالث خرجت تطالب بتخفيض ساعات العمل حتى تشمل جميع العمال الباقين ، وحتى يعم التخفيض كافة الصناعات وجميع العمال الامريكيين .

ولقد حقق العمال على هذا النحو نصرا هائلا ، ونجحوا فى تخفيض ساعات العمل بالنسبة لـ ١٩٢ الف عامل عن طريق المظاهرات السلمية دون أن يحدثوا اقل اخلال بالامن ، فلم يكونوا يحتاجون الى استخدام اساليب العنف آنذاك ، وانما الراسماليون هم الذين كانوا يحتاجون الى استخدام العنف لمقاومة أى محاولة من جانب العمال لتقليل أرباحهم ، فبدأ تآمر رجال الاعمال بالاشتراك مع مدير بوليس مدينة شيكاغو الذى قام شخصيا بتنفيذ المؤامرة ضد العمال ، فحين بدأت جموع العمال تتدفق من الشوارع وتصب فى ميدان شيكاغو بالقرب من مصانع شركة « ماك كورمك لصناعة الالات الزراعية ، انضم عمال هذه الشركة الى المظاهرة مع زملائهم عمال المصانع والشركات الاخرى ، ووقف « **اوجست سبايز** » احد قادة العمال المناضلين خطيبا بين العمال يشرح عدالة القضية التى من أجلها اتحد العمال ووقفوا صفا واحدا ، ويستمر فى خطابه ، ثم يعلن فى نوده فى النهاية اصرار المتظاهرين على استمرار المظاهرات حتى يشمل التخفيض جميع عمال امريكا فى كافة الصناعات .

وهنا تحركت عناصر المؤامرة ، وقام مدير البوليس بدوره فى تنفيذ الجريمة ، فدس واحد من العملاء المأجورين وسط جماهير العمال المحتشدة فى الميدان ، واستغل العميل فرصة انتباه العمال نحو الخطيب ، والقى قنبلة يدوية كان مدير البوليس قد زوده بها ، على زملائه من رجال البوليس ، وبذا اصبحت الفرصة سانحة لمدير

البوليس لينفذ جريمته الوحشية ، وفى لمح البصر أصدر الاوامر للجنود المسلحين بالبنادق والرصاص ، بالهجوم الغادر على المؤتمر والبطش بالعمال المسالمين ، وحدثت مذبحة بين قوتين غير متكافئتين ،وسقط القتلى والجرحى ،وامتلأت أرض الميدان بهم وبالمحتضرين ، وقبض البوليس على الفور على مجموعة من العمال القياديين وساقوهم الى السجون .

وقدم البوليس للمحاكمة على وجه السرعة اربعة من زعماء العمال المكافحين هم « **اوجست سبايز** و « **اودلف فيشر** » و « **البرت باسونز** » « **وجورج انجل** » وأصدرت المحكمة حكمها باعدامهم فورا وتم تنفيذ الحكم بعد صدوره بساعات ، وقد كشف مدير البوليس نفسه عند احتضاره اسرار هذه المؤامرة الكبيرة ضد العمال وقادتهم ودوره فى تنفيذها .

وفى سنة ١٨٩١ تشكلت بفعل النضال العمالى محكمة خاصة لاعادة التحقيق فى قضية العمال الاربعة ، وراجعت حكم الاعدام الذى صدر ونفذ على اربعة من زعماء العمال فى اول مايو سنه ١٨٨٦ واصدرت المحكمة قرارا بالغاء حكم الاعدام وحكمت ببراءة العمال الاربعة بعد أن غطت الحشائش والاشجار قبورهم ، واعلن حاكم ولاية «ايلينوى» قرار المحكمة وحكمها الاخير ببراءة العمال .

وفى عام ١٨٨٨ قرر المؤتمر الفرنسى لنقابات العمال المنعقد فى مدينة « بوردو » اعتبار اول مايو عيدا للعمال ، كما قرر اتحاد العمل الامريكى فى اجتماعه المنعقد فى « سانت لويس » فى ديسمبر من نفس العام اعتبار اول مايو عيدا للعمال ، واتخذ مؤتمر النقابات البريطانى نفس القرار فى نفس العام .

وفى عام ١٨٩٩ انعقد مؤتمر **الدولية الثانية** للاحزاب والنقابات العمالية فى باريس واتخذ القرار التالى : انه ابتداء من عام ١٨٩٠ فى كافة بقاع العالم يجب ان ينتظم العمال فى مظاهرات كبيرة فى جميع البلدان فى يوم اول مايو وفى هذ **اليوم يجب ان** يحدد العمال كل عام مطالبهم للعام المقبل ، ومنذ ذلك التاريخ صار اول مايو من كل عام عيدا للعمال على الصعيد العالمى ، يحتفلون فيه بالذكرى الخالدة لشهدائهم الابطال ، ويمجدون الجسارة والشجاعة فى كل انسان شجاع وهب حياته للكفاح من اجل مجتمع افضل واعدل .

واصبح الراسماليون على النطاق العالمى ، لا على النطاق الامريكى فحسب يتوجسون خيفة كلما اقبل عيد اول مايو ، وتتخذ الحكومات الراسمالية والحكومات العميلة اجراءات مضادة لتحركات العمال ، فتعبىء قوات الامن والبوليس لمنع الاجتماعات وفض المظاهرات وتقييد حركة القادة النقابيين الشرفاء والقبض على العمال النشيطين بهدف نشر الرعب بين العمال ومنعهم من الاحتفال بعيد اول مايو .

اما الحكومات الشعبية فتعتبر اول مايو يوما من أيام الاعياد الرسمية ، تشارك الدولة فيه العمال فرحتهم بالعيد ، وتخرج مواكب الحرس الوطنى والميليشيا الشعبية جنبا الى جنب مع المواكب العمالية ، وتستعرض قوات الجيش المسلحة بحضور رجال الدولة الرسميين .

واجبات العمال فى أول مايو

ان قيمة عيد اول مايو لا تكمن فقط فى حجم المواكب والمهرجانات ، واستعراض فرق الجيش أو البوليس والحرس الوطنى وتعدد الاجتماعات والمظاهرات او عزف الموسيقى ونشر الاعلام ، انما تكمن اهمية اول مايو فى اهمية المواضيع والقضايا التى تطرح للبحث فى الاجتماعات والمؤتمرات المنعقدة فى نفس اليوم او قبله .

ولا تكمن قيمة عيد اول مايو فى مجرد استعراض احداث العالم خلال عام مضى والتعرض لها بالبحث والتحليل فقط ، انما تكمن فى الدروس المستخلصة من هذه الاحداث والاستفادة منها بقدر الامكان ، وتحديد موقف ايجابى عملى كفاحى بالنسبة لها ، اذا كان لها تاثير على قضايا البلاد ، واخيرا فان القيمة الحقيقية لعيد اول مايو تكمن فيما يخرج به العمال فى ذلك اليوم من قرارات وما يرفعونه من شعارات ، على شرط ان يكافحوا بوعى من اجل تحقيقها .

واليوم ، حين يتعرض الوطن العربى كله للخطر ، وتعود اسرائيل فتحتل اجزاء كبيرة منه

بعد أربعة عشر عاما من العدوان الثلاثى بتأييد سافر من الولايات المتحدة الامريكية ، فما هى واجبات العمال ؟

اولا : تقديم قضية المصير العامة على ما عداها من القضايا الخاصة ، بمعنى تأجيل القضايا الخاصة بشكل مؤقت ، والتركيز على ازالة آثار النكسة، ومن المؤسفجدا ان يثيرالناس المشاكل ويحدثون الازمات حول المناصب والدرجات والعلاوات ، وكيف كان زيد احق بها من عمرو ، وتنتهى المناقشة بتحميل المسئوليه للنظام السياسى القائم ،فى وقت يعيش فيه اغلب الشعب الفيتنامى بلا علاوات ولا درجات ولا منازل ولا كماليات ، وليس بعيدا ان نتعرض نحن ايضا لما يتعرض له شعب فيتنام مادمنا مصرين على التمسك بتحرير الارض، والدفاع عن العرض،وما دمنا نأبى الركوع أمام جبروت الولايات المتحدة الامريكية التى تمارس العدوان المسلح ضد شعب فيتنام وغيره من الشعوب التى ترفض نير القهر والاستعباد .

اما المشاكل اليومية العاجلة فمن السهل التغلب عليها وحلها بروح التعاون من جانب جميع الاطراف ،بحيث يقدم العامل مشكلته ،ويساعد على الوصول الى حل لها بتقديم المقترحات ، وكذلك يفكر الذين ليست لهم مشاكل فى حل مشاكل غيرهم ، ويقدمون الحلول والمقترحات .

ثانيا : الالتزام الذاتى ، بمعنى أن يفرض العامل على نفسه فى هذه الظروف الحاسمة من تاريخ بلادنا ، واجبات سياسية اضافية يلتزم بتنفيذها من تلقاء نفسه ، ويحاسب نفسه بنفسه على أدنى تقصير بالنسبة لها ، فى المصنع اثناء العمل ، فى الطريق العام ، فى المواصلات اثناء الانتقال ، فى المنازل اثناء الزيارات ، فى أى مكان : متجر، مقهى، سوق، نادى .. الخ الخ .

وان يكون العامل يقظا مستعدا للنقاش والجدل السياسى والرد على اشاعات العدو ، وكشف الاتجاهات اليمينية ، وتعرية أصحابها أمام الناس ، ويتولى العامل عندما يخلو بنفسه استعراض أحداث اليوم ومحاسبة نفسه ، هل كان « سلبيا » أم « ايجابيا » أمام أحداث اليوم ، وهل أخطأ فى تناول الموضوع أم أصاب .

ثالثا : تنقية التنظيمات السياسية من العناصر الوصولية ، عن طريق الانتخابات ، وتنقية التنظيمات النقابية ومنظمات الشباب ، ومجالس ادارات القطاع العام بمساعدة العناصر النشطة المخلصة فى تحقيق مشروعاتها الرياضية والفنية ونقد الكسل والميوعة فى العمل السياسى .

وعدم التخلف عن الدورات التدريبية والحرص على حضور الدورات الثقافية ، وفرز الاتجاهات المعادية للاشتراكية التى يحملها اساتذة ومثقفون لهم مصالح خاصة من خريجى الجامعات الغربية وتعج بهم مؤسسة الثقافة العمالية ومراكزها .

دور النقابات فى المعركة

يسجل التاريخ الحديث فى العالم ، للنقابات والاتحادات العمالية ، أهم الادوار فى معارك التحرر الوطنى والاجتماعى على السواء ، فما هو دور الاتحاد العام والنقابات فى معركة المصير ؟

على مستوى الجمهورية العربية المتحدة :

١ ـ تعبئة العمال وتنظيمهم استعدادا للمعركة الفاصلة .

٢ ـ عقد مؤتمرات واجتماعات وعمل ندوات واسعة فى الساحات الرياضية ودور النقابات ، تدعى فيها العناصر التقدمية لالقاء المحاضرات ، وادارة المناقشات المفتوحة للتوعية .

٣ ـ طلب أكبر عدد ممكن من أفلام المقاومة ضد النازية الالمانية والفاشية الايطالية ، وقوات الاحتلال اليابانى ، وجميع أشكال الغزو المسلح فى روسيا والصين وكوريا وفيتنام ولاوس وأوربا ، على أن تعرض هذه الافلام بشكل مستمر على العمال فى هذه الظروف .

٤ ـ اخضاع مؤسسة الثقافة العمالية وجميع مراكزها للاتحاد العام ، واغلاق السوق التجارية لبيع المحاضرات الثقافية .

٥ ـ اعادة تنظيم المكتبات الثقافية بالوحدات الانتاجية والمراكز الثقافية، وتطهيرها من المؤلفات البورجوازية والنشرات والكتب الامريكية باختصار احلال الثقافة الوطنية محل الثقافة الاستعمارية ، والتربية الاشتراكية العلمية محل التربية الرأسمالية الديماجوجية .

على المستوى العربي : نجد أنه بعد مضى ١٩ عاما على قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وشعار « وحدة الصف العربى » لا يزال يتعثر بسبب اختلاف المصالح وعدم التجانس بين انظمة الحكم فى البلاد العربية ، والطبقة العاملة وحدها هى التى تجمعها وحدة المصالح ، ومعاداة الاستعمار هى أولى هذه المصالح .

ولا شك أن الظروف الموضوعية للمنطقة الان مهيأة لتحقيق وحدة الطبقة العاملة على المستوى العربى . ومن الممكن أن تلعب الوحدة العمالية دورا هاما فى تحقيق وحدة الصف ، لانها سوف تكون قادرة على التأثير المباشر على اتجاهات الحكومات العربية .

ولدينا الان نواة صالحة للعمل تتكون من عمال الجمهورية العربية المتحدة ، وعمال السودان ، وعمال الجمهورية العربية الليبية . وسيكون أمام نقابيينا أساس صالح لبدء العملية ، هو الكفاح المشترك تاريخيا بين عمال مصر وعمال السودان . هذا الكفاح الذى كان الحكام الرجعيون يحاربونه دائما فى البلدين .

على المستوى العالمي : مضى الزمن الذى كان يسهل فيه الخلط بين العدو والصديق ، وأظهرت الشدة أين هو الصديق ، وأين هو العدو ، لقد عرفنا من خلال النكسة ، فى الاتحاد العالمى لعمال العالم ، واتحادات العمال فى البلدان الاشتراكية دون استثناء ، أصدق معانى الحب والتأييد والمساندة ، وذلك يدعو المنظمات النقابية فى بلادنا الى زيادة توثيق العلاقات الاخوية والارتباطات النقابية بيننا وبينهم .

وبعـــد :

فلنتذكر شهداءنا الابطال فى أول مايو ، ونقسم على أخذ الثأر للزوجات والاطفال الصغار ، ونحيى جنودنا الشجعان على خط النار ، كما نحيى بفخر واعتزاز جسارة الفدائيين العرب الامجاد ، وفى عيد أول مايو يجب ان تمتلىء قلوبنا حقدا وكراهية على الولايات المتحدة الامريكية وصنيعتها اسرائيل ، وندين التدخل الامريكى المسلح فى الهند الصينية ضد شعب فيتنام الاسطورى وشعب لاوس ، ونشجب التحرشات الامبريالية المجنونة بشعوب كوريا الديمقراطية وكوبا ، ونرفع فى نفس الوقت أصواتنا احتجاجا على المؤامرات الامبريالية ضد الحكومات الوطنية التقدمية .

محمد على عامر

● ولد بمنطقة شبرا الخيمة العماليـــة فى ٩ نوفمبر ١٩٠٨ .

● بدأ العمل بالمطابع فى سن مبكرة ، وفصل عام ١٩٢٠ من مطبعة « أمين هندية » بالزيتون وذلك بسبب قيامه بتنظيم مجموعات من زملائه صبيان المطـــابع للاحتجاج على اساليب المعاملة اللاانسانية التى كانوا يعاملون بهـــا .

● تعرض بسبب كفاحه النقابى والسياسى للملاحقة والطرد المتواصل من قبل السلطات الرجعية الملكية وأصحاب الاعمال : طرد من ورشـــة « هرنط » لخراطة المعادن بالمطرية بسبب احتجاجه على عمل الصـــبيان بمنازل الاسطوات أيام الراحة . وفى سنة ١٩٢٨ فصل من العمل بفابريقة « مكرونة أبو الهول » لحثه العمال على رفض تخفيض أجورهم . .

● عندما الف حزب الوفد « المجلس الاعلى للعمل النقابى » وذلك لمواجهة النفوذ المتزايد « للامير عباس حليم » فى صفوف العمال ، دعم محمد على عامر بنشاطه النقابى المجلس الاعلى الوفـــدى .

● كلفته « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » بتحريك عمال منطقة الزيتون والمطرية ، وقاد اضراب مصنعه يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ ودفع مع زميله العمالى نصر عواد نصر الى اشتراك المصـــانع الكبرى الاخـــرى فى المنطقتين فى الاضراب ، وفى مظاهرة جماهيرية كبـــرى اتجهت الى ثكنات الجيش البريطانى ، اصطدمت بجنود الاحتلال وسقط منها الجرحى والشهداء

● اشترك فى أول مايو ١٩٤٦ مع ٨٠ عاملا من عمال مصانع النسيج فى اجتماع سري بالمطرية ، ولدت فيه فكرة تكوين نقابة عامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة . وتحقق هدفهم فى أول مايو ١٩٤٧ .

● تولى رئاســة النقابة العامة لعمـــال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة ، وضواحيها

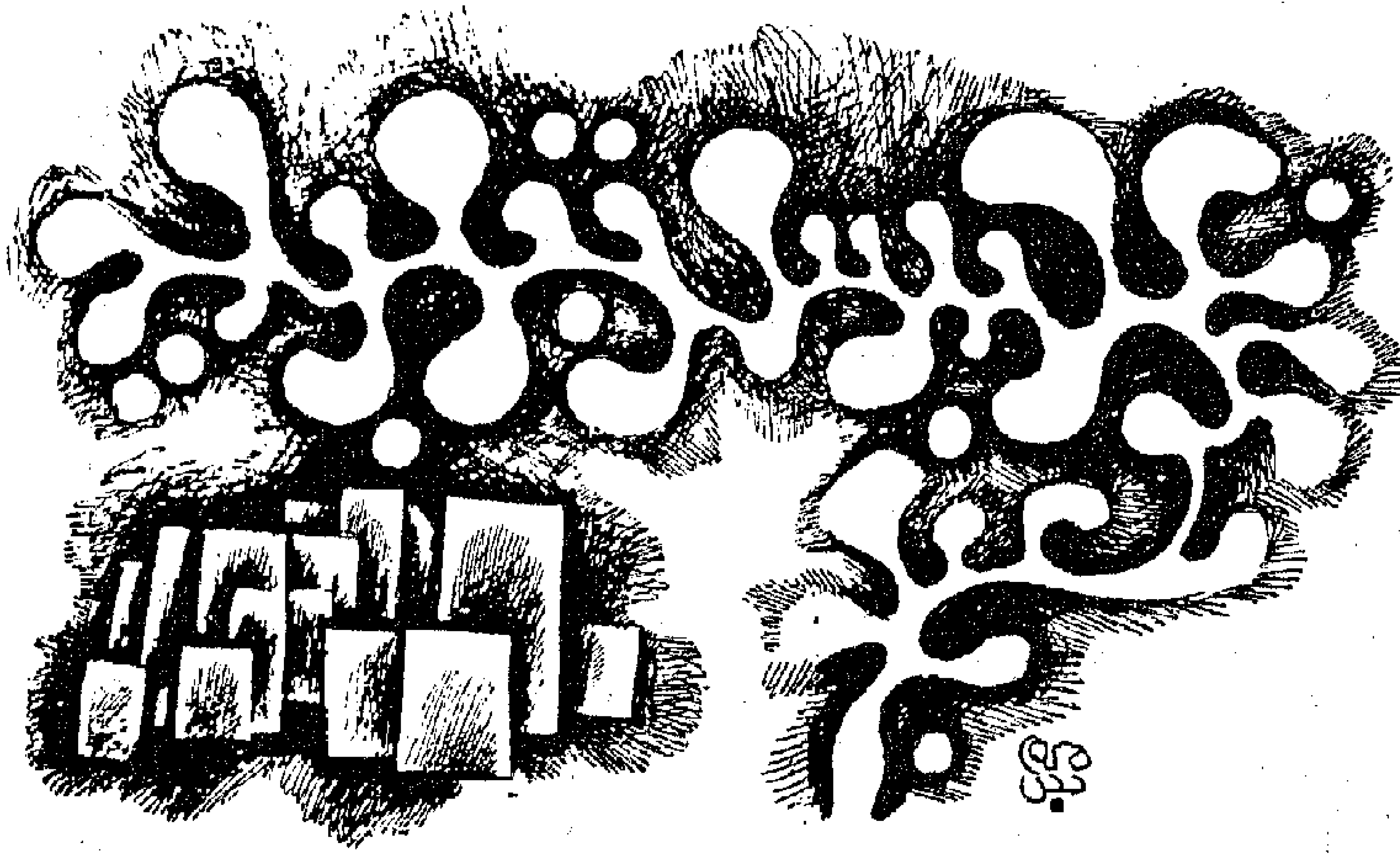
● اشترك فى اوائل عام ١٩٥١ مع احمد طه احمد سكرتير نقابة عمال وموظفى شركة ماركونى ، وسيد خليل ترك سكرتير نقابة السائقين المتحدين فى عقد اول اجتماع للجنة التحضيرية لتكوين الاتحاد العام لنقابات العمال المصرية .

● شـــارك فى تكوين اللجنة التحضيرية المصرية لانصار السلام سنة ١٩٥١ .

● اشترك فى محاولة تكوين اتحاد مهنى لنقابات النســـيج الميكانيكى ســـــنة ١٩٥١ وقبضت عليه السلطات الرجعية الملكية لذلك

● شارك فى تكوين اللجنة الوطنية لمقاومة الاستعمار البريطانى بالقوة المسلحة بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

● اشـــترك وهو فى اللجنة التحضيرية للاتحاد العام التى اصـــبح اســـمها « اللجنة التاسيسية » فى تاييد ثورة ٢٣ يوليو والوقوف بجانبها منذ قيامها .



حول تجربة تنظيم الدفاع الوطنى فى بولندا

ميشيل كامل

فى مارس الماضى صدر قرار تشكيل اللجنة العامة المشرفة على لجان المواطنين من أجل المعركة . وقد جمعت العديد من الشعوب المناضلة ثروات من الخبرة فى اتون معارك التحرر . والشعب البولندى يملك رصيدا لا ينضب فى هذا المجال . مما دفع ميشيل كامل اثناء زيارته لبولندا الى دراسة التجربة البولندية فى تنظيم الدفاع الوطنى على النطاق الشعبى .

لماذا بولندا بالذات ؟

● كانت بولندا أكثر بلدان أوروبا تعرضا للعدوان .

● خاضت حروبا طويلة قاسية ضد **قوى متفوقة** من ناحية الامكانيات البشرية والمادية .

● ركزت القوى الاستعمارية المجاورة كل جهودها **للقضاء على الكيان القومى للشعب البولندى** ، اما بحروب الابادة أو محاولات الاذابة فى القوميات الاخرى .. ولكنها ووجهت بالفشل .

● مارست **جميع أشكال الحرب** ، سواء النظامية منها أو حرب المقاومة الشعبية .

● استفادت من كل ذلك باقامة نظام محكم **للامن الداخلى والدفاع الوطنى** ، يرتكز على قاعدة شعبية واسعة .

فرض على الشعب البولندى أن يلجأ الى السلاح دفاعا عن استقلاله ، وحفاظا على كيانه الوطنى فى مواجهة دول من عمالقة التاريخ الاستعمارى فى مقدمتها روسيا القيصرية وبروسيا والنمسا والمانيا وتركيا ، واقتسمت الدول الثلاث الاولى فيما بينها جميع الاراضى البولندية ، وأعادت تقسيمها ثلاث مرات فى السنوات ١٧٧٢ و ١٧٩٣ و ١٧٩٥ . فظلت طوال ١٢٠ عاما ممزقة ، ملحقة بالدول الثلاث ، ملغاة من خريطة العالم ، وتوقف وجودها كدولة . ورغم ذلك فلم يفتر النضال الوطنى على امتداد هذه الحقبة التاريخية المظلمة .

وكون البولنديون فرقا عسكرية انضمت الى جيش نابليون بونابرت فى ايطاليا ، وحاربت الى جانبه حتى أوقع الهزيمة ببروسيا فأقيمت دوقية وارسو عام ١٩٠٧ ، الا أنها سرعان ما انهارت بسقوط بونابرت ، وأعاد مؤتمر فينا تقسيم بولندا عام ١٨١٥ .

وكانت المعركة مزدوجة تحمل جنين الثورة الاجتماعية ، فارتفعت شعارات القضاء على

العلاقات الاقطاعية وكفالة الحقوق والحريات المدنية والمساواة منذ تاريخ مبكر ، حملت الويتها حركة الكفاح الوطنى . وتأسس أول حزب اشتراكى (عمالى) عام ١٨٨٢ وتمكنت الطبقة العاملة البولندية منذ عام ١٩٠٥ من احتلال موقع قيادى كقوة سياسية مستقلة .

وفى اول سبتمبر ١٩٣٩ اصبحت بولندا الضحية الثالثة (بعد النمسا وتشيكوسلوفاكيا) للعدوان النازى ،مما ادى الى تفجير الحرب العالمية الثانية ، وقوبل الاحتلال النازى بمقاومة عنيفة ، فكانت بولندا هى أول بلد أوربى يشن حرب مقاومة شعبية ،ومما يشهد على الاقبال الجماهيرى الواسع والتصميم على مقاومة العدوان ما دلت عليه الاحصاءات من أنه فى عام ١٩٤٠ نشأت ٣٠٠ منظمة سياسية وعسكرية فى بولندا للمقاومة المسلحة .

وتعرض الشعب البولندى لابشع صور الارهاب .. الرهائن والاعدام بالجملة فى الطرقات ، حرق قرى بأكملها بمن تضم من السكان ، معسكرات الاعتقال — أوشويتز وماجوانيك وتريبلينكا وغيرها . وقد لقى نحو أربعة ملايين انسان حتفهم فى أوشويتز وبذلك أصبح أكبر مقبرة عرفها التاريخ . شن النازى حملات رهيبة ترتبت عليها خسائر فادحة ، حيث أبيد أكثر من ستة ملايين بولندى (خمس عدد السكان) ودمر اكثر من ثلث الممتلكات الوطنية . لكن حركة المقاومة المنظمة تمكنت من الثبات وضاعفت من ضرباتها وزادت فاعليتها . وكان من أهم آثارها أن حافظت على القوى البيولوجية والمعنوية للشعب البولندى الذى واجه حرب الابادة بأعظم صور البطولة والفداء .

وفى عام ١٩٤٢ قام زعماء الطبقة العاملة (ومن بينهم جومولكا) بتأسيس حزب سرى فى الاراضى المحتلة هو « **حزب العمال البولندى** » و « **الحرس الشعبى** » . وفى نهاية عام ١٩٤٣ تشكل **المجلس القومى** ، الذى اصدر مرسوما فى اول يناير ١٩٤٤ بانشاء جيش الشعب الذى تكون من الحرس الشعبى بالاضافة الى فرق وتنظيمات المقاومة المسلحة ، ومنها تنظيم الشباب التابع « لاتحاد نضال الشباب » وميليشيا العمال والوحدات المسلحة للاشتراكيين البولنديين وبعض كتائب الفلاحين والجيش المحلى .

ان هبة وارسو المسلحة التى كبدت سكانها ٢٠٠,٠٠٠ من الضحايا ، ودمر النازيون أثناءها أكثر من ٨٠ فى المائة من المدينة ، تشهد على البطولات الخارقة لشعب صمم على دحر قوى العدوان ، لقد حارب البولنديون فى كل مكان .. الجبهة الشرقية والغربية وصحراء افريقيا . قاتلوا فى تشكيلات نظامية ، كما حملوا السلاح داخل الاراضى المحتلة فى حرب العصابات والمقاومة المسلحة .

هذا التاريخ الحافل من النضال المسلح للشعب البولندى تولد عنه احترام للعسكرية وتقدير للجندى وتبجيل للزى العسكرى، ترتب عليه اقبال كل شخص قادر على القتال على حمل السلاح والاسهام فى المعركة ، **وتدفق الجماهير فى حركة اجتماعية ضخمة شاملة للالتحاق بالقوات المسلحة**، حتى أصبح الجيش البولندى (نصف مليون جندى) يحتل المركز الرابع من ناحية الحجم بين الجيوش التى حاربت ضد الفاشية، وزاد عدد قواته على الجيش الفرنسى . بل ويقدر عدد من حملوا السلاح دفاعا عن الوطن فى نهاية الحرب بمليونين من البولنديين .

وفى نفس الوقت الذى كانت القوى الوطنية تعمل فيه على دحر قوى العدوان الخارجى ، وتشترك القوات البولندية مع الجيش السوفيتى فى تحرير البلاد ، وتنطلق معها لتدق أبواب برلين وتسهم فى معركة اسقاطها ، تعرض الحكم الثورى الجديد لهجوم عنيف من عناصر الثورة المضادة ، اذ بقيت جيوب من التنظيمات الالمانية الفاشية ، وأسقطت حكومة لندن عملاءها بالمظلات ليقودوا حركات التخريب وتنظيم النشاط المضاد ، وشنت المنظمات الرجعية الداخلية حملات ارهابية ضد الفلاحين والعمال ، عند بدء تطبيق قانون الاصلاح الزراعى وتاميم المصانع ، فى محاولة لاثارة حرب أهلية . ومن ثم **قام العمال والفلاحون بتنظيم صفوفهم دفاعا عن مكاسبهم وطالبوا بالسلاح لحماية أنفسهم وممتلكاتهم ضد عناصر الثورة المضادة** .

لكن.. ما العمل بالنسبة للاعداد المتزايدة من الجماهير الممتلئة حماسا للالتحاق بالخدمة العسكرية ؟ ما كيفية الاستفادة من هذه الحركة الاجتماعية الضخمة المتدفقة ؟ **ما موقف القيادة** الثورية تجاه هذا التحرك الشعبى، هل تتخذ منه موقفا سلبيا ليخبوا ويتبدد ويجهض ، أم تجند هذه الطاقات وتعبئها فى خدمة الاهداف القومية ؟ .

والوضع المتميز للواقع البولندى الخاص يتضمن عناصر لها دلالتها .

● تاريخ مثقل بالمآسى والتجارب المريرة مخضب بالدماء ، ملىء بالتضحيات والخسائر الجسيمة كنتيجة للعدوان الاجنبى .

● الثورة المضادة تتحرك وتنشط بشراسة تبغى استعادة السلطة .

● الولايات المتحدة الامريكية تخرج من الحرب أكثر ثراء وقوة وتنفرد بامتلاك القنبلة الذرية أبشع سلاح عرفه التاريخ .

● نضج الحركة الجماهيرية في الداخل ووعيها بمتطلبات الموقف ، واندفاعها للانتظام في مؤسسات للذود عن الحكم الثوري والدفاع عن المكاسب التي حصلت عليها ٠

وهكذا قام الحزب والحكومة الثورية بالاستجابة للمبادرات الجماهيرية ، بفتح قنوات تعبيء هذه الطاقات وتنظمها ٠ وكان من أهمها منظمة الاورمو ORMO، لجان احتياطي الميليشيا للمواطنين المتطوعين » وهي تنظيم اجتماعي للمساعدة في أعمال حفظ الامن تنفرد به بولندا من بين البلدان الاشتراكية ثم » رابطة الدفاع الوطني » ومهمتها الذود عن أرض الوطن ضد العدوان الخارجي ٠

ولجان الدفاع الوطني هي موضوع حديثنا في هذا المقال ، الا أنه مما تجدر الاشارة اليه قبيل التعريف بها ، أن التنظيم يلعب دورا أساسيا في حياة بولندا . هناك الاحزاب الثلاثة : حزب العمال البولندي الموحد وحزب اتحاد الفلاحين والحزب الديمقراطي ٠ بالاضافة الى عديد من التنظيمات الجماهيرية التي تضمها جميعا الجبهة الوطنية الشعبية المتحدة ٠ ويكفي هنا ان نشير الى مثالين على حيوية النشاط التنظيمي ، اذ أن ٢٤ في المائة من الاستثمارات الوطنية تنجز بوساطة العمل التطوعي ٠ ويضم تنظيم « الاورمو » وحده ١٧٠ر٠٠٠ من أعضاء حزب العمال و٦٠ر٠٠٠ من أعضاء حزب الفلاحين و١١٧ر٠٠٠ عضو غير حزبي و٣٧ر٠٠٠ من أعضاء منظمة الشباب ٠ وهو ليس مجرد تجمع شكلي ، اذ تبين من حصر نشاطه خلال العام الماضي ان كل عضو يقدم ٨ ساعات من النشاط التطوعي كل أسبوع ٠

وقد شكلت « لجان التضامن مع الجيش » في نهاية الحرب ، كتنظيمات اجتماعية في المدن والقرى ، وكان الهدف منها أسداء كافة انواع العون للجنود ، بالترويح عنهم ورعاية جرحاهم وحالات العجز وعائلات الشهداء ٠٠ الخ من أنشطة ، اعتمادا على المبادرات الذاتية من جانب الجماهير ٠ وقد انتشرت هذه اللجان في جميع أنحاء البلاد ٠ وبادر حزب العمال الى العمل على الاستفادة من هذه الحركة ودعمها بتشكيل تجمع يضم ممثلين من اللجان ، ثم أنشئت عام ١٩٤٥ « جمعية أصدقاء الجنود » التي قامت بانتخاب لجنة قيادية على النطاق القومي ٠ وظهر تنظيم آخر نما من خلال المبادرة الجماهيرية والتوجيه الحزبي وهو « رابطة البحرية » ٠

وكان من الطبيعي أن تتطور مهام هذه اللجان ويتسع مجال نشاطها الى جميع أوجه الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والمادية ٠ فقامت بجمع الاموال والهدايا العينية من المؤسسات والمصانع والقرى ، كما أقبلت على تكوين المكتبات وشراء الافلام وإقامة النوادي بالثكنات العسكرية ٠

وفي نهاية الخمسينات شكلت لجان الدفاع الوطني لمواجهة المهام الجديدة المتطورة عن طريق انضمام لجان التضامن مع الجيش مع رابطة البحرية ٠

أثناء زيارتي لوارسو حدثني الجنرال شيدوفسكي رئيس رابطة الدفاع الوطني عن الاعتبارات التي دفعت الى تشكيل لجان الدفاع الوطني بعد انتهاء الحرب وفي ظروف السلم . وكانت وجهة نظره تتلخص في النقاط التالية :

● طالما بقي المعسكر الامبريالي فهناك تهديد بالحرب والعدوان ، وكانت الحرب الكورية أول أنذار يفصح عن مدى الاخطار التي تهدد الشعوب الامنة ، بالاضافة الى تصاعد العنف الاستعماري وتشجيع النزعات العسكرية والانتقامية في ألمانيا الغربية ٠

● ان تطور أدوات وأساليب الحرب العصرية وطاقات التدمير الرهيبة ، أكدت أن الحرب الحديثة لا تصيب الجيش وحده ، بل تهدد المجتمع بأسره ، وأن خطر القتال وأتون المعركة لا يقع فقط حيثما يحارب الجيش النظامي وتقاتل القوات المسلحة ، وانما يمتد الى كل مكان الى أعماق البلاد ٠

● ومن ثم أصبح الانسان هو أهم العناصر في الموقف الجديد ٠ وعلى الشعب كله أن يحمل السلاح وأن يوضع في موقف التأهب للقتال ٠ «ومن هنا مفهوم الدفاع الشعبي الذي رفعنا شعاره » ٠

● الايمان بدور التنظيم في تنمية النشاط السياسي والاجتماعي على أوسع نطاق ٠ ومن خلاله يمكن القيام بشرح مسائل عديدة تتعلق بأساليب الحرب الحديثة والتدريب على مواجهتها ٠ ماذا يجب على كل مواطن أن يتعلمه ليصبح قادرا على الدفاع عن بلاده ؟

كما حدد الجنرال شيدوفسكي المهام الاساسية للجان الدفاع الوطني فيما يلي :

● التعبئة القومية للمجتمع ، خاصة بين الشباب ، لاطلاعهم على تاريخ النضال الوطني ، الخسائر والمآسي التي تعرض لها الشعب على أيدي الغزاة ، دروس الانتصارات والهزائم ، التعريف بسير الابطال ودورهم في المعارك ٠ ويتم ذلك عن طريق تخطيط لبرامج للمحاضرات وعرض الافلام والكتابة والنشر ٠

● تنظيم برامج للتثقيف في العلوم السياسية بمستويات مختلفة مصحوبة بعروض للشرائح المصورة والافلام ، ينصب على التعريف بالاسلحة الحديثة ، النووية والصواريخ ، وشرح أحدث

أساليب الهجوم ، وكيفية تنظيم دفاع شعبي لحماية النفس والسكان والمؤسسات وخطوط المواصلات ولتأمين استمرار عمليات التموين .. الخ .

● المشاركة في «قوات الدفاع الذاتي» في جميع المصانع والقرى بين الشباب والكبار ، حيث تؤلف مجموعات تتلقى تدريبا دوريا منتظما عن أعمال الانقاذ وازالة الانقاض واعادة رصف وترميم الطرق واطفاء الحرائق ونزع اجهزة التفجير من القنابل التي لا تنفجر .. الخ من أعمال الدفاع المدني . ويرأس مديرو المصانع هذه اللجان .

● تشرف رابطة الدفاع الوطني على « نوادي ضباط الاحتياط » . وطبقا للنظام المعمول به في بولندا ، فان طلبة المدارس العليا والجامعات يتلقون تدريبا عسكريا من الناحية النظرية والعملية ويحصلون على درجات يصبحون بمقتضاها ضباط احتياط لمن لا يلتحق بالقوات المسلحة منهم .. وهؤلاء يتابعون آخر التطورات في العلوم العسكرية والاسلحة واستخداماتها ، ويظلون على اتصال بالتقدم في هذا المجال عن طريق البرامج التثقيفية والتدريبية لهذه النوادي .

● ومن أهم انشطة لجان الدفاع الوطني ، تلك التي تخدم زيادة قوة وفاعلية الجيش ، بالتعرف على احتياجات القوات المسلحة ، والتخطيط لامدادها بالاخصائيين والفنيين من الشباب ، والهدف من ذلك هو توفير الوقت والجهد الذي يضيع في تلقين المجندين الجدد أساسيات يمكن أن يتزودوا بها قبيل التحاقهم بالجيش .

وتشرف رابطة الدفاع الوطني على مراكز التدريب على مختلف الانشطة الفنية والعلمية وتوجه نشاط آلاف من الاندية الرياضية وجمعيات الهوايات المتباينة التي ترتبط بالجهود الدفاعي . فتدير فصولا جانبية دراسية للتدريب على قيادة مختلف أنواع السيارات والسفن (في برنامج مسائي ، ثلاث مرات أسبوعيا ولمدة خمسة أشهر) . وهناك جمعيات لهواة الالات الكهربائية والالكترونية ، يتدربون على اصلاحها وتشغيلها وصيانتها ، فيحصلون على خبرة تؤهلهم للعمل ، كمهنة في الحياة العامة ، وفي نفس الوقت يمثلون رصيدا مدربا لاحتياجات الجيش . وتنشىء الرابطة وتشجع اقامة نوادي هواة الراديو واللاسلكي ، كما تقوم باعداد برامج تدريبية متخصصة ذات مستوى عال .

وهكذا فعندما يلتحق هؤلاء بالجيش ، يكونون مزودين بقاعدة من الاساسيات العلمية ، تسمح بالانتقال مباشرة الى أرفع مستويات التثقيف والتدريب .

الا أن الهدف من هذا النشاط لا يقتصر على أمداد الجيش باحتياجاته من العناصر المؤهلة علميا ، المدربة على مختلف فروع التخصص ، بل يتوخى أيضا تدريب الاجيال الجديدة على التفكير بمنطق التكنولوجيا الحديثة . ومتابعة التقدم العلمي ورفع المستوى الثقافي على النطاق القومي كله . فهناك على سبيل المثال ٢٠٠٠ ناد لهواة تصميم نماذج السيارات والطائرات والصواريخ ، يستهدف تشجيع الهوايات المرتبطة بالعلوم والتكنولوجيا عامة بين الشباب ، وليس فقط لامداد الجيش باحتياجاته .

ويلقى النشاط الرياضي اهتماما خاصا من جانب رابطة الدفاع الوطني . الا ان نشاطها ينصب على « رياضــــة الدفاع والتكنيك » .. السباحة ، وقيادة القوارب البخارية والسفن باعتبارها ضرورة للدفاع في البحيرات والبحار .. التزحلق على الجليد والرماية واصابة الهدف اثناء التزحلق ، السير على هدى « البوصلة » ، اختراق الموانع .. القفز بالمظلات .. الخ . وهنا تشجع المنافسة وتقام المباريات على أوسع نطاق ، فالرماية لا يستهدف منها استخلاص ابرع العناصر ، بل التدريب للجماهير — مئات الالاف منهم — على استخدام السلاح ، فتقام المباريات بين المدارس والمصانع وفي القرى والاحياء ، وعلى نطاق البلاد بأسرها .

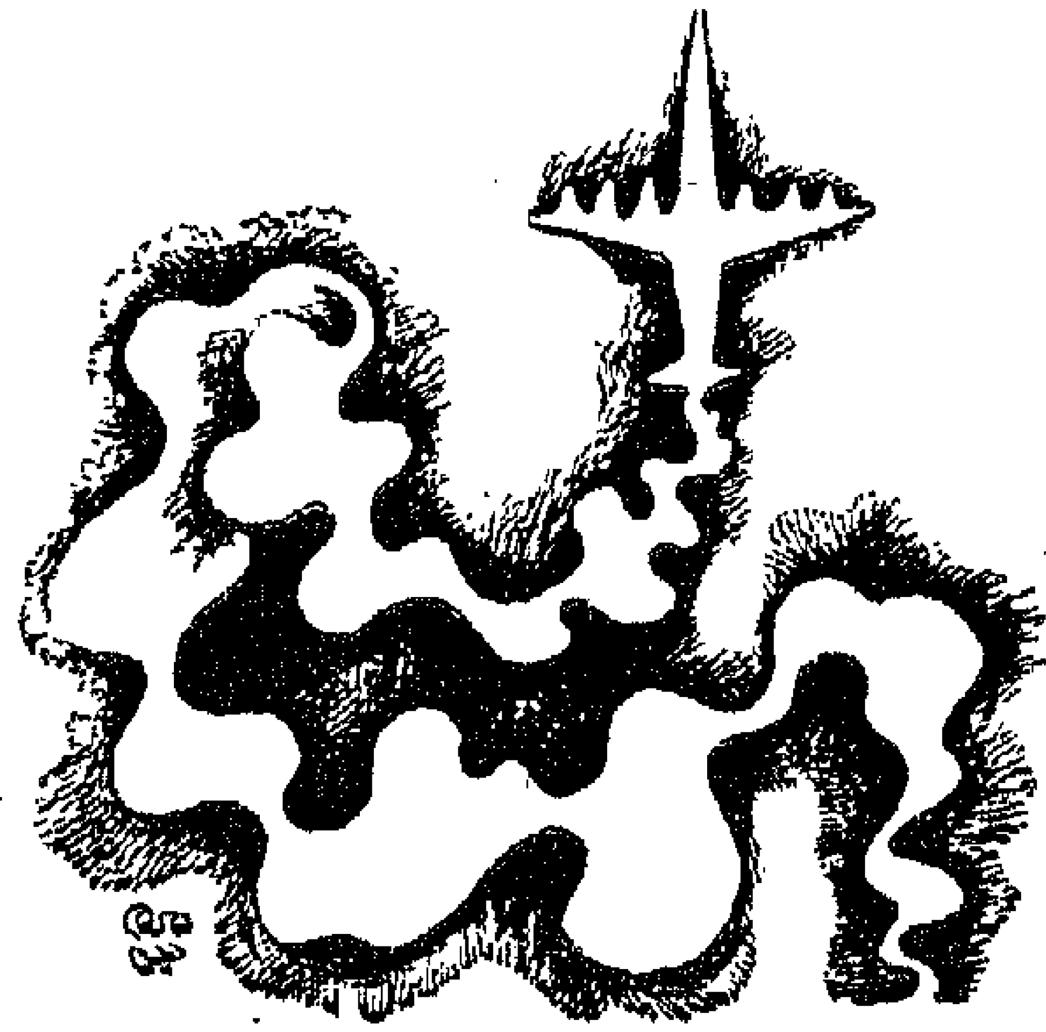
ان اليقظة والاستعداد الدائم للتصدي لقوى العدوان ينبع أساسا — بالاضافة الى التجارب الذاتية المريرة لبولندا — من ادراك واع للقوانين التي تحكم الصراعات في عالمنا المعاصر . فالدفاع الشعبي عن المكاسب والنظم الثورية هو أحد السمات العامة الاساسية التي تحكمها قوانين بناء مجتمع جديد ، لاستحالة التوفيق بين هذا النظام والامبريالية ، ونتيجة احتدام التناقضات الطبقية ، فلكل فعل ردفعل ، وأي ثورة تستفز وتنشط عناصر الثورة المضادة ، وقد أكد لينين على حقيقة أن الطبقة العاملة المظفرة يجب أن تثبت قدرتها على بناء المجتمع الجديد من خلال تنظيمها العسكري ايضا .

والمفهوم الاشتراكي للوطن باعتباره البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية لمجموع المواطنين ، بالاضافة الى تطور أساليب الحرب العصرية ، يؤكدان حتمية الاعتماد على الشعب كله ، ليسهم كل فرد فيه بنصيبه في المعركة ، وضرورة تعبئة وحشد جميع القوى البشرية لحماية أرض الوطن .

والحرب الحديثة تتطلب درجة عالية في الكفاية التنظيمية ، ليس في مجال التدريب وحده ، لكن أساسا من أجل تنمية النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي للجماهير ، بمفهوم « الدفاع الشعبي » ، وانطلاقا من تقدير علمي سليم لاهمية العوامل الايديولوجية والسياسية والمعنوية والنفسية في التعبئة والاعداد لخلق نظام فعال للدفاع القومي .

أضـــواء

حـــول التـــكتيك العســـكرى



محـــمود عـــزمى

تمثل نظرية فن الحرب العنصر الاساسى من عناصر علم الحرب بحكم انها تعكس حركة القوانين الموضوعية التى تحكم اعمال القتال وادارة العمليـــات الحـــربيـــة ، والصراع المســـلح كله بصفة عامة فى ظروف تاريخية معينة ، وذلك بالنسبة لكافة مستويات وفروع القوات المسلحة ، سواء كانت هذه الاعمال القتالية او تلك العمليات الحربية متعلقة باشتباك او بمعركة كبرى او بمسرح عمليات ضخمة او بالحرب كلها ٠

ولذلك تعتبر نظرية فن الحرب بفروعها العلمية المختلفة ، اكثر عناصر علم الحرب ارتبـــاطا بالتطبيق المباشر فوق ارض المعارك نفســـها ، واكبرها تأثيرا على النتائج العملية المبـــاشرة للصـــراع المسلح بمختلف صوره ومســـتوياته ، خاصة النتائج المترتبة على تحركات وعمليـــات القوات التى تسبق المعارك او التى تتم اثناءها او بعدها ٠

ان علوم الحرب الاخرى مثل الهندسة العسكرية والجغرافية العسكرية والشئون الادارية وعلـــم حركة المقذوفات ، تلعب ولا شك دورا هاما ومؤثرا على النتائج العامة للحرب خاصة فى العصر الحديث ، ولكن العلوم المتصلة مباشرة بادارة القتال والعمليات الحربية بمختلف مستوياتها والتى تشكل ما يعرف بنظرية فن الحرب تلعب دورا اكثر تأثيرا على نتائج الصراع المسلح ، ولذلك يقول الماريشـــال «**سوكولوفسكى**» : «وعليه ففى تبويب علم الحرب فان الموضوع الاساسى هو فن الحرب الذى يدرس طبيعة وطرق الاعمال القتالية لجميع المستويات سواء ككل او لكل فرع من القوات

المسلحة او لكل سلاح مقاتل على حدة » (١) .

هذا وتنقسم نظرية فن الحرب عند معظم المنظرين العسكريين الى قسمين اساسيين : الاستراتيجية Strategy والتكتيك Tactics كما تنقسم فى الكتابات العسكرية السوفيتية الى ثلاثة اقسام : الاستراتيجية ، فن العمليات Operational Art ، التكتيك ، وذلك تبعا لمدى ارتباطها بالمستويات المختلفة للاعمال الحربية .

ويعتبر التكتيك على وجه الخصوص اكثر علوم نظرية فن الحرب التصاقا بالواقع القتالى المباشر واكبر عناصرها تعرضا للتغيير والتطوير المستمرين ، ولذلك كان التكتيك دائما ذا طبيعة ديناميكية واضحة . ونظرا لازدياد معدل سرعة التطور فى تكتيك وسائل القتال والنقل والمواصلات بمختلف انواعها فى العصر الحديث ، ازدادت ايضا الطبيعة الديناميكية لوسائل واساليب التكتيك ، الامر الذى جعل مسائل دراسة ومتابعة تطور التكتيك ، تحتل مكانة بالغة الاهمية والخطورة فى الفكر العسكرى الحديث المطالب بايجاد الحلول الملائمة لمتطلبات اعداد وتدريب القوات المسلحة بحيث تكون قادرة على مواجهة اساليب الحرب الحديثة بصورة مستمرة .

تعريف التكتيك

يقول المنظر العسكرى الروسى الشهير **كلاوزفيتز** « ان التكتيك هو نظرية استخدام القوات المسلحة فى الاشتباك ، اما الاستراتيجية فهى نظرية استخدام الاشتباكات فى خدمة الحرب » (٢) .

اما الكاتب والناقد العسكرى البريطانى **ليدل هارت** فانه يقدم تعريفا للتكتيك يقول فيه « وعندما يؤدى استخدام وسائط الحرب الى معركة حقيقية فان الاستعدادات التى تتخذ لاعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمى التكتيك » .ويرجع التحفظ الذى يورده ليدل هارت فى بداية التعريف الخاص بتحديد مجال التكتيك فى حالة ما يؤدى استخدام وسائط الحرب الى معركة حقيقية فحسب ، الى أنه يعتبر أن من الخطأ تحديد معنى الاستراتيجية فى اطار ما «يتعلق باستخدام المعارك فقط» (٣) — كما يذهب كلاوزفيتز — وذلك لان المعركة فى وجهة نظره ليست الا « احدى الوسائل للوصول الى هدف الاستراتيجية » وانه على حد قوله « يمكن الحصول على التفوق الاستراتيجى بالوصول الى نتيجة حاسمة دون القيام بمعارك ضارية » (٣) ، وهذا المفهوم ينبع من نظريته الخاصة عن الاستراتيجية والتى يطلق عليها اسم « استراتيجية الاقتراب غير المباشر » اى استراتيجية المواجهة غير المباشرة .

ويقدم الجنرال والمنظر العسكرى الفرنسى **اندريه بوفر** تعريفه الخاص للتكتيك فيقول « ان التكتيك عبارة عن فن استخدام الاسلحة فى المعركة للوصول الى المردود الاقصى » (٤) . وهو لا يقصد فى تعريفه هذا مجرد فن استخدام الاسلحة على المستوى الفردى فحسب ، مثلما يستخدم القناص الماهر بندقيته ، وانما يعنى بتعريفه هذا فى المقام الاول — وبالاضافة الى ضرورة توفر الحد المعقول من المهارات الفردية — كفاءة استخدام القيادات الخاصة بمختلف افرع ومستويات وتشكيلات القوات المسلحة للاسلحة التى لديها فيما يناسب الغرض الحقيقى من اختراع السلاح وبما يتفق وظروف المكان والزمان الذى يتم استخدام السلاح فيها ، وايضا بما يتلاءم وكيفية استخدام العدو لاسلحته .

وعندما تتوفر كل هذه الشروط يترتب عن استخدام الاسلحة حدوث اقصى رد فعل لها ، اى اقصى فائدة يمكن تحقيقها من ورائها فى حقل المعركة بمختلف درجات اتساعها .

هذا ويلاحظ على تعريف **بوفر** للتكتيك انه يتمشى مع مفهوم المدرسة الاستراتيجية الفرنسية التقليدية التى يمثلها الماريشال **فوش** عن مبدأ « الاقتصاد بالقوى » بل انه فى الواقع تطبيق لهذا المبدأ الاستراتيجى العام على ميدان المعارك والاشتباكات القتالية الجزئية ، اى التكتيكية .

هذا وتعرف دائرة المعارف البريطانية التكتيك التعريف التالى :

« التكتيك هو فن وعلم خوض المعارك ، وهو يتعلق بكيفية مواجهة الاشتباك ، وكيفية توزيع

---

(١) سوكولوفسكى وآخرون — الاستراتيجية الحربية السوفيتية — ترجمة محمد ابو غزالة — الكاتب العربى ١٩٦٩ — صفحة ٢٤ .

(٢) كارل فون كلاوزفيتز — فى الحرب — ترجمة اكرم ديرى والهيثم الايوبى — الكاتب العربى ١٩٦٩ — الجزء الاول — صفحة ١٥٢ .

(٣) ليدل هارت — الاستراتيجية وتاريخها فى العالم — ترجمة اكرم ديرى والهيثم الايوبى — دار الطليعة بيروت — صفحة ٢٩٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ .

(٤) اندريه بوفر — مدخل الى الاستراتيجية — ترجمة اكرم ديرى والهيثم الايوبى — دار الطليعة بيروت — صفحة ٢٨ .

القوات ، واستخدام مختلف الاسلحة وتنفيذ التحركات اللازمة للهجوم او للدفاع » (٥) ٠

اما « ماوتسى تونج » الذى يرى ان مهمة الاستراتيجية هى «دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتحكم فى وضع الحرب الكلى » فهو يعرف التكتيك بقوله « اما دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتعلق باوضاع الحرب الجزئية فهى مهمة علم الحملات وعلم التكتيك » (٦) ٠

ويبدو ان **ماو** يقصد بعلم الحملات الذى يشارك علم التكتيك دراسة قوانين الحرب الجزئية ويتوسط المسافة بينه وبين علم الاستراتيجية ، نفس العلم الثالث من علوم فن الحرب الذى يسميه الكتاب السوفيت بعلم « فن العمليات » والذى يسميه بعض الكتاب الغربيون باسم « استراتيجية العمليات » او « التكتيكات الكبرى »، وذلك على النحو الذى سنتناوله تفصيلا عند تعرضنا للعلاقة بين مختلف علوم نظرية فن الحرب ، وخاصة العلاقة بين قسميها الاساسيين ، الاستراتيجية والتكتيك ٠ ويقدم الفكر العسكرى السوفيتى التعريف التالى للتكتيك على لسان الكولونيل ف ٠ **جافريكوف** « ويقوم التكتيك بدراسة القوانين الموضوعية التى تحكم الاعمال القتالية ، كما يقوم بتطوير أساليب اعداد وتوجيه القتال فى البر والبحر والجو » (٧) ٠

كما يقوم بتقديم تعريف مشابه على لسان الماريشال م ٠ **توخاشيفسكى** رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوفيتى فى الثلاثينات يقول فيه «ان مهمة التكتيك هى القيام « بدراسة شاملة لخصائص الاشتباك ، ولكيفية مساهمة القوات فيه بصفة عامة » (٧) ٠

وباستقراء هذه التعريفات المتعددة لعلم التكتيك العسكرى ، والتى يقدمها مفكرون عسكريون تتباين مفهوماتهم فى مسائل الاستراتيجية والسياسة والنظرة الايديولوجية العامة ، يتضح لنا أن هناك قاسما مشتركا اعظم بينها جميعا ، الا وهو تعلق التكتيك كعلم فى دراسته او لفن فى تطبيقه بأعمال القتال المباشرة فوق مختلف ساحات الاشتباكات الحربية فى البر او البحر او الجو ، وذلك سواء من حيث الاعداد المباشرة لهذه الاشتباكات القتالية او من حيث التنفيذ العملى خلالها ٠ وسوف تتضح لنا هذه المسألة فيما بعد من خلال دراستنا لمختلف جوانب الموضوع ، ويتبلور امامنا المفهوم المحدد الواضح للتكتيك كعلم أو كفن ٠

مضمون التكتيك

عندما تلتقى قوات الطرفين المتجابهين فوق ساحة الاشتباك القتالى او المعركة ، تحاول كل قوة منهما ان توجه الى الاخرى اكبر ضربات ممكنة، وان تحتمى فى نفس الوقت قدر ما تستطيع من ضربات القوة المضادة لها ، وهى فى سبيل تحقيق هذين الغرضين تجرى الحركة اللازمة لطبيعة كل منهما ٠

ان كل قتال أيا كان نوعه او حجمه يتكون فى واقع الامر من هذه الافعال او العناصر الاساسية الثلاثة ، الا وهى افعال **الضرب والحماية والحركة** ٠ وان كل عمل تكتيكى انما يهدف فى الحقيقة الى تحقيق هذه الافعال الثلاثة بأكبر فاعلية ممكنة مستخدما فى هذا كافة الوسائل المادية اللازمة لذلك ، مثل الاسلحة ووسائل الحماية والحركة المتاحة فى الزمان والمكان الذى يجرى فيه الاشتباك ٠ وقد كتب المنظر العسكرى البريطانى الشهير جنرال **فولر** ــ صاحب النظرية المعروفة عن الحرب الميكانيكية ــ موضحا هذه الحقيقة المجردة البسيطة للتكتيك فقال « عندما يتقاتل رجلان لاى سبب من الاسباب يحاول كل منهما ان يحافظ على نفسه ، وان يضرب ويتحرك ٠ فاذا ما ضاعفنا هذين الرجلين بأى عدد ، تكون النتيجة دائما واحدة ، وهكذا يمكننا ان نقول ان أى تنظيم يبقى بلا فاعلية تكتيكية ، اذا لم يحقق هذه الاعمال الثلاثة ٠ وكلما كان تحقيق هذه الاعمال مباشرا وسريعا وفعالا ، كان التنظيم مثاليا » (٨) ٠

وبهذا يمكننا ان نقول : ان اسلوب اعداد وتنظيم وتنفيذ عمليات الضرب والحماية والحركة يشكل جوهر التكتيك ، وان مختلف انواع الاسلحة ووسائل الحماية والنقل المتاحة تمثل ـ بالاضافة الى العنصر البشرى المادى والمعنوى ــ ما نستطيع ان نسميه بالوسائل التكتيكية التى تنفذ بوساطتها الاعمال او الانشطة التكتيكية ٠

وهناك بطبيعة الحال علاقة تأثير متبادل بين

---

(٥) دائرة المعارف البريطانية ــ طبعة ١٩٦٤ ــ المجلد ٢١ ــ صفحة ٧٣٧ ٠
(٦) ماوتسى تونج ــ قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية ــ المختارات ــ المجلد الاول ــ الترجمة العربية ــ بكين ــ صفحة ٢٧٠ ٠
(٧) Soviet Military Review January 1969 - Tactics : Theory and Art - P. 22.
(٨) ج.ف.س. فولر ــ الحرب الميكانيكية ــ ترجمة اكرم ديرى والهيثم الايوبى ــ الكاتب العربى ــ صفحة ٧٨

الاعمال التكتيكية والوسائل التكتيكية المادية والبشرية • فكلما كانت الوسائل التكتيكية ملائمة في نوعيتها وكميتها كلما كانت الاعمال التكتيكية اكثر قدرة على تحقيق اهدافها المطلوبة (والمحددة لها من قبل الاستراتيجية) والعكس صحيح ايضا •

وكلما كانت طريقة تنظيم وتنفيذ الانشطة او الاعمال التكتيكية ملائمة للوسائل التكتيكية خاصة المتعلق منها بعنصري الاسلحة والحركة ، كلما كانت تلك الوسائل ناجحة في تحقيق الغرض من وجودها ، أو بمعنى أدق كلما اعطت « مردودها الاقصى » على حد قول الجنرال بوفر السابق الاشارة اليه • فالدبابة مثلا كسلاح ميكانيكي حديث لم تعط اقصى فائدة لها عندما وضعت في خدمة تكتيكات المشاة المترجلة المنحدرة من اساليب قتال الحرب العالمية الاولى ، بوساطة قيادات الحلفاء البريطانية والفرنسية في صيف عام ١٩٤٠ في الجبهة الغربية بفرنسا وبلجيكا ، خاصة وانها استخدمت في معظم هذه الحالات كوحدات جزئية مبعثرة على مختلف تشكيلات المشاة من فرق او فيالق • بيلما اعطت الدبابات الالمانية في ذلك الوقت « مردودا اقصى » حين استخدمت بوساطة القيادات الالمانية - ممثلة في « جوديريان » و « روميل » على وجه الخصوص - كسلاح قائم بذاته يشكل مع بقية الاسلحة الميكانيكية الاخرى (مثل المدفعية الذاتية الحركة والمشاة الميكانيكية) • ما عرف بتشكيلات « البانزر » وهي التشكيلات التي لعبت دور القبضة الحديدية للقوات الالمانية المهاجمة ، وحققت الاختراق القوى المركز والعميق والسريع لخطوط الدفاع الفرنسية ثم استثمرته بسرعة وبكفاءة وحولته الى إختراق استراتيجي عميق ادى الى تطويق جيوش الحلفاء وهزيمتها تماما في « دنكرك » •

وكذلك الحال بالنسبة لضرورة وجود تلاؤم بين الوسائل التكتيكية المستخدمة والاعمال التكتيكية المطلوب انجازها • ففي خلال الحرب العالمية الاولى مثلا ادى تزايد المقدرة الدفاعية للمشاة المترجلة - نتيجة لتجهيزها بالمدافع الرشاشة وتخندقها داخل خنادق حسنة الاعداد مغطاة بالإسلاك الشائكة — الى ظهور الجبهة المتصلة والتي امتدت في فرنسا من الحدود السويسرية شرقا حتى بحر المانش غربا ، تلك الجبهة التي حالت دون امكان القيام بالتفاف استراتيجي يحسم المعارك الدائرة ، أي أدت الى ماعرف بحرب المواقع الثابتة التي جمدت الموقف الاستراتيجي لعدة سنوات • وكان من نتيجة ذلك كله أن اتجه قادة الاطراف المتحاربة المتجابهة على طول امتداد هذه الجبهة المتصلة ، الى اتباع تكتيك الاختراق بالمواجهة الذي يسبقه تمهيد طويل من قصف المدفعية في محاولة لتليين خطوط الدفاع المتعددة النطاقات والمواقع . ولكن هذا التكتيك فشل في أن يحقق غرضه من اقتحام نطاق الدفاعات والوصول الى الارض المكشوفة وراءها ، رغم كثافة القصف المدفعي الذي كان يستمر في بعض الاحيان سبعة أيام كاملة ! وذلك بسبب ان المشاة المترجلة كوسيلة أساسية لهذا التكتيك في تحقيق الاختراق واستثمار نتائج القصف التمهيدي كانت أبطأ بكثير من وسيلة العدو في نقل احتياطيه - وهي السكك الحديدية والسيارات - الى نقاط الاختراق المتوقعة والتي يعطى قصف المدفعية الطويلة انذارا كافيا للخصم بمكان وقوعها المنتظر • ولهذا كان الطرف المدافع ينجح دائما في صد المهاجمين المترجلين الذين لم يكونوا ينجحون الا في اختراق نطاق او اثنين من خطوط الدفاع المتعاقبة في معظم الحالات ، وبعد ان يكونوا قد تحملوا خسائر فادحة بسبب نيران الرشاشات التي كانت تتخذ من حفر قنابل المدفعية المهاجمة مواقع جديدة لها بدلا من الخنادق الامامية المضروبة •

وخلاصة القول ان كيفية ايجاد التطابق المطلوب بين الاعمال التكتيكية والوسائل التكتيكية اللازمة لها تشكل المحتوى الاساسي للتكتيك ، أي مضمونه الجوهري المتمثل في القيام بعمليات الضرب والحماية والحركة بكفاءة •

وسائل التكتيك

يعتمد التكتيك في كل عصر من العصور على مجموعة من الوسائل لتنفيذ عملياته واهدافه كما سبق أن اشرنا من قبل . وتنقسم الوسائل المادية اللازمة لتنفيذ اي تكتيك الى ثلاثة انواع اساسية تبعا لانقسام الاعمال التكتيكية الجوهرية نفسها الى ثلاثة افعال رئيسية :

فهناك الاسلحة بمختلف انواعها كوسيلة لازمة لتحقيق اعمال الضرب ، وهناك مختلف وسائل الحماية لتوفير الحماية المطلوبة أثناء القيام بعمليات الضرب ولاتقاء ضربات العدو ، وهناك أخيرا معدات وسبل النقل اللازمة لاجراء الحركة في الهجوم او الدفاع •

وبالاضافة الى هذه الوسائل المادية الضرورية للتكتيك هناك بطبيعة الحال وقبل كل شيء الانسان الذي سيستخدم كل هذه الوسائل بكفاءة وحماس اي هناك العنصر البشري المادي والمعنوي • وسنتناول في النقاط التالية كل وسيلة من هذه الوسائل بما في ذلك العنصر البشري بشيء من التفصيل :

عنصر الاسلحة

لقد كان هناك منذ فجر التاريخ العسكرى نوعان أساسيان من الاسلحة استعملا فى الهجوم او فى الدفـــاع ، عرفا باســـم « اســـلحة الصـــدمة Shockweapons اسلحة القذف Missile weapons فأسلحة الصدمة هى الاسلحة التى تستخدم فى القتال بالايدى وجها لوجه مثل الرمح والسيف قديما والسونكى حديثا ، وتشمل ايضا بعض الحيوانات او الالات التى تستخدم فى الاقتحام مثل الفيلة والخيول قديما والدبابات حديثا (حين تستخدم كقوة سحق واقتحام مستخدمة دروعها وجنازيرها فى الاساس) • أما أسلحة القذف أو الرمى فهى الاسلحة التى تستخدم فى القتال من على مسافات معينة من العدو ، مثل السهام والمقاليع والمنجنيق قديما ومختلف الاسلحة النارية حديثا كالرصاصة والقذيفة والصاروخ .وهناك نوع ثالث من الاسلحة اضيف حديثا الى هذه الترسانة ،وهو اسلحة الخنق اى الغازات السامة ، ومختلف الاسلحة الكيميائية الاخرى ، هذا بخلاف الاسلحة النووية اى أسلحة الدمار الشامل والتى لا نود ان نتناولها بالدراسة فى هذا البحث نظرا لحاجتها الى دراسة خاصة مستقلة • والواقع ان معظم الاسلحة التقليدية فى العصر الحديث هى اسلحة قذف ولا تستعمل اسلحة الصدمة الا قليلا ، كما ان الصفة الصدامية للدبابات ليست أفضل صفاتها تأثيرا فى القتال ، اذ تفضلها صفة قوة النيران والقدرة على الحركة والمناورة التى تملكها ، خاصة وان دروعها تمثل بالنسبة لها فى هذه الحالة حماية نسبية تنتقل معها أينما ذهبت دون حاجة الى اجراءات حماية أخرى فى معظم الحالات ، وبالذات فى حالات التحرك الهجومى (اذ انها يمكن ان تتخندق فى بعض حالات الدفاع لتحتمى من طائرات العدو) • هذا وتحقق اسلحة القذف ذات المرمى المختلف حماية غير مباشرة لبعضها البعض ، فالمدافع بعيدة المدى تحمى بنيرانها المدافع المتوسطة المدى ، وهذه بدورها تحمى بنيرانها اسلحة المشاة النارية من هاونات او رشاشات او بنادق • والمعـــركة الحديثة ـ بالمعنى التكتيكى ـ هى تنظيم وتنسيق لقوة النيران التى تمثل الوسيلة الاساسية فى ضرب العدو سواء فى الهجوم او الدفاع ، أما القتال التصادمى بالسلاح الابيض او بقوة سحق المدرعات فلا يستخدم الا فى المراحل الاخيرة تقريبا من القتال ولا يلعب الدور الحاسم فى نتيجته فى أغلب الاحوال •

ان السيطرة بقوة النيران على ساحة الاشتباك أو المعركة هى الوسيلة الاساسية للتكتيك الحديث لتحقيق عملية ضرب العدو ، ويوضح فولر هذه الحقيقة التكتيكية الجوهرية فيقـــول « يجب ان نستخدم فى جميع الظروف الاسلحة بعيدة المدى، لتغطية الاسلحة ذات المدى الاقصر ، او لتسهيل استخدامها • وعلى الجندى ان يتذكر هذه القاعدة الاساسية لتنظيم النار ـ أى الصدمة بالقذيفة ـ واستخدام هذا العامل الهجومى لشل العدو او تدميره • وعلى الجندى الا يتردد ، وأن يرمى كل قذيفة يستطيع رميها بشكل فعال ، وان يفكر ويعيش ويتحرك ، وفى اعماقه فكرة سيطرة النار لان فى ذلك سيفه ودرعه وأساس وجـــوده التكتيكى (٩) » •

ان عنصر الاسلحة هو أكثر وسائل التكتيك حركة وتغيرا على مجرى التـــاريخ العسكرى ، ويترتب على تغيره هذا تغير وسائل الحمـــاية والحركة ايضا ، وبالتالى تغير اساليب التكتيك فى تحقيق افعال الضرب والحماية والحركة بأكبر فاعلية تناسب هذه التغيرات فى الوسائل المادية للحرب • أى أن تطور السلاح يؤدى الى تطور طرق ادارة الاعمال القتالية وفن الحرب عموما • فقد ادى مثلا ظهور البارود وتطور الاسلحة النارية الذى تلا ذلك ، الى تطور جذرى كبير فى تكتيكات القتال التى كانت متبعة من قبل وفى طرق ادارة الحرب ، وكيفية تنظيم القوات المسلحة المشتركة فيها الخ .

كما ادى ظهور الاسلحة الميكانيكية الحـــديثة مثل الدبابات والطائرات والمدفعية الذاتية الحركة بمختلف انواعها الى ظهور تكتيكات جديدة تتميز بخفة الحركة والمناورة السريعة ، هى تكتيكات الحرب الميكانيكية التى وجدت تطبيقها الامثل على أيدى القادة الالمان ــ من أمثال جوديريان وروميل ــ خلال المراحل الاولى من الحرب العالمية الثانية فيما عرف بأسلوب « البليتزكريج » ـ أى حرب البرق او « الحرب الخاطفة » وهو أسلوب حقق نجاحات كبيرة وقتئذ نتيجة لتوافر عـــدة ظـــروف ملائمة لتطبيقه على هذا النحو الذى تحقق به •

وعادة لا يؤدى ظهور السلاح الجديد الى تغيير فورى مباشر فى اساليب القتال واشكال تنظيم القوات المسلحة اى فى التكتيك بمختلف مكوناته ، وانما لابد وان يمر السلاح الجديد بمرحلة تطور معينة يجرى خلالها دراسته وتحسين خواصه القتالية والبحث عن أساليب القتـــال واشكال

(٩) فولر ــ المرجع السابق ــ صفحة ٨١ ، ٨٢ .

التنظيم التي تتفق معه . وكل هذا يفترض بطبيعة الحال ضرورة ان يكون هذا السلاح الجديد متميزا بخصائص نوعية معينة تجعله يتفوق بشكل واضح وأساسي عن السلاح القديم السائد استخدامه من قبل ، هذا بالاضافة الى انه لابد وان يكون من الممكن صناعيا واقتصاديا انتاج هذا السلاح بكميات كافية وايصاله الى القوات التي ستستخدمه في وقت مناسب ، قبل ان يتقرر بصفة نهائية تعميم استخدام السلاح الجديد بعد ثبوت كفاءته العملية واجراء التحسينات اللازمة التي تحدث اثر اختراعه للمرة الاولى .

هذا ويؤدي الميل المحافظ التقليدي لدى معظم القيادات العسكرية — الذي يترسب نتيجة التعود السابق على السلاح القديم والتكتيكات المرتبطة به — الى تأخير تعميم استخدام السلاح الجديد بصورة فعالة في كثير من الاحيان ، نظرا لان هذه القيادات تلجأ عادة الى استخدام السلاح الجديد ضمن نفس الاطار القديم للتكتيك ، اي ضمن أساليب القتال السائدة واشكال التنظيم القائمة دون اجراء التغيير الملائم فيها كي يظهر السلاح الجديد كافة امكانياته القتالية ، بالكامل ويحقق اكبر تأثير او رد فعل له . ونظرا لاهمية الدور الذي تلعبه الاسلحة كوسيلة أساسية من وسائل التكتيك ، فان الدول الصناعية المتقدمة تسعى دائما باستمرار الى اختراع وصنع اسلحة جديدة لتفاجيء بها اعداءها في ميادين القتال وتحقق من وراء ذلك نتائج حاسمة على المستوى التكتيكي او الاستراتيجي اذا أمكن . وذلك مثلما فعل الالمان خلال الحرب العالمية الاولى حين استخدموا الغازات السامة ضد قوات الحلفاء في فرنسا عام ١٩١٥ ، او كما فعل الانجليز حين استخدموا الدبابات لاول مرة في معركة «السوم» التي جرت في سبتمبر عام ١٩١٦ ، وحين استخدموها على نطاق واسع بعد ذلك في معركتي « اميان » و «كامبري» عام ١٩١٨ ، وكذلك كما فعل الالمان في الحرب العالمية الثانية حين استخدموا اسلحتهم الصاروخية في ضرب لندن عام ١٩٤٤ وسبقتهم الاحداث قبل ان تتاح لهم فرصة استعمالها بطريقة فعالة كما وكيفا . ولكن غالبا ماتفشل المفاجأة الفنية في السلاح التي اوردنا امثلة لها آنفا في تحقيق نتائج حاسمة على المستوى الاستراتيجي او حتى على المستوى التكتيكي العام ، وذلك مادامت تجري بين خصوم ينتمون الى مستوى صناعي وحضاري واحد او متقارب — فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية المحضة مثل حالة استخدام الامريكيين للقنبلة الذرية ضد اليابان عام ١٩٤٥ — وذلك بحكم قانون رد الفعل المعاكس الذي يحكم حركة تطور الاسلحة ومعدات القتال عموما . وهو القانون الذي عبر عنه الجنرال فولر بقوله « ان كل تعديل او تحسين لقوة الاسلحة ووسائط النقل العسكري يتبعه تحسين في وسائل الحماية الرامية الى اقلال الخوف والخطر . وكل تحسين للاسلحة ووسائل النقل والحماية يقابله تحسين مضاد ينزل من قيمته ويفقده فاعليته» (١٠). فظهور الدبابة ادى الى ظهور المدفع المضاد للدبابات وظهور الطائرة ادى الى ظهور المدفع المضاد للطائرات والرادار بعد ذلك — الذي اخترعه الانجليز أساسا قبل الحرب الثانية وكان هو المفاجأة الفنية في نظام دفاعهم الجوي في معركة بريطانيا الجوية عام ١٩٤٠ — كوسيلة مساعدة لنظام الدفاع الجوي . والواقع ان السلاح نفسه هو أفضل نقيض مضاد لنفسه ، فالطائرة هي افضل سلاح للدفاع الجوي والدبابة او المدفع المدرع هما افضل سلاح مضاد للدبابات ، والصواريخ هي افضل سلاح مضاد للصواريخ . ولذلك يعبر الجنرال «جان بيريه» عن قانون رد الفعل المعاكس في التسليح بقوله : « ان لكل فعل رد فعل مضاد يحاول مساواته بالقوة ليلغيه ، وكل عتاد حربي جديد يؤدي الى حركات تليها ردود فعل ، فالعتاد في الحقيقة ترياق نفسه » (١١) .

ان قانون رد الفعل المضاد يؤتي نتائجه عادة في مواجهة المفاجأة التكنيكية للسلاح الجديد ، اما بسبب نشاط المخابرات السابق لاستخدام السلاح ، او نتيجة لان استخدام السلاح الجديد يتم تكتيكيا — اي في اطار المعركة او الاشتباك — بالتعاون مع الاسلحة القديمة الموجودة وعن طريق اجراء تجارب جزئية اولية في معظم الاحوال تؤدي الى انذار الخصم وبالتالي الى مسارعته في البحث واعداد الوسائل المضادة . وقبل ان تظهر الاسلحة النووية واجهزة حملها الى اهداف بعيدة المدى لم يكن لدى القيادات العسكرية اي سلاح استراتيجي فعال ، وبالتالي كان استخدام اي سلاح جديد لابد وان يتم على مستوى تكتيكي الامر الذي لا يجعل المفاجأة حاسمة النتائج بشكل فعال ، ولذلك اصبح احتمال تحقيق المفاجأة في السلاح اكثر احتمالا في ظل تطور الاسلحة النووية الحديثة عما كان عليه الحال من قبل في عصر الاسلحة النارية التقليدية ، هذا وان كانت الوسائل المستخدمة في الكشف عن التجارب النووية وجمع المعلومات بصفة عامة قد اصبحت

(١٠) فولر — المرجع السابق — صفحة ٨٣ .

(١١) جان بيريه — الذكاء والقيم المعنوية في الحرب — ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي — بيروت ١٩٦٨ — صفحة ١٠١ .

تقلل من هذا الاحتمال الى حد كبير وتؤدى الى استمرار سريان قانون رد الفعل المضاد وتحكمه فى ظاهرة التسليح ، ولذلك يعلق الجنرال جان بيريه على هذا القانون بقوله « ان اعداد المفاجأة التكنيكية دائم مستمر ، وسيكون خطر وقوعها فى الحرب المقبلة خطرا دائما كامنا ، فهل سيحقق الانسان يوما مفاجأة قوية عامة تكفى لاخضاع الخصم قبل ان يلعب قانون رد الفعل دوره ، ذلك القانون الذى عرقل بسرعة حتى الان تاثيرات كل سلاح جديد ؟ ان هذا امر قليل الاحتمال فى مجالات الابحاث التى يتنافس فيها المتخاصمون اليوم • ولكن علينا ان ننتظر مفاجأة تؤدى الى فقدان التوازن ، وتسمح بالوصول الى نتائج هامة ، وتؤدى بالتعاون مع الوسائل الاخرى الى نتيجة حاسمة » (١٢) •

هذا وتنقسم الاسلحة الحديثة التقليدية الى نوعين اساسيين من الاسلحة : اسلحة هجومية واخرى دفاعية • والاسلحة الهجومية الرئيسية هى الدبابات وطائرات الانقضاض وقاذفات القنابل بمختلف انواعها ومدافع الميدان العادية والصاروخية والهاونات الثقيلة •

اما الاسلحة الدفاعية الاساسية فهى مجموعة الاسلحة المضادة للدبابات والاسلحة المضادة للطائرات والطائرات المقاتلة ومجموعة الاسلحة الصغيرة الاوتوماتيكية التى يحملها المشاة عادة. وبطبيعة الحال ليست هناك حواجز جامدة مطلقة تحول دون استخدام كلا النوعين من الاسلحة فى المعركة الواحدة التى كثيرا ما تتداخل فيها حالات الهجوم والدفاع • وان الامر الذى يعنينا بحثه بصدد هذا التقسيم النوعى الافقى للاسلحة المختلفة من حيث افضل خصائصها فى الاستخدام الذى صنعت من أجله اساسا ، هو ان على التكتيك ان يراعى التنسيق السليم بين التكتيكات الجزئية لهذه الاسلحة والتكتيك العام لاستخدامها معا فى المعركة الواحدة ومايفرضه هذا من ضرورات وتعقيدات فى مجال اشكال التنظيم العسكرى التى اصبحت تتطلب تكامل تسليح الوحدة العسكرية المقاتلة من حيث ضرورة توفر كلا النوعين من الاسلحة لديها لتواجه ظروف المعركة الحديثة السريعة التغير والتطور ،الى جانب ضرورةتواجد الوحدات المجهزة اساسا بنوع معين من هذين النوعين من التسليح حتى يمكن تحقيق اكبر رد فعل لها ، وذلك مثل الوحدات الضاربة المعدة للهجوم والمطاردة والتى تتكون من تشكيلات ضخمة قوية متكاملة الاعداد والاداء من الدبابات والاسلحة المدرعة الاخرى المعاونة والمشاة الميكانيكية ووحدات الاقتحام الجوى المحمولة فى الهيلوكوبتر الخ •

هذا وقد ادى تطور الاسلحة على هذا النحو الى زيادة تكلفة الوحدة الواحدة منها ، وزيادة نفقات تجهيز الوحدات المقاتلة المختلفة بالاسلحةالمتنوعة الاستخدامات بصورة تتزايد ارتفاعا مع زيادة سرعة تقدم تكنيك التسليح وتطور مبتكراته المستمرة • فقد كانت قاذفة القنابل الثقيلة تتكلف خلال الحرب العالمية الثانية مثلا ٦٨٠ الف دولار ــ وهى القاذفة الامريكية ب « ٢٩ » فأصبحت الان تتكلف نحو ٦ر١٧ مليون دولار ــ وذلك بالنسبة للقاذفات الامريكية ب « ٥٨ » ــ كما ازدادت النسبة المئوية التى تنفق على التسليح بالقياس الى النسبة التى تنفق على الافراد فى اى ميزانية عسكرية لاية دولة حديثة • فقبل الحرب الاولى مثلا كان ما يزيد عن ٨٠ فى المائة من ميزانيات الدفاع ينفق على الافراد وما بين ١١ ــ ١٥٪ فقط ينفقعلىالاسلحة ومعدات القتال الاخرى ، بينما بلغ ما خصص للانفاق على الاسلحة والمعدات فى ميزانية الدفاع الامريكية عام ٦٢ ـ٦٣ نحو ٧٢ فى المائة من اجمالى ميزانية الدفاع (١٣) •

ونظرا للاهمية الجوهرية التى تلعبها الاسلحة كعنصر أساسى من عناصر تنفيذ التكتيك فان بعض الكتاب العسكريين يغالون الى حد خطير ــ وغير علمى فى الحقيقة ــ فى مدى تأثيرها على النتيجة العامة للقتال ، ولذلك نجد فولر مثلا يقول « اذا أمكن اختراع افضل المعدات والاسلحة حصلنا على ٩٩ فى المائة من النصر •• وليست الاستراتيجية والقيادة والشجاعة والانضباط والتموين والتنظيم وجميع القضايا المعنوية الاخرى شيئا مذكورا أمام التفوق الساحق فى الاسلحة.انها عبارة عن ١ فى المائة فقط (١٤) • ان هذه تقديرات مبالغ فيها للغاية بالنسبة لفاعلية الاسلحة كوسيلة من وسائل التكتيك وتجربة فيتنام مثلا تدحضها،وسوف نتناول هذه المسألة تفصيلا فيما بعد •

عناصر الحماية

تنقسم وسائل الحماية المادية المستخدمة فى القتال الى وسائل حماية مباشرة ، واخرى غير

(١٢) المرجع السابق ــ صفحة ١٠٢ •
(١٣) سوكولوفسكى وآخرون ــ المرجع السابق ـصفحة ٣١٨ •
(١٤) فولر ــ الحرب الميكانيكية ــ المرجع السابق ـصفحة ٨٤ •

مباشرة . وتتخذ وسائل الحماية المباشرة عدة أشكال مثل الخنادق المكشوفة أو المغطاة ودشم الاسمنت المسلح او الصلب . ويطلق على هذا النوع من وسائل الحماية اسم وسائل الحماية المباشرة الثابتة تمييزا لها من وسائل الحماية المباشرة المتحركة مثل دروع الدبابات وأعمال تصفيح السيارات ومختلف مركبات القتال أو تصفيح بعض سفن القتال أو بعض أجزاء الطائرات المنقضة لتواجه نيران الرشاشات الارضية الخ . وهناك وسائل حماية متحركة خاصة بالجندي نفسه ، وتدخل ضمن عتاده الشخصي مثل الخوذة ، والاقنعة والملابس الخاصة بالحرب الكيميائية والسترات الواقية من الرصاص الخ .

ولكن الوسيلة الاكثر فاعلية في تحقيق الحماية سواء في الهجوم أو الدفاع هي قوة النيران الصادرة من الاسلحة التي تحمي بعضها البعض كما سبق ان اوضحنا عند تناولنا بالبحث عنصر الاسلحة ،فان نيران المدفع المضاد للطائرات أفضل من المخبأ كوسيلة حماية ضد الغارات ، والطائرة المقاتلة المعترضة طريق القاذفات المغيرة أفضل من الاثنين معا ، وهكذا الحال بالنسبة لبقية الاسلحة ووسائل الحماية المباشرة. ويطلق على هذا النوع من وسائل الحماية اسم وسائل الحماية غير المباشرة التي يدخل ضمنها ايضا على سبيل المثال اطلاق ستارات الدخان الصناعي ، والمناطيد المثبتة فوق بعض الاهداف لمواجهة الطائرات المنقضة ، ويعلق فولر على هذا النوع من وسائل الحماية بقوله : « ان الرصاصة تحمي الحربة ، وان التقدم يفتح الباب للهجوم ، وهذان نوعان غير مباشرين من أنواع الحماية ، لانهما لا يقيان من الضربات نفسها ، ولكنهما يمنعان العدو من القيام بها ، سواء أكان ذلك بضربة مضادة ، او باقلال رؤية الهدف حتى تصعب رؤيته » (١٤) .

هذا بالاضافةالى ما تقدمه التشكيلات التكتيكية للقوات المشتركة في الاشتباك أو المعركة نفسها من وسائلحماية غير مباشرةلبعضها البعض،ويوضح الجنرال بوفر هذه الحقيقة الجوهرية التي تشكل المضمون الاساسي لتشكيلات القتال في المعركة فيقول : «يعود سير المعركةبأشكالمتباينةجدا الى مخطط بسيط نسبيا ، اذ تتصف المعركة (البرية) بأنها مجابهة عنيفة تقع بين جدارين بشريين مشكلين من المقاتلين ، ويأتي هذا التشكيل الجداري من رغبة كل مقاتل بأن يحمي ظهره ومجنبته بالاصدقاء . فاذا ما حمى كل مقاتل زميله واحتمى به ، تشكل من المجموعة صفوف (أنساق) متراصةيزدادتراصها وتعاقبها بالعمق او يقل حسبالقواعد التكتيكية لكل عصر. الا ان هذه الحماية تنتهي في نهاية النسق ، وهذا ما يجعل من المجنبات نقاطا حساسة سريعة التأثر في الترتيب كله . ويؤدي ضعف المجنبات الى البحث عن النتيجة الحاسمة « بالالتفاف » و «التطويق» ، وذلك بزيادة عرض الجبهة بشكل تصبح فيه اعرض من جبهة الخصم . . وهكذا كان هدف المعركة هو بلبلة نظام تشكيلات العدو المتماسكة المؤلفة من جدار بشري ، باستخدام الخرق او التطويق » (١٥) . والواقع ان ما اورده بوفر من توضيح لجوهر المعركة من حيث ترتيب التشكيلات المقاتلة، والهدف الحقيقي من وراء تحركاتها اثناء القتال ينطبق على كلا المستويين النوعيين للمعركة التكتيكي والاستراتيجي لانه من الصعب كما سيتضح لنا فيما بعد ، وضع حدود فاصلة بين التكتيك والاستراتيجية .

عناصر الحركة

الحركة وسيلة ضرورية لازمة للقيام بأعمال الضرب او الحماية ، وتتجسد اهميتها بصورة اكبر عند القيام بأعمالالضربالهجومية . وتتم الحركة بسبل ثلاث أساسية هي : السير على الاقدام ، أو امتطاء ظهور الخيل أو ركوبالعربات التي تجرها الخيل ، او باستخدام وسائل النقل الآلية الحديثة بمختلف انواعها . وقد كان النوعان الاولان من سبل الحركة سائدين في العصور التاريخية السابقة لاختراع آلات الاحتراق الداخلي ، أي المركبات المختلفة ذات الحركات الميكانيكية من سيارات ودبابات وطائرات ، تلك المركبات التي اعطت للحركة على المستوى التكتيكي ، أو الاستراتيجي ابعادا جديدة لم يكن يحلم بها أي قائد عسكريمن قبل ،وهو الامر الذي كان له اثره على معظم المعارك والاشتباكات القتالية الحديثة فيالبر او البحر او الجو ،من حيثسرعة وتلاحق احداثها ،والتبدل السريع لظروفها وأوضاعالقوات المشتركة فيها وهي كلها اعتبارات جوهرية لابد ان تضعهاالقيادة التكتيكية الحديثة في اعتبارها عنداجراء أعمالها القتالية من حيث سرعة تنفيذ هذه الاعمال والتنسيق بين الاسلحة المشتركة في القتال ، وسرعة اجراء التغييرات اللازمة في الخطة على ضوء التطورات السريعة التي تحدث عمليا فوق ساحات القتال ، الامر الذي يطرح الى

---

(١٤) فولر — المرجع السابق — صفحة ٨٢ .
(١٥) بوفر — المرجع السابق — صفحة ٨٤ .

الوجود أسلوبا جديدا للقيادة يفرض على القادة أن يكونوا على مقربة شديدة من تشكيلاتهم المقاتلة مثلما كان الحال قديما بالنسبة لقادة وحدات الفرسان مع وجود اختلاف بسيط عنهم ألا وهو وجود اللاسلكي كجهاز حديث وأسرع في اصدار الاوامر المتغيرة أثناء القتال .

ولذلك تتوقف نتائج المعركة الحديثة في كثير من الاحوال ، ليس فقط على نوعية وكمية الاسلحة المستخدمة ووسائل الحماية المتاحة ، وانما ايضا على كمية ونوعية وسائل الحركة والنقل المتوفرة للقوات ومدى تلاؤمها مع احتياجات القتال ومع طبيعة مسرح المعركة من الناحية الجغرافية، ونسبتها بالقياس لوسائل حركة العدو . ان ادراك القدرات الفعلية الكامنة في وسائل الحركة الميكانيكية يتيح للقيادة العسكرية التكتيكية والاستراتيجية تفهما سليما لايقاع الحركة العامة للقتال في الحرب الحديثة سواء بالنسبة لحالة الدفاع أو الهجوم ، وهو الامر الذي لم تدركه جيدا قيادة الحلفاء مثلا في عمليات ١٩٤٠ بفرنسا وبلجيكا وهولندا حين حققت مجموعات « البانزر » الالمانية بالتعاون مع الطيران وقوات المظلات اختراقا سريعا للجبهة الدفاعية المتصلة للحلفاء أدى الى تطويق وهزيمة نحو مليون جندي في شمال فرنسا وجنوب بلجيكا وهولندا ، وهي العمليات التي طبقت فيها بكفاءة عالية تكتيكات « الحرب الخاطفة » والتي عبر الجنرال بوفر عن مضمونها التكتيكي الجوهري بقوله «ثم جاءت معركة ١٩٤٠ ، ونجم عنها انهيار استراتيجية الاستخدام العنيف للقوة . وحقق عمل « الدبابة والطائرة » الخرق السريع على جبهاتنا الخطية الثابتة ، نظرا لوصول الحركة التكتيكية الهجومية الى سرعة كافية بالنسبة للحركة الاستراتيجية التي تقوم بها القوات الاحتياطية الدفاعية ، وسمح ذلك بالعودة الى « حرب الحركة » (١٦) .

وخلاصة القول ان عناصر تنفيذ التكتيك مرتبطة ببعضها البعض وتتبادل التأثير فيما بينها بصورة يتعذر فصل أحدها عن الآخر ، وهي عناصر في حركة مستمرة وتتعرض لتغيرات دائمة، كما أنها تتطور في تعاون مشترك ، فاذا تغير أحدها تعرضت بقيتها للتغير نفسه ، والعامل الاساسي الذي يحكم حركتها وتغيرها وتطورها المشترك هذا هو قدرة القوى المنتجة في المجتمع وخاصة الصناعية منها على الانتاج والتطور ، وبالتالي قدرتها كما وكيفا على توفير أفضل وسائل القتال من أسلحة ومعدات نقل وحماية . ولذلك يعلق **فردريك انجلز** على أسلوب **نابليون** في القتال كاسلوب متطور في عصره بقوله « ان منطق الطريقة النابوليونية لادارة الحرب حتمه النمو الذي حدث في قوى الانتاج . وما من شك أن حتمية أية طريقة متطورة جديدة في نظام ادارة الحرب سيكون أيضا بسبب تطور جديد في هذه القوى » (١٧) .

ولذلك ايضا يقول المنظر العسكري السوفيتي **فرونز** « ان كل نمط من التكتيك يتطابق مع مرحلة تاريخية معينة ، فاذا تغير السلاح وحدثت تحسينات تكنيكية ، تغيرت ايضا اشكال التنظيم العسكري وأساليب قيادة القوات » (١٨) .

العلاقة بين التكنيك والعلم والتكتيك

لقد اتضح لنا مما سبق مدى ارتباط التكتيك بالوسائل التكتيكية المادية المتاحة ، ومدى ارتباط نوعية وكمية هذه الوسائل التكتيكية بمستوى تطور قوى الانتاج ، أي بمستوى تقدم العلم والاختراع والصناعة والتكنيك الذي يتولى تحويل وترجمة التطور العلمي النظري والتجريبي بالمعنى المعملي الى واقع صناعي يخدم مختلف متطلبات الانسان المادية . ولقد أدى تطور الاسلحة ومعدات ووسائل النقل والحماية الحديثة الى زيادة ارتباط التكتيك بالعلم والتكنيك ، وزيادة احتياج الجيوش الى الرجال الفنيين المتفهمين للاسس العلمية والتكنيكية التي تحكم عمل الاسلحة والاجهزة والمعدات القتالية الحديثة . ففي نهاية الحرب العالمية الثانية كانت نسبة الفنيين والمهندسين في القوات المسلحة السوفيتية مثلا هي ١ الى ٢ر٤ بالنسبة الى القادة ، ثم أصبحت هذه النسبة في بداية الستينات ١ الى ٥ر١ من القادة بصفة عامة ، وبلغت النسبة العامة للكوادر الفنية والهندسية حوالي ٣٨ في المائة من اجمالي عدد ضباط القوات المسلحة ، وهي نسبة تساوي ضعف النسبة التي كانت موجودة في عام ١٩٤١ عند بداية الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي ، كما تبلغ نسبة الفنيين والمهندسين في قوات الصواريخ ـ خلال نفس الحقبة التاريخية ـ ٧٢ مهندسا وفنيا من بين كل ١٠٠ ضابط .

---

(١٦) بوفر ـ المرجع السابق ـ صفحة ٩٨ .
(١٧) سوكولوفسكي وآخرون ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٧ .
(١٨) ف. جافريكوف ـ مقاله السابق الإشارة اليه ـ صفحة ٢٢ .

ونتيجة لذلك أصبح من المحتم حاليا وجود تعاون وثيق بين رجل التكتيك العسكرى ورجل العلم والتكنيك الصناعى ، حتى يمكن أن يخدم العلم والتكنيك مطالب التكتيك والحرب عموما على ضوء المتطلبات الواقعية لها ، وحتى يمكن لرجل التكتيك أن يعرف قدرات التكنيك وآثارها المحتملة على أساليب القتال وحدود هذه القدرات وتطورها المرتقب ، خاصة المتعلق منها بامكانية تحقيق المفاجأة التكنيكية فى مجال الاسلحة او وسائل الحركة أو الحماية ، وحول هذه المسألة التى يطرحها التطور العلمى والصناعى والعسكرى الحديث . يقول الجنرال **جان بيريه** : « وهناك واقع جديد يدعو الى ضرورة التعاون الوثيق بين المقاتل وصانع الاسلحة وتداخل التكنيك والتكتيك ، وهذا الواقع هو امكانية وقوع المفاجأة الفنيـــة الحاسمة الناجمة عن استخدام عتاد حربى جديد ، تلك الامكانية التى بعثت فى عصرنا من جديد » (١٩) . ويقول فى موضع آخر « على القائد ألا يكون جاهلا أو فنيا مختصا ، بل ينبغى عليه أن يكون مستخدما واعيا ، وأن يستفيد من مساعديه المختصين ليبقى على اتصال دائم مع الاوساط الصناعية او الفنية ، فيعلمها عن طلباته ويكتشف الامكانيات العسكرية التى تنبثق من عملها » (١٩) . ان الجيش المؤهل فنيا وعسكريا لتلقى تطورات التكنيك واستيعابها بطريقة مثمرة يكون أكثر قدرة على ملاحقة التطور التكنيكى والتكتيكى خاصة فى أوقات الحروب حيث تتزايد سرعة التطور بمعدلات عالية ، ولذلك يقول جنرال **فولر** ان التقـدم الحضـارى كبير لدرجة مذهلة ، وهو يسبق أى تقدم عسكرى ، وهذا ما يؤدى الى تطور الاسلحة فى حالة الحرب بسرعة ، الامر الذى يجعل الجيش المؤهل لتلقى التغيير وهضم التكتيكات الجديدة المتنوعة متفوقا على الجيوش الاخرى ، وهذا هو سر نجاح التكتيك الالمانى خلال مطلع الحـرب العـالمية الثانية » (٢٠) .

ولكن أهمية التكنيك الصناعى الحديث ، أو التكنولوجيا عامة وتأثيرها على التكتيك لا يجب أن تنسينا حقيقة هامة أخرى وهى أن الانسان هو فى النهاية مستخدم السلاح ومبتكر أساليب القتال التى تتفق والظروف التى يحارب فيهـا ، وأن التكتيك مهما كان حديثا ومستفيدا من آخر تطورات التكنيك لا ينجح الا اذا ارتبط باستراتيجية سليمة وفى مواجهة خصم لا يستخدم تكتيكا يلائمه أو تحكمه استراتيجية خاطئة أو جانبه سوء التقدير بالنسبة للاثنين معا ، وأن المعنويات وسلامة وكفاءة وعدالة الحشد النفسى ودوافع القتال تلعب دورا بالغ الاهمية ، وتلك حقائق يعترف بها الفكر العسكرى الغربى الذى ساهم فى القتال ضد كثير من ثورات الشعوب ، ولذلك نجد الجنرال **بوفر** — وهو الذى اشترك فى الحرب ضد ثوار فيتنام والجزائر ، وقاد الفيلق الفرنسى فى العدوان على مصر عام ١٩٥٦ — يقول مثلا « والحقيقة أن التقدم التكنولوجى عامل رئيسى من عوامل القوة ، ومن البديهى فهم تعذر ايقاف الدبابة بالبندقية أو اسقاط الطائرة بالسهام .. ومن الطبيعى أن يقدم التفوق التكنيكى والتكتيكى ميزات كبيرة لمن يحصل عليه ، لانه يزود الاستراتيجية بوسائل اضافية فعالة . وقد يبدو هذا التقدم بلا جدوى اذا ما استخدم فى اطار استراتيجية سيئة .. ولنتذكر تجربتنا الاخيرة فى الجزائر مثلا ولنتساءل : هل سمح لنا تسليحنا وعتادنا الحديثان بالحصول على نتيجة حاسمة ؟ . ان دراسة التكتيك وحده وتقييم صفاته الذاتية واعتباره تكتيكا جيدا او سيئا أمر لا يقدم ولا يؤخر ، والمهم دراسته وتقييمه بالنسبة لتكتيك الخصم . وقد يكون للدبابة والطائرة تأثير حاسم ولكن حرب العصابات اثبتت فشلهما . كما أن السلاح الذرى رغم خطورته لم يؤمن للولايات المتحدة فى كوريا الا هدنة مبنية على حل وسط . وهذا يعنى أن هناك ما يسيطر على التكتيك وهو حسن اختيار التكتيكات » (٢١) .

وطبيعى من كاتب عسكرى غربى مثل بوفر شارك فى حروب استعمارية غير عادلة انتهت بالفشل ، أن يحصر أسباب الفشل فى اطار التكتيك والاستراتيجية المستخدمين ، وأن لا يتطرق بحثه أو حديثه الى العوامل السياسية والمعنوية التى لعبت دورها فى الوصول بهـذه الحمـلات الاستعمارية الى نتائجها المعروفة ، ولكن شهادته هذه — التى أوردنا نصها بالكامل تقريبا والتى قالها بصدد الرد على مبالغات الكتاب العسكريين وغيرهم من امثال « فولر » و « توينبى » المتعلقة بدور الاسلحة الحديثة والتكنيك فى الحروب — تبقى رغـم ذلك لها قيمتهـا البالغـة الاهميـة بالنسـبة لقضـية تقييم الدور الحـقيقى للاسـلحة والتكنيك ، خاصـة بالنسـبة للحـروب الشـعبية الثورية التى دارت ومازالت تدور فى قرننا العشرين الذى نعيشه ، قرن المتناقضات الحادة والتحديات الصارخة التى تواجه الشعوب الباحثة عن السلام والعدل والرخاء .

---

(١٩) جان بيريه — المرجع السابق — صفحة ١٠٠ ، صفحة ٩٨ .
(٢٠) فولر — المرجع السابق — صفحة ٨٤ .
(٢١) بوفر — مدخل الى الاستراتيجية — المرجـع السابق — صفحة ٧٧ .

المبادىء العامة للتكتيك

لقد كشفت التجربة البشرية فى مجال الحرب عبر تعاقب مختلف عصور التاريخ العسكرى ، أن هناك مجموعة قليلة العدد من القواعد العامة الجوهرية والبسيطة ، تؤدى مراعاتها عند ممارسة الاعمال القتالية المتمثلة فى الاحتماء والضرب والحركة الى أفضل النتائج العملية ، اى يؤدى الاخذ بها عند تطبيق أى تكتيك الى تحقيق أفضل النتائج ، بينما يؤدى الاستهزاء بها — فى اغلب الحالات — الى عواقب سيئة مهما كانت قوة الوسائل الماديه المستخدمة فى القتال • وهى تشكل فى الحقيقة جوهر المهارة التكتيكية فى القتال عند تطبيقها بنجاح ، كما أنها تنطبق على الاستراتيجية أيضا بطريقة تتفق وطبيعتها من حيث اتساع المدى وكبر حجم القوات المستخدمة ، بمعنى أنها تكتسب نوعية خاصة عند تطبيقها أو ممارستها على مستوى الاستراتيجية ، تنبع من الاختلاف النوعى القائم بين الاستراتيجية والتكتيك .

وهذه المبادىء هى : الحيطة والمفاجأة والخداع والسرية والمعلومات والامن والمبادأة والتجمع والاقتصاد القومى وملاءمة الوسائل مع الهدف •

وقديما فى عصر « الفروسية » حيث كانت تسود روح القتال بأسلوب « الجنتلمان » كانت أعمال الضرب والحماية والحركة تتم عن طريق المواجهة بالمبارزة ووفقا لقواعد خلقية معينة تحكم اللعبة ، ولذلك كان من الجبن مثلا أن يباغت الفارس خصمه أو يخدعه أو يضربه من الخلف ، وبذلك كانت المبادىء العامة التى تشكل جوهر المهارات التكتيكية لاى جيش حديث محل احتقار أدبى شديد !

أما الان فان أى عمل قتالى اذا لم تتوافر له كافة عناصر تأمين الحيطة ضد ردود الفعل المتوقعة من العدو ، واذا لم تكفل له اجراءات السرية وأعمال الخداع تحقيق عنصر المفاجأة للحصول على المبادأة والاحتفاظ بها ، واذا لم تتوفر قبل القيام به المعلومات اللازمة عن العدو وتحتجز عنه فى نفس الوقت المعلومات المتعلقة بالعمل المزمع القيام به بوساطة اجراءات الامن ، واذا لم يتم تجميع القوة فى المكان والزمان المناسبين وبأفضل اقتصاد ممكن لها بمعنى عدم تبديدها فى أنشطة ثانوية ، واذا لم يراع تحقيق التوازن بين الهدف المطلوب والامكانيات المتاحة، اذا لم تؤخذ كل هذه القواعد العامة فى الاعتبار عند تطبيق أى نشاط تكتيكى — أو استراتيجى — بالنسبة لاى جيش حديث ، فان الفشل يكون فى انتظار مثل هذا النشاط فى الاغلبية الساحقة من الاحوال •

هذا ولا تكمن الصعوبة والتعقيد فى الالمام النظرى العام بمبادىء التكتيك ، وانما تكمن أساسا فى معرفة كيفية تطبيقها فى كل حالة أو موقف على حدة وفى ظل العقيدة أو العقائد التكتيكية السائدة فى كل مرحلة من مراحل تطور التكتيك وفن الحرب بصفة عامة • ويعلق الجنرال **جان بيريه** على تلك المبادىء وسبل تطبيقها أو مراعاتها بقوله « ومما لاشك فيه أن رغبة المرء فى تحقيق أمنه (أى الحيطة) مع البحث عن مفاجأة الخصم عملان متناقضان من بعض الوجوه • فمحاولة الحماية ضد امكانيات العدو المختلفة عامل توزع ، على حين أن العمل بناء على التصرف المعادى المتوقع يحتاج الى تجميع معظم القوات فى لحظة معينة • فالى أى مدى يمكننا أن ندفع الاقتصاد بالقوى فى المناطق الثانوية ، والى أية درجة سنتقبل الخطر لتحقيق التجمع اللازم للوصول الى حل حاسم ؟ •• ولا يمكن حل هذه المتناقضات حلا عاما ، ولذا يتطلب فن الحرب ايجاد حلول وسط تتلاءم مع كل حالة خاصة وحدها على أن يأخذ الخطر والحكمة حجمهما الحقيقى •• ومن هنا نستنتج أنه ليس لهذه المبادىء الكبرى المجردة أى معنى عملى اذا لم تحقق التوافق والتلاؤم مع الواقع ، ولم تخضع لقانون الحل الوسط » (٢٢)

العقائد التكتيكية

وكيفية تطورها

تحدد نوعية التسليح أسلوب القتال ، فالرجل المسلح بسيف يقاتل خصمه من مسافة قريبة والرجل المسلح ببندقية يواجه خصمه من مسافة بعيدة نسبيا ، وتجهيز القوات المشتركة فى الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ — ١٨٧١ مثلا بالبنادق الحديثة ذات المواسير « المشخشنة » — أى ذات الخطوط الحلزونية البسيطة البروز داخل الماسورة — التى تتميز بدقة أكبر ومرمى أبعد من البنادق القديمة ذات المواسير الملساء ، أدى الى تباعد المسافات التى يجرى من عندها تبادل اطلاق

(٢٢) جان بيريه — المرجع السابق — صفحات ٢٢ ، ٢٤ .

الرصاص والى ظهور تشكيلات الخط المنتشر من حملة البنادق كأسلوب قتال بالنسبة لسوحدات المشاة . وهكذا يحدد أسلوب القتال الاشكال التى تتخذها القوات لدى دخولها ساحة الاشتباك أو المعركة ، الامر الذى يؤثر بدوره فى تحديد نوعية التنظيمات التى تتخذ أثناء التحركات السابقة لدخول القوات ساحة المعركة . ويشكل كل هذا بالاضافة الى الطرق التى تكتشف أفضليتها فى كيفية الاستفادة من السلاح من حيث استخدامه بمفرده وبالتنسيق بينه وبين مختلف الاسلحة الاخرى فى نفس الوقت ، يشكل ما يعرف بالعقيدة أو العقائد التكتيكية المتبعة فى كل مرحلة معينة من تطور التسليح واساليب القتال المترتبة عليه .

فالعقائد التكتيكية بهذاالمعنى عبارة عنمجموعة من المناهج العامة النابعة من معطيات التجارب العملية لاستخدام الاسلحة ضمن اطار تنظيمى معين للقوات المقاتلة وعلى أساس مجموعة خاصه من الشروط ، ابرزها درجة التفهم الفكرى لدى القيادات المختلفة لأمكانيات الاسلحة المستخدمة، مجموعة من المناهج التى تعين قادة التشكيلات القتالية المختلفة فى المعركة على مواجهة ظروفها العملية المتباينة بما تقدمه لهم من خبرات قياسية سابقة حتى لا يكرروا اخطاء لا داعى لها سبق التعرف عليها ، وحتى لا يبدأوا من الصفر فى كل مرة . ولكن وجودالعقائد التكتيكية كتجميع مكثف للتجربة السابقة يساعد رجل التكتيك فى وضع وتنفيذ مخططه التكتيكى فى المعركة ، لا يعنى او لا يجب أن يعنى التطبيق الآلى للعقيـــدة أيا كانت ظروف الحالة الخاصة التى يواجهها أو يعالجها بأسلحته وقواته، فانطبيعة الاحداثوردود الفعل فى الحرب لا تخضع لمناهج جامدة مهما كانت مستقاة من دراسات شديدة الموضوعية والتعدد للتجارب السابقة المماثلة . وقد قال **كلاوزفيتز** فى هذا الصدد « ان المبادىء والقواعد والانظمة والمناهج كلها مفاهيم ضرورية لنظـرية ادارة الحرب، ضمن الحد الذىتتوصل فيههذه النظرية الى درس ايجابى .. وبما أن التكتيك ، هو جزء من ادارة الحرب ، تتوصل فيه النظرية بشكل أفضل الى صياغة عقيدة ايجابية ، فان هـذه المفاهيم تتكرر بصورة دائمة فى التكتيك . فعدم ادخال الخيالة للاشتباك ضد المشاة التى مازالت سليمة عندما لا يكون ذلك ضروريا ، وعـدم استخدام الاسلحة النارية الا من المسافات التى تؤثر فيها تاثيرا مؤكدا ، والاحتفاظ فى الاشتباك بأكثر ما يمكن من القوات الاحتياطية لانهـاء المعركة . تلك كلها مبادىء تكتيكية . ولا يمكن تطبيق كل هذه التدابير بصورة مطلقة على كل الحالات الخاصة . الا أنه من الواجب أن تبقى ماثلة فى ذهن القائد ، كى يستثمر الحقيقة التى تتضمنها هذه المبادىء فى الحالة التى تكون فيها هذه الحقيقة صالحة » (٢٣) . كما قال ايضا « ان كل منهج يحدد خطط الحرب والميدان ، ويقدمها كاملة بشكل آلى ، هو منهج مرفوض رفضـا كاملا » (٢٣) ، هذا وتتبلور العقائد التكتيكيــة المختلفة فى شكل تعليمات ونظم التدريب وكتيبات خدمة الميدان ، التى تقنن التجارب المعتمدة فى مجال البحث عن تطابق الوسائل المادية مع الاعمال القتالية والعكس بالعكس، لتعممها بصورة نمطية بين مختلف تشكيلات القوات المسلحة ، وذلك بهدف الافادة منها كدليل نظرى عام طوال مرحلة معينة من مراحل تطور التسليح والتكتيك .

والمصدر الاساسى الذى تنبع منه العقـائد التكتيكية عادة هو تاريخ الحروب وما يحتويه من خبرات أبرزت معالمها فوق صفحات نظرية فن الحرب دماء كثير من المقاتلين ، ولكن ذلك لا يعنى انعدام ظهور أو تطور العقائد التكتيكية خلال فترات السلم التى تتخلل الحروب، لانه من الممكن اختبار كفاءة العقائد الجديدة من خلال المناورات العملية التى تجرى بالذخيرة الحية أثناء هذه الفترات وتختبر فيها الافكار الجديدة فى مجال التكتيك ، ولكن بطبيعة الحال لا ترقى الدروس المستفادة من اختبار النظريات الجديدة فى التكتيك عن مثل هذا السبيل الى مستوى الموضوعية الذى تصل اليه الخبرات المستخلصة من العقائد التى خاضت تجربة الدم والنار وتعرفت على رد فعل الخصم ، ونوعية تكتيكاته المضادة .

وعادة ما تبدأ عملية تطور العقائد التكتيكية عندما يعكس تطور السلاح والعتاد فى ذهـن القيادات .

ومن خلال التجربة العملية المباشرة للكوادر القاعدية فى معظم الحالات باعتبارها المستخدمة بشكل مباشر للسلاح ـ ضرورة تطوير اسـلوب القتال وأشكال دخول القوات ساحة المعركة وكيفية تنظيم الوحدات ، والصورة الجديدة التى يجب أن يتخذها التعاون والتنسيـق بيـن الاسـلحة والتشكيلات المختلفة على ضوء هذه التغيرات الجديدة ، أى باختصار اعادة التوازن بشكل سليم بين وسائل القتال وطرق ادارته . وقد حقق القادة الاكفاء الذين اشتهروا فى مجـال القيـادة التكتيكية ، تفوقهم على خصومهم بفضل ادراكهم

---

(٢٣) كارل فون كلاوزفيتز ـ فى الحرب ـ المرجع السابق ـ صفحة ١٨٤ ، ١٨٧ .

المبكر لضرورات تطوير العقائد التكتيكية على ضوء ما يقدم لهم عصرهم من مزايا حقيقية كامنة فى تقدم التسليح والتكنيك ووسائل الحركة ، هذا بالاضافة الى تطبيقهم الجيد للمبادىء العامة للتكتيك خلال تخطيط وتنفيذ اعمالهم التكتيكية - والاستراتيجية ايضا - المستندة الى المناهج أو العقائد التكتيكية التى أدركوها . ويقول **بوفر** حول هذه الحقيقة :« لقد فاجأ التطور فى معظم الاحيان الخصمين اللذين كان عليهما أن يبحثا بأسلوب التحسس والجس عن الحلول الجديدة المؤدية الى النتيجة الحاسمة . واستطاع القادة الأفذاذ - كنابليون مثلا - تأمين التفوق المؤقت بفضل سبق بالفكرة اى سبق فى فهم الامور .. فهم تطورات الحرب بسرعة أكبر من سرعة فهم العدو لها » (٢٤) . وهذا سر قول **نابليون** أن « التكتيك يجب أن يتغير كل عشر سنوات » . وقد تتغير العقيدة التكتيكية نتيجة عدم صلاحيتها أمام تكتيك العدو المتطور ، فقد كانت القيادة السوفيتية تطبق مثلا خلال المراحل الاولى من الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفيتى فى صيف ١٩٤١ فى مجال مقاومة الدبابات تكتيكا معينا - يعبر عن عقيدتها المتعلقة بأسلوب استخدام الدبابات كسلاح معاون للمشاة فى الاساس - يقوم على أساس توزيع المدافع المضادة للدبابات بالتساوى على وحدات المشاة المنتشرة على طول خطوط الدفاع المواجهة للزحف الالمانى ، وتعاونها من مسافات معينة وراء هذه الخطوط بطاريات مدفعية الميدان . ولما كان عدد المدافع م - د الموجودة وقتئذ قليلا بالنسبة لطول الجبهه الممتدة من البلطيق شمالا الى البحر الاسود جنوبا والبالغ نحو ٤٠٠٠ كيلو متر ، لذلك كانت الكثافة الدفاعية تتراوح ما بين ٢ - ٥ مدفع م - د فى الكيلو متر الواحد من المواجهة وبعمق ٢ - ٣ كيلو متر ، وبالتالى لم يصمد هذا التكتيك الدفاعى فى مواجهة تكتيك العدو الهجومى القائم على الحشد الكثيف للدبابات والمشاة الميكانيكية فى هجمات على مواجهة ضيقة تستهدف الاختراق السريع والوصول الى المؤخرات البعيدة ، بغض النظر عن سرعة تقدم المشاة العادية الزاحفة وراءها ، وذلك اعتمادا على دعم الطيران التكتيكى المباشر لها ، والذى يلعب دور المدفعية الثقيلة المتحركة . وهو جوهر تكتيك الحرب الميكانيكية الخاطفة الذى طبقه الالمان خلال المراحل الاولى من الحرب فى روسيا - ولذلك قامت القيادة السوفيتية - بناء على خبرة عملية بادرت بها قوات جبهة موسكو - بتعميم نظام دفاعى جديد ضد الدبابات يقوم على أساس تجميع المدافع م - د داخل نقط دفاع دائرى تعززها وحدات مشاة - سرايا أو كتائب - مجهزة بالبنادق م - د والالغام وجماعات خاصة لتدمير الدبابات بالقنابل اليدوية وبعدد من الهاونات والرشاشات ، وتتناثر هذه النقط ابتداء من الحد الامامى لخطوط الدفاع وحتى عمق الخط الثانى بنظام معين يحقق الاتصال النارى بينها وبين بعض ، وبحيث تغطى المساحات الموجودة بينها بالموانع الهندسية م - د بقدر الامكان ، وذلك بهدف امتصاص قوة تركيز الهجوم المدرع والميكانيكى وتفتيتها على مراحل متعاقبة داخل المنطقة الدفاعية الواحدة (٢٥) . وقد بلغت كثافة المدافع داخل هذه النقط القوية ٤ - ٦ مدافع م - د ووصل عدد هذه النقط فى بعض الحالات الى ١١ نقطة تمتد الى عمق ٦ كيلو متر - الفرقة ١٣٦ مشاة بمنطقة دياكوفو قرب موسكو فى نوفمبر ١٩٤١ - الامر الذى نتج عنه صد كثير من الهجمات الالمانية المدرعة وتكبيد المهاجمين خسائر فادحة كانت تصل الى ٨٠ دبابة فى المنطقة الواحدة . وكان من نتائج نجاح هذا الاسلوب الجديد أن تضمن أحد كتب خدمة الميدان السوفيتية فى عام ١٩٤٢ تعليمات تقضى بأن يتكون المحل الدفاعى لسرية المشاة من سرية مشاة و ٣ - ٥ مدفع م - د و ١ - ٢ هاون وفصيلة تدمير دبابات مجهزة بالبنادق م - د وقاذفى القنابل اليدوية ، وبذلك أصبح هذا الاسلوب بمثابة عقيدة تكتيكية جديدة خاصة بالدفاع م - د . وكان من آثار تطبيقها بدقة فى « ستالينجراد » ثبات نظام الدفاع كله فى وجه اعصار الهجوم الالمانى . وتدعيما أو استكمالا لهذه العقيدة التكتيكية أعيد تجهيز فرق المشاة بوحدات أخذت تتزايد قوة من المدافع م - د ذاتية الحركة ، كان قادة هذه الفرق يحتفظون بها كاحتياطى متحرك وراء المناطق الدفاعية لمواجهة أى اختراق لها ، الامر الذى دفع تكنيك صناعة الاسلحة الى صنع أنواع جديدة أكثر قوة ومرونة من هذه المدافع ، فكان أن ظهر المدفع المدرع ذاتى الحركة « ٨٥ مم » والمدفع « ١٠٠ مم » بدلا من المدفع القديم « ٧٦ مم » الذى كان موجودا من قبل . وهكذا يتضح لنا أن العقائد التكتيكية هى نتاج وحدة أو تطابق الوسائل المادية للقتال وطرق ادارة القتال ، وأن هذه الوحدة تكون دائما وحدة مؤقتة بحكم سرعة تغير العناصر المكونة لها ، ومشروطة باستمرار ظروف تكنيك التسليح ، ووسائل الحماية والحركة التى قامت على أساسها عملية التطابق التى أعطت للعقيدة كظاهرة خصائصها النوعية ، ونسبية فى تطبيقها وفقا لظروف المكان والزمان والمناخ ، ووفقا للظروف

---

(٢٤) بوفر - المرجع السابق - صفحة ٨٣ .

(٢٥) أشار الكاتب العسكرى السوفيتى « جافريكوف » الى هذا التطوير فى التكتيك م/د فى مقاله السابق الاشارة اليه ، بالمجلة العسكرية السوفيتية - صفحة ٢٤ .

الخاصة بالتكتيك الذى يطبقه العدو ، وأن كلا قطبيهما فى حركة وصراع مستمرين ويتبادلان التأثير ، وأن القطب الاكثر حركية أو ثورية فى التغير هو قطب الوسائل المادية خاصة المتعلق منها بالاسلحة والتكنيك ، وأن القطب الاخر المتعلق بالفكر المنظم لطرق ادارة القتال يحاول اعادة ابقاء الوحدة كما هى عن طريق محاولة اخضاع التغيير الجديد فى التسليح أو العتاد لنفس أسلوب ادارة الاعمال التكتيكية السائد ، وان كان هذا لايعنى أن جانب أو قطب الفكر لا يلعب فى بعض الاحيان ـ خاصة أثناء الحروب ـ دورا فعالا مبادرا فى تطوير التسليح ليوجد صيغة جديدة للعقيدة التكتيكية قادرة على حل المهام القتالية المفروضة بصورة أفضل • وخلاصة القول فى هذا الصدد « أن طرق ادارة الاعمال القتالية وأشكال تنظيم القوات لا تظل ثابتة دون أن تتأثر بوسائل الصراع المسلح ، فهى (خلال تعرضها للتغيير) بدورها تتقدم بمطالب جديدة بالنسبة لمعدات القتال والاسلحة وتنظيم القوات • وبذلك تجبر عناصر البحث العلمى والعسكرى على أن تعمل باستمرار على تحسين هذه الاشياء وتطويرها • وعلى ذلك فالانتاج بصفته الاساس الاول لتطوير وسائل الصراع المسلح يقوم عن طريق الفرد والمعرفة الفنية والعسكرية بالتأثير على طرق ادارة الحرب ، أى على التكتيك وفن العمليات والاستراتيجية ، وعلى تطوير تنظيمات ، وبناء القوات المسلحة ، وظهور أشكال جديدة لتنظيمات القوات المسلحة وطرق جديدة لادارة الحرب يحدث تأثيرا مضادا على تطور معدات القتال ، وبالتالى على تطور الانتاج • هذا هو التسلسل المستمر والتاريخى لتطور فن الحرب الذى يعتمد أساسا على الانسان » (٢٦)

التكتيك بين الهجوم والدفاع

تنقسم النشاطات التكتيكية فى ميدان المعركة أو الاشتباك الى حركات هجومية وأخرى دفاعية ، ويشكل الصراع القائم بين هذين الشكلين الاساسيين من أشكال النشاط التكتيكى جوهر ظاهرة المعركة أو الاشتباك ، ولا يمكن بالتالى فهم كل شكل أو قطب منهما بمعزل عن الاخر لان كل واحد منهما هو نتاج للآخر وشرط لوجوده فى نفس الوقت ويتبادلان التأثير على بعضهما البعض • ويقول **فولر** فى هذا الصدد : « انه من الخطأ اعتبار مرحلتى الهجوم والدفاع خلال الحرب أو المعركة أو الاشتباك مرحلتين مختلفتين ، لان هذين العملين فى الحقيقة هما القطبان الموجب والسالب للمغناطيسية التكتيكية المسماة معركة » (٢٧) • ويكتسب التكتيك فى كل مرحلة من هاتين المرحلتين لدى تطبيقه من أى من الطرفين المتصارعين صفات نوعية خاصة نابعة من خصائص كل قطب من هذين القطبين المكونين للمعركة ، ومن هنا ظهر التكتيك الهجومى والتكتيك الدفاعى وتبادلا التأثير على بعضهما طوال التاريخ العسكرى ، كما تبادلا المراكز من حيث مدى القطبية المؤثرة على مجرى المعارك والحروب عامة ، وذلك تبعا للحركة المستمرة فى تطور الاسلحة المختلفة التى أدت الى تفوق الدفاع على الهجوم فى بعض العصور ، وتفوق الهجوم على الدفاع فى عصور تاريخية أخرى • فقد أدت خفة الحركة وقوة الصدمة التى كانت للفرسان فى بعض العصور القديمة خاصة فى القرن الثالث عشر مثلا ـ حين اكتسح فرسان المغول آسيا وشرق أوروبا ـ الى تفوق تكتيكات الهجوم على الدفاع ، ثم أدت زيادة قوة أسلحة المشاة ونسبتهم العددية فى جيوش المراحل الاخيرة من العصور الوسطى بالاضافة الى تقدم فن التحصينات أو القلاع ، الى تفوق تكتيكات الدفاع على تكتيكات الهجوم وظهور حروب الحصار الطويلة الامد • ثم أدت خفة حركة المدفعية وزيادة قوتها النارية فى عصر الثورة الفرنسية ونابليون الى تفوق الهجوم مرة أخرى • ومنذ هذا العصر حتى يومنا هذا تسارعت الخطى بشكل شديد فى مجال تطور الاسلحة ووسائل الحركة بشكل أدى الى قصر الفترات الزمنية التى أصبحت تفصل حاليا بين دورات التفوق النسبى لكل من تكتيكات الهجوم أو الدفاع بالنسبة للاخرى بحيث صارت لا تزيد عن سنوات قليلة للغاية ، بعد أن كانت تستغرق من قبل مئات أو عشرات كثيرة من السنين • ويحضرنا فى هذا الصدد مثل الحرب العالمية الاولى حين كانت الغلبة فى سنواتها الاولى لتكتيكات الدفاع نتيجة امتلاك المشاة المتخندقة لقوة نيران شديدة وفرها لها شيوع استخدام الرشاشات ، ثم بدأت الكفة تميل لصالح تكتيكات الهجوم اثر اختراع الدبابات خاصة خلال المراحل الاخيرة من الحرب فى عام ١٩١٨ • وقد لوحظ من دراسة مجرى التطور التاريخى لعملية تبادل المراكز هذه التى تجرى بين تكتيكات الهجوم والدفاع ، أن أسلحة القذف ـ الاقواس والسهام والبنادق والرشاشات والمدافع ـ تفضل الدفاع وتعطيه ميزة التفوق عادة وخاصة حين يقترن

---

(٢٦) سوكولوفسكى وآخرون ـ المرجع السابق ـ صفحة ٣٢٥ •
(٢٧) فولر ـ المرجع السابق ـ صفحة ٨٠ •

استخدامها بوسيلة حماية قوية ـ قلاع القرون الوسطى، وخنادق الحرب العالمية الاولى ـ وأن اسلحة الصدمة ـ خيالة وعربات قتال وفيلة ودبابات ـ خاصة اذا تميزت بقدرة طيبة على الحركة والمناورة ترجح كفة الهجوم عادة ٠

كما لوحظ أيضا ـ وهذا منطقى بحكم الطبيعة العامة للحرب والغرض الاساسى من استخدامها كوسيلة لحسم التناقضات المحتدمة بين الدول ـ أن التفكير والبحث العسكرى والتكنيكى يتجه دائما الى زيادة فاعلية اساليب الهجوم بالنسبة لاساليب الدفاع ، وذلك لان موقف الدفاع السلبى لا يحقق اى نتائج حاسمة للصراع المسلح بطبيعة الحال، وأن الهجوم هو السبيل الاساسى للوصول الى مثل هذه النتائج ، ومن هنا كان اللجوء الى الموقف الدفاعى ـ فى أغلب الحالات ـ سواء على المستوى الاستراتيجى ، او التكتيكى ، هو اجراء مؤقت ـ مهما طالت مدته نسبيا ـ لتجميع القوى واختيار اللحظة الاكثر مناسبة للهجوم ٠

وقد احتدم الجدل طويلا بين المفكرين العسكريين حول الافضلية المطلقة لكل من الدفاع أو الهجوم ، والواقع أن للدفاع مزاياه من حيث الاعداد المسبق لارض المعركة المحتملة وتحصينها وتدريب القوات عليها ، الامر الذى قد يعطى الفرصة لاستنزاف قوى المهاجم تدريجيا ثم تسنح الفرصة بعد ذلك لتوجيه ضربة مضادة حاسمة له ٠ ولكن للهجوم أيضا مزاياه من حيث حرية اختيار مكان وزمان القتال وامكانية تحقيق المفاجأة والخداع وأخذ المبادأة ٠ ولذلك كان من الضرورى بالنسبة لاى جيش يريد أن يكون فى مستوى مسئوليته العسكرية حقيقة ان يمتلك القدرة ـ تسليحا وتدريبا وتنظيما وعقيدة تكتيكية وتخطيطا استراتيجيا ـ على مواجهة كلا الموقفين والانتقال من واحد الى الاخر بكفاءة ومرونة ٠ ولكن الواقع التاريخى اثبت ندرة توافر مثل هذا التوازن فى كفاءة الاداء والاستعداد لدى الجيوش ، وان كان هذا لا يعنى انتفاء ضرورة السعى الدائب من أجل خلق هذا الجيش الكفء ٠ هذا وقد وفرت الخبرة العسكرية على مر التاريخ عديدا من المبادىء العامة التى تكتسى بنوعية خاصة فى كل عصر ـ تبعا لدرجة تطور وسائل التسليح والحركة والحماية ـ فى مجالات تكتيكات الدفاع والهجوم لايتسع المجال فى هذه الدراسة ـ المتعلقة بابراز الخطوط الاساسية للنظرية العامة للتكتيك فى ظل الاسلحة التقليدية ـ لعرضها تفصيلا ، وذلك مثل تكتيكات الهجوم بالمواجهة او بالالتفاف حول الاجنحة او تكتيكات الدفاع الثابت والمرن الخ ٠ وفى كلمة نهائية تلخص الموقف السليم ازاء مسألة التكتيك بين الهجوم والدفاع نسترجع قول **نابليون** المأثور : « ان فن الحرب عبارة عن دفاع مدروس وحذر جدا ، يعقبه هجوم سريع وجرىء » وقول **فوش** : « المعركة هى الهجوم الحاسم » ٠

التكتيك والعنصر البشرى

يتطلب تطبيق أى عقيدة تكتيكية توفر العدد الكافى من الرجال القادرين على استخدام مختلف الوسائل المادية لتنفيذ التكتيك من أسلحة ومعدات حركة ووسائل حماية ٠ بمعنى أنه لابد من توفر الجنود والضباط المدربين على القتال جيدا ، والحاصلين على الحد اللازم من المعرفة التكنولوجية لاستخدام معدات القتال حتى يمكن أن تترجم التكتيكات الحربية المختلفة الى واقع عملى فوق ساحات المعارك ٠ هذا بالاضافة الى ضرورة تنظيم هؤلاء الجنود داخل تشكيلات عسكرية ملائمة يسودها الانضباط والنظام العسكرى ، وتحكمها قيادات فى مستوى مسئوليتها تستطيع ان تسيطر الى حد كبير على القوات أثناء القتال ٠ ولكن توافر كل هذه المتطلبات فى العنصر البشرى لا يكفى فى حد ذاته لنجاح التكتيك فى تحقيق أهدافه على النحو المطلوب ، لانه على حد قول الجنرال **جان بيريه** : « مهما كانت القوى المادية لطرف من الاطراف كبيرة ، فانها لا تحقق أبدا التدمير الكامل للخصم ٠ فبين من يبقون على قيد الحياة ، تقرر القوى المعنوية نجاح طرف من الاطراف ٠ ولا يغلب الطرف الذى تكبد أكبر الخسائر فى الرجال والعتاد ، وانما يغلب من تحطمت معنوياته قبل الاخر ٠٠ وفى الحرب ، كما فى كل معركة من المعارك ، لا تشكل القوى المعنوية كل شىء ٠ الا أننا فى النهاية نخسر ونقهر معنويا ٠ والشىء الاساسى أن يكون الجنود راغبين فى القتال لانه ليس هناك من تكتيك فى جيش لاضغط فيه ، وضغط جيش من الجيوش هو رغبته فى القتال » (٢٨) ٠

وقد دلت خبرة التاريخ العسكرى أن الطرف الذى يهزم فى المعركة لا يهزم عادة بسبب كثرة

(٢٨) جان بيريه ـ الذكاء والقيم المعنوية فى الحرب ـ المرجع السابق ـ صفحة ١٥١ ٠

الخسائر التي لحقته أو زيادتها كمياً أو نسبياً عما لحق العدو من خسائر ، كما أنه لا يهزم بسبب التفوق العددي للخصم سواء كان هذا التفوق سابقاً للقتال او بسبب كثرة الخسائر — وان كان هذا لا يعني انعدام اهمية التفوق العددي في الرجال والمعدات كشرط ملائم من شروط احراز النصر — وانما تنجم الهزيمة اثر سيطرة الشعور باليأس وعدم جدوى الاستمرار في القتال على نفوس جنود أي طرف من الاطراف ، وذلك فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التي يتحقق فيها تفوق مطلق وساحق لطرف من الاطراف في أثناء معركة معينة . ويقول كلاوزفيتز بصدد تقييم دور القوى المعنوية انه « عندما يتساءل القائد : هل ينبغي عليه متابعة الاشتباك أم لا ؟ فان سؤاله لا ينبثق عن خسائره من الرجال والخيول والمدافع ، بل عن فقدان النظام والاقدام والثقة والتلاحم والتنظيم بين قواته ، اى أن القوى المعنوية هي التي تدفعه الى هذا التساؤل . وتدل التجربة والملاحظة ان القوى المعنوية كانت هي العامل الحاسم على القرارات في كل مرة تساوت فيها الخسائر المادية لدى المنتصر والمهزوم .. ان كل اشتباك هو سباق دام مدمر للقوى المادية والمعنوية . والمنتصر هو الذي يملك في النهاية مجموعة اكبر من هذه القوى . والخسائر المعنوية في الحرب هي السبب الرئيسي للوصول الى النتيجة الحاسمة ، وبعد هذه النتيجة تتزايد الخسائر حتى تصل الى نقطة الذروة في نهاية العمل كله » (٢٩) .

أن التكتيكي الماهر هو من يستطيع من خلال استخدام وسائله المادية والبشرية وفقا لعقائد تكتيكية متلائمة مع هذه الوسائل ووفقا لمخطط يراعي المبادىء والخبرات العامة للتكتيك ، ان يؤثر على معنويات خصمه ويقنعه بالهزيمة وبعدم جدوى الاستمرار في القتال ، ولذلك يقول بوفر في هذا الصدد « الجيش جماهير منظمة يربطها ويزيد من تلاحم بنيانها رباط نفسي مبني على الانضباط والثقة المتبادلة . لذا وبالرغم من كل التركيبات المادية التكتيكية المعقدة ، يكمن الفن الاساسي في معرفة اساليب تقوية الرباط النفسي والمحافظة عليه في قواتنا مع محاولة تدميره وسط قوات العدو » (٣٠) .

العلاقة بين التكتيك والاستراتيجية

يرتبط التكتيك بالاستراتيجية ارتباط الجزء بالكل والخاص بالعام في قوانين المنطق العلمي ، فالتكتيك ليس الا تطبيق الخطة الاستراتيجية العامة على جزئيات القتال ومعاركه واشتباكاته العديدة المختلفة . والخطة الاستراتيجية لا تتحقق الا من خلال النجاحات التكتيكية الجزئية . وقد حدد كلاوزفيتز طبيعة العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك على نحو واضح مبسط فقال « تحدد الاستراتيجية مكان القتال وزمانه والقوى الضرورية لخوضه ، ويتيح لها التحديد الثلاثي للاسئلة التالية : اين ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ تأثيرا اساسيا على نتيجة القتال . فعندما يخوض التكتيك القتال ويحصل على النتيجة نصرا او هزيمة ، تستخدم الاستراتيجية هذه النتيجة قدر استطاعتها طبقا للهدف النهائي للحرب » (٣١) .

ولذلك كان من المنطقي تماما أن تتبع التكتيكات الاستراتيجية لا العكس بحكم أن الخاص يتبع العام وأنه لا يكتسب اى معنى فعال الا من خلال ارتباطه بالعام . او كما يقول بوفر : « ان الاستراتيجية وسيلة من وسائل تنفيذ سياسة القوة ، والتكتيك وسيلة من وسائل تطبيق الاستراتيجية ، اى أن على التكتيكات ان تتبع الاستراتيجية لا العكس » (٣٢) .

وقد أقر فولر نفس الفكرة فقال : « علينا ان نفكر في الحركة الاستراتيجية اولا ، ثم ننتقل بافكارنا الى الحركة التكتيكية .. والاستراتيجية هي باختصار : وضع الجيش في موقف يؤهله للقيام بالحركات التكتيكية مع أكبر اقتصاد ممكن بالقوى » (٣٣) . ولكن التكتيك لا يتبع الاستراتيجية بطريقة سلبية فحسب ، وانما يمارس تأثيره عليها أيضا في نفس الوقت . وذلك بحكم أن العام لا يتشكل أو يوجد في فراغ او بمعزل عن الخاص وانما هو يكمن فيه ويرتبط به كل الارتباط ، بل انه في الحقيقة يتكون من مجموع الجزئيات المتفاعلة مع بعضها بعضا ، ولذا يقول كلاوزفيتز : « لاتظهر النتيجة الاستراتيجية الا في الوقت الذى تندمج فيه نتائج الاشتباكات

---

(٢٩) كلاوزفيتز — في الحرب — المرجع السابق — صفحة ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٣٠) أندريه بوفر — المرجع السابق — صفحة ٨٧ .
(٣١) كارل فون كلاوزفيتز — المرجع السابق — صفحة ٢٤٥ .
(٣٢) أندريه بوفر — المرجع السابق — صفحة ٧٥ .
(٣٣) ج.ف.س فولر — المرجع السابق — صفحة ٨٠ .

الجزئية وتتركب لتشكل كلا مستقلا » (٣٤) وهو قول مكمل لتعريفة الاستراتيجية بـأنها « نظرية استخدام الاشتباكات فى خدمة الحرب » الذى سبق ان أوردناه • ان الاستراتيجية بحكم اعتمادها على التكتيك كوسيلة اساسية لترجمة افكارها ومخططاتها الى تنفيذ عملى فعال ـ خاصة فى ظل استخدام الاسلحة التقليدية ـ لابد وأن تتأثر بالتكتيك المتبع ، ولذلك يقول الجنرال **جان بيريه** فى كتابه القيم « الذكاء والقيم المعنوية فى الحرب » « انى لم احاول اظهار الفروق بين الاستراتيجية والتكتيك • ولا يعود ذلك الى أننى افكر مثل البعض بأنه لاوجود للاستراتيجية، وبأنها عبارة عن « لغو صارخ » ، ولكنه يعود الى اعتقادى بأنها مادامت تأخذ هيأتها ، ومبرر وجودها من وسائل عمل التكتيك ، فهى مضطرة الى اتباع قواعد التفكير المطبقة فيه » (٣٥) .

وقد كان الاعتقاد السائد فى الفكر العسكرى التقليدى أن مبادىء الاستراتيجية ثابتة بشكل مطلق ، بينما التكتيك هو العنصر المتغير فى نظرية فن الحرب تبعا لحركة التغير المستمرة فى الاساليب التكتيكية المسايرة لحركة تطور الاسلحة ومعدات النقل ووسائل الحماية ، ولكن الواقع أن المبادىء العامة للاستراتيجية أو للتكتيك نفسه تتخذ وجها نوعيا خاصا تبعا لتطور التسليح وأساليب ادارة الحرب • ولذلك نجد دائرة المعارف البريطانية مثلا تقول : « تعطى الاستراتيجية للتكتيك مهمته وجميع مكوناته وتسعى وراء الانتفاع من نتائجه • ولكن التكتيك أصبح هو الاخر من العوامل الهامة المؤثرة على الاستراتيجية ، ولذا فعندما يتغير التكتيك ، تتغير الاستراتيجية ايضا » (٣٦) • وكذلك نجد ان **جافريكوف** يقول : « يشكل التكتيك مع عنصرى فن الحرب الاخرين ـ الاستراتيجية وفن العمليات ـ وحدة عضوية متكاملة • وهو يستند اليهما ، ويؤثر بدوره فى تطور كل من نظرية الاستراتيجية وفن العمليات » (٣٧) . هذا وقد لخص **بوفر** العلاقة المتبادلة التأثير بين التكتيك والاستراتيجية فقال : « أن هناك ما يسيطر على التكتيك وهو حسن اختيار التكتيكات •• ان اختيار التكتيكات هو الاستراتيجية •• وليس على الاستراتيجية أن تختار التكتيكات فحسب ، ولكن عليها أن توجه تقدم التكتيكات لتمكنها من القيام بدورها الضرورى للوصول الى النتيجة الحاسمة » (٣٨) •

وقد اثبتت طبيعة الحرب الحديثة أن من الصعب وضع حدود ثابتة فاصلة فى التطبيق بين ماهو استراتيجية ، وما هو تكتيك نظرا لتداخل مرحلتى عمليات التحرك والحشد السابقة للمعارك بمرحلة القتال الفعلى والاشتباكات التكتيكية على خلاف الحال فى العصور القديمة ، ولذلك يقول **ليدل هارت** : « أما العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك ، فهى عبارة عن تشابك يصعب معه ايجاد الحدود بينهما اثناء التنفيذ ، ومن الصعوبة بمكان تقدير لحظة انتهاء الحركة الاستراتيجية وابتداء الحركة التكتيكية ، اذ لا يختلف أحدهما عن الاخر الا فى المستوى • ويشمل التكتيك مدى المعركة ، بينما لا تقف الاستراتيجية على حدود هذا الحقل فحسب ، ولكنها تسعى الى اقلال المعارك اذا امكن ذلك » (٣٩) .

هذا وقد أدى تداخل الاستراتيجية والتكتيك فى التطبيق وظهور كثير من المشكلات العملية خلال مرحلة الانتقال فى التنفيذ بين الاثنين الى ظهور عنصر جديد من عناصر نظرية فن الحرب يتوسط المسافة بينهما أطلق عليه خلال فترة الحروب النابليونية اصطلاح « التكتيكات الكبرى » ، وسمى من جانب الفكر العسكرى الالمانى الحديث باسم « استراتيجية العمليات » ، كما خصص له الفكر العسكرى السوفيتى مكانا واضحا معترفا به ضمن نظريته فى فن الحرب، ولذلك نجد جافريكوف مثلا يقول فى هذا الصدد « لقد أصبح الصراع المسلح يدور حاليا عبر مناطق شاسعة الاتساع وبوساطة حشود ضخمة من القوات • ولذلك لم تعد المعركة المنفردة حاليا هى التى تنجز المهام الاستراتيجية فى الحرب ، وانما اصبحت العمليات هى الوسائل الاساسية لتحقيق ذلك • ولذا لم يعد التكتيك يشتمل على كافة المسائل المتعلقة بالاعداد للمعركة وللعمليات ، من حيث التنظيم والتنفيذ . لقد طرح الواقع الموضوعى الحاجة الى تطوير عنصر جديد من عناصر فن

---

(٣٤) كلاوزفيتز ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٦٢ .
(٣٥) جان بيريه ـ المرجع السابق ـ صفحة ٨٦ .
(٣٦) دائرة المعارف ـ المرجع السابق ـ صفحة ٤٥٣ .
(٣٧) جافريكوف ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٢ .
(٣٨) بوفر ـ المرجع السابق ـ صفحة ٧٧ ، ٧٨ .
(٣٩) ليدل هارت ـ المرجع السابق ـ صفحة ٤٠٢ .

الحرب ، عرفة بفن العمليات » (٤٠) هذا « ويختص فن العمليات بتطوير النظرية والتطبيق المتعلقين باعداد وادارة العمليات المشتركة او المستقلة التى تقوم بها وحدات كبرى من القوات المسلحة [مثل الجيوش والجبهات]. وهو يحدد اساليب اعداد وادارة العمليات انطلاقا من متطلبات الاستراتيجية ومن أجل تحقيق أهدافها ، وكذلك يقوم فن العمليات أيضا بتوفير المادة الاولية اللازمة للتكتيك » (٤٠) .

استنتاجات عامة

وأخيرا فى ختام دراستنا الموجزة هذه لبعض جوانب النظرية العامة للتكتيك نستطيع أن نقول ان التكتيك هو علم اكتشاف حركة القوانين الموضوعية التى تتحكم فى اعداد وادارة أعمال القتال المباشر الجزئى خلال مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور قوى الانتاج ،وتكنيك التسليح والفكر العسكرى المرتبط به ، وأنه فى نفس الوقت فن تطبيق هذه القوانين الموضوعية على الحالات الخاصة والمتنوعة والمتغيرة للاشتباكات والمعارك المختلفة ، اى أنه علم فى معرفته واعداده المسبق ، وفن فى تنفيذه . وأنه يشكل مع الاستراتيجية وفن العمليات وحدة عضوية متكاملة ولا يختلف عنهما الا فى جزئية ، أو خصوصية حقل النشاط الذى يعمل فيه ، ويطلق على وحدة هذه العلوم العسكرية الثلاثة المتكاملة الاداء اسم « نظرية فن الحرب » .

وتنبع موضوعية قوانين ادارة القتال على المستوى التكتيكى من الشروط المادية الموضوعية التى يفرضها مستوى تطور التكنيك والصناعة ووسائل النقل ومختلف العلوم المرتبطة بها ، وهى شروط لايمكن للعبقرية الفردية مهما كانت متفوقة أن تتخطاها أو تعمل خارج اطارها الموضوعى الذى يفرض نفسه على الطرفين المتصارعين فى خطوطه العريضة على الاقل ، وانما تبرز الموهبة او المقدرة العسكرية الفذة مستندة الى الحقائق الموضوعية التى يقدمها العصر فى مجالات العلم والانتاج والتكنيك ، وعاملة فى نفس الوقت من خلال ادراكها لاثمن خصائصها الكامنة وما يمكن ان توفره من طاقات وامكانيات فعالة لاساليب العمل التكتيكى والاستراتيجى ، من أجل ابتكار أساليب جديدة تدخل ضمن تنفيذ مخططاتها العملية المتلائمة مع ظروف القتال المختلفة والمتغيرة . ان التكتيك السليم هو التكتيك المتلائم مع موضوعية الواقع بجوانبه المختلفة من حيث نوعية التسليح والمعدات وظروف المكان والزمان ونوعية تكتيك العدو ، انه التعبير الفكرى العسكرى عن قانون وحدة أو تطابق الوسائل المادية مع الانشطة الانسانية فى مجال القتال وهى وحدة مشروطة ومؤقتة ونسبية دائما ويؤدى الصراع بين قطبيها الى التغير والتطور بشكل مستمر وافساح الطريق لصيغة جديدة للوحدة والتطابق أكثر تقدما بصورة كيفية عن الوحدة التى سبقتها ، وتقوم الرغبة فى التفوق على الخصم بدفع حركة هذا الصراع دائما او كما يقول **كلاوزفيتز** : « لقد دفعت متطلبات القتال واحتياجاته الرجال الى اختراعات تسمح لهم بالتفوق على خصومهم ، واحدثت هذه الاختراعات تحولات كبرى .. وهكذا حدد القتال وجود الاسلحة والتجهيزات ، وقامت هذه الاسلحة والتجهيزات بدورها بتعديل القتال وتطويره » (٤١) .

هذا ويعبر القانون الاساسى العام للتكتيك ، وهو قانون تطابق الوسائل مع الاعمال ، عن نفسه عند التطبيق العملى فى صورة الخطط القتالية التكتيكية — وكذلك الاستراتيجية — فى أقوال اتخذت شكل المبادىء العامة فى كتابات المفكرين العسكريين وذلك مثل قول **ليدل هارت** : « طابقوا الهدف مع الامكانيات » (٤٢) ، او قول **كلاوزفيتز** : « ان افضل دليل على العبقرية التى يظهرها أمير أو قائد ، هو فى معرفته تنظيم حربه بتطابق صحيح بين وسائله وأهدافه » (٤٣). أى أن الممارسة العملية هى السبيل الاساسى فى التكتيك ، سواء كمصدر للنظرية او كمحك للتطبيق.

---

(٤٠) جافريكوف — المرجع السابق — صفحة ٢٢ .
(٤١) كارل فون كلاوزفيتز — المرجع السابق — صفحة ١٥٠ .
(٤٢) ليدل هارت — المرجع السابق — صفحة ٤١٣ .
(٤٣) كلاوزفيتز — المرجع السابق — صفحة ٢١٩ .

الاصــول الفولكــلورية لشــخصية الفــلاح المصرى

توفيــق حنــا



ان التحديات الخطيرة التى تواجه الانسان المصرى ، تفرض علينا ان نتعرف على ملامح الشخصية المصرية حتى نجد البداية الحقة — عن طريق الوعى الذاتى — لاى تغيير اجتماعى واقتصادى وسياسى وفنى .

والواقع ان « **الفلاح المصرى** » هو المعبر الحقيقى عن هذه الشخصية المصرية ، ومن ثم فنحن فى حاجة الى ابراز صورة هذا الفلاح بكل ملامحها وسماتها وقسماتها فى اسلوب مصرى حديث ، حتى تعى بأنفسنا وعيا كاملا صادقا ، يوضح لنا الطريق الى العمل والانتاج والابداع والخلق .

والفولكلور سجل صادق وأمين لتجارب وبطولات هذا الفلاح ، نلمس فيه كيف انفعل هذا الفلاح بالاحداث والتطورات ؟ وكيف عبر عن اهتماماته وهمومه وعن آماله وآلامه ؟ ولذلك فالاهتمام بالفلكلور فى كل اشكاله ومظاهره ومضامينه يسمح لنا بسماع صوت هذا الفلاح . وهو الصوت الجدير بالتسجيل والتطوير ، والتخلف عن سماع هذا الصوت الصادق الامين يعطل حركة نمونا وتطورنا فى الطريق السليم .

مراجع عامة للموضوع

أ — ايزيس واوزيريس — تاليف بلوتارك . ترجمة الدكتور حسن صبحى بكرى . رقم ٢٣٥ ، سلسلة الالف كتاب .

ب — الفلاحون — تاليف الدكتور هنرى عيروط . ترجمة الدكتور محمد غلاب .

جـ — ديانة مصر القديمة — تاليف ادولف ارمان ترجمة الدكتور عبدالمنعم ابوبكر والدكتور محمد أنور شكرى

والفلاح هو الذى يحمل فى اعماق ضميره تاريخ هذا البلد .. هذا التاريخ العظيم الذى عاش أكثر من عشرة آلاف سنة .. حيا متدفقا متطورا متقدما الى الامام .

ويقول « **سلامة موسى** » (١) فى كلمته عن « الفولكلور المصرى وأهميته » :

« **ان مصر القديمة لا تزال حية بين فلاحينا ، ولا تزال طرق المعيشة بين الفلاحين عندنا ، تتفق وطرقها عند قدماء المصريين ، وان خبزنا المستدير الراهن الذى يخالف خبز أوربا، هو الخبز المصرى القديم ، وان من الناس من يضع فوق القبر قلة ماء ، وقد كان المصريون القدماء يفعلون ذلك ويزيدون على الماء الخبز حتى لا تجوع روح الميت ولا تعطش** »

والحدوته ، من بين فنون الادب الشعبى هى التى تعبر تعبيرا صادقا عن شخصية هذا الفلاح ، فيها تردد الذات الشعبية الاحداث والوقائع فى صدق فنى وذكاء وفى واقعية صوفية ، ونقدية هادفة. وفى هذه الحواديت نلمس الوانا من اساليب الكفاح والنضال والمقاومة ، والصبر والاحتمال فى سبيل الحياة والسلام ، والحرية والعدل . كما تقوم فلسفة هذه الحواديت على القيم الفلاحية الخلاقة وهى الوفاء ، والصبر والمقاومة والشطارة والامل والثقة والتفاؤل . ففى الحواديت ينتصر البطل دائما ، على كل الوان الغدر والخيانة ، وبانتصاره تنتصر معانى المحبة والعدل والحرية . والحدوتة تقف مع الضعيف واليتيم والغريب، ضد كل الوان الظلم والاضطهاد والقهر ، والحدوتة تدعو الى التعاون والتضامن ، وتسخر كل السخرية بكل مظاهر الانانية والانتهازية والوصولية .

وتتناول الحواديت حياة بسطاء الناس والعابهم وأغانيهم وأحلامهم وآلامهم . فى هذه الحواديت تتردد هذه النغمة السائدة « **بلاد الله لخلق الله** » وهذه النغمة تؤكد هذه النظرة العالمية الشاملة ، وليس من الغريب ان تتردد هذه النغمة فى حواديت مصر « **ام الدنيا** » ، ولعل افتتاحية الحدوتة : « **كان .. ياما كان** » ، تؤكد معانى هذه الامومة كما تشير الى عمق الوعى التاريخى فى اتصاله الحى بالواقع وبالحاضر ، أى بهذا والان His et nunc ، فالخيال الفلاحى الدقيق النشط ، يحاول علاج الحاضر ، ومناقشة الواقع ، عن طريق هذا الانطلاق الى أعمق أعماق الماضى ، وكأنه يتسلى ، مجرد تسلية ، بالحديث عما كان . وما اغنى الماضى بما كان . وعن طريق اثارة الذاكرة الشعبية الخصبة الغنية ، يتبين الذكاء الفلاحى ، علاقة الماضى البعيد بهذا الواقع المعاش . وعن طريق المقارنة يجد السلوك الفلاحى الطريق لتقرير وتؤكيد قيمه الاخلاقية والاجتماعية والسياسية التى يشعر أنها فى خطر .

ومن هذه الافتتاحية ، وكأنها الدقات المسرحية الثلاث ، يدخل المستمع الى عالم من السحر والخيال .. الخيال المنطلق من كل القيود والقوانين التى يفرضها منطق العقل . فهذه الافتتاحية دعوة مفتوحة متجددة الى هذا الماضى الغنى بالحقائق والوقائع ، وبالفلسفات والاحلام ، وبالخرافات اللامعقولة .

وخاتمة الحدوتة : « **توته توته .. فرغت الحدوتة** »، تدعوك الى ترك هذا الماضى بكل سحره وخياله وحكمه وكائناته وفوارقه الى الحاضر .. هذا الحاضر . والى الواقع .. هذا الواقع . وتدفعك هذه النهاية الى العمل والنشاط والاجتهاد لتطوير هذا الواقع ، ولتغيير هذا الحاضر . فالحدوتة سلاح من أسلحة المقاومة الفلاحية ، تدفع المستمع الى أن يعمل فى سبيل عالم أفضل وأجمل وأسعد

والحدوتة لا تنتهى بهذه النهاية ، بل تضيف اليها كلمات تصور لنا هذا العالم الفلاحى بكل أفراحه وأسماره . فالنهاية فى صورتها الكاملة تقول :

« **توتة توتة فرغت الحدوتة ..**

حلوة والا ملتوتة ..

لو كانت حلوه عليك غنوة ..

ولو كانت ملتوتة عليك حدوتة .. »

. وهكذا يعبر الفلاح عن نفسه وعن واقعه بالاغنية وبالحدوتة .

ويمكن القول ان الموسوعة القصصية « **الف ليلة وليلة** » وقصة « **الاميرة ذات الهمة** » وقصة « **بيبرس** »، وغيرها من القصص الشعبى تأثرت بهذا الجو القصصى الفلاحى . . .

ومن أخطر القصص التى تعبر عن حياة الفلاح المصرى تعبيرا أصيلا وعريقا ومتكاملا ، قصة « **ايزيس وأوزيريس** » ، ففى هذه القصة نلمس أروع صور الوفاء الذى يتميز به الفلاح المصرى . وكلنا يعلم أن وفاء النيل يبدأ بالنقطة وهى أول دمعة من دموع « **ايزيس** » على زوجها « **أوزيريس** » وما أجمل هذا الربط الذى قام به الفلاح المصرى بين وفاء النيل ووفاء ايزيس .

استمع الى الفلاح المصرى وهو يغنى :

« **الراجل الندل اوعى تقول آه ليه**

---

(١) مختارات سلامة موسى عام ١٩٢٤ .

دا صنفه غدار لما تجيب شهد تزقيه لية
رايح ينكر الخير علشان أصله .. يبيع أهليه
لو تعاشر الردى تعيش طول العمر تعبان
ياكل متاعك ويتلعبط ولا التعبان
أسمع منى مثل قالوه أهل زمان

أوعى تعمل خير ولا معروف فى غير أهليه)) .

فى هذا الموال يحذر الفلاح من الخائن والردى والغـــدار والخسيس واللئيم ، الذى اذا انت أكرمته تمرد .

وفى الموال التالى نلمس صورة من أرق صور الوفاء الذى يدوم حتى بعد الموت :

« حطوا الغرام فى قنانى الورد واوعوله
وادوه لناس صحباتى يوعو له
وان مات ظريف المعانى قبل ماأطوله
لا سأل عن تربته واتمد فى طوله
وان جم ملايكة حساب قاصدين يحاسبو له
لا قف واقول دا صغير السن وحليوه
ديروا على الحساب واوعو تروحو له »

هل رأيت أرق من هذا الحب .. وهل رأيت أجرا من هذا الحبيب ، الذى دفعه الحب والوفاء الى ان يقف ، ويطلب من « ملايكة حساب » أن يديروا عليه الحساب ، ولا يحـــاولوا اقـــلاق الحبيب .والحساب ورثناه من مصر القـــديمة وكان « **أوزيريس** » هو الذى يتولى حساب الموتى ويثيب كل ميت حسب أعماله .

ترك لنا الفلاح المصرى فى اسطورة « **أيزيس** » صورة ايجابية للوفاء المكافح المناضل ، الوفاء الذى يحتمل كل شىء ، ويصبر على كل شىء ويرضى بكل شىء ، ويجهد ويجتهد حتى ينتصر على كل الوان الغدر والخيانة والظلم .

وعندما قامت أول ثورة فى التاريخ على الاقطاع فى نهـــاية **الدولة المصرية القديمة**، (٢) كان من أخطر نتائجها ان ديانة **أوزيريس** بدأت تسود فى الاسرة الثامنة . وهذا يعتبر دليلا على نفوذ الشعب وضعف نفوذ الحكام ، وفى الدولة المصرية الوسطى انتشرت ديانة اوزيريس ، وأصبحت ديانة الشعب جميعا ولاسيما الفقراء من الناس ، لان اوزيريس لم يكن يتطلب مثل « رع » (٣) مظاهر الثراء والترف التى تحيط بالمتوفى ، وانتشار ديانة اوزيريس فى هذه الفترة كان أثرا غير مباشر للثورة الشعبية الكبرى التى قامت فى اواخر الدولة القديمة، وأسفرت عن أكتساب الشعب حق الخلود واصبح للبسطاء من الناس رب يرعاهم تماما كالعظماء والاغنياء الذين يشملهم رع برعايته .

وتشير بعض الاثار ان **الهكسوس** (٤) كانوا يعبدون الاله المصرى « **ست** » (٥) عدو اوزيريس ـ الذى يمثل الشر والعاصفة والصحراء والبلاد الاجنبية . ولقد اعتنقوا هذه العقيدة أثناء اقامتهم فى مصر تأثرا بثقافتها . ويبدو ان مادفع الهكسوس الى اعتناق ديانة « ست » ، ان مجرد فرضه كاله رسمى وحيد فى مصر يعد قهرا للمصريين ، واذلالا مهينا لهم، وانتصارا معنويا عليهم، فالاله ست هو عدو اوزيريس ،اله الخصب والنماء والعالم الاخر .

وكما كانت الثورة فى نهاية الدولة القديمة أول علامة فى التاريخ للتعبير عن السخط الشعبى ، كذلك كانت هزيمة **الهكسوس** على يد **أحمس** ، بعد ان حكموا البلاد قرنا ونصف قرن من الزمان ، أول حرب تحريرية وأول مثل ضربته البشرية على جدوى الكفاح المسلح ضد الظلم والعدوان . وكان الكفاح المسلح هو الدرس الاول الذى تعلمـه المصريون الفلاحون من احتلال الهكسوس .

يخطىء اذن من يظن ان الفلاح سلبى وتواكلى وقدرى وتقليدى وبعيد عن الواقع ويعانى ازدواجا فى الشخصية . يخطىء اذن من يرى فى شخصية الفلاح المصرى السلبيات دون الايجابيات، يخطىء اذن من يتهم بالرومانسية كل انسان يرسم صورة موضوعية لشخصية الفلاح المصرى ويقدر مافيها من قيم ايجابية وبناءة وخلاقة . كيف نعلل اذن ونفسر ثورات الفلاحين المصريين على طـول التاريخ ، من شكوى الفلاح الفصيح حتى اعلان الجمهورية المصرية . كيف نعـلل اذن ونفسر استشهاد الفلاحين المصريين على مدى ثلاثة القرون الاولى من التاريخ المسيحى على يد الرومان فى سبيل الوطن أولا ، وفى سبيل العقيدة ثانيا ، او قل فى سبيل الوطن اولا وأخيرا ، فلم تكن العقيدة المصرية الا تجسيدا حيا وروحيا

---

(٢) هزيمة الهكسوس ـ المكتبة الثقافية رقم ١٧٨ ـ تاليف محمد العزب موسى .
(٣) اول ثورة على الاقطاع ـ كتاب الهلال العدد ١٨٢ ـ تاليف محمد العزب موسى .
(٤) هزيمة الهكسوس ـ المكتبة الثقافية رقم ١٧٨ ـ تاليف محمد العزب موسى
(٥) نفس المرجع السابق .

للوطنية . ولكن هؤلاء الذين يرمون الفلاح بكل نقيصة ، ويتهمونه بكل رذيلة ويشرحون روحه وعقله وجسمه باسم البحث العلمي ، وباسم الواقعية ، ينسون ان **الحكيم ايبور**(٦) وهو يصف الثورة التي حدثت أيام الاسرة السادسة من الدولة القديمة يعبر عن أحاسيسهم وشعورهم ـ باسم الواقعية أيضا ـ وهو يقول :

● لقد قضى على الفرح ، فلم يعد احد يشعر به ، والحزن والاسى ينتشران في البلاد .

● ان الاغاني أصبحت تعبر عن الحزن ، والذين كانوا يجلبون البهجة باقاصيصهم ، أصبحوا يجلسون على احجار الطواحين .

● صار الرجل الاحمق يقول اذا عرفت أين يوجد الاله ، قدمت له القرابين .

● أصبح العظماء والحقراء يقولون أين هو الموت ؟ ! والاطفال يقولون ليتنا لم نولد في هذه الحياة .

● ليتني كنت قد رفعت صوتي قبل الان ، لربما انقذت نفسي مما اعانيه الان ، ما اشد حزني لشقاء هذا العصر .

هذا الحكيم انما يعبر عن حزنه هو ، لانهيار الاقطاع وانتصار الفلاحين ، وانتشار ديانة اوزيريس .. ديانة الفقراء والبسطاء . لو ان هؤلاء الذين يرون الفلاح سلبيا وقدريا وتواكليا وتقليديا عاشوا في أواخر الاسرة السادسة من الدولة القديمة لرددوا نفس كلمات الحكيم ايبور .

والفلاح المصري يميل الى الحزن ، وهو حزن فلسفي ، مثل حزن أيوب ، ونحن نلمس في كثير من اسفار العهد القديم تأثرا واضحا بأدب مصر القديمة .. مثل تأثر سفر المزامير بأناشيد اخناتون ، وتأثر سفر الجامعة بأقوال الحكيم ايبور .. وتأثر سفر أيوب ـ كما يقرر برستد ـ بهذا الحوار بين انسان سئم الحياة وروحه .

يقول هذا السائم : (٧)

الى من أتحدث اليوم ؟

ان الاخوان أشرار

واصدقاء اليوم لا يستحقون الحب !

الى من أتحدث اليوم ؟

ان القلوب قلوب لصوص

وكل شخص ينهب ما لجاره ؟

الى من أتحدث اليوم ؟

ان الرجل المهذب قد اختفى !

وصاحب الوجه المكشوف يتقدم الصفوف ؟

الى من اتحدث اليوم ؟

ومن يجب أن يثير الغضب بسلوكه الشرير يثير حبور الناس ويمدحونه تملقا !

الى من اتحدث اليوم ؟

والناس يزاولون السرقة

وكل شخص يستولي على ماليس له !

الى من أتحدث اليوم ؟

ولم تعد هناك فضيلة

والارض يرثها اصحاب الرذائل

. . .

الموت امامي اليوم

كالشفاء للمريض

كنزهة في حديقة بعد المرض

الموت امامي اليوم

كعبير ازهار اللوتس

كالدخول في نشوة الخمر

الموت امامي اليوم

كالجو المنعش

كعودة المحارب المكدود الى بيته

الموت أمامي اليوم

كصفاء السماء

كرجل يقتحم المجهول

الموت امامي اليوم

كرجل يحن لرؤية بنيه

بعد سنوات طويلة في الاسوان

. . .

واختم هذه الكلمة السريعة عن الفلاح المصري بكلمات من شكوى الفلاح الفصيح اخنوم أنوب (٨) فلاح وادى النطرون التي رفعها الى السمير الكبير

---

(٦) اول ثورة على الاقطاع ـ كتاب الهلال العدد ١٨٢ ـ تاليف محمد العزب موسى

(٧) نفس المرجع السابق .

(٨) القروى الفصيح ـ جريدة الاهرام ١٩٦٩/٨/١٠ ـ الدكتور احمد عبد الحميد يوسف .

وقعى في مزو والتى وصلت الى الملك نيكا ورع »
« انظر . . .

لقد ضلت العدالة تحتك وزحزحت عن موضعها. الموظفون يقترفون الاثم والاحكام جائرة والقضاة يسرقون .

ومن كان عليه القبض على المرتكبين للغش ينحرفون عن الطريق المستقيم .

ومن كانت عليه القسمة العادلة يسرق

ومن كان عليه القضاء على الخطيئة يقترف هو نفسه الاثم .

وجه لسانك للحق ولا تتبع طريق الضلال

لاتقل الزور وراقب كبار الموظفين

ان سلة من الفاكهة تفسد قضاتك وان قول الزور غذاؤهم .

انت يا اعلم الناس هل تظل جاهلا بامرى

لا تجب الخير بالشر

ولا تضع شيئا فى موضع سىء

ان صلاح البلاد باقامة العدل

لا تقل الكذب لانك عظيم

ولا تكن خفيفا وانت رجل له وقاره

ولا تقل الكذب لانك الميزان

لا تسرق وانت تعمل ضد السارق

وليس العظيم عظيما اذا كان سارقا

ان الذى يخفى الحق سوف ينكشف يوما

هل أنت للناس كالصقر يعيش على ضعاف الطير

انظـــر . . .

انك شرطى يسرق

وحاكم يأخذ الرشوة

ورئيس اقيم واجبه القضاء على النهب ولكنه يصبح نموذجا لمرتكبيه .

أقم العدل . أقم الخير . واقض على الشر .

لا تكن عنيدا . فذلك لا يليق بك

ان السماحة تطيل الصداقة .

اما من ينقض القانون ومن يعطل النظام فليس هناك فقير نقضها واستطاع ان يعيش .

ان قلبى مثقل

لقد انتهى كلامى

ترى هل ترى قرويا بليدا مثلى يقف بباب بيتك

يشكو مثلما أشكو .

ليس هناك رجل صامت انطقته

ولا نائم ايقظته

ولا هامد انفسته

ولا جاهل علمته

ان كبار الموظفين يجب ان يكونوا اعداء للشر

سادة للخير وان يكونوا فنانين قادرين على الخلق .

هل أنت لص ؟ .

اصنع الحق من اجل رب الحق

ان الحق باق وهو ينزل مع فاعله الى العالم الاخر

فاذا دفن واختلط بالارض لم يسمع اسمه من الارض .

ولكنه يذكر بالخير .

ايها السمير العظيم ، ان السنة الرجال ميزانهم .

انها الميزان الذى يكشف المثالب

عاقب من يستحق العقاب .

لا تكن متميزا ولا تستمع لقلبك ، ولا تحجب وجهك عمن لاتعرفه ، ولا تتعامى عما ترى ، ولا ترد من يسألك .

انظر ...

لقد شكوت اليك فلم تسمعنى

فاذهب عنك فاشكوك الى انوبيس »



حـــوار عـــربى مع مكسيم رودنسون

المحـــاضرة الثـــالثة

تواصل نشر النصوص الكاملة لمحاضرات « مكسيم رودنسون » التى القاها بقاعة المحاضرات فى الاهرام بدعوة من اسرة تحـرير الطليعة .

ومحاضرةاليوم تعالج « المشكلة اليهودية عبر التاريخ » .

وكنــا قــد نشرنا المحاضرتين الاولبين « صـــورة العـــالم الاسلامى فى اوربا منذ العصور الوســـطى حتى اليـوم » ، و « الماركسية ودراسة العالم الاسلامى » فى العددين فبراير ومارس ١٩٦٩ على التوالى .

ونقتصر فى هذا العدد على نشر نص المحـــاضرة الثـــالثة — نظرا لضيق المساحة — مؤجلين نشر المناقشات التى دارت حولها وحول الطابع الســياسى للصراع العربى — الاسرائيلى الى العدد القادم .

المشكلة اليهودية عبر التاريخ

سيداتى ، سادتى ، مرة أخرى سأشرع فـى معالجة قضية شديدة الاتساع والتعقيد فى وقت محدود نسبيا ، ولذا فمن الطبيعى ان اضطر الى تناول بعض النقاط بسرعة ، بل انى قد اتركها جانبا .

لقد كثر الكلام عن « المشكلة اليهودية » وراج هذا التعبير فى اوروبا فى القرن التاسـع عشر . واذا حاولنا ان نحدد بصفة عامة ، ماهو المقصود من هذا التعبير ، فان الامر سيقودنا الى أسئلة ثلاثة :

١ — من هم اليهود أو من كانوا ؟

٢ — كيف نفسر وجودهم ووضعهم فى اوروبا؟

٣ — اليس هذا الوضع غير طبيعى ؟ وبناء عليه ما هو العلاج وما هو الحل الممكن لهذا الوضع غير الطبيعى ؟ وانا اتكلم اساسا عن اوروبا وامريكا اليس كذلك ؟ ذلك لان هذا التصور نشأ فى هذه البقــع . ففى الاماكن الاخــرى ، وفى العــالم الاسلامى على سبيل المثال ، كانت هناك مشاكل بالطبع ، ولكن الامر لم يتحول الى قضية متميزة .

وسأحاول ان أعرض لكم باختصار الاجابات التى قدمت فى مواجهة هذه الاسئلة فى العالم الاوربى ، كما سأعرض الاجـابة التى كان من الممكن تقديمها فى رأيى ، وفقا للنظرة الموضوعية العلمية التاريخية والاجتماعية انطلاقا من مبدأ أساسى يجب ألا يغيب عن بالنا ، ويستحيل ان تدور اى مناقشة اذا لم يقبل هذا المبدأ الاساسى ، ولن اناقش اى شخص لا يقبل هذا المبدأ ، وهو أن

اليهود بشر لا يجوز أن نفسر تاريخهم وأوضاعهم بناء على عوامل تختلف عن العوامل السارية على التاريخ بوجه عام ، وهذا موقف أساسي بالنسبة لي ، لن اتخلى عنه . فهم ليسوا أناسا فوق بقية الاجناس أو دونها ، انهم بشر عاديون لهم سماتهم المميزة لهم ، الناتجة عن تاريخهم ، وعن التكوينات الاجتماعية التي عاشوا فيها، شأنهم فيذلك شأن كل المجموعات الانسانية الاخرى . ومن هنا :

فالسؤال الاول : من هم اليهود ؟

قبل القرن التاسع عشر ، لم تكن هناك قضية في أوروبا ولا في الشرق ، كان الامر بسيطا ، فاليهود أتباع دين معين من بين الاديان العديدة الموجودة في العالم ، ولكن في القرن التاسع عشر ، ومنذ عام ١٨٤٨ ، أثيرت القضية من عدة زوايا ، وأشهر ما تبقى من هذه المناقشات في تلك المرحلة ، وأكثر ما تبقى حيوية ، ذلك الكتيب الهيجلي الذي وضعه الالماني برونو باور ، وهو أحد أنصار هيجل ، وكذلك رد ماركس علىالكتيب تحت عنوان « حول المشكلة اليهودية» ، وكتاب ماركس ليس كتابا بل مقالا صغيرا نشر في احدى المجلات في عام ١٨٤٤ او ١٨٤٥ على ما أظن ، وكان هجوما وردا على برونو باور ، وكالمعتاد فان كل العالم يعرف رسالة ماركس ، ولكن لا أحد يعرف الكتيب الذي يرد عليه ، ولكن منذ عام واحد على الاقل ظهرت طبعة من « كتاب الجيب » Livre de Poche تشمل في آن واحد مقال برونو باور ورد ماركس ، وخلال الجدال الذي قام بين الرجلين ظهرت ضمنيا مشكلة كانت مضمرة لانها لم تثر على هذا النحو :

هل اليهود في الاساس اتباع دين معين أو هل هم شيء آخر يطبعهم بطابع مميز ؟ وهكذا أثيرت القضية في هذه المرحلة وهي قضية كبيرة سأتعرض لها فيما بعد ، وقد هزت المسألة المفكرين في أوروبا الغربية ، هل يجب تحرير اليهود أى تخليصهم من وضعهم كأقلية أو كفئة خاصة كما فعلت الثورة الفرنسية من قبل ، وكما فعلت الولايات المتحدة قبلها أثناء ثورة الاستقلال الامريكية ، وكما فعل أيضا الطاغية المستنير جوزيف الثاني في الامبراطورية النمساوية — المجرية ؟ هذا ما ناقشه باور وماركس .

هل يجب أن يتحقق هذا التحرير عن طريق الدين أى باعتناقهم المسيحية أو عن طريق تغيير عام في المجتمع ؟ اعتقد ان المسألة لم تثر بشكل جيدمن جانب أى من الطرفين . وعلاوة على ذلك فان النص الذي كتبه ماركس ، والمعروف لنا ، غارق في لغة قطيعة ومثقل بالمصطلحات الهيجيلية وبلغة لاهوتية بروتستانتية لم يعد يفهمها أحد اليوم ، حتى انه ليس واضحا .. فالصهيونيون يعلنون مثلا أن هذا الكتاب معاد للسامية ، وهذا خطأ على ما أعتقد ، حقا ان لغة ذلك النص تبدو معادية للسامية اذا تمسكنا بالالفاظ واذا تمسكنا بها من وجهة النظر الحالية ، ومن جهة أخرى يجب الا ننسى أن هذا النص مخصص على أى حال للمسألة اليهودية ، ولكن نصفه ، ان لم يكن ثلثاه مخصصين لشيء مختلف تماما وهو قيمة قيم الثورة الفرنسية : المساواة ، الحرية ، الاخوة .. والى أى حد تصلح هذه القيم ، اننا بصدد مفاهيم بورجوازية حتى أن ماركس عالج المسألة اليهودية في نهاية الامر بشكل مختصر للغاية . وكان ماركس آنذاك في الخامسة والعشرين من عمره ، اى اننا بصدد احد اعماله في مرحلة الشباب ،وقد قيل لي من كل صوب ، عندما كنت أنقد وأقول أن ماركس كان لا يريد أن يقول كذا بل كذا : لماذا لم يكذب ذلك فيما بعد ؟ لماذا لم يقل : « كان بوسعي ان اقول الفكرة الفلانية التي اوردتها في المسألة اليهودية ؟ » . وأنا أتعرض لهذه المسألة من زاوية سبق أن أدنتها بالامس، وهي أن ماركس نفسهلم يكن ماركسيا ! فلم يتبادر الى ذهنه أن الناس ستتمسك بحذافير ما جاء في مقال صغير له يقع في حوالي ٢٠ صفحة ، كتبه وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وربما نسي تماما أنه كتبه أو لم يجد ما يدعو لان يقول : أود أن تعرفوا أن الجملة الفلانية التي كتبتها منذ خمسين عاما كانت خاطئة ، غير أن القضية أضحت معقدة خلال القرن التاسع عشر ،لان الرابطة الدينية التي كانت تجمع بين اليهود أصبحت أكثر مرونة ، ففي خلال القرن العشرين ، وبالنسبة للمجتمع الاوروبي ، أصبح الدين شيئا فشيئا مجرد فكرة شخصية ومسألة ضمير فردي ، وهكذا تحولت الكنيسة بالتدريج ، وما يماثلها عند اليهود ، أى المعبد ، الى جمعيات حرة ووظيفية تؤدي وظيفة محددة كالجمعية الفلسفية مثلا أو الجمعية الفنية . فالشخص ينضم من جانب الى كنيسة بروتستانتية معينة ، كما ينضم من جانب آخر لجمعية تقوم على مبدأ آخر مختلف تماما : كجمعية فلسفية مثلا ، أو جمعية لتقدم العلوم أو أى شيء آخر . وتميل الجماعات الدينية نحو التحول الى ما يشبه الدول داخل الدولة ، أى جماعات شاملة ودويلات صغيرةأو جمعيات تكتسب تلك السمة التي أطلق عليها أستاذي في علم الاجتماع السيد جورفيتش « فوق الوظيفية » أى أنها تشمل كل الوظائف الممكنة . فعلى سبيل المثالتؤدي الجمعية الفنية وظيفة معينة في المجتمع وهيتنمية الفن . والجمعية الدينية لها وظيفة، وهي جمع الناس من أجل عبادة اللهوفقا

لطقوس معينة ، اما الدولة فلها وظيفة تعلو على كل الوظائف ، فهى تشمل كل الوظائف الممكنة ، أى أنها « فوق وظيفية » • وفى الماضى كانت الجماعات الدينية فى أوروبا على هذا الغرار • وعلى ما أعتقد ، لا يزال الامر كذلك الى حد كبير فى الشرق ، ويبدو لى أن جزءا كبيرا من عدم تفهم القضية وأساليب اثـارة القضيـة قائم حتى فى الاسئلة التى قرأها عليكم لطفى الخولى منـذ لحظات ، وعلى كل فسأعود الى هذه المسألة ، وباسهاب •

خلال القرن التاسع عشر فى أوروبا ، اندمج بعض اليهود الى حد اعتناقهم المسيحية ، الدين السائد فى المجتمع ، وسواء تم هذا الاعتناق عن اخلاص أو عدم اخلاص فهذا لا يهم لانهم تحولوا فعلا الى مسيحيين ، وظل البعض متميزا بالنسبة لمسألة واحدة اضحت ثانوية ، وهى انتماؤهم لدين معين ليس دين أغلبية الاوروبيين •• وهذا ما يجب أن يدركه جيدا اليهود الامريكيون والعرب ايضا لصالح الجميع ، فهناك عدد كبير من اليهود ومن سلالاتهم تحولوا الى مواطنين فرنسيين وانجليز والمان •• الخ من أصل يهودى • لقد ظهر أخيرا فى فرنسا كتاب سيىء للغاية ، كان له رواج كبير فى فرنسا ، كما هو شأن كثير من الكتب السيئة ، واسم الكتاب « اليهود » بقلم بيرفيت ، وهناك شىء طيب ، وربما كان الشىء الطيب الوحيد فى ذلك الكتاب ، وبوسعنا أن نجد دائما أشياء طيبة حتى فى اسوأ الكتب ، فقد أبرز انه من الممكن أن يكون أى شخص فى أوروبا من أصل يهودى ، وقد أورد قائمة بدأت بالجنرال ديجول ، والملكة اليزابيث وروزفلت وبيكاسو ، أى كل المشاهير • ولماذا لا يكونون من اليهود ؟ لا يوجد ما يثبت عكس ذلك •• وقد أسماهم اليهود المجهولين ، ويقال ، وهذا محض تماما على أى حال ، ان هتلر نفسه كان من أصل يهودى ! تصوروا ! وعلى كل فليس هناك ما يجعل الامر مستحيلا ! .

على أن الواقع هو أنه فى مرحلة معينة كان التذكير بهذا الاصل من جانب أصحابه أو من جانب الاخرين بالاخص ، يتضمن الاشارة الى طابع مميز خاص لا يمكن أن ننسبه الى الدين وحده ، فاذا كان يهود أوروبا لايكونون معا دينا واحدا ، فماذا يكونون اذن ؟ هل مجمـوع الاشخاص الذين يمكن أن نسميهم يهودا بدرجات متفاوتة ، هل يمكن أن يكونوا شعبا ؟ لاشك أنهم سيكونون شعبا غريبا حقا ، شعبا غير طبيعى ، لا وطن له ويرتبط بأوطان مختلفة • وعندئذ يمكننا أن نسأل : لكل شعب بصفة عامة ثقافته الخاصة ، فما هى ثقافة اليهود الخاصة بهم ؟ والاجابة سهلة بالنسبة لاوروبا الشرقية ، ذلك أنه توجد هناك بالفعل ثقافة يهودية خاصة ، ثقافة لغة اليديش • فاليديش لغة ، لهجة من أصل جرمانى ، وسأشرح لكم بعد قليل أصولها . وهذه الثقـافه مزدحمة باصطلاحات المثقفين وبكلمات عبرية ، ولها لغة وأدب لا يرتبط تماما بالضرورة بالدين اليهودى ، بل ان هناك أدب معاد للكهنوتية ومعاد للدين بلغة اليديش ، ومن هنا جاء التصور السوفيتى ، ففى الاتحاد السوفيتى يؤلف اليهود قومية تسمى باللغة الروسية « نارود فوست » فكل مواطن سوفيتى يحمل فى بطاقته الشخصية بيانين : أولا الموطن وثانيا القومية • وهكذا فمن الممكن ان يكون الروسى أكرانى أو أوزباكى أو ساموييد •• او يهودى مثلا ، وهكذا يؤلف يهود الاتحاد السوفيتى قومية لغتها الرسمية اليديش ، ويجدر بنا أن نشير هنا الى ملحوظة عجيبة ، وهو أنه من بين مليونين ونصف مليون يهودى (وانا لا اضمن لكم هذه الارقام) لا يزيد عدد الذين يتكلمون اليـديش ويقرون بأن اليديش لغتهم الاصلية عن ٥٠٠ الف فقط . وهناك ظرف آخر خاص ، وهو ان هـذه القومية المسماة يهودية لا تضم كل اليهود لانهم لا يقيمون كلهم فى الاتحاد السوفيتى ، ولكن حتى لو كان كل اليهود يقيمون فى الاتحاد السـوفيتى فان جزءا كبيرا منهم يجهل اليديش تماما لسـبب بسيط ، وهو أن هذه اللغة تخص يهود ألمانيا وروسيا وبولندا ورومانيا ..الخ . وأن يهود البلاد العربية واوروبا الغربية واسبانيا مثلا لايمتون بأى صلة لليديش ، ويتكلمون لهجات عربية أو أسبانية او فارسية بل وصينية ايضا .وبالطبع فهم أبعد من أن يشملهم التعريف السوفيتى للقومية اليهودية •

وهناك رد معاد للسامية وهو شائع • وهنا أفتح قوسا ، لانه يبدو لى أنه يتعين ذلك ، فكثيرا ما تساق خلال النقاش الشائع حول المسألة العـربية الاسرائيلية حجة لا تقنع أحدا ، شأنها شأن عدد من حججهم ، وهى القول بأنهم لا يمكن أن يكونوا معادين للسامية لانهم هم انفسهم من الساميين •

وهذه حجة لا قيمة لها على الاطلاق ، أولا لان كلمة السامية لا معنى لها هنا لانها تتعلق بلغة خاصة بمجموعة لغوية معينة ، وهى المجموعة السامية ، تماما كما نقول مثلا ان الفرنسيين والهنـود وزنـوج هـايتى يتكلمـون لغـات أندو ــ أوروبية ، كانت تسمى من قبل آرية ، ولكن لا توجد أى صلة قرابة خاصة بين هؤلاء ، فالمسألة معقدة ومتشابكة للغاية . ثانيا اصطلاح « معاداة السامية » اختراع ألمانى من القرن التاسع عشر ، فى وقت كان لا يعرف الالمان فيه سوى اليهود كقوم يمكن ربطهم باللغة السامية ، ومن هنا فان كلمة معاد للسامية الشائعة الاستعمال فى أوروبا لها

معنى معين ، فالبعض يرى أن اليهود فاسدون أو أشرار أو شيطانيون فى جوهرهم ، ويوجد ذلك فى كل مكان ، بما فى ذلك عند العرب طبعا ، وهذا التصور موجود فى كل مكان ولا يحول دونه أن يكون الشخص نفسهمتكلما بلغة سامية ، فلا توجد علاقة بين المسألتين ، فمعاداة السامية صفة لمن يرى أن اليهود بطبيعتهم فاسدون فى جوهرهم دون اعتبار لظروف معينة فى مرحلة معينة ، اى أنهم على حد قول أحد الكتاب المشهورين أشرار فى جوهرهم ، فهم جماعة عالمية متآمرة تربط بين أفرادها وحدة على غرار الماسونيين بالرغم من اختلاف الديانات والثقافات واللغات ، وتهدف الى السيطرة على العالم لا لاسباب دينية فقط .. هذه الرؤية يعبر عنها كتاب شهير معاد للسامية ، وهو مطبوع فى اماكن كثيرة ، وبالاخص فى البلاد العربية ، ويسمى « بروتوكولات حكماء صهيون » . وهو مؤلف مزور من وضع البوليس القيصرى فى حوالى عام ١٨٩٠ ، وقصة هذا الكتاب معروفة تماما . وعندما تثور مناقشات فى فرنسا ونجادل الصهيونيين او أنصار اسرائيل أو الاشخاص المتاثرين بالصهيونية أو اسرائيل ونقول لهم : ان هذا غير صحيح فالعرب ليسوا معادين للسامية ، فانه يكفى أن يقدم أحدهم نسخة من كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » المطبوع فى مصر أو فى أحد البلاد العربية لكى نلزم الصمت تماما !

يجب أن أقول ذلك على ما أعتقد ! وانى لاسمح لنفسى أن أقول ذلك لانه مفيد لمن أقوله لهم .

وهناك أيضا الاجابة من وجهة نظر القومية اليهودية ، وهنا أيضا يضطر المرء الى اتخاذ احتياطاته دائما ، ذلك لان هناك خلطا شديدا فى هذهالقصة، حتى انهيتعين علىالمرء أن يحدد بدقة كل كلمة من كلمات اللغة ، عندما أتكلم عن القوميين فانى أقصد الذين يبنون نظرية القومية اليهودية سواء كانوا على صواب أو على خطأ ، فتلك قصة أخرى. وبصفة عامة تترجم كلمة Nationalisme الى العربية بكلمة « قومية ». وذلك أمر يستدعى الحذر لان كلمة « القومية » تحمل معنيين باللغة العربية فهى قومية بمعنى « جنسية » ، وقومية بمعنى « اتجاه قومى » ، وهناك فارق بين الاثنين. فقد اتهمنى البعض وقالوا انى تكلمت عن القومية اليهودية مع أنه لا توجدقومية يهودية ، وأترك هذه المسألة الان لانى سأتكلم عنها بعد قليل .

ولكن الكلام عن القومية اليهودية لا يعنى بالضرورة أن تكون هناك أمة أو قومية يهودية .

فبمجرد أن يقرر كل ذوى الشعور السوداء والعيون الزرقاء أنهم يؤلفون أمة فانهم يصبحون قوميين سواء كانوا على صواب او خطأ . واذا أرادوا أن يذهبوا الى مكان معين ليكونوا قومية فانهم يصبحون أصحاب نظرية قومية ايا كان الاساس الذى يستندون اليه ، وسواء كانوا على صواب أو خطأ . فاليهود اذن ، وسأتناول هذه المسألة بعد قليل ، شعب أى أمة محرومة من وصلها وعليها أن تبحث عن وطن لها . وكما تعلمون كان هناك تردد فى بدايةالحركةالصهيونية ودار الكلام حول الارجنتين ، وقد تكلم هرتزل نفسه عن الارجنتين وأوغندا . ومن المؤسف أن الكلام جاء فى نهاية الامرحول فلسطين، وهو اختيار مشئوم فتح الطريق لسلسلة من المآسى ، والاجابة التى سأقدمها لكم الان ، وهى فى اعتقادى اجابة موضوعية وعلمية : أننا بصدد شعب قديم من العهود القديمة كانت له ديانة اثنيكية ، كما هو الحال بالنسبة لكل ديانات العهود القديمة ، اى ديانة متميزة لكل شعب ، كان الغال يعتنقون دينا غاليا ، وكان الجرمان يعتنقون ديانة جرمانية والسوريون ديانة سورية ... الخ ، أى دين اثنيكى تفتح فى أحد الفترات على العالم ثم تردد بين قطبين : قطب العالمية وقطب الدين الاثنيكى ، وسأعود لهذه المسألة . فهم اذن جماعة دينية فى طريقها الى التفكك ، ولكن الذين يتمسكون بالارتباطبالجماعة او الذين يرتبطون بها يصبحون فى وضع مشترك بحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسيةوالثقافية التى تم فيها هذا التفكك ، وهكذا نجد فى أوروبا ثلاثة أنواع من اليهود ، ثلاثة أنواع من الناس يمكن أن تنطبق عليهم صفة اليهودية بدرجة معينة :

أولا : هناك المؤمنون بدين معين وهو اليهودية : اليهود المتدينون . وأعتقد أنه يجب أن نميز بين مختلف الانتماءات الدينية ومختلف أشكال الممارسة الدينية ، يجب وضع احصائيات لم يتم منها حتى الان سوى القليل ، وأعتقد أن اليهود الحقيقيين المتدينين أقلية بين اليهود ، وأعتقد أنه يجب ان نقول ذلك بصفة عامة ، وان يكون ماثلا تماما فى أذهاننا عندما نعالج المسائل المتعلقة بالدين .

ثانيا : هناك الذين يشتركون بكل الدرجات الممكنة فى ثقافة يهودية معينة سواء ثقافة اليديش أو الثقافة العربية عند يهود الجزائر أو العناصر المختلفة النابعة من الدين اليهودى ، مع نوع من المجموعة الدينية الاثنيكية المتفرعة ذات ثقافة خاصة ناتجة عن ظرف اجتماعى خاص كما هو الحال فى الولايات المتحدة ، لان الناس هناك اعتادوا ، كما هو الحال فى لبنان ، على أن يكونوا

أمريكيين وشيء آخر بعد ذلك ، فهناك أشياء تبدو غريبة حقا بالنسبة للفرنسيين : مثل تحالف الايطاليين والايرلنديين من أجل الاستيلاء على منصب العمدية في مدينة نيويورك ضد اليهود البورتوريكيين .. أو اليهود والايطاليين ضد الارلنديين .. الخ . والبولنديين .. الخ . وهذا يعنى بالطبع أننا بصدد أمريكيين نابعين من أصل يهودى وأيرلندى وايطالى ، وهذا يعنى أنه توجد بالولايات المتحدة مشكلة خاصة سأتعرض لها فيما بعد .

ثالثا : هنالك أناس من أصل يهودى تربطهم بدرجة او باخرى اوضاع يقدر تذكرهم بأصلهم اليهودى ، وبأن احد اجدادهم او اجداد اجدادهم كان يهودياوكان يمارس الدين اليهودى : وهذا هو وضعنى وهو يتوقف أساسا على مدى تذكر الاخرين ، الى جانب بعض السمات الاجتماعية الخاصة الناتجة عن هذا الاصل ، وهى من آثار ذلك الاصل . فهناك حسب الاحوال ، جيل أو جيلان او ثلاثة أجيال أو أربعة من اليهود عاشت حياة مشتركة ومن الممكن أن تتواجد عند أعقابهم بعض السمات الخاصة بهذه الحياة المشتركة .

السؤال الثانى : وهو سؤال ضخم سيحتاج منى الى وقت أطول . كيف نفسر وجودهم وأوضاعهم؟ هناك للاسف اتجاه لدى أوساط مختلفة ومتباينة ، نحو ابراز الطابع الخاص لما سأسميه لا اليهودية Judaïsme ولكن الـ Judéité فانه من الصعب أن أحددهما . وقد حاول أحد العرب وأيضا البير ممنى أن يعرف كل من Judéité والـ Judéité واليهودية Judaïsme . وأنا لا أعرف كيف أترجم هذه الكلمات الى العربية : يهودية، يهودانية ، تعبد ، لا أدرى . وأترك هذا الامر للمتخصصين لبحث المسألة ، ومن الممكن أن تكون موضوعا لاحدى جلسات مجمع اللغة العربية ، وعلى أى حال أريد أن أقول بذلك أنه من الممكن أن يكون هناك ارتباط بطريقة أو بأخرى بالتصور اليهودى دون أن تتواجد معه الديانة اليهودية بالضرورة ، لقد تكلم الذين أبرزوا الطابع الاستثنائى عن احتمال وجود سر دفين ، وكان المسيحيون أول من أقدم على ذلك ، فالمسيحيون يتكلمون عن سر اسرائيل منذ وقت طويل مضى ، وأنا اقصد باسرائيل لا الدولة التى نحن بصددها ولكن الاشارة العامة الى الشعب اليهودى الغابر فقد بدأ اليهود دائما فى نظر المسيحيين سرا خاصا . فالمسيح كان يهوديا وكذلك الحواريون . الخ وكان التلاميذ الاوائل من اليهود . وقد دارت مناقشات واسعة بين الجيل الاول من المسيحيين وبالاخص بين القديسين بطرس وبولس ويعقوب حول امكانية قبول المسيحيين من اصل غير يهودى وما هى شروط ذلك . ولذا كان السؤال لماذا لم يعتنق اليهود المسيحية مع أنه جاء اليهم مسيحا ومسلكا عليهم ، وتوجه اليهم ، هم بالذات ، فى البداية على الاقل ؟ لماذا لم يعترفوا به ؟ وهكذا افترضوا أن هنالك سرا مقصودا ، ظهرت خطوطه العريضة فى القرن الاول فى « رسالة بولس الرسول الى أهل رومية » وتطورت هذه الخطوط باستفاضة فى الاداب اللاهوتية المسيحية ، فعلى سبيل المثال أبرز باسكال بشكل خاص هذه المسألة وبالتالى ضغط علماء اللاهوت المسيحيون على ذلك الشيء وهنا حدث شيء غريب ، اذ انهم زايدوا وشددوا على الاسباب التى يجب أن تدعو اليهود خاصة على اعتناق المسيحية ، لكى يؤكدوا غرابة عدم دخولهم الدين المسيحى . ومن هنا فقد أوضحوا الطابع الغامض للتدبير الالهى . وبالطبع فان اليهود من جانبهم أحسوا بوضعهم الاستثنائى كأقلية وأرادوا أن يبرزوا الطابع الاستثنائى لجماعتهم لاسباب لاهوتية فكرية ولاسباب عامة .

وظهر بين اليهود نوعان من التفسيرات : التفسير الدينى أولا وهو رغبة الله فى الابقاء على هذا الشعب ، شعب الله بالرغم من الاضطهاد . وكان يتعين أيضا على اللاهوتية اليهودية أن تفسر عدم اعتناق الشعوب الاخرى للدين اليهودى . وكانت هناك محاولات للتوفيق بين الاتجاهات الرامية الى نشر الدين اليهودى على نطاق العالم ، وبين السمات الخاصة التى حافظ عليها الدين الاثنيكى كما سبق أن ذكرت ، وكان هناك دائما تردد بين هذين الاتجاهين الدينيين . ومنه ذلك التصور الذى أقامه اللاهوتيون والذى يعتبر أن اليهود يكونون شعبا من الكهنة من اجل صالح الانسانية بأسرها ، كانت تلك وسيلة للتوفيق بين ذلك الاختيار الخاص الذى اختص به اليهود وبين الاتجاه العالمى لبعض أنبياء اليهود ، وبالطبع كانت الفكرة الشائعة هى أن كل ذلك سيجد حلا له بالتفاف العالم كله حول المسيح عشية يوم الحشر ، وكان هناك أيضا تفسير قومى تطور الى حد بعيد فى التاريخ اليهودى المدون فى العهود الحديثة المعاصرة ، اعتمد هذا التفسير على سر غامض ، وهو ارادة البقاء القومية ، وارادة اثبات الكيان المشترك التى تفرض نفسها . . فاليهود يندمجون ويتبعثرون ويتجهون أكثر فأكثر نحو اعتناق المسيحية والبوذية وغير ذلك من الاديان ، ولكن فى الوقت الذى يتصور فيه الناس أن الامر انتهى ، فى هذا الوقت بالذات تأتى دفعة عظيمة لهذه الارادة القومية . تلك هى النظرية القومية العليا التى ظهرت بأشكال

مختلفة ، وأنا لا أحللها لكم فهذا لا يجدى على ما أظن ، ولكنى أكتفى بأن أقدم لكم خطوطها العريضة ، وتتناسى هذه النظرية عن عمد واقعا معينا ، وهو واضح تماما من خلال قراءة التاريخ، فقد اندمج عدد هائل من اليهود عبر التاريخ وبالاخص فى البلاد المسيحية والاسلامية : وهنا اعود الى ما قاله بيريفيت ،وصحيح ان كل التاريخ الذى نقرأه نجد به حالات كثيرة لتحول يهود الى المسيحية أو الاسلام . ومنذ مدة كنت أناقش كلود لانزمان فى التليفزيون الفرنسى ، وهو رجل ملحد تماما ، ولكنه يعلن أنه معجب بالدين اليهودى لا لشىء سوى أنه استطاع أن يحافظ على الرابطة القومية اليهودية ، وهو يقول انه لشىء رائع أن يرى هذا الشعب محافظا على كيانه بالرغم من كل شىء ، وبالرغم من أعمال الاضطهاد . لقد قلت له انها خدعة بصرية . فاليهودية مصفاة ، اسمحوا لى بهذا التشبيه الفج : مصفاة . فقد مرت أعداد كبيرة من الناس باليهودية ثم تحولوا الى شىء آخر . وفى مواجهة كل هذه التفسيرات هناك محاولات تفسير أخرى يمكن ربطها كلها بالمبدأ الذى وضعه ماركس ، وقد سبق أن قلت لكم انى لا أكن تقديرا خاصا لمقاله حول المسألة اليهودية ، ولكن هناك شىء عظيم فيه وهو المبدأ الذى أقره منذ البداية بوصفه أمرا طبيعيا ، فقد قال ان اليهودية أو بالاحرى اليهودانية ظلت باقية من خلال التاريخ لا بالرغم من التاريخ ، وأعتقد أن هذا المبدأ المنهجى أساسى وهو المبدأ الذى انطلقت منه ، ربما كان الله وراء ذلك ، ربما كان هناك شىء آخر ، لا أدرى . أنا فى حاجة الى تحليل الاشياء وفقا للعوامل التى نلتقى بها عبر التاريخ البشرى ، وهكذا تقدم ماركس بنظرية ، وأنا أرجو ألا تقولوا النظرية الماركسية ، ذلك أنه كما قلت لهم فى محاضرتى بالامس ،ربما خيبت آمال بعضكم الذين كانوا يأملون أن أدلهم على مرحلة تؤدى الى مستقبل أفضل وكيف يجب أن يتم التصرف وبأى استراتيجية وبأى تكتيك .. الخ . وهذا ما لا أدعيه ، وأنا أبعد من أن أبديه ، ولكنى سأحاول أن أقول — واعتقد انذلكمفيد بالنسبةلكلشىء — انه لا توجد نظرية ماركسية بل نظريات ماركسية مختلفة ممكنة تماما ، كما انه لا يوجد مثلا أسلوب ديكارتى ، وفقا لمبادىء ديكارت لتحليل هذه القضية أو تلك، فمن الممكن أن تكون هناك وجهات نظر مختلفة كل منها ديكارتية ، وعندئذ نخوض فى العقائد وأنا أترك للمؤمنين بعقيدة ما ، بما فى ذلك العقيدةالماركسية ، حرية السير فى اتجاههم ، فهو أمر يدعو للاحترام الشديد ولكنه ليس اختيارى شخصيا .

كان ماركس قد بدأ بالتأكيد فى وضع نظرية ماركسية — وهى نظرية ماركسية على الاقل هذه المرة — حول بقاء اليهودية أو اليهودانية حسب ما تشاءون . تقول هذه النظرية التى رسم بالكاد خطوطها العامة ، ان اليهود ظلوا باقين لان الاقتصاد الاوروبى كان فى حاجة اليهم ، اذ أنهم تخصصوا فى وظيفة معينة وهى تجارة المال فى مرحلتى اقتصاد القرون الوسطى وبداية الاقتصاد الرأسمالى ، فقد كانت هناك حاجة الى اناس متخصصين فى هذا المجال ، بينما كانت الايديولوجية المسيحية تحرم الربا ، شأنها فى ذلك شأن الايديولوجية الاسلامية: تحريم القروض نظير فائدة ، ويجدر بكم أن تلاحظوا أن هذه النظرية أخطأت فى الاساس لان المبادىء الاسلامية والمسيحية لم تحل دون التجاء الناس الى الاقراض ولم تحل دون قيام المسلمين والمسيحيين بالاقراض بالربا .

على أن هذهالنظرية التى رسمماركس خطوطها فى بضع سطور ، تناولها بعد ذلك وبتفاصيل أوسع ، عدد من المؤلفين الماركسيين وأخيرا من جانب يهودى بلجيكى يدعى ابراهام ليون مات فى اوسفيتش عام ١٩٤٣ ، وكان يعيش قبل وفاته فى ظروف السرية القطيعة للغاية ويطارده البوليس .. وكان فى البداية صهيونيا ثم اشتراكيا ثم آمن بعد ذلك وقطع صلته نهائيا بالصهيونية ، ووضع لنفسه على أى حال ، نظرية ماركسية حول المشكلة اليهودية كتبها سنتى ١٩٤١ — ١٩٤٢ فى ظروف فظيعة للغاية ببلجيكا قبل أن يموت . وقد نشرت هذه النظرية بعد ذلك فى بلجيكا .. والكتاب من تأليف يهودى تروتسكى . وعنى بنشره التروتسكيون عام ١٩٤٦ ثم أعيد طبعه ولا أذكر اذا كنت قد قلت لكم اسم هذا المؤلف انه ابراهام ليون وعنوان كتابه : « التصور المادى للمشكلة اليهودية » . وقد ساعدت فريقا أو فريقين من التروتسكيين الباريسيين، أومن المشايعين لليسارية التروتسكية ، وهذا لا يعنينى فى شىء . وقد اختاروا اعادة طبع هذا الكتاب ، ورأيت ان اعادة طبعه أمر طيب بالرغم من أنى لا أشارك المؤلف فى كل آرائه . ذلك أننا نعانى نقصا شديدا فى هذا النوع من الكتب ، وحتى لو كانت به بعض نقاط الضعف فمن الافضل أن يعاد طبعه بدلا من ترك الطريق مفتوحا للايديولوجية القومية اليهودية ، ولذا فقد كتبت مقدمة طويلة ظهرت أيضا فى شكل مقال مستقل، وفقدت أفكار ابراهام ليون، وقدرت مجهوداته . وبالطبع لم يرق ذلك لكل أصدقاء ابراهام ليون ، ولكنهم نشروه على أى حال ، وقد وضع ابراهام ليون نظرية اليهود ـ طبقة ، ولا أدرى اذا كان ماركس قد استخدم هذا الاصطلاح من قبل ، فهو يقول ان اليهود ظلوا باقين لانهم كانوا شعب — طبقة — شعبا متخصصا فى وظيفة معينة . والحق أنه تردد بين وظيفة التجارة بصفة عامة وتجارة المال ، ومن جهة أخرى فهو يبين أنهم أدخلوا الاقتصاد النقدى فى أوروبا الشرقية خلال

القرن التاسع عشر ، وهذا صحيح تماما كما قال ماركس في رأس المال وهو يتكلم عن الفينيقيين في العصور القديمة ، اذ قال ان الفينيقيين قاموا آنذاك بالدور الذى قام به اليهود في المجتمع الروسى في سنوات ١٨٦٠ ، ومع ذلك فهذه النظرية تبدو لى ضعيفة الى حد كبير اذا نقلناها الى المستوى العام . وأود أن أكتب لاصدقائى الماركسيين أنه لو كانت لهذه النظرية وظيفة تفسيرية فيجب ان تنطبق على كل الحالات ، ولم يتعمق الماركسيون كثيرا في نظرية التفسير ، ذلك أن ابراهام ليون نفسه أوضح لنا أن اليهود لم ينفردوا وحدهم بهذه الوظيفة ، ولذا فكيف تكفى هذه الوظيفة وحدها لتفسير وجودهم ، بالطبع هناك عناصر من الحقيقة . فوظيفة المقرض ، ثم وظيفة المصرفى ، كانت من المهن التى ركز عليها عدد من اليهود خاصة في مرحلة تكوين رأس المال ، وذلك لاسباب تاريخية واجتماعية في القرنين الخامس والسادس عشر . وقد كون بعضهم ثروات ضخمة في هذه الفترة ، جنبا الى جنب مع مسيحيين حققوا ثروات لا تقل عنها . وهناك شخصية أعرفها جيدا لانه كتب عنها مؤلف كبير أخيرا . كان جوزيف ماس من أصل يهودى أسبانى وقد اعتنق المسيحية في الظاهر والتجأ الى هولندا ، كان صاحب ثروة ضخمة وحاول شارل الخامس أن يبقيه في أوروبا وحاول هو من جانبه أن يلجأ الى مكان يعيش فيه في هدوء ويمارس فيه عقيدته ، وقد انتقل سرا الى مكان يتوفر فيه التسامح الدينى والحرية ، أى الامبراطورية العثمانية . وقد أصبح صديقا للسلطان بايزيد ابن سليمان الحكيم الذى منحه جزيرة ، جزيرة ناكسوس ، وأنعم عليه بلقب دوق ، وهكذا ظل يقرض ملوك أوربا ومنهم هنرى الثانى الفرنسى الذى نسى على أى حال أن يسدد ديونه ، وكان السلطان بايزيد يسانده بقوة حتى أنه أرسل سفارة خاصة لفرانسوا الثانى ليطالبه بدفع ديونه وديون والده لجوزيف ماس . ولكنه كان هناك أيضا وفى نفس الوقت ، كبار رجال المصارف المسيحية الذين كانوا يسمون « Les Banquiers » (١) ودورهم معروف لكل المؤرخين ورجال الاقتصاد ، وأنا لا أتكلم عن الاخرين الذين تعرفونهم .. ثم ملوك الصين . الخ . حتى أنه كانت توجد تقاليد عند بعض الاسر ظلت متوارثة لامد طويل ، ولذا عاش المرء في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر ، كما هو الحال بالنسبة لماركس ، لكان تأكيده لدور هؤلاء اليهود دون سواهم ، له ما يبرره .. ولكن هذه النظرية ، نظرية الشعب الطبقة لا تفسر شيئا في اعتقادى ، ولا تفسر بقاء اليهود في اوروبا ، قبل الحروب الصليبية أولا ، حيث كانوا يمارسون كل المهن الممكنة ويزاولون مهنة الاقراض ، وهذا لا يفسر الواقع الا بشكل جزئى حتى في أوروبا لان أغلبية اليهود لم يكونوا من رجال المصارف ولا يفسر لنا أى شيء في اعتقادى ولا يفسر لنا أى شيء بالنسبة للشرق الاسلامى حيث كان اليهود يمارسون كل المهن على اختلاف انواعها ولكنهم بقوا مع ذلك ، ومن الواضح أننا في حاجة الى تفسير أشمل ، وهذا ما حاولته في مقدمة كتاب ابراهام ليون . وبالطبع فان هذه المهمة تتجاوز قدرات رجل واحد خاصة اذا كان يقوم باعمال أخرى ، ولكنى حاولت أن أرسم فقط بعض الخطوط مع معرفتى الى حد ما بتاريخ اليهود وتمسكى التام برفض العوامل الغيبية وفوق الطبيعية سواء تمثلت في ارادة الله ، بوصفها التفسير الوحيد على الاقل ، ومرة أخرى أقول للذين يؤمنون انى لا أنكر ارادة الله فهم أحرار في الايمان بها ، ولكنى اعتمد مرة أخرى على مفهوم «العلة الثانية» الذى ذكرته بالامس . فاذا كان لله دخل ، فهذا يتم من خلال العلل المختلفة ، ولذا يجب أن أضع ذلك بين قوسين اذا كنا نسعى للقيام بدراسة تاريخية واجتماعية لها قيمتها ، واذا كنا نريد أن ننبذ تلك الارادة القومية الغامضة المرتبطة هى أيضا بعامل يتعدى حدود ما هو طبيعى ، لانى لا أدرى كيف يتم ذلك ، ولم يفسر لنا أى من المؤرخين اليهود الذين ذكروا ذلك ، الطريقة التى تحقق بها هذا الامر . ويتخلى هؤلاء القوم عن كل مرجع يهودى . وهناك بالطبع تفسيرات عديدة ، بل ان هناك تفسيرا لكل مرحلة . أما التفسير العام فيتمثل بكل بساطة في أنه لم يبذل أى مجهود منظم ومدروس في أى من أنحاء العالم التى تواجد فيها اليهود من أجل انهاء تميزهم .

ولنبحث الان كيف تمت هذه القصة . سأرسم لكم خطوطها العريضة خلال نصف ساعة تقريبا . وأنا أعتذر على أى حال لان كلامى سيطول ، وربما استطرد أكثر من الامس . ولكنى لا أرغم أحدا ولن يغضبنى انصراف البعض ، ولكن بما أنى أعتقد أن الامر يتعلق بمسائل مجهولة وأنه من المفيد بشكل خاص أن تكون معروفة هنا ، فانى سأقول كل ما لدى .

ان اسرائيل العهود القديمة ، أى شعب اسرائيل كما كان يطلق عليه ، شعب ككل الشعوب ، غزا فلسطين . وقد تكون بطرق غريبة لا تملك فيما يختص بها سوى أساطير في مرحلة ترجع الى ستة

---

(١) نسبة الى فوكييه ، وزير مالية فرنسا (١٦١٥ - ١٦٨٠) جمع ثروة طائلة من أموال الدولة خلال تقلده المناصب الحكومية .

عشر قرنا قبل الميلاد – وقد فتح هذا الشعب فلسطين في تلك الفترة، واندمج بالمحتلين، كما كان يحدث دائما في هذه العصور • وكان «سفر التثنين» صريحا للغاية، وكذلك ايضا كتاب يشوع. اذ أنه جاء في فقرتين منهما ما سأتلوه الان :

« ومتى أتى بك الرب الهك الى الارض . . الى مدن عظيمة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملاها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها » (٢) .

كان هذا الكلام يردد في تلك العصور بلا أى قناع ايديولوجي . أليس كذلك ؟ قالوه بكل بساطة العهود القديمة • كان لهذا الشعب الهه القومي «ياهوه » ، وربما كان له في فترة ما عدد من الارباب كما كان الحال بالنسبة لكل الشعوب • ويبدو أنهم ركزوا في مرحلة معينة على عبادة اله قومي واحد أطلقوا عليه اسما لا نعرفه حتى الان. كيف كانوا ينطقونه وهو أقرب الى لفظ « ياهوه » • ويبدو أنه كانت تدور أيضا في هذه العصور السحيقة أسطورة حول شخصية تاريخية كانت تدعى « موسى » • ولا يوجد ما يؤكد أنه وجد ، وعلى كل فمن المحتمل أن هذه الشخصية التي تدعى « موسى» قد تواجدت وأنه حدث نوع من الارشاد لعبادة هذا الرب بوصفه الاله الاوحد الذي يجب أن ينذر هذا الشعب نفسه له• كانت هذه الايديولوجية متأصلة وكانت لها رموزها وطقوسها الحازمة التي أساء الشعب نفسه ممارستها ، فاتخذ آلهة أخرى الى جانب الاله الواحد • ولكن الاله الواحد كان يتفوق عليهم من آن لآخر • وهذا ما يسمى الـ (Enothéisme) لا الوحدانية (Monothéisme) أى عبادة اله واحد دون انكار وجود آلهة أخرى • ولذا نجد آثار هذا الوضع من خلال المراجعات المتتالية التي تم تمح من التوراة ، فعندما دخل الملك « مواب » الاردن توجه بكلامه الى القائد «يافت» الاسرائيلي أو العبرى أو اليهودى حسب ما يروق لكم، وقال له « لماذا جئت تهاجمني على ارضى التى منحها لى الهى كيموشى، أليست لديك أرضك التى منحها لك ربك ياهوه ، يجب ان تكتفى بها » . وهذا يعنى ان اله مواب كان كيموشي وأن اله اسرائيل كان ياهوه ، وكان للاخرين اربابهم ، أى ان كلا منهم كان له الهه ، وهذا ما أوضحه راسين فى مسرحية « أتالى » اذ تقول اتالى : « لى رب أخدمه ولكم ربكم ، وهو من الالهة القوية »• كان ذلك أمر طبيعي بالنسبة للعهود القديمة• ولكن هناك ظاهرة لا يتوفر لنا الوضوح حول ظروفها • ففى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد حدث تطور لدى بعض الشخصيات اليهودية أو الاسرائيلية ، حسب ما ترون ، وكانت هذه الشخصيات قديرة للغاية ومثيرة للاعجاب ، واقصد بها الانبياء ، لقد دعوا الى رؤية عالمية • فياهوه ليس رب اسرائيل وحدها ولكنه اله كل الشعوب ، بل انه جاء على لسان بعضهم عتاب لاسرائيل لانه يعتقد أنه الوحيد الذى اختصه ياهوه بحبه . وأعتقد أن عاموس الذى قال : « يقول الرب ألم أصعد اسرائيل من أرض مصر، والفلسطينيين من كفتور ، والاراميين من قير » (٣) وأنا لا أعرف ما هى قير هذه ولكن لا بأس ، فالمهم انه يقول انني صنعت نفس الشيء بالنسبة للاخرين وبالنسبة لكم ، ويجب أن نؤكد بهذا الصدد ، وقد أتناول ذلك فيما بعد ، أن هؤلاء الانبياء كانوا يلقون الاضطهاد عموما ، كما كانوا انهزاميين فى اغلب الاحوال . ويجب ان نؤكد انه فى هذه الحقبة من الزمن كان يعيش هذا الشعب فى ذلك البلد، وكانت هناك هجرة قديمة للغاية وعلى نطاق واسع ، ولدينا ما يثبت ذلك بالنسبة لمصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وبالنسبة للبلدان الاخرى بحوض البحر الابيض المتوسط ، كما كان الحال كذلك بالنسبة لعدد كبير من الشعوب من نفس المنطقة • كان يوجد عدد كبير من السوريين والمصريين فى روما، منذ فترة تمتد بين القرن الثالث والثانى قبل الميلاد •• الخ وهناك أسطورة تكررت مرارا فى الكتابات ، وكان المسيحيون قد بدأوا فى تطويرها مع بداية اللاهوت المسيحى ، وتقول الاسطورة ان استيلاء تيتوس على أورشليم سنة ٧٠ ميلادية أعقبته هجرة واسعة النطاق، وهذا غير صحيح، اذ ان هناك هجرة فى غاية الاهمية كانت قد تحققت قبل ذلك فى المرحلتين المتأغرقة (٤) والرومانية ، بينما كان اليهود قد ذابوا فى الدول الاغريقية والدولة الرومانية ، فظهرت آنذاك دعوة متحمسة الى العالمية • ودعى اليهود الى كسب عدد كبير من الناس الى دينهم فى كل البلاد، بصرف النظر عن أصلهم، وقد انتشرت هذه الظاهرة على نطاق واسع فاختلطوا فى ذلك الوقت الى حد كبير بعناصر الثقافة المتأغرقة والرومانية شأنهم فى ذلك شأن الجميع وعلى غرار السوريين والمصريين وغيرهم ، ولكنهم ظلوا فى

(٢) سفر التثنين — الاصحاح السادس، ١ — ١١ — ١٢ .
(٣) عاموس — الاصحاح التاسع — ٧
(٤) التأغرق (Hellenistisme) تطلق هذه الكلمة على اللغة الاغريقية منذ القرن الثالث قبل الميلاد وعلى الحقبة الممتدة من فتوحات الاسكندر حتى الغزو الرومانى .

فلسطين حيث هضم اليهود الشعوب الأخرى التى سبقتهم مثل المؤابين والفلستيين وغيرهم ، كانت هناك نواة قومية مصحوبة باتجاهات قومية متطرفة .

واذا عدنا مرة أخرى الى المشكلة، وهى لماذا لم يختف اليهود فى هذه الفترة ، فليس هناك بالطبع أى مبرر لاختفائهم فى تلك الفترة لانه لم يكن قد ظهر بعد ذلك التخصص الوظيفى ، فنحن نعرف جيدا أوضاع اليهود فى مصر فى المرحلة المتأغرقة بفضل أوراق البردى الاغريقية الوفيرة ، ويمكننا أن نعرف تماما مهنهم ، كانوا يحترفون كل المهن الممكنة والمتصورة فى فلسطين وكانوا فلاحين . وقد كتب فلافيوس جوزيف ، وهو مؤرخ يهودى عمل فى خدمة الرومان ، كتب يقول : « أما نحن فمن الفلاحين ولسنا موهوبين بشكل خاص فى التجارة كالاغريق » . وكثيرا ما كانوا أيضا من العسكريين ، وفضلا عن ذلك فلم يكونوا محبوبين فى مصر لهذا السبب ، خاصة فى بداية المرحلة الفارسية لانهم كانوا فى أغلب الاحوال جندا فى خدمة الفرس وكان للفرس أول امبراطورية آريية ، اندو ـ أوروبية ، ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن معاداة السامية نشأت آنذاك أولا كرد فعل ضد الغزاة الآريين ، ولم يكن هناك ما يدعو الى اختفائهم لانه لم يكن لديهم أى تخصص وظيفى ولان المجتمعين الاغريقى والرومانى كانا كما قيل فيما بعد ، من المجتمعات « المتعددة الملل » ، عاشت فيها مجموعات اثنيكية وعدة أديان مسموح بها جنبا الى جنب ، كان هناك اتجاه نحو الاندماج . وقد أخذ عدد كبير من اليهود بالعادات والتقاليد الاغريقية الى حد ما بالطبع ، مع بعض التحفظ والاخلاص للعقيدة اليهودية ، عند البعض وعدم الوفاء عند البعض الاخر ، وهناك حالة بالذات لدينا معلومات وفيرة عنها ، وهى حالة جوليوس تيبريوس الكسندر الذى كان محافظا للاسكندرية وابن أخ الفيلسوف اليهودى الكبير فيلون السكندرى ، أى أنه كان صهرا لاسرة هيرود ، وكان قد تخلى تماما عن الدين اليهودى وقمع عصيانا يهوديا فى الاسكندرية كما انضم الى جيش تيتوس أثناء الاستيلاء على أورشليم سنة ٧٠ ميلادية .

ونحن نعرف أيضا أنه يبدو أن اعقابه كانوا كهنة الاله جوبيتر أو اله مصرى ، لا أعلم بدقة ، ولذا لم يكن هناك سبب يدعو الى اختفاء الخصائص اليهودية ، شأنهم فى ذلك شأن السوريين والاقباط مثلا ، الذين حافظوا على وجودهم جزئيا بلغتهم السورية والقبطية وذلك بالرغم من موجة التأغرق التى سادت آنذاك ، ولكن ظروفا جديدة طرأت بعد ذلك ، مع انتصار المسيحية فى ظل حكم قسطنطين فى بداية القرن الرابع الميلادى ، وتكونت امبراطورية مسيحية ولم تكن هذه الامبراطورية شمولية اذا جاز لى استخدام هذا اللفظ ، كان اليهود يمثلون أقلية دينية ، بينما تحولت المسيحية الى دين للدولة . وطبقت نظم التفرقة على اليهود كما حدث بالنسبة للسامرائيين ، كانت هذه الايديولوجية قد انهزمت ولكن الامبراطورية المسيحية بذلت جهودا كبيرة للتنصير فى مواجهة الهرطقات من ناحية ، لانه كانت تنافس المسيحية بوصفها دينا للدولة . فعبادة وكان لابد من قمع هذه الانشقاقات والقاء أصحابها فى السجون وقتلهم ونفيهم فى المعسكرات ، كما حدث مثلا لنسطوريوس المسكين الذى أرسلوه الى الخارجة التى كانت تسمى آنذاك الواحة الكبرى ، هذا بالنسبة للهرطقات وفى مواجهة الاديان المعروفة مثل عبادة الاوثان ، ذلك أن عبادة الاوثان كانت تنافس المسيحية بوصفها دين للدولة . فعبادة الاوثان لا يمكن أن تمارس الا كطقوس متصلة بالدولة ، ولذلك فقد اتخذوا موقفا حاسما من عبادة الاوثان بمجرد منع القرابين العامة ، وقد أدينت عبادة الاوثان غير أن تقديم القرابين للالهة الخاصة استمر مدة من الزمن ، واختفت تماما عبادة الاوثان فى وقت قصير شأنها شأن الهرطقات المسيحية التى ووجهت بشراسة .

وأخيرا أصبح هناك نوع من سوء النية ازاءهم كان كل الاباطرة المسيحيين يقتفون أثر تقاليد الامبراطورية الرومانية والقانون الرومانى . الذى يبيح ممارسة العبادات المختلفة ، ولذا لم تبذل جهود منظمة وشاملة لانهاء وجودهم . وفى الشرق ، حدثت تقلبات فى ظل الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، ولن استرسل فى هذا المجال ولكن يكفى أن نقول انه فى عهد محمد نبى المسلمين ، كان اليهود ، فى السياسة العامة للشرق الاوسط ، عنصرا مواليا للفرس ضد الامبراطورية المسيحية البيزنطية ، وكانت دعوتهم الحماسية تسير فى هذه الفترة نحو اتجاهين ، كانت دعوتهم قد انتهت تقريبا فى أوروبا ولكنها سارت فى اتجاهين عبر التاريخ ، أحدهما فى الجزيرة العربية ، اذ لاقوا نجاحا كبيرا فى اليمن والجنوب العربى حيث قامت دولة يهودية ، وقد قامت حروب معقدة فى بداية القرن السادس الميلادى ، وظلت جزءا من التراث العربى مع الملك [ذونواس] الذى تستند اليه أعمال بطولية . وحدثت أيضا عودات مختلفة عندما غزت الحبشة المسيحية اليمن ، فعادت أسرة معروفة بتمسكها باليهودية وهى من قبيلة « يزن » بعد أن استعانت بالفرس ، وكانت تمثل الى حد ما القومية العربية فى اليمن آنذاك ، فى مواجهة الغزو الحبشى . وسيف بن ذى يزن أحد أبطال هذه القبيلة ، وقد نسجت حوله أساطير وروايات عن فروسيته ، سجلت فى عدة مجلدات ،

وهو من أسرة يهودية ، (أو أسرة اعتنقت اليهودية) . ومن جهة أخرى اشتدت الدعوة أيضا بعد ذلك بين القبائل التركية المغولية فى حوض نهر الفولجا . وتلك هى امبراطورية الخازار وكانت طبقتها الارستقراطية من اليهود . ولذا فلا يوجد اذن ما يمكن أن يؤدى الى اختفاء اليهودية او اليهودانية فى ظل الاسلام ، لم تبذل اى جهود ليغيروا دينهم وفقا للعقيدة الاسلامية ، ولن استرسل فى هذه المسألة التى تعرفونها خيرا منى وهذا غير مهم على أى حال بالنسبة لموضوعنا العام .

ظلت اليهودية ، الى جانب المسيحية ، ايديولوجية تعتنقها أقلية مهزومة . ولم يكن هناك بعد تخصص عند اليهود ، بل اتجاه فريق نحو عدد معين من المهن . فالاكراد مثلا لهم بعض المهن، فهم العتالون فى بيروت . وأعتقد أنه من الممكن ايراد أمثلة مصرية ، فاهالى مناطق معينة يميلون الى التخصص . ولكن كانت هناك على اى حال مجموعة كبيرة من الامكانيات بالنسبة لليهود . كان لليهودية فى العهد الاسلامى أهمية كبرى فى التاريخ اليهودى ، لان اليهود دخلوا فى منطقة تجارية كبيرة أوجدها الفتح الاسلامى وهى منطقة هائلة أقرب الى السوق المشتركة ، حدث من خلالها تبادل واسع النطاق فى القرون الوسطى ، وفى ظل ذلك الاقتصاد الديناميكى قام اليهود بدور كبير لاسباب واعتبارات مختلفة . وقد تحولوا فى هذه الفترة بالذات الى سكان مدن . كان اليهود فلاحين أساسا فى بابل بالعراق ، قبل ظهور الاسلام . وبعد الاسلام أصبحوا أساسا من سكان المدن ، ولكن يجب الا نلجأ الى التعميم ، فلا يزال هناك فلاحون من اليهود فى المغرب بالاخص ، ومن جهة أخرى كانت لهذه العناصر علاقات أيسر مع أوروبا اذ كان يوجد فى أوروبا اخوة لهم فى العقيدة . وقد تخصصوا فى التجارة مع أوروبا خلال مدة بسيطة ، ولكن اليونانيين والفورمانديين ، وبالاخص الايطاليين ، حلوا محلهم ابتداء من القرن الحادى عشر ، كان هذا التخصص مؤقتا للغاية ، وقد استفادوا من جهة أخرى من التوسع التجارى الاسلامى ، ويبدو أنه فى هذه الفترة تم مثلا انتقال جالية يهودية الى الصين حيث استقرت هناك .

ومن جهة أخرى كان المجتمع الاسلامى محتفظا بطابع المجتمعات الشرقية والمجتمعات الاغريقية ـ الرومانية وهو تعدد الجاليات ، اذ أن كل جالية كانت تتمتع فى ظل المجتمع المحكوم بعاهل مسلم ، باستقلالية شبه كاملة ، فعلى سبيل المثال ، كان من حق الحاخامات حتى عهد قريب ، فى بداية القرن العشرين ، أن ينزلوا العقوبات البدنية وأحكام السجن على اليهود المغاربة ، وتلك احدى الامتيازات التى ينفرد بها الملك أو الدولة ، وكانت هناك نظم خاصة مقننة للملل حتى فى ظل الامبراطورية العثمانية ، وكانت تسمى « نظام الملل » ، على ان هذه الجاليات الخاصة كانت متأثرة بالمجتمع السائد حولها ، أى مجتمع اللغة العربية والدين الاسلامى ، ومن الممكن ايراد الكثير من التفاصيل الطريفة بهذا الخصوص ، ولكنى افضل ان اتكلم عن أشياء أهم بالنسبة لموضوعنا ، فقد استمرت هذه العملية ولم تنته بعد ، فلايزال يوجد فى لبنان مثلا المجتمع الطائفى بشكله الواضح ، وفى أوروبا أيضا ، قبل الحروب الصليبية ، وأنا أعود مرة أخرى الى أوروبا لان ذلك أهم بالنسبة لنا ، اذ ان المشكلة اليهودية فى شكلها الحالى نشأت هناك ، يجب ان نعرف أن الدراسات الحديثة أثبتت ان اليهود فى اوروبا كانوا قد امتزجوا بالاخرين قبل الحروب الصليبية ، ولم تكن هناك « جيتوهات » ولا أحياء مخصصة لهم ، فقد جاء هذا الاختراع فى أواخر القرون الوسطى ، وكان اليهود يقدمون فرقا عسكرية جنبا الى جنب مع المسيحيين ، وكانت لديهم أملاك عقارية جنبا الى جنب مع المسيحيين ، وقد بذلت الكنيسة المسيحية بالتأكيد جهودا لفرض أنواع من التفرقة بالنسبة لبعض المسائل ، فكان من دواعى سخطها مثلا أن يكون لدى سيد يهودى عبيد مسيحيون أو اماء مسيحيات ، وقد اتخذت مجامع الاساقفة مراسيم بهذا الخصوص ولكنها لم تطبق تماما بصفة عامة ، ولم تبذل جهود متواصلة وفى كل مكان فى آن واحد من أجل اجبارهم على اعتناق المسيحية ، ولم تتم مثل هذه الجهود الكبيرة الا فى اسبانيا فى ظل الفيزيجوت وقبل الفتح العربى فى القرنين السادس والسابع ، اذ بذلت بالفعل جهود حقيقية للتنصير الشامل أعقبتها معاداة حقيقية للسامية ، وتفرقة ضد اليهود الذين اجبروا على اعتناق المسيحية ، وكان هناك شك بالطبع فى صدقهم ، ولذا فقد استمرت ضدهم أعمال التمييز والتفرقة ، على أن ذلك لم تكن له أهمية كبيرة لانه لم يستمر سوى وقت قصير ، كما أن اسبانيا الفيزيجوت كانت تقف وحدها فلجأ الكثيرون من اليهود الذين ارادوا الحفاظ على دينهم الى بلاد الغال حيث كانت لا تتخذ ضدهم اجراءات تفرقة حتى فى المنطقة الغالية من مملكة الفيزيجوت بناربون . فهناك اسباب لانزال نجهلها كانت تمنع هذه التفرقة فى تلك المنطقة وفى دويلات البابا . الخ وبعد التخلى عن هذه القوانين عاد اليهود عموما الى اسبانيا ، ومما يفسر لنا على أى حال تأييد يهود اسبانيا بصفة عامة للفتح العربى ، وكما شرحت لكم اول أمس ، تغير الوضع فى اوروبا بعد الحروب الصليبية ذلك أن جهودا كبيرة بذلت من أجل تحقيق الوحدة الفكرية حول البابا ، واتجهت المعارك ضد الكفرة والمقصود بهم المسلمون . ولكن المسلمين على بعد واليهود أقرب منالا ومكافحتهم أيسر ، وهكذا بدأت بعض الفرق

غير المنظمة والمندفعة نحو فلسطين ، بقتل اليهود ، حيثما تواجدوا على ضفاف نهر الراين ، مما أدى بهذه المناسبة الى حدوث هجرة من يهود المانيا الغربية نحو أوروبا الشرقية ، نحو بولندا وروسيا ، وهذا يفسر لنا لماذا يتكلم اليهود فى البلاد السلافية لهجة جرمانية غربية ؛ ولكنهم لم يهاجروا كلهم بالطبع ، ذلك أن المذابح لم تعم لحسن الحظ ، وتزايدت التفرقة وقد فرض عليهم مثلا لبس قبعة خاصة مخروطية ومدببة ، وكانوا فى حماية الكنيسة بصفة عامة وفى رعاية الملوك لاعتبارات مصلحية ، وقد دفعهم الملوك الى التخصص فى الاقراض نظير فائدة والى الربا لاعتبارات خاصة للغـــاية ، فاليهـــود لم يكونوا يتمتعون ، مثل المسيحيين ، برعاية المجتمع الاقطاعى ، فالتعرض للمسيحى ينجم عنه العديد من المشاكل ، وكان هناك ولاة وموالى .. الخ . أما التعرض ليهودى فأمر أيسر . وتخصص اليهودى فى المســـائل المـــاليـــة ، وفى الاقـــراض بالربا وجبــــاية الضرائب يســـمح للملك بمصـــادرة جـــزء من أموالهم أو كلها كمصدر للدخل ، ومن المعروف أن ملوك هذه المرحلة كانوا يعانون دائما من الافلاس ، وكانت تلك على أى حال احدى وسائل الحصول على نقود ، ومما يدل على أنه لم يكن هناك جوهر تاريخى فى اسبانيا أنه حدث بها افراط فى التسامح لاسبـــاب تاريخية . ذلك أن الممالك المسيحية التى حلت محل الممالك الاسلامية لم يكن فى مقدورها أن تدفع المسلمين واليهود هناك الى اعتناق المسيحية دفعة واحدة ، ولذا فقد اتبعوا النظام الاسلامى الخاص بتعدد الملل ، وهناك ملك ، اعتقد أنه بطرس القاسى ، ملك قشطالة ، كتب على مقبرته : « ملك الاديان الثلاثة » . ولم يدم ذلك طويلا . وكما تعلمون فقد استمر هذا الوضع حوالى قرنين من الزمن ، وكان يهود اسبانيا بشكل خاص احرارا ومزدهرين . ويجب أن نلاحظ أن الهبات المعادية للسامية واليهود كانت فى ذلك الوقت هبات شعبية ، على غرار ما يحدث حاليا فى أمريكا مثلا . فأكثر الناس ميلا الى العنصرية ضد الزنوج ، البيض المتواضعون ، أى البيض الذين لايتمتعون بأى ميزة اخرى سوى كونهم من البيض . فأصحاب الملايين لا يهمهم ان يتولى هذا الزنجى او ذاك منصبا . فهم أرفع شأنا على أى حال بل يمكنهم أن يقبلوا ان يكون من بينهم مليونير او مليونيران من الزنوج . أما فقراء البيض الذين لا يتمتعون بأى تفوق سوى بياض بشرتهم ، فانهم اكثر عنصرية ؛ وفى الجزائر ايضا ، كان الفرنسيون المتواضعون فى الواقع اكثر الناس اعتراضا على المساواة مع العرب ، وقد حدث ذلك فى كثير من المجتمعات ، بل ان بعض المظاهرات المعادية لليهود فى القرون الوسطى كانت موجهة ضد الامتيازات التى منحها الملوك لليهود ، وهناك قصيدة مصرية شهيرة من عهد الفاطميين تقول مامعناه اذا كنت تريدان تتقدم فلتتحول الى اليهودية ، فالسماء نفســـها يهودية ، انها قصيدة عربية ، كان هناك ردفعل من جانب فقراء المسلمين الذين كان مصدر تفوقهم الوحيد هو انتماؤهم للعقيدة الصحيحة . وبالطبع كان هؤلاء أكثر الناس استبسالا فى المطالبة بأن تكون الاقليات محددة تماما فى اطار اوضـــاعها كأقليات .

وكالعـــــادة كان بعض الملوك والبـــاباوات والسلاطين يستجيبون أحيانا للضغط الشعبى ثم يعودون مرة اخرى لسيرتهم الاولى . وفيما يختص بأوروبا ، كانت هناك دفعات شعبية ، خاصة وأن اليهود كانوا يقرضون النقود فى هذه المرحلة المتأخرة من القرون الوسطى ، كان ذلك هو وضع عدد كبير من اليهود . وكانت أعدادهم كبيرة بين المقرضين ، ولذا كان الضغط الشعبى يفرض على الملوك والحكام طرد اليهود . وقد حل محلهم مسيحيون . وقام اللومبار بدورهم التقليدى فى انجلترا وكذلك الكاهوريون (اهالى كاهور) فى فرنسا . ولم تكن أعمال الطرد هذه شاملة ، ، كان اليهود المطرودون من بلد يلجأون الى بلد آخر ثم يعودون مرة أخرى ، أعتقد اننا نستطيع ان نقول ان الدولة كانت بصفة عامة ضعيفة فى هذه المرحلة خاصة فى القرون الوسطى ، فلم يسمح ابدا تفتت المجتمع باتخاذ اجراءات منتظمة ؛ ولعل هذا كان افضل على أى حال ، ومن جهة أخرى اشتد بالطبع الاتجاه نحو دمج اليهود باعتناقهم المسيحية ، وذلك عن طريق أعمال الاضطهاد وعن طريق الاتجاه الارادى ايضا والرغبة فى الاندماج ، واذا نظرنا الى تاريخ اليهود فى انجلترا ، ، ولدينا كتب جيدة بهذا الخصوص ، لاتضح لنا أنهم طردوا فى القرن الرابع عشر تقريبا ولكنهم عادوا فى القرن السادس او السابع عشر على ما اظن . وكان عددهم كبيرا نسبيا فى القرن السابع عشر . وقد اندمجوا شيئا فشيئا فى المجتمع الانجليـــزى وازدهرت أحوالهم حتى أن بعضهم اصبح من كبار الأثرياء ، وقد اعتنقوا المسيحية ووجدوا أنه من الافضل لهم أن يسايروا التقاليد المسيحية العامة .

وهكذا أصبحت المعابد مهجورة ، ولم يعد هناك أناس لاجراء عمليات الختان والذبح وفقا للطقوس اليهودية .. الخ . وفجأة ، جاء يهود من روسيا وأوكرانيا بسبب الاضطهاد الذى لاقوه لتمسكهم بدينهم وبنظامهم الطائفى .. وبمجرد وصولهم الى انجلترا أبدوا سخطهم على يهود انجلترا القدامى الذين اندمـ[illegible] وا فى المجتمع الانجليزى وراحوا ينظرون اليهم من عل . أما هم فكانوا الاصلاء

الطيبين فراحوا يترددون على المعابد ؟ وبعد جيلين او ثلاثة استؤنفت عملية الاندماج من جديد ولم يعد هناك أناس يتولون الذبح وفقا للطقوس ، وجاءت بعد ذلك موجة أخرى من الاضطهاد ، وقد حدث ذلك في فرنسا أيضا • كان هناك عدد كبير من المعابد المهجورة وكان اليهود المواظبون على أداء الشعائر يعانون من مشكلة العثور على آخرين يمارسون معهم الشعائر ، ثم جاءت موجة يهود الجزائر عام ١٩٦٢ فامتلأت المعـابد .. الخ . وهكذا تواجد منجديد الكثيرون من اليهود الطيبين ، وعندما أقرأ بين آن وآخر جرائد يهود الجزائر ، احد شكاوى تتعلق باحجام الشباب عن التردد على المعابد وتفضيلهم الذهاب الى المراقص بدلا من حضور الاحتفـالات .. الخ . وانا افرك يدى باغتباط ، قد يصفه البعض بأنه اغتباط شيطاني ، وأقول بيني وبين نفسى ، حسنا ! خلال جيلين او ثلاثة سيندمج هؤلاء • وعلى كل فقد حدث ذلك فى انجلترا • وهناك عملية اعادة تشكيل مستمرة من خلال الهجرة من البلاد التى حافظت على نظامها الطائفى ، وبالاضافة الى ذلك كانت هناك بعض البلاد المتسامحة ، ومنها البلاد البروتستانتية من جهة ، مثل هولاندا ، والبلاد الكاثوليكية ، فى أملاك البابا حيث كانوا صارمين بالاخص مع الذين اعتنقوا المسيحية وارادوا أن يعودوا الى اليهودية مرة أخرى ، سواء بالقوة او حتى من جراء الضغط الاجتماعى ، أما اليهود الحقيقيون الذين لم يتخلوا أبدا عن دينهم فكانوا أحرارا تماما • ثم جاءت الثورة الفرنسية وجعلت العقيدة مسألة شخصية ، وبناء عليه اشتد الاتجاه نحو الانـدماج او الانصهار الكامل باعتناق المسيحية او بالاندماج الجزئى ، بأن اصبحت اليهودية عقيدة من بين العقائد ، ولذا كان من المعتقد ان اليهودية ستختفى من فرنسا وانجلترا بالاخص فـى سـنوات ١٨٧٠ — ١٨٨٠ ، غير ان حركة جديدة ظهرت فى هذه الفترة ، حوالى عام ١٨٨٠ فى شكل معاداة السامية السياسية الحديثة ، وقد انطلقت هذه الحركة لاعتبارات خاصـة فى المانيا وروسـيا وامتدت بسرعة ، ولا يتوفر لدى الوقت الان لشرح ذلك بالتفصيل فقد تخطيت الوقت • لماذا ظهرت معاداة السامية ؟ لان اليهود يكونـون عنصرا خارجا على الهياكل الاقطاعية القديمة والهياكل العقارية القديمة ، يتوغل الى أقصى درجة فى الاقتصاد الرأسمالى الجديد • هذا من وجهة النظر الاقتصـادية ، وبالنسـبة للايديولوجيات الليبرالية والاشـتراكية ، كان اليهـود فى أغلب الاحوال اجانب بسبب الهجرة ، ولذا فانهم يصبحون كبش فداء سهل المنال بالنسبة للمتمسكين بالانماط الاجتماعية القديمة وبالارستقراطية وبـالاقتصاد الزراعى ، وبالنسبة لكل الذين يعانون التغيرات الاجتماعية وذلك دون ان يتجهوا نحو الحلول الثورية ، وهذا شائع بين البورجوازية الصغيرة بوجه خاص حسب الجملة الشهيرة التى قالها انجلز على ما أعتقد « اشتراكية البلهاء » •

ماهى ردود فعل اليهود ازاء ذلك ، هنا ندخل حقا فى مسائل اقرب الينا ، يمكن اختصار ردود الفعل اليهودية الى أربع :

— هناك أولا ردود الفعل الفردية بأن يعتنق الشخص دين آخر ، واذا لم يكف ذلك ، فانه يندمج تماما بل ويتخذ لنفسه اسما آخر لكى يمحو تماما أى أثر لاصله اليهودى ، ووفقا للاسلوب الذى أشرت اليه من قبل ، اتبع هذا النظام فى مرحلة التاغرق حيث كان كل من يسمى عيسى يسمى نفسه عيسون مثلا ، وقد تكرر ذلك ايضا عندما تحول كل من يطلق عليهم اسم موسى الى اسم موريس • وتلك حلول فردية مفهومة ولكنها لا يمكن الا ان تكون فردية بالطبع ، وهى غير مأمونة بالطبع اذ انه تأتى احيانا لحظات ، كما حدث مع معاداة السامية الهتلرية ، يتم فيها التنقيب عن الاصول البعيدة •

— والحل الثانى هو المشاركة فى الحركات الليبرالية أو الاشتراكية لتغيير المجتمع ، على أساس ان ذلك التغيير سيحقق الخلاص من معاداة السامية ، ولذا فقد اختار عدد من اليهود المشاركة مع الاخرين فى تلك الحركات الليبرالية من جانب والاشتراكية من جانب آخر ، وهناك مشاهير فى هذا المجال مثل تروتسكى وروزا لكسمبرج . الخ . بل يمكننا لن نقول ايضا ماركس ، اذا شئنا ، لانه كان ابنا ليهودى اعتنق البروتستانتية وكان يهوديا بالمفهوم الهتلرى والمفهوم الصـــهيونى للكلمة ، كما تردد كثيرا وأدى الى ارتفاع الصيحات الصاخبة فى فرنسا •

— والحل الثالث هو القومية الاقليمية ومثال ذلك اليهود المتكلمون بلغة اليديش فى أوروبا الشرقية الذين كانو يطالبون مثلا بالاستقلال الثقافى أى ان يكون كل يهود الامبراطورية الروسية هيئة خاصة لها حق انتخاب جالية وممثلين لها •• الخ ، أى يطالبون بنظام طائفى مع كل أنواع الاختلافات تقريبا ، على غرار النظام المتبع فى العـالم الاسلامى •

الشكل : هناك عدة أشكال من القـومية الاقليمية ، منها الشكل الاشتراكى المعروف وهو الحزب الاشتراكى الديمقراطى اليهودى المسمى البوند ، وكانت نهاية المطاف لهذه الحركة ، وذلك أمر غريب ، الحل السوفيتى الذى سأتكلم عنه بعد قليل •

— رابعا : ظهرت القومية الشاملة التى تجمع كل اليهود بهدف خلق قومية يهودية لها أرضـها الخاصة وهذا مايسمى الصهيونية ابتداء مـن

مرحلة معينة • وقد اتخذ هذا الاتجاه أشكالا مختلفة ابتداء من اقصى اليسار الى اقصى اليمين ، بما فى ذلك الاشكال الاشتراكية المقصورة مع ذلك على الامة اليهودية المتوقعة ، وكما تعلمون فقد اتجهت هذه الحركة القومية بمطالبها نحو فلسطين العربية ، ولنلاحظ بالمناسبة ، ان كل ذلك ادى الى الحفاظ على الشخصية اليهودية التى كانت فى طريقها الى الاختفاء والتصفية •

وأخيرا ، ولكى نصل الى الختام ، اليس وضع اليهود فى الوسط الاوروبى ، وضعا غير طبيعى ؟ لقد خلقت فى الواقع معاداه السامية والقومية اليهودية معا ، فئة غير طبيعية فئة مشتركة بين اناس لا يوجد أى شىء مشترك بينهم سوى اصول واحدة وتسلسل مشترك فى النسب ووضع مشترك الى حد ما وان كان فى طريقه الى الزوال • وهكذا دعم ذلك الاتجاه ولم تكن هناك أرض مشتركة سوى الارض التى يتعين أخذها من الغير • ولم تكن هناك ثقافة مشتركة سوى بعض التقاليد الدينية المحصورة شيئا فشيئا بين جماعات محدودة والمتجهة بالاخص نحو اتخاذ طابع لا يمت بصلة الى القومية ، بل طابع دينى صرف وايديولوجى خاص ، كانت هناك ثقافات اقليمية ، ان لم تكن ثقافات فى طريقها الى الانصهار مع الثقافة الشاملة ، فلسفة اليديش تتداعى فى كل البلاد باستثناء الولايات المتحدة ، ومع ذلك فهى تتدهور هناك ايضا ، بل أنى رايت مشهدا محزنا عندما ذهبت ذات مرة الى المكتبة اليديشية فى باريس • وقد اقامها أحد البونديين (٥) ، زرت المكتبة وبها عدد لا بأس به من الكتب ، ولكن لم يكن هناك أحد يقرأ سواى أنا ، فقد ذهبت للتحقق من مرجع الى كتاب ومع أنى لا أكاد اعرف لغة اليديش ، الا أنى أستطيع أن أقرأها لانى ملم باللغة الالمانية وأعرف الحروف العبرية ، وعندما يعرف الانسان اللغة الالمانية والحروف العبرية فانه يستطيع ان يقرأ بالتقريب الاشياء غير الصعبة ، وكنت الوحيد المتردد فى هذه الليلة على المكتبة ، ويبدو لى ان تلك هى الحالة العامة •

فالوضع غير طبيعى اذن ، وأود أن أكلمكم عن عدم جدوى وخطورة الحلول القومية بالنسبة لليهود ، مادمنا بصدد الحكم على مختلف الحلول • فالخطر واضح بالنسبة للعرب ولا داعى ان اقدم لكم محاضرة بهذا الصدد فأنتم تدركون ذلك بما فيه الكفاية . أما بالنسبة لليهودية فان :

١ — القومية على النطاق الاقليمى او على نطاق الجالية حل مفهوم الى حد ما وان كان يعرقل الاتجاه نحو الاندماج • وهو ليس حلا نهائيا نظرا لتشتت اليهود • وفى الواقع فان ايجاد ارض مشتركة لهم أمر شبه مستحيل ، حتى فى الاتحاد السوفيتى حيث اعتبر اليهود قومية ، وقد حاولوا اعطاءهم ارضا خاصة فى اقليم مستقل وهو اقليم بيرو بيجان على الحدود المنغولية ، ولم يتحقق ذلك بشكل موات لاستقبال هجره واسعة من اليهود السوفييت ، وهذا اقل ما يمكن ان يقال بهذا الصدد ، ومن جانب آخر ، حتى لو ان هذا الاجراء تم بشكل افضل ، فمن المؤكد ان الغالبية العظمى من اليهود لم تكن لتذهب الى هناك الا اذا نقلت عنوة ومن هنا فان ذلك الحل يبقى على حالات التوتر غير المجدية بل والمضرة بين الجماعات التى كانت ستتجه لولا ذلك ، نحو التصفية والاندماج • ويتضح ذلك بالاخص مع تفاقم الاوضاع بسبب الصهيونية •

ويتعين على أن أقول ، على أى حال ، بعض الكلمات حول الشكل الامريكى الذى اشرت اليه منذ قليل • فاليهود فى أمريكا يكونون فى الواقع ما يشبه «فرع لقومية» Sous - Nation ، ذلك ان المجتمع الامريكى مجتمع متعدد الجاليات • وقد يكون ذلك حلا ولكنه يخلق توترات داخلية خطيرة على حساب الوحدة الوطنية الامريكية ، ولا شك ان الوحدة الوطنية الامريكية لا تعنينى فى شىء ولكن بالنسبة للوحدة الوطنية الفرنسية فان ذلك يضايقنى كثيرا ، وهو يتم على حساب الكفاح المشترك لقومية ما ، وعلى حساب الكفاح المشترك للطبقات او الجماعات فى قومية معينة ، انه يخلق توترات غير مجدية ومضرة كما تتضح لنا آثارها على أى حال فى الولايات المتحدة ، وفى فرنسا وصلت الوحدة الوطنية الى قمتها منذ قرون من الزمن سواء عن طريق ملوك فرنسا أو عن طريق الثورات الفرنسية • وتؤدى الجالية اليهودية الوافدة من الجزائر الى نفس الاتجاه الى حد ما • فهم يميلون الى التفكير كجالية بمفاهيم الشرق الاوسط ، وعندما يكون الشخص يهوديا ويدافع عن اليهود ، وهذا كل ما فى الامر ، وهو سهل الحدوث ، ولكننى أرى أن ادخال هذا المفهوم امر شديد الخطورة لانه اذا بدأ الامر على هذا النحو فقد ينتهى بشكل سىء للغاية ، وقد يسير فى نفس الاتجاه أصحاب دين آخر ، بابتكارهم أى اصل اتنيكى ، مما يؤدى الى تفتيت الامة الفرنسية واعتقد ان ذلك أمر مؤسف •

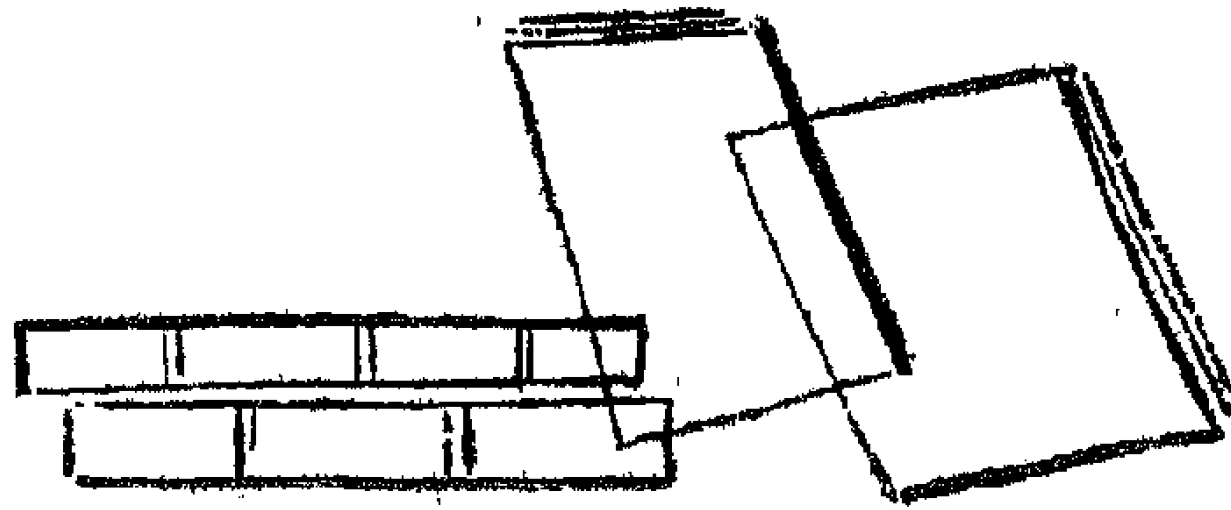
(٥) نسبة الى حرب البوند الذى جاء ذكره من قبل •

أما الخطر الذى أطلقت عليه تسمية «القومية الشاملة» وهو الصهيونية بالنسبة لليهود ، فقد تعودت على الدخول فى مجادلات بخصوصه ، وكثيرا ما يقول الصهيونيون : «ولكن لماذا لا نكون كالاخرين؟ انكم تؤيدون أو على الاقل تتفهمون القومية العربية والقومية الباكستانية والهندية أو أى قومية أخرى • ولكن لماذا لا تكون هناك أيضا قومية يهودية ؟ » • وأنا لا أرد عليهم قائلا أنتم قذرون بل أحاول أن اتفهم كل حجة وأنا أزنها • لم لا ؟ ، ذلك ان هناك مخاطر شديدة بالطبع منوجهة نظر اليهود ، انهم يخلقون قومية مصطنعة بعناصر مأخوذة من نواحى مختلفة ، وهذا غير مستحيل على وجه الاطلاق • فلدينا مثل الولايات المتحدة التى تكونت بالشكل المختار ، وقد تم ذلك على حساب شعب آخر وهو الشعب العربى ،وبالتالى لا يمكن الا ان يثور عداء الشعب العربى ، ولكن حتى فى أحسن الاحوال بالنسبة للصهيونيين ، أى حتى لو افترضنا التوصل الى اتفاق عربى مع اقامة الشعب العربى فى فلسطين ، فان الاغلبية لن تذهب الى اسرائيل • وهذا واضح تماما وسيؤدى الى عملية « الاحياء » التى تكلمنا عنها بالامس بالنسبة للخصائص التى كانت فى سبيلها الى الزوال ، وسيحدث نفس الشىء ، كما هو الحال بالنسبة للقومية الاقليمية : حالات توتر وارتباط وثيق بسياسة محددة لدولة تقع فى الشرق الاوسط • وحتى لو افترضنا أن سياسة هذه الدولة أصبحت اقل مثارا للنقد ، فلابد على أى حال ان يحدد اليهودى موقفه بالنسبة لهذه السياسة ،وسنحاول الوقوف بقدر الامكان ضد ذلك وعندئذ ستحدث معارك فى باريس بين اليهود والعرب وبين الفرنسيين من أصل يهودى والفرنسيين من أصل عربى، وستحدث معارك أيضا فى نيويورك بين الامريكيين من أصل باكستانى ومن أصل هندى • الخ • واذا قامت حرب بين اليابان والصين نشبت معارك بين الامريكيين من أصل يابانى والامريكيين من أصل صينى وعددهم كبير ، واعتقد على أى حال أن المسألة نوقشت كثيرا ، مسألة الانتماء المزدوج والولاء لدولتين مختلفتين فهى تخلق أوضاعا شديدة التعقيد يحسن أن نتفاداها • فسيضطر اليهود الى تحديد شخصيتهم بالنسبة لذلك الوضع حتى ولو اتخذوا موقفا معاديا للصهيونية انهم يحددون بذلك موقفهم من سياسة دولة بعيدة لا يملكون أى اشراف عليها • وعلى كل فقد أكدت التجربة ذلك لان أغلبية اليهود كانت ضد الصهيونية فى بداية الامر وكانت ضد اقامة دولة يهودية • ولكن عندما أقام فريق منهم دولة يهودية طالب الاخرين بمساندة هذه الدولة مع أنهم كانوا ضد اقامتها فى بداية الامر • وهذا بالطبع أمر غير طبيعى ، اذ تصبح مسئوليتنا مشتركة بالنسبة لتصرفات سياسية لا نمارس أى اشراف عليها ، وبالطبع هناك حد أدنى من التضامن ، وهذا مؤكد ، على المستوى الاجتماعى العام وتلك واقعة اجتماعية تتم • ومن المتوقع أن تتكون كتلة يهودية بناء على أوضاع واحداث بعيدة ، مما تترتب عليه آثار ثانوية مؤسفة لا تمسنى أنا شخصيا بشكل مباشر ، لان الدين اليهودى الذى يتردد كما سبق أن قلت لكم بين القطب العالمى والقطب الاتنيكى أصبح يتجه الان مباشرة نحو قطب الديانة الاتنيكية • وانى أرى ان ذلك أمر مؤسف بالنسبة للديانة اليهودية ولكنه أمر يخص المتدينين على أى حال، وهذا ليس وضعى أنا •• وقد دعمت هذه الحركة معاداة السامية وغذتها بوضوح بحجج تستند اليها ، وقد رأينا أمثلة مؤسفة لذلك فى الاتحاد السوفيتى وفى بولندا على وجه الخصوص •

هل هذا حل ؟ •• مادمنا بصدد التعرض للحلول ؟ لقد سبق أن تعرضت لتغيير المجتمع •• فهل هذا حل ؟ • اعتقد شخصيا ان ذلك يمثل حلا كاتجاه ، ولكن يجب أن ندرك أنه لا الديمقراطية السياسية ولا الاقتصاد الاشتراكى يكفيان فى حد ذاتهما ،انهما ضروريان ،ولكنهما لا يكفيان على أى حال ، كذلك أيضا فان الايديولوجيات الانسانية أو الدينية لا تكفى لوقف مثل هذه العداوات ، وحتى نتوصل الى حلول لهذه المشكلة • فقد أثبتت التجربة أنه حتى بعد انتصار الديمقراطية السياسية أو الاقتصاد الاشتراكى ، فانه تظل مع ذلك رواسب وصراعات من النوع الاتنيكى • وقد عثرت للذين لا يصدقون ذلك ، على نص بديع للينين يقول نفس الشىء ، وربما دفعهم ذلك الى الالتفات لوجهة النظر هذه • وقد ذكرت هذا النص وأنا مستعد لان أذكر لهم المرجع اذا أرادوا • كان لينين يقول : عندما نقيم المجتمع الاشتراكى (كان ذلك قبل عام ١٩١٧) فانه لن يؤدى الى تحول البروليتاريا الى قديس على حد تعبيره ، وأيا كانت الاحوال فستبقى أشياء كثيرة ، يجب اقامة المجتمع الاشتراكى ولكن لابد من كفاح متواصل من أجل ديمقراطية أكمل ومن أجل مساواة أشمل ومن أجل أخوة أشمل • وينسى الماركسيون هذه الفقرة فى أغلب الاحوال ولا يحرصون على ابرازها بالرغم من وجودها ، وأنا ، بالمناسبة ، لا أتفق دائما مع لينين ولكنى أؤيده فيما سبق ، يجب أن نكافح اذن على كل المستويات من أجل مجتمع ديمقراطى تماما ، وحتى فى النظام الاشتراكى تظل هناك مشاكل سياسية ورواسب اجتماعية الى جانب الرواسب الاتنيكية ، فهناك فئات ، ولا أقول طبقات اذا كان هذا الاصطلاح يثير تقزز البعض ، هناك فئات يمكنها أن تسهل الاتجاه نحو رواسب أخرى • ومع ذلك فهذا هو الطريق الوحيد أمامنا فى مواجهة المخاطر الشديدة للنزعات القومية اليهودية ، يجب مواصلة الاندماج بأكبر قدر ممكن

وبالاخص عن طريق الزواج المختلط وتفادي البعث المصطنع للخصائص التي في طريقها الى الزوال • يجب على الذين يعتنقون الدين اليهودي لا لاسباب قومية ، ولكن لدوافع دينية حقيقية ، أن يواصلوا طريقهم • فأنا احترمهم تماما ، واطالب باحترام حقهم الكامل في تناول الخبز غير المخمر في عيد الخروج من مصر • ولنصنع لهم هذا الخبز اذا أرادوا ذلك وليترددوا على المعابد ولنطبع لهم كتب الصلوات فأنا من أنصار الحرية الدينية الكاملة في كل أرجاء العالم ، ولكن يجب أن نحذر مرة أخرى وأنا أكرر ذلك ، ولن أكف عن تكراره في الاوساط العربية : ان القضية ليست قضية دينية ، فاليهود الحاليون في أوروبا لا يؤلفون طائفة دينية وكذلك أيضا لا يكون الاسرائيليون طائفة دينية ، وهناك نتائج كثيرة ترتبت على ذلك • وبناء عليه فأنا لا أعترض أبدا على استمرار الدين اليهودي بالنسبة لمن يريدون الانتماء اليه ، ولا اعترض ايضا على حرص البعض على الحفاظ على التراث اليهودي • ولكني لا أقر القول : «أنا فخور بأني يهودي» كما قال لي اشتراكي يهودي من باريس وهو الاستاذ بلوميل ، الذي قال لي ذلك في معرض أخذه على الكلام عن بعض التفاصيل المتعلقة بتسلسل الانساب ، أنا لا أجد ما يدعو الى الفخر بذلك ، وهذا التعيين القومي سخيف للغاية ، ذلك أني لم أرتكب ذنبا لاني ولدت يهوديا ، أو لانك ولدت فرنسيا او عربيا او تركيا او صينيا ... الخ . لامجال للفخر بشيء لم نصنعه بأنفسنا . ولكن من جهة أخرى فاني لا أخجل من التراث اليهودي ، فهو يتضمن تقاليد من كل نوع بعضها رائع وجميل للغاية والبعض الاخر يقل اعجابي به • وأنا اختار ، فالثقافة اليهودية تعنيني ولكني درست الثقافة العربية لاعتبارات مهنية وميلي نحو ذلك الاتجاه ، ولكني لا أعارض دراسة الثقافة اليهودية ولدي على أي حال بعض المعلومات عنها ، وهكذا يتبين لكم أن الوضع صعب للغاية • فما العمل ؟ هناك يهود يشكون بمرارة ويقولون نحن في الواقع في أسوأ وضع ، وهذا أمر فظيع • اعتقد أن هناك جانبا كبيرا من الايمان الذاتي في هذا الخصوص ، وهذا أمر مؤسف وأنا اتفهمه • فقد قتل الالمان أبي وأمي لا لسبب سوى كونهما من اصل يهودي ، ولا استطيع ان ادعي ان هذا الوضع يدعو للاغتباط ، وكذلك أيضا فان الوضع الذي يفرضه الصهيونيون ازاء أصدقائي العرب لا يدعو هو ايضا للاغتباط ، ولكن هناك اوضاعا كثيرة من هذا النوع في انحاء العالم فهو ليس حالة فريدة ، لقد عاني الكاثوليك الانجليز التفرقة طوال عدة قرون ، كانوا مجبرين على حضور الاحتفال السنوي بذكرى اضطهاد الكاثوليك والانتصار على مؤامرتهم ، كانوا محرومين من حق الانتخاب حتى بداية القرن التاسع عشر •• الخ • اذن ما العمل ؟ لقد انتهت هذه الاشياء ويجب أن نكافحها وهذا ما يمكن أن نفعله •

أنا آسف .. لقد أطلت كثيرا في حديثي ، ولكني كنت حريصا على أي حال على ان أقول لكم كل ذلك [..]



تقارير الشهر

- مناورة امريكية للاحتفاظ بالوضع القائم ٠
- اليمين المسلح و « سياسة حافة الهاوية » في لبنان ٠
- المهرجان الاول للافلام التسجيلية المصرية ٠
- ماذا وراء مؤامرة السودان ؟ رسالة من الخرطوم

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

لجنة المواطنين من اجل المعركة

عقدت « **اللجنة العامة للمواطنين من اجل المعركة** » سلسلة من الاجتماعات، لمناقشة خطة عملها ، على ضوء التوجيهات التى تضمنها خطاب الرئيس عبد الناصر فى لقائه مع اللجنة والمناقشات التى دارت بين اعضاء اللجنة ، والتقارير التى أعدها عدد من الاعضاء ، حول تصورهم لاسلوب قيام اللجنة بعملها ٠

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد أصدر قرارا جمهوريا بتشكيل « **اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة** » من ٧١ عضوا ، من بينهم وزير واحد ، وهو رئيس اللجنة السيد حافظ بدوى وزير الشئون الاجتماعية ، و ٢٨ عضوا اختيروا بحكم مناصبهم ، و ٤١ عضوا من الشخصيات العامة ٠

وتضم اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة ، خمس سيدات ، وممثلين للعمال والفلاحين ، واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، و ١٩ عضوا من مجلس الامة ، وخمسة من ممثلى النقابات المهنية ، ومديرى الجامعات الخمس ، ورؤساء اتحادات الطلبة بها ، وثلاثة محافظين ، وممثلين عن الصحافة ، وممثلى ٥ هيئات دينية ، [اسلامية ومسيحية) ، واثنين يمثلان وزارة الحربية ، واثنين يمثلان وزارة الداخلية ، وممثلا لوزارة الارشاد القومى ٠.

وفى لقاء الرئيس عبد الناصر مع أعضاء اللجنة ، طرح امامهم عرضا شاملا لابعاد المعركة، التى يخوضها شعبنا المصرى وشعوبنا العربية ، وحذر من الوقوع فى خطأ تصور أننا نواجه اسرائيل وحدها ، فالمخطط الذى نواجهه أوسع من مقدرة ٢٫٥ مليون اسرائيلى ، وأوسع من حركة الصهيونية العالمية ودعاواها ومواردها ٠

وشرح الرئيس فى كلمته ، دور الولايات المتحدة الامريكية ، والوقائع التى تؤكد منذ عام ٦٧ دخولها أمام الامة العربية ، فى سلم التصاعد العسكرى ، وتمييعها لقضية العدوان ، والدعم الدائم لاسرائيل بالسلاح ، وامدادها بطائرات الفانتوم ٠

وحدد الرئيس في خطابه خمس حقائق اساسية:

١ - أن المعركة حاسمة بالنسبة لنا .

٢ - لا بديل لنا عن خوض هذه المعركة كضرورة حياة ومستقبل

٣ - لا سبيل أمامنا الا أن ننتصر بما يمنع العدوان من تحقيق هدفه .

٤ - أن المعركة عنيفة ومدى الصراع فيها واسع .

٥ - أن المعركة طويلة ، لان القوى التي تخوضها ضدنا تملك وسائل الاستمرار ولن تيأس بسرعة .

وعلى ضوء هذه الحقائق ، التي طرحها الرئيس أمام اللجنة ، خاطب سيادته أعضاء اللجنة في مسئوليات « **اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة** » قائلا لهم : « على ارضية هذه الحقائق الاساسية يجيء دوركم وواجبكم في أن تبذلوا كل ما تستطيعون من الجهد ، للمعاونة على مواجهة هذه المرحلة الجديدة التي يجب ان تخوضها جماهير الشعب كله ، رجالا ونساء وحتى الاطفال ، وقال الرئيس « ان كل من في هذا الوطن ، يجب أن يتحول من الان الى طاقة قتال .

ولم يحدد الرئيس للجنة طريقة خاصة ، تمارس بها عملها ، وانما ترك لها حرية التفكير في ذلك ، معلنا أنه سوف يضع وراء هذه اللجنة ، ووراء عملها ، كل ما يستطيع كمواطن ، وكل ما لديه من سلطات كمسئول .

هذا وقد كان من المعروف أن بعض المبادىء قد أقرت كاطار عام ، تلتزم به اللجنة العامة للمواطنين في عملها ، وهي ان يكون تشكيل اللجان ، من كافة الراغبين في الانضمام اليها من مختلف فئات الشعب ، دون قيد أو شرط ، على أن يكون المنضم عضوا في الاتحاد الاشتراكي العربي ، (ويستثنى من ذلك رجال القضاء ، وأفراد القوات المسلحة والشرطة) . كما اعلن نائب رئيس الجمهورية السيد **أنور السادات** ان وضع الشباب والطلاب من اللجان ، سوف يبحث بشكل خاص .

ومن المبادىء أيضا ، التي كانت مقررة ، أن يكون أساس الانضمام ، هو التطوع الاختياري ، وعدم تعدد مستويات هذه اللجان ، وأن يتم تشكيلها تدريجيا ، طبقا للاحتياجات .

وصرح السيد حافظ بدوي امين اللجنة العامة للمواطنين من اجل المعركة بان اللجنة انتهت من تحديد الاهداف التي ستعمل في اطارها وفي مقدمتها تحقيق النصر في المعركة وتوفير السلام للمواطنين وحماية ارواحهم والمحافظة على معنويات الجنود برعاية اسرهم وتدعيم التنظيم السياسي على أساس نضالي لتحمل اعباء البناء بعد النصر ودعم الاقتصاد القومي بالتقليل من تأثير محاولات العدو لضرب منشآتنا الاقتصادية وحماية المرافق الحيوية ضد العمليات العسكرية التي يقوم بها العدو .»

ومن اهم الاهداف التي حددتها اللجنة لعملها - العمل بين الجماهير على اوسع نطاق ودعم صمودها بأسلوب ثوري وتعبئتها من خلال مجالات المعركة - مما يتيح الفرص لاكتشاف القيادات واختبار قدرتها على القيادة والاستعانة باكبر عدد منها في قيادة لجان المعركة في اتجاه النصر - وتمكين هذه القيادات من تحمل المسئولية وتنمية قدراتها الفكرية والتنظيمية والنضالية - ودفع هذه القيادات للعمل في مجال التنظيم السياسي .»

كما أكد السيد حافظ بدوي ان اللجنة العامة سوف تكون في حوار دائم مع الجماهير وعلى اتصال مستمر بها وان الجماهير سوف تكون الاساس في تطوير عمل اللجان .»

كما اكد سيادته على ان اللجنة ترى ضرورة الاستفادة بالاجهزة التي تعمل في الميادين التنفيذية والشعبية على أساس انها لاتحل محلها ولا تنافسها بل تدعمها وتنسق بينها .

ويرى المراقبون ، أن اللجنة العامة في مواجهتها للمهام الكبيرة الملقاة عليها ، مطالبة بأن تبذل جهدا استثنائيا يضمن لها ان تتقدم على طريق العمل ، على أساس من الدراسات العلمية ، وعلى ضوء التجارب التي مرت بها بلادنا ، والتجارب المماثلة في بلاد أخرى .

وان هذا كله لابد وان يلقي على اللجنة العامة أن تحدد الاولويات ، وأن تبدأ العمل - تدريجيا - في أهم المناطق ، وطبقا للتصور السياسي والاستراتيجي العام .

مجلس الامة والسياسة التموينية

خلال الدورة الماضية ، والدورة الحالية للمجلس ،عقدت اللجنة الاقتصادية سلسلة من الاجتماعات المشتركة، مع **وزير التموين** ، ورؤساء المؤسسات التموينية ، ناقشت فيها السياسة التموينية من واقع البيان الذى القاه وزير التموين .

وقد جاء تقرير اللجنة الاقتصادية ، الذى مهد للمناقشة فى المجلس ، متضمنا عرضا لمشكلات التموين والسياسة التموينية ليس على أساس أنها مشاكل متفرقة لبعض السلع او تمس فئات من المواطنين ، وانما على اساس انها جزء من صورة اوسع وأكثر شمولا ، على أساس أن وزارة التموين جهاز اشتراكي ، لانها هى التي تظهر فيما تقوم به من نشاط النتائج النهائية للمجهود الاقتصادى المتشابك للدولة الاشتراكية ، والتى تتمثل فى العمل على رفع مستوى معيشة الشعب فى مجموعه ، وهذه النظرة توضح اهمية الارتباط الكامل والدقيق بين خطة التموين ، وخطط الوزارات الاخرى ، خاصة فيما يتعلق بالانتاج الزراعى والصناعى ، وسياسة وحجم الدخول الموزعة على الافراد ، وسياسة التصدير والاستيراد » .

وأبرزت اللجنة الاقتصادية فى مجلس الامة ، فى دراستها لمشكلات التموين ، زيادة الاستهلاك الكلى للافراد بنسبة ٥٠/٥ فى المائة ، من عام ٥٩/٦٠ الى عام ٦٤/٦٥ ، وبنسبة ١٦ر٧ فى المائة من عام ٦٤ ـ ٦٥ الى ٦٧ ـ ٦٨ ، وهى نسبة مرتفعة تكشف عن التزايد الضخم فى الاستهلاك ، وعن الضغط الذى ولده على قطاع التموين بالذات ، حيث تشكل السلع التموينية نسبة هامة فى الاستهلاك الكلى .

والى جانب زيادة عدد السكان من حوالى ٢٤ر٩ مليون نسمة عام ٥٩ ، الى حوالى ٣١ر٣ مليون نسمة فى عام ٦٨ ، اى بنسبة زيادة كلية ٢٥ر٧ فى المائة فى تسع سنوات ، فان متوسط نصيب الفرد من استهلاك السلع الغذائية قد زاد على النحو التالى :

ـ الحبوب ٢٢ر٣ فى المائة خلال ٨ سنوات .

ـ النشويات الاخرى ٢٦ر٦ فى المائة خلال ٨ سنوات .

ـ الخضراوات الطازجة ٣٣ر١ خلال ٩ سنوات .

ـ الزيوت النباتية ٢٦ر٩ فى المائة خلال ٩ سنوات .

ـ الفاكهة ٥٢ر٧ فى المائة خلال ٨ سنوات .

ـ الصابون ٣٧ر٨ فى المائة خلال ٩ سنوات .

وبسبب زيادة الاستهلاك ، ازدادت كمية المواد الغذائية المستوردة ، بنسب عالية خلال نفس المدة ، القمح ٣٢٢ر٨ فى المائة ودقيق القمح ٩١ر٩ فى المائة ارتفع ثمنهما من ١٧ مليونا الى حوالى ٨٠ مليونا ، وارتفعت كمية المستورد من السكر المكرر من ١٩ الف طن عام ٦٠/٦١ الى ٩٥ الف طن عام ٦٧ ـ ٦٨ بنسبة زيادة ٤٠٠ فى المائة ، وارتفعت قيمتها من ٠ر٧ مليون الى ٣ر٢ مليون جنيه .

وناقشت اللجنة الاقتصادية لمجلس الامة فى تقريرها ، التنظيم الجديد ، لهيكل وزارة التموين ، وسجلت الاثار الايجابية التى حققها التنظيم الجديد ، الا أن اللجنة اعترضت على انشاء الهيئة العامة للسلع التموينية ، واعتبرتها تكرارا لاعمال الوزارة التخطيطية والاشرافية ، ودعت اللجنة الى انشاء مجلس استشارى او تخطيطى أعلى ، للتموين يضم ممثلين للجهات التى يرتبط عملها تخطيطا وتنفيذا مع قطاع التموين والتجارة الداخلية .

كما اعترضت اللجنة على وجود المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية ، ضمن مؤسسات وزارة التموين ، ودعت لان تتبع الوزارة المشرفة على الثروة الحيوانية ، وقدمت اللجنة اقتراحا بديلا بانشاء لجنة عليا لتخطيط الانتاج الحيوانى بفروعه الثلاثة (المواشى ـ الدواجن ـ الاسماك) تكون تابعة لوزارة التخطيط ، ويشترك فيها الوزراء المشرفون على فروع الانتاج الحيوانى كلها .

وأكدت اللجنة فى تقريرها على اهمية تحقيق تنسيق كامل بين وزارة التموين ، وتخطيط الوزارات التى يرتبط عملها بها انتاجا او نقلا ، ضاربة المثل لما يسببه عدم التنسيق الكامل ، من عدم حل مشكلة وصول اللحوم او المواشى المستوردة من الخارج ، او وصول الاسماك من بحيرة ناصر للمستهلك ، طبقا لما تريده الدولة ، وعدم وصولها فى الوقت الملائم ، لمواجهة احتياجات المستهلكين .

وافردت اللجنة الاقتصادية جانبا من تقريرها لمناقشة تجارة الجملة وتنظيم التجارة الداخلية ، لقد رحبت اللجنة بالخطوات الايجابية الوئيدة التى اتخذتها وزارة التموين ، لنقل تجارة الجملة الى أيدى القطاع العام تدريجيا ، عن طريق انشاء شركات متخصصة فيها ، طبقا لنشاط المؤسسات التموينية النوعية ، وقد زادت مبيعات شركات الجملة ، التابعة للمؤسسة العامة للسلع الاستهلاكية من ٢٧ مليون جنيه عام ٦٨ الى ٤٠ مليون جنيه فى نهاية ٧٠/٦٩ ، وزاد عدد فروع الشركة المصرية لتجارة السلع الغذائية بالجملة من ٦٤٠ فرعا ومخزنا ومركز توزيع فى ٦٧/٦٦ ، الى ٩٦٥ عام ٦٩/٦٨ ، وزادت المبيعات من ٧١٫٥ مليون عام ٦٧/٦٦ الى ما يزيد عن ١١٠ ملايين جنيه عام ٧٠/٦٩ ، كما زاد عدد الفروع ومراكز التوزيع فى مجال توزيع السلع الهندسية والمعدنية والكيماويات والادوات الكهربائية والورق وادوات الكتابة من ٦٥ الى ١٢٤ . **وأوصت اللجنة بضرورة التوسع تدريجيا فى هذه السياسة حتى يتم نقل الجزء الاكبر من تجارة الجملة ، الى القطاع العام ، لتستقر الاسعار ، وينتفى التلاعب والاستغلال ، الذى كان السمة المميزة لخضوع تجارة الجملة للقطاع الخاص** ، وترى اللجنة فى تقريرها أن خضوع تجارة الجملة للقطاع العام ، يمكن ان يكون الاساس الذى يربط به تنظيم هذه التجارة ، التى تقوم على استبقاء القطاع الخاص ، فى نطاق تجارة التجزئة ، **وفى هذا الصدد اوصت اللجنة بضرورة معاونة القطاع الخاص ، ومده باحتياجاته من السلع ، مع عدم تحميله بالسلع الراكدة** ، وطالبت ببحث الوسائل البديلة لتوفير ائتمان لتجار التجزئة عوضا عما كانوا يحصلون عليه من تجارة الجملة ، ونبهت اللجنة الى ضرورة تحديد ربح معقول ، وفرض رقابة محكمة على القطاع الخاص ، منعا لاستغلال المواطنين .

ودعت اللجنة الى الاهتمام بالتعاون الاستهلاكى ، الذى مازال محدودا جدا ، وضئيل الفاعلية ، بالنسبة للدور الكبير الذى يمكن ان يؤديه فى عملية توزيع السلع ، ومن أجل القضاء على العيوب الحالية الناجمة عن تحكم بعض التجار فى المستهلكين بالقرى .

واشترك فى مناقشة السياسة التموينية ، أكثر من ستين عضوا ، من اعضاء مجلس الامة ، على امتداد اربعة جلسات ، وكان هناك اجماع بين المتحدثين ، على تقدير لعظم المسئولية الملقاة على

امتداد اربعة جلسات ، وكان هناك اجماع بين

عاتق وزارة التموين ، للجهود الضخمة التى بذلتها أجهزة التموين ، خلال السنوات الاخيرة ، وللنجاحات التى حققتها .

ولم يختلف أحد مع المتحدثين على المنطلقات الاساسية ، التى ارتكز عليها تقرير اللجنة الاقتصادية للمجلس ، فى مناقشتها لبيان وزير التموين — وذلك باستثناء عضوين :

أولهما العضو **محمد حسن رشدى** الذى ركز كلمته على رفض ما دعت اليه اللجنة ، من التوسع فى مجالات البيع بالعملات الاجنبية ، فى السلع التى لا نظير لها فى الانتاج المحلى ، والذى أكد « **أن تقرير مبدأ البيع بالعملات الاجنبية ، لا يتفق لا مع نظامنا الاشتراكى ولا مع نظامنا الاجتماعى ، واعتبر ان الاخذ بهذا الاسلوب ، يعنى أن الدولة تيسر الوسائل لمجموعة محدودة الدخل من المواطنين ، لكى يشكلوا طبقة مدللة مترفة مميزة ، من حيث المظهر والشكل** » .

وكان العضو الثانى الذى خالف اللجنة فى أحد منطلقاتها الاساسية ، هو **عبدالقادر البحراوى** ، الذى دعا فى كلمته الى اعادة النظر فى العلاقة بين القطاع العام والخاص والتعاونى ، بحيث لا يطغى قطاع منها على الاخر ، **ودعا الى التريث فى نقل تجارة الجملة الى القطاع العام** ، وعبر عن اعتقاده بأن هناك تسرعا فى نقل تجارة الجملة فى الزيت ، على الرغم من عدم وجود شكاوى من سوء التوزيع او الخدمة ، من متعهدى التوزيع الحاليين ، وقدم اقتراحا بأن يكون نقل تجارة الجملة تدريجيا ، وعلى مهل .

وقد لقى هذا الاتجاه ردا فوريا ، من عضو آخر **(نبيل نجم)** الذى اكد ان **النمو الطفيلى الذى نراه اليوم فى تجارة الجملة ، فى قطاعات كثيرة ، يشكل خطرا جسيما على القطاع العام . والمال العام ، وتظهر ابشع هذه الصور حاليا فى تجارة الانتاج الزراعى ، وعلى وجه التحديد ، تجارة الجملة بالنسبة للفاكهة والخضر ، التى ينتجها القطاع العام ، سواء فى مديرية التحرير ، أو الاصلاح الزراعى ، والتى يحصل عليها القطاع الخاص ، ويتاجر فيها مستغلا المستشفيات والقوات المسلحة ، ومرافق اخرى تابعة للقطاع العام** . وأكد على أن الصعوبات التى تواجه القطاع العام ، بهيئاته وشركاته ، أقل بكثير من صور الاستغلال التى نراها فى تجارة الجملة ، والتى تنمو فى القطاع الخاص ، عن طريق الاحتكار ، او خلق سوق سوداء ، ودعا أيضا الى حماية رأس المال الصغير ، من استغلال كبار التجار .

أما باقى المتحدثين من اعضاء المجلس ، فقد عالجوا فى احاديثهم نقطة او اكثر ، من القضايا المطروحة فى تقرير اللجنة ، ويمكن تقسيمهم الى مجموعات ، على ضوء تلك القضايا التى عالجها كل منهم فى كلمته .

هناك فريق من الاعضاء ، من بينهم : **حسن محمد عبد الله** ، **نوال عامر** ، **عثمان ممدوح القرضاوى** ، **محفوظ سعد الدين** ، **حسن رمضان مظلوم** ، **حامد محمود عبد الله** ، **بثينة الطويل** ، **احمد عبد العزيز بركات** ، **سامى عبد الله اباظة** . **ناصف طاحون** ، **عبد الكريم بلال** ، **محمد محيى الدين** ، **صبرى القاضى** ، **محمد عبد الفتاح ابو زرقة** .

انصبت كلماتهم فى الاساس حول المشكلات التموينية ، التى يعانيها المستهلكون مثل : ارتفاع الاسعار ، خاصة اسعار اللحوم ووزنها بالورق ، عدم توافر بعض السلع التفرقة فى المقررات التموينية بين سكان المدينة وبين سكان الريف ، عدم وصول الخدمات التموينية لاهل الريف ، وتركهم لتحكم التجار . الخ . وطالب بعضهم بتوحيد سعر الكيروسين على الديزل والسولار واطلاقهم لمنع الخلط الذى يقوم به التجار .

ومجموعة أخرى من المتحدثين ضمت : **عباس نصر الله** — **نوال عامر** — **عبد الوهاب قوطه** — **عبد اللطيف ابو سمرة** — **عبد الباقى عبد العزيز** **احمد محمد عبد صالح** — **ممدوح محمد محمود خليل** — **هارون عطية الله حسن** — **حمدى حراز** ركزت هذه المجموعة فى كلماتها حول مشكلة الثروة المائية ، وعالجت الموضوع بشقيه : توفير الاسماك اللازمة للاستهلاك ، وتوفير سبل الحياة اللائقة لعشرات الالوف من الصيادين وأسرهم .

لقد اوضحت اللجنة الاقتصادية فى تقريرها ، ان انتاج البحيرات من الاسماك قد نقص من ٤٥ الف طن الى ٢٤ الف طن ، وانخفض انتاج بحيرة مريوط من ٩٠٠٠ الى ٢٠٠٠ طن ، وتعيش على انتاجها ٢٥ الف اسرة ، وكذلك ما ادى اليه حجز الطمى فى بحيرة ناصر ، واغلاق سد فارسكور ، من نقص السردين فى منطقة يسكنها ٥٠ الف مواطن من الصيادين ، وابرز المتحدثون بعض الاخطاء فى توزيع الاسماك المجمدة ، فى بعض المناطق ، على اناس لايمتون الى مهنة بيع الاسماك ، ليعودوا لبيعها بسعر أعلى من التسعيرة . وضربوا مثلا للكيلو من السردين المجمد الذى يباع فى الجملة بـ ١١٠ مليما ، وفى المجمعات بـ ١٤٠ مليما ويصلنا مع الباعة بـ ١٧٠ او ١٨٠ مليما ، كما انتقدوا عدم وجود رقابة صحية على الاسماك ، التى ترد الى مراكز التسويق بالقاهرة ، وعارض بعضهم فى نقل المؤسسة العامة للثروة المائية الى وزارة الزراعة .

واقترحوا انشاء وزارة للثروة الحيوانية ، بأنواعها الثلاثة : من لحوم واسماك ودواجن ، ووضع تخطيط طويل المدى لقطاع الانتاج الحيوانى بأنواعه الثلاثة ، ودعم اسطول الصيد فى اعالى البحار ، ليعوضنا انتاجه عن الخسارة التى نتجت عن تجفيف البحيرات .

وفى مناقشة السياسة التموينية لقيت مشكلات صغار التجار ، اهتماما من عدد من الاعضاء الذين اشتركوا فى المناقشة : مختار حسن هانى ، سعد ابراهيم الخوادمة ، نبيل نجم ، عبدالجابر علام .. **وكانت ابرز نقاط المناقشة هى انتقاد طريقة التحميل التى تتبع فى فرض بعض السلع الراكدة ، بطريقة اجبارية على مشترى السلع الجيدة** ، وطالبوا بتقديم تسهيلات ائتمانية لصغار التجار ، تحل محل الائتمان الذى كان يقدم لهم من جانب كبار التجار ، وطالبوا باعادة تنظيم السجل التجارى ، بطريقة تضمن الرقابة والفعالية .

وركز عدد من المتكلمين : **حسن محمد عبد الله** ، **عبد الحميد سيد شحاته** ، **محمد على ابوشنب** ، **على محمود احمد كامل** ، **لطفى سليمان** ، **زكريا النمرسى** على مشكلات قطاع المخابز والمطاحن والعاملين بها . للمخالفات فقد فقد دعوا الى عدم حجز المخالف فى قضايا التموين الى حين الفصل فى القضية وتعديل القانون لتحقيق المرونة اللازمة بالنسبة لمدة الحكم وتركها للقاضى وطالب بعضهم بتعديل مواصفات الدقيق .

وتحدث ثلاثة اعضاء : **محفوظ سعد الدين** ، **حامد محمود عبد الله** ، **ابو الفتوح الجندى** ، عن النقص فى قطع الغيار اللازمة للجرارات الزراعية ، وارتفاع اثمانها فى السوق السوداء ، وطالبوا بوضع نظام دقيق ، يضمن حصول المحافظات على حصص من قطع الغيار ، والاشراف على توزيعها .

كما طالب سيد زكي واحمد دمرداش تونى واحمد الوردانى بتدعيم النشاط التعاونى الحرفى ، والنشاط التعاونى الاستهلاكى .

القاهرة تحتفل بعيد لينين المئوى

شهدت الاوساط الثقافية والسياسية فى الجمهورية العربية المتحدة نشاطا واسعا منذ بداية الشهر الماضى للاحتفال بذكرى مرور مائة عام على مولد **«فلاديمير ايليتش لينين»** مؤسس الاتحاد

السوفيتي فأقامت الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) معرضا للكتب والصور بهذه المناسبة وعقدت ندوتين ، كما عقد الاتحاد العام للعمال اجتماعا جماهيريا ألقيت فيه عديد من الكلمات ، ونظمت اجتماعات مماثلة من جانب كل من جمعيتي الصداقة السوفيتية العربية سواء في القاهرة او الاسكندرية ، ومنظمة الشباب ، وامانة القاهرة للاتحاد الاشتراكي وأمانة الجيزة التي قامت بعرض بعض الافلام ، واقامة معرض لهذا الغرض . واللجنة المركزية التي اقامت احتفالا سياسيا حضره اعضاء اللجنتين التنفيذية والمركزية للاتحاد الاشتراكي وسفير الاتحاد السوفيتي .كذلك قامت الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة بعرض فيلم عن حياة لينين في نادي السينما ، وعقد الاتحاد العام لعمال الجمهورية بالاسكندرية والاتحاد الاشتراكي بنفس المحافظة اجتماعات جماهيرية القيت فيها كلمات عن حياة وكفاح وافكار لينين ، بالاضافة الى البرامج والأحاديث والافلام التي عرضتها الاذاعة والتليفزيون المصريين .

كذلك احتفل بنفس هذه المناسبة المجلس القومي للسلام بالقاهرة وبالاسكندرية والاتحاد الاشتراكي بأسوان .

وقد اصدرت السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية بالقاهرة عددا خاصا من نشرتها الشهرية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية تضمن مقالات وابحاث عن مؤسس الاتحاد السوفيتي ، منها مقال لـ**ضياء الدين داود** عن « الجوانب الرئيسية في نضالنا » ومقال **ليوسف السباعي** بعنوان « فلاديمير ايليتش لينين وكفاح الشعوب من أجل التحرر والاستقلال الوطني » ومقالات أخرى عن لينين **لترونج بين** نائب رئيس لجنة التضامن الافريقي الاسيوي لفيتنام الجنوبية ، **وميزوانديل بيليسو** ممثل حزب المؤتمر الافريقي في جنوب افريقيا ، ومقال عن لينين المفسر الخلاقة للتراث العظيم » ، ومقال **عشري** ممثل جبهة التحرير الوطني الجزائرية في المنظمة ومقال **لفاسوس ليساريدس** رئيس لجنة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية في قبرص ، عن لينين المفسر الخلاقة للتراث العظيم »» ومقال بقلم « **اميلكا كابرال** » السكرتير العام لحزب الاستقلال الافريقي لغينيا بيساو ، وآخر بعنوان « لينين والهند » بقلم هيرين موكرجي نائب رئيس الحزب الشيوعي الهندي ومقال **لعزيز شريف** عضو مجلس السلام العالمي عن « دور الجماهير والوعي الوطني لدى شعوب الشرق العربي » ،

ومقال آخر بعنوان « لينين وحركة التحرر الوطني » بقلم د. أ. كونايف رئيس الندوة الدولية للعيد المئوي للينين في آما آتا ، وقصيدتان شعريتان لسيرجيو فييرا ممثل جبهة تحرير موزامبيق .

ثم عقدت منظمة التضامن اجتماعا خاصا للاحتفال بالذكرى المئوية للينين في قاعة الشعب بالاتحاد الاشتراكي العربي يوم ٩ ابريل الماضي تحدث فيها عن لينين كل من **ضياء الدين داود** ، **ومحمد فائق** ، **وخالد محيي الدين** ، **ويوسف السباعي** ورئيس وفد اللجنة السوفيتية للتضامن ، ورئيس وفد اللجنة البلغارية للتضامن ، وممثلو حركات التحرير الافريقية ، واقيم معرض للصور والكتب في مدخل القاعة عرضت فيه مؤلفات لينين وصور عن حياته وكفاحه .

وجاء في كلمة **ضياء الدين داود** ممثل الاتحاد الاشتراكي : « ان لينين كان هو الذي جعل من اولى واجبات الدولة الاشتراكية ان تساعد بكل ماتملك من قوى حركات التحرر الوطني ، وان تدعم الدول الحديثة التحرر على تحقيق استقلالها الاقتصادي .

واننا راينا ورأى العالم اجمع كيف حافظت قلعة الاشتراكية الاولى ، الاتحاد السوفيتي العظيم بقيادة حزب لينين على هذا المبدأ ، فلا يكاد الانسان يجد حركة واحدة من حركات التحرر الوطني التي برزت خلال اكثر من ٥٠ عاما مضت على نجاح ثورة اكتوبر العظيمة ، لم تنل كل تأييد مادي ومعنوي من الاتحاد السوفيتي ومن الدول التي دخلت من بعد في منظومة الامم الاشتراكية ». **اما يوسف السباعي** السكرتير العام لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية فقد أشار في كلمته الى « ان الانتصار الذي حققه لينين باقامة الدولة الاشتراكية الاولى في التاريخ ، كان فاتحة عهد جديد في تطوير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية للشعوب على اساس متين من العدالة الاجتماعية والتحرر من طغيان الاقطاع والرأسمالية المستغلة » . و « ان ثورة اكتوبر العظيمة استطاعت بقيادة لينين ان تحول مجرى التاريخ وان تعطي دفعة جديدة لحركات التحرير الوطني في اسيا وافريقيا وفي العالم كله » .

كذلك شارك **احمد كامل** محافظ الاسكندرية والمهندس **عيسى شاهين** أمين الاتحاد الاشتراكي بالاسكندرية والدكتور **محيي الدين الخرادلي** أمين لجنة الدعوة والاعلام بها والدكتور **محمد عبد المعز نصر** عميد كلية اداب الاسكندرية في الندوة التي انعقدت بالمركز الثقافي السوفيتي بالاسكندرية لمدة

ثلاثة ايام فى مارس الماضى . وشارك فى هذه الندوة كذلك خالد محى الدين سكرتير عام المجلس القومى للسلام، ومثل «**الطليعة**» فى الندوة كل من الدكتور محمد **الخفيف** والدكتور مراد **وهبه ومصطفى طيبه**، ومثل جريدة الجمهورية فيها **سامى داود ومصطفى كمال**، وجريدة الاخبار حسين فهمى ودار الهلال ابراهيم **عامر** كما اشترك فى الندوة **محمود أمين العالم، وزكى مراد** المحامى .

وقد اشار **احمد كامل** فى كلمته الى انه «اذا كان الاتحاد السوفيتى يناصر اليوم الدول العربية، فانه فى ذلك انما ينهج بأمانة وصدق على مبادىء خطها له زعيمه لينين، فقد كان فى كتاباته جميعا دائم التنديد بالاستعمار والامبريالية . وان لينين تكلم باحترام عميق عن بطولة العرب الذين ضربهم المستعمر حين غزا ليبيا فى طرابلس، وعبر عن ذلك بالمجزرة البشرية، ومجد العرب لقبولهم القتال فى معركة غير متكافئة « وقال ان لينين شرح شرحا وافيا اهمية نضال الدول الصغيرة، واهمية نضال دول الشرق، وآفاق هذا النضال، واشار احمد كامل كذلك الى «انه امتدادا لهذا المبدأ يقف اليوم الشعب السوفيتى بكامله معنا فى معركتنا ضد الامبريالية والرأسمالية الامريكية » .

وتناول « **خالد محيى الدين** » فى كلمته، قضية لينين والتعايش السلمى وحركة التحرر الوطنى واشار فيها الى نظرية لينين عن امكانية نجاح الثورة فى بلد واحد، وامكانية اقامة نظام اشتراكى فى بلد واحد أولا وأوضح كيف كان هدف لينين منذ البداية، اقامة علاقات على أساس من التعايش السلمى بين الدولة الاشتراكية الوليدة، والدول الرأسمالية المحيطة بها . كما ابرز كيف ان الاتحاد السوفيتى يستهدف بناء نموذج اشتراكى ناجح، ولا يستهدف تصدير الثورة باى حال، على أساس أن فكرة لينين الجوهرية هى انه لا يمكن أن تقوم ثورة فى بلد ما، ما لم تتوافر لها ظروف موضوعية وذاتية، تجعلها مؤهلة للقيام بها . وأشار خالد محيى الدين الى ان بعض الناس يتصورون « ان التعايش السلمى يوقف الحركة الثورية وهذا خطأ، لان النموذج الناجح للدولة الاشتراكية سيدفع الناس فى كل العالم لتحقيق مثل هذا النموذج » . كذلك فان الاتحاد السوفيتى ولو انه يريد حل مشكلة الشرق الاوسط بطريقة سلمية الا أنه يساند الجمهورية العربية المتحدة بكل انواع المساندة العسكرية اللازمة لها، لان السلام لا يكون الا من مركز القوة » ..

أما **محمود أمين العالم** فتكلم عن « لينين الانسان » وكيف ان التعرف على الظروف الخاصة المحددة فى حياته يقود الى التعرف على القوانين العامة للنضال . وأشار الى انه « مع لينين اصبحت الماركسية نظرية محددة » . كما ابرز رأى لينين القائل « بأن نظرية ماركس ليست شيئا كاملا لا سبيل الى المساس به، ولكنها حجر الاساس للماركسيين ويجب تطويرها فى كافة الاتجاهات » وعرض « العالم » لمراحل نضال لينين فى ثورة سنة ١٩٠٥ ومن أجل خلق الحزب البلشفى فى الاتحاد السوفيتى، ومن أجل القيام بثورة ١٩١٧ . واختتم كلمته مشيرا الى حقيقة أن « فكر لينين حى بجوارنا الان فى السلاح الروسى، يقف معنا فى المساعدات السياسية والاقتصادية السخية، يقف مع ثورتنا العربية الشاملة وحركات التحرر الوطنى » .

أما **حسين فهمى** فاشار الى انه « اذا حق لنا أن نسمى العصر الذى نعيش فيه باسم انسان، لقلنا وبحق، اننا نعيش عصر « لينين » واشار الى ان لينين آمن منذ البداية بحركة الحزب الوطنى، واعتبرها من عوامل انتصار الثورة العالمية وذلك فى عصر كان الرأسماليون يحكمون فيه حفنة من الدول المتقدمة تسيطر على البشرية بأسرها . كذلك ادرك لينين حجم التأثير الذى يمكن أن تحدثه ثورات التحرر الوطنى لدرجة أنه سماها « بحفارة قبر الامبريالية » . واختتم كلمته موضحا ان الاتحاد السوفيتى يعمل بقلبه تماما، ويضحى من أجل معاونة الشعوب المستعمرة لتعوض سنوات التخلف والقهر، وانه لا يقدم فقط المعونات بل ويعيش كافة مشاكل الثورة الوطنية » .

وقد تناول « **زكى مراد** » حقيقة موقف لينين من حركة التحرر الوطنى وأشار الى أن قادة الاشتراكية عموما غير لينين وقادة الاممية الاولى والثانية، لم يكونوا منتبهين بما يكفى الى أن ثمة حركة ثورية ذات مستقبل وآفاق عظيمة فى مكان آخر غير اوربا، فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية كما نشهد الان . وان لينين هو الذى نبه الى تلك الحركة ذات المستقبل الكبير . كذلك لم يكن ينظر الى حركة التحرر نظرته الى حليف أو أخ فى النضال وانما كان ينظر اليها كجزء من الثورة المصيرية التى وهب نفسه لها . ويمكننا لذلك أن نقول ان لينين العظيم هو مؤسس نظرية استراتيجية وتكتيك حركة التحرر الوطنى » . واستشهد **زكى مراد** بفقرة من خطاب لينين الى المنظمات الشيوعية الشرقية فى روسيا (الى شيوعى الشرق) قال فيها : « ان الثورة الاشتراكية لن تكون فقط أو بشكل رئيسى هى نضال الثوريين

البروليتاريين فى كل بلد ضد بورجوازيتهم — لا • لا بل ستكون الثورة الاشتراكية هى نضال كل المستعمرات والبلاد التابعة المقهورة من جانب الامبريالية • وفى تحديدنا لنظرتنا للقوى العالمية الاجتماعية ، فى برنامج حزبنا الذى اقررناه فى مارس من العام الماضى ، قلنا ان الحرب الاهلية للكادحين ضد الامبريالية والمستغلين تبدأ الان فى الاقتران بالحروب الوطنية ضد الامبريالية العالمية » •

هذا وقدم **سامى داود** و**مصطفى كمال** فى هذه الندوة كذلك دراسة عن « لينين والاشتراكية فى الدول النامية » ، وقدم **ابراهيم عامر** دراسة عن « سمات واساليب جديدة للاستعمار » على ضوء تحليل لينين للامبريالية كأعلى مراحل الاستعمار .

كذلك أقامت جمعية الصداقة السوفيتية العربية معرض « صور فوتوغرافية عن لينين » تلتــه محاضرة « **للطفى الخولى** » عن « لينين وحرية الشعوب » حضرها جمهور مصرى — سوفيتى وترجمت فى نفس الوقت الى اللغة الروسية وحضرها كذلك **عبد المجيد فريد** أمين العاصمة • أشار فيها لطفى الخولى الى ادراك لينين المبكر لما ستكون عليه ثورات التحرر الوطنى من ضخامة واتساع وتأثير كبير على مجرى التطور العالمى ، وهى سمة اتسم بها تفكير لينين النافذ ، فعلى الرغم من انه لم تكن هناك فى عصر لينين حركات ثورية فى المستعمرات سوى فى ٥ بلدان ، هى تركيا وايران والصين والهند ومصر ، الا أن لينين لم يعتبر هذه الحركات مجرد هبات لن يكتب لها النجاح ، وانما حلقات فى ثورات التحرر الوطنى ، ومراحل منها . وتنبأ بأن هذه الثورات ستعم العالم فى المستقبل وستلتحم فى الوقت نفسه بالثورة الاشتراكية • وان مفهومه للثورة العالمية ، يقوم أساسا على الكفاح من أجل الاشتراكية ، ومن أجل التحرر الوطنى ضد الامبريالية من ناحية أخرى ، كما ركز على التحالف بين رافدى الثورة العالمية . وقد اثبتت تنبؤاته العديدة بهذا الصدد صدقها • كذلك اشار الى ان الحزب الشيوعى السوفيتى والاتحاد السوفيتى انما يتابعان باخلاص تطبيق مبادىء لينين • كذلك أوضح أن مفهوم لينين عن الحرية يقوم على حق الامم فى تقرير المصير ، وحقها فى التحرر من الاحتلال والتبعية الاجنبية ، والاضطهاد القومى ، والتحرر فى نفس الوقت من الاستغلال والجهل فهو تحرر يشمل اذن الارض والشعب والانسان عامة . واشار لطفى الخولى الى ان لينين كان يميز بشكل دقيق بين القوميات الظالمة وقومية الامم المضطهدة والمقهورة • وأشار كذلك الى موقف لينين من القومية اليهودية واستشهد بأحدى فقرات لينين يقول فيها « ان فكرة القومية اليهودية هى بلا ريب فكرة رجعية ، ليست فقط عندما ينادى بها المنادون بصورة سافرة (الصهاينة) ولكن ايضا عند اولئك الذين يحاولون أن يجمعوا بينها وبين افكار الاشتراكية الديمقراطية (البوند) •• « ان الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة عن غيرها هى غير ثابتة من الناحية العلمية على الاطلاق ، عدا عن كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية ، وتعطينا الوقائع المدونة للتاريخ الحديث وللحقائق السياسية المعاصرة ، برهانا عمليا لا يمكن دحضه على ذلك •• ففى جميع انحاء اوربا ، وافق انهيار العصور الوسطى وتقدم الحرية السياسية ، التحرر السياسى لليهود ، واستعمالهم لغة الشعوب التى يعيشون بينها . وبوجه عام ، اندماجهم شيئا فشيئا مع السكان المحيطين بهم . هل بامكاننا ان نعزو الى الصدافة أن تكون القوى الرجعية فى جميع انحاء أوربا ، ولاسيما روسيا ، هى التى تعارض اندماج اليهود وتسعى الى دوام عزلتهم • ان المشكلة اليهودية على وجه الدقة ، هى الاندماج أو الانعزال » • كذلك أشار فى وقت مبكر الى بعض السمات التى اتسمت بها بوضوح حركات التحرر فى عديد من مناطق العالم ، فقد اشار الى طابع احدى الحركات الديمقراطية فى آسيا بقوله « ان حملة هذه الحركة الديمقراطية فى آسيا ، هم اولا ، الجماهير الشعبية فى جاوة التى استيقظت بينها حركة قومية تحت لواء الاسلام » .

واقامت أمانة القاهرة للاتحاد الاشتراكى حفلا فنيا موسيقيا راقصا على مسرح وكالة الغورى اشتركت فى احيائه الفرقة الشعبية لجمهورية ارمينيا الاشتراكية ، وفرقة رضا للفنون الشعبية ، وفرقة أولاد البحر ، وشهد الحفل **حافظ بدوى** امين لجنة المعركة ، و**عبد المجيد فريد** أمين العاصمة الذى القى كلمة التنظيم السياسى ولم ترد لنا حتى كتابة هذا التقرير — و**سعد زايد** محافظ القاهرة وعدد من القيادات السياسية والنسائية والعمالية وحضر الحفل السفير السوفيتى كذلك •

كذلك احتفلت امانة الجيزة للاتحاد الاشتراكى العربى جماهيريا بهذه الذكرى ورأس الاحتفال **ضياء الدين داود** عضو اللجنة التنفيذية العليا ، وحضره السفير السوفيتى وتحدث فيه **خالد محيى الدين** و**عبد الهادى ناصف** عضو اللجنة المركزية ومسئول التثقيف بالاتحاد الاشتراكى ، و**فريد عبد الكريم** أمين الجيزة وعضو اللجنة المركزية والدكتور **فوزى منصور** والدكتور **اسماعيل صبرى**

عبد الله ، والقى السفير السوفيتى كلمة شكر المتحدثين والجمهور . وقد تكلم **فريد عبد الكريم** عن الصداقة العربية السوفيتية واوضح ان موقف الاتحاد السوفيتى فى مساندتنا مبنى على تعاليم لينين. وتكلم **عبد الهادى ناصف** عن دور لينين فى تنظيم الجماهير السوفيتية والجيش الاحمر فى فترة حرب التدخل ، وابرز بشكل خاص فكرة ضرورة تنظيم الجماهير ودور الحزب ، والشعار الذى رفع فى الحرب العالمية الثانية عن وضع « كل شىء من أجل الجبهة والنصر » .

وتكلم **خالد محيى الدين** عن لينين ؛ وقضية السلام والتعايش السلمى موضحا ان مناصرة الشعوب التى تناضل ضد الاستعمار جزء لا يتجزأ من سياسة التعايش السلمى اللينينية ، وتكلم **فوزى منصور** عن لينين كاول بناة الاشتراكية . اما **اسماعيل صبرى عبدالله** فأوضح المعنى الذى يمثله لينين بالنسبة لكفاح الشعب المصرى ، وكيف ان لينين رد لشعوب المستعمرات ثقتها بنفسها، لانه قيم شعوب آسيا وافريقيا تقييما موضوعيا ، ونوه بدورها الحضارى ، ورفض نظرية التفوق الاوربى واكد ان هذه الشعوب ستلعب دورا حاسما فى تصفية الامبريالية . كما اثبت بالدليل العملى ان التاريخ تصنعه الجماهير العاملة، وانها هى التى تحدث التقدم رافضا بذلك نظرية الصفوة التى كانت مهيمنة على الفكر البشرى حتى ذلك الوقت .

كذلك ابرز الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** واقع ان لينين حول الحلم البشرى عن الاشتراكية والعدالة الى حقيقة ، وانه هو أول من نقل الاشتراكية من الكتب الى الواقع .

ونظمت «**الشعبة القومية لليونسكو**» بالاشتراك مع « **كلية الاقتصاد والعلوم السياسية** » بجامعة القاهرة ندوة القى فيها الاستاذ **كراسنوف** المستعرب السوفيتى كلمة عن حياة لينين . وتحدث الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** عن لينين والقضايا الاقتصادية لبناء الاشتراكية اشار فيها الى نوعية ثقافة لينين الاقتصادية ودراساته فى الاقتصاد الماركسى وغير الماركسى ، ومؤلفاته الاقتصادية وأساسا كتابى « تطور الرأسمالية فى روسيا » . « والاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية » . وأشار بشكل خاص الى دور لينين فى تحديد التصور النظرى للمجتمع الاشتراكى ، تصورا قابلا للتنفيذ المباشر فى الاتحاد السوفيتى . بخاصة وانه لا يمكن لعلاقات الانتاج الاشتراكية ان تبرز تلقائيا فى قلب المجتمع الرأسمالى مثلما برزت كافة العلاقات الجديدة فى قلب المجتمعات القديمة . اذ ينبغى تدخل عنصر الوعى الارادى فى عملية التحويل الاشتراكى وفرضها بالوعى والثورة على النظام الاستغلالى القديم .

كذلك اشار الى ان لينين كمفكر نظرى حل بعض القضايا الخطيرة مثل شكل الملكية الجماعية للانتاج السلعى الصغير ، والمزارع التعاونية ، وتعاونيات الانتاج للحرفيين ، كذلك ابرز دور لينين كرجل اقتصاد فى وضع أسس نظام التخطيط والاهتمام بالاحصاء وطرحه لقضية الكادر .

وتحدث الدكتور **عبد الملك عودة** عن لينين وحركات التحرر الافرو آسيوية» وطرح ٣ نقط هى مدى معرفة لينين بالعالم الافرو آسيوى، ونظرياته عن التحرر الافرو آسيوى، وأهم آثاره فى الواقع الافرو آسيوى المعاصر . كما أشار الى المبادىء الرئيسية التى خطها لينين فيما يتعلق بحركة التحرر الوطنى كحليف رئيسى لحركة الطبقة العاملة فى الثورة ، وكشفه لدور الفلاحين، واعلانه لمبدأ حق الامم فى تقرير مصيرها ، والانفصال عن القوميات الظالمة ، ودراسته لدور الطبقات المتوسطة فى قيادة هذه الحركات، كذلك اشار الدكتور **عبد الملك عودة** الى ان علاقة الدولة السوفيتية الجديدة بالمستعمرات القيصرية السابقة فى آسيا ، كان نموذجا حقيقيا للايمان ، ولتطبيق مبدأ حق الامم فى تقرير مصيرها وكان اول تجربة من نوعها فى حياة العالم .

كذلك فقد احتفلت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى بهذه الذكرى وحضر احتفالها **انور السادات** نائب رئيس الجمهورية **وسيرجى مينو جرادوف** سفير الاتحاد السوفيتى والدكتور **محمود فوزى** والدكتور **لبيب شقير وضياء الدين داود** اعضاء اللجنة التنفيذية **وشعراوى جمعة** أمين شئون التنظيم بالاتحاد الاشتراكى والوزراء وكبار المسئولين بالجهازين التنفيذى والسياسى واعضاء السفارة السوفيتية .

واوضح **ضياء الدين داود** فى الكلمة التى القاها فى هذا الاحتفال «انه ليس مجرد مشاركة لشعوب الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، وانما هو فى الحقيقة تعبير عن تقدير جميع القوى الثورية وعرفانها بالفضل ، لهذه الشخصية التاريخية التى كان لها اكبر الاثر فى تحويل مجرى التاريخ الانسانى لصالح القوى المناضلة من اجل الحرية والعدالة ».

واستعرض الدكتور **لبيب شقير** فى كلمته نظريات

لينين الفكرية وتناول الجوانب المتصلة بقيام الثورة الاشتراكية وكيف انه كشف مرحلة جديدة من مراحل الرأسمالية ، وهى مرحلة الامبريالية واشار الى دعوة لينين لاقامة تحالف ثورى بين العمال والفلاحين يعمل على اسقاط الرجعية والتخلص من سيطرة الاقطاع والرأسمالية ، ودعوته الى ضرورة تدعيم الطبقة العاملة بالوعى السياسى ٠

وألقى السفير السوفيتى كلمة استعرض فيها نضال لينين ضد الامبريالية والرأسمالية ، وقال ان بلاده تقدم التأييد السياسى والمادى للعرب ليس لاى غرض الا لمهمة واضحة ، وهى مساعدة هذه الشعوب بكل اخلاص من اجل استقلالها الوطنى والحرية والتقدم الاجتماعى ، وقال كذلك « ان أعداءنا واعداءكم يحاولون تشويه هذه المساعدات ويزعمون انها تدخل سوفيتى ، وليس لادعائهم اى نصيب من الصحة ، ولا يمكن للشعب العربى ان ينخدع بهذه الدعايات المغرضة » .

●

خالد محيى الدين أول مصرى يحصل على جائزة لينين للسلام

في ١٨ أبريل اعلنت فى موسكو اسماء الشخصيات التى حصلت على جائزة لينين العالمية للسلام ، وكان من بينها خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس القومى للسلام .

وقد منحت الجائزة هذا العام ـ وفى مناسبة العيد المئوى لميلاد لينين ـ لستة من الشخصيات البارزة فى العالم هى :

لودفيك سفوبودا ، رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا .

والعالم الامريكى الشهير لينوس باولينج ، تقديرا لجهوده ضد استخدام الذرة فى الاغراض الحربية .. وباولينج شخصية علمية بارزة وقد حصل على جائزة نوبل مرتين ...

ونال الجائزة ايضا ، الكاتب البولندى ، جاروسلاف ايواسكيويز ، صاحب الثلاثية الشهيرة «المجد» التى استغرق فى كتابتها اكثر من عشرين عاما والتى تسجل تاريخ بولندا لفترة تمتد حوالى نصف قرن ..

كذلك حصل على الجائزة ، الصحفى السويدى ، بيرتيل سواتستروم ، تقديرا لكفاحه



خالد محيى الدين

الى جانب الشعب الفيتنامى .. وايواى اكيرا ، سكرتير عام المجلس العام لنقابات اليابان (سوهيو) .. والشفيع احمد الشيخ رئيس اتحاد عمال السودان .

وخالد محيى الدين ـ أول مصرى ينال جائزة عالمية للسلام ، ولد عام ١٩٢٢ وتخرج من الكلية الحربية ١٩٤٠ ، ثم حصل وهو ضابط بالقوات المسلحة على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة .

وقد شارك خالد محيى الدين فى تنظيم الضباط الاحرار ، وأسهم فى ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر .وهو عضو رئاسة المجلس العالمى للسلام ، وسكرتير اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية ، وهى لجنة يرأسها كريشنامينون ، وتمارس نشاطا واسعا لكسب الرأى العام العالمى ، الى جانب الحق العربى .

وهو ايضا عضو باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، وعضو فى مجلس الامة ، ورئيس للجنة الخدمات به .

وقد منح خالد محيى الدين جائزة لينين للسلام ، تقديرا لنشاطه المخلص فى خدمة قضية السلام العالمى وتحرير الشعوب ، وفى تعزيز قضية

التعايش السلمي ، ولجهوده في بناء حركة السلام في الجمهورية العربية المتحدة .

وجائزة لينين العالمية للسلام (شهادة تقدير + ميدالية ذهبية تحمل صورة لينين + جائزة مالية قدرها ١٠٠٠٠ روبل) تعتبر أعلى جائزة تقديرية في العالم الاشتراكي ، وقد منحت لعديد من الشخصيات الهامة في العالم ، مثل فيدل كاسترو ، والرئيس سيكوتوري .

ويكتسب منح الجائزة هذا العام اهمية خاصة ، اذ أنها تمنح بمناسبة العيد المئوي لميلاد لينين .

●

مؤتمر ممثلي المنظمات العالمية لبحث الموقف في الشرق الاوسط

بدعوة من اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية عقد في القاهرة في ١٤ — ١٥ ابريل الماضي ، مؤتمر لممثلي المنظمات العالمية لبحث الموقف المتدهور في الشرق الاوسط .

وقد حضر الاجتماع مندوبون يمثلون ١٦ منظمة عالمية هامة ، من بينها مجلس الكنائس العالمي ، والصليب الاحمر الدولي ، والمجلس العالمي للسلام ، ومؤتمر برلين للمسيحيين الكاثوليك ، واتحادات العمال والشباب والطلاب والصحفيين والحقوقيين العالمية الخ ..

كذلك اعلنت ثمانية منظمات عالمية أخرى من بينها الاتحاد الدولي للمشتغلين بالعلوم ، وحركة استقلال اوربا ، والاتحاد العالمي للمشتغلين بالراديو والتليفزيون ، واتحاد جماعات الشهادة المسيحية .. الخ تأييدها للمؤتمر وللقرارات التي تصدر عنه .

حصل رفعت السعيد عضو هيئة تحرير الطليعة على درجة الدكتوراه في الفلسفة بتقدير ممتاز عن الرسالة التي تقدم بها الى معهد الدراسات الشرقية جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية ، حول « تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر » في الفترة من ١٩٠٠ — ١٩٢٥ .

وقد افتتح المؤتمر السيد ضياء الدين داود ، عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، بكلمة اكد فيها عزم الشعب المصري على مواصلة النضال ، من اجل تصفية اثار العدوان ، موضحا الابعاد الحقيقية لهذا العدوان ، والقوى الحقيقية التي خططت له ودعمته .

وفي ختام كلمته ، قال السيد ضياء الدين داود « لا اشك في أنكم تعرفون جميعا ما تستهدفه القوى الاستعمارية من وراء العدوان الاسرائيلي .. وكل مواطن في شعبنا يعرف ان الهدف الاساسي من العدوان انما هو تصفية اتجاهنا الثوري او الانحراف به ، وفرض النفوذ الاستعماري على أرضنا ووطننا ، وهذا ما نرفضه جميعا ، ولا شك في أنكم ترفضونه أيضا معنا » .

وبعد ذلك قدم السيد خالد محيي الدين ، السكرتير العام للجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية ، تقريراً حول امكانيات العمل المشترك على النطاق العالمي ، لتعبئة قوى الرأى العالمي ضد المعتدين الاسرائيليين .

وقال « ان هذا المؤتمر يضم ممثلين للمنظمات العالمية ، التي لها بحكم تمثيلها العالمي قواعد جماهيرية عريضة في مختلف بلاد العالم ، والهدف من هذا المؤتمر هو تنسيق العمل بين هذه المنظمات ، وتنظيم امكانيات التعاون العملية فيما بينها ، الامر الذي يدفع بالجهود المبذولة لتحقيق السلام والعدل خطوات الى الامام » .

وقال السيد خالد محيي الدين « ان الغرض من هذا المؤتمر ، هو أن نبحث ما تستطيع كل منظمة ان تقدمه من نشاط ، لكل نقطة من نقاط النزاع في الشرق الاوسط »

ثم ركز حديثه على النقاط الاتية :

● ضرورة وقف الغارات الاسرائيلية على المدنيين والاهداف المدنية فورا .

● ادانة سوء معاملة سكان الاراضي المحتلة .

● ضرورة تطبيق قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والذي يطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية فوراً ، وكذا تطبيق قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن الخاصة بالقدس .

● الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني في وطنه » .

وقد استغرقت اجتماعات المؤتمر يومين كاملين ، تحدث فيها جميع المندوبين ، الذى استعرض كل منهم وجهة نظر منظمته تجاه ازمة الشرق الاوسط •

وبعد هذه المداولات المستفيضة ، اصدر المجتمعون بيانا جاء فيه :

« لقد اجمع كل الحاضرين على أن الموقف قد وصل الى مرحلة بالغة الخطر ، تلزم جميع المنظمات ان تبذل جهدا مضاعفا وسريعا ، بقصد انقاذ شعوب المنطقة والعالم كله ، من الاحتمالات الخطيرة ، التى قد يؤدى اليها استمرار تدهور الموقف » •

وقد طالب البيان ايضا بضرورة ايقاف الغارات الاسرائيلية على المدنيين ، وايقاف كل الاعمال العدوانية التى تقوم بها اسرائيل •

وطالب كذلك ببذل جهود عالمية ، لوقف استمرار تزويد الولايات المتحدة لاسرائيل بالاسلحة •• وببذل مزيد من الجهود ضد الاضطهاد ، الذى يتعرض له سكان الاراضى المحتلة •

كذلك طالب البيان ، بضرورة تطبيق قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وبضرورة الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطينى •

وناشد البيان جميع شعوب العالم أن تخصص الاسبوع الاول من يونيو القادم كأسبوع عالمى للتضامن مع الشعوب العربية •

كذلك اشار البيان الى أهمية تشكيل لجنة تحقيق عالمية ، للتحقيق فى الجرائم التى ترتكبها اسرائيل فى الاراضى المحتلة •

وفى يوم ١٦ ابريل قام اعضاء المؤتمر بزيارة مدرسة بحر البقر الابتدائية ، وزيارة الاطفال المصابين بالمستشفى وقدموا لهم بعض الهدايا الرمزية ••

وعلى أثر هذه الزيارة ، وجه اعضاء المؤتمر برقية الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، يؤكدون له فيها استنكارهم الشديد للغارة الاسرائيلية الوحشية ، على أطفال مدرسة بحر البقر •• ويؤكدون لسيادته انهم جميعا سيواصلون فضح المعتدين الاسرائيليين ، وحشد الجهود لمناصرة الحق العربى •

والحقيقة ان الاهمية الكبرى لهذا المؤتمر تكمن فى اتساع القوى التى يمثلها •• فالمنظمات العالمية ، التى تضم كل منها عشرات من اللجان والمنظمات القومية ، والتى تمثل اوسع جماهير الرأى العام العالمى المنظمة تمثل اذا ما اجتمعت معا ، ثقلا حقيقا لا يستهان به •

ومن هنا فان هذا المؤتمر ، يعد بحق خطوة واسعة للامام ، فى مجال كسب الرأى العام العالمى ، لصالح القضية العربية ، ويمثل ايضا خطوة نحو خلق اشكال دائمة لتنظيم وتنسيق جهود القوى العالمية المختلفة فى هذا الصدد •

■ ■

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

مناورة امريكية للاحتفاظ بالوضع القائم

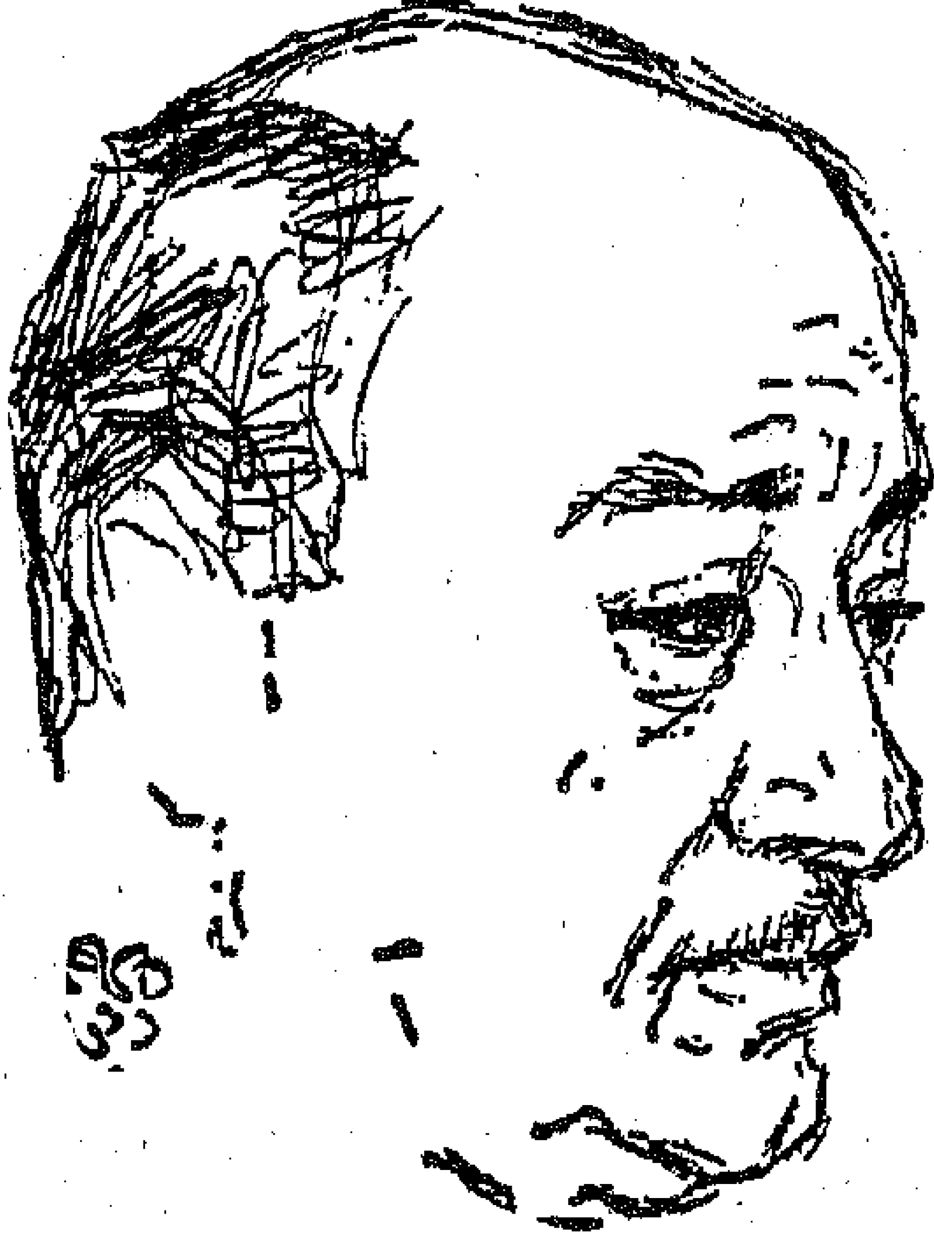
اجمع المراقبون السياسيون على ان زيارة **سيسكو** مساعد وزير الخارجية الامريكية للشرق الاوسط ، لم تسفر عن أية نتائج ايجابية ، وعلقت الوكالة الفرنسية على الزيارة ، فأشارت الى انه لم يصاحبها أى تغيير فى الموقف الامريكى ازاء الازمة ،كما انها لم تؤد الى أى تحسين فى علاقات **امريكا** بالعرب ، ان لم تكن قد دفعت بها نحو مزيد من التدهور •

وعندما وصل سيسكو الى **القاهرة** فى بداية جولته ، أوضح له **محمود رياض** وزير الخارجية ، أن وجهة النظر المصرية ترتكز على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن ، بانسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضى التى احتلتها ، وعلى حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى أراضيهم ، كما أوضحت القاهرة موقفها ازاء تسليح أمريكا لاسرائيل ، وعقب مغادرة سيسكو للقاهرة اشار **الرئيس عبد الناصر** فى حديثه الى **كارانجيا** ، الى ان أمريكا كانت الطرف الذى دخل امامنا فى سلم التصاعد العسكرى لتحتفظ اسرائيل بالتفوق علينا ، وقال اننا نستبعد تماما أية تسوية سلمية فى ضوء المقترحات الامريكية •

ولم يكد يعلن نبأ زيارة سيسكو لعمان حتى انفجرت المظاهرات المعادية لامريكا ، وأحرق المتظاهرون مركز الاستعلامات الامريكى ، كما رفعوا العلم الفلسطينى فوق مبنى السفارة الامريكية ، وازاء موجة المظاهرات العارمة التى



سيسكو



محمود رياض

اجتاحت الاردن ، ألغى سيسكو رحلته الى عمان ، وترتب على ذلك ان طلبت حكومة الاردن سحب السفير الامريكى فى عمان ، وتوجه سيسكوالى بيروت ، فواجه نفس موجة الكراهية لامريكا من الجماهير العربية ، التى تدفقت فى مظـاهرات ضخمة مما اضطر سيسكو لان يغادر **لبنان** بعد وصوله اليها باربع ساعات ، ليتجه صوب طهران ، حيث يرأس مؤتمر سفراء الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، وقد علقت جريدة هـاآرتز الاسرائيلية على الاستقبال العدائى لسيسكو فى البلدان العربية بقولها ، ان هذه المظاهرات قد هزت من هيبة الولايات المتحدة ٠

وجاءت زيارة سيسكو الى الشرق الاوسط ، فى نفس الوقت مع فشل مندوبى الدول الاربع فى تحقيق أى تقدم ، وبعد أن قرروا تأجيل مباحثاتهم حتى ٥ مايو ، كى يتم اعداد مذكرة بالنقاط التى تم الاتفاق عليها فيما بينهم ، ويشير المراقبون الى ان الولايات المتحدة ، قد سعت بكل ما فى وسعها من أجل تأجيل المحادثات الرباعية ، تحت ذريعة احياء المحادثات الثنائية ، لتسهيل الوصول الى اتفاق ، وذلك لكى تتمكن من الاحتفاظ بالوضع القائم فى الشرق الاوسط ٠

وخلال الشهر الماضى شنت اسرائيل بطائرات الفانتوم الامريكية الصنع ، غارتها الوحشية على **مدرسة بحر البقر الابتدائية** ، وراح ضحيتها عدد كبير من الاطفال ، وقد نقل المراسلون الاجانب الى العالم ، صورة مفصلة لتلك الجريمة ، التى حاولت اسرائيل اخفاءها تحت ستار أنها ضربت هدفا عسكريا ، وقد أثارت هذه الغارة استنكارا بالغا فى جميع أوساط الرأى العام العالمى ٠

وعلقت **اليونايتد برس** على الغارة ، فقالت : ان غضبة العالم العربى على الغارة الاسرائيلية على المدرسة تفوق فى مرارتها الشعور بالغضب الذى عم عقب الغارة على مصنع أبى زعبل ، لكن رد الفعل الوحيد فى الولايات المتحدة على تلك الغارة ، كان ما أعلنه المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية ، من أن ما حدث كان نتيجة لعدم الالتزام بوقف اطلاق النار ، وازاء هذا التحدى الصريح فى الدفاع عن اسرائيل ، أصدر مندوبو الدول العربية فى الامم المتحدة بيانا ، ادانوا فيه الغارة الاجرامية وهاجموا فيه بيان وزارة الخارجية الامريكية ، وشـنت حكومات وشعوب البلدان الاشتراكية والصـديقة ، حملة استنكار واسعة ضد أعمال اسرائيل الهمجية ، وضد الولايات المتحدة ، باعتبارها مشجعا لاسرائيل ، وأعربت عن استعدادها لبذل كل عون ممكن للشعوب والبلدان العربية ، فى نضـالها

العادل من اجل استرداد حقوقها ، كما نص عليها قرار مجلس الامن ٠

وعلى طول جبهة القتال ، شنت قاذفاتنا المقاتلة طوال الشهر الماضى ، عددا من الهجمات الجوية المركزة على مواقع العدو فى القنال فى خليج السويس ،وقد وصفت الدوائر الاسرائيلية هجمات الطيران المصرى خلال الشهر الماضى ، بانها كانت أقوى هجوم له منذ حرب يونيو ، وتوغلت قواتنا الخاصة خلف خطوط العدو فى سيناء ، وهاجمت بالصواريخ مناطق تجمع العدو وقواعده ٠

وقد نشط رجال المقاومة داخل الارض المحتلة، فهاجموا منطقة صناعية شمال ايلات ، كما استخدموا صواريخ كاتيوشا فى أعنف هجمات لهم على المدن والمستعمرات الإسرائيلية ، وشن رجال المقاومة فى قطاع غزة ، عددا من الهجمات على مواقع العدو ، وقاموا بنسف الخط الحديدى وابراج الكهرباء ، كما هاجموا دورية اسرائيلية بالقنابل اليدوية ، مما أدى الى نسف سيارة عسكرية للعدو ، وازاء ذلك لجأت السلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول داخل المدينة مرة أخرى ٠

وقد اعلن متحدث باسم قيادة الكفاح المسلح ، أن قوة عسكرية ضاربة ، تضم جميع حركات المقاومة ، سوف تبدأ نشاطها قريبا ضد العدو ٠

■ ■

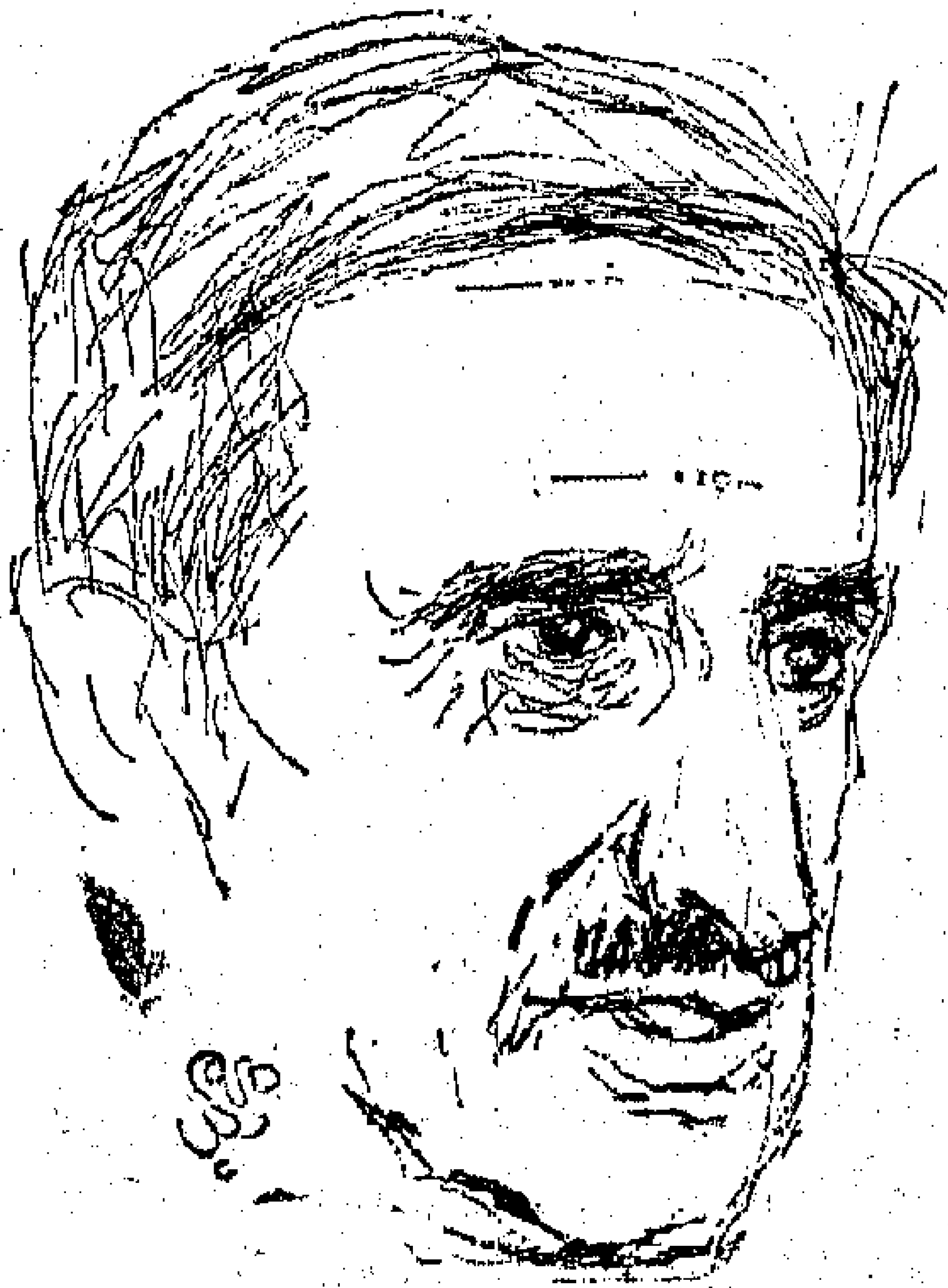
■ لبنان

اليمين المسلح « وسياسة حافة الهاوية »

يتعرض لبنان هذه الايام لمؤامرة من اخطر المؤامرات التى واجهها فى تاريخه، فقد كشفت الاحداث الدامية التى وقعت اخيرا عن **اهداف المخطط الامريكى الاسرائيلى الرجعى لتصفية العمل الفدائى فى لبنان ، بوساطة الفرق المسلحة لحزب الكتائب اليمينى الذى يتزعمه بيير الجميل وزير الاشغال اللبنانى الحالى ٠**

وكانت الفرق المسلحة للكتائب قد قامت خلال الفترة من ٢٤ حتى ٢٨ مارس بشن هجمات متتابعة على الفدائيين فى المناطق الجبلية وفى بيروت وضواحيها ٠ واسفرت عن سقوط عشرات القتلى والجرحى ٠ واضطر الفدائيون ازاء الهجمات الغادرة عليهم الى اتخاذ الوسائل للدفاع عن النفس ، مؤيدين من جماهير الشعب اللبنانى والقوى التقدمية ، وقاموا بتطويق العناصر المهاجمة والقبض على ١٢ شخصا ، وأعلنوا أنهم سيحتفظون بهم كرهينة حتى يكف حزب الكتائب عن أعماله العدوانية ، ثم عادوا وأطلقوا سراحهم بعد ذلك ٠

واظهر الفدائيون خلال هذه الاحداث انضباطا ، واحساسا بالمسئولية ، والسيطرة على المعسكرات الفلسطينية ، وعدم الاستجابة للاستفزازات ، على الرغم من سقوط العديد من ضحاياهم ٠ وقد كشف **كمال جنبلاط** وزير الداخلية عن دور الولايات المتحدة فى هذه الاحداث الداميه ، وذكر أن بعثة عسكرية من اربعة جنرالات أمريكيين ، وتضم الجنرال **تروكمورتن** رئيس هيئة أركان حرب القوات الامريكية الضاربة ، قد زارت بيروت سرا فى الفترة من ١٤ الى ١٦ مارس أثناء تغيبه عن لبنان ، كما ذكرت الصحف اللبنانية أن بعض رجال المخابرات الامريكية قد زار لبنان أيضا، وأنه قد تم توزيع نحو ثلاثة ملايين ليرة لبنانية، وكميات كبيرة من الاسلحة على أفراد حزب الكتائب ، وعناصر لبنانية أخرى فى الجنوب معروفة بعدائها الشديد للفدائيين



كمال جنبلاط

وقد شن كمال جنبلاط حملة اتهامات صريحة ، ضد جهاز المكتب الثانى (المخابرات) فى لبنان ، لانه اشترك مع القوى اليمينية فى جميع حوادث التخريب والاعمال المنافية لمصلحة لبنان محليا وعربيا • وعرض الوزير لكثير من الوقائع مثل مجازر نيسان (أبريل) عام ١٩٦٩ ، وسقوط حوالى ١٥٠ قتيلا وجريحا ، وافتعال حادث طائرة الميراج ، والصاقها بالدبلوماسيين السوفييت ، لغاية سياسية معروفة ، وعن وجود منظمات لبنانية ارهابية مثل « منظمة ارز » و « منظمة الحرس الوطنى » تعمل تحت اشراف المكتب الثانى • واوضح انها كانت وراء سلسلة الانفجارات التى وقعت فى بيروت بقصد اثارة الفتنة الطائفية • وكذلك استخدام بعض الصحفيين فى وزارة الانباء فى التحريض ضد الفلسطينيين فى لبنان ، والصاق كل سرقة او جريمة بهم لتشويه سمعتهم ، والقيام بتوزيع الاسلحة على أكثر من ٧٠٠ شخص فى الجنوب من العناصر المعادية للفدائيين ، وكان ذلك مقدمة لكثير من الكوارث فى منطقة بنت جبيل وغيرها ، ومن اغتيال للعناصر الفدائية ، واطلاق الرصاص عليهم بدون انذار ، وتطرق جنبلاط الى الحديث عن الاحداث الاخيرة ، فاكد انها كانت مدبرة وقدم مجموعة من الصور التى تثبت اشتراك الكتائب فى العدوان على الفدائيين مع فريق آخر من مختلف الاحزاب اليمينية ، ثم ما كان من تعرض رجال المكتب الثانى بالضغط والتهديد للشهود لرد التهمة عنهم •

وعرض جنبلاط لدور المكتب الثانى فى التجسس عليه شخصيا فى كل مكان ومراقبة منزله وتليفونه ، وذكر أن هناك اسلحة وزعت فى بعض المناطق بقصد اثارة الفتنة والتخريب ، وأعلن جنبلاط أنه يفصل بين المكتب الثانى وبين الجيش اللبنانى الذى يتحمل رجاله العبء الاساسى فى الدفاع عن لبنان ضد اسرائيل •

ولقد أثارت اتهامات جنبلاط ردود فعل عنيفة ، داخل البرلمان والوزارة ، وفى أوساط الجماهير الشعبية •

ويرى المراقبون ان هناك جهات معروفة بارتباطاتها بالامبريالية الامريكية ، تعمل على الاطاحة بالوزارة ، سواء من داخل الوزارة نفسها ، او من داخل البرلمان للتخلص من كمال جنبلاط بالذات ، باعتباره العنصر التقدمى داخل الحكومة ، والذى ترى فيه خطرا على مستقبل النظام الاقتصادى الحر والديمقراطية الغربية فى لبنان ، ومن ناحية أخرى ، باعتباره من اشد المدافعين عن اتفاقية القاهرة الخاصة بتنظيم نشاط الفدائيين وتحسين اوضاع ومعيشة اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان • وقد تم التوصل الى اتفاق جديد بين السلطات اللبنانية وبين الفدائيين ، يتضمن ١٦ بندا فى ضوء اتفاق القاهرة ، بخصوص تنظيم الشئون العسكرية وتنقلات الفدائيين ، وكذلك مهمة السلطات اللبنانية المختصة •

ويجمع المراقبون على تفاقم الوضع فى لبنان ، واذا كان قد تم حتى الان فشل الفتنة المسلحة ، والسيطرة على الموقف بفضل وعى الشعب اللبنانى ويقظة وانضباط الفدائيين ، فان احدا لا يستطيع ان يتكهن بالمستقبل ، خاصة وان بيير الجميل زعيم الكتائب ما زال يهدد باستئناف القتال ضد الفدائيين الفلسطينيين والتلميح باستعداده لاستدعاء المعونة والتأييد الاجنبى ، واتهم زعيم الكتائب من وصفهم باصحاب الايديولوجيات من المنظمات الفدائية بشن حرب فكرية على الديمقراطية اللبنانية ، **وأعلن أنه اذا لم يتم عزل المخربين ، فعليهم اخلاء المخيمات من النساء والشيوخ والاطفال ، استعدادا للمعركة الفاصلة فى هذا الصراع ، وأعلن انه لن يستمر فى التساهل بعد الان •**

وفى الوقت الحاضر تزداد الدعوة فى صفوف الاحزاب التقدمية ، والمنظمات الجماهيرية ، وجميع منظمات المقاومة والقوى الوطنية ، لتوحيد الصف فى المعركة الخطيرة ، والوقوف فى وجه المخطط الامريكى الاسرائيلى الرجعى •

■ ■

■ اليونان

محاكمات الفدائيين العرب وقضية الحرية فى اليونان

رفضت محكمة جنايات اثينا فى جلستها المنعقدة بتاريخ ١٧ ابريل التماسا مقدما من الفدائيين الفلسطينيين **«الياس وبرجاربيديان» و «منصور مراد»** بشأن اعادة النظر فى مبدأ المحاكمة ، والفدائيان متهمان بالقاء قنابل يدوية على مكاتب

شركة العال الاسرائيلية فى أثينا يوم ٢٧ نوفمبر الماضى ، وقد وجهت اليهما سلطات التحقيق اليونانية تهمة تدبير انفجار ، وتعريض حياة آخرين للخطر ، وحيازة أسلحة ومتفجرات غير قانونية ، وتدمير الممتلكات ، والقتل المتعمد .

وفى نفس اليوم الذى هوجمت فيه مكاتب شركة العال ، أعلن عن موعد محاكمة الفدائيين العربيين « **ماهر حسن اليمانى** » و « **محمود محمد عيسى** » اللذين هاجما طائرة شركة العال فى ديسمبر ١٩٦٨ ، وقد تم تحديد موعد محاكمتهما فى ١٧ فبراير ١٩٧٠ ، بعد أن كانت الحكومة اليونانية قد أعلنت – قبل ذلك بأسبوع – تأجيل محاكمتهما الى أجل غير محدود ، تقديرا للطبيعة السياسية للحادث ، وحفاظا على علاقات اليونان بالدول التى يعنيها الامر ، ويرتبط اعلان موعدهذه المحاكمة ، بتصريح لابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، أذيع على الراديو فى نفس اليوم وقال فيه : « ينبغى على الحكومة اليونانية أن تدرك أن الارهابيين لا يشنون هجومهم الثانى فى أثينا بمحض الصدفة ، فمن المؤكد أن التباطؤ فى محاكمة مدبرى الهجوم الاول قد شجعهم على ذلك » .

وجرت المحاكمة فى نفس الموعد ، ووافق المحلفون على اعتبار الدافع الوطنى لعمل الفدائيين ، عاملا للتخفيف من الحكم ، وقد عقب على ذلك القس **حنا سقاب** من بيروت – وقد سبق ان ادلى بشهادة الدفاع – بقوله : انه يعتبر ان قرار المحلفين انتصارا للكفاح العربى ، فقد اعتبروا عمل هذين الرجلين كفاحا مشروعا من أجل الحرية والتحرر ، غير أن المحكمة بعد مداولة استغرقت ساعتين خيبت آمال المحامين والمراقبين العرب ، فأصدرت أحكامها القاسية .

وفى ٢٤ يونيو القادم سوف تبدأ محاكمة ثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين : **أبو خالد ، عصام دمياط ، وسامى عبود** ، بتهمة تدبير محاولة لخطف طائرة امريكية ، وقد سلم الفدائيان عصام وسامى الى القاضى مذكرة يقولان فيها : ان قانون العقوبات لا يطبق بالنسبة لقضيتهما ، وأنه لا علم لهما بالقانون اليونانى الذى صدر أخيرا ، والذى يجعل من حمل المتفجرات جريمة .

■ **جواتيمالا**

اختطاف الدبلوماسيين رد فعل للعنف الاستعمارى

اعلنت حكومة جواتيمالا فى الشهر الماضى حالة الطوارىء ، على اثر اختطاف سفير المانيا الغربية ، وطبقت الاحكام العرفية ، وسلمت الحكم الى العسكريين لمدة ثلاثين يوما ، بعد أن تعددت عمليات خطف الدبلوماسيين الاجانب .

وقد طغت عملية اختطاف السفير الالمانى ، على كل ما عداها من عمليات الاختطاف ، التى قام بها ثوار أمريكا اللاتينية فى الشهر الماضى ، وأبرزت اسم جواتيمالا من جديد على مسرح الاحداث ، فقد اتخذت حكومة جواتيمالا – هذه المرة – موقفا متشددا ، وأصرت على رفض مطالب الثوار فى الافراج عن ٢٥ معتقلا سياسيا ، ودفع مبلغ ٧٠٠ الف دولار ، رغم أن الثوار قد امهلوا الحكومة اكثر من مرة ، ورغم أن حركتهم قد أعدمت ثلاثة من الدبلوماسيين الامريكيين خلال العامين الماضيين .

وهكذا نفذ الثوار تهديدهم ، وفجر حادث قتل السفير الالمانى ازمة دبلوماسية عنيفة بين المانيا الغربية وجواتيمالا ، فصرح **فيلى برانت** مستشار المانيا الغربية ، بأن السفير أصبح ضحية بريئة للصراع الداخلى فى جواتيمالا ، واعلن وزير الخارجية الالمانية سحب جميع الدبلوماسيين الالمان من جواتيمالا ، وحمل حكومة جواتيمالا مسئولية فشل المفاوضات مع الثوار ، من أجل اطلاق سراح السفير ، خاصة وأن حكومة بون أبدت استعدادها لدفع الفدية المطلوبة .

وقد ثارت ثائرة الحكومة الالمانية ، خاصة وأن حادث اختطاف السفير لم يمض عليه سوى شهر ، من اختطاف الملحق بالسفارة الامريكية ، ووزير خارجية جواتيمالا ، وفيه استجابت حكومة جواتيمالا لشروط الثوار ، وأطلق بالفعل سراح الدبلوماسى الامريكى ، الذى صرح بان الثوار قد أحسنوا معاملته ، وأنهم ناقشوه فى حرب فيتنام وفى الامبريالية الامريكية .

والواقع أن عمليات اختطاف الدبلوماسيين الاجانب ، وكبار الساسة ورجال الاعمـــال ، أصبحت وكأنها الخبز اليومى ، لا لجـواتيمالا فحسب ، بل للقاره اللاتينية باسرها • وهي اليوم تمثل بحق ظاهرة جديدة لم يألفها الكفاح الثورى من قبل ، ولم يعرفها تاريخ النضال الطـويل والمرير ، الذى تخوضه شعوب القارة اللاتينية ضد الامبريالية الامريكية ، وحكوماتها العسكريـه العميلة •

فقد شهدت الاعوام الاخيره تغييرا جذريا فى أسلوب عمل المنظمات الثورية ، فرضته طبيعة الظروف القائمة ، وتمثل ذلك فى اسلوب حرب العصابات ضد القوى الرجعية والامبرياليـة ، وكما يقول المراقبون الغربيون : ان حرب العصابات تنشط فى البلدان التى تمتلك امكانيات مناسبة ويتحقق فيها الاصلاح بخطوات بطيئه ، فـان جواتيمالا أرض الجوع والحرمان ، كانت لابد وان تصبح أرض الثورات والقنابل ، فمنذ أن سقطت حكومة اربنز الوطنية ، بفعل التدخل الامريكى المسلح ، ولم تشهد جواتيمالا من يـومها اى استقرار داخلى ، اذ عادت شركة الفواكه الى سابق سيطرتها ، وتحولت جواتيمالا من جديد الى مزرعة أمريكية ، يمسك بخناقها اقطاع مخيف يخلق بقيوده نظاما للرق ، وينشر بتبعيتـــــــه للامبريالية الامريكية تخلفا بشعا •

فلا يزال ٢ فى المائة من الملاك الاقطاعيين يملكون ٧٢ فى المائة من مساحة الاراضى المنزرعة ، بينما اغلبية السكان من هنود حمر وعبيد ، يعملون مزارعين ولا يحصدون سوى الجوع ثمرة لهذا التفاوت الطبقى الصارخ ، وبينما يبلغ معدل تزايد السكان ٣ر١ فى المائة سنويا ، يتدهور مستوى الخدمات الصحية والتعليمية ، حتى ان الامة فى

تعليـــق

حتى لا تدعم أفريقيا حكم سميث !

فى اول مارس اعـــلن العنصريون « الجمهورية » فى روديسيا بعد انمهدوا لهذه الخطوة باستفتاء على «الدستور»

وفى نفس الشهر استخدمت بريطانيا والولايات المتحـــدة « حق الفيتو » فى مجلس الامن ، ضد مشروع قرار افريقى يطالب باستخدام القوة لاسقاط الحكم العنصرى .

وبقى « واقع محدد » : استكمل العنصريون سيطرتهم « الشكلية »على روديسيا بعد ان سيطروا عليهـــــا « واقعيا » ، وانتهى الامر حتى وقت سوف يطول .

ولنتجنب تكرار الحديث عن « المناورة البريطانية » او « الامريـــكية » او « الغربية » ــ بشكل عام ــ التى مهدت ثم سهلت ثم مكنت من اقدام العنصريين على هذه الخطوة .

ولنقف كثيرا امام حقيقة ان بريطانيا وامريكا والغرب سوف يقدمون كل شىء من اجل تدعيم حكم سميث والعنصريين .

والخطر هنا لا يكمن فقط فى حقيقة ان شعب زيمبابوى ــ روديسيا ــ الافريقى . قد حرم من حكم بلاده الى فترة ستطول ــ بل انه يمتد ليماثل فى حجمه » و « كثافته ، حجم « المثلث العنصرى » لجنوب القارة ثم « كثافة » الثروات التى ينهبها الاستعماريون من ارض هذا المثلث . جمهـورية جنوب افريقيا . ثم المستعمرات البرتغالية . ثم روديسيا . هذا ، فضلا عن الخطر السياسى الذى يتهدد كل دولةافريقية . تقع على حدود هذا المثلث .

وامامهذا الخطر .. سوف يبقىشعار الكفاح المسلح . وهو شعار هــدف بعيد . مجرد « حلم ثورى » ولكنه«حلم» فى نهاية الامر ، فلا العناصرالموضوعية « الداخليـــة » ، قادرة ــ الان ــ على تجاوز « حجم قوة النظام العنصرى» ولا العناصر الموضوعية الخارجيـة ، قادرة ــ الان ــ على تجاوز حجموضراوة المؤامرة الاستعمارية .

بقى شعار آخر لابد وان يرفعـــه المناضلون الافريقيون ويمارسوا كـل الضغوط ((السياسية)) و ((الجماهيرية)) لتطبيقه . وهو « فلتتوقف افريقيا عن دعم حكم سميث » .

كيف ؟

لتهدف كل الضغوط الى قفل الاسواق امام منتجات الدول المساندة لحكم سميث . لتهدف كل الضغوط الىاستبدال مشترى المواد الخام ــ او ناهبها ــ الدعم لحكم سميث . بمشترى آخـر ايا كان اتجاهه . يقف ضد سيطرة العنصريين على روديسيا ، ويمارس ذلك بالفعل . لتهدف كل الضغوط الىمقاطعة وسائل نقل اى دولة تدعم سميث .. تمر بموانىء ومطارات واراضى افريقيا لتهدف الضغوط الى سحب الارصدة من بنوك الدول التى تدعم حكم سميث . وباختصار . فلتهدد افريقيا ــ بالفعل ــ مصالح كل دولة تقف الىجانب العنصريين

والى جانب ذلك ، لتفتح دول افريقيا المستقلة ــ اراضيها ومعسكراتها ــ لتدريب كل الوطنيين من روديسيا .

يبقى ان نقول : لتتحول عمليــــة الاحتجاج ضد العنصريين والغرب ــ من مشكلة روديسيا ــ الى عملية سياسية تتسع لكل جماهير القارة . ولتصبح عملية دعم ومساعدة الحركة الوطنيـة المسلحة ــ على صغر حجمها وضعفها لانها فى البداية ــ فى روديسيا ــ عملية دعم ومساعدة الحركة الوطنيـة الذى خلق العنصريين ثم مكنهم من كل شىء فى روديسيا .

حسين شعلان

جواتيمالا سجلت رقما قياسيا فى القارة كلها (٨٣ فى المائة) ٠

وقد عمق هذا التشويه الاجتماعى من جذور التناقضات الطبقية ، فأصبحت جواتيمالا مسرحا للانقلابات تدبرها ايدى الاحتكارات الامريكية ، بينما تنشر قوى اليمين الحاكمة ظلا كثيفا من الارهاب ، وكان من الطبيعى — وامام النموذج الثورى الذى تقدمه كوبا — أن ينبثق كيان جديد للكفاح ، فى صورة منظمات ثورية كمنظمة « **القوات الثورية المسلحة** » وان تستلهم مثل كاسترو وجيفارا فى محاولة تغيير الوضع القائم الذى يتطلب ثورة شعبية مسلحة ٠

وهكذا فجرت منظمة « القوات الثورية المسلحة » حرب العصابات فى ريف جواتيمالا ، وشنت هجومها على مراكز الجيش الامريكى ، ووكالة الاستعلامات الامريكية ، غير أن أسلوب كفاحها ، ما لبث اخيرا أن اكتسب طابعا جديدا ، طابع العنف واختطاف الدبلوماسيين والسياسيين ورجال الاعمال ٠

وهذا الطابع الجديد وغير المألوف فى الكفاح الثورى ، قد خلقته طبيعة التناقضات الطبقية فى جواتيمالا بصفة خاصة ، ورد الفعل للتدخل الامريكى المباشر على نطاق القارة بصفة عامة ، فمنذ عامين تحالفت أحزاب اليمين فى حملة دموية ، للقضاء على ثورة الفلاحين ، فى المناطق الشمالية الشرقية لجواتيمالا ، وفى الفترة ذاتها تكونت خمس منظمات ارهابية يمينية ، اشهرها « **عصابة اليد البيضاء** » تنفق عليها العناصر الرجعية ، وتدربها وكالة المخابرات المركزية ، والجيش الحكومى ، وقامت هذه العصابات باختطاف واغتيال عدد من الثوار ، صحفيين ومحامين ونواب برلمان ، وألقت بجثثهم مشوهة فى العراء ، هذا بينما تربصت الولايات المتحدة ، بكل حركة ثورية ، وسارعت الى خنق الثورة فى مهدها ، أو تدبير ثورة مضادة اذا قدر لها أن تنجح ٠

وهكذا ينبثق رد الفعل ، فيتسم كفاح الثوار بأسلوب العنف وعمليات الاختطاف فى مواجهة الامبريالية الامريكية ، وحكومات اليمين الرجعية ٠

■ **كمبوديا**

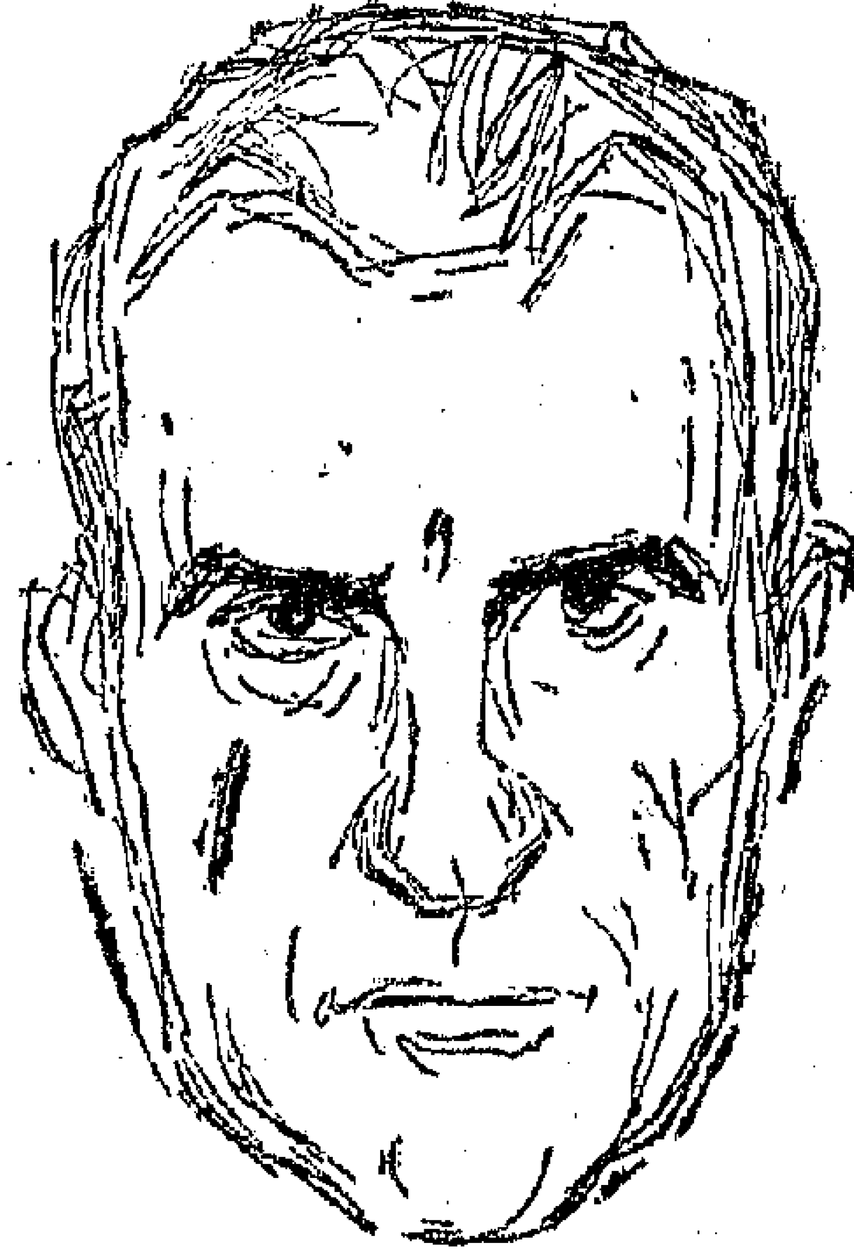
تطبيق عملى « لمبدأ نيكسون »

أصدرت وزارة خارجية جمهورية فيتنام الديمقراطية أخيرا ، بيانا أدانت فيه نظام الحكم الجديد ، فى كمبوديا لجرائمه الوحشية . وطالبت فيه الحكومة الحالية هناك ، بأن تكف عن المذابح ، واعمال الارهاب ، والتفرقة ضد الفيتناميين المقيمين فى كمبوديا ، وجاء فى البيان أنه « فضلا عن المائة فيتنامى الذين قتلوا يوم ١٠ ابريل الماضى قرب برازو ، فان الكمبوديين قتلوا سرا يوم ١٥ أبريل الماضى ألف فيتنامى والقوا بجثثهم فى نهر ميكونج ، وان ما يزيد على مائة فيتنامى قد قتلوا فى تاكيو ايضا » ٠

ويرى بعض المراقبين التقدميين ان حكومة **لون نول سيريك ماتاك** فى كمبوديا ، تلجأ الى الارهاب لتنمية عقدة الكراهية بين شعبى كمبوديا وفيتنام ، ولدفع شعب كمبوديا الى ابادة الفيتناميين المقيمين فى كمبوديا ، كما تهدف الى ارغام الفيتناميين هناك على الاقامة فى مناطق فيتنام الجنوبية ، التى تحتلها القوات الامريكية وقوات حكومة سايجون ٠

وقد أوضحت صحيفة « **نهان دان** » الفيتنامية الشمالية ان الجنرال **لون نول** نفسه هو الذى دعا فى الاذاعة الى حملة الفتك بالفيتناميين » ٠ وان عصابة لون نول — س ٠ ماتاك اخذت على عاتقها تنفيذ مبدأ « **نيكسون** » الذى يستهدف دفع الاسيويين لان يقاتلوا بعضهم بعضا » ٠ وقالت « ان التصرفات الغاضبة التى تلجأ اليها هذه العصابة ، لا تعكس الا الذعر والحرج اللذين تشعر بهما ازاء حركة نضال الشعب الكمبودى القوية » ٠ ومما هو جدير بالذكر ان عدد الفيتناميين فى كمبوديا يصل الى ٣٠٠ الف ، وتقدر السلطات الكمبودية عدد الذين يتعاطفون مع جبهة التحرير الوطنى منهم بحوالى نسبة الستين فى المائة ٠

والحقيقة التى لاحظها بعض المراقبين السياسيين والعسكريين كذلك ، هى أن حكومة لون نول تحاول تعبئة السكان عسكريا ، والشباب منهم



نيكسون

بصفة خاصة ، وان الطابع العسكرى يزداد يوما بعد يوم فى كمبوديا . وقد استدعت الحكومة الضباط الذين يزاولون تدريبهم فى فرنسا ، او فى بعض البلاد الاخرى على عجل ، ليكونوا على راس الوحدات الجديدة التى يجرى تشكيلها ، كما تضاعف جيش كمبوديا من ٣٥ الف جندى الى ٧٠ الفا . الا ان المراقبين العسكريين يرون ان قدرته القتالية لم تتضاعف بنفس الدرجة . هذا مع العلم باشتراك القوات الامريكية مع قوات حكومة سايجون وكمبوديا فى تعقب الثوار الكمبوديين داخل البلد الاخير .

هذا ولم يكن للجهود التى بذلتها حكومة لون نول للحصول على « مساعدة خارجية غير مشروطة من اى مكان » اى صدى ينطوى على الحماس فى أية عاصمة من عواصم العالم ، باستثناء الولايات المتحدة التى تقدم مساعداتها العسكرية عمليا للحكم الجديد ، كذلك لم يعلن **لون نول** حتى كتابة هذا التقرير اقامة الجمهورية فى كمبوديا .

كذلك فلم تتفق الدول الكبرى التى لها تمثيل ديبلوماسى فى كمبوديا — فيما عدا الولايات المتحدة التى تتدخل أكثر فأكثر هناك — الا على موقف واحد هو : الانتظار والترقب ، الا انه برز بصفة خاصة فى الفترة الاخيرة ، اقتراح فرنسا باجراء مفاوضات دولية ، بشأن شبه جزيرة الهند الصينية ، فى صورة « **مؤتمر جنيف** » جديد . ولقى ذلك الاقتراح اهتماما اكبر من بريطانيا ، بعد تصريحات **جاكوب ماليك** ممثل الاتحاد السوفيتى فى الامم المتحدة ، التى أعلن فيها ان طريقة حل مشكلة شبه جزيرة الهند الصينية تكمن فى العودة الى مؤتمر جنيف سنة ١٩٥٤ . ويرى عدد من المراقبين السياسيين ان احتمال عقد مؤتمر جنيف غير مستبعد كلية ، الا انهم يرون فى الوقت نفسه انه لكى يكون مثل هذا المؤتمر مجديا حقا ، ينبغى على جميع الاطراف المعنية ، ان تبدى رغبتها فى الاشتراك فيه ، والاسهام بجدية فى أعماله .



■ علوم

الانسان فى معركة اطالة الحياة

اذاعت وكالات الانباء ان الجراحين فى مستشفى جامعة ميتشجان الامريكية ، قد اجروا عملية نقل رئة بنجاح . وقد استغرقت العملية ست ساعات ونصف الساعة ، نقلت خلالها رئة **ريتشارد دماى** (١٧ سنة) الذى قتل فى حادث سيارة الى **البرت كارنيك** (٥٠ سنة) وهو مهندس ميكانيكى . وقد اجريت حتى الان ٢٥ عملية نقل رئة منذ اجراء أول عملية من هذا النوع فى جامعة ميسيسبى عام ١٩٦٣ .

والواقع ان الانسان يسعى اليوم الى اطالة حياته على سطح الارض باستخدام كثير من الاعضاء والانسجة المختلفة الصالحة لاستمرار حياته ، من الموتى ، وزرعها فى جسم الاحياء اصحاب نفس الاعضاء والانسجة التى تكاد تكون فى حكم الميتة . ويتسع اليوم نطاق هذه العمليات فتشمل القلب والكلى والكبد والطحال والبنكرياس ، بل والرأس نفسه (على حيوانات التجارب) والايدى والارجل وكثير من الانسجة الاخرى .

فحتى شهر فبراير الماضى ، تم اجراء ١٢ عملية زرع قلب من موتى الى أحياء ذوى قلوب فى حكم الميتة . وبدون اجراء هذه العمليات ، كان مصير هؤلاء الاحياء هو القبر منذ فترة ، وقد استطاع نصف هؤلاء المرضى ، تحمل هذه العملية المعقدة ، ويعيشون اليوم بقلوب اشخاص فى القبور .

هذا الى جانب ، ان هناك اكثر من الفى شخص ، فى مختلف انحاء العالم يعيشون بكلى ، زرع اغلبها ، من اشخاص موتى . ويزداد هذا الرقم ، فى العالم ، يوما بعد يوم . ومما يستحق الذكر ، أن نتائج زرع الكلى منذ ١٠ سنوات ،

كانت اسوأ بكثير من نتائج زرع القلب الحالية ، وهذا يبشر بنجاح كبير فى عمليات زرع الاعضاء المختلفة • وكان الرأى الغالب بين الاطباء ، ان نجاح عمليات زرع الكلى يقتصر على الكلى التى تزرع بين توأمين منحدرين من نفس البويضة فى رحم الام • ولكن منذ سنتين فقط ، ثبت ان نسبة نجاح عمليات زرع الكلى ، بين غير الاقارب ، كانت اعلى من نسبتها بين التوائم ، وهذا بالطبع يفسح المجال امام هذا النوع من العمليات فى المستقبل •

ومن العمليات الهامة ، التى اجريت فى الولايات المتحدة الامريكية ، عملية زرع للبنكرياس والكلى فى نفس الوقت لاربعة اشخاص مصابون بمرض السكر ويعانون من هبـوط بالكليتين ، وكـانوا يداومون على تعاطى مادةالانسولين • وقد نجحت العمليات الاربعة ، بدليل ان المرضى الاربعة ، لم يعودوا فى احتياج الى تعاطى مادة الانسولين لمدة تراوحت بين ٣١ و ١٣٤ يوما ، وهذا نجاح كبير ، يؤكد امكانية تغيير البنكرياس لمرضى السكر ، اذا ما استطاع العلماء ، حل مشكلة طرد العضو الغريب المزروع فى المريض .

ومن الامراض المستعصية التى يحاول الاطباء حلها عن طـريق زرع الاعضــاء ، مـرض الهيموفيليا • ان المريض بهذا المرض يصاب بنزيف دموى من مختلف أجزاء الجسم ، نتيجة نقص المادة الخاصة بتجلط الدم فى الجسم . وقد بدأ العلماء فى السنوات الاخيرة يعتقدون ان الطحال ، هو العضو المسئول عن تكوين هذه المادة ، الا انهم لم يحددوا بشكل نهائى ما اذا كان الطحال هـو المسئول عن تكوين هذه المادة ، او انه مجرد مخزن لها .

واخيرا اجرى عدد من الاطباء فى مدينة دنيفر بكلورادو ، أول عملية زرع طحـال لشـاب فى السادسة عشرة من عمره ، يعـانى من النزيف المتكرر نتيجة لمرض الهيموفيليا • وقد اضطر الى دخول المستشفيات ٤١ مرة ، لوقف عمليات النزيف المفاجىء الحاد التى كان يصاب بها ، وقد تطوع والده بطحاله من أجل انقاذ نجله • وكانت نسبة المادة الخاصة بتجلط الدم لدى الشاب صفر فى المائة ، وبعد عملية زرع الطحال ارتفعت نسبة هذه المادة الى ٢٠ فى المائة بعد اجراء العملية بأربعة ايام ، واعتبرت هذه العملية نجـاحا غير متوقع

تعليـــق

حـول هجرة الفنيين

منذ منتصف الخمسينيات بدأت مشكلة هجرة الفنيين من الدول النامية تتفـاقم حتى صارت فى أواخر العقد المـاضى وباء يستشرى لتستفيد منه بضعة دول على رأسها امريكا بالذات . ولقـــد استشعرنا الخطر وقت ان وصـل عدد الراغبين فى الهجـرة الى مايزيـد عن خمسة عشر الفا من المؤهلات العليـا وحدها .

وانتهت اللجنة التى شكلت لدراسـة الموضوع الى اباحة الهجـرة لخريجى الزراعة والحقوق ودار العلوم وقصرها على حصص معينة من باقى التخصصات وتلك خطوة الى الامام بالنسبة للوقت الذى اطلقت فيه الهجرة وشجعت لـمن يشاء ، ولاى بلاد الله أراد .

وفى رأينا ان القرار ـــ اى قرار ـــ ان لم يصدر عن ايمان بمبدأ معيـن فهو عرضة الا يجانبه الصواب . ان المتعلم والفنى الفرد ، ليس الا استثمارا من جهد هذا الشعب ، انبته ورعـاه وانفق عليه فى كل مراحل التعليم والخبرة ليصبح قدرة وطاقة عمل ، تخدم الشعب ذاته ثلاثين أو اربعين عاما ، حتى يقعد به الجهد ، فيرعاه شيخا حتى الممات .

ومن هذا المنطلق ، فالفنى والمتعلم جزء من ثروة هذا البلد لايجوز التضحية بها بتاتا تحت اى ظروف . والا فما اغنانا عن كل هذا الانفاق فى التعليم بدرجاته اذا كانت ثمرته تعود الى بلاد اخـرى يقف منا بعضها موقف العداء .

الهجرة اذن سواء كانت مطلقة مباحة او مقننة بالحصص ليست الا تبذيرا فى ثروة الشعب يجب ان يغلق بابه نهائيا بالمرصاد ولكل التخصصات .

وما يقال عن ان لدينا مشـكلة فى وجود فائض من المتعلمين ليس وضعا للامور فى نصابها الصحيح ، اذا ماقدرنا نسبة المؤهلين جامعيا عندنا بالمقاييس المعاصرة فى مختلف دول العالم المتقدم ولكن ما نشعر به من ازمة ـــ تأخـذ تعبيرها الحقيقى فى توزيع الخريجين كل عام ـــ ترجع فى اعتقـادنا الى ثلاثة عوامل : الاول عدم بلوغ التخطيط بين سياسة التعليم وحاجتنا من القوى العاملة الدرجة المطلوبة بحيث يقدم الاول اكثر من اللازم فى تخصصات واقل منه فى تخصصات اخرى ، والعامل الثانى هو عدم استطاعة عجلة التنميـة ـــ التى تبطؤها ظروف ذاتية او خارجية ـــ عن استيعاب اعداد الخريجين ، وثـالث العوامل عدم استغلال القوى العـاملة من الخريجين استغلالا لا ينفصم عمـا حصلوا من علم ومعرفة ويشعرهم بقيمة ما تعلموا ويفتح امامهم آفاق التقـدم بقدر ما انتجوا .

وقد ياتى بعد هذه العوامل الاساسية عوامل اخرى هى فى تقديرنا اقل قدرا وان كانت تلعب دورها فى وجود هذا الاندفاع الضخم نحو الهجرة . تلك هى الاغراء الذى يصعب على البعض مقاومته متمثلا فى دخل مادى مرتفع اذا ماقورن بالمستوى المحلى ، وان كان الجميـــع لايدركون ـــ نظرا للبعد وعدم المعايشة . الجانب الاخر للصورة وهو حجـــم الانفاق فى مختلف ابواب المعيشة حيث يريدون الهجرة . ومنها كذلك التعقيدات الروتينية التى تمتص جهد الفنى وطاقته للوصول الى حق او تصحيح وضع . ومنها ايضا اثر بعض القيـادات التى تعفنت فى دنان الروتين اذ تقـــــفط كالكوابيس على شباب ـــ ابن العصر ـــ

ودليلا حاسما على ان الطحال هو المسئول عن افراز هذه المادة التى تساعد الدم على التجلط ·

ومن العمليات المثيرة التى كان العلماء السوفيت قد اجروها منذ مدة ، فى مجال زرع الاعضاء ، عملية زرع رأس كلبفى رقبة كلب آخر · وتصرف راس الكلب المزروع بطريقة طبيعية تماما · فكان يجيب على من ينادى على اسمه ، وكان يعرف جميع معارفه واصدقائه السابقين .وكانت الراس المزروعة تشرب الماء ، وتأكل اللحم ·

وقد تبدو عملية زرع الراس ، عملية خيالية ، ولن يكون لها اهمية عملية بالنسبة للانسان . ولكن هذا ليس صحيحا · فيتوقع الاطباء انه يمكن تركيب رأس وذراعى شخص (يكون جسمه قد مزق بطريقة يصعب اصلاحه) ، على جسم شخص اخر (تكون راسه قد تهشمت تماما) · وفى هذه الحالة ستحتفظ الرأس المزروعة بكل صفاتها الخاصة السابقة ، وتستمر فى التفكير والقيام بكافة الاعمال التى كانت تقوم بها من قبل · ولكن ، نظرا لان امكانية زرع النخاع الشوكى لشخصين مختلفين ، لم تتأكد علميابعد،فمن المتوقع انيكون الجسم المرتبط بتلك الراس المزروعة مشلولا وعاجزا عن الحركة ، رغم انه سيكون سليما وحيا · والى ان يتم التوصل الى امكانية زرع النخاع ، فمن الممكن استخدام تصميم الكترونى يمكن عن طريقه التحكم والسيطرة على الجسم المشلول .

وقد يبدو للوهلة الاولى ، ان كل تلك الاحتمالات هي ضرب من الخيال والاوهام ، ولكن منذ عهد قريب جدا ، كانت تبدو عملية زراعة قلب الانسان من قبيل الاحلام والخيالات ، والان يعيش المعشرات من الناس بقلوب تنبض بالحياة ، وأصحابها الاصليون يرقدون تحت التراب فى قبورهم ·

حقا ، ان الانسان عن طريق التقدم العلمى المذهل ، يحاول اليوم تحقيق المعجزات فى كافة فروع العلم ، فكما استطاع أن يطأ بقدميه أرض القمر منذ قليل ، فمن المنتظر ان نرى قريبا انتصارات مذهلة فى مجال زرع الاعضاء ·

يريد ان ينطلق ، وعلى مبعوثين عائدين من حيث شاهدوا فجر الثورة العلميه العالمية المعاصرة ،واذا بهؤلاء يريدونهم ان يعيشوا ويعملوا بعقلية نصف قرن مضى.

اننا نعلم أن بلادنا — حتى اليوم — فقيرة فى الثروات الطبيعية والثروة الوحيدة القوية ذات القيمة هى قوة العمل ومن ثم تكون الهجرة عملية استنزاف — سواء كانت سريعة او بطيئة — للثروة الاولى التى يملكها الشعب . ولقد تعرضت دول كثيرة من قبلنا لهذا الاستنزاف واتخذت من الاجراءات ما ربما قد بدا عنيفا فى وقته . فكلنا نذكر حائط برلين الشهير يوم لم تجد المانيا الشرقية بعدما تعرضت له من سلب خطير لكل قواها الفنية بحيث اعجز نموها بدا من ان تبنى هذا الحائط بين يوم وليلة وتحتجز لصالحها كل من انبتته ... عمالها وفلاحيها . ولقد صورت الصحافة ووسائل الاعلام الاستعمارية هذا الاجراء بانه قمة المعاداة لحرية الفرد . ولكننا اليوم وبعد بضع سنوات قليلة نرى النتائج الايجابية له متمثلة فى بلوغ المانيا الشرقية مرتبة الدولة السادسة فى الانتاج الصناعى فى العالم وهى الجزء الزراعى اصلا من المانيا قبل الحرب العالمية الثانية ومتمثلة كذلك فى ان تضع لنفسها اهدافا فنية وعلمية بسبق العالم كله فى بعض المجالات والتساوى مع اعظم المستويات العالمية فى مجالات اخرى .

اننا — ونحن دولة فقيرة تنمو — بحاجة الى مثل هذا الاجراء وان بدا قاسيا بعض الشىء . ولكن يجب ان ننتبه ان مجرد منع الهجرة لن يكون الحل النهائى لمشاكل المجتمع او الافراد فى هذا المجال بل يصبح خواء ومصدرا للمشاكل ان لم تصاحبه سياسة واضحة المعالم ، متعددة الجوانب تستهدف ازالة — او على الاقل الحد من — كل العوامل التى تدفع بالفنيين الى الهجرة.

ان سياسة تستهدف الملاءمة بين امكانيات التعليم واحتياجات المجتمع وتسرع فى التنمية بحيث تظل الحاجة قائمة لكل القوى الفنية ، وتعطى الفرصة كل الفرصة للعمل الفنى والعلمى الحقيقى والخلاق ، وتهيىء الامكانية للتقدم لكل ذى طاقة بناءة امر واجب وضرورى ان يتم رسمه واتباعه على الفور لتهيء للمجتمع معدل التقدم اللازم وللفرد امكانية التقدم الذى يقف به امام سبل الاغراء .

ولكنها لابد ستؤتى ثمارها مع بعض الوقت ، اذ لن يستطاع فى يوم وليلة اعمالها وظهور آثارها . ونحن فى نفس الوقت مطالبون بحكم الدور القيادى الذى نلعبه فى منطقتنا بتهيئة بعض الامكانيات لدول شقيقة تسير على نفس درب الكفاح وهنا لسنا نرى حلا يوفق بين كل الاعتبارات خيرا من استبدال الهجرة نظام من الدولة للاعارة تقوم هى فيه بالتلقى والبحث عن الاحتياجات من الفنيين للدول التى ترغب معاونتها ، وتحدد امكانياتنا فى استيفاء هذه الاحتياجات . وعند هذا الحد تقوم الدولة بالتعاقد على « التوريد » بالشروط التى تحقق لها عائدا مجزيا للاستثمار الكائن فى هؤلاء الافراد ، وتحقق لهم دخلا يتكافأ مع مايتعرضون له من عامل الاغتراب وزيادة الانفاق . ان سياسة كهذه فضلا عن انها تتحكم فى « كمية » مانعطى ، فانها كفيلة بتحديد « لمن » نعطى ومن نعاون ، وتقدم للشعب بعض عائد ثروته ، ويمكن بحسن ترتيبها وتنظيمها الفرصة لاعداد اكبر من الفنيين بدلا من شبه الاحتكار القائم حاليا ، والحالات التى لاتكاد تقدم للدولة عاما كاملا من العمل داخلها ، وتمثل فوق هذا قدرة سياسية للتعامل فى يد الدولة .

الاعارة المنظمة بديل للهجرة هى السياسة العاجلة الواجب اتباعها حتى يمكن وضع السياسات المخططة طويلة الاجل موضع التطبيق .

د. محمد عجلان

حوادث فى الفضاء بعد حوادث الارض والسماء

مما لاشك فيه ، ان انفجار احدى البطاريات الثلاث ، فى السفينة ابوللو ١٣ ، وتسرب الاكسجين ، قد وضع كثيرا من الاحتمالات النظرية ، التى كان يضعها العلماء ، موضع التطبيق العملى لاول مرة .

ومن بين هذه الاحتمالات ، التى يمكن ان تهدد نجاح رحلات الفضاء وحياة روادها ، نقص غاز الاكسجين ، أو مياه الشرب ، او توقف توليد الكهرباء التى تلعب الدور الرئيسى فى اتصال السفينة بالمراكز الالكترونية على الارض بتحديد مسارها ، وبرامج الرحلة ، الى جانب ارسال بيانات تفصيلية عن الحالة الطبية لرواد السفينة مثل : الضغط ، والنبض ، والحرارة ، ورسم القلب ، ورسم دورة التنفس ، هذا الى جانب احتمال اصابة رائد الفضاء بمرض حاد او مفاجىء ، قد يتطلب علاجا فوريا او حتى عملية جراحية قد لاتحتمل الابطاء أو باختصار : كل خطر مفاجىء قد يصيب أجهزة السفينة او حياة روادها .

فمن المعروف ، ان المركبة الفضائية تنطلق محملة بكمية من غاز الاكسجين السائل ، وغاز الايدروجين ، وبتفاعلهما يمكن تزويد الرواد بماء الشرب ، وتزويد السفينة بالكهرباء ، هذا الى جانب ان الاكسجين يستخدم فى عملية التنفس ، أما غاز ثانى أكسيد الكربون فيمتص عن طريق غاز ايدروكسيد الليثوم ، لان زيادة ثانى أكسيد الكربون ، تؤدى الى تسمم الجسم والغيبوبة والوفاة ، وكمية هذه الغازات الضرورية محكومة بمدة الرحلة ، ووزن السفينة ، وعدد الرواد داخلها ، ولا يمكن زيادتها الا فى حدود ضيقة وبحسابات دقيقة ، فماذا يمكن ان يحدث لو طالت الرحلة ، بسبب مفاجىء أو لاخر ، عن المدة المحددة ، كما يمكن ان يحدث بالفعل ؟ قد يكون من الصعب الاجابة عن هذا السؤال ، فى حدود استخدام هذه الغازات لتوفير الضمان لاستمرار حياة رواد الفضاء ، لذلك اتجه العلماء فى الاتحاد السوفيتى وتبعته الولايات المتحدة ، لوضع حلول مختلفة لتوفير هذه المواد الحيوية بصورة تكاد تكون غير محدودة .

فبالنسبة للطاقة الكهربائية ، يسعى العلماء الى توليد الكهرباء من حرارة الشمس عن طريق تزويد سقف الفضاء بخلايا شمسية ، وهذا هو الحل العملى لتحقيق رحلات الوصول الى المريخ والزهرة تلك الرحلات التى تحتاج الى شهور طويلة ، وقد تصل الى حوالى عام كامل .

كما يحاول العلماء توفير الاكسجين اللازم للتنفس ، عن طريق استخلاصه مرة أخرى من غاز ثانى أكسيد الكربون ، الناتج من عمليات الزفير فى التنفس ، أما بالنسبة للمياه المستخدمة للشرب فقد نجح السوفييت فى اعادة تنقية البول الخاص بالرواد من جميع الاملاح المذابة فيه ، وبذلك يكف عن كونه بولا ، ويعود ثانية الى ماء نقى يصلح للشرب .

واذا نجحت هذه العمليات الثلاث ، سيكون من السهل الاستغناء عن كثير من أثقال ومخاطر هذه الغازات المستخدمة ، والتى تهدد رحلات الفضاء فى المستقبل .

ويضع الاطباء والعلماء حلولا اخرى لاحتمالات مستقبلة ، قد تبدو اليوم احتمالات نظرية أيضا ، وهى توفير مستشفيات كونية سابحة فى الفضاء ، مجهزة بأدوات جراحية معقمة ، فليس من المستبعد فى القريب ، اذا مازادت رحلات الفضاء ، ان يضطر الاطباء الى اجراء عمليات جراحية للرواد داخل هذه المستشفيات اذا استدعت الحالة اجراء عملية عاجلة لا تحتمل انتظار عودة الرائد الى الارض .

وهكذا فان فشل رحلة أبوللو ١٣ قد فتح الطريق ، للتفكير جديا فى توفير ضمانات للتصرف العاجل ، ازاء أى حادث او حادثة مفاجئة قد تصادف السفينة ، او الرائد فى المستقبل .

■ ■

■ سينما

المهرجان الاول للافلام التسجيلية المصرية

دعت مجلة « السينما » التى تصدرها وزارة الثقافة الى انشاء مهرجان سنوى للافلام التسجيلية المصرية ، ايمانا منها بدور الفيلم التسجيلى فى كشف الواقع والعمل على تغييره ، ونتيجة للاهمال الذى يلقاه هذا النوع من الافلام فى بلادنا .

وقد تبنت الثقافة الجماهيرية ، وكذلك المركز

الفنى للصور المرئية المهرجان الاول الذى اقيم فى انقرة من ١٩ الى ٢٢ مارس الماضى وعرض فيه ١٥ فيلما تسجيليا ، تم اختيارها من بين انتاج الاعوام الثلاثة السابقة بالاضافة الى ٤ فقرات من مجلات « الثقافة والحياة » ، و « النيل » ، و «مصر اليوم» ٠

وفى كل يوم من الايام الاربعة التى اقيم فيها المهرجان كانت تجرى مناقشات مع الجمهور بعد العرض ، ثم تلخص وتطبع وتوزع فى اليوم التالى مباشرة، وفى هذه المناقشات اثيرت قضايا الفيلم التسجيلى المصرى ومشكلاته وأهمها عدم وجود ميزانية مستقلة للمركز القومى للافلام التسجيلية ، وعدم تنظيم عرض الافلام التسجيلية فى دور العرض ، هذا من ناحية الانتاج والتوزيع ٠ أما من الناحية الفنية فقد نوقش الخلط بين مفهوم الفيلم التسجيلى وبين مفهوم الفيلم الدعائى ، وانتقدت بشدة النزعة الخطابية الغالبة على الفيلم التسجيلى المصرى ٠

وقد قسمت افلام المهرجان الى ثلاثة مجموعات ، افلام قصيرة ، وافلام متوسطة الطول (اكثر من ١٠ دقائق) ، وافلام طويلة (أكثر من ٣٠ دقيقة ، وخصصت ست جوائز لكل مجموعة : الاخراج والسيناريو والتصوير والمونتاج والموسيقى والصوت ٠

فى المجموعة الاولى فاز فيلم « **السويس مدينتى** » بجائزة الاخراج لعلى عبد الخالق ، وبجائزة المونتاج لاحمد متولى ، وفاز فيلم « **القاهرة ١٨٣٠** » بجائزة التصوير لنسيم ونيس وعادل انور ٠٠ فى المجموعة الثانية فاز فيلم « **فن الفلاحين** » بجائزة الاخراج لعبد القادر التلمسانى ٠ وبجائزة التصوير لحسن التلمسانى وفاز فيلم « **حياة جديدة** » بجائزة السيناريو لرأفت الميهى ، وأما فى المجموعة الثالثة ففاز فيلم « **عدوان على الوطن العربى** » بجائزة الاخراج لسعد نديم ٠ وبجائزة التصوير لحسن التلمسانى، وحجبت الجوائز الاخرى ٠

■ ■

رسالة من الخرطوم

ماذا وراء مؤامرة السودان ؟

عبد المنعم الغزالى

فى مواجهة الزحف الجماهيرى لثورة الخامس والعشرين من مايو بدأت الرجعية تنفيذ مخططها العسكرى مبكرا ، فقد تأكد بعد ذلك ان الموعد الذى كان محددا هو الخريف ،حيث يستخدم موسم الامطار كعنصر من عناصر المخطط ، وثبت بعد ذلك أن خطابا وصل **الهادى المهدى** يقول له « اضرب ضربتك الان » ـ وقد عثر على الخطاب مع الاوراق والوثائق التى ضبطت لدى الهادى ، وفى اللحظات التى خرجت فيها عشرات الالوف من مزارعى مناطق النيل الابيض لاستقبال نميرى ورفاقه ، أخرج الهادى عبد الرحمن بضعة الوف من الانصار للصدام مع جماهير المزارعين ومع موكب نميرى ، ففى قرية **الكوة** ومنذ يومين قبل وصول رئيس مجلس الثورة ومجلس الوزراء بدأت جماعات من الانصار تدخل القرية وهى تحمل اسلحتها البيضاء ، وتعيث فيها فسادا ، تنهب المحلات التجارية ، وكل ما فى ذهنها دعايات مسمومة عن قادة ثورة مايو ، أعمت ابصارها عن رؤية مصالحها المتمثلة فى الاصلاح الزراعى ، والقرارات الاخيرة الخاصة بالنيل الابيض ، والتى قرر مجلس الثورة أن يعلنها الرئيس نميرى فى جولته تلك ٠

وعندما اقتربت الباخرة التى تقل نميرى من القرية صباح ٢٥ مارس ، كانت جماعات الانصار السذج ، التى سيرها « الهادى » قد احتلت المكان الخاص برسو الباخرة ، وكان الرئيس نميرى قد علم بما أعده الانصار ، وباستيلاء الانصار على المعدية ، حتى لا تتمكن قوات الامن من الانتقال من الشاطىء الاخر للنيل ، وكان مناضل سودانى هو معاوية ابراهيم ومعه ضابط من ضباط الجيش ، قد

تمكن من الحصول على قارب صيد ، واستقبلا باخرة الرئيس نميرى فى عرض النهر ، وأخبراه بتدبير الانصار ، ولم يكن مع نميرى غير سبعة من الحراس . ورغم ذلك صمم على النزول فى الكوة والاجتماع بأهلها ، خاصة وان جماهير المزارعين بها وبالقرى المحيطة قد تجمعوا لاستقباله .. وما ان اقتربت باخرة نميرى من الكوة حتى اطلقت صفاراتها الفرحة ـ فامتلأ الشاطئ فجأة بقوة جماهيرية فاقت قوة الانصار ، واستقبلت الباخرة بطريقة أنزلت الرعب فى قلوبهم ، فأصاب الشلل حرابهم ، وزاد ارتباكهم عندما نزل اليهم من الباخرة التى رست فى مكان غير مرساها ، الرائدان **أبو القاسم محمد ابراهيم ومأمون عوض أبو زيد** عضوا مجلس قيادة الثورة ، ووقفا وسط الانصار المسلحين ، وابتدرهم أبو القاسم قائلا : أنا أبو قاسم محمد ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة ، ونحن جئنا الى هنا من أجلكم ومن أجل تقديم الخير لكم ، وأنتم ناس بسطاء وفقراء ، وكنا نريد أن يحضر الينا الهادى الذى دفعكم الى هذا الموقف ، وتراجعت جماعات الانصار ، واستقبلت الجماهير نميرى استقبالا حارا ، وفى زحمة الاستقبال المفاجئ ، حاول واحد من الانصار أن يطعن نميرى بسكين كان يحمله فى شال عمامته ، وقبضت عليه الجماهير ، ومن الكوة سار نميرى الى **كوستى** ، ليعلن فيها قرارات مجلس الثورة الخاصة بالاصلاح الزراعى ، وفى كوستى قال نميرى : « ان ثورة مايو ـ استردادا لحقوق شهداء جودة ، وتحقيقا لامال المزارعين وضمانا لحياة الذين يفلحون الارض ... تفجر ثورة الاصلاح الزراعى لازالة النفوذ المادى والاجتماعى المتسلط ، الذى يستند عليه الذين يعيشون من ظلم الناس واستعبادهم » .

وهنا ظهرت فلول الفتنة مرة أخرى ... وبذلك تأكد أن الهادى عبد الرحمن مصمم على ارتكاب جريمته وتنفيذ مؤامرته .. وعندئذ قرر الرئيس نميرى قطع رحلته ، والعودة ، ومواجهة القوى المضادة للثورة ، وانقاذ السودان من مذبحة رهيبة .

وعاد نميرى الى الخرطوم ، واجتمع مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، وتقرر مواجهة القوى المضادة بكل حسم ، مع تجنيب البلاد اية خسائر مادية فى الارواح أو الممتلكات ... وبعث مجلس قيادة الثورة ، بوفد من كبار العسكريين فى مقدمته العميد **أحمد أبو الدهب** لمقابلة الهادى عبد الرحمن فى الجزيرة آبا ، ونصحه بالكف عن العدوان وتهديد حياة المواطنين .. ، ولكن قادة الفتنة استقبلوا وفد السلام اسوأ استقبال ورفضوا التفاهم الودى ، واشترطوا تصفية الثورة ، والغاء كافة القرارات التى اتخذت منذ الخامس والعشرين من مايو ، وتسليم الحكم للهادى والاحزاب التقليدية .

وفى الجزيرة آبا ، رأى الوفد العسكرى أن الهادى يعد للحرب ، وأنه قد أحال الجزيرة الى ترسانة مسلحة ، بالهاونات والمورتر والمدافع الرشاشة والبنادق الحديثة ، بل لقد شاهد الوفد مدافع مضادة للطائرات والدبابات وقنابل المولوتوف وأجهزة اللاسلكى ، كما شاهد عددا من الخبراء الاجانب وبعض الضباط المتقاعدين ...

وعاد الوفد العسكرى ، يؤكد ان الهادى عبد الرحمن قد استغل سذاجة الناس الفقراء ، وانه يعد العدة لحرب يعلنها من الجزيرة آبا ، على ثورة الخامس والعشرين من مايو .

وفى يوم ٢٧ مارس تلقى الرئيس نميرى برقية تخبره بأن جماعات الهادى المسلحة ، قد اعتدت على القوة التى كانت تحرس مطار ربك بقنابل المورتر وبالاسلحة الخفيفة ، وأنه قد سقط شهيدان وجرح ٣٦ ...

وعندئذ قال نميرى فى بيانه الى الشعب مساء السبت ١٩٧٠/٣/٢٨ : لعلكم تذكرون جيدا حديثى معكم فى برى عن مخططات الاستعمار ومؤامراته ضدكم وضد ثورتكم ، استنادا على قدراته الخارجية ، ومنطلقا من مواقع الرجعية المحلية ، وها هى الايام تثبت صدق ما ذكرت ، فالرجعية حرصا منها على مصالحها الانانية الضيقة اخذت تنفذ مخططها الاستعمارى الاسود ضد مسيرتكم العملاقة ، وها قد عاد مجرمو حوادث مارس ، لتجديد حوادث مارس ، بأبشع واقذر صورة فى مجازر التاريخ ، وأنا الان وفى هذا اليوم أجد نفسى أمام أمرين لا ثالث لهما ، اما أن أسمح بحرب أهلية طاحنة من اعداد الاستعمار وتنفيذ الرجعية ، متمثلة فى الهادى عبد الرحمن وأعوانه ، واما ان أنتصر لثورتكم وأحمى هذا الشعب الذى أولانى وصحبى ثقته الغالية ، وأتصدى لمؤامرات الاستعمار بحزم واصرار ، ولا اخالنى محتاجا لان أؤكد لكم أن قدرى مشدود بكم ، وبثورتكم ضد الاستعمار ومخططات الرجعية . فيا جماهير

شعبنا الباسل ، عليكم أن توحدوا صفوفكم وتتحلوا بأعلى درجات اليقظة الثورية ، فى صف ثورى واحد ، مع قواتكم المسلحة الباسلة » .

واستمرت الرجعية فى مخططها ـ ففى فجر الاحد ٢٩ مارس خرجت مجموعات مسلحة من الانصار فى **ودنوباوى** بأم درمان ، واخذت تخرب وتعتدى على حياة قوات الامن والمواطنين ، فاعتدت على دورية صغيرة من رجال الامن والقوات المسلحة ، وحرقت بعض عربات الجيش ، واستشهد ٣٦ من الضباط والجنود ، ولكن سرعان ما أخمدت الفتنة فى أم درمان ، وبذلك هزم جزء من أهم أجزاء المخطط ، لنقل الفتنة الى العاصمة ... واكتشفت كميات هائلة من السلاح الابيض ومن الاسلحة الحديثة ...

وعند الجزيرة آبا ، بدأت القوات المسلحة تأخذ أماكنها عند مدخل الجزيرة من ناحية جسر « **الجاسر** » ، وهو المعبر البرى الوحيد اليها ، وكان الهادى قد جمع الرجال المسلحين ، وعدد كبير منهم من « الفلاتة » القادمين من نيجيريا فى مواقع محيطة بالجزيرة .

وفى نفس الوقت ، وفى مواجهة المؤامرة الرجعية الاستعمارية تجمعت كل فصائل القوى الثورية وأخذت تعبىء صفوفها للعمل الفورى ، فاجتمعت قيادة اتحاد نقابات العمال والمجلس العام للنقابات ، والذى يضم اتحاد نقابات العمال ، واتحاد الموظفين ، واتحاد المعلمين ، واجتمعت اتحادات النساء والشباب والمزارعين ، وجمعيات ونقابات المهندسين والاطباء والمحامين وجميع الهيئات الديمقراطية ، لخوض المعركة ضد القوى الرجعية المعادية لثورة مايو . وأعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السودانى فى بياناتها الداخلية الموجهة الى أعضاء الحزب ، أن يستنهض اعضاء الحزب الجماهير بهدف : ا ـ تأييد موقف القوات المسلحة فى نضالها ضد الرجعية المسلحة ب ـ دفع حركة الثورة السودانية برايات الديمقراطية التى تؤدى الى انتقال الجماهير الى مواقع متقدمة ، والى تطور السلطة الراهنة فى طريق وطنى ديمقراطى حاسم .

وانتقلت جماهير الشعب السودانى المنظمة الى مواقع العمل ، وتشكلت لجنة مشتركة بين مجلس الثورة وممثلى النقابات ، والمنظمات الديمقراطية المختلفة ، وبدأت نقابات العمال ، تحمل على عاتقها عبء حماية المؤسسات والمنشآت العامة والخاصة ، ودور المنظمات والهيئات الديمقراطية .

وفى صباح الاثنين ٢٩ مارس ، كانت العاصمة المثلثة كلها تخرج فى مسيرة نظمها المجلس العام للنقابات ، والذى يضم اتحاد نقابات العمال ، واتحادات الموظفين والمعلمين ، واشترك فى موكب



جماهير الشعب العامل تدين المؤامرة الرجعية

العاملين نحو ربع مليون مواطن ، لقد خرجت الخرطوم كلها لتلتقى بثورة الخامس والعشرين من مايو ، حيث شيعت الشهداء الى مقرهم الاخير . لقد كان يوم الاثنين ٢٩ مارس هو اعلان حقيقى من قبل جماهير الشعب العامل لتجديد التأييد لثورة مايو وللاجراءات التى اتخذتها لتصفية القوى المضادة للثورة ولسحق مؤامرتها ، وطالبت الجماهير ومنظماتها بالقصاص ، وباعتبار القضاء على الهادى مطلبا شعبيا ، وبتأميم ممتلكاته واعادتها للشعب ، وبتسليح العمال المنظمين لحماية الثورة .

ولقد بدأت فعلا الاعمال المنظمة ، لاشراك الجماهير فى حماية الثورة ، فاجتمعت اللجنة المشتركة ، المكونة من ممثلى النقابات العمالية ، والهيئات الشعبية ، ومن أعضاء مجلس الثورة والوزراء ، وبدأت لجان اليقظة لحماية المؤسسات والمنشآت من أى تخريب ، وبدأ العمال ـ جنبا الى جنب مع قوات الامن والقوات المسلحة ـ العمل لسحق القوى المضادة

فى ٢٩ مارس سحقت كل عناصر الفتنة فى أم درمان ، واعتقلت قياداتها ـ من حزب الامة والاخوان ـ وكشفت حوادث أم درمان كذلك عن تحركات لشخصيات أجنبية غربية أمريكية والمانية .

ورغم اصرار الهادى عبد الرحمن على دفع البسطاء الى الاستمرار فى عملياتهم التخريبية ـ فان مجلس الثورة رأى ضرورة أن يبذل آخر جهدلتقليل الخسائر والحيلولة دون اراقة الدماء ، فوزع منشورا فى الجزيرة أبا ـ جاء فيه :

« لقد وضح للسلطة الثورية فى جمهورية السودان الديمقراطية ، أن الهادى المهدى يقف موقف التحدى لها ، غير مكترث لما يسببه بذلك التصرف للمواطنين الابرياء ، الذين حرصت الثورة منذ أن فجرتها قوات الشعب المسلحة ، على حقن دمائهم وصيانة حقوقهم فى كل المستويات ، فتساهلت وفتحت صدرها ، ايمانا منها بأن حق المواطن الكادح يجب أن يصان ، اننا نعتبر الهادى المهدى بعد هذا الموقف مسئولا مسئولية مطلقة أمام الثورة والتاريخ .

يا جماهير الجزيرة آبا :

ان الثورة تخاطبكم كمواطنين ، لكم حقوق وعليكم واجبات نحو بناء سوداننا الحبيب ، فالثورة قامت من اجلكم ومن اجل ابنائكم .. تفجرت لتسعدكم وتخرج بكم من الظلمات الى النور . من العبودية والتسلط ، الى الحرية والكرامة .. من الجهل والفقر والمرض والعطش الى النور والصحة والرفاهية .. وعليه فان السلطة تناشدكم حماية لاطفالكم ونسائكم ، بأن تسلموا كل الاسلحة النارية للسلطات ، ولا تنخدعوا وتقتلوا أنفسكم واخوانكم .

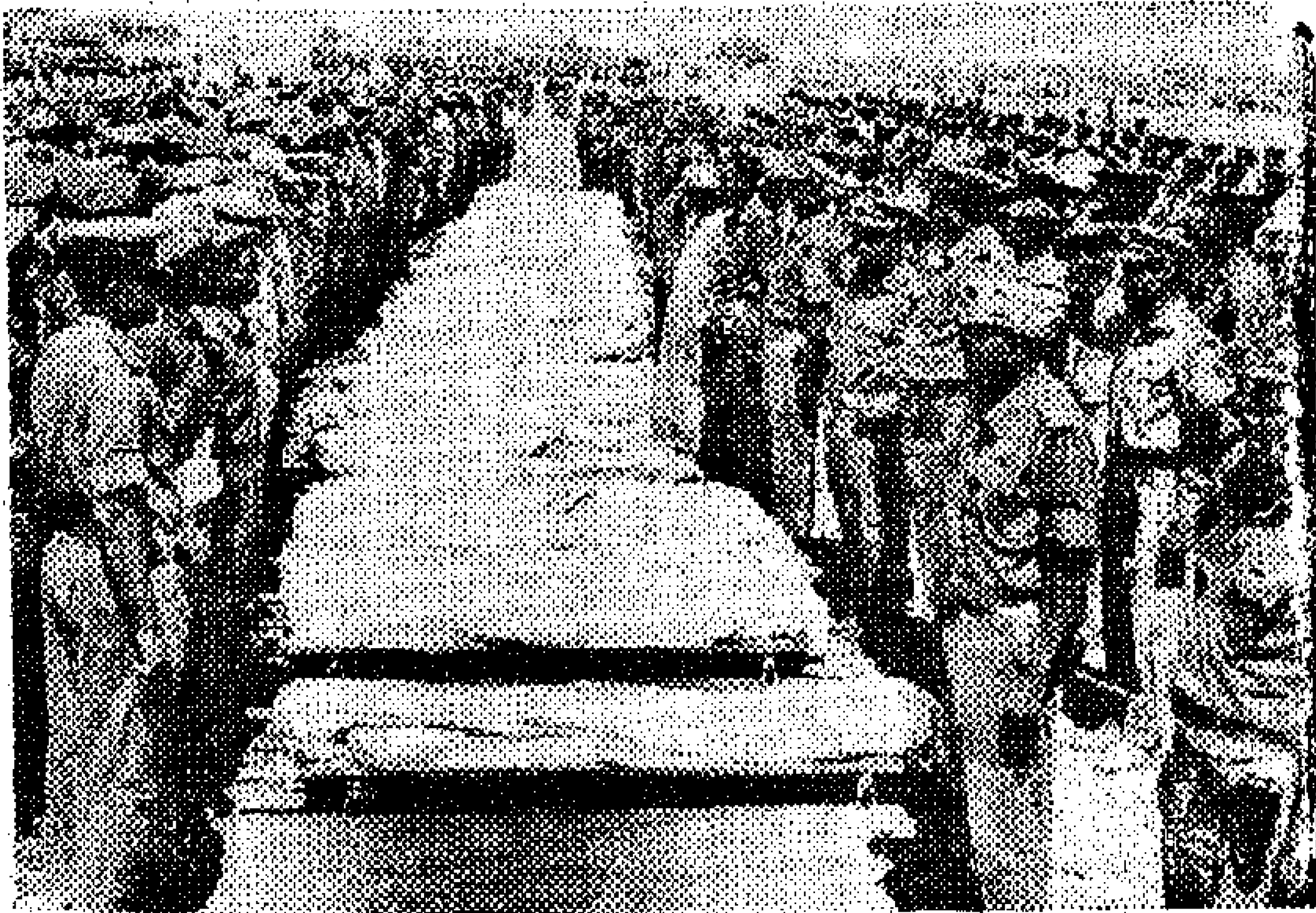
سلموا أنفسكم للسلطات ، بالتبليغ خارج الجزيرة أبا .. اخلوا صغاركم ونساءكم وشيوخكم .. ان القوات المسلحة ستتدخل بحزم للاستيلاء على الجزيرة آبا ، لاعادة سيطرة السلطات واستتباب الامن .

اذا لم تنصاعوا للتعليمات المطلوبة ستحملكم المسئولية الجسيمة أمام الله والوطن .

وأسقطت الطائرات المنشور على الجزيرة ، وكررته مكبرات الصوت من السيارات المصفحة المحيطة بالجزيرة رغم طلقات المدافع المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ، والتى لم تصب اى هدف من اهدافها .. ولكن الهادى عبد الرحمن أصدر أوامره بعدم الاستجابة لهذا النداء ، ومنع النساء والاطفال والشيوخ من الخروج من الجزيرة .. وأوهمهم أنه فى امكانه أن يسقط الطائرات ، ويسكت مدافع القوات المسلحة ويحول بينهم وبين عبور الجسر .

وبدأت قوات الفتنة تقصف بمدافع الهاون عيار ٨١ مم ، القوات المرابطة عند مدخل الجزيرة وعلى كوستى ، وقد سقطت بعض هذه القذائف فى كوستى بالقرب من مستودع للبترول ، ولكنها لم تصبه ، وأصيب بعض المواطنين بكوستى ، وبعض منازل السكان .

وقامت قوات الهادى كذلك بارسال جماعات



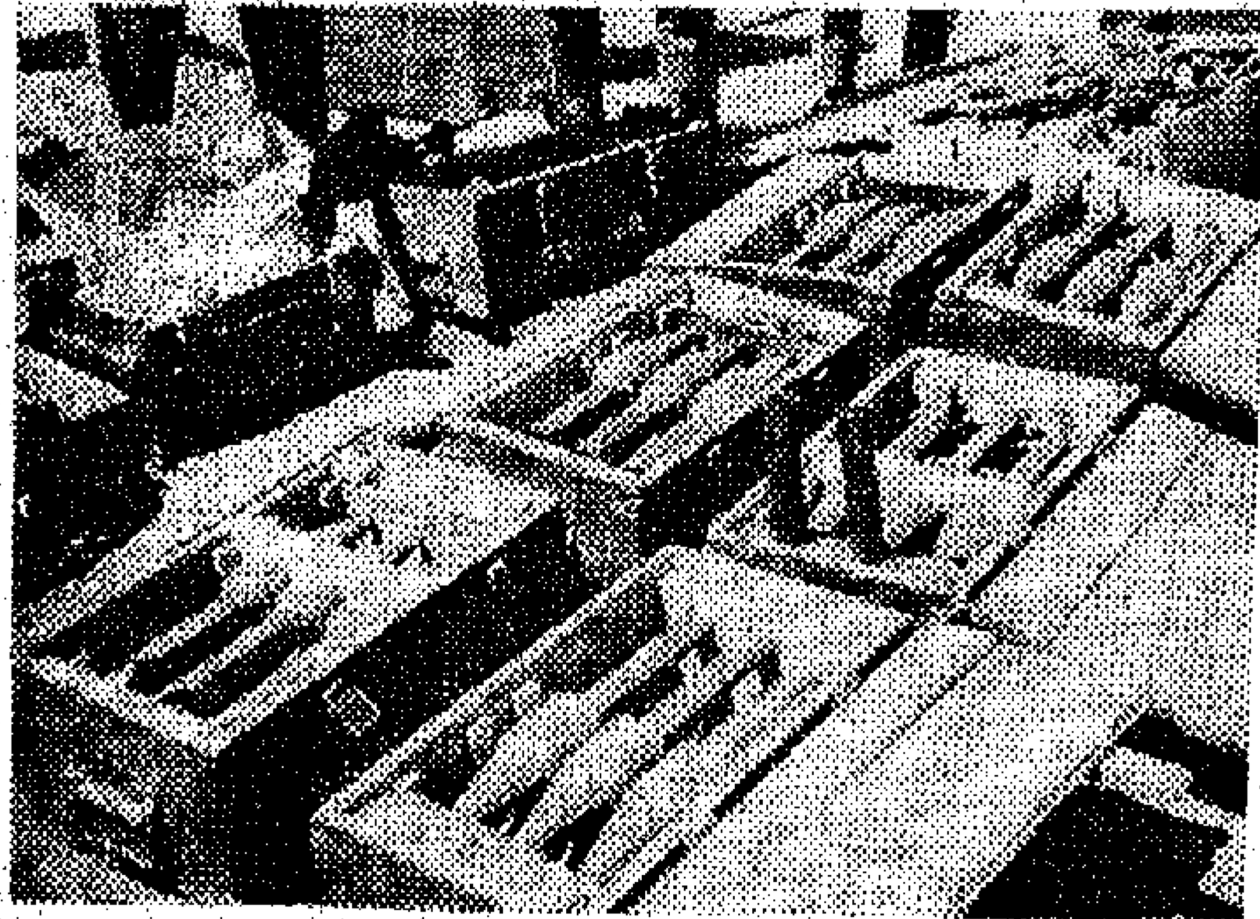
توديع الشهداء فى ام درمان

للتخريب واشعال الحرائق فى المطار والمحلج والمعصرة «بريك» ، ولكنها وقعت فى ايدى القوات المسلحة ، ولم تتمكن الا من احداث حريق تافه فى كمية من القطن ، بهدف شغل القوات المسلحة عن واجبها ٠

وهكذا أصبح الطريق مسدودا أمام اى حل سلمى ، فلقد كان الهادى مصمما على الاستمرار فى مؤامرته ٠٠

وتولى القيادة **الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم** عضو مجلس قيادة الثورة **والعميد احمد ابو الدهب** مع القادة الاخرين ، وبدات عملية اقتحام الجزيرة أبا ، التى تبلغ مساحتها حوالى ١٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد المقيمين بها حوالى ٧٠ الفا ، يحمل الاسلحة الحديثة منهم اكثر من عشرة آلاف ، والاخرون يحملون الاسلحة البيضاء ، والحراب والقتوس والخناجر ، وكانت تعليمات مجلس الثورة صريحة : الاستيلاء على الجزيرة وكل الاسلحة الموجودة بها ، واخماد الفتنة ، والقبض على الهادى عبد الرحمن ، بأقل خسائر ممكنة فى الارواح ٠٠

وبدأت القوات المسلحة دخول الجزيرة من ناحية **جسر الجاسر** رغم تخريبه ، وبدأت قوات الهادى تستسلم فى صباح الثلاثاء ٣١ مارس ، وسلم خط الدفاع الاول ــ أكثر من الف مسلح ــ ثم خط الدفاع الثانى ــ أكثر من الفين ــ وسيقوا كأسرى ، وصدرت التعليمات بحسن معاملتهم وتقديم العلاج والطعام اليهم . لقد كان خط الدفاع الثانى معدا لتطويق قوات الجيش المهاجمة لجسر الجاسر ولكنها وجدت نفسها تحت رحمة نيران المدفعية ٠



الاسلحة الحديثة المضبوطة فى الجزيرة أبا

وفى هذه المعركة فقدت القوات المسلحة شهيدا وجرح سبعة ، وفقدت عربة لاندروفر ، واستولت على حوالى مائة قطعة سلاح ، من بينها ثلاثة مدافع بازوكا ، وثلاثة مدافع مضادة للطائرات عيار ٥٧ مم ، وكميات ضخمة من الذخيرة والمتفجرات ، وآلاف القطع من السلاح الابيض ــ حراب وسيوف وفئوس وسكاكين ٠

وواصلت القوات المسلحة زحفها ، ولكن فجأة تقدم اليها شيخان من شيوخ الانصار ، يرفعان راية بيضاء ، واستقبلهما قائد القوة ، فاخبراه انهما باسم كل سكان الجزيرة يعلنون التسليم ، وطلبوا مهلة ساعتين لتسليم السلاح ، والهادى عبد الرحمن نفسه ، وبعد ساعتين عادا ــ وكانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر ، وطلبا مهلة اخرى حتى يتم اقناع بعض من رفض التسليم من الانصار ٠٠ ولكنهما عادا فى الرابعة يطلبون المهلة حتى الخامسة من صباح الاربعاء ، حتى يتمكن الهادى من اخلاء طرفه من الجزيرة ٠

وقبل قائد القوة المهلة ، حقنا للدماء . ولكن قبل منتصف الليل وصلت برقية الى الخرطوم ، تفيد أن الهادى عبد الرحمن ، ومعه مجموعة من اتباعه كانوا يحاولون اختراق الحدود السودانية الحبشية ، على سيارتين لاندروفر ، فاشتبك معهم رجال الحدود فى معركة انتهت بمقتل الهادى عبد الرحمن عند نقطة **الكرمك** ، وكان الهادى قد هرب من الغابة الكثيفة الموجودة شرق الجزيرة ، ومنها الى قرية الشوال حيث كانت عرباته معدة لنقله الى الحدود ٠

ومع خيوط الفجر الاولى كانت عمليات التسليم قد بدأت من قبل الموجودين بالجزيرة ابا ، وأجريت عمليات تفتيش لكل قرى الجزيرة بوساطة القوات التى نزلت من الشرق والغرب ٠٠ وحتى الساعة الثانية كانت الحياة قد هدأت فى الجزيرة تماما ، وانتهت أخطر فتنة حدثت منذ الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩ ٠

وفى حوالى الساعة الواحدة والنصف ، كان قد وصل الى الجزيرة ابا ، الرائدان **فاروق عثمان حمد الله** عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية ، **وهاشم العطا** عضو مجلس الثورة ووزير الثروة الحيوانية وكانا اول مسئولين يصلان من الخرطوم بعد سقوط قلعة الفتنة وكنت فى صحبتهما ٠

وبدأت خيوط المؤامرة تتكشف ، فان عمليات التدريب الخاصة كانت تجرى فى الجزيرة منذ يوليو الماضى ، وأن جيشا خاصا كان يعد

واستقدم له بعض المدربين ، منهم ثلاثة من أتباع **سعيد رمضان** الموجود في جنيف وبرلين الغربية، وبعض الضباط المتقاعدين ، وقسم المتمردون الى مجموعات ، كل مجموعة من مائة ، والى « بلاتونات » كل بلاتون من ٣٩ ، كما جهزت فرق خاصة لتقوم بعمليات التخريب للمؤسسات والمنشآت العامة ، وبدأت المعلومات تتجمع اكثر وأكثر عن اسلحة مخبأة ومخازن سرية ، ووجدت كمية ضخمة من المدافع الامريكية المضادة للدبابات ، والمدافع الرشاشة ، وصناديق ذخيرة مصنوعة في اسرائيل ، وبعض الاسلحة حديث الصناعة (١٩٦٩) ، وضبطت كذلك بعض الاسلحة النارية المصنعة محليا ٠

كما تبين للمسئولين ان المؤامرة قد خططت لها المخابرات الامريكية ، والدوائر الاستعمارية والرجعية ، وخاصة وأنه قد كشف في نفس الوقت عن اتفاق تم بين هذه الدوائر والمتمردين في الجنوب **والشريف حسين الهندى** ، وان لقاءات واتفاقات تمت مع هؤلاء وقادة المتمردين المتعاونين مع الدوائر الغربية وفي مقدمتهم **فيليب عباس وأفرى جاوين وجوزيف كوك** ومنظمة « الانيانيا » وان مركزا للعمل الفكرى المضاد للثورة ، بدأ ينشط في احدى البلاد المجاورة للسودان ، ويقوم بالعمل فيه محاضرون اجانب ، يقدمون مواد فكرية واعلامية للمتمردين ٠

وفي ميدان فسيح بالجزيرة ابا ، تجمع أكثر من خمسة آلاف من الانصار ٠٠ ووقف فاروق حمد الله يخطب فيهم ، ويعلن انتهاء العمليات العسكرية وعودة الحياة العادية الى الجزيرة ابا ٠٠

« **قد يقول البعض ان الجيش انتصر علينا ، ولكن أريد أن أقول لكم ان الجيش انتصر لكم أنتم ، أنتم آباؤنا واخوتنا . ان الانصار الحقيقيين اخوان وآباء واعمام لنا . لقد جئنا قبل ذلك الى هذه الجزيرة ؛ وقابلنا الامام وقلنا له : اننا نريد ان نبني هنا مدارس وشفخانة وندخل المياه ، ورفض الامام ، وقلنا له احنا عايزين نعمل شيء للناس البسطاء الكادحين ، ولكنه رفض ، وقد كشف بذلك نفسه وأعوانه ، والحكومات السابقة التي لم تفعل لكم شيئا** » .

« **لقد جئنا اليكم — اليوم وبعد ان فر الهادى وترككم وحدكم : جئنا اليكم لنرسي قواعد الاسلام الحقيقية ، قواعد المساواة والعدالة ، حيث لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى ٠٠ وان الفرق كبير بينكم وبين القصر ٠٠ بين اكواخكم وبين القصر وليس ذلك من الاسلام** » ٠

« **لقد جئنا هنا لارساء العدالة الاسلامية ، ولنعلن لكم قرار الثورة بتوزيع ارض الجزيرة ابا على سكان الجزيرة ابا الفقراء المعدمين** » .

وقال قائد القوات المسلحة بالمنطقة الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم عضو مجلس الثورة : « **لقد ترككم هؤلاء الذين صنعوا الفتنة وهربوا لانهم كانوا يتعاونون مع الامريكان والانجليز ومع اسرائيل ، لقد انتظرنا اربعة ايام خارج الجزيرة لاننا كنا نريد حقن الدماء ، واخيرا دخلنا لنسحق الفتنة ورأسها ، وأنتم اخواننا وآباؤنا واجدادنا ، جئنا لنحرركم من عبادة الفرد ، ولنعلن لكم الان ان الارض اصبحت ملككم انتم يامن فلحتموها سنين لغيركم** » ٠

لقد شهدت ثورة السودان أياما عصيبة وانتهت بتجربة جديدة للثورة السودانية ، تجربة اوضحت لقيادة الثورة حقيقتين هامتين **الحقيقة الاولى** : ان الرجعية لن تكف عن التآمر على الثورة ، متعاونة مع الدوائر الاستعمارية في واشنطن ولندن والمانيا الغربية ، بل ومتعاونة مع اسرائيل نفسها التى بدأت تنشط في جنوب السودان على نطاق واسع ، لقد اوضحت هذه التجربة قدرة الرجعية على الحركة ، **والحقيقة الاخرى** ، انه قد اتضح بجلاء قدرة القوى الشعبية وطاقاتها الخلاقة ، وفعالية تنظيماتها الديمقراطية والاجتماعية ، في حماية الثورة باعتبارها كما أكد الرئيس نميرى ، الضمان الاساسي لحماية الثورة ، وتمكينها من الاستمرار ٠ لقد كانت وقفة القوى العاملة الى جانب القوات المسلحة ، أقوى سند لمواجهة المؤامرة بحسم ثورى ، لقد كانت مسيرة الربع مليون **بالخرطوم** والمسيرات الكبيرة في كل انحاء السودان في **بورسودان وعطبرة ومدنى والابيض وواو والدلنج والنهود وبابنوسة وكادوقلى** وعشرات غيرها ، هى القوة التى اعتمدت عليها القوات المسلحة السودانية ، في حماية ظهرها ، وهى تصفى قوات الفتنة في آبا ، وهى العين الساهرة اليوم لحماية الممتلكات والمنشآت العامة ، ولحماية الثورة ٠٠

لقد تلقى الاستعمار العالمى ضربة ، عندما قامت ثورة الخامس والعشرين من مايو في السودان ، وقد تلقى ضربة أخرى في الاسبوع الماضي بهزيمة حركة الهادى عبد الرحمن ٠٠

ولقد وصف فاروق ابو عيسى اسبوع الصراع الدامى مع الرجعية بأنه كان اسبوعا حاسما في تطور ثورة ٢٥ مايو بقوله : « **أولا** : ابان هذا الاسبوع ، فان الرجعية في البلاد متمثلة في الطائفية وقيادات الاحزاب الرجعية ووكلاء الاستعمار ، مهما ابدوا من أساليب ووسائل ناعمة لاحتواء السلطة بهدف الانقضاض عليها ، الا انها في النهاية ، وبحكم مصالحها ، وارتباطها مع الاستعمار لتصفية النظام الثورى ، لا تتورع عن استعمال العنف وتصفية الحركة الثورية ، تصفية دموية ، وهذا الاسلوب الذى بدت معالمه بشكل واضح ، لم يكن جديدا على الحركة الثورية ، فقد

خبرت كل أساليب الرجعية .. العنيف منها والناعم .

ثانيا : ان المعادلة الثورية ، التى حددها البيانان صبيحة ٢٥ مايو ، وهى تحالف الطبقة العاملة والمزارعين والمثقفين الثوريين والجنود ، هى المعادلة السليمة والاساسية على مر الايام لحماية ثورة ٢٥ مايو وأهدافها الثورية ، وقد اتضح جليا مدى الارتباط الوثيق بين قوى الرجعية المحلية ومخطط الاستعمار .. كما اتضح من المواكب الهادرة الثائرة ، أن قوى العاملين هى السند الحقيقى لثورة مايو ، والقوى الاساسية التى يمكن الاعتماد عليها اعتمادا كاملا فى انجاز مهام هذه المرحلة .

ثالثا : كما أبانت هذه الاحداث ان التهادن والتسامح الذى بدأ من جانب السلطة الثورية ، أفاد فى اقناع الكثير من قطاعات الرأى العام فى سبيل تفادى أى صدام ، الا انه فى النهاية كان يشكل غفلة تؤكد عدم تكرارها فى المستقبل .

رابعا : اتضح جليا أنه بدون تلاحم السلطة مع الفرق الثورية المنظمة ، فى اتحاداتها وهيئاتها المهنية ، تصبح الجبهة الداخلية — غير قادرة على مواجهة مسئولياتها الداخلية .

لقد سقطت المؤامرة الرجعية عسكريا ، وفضحت سياسيا .. واتضح للشعب السودانى الوجه الحقيقى للمتآمرين ، كما كشف هذا الوجه للشعب العربى ، أنه لم يكن الا مؤامرة موجهة للقوات الرابضة فى جبهة القتال مع اسرائيل .. وللقوى الثورية التى تناضل من أجل تصفية المصالح الاستعمارية والامريكية خاصة .. ولذلك فان الدوائر المسئولة تؤكد أن هذه المؤامرة ، ستعجل بالعمل الثورى لتصفية المصالح الاستعمارية الامريكية والانجليزية والالمانية الغربية فى البلاد ، كما أن هناك اجراءات هامة وحاسمة ستتخذ لاعادة ممتلكات الشعب اليه ، بتأميم ممتلكات قادة التآمر الاخير ، وان عملا يبذل من أجل اعلان برنامج عمل ثورى للثورة ، وتحقيق وحدة القوى الثورية ، واستبعاد كل القوى التى حاولت التسلل الى صفوف الثورة واحتوائها .

وأخيرا — لقد هزم التآمر فى آبا ، وعادت أبا الى أهلها الاصليين ، ولم تعد ملكا لفرد أو مجموعة من الافراد .. ولن تصبح بعد اليوم جزيرة للعدوان ، بل ستصبح جزيرة للسلام والانتاج ، كما أكد ذلك العميد أحمد أبو الدهب فقد قرر مجلس الثورة توزيع أرضها على المزارعين ، والتى تبلغ حوالى ١٣٩ فدانا منها ١٢ فدانا مملوكة للهادى و١٢٧ فدانا كانت مؤجرة بعقد انتهى ... ١٩٦٢ ولم ... حتى الان .

كما تقرر الاستيلاء على المشروعات الزراعية الاخرى التى تملكها دائرة المهدى أو تديرها ، وتوزيعها على المزارعين الفقراء ، مثل مشروعات النعيم وبنزقا والشوال والملاحة وشرق الجاسر والحرتة والرماش والتوفيقية وود سلمان والله معنا ونور الدين والكويك . كما تم الاستيلاء على المعصر والمحلج بريك ، وشركة دائرة المهدى التجارية ، وشركة دائرة المهدى العقارية ، وشركة دائرة المهدى الزراعية ، وذلك سدادا للضرائب المتأخرة التى بلغت أكثر من مليون ونصف من الجنيهات .

وأخذت ثورة مايو وهى تصفى جيوب المؤامرة توجه ضرباتها الى الاوكار الاستعمارية داخل السودان — فقررت اغلاق معهد جوته الالمانى الغربى بالسودان ، وطردت جميع العاملين به ، وكذلك السكرتارية الالمانية بقسم المصالح الالمانية بالسفارة الفرنسية ، اذ اكدت الوثائق علاقة ألمانيا الغربية بالمتآمرين وعلاقتها بالمتمردين فى الجنوب ، واستخدامها لمعهدجوته كوكر للتجسس والتآمر .

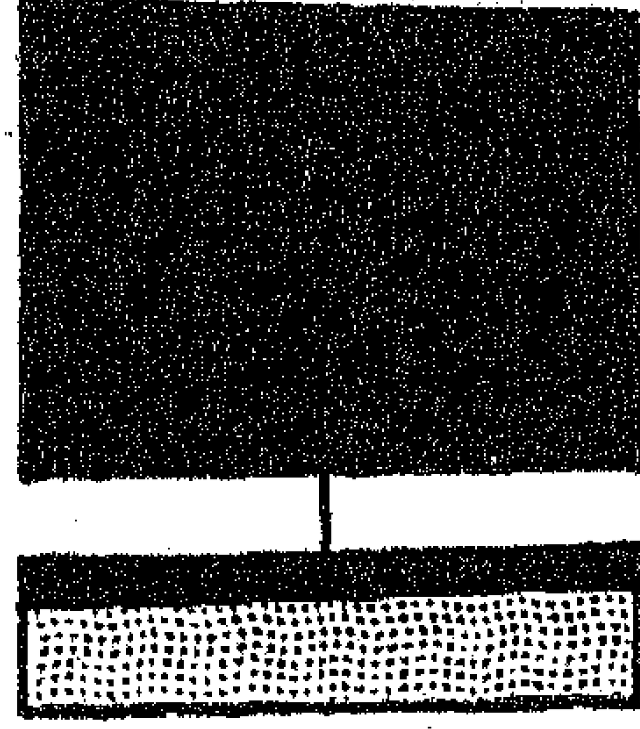
وتستعد السلطة الثورية فى السودان لاتخاذ خطوات أساسية وهامة لضرب جميع المصالح الاستعمارية ومراكزها فى البلاد ، ومن المنتظر اعلان هذه الخطوات فى الخامس والعشرين من مايو الحالى بمناسبة الاحتفال بمرور عام على الثورة السودانية .

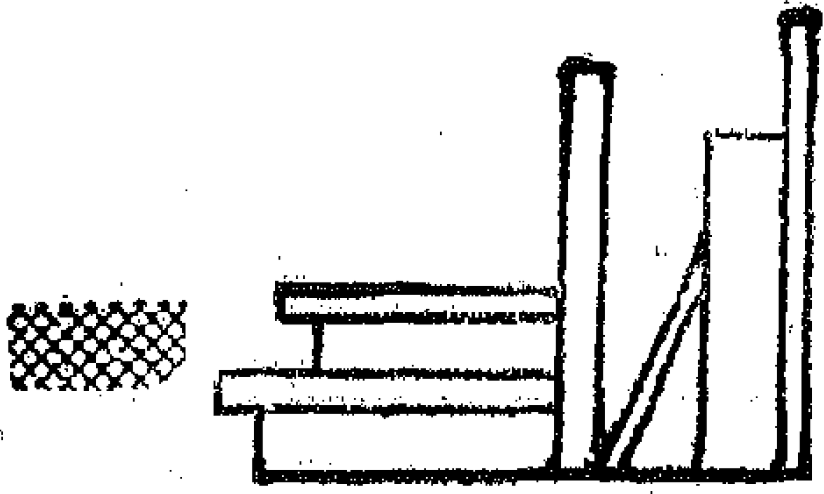
لقد دحرت المؤامرة الاستعمارية الرجعية ، وأمام ثورة مايو اليوم طريق صعب لبناء السودان الوطنى الديمقراطى ، ولارساء القاعدة المادية للاشتراكية ، ولقد أيقظت المؤامرة حس الثورة ووعيها ، لكل ابعاد مؤامرات اليمين ، سواء كان ناعما أو مسلحا ، وقد صرح الرئيس نميرى لمجلة القوات المسلحة ردا على سؤال خاص باليمين المعتدل قائلا : ان اليمين فى السودان لا يقبل القسمة ، وحمل كل اليمين السودانى والمعتمد على الطائفية تاريخيا ، مسئولية العمل المضاد للثورة ، ومسئولية اجهاض الاستقلال منذ ١٩٥٦ وتسليم البلاد للرجعية والاستعمار الحديث .

ومن هنا تبرز أهمية التصدى لاى محاولة لبث الفرقة بين القوى الثورية وبين الفصائل الاساسية للثورة السودانية .

والطريق اليوم — أمام ثورة الخامس والعشرين من مايو ، لمزيد من التطور الثورى ، ومزيد من الانطلاق نحو بناء السودان الجديد ، هو مزيد من الاعتماد على قوى الشعب العامل المنظمة ، هو مزيد من الالتحام والوحدة الفعالة بين جميع فرق الثورة السودانية ، مزيد من التضامن مع القوى الثورية فى العالم العربى وفى آفريقيا وفى العالم الاشتراكى .

عبد المنعم الغزالى









تاريخ الطبقة العاملة المصرية
من ١٩١٩ - ١٩٢٩

■ تأليف :

أمين عز الدين

■ عرض وتحليل :

عبد المنعم الغزالي

يظهر كتاب الاستاذ أمين عز الدين عن « تاريخ الطبقة العاملة المصرية من ١٩١٩ — ١٩٢٩» مع الاحتفالات بعيد اول مايو. ويعتبر هذا الكتاب هو الاستمرار من جانبه، في دراسته التاريخية عن حركة الطبقة العاملة المصرية ، حيث كان قد توقفت دراسته في كتابه الاول عند عام ١٩١٩ ، وأمين عز الدين ، رائد من الرواد القلائل ، الذين كرسوا عملهم من أجل كتابة تاريخ الطبقة العاملة ، ورغم صعوبة كتابة هذا التاريخ لقلة المراجع والوثائق ، وصعوبة الحصول عليها ، وانعدام الجهد الجماعي المنظم لانجاز هذا العمل الكبير ، فان الكتاب الحالي الذي يقدمه أمين عز الدين ، يعتبر جهدا علميا هاما في احياء تاريخنا الشعبي والثوري ، وعملا هاما من أجل المشاركة من جانب مثقفينا ، في تنوير الطبقة العاملة المصرية ، بتاريخها النضالي ودورها في العمل الوطني وفي الثورة المصرية .

والكتاب يعالج تاريخ حركة الطبقة العاملة المصرية ، على امتداد عشر سنوات ، زاخرة بالاحداث والحركة ، ابتداء من ثورة ١٩١٩ حتى ١٩٢٩ .

ويعالج امين عز الدين ، فى الفصل الاول من كتابه ، حركة الطبقة العاملة فى ثورة ١٩١٩ ، ومن خلال عرضه للحركة اليومية للنضال العمالى ، أوضح كيف أن الطبقة العاملة ، كانت اسبق القوى الاجتماعية الى الحركة والانتفاض فى أعقاب الحرب ، وأوضح امين عز الدين ان الحركة اتخذت منذ اليوم الاول ، اتجاهين متوازيين ومترابطين ترابطا وثيقا .

« **فمن ناحية ، استأنفت الطبقة العاملة نشاطها ، حول مطالب زيادة الاجور وخفض ساعات العمل ، وغيرها من المطالب المتراكمة قبل الحرب .. ومن ناحية أخرى ، اتجهت جهود القيادات العمالية نحو احياء وتجديد التنظيم النقابى ، الذى شلت حركته ، تحت وطأة القوانين الاستثنائية . (وهى فى كلا الاتجاهين ، كانت تفتح المعركة ضد أصحاب الاعمال ، الذين كانوا فى الاغلب يمثلون الرأسمال الاجنبى المستثمر فى المرافق الاحتكارية ، وفى بعض الصناعات)** » .

وقد اكد امين عز الدين فى هذا الفصل على حقيقة هامة ، وهى ان ثورة ١٩١٩ قد شهدت حركتين متوازيتين ، حركة الوفد ، وحركة الطبقة العاملة ، الاولى تسعى لانهاء الحماية ، وتحقيق الجلاء والاستقلال ، وبالتالى فانها تفتح المعركة ضد الاستعمار البريطانى بكافة مؤسساته وتوابعه ، والثانية تسعى الى تحسين شروط العمل ، والى احياء تنظيماتها النقابية ، وبالتالى فانها تفتح المعركة ضد الرأسمالية الاجنبية ، التى احتكرت المرافق والصناعات والخدمات ، وعاشت آمنة فى حماية الاستعمار البريطانى منذ سنوات طويلة ، فالحركتان .. وان اختلفتا فى تركيبهما الاجتماعى وفى قيادتهما ، وفى مجالات نشاطهما ، فانهما تلتقيان بالضرورة فى المعركة ضد الاستعمار ، ومن ثم فان التحامهما ـ حول هذا الهدف ـ يصبح امرا حتميا .

وأوضح امين عز الدين ـ ان الانفجار الثورى فى مارس ١٩١٩ ، والاسلوب الثورى فى العمل ، جاء متناقضا مع الاسلوب السلمى لقيادة حزب الوفد ، وان حركة الطبقة العاملة والفلاحين والطلبة ، هى التى فرضت هذا الاسلوب الثورى ، والذى قوبل كما يقول امين عز الدين « **بالعنف والتنكيل من جانب السلطة البريطانية ، كما قوبل بالنفور والضيق من جانب الاكثرية الساحقة فى قيادة الوفد ، ولهذا كان من الطبيعى ان يتعرض هذا الاسلوب الثورى للتصفية عند أول فرصة تحين لذلك** » .

وبدأت حركة التهدئة فى ابريل ، باعلان السلطات البريطانية على لسان اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى الجديد ، انها ستبحث الاسباب التى اثارت اهل البلاد ، وبعد اعلانه الافراج عن سعد زغلول ، وهكذا ينتقل الكاتب الى الفصل الثانى من كتابه « **صيف التهدئة** » ، ورغم حالة الهدوء النسبية ، التى شهدها مسرح الحركة العمالية بعد ابريل ١٩١٩ ، فان عدم الاستجابة للمطالب العمالية ، التى طرحتها النقابات والاضرابات العمالية الواسعة ، كان له رد فعل شديد ما لبث ان ظهر فى شهر اغسطس ١٩١٩ ، وشمل النصف الثانى من عام ١٩١٩ ، واتسعت دائرة الحركة العمالية ، لتشمل قطاعات جديدة غير تلك التى تقدمت بمطالبها فى أعقاب احداث مارس .

وبعد استعراض لاحداث اغسطس ، والتى هزت سياسة التهدئة ، التى انتهجتها وزارة محمد سعيد باشا ، هذه الاحداث التى ارغمت الحكومة على مواجهة الموقف باعلانها انشاء لجنة خاصة ، اطلق عليها اسم لجنة التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال ، وبعد دراسة تفصيلية للقرار بتشكيل هذه اللجنة ، يقدم أمين عز الدين تقييما موضوعيا لهذا العمل بقوله : « **ومهما يكن الرأى فى الاتجاهات التى كانت طابع القرار وطابع اللجنة ، فان خروج مثل هذه اللجنة الى حيز الوجود ، يعتبر فى تقديرنا خطوة متقدمة ، على طريق تنظيم العلاقات الصناعية ، فهو يسحب منازعات العمل ، والفصل فيها ، من دائرة اختصاص الامن ، ليودعها ضمن اختصاصات لجنة شبه مستقلة ، مكلفة برفع تقاريرها الى رئاسة مجلس الوزراء** » .

ولكن صيف التهدئة ـ كما أوضح المؤلف ـ انتهى دون أن يحقق ـ لاى من الاطراف ـ ماكان ينتظره من نتائج ، أو ماكان يعلقه على التهدئة من آمال ، فننتقل الى الفصل الثالث « **استئناف النضال الاقتصادى عام ١٩٢٠** » ، وشهد عام ١٩٢٠ تصاعدا فى حركة النضال الاقتصادى ، فكان عاما من أهم الاعوام فى حياة الطبقة العاملة المصرية النضالية ـ « **فعام ١٩٢٠ جاء فى أعقاب صيف التهدئة ، الذى لم يحقق للطبقة العاملة مطالبها الاساسية فى هذه الفترة ، ولهذا فان أحداث ١٩٢٠ ، جاءت كرد فعل قوى لصيف التهدئة ، زادت من شدته موجة الغلاء التى بلغت ذروتها فى خلال هذا العام ، ولهذا كان طبيعيا ان يصبح مطلب زيادة الاجور ، ورفع نسبة علاوة المعيشة اكثر المطالب شيوعا** » .

ويرى أمين عز الدين أن عام ١٩٢٠ ، شهد تصاعد الاتجاه ـ فى المطالب العمالية ـ نحو اقرار الضمانات الرئيسية فى شروط العمل ، الامر الذى

يكشف عن مستوى عال من الوعي يقدر ما يشير الى الرغبة فى اقامة علاقات عمالية مستقرة .

كما كشفت حركة الطبقة العاملة خلال هذا العام ، عن اتساع الرؤية لدى القيادات النقابية ، وخروجهم من حيز العمل المحلى داخل المنشأة الواحدة ، تطلعا الى خلق تضامن عمالى أكثر شمولا ، فى مواجهة أصحاب الاعمال .

ولكن هذا الحصاد الثمين ، كان كفيلا بأن يقض مضاجع حكومة **محمد سعيد باشا** والسلطات البريطانية ، فلجأت الى أساليب العسف والتنكيل والردع .

وهنا يصل أمين عز الدين الى الفصل الرابع « **النمو النقابى** .. **والردع** » فيقدم الينا ٤٣ نقابة في جميع أنحاء القطر ، بمعلومات وافية نسبيا عنها ، وهى النقابات التى تحقق تماما من وجودها ، ومن ممارستها لنشاطها النقابى فى هذه الفترة ، ويعنى ذلك أن عدد النقابات قد ارتفع الى أربعة أضعافه فى أعقاب الحرب ، حيث كان عدد النقابات قبل الحرب ١١ نقابة .

ويلاحظ أمين عز الدين أن النقابات بقيت مركزة فى **القاهرة** و**الاسكندرية** (حيث كان فى القاهرة ١٩ نقابة وفى الاسكندرية ١٨ نقابة) ، ويرجع ذلك الى أن تركيز الصناعة والمرافق والاعمال ، ظل كما كان قبل الحرب وقفا على العاصمتين ، والطابع الغالب لهذه النقابات ، هو طابع التنظيم الحرفى ، الذي كانت تمثله ٢٨ نقابة ، أما النقابات الخمس عشرة الباقية ، فهى نقابات « صناعية » لمؤسسة أو منشأة واحدة ، ويرجع ذلك الى التخلف الصناعى بصفة عامة . وقد لاحظ أمين عز الدين أمثلة هامة ، منها **النقابة النسائية** لتنظيم الحكيمات المصريات ، ونقابات لعمال زراعيين مثل نقابة مولدي الزهور ، ونقابة عمال الحدائق بالاسكندرية ، وكذلك اقبال العمال الذهنيين على التنظيم النقابى ، مثل موظفى البنوك ومعلمى المدارس الاولية ، ويبرز أمين عز الدين ، أن النمو النقابى لم يكن قاصرا على هذا العدد الكبير من النقابات . ولكن ظهر كذلك فى الاتجاه نحو خلق اتحاد عام ، وفى اتجاه النقابات المتماثلة الى تنسيق حركتها ، وخاصة خلال الاضرابات ، وظهور الاضرابات التضامنية ، والاتجاه الى تنظيم نقابات قومية .

ويستطرد الى مناقشة نشأة اتحاد النقابات العام ، وهو بعد استعراضه لروايات متعددة عن نشأته ، يؤكد أنه قد تأسس فى فبراير ١٩٢١ ، وبقيادة من قبل الحزب الاشتراكى الذى كان قد تأسس فى ١٩٢٠ .

ثم يختتم أمين عز الدين هذا الفصل ، بصفحات عن تقنين الردع ، فهوى يرى أن ازدهار الحركة النقابية ، قد أدى بالسلطة الى عدم الاقتصار على استخدام الاجراءات البوليسية ، بل أصبح الاتجاه هو اصدار القوانين المنظمة للردع والمقيدة لحركة الطبقة العاملة ، مثل القانون رقم (٥) الصادر فى ٢٧ يناير ١٩٢١ ، والخاص بالتضييق على النقابات فى جمع الاشتراكات ، ولكن كل أساليب الردع لم تثبط من حركة الطبقة العاملة ونقاباتها واتحادها .

وهنا ــ يقدم أمين عز الدين ، الفصلين الخامس والسادس عن « **النمو السياسى ، الطبقة العاملة والاحزاب السياسية** » . وعن **جذور الانتهازية النقابية** . ويعتبر هذا الفصل دراسة هامة ، فى تاريخ الحركة الاشتراكية المصرية ، تضاف الى العديد من الدراسات الحديثة ، وكما أن أمين عز الدين ، قد اعتنى بالصراع بين الوفد والاشتراكية ، والذى انتهى بتوجيه ضربة للحزب الشيوعى ، ولاتحاد نقابات العمال ، والذى انتهى بمحاولة من قبل الوفد لتشكيل حركة نقابية بقيادة الوفد ــ اتحاد النقابات الذى ترأسه **عبد الرحمن فهمى** ابتداء من ١٩٢٥ « **الاتحاد العام لنقابات العمال بوادى النيل** » ، وكان الهدف من انشائه هو الانفراد بالسيطرة على حركة الطبقة العاملة ، وضمان عدم خروجها على الحكومة ، وبينما أوضح أمين عز الدين ، أن الاتحاد العام للنقابات ، والذى حلته حكومة الوفد فى ١٩٢٤ ، كان نتاج حركة الطبقة العاملة ، فقد أوضح ، ان الاتحاد العام لنقابات العمال بوادى النيل ، كان تشكيلا من نتاج الحكومة ، وأنه نشأ بمعزل عن النقابات القائمة ، وأن قيادته كانت تتكون من عناصر مختارة من حزب الوفد ، وعليه فان هذا الاتحاد ، قد انهار بسرعة بمجرد سقوط الحكومة الوفدية الاولى .

ويلخص أمين عز الدين هذه التجربة قائلا : « **ان مجموع هذه الملامح الاساسية ، فضلا عما يتفرع عنها من ملامح أخرى تفصيلية** ، تضعنا **وجها لوجه أمام ظاهرة جديدة فى تاريخ الطبقة العاملة ، وهى ظاهرة تختلف عن ذلك الارتباط السياسى ، الذى عرفناه بين الحزب الوطنى ونقابة الصنائع اليدوية ، او بين الحزب الشيوعى واتحاد النقابات العام ، فالارتباط السياسى الذى كان قائما فى هاتين الحالتين ، كان يتضمن محاولة جدية من جانب الحزبين ، لخلق قاعدة عمالية مساعدة لحزب خارج السلطة ، اما تجربة اتحاد وادى النيل ، فانها تجربة من جانب حزب فى السلطة ، يحاول من خلالها أن يسيطر على حركة الطبقة العاملة ، ويحبسها عن الانطلاق** » .

خرجت الطبقة العاملة من عام ١٩٢٤ .. عام

الصراع بين الطبقة العاملة ومنظماتها المستقلة ، والبورجوازية المصرية واكبر احزابها (الوفد) وقد خسرت كل مؤسساتها النقابية ، وفقدت الكثير من أمانيها ومطالبها ، وهنا نصل الى الفصل السابع « **البحث عن طريق** » وخلال فترة حكم زيور الرجعي ، يلاحظ المؤلف ان حركة الطبقة العاملة فقدت الكثير من حيويتها وفاعليتها ، من خلال ظاهرتين اساسيتين :

اولاهما : ظاهرة الانهيار الخطير في صفوف اليسار المصري ، وتحوله الى مجال البحث النظرى في قضايا الطبقة العاملة ، على حساب النضال العملي وسط صفوف العمال

ثانيتهما : غلبة اسلوب الالتماس والشكوى بين العمال ، على أساليب العمل الجماعي المنظمة ، التي كان الاضراب من أهمها في المراحل السابقة ·

ثم يقدم امين عز الدين ، دراسة عن عودة الحيوية للعمل الجماعي ، بدأت من النصف الثاني لعام ١٩٢٦ ، وطوال عام ١٩٢٧ ، ويقدم الملاحظات الثلاث التالية :

أولا : ان تجدد العمل الجماعي ، قد ظهر في الاغلب بين عمال المرافق ، مثل عمال الترام والمياه والنور والسكك الحديدية ، وهم العمال الذين تمرسوا بالعمل الجماعي ، وأجادوه منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى ·

ثانيا : ان العمل الجماعي استهدف في هذه المرحلة ، تجديد الاتفاقات القديمة المبرمة مع شركات الاحتكار ، او التأكيد على سلامة تنفيذها في الاحوال التي جنحت فيها هذه الشركات الى التخلص من التزاماتها ·

ثالثا : ان العمل الجماعي — في هذه الفترة — حقق الكثير من اهدافه على الرغم من الصراعات التي استعرت بين القيادات النقابية والمستشارين النقابيين وكادت ان تودى بمصالح العمال ··

وفي هذه الفترة ، نمت حركة من أجل خلق اتحاد عام للنقابات ، ولكنها سريعا ما صفيت نتيجة الصراع الحزبي داخل الحركة النقابية ، للاستيلاء عليها · وقد ظهرت عقب انهيار العمل من اجل تكوين « الاتحاد العام لنقابات عمال القطر المصري » ثلاثة اتجاهات :

اولها : اتجاه يدعو الى نبذ الاحزاب ، وتخليص النقابات من المستشارين والمحامين الحزبيين ، الذين كانوا نقمة ووبالا على الحركة النقابية ·

ثانيهما : اتجاه يدعو الى تشكيل حزب العمال **وبحيث يكون مستقلا عن الاحزاب القائمة ، وبعيدا عن منازعاتها ·**

ثالثها : اتجاه نحو تشكيل اتحادات اقليمية للنقابات ، بعد ان فشلت الجهود لتاليف اتحاد عام» ·

ويصل أمين عز الدين ، الى نهاية بحثه حيث يعقد الفصل الثامن ، لمناقشة العلاقة بين الطبقة العاملة والدولة ، ويقسمها الى مرحلتين : **المرحلة الاولى من ١٩١٩ الى ١٩٢٤ وهي المرحلة السابقة** على قيام الحكم الوطني ، بمؤسساته المختلفة ، وأهمها مجلس النواب ، وقد سيطرت على هذه المرحلة ، الفكرة السائدة لدى الطبقة العاملة ، ولدى الحركة النقابية بأن نجاح الثورة وقيام حكم وطني ، يعني بالضرورة تحقيق أملهم في صدور تشريع العمل الذي طال انتظاره — وتميزت هذه الفترة ، بتشكيل لجنة التوفيق ، والاتجاه لوضع قانون للعمل ، وخاصة بعد صدور دستور ١٩٢٣ ، **والمرحلة الثانية من ١٩٢٤ الى ١٩٢٩** ، وخلالها وجدت اتجاهات قوية داخل الوفد ، من أجل اصدار تشريع للعمل ، ولكن حركة المطالبة بصدور تشريع للعمل ، لم يعد امامها فرصة كبيرة للنشاط ، بعد سقوط حكومة الوفد ، الا انه في عام ١٩٢٧ — ١٩٢٨ تشكلت لجنة « للبحث في وضع تشريع خاص بالعمال ، وانشاء مكتب عمل » وفي مارس ١٩٢٩ انتهت اللجنة من أعمالها وأعدت ثمانية تقارير في المسائل الاساسية لتشريع العمل ، وقد عرفت هذه اللجنة باسم **لجنة الرضا** — وقد اختتم أمين عز الدين ، دراسته المختصرة حول هذه اللجنة بقوله « **أن الدراسة التفصيلية للمشروع ، الذي أعدته اللجنة نهائيا في مارس ١٩٢٩ ، لا يدخل في اطار هذا التاريخ ، ولكن قد يكون من المهم ان نقرر هنا ، ان لجنة الرضا ، قد ادت واجبها بكفاءة نادرة ، وانتجت في زمانها مشروع قانون للعمل ، لو قدر له ان يصدر في هيئه ، لحقق الامال التي طالما اختزنتها الطبقة العاملة المصرية ، وطالما ناضلت من أجلها** » ·

ان الكتاب الحالي لامين عز الدين يعتبر اضافة هامة الى مكتبة تاريخ حركة الطبقة العاملة المصرية ، ويمثل الجهد المبذول فيه طاقة مازالت حبيسة الجهد الفردي ، الذي تبذله مجموعة المؤرخين الجدد ، لحركة الطبقة العاملة ، ولقد آن الوقت لتنظيم عمل جماعي لكتابة هذا التاريخ ، ولاشك انه من واجب اتحاد العمال ومؤسسة الثقافة العمالية ، ووزارة العمل ، ان تحتضن هذا العمل ، حتى يكون في الامكان انجاز عمل يعتبر من أكبر واضخم الاعمال الفكرية ، لاحياء تاريخ شعبنا ، وتاريخ حركة طبقاته الكادحة صانعة كل أمجاده وانتصاراته ·



مصـــدر نص للينين عن اليهودية والامة

كتب فارس محمد الحاج ـ عربى يدرس فى الاتحاد السوفيتى ـ يعقب على تقرير عبد الهادى ناصف الذى تقدم به الى ندوة «آلما ـ آتا» ونشر بالطليعة : (ديسمبر ١٩٦٩) ، يقول :

جاء فى تقرير عبد الهادى ناصف الى ندوة آلما ـ آتا والذى نشر فى عدد ديسمبر من الطليعة ، ان لينين قد قال بالحرف الواحد :

« لو سمحنا اليهود بأن تكون لهم أمة ، فستكون أمة مصطنعة مفتعلة ، ذلك أن السمات المميزة لليهود لا تحمل طابع القومية ، ان القول بأن اليهود أمة منفصلة ، قول لا يمكن قبوله علميا • انها فكرة زائفة بشكل مطلق ، ورجعية فى جوهرها ، بل تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية نفسها ، وتؤكد بينهم روح العداء نحو مجتمعاتهم القومية ، وتحول بينهم وبين الامتزاج بها والاندماج فيها • انها تؤكد روح الجيتو على نطاق أكثر عزلة وأشد اتساعا » •

هذا ما ورد بالحرف الواحد [ص١١٧] •

نرجو منكم أن تخبرونا عن المرجع المأخوذ منه هذا النص •

وقد أجاب عبد الهادى ناصف بقوله :

العبارة المذكورة واردة فى مقال للينين نشر **بالعدد رقم ٥١ عام ١٩٠٣ من جريدة « الايسكرا »** ردا على قرارات المؤتمر الخامس للبوند •

●

حوار مواطن أمريكى • • مع افتتـــاحية الطليعـــة

وصلت الطليعة رسالة من **هوارد رولاند** (٣١ سنة) ـ **مواطن امريكى مقيم بالقاهرة** ـ يدرس اللغة العربية وأدبها فى **جامعة ميتشجان** بالولايات المتحدة ويحضر لرسالة دكتوراه عن « **أدب المقاومة النثرى العربى** » فى السنوات العشرين الاخيرة. وقد بدأ رسالته ملخصا رأيه فى « أزمة الشرق الاوسط » مستنكرا « سياسة أمريكا الحالية التى تؤيد اسرائيل » ، « .. ووجود دولة اسرائيل التى قامت على أساس ابادة كيان الشعب الفلسطينى الذى له الحق فى البقاء فى اراضيهم .. » ، فيقول :

... لقد قرأت باهتمام بالغ افتتاحيتكم فى عدد مارس ـ « **ماذا يمكن ان نصنع مع أمريكا** » ـ . وأنا لا أعرف كثيرا عن مشكلة شركات النفط الامريكية فى البلدان العربية فلن أتعرض لمشكلة

تأميم تلك الشركات » . ولست خبيرا عسكريا ، الا أنني أوافق على كلامكم بأنه يجب الا توجد أية قواعد أجنبية أمريكية فى البلدان العربية .

وانا اهتم كثيرا بميدان الثقافة والتبادل الثقافى . واريد أن أقول أن الفكرة القائلة بأهمية ان يكتب العرب رسائل شخصية لأصدقائهم الامريكان ، يشرحون لهم فيها ما يشعرون به بالنسبة لسياسة أمريكا فى الشرق الاوسط ، هى فكرة جيدة جدا » . فالامريكان — كشعب — لا يدركون شعور العرب تجاه أمريكا . ولكنهم لا يدركون أسباب وتاريخ العداوة بين العرب والامريكان .

تعقيب

جاءنا من الاستاذ صبرى ابو المجد الصحفى والكاتب المعروف التعقيب التالى على مقال رفعت السعيد الذى نشر فى العدد الماضى تحت عنوان « لينين والحركة الوطنية المصرية » . وكان رفعت السعيد قد أشار الى أن الاستاذ صبرى ابو المجد « لم يشر الى المصدر الذى نقل عنه نص البرقية » التى وجهها محمد فريد الى لينين .

تحية طيبة وبعد . ففى العدد الماضى من الطليعة الذى خصصتموه مشكورين لذكرى الزعيم الانسانى العظيم لينين ، نشر الاستاذ رفعت السعيد فى مقاله عن لينين والحركة الوطنية المصرية ، البرقية التى أرسلها الزعيم المصرى محمد فريد الى الزعيم السوفيتى لينين ، والتى كان لى شرف العثور عليها ، والتى أثارت اهتمام كثير من المستشرقين فى الاتحاد السوفيتى وألمانيا ، بل وبعض الكتاب فى مصر ، وللبرقية قصة تتلخص فى اننى منذ سنوات عديدة ، اقوم باعداد بحث ضاف عن « محمد فريد فى الخارج » وذلك على ضوء ما لدى من مذكرات ووثائق جديدة ، وقد اقتضى البحث التركيز على العلاقة التى كانت تربط الحركة الوطنية المصرية ، بالحركة الاشتراكية ، وحركة السلام العالمى فى أوروبا ، كما اقتضى الامر التركيز على العلاقة التى يحتمل وجودها بين لينين ومحمد فريد ، وخاصة — على ما روى لى الاستاذ خليل مدكور الذى عمل متطوعا فترة من الزمن سكرتيرا لمحمد فريد — أن لينين وفريد كانا يقيمان فى جنيف فى وقت ما فى شارع واحد هو شارع البوندراف الذى كان يقيم به غالبية الزعماء السياسيين المنفيين من بلادهم .

وقد وجدت فى مذكرات محمد فريد صفحة ٢٦٧ العبارة التالية :

واخيرا وصل لعلمنا أن المسيو لينين رئيس الحكومة الروسية ، أرسل تلغرافا لاسلكيا الى عموم العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند .. ووصلنا هذا الخبر من الامير شكيب أرسلان عن لسان وزير الخارجية نفسه ، وأن هذا التلغراف نشر فى جرائد البلاد المحايدة ، ولكنه لم ينشر هنا — ألمانيا — عند ذلك قررنا ضرورة شكر لينين على هذه العناية تلغرافيا ، وفعلا أرسل التلغراف عن طريق استوكهلم . وأرسلت صورته للجرائد هنا ، لكنه لم ينشر ولا فى واحدة منها ، والظاهر أن الحكومة منعت نشره لاسباب لم نعلمها .. » وقد حاولت العثور على نص التلغراف الذى أرسله محمد فريد ، فقد كان من عادة محمد فريد أن يضع نصوص تلغرافاته ، وخطاباته فى دوسيهات مستقلة عن مذكراته ، وقد ضاع عدد كبير من هذه الدوسيهات ، اما فى حياة محمد فريد ، أو بعد وفاته ، حيث انتقلت الاوراق الخاصة بمحمد فريد من يد الى أخرى ، مما عرض بعضها للضياع ، وبعد بحث شاق مضن عثرت على نسخة من البرقية التى ارسلها محمد فريد ، ضمن الوثائق الخاصة بأمين الرافعى صاحب « الاخبار » ، ومن أصدق تلاميذ محمد فريد ، وقد قام بترجمة البرقية الى اللغة العربية الاستاذ أحمد وفيق ، من أصدق أصدقاء فريد ، وهو الذى كتب الى محمد فريد فى ١٣ يونية سنة ١٩١٤ ، بعد أن نفى نفسه فى فاقوس شرقية ، يقول تعليقا على هجرة محمد فريد الى الخارج : ان النوم ابتدأ بعد مفارقتكم لهذه البلاد التعسة ، وانى اقسم لك انى لو علمت أن مصير حركتنا سيكون كذلك بعد هجرتكم ، لكنت أول من ألقى القبض عليك لتمضى السنة ، ثم تخرج بعدها كما خرجت عقب الاشهر الستة ، وان ادى ذلك السجن الى التنقل فى الشوارع .. » وقد كانت برقية محمد فريد الى لينين ضمن عديد من الوثائق الخاصة بعلاقة حركتنا الوطنية بمؤتمرات السلام العالمى ، تلك الوثائق التى اعتقد أن نشرها سيفيد الى حد كبير المشتغلين بالبحث العلمى ، وآمل أن أوفق الى نشر هذه الوثائق وغيرها فى وقت قريب ، ولك كل شكرى وحبى .

صبرى ابو المجد

أما فكرة مقاطعة الثقافة الامريكية ، فلا أحسبها مفيدة . أما مقاطعة الجامعات الامريكية وهيئات « التعاون الثقافى » ، فأنى أرى فيها ضررا للعرب أنفسهم :

أولا : لان ذلك يعنى — عاجلا أو آجلا — طرد الامريكان القلائل الذين يتعرفون على وجهة النظر العربية .

ثانيا : لان للجامعات والمعاهد الامريكية دورا لايزال مفيدا لرفع مستوى التعليم فى البلدان العربية ومثال ذلك الجامعة الامريكية فى بيروت .

ثالثا : لان ذلك يعنى ايضا قطع الاتصالات بنفس الشخصيات الامريكية الذين تريدون أن تكتبوا اليها معبرين عن آرائهم .

رابعا : وربما يؤدى ذلك الى مقاطعة الامريكان للطلبة العرب فى أمريكا ولنشاطهم الفعال .

وبدلا من المقاطعة الثقافية هذه ، اعتقد باهمية دعم الإتصال الثقافى . أبعثوا بالافلام العربية الى امريكا . اسسوا معهدا او جامعة عربية فى امريكا . . . الخ .

الطليعـــــة

بغض النظر عن بعض التفاصيل التى وردت برسالتك والتى يمكن ان نختلف فيها ، الا اننا نود ان نقول ان الافتتاحية كانت تعنى بالمقاطعة الثقافية — مقاطعة الثقافة الاستعمارية . فلا يمكن لاحد ان ينكر ان هنـــاك تراثا ثوريا ومجيدا فى الثقـــافـــة الامريكية يستحيل على أى مثقف انسانى ان يتجاهله او ان يقاطعه . مثل كتابات كل من : ابتونسنكلير ، هواردفاست ، ريتشارد رايت ، آرثر ميلر ، شتاينبك ، مارك توين ، ارنست هيمنجواى ، فوكنر .. وغيرهم . والحديث عن مقاطعة الثقافة الاستعمارية فى امريكا لا يعنى اضفاء « جنسية معينة » وانما يعنى مقاطعة اية ثقافة استعمارية . والهدف من وراء هذه المقاطعة ، هو حماية الفكر الوطنى والانسانى فى مصر من سموم الثقافة الاستعمارية ســواء منها الامريكى او الانجليزى او اية ثقافة كانت .

●

تجربة « لتنمية المجتمع المحلى » .. بالاسكندرية

ومن **الاسكندرية** ، كتب المواطن **زكريا عيسى** — امين منظمة الشبابيقسم الرمل شرق الاسكندرية — يستعرض رأيه فى تجربة « **جمعيات تنمية المجتمع المحلى السكندرى** » ، فيقول :

فى الاسابيع الماضية طرحت احياء الاسكندرية الاربعة على الجماهير السكندرية فكرة تكوين جمعيات لتنمية المجتمع المحلى على مستوى كل حى .. وتحددت اغراض الجمعيات فى تنظيم الجهود وخلق وعى عام حول مشاكل الحى وايجاد حلول لها والعمل على تنفيذها وذلك بهدف رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والتعليمى للمواطنين . كذلك التعرف على الطاقات والموارد الكامنة ،وخصوصا الذاتيمنها بهدفتوفير الخدمات المطلوبة للمنطقة .

ولتحقيق اغراض جمعية تنمية المجتمع المحلى بالحى .. لابد من اساسيات للعمل الجاد ... ابرزها فى رايى ما يلى :

● التخطيط العلمى للمشروعات ووضع البرامج لمقابلة احتياجات الجماهير فى منطقة تكوين الجمعية ..

● المشاركة فى الجهاز التنفيذى بتقديم المعونة الفنية فى صورة خبراء وفنيين ومعدات وخامات للجان التنمية بالاقسام والشياخات .

● الاستفادة من خبرات الشباب وقدامى سكان المناطق فى التعرف على الاحتياجات الفعلية للمنطقة وتطبيقها على الدراسات الجادة ودعم المنطقة بما تحتاجه من حلول لمشكلاتها ...

ولعل احدى النقاط التى ناقشها الشباب خلال قراءته للائحة التمهيدية للجمعيات .. هو تشكيل مجلس ادارة الجمعية من رئيس الحى وممثلين عن الاجهزة التنفيذية بالحى والمسئول السياسى للاتحاد الاشتراكى . وامناء الاتحاد الاشتراكى باقسام الحى . وممثلين عن الهيئات العامة والخاصة والاهلية . واعضاء منتخبين من الجمعية العمومية .

وهو تشكيل متكامل .. الا انه تجاهل — فى رايى — شباب منظمة الشباب الاشتراكى .

ان طاقات الشباب يجب ان يستفاد منها الى اقصى الحدود .. وقيادات منظمة الشباب

بالاسكندرية تثق فى ان محافظ الاسكندرية السيد/ احمد كامل .. سوف يعطى للشباب — داخل جمعيات تنمية المجتمع المحلى — الفرصة للحركة الواعية المنتظمة .

●

الشيخوخة المبكرة لادباء الشباب

وكتب المواطن عبد المنعم عبد الحليم ، من اسوان ، يعقب على الحوار الفكرى مع الادباء الشباب ، يقول :

سأتناول فى هذه الكلمة ثلاث ملاحظات ولن آتى بشواهد او امثلة حيث يضيق المقام عن ذلك :

١ — هل نحن جادون فى بناء الاشتراكية ام ان البعض يأخذ العملية تمشيا مع الظروف . ؟ . . يأتى بعد ذلك سؤال فرعى . اذا كنا جادين فى ذلك : هل انتهينا من البناء ، وحسمنا كل مشاكل التعارضات الموجودة فى المجتمع . ام مازالت ثمة مفارقات وتناقضات تخنق الحياة ، وفقر وسوء توزيع لناتج الدخل القومى .. ؟ ينبغى ان نتحلى بالشجاعة . ؟

يدفعنى لطرح هذه الاسئلة الهجوم ذو النبرة العالية والمتزايدة هذه الايام على حركة الواقعية الاشتراكية . سواء الحركة الاولى او الحركة الاخيرة المطعمة ببذور وجودية . قد يعترض معترض على هذا الكلام . لكن هذه مقدمة لابد منها لان بعض السادة الكتاب لا اقول الجدد — حتى مدعى الفن للفن منهم — يحمل اعماله مضامين سياسية واضحة .؟ لقد ارتضينا لانفسنا منهاجا فى الحياة يتطابق مع أمانى واشواق الاكثرية العظمى من ساكنى هذه الارض الطيبة . ان الادب لا يقل شأنا عن السياسة . .؟ اننى لا ادعو لكارثية مصرية .. فقط اقول : ينبغى ان نكون يقظين .

هنا أصل الى ما اريده من عنوان هذه الكلمة : اذا كان الادب الجديد كتب ليقرأ فى مقاهى شارع سليمان والتحرير على اضواء الليل الرائعة وعلى مرأى من الحسان الغاديات ، او على بعض الشلل فى شقق جاردن سيتى والدقى المفروشة . . . فهذا مفهوم . . !

أما اذا كان كتب لان تنشره مؤسسات قومية انشئت اساسا لتخدم اغراض الشعب العامل فهذا غير مفهوم . . ؟ لماذا . . ؟ لان جموع العمال والفلاحين لا تفهم هذا الادب الغامض . .

ان مقياس الرجعية والتقدمية ، الشباب والشيخوخة ، الثورة والجمود ليس بالقطع هو السن . هناك بعض الشباب تفوح منهم رائحة الرجعية — ابناء الاسر المشربة بأفكار الرجعية والاستعمار والمفقوعين فى سموم الحقد الطبقى — وبعضهم وجد فى الادب مهنة سهلة نتيجة لكونهم يقاسون الفراغ الممل ، اننى لا ادعو لحجر صحى فى الادب ، لكن هذا غير مفهوم الا اذا تساهلنا بعض الشىء ، ومن يدرى كم نتساهل . . ؟ ايضا لا اتهم احدا ، الا من يحس ان هذا الكلام موجه له هو . . . !

٢ — من الواضح ان معظم السادة الكتاب الجدد يحاول ان يخلق لنفسه عالما (كافكيا) خاصا به — واصبحت موضة الجديد والثائر والشباب ، الغموض وحشو العمل بأكبر قدر ممكن من العبارات والكلمات الغازية القاءها والاغراق فى الشكل اللفظى والبنائى .. انا لا انكر ان الحياة مليئة بالغموض والتيه والسيولة والكذب والخداع والقيم الزائفة لا انكر ذلك . لكن مقابل هذا هناك قطاعات واسعة من حياتنا الاجتماعية تحيا وتمارس كل شروق شمس قيم الحق والصدق والطهر الاجتماعى ، وكل المحاولات التى بذلت لاستكشافات هذه القطاعات لم تمس سوى السطح منها . . .

ان كافكا وجيمس جويس وصموئيل بيكيت وتنالى ساروت انجبتهم مجتمعات الرأسمالية العفنة ، ومن الواضح ان معظم الكتاب الجدد متأثرين بهم ، يضاف الى ذلك تقدم هذه المجتمعات لتقبل هذه الانماط من الادب . وهؤلاء الكتاب ابطال يهربون من ضغوط مجتمعاتهم فى تيه الاشكال والرمزيات ، ومن المؤكد انهم ضد حركة الرأسمالية . وبرغم الفرق الشاسع بين شعبنا والشعوب الاوربية والامريكية ، هو جسم هذا الادب هناك ولم يستقر بعد .

يختلف الحال عندنا .. الغموض مرفوض اساسا ، وتيه الرمزيات لا يجدى مع شعب ٧٠ ٪ منه فلاحون حظهم من القلم قليل .

٣ — الصراخ المتعالى رفضا للحياة لا يحمل شيئا جديدا ولن يكون بشكل من الاشكال بداية ثورة الادب المصرى كما يحب البعض ان يسميه . ان معظم الاخوة الشبان لا يمتلك القدرة على مواصلة الطريق ثراء وعطاء ، وما هذا الصراخ الا الخوف بذاته . الفنان المتمكن لا يشكو اطلاقا . لكنه يغير بفنه ويكشف الغموض والالتباس والعفن ويطرق طريقا واضحا مشرقا ، وهذا هو تاريخ الاداب فى مراحل شبابها .

ان القراءة الواعية للانتاج الجديد فى القصة والشعر والتحليل النزيه لا يثبت الا شيئا واحدا . ان الادباء الشبان ، تنتابهم حالة شيخوخة مبكرة . هذه حقيقة واضحة . وينبغى ان يبدأ البحث من

هذه النقطة ... وانا على اتم الاستعداد لاثبات ذلك .. انهم شبان عجائز .. شباب شيوخ ... هذه هى الحقيقة المرة المؤلمة التى استطعت أن أصل اليها ، وان هؤلاء الشبان فى مأساة حقيقية من كونهم أكبر بكثير من سنهم وانهم يحاولون أن يصلوا الى شىء ، ذلك الشىء الذى عبر عنه الشاعر الجزائرى **مالك حداد** ، حين قال :

نثأر من شعرنا الابيض ونحن فى العشرين

الشبان يحاولون الثأر من ذلك الشىء لكنهم ولاشك أخطأوا المكان .

●

لجنة لدعم المقاومة الفلسطينية .. فى برلين

جاءنا البيان التالى من اتحاد روابط الطلبة العرب ــ فرع برلين ــ لجنة دعم المقاومة الفلسطينية :

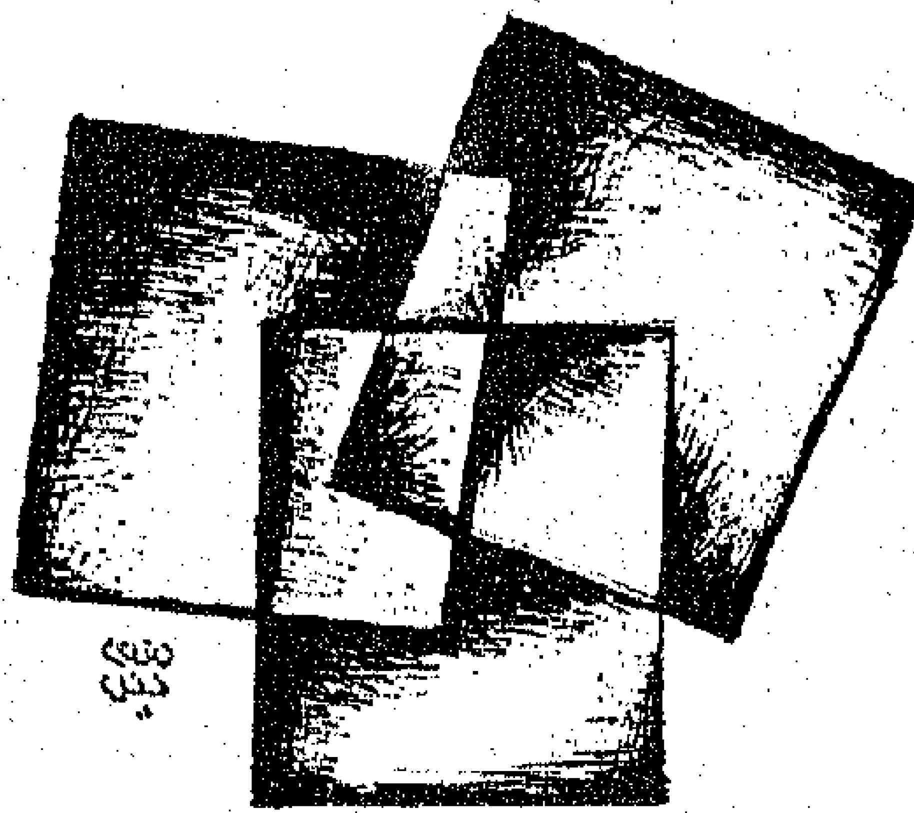
فى هذه المرحلة الهامة من مراحل نضال حركة التحرر العربية ضد الامبريالية والصهيونية ، تتعزز وتتصاعد حركة المقاومة الفلسطينية بكل اشكالها وخاصة كفاحها المسلح . ان حركة المقاومة الفلسطينية المعادية للصهيونية تلعب الان دورا يزداد اهمية يوما بعد يوم فى النضال ضد اسرائيل كقاعدة امامية للامبريالية العالمية موجهة ضد حركة التحرر العربية . كما ويتضح طابع المعركة فى الشرق الاوسط باستمرار على انها معركة تحرر وطنى عربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية والتى هى جزء من حركة التحرر الوطنى العالمية متضامنة فى ذلك عضويا مع المعسكر الاشتراكى ، والطبقة العاملة والقوى الديمقراطية فى العالم الرأسمالى . وفى غمار هذه المعركة التى ستكون طويلة وقاسية يقوم الطلبة العرب فى المانيا الديمقراطية والى جانبهم جميع القوى المعادية للامبريالية والمحبة للسلام بواجبهم فى دعم ومساندة مقاومة الشعب الفلسطينى المناضل من اجل حقه فى تقرير مصيره على ارض وطنه . لذلك قرر اجتماع مندوبى اتحاد روابط الطلبة العرب ــ فرع برلين تكوين لجنة دعم المقاومة الفلسطينية ــ من كل من :

مفيد ابو رمضان ــ سكرتير اللجنة : رابطة الطلبة الاردنيين .

صلاح جبر ــ مسئول المالية : اتحاد طلبة فلسطين
منصر حفيظ ــ مسئول الدعاية والاعلام : رابطة الطلبة الجزائريين .

معتصم بالى ــ مسئول تنظيم الدعاية والاعلام : رابطة الطلبة السوريين .
رمزى زكى ــ مسئول تنظيم ايام العمل : رابطة مبعوثى الجمهورية العربية المتحدة .

ان اتحاد روابط الطلبة العرب ببرلين يهيب بجميع الزملاء فى دعم ومساندة هذه اللجنة فى جميع اوجه نشاطها .



وثائق

مرحلة الانتقال فى التجربة السوفييتية

١٨

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد نشر النصوص الخاصة بمرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية ، والنص المنشور هنا لبوخارين تحت عنوان « حالة الاتحاد السوفيتى الخارجية والداخلية سنة ١٩٢٧ » وهو من النصوص التى اختارها الاستاذ بتلهايم ضمن الوثائق التى بدانا نشرها منذ العدد العاشر لعام ١٩٦٩ حول « مرحلة الانتقال فى التجربة السوفييتية » .

بوخارين

حالة الاتحاد السوفيتى

الخارجية والداخلية سنة ١٩٢٧

ان سياسة الاسعار هى اكثر المسائل فى سياستنا الاقتصادية حدة وأهمية . وتتضح أهميتها بالنسبة لنا من زوايا متعددة : من زاوية النمو الاقتصادى عندنا فى مجموعه ، ومن زاوية الصناعة نفسها . وتتوقف سرعتنا فى التقدم على الحل الذى نعالج به مسألة الاسعار لما لها من أهمية بالنسبة للعلاقات بين الطبقة العاملة والفلاحين . وتبرز أيضا أهمية تلك المسألة بالنسبة لنا فى تقدم الجماهير ثقافيا ، وعلى الاخص العمال الصناعيون . وتزداد أو تقل سرعة تقدم البلاد كلها من الناحية الثقافية تبعا لسياستنا بالنسبة

للاسعار أيضا • ويتضح من ذلك كله أن مسألة الاسعار تلعب من جميع الجوانب دورا رئيسيا فى سياستنا بأسرها •

تحت يدى ، أيها الرفاق ، مجموعة كبيرة من الارقام عن حركة الاسعار ، ولكننى سأمسك عن تقديم هذا الركام من الاحصائيات اليكم ، مكتفيا بالبيان الاجمالى بالجدول التالى:

ويلاحظ أنه على الرغم من اعلان الحزب انه يعمل على تخفيض الاسعار فان الرقم القياسى العام لاسعار القطاعى (منتجات صناعية وزراعية) قد ارتفع أخيرا بينما انخفض بعض الشيء بالنسبة لاسعار الجملة ، ونشاهد فى الفترة الاخيرة تفاوتا متزايدا فى المقصات ، أى تفاوتا أكيدا بين الاسعار الصناعية والاسعار الزراعية ، وان قل هذا التفاوت عن مثله خلال أزمة ١٩٢٣ المعروفة • ويقتضينا الامر مواجهة هذه الحالة التى تتمخض عنها أخطار سياسية واقتصادية واضحة •

ومن العجيب حقا أن نرى صناعتنا تتقدم سريعا عن الزراعة بينما يزداد التفاوت بين الاسعار باضطراد • وفى الوقت الذى تنمو فيه صناعتنا بسرعة ، تنخفض أسعار الجملة ، وترتفع اسعار القطاعى وهى تلك التى يتحتم على جماهير الكادحين تحملها من أجل الحصول على المواد الغذائية • فلقد انخفضت اسعار الجملة بنسبة ٣٦ فى المائة خلال ثلاث سنوات ، بينما لم تنخفض اسعار القطاعى خلال ذلك سوى بنسبة ٣ فى المائة وهى نسبة ضئيلة جدا • ومن هنا يجب أن تطرح بحزم قضية أسعار الجملة والقطاعى •

لقد نجحنا بلا نزاع فى تركيز كل الصناعة الكبرى فى ايدينا ، ليس هذا فحسب ، بل وحققنا نفس النجاح **بقدر كبير بالنسبة للسوق نفسه** ، أى تجارة الجملة والقطاعى • واذا كانت سيطرتنا على تجارة القطاعى أقل منها فى تجارة الجملة فالسوق مع هذا يأتمر بأمرنا • ونحن نسيطر بوجه عام على تداول السلع ونحتكر الصناعة والتجارة احتكارا فعليا • واذا استعرضنا هذا الوضع مرتبطا بكون الصناعة تنمو سريعا عن الزراعة وأن أسعار الجملة فى هبوط بينما أسعار القطاعى ثابتة على الرغم من حملتنا من أجل تخفيضها ، فلا يسعنا سوى التساؤل عن سبب عدم هبوط أسعار القطاعى وعن مصير فارق الاسعار ؟ وما حقيقة الامر فى هذا المجال ؟ بل قد يثور السؤال التالى : هل أجرينا تخفيضا كافيا فى أسعار الجملة وأسعار المصنع ، وهل قمنا بكل ما يجب عمله ، أليس ثمة شيء آخر يجب القيام به ؟

اعتقد انه لا تفسير للوضع الراهن للامور ، اذا ما طرحنا هذه الاسئلة ، واعتقد ان تفسير الوضع الراهن ـ اذا وجهنا لانفسنا هذه الأسئلة ـ **ينتهى بنا الى وجود ربح مستتر فى صناعة الدولة وربح آخر أكبر منه فى شبكة تصريف السلع أى فى تجارة الدولة وفى التعاون** وهو عبارة عن ربح خاف عن الدولة ،

حركة الاسعار

احصائية « لمعهد دراسة مجموع الظروف » التابع لوزارة (قومسيرية) المالية « ولجنة خطة الدولة » فى الاتحاد السوفيتى

	١٩٢٥ ـ ١٩٢٦				١٩٢٦ ـ ١٩٢٧		
	الشهور الثلاثة الاولى	الشهور الثلاثة الثانية (متوسط)	الشهور الثلاثة الثالثة	الشهور الثلاثة الرابعة	أول اكتوبر	أول نوفمبر	أول ديسمبر
الارقام القياسية لاسعار الجملة (١٩١٣ : ١٠٠)	١٧٨ر٢	١٩١ر٧	١٩٢ر٣	١٨٠ر٦	١٧٨ر٨	١٧٨ر٢	١٧٧ر٨
الارقام القياسية لاسعار القطاعى (١٩١٣ : ١٠٠)	٢٢٠ر٧	٢٣٢ر٨	٢٤٤ر١	٢٣٢ر٣	٢٣٠	٢٣٤	٢٣٥
تفاوت المقصات فى الجملة	١ر٢٢	١ر٠٩	١ر١٢	١ر٢٧	١ر٣٠	١ر٣١	١ر٣٢
تفاوت المقصات فى القطاعى	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	١ر٣٣	١ر٣٠	١ر٣١

باق فى المؤسسات الاقتصادية . وليس معنى هذا أن ابتلاع ذلك الربح يتم بوساطة الاجهزة ذلك أن جزءا منه يستخدم من وراء هيئات الحزب القيادية ومن وراء الدولة والهيئات الاقتصادية فى توسيعات لم يقررها البرنامج . ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك فى الصناعة ؟ يتم ذلك على سبيل المثال بألا يشار الى ذلك الربح فى الميزانية باعتباره ربحا ولكن باعتباره احتياطيا للاستهلاك يتحول الى تشييد مبان حديثة وانشاء مشروعات جديدة ، بينما لم يرد فى برنامج ما مثل هذا التوسع فى الانتاج .

ويأخذ هذا التوسع الذى هو على هامش البرنامج ابعادا أكبر فى تجارة الدولة وفى التعاون . وتستبقى منظماتنا الاقتصادية ارباحا مستترة فى الصناعة وفى جهاز تصريف السلع لا تشير الى وجودها بل تستخدمها تحت مختلف العناوين الكاذبة لتوسيع الجهاز ولزيادة العمليات . قد نطمئن انفسنا بالقول بأن لكل ضرر منفعة ، وأن توسيع البناء الصناعى وان كان على هامش القانون لا يعدو فى كل الاحوال أن يكون توسيعا فى الصناعة . ويعود بقدر من الفائدة . الا أن الضرر هنا يفوق النفع للاسف .

بين الاحتكار المكتفى ذاتيا والتقدم المنهجى

سأحاول توضيح سبب تفوق الضرر على الفائدة . نحن نطرح من عدة سنوات قضية سياسة الاسعار عندنا ، وسبق للبعض منا - وأنا من بينهم - أن أشار خلال المناقشات التى دارت مع التروتسكيين سنة ١٩٢٣ الى الخطر الذى ينجم عن ممارستنا للاحتكار فى عديد من فروع الاقتصاد . انه لامر مفيد فى حد ذاته أن تستولى دولة العمال فى الميدان الاقتصادى على عمد الاقتصاد الموجهة اذ بفضل هذا الاستيلاء تستطيع الطبقة العاملة قيادة المجتمع نحو الاشتراكية . وانه من الامور الحسنة حقا أن تكون الطبقة العاملة صاحبة جميع العمد الاقتصادية الموجهة ، فاحتكار الاقتصاد والسوق وخاصة الصناعة بوساطة الطبقة العاملة له اكبر الفوائد ويمثل شرطا أساسيا لبناء الاشتراكية . تلك حقيقة بديهية ومن يطعن فيها يستحق الطرد من الحزب ومن الاممية الشيوعية . الا أن ما يبدو سليما يصبح مضرا ومثيرا للمتاعب بظهور بعض الانحرافات البسيطة . انكم تعلمون ان الاحتكار الرأسمالى هو النهب المنظم ، اذ يعنى استيلاء حفنة من الرأسماليين على مقاليد الحياة الاقتصادية ، ولا يوجد ثمة سبب يحمل الرأسماليين الاحتكاريين على تحسين الانتاج اضطرارا وبأرخص الاثمان ، اذ يستطيعون تحديد الاسعار كما يريدون وسلب الشعب طالما بقوا أسيادا .

وليس لاحد أن ينكر الاغراء الذى يمثله هذا الوضع بالنسبة **للاحتكار البروليتارى** غير الرأسمالى ، فما الذى يحول دون هيئة اقتصادية ما من تحديد سعر مرتفع ومجز والبيع به مستفيدة من احتكارها للسوق ؟ بل قد يصل الامر الى حد العثور على « نظرية » تبرر مثل هذا الاسلوب ، فيقال بوجوب تنمية صناعتنا بأقصى درجة من السرعة لانها هى تمثل قاعدتنا الاشتراكية . ويستطردون بأن صناعتنا تتقدم بالقدر الذى تزيد فيه أرباحنا ، وتزيد ارباحنا بالقدر الذى ترتفع فيه الاسعار . وان توفر الاسعار العالية ربحا حسنا يمكن توظيفه فى منشآت جديدة فنعجل بذلك نمو الصناعة ونبنى الاشتراكية بسرعة فائقة . نحن أمام نظرية مروعة وان كانت تبدو كاملة البروليتارية لاول وهلة .

تلك هى احدى الاخطاء الاساسية التى وقعت فيها المعارضة بهذا السلوك الطريف . وقد عبر الرفيق بروبراجنسكى فى مؤلفه « **الاقتصاد الجديد** » عن تلك النظرية التى قمت بعرضها حيث جاء فيه أنه يجب الا يغيب عنا أننا خلفاء الرأسمالية الاحتكارية ، التى حصلت بهذا الاحتكار على هامش الربح . وينتهى بروبراجنسكى فى هذا المقام بوجوب تفوقنا على الرأسمالية ، ذلك انه ينبغى علينا باعتبارنا « خلفاء » لها الوصول على هامش للربح لا يقل بل يزيد عن هامش الربح فى الرأسمالية ، فالفارق الوحيد بيننا والرأسمالية فى ميدان الجرى وراء الربح أننا نعمل من أجل المجتمع الاشتراكى لا المجتمع الراسمالى ، من أجل تدعيم سيطرة البروليتاريا لا الطبقة الرأسمالية ، تلك هى فلسفة المعارضة فى هذا الموضوع .

والنكبة الحقيقية فى **خطة** هذه النظرية هى أننا لا نستطيع اتباع مثل هذه السياسة اذا أردنا الا تدق اعناقنا ، فمن الحماقة أولا الاعتقاد من الزاوية الاقتصادية المجردة ، بزيادة التراكم بالقدر الذى نعتصر فيه المستهلك بالاثمان الباهظة . تلك نظرية خاطئة . **ويتضاعف خطؤها** فى ظروفنا ، نظرية خاطئة أولا لان نمو الصناعة سيسجل سرعة اكبر اذا **عجلنا تداول السلع** بين المدينة والريف ، لانه اذا أصبح التداول **أكثر نشاطا** فان **مجموع** أرباحنا سيرتفع على أساس نفس الاسعار بل وعلى أسعار **أكثر انخفاضا** . انكم تستطيعون أن تبيعوا كل قطعة بثمن أقل . واذا ما احسنتم تنظيم أعمالكم واذا ما ارتفعت سلعكم جودة واذا ما اسرعتم فى دورة رأس المال امكنكم أن تزيدوا من ربحكم السنوى على الرغم من حصولكم على ربح أقل عن كل قطعة .

هذا هو الفارق بين المنهجين ؟

ونرى أن مهمتنا الرئيسية – فى واقع الامر – هى بيع كل قطعة بثمن اقل مع انتاج أجود فنحصل على مجموع أضخم من الارباح ونجعل دورة رأسمالنا سريعة وننمى صناعتنا بحزم اشد **ونضاعف معدل نمونا بغير أن نصطدم بخراب الفلاحين وبغير أن نحرم الصناعة من المواد الزراعية الاولية ، محتفظين بتناسب معقول بين الزراعة والصناعة ، عاملين على أن يكون تحالف العمال والفلاحين أشد قوة مدعمين الدور القيادى للصناعة البروليتارية ودور البروليتاريا نفسها .**

ان مسألة الاسعار لها جانب آخر لا يقل اهمية عن سابقه ، وذلك أن سير عجلة التطور فى **مجتمعنا** يختلف كل الاختلاف عنه فى المجتمع **الرأسمالى** .

انظروا الى المجتمع الرأسمالى ، الى الرأسمالية الصناعية فى عهدها « الكلاسيكى » تجدون أن المنافسة هى الحافز الرئيسى للتحسين والنمو السريع فى ظروف الرأسمالية ، فالمنافسة تلاحق وتلذع بسوطها وتدفع الى الامام . فاذا ما باع عادل سلعة بثمن أعلى من خيرى فسوف يتغلب خيرى عليه فى السوق . ولكن « العهد الذهبى » الذى عرفته المنافسة الحرة قد انقضى وحل محله الاحتكار الرأسمالى الذى كان يوفر قدرا كبيرا من الارباح ويخفض المصاريف الادارية وغير الادارية ، غير أنه كان يولد فى الوقت نفسه عوامل التحلل لان الرأسماليين الذين يتمتعون بالاحتكار يفتقدون ما يجعلهم يحسنون الانتاج ، الامر الذى يتمخض عنه تعفن الرأسمالية .

فى خدمة العامل المستهلك

ما هو الوضع بالنسبة **لاحتكارنا البروليتارى** ؟ وليس عندنا منافسة حرة ؟ **ما الذى** يجعلنا نرفع من مستوى صناعتنا ؟ اعتقد ان هذا يتم بضغط من جماهير العمال والفلاحين ، والحقيقة اننا اذا اهملنا فى عملنا ، واذا حددنا الاسعار التى نراها بحجة ان المستهلك سوف يدفع ، واذا لم يعترض احد على ذلك فسوف تكون هذه نقطة البداية فى تحللنا . ولكن مسيره عجلة التطور عندنا تختلف تماما عن ذلك . فالعمال يطالبون بشراء احسن السلع بأرخص الاثمان ، وينهج الفلاحون نفس الاسلوب وينصت حزبنا لما تقول الجماهير ويسأل عما يحدث ، عن اسباب هذا الغضب . الا يجدر بنا ان نقول لزملائنا المديرين : نرجوكم العناية بتحسين الانتاج ؟ فقوتنا المحركة لا تكمن فى المنافسة ، بل تكمن فى شىء مختلف تماما عن ذلك .

والذى يدفعنا هو فى النهاية **ازدياد حاجيات الجماهير** وعلى انه اذا اهملنا خدمة الجماهير اقتصاديا يبرز على الفور ازدياد تلك الحاجيات وسوف تحسون بهذا الشعور اذا اسكرتكم انتصاراتكم ورحتم فى نوم عميق .

غير انه مما يخشى عليه من عدم شعور كل الشيوعيين وكل مديرينا بوجوب التعرف بالقدر الكافى على احتياجات الجماهير ، ومن ممارستنا الاحتكار الا ندفع صناعتنا الى الامام بالقدر الكافى من الخدمة والا ندفع الى الامام بقضية تبسيط جهازنا وتحسينه وتنظيمه علميا ، كما يخشى ان تنتهج **سياسة بذل اقل المجهود** وان نعمل على رفع الاثمان الى اقصى حد . هذا الخطر قائم فعلا ، وتعبر عنه ايديولوجيا النظريات الاقتصادية التى تتبناها المعارضة ، هذا المنهج يضر بنا مما يقتضى من حزبنا – وليس من حزبنا فقط – محاربة هذا الاتجاه بأكبر قدر من الحزم . على الحزب ان يعرف كيف يقود الفئات المتقدمة من العمال والفلاحين حتى يكون تأثير الجماهير على الهيئات الاقتصادية والتعاونية تأثيرا مباشرا . انا على علم بصعوبة الوضع ، وانه لا يزال امامنا الكثير ، وان الامر يقتضى بذل جهود كبيرة ، الا انه ينبغى مهما كان الثمن الزام هيئاتنا الاقتصادية والتجارية بأخذ الامور بحزم اشد واتباع اسلوب اقتصادى وعلمى ارقى مما هو عليه الان . عندنا الان احتكاران ، اولهما احتكار الاسعار وثانيهما احتكار النوع وهو للاسف احتكار « النوع » السيىء .

ليس بوسعنا اليوم ان نتجاهل ارتفاع وعى المستهلك والحاجة المتزايد بشأن جودة السلع ، فهو يرفض – وهو على حق تماما – السلعة الرديئة – نحن نشاهد فى بعض الفروع الان ما يطلق عليه عبارة « الازدحام » اى تراكم السلع فى المخازن . ويرى البعض من خلال هذه الظاهرة اننا فى ازمة اوعلى الاقل مقبلون على ازمة تصريف ، ولكن حقيقة الامر لا تعدو ان تكون ارتفاعا فى وعى المستهلك ورفضه امتصاص اى نوع من السلع الرديئة ، والذى يلفت النظر فى هذا المجال هو حدوث الازدحام فى تلك الفروع بالذات التى تصنع السلع الرديئة . علينا اذن ان نأخذ هذا الامر فى الاعتبار ونفكر فيه مليا .

هناك **معتقدان مسبقان** من شأنهما الدفع الى سياسة الاسعار المرتفعة . ويتمثل أولهما فى الاعتقاد بأن بطأ يصيب النمو عندنا اذا قمنا بتخفيض الاسعار . والحقيقة عكس ذلك تماما . انهم يقولون كيف لنا ان نخفض سعر المصنع ، بينما اسعار المصنع يحددها سعر التكلفة والمصروفات العامة .. وسعر

التكلفة يحدد قيمة الربح » . ويؤكد القوم تأكيدا خاصا على ان سعر التكلفة يحدد اسعار **البيع التي يقتضينا الامر تحديدها** .

ولكن علينا الا ننسى ان **سعر التكلفة** في عملية تكوين الاسعار يتوقف على **مستوى الاسعار** وسوف تهمهم الهيئات الاقتصادية احتجاجا اذا ما استدعى الامر ان تبيع بثمن منخفض الا انها ستخفض مع ذلك سعر التكلفة ، **ان خفض الاسعار حافز لتخفيض سعر التكلفة** وليس من حقنا ان ننسى هذا الحافز ، فكل انسان ايا كانت نياته الحسنة ولو كان شيوعيا يميل على الدوام الى انتهاج سياسة بذل اقل مجهود وسياسة رفع الاسعار ، اذ ما الذي يحدوه لتأدية عمل ليس مجبرا عليه ، هذا هو تفكير اغلبية الناس ، تفكير لا فخر فيه لمن يسيرون على قدمين بما فيهم الشيوعيون ونطلق عليهم كلمة انسان « ضحك » ، الا انه حقيقة موضوعية . ونحن الذين نلم بهذا التركيب لا نتوجه الى « ضمير » الانسان فقط بل نود أن نجعله يعمل ما يجب أن يؤديه مهما تكبد من مشاق .

اما والمعتقد المسبق الثاني يتمثل في اننا نأخذ على انفسنا اننا ننظر للمسألة « كمستهلكين » فلقد جرت العادة على النظر الى المستهلك باحتقار والزعم بأن الاهتمام بحاجياته تعبير عن نظرة استهلاكية مبتذلة وانه يجب ان نأخذ بنظرة المنتج لا بنظرة المستهلك .

لقد فات على الذين يتكلمون بهذه اللغة ، ما لنظرة المستهلك في الحالة التي نحن بصددها ، من علاقة وثيقة جدا بنظرة المنتج . واذا كانت هيئات البيع والادارة تعامل المستهلك متبعة الشعار التالي : « سيبتلع المستهلك كل ما يقدم اليه ، فسوف يقر هذا اقرارا بالغا بالمحرك الرئيسي لتقدم انتاجنا . لن استطرد في الكلام عن احتمال احتجاج المستهلك ضدنا بلا مداراة — وقد استنفزت تلك المعاملة صبره — اذا قمنا بتطبيق هذه السياسة . **ان امتهان المستهلك** ليس سوى معتقد مسبق رأسمالي — احتكاري يراد مده — بلا حق — على عهد دكتاتورية البروليتاريا ، **فالانتاج** في بلادنا **يقوم لخدمة المستهلك** ، وليس المستهلك هو الذي يقوم بخدمة الانتاج ، الامر الذي يجب ان نعيه تماما . ويتميز الاقتصاد الجديد عن القديم بالواجب الملقى على الاول بقبوله لتوجيه استهلاك الجماهير وليس السير وراء الربح ، فعلى الاقتصاد الجديد الا يجري اليوم وراء الربح غير مكترث بأحداث الغد . وعلينا العمل بالتالي بوضع نهاية لهذا المعتقد المسبق « المعادي للمستهلك » .

لقد اصبحت منذ اليوم مسألة **سياسية** كبرى تلك التي تتعلق بتخفيض الاسعار وبالهبوط المتزن بأسعار المصنع وبالمعركة الضارية من اجل تخفيض أسعار القطاعي ، فقضية « المقصات » والتقليل من التفاوت بين المقصات والتنظيم العلمي للانتاج وتخفيض سعر التكلفة وتنظيم شبكة تجارية ، تلك المسائل المرتبطة جميعها بمسألة الاسعار انما تمثل بالنسبة لنا قضية حياة او موت او على الاقل مسألة حياة **افضل** واقول مرة اخرى ان مسألة خفض الاسعار وسياسة الاسعار **تحتل اليوم مركز الصدارة بين القضايا السياسية والاقتصادية** .

النضال ضد البيروقراطية في عقر دارها

انتقل الآن لمعالجة موضوع آخر . لقد طرحنا آلاف المرات مسألة الكفاح ضد البيروقراطية الا أنه لم يفهم بالقدر الكافي ان الجذور الرئيسية وخطر البيروقراطية تكمن اساسا في اجهزتنا الاقتصادية التي تمتلك الاحتكار . ومرد ذلك ان الاحتكار يولد ميلا للاستكانة نتيجة الانتصارات السابقة ويدفع الى احتقار المستهلك والجماهير التي نستند اليها **ونخدمها** .

فما الذي يجعل المستهلك في حاجة الى الاشتراكية اذا عجز جهازنا الاقتصادي عن اعطائه اجود السلع بأقل الاسعار ؟ والذين لا يدركون هذه الحقيقة يستخدمون احتكارنا للصناعة ، والشبكة التجارية لامتصاص المستهلك . والذين لا يبذلون قدرا كافيا من الجهد لتخفيض الاسعار ، انما يمثلون في الواقع عوامل للتحلل الذي لا يحدث سوى بالانفصال عن الجماهير . لقد حلت الهزيمة بالمعارضة لان اقتراحها برفع الاسعار بدل تخفيضها لا يؤدي الا الى تدعيم اكثر المعتقدات الاقتصادية المسبقة رجعية وضررا ، اقتراحا مبنيا على محاكاة البورجوازية محاكاة عمياء . من اليسير الكلام حقا عن رفع الاسعار اذا كانت الامور تسير في مؤسستك على ما يرام ، واذا كنت منتفعا بالاحتكار ، واذا كانت محفظة نقودك مليئة بالارباح ، فلا تقلق من شيء وارفع الاسعار . ولكن سياسة تخفيض الاسعار تقتضي من كل مدير ان يقوم بمجهود من نوع آخر . ويتضح بالتالي ان الكفاح من اجل تخفيض الاسعار هو احسن وسيلة لمحاربة البيروقراطية ، اما رفع الاسعار فهو — بعكس ذلك — يأتي نتيجة للبيروقراطية وسببا لها ، ويحمل في الاساس معنى احتقار الجماهير ، فاذا ما طبقت منظمة اقتصادية النظرية التالية : « يبتلع المستهلك كل ما يعرض عليه فلترفع الاسعار حتى نحصل على تراكمات » ، يعني هذا ان المنظمة تقع في خطأ

كبير ، واذا ما اتخذت اى منظمة تجارية مثل هذا الموقف ، فسوف يتخذه ايضا اى بائع صغير ، واذا ما دخل مشتر حسن الهندام فى محل استقبله الموظف بكل احترام . اما اذا كان هذا المشترى يرتدى الملابس الرديئة فسوف يعامله كالحفاة، هذا هو التحلل وتلك هى البيروقراطية .

ينبغى على الحزب ان يجند الناس جميعهم فى معركة تخفيض اسعار القطاعى وعليه ان يدق جرس الخطر ، فالاسعار العالية تمثل القلعة الرئيسية فى الانفصال عن الفلاحين وعن الجماهير ، وهى وكر البيروقراطية الاول يجب ان ندرك هذا وان نعيه تماما .

ويهمنى بهذه المناسبة ان الفت النظر الى أمر كثيرا ما يبقى مجهولا . لقد دخلنا مرحلة جديدة تكتنفها ظروف نمو جديدة ، وتلقى علينا مهام جديدة . هذا ما نشهده فى العلاقات مع الريف . فلقدكانت الدولة قبلا تحصل من الفلاحين على الموارد الضرورية عن طريق الضريبة كوسيلة رئيسية ، اما الان ، فهذه العملية تتم اساسا عن طريق الاسعار .

ما هى المظاهر التى كانت تعبر بها من قبل العلاقات بين الجهاز الحكومى من ناحية ، والجماهير العمالية والنقابات من ناحية اخرى؟ لقد كانت مسألة الاجر الاسمى ، والان يطرح العمال ليس فقط مسألة الاجور ولكن ايضا واكثر من ذى قبل مسألة الاسعار . ولكن ما الذى تقوم به النقابات بهذا الصدد ؟ تتخذ النقابات الى حد كبير موقفها القديم بشأن مسألة الاسعار . اسألوا النقابات عن علاقة عملها بمسألة الاسعار ، واسألوها عن معرفتها ـ وهو امر واجب عليها ـ بسير العمل فى التعاونيات . انه لا يوجد ثمة ارتباط حقيقى فى هذا المجال .

لماذا ؟ لاننا ظللنا الى حد كبير متأثرين بظروف المرحلة القديمة ولان جهازنا المهيأ لاجتذاب الجماهير قد بنى فى ظروف مختلفة ، وهذه الظروف قد خرجنا منها الان . اما اليوم فان لب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كامن فى الاسعار . ومن الجلى ان اثارة اهتمام الجماهير نحو البناء الاقتصادى لن يتم الا اذا اهتمت منظماتنا الجماهيرية والنقابات اولا اهتماما جادا بمسألة الاسعار . وتتضح بالتالى ضرورة التفكير فى الوسائل اللازمة للقيام ببعض اصلاحات تنظيمية فى النقابات حتى تكون جديرة بأداء مهامها .

بعد ذلك نتطرق الى الكلام عن تنشيط مؤتمرات الانتاج واجراء مختلف التحسينات الفنية .وهنا تثور مجموعة ضخمة من المشاكل بين مديرينا وبين مناضلينا النقابيين ، واذا ما طرحنا المسألة بحيث يهتم العمال وتهتم النقابات بموضوع الاسعار ، فسيضطرون عندئذ للمساهمة فى دراسة وسائل المحاسبة وانتاجية العمل .. وان كان من زاوية مصالح العمال العاجلة . نستطيع ان نقول للعامل : « اذا كان يهمك الحصول على اجر اسمى معين فان اهتمامك يجب ان يكون اشد فى مسألة الاسعار ، ولهذا نرجوك ان تجرى الحساب بنفسك . يهمك ان تحصل على السلع بثمن رخيص ، وعليه اهتم بسير العمل فى جهازنا التجارى . نرجوك مساعدتنا واجعل اعضاء التعاونية الاستهلاكية يهتمون بهذا العمل . ينبغى ان نزيد من حق المستهلك فى الرقابة ، ويجب تنمية المبادأة الحقيقية فى الميدان التعاونى ، وعلينا جذب الجماهير الى معركة تخفيض الاسعار . يجب ان نواجه بدرجة ما هذه المنظمات بتلك الجماهير . حقا قد يؤدى هذا

الشعار الى بعض الاخطار ويثير بعض الاحتكاكات ويدفع الى المبالغة ، الا ان حزبنا القوى ووسائلنا الجبارة فى الاقناع ، من شأنها اصلاح كل خطأ . اننا لانزال ـ وهذا سىء للغاية ـ مرتبكين ودون تقدم ، بالرغم من صراخنا الكثير اخيرا لتخفيض اسعار القطاعى . **فلنشدد ضغط المستهلك ضغطا منظما على منظماتنا التجارية ولندفع النقابات حتى تزيد من مشاركتها الحقيقية فى الحسابات الاقتصادية وفى الكفاح لتخفيض اسعار القطاعى .**

اذا انتوينا حقا تخفيض الاسعار فعلينا اشراك الجماهير فى هذا العمل . ومما لا شك فيه ، ان انتهاجنا لهذا الاسلوب سوف يضع زملاءنا المديرين فى مركز اكثر حرجا ، وغالبيتهم من احسن الشيوعيين الذين عليهم ان يؤكدوا عزمهم تحت ضغط هذا « الهجوم » على استخدام كل طاقتهم من اجل تأدية هذه المهمة ، وهى المهمة الاولى فى اقتصادنا .

ويتمخض عن مسألة الاسعار اسلوب جديد للكفاح ضد البيروقراطية ، وتلقى مهام جديدة على النقابات ، كما تؤدى الى وضع جديد لقوى الطبقة العاملة مبرزة لها نشاطات جديدة . سوف تعرف الطبقة العاملة سبب ارتفاع الاسعار وسيشتد اهتمامها بتخفيض سعر التكلفة . وهى تعلم منذ الان ان السبب فى ارتفاع الاجر الحقيقى ١٣ فى المائة فقط ، بينما ارتفع الاجر الرسمى ٢٥ فى المائة يرجع الى « زحزحة » الاسعار . واذا ما تخلصنا من البيروقراطية فى الميدان الاقتصادى ، واذا ما سجلنا تقدما ملموسا فى هذا الصدد ، فسوف نحس على التو بالتحسن فى كل جهازنا .

تواصل الطليعة فى العدد القادم نشر وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

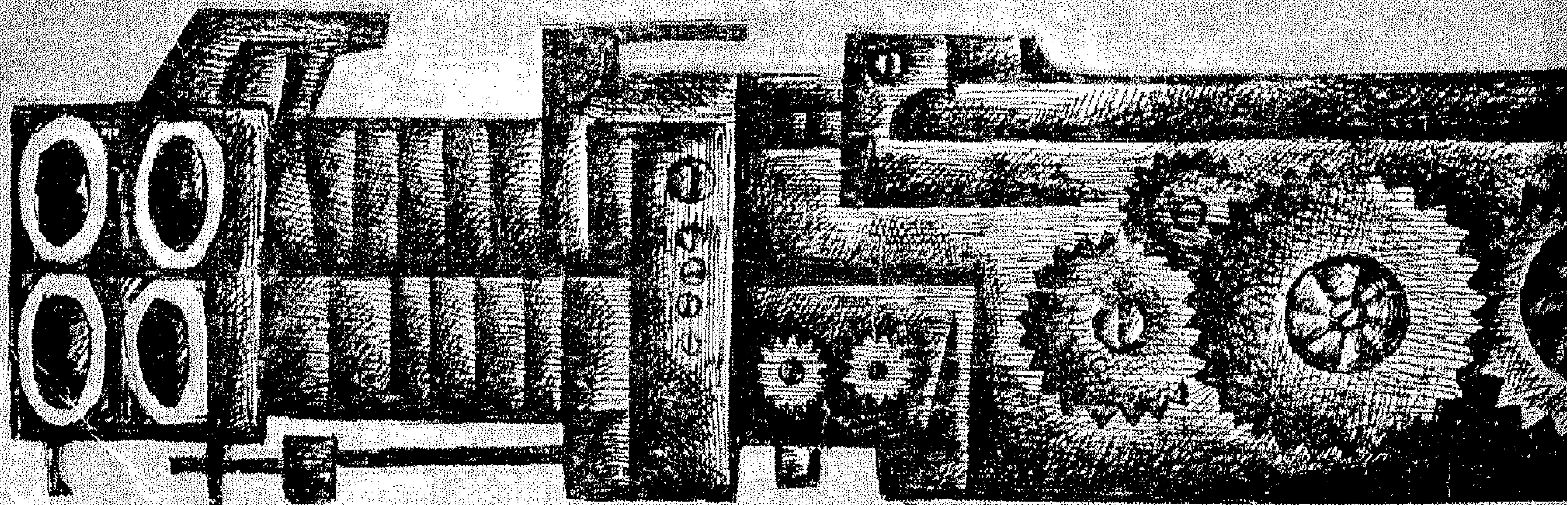
٦

يونيو ١٩٧٠

السنة السادسة

يونيو ١٩٦٧ .. يونيو ١٩٧٠

- حوار مع عالمنا وعصرنا:
  «أوليانوفسكي - رودنسون - راسكين»
- الفعل الاستعماري .. ورد الفعل الثوري
- لبنان الثورة .. لا لبنان التسويات



الطليعة

طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهريه
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال المطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠
— ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـــرس

العدد السادس — السنة السادسه — يونيو ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة علي اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

الافتتاحية

الفعل الاستعمارى .. ورد الفعل الثورى

تحتل امريكا واسرائيل مركز الصدارة فى عالم الجريمة ، فأينما تفجرت الاضطرابات واعمال العنف ، وكلما حدث تحرك رجعى ، او مؤامرة انقلابية ، تتجه الانظار الى واشنطن وتل ابيب ، وتشير اصابع الاتهام اليهما ، الاولى مجال تخصصها يشمل العالم كله ، والثانية تمارس نشاطها فى الشرق الاوسط وافريقيا .

ان حدة الموجة المتصاعدة من العنف الاستعمارى لم تتراجع او تخبو ، رغم ما تواجهه من ادانة وسخط ومقاومة عنيفة ، ورغم فشل المخططات الامبريالية الواحد تلو الاخر ، وتزايد معدل الاخفاق فيما يدبر من مؤامرات ضد النظم التقدمية ، فمن المشاهد أن الفعل الاستعمارى يلتقى برد فعل أقوى منه ، وفى الظروف الراهنة نلحظ تزايدا فى سرعة رد الفعل واتساعا فى مداه ونطاق تأثيره ، وتجربة غزو كمبوديا هى أبرز دليل على تلك الظاهرة الجديدة ، فالشعب الكمبودى الذى طالما وصف بالمسالمة والسلبية والنفور من العنف ، انطلق كالعملاق حاملا سلاحه ليقاتل ضد القوى المعتدية ، كما لم ينحصر رد الفعل داخل حدود الهند الصينية وحدها ، بل امتد ليفجر صراعات خطيرة داخل المجتمع الامريكى نفسه ، الطلبة فى مواجهة الحرس الوطنى ، الشباب ضد مؤسسات الحكم ، قوى السلام ضد تجار الحروب ، حركة الزنوج ضد التفرقة العنصرية .. بما يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ أمريكا ، وصف بأنه « أخطر أزمة تعرضت لها الولايات المتحدة منذ الحرب الاهلية .

والعنف الاستعمارى لا يعكس مظاهر قوة بقدر ما يكشف عن سمات الضعف والتحلل ، ولكنه يستمر ويتصاعد بحكم القصور الذاتى ، خشية أن يؤدى التوقف أو التردد الى النقطة الحرجة التى تهدد بانهيار البناء كله .

ان « الدهشة » التى تنتاب السلطات الامريكية ازاء ردود الفعل ضد سياستها ، لدليل على العزلة المتزايدة لمؤسسات الحكم عن الواقع الجماهيرى ، وتفاقم التناقضات الداخلية ، وفشل سياسة الاستيعاب الفكرى والسياسى ، ومخططو السياسة الامبريالية سقطوا فريسة حالة مرضية من الذهول والدهشة الدائمة ، لان الامور لا تسير وفق ما يخططون ، وردود الفعل تفوق كل توقعاتهم ٠٠ فالانظمة التقدمية العربية لا تنهار عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بل تتمخض عن حركة ٩ و١٠ يونيو الساحقة ، وعن تفجير ثورات فى السودان وليبيا ، وانتصارات متلاحقة للقوى الشعبية فى اليمن الجنوبية وسوريا والعراق ٠٠ معجزة « القدرة الفائقة المذهلة للشعوب العربية على تحمل الكوارث » طبقا لتعبير الصحافة الغربية ٠٠ التحرك « المفاجىء » للشعب الكمبودى ضد الانقلاب الرجعى يتلوه العدوان الامريكى ٠٠ ثم الطامة الكبرى ، ثورة الشباب داخل أمريكا ذاتها ، لقد خابت تقديرات كل العقول ـ بما فيها العقول الالكترونية ـ وانهارت قاعدة البناء الذى أقامته أجهزة الدعاية ، التى كانت تفخر بقدرتها على صب وتشكيل العقول فى قوالب فكرية محددة ، فاذا بقطاعات ضخمة من القوى البشرية داخل الحصن الامبريالى الاول تتحول موضوعيا الى رصيد للعدو ٠٠ احتياطى أساسى لحركات التحرر الوطنى ٠

كان نيكسون يتوقع « معارضة » واسعة ـ طابعها العام سلبى استسلامى ـ، لكنها لا تصل فى تقديره الى مرتبة « الحركة » بالآفاق التى بلغتها ، وقد جاء فى الخطاب الذى أعلن فيه عن عملية الغزو « اننى أفضل أن اكون رئيسا للجمهورية لفترة رئاسة واحدة ، وأن أفعل ما أراه صوابا ، عن أن أكون رئيسا لفترتى رئاسة ، ويكون ثمن ذلك أن أرى أمريكا تصبح دولة من الدرجة الثانية ، وأن أرى الشعب يقبل أول هزيمة له فى تاريخه المجيد » . وهو ما يشير الى ادراك نيكسون لحقيقة أن الشعب الامريكى يرفض هذه السياسة الى الحد الذى يرى فيها حكما مسبقا على مصيره فى الانتخابات القادمة ، كان يقدر أن الامر لا يعدو التضحية « بشخصه » لمصلحة الاحتكارات والتحالف العسكرى الصناعى الذى يمثله ، فاذا بالوضع ينفجر لينبىء عن تهديد لكيان « النظام » بأجمعه ٠

تلك الظواهر جديرة بالدراسة والتأمل ، عندما نشرع فى تقييم احتمالات الموقف فى الشرق الاوسط ، والتنبؤ بما هو متوقع من تصرفات العدو فى المستقبل ٠٠ أى بحث الاحتمالات فى المنطقة داخل الاطار العام للسياسة الاستعمارية فى تكاملها ، دون نفصل بين الجزء والكل ، حتى لا ننساق الى حسابات خاطئة ٠

حقا ان هناك اعتبارات محلية متميزة فى الصراع العربى الاسرائيلى ، تتحكم فى مجرى هذا الصراع ، لكن يجدر بنا أيضا أن نرسم خططنا على ضوء السمات العامة المميزة للسياسة الامبريالية فى مرحلتها الراهنة ، وأن نحدد مهامنا مسلحين بالادراك الواعى لاتجاهات الاستراتيجية الاستعمارية ، والعوامل التى تتحكم حاليا فى مسار السياسة التى يتبعها التحالف الامبريالى الصهيونى ، فهناك على سبيل المثال علاقة عضوية بين الغزو الامريكى لكمبوديا ، ومتابعة القصف الجوى لفيتنام الديمقراطية ، وبين الموقف فى الشرق الاوسط ، فهذا المناخ الذى يسود العالم اليوم ، لا يوحى باحتمالات حل عاجل يحفظ للعرب حقوقهم العادلة ، ولا ينبىء بقرب التوصل الى تسوية سلمية ٠٠

ونحن لا نغلق الباب أبدا أمام أى فرصة تلوح فى الافق لتسوية سياسية سلمية على أساس مبدئى تصفى عن طريقه كل آثار عدوان يونيو ١٩٦٧ ، كما يحفظ للمقاومة الفلسطينية حقها المشروع فى مواصلة نضالها الوطنى لتحرير فلسطين ، وهو الخط الذى أكد الرئيس عبد الناصر التزامنا به ، ونحن ندرك أيضا بيقين ـ لا يتسرب اليه أى قدر من الشك ـ أن الحل المنصف لقضيتنا العادلة لن يتحقق ـ سلميا أو عسكريا ـ الا

بتغير فى موازين القوى محليا أولا ثم عالميا لمصلحة قوى التحرر والتقدم ، كما أننا نملك كل مقومات التفوق ، وقد قطعنا شوطا طويلا فى هذا المجال ، وهنا يكمن مصدر الفزع والقلق لدى الاستعمار والصهيونية من عنصر « **الوقت** » .

لا يوجد أى قدر من الشك فى أن النصر حليفنا ، كل ما هناك أن علينا أن نصل الى النقطة « الكيفية » التى تجعل التحول ممكنا وحتميا ، لا عن طريق البناء العسكرى وحده ، بل أيضا بالتعبئة السياسية والاقتصادية والمعنوية ، وكل الشواهد تشير الى ان العدو باق على تعنته ، لا يعتزم التراجع – حتى الان – عن مخططاته التوسعية العدوانية ، لانه لا يفهم الا لغة القوة – كامنة أو مستخدمة – وبقدر ما ندعم جبهتنا الداخلية السياسية والعسكرية ، المحلية والعربية ، سوف نعجل بتحقيق النصر .



واذا انتقلنا الى أهم حدث فى حقل الصراع العربى الاسرائيلى ، نجد أن عدوان اسرائيل على جنوب لبنان لا يتمشى مع أساليب القرصنة المسلحة التى عهدناها منها ، ويتوافق مع توقيت الغزو الامريكى لكمبوديا .

فما هى اهداف اسرائيل من عدوانها الذى شنته فجر الثلاثاء ١٢ مايو ؟ وما مدى توفيقها فى تحقيق هذه الاهداف ؟

● لا شك أن اسرائيل كانت تتوخى تحطيم قواعد المقاومة فى جنوب لبنان (ويقيم بها ٢٢٠ ألف فلسطينى) ، باعتبارها أكثر المواقع العربية قربا من منطقة **الجليل العليا** ، حيث الكثافة السكانية الكبيرة فى اسرائيل ، كما انها مركز أهم الصناعات – وتضم مصادر المياه والطاقة الكهربائية – وهى منطقة ملائمة لعمليات حرب العصابات ، أكثر من الاراضى الجرداء فى وادى الاردن ، ويجاور جنوب لبنان جزءا مكشوفا من أرض اسرائيل ، ثم أن ٤٠ فى المائة من سكان الجليل من العرب .

وقد ترددت الانباء القائلة بهجرة سكان هذه المنطقة ونزوحهم الى الجنوب هربا من هجمات الفدائيين العرب ، ولذلك نص البيان الاسرائيلى على أن العمليات العسكرية تستهدف « تحطيم قواعد المقاومة ونزع سلاحها وقتل وأسر افرادها » ، **ولكن هل** حققت المهمة أهدافها ؟

لقد تحدثت الصحافة الغربية عن المفاجأة بقدرات دفاعية لم تكن متوقعة » ، وذكر الصحفى **جروير** من المانيا الغربية الذى رافق الحملة العدوانية ، أن « القوات الاسرائيلية واجهت مقاومة بالغة العنف ودخلت فى اشتباكات ضارية مع قوات المقاومة الفلسطينية التى تتحصن بسفوح التلال » ، **كما** أن اسرائيل التى ادعت على لسان المتحدث العسكرى باسمها بأنها ستنسحب قبل غروب شمس **الثلاثاء** ، لم تتمكن من التراجع الى مواقعها قبيل ظهر اليوم التالى ، ليس هذا فحسب ، بل انه بعد ساعات معدودة من الانسحاب ، قصف الفدائيون الفلسطينيون مستعمرات الجليل الاعلى بصواريخ الكاتيوشا وقنابل الهاون ، واعترف **حاييم بارليف** رئيس الاركان الاسرائيلى بأن عملية الغزو لم تحقق النتائج المتوقعة منها .

● تجمع الصحافة الغربية على أن « **حرب الاستنزاف** » بدأت تشكل عبئا على اسرائيل ، ووصفت الجو الذى ساد قبيل الاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاستقلال اسرائيل بأنه مشبع بالتشاؤم والكآبة ، ويمكن أن نلمس انعكاسا لهذا المناخ فى خطاب **جولدا مائير** الذى جاء به « ثلاث سنوات مضت منذ ذلك الوقت (**النصر فى** حرب يونيو) دون أن نحقق السلام ، ان المأزق الذى يواجه البلاد فى عام ١٩٧٠ ، هو فى جوهره نفس المأزق الذى واجهته الدولة الناشئة حديثا فى أعقاب تقسيم فلسطين » ؛ وهكذا يبدو واضحا أن السلطات الاسرائيلية كانت تنشد رفع الروح المعنوية ، خاصة فى منطقة الجليل العليا التى أصبح يتهددها اتجاه الهجرة منها .

● وتحرص اسرائيل دائما على ايجاد واقع من التمزق فى البلاد العربية المتاخمة لها ، ليصبح ضعفها المترتب على هـذه الصراعات الداخلية ، مصدرا وضـمانا لقوتها ، وعناصر التمزق داخل المجتمـع اللبنانى تزيد عن مثيلتها فى أى قطر عربى آخر ، كما أن قرب موعد انتخابات رئاسة الجمهورية (الشهر القادم) كان بمثابة فرصة ذهبية ، لتوسيع شقة الخلاف بين القوى المتصارعة ، ومحاولة لمساندة واثارة القوى الرجعية المناوئة لحق الفلسطينيين الشرعى فى البقاء على أرض لبنان ومواصلة نضالهم العادل ضد اسرائيل .. تلك القوى التى تنادى بتصفية المقاومة الفلسطينية ، كانت الدوائر الصهيونية ترمى الى تفجير الصراعات الدامية بين الجيش اللبنـانى وقوات المقاومة الفلسطينية مرة أخرى ، وقد ذكر مراسل رويتر أن حسابات اسرائيل كانت تتنبأ بأن الجيش لن يتدخل لصد العدوان فى العرقوب ومرجعيون .

وفى تصريح **لرشيد كرامى** أكد « أن المقصود من هذه المحاولات هو التأثير فى وحدتنا الوطنية ، واثارة الاضطرابات داخل لبنان » ولكنه يستطرد قائلا : ان اللبنانيين بوعيهم ووطنيتهم سيقفون صفا واحدا فى مواجهة كل ذلك » والواقع أنه كان مصيبا فى تحديد الهدف من العدوان ، وكذلك فى التنبؤ برد الفعل من جانب اللبنانيين .

لقد قاتلت القوات المسلحة اللبنانية ببسالة جنبا الى جنب مع قـوات المقـاومة الفلسطينية ، ليس هذا فحسب ، بـل ان سيارات الجيش اللبنانى ساهمت فى نقل رجال المقاومة الى المراكز المتقـدمة ، ان اختلاط دماء الفدائيين مع دماء القـوات اللبنانية قد وثق عرى التضامن وعمـق الالتحام بينهما ودعم الوحدة الوطنية داخل البلاد ، اذ اتضح للغالبية العظمى والساحقة من ابناء الشعب اللبنانى أن لبنان لـن يسـتطيع ان ينأى بنفسـه عن عمليـة الاستقطاب الحاد الذى يجرى بين القومية العربية وأعدائها ، ان الصحافة الغربية على حق ، عندما ترى **الموند الفرنسية** (٣٠ مايو) « أن ما نعلته اسرائيل ضد لبنان يوشك أن يدفعها الى تشديد موقفه تدريجيا تجاه الدولة اليهودية ، وحثه على التورط بصورة متزايدة فى المعركة » . **والتايمز البريطانية** (١٣ مايو) اذ تقول « الهجوم ليس فى صالحهم ، لانه سيربط مصير لبنان بمصير الحـركة الفلسطينيـة بصـورة اوثق . » وانه من المؤكد ان تزداد قوة اللبنانيين الذين ينحازون اليهم (أى الى المقاومة الفلسطينيـة) نتيجـة الغـارة الاسرائيلية » .. « لقد زرعوا الريح وسوف يجنون العاصفة » .

ولم ينجح العدوان الاسرائيلى فى دعم قوى الرجعية المحلية ، بل انه أخرس ألسنة زعماء الحلف الثلاثى ، أبواق الدعوة الى تصفية المقاومة الفلسطينيـة ، وأنصـار الانعزالية اللبنانية ، ووضـعهم فى مأزق حرج فى مواجهة الرأى العام ، حتى أن **حبيب مطران** أحد قادة حزب الوطنيـين الاحرار (جماعة **كميل شمعون**) اضطر الى شن حملة ضد أمريكا باعتبارها « الفاعل الاصلى فى جريمة العدوان » ، ويضيـف بمرارة « **لقد اصبح الاتصال بامريكا يعد ضربا من الخيانة** » ثم يؤكد أن مـوقف الولايات المتحدة المنحاز الى اسرائيل « يلحق أفدح الاضرار بمصالح أمريكا نفسها » .

كما حرك العدوان مشروع القـانون الخاص بالتجنيد الاجبارى ، اذ مـازال الجيش اللبنانى يتكون من المتطوعين فقط ، حتى ظهرت الحاجة الى الخدمة الاجبارية العامة فى مواجهة الخطر الصهيونى ، الا أن بعض القوى المناوئة عملت على عرقلة عرض المشروع على مجلس النواب ، حتى جاءت الاحداث الاخيرة لتدفع به الى المقدمة .

● ومن الجوانب الايجابية التى ترتبت على العدوان ، تلك المشاركة الفعلية العربية فى المعركة ، من خلال التحرك السريع للقوات المسلحة السورية والعراقية والاردنية .

ومنيت بـالهزيمة أيضـا المخططـات الاستعمارية التى أرادت افتعال أزمة بين سوريا ولبنان من جهة ، وبين لبنان والمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى ، باذاعة أنباء مكذوبة عن دخول أربعة آلاف من قوات الجيش السورى الى العرقوب ، لكن **كمال جنبلاط** وزير الداخلية بادر بتكذيب هذه الانباء ، وأشاد بالدور الذى لعبته سوريا والعراق فى ردع العدوان .

ليس هذا فحسب ، اذ فتح لبنان صفحة جديدة من العلاقات مع سوريا ، وجرت مباحثات بين رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان والدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية ، ترتب عليها دعم العلاقات بين البلدين في ميدان الاقتصاد والاعلام ، والاتفاق على اجراءات دفاعية متبادلة بينهما ، وهكذا كانت النتيجة على النقيض تماما مما توخته اسرائيل بعدوانها ، كما كان رد الفعل على النطاق العالمي بمثابة اضافة كمية لعناصر فضح وتعرية الوجه القبيح لاسرائيل ٠

اذن ، فعندما نقيم نتائج الهجوم الاسرائيلي ، نجد انها جاءت لمصلحة القوى الثورية في لبنان ، ان القدرة على المبادرة ليست قاصرة على « الفعل » وحده ، اذ يمكن « لرد الفعل » ان يكون أقوى أثرا وابعد مدى ، اذا أمسكت قوى الثورة بزمام المبادرة ، لتجعل من الواقع الجديد مرتكزا للانطلاق بقوة متزايدة نحو تحقيق أهدافها ٠

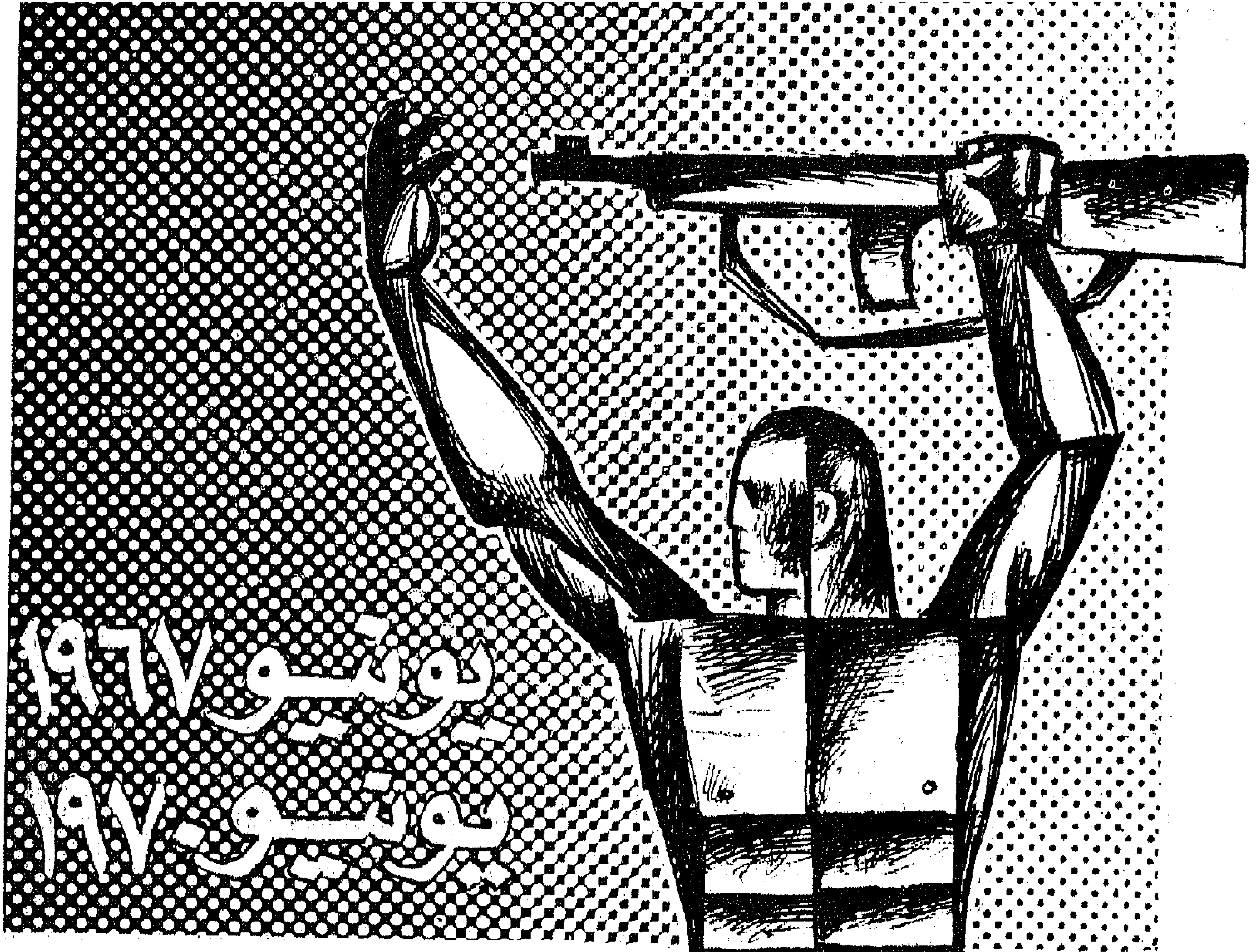
وفي الشهر القادم تجرى انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان ، ولهذه الانتخابات – طبقا لنظام الحكم – تأثير حاسم على مسار لبنان في السنوات القادمة ، وهي مرحلة مصيرية بالنسبة لها وللعالم العربي عامة ، ومن المتوقع ان يندفع التحالف الرجعي الاستعماري الى ساحتها بكل ثقله ٠

فالشعب اللبناني يقف على مفترق الطرق في لحظة حاسمة من حياته ، لكنه مسلح بتجارب تلقي بأضواء كاشفة على طريق ، تملي عليه مصالحه ان يشقه دون تردد ، وواقعة الاعتداء الاخير جاءت لتؤكد من جديد ارتباط مصير لبنان بالأمة العربية ، ولتدك المعاقل الفكرية والسياسية لانصار العزلة عن ركب الثورة ٠

وليس بغريب اذن أن نجد انصار العزلة هؤلاء – أي الارتباط بالاستعمار موضوعيا – هم من أصحاب المصارف والمساهمين في البنوك والشركات الاجنبية ووكلائها ، وكبار المستوردين والمضاربين وملاك الاراضي والعقارات ، تلك الفئة التي تتحكم في مصير البلاد وتقودها في طريق التبعية للاحتكارات الاجنبية ٠٠ القوى التي تدهور الاقتصاد القومي على يديها لتصبح حصة الزراعة والصناعة ٣٠ في المائة من الدخل القومي ، مقابل ٣٠ في المائة للخدمات و ٤٠ في المائة لمصادر الدخل غير المنظورة ٠

ومن جانب آخر نجد التيار الشعبي الجارف بتراثه الثوري المجيد في النضال ضد المشاريع الاستعمارية ٠٠ سوريا الكبرى ، الهلال الخصيب ، حلف البحر الابيض المتوسط ، الدفاع المشترك ، حلف بغداد ، مشروع ايزنهاور ٠٠ والذي حقق تلك الانتصارات في ارتباطه بنضال حركة التحرر الوطني العربية كلها ٠٠ هذا التيار يشكل من نفس القوى التي ترفض العزلة ، والتي تطالب بتعديل جذري في الهيكل الاقتصادي ، وبتوسيع القطاع العام والاصلاح الزراعي ، وتكافح من أجل تعديل قانون الانتخاب وادخال اصلاحات في التشريع والادارة ، لبناء نظام ديمقراطي يؤكد السلطة الفعلية والسيادة للشعب ، والتمثيل الديمقراطي للعمال والفلاحين في اجهزة الادارة واطلاق الحريات النقابية . الخ . تلك المطالب التي تنبع من متطلبات الواقع اللبناني ، وتتسق مع النضال المشترك للجماهير العربية في جميع أنحاء الوطن العربي ٠

« الطليعة »



فى هذا الشهر ، يونيو ١٩٧٠ ، تدخل حرب التحرير ضد العدو الاسرائيلى الامبريالى سنتها الرابعة .

وبعد ثلاث سنوات ، نرى أن العدو لم يحقق أهدافه ، ليس هذا فحسب ، بل ان قوى الثورة العربية انتقلت الى مواقع أكثر تقدما . ومع ذلك هناك مهمة دائمة تواجه الثوريين : وهى أن يعمقوا معرفتهم للعدو ومعرفتهم لقواهم الخاصة. وهذا هو موضوع دراستنا .

ففى اطار معرفة العدو تقدم الطليعة مقالين يوضحان نقاط الضعف الرئيسية فى العدو . المقال الاول كتبه فؤاد مرسى تحت عنوان :

« حرب يونيو ، دلالتها وتطوراتها »

وفيه يوضح الكاتب أن الحرب بين البلاد العربية ، وبين اسرائيل ليست نزاعا محليا على الحدود . ولا بد لفهم حقيقة هذه الحرب من التعرف على حجم المصالح البترولية فى الوطن العربى ، وما يفرضه هذا الحجم على قوى الامبريالية من استخدام منطق القوة فى تعاملها مع الشعوب العربية . ولما كانت أسرائيل ترتبط ارتباطا عضويا بالمصالح الامبريالية ، فان هذا يوضح ابعاد المعركة مع أسرائيل والامبريالية العالمية . ان هذا كله لا ينفى الوجود المستقل لاسرائيل ، هذا الوجود الذى لا ترى أسرائيل سبيلا للدفاع عنه سوى المغامرة واشاعة العسكرية فى الكيان الاسرائيلى برمته — غير أن

هذا انما يشكل الاساس الضعيف للوجود الصهيونى فى المنطقة .
وفى المقال الثانى الذى كتبه اسماعيل صبرى عبد الله تحت عنوان :
« أسرائيل : ثلاث سنوات بعد يونيو ٦٧ »
يتقصى الكاتب آثار حرب يونيو فى المجتمع الاسرائيلى . فاذا كانت الظواهر الاصيلة فى الكيان الصهيونى تنبىء بحتمية انهيار هذا الكيان على المدى البعيد . فان حرب يونيو قد عمقت أزمة أسرائيل المصيرية وهذا ما يظهره تحليل الاقتصاد الاسرائيلى .
وفى مجال معرفة النفس تقدم الطليعة مقالين : الاول كتبه عبد الوهاب قوطة تحت عنوان :
« مدينة فى المعركة »
وفيه يدلل الكاتب بالوقائع على أن جماهير بور سعيد قد واجهت محنة العدوان بكل خبراتها وطاقاتها المختزنة . ويوضح أن الجماهير لا ينقصها الاستعداد للتضحية ، وانها تتحرك تلقائيا .. وان القيادات الناجحة هى التى تأخذ كنقطة انطلاق هذه الحركة التلقائية فتستثمرها وتصبها فى القالب التنظيمى المحدد .
وفى مجال الخبرات العملية ، وفى مدينة أخرى ، لها ظروف مختلفة ، يقدم معين بسيسو
« ملاحظات حول مدينة محتلة »
والمدينة المحتلة هى غزة . ومنذ اليوم الاول للاحتلال الاسرائيلى نما فى المدينة نضال سياسى اتجه — فى الاساس — الى تعبئة الجماهير فى أماكن السكن والخيمات وتثقيفهم بروح المقاومة وضد الاستسلام ، وضد التعاون مع العدو وفى سبيل رفض مخططه لاقامة « فلسطين مزيفة »

حرب ٥ يونيو :
دلالتها .. وتطوراتها

د . فؤاد مرسى

يجب الاعتراف منذ البداية ، بأنه نادرا فى التاريخ الحديث ما قوبلت قضية عادلة من قبل اقسام واسعة من الرأى العام العالمى ، بمثل ما قوبلت به القضية العربية فى ٥ يونية ١٩٦٧ من معارضة وعدم تفهم . وايا تكن ضخامة الاخطاء التى ارتكبها العرب فى عرض قضيتهم قبل ٥ يونية ١٩٦٧ ، فان الامر الذى لا ريب فيه هو انه تحت تأثير الدعاية المضللة — لكن الحسنة التنظيم — كون اشخاص كثيرون فكرة خاطئة عن اسرائيل ، لقد تصوروها بلدا صغيرا مسالما ، يهدده مائة مليون من جيرانه العرب بافناء سكانه المليونين ، او بالقائهم فى البحر ، ولقد اصابت الدهشة الكثيرين حين رأوا اسرائيل تحقق نصرا عسكريا خاطفا بأداة حرب مزودة بآخر ما وصل اليه العلم والتكنيك الحديث .

ولاشك ان الدهشة قد اصابت اعدادا اكبر من الناس فى العالم ، حين بدأوا يتبينون فى اسرائيل بلدا عدوانيا ومصدرا للتوتر فى المنطقة التى يوجد فيها .

ولقد كان باستطاعة الرأى العام العالمى ان يتوقف قبل حرب يونية ليفكر مثلا فيما قاله « ابا ايبان » فى محاضرة له فى الولايات المتحدة فى يولية ١٩٦٥ ، اى قبل حرب ٥ يونية بعامين كاملين عندما قال بالحرف الواحد : « **ليس من المستبعد ان نرى الدول العربية غدا تطالب بالعودة الى حدود ١٩٦٦ او ١٩٦٧ مثلما تطالب اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧** » .

وكان عليه — ايضا — ان يتمعن فى اجابة **شيمون بيريز** على سؤال عن اسباب سرعة النصر العسكرى ، وذلك بعد ايام قليلة من حرب يونية حين قال : « **لقد اعددنا لهذه الحرب منذ عشر سنوات** » .

ولعل هذا كله كان تحت نظر الجنرال **ديجول** حين انهى حديثه مع ابا ايبان فى مايو ١٩٦٧

حذرا : « وأيا يكن الامر ، فلا تبدأوا بالهجوم » .

وعلى العكس فقد ذكرت مجلة **نيوزويك الامريكية** بتاريخ ١٩ يونية ١٩٦٧ ما يؤكد استعداد اسرائيل قبل ٥ يونية ، قالت المجلة : « في الاسبوع الاسبق ، **تلقى الرئيس تقريرا مطمئنا من الجنرال ايرل هويلر رئيس هيئة الاركان المشتركة يتوقع ان يكسب** الاسرائيليون الحرب خلال ثلاثة أو أربعة ايام اذا قاموا بالضربة الجوية الاولى - بينما كان آرثر **جولدبرج ، السفير لدى الامم المتحده ، متشككا في** هذا التقرير الى حد **أن تم ايفاد هويلر لمقارنة البيانات مع رئيس هيئة المخابرات الامريكية ريتشارد هلمز الذي أكد ذلك الحكم** » . ومن ثم كان من السهل على المتحدث الرسمي الامريكي ان يعلن عندما اندلعت الحرب : « موقفنا محايد بالفكر والكلمة والفعل » .

وبالطبع نستطيع اليوم ، استنادا الى الحقائق المعروفة للجميع ، أن نتبين سخف الزعم او التبرير بأن اسرائيل لم تهجم الا لانها كانت تعلم أنه يتم اعداد عدوان عليها ، فلم يكن غلق مضيق تيران أو خليج العقبة ليكون سببا في الحرب . **وقد تأكد عندئذ ان ٨ في المائة من واردات اسرائيل كانت تمر من ميناء ايلات** ، ومثل هذا النزاع لو فرضناه جادا ، يظل نزاعا قانونيا تتكفل بتسويته الطرق السلمية طبقا للمادة ٣٣ من ميثاق الامم المتحدة ، ومع ذلك فمن المعروف أنه في ١٦ مايو ١٩٦٧ أبلغ **ريتشارد نولتي** السفير الامريكي في القاهرة حكومة الجمهورية العربية المتحدة خمسة مطالب ، منها حرية الملاحة في خليج العقبة ، لكن المهم أنه حذر في مذكرته من ان أي قيد على حرية الملاحة سوف يعتبر « **عملا من اعمال العدوان له عواقب بعيدة المدى** » .

الحرب

لكن الاحداث دللت فيمابعد على أن المشكلة لم تكن أبدا صراعا محليا على الحدود بين دولتين ، ولسنا هنا بصدد عرض تاريخ للازمة التي انفجرت بحرب ٥ يونية ، ولكننا نحاول فحسب أن نلقي الضوء على أحداثها بهدف الكشف عن دلالتها وعن عواقبها البعيدة المدى .

فمن المعروف أن اسرائيل قد خلقت منذ أواخر عام ١٩٦٦ جوا من التوتر والاستفزاز الشديدين في المنطقة العربية ، ولقد اخذت تضاعف حرارة هذا الجو باعتداءات القليمية على الاردن وسوريا ، وبعد الاعتداء على قرية السموع الاردنية في مارس ١٩٦٧ استخدمت الطائرات لضرب سوريا في ٧ ابريل التالي ، وأعقبت ذلك بسلسلة من التهديدات **بضرب سوريا ضربة قاتلة ، تلتها حشود اسرائيلية** على الحدود السورية .

وكان من الواضح أن اسرائيل قد قررت التدخل ضد سوريا ، ففي ٥ أبريل كشف أبا ايبان في الكنيست عن عزم اسرائيل على اتخاذ الخطوات الضرورية « **بغض النظر عن الوضع الشكلي الخاص باجتماعات لجنة الهدنه المشتركه** » ، وفي ٩ مايو أبدى الكنيست ترحيبه ببدء عمليات (**انتقامية**) ضد سوريا ، وفي ١٢ مايو صرح **ليفي** اشكول بضرورة القيام بعمل قاس ضد البلاد التي تشجع التخريب ضد اسرائيل ، وأضاف قائلا « **لقد قررنا مبدأ ، أن نختار الوقت والمكان والوسائل لمواجهة المعتدي** » . وفي اليوم التالي صرح اسحق رابين بأن سوريا تقف وراء نشاط التخريب وأن العمل ضد سوريا سيكون مختلفا عن أعمال الانتقام في الماضي ، قال رابين : « مالم **يطح بثوار دمشق فلن يتاح لاي حكومة في الشرق الاوسط ان تشعر بالاطمئنان** » ، وفي ١٤ مايو اصطحب الاحتفال بتأسيس اسرائيل لاول مرة بعرض عسكري في مدينة القدس .

هنالك تحركت مصر لاتخاذ موقف الدفاع عن سوريا ، وكان من الضروري أن تطلب سحب قوات الامم المتحدة تأكيدا لعزمها على الوقوف بجانب سوريا اذا ما اعتدي عليها ، وأعلنت القاهرة التزامها بموقف الدفاع لا الهجوم .

واندلعت الحرب في صباح ٥ يونية ، ولن نسمح لانفسنا بالوقوف عند السؤال الذي طرح بذكاء عندئذ وهو : من الذي بدأ بالعدوان ثم صار فيما بعد : من الذي بدأ بالهجوم ، فمن المعروف اليوم أن اسرائيل قد بدأت بالهجوم في صباح ٥ يونيو ، أما القول بأن مصر بدأت العدوان باغلاق خليج العقبة ، فانه قول لن يفعل سوى ان يردنا لحكاية «لافونتين» المشهورة عن الحمل والذئب .

وفيما عدا ذلك ، وقبل ان نختتم هذا الطور المحزن من الازمة ، يكون من المفيد أن نستعيد فقرة من التصريحات التي أدلى بها **ليفي اشكول** في ١٧ أبريل أي في بداية الازمة لمجلة **نيوز آند ورلد ريبورت** الامريكية ، لقد أكد أن الدفاع عن بلاده مكفول بوساطة الولايات المتحدة ، وأضاف ناصحا ومطمئنا الجميع ، ومرددا قول الامريكيين : « **لا تنفقوا أموالكم فنحن هنا ، ان الاسطول السادس معنا** » .

هنا بالفعل ينجلي الغموض الذي يحيط بالازمة ، فثمة علاقة خاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة تكمن وراء الازمة ، وتستطيع أن تفسر كثيرا من أحداثها . وليست هذه العلاقة سرا مجهولا أصبح

معروفا ، بل هى احدى حقائق الموقف الاساسية ، فمن المعروف مثلا أن صندوق الطوارىء الاسرائيلى فى أمريكا استطاع خلال أسبوع واحد قبل العدوان ان يجمع مبلغ ٩٠ مليون دولار ، ومن المعروف أيضا أن ٨ آلاف من الشبان الامريكيين قد تطوعوا للقتال مع اسرائيل . ومن المعروف كذلك أنه فى ٧ يونية عندما بادر الاتحاد السوفييتى بطلب وقف اطلاق النار ، رد آرثر جولدبرج قائلا : « **انهم يريدون الاجتماع الان وجانبنا ينتصر** » .

وتوضح صحيفة التايمز البريطانية أن الغرب كان سيتدخل عسكريا فى جانب اسرائيل لو كان العرب نجحوا فى نقل المعركة الى الارض الاسرائيلية ، فغداة الحرب فى ٦ يونية ١٩٦٧ كتبت التايمز تقول : « **لا توجد ظروف يسمح فيها بنصر عربى شامل من غير ان تضطر القوى الغربية للتدخل ، مثل هذا التدخل لا يقع من أجل مساعدة العدوان الاسرائيلى ، ولا حين تعمل الجيوش الاسرائيلية خارج حدودها** . هذه اذن حرب لا يسمح فيها للقوى العربية فى النهاية بأن تنتصر من غير أن تورط قوى رئيسية من خارج الشرق الاوسط » .

وعندما تتكلم « التايمز » عن تدخل القوى الغربية فهى تدفع بالضرورة الى الاذهان ذكريات القرون الماضية من التدخل الاستعمارى ، وبالفعل فاننا نجد انفسنا فى الشرق الاوسط أمام ظاهرة استعمارية نموذجية .

ونحن لا نزعم أن اسرائيل قوة جبارة تحرك العالم ، او انها استطاعت ان تجند الحكومات الاستعمارية كى تقف فى صفها ضد العرب ، كما لا نزعم أن اسرائيل ليست سوى ذنب للاستعمار ، يحركها كيفما يشاء باعتبارها مجرد اداة فى أيدى الاستعمارية العالمية . وانما اسرائيل هى حليف خاص للاستعمار ، بل هى فى الارض العربية جزء لا يتجزأ من ظاهرة الاستعمار العالمية . ونحن هنا نفهم معنى الاستعمار على أسوأ الفروض كما يفهمه وزير الدولة البريطانى السابق **انطونى ناتنج** وهو من المحافظين ، حينما قال فى محاضرة له بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٦٩ فى الجامعة الامريكية ببيروت : « **ان تصريح بلفور كان عملا استعماريا ، وكانت بريطانيا العظمى المكلفة بالانتداب على فلسطين تلعب فى الواقع هناك دور دولة استعمارية** » .

ولذلك فنحن نفهم كيف وقف ٣٦٤ من ٤٣٨ عضوا فى الكونجرس الامريكى يستحثون الحكومة لتقديم الضمانات لاسرائيل . ونفهم كيف أمكن للسيد **ماكجورج باندى** - المستشار السابق لجون كيندى ، ورئيس المكتب الذى شكله الرئيس جونسون فى يونية ١٩٦٧ لمتابعة أحداث الشرق الاوسط ، أن يقول بالحرف الواحد : « **ان سياستنا فى تأييد اسرائيل تنبع من مصالحنا القومية** » .

هذا صحيح ، فان المصالح القومية للولايات المتحدة هى بالتحديد وراء حرب ٥ يونية ١٩٦٧ ، فتلك المصالح وأمثالها هى التى تسمح بالتعرف على دلالة هذه الحرب .

دلالة الحرب

قبل الحرب العالمية الثانية ، حين كانت زعامة العالم الغربى ماتزال لبريطانيا العظمى ، كان بوسع بن جوريون أن يقول فى مؤتمر للحركة الصهيونية عقد فى عام ١٩٣٨ : « **من يخون بريطانيا العظمى فانه يخون الصهيونية** » . واليوم ، والولايات المتحدة تفرض زعامتها على الغرب ، استطاع **ليفى اشكول** ان يقول للصحفى الامريكى فى ١٩٦٧ : « **لا تنفقوا أموالكم ، فنحن هنا** » .

والواقع أن تاريخ الحرب والسلام بين اسرائيل ومصر يوضح أن اعتداءات اسرائيل كانت مرتبطة من حيث التوقيت بعمليات « من خارج المنطقة » ، مثلا بهدف دفع مصر الى حلف بغداد ، او ضرب تأميم قناة السويس ، فعندما أممت شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٦ ، « دفعت » مصالح الزيت اسرائيل الى العدوان . وليست الفكرة من عندنا ، ولكنها بعض ما اعترف به موشى ديان فى كتابه « مفكرة معركة القناة » ، حيث يقول : « **كانت معركة القناة نتيجة لنوايا بريطانيا للتحكم بالقوة فى منطقة قناة السويس . فلولا هذه المطامع البريطانية لكان من المشكوك فيه أن تقوم اسرائيل بحملتها** » .

ومن المؤكد ان المصالح الاستعمارية للغرب فى الشرق الاوسط ، وهى مصالح رهيبة تتلخص فى ثروات البترول ومزايا الموقع الاستراتيجى ، كانت تواجه فى السنوات الاخيرة أكبر الخطر من جراء نمو حركة التحرير الوطنى العربية ، فى مصر وسوريا والجزائر والعراق واليمن واليمن الجنوبية ، وعندما فشلت محاولات الولايات المتحدة فى اقامة ما يسمى الحلف الاسلامى لتطويق الثورة العربية ، لجأت الى أسلوب الضغط الاقتصادى فتوقفت عن بيع القمح لمصر ، ومع ذلك لم يؤت الضغط نتائجه المتوقعة ، **لهذا تأكد لدى حكام واشنطن اقتناع راسخ بان منطق القوة هو المنطق الوحيد الذى يجب أن يستخدم فى هذه المنطقة لحماية المصالح الغربية ، وبأن اسرائيل بأوضاعها المعقدة كفيلة بالقيام بهذه المهمة** .

ان هذه النتيجة لا تزال تبدو حتى اليوم لدى الكثيرين أمرا مشكوكا فيه ، ولذلك نرجو أن يسمح لنا بالوقوف عندها بعض الوقت •

اولا : ان للغرب مصالح بترولية فى البلاد العربية تحقق له ارباحا مذهلة ، ومن ثم فليس من السهل ان يفرط فيها •

لقد بلغ انتاج البترول العربى ٥٩٢ر٥ مليون طن فى عام ١٩٦٨ تمثل ٢٨ر٥ فى المائة من الانتاج العالمى و ٣٥ر٩ فى المائة من انتاج العالم الرأسمالى ، **ان طنا تقريبا من كل طنين تنتجهما احتكارات البترول فى العالم الثالث يأتى من البلاد العربية** ، وهذا يفسر ان تجار البترول الغربيين يحصلون سنويا على دخل يبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار من استغلال وبيع البترول العربى ، عدا الأرباح الناجمة عن نقله ، ويضاعف من حرصهم عليه وجوده فى منطقة الشرق الاوسط وهى أغنى منطقة فى العالم باحتياطى البترول ، فاحتياطيات الشرق الاوسط فى ١٩٦٧ قد بلغت ٦٠ر٢ فى المائة من الاحتياطيات المؤكدة فى العالم ، وباضافة ليبيا والجزائر ترتفع الى ٦٩ فى المائة ، فاذا ما قورنت باحتياطيات العالم الرأسمالى قفزت الى ٧٥ر٥ فى المائة ، **ان ثلاثة أطنان من كل أربعة أطنان من البترول الاحتياطى الذى تسيطر عليه احتكارات البترول توجد هنا فى الشرق الاوسط •**

قبل عام ١٩٥٠ كان برميل البترول الخام من البلاد العربية يباع بدولارين ، بينما كانت تكلفة انتاجه تبلغ عشرة سنتات ، وكان اكبر مبلغ تاخذه الحكومات العربية عن البرميل الواحد لا يتجاوز ٢١ سنتا ، وبفضل الحركه الوطنية العربية بدأت الحكومات العربية تحصل على مبالغ أكبر ، بل أصبحت احتكارات البترول مهددة أحيانا بخطر سحب الامتياز أو المطالبة بالتاميم ، ان دخل مصر من القناة مثلا قد ارتفع من خمسة ملايين من الجنيهات قبل عام التأميم الى ١٠٠ مليون جنيه فى عام ١٩٦٧ ، أصبحت تحصل على كل أرباح القناة بعد ان كان نصيبها من صافى الارباح لا يزيد عن ٧ فى المائة •

والوضع مماثل فى البترول • **ففى اكتوبر ١٩٦٣ أعلن خبراء البترول العرب امكانية سيطرة العرب على بترولهم من مرحلة البحث حتى مرحلة التسويق** ، وفى ديسمبر ١٩٦٤ أعلنت سوريا عن رغبة مماثلة ، ولقد طلبت سوريا تحسين شروط امتيازات مد خطوط انابيب البترول عبر سوريا والسعودية الى لبنان ، ومن العراق الى سواحل سوريا ولبنان ، كما اقدمت على تأميم صناعة البترول ، والغاء امتيازات الشركات الاجنبية وهى شركات أمريكية وألمانية غربية • هذا بينما كان البترول يمثل ٦٠ فى المائة من حركة المرور فى قناة السويس من الجنوب الى الشمال ، وكانت هذه النسبة تمثل ٨٠ ٪ من واردات الغرب •

ومن المعروف انه نتيجه للظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية ، **تقل تكاليف العثور على البترول العربى ، ومن ثم ترتفع أرباحه بدرجه لا مثيل لها فى اى بلد منتج للبترول** • وعلى سبيل المثال فان الانتاج فى المتر الواحد يبلغ ٤٨٧ مترا مكعبا مقابل ٣٥ مترا مكعبا في فنزويلا و ١٠ أمتار مكعبة فى الولايات المتحدة ، اما بالنسبة للابار ، فان الانتاج يبلغ فى المتوسط ٦٠٥ اطنان فى اليوم مقابل ٢٥٥ طنا فى العالم الرأسمالى ، ١٦٦ طنا فى الولايات المتحدة ، وبالتالى فانه بينما لا تزيد ارباح الشركات العاملة فى فنزويلا وهى أكبر بلد مصدر للبترول عن ١٨ فى المائة فانها تصل الى ٦٢ فى المائة فى العراق وفى السعودية والى اكثر من ١٠٠ فى المائة فى بعض البلاد العربية الاخرى •

تكلفة الانتاج للبرميل الواحد

البلد	بالسنت
الكويت	٦ر—
العربية السعودية	٩ر٨
ايران	١٤ر—
فنزويلا	٦٢ر—
الولايات المتحدة	١٥١ر—
كنـــدا	١٣٣ر—

المصدر : عبد الله الطريقى — دور البترول العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

وبالطبع فان احتكارات البترول الامريكية تتصدر الجميع ، **ان أكثر من ثلث ارباح الولايات المتحدة التى تأتيها من الخارج تأتيها من بترول الشرق الاوسط** ، وعلى سبيل المثال فان شركة واحدة هى شركة **ستاندارد أويل أوف نيو جرسى** ، قد حققت أرباحا فى عام ١٩٦٨ تزيد بمقدار ١٨٤ مليون دولار عما حققته فى عام ١٩٦٦ ، وقد يبدو أن عاملا آخر يضاعف من اهتمام الولايات المتحدة بالبترول العربى • فالواقع أن احتياطى البترول العربى يتزايد بينما يهبط احتياطى البترول الامريكى ، فكل ما تملكه الولايات المتحدة فى حقولها لا يكفى لاكثر من **٩ سنوات قادمة** ، بينما الشرق الاوسط يكفى **٦٠ سنة مقبلة** ، واحتياطى حقل عربى واحد هو حقل برقان فى الكويت يحوى ما يعادل كل ما تملكه فى حقولها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى معا •

ولذلك نجد أنه فى عام ١٩٦٥ ، حينما كان صافى الاموال الموظفة فى البترول العربى يبلغ

٥ر٢١٦٤ مليون دولار ، كانت أرباح الشركات منها ١٧٦٣ مليون دولار بنسبة ٤٥ر٨١ في المائة . في تلك السنة ، كان رأس المال الامريكي المستخدم في البترول العربي يبلغ ٦ر١ بليون دولار تدر أرباحا تقترب من بليون دولار ، بينما بلغت ارباح الاحتكارات البريطانية عندئذ ٦٠٠ مليون دولار ، وتمثل الشركات الامريكية والانجليزية ٨٠ في المائة من مجموع الشركات العاملة في بترول الشرق الاوسط .

لكن الاهم من ذلك انهذا البترول العربي قريب من اسواق استهلاكه في اوربا الغربية ، ولذلك فهو معد اساسا للتصدير الى اسواق اوروبا .

ان اسواق امريكا تحصل على ١٨ مليون طن سنويا بنسبة ٣ في المائة من جملة البترول العربي المصدر ، بينما يوجه أغلب الباقي الى اوروبا ، ومن هنا سيطرت احتكارات البترول العربي على السوق الاوروبية المستهلكة للبترول .

تصدير البترول العربي في عام ١٩٦٦ الى ١٢ دولة من أهم الدول المستوردة مع بيان جملة استيراد كل منها من البترول ونسبة استيرادها من البترول العربي مقدرة بآلاف البراميل يوميا .

البلد المستورد	جملة المستورد من البترول	المستورد من البترول العربي	نسبة المستورد من البلاد العربية الى الجملة
ايطاليا	١٥٨٤	١٣٠٢	٨٢ر٢ ٪
المملكة المتحدة	١٤٠٨	٩٧٢	٦٩ر ٪
المانيا الغربية	١٣٥٤	٩٩٦	٧٣ر٦ ٪
فرنسا	١٣٦٠	١٠٤٤	٨٢ر٩ ٪
هولندا	٥٩٩	٤٩٦	٨٢ر٨ ٪
اسبانيا	٣٢٦	٢٦٦	٨١ر٦ ٪
بلجيكا	٣٢٧	١٩١	٥٨ر٤ ٪
اليابان	١٧٠١	١٠٤٦	٦١ر٥ ٪
استراليا	٣٢٣	١٩٨	٦١ر٥ ٪
الهند	١٤٩	٩١	٦١ر١ ٪
البرازيل	٢٣٧	١١٨	٤٨ر٩ ٪
الارجنتين	٧١	٢٠	٢٨ر٢ ٪

المصدر : مجلة بتروليوم انتلجينس ويكلى ، ١٩ يونية ١٩٦٧ .

ومن الطبيعي في هذه الظروف أن تحرص الاحتكارات المسيطرة على البترول العربي على استمراره تحت سيطرتها ، يكفي مثلا أن معامل **التكرير في المنطقة لا تمثل سوى ٥ر٣ في المائة من الطاقة العالمية للتكرير** ، ولما كان موقع سوريا ومصر بالنسبة لمصير البترول العربي حاسما ، فان تطوراتهما ذات اهمية مباشرة لاحتكارات البترول .

ثانيا ــ ان للغرب استثمارات طائلة في اسرائيل ، أصبحت تقبض على ناصية الاقتصاد الاسرائيلي ، وتتحكم في سياسة اسرائيل :

فطبقا لكتاب هيئة الامم المتحدة « تمويل التنمية الاقتصادية ــ العرض الاقتصادي العالمي ١٩٦٥ » ، الجزء الاول ، المنشور في ١٩٦٦ ، تبين أن المدخرات الاجنبية قد ساهمت بالنصيب الاكبر في عملية تكوين رأس المال في اسرائيل ، لقد بلغت نسبتها الى اجمالي تكوين رأس المال ٨٥ في المائة في السنوات ١٩٥٣ الى ١٩٥٥ وحوالي ٧٥ في المائة في السنوات ١٩٦٢ الى ١٩٦٤ ، بينما لم يبلغ الادخار المحلي الا نسبة ١ في المائة في المتوسط من الناتج القومي الصافي عن الفترة الاخيرة (١) . وفيما بين عامي ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ قدرت رؤوس الاموال المستثمرة في الصناعة بحوالي ١٣٠٠ مليون دولار منها ٩٤٥ مليون دولار اموال أجنبية . ويمثل رأس المال الامريكي ٦٠ في المائة من مجموع رؤوس الاموال الاجنبية .

وطبقا لبعض الدراسات بلغت قيمة الاموال الاجنبية التي دخلت اسرائيل في مدى أربعة عشر عاما من ١٩٥٠ الى ١٩٦٤ حوالي ٧ آلاف مليون دولار ، نصفها عون مجاني .

---

(١) صبحي الاتربي ــ الاقتصاد الاسرائيلي وضرورات التوسع والسيطرة ــ الطليعة عدد يوليو ١٩٦٩ .

الاموال الاجنبية الوافدة الى اسرائيل

المصـــــــــدر	الســــــــــنوات	القيمـــة بمـــلايين الدولارات
اولا ـــ معونات واموال غير مستردة :		
معونة فنية للامم المتحدة	٦٤/٥٢	٩
معونة امريكية	٦٤/٥١	٢٩٤
تعويضات المانية لحكومة اسرائيل	٦٤/٥٣	٧٦٤
تعويضات المانية لافراد	٦٤/٥٤	٨٤٧
التحويلات النقدية الخاصة	٦٤/٥٠	٥٠٠
التحويلات من المؤسسات القومية	٦٤/٥٠	١٠٣٥
التحويلات العينية .	٦٤/٥٢	٢٥٧
	اجمالى ٦٤/٥٠	٣٧٠٦
ثانيا ـــ قروض واستثمارات :		
قروض طويلة ومتوسطة الاجل	٦٤/٥٠	١٢٢٦
بيع سندات اسرائيل	٦٤/٥١	٤٥٠
قروض الولايات المتحدة	٦٢/٥٥	٢٥٢
قروض بنك الاستيراد والتصدير	٥٨/٥٠	١٣٠
التزامات حكومية اخرى	٥٨/٥١	٦٧
رؤوس أموال خاصة	٦٢/٥٢	٣١٧
قروض أخـــرى	٦٢/٦١	٧٣
رؤوس أموال قصيرة الاجل	٦٢/٥٠	٤٨٢
قروض غير محددة	٦٤/٦٣	٢٥٨
	اجمـــــالى ٦٤/٥٠	٣٢٥٦

وعلى سبيل المثال ففيما بين عامى ١٩٦٢ ، و١٩٦٥ كانت الموارد الخارجية ، تتجاوز نصف مليار دولار سنويا ، منها أكثر من ٣٠ فى المائة فى صورة هبات غير مطلوب سدادها .

ومن الواضح أن القسم الاكبر من هذه الاموال كان مصدره الاساسى الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية . وقد كانت الفكرة فى بداية الامر ، تعزيز وجود اسرائيل وتمكينها من تحقيق معدل مرتفع للتنمية الاقتصادية ، يتيح لها الاحتفـــاظ بمستوى معيشى مرتفع يناسب الوافدين من أوروبا تشجيعا لهم على الهجرة الى اسرائيل ، غير أن تغلغل رأس المال الاجنبى فى جميع ميادين اقتصاد اسرائيل قد خلق فى النهاية جميـــع الشروط الضرورية لجعل اسرائيل قاعدة للعدوان الامبريالى وللسياسة التوسعية .

لقد حققت اسرائيل من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٥ معدل نمو اقتصادى يدور حول ١١ فى المائة سنويا وهو معدل مرتفع تماما ، لكنها حققتـــه مستفيدة من عملية التراكم البدائى ، التى تمت بالاستيلاء على أملاك وأموال الفلسطينييـــن الغائبين ، وتقـــدر بمبلغ ١٥٠٠ مليون دولار ، والتبرعات التى بلغت ٣٠٩٠ مليون دولار ، بين تعويضات ألمانية وتبرعات يهودية وهبات أمريكية ، والقروض والاستثمارات الاجنبية التى تولتها فى الاساس احتكارات أمريكية ، ومن ثم استطاعت اسرائيل أن تستوعب موجات للهجرة متزايدة ، غير أن الامور بدأت تتغير منذ عام ١٩٦٤ ، وذلك باستنفاد التعويضات الالمانية وتزايد عبء القروض الخارجية وهبوط التبرعات ، لقد هبطت نسبة رأس المال الوافد الى الدخل القومى الصافى من ٣٤٫٣ فى المائة فى ١٩٥٢ الى ٢٤٫٣ فى المائة فى ١٩٦٤ ، وانخفض رأس المال الى ٦٢٩ مليون دولار فى ١٩٦٤ ، ثم الى ٥٠٥ مليون دولار فى ١٩٦٦ ، وكان التقدير أن يستمر الانخفاض ليصل الى ٣٠٠ مليون دولار فى ١٩٦٨ ، وبالتالى هبط معدل النمو الى ٧ فى المائة فى ١٩٦٥ ثم تدهور الى ١٫٥ فى المائة فى عام ١٩٦٦ ، وانخفض متوسط دخل الفرد ، وارتفعت نسبة البطالة من ٣٫٣ فى المائة فى ١٩٦٤ الى ٦٫٦ فى المائة فى ١٩٦٦ ثم الى ١٠٫٥ فى المائة فى ربيع ١٩٦٧ ، فمن مجموع ٩٠٠ الف عامل ومستخدم ، كان هناك ١٠٠ ألف فى حالة بطالة ، ومن ثم ازداد عدد المهاجرين من اسرائيل بحيث تجاوز فى عام ١٩٦٦ عدد المهاجرين اليها ،

وأصبحت في خطر ، جميع مزاعم اسرائيل من احتكارها النمو الاقتصادى فى المنطقة ، بل باتت الخطر يهدد وجود اسرائيل نفسها · **وبعبارة اخرى ، تعرض للخطر وجود اسرائيل كقاعدة لما يسمى الاستعمار الجديد ، فكان من الضرورى العودة الى سياسة ما يسمى الاستعمار القديم ، وهكذا كانت الحرب ·**

فيما بين عامى ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٦ حصلت اسرائيل من أمريكا على مساعدات قدرها ١ر٣ مليار دولار ، وحصلت على تبرعات من مصادر أمريكية غير رسمية تبلغ ٢ر٣ مليار دولار ·

ومن المعروف أن لرجال الاعمال الامريكيين شبكة كاملة من الفروع لشركاتهم ووكالاتهم التى تعمل فى جميع أنحاء اسرائيل ، وأكبر مستثمر فى اسرائيل هو المجموعة الامريكية التى ترأسها شركة **امبال ـ امريكان** ، التى استثمرت قبل نهاية عام ١٩٦٤ نحو ٢٢ مليون دولار فى اقتصاد اسرائيل ، وأساسا فى المشروعات التى تعمل فى تصنيع البترول والغاز ومنتجاته الاخرى وبلغت قروضها لتل أبيب ٤٥٠ مليون مارك ، ولقد ساعدت الشركة اسرائيل على احياء شركة **زيم** للشحن ، وأسست مع حكومة الولايات المتحدة شركة **لابيدوت** للبحث عن البترول ، وتوجد أيضا الشركة الفلسطينية الاقتصادية واسمها المختصر (**بيس**) ، لقد تأسست عام ١٩٢٦ ، لكنها حاليا من ادوات الولايات المتحدة الرئيسية للاشراف على اقتصاد اسرائيل، وتعتبر صناعة اسرائيل الكيماوية ذات جاذبية خاصة للشركات الاجنبية ، وتعمل شركة **بتروكان** فى التنقيب فى مياه البحر المتوسط ، ومن حملة أسهمها الولايات المتحدة وكندا وهولندا ·

وهناك شركة أعمال البحر الميت التى تستغل احتياطيات هائلة للاسمدة الكيماوية فى البحر الميت، والتى تلقت فى ١٩٦١ قرضا قيمته ٢٥ مليون دولار من البنك الدولى ، ولقد شاركت المانيا الغربية فى تمويل هذه الشركة · ومن بين الشركات الامريكية العاملة فى اسرائيل مجموعة **مساير برازرس انتر برايزس** التى تتولى الانشاءات وتمول التجارة الخارجية ·

وواضح ان البترول فى مقدمة ما تهتم به الاحتكارات الامريكية فى الاقتصاد الاسرائيلى ، وتعمل هذه الاحتكارات حاليا مع رأس المال الصهيونى الذى يجمعه **روتشلد (٢٠٠ مليون دولار)** لاتمام بناء خط عملاق لانابيب البترول من ميناء **ايلات** على خليج العقبة الى ميناء **عسقلان** على البحر المتوسط ، وهم يريدون لهذا الخط أن يحل محل قناة السويس فى نقل البترول من شبه الجزيرة العربية ومن ايران الى الغرب ، ولا شك أن الاحتكاريين الامريكيين يسعون من وراء ذلك الى أهداف بعيدة المدى ، مثل جعل عملية نقل البترول العربى تحت سيطرة اسرائيل ، مما يسمح لاسرائيل بمصدر جديد للدخل ، ويزودها بأداة للضغط على البلدان المصدرة للبترول العربى ، ومثل خلق موقف فى الشرق الاوسط تظل معه قناة السويس معطلة ، وتقول صحيفة **بلاتس اويل جرام** صراحة وهى من صحف الاحتكارات الامريكية ، ان الولايات المتحدة « **لا تهتم على الاطلاق باستئناف العمل فى قناة السويس** » ·

ولما كانت اسرائيل قد استولت على حقول البترول المصرية فى شبه جزيرة سيناء ، فانها قد بادرت بنهبه وتصديره · لكن المهم هو أن ممثلى الاحتكارات الامريكية والبريطانية ، قد سارعوا بالسفر الى شبه الجزيرة للحصول على الامتيازات رأسا من الاسرائيليين ، فمثلا منحت اسرائيل شركة (**ميدبار**) البريطانية التى تمتلكها شركة **كنج ريسور سيز** الامريكية امتيازا للتنقيب عن البترول فى خليج السويس ، وقامت الشركة البريطانية باستئجار شركة كندية للقيام بهذه المهمة ، ولقد كتبت النشرة الاخبارية التى تصدر فى نيويورك تحت اسم « **ايكونوميك نوتس** » تقول : « ان احتلال اسرائيل لشبه الجزيرة هبة الهية حقيقية بالنسبة لشركات البترول الامريكية التى ترغب فى الاستقرار على شبه الجزيرة » ·

ومع الولايات المتحدة ترى المانيا الغربية فى اسرائيل منفذا لها الى الشرق ، وتشترك الاحتكارات الالمانية وفى مقدمتها بنك الدويتش فى عدد من الصناعات الاسرائيلية ، وقد افتتح اخيرا فى القدس مجمع صناعى ضخم تابع لاحتكار النسيج الالمانى « **تريومف** » ، ومن المعروف حاليا أن بنك الدويتش واحتكارات **مانزمان وتيسين** تشارك فى بناء خط أنابيب ايلات ـ عسقلان · **وتقول الفاينانشال تايمز اللندنية ان اسرائيل اصبحت سوقا كبيرة لمنتجات المانيا الغربية فى الشرق الاوسط بأكمله، ويتجاوز حجم هذه التجارة حجم التجارة بين المانيا الغربية وبين كل من مصر ولبنان وسوريا والاردن مجتمعين** · وتساند حكومة المانيا الغربية اسرائيل فى محاولاتها للانتساب للسوق الاوروبية المشتركة ، على أساس أن انضمامها يتيح لها « التعاون الاقتصادى والدفاعى الغربى » والواقع ان انضمام اسرائيل للسوق ، يسمح باخفاء مصادر التمويل العسكرى ، اذ تتم المساعدات عندئذ تحت ستار السوق ، فهى التى تشترى المواد الخام الاستراتيجية ، وهى التى توزعها بين أعضائها ، وبذلك تستر السوق الشركات الالمانية ازاء المقاطعة العربية ·

ان تعاون المانيا الغربية واسرائيل يتم أساسا فى ميدان بناء طاقة اسرائيل العسكرية (٢) فانه بفضل دور الشركات والبنوك الالمانية الغربية ، فان الانتاج العسكرى فى اسرائيل قد تضاعف خلال العام ونصف العام الماضيين ، انها تكفل لاسرائيل انتاج قرابة ٤٠٠ نوع من الاسلحة والذخيرة ومنها ٤٠ نوعا من الاسلحة الثقيلة المتنوعة والقنابل والصواريخ التى تحملها الطائرات ، لقد ارتفع عدد العمال المشتغلين فى صناعة اسرائيل العسكرية بنسبة ٤٠ فى المائة خلال الـ ١٨ شهرا الماضية بينما وصل الفنيون والمهندسون من المانيا الغربية والولايات المتحدة ، وتقدر الاستثمارات الالمانية فى صناعة اسرائيل العسكرية ــ وقد زادت ثلاثة اضعاف من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٩ ـ بحوالى ٢٠٠ مليون مارك ، وتقول مجلة « فورتشين » الامريكية ان المارك الالمانى لا يستخدم على نطاق واسع فى أى مكان مثلما يستخدم فى اسرائيل .

واذا كانت صحيفة **بيلوتسايتونج** قد كتبت فى ١٠ يونية ١٩٦٧ عقب الحرب مباشرة : « ان الاسلحة التى حققت لاسرائيل هذا النجاح العسكرى قد قدمت لها بوساطة جمهورية المانيا الاتحادية ضمن نطاق التعويضات »، فان حكومة بون لم تكف بعد ذلك عن تدعيم اداة الحرب الاسرائيلية عن طريق توريد السلاح مباشرة .

ففى اواخر عام ١٩٦٨ ابرمت بون وتل أبيب اتفاقية حول ارسال ٥٤ دبابة ثقيلة مع الذخيرة والعتاد العسكرى الى اسرائيل بما تبلغ قيمته ٣٥٠٠ مليون مارك المانى . وقد سألت صحيفة **دي تات** الالمانية الغربية السلطات العسكرية المختصة ببيع الاسلحة والعتاد عن سير تنفيذ الاتفاقية ، فأجاب مسئول بقسم مبيعات الاسلحة بادارة العتاد والامداد التكتيكى بالبوند يسفير بان الامدادات « تجرى على نحو طبيعى مع التمسك الدقيق بالجدول » . ومع ذلك اشارت الصحيفة نفسها الى أنه لا توجد أية سجلات لا فى الاسطول التجارى ولا فى النشرات التجارية حول ارسال شحنات الاسلحة والذخيرة الى الموانى الاسرائيلية ، وقد شرح المسئول الالمانى انه « لتجنب سوء تفاهم له طابع دولى ، فان هذه الاسلحة قد ارسلت بالاتفاق مع سلطات مدغشقر الى عنوان شركة (المؤتمر) للشحن وحملتها سفنها الى ميناء دوند ييجو سواريز فى مدغشقر ، ومن هناك شحنت الى اسرائيل عن طريق ميناء ايلات » واضاف المسئول « ان هذا اكثر تكلفة ، لكنه أكثر امانا ، خاصة وان اسرائيل تدفع نفقات الشحن » .

وبعد النصف الثانى من العام الماضى اتخذ التعاون العسكرى بين المانيا الغربية واسرائيل اشكالا معادية للعرب بصراحة ، فالمرتزقة الالمان الذين عملوا من قبل فى الجزائر وعدن والكونجو وانجولا وموزامبيق ينضمون للجيش الاسرائيلى ، وقد عقد رئيس بنك الدورمنتش مع الحكومة الاسرائيلية اتفاقا حول التعزيزات المالية الجديدة لاسرائيل ، بحيث تحصل من بون على ما لايقل عن ١٤٠ مليون مارك كل عام ، وتلخص مجلة « **اسرائيل اكونوميست** » العلاقات المتبادلة بين البلدين فى هذه العبارة الهامة ، « ان المانيا الغربية تهتم باسرائيل بسبب وضعها الجغرافى الذى يفتح الطريق الى البحر الاحمر » .

لكل هذا لا نخطىء حين نصف اسرائيل بأنها **حقيقة استعمارية فى الشرق الاوسط ، تربطها** بالقوى الاستعمارية العالمية وفى مقدمتها الولايات المتحدة اوثق الروابط والصلات ، **وعندما تظهر الحركة الصهيونية فى الصورة تبدو هى الاخرى على صلة مباشرة باستراتيجية القوى الاستعمارية العالمية** ، وعقب الحرب فى اغسطس ١٩٦٧ ، **اجتمع اول مؤتمر لرجال الاعمال اليهود** وهو المؤتمر الذى قرر المشاركة فى تمويل مشروع خط انابيب البترول من ايلات الى عسقلان ، وفى ابريل ١٩٦٨ اجتمع المؤتمر الثانى الذى قرر انشاء شركة رأسمالها ١٠٠ مليون دولار ، وفى نهاية سبتمبر ١٩٦٧ انشأ روتشيلد قرب جنيف معهدا اطلق عليه

---

(٢) عندما عقد اديناور وبن جوريون فى عام ١٩٥٢ اتفاقية التعويضات الالمانية ، أرسلت بون المال لا من أجل معاونة ضحايا النازية ، وانما من اجل بناء قوة اسرائيل الصناعية والعسكرية ، ولقد انفقت مبالغ كبيرة من ذلك المال فى دفع ثمن اسلحة المانيا الغربية لاسرائيل . وبعدما أعلنت اسرائيل فى مارس ١٩٦٥ قرارها الخاص باقامة علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية ، ذهب ممثلو الشركات الصناعية الالمانية مثل فيرنر وتلفونكن وسيمنس الى اسرائيل واشتركوا اشتراكا فعالا فى الاعداد لحرب يونيو .

اسم « معهد من اجل السلام فى الشرق الاوسط » وجعل من مهامه « دراسة احتمالات التطور الاقتصادى بالشرق الاوسط بعد تسوية الموقف وانهاء حالة الحرب » و « البحث عن وسائل اقامة علاقات تجارية مستمرة بين بلدان المنطقة » ، وفى ابريل ١٩٦٨ قرر المؤتمر الثانى لاصحاب البلايين اليهود تخصيص الف مليون جنيه استرلينى تستثمرها اسرائيل « لتهيئة الارض التى احتلتها فى حرب يونية ولاقامة مشروع انابيب البترول من ايلات الى اسدود » **ومع آل روتشلد يقف آل ليهمان فى الولايات المتحدة ، وآل لازار فى فرنسا ، ومن ورائهم مجموعات من الاحتكارات القومية فى كل البلاد الرأسمالية ، تحقن اسرائيل بالمال وتمدها بالمساندة السياسية والعسكرية ، ان جملة التبرعات التى جمعت لاسرائيل فى عام ١٩٦٧ وحده ، تعادل جملة التبرعات التى حصلت عليها فى الاعوام العشرة السابقة .**

هكذا تتضح طبيعة اسرائيل كحقيقة استعمارية ، تحرص جميع الدوائر الاستعمارية على تقديمها كمشروع استيطانى اوربى مبنى على الايمان بتفوق الحضارة الغربية ، حضارة الرجل الابيض ، التى يكون العرب فيها مجرد قوة عمل رخيصة لابد منها لتعمير الارض وتشغيل المصانع (٣) ، ومن ثم يكون فى مقدمة مهامها ان تضمن بالقوة المحافظة على الوجود الاستعمارى فى المنطقة كلها فى وجه المخاطر التى تتهددها .

قد يكون لاسرائيل وجودها المستقل عن الوجود الاستعمارى ، فلها مطالبها الخاصة ، بل لها اطماعها التى لا شك فيها ، وباستمرار كانت اسرائيل تسعى لتحطيم الاداة العسكرية العربية والتوسع فى أراضى العرب ، وكانت مهمتها بالتالى أن تحطم عسكريا اى تغير فى الوضع القائم عند العرب ، وفى هذه الحدود يمكن أن نفهم قول **اسحق رابين** قبل تعيينه سفيرا فى واشنطن بأنه من بين اسباب حرب ٥ يونيو تحويل مجرى نهر الاردن وتبلور ملامح الكيان الفلسطينى ، بيد أن هذا كله يلتقى مع الاستراتيجية الامريكية العالمية ، تلك الاستراتيجية التى كانت تسعى وما تزال لتحويل البحر المتوسط الى اطلنطى امريكى ، ودفع الغرب الاوروبى الى التبعية الامريكية ، كما انه يلتقى تماما مع الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة وهى الرامية لتصفية حركة التحرر الوطنى العربية .

ومن ثم فان الجميع يتبادلون المصالح . ان اسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على ٢٥ ألف مليون دولار على مدى ٢٠ عاما ، ولقد أصبحت الولايات المتحدة من زمن بعيد المورد الرئيسى للسلاح الاسرائيلى ، وهى حاليا الممول الوحيد لهذه الاسلحة ، وفى مقابل هذا تقوم اسرائيل بتغطية الوجود الاستعمارى الامريكى فى المنطقة ، بحيث ان الولايات المتحدة تجنى ثمار العدوان الاسرائيلى من غير ان تطلق رصاصة واحدة ، ولهذا يقول **ليفى اشكول** فى تصريح لصحيفة ايديعوت احرونوت فى ٧ يونية ١٩٦٧ : « **نامل ان تفهم الولايات المتحدة انه بالعمل الذى كنا مضطرين للقيام به دفاعا عن انفسنا قد أسدينا خدمة عظمى لها وللعالم بأسره** » . وبالفعل فان البعض يؤكد ارتباط اسرائيل منذ ١٩٥٢ باتفاق عسكرى سرى مع الولايات المتحدة وانه قد كشف عنه النقاب فى سبتمبر ١٩٦١ (٤) .

ان حرب ٥ يونية لم تكن حربا بين العرب واليهود ، ولا صراعا على الحدود الاقليمية بين اسرائيل والدول العربية ، ولكنها كانت صراعا بين الاحتكارات العالمية بزعامة امريكا ، وبين حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى لشعوب هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية والغنية بالبترول ، وفى حديث لها مع مجلة **نيوزويك** فى بداية أبريل ١٩٦٩ ، بعد أيام من توليها رئاسة الوزارة ، قالت **جولدا مائير** بالفعل : « **لا أريد شعبا يهوديا طيبا ، ليبراليا ، معاديا للاستعمار ، معاديا للحرب — لا أريد شعبا يهوديا ميتا** » .

تطورات الحرب

بيد أن هذه الحرب لم تحقق السلام ، وهى لن تحققه ، وكما يكتب **ريمون آرون** ، وهو معروف بعطفه على اسرائيل ، فى صحيفة **الفيجارو** فان « الحروب الثلاثة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ — لم تحل التناقض ولم تكن لتستطيع أن تحله ، فاسرائيل تكسب معارك ولا تكسب الحروب » .

ولسنا هنا بصدد كتابة التاريخ من ٥ يونية ١٩٦٧ حتى اليوم ، ولكننا نحاول فقط أن نتوصل الى خلاصة مفيدة لتطورات الحرب فيما بعد ٥ يونية ١٩٦٧ ، ولعل أخطر هذه التطورات جميعا هو ما يجرى على الجانب الاسرائيلى .

فمنذ أكثر من عامين واسرائيل تحاول أن تفرض على العرب سلاما اسرائيليا ، أساسه ميثاق

---

(٣) فى مارس ١٩٧٠ نظم أسبوع فى المانيا الغربية لمساندة اسرائيل تحت شعارات مثل : « زيادة التعاون مع الدولة الاسرائيلية التى تعتبر مخفرا اماميا للغرب فى الشرق الاوسط » ، « والعطف على هؤلاء الذين يعملون فوق رمال سيناء ، وفى مرتفعات الجولان على صد ضغط القومية العربية ، الذى يحف بالخطر على الحضـــــارة الغربية » .

(٤) جاك كولان . اسرائيل والشرق الادنى العربى — باريس ١٩٦٩ .

استعماری جدید ، کالمیثاق الاستعماری فی القرن الثامن عشر ، ومنذ هذا التاریخ ومهمة الولایات المتحدة ، هی السعی لتمکین اسرائیل من جنی ثمار عدوانها ، ان هذا بدوره یزید من اعتماد اسرائیل علی الولایات المتحدة ، وفی ظروف استحالة اقرار « هذا السلام » ، یجری التداخل الکامل والدقیق لاجهزة ومؤسسات الحرب الامریکیة والاسرائیلیة ، وتتم حرکتها الموحدة تحت علم اسرائیل (٥) •

لقد کانت حرب ٥ یونیة فی نظر دوائر الحرب الامریکیة تجربة لحرب صغیرة محلیة ، حرب اقلیمیة محدودة بتدخل مسلح یعقبه التصعید ، ففی ظروف صعوبة ان لم تکن استحالة تطور الحروب الاقلیمیة المحدودة فی عصرنا الی حرب ذریة شاملة ، یکون الاهتمام أکبر بتصعید الحروب الاقلیمیة المحدودة ، وبعد الحصول علی المفاعل الذری من فرنسا ، یتم التعاون بین اسرائیل والبرازیل فی میدان الذرة ، وکانت اسرائیل قد رفضت توقیع معاهدة منع انتشار الاسلحة النوویة •

وبعد زیارة جولدا مائیر للولایات المتحدة فی بدایة أکتوبر ١٩٦٩ ، ازدادت الروابط العسکریة بین البلدین ، وبغض النظر عن التسلیح الامریکی لاسرائیل ، فقد تأکدت العلاقة العضویة بین مؤسسات الحرب الامریکیة والاسرائیلیة ، وأعلنت امریکا ان الخدمة فی جیش اسرائیل لا تتناقض مع مصالح الولایات المتحدة ، ومنذ الان فصاعدا ، فان مواطنی الولایات المتحدة ، یمکن أن یحصلوا علی الجنسیة الاسرائیلیة ، ویخدموا فی قوات اسرائیل المسلحة بغیر أن تنزع منهم الجنسیة الامریکیة ، وفی ١٠ أکتوبر أعلن مراسل الاسوشیتدبرس من تل ابیب ان ما یتراوح بین «٨٠ الی ٠٠ ا شخص من المواطنین الامریکیین ، یخدمون الان فی القوات المسلحة الاسرائیلیة ، والرقم الدقیق غیر معروف» وضخامة الرقم لا تعنی شیئا فی هذه الامور ، فقد کان هناك وقت لم یوجد فیه أمریکیون فی جیش فیتنام الجنوبیة علی الاطلاق ، وانما کان یوجد « مستشارون » ، ثم تطورت الاحداث بحیث أن جیشا أمریکیا یضم أکثر من نصف ملیون رجل یحارب الان الفیتنامیین الوطنیین ، فمن ذا الذی یضمن أن لن یتحول الشرق الاوسط الی فیتنام أخری ، وعلی أیة حال فان الامریکیین حالیا یحاربون بالفعل ضد الوطنیین العرب ، بل انه عندما بدأت فی ١٧ أکتوبر ١٩٦٩ مناورات حلف شمال الاطلنطی فی مناطق شاسعة شرقی البحر المتوسط ، اشترکت القوات الاسرائیلیة الی جانب القوات الامریکیة فیها •

وفی الوقت نفسه یزید اعتماد اسرائیل علی الصهیونیة العالمیة ، ومن المعروف أن مصالح الصهیونیة العالمیة تتشابك مع مصالح أکبر الاحتکارات الامریکیة والبریطانیة التی تتحکم تقریبا فی کل بترول المنطقة ، ان لیهمان ، وهو صهیونی أمریکی صاحب ملایین ، علی علاقة قویة بدوائر اسرتی روکفلر ومیلون ، وطبقا لبیانات الصحافة الغربیة ، یشغل الیهود الصهاینة حوالی ٤٠ فی المائة من الوظائف الاداریة القیادیة فی شرکات البترول التی تملکها الاسرتان ، والواقع أن مرکز الصهیونیة العالمیة هو الولایات المتحدة نفسها ولیس اسرائیل التی استولت الصهیونیة علی السلطة فیها • ان الصهیونیة العالمیة تمارس ضغطها علی الیهود فی العالم ، وهی تأمر ، واسرائیل تنفذ ، وباسم هذه الصهیونیة أخذت اسرائیل تبتز یهود العالم وتطاردهم بفکرة الولاء المزدوج •

وفی بیانه بتاریخ ١٦ یونیة ١٩٦٧ بعد زیارته لاسرائیل أعلن روتشلد : « لقد انتصرت اسرائیل فی الحرب علی الصعید العسکری ، ونشعر جمیعا باعتزاز عظیم ، ولکن هذا الانتصار لم یحل شیئا للان ، ان الشعب فی اسرائیل مازال مجندا ویحتمل أن یبقی هکذا لمدة طویلة » ، ویبدو أن هذا هو ما تریده الصهیونیة بالدقة ، فانه بعد أن رفضت اسرائیل الانسحاب من الاراضی العربیة التی احتلتها لم یعد أمامها سوی المزید من العسکرة

(٥) لعبت المخابرات والخدمات الاستراتیجیة الامریکیة دورا حاسما فی حرب یونیه ، فقد ثبت ان ثلاث قواعد امریکیة رئیسیة ، تقع قرب مدینة اسمرة فی ارتیریا ، قد استخدمت فی استقبال وارسال بیانات المخابرات الامریکیة والتجسس علی التقاریر التی تذاع عن طریق المواصلات اللاسلکیة والتلیفزیونیة ، وتلقی الشفرات السریة وحل رموزها ، ومن هذه القواعد تلقی العسکریون الاسرائیلیون البیانات الضروریة لتحدید وقت الهجوم علی البلدان العربیة بل ان جمیع صور المطارات المصریة التی التقطت بمعاونة الاقمار الصناعیة وطائرات ی ــ ٢ قد جری استقبالها عن طریق هذه القواعد التی کانت علی صلة مباشرة بالطائرات الاسرائیلیة اثناء غاراتها الجویة علی المواقع المصریة ، اکثر من ذلك فلقد کانت الطائرات الاسرائیلیة تتلقی المعلومات حول الطریق الذی تتبعه لتجنب منشآت الرادار المصریة •

والاعتماد على الدوائر الامبريالية والصهيونية العالمية (٦) ، وقد أعلن موشى ديان صراحة أنه من أجل المزيد من التعبئة العسكرية تعتمد اسرائيل على الجماعة اليهودية العالمية وبصفة خاصة اليهود فى الولايات المتحدة ، وعلى سبيل المثال فان اسرائيل تعتزم أن تدفع أكثر من ثلثى ثمن طائرات الفانتوم الخمسين على حساب المنظمات الصهيونية ، مع العلم بأن ثمنها ٣٠٠ مليون دولار ٠

وهكذا يتفاقم التداخل العضوى بين الامبريالية والصهيونية واسرائيل ، ويؤدى باستمرار لتزايد عسكرة اسرائيل ، لقد تحولت المنظمات العسكرية الى مؤسسة تحكم المجتمع الاسرائيلى ، ويواصل هؤلاء الحكام تأكيد الطابع العسكرى للبلد ، عاما بعد عام ، بحيث بلغت نفقات اسرائيل العسكرية حاليا ١٥٠ فى المائة مما كانت عليه عشية حرب يونية ، ويعترف الجنرال **باكوت هوفيس** بأنها أكبر نفقات من نوعها فى العالم بالمقارنة بحجم اسرائيل وسكانها ، لقد قدر وزير مالية اسرائيل تكلفة حرب يونية بمبلغ ٣ر٥ مليار من الجنيهات الاسرائيلية أى أكثر من مليار دولار ، وتبتلع النفقات العسكرية حاليا ٤٣ فى المائة من الميزانية ، فقد قفزت الى ٦ مليارات من الجنيهات الاسرائيلية بزيادة ٥٠٪ عن سنة ١٩٦٧/١٩٦٨ ، أما فى ميزانية ٦٩/٧٠ ، فهى تمثل أكثر من نصفها ، وفى الوقت ذاته ، عبأت اسرائيل أكثر من ١٠ فى المائة من موارد الطاقة البشرية فى القوات المسلحة ، وتلك أعلى نسبة مئوية فى العالم ٠

فى هذه البيئة يكون من الطبيعى تشجيع **«حركة اسرائيل الكبرى»** ٠ ويكون من الطبيعى أن يدعو موشى ديان لنقطتين أساسيتين هما **« حدود جديدة آمنة ، واتفاقية صلح حقيقية وعادية مع العرب »** ، كما يكون من الطبيعى الاستهتار بقرارات هيئة الامم المتحدة بعد منعها من القيام بدورها وشل الجمعية العمومية عن اتخاذ قرار حاسم بادانة اسرائيل والزامها بسحب قواتها ، وقد أكدت جولدا مائير هذا المعنى عقب انتخاب سوريا عضوا فى مجلس الامن مؤخرا ، بأن قالت ان انتخاب سوريا **« قد عزز قرار اسرائيل برفض أى نصح بالاعتماد على هيئة الامم المتحدة »** ٠

وهذه التطورات جميعا هى التى تجعل السلام يبدو اليوم أبعد مما كان فى أعقاب حرب يونية نفسها ٠ فبعد ثلاث سنوات على قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار ، تبدو فرص الحل السلمى ضئيلة متهافتة ، وعلى العكس تتفاقم فرص الحرب ، بسبب الغزو الاسرائيلى المسنود بالتشدد الامريكى ، ومن جديد تبدو المنطقة مهددة بخطر حرب ستتجاوز على جميع الفروض حدود المنطقة لتهدد السلام العالمى بأسره ٠

لكن الرأى العام العالمى لن يكون عندئذ حيث كان يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ، ان الرأى العام العالمى الذى يستنير بحقائق الازمة يتحول الى جانب الحق والعدل ، ويجب ان نعترف ، مع ذلك ، بأن الرأى العام العالمى لم تكن أغلبيته فى يوم ٥ يونية ١٩٦٧ معادية لقضية العرب ، وعندما طرح على الجمعية العمومية للامم المتحدة عقب الحرب مباشرة فى شهر يولية مشروع قرار بالانسحاب الفورى للجيوش الاسرائيلية ، فان ثلاثا وخمسين دولة قد صوتت فى جانب المشروع ، وهذا العدد وان كان لا يمثل اغلبية مطلقة فى الجمعية العمومية ، الا أن سكان هذه الدول يبلغ مجموعهم أكثر من ١٥٦٠ مليون نسمة ، أى أكثر من نصف سكان العالم وحوالى ثلاثة أرباع سكان الدول أعضاء الامم المتحدة ، فاذا أضفنا لذلك شعب الصين وشعوب كوبا وفيتنام وألمانيا الديمقراطية ، نجد أنه كان يقف الى جانب العرب بصفة عامة ٢٣٠٠ مليون نسمة ، أى أكثر من ثلثى البشرية ، وأقسام واسعة من شعوب الدول التى لم تصوت مع انسحاب الجيوش الاسرائيلية (٧)

ومنذ عام تقريبا انعقد فى القاهرة (مؤتمر نصرة الشعوب العربية) فكان مظهرا لتحول عميق يجرى فى الضمير العالمى ، والواقع ان الرأى العام العالمى الذى يستنير بحقائق الازمة بطريقة موضوعية يعيد الان طرح النزاع العربى الاسرائيلى فى صيغته الحقيقية ٠

فأولا ــ ليس النزاع العربى الاسرائيلى نزاعا دينيا ولا عنصريا ولا اقليميا بين العرب واسرائيل ،

---

(٦) تبلغ مساحة الاراضى العربية التى استولت عليها اسرائيل فى حرب يونيو ٦٧ الف كيلو مترا مربعا ، ويبلغ تعداد سكانها ٥ر١ مليون نسمة ، فاذا علمنا ان مساحة اسرائيل ٢١ الف كيلو مترا مربعا وسكانها ٨ر٢ مليون نسمة ــ أمكن أن نفهم ليس فقط الطبيعة التوسعية لاسرائيل بل الطبيعة العدوانية التى تتمثل فى المطالبة بالاسلحة والمزيد من الاسلحة ٠

(٧) الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ــ فى مواجهة اسرائيل ــ سلسلة اقرأ ١٩٦٩ ٠

ولكنه صراع بين الاستعمار العالمي بزعامة الولايات المتحدة ، وبين حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في المنطقة العربية ، وفي هذا الصراع تلعب اسرائيل دورا مزدوجا ، في خدمة الاحتكارات الاجنبية وفي خدمة أغراضها الخاصة التوسعية في المنطقة ، وفي هذا الاطار توضع حرب ٥ يونية ، ورفض اسرائيل سحب قواتها من الاراضي العربية التي احتلتها ، ومن ثم تخوض الشعوب العربية حربا تحريرية عادلة ، كحرب فيتنام ضد الغزاة الامريكان ، ولا يهم في هذه الحرب أن يفقد الشعب بعض الاراضي لبعض الوقت ، بل المهم هو استمرار النضال الوطني العادل ، ومن ثم فان الصمود العربي له تأثير حاسم على مجرى الاحداث ، فهذا الصمود قد أسهم مثلا في قرار بريطانيا بتصفية قواعدها والتزاماتها العسكرية شرقي السويس في موعد أقصاه عام ١٩٧١ ، وكان يبدو غريبا في غمرة نكسة ١٩٦٧ أن يكلل بالنجاح نضال الشعب العربي في اليمن الجنوبية ويسترد حريته واستقلاله الوطني ، بل يجب الاعتراف بأن الحركة الوطنية للشعوب العربية وقد عركتها النكسة قد راحت تكتسب عمقا لم يكن لها من قبل ، وأن ثورة السودان في مايو ١٩٦٩ ثم ثورة ليبيا في سبتمبر ١٩٦٩ لدليل على أن الامة العربية مستخلصة دروس النكسة ، تعيد اكتشاف نفسها وتوجه ضربات تزداد عنفا للوجود الاستعماري في المنطقة ، وفي هذا الضوء ، تتخذ المقاومة الفلسطينية وضعها السليم ، انها تعيد طرح قضية فلسطين بوصفها قضية تحرر وطني ، قضية شعب سلب ارضه واستقلاله ، ويطالب بحقه في الحياة المستقلة ، ويناضل من أجل حقه بالسلاح ، وهكذا دخلت قضية فلسطين في اطار قضايا التحرير العالمية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، لم تعد قضية عرب ويهود ، بل حركة عربية وطنية ضد قوى الاستعمار والصهيونية بلا تعصب عنصري .

وثانيا ـ ليست اسرائيل هي البلد المسالم الصغير بسكانه المليونين المهددين بالفناء من قبل مائة مليون من العرب المدججين بالسلاح ، وانما اسرائيل هي حقيقة استعمارية عنصرية ، واذا كانت حرب يونية قد أحدثت اعجابا لدى بعض الغربيين ، بالتفوق اليهودي ، فلقد أدى عدوانها الخاطف وانتصارها العسكري لدى العديدين في العالم أجمع الى اعادة اكتشاف اسرائيل كحقيقة استعمارية ، وكشفت عن الطابع التوسعي لاسرائيل لاول مرة أمام دول العالم الثالث ، وبخاصة في آسيا وأفريقيا ، ومن المعروف أنه في الدورة غير العادية للجمعية العامة للامم المتحدة في يولية ١٩٦٧ لم تصوت سوى تسع دول من أفريقيا المدارية لصالح مشروع القرار اليوجوسلافي الرامي لسحب القوات الاسرائيلية من المناطق التي احتلتها ، بينما صوتت ضده ثماني دول منها وامتنعت عشر دول عن التصويت ، وكان من بين الاخيرة ست دول ناطقة بالفرنسية ، كان تصويتها مختلفا كما هو واضح عن موقف فرنسا ، وكان هذا الموقف غريبا من دول تواجه شعوبها نفس الخطر الذي تقاومه الشعوب العربية ، لكنه كان تعبيرا عن وضع نجحت في صنعه اسرائيل بالمعونات المالية والفنية ، منذ بداية الخمسينات وبخاصة بعد فتح مضيق تيران أمام السفن الاسرائيلية في أعقاب حرب ١٩٥٦ ، وتحول ايلات الى نوع من النافذة على الشرق سمحت لاسرائيل بمنفذ الى آسيا وأفريقيا الشرقية .

مثل هذا الوضع كان في تناقض صارخ مع مواقف اسرائيل العديدة من قضايا العالم الثالث وبخاصة في افريقيا ، فمن المعروف ان اسرائيل قد رحبت في ١٩٥١ بمشروع قيادة الشرق الاوسط ، وفي عام ١٩٥٧ أيدت اسرائيل مشروع أيزنهاور لملء الفراغ في الشرق الاوسط ، وعارضت في عام ١٩٦٠ المشروع الاسيوي الافريقي لتصفية الاستعمار ، وصوتت في الامم المتحدة ضد استقلال الجزائر وتونس والمغرب ، وأيدت بقاء الصومال الفرنسي تحت حكم فرنسا ، وامتنعت عن التصويت على منح تنجانيقا ورواندا أوروندي استقلالهما ، واقترعت ضد قرار يطالب بسحب جميع البلجيكيين من الكونغو ، وتعاونت مع منظمة الجيش السري ضد ثورة الجزائر ، وأيدت الثورة المضادة ضد حكومة لومومبا ، وساندت الحكم العنصري في جنوب أفريقيا وروديسيا ، وهي تستورد على سبيل المثال ما قيمته ١٤٠ مليون دولار سنويا من الماس ، كلها تقريبا من جنوب أفريقيا ، واليوم ونتيجة لاصرار اسرائيل على استمرار اغلاق قناة السويس ، تضاعف عدد السفن الذي يمر برأس الرجاء الصالح ويرسو بموانى دربن وكيب تاون وبورت اليزابث وايست لندن ، وتحصل جنوب أفريقيا على ما يتراوح بين ٥٦٠ و٧٠٠ دولار عن كل سفينة لمجرد توقفها في مياهها ، ولقد زودت اسرائيل البرتغال بالأسلحة والطائرات ضد الوطنيين المناضلين في أنجولا وموزامبيق ،

وكشفت بعض الدوائر فى عام ١٩٦٧ عن مقتل جنود اسرائيليين وهم يحاربون فى صفوف قوات انجولا ضد الثوار ، ومن المعروف اليوم دور الخبراء الاسرائيليين فى التآمر لاسقاط نكروما ، وقد أعلن فى نهاية يولية ١٩٦٩ عن قيام ما يسمى بحكومة عسكرية مؤقتة فى جنوب السودان وذلك ردا على قيام الثورة السودانية ، ويقال ان الحركة الانفصالية فى جنوب السودان تشجعها دوائر فى الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفى اسرائيل أيضا ، وعلى أية حال فان من المؤكد أنه خلال زيارته الاخيرة لافريقيا ، اجتمع ابا ايبان مع ممثلى الانفصاليين ووعدهم بالتأييد ، وكل هذا التاريخ المشين لم يكن من شأنه أن يبيض صفحة اسرائيل فى أفريقيا ، ولكن عدوانها على مصر وامتناعها عن الانسحاب من الاراضى التى احتلتها واصرارها على أن تجنى ثمار عدوانها ، كل ذلك حدث حاسم يغير اليوم كثيرا من صورتها فى أفريقيا ، ويضع مكانها صورة اسرائيل كحقيقة — على الاقل — توسعية ٠

وهكذا نصل أخيرا الى الخلاصة من هذا البحث ، فان اسرائيل بحرب يونية التى أشعلتها قد فقدت الكثير ، ليس فقط لم تكسب اسرائيل الحرب ، وانما قد تكون فقدت السلام أيضا ٠

■

اسرائيــــــــل ٠٠

ثلاث سنوات بعد يونيو سنة ١٩٦٧

د. اسماعيل صبرى عبد الله

تقديم

كان من أهم دروس الهزيمة العسكرية الاهتمام المتزايد بمعرفة ما يجرى عند العدو ، ونحن نواجه عدوا من نوع خاص لايدخل فى اطار اى صورة من الصور التقليدية للحروب ، فهو مكون أساسا من أكثر من مليونين من المستوطنين الاجانب ، ولكنهم لا ينتمون أساسا لبلد واحد مثل المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر ، بل تمتد ارتباطاتهم الى عدد كبير من الدول ، وهم فى الوقت نفسه ينتمون الى المجتمع الصهيونى الذى يريد أن يفرض نفوذه وسطوته على اليهود فى كل مكان ويضعهم فى خدمة اسرائيل أرادوا أم كرهوا ٠ والدولة الصهيونية تحكم أوضاعها ودورها فى المنطقة العربية اداة هامة فى يد الامبريالية العالمية ، وبصفة خاصة الامبريالية الامريكية ، وهى تجمع فى وقت واحد بين الاساطير الميتافيزيقية (حول الشعب المختار والارض الموعودة) والتكنولوجيا الحديثة ، وبعض امراض المجتمع الغربى ٠٠ ولهذا فدراسة الواقع الصهيونى فى أرض فلسطين تقتضى جهدا دؤوبا لا يكل ومتابعة لا تهدأ ٠

وفى ذكرى عدوان يونية سنة ١٩٦٧ ، لابد من نظرة الى الوراء على الفترة التى مرت لتقصى أهم آثارها فى المجتمع الاسرائيلى ، فتلك الآثار ، مضافة الى الظواهر الاصيلة فى الكيان الصهيونى ، هى التى ستحكم تصرفات العدو المقبلة ٠

السراب الضائع

حين حصلت اسرائيل على نصر عسكرى سريع

وكبير ، لم تكن الفرحة التى عمت أرجاءها تحية لهذا النصر فى ذاته ، وانما كانت تعبر عن معنى أعمق ، لقد توهم الاسرائيليون لبضع ساعات ، أو بضعة أيام ، أنهم أحرزوا النصر فى آخر حرب ، أو كما قيل فى الحرب التى تنهى كل الحروب . فالمنطق الصهيونى – منذ الحرب العالمية الثانية على الاقل – قد قام على فكرة واضحة : فرض الوجود الاسرائيلى بالقوة العسكرية ، ليس داخل فلسطين وحدها ، ولكن على مستوى الشرق العربى كله بحيث يسلم العرب بالتفوق الاسرائيلى ويستسلمون له ، وعندئذ تفرض الصهيونية ما تريد من حدود ثم تبسط السيطرة الاقتصادية على المنطقة كلها .

وقد توهم الصهيونيون غداة حرب ١٩٤٨ أن اتفاقيات الهدنة يمكن أن تكون مقدمة لمعاهدات «صلح» تبنى على الاقرار بالوضع الممتاز لاسرائيل : الدولة المتقدمة والمسيطرة ، وفى نفس الوقت الوكيل العام للمصالح الاستعمارية . ولكن كارثة ١٩٤٨ لم تزرع اليأس فى نفوس العرب بل أوقدت فيها روح الثورة . فانهارت نظم رجعية كثيرة وظهرت على مسرح السياسة العربية قوى ثورية جديدة ، وتبلورت خلال هذا كله حقيقة لا مراء فيها هى الثورة العربية الشاملة بأبعادها الثلاثة التحررية والتقدمية والوحدوية . وكان عدوان ١٩٥٦ محاولة لضرب قلب الحركة الثورية قبل أن تنضج وتمتد . ومنذ أن أخفق ذلك العدوان ترعرعت فى اسرائيل « **نظرية الحرب الوقائية** » . وجوهر تلك النظرية هى أن الوقت لا يعمل لحساب اسرائيل ، بل انه يتضمن احتمالات تحقق اشكالا من الوحدة العربية فى اطار من التنمية الاقتصادية الشاملة والتقدم الاجتماعى على طريق الاشتراكية . وأنه بالتالى يمكن أن تجد اسرائيل نفسها فى وقت ما وقد أفلت من يدها زمام القوة بحيث تبدد أحلام التوسع والسيطرة . ومن ثم لابد من الاعداد العسكرى والاقتصادى والسياسى على أعلى مستوى ممكن لحرب خاطفة تنزل بالعرب هزيمة ساحقة وتصيب مصر بالذات بما يشل قدراتها بحيث يستسلم العرب لشروط اسرائيل . ان قادة الصهيونية يدركون تماما ان الوجود الاسرائيلى عدوان فى ذاته ، وأنه بالتالى يحمل فى طياته نذر تجدد الحرب مادامت لدى العرب ارادة المقاومة والرفض . **فموشى ديان** نفسه قال فى خطبة له فى تل أبيب فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦٨ بالحرف الواحد :

« ليس صحيحا أن العرب يبغضون اليهود لاسباب شخصية أو دينية أو عنصرية ، إنهم يعتبروننا – وهم على حق من وجهة نظرهم – غربيين ، غرباء ، غزاة استولوا على بلد عربى ليجعلوا منه دولة يهودية . »

وابتداء من هذا المنطق ، يقول اصحاب نظرية الحرب الوقائية انه لا سبيل لمنع تجدد الحرب (أو لتأمين اسرائيل) الا بحرب ساحقة تفقد العرب روح القتال . وكانت حرب يونية هى تلك الحرب المنشودة . وكان النصر العسكرى الذى أحرزته اسرائيل فما وراء كل آمال قادتها . ومن ثم كان من الطبيعى أن يتوهم الناس هناك أنه قد قضى الامر وتغلبت ارادة « يهوه رب الجنود » نهائيا على ارادة اعداء الشعب المختار ، وفتح الطريق لاعادة بناء امبراطورية سليمان .

وكانت الصدمة الكبرى هى رفض الجماهير العربية للهزيمة واصرارها على المقاومة وتقبلها لكل ما تعنيه المقاومة من تضحيات . وظن أصحاب التكنولوجيا هناك أن رد فعل الجماهير العربية الذى لم تحسب له « العقول الالكترونية » أى حساب ، ظاهرة عاطفية سطحية مما تتميز به « الشعوب المتخلفة » سرعان ما تتبدد أمام الواقع المر وأعباء النضال الرهيبة . ولكن هبة الجماهير العربية لم تكن موجة غضب عابرة ، بل انها تحولت الى ارادة صمود صابرة . وتفجرت ينابيع الثورة العربية عن الجديد والمذهل . فشعب فلسطين الذى حاولت اسرائيل خلال عشرين عاما محوه من الوجود يفرض بنضاله البطولى قضيته على البشرية كلها . والنظم التقدمية التى كانت الصهيونية – ومن ورائها الاستعمار – تريد القضاء عليها صمدت ثم انتصرت الثورة فى أقطار عربية أخرى حتى أصبح اليوم عدد الدول العربية التقدمية سبعا تضم أكثر من ثلاثة أرباع الامة العربية . وعلى مر الشهور اشتد عود المقاومة العربية وتكشف للاسرائيليين أن الحرب لم تنته فى ستة أيام وانما تحولت الى حرب استنزاف طويلة ومرهقة تبدو نهايتها بالقدر الادنى غير مضمونة .

وهذا التناقض بين آمال يونية ١٩٦٧ البراقة ، وحقائق يونية ١٩٧٠ المريرة هو الذى يحكم كل الاوضاع داخل اسرائيل .

الوضع الاقتصادى

من المعروف أن اسرائيل كانت تعانى أزمة اقتصادية حادة فى سنة ١٩٦٦ بلغت ذروتها فى الشهور الاولى من ١٩٦٧ ، وكان أهم مظاهر وصول البطالة الى ١٢ فى المائة من القوة العاملة وهبوط

معدل النمو هبوطا حادا ،وزيادة عدد المهاجرين من اسرائيل عن عدد المهاجرين اليها • ولاشك أن جو الحرب نفسه قد ساعد اسرائيل على تحسين أحوالها الاقتصادية عن طريق ابتزاز الجاليات اليهودية في عدد كبير من الدول بحيث تمكنت من الحصول على ٨٥٠ مليون دولار تبرعات ومعونات في الفترة من ١٥ مايو الى آخر ديسمبر سنة ١٩٦٧ •

ولكن طموح قادة الصهيونية كانت أبعد من ذلك بكثير . لقد ارادوا استغلال النصر العسكرى فى خلق جو مؤداه ان الامور قد استقرت لهم ، وانهم أصبحوا سادة المنطقة • وبالتالى آن الاوان لان تنتقل اسرائيل من وضع دولة صغيرة محاصرة تعيش على الاحسان العام ، الى رأس جسر للغزو الاقتصادى للمنطقة تستقبل الاستثمارات وليس التبرعات . وهكذا انعقد في القدس في صيف ١٩٦٧ « مؤتمر أصحاب الملايين اليهود » لاعداد برنامج استثمارى ضخم • وتم بالفعل الاتفاق على استثمارات من أمريكا وأفريقيا الجنوبية بلغت ٣٠٠ مليون دولار • وسارعت الحكومة لعرض بعض ما تملك من مشروعات على رأس المال الاجنبى لشرائه وتم بالفعل بيع ٢٦ فى المائة من رأس مال معمل تكرير البترول بحيفا : وتكونت شركة « اسرائيلية فرنسية » للاستثمار • وفى اطار السعى للتنمية ووجود فرص الاستثمار نجحت الصهيونية لاجتذاب هجرة جديدة • وبلغ عدد المهاجرين حوالى ٤٠٫٠٠٠ فى سنة ١٩٦٧ حتى أوائل سنة ١٩٦٨ ، بينهم عدد كبير من الفنيين (جزء كبير منهم للخدمة فى القوات المسلحة) •

ولم يعش هذا الامل طويلا • فالمقاومة الفلسطينية لم تعد مجرد « أعمال ارهابية » معزولة وانما غدت نشاطا واسعا ومستمرا يقض مضاجع العدو • والجبهة المصرية استعادت تماسكها ثم بدأت تأخذ زمام المبادرة وتجعل حياة قوات العدو في الجزء الاكبر من سيناء مهددة بالخطر المستمر • ومحاولات تنظيم وتنشيط الجبهة الشرقية تحرز التقدم .. وكان معنى ذلك أن « الامن » الذى ينشده المستثمر ليس متوافرا فى اسرائيل • ومن ناحية اخرى كانت قرارات مؤتمر القمة بالخرطوم بتأكيدها لمبدأ رفض المفاوضة مع اسرائيل أو الصلح معها ضربة قاضية لمطامع اسرائيل فى التسرب اقتصاديا الى الدول العربية • وهكذا لم تتدفق الاستثمارات كما كان منتظرا •

وعادت اسرائيل تستجدى المعونات والتبرعات • بل ان احتلال الاراضى العربية الواسعة التى تحتلها اسرائيل وتزايد أعمال القتال العربية قد فرض أعباء باهظة على الاقتصاد الاسرائيلى ، فقد ابتلعت الاعتمادات العسكرية فى العام الماضى ٧٥ فى المائة من ايرادات الدولة • والاخطر من ذلك أنها ابتلعت ٢٠ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى ، وهى نسبة مخيفة اذا قارناها مثلا بأكبر الدول انفاقا على التسليح وهى الولايات المتحدة حيث لا تزيد نسبة النفقات العسكرية عن ٩٫٢ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى • ومنذ سنة ١٩٦٨ أخذ العجز فى ميزان المدفوعات يتصاعد بسرعة • فقد كان ذلك العجز قد هبط فى سنة ١٩٦٧ الى ٢١٢ مليون دولار ، فقفز فى سنة ١٩٦٨ الى ٤٣٥ مليونا ، واستمر فى الزيادة ، لولا معونات الولايات المتحدة والمانيا الغربية لافلست اسرائيل •

وقد أدت الضائقة الاقتصادية بالحكومة الى تجميد الاجور لمدة سنتين ، ولكن التضخم ادى الى ارتفاع كبير فى الاسعار طرحت بسببه قضية تخفيض قيمة الجنيه الاسرائيلى ، ومعنى ذلك أن القوة الشرائية لاجور العمال والموظفين قد تدهورت • وهذا هو السبب وراء سلسلة الاضرابات التى اجتاحت اسرائيل فى الفترة الاخيرة •

تساقط الاقنعة

كانت الصهيونية قد نجحت فى تغطية وجه وليدها بعدد كبير من الاقنعة لستر حقيقته البشعة مستغلة استنكار البشرية لجرائم النازية من ناحية ، ومستغلة قصور واخطاء السياسة العربية والاعلام العربى من ناحية أخرى • وظلت الحال كذلك حتى عدوان يونية سنة ١٩٦٧ • ولكن أحداث الاعوام الثلاثة المنصرمة قد أدت الى تساقط عدد كبير من تلك الاقنعة •

ولعل اول قناع تحطم هو **ادعاء التقدمية** . فقد كانت الصهيونية تكلف جناحها الذى يجيد الرطانة بالماركسية بمحاولة اشاعة فكرة أن اسرائيل دولة تقدمية قامت على أنقاض الفاشية ، وأنها حلت مشكلة اليهود ، وبالتالى لم يعد هناك احتمال للصدام بين الحركة الاشتراكية والحركة الصهيونية • ولكن أحداث الاعوام الاخيرة أثبتت حقيقة أن اسرائيل دولة استعمارية وثيقة الارتباط

بالامبريالية العالمية ، وانها قامت على الاستعمار الاستيطانى ، وما زالت تحركها الرغبة فى التوسع الاقليمى والسيطرة الاقتصادية ، بل ثبت انها مركز للتآمر ضد الدول الاشتراكية وانها تساهم فى الحملة الاستعمارية ضد تلك الدول ولا تنفك تؤلب بعض اليهود من سكانها ضد النظام الاشتراكى والسلطة الشعبية .

والقناع الثانى هو الديمقراطية ، فقد افلحت الصهيونية فى ايهام الرأى العام العالمى بأن اسرائيل بلد ديمقراطى ، بل واحة الديموقراطية فى وسط منطقة تحكمها اما نظم اقطاعية متخلفة ، واما نظم عسكرية مستبدة . ولكن نضال الشعب الفلسطينى كشف حقيقة المأساة التى صاحبت قيام اسرائيل ، وفضح المعاملة التى تفرضها اسرائيل على العرب فيها ، بل لقد ذاع أمر التمييز العنصرى بين اليهود أنفسهم فى أرض الميعاد ... وظهر الى النور شيئا فشيئا الطابع العنصرى والثيوقراطى لتلك الدولة التى تزعم لنفسها انها فى قمة « العصرية » . وما حديث الصراع حول تعريف اليهودى ببعيد .

ومن ناحية ثالثة أثارت الصهيونية بضغطها المتزايد من أجل استخدام اليهود فى كل دولة كأداة للضغط على الحكومات من أجل تأييد اسرائيل ومساندتها قضية **الولاء المزدوج** لهؤلاء اليهود . وهذه قضية خطيرة بالنسبة ليهود البلاد الغربية الرأسمالية . ففى تلك البلاد كان نضال اليهود ينحصر تاريخيا فى الاقرار لهم بحقوق المواطن كاملة . وقد تم هذا منذ عشرات السنين ، بحيث أصبح القول بأن اليهودى مواطن يختلف عن الاخرين من أبرز سمات « اللاسامية » . ولكن الحركة الصهيونية تطرح من جديد هذه القضية ممهدة بذلك لمرحلة جديدة من معاداة اليهود وليس فى هذا غرابة . فالصهيونية كحركة عنصرية تلتقى تماما مع كل الحركات العنصرية المعادية للسامية فى فكرة أن اليهود عنصر متميز دائما لا يمكن استيعابه . والصهيونية تغذت تاريخيا بنشاط الحركات المعادية للسامية الذى كان يدفع بجماهير اليهود الى صفوف الصهيونية .

ومن ناحية رابعة ، بدأت تنفضح دعوى اسرائيل **بالرغبة فى السلام** ، فقد كانت كل براعة الصهيونية تكمن فى الاعداد للعدوان ، ثم ارتكاب العدوان دون أن تكف لحظة واحدة عن الحديث عن السلام ، وهكذا كانت تظهر دائما بمظهر الضحية فى مواجهة « العملاق العربى ذى النوايا الشريرة » كقصة داود مع جوليات . ولكن اسرائيل بعد انتصارها الكبير الذى أثبت مدى قوتها رفضت كل اقتراحات التسوية السلمية : قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، محادثات الدول الاربع المحادثات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ... الخ . فى حين قبلت القاهرة كل تلك المحاولات .

ولكن الفضيحة الكبرى هى قضية الحدود ، فالنغمة الدائمة للدعاية الصهيونية هى رغبة اسرائيل فى حماية وجودها خلف «حدود آمنة» . ولكن قادة اسرائيل جميعا يمتنعون حتى الان عن اعلان موقف رسمى فيما يتعلق بتلك الحدود ولكن امتناعهم عن اتخاذ موقف رسمى لا يمنعهم من اصدار التصريحات التى تؤكد نوايا اسرائيل التوسعية . ولن نسوق هنا تصريحات «المتطرفين» من امثال مناحم بيجين فمواقفهم معروفة مشهورة ، ولكن موشى ديان يقول فى ٧ اغسطس ١٩٦٨ :

« ان آباءنا توصلوا الى حدود اقرت فى مشروع التقسيم . وأما جيلنا فقد توصل الى حدود ١٩٤٩ . وأما جيل الايام الستة فقد وصل الى السويس والاردن وهضبة جولان ، وهذه ليست النهاية . فبعد خطوط وقف اطلاق النار الحالية ستأتى خطوط جديدة تمتد عبر الاردن وربما الى جنوب لبنان وسوريا الوسطى » .

اما المعتدل **ايجال آلون** فانه يقول (٢٢ أبريل سنة ١٩٦٨) :

« علينا أن نستوطن كل مكان يقع فى ايدينا بموجب مقتضيات الامن والدفاع عن دولة اسرائيل ومن أجل مستقبل حدودها » .

واخيرا فان أبا ايبان المكلف رسميا بتضليل الرأى العام ، فانه يرفض تماما استخدام كلمة « انسحاب » ويقول أنه اذا قبل العرب التفاوض مع اسرائيل فانه يمكن « النظر فى اعادة توزيع القوات المسلحة الاسرائيلية اقليميا » ! .

ولعل ادراك كل ذلك هو الذى حمل الصهيونى الشيخ ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى على أن يقول « ان اسرائيل مهددة بعزلة كاملة » . ثم يضيف إن الدولة اليهودية لا يمكن أن

تعيش بقواها الذاتية اذا لم تحظ بتأييد عالمى واسع . ومن هنا يخرج بفكرته عن تحويل اسرائيل الى « دولة دينية صرف يحميها المجتمع البشرى » على نسق دولة الفاتيكان . وهذه الدعوة البراقة تتضمن بدورها تضليلا كبيرا . فدولة الفاتيكان لا تتجاوز جغرافيا نطاق احد احياء مدينةروما كله تقريبا من المبانى الدينية ، وهى لم تغتصب أرضا ولم تطرد شعبا من دياره .

الاعتماد المتزايد على أمريكا

وأول وأكبر نتائج هذه التطورات هو اعتماد اسرائيل المتزايد على الولايات المتحدة الامريكية . حقا ان الصهيونية حريصة دائما على التحالف مع أقوى الدول الاستعمارية وأعظمها نفوذا فى المنطقة . فبدأت بالارتباط ببريطانيا ، ثم انتقلت الى الارتباط بأمريكا . ولكن الدولة الصهيونية دولة استعمارية ،وليستمجرد قاعدةللاستعمار ،ولذلك حرص قادتها تاريخيا على أن تكون لهم شبكة علاقات واسعة بحيث يأخذون من كل دولة استعماريةقدر ما يستطيعون ،فلا تقع دولتهمتحت رحمة دولة واحدة . وهكذا أخذوا من بريطانيا وفرنسا وكندا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . بل لقد حاولت الصهيونية أن تنفذ الى الدول الاشتراكية لتأخذ منها العون أو على الاقل لتضمن حيادها . وقد أحرزت بالفعل بعض النجاح مع رومانيا . ولكن التطورات خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة غيرت هذه الصورة ، ففرنسا كفت عن تسليح اسرائيل ، وبريطانيا لا تساعد الا سرا وعلى استحياء ، وألمانيا الغربية تحاول تغطية ما تقدمه لاسرائيل من معونات (٢٨٠ مليون مارك فى عامى ١٩٦٧ ، ١٩٦٨) بتقديم بعض المعونات لدول عربية معينة . وهكذا لم يبق لاسرائيل من سند رئيسى الا واشنطون . وفى الوقت نفسه زادت احتياجات اسرائيل ، فزاد بالتالى اعتمادها على امريكا ، ولهذا الوضع آثار هامة ، فهو يؤدى تدريجيا الى الحد من حرية حركة قادة اسرائيل ، ويحول الدولة الصهيونية أكثر فأكثر الى قاعدة أمريكية . ومن ناحية أخرى يلزم هذا الوضع اسرائيل بتأييد كل مواقف أمريكا العدوانية التى تستفز الرأى العام العالمى (مثل غزو كمبوديا) . وهكذا تزيد عزلة اسرائيل ويأخذ القلق سبيله الى نفوس كثير من الاسرائيليين .

الاتجاه نحو مغامرة عسكريةجديدة

وهكذا نصل الى انعكاس كل ذلك فى الرأى العام داخل اسرائيل . يجب أن نشير هنا الى أن « نظرية الامن الاسرائيلى » المبنية على استخدام القوة باعتبارها السبيل الوحيد « لاقناع » العرب كانت نظرية مسلما بها عند الاغلبية الساحقة للاسرائيليين . بل انه عند حرب يونية كان هناك شبه اجماع على هذا الموقف لا يخرج عليه الا حزب راكاح الشيوعى .

ولكن حين لم تحقق القوة العسكرية الحلم المنشود ، ولم يستسلم العرب بدأ التساؤل حول مدى سلامة السياسة الاسرائيلية . وكان الموقف الذى التفت حوله أغلبية الاسرائيليين هو موقف البقاء فى الارض المحتلة ومحاولة استغلال خبراتها حتى يدب اليأس فى نفوس العرب وعندها يمكن أن تتفاوض وترى ما يمكن أن يترك للعرب من الارض المحتلة . وبدأت عملية تهيئة الاذهان لذلك عن طريق استخدام تعبير « الارض المنشودة » بدل الارض المحتلة . وبذلت الدوائر الحاكمة جهدا عظيما فى استخراج آيات التوراة التى تربط بين تلك الارض وبين شعب اسرائيل . وذهب بعض المسئولين الى حد التصريح فى أحاديثهم الخاصة بأن المهم أن تمر فترة كافية على الاحتلال الاسرائيلى فى هدوء حتى يصبح أمرا واقعا يسلم به الرأى العام العالمى . وأخذت المؤسسة العسكرية تستخدم هذه الفترة فى احكام قبضتها على كل شىء فى البلاد ، وكان رجال تلك المؤسسة يؤكدون للرأى العام أنه لا خطر من أعمال المقاومة الفلسطينية ، ففلسطين ليست فيتنام ولا هى الجزائر (من حيث الظروف الجغرافية ونسبة السكان الى المستوطنين الاجانب) .

وهكذا كان العنصر الجديد حقا هو اعادة بناء القوات المسلحة العربية فى مصر وأخذها المبادرة بأعمال قتالية تكاد لا تنقطع ، فالايام لن تمر بهدوء بل سيحمل كل منها خسائر فى البشر والمعدات لا يخفف منها ما يمكن أن يلحق بالمصريين من خسائر للاختلال الشديد فى التوازن العددى بين العدوين . ان أولئك الذين هاجروا الى اسرائيل ينشدون الامن والاستقرار أصبح عليهم أن ينظروا الى المستقبل على أنه قلق وجزع وحرب وخسائر . ان الاساس السيكولوجى لعملية الاستيطان د أصبح فى خطر .

وازاء هذا التطور بدأت فى الرأى العـ الاسرائيلى عملية استقطاب ملموسة . فمن ـا هناك أقلية قليلة تعيد النظر فى سياسة ربع الـ

الاخير ، منها أفراد يذهبون الى حد ان انشاء دولة اسرائيل كان خطأ ، وآخرون يتذكرون اليوم وجود شعب فلسطين ، وأكثرها يكتفى بالتشكيك فى جدوى سياسة « فرض السلام بالقوة » . ومن ناحية ثانية هناك أغلبية تلتف حول المؤسسة العسكرية وتستميت فى منطق القوة وتخشى نمو المعارضة فى الداخل واشتداد العزلة فى الخارج وترتعد من احتمالات اى تعديل فى سياسة الولايات المتحدة الامريكية . ولهذا فليس من المستبعد اطلاقا أن تتجاوز اسرائيل سياسة « المخاطرة المحسوبة » وأن تقدم على مغامرة عسكرية واسعة النطاق لعلها تحقق ما لم تحققه حرب يونية ، أو على الاقل تورط الولايات المتحدة فى تدخل مباشر فى حرب الشرق الاوسط ، كما تورطت فى حرب الشرق الاقصى .

علينا الا ننسى أن حكام اسرائيل يؤمنون بما قاله شمشون حين هدم المعبد « على وعلى أعدائى » انهم سيعملون على فرض ارادتهم ، ولكن تضمن عملهم خطر حرب عالمية ثالثة .

■

مدينـــة فى المعـــــركة . .
بور ســـعيد بين حـــربين

عبد الوهـــاب قوطـــه
امين قسم المناخ ببورسعيد
وعضو مجلس الامة

« يكتب هذا المقال للطليعة ، عبد الوهاب قوطة أمين الاتحاد الاشتراكي — قسم المناخ بورسعيد ، وعضو مجلس الامة ، وهو يقدم هنا تجربته الحية من واقع مواجهته كمواطن من بورسعيد لعدوان ١٩٥٦ ، وعدوان ١٩٦٧ » .

لاشك أنه لا توجد أمة من الامم لم تتعرض لنكسات أو هزات ، ولكن يحكم على أمة ما بأصالتها ، من مدى استفادتها من هذه النكسة ، ومدى الاصرار على تخطيها وتجاوزها ، لا بمجرد النسيان ، ولكن بالمراجعة الشاملة لكل نواحي الحياة ، وذلك حتى تتعرف على نقط الضعف ، فتبدأ بعلاجها ، ثم بتقويتها وأخيرا تكون قد تعرفت على طريقها الصحيح .

وكانت أحداث يونيو ١٩٦٧ — بالنسبة لمصر الثورة — أعنف صدمة تعرض لها الوطن فى تاريخه الحديث . لا لشىء ، ولكن لان النظام الذى ظل أملا يراود ملايين الكادحين ، كان قد تحقق ، وملامح التقدم تبدو قريبة ، بل ان التقدم ذاته أصبح ملموسا ، ولكن فقط كان ينقص جنى ثماره فى مجتمع اشتراكي متحضر .

وفجأة وبلا نذر قريبة واضحة امام الملايين حدثت النكسة بعدعدوان كانت الامبريالية العالمية طرف الصراع فيه وهيأت له الصهيونية وأداتها اسرائيل .

رفض الشعب باصرار عنيد وبصلابة أظهرت أصالته ومعدنه هذه النكسة ، فكانت وقفة التاسع والعاشر من يونيو التى أذهلت العالم .

لكن المسيرة تبدأ من جديد ، الارض باقية كما كانت من آلاف السنين ، والشعب فجرطاقاته ، وأصر على رفض الهزيمة . وبدأت الجهود ، سباق مع الزمن ، لنراجع أنفسنا ، ولنظهر نقط الضعف بلا خجل ، لنصحح ولنبدأ من الطريق الصحيح ، وسارت المسيرة ، الجيش بقوة خارقة يعيد بناء نفسه بقيادات مؤمنة مخلصة وهبت نفسها لوطنها ، مبدؤها النصر أو الشهادة ، وبدأ جـــهد سنين الثورة فى التنمية والبناء يعطى ثماره ، وبعـــون من المولى العلى القدير تمكنت البلاد من الصمود الاقتصادى ، ولكن العدو يعرف أننا سنعيد بناء قوتنا ، وسنحاول الصمود الاقتصادى والسياسى ، وسيحاول الاجهاض .

نظرة الى عدوان ١٩٥٦

ان نكسة يونيو استلزمت ان تبـدأ المراجعة الشـاملة من كل مواطن فى حيـاته الخاصـة والعامة وفى مفاهيمه وفى علاقاته، وفى شكل حياته، ولكن بنظرة امينة ومن واقع التجربةبعد احداث يونيو، **بدأت الجهود ، فمنها ما سارعلى نفس الخطى، ومنها ما بدأ بأمانة المخلصين وصدق الصـادقين فى المراجعـة الشاملة لكل نواحى الحياة ، خصوصا تلك التى تتعلق بـالمعركة وبتحرير الارض وتعميق مفهوم الصراع ، وبعدم تمكين العدو من تحقيق أهدافه ٠**

وكانت بور سعيد قد خاضت تجربتها الهائلة عام ١٩٥٦ ، وتعرضت لاقصى انواع الوحشية من تدمير واحراق احياء كاملة من المدينة ، وقطع المرافق الحيوية من مياه وانارة وحرق المواد التموينية ٠

لماذا فعل العدو كل هذا فى بور سعيد ولم يكن فى تقديره ، اصلا ، ان يلجأ الى كل هذا التدمير ؟ قبل العدوان مباشرة تعرضت بور سعيد لنوع من الضغط الاقتصادى وهى مدينة ، قبل كل شىء ، تقوم على خدمة الميناء ، أى أن نشاطها الاقتصادى مرتبط تماما بالميناء ٠ بحركة السفن ، ووقوفها ، واصلاحها ، وتموينها ، وهذا يشكل النشـاط الاقتصادى الكبير لبور سعيد فنوع من الضغط بدأ بمقاطعة الشركات اصحاب البواخر لبور سعيد وشركاتها انعكس اثره على مواطنى بور سعيد، فأوجد هذا الوضع نوعا من الضيق ، بل اكاد اقول انه وصل الى الشـكوى المستمرة من جماهير بورسعيد ، هذا بالاضافة الى ان قسما كبيرا كان يعمل لدى القوات الانجليزية الموجودة بـالقنال والتى تم ترحيلها منذ فترة وجيزة ،وأصبح متعطلا. هذه الصورة التى كانت عليها بور سعيد فى ذلك الوقت، أوهمت قوات الاعتداء الثلاثى بأنهم ما أن يصلوا الى مشارف بور سعيد حتى يجدوا أن المدينة ترحب بهم ، أو على الاقل لا تقاوم المقاومة الوطنية الاصيلة ٠

ولكن خاب ظن العدو، فبمجرد أن رأت جماهير بور سعيد ــ وقد تخلصت قريبـا من وجنـود الاحتلال ــ انه يراد مرة ثانية تكرار الماضى ــ وهنا اقول ــ وبلا توعية مخططة، بل بحركة صادرة عن اصالة الشعب ــ تفجرت هذه الطاقات ، وأصبحت بطولات جماهير وشعب بور سعيد فى مجموعه مثلا تضعه الشعوب المكافحة والمناضلة امامها ٠ وهذا ما دفع العدو بجنون وحماقة الى أحراق الاحياء الكاملة ، وعمل كل ما من شانه كسر حدة المقاومة ٠

هذه الصورة أعرضها فقط لانه قد تثور بعض الفلسفات من هنا وهناك، وقد يختلف البعض، وقد تكون بعض الاوضاع او التصرفات دون المستوى وأقول مباشرة أن هذا لا يشكل خطرا لان الشعب هو الشعب فى كل زمان بمعدنه الاصيل ، قد يختلف ولكن ما أن يصل الخطر الى تهديد التراب الوطنى فهنا يترك كل مواطن خلافاته ، ولا يكون أمامه الا عدو واحد هو المعتدى ، وهكذا كان النصر وكان الجلاء بعد ان تكبد العدو من الخسائر ما كشفته السنون التى تلت العدوان الثلاثى ٠

وجاء عدوان يونيو :

من هذا المدخل ، وقبل معارك يونيو مباشرة ، بالتنظيم السياسى والجهاز التنفيذى يقـومان بالحملة الاعلامية وتعبئة الجماهير ، بل وعلى وجه التحديد ، مساء يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ ، عقد مؤتمر فى بورسعيد ، سجل بمحضره وجهة نظر التنظيم القائلة **بأن الاعتداء ان وقع فهو من الامبريالية العالمية والامريكية على وجه التحديد ، ليس هذا ببعد للنظر بقدر ما هو تأصيل موضوعى لحقيقة الصراع ، هل تقبل الامبريالية الامريكية بمصالحها الاقتصادية والعسكرية والسياسية فى منطقة الشرق الاوسط أن يقوم نظام تقدمى ، لابد وأن يبهر ويجذب باقى دول المنطقة ؟ .. طبعا لا ، اذا لابد من ضرب النظام ، مع مراعاة اعتبار واحد ، هو انتهاز فرصة مناسبة حتى لا يكون التدخل سافرا ٠**

نمـاذج حيـة

من المبادرات الجماهيرية

وبعد العدوان مباشرة برز دور التنظيم، فهؤلاء هم اخواننا وأولادنا وأحبـاؤنا عائدون لابد من رعايتهم واستقبالهم ، وفتح المراكز لايوائهم وتغذيتهم وعلاجهم ومعايشتهم، وهنا أيضا يظهر هذا الشعب مازالوا بالصحراء ، وهنا أيضا يظهر هذا الشعب اصالته وقدرته على العطاء ، ان كانت هناك بعض السفن البخارية الحكومية فهى لاتمثل الا نسبة قليلة ، وباقى سفن الصيد الآلية ، ولنشات الاهالى تمثل الغالبية ، وبدأ التنظيم فى اعـداد قوافل للذهاب الى ساحل سيناء للعودة بالجنود ٠

ترى كم فردا من افراد هذا الشعب ، وبعد العدوان ، وفى هذه الظروف سار على رمال سيناء دون ما حساب للمخاطر ، الا أن ينقذ أخا من اخوتنا فى القوات المسلحة يكون قد ضل طريقه ، أو يكون مصابا ، كم من نوافل ذهبت فى مجموعات ومعها بعض الادوات الطبية والاغذية ، فمن وجدته اسعفته واصطحبته معها فى طريق العودة ، او وضعت هذه اللوازم فى بعض الطرق على الساحل الذى كان الملاذ دائما لمن ضل الصحراء . ان الوقت كان ضيقا ، وقبل أن يتنبه العدو ، وقبل أن يدعم مواقعه ، وقبل أن يعزز حراساته ، انها بضعة ايام فقط هى التى تم استغلالها لهذا العمل ، ولكن كانت الساعة فيها تساوى العمر ، بل ان الدقيقة ، بل الثانية كان يمكن أن تكلف العشرات حياتهم ، اننا يجب ان نكتب تاريخنا ودور هذا الشعب الاصيل ومدى قدرته على العطاء الغير محدود ، لقد كان أعضاء التنظيم هم أول من ذهب على هذه السفن الى سيناء ، وقدمت الجماهير أيضا كل ما تملكه من غذاء روحى قبل أن تقدم غذاءها المادى ، وفتحت دور الاتحاد الاشتراكى لتنظيم عملية تغذية الجنود .

ان كل بيت فى ذلك الوقت كان يسارع الى تقديم الوجبات لجندنا . وأما التقاليد فلم تكن عقبة ، فى ذلك الوقت ، الكل يتقدم شبابا وفتيات . لم يمنع أب مهما كان محافظا ابنته من الذهاب والاشتراك فى معالجة الجند ، بل ان كثيرا من الادوار الارضية ، اخلاها سكانها لينام فيها الجند ، وملابسهم كانت تغسل فى المنازل ، ان الاطفال وهم دائما صادقو الحس والشعور ، كانوا يسارعون ويشاركون فى تنظيف الدبابات والعربات ، وكان من المناظر المألوفة أن ترى جندية يجلس وبجواره مجموعة من الصبية يعلمهم استعمال السلاح : فكه وتركيبه واستعماله ، **ان هذه الامور الصغيرة كانت تعطى احساس التلاحم والترابط الصادق فى وقت من الصعب نسيان سواده ، اننا نحتاج دائما لان نتعرف على انفسنا ، وان كان يقال ان الشدائد تظهر معدن الرجال ، فان مشاهدة ماكان يحدث فى بورسعيد فى تلك الايام يظهر أن معدن الشعب المصرى أصيل وما يلزمنا هو فقط وبالحاح أن نكتشف انفسنا .**

هذه المبادرات من جانب الجماهير يمكن أن تعطينا أحد المؤشرات الهامة لفهم حقيقة دور التنظيم : وهو فقط توجيه حركة الجماهير الايجابية التلقائية وقيادتها لتحقيق الهدف ، وكانت هذه هى المهمة الاولى : من تجاوزها وتخطاها ، فلابد وأن يتجاوز ما بعدها من مهام وصعاب مهما كان كبيرا ، لانه فى ذلك الظلام والارض محتلة ، ولا يوجد جيش ، ثم يقوم الشعب بهذا الواجب فهذا معناه أن شحناته المختزنة قد تفجرت ، وأنه لن يقبل التفريط مستقبلا فى أى عمل ، ولن يقبل بعد ذلك الا بمراجعته هو واشراكه فى كل عمل ، ولن يصمت بعد ذلك . ولابد أن يكون اليد الساهرة الامينة الواعية على كل مرافق الحياة ، مشاركا القيادة السياسية فى الرأى وفى الالحاح على نواحى النقص .

فى تلك الفترة وبالتحديد خلال الايام التى تلت معارك يونيو ، نزل كافة الاعضاء الملتزمين للتنظيم الى مراكز الثقل الجماهيرى ، الى النوادى والمقاهى ، الى المصالح والشركات ، وتمت لقاءات ضيقة ولكن مثمرة ، وتفادينا أن تكون الاجتماعات مناسبة للثرثرة والجدل العقيم ، وكانت محاولة لتأصيل الصراع والاعتراف بالاخطاء ، ان أهم ما كان يدور فى قيادة التنظيم ، فى ذلك الوقت ، هو الا تتسرب أية أنباء انهزامية بعد رؤية جندنا بما كانوا عليه .

التنظيم السياسى والمقاومة الشعبية

وما هى الا أيام حتى طلب من التنظيم اخلاء بورفؤاد لاحتمال انزال ، ورغم الاعتراضات الكثيرة والعنيفة الا انه كان امرا ، فتحولنا الى المطالبة بأن يبقى فيها بعض الجند أو ليكن حتى الشرطة ، أو ليكن بعض الاهالى ، فقيل : الجميع يخلى بورفؤاد ، فقمنا بالاخلاء . ولكن هل الكل قبل اخلاء بورفؤاد ؟ ان بعض الجماهير — من أبناء المدينة — آثرت البقاء فى بورفؤاد ارتباطا بأرضها ولتواجه مصيرها ، وتمت الموافقة فى منتصف الليل على أن يبقى فى بورفؤاد بعض رجال المقاومة أيا كانت صورتها ، وكانت هذه هى البداية ، هذه فرصة الشعب ، هل سيظل تابعا مكتفيا بالاشكال الرسمية الموجودة ، أم يتقدم الصف ، فلنبدأ ولا نتزعج ، ولكن مادام التنظيم قد

طلب الدفاع عن بورفؤاد فليكن بأشخاصه بعناصره بقيادته الملتزمة ، كل بنفسه وبجاره وبمن يعرفه ، كل من يعرف مواطنا سبق وحمل السلاح فليأت به الى مكاتب الاتحاد الاشتراكى حيث يتم تسليحه ويرسل الى بورفؤاد •

الاعداد المرسلة تزيد مع كل لحظة تمر ، ويظهر نور فجر جديد من العمل الشعبى المخلص ، لقد اكتشف هذا الشعب نفسه اليوم واصبح كالعملاق •

وبدأت الجماهير فى مراكز ثقلها الحقيقية ، ومن واقع وعيها باحداث تلك الليلة تهب ذاتها وجهدها •••• ألوف المتطوعين • وان كنا قد عانينا من شيء فهو فى مجال تنظيم هذه الجموع وتوعيتهم بأن دورهم آت ، وأنهم جميعا سيقبلون فى مراكز التدريب وأنهم سينالون شرف الدفاع عن الوطن •

وليس من قبيل الادعاء القول بأن كل مكتب من مكاتب الاتحاد الاشتراكى كان – فى تلك الايام – عبارة عن مخزن اسلحة ، ومكتب شئون ادارية لعمليات التطوع ، ان مئات من البنادق والرشاشات والقنابل ومختلف الاسلحة كانت مودعة فى دور الاتحاد الاشتراكى •

وبدأ الالاف فى التطوع ، وتم تدريب ثمانية آلاف متطوع خلال ثلاثة شهور ، وتجمع فى صفوف المقاومة الشعبية ضعف ماتوافر من سلاح ، واصبح قادتها من المدنيين ، وروعى فى اختيارهم ان يكونوا قد شغلوا – سابقا – مراكز متقدمة نسبيا فى صفوف القوات المسلحة • ضابط احتياط أو من الذين كانوا أصلا جنودا فى القوات المسلحة وتخرجوا بشهادات متقدمة وبدرجة كفاءة عالية ، ولكن الامر كان يقتضى مزيدا من التدريب ، وألحق المتازون بفرق صاعقة أو تدريب راق فى مدارس صف الضباط ، بحيث انه من الظلم – فى تقييمنا للمقاومة الشعبية – أن نقول بأن قيادات المقاومة كانت تفتقر الى القيادة العسكرية او المؤهلين من الضباط .

وأصبحت المقاومة الشعبية كيانا يعمل من خلال التنظيم السياسى الذى يدعو الى التطوع ، ويرسل الى التدريب ، ويتصل بالمصالح والمؤسسات والشركات للاعمال الادارية المتعلقة بعمل المقاومة ثم يعمل على تخريجهم وتشكيلهم ، واسناد المهام الى هذه التشكيلات ، فانتظمت واصبحت تقوم بدور اساسى فى احتلال مخارج بورسعيد وبورفؤاد وسواحلها ، وكانت القوات المسلحة بدباباتها وعرباتها فى ذلك الوقت ما تزال داخل المدينة وبين منازلها وفى ازقتها ، والكل يدرك المسئولية ويعرف دوره جيدا . سارت الامور سيرا طبيعيا ، وحلت كافة مشاكل المقاومة وافرادها عن طريق التنظيم علما بأنه كان يتم الكشف الجنائى والسياسى عن كل فرد ، قبل قبول تطوعه فى صفوف المقاومة •• وتم اختيار افرادها ، خصوصا من الذين تولوا المراكز القيادية من العناصر الاكثر التزاما التى رأيناها تسرع بنفسها متطوعة فى وقت لم يكن هناك مجال لادعاء • واصبحت المقاومة ، بفضل من فيها من العناصر المناضلة من التشكيلات الجادة التى ولدت فى آلام النكسة ومصاعبها •

قدم الينا بعد ذلك ضباط ، وعملوا معنا وأقاموا بيننا ، وكان من رأيهم أن تكون قيادة المقاومة وتشكيلها مستقلة ، وكان يخفف من توقع الخطر فى ذلك الوقت ان هؤلاء القائمين عليها قد عاشوا فترة ازدهارها وانضباطها وفهموا طريقة معايشتنا لافرادها ، وكذلك فهموا أيضا أنها بالاساس تشكيل من مدنيين ليس لهم عهد بالسلوك العسكرى فى شكله ، وان كانوا قد برهنوا على انضباط رائع فى المضمون •

ولا شك انه قد حدثت بعض المشاكل نتيجة للحساسيات ، وهذا أمر طبيعى ، لكن هذه الحساسيات كانت تختفى بمواصلة اللقاءات بين قيادة المقاومة – فى ذلك الوقت – وبين أعضاء التنظيم فى الاقسام المختلفة •

حول تعدد تشكيلات المقاومة

واذا كنا اليوم نسترجع صورة الماضى القريب – بأمانة – فاننا نسجل لهؤلاء الضباط الذين قدموا الى بورسعيد فى فترة حالكة السواد ، أنهم كانوا يتعايشون – بكل ما تحمله الكلمة من معنى – مع المتطوعين يأكلون وينامون معهم فى شكل أقرب ما يكون الى الاسرة الواحدة •

ثم صدر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٨ الخاص **بمنظمات جيش الدفاع الشعبي**، ولا شك ان هذا القانون بما يحتويه من مواد يهدف الى تنظيم هذا التشكيل بما يكفل انضباطه، ويرتب الحقوق والواجبات لمن يلتحق به . لكن هذا التنظيم على أهميته يجب ألا ينسينا ان العدو يسعى الى نقل الجبهة الى كل مكان، ومن هنا فان القضية التى يطرحها هذا الوضع هو حشد اوسع الجماهير، لان أى تشكيل رسمى بالغة مابلغت كفاءته، لا يمكن ان يغطى بشمول كامل أرض الوطن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب فى مواجهة هذا الوضع ألا نظل أسرى أشكال محددة، مع التسليم بضرورتها وبأن لها مهاما خاصة، فمن المتطوع به ان كثيرين من المواطنين لا يستطيعون لاكثر من سبب ان يسهموا بجهدهم فى صورة نظامية رسمية أو شبه رسمية، ومن هنا كان لابد وان نستخلص الدروس اللازمة من تجربة المقاومة الشعبية فى بورسعيد، وأول هذه الدروس ان المتطوع فى هيئات لها الصفة الشعبية، يجذب الى صفوفه ألوف المتطوعين، هذه الالوف التى تأتى بدافع من حماسها ووطنيتها .

وفى تقديرى انه يمكن ان نحقق هذا بتحديد الهدف، ثم بتقسيم مراحل الوصول اليه . أن الجيش الشعبى يحوى حاليا اكثر من تشكيل، يختلف فى أرض واقعه عن الاخر – فهذه كتائب الدفاع المستقل بنظامها المنضبط، وهى قد شكلت عن طريق التكليف وليس التطوع، فهى قوات مسلحة فى انضباطها، وهناك مراقبو الابراج او حراسها، وهذه ايضا يجب انضباطها كالاولى تماما، وتبقى قوات حماية المدن، وهذه ماأرى ان تكون من مسئولية جماهير شعبنا، ولكن فى تقديرى وللاسباب السابق ذكرها، يجب ان يحكم عليها بشعبيتها، بمعنى ان يتم تشكيلها كلها من المدنيين، متطوعين وقادة، وتأخذ صورة المقاومة الشعبية فى بداية تشكيلها، وبهذا أتصور أن يؤدى كل عمله، ويأخذ المتطوع التدريب اللازم، وبعدها مباشرة يعود لعمله، وفى كل موقع يودع السلاح بحراسته، وعند حدوث الخطر وهذا ما يجب أن نهيىء أنفسنا له، فالكل يسارع لحمل سلاحه ولا يكون فى الموقع متفرغا الا للمراقبة، وتلقى الاشارات، هذا ما اعتقد انه هو المناسب لطول المعركة من ناحية الانتاج، وكذلك تفاديا لفتور حماس الافراد – ولضمان شعبيتها . انها الشكل الملائم، اى الشكل المنظم للدفاع وقت الحاجة . وهكذا فى التجربة كان يتم طابور جمع لا يزيد وقته عن ساعة واحدة يوميا، ومع هذا وعند حدوث أى خطر، كانت التعليمات فى كل المصالح والشركات والمؤسسات، أن افراد المقاومة الشعبية يسمح لهم بالخروج والتواجد مباشرة، كل فى موقعه . قد يفهم أن هذا ربما يستغرق وقتا كبيرا، وأقول انه بالممارسة ظل الوقت يتناقص الى أن وصلنا الى كفاءة مرضية .

أما الجهاز الذى يتولى هذه المهمة، فلا شك انه بعد اعلان القائد عن تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة، يستطيع هذا التشكيل الاضطلاع بهذه المهمة، بخطوات متأنية ومتئدة وبتقييم ومتابعة منضبطة فى المراكز ذات الاستراتيجية الخاصة ويكفى أن يكون على مستوى المحافظة ضابط عامل هو مسئول اتصال بين القوات المسلحة، ومسئول اتصال لجان المواطنين، وبذلك نصل الى تحقيق الهدف بوسيلتين : يتولى جانب منها الجهاز القائم حاليا، ويتولى الجانب الاخر لجان المواطنين حتى يتلاءم مع طبيعة المعركة، بالاسلوب الذى ذكرته .

لقد ذكرت بعض الانطباعات التى خرجت بها من واقع تجربة لا شك أننى لم أزد عليها، وربما أغفلت الكثير مما لا يستوجب كتابته الآن، وفى النهاية من الممكن أن تكون هذه النقاط مقدمة لدراسة أعمق وأشمل فيما يتعلق بهذا التشكيل وفلسفته وتنظيمه .

الدفاع المدنى

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى مجال آخر نظرا لاهميته فى وقت المعارك الحية، وهو مجال الدفاع المدنى، ان أهمية هذا القطاع وكفاءته وقدرته وانتظامه يشكل واقعا خطرا فى المعركة، لدرجة أن الخسائر من الممكن ان تنخفض الى حد كبير .

أتصور أن الشكل الموجود على مستوى الجمهورية لا يعدو ان يكون نفس الشكل الذى كان موجودا فى بور سعيد قبل وأعقاب النكسة – وصورته التقليدية – من مراقب غارات وحريق ومتطوعى اسعاف، وبعض فرق الانقاذ، بمعنى ان المنطقة التى يصل سكانها الى خمسة آلاف مواطن مع مساحة من الارض معينة تكون لهم منطقة دفاع مدنى تضم افرادا يقومون بالمهام السابقة، وقد مضت فترة طويلة قبل مراجعة وضع الدفاع المدنى فى بور سعيد . ومن ثم تمت المرحلة الاولى بالكشف عليهم سياسيا وجنائيا، فأخرج الكثيرون منهم، ثم بدأت عمليات التدريب من جديد، وتمت متابعة استكمال الامداد بالادوات اللازمة لممارسة المسئوليات، هذا مع استمرار الدعوة لمزيد من المتطوعين، وهى العناصر النشطة الجديدة التى دفعنا بها الى مواقع هذا العمل بل الى قيادته فتجدد نشاطها وتم ربطها بالتنظيم .

كلّ هذا يمثل الشكل العادي لاحتمال العمليات العادية ، ولكن أثير هذا السؤال : هل من المتصور انه بهذا النظام يمكن تغطية عمليات اعنف وأشمل ؟ ولقد دفعنا هذا الى دعوة ما سميناه بفرق الانقاذ ٠

ان ما يجب ان نطرحه بالحاح هو السؤال التالى : هل الشكل الرسمي دائما يفترض فيه القيام بكل المهام ؟ ومن تصورنا لضراوة المعركة الا يلزم وباستمرار ، ايجاد شكل مقابل للمتطوعين لخدمة الهدف ، يساعد الشكل الرسمى القائم ؟

فى تقديرى أنه يلزم وباستمرار ٠ على ضوء تصور المعركة ايجاد اشكال معاونة للاشكال الرسمية الموجودة ، أما ما يثار من احتمال قيام الخلافات بين الشكل الرسمي والمقابل ، فأعتقد أننا لسنا فى مرحلة تسمح بمثل هذه الاحتمالات او التخوف منها ، وفى النهاية فان من ينضم لهذه الاشكال ومن يتولى قيادتها يجب ان يكون قد وصل الى مستوى الاحداث ٠

ان ما حدث هو اننا انشأنا فرقا للانقاذ تم تدريبها ، ثم امددناها بالوسائل والادوات التى تمكنها من أداء عملها ، بحيث تكون مرتبطة ومتواجدة ، وباستمرار ، فى مقار التنظيم السياسى ، وتم تفرغ البعض ، ولكن الكثيرين يؤدون أعمالهم فى مؤسساتهم ومصالحهم ٠

وعلى ضوء تصور حجم المعركة ، والرؤية القريبة لمدن السويس والاسماعيلية ، وما لحق بها من خسائر مادية وبشرية من عدو استغل فرصة الانشغال باستكمال بناء قواتنا المسلحة وركز على الجبهة الداخلية ، على الآمنين من المدنيين بشتى انواع الاسلحة ، ونظرا لبعدنا النسبى عن مواقعه نقول ان هذا كله حملنا على استغلال هذه الفرصة باستكمال كل ما هو ضرورى وحيوى ، وكل ما من شأنه تقليل الخسائر اذا حدث تركيز فى ضرب بورسعيد أو بورفؤاد ، وكانت الصورة أولا هى تدعيم مرفق الاسعاف ، وهنا وجدنا أنه لابد من شكل مقابل – او معاون – يساعد التشكيل القائم وذلك لسبب بسيط هو أنه لا يمكن لجهاز الاسعاف الذى يعمل فى ظروف السلم – حتى ولو تمت مضاعفته أن يفى بالاحتياجات اثناء المعركة ، ومع عدو يركز أساسا على اضعاف الجبهة الداخلية ٠

هنالك قام التنظيم السياسى بالدعوة الى التطوع فى الاسعاف ، وتم تدريب المئات من الشباب والفتيات وتوزيعهم فى عدد كبير من النقط تغطى مختلف احياء بورسعيد وبورفؤاد مجهزة بالاسعافات الاولية وأنشئت هذه النقط فى أماكن مختارة روعى فيها اعتبارات متعددة ، كأن يكون بها تليفون أو قريبة من تليفون ، مهمتها اولا تغطية اصابات المقاومة الشعبية التى كان يراعى فيها ان تكون موزعة حسب توزيع مناطق المقاومة ، وكذلك لاسعاف أية اصابات مدنية بسيطة ، أو عمل الاسعافات الاولية للاصابات الخطرة ، مع طلب عربة الاسعاف ٠ وبهذا تحقق عدة أغراض ، فى مقدمتها التخفيف على مرفق الاسعاف والمستشفيات بحيث لا يرسل اليها الا الحالات الشديدة ٠

المخابىء العامة والخاصة

ان نظرة امينة على بورسعيد غداة النكسة لابد أن تهز كل مسئول بعنف ، أين المخابىء العامة ؟ هل راعت الاجهزة المسئولة قانون الدفاع المدنى بعمل المخابىء الخاصة ؟ أقول بصراحة – لم يكن يوجد اى مخبأ عام ولا خاص حتى المبانى الحكومية لا يوجد فيها أى شىء ، ولا يعقل مهما طلبنا من اعتمادات أن نفى بمستلزمات بناء المخابىء اللازمة ، ولكن الامر يجب أن يؤخذ بمنتهى الحزم ، لتغطية هذا النقص ، لم تبخل الدولة واعتمدت عشرات الالوف من الجنيهات لعمل مخابىء عامة ، ولكن برز هنا واجبنا : لا يمكن أن تتحمل الدولة كل العبء ، فليقم على الاقل ، كل فرد بما طلبه القانون ، بدأ التنظيم السياسى متابعة المؤسسات والمصالح والشركات ، بدأ العمل ، وبدأ خط السير ، والكل يسابق الزمن ، وكانت الخنة تتم متابعتها ميدانيا بتحديد مجموعة من أعضاء التنظيم تتخصص لاتمام هذا العمل وضرورة انجازه ٠

اما العمل الآخر فكان تقسيم للمدينة الى أقسامها الادارية ، ثم الى أحياء ، وحصر الاولوية بين هذه المناطق لاقامة المخابىء العامة ، حيث توجد منازل آيلة للسقوط والتى بها كثافة سكانية عالية ٠٠ الخ ٠

ومن جانب آخر ، كانت هناك دعوة أصحاب الاملاك الى الوفاء بالتزاماتهم بعمل السواتر وتوقية الادوار الارضية ، واعداد بعض أدوات الاطفاء ، واستجاب الملاك بصورة أو بأخرى الى هذا النداء ، وتم العمل بايجابية ، بحيث كانت بورسعيد فى ذلك الوقت خلية من العمل الدائب المتصل ٠ ان أى فرد من الملاك لم يستجب مباشرة ، كان يلاقى ضغطا من المستأجرين وتهديدا بالامتناع عن دفع الايجار ، بل بعمل كل ما هو واجب على حساب صاحب العقار ، وكنا ندعم هذا الاتجاه لدرجة أنه لم تظهر فى النهاية سلبيات جوهرية ٠

هذا بالاضافة الى تمتع بورسعيد بميزة خاصة ، هى البواكى التى قام التنظيم باستغلالها، بانشاء سواتر ، وتحويلها الى مخابىء عامة .

ومن هنا تمت الاستفادة من الظروف المتاحة واستغلالها ، وكذلك الاستفادة من طاقات الجماهير ، وكذلك التوزيع العادل والضرورى للمخابىء العامة .

التبرع بالدم وتحديد الفصائل

لما كانت الحالة تقتضى اولا أن يتم تحديد فصائل الدم لجميع المواطنين ، وثانيا التبرع به لسد حاجة متطلبات المعركة ، ومع شعب أصيل لا ينقصه الا القدوة ، فقد قامت قيادات التنظيم السياسى فورا وعلى كافة المستويات بالمسارعة الى اداء واجبها بالتبرع بالدم، مع تحديد الفصائل ، ثم بدأت الدعوة عامة لجميع المواطنين ، وقام التنظيم السياسى بالتعاون مع بنك الدم ومديرية الشئون الصحية ببورسعيد ، بوضع مشروع لتحديد فصائل الدم على مستوى المحافظة وذلك بأن قام كل قسم من أقسام الاتحاد الاشتراكى ، بوضع برنامج زمنى لجميع أعضاء مؤتمرات الوحدات الجماهيرية ، فئات من الوحدات الاساسية تدريجيا ، وانتقلت قوافل « بنك الدم » بكل امكانياتها الى جميع المواقع حسب البرنامج الموضوع ، وتم تنفيذ المشروع بكل دقة ، وحددت الفصائل لمعظم المواطنين ، وتبرع الكثيرون منهم بالدم ، ولما كانت المستشفيات قد استوفت كل احتياجاتها ، فقد قام التنظيم السياسى بعمل كشوف انتظار للمواطنين ، وخاصة القادة الراغبين فى التبرع بالدم مستقبلا ، وعند الحاجة ، ونتيجة لهذا لم يكن يحتاج الامر أكثر من أن تقوم أى مستشفى عند حاجتها الى أى كميات من الدم ومن أى فصيلة — بالاتصال تليفونيا بأحد أقسام الاتحاد الاشتراكى فيتولى هذا القسم فورا الاتصال بالراغبين فى التبرع والمسجلين بكشوف الانتظار ، حيث يتوجهون الى المستشفى الطالب . ومهما كان عدد المطلوبين ، أو حجم الكمية المطلوبة . فقد كانت تجاب فورا فى أى وقت وبأسرع مما يتصور ، وذلك دون المساس بالاحتياطى الموجود بالمستشفى ، ولقد كان لهذه التجربة الناجحة أثرها الفعال على معنويات جماهير شعبنا .

مرفق الحريق أو جهاز الاطفاء

ونظرا لخطورة هذا المرفق وقيامه بواجبات أساسية وقت المعارك من انقاذ واطفاء ، ولاحتمال عجزه عن تغطية واسعة للنشاط فى هذا المجال أثناء العمليات، كان لابد من تكوين هيئات مساعدة هى فرق الانقاذ المعاونة .

وقد دفعنا الى مرفق الحريق بعدد من المدنيين قام هذا المرفق بتدريبهم على كل أعمال الحريق والانقاذ وكانت التجارب تتم بصورة حية حقيقية، ونقطة أخرى تداركناها من واقع التجربة وهى أن أول ما يفكر فيه العدو هو ضرب محطة الكهرباء والمياه ولذلك كان التفكير المبكر هو ايجاد وسيلة بديلة للحصول على المياه حيث اننا كجزيرة تحيط بنا المياه من كل جانب — بالبحر الابيض وبحيرة المنزلة والقنال الداخلى — والقناة فيمكن اللجوء الى هذه الموارد، ولكن لم يكن هذا كافيا، خصوصا أن التجربة مازالت ماثلة أمام عيوننا مما حدث عام ١٩٥٦ وعند قطع المياه عن المدينة ، ان محاولتنا لسحب المياه من البحر لاطفاء الحرائق تعرضت للضرب بالطائرات وكذلك عند بذل محاولة سحب المياه من البحيرة أو القناة ، ومن ثم ومن واقع هذه التجربة لزم ايجاد وسيلة تبادلية أخرى

وانعقد الرأى على حفر آبار فى كل منطقة بمسافة محددة بحيث لا تبعد الواحدة عن الاخرى الا بما يسمح به مد خراطيم المياه ودفع ماكينة الحريق ، وانجزت فعلا ، وتختبر حاليا فى فترات منتظمة بوساطة سيارات الاطفاء ، بل أكثر من هذا فان المياه التى تخرج من الآبار نتيجة الاختبار يتم بها تنظيف المدينة ، ويدفع جانب منها فى شبكة المجارى .

مرفق المياه

اذا كان من المسلم به أن العدو عندما يحاول ضرب مدينة يلجأ الى التركيز على مرفقين حيويين هما الكهرباء والمياه ، فان المتصور أن الضرب سيكون على محطة المياه ذاتها ، ولذلك تم عمل وسائل بديلة لهذا المرفق، ولكن الحاح العدو على منع المياه من الوصول الى بورسعيد أدى الى ضرورة ايجاد اكثر من بديل ، ولذلك فانه رغم ان نسبة المياه المسموح بها لم تزد ، الا أن ضمان ورودها اصبح مطمئنا ، فى هذا الوقت كانت بورسعيد قد تم تجهيزها على أساس أن مورد المياه الذى تحصل عليه سيدفع فى شبكة المياه مباشرة دون دفعه الى المحطة، وبالتالى تم فى الاحياء عمل محطات مياه ذات خزانات يقوم على كل منها بعض اعضاء التنظيم المكلفين بعملية توزيع المياه للجماهير بحيث ان كل خزان أو نقطة مياه تخدم حيا من الاحياء .

وأقرر بأنه مع أحساس كل فرد فى المدينة بعدم كفاية المياه، الا ان الشعور العام هو الاطمئنان، لأن

الجماهير لم تهدد فى لحظة بخطر انقطاع المياه ، لان التفكير كان باستمرار يسبق ، وايجاد الوسيلة كان دائما مبادرة كان التنظيم يحرص عليها ، ولم يكن أى جهاز على المستوى المحلى أو المركزى يتخلف عن القيام بواجبه كاملا .

دراسة طبيعة الموقع

أعد التنظيم السياسى خطة لدراسة طبيعة وامكانيات المنطقة فى كل انحاء المحافظة ، فتم أختيار بعض العناصر المخلصة والملتزمة ، قاموا بحصر شامل لكافة المرافق وصلاحيتها وتحديدها على خريطة تشمل منافذ ومخارج المحافظة ، وكذلك مواقع الخدمات الصحية والتموينية ودور العبادة والمدارس وكافة الابنية الحكومية الصالحة وأعدت بعض هذه الاماكن لكى تكون مراكز ايواء فى حالة حدوث عمليات وتهدم بعض المساكن ، وأعدت مديرية الشئون بالتالى خطتها لمقابلة هذه الخطة وما يلزمها من أشياء مادية وعينية وكذلك تم حصر الاماكن السكنية القابلة للسقوط أو التصدعة ٠

وقد افادتنا هذه الخطة كثيرا فى نواحى عمل مختلفة أذكر منها :

عند اخلاء المدينة كانت خطة أولويات الاخلاء موجودة ودون عناء يبذل فى وقت لم يكن متسعا لعمل ميدانى جديد ، استطعنا ان نضع ايدينا مباشرة على الاماكن المتصدعة والآيلة للسقوط والتى يخشى سقوطها عند أول عمليات ، فهذه الاماكن تم حصرها وتم تحديد المناطق التى لها الاولوية فى الاخلاء ، وأصبح موجودا فى المكاتب وعلى خرائط مبسطة ، مبينا فيها كل الخدمات من تموينية وصحية وأسعاف ومستشفيات ومدارس وصيدليات وأطباء وغيرهم ، أمكن أيضا عند حدوث أزمة خبز لا لنقص فى المواد التموينية ، ولكن بطبيعة خاصة ببورسعيد ، ذلك أن أغلب عمال المخابز من غير أهل بور سعيد فيحدث أحيانا أن يغادر هؤلاء العمال بورسعيد وقد تنبهنا لذلك وقمنا باتخاذ أجراءات بالاتفاق مع الاجهزة .

وكانت أول بادرة عمل ايجابية يقوم بها العنصر النسائى ، هو استقبال عودة الجنود والمساهمة الايجابية فى تمريضهم ، وقام التنظيم بدفع جميع المتطوعات ، الى سد النقص لثقل العمليات فى المستشفيات ومراكز الاسعاف ومراكز الايواء التى كان قد سبق اعدادها ٠

وتركز دور التنظيم النسائى وعناصره النشطة ، التى تعمل من خلال التنظيم ، فى الايام التى أعقبت النكسة فى تغذية الجنود والمساعدة الطبية ٠ كما قدمت المساهمة الفعالة فى حملات التوعية وتحديد فصائل الدم والتبرع به ٠ وكن قدوة للمواطنين من حيث تبرعهن بدمائهن ، كما عاون بجهودهن فى قوافل بنك الدم .

ثم بدأ التعاون والالتحام مع المقاومة الشعبية فى ذلك الحين . فقد تمت اقامة نقط اسعاف طوارىء بكل مركز سيطرة للمقاومة الشعبية من نفس سكان المنطقة بحيث تخدم افراد المقاومه بجانب مواطنى المنطقة ٠ وقد أعدت هذه النقط بحيث تكون نقط معاونة لجهاز الاسعاف الطبى . وقد تم ربط نقط الاسعاف لكل منطقة بمركز الاسعاف الطبى الموجود بها ٠

تجربة شباب المقاومة

تعرض مصنع النسيج ببورسعيد ، نظرا لان العاملات يشكلن قسما كبيرا من القوة العاملة به ، لنقص فى هذه القوى ، وصل الى ٣٣ فى المائة ، فاخذ التنظيم السياسى على عاتقه أن يسد هذا النقص ، وجند شباب المنظمة للقيام بهذا الواجب ، وتدافع شباب المنظمة وعمل بالمصنع . وكانت تتم يوميا مراجعة وتقييم للجهد المبذول الى أن وصلت التقارير النهائية فى فترة لم تزد عن اسبوعين ، انه لم يعد هناك أى نقص وأن المصنع يعمل بكامل طاقته ، وكان هذا يتم بتعاون صادق ، بين القيادات فى المصنع وبين التنظيم السياسى ، لان الجميع يعمل لهدف واحد ٠

ان هذه التجربة تدفعنا الى تصور أن يتم تدريب جميع طلاب المدارس الصناعية فى المصانع ، لسد أى نقص ، ولكى يكونوا احتياطيا بديلا لسد أى عجز يحدث لاسباب مختلفة ، هذا بالاضافة الى الجانب المعنوى الذى يمكن الوصول اليه من جراء رفع الروح والتركيز على أداء الواجب بالنسبة للطلبة ٠

لقد أدت مدرسة بورسعيد الصناعية بفتح اقسامها جميعا لصيانة واصلاح كل الاحتياجات الضرورية ، دورا أساسيا ورائدا وذلك بفضل نشاط مجموعة نضالية من اسرة المدرسة وتصميمها على عدم الهجرة والبقاء للقيام بهذا المجهود ٠

وبعد ٠٠٠

فان كنت اذكر بعض التجارب فانه لا يفوتنى أن انكى ذلك العمل الذى تم **على مستوى الدولة بتخطيط علمى ، ولكن على الطبيعة ، وفى موقع العمل** ٠ ومع الذين يعيشون ويتولون قيادة هذا

العمل في الميدان ، الا وهو خطة التهجير، والتى تمت بتعاون مثمر وبناء بين الجهازين الشعبى والتنفيذى ، وكم يعطينا هذا من دروس اذا ما كان هناك تعاون صادق مع تخطيط سليم كيف يؤدى هذان الجهازان العمل ، وما يمكن أن يتحقق من نجاح ، واذا ذكرت هذه التجربة فاننى أخلص منها بدرس مستفاد ، وفى أثناء تنفيذ خطة التهجير ، ولحظة اطمئناننا لتمام السيطرة ، بدأ التنظيم السياسى يعطى منظمة الشباب واجبا محددا فى مركز حيوى من مراكز التهجير لتتولاه كاملا من ألفه الى يائه ، دون أن يتدخل أحد فى أى مرحلة من هذه المراحل، فيما عدا المراقبة فقط . أقول انها لم تنتظم بشكلها الكامل فى يومها الاول ، ولكن ببعض التنظيم والتوجيه الواعي والمسئول ، انتظمت وأدت العمل على أكمل وجه وخرجت من تجربتها بدروس مستفادة .

ومن الممكن تعميم هذه التجربة فى كل مكان حتى يتم خروج كثيرين منهم من دائرة الفكر المنعزل باسناد بعض الواجبات الميدانية المحددة للشباب ، عن الواقع .

وان ما ذكرت اردت به أن أضـــع تجربة حية مرت باحدى محافظات الجبهة ، لا أشك لحظة أنه لو كانت أى محافظة أو مدينة أو قرية فـــي الجمهورية تعرضت لما تعرضت له بورسعيد لقامت جماهيرها بما قامت به جماهير بورسعيد ، ولكن كل ما اركز عليه هو أن تستغل قدرات وطاقات هذا الشعب الاصيل ، فى كل بقعة من ارضه ، وأن نأخذ منه ما يعطيه وبطريقة لا تشعره بأنه يجب أن يتقمص قالبا محددا وشكلا نمطيا ان تخلف عنه وصم واتهم بالسلبية لانه قد يسبق بفكره ، وقد يحدد عطاءه ، وواجب التنظيم السياسى أن يستقبل هذا العطاء فقط ، ينظمه ويوجهه بما لا يشعر الجماهير بضير ما وذلك لتحقيق الهدف .

■

مـــــــــلاحظات حــول مدينة محتــلة

معـــين بسيســـو

فى ذات يوم ، ينتفض بحمى الانتصار العسكرى ، قال موشى ديان لأحد الصحفيين الالمان الغربيين : « ان مفتاح أية مدينة لا يساوى اكثر من قطعـــة من الحديد ، تدوس عليها جنازير دبابة اسرائيلية ، فتصنع منها مفتاحا يمكن ان يدور فى قفل باب أية مدينة ويفتحها . . » ؟ !

واذا كان **موشى ديان** قد تمكن من ان يفتح بالسونكى باب هـــذه المدينة او تلك فى الارض المحتلة .. فهو لم يتمكن من تتويج انتصاره العسكرى الخاطف بانتصار سياسى عاجل أو بطىء يمكنه أن يعلن فى أعقابه « أن كل شىء قد أصبح هادئا فى الارض المحتلة .. » .

ولقد كانت مدينة غزة « عاصمة » قطاع غزة ، وعاصمة حركة المقاومة الشعبية والمسلحة بالنسبة للارض المحتلة كلها ، هى المدينة التى أراد أن يصنع منها موشى ديان ، ومن ورائه طاقم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية كله ، ذلك النموذج للمدينة التى تقدم خوذتها الفولاذية « منفضة » « للفائف تبغ الاحتلال .. » .

أما لماذا كانت مدينة غزة بالذات هي ذلك النموذج المطلوب تجسيده امام بقية المدن الفلسطينية المحتلة فذلك يرجع في تقديري للعديد من الاسباب يقف على رأسها : ان قطاع غزة هو الجزء الوحيد الباقي الذي يحمل اسم فلسطين ، بعد أن ضمت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بقوة القهر اجزاء كبيرة من الارض العربيةالفلسطينية قبل وفي أعقاب مؤامرة ١٥ مايو ١٩٤٨ ، ولان الجزء الباقي الذي كان خاضعا في ذلك الوقت للقوات العراقية والاردنية قد الحق بالاردن في أعقاب مؤتمر أريحا عام ١٩٥١ ولم يعد رسميا ومن وجهة النظر السياسية الدولية يقترن بفلسطين العربية ·· هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فقطاع غزة كان دائما حلم العسكرية الاسرائيلية وفي اتجاه تصفية القضية الوطنية الفلسطينية نهائيا ، فمنذ ١٩٥١ ، ومهندسو الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية يخططون لافراغ قطاع غزة من جماهير مشردي معسكراته بشكل خاص والذين يقتربون من ثلث المليون ·· ولوضع مخطط التصفية في مجال التطبيق العملي ·· قامت الولايات المتحدة الامريكية بتقديم برامج اسكان وتوطين اللاجئين في مختلف البلدان العربية ـ حيث يقيمون ـ مشروع توطين اللاجئين الذين يقيمون في سوريا ـ في الجزيرة ـ المشروع الذي قدم لاديب الشيشكلي ـ أيام حكم الدكتاتورية العسكرية ـ ثم مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء ، وعن طريق ارهاب اللاجئين في قطاع غزة بواسطة المذابح العسكرية والغارات التي راح يشنها الجيش الاسرائيلي على قطاع غزة ، ولقد تجسدت هذه الغارات المسلحة في مذبحتي ٢٩ أغسطس ١٩٥٣ على معسكر البريج في قطاع غزة ، ثم مذبحة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ المعروفة بمذبحة المحطة ··

وحينما فشلت كل مخططات هندسة المذابح الارهابية بواسطة تلك الغارات البالغة التنظيم ، اتجه الاحتلال الاسرائيلي في أعقاب عدوان ١٩٥٦ الى تدويل قطاع غزة ، بعد أن أصبح وجوده كاحتلال مستحيلا عربيا ودوليا ·· ولكن نضال الجماهير العربية في قطاع غزة قد أفشل للمرة الثانية مخطط العسكرية الاسرائيلية للتصفية الوطنية للقضية الفلسطينية من خلال طمس الملامح العربية الفلسطينية لقطاع غزة ·

غير أن المؤسسة العسكرية وان وضعت مشروع تصفية قطاع غزة مؤقتا ـ في الثلاجة ـ فهي لم تنفض يدها أبدا من عملية التصفية ·· التي سرعان ما بعثت في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ، حينما رمت المؤسسة العسكرية بكل ثقلها في اتجاه مد شريط من قطاع غزة يصله بالارض المحتلة ـ الضفةالغربية ـ ويتشكل من هذا الشريط ما اطلقت عليه المؤسسة العسكرية بمشروع « الحكومة الفلسطينية » التي تربطها بالطبع معاهدة دفاع مشتركة مع اسرائيل ·· ولكن هذا المخطط لم يتمكن من رؤية النور ودفن حيث ولد في سراديب المخابرات الحربية الاسرائيلية أو في الحجرات المسدلة الستائر لبعض العملاء الفلسطينيين المفضوحين تماما ·· وبالتالي ظل قطاع غزة هو تلك الشوكة الفولاذية التي تخز قلب الاحتلال الاسرائيلي ·· وحتى حينما حاول الاحتلال ـ على النطاق الدولي ـ أن يشوه وجه المقاومة الفلسطينية ويعلن ان المقاومة مصدرة ـ للارض المحتلة ـ من ترسانة هذه الدولة العربية او تلك ـ وليست نابعة من الارض المحتلة نفسها ، قامت مدينة غزة بالرد على اعلان الاحتلال وبشكل عملي ـ حينما انتقلت من مرحلة النضال السياسي والمنشور السياسي ـ الى مرحلة الكفاح المسلح ··

من مرحلة المنشور

الى القنبلة اليدوية

هذه المدينة التي ليس بها غابات ، ولا مستنقعات ولا جبال ، وليس بها أي قاعدة تقليدية من قواعد حرب العصابات المعروفة تاريخيا ·· كيف استطاعت أن تكون ذلك النموذج الحي الرائع للمدينة المقاتلة التي تضع اصبع ديناميتها كل ليلة تحت وسادة الاحتلال ·· ؟

ان المفهوم الجديد الذي تقدمه غزة لا يمكن العثور عليه الا في تلك المرحلة التي يتبلور فيها النضال السياسي للجماهير · الى تلك الدرجة التي تتحول فيها كوادر التنظيم السياسي ، الى كوادر مسلحة ، الى تلك الدرجة التي تصبح فيها قواعد العمل المسلح هي بيوت هذه المدينة أو ذلك المعسكر أو تلك القرية ·· ومنذ اللحظة الاولى التي الاحتلال الاسرائيلي بكل ثقل جنازير دباباته في اتجاه وقف البلورة السياسية لنضال الجماهير في قطاع غزة والحيلولة بينه وبين أن يتدرج في

النمو حتى يتحول الكادر السياسي الى كادر مسلح — ومن خلال اقتناع الجماهير وبشكل اساسي بهذا التحول ،ومن خلال انصهار هذا التحول نفسه في بوتقة النشاط الجماهيرى .. وفي وضع غزة لأهمية العمل المسلح الذى يجرى في شوارعها ، تكمن في ان أن هذا العمل يجسد الى أعلى مستوى وحدة الارادة ووحدة العمل ووحدة الفكر أيضا بالنسبة لجماهير القطاع .. عندها لا تجدى أبدا « علامة الطباشير البيضاء » التى تكرر ظهورها على بيوت غزة أو بيوت وقرى ومعسكرات القطاع ، والتى كان يعقبها نسف هذا البيت أو ذلك ، ثم تطورت عملية النسف الفردية الى برنامج النسف الجماعى للبيوت .. ورغم علامة الطباشير البيضاء والسوداء .. فلقد كان اقتناع الجماهير السياسى بالعمل المسلح ، هو وحده الحلقة الرئيسية فى السلسلة .. هو كلمة السر وحدها التى يمكن بواسطتها المرور الى قواعد المقاومة المسلحة فى قطاع غزة ...

غزة بين الاحتلال العسكرى والتحرر السياسى ...

وفى الوقت الذى يؤلف فيه الاقتناع السياسى للجماهير فى قطاع غزة، ذلك المتراس الرئيسى لحماية العمل المسلح ولمواصلة ترعرعه تشكل تلك الوحدة العضوية بين مدينتى غزة وخان يونس بشكل خاص وبين جماهير معسكرات الشاطىء ، وجباليا ، والبريج والمغازى والنصيرات ورفح وخان يونس الخطوط الامامية لحركة المقاومة المسلحة .. فكل مخططات الاحتلال التى كان يستهدف من ورائها محاصرة مدينة غزة باقتلاع جذورها من المعسكرات ، أو محاصرة المعسكرات لاقتلاع جذورها من مدينة غزة بشكل خاص ، قد تحطمت وبشكل رائع .. حتى أصبح من المؤكد القول أن أية ضربة للاحتلال لفرض العزلة والحصار كانت تواجه بالانتفاضة الجماعية لجماهير القطاع كله بمدنه وقراه ومعسكراته .. والظاهرة الجديرة بالملاحظة والانتباه وبالنسبة لمعسكرات اللاجئين ، انها قد تحولت وبنسب مختلفة الى قلاع أو جزر صغيرة مغلقة بالنسبة للاحتلال ، الى الحد الذى يمكن القول : ان معسكرات اللاجئين فى قطاع غزة تحكمها وتدير شئونها المقاومة فى الليل .. وتسيطر عليها قوات الاحتلال فى النهار .. اى ان المقاومة المسلحة قد نجحت سياسيا فى ان تعلن أنها قد تمكنت من تحرير المعسكرات والمدن — سياسيا من سلطات الاحتلال ومن مؤامرات التصفية السياسية ، وان قطاع غزة محرر سياسيا من نير الاحتلال السياسى ، وهذه مرحلة هامة بالنسبة لتطور العمل المسلح .. وتحويل قطاع غزة كله الى قاعدة ثابتة ومتحركة للعمل الفلسطينى المسلح كله .. وعلى نطاق الارض الفلسطينية المحتلة كلها ..



بعد شهور من الاحتلال الجديد لقطاع غزة وفى اتجاه تطبيق مخطط تحويل جماهير المشردين الى قوة عاملة فى المصانع الاسرائيلية ، وبالتالى تعبئة القوى الاسرائيلية العاملة فى المصانع كلها — الى قوات عاملة مسلحة — قام الاحتلال الاسرائيلى وبكل صنوف الارهاب والضغط ، الذى سبقه برنامج التجويع والبطالة المنظم ، بارغام بعض الاسرى الفلسطينيين وبعض العمال على العمل فى مصنع للمبات الكهربائية .. وكان المطلوب نصف مليون لمبة كصفقة عاجلة تصدر لكندا .. ولقد تمكن العمال والاسرى العرب الفلسطينيين من ان يضربوا ذلك النموذج الرائع للمقاومة السلبية السياسية ، حينما قاموا بلف اللمبات بأوراق قد رسموا عليها الصليب المعقوف ، وبشعارات أخرى معادية للاحتلال .

وقد تم تصدير النصف مليون لمبة كهربائية بالفعل الى كندا .. واكتشفت فى منطقة الجمارك هناك ..

ان هذا النموذج ليس غير راية صغيرة على طريق المقاومة السياسية بالنسبة للجماهير فى قطاع غزة .. والذى يؤكده النضال السياسى والنشاط اليومى للجماهير .. القضية التى تؤكد عمليا أن قطاع غزة ، هو قطاع مفتوح سياسيا للمقاومة المسلحة ومغلق سياسيا تماما فى وجه الاحتلال ، ومن خلال النوافذ السياسية المفتوحة فى مدينة غزة وخان يونس وكافة معسكرات اللاجئين فى القطاع ، تطل بنادق المقاومة .. وتتساقط قنابلها واصابع ديناميتها .

لبنان ١٩٧٠

الى أيــن ؟

« لبنان ١٩٧٠ » ، بمشاكله وصراعاته ،ليس مجرد قضية لبنانية فحسب ، وانما هو — بحكم الواقع الحى ، وعملية استقطاب القوى الحادة والمستمرة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، خلال النضال العربى التاريخى ، ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية والتخلف — قضية عربية ، بكل ما يحمله هذا المصطلح من دلالات وابعاد .

بمعنى ان « لبنان ١٩٧٠ » هو تجسيد واضح ومحدد ،لتفاعل الخاص والعام فى حركة التحرر الوطنى العربية .. المحلية والقومية .. الذاتية والموضوعية . وينبع ذلك من تفجر ونمو ما يمكن أن يسمى — سياسيا واجتماعيا — بالقوى اللبنانية الجديدة ، ذات الطابع التحررى العربى التقدمى ، التى تحدت الهزيمة والعدوان ، وتخطت مزالق الطائفية ، لتقوم بدورها — المحلى والقومى — فى التغيير الجذرى ، وهو التغيير الذى اصبح شعارا عربيا شاملا ، ويستهدف تجميع كل القوى الوطنية والتقدمية، لمواصلة المعركة ضد الاستعمار والصهيونية ، والتخلف الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ..

ويجمع المراقبون على أن معركة انتخابات الرئاسة اللبنانية القادمة فى سبتمبر ١٩٧٠ سوف تكون اختبارا واقعيا، لحقيقة علاقات القوى ، بين الاتجاهات التقليدية ، وبين الاتجاهات الجديدة ، التى تستهدف التغيير ،وترتبط ارتباطا مصيريا بحركة التحرر الوطنى العربية .

ومن هنا قررت « الطليعة » أن تفتح هذه الصفحات ، ابتداء من هذا العدد ، أمام كل القوى المتصارعة فى لبنان ١٩٧٠ .

وننشر اليوم نص التقرير الشامل، الذي بعث به الى الطليعة الامانة العامة للحزب التقدمي الاشتراكي ، الذي يتزعمه السيدكمال جنبلاط ، المفكر والمناضل اللبناني العربي ووزيرالداخلية الحالي، وفيه يعرض بالتحليل — من وجهة نظره — الى أوضاع لبنان والتحديات التي تواجهه ، وهو على أبواب انتخابات الرئاسة الجديدة .

وترحب « الطليعة » بكل تقرير او رأى يصل اليها معبرا عن وجهات نظر الاحزاب والهيئات والقوى المختلفة فى لبنان الشقيق، مجيبا عن سؤال الوطن العربى كله : « لبنان .. الى أين ؟ »

لبنان الثورة ..
لا .. لبنان التسويات

لماذا **كل هذا الاهتمام غير العادي بانتخابات رئاسة الجمهورية المقبلة فى لبنان ؟**
وهذا الاهتمام .. ما مصدره ؟
وما هى العوامل الجديدة التى طرأت على معركة رئاسة الجمهورية ، والاوضاع اللبنانية ، فاستحقت هذا الاهتمام ؟ ثم هل هو اهتمام حقيقى بالموضوع ؟ أم انه مجرد افتعال درامى لحوادث معينة ، بغية الاثارة والتشويق ولفت انظار المشاهدين ؟

هذه الاسئلة وكثير غيرها ، يطرحها اللبنانيون على أنفسهم كل يوم ، فكأنها غدت هما من هموم حياتهم اليومية ، ويشاركهم كذلك فى طرحها عدد من المراقبين والمعلقين السياسيين ، الذين يرشحون لبنان ، لان يكون بين البلدان العربية ذات الاحداث المثيرة فى السنوات القليلة المقبلة .

ان لبنان كما هو معروف ، سينتخب فى سنة ١٩٧٠ رئيس جمهوريته الخامس ، فالمعركة إذن ليست الاولى من نوعها فيه ، وهى مألوفة لدى اللبنانيين ، ومتوقعة .

وان لبنان ، وهذا معروف ايضا ، سبق له ان انتخب اثنين من رؤسائه الاربعة السابقين سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٥٨ فى ظروف مثيرة وخطيرة جدا .

ففى سنة ١٩٥٢ انتخب رئيس الجمهورية اللبنانية ، بعد اضرابات شعبية عارمة ، قادها الحزب التقدمى الاشتراكي والجبهة الاشتراكية الوطنية ، فعمت المدن والارياف ، فى اجماع بنانى هائل ضد حكم **الشيخ بشارة الخورى .**

وفى سنة ١٩٥٨ انتخب لبنان رئيسه بعد ثورة شعبية دامية ، ضد حكم الانحراف فى السياسة العربية ، وضد الرجعية الداخلية ، ولقد ستمرت تلك الثورة ستة أشهر وسقط فيها عدد كبير من الشهداء ، ونذكر أنها استدعت تدخل الامم المتحدة ، بشخص امينها العام يومذاك داج همرشولد .

ورغم ذلك فان السؤال الذى يطرحه اللبنانيون على أنفسهم ، كل يوم بالنسبة لمعركة رئاسة الجمهورية المقبلة يبقى قائما ، فكأنه اشارة قلق وخوف من مجهول ، أو هو بعبارة اخرى ، تعبير واضح وصريح عن احساس الجميع واقتناعهم بأن معركة الرئاسة المقبلة ، مرشحة لان تكون أكثر خطورة واثارة من أية معركة سابقة .

فهل هذا صحيح ؟ ولماذا ؟

الحزب التقدمى الاشتراكي يقول : نعم .

والحزب التقدمى الاشتراكى عندما يعلن ذلك ، لا ينطلق من تأثير حوادث معينة عليه ، ولا من أجواء الاثارة التى تفتعل أحيانا ، انه يبنى موقفه على معطيات وعوامل كثيرة عربية ولبنانية . بدأت تهز المجتمع العربى من المحيط الى الخليج ، فى عملية فصل نهائية وحاسمة ، بين القوى الوطنية الجديدة ، والقوى الرجعية المحافظة ، بين ديناميكية التقدم وجمود التخلف ، بين حرية الاستقلال الحقيقى وتبعية الاستعمار القديم والجديد ، وذلك بدءا من ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، وانتهاء بثورة

التاسع من أيلول (سبتمبر) في ليبيا ، ومنذ نكسة الخامس من حزيران (يونيو) حتى معارك المواجهة والصمود ، وعمليات الفدائيين البطولية داخل الارض المحتلة .

ان ثورة ٢٣ يوليو في مصر . والثورات العربية التقدمية التي تلتها في سوريا والعراق والجزائر واليمن والسودان وليبيا ، هدمت اقوى حصون ومعاقل الرجعية العربية وأشرسها ، فايقظت في وجدان الانسان العربي طموحا جديدا لبناء مجتمع عربي اشتراكي جديد ، وأطلقت بانجازاتها الثورية الرائعة ، جميع القوى الشعبية ، في الوطن العربي ، من قيودها وقوالبها القديمة ، وأقامت بينها وبين الجماهير العربية في كل وطن عربي صلات روحية ونضالية ونفسية واسعة وعميقة ، تجاوزت في تاثيرها على الشعوب عوامل التجزئة المفتعلة ، وحدود الحواجز المصطنعة ، وكان من الطبيعي جدا ، أن تقوم هذه الصلات وتتأكد بين الثورات العربية المذكورة ، وبين الشعب العربي في لبنان .

كان من نتيجة ذلك ، أن لعبت هذه الصلات دورا بارزا وأساسيا في دفع قطاعات واسعة من الشعب اللبناني الى تبني الافكار الجديدة ، والى التأكيد على هوية لبنان العربية ، وربط مصير ومستقبل الشعب اللبناني بمصير ومستقبل الامة العربية .

يضاف الى كل ذلك ، ان الحزب التقدمي الاشتراكي وهو صاحب الدور البارز في صنع السياسة اللبنانية بشخصية رئيسه كمال جنبلاط ، كان يتلاقى ويتلاحم في نضاله دائما مع جميع القوى الوطنية في الداخل ، ومع كفاح الثورة العربية ضد قوى التخلف والرجعية والاستعمار والصهيونية في الخارج .

وبدأت تترسخ في نفوس اللبنانيين قناعات صريحة وواضحة ، بأن مصلحة الشعب اللبناني لا يمكن أن تكون أبدا في استمرار النظام السياسي القائم في وطنهم ، انه في ظاهره نظام ديمقراطي ، ولكنهم كانوا يعرفون أنه في حقيقته يمارس على المواطنين أبشع أنواع القهر والتسلط والاستغلال .

وكانت هذه القناعات تترسخ وتزداد وضوحا في نفوس اللبنانيين ، يغذيها يوميا النضال الشعبي المتواصل ، والانجازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للثورة العربية ، خاصة في الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنها ظلت بحاجة الى شيء ما ... الى حدث خطير يهزها .. فيسقط الحواجز الاخيرة المعيقة في النفوس ، ويدفع هذه القناعات الفكرية الى أن تتحول من نظرية ثورية ، الى سلوك ثوري ، ومن رؤيا مجردة تتصورها الافكار الى حقيقة واقعية تشارك في صنعها الجماهير .

ووقعت نكسة حزيران (يونيو) .

فكانت الحدث الاخير الذي أسقط الاقنعة عن الوجوه في لبنان ، وهدم اخر الحواجز المعيقة في النفوس . وجعل الرؤية امام الجماهير واضحة تماما .

ان نكسة حزيران التي هزت الانسان العربي في كل مكان ، حتى بدا للوهلة الاولى مذهولا لا يكاد يتماسك ، ضائعا لا يعرف كيف يتجه ، وماذا يفعل ، ما لبثت أن تحولت بصمود الشعب العربي الى ايجابية في نفوس الثوريين الحقيقيين والوطنيين المؤمنين ، فتلاشى الذهول وحل محله تحرك ثوري صحيح ، فوقف الشعب العربي على جبهات المواجهة وخاصة على جبهة القناة ، يرفض الهزيمة والحلول الاستسلامية ، ويعطي من دمه وماله ورزقه وراحته للمعركة كل يوم ، كما وقفت معه الشعوب العربية الاخرى تساند بقواها المادية والمعنوية ، وخرجت المقاومة الفلسطينية من حالة رفض الاحتلال والتمرد عليه ، الى مرحلة الاعداد للثورة التحريرية الشاملة ، وانتصرت الثورة في كل من السودان وليبيا ، لتضع هذين الشعبين العربيين العظيمين في مكانهما الصحيح من مسيرة الامة العربية ، وأعيد بناء الجبهة المصرية بناء عسكريا عصريا ، تتأكد قوته وصلابته بالمواجهات اليومية مع العدو .

أكثر من ذلك .. أن النكسة وما تبعها من احداث عربية ، ومن نمو وتحرك للثورة الفلسطينية على الارض اللبنانية ، وانقسام اللبنانيين حول تاييدها وحقها بالعمل ، جعلت الشعب اللبناني ينقسم – حكما – ولاول مرة في تاريخ حياته السياسية ، الى جبهتين منفصلتين تماما .

● جبهة الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية ، التي تؤكد بالحاح وعناد على ما يلي :

أ – التزام أكثر بأهداف الثورة العربية .
ب – تدعيم الثورة الفلسطينية وتأييدها .
ج – رفض الهزيمة والحلول الاستسلامية .

د – الانفتاح على المعسكر الاشتراكي الصديق ، ومعاداة الاستعمار والرجعية وعدم مهادنتها ، وهذه الجبهة يقودها الحزب التقدمي الاشتراكي ، برئيسه كمال جنبلاط .

● وجبهة القوى المعادية للثورة العربية ، والموالية للاستعمار ، بأشكاله القديمة والحديثة ، والمنكرة على الكفاح الفلسطيني المسلح ، حقه في الحركة والعمل ضد اسرائيل من جنوب لبنان ، بحجة أن ذلك يعرض لبنان لخطر الاحتلال ، ويقوده

هذه الجبهةالنظام الرجعي المسيطر، مختبئا وراء المؤسسات والاحزاب اليمينية والطائفية ، التي جعلت من نفسها أداة عمياء شرسة ، تتحرك بلا وعي ، ولا ارادة لتنفيذ مخططات هذا النظام وأهدافه ٠

ان الحزب التقدمي الاشتراكي ، انطلاقا من الاحداث العربية التي ذكرناها وتاثيرها على الاوضاع اللبنانية الداخلية ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، يرى - وهذا نصف الجواب عن السؤال المطروح حول معركة رئاسة الجمهورية - أن هذه المعركة بدأت تتخذ شكلا جديدا وأبعادا جديدة في لبنان ، فهي ليست قطعا نزاعا تقليديا حول شخص معين ، انما هي صراع ، لم يصبح بعد مكشوفا تماما بين قوتين سياسيتين تتجاذبان مركز الرئاسة ، وأن الفوز بهذا المركز يعني العمل من موقع القوة الاساسي في نظام الحكم اللبناني الراهن ٠

ان هذا الصراع لا يمكن أن يكون منفصلا أبدا عن تيارات التأثير التي تحدثنا عنها ، لان هذا التأثير انما هو انعكاس لارادة الجماهير العربية في لبنان ٠

انه يعني بشكل واضح وصريح صراعا بين القوى الثورية الجديدة المطالبة بالحاح وعناد بالتزام أقوى بالثورة العربية ضد الصهيونية والاستعمار ، وبنصرة القضية الفلسطينية ورفض منطق الهزيمة والاستسلام ، وبين القوى الرجعية التقليدية المحافظة ، التي تخاف من التزامها ولو نظريا ودعائيا بالثورة العربية وبالقضية الفلسطينية ، وبمعاداة الاستعمار والصهيونية ، فهي لذلك تلجأ الى اسلوب النفاق السياسي والديماجوجية ، محاولة أن تقنع الطائفيين والمنتفعين بالنظام القائم بأن أي التزام ثوري عربي أو فلسطيني حقيقي ، انما يوصل في النهاية الى التزام بتبديل في بنى النظام القائم ، وان أي تبديل في بنى هذا النظام ، سيقود حتما الى تبديل في كيان الدولة اللبنانية ٠

انها الخديعة الكبرى التي تمارسها القوى الرجعية بمنطق ماكر مدروس ، حفاظا على مصالحها وامتيازاتها ، وهي بذلك ، تضلل المواطنين الشرفاء ، وتزور اراداتهم الثورية بتفسيرها تفسيرا خاطئا ، وتحاول ان تضع قيودا واغلالا في عقول الخائفين والمترددين ، فتمنعهم من التطور والتحرك الى أمام ٠

ولكن هل يستطيع هذا المنطق الماكر أن يمارس دائما هذه الخديعة مع الجماهير ٠

الجواب : كلا

ونوضح فنقول :

ان العوامل الداخلية التي طرأت في لبنان ، هي رغم صلتها العميقة والوثيقة بالاحداث السياسية العربية المجاورة ، يبقى لها طابعها الداخلي اللبناني ، بحيث يجب أن ننظر اليها من خلاله ليسهل علينا فهمها وتحليلها ٠

ان لبنان كما هو معروف يتبع في سياسته الاقتصادية ، نظام الاقتصاد الحر ، القائم بشكل رئيسي على قطاعي التجارة والخدمات ٠

هذا النظام استطاع بذكائه ومرونته أن يستغل ظروفا عربية ودولية معينة ، وأن يجعل من بيروت قاعدة لعمليات مصرفية ضخمة ، ومركزا لتجارة عربية وعالمية أوصلته في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، الى مرحلة اقتصادية مزدهرة ، درج البعض على تسميتها بالاعجوبة اللبنانية ٠

ان قوى العمل في لبنان كانت في مراحل الاستقلال الاولى ، وحتى منتصف الستينات أقل بكثير من قدرة سوق العمل النامية على التوظيف والاستيعاب ٠

من هنا كان يبدو النظام في بنائه الاقتصادي والسياسي ، ولو ظاهريا على الاقل صحيحا ومعافى ٠٠٠ لانه بالفعل كان قادرا دائما على امتصاص طاقات العمل الجديدة ، وظل الامر على هذه الصورة حتى كان سقوط بنك أنترا ، ثم سقوط بعض المصارف الاخرى ، ثم نكسة حزيران التي أدخلت المنطقة العربية كلها في دوامة القلق والاضطراب والحرب ، عند ذاك اهتز الوضع الاقتصادي في لبنان وبدأ يترنح ٠

وأخذت تبرز مرحلة سياسية جديدة ، فأدرك المواطنون ، وفي مقدمتهم حماة النظام اللبناني وفلاسفته وقادته ، أن نظامهم بدأ يتزعزع ، وانهم قادمون على أزمة خانقة ، وأن الاعجوبة اللبنانية بدأت تنهار ٠

يضاف الى ذلك ، أن الازدهار المؤقت الذي تحدثنا عنه ، جعل الدولة - بضغط من الاحزاب الوطنية التقدمية - تتوسع في مشاريع التطوير والانفاق ، وخاصة مشاريع التعليم في مرحلتيه الثانوية والجامعية ، فكان أن انقلبت المعادلة خلال سنوات ، وخرجت الى سوق العمل قوى عاملة جديدة ، لم تعد سوق العمل بقطاعيها العام والخاص قادرة على امتصاصها واستيعابها ٠

ووقعت نكسة حزيران بعد سقوط انترا ٠٠ وتحول الجمود في حركة الاقتصاد اللبناني الى تراجع ٠

وبدأت الازمة تشتد .. ثم قامت اسرائيل باعتداءاتها على الجنوب ، واغارت على مطار بيروت المدنى ، فدمرت الطائرات المدنية على أرضه ، دون أن تلقى أية مقاومة ، واكتشف اللبنانيون عجز نظامهم وخوفه من مواجهة العدو ، فخرجت الجماهير الى الشوارع غاضبة طموحة مزمجرة ، تطالب بالتغيير وبأن يكون لها دور فى هذا التغيير .

وفجأة وجد النظام الحاكم نفسه مطوقا ...

● تراجع فى سوق العمل .. وبطالة .. ويأس يدفع اللبنانيين الى الهجرة ، وربما الى الثورة .

● ثورة فلسطينية ، نامية فى حركة شجاعة ، تستقطب آمال وطموح الطلبة والشباب اللبنانيين .

● عجز عن مواجهة العدو ، واختباء جبان وراء شعارات وكلمات جوفاء ، تمارس على اكثر من صعيد رسمى .

● عدم القدرة على الانفاق ، فى مشاريع التطوير والتنمية ، وأحاديث عن سياسة اقتصادية ، لا يثق بها اللبنانيون ولا يؤمنون بصحتها ، ولا يصدقون قائليها .

لقد خلقت الاحداث المتتالية ظروفا اجتماعية وسياسية جديدة ، كشفت فراغ النظام السياسى القائم ، ودفعت الجماهير الى المشاركة عمليا فى رسم السياسة العامة ، فبرزت فى المدارس والجامعات وفى صفوف النقابات شعارات تدعو الى التغيير . كما ظهرت بهذا المعنى نفسه ملصقات فى الساحات العامة وعلى جدران الشوارع فى المدينة والملحقات .

كل ذلك حدث فى الايام الاولى لكارثة المطار ، والنظام لا يتحرك ولا يدافع عن نفسه حتى ولو بكلمة .. فكأنه كان يسترد أنفاسه من هول المفاجأة ، ويراقب ويحلل ، ويتهيأ لخطة العمل المقبلة ، ولقد افزعه أن تهتز الارض تحت قدميه وتميد ، انه لا يريد أن يعترف بالظروف الجديدة التى اخذت تهز المجتمع اللبنانى ، انه يتصور — وهذه خطيئته المميتة ، خطيئة كل نظام رجعى استغلالى ربما — ان فى قدرته تسوية المواقف وقتل الافكار وايقاف حركة التاريخ .

وتصور النظام ، بتحليله الغبى للوقائع والاحداث ، أن الازمة يمكن حلها ، اذا هو وجه ضربة قاضية للمقاومة الفلسطينية ، بعد أن يحملها مسئولية دفع اسرائيل للاعتداء على مطار بيروت ، على أن ينتقل بعد ذلك الى تصفية مؤيدى الثورة الفلسطينية ، ثم الى بعثرة التيار الوطنى النامى بقوة غريبة وديناميكية متفجرة .

لقد كان يجهل حتى تلك المرحلة ، سقوط المنطق القائل ، بامكان فصل الثورة الفلسطينية عن جماهير الشعب اللبنانى ، كما كان لا يدرك أيضا ، أن تلاحم الجماهير العربية فى لبنان وتلاقيها مع نضال الثورة العربية ، انما هو تلاحم وتلاق عفوى لا يمكن دحضه .

وتحرك النظام هذه المرة ، ولكن ليس بالمنطق الماكر ..

لقد سقط منطقه هذا ... فلجأ الى العنف .

ووقعت مجزرة ٢٣ نيسان (أبريل) سنة ١٩٦٩ .

ثم اعقبتها احداث تشرين أول (أكتوبر) سنة ١٩٦٩ ثم جاءت أحداث آذار (مارس) سنة ١٩٧٠ . ان هذه الحوادث لم تكن وليدة الصدفة أبدا ، انها سلسلة من المؤامرات نفذت بأوقات متباعدة وبأشكال مختلفة ، ولكنها كانت تلتقى دائما عند غرض واحد ، هو ضرب المقاومة الفلسطينية ، ثم ضرب القوى التقدمية والوطنية فى جميع مواقعها ، وبذلك ينقذ النظام الرجعى رأسه من السقوط ، ولا بأس فى أن يكون الثمن سقوط رؤوس عربية ولبنانية كثيرة .

ووقفت جماهير الشعب العربى فى لبنان ، فى بيروت والجنوب وطرابلس والبقاع والشمال وفى كل مكان ، تحمى بنضالها وسلاحها وشهدائها الثورة الفلسطينية من المؤامرة ، وتؤكد تلاحمها واتصالها أكثر بهذه الثورة ، وترفض السياسات المريبة المرتبطة بمصالح الاستعمار والصهيونية والطبقة الرجعية الحاكمة .

فى أثناء هذه المسيرة الدامية التى سقط فيها شهداء كثيرون ، كان الحزب التقدمى الاشتراكى بجميع قواه الحزبية والشعبية ، وبشخص رئيسه كمال جنبلاط يتصدى لهذه المؤامرات ، فيفضحها ويحبطها .

كان يعلن :

● شرعية الثورة الفلسطينية .

● حق الشعب الفلسطينى فى تحرير أرضه .

● حق الثورة الفلسطينية على لبنان بالدعم الكامل الفعال .

● واجب الالتحام اكثر فاكثر باهداف واستراتيجية الثورة العربية .

● واجب تطوير النظام السياسى فى لبنان ، واشراك القوى الجديدة من أحزاب وطلاب ونقابات فى رسم السياسة العامة .

● واجب ضرب المصالح الاستعمارية المتحالفة مع الصهيونية ، والانفتاح على المعسكر الاشتراكى الصديق والتعاون معه

● واجب اعادة الجو الديمقراطى السليم الى البلاد ، بعد أن عبثت بالامن وتجاوزت على الحريات العامة فئات كانت وهي تفعل ذلك ، تدعي حفظ الامن وصون هذه الحريات .

وطبيعى أن تكون هذه المطالب انعكاسا لموقف الحزب التقدمى الاشتراكى من معركة الرئاسة المقبلة فى لبنان .

ان الاحداث العربية والدولية بتأثيرها الاكيد على الاوضاع الداخلية فى لبنان ، وتفاعل الجماهير اللبنانية معها ، لم تعد تحتمل أبدا أن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية المقبل رئيس تسوية ، ينشط الى الترميم والترقيع .

ان الحزب التقدمى الاشتراكى ، يرى على ضوء الصورة التى رسمها فى هذا البحث ، أن رئيس لبنان المقبل ، مدعو الى احداث ثورة سياسية واقتصادية واجتماعية فى حياة المواطن اللبنانى :

١ — أن يعيد الى البلاد المناخ الديمقراطى السليم ، وحكم الرأى والقانون والشرعية ، وذلك بازالة أجواء التسلط ، الذى يمارسه أحد الاجهزة العسكرية .

٢ — ان يعترف بالظروف الجديدة التى نشأت ، والتى لا يمكن أبدا اهمالها أو اغفالها .

٣ — أن يطور النظام السياسى بغية اشراك القوى الجديدة فيه .

٤ — أن يعلن سياسة اقتصادية تقدمية ، تضع فى رأس مشاغلها واهتماماتها مصالح العمال والطلاب والفلاحين ، والطبقات الوسطى والدنيا من الشعب اللبنانى ، وليس مصالح الاوليغارشية الحاكمة كما هى الحال الان .

٥ — أن يسهم فى توسيع رقعة الحريات العامة ، وذلك بتمكين جميع القوى السياسية من ممارسة نشاطاتها الفكرية بحرية تامة .

٦ — أن يبادر الى وضع وتنفيذ خطة ترمي الى اعداد الشعب وتعبئته للقيام بواجب الدفاع عن البلاد والاشتراك فى معركة المصير العربى .

٧ — أن يمد يدا واثقة ومخلصة وغير خائفة الى الاخوة الفلسطينيين بغية اقامة تعاون صحيح معهم ، يعود بالقوة والمنعة على لبنان والثورة الفلسطينية ، ويكفل تنفيذ اتفاق القاهرة .

٨ — أن ينهج سياسة عربية تقدمية تتعاون مع الانظمة العربية الثورية فى محاولة جدية لاستعادة ثقة تكاد تكون الان مفقودة .

٩ — أن يتحرر من عقدة الخوف والحذر فى علاقاتنا مع دول المعسكر الاشتراكى ، وأن يتجه نحو تعاون سياسى واقتصادى وثقافى أوثق مع هذه الدول .

١٠ — ان يتحرر من ضغوط الدول الاستعمارية التى لا تريد لبنان الا مشروعا بين مشاريعها الاقتصادية الرابحة ، ومنطقة نفوذ لها خارج حدودها .

نعود فنطرح السؤال من جديد :

لماذا كل هذا الاهتمام غير العادي بانتخابات رئاسة الجمهورية المقبلة فى لبنان ؟

وهذا الاهتمام .. ما مصدره ؟ وهل هناك عوامل جديدة طرأت على معركة رئاسة الجمهورية فأثارت هذا الاهتمام ؟

هذا السؤال يطرحه اللبنانيون على أنفسهم كل يوم ، فكأنه اشارة قلق وخوف من شيء مجهول ... أو هو بعبارة أخرى تعبير واضح وصريح عن احساس الجميع واقتناعهم بأن معركة الرئاسة المقبلة مرشحة لان تكون أكثر خطورة وأهمية واثارة ، من كل المعارك السابقة . **فهل هذا صحيح ؟ ولماذا ؟ ..**

الحزب التقدمى الاشتراكى يقول نعم .

وفى البحث الذى قدمناه ، الجواب ، مع كل الاسباب .

« الامانة العامة »

نظـــام الحـــكم

فى اليمن الجنـوبية

والمهـــام الدســـتورية لمرحلـة الثـورة الوطنيـة الديمقراطيـة

د . جمـال العطيـفى

فى يوم ٢٢ يونيو الحالى ، يكون قد انقضى عام منذ « خطوه تصحيح مسار الثوره » التى بدات تخلق قيادة جماعة على مستوى الدولة والتنظيم السياسى فى اليمن الجنوبية الشعبية ، التى سارت قدما نحو ارساء مرحلة التحول الى الاشتراكية ، فأصدرت فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ قانون المؤسسة الاقتصاديه للقطاع العام والتخطيط القومى الذى تقرر بموجبه تاميم جميع البنوك والمصارف وفروع المصارف والبنوك الاجنبية ، كما تقرر تأميم الشركات والمنشات التجارية الاجنبية وشركات التامين واعادة التامين وفروعها وشركات خدمات الموانى وشركات توزيع النفط (عدا عمليات توزيع وقود البواخر والطيران ودهونها) .

وقد اعلنت القيادة السياسية للجبهة القومية بعد اعادة تشكيلها انها ستقوم باعداد دستور لهذه المرحلة التى سميت مرحلة الثورة الوطنيـة الديموقراطية ، وشكلت فعلا لجنة دستورية من **محمد على هيثم** رئيس الوزراء **وعبد الله الخامرى** وزير الثقافة والارشاد وكلاهما عضو فى اللجنة التنفيذية للجبهة القومية ، **وعادل محفوظ خليفة** وزير العدل وهو عضو القيادة العامة للجبهة القومية ايضا .

والدستور المقترح لهذه المرحلة يجب أن يكون تسجيلا لانجازات الثورة ، وتعبيرا عن تطلعاتها الى تحويل المجتمع اليمنى الى الاشتراكية . وبذلك سيكون اول دستور حقيقى لجمهورية اليمـن الجنوبية الشعبية « المستقلة » « المـوحدة» التـى تسير على طريق الاشتراكية . ولا بد له من ان يعكس طبيعة الدولة الجديدة التى تقوم على تحالف العمال والفلاحين الفقراء والبورجوازية الصغيرة المستجيبة لمهام مرحلة الثورة الديمـوقراطية الوطنية ، بعد أن كانت الدولة تعكس مصالح الطبقات المستغلة من السلاطين واعـوانهم والرأسمالية الطفيلية المتحالفة مع الاستعمار .

وقد يكون من المفيد قبـل عرض المبـادىء الاساسية التى يجب أن يتبناها الدستور المقترح ، ان نقدم له باشارة سريعة لنظام الحكم فى اليمن قبل الاستقلال .

نظام الحكم في ظل التجزئة

وهنا يجب ان نبرز الظروف الخاصة بعدن واختلافها عن المناطق الاخرى . فقد احتلت بريطانيا عدن منذ عام ١٨٣٩ ، وجعلتها ادارة بريطانية ملحقة مباشرة بالهند حينما كانت تستعمرها .. وكانت هذه الادارة انجليزية ـ هندية ، وفي عام ١٩٣٧ انفصلت ادارتها عن الهند واصبحت تحكم مباشرة من لندن ووضع لها دستور كمستعمرة تخضع لوزارة المستعمرات البريطانية وانشئت فيها محاكم نظامية يجلس فيها قضاة انجليز وهنود ، وطبقت فيها التشريعات المطبقة في المستعمرات واصبح لها مجلس تشريعي ذو اختصاصات مقيدة ، يعين اعضاؤه ثم سمح بانتخاب بعضهم ، واصبح لها وزارة يعينها الحاكم البريطاني الذى ظل يحتفظ بسلطات واسعة ، خصوصا في العلاقات الخارجية والدفاع والقواعد العسكرية .

اما بقية المناطق ، التى كانت تسمى بالمحميات الشرقية والغربية ، فقد اتخذت السيطرة الاستعمارية عليها شكلا مختلفا . فقد ارتبطت هذه المناطق التى كانت خاضعة لحكم سلاطين وامراء ومشايخ ، بمعاهدات حماية مع بريطانيا . وظلت هذه السلطنات وما اليها تحكم بواسطة اجهزتها المحلية تحت اشراف المقيم البريطاني او المستشار البريطاني ، او تحكم حسب تعبير هذه المعاهدات « وفق نصائحه » . وباستثناء بعض السلطنات مثل القعيطي والكثيرى ، التى عرفت نوعا من المجالس البلدية او مجالس الدولة الاستشارية ـ فان الحكم بصفة عامة كان حكما قبليا رجعيا مستبدا اقرب الى البدائية .

كانت اليمن الجنوبية اذن ممزقة الى عدد من السلطنات والامارات والمشيخات ، والتى وصل عددها في المحميات الغربية الى عشرين امارة وسلطنة ومشيخة . وفي المحميات الشرقية (حضر موت) الى عدد اقل هو خمس سلطنات .

لقد شجع الاستعمار هذه التجزئة والانفصالية . ولم يبدأ التفكير في نوع من الوحدة يبسط عليها السيطرة الاستعمارية ، الا بعد عام ١٩٥٠ .

نظام الحكم في ظل الاتحاد الفيدرالي

ودون الدخول في تفصيلات مراحل هذا التطور ، نصل سريعا الى آخر الاشكال الدستورية حينما اعلن في ١١ فبراير ١٩٥٩ عن قيام اتحاد امارات الجنوب العربي . اتحاد وقع عليه وزير المستعمرات البريطاني مع الامراء بحجة انه يقدم للامارات المساعدات الاقتصادية والعسكرية على أن يحظر عليها ان تعقد أى معاهدات او تتصل بدول او حكومات او منظمات دون موافقة بريطانيا ، بل لا يجوز للاتحاد ان يرفض اى رأى تبديه حكومة « صاحبة الجلالة » حول حسن سير الحكم !

وكان عدد الامارات التى انضمت الى هذا الاتحاد عند تأسيسه ست امارات . وهو الاتحاد الذى سمى بعد ذلك اتحاد الجنوب العربي ، والذى انشأ نظاما فيدراليا في عام ١٩٦٢ انضمت اليه عدن في يناير ١٩٦٣ .

وقد يكون من المفيد ان نعرض النظام الدستورى لاتحاد الجنوب العربي وفق آخر تعديلاته قبل الاستقلال .

فقد أنشأ هذا الدستوردولة فيدرالية عاصمتها قريبة من عدن وسميت مدينة الاتحاد (وهى حاليا تسمى مدينة الشعب) . واساس هذا النظام مجلس تشريعي للاتحاد سمى « المجلس الاتحادى » تمثل فيه الامارات بالتساوى فيما بينها فيما عدا عدن ، فقد استبقى لها أكثر من ربع أعضائه . ثم مجلس تنفيذى سمى بالمجلس الاعلى ، ووصل عدد وزرائه الى ١٧ ، منهم اربعة وزراء يمثلون عدن . وكانت اختصاصات الاتحاد تتناول اساسا الشئون الخارجية والدفاع والامن والتربية والصحة والنقد والجمارك ، كما استبقت كل قطاع الحكم الخاص . وظل الاجانب على قمة الجهاز الادارى .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا ما كانت تفرضه المادة ٧٣ من ميثاق الامم المتحدة من التزامات على عاتق بريطانيا في النهوض بالاقاليم التى كانت تسيطر عليها . ولعل الرجوع الى الابحاث التى نشرت في الطليعة(١)، عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى خلفها الاستعمار ، مما يكشف بوضوح عن مدى انتهاك بريطانيا لالتزاماتها تجاه اقاليم اليمن الجنوبية وفق ميثاق الامم المتحدة .

ومن خلال الكفاح المسلح للشعب اليمنى الذى قادته الجبهة القومية وبعض القوى التقدمية والوطنية الاخرى ، في ثورة ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ ، خلقت الظروف الموضوعية للوصول الى وحدة حقيقية لاجزاء اليمن الجنوبية ، ووحدة لقوى الشعب المنتجة ، وسقطت الامارات واحدة بعد الاخرى ، واصبحت تحت سيطرة الجبهة القومية ، واضطرت بريطانيا الى تقديم تاريخ استقلال اليمن الجنوبية الى نهاية نوفمبر ١٩٦٧ بدلا من التاريخ

---

(١) راجع عدد ديسمبر ١٩٦٨ .

الذى كانت قد حددته قبل ذلك وهو ٩ يناير ١٩٦٨ ٠ ووقع ممثلو الجبهة القومية وثيقة الاستقلال فى جنيف فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، لتنشأ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

نظام الحكم في فترة الانتقال

نشأت الدولة الجديدة على انقاض امارات مبعثرة وحكم قبلى متخلف ٠ ولم تكن هناك اجهزة للحكم جاهزة وقائمة ـ فيما عدا عدن ـ وحتى بالنسبة لعدن ، كانت فى معظمها اجهزة تنتمى الى الحكم الاستعمارى فكرا ووجودا ٠ وبحكم الظروف التاريخية التى اقتضت أن تتسلم الجبهة القومية زمام سلطة الدولة باعتبارها السلطة الفعلية الممثلة للشعب اليمنى فى الجنوب ، كان لا بد من تنظيم ما فى الفترة التى اعقبت الاستقلال مباشرة ٠

ومما يلفت النظر انه لم يقع بعد ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ اى نوع من الفوضى التشريعية والدستورية التى يمكن ان تقترن بها الثورات ٠

ففى نفس يوم ٣٠ نوفمبر صدر اول قرار للقيادة العامة للجبهة القومية بعد توليها سلطة الدولة ، معلنا للجمهورية الجديدة ، ومحددا اقليمها وعلمها ، ومخولا القيادة العامة للجبهة القومية سلطة التشريع ، حتى يتم اعداد دستور مؤقت ومقررا ان الجبهة القومية هى التنظيم السياسى الوحيد فى الجمهورية ، وان نظام الحكم نظام رياسى ٠

وفى هذه الظروف كان لهذا القرار مبرراته حينما عهد بسلطة التشريع الى القيادة العامة للجبهة القومية . فمع ما فى ذلك من الناحية النظرية من خلط بين طبيعة التنظيم السياسى وهى الجبهة القومية ، وبين سلطة الدولة ـ الا انه من الناحية العملية ، كان الاجراء الذى لا خيار غيره للمحافظة على سلامة الدولة الجديدة ، باعتبار أن الجبهة القومية هى التى كانت تمسك فى زمام يديها السلطة الفعلية ٠

أما الشق الآخر من القرار الذى جعل نظام الحكم نظاما رياسيا ، فلعله كان قرارا متعجلا كما اثبتت الحوادث والتطورات التى جرت بعد ذلك ٠

وتحدد النظام الدستورى للحكم على هـذا الاساس : رئيس جمهورية عينته الجبهة القومية لمدة سنتين ، وجعلته القائد الاعلى للقـوات المسلحة ، وهو الذى يشكل الوزارة ٠

وقد لحق هذا الهيكل عدة تعديلات هامة ..

فبعد أن كانت القوانين التى يصدرها رئيس الجمهورية تصدر بموافقة القيادة العامة للجبهة القومية ، اصبحت تصدر استنادا الى تفويض منها ، وبعد بعض الانتكاسات التى وقعت فى مارس ١٩٦٨ بعد مؤتمر الجبهة القومية الرابع فى زنجبار ٠

وقد تلى ذلك عدة وثائق سياسية هامة ، منها مقررات مؤتمر الجبهة القومية الرابع الذى عقد فى زنجبار فى مارس ١٩٦٨ ، ثم برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى الذى اقرته القيادة العامة للجبهة القومية فى اكتوبر ١٩٦٨ ٠

وقد أظهرت بعض الانتكاسات التى وقعت خلال مسار الثورة ، ان هناك اتجاها الى تركيز السلطة فى يد رئيس الجمهورية ، واتجاها آخر يرمى الى الحد منها وتوزيعها ٠ ولعل اختيار رئيس للوزراء فى ٦ أبريل ١٩٦٩ كان رغبة فى التوفيق بين الاتجاهين ٠

على أن الامر لم يكن مجرد صراع على السلطة بل كانت له خلفيته الفكرية ، بين اتجاه ننسب الى انه كان يرمى الى تجميد الثورة واتجاه كان يرى السير بها قدما الى الامام فى طريق التحول الى الاشتراكية ٠

وحينما قبلت استقالة رئيس الجمهورية فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ ، قررت القيادة العامة فـى نفس التاريخ تشكيل مجلس رياسة من خمسة اعضاء وعينت رئيسا له من بين اعضائه هو الاخ **سالم ربيع على** بينما عين عضو آخر هو الاخ **على هيثم** رئيسا للوزارة ٠ وانتهى الامر فى تنظيم سلطة الدولة الى أن اصبح مجلس الرياسة منذ ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ مكونا من ثلاثة اعضاء ، رئيس المجلس والامين العام لتنظيم الجبهة القـومية ورئيس الوزراء ، اى أن مجلس الرياسة اصبح مشكلا من اعضاء بحكم وظائفهم فى سلطة الدولة او مراكزهم فى التنظيم السياسى ٠ كما اعيـد تشكيل اللجنة التنفيذية العليا للقيادة العامة للجبهة القومية من تسع اعضاء من بينهم امين عام الجبهة القومية الاخ **عبد الفتاح اسماعيل** والاخ **سالم ربيع** رئيس مجلس الرياسة والاخ **محمد على هيثم** رئيس الوزراء ٠

فالصورة السياسية الان فى فترة الانتقال رغم عدم نصوص صريحة منظمة ، أن القوانين اصبحت تصدر بعد موافقة اللجنة التنفيذية للقيادة العامة للجبهة القومية ومجلس الرياسة وهى تعرض بطبيعة الحال قبل ذلك على مجلس الوزراء ٠

واعضاء اللجنة التنفيذية للجبهة القومية ، اما اعضاء فى مجلس الرياسة او فى مجلس الوزراء ٠

وظاهر ان هذا الوضع الذى ينطوى على ادماج سلطة الدولة فى سلطة التنظيم السياسى ، وضع مؤقت بطبيعته اقتضته الظروف ، وانه قد أصبح من الضرورى صيانة للثورة ودفعا لها ان يوضع دستور لهذه المرحلة ، يميز بين سلطة الدولة وسلطة التنظيم السياسى ، ليصبح التنظيم السياسى القائد المحرك للجماهير والموجه لسلطة الدولة دون أن يندمج فيها ٠

ومع ذلك فان الوضع الدستورى فى فترة الانتقال ، كان يتميز بنواح ايجابية هامة :

منها ، انه فى ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ قسمت الجمهورية الى محافظات ست من المحافظة الاولى الى السادسة بدلا من الامارات والمشيخات والسلطنات السابقة ٠ فهو قرار يدعم الوحدة الوطنية ويقضى على آثار التجزئة السابقة ٠

ومنها المبادرة بمرسوم جمهورى صدر فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٧ الى تخويل جميع المحاكم حق الاستمرار فى مباشرة صلاحياتها وتطبيق القوانين والانظمة القائمة منذ قبل الاستقلال مع تقييد ذلك « بعدم تعارضها مع مصالح الثورة وأهدافها وسيادة الجمهورية وحتى اصدار قوانين اخرى » .

ومنها ، ان هذه السنوات التى انقضت منذ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ والتى توشك ان تدرك منتصف السنة الثالثة — ورغم أى معوقات اوخطأ فى المسار — قد قدمت تصورا لما يمكن أن يتضمنه الدستور المقترح ٠

لقد صدر قانون الاصلاح الزراعى ، حدد الحد الاقصى للملكية الزراعية وصادر أملاك السلاطين ، وصدر قانون التأميم والمؤسسة الاقتصادية للتخطيط ، وصدر قانون الجنسية ، وعدلت أحكام كثيرة فى قوانين العمل ، وأصبح صدور قانون جديد للنقابات أمرا وشيكا ، ووضعت نظم للجمعيات التعاونية الزراعية ، وصدر قانون للادارة المحلية ، وعدلت قوانين الضرائب ، وحددت المرتبات وخفضت ايجارات المساكن ٠٠ وكلها مؤشرات هامة على طريق الاشتراكية ٠

الدولة والمجتمع فى الدستور المقترح

من أهم الامور فى أى تنظيم دستورى تفهم نظرية الدولة وتطبيقها ٠ فالدولة نتاج المجتمع ، وهى ظاهرة طبقية تعبر عن مصالح الطبقة السائدة ٠ ورفع الطبقة العمالية وحلفائها من فقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة ، الى أن تصبح الطبقة السائدة ، لابد وأن ينعكس على صورة الدولة .

واليمن الجنوبية الشعبية دولة تقوم على تحالف قوى الشعب المنتجة ، ومن ثم فان صيغة هذا التحالف يجب أن تجد مكانها فى الدستور باعتبارها أساس سلطة الدولة ٠

وكما أن هذا التحالف أساس لسلطة الدولة ، فهو أساس للتنظيم السياسى وهو التعبير المنظم للمجتمع ٠

وقد برزت صيغة هذا التحالف كأساس للتنظيم السياسى فى الميثاق الوطنى الذى وافق عليه أول مؤتمر للجبهة القومية فى يونيو ١٩٦٥ ، كما برز تحليل وضع الطبقات المنتمية الى هذا التحالف فى برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى فى اكتوبر ١٩٦٨ ٠ ولكنه لم يتخذ صيغته النهائية الا بعد ٢٢ يونيو ١٩٦٩ حيث حدد التحالف مع الفلاحين بأنه تحالف مع فقراء الفلاحين ، وحيث حدد التحالف مع البورجوازية الصغيرة بأنها المستجيبة لمهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ٠

وتترتب على هذه النظرة الى الدولة عدة نتائج هامة :

١ — **النتيجة الاولى :** الاخذ بنظرية وحدة السلطة فى تنظيم الدولة ٠ فالسلطة واحدة وهى للشعب المنتج ٠ أما نظرية فصل السلطات التى درج عليها الفكر الليبرالى كضمان للحريات ، فانها قد تكون مفهومة فى مجتمع لا تمثل الدولة فيه مصالح الاغلبية العاملة ، وهو بعد لا يتفق مع قيام تنظيم سياسى واحد سواء أكان حزبا أو جبهة .

ويترتب على ذلك وجوب أن تتمثل سلطة الدولة فى مجلس شعبى منتخب على مستوى الجمهورية ، وهذا المجلس هو الذى ينتخب مجلس رياسته ٠ ومجلس الرياسة هو الذى يتولى اختصاصات المجلس الشعبى فى فترات ما بين أدوار انعقاده ٠ وهو الذى يشكل الوزارة ٠ وتصبح الدولة ذات وظائف تشريعية وتنفيذية وقضائية تتولاها أجهزة تنبثق من المجلس الشعبى ٠ وما دام المجلس الشعبى هو الذى يمثل سلطة الدولة العليا ، فلا يجوز حله ٠ اذ لا يتصور أن يكون لجهاز منبثق منه مثل مجلس الرياسة أو الحكومة هذه السلطة ٠

ولكن المجلس قد يرى أن يحل نفسه بقرار يصدره هو بناء على طلب يقدم من نسبة معينة من

أعضائه أو من مجلس الرياسة ، وهى حالة لها مثيل فى الدستور الجديد لالمانيا الديموقراطية حيث ينص فى المادة ٦٤ على انيجرىحل مجلس الشعب قبل انتهاء مدته بقرار خاص من المجلس ذاته بموافقة ثلثى أعضائه ٠

٢ ــ **النتيجة الثانية** : ان الضمان الوحيد لكىلا تتحول الدولة الى سلطة فوق المجتمع وتنعزل عنه تدريجيا ، أن يكون من الجائز دائما سحب الثقة من اجهزة السلطة أو ممثليها ٠

ومن ثم فانه يجب أن ينص على جواز سحب الثقة من عضو المجلس الشعبى بناء على قرارمن دائرته الانتخابية ، كما يجوز سحب الثقة من عضو مجلس الرياسة أو من الحكومة بقرار من المجلس الشعبى ٠

ان هذا وحده هو الذى يضمن الا تتحول دولة قوى الشعب المنتجة الى دولة من البيروقراطيين ٠

٣ ــ **النتيجة الثالثة** : ان نقل سلطة الدولة تدريجيا الى المجالس الشعبية المنتخبة غاية يجب أن يتغياها الدستور الاشتراكى ، وهو ما يقتضى تشكيل مجالس شعبية محلية على مستوى المحافظات والمديريات والمراكز .. بل وأن يصل المجلس الشعبى الى القرية ٠

وهنا يجب عند تنظيم المجالس الشعبية أن يراعى أمران تستوجبهما ظروف اليمن الجنوبية :

أولهما : أن تتأكد فى نفس الوقت وحدة السلطة المركزية، فى دولة نشأتنتيجة توحيد عدة امارات ومشيخات وسلطنات فرقها الاستعمار لفترة طويلة ٠ فاختصاصها يجب أن يكون منصرفا أساسا الى رقابة أجهزة الدولة التنفيذية والى الموافقة على مشروع الميزانية المحلية التى تعتمد بعد ذلك من السلطة المركزية ومناقشة خطة التنمية بالنسبة للمشروعات الداخلة فى نطاق دائرة المجلس الشعبى والى اختصاصات محدودة فى التشريع المحلى الذى لا تكون له أى انعكاسات على الوحدة التشريعية مثل فرض الرسوم المحلية ، باستثناء الرسوم التى قد تتضمن قيدا على حرية تنقل الاشخاص والاموال من محافظة الى أخرى .

ثانيهما : ان الاخذ بنظام المجالس الشعبية قد يقتضى نظريا أن يبدأ به من القاعدة الى القمة ٠٠ من القرية الصغيرة حتى يصل الى المجلس الشعبى الاعلى ٠ ولكن الظروف العملية وما تقتضيه من تدرج قد يقتضى ترتيبا مختلفا ، فضلا عن أنه قد يقتضى البدء بهذا النظام فى الاقاليم التى تكون أكثر استعدادا بحكم ظروفها وتجاربها السابقة ٠

التنظيم السياسى وسلطة الدولة

ينصرف الدستور أساسا الى تنظيم سلطة الدولة ٠ والتنظيم السياسى هو تنظيم يقوم خارج تنظيم سلطة الدولة ، وان كان هو الذىيؤثر فيها ويوجهها ويقودها ٠

ولو رجعنا الى دساتير الدول الاشتراكية المختلفة ، لتبين لنا أنه ما من دستور منها يتضمن نصوصا منظمة للتنظيم السياسى أو الحزب ، وانما ترد بشأنه عبارة واحدة تشير الى انه يقوم بالدور الطبيعى للطبقة العاملة ٠ (مثال المادة ١٢٦ من الدستور السوفييتى ، والمادة ٤ من الدستور التشيكوسلوفاكى ، والمادة ٣ من دستور المانيا الديمقراطية ، والمادة ٣ من دستور رومانيا] ٠

وكما نبه لينين فى أكثر من مرة ، فان الحزب ليس هو الدولة او أى جهاز من اجهزتها ، فهو لا يمكن أن يحل محل الدولة ، كما أن أجهزة الحزب المختلفة لا يمكن أن تحل محل أجهزة الدولة ٠ فكل مواطن يخضع لسلطة الدولة حيث أنها تمثل تنظيما الزاميا تتوافر لديه وسائل القهر والاكراه ، أما الحزب فهو تنظيم اختيارى يتكون من أكثر المواطنين وعيا وصلابة ٠ وهو لا يملك أدوات مادية للاكراه، كما انهيستقلبوضع قوانينه ونظمه التى لا تلزم الا أعضاءه ٠ كما نبه الىانهمنالخطأأن تحل قيادة الحزب محل قيادة البروليتاريا ، أو أن يكون للحزب احتكار سلطة الدولة ٠ (لينين ــ جزء ٩ ، خطابه فى مارس ١٩١٩ فى مؤتمر الحزب الشيوعى الثامن) ٠

ومن ثم فانه اذا كانت الظروف والمهام التاريخية التى سبق عرضها قد اقتضت فى فترة الانتقال فى اليمن الجنوبية الشعبية أن تتولى الجبهة القومية مسئوليات سلطة الدولة ، فانه عند وضع دستور لهذه المرحلة يجب المحافظة على طبيعة التنظيم السياسى ، واختلافها عن سلطة الدولة .

وهذا النظر نفسه هو الذى ينعكس على النقابات وغيرها من المنظمات الجماهيرية ٠ فبينما كانت وجهة نظر تروتسكى أن تتحول النقابات الى مراكز تابعة للدولة ، كان لينين يحارب كل اتجاه لجعل النقابات تابعة للحزب أو للدولة حتى لا تفقد قدرتها النضالية وقدرتها على تحريك طاقات الجماهير الخلاقة . [لينين جزء ٣٢ ــ النقابات ، الموقف الحالى] ٠

فالانتماء الى التنظيم السياسى يجب ألا يصبح شرطا لمباشرة الحقوق السياسية ، أو الحقوق

النقابية والاجتماعية ، والا تحول التنظيم السياسى الى احدى نتيجتين : فاما أن يصبح محتكرا للعمل السياسى وحده منعزلا عن الجماهير العريضة بينما هو طليعة لها ، وأما أن ينفتح بابه لعناصر غير مؤمنة ترى فى الانضمام اليه امتيازا للوصول الى السلطة فحسب .

وقد يسأل البعض بعد ذلك : ماذا يكون دور التنظيم السياسى ؟

والاجابة على هذا السؤال ، نجدها فى طبيعة التنظيم السياسى ، كتنظيم اختيارى يضم طليعة واعية مناضلة ، ميدانه مع الجماهير . فبقدر نجاح التنظيم السياسى فى كسب الجماهير لقضيته ، وبقدر التفافها حوله ، بقدر ما يمكنه أن يمارس من تأثير على سلطة الدولة .

فهو الذى يؤثر بفعاليته فى مجرى الانتخابات العامة عند اختيار المرشحين للمجلس الشعبى الاعلى والمجالس الشعبية المحلية . وهو الذى يؤثر بفعاليته حينما يحرك الجماهير لسحب الثقة من عضو فى المجلس اذا انحرف عن الخط الذى رسمه . وهو الذى يخوض مع الجماهير معاركها اليومية ضد خطر البيروقراطية . وهو الذى يعبىء الجماهير حول برامجه . فلو كان من رأى التنظيم السياسى مثلا ، أن أسلم طريق فى التصرف فى الأراضى الزراعية المصادرة هو اقامة مزارع جماعية أو تعاونية بدلا من توزيعها على الفلاحين ــ فانه يجب أن يبدأ بتعبئة الجماهير حول اقتراحه ، وحينما تقتنع الجماهير ، يتحول اقتناعها الى ضغط على سلطة الدولة . ثم أن سلطة الدولة التى تتركز أساسا فى المجلس الشعبى الاعلى ، منبثقة من الجماهير ، والتنظيم هو الذى حركها وهو الذى عمل بوسائل التعبئة السياسية ، لا بالوسائل الادارية ، على انجاح مرشحيه . عندئذ يصبح التنظيم السياسى أكثر قوة وفاعلية . فهو الذى يحكم فى الواقع ويسود ولكنه لا يحكم مباشرة ، ولكنه يحكم بواسطة الجماهير ، وعن طريق أجهزة سلطة الدولة التى يحيطها برقابته والتى تنتمى أصلح عناصرها اليه .

مشكلات الانتخابات

واذا كانت الانتخابات هى الوسيلة الديموقراطية التى يمكن عن طريقها لجماهير الشعب المنتج أن تمارس حقوقها السياسية ، فان مبدأ الاقتراع العام السرى المتساوى هو الذى يجب أن يسود أى تنظيم دستورى ديموقراطى .

وبتجريد البورجوازية من أسلحتها الاقتصادية عن طريق تحويل ملكية ادوات الانتاج الى ملكية اجتماعية ، سينفتح الباب أمام قوى الشعب المنتجة للسيطرة على سلطة الدولة .

وتثور الصعوبة بالنسبة لحق الترشيح فى ظل نظام اشتراكى لا يعترف الا بتنظيم سياسى واحد فهل يعتبر هذا الحق وقفا على من ينتمون الى هذا التنظيم السياسى وكيف يتم الترشيح ؟

أجبنا على الشق الاول من السؤال ، من أن لجماهير الشعب المنتجة الحق فى ممارسة حقوقها السياسية فى الانتخابات والترشيح ولو لم تكن منتمية الى التنظيم السياسى لان مصالحها متفقة مع المصالح التى يدعو التنظيم الى تحقيقها ، ولان هذه الجماهير هى صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحول الى الاشتراكية ، ولان المبدأ الديمقراطى يقتضى أن يكون الحكم **لا لمصلحة الشعب فحسب بل بواسطة الشعب أيضا** . واعضاء التنظيم السياسى هم الطليعة الواعية ولكنهم ليسوا الشعب بأسره . وقد قال لينين مرة : أن انخفاض مستوى الوعى الثقافى قد جعل من السوفييتات مع أنها بحكم برنامجها ، أجهزة الدولة بواسطة العمال ، اجهزة للدولة من أجل العمال تمارسها الفئات المتقدمة من البروليتاريا لا الجماهير العاملة (لينين ، جزء ٣٣ ، الموقف الدولى والداخلى) .

وكلما أمكن الوصول الى خلق وعى ثقافى وسياسى كلما أمكن أن يصبح شعار حكم الشعب نفسه بنفسه حقيقة واقعة . ومن ثم فان القضاء على الامية من أهم مهام التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية فى اليمن فى هذه المرحلة ومع ذلك فمن الانصاف أن أقرر أن ما لمسته بنفسى خلال مناقشاتى مع فئات مختلفة من جماهير الشعب العامل ، مع العمال والصيادين والفلاحين والمزارعين والشباب والجنود ، بل والفتيات المحجبات ، قد أكد لى أن الشعب اليمنى قد اكتسب خبرة النضال ضد الاستعمار خلال ثورته المسلحة ، يتمتع بصفة عامة بوعى طبقى لم تؤثر فيه كثيرا الارتباطات القبلية والعشائرية ، ولا تخلف الحكم الرجعى فى الامارات والسلطنات السابقة .

والواقع أن عدن بالذات قد عرفت نوعا من التجارب الانتخابية ، وان كانت طبيعة الوضع الاستعمارى الذى كانت تعيش فى ظله قد انعكس على هذه التجارب وشوهها .

والان ، كيف يمكن ان يمارس الشعب اليمنى حقوقه السياسية فى الترشيح ؟

ان الاجابة النظرية على ذلك ، من واقع تجارب الدول الاشتراكية الاخرى، تقتضى انيكون حق الترشيح للحزب وللمنظمات الجماهيرية مثل النقابات والاتحادات والتعاونيات ، وهى مفتوحة العضوية لكل فئات قوى الشعب المنتجة ولو لم تكن منتمية الى الحزب .

غير أن تطبيق هذا المبدأ على اليمن الجنوبية فى ظروفها الحالية قد يكون أمرا سابقا لاوانه ، لان المنظمات الجماهيرية لا زالت ضعيفة وهى لم تنتشر بعد فى جميع محافظات الجمهورية . ومن ثم فلا مناص فى هذه المرحلة ولمدة محددة ، أن يعهد الى الجبهة القومية بالترشيح . والجبهة القومية فى ممارستها هذا الحق ، لا زالت تجمعا فسيحا لقوى الشعب المنتجة ، فهى لم تتحول بعد الى حزب وهى فى سبيل الانفتاح على القوى التقدمية الاخرى . أما اذا اقتضى هذا الانفتاح ، أن تتحول الجبهة القومية الىحزب يتحالف معاحزاب اخرى تقدمية تتبنى برنامج هذه المرحلة ، فان هذا التحالف قد يأخذ فى هذه الحالة شكل الجبهة الوطنية ، ويكون لهذه الجبهة فى هذه المرحلة أن تتولى الترشيح .

والواقع انه حتى فى البلاد ذات النظم الليبرالية، لا قيمة للترشيح عملا الا اذا تولته الاحزاب السياسية ، ويندر أن يتقدم للترشيح مواطن وتكون لديه فرصة الفوز الا اذا كان مستندا الى تأييد حزب سياسى ، أو الى تمويل رأسمالى . لذلك فان الحذر فى أول تجربة لانتخابات عامة قد يقتضى أن يكون حق الترشيح للجبهة القومية ، أو للجبهة الوطنية اذا تقرر تحويل شكل الانفتاح على القوى التقدمية الاخرى الى تحالف بين تنظيمات سياسية .

أما حرمان بعض المواطنين من حقوقهم السياسية فى الانتخابات والترشيح فانه يجب أن يكون محدودا واستثنائيا وقاصرا على العناصر المناهضة للنظام أو المنتمية الى قوى تقع خارج تحالف قوى الشعب المنتجة ، على أن يكون لهذا الحرمان أسبابه وضماناته ووسائل التظلم منه ، وعلى أن يكون مفهوما أن هذا الحرمان يجب الا يكون ابديا. فحسبما عبرت عنذلك المادة ١٩ من الدستور الصينى ذاته « تحرم الدولة وفقا للقانون، الملاك العقاريين الاقطاعيين والرأسماليين البيروقراطيين حقوقهم السياسية لفترة معينة، **وتهيء لهم فى الوقت نفسه سبيلا للحياة لكى يصلحوا أنفسهم بالعمل ، ويصبحوا مواطنين يعيشون على عملهم الخاص** » .

وقد نبه لينين بصدد حرمان البورجوازية الروسية منحقوقها السياسية الى انهذا الاجراء روسى محض، وانه يجبدراسة الظروف الخاصة بكل ثورة وتطورها . وانه من الخطأ أن نؤكد سلفا أن الثورات البروليتارية التى قد تقوم مستقبلا تقتضى حتما وضع قيود على الحقوق السياسية للبورجوازية (لينين ، الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكى — جزء ٢٨) .

وضع المرأة

كذلك يثير تقرير حق الانتخاب والترشيح للمواطنين ، موضوع الحقوق السياسية للمرأة . والواقع اننى لمست أن هناك اتجاها عاما نحو تقرير هذه الحقوق للمرأة متساوية مع الرجل. بل لقد لمست اهتماما خاصا بأن تضمن الدولة للمرأة حقوقا مساوية للرجل فى جميع المجالات ، لا فى الحياة السياسية وحدها ، وتأمين حماية خاصة للام العاملة وللطفولة واقامة دور للحضانة . وقابلت فىاليمنالجنوبية أول سيدة خرجتمطالبة مع خمسة من زميلاتها بحقوق المرأة فى عام ١٩٥٩ **(الاخت صافيناز خليفة قرينة وزير العدل الحالى)** وقابلت أول فتاة تنتخب عضوا فى القيادة العامة للجبهة القومية [**الاخت عايدة اليافعى**] وأول سيدة تعمل مستشارة قانونية فى وزارة العدل [**الاخت حميدة زكريا**] . بل لقد قابلت الفتيات المحجبات ، ولمست أن وراء الحجاب ، روحا عالية ووعيا متكاملا . صحيح ان هذه ليست الصورة الغالبة . وأن أمام المرأة اليمنية شوطا طويلا تقطعه لتحرير نفسها . ولكن فى مجتمع لا يزال يستورد الخبرة الاجنبية ، ويحتاج الى كل عقل وساعد . . لايمكن ان يظل نصفه عاطلا لا رأىله ولا مشاركة . واذا كان دستور اتحاد امارات الجنوب، ومنبعده دستور اتحاد الجنوبالعربى، قد حرم المرأة اليمنية من حقوقها السياسية ، فلا يمكن أن يكون دستور اليمن الشعبية ، اقل تفهما لحقوق المرأة من مقترحات الخبيرين البريطانيين سير ريفهون، وسير جاوين بل،اللذين قدما فى عام ١٩٦٦ مقترحات دستورية لتعديل دستور الاتحاد وقتئذ فكان من رأيهما أن يكون للمرأة حق الانتخاب ، وان لم يصلا الى نهاية الرأى المنطقية فحرماها من حق الترشيح .

وضع الجنود

وتثير الانتخابات الدستورية قضية أخرى ، هى قضية الجنود . هل يشاركون سائر المواطنين فى الانتخابات والترشيح .

وقد كانت المشكلة كما عرضت في الدول ذات الدساتير البورجوازية ، تنصب أساسا على حق الترشيح ، وكان معظم هذه الدساتير يحتم على رجل الجيش أو الامن أن يقدم استقالته عندئذ •

ولكن تجارب الدول الاشتراكية كانت عكس ذلك ، فالجنود ينتمون الى تحالف قوى الشعب العاملة • وفي تجربة اليمن الجنوبية الشعبية يبدو هذا المعنى أكثر عمقا • فالجندية ليست مجرد حرفة • بل ان الكثيرين من الجنود في الجيش أو في الامن ، سبق أن خاضوا النضال المسلح ضد الانجليز ، أو سبق ان حملوا السلاح حماية للثورة •

والجندي فلاح أو عامل أو صاحب حرفة سابقة • وشباب الجبهة القومية قد انخرط للدفاع عن ثورته من خلال التنظيمات الاخيرة للجيش والامن • والضابط اليمنى مهما علت رتبته لم يشكل نوعا من البيروقراطية العسكرية • فهو يشعر بانه مواطن عامل قبل ان يكون جنديا • لشد ما كنت أسعد وأنا أشاهد حسين هيثم من شباب الجبهة القومية وهو يحمل مدفعه الرشاش ويقود لنا السيارة وهو يطوف معنا الريف وأعلم انه كان ملازما في الجيش !

ووزير العدل ذاته عادل خليفة الذي درس القانون دراسة عالية ، لا يسير الا ركضا وكأنه يريد أن يسبق الزمن ، يحمل مسدسه معه •• مستعد للدفاع عن الثورة في أية لحظة •• مثلما ناضل ضد الانجليز في الجبال من قبل ! •

انها طبيعة غير عادية لشعب سرت فيه روح ثورية ونضالية • في المكلا وفي بيحان وفي سيون •• في كل مكان من الامارات التي كانت تعيش في تخلف حضاري فظيع • شاهدت شبابا واعيا شاكي السلاح •• كل يمكن ان ينخرط في أي لحظة في سلك الجيش النظامي ، أو قوات إمن النظامية •

أما كيف يتحقق اشتراك الجنود في الانتخابات ، فهو ما كان يبدو مشكلة حقا •

هل يقبل الجندي ـ سواء أكان ضابطا أو جنديا عاديا ـ أن ينزل الانتخابات في الدائرة التي يقيم فيها ، أم لعله سيطلب أن يكون للقوات المسلحة وللأمن تجمعاتها العسكرية التي تجرى داخلها الانتخابات بين رفاقهم •

لقد اجمع جميع من قابلتهم من الجنود على تبنى الرأى القائل بأن يشتركوا مع سائر المواطنين في دوائر اقامتهم في الانتخابات ، وأنهم يرفضون أن ينعزلوا عن الجماهير في انتخابات تجرى في معسكراتهم • وبطبيعة الحال ، فان وضع انتخابات التنظيم السياسي قد يختلف • بل انه قد يقتضى بطبيعته ان يكون للتنظيم تشكيلاته داخل قوات الجيش أو الامن •

التعبير عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية

ان الدستور في النهاية تعبير عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة وعن الرغبة في تطويرها •

ومن ثم فانه يجب أن يتضمن تأكيدا واضحا لبعض القضايا الجوهرية في ظروف اليمن الجنوبية ، ويمكن الاشارة الى بعضها :

١ ـ وحدة اليمن ، باعتبارها جزءا من وحدة الامة العربية •

٢ ـ وحدة اقاليم اليمن الجنوبية في دولة موحدة ، وانها وحدة جمركية واقتصادية أيضا •

٣ ـ استهداف الوصول بالمجتمع الى تحقيق الاشتراكية العلمية •

٤ ـ تحويل الاقتصاد القومي من اقتصاد خدمات الى اقتصاد انتاج •

٥ ـ أهمية الخطة الاقتصادية واعتبار قانون الخطة أعلى من سائر القوانين •

٦ ـ المحافظة على التراث العربي والاسلامي وتنمية الثقافة الانسانية وتنقية المجتمع من المفاهيم الفاسدة التي تروجها الامبريالية والاستعمار •

٧ ـ النص على حقوق وواجبات المواطنين الاساسية باعتبارها تعبيرا عن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ، وغير منفصلة عنها •

وبعد ، فان وضع دستور لاية دولة قد يكون من ايسر الامور لو اقتصر على النقل والاسترشاد بالدساتير الاخرى • ولكن الدستور الاشتراكي ليس مجرد مهارات فنية ، وليس مجرد شعارات مرفوعة • ولكنه يجب أن يكون نتاج تحليل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، ونتاج ظروف المجتمع ذاته وتعبيرا عن نظرية الدولة • واذا كان السؤال المطروح : أي طبقة تسود الدولة وما هي مصالحها ؟ فان الدستور هو الذي يجيب على ذلك في نصوصه •

وليس الدستور قيدا على حركة الثورة ، بل هو تنظيم لشرعيتها وتحديد لمسئولياتها • وهو بعد لا يمكن أن يكون ابديا ودائما ، كما لا يصح أن يوصف بالمقابلة بأنه مؤقت • انه دستور لمرحلة معينة ، اذا بلغ المجتمع نهايتها ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الثورة الاشتراكية ، تعين أن يصدر دستور جديد لهذه المرحلة الجديدة ودستور المرحلة الحالية في اليمن الجنوبية الشعبية هو دستور مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ••

انقلاب كمبوديا وتكتيك العزل عن اليسار .. ثم ضرب الوسط



خيرى عزيز

ربما تكون أهم حقيقة كشفت عنها بجلاء انقلاب كمبوديا اليمينى ، هى أنه لا طريق آخر امام الدول الوطنية المحايدة فى آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية سوى طريق الوحدة النضالية بين القوى الوطنية التقدمية ، وقوى اليسار الثورى فى هذه البلدان .

فمن الواضح اليوم اكثر من أى وقت مضى ، وبعد العديد من الانقلابات المضادة للثورة فى آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية ، ان الاستراتيجية الرئيسية ، للامبريالية العالمية ، وعلى رأسها امبريالية الولايات المتحدة تكمن اساسا فى العمل على عزل القيادات الوطنية التقدمية عن القواعد الشعبية الواسعة واليسار الثورى فى هذه البلدان ، ثم الاجهاز عليها بعد ذلك باستخدام قوى اليمين المحلى والدولى .

هذه مأساة تكررت للعديد من الزعماء البارزين للدول الوطنية الفتية ، ولكن البعد الجديد الذى يضيفه الانقلاب الكمبودى فى الحقيقة ، هو فيما استتبعه من تحولات سريعة فى موقف الامير « نوردوم سيهانوك » ، هذه التحولات ، وضعت النقط فوق الحروف بشكل عملى ، فيما يتعلق بالطريق الذى ينبغى على القيادات الوطنية التقدمية ان تسلكه ، اذا ارادت ان تحقق لنفسها مجابهة ناجحة للهجوم الامبريالى المضاد ، وتحقق لشعوبها النصر على الامبريالية .

فلقد تحول الامير نوردوم سيهانوك من خط مجابهة اليسار الذى كان يشجع عليه ويدفعه اليه اليمين الكمبودى ، والذى اتبع بشكل خاص منذ سنة ١٩٦٧ منذ ان تولى **الجنرال لون نول** رئاسة الحكومة فى بنوم بن ، الى خط **التعاون** مع اليسار الثورى لا فى كمبوديا وحدها ، وانما فى الهند الصينية بأسرها ، وفى شرق آسيا الاقصى عامة .

وتبرز اهمية ذلك التحول بشكل خاص ، اذا أدركنا ان اليسار الثورى فى كمبوديا ، كان قد

اضطر فى السنوات الاخيرة وبالذات ابتداء من عام ١٩٦٧ ونتيجة لملاحقات ومؤامرات اليمين الكمبودى المستترة وراء دعاوى الدفاع عن حياد كمبوديا ، واقناع سيهانوك بتلك الدعاوى ، قد اضطر الى حمل السلاح واللجوء الى الاحراش والغابات دفاعا عن وجوده •

وعلى الرغم من ان نظام سيهانوك المحايد الذى اطاح به الانقلاب ، كان يقوم اساسا على فكرة تحقيق التوازن بين اليمين واليسار الا انه ليس هناك ما هو ادل على حقيقة الاوضاع السياسية فى كمبوديا فى السنوات الثلاث السابقة على الانقلاب ، من البيان الذى اصدره يوم ٢٦ مارس الماضى ، بعد وقوع الانقلاب باسبوع ، ثلاثة من اعضاء الجمعية الوطنية الكمبودية هم : « **هويوم وخيو سام فوم** » الحاصلان على الدكتوراه فى الاقتصاد ، وكانا قد اختفيا من بنوم بن منذ ١٩٦٧ ، وراجت الشائعات بأنهما اعتقلا واغتيلا خفية ، فى حين كانا قد انضما الى قاعدة للمقاومة المسلحة فى الغابات ، « **وهو نيم** » الحاصل على الدكتوراه فى القانون والذى انضم اليهما هربا من أمر باعتقاله اصدرته حكومة « **لون نول** » •

وقد جاء فى بيان هؤلاء النواب ، وصف للوضع الذى آلت اليه الامور فى البلاد بدفع من اليمين الكمبودى ، ذلك الوضع اضحى يتمثل فى عمليات « الاعتقال والسجن ، واغتيال الوطنيين فى بنوم بن ، وكوه كون ، وراتانا كيرى ، وكومبونج شام ، وباتمبانج ، وكومبونج شنانج ، والافتراءات ، وتشويه الحقائق ضد المثقفين ، والرهبان ، والعناصر المحايدة ، والوطنيين التقدميين ، وطرد الوطنيين التقدميين من اجهزة الدولة ، وعزلهم عن الامير رئيس الدولة الخ •• حتى وصل الامر الى قيام حرب أهلية فعلا منذ ثلاث سنوات •• والى غير ذلك من الاعمال التى تعد جزءا من مناورات ونشاط الامبرياليين ، وعملائهم الرجعيين الذين يتزعمهم « **لون نول** » •

وكان لون نول يدفع الموقف فى هذا الاتجاه اكثر فاكثر ، ليعزل سيهانوك عن القوى التقدمية التى كانت تسانده باخلاص وليطيح به فى النهاية . وليس من شك حسبما يرى عديد من المراقبين السياسيين ، ان الامير سيهانوك تدارك اليوم بجلاء تام ، كيف خانه لون نول عندما كان يحاول هو « **وسيرك ماتاك** » ، وسائر أعضاء الزمرة اليمينية المتطرفة فى كمبوديا أن يقنعوه بأن الخطر على استقلال وحياد كمبوديا يأتى من اليسار •

وفى الحقيقة فلقد كان الخطر على استقلال وحياد كمبوديا يأتى من جانب اليمين والامبريالية الامريكية التى جعلت الهدف الرئيسى لسياستها فى كمبوديا فى الخمسة عشر عاما الاخيرة ، التخلص من سيهانوك ونظامه المحايد الذى اصبح شوكة فى جسد الامبريالية الامريكية فى جنوب شرقى آسيا •

وكان هناك من الدواعى ــ فى نظر الامبريالية الامريكية بالطبع ما يكفى للتخلص من هذا النظام ، بعد أن ارتكب سيهانوك « الجرائم » تلو « الجرائم » فى « حق الامبريالية الامريكية ومطامعها » اذ رد سيهانوك على الحملات الدبلوماسية التى كانت تستهدف ضم كمبوديا الى حلف جنوب شرقى آسيا • وطرد البعثة العسكرية الامريكية بعد ان اكتشف ان اعضاءها يدبرون المؤامرات ضده ، وعدل عن قبول المساعدة العسكرية الامريكية عندما تحقق من أنه لن يتمكن من استخدامها ضد التهديدات التى تواجه بها بلاده من النظامين الحاكمين فى بانكوك وسايجون • ورفض « المعونة » الاقتصادية الامريكية ، عندما اتضح له انها لن تؤدى الا الى خنق الاقتصاد الكمبودى القومى. وفى النهاية فى سنة ١٩٦٥ اقطع علاقاته الدبلوماسية مع واشنطون بعد الهجمات المتكررة للطائرات الامريكية على القرى الواقعة على الحدود ، ولرفض واشنطن الاعتراف بحدود كمبوديا الحالية •

ومن ناحية اخرى دفع سيهانوك بلاده شيئا فشيئا الى اقامة علاقات ودية مع الدول الاشتراكية ، فاعترف بجمهورية الصين الشعبية ، وجمهورية فيتنام الديموقراطية ــ والاسوأ من ذلك فى رأى الولايات المتحدة وعملائها ــ اعترافه بالحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية •

ولذا فان قائمة المؤامرات ، ومحاولات القيام بالانقلابات ، والاعتداءات الاجرامية التى تقف خلفها وكالة المخابرات المركزية ، والتى كانت تستهدف الاطاحة بسيهانوك ، كانت تجل عن الحصر فى تلك الفترة . وينبغى ان يضاف الى ذلك تكوين جماعة « **خمير سيراى** » (**كمبوديا الحرة**)

وهى جماعة مسلحة لاثارة الفتن والقيام بالاضطرابات ، قامت وكالة المخابرات المركزية بانشائها وتدريبها وتمويلها ، وكانت قواعدها فى فيتنام ، حتى اكتشفت جبهة التحرير الوطنى الفيتنامية هذه القواعد ، فانتقلت الى تايلاند ، وقد اعلنت هذه الجماعة هدفها بشكل سافر ، الا وهو الاطاحة بنظام سيهانوك ٠

التحريض على اليسار

وفى ذلك الوقت كان اليمينيون بزعامة لون نول ، وسيريك ماتاك يدفعون سيهانوك الى ضرورة موازنة سياسته التى اتجهت كثيرا نحو اليسار فى الاونة الاخيرة ، وذلك بمواجهة اليسار الكمبودى ، خاصة بعد أن وجه انتقادات قوية لسياسة كمبوديا العامة ، وسياستها الاقتصادية خاصة ٠ وبدفع من هؤلاء اخذ سيهانوك ينظر الى انتقادات اليسار وبخاصة لسياسته الاقتصادية باعتبارها انتقادات غير مخلصة ، وبدأت عملية مواجهة لقوى اليسار ٠ وكان دور « لون نول » و« سيريك ماتاك » حينذاك هو تقديم البراهين على ان المعارضة اليسارية و « الكمبوديين الحمر » ادوات فى ايدى بكين وهانوى ٠

ويرى الكاتب والصحفى الاسترالى « ويلفريد بيرشت » الذى يعد من افضل المتخصصين فى شئون جنوب شرقى اسيا والذى عاش فترة طويلة فى كمبوديا ، ويعتبر من ادق العارفين بشئونها فى عدد ١٠ مايو سنة ١٩٧٠ من مجلة « افريكاسيا » أنه « سواء اكان صحيحا أم لا ، ان لون نول يقبض من الامريكيين منذ سنوات عديدة ، فمن المؤكد ان طموحه الشخصى دفعه الى الارتباط بمصالح الولايات المتحدة ، وانه اذا عدنا الى سنة ١٩٦٢ عندماقام الجنرال « نى وين » بانقلاب عسكرى للاستيلاء على السلطة فىبورما ، نجد انشائعات قوية قد راجت فى بنوم پن حينذاك ، على اساس ان لون نول سيقوم بنفس العمل ، وانه لم يفشل سوى بسبب يقظة غريمه فى الجيش ، الجنرال « نهيك تيولونج » ٠

« ولكن يبدو ان الامريكيين كانوا قد تخلوا فى تلك الفترة عن فكرة القيام بانقلاب من طراز كلاسيكى كالذى نجحوا فى القيام به فى فيتنام الجنوبية ولاوس ٠ اذ اتجهت وكالة المخابرات المركزية حينذاك الى الاعتماد بشكل أكبر على سياسة تفرقة القوى التى نجحت فى لاوس ، والتى استهدفت اولا تفريق قوى المحايدين ثم لجأت بعد ذلك الى تحطيم التحالف بين هؤلاء وبين اليساريين (الباثيت لاو) دافعة « سوفانا فوما » على الدوام الى الاتجاه اكثر فأكثر نحو اليمين ٠ وقد جرت نفس العملية فى كمبوديا منذ ١٩٦٧، باستخدام لون نول ٠

عزل « الامير » عن اليسار

وجرت انتخابات سبتمبر سنة ١٩٦٦ فى ظروف وافق فيها سيهانوك على اجرائها على مضض ، وكانت تلك الظروف فى صالح الذين « يدفعون » اكثر للناخبين ، وتغير تشكيل الجمعية الوطنية ، وكان التوازن بين اليسار واليمين والوسط قائما حتى ذلك الوقت داخل الجمعية الوطنية ٠ الا ان اقتراع سنة ١٩٦٦ لم يسمح الا باعادة انتخاب ثلاثة فقط من مرشحى اليسار هم الذين وقعوا على البيان الذى ذكرناه من قبل ، وكان لون نول يضعهم فى « القائمة السوداء » ٠

وفى بداية سنة ١٩٦٧ وقعت عدة حوادث فى مقاطعة باتامبانج بسبب الارض ــ فالارض طبقا للتقاليد الكمبودية لمن يفلحونها ، واذا كان عدد من الفلاحين يودون انشاء مزرعة مكان الغابات فانهم ينالون حقوق انشائها واستقلالها ٠ الا انه حدث خلافا لذلك فى ابريل سنة ١٩٦٧ ان اخذت قوات « لون نول » المسلحة ، تطرد الفلاحين من اراضيهم فى « باتامبانج » لصالح « الملاك الشرعيين » ، الذين لم يكونوا فى الحقيقة سوى قوادالجيش وكبار الموظفين ٠

واحتج الفلاحون وقاموا بمظاهرات كبيرة فى عاصمة الاقليم ، وتدخل الجيش عندئذ ليجمع السلاح الذى كان الفلاحون يحتمون به من وحوش الغابات ٠ وفى احدى المرات هاجم الفلاحون احدى الثكنات لاستعادة اسلحتهم ٠ وكان ذلك بداية المقاومة المسلحة ، ولجأ فلاحو قرى بأكملها الى الغابات وشن لون نول بقواته الهجوم تلو الهجوم عليهم ، واشترك الطيران فى الهجوم وقصف مواقعهم ، ووقعت حوادث مماثلة فى

مقاطعة « كومبونج شام » التى انتخب « هو يوم » نائبا فيها ، وبدأ الكلام لاول مرة عن الكمبوديين الحمر » .

ولما كان بعض هؤلاء الفلاحين الثائرين من اصل فيتنامى ، وبعضهم الاخر من اصل صينى ، لذا اعتبر ذلك كافيا كى تعزى هذه الحوادث الى بكين وهانوى ، كما روجت الاشاعات حول النواب الثلاثة الذين ذكرناهم سالفا باعتبارهم « عملاء لدول اجنبية » . وكان ذلك بمثابة الهجوم العام على اليسار الذى شن عليه ، بهدف متعمد هو حرمان سيهانوك من القوى التى يمكن بالطبع ان تكون افضل سند له . وفى تلك الفترة اختفى النائبان المذكوران ولحق بهم « هو نيم » بعد ذلك بعدة اشهر ، واختفى كذلك عدد اخر من المثقفين التقدميين ، واعتقل بعضهم ولجأ البعض الاخر الى الغابات ، وتحققت النتيجة المرجوة ، وعزل سيهانوك عن اليسار » .

تصفية الوسط

وما أن تم ذلك حتى قام « لون نول » بالهجوم على انصار الوسط المخلصين للامير . وكان اول من وجه لهم ضرباته هو « سون سان » الذى شغل عدة مناصب وزارية ، والذى كان منذ مدة طويلة المستشار السياسى الرئيسى لسيهانوك . وعندما انهالت على « سون سان » الهجمات الشخصية اتجه للاعتزال فى احد الاديرة البوذية ، وابعد هؤلاء تماما فى ديسمبر ١٩٦٩ .

والمرجح ان يكون الامير قد بدأ يتحسس عندئذ خطورة الموقف ، لانه عقد مؤتمرا قوميا لحزبه « السانجكوم » حصل فيه على قرار بالاجماع ضد عودة « البنوك الاجنبية التى تخدم المصالح الاجنبية اكثر مما تخدم مصالح كمبوديا ، وتحول كميات كبيرة من العملات الى الخارج ، لا تدفع للدولة منها سوى مبالغ تدعو الى السخرية » .

كذلك عمد اربعة من الوزراء المخلصين لسيهانوك الى تقديم استقالتهم ، رغبة منهم فى اسقاط وزارة لون نول ـ سيريك ماتاك . وكان ينبغى طبقا لما هو متبع فى كمبوديا ان تستقيل الحكومة اثر ذلك . ولكن لما لم يحدث هذا ، طلب سيهانوك ان تعلق الاستقالات لحين عودة لون نول من باريس .

ولكن سيريك ماتاك الذى كان يقوم برئاسة الحكومة بالنيابة ، قبل الاستقالات دون امهال ووضع عدد من الانصار المخلصين للون نول مكان الوزراء المستقيلين .

وأبعد انصار الوسط ، وسقطت الحكومة تماما فى ايدى اليمينيين المتطرفين ، وبعد ذلك بعدة أيام غادر سيهانوك البلاد مع زوجته ومستشاره الاول بن نوت بعد ان تم عزله تماما .

العمل المباشر من أجل الانقلاب

وبدأ العمل المباشر من اجل الانقلاب ، ويذكر « ويلفريد بيرشت » فى عدد ١٠ مايو ١٩٧٠ من مجلة « افريكاسيا » عددا من التدابير التى لجأ اليها اليمين المتطرف للاطاحة بسيهانوك . ففى عام ١٩٦٩ لوحظ حدوث اختفاء غامض وجماعى بين جماعة « الخمير سيراى » التى تتخذ قواعدها فى تايلاند . وبعد فترة ظهر سبعمائة من هؤلاء فجأة فى كمبوديا ، ويشتبه الى حد كبير فى ان يكون لون نول هو الذى قام بتنظيم هذه الحركة .

وقد استقبل القادمون الجدد استقبالا حسنا ، وزودوا بالمال ومنح بعضهم أوسمة ، وتشبه تلك العملية الى حد كبير ما حدث من قبل فى لاوس عندما اختفت جماعة « نوسافان » ذات الميول اليمينية فجأة من صفوف قوات « كونج لى » المحايدة وتجاهل المحايدون تحذيرات سوفانو فونج قائد الباثيت لاو من « حصان طروادة » الجديد هذا . والنتيجة أنه بعد ذلك بعدة اشهر ، كانت هذه القوات هى التى قامت بالهجوم على قوات كونج لى ، والكولونيل ديوان واستولت على سهل الجرار لصالح اليمين فى لاوس .

وبالمثل فقد استخدم لون نول رجال « الخمير سيراى » الذين وصلوا الى كمبوديا ، كقوات اقتحام اثناء الحوادث التى وقعت ضد سفارتى جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وسفارة الحكومة الثورية المؤقتة فى بنوم بن ، وفى اثناء الانقلاب الذى وقع بعد ذلك باسبوع ، وقد تدعمت صفوف هؤلاء بمئات اخرين اخرجهم لون نول من السجن بحجة الافراج عن « التقدميين الذين سجنهم سيهانوك » .

ومن الحقائق التى اضحت معروفة عن تلك الفترة ، انه منذ اعادة فتح السفارة الامريكية فى يونيو سنة ١٩٦٩ ، تلقى اليمين سيلا سخيا من الدولارات وتزود بالاموال ، عملاء المخابرات

المركزية الامريكية والملحقين العسكريين • الا ان هذه المساعدة السخية كانت مرتبطة ارتباطا واضحا بمطالب ملحة من جانب الامريكيين لاضفاء طابع «الحرية الاقتصادية» على البلاد ، الامر الذى لم يكن له من معنى آخر سوى فتح ابواب كمبوديا على مصراعيها • امام الاستثمارات الامريكية ، والنفوذ الامريكى المالى • وتبنى « سيريك ماتاك » الاجراءات التى تسير فى هذا الاتجاه. ولكن ذلك لم يرض الامريكيين وزادت اعتداءاتهم على حدود كمبوديا ، واستخدام اسلحتهم الكيميائية ضد مزارع المطاط فى نفس الوقت ، بهدف الضغط على الحكومة لتقوم باجراء تحول جوهرى فى سياستها نحو اليمين .

وارتبط كل ذلك بهجمات شوفينية على الاقلية الفيتنامية ، ذبح فيها المئات من الفيتناميين ، وكانت اكثر الصحف اندفاعا فى الاتجاه الشوفينى ، هى فى نفس الوقت اكثرها حظوة « باعانات » السفارة الامريكية • وقامت المظاهرات ، ووقع الهجوم على سفارة جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وسفارة الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية ، قبل رحيل سيهانوك من باريس الى موسكو بعدة ساعات ، حيث كان يأمل فى الحصول من هناك على مساعدة اقتصادية ، يستطيع ان يوازن بها ما كان الامريكيون قد قدموه للون نول كمكافأة على اجراءاته « الليبرالية » •

وقبل مغادرة سيهانوك موسكو ، الى بكين بعدة ساعات ، وقع الانقلاب الذى أطاح به من السلطة •

الانقلاب و « الفتنمة »

والحقيقة ان هذه الخطوة التى اقدمت عليها الولايات المتحدة وعملائها فى كمبوديا ، انما ترتبط ارتباطا قويا بسياسة « فتنمة » الحرب فى فيتنام الجنوبية ، التى يتبعها نيكسون • وتقوم وجهة نظر نيكسون من هذه الناحية ، على أساس انه من الضرورى كى يمكن تحقيق « الفتنمة » عمليا فى جنوب فيتنام ، ان تكون هناك بشكل اساسى ، انظمة مناصرة للامريكيين بشدة فى كل من كمبوديا ولاوس • لكن الموقف تدهور فى لاوس فجأة •

فما بدا باعتباره « انتصارا باهرا » لليمين فى سبتمبر الماضى ، عندما نظمت وكالة المخابرات المركزية احتلال القوات اليمينية لسهل الجرار ، قد غدا كارثة ، عندما اعادت قوات « الباثيت لاو » اليسارية ، احتلال هذا السهل ، واكتسحت قوى اليمين فى شمال غربى لاوس كله ، ووصلت حتى حدود تايلاند ، واستولت على مناطق واسعة فى الجنوب والجنوب الغربى • واظلم الموقف بالنسبة لليمين فى لاوس • وكان لابد دعما لوضع الولايات المتحدة وجيوشها فى الهند الصينية عامة فى تلك الفترة ، من الاقدام على خطوة جديدة ، ولما كان الانقلاب ضد سيهانوك امرا مقررا من قبل فى مخططات السياسة الامريكية فى الهند الصينية ، لذا اعتقدت وكالة المخابرات المركزية ان توقيعه بعد هزيمة لاوس انسب ما يكون •

ولذا فان لجوء الولايات المتحدة وعملائها الى الاطاحة بسيهانوك فى هذا الوقت بالذات ، كان محاولة من جانبهم لتعويض الهزيمة الفخمة التى منوا بها فى لاوس ، ولضمان توازن الوضع الامريكى العام فى الهند الصينية بعد هذا الحدث .

الموقف الجديد وأخطاء المتآمرين

وبعد فان الصورة التى أصبح عليها الموقف فى كمبوديا بعد شهرين ونصف فقط من الانقلاب ، تغاير تماما الصورة التى كان يمكن للمتآمرين ان يتخيلوها ، فقد تكون جيش التحرير الوطنى فى كمبوديا من العناصر التى كانت تقاتل مع جبهة التحرير الفيتنامية ، ومع الباثيت لاو ، ومن عناصر المقاومة المسلحة السابقة ، وانصار سيهانوك ، كما تكونت جبهة وطنية متحدة بزعامته ، وحكومة وحدة وطنية وضع على راسها بن نوت رئيس وزراء كمبوديا السابق ، للاطاحة بحكومة الانقلاب وطرد الامريكيين •

وقامت قوات الثوار الكمبوديين بالسيطرة على جميع المناطق الواقعة شرقى نهر ميكونج ، وقطعت الطريق الرئيسى الذى يربط العاصمة بمناطق الامداد الحيوية ، واصبحت على بعد ٤٠ كم من بنوم بن ، وابادت عشر كتائب حكومية فى شهر واحد وبدات حصار ١٠ كتائب اخرى ، واستولت اخيرا على مدينة « ستونج ترنج » عاصمة الاقليم الشمالى ، وبدأت القتال فى « كومبونج شام » ثانى مدينة كمبودية بعد العاصمة • ومن الناحية الاقتصادية تدهور الوضع فى البلاد ، وبعد ان كان الدولار يعادل فى ابريل الماضى ٥٨ ريالا ، اضحى يعادل فى مايو ٧٨ ريالا •

ويتمثل الخطأ الرئيسى للمتآمرين فى اساءة تقديرهم لعاملين هامين : اولهما رد فعل انقلابهم

لدى الامير سيهانوك اذ كانوا يأملون ان يرضخ الامير للامر الواقع ، ويعيش فى المنفى ، فى جنوب فرنسا مثلا باعتباره « **باو داى** » (١) اخر ، وهو ما لم يفعله بل دعا على الفور الى المقاومة المسلحة ، واتبع سياسة الاتجاه الى الشعب ، التى رد عليها الشعب بالالتفاف حوله •

وثانيهما : التقليل من قدرة المقاومة الكمبودية المسلحة على العمل الفعال خاصة وان وضع هذه المقاومة ، يختلف فى الحقيقة عن الوضع الذى نشأ على سبيل المثال فى اندونيسيا عقب انقلاب سبتمبر ١٩٦٥ اليمينى فيها • فكوادر المقاومة الكمبودية لم تدخل فى خصومات سياسية مثلما حدث فى الحزب الشيوعى الاندونيسى وظلت موحدة ، كما انها فى الهند الصينية التى تموج بالكفاح الثورى المسلح غير معزولة جغرافيا او سياسيا او عسكريا كما هو الحال بالنسبة للشيوعيين الاندونيسيين ، يضاف الى ذلك ان اخوتها القديمة فى السلاح مع مقاتلى فيتنام ولاوس ، سرعان ما غدت من جديد اكثر قوة ، وبسرعة شديدة فى المعارك الاخيرة ، وهذا عامل له اهمية لم يقدره المتآمرون حق قدره، لانه اذا كان لون نول لم يستطع فى الفترة من سنة ١٩٦٧ الى سنة ١٩٧٠ تحطيم حركة المقاومة وبخاصة فى جبال اليفانت وكاردومون حين كان لا يزال يتمتع برعاية سيهانوك ويستتر وراء شعبيته ، فلا توجد امامه الفرصة الان لتحقيق ذلك ،مهما كانت وحشية عدوانه على الاقلية الفيتنامية الكبيرة فى كمبوديا والتى يصل عددها الى ٦٠٠ الف مواطن •

تعميق أزمة النظام الامريكى

وبعد ، فقبل ان نواصل بحث النتائج التى ترتبت عن الانقلاب فى جبهة الهند الصينية، نحب ان نشير اولا الى نتائج التدخل الامريكى فى كمبوديا على الوضع الداخلى فى الولايات المتحدة • اذ احدث هذا التدخل ردود فعل عنيفة داخل الولايات المتحدة • وقد وصف السناتور « **وليم فولبرايت** » الازمة المترتبة عن غزو كمبوديا ، بانها « اخطر ازمة تتعرض لها الولايات المتحدة بعد الحرب الاهلية » • اذ لم تقتصر على الخلاف بين الحكومة والكونجرس ، وانما تشير الانباء فى الوقت نفسه الى اتساع الخلاف بين البيت الابيض ووزارة الخارجية • هذا فى الوقت الذى اتسع فيه نطاق الحملة العنيفة التى يشنها الطلبة الامريكيون ضد قرار نيكسون والتى انضم اليهم فيها كثيرون من مديرى الجامعات واساتذتها حتى شملت الولايات الامريكية كلها ، وامتدت الاضرابات والاضطرابات الى اكثر من ١٧٠ جامعة وهيئة طلابية مناهضة للحرب ، واتخذت الحملة مظهرا اكثر عنفا مما كانت عليه ، فلجأ الطلبة الى احتلال مبانى الجامعات ، واشعال الحرائق ، والقيام باعمال التدمير • وبذا اسهم ويسهم هذا التوسع فى التدخل العسكرى الامريكى فى الهند الصينية فى تعميق الازمة الداخلية للنظام الامريكى •

اما فى الهند الصينية فقد ادى الانقلاب ومن حيث لا تريد الولايات المتحدة وعملائها ، ومن الناحية الموضوعية — الى نسف العقبات التى كانت تعوق انطلاق الثورة فى كمبوديا ، وامكن الان بشكل اساسى التغلب على الصعوبة التى كان يعانى منها الكمبوديون الحمر فى اعطاء نضالهم طابع معاد للامبريالية بسبب العطف الذى كانت تحظى به سياسة سيهانوك ، والان وقد اضحت صفوفه الى جوار صفوفهم ، فأن النضال الكمبودى المسلح ، يأخذ دون لبس او غموض طابع النضال العادل ضد الامبريالية ويكتسب كل العطف المرتبط بذلك النضال •

ومن ناحية اخرى فلقد اظهر اليسار الكمبودى نضجه السياسى — حسبما اوضح «ويلفريد بيرشت» — بقبوله النقد الذاتى الذى قدمه الامير سيهانوك على اخطائه السابقة ، وقبل الكفاح معه ، وان استدعى الامر تحت قيادته ، من اجل تصفية الحكم العميل •

ولقد ادى انقلاب كمبوديا كذلك — ومن حيث لا تريد الولايات المتحدة ومن الناحية الموضوعية — الى تحطيم الحواجز التى كانت تمنع وحدة الكفاح المعادى للامبريالية لشعوب الهند الصينية ، وادى الى وحدة اليسار الثورى فى الهند الصينية متمثلا فى وحدة حركات التحرير المسلحة فى فيتنام ولاوس وكمبوديا •

---

(١) « باوداى » : هو امبراطور فيتنام السابق [٥٩ سنة] يعيش اليوم فى المنفى فى الكوت دازور ، كان عميلا للفرنسيين ، ثم طرده نجو دينه ديم ،بتحريض من الامريكيين •

حوار عربى
مع عالمنا وعصرنا

فى اطار خطة الطليعة لفتح أبواب الحوار الواسعة حول قضايا عالمنا وعصرنا عامة ، وقضايا حركة التحرر العربى خاصة ، نواصل — فى هذا العدد — الحوار مع ثلاثة من المفكرين التقدميين يمثلون اتجاهات محددة ، متفاوتة الاثر والقوى .

- أولها : حوار مع أوليانوفسكى [الحزب الشيوعى السوفيتى] .
- ثانيها : حوار مع مكسيم رودنسون [اليسار الفرنسى] .
- ثالثها : حوار مع ماركوس راسكين [اليسار الامريكى] .

أوليانوفسكى

الموقف اللينينى من قضايا التحرر الوطنى عامة .. والقضية العربية خاصة

بدعوة من أسرة تحرير الطليعة ، قام البروفسير أوليانوفسكى ، المناضل والمفكر السوفيتى الكبير ، وعميد خبراء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى قضايا حركات التحرر الوطنى ، بالقاء محاضرة عامة بقاعة المحاضرات بدار الاهرام فى اواخر شهر أبريل الماضى ، وكان عنوان المحاضرة « الموقف اللينينى من قضايا التحرر الوطنى عامة والقضية العربية خاصة » . دارت بعدها مناقشات مفتوحة من خلال اسئلة وجهت الى المحاضر .



وقدمت « الطليعة » المحاضر بكلمة جاء فيها :

« يدخل هذا اللقاء مع الاستاذ أوليانوفسكى من ناحية فى اطار احتفال الانسانية عامة وشعوبنا العربية خاصة بالذكرى المئوية لميلاد لينين ، مؤسس

الاتحاد السوفيتي وقائد ثورة اكتوبر التي كانت أول طعنة في الصميم للنظام الامبريالي المعادي لحركات التحرر الوطني والاشتراكية، ومن ناحية أخرى في اطار الحوار الذي تعقده « الطليعة » مع المفكرين والمناضلين الاشتراكيين والتقدميين في عالمنا وعصرنا .

والاستاذ اوليانوفسكي ابن من ابناء وطن لينين .. الاتحاد السوفيتي ، وأعتقد انى لست في حاجة الى أن أعرض لما يقدمه الاتحاد السوفيتي — سياسيا وماديا وأدبيا — من عون ضخم وفعال ودون شروط لجميع حركات التحرر الوطني عامة ، وللوطن العربي ولمصر خاصة ، في مواجهتها للعدوان الامبريالي الصهيوني .. فهذا كله أمر معروف ونلمسه جميعا كل يوم وفي كل مجال .

ولعله لا توجد حركة تحرير وطنية تفجرت في اى مكان من العالم بعد ١٩١٧ وحتى يومنا هذا ، لا تجد المساندة الفعالة من شعوب الاتحاد السوفيتي وحزبها ، ولا يحمل مناضلوها على اكتافهم السلاح السوفيتي الذي يوجهونه الى صدر الاستعمار .

ولا يخفى عليكم ايضا ما يقدمه الاتحاد السوفيتي — باخلاص وصدق — من عون فني واقتصادي في بناء البلاد المتحررة الجديدة ، في بلادنا مثلا يرتفع اليوم السد العالي بناء منتجا شامخا لنوع جديد من التعاون الدولي المنزه عن الغرض بين دولة كبرى ودولة صغيرة .

أما الاستاذ اوليانوفسكي نفسه ، فهو مفكر اشتراكي ومناضل له تاريخه الحافل مع أبناء شعبه في خدمة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني . وبالنسبة لقضايا الوطن العربي بالذات ، يقف اوليانوفسكي دائما مدافعا عن حركة التحرر الوطني العربي ، وعن حق الشعوب العربية في دحر العدوان الامبريالي الصهيوني .

وللاستاذ أوليانوفسكي ابحاث ودراسات وكتب عديدة في هذا المجال ، تضعه في مصاف الخبراء العالميين المعايشين بعمق لحركة التحرر الوطني في عالمنا ، والذى قرأ منكم مثلا كتابه القيم « الدولار وآسيا » يدرك هذه الحقيقة ، ولقد سبق ان نشرنا في الطليعة للاستاذ أوليانوفسكي مقالا هاما ، عن آفاق ومشاكل حركة التحرر الوطني في عصرنا ، وفيه تعرض ضمن ما تعرض له لاهمية ان يولي الاشتراكيون العالميون اهتمامهم للدور التقدمي للدين عامة ، وللاسلام بصفة خاصة في مسار حركة التحرر الوطني .

لا نريد ان نطيل الحديث ، ولكن نتوجه باسمكم الى الاستاذ اوليانوفسكي ورفيقته الدكتورة جالينا نكتينا التي ستحاضرنا ايضا مساء الغد ، بالتحية والتقدير لهما كممثلين لشعب صديق ، وأريد أن أقول لهما : اننا نقدر تقديرا بالغا مواقف الاتحاد السوفيتي في دعم كفاح شعوبنا العربية وحركتها التحررية ، التي تندرج فيها حركة التحرر الفلسطينية ، ونحيي ذلك اللقاء المثمر الذي تم في موسكو في فبراير الماضي بين الثورة الفلسطينية واللجنة السوفيتية للتضامن الآسيوي الافريقي ، والذى يأتي ترجمة واقعية للمبدأ اللينيني عن تضامن ووحدة قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني ضد الامبريالية والعنصرية » .

المحاضرة

ايها الرفاق :

احييكم بالنيابة عن اللجنة السوفيتية للتضامن الآسيوي الافريقي ، حاملا اليكم أطيب تمنيات الشعب السوفيتي .

انني التقي معكم في ذكرى عالمية ، وهي ذكرى مرور مائة عام على مولد فلاديمير ايليتش لينين ، المفكر الثوري الذي لم يعرف قط التهادن مع الامبريالية ، وقد تعلم على يده الحزب الشيوعي السوفيتي هذا المبدأ .

ففي عام ١٩١٧ حينما عاد لينين الى روسيا بعد غياب طويل قال « الثورة البروليتارية ، وحدها تستطيع أن تخرج البشرية من المأزق ، الذى تكون نتيجة سيطرة الامبريالية على العالم وحروبها » .

وقال : مهما كانت صعوبات الثورة ، ومهما كانت مراحل الاخفاق والنجاح ، فان النصر فى النهاية لابد من تحقيقه ، وتستطيعون ، أيها الرفاق ، ان تتصوروا قيمة هذا الكلام ، لانه قيل فى ظروف تختلف تماما عن الظروف التى نلمسها الان ، فلم تكن الظروف التاريخية التى مر بها كل من شعبنا وشعبكم قد وقعت بعد ، فان لينين قال هذا منذ ٥٣ عاما ، فما أكثر بعد الرؤية لدى هذا الثورى العظيم ، لانه استطاع أن يبرز آفاق التطور الاشتراكى منذ ٥٣ عاما .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن أول خاصية ملكها لينين وورثناها عنه ، هى خاصية التنبؤ العلمى لاحداث التطور ، لقد كان لفلاديمير ايليتش لينين ، تنبؤات علمية كثيرة أود هنا أن أشير الى بعض منها :

● **قال : انه** فى نهاية الامر فان جميع المناضلين والمنطلقين من مواقف اشتراكية أو وطنية أو عمالية سوف يكتب لهم النصر .

ولقد اثبتت السنوات الماضية ، أن الشعوب الاشتراكية قد قدمت لكل الشعوب المناضلة ضد الاستعمار ، يد التضامن والمساندة ، فالنضال يمثل - بحق - احدى قضايا النصر المشترك ، وهذا ما تنبأ به لينين ، وهو مرتبط بوحدة الشعوب الاشتراكية ، والشعوب المناضلة ضد الاستعمار ، وكذلك تنبأ لينين بأن جميع حركات التحرر سوف تحصل على دعم وتأييد أول دولة اشتراكية ، وقال لنا : اننا لابد أن نستعد لهذا ، وكان هذا التنبؤ من أشجع ما تنبأ به ، **لماذا ؟**

لان روسيا فى ذلك الوقت كانت من أكثر البلدان فقرا وتخلفا ، ولذلك كان لابد لنا أن نعمل لكى تصل روسيا الاشتراكية الى الموقف الذى تستطيع من خلاله أن تقدم هذا الدعم .

● **تنبأ لينين** أيضا بأن حركة التحرر الوطنى لن تتوقف فى منتصف الطريق ، انها حركة مناهضة للامبريالية ، كقوة استعمارية ، ثم للرأسمالية ذاتها كنظام اجتماعى .

● **قال أيضا :** ان حركة التحرر الوطنى ومناضليها سيجدون أنفسهم منجذبين الى الاشتراكية العلمية .

● **وقال أيضا :** ان الشعوب سوف تحقق استقلالها السياسى أولا ، ثم ستناضل من أجل استقلالها الاقتصادى التام .

أيها الرفاق : لقد تجسدت كل تنبؤات لينين فى الحياة اليومية للشعوب .

فقد تحدث لينين عن احتمال وجود الثورة المضادة ، كرد فعل للثورة .

وقد شهدت السنوات الاخيرة تجسيدا لهذا الحديث ، حينما رأى المناضلون تفجر الثورات المضادة فى أماكن كثيرة .. لدرجة ان كثيرين لم يروا الا ذلك الجانب من الصراع السياسى .

والذى يهمنا هنا هو أن الاستعمار والامبريالية لم يحرزا أى نصر نهائى ، وفيتنام أوضح مثل فى هذا المجال ، ولقد تكون هناك فى فيتنام أوضاع لا يرعب البنتاجون الامريكى أن يفقد هيبته فيها ، ولكنهم أصبحوا مضطرين الى البحث عن طريق لانهاء الحرب دون فقدان لهذه الهيبة .

ان شعار « نيكسون » الجديد هو انتقال الحرب فى فيتنام الى أيدى الاسيويين .

وقال « همفرى » نائب الرئيس الامريكى السابق : ان الولايات المتحدة لن تدخل فى أى حرب آسيوية بعد ذلك .

ومضى « روجرز » وزير الخارجية الامريكية الحالى يقول بعد همفرى : ان تجارب التاريخ قد علمتنا ألا نرسل الى أسيا جيوشا أمريكية .

لماذا ؟

لانهم لم يستطيعوا الاستمرار فى هذا الوجود ، لانهم لم ينجحوا فى ثورتهم المضادة .

قد تغريهم ظروف طارئة جديدة بمحاولات جديدة ، ولكنها ستمنى أيضا بالفشل التاريخى . ان الامبريالية لم ولن تنجح فى ثورتها المضادة ، ويعود ذلك فى الاساس لنضال شعب فيتنام فى الشمال والجنوب ، وكذلك الى تأييد جميع الشعوب التقدمية والاشتراكية فى العالم .

وحسب احصائيات الولايات المتحدة الامريكية ، فانها قد فقدت خلال خمسة الاعوام الماضية ٦٣٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة وعمودية [هليكوبتر] بالاضافة الى ٣٢٠ ألف جريح و ٤٥ ألف قتيل .

هل فكر الامريكان فى هذه الخسائر قبل دخولهم الحرب فى فيتنام ؟ لا ، انهم ظنوها نزهة حربية ..

لقد انفقوا ما بين ٢٥ و ٣٠ مليار دولار سنويا ، وكذلك لم يكونوا يتصورون أن تدخلهم فى فيتنام سيثير كل هذا الصراع السياسى الداخلى .

ان موقف الامريكان ، على أرض فيتنام وفى داخل المجتمع الامريكى نفسه ، سيحول دون الاستمرار فى هذه الحرب ، وذلك يثبت **أنه قد يمكن شن حرب عدوانية ، ولكن ليس من الممكن كسبها .**

ان تجربة الحروب العدوانية تثبت صعوبة خروج المعتدى من مثل هذه الحروب . ذلك لان :

● الاحتلال لابد ان يتبعه عمليات مقاومة وتطهير .. وهذه العمليات تفضح المعتدى أمام الرأى العام العالمى ، الذى يمثل احد انواع الضغوط على المعتدى ، ثم من خلال استمرار العمليات والزمن تلحق الهزيمة به .

وهذه هى حتمية تطور الحروب العدوانية ، فى ظل تحالف القوى الاشتراكية مع قوى التحالف الوطنى .

وهذا ينطبق أيضا على تطورات الموقف فى الشرق الاوسط .

لقد طالت - أيها الرفاق - فترة الحرب ولا يزال العدوان مستمرا .

ولكن طابع التصدى للعدوان ومقاومته له أهمية كبرى .

لن تستطيع اسرائيل أن تحقق أى هدف من الاهداف التى شنت من أجلها العدوان .

لا شك أن احتلال اجزاء من البلاد العربية خسارة كبيرة للدول العربية ، ولكن الواقع ان أيا من هذه البلاد لم يستسلم ، بل لقد بدأت البلاد العربية التقدمية فى اعادة بناء نفسها وبناء مقدراتها الاقتصاديةوالعسكرية ، كما أن قضية الشعب الفلسطينى تكسب فى كل يوم انصارا من القوى العالمية الجديدة .

ان اقامة علاقات بين التجمعات السوفيتية الشعبية وحركة التحرر الفلسطينى ستزيد وستدعم .

وأود هنا أن أذكر أن أربعا من الدول العربية سارت فى طريق التقدم الاجتماعى أكثر وأكثر .

● تفجر ثورة السودان المناهضة للاستعمار ، ووقوف السودان بجانب ركب هذا التقدم العربى .

● كذلك ثورة ليبيا ، التى بدأت تفجر الطاقات الكامنة للشعب الليبى .

● هناك أيضا التطورات الاجتماعية التى تحدث فى جنوب اليمن .

● وكذلك فاننا نعلق أهمية بالغة على ثورة الصومال .

ان حوض البحر الاحمر ، سيتحول الى حوض البلدان التى بدأت تسير فى طريق التقدم الاجتماعى .

وبالرغم من اختلاف الاراء المتصارعة فى الوطن العربى ، والتى ظهرت خلال مؤتمر القمة فى الرباط ، فان فكرة التلاحم والتضامن هى الفكرة السائدة ، بل وأصبحت هى الفكرة الاولى فى الوطن العربى .

ومن النتائج الهامة للعام الماضى ، أن كافة محاولات الصهيونية للعدوان على بلدان الوطن العربى تواجه برد حاسم .

وأحب أن ألفت نظركم الى الموقف الذى تتخذه الجماهير الشعبية السوفيتية ضد الصهيونية . فان مئات المقالات تكتب ، ومئات الاجتماعات تعقد لتأييد الفلسطينيين والعرب فى نضالهم التحررى المشروع .

ان العام الماضى يحمل علامات نجاح .. ذلك انه على الرغم من التوتر العسكرى ، فان التطور الاقتصادى يتقدم فى اطار ايجابى ، وهذا لا يعنى انه لا توجد صعوبات اقتصادية .. فهى موجودة بالفعل .. ولكن ثبت ان المعتدى قد فشل فى تدمير البلدان العربية اقتصاديا وعسكريا .

وأثبت التاريخ ان قوى الشعب استطاعت بما تملكه من مقدرات اقتصادية ضخمة ان تغنى التطور بمعدلات جديدة للنمو والتقدم .

ومن المحتمل ان يكون السير فى طريق التحول الاجتماعى بطيئا بعض الشىء ، ولكن أهم شىء ان التطورات الاسرائيلية لم تحدث .. ان اسرائيل كانت تستهدف أن تعود الراسمالية بكامل قوتها الى هذه البلدان ، ولكن - كما هو واضح - فشلت اسرائيل فى هذا التصور تماما .

لقد قام هتلر ، من قبل ، بهذه المغامرة فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنه فشل ، لقد كان « هتلر » يرى موسكو من خلال منظاره المكبر ، وكان على وشك دخولها ، ولكن اثبت التاريخ أن تصوراته كانت خطأ فادحا ووهما كبيرا .

أن المنظار الاسرائيلى يرى اليوم ايضا الدول العربية ، ولكن هناك حقيقة تاريخية ، وهى ان المعتدى الاسرائيلى لم يستطع أن يحول الشعب العربى الى الطريق الرأسمالى .

حدث ذلك بفضل نضال وصمود الشعب العربى ، وكذلك بمساعدة وتأييد الشعب السوفيتى والشعوب الاشتراكية ، وهذا يثبت أن استمرار الاتجاه الى الاشتراكية ، يتوقف على التضامن مع البلدان الاشتراكية والتقدمية .

أيها الرفاق :

لقد نشر كثير من الدعاية الاستعمارية حول موقف الاتحاد السوفيتى من حركة المقاومة الفلسطينية .

ولكنى انتهز هذه الفرصة لاقول اننا نؤيد حركة المقاومة ، ونقدم لها الدعم الكامل . ونحن نعتبرها جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر العربى ، ولاشك أن

هناك بعض الخلافات بيننا وبين حركة التحرر الفلسطيني ، ولكن الامر الجوهري ، هو اننا نؤيدها سياسيا وماديا ومعنويا ، ونحن باتخاذ هذا الموقف انما نستجيب لمبادىء الاممية العالمية ، التي تحتم علينا تأييد جميع حركات التحرر .

وأحب أن أشير كذلك الى احدى النتائج الاساسية التي حدثت في العام الماضي ، وهي التقارب بين مفكري حركة التحرر الوطني والاشتراكية العلمية ، ولا شك ان هناك خلافات ايضا ولكنها ستتبدد مع استمرار الحياة والنضال والعمل .

وقد تأكد لغالبية المناضلين اليوم انه ليس هناك شيء اسمه اشتراكية فوضوية ، وانها لابد ان تكون منظمة ، وهذا التنظيم يتطلب اعتمادا اعمق على القوى الشعبية .

وأخيرا أحب أن أذكر نتيجة ايجابية اخرى ، وهي تتصل بالعلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي .

واعتقد أيها الرفاق — أنكم تتفقون معي على أن هذه العلاقة هي الضمان الاساسي للنضال المشترك للسنوات القادمة .

لقد اثبت عام ١٩٧٠ ، كما اثبتت الاعوام السابقة له ، كذب تنبؤ المفكرين البرجوازيين الذين تحدثوا بعد عام ١٩٤٤ عن الحرب العالمية الثالثة ، ونستطيع ان نقول اليوم أنها لم تقع .

ان ميزان القوى الجديد في العالم ، يسمح ببناء الاشتراكية في ظروف سلمية ، ان نجاح حركات التحرر الوطني كان له وزنه الفعال في عدم وقوع هذه الحرب .

ونحن نعتقد اننا لدينا جميع المبررات لكي يضمن الاتحاد السوفيتي بقوته الاقتصادية والعسكرية هذه الحقيقة .

ومع ذلك فاننا لا ننكر وقوع حروب اقليمية ، خلال الفترة الماضية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .. مثل حروب كوريا وفيتنام والشرق الاوسط ، وهذه الحروب تمثل الدلائل على محاولات الاستعمار للتحول الى الحروب المضادة .

والواقع ان الدول الاشتراكية ، وقوى حركات التحرر ، مطالبة باخماد نار هذه الحروب .

ونقطة اخرى في هذا الموضوع — أيها الرفاق — وهي نقطة نزع السلاح الاستراتيجي .

لقد ابتهج المفكرون البرجوازيون في عام ١٩٤٤ ، بعد ان ألقى الامريكان قنابلهم الذرية على هيروشيما وناجازاكي ، وقالوا ان الاتحاد السوفيتي لن يكون له — بعد ذلك — الا دور ثانوي في المجال العالمي ، لانه لم يكن يملك هذه القوة الذرية ، ولكننا استطعنا — كما تعرفون — ان نحطم هذا الاحتكار الذري عام ١٩٤٩ .

هذه احدى حقائق العصر ، لذلك فقد استطعنا ان نمسك بميزان القوى في العالم ، ولكننا في نفس الوقت من انصار نزع السلاح الاستراتيجي ، وهذا يعني نزع السلاح من الجانبين ، على أساس مبادىء وقواعد معينة . ولن نقبل بأي حال نزع السلاح من جانب واحد ، وهو الجانب الاشتراكي ، ولن يستطيع احد أن يفرض علينا نزع سلاحنا بمفردنا .

اننا نعمل دائما من أجل تسوية سلمية وعادلة لكافة المنازعات الدولية في جنوب شرقي آسيا وفي الشرق الاوسط . وكما نجحنا في السنتين الاخيرتين في وقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية ، ثم اضطر الامريكان الى الجلوس على مائدة واحدة مع الفيتناميين ، ثم أمروا بسحب ٩٠ الف جندي امريكي من فيتنام .. فاننا نرى ان زيادة الضغط السياسي والعسكري سيؤتي ثماره في الشرق الاوسط ، وذلك لصالح الشعب العربي وحقوقه المشروعة .

المناقشات

وبدأت المناقشات بالاسئلة التالية :

●●● نلاحظ حدوث تصعيد مستمر في العنف الاستعماري ، كيف يمكن في رأيكم مواجهته ؟ وما هي الاسباب الموضوعية — حسب تحليلكم — التي تسمح للمعسكر الاستعماري بالتصعيد في هذه الفترة الزمنية ؟ .

■ **أوليانوفسكي** : بالنسبة للحديث عن هذا الموقف لابد أن نلاحظ ان هذا التصعيد يحدث في مناطق محدودة فحسب من مناطق الحركة المعادية للاستعمار . أما القول بان الامبريالية تقوم الآن بهجومها الشامل .. فهذا غير صحيح ، بل وتقييم خاطىء لحقيقة الموقف .

فحركة التاريخ تؤكد أن القوى الاشتراكية ، وكذلك قوى التحرر الوطني ، هي التي تقوم بالهجوم ، وأن الاستعمار هو الذي يأخذ موقف الدفاع ، بصفة عامة .

ومن هنا فان القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى هى التى تمثل العامل الحاسم ، لذلك يزداد عنف الاستعمار فى مواجهة هذه القوى ، ولكن هذا العنف الاستعمارى يقع فى بعض الاجزاء التى قد تسمح له بالكسب المؤقت .

ولكننا لا نقول ان الاستعمار يحرز انتصارا فى كل المواقع ..

منذ عشر سنوات قاد الاستعمار أعمال عنف فى كوبا .. وهزم .

ومنذ عشرين عاما قاد حربا عنيفة فى كوريا .. وهزم ، وفى فيتنام ها هو ايضا يهزم .. لانه لم يستطع تحقيق الانتصار الذى كان ينشده .

والان فى الشرق الاوسط .. لم يستطع الى الان احراز أي انتصار استراتيجي .

وأمامنا تجربة ثورة السودان ثم ثورة ليبيا .. والحرب الدائرة فى غينيا البرتغالية منذ عشر سنوات .

كل هذه الامثلة تثبت ان العنف الاستعمارى لا يحقق انتصارات نهائية .

أما أسباب العنف الاستعمارى فهى :

أولا : اشتداد التناقضات الاجتماعية بين الاستعمار وبين قوى التحرر الوطنى .

ثانيا : محاولات الاستعمار لاستغلال الخلافات والصراعات الداخلية .

● محاولاته لكسب عملاء محليين والتعاون معهم ضد حركة الشعوب .

●●● هناك دعوى دائمة للسلام .. والسلام حقا مطمع كل الشعوب ، بيد أنه كثيرا ما يثار السؤال التالى : هل يوجد تناقض بين حروب التحرر الوطنى ، وسياسة التعايش السلمى ؟

■ **أوليانوفسكى :** هناك تصور خاطىء بأن سياسة التعايش السلمى تناقض حركات التحرر الوطنى ، وفى ظل هذا التصور الخاطىء يقال أن أحسن ظروف لانتصار حركات التحرر الوطنى هو قيام حرب عالمية ثالثة .

والسؤال هنا هو : هل يمكن حل أى تناقض وطنى فى ظل حرب ثالثة ؟

من منا يريد ان يدفع حياة ملايين الضحايا من البشر ثمنا للمساواة الاجتماعية والعدالة .

ان الاموات وحدهم هم الذين لايريدون الحرية . ولكن الاحياء هم الذين يريدونها ويريدون كذلك الاستقلال الوطنى ، ليست هناك أنواع محددة للحروب العالمية ، الحرب العالمية واحدة . والحرب العالمية المعاصرة لن تحصد حياة ٧٠ مليونا من الضحايا ، وانما حسب التقديرات الامريكية سيصل عدد الضحايا الى ٢٠٠ مليون انسان عند أول تبادل لاسقاط القنابل . وكان « **هيوبرت همفرى** » يقول : ان ٢٠٠ مليون ضحية يعد رقما متواضعا .. وزاد عليهم ٢٠ مليونا .. ولكنهم على أى حال عدد هائل من البشر ..

من منا لا يصل الى استنتاج ان أى حرب عالمية حديثة لن تحل أى قضية وطنية ، وانما ستقود البشرية الى الكارثة ، لذلك يقف الاتحاد السوفيتى ضد أى حرب عالمية حديثة ، ونحن على ايمان راسخ أنه فى ظل السلام ، سوف تحل كافة قضايا التحرر الوطنى لصالح الشعوب .

مثلا .. هل جاءت ثورتكم نتيجة لحرب حديثة .. أو ثورة السودان .. أو ثورة ليبيا ؟

اننى لا استطيع ان أتصور ان احدا سيتماسك فى مثل ذلك الوقت .. وقت انفجار حرب ثالثة .

ان الثورات الوطنية تقع فى قلاع الاستعمار ، وتقع نتيجة لتوزيع معين لقوى الطبقات ، وكذلك نتيجة لعدم وقوع حرب عالمية ثالثة .

وفى قارات آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، تولد فى كل يوم ثورات ، وسوف تنتصر دون وقوع أى حرب عالمية ثالثة ، ولن تساعد أى حرب حديثة حركات التحرر فى تحقيق انتصاراتها .

لذلك فاننى أقول ان الذين يربطون احتمال انتصار حركات التحرر بوقوع حرب عالمية ، لا يساعدون هذه الحركات وانما يعيقونها .

●●● هل المساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى للوطن العربى ، وخاصة للجمهورية العربية المتحدة ، كفيلة بردع العدوان ؟ وهل توازى هذه المساعدات تلك التى تقدمها امريكا للعدو ؟

■ **أوليانوفسكى :** اننى احدد الاجابة من حساب بسيط لميزان القوى بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلى ، بمعنى انى أعتبر أن الجيوش العربية ، وخاصة جيوش الجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا ، والعراق ، تتفوق فى قوتها على قوى الجيش الاسرائيلى ، وهذه البلدان الثلاثة تحصل على السلاح من الاتحاد السوفيتى .

واننى افترض انكم ستوافقون معى على أن جيش الجمهورية العربية المتحدة ، هو القوة الكبرى من ناحية التعداد ونوعية السلاح .

وكل هذه الطاقة الحربية كفيلة بان تصد كافة محاولات واستفزازات العدو الاسرائيلي •

وتفاصيل هذه المسألة تخص رجال الجيش والخبراء العسكريين ، غير انه ليس هناك شك في أن القوات العربية ، اذا ما قارناها بوضعها السابق في ٥ يونية تتفوق الان •

اما بالنسبة لنوعية السلاح ، فان السلاح الموجود الان في الايدى العربية ، هو نفس السلاح الموجود في الايدى الفيتنامية ، والسلاح في الحالتين يواجه نفس السلاح الامريكي •• الفانتوم والسكاى هوك والهليكوبتر •

وفي فيتنام أسقطت أكثر من ٦٠٠٠ طائرة امريكية ، والمسألة من وجهة نظرى ليست مسألة كفاية أو عدم كفاية ، ولكنها في هل تناسب مطالب الوضع الراهن أم لا ؟

فالعامل الانسانى هو الهام ، هذا العامل يتمثل في التدريب والاستعداد لحمل واستيعاب هذا السلاح ، وهذا بدوره يتطلب وقتا •

لقد تعرض الاتحاد السوفيتى لهزيمة عام ١٩٤١ ، ولم نستطيع أن نشن هجومنا على النازية الا في خريف عام ١٩٤٢ •

خلاصة القول ان كمية ونوعية السلاح في الجانب العربى اليوم تفوق كمية ونوعية السلاح الموجود على الجانب الاخر •

●●● ما هى في رأيكم امكانية الحل السياسى ؟ وهل هو طريق مسدود لا يفتح الا بحرب جديدة ؟ • وهل تمثل المباحثات الرباعية حلا جديدا •• أم لا ؟

■ **أوليانوفسكى** : نحن نعمل من أجل التسوية السياسية والتسوية السياسية لا تعنى الكلام من جانب واحد ، ولكنها تعنى وتفترض وجود ميزان قوى معين •

المعتدى لا يريد تسوية سياسية طالما أنه يتفوق على الجانب الاخر •

والجواب اذن هو تحويل هذا التفوق الى الجانب العربى ، والتسوية السياسية ليست استسلاما ، وبعض الناس يعتبرونها شيطانا ، ويقولون ان الحرب الشعبية هى الامل الوحيد •

أين ؟ • في سيناء ؟ •

سيناء ليست فيتنام ، يجب أن نرى الواقع •

الحرب الشعبية بالنسبة لسيناء مستحيلة •

بل ان خوض حرب شعبية من الضفة الغربية ، ليس عملا مستحيلا ولكنه صعب ، بسبب طابع الارض هناك •

وقد قال بعض الناس لكم دعوا الجيوش الاسرائيلية تدخل الدلتا ، وسوف يمكن عندئذ مواجهتها •

وهذه بصراحة نصائح المجانين •• ان الدلتا هى الحياة بالنسبة لكم •• فهى القوة الاقتصادية والتموين والصناعة والطبقة العاملة والفلاحون •

المجنون وحده هو الذى يقترح مثل هذه الاستراتيجية •

ان التسوية السياسية لقضية الشرق الاوسط تؤيدها البشرية كلها ، التى تدين الاحتلال والعدوان ، ونحن نداقع عنها •

ولكنها تحتاج الى عمق في اليقظة ودرجة عالية من التعبئة والتنظيم والبناء القوى القادر على مواجهة كل الاحتمالات •

لقد عاش الاتحاد السوفيتى فيما بين عام ١٩٤١ و ١٩٤٤ وهو يرفع شعارا واحدا وهو « كل شيء من أجل الجبهة ، كل شيء من أجل النصر » • في ذلك الوقت كانت القوات الهتلرية تحتل نصف روسيا ، وانتم الان تملكون كل مصر ، والاسرائيليون لا يحتلون سوى سيناء فقط •

ان ازدياد القدرة العسكرية العربية يؤثر على الضغط السياسى ، واننا نلاحظ ان الرأى العام العالمى يتحول الآن الى جانبكم ، ولذلك يجب أن تكون لديكم رؤية متفائلة وصبورة •

●●● ان المبدأ الذى الح عليه لينين في مقدمة كافة مقالاته هو « يا عمال العالم اتحدوا » • فهل هناك — في رأيكم — احتمال لوحدة الحركة العمالية في أوروبا وأمريكا وآسيا والعالم الثالث كله • وما هى النتيجة المحتملة لذلك الاتحاد ؟

■ **اوليانوفسكى** : نحن مقتنعون منذ ٥٣ عاما ، بأن الوحدة العمالية العالمية ، وكذلك وحدة الكادحين ، ووحدة القوى المعادية للاستعمار ، يمكن أن تؤدى الى انتصارنا المشترك على الاستعمار وعلى الاستغلال ، وعندنا ، أيها الرفاق ، مثل روسى يقول : ان أحد الفلاحين أحضر اولاده وأخذ سنابل من القمح •• وقدم واحدة لواحد منهم •• وطلب منه كسرها •• فكسرها •• ثم فعل ذلك مرة ثانية وثالثة ، ثم قدم لهم حزمة السنابل كلها ، فلم يستطع واحد منهم كسرها •

ان قضية وحدة الطبقة العاملة ، هى قضية الاممية ، على ان لكل من الحركات العمالية في امريكا واوروبا وآسيا ظروف مختلفة •

فعمر الطبقة العاملة المصرية يرجع الى ٣٠ عاما مثلا ، أما في أوروبا فعمر الطبقة العاملة يعود الى ١٥٠ عاما ، وفي الاتحاد السوفيتى يعود تاريخها الى ١٢٠ عاما •

ولذلك تختلف ظروف كل منها ، تبعا لعمر كل منها ، ولتجارب كل منها أيضا ، وتنظيم كل منها سواء كان سياسيا او عماليا يختلف كذلك ، ولكن رغم كل هذا التفاوت ، فان العمال فى النهاية اخوة ، لان عدوهم واحد وهو الاستعمار والاستغلال .

وقد قال « **كارل ماركس** » و « **فلاديمير ايليتش لينين** » ان الجهود المبعثرة للبروليتاريا تؤدى الى انهزامها ، وان الجهود الموحدة لها تؤدى الى انتصارها .

وهذا هو المبدأ الذى نبنى عليه موقفنا من حركة التحرر الوطنى .

ونستطيع أن نقول : ان حركات التحرر الوطنى فى القرن الماضى قد انهزمت كلها .. فى مصر والهند والصين والجزائر .. الخ .

لماذا ؟ .

لانه لم تكن هناك جهود موحدة .. لان كلا منهم أراد ان يرقص رقصته ، بمعزل عن الاخرين ، والاشتراكية لم تكن قد ولدت فى روسيا ، ولم يكن هناك أى ارتباط مع البروليتاريا الاوروبية .

ولكن الان تحدث الانتصارات . . لماذا ؟ .

لوجود درجة معينة من التضامن .

من الذى انتصر فى ليبيا .. أهم المليون ليبى وحدهم ، أم البروليتاريا العربية ، والشعوب العربية كلها بتطورها وبذكائها .. لا شك ان البروليتاريا العربية لعبت دورا فى انتصار ثورة ليبيا .

واذا اخذنا من ناحية أخرى اضرابات فرنسا وايطاليا العمالية ، فانها تساعد حركات التحرر الوطنى فى أى مكان .

ولذلك فنحن نقولها « على المفتوح » بأن وحدة العمل على أساس منطلق موحد ، هى التى تحقق الانتصار ، ولا يهم ما اذا كان المرء زنجيا ، او هنديا ، اوعربيا ،أوأوروبيا .

ونحن نعرف أنه فى داخل الحركة الشيوعية ، نجد أناسا يضعون حاجزا بين الحركة الاممية وبين حركة التحرر .. وهذا خطأ فى رأينا . من هنا يجب الا ننسى لحظة أن الجهود المبعثرة للثوار تؤدى الى الهزيمة .

●●● أدى الخلاف داخل المعسكر الاشتراكى الى تبجح الاستعمار ، فالى أى مدى اتسعت هذه الخلافات وهل هناك أمل فى حلها حرصا على الثورة العالمية ؟ .

■ **اوليانوفسكى** : نحن نعتقد ان هذه الخلافات أدت الى أوضاع سيئة فى فيتنام ، وأن الوحدة كان يمكن أن تؤدى الى عمل عظيم فى حسمه ، ولو لم تكن هذه الخلافات قائمة لما وصل الوضع فى فيتنام الى ما وصل اليه .

وأود أن أقول : ان الحزب والحكومة السوفيتية ، قد اتجهت الى ذلك البلد الشقيق الذى تجاور حدوده ، حدود فيتنام .. ولكننا لم نحصل على أية اجابة . ولكننا لا نزال مستمرين فى سيرنا فى هذا الخط ، ولازلنا نقول « من اجل الثورة لابد أن نضع خلافاتنا جانبا » .

وقد طالب المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعيةفى عام ١٩٦٩ بوحدة كل الثوريين فى العالم .

وبالرغم من أنه كانت هناك خلافات فى الآراء، الا أن القضية الرئيسية حازت اغلبية أصوات ٤٥ حزبا شيوعيا وعماليا ، وبذلك وضع هذا المؤتمر حجر الاساس لقضية التلاحم الثورى فى العالم .

وخلال الفترة التى اعقبت هذا المؤتمر فاننا لا نزال نسير فى نفس الخط .

ونحن نعتقد أنه من الممكن تحقيق هذه الوحدة بين كافة القوى الثورية اذا انطلقت هذه الاحزاب من الموقف الاممى .

وأؤكد لكم أن الحزب الشيوعى السوفيتى يعمل كل شىء ، ويبذل كل الجهود من أجل هذه الوحدة .

وفى ختام المناقشات علق محرر الطليعة بقوله: اود باسمكم،ان اكرر الشكر للاستاذ أوليانوفسكى على محاضرته ، وعلى سعة صدره فى الرد على كل التساؤلات التى أثيرت ، والحق أن الصراحة فى ابداء وجهات النظر خلال الحوار ، هى الاساس السليم والموضوعى لبناء وتدعيم الصداقة ، التى أثبتت الاحداث ضرورتها وحيويتها لكل من قوى الاشتراكية ، وقوى حركات التحرر الوطنى .

وهناك نقطةاساسيةتركز عليها الحوار، وهى الخاصة بالحل السياسى والحل العسكرى لقضية العدوان الإسرائيلى ، وأيا كان المنطلق لرؤية هذه القضية ، فالامر الهام هو عدم الوقوع فى فصل ميكانيكى بين العمل السياسى والعمل العسكرى فى مواجهة الامبريالية والصهيونية . فالعملان مطلوبان ، وكل منهما يخدم الاخر ، بشرط ان توجه السياسة باستراتيجيتها الموضوعية

العمل العسكرى فى تصديه للعدوان الاسرائيلى المسلح . ومن هنا فكافه الجهود والاعمال السياسيه لا تلغى المقاومه المسلحة . كما ان المقاومة لا تلغى العمل السياسى وتعبئة الجماهير والرأى العام العالمى الخ .. والواقع انه فى كلا العملين نجد التأييد والمساندة من الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية . ومن خلال الكفاح المشترك وبادل الخبرات . والتحليلات للمواقف ، تتدعم باستمرار وحدة نضالنا ضد الامبرياليه والصهيونية والاستغلال .

■

مكسيم رودنسون

الصهيونية بين الاستقلالية والتبعية !!



ننشر فيما يلى النصوص الكاملة للمناقشات التى دارت حول « المشكلة اليهودية عبر التاريخ » ، وهى المحاضرة الثالثة التى القاها مكسيم رودنسون بقاعة محاضرات الاهرام بدعوة من اسرة تحرير الطليعة . وكنا قد نشرنا نصها فى العدد السابق .

كما سبق ان نشرنا — فى العددين فبراير ومارس ١٩٦٩ على التوالى — المحاضرتين الاوليين « صورة العالم الاسلامى فى اوربا منذ العصور الوسطى حتى اليوم » و « الماركسية ودراسة العالم الاسلامى » .

الطليعة :

نود أن نعبر عن شكرنا للاستاذ مكسيم رودنسون على محاضرته القيمة التى تناول فيها المشكلة اليهودية عبر التاريخ من وجهة نظره . والحقيقة انه كما ظهر فان هناك وجهات نظر مختلفة حول المنهج الذى اتبعه الاستاذ مكسيم رودنسون فى علاج هذا الموضوع ، وان لم يكن هناك اختلاف عن النتائج التى توصل اليها فى بحثه ، والتى هى الان تمثل قناعة من جميع الشعوب العربية ، والتى يمكن تلخيصها فى اننا فى النضال الذى نخوضه الان فى مواجهة الصهيونية واسرائيل لا نصدر عن موقف عنصرى أو موقف دينى ، وانما نصدر كجزء من حركة التحرر العربى التى هى جزء من حركة التحرر العالمى ضد الامبريالية ، والاستعمار القديم والجديد، وضد العنصرية. واننا نرى مايراه هو بالفعل من ان اسرائيل تمثل واقعا استعماريا عنصريا ضد حقوق شعب فلسطين . واننا فى ذلك نميز تمييزا واضحا ودقيقا — وسنظل على هذا التمييز باستمرار — بين اليهودية بمختلف مشتقاتها التى ذكرها الاستاذ مكسيم رودنسون وبين الصهيونية ، كحركة عنصرية رجعية مرتبطة بالامبريالية .

ونحن نشيد بالموقف الذى اتخذه ويتخذه الاستاذ رودنسون منذ خمسة عشر عاما فى الدفاع عن حق شعب فلسطين ، وفى ادانته للصهيونية ، كحركة عنصرية ، وذلك فى اطار نضاله المستمر ضد الامبريالية ، وضد الاستعمار ، وضد أى نوع من انواع التمييز القومى أو العنصرى أو الدينى .

ونرجو ان ينفتح الصدر بالنسبة للاستاذ مكسيم رودنسون ، وصدره كما نعتقد وكما نعرف مفتوح دائما للحوار ، وأن ينفتح ايضا بالمقابل صدرنا للاستماع الى وجهات النظر المختلفة حول هذا

المنهج ، خصوصا وانه هو نفسه تنبأ بان بعض تعبيراته وبعض مواقفه قد تصدم بعض الاتجاهات الاشتراكية أو بعض الاتجاهات الماركسية ·

على هذا الاساس اعتقد انه بالرد على الاسئلة التى طرحت يمكن نسج الخلفية التاريخية التى قدمها الاستاذ رودنسون للمشكلة اليهودية مع الواقع السياسى الحالى ، وبالتالى تكون المناقشة بعد ذلك اجدى واعمق وأكثر اتصالا بـالحياة العملية ، وبالواقع الذى نعيشه ·

فليتفضل الاستاذ مكسيم رودنسون بالرد على الاسئلة ·

■ السؤال الاول :

يتردد اليوم أن الرأى العام فى أوروبا الغربية قد بدأ يتحول عن تأييده ومساندته لاسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ ، ويتفهم حقيقة القضية العربية ونضال الشعب الفلسطينى من أجل حقوقه القومية المغتصبة · الى أى مدى تعتقدان هذا الرأى صحيح، واذا كنتم ترون ان هناك ثمة تحولا فما هى اسبابه ؟ واذا لم يكن هناك تحول فماهى العقبات التى تحول دون ذلك ؟

مكسيم رودنسون :

من الصعب تقييم بعض الاحداث كالتغير فى الرأى العام ، غير أنه مما لاشك فيه ان هناك ثمة تحولا قد طرأ على الرأى العام الفرنسى منذ حرب يونية ١٩٦٧ · وأنا اتحدث عن الرأى العام الفرنسى لانه هو الوحيد الذى أعرفه فى أوروبا · فقبل حرب يونية ١٩٦٧ كانت المسائل ينظر اليها بتبسيط شديد ، فى أذهان الغالبية العظمى من الفرنسيين ، فقد كان الشعب الاسرائيلى من وجهة نظره يمثل اليهود ، هذا الشعب المضطهد الذى وجد أخيرا مأوى له، بينما هناك مائة مليون عربى يريدون تدميره · علاوة على ذلك فقد دعمت الدعـاية الصهيونية مبررات هذا التوطيد منذ سنوات بدون أن يقابلها أى شىء تقريبا من الجهة الاخرى ·

وكان الفرنسيون يعتقدون أن فلسطين قبـل الاحتلال كانت بلدة مقفرة ، لا يوجد بها غير قلة متناثرة من أشجار النخيل وعدد قليل من الجمال تنتقل من مكان لآخر، وباختصار فان الاسرائيليين حولوا الصحراء الى ارض منتجة مغلة · وأذكر أن أحد بائعى الصحف قال لى : ما الذى تريده ، فأنا مع الذى يعمل ·

واعتقد ان هذا يبدو منطقيا — وهناك فيلم سينمائى اظن انه لكلوزو مانون ليسكو ترى فى نهايته الناس ذاهبين الى فلسطين ثم يصلون الى منطقة صحراوية جرداء · ونتيجة لذلك كله ، فقد كانت المسألة بسيطة بالنسبة للرأى العام الفرنسى ، خصوصا وان الحق العربى فى هذه القضية لم يظهر الا فى أضيق الحدود . أما الان فيبدولى أن الرأى العام عرف أن هناك جانبين ـ الجانب الاول يمثله العرب والجانب الاخر يمثله الاسرائيليون · وسواء أكان لاحدهما الحق وللاخر غير ذلك فعلى الاقل فقد أدرك أن هناك طرفين · بينما لم يكن هناك غير حقيقة واحدة من قبل ، أهمل فيها الجانب العربى كل الاهمال ·

كيف حدث هذا التحول ؟

أعتقد أن السبب الرئيسى لهذا التحول هــو الوضع الراهن لإسرائيل بعد انتصارها فى يونية ١٩٦٧ ، والنتائج التى تبعت ذلك النصر ، وفى مقدمتها المقاومة الفلسطينية التى تظهر رغم كل شىء فى أكبر الصحف الموالية لاسرائيل · وأن أكثر الاشخاص تعاطفا مع اسرائيل بدأوا يدركون أن هناك أحداثا كالتى كانت فى فرنسا ابان الاحتلال الالمانى · وأنه من الصعب على أغلب الفرنسيين أن يهربوا من هذا الاحساس مهما حاولوا دفـع الادلة · فعلى الاقل ستعيش هذه الاحداث فى ضمائرهم مع تتابع أبناء الثورة الفلسطينيـة والمقاومة الفلسطينية ·

أما فيما سلف فقد كان الفرنسيون يتساءلون عن سبب تدخل السوريين أو المصريين أو اللبنانيين فى هذه القضية وما شأنهم بها · وقد كان هذا يستدعى شرحا طويلا وصعبا يتطلب كثيرا من المعرفة ، وكان لابد من أن نشرح باسهاب حركة الوحـدة العربية ـ البان ارابيزم Pan – Arabisme كما كنا نسميها فى فرنسا ، وكما يسمونها فى أوروبا · انها تعنى ببساطة حركة قومية عربية · فهناك عوامل كثيرة مشتركة بين العرب تبرر هذا التدخل فى شئون المنطقة الفلسطينية ·

وأنتم على أى حال فى موقف أفضل ، اذ أن الروابط التى تربط فيما بينكم ، أكثر من التى تربط بين اليهودى اليمنى واليهودى الامريكى حتى لو فرض أن بلادكم منفصلة · وأعتقد أن هذه هى الاسباب الرئيسية للتحول ·

وهناك شىء آخر هو ان حرب يونية ١٩٦٧ جذبت الانتباه بشدة الى هذه المنطقة · ولكن يجب أن تدركوا ان الطبقة المتوسطة فى فرنسا تهتم بالدرجة الاولى بالاحداث التى تدور فى فرنسا ثم ببعض الاحداث التى تدور فى البلدان المجاورة ·· ربما تضايق البعض منكم اذا سألتهم عن رأيه فى أزمة كشمير ·· هل تضم الى الهند أو الى الباكستان ،

أو نصفها للاولى والنصف الاخر للثانية ٠سيكون رده بالفعل مؤيدا للباكستان لانها دولة اسلامية ، وذلك تضامنا مع المسلمين ، واننى أعتقد أن قلة منكم سيكون لهم رأى سـليم . اذن فلا يجب الاسراع بالادانة ، فانه من المعروف ان الطبقة المتوسطة فى فرنسا لا تبدى اهتماما كبيرا بمثل هذه المشاكل . فى يونية ١٩٦٧ كانت هناك سلسلة من الاحداث جذبت الانتباه نحو المشكلة ، تبعتها سلسلة من المقالات وعدد كبير من الكتب كان أغلبها مؤيدا لوجهة النظر الاسرائيلية ، وهذا طبيعى . غير انه كانت هناك مقالات وعدد من الكتب تبرز حق العرب وهذه المطبوعات تتزايد نتيجة للاحداث ، فقبل حرب يونية ١٩٦٧ لم يوجد تقريبا كتاب واحد يعرض وجهة النظر العربية بعدل وانصاف ، أو فلنقل بلا تحيز ٠ وعلى أى حال فهناك الان بعض الكتب والصحف المنصفة للعرب ٠ وأستطيع أن أقول ان الدعاية أصبحت أفضل مما كانت عليه ، غير اننى لا أريد أن أبالغ فى ذلك حتى لا أعطيكم صورة ذهنية خاطئة ٠

وهناك عقبات تواجه التحول — تستلزم وقتا طويلا لحصرها — وعلى العموم فهناك عدد منها بديهى ، كتقارب المجتمع الاوروبى والاسرائيلى ، هذا التقارب الذى يجعل المجتمع الاوروبى أكثر تفهما لوجهة النظر الاسرائيلية . ومن الاسباب الكامنة أيضا ان المجتمع الاوروبى يشعر انه أقرب الى المجتمع الاسرائيلى منه الى المجتمع العربى ٠

ويمكننا أيضا أن نتحدث عن الافكار المنقولة عن العرب من جهة وعن الاسرائيليين من جهة أخرى منذ العصور الوسطى ٠ لان هناك قاعدة اجتماعية تقول بأن أى شعب يميل الى الحكم على الاحداث من خلال مشاكله الداخلية التى تعودها واندمج فيها ٠ اذن فكل العالم كان يجهل حقيقة ما يدور فى فلسطين . وأعتقد أن الوضع قد اختلف الان . ومن الطبيعى أنك اذا سألت أى فرنسى قبل يونية ١٩٦٧ عن وعد بلفور لقال لك : ربما يختص هذا بالرياضة أو بحقوق الانسان لا أدرى ، أما الآن فعلى ما أعتقد — حسب تقديرى — ان نسبة من ادركوا القضية قد بلغت ٦٠ فى المائة ، وانها كانت قبل ذلك لا تتعدى رقما عشريا ٠

فيما سبق كنا ننصف اسرائيل وهذا معناه اننا كنا نندمج فى القضية التى كنا نعلمها ، فمن ناحية كان هناك اليهود ومن الناحية الاخرى العرب . وكنا نعلم الى حد ما من هم اليهود ، هم اناس بؤساء اضطهدوا ، وكانوا يقتلون بالملايين وقد قتل منهم ستة ملايين فى الحرب العالمية الاخيرة ، وهذه حقيقة رغم ما يقوله رجال الاعلام العرب فى بعض الاحيان نتيجة لاستيفائهم انباء خاطئة ، ومن جهة أخرى فهناك العرب ..

وننتقل اذن الى الجوهرية ، وهى المدخل الى الميتافيزيقيا . هناك اشخاص عقلاء جدا بل وفلاسفة ايضا يميلون الى الاعتقاد عند تفكيرهم فى جوهر اليهودى انه لا يمكن ان يكون غير مضطهد بحال من الاحوال . لا يمكن ان يكون قد وجد يهودى غير مضطهد ٠ وهذا ما نسميه فى التاريخ اليهودى بفكرة الاشفاق فى التاريخ اليهودى ٠

وهناك مؤرخ يهودى أمريكى يدعى **بارون** ، قال انه تلقى رسائل سب كثيرة ، وخاصة من اليهود الذين لا يريدون أن يكونوا غير مضطهدين على مر الزمن ، عندما كتب مقالا اوضح فيه : أن اليهود كانوا يعيشون سعداء فى القرن الثالث عشر ٠ اذن هاهم اليهود ، وفى مواجهتهم يوجد العرب وهم غير معروفين جيدا .

ونحن نقرأ فى كتب الاطفال والكتب البوليسية أو أية كتب اخرى ما يظهر العرب فى صورة البدو يحطمون كل شىء ، ومن جهة أخرى يوجد ملوك البترول بنسائهم الكثيرات وحياتهم المترفة ٠ وهناك ايضا قصص ألف ليلة وليلة .. اذن فبالطبع الخيار سهل بين الاثنين ، وهذه عقبات ستظل قائمة لاشك فى ذلك ٠٠

ويجب عدم الاسراف فى تكوين آراء وهمية عن قدرة الجماهير الغفيرة على استيعاب آراء علمية جديدة بشأن موضوع ما ٠

■■ السؤال الثانى :
ما هى فى رأيكم الاوجه السلبية فى اسلوب ومضمون مخاطبة العرب للرأى العام العالمى حول قضية فلسطين : والصراع العربى الاسرائيلى ؟ وكيف يمكن معالجة هذه الاوجه الناقصة أو السلبية ؟ .

مكسيم رودنسون :

اعتقد ان رجال الاعلام العرب يعرفون المجتمع الاوروبى تماما كما يعرفه الاسرائيليون ، ويعرفون ميوله وابعاده فى الداخل وانه بامكانهم أن يقدموا وثائقهم بطريقة مفهومة ، وبدون تقديم ادلة مشكوك فيها ، كما يحدث دائما فى حالة مناهضة السامية فيكون لذلك أثر عكسى ، وقد اتيحت لى الفرصة منذ قليل لبيان بعض هذه الاخطاء . وعلى العموم فهناك غيرها .. فعندما يحاول العرب تقديم ادلة تظهر اليهود بانهم اناس ذوو دوافع داخلية سيئة ، يقول الاوروبيون ، حسنا انهم مناهضون للسامية ، انهم ذوو نزعة هتلرية . ويجب على اناس مثلى — وهم قلة — بيان انه من الخطأ المقارنة بينهما ، فالالمان لم يضاروا مثلما اضير العرب ، وقد لا يروق للجميع مثل هذا التفسير من اشخاص

مثلى فيقولون، هذا ما كان يقوله هتلر، وهاهو فلان يقوله الان فيكون لذلك اثر عكسى . ولا شك فى ذلك . اما الان ، ولكى اكون موضوعيا فانه فى بعض الاحيان تكون لمثل هذه الاتجاهات فاعلية حسنة بالنسبة للعناصر الاكثر رجعية فى المجتمع الاوربى، اذ نجد بعضا من مناهضى السامية الذين يرجعون الى عهد هتلر قد انقسموا الى قسمين: قسم جذبته الجسارة اليهودية ، وقسم آخر ظل وفيا لمبدأ مناهضة اليهودية .

اذن فهم منقسمون الى قسمين : وقد دعيت فى مرة لاتحدث فى اذاعة لوكسمبورج ، وكان من الصعب على ان اعرض افكارى كلها فى خمس دقائق . قد انسى شيئا او اقول شيئا ليس له اى معنى ، وهذا يحدث بدافع الرغبة فى ان اقول كل شىء فى بضع دقائق . وكان هناك استاذ لم يفهم قصدى - وكان هو الاخر مدعو للحديث فى موضوع مختلف تماما . . على ما اعتقد عن رجال الفضاء ، أو شىء من هذا القبيل اخذنى على جانب وقال لى : انا لم افهم ما تقصده تماما ، ولكنى على اية حال ضد اليهود ، اتعرف انهم لا يروقون لى مطلقا .

وهناك شخص آخر بروتستانتى على ما اعتقد قال لى : اننى مندهش جدا لانها اول مرة اسمع فيها شخصا يعرض القضية ، بمثل هذه الطريقة - اعتقد انه كان يمثل جانبا من الصحافة، وانه سمع لاول مرة مثل هذا العرض . ويمكننى ان اقص العديد من مثل هذه الطرائف .

وعلى ما اعتقد فان القضية العربية تكتسب بعض الحلفاء المشكوك فى امرهم وهذا لا يفيد العرب .

وعلى العموم اعتقد أنه يكفى ان نشرح القضية بطريقة موضوعية وبهدوء لكى يكون لها تأثير على فكر الاشخاص .

■■ السؤال الثالث :

الى اى مدى تعبر الصهيونية فى تاريخها وحركتها ومصالحها عن ذاتيتها المستقلة كحركة عنصرية ، وفى نفس الوقت تعبر عن ارتباطاتها بالامبريالية العالمية عامة ، والاستعمار الجديد ؟ .

مكسيم رودنسون :

انه موضوع واسع .. وهنا اخشى ان لا يروق لكم عدم ميلى الى التبسيط ، فأنا اجد ان هناك العدد الكافى من الاشخاص الذين يقومون بهذا التبسيط ، وهناك بعض من اصدقائى يلوموننى بلطف لاننى اكثر فى الحديث عن جوانب المشكلة، وان وجد من وقت لآخر شخص يقوم بهذا فليس فى ذلك عيب ، الا انه لا يحمل المشكلة الى المستوى العام او الجماعى او الاجتماعى ، وقد تعود العرب ودول العالم الثالث الخطأ بالنسبة لمفهومهم للاستعمار، فكلمة استعمار تطلق باللغة العربية على ماتسميه بالفرنسية Colonialisme Impérialisme، وهما كلمتان مختلفتان فى المعنى تماما ، وهذا يسبب لبسا فى المعنى، وهم يصورون الاستعمار فى بعض الاحيان تصويرا ميثولوجيا ، يصورونه كوحش كاسر ذو راس واحدة وعدة اذرع . فعندما يطرحون هذه الصورة الخرافية فى اوربا ، لا يصدقها الاوروبيون - الا بعض الجماعات اليسارية وهى تمثل الاقلية هناك - فيقولون انها مجرد دعاية . وعندما نود تفسير اساس ما نعنيه نساق فى شرح طويل لايقتنع به عادة الا مناضلو اقصى اليسار وليس كلهم .

وانا ادرك تماما انه فى هذه الفترة من الكفاح ، نحن مجبرون على التبسيط ، ولكن بالنسبة للاشخاص الذين لا يؤثر فيهم هذا التبسيط او لا يقتنعون به ، يجب الاسهاب فى الحديث معهم عن جوانب المشكلة حتى لو كان على مستوى المفكرين او المستويات العليا من المثقفين . وانا اعرف أنه لا يشاركنى فى هذا الراى الكثير من زملائى المناضلين . ولقد مررت شخصيا بمرحلة التبسيط ورايت المخاطر والاخطار التى يمكن ان تسوقها .

ان الصهيونية حركة خاصة لها اهدافها ومصالحها، وبالطبع كان لابد لها ان تنضم للقوة الاوربية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . كان هذا وضعا طبيعيا ، لانه كان لها اهداف فى فلسطين التى كانت تخضع حينذاك للحكم العثمانى ، فكان يجب عليها ان تنضم الى احدى الدول الاستعمارية، وترددت فى الخيار بين هذا وذاك مدة طويلة وانتهت باختيار الاستعمار الانجليزى ، لعبوا لعبة الاستعمار الانجليزى وهذا لا يعنى ان تشرشل اذا طلب شيئا من القائد الصهيونى فانه يطيعه طاعة عمياء . فالامر يختلف تماما عن ذلك ، فكل منهما كان يحاول استخدام الاخر لتحقيق اغراضه الخاصة . وكان هدف الصهيونية هو اقامة دولة يهودية فى فلسطين وهذا كان هدفا بسيطا بجانب المصالح الضخمة للاستعمار الغربى عامة ، والاستعمار البريطانى خاصة .

وبالتالى فديناميكية الاحداث كانت تلزم من الاهداف الخاصة للصهيونية الانخراط فى هذه القوة الكبيرة ، ولكن مع محاولة الاحتفاظ دائما ببعض الاستقلال ، وكل منهما كان يستخدم الاخر،

فهذا قانون الحلفاء ، والاقوى يحـاول تطويع الاضـعف وبالطبع الجـانب الاقـوى منا كان الاستعمار الاوروبى ، والاضعف كان المشروع الصهيونى وكان هذا يتم بصور مختلفة ٠

وعندما كنت انساق فى نقاش مع الصهاينة كانوا يسألوننى لماذا انا مع القومية العربية ولست مع القومية اليهـودية ، او الاسرائيليـة او الصهيونية ، فكنت اقول ان الاحداث تملى على ذلك ٠ وفى الوقت الذى كانت الصهيونية تختار فلسطين دولة تستقر فيها ، وبالتالى سيكون عليها ان تواجه العداء العربى لها.. وهذا طبيعى .. كانوا فى هذه الحالة مجبرين على اختيار حسام قوى لهم ، وفى الفترة الاخيرة اسـتقروا على الولايات المتحدة الامريكية فهذا طبيعى ايضا .

ولكن هل يكفى ان يرفع ترومان او نيكسون سماعة هاتفة ويقول للقادة الصهاينة افعلوا ذلك فيفعلوه.. انا ارى انها نظرة ميثولوجيـة للاحداث ، ففى الحقيقة هناك مساومة بين الاثنين ٠ الصهاينة فى الحقيقة مجموعة ضعيفة ، ولكن استطاعت ان يكون لها قسط كبير من السيطرة فى امريكا . وقد لعب اليهود الامريكان دورهم فى هذا ، كما ساعد الصهاينة على ذلك تقدمهم التكنيكى الذى اتاح لهم القيام بالتهديد والتشهير والمساومة بحيث يخيل لنا انها قوة مستقلة. بالطبع لا.انها قوة تابعة.لقد رأينا فى عام ١٩٥٦ ان الضغط الامريكى كان قويا بدرجة انه ارغم الاسرائيليين على الانسحاب من سيناء والمنطقة التى اجتاحتها ٠٠ هل يمكن ان يتم هذا الآن ؟ اذا كانت قد عزمت الاقدام على ذلك فيما سبق، فهل يمكنها ان تفعل ذلك الان ؟. انها لعبة صعبة بالنسبة لهم ـ لكن فكرة الاستعمار فكرة نافعة بالطبع كما قلت لكم بالنسبة للتعبئة ٠ فقد ابان ماركس فيما سبق ان مصالح العمال الانجليز لم تكن هى ، او لم تتفق مع مصالح ملاك الارض فى فترة كانت الزراعة تلعب فيها دورا هاما ،كان هناك صراع بينهما ٠ لم يكن هناك مصالح مشتركة بينهما ، وكان على الحكومة أن تختار السياسة التى تنتهجها.فالماركسيون عامة مخطئون لرغبتهم ان يروا حركة ذاتية ٠٠ دفعة اقتصادية ذاتية ٠ انها تحدث عملا سياسيا. ان فى هذه النظرة تبسيط فائق لم يقل به ماركس الذى لم يذكر ابدا كلمة استعمار ٠ انها نظرة فيها تبسيط ٠٠ فهنـاك الحكومة البريطانية والفرنسية وحكومة الولايات المتحدة ٠٠ الخ ٠٠ يجب ان تحفظ التـوازن ، فمصالح هذه المجموعة تختلف عن مصالح الاخرى من وجهة النظر الاقتصادية، فانهم غير متشابهين، ويجب ان لا تهمل هناك المصالح الاستراتيجية ، وهناك مصالح اخرى سياسية وغيرها، ولا اقصد ان انفى قوة الاقتصاد الرأسمالى وقوة الدفعات التى يعطيها ، ولكن ترجمة هذا اوتوماتيكيا ، والقول بالحاجة الى اسواق ٠٠ او كما قيل انهم يريدون منع بلد عربى من تنفيذ خطتها الخمسية. فيلجأون الى بن جوريون اولديان ويقولون له ان يهاجم مصر او غيرها ٠٠ انها فكرة خاطئة ٠ وهنا اقول لكم اننا اذا كنا مرغمين على استخدام التبسيط ، فهذا طبيعى ٠٠ وعلى العموم فانا احب ان احتفظ بهذه الحرية ٠ حرية الامتناع عن التبسيط لاننى لا اريد ان ارغم عليه .. ولن اتخلى عنها .

■ **السؤال الرابع :**

نحن لاننكر وجود قوى ديمقراطية تقدمية داخل اسرائيل ، رغم ضالة حجمها وضعف تاثيرها ٠ ما هو فى تقديركم احتمالات تزايد حجم ونفوذ هذه القوى . ومدى تاثيرها على اتجاهات السياسة الإسرائيلية ؟

مكسيم رودنسون :

انه اكثر الاسئلة حساسية ، وسأجيب عليه بكل صراحة ، ما دمتم قد سمحتم لى أن اعرض وجهة نظرى بحرية ، وأعتقد اننى سأقدم لكم خدمة بعرض الاحداث كما هى ، أو كما أراها ٠

ما المقصود بقوى ديمقراطية تقدمية ؟

نميل الى القول بأن القوى الديمقراطية التقدمية الداخلية فى بلد ما ، هى التى تتبنى سياسة حسنة بالنسبه للدول الاخرى ٠٠ وهذا ليس صحيحا ، فالامور لاتجرى على هذا النحو ، فهناك قـوى ديمقراطية تقدمية لبلد ما لا تفكر مطلقا فى البلاد الاخرى ٠ فالقوى التقدمية الداخلية لا تضـمن السياسة الخارجية ٠ فقد تكون الدولة ديمقراطية فى الداخل ولكنها استعمارية فى الخارج ٠ فهذا يحدث وسيحدث دائما.ففرنسيو الثورة الفرنسية، خرجوا لتحقيق الحرية لبلاد أوروبا ولكن بمجرد أن تواجدوا فى ايطاليا ، وفى المانيا ، كان هناك دافع لايمكن تحاشيه ، دافع غريزى، دفعها الى ان تسيطـر أو تسـود الهـولنديين والرومـان والاخرين ٠٠ هذه غريزة انسانية ، وهذا طبيعى ٠

فاذا سألتنى عن القوى الديمقراطية فـى اسرائيل ، فهناك قوى كبيرة جدا ، وربما الغالبية ٠ أما اذا سألتنى عن من هم الذين لديهم موقف متفهم للقضية العربية، اقول لك ان العدد سينخفض هنا انخفاضا كبيرا ٠ وهنا يجب أن أقول انه كما يحدث فى أى دولة ، هناك تغير وانما تبعا للظروف والاحوال الخارجية ، وربما يكون هناك ما يتخذ موقفا سليما تجاه العرب فى بعض الاوسـاط المختلفة ، كالاوساط الدينية ، أو الاوساط اليمينية الواقعية، أو الاوساط اليسارية. وبطبيعة الحال

فان الايديولوجية التقدمية تمكن الناس من تفهم الشعوب الاخرى، أكثر من أى ايديولوجية أخرى.

ان صياغة السؤال خاطئة بالطريقة التى يطرح بها فى الدول العربية ، لانه فى هذه الحالة تقيم القوى التقدمية على اساس الخيار بين اثنين، هل تؤيدون الدولة اليهودية ؟ أو هم مناهضين لدولة يهودية ؟ وهنا أقول لكم ان الغالبية العظمى والساحقة ربما ٩٨ فى المائة تؤيد فكرة الدولة اليهودية . لماذا ؟

أولا لان نسبة كبيرة جاءت الى هنا من اجل هذا الغرض ، ثم ان نسبة كبيرة أيضا جاءوا بدافع من ظروفهم الصعبة . كذلك فان هؤلاء لم يكن لديهم الرغبة فى البحث اجتماعيا او تاريخيا عن هذه المشكلة ، لقد وجدوا هناك وتعودوا أن يكونوا فى دولة يهودية . وهم خائفون من العرب فان لم يكن لهم دولة وتركيب سياسى مستقل أيا كان ، فان العرب سوف يشكلون الغالبية ، وطبقا للقوانين الديمقراطية يمكنهم أن ينتزعوا منهم جزءا من الحقوق التى يفكرون فى الحصول عليها . ورغم كل شىء فهناك مجموعة جسورة تؤيد فكرة دولة عربية يهودية ، مثل حزب **الراكاح** وبه اغلبية من العرب وقلة من اليهود ويمثل ١ فى المائة من يهود اسرائيل . وهناك أيضا **المتسبين** » وهم يذهبون مذهب فتح الى حد ما بالنسبة لفكرة فلسطين المستقبلة وهذا الحزب يمثله المنفيون فى انجلترا وفرنسا . وهناك ما يقرب من خمسين منهم فى اسرائيل . عدا ذلك فهناك أشخاص لهم دوافع انسانية فى مسلكهم . وهناك أيضا من يسهل اقناعهم بفكرة قيام دولة عربية اسرائيلية، ولكنهم ليسوا كثيرين فى الفترة الحالية . ربما فى ظروف أخرى يمكن أن يزداد عددهم . اننى أود بحديثى هذا أن أبين أن المشكلة هنا ليست فى مسألة التقدمية او لا تقدمية . . ضمير حسن تجاه العرب أو ضمير سيىء، المسألة هى ان يكون لهم دولة أو ان لايكون لهم دولة ، أن يكون لهم تركيب سياسى أولا . . وهذا يعنى ببساطة « **الخوف** » . لماذا يريدون دولة ؟ لانهم يعتقدون انهم اذا ما انخرطوا فى الجماعة العربية فانهم سيذوبون فيها . . سيلتهمهم العرب ، وقد كان فى الهند نفس المشكلة وهى التى أدت الى قيام دولة باكستان .

■ السؤال الخامس :

ترفع المقاومة الفلسطينية شعار بناء الدولة الديمقراطية فى فلسطين الذى يحتضن دون تمييز المسلمين والمسيحيين واليهود ، وذلك بديلا عن اسرائيل الصهيونية . . ما هو مدى امكانية تنفيذ هذا الشعار واقعيا ؟

مكسيم رودنسون :

لقد قلت لرجال فتح الذى أنا على علاقة بهم عن بعد كما قلت لمختلف رجال الحركات الفلسطينية أن فكرتهم رائعة بالنسبة لبلد كفرنسا، لانهم يعتبرون اليهودية دينا . وكما قلت لكم فان يهود اسرائيل لا يمثلون اساسا مجموعة دينية ، ولكنهم مجبرون على التمسك بالفكرة من أجل تعريف كلمة « يهودى » التى هى اساس فكرهم . وهم مرغمون للرجوع الى الدين ، لانهم يتعرضون لحملات التشهير من قبل الاناس الدينيين ، وهم يمثلون مايقرب من ١٧ فى المائة أو ١٨ فى المائة من أصوات البرلمان . وهم فى حاجة الى هذه النسبة لكى يكونوا الاغلبية .

وفى الحقيقة ، اعتقد ان معظم يهود اسرائيل يتحملون ذلك بفروغ صبر ، وهناك دلائل تشير على ذلك ، فهم ضد هذا الطغيان الدينى . والاسرائيليون يجلون التوراة نوعا ما ، ولكنه بالنسبة لهم كتاب قومى ، لادينى ، كما هو الحال فى بعض القوميات الاخرى . وقد اتجهوا كلية الى العنصرية ، وبدأوا يبحثون فيها، وهذا يمر عموما فى مراحل مختلفة . وقد عرفت يهودا من مختلف الاجناس بعضهم اتبع أيديولوجيات عالمية ، فمثلا بعض اليهود الشيوعيين بعد أن بلبلت أحداث أوروبا الشرقية وجهة نظرهم عن العالم وأياستهم القضايا العالمية ، حينئذ بدأوا يدرسون التلمود ويعقدون حلقات لدراسة النواحى الجمالية فى التقاليد اليهودية ، وكانوا فى بداية اقامة هذه الحلقات لا دينيين ، ثم قالوا انهم سيطبقون القواعد المقدسة للعرف اليهودى ، وبدأوا يمتنعون عن أكل الخنزير ، ومن يوم لآخر وجد بعضهم الرب ، ربهم . وأصبحوا مؤمنين حقيقيين .

ولكن هؤلاء قلة ، ولكن اعتقد ان الاغلبية عبارة عن مزيج من القوميات والافكار الدينية . ومن وجهة نظرى أعتبر أن هذا فضيحة . فأنا لست ضد الدين ولست ضد القوميات . ولكنى اعتقد أن الاناس الدينيين حقا يجب عليهم أن يرفضوا التغييرات الدينية التى تحدث بدافع قومى .

وكما قلت حتى للمسلمين ، اذا آمنوا ان الله فعل هذا أو ذاك لا عن اقتناع تام ولا عن دراسة بل لان أسلافهم كانوا يؤمنون بذلك، لا اعتقد ان هذه الديانة تشبع عقلا دينيا حقا . وبالطبع بالنسبة لدولة مثل فرنسا التى يعتنق فيها كل فرد ديانة تبعا لعقيدته الخاصة . فرأى الفلسطينيين ممتاز .

■ **السؤال السادس :**

هل هناك تيار معاد للصهيونية بين رجال الدين اليهودى ؟ واذا وجد فما هو وزنه بالنسبة للتيارات الاخرى ، وبالنسبة للصهيونية ؟ وما هو تصور هذا التيار لمستقبل الصراع العربى الاسرائيلى ؟

مكسيم رودنسون :

هناك مواجهة قوية بين الصهيونية واليهودية الدينية ، فقد كان رجال الدين فى البداية الد اعداء الصهيونية ، وفى مستهل الحركة الصهيونية ، كان هناك صراع دام بين هذه الحركة واليهود الدينيين فى بولونيا وروسيا، ودام هذا الصراع مدة طويلة وقد رفض اليهود الدينيين ان يعترفوا بدولة اسرائيل وقت ان كانت فلسطين تحت الوصاية لانهم كانوا يعتبرونها دولة غير يهودية . وقد قيل لى انهم رفضوا حتى حفر الخنادق . ولم يطلب منهم الاشتراك فى القتال ضد العرب فى هذه الفترة ، وانما فقط ان يحفروا الخنادق ، فرفضوا ، وهو يقولون : ان هذه الحرب لا تهمنا ، انها بين دولتين لا يهوديتين ، ونحن هنا لكى نتعبد فقط انها البلدة الاكثر قربا الى الله . وفى مايو ١٩٦٧ وبفضل تصريحات بعض المتحدثين العرب تمت وحدة شاملة أو شبه شاملة لهذا الشعب والمتمسكين بارائهم السابقة قلة صغيرة .

فى الخارج هناك حاخامات لهم موقف محافظ لا يريدون أن يقحموا انفسهم فى هذا الصراع ونأمل أن يتكاثر عدد هؤلاء فيما بعد ، ولكنه من الصعب عليهم فى الوقت الحاضر أن ينصرفوا عن تيار العطف على اسرائيل . وهناك ايضا بعض الحاخامات المناهضين بتعصب للاسرائيلية ، وربما اكثر من بعض العرب، وهؤلاء يعدون على اصابع اليد . وانا أعرف منهم اثنين او ثلاثة فى فرنسا ، واعرف واحدا منهم فى باريس اسمه « **ليثين** » الف كتابا تحت عنوان « اليهودية فى مواجهة الصهيونية ». ونشر كتابا صغيرا تحت عنوان « الصدق » ادلى فيه بتصريحات ملتهبة عن القضية الفلسطينية .

وهناك ظاهرة جديدة لاحظتها منذ عدة اشهر لا بالنسبة لليهود الدينيين فحسب، بل بالنسبة لليهود الاخرين ، فقد كانوا فى البداية يؤيدون قضيتهم تأييدا مطلقا . ولقد دهشت كل الدهشة عندما وجدت نفسى فى مواجهة بعض منهم وهم يحدثوننى بدون انقطاع عن الحقوق التى لا يمكن التغاضى عنها لشعب فلسطين . ما الذى انتابهم فمنذ بضعة اشهر لم يكونوا يتحدثون هكذا ، وقد قال لى بعضهم انه يجب الاعتراف بحق الشعبين ــ الشعب الفلسطينى والشعب الاسرائيلى ــ ونحن مستعدون للقيام بعمل حازم فى هذا الخصوص .

وعلى العموم اعتقد ــ كماترون ــ ان هناك تقدما فى هذا بالنسبة للمنحرفين الى ابعد مدى فى التيار الصهيونى المطلق . ومرة أخرى فكل هؤلاء الاشخاص مترددون ، فهم يقولون هل العرب يريدون غزو او استرداد الاراضى العربية المحتلة او فلسطين باكملها ؟ هل هناك أمكانية الحل السلمى ؟ وعلى العموم فهناك تقدم فى هذا الاتجاه وهو انه لم يعد من الممكن تجاهل الفلسطينيين ، وحتى لدى بعض الذين جرفهم التيار الصهيونى ، لا أريد ان اقول هذا هو راى الجميع . كلا، لاتعتقدوا ذلك مطلقا ، فهناك من هم متمسكون بحق اسرائيل فى فلسطين ، بل وابعد من ذلك اذا امكن . ولكن على العموم الفكرة التى اتحدث عنها بدات تكتسب ارضا اوسع، وهذا تقدم فى حد ذاته لاشك فيه والى اي مدى سيصل اليه لا اعرف ، فكما قلت لكم عدة مرات قبل ذلك لست بنبى ولا بمتنبى .

■ **السؤال السابع : (موجه من اسرة تحرير الطليعة)**

الحقيقة نود ــ قبل ختام المناقشة ــ ان نوجه سؤالا الى الصديق رودنسون . عن المفكر رودنسون ، وذلك لفهم الارضية التى ينطلق منها . او انطلق منها فى المحاضرات الثلاث التى القاها علينا والتى كانت مثارا لافكار متنوعة ، وفتحت عديدا من الابواب للمناقشة الهامة .

ذكرت فى محاضراتك ان هناك مدارس فكرية عديدة فى الماركسية ، وفى نفس الوقت قلت انك أيضا مفكر ماركسى ، فاذن أنت لابد وتنتمى الى احدى مدارس الفكر الماركسى التى ذكرتها فما هى بالدقة المدرسة التى ترى انك اكثر انتماء اليها فى الفكر الماركسى والاسس أو الخطوط العريضة لهذه المدرسة .

وانا باعتقد انه بمثل هذا السؤال يمكن ان نلقى اضواء على التساؤلات الكثيرة التى طرحت خصوصا فى فترات الراحة بين المحاضرات، واثارت كثيرا من الجدل حول هذه القضية .

مكسيم رودنسون :

لن اجيب على هذا السؤال ... لا استطيع انه باختصار سؤال صعب .!

د. لبيب شقير :

اننى ادرك ان الوقت متاخر ، لذلك لن اطيل عليكم

فى الحديث، ولكن أود ان اقول اولا : ان محاضرات الاستاذ مكسيم رودنسون كانت بمثابة تمارين ذهنية وعقلية هامة جدا · واعتقد انه احسن استخدام صفات الاستاذ الجامعى الى ابعد حد · وهو ما اقدره فى كل استاذ ، لان كل استاذ يجب ان يكون نزيها نحو مهنته ، ويجب عليه استخدام هذه الصفة الى ابعد حد ممكن . هذه الصفة التى لا تأخذ بالمسلمات وانما توصلنا الى اليقين عن طريق الشك والنقض ·

وفيما يختص باليقين ، هناك سؤال يطرح نفسه عن الميتودولوجى [مناهج البحث فى العلـــوم] وهى النقطة التى اشار اليها الاستاذ مكسيم رودنسون فى مقابلتى الاولى معه ، اذ اشار الى ان الذى يهم عن نقد المفكر هى الميتودولوجى ، رغم أننا قد نصل الى نتائج حسنة او خاطئة ·

اذن ولكى اعطى لنفسى اليقين فيما يختص بالميتودولوجى ، لاسيما وان مسألة الميتودولوجية مسألة هامة جدا فى مناقشة المسائل لا العلمية فقط بل والاجتماعية التى اعتبرها فى رأيى مســألة علمية هى ايضا .

ومن ثم اقول : لقد لاحظت منهجين اتبعا فى المحاضرات الثلاث : ففى المحاضرة الاولى والثالثة طبق منهج يختلف عن الذى طبق فى المحاضرة الثانية ·

فى المحاضرة الاولى والثالثة طبق منهج يسميه رجال اقتصاد المدرسة الالمانية بالمنهج التاريخى المفصل · والمنهج التاريخى المفصل هو المنهج الذى عن طريقه نعطى مجموعة عميقة من احداث التاريخ محاولين ايجاد تفسير لها مع تجنبنا للتبسيط · اى كما قال احد مؤرخى هذه المدرسة ، ان المفكر الذى يتبع هذه المدرسة او يطبق هذه الايديولوجية ، التاريخ يفسر نفســـه ، اى أن المـــؤرخ يجب ان يعرض التاريخ مرحلة تلو الاخرى ، وهذا يمكن ان يعطى تفسيرا من داخل التاريخ نفسه · انه منهج كالمناهج الاخرى ، ولا اعرف ان كان حسنا ام لا، ولكن فى رأيى انه يخشى ان يسبب كثيرا من التأويلات فى حالة عدم استخدام التبسيط · وانا اعرف ان التبسيط يعتبر نقطة ضعف عند كل النظريين ، حتى انه يوجه النقد الى الماركسية ، فى بعض الاحيان ، لاستخدامها التبسيط ·

وفى المحاضرة الثانية ، بدا لى انه كان فيها ميتيودولوجى ، وتبسيط ايضا ، ويمكن ان يرتبطا بطريقة او بأخرى بالتحليل الماركسى . اذن هل هذان المنهجان مستخدمان فعلا ؟ وهل فى رأى الاستاذ رودنسون ان طبيعة المشكلة تفرض المنهج الذى يتبع ، أى أن المفكر يستخدم منهجا لتحليل مشكلة ما ، ثم يستخدم منهجا آخر فى مشكلة اخرى تبعا لطبيعة هذه المشكلة ، هذا هو السؤال الاول ·

والسؤال الثانى : هو لماذا لم يندمج اليهود فى المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها ؟ وهذا هو العنوان الذى افضله بالنسبة للتفسير النظرى الذى قدم بدلا من الطريقة التى طرحت بها القضية · فأنا اعتبر اليهود والمسيحيين والمسلمين جميعـــــا لديهم ما لدى الانسان ، ويفتقدون الى ما يفتقده . اى ان الانسان هو الانسان فى كل مكان ·

وفى التحليل الذى قمتم بعرضه هناك ملاحظة اود ان اقولها ، هو انكم قمتم بتحليل كبير ، ولكنكم لم تعطونا الا موجزا صغيرا له . وربما تسقط اشياء كثيرة فى العرض · لماذا هذا الاضطهاد والتشريد ؟ انه فى نظرى حركة مناهضة او معادية للانسانية ، وفى حياة كل المسلمين ، وهى ايضا معادية للانسانية فى كل التاريخ لماذا ؟ ما هى العوامل التى كانت وراء هذا · فى الحقيقة انه اذا قدمنا هذه العوامل بطريقة مفصلة ، فربما وصلنا الى معرفة ما اذا كانت النظرية المـاركسية ، صحيحة ام لا عن المسألة اليهودية ، · كما ان هذا سيعطينا فرصة التعمق اكثر فى نظرية الاستاذ رودنسون ، ولدى الانطباع انه بذل مجهودا كبيرا فى تقديم هذه النظرية ! · ولكن اهمال هـــذه العوامل يؤدى الى تقليل عملية الوضوح فى ذلك ·

وهناك سؤال ثالث اود ان اطرحه فيما يختص بقضية الدعاية العربية · ولا شك ان فيها اخطاء كثيرة من الناحية الفنية · ولا شك ان الطريقة التى عرض بهـــا المتحدثون العـــرب المشـــكلة كانت سيئة · الا يوجد بجانب هذا كله عامل آخر وهو سيطرة او سيادة الصهيونية على جانب كبير من اجهزة الدعاية فى العالم ، وانا ارى انكم تريدون تحسين فنية الدعاية ، ونحن بدراستها نستطيع ان نعرف الحدود التى يمكن ان نؤثر فيها تحسين فنية الدعاية وان كان هناك حدود لا تؤثر فيها .

لقد صـــدرت فى فرنسا احصائية ، اعتقد أن الاســـتاذ رودنســـون قرأها ـــ عن الاذاعـــات والتليفزيون والجرائد والصحف، اذا درسنا هذه الاحصائية ، نجد ان جزءا كبيرا منها فى أكبر خمس دول رأسمالية : وأنا اعتذر لاستعمالى كلمة رأسمالية ـــ فى يد الصهيونية ، ففى الولايات المتحدة مثلا تسيطر الصهيونية على صحف كثيرة بالتملك ·

وهناك سؤال رابع وأخير .. أود ان اطرحه وهو عن الاستعمار · والملاحظة التى ابداها الاستاذ رودنسون كان يود فيها لفت نظرنا الى التعقيد فى

الظواهر التى نسميها استعمار، وانا معه فى ذلك، ولكنى اعتقد ان ظاهرة الاستعمار قائمة وان هناك روابط عضوية بينها وبين حركات اخرى فى العالم، ولهم منفعة مشتركة، ويظهر ذلك جليا فى تاريخ الاستعمار، وهو القانون الذى اشار اليه الاستاذ رودنسون، قانون التناقض داخل المجموعة الواحدة • وهنا اود ان اشير الى قانون معاكس تماما وهو انه داخل مرحلة التطور التقدمى، او المناهضة لحركة التقدم العالمية، هناك توافق وتطابق فى المصالح • ويمكننا ان نفهم هذا طبعا عن طريق المنهج الذى كنا نتبعه عند تدريس هذه النظرية، فهناك دائرتان تلتقيان فى جزء كبير منهما، وخارج هذا الجزء الكبير الذى تلتقيان فيه هناك جزء محفوظ لكل منهما • وانا اقول هذا لاننى اود ان اكون متأكدا ان الاستاذ رودنسون لا ينكر ظاهرة الاستعمار حتى ولو كان يهاجم المعنى المخفف لاستعمال الكلمة •

هذه هى الاسئلة التى كنت اود ان اطرحها . اما فيما يختص بالقومية العربية، فهناك اسئلة عميقة حقا، والوقت لا يتسع لها، ولكنى اجد انه ربما من واجبى أن اكتب عنها فى عدد من اعداد الطليعة لكى تكون القضية معروضة بطريقة موضوعية • ويكفينى ان اقول أن القومية العربية هى وحدة الحضارة المشتركة التى تربط منطقة ما، وانها تدعمت لرغبة هذا الشعب فى تحقيق العدل فى أراضيه ضد المعتدى الخارجى المرتبط بالاستعمار، او الرأسمالية، او التوطين ••

واود اخيرا ان اقول اننى اعجبت كل الاعجاب بالمحاضرات الثلاث الذى القاها الاستاذ رودنسون والتى تواجه المفكر بنوع من التحدى الفكرى الذى يدفعه الى التفكير، واعادة التفكير، والى تحديد موقفه من الفكر • ان هذا لشرف عظيم من استاذ كبير ذا شهرة عالمية كالاستاذ مكسيم رودنسون • واننا لنعرب عن سعادتنا بهذه الزيارة التى قام بها لبلدنا وشكرا ••

د• ابراهيم سعد الدين :

الحق ان كثيرا من الاسئلة التى اردت أن أثيرها أثارها د. لبيب شقير فى كلمته، ولذلك ستكون كلمتى محدودة جدا وقصيرة للغاية .

فهمت من محاضرة الامس التى القاها السيد البروفيسور رودنسون، أنه يلزم نفسه فقط بمنهج أو ببعض أفكار معينة من الماركسية هى تلك التى أطلق هو عليها بعض الافكار الماركسية فى السوسيولوجية الماركسية، وطريقة البحث الانثروبولوجى .

وبالفعل فانه بالامس عندما حاول أن يطرح عددا من الاسئلة حول مايمكن أن يستفيده الاسلام من منهج البحث الماركسى أثار بالذات عددا من الاسئلة مبتدئة من هذه النقاط المحددة وصفها هو نفسه بانها الطريقة التى يتوخاها فى المنهج الذى يتبعه وكما قال الدكتور لبيب فى رأيى ان محاضرة اليوم استطردت استطرادا تاريخيا طويلا لم يحاول فيه اتباع هذا الاسلوب الذى قال عنه البروفيسور رودنسون أنه يتبعه وهو تحليل الظواهر البشرية لمعرفة الاسباب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للظواهر التى نعيشها .

وواقع الامر ان محاضرة اليوم بالتحديد كانت تتضمن محاولة الاجابة على سؤال لا أعتقد أنه كان مطروحا فى هذه الندوة، أولا أعتقد ايضا أنه كان مطروحا بالشكل الذى طرح به أو الذى طرحه به السيد البروفيسور رودنسون السؤال الذى حاول الاجابة عليه بالتحديد، هو لماذا لم تختف اليهودية؟ وكانت الاجابة هى بحث فى التاريخ عن الجماعات اليهودية ونشوئها واستمرارها، وتحولها من مجتمع الى مجتمع، والاضطهادات التى تعرضت لها • وفى تقديرى أن السؤال الاساسى الذى طرحته الماركسية والذى طرحه المفكرون الماركسيون هو ليس لماذا لم تختف اليهودية أو الجماعات اليهودية وانما على وجه التحديد لماذا تكون الشعور القومى اليهودى فى مرحلة معينة من تكون الامم القومية على وجه التحديد التى لا تنبعث فيها القومية من دين معين وانما تنبعث فيه القومية من عناصر اخرى تختلف عن الدين، وقد تكون الاجابة الماركسية قاصرة وقد تحتاج الى تطوير وقد تحتاج الى تعديل . ولكن الاجابة التى طرحت اليوم لم تكن هى الاجابة عن السؤال المطروح لانها لم تتعرض بالذات لمرحلة نشوء القوميات وانتشارها والمرحلة التى بدأ فيها تحلل المجتمعات المحلية وتكوين المجتمعات القومية، ونحن لم نصل الى نتيجة لاهم الاسئلة المثارة وخاصة بالنسبة لمرحلتنا الحالية وفيما يختص بالحركة الصهيونية .

المسألة الاخرى فى واقع الامر التى اود أن أثيرها، وهذه ملاحظة ليست سؤالا، هو انه فى خلال محاضر البروفيسور رودنسون الثانية أعلن أنه يعتبر نفسه ماركسيا مستقلا وفى الوقت نفسه أعلن كما قال هو انه يأخذ بعض الافكار من الماركسية

والسؤال والملاحظة فيواقع الامرهوأن هناك كثيرا من المفكرين الذين يأخذون من الماركسية بعض الافكار هنا أوهناك، ولكن هذه الافكار التي تؤخذ من هنا أو هناك لا تجعل المفكر ماركسيا الا اذا التزم بقدر عام من النظرية الماركسية في عمومها متضمنا في واقع الامر قدرا من الفكر الفلسفي الماركسي والتحليل الماركسي، اما انيعتبراخذ فكرة من الماركسية تجعل منه مفكرا ماركسيا فيمكن كما قال د. لبيب شقير بالامس ان يجعل شومبيتر احد المفكرين الماركسيين لانه أخذ من الماركسية بعض الشيء وبعض الافكار .

لا ضرر هناك على الاطلاق من وجهة نظرى ألا يكون المفكر مفكرا ماركسيا ، ولكن عندما يقول المفكر عن نفسه انه مفكر ماركسي ومستقل فنحن نتساءل عن ماهية هذه الماركسية المستقلة التيءود الحاضرون أن يعرفونها لان مجرد الاخذ ببعض أفكار ماركس منهنا وهناك فيرأيي علىالاقل لا يجعل المفكر ماركسيا في شكل عام .

الامر الثالثالذي أودالاشارة اليه، هو ملاحظة عابرة ايضا ، اثار البروفيسير رودنسون في خلال المحاضرات الثلاثة التي ألقاها كثيرا من القضايا ، ولكننا وقفنا دائما عند بعض القضايا الهامة غير المثارة ، أو التي هي محل الاهتمام الرئيسي من جانب الحاضرين في هذه القاعة ، وأنا أوجه هذه الملاحظة لا نقدا للبروفيسير رودنسون ، وانما فقط لاشير الى اننا كنا نود أن نحصل على اجابات عن أسئلة كانت مثارة في نفوس الحاضرين .

ففي المحاضرة الاولى مثلا وهي التي كانت تختص بالمفكر الاوروبي أو بنظرة الاوروبيين للعالم الاسلامي منذ العصور الوسطى حتى الان توقف السيد المحاضرعند القرنالتاسع عشر . وفي أغلب ظني أن أغلب الحاضرين كانوا يهتمون أهتماما بالغا بالقرن التاسع عشر وبالقرن العشرين الذى نعيش فيه أكثر من أهتمامهم بالقرون الماضية الا بقدر ما تلقي منضوء على القرن العشرين، وهذه الظاهرة نفسها نلاحظها في ما تناوله السيد المحاضر اليوم من الاسهاب التاريخي في مرحلة سابقة لنشوء الحركة الصهيونية التي هي محل الاهتمام والاعتبار من أغلب الحاضرين وشكرا .

مكسيم رودنسون :

انني أشكر الاستاذ لبيب شقير الذى أصغى الى بانتباه فائق ، وفكر بعمق شديد ، وكانت آراؤه مصدرا للتمعن في التفكير فيما جاء بمحاضراتي الثلاث .

أعتقد أنه لا يوجد فروق بين محاضراتي الثلاث من حيث المنهج . لا أعرف ربما أخطأت في طريقة عرضي . وسأفكر فيما قاله د . لبيب شقير ، اذ يروق لي دائما ان أعمل على تحسين نفسي . لا أعتقد أن في محاضرتي الاولى والثانية ما أسميته بالمنهج التاريخي البحت للمدرسة الالمانية ، لا أعتقد ذلك . لانني لا أعتقد أن المؤرخ سيقبل دائما طريقة بحتي ، لانني أفضل التفاصيل الحسية ، ولا أعتقد أن هناك أحسن منها لادخال الاشياء في أذهان الناس ، وهي ترمز للاحداث وحتى للتركيب نفسه . ولكن أعتقد أنني أحاول دائما ابراز المجموع ، ان افكر في القضايا ، وان أردتم مثلا فالموضوع الذى تحدثت فيه لم يكن في متناول يدى وانما أستلهمته فكريا . هناك شمول في التاريخ اليهودى ولكنه مضطرب . ولقد تحدثت عن أشياء في العصر اليوناني ، بعد أن تحدثت عن القرون الوسطى في فترة ما ، وطرحت قضية كذا وكذا .. وقسمتها وحاولت الاجابة عليها تبعا لتجارب التاريخ . وأنا أحاول المزج بين التبسيط ودروس التاريخ . واعتقد انكم تعرفون كتابي « **الاسلام والرأسمالية** » ، هناك سؤال طرحته وهو هل الاسلام مشجع للرأسمالية أم لا ؟ وحاولت ان اعثر على الرد في الاحداث ـ هل كان يوجد مجتمعات اسلامية بدون رأسمالية ؟ هل كان يوجد مجتمعات لا اسلامية كان بها عرف الربا ؟ هل يمنع الاسلام نمو الرأسمالية لانه كان يوجد ربا ؟ ـ وقد قال اناس كثيرون ذلك .

حسنا أقول ان نفس التفكير كان في أوروبا المسيحية ،ولكنه لم يقفعقبةامام نمو الرأسمالية، اذن لماذا ؟ اعتقد انه منطق محض ، انه تفكير منطقي او اذا أردتم تبسيط ، ولكن احاول فيه ان اجد الرد من احداث التاريخ . وفي يوم ما عندما اتقدم فيالسن سأفكر كثيرا فيمنهجيوأكتب نبذة عنه .

لقد قال ماركس المسكين في يوم ما لانجلز سأكتب ثمانية صفحات عما يجول في ذهني عن الجدلية ، ولم يكتبها أبدا ، أنا لا أريد أن أقارن نفسي بماركس .

وبالنسبة للنقطة الثانية ، لقد قلت ان دراسة عوامل اضطهاد اليهود شيقة للغاية . أعتقد أنني أيضا طرحت سؤالا وهو لماذا لم يختفوا ؟ وبالمثل لماذا لم يذوبوا ؟ والان يمكننا أن نطرح السؤال بطريقة عكسية : لماذا كنا نضطهدهم ؟

وهنا فلدى مناهضى الصهيونية اجابة جاهزة ، ولكنى اختلف عنهم ، فأولا انهم لم يضطهدوا دائما. هذا ليس حقيقيا ، فكما قلت لكم هناك فكره الشفقة عند اليهود وغير اليهود .. وبحصر كل ظواهر الاضطهاد فاننا سننتهى الى صوره مؤثره ، ولكنها رغم كل شيء ليست كلية .. يجب عمل « حسبة بيانية » ولكن لا أعرف كيف يمكن عمل هذا احصائيا ، ولكن أخيرا هناك مناطق فى العالم وبلاد كان يعيش فيها اليهود حياة طبيعية ولمدة طويلة. والعامل الاساسى هو انهم كانوا قلة فى البلاد فكانوا يبحثون عن وحدة سياسية ، او دينية ، او ايديولوجية .. الخ . اذن فالاقلية كانت مضطهدة بالطبع .

وكان اليهود قلة فى كل مكان فيما عدا بعض الحالات بالضبط كما فى حالة اليمن مثلا فقد كان اليهود أو العرب المتهودين يمثلون الاغلبية ، وكانوا هم الذين يقومون باضطهاد الاخرين. وكان مبررو التاريخ من اليهود يقولون دائما انهم كانوا مضطهدين . اذن فقد كان لليهود جوهر الاضطهاد عندما كانوا فى مواجهة الجائر .. ان شهداء قصة نجران المسيحيين قصة مظلمة توجد فى الطبرى وفى غيره ربما كان مبالغ فيها من قبل رجال الدعاية المسيحية ، واعتقد ان القرآن اشار اليها فى أصحاب الاخدود ، وقد كان لهذا أثره على الشرق كله وهذا ما أثبته القرآن بعد قرن . لقد كان هناك اضطهاد يهودى ضد المسيحيين فى نجران .

وفى وقت ان كان لليهود دولة فى فلسطين كان هناك من أرغموا على الختان ، وهناك قصص اخرى عن اضطهاد اليهود لغيرهم ، مما يؤكد وحدة الايديولوجية والسياسة .

ويمكن الاسهاب فى الحديث عن هذا الموضوع اذ أعتقد أنه يمثل لب المسألة ، فهو موضوع شيق ولكن ليس لدى المعلومات المفصلة عنه . ولدى الانطباع أنه يمكن تحسين الدعاية العربية ، وبالطبع هناك حدود ، وهناك سيطرة صهيونية على وسائل الدعاية ــ كالصحافة والاذاعة والتليفزيون ، أعتقد ان هذا يمثل جانبا من الحقيقة ، ولكن ليس كلها. وهناك بالطبع أشخاص صهاينة ، وأود أن أقول لكم أن تحذروا عند استعمال الاصطلاح « صهيونى » عندما يتعلق الامر بالاوروبيين ، وعندما يعنى الاسرائيليين .. فاسرائيل نتيجة الصهيونية بالطبع ، نتيجة استتباب الصهيونية فى هذه المنطقة فهى تحيا بها ومنها ، هذا أكيد .

ولكن يجب ان تعرفوا انهم فى اوروبا يعتبرونها أيديولوجية مثل باقى أيديولوجيات الدول التى تدرس فى المدارس والاجتماعات العامة وعندما نقول ان فلانا صهيونيا ــ ماذا يعنى هذا ؟ هل يعنى هذا أنه عضو فى منظمة صهيونية ؟

هناك حالات مختلفة حتى ولو كان عضوا فى منظمة صهيونية ، يمكن أن يكون يهوديا ويمكن أن يكون غير يهودى يؤمن بحقوق اسرائيل ، ولو أطلعناه على الجانب الاخر لتغير . لا يمكن أن نكون صهاينة مرغمين والى الابد ؛ وهناك اشخاص غير صهاينة ويبدون ميولا عاطفية نحو اسرائيل. الخ . . ومن يسلكون هذا المسلك فيمكنهم ان يتأثروا بغيرهم . وهناك اشخاص كثيرون فى الصحافة والاذاعة الخ .. يحسبون حسبتهم ويقولون ان الصهاينة اقوياء الان ، فيجب الانستثير كراهية فلان ، يجب الا نفعل ذلك . وربما غدا عندما يتغير الوضع يقولون غير ذلك ، لا اعرف ان كان هذا صحيح . انه تحليلى ، ولا اعرف هذه الشخصيات . ربما يكون ذلك خطأ ، ولكن دعيت مرة فى برنامج تليفزيونى فى شهر سبتمبر ، وكنت وقتها فى الريف فاتصلوا بى تليفونيا .. وحضرت .. وتحدثت مع منظم البرنامج الذى كان قد تلقى مكالمة تليفونية من السفارة الاسرائيلية فى اليوم السابق ، لتطلب منه أن يختار واحدا آخر غير مكسيم رودنسون يكون أكثر موضوعية . وتلقى مكالمة أخرى عندما كنت موجودا معه من شخص آخر ، فانتقل الى مكتب مجاور وسمعته يقول : لا .. لا .. كن مطمئنا .. لا .. سنكون على حذر لا تقلق . وبعد ذلك تحدث معى وكان يبدو انه يتفهمنى جيدا قبل أن نذهب الى شاشة التليفزيون . وكان يبدو أن رأيه مطابقا لرأيى . وبعد ان ذهبنا امام الشاشة قال انه سيوجه سؤالا كذا وكذا ، ثم وجه الى السؤال الاول فأجبت عليه ، وانتظرت أن ننتقل الى السؤال الثانى ، ولكنه استدار لشخص آخر ــ معارض ــ وسأله ، وفى النهاية لم أتحدث الا قليلا وقد لاحظ الجميع هذا . وبعد ثمانية أيام عين هذا الاستاذ فى منصب هام فى التليفزيون . وبالطبع لا يستطيع أن يكدر فلان وفلان .. وربما كان صادقا عندما كان يؤيد آرائى . والسيد بومبيدو الذى كان يعمل فى بنك روتشيلد فى وقت ما ، فنتيجة لذلك نجده حريصا لكى يظهر للفرنسيين أنه ليس عميلا لروتشيلد ، وفى مرة قال عمدة القرية التى أذهب اليها لقضاء اجازتى أن بومبيدو يهودى حقيقى ، وكونه رئيس الدولة ورغبة منه فى تكذيب ذلك القول ، يدفع الى الاتجاه الآخر ــ هل تفهموننى ــ وكل هذا حساس جدا .

حسنا .. اذن فالسيطرة الصهيونية فائقة الان ولكنها يمكن أن تتغير فيما بعد . لقد كان رجال الدين اليهـــود من بين المنـــاهضين الاساسيين للصهيونية ، ويجب أن نضيف اليهم أيضا اليهود الاغنياء ، فنرى أن أكبر أعداء وايزمان كانوا من أثرياء بريطانيا ، اذ كان يصارع ضدهم وانتصر عليهم .

وهذا التيار قد ضعف فى فترة ما واتجه اليهود الكبار الى دعم الخط الاسرائيلى فى الفتـرة الاخيرة .. لكن اسرائيل كانت تعرضهم للخطر فى بعض القضايا ، فهم يريدون علاقات مع الدول العربية وفتح أسواق فيها ، فان لهم فى ذلـك مصالح ـ ونشعر حتى عند هؤلاء الناس بالتطور أو التحول ، وقال أحدهم لى ان أحد وزراء اسرائيل حضر اجتماعا فى باريس مع بعض اليهود الكبار ، وبعد الاجتماع خرج ثائرا عـلى موقف هـؤلاء الاشخاص . وعندى بعض المؤشرات التى تجعلنى اعتقد فى انهم لن يظلوا متأثرين بالقضـــية الصهيونية الى الابد . اذن فهذا ما يجب أن يكون فى ذهننا عندما نتحدث عن الصهيونية ، لانه يمكن أن يكون شيئا مختلفا تماما . حسنا .

اما عن الاستعمار فنحن متفقون عليه ، هناك روابط فى المصلحة ، ولكن اتعـرفون أن الذى يضايقنى هو بعض الجمل والتعبيرات التى نقرأها أحيانا فى الجرائد وهى أن الاستعمار قد هزم فى فيتنام وانه تحول الى الشرق الادنى . وهنا أود أن يشرح لى ماذا يعنى هذا ؟ من يعرف الاستعمار ؟ هل هم الامريكان .. الانجليز .. الفـرنسيين ، من .. ؟ أنا أريد أن يشرحوا لى هذا ، ولكن اذا قالوا لى انه عزم على كذا . فاريد أن يشرحوا لى ما الذى يعنيه هذا .

أما القومية العربية ، فانها تستدعى الحديث طويلا ، فاذا طلب أن أبدى رايى ، فاقول أن بين الدول العربية عوامل وحدة وعوامل تفرقة ، ايهما أقوى ؟ لا أعرف ، انها قضية المناضلين العرب الذين يجب أن يكون لهم رأى ثابت فهذا طبيعى . انها مسئوليتهم ، فأنا كما أكرر دائما لست مناضلا عربيا ، وبالنسبة للاستاذ ابراهيم سعد الدين لقد قال لى ان المسألة الحقيقية كانت : لماذا نمت الحركة القومية اليهودية ، فى وقت ما ، وهنا كانت الماركسية تستطيع أن تأتى بأشياء كثيرة . نعم هذا حقيقى ، وأعتقد أننى لم أدرس هذا السؤال بما فيه الكفاية .. وأنه يمكن أن يوجه الى اللوم باننى أفضل العصور القديمة ، وأعتقد بالنسبة للفترة الحالية ، انه من المهم لرجل السياسة أن يعرف التاريخ البعيد لان الاشياء التى مضت منذ فترة بعيدة يمكن أن تتحقق مرة أخرى ، فمثلا يقولون لى فى بعض الاحيان أن العرب او المسلمين غير قادرين على اقامة اقتصاد ديناميكى .. فاقول لهم كان لديهم مثل ذلك فى العصور الوسطى ، فلماذا لا يستطيعون ذلك الان ، ربما هناك ما يمنعهم من تحقيق ذلك فى الفترة الحالية ، ولكن ما دام قد كان عندهم اقتصاد ديناميكى فما الذى يمنع أن يتكرر مرة أخرى .. وهنا يجب أن نشرح ذلك .. وأعتقد ان معلومـــاتى عن التاريخ الاقتصــــادى للعالم الاسلامى فى القرون الوسطى قيمة فبالطبع ستكون المسالة أكثر عمقا وعن القومية اليهودية لقد أعطيت الخطوط العريضة . لقد قام أحد أصدقائى فى حزب الميتسبان بدراسة عميقة فى هذا الموضوع ، وقدم كتاب صـــبرى جـــاويش ــ وهـــو عربى فلسطينى ـ وهذا الكاتب عن عرب فلسطين وهو متعمق فى هذا الموضوع بطريقة تروق لى ، وأنا أخالفه فى نقاط كثيرة ـ فكثير من أصدقائى لا يشاركوننى فى كثير من أفكارى ـ ونجد فى هذا الكتاب اشارات أكثر عمقا .. وعلى العموم لا يستطيع أحد ان يعمل كل شىء ، يقال اننى ماركسى مستقل ، وهذا غير حقيقى ، فانا لست ماركسيا أبدا ، وانما أقبل بعض الافكار الماركسية من هنا وهناك ، ويتساوى عندى ان كانوا يسموننى ماركسيا او لا ، فكما قلت لكم انى لا اعتنق الفكر الماركسى تماما ، فهذه فكرة الاشخاص الدينيين او الايديولوجيين واعتقد انها خاطئة . انا عندما ادافع عن فكرة ماركسية أمام الاشخاص الذى هم من الجانب الاخر فيقولون أننى ماركسى لاننى أدافع عن الافكار الماركسية ، اذن فأنا ماركسى من وجهة هذه النظرة .. وهناك بعض الماركسيين الذين لا يؤيدون كل ما أقوله ولكنهم يقولون أننى من نفس عائلتهم الفكرية واعتقد ان لهذا السبب دعتنى أسرة تحرير الطليعة .

ولقد قلتم أن هناك قضايا هامة لم تناقش فأنا متفق معكم فى هذا ، ففى المحاضرة الاولى كان يجب أن اتحدث عن القرن العشرين بدلا من القـــرون

الوسطى فان هذا يروق لى أكثر • وأنا أهتم كثيرا بالقرون الوسطى ، لان فيه دروسا يمكن ان نستخلصها • واذا درسنا تطور العالم المعاصر هناك التطور الاقتصادى وهو ظاهرة هامة جدا وطبعا يجب دراستها بكل طاقتنا فهذا طبيعى • غير أن الذى يجذبنى هو دراسة الايديولوجيات ، ماهى ؟ كيف تتكون ؟ كيف تدافع عن نفسها ؟ لماذا تأخذ هذا الشكل او ذاك ؟ وأجد فى بعض الاحيان دلائل تروق لى للغاية فى تاريخى العصور القديمة وتاريخ العصور الوسطى • وتماما بالنسبة للسؤال الذى طرح توا لماذا كان يضطهد اليهود ؟ مثلا • • لقد طلب منى من قبل مدرسة باريس للعلوم الاقتصادية ان اقوم بدراسة عن نماذج السيطرة ، وهى دراسة معاصره ، وطلبوا منى ان كنت أستطيع عمل شيء على سيطرة الايديولوجية ففكرت وكتبت مقالا استخدمت فيه امثلة من تجاربى الشخصية الحديثة من تاريخ الاتحاد السوفيتى من تاريخ الحركة الشيوعيه مثلا وتاريخ الايديولوجية من التاريخ القديم ، وتاريخ العصور الوسطى وربما اخطأت فى مزج هذا كله • • وعلى العموم ساستمر انا هكذا فى دراسة الايديولوجيات فان هذا يروق لى جدا • وشكرا •

« الطليعة » :

لا شك اننا سعدنا بهذه المحاضرات الثلاث للاستاذ مكسيم رودنسون ، ونعتقد انه اثار فيها عدة نقاط وقضايا :

القضيه الاولى : هو انه يجب ان ننفتح انفتاحا حقيقيا على الجدل حول كافة المشكلات التى كنا نتصور أن لدينا مسلمات تحلها وبغير هذا الانفتاح لن نستطيع ان نثرى الحركة الثوريه التقدميه فى بلادنا ، وستظل تنقصنا الحصانة لمواجهة التحديات سواء كانت فكرية أو مادية خارجية أو داخلية ،واعتقد ان زيارة الاستاذ مكسيم رودنسون اليوم وزيارة الاستاذ جارودى من قبل وزيارة غيرهما من المفكرين العالميين من ذوى الاتجاه التقدمى لنا وادارة مثل هذا الحوار معهم لا شك انه سيرسخ فى بلادنا قضية الحوار المفتوح من أجل التقدم ومن أجل التفاعل مع التيارات الفكرية • والجدل يعنى اننى اتفق مع وجهات نظر واختلف مع وجهات نظر أخرى • ولكن فى الاختلاف وفى الاتفاق هناك احترام للجانبين ومناقشة موضوعية • واعتقد ان الحوار الذى مع الاستاذ جارودى والاستاذ مكسيم رودنسون يدل على اننا بدأنا هذا الانفتاح •

القضية الثانية : ان الاستاذ مكسيم رودنسون متهم فى العالم كله بأنه صديق للشعوب العربية وللقضية الشعب الفلسطينى وحقوقه القومية ،ومن اصلب المناضلين عنها . وبطبيعة الحال ليس مطلوبا منه ان يكون مناضلا عربيا ، ولكن المطلوب منه هو ان يوضح حقيقة القضية العربية من وجهة نظره التقدميه الواعية بحركة التاريخ . ولكن ينبغى ان نطلب منه ، ومن جميع الاصدقاء ان يتبنوا وجهات نظرنا كاملة • • هذه القضية يجب ان تكون فى الحسبان •

القضية الثالثة : لاشك اننا نختلف مع الاستاذ مكسيم رودنسون سواء بالنسبة للمنهج أو بالنسبة للمضمون • هناك نقاط اختلاف وهناك نقاط اتفاق ، ولكن لا شك — ونود أن نركز على هذه النقطة — اننا لم نتعمق بعد فى دراسة القضية الاسرائيلية ومكونات المجتمع الاسرائيلى والقضية الصهيونية دراسة علمية . ولا تزال مواجهتنا لها هى مواجهة الشعارات السياسية ،وان مثل هذا يحد من قدرتنا على استخدام كافة الاسلحة ومعرفة الحقيقة ومواجهتها بالنسبة للعدو ، واعتقد ان من بين اهم الاشياء الايجابية بعد هزيمة ٦٧ انها فتحت اعيننا جميعا على ضرورة دراسة العدو وضرورة مواجهته مواجهة علمية وضرورة معرفة نقط القوة ونقاط الضعف فيه • وبغير هذه الطريقة الجدلية لا اعتقد اننا سنفهم مثلا احدى القضايا التى اثارها الاستاذ مكسيم رودنسون ، وهو ان جانبا كبيرا من الراسماليين اليهود نتيجة أوضاعهم ومصالحهم الاقتصادية فى بعض البلدان الاوربية ، وقفوا ضد الحركة الصهيونية فى البداية رغم وجود روتشيلد والبارون الالمانى هيرش ، قاموا بتعمير المستعمرات فى فلسطين ضد الحركة الصهيونية وليس مع الحركة الصهيونية • بعد ذلك استطاعت الحركة الصهيونية أن تجند القوى الراسمالية اليهودية نتيجة وضع سياسى قائم ، والمعطيات المكونة للحركة الصهيونية ، لكن الحركة الصهيونية تظل فى التحليل النهائى والاخير هى حركة البورجوازية الصغيرة اليهودية التى تحاول من خلالها اقامة دولة او قاعدة عسكرية عنصرية امبريالية فى شكل دولة ضد حركة التحرر العربى وخدمة للامبريالية . نقول هذا الكلام ونكرر اننا سنفتح مجال الحوار واسعا مع جميع التيارات الفكرية التقدمية فى العالم ، واعتقد ان هذا الحوار يدخل كجزء من مكونات المجتمع الذى نبنيه •

والمجتمع الذى نسير فيه على طريق التحول الاشتراكى بفكر حقيقى مفتوح متجه نحو ضرب الامبريالية . وهنا لا اقول الامبريالية بمعنى عام وانما اقول النظام الاحتكارى العالمى سواء كان امريكا او انجليزيا او فرنسيا فى سبيل اقامة مجتمع اشتراكى يقوم على اساس وجود ديمقراطية اشتراكية فى بلادنا . اشكركم للاستماع واشكر الاستاذ مكسيم رودنسون .

■

ماركوس راسكين



اليسار أيضا .. فى أزمة

يدور الحديث التالى بين ماركوس راسكين احد قادة اليسار فى الولايات المتحدة وبين كلوفيس مقصود . وقد رأت الطليعة استضافته على صفحاتها ، لنفتح بذلك نافذة على هذه التيارات التى يموج بها المجتمع الامريكى .

●●● يمثل عام ١٩٧٦ ، علامة طريق هامة فى التاريخ الامريكى ، فمعه تحتفل الولايات المتحدة بمرور مائتى عام على استقلالها ، فاذا ما وضعنا فى اعتبارنا ان الاتجاه الجديد فى الحكم يوحى بامكانية التوصل الى تحالف جديد بين المحافظين المعتدلين ، والمحافظين المتطرفين ، فهل يتوقع اليسار فى الولايات المتحدة نتيجة لذلك ان تحاصره « العزلة » ، بل ربما السنوات التالية قد تشهد صداما سياسيا معه ؟

■ **ماركوس راسكين** : ان انبثاق الوعى السياسى فى ستينات القرن العشرين بين مجموعات واسعة من الشباب ، ووسط الزنوج ، يعنى أن الاشكال الجديدة للسياسة ولاساليب العمل قد وجدت طريقها نحو القيم العملية للمجتمع الامريكى ، واعنى بكلمة « العملية » تلك القيم التى يعتقد الناس أنها ممكنة التحقيق خلال فترة حياتهم ومن خلال المخاطرة والنضال والعقل ، ومن خلال الحياة فى اتجاهات ذاتية ، اكثر من الاتجاهات المرسومة من قبل الدولة أو الجماعات . ان تعاطى العقاقير ، واهمال الدراسة ، وارتكاب تصرفات خاطئة ، كل هذه الاشياء تعبير عن محاولات للخلاص من التشكل فى انماط وقوالب تصوغها المؤسسات القائمة ، وبحثا عن علاقات اجتماعية سياسية ، او اجتماعية او اقتصادية غير كهنوتية .

وهكذا فان القيادات الحاكمة لن تستطيع « عزل » اليسار المعادى للسلطة ما لم تلجأ الى تبين افكاره وبرنامجه ، بينما تعمد فى نفس الوقت ـ الى ضرب هؤلاء الذين يرفعون هذه البرامج ، والذين ناضلوا طويلا من أجل المصالح الحقيقية للشعب ، ولسوف تجد قيادة السلطة السياسية أنه ليس بامكانها « عزل » اليسار فى الولايات المتحدة .

ذلك ان استخدام وسائل القمع ، لتحقيق عملية العزل هذه ، سوف يؤدى بالضرورة الى صراع بين المجموعات الحاكمة فى الولايات المتحدة .. صراع

ماركوس راسكين :

أحد كبار منظرى وقادة اليسار الجديد فى الولايات المتحدة . وهو اليوم مدير مؤسسة الدراسات السياسية فى واشنطن والتى تركز على البحوث فى قضايا العالم الثالث ومشاكل السود والتعليم والاقتصاد فى الولايات المتحدة . ويقوم بالاشراف على هذه المؤسسة عدد من كبار الاساتذة والمفكرين المنتمين الى عدة مدارس فكرية يسارية بهدف ان يجعلوا من المؤسسة اطارا لتفاعل افكارهم وتوحيد مناهجهم ومواقفهم خاصة ازاء التحديات اليمينية المتزايدة والمساعى التى تقوم بها ادارة نيكسون ـ أجنيو لتطويق بل بالاحرى تحطيم كل قطاعات اليسار والنقابات والتنظيمات الطلابية .

وكان راسكين من الشباب التقدمى الذى جاء بهم الرئيس جون كينيدى لتزويد ادارته بالافكار الجديدة فعمل فى مجلس الامن القومى وتخصص فى شئون نزع السلاح ، ثم عين مستشارا للتعليم فى رئاسة الجمهورية واستقال عام ١٩٦٥ احتجاجا على سياسة الحرب العدوانية للولايات المتحدة فى فيتنام وسياسة « عسكرة » الجامعات الامريكية .

ومنذ ١٩٦٥ شارك فى تحرير مجلة رامبارتس اليسارية وهو عضو مجلس ادارتها والف عدة كتب هامة منها : بعد عشرين عاما ـ بديل للحرب الباردة فى اوروبا بالاشتراك مع المؤلف اليسارى ريتشارد بارنت ـ وكتاب قراءات من فيتنام . وكان من الخمسة الذين اعتقلوا فى بوسطن مع الدكتور سبوك من مؤسسة المقاومة للحرب الفيتنامية ، وراسكين الآن احد مؤسسى الحزب الجديد الذى يعمل على استقطاب عناصر اليسار فى اطار واحد . آخر كتاب له سينشر فى سبتمبر القادم هو « ان نكون وان نعمل ـ فى التساؤل الى التحرير . »

بين هؤلاء الذين يؤيدون استخدام اساليب القمع البوليسى والعسكرى سواء فى المدن الامريكية أو فى المناطق الاخرى التى تسيطر عليها الولايات المتحدة ، وبين الذين يخشون من ان مثل هذا القهر سوف ينتهى الى ضرب ابنائهم (أبناء الطبقة الوسطى) والى خطر مضاعفة الانقسام الايديولوجى بين الاجيال .

ولابد لنا من ان نقول هنا ، كلمة حول الحزبين السياسيين الاساسيين ، وهما يمثلان انعكاسا لاتجاهات القيادات العسكرية ، واتجاهات رجال المال والاعمال ، واتجاهات قيادات العمال على نطاق الامة ، ويختلف مدى ثقل كل من هذه الاقسام فى الدوائر الحاكمة من وقت لآخر ، لكن الاختلاف الاساسى بين الحزبين يكمن فى الاسلوب الذى يتبعه كل منهما فى الحكم .

فالحزب الجمهورى ، يستمد قواه من فئات التجار ورجال الاعمال ، وهما فى الاساس جزء من الطبقة الوسطى ، وهم يهدفون على سبيل المثال الى فرض سيطرة مدنية على القوات المسلحة فى الولايات المتحدة ، ويعنى هذا الشعار ، فى الواقع العملى ، أنه عند اتخاذ القرارات السياسية ، فان الاعتبار الاساسى يجب أن يعطى لمصالح رجال الاعمال ، وهكذا فان الحزب الجمهورى يركز على مسائل معينة ، من بينها ـ مثلا ـ ان موازنة الميزانية يجب أن تستهدف استمرار نفوذ فئات التجار ورجال الاعمال على الشئون العسكرية ، وهذا يعنى تقليل العمليات الحربية فى فيتنام مثلا ، ولكن مع الاستمرار فى الاستعداد للحرب ، مع أقل ممارسة ممكنة للحرب ذاتها .

اما الحزب الديمقراطى ، فانه لا يهتم كثيرا بموازنة الميزانية ، وانما يسعى الى تكوين ما يمكن أن يسمى « بالاشتراكية العسكرية » ، وهى تعنى خلق طبقة عسكرية تسعى لدعم المصالح الامبريالية الامريكية فى الخارج ، مع الاستمرار فى الحفاظ على تقليل البطالة فى الداخل . وقد بنى الحزب الديمقراطى حساباته على اساس نظرية النمو الاقتصادى المستمر ، وعلى أساس اسلوب فى الاستيعاب السياسى ، يعتمد على أن الوضع الاقتصادى سوف يستمر فى نموه أى يتزايد حجم « الفطيرة الاقتصادية » بصفة مضطردة بما يسمح باستيعاب القيادات التى تثير الجماهير لاسباب متباينة ضمن البناء الحاكم القائم ، وان الناس سوف تقبل فكرة الانفتاح والقابلية للتحرك كبديل للمطالبة بالسلطة السياسية والتمثيل والمشاركة السياسية الحقيقية .

ورغم ذلك فالواقع يؤكد أن الحزب الجمهورى تحت قيادة **الرئيس نيكسون** لم يستخدم اسلوب الاستيعاب والوساطة بين المصالح المختلفة ، ومن هذه الزاوية فان اسلوب نيكسون فى الحكم يتخذ طابعا ايديولوجيا اكثر من اسلوب الرئيس **جونسون** ، لقد اتبع نيكسون اسلوب « **التلقيح السياسى** » ، فهو ينهج ، هو وجهازه ، فى الصحف والمجلات اسلوبا يعمد الى تلقيح او اسكات الاصوات المعارضة قبل ان تبرز وتسيطر ، فمثلا نجد ان **نيكسون** فى تناوله لقضية الحرب الامريكية فى فيتنام ، قد حاول أن يقلل الخسائر الامريكية الى حد يخرس اية محاولة لتأييد او مساندة الحركة المناهضة للحرب ، فى صفوف الطبقة العاملة ، وهى فئة تستخدم باستمرار حماسها الوطنى شعارا لمصالحها الخاصة .

واذا أخذنا المدن الامريكية ـ كمثال ـ فاننا نجد ان مشكلة التلوث قد اصبحت خطيرة جدا ، وان كثيرا من اصحاب النظرة اليسارية ، يرون أن الاسس الطبيعية للحياة فى امريكا يمكن أن تدمر من أساسها .

غير ان الرئيس يتبع اسلوبا « بسماركيا » معينا ، يقر بالمشكلة وبأهميتها ، ومن ثم يتعمد تبنيها ، وجعلها من اختصاصات الرئيس ، معلنا انها

مسألة تعنى بصورة مباشرة الرئاسة أو القيادة الدستورية . وثمة اسلوب آخر يتبعه نيكسون فى عمله ، وهو اسلوب الاستخدام السياسى للقانون الجنائى ، حتى ضد بعض جماعات رجال الاعمال او العسكريين . وبهذا فان الجمهوريين يمكنهم احكام قبضتهم وباسلوب ارهابى على المجتمع ، دون تغيير الاسس التى بنى عليها الجهاز السياسى .

والحقيقة ، ان كلا الاسلوبين فى الحكم (سواء التلقيح او الاستيعاب) ليسا سوى محاولتين تتسمان بالذكاء لتناول أخطر المشاكل التى تواجه الولايات المتحدة ، دون التطرق الى مسبباتها او التعرض لمقوماتها الحقيقية ، ومن هنا فان هذه المشكلات سوف تزداد خطرا ، والحدود الفاصلة بين الطبقات سوف تزداد حدة نتيجة للتضخم ولتزايد اعداد ذوى الدخل المحدود وتزايد قهر الفقراء والطبقة العاملة ، ذلك أن اجورهم تفقد قيمتها ولم تعد تكفى ، وأنهم كثيرا ما يطردون من عملهم .

واقتصاد الدفاع (او اقتصاد الحرب) لايزال مرتفعا مع دلالات طفيفة على التراجع ، ولسوف يؤدى استمراره هذا ـ فى حد ذاته ـ الى مزيد من شعور الغربة بين الشباب من جميع الطبقات .

ان ابناء البيروقراطيين والعسكريين يتساءلون عن مدى فائدة نظام اقتصاد الحرب ، الذى بنى منذ ١٩٤٠ فى الولايات المتحدة ، وهكذا فانه لا توجد فقط تناقضات بين الطبقات ، بل ان هناك تناقضات فعلية ، بين الاجيال ، وخلافات فى وجهات النظر ، تخرج عن اطار المفاهيم المعهودة والقواعد التقليدية ، وتناقضات بين الفرد وعمله او الدور الذى يقوم به ، ولسوف تصبح هذه التناقضات أكثر حدة فى عام ١٩٧٦ ، ولن يمكن بأية حال استيعابها لا بوساطة السياسات القديمة ، ولا بوساطة سياسة القهر

●●● اذا ما نظرنا الى الجهاز السياسى القائم على اساس من البرجماتية . وهى نظرية تهتم أساسا بالسلوك السياسى القصير الامد ، اكثر من اهتمامها بالتخطيط الطويل المدى ، افلا تعتقد ان النظام الحاضر بجناحيه الديمقراطى والجمهورى ، سوف يظل قادرا على أن يستخدم لفترة طويلة من الزمن ، اساليب تاكتيكية سياسية ، لتجنب اللجوء الى استخدام العنف ؟ .

■ **ماركوس راسكين :** دعنى اقسم سؤالك الى قسمين ،

فأولا : أنا لا اعتبر ان استخدام الاساليب التاكتيكية موقف برجماتى ، بل على العكس من ذلك ، فان الذى تراه هو افساد للافكار البرجماتية **ديوى** ، و « **وليام جيمس** » والتى تنادى ببناء جماعات متعاونة حول القيم الانسانية ، وتهتم بالنوازع الانسانية لدى كل فرد على علاقة بالقرارات التى يجرى اتخاذها ، وهذا لا يعنى أنه ينبغى على الفقراء أن يظلوا فقراء ومقهورين ، ذلك ان السادة او الاغنياء سوف يصابون بأضرار اذا ما أعيد توزيع قوى المجتمع بشكل جذرى ، وانما هى تعنى أن النوازع والاحتياجات الانسانية سوف تنمو من خلال اقتسام السلطة واقتسام القيادة والرقابة عليها .

ان المكونات الاساسية للبرجماتية ـ بما تتضمنه من محتوى وجودى ـ لا تنعكس الان على السياسة الانتهازية والمرحلية التى تنهجها السلطات الحاكمة فى الولايات المتحدة ، وهى لا تنتمى الى افضل تقاليد الحياة الامريكية ، ولهذا السبب فان المؤسسات التى سبق للطبقة الوسطى ان قبلتها كمؤسسات خاصة بها ، مثل الكونجرس ، والبوليس ، واسلوب اتخاذ القرار عن طريق التصويت .. كل هذه المؤسسات قد أصبحت الان موضع شك من جانب الطبقة الوسطى ذاتها ، وهم يرون أن ايديولوجية التمثيل السياسى ليست من القوة بحيث تصبح ايديولوجية لامريكا ، وانها فى مجال التطبيق العملى لا تؤدى الى شىء ، وفوق ذلك فانهم يرون ان هناك تناقضا بين هذه المثل وبين التقاليد التى تكون عامل التماسك والترابط النظرى للحياة الامريكية ، والتى تمثل الحياة اليومية الامريكية .

ان هذه الأحزاب والجماعات ، التى تعتمد على القهر وسلطة البوليس ، لا يمكنها أن تلتقى مع احساس الجماهير الاصيل ، والذى يطالب بزيادة التمثيل السياسى لمختلف الاتجاهات والتيارات فى المؤسسات القائمة ، بل ان الحقيقة هى ان هذه المؤسسات تمثل فى ذاتها مشكلة كبيرة فى نظر الجماهير ، التى تطالب باجراء تعديلات اساسية بها ، بل وتطالب باعادة بنائها من جديد .

●●● على هذا الاساس ، فاننا يمكننا ان نستخلص ان سياسة «النيوديل» كانت بالنسبة للتجربة الامريكية ـ على الاقل ـ مجرد سياسة تستهدف تبنى الشعارات التى رفعها اليسار فى ذلك الحين من الناحية اللفظية فقط ، مع محاولة تطبيقها تطبيقا جزئيا مبتسرا ، ومن ثم فقد تمكنت هذه السياسة من افراغ هذه الشعارات من محتواها الحقيقى ، وان تدفع باليسار الجديد الى موقع العزلة ، لكن القدرة على تطبيق هذه السياسة ، قد تناقصت الى حد كبير فى عهد جونسون .

وعلى اية حال فان انتخاب « نيكسون » قد أوضح أن النظام توجد بداخله عناصر للمقاومة أكثر مما يبدو على السطح ، ومن هنا فان اليسار الجديد ـ بالرغم من الحجج المنطقية التى تقدم بغرض التحليل ، سوف يكتفى ، بل لعله قد اثبت بالفعل انه قادر فقط على التشخيص وليس قادرا على تولى القيادة ، وهذا يؤدى بنا اذا ما وافقت على

هذا التحليل ، الى التساؤل التالى ، كيف يمكن لليسار الجديد الا يكتفى بخلق جو من المعارضة ، وانما يقوم بخطوات عملية ، تؤكدوتجسد هذه المعارضة ؟ .

■ **ماركوس راسكين :** يبدو ان المجتمع الامريكى مستعد فى المرحلة الراهنة لتقديم العون الى الحزب السياسى ذى القاعدة العريضة ، والذى لا يثير فزع الطبقة العاملة ، اى ألا يكون حزبا للهيبيز ، او حزبا مملا ، او مشروعا شيوعيا ، وبحيث يستطيع أن يستخدم الطاقات الاضافية ، وقدرة الطبقة الوسطى على التحكم فى نفسها ، ويكسب الاثرياء حسنى النية الراغبين فى انجاح المشروعات ، ومثل هذا الحزب الذى يجرى تاليفه الان سوف يجد مخرجا للفقراء من تحمل اعباء الفقر والاستغلال ، بينما يقدم اشكالا جديده للعمل السياسى تنال مباركة ومساندة الفقراء .

وتنطلق هذه السياسة الجديدة من أن هناك ضرورة لدفع المؤسسات القومية الاساسية فى الحياة الامريكية ، والتى تعتبر نتيجة لطبيعتها الذاتية او للنشاط الذى تقوم به ، مؤسسات عامة ... هناك ضرورة ملحة لدفع هذه المؤسسات الى الاهتمام بالعمل السياسى .

ومن هنا فانه يتعين اضفاء طابع ديمقراطى على النقابات و « الحكومات الخاصة » مثل المؤسسات الصناعية والجامعات والمستشفيات والاجهزة البيروقراطية ، بل وربما شن هجوم عليها بهدف اعادة بنائها من جديد .

وبينما يقوم الحزب الجديد وكل السياسة الجديدة على اساس الانتخابات بصورتها المعروفة حاليا ، فسوف يقام ايضا نوع من مجالس الظل داخل هذه المنظمات لتقوم بخدمة أكثر الناس اهتماما بهذه المنظمات .

والنتيجة التى سيسعى اليها نشاط هذا الحزب الجديد وقيامه بتاسيس هذه المجالس والمجموعات الحزبية الجديدة ، هى اختبار شرعية هذه المؤسسات القائمة وأهدافها وعجزها عن تقديم الخدمات الضرورية للجماهير .

والتساؤل المطروح الان هو : هل ستخوض هذه المؤسسات التحدى لتصبح ديمقراطية حقا ، أم أنها سوف تفقد مشروعيتها فى نظر هؤلاء الذين على علاقة وثيقة بنشاط هذه المؤسسة ، وعندما تفقد مؤسسة ما مشروعيتها ؛ انها تفقد بالضرورة تأثيرها السياسى والنفسى والاقتصادى على الجماهير .

ومن هنا فان المشروعية والمشاركة فى السلطة تصبح هدفا أساسيا وحاسما للسياسة الجديدة .

أما الوجه الثالث من اوجه نشاط الحزب الجديد ، فسوف يكون المبادرة بتاسيس عدد من المشروعات الاقتصادية ليديرها الفقراء بانفسهم ، لسوف يقوم الفقراء بتكوين تعاونياتهم الخاصة بهم ، ومن خلال بعض المساعدات التى سيقدمها عدد من كبار الاقتصاديين ، فان هذه التعاونيات ستكون قادرة على تحسين منتجاتها التى ستروج بين الزنوج والطلاب .

ولسوف تحدد علامة الانتاج المميزة للسلعة نوع الخدمات الاجتماعية التى يمكن تقديمها لمشترى هذه المنتجات ، لسوف تكون المنتجات ملكا للفقراء ، أما الفائض فسوف يستخدم فى تقديم خدمات للمجتمعات الفقيرة .

أما النشاط الرابع ، فهو اقامة مجموعات جديدة للمساندة والحماية ، او ما يمكن تسميته بالمؤسسات المضادة ، تقام على أسس وقيم مختلفة تماما عن تلك التى تقوم الثقافة المركزية الحالية .

لكنه من الصعب مجابهة التغيرات العميقة فى المجتمع ، خاصة بين الشباب بانتهاج سياسة معالجتها والتحكم فيها بالاساليب التقليدية ، طالما انه قد أصبح واضحا أن هؤلاء الشباب لن يحتلوا مكانهم فى الاقتصاد الرأسمالى ، سواء كبيروقراطيين ، أو كأبناء مدللين لهذا النظام ، أو كمديرين ومهيمنين عليه .

وفى كل مدينة نجد محاولات لاقامة « كوميونات » ، أو صحافة حرة ، أو أساليب جديدة للمعيشة ، وكلها تجارب تحمل فى ذاتها طابعا سياسيا ، وفى حالات أخرى تقام مشروعات لتقديم خدمات حقيقية ، مثل اقامة مدارس صغيرة او مراكز صحية ، او « كوميونات » تقام على أساس قانونى وهى جميعا تقام ، ليس على أساس اصلاحى ، وانما كأساليب للعمل السياسى الراقى ، ان مثل هذه التجمعات هى محاولات لكتابة عقد اجتماعى جديد لهذه الاجيال الجديدة .

●●● **يمثل نضال الزنوج من أجل شكل من أشكال المساواة المطلقة ، احد الابعاد الهامة للنضال المنظم لليسار الجديد ، لكن قيادة الزنوج التى كان يمكن لها أن تلعب دورا اساسيا ، بل ودورا حتميا يمكنها من تقديم مبادرات تنظيميه ، هذه القيادة يبدو انها تنجذب نحو أن تصبح تعبيرا ذاتيا للزنوج وحدهم ، وأيا كانت مشروعية هذا الاتجاه ودوافعه ، الا انه يؤدى الىنوع من الانغلاق الذاتى الذى يضع اليسار الجديد فىمازق الذى يقف الى جانب مساواة الزنوج ، بينما هم يخضعون فقط لقيادات سوداء ، ويؤدى هذا بطبيعة الحال الى عدم التوافق فى النظر الى قضية الزنوج كقضية يتعين على اليسار الجديد أن يجد لها حلا .**

فما هو اقتراح اليسار الجديد لتجنب مثل هذا الاستقطاب دون أى احتمال لفقدان الثقة المطلقة من جانب الزنوج ؟

■ **ماركوس راسكين : اولا ،** لقد اشرت من قبل الى ان عددا متزايدا من شعب أمريكا يدرك الان بأنه واقع تحت السيطرة والتحكم ، سواء فى

المدرسة أو العمل أو من خلال التليفزيون ، أو فى كافة المسائل التى تخص علاقته بالدولة ، ومن هنا فانهم (أى البيض) يتعين عليهم أن يجدوا الطرق الملائمة لايقاظ ضمائرهم ، والتخلص من حالة السيطرة هذه حتى يستطيعوا أن يعيشوا مع الزنوج على قدم المساواة ، ولقد أمكن لهذا الوعى السياسى ان ينفذ الى اوساط الطبقة الوسطى ، الى الحد الذى دفع الكثيرين الى الشعور بعدم الرضى بعملهم ، او بالدور الذى يقومون به فى الحياة • وهم اقل استعدادا للاحتواء بوساطة محاولات شرائهم لصالح عملية حركة التقدم ، ومن ثم فانهم قادرون على أن يكتشفوا فى أوضاعهم الخاصة ، مشكلات تتماثل مع تلك التى تواجه الزنوج فى أفقر أحياء المدن الامريكية ، ان مثل هذا الاكتشاف والاستمرار فى تفهمه ، يخلق حالة من التعاطف والاخوة بين البيض ، نحو الجماهير الملونة ، حتى ولو لم ينبع هذا التعاطف من خلال اندماج رسمى فى العمل •

ثانيا : انه امر مفروغ منه ان تحرير الزنوج داخل « الجيتو » الخاص بهم يملى عليهم تكوين مجتمع ومجموعات سياسية خاصة بهم ومستقلة عن البيض ، ان خبرة السنوات العشر الاخيرة قد علمتنا أنه لا يوجد خط فاصل محدد بين الانفصال والاندماج ، والمسألة مسألة تكتيكية ، أما ما هو غير تكتيكى فهو علاقات القمع والتسلط بين الناس المختلفى اللون ، وهكذا فان سياسة اليسار الجديد تستهدف اقامة مشروعات يمكن للسود تولى قيادتها ، وحينما يصبح السود والبيض على قدم المساواة فى هذه الحركة ، ويتجهون نحو بعضهم البعض تدفعهم روح المساواة ، فان القضية العنصرية سوف تحل •

●●● لقد حققت الحركة العمالية نجاحا باهرا — من خلال محاولة احياء النظام الرأسمالى — فى احتواء أقسام ضخمة من القوى العاملة فى البلاد داخل اطار الاقتصاد الرأسمالى •

فهل يتصور اليسار الجديد امكانية انفتاحه على المحتوى الاساسى للحركة العمالية ، أم أنه سيكتفى بمجرد التخاطب مع الحركة ؟ وما هى خطط اليسار الجديد حتى يمكن اعادة الحركة العمالية الى حظيرة العمل السياسى خلال الحقبة القادمة من الزمن ؟

■ **ماركوس راسكين** : لسوف تحقق الحركة العمالية تغييرات هامة فى السنوات القليلة القادمة ، وأحد اسباب هذا التغيير هو ان هناك جيلا كاملا من الزمن يفصل بين أصحاب المناصب البيروقراطية فى النقابات ، وبين الاعضاء العاديين •

والسبب الثانى ، هو أن فكرة المشاركة فى مكان العمل ، وهى معركة تخلت عنها الحركة العمالية الامريكية طوال جيل بأكمله فى مقابل أجور أفضل •• هذه الفكرة سوف تتفجر الان من جديد ، كشعار عام ، يسود الحياة الامريكية كلها هو شعار «المشاركة» ، خاصة وأنه قد اتضح تماما ان الاسلوب القديم فى فرض قيادة كهنوتية أو تحكمية ، امر يتناقض مع مصالح التقدم التكنولوجى ومصالح المصنع •

لقد أعلنت نقابتان قويتان : نقابة السائقين واتحاد عمال السيارات ، عن قيام تحالف بينهما ، ومثل هذه الخطوة — التى قد تبدو الان خطوة غير هامة — سوف تصبح خطوة نحو توحيد مزيد من النقابات حول مطالب تختلف عن مجرد الحديث عن الاجور وساعات العمل ، وانما تنطلق نحو المطالب فى التمثيل والمشاركة فى قيادة موقع العمل •

وفوق ذلك فان ذوى الياقات البيضاء العاملين فى مكاتب الجمعيات والحكومة ، وفى مختلف الوظائف التى يطلقون عليها اسم وظائف الطبقة الجديدة •• هؤلاء سوف يطالبون بحقهم فى حرية التعبير وبحقهم فى قيادة منظماتهم الخاصة بهم • وهكذا فان مطالبهم سوف تتزايد مع تزايد كفاءتهم التى تعتبر ضرورية للمجتمع ، والشىء الاكثر احتمالا هو أن الحزبين السياسيين الرئيسيين سوف يعجزان عن احتواء هذه الحركة ، والاكثر احتمالا أيضا هو أن هذه الحركة سوف تنجح اما فى تقسيم هذين الحزبين أو فى احداث تحولات فيهما •

●●● ان كلمة « جديد » التى تتضمنها عبارة « اليسار الجديد » تعنى تخلص هذا اليسار من القوالب الجامدة ، التى أثبتت فى كثير من الاحوال أنها كانت عوامل شيخوخة بالنسبة لليسار القديم ، ولكن اذا ما قبلنا التعريف السياسى لليسار ، على انه قوة تستهدف تحقيق غرض معين ، وأن وجودها ليس هدفا فى ذاته ، فما هو الضمان اذا ما استطاع اليسار الجديد ان يصل الى السلطة ، انه سيحقق هذا الغرض ولا يكتفى بالسلطة فى حد ذاتها ؟ • او بمعنى آخر ما هو الجديد بالنسبة لليسار الامريكى فى السبعينات ؟ •

■ **ماركوس راسكين** : ولكن اليمين هو ايضا يستهدف تحقيق غرض معين من استيلائه على السلطة وممارستها ، فهو يريد أن يستمر فى الحفاظ على علاقات التسلط والسيطرة ودعمها ، ولا يوجد سوى أفراد قلائل جدا من الذين وصلوا الى السلطة وقالوا انهم لا يستهدفون تحقيق غرض يخرج عن اطار مصالحهم الذاتية الشخصية حتى ولو كان هذا الغرض لا يمتد أبعد من حدود أسرتهم •

ان اليسار الجديد فى أمريكا ، يستهدف اقامة مؤسسات مناهضة للسلطة المطلقة •

النيوديل •

هى السياسة التى بدأها الرئيس « فرانكلين روزفلت » سنة ١٩٣٣ للتغلب على الازمة الاقتصادية التى وقعت سنة ١٩٢٩ وتقوم على تطبيق عدد من الاجراءات الاقتصادية البعيدة المدى . وقد اعطى قانونا اصلاح الصناعة القومية وتنظيم الزراعه سلطات واسعه للحكومة ساعدت على اصلاح الصناعه عن طريق برنامج للاشغال العامه ، قامت بتخطيطه ادارة الاشغال العامة والاقراض بفائدة منخفضة . وصدر تشريع للقيام بتنفيذ برنامج كبير لبناء المساكن بمساعدة مالية من الحكومة.

وانشئت ادارة لتحقيق تقدم العمل ، لتبيح فرصة العمالة للمتعطلين المحتاجين للمساعدة المالية . وأقرت بحق العمال فى تكوين النقابات، قانونا، وتدعم ذلك الحق بصدور قانون علاقات العمل القومى سنة ١٩٣٥ الذى ارغم اصحاب العمل على المساومة مع المجموعة التى تمثل الاختيار الحر لاغلبية العمال . وادخل قانون الضمان الاجتماعى نظاما للتأمين الاجتماعى . والملاحظ ان سياسة « النيو ديل » لم توقف البطالة فى الولايات المتحدة ، وانما ساعدت على خفض عدد المتعطلين من ١٧ مليونا الى ٧ ملايين .

والمشكلة السياسية التى ستجذب انتباه أمريكا ، كمجتمع ، خلال سبعينات القرن العشرين ، والتى يضفى عليها اليسار الجديد أبعادا سياسية وثقافية جديدة ، هى فى حقيقة الامر مشكلة قديمة جدا .

انها مشكلة الحريات التى يتعين على الفرد أن يتمتع بها . الى أى حد يحصل الفرد على القدرة التى تمكنه من تحقيق ارادته ؟ أية سلطة يمنحها هذا الفرد للاخرين الذين يتحدثون باسمه ؟، وكيف يستطيع أن يسحب هذه السلطة من أيديهم مرة أخرى ؟ وما هو نوع السلطة التى يمكن اقتسامها من خلال تمثيله فى المؤسسات ؟، وما هى الاعمال التى يتعين على رجال السلطة ألا يرتكبوها ؟

أو بمعنى اخر ، فان السؤال الحاسم من الناحية السياسية هو : كيف يسمح لفرد واحد أو عدة أفراد أن يستمروا فى امتلاك السلطة التى تمكنهم من تدمير ملايين البشر ، سواء بوساطة الحرب النووية أو بأية وسيلة أخرى ؟

والسؤال الثانى ، متعلق بهذه الاجهزة التى تمكن بطبيعة وجودها من اتخاذ مثل هذه القرارات أو المواقف ، مثل أجهزة البوليس السرى ، ومؤسسات الحرب وغيرها من المؤسسات ، والتى يعتبر وجودها فى ذاته تجسيدا للشر .

ان مثل هذه المؤسسات يجب ان تحل حلا كاملا، فلا جدوى من أن تحشد فيها أعداد كبيرة من الموظفين اليساريين ، ذلك أن البناء فى ذاته سوف يستمر فى املاء مواقف ذات طبيعة رجعية .

••• اذا ما تصورنا ان التناقض الرئيس يوجد فى عالمنا بين الشمال المتقدم، وبين الجنوب النامى ، فان اليسار الجديد فى الدول النامية هو بكل وضوح ضد الرأسمالية ، او بكلمات أخرى لا يقبل بالمرور عبر الطريق الرأسمالى .. الخ .

وأنتم تواجهون الرأسمالية فى قلعتها الحصينة ، وهذا يعنى ان جزءا كبيرا من نشاطكم يتركز فى سياسة المواجهة . فكيف يمكن استخدام مواجهتكم هذه كعنصر مساعد لاضعاف الهجوم الامبريالى للولايات المتحدة على العالم الثالث ؟ انها معادلة سياسية ونظرية معا ، فما هى المعادلات الاساسية التى يمكن أن تجمع اليسار الجديد فى العالم الثالث ويساركم الجديد فى امريكا ؟

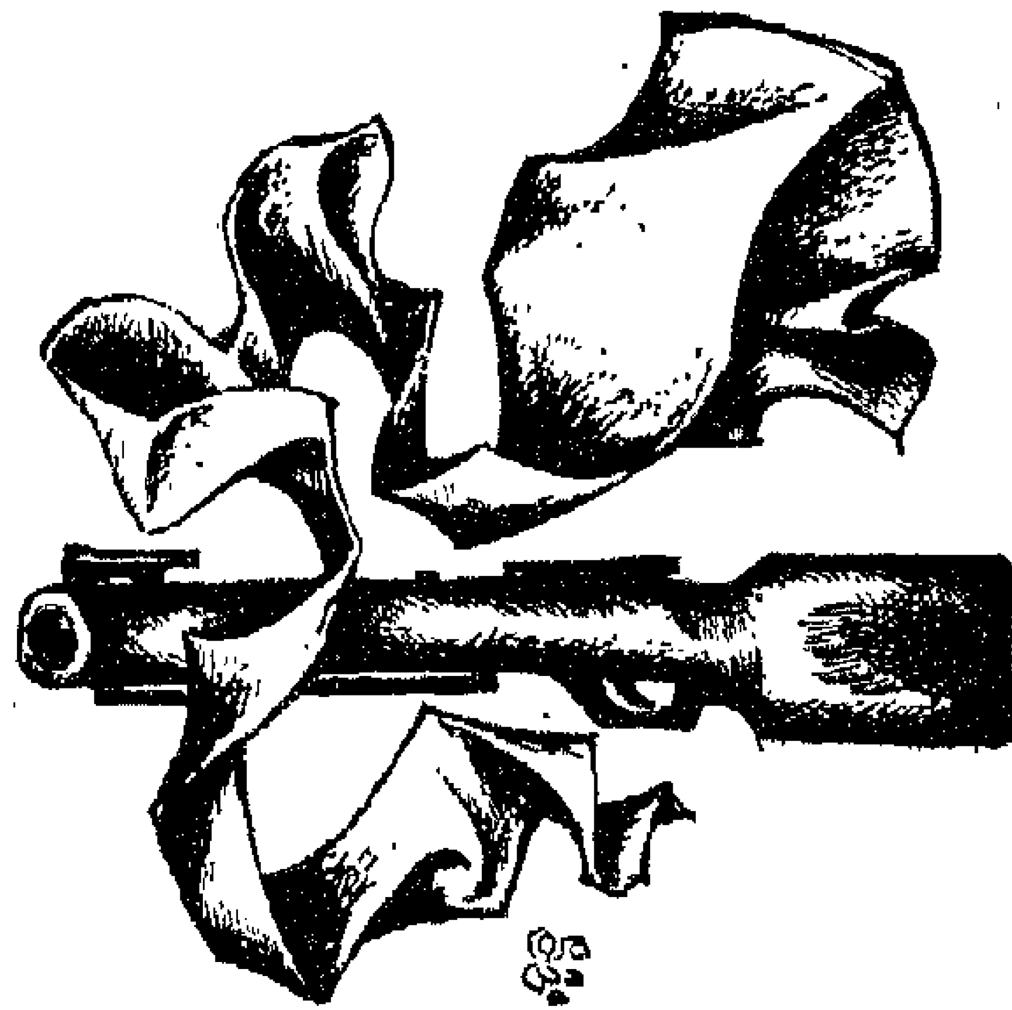
■ ماركوس راسكين : ان تغيير القيم فى الولايات المتحدة يمثل شرطا أساسيا لاحياء العالم الثالث ، ذلك انه يتعين على الامريكيين ان يجدوا الوسائل اللازمة لتغيير مستوى معيشتهم ، بحيث يقل اعتماد هذا المستوى على المواد الخام والموارد الموجودة فى البلدان النامية .

فعلى سبيل المثال ، نجد ان الولايات المتحدة تستهلك أكثر من نصف الانتاج العالمى من عديد من المواد الاساسية مثل البترول والمطاط وخام الحديد والمنجنيز والزنك ، وقد تضاعفت الاحتياجات الامريكية للوقود والمواد غير المعدنية فى الفترة من ١٩٥٢ حتى الان ، وبسبب الاندفاع الشره نحو الوسائل التكنولوجية الحديثة ، فسوف يكون هناك تصاعد مستمر ـ لفترة من الوقت ـ فى طلب ما يسمى بالمعادن التكنولوجية مثل النيكل والكروم والكوبالت .

لكن العنصر السياسى الذى سوف يساعد دول العالم الثالث مساعدة كبيرة ، والذى يتمثل فى أن يرفض المواطنون الامريكيون ذاتهم فكرة الامبريالية ، هو ادراك أن هذا المستوى من المعيشة ، يعتمد فى الاساس على تعفن نظامنا الداخلى ، وعلى الفقر المدقع الذى يعيش فيه معظم المجتمع الملون ، وهذا المنطلق أصبح الان أكثر قبولا لدى الشباب ولدى تلك العناصر من الطبقة الوسطى ، التى تشعر أن وضعها (كمستهلكين) قد دفع بها الى شكل جديد من أشكال العبودية .

ان السياسات الجديدة فى امريكا تعتمد أساسا على ان هناك ثمة مصالح مشتركة بين الشعوب تختلف عن تلك المصالح التى يقول الحكام بوجودها ، فعلى سبيل المثال فان علاقات وصلات وثيقة يتعين عليها أن تنشأ بين العمال والطلاب من مختلف البلدان وبين بعضهم البعض . ونفس الشىء يجب أن يحدث فى الشرق الاوسط ، فان قيام صلات وثيقة بين مختلف بلدان المنطقة يمكنه أن يساعد فى التوصل الى قرار سلمى للصراع القائم هناك .

فلسطين ... على خشبة المسرح المصرى



غـــالى شـــكرى

أقبلت مأساة فلسطين وخلاصها ـ بعد الهزيمة الاخيرة ـ منقذا رسميا للادب العربى الحديث عامة ، والمسرح على وجه الخصوص .

ذلك ان ادبنا قبيل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، كان قد اوشك على التورط فى مأزق معتم ، عند نهاية طريق مسدود ، هو التركيز المكثف على السلبيات الكامنة فى البناء الاجتماعى . وقد كان الوجه الايجابى الوحيد لهذا الادب السوداوى الحزين ، انه استطاع فى أنضج آثاره وأعمقها ، ان يستشرف مجاهل الغيب ويتنبأ بالكارثة . ولكن النبوءة نفسها جاءت من صنع مناخ الهزيمة ، قاصرة فى جوهرها عن استشراف ما بعدها . اى ان اولئك الذين استطاعوا ببصيرة ثاقبة ان يروا الهول قبل وقوعه ، لم يستطيعوا فى واقع الامر ان يتجاوزوا انفسهم ، فقد رأوا الهزيمة حقا ولكن بنظرة احادية الجانب .. فلم يروا سوى بعدها السلبى وكأنه البعد الوحيد ، ولم تظهر فى ادبنا بارقة أمل فى تجاوز الهزيمة ان وقعت ، لا لان الايمان فى النصر كان مطلقا ، وانما لان اليأس هو الذى كان النغمة السائدة والمطلقة . ولعل مبعث ذلك لم يكن فحسب المناخ السلبى الذى يظلل الانسان العربى اينما كان ، وانما كانت هناك كذلك طبيعة التكوين الفكرى والاجتماعى لادبائنا ، وهى الطبيعة التى أملت عليهم بدرجات متفاوتة « تعميم » السلب و « اطلاق » السواد .. بحيث بدت الصورة على هذا النحو الغارق فى الظلمة التى طالعتنا ـ على سبيل المثال ـ فى انتاج كبير الروائيين العرب **نجيب محفوظ** ، وبخاصة فى روايتيه السابقتين مباشرة على الهزيمة « **ثرثرة فوق النيل** » و « **ميرامار** » ، وفى معظم اعمال المسرح المصرى الموازية لهذا التاريخ .

ولئن كان لابد من الاعتراف بأن طائفة من كتابنا لم تفاجأ موضوعيا بالهزيمة ، بل وتنبأت بها فى صورة من الصور ، فانه ينبغى الاعتراف ايضا بأنهم فوجئوا الى حد كبير بأحداث ما بعد الهزيمة

ومجتمع ما بعد الهزيمة ، واخيرا ـ وربما كان اولا ـ انسان ما بعد الهزيمة .

ومن قبيل التسجيل الامين لما حدث ، يتعين القول بأن فريقا من الكتاب آثر رغم كل شيء ان يظل انتاجه بعد الخامس من يونيو امتدادا مستقيما لانتاجه قبل ذلك ، تساند رؤياه القديمة بعض السلبيات التي لا تزال تنخر في مجتمعنا ، ومن ثم كانت هناك هذه الاعمال التي تطالعنا بين الحين والحين ، والحزن العميق نغمتها السائدة والاصيلة . ولكن يتعين القول ايضا بأن كتابا كثيرين حاولوا مواكبة ـ او مسايرة ـ ما استجد على خشبة الاحداث، وفي مقدمتها الحدث الاكبر والاعمق والاخطر : المقاومة الفلسطينية .

ولم تكن المقاومة الفلسطينية موضوعا غائبا عن الادب العربي الحديث طيلة العشرين عاما الماضية ، ولكنها بغير شك قد تطورت في الوجدان العربي المعاصر لاحداث حزيران الدامية تطورا يكاد يكون كيفيا ، انعكاسا لما آلت اليه الامور غورا وعمقا في الوضوح والتبلور . ومعنى ذلك أن المقاومة الفلسطينية ـ قضية وموضوعا للادب ـ قد اكتسبت بعد الهزيمة ابعادا لم تكن لها من قبل ، وكذلك الاستجابة الفنية لهذه القضية قد تباينت حقا من كاتب الى آخر ، ولكنها احتفت في النهاية بالمقاومة كطريق يتيم للخلاص. هذا الطريق الذي لم تلح بدايته أمام هؤلاء الكتاب انفسهم ـ وغيرهم ـ قبل أن تطفو معالمه على سطح الواقع ، بل كانت الغالبية منهم قد وصلت بأقصى ما تتمتع به من درجات الموهبة والثقافة الى رؤيا الطريق المسدود .

وسوف اقتصر هنا على تقديم احدى الشرائح الفنية التي اتخذت من المقاومة الفلسطينية خامة لها ، هي الشريحة المسرحية التي تم عرضها على خشبة المسرح المصري ثم اتيح لبعضها ان يواجه جمهورا اوسع في الوطن العربي. اتخذ من المسرح اذن مجرد مثال لما انطوت عليه الاستجابة الفنية للحدث الاكبر في حياتنا المعاصرة من تباين واختلاف بين كاتب وآخر ، بين سهيل ادريس في « زهرة من دم » وعبد الرحمن الشرقاوي في « وطني عكا » ومعين بسيسو في « ثورة الزنج » والفريد فرج في « النار والزيتون » .

الثيمة تفرض السياق

ان اختيار الثيمة الدرامية المناسبة ، هو أولى المشكلات التي تواجه الكاتب المسرحي الذي يتصدى لمعالجة قضية بالغة الحساسية والتعقيد، كقضية المقاومة ، ذلك أن هذا الاختيار يعد بمثابة المدخل الذي يلقي بظلاله على طول المسرحية وعرضها وعمقها . فالثيمة بعد تحديدها من جانب الكاتب بحرية تامة ، تعود بدورها فتتحكم في السياق الى مدى بعيد يصعب معه تعديل مدارها ، والا أفلت منه الزمام وتبعثر البناء وتشتتت الافكار ، وتحول العمل الفني الى ما يشبه الفوضى . ولا يعني ذلك ان البديل هو أن يصمم الكاتب عمله من قبل أن يبدأ في تشييده تصميما ذهنيا صارما ، فهذا من شأنه أيضا ان يحيل العمل الى كتلة جامدة صماء أقرب الى الالة منها الى الكائن الحي المتدفق بالحياة . وانما لابد للكاتب من أن يحدد ثيمته في البداية تحديدا واعيا بقدرتها أثناء عملية الخلق على تشكيل البنية المسرحية بما يتواءم مع سماتها الرئيسية .

هكذا كان القلق الذي ساور سهيل ادريس في « زهرة من دم » والشرقاوي في « وطني عكا » من العوامل الرئيسية التي أدت الى تفتيت كلتا المسرحيتين الى صور متناثرة حينا والى أحداث متوازية أحيانا والى مونولوجات متقاطعة في معظم الاحيان . كذلك كان التحديد البالغ الدقة لثيمتي « ثورة الزنج » و « النار والزيتون » من العناصر الهامة في الاتساق العام لكلتا المسرحيتين ، والتماسك الداخلي الذي انطويتا عليه بمقدار أو بآخر .

ومن الطبيعي أن تكون « مواكبة الحدث » لا التنبؤ به ولا التاريخ له ، هو الاطار العام لاي ثيمة مسرحية تدور حول المقاومة الفلسطينية الراهنة .. والمواكبة الحية الحاضرة لا تمنع السياق من التفاتة للوراء أو نظرة للامام ، تحضن الماضي وتستشرف المستقبل ، ذلك أن مواكبة الحدث في لحظة حضوره لا تعني جمود « الحركة » أو اختزالها الى « محلك سر »، ولكن الحاضر مع هذا هو الذي يحتل الحيز الرئيسي في مسرحية لم تسبق الحدث ولم تأت تالية له .

وكذلك فان مسرحية تدور حول المقاومة الفلسطينية لابد لثيمتها وأن تشتمل على الابعاد الثلاثة الجوهرية في كل أدب يدور حول المقاومة ، وأعني بها البعد الانساني والبعد القومي والبعد الاجتماعي ، ورغم هذا فالبعد القومي هو مركز الدائرة من مجموع الصراعات التي يشتمل عليها البناء المسرحي . واذا كان الزمن بمعناه الفني ـ ماضيا او حاضرا او مستقبلا ـ هو الذي يحدد للفنان أدواته التكنيكية في التعبير الجمالي. فان الخلل أو التوازن الذي يقيمه بين الابعاد الثلاثة الجوهرية ـ الانسانية والقومية والاجتماعية ـ هو الذي يحدد له أدواته الفكرية ، ولذلك قلت ان اختيار الثيمة منذ البداية هو التبعة الاساسية التي

يتحملّ الكاتب مسئوليتها طيلة انشـغاله ببقية مراحل الصياغة الفنية ، فما هي الثيمات التى اعتمدها كتابنا الاربعة مدخلا الى ابنيتهم المسرحية؟

تتساءل « **فادية** » احدى الشخصيات الرئيسية في مسرحية سهيل ادريس قرب نهاية الفصل الأول « **أليس هناك ثمن آخر لسعادتنا ؟ ايجب ان ندفع ثمن هذه السعادة بحرامن الآلام والدماء ؟** »، ويجيبها « **هشام** » الفتى الذى يبادلها الحب « **أتدرين ؟ راودتنى هذه الفكرة منذ أيام ، حين كنت والرفاق نعبر واديا موحشا لجأنا اليه ، اذ كانت احدى طائرات الهليكوبتر تطاردنا ، وذات لحظة ، أحسستبالتعب ، بل ببعض الأسىيتسرب الى نفسى من غير ان افهم مبعثه ، وقلت لسعيد اننى بدأت أخشى المستقبل ، وان اعواما من الآلام تنتظرنا ، وآنذاكلمحت علىجانب ساقية اعترضت سبيلنا زهرة غريبة لم أشهد مثلها من قبل ، كانت زهرة حمراء قانية اللون ذات أوراق دقيقة .. ولا أدرى لماذا ذكرتك على الفور ، وتساءلت فى رعشة: أيّ وجه للشبه بين زهرة الدم هذه وبين فادية؟** » (١). وعند نهاية الفصل الثانى تغيبفادية عن وعيها فى مكتب أحد ضباط العدو ، حين تشاهد دما على الارض تخلف عن تعذيب أخيها أو حبيبها . وإذ تغيب عن وعيها وتسقط ينكشف ثوبها عن ساقها فينحنى فوقها الضابط ويحملها بين ذراعيه ويقبلها فى عنقها ، ثم يضعها على الاريكة وهو يحدق فى ساقيها . وعند نهاية الفصل الثالث والاخير يثقب صوت فادية جنح الظلام وهى تقول : « **لست أدرى : أهم الذين اغتصبونى أم انا التى استسلمت؟** » . لو استطعنا ان نبقى علىهذا الخيط بين أيدينا وسط الشد والجذب الذى يتناوب بقية الخيوط التى ازدحمت وتشابكت وتعقدت فى « زهرة من دم » ، فاننا نستطيع أن نحصل على قوام الثيمة المسرحية التى اختارها سهيل ادريس لينسج منها وحواليها عمله المسرحى .. وهى الثيمة التى ارتدت ثياب الرمز فى شخصية فادية التى تظهر عند الخاتمة كطيف سماوى فى رداء شفاف البياض ، يصطبغ تدريجيا بلون أحمر من زهور قانيةبلون الدم ، وحينتبسط ذراعيها باتجاه هشام يسترد الثوب لونه الابيض الناصع ، ويهتف هشام كالحالم « **كنت دائما واثقا أنك ستعودين الى محررة ، نقية ، رائعة** » ويسدل الستار ، ولقد اضطر سهيل ادريس الى هذه الخاتمة الحالمة اتساقا مع الثيمة التى اختارها مقدما ، لا اقتناعا بضرورتها الفنية .. بل ان هذه الخاتمة قد أساءت الى مبدأ الضرورة الفنية اساءة بالغة ، فالاستغراق فى الحلم لا يحقق طموحا مشروعا الى التنبؤ بالتحرير ، وانما يستدرج أقدامنا الى هاوية الوهم. لقد أراد سهيل ادريس بغيرشكأنيستبق اللحظة الدامية التى تعيشها أمتنا ، لترى « فادية » معنا أن الثمن الفادح الذى دفعته ــ سواء كان دماء بكارتها أو دماء الشهداء ــ قد استوجب السداد ، وها هى ذى فلسطين تعود عروسا حرة فى ثوبها الابيض . ولكن هذا الذى أراده الكاتب شىء مختلف أشد الاختلاف عما أرادته المسرحية فى خاتمتها البشرية ، وواقعها الذى تواكبه ، ان التنبؤ بالنصر امر محفوف بالمخاطر ، اذا تجاوز مرحلة الايمان والنضال لتجسيد هذا الايمان .. فالعدو ليس كما صوره سهيل ادريس مجرد « مجنون بالجنس » أو راغب عن البقاء فى فلسطين ، اذن لكان عدوا يسير المنال ، لا يحتاج النصر عليه الى هذا الحلم الباهر ، ولا تحتاجمقاومته الىهذهالدرجة القصوى من الفداء القريب من الفكرة المسيحية ، حيث تفتدى الارض بالعرض (لاحظ اسم الشخصية فادية) . ولان صورة العدو فى واقع الامر أكثر تعقيدا من الصورة التى قدمها الكاتب ، فان النصر المرتقب ــ اذا كان لابد من التركيز عليه ــ يظل ايمانا فى قلوب المناضلين ، تجسده بطولتهم فى المقاومة ، وربما عذابهم وأساهم ، أكثر مما تجسده الاذاعات العربية وهى تعلن النبأ العظيم بتحرير فلسطين ، فالنصر ــ من الموقع الراهن للمقاومة الفلسطينية ، ليس خبرا يذاع وانما نضال ضار فى الداخل والخارج ، فى صفوف الثورة نفسها ، وصفوف أصدقائها وأعدائها على السواء ، والنصر أخيرا رؤية مشروعة ، بشرط ألا تنفصل لحظة واحدة عن الارتباط بالواقع الحىالذى يفرز السلبوالايجاب معا ، والا غرقنا فى الوهم الذى كان سببا من أسباب الهزيمة . ولقد جاء النصر فى « زهرة من دم » خاتمة منطقية تماما مع المقدمات التى أدت اليها ، فالثيمة الرمزية المجردة ــ عن الفداء ــ كان لابد وأن تقود المؤلف الى هذه النهاية التى تنفصل عن مقومات الواقع انفصالا عميقا .. مما اضطر المؤلف لان يستعين بالاقنعة الذهنية فى تجسيده المسرحى ، لحماية النهاية من الشذوذ على أوامر المقدمة .

أما عبدالرحمن الشرقاوى فى «وطنىعكا»فيكاد ان يكون ــ رغم البناء الشعرى للمسرحية ــ على النقيض من التجريد الذهنى فى «زهرة من دم». ان الثيمة الاساسية تقع على الطرف المقابل من ثيمة سهيل ادريس التى تبالغ فى سلبية العدو ، وبخاصة على الصعيد الاخلاقى ، اذ يبالغ عبد الرحمن الشرقاوى مبالغة مفرطة فى تصوير

---

(١) ارجو فيما يختص بهذه المسرحيةمراجعة المقتبسات على النص المنشور فى سلسلة « مسرحيات عربية » ــ دار الكاتب العربى ــ القاهرة ١٩٦٩ .

الضمير الاسرائيلي الذي تألم غاية الالم وتعذب الى غير حد لما حدث ويحدث للعرب في الاراضي المحتلة . وهو لا يستهين مطلقا بالجانب القومي من المأساة ، ولا تغفل عينه عن بعدها الاجتماعي ، ولكنه يركز الضوء الساطع على جانبها الانساني ، يركزه للدرجة التي تفلت فيها الموازين من ضوابط القياس ، فيصاب البناء بأكمله بخلل لا يخيب ، فالبعد الانساني كما تخيله الشرقاوي - ولا أقول كما استلهمه من الواقع - يتجسد في أن يغادر المثقف اليهودي اسرائيل الى بلده الاصلي فرنسا احتجاجا ، وأن تفكر زوجته قليلا في الامر ولا تلبث ان ترى ما ارتآه ، وان يتحول الكاتب المغربي عن مناصرة اسرائيل الى جانب العرب على أثر ما شاهده من بشاعة ووحشية ، أما زميلته الصحفية ، فيتطرف بها الامر الى أن تعشق فدائيا يبادلها الحب وتصبح مناضلة في صف المقاومة الفلسطينية ، وكذلك يتحول الضابط اليهودي الامريكي الاصل الى متمرد على الاوضاع ، أما الضابط اليهودي العربي الاصل فيصل به التمرد الى حكم الاعدام .

وأود أن أقول ان الدافع الذي حدا بالكاتب الى التركيز المكثف على البعد الانساني ، هو في جوهره دافع نبيل ، بل هو يستطيع أن يرد على ناقديه بقوله انه تعمد « النبوءة » بما يضمره الغيب خلف حجب الحاضر وأستاره الثقيلة ، ولكنه بذلك يكون قد اندفع الى نفس الحافة الحرجة التي وقف عليها سهيل ادريس ، حافة الاستغراق في الوهم ، فلاشك أن هناك « خلافات » داخل السلطة الاسرائيلية ، وليس من شك أن هناك « تذمرا » في صفوف المثقفين اليهود ، ولاشك أيضا أن جانبا من الرأي العام العالمي بدأ يحذر الدعاية الصهيونية ، ويوشك أن يتخذ موقفا منصفا ، ولكننا في الفن - وهو اختيار - يجب أن ننتقي من الوقائع مالا يضلل هذا الرأي العام نفسه ، فضلا عن الاسراف في الثقة بالنفس الى درجة الغرور ، وهي احدى الخطوات الى الهزيمة لا الى النصر . واذا كان الفن اختيارا ، فان معجزة الفن الحقيقية هي انه يصل من خلال منتهى التخصيص الى منتهى التعميم ، لذلك نقول ان « الحجم » الذي أعطاه الشرقاوي للبعد الانساني من مأساة فلسطين وخلاصها ، لا يكفل الصدق لمسرحية « وطني عكا » في مختلف مستوياتها الفكرية والفنية . ولقد اختار الكاتب أن يوازي ويقاطع بين عدة ثيمات في وقت واحد ، وهو اختيار صعب لم يوفق الى تحقيقه ، هكذا تبدأ المسرحية عشية الهزيمة والسياح القاهريون في غزة يشترون ويشترون ويشترون ، وهكذا الامر أيضا غداة الهزيمة ، فالضابط الاسرائيلي يطالعنا بمجموعة مذهلة من الصور (للكابريهات) التي ازدادت انتشارا على جانبي شارع الهرم ، ومنذ البداية تواجهنا أيضا فكرة صراع الاجيال ووحدتها في المعركة ، والافكار المتخلفة تصدر عن الجيل القديم رغم حماسه وخبرته ، والافكار المتقدمة تصدر عن الجيل الجديد رغم اندفاعه وتهوره ، وهي ثيمة قريبة غاية القرب مما أومأ به « غسان » مع قوله :

« **العدو الجاثم اليوم على الانفاس لا يفصل ما بين يسار ويمين .**

عندما نمضي جميعا لنقاوم » (٢) .

مشيرا بذلك الى المضمون الديمقراطي للمقاومة ، كما عرضته ليلى في حوارها مع أبيها ، وهو المضمون الذي لا يفرق بين جيل وجيل ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين دين ودين .

هناك كذلك المحور الذي كادت الاحداث أن تدور من حوله ، ثم اختفى فجأة كما ظهر ، بغير حفاوة ولا استئذان ، وأقصد به الفكرة اللامعة التي تقول بأن انسانا سلب من حريته وفرغ من انسانيته ، لا يقوى على حمل عبء الدفاع عن الحرية الاكبر والانسانية الاشمل ، يقول الضابط المصري الشاب وقد استطاع أن ينجو من جحيم سيناء :

« **لا . . ما فررنا نحن كلا ، ما فررنا**

لا تلصقوا عار الهزيمة والفرار بنا فما تدرون عنا .

كيف كنا . . .

القادة الابرار أهدوا النصر اسرائيل لا قواتنا !!

أنا لست من صنع الهزيمة .. انها دست على

لم انهزم في الخامس المشئوم من يونيو الحزين ..

انا ما صنعت العار لكني ضحية ذلك العار المهين » .

فيرد عليه عم حازم قائلا :

« **نحن انهزمنا قبل يونيو يا بني .. قد انهزمنا منذ حين !**

نحن انهزمنا منذ كبلت السواعد

والعدو يكاد يغرس ما لديه من البواتر في الصدور .. !

نحن انهزمنا منذ واجهنا الخصوم بصدرنا

---

(٢) كافة المقتبسات المأخوذة من « وطني عكا » يراجع بشأنها النص الذي نشرته دار الشروق بالقاهرة - ١٩٧٠ .

والشوك يعمل في الظهور ٠٠ !
فلنعتبر من كل ذلك حين نضرب من جديد
فالنصر في التحرير غار لا يصغره عبيد !
لن يصنع الحرية الكبرى سوى الاحرار وحدهم بحق
المرء يأخذ ما استحق » ٠

وهى الفكرة التى يرى الشرقاوى انها وان صحت على الافراد ، فانها تصح بدرجة أكبر على الاوطان ، لهذا تقول ليلى :

« **لا تأملوا في قوة أخرى تحررنا وان كانت صديقة**
فلتبدأوا بالضربة الاولى يساعدنا الجميع بلا توسل
ان القضية ملكنا
هى عارنا أو فخرنا
أأظل أبكي ها هنا وسواى يبذل ؟
عار علينا ان تسولنا الفداء » ٠

ويشير الكاتب الى مشكلات المقاومة مع بعض الانظمة العربية ، وفي مقدمتها الحدود التى تتاخم اسرائيل ، وتمنح الفدائيين قدرا من حرية الحركة ، كما يشير الى مشكلات العرب داخل اسرائيل ، لا مع السلطة الصهيونية ، وانما مع بعضهم البعض ، وبينهم وبين رجال المقاومة ، وجميعها « ثيمات » قابلة للعرض والتحليل الفنى ٠ ولكن الكاتب جمعها كلها على طبق واحد ، فأصاب قارئه ومشاهده بالتخمة ٠٠ ذلك أن البناء المسرحى بطبيعته ــ فضلا عن نسيجه الشعرى ــ يحتاج الى قدر هائل من التركيز والبلورة ، أما الشرقاوى فقد مضى فى المناظر الخمسة عشر التى أعاد كرم مطاوع توزيعها على ثلاثة فصول فى العرض المسرحى ، مضى وكأنه يكتب رواية نثرية شاعت الفوضى بين جنباتها حتى كادت التفاصيل الصغيرة أن تغطى على المعالم الكبيرة ، كما كادت الثرثرة فى الجزئيات العابرة أن تلغى قيمة الحوار الشعرى المنظوم على العمود الخليلى تارة والمرسل على عواهنه تارة أخرى ٠

الاطار التاريخى بين الرمز والوثيقة

لاشك أن العامل الحاسم فى تحديد « الثيمة » المسرحية فى « ثورة الزنج » و « النار والزيتون » على السواء ، هو ذلك الاطار التاريخى الذى استمده معين بسيسو من القرن الثالث للهجرة مسقطا الرمز على واقع المقاومة الفلسطينية ، واستمده الفريد فرج من تاريخ المؤامرة الصهيونية الدولية على الشعب العربى الفلسطينى مدعما بالوثائق ٠ ولقد وفق الكاتبان فى اختيار الثيمة توفيقا تواءم مع البناء الشعرى الحديث فى « ثورة الزنج » والبناء التسجيلى المعاصر فى « النار والزيتون » ٠

ينطلق معين بسيسو من نقطة ابتداء ذات شقين ، هى أن الصراع الحقيقى فى عالمنا هو صراع بين الحقيقة والزيف ، وان الثورة فى جوهرها لا تتغير من عصر الى عصر ٠ وهو يصدر خشبة المسرح بأدوات التزييف الحديثة ، احداها تغسل الانسان وتصبغه كيفما شاء صاحبها ، والاخرى تكتب له ما يريد ــ لا ما يحدث بالفعل ــ وهو يؤلفها ما ينبغى عليها ان تكتبه ،هكذا تصبح الغسالة التاريخية ، وآلة التيكرز شاهد الزيف الذى لا يخيب أمله ، ما دام الوراقون فى بصرة القرن الثالث للهجرة كمؤرخى القرن العشرين ، يقلبون الحقائق رأسا على عقب ، طالما أرضوا السلطان وبطونهم معا ٠٠ هكذا تبدو قضية فلسطين عند معين بسيسو تجسيدا عميقا للصراع بين الحقيقة والزيف على مدى التاريخ :

« **وجهى لوح زجاج يكسر كل صباح**
كي تصنع منه هذه المرآة وتلك المرآة ٠
عنقى يقطع ، يغرس سارية فى الارض
كي تخفق فيه هذه الراية أو تلك الراية ٠
٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
عظمى ينحت أمشاطا من عاج ٠
شعرى قصوه وباعوه ٠
اصبح هذى الباروكة أو تلك الباروكة » (٣) ٠

كذلك تبدو له مأساة فلسطين جزءا لا ينفصل عن مأساة البشرية ، فى صراعها الذى لا يكل بين الحرية والعبودية ، فلقد اختار الكاتب مشجبه التاريخى الذى علق عليه ثياب فلسطين ، من أعماق عصر وثورة وجيل مهزوم ٠ ولهذا الاختيار دلالة تفسر لنا هذا الموقف « المعلق » فى خاتمة المسرحية بين نضج الثمرة فى أحشاء وطفاء ، وبين الصلبان العشرة التى لا تعرف أبهم الاصيل حتى تلد ابنها البكر ، الثورة ! ان اختيار ثورة مهزومة كثورة الزنج ، لتكون مشجبا تاريخيا علق عليه الكاتب رداء ثورة عسيرة الولادة هى الثورة الفلسطينية يوحى بأن معين بسيسو لم يشأ الاستناد على الخيال التقليدى الميسور فى معالجة الاحداث الوطنية ، لم يشأ ان يلتقط صورة تذكارية للمقاومة فى عيد النصر ، وانما راح يتعمق هذه الظاهرة الثورية فى مختلف تناقضاتها وتعقيداتها ، وراح يقول لنا ان النصر ليس قدرا ميتافيزيقيا لكل ثورة

(٣) المقتبسات منقولة عن النص المنشور بمطبوعات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ــ ١٩٧٠ ٠

عادلة ، وانما قد تهزم الثورة مرة ومرات ، وراح يقول لنا أخيرا بأن هزيمة الثورة ممكنة ، لاسباب يمكن التغلب عليها ، اذا لم نتجاهلها ، وأن مشكلة المشكلات فى الثورة الفلسطينية ، هى تمزق المناضلين فى صفوفها الى فرق عديدة .. حتى ان فلسطين لا تعرف اين تضع جنينها الثورى ، عند صليب من من الصلبان العشرة ؟ أين تلد فلسطين ثورتها ؟. هذا هو السؤال الذى ينسج الكاتب تفاصيله على جانبى الثيمة المسرحية التى اختارها منذ البداية ، منذ أن قالت الغسالة التاريخية التى تغسل الانسان وتصبغه وتعلقه على حبل مجدول من ضفائر الزيف :

« من يبكى أكثر

رجل يشهر فى القرن الثالث سيفا ويموت .. ؟

أم رجل فى القرن العشرين

لا يعرف كيف يموت .. ؟

من يضحك أكثر ؟

بلياتشو القرن الثالث أم بلياتشو القرن العشرين

لنصور وجه فلسطين » .

كلاهما ، رجل القرن الثالث ورجل القرن العشرين ، يدعوان المؤلف الى الضحك والبكاء كلاهما بلياتشو ، ولكنه يميل الى ترجيح كفة رجل القرن الثالث ، لانه على الاقل استطاع أن يشهر سيفا ويموت ، بينما يتحول الامر عند رجل القرن العشرين الى مهزلة ، لانه لا يعرف كيف يموت ، وهو التعبير الذى يتخذ فى الشكل المسرحى مسارا آخر ، هو ان احدى ثورات القرن العشرين — فلسطين — لا تعرف كيف تولد ! ! وهى نغمة اسيانة بغير شك ، لان صاحبها قد اختار الطريق الصعب ، ان يضع كلتا يديه فى نيران المقاومة بكل تناقضاتها وتعقيداتها ، وأن يركز على الوجوه السلبية لمعركة الميلاد الحقيقى للثورى الفلسطينى ، أكثر من التفاته الى الوجوه الايجابية . وكاد معين بسيسو أن يحدث خللا واضحا فى توازن بنائه المسرحى بالتهوين فى ناحية والتضخيم فى ناحية أخرى ، لولا ذلك المونولوج الاخير لوطفاء وهى تعلن أن لا معجزة فوق المسرح ، وأن لا معجزة بغير الانسان ، بغيرنا نحن . لقد آثر الكاتب أن يواجه مشكلات المقاومة فى شجاعة ، حتى اذا أخطأ ، بدلا من الاكتفاء بصياغة نشيد النصر . على ان هذه الثيمة المحددة فى « ثورة الزنج » تحار حيرة شديدة بين توزيعات معين بسيسو لابعاد المقاومة الثلاثة ، الانسانية والقومية والاجتماعية ، انه باختياره للاطار التاريخى انما يركز على البعد الانسانى للثورة ، وباختياره لثورة الزنج على وجه الخصوص ، انما يركز على بعدها الاجتماعى ، وباختياره لرمز المقاومة الفلسطينية انما يركز على البعد القومى ، ولكن النظرة القاتمة التى تبدأ بها المسرحية وتنتهى ، انما تستند على ركيزة فكرية أكثر منها قتامة تكاد تقول بأن **التاريخ يعيد نفسه** فى صور متعددة ، ولكن هذه النظرة التى من شأنها ان تهز التكوين الانسانى للدراما كان لابد لها وأن تقول بالعكس ، ان **التاريخ « يستمر »** فى صور أكثر تركيبا لا أن يعيد نفسه فى دورة حلزونية جامدة .. هذه النظرة قد أفسحت مجالا رحبا للبعد الاجتماعى الذى انشغل به الكاتب انشغالا واضحا وهو يصوغ غالبية شخصياته من « **عبيد الماضى** و « **كادحى** » الحاضر . غير أن المحور الدرامى يعود الى اهتزازه السابق ، حين يتصدى معين بسيسو للبعد القومى من خلال رؤية باهتة لا تقيم وزنا محسوسا للقسمات الخاصة والملامح الذاتية المستقلة لقومية المقاومة الفلسطينية . ويختلف الامر كثيرا فى صياغة الثيمة الدرامية من حيث اطارها الخارجى ، فهى لا تؤرخ ولا تتنبأ وانما تحتفظ لنفسها بجوهر « المواكبة » الحية الحاضرة ، فلا تنشغل بجزئيات المقاومة وتفاصيلها من شد وجذب مع العدو ، أو الرأى العام العالمى (حتى اننا لا نجد أثرا واحدا لاسرائيل أو صوت العالم من حولنا) وانما هى تنشغل أبلغ الانشغال بمعجزة الميلاد المتوقع للثورة — وهنا لا يمكن القول بان الكاتب متشائم رغم القتامة التى تلف الاحداث ، فهذا الميلاد رغم الشهور التسعة الكافية لنضج الجنين ، لن يتم الا بنا ، وهنا فحسب ، تنعكس القتامة الساجية على طول المسرحية ، فى هذه الصورة الضبابية للمعجزة المتوقعه : اكتشاف الصليب الاصيل الذى سيمنح الوليد — الثورة — هويته وانماطه وعلمه ، او بمعنى آخر وحدة الصلبان العشرة ، الضباب هنا يحجب معالم التمزق الكامن والوحدة المطلوبة .. فليس من شك ان تفتت خشبة الصليب الواحد الى اقتعة عشرة ، ما هو الا انعكاس موضوعى لازمة ضارية فى ارض الثورة ، المحلية والعربية والعالمية ، وليس من شك أيضا أن معجزة الوحدة المطلوبة هى الاخرى تعبير موضوعى عن المقومات التى لابد من توفرها لتهيىء أمام الطفل القادم مكانا بين الثورات . والكاتب رغم مواجهته الشجاعة واعتماده الرمز فى الاشارة الى هذه القضية الشائكة ، قد احتجب خلف ضباب معتم لا يبين .

لا أقول ان **ألفريد فرج** جاء فى « النار والزيتون » على النقيض من **معين بسيسو** فى « ثورة الزنج » بل أرجح أنه جاء مكملا على نحو من الانحاء ، فلقد آثر الفريد ان تتسع ثيمته فوق

السطح وان تضيق كلماتوغلنا فى العمق ٠٠ لذلك كان مسرح التسجيل الوثائقى ــ كما يحب بيتر فايس ان يسميه ــ هو أنسب الاشكال الدرامية لاستيعاب هذا المسطح الشامل لابعاد القضية التاريخية المعروضة ، دون الغوص الى الشعيرات الجذرية الدقيقة التى تمد هذه القضية بعصارة الحياة ، أى ان مؤلف «**النار والزيتون**» قد عرض حقا لمختلف أبعاد القضية الفلسطينية فى اطار خط سياسى ناضج ، يربط بين العنصرية الصهيونية والاستعمار الغربى فى مراحله المختلفة ، ولكن هذا العرض يكتفى وفقا لبنائه التسجيلى ، بالمنظور التاريخى ، أى بذلك السياق الطولى المتدفق للزمن ٠٠

على ذلك تصبح أشق المهام التى تنتظر كاتب المسرح التسجيلى ، هى انتقاء أصلح الوقائع واصدق الوثائق التى يصوغ منها البانوراما التاريخية للقضية ، انه لن يعمد حينئذ الى الرمز ولا الى النمط ، وانما الى الشخصية المجردة والحدث المجرد ، بل والى الرقم والاحصاء الرياضى ، ومع هذا فالمسرحية لا تتحول الى لوحة تجريدية ، كما انها رغم المناخ الواقعى ــ وأحيانا أقول الحرفى أحيانا ــ ليست بالقطع مسرحية واقعية . ويحسن أن أنقل هنا لامام المسرح التسجيلى المعاصر بيتر فايس بضع ملاحظات قدم بها لمسرحيته « حديث عن فيتنام » فقال : « **يلعب كل ممثل فى هذه المسرحية عددا من الشخصيات التى توضح ، فى مجموع أقوالها وطرق تصرفها ،** قضية تاريخية معينة ، **تبرز الشخوص التى تظهر على المسرح ، تجاربها الذاتية وكذلك ظواهر عامة ، يتعلق الامر أحيانا بأشخاص لم يذكروا فى كتب التاريخ ، وأحيانا بممثلين مجهولين لفئات مختلفة معروفة ، يعرض المتحدثون باسم هذه الفئات نزاعات ومشكلات شخصية وجماعية ، فهم يحملون بالدرجة الاولى ميولا ومصالح هامة ، اننا ندخل جوقات عندما يحتاج رأى شامل الى أذن صاغية ، اننا نصف اشخاصا فى وحدة مع القضية التاريخية ، حتى عندما يتعلق الامر بدرجات تطور لم يتمكن المعنيون بالامر أنفسهم من رؤية هذه الوحدة ، اننا نحاول ان نعرض تسلسل الاوضاع الاجتماعية وعلاماتها المميزة الاساسية وتناقضاتها ، بطريقة توضح النزاع الحالى** » (٤)

ولا ينكر ألفريد فرج ، سواء فى تقديم المسرحية او فى صلب نسيجها الفنى ، انه تابع خطى المسرح الوثائقى فى آثاره الاساسية ، ولا ريب ان بيتر فايس فى رائعته « **مارا صاد** » ومسرحيته الاقل شأنا « حديث عن فيتنام » كان من المؤثرات الايجابية فى صياغة « النار والزيتون » على النحو الذى كتبت به وأخرجت عليه ٠

يضع الكاتب منذ اللحظة الاولى ، قارئه ومشاهده ، فى مأزق روحى حقيقى ، اذ يشركه فى مسئولية ما يحدث فوق هذه الرقعة الصغيرة كقبضة اليد على حد تعبير الشاعر المناضل محمود درويش . والمشاركة فى المسئولية ليست واجبا اخلاقيا بقدر ما هى مشاركة واقعية فى المصير الذى آلت اليه فلسطين ، وبلدان أخرى كثيرة ناضلت فى الماضى او تناضل فى الحاضر ، قوى القهر والعدوان ، والمشاركة فى المصير ليست تفكيرا نظريا محضا ، لان ظاهرة القهر والعدوان ليست ظاهرة محلية محدودة بجبال الجزائر او هضاب فلسطين أو غابات فيتنام ، وانما هى ظاهرة **عالمية** مركزها الامبريالى المعاصر هو احتكارات الاستعمار الامريكى الواسعة ، التى تتأقلم فى أجزاء عريضة من عالمنا بشتى الالوان ومختلف اللهجات ، هذه البقعة يتكيف معها أسلوب الاستعمار الجديد ، وتلك لا يفيد معها الا التدخل العسكرى المباشر ، وأخرى لابد معها من الاحتلال الاجلائى الاستيطانى ٠٠ وهكذا الى ما لا نهاية له من أساليب القهر والعدوان التى تربط أوطانا كثيرة فى عالمنا ــ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ــ بعجلة الاحتكارات الامريكية ، حتى ان بلدانا نالت استقلالها من أمد يقصر او يطول ، تمكن الاخطبوط الاستعمارى من الاستحواذ على مقدراتها الجوهرية ، دون النيل من « شكلها » المستقل .

من نقطة الانطلاق هذه يشرك ألفريد فرج قراءه ومشاهديه فى مسئولية ما حدث ويحدث على أرض فلسطين ، لان وحدة المصير التى تجمع الانسانية المعاصرة لا تمنح احدا شعور الامان او اللامبالاة الا اذا كان شريكا صغيرا أو كبيرا فى أجهزة القهر والعدوان ، وهو يستخدم شهودا على صحة الرأى الذى ينادى به ، من مختلف الجنسيات واللغات والاديان التى اسهمت فى خلق اسرائيل كرأس جسر للاستعمار ٠٠ وهى مساهمة الى جانب العنصرية وقوى التخلف العالمية ضد الايمان « **بفلسطين ديمقراطية ، فلسطين متعددة الديانات وجزء من العالم العربى ، فلسطين عادلة تقدمية ، فلسطين انسانية** » (٥) وهو الايمان الذى يلتف من حوله

(٤) راجع الترجمة العربية لمسرحية « حديث عن فيتنام » التى نقلها ابراهيم وطفى عن الالمانية ونشرتها وزارة الثقافة السورية ١٩٧٠ .

(٥) المقتبسات ماخوذة عن النص المنشور بمجلة « المسرح » عدد يناير ١٩٧٠ .

الشعب العربى الفلسطينى ، وفى طليعته قوات المقاومة الفدائية . ويسلك ألفريد فرج فى تسلسل الاحداث ، سلوكا موضوعيا أمينا مع الوقائع ،فهو يستحضر كافةالحجج التى قالويقولبها الاعداء من هرتزل الى ديان الى نيكسون ، ويعرضها من وجهة نظر اصحابها دون تدخل منه . . وانما يترك الحوادث هى التى تدمغ هذه الحجج بالبطلان وهو يخرج أحيانا على الوثائق ، لا بقصدتشويه الحقيقة او تزيينها ، وانما بقصد شرحها كما حدث فىحلم الفدائى الجريح الذى يتذكر قصته مع الفتاة الاسرائيلية التى كان يلعب معها فى الطفولة ، وكان أبوه يعلمها اللغة العربية ، هذه القصة ليست « وثيقة » وانما هى أقرب ما تكون الى « وسيلة ايضاح » لما كانت عليه العلاقات الانسانية بين العرب واليهود قبل الحرب التى شنتها العصابات الصهيونية بتدعيم من الاستعمار منذ عشرين عاما او يزيد . وباستثناء هذه القصة التى يمكن مناقشتها فيما بعد من حيث مبرراتها الفنية ، لا نجد الكاتب قد بالغ او تهاون فى تصوير العدو الاسرائيلى الجاثم على ارضنا ، فمعظم الشخصيات التى جاء بها من الجانب الاسرائيلى ، تؤيد الاحتلال وتؤمن بما جرى ايمانا لا يقل فى مجراه العاطفى عن الايمان بالعقيدة الدينية . ولكن مجانبة التطرف فى تصوير « عدالة » موقف بعض الاسرائيليين ، لم تتسق فى « النار والزيتون » مع تصوير عدالة موقف رجل الشارع فى العالم ، ذلك ان الفكرة الرائجة عن الصهيونية كقدر – يكاد يكون ميتافيزيقيا – يمسك بزمام الدنيا ، قد تركت ظلالا على رؤية الكاتب ، يجيب الموظف الانجليزى الصغير على الصحفية « **أتحبين ان تتهمى باللاسامية ؟ وخصوصا اذا كان رئيسك المباشر يهوديا ؟ او اذا كان احد الموظفين فى مؤسستك ممن يمكن ان يصبح فى يوم من الايام رئيسك المباشر ، يهوديا ؟ او اذا كان أحد الموظفين فى مؤسستك – ممن يمكن ان يصبح رئيسا لرئيسك المباشر يهوديا؟** » لا يمكن لهذه المبالغة فى تصوير السيطرة الجهنمية للصهيونية على الضمير الانسانى العام ، ان تتسق مع امكانية تحويل هذا الضمير الى رؤية القضية من موقع العدل والانصاف . والفريد فرج بهذه المبالغة يقف على الطرف المقابل من مبالغة عبد الرحمن الشرقاوى فى تصوير انعطاف الرأى العام العالمى الى جانب الرؤية الفلسطينية للقضية موضع النزاع ومؤلف « النار والزيتون » لا يقتصر فى تدعيم وجهة النظر هذهعلى أقوال الموظف الانجليزى الصغير ، وانما هو يزيدها تدعيما بما حدث فعلا غداة الهزيمة العربية من تشف بلغ درجة الهوس لدى الاوروبيين والامريكيين المعادين للعرب والموالين لليهود ، اما عن طريق الارتباطات الاقتصادية واما خوفا – مزعوما او أصيلا – من الاتهام بمعاداة السامية .

ولقد أنصف الفريد فرج الحقيقة والتاريخ حين بلور المأساة فى وجهها الاقتصادى الذى يصل بين العنصرية الصهيونية والامبريالية الامريكية برباط لا تنفصم عراه . . فالمرشد الاسرائيلى يشرح « المشروع » للمليونير الامريكى اليهودى الزائر بقوله ان « **الدبابة عندى هى الجرار الذى يمهد الارض للمشروع ، وما يفتح الحدود المغلقة انما يفتح ويمهد الطريق الى أرض المشروع . الى حقول القطن وحقول البترول وحقول العمالة الكثيفة الرخيصة لصالح المستثمرين** » . ويستكمل الكاتب ملامح الصورة على لسان المليونير القائل : « لكى أخدم وطنى لابد ان أعيش فى المنفى ، وامثل دور الجلاد لاخوتى ، وأتعرض للتشهير من جهة وللابتزاز من جهة ثانية ، أخطأت واجرمت فى الماضى ،وسأخطىء وأجرمفىالمستقبل ،ولا أريد الا ان اكون طيبا ، ولكنى مضطر دائما للدفع فى صندوق الضمير ، المانى بنشأتى وعواطفى ، أمريكى بثروتى ، ليبرالى بالميل ، وعنصرى بالضرورة ، لانى آخر الامر لست الا يهوديا مسكينا ، لم اكن الا خائنا ونافعا لابناء دينى ، طيبا وخائنا ، صديقا وعدوا لاصدقاء هم فى الاصل أعداء ، وأعداء لانهم فى الاصل أصدقاء ، مزدوج الشخصية وغاضب وحائر ، قلبى ينتفض ، ويلى من العالم وويل العالم منى » . وفى مواجهة السوق التى اقامها معين بسيسو فى « ثورة الزنج » للتجارة باسم فلسطين ، يقيم الفريد فرج فى « النار والزيتون » هذه السوق للتجارة باسم اسرائيل فى شخصية « القومسيونجى » الذى يبيع «العدالة» نفسها، بليرة اسرائيلية واحدة ! وتنتهى المسرحية والفدائى الفلسطينى يحقق وعده لامه بان يزرع برتقالة عند قبر أبيه . . لا يشك لحظة واحدة بأنها ستنمو وتزدهر وتثمر حلم العودة ، بشرط ان ترضى كافة الامهات عن استشهاد فلذات اكبادها ، وبشرط الا يغمض احد عينيه عما يجرى فى فلسطين ، أينما كان صاحب العينين :

« اوعك تقول ما يهمنيش . المسألة تخصك
علشان حياتك
علشان بلادك .
حريتك دارك ومستقبل ولادك
علشان عليك الدور وبعدنا دورك
علشان شظايا الحرب حتصيبك وحتجرك
خد بندقية او علم او ميكرفون
وادخل معانا الصف .. صف الثائرين » .

واذا كان الفريد فرج قد تجنب الاخطاء التى انزلق اليها سهيل ادريس ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، سواء بالافراط فى تصوير سلبيات العدو ، او بالاسراف فى تصدير البوادر الايجابية فى صفوفه . . الا ان مؤلف «النار والزيتون» قد آثر

ان يستكمل الصورة التى بدأها معين بتسيسو على نفس النحو « التبسيطى » للمسائل ، فاذا كان صاحب « ثورة الزنج » قد نشر ثيابنا الملوثة على حبل غسيله ، فان صاحب « النار والزيتون » قد نشر انظف ثيابنا بحيث بدت المسرحية فى النهاية ، وكأنها مجرد « كارت بوستال » صالح للتصدير ، غير أن معين بسيسو يضع « قاذوراتنا » جنبا الى جنب مع عدالة حقنا فى الوجود ، فيصنع شيئا من التوازن بين الفكر والواقع ، ويثير « اشكالا » دراميا من التناقض الحاد بينهما ، بينما آثر الفريد فرج أن يركز على عدالة الحق وايجابية الواقع معا ، مما يجعل الامور تبدو وكأن المشكلة من صنع الاخرين وحدهم ، وان نوم الضمير الانسانى او تناومه هو مكمن الداء ، وليس هذا صحيحا ، وبخاصة اذا كان المؤلف قد آثر التسجيل الوثائقى خامة لفنه ، كما أنه ليس مفيدا من الناحية الفنية التى تتسطح فيها المشاعر والشخصيات والمواقف ، فيعقب الحماس المفاجىء فتور مفاجىء ايضا .

التجسيد المسرحي

نحن بالطبع امام مسرحيات سياسية مباشرة لا نتوقع منها أن تضمر صوتها فى قناع من ذهب ، وقد حاولت المسرحيات الاربع ان تخفف من وطأة التقريرية والمباشرة ، بتضفير قصة حب مع بقية الخيوط السياسية والاجتماعية الصانعة للعمل المسرحى ، ففى « زهرة من دم » قصة فادية وهشام ، وفى « وطنى عكا » قصة ليلى ورشيد وقصة مقبل وايمن ، وفى « ثورة الزنج » قصة وطفاء وعبد الله بن محمد ، وفى « النار والزيتون » قصة ناديا وفتحى .. على أن الحدوتة العاطفية فى هذه الاعمال جميعها لم تخل من الرمز السياسى الواضح ، فالفتاة هى فلسطين التى لا تعرف ان كانت قد اغتصبت ام استسلمت (سهيل ادريس) وهى فلسطين التى اغتصبت مرارا ولكنها لفظت الاوحال دائما ، وها هى تحمل مرة ثمرة الحب ولكنها لا تدرى اين تلده (معين بسيسو) . والفتاة هى الصوت الحر الذى كان منحازا لاسرائيل ، ثم رأى كل شىء على الطبيعة ، فانحاز للعرب (الشرقاوى) وهى صوت الجيل اليهودى الشاب الذى عاش طفولته فى مودة صادقة مع جيرانه العرب ، ثم أصبح اداة المؤسسة العسكرية فى صراعها مع الجيل العربى الموازى له (الفريد فرج) .

غير أن اسلوب استخدام القصة العاطفية يختلف من كاتب لاخر ، فبينما نجد فادية فى « زهرة من دم » وهى ترمز الى فلسطين ، أقرب ما تكون الى السلبية فى المقاومة والايجابية فى الحب ، حتى أنها تجرؤ على خطف قبلة من خد هشام ، نجد ليلى وهى ترمز الى جيل الثورة فى « وطنى عكا » لا تعرف الضعف على طول المسرحية وتقوم بعمليات كثيرة ضد العدو ، كما نجد فى نفس المسرحية هذه الصحفية الفرنسية التى لا تدرى ان كانت قد احبت فلسطين من خلال مقبل ام انها احبت مقبل من خلال فلسطين ، اما قصة وطفاء وعبد الله بن محمد فى « ثورة الزنج » فلا تحتاج الى جهد فى الاقناع بينما تفتقر قصة فتحى والفتاة اليهودية الى هذا الجهد والتبرير .

ومن الوسائل التقليدية فى التخفيف من وطأة التقرير والمباشرة السياسية ، استخدام عنصر « الجنس » ضمن العناصر الاجتماعية التى تلعب دورا فى حياة المناضلين والاعداء على السواء ، وقد نجا معين بسيسو والفريد فرج من التورط فى شباك الاحبولة المضللة والقائلة بأن الجيش الاسرائيلى هو جيش من العاهرات ، ولكن سهيل ادريس وعبد الرحمن الشرقاوى ، رغم اختلاف منهجهما فى التفكير والتعبير ، لم ينجوا من هذا المأزق الخطير ، هكذا نلتقى فى المشهد الثالث من الفصل الاول بمسرحية « زهرة من دم » بالعدو الاسرائيلى ممثلا فى ضابط واحدى المجندات يتهامسان فى جنح الظلام .

« صوت الرجل : آوه ، راشيل .. شفتاك اليوم الذ من السابق .. راشيل .. راشيل

صوت المرأة : قبلنى ايضا .. اوه دافيد .. قبلنى ايضا .. من هنا .. ومن هنا .. ومن هنا .. تعال الى دافيد .. لن اشبع منك » .

وهكذا يستمر المشهد باكمله على نفس الوتيرة فى اول لقاء لنا مع العدو على خشبة المسرح ، ولا شك ان المؤلف قد اراد ان يقدم لنا الشخصية الاسرائيلية على هذا النحو من البداية ، حتى لا نفاجأ بالسياق وقد اصبحت راشيل — هذه المجندة الاسرائيلية نفسها — بغيا لكل طالب متعة ، خاصة اذا كان عربيا ظامئا قد يغريه دوار الجنس بالانهيار والاعتراف ، هذه البغى بعينها هى التى ينطقها سهيل ادريس بكلمات تقول « **أحس بأن أشعة الشمس قوية ، قوية جدا ، محرقة ، كأنها ليست صديقة لنا** » وفى موضع آخر تقول صراحة « **أتساءل أحيانا : اما كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنا ؟** » .. ومع هذا يخاطبها الفدائى العربى ببصقة يردفها قائلا « **الجميع يعرفونكم حتى فى الامم المتحدة ، ومع مندوبى الدول المحترمين ! جميع نسائكم مستعدات لمضاجعة مندوب يتردد فى أعطائكم صوته** » .

ومن الغريب حقا ان نلتقى فى المنظر الثانى من مسرحية « وطنى عكا » بمشهد مماثل فى اول

تعارف لنا مع العدو حيث نجد « فتاة فى ثياب مجندة فرغت من عناق الضابط سلامسكى » • وفى المنظر الخامس تقول احدى المجندات :

« يوم استعدنا اورشليم
انا رقصنا وقتها حتى الصباح
(بدلال) وانا رقصت بلا تحفظ
اوه •• انت تخجلنى •• ابحنا وقتها مالاباح » •

ولا يختلف الامر بشان الرجال فى المسرحية ماداموا اسرائيليين • حتى ان احدى الحفظ تعتمد على اغراء ليلى لاحد الحراس !! وهو انصياع لمقولة مضللة راجت قبل الهزيمة ، وما كان ينبغى أن تستمر بعدها ، والا فنحن لا نتعلم •

من ادوات التشويق المعروفة فى امثال هذه الاعمـــــال • لتخفيف حـــــده الملل • ايجـــاد شخصية « الجاسوس » الممكنة الوجود فى كل زمان ومكان ، وعلى ضوء النظرة القائمة لمعين بسيسو فان جواسيس المعتمد بامر الله كثيرون ، وعلى ضوء النظرة المكتنزة بالبراءة لدى الفريد فرج • فانه لا وجود للجواسيس فى عالم المقاومة ، لذلك فانهما معا لم يركزا على شخصية ما من الشخصيات ، تركيزا خاصا يصفه بالخيانة ، اما سهيل ادريس فقدم لنا جاسوسا هو « احمد » الذى لم يشا له ان يستمر خائنا فدفعه الى الاستيقاظ من غفوة الضمير فقتل حارسا اسرائيليا وانضم الى قافلة المناضلين الذيـــن غفـــروا لــه ــ بلسان المؤلف ــ لانه ما ارتمى فى الحماة الا تحت ضغط الحاجة ، اما جاسوس « وطنى عكا » فاكثر اثارة لان الاسرائيليين مقتنعون بعمالته لهم رغم عضويته البارزة ونشاطه الجم فى صفوف المقاومة •

تتبقى بعدئذ جملة الحيل التكنيكية التى تسهم بنصيب موفور فى استدراج القارىء المشـاهد لامثال هذه المسرحيات ، كالفلاش باك الذى يسترجع الكاتب به « الماضى » والحلم الذى يستشرف به آفاق « المســـتقبل » • وقـــد اســـتخدم الكتاب الاربعة هاتين الاداتين وغيرهما ، ولكنهم احتلفوا فى حصاد النجاح والاخفاق ، فلقد افاد المسرح التسجيلى عند الفريد فرج من « المونتاج » الباهر والدقيق الذى اجراه للماضى والحاضر والمستقبل ، وكذلك افاد المسرح الشعرى الحديث عند معين بسيسو من المزاوجة البارعة بين ثورة الزنــج والمقاومة الفلسطينية عبر المقارنة التى تختلف معه بشأنها بين الماضى والحاضر ، اما عبد الرحمن الشرقاوى فقد نسى اولا انه يكتب مسرحا ، وانه ثانيا يكتب مسرحا شعريا •• ومن ثم لم تحل ادوات الفلاش باك والحلم وغيرها من الادوات التكنيكية التى من وظيفتها الايجاز والتركيز ، لم تحل دون الثرثرة التى اثمرها التراكم غير المبرر للشخصيات والحوادث ، والتى انتجت بالتالى هذا الترهل فى عصب المسرحية وعمودها الفقرى ، كانت الشخصيات تلتقى وتفترق ، والاحداث تبدأ وتنتهى بغير منطق فنى يحكم حركتها •• لذلك طاشت هذه الحركة رذاذا متناثرا بغير ضابط او ســـــــياق • وقـــد ســـــمحت الصــــــياغة الشعرية ـ كالعادة ـ بمزيد من المونولوجات الغنائية التى يتصور الكاتب انها ديالوجات درامية ! اما سهيل ادريس فقد تحاشى الثرثرة والزوائد والذيول قدر المستطاع ، ولكنه استعاض عنها فى نفس الوقت بما يعد فى عرف الفن خطرا يهدده • وهو يتمثل احيانا فى ارتفاع صوت المؤلف من « بوق » احدى الشخصيات ارتفاعا يصيب بناء الشخصية بخلل التناقض بين لسانها وتكوينها • ويتمثل الخطر احيانا اخرى فى كثرة استخدام ضمير الغائب حتى يكاد المشهد التمثيلى يتحول الى حكاية مروية ، وهو استخدام يلجأ اليه الكاتب لتلخيص مجموعة من الاحداث او الافكار لا يتحمل البناء المسرحى تجسيداتها الدرامية •

وتشترك المسرحيات الاربع التى عرضها المسرح المصرى الى الان فى ظاهرة سلبية واحـدة هى « جمود » الشخصيات الفنية على لون واحد من الوان السلوك والفكر والتعبير ، فغالبيتها شخصيات وحيدة الجانب ، سواء فى رؤيتها للحياة او رؤية الاخرين لها ، واذا كان التسجيل الوثائقى يبرر هذه الظاهرة فى مسرحية الفريد فرج ، كما ان التجريد الذهنى يتحملها فى مسرحية معين بسيسو فانه لامفر من القول بأنها ترفض أى تبرير فى مسرحية الشرقاوى المزدحمة بالعواطف والمشاعر والافكار • ولعل مسرحية سهيل ادريس وحدها هى التى كادت تنفرد بالتغلب على جمود الشخصية الفنية باحترام توترها الانسانى وتناقضات وجودها ككائن حى •

هذه الملاحظات جميعها لا تنفى ان مجهـودا واضحا قد بذل من جانب كتاب المسرح العربى المعاصر فى معالجة قضايا المقاومة الفلسطينية ، غير ان هذا المجهود لا يلغى حقيقة الامر ، وهى أن مأساة فلسطين وخلاصها ـ بعد الهزيمة الاخيرة ـ اقبلت كمنقذ رسمى للادب العربى الحديث عامة ، والمسرح على وجه الخصوص • ذلك أنها جاءت بديلا باهرا للطريق المسدود الذى مضى فيه كتابنا حتى نهايته • ولكن المقاومة الفلسطينية فى الواقع ليست بديلا لشىء غيرها ، ليست حلا لمأزق ، وانما هى رؤيا جيل عربى كامل لم يولد بباب أحد ، ولم يعرف الطريق المسدود •• ومن ثم لم يشعر بحاجة الى التسرع فى القول ، والتبسيط فى الفعل ، والسطحية فى الفكر كما لاحظنا على اعمال الجيل السائد الان فوق خشبة المسرح •



■ لقاءات لمناقشة مهام وأسلوب لجان المواطنين
■ عام حاسم في تاريخ ثورة ٢٥ مايو
■ النضال النقابي العالمي في الشهور الاولى لعام ١٩٧٠
■ ضد الابتزاز الصهيوني للرأي العام المسيحي

■ الجمهورية العربية المتحدة

العدو الحليف في خطاب أول مايو

أحداث خطاب الرئيس عبد الناصر في عيد أول مايو ردود فعل قوية على المستويين العربي والعالمي ، كما كان الخطاب بداية تحرك سياسي واسع ، وقد اكتسب الخطاب اهمية خاصة لاكثر من سبب ، إلا ان اهمها انه جاء في فترة انتزاع قواتنا المسلحة زمام المبادرة في كثير من العمليات العسكرية الجريئة في الجو وفي البر ، وبعد ان أتمت بلادنا بمعونة الاتحاد السوفيتي انشاء نظام دفاعي فعال ضد غارات العمق ، ارغم اسرائيل على وقف غارات العمق تفاديا لخسائر عالية قد تلحق بطيرانها وبدرجة قد تفقدها بعض ميزاته .

كما ان الخطاب جاء في مواجهة حملة كبيرة وضارية تشنها الدوائر الصهيونية والاستعمار في أجهزتها في اسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، ضد الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي ، تحت دعاوى أن الاتحاد السوفيتي يساعدها ويزيد مساعدته لها بحيث اصبحت تهدد التفوق الاسرائيلي .

لقد عرض الرئيس في خطابه تفاصيل العلاقات السوفيتية العربية ، وحقيقة الموقف السوفيتي الى جانب العرب ، ودوافع هذا الموقف ونتائجه الملموسة التي تعيشها الامة العربية .

لقد أوضح أن الاتحاد السوفيتي لا يساعدنا لكي نعتدي او لكي نتوسع ، وانما يساعدنا لكي نحرر اراضينا ولكي نصون استقلالنا ، وان المساعدات السوفيتية قوة تضاف الى طاقة النضال من أجل التحرير والحرية ، ومن هنا فان المساعدات السوفيتية للعرب هي مساعدة الصديق للصديق ، والحق للحق ، انها مساعدة كل المؤمنين بالتقدم السياسي والاجتماعي . وأكد الرئيس عبد الناصر « انه بدون دعم وبدون السلاح الروسي اللي جالنا بعد هزيمة ٥ يونيو ، كان **موشي ديان** يمكن قاعد هنا في القاهرة » .

وفضح الرئيس في خطابه حقيقة اهداف الحملة ضد الاتحاد السوفيتي ومساعداته للعرب ، الا وهي فتح الطريق أمام تصعيد جديد في المساعدات الامريكية لاسرائيل ، وهو ما **يبدو أنه يحدث الان** فعلا .

وعبر الرئيس عبد الناصر عن ثقته بأن الامة العربية كلها تقدر للاتحاد السوفيتي هذا الموقف ، وأن كل الشعوب المكافحة من أجل الحرية تقدر حجم هذا الموقف ونزاهته وامانته وتقدره كجهد من أجل السلام ، وكتضحية لها قيمتها في طريق محفوف بالاخطار .

ومع ان الرئيس عبد الناصر كان حريصا على أن يقدم في خطابه عرضا مسهبا ومفصلا للعلاقات العربية الامريكية ، وتابع بالكشف الموضوعي مواقف الولايات المتحدة الامريكية من العرب ، وانحيازها الكامل الى جانب اسرائيل وتجاهلها لأية اعتبارات أخرى ، وأعلن أنه بالرغم من كل ما حدث وبالرغم من النابالم والفانتوم « فاننا لم نغلق الباب نهائيا مع الولايات المتحدة الامريكية ، خاصة أن الولايات المتحدة الامريكية على وشك ان تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامة العربية ، خطوة اخرى على طريق تأكيد التفوق العسكري لصالح اسرائيل ، خطوة سوف تفرض على الامة العربية موقفا لا رجعة فيه ، موقفا سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الامريكية بالامة العربية لعشرات السنين بل لمئات السنين » .

ووجه الرئيس نداء محددا وواضحا للرئيس الامريكي نيكسون .. انه « اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية تريد السلام فعليها ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، واذا لم يكن في طاقة أمريكا ان تأمر اسرائيل بالانسحاب ، فنحن نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد في طاقة أمريكا ، وهو أن تكف عن أي دعم جديد لاسرائيل طالما هي تحتل أراضينا العربية ، اي دعم سياسي او دعم عسكري أو دعم اقتصادي » . لقد وصفت وكالات الانباء نداء الرئيس عبد الناصر للرئيس الامريكي نيكسون بأنه انذار ، وان الطريقة التي اعلن بها الرئيس عبد الناصر نداءه لنيكسون تعني أن ج.ع.م برفضها طرق الدبلوماسية التي تتم في الخفاء ، قد أرادت الاعتماد على الرأي العام العالمي واطلاعه على حقيقة الامور .

ويكاد يكون هناك اجماع بين المراقبين ، وعلى ضوء دراسة ردود الفعل في العواصم العربية المختلفة ان هناك الكثير يمكن عمله ازاء المصالح الامريكية في المنطقة العربية .

ولقد شهدت الاسابيع القليلة التي انقضت منذ الخطاب ، وعلى امتداد شهر مايو ، تحركا سياسيا واسعا من جانب الجمهورية العربية المتحدة في محاولة للقيام بمبادرة عربية على اوسع نطاق ، للتشاور في الموقف ، ومن أجل تجميع الشمل ، بحيث تواجه الامة العربية كلها من الخليج للمحيط ، أي موقف بطرا ، وعلى اساس ان أي مساعدة امريكية جديدة لاسرائيل ، لن تكون ضدها وحدها ولكنها ستكون ضد الامة العربية كلها على اختلاف أقطارها ، وأن الامة العربية كلها ، والشعب العربي كله سيدخل في هذه المعركة !!

وقد بعث الرئيس عبد الناصر الى كافة العواصم العربية بمبعوثين خاصين من اعلى مستوى يحملون وجهة نظر ج . ع . م . فسافر الدكتور لبيب شقير الى تونس والجزائر والمغرب ، ومحمد حسنين هيكل الى ليبيا ، وأمين هويدي للسودان ، ومحمد فايق الى الاردن ولبنان والعراق وسوريا ، وحسن عباس زكي الى السعودية والكويت وقطر وابو ظبي ، وحسن صبري الخولي الى اليمن الجنوبية والشمالية .

ومن التقارير الاولية التي نشرت عن هذه الزيارات ، يتضح ان المبعوثين قد وجدوا اهتماما كبيرا ، وان لقاءاتهم كان يشترك فيها رئيس الدولة ورئيس الوزراء ، وأبرز العناصر السياسية في البلاد التي يزورونها ، وبعد عودة المبعوثين يجري حاليا تقييم للموقف على ضوء محادثاتهم .

والى جانب ذلك ، فقد اعلن العقيد معمر القذافي رئيس مجلس الثورة والوزراء الليبي ، ان ليبيا سوف تتقدم بمشروع جديد في قضية الشرق الاوسط ، بحيث تطرح القضية طرحا قوميا جديدا يتحدد فيه معنى الحرب والسلام ، وتكون الرؤية واضحة امام الجميع ، وان هذا الحل يضع الحكام العرب امام مسئوليتهم ، وانه لن يلتمس الحل والقوة من خارج المنطقة ، ولكنه يبحث عن ذلك من ذاتية الامة العربية .

وأعلن العقيد القذافي بأنه سيسافر بعد انتهاء اجتماع القمة الثلاثي في الخرطوم . الى كل من العراق وسوريا ولبنان والاردن والجزيرة العربية ، لبحث القضية مباشرة مع رؤساء هذه الدول .

والتحرك السياسي العربي امتد ليشمل دول حلف الاطلنطي قبل انعقاد مجلس وزراء الحلف يوم ٢٥ مايو الماضي ، وقد شهدت القاهرة سلسلة من زيارات وزراء خارجية عدد غير قليل من الدول الاوروبية .

وحتى اعداد هذا التقرير ، لم يبد ان هناك أي تحول في السياسة الامريكية ازاء البلدان العربية ، فقد كشفت مناقشات مجلس الامن في الاعتداء الاسرائيلي على لبنان ، عن اصرار الولايات المتحدة على مساندة العدوان الاسرائيلي ، وانها تعارض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، كما كشفت ايضا عن تعثر المباحثات الرباعية بسبب الموقف الامريكي .

وفى انباء الصحف يوم ٢٢ مايو نقلا عن المصادر وثيقة الصلة بالبنتاجون ، وهيئة اركان الحرب المشتركة للجيش الامريكى ، ان الولايات المتحدة الامريكية قد صرحت لاسرائيل بالحصول على مائة وثلاثين طـــائرة هليوكوبتر مـــن طراز سيكورسكى ، لاستخدامها فى خططها الجديدة ، لتحويل قواتها من المشاة الميكانيكية الى مشاة طائرة ، وذلك وفق الاسلوب الذى اتبعته الولايات المتحدة فى حرب فيتنام •

●

لقـــاءات جمـــاهيرية لمناقشـــة مهام وأسلوب عمل لجان المعركة

يمكن القول ان اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة ، التى اصـــدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتشكيلها فى اواخر شهر مارس الماضى ، قد انتقلت الى المرحلة الثانية من مراحل عملها ، وذلك بعد ان حفلت المرحلة الاولى بمناقشات حول التقارير المقدمة من عدد كبير من اعضاء اللجنة ، وكذلك التقارير المقدمة من منظمـــة الشـــباب ، والاقتراحات التى اســـتخلصـــتها وبلورتها بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى العربى •

وتبلورت المناقشات فى تقرير شامل تضمن ما انتهت اليه اللجنة من تصور لمسئولياتها وأسلوب عملها •

وأعلنت اللجنة العامة للمواطنين من أجـــل المعركة ، انها تؤمن بأن الحوار الدائم بينها وبين الجماهير والتفاعل معها ، هو أقوى الوســـائل وأكثرها نفعا ، كى تؤدى هذه اللجان الدور المعقود عليها ، وقررت أن تقوم ـ قبل دعوة الجماهير للتطوع ـ بعرض ما انتهت اليه على الذين يقودون العمل الوطنى فى كل مواقعه ، حتى تتبين اللجنة فكر الجماهير ورأيها ، ويمكن بذلك أن تكون لجان المواطنين من أجل المعركة تعبيرا صادقا عن ارادة الشعب ، ووسيلته الفعالة فى تحقيق النصر •

وتحقيقا لهذا الاسلوب الذى قررت اللجنة الاخذ به فى عملها ، أعدت اللجنة برنامجا زمنيا لعقد لقاءات جماهيرية مع قيادات الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب ، ورجال الديـــن الاســـلامى والمسيحى ، والنقابات العمالية والمهنية ، وأساتذة وطلاب الجامعات ، والصحفيين ورجال الاعلام ، والقيادات النسائية •

وفى هذه الاجتماعات التى تحقق بعضها ، تدور المناقشة حول التقرير الذى أذاعته اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة ، وتستمع اللجنـــة لاقتراحات وآراء المؤتمرات حول التقرير •

ويتضمن التقرير الذى أذاعته اللجنة العامة للمواطنين قسما سياسيا عاما ، يحدد اهداف اللجنة ومهام « لجان المواطنين من أجل المعركة » ، وميادين عملها والمبادىء التى تحكم حركتها ، كما يتضمن التقرير قسما آخر يحدد مناهج العمل والتنظيم وأسلوب تشكيل اللجان وشروط التطوع •

والارضية التى تنطلق منها اللجنة العـــامة للمواطنين من أجل المعركة ـ كما أعلنتها فـــى بيانها ـ هى أن الشعب الذى ضرب يومى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ اروع الامثلة على تشكيل تجمعات تقاوم العدو ، ولا تستسلم لارادته ، هو ذاته الشعب الذى استقبل بالرضا والامل قرار الرئيس بتشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة ، ليجد من خلالها كل مواطن دورا مرسوما له على أرض النضال ، فى مشاركة جادة لتحرير الارض •

وأكدت اللجنة فى بيانها على أن لجان المواطنين من أجل المعركة ، وان كانت ليست بديلا للاتحاد الاشتراكى ، وليست امتدادا شكليا له ، الا أنها خطوة على الطريق السوى فى اثرائه ، لان مجال نشاطها هو اخصب مجال يمد التنظيم السياسى الأم بالقوة المستمدة من بطولات المعركة والمكتشفة من خلال النضال ، وان يكون العمل فى هذه اللجان والابداع فيها طريقا للكشف عن القيادات التى ليست قادرة فحسب على تحرير الارض ، وانما قادرة كذلك على تعمير الوطن واعادة بنائه •

وحـــددت اللجنـــة فى تقريرها ، أن الهدف العام (الاستراتيجى) لنضالها ، هو النصر فى المعركة وتدعيم بناء التنظيم السياسى من خلال المشاركة الفعلية فى المعركة •

ومن أجل الوصول الى تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى حددت اللجنة ضرورة انجاز عدد من الاهداف الجزئية تتمثل فى :

- حماية ودعم الاقتصاد بالتقليل من الخســـائر وضمان توافر القدرة على العمل تحت أى ظروف •
- حماية ودعم مرافق الخدمات •
- توفير السلامة للمواطنين وتقليل الخســـائر •
- اعادة البناء والتعمير والتجديد لتعويض الخسائر التى يحدثها العدو •
- دعم الصمود بتوفير الرعاية للذين أضيروا نتيجة للحرب ، وتهيئة الراحة النفسية لمقاتلينا بتوفير الرعاية لاسرهم واسر الشهداء منهم •
- دعم الصمود والمقاومة فى الارض المحتلة •

● دعم صلابة الجبهة الداخلية وتنمية قدراتها بالفهم والوعى والحقيقة ، فى مواجهة المؤثرات النفسية وحرب الدعاية والتخدير .

● الخروج من المعركة برصيد طيب من الكوادر يمكن اثراء التنظيم السياسى بها .

أمام المهام السياسية التى يتعين على لجان المواطنين ان تتوافر على تحقيقها خلال الممارسة اليومية للمهام النضالية السابقة فهى :

● اكتشاف القيادات من خلال ميادين عمل المعركة .

● تمكين هذه القيادات من تحمل المسئولية القيادية لعمل هذه اللجان .

● مداومة رعاية القيادات وتنمية قدراتها الفكرية والتنظيمية والنضالية .

● دفع هذه القيادات للعمل فى مجال التنظيم السياسى أولا بأول من أجل مزيد من تنظيم فاعلية وايجابية القطاعات العريضة من جماهير شعبنا .

واكدت اللجنة فى تقريرها على ان المبادىء التى تحكم حركة وعمل لجان المواطنين من اجل المعركة ، تقوم على أساس أنها لجان سياسية لها طابعها الخاص الذى يتحدد من واقع مهمتها ، وهى تنظيم وحشد وتعبئة الجماهير .

وتحدد لجان المواطنين طبيعة عملها بأنه عمل قيادى من واقع النضال اليومى فى سبيل النصر فى المعركة ، وليس من واقع السلطة أو النفوذ أو المظهر ، وان هذا العمل يكتسب قيمته وتأثيره بين الجماهير من واقع حجم العطاء الذى يبذله ، والتضحيات التى يقدمها ، ومن هنا فهو عمل لا يمكن ان يؤديه الاداء المسئول الا القيادات المتفانية الملتزمة المؤمنة القادرة على اعطاء القدوة وانكار الذات .

ويقوم العمل فى هذه اللجان على أساس من التطوع الاختيارى المحض فى مجالات العمل ، ويعتمد العمل الميدانى الذى تضطلع به هذه اللجان أول ما يعتمد على الحلول الذاتية البعيدة عن التعقيدات والمكتبية .

ولما كان الكثير من مجالات عمل لجان المواطنين من أجل المعركة ، تقوم بها أجهزة تنفيذية وشعبية لها اطاراتها وتنظيماتها ، فقد أكدت اللجنة فى تقريرها على أن اللجنة لا تحل محل أجهزة الدولة العاملة فى هذه المجالات ولا تنافسها ، بل تستفيد منها وتفيدها .

ليس هذا فحسب ، بل ان للجان المواطنين ـــ كما جاء فى تقرير اللجنة العامة ـ مجالات واسعة الى جانب هذه المجالات تحتاج الى الخلق والابداع ، كما تحتاج الى التخطيط والتنظيم ، ولذلك تتحمل لجان المواطنين فى المجال الاول ترشيد عمل الاجهزة الاخرى من حيث التنظيم والواجبات والمسئوليات ، وهى تنسق معها من اجل توعية قوى الشعب بابعاد المعركة واحتياجاتها واستقطاب وتنظيم جهود أوسع الجماهير ، وزيادة هذه الجهود . كما أكدت اللجنة على ضرورة قيام الاتحاد الاشتراكى وكافة الاجهزة الحكومية والمنظمات الشعبية والجماهير ، بدفع اكثر عناصرها التزاما ووعيا وصلابه لعضويه هذه اللجان .

وتضمن الجانب التنظيمى من تقرير اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة تحديدا لواجبات واختصاصات اللجنه العامة وأمين اللجنه وامانتها العامة ولجانها الدائمة . وطريقة تشكيل اللجان فى المؤسسات والاحياء ، واختيار مقرريها ، وتشكيل مكاتب الاتصال بها .

وقد انتهت اللجنة من اختيار أمانة عامة لها من عشرين عضوا ، من بينهم أربعة عشر عضوا يمثلون المقررين والمقررين المساعدين للجان الدائمة السبع المنبثقه من اللجنه العامة للمواطنين من أجل المعركة ، وتتولى الامانة العامة مسئولية النشاط اليومى بكافة صوره ، وكذلك مسئولية الاتصال بلجان المواطنين عن طريق مسئولى اللجنة العامة المشرفين على المحافظات .

وحتى كتابة هذا التقرير ، كانت اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة قد عقدت اجتماعاتها مع الصحفيين والقضاة ورجال الدين وأساتذة وطلاب جامعة أسيوط والمحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات وأمناء الشباب بها .

لقد كشفت هذه اللقاءات كلها عن الاستعداد الواسع لدى الجماهير فى تشكيل اللجان ودعم عملها ، والرغبة العامة فى أن تستطيع اللجان تخطى الكثير من التعقيدات التى تعرقل العمل الوطنى .

وفى غالبية الاجتماعات ، كان هناك الحاح على ضرورة الاسراع بتشكيل لجان المعركة لتتحمل مسئوليتها فى معركة المصير ، وطالب الكثيرون بالتركيز على المتابعة الميدانية والمحاسبة الفورية للمقصرين ، والابتعاد عن المظهرية والشكلية ، وطالب الكثيرون باستعجال صدور اللائحة التى سوف تحكم العمل داخل اللجان .

وطالب الصحفيون بضرورة الاستفادة بخبرات المواطنين الذين كان لهم دور فعال فى الدفاع المدنى والشعبى خلال الغارات على أبو زعبل ومدرسة بحر البقر ، وطالبوا بتدريب أعداد من المحررين

للعمل كمراسلين عسكريين فى الجبهة ، والسماح للصحفيين كثيرا فى ضرورة تزويد الصحف والصحفيين بالاخبار والحقائق وفى وقت مبكر يسمح لهم بتنوير الرأى العام المحلى ، ومخاطبة الرأى العام العالمى .

وطالب الصحفيون بضرورة الاهتمام بأدب المقاومة ، وطالبوا أيضا بدراسة الفكر الصهيونى والاعلام الصهيونى لمعرفة اتجاهاتها ومقاومتهما .

وسجل المراقبون تركيز كثير من المتحدثين على أهمية وضرورة التعاون الكامل من جانب التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية ، لتسهيل مهمة اللجان وتوفير فرص النجاح امامها .

ومن الظواهر التى لاحظها المراقبون ، انه بينما نرى فى اجتماعات القاهرة ترحيبا بعدم تعدد المستويات داخل لجان المواطنين من أجل المعركة ، نجد فى اجتماع اللجنة مع اساتذة وطلبة جامعة أسيوط . نجد اتجاها يطالب بضرورة وجود مسئول اتصال على مستوى المركز ، بدلا من ان تكون الصلة مباشرة بين لجنة القاهرة ولجنة المحافظة ، كما طالبوا بعدم ترك الحرية للمتطوع للانضمام للجنة الفرعية التى يريدها ، وانما يكون الانضمام لمختلف اللجان طبقا لامكانيات وخبرة كل متطوع .

وخلال الايام القليلة المقبلة سوف يتم توزيع أعضاء اللجنة العامة على المحافظات ، التى ستكون لها الاولوية فى تشكيل لجان المعركة ،وهى المحافظات الواقعة على خط المواجهة وبقربه .



■ الصراع العربى الاسرائيلى

اسرائيل وخطر مغامرة عسكرية جديدة

شهد الشهر الماضى تطورات على جانب كبير من الاهمية ،نقلت ازمة النزاع العربى الاسرائيلى الى مستوى جديد ، ففى اعقاب الخطاب الخطير الذى القاه **الرئيس عبد الناصر** بمناسبة عيد اول مايو ، والذى اوضح فيه أن العرب سوف يتخذون موقفا حاسما من المصالح الامريكية فى المنطقة ، اذا ما واصلت الولايات المتحدة تسليحها لاسرائيل ، قام مبعوثو الرئيس الى البلدان العربية بجولتهم للتشاور حول الموقف القائم فى الشرق الاوسط ، وتنسيق المخطط العربى ازاء احتمالات المستقبل على ضوء خطاب الرئيس . وصرح **مبعوثو الرئيس** عقب عودتهم من تلك الجولة ، بأن نداء الرئيس عبد **الناصر** قد لقى تفهما واستجابة من معظم الحكومات العربية ، كما لقى تأييدا شاملا من الرأى العام فى جميع البلدان العربية ، ولم تكتف ج . ع . م بالتشاور مع الحكومات العربية حول احتمالات تطور الموقف وامكانيات التصرف فى ظله ، ولكنها ارسلت فى نفس الوقت مذكرة الى كل من فرنسا وبريطانيا تطالبهما بتجديد الجهود من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن حتى يمكن تجنب حدوث مأساة ، وتفادى خطر اندلاع حرب قد تكون وخيمة العواقب بالنسبة للعالم أجمع .

ان اتجاه ج . ع . م الى التشاور مع العرب من اجل اتخاذ موقف ايجابى من الولايات المتحدة قد ارتبط بتزايد القدرة الدفاعية للبلاد ، سواء فيما يتعلق بالدفاع عن الاجواء الداخلية او فى جبهات القتال ،وقد أشارت اليونايتدبرس الى ان الجمهورية العربية المتحدة قد اصبحت محصنة تماما ضد أى غارات قد تقوم بها اسرائيل، وانها اذا جرؤت على مهاجمة المواقع المصرية فى العمق فانها تخاطر بفقد طياريها وطائراتها .

واشار موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى الى أن ازدياد القدرات الدفاعية فى العمق المصرى من غارات الطائرات الإسرائيلية يتيح الفرصة للقوات المصرية فى القناة كى تقوم بعمليات جديدة ضد القوات الاسرائيلية .

وبالفعل فقد شهدت خطوط المواجهة بيننا وبين العدو نشاطا ضخما كشف عن تزايد قوة سلاحنا الجوى وقدرته على الاشتباك مع طيران العدو فى معارك متزايدة الشدة ، كما قام بالاغارة على مواقعه وتجمعاته فى سيناء ،ويعتبر هذا التغيير فى قوة الطيران المصرى مسألة ذات اثر حاسم على مجرى الصراع ، حيث اعتمدت اسرائيل على تفوقها الجوى بدرجة اساسية فى كل عملياتها العسكرية .

وقد علق كثير من المراقبين على تزايد قوتنا الدفاعية سواء داخل البلاد او على خط المواجهة مع العدو ، بأنها كانت العامل الرئيسى فى افشال كل مخططات العدو الرامية الى اجبارنا على وقف اطلاق النار ، عن طريق استخدام قواته الجوية المتفوقة فى الهجمات المتتالية علينا وبشكل خاص فى الاعماق .

وازاء تحسن مركز مصر الدفاعى ، تحاول الدوائر الاستعمارية البحث عن مبرر لزيادة تسليحها لاسرائيل ، واشارت الاسوشيتد برس الى ان كبار المسئولين الامريكيين يزعمون ان المساعدات العسكرية السوفيتية لمصر قد أخلت بالفعل بميزان القوى العسكرى فى المنطقة ، وانها احدثت تغييرا اساسيا فى الصراع بين العرب واسرائيل ، كما كتبت نيويورك تايمز تقول : ان

واشنطن غير راضية عن الدعم العسكرى لمصر ، ولذلك فانها ستعيد بحث تسليم الطائرات التى طلبتها اسرائيل ، وسافر **ايبان** وزير خارجية اسرائيل الى واشنطن ليبحث مع **نيكسون** الموقف فى المنطقة على ضوء التقرير الأمريكى الاسرائيلى القائل بأن ازدياد المساعدات السوفيتيه للجمهوريه العربية المتحدة ، يخلق موقفا بالغ الخطورة فى المنطقة ، ويفقد اسرائيل التفوق العسكرى الذى كانت تمتلكه من قبل » .

وذكرت وكالة انباء د . ب . ا الالمانية الغربية ان الانباء الوارده من واشنطن تشير الى ان **اسرائيل قد تكون فى مرحلة الاستعداد لشن حرب وقائيه واسعة النطاق ضد العرب بهدف تقليل خسائرها المتزايدة فى جبهات المواجهة** .

وفى داخل الامم المتحدة دارت مناقشات حامية فى مجلس الامن خلال مناقشة شكوى لبنان ضد العدوان الاسرائيلى الاخير على الاراضى اللبنانية ، والقى اندريه جروميكو خطابا شديد اللهجة ادان فيه سياسة اسرائيل ومساندة الولايات المتحدة لها ، كما اتهم المندوب الامريكى الاتحاد السوفيتى بعرقلته لحل الازمة لانه يصر على عودة القوات الاسرائيلية الى خطوط يونيو .

وفى نفس الوقت احاطت الشكوك بمستقبل المحادثات الرباعية ، بعد أن اصبح واضحا تعذر تحقيق أى تقدم خلال الفترة الاخيرة ، رغم ازدياد الازمة تدهورا وخطورة . واتضح من سير المحادثات كما يقول بعض المراقبين ان الولايات المتحدة كانت تريد من ورائها كسب الوقت لفرض الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وجعله بمضى الزمن امرا واقعا ، واعلنت دوائر الامم المتحدة عن شكها فى مقدرة الدول الكبرى على تحقيق أى تقدم فى محاولاتها للوصول الى تسوية لازمة الشرق الاوسط ، وان اوثانت برغم ذلك يتعرض لضغوط متزايدة فى الوقت الراهن لاحياء مهمة يارنج بهدف تهدئة الموقف .

■ ■

■ **الوطن العربى**

ضد الابتزاز الصهيونى للرأى العام المسيحى

عقدت فى بيروت خلال المدة من ٧ ــ ١٠ مايو ١٩٧٠ « الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين » حضرها ٤٠٠ عضو من ٣٧ بلدا .

وافتتح الندوة الرئيس اللبنانى **شارل حلو** ، ثم قدم **جورج مونتارون** ، صاحب المجلة الفرنسية « تيموانياج كريتيان » أى الشهادة المسيحية تقريرا تحدث فيه عن أهداف الندوة وبرنامج عملها .

وفى اول أيام البحث درس المجتمعون فى الندوة القضية الفلسطينية من جوانبها السياسية والاقتصادية والقانونية ، وكان أساس الدراسة عدة تقارير قدمها **الدكتور قسطنطين زريق والدكتور برهان الدجانى والدكتور جورج قرم والدكتور جورج ديب** .

أما اليوم الثانى فقد خصص لدراسة الناحية الدينية من القضية ، وهنا أيضا قدمت عدة ابحاث من **الاب جان كوربون والدكتور وليم هولاداى والدكتور هيوج هاركورت والمطران جورج خضر والاب يواقيم مبارك والارشمندريت اندريه سكريما** .

وفى كلا اليومين اتيحت الفرصة للمشتركين فى الندوة كى يقدموا تعليقاتهم ومساهماتهم الفكرية .

وفى هذه الدراسات والمناقشات طرحت القضية الفلسطينية طرحا جديدا . وكانت نقطة البداية هى السجل الصهيونى الاسرائيلى كما اثبتته تقارير اليوم الاول .

ولذلك فان نقطة البداية فى البحث كانت المظالم التى اوقعتها الصهيونية واسرائيل بالشعب الفلسطينى والشعوب العربية ، فاستنكار معاداة السامية لم يكن هو نهاية المطاف ، بل كان المدخل لاستنكار المظالم الاخرى التالية التى ارتكبت فى ظل هذا الشعار .

يقول البيان الذى أصدره المؤتمر فى نهاية أعماله موجها فيه الخطاب الى مسيحيى العالم أجمع :

« اننا بوصفنا متضامنين مع الشعب الفلسطينى المكافح فى سبيل حقه فى حياة حرة ومستقلة ، لندين كل الاشكال الصريحة أو المستورة للاسامية ، كما اننا ندين بالشدة ذاتها مختلف أشكال العرقية (اى العنصرية) الموجهة ضد العرب ، وندعوكم للكفاح ضد مثل هذه المواقف ، وضد كل ما يمكن أن تتخذه من مسوغات سياسية ودينية ــ فكل هذه المواقف والمسوغات مناهضة لمتطلبات الانجيل ــ فحيث يهان الانسان يهان يسوع المسيح » .

أما الناحية الاخرى التى أظهرتها تقارير الندوة ومناقشاتها وبيانها فهى **رفض التفسير السياسى للكتاب المقدس** ، وهنا نجد أن الندوة فى حقيقة الامر قد قدمت مساهمة جدية فى تنبيه الاذهان المسيحية فى الغرب الى خطورة الانسياق للتبريرات السطحية ، التى تتخذ من نصوص

الكتاب المقدس تبريرا للمظالم التى ارتكبت فى الشرق الاوسط .

يقول بيان الندوة : **أن الإنجيل يكشف لنا عن مسيح ملكوته ليس من هذا العالم وانما يتجلى فيه، ولهذا فنحن نرفض استغلال نصوص الكتاب المقدس لاغراض التسلط السياسى ، فالمسيحيون يرفضون التفسير السياسى الصهيونى لهذه النصوص لانه ضد روح المسيحية ، كما يرفضه اليهود الاوفياء للتفسير الروحى للعهد القديم**، ان هذا التفسير يؤدى واقعيا الى اضفاء الشرعية بوساطة الكتاب المقدس، على أنواع الظلم الفادح الذى وقع على الشعب الفلسطينى ، وعلى بقية الشعوب العربية، ظلم لايمكن للضمير العالمى الا أن يثور عليه ، وهكذا **فان الدولة الصهيونية شأنها في ذلك شأن كل نظام سياسى دينى ــ سواء استند الى عقيدة حية أم لم يستند ــ تتعارض معكرامة الإنسان وحريته » .**

ويرى المراقبون ان المنهج الذى التزمته الندوة فى أعمالها ، وهو الانطلاق من الحقائق الموضوعية كما يثبتها التحليل العلمى والتاريخى ، والالتزام بالمفهوم الروحى الاصيل لطبيعة المسيحية والكتاب المقدس ، هذا المنهج جنب الندوة الخضوع للارهاب الفكرى الذى كانت الصهيونية تشهره فى وجه المنظمات الدينية العالمية ، فتصدر عنها القرارات المتحفظة التى وهى تكرر استنكار معاداة السامية مرة بعد أخرى وبعد انشاء دولة اسرائيل ، وهكذا فان البيان الذى صدر عن الندوة ، بعد أن يعترف بالظلم الذى أوقعته البلاد الاجنبية على الشعب الفلسطينى وعلى سائر الشعوب العربية ، يقدم ما يراه علاجا لذلك .

« فنحن المسيحيين فى بيروت ... نعلن أن الشعب الفلسطينى هو وحده المخول بوضع حلول سياسية بوسعها احقاق التعايش بين أناس ينتمون الى أجناس والى معتقدات دينية والى ايديولوجيات مختلفة ، داخل فلسطين حرة وديمقراطية فى قلب العالم العربى »

وفى شأن العدوان الاخير :

« نعتبر ان الجلاء عن الاراضى المحتلة هو خطوة أولى لا غنى عنها للاعداد للسلام »، ويبدو أن مرحلة

تعليـــق

اعتبـارات التنمية فى ظروف الحـرب

يتم فى الوقت الحالى اعداد ميزانية العام المالى الجديد ونظرها ، كما تدارس اجهزة الدولة خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية تمهيدا لاقرارها ويجرى ذلك فى ظروف تختلف ــ وان كميا ــ عما سبق من اعوام . فان تعاظم القوة العسكرية يستوجب مزيدا من النشاط على جبهة القتال استعدادا ليوم التحرير المقدس . وهو امر يستلزم ــ كما اذيع بالفعل ــ ان توجه كل الطاقات الممكنة لخدمة المعركة . ولكنا من ناحية اخرى نجد التنمية ضرورة ملزمة وحاسمة . انها ضرورة من حيث ان نفوت على الاستعمار اهدافه من العدوان العسكرى لعرقلة المسيرة نحو الاشتراكية ، ولتدعيم القوة الاقتصادية كسند رئيسى لجبهة القتال فى المقدمة ، وتدعيم الصمود فى المؤخرة .

تلك امور مسلم بها . ولم تعد محل نقاش . ولكن الالتزامات العسكرية سوف لا تتيح ان يتوفر للتنمية كامل احتياجاتها . وتصبح هناك معادلة لابد من حلها ، وهى هل يمكن ان تستمر التنمية بنفس معدلاتها ــ وان تزيد ان امكن ــ رغم نقص الاعتمادات المخصصة لها ؟ وهى معادلة لابد ان يكون الجواب لها بالايجاب . وتصبح القضية هل ذلك ممكن ؟

اذا نحن عدنا بالدراسة الى استثماراتنا فى السنوات العشر الماضية نجد ان السرعة التى سرنا بها . والظروف التى فرضت نفسها على التصرف قد ادت الى وجود فجوات فى شبكة التنمية . تلعب دورا مؤثرا على باقى قوى الشبكة . ونجد مواقع لها الصفة الاستراتيجية بالنسبة لاعداد من الانشطة لم تلق عناية كافية . والامثلة على ذلك ليس من الصعب تحديدها . نذكر منها عدم الترابط القوى بين خطط الخدمات وخطط الانتاج . او استمرار الاعتماد على مصادر خارجية لمستلزمات بعض النشاطات . او افتقاد بعض الحلقات فى سلسلة متكاملة من العمليات ان وجود هذه الفجوات فى البناء الاقتصادى تؤثر على الكفاءة الممكنة لبعض من باقى اجزاء البناء . ويعتبر العمل على ملئها . واخذها فى الاعتبار عند تخطيط التنمية ليس ذا اثر حسابى فحسب بل ذا اثر جبرى بما يتحقق عن ملئها من قيمة تنتج عنها هى فوق ما ينعكس من اثرها فى عديد آخر من النشاطات .

ومن نفس المنطق يمكن ان نحدد فى كياننا الاقتصادى عددا آخر من الانشطة . يمثل كلا منها نشاطا لسلسلة طويلة من الانشطة تنبع منه . فصناعات التعدين بما تمثله من مصدر الخام لعدد من الصناعات . وصناعات الحديد والمعادن التى يبنى عليها قدر كبير من الصناعات . وصناعات مواد البناء التى يقوم على انتاجها كل نشاط الانشاء

أخرى نحو السلم لا يمكن أن تتحقق الا بزوال [المؤسسات] الصهيونية » .

ولقد سجل بيان المؤتمر هذه الحقيقة في عباراته الاولى :

« الى مسيحيي العالم اجمع :

« ان المؤتمر العالمي المسيحي من اجل فلسطين الذي ضم أربعمائة من الانجليكان والكاثوليك والارثوذكس والبروتستانت - وفدوا من سبعة وثلاثين بلدا ، **وقد أثرتهم تجربة المسيحيين العرب الحية والتزامهم .**

« ليتوجهون اليكم بالرسالة الاخوية ... »

ولم تكن هذه الرسالة هي وحدها ما صدر عن المؤتمر ، بل ان اللجنة القانونية بحثت القضية على أساس مبادىء القانون الدولي وقواعده ، وميثاق الامم المتحدة وقراراتها ، وميثاق حقوق الانسان ، والمعاهدات الدولية ، وأصدرت قراراتها في هذا الصدد .

كما أن اللجنة التنظيمية حددت الاساليب التي ستتم بها متابعة أعمال الندوة ، من تأليف لجان في كل بلد لنشر البيان ودراسته جماهيريا ، واصدار مجلة دورية تتابع عمل الندوة ، وعقد مؤتمرات قومية وعالمية أخرى ...

ويرى المراقبون أنه من المتوقع أن تكون هذه الندوة وأعمالها ، وبيانها نقطة انطلاق جديدة تواصل عرض القضية في كل مكان لتحشد حولها الرأى العام الذى حاولت الصهيونية طويلا أن تخفى عنه الحقائق ، وأن تزيف له التفسيرات .

■ ■

■ **فلسطين :**

خطوة بحاجة الى تعزيز

ربما كان اهم ما تمخضت عنه احداث فبراير الماضي الدامية في الاردن ، هو قيام [**القيادة الموحدة**] التي شملت كافة منظمات المقاومة ، حتى تلك التي وصل بينها الصدام الدعائي مداه ، عشية الاحداث المذكورة .

وكان يمكن لهذه القيادة أن تواجه مصير سابقاتها من اللجان التي أقامتها منظمات المقاومة

والتعمير . وهكذا . من الانشطة التي تمثل حجرا اساسيا لركن واسع من اركان الاقتصاد . يجب ان تنال حظا في خطة التنمية يتفق مع ما تعكسه على المجتمع من قيمة كامنة فيها . ولانها جميعا نشاطات قائمة وموجودة بالفعل يصبح الواجب ان تتجه التنمية فيها لرفع كفاءتها وقدراتها وذلك عن طريق توجيه الاستثمار بما يخدم رفع المستوى التكنولوجي لها .

ان رفع المستوى التكنولوجي لاداء الاعمال في قطاع مثل التشييد - الذى يحصل وحده على حوالى النصف من كل ما نوجه نحو التنمية - كفيل بأن يحدث وفرا يمكن ان يوجه في غيره من اوجه النشاط . خاصة والكثير منها ان يحصل الا على اقل مما يريد . ورفع المستوى التكنولوجي لصناعة التعدين مثلا ينعكس على الفور نتائجه في تكلفة المنتجات وبالتالى رفع قدراتها على المنافسة وامكانياتها التصديرية . هذا ولا يأتي رفع المستوى التكنولوجي في عصرنا الحالى الا عن طريق دعم البحث العلمي وتوجيهه ليرتبط بشكل مباشر وفعال فيما يقابل الانشطة من صعاب .

والتنمية في ظل الحرب - وقد سبقتنا في هذا دول كثيرة - تعنى ان تتم دراسة المشروعات في ضوء عاملين اساسيين . الاول ان يقتصر الاستثمار في المشروع المعين على الضرورى الحتمى للوصول الى قدرة الانتاج في غير ما حواشي ومظهريات . والثاني ان يكون هناك اصرار على استغلال القدرات المحلية بقدر الامكان . حيث ان ذلك بالاضافة الى اثره على حجم الطلب على العملات الاجنبية . يحقق نشاطا للعجلة الانتاجية الداخلية . واستغلالا للطاقات نحن احوج ما نكون له . وقد نضيف الى هذين العاملين : ضرورة ان نتجه في تحديد مصادر المواد والمعدات وجهة تلك البلاد التي نجد يسرا وسهولة في التعامل معها . والتي تقوم علاقتنا معها على اساس من الاتفاق وتبادل المنتجات .

كما ان هناك من المشروعات . ما تمثل امتدادا لطاقات قائمة مثل تركيز انواع من الخدمات . او تحويل بعضها الى منتجات . وهناك نوع آخر يمثل حاجة استراتيجية معينة قد يكون من الضرورى توفيرها . وهكذا .

والخلاصة انه في ظروف الحرب اكثر من اى ظروف اخرى يجب ان نركز الدراسات ليس في اتجاه كم الاستثمار ولا العائد المباشر من المشروع المعين . بل يجب ان يركز على عوامل اكثر اهمية مثل استكمال الشبكة الاقتصادية للنشاطات في المجتمع . والعائد القومي لا المباشر للمشروع . وعلى مدى كفاءة الاستغلال للاستثمار . وعلى التركيز على متطلبات الانتاج وليس ما عداها من مظهريات وهكذا .

وذلك الذى يثار في امر التنمية .. والاعتبارات التي يجب اليوم اكثر من اى وقت آخر الاخذ بها . ليس المقصود به مستويات الاجهزة التي تقر الامور وتتولى البت فيها فحسب . بل يقصد من قبل هؤلاء . كل القيادات المسئولة في كل موقع . وانه لنرجى ان يصل الامر بها الى القناعة الكاملة بهذه الاعتبارات بحيث تنعكس في وضوح فيما يخططون وما يطلبون وما ينفذون . وليس اقل من هذه القيادات مسئولية في هذا الاتجاه القيادات السياسية . التي على العكس يجب ان تحمل عبء الدعوة والشرح لهذه الاعتبارات ، ثم المتابعة والدفع نحو تحقيقها .

د. محمد عجلان

فى مواجهة الازمات مع قوى الثورة المضادة ، فقد جرى التنسيق الجاد ، وبرزت وحدة العمل بين منظمات المقاومة ، أشد ما تكون ابان الازمات فقط: فى نوفمبر ٦٨، ابريل ٦٩، اكتوبر ٦٩ ، وفبراير ١٩٧٠ ٠

ولم تدع منظمات المقاومة الفرصة تضيع من يدها هذه المرة ، محاولة دفع الدماء فى عروق القيادة الموحدة ٠ وسرعان ما انبثقت عن القيادة الموحدة **لجنة سباعية** يرأسها يحيى حمودة رئيس المجلس الوطنى والرئيس السابق للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ٠ وكان الهدف من انشاء هذه اللجنة ، هو ايجاد الصيغة الملائمة للوحدة الوطنية الفلسطينية. الا أن المشاريع العديدة المقدمة بهذا الخصوص كانت متضاربة ، متعارضة وغير واقعية ٠ وبدا التوصل الى صيغة مقبولة من كافة الاطراف أمرا بعيد المنال ٠ وتقدمت **(فتح)** باقتراح يقضى بانشاء **لجنة مركزية** تمثل المجلس الوطنى فيما بين دورتى انعقاده ، وتقود عمل منظمة التحرير ، وتجتمع دوريا وعند الطوارىء ، وذلك حتى لا تقدم للجماهير – عند كل طارىء – أسماء مختلفة للقيادات التى تضم ممثلى المنظمات، ولتملا هذه اللجنة الفراغ التنظيمى فيما بين اللجنة التنفيذية والمجلس الوطنى ٠ ويمكن لمثل هذه اللجنة أن توفر حدا أدنى من الالتزام ، خاصة وأنه لم تمثل فى اللجنة التنفيذية للمنظمة سوى ثلاث فصائل مقاومة فقط ، هى **فتح والصاعقة والديمقراطية** ، مما يجعل التزام المنظمات الاخرى بقرارتها أمرا غير مؤكد. وتضمن اقتراح فتح بقاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لتقوم مقام المكتب السياسى ، اذ تقود العمل اليومى للمنظمة ، وتنسق بين مختلف مجالات النشاط ٠

وتقدمت **الجبهة الشعبية** بمشروع برنامج سياسى وعسكرى، يمثل نقاط اللقاء بين كافة المنظمات الفدائية٠

وأثناء مناقشة مشروعى اللجنة المركزية والبرنامج ، اقترح البعض أن يكون التمثيل فى المجلس الوطنى واللجنة المركزية بقدر ما لكل منظمة من قوات عسكرية ، ورأى آخرون أن يكون الفكر الثورى هو المعيار ، وأن يكون التمثيل فى المجلس واللجنة المركزية متناسبا مع ما تحمله كل منظمة من فكر ثورى! وطلب آخرون تعديل نسب التمثيل فى المجلس الوطنى ، وتقليص نسبة المستقلين فيه ، هذا فى حين قدم اقتراح آخر بالغاء منظمة التحرير ٠

وتحرك المستقلون من أعضاء المجلس الوطنى ، فعقدوا اجتماعا قرروا فيه وضع مسألة تمثيلهم أمانة فى عنق فتح ٠

وأخيرا ، وبعد حوالى ثلاثة أشهر من الشد والجذب ، والشطب والاضافة والتعديل ، والتملص والملاحقة ، والتغيب المتعمد احيانا، صدر فى السادس من مايو الماضى بيانا حمل توقيع كافة المنظمات – عدا الانصار – تضمن **صيغة تنظيمية** للوحدة الوطنية ، جاء فيها :

● اعتبار منظمة التحرير اطارا لتلك الوحدة ٠

● ممارسة كل منظمة فدائية القضايا التى لا يتفق عليها ضمن رؤياها ، على ان يلتزم جماعيا بالقضايا التى تمس أمن الثورة ٠

● تشكيل **لجنة مركزية** بقرار من المجلس الوطنى ، تضم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وممثلين عن كافة المنظمات الفدائية ورئيس المجلس الوطنى وقائد الجيش وبعض المستقلين ٠

هذا ، وقد أوضحت **الخطوط السياسية والعسكرية المشتركة** ، والتى أوردها البيان ، أن لا اختلاف بين فصائل المقاومة فى القضايا الرئيسية ، فالبيان يرى :

● ان **قوى الثورة** الفلسطينية هى الجماهير الفلسطينية والعربية الكادحة ٠

● **هدف الثورة** تصفية الكيان الاسرائيلى وتحرير فلسطين كاملة ٠

● **حرب الشعب** هى الطريق الاساسى لتحرير فلسطين ٠

● **أعداء التحرير** هم الصهيونية واسرائيل والامبريالية وكافة القوى العميلة للاستعمار٠

كما تضمن البيان الاتفاق على تشكيل **لجنة عسكرية موحدة** لتطوير الكفاح المسلح٠٠ **وتسليح الجماهير٠٠ ورفض الحلول التصفوية٠٠ والاستقلال** عن الانظمة العربية ٠

ولا ينتقص من قيمة هذا الاتفاق التراشق الدعائى ، الذى نشب فى أعقاب صدور البيان، بين أثنتين من أكبر منظمات المقاومة ، ومحاولات البعض ابتخاس قيمة الاتفاق ٠

وينتظر المراقبون من المجلس الوطنى أن يدفع بتلك الخطوة الى الامام فى طريق الوحدة الوطنية ، بتطويرها وتعزيزها ٠ خاصة وان « قيادة الكفاح المسلح » لم تعد تفى باحتياجات المرحلة الراهنة ، بعد ان ظلت معلقة فى الهواء دون أن ترتكز الى قيادة سياسية لمنظمات المقاومة ، مما حولها الى مؤسسة شكلية ، تقتصر وظيفتها على اصدار بيانات العمليات العسكرية ، والتنسيق العسكرى الضيق بين بعض منظمات المقاومة ٠

أما المجلس الوطنى الذى يعقد الآن دورته السابعة ، فهو مطالب بالبت ، بجدية وبدون

ابطاء ، فى دخول قوات الانصار الى الاطسان الجديد ، وأن يضع حدا لضيق أفق البعض ، والحساسيات غير المبررة .



■ لاوس :

المؤتمر الدولي لتأييد كفاح شعب لاوس

عقدت السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية فى الفترة من ١٩ الى ٢١ مايو الماضى « مؤتمرا دوليا لتأييد كفاح شعب لاوس ضد العدوان الامبريالى الامريكى » . واستهدفت منه توفير أكبر قدر من المساعدة المادية والسياسية والمعنوية لكفاح شعب لاوس .

ودعت الى المؤتمر ، اللجان الاعضاء ، والهيئات المنتمية الى منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية فى أكثر من ٧٠ بلدا افريقيا وأسيويا ، والمنظمات الدولية الجماهيرية والمناهضة للاستعمار ، والمنظمات الافريقية والاقليمية ، ولجان التضامن الافريقى الاسيوى فى بلدان أوربا الاشتراكية ولجان السلام فى أوربا الغربية وغيرها ولجان التضامن مع كفاح شعب لاوس وكفاح شعب فيتنام وعدد من الشخصيات الدولية البارزة المعروفة بتعاطفها مع قضايا التحرر الوطنى والنضال ضد الامبريالية .

وبعث الرئيس **جمال عبد الناصر** برسالة الى المؤتمر أوضح فيها « أن شعوب الامة العربية تعيش نفس التجربة ، وتتعرض لنفس الخطر الذى تواجهه شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » . وعبر لوفد لاوس عن « اننا أصدقاء حرية ، واصدقاء كفاح ، وأن السلاح الذى يهددكم هو نفس السلاح الامريكى الذى يهددنا ، ونوع الادوات التى يستعملها الاستعمار ضد لاوس فى جنوب شرقى آسيا لا يختلف كثيرا عن الدور الذى تقوم به اسرائيل فى غرب آسيا خدمة للمصالح والمطامع الامريكية » .

وبعث الرفيق « **ليونيد بريجنيف** » سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى رسالة تأييد للمؤتمر جاء فيها « ان هذا الاجتماع ، انما هو مظهر لتعزيز التضامن العالمى مع النضال العادل لشعب لاوس الباسل وشعوب الهند الصينية الاخرى فى سبيل الاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد ، وضد تدخل الامبريالية الامريكية التى تستهتر بجميع القوانين والاخلاق الدولية » . وان « مؤتمركم سيقدم اسهاما جديدا فى قضية تعزيز التضامن والوحدة لجميع القوى المعادية للامبريالية . »

كذلك ألقى **على صبرى** عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى كلمة قال فيها : « ان النضال الذى تخوضه شعوب آسيا ، وشعوب الامة العربية فى الشرق الاوسط » .. « انما نواجه به معا قوى السيطرة العالمية ، والقوى العنصرية الفاشية ، تلك التى تهدف هنا وهناك الى قهر الشعوب ، وقتل الحياة على أرضها ، وان اختلفت المظاهر والاشكال التى تتخذها قوى العدوان فى محاولاتها اليائسة » .

وقد تولى **خالد محيى الدين** الامين العام للمجلس القومى للسلام رئاسة المؤتمر .

واكتسب التقرير السياسى الذى قدمه « **فومى فنجفيشيت** » السكرتير العام للجنة المركزية لجبهة لاوس الوطنية ، ورئيس وفد شعب لاوس فى المؤتمر ، أهمية غير عادية من ناحية القائه الضوء على التطورات الاخيرة للاوضاع السياسية والعسكرية فى لاوس وعلى دور الولايات المتحدة هناك . وقد أبرز التقرير حقيقة تحلى الامير « سوفانا فوما » عن الحياد ، وتحوله الى « العبوبة » فى أيدى الولايات المتحدة ، « وخيانته لمصالح شعبه وبلاده » .

وأشار فى التقرير ، كذلك ، الى حقيقة السياسة التى اتبعها نيكسون فى لاوس منذ توليه السلطة ، وأوضح أنه « منذ أن تولى نيكسون الرئاسة ، عمدت الولايات المتحدة الى تصعيد الحرب فى لاوس الى درجة من العنف والضراوة لم يسبق لهما مثيل . وزاد العون الامريكى الذى يقدم الى حكومة فينتيان بصورة كبيرة (فى عام ١٩٦٠ تجاوزت ٣٠٠ مليون دولار ، ٨٠ فى المائة منها مساعدة عسكرية . وفى الفترة من سنة ١٩٥٥ حتى سنة ١٩٦٨ دفع الامريكيون لعملائهم فى لاوس حوالى مليار من الدولارات ـ حسبما تنشر الصحف الامريكية) .

وقام الامريكيون باستقدام وحدات مشاة ومدفعية تايلاندية جديدة الى لاوس ، وفرق كثيرة من المستشارين والقوات العسكرية والمدنية الامريكية ، هى التى تدير جميع أعمال حكومة فينتيان ، وتتولى مباشرة قيادة الجيش العميل ، وضاعفت حكومة نيكسون غاراتها على أرض لاوس بشكل لم يسبق له مثيل فى جنوب شرقى آسيا » . « **وقد تجاوز وزن ما قصفت به أراضى لاوس من قنابل فى الاعوام الاخيرة ، ما ألقى على ألمانيا طوال مدة الحرب العالمية الثانية** » . وقد ألقت الطائرات الامريكية فى الشهور الاخيرة من عام ١٩٦٩ ، والشهور الاولى من عام ١٩٧٠ من القنابل ثلاثة آلاف طن فى المتوسط يوميا .

وأشار السكرتير العام لجبهة لاوس فى تقريره الى أنه منذ اغسطس ١٩٦٩ بصفة خاصة ، أشرك الامبرياليون الامريكيون ما يقرب من ٥٠ كتيبة من

القوات العميلة تعاونت مع الوحدات المقاتلة التايلاندية ، والقوات الخاصة الامريكية ، فى عمليات هجومية واسعة النطاق على المنطقة الاستراتيجية فى سهل الجرار وفى اكسيانج كوانج التى كانت جزءا من المنطقة المحررة . الا أن القوات الوطنية المسلحة أحرزت نصرا كبيرا له دلالته الاستراتيجية ، فقد هزمت خمسين كتيبة للعدو ، وقتلت أو جرحت أكثر من ٦٠٠٠ جندى معادى ، واستعادت جميع القطاعات التى كان العدو قد احتلها فى سهل الجراز والجأته الى التزام موقف دفاعى مضطرب .

وأشار فى تقريره كذلك الى أن المنجزات والانتصارات التى حققتها القوى الوطنية والشعبية فى لاوس ترجع الى عاملين هما الخط السياسى السليم والقيادة الحازمة لجبهة لاوس الوطنية ، والوحدة الواسعة للشعب بكل قومياته .

وأشار الى أنه اذا كان الامبرياليون الامريكيون لم يتراجعوا بعد عن أهدافهم الاجرامية ، الا أن شعب لاوس يملك العوامل المواتية الاساسية . « وان النجاح الباهر الذى حققه مؤتمر القمة الاخير لشعوب الهند الصينية ، يشكل حافزا كبيرا لشعبنا » .

ولخص السكرتير العام لجبهة لاوس « الموقف

تعليق

عام حاسم فى تاريخ ثورة ٢٥ مايو

فى صباح ٢٥ مايو ١٩٦٩ سقط سلطة القوى الرجعية بكافة احزابها التقليدية التى كانت قد انتكست بثورة اكتوبر ، وتسلمت السلطة فصيلة من فصائل الثورة السودانية . هى تنظيم الضباط الاحرار فى الجيش السودانى . وانتصر الانفجار الثورى فى الخامس والعشرين من مايو لان السلطة الرجعية التى كانت تحكم السودان كانت فى قمة أزمتها وانهيارها :

فأولا : أصبح الاستياء عاما من مجموعة الاحزاب الرجعية والمرتبطة بالاستعمار الحديث واحتكاراته ومخططاته وازداد التناقض بين حكم الاحزاب وبين جماهير الشعب . وأفلست الميزانية ، ووصل العجز الى حوالى ٥٦ مليون جنيه ، وتغلغلت رؤوس الاموال الغربية فى اقتصاد البلاد ، وتحكمت قوى الاستعمار الحديثة فى الصناعة الناشئة ، وأصبحت ٧٠ ٪ من التجارة الخارجية فى قبضة الاجانب وشركاتهم . وازداد رقم القروض الخارجية غير المنتجة واصبح حوالى ١٠٠ مليون جنيه فى خلال عشر سنوات . ثانيا : كانت أحزاب الائتلاف الرجعى التقليدية فى حالة من الضعف والتفكك : فقد غرقت فى الفساد حتى قاعه ، وسلمت مصالح البلاد نهائيا للاجانب ، وأصبح محور الصراع الحزبى سباقا مع الثراء غير المشروع . واصبح النظام البرلمانى الليبرالى عاجزا وفضح نهائيا كمظلة واقية لمخططات الرجعية السودانية . وسيدها الاستعمار وفشلت البرلمانية الليبرالية فى اجراء اى اصلاحات اجتماعية . ثالثا ، كانت قوى الثورة قد بدأت تستعيد وجودها العمال ، فتدعم اتحاد نقابات العمال وبرز دوره القيادى اكثر وقاد اضراب اغسطس ١٩٦٨ والذى كان أول ناقوس ثورى يدق منذرا بنمو المد الثورى ، كما نمت وتطورت حركة المزارعين المنظمة ، وتقوت المنظمات المهنية واتسعت منظمات المعلمين واتحاداتهم .. وتحدت القوى الثورية والحزب الشيوعى السودانى كافة اجراءات القمع الرجعى — وأجبرت جماهير الشعب المنظمة بقيادتها التقدمية حكومة الائتلاف الرجعى على التخلى عن سياسة العزلة فى مجال الصراع العربى مع الامبريالية والصهيونية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تدعمت الفرقة الثورية فى القوات المسلحة ، ووحدت صفوفها وأجادت تنظيمها وزاد اعتمادها على حركة الجنود والصف الضباط ، ودعمت علاقاتها بالحركة الشعبية .

وهكذا عندما تحركت الفرقة الثورية المسلحة لاستلام السلطة فى السودان انهارت السلطة الرجعية وتميزت ثورة الخامس والعشرين من مايو منذ أيامها الاولى بالاعتماد الكامل على جماهير الشعب العامل ، وعلى منظماته الديمقراطية ، وأعلنت انها الامتداد الطبيعى لثورة أكتوبر ١٩٦٤ . وأعلنت رفضها التام لطريق التطور الرأسمالى ، وانها تسعى لبناء الاشتراكية لحل مشاكل المجتمع والشعب السودانى .

وأعلنت الثورة انها تسعى الى اقامة ديمقراطية للشعب على أساس الرفض الكامل للديمقراطية البرلمانية الغربية ، وانها تسعى لتحقيق اصلاح زراعى ديمقراطى ، وانها تسعى الى المشاركة الايجابية والجادة فى معركة الشعب العربى ضد العدوان الامبريالى الصهيونى وانها ستقيم علاقاتها فى المجال الدولى على أساس انتهاج سياسة معادية للامبريالية وكل قواها ، والارتباط الوثيق بالمعسكر الاشتراكى وفى مقدمته الاتحاد السوفييتى . ومن هنا كان اعتراف السودان بجمهورية المانيا الديمقراطية فى الايام الاولى للثورة ، والعمل الموحد مع كل حركات التحرر المعادية للاستعمار فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . واعلنت ثورة الخامس والعشرين من مايو حلا علميا وثوريا لمشكلة جنوب السودان بمنحه الحكم الذاتى فى اطار السودان الديمقراطى الموحد . لقد دخلت ثورة الخامس والعشرين من مايو منذ لحظة تفجرها مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بهدف الانتقال بالمجتمع السودانى من مجتمع بدائى قبلى اقطاعى رأسمالى الى مجتمع اشتراكى .

ان قدرة ثورة الخامس والعشرين من مايو على انجاز هذه المهمة وتحقيق اهدافها تطلب تحقيق وحدة القوى الثورية فى السودان باعتبار أن هذه الوحدة هى الشرط الضرورى والحاسم لتأمين مسيرة الثورة نحو أهدافها فى مواجهة القوى المضادة للثورة والتى اخذت تضع مخططا كاملا بالاتفاق مع الدوائر الاستعمارية الغربية والمخابرات الامريكية والدوائر الاسرائيلية والالمانية الغربية — وتشعبت رؤوس هذا المخطط ، فمن محاولات اليمين الناعمة لتبنى شعارات الثورة

الثابت لجبهة لاوس الوطنية فيما يلى : « ينبغى لمشكلة لاوس أن تسوى على أساس من اتفاقيات جنيف لعام ١٩٦٢ بشأن لاوس ، وينبغى أن تضع الولايات المتحدة حدا لتدخلها وعدوانها ، ويجب أن تتم تسوية مشكلة لاوس بين الاطراف المعنيةفى لاوس دون أن تقحم الولايات المتحدة نفسها فى ذلك • كما يتعين على الولايات المتحدة ـ من أجل اتاحة ظروف تسمح بالتقاء الاطراف المعنيــة فى لاوس فورا ، أن توقف كلية ودون أن تفرض أى شروط ـ الغارات التى تشنها علــى أراضى لاوس » •

■ الصين الشعبية

القمر الصينى فوق هارتفورد

عبر «جورج ميللر» النائب الديموقراطى من كاليفورنيـــا ، ورئيس لجنــة الفضاء فىمجلسالنواب الامريكى، عن الاســتياء الذى شـــعرت به الاوساط المسئولة فى العاصمة الامريكية عنـد

والاشتراكية والقومية العربية للالتفــاف حول الثورة واستيعابها ، ومن محــاولات لاحداث الانقسام بين القوى الثـــورية بتنمية وتغذية تناقضات ثانوية بينها ، على حدة ـ كما أخذ اليمين بعد العــدة وذلك حتى نتمكن من الانفراد بكل منها للانقضاض على السلطة الثورية بتنظيم حركة تمرد مسلحة قادها ونظمها حزب الامة وطائفة الانصار وجماعة الاخــوان المسلمين بالاتفاق مع الدوائر الغربية•• كما زاد الدعم الاستعمـــارى لعصابات المتمردين فى الجنوب ، وبرز دور اسرائيل فى دعم هذا التمــرد •

لقد واجهت ثورة الخامس والعشرين من مايو التدبير الدموى للقوى المضادة للثورة ، والحقت بها هزيمة عســكرية وشعبية • لقد هزم العنف المسلح المضاد للثورة فى آبا ••• وبعد آبا دخلــت الثورة الوطنية الديمقراطية الســودانية فترة جديدة ـ فترة الحزم الثورى المعتمد على قوى الشعب الثورية المنظمـــــة فى منظماتهـــا الديموقراطية والثورية ، وهكذا عجلت الثورة بانجاز مهام عديدة من مهام الثورة الوطنية الديمقراطيـــة منها المصادرة بلا تعويض لمتلكات بعض القوى الرجعية والعناصر الرأسماليـــة المرتبطة مصلحيا بدوائر الاستعمار القديم والحديث واحتكاراته • واعلان تأميـم البنوك وشركات التجارة الخارجيـــة والمصالح الاجنبية وتدعيم السلطة الثورية فى مواقع الحكم وفى المراكز القياديـة للاقتصاد الوطنى ، وتأمين عملية البناء الثورى كله بالاســتعانة اكثر بالكوادر الاشتراكية الثورية التى عاشت ثـورة السودان بناء ونضالا وتضحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية •

والثورة السودانية ـ منذ قيامهـــا فى الخامس والعشرين من مايو ـ وهى تدعم مواقع عملها الثورى فى داخـــل حركة الثورة العالمية المعادية للامبريالية وللرأسمالية • ففى المجال العربى تدعـــم علاقاتها وتؤسسها على أساس اللقـــاء مع القوى الثورية العربية ، وتتجه الى دعم هذا اللقاء فى مجالات التكـــامل الاقتصادى ووحدة الصف ووحدة العمل مع النظم الثورية العربية •• وخطت فى سبيل هذا العمل التوحيدى خطوات هامة مع الجمهورية العربية التى كـانت دائما رفيقة الكفاح المشترك مع الشعب السودانى فى نضاله الثورى والوطنى وكذلك مع الجمهورية الليبية • وان دعم وحدة القوىالثورية العربيةولقاءها سيكون خير ضمان لدعم ومساندة ثورة الخامس والعشرين من مايو فى مسيرتها الوطنيـة الديمقراطية نحو الاشتراكية ••

وتدعم ثورة مايو مواقفها فى حركه الثورة العالمية فتتعاون تعاونا وثيقـــا فى جميع المجالات ـ مع المعســــكر الاشتراكى وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى ـ ان المعسكر الاشتراكى يدعم ثــورة الخامس والعشرين من مايو بلا حـــدود وبلا قيود أو شروط ؛ ويعتبر ذلك ضمانا هاما لانتصار طريق التطــور الثــورى ولمواجهة كل هجومامبريالى رجعى على ثورة الخامس والعشرين من مايو التى أقامت قلعة ثورية فى قلب القـــــارة الافريقيـــة •

لقد مضى عام على ثورة الخـــــامس والعشرين من مايو ـ وكل يوم مر على الســـودان خلال هذا العام كان يحمل صراعا متنوعا من اجل احتفاظ السلطة الثورية بخطها الثورى وطريقها لبنـــاء سودان وطنى ديمقراطى ثورى •••• سودان اشتراكى •••ومن أجل ذلك فان الثورة السودانية وهى تدعم وجودهـا وتطورها ما زالت مطالبة بضرورة تأكيد وحدة قوى الثورة السودانية بكـــل فصائلها وفرقها وتنظيماتها ، والمحافظة على هذه الوحدة كشرط حاسم لحمـاية السلطة الثورية ولانجاز المهام الوطنية الديمقراطية للثورة ، وارساء قـــواعد البناء الاشتراكى •• ويتطلب ذلك المزيد من العمل الثورى ضد اليمين الناعم ، وضد أى عناصر مغامرة تريد تخـريب هذه الوحدة أو العبث بها • ان صيغة هذه الوحدة يحكمها برنامج عمل ثورى تلتزم به السلطة الثورية وتتوحـــد حوله كافة الفرق والفصائل الثورية السودانية من موقع المسئولية والمشاركة الفعالـــة فى بنـــاء الثـــورة •

ان ثورة الخامس والعشرين من مايو وقد احتفلت بمرور عام على مسيرتهـا الثورية انما احتفلت بعام ملىء بالمعارك من أجل بناء ديمقراطية جديدة ، من أجل تحرير الاقتصاد الوطنى من قبضـة الاحتكارات الامبريالية والدوائر العميلة لها ، منأجل هزيمة الرجعية والطائفيـة والقبلية والعشائرية ، من أجل ارســاء قواعد ديمقراطية فى مجال التعليم ، من أجل تحقيق مشاركة العاملين بواسطة منظماتهم فى العمل الثورى وفى تشييد الاقتصاد وفى السلطة ، ومن أجــل اصلاح زراعى ديمقراطى ومن اجل دعم وحدة الصف العربى فى العمل ضــد العدوان الامبريالى الصهيونى •• من اجل الوحدة من كل القوى المناضـــلة فى العالم ضد الاستعمار والحرب ، قوى التحرر الوطنى وقوى الاشتراكية العملاقة

عبد المنعم الغزالى

الاعلان عن نجاح الصين الشعبية فى اطلاق قمر صناعى الى الفضاء • وربما جاء ذلك النجاح مفاجأة كاملة للمراقبين الغربيين الذين كانوا يصرون على اعتبار الصين متخلفة تكنولوجيا عن الغرب الى الحد الذى لا يسمح لها بانجاز هذه الخطوة فى مثل هذا التوقيت حتى على الرغم من التقدم السريع الذى حققته فى مجال الطبيعة النووية •

ويرى عدد من المراقبين الغربيين أننا نستطيع أن نقيس نجاح الصين الشعبية بصورة أفضل « اذا ما ذكرنا ان اليابان بقاعدتها الصناعية الضخمة لم تنجح فى اطلاق قمرها الصناعى الذى يحمله صاروخ يابانى ، الا بعد سلسلة من التجارب الفاشلة » • وقد أوضح سكرتير نائب رئيس الحكومة اليابانية نفسه ، أن تقدم برنامج اشياء فنية جديدة (علما بأن القمر الامريكى الاول الصواريخ العابرة للقارات فى الصين كان أسرع مما كان متوقعا . واضاف « انه ربما لا تكون هناك كان يزن ٦ر١٣ كجم ، فى حين يزن القمر الصينى ١٧٣كجم) ، ولكن قد يكون التجديد متعلقا ببعض التغييرات فى نوع الوقود ونظم التوجيه » . أما المسئولون فى مرصد « **بوفوم** » فيرون « ان القمر الصينى عمل تكنولوجى وسياسى من الطراز الاول » ، فى حين يرى الجنرال « **روبرت اوبيدير** » مدير المركز القومى الفرنسى لابحاث الفضاء « ان اطلاق القمر الصناعى الصينى يمثل مجهودا فنيا كبيرا للغاية بالنسبة لعلم الفضاء الصينى ، وبخاصة فى مجال محركات الدفع » •

ومن الناحية العلمية والاستراتيجية ، تساءلت وكالة الانباء الفرنسية ، بعد اطلاق القمر الصينى ، عما اذا كان الصينيون سيقومون بمحاولة لغزو الفضاء ، أم أنهم سيركزون على تصغير حجم رؤوس صواريخهم ليضعوا فوقها صواريخ نووية؟ ولم تقدم اجابة بعد • ويرى الخبراء الغربيون الذين درسوا سياسة الصين الشعبية الماضية ، فيما يتعلق بتطوير الاسلحة النووية ، ان هناك احتمالا بأن يكون العلماء الصينيون يحاولون تخطى بعض مراحل هذا التطوير فى سبيل بناء شبكة من الاقمار الصناعية لاستخدامها فى اطلاق الاسلحة النووية ، بدلا من التركيز على بناء قواعد لاطلاق الصواريخ عابرة القارات •

ويصف هؤلاء الخبراء هذه السياسة بأنها قائمة على « **التخطى بطريق القفز** » لبعض المراحل المتوسطة ، والتقدم بخطى أسرع من خطى معظم الدول النووية الاربع الاخرى فى مجال تطوير الاسلحة النووية وزيادة قوتها . لكن من الواضح فى نظر عدد من الخبراء ان تقدم « جهاز أطلاق المركبة الفضائية » الصينية ، يعكس التقدم الذى أحرز فى مجال الصواريخ المتوسطة ، وربما العابرة للقارات ، لان لفظ « صاروخ عابر للقارات » و « جهاز اطلاق المركبة الفضائية » مترادفين تقريبا من وجهة النظر العلمية •

وترى الدوائر الامريكية التى سمعت بوضوح « النشيد الاحمر » يتردد من القمر الصينى ، فوق مدينة « **هارتفورد** » الامريكية « أن الوقت الذى ستتمكن فيه الصين من اطلاق الصواريخ عابرة القارات لتهدد بها الولايات المتحدة قد يحين قبل الميعاد الذى كان متوقعا له وهو سنة ١٩٧٥ » .

وعلى أية حال فقد أصبحت الصين الشعبية الدولة الخامسة بعد الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، واليابان التى تطلق أقمارا صناعية بوسائلها الخاصة ، ويرى الخبراء الامريكيون أن خطوة الصين القادمة ، ستكون اطلاق سفن الى الفضاء تحمل آدميين ، ومن ناحية نتائج اطلاق القمر الصينى يرى بعض المراقبين السياسيين انها سوف تعزز سواء فى الكونجرس الامريكى أو البنتاجون ، وجهات نظر المؤيدين لفكرة اقامة نظام « سوفجارد » للدفاع ضد الصواريخ ، ومن ناحية أخرى فقد اصدرت وزارة الدفاع الامريكية بيانا أوضحت فيه « ان اطلاق الصين للقمر الصناعى ، يعكس بوضوح ، التقدم الهام الذى حققته هذه الدولة» .كما يرى عديد من المراقبين السياسيين أن نجاح الصين فى اطلاق قمرها سيزيد من هيبتها فى الداخل والخارج .

وقد كتبت « النيويورك تايمز » الامريكية بهذا الصدد تقول : « لعل هذه العلامة الاخيرة من علامات اطراد المقدرة العسكرية للصين ، تشير الى ضرورة ادماج بكين فى المجتمع الدولى ، وجعل الصين من بين الدول الموقعة على المعاهدات الدولية الاساسية حول الاسلحة الذرية ، واستخدام الفضاء ، كما أشار **يوثانت** الى أن « اطلاق الصين لاول أقمارها الصناعية ، يؤكد من جديد ضرورة العمل على اشراك جميع القوى النووية فى محادثات نزع السلاح » •

وعلى اية حال فقد أعلنت وكالة انباء « الصين الجديدة » من ناحيتها : « ان العلماء ، والمهندسين ، والفنيين الصينيين مصممون على تسلق قمم جديدة فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، واللحاق بالمستويات العالمية المتقدمة فى هذه المجالات وتجاوزها » • وعلى كل حال ، فان من الامور ذات الدلالة بهذا الصدد ما صرح به الدكتور « **توماس بين** » مدير وكالة الفضاء الامريكية تعليقا على اطلاق القمر الصينى حين قال : « ان حكام الصين الشعبية قد أثبتوا بدليل قاطع عزمهم على أن يمنحوا الاولوية للعلم والتكنيك رغم المشاكل الكثيرة التى تواجههم » •

■ بريطانيا

اجراء الانتخابات العامة قبل موعدها الطبيعي

سادت بريطانيا فى الاسابيع الماضية موجة مثيرة من الترقب والانتظار للموعد الذى يعلن فيه **هارولد ويلسون** ــ رئيس حكومة العمال البريطانية ــ عن اجراء انتخابات عامة جديدة ، وفى موجة الانتظار اجمعت الدوائر السياسية والصحيفة البريطانية على ان موعد الانتخابات سوف يوافق موعد ذكرى معركة ووترلو ــ يوم ١٨ يونيو .

وانتخابات مجلس العموم تجرى كل خمس سنوات . ولكن من الممكن اجراء انتخابات جديدة قبل انقضاء هذه المدة اذا قرر رئيس الوزراء ان يوصى الملكة بحل البرلمان . وحيث ان القانون البريطانى يتطلب مرور فترة ثلاثة اسابيع ما بين حل البرلمان وبين اجراء الانتخابات الجديدة ، فانه من المحتم ان يعلن هارولد ويلسون عن حل البرلمان قبل هذا الموعد بفترة اربعة اسابيع ، كما جرى العرف بذلك .

وقد تعددت فى الاسابيع الاخيرة اجتماعات ويلسون المتصلة مع وزرائه وكبار مساعديه . وسبق اعلان موعد الانتخابات اجتماع مشترك لاعضاء حكومة العمال وقادة الحزب استمر ٨ ساعات للاتفاق على الصورة النهائية للبرنامج الانتخابى لحزب العمال . ومنذ اسابيع مضت وحتى آخر لحظة ، كان ويلسون يتهرب من اجابة صريحة عن موعد اجراء الانتخابات بقوله : « انه لم يتخذ قرارا بعد » ، وفى برنامج تليفزيونى صرح « بأن هناك كثيرا من الاعتبارات . فمازالت هناك اعمال كثيرة لدينا فى البرلمان ، وهناك مؤتمرات دولية وهناك ايضا مسائل ملزمة لنا واعتبارات اخرى واجهت اسلافى حين اتخذوا مثل هذا القرار » .

وقد حلل السياسيون هذه الفقرات من تصريحات ويلسون واستنتجوا ان الرئيس ويلسون يضع فى ذهنه فكرة زيارة الى موسكو يكسب من ورائها مزيدا من اصوات الناخبين خاصة وأن لديه دعوة قائمة وما عليه سوى ان يحدد موعد هذه الزيارة وهو يشير بتصريحاته الى اعمال سلفه « هارولد ماكميلان » ــ والذى يكن له ويلسون اعجابا كبيرا كسياسى بارع فى التاكتيك سبق ان كسب نجاحا شخصيا كبيرا بزيارة موسكو .

وهكذا تشير كل الدلائل الى ان بريطانيا سوف تشهد معركة انتخابية حامية وصفها «هيوفريزر» الوزير المحافظ السابق ــ بأقذر معركة انتخابية سوف تشهدها بريطانيا فى هذا القرن . وبالفعل بدا حزب المحافظين المعارض حملة عنيفة ضد حكومة ويلسون .

وكان التعجيل باجراء الانتخابات فى يونيو بدلا من الانتظار الى موعدها الطبيعى فى اكتوبر ــ محل مناقشة طويلة بين اعضاء الوزارة ، وبين الحزب . ففى بداية الاسبوع الاول من مايو كان اعضاء الوزارة والحزب الى جانب اجراء الانتخابات فى اكتوبر بنسبة ٢ : ١ ، وفى نهاية هذا الاسبوع كانت النسبة متساوية واخيرا ، تغلبت اصوات التعجيل باجراء الانتخابات فى يونيو .

ويرجع التعجيل فى اجراء الانتخابات العامة الى ان نتائج انتخابات المجالس المحلية قد اوضحت تحولا ملحوظا فى الرأى العام البريطانى لصالح حزب العمال الحاكم ، اذ اظهرت ان عدد مؤيدى حزب العمال قد زاد بنسبة ٦ر٧ فى المائة فى دوائر لندن ،وبنسبة ٨ر٢ فى المائة فى دوائر ضواحى لندن ، عن مؤيدى حزب المحافظين . كما اجرت معاهد الاحصاء فى الاسابيع الاخيرة عدة استفتاءات بين قطاعات من الشعب البريطانى اظهرت نتائجها اغلبية صغيرة فى صالح حزب العمال . واستنادا الى هذه الاحصائيات فضل كثير من خبراء الرأى العام فى بريطانيا ان ينتهز ويلسون فرصة تحسن موقف حزبه فيدعو الى اجراء انتخابات جديدة فى موعد مبكر .

والواقع ، ان هذا التحسن الحالى فى موقف حزب العمال يرجع الى التحسن النسبى الذى طرأ على الاقتصاد البريطانى فى الفترة الاخيرة ، اذ لجأت حكومة العمال الى تجميد الاجور والحد من الواردات ، وخفض سعر الجنيه الاسترلينى لزيادة الصادرات . كما تحللت من جزء كبير من اعبائها العسكرية بخفض وجودها العسكرى فى اوروبا وانسحاب القوات البريطانية من شرقى السويس .

غير ان هذا التحسن الاقتصادى الطارىء لا ينفى عدم استقرار الاوضاع الاقتصادية فى بريطانيا ، خاصة وان معدل الزيادة فى الاسعار ما زال مستمرا (٧ فى المائة فى العام الماضى) ومن هنا فان موجة الرخاء الحالية لابد وان يتبعها اجراءات تقشف فى الشهور المقبلة . وهكذا ، يخشى الكثيرون من اعضاء العمال ان يتوقف التحسن الحالى فى موقف الحزب وينعكس فيعود الى تخلفه السابق . ومن ثم ، يفضلون التعجيل باجراء الانتخابات الجديدة .

وفى نفس الوقت علق بعض المراقبين السياسيين على اسراع ويلسون باجراء الانتخابات فى موعد

مبكر بأنه يقامر بحزبه فى مخاطرة قد تقصى حزبه عن الحكم ، فنتائج الاستفتاءات والانتخابات المحلية لا تؤكد فوز حزبه بالاغلبية المطلوبة ، وهم لا يرون ان انتخابات سريعة قد تضمن له اغلبية ٢٠ ـــ ٣٠ عضوا على الاقل لابد ان يحصل عليها . وهم يشكون فى ان مرونة ويلسون ومناوراته البارعة قد تفلح هذه المرة فى مواجهة الانشقاق فى صفوف الحزب . فقد شق اخيرا ٦١ عضوا من أعضاء الحزب البرلمانيين عصا الطاعة على رئيس الوزراء حين طلب التصديق على سياسة الحكومة فى كمبوديا وفيتنام **وكما صرحت مسز « مرجريت ماكاى » العضوة البرلمانية العمالية عن دائرة « كلافام » ان الحزب قد افلس ماليا وخلقيا وسياسيا . وان الحزب منشق على نفسه وغير قادر على كسب الانتخابات العامة .**

وأضافت : « ان حربها ضد الحزب تبنى على حقيقتين هما : « تأييدها لحقوق العرب فى مقاومة الاحتلال الاسرائيلى وتدمير اراضيهم .. وثانيا ، الدفاع عن حقوق الاعضاء فى التعبير عن الحقيقة » .

كذلك كتب ايفور توماس » عن تطور النظام الحزبى فى بريطانيا » . **بأن حزب العمال آخذ فى الاضمحلال لعدم استطاعته الثبات على مبادىء محدودة** . فالحكومة العمالية قد تخلت الآن عن أحد الاسس الكبيرة التى تميز سياستها عن سياسة حزب المحافظين ، وهى تأميم صناعة الصلب ، وذلك على الرغم من انها كانت تتخذ من هذه السياسة دافعا قويا للعودة الى الحكم قبل انتخابات اكتوبر ١٩٦٤ .

وهذه النهاية يخشاها كثير من المحافظين انفسهم لانهم يرون ان النظام الحزبى فى بريطانيا قد استطاع عن طريق حزب العمال ـــ ان يمتص الاتجاه الماركسى المبعثر فى بريطانيا ، على اساس ان السياسة العمالية تتضمن شعارات اشتراكية .



■ **أدب وفن**

حركات طليعية جديدة على الصعيد العربى

نعم الوطن العربى فى الوقت الحاضر ، حركات ابداعية جديدة فى الادب والفن ، تثور على بقايا القديم الذى كان ، وتحتج على صرح الحاضر الكائن ، وتتنبأ بالمستقبل الذى ينبغى أن يكون ..

وقد نشرت مجلة « شعر » اللبنانية فى عددها الاخير نص البيانين اللذين أصدرتهما مجموعة الفنانين التشكيليين العراقيين الشبان ، ومجموعة الادباء والشعراء المغاربة من الشباب أيضا .

يقول البيان الأول « الفن ممارسة موقف ازاء العالم ، وعملية تجاوز مستمرة واكتشاف لداخل الانسان من خلال التغيير .. وهو رفض عقلى لما هو موجود خطأ فى تركيب المجتمع ، وبذلك يصبح عملية خلق متصل يقدم فيه للوجود الانسانى عالمه المستقل عن طريق الخط واللون والكتلة ، وبهذا يكون الرفض والتمرد لا بشكلهما المطلق وجودين ملازمين لعملية الابداع المستمرة .. والفنان محارب يرفض القاء سلاحه عندما يجعل من نفسه ناطقا باسم العالم وباسم الانسان وهو يحيا بتضحية دائمة ازاء عالمه معبرا بذلك عن رغبة حادة فى رفض اقنعة التزييف وبهذا فهو دائم الامتلاك لما يريد ان يقوله . ان وحدة النتاجات الفنية عبر التاريخ تضع الفنان فى مركز العالم وفى بؤرة الثورة .. فالتغيير والتجاوز وجهان للتحدى الواعى لكل ما يحيط عالمه من قيم اجتماعية وفكرية متخلفة » .

والفنانون العراقيون الذين يحملون مشعل الثورة فى حقل الفنون التشكيلية ، لايصدرون عن اتجاه جمالى مشترك ، أو فلسفة فنية واحدة ، ولكن الثورة على الجمود والزيف هى التى تجمعهم فى معركة واحدة مع زملائهم من الشعراء والقصاصين الذين يخوضون بدورهم قتالا ضاريا مع الاقنعة الذهبية وبريقها الذى يغشى الابصار . وفى مقدمة التشكيليين العراقيين الطليعيين نتعرف على أسماء اسماعيل مفتاح ورافع الناصرى وصالح الجميعى ومحمد مهر الدين وضياء العزاوى وهاشم سمرجى .

أما ادباء المغرب الشباب فقد أصدرت مجموعة منهم مجلة جديدة باسم « ٢٠٠٠ » ، وقد جاء فى البيان الذى يوضح رسالتها مايلى : « نحس اليوم ، أكثر من كل الايام الاخرى القديمة ، اننا غرباء .. تأتى مجلة ألفين من أجل ان يلتقى كل الغرباء فى بيت واحد يضعون له ديكوره بأنفسهم ، يختارون له لونه بأنفسهم . لا أحد يفرض عليهم من الخارج ذوقه . لكن هذه الغربة لا تعنى الانفصال بقدر ما تعنى الرفض . ان غربتنا ايجابية ... ولان غربتنا ايجابية فهى لا تكتفى بالرفض السلبى العدمى ، انها تعلن ميلاد جيل آخر بمفهوم مغاير للحياة ، وللثقافة ، وللفكر . تعلن ميلاد (أطفال) أكبر من أن يظلوا تحت وصاية الفكر الرجعى » .

والادباء المغاربة الشباب يعون جيدا أن تيارا واحدا من الفكر لا يجمعهم ، هم يعلنون ذلك ويؤكدونه ، لان نقطة انطلاقهم فى البحث عن الذات

الجديدة هى تنوع الروافد وتعددها مهما كان المصب واحدا هو : الثورة . ويبدو ان هذه هى السمة الرئيسية من سمات الموجة الجديدة فى الادب والفن العربى الحديث . وهى الموجة التى عرفت طريقها الى حياتنا ابان الستينات ، واقبلت الهزيمة لتدعم بناء الجيل الجديد بنظرة ترفض الماضى وتستشرف آفاق المستقبل . وقد كانت مجلة « ٦٨ » فى القاهرة و « الكلمة » و « الشعر ٦٩ » فى بغداد من أهم المنابر التى ارتفعت من فوقها الاصوات الجديدة التى نالت الكثير فى ميدان القصة القصيرة والقليل فى ميدان الشعر . وكانت منظمة الشباب الاشتراكى فى مصر قد قامت بعقد مؤتمر للادباء الشباب فى الزقازيق أسفر عن بعض التوصيات الهامة التى يرجى لها أن تأخذ طريقها الى التنفيذ . وكان من بين الاستجابات التى ظهرت فى اتحاد الادباء أن **يوسف السباعى** سكرتيره العام قد عمل ولا يزال على اصدار مجلة للقصة الجديدة ، كما قرر ايفاد مجموعات من المواهب الشابة الى بولندا وألمانيا الديموقراطية والهند ودمشق ضمن الوفود الرسمية التى ستزور هذه البلدان بهدف التعرف العميق على حركاتها الادبية والفنية . وفى هــذا الاتجــاه ايضا اصدرت « الطليعة » عددين خاصين تحدث فيهما الادباء الشباب المصريين ، والعرب عامة ، عن

تعليق

احرصوا على الشموع القليلة وسط الظلام !

لا يكاد العقل أن يصدق ما يدور فى اروقة وزارة الثقافة هــذه الايام من مداولات حول المجلات التى تصدرها ، فالمنابر الثقافية فى وقت الازمات تحتاج الى اعادة النظر . بقصــد تطويرها وتدعيمها لا بهدف التفكير فى اغلاقها او شل حركتها . والموقف الذى ادى الى توقف مجلات وزارة الثقافة عن الصدور عام ١٩٦٥ على النقيض تماما من الموقف السياسى والاجتماعى فى الوقت الحاضر حيث يتطلب الامر جهدا واعيا متزايدا ومدروسا ، فى نشر الثقافة الجــادة وتعميق تقاليدها فى ضــمير الكاتب والقارىء على السواء .

ولاشك انه يمكن رصد العديد من التحفظات على مستوى مجلاتنا الثقافية واتجاهاتها الفكرية . ولكن القضــية تكمن بالضبط فى الزاوية التى ننظر منها الى هذه التحفظات . هل نتخذ منها ذريعة لقفل الباب بالضبة والمفتاح ام نتخذ منها نقطة انطلاق نحو مزيد من التفتح والانفتاح ؟ فى الحالة الاولى تصبح التحفظات غير ذات قيمة . لان اصحابها فى الاغلب ليسوا من الذين يعانون من مشكلة التعبير عن آرائهم ، ولايعنيهم — من وجهة نظر ضيقة الافق — ان تقل منابرنا الثقافية عددا ، او حتى تنعدم حتى آخرها . ولهؤلاء اقول ان وجودنا الثقافى خارج ديارنا لا يتمثل فى افلامنا السينمائية والتليفزيونيــة والاذاعية . بقدر ما يتمثل فى مجلاتنا الجادة وكتبنا . ولهؤلاء ايضا اقول انه من قبيل تقليد النعامة بوضع الرؤوس تحت الرمال . ان ننشغل بالهجوم على انتاج بعض العواصم العربية فى المجال الفكرى . ولا نفكر لحظة واحدة فى ان الحوار مهما هو اسلم السبل واكثرها موضوعية . ومن ثم كان المزيد من « تواجدنا » الثقافى فى الســـوق العربية — بالمجلات والكتب — هــو المطلب الوطنى والتقــدمى . وليس العكس .

ولا اود الخوض فى عقد مقارنات بين التعاون مع الاذاعــة والتليفزيون . والتعاون مع مجلاتنا الثقافية . فلقــد اصبح الكاتب الجاد يتردد كثيرا فى كتابة مقال هام لمجلة ثقافية ويفضــل عليه حديثا مذاعا او ندوة تليفزيونية . مما يهدد مستوى مجلاتنا الجادة فى صميم رسالتها . ولست اود ان اضيف ما يقال عن « هجرة » الاقلام المصرية الى خارج الحدود . فالحق انه الى جانب الوحدة المرجوة للثقافة العربية ، لا ينبغى ان نتجاهل همومنا المحليــة التى لا بد وان تضطلع بمسئولية التعبير عنها ، منابرنا المحلية . ولقد آن الاوان لان نلغى الشائعة التى انتشرت بأن « المصرى » هو الذى يكتب ، و « اللبنانى » هو الذى ينشر ، و « العراقى » هو الذى يقرأ .. فبالرغم من سوء النية المقصود من وراء هذا التعبير ، الا انه يحمل فى طياته دلالة أوسع وهى ان الكتاب المصريين « منتشرون » فى غيــر صــحافتهم الفكرية . وهذه حقيقة ، لا سبيل الى مواجهتها الا بمزيد من التطوير والتدعيم لمجلاتنا الثقافية مع الانفتاح والصدق والاصالة فى تحريرها .

والمتابع — مثلا — لمجلة « المسرح » يرى انها استطاعت ان ترسخ قيما فى النقد الفنى ابعد ما تكون عن الهرولة السطحية والابتذال والضــحالة التى أصبحت من مقومات وسائل الاعلام اليومية ، ليست المشكلة هى موالاة العــروض المسرحيــة فى مصر والخارج — رغم اهميتها — وانما المشكلة هى مؤازرة هذه العروض بالتقييم الموضوعى الذى يفيد القارىء ولا يســتدر المكاسب الشخصية .

والمتابع — ايضا — لمجلة « الفكر المعاصر » يرى انها استطاعت ان تمد قارئها بتيارات فكرية — نختلف معها او نتفق — ليس من اليسير عليه تحصيلها من مصادرها الاصلية مباشرة .

اما مجلة « الكاتب » فليست لقيطا معروضا للتبنى — كما صورتها مداولات اروقة وزارة الثقافة — فلقد استطاع هذا المنبر الجاد ان يؤصل تيارا فكريا تقدميا ما أحــوج القوى الثورية الى الحرص عليه فى وجه الصراع الضارى الذى تشنه القوى الرجعية المضادة لكل تقدم ايا كان منبعه .

ولقد قلت ان ثمة تحفظات عــديدة يمكن رصدها على منابرها الثقافيــة جميعها . ولكن الموقف من هذه التحفظات يختلف بين الذين يتخذونها ذريعة لاطفاء البقية الباقية من الشموع القليلة وسط الظلام الغامر ، والذين يتخذونها نقطــة انطلاق لمزيد من الضوء الباهر .

غالى شكرى

الهموم التى تعتلج بصدورهم والامال التى تراود مخيلتهم · كما أصدرت دار الكاتب العربى بعض المجموعات القصصية والشعرية الجديدة · · ويختلف « النقد » فى تقييم الظاهرة الادبية والفنية الجديدة اختلاف الاجيال عن بعضها البعض واختلاف المنابع الفكرية التى تصدر عنها · ولكن مما لا ريب فيه أن الظاهرة قد اثبتت وجودها بصورة من الصور على خريطة ثقافتنا المعاصرة ·

■ ■

تقرير شامل :

النضال النقابى العالمى فى الشهور الاولى لعام ١٩٧٠

شهدت الشهور الاولى من عام ١٩٧٠ نضالامتزايدا من قبل الحركة النقابية فى العالم، سواء فى مجال الكفاح ضد الاحتكارات الرأسمالية المحلية ، أو فى مجال التضامن والعمل الدولى ضد الامبريالية وعدوانها وحروبها التوسعية ·

المؤتمر الثامن والعشرون لاتحاد نقابات عموم الهند

فى الفترة من ٢٨ يناير الى أول فبراير ١٩٧٠ عقد **اتحاد نقابات عموم الهند مؤتمره الثامن والعشرين** ، وقد اشترك فى المؤتمر ٢٨٧٨ نقابة منضمة الى اتحادات تصل عضويتها الى ١ر٨ مليون عامل ، وقد عبر ذلك عن التطور الكبير الذى شهدته الحركة النقابية فى الهند اذ اشترك فى مؤتمر ١٩٦٦ ٢١٣٤ نقابة منضمة الى اتحادات كانت عضويتها ١ر١ مليون عامل ·

وقد انعقد المؤتمر فى ظروف ازدياد النضال ضد الاحتكارات وحصول العمال على بعض المكاسب الهامة ، بعد اضرابات عمال الكتان ومزارع الشاى والنسيج والعمال الميكانيكيين فى البنغال الغربية ، واضراب ٤٠ الفا من عمال التعدين فى جامشادبور · لقد واجهت هذه الاضرابات أعتى الاحتكارات الهندية ، وقد حققت نصرا لم يحققه العمال الهنود منذ عشر سنوات ، اذ حصلوا على زيادات هامة فى الاجور وعلى تحسين ظروف معيشتهم وعملهم · ويرجع الفضل فى تحقيق هذا النصر الى موقف **حكومات الجبهة المتحدة** فى كيرالا والبنغال الغربية وهى حكومات تضم الاحزاب اليسارية والاحزاب الديمقراطية ، اذ رفضت أن يتدخل البوليس لصالح الاحتكارات · هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلم يكن ممكنا لهذا النضال أن يكون قويا ومؤثرا لولا وحدة النقابات على اختلاف انتماءاتها فى العمل المشترك (اتحاد نقابات عموم الهند ـ الاتحاد العالمى للنقابات) (الاتحاد الوطنى لنقابات الهند ـ الاتحاد الدولى للنقابات الحرة) [الاتحادات المستقلة) · ووحدة الاتحادات النقابية المختلفة الانتماءات أصبحت ظاهرة آسيوية فى النضال اليومى للعمال وهم يواجهون احتكارات نهمة وامبريالية شرسة ·

ولقد جاء انعقاد المؤتمر الثامن والعشرين لاتحاد نقابات عموم الهند فى ظروف اشتدت فيه الاعمال والمعارك الوحدوية للطبقة العاملة والفلاحين والطبقات الوسطى التى أحرزت نجاحات هامة وخاصة فى مجال اقامة حكومات للجبهة المتحدة فى البنغال الغربية وكيرالا مستندة الى تحالف هذه الطبقات · حيث الغت الملكية العقارية فى كيرالا ، وحصلت على تصديق الحكومة المركزية على تأميم البنوك ، ونمت اتحادات العمال والمزارعين ·

وفى اليابان ـ معروف أن الاحتكارات اليابانية والتى أصبحت تتصدر مركزا أساسيا فى النظام الرأسمالى العالمى تسعى الى توسيع اسواقها ومجالات استغلالها فى بلاد العالم · وتستفيد الاحتكارات اليابانية من التطورات التكنولوجية الى أقصى حد ، وكذلك من المهارة التقليدية للعامل اليابانى ـ وفى مواجهة زيادة حدة استغلال الاحتكارات للطبقة العاملة اليابانية ، يشتد نضال العمال اليابانيين من أجل زيادة الاجور ، وضد الاثار الضارة للترشيد الرأسمالى ولتحسين الضمان الاجتماعى والمعاشات والمساكن ·

واذ تحتل اليابان مركزا عسكريارئيسيا فى الاستراتيجية الامريكية فى آسيا ، وحيث تستخدم قاعدة لمواصلة الحرب الفيتنامية فان العمال اليابانيين يشنون فى نفس الوقت نضالا ضد الحرب فى فيتنام · ويرتبط النضال النقابى خلال **عام ١٩٧٠ فى اليابان بالنضال ضد الاتجاه لتجديد** المعاهدة اليابانية الامريكية التى تسمح للولايات المتحدة باقامة القواعد العسكرية فى اليابان ، وبالنضال من أجل استعادة أوكيناوا التى تحتلها الولايات المتحدة وحولتها الى قاعدة ذرية عدوانية ضد فيتنام وكوريا والبلدان الاشتراكية فى الشرق الاقصى ·

وكان قد جرى لقاء نقابي دولي في آخر عام ١٩٦٩ في يوكوهاما تحية للعيد المئوي لذكرى ميلاد لينين ، عقد بمبادرة من السوهيو واشترك فيه المجلس المركزى للنقابات السوفيتية • وكان موضوع اللقاء لينين والطبقة العاملة • وفى هذا اللقاء قال اكيرا ايواى السكرتير العام للسوهيو عن تصور لينين للوحدة العمالية ، « فى رأى لينين أن هذه الوحدة يجب أن تقوم على قاعدة طبقية مبدئية .. » وقال : « يتميز لينين بمعالجة واقعية للوحدة ، متسعة متحررة من الحلقية • ان الطبقة العاملة فى أى بلد من العالم متباينة التكوين • فهى تضم علاوة على البروليتاريا الصناعية ، اناسا جاءوا من فئات أخرى من الاهالى. ويتميز العمال وفقا لكفاءتهم ومستوى تعليمهم وخبرتهم السياسية • وكل هذه العوامل تمارس تأثيرها على مستوى وعيهم وتنظيمهم • فاذا اقتصر على توحيد فئات العمال الذين يدركون مصالحهم الطبقية الحيوية بوضوح ، كانت هذه الوحدة ناقصة • ولذلك كان لينين يهدف الى وحدة كل فئات الطبقة العاملة ، وهو مدرك أن الخبرة والوعى يتكونان من خلال الكفاح اليومى من اجل أهداف ملموسة».

وفى **الولايات المتحدة الامريكية** ــ نمت الحركة الاضرابية الجماهيرية بدرجة كبيرة ــ ففى خلال ١٩٦٩ بلغ عدد الاضرابات الرسمية ٥٦٠٠ اضراب وهذه الاحصائية لا تشتمل على الاضرابات الجماهيرية غير الرسمية • وقد ارتبط نمو الاضرابات هذه فى الولايات المتحدة الامريكية بانقسام هائل فى التنظيم النقابى ، وذلك بانفصال اتحاد العمال الامريكيين عن (اتحاد العمال الامريكيين ــ مؤتمر المنظمات الصناعية) والذى يرأسه **جورج مينى** عميل الاحتكارات والمخابرات الامريكية فى الحركة النقابية الدولية • ويعتبر اتحاد العمال الامريكيين من أهم الهيئات المشتركة فى اتحاد العمل الامريكى ــ مؤتمر المنظمات الصناعية ، اذ تبلغ عضويته ١ر٦ مليون عضو.

وبعد انفصاله نظم « **تحالف العمل النقابى** » مع اتحاد سائقى اللورى والذى يضم مليونى عضو. ودعا التحالف الى برنامج عمل موحد لتغيير وجه الحركة النقابية الامريكية • وقد فضح اتحاد العمال الامريكيين سياسية اتحاد العمل الامريكى • مؤتمر المنظمات الصناعية فى فيتنام وتهادنه مع الاحتكارات الامريكية ضد مصالح العمال الامريكيين •

ويرتبط نمو الحركة الاضرابية للعمال الامريكيين بالظروف السيئة التى أصبحت تعانى منها الطبقة العاملة الامريكية فى أغنى بلاد العالم • ففى العشر سنوات الاخيرة ارتفعت تكاليف المعيشة بمعدل ٣٦ فى المائة وقد ارتفعت فى عام ١٩٦٩ وحده بمعدل ٦ فى المائة. وارتفع سعر المواد الغذائية فى ديسمبر ١٩٦٦ بنسبة ١ر٢ فى المائة • وتضاعفت تكاليف العلاج الطبى فأصبح سعر السرير فى المستشفى يتراوح بين ٧٥ و١٠٠ دولار فى اليوم الواحد • وفى العامين الاخيرين ارتفعت أثمان ملابس الرجال والاطفال بنسبة ٣ر١٦ فى المائة ، وارتفع ايجار الشقة لاسرة عمالية فى عام ١٩٦٩ بنسبة ١٠ فى المائة ، وبذلك أصبح انفاق اسرة من العمال المتوسطين على المسكن ٣٠ فى المائة ، ويدفع العامل الامريكى عن كل ٨ دولارات ٣ دولارات ضرائب • هذا فى نفس الوقت الذى زادت فيه ارباح عمالقة الصناعة الامريكية بقيادة جنرال موتورز وستاندارد أويل وفورد وجنرال الكتريك عام ١٩٦٩ بنسبة ١٣ فى المائة عن عام ١٩٦٨ .

وبسبب الاستخدام الواسع للاوتوميشين وزيادة معدلات السرعة ازدادت ظروف العمالة سوءا ــ فقد لقى ١٥٠ ألف عامل حتفهم خلال العام الماضى ، وأصيب بالعجز والتشويه ٥ر٢ مليون عامل •

وفى مواجهة هذه الاوضاع البالغة السوء ازداد النضال ضد الاحتكارات، وارتبط بازدياد النشاط القاعدى ضد القيادات النقابية التقليدية الانتهازية ، وبرزت قيادات جديدة ــ وخاصة من العمال الشبان ــ وحركات الزنوج • وفى ظل هذا الجو النضالى الجديد فى الولايات المتحدة أضرب أخيرا ١٥٠ ألف عامل كهربائى فى ٢٨٠ منشأة فى انحاء البلاد ضد جنرال الكتريك ، واشترك فى الاضراب ثلاثة عشرة نقابة ، وانشأ العمال صندوقا عاما للتضامن مع المضربين • وأعلنت النقابات المقاطعة الوطنية لمنتجات جنرال الكتريك • ورغم موقف البوليس وحكومة نيكسون التى رفضت منح أى زيادة كافية فى الاجور، فان صلابة هذا الاضراب حققت فى النهاية أول انتصار للعمال الامريكيين فى عام ١٩٧٠ ، اذ حصلوا على زيادة ٢٠ سنتا فى الساعة الاولى، ثم ١٥ سنتا اضافية فى ١٩٧١، و١٥ سنتا فى أبريل ١٩٧٢، ان مجمل الزيادة التى حصلوا عليها تقدر بـ ٨ر٩٧ سنت فى الساعة .

ان عصرا جديدا قد بدأ فى حياة الحركة العمالية الامريكية ــ ويرتبط هذا العصر بازدياد السخط الجماهيرى والنضال الواسع ضد السياسة الامريكية العدوانية ، سياسة التوسع والحرب ، وضد قيادات اتحاد العمل الامريكى ــ مؤتمر المنظمات الصناعية التى تعمل فى خدمة سادتهم الامبرياليين ــ وفى الشهر الماضى كشفت هذه القيادات عن وجهها الحقيقى بلا حياء عندما

اتخذت قرارا بتأييد الغزو الامريكى لكمبوديا ومطالبة حكومة نيكسون بتقديم المزيد من العون لاسرائيل ٠

وفى **بريطانيا** ـ يزداد نضال العمال البريطانيين من القاعدة ضد سياسة حكومة **ويلسون** الخاصة بتجميد الاجور ، وضد محاولة الحكومة لسن تشريعات عقابية ضد النقابات ، وخاصة بعد أن تقدمت **بربارا كاسل** وزيرة العمل والتى كانت يسارية فى الماضى فى ١٩٦٨ بكتاب ابيض للبرلمان « بدلا من الصدام » يهدف الى الحد من قانون الاضراب وتقرير تشريعات عقابية ضد أولئك الذين يخالفون أوامر الحكومة ٠وفى وجهة، سياسة حكومة العمال الضعيفة والهجوم المتزايد من قبل الاحتكارات البريطانية على نشاط النقابات العمالية فان حركة الجماهير العمالية لم تتوقف وأخذت الاضرابات تتوالى ـ اضرابات عمال البحر ـ اضرابات الكناسين ـ اضراب عمال فورد ـ حركات العمال فى مصانع « ميلاند » البريطانية ـ واضراب فوكسهول (جنرال موتورز) وتوقف العمال فى احتكار الزجاج بلكنجتون ، ونضال عمال الموانى ضد سياسة الترشيد الراسمالية ، والذى حقق لهؤلاء العمال زيادات هامة فى الاجور مما أثار رعب الرأسماليين ٠

ان تحرك مئات الالوف من العمال الانجليز فى تحد لسياسة حكومات العمال المرتمية فى احضان الامبريالية الامريكية والمعتمدةعلىشن هجوم على الاجور واتباع سياسة « التقشف » والحد من الواردات بدلا من اتباع سياسة ـ فضالخضوع للسياسة الامبريالية الامريكية وتخفيض نفقات التسلح والحد منتسرب رؤوس الاموال للخارج ـ أن تحرك مئات الالوف ، والانتخابات التشريعية على الابواب قد جعل حكومة العمال تبدى نوعا من « الاستسلام » لجماهير العمال وتراجعا عن « الحرب ضد الحركة النقابية » ـ مما أدى الى تجميد محاولة اصدار التشريع المعادى للنقابات فى محاولة لكسب اصوات الناخبين ، وكان من أهم مظاهر « الاستسلام » تلك اعلان الحكومة البريطانية أخيرا أنها سوف تتقدم الى دورة البرلمان الحالية بمشروع قانون ينص على الزام صرف أجر متساو عن العمل المتساوى للنساء ابتداء من ٣١ ديسمبر ١٩٧٥ وهو مطلب تقدمت به الحركة النقابية منذ عام ١٨٨٨ ٠

التضامن الاممى

وفى مجال التضامن الاممى تمت لقاءات نقابية على النطاق الدولى ـ ففى **كوتونو** انعقدت ندوة نقابية للاتحادات العمالية لعمال النسيج فى افريقيا الناطقة بالفرنسية فى الفترة من ٢٦ الى ٣١ يناير ١٩٧٠ بناء على قرار من الاتحاد الدولى المهنى عمال النسيج ، وقد اشتركت ٧ بلاد فى الندوة ٠

وناقشت الندوة وضع صناعة النسيج فى افريقيا والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يواجهها عمالها ، والمطالب الخاصة بعمال النسيج والحريات النقابية ، وضرورة تحقيق الوحدة فى النضال ٠ وفضحت الندوة الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة غاية التخلف والمفروضة على العمال الافارقة [يبلغ أجر العامل الافريقى خمس وسدس أجر عامل النسيج الاوربى مع تساوى الانتاجية وزيادتها أحيانا بالنسبة للعامل الافريقى] ٠ وادانت الندوة مؤامرات الامبرياليين للمحافظة على سيطرتهم وخاصة وأن معظم مؤسسات النسيج تشرف عليها جزئيا أو كليا احتكارات أجنبية أوربية ـ فمثلا احتكار النسيج الفرنسى **جيليه شاون** يمد نفوذه فى الجزائر والمغرب وموريتانيا وجمهورية وسط افريقيا والسنغال ٠ وأمام زيادة حدة الاستغلال من قبل الاحتكارات تقرر تكوين لجنة اتصال دائمة مقرها **كوتونو** تكون مهمتها اقامة علاقات أخوية مع النقابات الافريقية ووضع اتفاقيات جماعية ولتنظيم الكفاح ضد الرأسماليين والاحتكارات وكافة المشاريع الامبريالية ٠

وفى يومى ١٠ـ١١ ابريل الماضى انعقدت الدورة الثالثة للجنة الاتصال والتنسيق بين **الاتحاد العالمى للنقابات واتحاد عمال عموم افريقيا** ، وذلك لدراسة ما تم فى القرارات المتخذة فى خلال المؤتمر الاوروبى الافريقى الذى انعقد فى **كوناكرى** فى مارس ١٩٦٩ ٠ واتفق الوفدان على تدعيم العمل المشترك داخل منظمة العمل الدولية خلال المؤتمر السنوى للمنظمة ، واتفق على القرارات التى سيتخذها الطرفان داخل المنظمة وداخل كافة المؤسسات المختصة التابعة لهيئة العمل الدولية ، وخاصة خلال عام ١٩٧١ والذى تقرر أن يكون السنة الدولية للكفاح ضد العنصرية والتمييز العنصرى ٠ وقرر الوفدان الدعوة لعقد مؤتمر نقابى دولى لمساندة العمال والشعوب الافريقية فى نضالها ، وعلى الأخص فى المستعمرات البرتغالية وجنوب افريقيا ٠

كما وضع الوفدان برنامجا للتربية والتثقيف لعام ١٩٧٠ ، والعمل على تدعيم التبادل الاعلامى فيما يتعلق بالنشاط الخاص بالاتحادات الدولية والنقابات الافريقية ٠

اللجنة النقابية الدولية للتضامن مع عمال وشعب فلسطين

بمبادرة من **الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد**

الدولى لنقابات العمال العرب اجتمع فى براغ يومى ٩،٨ ابريل الماضى ممثلو : الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب واتحاد نقابات عموم افريقيا ،ومؤتمر توحيد نقابات العمال فى امريكا اللاتينية ، والاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين •

وناقش الاجتماع الوضع فى الشرق الاوسط والمخاطر التى تتهدد السلام العالمى من جراء العدوان الاسرائيلى الذى تسانده الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية ، كما بحث الاجتماع أوضاع الشعب الفلسطينى والعمال الفلسطينيين سواء فى الاراضى المحتلة أو فى المخيمات •

وصدر بيان مشترك عن الاجتماع أدان العدوان الامبريالى الصهيونى والجرائم التى يرتكبها المعتدون الاسرائيليون وأكد ضرورة دعم التضامن مع شعب وعمال فلسطين ، حتى يصبح هذا التضامن ايجابيا وفعالا قرر المجتمعون تكوين :

اللجنة النقابية الدولية للتضامن مع شعب وعمال فلسطين •

وقد طالب البيان جميع العاملين والعاملات وكل المراكز النقابية من كافة الاتجاهات والانتماءات :

ـــ **بتقديم المساعدات بكل الوسائل [من مال وأدوية وملابس ••) للعمال الفلسطينيين الذين يعيشون فى مخيمات** اللاجئين والمناطق التى تحتلها اسرائيل والعمل لدى **تنظيمات التضامن الموجودة فى العالم من اجل تنميةهذه المساعدات وارسال** حصيلتها الى المناطق المحتلة •

ـــ **بأن يطالب العمال حكوماتهم والامم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية بادانة المعتدين الاسرائيليين وسياستهم التوسعية بحزم وقوة •**

ـ **بتنظيم الاجتماعات** الجماهيرية ومظاهرات **الاحتجاج ضد قيام البلاد الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة بتقديم الاسلحة والعتاد الحربى للحكومة الاسرائيلية •**

ـ **بالمطالبة بعودة اللاجئين الى وطنهم •**

ـ **بتأييد حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم بأنفسهم •**

ـــ **وبصفة عاجلة بمطالبة الامم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية بتحسين وضع اللاجئين الذين يعيشون فى المخيمات بشكل ملموس •**

ـــ **باحاطة اللجنة النقابية الدولية للتضامن مع شعب وعمال فلسطين ، بكل الاعمال والمساعى التى تتخذ بهذا الشأن فى العالم •**

وقررت التنظيمات الخمسة الدعوة الى عقد **مؤتمر عالمى للتضامن مع شعب وعمال فلسطين •**

كما اتخذ الاجتماع التأسيسى للجنة النقابية الدولية قرارا بتوجيه نداء حول الذكرى الثالثة للعدوان الاسرائيلى • حيث قامت اسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وبمساندة وتأييد الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية فى المقام الاول ، بشن حرب عدوانية وتوسعية ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن • وأشار النداء الى استمرار اسرائيل فى عدوانها وقصفها المدن والمصانع والمدارس كما حدث فى الكرامة وبورسعيد وفى مصنع ابى زعبل وفى مدرسة بحر البقر •

وناشدت المنظمات الخمس عمال العالم وتنظيماتهم النقابية من كافة الاتجاهات والانتماءات ان يجعلوا من ٥ يونيو يوما للتضامن الايجابى مع شعب فلسطين، والشعوب العربية ضحية العدوان الاسرائيلى ••

١٠٣ تنظيم نقابى توجه رسالة لعمال الاتحاد السوفيتى فى الذكرى المئوية لميلاد لينين

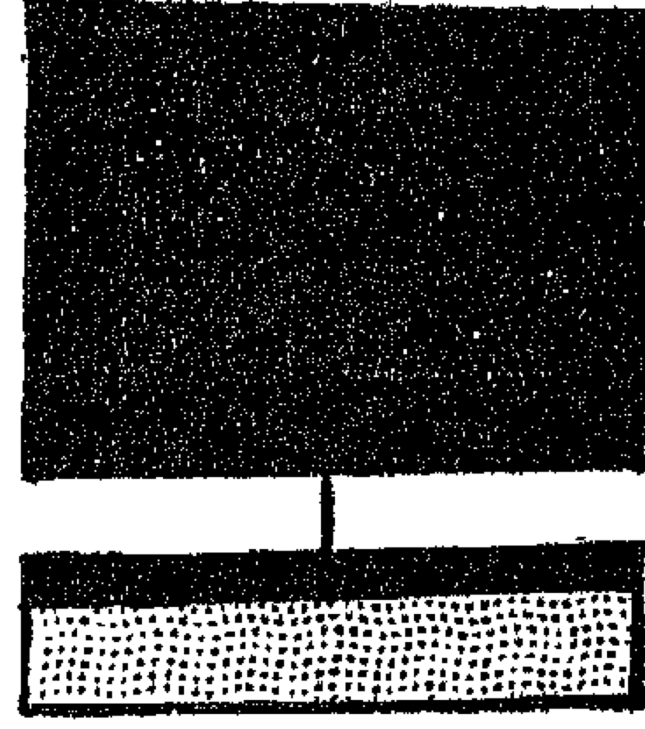
وجه ممثلو ١٠٣ مركزا نقابيا وطنيا وتنظيما دوليا من كافة القارات وبعد اشتراكهم فى اللقاء النقابى الدولى بمدينة **أوليانوفسك** بعثوا برسالة الى عمال الاتحاد السوفييتى •••

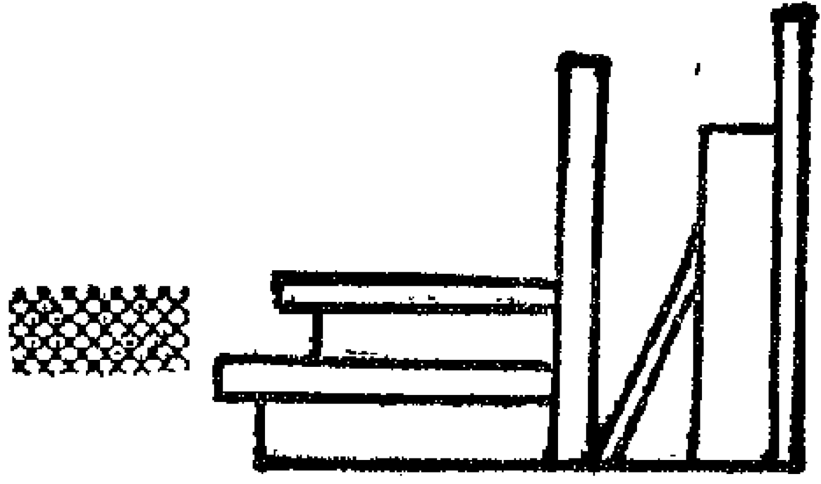
وجاء فى رسالتهم :

« ان العصر الجديد كله ـ عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ـــ مرتبط ارتباطا لاينفصل باسم **لينين** • واليوم يقف الملايين من مناضلى الطبقة العاملة الدولية وحركة التحرر الوطنى الى جانب نظام الاشتراكية العالمى فى الكفاح من اجل مستقبل مشرق لكل الشعوب » •

وجاء فى ختام الرسالة : « ونحن نتمثل فى ذاكرتنا دائما مايعتبر من أهم تعاليم **لينين**، الا وهو **تدعيم وحدة صفوفنا وتوحيد جهودنا للنضال بنجاح ، ضد الامبريالية والاستعمار ، وقوى رأس المال الاحتكارى وقوى الرجعية ودعاة الحرب** • وسنواصل العمل بعزم من أجل وحدة الحركة النقابية العالمية ورفع الروح النضالية للنقابات وتوسيع وتدعيم جبهة موحدة معادية للامبريالية تضم كافة القوى الديمقراطية والتقدمية لينتصر نضال الشعوب فى التحرر الوطنى ضد الاستعمار والامبريالية من أجل الاستقلال الوطنى ونصرة الكفاح من أجل السلام والحريات والتقدم الاجتماعى »

ع • ا •









تطور النظرة الواحدية الى التاريخ ..

■ تاليف :

ج .بليخانوف

■ ترجمة :

محمد مستجير مصطفى

■ عرض وتحليل :

شوقى جلال

■ الناشر :

دار الكاتب العربى بالقاهرة

ان مشكلة طريق التطور الاجتماعي للبلدان النامية مشكلة مطروحة للبحث ، وسوق الافكار رائجة اليوم بالعديد من النظريات المثالية فى مجال فلسفة التاريخ ، وهى نظريات لاتنفذ الى أعماق الظواهر الاجتماعية وانما تنظر الى حركة المجتمع وكأنها تتابع عرضى ، وترفض مفاهيم القانون والعلية والتقدم المطرد ، وقديكون غريبا أن اصحاب هذه النظريات هم وحدهم الذين ظلوا لفترة طويلة من الزمان ملء الاسماع داخل جامعاتنا ، اى ان منهج بحثهم ونظرتهم هما اللذان ترسبا فى الاذهان ، فان اسماء **اوجست كونت** (١٧٩٨ — ١٨٥٧ ، **واميل دوركايم** (١٩٥٨ — ١٩١٧) ، **وأرنولد جوزيف توينبى** هى الاسماء الذائعة .

من هنا يكتسب كتاب « **تطور النظرة الواحدية الى التاريخ** » اهمية خاصة رغم صدوره عام

١٨٩٥ . ذلك لانه يقدم لنا منهجا علميا فى دراسة الظاهرة الاجتماعية · وقد سطره بليخانوف فى شكل تاريخ لفلسفة التاريخ ليفضح تهافت نظرة خصومه ويعرى جذور افكارهم المثالية ·

واذا كانت فلسفة التاريخ فى العصر الحديث قد بدأت على يد فلاسفة التنوير فى فرنسا من امثال **فيكو** (١٦٦٨ ـ ١٧٤٤) و **مونتسكيو** (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) و **فولتير** (١٦٩٤ ـ ١٧٧٤) و **روسو** (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) و **كوندورسيه** (١٧٤٣ ـ ١٧٠٤) فقد بدأ **بليخانوف** عرضه لمن هذه الحقبة ، محاولا فى موضوعية ان يضع كل فيلسوف فى مكانه الصحيح ، ويعطيه حقه انصافا وعدلا . واضعا فى اعتباره الظروف التاريخية ، والمنجزات العلمية فى عصر كل منهم ·

المادية الفرنسية

فى القرن الثامن عشر

يعرف بليخانوف الواحدية بقوله : هى الاتجاه الى تفسير الظواهر بالاستناد الى مبدأ او جوهر واحد ، المادة او الروح ، ومن ثم انقسم اكثر الفلاسفة ذوو الفكر المتسق الى مثاليين ، او ماديين خلص · وتاريخ الفلسفة الحديثة هو تاريخ الصراع والحوار بين هذين الاتجاهين لتأكيد غلبة احدهما على الاخر ·

انطلق الماديون الفرنسيون من نظرة اساسية ورثوها عن الفيلسوف الانجليزى جون لوك ، وهى ان الانسان بكل افكاره وعواطفه ثمرة لبيئته وتربيته · ولزم عن نظرتهم هذه ان افكار الانسان فى تطورها التاريخى تتحدد بتطور البيئة الاجتماعية وبتاريخ العلاقات الاجتماعية · ومعنى هذا اننا لكى نبحث عن سبب تقدم الانسانية على هذا النحو دون ذاك فان علينا ان نتلمس اجابة على هذا السؤال من خلال فهمنا لتاريخ البيئة الاجتماعية وتطور العلاقات الاجتماعية ، اى البحث عن قوانين التطور الاجتماعى والعوامل المحددة لتركيب البيئة الاجتماعية · بيد أن الماديين الفرنسيين عجزوا عن توضيح ذلك ، فتنكبوا طريقهم مخالفين الاساس النظرى المادى لاتجاههم ، وارتدوا الى وجهة النظر المثالية التى ادانوها بداية . ووقعوا فى تناقض اساسى حين قرروا ان البيئة او العلاقات الاجتماعية الانسانية تحكمها الاراء ، اى ان الفكر هو خالق البيئة · وهكذا وجدت مادية القرن الثامن عشر نفسها فى طريق مسدود حال دون تقدمها .

لقد اضحى الفكر عندهم سببا ، ونتيجة فى آن واحد وهذا صحيح ، ولكنهم احسوا بالتناقض وعجزوا عن تفسيره ، اذ لم تمكنهم ظروف التقدم العلمى فى عصرهم من فهم طبيعة هذا التناقض فكانوا يميلون الى القول بأن ثمة فعلا متبادلا بين هذا وذاك · والقول بالفعل المتبادل صحيح ، ولكنه قاصر ايضا عن كشف منشأ القوى ذات الفعل المتبادل التى تحدد كلا من تطور البيئة الاجتماعية وتطور الاراء حتى يتسنى تفسير الظواهر الاجتماعية على نحو صحيح · وحاول **هلفسيوس** (١٧١٥ ـ ١٧٧١) ان يقوم بهذه المهمة ، فوضع فرضا علميا يقضى بأن تفسير التطور الاجتماعى والفكرى للانسان يكمن فى فهم الاحتياجات المادية للمجتمع فى عصر معين · بيد انه عجز عن أن يصل بمحاولته هذه الى غايتها .

فلسفة التاريخ ابان عودة الملكة

فى أوائل القرن ١٩ اتقدمت فلسفة التاريخ خطوة الى الامام على الطريق نحو حل ذلك التناقض ، وكان هذا على يد عدد من فلاسفة التاريخ من امثال **بازار** (١٧٩١ ـ ١٨٣٢) **وتييرى** (١٧٩٥ ـ ١٨٥٦) ، **وجيزو** (١٧٨٧ ـ ١٨٧٤) ، **وميتيه** (١٧٩٦ ـ ١٨٨٤) فقد اكد هؤلاء جميعا ان الظروف المدنية للناس ، وعلاقات الملكية او احتياجات مختلف الطبقات الاجتماعية والصراع بينها هى فى النهاية العامل الاقوى والمؤثر الذى يحدد كلا من البيئة السياسية وافكار المجتمع · ولكن ما هو العامل الذى يحدد علاقات الملكية ؟ وكيف نشأت هذه العلاقات تاريخيا وتحدد شكلها على هذا النحو دون غيره ؟ اى ما هو العامل الاولى الذى يحدد التركيب الاجتماعى ؟

رد فلاسفة التاريخ آنذاك هذا كله الى ما أسموه بالطبيعة الانسانية ، وهى فكرة ورثوها عن فلاسفة التنوير فى القرن ١٨ · والقول بأن الطبيعة الانسانية هى العامل الاولى يعنى انها شىء ثابت ، وهذا لايفسر لنا تغير البيئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية على مر العصور . لذلك لاذ هؤلاء الى تشبيه المجتمع بالانسان ككائن عضوى ، فهو كم ثابت ولكنه يتغير بقدر ، من طفولة الى شباب ثم كهولة ، وفى كل مرحلة من هذه المراحل تتغير احتياجاته · معنى هذا انهم عجزوا بدورهم عن تقديم تفسير علمى شامل لاسباب وعوامل التغير الاجتماعى · وداروا فى حلقة مفرغة : الطبيعة الانسانية تحدد تطور الاحتياجات الاجتماعية وهذه تحدد الطبيعة الانسانية ، ومن ثم ظل التناقض قائما دون تفسير ·

الاشتراكيون الطوبويون

ورث الاشتراكيون الطوبويون فى النصف الاول من القرن ١٩ مفهوم الطبيعة الانسانية · واعلام هذا الاتجاه : **سان سيمون** (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) **وفرانسوا فورييه** (١٧٧٢ ـ ١٨٣٧) **وروبرت آوين** (١٧٧١ ـ ١٨٥٤) · واتفق هؤلاء على اننا

اذا ما عرفنا صفات الطبيعة الانسانية فاننا نستطيع بالتالى ان نحدد صفات المجتمع الانسانى الامثل . واستسلموا لاحلامهم عن مجتمع يتسق مع صفات لطبيعة بشرية موجودة فى اذهانهم فكانوا ذاتيى التفكير ، وانفصم الفكر عن الواقع ، ولكنهم اختلفوا حول تحديد خصائص الطبيعة الانسانية وان كانوا قد بذلوا جهدهم للابتعاد عن التصورات المجردة رغبة منهم فى الوقوف على ارض اكثر صلابة . وربما نجد هذا واضحا عند سان سيمون حين عبر عن اعتقاده بأن علم الاجتماع يمكن ان يكون علما مضبوطا مثل العلوم الطبيعية ، ووصولا الى هذا الغرض يجب ان ندرس وقائع الحياة الماضية ، او تاريخ المجتمع الانسانى ، لكى نكتشف قوانين التقدم ، ويتسنى لنا ان نتنبأ بالمستقبل . وانطلاقا من هذا الفهم استطاع سان سيمون ان يتجاوز غيره من المؤرخين الفرنسيين . وذلك حين قرر ان علاقات الملكية تلعب دورا هاما فى تشكيل البناء الاجتماعى ، ذلك لان الانتاج هو الغاية من التنظيم الاجتماعى . بل وقرر صراحة ان السياسة هى علم الانتاج ، وقارب فى هذا كله ان يصل الى النتيجة المنطقية لدراسته تلك والتى تقضى بأن قوانين الانتاج هى القوانين التى يتحدد بها التطور الاجتماعى ، ومن ثم تكون مهمة علم الاجتماع دراسة تلك القوانين .

ولكن سان سيمون انتهى الى نتيجة مغايرة . اذ انه وهو يحاول الكشف عن القوانين الاساسية للتقدم الاجتماعى يقرر ان تطور المعرفة يمثل العامل الاساسى ، وخرج من هذا بقانون المراحل الثلاث للتقدم الاجتماعى : المرحلة اللاهوتية ثم الميتافيزيقية فالوضعية ، وهو القانون الذى قدمه اوجست كونت بعد ذلك على انه من اكتشافه . وحاول ان يساوق بين تطور المجتمع وتطور الفرد ، وان قوانين التطور واحدة فى كلتا الحالتين . ومعنى هذا ان التقدم الاجتماعى يماثل تقدم الفرد ، او هو انعكاس للطبيعة الفردية . وهكذا عاد الى الحلقة المفرغة ذاتها : الطبيعة الانسانية تفسر تاريخها ، والتاريخ يفسر الطبيعة الانسانية . والنتيجة الحتمية لذلك هى التخلى عن الواقع ومحاولة فهم خصائص العلة الاولى ، اى الطبيعة الانسانية ، لنخلق المجتمع الامثل على وفاق معها ، وهو الموقف الذاتى فى أجلى صوره .

المثالية الالمانية

تصدت المثالية لحل التناقض الذى وقع فيه الماديون الفرنسيون ، ولكن من وجهة نظر واحدية مثالية بطبيعة الحال . فقد ادرك فلاسفة المانيا المثاليون وبخاصة **هيجل** (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) **وشلنج** (١٧٧٥ ـ ١٨٥٤) مدى قصور المفهوم المادى عن الطبيعة الانسانية . وكان فى رأيهم ان مفتاح تفسير تقدم الانسانية التاريخى يجب ان نبحث عنه خارج الطبيعة الانسانية . فقالوا ان علة حركة المجتمع لا تكمن داخل الطبيعة الانسانية . وهذا صحيح ويمثل خطوة الى الامام . ولكن اين يكمن هذا العامل المحرك للتاريخ ؟ **اجابوا بانه فى خصائص الروح : اى فى القوانين المنطقية لتطور الفكرة المطلقة .**

ان ميزة هيجل انه اول من نظر الى الظواهر من زاوية تطورها وحركتها فى نطاق التاريخ لا كأشياء جامدة غير مترابطة وجدت فى صورتها الكاملة مرة والى الابد . وقدم الجدل كوجهة نظر بديلة تدرس الظواهر فى تطورها وعلاقاتها المتداخلة واصبح الجدل هو روح المعرفة العلمية . كان المنهج الجدلى على يد هيجل المثالى ثورة جديدة فى مجال الفكر ، وذلك حين اكد ان كل ظاهرة تتحول حتما بعد حين الى نقيضها بفعل نفس القوى التى تحدد وجودها . ونبذ المنهج الجدلى ايضا مفهوم التغير الكمى الثابت ، او التحول التدريجى ، واوضح ان الوثبات تشكل فى كل من الطبيعة والمجتمع مرحلة اساسية تماما كالتغيرات الكمية التدريجية وهو ما نعبر عنه بقولنا : التغير الكمى يؤدى الى تغير كيفى فى شكل وثبة تقطع مسار التدرج الكمى . ويلزم عن هذا ان الاشكال تتغير دائما وابدا « **نتيجة للتطور الارقى لمضمونها** » .

وتأسيسا على مفهومى التغير الشامل والتحول الكيفى انتفت فكرة « **الطبيعة الانسانية الثابتة** » كما انتفت ايضا فكرة التعلق بما ينبغى ان يكون التى ادت عند الطوبويين الى اغفال الواقع والتحليق فى عالم الخيال . فقد اكد المنهج الجدلى ، على يد هيجل ان النشاط الروحى للانسان يخضع لقوانين الضرورة المادية دون ان يحطم الحرية الانسانية ، فقوانين الضرورة المادية نفسها هى على حد قول هيجل ، قوانين فعل الروح ، فالحرية تفترض الضرورة ، والضرورة تتحول كلية الى حرية . وتاريخ العالم هو تقدم الوعى بالحرية فى نطاق الضرورة .

ولكن ما الذى يكمن خلف طبيعة العلاقات الاجتماعية ويحددها ؟ ثمة قوة خاصة عند هيجل هى العامل المحدد لكل من الطبيعة الانسانية وطبيعة العلاقات الاجتماعية . هذه القوة هى ما اسماه بالفكرة التى يمثل تحققها تاريخ أى شعب من الشعوب . فكل شعب يضع فى التطبيق فكرته الخاصة ، وكل فكرة خاصة بأى شعب تمثل مرحلة من مراحل تطور الفكرة المطلقة . ومعنى هذا ان

تفسير اى عصر تاريخى يكمن فى فهم الفكرة المطلقة التى يتجاوب معها هذا العصر . ولكن ما هى الفكرة المطلقة ؟ هى تجسيد عملية تفكيرنا المنطقية . ولكن هل يفسر لنا هذا حركة المجتمع وتاريخه واسباب تغير تركيبه الاجتماعى ، وتنوع العلاقات الاجتماعية فيه ؟

احس هيجل ذاته بقصور هذا التفسير المثالى فحاول أن يكمله باشارة الى الواقع الاقتصادى او علاقات الملكية . ولكن اشارته الى علاقات الملكية كانت مجرد تلميح يكاد يكون عرضيا . ومن هنا ظلت الطبيعة الحقة للعلاقات الاجتماعية غير مفهومة ، وظل الاساس الواقعى لها خافيا ، ومن ثم لم يتسن للمثالية الهيجلية ان تكشف عن العلة الاساسية المحركة للتطور التاريخى للمجتمع . وهكذا تأكد افلاس وجهة النظر المثالية ، ولكن بعد ان اثرت الفلسفة بمنهجها الجدلى ، واصبح الطريق بذلك ممهدا امام الجناح اليسارى من المدرسة الهيجلية ليعلن الثورة ضد مفهوم « **الفكرة المطلقة** » الموجودة خارج الزمان والمكان ومستقلة عن ذهن الانسان .

المادية الحديثة

أفادت المادية الحديثة من كل الفروض الصحيحة والنتائج الايجابية التى توصلت اليها المذاهب الفلسفية الواحدية السابقة عليها ، مادية كانت ام مثالية فأخذت عن الماديين الفرنسيين استنتاجهم بأن الظروف المدنية او علاقات الملكية تشكل أساس المجتمع ، وهى نفس النتيجة التى توصل اليها هيجل ولكن اشار اليها تلميحا ، واخذت عن هيجل منهجه الجدلى . ثم توفرت لها بعد ذلك كل المنجزات العلمية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ومحصلة المعارف الفلسفية وقتذاك ، وتبلورت كل هذه العناصر فى عقلية ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) الذى اتفق مع المؤرخين الفرنسيين ومع هيجل فى قولهم بأن ظروف الحياة المادية او ماأسموه بالمجتمع المدنى هو اساس العلاقات الاجتماعية والقانونية ، وان الاقتصاد السياسى هو مفتاح فهمنا للاسباب الحقيقية للتطور الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية .

وتولى ماركس مهمة تصحيح اخطاء الماديين الفرنسيين والمثالية الهيجلية ، اذ اكد ان حالة الملكية ، ومعها كل خصائص البيئة الاجتماعيه ، انما تحددها العلاقات المتبادلة التى يدخل فيها الناس بالضرورة مع بعضهم البعض فى الانتاج الاجتماعى لحياتهم ، أى فى صراعهم من اجل الوجود . ومن ثم فان علة التطور الاجتماعى أضحت علة مادية موجودة خارج الانسان تؤثر فيه ، ويؤثر فيها ، ومن خلال هذا التناقض تكون حركة المجتمع حركة ارتقائية ، وتنتج أشكال كيفية جديدة .

ان مفتاح فهمنا لاسباب التغير الاجتماعى يكمن فى دراستنا لتطور وسائل الانتاج او القوى الانتاجية . فادوات الانتاج هى الاعضاء الصناعية للبناء الاجتماعى وليس للفرد بذاته ، وهذا هو السبب فى أن كل تغير أساسى فيها يولد تغيرا فى التركيب الاجتماعى . وتشكل مجموع علاقات الانتاج مايسمى بالعلاقات الاجتماعية ، أو المجتمع فى مرحلة محددة من تاريخ تطوره . يقول ماركس : « يدخل الناس خلال الانتاج الاجتماعى فى علاقات محددة لا غنى عنها ومستقلة عن ارادانهم ، علاقات انتاج تتجاوب مع مراحل محدده من مراحل تطور قوى انتاجهم المادية . ويشكل المجموع الكلى لعلاقات الانتاج هذه التركيب الاقتصادى للمجتمع ، وهو الاساس الحقيقى الذى يقوم عليه تركيب علوى قانونى وسياسى .. الخ » ومعنى هذا أنه ينتهى الى نتيجة مؤداها ان الوجود الاجتماعى هو الذى يحدد افكار الناس على عكس ماذهب اليه الاشتراكيون الطوبويون والمثالية الهيجلية ويبدأ عصر الثورة الاجتماعية ، أى التحول الكيفى للتركيب الاجتماعى ، فى مرحلة تتصادم فيها قوى الانتاج مع علاقات الانتاج فى ذلك المجتمع .

ولعلنا نجد فى هذا دحضا للمفاهيم مدرسة اميل دوركايم التى ذاع صيتها بيننا . اذ يغفل دوركايم قوى الانتاج كعامل أساسى ، ويرجع التطور الاجتماعى الى عوامل ثلاث : كثافة السكان ، ووسائل المواصلات ، والوعى الاجتماعى . ويقرر ان التماسك الاجتماعى انما يتحقق بفعل جماع من القيم الروحية التى لها ثقلها وضغطها الاجتماعى ، وبدونها يتحلل المجتمع ليفسح مجالا لمجتمع آخر له قيم روحية أخرى متمثلة فى أشكال القانون والاخلاق والدين والعادات .. الخ . وتختلف عنده طبيعة التضامن الاجتماعى من عصر الى آخر ، فهى رابطة الدم فى العصر القديم ، أما فى عصرنا الحديث فهى رابطة عضوية لان المجتمع الحديث يقوم على أساس تقسيم العمل : أى تعاون الطبقات من أجل توفير ضرورات الحياة .

ان دوركايم يضع النتائج موضع الاسباب ويغفل الرابطة الجدلية بينها وبين الواقع الاقتصادى . فالوعى الاجتماعى الذى يقول به له دوره الاساسى حقا ، ولكن يجب كما يقول بليخانوف ان يكون وعيا بالضرورة اى فهما واضحا لقوانين الحركة الاجتماعية على مدى

التاريخ، وادراكا للاسس الاقتصادية لعلاقات الانتاج فى مجتمع معين، ومعرفة سليمة للتكوين الفكرى فى هذا المجتمع ، وبهذا يصبح الوعى قوة فاعلة .

التـــركيب الاجتمـــاعى والتكوين الفكرى للمجتمع

ولكن ماهى العلاقة بين التركيب الاجتماعى والتكوين الروحى او الفكرى للمجتمع ؟ هل تنكر المادية الحديثة أى أهمية للعلاقات السياسية او الجوانب الروحية فى المجتمع ؟ بمعنى هل هى نظرة اقتصادية خالصة ؟ يجيب بليخانوف على ذلك بالنفى ويقول ان المادية الحديثة تؤكد الفعل المتبادل بين الاقتصاد والتكوين الفكرى للمجتمع ــ سياسة وفلسفة ومفاهيم اخلاقية وجمالية ــ فهى نتيجة وسببا فى آن ، قد تيسر التطور او تعوقه ، فكل مرحلة من مراحل تطور القوى الانتاجية تتضمن وجود تجمع انسانى يدخل فى عملية انتاج اجتماعى اى علاقات انتاج محددة وتركيب اجتماعى معين ، وينعكس هذا التركيب علـى التكوين النفسى للناس جميعا : على عـــاداتهـم وسلوكهم ومشاعرهم وأفكارهم وتطلعاتهم بحيث يكون كل هذا فى وفاق مع اسلوب الحياة ، ولولا هذا الوفاق لما قــدر للتركيب الاجتمـــاعى البقاء . فاقتصاد المجتمع وسيكولوجيته يمثلان جانبـــان لظاهرة واحدة بعينها هى « انتســاج الحياة » او تحقق المعاش . ويخطىء من يظن اننا نستطيع الحديث عن الاقتصاد كسبب اولى لكل الظواهر الاجتماعية ، فهو ابعد من ان يكون سببا اوليا ، انه ذاته نتيجة أى « وظيفة » للقوى الانتاجية ، وليس فى هذا أى تناقض ، فكل أساس اقتصادى ينبثق فوقه تركيب علوى ايديولوجى ملائم له . بيد ان كل خطوة جديدة لتطور قوى الانتاج تضع الناس فى حياتهم اليومية فى علاقات متبادلة جـديدة لا تتجاوب مع علاقات الانتاج التى فات اوانها . وتنعكس هذه المواقف الجديدة ذاتها علـى سيكولوجية الناس وتغيرها فى اتجاه عــلاقات الانتاج التى ستحل فى حينها محل العــلاقات الاقتصادية البالية ، وان كنا سنجد فئة من أنصار القديم تظل محافظة على تكوينهـا الفكرى وسيكولوجيتها التى ستأخذ طريقها الى الاندثار مع التركيب الاجتماعى البالى .. ومع هذا التغير يتحقق الانسجام الكامل بين سيكولوجية المجتمع وايديولوجيته علما وفلسفة وفنا .. الخ ، وبين اقتصاده لفترة من الزمن حتى تتراكم تغيرات كمية فى البناء الاقتصادى ، وتؤذن بتغير كيفى جديد.

ويقرر بليخانوف ان النظرة الواحدية المادية الحديثة هى وحدها التى استطاعت ان تقدم الحل لذلك التناقض المتمثل فى السؤال التالى : هل الفكر والسلوك هما اللذان يحددان خصائص البيئة أم العكس ؟ ويجيب على ذلك بقوله : « ان خصائص البيئة الاجتماعية تتحدد بحالة القوى الاجتماعية فى كل عصر ، تتحدد بحالة القوى الاجتماعية فى كل عصر ، وحالما تتحدد القوى الانتاجية تتحدد معها ايضا خصائص البيئة الاجتماعية وكذلك السيكولوجية المتجاوبة معها ، والفعل المتبادل بين البيئة من جانب وبين الاذهان والسلوك من الجانب الاخر . لكن من اين نشأت الاحتياجات التى لا تتجاوب مع خصائص البيئة ؟ انها تنشأ داخلنا ــ وحين نقول ذلك فنحن لا ننظر الى الحاجات المادية فحسب ، بل الى مايسمى بالحاجات الروحيـة للانسان ــ نقول انها تنشأ بفضل هذه الحركة التاريخية ذاتها ، اى تطور القوى الانتاجية ذاته ، ويمكن ان تسبق سيكولوجية النـــاس الاشـــكال الخاصة لحياتهم الاجتماعية .

التأثير المتبادل بين المجتمعات

يعرض بليخانوف موقف النظرة الواحدية المادية الحديثة بالنسبة لمفهوم التأثير المتبادل ، وتوافق الايديولوجية مع حالة القوى الانتاجية فى مجتمع معين ، فيقول : « لما كان كل مجتمع يخضع لتأثير جيرانه ، فمعنى ذلك انه توجد لكل مجتمع بيئة اجتماعية تاريخية معينة تؤثر على تطوره ، ومن هنا تتباين التاثيرات الواقعة على هذا المجتمع عن سواه . فكل مجتمع يعيش فى بيئته التاريخية الخاصة التى قد تكون فى الواقع مشابهة جدا للبيئة الاجتماعية التى تحيط بأمم وشعوب أخرى ، لكنها لايمكن ان تكون مطابقة لها ، ويوضح هــذا مدى تعدد القوى المؤثرة على عملية التطـور الاجتماعى .. ويدلنا تأثير البيئة التاريخية لمجتمع معين على تطور ايديولوجيته كذلك » .

ولكن هل يستطيع مجتمع معين ان يتمثل افكارا تتباين تباينا مطلقا مع بيئته التاريخية وتركيبـه الاجتماعى ؟ لا ، فان التأثير المتبادل بين المجتمعات المختلفة يتناسب تناسبا طرديا مع درجة تشابه العلاقات الاجتماعية ، فى هذين المجتمعين مع الاحتفاظ بمسافة تفصل بينهما تؤكد الخصائص النوعية والتاريخية لكل منهما . مثال ذلك ان جون لوك كانت تفصل بينه وبين تلامذته من الفلاسفة الماديين الفرنسيين نفس المسافة التى كانت تفصل بين المجتمع الانجليزى فى عصر « الثورة المجيدة » وبين المجتمع الفرنسى قبل بضع عقود من « الثورة العظمى » للشعب الفرنسى . وكذلك الحال بالنسبة لانصار « الاشتراكية الحقة » فى المانيـــا ابان

الاربعينيات من القرن التاسع عشر ، فقد استوردوا افكارهم من فرنسا مباشرة ، بيد ان هذه الافكار ختمت على الحدود بطابع المجتمع الذى قدر لها ان تنتشر فيه .

ان فكرة الاستيراد فكرة خاطئة تماما بقدر خطأ فكرة الاكتفاء الذاتى ، او التطور « الجوانى » للمجتمعات . فكل فكرة فلسفية لاتصادف قبولافى مجتمع ما الا بقدر مايكون هنالك من تشابه بين المجتمعين من حيث مستوى التطور الحضارى، ثم تتخذ بعد ذلك سمات مميزة لها ، بل ودلالة جديدة تماما فى بعض الاحيان داخل كل مجتمع على حدة بحيث تتفق وخصائص البيئة التاريخية والتركيب الاجتماعى لهذا المجتمع . ان النقل والمحاكاة الصماء لاى مذهب فكرى او نظام اجتماعى ، دون مراعاة لمستوى التطور الحضارى والخصائص المحلية للبيئة الاجتماعية ، فكرة مرفوضة من وجهة نظر المادية الحديثة .

المجتمع عملية تاريخية متكاملة

ان المنهج العلمى الذى تلتزم به الواحدية الحديثة فى دراستها للمجتمع يتمثل فى دراسة المجتمع كعملية تاريخية ارتقائية تحكمها قوانين موضوعية ، وترى ان اى بحث تاريخى لمجتمع ما يجب ان يبدأ بدراسة ظروف القوى الانتاجية والعلاقات الاقتصادية لهذا المجتمع ، ثم يأتى بعد ذلك دور الاشكال الاجتماعية او البنية الاجتماعية والسياسية ،والجوانب الروحية من افكار ومشاعر وتطلعات ومثل انسانية . وبدون هذا النهج لن تكون الدراسة الاجتماعية الا شيئا ميتا ، ذلك لان هذا البناء الاجتماعى القائم فوق الاساس الاقتصادى هو مايحيل المجتمع الى كيان ممتلىء حياة .

ويتعارض هذا المنهج مع ماذهبت اليه مدرسة علم الاجتماع التجريبى الامريكية المعاصرة ، والتى دأبت على تفتيت المجتمع الى شرائح منفصلة وتقطيع اوصال التاريخ بعزل الظاهرة الاجتماعية عن السياق التاريخى لها . فهذه المدرسة تفتقد النظرة المتكاملة للمجتمع كوحدة تنمو وتتقدم فى إطار التاريخ وفق قوانين عامة وحتمية . ومن اعلام هذه المدرسة لوندبرج ودود ومايو ، ان يتناول هؤلاء المجتمع باعتباره تراكما آليا لعديد من الظواهر الاجتماعية المنفصلة عن بعضها البعض . ويقتصر البحث الاجتماعى عندهم على وصف الظواهر فى حالتها الانعزالية ثم سردها فى جداول ،ويقنعون بالكشف عن العلاقات القائمة بين العوامل المختلفة ، اومعامل الارتباط، واداة البحث عند اصحاب هذا الاتجاه هى الاستبارات والاحصائيات واللقاءات الشخصية . فهم يتبعون منهجا احصائيا كميا ولا يتجاوزونه الى نظرة اشمل واعمق ، مما ادى الى الاكتفاء بتصنيفات فرعية لعلم الاجتماع منفصلة عن بعضها مثل علم اجتماع الاسرة والاعلان .. الخ

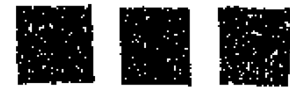
ونقد هذا الاتجاه لا يعنى انه غير ذى فائدة عملية ، وانما يجب ان تظاهره فلسفة للتاريخ مرتكزة على اساس مادى سليم . فاذا كان المجتمع عملية نامية فان دراسته فى شكل قطاع عرضى مجزأ ومنعزل عن تاريخه دراسة عقيمة قد تلبى حاجات نفعية عاجلة ولكنها لن تفيد شيئا لا فى فهم الاساس الاقتصادى ولا فى فهم الجوانب الفكرية والروحية فى المجتمع ، اى بمعنى آخر لن تقدم لنا علما . فاذا كان الانسان بكل افكاره ومشاعره نتاجا لبيئته الاجتماعية فيجب ان نفهم التكوين التاريخى لهذه البيئة .

ربما كان الطابع الغالب على كتاب « تطور النظرة الواحدية الى التاريخ » هو الجدال والمحاجاة النظرية حول قضية ذات طابع محلى فى منشئها ، الا ان بليخانوف استطاع ان يسمو بكتابه الى مستوى اعم واشمل فقدم لنا دراسة تاريخية عميقة لتطور النظرة الواحدية الى التاريخ فى العصر الحديث تعد بحق مرجعا هاما لا غنى عنه فى هذا الميدان ، ونموذجا يحتذى من حيث طريقة البحث واسلوب تناول الموضوع . كما تبدو دراسته تجسيدا حيا لمنهجه الذى يؤمن بأن الانسان ، وهو الذات الواعية ، نتاج عصره وبيئته وان الفكر ليس مبتورا عن سياق تاريخى متكامل او معزولا عن وضع اجتماعى محدد . واحسب ايضا ان هذا الكتاب سيفيد فى تصحيح المفاهيم التى نسبت خطأ الى المادية الحديثة حين زعم البعض انها تسقط الجوانب الروحية الاجتماعية من حسابها ، وتتخذ الاقتصاد اساسا اوليا ووحيدا ، وهو زعم خاطىء دفعه بليخانوف بحسم ، « كنا نقول انه حالما تتحدد القوى الانتاجية للمجتمع يتحدد كذلك تركيبه وبالتالى سيكولوجيته وعلى هذا الاساس قد ينسب الينا القول بأن المرء يستطيع ان يستخلص بدقة من الحالة الاقتصادية لمجتمع ما التكوين الفكرى لهذا المجتمع . لكن الامر ليس كذلك لأن ايديولوجيات كل عصر معين ترتبط دائما ارتباطا وثيقا - ايجابا او سلبا - بأيديولوجيات العصر السابق عليه . فلا يمكن فهم « حالة الاذهان » فى عصر ما الا فى ارتباطها بحالة الاذهان فى العصر السابق .

ثم ان مادة هذا الكتاب تعد ضوءا كاشفا فى ميدان الدراسات الاجتماعية المعاصرة ، اذ

يستطيع من يقرأ هـذا الكتاب ان يدرك الى أى مدرسة تاريخية تنتسب كل مدارس علم الاجتماع المعاصر ، وايها يقف فى صف التغيير الثورى وايها يحاول ان يشل هذا التغيير . وهو بعد هذا كله دعوة الى المزيد من الدرس والبحث لاثراء وتدعيم النظرة المادية الحديثة فى مواجهة المثالية . فالنتائج التى انتهت اليها هذه النظرة ليست هى فصل الخطاب ، والجمود عندها مخالف لطبيعتها وانكار لها . فالحياة الاجتماعية نهر دافق يتجدد ابدا ولن يتوقف الفكر عند حد معين والا تخطته الحياة وأصبح شيئا مواتا ، فمع كل اكتشافات جديدة ستكون هنـاك بالضرورة اضافة جديدة تثرى النظرية وتجدد حياتها .

ومن هنا فان ترجمة هذا الكتاب هى اسهام ضرورى لتوضيح افكارنا واثراء المكتبة العربية وقد قدمه لنا الاستاذ محمد مستجير فى ترجمة عربية ممتازة تكشف عن جهد صادق وروح علمية امينة ، وقد اضاف اليه كثيرا من الهوامش التى تفيد القارىء العربى ، وتعينه حتى تكون مادة الكتاب قريبة الى ذهنه .



دراسـات فى الفـن

■ **تأليف :**

رمسيس يونان

■ **الناشر :**

دار الكاتب العربى بالقاهرة

ربما لا يعرف الجيل الراهن شيئا كثيرا عن **رمسيس يونان** ، مفكرا وناقدا للفن ، لان شهرته كفنان تشكيلى تفوق شهرته الادبية . ولكن الحقيقة هى أن رمسيس يونان كبقية أبناء جيله من اولئك الذين شغلوا الفكر المصرى طيلة الاربعينات ، لم يكن يفصل بين الفكر والفن فى اطار الموجة الجديدة التى اطلت على آدابنا وفنوننا ابان ذلك الوقت . فالسريالية ـ مثلا ـ لم تكن تيارا فى الرسم وحده ، وانما كانت منهجا فى التعبير الادبى كذلك ، وكان الفنانون كتابا فى نفس الوقت .. لذلك تشكلت حينذاك مجموعات عديدة تمزج الفن بالفكر بالحياة ، تضمها دائرة الفكر التقدمى الواسعة . وكان **رمسيس يونان** واحدا من رواد الفن الحديث الذى عرفته البلاد لاول مرة فى أواخر الثلاثينات ، كما كان واحدا من المبهورين بالفكرة التروتسكية . ولقد ظهر انتاجه الفكرى الرئيسى خلال الاربعينات على صفحات « **المجلة الجديدة** » حيث حاور العقاد وطه حسين والرافعى محاورات تسجل من احدى الزوايا نقطة التراجع لجيل العشرينات ونقطة الانطلاق لجيل الاربعينات حيث

ازدهرت المدارس التقدمية المختلفة فى الفكر والفن على صفحات « المجلة الجديدة » و « التطور » و « الفجر الجديد » وغيرها من المنابر الثقافية .

ولكن **رمسيس يونان** مر بعد ذلك بظروف غير طبيعية توقف اثناءها عن الانتاج ، فسافر الى فرنسا حيث عمل باذاعة باريس حتى يوم العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فقدم استقالته وعاد الى مصر . وطيلة السنوات العشر التالية لهذا التاريخ ، اى الى يوم وفاته فى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٦ عرف **رمسيس يونان** مرحلة جديدة من مراحل تطوره الفكرى تكاد تكون امتدادا عكسيا لافكاره السابقة . وقد أحاط كتابه « دراسات فى الفن » بمرحلته الاخيرة هذه ، واغفل الى حد ما مرحلته الاولى ، فالكتاب من هذه الزاوية يعد تسجيلا ناقصا لتطوره الفكرى .

كذلك ، فقد كانت مناسبة للتعريف الادق والاوسع برمسيس يونان لو ان الناشر قد آثر ان يضم لصفحات الكتاب نماذج مصورة لتراثه التشكيلى ، فضلا عن الغلاف الذى كانت احدى لوحات رمسيس أحق به وهو أحق بها . ومع هذا ، فان مجرد التفكير فى جمع هذا التراث المشتت بين عديد من المصادر يستحق التقدير .. ذلك ان صفحة من تاريخنا توشك ان تضيع ، مالم نبادر من الان فى التفكير الجدى المنظم ، لجمعها وتصنيفها وتقييمها .





كل شىء من أجل الجبهة
كل شىء من أجل النصر

العدد الرابع (١٩٧٠) من مجلة « المنظار » العسكرية السوفيتية
(عدد خاص بمناسبة الانتصار على الفاشية)

مع بداية يونيو ١٩٤١ حتى نهاية الحرب فى اوروبا ، كانت الجبهة السوفيتية الالمانية ، هى الجبهة الرئيسية فى الحرب ، وعلى هذه الجبهة وعبر ١٤١٨ يوما ، خاض الشعب السوفيتى وقواته المسلحة غمار حرب ضروس ضد الفاشية ، انها أيام سنوات أربع عنيفة ورائعة ، مغمورة بالمحن وأيضا بالانتصارات الخالدة .

وكانت السنة الاولى هى أقسى سنوات الحرب ، ففى ٢٢ يونية ١٩٤١ ، بدأت القوات الالمانية غزو الاراضى السوفيتية — دون اعلان الحرب — وكان قوام القوات المهاجمة ١٩٠ فرقة ، تضم بين صفوفها خمسة ملايين ونصف مليون فرد ، ٣٧١٢ دبابة ، ٤٩٥٠ طائرة ، ٤٧٢٦٠ مدفع وهاون ، ١٩٣ قطعة بحرية . وتمكنت القوات النازية من التوغل داخل الاراضى السوفيتية .. وكانت الصعاب شديدة التعقيد أمام الشعب والحكومة السوفيتية ، خصوصا فى الشهور الاولى من بداية الحرب ، على الرغم من البطولات الجبارة التى

حققها مقاتلو الحدود ؟ وحماة قلعة بريســــت وسمولنسكا وأوديسا وسباستبول ولينينجراد وغيرها من البلدان التى تعرضت للغزو المدمر ، وكانت هذه المرحلة تمثل امتحانا عصيبا يواجهه النظام الاشتراكى والاجتماعى والحكومى السوفيتى • يواجه اقتصاده وتنظيمه العسكرى وأيديولوجيته ، واتخذت القيادة السوفيتية مع الايام الاولى من الغزو عدة اجراءات هامة عاجلة، لحماية البلاد وتأمين الانتصار على الغـزاة الفاشيست •• فأنشئت لجنة الدفاع الوطنى بهدف تعبئة قوى وموارد البلاد ، وقامت القيادة العليا للقوات المسلحة للقيادة المباشرة للنضال المسلح ، واتجه العمال الى انشاء وحدات وتشكيـلات جديدة ، وركزت الجهود للتوســع في الانتـاج الحربى ، وتم تنظيم المقاومة الشعبية وانشـاء كتائب مقاومة المخربين ، وفى المناطق التى تم احتلالها تنظمت الحركات الفدائية ، واظهر المقاتلون السوفيت فى تلك الفترة مقاومة تزيد فى ضراوتها وعنفها عن أية مقاومة فى مكان آخر •

وكان انحسار موجة الهجوم النازى على أبواب موسكو فى شتاء ١٩٤١ ، هو اول نكسة تواجهها ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، وكان من نتائجها ان تحطمت اسـطورة استحالة قهـر الجيش الهتلرى ،وأحبطت خطة شن الحرب الخاطفة ضد الاتحاد السوفيتى •

وفى هذه السنة القاسية ، ومع بداية أيامها الاولى كان الشعار الذى آمن به كل فرد من افراد الشعب السوفيتى هو « كل شىء من أجل الجبهة ، كل شىء من أجل النصر » وردد افراد الشعب هذه الكلمات من اعماق قلوبهم ، ومن ثم كان طبيعيا ان تتلقى جبهة القتال كل احتياجاتها من ســلاح وخبز وملبس ، لقـــد انطلق الشـــعب بكل حماس منذ البداية للعمل على مضاعفة الانتاج ، فزاد العمال من ساعات عملهم ومنحوا الجبهة أيام عمل كثيرة ، وكان تحقيق الشعارات « اذا لم تنجز الكمية المطلوبة منك فلا داعى لان تعود الى منزلك » و « انجز ما وعدت به » و « اعمل ليس من أجل نفسك فقط ، بل من أجل الاصدقاء الذين فى جبهة القتال » •

ولقد قام الشعب السوفيتى مع حكومته بانقاذ المصانع ومواقع الانتاج من غرب البلاد ، حيث يزحف الجيش النازى المدمر ، وذلك بنقلها الى الشرق ، وفى الفترة من يوليو الى نوفمبر ١٩٤١ تم انقاذ ١٥٢٣ وحدة انتاجية ، منها ١٣٦٠ وحدة كبيرة للانتاج الصناعى الحربى بدأت انتاجها فى مواقعها الجديدة بالاورال وسيبيريا ووسط آسيا •

أما الســنة الثانية للحرب ، فقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مازال صعبا •

وفى السنة الثالثة تغير الموقف بأن أحرز الجيش السوفيتى انتصارات حاسمة جديدة ، اذ حاولت القوات المعادية الانتقام لهزيمتها فى ستالينجراد ، فركزت على محور كورسك ٧٠ فرقة مجهزة بأحدث الاسلحة والمعدات ، ولكن هذا الهجوم تم ايقافه ودحره ، وبدأت القوات السوفيتية استنزاف القوات النازية المعتدية التى فقدت فى هذه المعركة ٣٠ فرقة •

وبدأت الســنة الرابعة • • حيث النضـال والانتصارات خلال العملية الهجـومية الرائعـة لتحرير بيلا روسيا ، ثم العمليات الهجومية التى مكنت القوات السوفيتية من طرد الغزاة الالمان الفاشيست من جميع الارض السوفيتية ، وانتقلت العمليات القتالية للجيش السوفيتى الى أراضى الدول الاوربية الاخرى ، تنفيذا للواجب الاممى للشعب والجيش السوفيتى فتم تحرير شعوب دول أوربا من نير الفاشية •

وابتداء من ١٦ أبريل ١٩٤٥ بدأت القوات الســوفيتية الهجــوم على برلين ، وذلك بعـد انتصاراتها المحققة على كل الجبهات من البلطيق حتى جبل الكاربات •• ورغم المقاومة العنيفـة للالمان تمكن المقاتلون الســوفيت من رفع راية الانتصار على الرايخستاغ ببرلين فى أول مايو ١٩٤٥ ، وبسقوط برلين انتهى الرايخ الالمانى ، وخلال ايام قليلة ، وقع مندوبو القيادة الفاشية وثيقة الاستسلام بلا شروط ، واحتفل الشـعب السوفيتى وكل شعوب العالم يوم ٩ مايو ١٩٤٥ بالانتصار العظيم على ألمانيا الفـاشية وانتهت الحرب فى أوربا ، وقد خسر النازيون فى الحرب ١٣ر٦ مليون نسمة بين قتيل وجريح وأسير ، منهم عشرة ملايين على الجبهة السوفيتية وحدها •

وتنفيذا للالتزامات أمام الحلفاء ، وتسأمينا

لحدود الشرق الاقصى ، دخل الاتحاد السوفيتى الحرب ضـــد اليابان ، وخلال فترة قصـــيرة ، استسلمت اليابان بعد القاء القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكى ٠

لكن كيف تحقق للجيش السوفيتى أن يقطع هذا الطريق الطويل من الهزيمة الى الانتصـار العظيم ؟

هنا يأتى دور الاقتصاد الوطنى السوفيتى ، ودور الشعب السوفيتى ، الذى تحمل فوق طاقته وبذل من الجهد والعرق ما يستحق للحصول على النصر ، واليك لمحات من هذا الدور كما توضحه مجموعة الحقائق المدعمة بالارقام عن الصناعات الحربية السوفيتية وقت الحرب ٠

لقد أنتجت الصناعات السوفيتية خلال سنوات الحـــرب ٥ر٣١ مليون طن من الحديد الخـــام ، و٤ر٤٥ مليون طن من الصلب ، و٥ر٤٤١ مليون طن من الفحم ، و٣ر٩١ مليون طن من البترول ، و٣ر١٤٧ مليون كيلوات من الطاقة الكهربائية ، وبهذا الانتاج العملاق تمكنت اقتصاديات الصناعة السوفيتية الحربية أن تكسب معركة الانتاج فى مواجهة الاقتصاد النازى الالمانى ، وأن تحرز فى هذه المعركة نصرا باهرا ، وكانت المصـــانع السوفيتية تزيد من طاقتها الانتاجية شهرا وراء شهر ، لتمد جبهة القتال بكل ما يلزمها من معدات وعتاد وذخيرة ٠

لقد أنتجت المصانع السوفيتية خلال عام ١٩٤٢ نحو ٤ر٢٥ الف طائرة حربية ، وفى عام ١٩٤٣ تم انتاج ٣٥ الفا ، وفى عام ١٩٤٤ أنتجت أكثر من ٤٠ الفا ، وفى النصف الاول من عام ١٩٤٥ تم انتاج ٩ر٢٠ الف ، وبلغ الانتاج الكلى خـــلال سنوات الحرب الاربع ٢٨ر١٠٨ ألف طائرة ٠

هذا من حيث الكم أما من حيث النوع فقد ابتكرت أنواع من الطائرات المقاتلة والقاذفة ، روعت وفاجأت العدو وطياريه ، ففى عام ١٩٤٣ تسلمت القوات الجوية السوفيتية القاذفة بى ــ ٢ التى تفوق من حيث السرعة وامكانية التوجيه وطول المدى الطائرات الالمانية من نفس المستوى، كذلك ابتكر المهندسون الســـوفييت الطـــائرتين المهاجمتين اليوشن ١٠ ــ واليوشن ــ ٢ ، كذلك تم ابتكار الطائرات المقاتلة السوفيتية ل ٠ ١ ٠ ٧ وياك ٩ ، وياك ٣ ، لقد ابتكر صناع الطائرات السوفيتية خلال سنوات الحرب ٢٥ نوعا من الطائرات ، و٢٣ نوعا جديدا من محركات الطائرات ، بينما لم تتمكن المصانع الالمانية النازية أن تقدم سوى نوع واحد من الطائرات الحربية المقاتلة خلال الحرب ، ادخلت عليه تغييرات طفيفة ٠

وفيما يختص بالمدرعـــات فان مصـــانع بناء الدروع قدمت للجبهة خلال عام ١٩٤٢ ، ٦٦٨ر٢٤ عربة مصفحة ومدرعة ، وخلال السنوات الثلاث الباقية من الحرب ، أنتجت المصانع ٣٠ ألف مدرعة ومدفع ذاتى الحركة سنويا ، وهكذا قدمت تلك المصانع للجبهة خلال سنوات الحرب نحو ١٠٠ ألف مدرعة ومدفع ذاتى الحركة ، وبالاضافة الى هذا العدد الهائل من المدرعات والمدافع ذاتية الحركة ، فان المصـــانع والعمال والمهندســـين الســـوفييت استطاعوا ابتكار أنماط جديدة من المدرعات الجبارة ، حيث قدموا خلال عام ١٩٤٣ الدبابة ت ــ ٣٤ المزودة بمدفع ٨٥ مم بدلا من ٧٦ مم بالاضافة الى ١٥ نوعا من المدرعـــات الثقيلة الاخرى ، التى كانت من حيث قوة الاحكام وطاقة التشغيل وقدرة المناورة ، تفوق مرة ونصف مرة الدبابة الالمانية (نيجر) ، ومرتين للدبابة الالمانية من نوع (البانزر) ، كما استطاعت المدفعية السوفيتية ذاتية الحركة ، أن تضخم أعيرتها من ٧٦ مم لتصل الى عيار ١٥٢ مم الجبار ، وقد حاول النازيون أن يطوروا مدرعاتهم ومدفعيتهم ذاتية الحركة اكثر من ثلاث مرات ، لكنهم لم يتمكنوا من اللحاق فنيا بالوحدات السوفيتية المدرعة التى كانت تقضى على مدرعاتهم وتكتسح تجمعاتهم ٠

أما مصانع المدافع فقد أنتجت ٤٩٠ ألف قطعة مدفعية ، بالاضافة الى ٤٠٠ الف قطعة مورتار ، بمعدل ١٠ آلاف قطعة من النوعين شهريا ، مما كان يكفى لتقديم ٢٨٠ فرقة مدفعية جديدة شهريا الى الجبهة ، ولقد قدمت الصناعة السوفيتية الحربية فى هذا المجال انتاجا جـــديدا ، وهو المدفعيـــة الصاروخية من طراز الكاتيوث ، والتى ألقت الفزع الهائل ، حين فاجأت بنيرانها الكثيفة المغتصبين النازيين الذين احتلوا مع بداية سنوات الحرب الاراضى السوفيتية ٠

وخلال هذه السنوات أيضا ، أنتجت المصانع السوفيتية مليون قطعة مدفع ماكينة خفيف وثقيل ، ونحو ١٣ مليون مدفع نصف آلى وبندقية ورشاش ،

لقد تضاعف انتاج هذه القطع خلال سنوات الحرب ٢١ مرة عن ذي قبل •

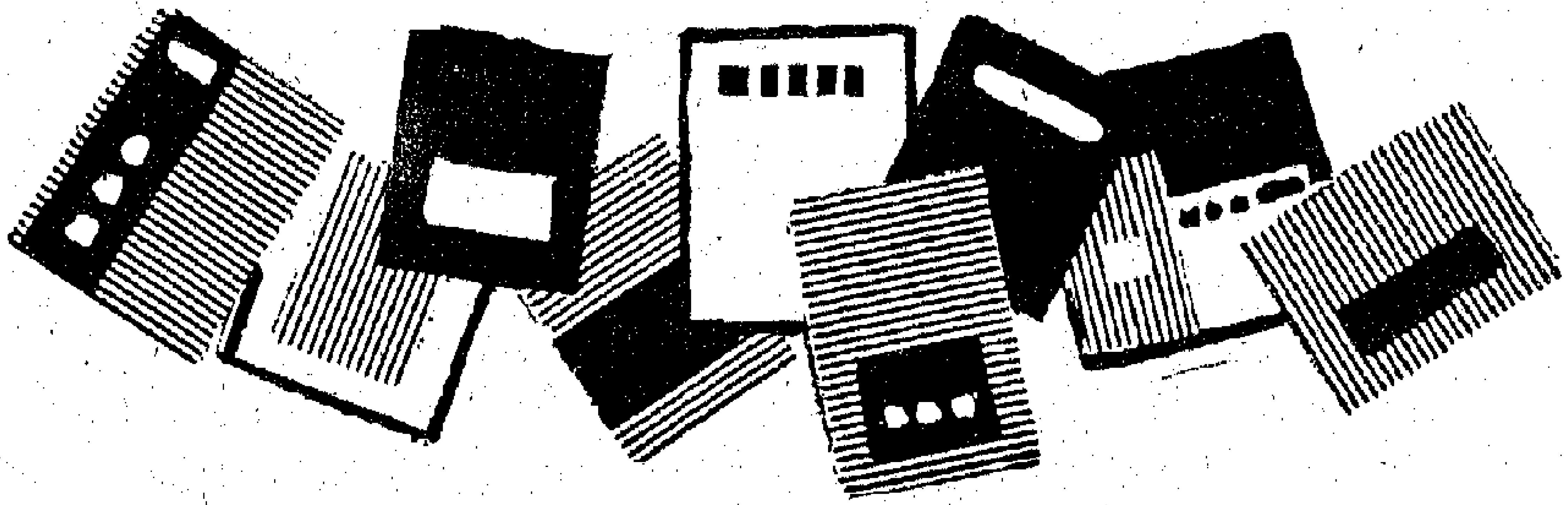
أما الذخيرة فان الجيش والبحرية السوفيتية، احتاجت الى نحو ٥٩٢ مليون طلقة مدفعية و٢٨ ألف مليون خرطوشة •• خلال سنوات الحرب ، وفى هذا المجال نذكر ان الجيوش السوفيتية استهلكت خلال الحرب العالمية الاولى مليون طن من الذخيرة فقط ، بينما بلغ ما استهلكته فى الحرب الثانية اكثر من ٨ ملايين طن من الذخيرة ، استلزم نقلها الى المواقع نحو ١٦٠ ألف عربة نقل حمولة ٥٠ طنا ، بالاضافة الى نقليات عن طريق الخطوط الحديدية يمكن تصورها كقطار يبلغ طوله ٢٠٠٠٠كم ، وبالاضافة الى جرارات نقل المحاصيل والخيول التى أنقذت من الاراضى التى احتلتها القوات النازية ، والتى تمت الاستفادة بها فى نقل الذخيرة الى المواقع •

ومما يستحق التقدير حقا ، تلك الجهود الجبارة التى بذلها الفلاحون والعمال ، الذين أمدوا جبهة القتال بما أنتجوه فى المزارع الجماعية من حبوب وطعام ، لقد كانت المصانع تمدهم بالمعدات الميكانيكية لفلاحة وزراعة الارض ، وكانوا هم يضاعفون من جهدهم حتى يقدموا لجيشهم كل ما يحتاج من مؤن •

وكان لرجال العلم دورهم فى الانتاج الحربى الاقتصادى ، فكانت مئات الابحاث ، وآلاف من الباحثين يعملون من أجل تطوير وتحسين انتاج المواد الاولية ، من مصادر انتاجها فى الاورال وسيبيريا والفولجا وكازاخستان ، حيث اقيمت مؤسسات الانتاج ، التى ضمت مئات من المهندسين والفنيين والصناع من المهندسين والفنيين والصناع الذين استثمروا كل دقيقة من وقتهم فى زيادة ودعم وتطوير الانتاج وتقديم الانواع الجديدة من الاسلحة ومعدات القتال •

لقد قدم الشعب كل شئ لجيشه حتى يحقق النصر ، وتبرع أفراده للمجهود الحربى بأموال قدرت بنحو ٩٤ مليون روبل ، بنيت بها عشرات السفن الحربية ، ومئات من الدبابات وقطع المدفعية والطائرات المقاتلة ، وبالاضافة الى ذلك فان الشعب قدم كميات هائلة من الطعام والملابس الصوفية واشياء متنوعة كثيرة لابنائه الذين يقاتلون من أجل النصر •

وهكذا استطاع الجيش السوفيتى ، أن يقاتل بسلاح وذخيرة هائلة ومتنوعة ، كلها من انتاج وطنه وبأيدى شعبه ، فالشعب السوفيتى خاض حربا ضد النازية ، وانتصر فيها معتمدا على ثروته القومية والاقتصادية ، على خلاف ما يدعيه البورجوازيون من المؤرخين الغربيين ، الذين يحاولون اسناد فضل انتصار الشعب والجيش السوفيتى على النازية الى معونات عسكرية واقتصادية تلقاها الجيش السوفيتى من امريكا وبريطانيا •





موقف اليسار العربي من قرار تقسيم فلسطين

كتب **صديق حنا** [بيروت]، يعقب على ما جاء في اجابة الطليعة على سؤال **رفعت الشعراوى** (**سوريا**) في عدد مارس ١٩٧٠ ، عن موقف اليسار العربي من قرار تقسيم فلسطين، يقول :

بالاشـــارة الى جوابكم عن ســؤال رفعت الشعراوى (سوريا) ، عن جوهر موقف الاتحاد السوفيتي وموقف اليسار العربي من التقسيم (الطليعة مارس ١٩٧٠) ، أود أن ألفت نظركم الى حقيقة موقف عصبة التحرر الوطني الماركسية الفلسطينية ،فمن مراجعة ما نشرته « **الاتحاد** » في أعوام ١٩٤٦ و١٩٤٧ و١٩٤٨ يتأكد أن العصبة قد حاربت التقسيم على أساس أنه « .. **خطر داهم يهدد العرب ويوطد الاستعمار والصهيونية** » وأن التقسيم « .. **لن يؤدى الا لبقاء الاســـتعمار البريطـــاني ونفوذه . . ونحن نســتنكر هـذا المشروع ونرفضه.. ونرفض جميع المشاريع التى تستهدف جعل الجماهير اليهودية ، التى تريد أن تعيش في وطننا المستقل ، تحت نظم ديمقراطية وحقوق عادلة، أن تشكل لها بريطانيا أمة لها حق انشاء دولة مستقلة ، اننا نرفض أن تقوم في بلادنا ولو شكليا أمة يهودية تستغلها بريطانيا** » . وفي بيان الى « الشعب العربي الكبير » في ٣ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ دعت عصبة التحرر الوطني الى اليقظة القومية ضد التقسيم الذي يساعد على انجاح خطة المستعمر « .. **لاقامة دولة يهـودية تـؤمن مصالحه ، وضم القسم العربي الى شرق الاردن** » . ودعا البيان الجماهير الى توجيه ضربتهـا الى المســتعمر البريطاني واعوانه من اجل « **حرية فلسطين واستقلالها ووحدتها** » .

وهكذا نرى ان عصبة التحرر الوطني قد حاربت التقسيم ، وأن كل ما حذرت منه وحثت على تفاديه قد وقع نتيجة للاتجاه الشوفيني والتعصب القومي الضيق للقادة العرب وقتذاك ، ولكى نكون على يقين اننـا لن نقع [بعد ٢٣ عاما] في نفس الاخطاء ، يتوجب على القوى التقدمية وعلى حركة فتح خاصــة ، ان تحـدد موقفهـا من « الامــة الاسرائيلية » التى قد تكون موجودة الان فعلا في فلسطين المحتلة .

ولا يجب ان يخفى علينا ديناميكية الموضوع ، أو أن نستكين الى كون التاريخ الى جانبنا ، فالحتمية التاريخية ليستميكانيكية، ولو كانت كذلك لفقدت المبادرة الانسانية قيمتها ، ولاصبحنا دمى من دون ارادة وعبيد قوانين الجاذبية .

●

بيان من اتحاد مبعوثي الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتي

جاءنا من **المؤتمر الثالث لمبعوثي الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتي** ، بيانا ننشر فيما يلي بعض ما جاء به :

يرى المؤتمر الثالث لمبعوثي الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتي ، أن النضال العربي ضد الامبريالية العالمية والوجود الصهيوني في فلسطين قد دخل مرحلة جديدة وأهم ما تتميز به هذه المرحلة من ناحية الخصم ، هو بروز الولايات المتحدة الامريكية بشكل سافر ومكشوف ليس في دعمها للعدوان الاسرائيلي فحسب ، وانما ايضا في قيادة العدوان وادارته ، ومن هنا أصبحت أهداف العدوان الأمبريالي الاسرائيلي مكشوفة وواضحة أكثر من أي وقت مضى ، ويمكن تلخيص هذه الاهداف فيما يلي :

● اسقاط النظم التقدمية الوطنية المعادية للامبريالية في الوطن العربي .

● كسر الطوق المفروض على اسرائيل ، وافساح المجال أمامها لغزو الوطن العربي سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

● تصفية حركة التحرر العربية ، وذلك حتى يدخل الوطن العربي كله ضمن السيطرة الامبريالية الصهيونية الكاملة .

وتمثل الجمهورية العربية المتحدة الحلقة الرئيسية التي يركز عليها الامبرياليون والصهيونيون عدوانهم في المرحلة الراهنة فهم قد يتصورون ان اسقاط السلطة الوطنية في مصر سيسهل أمامهم تحقيق أهدافهم .

ان شعبنا يعتبر أن حكومة الولايات المتحدة الامريكية هي العدو الاول للبشرية والحضارة وقائدة الثورة المضادة في العالم ، ان من ينادي اليوم بالصداقة مع المعسكر الامبريالي وعلى رأسه أمريكا — بعد كل الدروس التي عانى منها شعبنا في المائة سنة الاخيرة انما يوضع في صف أعداء الشعب .

بيد أن مجرد الحقد الشعبي العارم على العدو ، لا يكفي وحده لتحقيق النصر عليه ، وانطلاقا من ضرورة تحقيق مستلزمات النصر عليه .

فان مؤتمرنا يقرر ما يلي :

أولا : في مجال العمل الداخلي :

● يرى مؤتمرنا ضرورة القيام ببناء التنظيم السياسي الطليعي الملتزم بالاشتراكية العلمية ليقود العمل الوطني في كل المجالات ، ان ذلك هو السبيل الضروري لازالة العدوان وحماية مكتسبات الشعب ، فالشعب بدون تنظيم ، يسهل ضربة من قبل اعدائه المنظمين ، كذلك فانه لم يعد من الممكن في العصر الراهن النضال ضد الامبرياليين من مواقع متخلفة الفكر والتنظيم ، وانما بالاشتراكية العلمية والنظرية الثوريه يمكن قيادة العمل الوطني قيادة واعية تقلل من النكسات وتزيد من الانتصارات ، وما لم يبن هذا التنظيم الطليعي المسترشد بالاشتراكية العلمية ، ستظل كل منجزات شعبنا العظيمة معرضة للضياع .

● وبالاضافة الى ذلك فان المؤتمر يرى أن الامبريالية العالمية وربيبتها الصهيونية ، تحاولان باستماتة تقويض جبهتنا الداخلية ، ولذا فان المؤتمر يدعو الى مزيد من افساح مجال العمل السياسي والاجتماعي لجماهير شعبنا ، خلال منظماتهم النقابية والجماهيرية المختلفة .

● يحيي مؤتمرنا قواتنا المسلحة التي يربض رجالها على خط النار ، والذين يواجهون العدو ببسالة رائعة ، وفي نفس الوقت فاننا نناشدهم مزيدا من اليقظة والتنظيم لرفع القدرة القتالية الى أعلى مستوى تتطلبه المعركة الراهنة .

● ان مؤتمرنا يرى في « لجان المواطنين من أجل المعركة » أجهزة جديدة تستلزمها المرحلة الراهنة ، ان هذه اللجان يجب أن تبنيها وتشكلها المبادرات الذاتية للجماهير وقياداتها الطبيعية ، ان تشكيل هذه اللجان بالاعتماد على الاساليب البيروقراطية سوف ينفر منها الجماهير ، وعندئذ ستولد هذه اللجان ميتة بحيث لا يمكنها تحقيق المهام المطلوبة منها .

● وفي نفس الوقت فان المؤتمر يؤمن بأن معركتنا مع العدو ستشمل كل شبر من أرض وطننا ، بالاضافة الى الارض التي يحتلها العدو ، ولذلك فاننا نؤكد على ضرورة المضي قدما في تكوين الجيش الشعبي وتسليحه ورفع كفاءته وتوسيع قاعدته ، وتحصين كل القرى والمدن تحصينا متينا بحيث يجد العدو أن غاراته عليها ومهاجمته لها ستكلفه تضحية لا يمكنه تحملها .

● ان ذلك كله يتطلب تحقيق مبادىء اقتصاد الحرب بل مجتمع الحرب الثوري ، ان المؤتمر يلاحظ أن المناطق البعيدة جغرافيا عن مناطق القتال لا تستشعر على نحو يومي ضروريته ان ما يراه مؤتمرنا في ذلك هو القضاء على كل مظاهر اللامبالاة التي تظهر في بعض المناطق ولدى بعض الفئات ، وفي نفس الوقت فان المؤتمر يلاحظ أن اقتصاد الحرب لازال بعيدا الى حد ما عن التطبيق ، ولا زال التوزيع العادل لاعباء الحرب غير متحقق ، ان شعار « كل شيء من اجل الجبهة كل شيء من أجل النصر » يجب ان يترجم الى الواقع بطريقة علمية موضوعية .

● ان مجتمعنا في ظروفه الراهنة يرى أن احدى المهام التي يجب ان تسير جنبا الى جنب مع ازالة آثار العدوان هي محو الامية التي بلغت نسبتها حوالى ٧٠٪ ، وان عدم جدية الاجهزة السياسية في التصدى لهذه المهمة يستحق الدراسة والبحث .

ان ذلك هو ما تضمنه برنامج ٣٠ مارس ، ان المؤتمر يطالب بوضع كل ما جاء في هذا البيان بخصوص بناء الدولة العصرية موضع التنفيذ ، وفي نفس الوقت ازاحة وتصفية كل القوى المعوقة التي تحول دون تطبيقه .

ثانيا — في مجال السياسة العربية :

● يحيي المؤتمر ويؤيد الكفاح المسلح البطولى الـــذى يخوضه الفدائيون الابطال في الارض المحتلة ، ويؤمن أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض المغتصبة قبل وبعد يونيو ١٩٦٧ وبناء فلسطين الديمقراطية .

كما يستنكر المؤامرات التي تمارسها القوى الرجعية العربية لعرقلة العمل الفدائى وضرب المنظمات الفدائية ، ويعتبر هذه المؤامرات اعمالا اجرامية تضع القوى الرجعية التي تمارسها في موضع الخيانة والعمالة للامبريالية والصهيونية .

كما يعلن المؤتمر استنكاره لمحاولة فرض اى وصاية على الشعب العربي الفلسطيني ، فهو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصير وطنه ، ان ذلك لا يعنى عجز النضال الفلسطيني عن حركة التحرر العربية ، وانما يعنى ضمان الاستقلالية للعمل الفلسطيني وعدم الوصاية عليه .

● يحيي المؤتمر ثورتى السودان وليبيا ، ويعرب عن ايمانه بان هاتين الثورتين العظيمتين قد اضافتا للجهد العربي قوة كبيرة في مواجهة العدو والمخططات الامبريالية بالمنطقة .

● ان الوحدة العربية أمل يراود الجماهير العربية ، وهى قوة في وجه العدوان ، ولذا فان المؤتمر يؤيد الخطوات التي تتخذ الان لاقامة جبهة عربية موحدة بين مصر وليبيا والسودان ، مع مراعاة الدروس المستفادة من التجارب الوحدوية السابقة ، كما يطالب المؤتمر بوحدة القوى الثورية العربية لمواجهة الخطر الذى يهدد وجود الامة العربية باسرها ولدفع حركة التحرر الوطني الى الامام .

● يؤكد المؤتمر الاهمية القصوى للتنسيق العســــكرى والسياسى لدول خط المواجهة ، ولذا فان المؤتمر يطالب ان يصل هذا التنسيق الى اقصى حد فعال لمواجهة المعركـــة المصيرية مع العدو ، كما يستنكر المؤتمر القوى التي تحول دون وضع هذا التنسيق موضع التنفيذ فعلا .

● يستنكر المؤتمر مؤامرات القوى الرجعية الحاكمة في ايران بتهجير ايرانيين الى الخليج العربي بهدف القضاء على عروبته ، وتدعيما للوجود الامبريالى هناك ، كما يطالب المؤتمر الدول العربية بصد هذا الخطر ، ومن جهة اخرى يستنكر المؤتمر المخطط الايرانى الاستعمارى ضد بعض الدول العربية .

● يناشد المؤتمر الدول العربية انهاء خلافاتها بالاتصال الثنائى ، او من خلال جامعة الدول العربية ، حقنا للدماء العربية ولتفويت الفرص على الاستعمار واسرائيل في استغلال هذه الخلافات .

ثالثا : في مجال السياسة الخارجية :

● يعرب المؤتمر عن تقديره وشكره العميق للاتحـــاد السوفيتى حكومة وحزبا وشعبا لوقفته الى جانب شعوب الامة العربية ماديا ومعنويا ، كما يتمنى للصداقة العربية السوفيتية مزيدا من الازدهار والتوطيد لما فيه خدمة قضايا النضال ضد الامبريالية ، والتقدم الاجتماعى في وطننا .

● يعرب المؤتمر عن شكره العميق للدول الاشتراكية الاخرى ، وكذلك كل الدول الصديقة عامة ، لما قدمته من دعم مادى ومعنوى للشعب العربي ، كما يتمنى لصداقتنا مع هذه الدول مزيدا من التقدم .

● يشيد المؤتمر ويحيي موقف فرنسا من قضية ازالة آثار العدوان ، كما يتمنى المؤتمر توثيق العلاقات مع الشـــعب الفرنسى .

● يستنكر المؤتمر الدعـــم الامريكى والالمـــانى الغــربى والانجليزى السافر لاسرائيل بالمال والسلاح والخبراء ، كما يستنكر بشدة القرار الامريكى بالسماح للمواطنين الامريكيين بالخدمة في الجيش الاسرائيلى ضد شعوب الوطن العربي .

● يحيي المؤتمر النضال البطولى للشعب الفيتنامى ، ويعلن عن الثقة التامة في أن النصر في النهاية للشـــــعب الفيتنامى البطل ، والهزيمة والعار للامبريالية الامريكية وعملائها .

● يؤيد المؤتمر نضال الشعوب الافريقية التي ما تزال ترزح تحت نير الامبريالية والعنصرية الفاشية .

● يستنكر المؤتمر بشدة المخططات والمؤامرات المدبرة من قبل الامبريالية العالمية وعلى راسها الولايات المتحـــدة الامريكية ، ضد شعوب آسيا وافريقيا واليونان وامريكا اللاتينية .

●

دور المسرح في الظروف الراهنة

حول الدور الذى يمكن أن يؤديه المسرح في اطار فهم واقع بلادنا ومتطلباته ، كتب المواطن **محمود عوضـــين — قصر الثقافة بالمنصـــورة والعامل بالتثقيف الريفي** — يقول :

ان الواجب ، يقتضينا ، أكثر من أى وقت مضى ، ان نعمل بكل جهد ، وبكل اخلاص ، حتى يتحول المسرح ، الى أداة « فعلية » للنضال الفكرى من أجل الحرية والاشتراكية والتقدم . وذلك ، لن

يتأتى ، بغير أن ينزل المسرح من عليائه ، ليتجول في الريف ، وفي المدن الصغيرة ، حيث السواد الاعظم من شعبنا العامل •

اكتب هذه الدعوة اليوم ، وماثل في ذهنى « التجربة الرائدة » التى شارك فيها المسرح القومى ، خلال الايام الماضية ، بتقديم مسرحية « عيلة الدوغرى » فى أربع من قرى الجيزة (آخرها قرية طموه) وذلك فى نطاق مشروع « التثقيف الريفى » الذى تنظمه « الثقافة الجماهيرية » فى هذه القرى ، تمهيدا لشق طريق جديد للعمل الثقافى الذى يستهدف احتياجات الشعب •

فالنجاح العظيم ، الذى تحقق لعرض المسرح القومى ، بقرية « طموه » حيث شاهده بضعة آلاف من الفلاحين ، قد أكد بما لا يدع مجالا لشك ، تعاظم قيمة المسرح كأداة للتوعية والتثقيف •

وانتقال المسرح القومى ، للقرية المصرية ، نقطة تحول هامة ، وطفرة عظمى ، فى التاريخ الفنى لبلدنا العريق ، وتعمق الاثر الكبير الذى نحسه فى صفوف الجماهير من خلال المسرح • انها ، بحق ، تجربة تستحق الحماية ، والسير معها حتى النهاية ، وتستأهل الدفاع عنها بكل قوة ، حتى تبلغ قمة النجاح •

ان « **طموه** » القرية الصغيرة ، البعيدة عن المدينة باستجابتها الرائعة ، لعرض المسرح القومى فيها ، بالهدوء والتتبع الواعى ، أعطت مثالا حيا ، للنظام والتنظيم ، وأكدت أن الريف المصرى ، الذى طال حرمانه من العمل الثقافى المنظم ، « أولى » الاماكن ، بانتقال المسرح اليه ، ليؤدى دوره كأداة تصنع التغيير ، وتحدث التقدم ، كما دللت ايضا على أن الفلاح المصرى « ابن » حضارة خمسة الآلاف عام ، على درجة من الوعى تمكنه من استيعاب ما يقدم على خشبة المسرح ، ويصبح من « الجرم » حاليا ، أن يستمر حرمان الجماهير الفلاحية من مشاهدة المسرح •

هذه دعوة مخلصة وأمينة ، أوجهها للقائمين على امر المسرح ، وأملى أن تلقى الاستجابة الجادة من كل المهتمين بالثقافة ، والعاملين فى مجال التنمية الفكرية فى بلدنا • فلم يعد ينبغى ، أن يبقى المسرح حبيسا ومتقوقعا فى « قلاعه » بالعاصمة ، بل يجب أن ينتقل الى جماهيرنا ، فى القرى والكفور والنجوع والمصانع • وعندئذ سوف نكون قادرين على احداث تغيير أكبر وأعمق •

ان الذى يضاعف من أهمية هذا المطلب ، قدرة المسرح على تكثيف المواقف المختلفة ، وابرازها فى صورة حية وملموسة ، مما يكسبه امكانية التأثير الفعال ، ويجعله فى الصدارة من أدوات التوجيه والتوعية والتثقيف •

ولهذا ، ومن أجل « اشتراكية الثقافة » يجب الا يظل المسرح طافيا فوق السطح •

●

بيان من وحدة الحنفى

وجاءنا من وحدة الحنفى لمنظمة الشباب ـ الاتحاد الاشتراكى ، بيانا جاء فيه :

فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات تآمرت قوى الامبريالية والاستعمار والصهيونية العالمية على مسيرة وتقدم الشعب العربى المناضل : لتعوق انطلاقاته نحو تحقيق اهدافه فى بناء الاشتراكية والديمقراطية والتقدم العلمى . ولم تكتف بمساندة العدوان الغاشم علينا . بل اسهمت بما قدمته من دعم مادى وبشرى والعمل على حماية العدوان من الادانة السياسية والعسكرية ولكن شعبنا العربى صمم على تحرير ارضه مهما كانت التضحيات . فطريق الحرية مفروش بالدم وستبقى بلادنا دائما مقبرة للغزاة والطامعين . وسنثأر لدم شهدائنا الابرار . . .

يا جماهير شعبنا العظيم . . .

كانت اهداف عدوان يونيو القضاء على ثورتنا الاشتراكية وتحطيم الروح المعنوية لشعبنا البطل وان يملأ نفوسنا باليأس والقنوط ، حتى نعلن استسلامنا له ، ولكن جماهير شعبنا الواعى ادركت المخطط الاستعمارى ، وخرجت لتعلن للعالم اجمع اصرارها على رفض الهزيمة ورفض الاستسلام ، والمضى فى طريق النضال ، وكانت ارادة الجماهير فوق كل قوة . . .

يا جماهير شعبنا العريق . . .

لقد مرت على شعبنا العظيم ظروف قاسية واستعمل الاستعمار سمومه بالتشكيك فى قدرتنا وفى قيادتنا ولكن تماسك الشعب وصموده استطاع ان يحقق شبه المعجزات ، واصبحت جبهتنا الداخلية اكثر صلابة ، وقواتنا المسلحة اصبحت تملك زمام المبادرة ، واثبتت جماهير شعبنا انها على استعداد للتضحية والبذل والعطاء من اجل كرامة الوطن وحريته . . .

ان الانتصار فى معركة لا يعنى ابدا كسب الحرب ، واستقراء التاريخ يؤكد هذه الحقيقة .

فمزيدا من التماسك والصلابة . . . وعلى طريق النضال والنصر . . .

الاتحاد الاشتراكى العربى

منظمة الشباب الاشتراكى

وحدة الحنفى

ملف
خاص



بنك مصر
نصف قرن من العمل لبناء اقتصاد وطنى

إعداد : د. عبد الرازق حسن

خمسون سنة مرت على انشاء بنك مصر : أول مؤسسة اقتصادية قومية ، واجهت التحدى الاستعمارى بشجاعة وكفاية ، وكانت تعبيرا صادقا عن آمال الشعب المصرى الذى ثار سنة ١٩١٩ ، وعنوانا لمدى فاعلية الرأسمالية الوطنية فى مرحلة التحرر الوطنى ، كانت الخمسون سنة التى عاشها بنك مصر مليئة بالحركة ، تعكس الاوضاع العامة التى عاشتها مصر فى تحولها الى الرأسمالية ، وتحولها عنها ، وسيرها أخيرا فى الطريق نحو الاشتراكية ، سنوات كانت مليئة بالصراعات ، والتناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، تركت آثارها العميقة فى حياتنا العامة ، وبالتالى فى تكوين هذه المؤسسة وطريقة ادارتها ومزاولتها لنشاطها .

ولسنا فى مجال استعراض الاوضاع العامة للمجتمع المصرى ، وتطورها فى نصف قرن ، ولكنا سنجتزىء فى دراستنا ببعض السمات البارزة لهذه الاوضاع من خلال تحليلنا لبنك مصر ، الذى يعتبر اصدق ممثل للرأسمالية الوطنية وأسلوبها فى العمل ، وقدرتها على الحركة والتطور ، ونظرتها للرأسمالية الاجنبية واهدافها النهائية .

تكوين بنك مصر

كانت ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة طبيعية للتراكمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تلت الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢ ، وما نتج عنه من استعباد لمصر ، وربطها بعجلة الامبراطورية ، وكبت لطاقاتها العاملة ، وخلخلة لقدراتها وتطورها الاقتصادى والاجتماعى .

وقد وفد راس المال الاجنبى الى مصر فى مرحلة من مراحل الازمة التى واجهها فى بلاده ، وأدت الى كساد كبير ، وخلافات شديدة مع نقابات العمال التى اشتد عودها فى ذلك الوقت ، وكان هدف راس المال الاجنبى فى مصر ، وغيرها من البلاد الافريقية أو امريكا اللاتينية أو استراليا ، هو اقامة مزارع للمواد الخام ، وفتح اسواق رحبة للمنتجات النهائية ، فتحولت مصر الى مزرعة للقطن ، وسوق مفتوحة للسلع الاستهلاكية الاجنبية ، واصبحت المراكز الاقتصادية حلها ـ ان لم يكن كلها ـ فى يد الاجانب ، من بنوك الى شركات تأمين ، الى وكالات تجارية ، الى مشروعات المرافق العامة (مياه ونور وترام وسكك حديدية) الى استصلاح اراضى الخ . .

زرعت مصر القطن واصبح محصولها الرئيسى يكون اكثر من ٨٥٪ من تجارتها الخارجية ، ومع ذلك لم يكن لها يد فى تحديد سعره ، وكان يتولى تمويل المحصول ، وتسويقه وحلجه وكبسه وتصديره ، عناصر أجنبية ، وكانت عملية النقل والتامين يقوم بها الاجانب ، ليعود لنا منسوجات مطبوعة فى الخارج .

وكانت البنوك القائمة فى البلاد وكلها اجنبية تقصر عملها على كبار التجار والملاك ، تاركة الصغار منهمتحت رحمة المرابين ،وامتلأت التقارير بالنتائج المدمرة لهذه الحال ، حتى **لورد كرومر** ، ممثل الاستعمار العتيد يشير الى حالات بشعة من الاستغلال الذى كان يحميه القانون ، فيذكر مثلا قصة المزارع الذى اقترض عشرة جنيهات ، وامضى مقابلها صكوكا بخمسة عشر جنيها ، سددها على ثلاث سنوات ، غير ان عدم استرداده للصكوك أدى الى بيعه لداره ، وسداد قيمة الصكوك مرة اخرى ، مضافا اليها ستة عشر جنيها كمصاريف لنقل الملكية ، اى ان المدين تحمل ستة واربعين جنيها مقابل عشرة جنيهات فى مدى ثلاث سنوات .

ويشير كرومر فى تقرير له سنة ١٩٠٥ الى حالة مصر فى مدى عشر سنوات فيقول « ان الشوارع التى كانت مزدحمة بالصناع من غزالين وعقادين وصباغين واساكفة وصاغة وعطارين ونحاسين وسروجيةوصانعى مناخل واقفال . . الخ . قد اندثرت وقام على اطلالها قهاوى ودكاكين صغيرة ملآنة ببضائع أوربية » .

وكان اصحاب الاموال من المصريين يحسون بخطورة التغلغل الاجنبى ، لهذا فكر بعضهم فى اواخر عهد اسماعيل فى انشاء بنك وطنى ، وتلتهم مجموعة اخرى عقب ازمة سنة ١٩٠٧ غير ان مجهوداتهم لم يصبها النجاح ، ويشير **طلعت حرب** فى كتاب له بعنوان « **علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين** » الصادر فى نوفمبر سنة ١٩١١ ، الى انه « مازالت الحاجة الى انشاء مصرف مصرى حقيقى يعمل بجانب المصارف الموجودة الان فى مصر ، يمد يد المساعدة للمصريين ، ويحثهم على الدخول فى ابواب الصناعة والتجارة ، يحرضهم على الاقتصاد والاستفادة من الاعمال المالية يزداد يوما بعد يوم .. ويؤكد اننا « لسنا والحمد لله فقراء فى المال ، فان للمصريين فى البنوك نقودا وودائع لا غلة لها ، تكفى من اليوم لان تكون رأس مال لبنك مصرى محترم » .

كانت أغلب الاستثمارات فى شركات المساهمة او الدين العام فى يد الاجانب ، وتراوحت هذه النسبة بين ٧٠ ٪ ، ٩٠ ٪ وما يعنيه ذلك من تدفق مجهود المصريين لدفع ارباح وفوائد ضخمة ، تخرج من البلاد مفقره لها مضعفة لامكانياتها .

وقد حسمت الحرب العالمية الاولى حدة التناقضات بين مصر ومستغليها ، وكانت ثورة سنة ١٩١٩ مفجرة لهذه التناقضات ، وطالب المصريون بالاستقلال ، وحقهم فى تسيير أمورهم وشئونهم ، وكشفت الثورة ايضا عن تباين المصالح بين الرأسمالية الوطنية النامية ، والرأسمالية الاجنبية المتحكمة فى البلاد ، ويعبر طلعت حرب فى كلمة له ممثلا لمجموعة من التجار فى حفل تكريم ، اعضاء الوفد المصرى « طلبنا الاستقلال لنصبح احرارا فى بلادنا ، نحيك ثيابنا على قدر اجسامنا ، ونرسم الاوضاع المناسبة لنا ولبلادنا واخلاقنا وعاداتنا » .

كان الاندفاع الثورى فرصة مواتية للرأسمالية الوطنية لكى تنطلق من عقالها ، وتحقق املها الكبير فى انشاء بنك لها ، باعتبار أن هذا البنك هو تدعيم لها ، وتمكين لطاقتها من أن تتحرك ، وتحدث التغيير الذى نرجوه فى مختلف مجالات الاقتصاد القومى .

اجتمع سبعة من اصحاب الاموال الوطنيين ، وقرروا انشاء بنك مصرى فى ادارته ، مصرى برأسماله ، وكان رأس المال متواضعا اذ لم يتعد

٨٠٠٠٠ جنيه ، ودعوا المتصلين بهم للاكتتاب فيه ، ولم يزد عدد المساهمين وقتذاك عن ١٢٥ ولم يتجاوز نصيب اكبر المساهمين وهو **عبد العظيم المصرى** ٤٠٠٠ جنيه ، وكانت مساهمة ادناهم ١٠٠ جنيه ، وساهم طلعت حرب بما قيمته ٢٠٠٠ جنيه ، وكان المساهمون يضمون مجموعة ممن لعبوا دورا له اهميته سواء فى السياسة او الاقتصاد أو المسائل العامة لفترة طويلة ، أمثال **عدلى يكن ، وعلى ماهر ، وكامل صدقى ، ونجيب اسكندر ، ورشوان محفوظ ، وطلعت حرب ، وفؤاد سلطان ، والشيتى ، واسلام ، وشيكوريل ، واحمد شوقى ، ودكتور على ابراهيم ، ودكتور محمد ناجى ، وعبد الرحمن الرافعى .**

وقد واجه انشاء البنك الكثير من النقد والاستخفاف ، الذى تركز حول بعض المسائل ، مثل اعتبار قصر المساهمة فيه على المصريين كنوع من التعصب والتأخر ، وانه ليس فى مصر من يصلح للاعمال المصرفية ، وان قلة المساهمات يكشف عدم استعداد المصريين لمزاولة الاعمال الاقتصادية .

وقد تولى طلعت حرب الرد على هذه الاتهامات ، وكان فى رده واضحا صريحا ، فذكر ان البنوك الاجنبية كثيرة فى البلاد ، وما تحتاج اليه مصر ، انما هو بنك برأسمال اهلى يعمل لمصر ، ولمصلحة مصر ، وذلك حتى لا يتسلط الاجانب على مرافق البلاد الحيوية ، ويشير الى ان مبدأ قصر بعض انواع النشاط على المواطنين ليس بدعا ، وانما تأخذ به فرنسا وأمريكا وسويسرا وبريطانيا واليابان ، أما عن الجهل بالنشاط المصرفى ، فيرى انه لابد ان يتحمل احد نتيجة جهل المصريين ، اما القول بأن قصر المساهمة على المصريين سيحد من التعامل فى الاسهم ، فان فى ذلك مصلحة ، لانه يحد من التلاعب بها فى سوق الاوراق المالية وبالتالى يحول دون تقلبات السعر ، والمفروض ان المساهمة ليست للمضاربات ، اما عن القول بانه ليس فى مصر من يصلح لاعمال البنوك ، فان ذلك لا يرجع الى المصريين ابتداء، وان كانت قلة صالحة لذلك تستعمل ، وسنعمل على زيادتها، وتعديل مناهج الدراسة لجعلها وافية بتخريج الاكفاء لتولى المناصب التى يستغنى فيها عن الاجانب ، وللرد على الافتراء الخاص بعدم صلاحية المصريين للقيام بالاعمال الاقتصادية ، فيقول ، انه لا توجد أمة تولد عالمة ، مستعدة بفطرتها ، وتأتى الخبرة بالممارسة ، كما انه ليس هناك عيب فى أن المساهمين فى البنك ليسوا من الكبار ، لانه ليس من المفروض ان يكون البنك ملكا لبضعة اشخاص .

ويمضى طلعت حرب موضحا اهداف البنك ، ذاكرا ان هناك اموالا مكتنزة ، يريد ان يجذبها للنشاط الاقتصادى وليعمل على تشجيع المشروعات الاقتصادية التى تعود على البلاد بالربح ، ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وشركات النقل بالبر والبحر وشركات التأمين ، « وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت فى شئونها المالية ، يدافع عن مصالحها ، كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها . ولا يتأثر بالاشاعات ، فلا يقفل بابه عن الناس لاقل اشارة ترد اليه من الخارج ، بسبب وبلا سبب » .. وكونه بنكا مصريا لا يعنى انه سيكون جمعية خيرية ، أو ملجأ للعاطلين ، لان ضالته ترقية الشئون المصرية وتنظيم الحركة الاقتصادية بالبلاد ، وبث روح العمل والتعاون والتضامن فى الشبيبة ، وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم .

بنك مصر فى حركة

كان انشاء البنك فيه الكثير من التحدى ، لضعف امكانياته المادية والبشرية ، ولعدم استقرار اوضاع البلاد السياسية والاقتصادية .. فرأس المال الذى بدأ به البنك كما رأينا صغير الى حد كبير ، كما حدث الازمة التى كانت قائمة وقتذاك من تغطية الاكتتاب الذى كان مرجوا فى رأس المال ، اذ لم يغط فى السنة الاولى غير حوالى ٢٣٪ مما قدر ، وبدأ البنك ببعض المصريين الذين سبق لهم الاشتغال بالبنوك وانضم اليهم مجموعة من خريجى مدارس التجارة العليا والمتوسطة ، لم يزيدوا فى مجموعهم عن ٣٣ .

ومع ذلك فقد ظهر أثر البنك منذ اللحظة الاولى من انشائه ، فقد كان هبوط اسعار القطن والاوراق المالية سببا فى قبض البنوك يدها عن الاقراض ، ويذكر بنك مصر فى تقريره السنوى فى مارس سنة ١٩٢١ ، انه « كان فى مقدور الحكومة ان تقضى عليها [الازمة] فى الوقت المناسب ، بل كان فى مقدور النظام المصرفى اذا كان لها بنوك اهلية — بمعنى الكلمة — قوية تعمل ما تعمله كل البنوك الاهلية فى بلادها ، بأن توقف تيار الازمة .

وبالرغم من هذه الصعوبات ، فقد سار البنك فى طريقه ، بالشحنة الوطنية الدافعة ، والاخلاص الواضح فى الرسالة ، ويقدم البنك نصيحته للمواطنين فيقول « واملنا أن يخرج مواطنونا من هذه الازمة بالعظات والعبر ، وان يستفيدوا من دروسها ، فينظموا صفوفهم ويلجوا باب

الاستقلال الاقتصادى ، ويستثمروا اموالهم فى مرافق بلادهم الحيوية .. ويرصدوا الشركات الاجنبية التى يشكون فى تصرفاتها .

ويشير تقرير مراقبى الحسابات فى السنوات الاولى للبنك ، ان **طلعت حرب وفؤاد سلطان** وكانا عمادى البنك « لم يتناولا من أموال البنك اى مرتب ، او اجر ، ولم يستردا من أموال البنك اى نفقة من نفقات السفر والانتقال التى انفقاها فى شئون البنك » كما اشاروا ايضا الى ان اعضاء مجلس الادارة لم يتناولوا بدل الحضور المقرر لجلسات المجلس .

وما ان انفرجت الازمة الاقتصادية حتى وجدنا اندفاعا نحو المساهمة فى البنك ، حتى اصبح رأس المال مليون جنيه بعد ٧ سنوات من انشائه وقد كان كفيلا بالتقدير ، اذ اصبح البنك هو الممول الاول لمحصول القطن بعد ٥ سنوات فقط من انشائه ، وزادت أرقام ودائعه بشكل ملحوظ وبدأ فى تنفيذ سياسته الاقتصادية ، تلك السياسة التى راودت الرأسمالية الوطنية منذ أوائل القرن وهى اقامة جهاز اقتصادى متين يعمل فى مختلف المجالات ، وذلك بانشاء مجموعة من الشركات بدأت فى سنة ١٩٢٢ ، بمطبعة مصر ، وانتهت فى سنة ١٩٤٠ بشركة مصر للمستحضرات الطبية بلغت فى مجموعها ٢٢ شركة ، وذلك بالاضافة الى الشركة العقارية المصرية التى مصرت ، وانشاء بنكين فى سوريا ولبنان وفى فرنسا .

كان القطن نقطة ارتكاز اساسية فى استثمارات البنك ، الذى اهتم رواده بان يكون أمره فى يد المصريين ، فتكونت مجموعة من شركات البنك لحلج القطن وتصديره ، ونقله ، وغزله ونسجه وصباغته وتسويق منتجاته ، والى جانب هذه المجموعة القطنية ، غزل ونسج الحرير الصناعى والكتان ، وكان البنك ممعنا فى التفاؤل ، مدركا لاهمية وجوده فى مختلف المجالات الاقتصادية ، فأقام شركات للورق والسجاير والجلود وتصنيع الزيت ، والاسمنت المسلح ، والسياحة ، والتأمين واندفع فى مجالات لها اهميتها ، وان كان الربح فيها غير مضمون كالملاحة البحرية ، وصيد الاسماك والمناجم والسينما .

وقد نجحت اغلب مشروعات البنك ، لاسيما ما اتصل منها بالصناعة القطنية ، او الحرير الصناعى ، او بالتأمين ، وكانت هذه المشروعات هى الاساس الصناعى لمصر فى الفترة بين الحربين وان كانت بعض المشروعات لم يصبها التوفيق ، فلم تستمر طويلا كالورق والدخان ومصايد الاسماك وتصنيع الكتان ، وعاونت الحكومة بعضها باعتبارها مرافق لها طبيعة عامة كالطيران والنقل البحرى ، وكان نجاح المناجم والسينما محدودا للغاية ، ويبدو كما لو ان كان يهدف الى امكان العمل فيها .

وقد كانت ثقة البنك بخطته كبيرة ، وقبيل الازمة العالمية التى هزت العالم فى خريف سنة ١٩٢٩ ، واستمرت لعدة سنوات ، اصابنا منها الكثير ، تقدم البنك بتقرير قيم لوزير المالية عن « **انشاء الصناعات الاهلية ، وتنظيم التسليف الصناعي — مشروع بنك صناعى مصرى** » ويبدو ان هذا التقرير كان استكمالا لتقرير سابق تقدم به عضوان من مجلس ادارة البنك هما طلعت حرب ويوسف اصلان قطاوى للجنة الصناعة والتجارة ، التى شكلت سنة ١٩١٦ لدراسة ظروف الصناعة فى مصر ، وكان ذلك التقرير يتضمن دراسة للصناعة والتجارة الالمانية والنمساوية ، وكيف قوى شأنها ، وأمكنها مواجهة المنافسة الكبيرة للرأسمالية الانجليزية والفرنسية التى سبقتها فى ميدان الصناعة .

وتضمن تقرير انشاء الصناعات الاهلية سالف الذكر آمال الرأسمالية الوطنية ، فى اقامة صرح صناعى قوى متين ، مبينين انواع الصناعات والشركات الواجب اقامتها واهمية وضع برنامج قومى ، وضرورة اشراك الحكومة فى تكوين رأس مال المشروعات الجديدة ، واعداد الكفايات اللازمة لتحقيق هذا الهدف ، واهتم التقرير بالكلام عن تجارب الكثير من الدول فى مجال التصنيع والائتمان الصناعى كألمانيا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا ، بل وما قامت به رومانيا وتركيا واليونان ايضا فى هذا المجال .

وقد انشأ البنك شبكة من الفروع لتدعيم نشاطه ، وخدمة الشركات التى انشأها ، وذلك بالاضافة الى بنك مصر — فرنسا الذى انشىء سنة ١٩٢٦ ، وبنك مصر — سوريا ولبنان سنة ١٩٢٩ ، ومجموعة ضخمة من المراسلين فى اغلب البلاد الصناعية الكبرى والعربية .

بنك مصر بين معونة

الدولة والتعاون الاجنبي

كان بنك مصر يدرك ان قدرته ، او بمعنى أدق قدرة الرأسمالية الوطنية على العمل فى السوق الحرة ، او بدون معاونة الحكومة أمر مستحيل فى ظروف العالم المعاصر ، وكان يدرك ان المنافسة بين المشروعات السياسية لا يمكن الاخذ بهـا .

وبالرجوع الى تقرير انشاء الصناعات الاهلية نجده يركز على اهمية وجود نظام جمركى يسمح للصناعة بالنمو والتطور ، وضرورة اشتراك الحكومة حتى تتمكن المشروعات من العمل بكفاية فيذكر التقرير انه « كان من النظريات الاقتصادية المقررة قبل الحرب ، نظرية تقضى بوجوب ابتعاد الدولة عن مزاولة الاعمال الصناعية والتجارية . وقد جاءت الحرب العالمية الاخيرة فقضت ضرورتها باتخاذ تدابير عاجلة تناقض هذه النظريات .. » «واننا نحسب مصر من البلاد التى لا يصح ان تطبق عليها النظرية القائلة بوجوب ابتعاد الدولة عن مزاولة الشئون الصناعية والتجارية بذاتها، ولسنا فى هذا ندعوها الى مزاولة هذه الشئون كما يزاولها الفرد أو الجماعة ، انما ندعوها الى مزاولتها داخل حدود معينة... اهمها ان تكون هذه المزاولة مؤقتة حتى تتسع ملكية التوفير فى البلاد وتقوى قدرة ابنائها المالية على الحلول محل الدولة فى الاعمال الصناعية » .

ويحدد التقرير الاسباب التى تسبغ اشتراك الدولة فى الاعمال الصناعية فيذكرها فى النقاط الاتيـــة :

- ان احتياجات البلاد الى الاعمال الصناعية كثيرة ، وقدرة البلاد على التوفير محدودة ، وتؤدى مشاركة الدولة فيها الى تحقيقها فى زمن اقل من مجهود الافراد .

- ان الاسراع فى تحقيق احتياجات البلاد يفتح ابوابا للعمل للمواطنين .

- ان احياء الصناعة يخلق التوازن المطلوب فى عملية الانتاج .

- ان الرفاهيـــة العـــامة التى تترتب على الصناعة تعود على المجتمع ككل .

- ان تراكم الاحتياطى العام للدولة ليس علامة رخاء ، والافضل استغلاله .

غير ان تدخل الدولة لم يكن بالامر اليسير فى الظروف القـــائمة فى ذلك الوقت ، واكتفى بالاتى :

ـــ اعفـــاء شركة مصر للغزل والنسيج من الرسوم الجمركية على ما استوردته من آلات وكان ذلك قبل التعديل الجمركى الذى تم فى فبراير سنة ١٩٣٠ .

ـــ الغاء الضريبة التى كانت مفروضة على انتاج الانوال الميكانيكية ، والتى كان الهدف منها مساواة المنتجات المحلية بالاجنبية ، ليخلو الجو للاخيرة .

ـــ اصدار قرار بتفضيل المنتجات المصرية على الاجنبية ولو زادت قيمتها بنسبة ١٠٪ ، وذلك فى المناقصات الحكومية .

ـــ استخدام الرسوم الجمركية كوسيلة لحماية الصناعة ، وافادت من ذلك صـــناعة الغزل والنسيج بالذات سنة ١٩٣٠ ، وفرض ضريبة خاصة لمواجهة الاغراق وخفض قيمة النقد الذى قامت به اليابان سنة ١٩٣٥ .

ـــ تقديم اعانة حكومية لبعض المشروعات التى قام بها البنك ، مثل الحصول على جزء من مخزون الحكومة من القطن بسعر اقل من سعر السوق وتقـــديم اعانة مباشرة لشركتى الطيران والنقل البحرى تتناسب مع حركتها ، وباعتبار ان هـــذه المرافق تهم الدولة .

ولم تكن معونات الحـــكومة المبـــاشرة وغير المباشرة كافية لمواجهة المشـــاكل المترتبة على الدخول فى مضمار المشروعات الاقتصادية الكبيرة التى تحتاج الى راس مال ضخم ، او خبرة خاصة او سوق ذات اتساع معين ، لهذا نجد البنك ـــ ولو انه اعتمد اساسا على راس المال المصرى والادارة المصرية ، لا يجد مندوحة عن التعاون مع الاجانب كلما كان فى ذلك مصلحة .

وكانت مهمة البنك فى المبدأ سهلة حينما كانت رؤوس اموال الشركات المنشأة صغيرة وانتاجها محدودا ، وهو ما ظهر بالنسبة لمختلف المشروعات التى انشئت حتى سنة ١٩٣٠ ، التى كانت رؤوس اموالها تتراوح بين ٥٠٠٠ جنيه لمطبعة مصر ، ٤٠٫٠٠٠ جنيه للنقل والملاحة ، وذلك باستثناء شركة الغـــزل والنسج التى كان راســـمالها ٣٠٠٫٠٠٠ جنيه .

ويبرر طلعت حرب التعاون مع الاجانب عند اتفاقة مع **جولدمان** لتمصير شركة تصدير الاقطان « بأنه اذا اعتمد على مجهود المصريين وحدهم فى بداية الامر ، فقد تنقصهم التجربة الواجبة وقد يدفعون فى سبيل الحصول عليها ثمنا غاليا . ولهذا فضل ان يتفق مع جماعة ، ولو لم تكن مصرية الا انها ذات تجربة ، تحت شرط ان تكون بحالة من الافكار قابلة للتلاقى مع افكار (بنك مصر) » . وظهور هذه الشركة يقدم اول شاهد ظاهر بأن بنك مصر « لا يمتنع عن الاشتراك مع غير المصريين فى اى عمل من الاعمال ، ماداموا يعملون على قدم المساواة والاحترام المتبادل مع المصريين ، وماداموا يرضون بجعل المصرى يتمتع بحصـــة

المشروع فى الاعمال ، ويقبلون ان يكون صالح البلاد المصرية مقدما على أى صالح كان » .

ويشير طلعت حرب الى عملية اختيار « **ريتشارد ادلر** » مستشارا للبنك فيقول : « ان شعار البنك ان اليد العليا لادارة البنك وسياسته ستبقى مصرية .. »

ونذكر فى الاتى صورة من التعاون فى مجال المشروعات بين بنك مصر والاجانب :

● الاتفاق مع مجموعة من الالمان الخبراء فى عمليات الصيد الحديث والصناعات المتصلة بها ، ومنح توكيل شركة المصائد لادو باتينو الايطالى .

● اتفاق مصر للطيران مع شركة طيران هستون بانجلترا .

● اتفاقية تكوين شركة مصر للتأمين بالتفاهم مع شركتى بورنج الانجليزية وتريستا الايطالية للتأمين .

● التعاون بين شركة مصر للسياحة وشركة كوكس اندكنج الانجليزية .

● التعاون بين شركة المساجيرى ماريتيم الفرنسية وشركة مصر للملاحة البحرية .

● اتفاق المساهمين فى شركتى كفر الدوار وصباغى البيضا ، مع صباغى برادفورد وحصول البنك فى الشركة الاولى على ٨٠٪ من الاسهم مقابل حصول الثانية على ٢٠٪ ، والعكس بالنسبة للشركة الثانية .

غير ان هذا التعاون يجب الا يلتبس لدينا ، مما يؤدى الى الخلط بين دور الرأسمالية الوطنية التى كان يمثلها بنك مصر ، وقطاع من الرأسمالية المحلية الذى كان يلقى بقياده للرأسمالية الاجنبية ولم يكن له من دور الا الحصول على بعض أرباح استغلالها ، والعمل على أن يكون بمثابة الستار لها مستغلا الاتجاه الوطنى ، فى تفضيل كل ما هو مصرى ، أو يدخل فى المشروع باسم مصرى . والامثلة على هذه الفئة كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر **اسماعيل صدقى وأحمد عبود وعلى يحيى ومحمد فرغلى وأحمد زيور** الذين كانوا يعملون لحساب مجموعة من الشركات الاجنبية العاملة فى استصلاح الاراضى أو توزيع أراضى البناء ، وشركات التأمين ، والاقطان والمقاولات ، والمرافق العامة ، وارتبط كل اسم من الاسماء السابقة بمجموعة أو أخرى من تلك الشركات المستغلة .

ازمة الرأسمالية الوطنية

أو ازمة بنك مصر

كان المجتمع المصرى قبل الحرب العالمية الثانية يموج بالحركة ، وتؤذن الظروف باحتمال تغيير كبير لمواجهة المطالب المتزايدة للسكان الذين كان يتضخم عددهم سنة بعد اخرى ، ولا تكفى المشروعات العامة لمواجهتها .

كانت هناك مطالب عامة ملحة بكهربة خزان اسوان ، وانشاء صناعة للحديد والصلب ، والكيماويات ، واشتد النداء بضرورة تأميم قناة السويس ، وتحويل بنك مصر الى بنك الدولة ، واعتباره هو البنك المركزى، حتى لا تتكرر مهزلة الارصدة الاسترلينية فى الحرب العالمية الاولى، لو ترك الحبل على الغارب ، للبنك الاهلى المصرى ، الذى كانت بريطانيا تسيطر على ادارته فى ذلك الوقت .

كان من الواضح أن الراسمالية الوطنية فى تناقض مع الرأسمالية الاحتكارية الاجنبية ، وكان من الواضح أن التزاوج الذى تم فى الثلاثينات لايمكن أن يستمر فى أبعد من الحدود المرسومة له ، وكانت القوى الاستعمارية تخشى عند قيام الحرب العالمية الثانية أن تلعب الرأسمالية الوطنية المصرية دورا يضر بمصالحها ، ومما زاد الامر حدة أن دور هذه الرأسمالية قد كشف بوضوح دور الرأسمالية الكمبرادورية .

كان من السهل القضاء على مشروع كهربة خزان أسوان والمشروعات الملحقة ، باحداث مشكلة سياسية نذكر كيف أدت الى تفكك أكبر حزب كان قائما فى ذلك الوقت وهو الوفد ، وقدمت بعض التنازلات بالنسبة لشركة قناة السويس، ولم يكن هناك مفر لضرب بنك مصر، لضمان سير الرأسمالية فى ركاب الاستعمار ، وكانت المؤامرة .. فبعد قيام الحرب ، سحبت الحكومة المصرية قدرا كبيرا من أرصدتها فى البنك ، وقروضها من صندوق توفير البريد ، وكان معنى ذلك نقص الارصدة السائلة ، ووجد البنك أن الظروف العامة ، واضطراب السوق تحول دون غرض لحفظة أوراقه المالية البالغ قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات للبيع فى البورصة ، لان ذلك كان يعنى انهيار السوق، واثارة المتاعب للشركات التى يشترك البنك فى رأسمالها ، فاخذ الاتجاه الطبيعى وهو البنك الاهلى المصرى وقدم

له هذه المحفظة طالبا الاقتراض عليها ، وكانت المحفظة تضم فى جزئها الاكبر ســندات على الخزانة ، وسندات للدين العام .

ولكن يبدو أن طلعت حرب قد نسى الخطـة التى قدمها فى خطاب له فى مايو سنة ١٩٢٠ حينما ذكر « أن لكل بلد فى العالم سياسة مالية يجب ان يسير عليها ، واستقلالا اقتصاديا يجب ان يعمل على الحصول عليه والاستمرار فيه . والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاســتقلال الاقتصـــادى فى كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطنى، الذى يحصل على امتياز اصدار البنكنوت، ويكون فوق كل البنوك، يشرف عليها ولايزاحمها . . » واستطرد فى كلامه عن مهام البنك المركزى ازاء البنوك وختم كلامه بأن « هذه هى وظيفة البنك الاهلى فى مصر ، الذى كان يجب ان يكون أهليا بكل معانى الكلمة . . . وهو يعمل مزاحما البنوك الاخرى » أى أن طلعت حرب كان يدرك ان البنك الاهلى هو غريمه ، وانه لم يكن يقوم بدور البنك المركزى أو يعمل بسياسة استقلالية .

وكانت النتيجة المباشرة والمنطقية لهـذا كله رفض البنك الاهلى لطلب بنك مصر ، وكان لامفر لادارة البنك الاخير ان تخضع لتحول دون انهياره. فقبلت خروج طلعت حرب ومجموعته ، مقـابل ضمان الحكومة لودائع البنك .

وكما لو كان هناك استيلاء على السلطة، على المشروع الاقتصادى الوطنى ، ودخل البنك مراقبو حسابات أجانب هم **هيوات وبريدسون وثيوبى** ، واحتل مقاعد ادارة البنك وشركاته مجموعة ممن عرفوا بادوارهم فى ضرب الحياة الدســتورية ، أو بأعمالهم المشبوهة مع الاجــانب **كاسماعيل صدقى ، وعبود ، والياـــاس اندراوس ، وعلى يحيى ، والابراشى** .

ومضت سنة قبل ان يصدر قانون الـدعم ، الذى قدمت الحكومة بموجبه للبنك قرضا يبلغ حوالى مليونين وربع من الجنيهات ، وحتى هذه الخطوة قد تمت بعد ضغط شديد من الرأى العام، تمثـل فيما كتب فى ذلك الوقت من مقالات ، أو ذكر فى اجتماعات مجلس البرلمان .

ومما يدل على وقتية الازمة ان البنك تمكن من تسديد قرض الحكومة واسترد الالف حصة التى كانت قد قدمت للحكومة ، وذلك بعد ثلاث سنوات فقط ، وذلك بالاضافة الى حوالى ١٩ فى المائة من قيمة القرض وهو نصيب الحكومة فى أرباح البنك ، وكانت الحكومة اذن هى الرابحة من هـذه الصفقة .

ومهما يكن من شيء فلا يمكن ان يلقى الاتهام كله على القوى التى عملت على ضرب البنك ، او نعيب على البنك الاهلى ان يفعل ما فعل ، فهى امور كان من المقدر ان تحدث ، وكان على المشرفين على البنك ان يقدروا هذا الاحتمال ، وقد انســاقوا وراء مشروعات غير رابحة ، فبلغت خسائر سبعة منها بلغت فى سنة ١٩٣٩ حوالى ١٢٥٠٠٠ جنيه ، او ما يعادل حوالى ٢٠ فى المائة من راسمالها . ولم يكن الدافع الوطنى وحده مبررا لاقامة بعض المشروعات التى لم تلبث أن تساقطت بعد قليل بعد ظهورها ، انها واجهت مشاكل لا حد لها ، كالدخان والورق ، والكتان ، وصيد الاسماك ، والجلود والسينما .

والمسألة الثانية الجديرة بالاهمية ، انه لم يكن من المتصور أن يستمر وضع الشركات بالشكل الذى سارت فيه ، حتى ولو لم يحدث تدخل ، فقد استمر بعض المؤسسين للبنك مددا أطول من أن تسمح للبنك وشركاته بالتطور الحر ، فنجد مثلا أن خمسة من عشرة أعضاء المجلس تراوحت مدة عملهم فى مجلس الادارة بين ١٧ سنة ، ٢٠ سنة ، أما الاخرون فتراوحت مدة عملهم بين ٥ ، ١٣ سنة ، وبعضهم كان يخرج لفترة يشغل فيها منصب الوزارة ليعود مرة أخرى بعد أن يترك الوزارة .

كما شغل أعضاء مجلس ادارة البنك مناصب الادارة فى جميع شركاته ، فمدحت يكن مثلا كان رئيسا لمجلس ادارة البنك ، وكذلك عشرين شركة أخرى هى شركات البنك القائمة وقتـذاك ، وبالاضافة الى ذلك رئاسة مجلس ادارة الشركة البحرية المصرية للتجارة ، وعضوية شركة اسمنت بورتلاند طرة ، وشغل طلعت حرب نائب رئيس مجلس ادارة البنك والعضو المنتدب ، هذا المركز فى شركات البنك العشرين ، وبالاضافة اليهـا الشركة البحرية ، وكذلك عضوية مجلس ادارة اربع شركات ليست بينها رابطة كالبنك العقارى ، ومضارب أرز رشيد والاسكندرية ، وبورصة مينا البصل ، والمخازن والمستودعات ، كما شغل **فؤاد سلطان** وظيفة العضو المنتدب للبنك وجميـع شركاته ، وكذلك عضوية الشركات التى كان طلعت حرب عضوا فيها فيما عدا بورصة مينا البصل ، وشغل **يوسف قطاوى** عضو مجلس ادارة البنك ، رئاسة مجلس ادارة خمس شركات كبرى منها وادى كوم امبو ، والشيخ فضل بالاضافة الى عضوية ثلاث شركات ضخمة هى مياه القاهرة ، والسكر والتكرير ، والتقطير المصرية ، ورأينا **اسماعيل جاد بركات** عضو المجلس يشغل عضوية ثمانى شركات أخرى من شركات البنك .

ولو أن هذا الوضع لم يتغير كثيرا فى العهد التالى ، حينما استولت مجموعة **حافظ عفيفى** على ادارة البنك ، فنجد أن خمسة من اعضاء المجلس استمروا فى العضوية مددا تراوحت من ١١ ، ١٩ سنة ، فاستمر **على يحيى** لمدة ١٩ سنة ، **وعبد المقصود أحمد ومحمود شكرى** مدة ١٦ سنة ، **ومحمد محمود خليل** ١٤ سنة ، **وحافظ عفيفى** ١١ سنة .. ولولا ثورة سنة ٥٢ لاستمر هؤلاء ما شاءت اعمارهم أن يستمروا باستثناء فترات شغلهم لوظائف الوزارة .

وفى نفس الاتجاه السابق نجد حافظ عفيفى يشغل بعدتوليه رئاسةمجلس ادارة البنك، رئاسة وعضوية ٢٩ شركة أخرى ، من شركات البنك أو غيرها ، ويشغل عبد المقصود أحمد ٢٢ مركز العضو المنتدب ، أو عضوية ٢٢ شركة ، ويشغل اسماعيل صدقى رئاسة وعضوية ١٧ شركة منها شركات قناة السويس ، ووادى كوم امبو ، والفنادق والاهلية للبترول والبيرة ، وشغل محمد محمود خليل رئاسة وعضوية ١٤ شركة بالاضافة الى عضوية مجلس ادارة البنك .

وكل ما تغير فى سياسة البنك هو التوقف عن انشاء شركات جديدة ، وارضاء المساهمين بتوزيع أكبر قدر من الارباح ، وترك مجال الاستغلال الاقتصادى فى ظروف الحرب لمجموعات المتمصرين ، والشركات التى تحركها العناصر الاجنبية فى الغالب .

وهكذا يتبين لنا مدى امكانيات الرأسمالية الوطنية المحدودة فى العمل بشكل مستقل ، وضعفها أمام مواجهة شركات الاحتكار العالمية ، وأمام ماتفرضه ظروف المشروعات التى تحتاج الى رؤوس اموال ضخمة ، وكفايات فنية عالية ، وسوق كبيرة محتكرة أو شبه محتكرة . هذا بالاضافة الى ضعف الرأسمالية الوطنية امام اغراءات المناصب ، وصعوبة تقديرها لامكانياتها وظروفها ، وعدم قدرتها على الفصل بين الاندفاع الوطنى ، وبين الشكل الواجب للمشروعات .

ثورة يوليو ١٩٥٢ وبنك مصر

قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ وليس امامها من صرح وطنى له ذخيرة شعبية غير بنك مصر ، فركزت عليه ليلعب دورا فى تمويل مشروعات التنمية التى قامت بدراستها فى مجلس تنمية الانتاج القومى، والتى كانت تعتمد فى غالبيتها على الصناعات الثقيلة مثل الحديد والصلب والكيماويات والورق ، والاسمنت والثروة المعدنية .

ولكن الثورة فى عملها للتنمية عملت على تجنب الاخطاء التى وقع فيها رواد الرأسمالية الوطنية فى بنك مصر ، فأصدرت التشريعات المحددة لعضوية مجالس الادارة فى الشركات وتحديد سن اعضاء مجلس الادارة بما لا يتعدى ٦٠ سنة ، فضمنت بذلك أن يكون هناك تجديد وحركة مستمرة ، كما منعت المحاسبين من شغل عضوية مجالس ادارة الشركات ، وحرمت العاملين فى البنوك من شغل أعمال أو عضوية مجالس بنوك أخرى . كما وضعت فى سنة ١٩٥٧ حدود مساهمات البنوك فى رؤوس اموال الشركات . وكان بنك مصر هو عماد الدولة لتمويل القطن ، وتمويل شراء مواد التموين التى كانت البنوك الاجنبية تتآمر بالحد من تمويلها .

وسار البنك فى سياسته الجديدة منفذا لسياسة الدولة حتى وجدت أن ضمان تحقيق خطتها العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب تأميم البنك والبنك الاهلى المصرى فى فبراير سنة ١٩٦٠ ، الاول باعتباره أكبر بنك يستحوذ على حوالى ٤٠ فى المائة من مجموع ودائع البنوك ، ويشرف على قطاع ضخم من الشركات الصناعية والتجارية . أما الثانى فباعتباره البنك المركزى ، ولم يكن من الطبيعى ترك مساهمين افراد فيه مصريين أو غير مصريين .

وتحول بنك مصر الى مؤسسة عامة تعمل الى جانب المؤسسة الاقتصادية التى انشئت فى يناير سنة ٥٧ لتكون نواة القطاع ، وكذلك مؤسسة النصر التى تولت الاشراف على المشروعات الصناعية التى عملت الدولة على انشائها .

ثم اقتضى التطور والاخذ بالفلسفة الاشتراكية تأميم جميع البنوك فى يوليو سنة ١٩٦١ ، وادماج البنوك الصغيرة أو الضعيفة فى الكبيرة منها حتى أصبح لدينا خمسة بنوك تجارية كبرى تلعب دورا هاما فى تمويل الخطة العامة للتنمية والرقابة عليها، وتحول الاشراف على شركات البنك المختلفة الى المؤسسات النوعية لتعمل بشكل أكثر تنظيما وتركيزا .

ولتنظيم العمل بين البنوك وزعت قطاعات الانتاج عليها ، وكان من نصيب البنك ذلك القطاع الذى لعب دورا كبيرا فى انشائه ودعمه ، وهو قطاع الغزل والنسيج ، وذلك بالاضافة الى تمويل المحاصيل الهامة كالقطن والارز ، وسمح للقطاع الخاص بالتعامل معه كما كان الوضع فى الماضى .

وقد تضخم نشاط البنك حتى أصبحت ودائعه تربو على ١٦٠ مليون جنيه ، مكونة ٢٢ فى المائة من ودائع البنوك مجتمعة ، وارتفع رقم سلفياته الى حوالى ١١٠ مليون جنيه بما يعادل ٢٣ فى المائة من سلفيات الجهاز المصرفى .

وهكذا تستكمل صورة بنك مصر ، أو بمعنى أدق صورة امكانيات العمل للرأسمالية الوطنية ، وحتمية التحول الاشتراكى ، وتدخل الدولة للقضاء على التناقضات ، ولضمان حركة التطور والتنمية.

والجدولان الآتيان يبينان الشركات التى قام البنك بتأسيسها أو ساهم فيها :

(جدول رقم ١)
شركات قام البنك بتأسيسها

اســـم الشركة	تاريخ التأسيس	رأس المال عند التأسيس	رأس المال فى ١٩٥٩/١٢/٣١	نصيب بنك مصر	النسبة ٪
١ ـــ مطبعة مصر	١٩٢٢	٥ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٢٥ر٥٥٢	٦٥ر٥
٢ ـــ شركة مصر لحلج الاقطان	١٩٢٤	٣٠ر٠٠٠	٢٥٠ر٠٠٠	٥٧ر٧٢٠	٢٣ر١
٣ ـــ شركة مصر للنقل والملاحة	١٩٢٥	٤٠ر٠٠٠	١٥٠ر٠٠٠	١٢٧ر٠٦٨	٨٤ر٧
٤ ـــ شركة مصر للتمثيل والسينما	١٩٢٥	١٥ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠	٨١ر١٨٤	٨١ر٢
٥ ـــ شركة مصر للغزل والنسج	١٩٢٧	٣٠٠ر٠٠٠	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١ر٠٥٦ر١٠٠	٢٦ر٤
٦ ـــ شركة مصر لمصايد الاسماك	١٩٢٧	٢٠ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠	٧٠ر٩٠٠	٩٤ر٥
٧ ـــ شركة مصر لنسج الحرير	١٩٢٧	١٠ر٠٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٧٤١ر٢٧٢	٧٤ر١
٨ ـــ بنك مصر ـــ لبنان	١٩٢٩	١٦٠ر٠٠٠	٣٢٠ر٠٠٠	٢٦٥ر٦٠٠	٨٣ر٠
٩ ـــ شركة مصر لتصدير الاقطان	١٩٣٠	١٢٠ر٠٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	٢٤٥ر٣٢٠	٦١ر٣
١٠ ـــ شركة مصر للطيران	١٩٣٢	٢٠ر٠٠٠	١ر٣٥٠ر٠٠٠	٦٣١ر٩٠٠	٤٦ر٨
١١ ـــ شركة بيع المصنوعات المصرية	١٩٣٢	٥ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠	١٣٩ر٧٦٠	٢٨ر٠
١٢ ـــ شركة مصر للتأمين	١٩٣٤	٢٠٠ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠	٢١٤ر٧٧٦	٤٣ر٠
١٣ ـــ شركة مصر للملاحة البحريه	١٩٣٤	١٠٠ر٠٠٠	٧٥٠ر٠٠٠	٣٧٧ر٧٢٠	٥٠ر٤
١٤ ـــ شركة مصر للسياحة	١٩٣٤	٧ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٢٤ر٠٩٦	٤٨ر٢
١٥ ـــ شركةمصر للغزل والنسج الرفيع	١٩٣٨	٢٥٠ر٠٠٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٩٧٣ر٦٥٦	٤٨ر٧
١٦ ـــ شركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح	١٩٣٨	٦ر٠٠٠	٢٠٠ر٠٠٠	١٦ر٧٣٢	٥ر٦
١٧ ـــ شركة مصر لصباغى البيضا	١٩٣٨	٢٥٠ر٠٠٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٧٢٠ر١٥٢	٣٦ر٥
١٨ ـــ شركة مصر للمناجم والمحاجر	١٩٣٨	٤٠ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠	٣٥ر٠٠٠	٨٧ر٥
١٩ ـــ شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت	١٩٣٨	٣٠ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠	٥٨ر٤٣٦	٧٧ر٩
٢٠ ـــ شركةمصر للمستحضرات الطبية	١٩٤٠	١٠ر٠٠٠	٣٠٠ر٠٠٠	٢٩ر٥١٢	٩ر٨
٢١ ـــ شركة مصر للحرير الصناعى	١٩٤٦	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥٦ر٦٧٦	٨ر٦
٢٢ ـــ شركة مصر للفنادق	١٩٥٥	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠٦٠	٥ر٠
٢٣ ـــ شركة مصر للالبان والاغذية	١٩٥٦	٤٠٠ر٠٠٠	٧٥٠ر٠٠٠	١٤٣ر١٤٠	١٩ر١
٢٤ ـــ شركة مصر للكيماويات	١٩٥٦	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠	٢٥ر٠
٢٥ ـــ شركة مصر شـبين الكوم للغزل والنسيج	١٩٥٩	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠	٢٥ر٠
٢٦ ـــ بنك الجزائر مصر	١٩٦٣	٥ر٠٠٠ر٠٠٠ فرنك جزائرى	ـــــ	١ر٩٥٠ر٠٠٠ فرنك جزائرى (يعادل ١٧٣ر٩٨٥ مم)	٣٩ر٠
٢٧ ـــ بنك النهضة العربية	١٩٦٧	٥٠٠ر٠٠٠	ـــــ	٢٤٥ر٠٠٠ جنيه ليبى	٤٩ر٠

جدول رقم ٢)
شركات قام البنك بتمصيرها والمساهمة فيهاو الاشتراك فى تاسيسها

الشركة	تاريخ التأسيس	قيمة مساهمة البنك عند التاسيس
الشركة العقارية المصرية	١٨٩٦	٧٧ر٣٠٠ جنيه
تلغراف ماركونى	١٩٢٦	٢٠٠ر٠٠٠
شركة مصر للهندسة والسيارات	١٩٤٤	٣٨٣ر٣٤٤
شركة البلاستيك الاهلية	١٩٤٥	٢٠٠ر٠٤٠
شركة الحديد والصلب المصرية	١٩٥٤	٦٠٠ر٠٠٠
الشركة العامة للجوت	١٩٥٤	٥٠ر٠٠٠
شركة الصناعات الكيماوية « كيما »	١٩٥٥	٦٠٠ر٠٠٠
الشركة القومية لانتاج الاسمنت	١٩٥٥	٩٠ر٠٠٠
الشركة العامة لصناعة الورق«راكتا»	١٩٥٦	٥٠ر٠٠٠
الشركة العامة للثروة المعدنية	١٩٥٩	٩٠ر٠٠٠
قام البنك بتمصيرها عام ١٩٢٥		

تطـــورات فى تاريـــخ بنـــك مصر

وثائق

● عقد الشركة الابتدائى
٨ مارس سنة ١٩٢٠
● صدور المرسوم السلطانى بتأسيس البنك
٣ أبريل سنة ١٩٢٠
● عقد أول جمعية عمومية عادية
٧ مايو سنة ١٩٢٠
● بدء مزاولة النشاط
١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٠
● أول شركة اسسها البنك « مطبعة مصر »
مايو سنة ١٩٢٢
[صدر مرسوم ملكى بانشائها فى ١٥ اغسطس ١٩٢٢]
● القانون الخاص بتدخل الحكومة لدعم بنك مصر
٢٤ يوليه سنة ١٩٤١
[قانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤١]
● قانون تأميم بنك مصر
١١ فبراير سنة ١٩٦٠
[القانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٦٠]
● تكوين مؤســســـة مصر ـــ وضم بنك مصر وشركاته اليها
٢ مارس سنة ١٩٦١
(القرار الجمهورى رقم ١٨٩٩ لسنة ١٩٦١)
● تكوين المؤسسة المصرية العامة للبنوك ـــ وضم البنك اليها
٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦١
[القرار الجمهورى رقم ٨٩٩ لسنة ١٩٦١]
● الغاء مؤسسة البنوك ـــ وانضمام البنك الى البنك المركزى المصرى
٢٠ ابريل سنة ١٩٦٤
[القرار الجمهورى رقم ١٤٤٦ لسنة ١٩٦٤]
● تحويل بنك مصر الى شركة مساهمة عربية
٣١ مارس سنة ١٩٦٥
[القرار الجمهورى رقم ٨٧٢ لسنة ١٩٦٥]

المؤسسون والمساهمون ومجلس الادارة

من ملحق الوقائع المصرية عدد ٣٢ الصادر فى يوم الثلاثاء ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠

ا ـ المؤسسون :

١ ـــ أحمد مدحت يكن باشا
المقيم بالقاهرة
٢ ـــ يوسف اصلان قطاوى باشا
المقيم بالقاهرة
٣ ـــ محمد طلعت حرب بيك
المقيم بالقاهرة
٤ ـــ عبد العظيم المصرى بيك
المقيم بمغاغة
٥ ـــ عبد الحميد السيوفى بيك
المقيم بالقاهرة
٦ ـــ الدكتور فؤاد سلطان
المقيم بالقاهرة
٧ ـــ اسكندر مسيحه افندى
المقيم بالقاهرة
٧ ـــ عباس بسيونى الخطيب افندى
٨ ـــ عباس بسيونى الخطيب افندى
المقيم بالقرشيه [بمديرية الغربية]

ب ـ المساهمون وقيمة مساهماتهم

	عـــدد الاسهم
١ ـــ حضرة صاحب المعالى احمد مدحت يكن باشا	٥٠٠
٢ ـــ حضرة صاحب السعادة يوسف اصلان قطاوى باشا	٢٥٠
٣ ـــ حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بيك	٥٠٠
٤ ـــ حضرة صاحب العزة عبد العظيم المصرى بيك	١٠٠٠
٥ ـــ حضرة صاحب العزة عبد الحميد السيوفى بيك	٢٥٠
٦ ـــ حضرة الدكتور فؤاد سلطان	٢٥٠
٧ ـــ حضرة صاحب العزة اسكندر مسيحه بيك	٢٥٠
٨ ـــ حضرة عباس بسيونى الخطيب افندى	٢٥٠
٩ ـــ حضرة صاحب العزة على اسماعيل بيك	٦٠٠
١٠ ـــ سعادة محمد الشريعى باشا	٥٠٠

الاسم	عدد الاسهم
١١ ــ حضرة صاحب العزة عبد الرازق الفار بك	٥٠٠
١٢ ــ حضرة صاحب العزة محمد موسى الفقاعى بك	٥٠٠
١٣ ــ حضرات اولاد بدوى الشيمى وشركاؤهم	٥٠٠
١٤ ــ سعاده حسن عبد الرازق باشا	٣٠٠
١٥ ــ حضرة صاحب المعالى عدلى يكن باشا	٢٥٠
١٦ ــ سعادة عباس الدرملى باشا	٢٥٠
١٧ ــ سعادة احمد خيرى باشا	٢٥٠
١٨ ــ جناب الخواجه يوسف تسيكوريل	٢٥٠
١٩ ــ حضرة صاحب العزة على ماهر بك	٢٥٠
٢٠ ــ حضره صاحب العزة احمد ايوب بك	٢٥٠
٢١ ــ حضرة صاحب العزة احمد حجازى بك	٢٥٠
٢٢ ــ حضرة صاحب العزة اسماعيل جاد بركات بك	٢٥٠
٢٣ ــ حضرة صاحب العزة محمد سليمان الوكيل بك	٢٥٠
٢٤ ــ حضرة صاحب العزة محمد ابراهيم خليفه بك	٢٥٠
٢٥ ــ حضرة صاحب العزة مراد الشريعى بك	٢٥٠
٢٦ ــ حضرة صاحب العزة محمد لبيب البتانونى بك	٢٥٠
٢٧ ــ حضرة صاحب العزة محمود عبد النبى بك	٢٥٠
٢٨ ــ حضرة صاحب العزة سلطان محمود بهنسى بك	٢٥٠
٢٩ ــ حضرة صاحب العزة عبد الستار الباسل بك	٢٥٠
٣٠ ــ حضرة عباس على الجزار افندى	٢٥٠
٣١ ــ حضرة صاحب العزة سالم السيد بك	٢٥٠
٣٢ ــ حضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهمى بك	٢٥٠
٣٣ ــ حضرة صاحب العزة ابراهيم نصار بك	٢٥٠
٣٤ ــ حضرة صاحب العزة حسنين عبد الغفار بك	٢٥٠
٣٥ ــ حضرة محمد على محمد افندى	٢٥٠
٣٦ ــ حضرة صاحب العزة يوسف جعفر مظهر بك	٢٥٠
٣٧ ــ حضرة صاحب العزة على اسلام بك	٢٥٠
٣٨ ــ حضرة صاحب العزة السيد على بك	٢٥٠
٣٩ ــ حضرة صاحب العزة حبيب مسيحه بك	٣٧٥
٤٠ ــ حضرة لبيب ابراهيم افندى	٢٥٠
٤١ ــ حضرة ميخائيل صليب منقريوس افندى	٢٥٠
٤٢ ــ حضرة صاحب العزة حسن شعراوى بك	٢٥٠
٤٣ ــ حضرة محمد ابو النصر الفار افندى	٢٥٠
٤٤ ــ حضرة الشيخ محمد نصر الخولى	٢٥٠
٤٥ ــ حضرة ابراهيم يوسف الفار افندى	٢٥٠
٤٦ ــ حضرة الشيخ عبد الله خضر	٢٥٠
٤٧ ــ حضرةصاحبالعزةالدكتورمحمود عبدالوهاببك	٢٥٠
٤٨ ــ حضرة الشيخ محمد احمد نوير	٢٥٠
٤٩ ــ حضرة صاحب العزة احمد احسان بك	٢٠٠
٥٠ ــ حضرة على الغنيمى افندى	٢٠٠
٥١ حضرة الشيخ احمد السيد زين	١٨٠
٥٢ ــ سعادة محمد محرز باشا	١٢٥
٥٣ ــ حضرة صاحب العزة محمد احمد الشريف بك	١٢٥
٥٤ ــ حضرة صاحب العزة سليمان يسرى بك	١٢٥
٥٥ ــ حضرة صاحب العزة الدكتور على ابراهيم بك	١٢٥
٥٦ ــ حضرة صاحب العزة ابراهيم شكرى بك	١٠٠
٥٧ ــ حضرة صاحب العزة مرقص حنا بك	١٠٠
٥٨ ــ حضرة صاحب العزة مصطفى رشيد بك	١٠٠
٥٩ ــ حضرة صاحب العزة محمد علوى الجزار بك	١٠٠
٦٠ ــ حضرة صاحب العزة محمد احمد الخادم بك	١٠٠
٦١ ــ حضرة صاحب العزة محمد نبيه بك	١٠٠
٦٢ ــ حضرة صاحب العزة عيسوى خضر بك	١٠٠
٦٣ ــ حضرة صاحب العزة الدكتور محمود ماهر بك	١٠٠
٦٤ ــ حضرة صاحب العزة صاروفيم مينا عبيد بك	١٢٥
٦٥ ــ حضرة صاحب العزة فهمى رزق الله عبيد بك	١٠٠
٦٦ ــ حضرة صاحب العزة الدكتور محمد طاهر بك	١٠٠
٦٧ ــ حضرة رجب فهمى افندى	١٠٠
٦٨ ــ حضرة احمد شوقى افندى	١٠٠
٦٩ ــ حضرة عبد الله محمد عبد الله البلهاسى افندى	١٠٠
٧٠ ــ حضرة احمد سالم باعبيد افندى	١٠٠
٧١ ــ حضرة محمد البابا افندى	١٠٠
٧٢ ــ حضرة كامل امبابى افندى	١٠٠
٧٣ ــ حضرة محمد الخولى افندى	١٠٠
٧٤ ــ حضره صاحب العزة مصطفى المكاوى بك	١٠٠
٧٥ ــ حضرة صاحب العزة وهيب دوس بك	٧٥
٧٦ ــ حضرة الدكتور سليمان الحكيم	٦٥
٧٧ ــ حضرة محمد بدوى البيلى افندى	٥٠
٧٨ ــ حضرة الافوكاتو اسماعيل حمزه افندى	٥٠
٧٩ ــ حضرة اسماعيل زهدى افندى	٥٠
٨٠ ــ حضرة الدكتور محمود شريف	٥٠
٨١ ــ حضرة صاحب العزة الافوكاتو كامل صدقى بك	٥٠
٨٢ ــ حضرة صاحب العزة سلامه ميخائيل بك	٥٠
٨٣ ــ حضرة الدكتور سيد عبد الحميد سليمان	٥٠
٨٤ ــ حضرة الدكتور محمد ناجى	٥٠
٨٥ ــ حضرة صاحب العزة محمد عبد النبى بك	٥٠
٨٦ ــ حضرة صاحب العزة على القرمعى بك	٥٠
٨٧ ــ حضرة محمد الطويل افندى	٥٠
٨٨ ــ حضرة الدكتور محمد كمال	٥٠
٨٩ ــ حضرة الدكتور عبد الحميد فهمى	٥٠
٩٠ ــ حضرة محرم ثابت سيد احمد افندى	٥٠
٩١ ــ حضرة الدكتور محمد كامل الخولى	٥٠
٩٢ ــ حضرة الدكتور نجيب اسكندر مسيحه	٥٠
٩٣ ــ حضرة الدكتور توفيق حنا	٥٠
٩٤ ــ حضرة على سعد الدين افندى	٥٠
٩٥ ــ عبد الملك سليمان افندى	٥٠
٩٦ ــ حضرة صاحب العزة	٥٠
٩٧ ــ حضرة ابراهيم لهيطه افندى	٥٠
٩٨ ــ حضرة يوسف لهيطه افندى	٥٠
٩٩ ــ حضرة الدكتور سالم هنداوى	٥٠
١٠٠ ــ حضرة الدكتور عثمان البنهاوى	٥٠
١٠١ ــ حضرة الدكتور ابراهيم الشوربجى	٥٠
١٠٢ ــ حضرة الدكتور محمد ابراهيم خليفه	٥٠
١٠٣ ــ حضرة الدكتور عوض صدقى	٥٠
١٠٤ ــ حضرةصاحب العزة محمدتوفيق الترجمان بك	٥٠
١٠٥ ــ حضرة صاحب العزة عبد الرحمن الطوير بك	٥٠
٢٠٦ حضرة محمد رفاعى افندى	٥٠
١٠٧ ــ حضرة صاحب العزة محمد طاهر نور بك	٥٠
١٠٨ ــ حضرة رزق البياض افندى	٥٠
١٠٩ ــ حضرة الدكتور زكى خالد	٥٠
١١٠ ــ حضرة صاحب العزة حسين المنزلاوى بك	٥٠
١١١ ــ حضرة صاحب العزة رشوان محفوظ بك	٣٠
١١٢ ــ حضرة احمد هدية افندى	٢٥
١١٣ ــ حضرة صاحب العزة احمد فؤاد طلعت بك	٢٥
١١٤ ــ حضرة الشيخ يحيى حسن الاغا	٢٥
١١٥ ــ حضرة شكرى طباب افندى	٢٥
١١٦ ــ حضرةصاحبالعزةالافوكاتوعبدالرحمنالرافعىبك	٢٥
١١٧ ــ حضرة عبد العزيز حسنين افندى	٢٥
١١٨ ــ حضرة محمود مصطفى الحكيم افندى	٢٥
١١٩ ــ حضرة يوسف مصطفى الحكيم افندى	٢٥
١٢٠ ــ حضرة ابراهيم مصطفى الحكيم افندى	٢٥
١٢١ ــ حضرة اسماعيل شكرى افندى	٢٥
١٢٢ ــ حضرة الدكتور مصطفى ابو علم	٢٥
١٢٣ ــ حضرة الافوكاتو على كمال حبيشه افندى	٢٥
١٢٤ ــ حضرة صاحب العزة محمد حلمى عيسى بك	٢٥
١٢٥ ــ حضرة صاحب العزة احمد حمدى بك	٢٥
المجموع	٢٠٠٠٠

هـ — أول مجلس ادارة

حضرة صاحب المعالى احمد مدحت يكن باشا
الرئيس
حضرة صاحب السعادة يوسف قطاوى باشا
وكيل
حضرة صاحب العزة محمد بيك طلعت حرب
عضو المجلس المنتدب للادارة
حضرة الدكتور فؤاد بك سلطان
عضو المجلس المنتدب للادارة بالنيابة
حضرة صاحب العزة عبد الحميد بك السيوفى
عضـو
حضرة صاحب العزة على بك ماهر
عضـو
حضرة صاحب العزة عبد العظيم بك المصرى
عضـو
حضرة صاحب العزة اسكندر بك مسيحه
عضـو
حضرة الخواجه يوسف شيكوريل
عضـو
حضرة عباس افندى بسيونى الخطيب
عضـو

القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤١ الخاص

بتدخل الحكومة لدعم بنك مصر

أقره مجلس الشيوخ فى ٩ يونيـه ، ومجلس النواب فى ٢٢ يولية ، صدر مرسوم ملكى به فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٤١

المادة الاولى : عملا على اداء كفالة الحكومة لاصحاب الودائع ببنك مصر تنفيذا لقرار البرلمان فى ٢٨ مارس سنة ١٩٤٠ ، وعلى تحقيق الاغراض التى رسمها القرار المذكور ، يؤذن للحكومة فى ان تأخذ من الاحتياطى العام :

أ — مبلغ ١٠١ر١٦٦٤ر١ جنيهـا واردا من الاحتياطى المحبوس باسم « أموال مخصصـة للسلف الصناعية وسلف الجمعيات التعاونية » ، ويخصص لالغاء البند الوارد بنفس الاسم وبنفس المبلغ فى « خصوم » بنك مصر ، وذلك فى حسابه الختامى عن السنة التى انتهت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

ب — سندات من دين مصر الموحـد والممتاز قيمتها الحقيقية ٧٧٩ر١٥٥ر١ جنيها تحول لحساب صندوق توفير البريد لالغاء مبلغ معادل من بند وارد فى خصوم بنك مصر باسم « صندوق توفير البريد » وذلك فى حسابه الختامى عن السنة التى انتهت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

ويتولى البنك لحساب الحـكومة ادارة بنود الرصيد التى كانت سببا فى الغاء ديونها وتقسم بين الحكومة والبنك المبالغ التى يتم تحصيلها من البنود المذكورة زيادة على التقدير الذى قدرت بها فى الميزانية التى اعتمـدت اسـاسـا لهذه التسـوية بقدر ثلاثة الارباع للحـكومة والربع للبنك .

المادة الثانية : عملا على اعادة تنظيم بنك مصر وفقا لقرار ٢٨ مارس سنة ١٩٤٠ المتقدم ذكره تتخذ الاجراءات الاتى بيانها ، ويعدل لذلك نظام شركة بنك مصر وشركات مصر التابعة له :

١ — يظل رأس مال البنك بقيمته الاصلية ٠٠٠ر٠٠٠ر١ جنيه وتحقيقا لذلك يؤذن البنك فى ان يخصص لتعويض خسـائره عدا احتياطياته وارباح السنتين الماليتين ١٩٣٩ و ١٩٤٠ والمبالغ المشار اليها فى المادة السابقة مبلغ ٠٠٠ر٣٥٠ جنيه مصرى ناتجا من أرباحه من بعض شركاته ، كما يؤذن للحكومة ان تأخذ من الاحتياطى العام سـندات من دين مصر الموحد والممتاز قيمتهـا الحقيقية ٠٠٠ر١٥٠ جنيه يحول لحساب صندوق توفير البريد لالغاء مبلغ معادل من بند وارد فى خصوم بنك مصر باسم « صندوق توفير البريد » ويرد المبلغ المأخوذ على هذا الوجه للحكومة وفقا لاحكام الفقرة الخامسة .

٢ — تنشأ الف حصة تأسيس لا تحدد لها قيمة وتسلم الى الحكومة على أن تكون ملكا خاصا لها فى مقابل تدخلها المالى لتعضـيد البنك — ويجوز بالاتفاق بين الحكومة والبنك ان تقسم الحصة الى عشرة اجزاء على أن لا تباع هذه الحصص الا للمصريين .

وتشترك حصص التأسيس فى توزيع الارباح على الوجه المحدد فى الفقرة الخامسة من هذه المادة . كذلك تشترك عند الاقتضاء فى توزيع موجودات البنك [رأس ماله واحتياطياته] وفى هذه الحـالة يكون نصيبها منه بنسبة متوسط ما خصها الى مجموع الارباح فى الخمس سنوات الاخيرة .

٣ — يعين مندوب للحكومة من لدى البنك تكون اختصاصاته بوجه عام مراقبة تنفيذ احكام هذا القانون والقرارات والترتيبات التى تتخـذ تنفيذا له ولنظام البنك ، فاذا وقعت مخالفة أو رأى ان تصرفا يضر بمصلحة البنك قدم المندوب ملاحظاته كتابة الى مجلس الادارة ، فـاذا لم يؤخذ بها رفع تقريرا بذلك الى وزير المالية .

ويكون له بحكم القانون حق حضـور جميع اجتماعات مجلس الادارة والجمعيات العمومية ويكون له صوت استشارى فى كل المسائل .

٤ — يعرض انتداب مجلس ادارة البنك لعضو أو أكثر من اعضائه للبت فى المسائل التى يعنيها على مجلس الوزراء للتصديق عليه . ولوزير المالية بعد موافقة مجلس الوزراء ان يطلب عقد الجمعية العمومية غير العادية بواسطة مجلس الادارة .

٥ — يكون توزيع الارباح بالترتيب والنسب الموضحة فيما بعد :

أ — ١٠٪ للاحتياطى المنصوص عليه فى نظام البنك .

ب — ما يكفى لدفع ربح للمساهمين مقداره ٥٪ من كامل رأس مـــال البنك الاسمى أى ١٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه .

هـ — ويوزع الباقى على الوجه الاتى :

٢٥٪ لحصص التأسيس ويرفع هذا النصيب الى ٣٥٪ عند اتمام رد مبلغ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المشار اليه فى الفقرة [أ] من هذه المادة .

٤٥٪ لرد مبلغ الـ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المتقدم ذكره للحكومة وعند اتمام هـذا الرد يخصص ٣٥٪ لاحتياطى خاص .

٥٪ مكافأة مجلس الادارة .

٢٥٪ يخصص طبقا لما يقترحه مجلس الادارة وتقرره الجمعية العمومية كربح اضافى يدفع للمساهمين او الى احتياطى خاص على أنه حتى يتم رد مبلغ الـ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المتقدم ذكره للحكومة لا يجوز تخصيصه كله او بعضـه كربح اضافى للمساهمين . على أنه فى الثلاث سنوات الاولى للعمل بهذا القانون يضاف نصيب حصص التأسيس الى احتياطى رد مبلغ الـ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المتقدم ذكره .

٦ — تحول شركات مصر التابعة للبنك والتى تكون ناجحة فى أعمالها ماحبس فى رصيد ثابت من حساباتها المدينة للبنك الى اسهم أو سندات وتعرض للاكتتاب بها وتجعل الاولوية فى هذا الاكتتاب لاصحاب الودائع ولمساهمى بنك مصر . ويجب ان يتم هذا التحويل فى خلال سنة من تاريخ العمل بهذا القانون .

٧ — تحول اسهم هذه الشركات الاسـمية المملوكة لبنك مصر الى اسهم لحـاملها تمهيدا لتداولها فى المستقبل بين الجمهور بشروط توضع بالاتفاق مع الحكومة ، يراعى فيها الا تزيد نسبة الاسهم لحاملها على ٢٥٪ من مجموع اسهم كل شركة .

المادة الثالثة : يؤذن للحكومة بالاتفاق مع مجلس ادارة بنك مصر فى أن تدخل على أنظمة البنك عدا التعديلات التى نص عليها فى المواد السابقة تعديلات اخرى فيما يتعلق بنقل الاسهم الاسمية وحق الاشتراك فى مناقشات الجمعية العمومية وذلك فى سبيل العمل على حسن ادارته وعلى حماية مصالح المساهمين .

المادة الرابعة : لا يجوز تغيير التعديلات التى تقررت تنفيذا لهذا القانون الا بموافقة الحكومة .

المادة الخامسة : نظرا للظروف الخاصة المتعلقة بالسنتين الماليتين ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ، ولاعادة تنظيم البنك تعتبر صحيحة نيابة اعضاء مجلس ادارة بنك مصر الحاليين ومن يعين لتكملة عددهم أو بدلا منهم ، وتستمر كذلك حتى انعقاد الجمعية العمومية فى سنة ١٩٤٢ ، ولا تقدم الميزانية وحساب الارباح والخسائر عن السنتين الماليتين ١٩٣٩ و ١٩٤٠ الى الجمعية العمومية ولا يكون لهـا من اجـل ذلك ان تقرهمـا . كذلك يعتبر صحيحا تعيين مراجعى الحسابات الذى باشره مجلس الادارة فى سنة ١٩٤٠ ، ويخول المجلس حق تقدير أتعابهم عن مراجعة حسابات سنتى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ، ولا يكون لهؤلاء المراجعين أن يدعو الجمعية العمومية عملا بالمادة ٢٣ من نظام البنك ويعفون من المسئولية بسبب عـدم تلك الدعوة .

المادة السادسة : فى تطبيق القانون الخاص بفرض ضريبة خاصـة على الارباح الإستثنائية تعتبر الشركات التى يملك بنك مصر ٧٥٪ على الاقل من اسهمها جزءا لا يتجزأ من البنك ، وعلى ذلك يستعمل ما يبقى من أرباحها — بعد توزيع الارباح على مساهميها وتكوين احتياطياتها — فى رد مبلغ الـ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المتقدم ذكره فى الفقرة [أ] من المادة الثانية ، وعند اتمام رده يلحق ذلك الباقى باحتياطيات البنك الخاصة .

القانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٦٠

بتأميم بنك مصر

مادة [١] : يعتبر بنك مصر مؤسسة عامة وتنتقل ملكيته الى الدولة .

مـادة [٢] : تتحـــول اسهم بنك مصر الى سندات على الدولة لمدة اثنى عشر سنة وبفائدة قدرها ٥٪ سنويا ، ويحدد سعر كل سند بسعر السهم حسب آخر اقفال فى بورصة القاهرة فى ١١ من شهر فبراير عام ١٩٦٠ .

مادة [٣] : يكون تداول السندات وفق النظم التى كان يتبعها البنك بالنسبة الى تداول اسهمه .

مادة [٤] : يجوز للحكومة بعد عشر سنوات استهلاك السندات استهلاكا كليا او جزئيا بالقيمة الاسمية بطريقة الاقتراع فى جلسة علنية . وفى حالة الاستهلاك الجزئى يعلن عن ذلك فى الجريدة الرسمية قبل الموعد المحدد بشهرين على الاقل .

مادة [٥] : يعين اعضاء مجلس ادارة البنك وتحدد مكافآتهم بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة [٦] : يظل بنك مصر مسجلا كبنك تجارى ويجوز له أن يباشر كافة الاعمال المصرفية التى كان يقوم بها من قبل صدور هذا القانون .

مادة [٧] : استثناء من احكام القانون رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ المشار اليه يجوز لبنك مصر الاحتفاظ باسهم الشركات المساهمة بما يجاوز الحدود الواردة فى القانون المذكور .

مادة [٨] : يلغى القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤١ المشار اليه ، وكذلك تلغى جميع الاحكام المخالفة لهذا القانون .

■

منشور سلطان باشا وعمر لطفى حول انشاء البنك الوطنى المصرى

البنك الوطنى العربى

الذى طالما حومت الافكار حواليه وتشوقت الانفس اليه وقد ذكرته جميع جرائدنا الوطنية واثنت على الساعين فيه ودعت الناس الى معاونتهم «ثم بشرتنا بحصول تلك المعاونة من خاصة نبهاء الوطن وعيون اعيانه وعدد غفير من أعيان نوابنا الكرام ورجالنا العظام ، وقد جرت فى شأن هذا البنك مذكرات ومراسلات بين كثيرين من اكابر أرباب المناصب الرفيعة وما فيهم الا كل موافق معاضد وداع بالنجاح ولم يحصل لهذا المشروع أى معارضة من جانب ابناء الوطن لتيقنهم فيه النفع كل النفع ولوثوقهم بحصول الفائدة للمصلحة العامة على يده » .

« ورب معترض يتوهم فيه مخالفة للشريعة المطهرة بدعوى أنه لابد من دخول الربا فى معاملاته فيحاول أغراء الناس بان مصادقة ابناء الوطن لا يمكن أن تتجاوز حد الكلام لكون معظمهم ممن حرم الربا عليهم شرعا .. فنحن نطيب خاطر المعترض ونزيل الوهم مبينين أن الشريعة المطهرة انما حرمت الربا المحض وليس ذلك من لوازم البنك التى لا يقوم بدونها بل بنكنا متنزه عنه لانه انما قصد من انشائه خدمة المصالح الوطنية بالصدق والامانة ، وبحسب شرائع البلاد . واشغاله التسليف والعمولة من بيع وشراء لحساب عملائه . وجميع هذه الاشغال

« محمد طلعت حرب » علاج مصر الاقتصادى — ومشروع بنك المصريين او بنك الامة عام ١٩١١ (الصفحات من ٢٥ — ٣٠)

ارباحها ارباح معاملة جائزة شرعا ، وحكم المشارك فيها حكم المشارك بالمضاربة ، وهذه الشركة جائزة شرعا باجماع المذاهب . ثم ان القرض بالمرابحة بطريق المعاملة جار منذ القدم ، وذكره مستفاض فى كتب الفقه ومثاله « أن يبيع المطلوب منه المعاملة من الطالب ثوبا قيمته عشرون دينارا بأربعين دينارا ثم يقرضه ستين دينارا اخرى ، حتى يصير له على المستقرض منه دينارا ولم يحصل للمستقرض الا ثمانين دينارا . ذكر الخصاف انه جائز وهذا مذهب محمد ابن سلمى امام بلخ . وكان شمس الائمة الجلوانى يفتى بقوله الخصاف ويقول .. هذا ليس بقرض جر منفعة ، بل هذا بيع جر منفعة» (ابن عابدين : رد المختار على الدار المختار ، الجزء الرابع صفحة ١٧٥) » .

وجاء فى الجزء المذكور صفحة ١٧١ فى مطلب .. اذا قضى المديون الدين قبل حلول الاجل أو مات لا يؤخذ من المرابحة الا بقدر ما مضى « نقلا عن القنيه حيث قال فيها برمز نجم الدين ما نصه ..

قضى المديون الدين قبل الحلول أو مات فأخذ من تركته فجواب المتأخرين انه لا يأخذ من المرابحة التى جرت بينهما الا بقدر ما مضى من الايام قيل له — أى لنجم الدين — اتفتى به ايضا ؟ قال نعم . قال

ولو أخذ المقرض القرض والمرابحة قبل مضي الاجل فللمديون أن يرجع بحصة ما بقي من الايام • وذكر الشارح آخر الكتاب انه افتى به المرحوم مفتي الروم ابو السعود وعلله بالرفق من الجانبين • قلت •• وبه افتى الحانوتي وغيره • وفي الفتاوى الحامدية .. سئل فيما اذا كان لزيد بذمة عمرو مبلغ دين معلوم فرابحه عليه الى سنة ثم بعد ذلك بعشرين يوما مات عمرو المديون فحل الدين ودفعه الوارث لزيد ، فهل يؤخذ من المرابحة شيء أم لا ؟ الجواب جواب المتأخرين انه لا يؤخذ من المرابحة التي جرت المبايعة عليها بينهما الا بقدر ما مضى من الايام • قيل للعلامة نجم الدين •• اتفتي به قال نعم كذا في الانقروي والتنوير وافتى به علامة الروم مولانا ابو السعود » •

« ومن تدبر هذه النقول وجدها منطبقة واي انطباق على المعاملة المقصودة في البنك الوطني وتحقق ان ارباحه جائزة شرعا • ولا يخفى ان القرض بالمرابحة بطريق المعاملة بلغ في عهد ساكن الجنان السلطان سليمان فئات فادحة قيل ثلاثين أو أربعين في المئة فصدر الامر السلطاني مبنيا على معروضات مولانا المفتي ابي السعود بأن لا تعطى العشرة بأزيد من أحد عشر ونصف كما ذكر ابن عابدين (جزء صفحة ١٧٥) وارباح البنك لا تبلغ هذا الحد المنصوص عليه في كتب الفقه (١٥ في المائة) بل ربما لا تتجاوز نصفه لان الغاية الاولى منه نفع البلاد والتخفيف عن الفلاح وانتشاله من ظلم المرابين الذين يتمتعون بعرق جبينه وخيرات ارضه غنيمة باردة ويقرضونه بالربا الفاحش ثلاثين وأربعين في المائة » •

« وأزيد من ذلك في أحيان كثيرة مسترهنين منه اطيانه الى آجال محدودة حتى اذا ما حل الاجل وارتوت انفسهم الشرهة من ذلك الربا الحرام أجبروه على بيع اطيانه منهم بما حسن لديهم من الثمن والفلاح يجيبهم الى ذلك مكرها لان الربا قد اثقل كاهله والقاه الى الارض وسد في وجهه باب الرجاء » •

« فمن نظر الى هذه الحالة التعسة التي آل اليها أمر الفلاح — وهي حياة القطر وقوامه — ايقن انها اذا استمرت بسنين قليلة تدع ملكية الاراضي المصرية او معظمها الى الاجانب يمس ابن مصر — لا سمح الله — اكارا في أرضه وارض اجداده على انه لم يبق محل للخوف من تلك العقبى بعد مباشرة الاكتتاب في البنك الوطني المصري • وسيتم الشاؤه عما قريب ان شاء الله فتسر به نفوس وتنقبض نفوس ليتسنى لهم نيل مآربهم وهو استمرار نير رباهم الفاحش على رقاب المفتقرين من ابناء الوطن الى الاستقراض لانهم علموا انه اذا انشيء البنك الوطني المصري تحولت اشغال الوطنيين اليه وامتنع عليهم الربا الفاحش فقد رايناهم يفترون على ابناء الوطن مفتريات ما انزل الله بها من سلطان ويرمونهم بالعجز عن التعاون على درء مضرة او جلب منفعة وبالتقصير عن انشاء بنك وطني ينقذ بلادهم من نير الاجنبي لجهلهم وضعفهم وضيق ذات يدهم •• وسيقطع الوطنيون السنتهم بسيف ماض يثبته لهم العيان ويبرهنون لهم ان الامة التي كانت منشأ التمدن ومهذبة العالم منذ القدم لا ترمى بالجهل بعد ان نهضت لاستعادة مجدها السالف واجتازت في سبيل التمدن في سنين قليلة مسافة لم يبلغها غيرها من الامم في أجيال • وان البلاد التي تحملت مظالم المماليك وامراء الغز ثم تقلبت عليهم جميعا • والبلاد التي أدت نفقات الحروب والاصلاحات التي أجراها ساكن الجنان محمد علي باشا خديوي مصر الاول • والبلاد التي لم تقو ضرائب الايام السالفة ومغارمها الفادحة على تدميرها لا يصح ان تتهم بالضعف وضيق ذات اليد . على ان البنك الوطني لا يفرض النهوض به على فرد ولا على افراد معدودين من الامة وانما يطلب من الامة بأجمعها أن تتحد وتتعاون على انشائه من الخادم الذي يأخذ سهما واحدا الى السيد المثرى الذي يشترك بآلاف ،وهذه الميزة ترفع هذا البنك عن سائر البنوك وتكفل له الفلاح الاتم لانها تجعل جميع ابناء الوطن سعاة له يستميلون الناس اليه ، ولاشك انهم جميعا يختارونه على سواه لانه منهم ولهم يعاملهم بلسانهم ويعتني باشغالهم مثل اعتنائهم بها شأنه يفيد البلاد في الاعمال الخطيرة ويكون عضدا لرجالها على انقاذ كثير من مصالحها ، كمصلحة الدومين والدائرة السنية وغيرهما من يد الاجانب وقد وافقت مباشرة على انشائه وقت نهوض نبهاء الوطن وصرف معظمهم جهدهم صوب هذه المهمة وقد تحققوا جميعا ان البنك الوطني هو الوسيط الوحيد الذي يبلغهم امنيتهم، لانه لابد من ضمانة اميه لاستخلاص تلك المصالح من يد الاجانب وهذه الضمانة لا يؤديها الا البنك الوطني • فعلى ابناء الوطن جميعا ان يتسابقوا اليه ويتنافسوا في مساهمة مؤسسيه ومشاركتهم فيه • وكثيرا ما قرأنا في الجرائد الوطنية ان البلاد لاتطيق هذا الجور واهلها ناهضة لرفع نيره ولا ريب عندنا ان الجرائد انما ترجمت في ذلك عما يجتاج في صدر جميع ابناء الوطن • ولكن لا يخفى اننا في مقام اعمال مادية محضة لا يفيد فيها الا الدرهم العين وأن ينفق الدرهم في هذا السبيل فما الفائدة من ادخاره ؟ على انه ليس هناك نفقة لان رأس مال البنك ينجز به ويجر المنفعة لاصحابه ويعود على البلاد بمنافع عمومية لا تذكر المنافع الشخصية في جانبها بشيء •• الا وهي تخليص الوطن من الرق المالي للاجانب وما ذلك بعسير لان الاجتهاد والمثابرة في العمل يكفيان لتحقيق الامل ، والقوة في الاتحاد ، ومن تذكر ان سلطنة الانجليز الهندية

التى يبلغ خط تخومها نصف محيط الكرة الارضية وهى من اخصب بقاع الدنيا واكثرها سكانا ـ انما اتصلت بملك الانجليز من جهد شركة تجارية انشئت فى صدر المائة الثامنة » .

« عشرة وعلم ان رأس مالها كان عند التأسيس ثلاثين ألف جنيه تحقق صحة ما جاء فى هذه الرسالة من فوائد الاشتراك وقوة المال فى الاعمال .. ورجاؤنا ان هذا المثال يكون كافيا لاستنهاض عزيمة من لا يزال متقاعدا عن خدمة بلاده متغافلا عما فى الاتحاد من القوة وان يكون باعثا للجميع على تعضيد مشروع البنك الوطنى والتحالف على انشائه .. فانه لا فلاح للوطن بدون تخليص الفلاح من ظلم المرابين . ولا عز للدولة ولا حرية الا بانقاذ مصالحها من يد الاجانب ، والغايتان لا تذكران الا بفتح خزينة البنك الوطنى المصرى » .

« فعلى امراء القطر ووجهائه واغنيائه ممن يهمهم شانه ان ينضموا الى اخوانهم الاماثل الذين افتتحوا باب الاشتراك ويسارعوا معهم الى فتح البنك الوطنى المصرى فان الوقت من ذهب لا يرد اذا ذهب والله يعطى الفوز لمن طلب بمنه واحسانه » .

■

محمد طلعت حرب – علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة عام ١٩١١

تقرير اللورد دوفرين ــ عن ديون الفلاحين فى سنة ١٨٨٢ ــ ص ٣١ ـ ٣٥)

« اريد الان ان استلفت سيادتكم الى مسألة من اشد المسائل صعوبة ومشقة على مصر فى الوقت الحاضر وهى الحالة العسيرة التى صارت اليها املاك الفلاحين فى الوجه البحرى وذلك من عهد قريب ، على ان هذه تشبه ان تكون الحالة التى نصادفها فى الهند، ويظهر ان منشأ هذه الارتباكات هو واحد فى البلدين (مصر والهند) وان الظروف التى ادت الى امتدادها متماثلة فلما كان زمام الهند فى يد الحكومة الوطنية كان الدائن لا يلقى من الحكومة شيئا يسيرا من المساعدة على تحصيل ديونه اذا لم نقل انها لم تكن تساعده البتة فكان مضطرا اذ ذاك الى اتخاذ طرق دنيئة كأن يلازم مديونه ملحا عليه بالطلب واقفا امام بابه منقطعا عن الاكل فيضطر اصحاب المنزل ان ينقطعوا عن الاكل مثله مراعاة لاحكام الشرف عندهم وفى بعض الاحوال يؤول به الامر الى قتل نفسه ليوقع مديونه فى جريمة القتل . وان الفلاحين المصريين يعتقدون ان الدائن لم يكن له فى الايام السالفة حق فى حجز املاك مديونه وبيعها وان الشريعة الاسلامية لا تسوغ الحكم الغيابى ولكن كما ان ادخال القوانين الانجليزية الى الهند قضى للدائنين بحقوق جديدة كذلك المحاكم المختلطة فى القطر المصرى فانها من جهة حركت فى الفلاح الميل الى عقد سلف اذ انها قبلت ان تكون اطيانه ضمانة قانونية ، ومن الجهة الاخرى منحت للدائن المرتهن سهولة عظيمة وحقوقا واسعة فى بيع الاطيان المرهونة فنشأ عن ذلك ان ديون الفلاحين قد ازدادت من بضع سنين زيادة سريعة حتى أصبح توسط الحكومة فى وقت من الاوقات لازما ضروريا اذا اريد منع انتزاع اراض واسعة من يد الفلاحين » .

« ويتبين من سجلات المحاكم المختلطة ان قيمة الرهون المسجلة من ست سنوات ، أى من عام ١٨٧٦ (الذى انشئت تلك المحاكم فيه) الى الان ــ قد بلغت من ٥٠٠٠٠٠ جنيه الى ٧٠٠٠٠٠ جنيه تقريبا وان جانبا عظيما من هذا المبلغ يشتمل فضلا عن قيمة السلف على قيمة الفوائد المتجمعة التى معدلها الاعتيادى ٣ فى المائة شهريا او ستة وثلاثون فى المائة سنويا غير ان هذه الديون ليست كلها على الفلاحين بل أن جانبا منها على الامراء والباشاوات ومنها ايضا ١٣٨٧٢٩٥ جنيها مصريا على عقارات الاسكندرية والمحروسة وكيف كان الحال فان المبالغ المسجلة باسم الفلاحين البالغة ٥٠٠٠٠٠ جنيه تقريبا كافية لاحداث اضطراب شديد ، وقد نتج عن انشاء الشركتين الماليتين ــ شركة لانداند مورتكج والبنك العقارى ــ ارتفاع فى قيم الاطيان ونزول فى معدل الفوائد وقبلت هاتان الشركتان التسليف بطريق الاستهلاك غير ان الفلاح مع انه كان قادرا على الاقتراض منهما بشرط مبنى على الانصاف لم يمتنع عن اخذ مبالغ اخرى من مسلفين آخرين . اما الفائدة الان فمعدلها ١٥ فى المائة ولكن المسلفين يقترحون غالبا فوائد

معدلها ازيد كثيرا والفلاح المصرى لا يهتم بالمستقبل وانما هو كالطفل ميال الى ارضاء شهواته باى وجه كان فمن اجل ذلك تراه ينقاد بحكم الجهل الى موافقات تفضى به الى الخراب وانتزاع الملكية من يده فان المحاكم المختلطة تؤيد من غير حق مصالح الدائن المرتهن ،فترى هذا الدائن فى غالب الاحيان يتمكن بواسطة التراخيص له من المحاكم فى البيع من المحصول على املاك بنصف قيمتها » .

« وفى ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٢ قد بلغ الدين برهن على ٤٠٠٠٠٠ فدان ٥٨٢١٩١٢ جنيها مصريا والفائدة التى تدفع على هذا المبلغ بمعدل ١٦ فى المائة تكون ٩٣١٥٠٥ من الجنيهات المصرية ، ثم ان الضريبة على ثلث الاطيان المرهونة اذا قدرناها بجنيه واحد عن كل فدان او اكثر من ذلك فتكون ٥٠٠٠٠٠ جنيه » وبناء على ذلك تكون الاطيان المرهونة متحملة لمبلغ قدره ١٤٣١٥٠٥ جنيهات مصرية سنويا وهو عبارة عن ٣ جنيهات و ١١ شلنا فى كل فدان وذلك فضلا عن ضرائب اخرى والنفقات اللازمة للفلاحين وعائلاتهم » .

« ولما كانت الاطيان التى تقوى على تحمل مجموع تلك النفقات قليلة فى القطر المصرى كان ذلك مؤديا الى انتقال ملكيتها من اربابها الحاليين الى دائنين اجانب ولا بد ان ينشأ عن مثل هذا عسر زراعى يكون سيء العاقبة على الدائنين ما يكون على المديونين والحكومة » .

« وقد عرضت طرق عديدة لاتقاء هذه المصيبة المتوقع حصولها حتى انه طلب من الحكومة انتعد هؤلاء المديونين بمساعدتها بتخفيضها معدل الفوائد الفاحشة وان تضمن الدفع وتضيف فى نظير ذلك الى ضريبة الاطيان شيئا يكون لها عبارة عنتأمين ،غير ان لنا فىالامر وجها اخر يستوجب النظر فيه وهو هل يمكن ان يؤتى بشيء ما يمنع الفلاح من عادته المكدرة وهى الاسترسال فى عقد السلف .

« نقول انه يمكن نيل هذه البغية بتقليل حقوق الدائن التى تقضى له بالحجز ونزع الملكية على مديونيه بمقتضى حكم صادر له عليه ، وان يحظر حجز الادوات الزراعية وبيعها ، غير أن هذه الوسائل تكاد لا تؤدى الا الى تلطيف الشر وتخفيض الضرر بعض الشيء . فذلك اميل الى استحسان الطريقة القاضية ان يكون امكان بيع اطيان الفلاح لوفاء الديون منحصرا فى حدود ضيقة . ولا شك ان تجمع الاطيان فى ابعديات واسعة لا يوافق مصر الا فى الجهات التى يزرع فيها قصب السكر واما تجزئتها فهى أصلح بالنسبة الى التربة والموقع وبناء على هذا ـ ليس من مانع ـ من حيث الاقتصاد ـ يمنع الحكومة منان تضع للفلاحدودا واضحة لايتعداها من بيعاطيانه بمقتضى لائحة تنظم على هذه الصورة وهى ان تنحصر صلاحية الحجز والبيع لوفاء الدائن فى قسم من اطيان الفلاح واما ما بقى منها فيكون محفوظا لتعيشه وتعيش عائلته منه ومأمونا من جميع الدعاوى » .

« غير ان خمسة الملايين جنيه التى هى قيمة الديون برهون ليست عبارة عن جميع ديون الفلاح فاننى قد علمت من ثقاة ان عليه ايضا مقدارا بين ثلاثةواربعة ملايين لمرابىالقرى بسندات يتمكنون بها من بيع اطيانه بالسرعة الغريبة التى يمكن بها المرتهنون من بيع الاطيان المرهونة » .

« وانى قبل الانتقال من هذا الموضوع أتقدم لسيادتكم صورة مشروعين أعدا لتخليص الفلاح من حالته : احداهما خصوصى والاخر يتم بمساعدة الحكومة» .

« اما الاول فهى ان تنشىء بنكوكة زراعية فى جميع المديريات تكون على حسب الطريقة المأخوذ فى استعمالها فى بعض اقسام الهند الغربية . واهم ما فى ذلك هو ان يجمع راس المال اللازم لادارة حركة البنك من ذوى الثروة فى الجهة التى ينشيء فيها البنك ولك النقود اللازمة لتسديد الديون الزراعية ـ بناء على اتفاق يبرم مع المداينين ـ يجب ان تسلف من الحكومة مقسطة على البنك لسنتين بفائدة اربعة فى المائة سنويا ويتعهد البنك بتسليف النقود بفائدة تكون ١٢ فى المائة سنويا ولكن لا يسوغ انتتجاوز السلفةمقدار الخمسة والسبعين فى المائة من قيمة الاطيان المرهونة »

« ولا ينحصر الغرض من قبول تلك السلف فى تحسين الاطيان وانما تكون السلف بأى أمر كان وتعد السندات بكيفية تصدق عليها الحكومة ويجب تسجيل السلف ومراجعة حسابات البنوك من مأمورى الحكومة . وفى مواعيد الاستحقاق تحصل المبالغ المستحقة للبنك بوساطة مأمور التحصيل كأنها دين للحكومة وتتنازل الحكومة عن رسم الدمغة والقيد والتسجيل من جميع الاعمال المتعلقة بالبنوك .

« اما المشروع الثانى فهو ان يستخدم البنك العقارى لذلك الغرض (وهذا البنك منشأ فى القطر وقد دارت حركة اعماله) وان يعين بعض من موظفى الحكومة ليكونوا اعضاء مجلس ادارته فيسير بذلك مصلحة اميرية بالفعل » .

« ومتى تأيد هذا البنك بضمانةالحكومةله على هذه الصورة امكنه الحصول على النقود اللازمة

بفائدة قليلة وجعلها تحت أمر الحكومة لشراء الديون » .

« ولاجل تسديد السلف يفرض على الاطيان اقساط موزعة على مدةطويلة . وتشتمل الاقساط على الفائدة التى تكون بمعدل تعينه الحكومة وكذلك على مبلغ يسير يعد للاستهلاك . ويمكن لمأموري التحصيل عند تحصيلهم اموال الضريبة الاميرية ان يحصلوا تلك الاقساط ويدفعونها للبنك العقارى » .

« اما فوائد استعمال التقسيط المعروف جيدا عند الحكومة المصرية والمتبع فيها فهى ان تكون الحكومة ممتازةفيما يتعلق باملاك المديون ، فيمكنها ان توقف الدائن عن بيع ارض الزراع او بيع محصولاتهم باستيفاء دينه حتى تستوفى هى جميع الاقساط المستحقة لها فبهذه الوساطة يمنع الفلاح من عقد سلف جديدة لانه متى قيد بدفع التقسيط نقصت قيمة اطيانه من حيث التأمين ، ولم يبق للمرابين مصلحة ما فى دفعه الى الاستلاف » .

« ثم انه يقام فى كل مديرية وكلاء يكونون تحت سيطرة البنك ، مكلفين بأمر نقود السلف القصيرة الآجال التى يحتـاج اليهـا الزارعون للقيـام بمصاريف الاشغال الزراعية ، وهم الى الان لا يزالون يأخذون هذه النقود من المرابين ولما كان من الممكن ان يعلم حقيقة كل فلاح من اقتداره المالى امكن اذ ذاك ان تحدد السلف بالقدر الذى يسهل عليه سداده من دون تضييق عليه . ا هـ » .

■

مقدمة كتاب علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة

« محمد طلعت حرب » عام ١٩١١ (الصفحات من ٣ الى ٧)

مازالت الحاجة لانشاء مصرف مصرى حقيقى يعمل بجانب المصارف الموجودة الان فى مصر يمد يد المساعدة للمصريين . ويحثهم على الدخول فى أبواب الصناعة والتجارة . يحرضهم علـى الاقتصاد والاستفادة من الاعمال المالية . تزداد يوما بعد يوم وما زالت الفكرة فى تحقيق هذا الغرض تتجسم آنا بعد آخر ، تظهر اياما على صفحات الجرائد ثم تختفى ، تكون موضوع السمر فى المجالس الخاصة ، ثم تنزوى حتى جاء المؤتمر المصرى الاول فرأت لجنته ان هذه الفرصة سانحة يجب اغتنامها لانه لا ينتظر ان يشمل اجتماع من أعيان البلاد وكبرائها مثل ما ضم ذلك الاجتماع فعرضت الفكرة فى تقريرها اذ قالت (لسنا والحمد لله فقراء فى المال فان للمصريين فى البنوك نقودا ودائع لا غلة لها تفى من اليوم لان تكون راس مال لبنك مصرى محترم . ولسنا والحمد لله فقراء فى الرجال الماليين فان كثيرا من رجالنا قد جمعوا بأنفسهم ثروات عظيمات من غير ان يكون عند احدهم رأس مال الا عمله ، او قليل من الحطام الموروث ولسنا ضعفاء الثقة بعضنا فى بعض فقد اثبتنا فى السنين الاخيرة ان لدينا مجاميع تقوم بالاعمال العامة ومثل هذه المجاميع يستحيل ان يبنى لها اساس الا على الثقة . ان المال والرجال والثقة هى الاركان الثلاثة اللازمة لمشروع مالى عظيم مثل هذا المشروع ، فما الذى يعوقنا عن السير فيه ؟) .

(لا يقال ان من العقبات الشديدة خوف مزاحمة البنوك الاجنبية لاننا وان اعترفنا بأن البنك المصرى سيزاحمها، ولكنه لايعطل عملا واحدا منها ولايؤثر تأثيرا كبيرا فى مقادير كسبه . لان مصر لا تزال كالبلد البكر فى الاستغلال ، وان البنوك الموجودة فيها الان على كثرتها لا تفى بحاجاتها فان الاراضى المصرية القابلة للزراعة لم تزرع كلها بعد والفدان المزروع لم يأت الى اليوم بكل ما يستطيع ان يأتيه من الغلة ، والارض غير القابلة للزراعة لم يقنط احد من احتوائها على معادن مختلفة كالرصاص والبترول وغيرهما ، وبالجملة فالبلاد لاتزال بكرا من حيث الاستغلال وتحتاج فى استغلالها الى اموال طائلة لا تفى بها الاموال الاجنبية الموجودة فى مصر الان) .

انما تكون فائدة البنك المصرى ان لا يتاثر بالاشاعات المكذوبة فلا يقفل بابه عن الناس فتحذو حذوه البنوك الاخرى لانه بنك البلد واعلم بما يجرى فيه . فائدته تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود عليه وعلى البلاد بـالربح العظيم . فائدته الرحمة بالفلاحين عند الحاجة

يعطيهم بفوائد معتدلة ومناسبة وهو مع ذلك يربح ولا يخسر · فائدته ان يجعل لمصر صوتا فى سوقها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالحها ومصالح بلادها · فائدته هو ومشروع النقابات الزراعية ومشروع مستودعات التأمين ان تحقق فى الوجود الكفاءة المالية التى هى الاساس المتين للرقى المطلوب ·

« على ذلك تقترح اللجنة على المؤتمر ان يقرر وجوب انشاء بنك مصرى برؤوس اموال مصرية »

فى هذه الكلمات الوجيزة البليغة رسمت اللجنة خطة البنك وحددت الغرض منه ، فسهلت بذلك على من وكلت لهم درس المشروع امر مهمتهم ، ولكنا لا نرى بدا من زيادة الشرح فى اقتراح اللجنة حتى نأتى على ما عساه ان يكون قد تولد فى القلوب من الامانى الكاذبة او خالط النفوس من الاوهام الفارغة ·

لا يظن احد ان هذا البنك المراد انشاؤه بأموال المصريين سيكيل المال جزافا لكل مصرى يطرق بابه لمجرد انه مصرى بلا نظر الى الضمانات التى يقدمها ولا الى شخصيته من حسن المعاملة او سوئها ولا انه سيساعد كل مشروع يعرض عليه بحجة انه مصرى بدون بحث الفائدة التى تعود منه على الامة اولا وعلى البنك ثانيا بدون التأكد من فائدته وضرورته ، بل ان مساعدة البنك وان كانت النقطة الاساسية فى عمله فهى لا تمنح الا لمن هو اهل لها وجدير بها يستوى فى ذلك الاشخاص والمشروعات ·

ولا يظن احد ان هذا البنك المراد انشاؤه بأموال المصريين سيجعل نصب عينيه محاربة البنوك الاجنبية الموجودة فى مصر لان هذا خطل فى الراى لا يجوز ان نقع فيه فقد ادت هذه البنوك الى البلاد من الخدمات الجليلة مالا يصح لنا نسيانه ، على ان بقاءها فى مصر طول هذا الزمن ووفرة ما اكتسبت من الفوائد والارباح وثقة الناس بها كل ذلك يجعلها فى مركز حصين معه لا يليق بنا ان نعمل على معاكستها نتيجة هذه المعاكسة ربما كانت وبالا علينا وانما كل غرضنا ان يعمل البنك على شاكلة تلك البنوك فيستفيد من تجاربها وخبرة رجالها بالامور المالية وطول ممارستهم العمل بها ، غير انه يمتاز عنها بأمر واحد وهو ان هذه البنوك الاجنبية لا ترمى منذ تأسست الا الى غرض واحد هو مصلحة المساهمين، غير ناظرة الى مصلحة البلاد الا فيما لا يوافق مصلحتها ،فان رأت مكسبا لائحا جرت وراءه وفتحت ابوابها لكل طالب وان توهمت ان هناك ضررا مقبلا سدت ابوابها عن كل طالب فهى بذلك لا تنظر الا الى مصلحة المساهمين لا تدخل غالبا مصلحة البلاد فى حسابها ولا تنظر اليها · هذا النقص هو الذى يرمى البنك الجديد الى سده

لانه ليس فى استطاعة اجنبى عن البلاد مهما كان حسن النية ، ومهما كانت قوته المالية ان يكون عالما باحوالها وطبائع اهلها كواحد من ابنائها · اضف الى ذلك ما عساه يكون للسياسة من الدخل فى معاملات تلك البنوك الاجنبية مما تؤيده الشواهد الحسية فى كل يوم ·

ولا يظن احد ايضا ان البنوك الموجودة مهما تعددت ومهما كبر رأس مالها تمنع بنكا جديدا كهذا من الكسب والربح ، متى كان متين الاساس ، متدبر المواقب حسن الادارة · فان البلاد المصرية كما تقول اللجنة لا تزال بكرا فى الاستغلال ولانه قد مضى ذلك الوقت الذى كان يقول فيه كبار الرجال من امثال المسيو (تيير) ما من بلد وجد فيها بنكان الا قتل احدهما الآخر) لسنا فى حاجة للاطالة فى دفع هذه الدعوى التى يؤكدها العلم ولا تثبتها التجربة بل يكفى ان نلقى نظرة الى ما فى بلادنا من البنوك المتعددة والى ما يدخل خزائن مساهميها من الارباح الطائلة لترى ان مبدأ المسيو (تيير) اذا كان صحيحا فى بعض البقاع او بعض الازمنة لظروف خاصة فانه غير صحيح فى الوقت الحاضر فى اى بلد من البلاد ·

نعم ان البنوك الاجنبية الموجودة فى مصر قد نجحت نجاحا تاما وكسبت مالا عظيما وكل يوم نسمع بفتح بنك جديد يستنزف اموال البلاد الى الخارج ، وعلى الرغم من ذلك فان المكان لا يزال فسيحا بجانبها لبنك مصرى يكون له من الربح نصيب وافر باذن الله بدون ان يعتدى على البنوك الاخرى او يعاكسها لان تلك البنوك قصرت عملها على كبار التجار والملاك تاركة طبقة الصغار من المصريين وهم السواد الاعظم يجهلونها وتجهلهم ولا يصلون اليها الا بوساطة المرابين او التجار الشرهين الذين يقترضون من البنوك بفائدة قليلة ويقرضونها بالربا الفاحش ويشترون من الفلاح محصولاته بأبخس الاثمان فهذا النوع من العملاء هم الاحق بالرأفة والرحمة وهو الذى اجهدت جميع الامم انفسها فى ايجاد طريق لاصلاح حاله، لما فى ذلك من اصلاح المجموع · هذا النوع من العملاء هو الذى يجب السعى وراءه واستجلابه لتخليصه من ايدى المرابين اولا ، ولتعويده على التدبير والاقتصاد ثانيا فان من اكبر ادواء مصر والمصريين انهم لم يعتادوا الى الان على التدبير والاقتصاد ولا على استثمار فضل اموالهم ، فاذا توجهت الهمة الى ذلك ، كانت الفائدة عظمى ، لان هذه الطبقة اذا سلكت سبيل الاقتصاد والاستثمار نمت ثروتهم ومتى نمت ثروتهم نمت ثروة البلاد ، وصار لمصر فى السوق المالية ذلك الصوت المسموع الذى تشير اليه اللجنة فى تقريرها ، فما ثروة الحكومة الانجليزية ولا ثروة الحكومة

الالمانية ولا ثروة الحكومة الفرنسية التى جعلت لتلك البلاد ذلك الصوت النافذ الا ثروة الاهالى التى جمعوها بحسن اقتصادهم وتدبيرهم، وما نقصد بثروة الاهالى اولئك الكبراء من المزارعين والتجار والصناع فقط ، وانما نقصد فى المقال اولئك الصغار الذين لم يكن لهم هم صرف ما تصل اليه أيديهم فى مالا ينفع ، او كثرة بلا فائدة تعود عليهم منه ولا على بلادهم فلما تربت فيهم ملكة الاقتصاد وذاقوا لذة استثمار المال وتولدت فى نفوسهم الثقة بمن يقدر من مواطنيهم على استغلال تلك الاموال امنوا جانبهم وسلموهم اموالهم فتجمعت بعد بعثرتها وكان وراء اجتماعها ذلك النفوذ الهائل الملازم لكل مجموع فدرت الخير العميم على البلاد والفضل الجزيل على العباد واصبحت تلك الاموال المتجمعة صاحبة الحول والطول والامر والنهى فى كل الشئون الداخلية والخارجية كما سنشرحه فيما يلى من الكلام .

ولما كان من الصعب معالجة حالتنا الاقتصادية الا بعد تصويرها ووصفها بارزة للعيان كان من الاوفق شرح تاريخ الحالة الاقتصادية فى مصر فى عهدها الجديد اى من عهد اسماعيل الى الان وما اتجهت اليه الفكرة من ذلك الحين من تخليص المصريين من يد المرابين واصلاح حالهم ثم نردف ذلك بتاريخ البنوك فى العالم وتأثير بنوك كل بلد فى حالته الاقتصادية وفى ترويج مصالحه التجارية والصناعية فى الداخل وفى الخارج ثم نجعل ما عملته البلاد الاخرى لتحسين حال السواد الاعظم من اممها ليسهل اختيار ما يوافق بلادنا ويلائم حالتنا من بين تلك الانماط المختلفة فاذا اصبت فالحمد لله على النتيجة وان اخطىء فلى من حسن النية اكبر شفيع .

نوفمبر سنة ١٩١١

محمد طلعت حرب

■

خطاب طلعت حرب بك في حفلة تأسيس بنك مصر في مساء الجمعة ٧ مايو ١٩٢٠

احتفل فى دار الاوبرا السلطانية بتاسيس بنك مصر ، فخطب حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك لهذه المناسبة الخطبة الاتى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى :

باسم بنك مصر نشكر لكم تفضلكم بتلبية دعوته ، وتشريف هذه الحفلة التى اقيمت احتفالا بتمام الاجراءات التشكيلية التى يقتضيها القانون المصرى لتأسيس البنك، ففى بعد ظهر هذا اليوم اجتمعت جمعية المساهمين العمومية وقررت استيفاء جميع هذه الاجراءات ودونت شهادة الميلاد الذى نحتفل به الليلة . واملنا فى وجه الله تعالى أن يرعى هذا المولود بعنايته ، ويتعهده بتوفيقه ، فيشب ويترعرع حتى يدر خيرا وبركة على البلاد وأبنائها ، فيحتفلوا فى كل عام بذكرى هذا اليوم السعيد كما يحتفلون ان شاء الله تعالى بعيده الحديدى ، فالبرونزى ، فالفضى ، والذهبى ، والمئينى ، وهكذا وما ذلك بعزيز على الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا على صبر الصابرين وعزم اولى العزم من المصريين ، وعندنا والحمد لله منهم كثيرون .

سادتى : ان فكرة تأسيس بنك مصرى ، برؤوس أموال مصرية ، يعمل لمصلحة مصر قبل كل مصلحة سواها ، ليست بالحديثة . بل هى فكرة قديمة قد اراد الله تحقيقها الان فى أنسب الاوقات ، وأوفق الظروف . فما علينا الا ان نشمر عن ساعد الجد والاخلاص للسير به الى الامام . ففى البلاد أموال عظيمة بعضها مخزون معطل ، وبعضها فى بنوك أجنبية ، وكلاهما لا تستفيد البلاد منه شيئا مذكورا .

أحصى جناب المستشار المالى للحكومة المصرية ودائع الافراد فى بنكين اثنين : البنك الاهلى ، وبنك الانجلو ـ بما يربو على ٣٥ مليونا من الجنيهات . ولا يمكن تقدير مافى باقى البنوك ، لان من بينها مالا يفرز حسابات فروعه بمصر على حدة ، ومنها البنوك الخصوصية التى لا تنشر حسابها . ومع كل فلو قلنا ان مجموع ودائع الافراد ٣٥ مليونا من الجنيهات فقط ، وقلنا ان نصفها فقط للمصريين ـ أليس فى استخدام نحو ١٨ مليونا من الجنيهات فى مصلحة مصر وشئونها الاقتصادية خدمة كبرى للبلاد واهلها ؟.

ولكن فيم تستعمل البنوك الموجودة الآن هذه الودائع والامانات ؟.

نظرة فى تقارير هذه البنوك تدلنا على ان الجزء الاكبر منها مستعمل خارج هذه البلاد ، فى بونات على خزائن الحكومات ، أو فى سندات قروض الحرب ، او ما اشبه ذلك من العمليات التى هى فى مصلحة المساهمين فقط أو فى مصلحتهم ومصلحة البلاد التابع لها أصحاب النهى والامر فى هذه البنوك .

يقول جناب المستشار المالى فى مذكرته ان مجموع المبالغ التى شغلتها مصر فى الخارج فى المدة المنقضية من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ يبلغ ١٥٣ مليونا وهى :

١٣ مليونا المودع من الحكومة ومن الخزانة الرسمية لاموال الاعداء .

٦٥ مليونا لحساب اصدار البنكنوت

٦٠ مليونا من البنوك وشركات الرهنيات

١٤ مليونا من الشركات والافراد

١٥٢ مليونا

وهذا تقدير تقريبى أيضا

ومصر كانت احق باستخدام أموال بنيها فى مصالحها وشؤونها لو ان هذه الاموال كانت فى أيد مصرية تعمل هى أيضا لمصلحة بلادها كما يعملون ، وكان نظام مصر النقدى والاقتصادى غير النظام الحالى الذى تحيط به ظروف استثنائية والذى نرجو أن يزول بزوالها ان شاء الله .

ولا نتكلم اليوم عن اصدار البنكنوت وكيفية **تغطيته** ، ولا عن عملتنا ، وكيف اصبحت تابعة للجنيه الانجليزى حتى هبطت بهبوطه مع أن كفة ميزان التجارة فى مصلحتنا ولا عن سعر القطع عندنا كيف يحدد تبعا لسعره بلندرة ، ولا عن اقراض المصريين — من حيث لايدرون — انكلترا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها بحسب جنسية كل بنك أودع فيه المصريون من ثرواتهم أموالا طائلة .

كلكم قد عامل هذه البنوك ودخل فيها ، وأناشدكم ضمائركم : الم يتمن كل منكم وهو داخل فى واحد منها لو ان لبلاده بنكا مثله يديره مصريون مثله يعرفهم ويعرفونه ويفهمهم ويفهمونه ؟ الم يتمن أن يرى بين من يشتغلون فيه مطربشا او معمما وفى البلاد شباب ناهض يريد عملا فلا يجده بل يريد تمرينا على عمل فلا يجد بابا يطرقه ؟

تأسست فى مصر مدارس للتجارة ، عليا ومتوسطة وليلية ، فماذا كان نصيب متخرجيها ؟ هل شغلت البنوك او الشركات احدا منهم ؟ اللهم لا ، الا النادر الذى لا حكم له ، على حين نجد الباقين يشتغلون فى الغالب كتابا فى المصالح العمومية !

وما كان هذا هو الغرض من تأسيس هذه المدارس !

بجانب البنوك الاجنبية أراد المصريون أن يكون لهم بنك يعمل عمل هذه البنوك ، ويخدم مصر كما يخدم كل منها بلدا آخر ، ويضع يده فى يد كل ناهض بمصر الى الامام وكل مريد الخير لها ، وفى يد كل بنك فى مصر يعمل لمصلحة البلاد وأهلها .

وها هو ذا البنك قد وجد والحمد لله والشكر له . وهو فى أول يوم من أيام حياته يشهد الله جهارا على ملأ من حضراتكم انه لا يضمر عداء لاحد ولا يريد الا أن يعيش كما يعيش غيره ، وأن يكون له نصيب فى خيرات بلاده ويجاهد فى معترك هذه الحياة لمصلحة مصر وبنيها ، غير ناظر الا لهذه المصلحة ، يولى وجهه شطرها أينما كانت . وهو وان بدأ صغيرا ، سيكبر ان شاء الله تعالى باخلاص المخلصين من ابناء مصر الذين سيبوءونه كما هو المأمول، المكان اللائق به .

سادتى :

ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت الينا الاعتراضات الاتية :

أولا — اننا اردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية .

ثانيا — انه ليس فى مصر من يصلح لاعمال البنوك

ثالثا — ان الامة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ٨٠،٠٠٠ جنيه من اسماء كثيرين اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على ان الامة غير مستعدة للاعمال الاقتصادية .

وماذا يراد أن يعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى قد لا يفى ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين !!

واننا نرد على هذه الانتقادات ضاربين عرض الحائط بالسباب والشتم اللذين تخللا ويتخللان عبارات بعض هؤلاء المعترضين الذين

لا يرضيهم طبعا ان يشاركهم مصرى فى تلك الارباح التى يربحونها من المصريين، وكأن الله تعالى قد خصهم بها دون غيرهم ، فتراهم يعادون شخصيا كل من يحاول من أبناء البلاد أن ينال شيئا منها ، ويقاتلونه ويعتبرونه معتديا عليهم ·

١ ـ أسهم بنك مصر أسمية والمساهمون مصريون

نظن أنه اذا كان الغرض ، فقط هو جمع مال المصريين لعمل بنك بدون آخذ الحيطة اللازمة لعدم تحويل هذا البنك الى بنك اجنبى يعمل كباقى البنوك ـ ما وجدنا واحدا من المؤسسين يوافق على ذلك ، أو يرى ضرورة لتأسيس بنك كهذا ، والبنوك الاجنبية كثيرة فى البلاد · انما يعوز مصر حقيقة بنك برأس مال أهلى يعمل لمصر ولمصلحة مصر ، ولضمان ذلك لم يجد من فكروا فى تأسيس البنك سوى جعل الاسهم اسمية ، واشتراط بقائها بيد مصرية · ولهم أسوة حسنة بما يحصل فى البلاد الاخرى فى كل الاحوال التى يريدون الا يتسلط فيها الاجنبى على مرافق البلاد الحيوية ، يعلم ذلك كل متتبع لما هو جار فى البلاد الاجنبية · ولما تقرره غرفها التجارية وحكوماتها لحماية هذه المرافق الاقتصادية والمالية . وها نحن اولاء نقرأ تقريرا لمدير أحد المحلات الفرنسية التجارية باسكندرية ، ينصح فيه تجار بلاده الا يوكلوا عنهم فى مصر غير فرنسيين ، ويبلغهم استياء مواطنيه من وجود وكلاء غير فرنسيين عن بعض البيوت التجارية الفرنسية ·· وليس الفرنسيون بالمنفردين بهذا الاستئثار ، فالكل فى ذلك سواء · وليس الامر كذلك مقصورا على أوربا ، فها هى ذى أمريكا تشترط فى سفن ملاحتها كى تكون أهلية ، ان يكون جميع أصحابها أمريكيين ، وأركان حربها أمريكيين ، وأن تكون مصنوعة فى دار صناعة أمريكية · وتشترط اليابان مثل هذه الشروط فى كثير من شئونها الاقتصادية ، حتى فى سماسرة البورصة . نرجع للبنوك ذاتها نجد أن سويسرا تشترط لحيازة أسهم بنك سويسرا الاهلى ـ وهو آخر بنك أهلى أنشىء فى أوربا ـ ان يكون المساهم سويسريا . وها هى ذى أسوج تشترط مثل ذلك ، نعم ان فرنسا تجيز للاجنبى ان يملك أسهم بنك فرنسا ، ولكنها اشترطت من جهة أخرى أن الاسهم اسمية ، وألا يحضر الجمعية العمومية التى بيدها الحل والعقد الا ٢٠٠ من كبار المساهمين الفرنسيين ، واشترطت مثل هذا الشرط النمسا فى بنكها الاهلى · وبالجملة فالبلد الذى أباح للاجانب امتلاك أسهم من أسهم بنكه الاهلى ، قد قرن ذلك بقيود أخرى تجعل لسياسة البلد الاقتصادية اليد العليا فى تسيير دفة أعمال البنك · وهل كان فى وسعنا ان نحصل على وضع مثل هذه القيود ؟ وهل كان يصدق عليها مجلس الوزراء او لجنة مستشارى القضايا ؟. انهم كانوا بلاشك يرون فى ذلك مخالفة للمبدأ الاساسى لجميع الشركات وهو المساواة التامة بين جميع حمله الاسهم .

وليرنا المعترض صاحب حصة فى رأس مال بنك انجلترا غير انجليزى فلماذا لا يعاب مثل هذا على الامم الراقية ، ويعاب علينا ان تشبهنا بهم ، واردنا ان نحفظ لنفسنا وبلادنا بنكا واحدا يخدم مصالحنا ؟ وأى ضرر على غيرنا !

يرموننا بأننا جهلاء لا نصلح لادارة بنك فحقهم ان يشكرونا على أننا من أول الامر أردنا ألا نحمل نتيجة جهلنا ـ لا قدر الله ـ الا لانفسنا وألا يشاركنا غيرنا فيها · فما بالهم يناقضون انفسهم ؟

لا ، لا ، ان لكل بلد فى العالم سياسة مالية يجب ان يسير عليها ، واستقلالا اقتصاديا يجب أن يعمل على الحصول عليه والاستمرار فيه · والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصاديين فى كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطنى ، الذى يحصل على امتياز اصدار البنكنوت ، ويكون فوق كل البنوك يشرف عليها. ولا يزاحمها فى أعمالها · وظيفته مساعدة البنوك بأن يخصم أوراقها ، ويقرضها على قراطيسها متى احتاجت الى المال ، ويفرج الازمات ، ويتدارك بقدر الطاقة حدوثها · وهو ميزان الحركة التجارية والسوق المالية ، وبارومتر وفرة المال المعد للاعمال وندرته ، ومحدد سعر الفائدة فى البلاد بحسب ذلك ، ومخزن الذهب العين الى يوم الحاجة اليه ، يحفظه فى البلاد فلا يخرج منها الا بقدر ، ولضرورة تحسين سعر كامبيو البلاد ، او لضرورة قصوى تقتضيها مصلحة البلاد ··

وهو المهيمن الاعلى على الثقة والاعتمادات المالية فيها · وبالجملة هو بنك البنوك ، له وظيفة وأعمال خاصة غير مزاحمة البنوك ، واليه تنتهى جميع العمليات المالية فى البلاد · هذا البنك الوطنى المسيطر على السياسة المالية لكل بلد قد ضمنت كل حكومة عدم تسلط اى يد أجنبية عليه · وهذه هى وظيفة البنك لاهلى فى مصر ، الذى كان يجب أن يكون أهليا بكل معانى الكلمة ،أهليا فى رأس ماله ، اهليا فى ادارته ،كما هو الحال فى جميع بلاد الدنيا العاملة على حفظ استقلالها الاقتصادى · أما فى مصر فان الاسهم جعلت لحاملها ، وأصبحنا لا ندرى ولا هو يدرى فى يد من هى الان او بعد ساعة .ومعلوم ان حملة

الاسهم هم أصحاب الرأى الاعلى ، ولهم الحكم فى تسيير أعمال شركتهم · وهو فى مصر يزاحم البنوك الموجودة فيها فى اعمالها ، وقد كان له العذر فى عدم تغيير خطته ،لانه لم يكن فى البلاد بنوك أهلية ، ليكون بنكها ، ولا يمكن ان يكون بنكا لبنوك أجنبية قد لا تتفق فى الغالب مصلحتها مع مصلحته : فاذا أبطل أعمال البنوك العادية لا يستفيد هو ،ولا تستفيد البلاد شيئا ، بل الذى يستفيد هو البنوك الاجنبية المزاحمة الاخرى ، فضلا عن ان ربحه من البنكنوت المتداول فى البلاد كان الى سنة ١٩١٤ قليلا لعدم التعود كثيرا عليها ، فلم يكن فى الامكان مطالبته بأن يعدل عن الاعمال الاخرى الا اذا وجد له ربح يعادل ما يخسره من الاعمال المذكورة ·

هذا الربح لا يكون الا اذا وجدت بنوك اهلية ، برؤوس اموال اهلية تستعمل البنك الاهلى كبنك البنوك فيربح من معاملتها ويترك لها أعمال البنوك العادية ، ويعامل الافراد بوساطتها ، فيؤدى وظيفة بنك البنوك الحقيقية ·

لهذا أردنا أن يكون لنا بجانب البنك الاهلى بنك مصر ، نتدارك فيه ما فات لدى تأسيس البنك الاول · ولا أظن أن البنك الاهلى يرفض اتفاقا يحصل بين شركتنا وبينه على الاساس السابق ، يكون فاتحة خير لهما وللبلاد ، خصوصا وقد اصبح تداول البنكنوت شائعا فى مصر ، واصبح له من ربحه المال الكثير · على ان لا شيء يمنعنا – بل هو الواجب المفروض علينا – ان نجعل البنك الاهلى أهليا بالفعل ، بحصر أسهمه او معظمها فى أيدينا نحن المصريين ، مهما قال ذوو الغرض وشتموا وسبوا ، فلن يلحق بنا سبابهم ، مادمنا وطدنا العزم على السير للامام ، وبإخلاص وعزيمة لا تكل ان شاء الله تعالى ·

اقول ذلك وأنا واثق من أن وراءنا الامة بأكملها راضية عن هذه السياسة الاقتصادية عاملة عليها ، معضدة لها ·

يقولون ان فى جعل الاسهم اسمية ، واشتراط التبعية المصرية فى مالكيها ، وتضييقا لدائرة التداول وتصعيبا لحركة هذا التداول ·

ونقول ان الامة التى تريد استقلالها الاقتصادى يجب عليها ان تشترى هذا الاستقلال بقليل من التضحية ، بل بتضحيات كبيرة لا يذكر بجانبها بعض صعوبة يلاقيها من يريد بيع سهم له · على ان لا صعوبة عظيمة لانه قد ابيح البيع – ولكن لمصرى · لا يذكر ايضا بجانب هذه التضحيات ما ربما لا تحوزه الاسهم من الاعيب البورصة ، وتقلبات الاسعار فيها بسبب صعوبة تداولها · فان المساهم لم يساهم فى البنك ، على ما نعتقد ، ليضارب بأسهمه ،بل ونذهب لاكثر من ذلك ، ماذا يضر الامة – التى ألفت الوقف – لو وقف بعض بنيها جزءا من مالهم على استقلال بلادهم الاقتصادى ، واعتبروا الاسهم من أول يوم وقفا لا بيع فيها ولا شراء · على أن الامر بالعكس ، فالبيع جائز بقيد واحد ، وهو ان المشترى يجب أن يكون مصريا ؟

كنا أمام شرين اخترنا اهونهما ، فهل علينا فى ذلك من ملام ؟!

٢ – ليس فى مصر من يصلح لاعمال البنوك

ان مجال الكلام فى هذا الموضوع واسع ، نرى الانسب عدم التوسع فى الخوض فيه . غاية ما نقوله اننا أردنا أن يكون للبنك سياسة خاصة وصبغة أهلية ، متى تحققت لا نعبأ على يد من تنفذ . فاننا نولى وظائف البنك للاكفا مهما كانت جنسيته وديانته ، ونحن مستعدون للاستفادة من خبرة ومعلومات أى أجنبى كمستشار فنى أو كموظف – لا كحاكم ولا مسيطر يحول مجرى سياسة البنك الى غير ما أراده أصحاب الاموال وتقتضيه مصلحة البلاد · وان كان الرجال الصالحون للاعمال المالية بمصر قليلين ، فليس الذنب عليها ، ولذلك ظروف معلومة ، لن تحول دون البدء فى خلق الجيل الذى يصلح ، فمن لم تخرجه المدرسة ، فالعمل كفيل بايجاده ، والوظيفة تخلق العضو .

قيل لنابليون ، حينما وضع نظام بنك فرنسا الحالى ، انه ليس فى فرنسا رجال ماليون خبيرون بأعمال البنوك ، فقال لهم : هذه طائفة يجب خلقها · وقد خلقت وأصبحت فرنسا ، بعد قرن ، يضرب المثل بخبرة رجالها الماليين وعلمهم فلماذا لا يصدق على مصر ما صدق على غيرها ؟

اذا استعانت مصر فى بادىء أمرها بغير أبنائها فى بعض شؤونها ، فما ذلك بالعار عليها ، خصوصا اذا علمنا أن ٤٠ فى المائة من موظفى ومستخدمى البيوت التجارية بانكلترا الى سنة ١٩١٨ كانوا من الاجانب ، وأغلبهم ألمان ، مما هال غرفة لوندرة التجارية ، ونقابة بقية الغرف بانكلترا ، وصاحت من أجله طالبة تحقيقا دقيقا عن السبب فى ذلك ، والعمل على تغيير مناهج التعليم فى البلاد ، لجعلها وافية بتخريج الاكفاء لتولى هذه الوظائف فيستغنى

عن الاجانب . وكثيرون من موظفى بنوك فرنسا ذاتها كانوا ، لوقت قريب ، بل الى الان ، أجانب .

أمامنا عقبات لا ننكر صعوبتها ، سنذللها بفضل الله ، وحسن ثقة مواطنينا ، وبثباتنا ، على أن غيرنا قد بدأ مثلنا ، ولنسأل التاريخ عما أصاب البنوك فى كل بلد فى أول عهدها

فبصدر واسع نتلقى هذه المسئولية الملقاة على عواتقنا ، سائلين الله تعالى ان يخفف حملها علينا ، وان يوفقنا الى أقوم السبل ، وان يولى أمورنا خيارنا وأن يهدينا الى من يحسن ارشادنا وتعليمنا بنية خالصة وعزيمة صادقة .

وانى هنا ، بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن جميع زملائى أعضاء مجلس الادارة ، نقرر باننا مستعدون للتخلى عن كرسى العضوية بالمجلس لكل كفء يتقدم ، مادامت ضالتنا المنشودة واحدة ، وهى الاخذ بيد هذا المولود السعيد الى الامام لخير البلاد ومصلحتها ، وهى تتفق فيه مع مصلحة المساهمين أنفسهم لانهم مصريون .

٣ ــ عدم استعداد الامة للاعمال الاقتصادية وعدم الاكتتاب الكبار فى أسهم البنك بمبالغ وافرة

لا ننكر ان الامة طفلة فى المشروعات الاقتصادية . ولكن أين الامة التى ولدت عالمة ، مستعدة بفطرتها لمثل هذه الاعمال ؟ وهل الذنب كما قلنا على الامة المصرية اذا لم يعلمها أو لم يعودها أحد ؟

سلوا التاريخ أيضا ينبئكم عما قاست كل أمة فى بداية نهضتها ، وهل لكون الامة غير مستعدة ، تبقى على عدم استعدادها الى ماشاء الله ؟ انها تريد كغيرها أن يهديها هداتها الى الطريق القويم فتسلكه وتتعوده ...

فكر بعض المصريين فى تأسيس بنك مصر ، فعملوا ما يعمله غيرهم ، من جمع بعض أشخاص يكتتبون فى أى رأس مال أولى ، يطلب به المرسوم السلطانى ، ولم يكن بوسع القائمين بهذا المشروع أن يفتحوا قبل صدور المرسوم ، اكتتابا عاما لتظهر قدرة الامة واستعدادها فلماذا هذه المغالطة ؟ والمبلغ الذى جمع ودفعه المؤسسون بأكمله عن طيب خاطر لا يقدم ولا يؤخر ولا يصح اتخاذه دليلا على شىء سوى جمع كلمة بعض اشخاص على استصدار مرسوم سلطانى بتأسيس بنك ليدعى المصريون للاكتتاب العام فيه . وهذا مادعيت لتقريره الجمعية العمومية غير العادية هذا اليوم .

يعترضون بأن المساهمين ليس بينهم من اكتتب بمبالغ كبيرة ، ولم نسمع قبل الآن بأن البنك يجب أن يكون ملكا لبضعة أشخاص ..

نراجع عدد المساهمين فى بنك فرنسا ورأس ماله ١٨٢ مليون فرنك ، مقسم الى ١٨٢ الف سهم ، ومجموع عملياته فى السنة يقدر بالمليارات ، لا بالملايين ، نجد أنه كان فى نهاية سنة ١٩٠٨ : ٣١ر٢٤٩ مساهما هذا بيانهم :

عدد	
١٠٣٨	يملك كل منهم سهما واحدا
٦٥٨٤	يملك كل منهم سهمين
٧١٦٦	يملك كل منهم من ٣ اسهم الى ٥
٣٦٥٣	يملك كل منهم من ٦ أسهم الى ١٠
١٩٤٢	يملك كل منهم من ١١سهما الى ٢٠
٧٠٢	يملك كل منهم من ٢١ سهما الى ٣٠
٤٥٢	يملك كل منهم من ٣١ سهما الى ٥٠
٣٥٢	يملك كل منهم من ٥١ سهما الى ١٠٠
١١٣	يملك كل منهم اكثر من مائة سهم

فسبعة وعشرون الف مساهم من ٣١ الفا ، لا يملك كل منهم ازيد من عشرة اسهم ، وليس بين الاربعة آلاف الباقين سوى ٣٦٥ مساهما يملك كل منهم أزيد من ٥٠ سهما ، ومنهم ١١٣ مساهما فقط يملكون أكثر من ١٠٠ سهم .

فأين اغنياء فرنسا ؟ هل هم أيضا غير مستعدين للاعمال المالية ، حتى أنهم لم يساهموا فى بنك فرنسا بنسبة ثرواتهم

نعم أن الامة المصرية كغيرها من الامم التى ألفت نوعا من طرق استثمار المال يصعب جدا تحويلها عما ألفت الى مالم تألف الا بمرور الزمن والصبر والجلد والمثل الحسن

فمتى رأت مثلا حيا صالحا اتبعته ، وسارت عليه ، ودخل فى عاداتها . وأملنا أن يكون بنك مصر هو ذلك المثل الحى الذى نقدمه للبلاد .

نعرف جيدا أن هذا البنك محتاج لرأس مال كبير ، أكثر مما يحتاج اليه بنك آخر مثله . لان هذا البنك الاخر يقوم عادة ووراءه عضد من حكومته ، ومن بنك بلاده الاهلى ، بل ومن بنوك أخرى ربما اشتركت فى تأسيسه . أما بنكنا هذا فكل اتكاله أولا على عون الله ، واخلاص مساهميه وثقتهم ببعضهم البعض ،

وببنكهم ، وعضد الامة المصرية ، ثم على رأس ماله الذي يجب أن يتناسب مع مجموع عملياته ومع مقدار الامانات والودائع التي تودع فيه

برنامج البنك
ماذا يعمل بنك مصر

يعمل كل ما يعمله بنك تجاري مثله ، لا فرق فيمن يعامله بين ان يكون مصريا او غير مصري فالمصرية لم تشترط ، كما قلنا ، الا في رأس المال ، للاسباب التي أوضحناها ، أما فيما عدا ذلك فأبوابه مفتوحة لكل عميل .

في البلاد أموال كثيرة مخزونة ومعطلة كما قلنا ، وظيفتها في الاصل التداول بين الناس ، ولها في كل حركة بركة ، وفي كل دوره ربح لرابح . ففي خزنها وقوف هذه الحركة ، وضياع لهذا الربح وللفائدة التي تعود على البلاد من زيادة أرباح بنيها ، فضلا عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة أو الحريق أو ما أشبه . وفي البلاد ودائع وأمانات كثيرة مستثمر معظمها في بلاد غير البلاد ، لو أستثمرت هذه وتلك في الشؤون المصرية ، وسوعدت بهما التجارة والصناعة والزراعة المصرية ، لزادت الثروة المصرية أضعافا مضاعفة ، ولكان ذلك عاملا قويا على اصلاح حالنا الاقتصادية وايجاد الكفاءة المالية ، التي هي الاساس المتين للرقي المطلوب . وهذا ما سيجعله بنك مصر نصيب عينيه ، فهو يشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم ، ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية ، وشركات النقل بالبر والبحر ، وشركات التأمين بأنواعها ، ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت في شؤونها المالية ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها . ومن فوائده أنه لا يتأثر بالاشاعات المكذوبة ، فلا يقفل بابه عن الناس لاقل اشارة ترد اليه من الخارج بسبب او بلا سبب ، فتحذو حذوه بقية البنوك ، على اعتبار انه بنك البلد وأعلم بما يجري فيه .

ولا يفهم من ذلك أن بنك مصر سيكيل المال جزافا لمن يستحقه ومن لا يستحقه ، كلا ، فبنك مصر سيشدد في التدقيق قبل توظيف اي مبلغ ، ولا يستثمره الا في وجوه سليمة مأمونة ، محقق أتيانها ، في الاجل المحدد لها ، بالاصل والربح وبربح آخر للعميل . فما الاموال التي تستثمرها كل البنوك وبنك مصر من ضمنها الا أمانات وودائع ، يجب أن تكون حاضرة لدى طلب اربابها . فلذلك لا تستعمل الا فيما يكون مضمونا ولن يكون قادرا حقا على الوفاء في الاجل المحدد

نعم سيدقق بنك مصر اكثر من غيره ، لان مركزه استثنائي والعيون شاخصة اليه .

لن يشتغل بنك مصر على الاطلاق في المضاربة لنفسه ، ولن يساعد غيره عليها ، ولن يقرض الاموال المودعة لديه لآجال طويلة ، فلذلك بنوك اخرى خصيصة به .

نريد ان يفهم الكل ان بنك مصر ليس جمعية خيرية ولا ملجأ للعاطلين ، ولكنه محل تجارة يعمل عملا تجاريا على مبادىء وأصول قويمة لن يحيد عنها ان شاء الله تعالى .

سيؤدي بنك مصر لجميع عملائه كل الخدمات المالية التي يحتاجونها بأجر مناسب . وسيعمل بالاتحاد مع حضرات التجار ، على تنظيم الحالة التجارية ، وانشاء الغرف التجارية ، والنقابات والشركات التعاونية وغيرها للدفاع عن مصالح اعضائها ، ودرس انجع الطرق لترقية شئونهم وزيادة أرباحهم باحسان طرق البيع والشراء وترتيب الاعمال ، وتنظيم الحسابات كما يعمل بالاتحاد مع اصحاب المزارع والمصانع على تأسيس النقابات ، وشركات التعاون اللازمة لهم ، وللدفاع عن مصالحهم ومحاصيلهم ومصنوعاتهم .

ولن يرى أحد منهم غضاضة في ذلك : فالبنك بنكهم والقائمون بأموره منهم ، ومصلحة الفريقين واحدة ، وضالة الجميع ترقية الشؤون المصرية وتنظيم الحركة الاقتصادية بالبلاد .

وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام في الشبيبة ، وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم ، والحث على وضع أساس التربية الاقتصادية العملية في البلاد وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابي أساسا في مناهج التعليم فيها .

هذا هو برنامج بنك مصر ، سيعمل على تحقيقه تدريجا بكل تان وروية ، فالطفرة محال ، والتدرج سنة طبيعية ـ ليكون لنا وجود اقتصادي ايجابي ، ولتكون لنا رؤوس أموال مصرية في سوق المال ، تستعمل في الشئون العامة المصرية ، ويكون لها وحدها الحق في تحديد سعر الفائدة والقطع في البنوك .

دخلَ في يدِ كثير من المصريين أموال عديدة في هذه السنوات الاخيرة ، ففيم استعملوها ؟

استعملوا معظمها في نوع الاستثمار الذى الفوه وهو شراء الطين . فتهافتوا عليه حتى اغلوا ثمنه ، واصبحنا نسمع بأن ثمن الفدان قد بلغ في بعض الجهات ٧٠٠ جنيه !

هذا حسن · ولكن اذا نظرنا الى مجموع الامة المصرية ، هل نجد ايرادها قد زاد بانتقال الفدان من يد لاخرى ، وهو هو بعينه يعطى ايراده سواء أكان ثمنه مائة جنيه ام سبعمائه ؟ لا،لانهاذا ما عادت المياه الى مجاريها ورجع كل شيء لنصابه ، وجدنا أن تلك الاموال التى دخلت في يد المصرى ، واستعملها في الطين ذهب معظمها هباء في زيادة ثمن كان له يد في ايجادها بتهافته على شراء الطين وعدم تنويع طرق استثمار ماله · وهذا التنويع في مصلحة البلاد التى لا يصح ان تعتمد في ايرادها وثروتها على نوع واحد من الاستثمار · وفي البلاد سندات الدين العمومى ، وسندات واسهم شركات كثيرة معظمها في ايد اجنبية ، كأسهم البنك الاهلى والزراعى والعقارى وشركات المياه والترامواى وغيرها وغيرها ، لو استعمل في شرائها أو في القيام ببعض المشروعات الاقتصادية الجمة المحتاجة لها البلاد من زراعية وتجارية وصناعية لاستثمار خيراتها ـ جانب من أموال المصريين ، لوجدوا انفسهم امام أرباح جديدة تأتيهم من أعمال جديدة غير الطين ، ولحفظوا هذه الاموال والارباح في البلاد ، بدل وجودها في الخارج او نزوحها اليه ، ولعملوا على انقاص مقدار البنكنوت المتداول في الايدى ، وانقاص اثمان الحاجيات الى حد ما ـ تبعاً لذلك · نعم في يد المصريين أن يساعدوا على تقليل مقدار البنكنوت المتداول في الايدى ، بان يستثمروها في أى مشروع ويشتروا أى قراطيس أو قروض أو على الاقل ، يودعون كل مازاد عن اللازم لتمشية حركتهم العادية في أحد البنوك التى يأتمنونها ، يستثمرها بدلهم ، ويحفظها لهم لحين طلبها ، ففي ذلك تقليل لما في الايدى من البنكنوت ، وزيادة لنسبة الذهب المخصص لتغطيتها والا فلا يمكن التسليم بان كل الخمسة والستين مليونا من ورق البنكنوت المتداولة في الايدى لازمة للحركة ، بل لابد أن جانبا منها معطل بلا فائدة ولاثمرة يثقل على الاسعار والاسواق ·

والمأمول أن يكون بنك مصر خير مرشد وأقوى عامل لتحقيق هذا الغرض . نعم ان مهمة البنك شاقة ولحسن قيامه بها ماهو ذا يؤمل من حضراتكم ، ومن الامة المصرية تعضيدا وتشجيعا ، وحسن ثقة به · فلننهض من اليوم لندرك ما فات وماذا نعمل لادراك ذلك أيها السادة ؟

نحوط بنك مصر الذى أنشأناه بجميع رعاياتنا وتاييدنا القائمين به بثقتنا ، وباثباتنا بالفعل اننا نصلح أيضا للبناء والتعمير ، وبالاكتتاب في أسهمه وباغفال كل ما يروجه خصومه من الاشاعات عنه ، وبالاخذ بيده على الدوام وبتقويم كل اعوجاج يراه أحدكم فيه بالحسنى ، وباختيار الاكفاء لمجلس الادارة ، وباتخاذه بنكا حقيقيا للمصريين ، يجمع المال الزائد لدى البعض ليسد به حاجات البعض الاخر ، ويقوم بكل خدمة مالية يكلفه بها الكل ، تنحصر فيه أعمالهم المالية : من أيداع ، وقبض وتكليف بدفع أو تحصيل وشراء أوراق مالية وبيعها وحفظها وتامينها وقبض كوبوناتها وقطع اوراق وكمبيالات وفتح حسابات جارية ،وحفظ محاصيل وبيعها لحساب اصحابها ، والتسليف عليها ، وتحويل دفعات داخل القطر وخارجه ، الى غير ذلك مما يتعلق بالمال وحركته ، بجميع الضمانات والاحتياطات الممكنة ، وباجور مناسبة ·شارته المكسب القليل كثير بتعدد العمليات ، ومتى زادت الحركة ، وكثر المال المودع فيه ، وزاد الاقبال عليه ، واصبح مستودع المال الزائد عند كل عميل يستجره منه حسب لزومه ، وانحصرت فيه أعمال العملاء ـ يصبح كاتب حسابات عملائه وأمين صندوقهم وخازن مستنداتهم ، ومراجع حساباتهم ومحصل أموالهم لدى الغير والموكل عنهم ، يدفع ما عليهم لمن يريدون ، والناصح الامين الذى لا غرض له الا فائدة عملائه ومصلحتهم ـ أى فائدة البلاد لانهم أبناؤها ، وفي أسعادهم أسعادها · ولحضراتكم علينا عهد الاخلاص في العمل ، والتخلى عن العضوية والادارة لكل كفء يتقدم وحسن النية في كل عمل نأتيه .

واننا واثقون بعون الله وبتعاضد الامة وأقبالها على هذا المشروع العظيم ، فبنجاحه تحقيق لاكبر آمالها ،وهو الاستقلال الاقتصادى .

والله تعالى المسئول ان يمدنا جميعا بروح منه ، ويوفقنا الى مافيه الفلاح والنجاح .

الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٢٠

وثائق

مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

١٨

سياسة الاتحاد السوفيتي الزراعية

« خطاب ستالين الذى ألقاه بتاريخ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٧ في مؤتمر علماء الماركسية المتخصصين في المسألة الزراعية »

ننشر فيما يلى الجزء الاول من خطاب ستالين حول المسألة الزراعية ، كما نقدم الجزء الثانى والاخير منه فى العدد القادم ، وهو القسم الذى يعالج فيه العلاقة بين المدينة والريف ومشاكل تصفية طبقةالكولاك ثم اعادة تجميع الطبقات فى ظل السياسة الزراعية الجديدة .

ان الواقع الاساسى فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية فى الوقت الحاضر ، والذى يثير انتباهنا جميعا ، هو النمو

العظيم الذى تنسجله حركة الزراعة الجماعية (١) .

والطابع المميز لهذه الحركة هو ان المزارع الجماعية (الكولخوزات) لا تدخلها مجموعات معينة من فقراء الفلاحين فحسب ، بل تنضم اليها ايضا جموع من متوسطى الفلاحين . فهذه الحركة التى كانت من قبل قاصرة على مجموعات وفئات معينة من الفلاحين الكادحين ، اصبحت تضم ملايين من جماهير الفلاحين ، وهذا هو واحد من الاسباب التى تفسر ذلك الامر البالغ الاهمية ، تلك الاسباب التى جعلت حركة المزارع الجماعية (الكولخوزات) سيلا جرف الكولاك (اغنياء الريف) ، وحطم فى مسيرته مقاومتهم ، وفتح على نطاق واسع طريق بناء الاشتراكية فى الريف .

واذا كان لنا أن نفخر بالانتصارات العلمية التى سجلناها فى البناء الاشتراكى ، فليس بوسعنا ان نعتز بتقدم نشاطنا النظرى فى المجال الاقتصادى عموما وعلى وجه خاص فى ميدان الزراعة ، بل ينبغى أن نقرر ان الفكر النظرى لا يسير بنفس السرعة التى تسير بها انتصاراتنا العلمية ، اذ أن هناك تفاوتا بين هذه الانتصارات وبين نمو الفكر النظرى ، فى الوقت الذى يتحتم فيه ان يسير النشاط النظرى جنبا الى جنب مع النشاط العملى . ليس هذا فحسب ، بل يجب ان يتقدمه ويكون سلاحا بأيدى الاخصائيين فى كفاحهم من أجل انتصار الاشتراكية .

لن أطيل هنا الكلام عن اهمية النظرية ، فانتم تعرفونها بما فيه الكفاية ، وتعلمون ان النظرية — أعنى النظرية الجديرة بهذا الوصف — توفر إمكانية التوجيه للاخصائيين وتزودهم بوضوح الرؤيا ، وبالجرأة فى العمل ، والثقة بالنصر فى قضيتنا . كل هذا له — ولابد أن يكون له — أهمية بالغة فى بنائنا الاشتراكى ، غير اننا بدأنا للاسف — نتراخى فى هذا الميدان بالذات فى دراسة المسائل المتعلقة باقتصادنا دراسة نظرية . والا فكيف نفسر تداول مختلف النظريات البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة فى حياتنا الاجتماعية والسياسية وكيف نفسر أن هذه النظريات وما يتفرع منها ليست محل هجوم كما ينبغى حتى الان . وكيف نفسر ان النسيان بدأ يجر ذيوله على مجموعة من النظريات الاساسية فى الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى ، والتى تعد فى حد ذاتها ، ردا حاسما على تلك النظريات البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة ، وان الصحافة لا تضعها فى متناول الجميع ولا تعطيها مركز الصدارة .

فهل من العسير حقا ان ندرك اننا لا نستطيع تحقيق الانتصار الكامل على أعدائنا الطبقيين دون ان نشن هجوما قاسيا على النظريات البورجوازية ، مستندين فى ذلك الى النظرية الماركسية اللينينية ؟

تقودنا تجربتنا الجديدة الى معالجة قضايا اقتصاد فترة الانتقال بطريقة حديثة ، فالمسائل المتعلقة بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة» (NCR) وبالطبقات ، وبمعدل البناء ، والمسائل المتعلقة بربط المدينة بالريف ، وتلك الخاصة بسياسة الحزب تطرح اليوم بشكل جديد .

فمن واجبنا الان — لتفادى التخلف عن التجربة العملية — ان نتناول بالدراسة كافة هذه القضايا على ضوء الواقع الجديد ، حتى نستطيع التغلب على تلك النظريات البورجوازية التى تلطخ عقليات الاخصائيين ، والتى ما كان بمقدورنا استئصالها بعد ان استقرت كمعتقدات بورجوازية موروثة ، الا بالكفاح ضدها ، على المستوى النظرى ، اذ انه السبيل الوحيد لتدعيم مواقع الماركسية اللينينية .

أرجو ان تتيحوا لى الفرصة الان حتى أقوم بتشريح تلك المعتقدات البورجوازية الموروثة التى توصف بالنظريات وأن أدلل على فقدانها للتماسك ، وذلك بالقاء الاضواء على بعض قضايا البناء الاشتراكى الاساسية عندنا .

١ — نظرية التوازن

تعلمون بلا شك أن نظرية « التوازن » بين قطاعات اقتصادنا القومى لاتزال متداولة بين الشيوعيين . ورغم أن هذه النظرية لا تمت قطعا للماركسية بصلة ، الا أن عديدا من اليمينيين داخل الحزب يقومون بالترويج لها . ومؤدى هذه النظرية ان عندنا اولا قطاعا اشتراكيا مثل « الصندوق » المستقل . وأن عندنا ثانيا قطاعا غير اشتراكى ، او اذا اردتم ، قطاعا راسماليا يكون صندوقا آخر ، على ان يسير كل من هذين الصندوقين فى مجرى مستقل عن الثانى ، حيث يتقدم كل منهما دون أن يصطدم بالاخر .

ويعتقد اصحاب تلك النظرية ان المتوازيين سوف يلتقيان ، رغم علمنا بأن المتوازيين هندسيا — لا يلتقيان . ويعتقدون أن هذا الالتقاء سيولد الاشتراكية . وهذه النظرية لا تاخذ فى الاعتبار انه توجد خلف هذه «الصناديق»

---

(١) المقصود بها المزارع الجماعية (الكولخوزات) ومزارع الدولة (السوفخوزات) .

طبقيـــات ، وأن تحـــرك تلك « الصـــناديق » يتم في خضـــم معركة طبقية ضارية . . معركة حياة او موت .. معركة حاسمة لن ينتصر فيها .

ليس من الشاق علينا ان نفهم أن هذه النظرية لا علاقة لها باللينينية ، وليس من العسير ان ندرك أنها تهدف موضوعيا الى الابقاء على مواقع الاقتصاد الفلاحي الفردي ، وتقدم للكولاك سلاحا نظريا « جديدا » في معركتهم ضد المزارع الجماعيه يحطون بها من شأنها . ومع ذلك نرى الصحافه تروج لهذه النظريه وليس بوسعنا القول أن علماء النظرية عندنا يقومون بالهجوم عليها هجوما جادا او بالاحرى هجوما مظفرا ، وليس من نتيجة لهذا الاهمال سوى الوضع المتخلف الذي اصبح عليه فكرنا النظري .

ومع هذا ، كان يكفي أن نستقي من كنوز الماركسية نظرية الانتاج المعاد لنواجه بها نظرية توازن القطاعات حتى لا يبقى من هذه الاخيرة أثر يذكر . فالنظرية الماركسية للانتاج المعاد تعلمنا ان المجتمع المعاصر لا يستطيع التقدم بغير التراكم سنويا ، وتعلمنا انه لا تراكم بغير الانتاج الموسع المعاد سنة بعد أخرى . انه لامر جلي وواضح ، وصناعتنا الاشتراكية الممركزة تنمو طبقا للنظرية الماركسيه عن الانتاج الموسع المعاد ، حيث يزداد حجمها سنة بعد سنة وحيث تتراكم وتتقدم بخطوات جبارة . الا أن هذه الصناعة الاشتراكية الممركزة لا تشكل بمفردها الاقتصاد القومي . ذلك ان الاقتصاد الريفي الصغير لا يزال يسيطر على اقتصادنا القومي .

هل نستطيع القول بأن الاقتصاد الريفي الصغير ينمو طبقا لمبدأ الانتاج الموسع المعاد؟ كلا ، فهذا الاقتصاد الريفي الصغير لا يحقق سنويا في مجموعه الانتاج الموسع المعاد . ليس هذا فحسب ، بل ليس في مقدوره دائما أن يحقق مجرد الانتاج البسيط المعاد . وعلى هذا ، هل يمكن الاسراع في انماء صناعتنا الاشتراكية على قاعدة زراعيـة كالاقتصاد الفلاحي الصغير الذي يعجز عن الانتاج الموسع المعاد ، والذي يمثل ، علاوة على ذلك ، القوة المسيطرة على اقتصادنا القومي؟ كلا ، فهذا مستحيل . وهل يمكن أن نقيم – لفترة طالت او قصرت – السلطة السوفيتية والبناء الاشتراكي على قاعدتين مختلفتين ، اي على قاعده الصناعة الكبرى الاشتراكية الموحدة ، وعلى قاعده الاقتصاد الفلاحي السلعي وهو اقتصاد مفتت ومتخلف؟ كلا هذا مستحيل . لو قمنا بذلك لادى الامر الى انهيار الاقتصاد القومي انهيارا كاملا يوما ما . ما هو المخرج اذن؟ علينا أن نجمع الاقتصاد الريفي في وحدات اضخم وان نجعل هذا الاقتصاد كفيلا باحداث التراكم وكفيلا بالانتاج الموسع المعاد فنغير بذلك القاعدة الزراعيـة لاقتصادنا القومي .

ولكن كيف نجري هذا التجميع؟ يوجد لذلك وسيلتان ، احداهما . وهي الوسيله الرأسمالية ، تعني توسيع الوحدات الزراعيه بغرس الرأسمالية فيها مما يؤدي الى افقار الفلاحين والى ازدهار المشروعات الرأسمالية في الزراعة . ونحن نلفظ هذه الوسيلة لانها تتنافى مع الاقتصاد السوفيتي . والوسيلة الاخرى ، وهي الوسيلة الاشتراكية ، تعني خلق مزارع جماعية (كولخوزات) ومزارع الدولة (سوفكوزات) ، أي تجميع الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة في مزارع جماعية كبرى تساعدها تكنيكيا وعلميا مما يؤدي الى ازاله العناصر الرأسمالية من الزراعة .

نحن مع هذه الوسيلة الثانية لانه لا مفر من اختيار احد امرين : فاما التقهقر نحو الرأسمالية او التقدم الى الامام صوب الاشتراكية ، فليس من سبيل ثالث ، ولا يمكن أن يوجد سبيل ثالث . أما نظرية « التوازن » فهي محاولة لايجاد هذا السبيل الثالث وهي نظرية خيالية ومعادية للماركسية لانها تتضمن بالفعل سبيلا ثالثا (لاوجود له) ويكفي أن نواجهها بنظرية الماركسية عن الانتاج المعاد حتى لا يبقى لها أثر .

لماذا لا يقوم علماء الماركسية عندنا – المختصون بالمسألة الزراعية – بهذا العمل؟ لماذا نرى نظرية « التوازن » السخيفة لاتزال تتداول في صحافتنا ، بينما تبقى النظرية الماركسية عن الانتاج المعاد تحت الانقاض؟

٢ – نظرية « النمو التلقائي الذاتي » في البناء الاشتراكي

فلننتقل الان الى المعتقد البرجوازي الثاني المتداول في الاقتصاد السياسي . . الى النظرية الثانية ذات الاصالة البرجوازية ، وأعني بذلك نظرية « النمو التلقائي الذاتي » في عملية البناء الاشتراكي ، والتي لا علاقة لها بالماركسية ، ويروج لها مع ذلك بحرارة زملاء اليمين داخل الحزب .

ومؤدى هذه النظرية ، انه طالما كانت عندنا الصناعة تنمو في ظل الرأسمالية ، على اساس رأسمالي ، والقرية تتبع المدينة اوتوماتيكيا ، والتحول يجري فيها على نمط المدينة الرأسمالية ، فما الذي يمنع أن يتم ذلك على نفس المنوال في الاقتصاد السوفيتي ، اي لماذا لا يستطيع الريف ، ولماذا لا يستطيع الاقتصاد الفلاحي الصغير أن يتبع اوتوماتيكيا المدينة

الاشتراكية ، وأن يتحول طبيعيا على منوالها ؟

وأصحاب تلك النظرية يؤكدون أن القرية تستطيع أن تتبع أوتوماتيكيا المدينة الاشتراكية . ويتساءلون لماذا نبذل هذا الجهد الكبير لتأسيس المزارع الجماعية ومزارع الدولة طالما أنه في وسع القرية ان تتبع المدينة الاشتراكية؟ وتلك نظرية أخرى ترمى موضوعيا الى تسليم سلاح جديد الى العناصر البرجوازية في الريف في كفاحهم ضد المزارع الجماعية ، وليس هناك أدنى شك في جوهر هذه النظرية المعادى للماركسية . والامر الذى يثير الدهشة حقيقة هو عدم اهتمام علماء النظرية عندنا بتشريح تلك النظرية البرجوازية العجيبة وتفنيدها ، وقد تلطخت بها اذهان اخصائيي المزارع الجماعية .

حقيقة أن الدور القيادى الذى تلعبه المدينة الاشتراكية بالنسبة للريف الفلاحى الصغير دور هام وثمين . وهنا نلمس بوضوح الدور التحويلي الذى تلعبه الصناعة بالنسبة للاقتصاد الريفى ، ولكن هل يكفى هذا العامل بمفرده حتى تسير القرية وراء المدينة في عملية البناء الاشتراكى؟ كلا ، ليس هذا كافيا ، فالقرية كانت تتبع المدينة اوتوماتيكيا في ظل الراسمالية لان كلا من اقتصاد المدينة الرأسمالى ، والاقتصاد السلعى الفلاحى الصغير يمت في الواقع الى اقتصاد من نوع واحد . واذا كان صحيحا أن الاقتصاد السلعى الفلاحى الصغير لم يصل بعد الى رتبة الاقتصاد الرأسمالى . الا أنه أساسا من نفس النوع اذ يستند الى الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . لقد كان لينين محقا كل الحق عندما قال في ملاحظاته المكتوبة بشأن مؤلف بوخارين عن اقتصاد المرحلة الانتقالية . ان « الاتجاه السلعى **الرأسمالي** للفلاحين » يتعارض مع « الاتجاه **الاشتراكى** للبروليتاريا (٢) ، وهذا ما يفسر ان الانتاج الصغير يولد الراسمالية بلا انقطاع ، كل يوم وكل ساعة ، يولدها تلقائيا وعلى نطاق واسع » .

(لينين)

هل بوسعنا القول بأن الاقتصاد الفلاحى السلعى الصغير في جوهره من نفس نوع الانتاج الاشتراكى في المدينه؟ لاشك أننا لا نستطيع القول بذلك والا قطعنا الصلة بالماركسية وما كان للينين ان يقول أنه « طالما نعيش في بلد من صغار الفلاحين فالرأسمالية تتمتع في روسيا بقاعدة أقتصادية اشد قوة مما تتمتع به الشيوعية » ومن أجل ان تتبع القرية الفلاحية الصغيرة المدينة الاشتراكية ينبغى - علاوة على الامور الاخرى - أن تنشا في القرى اقتصاديات اشتراكية كبيرة على شكل مزارع الدوله ومزارع جماعية تكون بمثابة قواعد للاشتراكية في مقدورها ان تقود الكتلة الاساسية من الفلاحين وراء المدينة الاشتراكية .

ان الامر واضح ، فنظرية « النمو التلقائى الذاتى » في البناء الاشتراكى نظرية معادية للماركسية . وعلى المدينة الاشتراكية ان تقود وراءها الريف الفلاحى الصغير بانشاء المزارع الجماعية ومزارع الدولة وتحويله الى الاشتراكية . ومن الغريب حقا الا تلقى نظرية « النمو التلقائى الذاتى» في البناء الاشتراكى ، المعادية للماركسية اى هجوم جدى من قبل علماء النظرية عندنا المتخصصين في الزراعة .

٣ ـ نظرية « دوام الاقتصاد الفلاحى الصغير »

ولنتناول الآن المعتقد البرجوازى الموروث الثابت المتداول في الاقتصاد السياسى ، اى نظريه « دوام » الاقتصاد الفلاحى الصغير . ونحن نعلم جميعا بالاعتراضات التى يوجهها الاقتصاد السياسى البرجوازى الى الرأى الماركسى القائل بتفوق الاستثمارات الكبيرة على الصغيرة منها ... يقولون بأن هذا الرأى ليس صحيحا الا فيما يختص بالصناعة ولا يمكن تطبيقه على الزراعة . ويحاول المنظرون من الاشتراكيين الديموقراطيين الذين يروجون لهذه النظرية من نوع دافيد وهرتز الاستناد الى أن الفلاح الصغير مثابر وصبور ومستعد لتحمل كل حرمان ليحتفظ بقطعة ارضه الصغيرة ، مما يعنى قدرة الاستثمارات الفلاحية الصغيرة على البقاء في ثبات خلال كفاحها ضد الاستثمارات الزراعية الكبيرة . الا أنه ليس من العسير أن نفهم أن هذا « الثبات » أسوأ من عدم الثبات أيا كان ، كما أنه ليس من الصعب أن ندرك أن هذه النظرية المعادية للماركسية لا هدف لها سوى الاشادة بالنظام الراسمالى وتدعيمه ، وهذا بالدقة ما أتاح للماركسيين القضاء عليها بسهولة . وأيا كان الامر ، فليس هذا هو المهم الان ، لانه بينما تزودنا التجربة العملية في واقعنا الراهن بحجج نواجه بها هذه النظرية ، لا يريد بل ويحجم علماء النظرية عندنا - يا للعجب !! - عن استخدام هذا السلاح الجديد ضد أعداء الطبقة العاملة، وأعنى بهذه التجربة العملية ، الغاء الملكية الخاصة للارض وتأميم كل أراضى الاتحاد

(٢) الخط المؤكد لكلمتى رأسمالى واشتراكى من وضع لينين نفسه .

السوفيتى ، الامر الذى يخلص الفلاح من ارتباطه العبودى بقطعة أرضه الصغيرة ، ويجعل تطوره نحو الجماعية ميسرا .

ما الذى كان يربط الفلاح الصغير فى أوروبا الغربية باقتصاده السلعى الصغير ، ويربطه به الان ، وسوف يربطه به مستقبلا؟ ان هذا يرجع قبل اى شىء آخر الى امتلاكه لقطعة أرضه الصغيرة ، أى الى وجود الملكية الفردية للارض . ففى خلال سنوات طويلة ، يجمع الفلاح الصغير نقودا لابتياع قطعة صغيرة من الارض وهو لا يريد بالطبع الانفصال عنها بعد أن يشتريها ، انه يفضل أن يعانى كل حرمان ، أن يقع فى حالة من البؤس تقارب بؤس البربرية عن التفريط فى قطعة أرضه التى هى أساس اقتصاده الفردى . فهل نستطيع القول باستمرار فاعلية هذا العنصر عندنا — على هذا الشكل — فى النظام السوفيتى؟ كلا ، لان الملكية الفردية للارض لا وجود لها فى بلادنا ، ولهذا السبب فلا محل عندنا لارتباط الفلاح بالارض ارتباطا استعباديا كالذى نلمسه فى الغرب ، ومن شأن هذا الواقع جعل تطور الاقتصاد الفلاحى الصغير نحو الاقتصاد الجماعى أمرا ميسورا . هذا هو أحد الاسباب التى تجعل الاستثمارات الزراعية الكبيرة ، أى المزارع الجماعية ، تنجح بهذه السهولة فى بلادنا حيث الارض مؤممة وتجعلها تؤكد **تفوقها** على الاستثمارات الزراعية الصغيرة. وهنا تكمن الاهمية الثورية للقوانين الزراعية السوفيتية التى قضت على الريع العقارى المطلق والغت الملكية الفردية للارض وأممتها . وهذا يعنى ان فى جعبتنا حجة جديدة نواجه بها الاقتصاديين البرجوازيين الذين يتكلمون عن ثبات الاقتصاد الفلاحى الصغير فى كفاحه ضد الاقتصاد الفلاحى الكبير . فما الذى يمنع علماءنا الزراعيين من الاستناد الى هذه الحجة بالقدر الكافى فى معركتهم ضد النظريات البرجوازية كلها ؟

لقد استندنا — فيما استندنا اليه — عند تأميم الارض الى المقدمات النظرية الاولية التى تضمنها الجزء الثالث من رأس المال فى كتاب « نظرية فائض القيمة » ، وفى الدراسات الزراعية المشهورة التى قام بها لينين ، والتى تعد كنزا يزخر بالافكار النظرية ، أعنى بذلك نظرية الريع العقارى عامة ، وبشكل خاص ، نظرية الريع العقارى المطلق . فمن الواضح لنا جميعا ، الان ، ما صادفته التوكيدات النظرية التى تضمنتها هذه المؤلفات من نجاح قاطع فى التجربة العملية لبنائنا الاشتراكى فى المدينة والريف . الا اننا نتساءل عن سبب تداول نظريات الاقتصاديين « السوفيتيين » كنظريات تشايانوف المعادية للماركسية فى صحافتنا تداولا حرا ، بينما لا تشرح للجميع أعمال ماركس وانجلز الفذة عن نظرية الريع العقارى والريع العقارى المطلق . لماذا لا تأخذ تلك الاعمال مكان الصدارة وتبقى مهملة فى أدراج المكاتب.

انكم فى الغالب تذكرون كتاب انجلز المعروف جيدا عن المسألة الفلاحية ، وتذكرون ايضا الحرص الذى تناول به انجلز مسألة وجوب اقتياد صغار الفلاحين فى طريق الاقتصاد الجماعى . واليكم بعض ما جاء فى هذا الصدد — بالذات — فى كتاب انجلز :

« نحن بكل حزم مع الفلاح الصغير ، وسنعمل بقدر استطاعتنا لجعله يعيش حياة لائقة ، ولتيسير انتقاله الى الحياة التعاونية عندما يعزم على ذلك. واذا كان فى حالة لا يستطيع معها أن يقرر هذا ، **فسنحاول أن نتركه أكبر قدر من الوقت ليفكر فى قطعة أرضه الصغيرة** » (٣) .

بهذا الحذر ، يعالج انجلز مسألة وجوب انتقال الاقتصاد الفلاحى الفردى الى الجماعية . فكيف نفسر هذا الحذر الذى يبدو شديدا لاول وهلة ؟ ان حذره يرجع بصفة اساسية الى وجود الملكية الخاصة للارض وامتلاك الفلاح لقطعة أرضه التى لا يسهل عليه الانفصال عنها .

تلك هى الطبقة الفلاحية فى الغرب .. فى البلاد الرأسمالية ، حيث توجد ملكية الارض الخاصة ، ومن المنطقى أن تستلزم معالجة هذه القضية قدرا كبيرا من الحذر .

ولكن ، هل نستطيع القول بأن الوضع فى الاتحاد السوفيتى مماثل لذلك ؟ كلا ، لا يمكن ذلك ، لانه ليس عندنا ملكية خاصة للارض تربط الفلاح بمزرعته الفردية ، لان الارض فى بلادنا مؤممة ، مما يسهل معه تطور الفلاح نحو الجماعية . وهذا هو أحد الاسباب التى تجعل نمو حركة المزارع الجماعية فى بلادنا — فى الفترة الاخيرة أمرا يتم فى يسر وسرعة نسبيتين .

ومن المؤسف أن علماء النظرية عندنا المختصين فى المسائل الزراعية ، لم يحاولوا حتى الان توضيح هذا الفرق بين حالة الفلاح فى بلادنا وحالته فى الغرب، رغم ما يمثله ذلك من أهمية كبيرة جدا ، ليس بالنسبة

---

(٣) الخطوط المؤكدة تحت الكلمات وضعت من قبل مترجم الاصل الفرنسى .

الينا فحسب ، نحن المناضلين السوفيت ، ولكن أيضا بالنسبة للشيوعيين في جميع البلاد ، فليست الثورة البروليتارية في البلاد الرأسمالية عديمة الاهتمام بأن تعرف ــ منذ الايام الاولى لاستيلاء البروليتاريا على الحكم ــ اذا كان يجب في هذه الحالة بناء الاشتراكية على أساس تاميم الارض من عدمه ٠

لقد شرحت في مقال حديث عن «عام المنعطف الكبير» بعض الحجج بشأن تفوق الاستثمارات الزراعية الكبيرة على الصغيرة منها ، آخذا في الاعتبار مزارع الدولة ٠ وليس هناك ما يدعو الى التدليل على صحة هذه الحجج كلها وانسحابها أيضا على المزارع الجماعية باعتبار النوعين وحدات اقتصادية كبيرة٠ وأنا في هذا المجال لا أعنى فقط المزارع الجماعية المتطورة والمزودة بالجرارات والماكينات على اختلاف اشكالها ، بل اعنى ايضا المزارع الجماعية البدائية التى تماثل تجاوزا في التعبير ــ مرحلة الورش اليدوية، ولا تمتلك سوى أدوات وآلات الفلاح العادية ، أعنى تلك المزارع الجماعية البدائية التى يجرى الان تكوينها في مناطق الزراعة الجماعية والتى ليس لديها سوى أبسط آلات الانتاج ٠

فلنتكلم ، على سبيل المثال ، عن المزارع الجماعية في منطقة خوبر بمقاطعة نهر الدون القديمة ٠٠ ان هذه المزارع الجماعية تبدو وكأنه لا فرق ــ تكنيكيا ــ بينها وبين الاقتصاد الفلاحى الصغير ، اذ ليس لديها سوى قلة من الجرارات والماكينات ٠ ومع هذا ، فان مجرد اضافة آلات الفلاحين بعضها الى البعض الاخر واستخدامها معا داخل المزارع الجماعية ، كان له من الاثار ما لم يجرؤ اخصائيونا على مجرد الحلم بها ، فقد تمخض عن اتباع نظام المزارع الجماعية ، زيادة مساحة الارض المزروعة بنسبة ٣٠ في المائة و ٤٠ في المائة وحتى ٥٠ في المائة ٠ وتعود تلك النتيجة المذهلة الى أن الفلاحين بتجميع آلاتهم وأشخاصهم في المزارع الجماعية اصبحوا قوة هائلة بعد أن كانوا عاجزين عن القيام بالعمل كأفراد ، كما تعود الى أن الفلاحين قد أتيح لهم أن يعنوا بالارض بأسرها ، واستثمار أركانها المهجورة ، ونواحيها المعزولة الخ الخ ٠٠ التى كان العمل فيها بوسائل الاستغلال الفردى أمرا شاقا ٠

وتحتل مسألة زراعة الارض البور أهمية بالغة في اقتصادنا الريفي ، فأنتم تعلمون أن المسألة الزراعية كانت محور الحركة الثورية في روسيا قبل سنة ١٩١٧ ٠ كما تعلمون أن سد النقص في الارض كان أحد اهداف الحركة الزراعية ٠ وقد ظن الكثيرون آنذاك أن هذا النقص لا سبيل اطلاقا الى معالجته ، وأنه لا توجد بعد أى أرض قابلة للزراعة ٠

ولكن ماذا شاهدنا ؟ لقد رأينا أنه توجد في الاتحاد السوفيتى أراضى فضاء متاحة تقدر بعشرات الملايين من الهكتارات لم يكن بوسع الفلاح على الاطلاق أن يزرعها بالاته البسيطة ٠ وقد اراد هذا الفلاح ، بل وبحث ، نظرا لعدم قدرته على زراعة الاراضى المهجورة ، عن الاراضى الصالحة للفلاحة ، الاراضى الجيدة التى يمتلكها كبار الملاك العقاريين ، أى الاراضى التى يسهل عليه زراعتها بالوسائل التى يستعملها في عمله الفردى وهذا هو السبب في قلة الارض ٠

ولهذا ، فليس عجيبا أن هيئة احتكار الحبوب عندنا تستطيع استثمار ٢٠ مليون هكتار من الاراضى الفضاء التى لم يشغلها الفلاحون والتى لا يمكن زراعتها بوسائل الاستثمار الفلاحى الفردية ٠ وتتضح أهمية حركة المزارع الجماعية على جميع مستوياتها، سواء في مرحلتها البدائية أو في مرحلتها المتقدمة التى تتميز بامتلاك الجرارات ، ان في مقدور الفلاحين الان استثمار الاراضى المهجورة ٠ هنا يكمن السر في اتساع رقعة الارض المزروعة اتساعا هائلا عندما اتبع الفلاحون العمل الجماعى وهو أحد أسس تفوق المزارع الجماعية على الاقتصاد الفلاحى الفردى ٠ وغنى عن القول ان رسوخ هذا التفوق سوف يشتد عندما تتعهد محطات الآلات والجرارات بمساعدة المزارع الجماعية البدائية في مناطق الزراعة الجماعية الكثيفة ، عندما تتوفر لتلك المزارع الجماعية الجرارات والآلات ذات الاستعمالات المتعددة ٠

تواصل « الطليعة » في العدد القادم نشر وثائق مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

مطابع الأهرام التجارية